

إِسْرَافُ النَّفْسِ فِي تَرْجُمَةِ

تفسير - أسباب نزول - أحاديث - نماذج إعراب

لِلْمَجْمَعِ الْأَوَّلِ

تَأليف

الدكتور أسعد محمود حومر

رَافِعُهُ
فَضِيلَةُ الْأَسْتَاذِ الشَّيْخِ
أَحْمَدَ بْنَ مَسْلَمٍ
مِنْ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ
وَعَضِيدَةِ الْفَنِّ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ

رَافِعُهُ
فَضِيلَةُ الْأَسْتَاذِ الشَّيْخِ
مُحَمَّدُ مَتْوَلِي شِعْرَاوِي
وَزِيرُ الْأَوْقَافِ الْأَسْبَحِ
فِي جُمْهُورِيَّةِ صُرَاةِ الْعَرَبِيَّةِ

تَدَرَّجَ لَهُ فَضِيلَةُ الْأَسْتَاذِ

الدكتور إبراهيم السَّاقِينِي
عَمِيدُ كَلْبَةِ الْبَرِيَّةِ فِي جَامِعَةِ دُش

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
(٨٤ شارع زنوبيا دمشق)

الطبعة الرابعة
١٤١٩ هـ = ٢٠٠٩ م

رقم الايداع: ٤٣٥٩١
تاريخ: ١٩٩٨/١٠/١٤

اَيُّهَا النَّفَّاسُ

تفسير . أمصاب نزول . أحاديث . نماذج إعراب

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه و سلم

بعد نفاذ الطبعة الثالثة من كتاب "أيسر التفاسير" و بحمد الله ، فقد طلب منا إعادة طباعته. و كانت الطبعات الأولى للكتاب في مجلدين من الحجم الكبير،

و بناء على طلب من والدنا "الدكتور أسعد حومد" مؤلف الكتاب ، و على رأي كثير من الأخوان ، قررنا طباعة الطبعة الرابعة في ثلاث مجلدات في حجم أصغر .

و نحن لسنا بغرباء عن كتاب التفسير إذ أننا كنا قد ترجمناه إلى اللغة الانكليزية و طبع في عام ١٩٩٨

راجين من الله تعالى التوفيق و القبول و أن يكون عملنا خالصا لوجهه تعالى

د. أسعد حومد

غادة حومد

ميادة حومد

د. نهى حومد

No. :

الأستاذ الدكتور عبد الله المالح العثيمين المحترم

الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية

ص. ب ٢٢٤٧٦ الرياض ١١٤٩٥

المملكة العربية السعودية

تحية طيبة وبعد ،

فقد اطلع مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٨ جمادى
الثانية ١٤١٤ - ديسمبر ١٩٩٣ بشأن ترشيح بعض اصحاب الكفايات النادرة
في الموضوعات المحددة في هذا الخطاب ، الى واحدة أو أكثر من جوائز الملك
فيصل العالمية .

وقد تبين له أن كتاب " أسرار التفاسير " لمؤلفه الدكتور أسعد حومد
سلطان مستوف شروط الترشيح التي وضعتها ، لاصالته وموضوعيته وسر
تعاييره وتوفيقه بين ضرورات التراث المقدس ومقتضيات الحداثة المعاصرة ، واستيفائه
للمعاني القرآنية استيفاء كاملا وضبطه ضبطا كاملا بالحركات ، اضافة الى فصل
مطول يحتوى على اعراب بعض الكلمات والنصوص القرآنية ، التي يستشكل اعرابها
على بعض القراء

فاتخذ قرارا في الجلسة المذكورة بترشيح هذا المؤلف الى جائزة الملك
فيصل من تفسير القرآن الكريم تفسيرا موضوعيا وعلميا .

وقد شفعتنا هذا الترشيح بالمتطلبات التي اشترطها خطابكم وهي :

- ١- سبع نسخ من أسرار التفاسير
- ٢- موجز عن سيرة المؤلف
- ٣- كلمة حول الكتاب الذي قررنا ترشيحه

No. :

رقم :

٤- كلمة بين يدي الترجمتين الانكليزية والفرنسية التي يقوم بهما المؤلف لشرح نص التفسير ، اكمالا للقاعدة ، وتلبية لحاجات المسلمين الذين لا يعرفون العربية ، أو لا يجيدونها .

وهو جهد مبارك ، لما يتطلبه من جهد ومال ، قام به المؤلف بـمعنى منه وعلى نفقته .

٥- آثار المؤلف العلمية .

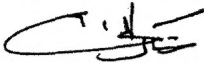
وختاماً نود أن نعرب لسعادتكم من صادق تمنيات أعضاء المجمع وتمنياتنا سائلين الله أن يوفقكم الى ما فيه خير الاسلام والعروة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

١٤١٤ / ١١ / ٢٨ هـ

١٩٩٤ / ٥ / ٨ م

رئيس مجمع اللغة العربية



الدكتور شاكر الفحام

No. :

الأستاذ الدكتور عبد الله الصالح العثيمين

الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية

تحية طيبة وبعد ،

ففي جلسة مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق السادسة المنعقدة بتاريخ ١٩٩٨/١٢/٢٣ وافق المجلس بالاجماع على ترشيح الدكتور أسعد حومد لنيل جائزة الملك فيصل العالمية فـسـي الدراسات الاسلامية لعام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م في موضوع :
الدراسات الاسلامية التي تناولت انتشار الاسلام في اقليم أو أكثر خارج العالم العربي وأثر ذلك الانتشار حضاريا .

وقد صدر للدكتور أسعد حومد ثلاثة مؤلفات في هذا الميدان هي :

- ١- أيسر التفاسير : وهو تفسير للقرآن الكريم أراداه الدكتور حومد محاولة جادة لتمكين العامة ومتوسطي الثقافة من فهم معاني القرآن الكريم دون عناء ، كما ترجمه الى اللغتين الانكليزية والفرنسية رغبة منه في مساعدة أبناء المسلمين المقيمين في أرض غير عربية على فهم قرآنهم العظيم .
- ٢- محنة العرب في الاندلس : يتعرض فيه الدكتور حومد لمعاناة العرب الاندلسيين أنواع التعذيب والابادة والقهر من قبل الاسبان أكثر من مئة عام
- ٣- دعوة الايمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب : يتصدى فيه الدكتور حومد لجماعة من الكذبة الملفقين الذين حاولوا في كتابهم (قس ونبي) أن يشوهوا دعوة الاسلام وأن يسيؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتابع ليتحدث عن الكتب التي في أيدي المسيحيين واليهود اليوم ثم يقارن بين بعض ما جاء فيها وفي القرآن من قصص الأنبياء .

وتجدون رفق هذا الكتاب نماذج من الكتب التي تقدم بها الدكتور أسعد حومد لنيل الجائزة

مرفقة بسيرته الذاتية .

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

دمشق في ١١/٩/١٤١٩هـ
١٩٩٨/١٢/٣٠م

الدكتور محمد احسان النص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
فالحمد لله على ما هدانا له من هذه كتابه الكريم
هذه تيسره فها وكتاباً فقد حافظت على الآثار
منه خط المصحف من يظن كتاب الله بهوله ولا
يجري على اقتحام تصور كماله ، رحمه الله يا أئمة
ما انتخبتم إليه من التدني به الآثار وبه
ما علم من قدامه الكمال ، رحمه الله يا أئمة
عشت مع كتاب الله قراءة وبحثاً وله لونه شار
الله بكل ما بذلت من جهد جهاد من الله ونعم الجزاء
ببر الله له كل أمر وأمانه دائماً على
هذه دينه هذه تسبيح خيره وتيسر الكمال
عليه ، وسيزيله الله لونه شار الله معه كل فهم
أرسلته إلى إخوانه المؤمنين هذا هو موصول

إلى يوم الدين

بارك الله عليه وبارك الله وبارك الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد بن الحسين

١٤٠٥ هـ جاري إلى

١٤٠٥ هـ نداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله إمام المتقين وخاتم النبيين، وبعد فإن الأستاذ المفضل الشيخ أحمد حسن مسلم هو من العلماء القلائل الذين يطمأن إلى علمهم ودينهم، وقد راجع الكتاب الذي ألفه في تفسير القرآن الكريم الأستاذ الدكتور أسعد حومد بعنوان (المختار من التفسير) وقد أطلعت على الكتاب المبارك فإذا هو كتاب يحتاج إليه كل طالب علم مطمئناً إلى ما حواه من معلومات تنقيد بتفكير السلف الصالح ومنهاجهم في تفسير القرآن الكريم وقد زادني ثقة بالكتاب المبارك ما كتبه حوله فضيلة الأستاذ الشيخ مسلم عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، والرائد الديني لجمعيات الشبان المسلمين العالمية.

وليس في وسعنا إلا أن نشي على الكتاب ومؤلفه بما هو أهل له فنرى من الحق علينا أن نستبدل بحسن الشاء جميل الدعاء أن يتفضل الله ويفتح للكتاب طريق القبول في العالمين العربي والإسلامي، وأن يمنح مؤلفه المزيد من التوفيق في خدمة العروبة والعرب والإسلام والمسلمين، والله تعالى سميع مجيب الدعاء بيله الخير وهو على كل شيء قدير.

القاهرة في يوم ١٣ ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ

في ١٦ يناير ١٩٨٤ م

أحمد حسن الباقوري

رئيس جامعة الأزهر الأسبق

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

والرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

حول تفسير المختار

رغب إليّ بعض أهل العلم والفضل، أن أراجع الكتاب الذي ألفه الأستاذ الدكتور أسعد حومد وسماه (المختار في التفسير).

وقد راجعت هذا الكتاب فوجدته على ما يحب الغياري على كتاب الله العزيز، لأنه - في مبلغ علمي - عمل صالح، يحتاج إليه المسلمون في هذه الأيام التي يكاد يتأبى فيها تحصيل العلم النافع على طلابه، بسبب العقبات الكثيرة التي من شأنها أن تحول بينهم وبين ما ينفعهم في شؤون الدنيا وشؤون الدين.

ولست أبالغ إذا قلت أن هذا التفسير، ينبغي اعتباره في الصف الأول من التفسيرات السهلة التي تجمع بين النفع والإمتاع للخاصة والعامة على سواء:

أما الخاصة فينتفعون منه بما يعينهم على فهم القرآن العظيم وافهامه لغيرهم من أهل العناية بالقرآن.

وأما العامة فيأخذون منه بقدر حاجتهم. ولا ريب في أن الكتاب الذي ينتفع به الخاصة والعامة خليق بالتقدير والإحترام.

وليس يسعني إلا أن أشكر للسيد الدكتور المؤلف هذا الصنيع الجميل قادراً لسيادته ما بذل من جهد واحتمل من عناء في سبيل إتمام هذا العمل المجيد.

وليس يستعصي على من يتغيا الإنصاف في الحكم على الأشياء أن يرد الفضل في هذا الكتاب إلى أمرين:

أحدهما أن المؤلف إلزم طريقة السلف الصالح في تناول القرآن الكريم بالشرح، فلم يذهب مذهب الذين يحملون القرآن فوق ما يحتمل من الضرب في آفاق لا دليل عليها في المأثور عن سلفنا الصالح، كما يذهب إلى ذلك بعض الذين يتحدثون عن القرآن في إطار من النظريات الحديثة التي لا يقوم عليها دليل، ولا يناصرها برهان لأنها: في ضمن الغيب المحجب الذي لا يعلمه إلا علام الغيب، ولعل الأستاذ المؤلف قد اقتدى في مذهبه هذا بعالم دمشقي جليل هو الأستاذ جمال الدين القاسمي الذي كان إذا أراد الإشارة إلى معنى جديد، لم يشأ أن يضعه في نطاق التفسير للآيات، بل يذكر الآية ويشير إلى معناها المعروف المألوف عند علماء الأمة ثم يضع المعنى الذي يريده تحت عنوان (تنبيه) على ما يرى ذلك الذين يتناولون كتابه في تفسير الآية الشريفة:

﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾.

فقد ذكر الشيخ القاسمي في كتابه أن المراد بجمع دواب السموات والأرض هو حشرهم يوم القيامة فالمراد من القدرة على ذلك أنه تعالى متمكن منه لا يتعذر عليه وإن تفرقت أوصالهم. ثم وضع في أسفل هذه الكلمات كلمة (تنبيه)، يشير بذلك الوضع إلى معنى علمي حديث لا يبعد أن يكون مراداً في القرآن إذا قامت الأدلة على صحته في مستقبل قريب أو بعيد فذلك حيث قال رحمه الله: ذهب بعض الباحثين في آيات القرآن الفلكية والعوالم العلوية إلى معنى آخر في الآية وعبارته على النحو التالي: يفهم من هذه الآية أن الله تعالى خلق في السموات دواب ثم يستدل بقوله: ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء﴾. فهذه الدواب في السماء ليست ملائكة كما قال بعض المفسرين ولكنها حيوانات كحيوانات الأرض لا يبعد أن يكون بينهم حيوان عاقل كالإنسان، ويلزم لحياة تلك الحيوانات أن يكون في السموات نباتات وأشجار وبحار وأنهار، كما تحقق في هذا العصر لدى

علماء الأرصاد الجوية، والطائرين في المراكب الفضائية التي لا يشك القائمون على شأنها في أنهم صاترون إلى علم يقيني في بعض الكواكب بأن هناك عالماً كعالمنا الأرضي فيه إنسان سخر الله له جميع الكواكب، ولعل الإمام القاسمي يريد أن يقول إن علماء الرياضة الذين اخترعوا المراكب الفضائية في الغرب والشرق، يصرون على أن في الكواكب الكثيرة المنتشرة في كون الله العظيم مخلوقات كثيرة من نبات وحيوان عاقل كالإنسان، وغير عاقل؛ وهو ما لا يستبعد أهل العلم كلما ذهب مركب فضائي وخلفه مركب آخر، وهنا يقول الإمام القاسمي تلميذ الإمام الشيخ محمد عبده، وزميل السيد محمد رشيد رضا، يقول رحمه الله: ولعمري إن هذه الآية التي نزلت على محمد ﷺ قبل ألف وثلاثمائة وعشرين سنة لأهل هذا العصر وآية وآية؟ آية لأهل العلم والفلسفة الذين يبدلون الأموال والأرواح ليتوصلوا إلى معرفة سر من أسرار الكائنات، ومع ذلك الجد الصارم العنيف والجهد المتواصل، لم يتوصلوا - إلا بالظن - إلى ما أنبأت به هذه الآية.

هذا والأمر الثاني تيسير قراءة الكلمات المكتوبة في الرسم العثماني بكتابتها على صورة الإملاء الحديث، ذلك أن من هذه الكلمات ما لا يمكن أن يقرأه أبناؤنا وبناتنا في الجيل المعاصر والأجيال التالية ونضرب لذلك مثلاً الكلمة في الآية الشريفة في سورة فاطر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾. فالكلمة (نعمت) لا يستطيع المعاصرون من طلاب العلم وغيرهم قراءتها إلا على أنها فعل مدح للأثنى ولا يقرؤها قارئ بمعنى النعمة وهي اسم لما أنعم الله به من مختلف النعم. فإذا جاء مفسر القرآن الكريم فوضع في الهامش هذه الكلمة بإملاء العصر الحديث هكذا (نعمة) فإن أحداً لا يستطيع أن يلومه إلا إذا أثر للقرآن الكريم أن يكون غير مفهوم لسواد الناس.

وعلى هذا النحو جاءت في سورة النمل كلمة تصعب قراءتها على الطلاب وغيرهم في كتابة المصحف العثماني ولا بد من كتابتها بالإملاء الحديث وهي:

الكلمة التي كتبت في المصحف العثماني ضمن الآية الشريفة: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْمَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لِأَعْذِبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَدْبَحُهُ أَوْ لِيَأْتَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فليس من الميسور أن يقرأ الطالب كلمة لا أذبجه على وجه يرضاه أهل العلم فإذا جاء من يفسر القرآن فكتب كلمة (لأذبجه) في هامش التفسير بالإملاء الحديث هكذا (أو لأذبجه) فليس هناك وجه للوم إلا من المتعنتين الذين لا يعبا الله بهم.

والذين يلاحظون هاتين الكلمتين في سورتي فاطر والنمل لا ينبغي أن تضيق صدورهم بكتابة بعض الكلمات في هوامش التفسير بالإملاء الحديث لأن ذلك تيسير والإسلام بني على التيسير.

وهنا فرق بين أمرين لا يجمل بطلاب الحق أن يهملوا التنبيه عليهما:

وأحد الأمرين أن كتابة الكلمات بالإملاء الحديث في صلب المصحف أمر لا يسوغ فلا يليق بأحد أن يذهب إليه ويناصر القائلين به.

والأمر الثاني أن تكتب الكلمات مفرقة في هوامش التفسير، فذلك أمر سائق لا غبار عليه، ولا ينبغي الاعتراض عليه لمن يؤثر العدل والإنصاف.

فهذان أمران سلك السبيل إليهما الأستاذ الدكتور المؤلف طلباً للتيسير على أبناء وبنات الأمة الإسلامية فجزاه الله على صنيعه هذا أفضل ما جزى صادقاً بصدق، ومخلصاً بإخلاص، وغيوراً على الإسلام بغيرته على القرآن، أن تستعصي قراءته ثم الإنتفاع به على أبناء أمتنا التي تربص بها أحقاد الحاقدين، وتتملظ إليها أطماع الطامعين.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وعلى كل من اهتدى بهيدي إلى يوم الدين.

أحمد حسن مسلم

عضو لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف

والرائد الديني لجمعيات الشبان المسلمين العالمية

دار المركز العام للشبان المسلمين بالقاهرة.

في يوم ١٣ من ربيع الثاني ١٤٠٤ هجرية.

في ١٦ يناير ١٩٨٤ ميلادية.

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾.

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد جاء بالهدى ودين الحق وأرسله به شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

وبعد: فإن القرآن الكريم نزل رحمةً يخاطب الأجيال كلها في كل العصور، وهو المنقول إلينا بالتواتر، والمفيد لليقين، والمحرر للإنسان من الخرافة والتبعية والانحراف في الفكر والسلوك والوجدان، وهو هداية الخالق لإصلاح الخلق، تكفل بجميع ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم ودنياهم... في العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات المدنية والجنائية والإقتصادية والسياسية والعلاقات الدولية في السلم والحرب... وهو في كل ذلك حكيم كل الحكمة، قرّر أقوم القواعد التي تحقق مصلحة الفرد والجماعة وسعادتهما، وكفل إنشاء الإنسان الراقي المتحرر، والمجتمع الفاضل المتحضر، لا يعتريه خلل ولا اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً).

هو حلل الله المتين والنور المبين، والصراط المستقيم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على طول التكرار.

ومع هذا كله فإن أكثر المنتسبين للإسلام اليوم في أقطار العالم معرضون عنه، وعن التدبر في آياته، غير مكترئين لقول خالقهم عز وجل: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾.

والقرآن الكريم لم ينزله رب العالمين لنجعله على الصدور أو على الرفوف والجدران، أو لنفتح به الحفلات، أو لنقرأه في الأفراح والمآتم والمناسبات فحسب، إنما أنزله الله تعالى ليقراه الناس، ويفهموه فهماً صحيحاً، ويعملوا بما فيه، ليخرجوا من صحراء الضياع إلى صدر العالم، وليستضيئوا بهديه.

لهذا كان من أهم الأعمال وأفضلها خدمة هذا القرآن من بيان معانيه، وإظهار كنوزه، وبيان أحكامه بأسلوب ميسر ليستطيع الناس فهمه، وليقفوا على ما فيه من دروس وعبر، ويستنبطوا من مضامينه ما فيه سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا المؤلف محاولة كبيرة وكريمة من أخٍ وفق لنفع الخلق الذين هم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله. وهو جهد عظيم مشكور جاء بشكل منسق يسهل الرجوع إليه، وبأسلوب واضح معزز بأسباب النزول للآيات الكريمة، وتوضيح أوجه الترابط بينها.

وقد اختار المؤلف لكتابه عنوان (المختار من التفسير) ليطابق الاسم مسماه. وهو كتاب علمي وعملي عونٌ للعالم، ومرجع للمتعلم، وما أحوج المسلمين إلى من يعرفهم بكتاب ربهم، ويعينهم على تفهم أسراره، فجزى الله تعالى الأخ الدكتور أسعد حومد على مؤلفه خير الجزاء، وأخرج به إلى النور من يريدون أن يفهموا كتاب الله تعالى، وزاده وأمثاله إحساناً وتوفيقاً إنه سميع مجيب.

الدكتور إبراهيم محمد السلقيني
عميد كلية الشريعة الأسبق
في جامعة دمشق

دمشق في ١٥ من شهر جمادي الأولى ١٤٠٦ هجرية
الموافق الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ ميلادية.

موسوعة المصادر والمراجع الدكتور عبد الرحمن عطية

الطبعة الثامنة ١٩٨٨ الصفحات ٢٩٨ - ٣٠١

أبصر التفسير

ألفه الدكتور أسعد محمود حومد، وهو من أحدث التفسير التي أصدرتها المطابع، ومن أجلها نفعا، ذلك أنه - مع عنايته بالمضمون شرحا وتفسيرا - عني بالإخراج الذي يجعل تناول التفسير في غاية اليسر مهما تفاوتت درجات ثقافة القارئ. وقد التزم المؤلف - من حيث المضمون - طريقة السلف في تناول القرآن الكريم في الشرح والتفسير دون التعرض للنظريات الحديثة التي يوغل بعض المفسرين المحدثين في اللجوء إليها، وعلى هذا فإن هذا التفسير بالشكل الذي عرضه فيه المؤلف يعد من ألوان «التفسير بالمأثور».

والمؤلف، في سياق التفسير، إذا انفرد برأي خاص وجده أقرب إلى فهمه لم ينكر على الآخرين فهمهم للقضية التي انفرد برأي حولها، بل أثبت آراءهم حولها وذلك بوضع هذه الآراء ضمن قوسين مع عبارة: (وقيل: إن المعنى هو...) وفي تفسير الآيات حرص المؤلف على إجمال معاني القرآن على أساس ربط معاني مقاطع الآية بعضها ببعض، ثم ربط معاني الآيات بما تقدمها لتقديره أن ذلك أكثر مساعدة على توضيح المعاني القرآنية.

وعني المؤلف بإيراد أسباب النزول في سياق التفسير لا خارج إطاره ليكون السبب في نزول الآية واقعة ترسخ المعنى في الذهن، كما عني بإيراد الأحاديث الشريفة التي جاءت في تفسير بعض الآيات القرآنية.

وقد أشار المؤلف إلى المراجع التي استعان بها في إعداد تفسيره وذكر منها تفسر ابن كثير وتفسير الجلالين وفي ظلال القرآن وتفسير المراغي.

أما عن طريقة إخراج التفسير فإنها تتم عن عقل منظم استطاع تسهيل فهم التفسير يسر وبثشويق وإمتاع، وهو أمر تفتقده كثير من التفسير. ويتجلى تنظيم هذا الإخراج بالأمور التالية:

١ - قسم المؤلف الصفحة طولانيا إلى حقلين خصص الأيمن والأصغر للآيات التي يفسرها وخصص الأيسر والأكبر للتفسير.
٢ - في كل آية يسجل رقم الآية ونصها في الحقل الأيمن ثم يضع تفسيرها في مقابلها من الحقل الأيسر، ولا يبدأ بتسجيل آية جديدة إلا بعد الانتهاء من تفسيرها، وبما أن حجم التفسير يكون عادة أكبر من حجم نص الآية، فلا بد أن يقع فراغ بعد الانتهاء من كتابة الآية، وبعد هذا الفراغ تبدأ الآية الجديدة ويبدأ ما يقابلها من التفسير؛ الأمر الذي يجعل حدود الآية وحدود تفسيرها واضحين كل الوضوح أمام القارئ. ولا يحتاج إلى جهد في تتبع موقع تفسير الآية بعيدا عن نصها في هوامش الصفحة نفسها أو في هوامش صفحات أخرى.

٣ - خلال عملية التفسير لأية آية يتم شرح بعض ألفاظها ثم يعقب باللفظ المشروح ضمن قوسين، ومثال ذلك حين شرح المؤلف كلمة (وابل) من قوله تعالى: (كمثل جنة أصابها وابل) قال: «أصابها مطر شديد (وابل)». وذلك رغبة من المؤلف في التبسيط والتسهيل.

٤ - ومن باب التيسر أيضاً وفي شرحه لأية آية يضع في نهاية الشرح الألفاظ التي يقدر أنها صعبة يضع مقابلها شرحاً مثال ذلك شرحه للآية التي تشتمل على الجزء السابق يضع في نهايتها شرح بعض الألفاظ على الصورة التالية:

رءاء الناس: مرأاة لهم وطلباً للسمعة عند الناس.

صفوان: حجر أملس.

وابل: مطر شديد.

صلدا: أجرد نقياً من التراب.

٥ - حافظ المؤلف على الرسم العثماني في كتابة الآيات، وفي الرسم العثماني كلمات يخالف رسمها ما تعارف عليه الناس في الإملاء. ودفعاً للالتباس عند من لم يألفوا الرسم العثماني يضع المؤلف في سطر مستقل في مطلع التفسير هذه الكلمات مكتوبة بالرسم الإملائي المؤلف ويخط كبير وذلك بغية تأدية غرضين أولهما المحافظة على الرسم العثماني الذي توارث كتابته في المصحف منذ عهد الصحابة ولانيهما إعادة كتابة الكلمات في الحقل المخصص للتفسير وذلك بالرسم الإملائي المؤلف في العصر الحديث.

ومن باب تواضع العلماء وتقديرهم لأهل العلم الصل المؤلف شخصياً بعدد من جته العلماء والقراء يعرض عليهم عمله ويطلب منهم الرأي والصيحة منهم أصحاب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي والأستاذ الشيخ أحمد الباقوري والأستاذ الشيخ أحمد حسن مسلم والشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية والأستاذ الدكتور الشيخ إبراهيم السلقيني الذي وضع مقدمة الكتاب، وقد قرطوا جميعاً عمل المؤلف وباركوه.

طبع الكتاب في دمشق طبعين متتاليين خلال سنة واحدة أولاً عام ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م والثانية ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله أجمعين.

صدرت الطبعة الأولى من هذا التفسير في أوائل عام ١٩٩١ فاستقبلها جمهور القراء أحسن استقبال لما لاحظوه فيه من الوضوح في الأداء، ومن الحرص على التمسك بمذهب السلف الصالح في تفسير القرآن الكريم، حتى كادت الطبعة الأولى أن تنفذ خلال شهور قليلة. فكان التحضير للطبعة الثانية مناسبة حسنة لتدارك النواقص التي ظهرت في الطبعة الأولى، ولإضافة فصل فيه بعض قواعد النحو وفيه نماذج من إعراب بعض الآيات القرآنية، مما يستشكل عادة إدراكه على متوسطي الثقافة. وقد دفعني إلى إضافة هذا الفصل ما قصه علي بعض الصحاب عما لاحظته في أوروبا من نشاط محمود يقوم به بعض أعداء الإسلام من العرب المقيمين هناك للدس على الإسلام وعلى القرآن، لإضعاف ثقة المسلمين المقيمين في الغرب بدينهم وكتابهم، لكي يسهل إغراقهم في البحر الذي يقيمون فيه، وابتلاعهم بصورة نهائية... وقال لي هذا صاحب إن فيما يدسه هؤلاء الأعداء، ويروجون له، هو الزعم أن القرآن وقعت فيه بعض الأغلاط النحوية، ولو كان من عند الله لما وقع فيه ذلك الغلط، ويضربون أمثلاً على ذلك الذي ظنوه أخطاءً - لجهلهم ولضحالة ثقافتهم في اللغة العربية - . ومن ذلك ما جاء في الآية ٦٣ من سورة طه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰجِرَٰنٌ﴾، فيقولون إن القاعدة النحوية تقضي بأن يكون النص ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَٰجِرَٰنٍ﴾ لأنَّ إنَّ تنصب المبتدأ وترفع الخبر... ونسوا تمة القاعدة النحوية القائلة إنه إذا خففت إنَّ بطل عملها، وأصبح ما بعدها مرفوعين على أنهما مبتدأ وخبر، فقلت في نفسي إنَّ الضرورة إذاً تقضي بأن أضيف فصلاً في الإعراب، وأن أقدم بين يدي هذا الفصل بإشارة غابرة إلى بعض قواعد النحو التي يحاول بعض الجهلة إثارتها. . وبذلك يدرك القارئ أن القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، . . . أما أولئك الأعداء الذين يضيعون وقتهم في البحث عما يسيئون به إلى الإسلام وإلى القرآن، ويحاولون جهلاً منهم وغباءً، مناطحة أرسخ ثوابت الإسلام، ألا وهو القرآن الكريم، فإن خير رد عليهم أن ننقل إليهم حواراً جرى في القرن الثالث الهجري بين رجل مجوسي وبين أبي الهذيل العلاف حول موضوعات تشبه ما يثيره اليوم أعداء الإسلام، فلم ينته الحوار حتى شهد الرجل أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونحن لا نتوقع أن يفعل أعداء الإسلام اليوم الشيء ذاته لأن الحقد أعمى بصيرتهم وأبصارهم، ولم يجعلوا الحقيقة قصدهم ورائداهم في حياتهم، ولذلك فإنهم سيقون في الجهالة والعماية يترددون حتى يأتي يوم لا ينفعهم فيه دس ولا كذب ولا نفاق ولا كفر بآيات الله.

جاء في كتاب طبقات المعتزلة في الصفحتين ٤٤ و ٤٥ الكلمة التالية:

(ومن محاسن مناظرات أبي الهذيل العلاف أنه أتاه رجل فقال له: أشكل علي أشياء من القرآن فقصدت هذا البلد فلم أجد عند أحد ممن سألتهم شفاء لما أردته، فلما خرجت منه في هذا الوقت قال لي قائل: إن بغيتك عند هذا الرجل (أي عند أبي الهذيل نفسه) فائق الله وأفدني. فقال له أبو الهذيل: فماذا أشكل عليك؟ قال آيات من القرآن توهمني أنها متناقضة، وآيات توهمني أنها ملحونة. قال فماذا أحب إليك؟ أجيبك بالجملة أو تسألني عن آية؟ قال: بل تجيبني بالجملة. فقال أبو الهذيل: هل تعلم أن محمداً كان من أوسط العرب وغير مطعون عليه في لغته، وأنه كان عند قومه من أعقل العرب، فلم يكن مطعوناً عليه؟ قال اللهم نعم. فقال أبو الهذيل: فهل تعلم أن العرب كانوا أهل جدل؟ قال: اللهم نعم. قال فهل اجتهدوا في تكذيبه؟ قال اللهم نعم. قال فهل تعلم أنهم عابوا عليه بالمناقضة أو باللحن؟ قال اللهم لا. قال أبو الهذيل: فتدع قولهم، على علمهم باللغة، وتأخذ بقول رجل من الأوساط؟ قال فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قال كفاني هذا وانصرف وتفقه في الدين (طبقات المعتزلة ص ٤٤ و ٤٥).

والذي نضيفه إلى ما قاله أبو الهذيل العلاف هو أن ما يثيره هؤلاء الجهلة لم يكن ليخفى على أبسط العرب كشفه لو كان شيء منه صحيحاً، ولعابه كل واحد، ولكنتا نجد الأمر على غير ما يقولون، نجد بعض زعماء الضلالة من قریش يعترفون بأن ما يقوله محمد (من القرآن) ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن. وأن امرأة أعرابية سمعت القرآن يتلى فسجدت، فسألوها عن سبب سجودها فقالت لفصاحته.

فالإلى هؤلاء جميعاً نقول إنهم لو انصرفوا إلى ما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم من السعي إلى إصلاح بيتهم من الداخل بعد أن كادت تضعيف فيه معالم الإيمان، لكان ذلك أجدى لهم وأنفع.

والإعراب الذي أوردناه في هذا الكتاب اعتمدنا في أكثره على كتاب الأستاذ محيي الدين الدرويش (إعراب القرآن الكريم)، واعتمدنا في قلة منه تفسير الزمخشري وعلى كتاب مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي أبي طالب القيسي الذي حققه ونشره الدكتور حاتم صالح الضامن.

فالحمد لله على ما أنعم به من التوفيق إلى خدمة الأجيال الإسلامية، وأسأله السداد والرشاد. وأود قبل أن أختتم كلمتي هذه أن أزجي جزيل الشكر للصادقين الفاضلين الأستاذ الشيخ عصام خلف والأستاذ عبد الله صباغ لما بذلاه من جهد في ضبط طباعة التفسير، جزاهما الله عني خير الجزاء على جهدهما المشكور، كما أشكر الأستاذ الفاضل عبد الحليم الخطيب السلقيني الذي تطوع في إبداء ملاحظات قيمة جزاه الله خيراً.

والصلاة والسلام على محمد رسول الله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الدكتور/ أسعد حومد

دمشق في الخامس من شهر رجب عام ١٤١٢ هـ

الموافق العاشر من شهر كانون الثاني ١٩٩٢ م

(١) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

مَكِّيَّةٌ وَأَوَّلُهَا لَا يُتَّبَعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تُسَمَّى هَذِهِ السُّورَةُ أُمُّ الْكِتَابِ، لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ بِطَرِيقِ الْإِيجَازِ وَالْإِشَارَةِ عَلَى مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ وَهِيَ: التَّوْحِيدُ، وَالْوَعْدُ وَالْبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِ الْمُحْسِنِ، وَالْوَعْدُ وَالْإِنذَارُ لِلْكَافِرِ الْمُسِيءِ، وَبَيَانُ طَرِيقِ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَضْصُ الَّذِينَ أَطَاعُوا رَبَّهُمْ فَفَازُوا، وَالَّذِينَ عَصَوْا فَخَابُوا.

(١) - بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، الْمُتَّصِفِ بِكُلِّ كَمَالٍ، الْمُتَزَوِّجِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَهُوَ صَاحِبُ الرَّحْمَةِ الَّذِي يُفِيضُ بِالنِّعَمِ الْجَلِيلَةِ عَامَهَا وَخَاصَّهَا عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ الْمُتَّصِفُ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ الدَّائِمَةِ.

(الْعَالَمِينَ)

(٢) - الشَّاءُ الْجَمِيلُ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الشَّاءَ لِأَنَّهُ مُنْشِئُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالْقَائِمُ عَلَيْهَا.

(٣) - وَهُوَ صَاحِبُ الرَّحْمَةِ الدَّائِمَةِ وَمَصْدَرُهَا، يُنْعِمُ بِكُلِّ نِعْمٍ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا عَلَى خَلْقِهِ.

(مَالِكِ)

(٤) - وَهُوَ وَحْدَهُ الْمَالِكُ لِيَوْمِ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ، وَلَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي التَّصَرُّفِ.

(٥) - وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، يَا رَبَّنَا، وَلَا نَطْلُبُ الْعَوْنَ وَالْخَيْرَ إِلَّا مِنْكَ.

(الصِّرَاطِ)

(٦) - وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُؤَفِّقَنَا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَالْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي يُوصِلُنَا إِلَيْكَ.

(صِرَاطِ)

(٧) - وَهُوَ طَرِيقُ عِبَادِكَ الَّذِينَ وَقَفْتَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِكَ، وَوَهَبْتَ لَهُمُ الْهَدَايَةَ وَالرِّضَا مِنْكَ، لَا طَرِيقَ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا غَضَبَكَ، وَضَلُّوا طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ لِأَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ، وَالْإِدْعَاءِ لِهَدْيِكَ.

١ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

٣ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ

٥ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

٦ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

٧ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

الضَّالِّينَ

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَكِّيَّةٌ

وَأَنشَأَهَا مِائَتًا وَثَمَانُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلِف. لام. ميم.

وَتُقْرَأُ مُقْطَعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ. اختلفَ الْمُفَسِّرُونَ حَوْلَ تَفْسِيرِ
مَعْنَى الْحُرُوفِ الْوَارِدَةِ فِي مَطَالِعِ السُّورِ، وَأَكْثَرُهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهَا مِمَّا
أَسَاءَتْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهَا، وَلَكِنَّهُمْ اختلفُوا حَوْلَ مَقَاصِدِهَا،
فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهَا حُرُوفُ تَنْبِيهِ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: أَيَا وَهْيَا: وَالتَّفْسِيرُ
الَّذِي اخْتَارَهُ بَعْضُهُمْ وَرَأَى أَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْمُنْطِقِ هُوَ: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
الْمُنَزَّلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْحُرُوفِ، الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ، هُوَ
الْمُعْجِزَةُ، لِأَنَّهُ تَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ بِلُغَتِهِمْ،
وَهُمْ أَهْلُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ وَاللِّسَنِ.

وَمَا دَامَ الْمُفَسِّرُونَ قَدِ اختلفُوا حَوْلَ مَعْنَاهَا الصَّحِيحِ فَلَا فَضْلَ أَنْ
نَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(الْكِتَابُ)

(٢) - لَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ (الْكِتَابُ) مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ هُدًى
وَنُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْمُتَّقُونَ، الَّذِينَ يَجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَيَتَّقُونَ
الشَّرْكَ وَأَسْبَابَ الْعِقَابِ.

الْإِتْقَاءُ - هُوَ الْحِجْزُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَمِنْهُ اتَّقَى الطَّعْنَ بِتَرْسِهِ، أَيْ جَعَلَ
التَّرْسَ حَاجِزاً بَيْنَ الرُّمَحِ وَبَيْنَهُ.

هُدًى - هَادٍ مِنَ الضَّلَالَةِ.

(الصَّلَاةُ) (رَزَقْنَاهُمْ)

(٣) - وَهَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِحَزْمٍ وَإِيمَانٍ وَإِدْعَانٍ بِمَا لَا
يَقَعُ تَحْتَ خَوَاسِئِهِمُ (الْغَيْبِ) فَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَبِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

١ الم

٢ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ

٣ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

وَجَنَّتْهِ وَلَقَائِهِ، وَبِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَهُمْ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيُؤَدُّونَهَا حَقًّا
أَدَائِهَا وَيَتَمُونَ - بِخُشُوعٍ تَامٍ، وَحُضُورِ قَلْبٍ - رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا
وَنِلَاوَتَهَا، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ
أُمُورِهِمْ.

الغَيْبُ - هُوَ مَا غَابَ عَنِ حَسِّ الْإِنْسَانِ، أَوْ مَا غَابَ عِلْمُهُ عَنِ الْإِنْسَانِ
كَذَاتِ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ.

الإِيمَانُ - هُوَ تَصَدِيقٌ جَازِمٌ يَقْتَرِنُ بِإِذْعَانِ النَّفْسِ وَاسْتِسْلَامِهَا.

(بِالْآخِرَةِ)

(٤) - وَهَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِمَا جِئْتُ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ، وَلَا
يَجْحَدُونَ بِمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ بِصَدَقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ
النُّبُوءَاتُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ.

الْيَقِينُ - هُوَ التَّصَدِيقُ الْجَازِمُ. وَيُعَرَفُ الْيَقِينُ بِآثَارِهِ فِي الْأَعْمَالِ، فَمَنْ
شَهِدَ زُورًا، أَوْ أَكَلَ مَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ
إِيمَانُهُ قَائِمًا عَلَى الْيَقِينِ.

(أُولَئِكَ)

(٥) - فَهَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفُونَ بِالصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ: مِنْ إِيْمَانٍ بِاللَّهِ، وَإِيْمَانٍ
بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَتَأْدِيَةِ الزَّكَاةِ... هُمْ عَلَى هُدًى مِنْ
رَبِّهِمْ وَنُورٍ وَبَصِيرَةٍ، وَهُمْ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا مَا طَلَبُوهُ بَعْدَ
السَّعْيِ الْحَثِيثِ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهِ، وَنَجَّوْا مِنْ شَرِّ مَا أَجْتَنَّبُوهُ.
عَلَى هُدًى - تَعْبِيرٌ يُفِيدُ التَّمَكُّنَ مِنَ الْهُدَى، وَكَمَالَ الرُّسُوخِ فِيهِ.

(الَّذِينَ أَنْذَرْتَهُمْ)

(٦) - أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَجَحَدُوا الْحَقَّ وَسَتَرُوهُ، فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، سَوَاءٌ أَلَّذَرْتَهُمْ وَخَوَّفْتَهُمْ عَاقِبَةَ بَغْيِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، أَمْ لَمْ
تُنْذِرْهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا تُؤَثِّرُ فِيهِمُ الْمَوْعِظَةُ.

الْكُفْرُ - هُوَ سَتْرُ الشَّيْءِ وَتَغْطِيَتُهُ.

سَوَاءٌ - مُسْتَوٍ.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ

(أَبْصَارِهِمْ) (غِشَاوُهُ)

(٧) - وَهَؤُلَاءِ قَدْ تَمَكَّنَ الْكُفْرُ مِنْهُمْ حَتَّى أَصْبَحُوا وَكَأَنَّ اللَّهَ، قَدْ وَضَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ خْتَمًا فَأَصْبَحَتْ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنَ الْهَدَايَةِ، وَكَأَنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ خْتَمًا فَأَصْبَحَتْ لَا تَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ، وَلَا تَتَأَثَّرُ بِأَسْبَابِ الْهَدَايَةِ، وَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلْقَى عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً فَافْقَدَهَا الْقُدْرَةَ عَلَى الرُّؤْيَةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيلَةِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ سَيَسْتَمِيرُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَسَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لاسْتِحْقَاقِهِمُ الْعَذَابَ الْعَظِيمَ مِنْ رَبِّهِمْ.

الْخَتْمُ وَالطَّبْعُ وَالرَّيْنُ - بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ.
الْغِشَاوَةُ - الْغِطَاءُ وَالسُّتْرُ.

(أَمَنَّا) (الْآخِرِ)

(٨) - يَقْضِضُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ، وَيَكْشِفُ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَمْرَهُمْ وَخَفَايَا نُفُوسِهِمْ. وَالْمُنَافِقُونَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ، وَيَتَظَاهَرُونَ بِالْإِسْلَامِ، وَهُمْ كُفَّارٌ، فَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ، وَلَا مُخْلِصِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ.

(وَيَنْطَبِقُ لَفْظُ الْمُنَافِقِ عَلَى كُلِّ مَنْ يُظْهَرُ الْخَيْرُ وَيُخْفَى الشَّرُّ).

النَّاسُ - هُمُ بَنُو الْبَشَرِ، وَسَمَّى النَّاسُ أَنْسَاءً لظُهُورِهِمْ وَتَعَلَّقَ الْإِنْسَانُ بِهِمْ.

(يُخَادِعُونَ) (أَمَنُوا)

(٩) - وَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُونَ خِدَاعَ النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ وَغِشَّهُمْ مِنْ وَرَاءِ تَظَاهَرِهِمْ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ بِالْإِسْلَامِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُمْ، وَقَدْ نَبَّاهُ رَسُولُهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَلِكَ، وَلِهَذَا فَإِنَّهُمْ لَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ أَنَّ أَمْرَهُمْ مَكْشُوفٌ.

الْخِدَاعُ - أَنْ يُوهِمَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ خِلَافَ مَا يُخْفِيهِ لِيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ.

(١٠) - فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ شَكٌّ وَنِفَاقٌ (مَرَضٌ) فَزَادَهُمُ اللَّهُ شَكًّا وَنِفَاقًا وَرَجَسًا (مَرَضًا)، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى النَّاسِ.
مَرَضٌ - شَكٌّ وَنِفَاقٌ.

٧ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى

سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ
غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

٨ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَمَنَّا

بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ
بِمُؤْمِنِينَ

٩ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ

١٠ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ

مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
كَأَنَّهُمْ كَذِبُونَ

(١١) - فَإِذَا قِيلَ لَهُوَلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، وَلَا تَيَبُّوْا فِيهَا الْفِتْنِ وَالْحُرُوبِ، وَلَا تُحَرِّضُوا الْأَعْدَاءَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تُفْسِدُوا أَسْرَارَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَعْدَائِهِمْ، وَلَا تَرْتَكِبُوا الْمَعَاصِيَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ فُتُونِ الشَّرِّ... قَالُوا: إِنَّا نُرِيدُ الْإِصْلَاحَ، فَتَحْنُ بَعِيدُونَ عَنِ الْإِفْسَادِ وَشَوَائِبِهِ. وَالْمُفْسِدُونَ يَدْعُونَ دَائِمًا أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِصْلَاحَ.

الْفَسَادُ - هُوَ خُرُوجُ الشَّيْءِ عَنْ حَدِّ الْإِعْتِدَالِ.

وَالْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ - هُوَ إِثَارَةُ الْأَضْطِرَابَاتِ وَالْفِتَنِ فِيهَا.

الصَّلَاحُ - هُوَ عَكْسُ الْفَسَادِ.

(١٢) - وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ هُمُ الْمُفْسِدُونَ، لِأَنَّهُمَا يَقُومُونَ بِهِ هُوَ عَيْنُ الْفَسَادِ، وَلَكِنَّهُمْ لِيَجْهَلِهِمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُ فُسَادٌ، وَلَا يَذَرُكَوْنَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ الَّذِي سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

(أَمِنُوا)

(١٣) - وَإِذَا قِيلَ لَهُوَلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: آمِنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَبِالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَمَا آمَنَ النَّاسُ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي امْتِنَالِ الْأَوَامِرِ وَتَرْكِ الزَّوَاجِرِ، قَالُوا سَاجِرِينَ: كَيْفَ نُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءُ، وَنَصِيرُ مَعَهُمْ فِي مَنَازِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنَّهُمْ لِيَجْهَلِهِمْ، وَضَعُفِ عَقُولُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

السُّفَهَاءُ - خِفَّةُ فِي الْعَقْلِ، وَفَسَادُ فِي الرَّأْيِ، وَمِنْهُ تَوَبَّ سَفِيهُ أَيَّ رَدِيءٍ.

(أَمَنَّا) (شَيَاطِينُهُمْ) (مُسْتَهْزِئُونَ) (أَمِنُوا)

(١٤) - كَانَ الْمُنَافِقُونَ إِذَا اتَّقَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ أَظْهَرُوا لَهُمُ الْإِيمَانَ نِفَاقًا وَمُصَانَعَةً وَتَقِيَّةً، وَلَكِنَّهُمْ حِينَمَا كَانُوا يَذْهَبُونَ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ - أَيَّ سَادَتِهِمْ وَكِبَرَانِهِمْ مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ، وَرُؤُوسِ الشَّرِّكَ وَالنِّفَاقِ -، وَيَخْتَلُونَ بِهِمْ بَعِيدًا عَنْ سَمْعِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، كَانُوا يَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا، وَإِنَّهُمْ مَا زَالُوا مُقِيمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ نِفَاقًا وَتَقِيَّةً وَمُصَانَعَةً، وَأَسْتَهْزِءًا بِالْمُؤْمِنِينَ وَدِينِهِمْ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا اتُّؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ

الاستِهْزَاءُ - السُّخْرِيَّةُ.

خَلُّوا إِلَى شِيَاطِينِهِمْ - انْصَرَفُوا إِلَيْهِمْ، وَانْفَرَدُوا بِهِمْ.
(طُغْيَانِهِمْ)

(١٥) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ عَالِمٌ بِسَرَائِرِهِمْ وَنَصْرَفَاتِهِمْ، وَإِنَّهُ يَمُدُّ لَهُمْ فِي الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْهُمَا، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَتْرَكُهُمْ حَيَارَى فِي ضَلَالِهِمْ لَا يَجِدُونَ إِلَى الْخُرُوجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ سَبِيلًا.

الْعَمَةُ - هُوَ الضَّلَالُ وَالْاِسْتِزْسَالُ فِيهِ، وَهُوَ ظُلْمَةُ الْبَصِيرَةِ.
مَدَّ الْجَيْشَ، وَأَمَدَّهُ - زَادَهُ عَدَدًا وَقَوَاهُ بِالْمَدَدِ.

طُغْيَانِهِمْ - مُجَاوَزَتِهِمُ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ.
(أُولَئِكَ) (الضَّلَالَةُ) (تِجَارَتُهُمْ)

(١٦) - فَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ هُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَالْكَفْرَ وَتَرَكُوا الْهُدَى وَالْإِيمَانَ، وَكَانَتْهُمْ عَقْدُوا صَفَقَةً بِذَلِكَ، وَلَكِنْ هَذِهِ الصَّفَقَةُ خَسِرَتْ وَلَمْ تَرْبَحْ لِأَنَّهُمْ بَاعُوا مَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ وَهُدًى، بِضَلَالَاتٍ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَلَمْ يَهْتَدُوا فِي عَمَلِهِمْ هَذَا إِلَى الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ وَالصَّوَابِ.

(ظُلُمَاتٍ)

(١٧) - يُصَوِّرُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَدَخَلَ نُورُ الْإِيمَانِ إِلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ دَاخَلَهُمُ الشُّكُّ فِيهِ فَكَفَرُوا، فَيَقُولُ: إِنَّ حَالَهُمْ يُشَبِّهُ حَالَ جَمَاعَةٍ أَوْقَدُوا نَارًا لِيَتَنَفَّعُوا بِهَا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالْأَمَاكِينِ، عَرَضَ لَهَا عَارِضٌ أَطْفَأَهَا فَأَصْبَحُوا فِي ظُلَامٍ دَامِسٍ لَا يَتَسَنَّى لَهُمْ مَعَهُ الْإِنْبَارُ وَالْإِهْتِدَاءُ، ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا فَضَائِلَ الْإِيمَانِ وَمَحَاسِنَهُ، فَأَصْبَحُوا فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ لَا يُبْصِرُونَ مَسْلَكًا مِنْ مَسَالِكِ الْهُدَايَةِ وَالنَّجَاةِ.

الْمَثَلُ - الشَّبْهُ.

اسْتَوْقَدَ نَارًا - طَلَبَ إِيقَادَهَا.

(١٨) - وَهَؤُلَاءِ كَانَتْهُمْ صُمٌّ لَا يَسْمَعُونَ، وَبُكْمٌ لَا يَنْطِقُونَ، وَعُمَى لَا يُبْصِرُونَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَتَنَفَّعُونَ بِحَوَاسِهِمْ مَعَ سَلَامَتِهَا، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ لِأَنَّهُمْ فَقَدُوا حَوَاسَهُ لَا يَسْمَعُ صَوْتًا

⑩ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

⑪ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ بِحَدْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

⑫ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ دَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ

⑬ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ

يَهْتَدِي بِهِ، وَلَا يَصِيحُ لِيُنْقِذَ نَفْسَهُ، وَلَا يَرَىٰ بَارِقًا مِنْ نُورٍ يَنْجُو إِلَيْهِ وَيَقْصُدُهُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ حَالُهُ: ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَهُوَ يُتَرَدَّى فِي مَهَاوِي الْهَلَاكِ.

الصَّمَمُ - أَفَّةٌ تَمْنَعُ السَّمْعَ.

البَكْمُ - الْخَرَسُ، وَقَدْ قُدِّرَتْ عَلَى النَّطْقِ.

(ظَلَمَاتٌ) (أَصَابِعُهُمْ) (آذَانِهِمْ) (الصَّوَاعِقُ) (بِالْكَافِرِينَ)

(١٩) - وَحِينَمَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْمُسَافِقِينَ دَعْوَةُ اللَّهِ، وَبَيِّنَاتُهُ وَأَيَاتُهُ، وَوُجَّهَتْ أَبْصَارُهُمْ إِلَى حُجَجِ اللَّهِ الْقَائِمَةِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ التَّمَنُّعِ فِي نَفْسِهِمْ قَبَسٌ مِنْ نُورِ الْهَدَايَةِ، وَلَكِنَّهُمْ سُرْعَانِ مَا اعْتَرَضَتْهُمْ ظَلَمَاتُ الشُّبْهِ وَالتَّقَالِيدِ وَالْخَوْفِ مِنَ الدَّمِّ، إِذَا أَخَذُوا بِمَا يَخَالِفُ آرَاءَ مَنْ حَوْلَهُمْ، فَاعْتَرَتْ نَفْسَهُمْ الْخَيْرَةُ وَالْقَلْقُ وَالْاضْطِرَابُ. وَقَدْ مَثَّلَ اللَّهُ حَالَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِحَالِ قَوْمٍ فِي إِحْدَى الْقُلُوبِ نَزَلَ بِهِمْ - بَعْدَ حُلُولِ ظَلَامِ اللَّيْلِ - مَطَرٌ شَدِيدٌ يَتَسَاقَطُ مِنَ السَّمَاءِ، تُصَاحِبُهُ رُعُودٌ قَاصِفَةٌ، وَبُرُوقٌ لَامِعَةٌ، وَصَوَاعِقُ مُنْقَضَةٌ فَتَوَلَّاهُمْ الدَّهْشُ وَالرُّعْبُ، وَأَهْوُوا بِأَصَابِعِهِمْ لِيَضَعُوهَا فِي آذَانِهِمْ لِيَمْنَعُوا وَصُولَ الْأَصْوَاتِ الْمُخِيفَةِ الْمُرْجَعَةِ إِلَى أَسْمَاعِهِمْ، لِمَا يَحْذَرُونَهُ مِنَ الْمَوْتِ. وَلَكِنْ هَلْ يَنْجُو حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ؟ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ بِأَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَلَكِنَّهُ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ فَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِحِكْمَةٍ أَقْتَضَتْهَا مَشِيئَتُهُ.

الصَّيْبُ - الْمَطَرُ الَّذِي يَنْزِلُ.

الرَّعْدُ - الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ فِي السَّحَابِ وَقْتُ الْبَرْقِ.

الْبَرْقُ - النُّورُ اللَّامِعُ فِي السَّحَابِ.

الصَّاعِقَةُ - نَارٌ تَنْقُضُ مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ.

(أَبْصَارَهُمْ) (وَأَبْصَارِهِمْ)

(٢٠) - يَكَادُ بَرَقَ الْإِيمَانُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ لِشِدَّةِ ضَوْئِهِ، فَكُلَّمَا ظَهَرَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ، اسْتَأْنَسُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، ثُمَّ تَعَرَّضَ لَهُمُ الشُّكُوكُ فَظَلِمَ نَفْسَهُمْ، وَيَقْفُونَ حَايِرِينَ مُتَرَدِّدِينَ. وَكَذَلِكَ يَكُونُ حَالُ الْمُنَافِقِينَ مُتَقَاوِتِينَ فِي الدَّرَجَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، لِمَا تَرَكُوا مِنَ الْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْقُدْرَةِ، إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَعَلَهُ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَبَدًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

﴿١٩﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ

ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ

أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِقِ

حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ

بِالْكَافِرِينَ

﴿٢٠﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ

كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافِهِ وَإِذَا

أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

قَامَ - وَقَفَ فِي مَكَانِهِ .
أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ - خَفِيَ عَلَيْهِمُ النُّورُ وَاسْتَرَّ .
يَخْطِفُ - يَذْهَبُ بِهَا بِسُرْعَةٍ .

(يَا أَيُّهَا)

(٢١) - يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ (وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّهُ قَصَدَ بِدَعْوَتِهِ هَذِهِ هُنَا الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ) إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، عِبَادَةَ خُشُوعٍ وَإِخْلَاصٍ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَخَلَقَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَجْيَالِ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَعَدُّوا أَنْفُسَهُمْ لِلتَّقْوَى، وَبَلَغُوا الْغَايَةَ الْقُصْوَى، وَكَانُوا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ لِلْحَقِّ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ.

(فِرَاشًا) (الشَّمَرَاتِ)

(٢٢) - فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ لِلنَّاسِ مُوْطَأَةً مِثْلَ الْفِرَاشِ لِيَسْتَقِيمُوا بِخَيْرَاتِهَا، وَلِيَسْهَلُ عَلَيْهِمُ الْاسْتِقْرَارُ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا يُحِيطُ بِالْأَرْضِ (بِنَاءً)، وَزَيَّنَهَا بِالْكَوَاكِبِ لِيَهْتَدِيَ بِهَا السَّارِي فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الزُّرُوعِ وَالشَّمَارِ رِزْقًا لَهُمْ وَلِإِنْعَامِهِمْ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ مَا يَهْدِي الْعَقْلَ إِلَى أَنَّ خَالِقَ هَذَا الْكَوْنِ الْبَدِيعِ الْمِثَالُ لَا يَذُكُّهُ وَلَا نَظِيرَ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَعْبُدَهُ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِأَنْ يَعْبُدُوهُ، وَبِأَنْ لَا يَجْعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَأَنْدَادًا يُمَازِلُونَهُمْ بِهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي الْمُلْكِ وَالْخَلْقِ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مُمَازِلَ.

يَذُكُّ - نَظِيرَ وَمُمَازِلَ وَشَبِيهَ.

فِرَاشًا - بِسَاطًا وَوِطَاءً لِلِاسْتِقْرَارِ عَلَيْهَا.

(صَادِقِينَ)

(٢٣) - وَتَتَحَدَّى اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا فِي شَكٍّ (رَيْبٍ) مِنْ صِحَّةِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ، مِنْ وَحْيٍ وَقُرْآنٍ، فَلْيَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فِي بَلَاغَتِهَا وَإِحْكَامِهَا وَهَدَايَتِهَا، وَلْيَدْعُوا إِلَهَتَهُمْ وَأَعْوَانَهُمْ وَمَنْ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِمْ (شُهَدَاءَهُمْ) مِنْ دُونِ اللَّهِ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَعْقَادَاتِهِمْ.

أَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ - أَحْضِرُوا إِلَهَتَكُمْ الَّذِينَ تَسْتَنْصِرُونَ بِهِمْ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ
الشَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا
تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا
عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ
دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(لِلْكَافِرِينَ)

(٢٤) - فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا هُمْ وَشُرَكَائُهُمْ وَشُهَدَاؤُهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (وَهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ أَبَدًا مَهْمَا طَالَ الزَّمَنُ) فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ صَادِقٌ فِي دَعْوَتِهِ، وَفِيمَا يُبَلِّغُهُ عَنْ رَبِّهِ، وَيَكُونُونَ هُمُ الْمُكَابِرِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَخْشَوْا عَذَابَ اللَّهِ وَنَارَهُ الَّتِي يَكُونُ النَّاسُ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنَامٍ وَحِجَارَةٍ... مِنَ الْوُفُودِ الَّذِي تَشْتَعِلُ بِهِ، وَهِيَ مُعَدَّةٌ لِعَذَابِ الْكَافِرِينَ الْجَاهِلِينَ الْمُعَانِدِينَ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٍ) (الْأَنْهَارِ) (مُتَشَابِهًا) (أَزْوَاجٍ) (خَالِدُونَ)

(٢٥) - وَيُبَشِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ آمَنُوا بِإِلَهِهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، أَنَّ لَهُمْ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الدَّنَسِ وَالْأَذَى وَالْإِثْمِ وَمَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ، كَالْكَيْدِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ... وَتَأْتِيهِمُ الثَّمَارُ فِي الْجَنَّةِ فَيَنْطَلِقُونَ أَنتَاهَا مِنَ الثَّمَارِ الَّتِي عَرَفُوهَا فِي الدُّنْيَا (أَوْ أَنتَاهَا مِنَ الثَّمَارِ الَّتِي أَتَتْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ، وَتَخْتَلِفُ عَنْهَا طَعْمًا مَعَ أَنَّهَا تُشَبِّهُهَا فِي شَكْلِهَا وَمَنْظَرِهَا). وَكُلُّمَا رَزَقُوا مِنْهَا ثَمَرَةً قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا بِهِ فِي الدُّنْيَا جَزَاءً عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَالَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا صَادِقًا، وَعَمِلُوا عَمَلًا صَالِحًا يَبْقُونَ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَحُولُونَ عَنْهَا.

(وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا أَوَّلُ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ).

مُتَشَابِهًا - فِي اللَّوْنِ وَالْمَنْظَرِ لَا فِي الطَّعْمِ.

(آمَنُوا) (الْفَاسِقِينَ)

(٢٦) - لَمَّا ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْثَالَ السَّابِقَةَ لِلنَّاسِ قَالَ الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكُونَ: (اللَّهُ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَضْرِبَ هَذِهِ الْأَمْثَالَ). فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَتَيْنِ ٢٦ وَ ٢٧ تَكْذِيبًا لَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يَسْتَنْكِفُ، وَلَا يَرَى مِنَ النِّقْصِ (لَا يَسْتَحْيِي)، أَنْ يَذْكُرَ شَيْئًا مِمَّا قَلَّ أَوْ كَثُرَ فِي قِيَمَتِهِ: الْبِعُوضَةُ وَمَا هُوَ أَذْنَى مِنْهَا، وَمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهَا لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ جَلِيلًا كَانَ أَوْ حَقِيرًا، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِإِلَهِهِ وَرَسُولِهِ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا قَوْلُ اللَّهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ. أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَسْتَعْرِبُونَ ذَلِكَ وَيَنْكُرُونَهُ، فَيُضِلُّ اللَّهُ بِهَذَا الْمَثَلِ كَثِيرًا

﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا

فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ

﴿٢٥﴾ وَيُبَشِّرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
كُلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ
رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا
مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ

مِثْلًا مِمَّا بَعُوضَةٌ فَمَا
فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِهَذَا مِثْلًا بِضَلُّ بِهِ

مِنَ النَّاسِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ،
وَاللَّهُ لَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الْخَارِجِينَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، الَّذِينَ لَا يَطْلُبُونَ
الْحَقَّ، وَلَا يَرِيدُونَهُ.

(مِيثَاقِهِ) (أُولَئِكَ) (الْخَاسِرُونَ)

(٢٧) - أَخْتَلَفَ الْمُفْسِّرُونَ حَوْلَ مَعْنَى الْعَهْدِ الَّذِي وَصِفَ هَؤُلَاءِ
الْفَاسِقُونَ بِنَقْضِهِ:

- فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ وَصِيَّةُ اللَّهِ إِلَى الْخَلْقِ بِأَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ
طَاعَتِهِ وَبِأَنْ يَنْتَهُوا عَمَّا نَهَاَهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ فِي كُتُبِهِ وَعَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ
وَرُسُلِهِ الْكَرَامِ فَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَالْإِنْتِهَاءُ عَمَّا نَهَاَهُمْ عَنْهُ هُوَ
نَقْضُ لِلْعَهْدِ.

- وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَخَذَ
اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ، فِي التَّوْرَةِ بِأَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَبِأَنْ يَتَّبِعُوا مُحَمَّدًا ﷺ
جِئْنَ يَتَّبِعُوهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِأَنْ يُصَدِّقُوا بِرِسَالَتِهِ وَكِتَابِهِ، وَقَدْ تَرَكُوا الْعَمَلَ
بِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ، وَجَحَدُوا رِسَالََةَ مُحَمَّدٍ وَنُبُوَّتَهُ، بَعْدَ مَا عَرَفُوهُ مِنْ
حَقِيقَتِهَا، وَأَنْكَرُواهَا وَكُتِمُوا عَنِ النَّاسِ ذَلِكَ لِكَيْلَا يَتَّبِعُوهُ، فَكَانَ ذَلِكَ
مِنْهُمْ نَقْضًا لِلْعَهْدِ.

- وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّ الْآيَةَ تَعْنِي جَمِيعَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ وَقَدْ
نَصَّبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمُ الْأَدْلَةَ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ
وَرُبُوبِيَّتِهِ فَكَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ وَكُتِبَ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ نَقْضًا لِلْعَهْدِ.
وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَهْدَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ عَهْدَ فِطْرَةٍ بِأَنْ يُؤْمِنُوا
بِهِ وَبِوُجُودِهِ، وَقَدْ وَثَّقَ عَهْدَ الْفِطْرَةِ بِأَنْ جَعَلَ الْعُقُولَ قَابِلَةً لِادْرَاكِ السُّنَنِ
الْإِلَهِيَّةِ، ثُمَّ أَقَامَ لَهُمُ الْأَدْلَةَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى وُجُودِهِ.

(أَمْوَاتًا) (فَأَحْيَاكُمْ)

(٢٨) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ كُفْرَهُمْ بِهِ وَيَقْدِرُهُ، كَمَا يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ
إِنْكَارَهُمْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّبِعَ مِنْهُمْ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى، مَعَ أَنْ
نَظَرَةً وَاحِدَةً إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَإِلَى مَا حَوْلَهُمْ فِي الْكَوْنِ، تَكْفِي لِحَمَلِهِمْ
عَلَى الْإِفْلَاحِ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَقَدْ كَانُوا أَمْوَاتًا فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ
فَأَحْيَاهُمُ اللَّهُ، وَأَخْرَجَهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ وَالْوُجُودِ فِي أَحْسَنِ خَلْقٍ وَتَكْوِينٍ،
ثُمَّ يُيَسِّرُهُمْ مَوْتَهُ الْحَقَّ الَّذِي فَرَضَهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَحْيِيهِمْ
وَيُحْيِيهِمْ مَرَّةً أُخْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى
أَعْمَالِهِمْ.

كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا
وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ

(٢٧) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ

بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا

أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُصَلَّ

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

(٢٨) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ

وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ

ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(سَوَاهُنَ) (سَمَاوَاتِ)

(٢٩) - وَيَسُوقُ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ دَلِيلًا آخَرَ عَلَى أَنَّهُ الْخَالِقُ الَّذِي لَا تَجِبُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ نَعَمٍ وَخَيْرَاتٍ لِيَسْتَفِيدُوا مِنْهَا، وَلِيَتَّقُوا بِهَا، ثُمَّ تَوَجَّهَتْ إِرَادَتُهُ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ فَخَلَقَهَا وَجَعَلَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ مُنْتَظِمَاتٍ تَامَاتِ الْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ، وَإِنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ.

فَسَوَاهُنَ - فَاتَمَّهُنَّ وَأَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ.

(لِلْمَلَائِكَةِ)

(٣٠) - وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ قَوْمًا يَخْلُقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، أَمَكُنْ لَهُمْ فِيهَا، وَأَجْعَلُهُمْ أَصْحَابَ سُلْطَانٍ عَلَيْهَا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مُسْتَعْلِمِينَ مِنَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ عَنِ الْحِكْمَةِ مِنْ خَلْقِ هَذَا الْخَلْفِ الَّذِي سَيُوجَدُ مِنْهُ مَنْ يُفْسِدُ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ. فَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِهِمْ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، وَنُصَلِّيُ لَكَ (نُقَدِّسُ لَكَ)، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ الْفَسَادِ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ مُبَرَّرَاتِ خَلْقِهِمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ، فَأَجْعَلْ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَخَاشِعِينَ.

وَالْكَافِرُونَ الْفَاسِقُونَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِإِثَارَةِ الْفِتَنِ وَالْقَلَاqِلِ. وَشَنَّ الْحُرُوبَ، وَتَخَرَّبَ الْعُمَرَانَ وَقَطَعَ الْأَرْحَامَ، وَالْإِسَاءَةَ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ مِنْ تَوَادٍّ وَتَرَاحُمٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْخَاسِرُونَ لِأَنَّهُمْ يُحْرَمُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. وَيَصِيرُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(آدَمَ) (الْمَلَائِكَةِ) (صَادِقِينَ)

(٣١) - وَبَعْدَ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا: الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَصْنَافَ الْحَيَوَانَاتِ وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالْبَحْرِ. وَذَوَاتِهَا وَخَصَائِصَهَا وَأَفْعَالَهَا. ثُمَّ عَرَضَ هَذِهِ الْمُسَمَّيَاتِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ لَهُمْ: أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَعْتَقِدُونَ مِنْ أَنِّي لَمْ أَخْلُقْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ؟

﴿٣٩﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى

إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿٤٠﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي

أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ

عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ

أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(سُبْحَانَكَ)

(٣٢) - قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: تَنَزَّهَ اسْمُكَ يَا رَبُّ (سُبْحَانَكَ) إِنَّا لَا نَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَا نَعْرِفُهَا، وَأَنْتَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِكَ وَأَمْرِكَ، وَفِي تَعْلِيمِكَ مَا تَشَاءُ، وَمَنْعِكَ مَا تَشَاءُ.

(يَا آدَمُ) (بِأَسْمَائِهِمْ) (السَّمَاوَاتِ)

(٣٣) - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَادَمَ: أَخْبِرْهُمْ يَا آدَمُ بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَأَخْبَرَهُمْ. وَلَمَّا ظَهَرَ فَضْلُ آدَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فِي سَرِّهِ مَا عَلَّمَهُ رَبُّهُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ الظَّاهِرِ وَالْخَفِيِّ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتَكُمْ (أَيُّ إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا أَظْهَرُوهُ بِالْإِسْتِثْمِ مِنْ قَوْلِهِمْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا)، كَمَا أَعْلَمُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَهُ (مَنْ نَحْوُ قَوْلِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا، فَتَنَحَّنْ أَحَقُّ بِالْخَلْقَةِ مِنْ هَذَا الْمَخْلُوقِ)، كَمَا أَعْلَمُ مَا أَنْطَوَتْ عَلَيْهِ نَفْسُ إِبْلِيسَ مِنْ حَسَدٍ وَمُخَالَفَةٍ لِأَمْرِ اللَّهِ.

(لِلْمَلَائِكَةِ) (الكَافِرِينَ) (لِآدَمَ)

(٣٤) - بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ بِمَكَانَةِ آدَمَ، وَأَنَّهُ جَعَلَهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ سُجُودَ خُضُوعٍ لَا سُجُودَ عِبَادَةٍ، تَكْرِيمًا لَهُ، وَاعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ، وَاعْتِذَارًا عَمَّا قَالُوهُ فِي شَأْنِهِ، فَسَجَدُوا، إِلَّا إِبْلِيسَ فَقَدْ دَاخَلَهُ الْحَسَدُ وَالْكِبْرُ مِمَّا أَمَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى آدَمَ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَأَبَى أَنْ يَسْجُدَ، وَصَارَ مِنَ الْكَافِرِينَ بِعِصْيَانِهِ أَمْرَ اللَّهِ.

(وَهُنَاكَ مُفَسَّرُونَ يَرَوْنَ أَنَّ الْأَرْضَ كَانَ يَعْمُرُهَا، قَبْلَ آدَمَ وَدُرِّيَّتِهِ، خَلَقَ آخَرُونَ أَنْقَرَضُوا بَعْدَ أَنْ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، وَسَفَكُوا الدَّمَاءَ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُحِلَّ آدَمَ وَدُرِّيَّتَهُ مَحَلَّ أَوَّلِيكَ الْخَلْقِ. وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى، بَعْدَ ذِكْرِ هَلَاكِ الْقُرُونِ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾^(١). وَمِنْ سَوَالِ الْمَلَائِكَةِ لِلَّهِ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ﴾^(٢) قِيَاسًا عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ آدَمَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي سَفَكَتِ الدَّمَاءَ).

﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

﴿٣٣﴾ قَالَ يٰآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ

﴿٣٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ

(١) الآية ١٤ من سورة يونس.

(٢) الآية ٣٠ من سورة البقرة.

(وَهُنَاكَ مُفَسَّرُونَ آخَرُونَ يَرَوْنَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْخِلَافَةِ، الْخِلَافَةُ عَنِ اللَّهِ فِي تَفْيِيزِ أَوَامِرِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَهَذَا الِاسْتِخْلَافُ يَشْمَلُ اسْتِخْلَافَ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ بِأَنْ يُوحَى بِشَرَائِعِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْاسٍ مِنْهُمْ، يَصْطَفِيهِمْ لِيَكُونُوا خُلَفَاءَ عَنْهُ).

أَمْتَكْبِر - أَظْهَرَ الْكِبَرَ وَالتَّرَفُّعَ.

(يَا آدَمُ) (الظَّالِمِينَ)

(٣٥) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ: أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ، وَكُلَا مِنْهَا مَا شِئْتُمَا هَيْثُمَا مَرِيتُمَا، بِلَا عَنَاءٍ وَلَا تَعَبٍ، وَلَا تَقْرَبَا شَجَرَةً مُعَيَّنَةً (وَأَخْتَلَفَ الْمُفَسَّرُونَ حَوْلَ تَحْدِيدِ نَوْعِ الشَّجَرَةِ)، وَتَبَهُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُمَا إِنْ أَكَلَا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَانَا مِنَ الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ.

الرَّغْدُ - الْهَيْئَةُ الَّتِي لَا عَنَاءَ فِيهِ، أَوِ الْوَاسِعُ.

الظَّالِمُ - هُوَ الَّذِي يُظْلِمُ نَفْسَهُ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ إِذْ يُعْرِضُهَا لِلْعِقَابِ.

(الشَّيْطَانُ) (وَمَتَاعُ)

(٣٦) - فَأَعْرَاهُمَا الشَّيْطَانُ بِالشَّجَرَةِ، وَحَمَلَهُمَا عَلَى الْوُقُوعِ فِي الزَّلَلِ (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى أَرْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا نَحَاهُمَا عَنِ الْجَنَّةِ وَعَمَّا كَانَا فِيهِ مِنَ الْحَيَاةِ الْهَانِئَةِ السَّعِيدَةِ بِرِضَا اللَّهِ وَفَضْلِهِ). فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطَبًا آدَمَ وَزَوْجَهُ وَإِبْلِيسَ: أَهْبِطُوا جَمِيعًا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَيَكُونُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ قَرَارٌ وَأَرْزَاقٌ وَأَجَالٌ إِلَى وَقْتٍ مُعَيَّنٍ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

الزَّلَلُ - الْغَلَطُ، وَأَزَلَّهُ حَمَلَهُ عَلَى الْوُقُوعِ فِي الْغَلَطِ.

الْمُسْتَقَرُّ - الْاسْتِقْرَارُ وَالْبَقَاءُ.

الْمَتَاعُ - الْإِنْتِفَاعُ الَّذِي يَمْتَدُّ وَقْتُهُ.

(آدَمُ) (كَلِمَاتٍ)

(٣٧) - فَأَلْهِمَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ كَلِمَاتٍ يَقُولُهَا وَيَعْتَذِرُ بِهَا عَمَّا فَعَلَهُ هُوَ وَزَوْجُهُ، (وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ هِيَ: رَبَّنَا إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فَقَالَهَا آدَمُ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَغَفَرَ لَهُ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنَ النَّائِبِينَ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ الضَّعِيفَاءِ.

(التَّوْبُ) - هُوَ الرُّجُوعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ بِالنَّسْبَةِ لِلْعَبْدِ، وَإِذَا وُصِفَ بِهِ الْخَالِقُ فَيَعْنِي ذَلِكَ الرُّجُوعُ عَنِ الْعُقُوبَةِ إِلَى الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ.

﴿٣٥﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ

الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ

﴿٣٦﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا

أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ

فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ

﴿٣٧﴾ فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ

عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

(٣٨) - فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ وَزَوْجَهُ وَإِبْلِيسَ بِالْهَبْطِ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَأَنْذَرَهُمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ بِأَنَّهُ سَيَبْعَثُ الرُّسُلَ ، وَيُنَزِّلُ الْكُتُبَ وَيَفْرَضُ التَّكْلِيفَ ، فَمَنْ آمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ ، وَبِمَنْ بَعَثَ مِنَ الرُّسُلِ ، وَاهْتَدَى وَاسْتَقَامَ عَلَى الْهَدَايَةِ ، وَقَامَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْلِيفِ . . فَهَؤُلَاءِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا .

(بَيِّنَاتُنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٣٩) - أَمَّا الَّذِينَ سَيَكْفُرُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْكِتَابِ ، وَبِمَنْ بَعَثَهُمْ مِنَ الرُّسُلِ فَهَؤُلَاءِ سَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَدًا ، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحُولُونَ عَنْهَا أَبَدًا .

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (وَإِنِّي)

(٤٠) - يَا مُرُّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (وَهُمُ الْيَهُودُ - وَإِسْرَائِيلُ هُوَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِالْدُخُولِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمُتَابَعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَبِحُتْمِهِمْ عَلَى ذَلِكَ بِتَذْكِيرِهِمْ بِالنِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ ، بِأَنْ جَعَلَ فِيهِمُ النَّبُوَّةَ ، وَبِأَنْ أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ ، وَفَجَّرَ لَهُمُ الْمَاءَ مِنَ الْحَجَرِ فِي سَيْنَاءَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى . وَيُطَالِبُهُمْ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ بِوُجُوبِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الَّذِي سَيَبْعَثُهُ اللَّهُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ .

فَقَدْ جَاءَ فِي التَّوْرَةِ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ : (إِنَّهُ يُقِيمُ مِنْ إِخْوَتِهِمْ نَبِيًّا يُقِيمُ الْحَقَّ) ، وَجَاءَ فِي سِفَرِ تَنْبِيَةِ الْأَشْتِرَاعِ : (قَالَ لِي الرَّبُّ : أَحْسِنُوا فِيمَا تَتَكَلَّمُونَ سَوْفَ أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ ، وَأَجْعَلَ كَلَامِي فِي فَمِهِ ، فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيهِ بِهِ ، وَيَكُونُ الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَكُونُ الْمُتَّقِمَ مِنْهُ) . وَلَكِنَّ الْيَهُودَ حَرَّفُوا هَذِهِ الْبَيِّنَاتِ وَأَوَّلُوهَا بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ .

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا مَا أَمَرُهُمْ بِهِ أَوْفَى بِعَهْدِهِ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُ سَيَكْفُرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَسَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ . أَمَّا إِذَا لَمْ يَفْعَلُوا مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، فَلْيَحْذَرُوا أَنْ تَحُلَّ بِهِمْ نِقَمُ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ ، مِنَ الْمَسْخِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ .

فَاللَّهُ تَعَالَى يُرَغِّبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْإِيمَانِ ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمُعَانَدَةِ (وَإِنِّي فَارَهُبُونَ) .

فَارَهُبُونَ - فَمَخَافُونِي فِي تَقْضِيَتِكُمُ الْعَهْدِ .

(٣٨) قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

(٣٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

(٤٠) يَبْنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارَهُبُونَ

(آمِنُوا) (بَيَّاتِي) (وَيَّاتِي)

(٤١) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ مُصَدِّقًا لِمَا جَاءَ بِهِ مَا سَبَقَهُ مِنَ الْكُتُبِ - التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ - وَهِيَ الْكُتُبُ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِلَى أَوْصَافِهِ. وَيَقُولُ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ يَكْفُرَ بِالْقُرْآنِ وَيُحْمَدُ ﷺ مِنَ النَّاسِ، لِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُكُمْ مِنْ صِدْقِهِ، وَصَحَّةِ دَعْوَتِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَلَا تَعْتَاظُوا بِالدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا الْفَانِيَةِ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَتَصَدِّيقِ رُسُلِهِ. وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ الْيَهُودَ فِيمَا يَتَعَمَّدُونَهُ مِنْ كَيْتَمَانِ الْحَقِّ وَالْمُعَانَدَةِ، وَمُخَالَفَةِ رُسُولِهِ، وَيَطْلُبُ مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ، رَجَاءَ الْفَوْزِ بِرَحْمَتِهِ ﴿وَيَّاتِي فَاتَّقُون﴾.

(بِالْبَاطِلِ)

(٤٢) - يَنْهَى اللَّهُ الْيَهُودَ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا كَانُوا يَتَعَمَّدُونَهُ مِنَ التَّمْصِيهِ (إِلْبَاسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ)، وَعَنْ خَلْطِ الْحَقِّ الْمُنْزَلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، بِالْبَاطِلِ الَّذِي يَخْتَرِعُونَهُ وَيَكْتُبُونَهُ لِيُصَوِّفُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ وَيُضِلُّوهُمْ بِهِ، وَيَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِالْأَلَّا يَكْتُمُوا الْحَقَّ، وَهُوَ الْمَعْرِفَةُ بِرُسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ. لَا تَلْبِسُوا - لَا تَخْلُطُوا وَلَا تَسْتُرُوا.

(الصَّلَاةِ) (وَاتُوا الزَّكَاةَ) (الرَّاكِعِينَ)

(٤٣) - وَيَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِأَنْ يُصَلُّوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِأَنْ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَيَدْفَعُوهَا إِلَى النَّبِيِّ، وَبِأَنْ يُصَلُّوا مَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، أَيْ إِنَّهُ يَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ وَمِنْهُمْ.

(الْكِتَابِ)

(٤٤) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ - وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ - أَنْ يَأْمُرُوا النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَطَاعَةِ اللَّهِ، فِي حَالِ أَنَّهُمْ يَسْتَوْنَ وَغَطُّ أَنْفُسِهِمْ، وَحَمْلُهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَلَا يَأْتِمُرُونَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ النَّاسِ، مَعَ أَنَّهُمْ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ الْمُنْزَلَ إِلَيْهِمْ، وَيَعْلَمُونَ مَا فِيهِ مِنْ عِقَابِ يَحِلُّ بِمَنْ يَقْصُرُ فِي الْقِيَامِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ. وَلَكِنَّ الْأَخْبَارَ وَالرُّهْبَانَ مِنْهُمْ لَا يَذْكُرُونَ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا مَا يُؤَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ إِذَا عَارَضَ شَهَوَاتِهِمْ.

الْبِرُّ - التَّوَسُّعُ فِي الطَّاعَاتِ.

﴿٤١﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ

﴿٤٢﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٤٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ

﴿٤٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

(الصَّلَاةُ) (الْخَاشِعِينَ)

(٤٥) - وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالِاسْتِعَانَةِ عَلَى آدَاءِ التَّكْلِيفِ، وَمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، بِالصَّبْرِ عَلَى الْفَرَائِضِ، وَضَبْطِ النَّفْسِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَبِالصَّلَاةِ، لَعَلَّهُمْ يَتْلُغُونَ مَا يُؤْمَلُونَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَيَنْبَهُهُمْ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنَّ الْقِيَامَ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ الَّتِي يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ الْأَخْذَ بِهَا مِنْ صَبْرٍ وَصَلَاةٍ... أَمْرٌ شاقٌّ ثَقِيلٌ عَلَى النَّفُوسِ، إِلَّا النَّفُوسَ الْمُؤْمِنَةَ الْخَاشِعَةَ الْمُسْتَكِينَةَ لِطَاعَةِ اللَّهِ، الْمُتَذَلِّلَةَ مِنْ مَخَافَتِهِ. إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ - إِنَّهَا لَشَاقَّةٌ صَعْبَةٌ.

الْخَاشِعِينَ - الْمُسْتَكِينِينَ لِلَّهِ.

(مُلَاقُوا) (رَاجِعُونَ)

(٤٦) - وَهَؤُلَاءِ الْخَاشِعُونَ، الْمُطْمَئِنَّةُ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ، يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّهُمْ سَيُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُمْ سَيُعْرَضُونَ عَلَيْهِ، وَأَنَّ أُمُورَهُمْ سَتَرْجَعُ إِلَى مَبِيتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيُحْكَمَ فِيهَا بِمَا يَشَاءُ بِعَدْلِهِ. وَإِنْ إِيْمَانَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ هُوَ الَّذِي يُسَهِّلُ عَلَيْهِمْ طَاعَةَ اللَّهِ، وَتَرْكُ مُحَرَّمَاتِهِ. يَطْنُونَ - يَعْلَمُونَ وَيَسْتَقْبِلُونَ.

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (الْعَالَمِينَ)

(٤٧) - يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (الْيَهُودَ) الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ الرُّسُولِ ﷺ بِمَا أُنْعِمَهُ اللَّهُ عَلَى آبَائِهِمْ مِنَ النِّعَمِ وَالْأَفْضَالِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ فَضَّلَهُمْ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ إِذْ جَعَلَ فِيهِمُ النُّبُوَّةَ، وَمَعْرِفَةَ اللَّهِ تَعَالَى.

الْعَالَمِينَ - النَّاسِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكُمْ.

(شَفَاعَةٌ)

(٤٨) - وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِنِعْمِهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْهِمْ، عَادَ فَحَذَّرَهُمْ مِنْ طُولِ نِقْمِهِ عَلَيْهِمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ (وَأَتَّقُوا يَوْمًا)، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يُغْنِي فِيهِ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْكَافِرِينَ شَفَاعَةً، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ النَّفْسِ الْكَافِرَةِ فِدَاءً أَوْ بَدَلَ (عَذَلٍ)، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ أَنْ يَنْصُرَهُمْ وَيُدْفَعَ عَنْهُمْ الضَّرَّ، وَلَا أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

٤٥ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ
وَأِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ

٤٦ الَّذِينَ يَطْنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ
وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

٤٧ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ

٤٨ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ
نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنْهَا شَفَاعَةٌ
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ

الْعَدْلُ - الْفِدْيَةُ لِأَنَّهَا تُعَادِلُ الْمَفْدِيَّ قِيمَةً وَقَدْرًا.
النُّصْرَةُ - الْعَوْنُ لِدَفْعِ الضَّرِّ.
لَا تَجْزِي - لَا تَغْنِي وَلَا تُؤَدِّي.

(نَجَّيْنَاكُمْ) (آلِ فِرْعَوْنَ)

(٤٩) - يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ (آلِ فِرْعَوْنَ) الَّذِينَ كَانُوا يَذْبِقُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَسْوَأَ الْعَذَابِ جَزَاءَ مَا أَقْرَفُوهُ مِنْ جَرَائِمِ وَأَثَامٍ، إِذْ كَانُوا يَقْتُلُونَ الذَّكَورَ مِنْ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا فِي مِصْرَ، وَيَسْتَبْقُونَ الْبَنَاتِ مِنْهُمْ، زِيَادَةً فِي الْقَهْرِ وَالْإِذْلَالِ، وَإِنَّ هَذَا الَّذِي قَامَ بِهِ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنْ ذَبْحِ الْأَبْنَاءِ، وَإِرْهَاقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِشَاقِّ الْأَعْمَالِ، إِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ عَظِيمٌ، وَشَرٌّ كَبِيرٌ، أَتَبَلَى اللَّهُ بِهِ الْيَهُودَ.

سَامَهُ الْعَذَابِ - أَذَاقَهُ الْعَذَابَ، وَأَوَّلَاهُ إِنَاءَهُ.

يَسْتَحْيُونَ - يَسْتَبْقُونَ الْبَنَاتِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.

بَلَاءٌ - أَمْتِحَانٌ وَآخِيزٌ.

(فَأَنْجَيْنَاكُمْ) (آلِ فِرْعَوْنَ)

(٥٠) - وَيُذَكِّرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ غَادَرُوا مِصْرَ بِصُحْبَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، وَكَادَ أَنْ يَذْرِكَهُمْ، فَإِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ مُوسَى فَضَرَبَ الْبَحْرَ بَعْضَاهُ، فَانْفَلَقَ، وَامْرُؤُوسَى وَقَوْمُهُ إِلَى الْجَانِبِ الْأَخِيرِ، وَلَمَّا اتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ أَطْبَقَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَانِبِي الْبَحْرِ، فَأَغْرَقَهُمْ، وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يُشَاهِدُونَ هَذِهِ الْمُعْجِزَةَ الْإِلَهِيَّةَ الْخَارِقَةَ بِأَعْيُنِهِمْ.

فَرَقْنَا - فَلَقْنَا وَشَقَقْنَا وَشَطَرْنَا.

(وَأَعَدْنَا) (ظَالِمُونَ)

(٥١) - وَيَتَابِعُ اللَّهُ تَعَالَى تَذْكِيرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْعُمِهِ وَأَفْضَالِهِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى آبَائِهِمْ، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَذْكُرُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ بِعَفْوِي عَنْكُمْ حِينَمَا عَبْدْتُمُ الْعِجْلَ. وَقَدْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ الْعِجْلَ بَعْدَ أَنْ آجَتَزُوا الْبَحْرَ هَرَبًا مِنْ فِرْعَوْنَ، فَسَأَلُوا مُوسَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِكِتَابٍ مِنْ رَبِّهِمْ، فَوَاعَدَهُ رَبُّهُ أَنْ

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ

يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ

مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ

فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ

فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ

وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً

ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ

وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ

يُعْطِيهِ التَّوْرَةَ، وَعَيْنَ لَهُ مِيقَاتًا لِذَلِكَ، بَعْدَ أَنْ صَامَ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، وَأَتَمَّهَا بِصِيَامِ عَشْرِ لَيَالٍ أُخَرَ، وَلَمَّا ذَهَبَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ اسْتَبْطَاهُ قَوْمُهُ، فَاتَّخَذُوا عِجْلًا مِنْ ذَهَبٍ جَعَلُوهُ لَهُمْ إِلَهًا، فَعَبَدُوهُ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِسْرَائِيلِهِمْ، وَبِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ.

أَتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ - جَعَلْتُمُوهُ إِلَهًا مَعْبُودًا.

﴿٥٢﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴿٥٣﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ

(٥٢) - ثُمَّ عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتُوبُونَ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِأَمْرِهِ، وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ وَتَشْكُرُونَ أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ.

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ)

(٥٣) - ثُمَّ يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى التَّوْرَةَ وَالْفُرْقَانَ (وَالْفُرْقَانُ هُنَا هُوَ الْآيَاتُ الَّتِي أُيِّدَ اللَّهُ بِهَا مُوسَى لِلدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ، وَسُمِّيَتْ فُرْقَانًا لِأَنَّهَا تَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ)، لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ بِنُورِهَا إِلَى طَرِيقِ اللَّهِ الْقَوِيمِ. وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْبَحْرِ، وَإِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ.

الْفُرْقَانُ - الشَّرْعُ الْفَارِقُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، أَوْ هُوَ الْآيَاتُ الَّتِي أُيِّدَ اللَّهُ بِهَا مُوسَى.

(يَا قَوْمِ) (بَارِكُوا لَكُمْ)

﴿٥٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ

إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ

بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى

بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ

خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ

عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ

(٥٤) - وَلَمَّا أُنْجِيَ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَذَابِ فِرْعَوْنَ وَوَصَلُوا إِلَى سَيْنَاءَ مَرُّوا بِقَوْمٍ هُنَاكَ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ، فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِمْ عِبَادَةُ الْعِجْلِ، فَاتَّخَذُوا لِأَنْفُسِهِمْ عِجْلًا عَبْدُوهُ، فَلَمَّا عَادَ مُوسَى غَضِبَ لَمَّا رَأَاهُمْ يَعْبُدُونَ الْعِجْلَ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ يَا قَوْمِ ارْتَكَبْتُمْ ظُلْمًا بِحَقِّ أَنْفُسِكُمْ إِذْ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ رَبًّا، فَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَبَرَّأَكُمْ. وَبَيْنَ اللَّهِ لَهُمْ سَبِيلُ التَّوْبَةِ الَّتِي تَكُونُ بِقَتْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، لِأَنَّ الْقَتْلَ يُطَهِّرُ النَّفْسَ مِنَ الرَّجْسِ الَّذِي دَسَّسُوا أَنْفُسَهُمْ بِهِ، وَيَجْعَلُهُمْ أَهْلًا لِلتَّوْبَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ بِأَن يَقْتُلَ الْبَرِيءُ مِنْهُمْ الْمُذْنِبَ، حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ جَمْعٌ كَبِيرٌ، فَدَعَا مُوسَى وَهَارُونَ رَبَّهُمَا فَأَمَرَهُمْ بِالْكَفِّ عَنِ الْقَتْلِ، وَنَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِهِمْ. فَادْكُرْ يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ الْقِصَّةَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ فِيمَا تَلْقِيهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِظَاتِ.

بَارِئُكُمْ - خَالِقُكُمْ وَمُبْدِعُكُمْ .

فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ - فَلْيَقْتُلِ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْمُذْنِبَ .

(يَا مُوسَى) (الصَّاعِقَةُ)

(٥٥) - وَتَابِعَ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ تَذْكِيرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَعْمَالِهِ عَلَيْهِمْ فَيَذْكُرُهُمْ بِأَحْيَائِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ أَنْ صَعَقَهُمْ، حِينَمَا قَالُوا لِمُوسَى إِنَّهُمْ لَنْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ بِأَنَّ هَذَا كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنَّ مُوسَى سَمِعَ كَلَامَ رَبِّهِ حَتَّى يَرَوْا اللَّهَ عَيْنَانًا، يَدُونَ سَاتِرَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَصَعَقَهُمُ اللَّهُ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ بَلَاءٍ وَعَذَابٍ، وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا اخْتَارَهُمْ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ لِيَذْهَبُوا مَعَهُ إِلَى مِيقَاتِ رَبِّهِ لِلْإِعْتِدَارِ إِلَيْهِ عَنْ عِبَادَةِ قَوْمِهِمُ الْعِجَلِ .
جَهْرَةً - عَيْنَانَا بِالْبَصَرِ .

(بَعَثْنَاكُمْ)

(٥٦) - ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْيَاهُمْ بِدَعَاءِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَامُوا يَنْظُرُونَ كَيْفَ يُحْيِيهِمُ اللَّهُ، وَكَانَتْ تِلْكَ مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ اللَّهَ .

(طَيِّبَات) (رَزَقْنَاكُمْ)

(٥٧) - وَحِينَمَا وَصَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى صَحْرَاءِ سِينَاءَ (الَّتِي) كَانَ الْحَرُّ شَدِيدًا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ غُيُومًا بَيضًا (غَمَامًا) تُظِلُّهُمْ، وَتَقِيهِمُ الْحَرَّ وَالشَّمْسَ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ طَعَامٌ فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ (وَهُوَ مَادَّةٌ سُكَّرِيَّةٌ تَقَعُ عَلَى الْأَشْجَارِ) فَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْدُونَ عَلَيْهِ فَيَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ السَّلْوَى وَهُوَ طَائِرٌ يُشَبِّهُ السَّمَانِيَّ، لَحْمُهُ لَذِيذُ الطَّعْمِ، فَصَارُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ . وَقَالَ اللَّهُ لَهُمْ: إِنَّهُ أَبَاحَ لَهُمُ الْأَكْلَ مِنَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، وَهُمَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي رَزَقَهُمْ إِيَّاهَا فَلْيَأْكُلُوا مَا شَاءُوا وَلْيَعْبُدُوا اللَّهَ . وَلَكِنَّهُمْ خَالَفُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَكَفَرُوا بِتِلْكَ النِّعَمِ الْجَزِيلَةِ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ بِعَمَلِهِمْ هَذَا لَا يُبْسِتُونَ إِلَى اللَّهِ، وَإِنَّمَا يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيُسَيِّئُونَ إِلَيْهَا لِأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْهُمْ، وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ .

الْغَمَامُ - الْغُيُومُ الْبَيْضُ .

الْمَنَّ - مَادَّةٌ صَمِغِيَّةٌ حُلُوةٌ .

السَّلْوَى - طَائِرٌ السَّمَانِيَّ .

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ

حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ
الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ

وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

(خَطَايَاكُمْ)

(٥٨) - وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَمْرِهِ إِيَابَهُمْ بِالْجِهَادِ مَعَ مُوسَى لِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمَقْدَسَةِ، لَمَّا قَدِمُوا مِنْ مِصْرَ، وَقِتَالِ أَهْلِهَا الْعَمَالِيقِ الْكَفَرَةَ فَتَنَكَلُوا عَنْ قِتَالِهِمْ وَضَعُفُوا، فَرَمَاهُمُ اللَّهُ فِي صَحْرَاءِ التِّيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً عَقُوبَةً لَهُمْ، وَلَمَّا خَرَجَ بِهِمْ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ مِنَ التِّيهِ، وَكَانَ مُوسَى قَدْ مَاتَ، وَدَخَلَ بِهِمْ إِحْدَى مَدِينِ الْأَرْضِ الْمَقْدَسَةِ أَمْرَهُمْ تَعَالَى بِأَنْ يَدْخُلُوا بَابَ الْبَلَدِ رُكْعًا شُكْرًا لِلَّهِ، وَبِأَنْ يَقُولُوا (حِطَّةً) (أَيُّ اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا، وَاعْفُ رَنَّا) فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ بِإِخْلَاصٍ وَصِدْقٍ نِيَّةً، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ دُعَاءَهُمْ، وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيُضَاعِفُ لَهُمْ حَسَنَاتِهِمْ. رَعْدًا - أَكَلَّا هَنِيئًا لَا عَنَاءَ فِيهِ.

قُولُوا حِطَّةً - اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَحُطَّ عَنَّا.

(٥٩) - فَلَمَّ يَدْخُلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ الْبَلَدَ خَاشِعِينَ سُجَّدًا لِلَّهِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، بَلْ دَخَلُوهُ زَاجِفِينَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ (أَيُّ أَذْبَارِهِمْ) وَبَدَّلُوا قَوْلَ اللَّهِ أَسْتِهْزَاءً وَتَمَرُدًا، فَقَالُوا (حِطَّةً) بَدَلْ (حِطَّةً)، فَانْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ.

الْفِسْقُ - الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ.

بَدَّلَ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُ - جَاءَ بِذَلِكَ الْقَوْلِ مَكَانَ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ.

رَجْزًا - عَذَابًا.

(٦٠) - وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا آمَنَتْهُ عَلَى أَسْلَافِهِمْ إِذِ اسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ اسْتَسْقَى لِقَوْمِهِ الْمَاءَ وَهُمْ عَطَاشٌ فِي صَحْرَاءِ التِّيهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ حَجَرًا مِنْ أَحْجَارِ الصَّحْرَاءِ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، لِكُلِّ سَبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَيْنٌ، عَرَفَهَا وَأَخَذَ يَشْرَبُ مِنْهَا، مَعًا لِلزَّاحِمِ وَالتَّنَافُسِ بَيْنَهُمْ عَلَى وُرُودِ الْمَاءِ. فَصَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَأْكُلُونَ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى وَيَشْرَبُونَ مِنَ الْمَاءِ. وَأَمْرُهُمُ اللَّهُ أَنْ لَا يَقَابِلُوا هَذِهِ النِّعَمَ بِالْجُحُودِ وَالْعِصْيَانِ وَالْإِسْرَافِ فِي الْإِفْسَادِ.

السَّبْطُ - وَلَدُ الْوَلَدِ.

اسْتَسْقَى - طَلَبَ السَّقْيَا عِنْدَ عَدَمِ تَوَفُّرِ الْمَاءِ.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ

فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا
حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا

غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا
عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ



وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ

لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا
عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ
أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُّوا
وَأَشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَعَوَّاْ
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

الْعُثْيُ - مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ غَلَبَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْفَسَادِ.
فَانْفَجَرَتْ - فَانْشَقَّتْ وَسَالَتْ بِكَثْرَةٍ.

(يَا مُوسَى) (وَاحِدٍ) (وَقَاتِلَهَا) (وَبَاؤُوا) (بِآيَاتِ) (النَّبِيِّينَ)

(٦١) - يَذْكُرُ اللَّهُ، جَلَّ شَأْنُهُ، بَنِي إِسْرَائِيلَ بِضَجَرِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ الْكَرِيمِ الَّذِي مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، وَفَجَّرَ لَهُمُ الْمَاءَ، فَطَلَبُوا مِنْ مُوسَى أَنْ يَدْعُو رَبَّهُ لِيُخْرِجَ لَهُمْ مِمَّا تَبَيَّتُ الْأَرْضُ مِنَ الثُّومِ وَالْبَصْلِ وَالْبَقُولِ وَالْعَدَسِ، وَمَا أَفْضَا الْعَيْشَ عَلَيْهِ جِنْسًا كَانُوا فِي مِصْرَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى مُقَرَّعًا وَمُورِّخًا، وَمُسْتَنْكَرًا سَوَّالَهُمُ الْأَطْعِمَةَ الدُّنْيَا مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ: أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَذْنَى (الْعَدَسِ وَالْبَصْلِ وَالثُّومِ وَالْفُومِ) . بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ (الْمَنَّ وَالسَّلْوَى)؟ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ ادْخُلُوا مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ (أَيِ ادْخُلُوا أَيُّ بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ) فَإِنَّكُمْ وَاجِدُونَ فِيهِ مَا سَأَلْتُمْ، وَهُوَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَالَ رَبُّهُ فِيهِ.

وَقَدْ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُفْرَانِهِمْ تِلْكَ النِّعَمَ بِأَنْ ضَرَبَ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ الَّتِي يَهْرُونَ مَعَهَا عَلَى النُّفُوسِ قُبُولَ الضَّيْمِ وَالْاِسْتِكْنَاءِ، فَأَصْبَحَ يَسْتَدِلُّهُمْ كُلُّ مَنْ رَأَاهُمْ، فَلَا مُنْقِدَ لَهُمْ، وَاسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ غَضَبَ اللَّهِ.

وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ مَا قَضَى اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الذَّلَّةِ وَالْمُسْكَنَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَوَصَلَ بِهِمْ كُفْرُهُمْ إِلَى حَدِّ قَتْلِ أَنْبِيََاءِ اللَّهِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، فَلَا أَحَدَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ إِثْمًا. ثُمَّ إِنَّهُمْ عَصَوْا اللَّهَ وَارْتَكَبُوا مَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، وَتَجَاوَزُوا الْحُدُودَ الَّتِي أَبَاحَهَا اللَّهُ.

الْاِسْتِدْيَالُ - طَلَبَ شَيْءٍ بَدَلًا مِنْ شَيْءٍ.

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ - أَحَاطَتْ بِهِمْ كَمَا تُحِيطُ الْخَيْمَةُ بِمَنْ تُضْرَبُ عَلَيْهِ.

بَاؤُوا بِغَضَبٍ - اسْتَحَقُّوا الْغَضَبَ أَوْ رَجَعُوا بِهِ.

الْمُسْكَنَةُ - الْفَقْرُ، أَيْ فَقَرُ النُّفُوسِ وَشُحُّهَا.

الْاِعْتِدَاءُ - تَجَاوَزُ الْحُدُودَ.

الْفُومُ - الْحِنَظَةُ أَوْ الثُّومُ.

(آمَنُوا) (وَالنَّصَارَى) (وَالصَّابِئِينَ) (آمَنَ) (صَالِحًا)

(٦٢) - (هَذِهِ الْآيَةُ مَسْخُوحَةٌ بِالْآيَةِ ٩٥ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ) يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ السَّابِقَةَ لَا يُضَيِّعُ اللَّهُ إِيْمَانَهُمْ، وَلَا يَبْخَسُهُمْ ثَوَابَ

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوَسِي لَنْ نَصْبِرَ عَلَى

طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ

يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تَبَيَّتُ الْأَرْضُ مِنْ

بَقِيلِهَا وَقَتَّابِهَا وَفُومِهَا

وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ

أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ

أَذْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا

مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ

وَالْمُسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ

مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ يَأْذَنُهُمْ كَانُوا

يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ

ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

يَعْتَدُونَ

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَنْ آمَنَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ

صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَيَسْتَمِرُّ ذَلِكَ جَائِزاً حَتَّى ظُهُورِ النَّبِيِّ الَّذِي يَلِي نَبِيِّهِمْ. فَالْيَهُودَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، لَا يُبْخَسُونَ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمُ الْخَيْرَةَ حَتَّى يُعْثَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالنَّصَارَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَتَّى جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ. فَالْمَفْرُوضُ أَنْ يُؤْمِنَ أَتْبَاعُ الدِّينِ السَّابِقِ بِالنَّبِيِّ الْجَدِيدِ (الَّذِينَ عَاصَرُوهُ وَالَّذِينَ جَاءُوا بَعْدَهُ).

الصَّابِرُونَ - أَنَاسٌ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ. وَقِيلَ إِنَّ اللَّفْظَةَ تُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى مَنْ يَقْدَسُونَ الْمَلَائِكَةَ.

(مِيثَاقُكُمْ) (آتَيْنَاكُمْ)

(٦٣) - يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا أَخَذَهُ عَلَى أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاقِيقِ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِأَنْ يَتَّبِعُوا رُسُلَهُ. وَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَمَّا أَخَذَ عَلَى أَسْلَافِهِمُ الْمِيثَاقَ رَفَعَ جَبَلِ الطُّورِ فَوْقَهُمْ تَرْعِيّاً لَهُمْ وَتَهْدِيداً، لِيَقْرَأُوا بِمَا عُوْهِدُوا عَلَيْهِ، وَلِيَأْخُذُوا بِهِ بِقُوَّةٍ وَحَزْمٍ وَأَمْتِنَالٍ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ. وَقَالَ لَهُمْ: أَذْكُرُوا مَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ أَحْكَامٍ وَتَعَالِيمٍ وَحَثَّ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِتَدَارُسِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا، لَعَلَّهُمْ يَكُونُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

مِيثَاقُكُمْ - الْعَهْدُ عَلَيْكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ.

(الْخَاسِرِينَ)

(٦٤) - وَيَقَرِّعُهُمُ اللَّهُ، جَلَّ شَأْنُهُ، عَلَى كُفْرِهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ تَوَلَّوْا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَنَقَضُوا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، رَغْمَ جَمِيعِ مَا رَأَوْهُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَمُعْجَزَاتِهِ، وَرَغْمَ مَا أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ مِيثَاقٍ عَظِيمٍ، فَلَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ بِهِمْ، وَإِمَهَالُهُ إِيَّاهُمْ، وَتَوْبَتُهُ عَلَيْهِمْ، وَإِرْسَالُهُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إِلَيْهِمْ، لَكَانُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بِسَبَبِ نَقْضِهِمْ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ، وَأَنَّهُمَا كَيْفَهُمْ فِي الْمَعَاصِي.

الْخُسْرَانُ - هُوَ ضِيَاعُ رَأْسِ الْمَالِ كُلِّاً أَوْ بَعْضاً.

التَّوَلَّى - الرَّجُوعُ إِلَى الْوَرَاءِ.

(خَاسِئِينَ)

(٦٥) - وَيُذَكِّرُهُمُ اللَّهُ بِمَا عَلِمُوهُ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِتَعْظِيمِ حُرْمَةِ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا

فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا

ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ

فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا

قِرَدَةً خَاسِئِينَ

يَوْمَ السَّبْتِ، وَالْقِيَامِ فِيهِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ، فَخَرَقُوا حُرْمَةَ السَّبْتِ بِاخْتِيَالِهِمْ عَلَى صَيْدِ الْحَيَاتَانِ، إِذْ كَانُوا يَنْصُبُونَ لَهَا الشَّبَاكَ وَالْحَبَائِلَ قَبْلَ دُخُولِ السَّبْتِ، وَفِي ظَنِّهِمْ أَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّحَايِلِ يُمَكِّنُ أَنْ يَجُوزَ عَلَى اللَّهِ فَمَسَحَهُمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ عِقَاباً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ. وَتَجَاوَزَهُمْ حُدُودَ مَا أَمَرَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمَسِّحْ صُورَهُمْ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا مَسَّحَ قُلُوبَهُمْ فَجَعَلَهَا كَقُلُوبِ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ فِي شَهَوَاتِهَا يَبْعِدِينَ عَنِ الْفَضَائِلِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَأْتُونَ الْمُتَنَكَّرَاتِ جَهَاراً وَعِيَاناً بِلَا حَيَاءٍ وَلَا خَجَلٍ.

(وَيَرَى الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ لَمْ تَجْرِ بِمَسِّحِ كُلِّ عَاصٍ، وَبِإِخْرَاجِهِ عَنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ، وَالْعِبْرَةُ الْكُبْرَى تَكْمُنُ فِي الْعِلْمِ بِأَنَّ مَنْ يَفْسُقْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَيَتَنَكَّبِ الصِّرَاطَ الَّذِي شَرَعَهُ، يَنْزِلُ بِهِ عَنْ مَرْتَبَةِ الْإِنْسَانِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْعِجَمَاوَاتِ).

(فَجَعَلْنَاهَا) (نَكَالاً)

(٦٦) - فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْعُقُوبَةَ نَكَالاً لَهُمْ، وَعِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمَقْصُودَ بِضَمِيرِ (فَجَعَلْنَاهَا) هُوَ الْقَرْيَةُ أَيْ فَجَعَلَ اللَّهُ الْعُقُوبَةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا بِهِذِهِ الْقَرْيَةَ عِبْرَةً لِمَا حَوَّلَهَا مِنَ الْقَرْيَةِ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُقُوبَةُ عِظَةً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ سَيَّاتُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيَتَّقُوا نَقْمَةَ اللَّهِ، وَلِيَحْذَرُوا مِنْ أَنْ يَحُلَّ بِهِمْ مِثْلُهَا، إِذَا اعْتَدَوْا وَتَجَاوَزُوا حُدُودَ شَرَعِ اللَّهِ.

نَكَالاً - أَيْ يَنْكُلُ مَنْ يَعْلَمُ بِهَا وَيَمْتَنِعُ عَنْ إِتْيَانِ مِثْلِهَا.

(الْجَاهِلِينَ)

(٦٧) - كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَكَانَ وَارِثُهُ الْوَجِيدُ ابْنُ أُخِيهِ، فَاسْتَعَجَلَ ابْنُ الْأَخِ الْمِيرَاثَ. وَقَتَلَ عَمَّهُ، ثُمَّ حَمَلَهُ وَالْقَاهُ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِنْهُمْ. وَأَدْعَى عَلَى صَاحِبِ الْبَيْتِ أَنَّهُ قَاتِلُهُ، وَتَسَلَّحَ النَّاسُ، وَتَنَازَرُوا حَتَّى كَادَ الشَّرُّ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهُمْ. فَدَعَاهُمْ دَوُو الرِّأْيِ فِيهِمْ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى مُوسَى يَسْأَلُونَهُ الرَّأْيَ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً. فَقَالُوا لَهُ: أَسْخَرْنَا، وَتَتَّخِذُنَا مَوْضِعاً لِلْهَزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ؟ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ يَسْخَرُونَ مِنَ النَّاسِ، أَوْ يَأْمُرُونَ بِشَيْءٍ لَا فَايِدَةَ مِنْهُ.

٦٦ جَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا
وَمَا خَلَفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ

٦٧ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ
اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً
قَالُوا أَنْتَذْبَحُنَا هُزْواً قَالَ أَعُوذُ
بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ

الهُزءُ - السُّخْرِيَّةُ .

عَاذٌ - اَعْتَصَمَ وَلَاذٌ .

الْجَهْلُ - فِعْلٌ مَا لَا يَنْبَغِي .

(٦٨) - وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَالآيَاتِ التَّالِيَاتِ يُبَيِّنُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَدَى تَعَنُّتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَثْرَةَ سُؤْلِهِمْ لِرُسُلِهِمْ، فَضَيَّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَضَيَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. قَالُوا لَهُ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ هَذِهِ الْبَقَرَةُ، وَأَيُّ شَيْءٍ وَصَفُهَا؟ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا مُسِنَّةَ هَرِمَةً أَنْقَطَعَتْ وَلَا ذَنْهَا (فَارِضٌ)، وَلَا صَغِيرَةً لَمْ يَلْحَقْهَا الْفَحْلُ بَعْدُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَصْفُ بَيْنِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ (عَوَانٌ)، فَهَذِهِ تَكُونُ أَحْسَنَ الدَّوَابِّ وَأَقْوَاهَا، فَادَّبُحُوهَا وَأَفْعَلُوا مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ.

الْفَارِضُ - الْمُسِنَّةُ الَّتِي أَنْقَطَعَتْ وَلَا ذَنْهَا.

الْبَكْرُ - الصَّغِيرَةُ الَّتِي لَمْ تَحْمِلْ بَعْدُ.

الْعَوَانُ - النِّصْفُ أَيْ لَيْسَتْ بِالصَّغِيرَةِ وَلَا الْكَبِيرَةِ.

(النَّاظِرِينَ)

(٦٩) - فَالْحُجُو فِي السُّؤَالِ، وَطَلَبُوا أَنْ يُبَيِّنَ اللَّهُ لَهُمْ لَوْنَهَا، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ صَافِيَةُ اللَّوْنِ، تُعْجِبُ النَّاظِرِينَ إِلَيْهَا، وَتَسْرُهُمْ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا.

فَاقِعٌ لَوْنُهَا - لَوْنُهَا صَافٍ أَوْ شَدِيدُ الصُّفْرِ.

(تَشَابَهُ)

(٧٠) - فَعَادُوا إِلَى السُّؤَالِ، وَطَلَبُوا مِنْ مُوسَى أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا هِيَ صِفَاتُ هَذِهِ الْبَقَرَةِ، لِأَنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَعْرِفُوا أَيُّهَا الْمَقْصُودُ، وَإِنَّهُمْ سَيَهْتَدُونَ إِلَيْهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ.

(الْآنَ)

(٧١) - فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مُوسَى قَائِلًا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَيْسَتْ مُدْلَلَّةٌ بِالْجِرَانَةِ، وَلَا مُعَدَّةٌ لِلسَّقَايَةِ، وَهِيَ سَالِمَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ وَالْأَمْرَاضِ، لَوْنُهَا وَاحِدٌ، وَلَيْسَ فِيهَا لَوْنٌ آخَرُ. فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: الْآنَ قُلْتَ الْحَقَّ وَبَيَّنْتَهُ، فَبَحْثُوا عَنْهَا، وَاشْتَرَوْهَا مِنْ صَاحِبِهَا، وَذَبَحُوهَا وَكَادُوا أَنْ لَا يَقُومُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ ذَبْحِهَا، لِمَا لَاحَظُوهُ مِنْ غَلَاءِ ثَمَنِهَا.

﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ
قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ
وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ
فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ

﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا
مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا
تَسْرُ النَّظِيرِينَ

﴿٧٠﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ
إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن
شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ

﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ
مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا
الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا
وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ

الذَّلُولُ - الْمُدْلَلَةُ وَالْمُرَوَّضَةُ الَّتِي زَالَتْ صُعُوبَتُهَا.

الْحَرْثُ - الْأَرْضُ الْمُهَيَّأَةُ لِلزَّرَاعَةِ.

مُسَلِّمَةٌ - سَالِمَةٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْعُيُوبِ.

لَا شَيْءَ فِيهَا - لَوْنُهَا وَاحِدٌ، وَلَا لَوْنٌ آخَرَ مَعَ لَوْنِهَا.

تُثِيرُ الْأَرْضَ - تَقْلِبُهَا لِلزَّرَاعَةِ.

(فَادَارَأْتُمْ)

(٧٢) - وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاخْتَلَفْتُمْ وَتَخَاصُمْتُمْ فِيهَا، وَاللَّهُ مُظْهِرُ مَا تَكْتُمُونَ

فِي سَرَائِرِكُمْ مِنْ أَمْرِ حَادِثِ الْقَتْلِ، وَمَعْرِفَةِ الْقَاتِلِ.

أَدَارَأْتُمْ - تَدَفَعْتُمْ، وَاخْتَلَفْتُمْ فِيهَا.

(آيَاتِهِ) (يُحْيِي)

(٧٣) - فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِضَرْبِ الْمَيْتِ بِأَيِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْبَقَرَةِ الَّتِي

أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِذَبْحِهَا فَفَعَلُوا، وَحَصَلَتِ الْمُعْجَزَةُ بِخَرْقِ الْعَادَةِ، فَأَحْيَا اللَّهُ

الْمَيْتَ، وَذَكَرَ اسْمَ قَاتِلِهِ، ثُمَّ أَمَانَةُ اللَّهِ فَسَكَتِ الْفِتْنَةُ، بَعْدَ أَنْ كَشَفَ اللَّهُ

الْقَاتِلَ. وَهَكَذَا يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، وَيُرِي بَنِي إِسْرَائِيلَ آيَاتِهِ، لَعَلَّهُمْ

يَعْقِلُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى بَعْثِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ إِطَاعَةَ أَوَامِرِ

رَبِّهِمْ، وَالْإِتِّهَاءَ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَحَرَمَهُ عَلَيْهِمْ.

(الْأَنْهَارُ) (بِغَافِلٍ)

(٧٤) - يُقَرِّعُ اللَّهُ، جَلَّ شَأْنُهُ، بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ شَهِدُوا قُدْرَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ

مِنْ مَرَّةٍ، وَتَحَقَّقُوا مِنْ آيَاتِهِ وَعِيسَرِهِ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ

وَالْفَسَادِ، فَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ وَأَصْبَحَتْ بَعِيدَةً عَنِ النَّاتِرِ

بِالْوَازِعِ الدِّينِيِّ، وَبِالْمَوَاعِظِ وَالْآيَاتِ، فَأَصْبَحَتْ كَالْحِجَارَةِ قَسْوَةً.

وَيَسْتَذِرُّكَ تَعَالَى، فَيَقُولُ: إِنَّ بَعْضَ الْحِجَارَةِ أَكْثَرُ لِينًا مِنْ قُلُوبِ بَنِي

إِسْرَائِيلَ، فَبَعْضُ الْحِجَارَةِ تَنْشَقُّ فَتَنْفَجِّرُ مِنْهَا الْمِيَاءُ، وَتَسِيلُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ

مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَهْطُ مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ. أَمَّا قُلُوبُ

بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهَا لَا تَتَأَثَّرُ بِمَوْعِظَةٍ، وَلَا تَلِينُ لِذِكْرِ اللَّهِ، وَلَا يَزْدَادُونَ إِلَّا

فَسَادًا وَعُتُورًا فِي الْأَرْضِ، فَلَهُمُ الْوَيْلُ عَلَى ذَلِكَ، فَاللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ

أَعْمَالِهِمْ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهَا الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يَنْفَجِّرُ - يَنْفَتَحُ بِسَعَةٍ وَكَثْرَةٍ.

يَشَقُّ - يَتَصَدَّعُ بِطُولٍ وَعَرْضٍ.

(٧٢) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَارَأْتُمْ ثُمَّ فِيهَا

وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ

(٧٣) فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ

يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ

آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

(٧٤) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً

وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَنْفَجِّرُ

مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا

يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ

مِنْهَا لَمَّا يَهْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(كَلَام)

(٧٥) - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ شَدِيدِي الْحِرْصِ عَلَى دُخُولِ الْيَهُودِ فِي الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ شَرِيعَةَ مُوسَى - كَمَا نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - تَدْعُو مِثْلَ الْإِسْلَامِ إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَإِلَى الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَكِتَابُهُمُ التَّوْرَةُ يُشِيرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِعَنْتِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَيُصَدِّقُ الْقُرْآنَ فِيمَا جَاءَ بِهِ، فَكَشَفَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَلِلْمُسْلِمِينَ حَالِ الْيَهُودِ وَعِنَادَهُمْ وَكُفْرَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا النَّبِيَّ وَالْمُسْلِمِينَ: أَتَنْظُمُونَ أَنْ يَتَّقَادَ الْيَهُودُ إِلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَقَدْ شَاهَدَ آبَاؤُهُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَمُعْجَزَاتِهِ الْكَثِيرِ، ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ فَرِيقٌ مِنْ أَجْبَارِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَتَأَوَّلُونَهُ، وَيُعْطُونَهُ مَعْنَى آخَرَ غَيْرَ مَعْنَاهُ الصَّحِيحِ (يُحَرِّفُونَهُ) مِنْ بَعْدِ مَا عَرَفُوهُ، وَفَهَمُوا مَعْنَاهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَ عَنِ عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنََّّهُمْ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنْ تَأْوِيلٍ وَتَحْرِيفٍ.

الطَّمَعُ - تَعَلَّقَ النَّفْسُ بِإِذْرَاكِ مَا تُحِبُّ تَعَلُّقًا قَوِيًّا.

يُحَرِّفُونَهُ - يُعْطُونَهُ مَعْنَى غَيْرَ مَعْنَاهُ الصَّحِيحِ.

(آمَنُوا) (آمَنُوا)

(٧٦) - وَكَانَتْ فِتْنَةٌ مِنَ الْيَهُودِ إِذَا اتَّقَوْا بِالْمُسْلِمِينَ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ رَسُولَ اللَّهِ حَقًّا، وَلَكِنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً. وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَتْ فِتْنَةٌ مِنْهُمْ لَا تُحَدِّثُوا الْعَرَبَ بِهَذَا. فَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّ نَبِيًّا سَيَبْعَثُ قَرِيبًا، وَقَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ، وَإِنَّكُمْ سَوْفَ تُقَاتِلُونَ الْعَرَبَ تَحْتَ لَوَائِهِ، وَتَنْتَقِمُونَ مِنْهُمْ، فَكَانَ النَّبِيُّ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَقْرَرْتُمْ بِنُبُوَّتِهِ قَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَخَذَ لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ وَنَصْرِهِ، وَأَنَّهُ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ بَعَثَتَهُ، وَنَجِدُهُ فِي كُتُبِنَا؛ فَاجْعَدُوهُ وَلَا تَقْرُؤُوا بِهِ.

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّاسَ مِنَ الْيَهُودِ آمَنُوا ثُمَّ نَافَقُوا، وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا دَخَلُوا الْمَدِينَةَ: نَحْنُ مُسْلِمُونَ لِيَعْلَمُوا خَبَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ. فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ. وَكَانَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَظُنُّ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ. فَيَقُولُونَ لَهُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ قَدْ قَالَ لَكُمْ كَذِبًا وَكَذِبًا. فَيَقُولُونَ: بَلَى. فَقَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ اتَّحَدُّوهُمْ بِمَا فِي كُتُبِكُمْ مِنْ بَعْثِ النَّبِيِّ وَصِفَاتِهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَنَّ هَذَا

٧٥ أَفَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا
لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ
مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ
اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ
مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

٧٦ وَإِذَا الْقَوْمُ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا
آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى
بَعْضٍ قَالُوا اتَّحَدُّوهُمْ بِمَا
فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ
بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

خَطَأً فَاجِشْ مِنْكُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْكُمْ؟.

خَلَا بَعْضُهُمْ - مَضَى إِلَيْهِ أَوْ انْفَرَدَ بِهِ .

فَتَحَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ - حَكَمَ بِهِ أَوْ قَضَاهُ عَلَيْكُمْ فِي كُتُبِكُمْ .

﴿٧٧﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

(٧٧) - وَأَسْتَتَكِرَ اللَّهُ تَصَرَّفَهُمْ هَذَا لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ، وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَمَا يَبْتَئُونَ، فَإِذَا كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَلِمَ لَا يَخْشَوْنَ بِأَسْهٍ وَنَقْمَتِهِ، وَهُوَ الْمُطَّلِعُ عَلَى الظَّاهِرِ، وَيَعْلَمُ مَا يَجُولُ فِي الضَّمَائِرِ؟

(الْكِتَابَ)

﴿٧٨﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ

الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا لَا يَظُنُّونَ

(٧٨) - وَمِنْ بَيْنِ الَّذِينَ يَتَحَدَّثُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْاسٌ أُمِّيُونَ لَا يَعْرِفُونَ الْقِرَاءَةَ وَلَا الْكِتَابَةَ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا فِي كُتُبِهِمْ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالظَّنِّ بِغَيْرِ عِلْمٍ صَحِيحٍ عَمَّا فِي كِتَابِهِمْ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنَ الْكِتَابِ. وَهَذَا الَّذِي يَقُولُونَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ظَنٌّ وَتَحْمِينٌ وَتَحَرُّصٌ لِلْكَذِبِ. مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِلْمَعْنَى، وَلَا تَذَبُّرٍ وَلَا عِلْمٍ. (أَمَانِي يَتَمَوَّنُهَا).

أُمِّيُونَ - لَا يَقْرَأُونَ.

أَمَانِي - أَكَاذِيبُ تَلَقَّوْهَا عَنْ أَحْبَارِهِمْ.

(الْكِتَابَ)

﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْذِبُونَ

الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رَأْيُ بِهِ شَيْئًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَانَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ

(٧٩) - وَهُؤُلَاءِ صَنَفٌ مِنَ الْيَهُودِ هُمُ الْعُلَمَاءُ، وَالِدُّعَاءُ إِلَى الضَّلَالَةِ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ وَالزُّورِ، وَقَوْلٌ غَيْرُ الْحَقِّ عَلَى اللَّهِ، وَأَكْلٌ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَهُمْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ كِتَابًا مُحَرَّفًا وَمُلَفَّقًا مِنْ عِنْدِهِمْ، يَبِيعُونَهُ لِعَوَامِهِمْ رَاعِمِينَ أَنَّهُ التَّوْرَةُ الْمُنَزَّلَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَأْخُذُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْهُمْ. وَيُحَذِّرُ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: الْوَيْلُ لَهُمْ - أَيُّ الْهَلَاكِ وَالذَّمِّ لَهُمْ وَشِدَّةُ الشَّرِّ - مِمَّا أَكَلُوا مِنْ هَذَا الْكَسْبِ الْحَرَامِ. وَقَدْ أَرْتَكَبَ هَؤُلَاءِ بِعَمَلِهِمْ هَذَا ثَلَاثَ جُنَايَاتٍ:

أَوَّلَاهَا - كَثَمَانُ مَا فِي كِتَابِهِمْ مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ وَتَغْيِيرُهَا.

وَنَابَيْتُهَا - الْاِفْتِرَاءُ عَلَى اللَّهِ وَنَسْبَةُ شَيْءٍ إِلَيْهِ لَمْ يَقُلْهُ.

وَنَالَتْهَا - الْكَسْبُ الْحَرَامُ ثَمَنًا لِهَذَا الْكَذِبِ وَالشَّحْرِيفِ وَالْإِفْكِ.

فَوَيْلٌ - هَلَاكٌ أَوْ شِدَّةُ عَذَابٍ.

(٨٠) - كَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَ: إِنَّمْ أَنْبَأَ اللَّهُ وَأَجَاؤُهُ، يُؤَاخِذُهُمْ مُؤَاخِذَةً
الْأَبِ لِابْنِهِ، بِرِفْقٍ وَحَنَانٍ، وَإِنَّهُمْ لَنْ يُعَذِّبُوا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَيَّامًا
مَعْدُودَاتٍ، ثُمَّ يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ فَيَنْجُوهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ نَارِ جَهَنَّمَ،
مَهْمَا كَانَتْ ذُنُوبُهُمْ عَظِيمَةً.

وَيُرِدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: أَحْصَلْتُمْ عَلَى عَهْدِي وَوَحْيِي وَخَبَرِ صَادِقٍ
بِذَلِكَ مِنْ اللَّهِ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ حَصَلْتُمْ عَلَى عَهْدٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ عَهْدَهُ
وَوَعْدَهُ أَبَدًا، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَقَعْ، وَلَمْ يَصْدُرْ مِنَ اللَّهِ عَهْدٌ لِلْيَهُودِ، وَإِنَّكُمْ
مُقْتَرُونَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ.

مَعْدُودَةٌ - مَحْصُورَةٌ الْعَدَدِ.

(أَخَاطَتْ) (فَأُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٨١) - وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْيَهُودِ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَمَنِّيْتُمْ، وَلَا كَمَا تَشْتَهُونَ،
بَلِ الْأَمْرُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَضَى بِأَنْ كُلَّ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً، وَأَتَى رَبَّهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَقَدْ أَتَقَلَّتْهُ خَطَايَاهُ وَأَنَامُهُ، وَلَيْسَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَا أَعْمَالٌ
صَالِحَةٌ، وَلَمْ يَتُبْ مِنْ خَطَايَاهُ إِلَى اللَّهِ، فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَبْقَى
فِيهَا خَالِدًا.

وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: إِنَّ السَّيِّئَةَ هُنَا تَعْنِي الشُّرْكَ، لِأَنَّ الْمُشْرِكَ خَالِدٌ فِي
النَّارِ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٨٢) - أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ
الصَّالِحَاتِ، فَأُدْخِلُوا الْوَجَائِدَ، وَأَنْتَهَوْا عَنِ الْمَعَاصِي فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ يَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَدًا. فَدُخُولُ الْجَنَّةِ مَنْوُوطٌ بِالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ،
وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مَعًا.

(مِثَاقُ) (إِسْرَائِيلَ) (بِالْوَالِدَيْنِ) (الصَّلَاةِ) (وَاتُوا) (الرَّزْقَةَ)
(الْيَتَامَى) (الْمَسَاكِينَ)

(٨٣) - وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَوَامِرِهِ إِلَيْهِمْ، وَبِالْمِثَاقِ الَّذِي
أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ أَلَّا يُعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ
وَخَدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَلَّا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ يُحْسِنُوا مُعَامَلَةَ
الْوَالِدَيْنِ، وَأَنْ يُحْسِنُوا إِلَى ذَوِي قُرْبَاهُمْ، وَإِلَى الْيَتَامَى الَّذِينَ مَاتَ
آبَاؤُهُمْ، وَإِلَى الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

(٨٠) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا

أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ

عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ

اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

مَا لَا تَعْلَمُونَ

(٨١) كُلِّي مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً

وَأَخَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ

فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ

(٨٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

(٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ

لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ

وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ

تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ

وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ

وَعِبَالِهِمْ، وَأَنْ يُحْسِنُوا مُعَامَلَةَ النَّاسِ وَمُعَاشِرَتَهُمْ، وَأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ
كَلِمَاتٍ طَيِّبَاتٍ (وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ)
وَأَنْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَأَنْ يُؤَدُّوا الزَّكَاةَ. وَلَكِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَوَلَّوْا عَنْ
ذَلِكَ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُ عَنْ عَمْدٍ، بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ، وَلَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ
إِلَّا قَلِيلُونَ، أَقَامُوا الشَّرِيعَةَ عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ فِي زَمَنِ مُوسَى
وَبَعْدَهُ، وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ جَمِيعًا أَدْرَكَوْهُ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَنَعْلَبَةَ بْنِ
سَعِيدٍ.

الْمِيثَاقُ - هُوَ الْعَهْدُ الشَّدِيدُ الْمُؤَكَّدُ.

(مِيثَاقُكُمْ) (دِيَارِكُمْ)

(٨٤) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْيَهُودَ بِأَهَمِّ مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، وَأَخَذَ
الْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ لِاجْتِنَابِهِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَخَذَ الْمِيثَاقَ فِي التَّوْرَةِ عَلَى
بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ لَا يَسْفِكُ بَعْضُهُمْ دَمَ بَعْضٍ، وَأَنْ لَا يُخْرِجَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، وَإِنَّ يَهُودَ الْمَدِينَةِ يَقْرُونَ بِذَلِكَ، وَيَشْهَدُونَ
عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَتْ بِهِ دِيَانَتُهُمْ فِي ذَلِكَ، فَالْحُجَّةُ قَائِمَةٌ عَلَيْهِمْ.

لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ - أَيُّ لَا يَسْفِكُ بَعْضُكُمْ دَمَ بَعْضٍ عَلَى آعْتِبَارِ أَنْ
بَعْضُ أَفْرَادِ الْجَمَاعَةِ هُمْ مِنْ نَفْسِهَا.

السَّفْكُ - الصَّبُّ وَالْإِرَاقَةُ.

(دِيَارِهِمْ) (تَظَاهَرُونَ) (الْعُدَوَانِ) (أَسَارَى) (تَفَادَوْهُمْ)
(الْكِتَابِ) (الْحَيَاةِ) (الْقِيَامَةِ) (بِغَافِلٍ)

(٨٥) - كَانَ فِي الْمَدِينَةِ ثَلَاثُ قَبَائِلَ مِنَ الْيَهُودِ: بَنُو قَيْنِقَاعَ وَبَنُو النَّصِيرِ،
وَهُمْ خُلَفَاءُ الْخَزْرَجِ، وَبَنُو قُرَيْظَةَ وَهُمْ خُلَفَاءُ الْأَوْسِ، وَكَانُوا إِذَا وَقَعَتِ
الْحَرْبُ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَنْتَصَرَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنَ الْيَهُودِ لِحُلَفَائِهِ،
وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ يُقَاتِلُ خُصُومَهُمْ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ الْيَهُودِيُّ يَقْتُلُ الْيَهُودِيَّ فِي
الْحَرْبِ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ، وَيَنْتَهَبُ مَالَهُ وَأَثَاثَ مَتَرِلِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ
عَلَيْهِمْ فَعَلَهُ بِنَصِّ التَّوْرَةِ.

وَلَكِنْهُمْ كَانُوا إِذَا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوَارَهَا يَقُومُونَ بِإِفْتِكَالِكِ الْأَسْرَى
وَمُقَادَاتِهِمْ، عَمَلًا بِنَصِّ التَّوْرَةِ، فَاسْتَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْمَالَهُمْ هَذِهِ، فَهُمْ
يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا خِلَافًا لِلنَّصِّ، وَلَكِنْهُمْ يَفْتَكُونَ الْأَسْرَى وَيَفَادَوْهُمْ
عَمَلًا بِنَصِّ التَّوْرَةِ.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ

لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا
تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ

أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ
عَلَيْهِمْ بِالْإِلَاحِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ
يَأْتُوَكُمْ أَسْرَى تَفْدُوهُمْ
وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ

إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ

الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ

بِبَعْضِ مَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ

ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مُسْتَكْرَأُ تَصْرُفَاتِهِمْ هَذِهِ: أَفْتُمُونُ بِنِعْضِ الْكِتَابِ وَتَعْمَلُونَ بِهِ، وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِهِ وَتُخَالِفُونَهُ؟ وَتَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَوْمُنُ بِنِعْضِ الْكِتَابِ، وَيَكْفُرُ بِبَعْضِهِ الْآخِرَ بِالْخِزْيِ وَالْمَذَلَّةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ الشَّدِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ يَذْكُرُهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُ غَيْرُ غَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ.

تَظَاهَرُونَ - تَتَعَاوَنُونَ.

الْإِنَّمُ - الْفِعْلُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ فَاعِلُهُ اللَّوْمَ (الْعِقَابَ).

الْعُدْوَانُ - تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الظُّلْمِ.

خِزْيٌ - ذُلٌّ وَفَضِيحَةٌ.

(أُولَئِكَ) (الْحَيَاةِ)

(٨٦) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَوَامِرَ التَّوْرَةِ، وَيَعْمَلُونَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ فِيهَا، هُمُ الَّذِينَ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَآثَرُوا وَفَضَّلُوا عَلَى الْآخِرَةِ، بِمَا أَهْمَلُوا مِنَ الشَّرَائِعِ، وَبِمَا تَرَكُوا مِنْ أَوَامِرِهَا الَّتِي يَعْرِفُونَهَا (كَالِاتِّصَارِ لِلْحَلِيفِ الْمُشْرِكِ وَمُظَاهَرَتِهِ عَلَى قَوْمِهِمْ فِي الدِّينِ وَالنَّسَبِ، وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ اتِّغَاءَ مَرَضَاءِ ذَلِكَ الْحَلِيفِ الْمُشْرِكِ)، فَكَانُوا كَمَنْ اشْتَرَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ. وَهَؤُلَاءِ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ نَاصِرًا يُنْقِذُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا مُجِيرًا يُجِيرُهُمْ.

اشْتَرَوْا - هِيَ هُنَا بِمَعْنَى آثَرُوا، أَوْ اسْتَبَدَّلُوا.

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ) (وَاتَيْنَا) (الْبَيِّنَاتِ) (وَأَيَّدْنَاهُ)

(٨٧) - يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْعَتُوِّ وَالْعِنَادِ وَالِاسْتِكْبَارِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ فِي ذَلِكَ أَهْوَاءَهُمْ. وَيُذَكِّرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ آتَى مُوسَى التَّوْرَةَ فَحَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ، وَخَالَفُوا أَوَامِرَهُ وَأَوَّلُوهَا. ثُمَّ أَرْسَلَ مِنْ بَعْدِهِ النَّبِيِّينَ وَالرُّسُلَ، يَحْكُمُونَ بِشَرِيعَتِهِ، وَيَذْكُرُونَ النَّاسَ بِمَا فِي كِتَابِهِمْ، وَيَأْمُرُونَ بِالِاتِّزَامِ بِأَحْكَامِهِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عُذْرٌ فِي نِسْيَانِ الشَّرَائِعِ وَتَخْرِيفِهَا. وَخَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَجَاءَ بِمُخَالَفَةٍ بَعْضِ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ، وَلِهَذَا أَيْدَهُ اللَّهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ، تَأْكِيدًا لِنُبُوَّتِهِ، وَلَمَّا آتَى بِهِ، وَأَيْدَهُ بِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يُعَامِلُونَ الْأَنْبِيَاءَ أَسْوَأَ مُعَامَلَةٍ، فَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بَعْضَهُمْ كَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ، وَيَقْتُلُونَ بَعْضًا آخَرَ كَزَكَرِيَّا

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

٨٦ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ

٨٧ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ

وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ

أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا

تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ

فَهَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا

تَقْتُلُونَ

وَيَحْيَى، وَكُلِّ ذَلِكَ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ كَانُوا يُطَالِبُونَهُمْ بِالْإِتِّزَامِ بِأَحْكَامِ التَّوْرَةِ، وَكَانُوا يَأْتُونَ بِمَا يُخَالِفُ أَهْوَاءَهُمْ، وَلِذَلِكَ فَلَا عَجَبَ إِنْ هُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ وَرِسَالَتِهِ، لِأَنَّ الْعِنَادَ وَالْجُحُودَ مِنْ صِفَتِهِمْ.

فَقَاهُ بِهِ - أَتْبَعَهُ بِهِ.

الْكِتَاب - التَّوْرَةِ.

رُوحِ الْقُدُس - جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٨٨) - وَقَالَ الْيَهُودُ لِلرَّسُولِ ﷺ حِينَ دَعَاَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ: إِنْ قُلُوبُهُمْ مَغْطَاةٌ بِأَغْشِيَةٍ خَلَقِيَةٍ نَمْنَعُهَا مِنْ تَقْهَمِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ، فَهِيَ لَا تَبْعِي، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُهُ. وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُكَذِّبًا: إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا يَدْعُونَ، فَقُلُوبُهُمْ خُلِقَتْ مُسْتَعِدَّةً، بِحَسَبِ الْفِطْرَةِ، لِلنَّظَرِ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى الْحَقِّ، وَلَكِنْ اللَّهُ أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِالْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي تَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ وَحَرَفُوهُ أَتْبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ، فَهُمْ يُؤْمِنُونَ إِيمَانًا قَلِيلًا، وَهُوَ إِيمَانُهُمْ بِبَعْضِ الْكِتَابِ، وَتَحْرِيفُ بَعْضِهِ الْآخِرِ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ.

(وَقِيلَ إِنْ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ قَلِيلُونَ مِنْهُمْ).

الْمَغْلُفُ - وَاحِدُهَا أَغْلَفُ - هُوَ الَّذِي لَا يَقْهَهُ مَا يُقَالُ لَهُ أَوْ هُوَ الَّذِي غُلِفَ قَلْبُهُ بِأَغْشِيَةٍ خَلَقِيَةٍ.

(كِتَابُ) (الْكَافِرِينَ)

(٨٩) - وَلَمَّا جَاءَ الْيَهُودَ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، هُوَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مُتْرَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، هُوَ الْقُرْآنُ، يُصَدِّقُ التَّوْرَةَ وَأَحْكَامَهَا، وَتُؤَافِقُهَا فِي التَّوْحِيدِ، وَأَصُولِ الدِّينِ وَمَقَاصِدِهِ، كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِالْقُرْآنِ، مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ رِسَالََةَ مُحَمَّدٍ حَقٌّ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ صَدَقَ، وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ، يَقُولُونَ لِمُشْرِكِي الْمَدِينَةِ إِنْ كُتِبَتْهُمْ تَنْبِيهُ إِلَى مَنَعِ نَبِيِّ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ، وَإِنَّهُمْ سَيُحَارِبُونَ الْمُشْرِكِينَ تَحْتَ لَوَائِهِ، وَتَتَقَبَّحُونَ مِنْهُمْ، أَيْ إِنْ الْيَهُودَ كَانُوا يَسْتَنْصِرُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ الْمُتَنَظِّرِ، وَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ أَتْبَعَهُ عَرَبُ الْمَدِينَةِ، وَكَفَرُوا بِهِ الْيَهُودُ، وَمَا حَمَلَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ إِلَّا الْحَسَدُ وَالْجُحُودُ، وَالْعِنَادُ وَالطَّمَعُ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا الْحَقِيرِ، فَلَمَعَتْهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ الْكَافِرِينَ.

يَسْتَفْتِحُونَ - يَسْتَنْصِرُونَ بِبَعْتِهِ نَبِيٍّ.

﴿٨٨﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ

اللَّهُ يَكْفُرُهُمْ قَلِيلًا
مَا يُؤْمِنُونَ

﴿٨٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا

مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى

الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ

مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ

فَلَمَعَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ

(فَبَاؤُوا) (وَلِلْكَافِرِينَ)

(٩٠) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بِئْسَمَا اخْتَارَهُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيُصَدِّقُوهُ وَيَنْصُرُوهُ، كَفَرُوا بِهِ وَكَذَّبُوهُ. وَمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا الْبَغْيُ وَالْحَسَدُ وَالْكَرَاهِيَةُ لِاخْتِيَارِ اللَّهِ النَّبِيِّ الَّذِي يُنْزِلُ عَلَيْهِ رِسَالَتَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَاسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ غَضَبًا مِنَ اللَّهِ لِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ وَقُرْآنِهِ، كَمَا اسْتَحَقُّوا مِنْ قَبْلُ غَضَبَ اللَّهِ لِكُفْرِهِمْ، وَإِلْغَاثِهِمْ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ لِكُفْرِهِمْ بِعِيسَى وَإِنْجِيلِهِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُونَ قَدْ اسْتَحَقُّوا غَضَبًا عَلَى غَضَبٍ. وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا لَهُمْ، يَتِمَثَّلُ فِي الدُّنْيَا بِالْحِزْيِ وَالنَّكَالِ وَسُوءِ الْحَالِ، وَيَتِمَثَّلُ فِي الْآخِرَةِ بِالْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

أَشْتَرُوا - بِمَعْنَى بَاعُوا.

بَاءَ - رَجَعَ أَوْ حَمَلَ.

مُهِينٌ - فِيهِ إِهَانَةٌ وَذِلَّةٌ.

(أَمِنُوا)

(٩١) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ الْيَهُودَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ وَصَدِّقُوهُ وَاتَّبِعُوهُ، قَالُوا: يَكْفِينَا الْإِيمَانُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا (التَّوْرَةَ) وَلَا يَقْرُونَ بِغَيْرِ ذَلِكَ (وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ) بِمَا جَاءَ بَعْدَهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ يُصَدِّقُ مَا جَاءَتْ بِهِ التَّوْرَةُ، وَأَنْ كَفَرَهُمْ بِالْقُرْآنِ وَبِمُحَمَّدٍ هُوَ كُفْرٌ بِكِتَابِهِمْ نَفْسِهِ. وَبَرَزَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ الْإِيمَانُ بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِكُمْ، فَلِمَ إِذَا كُنْتُمْ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ فِي كُتُبِكُمْ وَقَدْ أَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِمْ؟ وَقَتْلُكُمْ الْأَنْبِيَاءَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّكُمْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِرِسَالَةِ رَبِّكُمْ. (وَقَدْ نَسَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَتْلَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ أَنَّ الْقَتْلَ أَرْتَكِبُهُ أَسْلَافُهُمْ، وَهَذَا يُقْصَدُ بِهِ وَحْدَةُ الْأُمَّةِ وَتَكَافُلُهَا، وَأَنَّهَا فِي الطَّبَائِعِ وَالْأَخْلَاقِ الْمُشْتَرَكَةِ كَالشَّخْصِ الْوَاحِدِ).

وَرَاءَ - سِوَى أَوْ غَيْرِ.

(بِالْبَيِّنَاتِ) (ظَالِمُونَ)

(٩٢) - لَقَدْ كَفَرْتُمْ يَا أَيُّهَا الْيَهُودُ بِكِتَابِكُمْ، وَرَجَعْتُمْ إِلَى الشِّرْكِ فِي عَهْدِ مُوسَى، فَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَالْمُعْجَزَاتِ

﴿٩٠﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ

أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

فَبَاءَ وَيَعْصِبُ عَلَى غَضَبٍ

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ

﴿٩١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا

أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْمِنُ بِمَا

أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ

بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا

لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ

أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ



﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ

مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ

الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ

ظَالِمُونَ

(الْبَيِّنَاتِ)، وَالذَّلَائِلَ الْقَاطِعَاتِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَعَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَعَلَى أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَكِنَّكُمْ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مَعْبُوداً مِنْ دُونِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ مُوسَى لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ فِي جَبَلِ الطُّورِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَعِبَادَتُكُمْ غَيْرُهُ ظُلْمٌ كَبِيرٌ، وَكُفْرَانٌ بِالنِّعَمِ.

(وَالْآيَاتُ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هِيَ الْعَصَا وَالْيَدُ وَالطُّوفَانُ وَالْجُرَادُ وَالْقُمَّلُ وَأَنْبِجَاسُ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ وَأَنْفِلَاقُ الْبَحْرِ، وَالْغَمَامُ وَالْمَنْ وَالسُّلُوى وَالْدَّمُ).

(مِثَاقُكُمْ) (آتَيْنَاكُمْ) (إِيمَانُكُمْ)

(٩٣) - وَحِينَمَا جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْتَّوْرَةِ، وَرَأَيْتُمْ مَا فِيهَا مِنْ تَكْلِيفٍ، شَقَّتْ عَلَيْكُمْ، وَاسْتَقْلَنْتُمْ أَعْبَاءَهَا، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرِيَكُمْ آيَةً عَلَى صِدْقِ التَّوْرَةِ، وَبَرَهَانًا عَلَى أَنَّهَا كِتَابُ اللَّهِ، فَرَفَعَ فَوْقَكُمْ جَبَلَ الطُّورِ حَتَّى صَارَ فَوْقَكُمْ كَالْمِظْلَةِ، وَهَدَّدَكُمْ بِإِسْقَاطِهِ عَلَيْكُمْ إِنْ لَمْ تُعْبِلُوا قَبُولَكُمْ بِالْمِثَاقِ الَّذِي وَاتَّقَكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ أَلَّا يَأْخُذَكُمْ هَوَى فِي الْإِمْتِثَالِ لِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَأَلَّا تَقْصُرُوا فِي الْأَخْذِ بِمَا فِيهِ، فَقُلْتُمْ آمَنَّا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا قَوْلًا، وَلَكِنَّكُمْ عُدْتُمْ إِلَى مُخَالَفَتِهِ عَمَلًا فَكُنْتُمْ وَكَانَتْكُمْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَعَرُوا بِحُبِّ الْعِجْلِ يَخْلُصُ إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَيَنْفُذُ إِلَيْهَا كَمَا يَنْفُذُ الْمَاءُ فِيمَا يَدْخُلُ فِيهِ فَيَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، فَكَيْفَ يَدْعُونَ الْإِيمَانَ لِأَنْفُسِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَامُوا بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمُنْكَرَةِ، مِنْ نَقْضِ مَوَاقِفِ اللَّهِ، وَالْكُفْرِ بِآيَاتِهِ، وَمِنْ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ؟ وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لِلْيَهُودِ تَوْبِيحًا بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا أَحْوَالَ أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِهِمْ فِي كُلِّ مَا يَأْتُونَ وَمَا يَذَرُونَ: إِنْ كُنْتُمْ مُخْلِصِينَ فِي إِيمَانِكُمْ بِالْتَّوْرَةِ، فَيُشَسِّ هَذَا الْإِيمَانُ الَّذِي يَأْمُرُكُمْ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا، كَعِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْإِيمَانِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ، وَتَرْكِ الْعَمَلِ بِبَعْضِهِ الْآخَرِ.

أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ - شَعَرُوا بِحُبِّ الْعِجْلِ يَخْلُصُ إِلَى قُلُوبِهِمْ وَيَنْفُذُ إِلَيْهَا كَمَا يَنْفُذُ الْمَاءُ فِيمَا يَدْخُلُ فِيهِ.

(صَادِقِينَ)

(٩٤) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنْ كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ صِدْقًا أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُ مِنْ دُونِ النَّاسِ، وَأَنَّ النَّارَ لَنْ تَمْسُكُمْ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، وَأَنَّ

﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا

فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا

مَاءً اتَّبِعْنَا بِقُوَّةٍ

وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا

وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي

قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ

يَكْفُرُهُمْ قُلْ بِشِكْمَا

يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿٩٤﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ

الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ

دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

لَكُمْ الْجَنَّةُ وَحَدَّثَكُمْ وَمَنْ عَدَاكُمْ مِنَ الْخَلْقِ فِي النَّارِ، فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ
الَّذِي يُوصِلُكُمْ إِلَى ذَلِكَ النَّعِيمِ الْخَالِصِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يُبَارِغُكُمْ فِيهِ
أَحَدٌ، وَاطْلُبُوا الْمَوْتَ مِنَ اللَّهِ. فَإِذَا لَمْ يَتَمَتُّوهُ كَانُوا غَيْرَ صَادِقِينَ فِي
إِيمَانِهِمْ.

تَمَتُّوا الْمَوْتَ - اجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ تَرْتَاخُ إِلَيْهِ.

(بِالظَّالِمِينَ)

(٩٥) - وَلَنْ يَتَمَتَّى هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمُ الصَّوْتُ
أَبَدًا، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ، وَمَا أَسْلَفْتَ مِنْ سَيِّئِ الْأَعْمَالِ،
فَهُمْ يَخَافُونَ عِقَابَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ
الدَّارَ الْآخِرَةَ خَالِصَةٌ لَهُمْ مِنْ دُونِ النَّاسِ.

(٩٦) - وَلَتَجِدَنَّ يَا مُحَمَّدُ الْيَهُودَ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْبَقَاءِ فِي الْحَيَاةِ،
حَتَّى لَتَجِدَنَّاهُمْ أَحْرَصَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ، وَلَا يَتَّقِدُونَ
بِوُجُودِ بَعْثٍ وَخَشَرٍ وَحِسَابٍ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَلِذَلِكَ حَصَرُوا هَمَّهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. أَمَّا الْيَهُودُ فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَيَعْلَمُونَ مَا
قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ مِنْ كُفْرٍ وَخُرُوجٍ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَقَتْلٍ لِأَنْبِيَائِهِ، وَيَعْلَمُونَ مَا
يَنْتَظِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ مَقْتِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ وَشَدِيدِ عَذَابِهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ
يَتَمَتُّونَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَمَدٌ بَعِيدٌ، وَأَنْ يَعِيشُوا ذَهْرًا
طَوِيلًا لِكَيْلَا يَصِلُوا إِلَى الْعَذَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

وَبَرَدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: وَلَوْ عَاشَ أَحَدُهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ، فَلَيْسَ ذَلِكَ
بِمُنْجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، مَا دَامَ مُقِيمًا عَلَى كُفْرِهِ، وَمُصِرًّا عَلَى الْإِثْمَانِ
بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَاللَّهُ مُبْصِرٌ وَمُشَاهِدٌ مَا يَعْمَلُونَ.

(رَوَى فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْيَهُودَ رَزَعُوا أَنَّهُمْ أَنْبَاءُ اللَّهِ
وَأَجْبَؤُهُ، وَقَالُوا: إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَهُودِيًّا. فَدَعَاهُمْ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، وَالِدُعَاءِ بِالْمَوْتِ وَاللَّعْنَةِ عَلَى أَكْذَابِ الطَّاغُفْتَيْنِ
مِنْهُمْ وَمِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَتَكَلَّ الْيَهُودُ عَنْ ذَلِكَ وَظَهَرَ كَذِبُهُمْ فِيمَا يَدْعُونَ).
وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْيَهُودِ (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي مَقَالَتِكُمْ
فَقُولُوا: اللَّهُمَّ امْتِنَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلَّا غَضُ
بَرِيْقِهِ وَمَاتَ مَكَانَهُ). وَهَذَا نَحَدُّ آخَرَ لِلْيَهُودِ قَائِمٌ فَوْقَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ

(٩٧) - نَاطَرَ الْيَهُودَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرِ بُرْتِيهِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا
الْقَاسِمِ أَخْبِرْنَا عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ فَإِنْ أَتَيْنَا بِهَا عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ.
فَأَخَذَ النَّبِيُّ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ إِذْ قَالَ: (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ). ثُمَّ قَالَ

﴿٩٥﴾ وَلَنْ يَتَمَتُّوهُ أَبَدًا إِيْمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ

﴿٩٦﴾ وَلَتَجِدَنَّاهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ

عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ

سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْجِرٍ مِنْ

الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ

بِمَا يَعْمَلُونَ

﴿٩٧﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ

فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ

لَهُمْ: هَاتُوا. فَسَأَلُوهُ أَسْئَلَةً أَرْبَعَةً أَجَابَهُمْ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالُوا لَهُ: لَيْسَ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا وَلَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبَرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (صَاحِبِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ). قَالُوا جِبْرِيلُ ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَذُونًا، وَإِنَّهُ أَنْذَرُ الْيَهُودَ بِحَرَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَكَانَ مَا أَنْذَرَهُ بِهِ، لَوْ قُلْتَ: إِنَّ صَاحِبَكَ مِيكَائِيلُ لَا تُبْعَثُكَ، لِأَنَّهُ الْمَلَكُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالْغَيْثِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ مَنْ عَادَى جِبْرِيلَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى قَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ، بِأَمْرِ اللَّهِ، مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمِنْهَا التَّوْرَةُ، وَهُوَ هُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ وَبُشْرَى لِقُلُوبِهِمْ بِالْجَنَّةِ.

(وَمَلَائِكَتِهِ) (وَمِيكَالَ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٩٨) أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ بِأَنَّ مَنْ عَادَى اللَّهَ بِالْكَفْرِ بِهِ وَمُخَالَفَتِهِ أَوَامِرِهِ، أَوْ عَادَى أَحَدًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، أَوْ أَحَدًا مِنْ رُسُلِهِ أَوْ جِبْرِيلَ أَوْ مِيكَائِيلَ، فَإِنَّهُ يَكُونُ عَدُوًّا لِلَّهِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا، وَاللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ، وَمَنْ عَادَاهُ اللَّهُ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

(آيَاتِ) (بَيِّنَاتِ) (الْفَاسِقُونَ)

(٩٩) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ أَنَّهُ، جَلَّ شَأْنُهُ، أَنْزَلَ إِلَيْهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، تَذُلُّ عَلَى صِدْقِ بُرْهَانِهِ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ هِيَ مَا حَوَاهُ كِتَابُ اللَّهِ مِنْ حَقَائِقِ عُلُومِ الْيَهُودِ، وَمَكُونَاتِ سَرَائِرِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ، وَمَا حَرَفَهُ أَوَائِلُهُمْ وَأَوَاخِرُهُمْ، وَمَا بَدَّلُوهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي كَانَتْ فِي التَّوْرَةِ، وَمَا يَكْفُرُ بِهِذِهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَجْحَدُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ الْخَارِجُونَ عَنْ الطَّاعَةِ، الَّذِينَ اسْتَحْبَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى حَسَدًا لِلنَّبِيِّ، وَعِندَادًا وَمُكَابَرَةً مِنْهُمْ.

الْفَاسِقُونَ - الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

(عَاهِدُوا)

(١٠٠) - وَكَانَ الْيَهُودُ قَدْ قَالُوا جِئْنَا بِعَثِّ اللَّهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ: وَاللَّهُ، مَا عَاهَدَ اللَّهُ إِلَيْنَا فِي مُحَمَّدٍ، وَمَا أَخَذَ عَلَيْنَا مِيثَاقًا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ: إِنَّ الْعُهُودَ الْمُقْصُودَةَ هُنَا هِيَ عُهُودُهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ).

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿٩٨﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ

وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ
عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ

﴿٩٩﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ

بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا
الْفَاسِقُونَ

﴿١٠٠﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهِدُوا عَاهِدًا

بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ الْيَهُودَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَقَضَهُ (نَبَذَهُ) فَرِيقٌ مِنْهُمْ، وَكَثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِحُرْمَةِ الْعَهْدِ وَالْمَوَاقِفِ.

(الْكِتَابُ) (كِتَابَ اللَّهِ)

(١٠١) - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ يُصَدِّقُ التَّوْرَةَ الَّتِي بَيَّنَّ أَيْدِيهِمْ بِمَا فِيهِ مِنْ أَصُولِ التَّوْحِيدِ، وَقَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَأَخْبَارِ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ، نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الْيَهُودِ التَّوْرَةَ وَأَهْمَلُوهَا، وَكَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِمَا فِيهَا، مَعَ أَنَّهَا حَوَتْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ، وَبَشَّرَتْ بِرِسَالَتِهِ، وَلَكِنَّهُمْ كَتَمُوا ذَلِكَ وَجَحَدُوهُ؛ وَالْيَهُودُ جِئْنَ كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ، وَبِالْقُرْآنِ الْمُصَدِّقِ لِلتَّوْرَةِ، يَكُونُونَ قَدْ نَبَذُوا التَّوْرَةَ الَّتِي جَاءَ فِيهَا: إِنَّ اللَّهَ سَيُعْطِي رَسُولًا لِلنَّاسِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ. نَبَذَ - طَرَحَ وَالْقَى.

الْفَرِيقُ - الْعَدَدُ الْقَلِيلُ.

(الشَّيَاطِينُ) (سُلَيْمَانَ) (هَارُوتَ) (وَمَارُوتَ) (اشْتَرَاهُ) (خَلَقِي) (تَتَلَوُ)

(١٠٢) - وَلَقَدْ صَدَّقُوا مَا تَقُولُهُ الشَّيَاطِينُ وَالْفَجَرَةُ مِنْهُمْ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ، إِذْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ، بَلْ كَانَ سَاحِرًا يَسْتَعِذُّ الْعَوْنُ مِنْ سِحْرِهِ، وَأَنْ سِحْرَهُ هَذَا هُوَ الَّذِي وَطَّدَ لَهُ الْمُلْكُ، وَجَعَلَهُ يُسَيِّرُ عَلَى الْجِنِّ وَالطَّيْرِ وَالرِّيَّاحِ، فَتَسْبُوا بِذَلِكَ الْكُفْرَ لِسُلَيْمَانَ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ الْفَجَرَةُ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، إِذْ تَقُولُوا عَلَيْهِ الْأَقَاوِيلَ، وَأَخَذُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَمِنْ آثَارِ مَا أَنْزَلَ بِبَابِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ. مَعَ أَنَّ هَذَيْنِ الْمَلَائِكَةِ مَا كَانَا يُعَلِّمَانِ أَحَدًا حَتَّى يَقُولَا لَهُ: إِنَّمَا نَعْلَمُكَ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْكَفْرِ فَاعْرِضْهُ وَأَحْذَرُهُ، وَتَوَقَّ الْعَمَلَ بِهِ. وَلَكِنَّ النَّاسَ لَمْ يَأْخُذُوا بِهِذِهِ النَّصِيحَةِ، فَاسْتَحْذَمُوا، مِمَّا تَعَلَّمُوهُ مِنْهُمَا، مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرءِ وَزَوْجِهِ. لَقَدْ كَفَرَ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ الْفَجَرَةُ إِذْ تَقُولُوا هَذِهِ الْأَقَاوِيلَ، وَاتَّخَذُوا مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ وَأَسَاطِيرِهِمْ ذَرِيعَةً لِنُعْلِيمِ الْيَهُودِ السَّحْرَ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِسِحْرِهِمْ هَذَا أَحَدًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَأْذُنُ بِالضَّرْرِ إِنْ شَاءَ، وَأَنْ مَا يُؤْخَذُ عَنْهُمْ مِنْ سِحْرِ لِيُضَرَّ مَنْ تَعَلَّمَهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَلَا يُفِيدُهُ شَيْئًا، وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَعْلَمُونَ حَقَّ الْعِلْمِ أَنَّ مِنْ أَتَجَهَ هَذَا الْإِتْجَاهُ لَنْ يَكُونَ لَهُ حَظٌّ أَوْ نَصِيبٌ فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَلِبَسِ مَا اخْتَارَهُ هَؤُلَاءِ لِنَفْسِهِمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.

(١٠٣) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ

نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ

ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(١٠٤) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى

مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ

سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ

كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ

السَّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى

الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ

وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ

حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا

مَا يَفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ

وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ

مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ

وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا

لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ

السَّحَرِ - الْخَدْعِ .

شَرُّوا - بَاعُوا .

الْإِنْزَالُ - الْإِلْهَامُ .

عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ - فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ .

(آمَنُوا)

(١٠٣) - وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِالْحَقِّ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَبِكِتَابِهِمُ الَّذِي يُبَشِّرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَتَقُوا اللهَ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى أَمْرِهِ وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ لَكَانَ ثَوَابُ اللهِ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَرَضُوا بِهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ، لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ .

الْمَثُوبَةُ - الثَّوَابُ الْعَظِيمُ .

(آمَنُوا) (رَاعِنَا) (لِلْكَافِرِينَ) (بِأَيِّهَا)

(١٠٤) - كَانَ الْأَنْصَارُ يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ جِئْنَا يَتْلُو عَلَيْهِمُ الْوَحْيَ : رَاعِنَا (أَيَّ تَمَهَّلْ عَلَيْنَا فِي التَّلَاوَةِ حَتَّى نَعِيَ مَا تَقْرُؤُهُ عَلَيْنَا) . وَكَانَ الْيَهُودُ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا التَّعْبِيرَ فِي مُحَاطَبَتِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ وَهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا لَهُ : (ارْعِنَا سَمْعَكَ) .

وَلِكِنَّهُمْ كَانُوا يُبْمِلُونَ الْكَلِمَاتِ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَيُورُونَ بِهَا عَنِ الرَّعُونَةِ . (وَرَاعِنُو فِي الْعَبْرِيَّةِ مَعْنَاهَا شَرِيْرٌ) . فَتَبَّهَ اللهُ تَعَالَى رَسُوْلَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَلِكَ، وَنَهَاهُمْ عَنْ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي مُحَاطَبَةِ الرَّسُولِ . وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْتَعْمِلُوا بَدَلًا مِنْ كَلِمَةِ (رَاعِنَا)، كَلِمَةَ (انْظُرْنَا) .

وَيَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى الْيَهُودَ الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَسُوءِ أَدْبِهِمْ بِحَقِّ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ .

رَاعِنَا - ارْعِنَا سَمْعَكَ، أَوْ تَمَهَّلْ عَلَيْنَا .

انْظُرْنَا - انْظُرْ إِلَيْنَا أَوْ انْظُرْنَا أَوْ تَأَنَّ عَلَيْنَا .

(أَهْلُ الْكِتَابِ)

(١٠٥) - إِنَّ الَّذِينَ عَرَفْتُمْ خَالَهُمْ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، هُمْ حَسَدَةٌ لَكُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُصَيِّبَكُمْ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا أَنْ يَتَرَسَّخَ دِينُكُمْ، وَلَا أَنْ تَتَبَّتْ أَرْكَانُهُ . وَالْمُشْرِكُونَ مِثْلُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي كُرْهِهِمْ لَكُمْ، وَحَسَدِهِمْ إِيَّاكُمْ، وَتَمَنِّيهِمْ أَنْ تَدُورَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الدَّوَائِرُ، وَأَنْ يَنْتَهِيَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ . وَحَسَدُ الْحَاسِدِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَاحِطٌ عَلَى رَبِّهِ، مُعْتَرِضٌ عَلَى حُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، لِأَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى الْمَحْسُودِ بِمَا أَنْعَمَ،

مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ
مَا شَرُّوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

١٠٣

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ
لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

١٠٤

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا
انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
أَلِيمٌ

١٠٥

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ
مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ
بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

وَاللَّهُ لَا يُضَيِّرُهُ سَخَطُ السَّاحِطِينَ، وَلَا يُحَوِّلُ مَجَارِيَ نِعْمَتِهِ حَسَدَ الْحَاسِدِينَ، فَهُوَ يَخْتَصُّ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ وَهُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ عَلَى مَنْ اخْتَارَهُ لِلنَّبُوَّةِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْإِحْسَانِ وَالْمِنَّةِ عَلَى عِبَادِهِ.

(آيَة)



﴿١٠٦﴾ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ

نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ
مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ

(١٠٦) يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَدْ يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ، لِمَا يَعْلَمُهُ فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، ثُمَّ يَنْهَى عَنْهُ لِمَا يَرَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ حِينَئِذٍ، فَهُوَ لَا يَدُلُّ حُكْمًا مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ أَوْ يَمْحُوهُ إِلَّا جَاءَ بِحُكْمٍ أَرْفَقَ مِنَ الْحُكْمِ الْمَنْسُوخِ بِالْمُكَلِّفِينَ، وَخَيْرَ لَهُمْ فِي الْمَنْفَعَةِ أَوْ مِثْلِهِ. وَيُنَبِّهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ الْمُطْلَقُ فِي الْكَوْنِ وَمَا فِيهِ، فَيَحِلُّ مَا يَشَاءُ، وَيُحَرِّمُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ وَلَا مَعْقَبَ عَلَى حُكْمِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِطَاعَةُ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَاتِّبَاعُ رَسُولِهِ ﷺ فِي تَصْدِيقِ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ.

(نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ رَدًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِأَمْرِ ثُمَّ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ وَيَأْمُرُهُمْ بِخِلَافِهِ، وَيَقُولُ الْيَوْمَ قَوْلًا وَيَرْجِعُ عَنْهُ غَدًا؟)

النَّسخ - الإزالة.

الإنشاء - إذهاب الآية من ذاكرة النبي بعد تبليغها إليه.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٠٧) يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ مِنْ دُونِهِ مِنْ نَاصِرٍ، وَعَلَى الْخَلْقِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لَهُ أَنْ يَنْسَخَ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَيُسَيِّلَهَا، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالْأَحْكَامَ الْخُلُقِيَّةَ قَدْ تَكُونُ فِيهَا مَصْلَحَةٌ فِي وَقْتٍ، وَتَكُونُ مَفْسَدَةً فِي وَقْتٍ آخَرَ. الْوَلِيُّ - الْقَرِيبُ وَالصَّدِيقُ. النَّصِيرُ - الْمُعِينُ.

(أَنْ تَسْأَلُوا) (كَمَا سُئِلَ) (بِالْإِيمَانِ).

(١٠٨) نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) عَنِ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ وَقُوعِهَا، عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّبِ وَالِافْتِرَاحِ، كَمَا سَأَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى تَكْذِيبًا وَعِنَادًا وَتَعَنُّتًا، فَقَالُوا لَهُ: أَرَأَاكَ اللَّهُ جَهْرَةً. وَشَبَّهَ اللَّهُ حَالَ الَّذِينَ عَدَلُوا عَنْ تَصْدِيقِ الْأَنْبِيَاءِ وَاتِّبَاعِهِمْ، وَالطَّاعَةِ لَهُمْ، إِلَى مُحَالَاتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَالِافْتِرَاحِ عَلَيْهِمْ بِالْأَسْئَلَةِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا

﴿١٠٧﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

﴿١٠٨﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا

رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ
قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ

يُفْعَلُونَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّبِ وَالْكَفْرِ، بِحَالِ الَّذِي خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ.

(يُرَوَّى فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ آيَةِ أَنْ رَافِعُ بْنُ خُرَيْمَةَ وَوَهَبُ بْنُ زَيْدٍ قَالَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَيْنَا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ نَقَرُوهُ، وَفَجَّرَ الْأَنْهَارُ تَتَبَعَكَ السُّؤَالُ - الْإِفْتِرَاحُ الْمَقْصُودُ بِهِ التَّعَنُّبُ.

بَذَلَ وَتَبَدَّلَ - جَعَلَ شَيْئًا مَوْضِعَ شَيْءٍ.

(أَهْلُ الْكِتَابِ) (بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ)

(١٠٩) يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَهُمْ الْيَهُودُ هُنَا، يَكْرَهُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَبْغُونُ لَهُمُ الْعَدَاوَةَ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ جَاهِدِينَ عَلَى رَدِّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ، وَعَلَى إِعَادَتِهِمْ إِلَى الْكُفْرِ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ حَسَدِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَخَوْفِهِمْ مِنْ أَنْ يَنْتَقِلَ السُّلْطَانُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، بَعْدَ أَنْ تَأَكَّدُوا مِنْ أَنَّ الرَّسُولَ صَادِقٌ فِي رَسُولِيهِ، وَأَنْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَعْفُوا عَنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الْخَسَاةِ، وَيَأْنِ يَصْفَحُوا عَنْهُمْ، وَيَأْنِ يَحْتَمِلُوا أَذَاهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ بِالنَّصْرِ أَوْ الْفَتْحِ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

(هَذَا الْمَقْطَعُ مِنَ الْآيَةِ: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ مَسْخُوحٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(١)، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٢).

(الصَّلَاةُ) (وَأَتُوا) (الرَّكَاتُ)

(١١٠) يُحَثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِسْتِغَالِ بِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيُسَاعِدُهُمْ عَلَى تَحْقِيقِ النَّصْرِ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ، وَبِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَيُوصِلُهُمْ إِلَى الْفَوْزِ بِجَنَّةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ، مِثْلَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِتْيَاءِ الرَّكَاتِ حَتَّى تَطْمَئِنُّ نَفُوسُهُمْ إِلَى رِضَا اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَإِلَى حُسْنِ الْعَاقِبَةِ فِي الْآخِرَةِ، فَتَكُونَ أَثْبَتٌ عَلَى تَحْمِلِ الصَّعَابِ وَالشَّدَائِدِ. وَيُعَلِّمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ كُلَّ مَا يُقَدِّمُونَهُ لِنَفْسِهِمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ وَخَيْرٍ يَجِدُونَ ثَوَابَهُ عِنْدَ اللَّهِ مُحْفُوظًا لِيَوْمِ الْحِسَابِ، لَا يَقْصِبُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ شَيْءٌ، لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَأَنَّهُ سَيَجَازِيهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ.

(١) الآية ٥ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٢٩ من سورة التوبة.

وَدَكْثِيرٌ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ
بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا
بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا
وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الرَّكَاتِ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ
مِنْ خَيْرٍ تَحَدُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(نَصَارَى) (بُرْهَانَكُمْ) (صَادِقِينَ)

(١١١) - ادَّعى الْيَهُودُ، وَادَّعتِ النَّصَارَى أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِمْ هُمْ. فَردَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: تِلْكَ أَشْيَاءُ يَتَمَنَوْنَهَا عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، وَلَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ وَلَا حُجَّةٌ عَلَى مَا يَقُولُونَ. فَإِنْ كَانَ لِدَعْوَاهُمْ هَذِهِ أَسَاسٌ فَلْيَأْتُوا بِبُرْهَانٍ عَلَيْهَا. وَبِمَا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِقَامَةَ الدَّلِيلِ عَلَى دَعْوَاهُمْ هَذِهِ فَهُمْ إِذَا كَاذِبُونَ مُتَحَرِّصُونَ. الْأَمَانِيُّ - مَا يَتَمَنَاهُ الْمَرْءُ وَلَا يَذْكُرُهُ أَوْ هِيَ مَا لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ.

(١١٢) - وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى دَعْوَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى تِلْكَ فَيَقُولُ لَهُمْ: بَلَى سَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ الَّذِينَ يُسْلِمُونَ وَجُوهَهُمْ لِلَّهِ، وَيَتَّقِدُونَ لِأَمْرِهِ مُطِيعِينَ مُخْلِصِينَ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، فَهَؤُلَاءِ يُوفِّيهِمْ رَبُّهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ، وَيُذْهِبُ عَنْهُمْ الْخَوْفَ وَالْحَزَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنَ الْأَمْرِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا يَتْرَكُونَهُ مِنَ أَمْرِ الدُّنْيَا. فَرَحْمَةُ اللَّهِ لَا يَخْتَصُّ بِهَا شَعْبٌ دُونَ شَعْبٍ، وَكُلُّ مَنْ عَمِلَ لَهَا، وَأَخْلَصَ فِي عَمَلِهِ، كَانَ مِنَ أَهْلِهَا. أَسْلَمَ وَجْهَهُ - أَنْقَذَ مُخْلِصًا.

(النَّصَارَى) (الْكِتَابَ) (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

(١١٣) - جَاءَ وَقَدْ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُمْ أَخْبَارُ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ يَهُودِيٌّ لِلنَّصَارَى: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَكَفَرَ بَعِيسَى وَبِالْإِنْجِيلِ. وَقَالَ نَصْرَانِيٌّ مِنَ الْوَقْدِ لِلْيَهُودِ: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَكَفَرَ بِنُبُوَّةِ مُوسَى وَبِالتَّوْرَةِ. مَعَ أَنَّ عِيسَى جَاءَ مُتَمِّمًا شَرْعَ التَّوْرَةِ لَا نَاقِضًا لَهُ. وَقَدْ كَفَرَ كُلُّ قَرِيبٍ بِنُبُوَّةِ نَبِيِّ وَرَدَّ ذِكْرَهُ فِي كِتَابِهِ هُوَ، فَالْيَهُودُ كَفَرُوا بِعِيسَى وَبَيْنَ أَيْدِيهِمُ التَّوْرَةُ، وَفِيهَا أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى بِالتَّصْدِيقِ بِنُبُوَّةِ عِيسَى، وَجَاءَ عِيسَى بِتَصْدِيقِ مُوسَى وَنُبُوَّتِهِ وَكِتَابِهِ، وَنَصَارَى الْوَقْدِ كَفَرُوا بِمُوسَى، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِمَا فِي كِتَابِهِمْ، وَكُلُّ قَرِيبٍ يَتْلُو كِتَابَهُ وَيَعْلَمُ شَرِيعَةَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلَكِنَّهُمْ تَجَاحَدُوا كُفْرًا وَعِنَادًا. وَكَذَلِكَ قَالَ غَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْجَاهِلِينَ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِالنَّبَوَاتِ، مِثْلَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، وَكَفَرُوا عِنَادًا وَخَسَدًا، قَالَهُ سَيَجْمَعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِقَضَائِهِ الْعَادِلِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ.

﴿١١١﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا
مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانًى تِلْكَ
أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ

﴿١١٢﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿١١٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَانِي
عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَانِي
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

(مَسَاجِدَ) (أُولَئِكَ) (خَائِفِينَ) (الْآخِرَةِ)

(١١٤) - يُشِيرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى مَا وَقَعَ مِنَ الْقَائِدِ الرُّومَانِيِّ الَّذِي هَاجَمَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ بَعْدَ مِيلَادِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَنَحُوا سَبْعِينَ سَنَةً ، بِتَحْرِيطِ مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ هَرَبُوا إِلَى رُومًا تَخَلُّصًا مِنْ ظُلْمِ الْيَهُودِ وَطُغْيَانِهِمْ وَمَوَاطِنِهِمْ ، فَدَخَلَ الْقُدْسُ وَخَرَّبَهَا ، وَخَرَّبَ الْهَيْكَلَ وَدَوَّرَ الْعِبَادَةَ ، وَأَحْرَقَ التَّوْرَةَ . وَكَانَ الْمَسِيحُ قَدْ أُنْذِرَ الْيَهُودَ بِذَلِكَ .

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُعَرِّضُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى مَسَاجِدِ اللَّهِ وَيُؤَيِّتُهُ ، لِيَذْكُرُوا فِيهَا اسْمَهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالصَّلَاةِ ، وَيَسْعَوْنَ فِي خَرَابِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ .

وَيَقُولُ تَعَالَى : إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الظَّالِمُونَ ، وَلَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْهُمْ ظُلْمًا . وَيَجِبُ أَنْ لَا يَدْخُلَ هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ - إِذَا قَدَّرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ - إِلَّا وَهُمْ أَذِلَّةٌ يَدْفَعُونَ الْجَزْيَةَ ، أَوْ فِي ظُلٍّ هَذِيءٍ يَعْقِدُونَهَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَدْخُلُونَ الْمَسَاجِدَ وَهُمْ خَائِفُونَ مِنْ أَنْ يَبْطِشَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ . وَهَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ قَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ خِزْيًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، بِأَنْ سَلَّطَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ ، وَأَطْفَرَهُمْ بِهِمْ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا عَظِيمًا جَزَاءَ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ .

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ : مِنْ مَظَاهِرِ عِدَائِهِ هَذِهِ الطَّوَائِفُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ أَنْ بَعْضُهُمْ خَرَّبَ مَعَابِدَ الطَّوَائِفِ الْأُخْرَى ، وَمَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَقْتَرِفُوا مِثْلَ هَذَا الْجُرْمِ الْخَطِيرِ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْفَظُوا لِلْمَعَابِدِ حُرْمَتَهَا ، وَأَنْ لَا يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَاشِعِينَ ، وَأَنْ لَا يَمْنَعُوا غَيْرَهُمْ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فِيهَا) .

(وَأَسِعَ)

(١١٥) - بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ يُصَلِّي مُتَجَهًّا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُجِبُّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةً أَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَيَدْعُو اللَّهَ وَيَقْلُبُ طَرَفَهُ فِي السَّمَاءِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۖ ﴾ (١) . فَقَالَ يَهُودُ الْمَدِينَةِ : مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهِمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ

اللَّهِ أَنْ يَذْكُرَ فِيهَا اسْمَهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمُّ وَجْهِ اللَّهِ ابْنَ اللَّهِ

وَأَسِعَ عَلَيْهِمْ

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ كُلُّ ذَلِكَ لِلَّهِ، وَإِلَى أَيِّ مَكَانٍ أَتَجَهَّ
الْإِنْسَانُ فِي صَلَاتِهِ كَانَ تَوَجُّهُهُ إِلَى اللَّهِ، لَا يَقْصِدُ بِصَلَاتِهِ غَيْرَهُ، فَلَا
يَخْلُو مَكَانَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَاللَّهُ وَاسِعٌ لَا يُحْصَرُ وَلَا يُحَدُّ، يَسَعُ خَلْقَهُ
بِالْكَفَايَةِ وَالْجُودِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِأَعْمَالِهِمْ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهَا.

(سُبْحَانَهُ) (السَّمَاوَاتِ) (قَائِنُونَ)

(١١٦) - رَدُّ اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى النَّصَارَى الَّذِينَ أَدْعَوُا أَنَّ
الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وَعَلَى فِتْنَةٍ مِنَ الْيَهُودِ أَدْعَتْ أَنَّ عَزْرِيْرًا ابْنَ اللَّهِ،
وَعَلَى فِتْنَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَدْعَتْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، فَكَذَّبَهُمْ جَمِيعًا
فِي دَعَاوَاهُمْ، تَنَزَّهَ اسْمُهُ وَتَقَدَّسَ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا أَفْتَرَوْا وَكَذَّبُوا، وَإِنَّمَا
هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ، وَلَا وَلَدٌ، لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَمِيعُ مَنْ فِيهِنَّ مُقَرَّرٌ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ.

قَائِنُونَ - مُقَرَّرُونَ لِلَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ.

سُبْحَانَهُ - تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١١٧) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُبْدِعُهَا عَلَى غَيْرِ
مِثَالِ سَبَقِ وُجُودِهِ، فَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا، أَوْ أَرَادَ تَنْفِيذَ أَمْرٍ قَضَاهُ قَالَ لَهُ: كُنْ.
فَيَكُونُ الشَّيْءُ لَتَوَهُ، فَهُوَ تَعَالَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَسْلِ أَوْ وَلَدٍ، تَنَزَّهَ عَنْ
ذَلِكَ وَتَعَالَى.

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ - مُبْدِعُ السَّمَاوَاتِ وَخَالِقُهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالِ سَبَقٍ.

(آيَةٍ) (تَشَابَهَتْ) (الْآيَاتِ)

(١١٨) - وَقَالَ الْكُفَّارُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا عَنِ النُّبُوتِ، وَعَمَّا يَصِحُّ أَنْ
يُعْطَاهُ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْآيَاتِ: هَلَّا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ وَنَقُولُ لَنَا إِنَّكَ رَسُولُهُ حَقًّا، أَوْ
يُرْسِلُ إِلَيْنَا مَلَكًا فَيُخْبِرُنَا بِذَلِكَ، كَمَا كَلَّمَكَ، وَأَنْتَ بَشَرٌ مِثْلُنَا. وَهَلَّا
تَأْتِينَا بِرُحْمَانٍ عَلَى صَدْقِكَ فِي دَعْوَاكَ النُّبُوَّةِ. وَهُمْ إِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ عَلَى
سَبِيلِ التَّعْنُتِ وَالِاسْتِكْبَارِ وَالتَّعْجِيزِ، لَا لِلْوُصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَجَلَاءِ
الْغَوَامِضِ، وَقَدْ قَالَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّعْنُتُ وَالْعِنَادُ،
مَنْ جَاءَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، فَسَأَلَ الْيَهُودَ مُوسَى أَنْ يَرَوْا اللَّهَ
جَهْرَةً، فَأَشْبَهَتْ قُلُوبُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ قُلُوبَ مَنْ تَقَدَّمَهُمْ فِي الْكُفْرِ

﴿١١٦﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا

سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٌ قَدِيرٌ

﴿١١٧﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ

﴿١١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا

يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

وَالْعَتُوَّ وَالْعِنَادَ. وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ الدَّلَالَاتِ، وَأَقَامَ الْحُجَجَ عَلَى صِدْقِ
الرَّسُولِ بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْأَدِلَّةِ، لِمَنْ كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ إِيْمَانٌ.
أَمَّا الَّذِينَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

(وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ رَافِعَ بْنَ حَرْمَلَةَ قَالَ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ فَقُلْ لِلَّهِ أَنْ
يُكَلِّمَنَا حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ).

(١١٩) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْشَيْءِ الثَّابِتِ الْحَقُّ
لِتُبَشِّرَ بِهِ مَنْ أَطَاعَ، وَتُنذِرَ بِهِ مَنْ عَصَى وَاسْتَكْبَرَ، لَا لِيُتَجَبَّرَ النَّاسُ عَلَى
الْإِيْمَانِ، فَلَا عَلَيْكَ إِذَا أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، فَلَا يَضُرُّكَ تَكْذِيبُ
الْمُكْذِبِينَ، فَأَنْتَ لَمْ تَبْعَثْ مُلْزَمًا وَمُجْبِرًا، فَتَكُونُ مُقْصِرًا إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا
لَكَ.

الْحَقُّ - الشَّيْءُ الثَّابِتُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ.

(النَّصَارَى) (وَالَّذِينَ)

(١٢٠) - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْجُو أَنْ يُبَادِرَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَى الْإِيْمَانِ بِهِ قَبْلَ
غَيْرِهِمْ، لِذَلِكَ كَبَّرَ عَلَيْهِ إِعْرَاضُهُمْ عَنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ، وَالْحَافِظُ فِي
مُجَاحَدَتِهِ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يُبَيِّنَ مِنَ الطَّمَعِ فِي
إِسْلَامِهِمْ، إِذْ عُلِقَ رِضَاهُمْ عَنْهُ بِمَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ أَنْ يَكُونَ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى لَنْ يَرْضَوْا عَنْكَ أَبَدًا مَا لَمْ تَتَّبِعْ مِلَّتَهُمْ وَشَرِيعَتَهُمْ،
لِذَلِكَ عَلَيْكَ تَرْكُ طَلَبِ مَرْضَاتِهِمْ، وَالِاتِّجَاهُ إِلَى طَلَبِ مَرْضَاةِ اللَّهِ فِي
دَعْوَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلَى مَا بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ. وَقُلْ لَهُمْ: إِنْ الدِّينَ الَّذِي
جِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ (هُدَى اللَّهِ) هُوَ الَّذِي
الصَّحِيحُ. وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ طَرِيقَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
وَيَقْبَلُونَ مَا أَضَافُوهُ إِلَى دِينِهِمْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، بِحَسَبِ أَهْوَائِهِمْ
وَعَايَاتِهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُمْ لَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ
أَصْبَحُوا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنَ الْحَقِّ بَعْدَ مَا عَلِمُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ، (وَالْخُطَابِ
هَذَا لِلرَّسُولِ وَالتَّحْذِيرُ لِأُمَّتِهِ، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَعْصُومٌ).

(آتَيْنَاهُمْ) (الْكِتَابَ) (أُولَئِكَ) (فَأُولَئِكَ) (الْخَاسِرُونَ)

(١٢١) - وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ طَائِفَةٌ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ بِخُشُوعٍ وَإِمْعَانٍ،

﴿١١٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ
الْجَحِيمِ

﴿١٢٠﴾ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا
النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ
هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ

﴿١٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ
حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ

وَيَتَذَكَّرُونَ مَعْنَاهَا، وَيَفْقَهُونَ أَسْرَارَهَا وَحِكْمَهَا، وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَغْفُلُونَ أَنْ مَا جِئْتُ بِهِ يَا مُحَمَّدُ هُوَ الْحَقُّ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِهِ بِهِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، (كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ). وَمَنْ يَكْفُرْ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ الْحَقُّ، مِنْ الرُّؤَسَاءِ الْمُعَانِدِينَ، وَالْجُهَالِ الْمُقْلَدِينَ، فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا سَعَادَةَ الدُّنْيَا، وَالْمَجْدَ وَالسِّيَادَةَ الَّتِي يُعْطِيهَا اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُ دِينَهُ.

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (الْعَالَمِينَ)

(١٢٢) - يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ بِأَفْضَالِهِ وَأَنْعَمِهِ عَلَى أَسْلَافِهِمْ، وَتَفْضِيلِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ، الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يَدِينُونَ بِدِينِ سَمَآوِيٍّ، وَيُحَنِّتُهُمْ عَلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى أَنْزَالِهِ التَّوْرَةَ إِلَيْهِمْ. وَشُكْرُ اللَّهِ يَكُونُ بِالْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ فِيهَا، وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا جَاءَ فِيهَا وَصَفُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْبَشَارَةُ بِهِ، وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَمُنَاصَرَتِهِ.

فَاللَّهُ تَعَالَى يُذَكِّرُهُمْ بِذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَرِسَالَتِهِ، وَلِكَيْلَا يَحْمِلُهُمُ الْحَسَدُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَتَكْذِيبِهِ وَالْكَيْدَ لَهُ.

(شَفَاعَةً)

(١٢٣) - وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ بِالْخَوْفِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ فِي يَوْمٍ لَا تَدْفَعُ فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا فِدَاءً، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ، وَلَا يَجِدُ فِيهِ الْكَافِرُ نَصِيرًا لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

(إِبْرَاهِيمَ) (بِكَلِمَاتٍ) (الظَّالِمِينَ)

(١٢٤) - وَأَذَكُرُ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ اخْتِبَارَ اللَّهِ لِإِبْرَاهِيمَ بِمَا كَلَّفَهُ مِنْ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي، فَقَامَ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ قُدْوَةً وَإِمَامًا. فَدَعَا إِبْرَاهِيمَ النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ. وَسَأَلَ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَةُ فِي ذُرِّيَّتِهِ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ، جَلَّ شَأْنُهُ، إِلَى مَا سَأَلَ، وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُ: إِنَّ عَهْدَهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنَالُ الظَّالِمِينَ، وَلِذَلِكَ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الظَّالِمُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَيْمَةً يُقْتَدَى بِهِمْ.

الْإِبْتِلَاءُ - الْاِخْتِبَارُ.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي

أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ

نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ



وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَىٰ رَبِّهِ

بِكَلِمَةٍ فَاتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ
لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي
قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ

(إِبْرَاهِيمَ) (إِسْمَاعِيلَ) (لِطَافَيْنِ) (الْعَاكِفِينَ)

(١٢٥) - وَادْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لَهُوْلَاءِ إِذْ جَعَلْنَا الْكَعْبَةَ بَيْتًا حَرَامًا وَمَرْجَعًا لِلنَّاسِ يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ لِلْعِبَادَةِ، وَيَقْصِدُونَهُ لِأَدَاءِ الْمَنَاسِكِ فِيهِ، وَأَمَانًا لِلطَّافِينَ اللَّائِذِينَ بِهِ، لِحَيْثَامِ النَّاسِ لَهُ، وَتَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهُ، وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى النَّاسِ أَنْ اتَّخِذُوا مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُومُ عَلَيْهِ، وَهُوَ بَيْتُ الْبَيْتِ، مُصَلًى. وَادْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لَهُوْلَاءِ إِذْ أَمَرْنَا وَوَصَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَاهُ إِسْمَاعِيلَ أَنْ يَطْهَرَا بَيْتَ اللَّهِ (الْكَعْبَةَ) مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَرْجَاسِ وَالشُّرُكِ وَالْأَوْثَانِ، لِلطَّافِينَ بِهِ، وَهُمْ آتُونَ مِنْ غُرَبَةٍ، وَلِلْعَاكِفِينَ الْمُقِيمِينَ فِيهِ مِنْ أَهْلِهِ، وَلِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فِيهِ. (وَيَشْمَلُ الْأَمْرُ تَطْهِيرَ الْبَيْتِ مِنَ الرَّجَسِ الْحِسِّيِّ كَالرَّفَثِ وَاللُّغُوِّ وَالتَّنَازُعِ فِيهِ جِئْنَا أَدَاءَ الْعِبَادَاتِ، كَالطَّوَافِ وَالسَّعْيِ وَالصَّلَاةِ).

مَنَابَةٌ - مَلَجًا وَمَكَانَ آمِنٍ.

عَهْدُنَا - وَصَّيْنَا وَأَمَرْنَا.

الْعَاكِفِينَ - الْمُعْتَكِفِينَ، الَّذِينَ يَبْقَوْنَ فِتْرَةً لِلْعِبَادَةِ.

(إِبْرَاهِيمَ) (آمِنًا) (الثَّمَرَاتِ) (مَنْ آمَنَ) (الْآخِرِ)

(١٢٦) - وَادْكُرْ لِقَوْمِكَ إِذْ دَعَا إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ فَقَالَ: رَبِّ اجْعَلْ هَذِهِ الْبُقْعَةَ الْمُحِيطَةَ بِالْكَعْبَةِ بَلَدًا آمِنًا مِنَ الْخَوْفِ فَلَا يُرْعَبُ أَهْلُهُ، وَأَرْزُقْ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِهِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الثَّمَرَاتِ. فَرَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ قَائِلًا: إِنَّهُ سَيَرْزُقُ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّاسِ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْلُقُ خَلْقًا لَا يَرْزُقُهُ. وَلَكِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ ذَلِكَ الرِّزْقَ لِمَنْ كَفَرَ مَتَاعًا قَلِيلًا، مُدَّةً وَجُودِهِمْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ وَيَسُوقُهُمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ سَوْفًا لِيُعَذِّبَهُمْ فِيهَا، وَمَا أَسْوَأَ مِنْ مَصِيرٍ.

(وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلطَّلَامِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَقْلُتْهُ).

أَضْطَرُّهُ - أَذْفَعُهُ وَأَسَوْفُهُ وَالْجِنَّةُ.

(إِبْرَاهِيمَ) (إِسْمَاعِيلَ)

(١٢٧) - وَادْكُرْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ حِينَمَا كَانَ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ الْقَوَاعِدَ وَالْأَسَاسَ مِنَ الْكَعْبَةِ، وَيَدْعُوَانِ رَبَّهُمَا أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمَا عَمَلَهُمَا، لِأَنَّهُمَا يَقُومَانِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، فَهُوَ تَعَالَى الَّذِي يَسْمَعُ الدُّعَاءَ، وَهُوَ الَّذِي

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًى وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا
بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ
مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ
أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ
وَيَسَّ السَّعِيرِ

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ
الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّا إِنَّا نَكُنُ مِنَ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ

يَعْلَمُ النَّبَاتِ . فَمَصْدَرُ شَرَفِ الْكَعْبَةِ أَنَّهَا بُنِيَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، وَلِعِبَادَةِ اللَّهِ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ ، الَّتِي تَطْغَى عَلَيْهَا الْوُثْيَةُ ، لَا لِأَحْجَارِهَا وَلَا لِمَوْقِعِهَا .

(٢١٢٨) - رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُخْلِصِينَ لَكَ فِي الْعِبَادَةِ ، مُسْتَسْلِمِينَ لِأَمْرِكَ وَقَضَائِكَ ، خَاضِعِينَ لِطَاعَتِكَ ، لَا نُشْرِكُ مَعَكَ فِي الْعِبَادَةِ أَحَدًا ، وَاجْعَلْ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ تَعْبُدُكَ ، وَلَا تُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا ، لِيَسْتَمِرَّ الْإِسْلَامُ بِقُوَّةِ الْأُمَّةِ ، وَتَعَاوُنِ الْجَمَاعَةِ ، وَعَلَمْنَا مَنَاسِكَ حَجَّنَا ، وَوَفَّقْنَا لِنُتُوبَ إِلَيْكَ ، وَنَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ يَشْغُلُنَا عَنْكَ ، وَأَنْتَ يَا رَبَّ الْكَثِيرِ التَّوْبِ ، الرَّحِيمِ بِالتَّائِبِينَ .

(وَقَدْ صَحِبَ جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِبْرَاهِيمَ إِلَى مَبْنَى وَعَرَافَاتِ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، لِيُرِيَهُ الْمَنَاسِكَ ، وَالْأَعْمَالَ الْوَاجِبَ إِتِمَامُهَا فِي الْحَجِّ ، وَفِي الطَّرِيقِ عَرَضَ إِبْلِيسَ لِإِبْرَاهِيمَ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ، فَذَلِكَ سَبَبُ رَمِي الْجَمَارِ) .

أَرِنَا مَنَاسِكَنَا - عَلَّمْنَا مَنَاسِكَ حَجَّنَا .

الْمَنَسْكُ - الْمَكَانُ الْمُقَدَّسُ ، وَيُقْصَدُ بِالْمَنَاسِكَ هُنَا الْأَفْعَالُ الَّتِي يَقُومُ الْحَاجُّ بِهَا . كَالطَّوَافِ وَالْوُقُوفِ فِي عَرَافَاتٍ وَمَبْنَى .

التَّوْبُ - كَثِيرُ التَّوْبِ وَالْمَغْفِرَةِ .

(يَتْلُو) (آيَاتِكَ) (الْكِتَابِ)

(١٢٩) - وَأَنْتَ يَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلُ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، دَعَوْتَهُمَا لِأَهْلِ الْحَرَمِ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ (أَيُّ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ (الْكِتَابَ) وَيُعَلِّمُهُمُ أَسْرَارَ الشَّرِيعَةِ وَمَقَاصِدَهَا بِسِيرَتِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَيَكُونُ قُدْوَةً لَهُمْ (السُّنَّةُ) وَيُفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ (يُعَلِّمُهُمُ الْحِكْمَةَ) (أَيُّ إِنَّ الرُّسُولَ يُعَلِّمُهُمُ الْخَيْرَ فَيَفْقَهُونَهُ ، وَيُبْصِرُهُمْ بِالشَّرِّ فَيَجْتَنِبُونَهُ ، وَيُخَبِّرُهُمْ بِرِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ إِذَا أَطَاعُوهُ ، لِيَسْتَكْبِرُوا مِنْ طَاعَتِهِ ، وَيَجْتَنِبُوا مَا يَسْخِطُهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ) .

وَحَتَمًا دَعَوْتَهُمَا بِقَوْلِهِمَا : إِنَّكَ يَا رَبَّ أَنْتَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ فَيَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَالِّهَا لِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ .

يُزَكِّيهِمْ - يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي .

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(إِبْرَاهِيمَ) (أَصْطَفَيْنَاهُ) (الصَّالِحِينَ)

(١٣٠) - لَقَدْ تَجَرَّدَ إِبْرَاهِيمُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ فَلَمْ يَدْعُ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ حَتَّى تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ، وَخَالَفَ قَوْمَهُ. فَمَنْ يَتْرُكْ طَرِيقَ إِبْرَاهِيمَ هَذَا وَمَسْلَكَهُ وَمِلَّتَهُ، وَيَتَّبِعْ طَرِيقَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ، فَهُوَ سَفِيهٌ، وَلَا يَزْكِبُ الضَّلَالَةَ إِلَّا السَّفِيهُ.

وَلَقَدْ أَصْطَفَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَاخْتَارَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الصَّالِحِينَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ.

يَرْغَبُ عَنْ - يَزْهَدُ وَيَنْصَرِفُ عَنِ الشَّيْءِ.

سَفِيهٌ نَفْسُهُ - آمَتَهَا وَاسْتَحَفَّ بِهَا.

(الْعَالَمِينَ)

(١٣١) - أَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَالْإِسْتِسْلَامِ لِحُكْمِهِ، فَاثْمَلَتْ لِأَمْرِ رَبِّهِ، وَقَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا.

أَسْلِمَ - انْقَدَ وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ.

(إِبْرَاهِيمَ) (يَا بَنِيَّ)

(١٣٢) - وَكَانَتْ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ لِلَّهِ مُحِبَّةً إِلَى نَفْسِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فَأَوْصَوْا بِهَا أَبْنَاءَهُمْ حِينَ حَضَرَتْهُمْ الْوَفَاةُ وَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَأَحْسِنُوا فِي حَيَاتِكُمْ، وَالزَّمُوا ذَلِكَ لِيَرَزُقَكُمْ اللَّهُ الْوَفَاةَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْمَرْءَ يَمُوتُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَيَبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ.

(آبَائِكَ) (إِبْرَاهِيمَ) (إِسْمَاعِيلَ) (إِسْحَاقَ) (وَاحِدًا)

(١٣٣) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ يُجَادِلُونَهُ، وَيَجْحَدُونَ بُيُوتَهُ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَسِيرُونَ عَلَى الدِّينِ الَّذِي مَاتَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ (شُهَدَاءَ) جِنْمًا حَانَتْ مَنِيَّتُهُ يَعْقُوبَ، وَجَاءَ الْمَوْتُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ كَانَ شَهِيدًا عَلَى ذَلِكَ. وَيَقْرُرُ سُبْحَانَهُ: إِنَّ يَعْقُوبَ سَأَلَ بَيْنَهُ عَمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَهُ وَإِلَهَ آبَائِهِ، الْوَاحِدَ الْأَحَدَ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، وَسَيَسْلُمُونَ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ.

(هَذِهِ الْآيَةُ تُرْشِدُ إِلَى أَنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ، وَرُوحِهِ التَّوْحِيدُ وَالْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ، وَالْإِذْعَانُ لِهَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ).

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ

إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ

أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي

الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ

أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ

وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى

لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ

يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ

لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي

قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ

آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ

لَهُ مُسْلِمُونَ

(لَا تُسْأَلُونَ)

(١٣٤) - فَبَلَّغْ الْأَجْيَالَ السَّالِفَةَ كَانُوا أُمَّةً مُّؤْمِنَةً، فَلَا يَنْفَعُكُمْ الْانْتِسَابُ إِلَيْهِمْ، إِذَا لَمْ تَفْعَلُوا أَنْتُمْ خَيْرًا تَنْتَفِعُونَ بِهِ، فَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ عَلَى أَنْ لَا يُجْزَى أَحَدٌ إِلَّا بِكَسْبِهِ وَعَمَلِهِ، وَلَا يُسْأَلُ أَحَدٌ إِلَّا عَنْ كَسْبِهِ وَعَمَلِهِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ يُحَاسَبُ عَلَى عَمَلِهِ، وَلَا تُسْأَلُونَ أَنْتُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ هُمْ.

خَلَّتْ - مَضَتْ وَسَلَفَتْ.

(نَصَارَى) (إِبْرَاهِيمَ)

(١٣٥) - قَالَ يَهُودُ لِلرُّسُولِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الْهُدَى إِلَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَاتَّبِعْنَا يَا مُحَمَّدُ تَهْتَدِ. وَقَالَتِ النَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يَرُدُّ بِهَا عَلَيْهِمْ. فَقَالَ لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّا لَا نُرِيدُ اتِّبَاعَ مِلَّةِ الْيَهُودِ، وَلَا اتِّبَاعَ مِلَّةِ النَّصَارَى، لِأَنَّ كِلْتَا الْمِلَتَيْنِ قَدْ خَرُفَتَا عَنْ أَصْلِهِمَا الصَّحِيحِ، وَبَعَدَتَا عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَكِنَّا نَتَّبِعُ الْإِسْلَامَ، مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الْمُخْلِصِ الْمُسْتَقِيمِ (حَنِيفًا) الَّذِي لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمِلَّتُهُ أَصْلُ مِلَّتِنَا وَمِلَّتِكُمْ، فَهِيَ الْمِلَّةُ الَّتِي لَا أَنْحِرَافَ فِيهَا وَلَا زَيْغَ.

حَنِيفًا - مَنَحْرِفًا عَنِ الشَّرِكِ.

(آمَنَّا) (إِبْرَاهِيمَ) (وَإِسْمَاعِيلَ) (وَإِسْحَاقَ)

(١٣٦) - وَقُولُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِهَوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ: إِنَّا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لَا نَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ لِرَبِّنَا. (كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: لَا تَصَدَّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ).

(آمَنُوا) (آمَنْتُمْ بِهِ)

(١٣٧) - فَإِنْ آمَنَ الْكُفَّارُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَيْ بِجَمِيعِ كُتُبِ اللَّهِ، وَبِجَمِيعِ رُسُلِهِ، وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَقَدْ أَهْتَدُوا لِلْحَقِّ، وَإِنْ تَوَلَّوْا عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَاتَّبَعُوا الْبَاطِلَ، فَإِنَّهُمْ مُشَاقِقُونَ مُخَالِفُونَ، وَسَيَنْصُرُكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ، وَيُظْفِرُكَ بِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ وَيَعْلَمُ مَا يُدْبِرُونَ.

(١٣٤) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا

مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ
وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(١٣٥) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ

نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةٌ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ

(١٣٦) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا إِلَّا بِإِذْنِهِمْ وَاسْتَمِعِلْ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ
وَمَا أَوْفَى مُوسَى وَعِيسَى وَمَا
أَوْفَى النَّبِيِّينَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ
لَهُمْ مُسْلِمُونَ

(١٣٧) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ

بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمْ
اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(عَابِدُونَ)

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ

(١٣٨) - لَقَدْ صَبَّغَنَا اللَّهُ وَفَطَرَنَا عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَهَذِهِ هِيَ مِيزَتُنَا الَّتِي تَنْحَلِّي بِهَا، كَمَا يَنْحَلِّي الثَّوبُ بِالصَّبْغِ، وَلَا أَحَدٌ تَكُونُ صِبْغَتُهُ أَحْسَنَ مِنْ صِبْغَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَصْبُغُ عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ غَيْرَهُ، وَلَا نَخْضَعُ إِلَّا لَهُ، وَلَا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا هَدَانَا وَأَرْشَدَنَا إِلَيْهِ.

صِبْغَةُ اللَّهِ - مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ فَهُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلِ مَحْدُوفٍ تَقْدِيرُهُ (الزَّمُوا صِبْغَةَ اللَّهِ أَي دِينَ اللَّهِ أَوْ فِطْرَتَهُ).

(أَعْمَالُنَا) (وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ)

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ

(١٣٩) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِنَّكُمْ تُجَادِلُونَنَا وَتَدْعُونَ أَنَّ الدِّينَ الْحَقُّ هُوَ دِينُكُمْ (الْيَهُودِيَّةُ أَوِ النَّصْرَانِيَّةُ)، فَتَقُولُونَ جِينًا (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)، وَتَقُولُونَ جِينًا آخَرَ: (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا...) وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ جَاءَكُمْ هَذَا الْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ مِنْ دُونِنَا؟ وَاللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا، فَهُوَ خَالِقُنَا جَمِيعًا، وَالنَّاسُ لَا يَتَفَاضِلُونَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِأَعْمَالِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ؛ وَأَنَارُ أَعْمَالِنَا عَائِدَةٌ إِلَيْنَا، خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا، وَأَنَارُ أَعْمَالِكُمْ عَائِدَةٌ عَلَيْكُمْ. وَنَحْنُ مُخْلِصُونَ لِلَّهِ فِي أَعْمَالِنَا لَا نَبْتَغِي بِهَا إِلَّا وَجْهَهُ الْكَرِيمَ، أَمَا أَنْتُمْ فَقَدْ أَتَكَلَّمْتُمْ عَلَى اسْتِلَافِكُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ سَيُشْفَعُونَ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، مَعَ أَنَّكُمْ مُنْحَرِفُونَ عَنْ سِيرَتِهِمْ.

(إِبْرَاهِيمَ) (إِسْمَاعِيلَ) (إِسْحَاقَ) (أَوْ نَصَارَى) (أَنْتُمْ) (شَهَادَةً) (بِغَافِلٍ)

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا

هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ

أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ

شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا

اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(١٤٠) - أَتَقُولُونَ إِنَّ قُرْبَكُمْ مِنَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنَّا، كَانَ بِسَبَبِ امْتِنَانِكُمْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ، إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ... فَإِنْ كَانَ هَذَا مَا تَدْعُونَ فَانْتُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا تَقُولُونَ، فَإِنَّ الْيَهُودِيَّةَ لَمْ تَظْهَرْ كَاسْمِ إِلَّا بَعْدَ مُوسَى، وَالنَّصْرَانِيَّةَ لَمْ تَظْهَرْ إِلَّا بَعْدَ عِيسَى، فَكَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ سَقُّوا مُوسَى وَعِيسَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْوَقْتِ، كَانُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَى، وَالْعَقْلُ شَاهِدٌ عَلَى كَذِبِكُمْ فِيمَا تَدْعُونَ؟ وَهَلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ، أَمْ اللَّهُ هُوَ الْأَعْلَمُ بِمَا يَرْضِيهِ وَيَقْبَلُهُ؟ وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ بِذَلِكَ، وَقَدْ أَرْضَى

لِلنَّاسِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ، وَتَعْتَرِفُونَ بِهِ، وَكُتِبَ لَكُمْ تَصَدُّقُهُ، فَلِمَ إِذَا لَا تَرْتَضُونَ لِأَنْفُسِكُمْ هَذِهِ الْمِلَّةَ؟

وَلَا أَحَدٌ أَكْثَرَ ظُلْمًا مِنْكُمْ حَقِيقَةً مُثَبَّتَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ (شَهَادَةً). وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ وَرَدَتْ فِي التَّوْرَةِ وَتَنْصُصُنَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَّبَعَتْ فِيهِمْ نَبِيًّا مِنْ بَنِي إِخْوَتِهِمْ (وَهُمُ الْعَرَبُ أَبْنَاءُ إِسْمَاعِيلَ) وَهُمْ لَا يَزَالُونَ يَكْتُمُونَ ذَلِكَ فَيَنْكِرُونَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى التَّوْرَةِ، وَيَحْرِفُونَهُ عَلَى الْمُطْلِعِ، وَلَنْ يَتْرَكَ اللَّهُ أَمْرَكُمْ بِلَا عِقَابٍ، وَهُوَ مُجِيطٌ بِمَا تَأْتُونَ وَمَا تَذَرُونَ.

(تَسْأَلُونَ)

(١٤١) - إِنَّ جَمَاعَةَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ مَضَتْ بِالْمَوْتِ، لَهَا مَا كَسَبَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَنْتُمْ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَلَا يُسْأَلُ أَحَدٌ عَنْ عَمَلٍ غَيْرِهِ، فَلَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ.

(وَلَا هُمْ) (صِرَاطُ)

(١٤٢) - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي مَكَّةَ يَسْتَقْبِلُ فِي صَلَاتِهِ الصَّخْرَةَ الَّتِي فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَهُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اسْتِقْبَالَ الْكَعْبَةِ، وَيَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ اللَّهَ حَوْلَ الْقِبْلَةِ إِلَيْهَا، وَلِذَلِكَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقِفُ جَنُوبِي الْكَعْبَةِ مُسْتَقْبِلًا الشَّمَالَ، فَتَكُونُ الْكَعْبَةُ وَالصَّخْرَةُ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتَابِعَ الْمُسْلِمُونَ نَبِيَّهُمْ فِي ذَلِكَ. وَلَمَّا هَاجَرَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَدِينَةِ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْجَمْعُ بَيْنَ الْقِبْلَتَيْنِ، فَصَلَّى مُسْتَقْبِلًا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا. ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَجْعَلَ الْكَعْبَةَ قِبْلَتَهُ، لِأَنَّهَا قِبْلَةُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ. وَبَيَّنَّ اللَّهُ رَسُولُهُ - وَقَبْلَ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ - إِلَى أَنَّ الْيَهُودَ سَيَتَّخِذُونَ مِنْ ذَلِكَ التَّحَوُّلِ ذَرِيعَةً لِلدُّسِّ وَالتَّشْكِيكِ لِلدَّعَاةِ بِأَنَّ دِينَهُمْ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ، لِأَنَّ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ كَانُوا أَتَوْهُوا إِلَى قِبْلَتِهِمْ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ، فَمَا الَّذِي صَرَفَهُمْ وَوَلَّاهُمْ عَنِ الْقِبْلَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا؟ وَقَدْ تَأَثَّرَ بِذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَمَنْ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ وَمَرَضٌ - وَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا هُمُ السُّفَهَاءُ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - فَقَالُوا: مَا وَلَّى الْمُسْلِمِينَ عَنْ قِبْلَتِهِمْ؟

وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ قَائِلًا: إِنَّ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ لِلَّهِ وَلَهُ الْأُمُورُ كُلُّهَا، وَلَا فَضْلَ لِحِجَّةٍ عَلَى جِهَةٍ، وَحَيْثُمَا تَوَجَّهَ الْمُؤْمِنُ قَسَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، وَالْمُهْمُ أَنْ يَمْتَثِلَ النَّاسُ لِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ تَشَكُّكِ، وَدُونَ أَرِيَابٍ، وَهُوَ

١٤١ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ



١٤٢ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ

النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ
الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى الصَّلَاحِ وَالطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الْمُوَصِّلِ إِلَى جَنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى .

السُّفَهَاءُ - هُوَ أَضْطِرَابُ الرَّأْيِ وَالْخُلُقِ . وَالسُّفَهَاءُ هُنَا هُمُ الْيَهُودُ .
مَا وَلَا هُمْ - مَا صَرَفَهُمْ .

(جَعَلْنَاكُمْ) (إِيمَانَكُمْ) (لِرُؤُوفٍ)

(١٤٣) - كَانَ النَّاسُ، قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فِئَتَيْنِ:

- فِئَةٌ مَادِّيَّةٌ لَا هُمْ لَهَا إِلَّا تَحْقِيقُ مَا يَتَطَلَّبُهُ الْجَسَدُ وَلِذَائِذِهِ كَالْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ، وَقَالُوا إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ .

- وَفِئَةٌ طَغَتْ عَلَيْهَا النَّزْعَةُ الرُّوحَانِيَّةُ الْخَالِصَةُ، وَسَيَّطَرَتْ عَلَيْهَا فِكْرَةُ تَرْكِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الدَّلَائِذِ الْجَسَدِيَّةِ كَالنَّصَارَى وَالصَّابِئَةِ وَبَعْضِ طَوَائِفِ الْيَهُودِ .

فَجَاءَ الْإِسْلَامُ لِيَجْعَلَ الْمُسْلِمِينَ وَسَطًا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، فَقَالَ بِتَحْقِيقِ مَطَالِبِ الْجَسَدِ بِلَا إِسْرَافٍ وَلَا مُبَالَغَةٍ، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى السُّمُوِّ الرُّوحِيِّ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ جَسَدٌ وَرُوحٌ .

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ أُمَّةً وَسَطًا لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى الْمَادِّيِّينَ الَّذِينَ فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَأَخْلَدُوا إِلَى اللَّذَاتِ، وَصَرَفُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْ قَضَايَا الرُّوحِ، وَشُهَدَاءَ عَلَى الْغُلَاةِ فِي الرُّوحَانِيَّةِ الَّذِينَ قَالُوا بِتَخْلِي الْإِنْسَانَ عَنِ اللَّذَاتِ الْجَسَدِيَّةِ، وَبِحَرَمَانِ النَّفْسِ مِنْ جَمِيعِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

وَلِيَكُونَ الرَّسُولُ ﷺ، وَهُوَ الْقُدْوَةُ وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، شَهِيداً عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِنْ كَانُوا اتَّبَعُوا سِيرَتَهُ وَشَرْعَهُ، أَوْ أَنْحَرَفُوا وَحَادُوا عَنْ الْإِعْتِدَالِ .

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُ إِنَّمَا شَرَعَ لِلنَّبِيِّ التَّوَجُّهَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوَّلًا، ثُمَّ صَرَفَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ لِيُظْهَرَ مَنْ يَتَّبِعُ النَّبِيَّ وَيُطِيعُهُ وَيَتَّبِعْهُ حَيْثُمَا اتَّجَهَ، دُونَ تَشَكُّكِ وَلَا آرْتِيَابٍ، مِمَّنْ يَرْتَدُّ عَنْ دِينِهِ (يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ)، وَإِنْ كَانَ فِي هَذَا الصَّرْفِ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَشَقَّةٌ عَلَى النَّفُوسِ، غَيْرِ النَّفُوسِ الَّتِي هَذَاهَا اللَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ، وَلِيُظْهَرَ مَنْ يُصَدِّقُ الرَّسُولَ وَمَا جَاءَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ؛ وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُصَدِّقُونَ يَكُونُ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ سَهْلًا يَسِيرًا .

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي

كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ

الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى

عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا

عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ

وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُتَسَائِلِينَ عَنْ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحْسِنِينَ ، فَاللَّهُ تَعَالَى رَؤُوفٌ بِالنَّاسِ رَحِيمٌ .

أُمَّةٌ وَسَطًا - خِيَارًا أَوْ مُتَوَسِّطِينَ مُعْتَدِلِينَ .

يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ - يَرْتَدُّ عَنِ الْإِسْلَامِ عِنْدَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ .
لَكَبِيرَةٍ - لَشَأْنَةٍ عَلَى النَّفْسِ .

(تَرْضَاهَا) (الْكِتَابَ) (بِغَافِلٍ) (حَيْثُمَا)

(١٤٤) - كَانَ الرَّسُولُ ﷺ حِينَمَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَسْتَقْبِلُ فِي صَلَاتِهِ الصُّخْرَةَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَفَرِحَ الْيَهُودُ بِذَلِكَ ، وَكَانَ الرَّسُولُ يُحِبُّ قِبْلَةَ إِبْرَاهِيمَ - الْكَعْبَةَ - فَكَانَ يَدْعُو اللَّهَ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ . وَقَدْ أَمَرَهُ فِيهَا بِالْتَّوَجُّهِ إِلَى الْجَهَةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ (شَطْرَهُ) ، وَأَمَرَ اللَّهَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يَتَّجِهُوا فِي صَلَاتِهِمْ جِهَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَيْنَمَا كَانُوا فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ . وَأَعْلَمَ اللَّهُ الرَّسُولَ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ ، بِأَنْ الْيَهُودَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ تَرْكَ الصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا التَّوَلَّى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ هُوَ الْحَقُّ الْمُنَزَّلُ مِنَ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ، وَأَنْ أَجَرَ نَبِيِّ سَتَكُونُ قِبْلَتُهُ الْكَعْبَةُ ، وَلَكِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ ذَلِكَ كُفْرًا وَحَسَدًا وَعِنَادًا ، لِيُخَدِّعُوا ضِعَافَ الْإِيمَانِ ، وَيُثْبِرُوا الْفِتْنَةَ وَالشُّكُوكَ فِي نَفْسِهِمْ ، إِذْ هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَمْرَ الْقِبْلَةِ أَمْرٌ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ كَغَيْرِهِ ، لَا مَحِيصَ لِلْمُؤْمِنِ عَنِ اتِّبَاعِهِ إِذَا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ .

ثُمَّ يَهْدِدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّهُ عَالِمٌ بِحَالِهِمْ ، وَإِنَّهُ غَيْرُ غَافِلٍ عَنْهُمْ فِيمَا يَعْمَلُونَ .
شَطْرَ - اتِّجَاهَ وَتِلْقَاءَ .

(وَلَئِنْ) (الْكِتَابَ) (آيَةٍ) (الظَّالِمِينَ)

(١٤٥) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى ، بِأَنْ كَفَرَ الْيَهُودُ هُوَ كُفْرٌ عِنَادٌ وَمُكَابَرَةٌ ، وَلِذَلِكَ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُزِيلَ الْحُجَّةُ وَالذَّلِيلُ . وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ : إِنَّهُ لَوْ جَاءَهُمْ بِكُلِّ حُجَّةٍ ، وَكُلِّ دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ ، وَعَلَى أَنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَمَا اتَّبَعُوهُ ، وَلَمَا صَدَّقُوهُ ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا

١٤٤ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي

السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ

مَا كُنْتُمْ قَوْلُوا وَجْوهَكُمْ شَطْرَهُ

وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ

وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ

١٤٥ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا

قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ

وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ

وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ

خَالَفُوا الرُّسُولَ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً وَحَسَدًا، وَلِذَلِكَ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُؤَثَّرَ فِيهِمُ الْحُجَّةُ. وَيَقُولُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ: إِنَّكَ لَا تَتَّبِعُ قِبْلَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ لِأَنَّكَ عَلَى قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي يُجَلُّونَهُ، فَهِيَ الْأَجْدَرُ بِالِاتِّبَاعِ. وَأَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَا يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ قِبْلَةَ بَعْضٍ. فَالْيَهُودُ لَا يَتَّجِهُونَ إِلَى الشَّرْقِ، وَالنَّصَارَى لَا يُغَيِّرُونَ قِبْلَتَهُمْ وَيَتَّجِهُونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ مُتَمَسِّكٌ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطَلًا، غَيْرَ نَازِلٍ إِلَى حُجَّةٍ وَلَا إِلَى بُرْهَانٍ. وَلَكِنْ وَافَقْتَهُمْ فِيمَا يُرِيدُونَ فَصَلَّيْتُ إِلَى قِبْلَتِهِمْ مُدَارَةً لَهُمْ، وَجَرَّصًا عَلَى أَنْ يَتَّبِعُوكَ، وَيُؤْمِنُوا بِكَ بَعْدَ مَا جَاءَكَ الْحَقُّ الْيَقِينُ، لَتَكُونَنَّ فِي جُمْلَةِ الظَّالِمِينَ، وَحَاشَاكَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ.

(اتِّبَانُهُمْ) (الْكِتَابِ)

(١٤٦) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ يَعْرِفُونَ صِحَّةَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، كَمَا يَعْرِفُ أَحَدُهُمْ وَلَدَهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلَادِ النَّاسِ، لَا يَشْكُ فِيهِ وَلَا يَمْتَرِي. وَلَكِنْ فَرِيقًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَكْتُمُونَ الْحَقَّ، وَيُنْكِرُونَ وُجُودَ صِفَةِ الرُّسُولِ فِي كُتُبِهِمْ، مَعَ أَنْ كُتُبُهُمْ أَشَارَتْ إِلَى أَنَّ اللَّهَ سَيَبْعَثُ رَسُولًا مِنَ الْعَرَبِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَأَنَّهُ سَيَحُولُ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَهِيَ قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١٤٧) - وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِ، لَا مَا يَقُولُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَالْقِبْلَةُ الَّتِي وَجَّهَ اللَّهُ إِلَيْهَا نَبِيُّهُ هِيَ الْقِبْلَةُ الْحَقُّ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ، فَاعْمَلْ يَا مُحَمَّدُ بِمَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى أَوْهَامِ الْجَاخِدِينَ، وَلَا تَمْتَرِ بِالْحَقِّ، وَلَا تَشْكُكَ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَكَ.

(وَالنُّهْيُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَالْوَعِيدِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مُوجَّهٌ الْخِطَابُ فِيهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِهِ مَنْ كَانُوا غَيْرَ رَاسِخِي الْإِيمَانِ مِنْ أُمَّتِهِ، وَمَنْ يُخْشَى عَلَيْهِمُ الْإِغْتِرَارُ بِزُخْرَفِ الْقَوْلِ مِنَ الْمُخَادِعِينَ).

الْمُتَمَرِّينَ - الْمُتَشَكِّكِينَ.

(الْحَيْرَاتِ)

(١٤٨) - لِكُلِّ أُمَّةٍ جِهَةٌ تَنْجُو إِلَيْهَا فِي صَلَاتِهَا، فإِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ كَانَا يُؤَلِّيَانِ جِهَةَ الْكَعْبَةِ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالنَّصَارَى كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ الْمَشْرِقَ، فَالْقِبْلَةُ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي اخْتَلَفَتْ بِاخْتِلَافِ الْأُمَمِ، وَلَيْسَتْ أَسًا مِنْ أَسُسِ الدِّينِ كَتَوْجِيدِ

بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
إِنَّكَ إِذَا لِمَنِ الظَّالِمِينَ

١٤٦ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ

يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
وَلَكِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ

١٤٧ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُتَمَرِّينَ

١٤٨ وَلِكُلِّ جِهَةٌ هُوَ مَوْلَاهَا فَاسْتَبِقُوا

الْحَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ
بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ

اللَّهُ، وَالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ... فَالْوَجِبُ فِيهَا التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ الْوَحْيِ. فَيَأْذِرُوا إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَلِيَحْرِضَ كُلُّ مَنْكُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ سَبَاقًا إِلَيْهِ. وَفِي أَيِّ مَكَانٍ تَكُونُونَ فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِكُمْ جَمِيعًا، وَيَجْمَعَكُمْ لِلْحِسَابِ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّقُوا لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، فَالْبِلَادُ وَالْجِهَاتُ لَا شَأْنَ لَهَا فِي أَمْرِ الدِّينِ. وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُعْجِزُهُ أَنْ يَحْشُرَ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَهْمَا بَعُدَتْ بَيْنَهُمُ الْمَسَافَاتُ.

(بِغَافِلٍ)

(١٤٩) - وَيَعُودُ اللَّهُ تَعَالَى لِيُكَرِّرَ هُنَا أَمْرَهُ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَيَقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ: إِنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ هُوَ الْحَقُّ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يَفْعَلُ عَنْ أَعْمَالِ النَّاسِ وَإِخْلَاصِهِمْ، فِي مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ فِي كُلِّ مَا يَجِيءُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ أَوْفَى الْجَزَاءِ.

(١٥٠) - وَيُكَرِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ حَيْثُمَا كَانُوا بِالتَّوَجُّهِ قَوْرًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِكَيْلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ (وَهُمْ هُنَا أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ) حُجَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَرَكُوا قِبْلَتَهُمُ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا. وَكَانَ الْيَهُودُ قَدْ قَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا أَشْتَقَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ، وَدِينِ قَوْمِهِ.

وَقَالَ بَعْضُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ (وَهُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ): مَا دَامَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، فَلِمَ رَجَعَ عَنْهُ؟ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ مُحَمَّدًا أَطَاعَ أَمْرَ رَبِّهِ فِي الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةِ. وَحَثَّ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَدَمِ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ مِنْ قَوْلِ الظَّالِمِينَ الْمُتَعَتِّينَ وَفِعْلِهِمْ، وَحَثَّهُمْ تَعَالَى عَلَى إِطَاعَةِ أَمْرِهِ وَالْخَشْيَةِ مِنْهُ. وَأَمَّا تِلْكَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ فِي الْإِتِّجَاهِ إِلَى جِهَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، يَبْتَطِلُ حُجَّةُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الطُّغْيَانِ عَلَى النُّبُوَّةِ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ، لِأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ الَّذِي سَيَبْعَثُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ يَكُونُ عَلَى قِبْلَتِهِ، وَهِيَ الْكَعْبَةُ، فَبَقَاءُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قِبْلَةً دَائِمَةً لَهُ حُجَّةٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ النَّبِيُّ الْمُبَشَّرُ بِهِ، فَلَمَّا جَاءَ هَذَا التَّحْوِيلُ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِنَّمَا نَعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(يَتْلُو) (آيَاتِنَا) (الْكِتَابَ)

(١٥١) - كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ دَعَا رَبَّهُ، وَهُوَ يَرْفَعُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، أَنْ يَتَعَثَّ اللَّهُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيُزَكِّيهِمْ. فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِدُعَائِهِ وَأَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا مِنْ نَسْلِهِ وَلَدِيهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ لِيَتْلُوهُ عَلَى النَّاسِ، وَجَعَلَ رَسُولُهُ عَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ، وَمَنْهَجٍ قَرِيمٍ، لِيَقْتَدِيَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ، يُعَلِّمُهُمْ أَحْكَامَ دِينِهِمْ، وَيُزَكِّي نَفُوسَهُمْ وَيُطَهِّرُهَا مِنْ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَأَنْجِرَافَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَفَسَادِ الْأَخْلَاقِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَسُمُو الْأَخْلَاقِ، وَهُوَ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ كَانَتْ سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ الْعَمَلِيَّةُ، وَسِيرَتُهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَعَ أَصْحَابِهِ مَفْصَلَةٌ لِمَجْمَلِ الْقُرْآنِ، مُبَيَّنَةٌ لِمُبْهَمِهِ، كَاشِفَةٌ عَنِ الْمَنَافِعِ وَالْأَسْرَارِ الَّتِي تَطْوِي عَلَيْهَا الْأَحْكَامُ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَهُ مِنْ قَبْلُ، بِمَا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ.

يُزَكِّيكُمْ - يُطَهِّرُكُمْ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي.

الْكِتَابَ - الْقُرْآنَ.

الْحِكْمَةَ - السُّنَنَ وَالْفِقْهَ فِي الدِّينِ.

(١٥٢) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَذْكُرُوهُ فِيمَا أَفْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ وَحْمِدٍ وَتَسْبِيحٍ وَقِرَاءَةِ قُرْآنٍ، لِيَذْكُرَهُمْ فِيمَا أَوْجَبَ لَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ مِنْ إِدَامَةِ النُّعْمِ وَالْفَضْلِ، وَلِيُجْزِلَ لَهُمُ الثَّوَابَ، وَيُقَيِّضَ عَلَيْهِمُ الْخَيْرَاتِ (أَيُّ أَذْكُرُونِي بِطَاعَتِي، أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي)، وَأَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالشُّكْرِ لَهُ، وَوَعَدَ الشَّاكِرِينَ بِمَزِيدٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْكُفْرِ بِالنُّعْمَةِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الصَّلَاةَ) (الصَّابِرِينَ)

(١٥٣) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ أَنَّ خَيْرَ مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ دِينِهِمْ، وَالِدِّفَاعِ عَنْهُ، وَعَلَى سَائِرِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَصَائِبِ الْحَيَاةِ هُوَ التَّحَلِّيُ بِالصَّبْرِ، وَتَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى أَحْتِمَالِ الْمَكَارِهِ، وَأَدَاءُ الصَّلَاةِ وَإِقَامَتِهَا حَقَّ إِقَامَتِهَا. فَالصَّبْرُ أَشَدُّ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ عَلَى النَّفْسِ، وَالصَّلَاةُ أَشَدُّ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الْبَدَنِ، وَاللَّهُ نَاصِرُ الصَّابِرِينَ، وَمُجِيبُ دُعَائِهِمْ.

﴿١٥١﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا

مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا

وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

﴿١٥٢﴾ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا

لِي وَلَا تَكْفُرُوا

﴿١٥٣﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ

مَعَ الصَّابِرِينَ

(أَمْوَاتٌ)

(١٥٤) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ الشَّهَادَةِ وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الشُّهَدَاءَ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَكِنَّ الْأَحْيَاءَ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، لِأَنَّ حَيَاتَهُمْ لَيْسَتْ فِي عَالَمِ الْحِسِّ الَّذِي يُدْرِكُ بِالْمَشَاعِرِ.

(الْأَمْوَالِ) (الصَّابِرِينَ)

(١٥٥) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيَلُوهُمْ وَيَخْتَبِرُهُمْ بِقَلِيلٍ (بَشِيءٍ) مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ، وَبِذَهَابِ بَعْضِ الْمَالِ، وَبِمَوْتِ بَعْضِ الْأَصْحَابِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَحْبَابِ، وَبِنَقْصِ غِلَالِ الْمَزَارِعِ... فَمَنْ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ أَتَابَهُ، وَمَنْ قَنَطَ وَلَجَّ أَحْلَى بِهِ عِقَابَهُ. وَيُبَشِّرُ اللَّهُ الصَّابِرِينَ بِحَسَنِ الْعَاقِبَةِ فِي أُمُورِهِمْ.

لَنَبْلُوَنَّهُمْ - لَنَخْتَبِرَنَّهُمْ.

(أَصَابَتَهُمْ) (رَاجِعُونَ)

(١٥٦) - أَمَّا الصَّابِرُونَ الَّذِينَ خَصَّهُمُ اللَّهُ بِالْبُشْرَى فَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللَّهِ، وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ مُصِيبَةٌ صَبَرُوا، وَتَمَسَّكُوا بِقَوْلِهِمْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَيْ إِنَّهُمْ عِبْدُ اللَّهِ وَمُلُكُهُ، وَإِنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. (وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ أَسْرَجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَهُ، وَأَحْسَنَ عَاقِبَتَهُ، وَجَعَلَ لَهُ خَلْفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ). (أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).

(أُولَئِكَ) (صَلَوَاتٌ) (وَأُولَئِكَ)

(١٥٧) - يُبْنِي اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّابِرِينَ، وَيُخَبِّرُ بِأَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَثَرَهَا فِي بَرْدِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ نَزُولِ الْمُصِيبَةِ، وَأَنَّهُمْ هُمْ الْمُتَهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ، وَإِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَنَّهُمْ أَسْتَسْلَمُوا لِقَضَاءِ اللَّهِ فَلَمْ يَسْتَحْذِرُوا الْجَزْعَ عَلَيْهِمْ. صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ - نِئَاءٌ أَوْ مَغْفِرَةٌ.

(شُعَائِرٍ)

(١٥٨) - كَانَ الْأَنْصَارُ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمُوا يُهْلُونَ لِمَنَاةِ الطَّاعِيَةِ عِنْدَ الْمُسَلَّلِ، وَكَانُوا يَتَخَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ

١٥٤ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ

١٥٥ وَلَنَبْلُوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ

وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَالشَّرِّ
وَالصَّابِرِينَ

١٥٦ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

١٥٧ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ

رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ



١٥٨ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ

مِنْ شُعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ
الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ

عَنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا نَخْرُجُ أَنْ نَطُوفَ بِالصُّفَا وَالْمَرْوَةِ، فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّعْيَ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرَكَ الطُّوَافَ بِهِمَا سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ كَانَ الصُّنَمُ (أَسَافَ) عَلَى الصُّفَا، وَكَانَتْ نَائِلَةً (صَنَمٌ) عَلَى الْمَرْوَةِ، وَكَانُوا يَسْتَلِمُونَهُمَا، فَتَخَرَّجُوا بَعْدَ الْإِسْلَامِ مِنَ الطُّوَافِ بَيْنَهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَمَنْ تَطَوَّعَ لِلَّهِ فَرَادَ فِي طَوَافِهِ شَوْطًا ثَامِنًا أَوْ تَاسِعًا، أَوْ مَنْ تَطَوَّعَ فِي عِبَادَتِهِ فَرَادَ فِي سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُثِيبُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَبْخَسُ أَحَدًا ثَوَابَ عَمَلٍ عَمِلَهُ.

الشَّعَائِرُ - هِيَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِمَصْلَحَةٍ لَا يُعْرِفُ سِرُّهَا كَالْحَجِّ وَالسَّعْيِ.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ - فَلَا إِنْكُمْ وَلَا خَرَجَ.

يَطُوفُ بِهِمَا - يَسْعَى بَيْنَهُمَا.

(الْبَيْتَاتِ) (بَيِّنَاتُ) (الْكِتَابِ) (أَوَّلِكَ) (اللَّاعِنُونَ)

(١٥٩) - يَهْدُدُّ اللَّهُ تَعَالَى بِاللَّعْنَةِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ فِي كِتَابِهِ مِنَ الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَالْهَدْيِ النَّافِعِ، وَيَقْصُدُ بِهِمْ أَهْلَ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَتَمُوا صِفَةَ النَّبِيِّ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كِتَابِهِمْ، وَمَا بَشَّرَتْ بِهِ هَذِهِ الْكُتُبُ مِنْ قُرْبِ مَبْعَثِ نَبِيِّ عَرَبِيٍّ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ. فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَ اللَّهِ وَأَوَامِرَهُ عَنِ النَّاسِ لِيُضِلُّوهُمْ، وَيُضِرُّوهُمْ عَنِ الْحَقِّ، فَإِنَّ اللَّهَ يَلْعَنُهُمْ، وَتَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ (اللَّاعِنُونَ).

(وَحُكْمُ هَذِهِ الْآيَةِ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ كَتَمَ عِلْمًا قَرَضَ اللَّهُ بَيَانَهُ لِلنَّاسِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْأَيْمَةُ: إِنَّ الَّذِي يَرَى حُرْمَاتِ اللَّهِ تَشْتَهَى أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَالَّذِينَ يُدَاسُ جَهَارًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالضَّلَالُ يَغْشَى الْهَدْيَ، ثُمَّ هُوَ لَا يَنْتَصِرُ لِلدِّينِ اللَّهِ يَكُونُ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّونَ وَعِيدَ اللَّهِ).

يَلْعَنُهُمْ - يَطْرُدُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ.

(أَوَّلِكَ)

(١٦٠) - وَيَسْتَشْيِي اللَّهُ تَعَالَى مِنَ اللَّعْنَةِ الَّذِينَ تَابُوا وَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ، وَرَجَعُوا عَنْ كَيْتَمَانِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَأَظْهَرُوا لِلنَّاسِ مَا عَلِمُوهُ مِنْ أَمْرِ الرُّسُولِ وَالرَّسَالَةِ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَيَعْفُو عَنْهُمْ، وَيَمْحُو ذُنُوبَهُمْ.

عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ

١٥٩ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ

١٦٠ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

(أُولَئِكَ) (وَالْمَلَائِكَةُ)

(١٦١) - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَتَبَهُ وَرُسُلِهِ، وَكَتَمُوا الْحَقَّ وَلَمْ يُظْهِرُوهُ وَمَاتُوا وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيُخْلَدُوا فِيهَا أَبَدًا.

(خَالِدِينَ)

(١٦٢) - وَيَنْفَقُونَ خَالِدِينَ فِي هَذِهِ اللَّعْنَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتَصَاحِبُهُمُ اللَّعْنَةُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَلَا يُغَيِّرُ عَنْهُمْ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُقْتَرَبُ بَلٌّ يَكُونُ مُتَوَاصِلًا، وَإِذَا طَلَبُوا الْإِمَهَالَ وَالْتَأَخِيرَ لَمْ يُجَابُوا إِلَيْهِ.

وَلَا يُنْظَرُونَ - وَلَا يُؤْخَرُونَ عَنِ الْعَذَابِ لِحُظَّةٍ.

(١٦٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ مُفَرَّدٌ بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا عَدْلٌ، وَأَنَّهُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَقَدْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

(السَّمَاوَاتِ) (وَاخْتِلَافِ) (الَّيْلِ) (الرَّيَاحِ) (الآيَاتِ)

(١٦٤) - يَلْقِئُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْظَارَ الْعُقَلَاءِ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْوُحَيْيَةِ، وَهِيَ الْآيَاتُ الَّتِي أَقَامَهَا فِي الْكَوْنِ، وَمِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ: خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ عَجَائِبَ، وَارْتِفَاعُ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبُهَا، وَدَوْرَانُ فَلَكِهَا، وَاتْسَاعُهَا، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَحَارٍ وَجِبَالٍ وَأَنْهَارٍ وَعُمرَانٍ وَفَقَارٍ... وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَعاقُبُهُمَا، يَجِيءُ هَذَا وَيَذْهَبُ، وَيَعْقِبُهُ الْآخَرُ، وَاخْتِلَافُهُمَا طَوْلًا وَقِصْرًا... وَتَسْخِيرُ الْبَحْرِ لِحَمْلِ السُّفُنِ (الْفُلُكِ) لِيَنْتَقِلَ بِهَا النَّاسُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى آخَرَ، وَإِنْزَالُ اللَّهِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ لِيُحْيِيَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ يَبْسِهَا (مَوْتِهَا)، فَتَزْدَهْرُ وَتَنْبُتَ بِالْخُضْرَةِ وَالزَّرْعِ وَالشَّجَارِ. وَمِنْ آيَاتِهِ بَثُّ الدُّوَابِّ فِي الْأَرْضِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَأَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا، وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ الْخَلْقَ كُلَّهُ وَيَرْزُقُهُ. وَمِنْهَا تَسْخِيرُ الرِّيَّاحِ السَّائِرَةِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ، وَسَوْقُ الْعُيُومِ حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ... فَكُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِيهَا عِبَرٌ وَدَلَالَاتٌ لِلنَّاسِ الْعُقَلَاءِ عَلَى الْوُحَيْيَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ.

بَثٌّ - نَشَرٌ وَفَرَقٌ فِيهَا بِالتَّوَالِدِ، وَبَثٌّ مَعْطُوفٌ عَلَى أَنْزَلَ.

تَضْرِيفُ الرِّيَّاحِ - تَقْلِيلُهَا فِي مَهَابَتِهَا، وَتَضْرِيفٌ مَعْطُوفٌ عَلَى خَلْقِ.

١٦١ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ

كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

١٦٢ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ

الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ

١٦٣ وَاللَّهُ كُفِّرُ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

١٦٤ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا

مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيفُ

الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ

بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتِ

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(آمَنُوا)

(١٦٥) - وَمَعَ قِيَامِ الْأَدِلَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ مِنَ الْكُفَّارِ يَتَّخِذُونَ اللَّهَ شُرَكَاءَ وَأَمْثَالًا (أَنْدَادًا) يَعْبُدُونَهُمْ مَعَهُ، وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ مَعَهُ. أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَيُحِبُّونَهُ وَحْدَهُ، وَهُمْ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. وَحِينَ يَرَى الْمُشْرِكُونَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ الَّذِي يَنْزِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْكَفَّارِ، فَتَقْطَعُ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَلَا تُغْنِي عَنْهُمْ الْأَنْدَادُ، يُذَكِّرُونَ حِينَئِذٍ أَنَّ الْقُوَّةَ جَمِيعَهَا لِلَّهِ، وَأَنَّ الْحُكْمَ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. أَنْدَادًا - أَمْثَالًا وَأَشْبَاهًا مِنَ الْأَوْتَانِ.

(١٦٦) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَّبِعُ الَّذِينَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ - الْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ وَالْبَشَرُ - كَمَا يَتَّبِعُ الرُّؤَسَاءُ الْمُصَلُّونَ الَّذِينَ اتَّبَعَهُمْ الضُّعَفَاءُ وَالْأَعْوَانُ، مِنْ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ أَغْوَوْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَنْصَلُّونَ مِنْ إِضْلَالِهِمْ لِأَنَّهُمْ قَدْ تَضَاعَفَ عَذَابُهُمْ، وَحَمَلُهُمْ أَوْزَارًا فَوْقَ أَوْزَارِهِمْ، وَتَقْطَعُ الرُّوَاطُ وَالصَّلَاتُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَصِيرُ بَعْضُهُمْ عَدُوًّا لِبَعْضٍ. تَقْطَعُ بِهِمُ الْأَسْبَابُ - تَصَرَّمَتِ الصَّلَاتُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ نَسَبٍ وَصَدَاقَةٍ.

(أَعْمَالُهُمْ) (حَسَرَاتٍ) (بَخَارِجِينَ) (تَبَرُّوْا)

(١٦٧) - وَيَقُولُ التَّابِعُونَ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ: لَوْ أَنَّ لَنَا رَجْعَةً إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا لِنَتَّبِرَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَمِنْ عِبَادَتِهِمْ، فَلَا نَلْتَمِثَ إِلَيْهِمْ، بَلْ نُوَحِّدُ اللَّهَ، وَنَهْتَدِي بِهِدْيِهِ. وَهُمْ كَاذِبُونَ فِي هَذَا الْقَوْلِ، إِذْ أَنَّهُمْ لَوْ عَادُوا إِلَى الدُّنْيَا لَعَادُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ. وَكَمَا أَرَاهُمُ اللَّهُ الْعَذَابَ، كَذَلِكَ سِيرِيهِمْ أَعْمَالُهُمْ تَذَهَّبُ وَتَضْمَحِلُّ فَيَتَحَسَّرُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَلَاتِ سَاعَةٌ مُنْدَمٍ، لَأَنَّهُمْ لَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ، وَلَنْ يَعُودُوا إِلَى الدُّنْيَا.

كَرَّةٌ - عَوْدَةٌ إِلَى الدُّنْيَا.

حَسَرَاتٍ - نَدَامَاتٍ شَدِيدَةٍ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ

دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ

كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا

أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ

ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ

الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعَذَابِ

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ

الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَوْ رَأَوْا الْعَذَابَ

وَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا

كَرَّةً فَنتَّبِرَ آمَنَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا

مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ

أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا

هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ

(يَا أَيُّهَا) (حَلَالًا) (خُطُوتِ) (الشَّيْطَانِ)

(١٦٨) - يَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ عَلَى النَّاسِ بِمَا أَبَاحَ لَهُمْ مِنَ الْأَكْلِ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَصْنَافِ الْمَأْكُولَاتِ حَلَالًا طَيِّبًا، وَنَهَاهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ سِيرَةِ الشَّيْطَانِ فِي الْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ، وَالْوَسْوَسَةِ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، وَعَنْ اتِّبَاعِ مَسْلِكِهِ وَطَرِيقِهِ فِيمَا أَضَلَّ بِهِ أَتْبَاعَهُ مِنْ تَحْرِيمِ الْحَبَائِرِ وَالسُّوَابِ وَالْوَصَائِلِ وَغَيْرِهَا مِمَّا كَانَ زَيْنَةً لِلْمُشْرِكِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ مُبِينٌ لِلْإِنْسَانِ.

خُطُوتِ الشَّيْطَانِ - طُرُقُهُ وَأَسَالِيْبُهُ.

(١٦٩) - وَالشَّيْطَانُ الْعَدُوُّ يُوسِسُ لِلْكَفَرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَيَحْتُمُّهُمْ عَلَى الْإِثْنَانِ بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الْمُنْكَرَةِ، وَالْفَوَاحِشِ، وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ فِي دِينِهِ مَا لَا يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ شَرَعَهُ لِلنَّاسِ، مِنْ عَقَائِدَ وَسَعَائِرَ دِينِيَّةٍ، أَوْ تَحْلِيلِ مَا الْأَضْلُ فِيهِ التَّحْرِيمِ.

يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ - بِالْمَعَاصِي.

الْفَحْشَاءِ - مَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

(آبَاءَهُ) (آبَاؤُهُمْ)

(١٧٠) - وَإِذَا قِيلَ لِلْكَافِرَةِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ: أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَأَتَرَكُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، أَجَابُوا قَائِلِينَ: بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ. وَيَرُدُّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ قَائِلًا: أَتَتَّبِعُونَ آبَاءَهُمْ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا مِنْ عَقَائِدِ الدِّينِ وَعِبَادَاتِهِ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ؟

أَلْفِينَا - وَجَدْنَا.

(١٧١) - وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ، وَالْجَهْلِ وَتَقْلِيدِ آبَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ، كَمَثَلِ الدُّوَابِّ السَّارِحَةِ الَّتِي لَا تَفْقَهُ شَيْئًا مِمَّا يُقَالُ لَهَا، فَإِذَا نَعَقَ فِيهَا رَاعِيهَا فَإِنَّهَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ، وَلَكِنَّهَا لَا تَفْقَهُ مَا يَقُولُ وَلَا تَفْهَمُهُ، فَهَمْ صُمٌّ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، وَبُكْمٌ لَا يَفْهَمُونَ بِهِ، وَغُمِي عَنْ رُؤْيَةِ طَرِيقِهِ وَمَسْلِكِهِ، لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَفْهَمُونَ.

يَنْعَقُ - يَصِيحُ.

بُكْمٌ - خُرُسٌ عَنِ النُّطْقِ بِالْحَقِّ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي

الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُبِينٌ

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كُنَّا آبَاءَهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ
الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءً
وَيَنْدَاءُ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (طَيِّبَاتِ) (رَزَقْنَاكُمْ)

(١٧٢) - كَانَ الْمُشْرِكُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فِرَقًا وَأَصْنَافًا: فَمِنْهُمْ مَنْ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَشْيَاءَ كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَرَّمَ بَعْضَ الْحَيَوَانِ، وَكَانَ الشَّائِعُ عِنْدَ النَّصَارَى الْإِفْتِنَانِ فِي جِرْمَانِ النَّفْسِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، فَقَدْ حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ اللَّحْمَ وَالسَّمْنَ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِ صَوْمِهِمْ، وَحَرَّمُوا السَّمَكَ وَاللَّبْنَ وَالْبَيْضَ فِي بَعْضِهَا الْآخَرَ.

وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ وَضَعَهَا الرَّؤَسَاءُ، وَلَا وَجُودَ لَهَا فِي التَّوْرَةِ، وَلَا نُقِلَتْ عَنْ الْمَسِيحِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَعَذُّيبِ النَّفْسِ، وَتَرْكِ حُطُوطِ الْجَسَدِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ أُمَّةً وَسَطًا تُعْطِي الْجَسَدَ حَقَّهُ، وَالرُّوحَ حَقَّهَا. وَقَدْ أَبَاحَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْأَكْلَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى شُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

(١٧٣) - بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَأْكَلِ: الْمَيْتَةِ (وَهِيَ الْحَيَوَانُ الَّذِي مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ مِنْ غَيْرِ تَذَكِّيَةٍ وَلَا ذَبْحٍ) وَالْدَّمَ الْمَسْفُوحَ، وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ، وَمَا ذُبِحَ مِنَ الْأَنْعَامِ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ كَالْأَصْنَامِ، وَالْأَوْثَانِ، فَهَذَا كُلُّهُ حَرَامٌ.

أَمَّا الَّذِينَ يُضْطَرُّونَ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ وَسِيلَةَ أُخْرَى لِلْحُصُولِ عَلَى مَا يَسُدُّ رَمَقَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ الْحَلَالِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مِثْلٌ إِلَى تَعَدِّيِ الْحَلَالِ إِلَى الْحَرَامِ، وَهُمْ يَجِدُونَ عَنْ أَكْلِ الْحَرَامِ مَنَافِعَ (غَيْرَ بَاغٍ)، وَدُونَ أَنْ يُجَاوِزُوا فِيمَا يَأْكُلُونَ حَدَّ وَدَ الضَّرُورَةِ الَّتِي تَكْفِي لِسَدِّ الرَّمَقِ، وَحِفْظِ الْحَيَاةِ، حَتَّى يَجِدُوا الطَّعَامَ الْحَلَالِ (عَادٍ)، فَهَؤُلَاءِ لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ وَلَا مَسْئُولِيَّةَ. وَاللَّهُ تَعَالَى غَفُورٌ لَهُمْ لِمَا أَكَلُوا مِنَ الْحَرَامِ، رَجِيمٌ بِهِمْ إِذَا أَحَلَّ لَهُمُ الْحَرَامَ فِي حَالَةِ الْأَضْطِرَارِ.

وَلَا عَادٍ - غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

غَيْرَ بَاغٍ - غَيْرَ طَالِبٍ لِلْحَرَامِ لِلذِّقَّةِ أَوْ اسْتِثْنَاءٍ عَلَى مُضْطَرِّ آخَرَ.

(الْكِتَابِ) (أُولَئِكَ) (الْقِيَامَةِ)

(١٧٤) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ يُحْفُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ عَلَى رَسُولِهِ، أَوْ يُؤْوِلُونَهُ أَوْ يُحَرِّفُونَهُ وَيَضْعُونَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، بِرَأْيِهِمْ وَأَجْتهَادِهِمْ، فِي مُقَابِلِ الثَّمَنِ الْحَقِيرِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، كَالرُّشْوَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَالْجُعْلِ

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا

يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ

(الْأَجْرُ عَلَى الْفَتَاوَى الْبَاطِلَةِ) وَنَحْوِ ذَلِكَ . . . وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ (وَهُمُ الْيَهُودُ)، وَعَنْ رِسَالَتِهِ وَنُبُوتِهِ لِئَلَّا تَذْهَبَ رَعَامَاتُهُمْ، وَرِيَاسَاتُهُمْ إِنْ صَدَّقُوا مُحَمَّدًا، وَأَمَنُوا بِهِ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ، وَلئَلَّا يَخْسَرُوا مَا كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالٍ وَهَذَا، وَهُوَ شَيْءٌ نَافِعٌ يَسِيرُ إِذَا مَا قُورِنَ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ . . . فَهَؤُلَاءِ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ مَا يَأْكُلُونَهُ فِي مُقَابِلِ كِتْمَانِ الْحَقِّ نَارًا تَتَأَجَّجُ فِي بُطُونِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقَضَائِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَمْدَحُهُمْ وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

(وَقِيلَ أَيْضًا فِي تَفْسِيرٍ: مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ: إِنَّهُمْ لَا يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهِ إِلَّا مَا يَكُونُ سَبَبًا لِدُخُولِهِمْ نَارَ جَهَنَّمَ).

ثَمَرًا قَلِيلًا - عِوَضًا يَسِيرًا.

لَا يُزَكِّيهِمْ - لَا يَطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي.

(أُولَئِكَ) (الضَّلَالَةُ)

(١٧٥) - وَهَؤُلَاءِ الْآيْمُونَ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ، اعْتَاضُوا عَنْ الْهُدَى الَّذِي يَقْتَضِيهِمْ نَشْرَ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ، وَذَكَرِ مَنَبَتِهِ، وَوُجُوبِ اتِّبَاعِهِ وَتَصَدِيقِهِ، بِالضَّلَالِ وَهُوَ تَكْذِيبُهُ، وَالْكَفْرُ بِهِ، وَكِتْمَانُ صِفَاتِهِ، وَاعْتَاضُوا عَنْ الْمَغْفِرَةِ، الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ السَّاعِينَ فِي الْخَيْرَاتِ، بِالْعَذَابِ الَّذِي سَيَجِلُّ بِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَكِتْمَانِ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ. فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (أَيُّ إِنْ مَنْ يَرَاهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَعَجَّبُ مِنْ صَبْرِهِمْ عَلَى احْتِمَالِهَا، مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ).

(أَوْ إِنْ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ أَتَمَّكَهُمْ فِي الْعَمَلِ الَّذِي يُوصِلُهُمْ إِلَى النَّارِ هُوَ مَثَارُ الْعَجَبِ، فَسَبَّرَهُمْ فِي الطَّرِيقِ الْمُوصِلَةِ إِلَيْهَا، وَعَدَمُ مُبَالَايَتِهِمْ بِمَعَالِ أَعْمَالِهِمْ هُوَ مَثَارُ الْعَجَبِ).

(الْكِتَابِ) (الْكِتَابِ)

(١٧٦) - وَإِنَّمَا اسْتَحَقَّ هَؤُلَاءِ الْعَذَابَ لِكُفْرِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ لِجَمْعِ الْكَلِمَةِ عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَإِزَالَةِ الْاِخْتِلَافِ، فَاسْتَخْلَفُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا دَفَعَ إِلَيْهِ حُبُّ الْجَدَلِ، وَمُجَانَبَتُهُ

﴿١٧٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ
فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ

﴿١٧٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي
الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ

الْحَقُّ، وَالْإِنْقِيَادُ إِلَى الْهَوَى، فَحَرَفُوهُ وَأَفْسَدُوهُ وَتَسَرَّوْهُ بِغَيْرِ مَعَانِيهِ.
شِقَاقٍ بَعِيدٍ - خِلَافٍ وَنِزَاعٍ بَعِيدٍ عَنِ الْحَقِّ.

(آمَنَ) (وَالْمَلَائِكَةَ) (وَالْكِتَابَ) (وَالنَّبِيَّينَ) (وَأَتَى) (وَالْيَتَامَى)
(وَالْمَسَاكِينَ) (وَالسَّائِلِينَ) (الصَّلَاةَ) (وَأَتَى) (الرَّكَاعَةَ) (عَاهَدُوا)
(وَالصَّابِرِينَ) (أُولَئِكَ)

(١٧٧) - بَعْدَ أَنْ حَوَّلَ اللَّهُ قِبْلَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى نَفُوسٍ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَخَذَ الْيَهُودُ فِي الدَّسِّ وَالتَّقْدِيبِ بَغْيَةً زَعَزَعَتْ بَقِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ بِرَبِّهِمْ وَنَبِيِّهِمْ ﷺ، فَأَوْضَحَ اللَّهُ فِي عَدَدٍ مِنَ الْآيَاتِ حِكْمَتَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهِيَ: أَنَّ الْمُرَادَ أَسَاسًا هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَآمِنَاتُ أَوَامِرِهِ، وَالتَّوَجُّهُ حَيْثُمَا أَمَرَ وَوَجَّهَ، فَهَذَا هُوَ الْبِرُّ وَالتَّقْوَى وَالْإِيمَانُ الْكَامِلُ، وَلَيْسَ فِي التَّوَجُّهِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ بِحَدِّ ذَاتِهِ طَاعَةٌ وَلَا بِرٌّ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ شَرْعِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ. فَالْبِرُّ يَقُومُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَبِإِنْفَاقِ الْمَالِ فِي طَاعَتِهِ - وَالْإِنْسَانُ حَتَّى سَلِيمٌ صَحِيحٌ يَأْمَلُ الْعَيْشَ، وَيَخْشَى الْفَقْرَ - عَلَى ذَوِي قُرْبَاهُ، وَعَلَى الْيَتَامَى الَّذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ، وَهُمْ صِغَارٌ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى الْكَسْبِ، وَعَلَى الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ فِي قُوتِهِمْ وَمَسْكِنِهِمْ وَكَسَوْتِهِمْ، وَعَلَى ابْنِ السَّبِيلِ - وَهُوَ الْمُسَافِرُ الْمُجْتَازُ الَّذِي نَفَدَتْ نَفَقَتُهُ - وَعَلَى مَنْ يُرِيدُ سَفَرًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَيُعْطَى مَا يَكْفِيهِ فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ، وَعَلَى السَّائِلِينَ الَّذِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِلسُّؤَالِ، وَعَلَى الْعَبِيدِ الْمَكَاتِبِينَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُؤَدُّونَهُ فِي كِتَابَتِهِمْ.

كَمَا أَنَّ الْبِرَّ يَقُومُ: بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ (وَاتِمَامِ) أَعْمَالِهَا بِخُشُوعٍ تَامٍّ فِي أَوْقَاتِهَا وَاتِمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَبَذْفِ الرِّكَاعَةِ، وَبِالْتِمَسِكِ بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاقِيقِ وَعَدَمِ النَّكْبِ بِهَا، وَبِالصَّبْرِ فِي الْبَأْسَاءِ - أَيِ فِي حَالِ الْفَقْرِ - وَفِي الضَّرَاءِ - أَيِ فِي حَالِ الْمَرَضِ - ، وَالصَّبْرِ جِئْنَ الْبَأْسِ - أَيِ فِي حَالَةِ الْقِتَالِ وَلِقَاءِ الْأَعْدَاءِ .

فَالَّذِينَ اتَّصَفُوا بِالصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ هُمْ الْبَرَّةُ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ، وَفَازُوا بِرِضَا اللَّهِ.

(وَقَدْ نَصَبَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّابِرِينَ عَلَى الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ عَلَى الصَّبْرِ، وَالْمَحْتَّ عَلَيْهِ لِشِدَّتِهِ، وَصُعُوبَةِ أَحْتِمَالِهِ عَلَى النَّفُوسِ).



لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَقُولُوا

وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ

الْبِرِّ - التَّوَسُّعُ فِي الطَّاعَاتِ وَفِعْلُ الْخَيْرِ .
 آثِنُ السَّبِيلِ - الْمُسَافِرُ الَّذِي انْقَطَعَ عَنْ أَهْلِهِ .
 فِي الرِّقَابِ - فِي تَحْرِيرِ الرِّقَابِ مِنَ الْأَسْرِ وَالرُّقَى .
 الصَّابِرِينَ - أَحْصَى الصَّابِرِينَ لِمَزِيدِ فَضْلِهِمْ .
 الْبُؤْسَاءِ - الْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ .
 الضَّرَاءِ - السَّقَمِ وَالْأَلَمِ .
 حِينَ الْبَاسِ - وَقْتُ الْقِتَالِ .

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (بِإِحْسَانٍ)

(١٧٨) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ فَرَضَ (كَتَبَ) عَلَيْهِمُ الْعَدْلَ وَالْمُسَاوَاةَ فِي الْقِصَاصِ ، فَالْحُرُّ يُقْتَلُ بِالْحُرِّ ، إِذَا كَانَ الْقَتْلُ عَمْدًا ، وَالْعَبْدُ يُقْتَلُ بِالْعَبْدِ ، وَالْأُنْثَى تُقْتَلُ بِالْأُنْثَى (وَقَدْ جَرَى الْعَمَلُ مِنْ لَدُنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلِ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ ، وَالْحُرِّ بِالْعَبْدِ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْقَاتِلُ سَيِّدَ الْعَبْدِ ، فَإِذَا كَانَ سَيِّدُهُ عَزَرَ بِشِدَّةٍ) ، وَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالْأَمْتِدَا وَلَا يَتَجَاوَزُوا ، كَمَا اعْتَدَى الْيَهُودُ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَغَيَّرُوا حُكْمَ اللَّهِ . فَكَانَتْ قَبِيلَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ ضَعِيفَةً ، وَقَبِيلَةُ بَنِي النَّضِيرِ قَوِيَّةً ، فَكَانُوا إِذَا قَتَلَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ أَحَدًا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ لَمْ يَكُنْ يُقْتَلُ بِهِ بَلْ يُفَادَى . وَإِذَا قَتَلَ الْقُرَيْظِيُّ نَضِيرِيًّا كَانَ يُقْتَلُ بِهِ ، وَإِذَا فَادَوْهُ كَانَ يُفَادَى بِمِثْلِي مَا يُفَادَى بِهِ النَّضِيرِيُّ) .

وَكَانَ حَيَّانٌ مِنَ الْعَرَبِ قَدْ أَقْتَتَلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبِيلَ الْإِسْلَامِ ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى وَجَرَاحَاتٌ حَتَّى قَتَلُوا الْعَبِيدَ وَالنِّسَاءَ ، فَكَانَ أَحَدُ الْحَيِّينَ لَا يَرْضَى حَتَّى يُقْتَلَ بِالْعَبْدِ مِنْهُ الْحُرُّ مِنْ خُصْمِهِ ، وَبِالْمَرْأَةِ مِنْهُ الرَّجُلُ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ لَا يَقْتُلُونَ الرَّجُلَ الَّذِي يَقْتُلُ الْمَرْأَةَ عَمْدًا ، وَلَكِنْ كَانُوا يَقْتُلُونَ الرَّجُلَ بِالرَّجُلِ ، وَالْمَرْأَةَ بِالْمَرْأَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ مُبْطَلًا ذَلِكَ التَّعَامُلَ ، فَإِذَا قَبِلَ وَلِيُّ الدِّمِّ أَنْ يَأْخُذَ الدِّيَّةَ ، وَيَعْفُو عَنِ الْقَاتِلِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّبَعَ ذَلِكَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنْ يَطْلُبَ الدِّيَّةَ بِرَفْقٍ ، وَأَنْ لَا يُزْهَقَ الْقَاتِلُ مِنْ أَمْرِهِ عُسْرًا . وَعَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يُؤَدِّيَ الْمَطْلُوبَ مِنْهُ بِإِحْسَانٍ ، وَأَنْ لَا يَمْطُلَ وَلَا يَنْقُصَ ، وَلَا يُسِيءَ فِي كَيْفِيَّةِ الْأَدَاءِ .

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّهُ شَرَعَ لِلنَّاسِ أَخْذَ الدِّيَّةِ فِي حَالَةِ الْقَتْلِ الْعَمْدِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءً بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءً إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ

تَخْفِيفاً مِنْهُ، وَرَحْمَةً بِالْمُسْلِمِينَ، إِذْ كَانَ يَتَوَجَّبُ عَلَى الْأَمْرِ السَّالِفَةِ الْقَتْلُ أَوْ الْعُقُورُ. وَإِذَا تَعَدَّدَ أَوْلِيَاءُ الدِّمِّ وَعَفَا أَحَدُهُمْ وَجَبَ اتِّبَاعُهُ، وَسَقَطَ الْقِصَاصُ. . وَيَجُوزُ الْعُقُورُ فِي الدِّيَةِ أَيْضاً. (وَقِيلَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ مَفْرُوضاً عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ لَا غَيْرَ، وَأَهْلُ الْإِنْجِيلِ أُمِرُوا بِالْعُقُورِ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مُقَابِلَ الْعُقُورِ دِيَةً).

وَيَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَعْتَدِي بِالْقَتْلِ عَلَى الْقَاتِلِ - بَعْدَ الْعُقُورِ وَالرِّضَا بِالْدِّيَةِ - بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ - فَرِضَ عَلَيْكُمْ.

عُقْبَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ - تَرَكَ لَهُ مِنْ وَلِيِّ الْمَقْتُولِ.

(حَيَاة) (يَا أُولِي) (الْأَلْبَابِ)

(١٧٩) - فِي الْقِصَاصِ رَاحَةُ الْبَالِ، وَصِيَانَةُ النَّاسِ مِنْ أَعْتِدَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضِهِمْ الْآخِرِ، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ النَّاسِ أَنَّ مَنْ قَتَلَ يُعَاقَبُ بِالْقَتْلِ، تَحْمِلُهُمْ عَلَى الْارْتِدَاعِ عَنِ الْقَتْلِ، فَتُصَانُ حَيَاةُ النَّاسِ، وَحَيَاةُ مَنْ يُفَكِّرُ بِالْقَتْلِ. وَخَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِنْدَاءِ أَرْبَابَ الْعُقُولِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ يَفْهَمُونَ قِيَمَةَ الْحَيَاةِ، وَيُحَافِظُونَ عَلَيْهَا هُمُ الْعُقَلَاءُ. وَإِذَا تَدَبَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ الْحِكْمَةَ مِنْ شَرْعِ الْقِصَاصِ حَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى اتِّقَاءِ الْإِعْتِدَاءِ، وَالْكَفِّ عَنِ سَفْكِ الدِّمَاءِ.

(لِلْوَالِدَيْنِ)

(١٨٠) - فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا حَضَرَتْ أَسْبَابُ الْمَوْتِ وَعِلَلُهُ، وَتَرَكْتُمْ مَالاً كَثِيراً لَوَرَثَتَكُمْ أَنْ تُوصُوا لِلْوَالِدَيْنِ وَذَوِي الْقُرْبَى بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ (لَا يَزِيدُ عَلَى الثُّلْثِ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَوْصِي لَهُمْ مِنَ الْوَارِثِينَ فِي بَعْضِ الْمَذَاهِبِ، وَجُوزَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ الْوَصِيَّةَ لِلْوَارِثِ بِأَنْ يُخَصَّ بِهَا بَعْضٌ مِنْ يَرَاهُ أَخَوَجَ مِنَ الْوَرِثَةِ). وَإِذَا أَسْلَمَ الْكَافِرُ وَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَالْإِسْلَامُ كَافِرَانِ، فَلَهُ أَنْ يُوصِيَ لَهُمَا بِشَيْءٍ يَتَأَلَّفُ بِهِ قُلُوبُهُمَا. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْإِصْءَاءَ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنَسُوخَةٌ بِآيَةِ الْمَوَارِيثِ).

تَرَكَ خَيْراً - مَالاً كَثِيراً.

الْوَصِيَّةُ - نُسَخَ وَجُوبُهَا بِآيَةِ الْمَوَارِيثِ.

﴿١٧٩﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ

يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

﴿١٨٠﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ

أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا
الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

(١٨١) - وَإِذَا صَدَرَتِ الْوَصِيَّةُ عَنِ الْمُوصِي كَانَتْ حَقًّا وَاجِبًا لَا يَجُوزُ تَغْيِيرُهُ وَلَا تَبْدِيلُهُ، إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْوَصِيَّةُ مُجَافِيَةً لِلْعَدْلِ، فَمَنْ بَدَّلَ الْوَصِيَّةَ - سَوَاءً أَكَانَ وَصِيًّا أَوْ شَاهِدًا - أَوْ حَرَّفَهَا فَغَيَّرَ فِي حُكْمِهَا، وَزَادَ فِيهَا أَوْ أَنْقَصَ أَوْ كَتَمَهَا، فَإِنَّمَا التَّبْدِيلُ يَقَعُ عَلَى الَّذِينَ يَقُومُونَ بِهِ، وَيَقَعُ أَجْرُ الْمَيِّتِ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ أَطْلَعَ عَلَى مَا أَوْصَى بِهِ الْمَيِّتُ، وَعَلِمَ بِهِ وَبِمَا بَدَّلَهُ الْمُوصِي إِلَيْهِمْ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِ الْمُبْدِلِينَ وَالْمُوصِينَ، وَيَعْلَمُ نِيَّاتِهِمْ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

﴿١٨١﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(١٨٢) - فَإِذَا خَافَ الْوَصِيُّ خُرُوجَ الْمُوصِي فِي وَصِيَّتِهِ عَنْ نَهْجِ الشَّرْعِ وَالْعَدْلِ خَطَأً أَوْ عَمْدًا، بَانَ زَادَ فِي حِصَّةٍ، أَوْ أَنْقَصَ فِيهَا... وَتَنَازَعَ الْمُوصَى لَهُمْ بِالْمَالِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، أَوْ تَنَازَعُوا مَعَ الْوَرَثَةِ، فَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَعْلَمُ بِذَلِكَ، وَأَصْلَحَ بِتَبْدِيلِ هَذَا الْخِيفِ وَالْجَنَفِ، فَلَا إِنَّمَا عَلَيْهِ فِي هَذَا التَّبْدِيلِ، لِأَنَّهُ تَبْدِيلُ بَاطِلٍ بِحَقٍّ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، وَيُثَبِّتُهُ عَلَى عَمَلِهِ.

﴿١٨٢﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ

جَنَفًا - خُرُوجًا عَنْ نَهْجِ الشَّرْعِ .

إِثْمًا - أَرْبَكَابًا لِلظُّلْمِ عَمْدًا أَوْ جَوْرًا خَطَأً أَوْ جَهْلًا .

(يَا أَيُّهَا) (أَمْنُوا)

(١٨٣) - أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّوْمِ تَهْذِيبًا لِنَفْسِهِمْ، وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ أَوْجَبَ الصَّوْمَ عَلَى الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُوجِبُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ الصَّوْمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِيُعِدَّهُمْ لِنِقْوَةِ اللَّهِ، بِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ الْمُنْسُورَةِ أَمْتَالًا لِأَمْرِهِ، وَاحْتِسَابًا لِلْأَجْرِ عِنْدَهُ، فَتَرَبَّى بِذَلِكَ الْعَزِيمَةُ وَالْإِرَادَةُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ .

﴿١٨٣﴾ يَتَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ

عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(مَعْدُودَاتٍ)

(١٨٤) - وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، وَلَمْ يُكَلِّفْكُمْ فِي الصَّوْمِ مَا لَا تَطِيقُونَ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا مَرَضًا يُضَرُّ الصَّوْمُ مَعَهُ، أَوْ كَانَ عَلَى سَفَرٍ فَلَهُ أَنْ يَفْطَرَ وَيَقْضِيَ الْأَيَّامَ الَّتِي أَفْطَرَهَا بَعْدَ بَرُئِهِ مِنَ الْمَرَضِ، أَوْ رُجُوعِهِ مِنَ السَّفَرِ.

﴿١٨٤﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ

مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

أَمَّا الْمُقِيمُ غَيْرُ الْمَرِيضِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الصَّوْمَ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ لِعُذْرِ دَائِمٍ كَشَيْخُوخَةٍ أَوْ مَرَضٍ لَا يَرْجَى بُرُؤُهُ فَلَهُ أَنْ يَفْطَرَ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُطْعِمَ مِسْكِينًا عَنْ كُلِّ يَوْمٍ . وَمَنْ صَامَ مُتَطَوَّعًا زِيَادَةً عَنِ الْقَرَضِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ .

الإِطَافَةُ - هِيَ الْإِحْتِمَالُ مَعَ الْجُهْدِ الشَّدِيدِ .

تَطَوَّعَ خَيْرًا - زَادَ فِي الْفِدْيَةِ .

(الْقُرْآنُ) (وَبَيِّنَاتٍ) (هَذَاكُمْ)

(١٨٥) - وَالْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِصِيَامِهَا هِيَ شَهْرُ رَمَضَانَ . وَيَمْدَحُ اللَّهُ تَعَالَى شَهْرَ رَمَضَانَ وَيُشِيدُ بِفَضْلِهِ ، وَهُوَ الشَّهْرُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ الَّذِي يَهْدِي الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ، وَفِيهِ دَلَالٌ وَحُجَجٌ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ لِمَنْ فَهَمَهَا وَتَذَبَّرَهَا ، تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَى الْمُنَافِي لِلضَّلَالَةِ ، فَمَنْ شَهِدَ اسْتِهْلَالَ الشَّهْرِ وَجَبَ عَلَيْهِ الصَّوْمُ إِنْ كَانَ مُقِيمًا فِي الْبَلَدِ ، وَهُوَ صَحِيحٌ فِي بَدَنِهِ . وَيُكَرَّرُ تَعَالَى ذِكْرُ الرُّخْصَةِ فِي الْإِفْطَارِ لِلْمَرَضَى وَالْمُسَافِرِينَ بِشَرْطِ قَضَاءِ الْأَيَّامِ الَّتِي يُفْطِرُونَهَا إِكْمَالًا لِلْعِدَّةِ ، وَلِيُصْبِحَ مَجْمُوعٌ مَا يَصُومُونَهُ شَهْرًا . وَهَذَا تَيْسِيرٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ . وَنَتَى أَنْهَى الْمُؤْمِنَ عِبَادَتَهُ مِنْ صِيَامٍ وَصَلَاةٍ ، كَبَّرَ اللَّهُ ، وَذَكَرَهُ وَشَكَرَهُ عَلَى مَا هَدَاهُ ، لَعَلَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ لِلَّهِ عَلَى مَا أَعَانَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ ، وَحَسَنِ عِبَادَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ .

(١٨٦) - قَالَ أَعْرَابِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَقْرَبُ رَبَّنَا فَنَسَاجِيهِ ، أَمْ بَعِيدُ فَنَسَادِيهِ ؟ فَسَكَتَ الرَّسُولُ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ . وَفِي الْحَدِيثِ : (الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاةً عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ) .

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالِاسْتِجَابَةِ إِلَيْهِ ، وَبِالْقِيَامِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعِبَادَاتِ ، كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ . لَعَلَّهُمْ يَكُونُونَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ الرَّاشِدِينَ .

(نَسَائِكُمْ) (فَالْآنَ) (بَاشِرُوهُنَّ) (اللَّيْلَ) (وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ) (عَاكِفُونَ) (الْمَسَاجِدَ) (آيَاتِهِ)

(١٨٧) - (فِي آيَتِدَاءِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ كَانَ الْمُسْلِمُ إِذَا أَفْطَرَ يَجِلُّ لَهُ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالْجِمَاعُ حَتَّى صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، أَوْ إِلَى أَنْ يَنَامَ قَبْلَ ذَلِكَ . فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ ، أَوْ نَامَ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ حَرَّمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالْجِمَاعُ إِلَى اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ . فَوَجَدُوا فِي ذَلِكَ مَشَقَّةً كَبِيرَةً بِسَبَبِ اخْتِلَاطِهِمْ فِي الْمَسْبِيبِ وَالْحَيَاةِ ، فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ) . وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ :

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أَنْ هُدِيَ لِلنَّاسِ وَيَبَيِّنَتْ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِمَّنْ آتَاكُمْ أُخَرُّهُ يَدُ اللَّهِ بِكُمْ أَلَيْسَ وَلَاحِقُكُمْ بِكُمْ الْعُسْرُ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ

أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الْجَمَاعَ (الرَّفْثُ)، أَنْتُمْ سَكَنُ (لِبَاسُ) لَيْسَائِكُمْ، وَهَنْ سَكَنُ لَكُمْ، فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ يُخَالِفُ الْأَمْرَ الدِّينِيَّ فَيَخْتَانُ نَفْسَهُ، إِذْ يَتَقَدَّرُ شَيْئاً ثُمَّ لَا يَلْتَزِمُ الْعَمَلَ بِهِ، فَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيُجَامِعُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ أَوْ بَعْدَ نَوْمِهِ إِنْ نَامَ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَعَفَا عَنْكُمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْ أَخْطَائِكُمْ. ثُمَّ أَعْلَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ سَمَحَ لَهُمْ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمُبَاشَرَةِ نِسَائِهِمْ حَتَّى الْفَجْرِ (أَيَّ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ضِيَاءُ الصُّبْحِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ). فَمَتَى ظَهَرَ الْفَجْرُ أَمْتَنَعَ عَلَى الصَّائِمِ مَا كَانَ مُبَاحاً لَهُ فِي اللَّيْلِ، وَيَسْتَمِرُّ صَوْمُهُ حَتَّى مَغِيبِ الشَّمْسِ، وَظُهُورِ أَوَّلِ اللَّيْلِ.

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَعْتَكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ أَوْ غَيْرِهَا فِي رَمَضَانَ، أَوْ فِي غَيْرِهِ لِلنُّسْكِ وَالْعِبَادَةِ، فَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُبَاشَرَةَ النِّسَاءِ، مَا دَامُوا مُعْتَكِفِينَ، حَتَّى وَلَوْ أَتَوْا إِلَى مَنَازِلِهِمْ لِقَضَاءِ بَعْضِ حَوَائِجِهِمْ لِيَعُودُوا بَعْدَهَا إِلَى الْإِعْتِكَافِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَعْتَكِفُونَ فِيهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنْ مَا بَيْنَهُ وَفَرَصَهُ وَحَدَّهُ مِنَ الصَّيَامِ، وَمَا أَبَاحَهُ وَمَا حَرَّمَهُ. هِيَ الْحُدُودُ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ، وَبَيَّنَّهَا بِنَفْسِهِ، فَعَلَيْكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَلَّا تَعْتَدُوا، وَلَا تَتَجَاوَزُوا. وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ، عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لِيَعْرِفُوا كَيْفَ يَهْتَدُونَ، وَكَيْفَ يُطِيعُونَ (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

الرَّفْثُ - الْوِقَاعُ - أَوْ هُوَ كَلَامٌ يَكُونُ بَيْنَ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَقَتِ الْوِقَاعِ.

هَنْ لِبَاسُ لَكُمْ - هَنْ سَكَنُ أَوْ يَسُرُّ لَكُمْ عَنِ الْحَرَامِ.

حُدُودُ اللَّهِ - مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ عَلَيْكُمْ.

(أَمْوَالُكُمْ) (بِالْبَاطِلِ) (أَمْوَالُ)

(١٨٨) - يَا مُرُّهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَلَّا يَأْكُلَ بَعْضُهُمْ مَالَ بَعْضٍ بِالْبَاطِلِ، وَبِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ: كَالسَّرِقَةِ، وَالغَشِّ، وَالتَّعَدِّيِّ عَلَى النَّاسِ، وَالكَسْبِ عَنْ طَرِيقٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ. . . وَبِأَلَّا يُلْفُوا بِأَمْوَالِهِمْ رَشْوَةً إِلَى الْحُكَّامِ لِيَخْضَلُوا عَلَى أَحْكَامٍ لِمَصْلَحَتِهِمْ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ يَقِيناً أَنَّهُمْ لَا حَقَّ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ آمِنُونَ أَكَلُوا حَرَاماً.

وَحُكْمُ الْحَاكِمِ لَا يُجِلُّ حَرَاماً، وَلَا يُحَرِّمُ حَلَالاً، وَإِنَّمَا هُوَ مُلْزِمٌ فِي الظَّاهِرِ. أَمَّا مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ، وَأَنَّهُ يَأْكُلُ مَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ فَإِنَّهُ يَأْكُلُ حَرَاماً، وَإِنْ قَضَى بِهِ حَاكِمٌ. وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ فَلْيَحْمِلْهَا أَوْ لِيَذَرْهَا - كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ - .

وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوا هُتًى وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

﴿١٨٨﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

تَذَلُّوا بِهَا - تَلَقُّوا بِالْخُصُومَةِ فِيهَا ظُلُمًا وَبَاطِلًا .

(يَسْأَلُونَكَ) (مَوَاقِيتُ) (أَبْوَابُهَا)

(١٨٩) - سَأَلَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ الرَّسُولَ ﷺ عَنْ اخْتِلَافِ الْهِلَالِ :
يَكُونُ صَغِيرًا فَيَكْبُرُ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَصْغُرُ . فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ . وَفِيهَا يُجِيبُهُمُ
اللَّهُ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحِكْمَةِ فِي اخْتِلَافِ الْأَهْلَةِ وَفَائِدَتِهِ ، فَأَجِبَهُمْ :
بِأَنَّهَا مَعَالِمٌ لِلنَّاسِ ، يُوقِنُونَ بِهَا أُمُورَ دُنْيَاهُمْ ، فَيَعْلَمُونَ أَوْقَاتَ زُرُوعِهِمْ ،
وَأَجَلَ عُقُودِهِمْ ، وَهِيَ مَعَالِمٌ لِلْعِبَادَاتِ الْمُوقَّتَةِ ، فَيَعْرِفُونَ بِهَا أَوْقَاتَهَا
كَالصَّيَامِ ، وَالْإِفْطَارِ وَالْحَجِّ . . وَلَوْ كَانَ الْهِلَالُ مُلَازِمًا حَالًا وَاحِدًا لَمَا
تَيَسَّرَ التَّوَقُّيتُ بِهِ .

وَكَانَ الْعَرَبُ إِذَا أَحْرَمُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَتَوْا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَقِيلَ أَيْضًا
إِنْ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لِسَفَرِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ بَعْدَ
خُرُوجِهِ أَنْ يَقِيمَ وَيَدْعَ السَّفَرَ ، لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ مِنْ بَابِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَسُورُهُ
مِنْ ظَهْرِهِ . فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِدُخُولِ الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا . وَيَقُولُ تَعَالَى
لِلْمُؤْمِنِينَ إِنْ الْبَرُّ هُوَ التَّقْوَى ، وَلَيْسَ فِي إِتْيَانِ الْبُيُوتِ مِنْ ظُهُورِهَا بَرٌّ ،
وَلَا تَقْوَى . فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَفْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَاتْرَكُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ،
لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ إِذَا وَقَفْتُمْ فِي الْآخِرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْحِسَابِ .

الْأَهْلَةُ - جَمْعُ هِلَالٍ ، وَهُوَ الْقَمَرُ يَكُونُ لِلِلَّيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ
لِأَنَّ النَّاسَ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ حِينَ رُؤْيَتِهِ . وَأَهْلُ الْقَوْمِ
بِالْحَجِّ إِذَا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ .

(وَقَاتِلُوا) (يُقَاتِلُونَكُمْ)

(١٩٠) - هَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ فِي الْمَدِينَةِ . قَالَ بَعْضُ
الْمُفَسِّرِينَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَبِثَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ يُقَاتِلُ مَنْ قَاتَلَهُ ، وَيَكُفُّ
عَمَّنْ كَفَّ عَنْهُ ، حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ التَّوْبَةِ ، وَجَاءَ فِيهَا : ﴿فَأَقْتلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ .﴾ (١) وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي صَلَاحِ
الْحَدِيثِيِّ ، فَقَدْ خَافَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ لَا تَفِي لَهُمْ قُرَيْشٌ بِمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَصُدَّهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِالْقُوَّةِ وَنُقَاتِلَهُمْ ، وَكَرِهَ
الْمُسْلِمُونَ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَفِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ .



١٨٩ يَسْأَلُونَكَ عَنِ

الْأَهْلَةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ
وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى
الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ

١٩٠ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ

يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَأْذُنُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ إِعْزَازًا لِدِينِ اللَّهِ، وَإِعْلَاءَ لِكَلِمَتِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِأَلَّا يَعْتَدُوا فِي ذَلِكَ، وَأَنْ لَا يَبْذُؤُوهُمْ بِالْقِتَالِ .

(وَيَدْخُلُ فِي الْأَعْتِدَاءِ أَرْبَعُ أَشْيَاءَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ كَالْمِثْلَةِ فِي الْقَتْلِ، وَالْغُلُولِ (وَهُوَ اخْتِفَاءُ شَيْءٍ مِنَ الْمَغْنَمِ) ، وَقَتْلُ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَالشُّيُوخِ، وَأَصْحَابِ الصَّوَامِعِ، وَتَحْرِيقِ الْأَشْجَارِ، وَقَتْلِ الْحَيَوَانِ لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ).

(لَا تُقَاتِلُوهُمْ) (حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ) (فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ) (الْكَافِرِينَ)

(١٩١) - الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِيهِ إِزْهَاقٌ لِلْأَنْفُسِ، وَقَتْلٌ لِلرِّجَالِ، لِذَلِكَ نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكَافِرُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، هُوَ أَكْثَرُ مِنَ الْقَتْلِ، لِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: (الشُّرْكُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ). وَنَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِحُرْمَتِهِ، إِلَّا إِذَا بَدَأَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِالْقِتَالِ. فَإِذَا نَشِبَتِ الْحَرْبُ كَانَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قِتَالُهُمْ وَقَتْلُهُمْ حَيْثُمَا وَجَدُوهُمْ، لِأَنَّ هَذَا الْقِتَالَ هُوَ دَفْعٌ لِلْأَعْتِدَاءِ، وَجَزَاءٌ عَلَى نَكثِ الْعَهْدِ، وَعَلَى مُبَاشَرَتِهِمْ بِالْأَعْتِدَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ - إِذَا بَدَأَ الْمُشْرِكُونَ بِالْأَعْتِدَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَاتَلُوهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - بِأَنْ يُخْرِجَ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ مَكَّةَ، كَمَا أَخْرَجُوا الرُّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا، لِأَنَّ قِتْلَهُمُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ بِالْإِيذَاءِ وَالتَّعْذِيبِ وَالْإِخْرَاجِ مِنَ الْوَطَنِ، وَمُضَادَّةِ الْأَمْوَالِ... كُلُّ ذَلِكَ أَشَدُّ قُبْحًا مِنَ الْقَتْلِ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ.

وَأَسْتَنْىَ اللَّهُ مِنْ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، فِي كُلِّ مَكَانٍ أَدْرَكَهُمْ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، إِلَّا أَنْ يُقَاتَلَ فِيهِ وَيُنْتَهَكَ حُرْمَتُهُ، فَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ لَهُ أَمَانٌ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ الْمُعْتَدِينَ.

تَقْتُلُوهُمْ - وَجَدْتُمُوهُمْ وَأَدْرَكْتُمُوهُمْ.

الْفِتْنَةُ - الشُّرْكُ.

(١٩٢) - فَإِذَا تَرَكَ الْكَافِرُونَ الْكُفْرَ، وَأَسْلَمُوا وَتَابُوا فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَحِبُّ مَا قَبْلَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ الَّتِي أُرْتَكِبُوهَا مِنْ قَبْلُ، وَلَوْ كَانُوا قَتَلُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَرَمِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَتَعَاطَمُهُ ذَنْبٌ.

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ

وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ

وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ

وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ

فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ

فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(وَقَاتِلُوهُمْ) (عُدْوَان) (الظَّالِمِينَ)

(١٩٣) - وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِ الْكُفَّارِ حَتَّى لَا تَكُونَ لَهُمْ قُوَّةٌ يَفْتِنُونَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ، وَيَتَمَعَّوْنَهُمْ مِنْ إِظْهَارِهِ، وَالِدَعْوَةِ إِلَيْهِ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ شِرْكٌ، وَحَتَّى تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَدِينُهُ هُوَ الظَّاهِرُ الْعَالِي عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ. فَإِنْ أَنتَهَى الْمُشْرِكُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ الشُّرْكِ، وَكَفُّوا عَنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا سَبِيلَ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى قِتَالِهِمْ، لِأَنَّ الْقِتَالَ إِنَّمَا شَرَعَ لِرُدِّعِ الْكُفْرَ وَالظُّلْمَ وَالْفِتْنَةَ. وَالْعُدْوَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَتَجَاوَزَ الْعَدْلَ.

(الْحُرُمَات)

(١٩٤) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمَ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَهِيَ رَجَبُ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحَرَّمُ، فَالَّذِي يَنْتَهِكُ حُرْمَةَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ جَزَاؤُهُ أَنْ يُحَرَّمَ الضَّمَانَاتِ الَّتِي كَفَلَهَا لَهُ الشَّهْرُ الْحَرَامُ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ وَاحَةً أَمِنْ تَضَانٍ فِيهَا الدِّمَاءُ وَالْأَمْوَالُ وَالْحُرُمَاتُ، وَلَكِنْ مَنْ أَرَادَ الْعُدْوَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، فَقَدْ أَجَارَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ الرَّدَّ عَلَيْهِ بِمِثْلِ عُدْوَانِهِ، بِدُونِ تَجَاوُزٍ وَلَا مُغَالَاةٍ فِي الْمُجَازَاةِ وَالْقِصَاصِ إِذْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالتَّقْوَى، وَذَكَرَهُمْ بِأَنَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ.

وَبِمَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مَنَعُوا الرَّسُولَ ﷺ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ مُعْتَمِرًا فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ لِلْهِجْرَةِ، وَهُوَ شَهْرٌ حَرَامٌ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدْ أَنْتَهَكُوا حُرْمَةَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ بِالصَّدِّ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ بَعْدَ أَنْ أَتَفَقَ مَعَهُمْ، وَجَازَاهُمْ عَلَى أَنْتَهَاكِ حُرْمَةِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

الْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ - أَيُّ يَجِبُ مُقَاصَّةُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى أَنْتَهَاكِ حُرْمَةِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَالْحُرُمَاتُ هِيَ مَا تَجِبُ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ.

(١٩٥) - بَدَّلَ الْأَنْصَارُ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَنُصْرَةَ دِينِهِ، وَأَوَّاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَسَاعَدُوهُمْ، فَلَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، قَالَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ لِبَعْضٍ: لَوْ أَنَّهُمْ أَقْبَلُوا عَلَى أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحُوهَا. فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَفِيهَا يُبَيِّنُ اللَّهُ لَهُمْ أَنَّ الْإِقَامَةَ عَلَى الْأَمْوَالِ، وَإِصْلَاحَهَا، وَتَرْكَ الْعَزْوِ وَالْجِهَادِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... فِيهِ التَّهْلُكَةُ. فَعَادُوا إِلَى الْجِهَادِ، وَإِلَى إِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَفِي وَجْهِهِ الطَّاعَاتِ. وَأَخْبَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ تَرْكَ الْجِهَادِ، وَتَرْكَ الْإِنْفَاقِ، فِيهِ هَلَاكٌ وَدَّمَارٌ لِمَنْ لَزِمَهُ وَاعْتَادَهُ، فَإِذَا بَخِلَ

١٩٣ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ

١٩٤ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ

١٩٥ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَتْلُقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَاحْسِنُوا إِلَى اللَّهِ يَحْسَبِ الْمُحْسِنِينَ

الْمُؤْمِنُونَ، وَقَعَدُوا غَنِ الْجِهَادِ رَكِبَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ وَأَذَلُّوهُمْ، فَكَانَتْهُمْ إِنَّمَا أَلْقُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يُحَسِّنُوا كُلَّ أَعْمَالِهِمْ، وَأَنْ يُجَوِّدُوا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ التَّطَوُّعُ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِشَرِّ الدَّعْوَةِ.

التَّهْلُكَةُ - الْهَلَاكُ بِتَرْكِ الْجِهَادِ وَالْإِنْفَاقِ فِيهِ.

(ثَلَاثَةٌ) (رُؤُوسُكُمْ)

(١٩٦) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِكْمَالِ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، بَعْدَ الشَّرُوعِ فِيهَا، وَذَلِكَ بِإِدَاءِ الْمَنَاسِكِ عَلَى وَجْهِهَا التَّامِ الصَّحِيحِ، وَبِالِإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى دُونَ قَصْدِ الْكَسْبِ وَالتَّجَارَةِ. فَإِنْ مُنِعْتُمْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْبَيْتِ (أَحْصَرْتُمْ) وَتَعَذَّرَ عَلَيْكُمْ إِمَامُهَا، بِسَبَبِ عَدُوٍّ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ رَخَّصَ اللَّهُ لَكُمْ بِأَنْ تَحْلُلُوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ، بِأَنْ تَذْبَحُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْهَدْيِ، ثُمَّ تَحْلُقُوا رُؤُوسَكُمْ. أَمَّا الَّذِينَ لَا يَغْتَرِضُهُمْ مَانِعٌ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُتِمُّوا أَعْمَالَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ. وَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ لَا يَحْلُقُوا رُؤُوسَهُمْ حَتَّى يَفْرَعُوا مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَيَنْحَرُوا هَدْيَهُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَحِلُّ فِيهِ ذَبْحُهُ، وَهُوَ مَكَانُ الْإِحْصَارِ أَوْ الْكَعْبَةِ. فَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ مِنْ قُلٍّ وَغَيْرِهِ، فَقَدْ أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ حَلْقَ شَعْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّ أَعْمَالَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، عَلَى أَنْ يَفْتَدِيَ مِنْ ذَلِكَ بِصِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ إِطْعَامِ سِتَّةِ مَسَاكِينٍ، أَوْ ذَبْحِ شَاةٍ (نُسْكَ) وَتَوَزُّيعِ لَحْمِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ. وَالْمَرِيضُ مُخَيَّرٌ بِأَنْ يَفْعَلَ أَيُّهَا شَاءَ. فَإِذَا تَمَكَّنَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ إِدَاءِ مَنَاسِكِهِمْ (أُمِتُّمُ) فَمَنْ كَانَ مُتَمَتِّعًا بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ (أَيُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَمْتَعَ وَيَتَقَبَّلَ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى وَقْتِ الْإِنْتِفَاعِ بِأَعْمَالِ الْحَجِّ) - وَهَذَا يُشْمَلُ مَنْ أَحْرَمَ بِهِمَا، أَوْ أَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ أَوَّلًا، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا أَحْرَمَ بِالْحَجِّ - فَلْيَذْبَحْ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَدْيِ وَأَقْلَهُ شَاءَ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَذِيًا، أَوْ مَنْ لَمْ يَجِدْ ثَمَنَهُ، فَلْيَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ (أَيُّ فِي الْمَنَاسِكِ)، وَالْأَوَّلَى أَنْ يَصُومَهَا قَبْلَ يَوْمِ عَرَفَةَ. وَمِنَ الْفُقَهَاءِ مَنْ يُجِيزُ صَوْمَهَا مِنْ أَوَّلِ شَوَّالٍ، ثُمَّ يَصُومُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ.

وَالْتَمَتَّ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ خَاصٌّ بِأَهْلِ الْآفَاقِ، أَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِمْ إِذَا تَمَتَّعُوا. وَأَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّقْوَى فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاَهُمْ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُمْ بِأَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَارْتَكَبَ مَا نَهَى عَنْهُ.

﴿١٩٦﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلُقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا أُمِيتُمْ فَمَنْ تَمَنَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

أَحْصَرْتُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ
وَلَا تَحْلُقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ
مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ
أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ
أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا أُمِيتُمْ فَمَنْ
تَمَنَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ مَا اسْتَيْسَرَ
مِنْ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ
عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ
أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ

الْهَدْيُ - هُوَ مَا يُهْدَى إِلَى الْكَعْبَةِ مِنَ الذَّبَائِحِ ، بِعِيرٍ أَوْ بَقَرَةٍ أَوْ شَاةٍ ،
وَيَتَصَدَّقُ بِاللَّحْمِ عَلَى الْمَسَاكِينِ .

أُخْصِرْتُمْ - مُنِعْتُمْ مِنْ إِيْتَامِ مَنْاسِكَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ .

فَمَا اسْتَيْسَرَ - مَا تيسَّرَ .

لَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ - لَا تَحْلِلُوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ بِحَلْقِ شُعُورِكُمْ .

يَبْلُغُ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ - مَكَانَ وَجُوبِ ذَبْحِهِ وَهُوَ الْحَرَمُ أَوْ مَكَانُ الْإِخْصَارِ .

نُسُكٌ - ذَبِيحَةٌ وَيُرَادُ بِهَا هُنَا شَاةٌ .

(مَعْلُومَاتُ) (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)

(١٩٧) - لِإِذَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ أَشْهُرُ مَعْلُومَاتٍ لَدَى النَّاسِ هِيَ سُؤَالٌ وَدُؤُ

الْقَعْدَةِ وَدُؤُ الْحِجَّةِ . فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُحْرِمَ بِالْحَجِّ إِلَّا فِي هَذِهِ
الشُّهُورِ . فَمَنْ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ حَجًّا بِإِحْرَامِهِ - وَالْفَرَضُ هُنَا هُوَ الْإِحْرَامُ

- فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْجَمَاعَ وَدَوَاعِيَهُ (الرَّفَثَ) ، وَالْمَعَاصِيَ (الْفُسُوقَ) ،
وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْجِدَالَ وَالْمُخَاصَمَةَ وَالْمَلَاخَاةَ فِي الْحَجِّ . وَبِحُثِّ اللَّهِ

الْمُؤْمِنِينَ عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ ، وَتَرْكِ الرَّفَثِ وَالْفُسُوقِ وَالْجِدَالِ ، لِيَتَصَفَّوْا
نَفُوسَهُمْ ، وَتَتَحَلَّى عَنِ الرَّذَائِلِ ، وَتَتَحَلَّى بِالْفَضَائِلِ . ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ تَعَالَى
بِأَنَّهُ عَالَمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ، وَأَنَّهُ سَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ . الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَجَّ بِالتَّزَوُّدِ لِلطَّرِيقِ لِكَيْ
يَكْفُوا وَجُوهَهُمْ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ ، لِأَنَّ أَنَاسًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ
كَانُوا يَحْجُونَ مِنْ غَيْرِ زَادٍ . وَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ خَيْرَ زَادٍ الْمُؤْمِنِ
لِلْآخِرَةِ هُوَ التَّقْوَى ، وَفِعْلُ الْجَمِيلِ . ثُمَّ حَذَّرَ اللَّهُ ذَوِي الْعُقُولِ
وَالْأَفْهَامِ مِنْ عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ .

فَرَضَ - أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِالْإِحْرَامِ .

فَلَا رَفَثَ - لَا وَقَاعَ وَلَا فُحْشَ فِي الْقَوْلِ .

(عَرَفَاتٍ) (هَذَاكُمْ)

(١٩٨) - طَلَّنَ الْمُسْلِمُونَ فِي بِلَادِهِمْ أَمْرَهُمْ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي اتِّجَارِهِمْ أَيَّامٌ

مَوْسِمِ الْحَجِّ إِنَّهُمْ . إِذْ كَانَ الْعَرَبُ يَتَجَرَّوْنَ فِي أَسْوَاقِ عُكَاظٍ وَمَجَنَّةٍ وَذِي
الْمَجَازِ . فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ لِإِشْعَارِ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُ لَا إِنَّهُمْ ، وَلَا حَرَجَ

عَلَيْهِمْ ، إِنْ اتَّجَرُوا وَابْتَنَعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ . (أَيُّ رِبْحًا مِنْ رَبِّهِمْ
بِالتَّجَارَةِ ، عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ الْكَسْبُ وَالرَّيْبُ هُمَا الْمَقْصُودَيْنِ بِالذَّاتِ) .

١٩٧ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ

فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ

وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي

الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ

يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ

خَيْرَ الزَّادِ النَّفْقَى وَاتَّقُوا

يَا أُولِي الْأَلْبَابِ

١٩٨ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ

تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ

فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ

عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ

عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ

فَإِذَا أَفَاضَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عَرَفَاتٍ، بَعْدَ الْوُقُوفِ بِهَا مِنْ زَوَالِ الْيَوْمِ
التَّاسِعِ إِلَى مَا قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ (وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ هُوَ
عُمْدَةُ الْحَجِّ)، فَيَتَوَقَّفُونَ، وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى مِنًى، فِي الْمُزْدَلِفَةِ -
وَهِيَ الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ، (وَالْمَشَاعِرُ هِيَ الْمَعَالِمُ الظَّاهِرَةُ) - لِيَذْكُرُوا اللَّهَ
عَلَى مَا هَدَاهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ أُمُورِ دِينِهِمْ، وَمَشَاعِرِ حُجَّتِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ
هَذِهِ الْهَدَى اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الضَّالِّينَ.

الْجُنَاحُ - الْحَرْجُ أَوْ الْإِثْمُ - وَالْجُنَاحُ مِنَ الْجُنُوحِ وَهُوَ الْمِيلُ عَنِ الْقَصْدِ.
فَضْلًا - رِزْقًا بِالتَّجَارَةِ.

أَفْضَيْتُمْ - دَفَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَسِرْتُمْ.

الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ - الْمُزْدَلِفَةُ.

(١٩٩) - رَوَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا وَمَنْ وَالَاهَا
مِنْ كِنَانَةٍ وَجُدَيْلَةٍ وَقَيْسٍ، كَانُوا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ تَرْفَعًا عَنِ الْوُقُوفِ مَعَ
النَّاسِ فِي عَرَفَاتٍ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ بِالْحُمْسِ، أَيْ الشَّدِيدِ التَّصَلُّبِ
فِي الدِّينِ، أَمَّا سَائِرُ الْعَرَبِ فَتَقِفُ فِي عَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَمَرَ اللَّهُ
نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ ثُمَّ يَقِفَ بِهَا مَعَ النَّاسِ، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا.
وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَيَذْكُرِ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِينِ
الْمُبَارَكَةِ.

(مَنَاسِكُكُمْ) (آبَاءُكُمْ) (آتِنَا) (خَلَاقٍ)

(٢٠٠) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْإِكْتِسَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ بَعْدَ
قَضَاءِ الْمَنَاسِكِ وَالْفَرَاعِ مِنْهَا. وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ إِنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
كَانُوا يَقِفُونَ فِي الْمَوْسِمِ يَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: كَانَ أَبِي يُطْعِمُ وَيَحْمِلُ
الدِّيَابَ... إلخ لَيْسَ لَهُمْ هُمْ غَيْرُ ذِكْرِ فَعَالِ آبَائِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ
الآيَةَ، وَأَرْشَدَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دُعَائِهِ بَعْدَ ذِكْرِهِ كَثِيرًا، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ
مُظَنَّةٍ إِبْرَاجِيَّةٍ الدُّعَاءِ. وَذَمَّ اللَّهُ الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ إِلَّا فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ وَهُمْ
مُعْرِضُونَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِمْ، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِهِ.

الْخَلَاقُ - النَّصِيبُ أَوْ الْحِظُّ.

الْمَنَاسِكُ - مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الْحَاجِّ الْقِيَامُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ.

(آتِنَا) (الْآخِرَةَ)

(٢٠١) - وَإِلَى جَانِبِ أُولَئِكَ الْمُهْتَمِّينَ بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَقَطْ، آخِرُونَ يَهْتَمُّونَ

وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ
وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ
الضَّالِّينَ

﴿١٩٩﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٢٠٠﴾ فَإِذَا أَقَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ
ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ
يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا
وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلْقٍ

﴿٢٠١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا
آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً

بِأَمْرِ الْآخِرَةِ إِلَى جَانِبِ أَهْتِمَامِهِمْ بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً (وَتَشْمَلُ كُلَّ مَطْلَبٍ دُنْيَوِيٍّ) وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً (وَتَشْمَلُ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ)، وَهَذَا يَقْتَضِي تَبْيِيسَ أَسْبَابِهِ فِي الدُّنْيَا: مِنْ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ وَالْآثَامِ، وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ وَالْمُحْرَمَاتِ.

(أُولَئِكَ)

(٢٠٢) - وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا بِالطَّلَبِ وَالرُّكُونِ إِلَى اللَّهِ، لَا يُبْطِئُ عَلَيْهِمْ، فَاللَّهُ تَعَالَى سَرِيعُ الْحِسَابِ، وَهُوَ يَجْزِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.

(مَعْدُودَاتٍ)

(٢٠٣) - الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ هِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ (يَوْمُ النَّحْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَهُ - وَهِيَ أَيَّامُ رَمِي الْجِمَارِ) فَكَبَرُوا اللَّهَ بَعْدَ صَلَوَاتِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. ثُمَّ أَشَارَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِلَى النَّفَرِ مِنْ مِئَةِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ - أَيُّ ثَالِثِ أَيَّامِ الْعِيدِ - قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، عَلَى قَوْلِ الْأَيْمَةِ الثَّلَاثَةِ، وَقَبْلَ فَجْرِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ عَلَى قَوْلِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَبِذَلِكَ يَسْقُطُ عَنْهُ، رَمِي الْجِمَارِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ أَيَّامِ الْعِيدِ، وَلَا إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَمَنْ بَقِيَ إِلَى الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَلَا إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ. فَالْمُهْمُ فِي الْأَمْرِ مَرَاقِبَةُ الْمَرْءِ تَقَرَّى اللَّهُ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَيُعَلِّمُهُمْ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ يَوْمَ الْحَشْرِ.

(الْحَيَاةِ)

(٢٠٤) - وَهَنَاكَ أَنْاسٌ مُنَافِقُونَ تُعْجِبُ الْمَرْءَ حَلَاوَةُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَيَتَظَاهَرُونَ بِالْوَرَعِ وَطِيبِ السَّرِيرَةِ، وَيُشْهَدُونَ اللَّهَ عَلَى صِدْقِ طَوْبِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَقُلُوبُهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، فَهُمْ يَقُولُونَ حَسَنًا، وَيَفْعَلُونَ سَيِّئًا، وَهُمْ شَدِيدُو الْجَدَلِ، لَا يُعْجِزُهُمْ أَنْ يَغْشُوا النَّاسَ بِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمِيلِ إِلَى الْإِصْلَاحِ.

أَلَدُ الْخِصَامِ - شَدِيدُ الْخُصُومَةِ فِي الْبَاطِلِ.

(٢٠٥) - فَإِذَا انْتَصَرَفَ الْوَاحِدُ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَى الْعَمَلِ، أَوْ إِذَا تَوَلَّى وَلَايَةً يَكُونُ لَهُ فِيهَا سُلْطَانٌ، اتَّجَهَ إِلَى الشَّرِّ وَالْفَسَادِ فِي قِسْوَةِ وَجْهٍ، تَتَمَثَّلُ فِي إِهْلَاكِ النَّبَاتِ وَالْحَرْتِ، وَإِتْلَافِ النَّسْلِ الَّذِي يُمَثِّلُ أَمْتِدَادَ الْحَيَاةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْرَهُ الْفَسَادَ وَالْمُفْسِدِينَ.

الْحَرْتُ - الزَّرْعُ.

وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ

﴿٢٠٢﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا
كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ

﴿٢٠٣﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي
الْحَرْثِ ٤

أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ
تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ
وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ لَمْ
أَتَقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

﴿٢٠٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ
قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ
اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ
الْخِصَامِ

﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ
لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ

(٢٠٦) - فَإِذَا أَخْرَجَ هَذَا الْمُنَافِقُ حَفْدَهُ عَنْ طَرِيقِ التَّخْرِيبِ وَالْفَسَادِ، وَقِيلَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ وَأَتَى اللَّهَ، وَأَسْتَحِ مِنْهُ، أَسْتَعِزُّ بِالْإِنَّمِ وَالْخَطِيئَةِ. وَرَفَعَ رَأْسَهُ فِي وَجْهِ الْحَقِّ. فَإِنْ يَفْعَلْ هَذَا الْمُنَافِقُ ذَلِكَ فَجَهَنَّمَ حَسْبُهُ، وَفِيهَا الْكَفَايَةُ لَهُ، وَهِيَ بِشَرِّ الْمَقَرِّ وَالْمِهَادُ لَهُ، وَهِيَ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى عَلَى أَعْمَالِهِ وَأَتَائِهِ. حَسْبُهُ - يَكْفِيهِ نَارُ جَهَنَّمَ جَزَاءً.

(مَرْضَاة) (رُؤُوف)

(٢٠٧) - وَهَذَا آخَرُونَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ، وَلَا غَايَةَ لَهُمْ مِنْ هَذَا الْبَيْعِ إِلَّا مَرْضَاةَ اللَّهِ، فَمَا أَبْعَدَ الْفَرْقَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَاللَّهُ رُؤُوفٌ بِعِبَادِهِ.

وَيُرَوَّى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي صُحَيْبِ الرُّومِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ خَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ، فَلَحَقَتْ بِهِ قُرَيْشٌ، وَقَالُوا لَهُ: أَتَيْنَا صُغْلُوكَ لَا مَالَ لَكَ، وَتَخْرُجُ عَنَّا أَنْتَ وَمَالُكَ، فَهَذَا لَنْ يَكُونَ. فَقَالَ لَهُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَرَكْتُ لَكُمْ مَالِي أَتَخْلُونُ عَنِّي؟ فَقَالُوا نَعَمْ. فَذَلَّهِمْ عَلَى مَالِهِ فِي مَكَّةَ، وَتَرَكُوهُ يَذْهَبُ. فَلَمَّا وَصَلَ الْمَدِينَةَ وَأَخْبَرَ الرَّسُولَ بِأَمْرِهِ قَالَ: رِبْحَ الْبَيْعِ، رِبْحَ الْبَيْعِ. الشَّرَاءُ هُنَا - بِمَعْنَى الْبَيْعِ.

(آمَنُوا) (خُطُوبَاتٍ) (الشَّيْطَانِ) (يَا أَيُّهَا)

(٢٠٨) - يَدْعُو اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَخْذِ بِجَمِيعِ عُرَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، وَالْعَمَلِ بِجَمِيعِ أَوْامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، وَيُرِيدُهُمْ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِتِّفَاقُ وَالْإِتِّحَادُ، لَا التَّفَرُّقُ وَالْإِنْقِسَامُ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً، أَيَّ أَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ). ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَجْتَنِبُوا مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ لِأَنَّهُ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، وَيَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ، وَلِهَذَا كَانَ الشَّيْطَانُ عَدُوًّا بَيْنَ الْعَدَاوَةِ لِلْإِنْسَانِ.

فِي السَّلَامِ كَافَّةً - فِي الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ كُلِّهَا.

خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ - طُرُقُهُ وَأَعْمَالُهُ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ

(الْبَيِّنَاتُ)

(٢٠٩) - فَإِنْ عَدَلْتُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجَدْتُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي دَعَاكُمْ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ السَّلْمُ، وَسِرَّتُمْ فِي طَرِيقِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ طَرِيقُ الْخِلَافِ وَالْإِفْتِرَاقِ، بَعْدَ مَا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى أَنَّ صِرَاطَ اللَّهِ هُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ فِي آتِنَاقِهِ، لَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، حَكِيمٌ فِي أَحْكَامِهِ، وَفِي نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ.

رَلْتُمْ - وَقَعْتُمْ فِي الْخَطَا، وَجَدْتُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

(وَالْمَلَائِكَةُ)

(٢١٠) - وَيُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُخَالِفِينَ مِنْ عَاقِبَةِ الْإِنْجِرَافِ عَنِ الدُّخُولِ فِي السَّلْمِ، وَالِاسْتِمْرَارِ فِي اتِّبَاعِ خُطُوبِ الشَّيْطَانِ. ثُمَّ يَسْأَلُهُمْ، مُسْتَكْبِرًا تَرُدُّدَهُمْ فِي الْاسْتِجَابَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ: مَا الَّذِي يَنْتَظِرُونَ، وَمَاذَا يَتَرَقَّبُونَ؟ وَهَلْ سَيَقُونَ فِي تَرُدُّدِهِمْ حَتَّى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ يَوْمَ يَأْتِي اللَّهُ تَعَالَى فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ لِمَحَاسِبَةِ الْخَلَائِقِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَتَوْفِيَّتِهِمْ جَزَاءَهُمُ الْعَادِلِ.

وَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ صَفًّا لِتَنْفِذِ مَا قَضَاهُ اللَّهُ وَيَقْفُونَ لَا يَتَكَلَّمُونَ.

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَجِدُ الْمُتَرَدِّدُونَ أَنَّ الْأَمْرَ قُضِيَ، وَفَاتَتْ فُرْصَةَ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ، وَعَزَّتِ النُّجَاةُ، وَوَفَّقُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَيَضَعُ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَضَاهُ.

ظَلَّلَ مِنَ الْغَمَامِ - طَافَاتِ مِنَ السَّحَابِ الْأَبْيَضِ الرُّوْقِيِّ.

(بَنِي إِسْرَائِيلَ) (أَتَيْنَاهُمْ) (آيَةٌ)

(٢١١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَاهَدُوا مَعَ مُوسَى أَكْثَرَ مِنْ حُجَّةٍ قَاطِعَةٍ (آيَةٍ) تَشْهَدُ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ أَعْرَضُوا عَنْهَا، وَاسْتَبَدَّلُوا بِالْإِيمَانِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْكُفْرَ بِهَا، وَالْإِعْرَاضَ عَنْهَا، وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَإِنَّ اللَّهَ ذُو عِقَابٍ شَدِيدٍ الِيمِ.

(الْحَيَاةُ) (أَمْنُوا) (الْقِيَامَةُ)

(٢١٢) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ زَيْنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَحَسَنَهَا فِي أَعْيُنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ رَضُوا بِهَا، وَجَمَعُوا الْأَمْوَالَ، وَمَتَّعُوا أَنْفُسَهُمْ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَسَخَرُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَخَرُوهَا، وَأَتَّقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ رَبِّهِمْ، فَفَازُوا بِالْمَقَامِ

فَإِنْ رَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَكْمُ الْبَيِّنَاتِ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يَبْدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ

بَعْرِ حِسَابٍ

الْأَوَّلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَكَانُوا بِذَلِكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَيُعْطِي اللَّهُ مَنْ يُرِيدُ مِنْ خَلْقِهِ عَطَاءً جَزِيلًا بِلَا حَصْرٍ وَلَا تَعْدَادٍ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّ الرِّزْقَ لَا يَقْدَرُ عَلَى حِسَابِ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، بَلْ يَجْرِي تَبَعًا لِمَشِيئَةِ اللَّهِ، فَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَزَادُ لَهُ الرِّزْقُ اسْتِدْرَاجًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَرِ عَلَيْهِ اخْتِبَارًا. بَعْرِ حِسَابٍ - بِلَا تَحْدِيدٍ وَلَا تَقْيِيرٍ.

(وَاحِدَةً) (النَّبِيِّينَ) (الْكِتَابِ) (الْبَيِّنَاتِ) (آمَنُوا) (صِرَاطِ)

(٢١٣) - كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً مَتَّفِقَةً عَلَى مِلَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمَّا تَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدُ تَطَرَّقَ الرِّبُّ وَالشَّرْكُ إِلَى عَقَائِدِهِمْ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَذَاهِبِ وَالْآرَاءِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ فَكَانَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ بِالْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمُنْذِرِينَ بِحُجُوبِ عَمَلٍ مِنْ أَتْبَعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي الْعَاقِبَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْعَثُ الْأَنْبِيَاءَ لِيُنْهَوْا أَقْوَامَهُمْ إِلَى مَا غَفَلُوا عَنْهُ، وَيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ سَيِّئِ الْعَادَاتِ، وَيُبَيِّحُ الْأَعْمَالِ. وَكِتَابُ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. وَقَدْ قَامَ الْاِخْتِلَافُ بَيْنَ النَّاسِ بِسَبَبِ الْاِخْتِلَافِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الرُّؤَسَاءِ وَالْأَحْبَارِ وَالْعُلَمَاءِ الْقَائِمِينَ عَلَى الدِّينِ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ سَبَبُ الْاِخْتِلَافِ هَذَا هُوَ الْبَغْيُ وَتَعَدِّي الْحُدُودِ الَّتِي أَقَامَهَا الدِّينُ حَوَاجِزَ بَيْنَ النَّاسِ.

وَقَدْ هَدَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ، فَوَصَّلُوا إِلَى مَا يُرْضِي رَبَّهُمْ. فَلَا إِيْمَانُ الصَّحِيحُ نُوْرٌ يَسْتَطِيعُ فِي الْعُقُولِ فَيَهْدِيهَا فِي ظُلُمَاتِ الشُّبُهَةِ وَالضَّلَالَةِ، وَيُضِيءُ السَّبِيلَ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي لَا يَخَالِفُهُ بَاطِلٌ، فَالْمُؤْمِنُ هَادِيءُ الْقَلْبِ، مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ فِي أَضْطِرَابٍ وَقَلَقٍ وَخُرُوبٍ، أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنْعَمَ اللَّهُ فَقَدْ عَوِقُوا عَلَى هَذَا الْكُفْرِ بِفَسَادِ الشَّرِّ، وَفَسَادِ الْأَمْرِ، وَأَضْطِرَابِ النَّفْسِ. بَغْيًا يَنْهَاهُمْ - حَسَدًا وَظُلْمًا يَنْهَاهُمْ.

(آمَنُوا)

(٢١٤) - يُخَاطَبُ اللَّهُ الَّذِينَ هَدَاهُمْ إِلَى السَّلَامِ، وَإِلَى الْخُرُوجِ مِنْ ظُلْمَةِ الْاِخْتِلَافِ، إِلَى نُورِ الْوِفَاقِ، بِاتِّبَاعِهِمْ هَذِيَ الْكِتَابِ زَمَنَ التَّنْزِيلِ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ مِنْهُمْ أَنَّ اتِّبَاعَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فِيهِ الْكِفَايَةُ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ دُونَ أَنْ يَتَحَمَّلُوا الشَّدَائِدَ وَالْأَذَى فِي سَبِيلِ الْحَقِّ،

(٢١٣) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ

النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا
فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ

أُوْتُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ
مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ

يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

(٢١٤) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ

وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ

وَرَزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ
أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ

وَهَدَايَةَ الْخَلْقِ، جَهْلًا مِنْهُمْ سُنَّةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْهُدَى مُنْذُ أَنْ
خَلَقَهُمْ. فَقَوْلُ لَهُمْ: هَلْ تَحْسِبُونَ أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَلِيلًا أَنْ تُبْتَلَوْا
وَتُخْتَبَرُوا كَمَا فَعَلَ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأَمَمِ الَّذِينَ ابْتُلُوا بِالْفَقْرِ
(الْبَأْسَاءِ)، وَبِالْأَسْقَامِ وَالْأَمْرَاضِ (الضَّرَاءِ)، وَخُوفُوا وَهَدَدُوا مِنْ
الْأَعْدَاءِ، (زُلْزَلُوا)، وَامْتَحِنُوا امْتِحَانًا عَظِيمًا، وَاشْتَدَّتْ الْأُمُورُ بِهِمْ حَتَّى
تَسْأَلَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ: مَتَى يَأْتِي نَصْرُ اللَّهِ؟

وَحِينَمَا تَثْبُتَ الْقُلُوبُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْمِحْنِ الْمُزْلِزَةِ، حِينَئِذٍ تَتِمُّ كَلِمَةُ
اللَّهِ، وَيَجِيءُ نَصْرُهُ الَّذِي يَذْخِرُهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَسْتَقِيمُونَ
أَنْ لَا نَصْرَ إِلَّا نَصْرُ اللَّهِ.

مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا - خَالَ الَّذِينَ مَضَوْا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

الْبَأْسَاءُ - الْبُؤْسُ وَالْفَقْرُ.

الضَّرَاءُ - الْمَرَضُ وَالْأَلَمُ.

زُلْزَلُوا - أَزْجَعُوا إِزْجَاجًا شَدِيدًا.

(يَسْأَلُونَكَ) (فَلِلَّوَالِدَيْنِ) (وَالْيَتَامَى) (وَالْمَسَاكِينِ)

(٢١٥) - يَسْأَلُكَ الْمُؤْمِنُونَ: كَيْفَ يُنْفَقُونَ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَتَصَدَّقُونَ؟
وَعَلَى مَنْ يَتَصَدَّقُونَ؟ فَأَجِبْهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: أَنْ يُنْفِقُوا مَا تَسَّرَ لَهُمْ عَلَى
الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ؛ وَأَيُّ فِعْلٍ
مَعْرُوفٍ، وَأَيُّ نَفَقَةٍ تُنْفِقُونَهَا فِي وَجْهِ الْبِرِّ وَالطَّاعَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِهَا،
وَسَيَجْزِي عَلَيْهَا فَاعْلِهَا أَوْفَرَ الْجَزَاءِ، وَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.
وَالْإِنْفَاقُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْمَالِ الطَّيِّبِ الْحَلَالِ.

(٢١٦) - كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِنْفَاقِ عَلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ لِحِمَايَةِ
الْمُجْتَمَعِ مِنْ دَاخِلِهِ، كَذَلِكَ فَرَضَ اللَّهُ الْجِهَادَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،
وَمَحَارَبَةَ أَعْدَاءِ الدِّينِ، لِيَكْفُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ شَرَّ أَعْدَائِهَا.
وَالْجِهَادُ فَرَضٌ كِفَايَةٌ إِذَا قَامَ بِهِ بَعْضُ الْأُمَّةِ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ، وَالْجِهَادُ
وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ غَزَا أَوْ قَعَدَ، فَالْقَاعِدُ عَلَيْهِ أَنْ يُعِينَ إِذَا اسْتَعَانَ بِهِ
النَّاسُ، وَأَنْ يُعِثَّ إِذَا اسْتَعَاثُوا بِهِ، وَأَنْ يَنْفِرَ إِذَا اسْتَنْفَرَ.

وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ الْجِهَادَ فِيهِ كُرْهُ وَمَشَقَّةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ، مِنْ تَحْمِلِ
مَشَقَّةِ السَّفَرِ، إِلَى مَخَاطِرِ الْحُرُوبِ وَمَا فِيهَا مِنْ جَرْحٍ وَقَتْلِ وَأَسْرِ،
وَتَرْكِ لِلْعِيَالِ، وَتَرْكِ لِلتَّجَارَةِ وَالصَّنْعَةِ وَالْعَمَلِ... إلخ، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ

٤١٥ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ

مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا نَفَعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

٤١٦ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ

كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى
أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ

فِيهِ الْخَيْرُ لِأَنَّهُ قَدْ يَغْنَبُهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ بِالْأَعْدَاءِ، وَالْأَسْتِيْلَاءُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَبِلَادِهِمْ. وَقَدْ يُحِبُّ الْمَرْءُ شَيْئًا وَهُوَ شَرُّ لَهُ، وَمِنَهُ الْقُعُودُ عَنِ الْجِهَادِ، فَقَدْ يَغْنَبُهُ أَسْتِيْلَاءُ الْأَعْدَاءِ عَلَى الْبِلَادِ وَالْحُكْمِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْلَمُهَا الْعِبَادُ.

تُكْرَهُ لَكُمْ - مَكْرُوهٌ لَكُمْ طَبْعًا.

(يَسْأَلُونَكَ) (يُقَاتِلُونَكُمْ) (اسْتَطَاعُوا) (فَأُولَئِكَ) (أَعْمَالُهُمْ)
(أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٢١٧) - بَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ عَلَى سَرِيَّةٍ وَأَمَرَهَا بِأَمْرِ، فَلَقِيَتْ السَّرِيَّةُ أَبْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلَتْهُ، وَلَمْ يَعْرِفْ رِجَالُ السَّرِيَّةِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ مِنْ رَجَبٍ أَوْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ: قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَفِيهَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ لِلْمُشْرِكِينَ: إِنْ الْقِتَالُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ أَمْرٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِهِ، وَجُرْمٌ عَظِيمٌ، وَلَكِنَّهُ إِذَا ارْتَكَبَ لِإِزَالَةِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، كَانَ لَهُ مَا يَبْرِزُهُ، وَإِنْ مَا فَعَلَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَمُحَاوَلَةِ فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِم بِالْتَّعْذِيبِ وَالتَّهْدِيدِ، وَإِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَكَّةَ. كُلُّ ذَلِكَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْتِنُونَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِم بِالْتَّعْذِيبِ وَالْإِخَافَةِ لِيَرُدُّوهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، وَهَذَا أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقَتْلِ، وَهُمْ مَا زَالُوا مُقِيمِينَ عَلَى الْكُفْرِ، وَعَلَى مُحَاوَلَةِ فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ لِيَرُدُّوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا، وَعَلَى مُحَاوَلَةِ مَنَعِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْإِنْتِشَارِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ، إِنْ أَمَكْنَهُمْ ذَلِكَ، لِاسْتِحْكَامِ عَدَاوَتِهِم لِلْمُسْلِمِينَ. وَيُهَدِّدُ اللَّهُ مَنْ يَضَعُفُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمَامَ هِمَجَاتِهِمْ، وَمُحَاوَلَاتِهِمْ وَإِغْرَاءَاتِهِمْ فَيَرْتَدُّ عَنْ دِينِهِ، ثُمَّ يَمُوتُ وَهُوَ كَافِرٌ، بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْأَبَدِيِّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَبِحُبُوطِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ - مُسْتَكْبَرٌ عَظِيمٌ الْوُزَرِ.

الْفِتْنَةُ - الشَّرُّ وَالظُّلْمُ وَالْكُفْرُ بِاللَّهِ.

حَبِطَتْ - هَلَكَتْ وَبَطَلَتْ.

(آمَنُوا) (وَجَاهَدُوا) (أُولَئِكَ) (رَحْمَةً)

(٢١٨) - يَعُدُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ دَفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمُ الصَّادِقُ إِلَى

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ

وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ

أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ

وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ

وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى

يُرَدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ

اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ

مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَصِمَتْ وَهُوَ

كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

الْهَجْرَةَ، وَإِلَى الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِنَصْرِ دِينِ اللَّهِ، وَرَدِّ أَذَى الْكُفَّارِ، وَإِلَى الصَّبْرِ عَلَى مَا يُصِيبُهُمْ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، بِأَحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: النَّصْرِ أَوْ الشَّهَادَةِ، وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الصَّابِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ رَبِّهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ رَجَاءَهُمْ، وَهُوَ أَسْعَى الْمَغْفِرَةِ لِلثَّائِبِينَ الْمُسْتَغْفِرِينَ، عَظِيمُ الرَّحْمَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ.

(يَسْأَلُونَكَ) (وَمَنَافِعُ) (وَيَسْأَلُونَكَ) (الآيَاتُ)

(٢١٩) - جَاءَ الرَّسُولُ ﷺ الْمَدِينَةَ وَكَانَ النَّاسُ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ. وَالْخَمْرُ عِنْدَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ هِيَ كُلُّ مَا اسْكُرَّ.

وَكَانَ الْعَرَبُ يَعْرِفُونَ لَعِبَ الْمَيْسِرِ (أَيَ الْقِمَارِ) وَيُمَارِسُونَهُ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَهُ وَسِيلَةً لِمُسَاعَدَةِ الْفُقَرَاءِ وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَلْعَبُ الْمَيْسِرَ بِقِدَاحٍ (وَالْقِدْحُ هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ كَالْقَلَمِ أَوْ السَّهْمِ) وَالْقِدَاحُ عَشْرَةٌ كُتِبَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا اسْمٌ، فَمِنْ هَذِهِ الْقِدَاحِ مَا يَرَبِّحُ رِبْحًا عَظِيمًا، وَمِنْهَا مَا يَرَبِّحُ رِبْحًا مُتَوَسِّطًا، وَمِنْهَا مَا لَا يَرَبِّحُ وَهِيَ ثَلَاثَةُ قِدَاحٍ (الْمَنِيعُ وَالسَّفِيحُ وَالْوَعْدُ). فَمَنْ خَرَجَ لَهُ سَهْمٌ رَابِعٌ أَخَذَ نَصِيبًا مِنَ الْجَزُورِ (وَهُوَ الْبَعِيرُ الْمَذْبُوحُ) يُقَابِلُ الْأَسْهَمَ الْمُخَصَّصَةَ لِقِدْحِهِ.

وَمَنْ خَرَجَ لَهُ سَهْمٌ غَيْرُ رَابِعٍ غَرِمَ ثَمَنَ الْجَزُورِ، وَلَا يَأْخُذُ شَيْئًا. وَكَانَ الْمُقَامِرُونَ لَا يَأْخُذُونَ شَيْئًا مِنَ الرَّبْحِ لِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّمَا يُورَعُونَهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ. وَكَانَ الْعَرَبُ يَعْثُونَ عَلَى مَنْ لَا يُمَارِسُ الْقِمَارَ، وَيُسَمُّونَهُ الْوَعْدَ. وَتَطَوَّرَ لَعِبُ الْمَيْسِرِ فَشَمَلَ صُورًا أُخْرَى، وَأَصْبَحَتْ لَهُ غَايَاتُ أُخْرَى غَيْرُ الْإِنْفَاقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَاصْبَحَ الْمُقَامِرُ يَسْعَى وَرَاءَ نَفْعٍ نَفْسِيٍّ. وَقَدْ سَأَلَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ حُكْمِ تَنَاوُلِ الْخَمْرِ وَبَيْعِهَا، وَعَنْ حُكْمِ لَعِبِ الْمَيْسِرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

أَمَّا إِثْمُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ فَهُوَ فِي الدِّينِ، أَمَّا الْمَنَافِعُ فَهِيَ دُنْيَوِيَّةٌ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْمَنَافِعَ لَا تَوَازِي الْمَضَارَّ الْوَاضِحَةَ لِتَعَلُّقِهَا بِالْعَقْلِ وَالِدِّينِ (فَلِإِثْمِهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا).

أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ



يَسْأَلُونَكَ عَنِ

الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ أَلْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَنْفَكُونَ

وَسَأَلَ الْمُسْلِمُونَ الرَّسُولَ ﷺ مَاذَا يُنْفِقُونَ؟ فَاجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى قَائِلًا:
(الْعَفْوُ) أَيُّ مَا يَسْهُلُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِنْفَاقُهُ مِمَّا يَفِضُ عَنْ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ،
وَحَاجَةِ عِيَالِهِ، وَذَوِي قُرْبَاهُ. (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ
عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ).
وَكَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ الْآيَاتِ فِي أَحْكَامِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَشُؤْنَهُمَا مَعًا، فَتَجْتَمِعَ مَصَالِحُ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ،
وَتَكُونُوا أُمَّةً وَسَطًا لَا تَتَهَالَكُ عَلَى الدُّنْيَا وَتَنْسَى الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَى الدُّنْيَا
لَأَنَّ الدُّنْيَا مَرْغَعَةُ الْآخِرَةِ.

الميسر - القمار.

الْعَفْوُ - مَا فَضِّلَ عَنِ الْحَاجَةِ.

(الْآخِرَةُ) (وَيَسْأَلُونَكَ) (الْيَتَامَى) (فَإِخْوَانُكُمْ)

(٢٢٠) - وَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١) وَقَوْلَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٢)، أَنْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ فَجَعَلَ يَقْضِلُ لَهُ الشَّيْءَ مِنْ طَعَامِهِ فَيَحْبِسُهُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَقْضِدَ. فَاسْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَذَكَرُوهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَمَعْنَاهَا: إِنَّ عَزْلَ مَالِهِمْ خَيْرٌ، وَمُخَالَطَتُهُمْ خَيْرٌ، لِأَنَّهُمْ إِخْوَانٌ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ نَوَايَا النَّاسِ، مَنْ يَقْضِدُ الْإِفْسَادَ مِنْهُمْ، وَمَنْ يَقْضِدُ الْإِصْلَاحَ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَضَيَّقَ عَلَى النَّاسِ، وَأَخْرَجَهُمْ، وَلَكِنَّهُ وَاسِعٌ فَوْسَعَ عَلَيْهِمْ، وَخَفَّفَ عَنْهُمْ، وَأَبَاحَ لَهُمْ مُخَالَطَةَ الْيَتَامَى بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَمُعَامَلَتَهُمْ مُعَامَلَةَ الْإِخْوَةِ، وَعَفَا عَمَّا جَرَى الْعُرْفُ بِهِ مِنَ الْمُسَامَحَةِ فِيهِ، إِذْ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ الْخُلَطَاءُ، وَوَكَّلَ ذَلِكَ إِلَى ضَمَائِرِهِمْ. وَاللَّهُ مُرَاقِبٌ لِأَعْمَالِ النَّاسِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ، فَالْمُهْمُ فِي الْأَمْرِ أَنْ تَكُونَ نِيَّةُ الْإِنْسَانِ مُنْصَرَفَةً إِلَى الْخَيْرِ، وَإِلَى الْحِفَاطِ عَلَى مَصْلَحَةِ الْيَتِيمِ، وَمُرَاقِبَةِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ.

﴿٢٢٠﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ
وَأِنْ تَحَايَطُوا لَهُمْ فَيُخَوِّنُكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَاَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(١) الآية ١٥٢ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ١٠ من سورة النساء.

(المُشْرِكَاتِ) (أُولَئِكَ) (يَدْعُو) (آيَاتِهِ)

(٢٢١) - يُحَرِّمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَزَوَّجُوا الْمُشْرِكَاتِ اللَّوَاتِي لَا كِتَابَ لَهُنَّ، طَمَعاً فِي مَالِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ وَحَسَبِهِنَّ، مَا دُمْنَ عَلَى شُرُكِهِنَّ، لِأَنَّ الْمُشْرِكَةَ لَا دِينَ لَهَا يُحَرِّمُ عَلَيْهَا الْخِيَانَةَ، وَيَأْمُرُهَا بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَايُهَا عَنِ الشَّرِّ، وَقَدْ تُفْسِدُ عَقِيدَةَ أَوْلَادِهَا. وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، الْأَنْصَارِيِّ، فَقَدْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ سَوْدَاءُ فَغَضِبَ عَلَيْهَا يَوْماً فَلَطَمَهَا، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَذِرُ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأُعْتَقِنَهَا وَلَأَتَزَوَّجَهَا. فَعَابَ عَلَيْهِ أَنْاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ. وَقَالُوا: نَكَحْ أَمَتَهُ. وَكَانُوا يُفَضِّلُونَ نِكَاحَ الْمُشْرِكَاتِ، وَانْكَاحَ الْمُشْرِكِينَ بَنَاتِهِنَّ طَمَعاً فِي أَحْسَابِهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَكَذَلِكَ مَنَعَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يُزَوَّجُوا بَنَاتِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَا دَامُوا مُقِيمِينَ عَلَى شُرُكِهِمْ.

أَمَّا زَوَاجُ الْكِتَابِيِّ بِمُسْلِمَةٍ فَحَرَامٌ بِنَصِّ السُّنَّةِ، وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ يُخْشَى أَنْ يُزَيِّغَهَا عَنْ دِينِهَا بِمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْ سُلْطَانٍ. وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ مُعَاشَرَةَ الْمُشْرِكِينَ تَدْعُو إِلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَالْإِفْتِنَاءِ بِهَا، وَإِلَى التَّقْصِيرِ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ وَخِيمَةٌ. وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْمَغْفَرَةِ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِي شَرْعِهِ، وَبِمَا نَهَى عَنْهُ. وَهُوَ بَيِّنٌ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَ صِلَاحَهُمْ وَرِشَادَهُمْ.

(وَيَسْأَلُونَكَ) (التَّوَابِينَ)

(٢٢٢) - قَالَ أَنَسُ: كَانَتْ الْيَهُودُ إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ مِنْهُمْ لَمْ يُوَاكِلُوهَا، وَلَمْ يَجْتَمِعُوا مَعَهَا فِي الْبَيْتِ. فَسَأَلَ الصُّحَابَةُ الرَّسُولَ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَسَأَلَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَمَّا يَجِلُّ لَهُ مِنْ أَمْرَاتِهِ وَهِيَ حَائِضٌ. فَقَالَ: (مَا فَوْقَ الْإِزَارِ وَالتَّعَفُّفُ عَنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ).

وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُفَقِّهَاءُ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا انْقَطَعَ حَيْضُهَا لَا تَحِلُّ حَتَّى تَغْتَسِلَ، أَوْ تَتِمَّمَ، إِنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهَا الْمَاءُ بِشُرُوطِهِ. فَإِذَا طَهَّرَتْ حَلَّ وَطُؤُهَا فِي مَكَانِ الْحَرْثِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَمَرَ بِاعْتِرَالِهِنَّ فِي الْمَحِيضِ، وَاللَّهُ يُجِبُّ التَّوَابِينَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَإِنْ تَكَرَّرَ غَشْيَانُهَا، وَيُجِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ عَنِ الْأَقْدَارِ وَالْأَذَى وَالْفَوَاحِشِ. أَذَى - قَدَرٌ يُؤْذِي.

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ^١ وَلَا أَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ^٢ وَبَيِّنَ آيَاتِهِ^٣ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعِزُّوهُ لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ

(مُلاقوه)

(٢٢٣) - كَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَ لِلْأَنْصَارِ: إِنَّهُ مِنْ وَاقِعِ أَمْرَاتِهِ وَهِيَ مُذْبِرَةٌ أَوْ مُضْطَجِعَةٌ عَلَى جَنْبِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلُ الْعَيْنَيْنِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ مُبِيحًا فِيهَا لِلْأَزْوَاجِ إِتْيَانِ نِسَائِهِمْ فِي مَكَانِ الْحَرْثِ، وَانْجَابِ النَّسْلِ - وَهُوَ الْقَبْلُ - عَلَى آيَةِ صُورَةٍ شَاوُوا (عَلَى أَنْ يَتَّقُوا الدُّبُرَ وَالْخِيَصَةَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ).

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَدِّمُوا لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَفْعَالِ الصَّالِحَاتِ، وَأَنْ يَتْرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ، وَأَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ، وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مُلَاقُوهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعًا. وَيُبَشِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ لَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ، وَالتَّارِكِينَ مَا رَجَرَهُمْ عَنْهُ بِأَنَّ لَهُمُ الثَّوَابَ الْحَسَنَ.

(لَا يَمَانِكُمْ)

(٢٢٤) - لَا تَجْعَلُوا إِيْمَانَكُمْ بِاللَّهِ، وَحَلْفَكُمْ بِهِ مَانِعَةً لَكُمْ مِنَ الْبِرِّ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، إِذَا حَلَفْتُمْ عَلَى تَرْكِهَا. فَلَا اسْتِفْرَارَ عَلَى الْيَمِينِ الْمَانِعَةِ لِلْبِرِّ أَكْثَرَ إِنَّمَا لِصَاحِبِهَا مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهَا بِالتَّكْفِيرِ عَنِ الْحِنْثِ بِالْيَمِينِ. وَاللَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ حِجَابًا دُونَ الْخَيْرِ. (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى الْآيَةِ هُوَ: لَا تَجْعَلُوا اسْمَ اللَّهِ مُعَرَّضًا لِكَثْرَةِ الْحَلْفِ بِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَنْفِي تَعْظِيمَ اسْمِ اللَّهِ، وَلِأَنَّ التَّصَوُّنَ عَنْ كَثْرَةِ الْحَلْفِ بِاسْمِ اللَّهِ يُوْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، إِذْ يَكُونُ الْمُتَصَوِّنُ جَلِيلَ الْقَدْرِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ فَيُقْبَلُ قَوْلُهُ).

وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِ الْعِبَادِ وَإِيْمَانِهِمْ، عَلِيمٌ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَنَوَائِهِمْ. غُرُضُ لَا يَمَانِكُمْ - مَانِعًا عَنِ الْخَيْرِ لِحَلْفِكُمْ بِهِ عَلَى تَرْكِهِ.

(إِيْمَانِكُمْ)

(٢٢٥) - لَا يُؤَاخِذُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُعَاقِبُهُمْ عَمَّا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ إِيْمَانٍ لَا غِيَةَ لَهُ يَقْصُدُ بِهَا الْحَلْفَ وَعَقْدَ الْيَمِينِ، وَإِنَّمَا جَرَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ عَادَةٌ مِنْ غَيْرِ عَقْدٍ وَلَا تَوْكِيدٍ (كَقَوْلِ الرَّجُلِ بَلَى وَاللَّهِ، وَلَا وَاللَّهِ، فَذَلِكَ لَا إِنَّمَا فِيهِ وَلَا كُفَّارَةً) وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُؤَاخِذُ الَّذِي يَحْلِفُ عَلَى الشَّيْءِ وَهُوَ يَقْصُدُ عَقْدَ الْيَمِينِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لِعِبَادِهِ التَّائِبِينَ، حَلِيمٌ عَلَيْهِمْ.

بِاللَّغْوِ فِي إِيْمَانِكُمْ - مَا يَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ مِمَّا لَا يَقْصُدُ بِهِ الْيَمِينَ.

﴿٢٢٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ

أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ

مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

﴿٢٢٤﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً

لَا يَمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا

وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ

النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿٢٢٥﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ

وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ

قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

(نِسَائِهِمْ) (فَأَوْوا)

(٢٢٦) - الإيلاء هو الحلف، وهو من ضرار أهل الجاهلية، إذ كان الرجل لا يحب امرأته، ويكره أن يتزوجها غيره إن طلقها، فيحلف أن لا يقربها أبداً، وتركها لا هي أئمة ولا هي ذات زوج، وكان المسلمون في ابتداء أمر الإسلام يفعلون مثل ذلك، فأزال الله تعالى بهذه الآية الضرر عن النساء.

فإذا حلف الرجل أن لا يواقع امرأته مدة، فإن كانت يمينه لأقل من أربعة أشهر انتظر انقضاء المدة ثم يعود إلى موافقتها، وليس للزوجة مطالبة الزوج بالقيئة (أي العودة إلى معاشرتها معاشرة الأزواج) خلال ذلك. أما إذا كان الإيلاء لأكثر من أربعة أشهر، فللزوجة مطالبة زوجها بالقيئة عند انقضاء أربعة أشهر؛ وهو إما أن يعود إلى معاشرتها معاشرة الأزواج، وإما أن يطلقها. فإن عاد إلى معاشرتها، فإن الله غفور رحيم لما سلف من التقصير، وعلى الزوج في كل حال أن يراقب الله فيما يختاره بحق النساء. وللزوج خلال مدة الإيلاء أن يواقع زوجته، ويكفر عن يمينه، فيستمر الزواج قائماً.

يؤولون من نسائهم - يخلفون على ترك موافقة نسائهم. ترطبص - أنتظار.

فأؤوا - رجعوا في المدة عما حلفوا عليه.

(الطلاق)

(٢٢٧) - أما إذا مضت الأشهر الأربعة المحددة، فقد اختلف الفقهاء حول مسألة وقوع الطلاق بمجرد انقضاء المدة، وأكثرهم على أن الطلاق لا يقع، فإذا لم يطلقها الزم بالطلاق. والله سميع عليم، عليم بأحوالهم، وسيحاسبهم على ذلك يوم القيامة.

(المطلقات) (ثلاثة) (إصلاحاً)

(٢٢٨) - يأمر الله تعالى المطلقات المدخول بهن أن يترتبن ثلاثة قروء (أي حيضات - وقال بعض الفقهاء إن قروء تعني الأظهار) استبراء للرحم، ونسحة لاحتمال المراجعة، وبعد أن تظهر المطلقة من الحيضة الثالثة لها أن تتزوج إن شاءت به. ولا يحل للمطلقة أن تنكح ما خلق الله فيها من حمل إن علمت به. ورد الله الأمر إليها، ووكله إلى إيمانها، لأن المؤمنة تراعي أمر الله، ولأن أمر الحمل لا يعلم إلا

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ

وَإِنْ عَرَضُوا وَلَمْ يَطْلُقْ فَإِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ
لَهُنَّ أَنْ يَكُنَّ مَخْلُوقَاتٍ لِلَّهِ فِي
أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحِبُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ

مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ

مِنْ جِهَتِهَا، وَتَتَعَذَّرُ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ عَلَيْهِ، وَتَوَعَّدَهَا اللَّهُ بِالْعِقَابِ إِنْ أَخْبِرَتْ
بِغَيْرِ الْحَقِّ.

وَالرَّوْجُ الَّذِي طَلَّقَ الْمَرْأَةُ هُوَ أَحَقُّ بِرَدِّهَا مَا دَامَتْ فِي عِدَّتِهَا، إِنْ كَانَ
يَتَّبِعِي مِنْ وَرَاءِ رَدِّهَا الْإِصْلَاحَ وَالْخَيْرَ، وَمُعَاشَرَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ لَا الْمَضَارَّةَ
وَالْإِبْدَاءَ، وَلَمَّا كَانَتْ إِزَادَةَ الْإِصْلَاحِ بِرَدِّ الْمَرْأَةِ لَا تُؤْتِي ثَمَارَهَا إِلَّا إِذَا
قَامَ كُلُّ مِنْهُمَا بِمَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: إِنْ لِلْمَرْأَةِ عَلَى
الرَّجُلِ مِنَ الْحُقُوقِ مِثْلُ مَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْهَا، فَلْيُؤَدِّ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ
بِالْمَعْرُوفِ، وَلِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ دَرَجَةٌ هِيَ الرِّئَاسَةُ، وَالْقِيَامُ عَلَى
الْمَصَالِحِ، كَمَا فَسَّرَتْهَا الْآيَةُ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ
اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(١). وَفَسَّرَ بَعْضُهُمْ
(وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ) بِأَنَّهَا حَقُّ الرَّجُلِ فِي رَدِّ الْمُطَلَّقةِ إِلَى عِصْمَتِهِ
فِي فِتْرَةِ الْعِدَّةِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الْحَقَّ فِي يَدِ الرَّجُلِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي
طَلَّقَ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي أَنْتِقَامِهِ بِمَنْ عَصَاهُ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

قُرُوءٌ - حِيْضَاتٍ (أَوْ أَطْهَارٍ).

بُعُولَتُهُنَّ - أَزْوَاجَهُنَّ.

دَرَجَةٌ - مَنَزَلَةٌ أَوْ فَضِيلَةٌ بِالرَّعَايَةِ وَالْإِنْفَاقِ.

(الطَّلَاقُ) (بِإِحْسَانٍ) (اتَّيْمُوهُنَّ) (قَاوِلْنِكُ) (الظَّالِمُونَ)

(٢٢٩) - لَمْ يَكُنْ لِلطَّلَاقِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَقْتُ وَلَا عَدَدٌ، فَكَانَ
الرَّجُلُ يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ ثُمَّ يُرَاجِعُهَا. وَقَالَ أَنْصَارِيُّ لِزَوْجَتِهِ فِي حَالٍ مِنْ
خِصَامِهِمَا: إِنَّهُ سَيَرْكُضُهَا لَا أَيْمًا وَلَا ذَاتَ زَوْجٍ. فَشَكَتْ أَمْرَهَا
لِلرَّسُولِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. فَجَعَلَ الطَّلَاقَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ
فِيهِ بَعْدَ الطَّلَاقِ الثَّالِثَةِ، حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَلَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا مَرَّتَيْنِ وَفِي
الثَّالِثَةِ إِمَّا أَنْ يُمَسِّكَهَا وَيُعَاشِرَهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَإِمَّا أَنْ يُفَارِقَهَا بِإِحْسَانٍ.
فَالطَّلَاقُ الَّذِي يَثْبُتُ فِيهِ لِلزَّوْجِ حَقُّ مُرَاجَعَةِ زَوْجَتِهِ وَهِيَ فِي الْعِدَّةِ، هُوَ
أَنْ يُوجَدَ طَلَقَتَانِ فَقَطْ، أَمَّا فِي الثَّالِثَةِ فَلَا يَثْبُتُ لِلزَّوْجِ حَقُّ الْمُرَاجَعَةِ،
وَلَا تَحِلُّ الْمَرْأَةُ لَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَنْكِحَهَا زَوْجٌ آخَرُ.

وَسَأَلَ صَحَابِيُّ النَّبِيِّ (ﷺ) قَائِلًا: سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: الطَّلَاقُ
مَرَّتَيْنِ، فَأَيْنَ الثَّالِثَةُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ: أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ. وَبَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى

﴿٢٢٩﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ فَإِمْسَاكُ

بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا

مِمَّا اتَّيْمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ

يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوا هَؤُلَاءِ

يَعْدَ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ

عِبَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُمْ أَنْ يُضَاجِرُوا زَوَاجَتِهِمْ، وَلَا أَنْ يُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَ لِيَضْطَرُّوهُنَّ إِلَى الْإِفْتِدَاءِ بِالتَّزَاوُلِ عَمَّا أَعْطَوْهُنَّ مِنَ الْمَهْرِ وَغَيْرِهَا، أَوْ عَنْ بَعْضِ مَا أَعْطَوْهُنَّ. أَمَّا إِذَا تَنَازَلْنَ عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ فَلَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ. أَمَّا إِذَا وَقَعَ الشَّقَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَخَافَا أَنْ لَا يَسْتَطِيعَا الْقِيَامَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ كُلًّا مِنْهُمَا مِنْ حُسْنِ الْمَعَاشَرَةِ إِذَا اسْتَمَرَّا فِي الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ، فَلِلزَّوْجَةِ أَنْ تَفْتَدِيَ مِنَ الزَّوْجِ بِرَدِّ مَا أَعْطَاهَا مِنْ مَهْرٍ وَغَيْرِهِ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهَا فِي بَذْلِهَا لَهُ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي قَبُولِهِ مِنْهَا. أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْأَةِ عُذْرٌ، وَسَأَلَتْ زَوْجَهَا الْإِفْتِدَاءَ مِنْهُ فَذَلِكَ حَرَامٌ. (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ). (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ). (وَقَالَ الرَّسُولُ أَيْضًا: الْمُخْتَلِعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ) (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ). وَلَا يَجُوزُ لِلزَّوْجِ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ زَوْجَتِهِ غَيْرَ مَا أَعْطَاهَا. أَمَّا جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ فَيَجِيزُونَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا مَا يَتَّقِيَانِ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاهَا. وَهَذَا هُوَ شَرْعُ اللَّهِ وَحُدُودُهُ، فَلَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَجَاوَزَ حُدُودَ اللَّهِ وَشَرْعَهُ، وَمَنْ يَتَجَاوَزْهَا فَهُوَ مُعْتَدٍ ظَالِمٌ. الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ - الطَّلَاقُ الرَّجْعِيُّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ - طَلَاقٌ مَعَ آدَاءِ الْحَقُوقِ وَعَدَمِ الْمَضَارَةِ. تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ - أَحْكَامُهُ الْمَقْرُوضَةُ.

(٢٣٠) - فَإِنْ طَلَّقَ الزَّوْجَ زَوْجَتَهُ طَلَقًا ثَالِثَةً، بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ طَلَّقَهَا طَلَقَتَيْنِ سَابِقَتَيْنِ، فَإِنَّهَا تَحْرُمُ عَلَيْهِ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى نِكَاحِهَا حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ. وَيُجْمَعُ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِنِكَاحِ زَوْجٍ آخَرَ لَهَا لَيْسَ مُجَرَّدَ الْعَقْدِ، وَإِنَّمَا الْمَعَاشَرَةُ الزَّوْجِيَّةُ الْكَامِلَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عِقَابًا لِذَوِي النُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ. وَلَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُحْلِلَ وَالْمُحْلَلَّ لَهُ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ) وَالْمُحْلَلُ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَقَدَّمُ لِلْعَقْدِ عَلَى الزَّوْجَةِ الْمُطَلَّاقَةِ، وَكُلُّ قَصْدِهِ هُوَ أَنْ يُجْلِّهَا لِزَوْجِهَا الْأَوَّلِ، وَلَا يُعَاشِرُهَا وَلَا يَقْرِبُهَا. أَمَّا إِذَا كَانَ الزَّوْجُ الثَّانِي قَدْ تَزَوَّجَهَا بِفِكْرَةٍ الْمَعَاشَرَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ، فَإِذَا طَلَّقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا جُنَاحَ عَلَى زَوْجِهَا الْأَوَّلِ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا، إِذَا تَرَجَّعَ لَدَى كُلِّ مِنْهُمَا أَنْ يَقُومَ بِحَقِّ الْآخِرِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ، وَسَلَامَةِ النَّيَّةِ، فَإِنْ خَافَا حِينَ الْمُرَاجَعَةِ نُشُوزًا مِنْهَا، أَوْ إِضْرَارًا مِنْهُ فَالرُّجُوعُ مَمْقُوتٌ. وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَشَرَائِعُهُ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.

﴿٣٣﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ
حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ
طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ
يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ
اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

(آيَات) (نِعْمَةٌ) (الْكِتَاب)

(٢٣١) - يَا أَيُّهَا اللَّهُ تَعَالَى الرَّجَالُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا طَلَّقَ أَحَدُهُمْ زَوْجَتَهُ طَلَاقًا، لَهُ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ فِيهِ، أَنْ يُخْسِنَ فِي أَمْرِهَا إِذَا قَارَبَتْ عِدَّتَهَا عَلَى الْإِنْقِضَاءِ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا إِلَّا مَقْدَارٌ مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ مُرَاجَعَتِهَا، فِيمَا أَنْ يُنْسِكَهَا بِمَعْرُوفٍ (أَيُّ يُرَاجِعُهَا وَيُعِيدُهَا إِلَى عِصْمَتِهِ)، فَيُسْهِدَ عَلَى رَجْعَتِهَا، وَهُوَ يَنْوِي مُعَاشَرَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُسَرِّحَهَا وَيَتْرُكَهَا تَنْقِضِي عِدَّتَهَا وَيُخْرِجَهَا مِنْ مَنْزِلِهِ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ، بِدُونِ خِصَامٍ وَلَا شِقَاقٍ. وَيُكْرَهُ اللَّهُ أَمْرَهُ لِلرَّجَالِ بِأَنْ لَا يُنْسِكُوا زَوَاجَتَهُمْ لِلْأَضْرَارِ وَالْإِغْتِدَاءِ. (أَيُّ أَنْ لَا يُرَاجِعُوهُنَّ وَهُنَّ يُرِيدُونَ مَضَارَّتَهُنَّ وَإِذْءَاهُنَّ بِالْحَبْسِ وَتَطْوِيلِ مُدَّةِ الْعِدَّةِ لِيُلْجِئُوهُنَّ إِلَى الْإِفْتِدَاءِ). وَحَذَّرَ اللَّهُ مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ بِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ. وَنَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ التَّلَاعُبِ فِي الطَّلَاقِ وَالتَّسْلِي فِيهِ، وَعَدَّ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ اتِّخَاذِ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَسُخْرِيَةً. وَقَالَ تَعَالَى: أَذْكُرُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي إِزْسَالِ الرُّسُولِ إِلَيْكُمْ بِالْهُدَى وَالْيَنَاتِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ (أَيُّ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ)، وَاللَّهُ يَعِظُكُمْ بِهِ فَيَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَاكُمْ وَيَتَوَعَّدُكُمْ عَلَى آزِتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَأَخْوَالِكُمْ. فَيَلْغَنَ أَجْلَهُنَّ - شَارَفَنَ أَنْقِضَاءَ عِدَّتَيْهِنَّ.

وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا - مَضَارَّةً لَهُنَّ.

هُزُوًا - سُخْرِيَةً بِالتَّهَاوُنِ فِي الْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا.

الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ - الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَمَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ.

(أَزْوَاجَهُنَّ) (تَرَاضُوا) (الْآخِر)

(٢٣٢) - فِيمَاذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَأَزَادَ مُرَاجَعَتَهَا، وَرَغِبَتْ هِيَ فِي الْعَوْدَةِ إِلَيْهِ، فَلَيْسَ لَاهِلِهَا أَنْ يَمْنَعُوهَا مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَرَاضِيَا. وَأَخْتِارُ أَمْرِ اللَّهِ هَذَا يَأْتِيهِ بِهِ، وَيَتَعَظُّ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَاتَّبَعَ الْمُؤْمِنِينَ شَرَعَ اللَّهُ، وَرَدَّ الْمُؤْمِنَاتِ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَتَرَكَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ. هُوَ أَزْكَى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَظْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالْمَصْلَحَةُ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَنْهُ. وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَيْنَ يَكُونُ الْخَيْرُ فِيمَا تَأْتُونَ وَفِيمَا تَذَرُونَ. لَا تَفْضَلُوهُنَّ - لَا تَمْنَعُوهُنَّ. أَزْكَى لَكُمْ - أَنْمَى لَكُمْ وَأَنْفَعُ.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجْلَهُنَّ
فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ
ضَرَارًا لِنَعْدُو أَوْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا
آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ
الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجْلَهُنَّ
فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَظْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(وَالْوَالِدَاتُ) (أَوْلَادَهُنَّ) (وَالِدَةً) (أَوْلَادَكُمْ) (أَتَيْتُمْ)

(٢٣٣) - يُرْشِدُ اللَّهُ تَعَالَى الْوَالِدَاتِ إِلَى أَنْ كَمَالَ مَدَّةُ الرِّضَاعَةِ لِلطِّفْلِ فِي سِتَانٍ. وَعَلَى وَالِدِ الطِّفْلِ نَفَقَةُ الْوَالِدَاتِ الْمُطْلَقَاتِ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ امْتَالِهِنَّ، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا إِقْتَارٍ، بِحَسَبِ قُدْرَةِ الرُّوْجِ وَنِسَارِهِ. وَبَنَى اللَّهُ الْوَالِدَاتِ وَالْآبَاءَ إِلَى ضَرُورَةِ عَدَمِ التَّصَرُّفِ تَحْتَ شُعُورِ الرِّغْبَةِ فِي الْإِضْرَارِ، فَلَيْسَ لِلزَّوْجَةِ أَنْ تَتْرَكَ رِضَاعَةَ ابْنِهَا إِلَى مَدَّتَيْهَا (سِتَيْنِ) لِلْإِضْرَارِ بِالزَّوْجِ. وَلَيْسَ لِلزَّوْجِ أَنْ يَنْتَرِعَ الْوَلَدَ مِنْ أُمِّهِ قَبْلَ أَنْ تَتِمَّ مَدَّةُ رِضَاعَتِهِ لِلْإِضْرَارِ بِهَا وَإِذَا هِيَ. وَعَلَى وَارِثِ الطِّفْلِ - إِنْ كَانَ الْوَلَدُ قَدْ مَاتَ، أَوْ كَانَ فَقِيرًا، أَوْ عَاجِزًا عَنِ الْكَسْبِ - أَنْ يَقُومَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى الطِّفْلِ وَأُمِّهِ، وَعَلَيْهِ عَدَمُ الْإِضْرَارِ بِهَا.

أَمَّا إِذَا أَرَادَ أَبُو الطِّفْلِ فَطَامَهُ، قَبْلَ مُضِيِّ الْحَوْلَيْنِ، وَرَأَى فِي ذَلِكَ مَضْلَحَةً لَهُ، وَتَشَاوَرَا فِي ذَلِكَ، وَاتَّفَقَا عَلَيْهِ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا، وَلَا حَرَجَ وَلَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ.

وَإِذَا اتَّفَقَ الْوَالِدَانِ عَلَى أَنْ يَسْتَلِمَ الْوَالِدُ الْوَلَدَ مِنْهَا، إِمَّا لِعُدْرِ مِنْهَا، أَوْ لِعُدْرِ مِنْهُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ فِي عَرْضِهِ عَلَيْهَا، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا فِي قَبُولِهَا مِنْهُ، إِذَا دَفَعَ إِلَيْهَا أَجْرَهَا عَنِ الْمُدَّةِ الْمَاضِيَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَامَ بِدَفْعِ الْوَلَدِ إِلَى مُرْضِعَةٍ أُخْرَى. وَيُحَثُّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى التَّقْوَى فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَعَلَى تَرْكِ التَّصَرُّفِ بِرِغْبَةِ الْمَضَارَّةِ وَالْإِبْدَاءِ، وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ.

وَعَلَى الْوَارِثِ - وَارِثِ الْوَلَدِ عِنْدَ عَدَمِ وُجُودِ الْآبِ.

أَرَادَا فَضَالًا - فَطَامَا لِلْوَلَدِ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ.

سَلَّمْتُمْ مَا أَتَيْتُمْ - إِذَا دَفَعْتُمْ مَا التَزَمْتُمْ بِهِ.

(أَزْوَاجًا)

(٢٣٤) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى النِّسَاءَ اللَّوَاتِي يُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ بِأَنْ يَتَعَدَّدْنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَ لَيَالٍ (وَالْحُكْمُ يَشْمَلُ الزَّوْجَاتِ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ وَغَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ)، وَلَا يَشُدُّ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَّا الْمَتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَإِنْ عِدَّتْهَا تَكُونُ بِوَضْعِ حَمْلِهَا. فَلِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا (بَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ)، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ وَلَا حَرَجَ فِي الزَّيْنَةِ وَالتَّصْنُعِ، وَالتَّعَرُّضِ لِلزَّوْجِ، وَلَا فِي أَنْ يَأْتِيَنَّ شَرِيفَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَرْضَاهَا

﴿٢٣٣﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ

أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ

لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرِّضَاعَةُ

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكُلْفُ نَفْسٌ إِلَّا

وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ الْوَلَدِ

وَلَا مَوْلُودُهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ

مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا

تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا

أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا

سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَقْبُوا

اللَّهَ وَعَامَلُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

﴿٢٣٤﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ

أَزْوَاجًا يَرِيضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ

أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي

أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

الشَّرْعُ، لِيَصِلْنَ بِهَا إِلَى الزَّوْاجِ . وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ .
(وَحِلَالُ مُدَّةِ الْعِدَّةِ لَا يَحِلُّ لِلزَّوْجَةِ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْخُطْبَةِ وَلَا لِلزَّوْاجِ ، وَلَا
لِلْمُخْرَاجِ مِنَ الْمَنْزِلِ إِلَّا لِعُدْرِ شَرْعِيٍّ).

(الْكِتَابُ)

(٢٣٥) - وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ وَلَا حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ فِي أَنْ تَعَرَّضُوا
بِخُطْبَةِ النِّسَاءِ وَهُنَّ فِي الْعِدَّةِ ، مِنْ غَيْرِ تَضَرُّعٍ ، كَانَ يَقُولُ أَحَدُكُمْ أَرِيدُ
الزَّوْاجَ . . وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا أَضْمَرْتُمُوهُ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ خُطْبَتَيْنِ .
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ فِي أَنْفُسِكُمْ سِرًّا ، فَرَفَعَ عَنْكُمُ هَذَا الْحَرَجَ ،
وَلَكِنْ لَا تُعْطُوهُنَّ وَغَدًا بِالزَّوْاجِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِشَارَةً لَا تُكْرَهُ فِيهَا
وَلَا فُحْشٌ وَلَا تَقُولُوا لَهُنَّ إِنَّكُمْ عَاشِقُونَ مِثْلًا ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهُنَّ الْوَعْدَ
بِعَدَمِ الزَّوْاجِ مِنْ غَيْرِكُمْ . . إِنْ خَالَصَ ذَلِكَ بِمَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

وَلَا تَعْقِدُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى تَنْقِضِيَ الْعِدَّةَ (يَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) وَإِذَا
تَزَوَّجَ الرَّجُلُ مِنْ أَمْرَأَةٍ وَهِيَ فِي الْعِدَّةِ ، فَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ هَذَا
الزَّوْاجَ بَاطِلٌ . وَلَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا حَوْلَ حُرْمَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ
أَبَدًا . فَقَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ : إِنَّهَا تَحْرُمُ عَلَيْهِ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّهَا لَا
تَحْرُمُ عَلَيْهِ أَبَدًا ، وَلَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى خُطْبَتِهَا إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ، وَيَعْقِدَ
عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ .

وَيَذْكُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِهِمْ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُرِيدُهُمْ إِلَّا
يُضْمِرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ إِلَّا الْخَيْرَ . وَالَّذِي تَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ خَوَاطِرُ شَرِيرَةٍ
جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بَابًا لِلتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِمَّا خَطَرَ لَهُ ، فَاللَّهُ كَثِيرُ الْجَلَمِ لَا
يُعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ لِمَنْ قَارَفَ الْمُحْرَمَاتِ ، لَعَلَّهُ يَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرَ رَبَّهُ
وَيَرْجِعَ إِلَيْهِ .

عَرَّضْتُمْ بِهِ - لَوَحْتُمْ بِهِ وَأَشْرَرْتُمْ إِلَيْهِ .

اِكْتَنَنْتُمْ - اسْرَرْتُمْ وَأَخْفَيْتُمْ .

لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا - لَا تَذْكُرُوا لَهُنَّ صَرِيحَ النِّكَاحِ .

يَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ - يَنْتَهِي الْمَفْرُوضُ مِنَ الْعِدَّةِ .

(مَتَاعًا)

(٢٣٦) - فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُبَيِّحُ اللَّهُ تَعَالَى طَلَاقَ الْمَرْأَةِ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا
(الْمَسَاسِ) ، فَإِذَا طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا ، وَقَبْلَ أَنْ يَفْرِضَ لَهَا مَهْرًا ،

﴿٣٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ
بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ

فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ

سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا

تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا

قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا

عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ

الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ

﴿٣٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ

فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْوُسْعِ

فَلَا مَهْرَ لَهَا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ إِمْتَاعُهَا بِشَيْءٍ يَطِيبُ بِهِ قَلْبُهَا عَلَى حَسَبِ
حَالِهِ (عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ)، وَلَمْ يُحَدِّدِ اللَّهُ تَعَالَى
مِقْدَارَ هَذِهِ الْمُتْعَةِ، بَلْ وَكَّلَهَا إِلَى اجْتِهَادِ الزَّوْجِ لِأَنَّهُ أَدْرَى بِحَالِهِ،
وَالْإِمْتَاعُ عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ يَلْتَزِمُ بِهِ ذَوُو الْمَرْوَاتِ وَأَهْلُ الْخَيْرِ.
(وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّهُ مَتَى تَنَازَعَ الزَّوْجَانِ فِي مِقْدَارِ الْمُتْعَةِ وَجَبَ لَهَا عَلَيْهِ
نِصْفُ مَهْرٍ مِثْلِهَا).

(وَيَقُولُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ إِنَّ الْمُتْعَةَ مُسْتَحَبَّةٌ لِكُلِّ مُطَلَّاقَةٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿لِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(١) وَهِيَ وَاجِبَةٌ
لِلْمُطَلَّاقَةِ قَبْلَ الدُّخُولِ إِذَا كَانَتْ لَمْ يُفْرَضْ لَهَا مَهْرٌ.
فَرِيضَةٌ - مَهْرٌ.

مَتَعُوهُنَّ - أَعْطُوهُنَّ مَا يَتِمَّتَنَ بِهِ.
الْمَوْسِعُ - قَدَّرَ إِمْكَانَهُ وَطَاقَتِهِ.
الْمُقْتِرُ - الْفَقِيرُ الضَّيِّقُ الْحَالِ.

(أَوْ يَعْفُو)

(٢٣٧) - إِذَا طَلَّقَ الزَّوْجُ زَوْجَتَهُ وَقَدْ فَرَضَ لَهَا مَهْرًا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا،
فَعَلَيْهِ نِصْفُ الْمَهْرِ، إِلَّا أَنْ تَعْفُو الزَّوْجَةُ أَوْ الْوَلِيُّ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ
النِّكَاحِ، أَوْ يَعْفُو الزَّوْجُ وَيَتْرَكَ مَا يَعُودُ إِلَيْهِ مِنْ نِصْفِ الْمَهْرِ الَّذِي سَاقَهُ
عِنْدَ الْعَقْدِ إِلَيْهَا تَكْرُمًا مِنْهُ. وَحَثَّ اللَّهُ تَعَالَى الرَّجَالَ وَالنِّسَاءَ عَلَى الْعَفْوِ،
وَجَعَلَ اللَّهُ أَقْرَبَهُمْ لِلتَّقْوَى هُوَ الَّذِي يَعْفُو، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الطَّلَاقُ يَلَا
دَاعٍ مِنْ قِبَلِ أَحَدِهِمَا. وَيَحَثُّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنْ لَا يَنْسُوا أَنَّ
الْخَيْرَ فِي التَّفَضُّلِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَجْلَبُ لِلْمَوَدَّةِ وَالْثِقَابِ
بَيْنَ النَّاسِ، وَيَذَكِّرُهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ، وَأَنَّهُ
سَيَجَازِيهِمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ.

وَإِذَا مَاتَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ قَبْلَ الدُّخُولِ وَجَبَ الْمَهْرُ كُلُّهُ لِأَنَّ الْمَوْتَ
كَالدُّخُولِ يُوجِبُ الْمَهْرَ كُلَّهُ.

(حَافِظُوا) (الصَّلَوَاتِ) (الصَّلَاةَ) (قَانِتِينَ).

(٢٣٨) - يَا مَرْءُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْجُرْصِ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي

قَدْرِهِ، وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرَهُ، مَتَاعًا
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ
فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا
أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي
بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا
الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ
وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ
قَانِتِينَ

أَوْقَاتِهَا، وَحَفِظَ حُدُودَهَا، وَأَدَانِهَا بِخُشُوعِهَا. وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى هِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ عَلَى أَزْجَحِ الْأَقْوَالِ. وَيَأْمُرُهُمْ تَعَالَى بِالْقِيَامِ خَاشِعِينَ مُسْتَكِينِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ، مُتَفَرِّغِينَ مِنْ كُلِّ فِكْرٍ وَعَمَلٍ يَشْغُلُ عَنْ حُضُورِ الْقَلْبِ وَخُشُوعِهِ.

قَاتِنِينَ - خَاشِعِينَ مُسْتَكِينِينَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ.

الصَّلَاةُ الْوُسْطَى - صَلَاةُ الْعَصْرِ.

(٢٣٩) - وَلَمَّا شَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَأَذَانِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، ذَكَرَ حَالَةَ الْخَوْفِ الَّتِي لَا يَتِمَكَّنُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَذَاءِ الصَّلَاةِ بِخُشُوعِهَا وَقُنُوتِهَا، كَحَالَةِ الْقِتَالِ الَّتِي يَشْتَغِلُ فِيهَا الْمَرْءُ عَنْ أَذَاءِ الصَّلَاةِ عَلَى الرَّجُلِ الْأَكْمَلِ، فَطَلَبَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُصَلُّوا عَلَى أَيِّ حَالٍ سَوَاءَ كَانُوا رَاجِلِينَ أَوْ رَاكِبِينَ، مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا. فَلِذَا آمَنَ الْمُسْلِمُونَ، وَزَالَ الْخَوْفُ عَنْهُمْ فَعَلِيهِمْ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَإِتِمَامُ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَقِيَامِهَا وَخُشُوعِهَا. وَكَمَا هَذَا هُمْ اللَّهُ لِلْإِيمَانِ، وَعَلِمَهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَعَلِيهِمْ أَنْ يُقَابِلُوا هَذِهِ النُّعْمَةَ بِالشُّكْرِ وَالذِّكْرِ.

رَجَالًا - أَيُّ رَاجِلِينَ وَهُمْ الَّذِينَ يَسِيرُونَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ.

رُكْبَانًا - رَاكِبِينَ.

(أَزْوَاجًا) (لِأَزْوَاجِهِمْ) (مَتَاعًا)

(٢٤٠) - أَكْثَرَ الصَّحَابَةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ عِدَّةِ الْوَفَاةِ «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»^(١)، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا مَاتَ وَتَرَكَ أَمْرًا عِنْدَهُ، اعْتَدَتْ سَنَةٌ فِي بَيْتِهِ يَنْفَقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالِهِ ثُمَّ نُسِخَتْ.

وَقَسَّرَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الْآيَةَ: أَنَّ عَلَى الْأَزْوَاجِ أَنْ يُوصُوا لِزَوْجَاتِهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ يُنْفِقُهُ مَدَّةَ الْحَوْلِ، وَالْأَزْوَاجُ مَنْ الْيَتَامَى مِنَ الْبُيُوتِ سَنَةً كَامِلَةً. أَمَّا إِذَا خَرَجَ قَبْلَ أَنْتِهَاءِ السَّنَةِ فَلَا جُنَاحَ عَلَى الْأَزْوَاجِ أَنْ يَتْرُكُوهُنَّ يَتَصَرَّفْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِمَا لَا يَنْكَرُهُ الشَّرْعُ عَلَيْهِنَّ. وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ذَلِكَ. وَاللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِيمَا يُسْرِعُ لِعِبَادِهِ.

﴿٢٣٩﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ رُكْبَانًا
فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ
كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا
تَعْلَمُونَ

﴿٢٤٠﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ
وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا
فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ
مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ

(وَالْمُطَلَّقاتِ) (مَتَاعٌ)

﴿٢٤١﴾ وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ
حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

(٢٤١) - اسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وَجُوبِ الْمُتْعَةِ لِكُلِّ مُطَلَّقةٍ، وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْمُتْعَةَ حَقًّا عَلَى الزَّوْجِ الَّذِي يَتَّقِي اللَّهَ وَيَخَافُهُ. وَالْمُتْعَةُ وَاجِبَةٌ لِلزَّوْجَةِ غَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا، إِذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ سُمِّيَ لَهَا مَهْرٌ، وَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ لِكُلِّ مُطَلَّقةٍ غَيْرِهَا، خَيْرًا لِمَخَاطِرِهَا. وَيَذْفَعُهَا الزَّوْجُ عَنْ رِضا وَطَيْبِ خَاطِرٍ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا تُوجِبُهُ عَلَيْهِ تَقْوَى اللَّهِ. مَتَاعٌ - مُتْعَةٌ أَوْ نَفَقَةُ الْعِدَّةِ.

(آيَاتِهِ)

﴿٢٤٢﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

(٢٤٢) - وَيُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ آيَاتِهِ (أَيُّ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَالشَّرْعِ) مِثْلَ هَذَا الْبَيَانِ الْجَلِيِّ الْوَاضِحِ، لِتَتَذَكَّرُوا وَلِتَفْهَمُوهَا.

(دِيَارِهِمْ) (أَحْيَاهُمْ)

﴿٢٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

(٢٤٣) - يَقُولُ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ قَوْمًا خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فَرَارًا مِنْ وِباءٍ أَوْ مَرَضٍ حَلَّ بِهَا أَوْ خَوْفًا مِنْ عَدُوٍّ مُهاجِمٍ وَهُمْ أَلُوفٌ كَثِيرَةٌ تَدْعُو كَثَرَتُهُمْ إِلَى الشَّجَاعَةِ وَالْإِطْمِئْنَانِ إِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الدَّفْعِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ وَالْعُرْضِ، لَا إِلَى الْهَلَعِ وَالْخَوْفِ، الَّذِي يَحْمِلُ الْخَائِفَ عَلَى الْهَرَبِ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ. وَقِيلَ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْهَارِبِينَ مِنْ دِيَارِهِمْ حَذَرَ الْمَوْتِ نَزَلُوا وَإِدْيَاءً فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَوْتِ فَمَاتُوا جَمِيعًا. ثُمَّ مَرَّ نَبِيُّ فِدْعَا اللَّهِ أَنْ يُحْيِيَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ، فَأَحْيَاهُمْ لِيَكُونُوا عِظَةً وَعِبْرَةً لِمَنْ خَلْفَهُمْ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ حَذَرَ مَنْ قَدَّرَ. وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ فِيمَا يُرِيهِمْ مِنْ آيَاتِهِ وَحُجَجِهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَقُومُونَ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ.

خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

(وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّ هَذَا مِثْلَ لَا قِصَّةً وَاقِعِيَّةً وَهُوَ يَعْنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأُلُوفِ الَّذِينَ دَبَّ الدَّعْرُ فِيهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ فَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ هَارِبِينَ، فَجَاءَ أَعْدَاؤُهُمْ وَفَتَكُوا بِهِمْ، وَفَرَّقُوا شَمْلَهُمْ، وَأَصْبَحَ مِنْ بَقِيَّ مِنْهُمْ خَاضِعًا لِلْغَالِبِينَ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ يَسَّرَ لَهُمْ جَمْعَ كَلِمَتِهِمْ، وَتَوْثِيقَ رَوَابِطِهِمْ، فَقَامُوا بِمَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِمْ مِنْ مُجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِمْ، وَبَذْلِ الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ فِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ، فَخَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ الْعِبُودِيَّةِ إِلَى رِياضِ الْحُرِّيَّةِ، وَكَانَ كُلُّ الَّذِي أَصَابَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ تَأْدِيبًا لَهُمْ وَعِظَةً).

(وَقَاتِلُوا)

(٢٤٤) - وَحُثَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَتَأْمِينِ الدَّعْوَةِ وَالِدِّفَاعِ عَنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ . وَيُذَكِّرُهُمْ بِأَنَّ الْقُعُودَ عَنِ الْجِهَادِ خَوْفَ الْمَوْتِ لَا يُطِيلُ عُمْرًا، كَمَا أَنَّ الْجِهَادَ لَا يُقَرِّبُ أَجَلًا، فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . وَأَيْنَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ فَالْمَوْتُ مُدْرِكُهُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِمَا يَقُولُهُ الْعَبْدُ، عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ، وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ حَتَّى يَتَجَلَّى لَهُ تَقْصِيرُهُ فَيَسْمُرَ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ لِتَدَارِكِ مَا قَاتَ .

(فِيضَاعِفُهُ) (يَبْسُطُ)

(٢٤٥) - يُحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِتِّفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَجَعَلَ مَا يُثَبِّتُهُ الْعَبْدُ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ قَرْضًا يُرَدُّهُ اللَّهُ إِلَى أَصْحَابِهِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ الرِّزْقَ وَيُضَيِّقُهُ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ، لِحِكْمَةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَهُوَ الَّذِي يَبْسُطُ الرِّزْقَ وَيُوسِعُهُ عَلَى بَعْضِهِمُ الْآخِرَ وَفَقَ حِكْمَتِهِ، فَلَيْسَ لِلْعِبَادِ أَنْ يَخْشَوْا إِذَا انْفَقَوْا الْفَاقَةَ . وَيَرْجِعُ الْخَلْقُ إِلَى اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ فَيُجَازِيهِمْ عَلَى مَا بَدَّلُوا مِنْ مَالٍ وَنَفْسٍ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ .
قَبْضُ الرِّزْقِ - ضَيِّقُهُ وَقَرُّهُ .
بَسْطُ الرِّزْقِ - وَسْعُهُ وَأَفَاضُهُ .
قَرْضًا حَسَنًا - أَحْتِسَابًا بِهِ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ .

(إِسْرَائِيلَ) (نُقَاتِلَ) (تُقَاتِلُوا) (نُقَاتِلَ) (دِيَارِنَا) (وَأَبْنَانِنَا)
(بِالظَّالِمِينَ)

(٢٤٦) - قَالَ الْمُفَسِّرُونَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ، وَلَبِثُوا عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ . ثُمَّ تَضَعَّضَ أَمْرُهُمْ، وَعَبَدَ بَعْضُهُمُ الْأَوْثَانَ، وَضَاعَ الْمُلْكُ مِنْهُمْ . وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَعْدَاؤُهُمْ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ بِالْفَقْرِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا، وَأَمَرَهُ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَتَوْحِيدِهِ . فَدَعَاهُمْ النَّبِيُّ، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُقِيمَ لَهُمْ مَلِكًا يَقَاتِلُونَ مَعَهُ أَعْدَاءَهُمْ . فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: لَعَلَّكُمْ إِنْ أَقَامَ اللَّهُ لَكُمْ مَلِكًا أَلَّا تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَلَّا تُؤْفُوا بِمَا التَزَّمْتُمْ بِهِ مِنَ الْقِتَالِ مَعَهُ . فَقَالُوا: كَيْفَ لَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ ضَاعَتْ بِلَادُنَا، وَسُبِّحَتْ دَرَارِينَا؟ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ لَمْ يُؤْفُوا بِمَا وَعَدُوا، وَنَكَلُوا عَنِ الْجِهَادِ

(٢٤٤) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(٢٤٥) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ
وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(٢٤٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ
مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ
لَهُمْ أَعِثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ
عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ النَّاكِلِينَ عَنِ الْجِهَادِ دِفَاعاً عَنْ دِينِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَأُمْتِهِمْ.

المَلَأَ - كُبِّرَاءَ الْقَوْمِ.

عَسَيْتُمْ - قَارِبْتُمْ.

(اصْطَفَاهُ) (وَأَسْعَ)

(٢٤٧) - كَانَ مُلْكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي سَبْطِ يَهُوذَا وَلَمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ إِنَّ الْمَلِكَ سَيَكُونُ طَالُوتَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ يَهُوذَا، اخْتَجَبُوا عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَهُوَ لَيْسَ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ تَحْمِيلَ نَقَاطِ الْمُلْكِ؟ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ عَلَيْكُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِهِ، وَزَادَهُ عِلْماً وَقُوَّةً فِي بَدَنِهِ، وَجَعَلَهُ أَصْبَرَ مِنْكُمْ عَلَى الْحُرُوبِ، وَاللَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَقْعُلُ مَا يَشَاءُ، وَلَا يُسَالُ عَمَّا يَقْعُلُ، وَهُوَ وَاسِعُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْمُلْكَ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ.

أَتَى يَكُونُ - مِنْ أَينَ لَهُ أَنْ يَكُونُ، أَوْ كَيْفَ لَهُ أَنْ يَكُونُ؟

زَادَهُ بَسْطَةً - سَعَةً وَامْتِدَاداً وَفَضِيلَةً.

(آيَةُ) (آلِ مُوسَى وَآلِ هَارُونَ) (الْمَلَانِكَةُ)

(٢٤٨) - كَانَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ التَّوْرَةُ وَتَأَبُوثُ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْذُ مَطْلَعِ تَارِيخِهِمْ، وَكَانَ يَرِثُهُ خَلْفُهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ، وَكَانُوا يَتَّبِعُونَ بِهِ فِي حُرُوبِهِمْ. وَلَمَّا ضَلُّوا وَبَغَوْا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سَلْبِهِمْ إِيَّاهُ (وَهُمْ الْعَمَالِيُّونَ الْفَلَسْطِينِيُّونَ)، وَقَدْ حَارَبُوا الْيَهُودَ وَأَنْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ، فَاخْتَدُوا التَّابُوتَ وَنَكَلُوا بِهِمْ تَنْكِيلًا شَدِيدًا، فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ عَلَامَةَ رِضَا اللَّهِ عَلَى مُلْكِ طَالُوتَ هُوَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْكُمْ التَّابُوتَ فَيُورِثَكُمْ رُدُّهُ عَلَيْكُمْ السَّكِينَةَ وَالطَّمَانِينَةَ. وَفِي التَّابُوتِ التَّوْرَةُ وَبَقِيَّةُ مَا تَرَكَ مُوسَى وَهَارُونُ وَمِنْهَا بَقَايَا الْأَلْوَابِ. فَجَاءَتِ الْمَلَانِكَةُ تَحْمِيلَ التَّابُوتِ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيِ طَالُوتَ وَالنَّاسِ يَنْظُرُونَ. وَفِي ذَلِكَ آيَةُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِمْ، وَعَلَى صِدْقِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ وَجُوبِ إِطَاعَةِ طَالُوتَ، هَذَا إِنْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

التَّابُوتُ - صُنْدُوقٌ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَضَعُونَ فِيهِ التَّوْرَةَ.

فِيهِ سَكِينَةٌ - سُكُونٌ وَطَّمَانِينَةٌ لِقُلُوبِهِمْ.

عَلَيْهِمْ أُلْقِيَ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ

﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ

بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا

قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ

عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ

وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ

قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ

وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ

وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ

﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ

مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ

مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ

آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ

تَحْمِلُهَا الْمَلَانِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ

(أَمْثُوا) (مُلَاقُوا) (الصَّابِرِينَ)

(٢٤٩) - وَلَمَّا خَرَجَ طَالُوتُ بِحِيشِهِ مِنَ الْبَلَدِ مُتَّجِهاً إِلَى حَرْبِ الْأَعْدَاءِ، وَكَانَ الزَّمَنُ قَانِظاً، سَأَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ طَالُوتَ الْمَاءِ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ مُخْتَبِرُكُمْ بِنَهْرٍ سَمَرُونَ بِهِ (وَهُوَ نَهْرُ الْأَرْدُنِّ عَلَى قَوْلٍ) فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يُصَاحِبُنِي، وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ فَلْيَصَاحِبْنِي، وَلَكِنْ لَا بَأْسَ فِي أَنْ يَغْتَرَفَ الْوَاحِدُ غُرْفَةً بِيَدَيْهِ يَبُلُ بِهَا رِيقَهُ، فَمَرَدٌ أَكْثَرُهُمْ، وَشَرِبُوا مِنَ النَّهْرِ، وَبَقِيَ طَالُوتُ فِي فِئَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ جُنُودِهِ، فَاجْتَنَزَأَ بِهِمُ النَّهْرُ، فَلَمَّا نَظَرَ أَصْحَابُ طَالُوتَ إِلَى قَلَّةِ عَدَدِهِمْ، وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ، قَالُوا: إِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ مُحَارَبَةَ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ لِقَلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَشَجَعَهُمْ عِلْمَاؤُهُمْ، وَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَإِنَّ النُّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَيْسَ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَكَثِيراً مَا غَلَبَتْ قُوَّةُ صَغِيرَةٍ مُؤْمِنَةٍ مُخْلِصَةً فِي قِتَالِهَا، فِئَةٌ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ الصَّابِرِينَ وَيَنْصُرُهُمْ.

فَصَلِّ - أَنْفَصَلْ عَنِ الْمَدِينَةِ.

مُتَبَلِّغُكُمْ - مُخْتَبِرُكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ.

أَغْتَرَفَ - أَخَذَ بِيَدِهِ.

لَا طَاقَةَ لَنَا - لَا قُدْرَةَ وَلَا قُوَّةَ لَنَا.

فِئَةٌ - جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ.

(الكَافِرِينَ)

(٢٥٠) - وَلَمَّا تَقَدَّمَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ مَعَ طَالُوتَ لِقِتَالِ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ، دَعَا اللَّهُ وَرَجَوْهُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمُ الصَّبْرُ عَلَى الشَّدَةِ، وَأَنْ يُثَبِّتَ أَقْدَامَهُمْ عِنْدَ لِقَاءِ أَعْدَائِهِمْ، وَأَنْ يُجَنِّبَهُمُ الْعَجْزَ وَالْفِرَارَ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِالنُّصْرِ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. بَرَزُوا - ظَهَرُوا وَأَنْكَشَفُوا.

(وَأَتَاهُ) (الْعَالَمِينَ)

(٢٥١) - فَهَزَمَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ طَالُوتَ أَعْدَاءَهُمُ الْكَافِرِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَقَتَلَ دَاوُدَ (مِنْ جَيْشِ طَالُوتَ) جَالُوتَ مَلِكَ الْكُفَّارِ، وَمَنْ اللَّهُ عَلَى دَاوُدَ بِأَنْ آتَاهُ الْمُلْكُ الَّذِي كَانَ بِيَدِ طَالُوتَ، وَالنُّبُوَّةَ (الْحِكْمَةَ)، وَعَلَّمَهُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي اخْتَصَّهُ بِهِ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ بَأْسَ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْجَوْرِ وَالْآثَامِ، بِأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ، لَغَلَبَ أَهْلُ الْفَسَادِ، وَبَغَوْا عَلَى الصَّالِحِينَ، وَصَارَ لَهُمْ سُلْطَانٌ فَفَسَدَتِ الْأَرْضُ، فَكَانَ مِنْ

٢٤٩ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ

قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ

بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ

بِمِيٍّ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي

إِلَّا مَنْ أَغْرَفَ عُقْرَةً فِي يَدِهِ

فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ

آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ

لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ

مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِئَةٍ

قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً

بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ

٢٥٠ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ

وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ

عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ

أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

٢٥١ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ

دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ

الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ

وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا

دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ

بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ

رَحْمَةً اللَّهُ أَنْ أَذِنَ لِلْمُصْلِحِينَ بِقِتَالِ الْبَغَاةِ الْمُفْسِدِينَ. وَاللَّهُ يَمُنُّ عَلَى عِبَادِهِ وَيَرْحَمُهُمْ وَيَذْفَعُ عَنْهُمْ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ وَالْحُجَّةُ عَلَى خَلْقِهِ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.
الْحِكْمَةُ - النُّبُوَّةُ.

(آيَاتُ)

(٢٥٢) - وَهَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي فَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ إِنَّمَا فَصَّهَا بِالْحَقِّ (أَيُّ بِالْوَاقِعِ الَّذِي كَانَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْحَقِّ) لِيَتَكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أُسْوَةٌ يَتَأَسَّى بِهَا، وَلِيَتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُ كَمَا نَصَرَ مَنْ جَاءَ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ أَصْطَفَاهُمُ اللَّهُ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ.

(دَرَجَاتٍ) (وَاتَيْنَا) (الْبَيِّنَاتِ) (وَأَيَّدْنَاهُ) (الْبَيِّنَاتِ) (آمَنَ)

(٢٥٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ قَدْ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي مَرَاتِبِ الْكَمَالِ وَالشَّرَفِ، فَخَصَّ بَعْضَهُمْ بِمَآثِرٍ جَلِيلَةٍ خَلَا عَنْهَا غَيْرُهُ مَعَ اسْتِثْنَائِهِمْ جَمِيعًا فِي اخْتِيَارِهِ تَعَالَى لِإِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ، وَهَدَايَةِ خَلْقِهِ. فَمِنْهُمْ مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ سَفِيرٍ.

وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَهُ اللَّهُ مَرَاتِبَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى مَا قَالَهُ آئِنَ جَرِيرٍ وَيُؤَيِّدُهُ السِّيَاقُ أَيْضًا. وَمِنْ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَخْلَاقِهِ الشَّرِيفَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِكِتَابِهِ وَشَرِيعَتِهِ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْسَمُ﴾^(٢)، وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمْ يَوْتَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ أَعْظَمَ مِنْ مُعْجَزَةِ الْقُرْآنِ.

وَمِنْهَا مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَمَّتِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣). وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٤). (وَرُويَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَوْلُهُ: فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسَبْتٍ: أَوْتَيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ، وَاجْتُلْتُ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ).

وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ
عَلَى الْعَالَمِينَ

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا
عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ
مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
دَرَجَتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ
بَعْدَ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ
أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ
مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

(١) الآية ٤ من سورة القلم.

(٢) الآية ٩ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

وَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَن آتَاهُ الْبَيِّنَاتِ (وَهِيَ مَا يُبَيِّنُ بِهِ الْحَقُّ مِنَ الْآيَاتِ وَالْدَّلَائِلِ)، وَأَيَّدَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، (وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ عِيسَى بِإِبْتِئَاءِ الْبَيِّنَاتِ تَقْبِيحاً لِإِفْرَاطِ الْيَهُودِ فِي تَكْذِيبِهِ وَانْتِفَاصِهِ، وَإِفْرَاطِ النَّصَارَى فِي تَعْظِيمِهِ حَتَّى أَخْرَجُوهُ مِنْ مَرْتَبَةِ الرِّسَالَةِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْأُلُوْهِيَّةِ.

وَكَانَ مِنْ مُقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّ يَوْمَ النَّاسِ جَمِيعاً، وَالْأُيُوفُ لَا يَخْتَلِفُوا وَلَا يَقْتَتِلُوا. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ الْأُيُوفُ لَا يَقْتَتِلُ النَّاسُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْحَقِّ، لَمَا حَدَثَ اقْتِتَالٌ وَلَا اخْتِلَافٌ. وَلَكِنْ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ ذَلِكَ، وَلِهَذَا اخْتَلَفُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ.

وَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّفَرُّقِ، وَأَمَرَهُمُ بِالْاِتِّحَادِ وَالْوِثَامِ، فَامْتَثَلُوا أَمْرَهُ ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْاِخْتِلَافِ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ جَمَعَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، لَفَعَلَ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ لِحِكْمَةٍ لَا يُقْدِرُهَا إِلَّا هُوَ.

بُرُوحِ الْقُدُسِ - جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (رَزَقْنَاكُمْ) (شَفَاعَةً) (وَالْكَافِرُونَ) (الظَّالِمُونَ) (٢٥٤) يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمْ فِي دَفْعِ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ، وَفِي سَبِيلِ الْخَيْرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِيَكْسِبُوا ثَوَابَ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ فِي الْآخِرَةِ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ - وَهُوَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ الْإِنْسَانُ إِلَّا عَمَلُهُ الصَّالِحُ الطَّيِّبُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَنْفَعُهُ فِيهِ صَدَاقَةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ شَفِيعٍ - وَجَدُوا مَا أَنْفَقُوا عَمَلًا صَالِحًا لَهُمْ يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ أَكْثَرَ ظُلْماً لِنَفْسِهِ مِمَّنْ يَأْتِي اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَافِرًا بِرَبِّهِ، شَجِيحاً بِخَيْلٍ مُمْتَنِعَةٍ عَنْ دَفْعِ زَكَاةِ مَالِهِ وَعَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. لَا خُلَّةَ - لَا مَوْدَّةَ وَلَا صَدَاقَةَ.

(السَّمَاوَاتِ) (يُؤَدُّهُ)

(٢٥٥) - هَذِهِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَلَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى عَشْرِ جُمَلٍ مُسْتَقِلَّةٍ:

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - وَهُوَ إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْأُلُوْهِيَّةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ دُونَ سِوَاهُ.

الْحَيُّ الْقَيُّومُ - الْحَيُّ فِي نَفْسِهِ، الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَداً. وَالْقَيُّومُ عَلَى غَيْرِهِ،

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ

إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ
حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

وَهُوَ الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ أَمْرِ عِبَادِهِ، يَكْلُؤُهُمْ وَيَحْفَظُهُمْ وَيَرْعَاهُمْ وَيَرْزُقُهُمْ،
وَلَا قِيَامَ لِلْمَخْلُوقَاتِ بِذَوْنِ أَمْرِهِ.
لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ - لَا يَعْتَرِيهِ نَقْصٌ وَلَا غَفْلَةٌ وَلَا ذُهُولٌ عَنْ خَلْقِهِ،
وَمِنْ تَمَامِ الْقِيَمَةِ أَنْ لَا يَعْتَرِيَهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، لِأَنَّ اعْتِرَاءَ النَّعَاسِ وَالْوَسَنِ
دَلِيلٌ عَلَى الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ.

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ - وَهُوَ إِخْبَارٌ بِأَنَّ جَمِيعَ مَنْ فِي
الْكُونِ عَبِيدٌ لَهُ وَفِي مُلْكِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ
بِشُؤْنِهِمْ، الْحَافِظُ لَوْجُودِهِمْ.

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ - وَمِنْ عَظَمَتِهِ، جَلَّ شَأْنُهُ وَعَلَا، لَا
يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ إِلَّا إِذَا أُذِنَ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ
أَحَدٌ بِذَوْنِ إِذْنِهِ.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ - وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى إِحَاطَتِهِ عِلْمًا بِكُلِّ شَيْءٍ
فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أُمُورَ الدُّنْيَا الَّتِي خَلَقُوهَا،
وَأُمُورَ الْآخِرَةِ الَّتِي يَسْتَقْبِلُونَهَا.

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ - وَلَا يَطْلُعُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى
شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَأُطْلِعَهُ عَلَيْهِ، وَإِذْنٌ لَهُ بِهِ. وَلَا
يُعْرِفُ إِذْنُهُ تَعَالَى إِلَّا بِوَحْيٍ مِنْهُ.

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ - وَالْكُرْسِيُّ غَيْرُ الْعَرْشِ، وَهُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ. وَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَبِيدِ أَلْفَيْتَيْنِ ظَهَرْتُ لِي فَلَاةٌ مِنَ الْأَرْضِ.
وَلَا يُؤَوِّدُهُ حِفْظُهُمَا - وَلَا يُعْجِزُهُ حِفْظُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا
بَيْنَهُمَا بَلْ هُوَ سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، فَلَا يَغْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ.
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ - وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي عَنِ النِّقْصِ، الْعَظِيمُ بِجَلَالِهِ
وَسُلْطَانِهِ.

(الطَّاعُونَ)

(٢٥٦) - يَا مَرْءَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَيْكُرْهُوا أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي
الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ بَيْنَ وَاضِحٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَى
الدُّخُولِ فِيهِ. وَالْإِيمَانُ إِذْعَانٌ وَخُضُوعٌ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ بِالْإِذْعَانِ
وَالْإِكْرَاهِ. وَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْحُجَّةِ وَالْدَّلِيلِ وَالْبَرَهَانِ، وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ فِي هَذَا
الدِّينِ الرُّشْدَ وَالصَّلَاحَ، وَأَنَّ مَا خَالَفَهُ مِنَ الْمِلَلِ الْأُخْرَى غَيٌّ وَضَلَالٌ.
فَمَنْ كَفَرَ بِالْأَنْدَادِ وَالْأَوْتَانِ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ مِنْ عِبَادَةٍ كُلِّ مَا يُعْبَدُ

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاعُونَ
وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا
أَنْفَصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

مِنْ دُونِ اللَّهِ (أَيُّ وَمَنْ كَفَرَ بِمَا تَكُونُ عِبَادَتُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ سَبَبًا فِي الطُّغْيَانِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْحَقِّ مِنْ عِبَادَةِ مَخْلُوقٍ) فَقَدْ ثَبَتَ أَمْرُهُ، وَاسْتَقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُسْلَى، وَامْسَكَ بِأَوْتَقِ عُرَى النُّجَاةِ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنَ التَّرْدِي فِي مَهَاوِي الضَّلَالَاتِ.

وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ مَنْ يَدْعِي الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ. عَلِيمٌ بِمَا يَكُنُّ قَلْبُهُ مِمَّا يَصْدَقُ هَذَا أَوْ يَكْذِبُهُ.

الطَّاغُوتِ - هُوَ كُلُّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهَا، وَالْإِسْتِنَصَارِ بِهَا، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الطَّاغُوتَ هُوَ الشَّيْطَانُ.

تَبَيَّنَ الرُّشْدُ - تَمَيَّزَ الْهُدَى وَالْإِيمَانُ.

مِنَ الْغَيِّ - مِنَ الضَّلَالِ وَالْكَفْرِ.

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى - بِالْعَقِيدَةِ الْوُثْقَى الْمُحْكَمَةِ.

لَا انْفِصَامَ لَهَا - لَا انْقِطَاعَ وَلَا زَوَالَ.

(آمَنُوا) (الظُّلُمَاتِ) (الطَّاغُوتِ) (الظُّلُمَاتِ) (أُولَئِكَ)
(أَصْحَابِ) (خَالِدُونَ)

(٢٥٧) - اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَهُ، فَيُخْرِجُهُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالشُّكِّ وَالرَّيْبِ إِلَى نُورِ الْحَقِّ الْوَاضِحِ. وَالْمُؤْمِنُ لَا وَلِيَّ لَهُ، وَلَا سُلْطَانَ لِأَحَدٍ عَلَى اعْتِقَادِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَلِيُّهُمْ الشَّيْطَانُ، يُزَيِّنُ لَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ، وَيُخْرِجُهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَنُورِهِ، إِلَى الْكُفْرِ وَظُلُمَاتِهِ، وَيُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ لِيَتَّقُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا. وَالنُّورُ هُوَ الْحَقُّ، وَالْحَقُّ وَاحِدٌ، أَمَّا الظُّلُمَاتُ وَهِيَ الْكُفْرُ فَهِيَ أَجْنَأَسُ.

(إِبْرَاهِيمَ) (آتَاهُ) (الظَّالِمِينَ) (يُحْيِي) (أُحْيِي)

(٢٥٨) - أَلَمْ يَنْتِ إِلَى عِلْمِكَ يَا مُحَمَّدُ نَبَا الْمَلِكِ الَّذِي ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، فَجَادَلَ إِبْرَاهِيمَ فِي وُجُودِ رَبِّهِ؟ وَمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا الطُّغْيَانُ وَالْكَفْرُ وَالتَّجَبُّرُ وَطُولُ مُدَّتِهِ فِي الْمُلْكِ، فَطَلَبَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِ اللَّهِ، الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ الْحَيَاةَ، وَهُوَ الَّذِي يُعَدِّمُهَا. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ الْمُجَادِلُ الْمُدَّعِي الرُّبُوبِيَّةِ (وَقِيلَ إِنَّهُ النَّمْرُودُ بْنُ كِنَعَانَ)؛ إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ بِالْعَفْوِ مَنْ حَكِمَ عَلَيْهِ

﴿٢٥٧﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا

يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

أُولَئِكَ وَهُمْ الطَّاغُوتُ

يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى

الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

﴿٢٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ

فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي

يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ

يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ

بالإعدام، وَبَيِّتَ مَنْ شَاءَ إِمَاتَتَهُ بِأَنْ يَأْمُرَ بِقَتْلِهِ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَادِرٌ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي الوجودِ، وَتَسْخِيرِ الكَوَاكِبِ
وَحَرَكَاتِهَا، فَإِنْ كُنْتُ كَمَا تَدَّعِي إِلَهَا فَبَدِّلْ حَرَكَةَ الشَّمْسِ الَّتِي تَطْلُعُ مِنَ
الْمَشْرِقِ، فَاجْعَلْهَا تَطْلُعُ مِنَ الْمَغْرِبِ. فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَأَبْلَسَ، إِذْ
قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَلَا يُلْهِمُهُمْ حُجَّةً وَلَا
بُرْهَانًا.

بُهِتَ - تَحِيرَ وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ.

(يُحْيِي) (آيَةٌ)

(٢٥٩) - وَأَذْكُرُ بِمَا مُحَمَّدٌ مَثَلًا مِنَ الْأَمْثَالِ الْبَالِغَةِ الْغَرَابَةِ، وَهُوَ مَثَلُ
الرَّجُلِ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ سُكَّانِهَا (وَقِيلَ هِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ)
بَعْدَ أَنْ خَرَّبَهَا بِخَتْنَصْرٍ وَقَدْ خَرِبَتْ وَسَقَطَتْ سُقُوفُهَا عَلَى عُرْصَاتِهَا،
فَاتَّخَذَ يَتَفَكَّرُ فِيمَا آلَ إِلَيْهِ حَالُهَا، وَقَدْ كَانَتْ عَابِرَةً فِيمَا سَلَفَ مِنَ الْأَزْمَانِ،
وَسَأَلَ نَفْسَهُ كَيْفَ (أَتَى) يَسْتَطِيعُ اللَّهُ أَنْ يُحْيِيَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ، وَيُعِيدَهَا إِلَى
مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ عُمْرَانٍ وَسُكَّانٍ. فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ،
وَقَدْ عَمَرَتِ الْمَدِينَةَ، وَتَكَامَلَ سَاكِنُوهَا. وَسَأَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمْ لَبِثْتُ؟
قَالَ: يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ لَبِثْتَ مِثَّةَ عَامٍ. فَانْظُرْ إِلَى مَا
كَانَ مَعَكَ مِنَ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَفَاكِهَةٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَمْ يَفْسُدْ.
وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ الَّذِي نَجَرْتَ عِظَامَهُ، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ، كَيْفَ يُحْيِيهِ
اللَّهُ، وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى بَعْثِ الْعِبَادِ يَوْمَ
الْمَعَادِ، وَتُزِيلُ بِذَلِكَ تَعْجَبَكَ، وَنُرِيكَ آيَاتِنَا فِي نَفْسِكَ وَطَعَامِكَ
وَشَرَابِكَ. وَأَنْظُرْ إِلَى عِظَامِ الْحِمَارِ كَيْفَ نَرْفَعُهَا (نُنَشِّرُهَا) فَيَرْكُبُ بَعْضُهَا
فَوْقَ بَعْضٍ، ثُمَّ نَكْسُو الْعِظَامَ لَحْمًا. وَالْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَكْسُو هَذِهِ الْعِظَامَ
لَحْمًا، وَيَمُدُّهَا بِالْحَيَاةِ، وَيَجْعَلَهَا أَصْلًا لِجِسْمٍ حَيٍّ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ
يُحْيِيَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ.

فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذَلِكَ بِعَيْنِهِ قَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،
وَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ بِعَيْنِي.

خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا - سَاقِطَةٌ عَلَى سُقُوفِهَا الَّتِي سَقَطَتْ.

أَتَى يُحْيِي - كَيْفَ أَوْ مَتَى يُحْيِي.

لَمْ يَتَسَنَّهْ - لَمْ يَتَغَيَّرْ مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ عَلَيْهِ.

نُنَشِّرُهَا - نَرْفَعُهَا مِنَ الْأَرْضِ لِنُؤَلِّفَهَا.

بِهِمَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ

٢٥٩ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ
خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى
يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ
قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا
أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ
مِثَّةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ
وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ
إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ
آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ
إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ
نُنَشِّرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(إِبْرَاهِيمُ) (تُحْيِي) (لِيُطْمِئِنَّ)

(٢٦٠) - وَأَذْكُرْ إِذْ سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي الْمَوْتَى لِيُطْمِئِنَّ قَلْبُهُ، فَسَأَلَهُ رَبُّهُ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ بِي وَأَنْبَى قَادِرٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ كَيْفَ أَشَاءُ حَتَّى تَسْأَلَنِي إِرَاءَتَكَ إِيَّاهُ؟ قَالَ: بَلَى إِنِّي مُؤْمِنٌ بِذَلِكَ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ زِيَادَةً فِي الْيَقِينِ.. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: خُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَادْبَحْهُمْ وَقَطِّعْهُمْ وَأَخْلِطْ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا. ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَدْعُوهُمْ، فَلَدَعَاهُمْ، فَاتَّخَذَ يُنْظَرُ إِلَى الرَّيْشِ يَطِيرُ إِلَى الرَّيْشِ، وَالذَّمَّ إِلَى الذَّمِّ، وَاللَّحْمَ إِلَى اللَّحْمِ، وَالْأَجْزَاءُ مِنْ كُلِّ طَائِرٍ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، حَتَّى تَكْمُلَ كُلُّ طَائِرٍ عَلَى حَذِيثِهِ، وَأَتَيْنَهُ يَمْشِينَ سَعْيًا لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي الرُّؤْيَةِ الَّتِي سَأَلَهَا. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ: أَعْلَمَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، لِأَنَّهُ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمُ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ. فَصَرَّهِنَّ - أَجْمَعَهُنَّ إِلَيْكَ وَقَطَّعَهُنَّ.

(أَمْوَالُهُمْ) (يُضَاعِفُ) (وَأَسْعُ)

(٢٦١) - يُحِثُّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى إِتْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ (فِي الْحَجِّ وَفِي الْجِهَادِ وَفِي الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ) وَيَضْرِبُ لَهُمُ الزَّرْعَ مَثَلًا عَلَى تَنْمِيَّتِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ لِأَصْحَابِهَا، فَكَمَا يَنْمُو الزَّرْعُ لِمَنْ بَذَرَهُ، كَذَلِكَ يَتَضَاعَفُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ الْأَجْرَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَزِيدُهُ زِيَادَةً لَا حَصْرَ لَهَا بِحَسَبِ إِخْلَاصِ الْعَبْدِ فِي عَمَلِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ لَا يَنْحَصِرُ فَضْلُهُ، وَلَا يُحَدُّ عَطَاؤُهُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْمُضَاعَفَةَ وَبِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا.

(أَمْوَالُهُمْ)

(٢٦٢) - يَمْدَحُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ إِتْفَاقَهُمْ مَتَى عَلَى النَّاسِ بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ، وَلَا يَفْعَلُونَ مَعَ مَنْ أَحْسَنُوا إِلَيْهِمْ مَكْرُوهًا أَوْ أَذَى يُحِيطُونَ بِهِ مَا اسْتَفَوْهُ مِنَ الْإِحْسَانِ، فَهَؤُلَاءِ ثَوَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ لَا عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَمْوَالِ، وَلَا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ وَرَبِيتِهَا، لِأَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى خَيْرٍ مِمَّا كَانُوا فِيهِ.

(٦٦) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي

كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُطْمِئِنُّونَ قَالِ بَلَى وَلَكِنْ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصَرْهِنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(٦٧) مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

(٦٨) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

مَنَّا - عَدَا لِلْإِحْسَانِ وَإِظْهَارِ آلِهِ .

أَذَى - تَطَاوَلًا وَتَفَاخُرًا بِالْإِنْفَاقِ أَوْ تَبَرُّمًا بِهِ .

(٢٦٣) - كَلِمَةُ طَيِّبَةٍ، وَرَدَّ جَمِيلٌ عَلَى سَائِلٍ، وَدُعَاءٌ لِمُسْلِمٍ، وَعَفْوٌ وَمَغْفِرَةٌ عَنْ ظُلْمٍ لِحَقِّ بِالْمُؤْمِنِ، خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يُتْبِعُهَا الْإِنْسَانُ بِإِذَاءٍ مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ، حَلِيمٌ يَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيَصْفَحُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ .

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (صَدَقَاتِكُمْ) (الْكَافِرِينَ) (الْآخِرِ)

(٢٦٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّ الْمَنَ وَالْأَذَى يُبْطِلَانِ الْفَائِضَةَ الْمَقْصُودَةَ مِنْ إِعْطَاءِ الصَّدَقَاتِ، كَمَا يُبْطِلُهَا إِعْطَاءُ الصَّدَقَةِ لِلتَّبَاهِي وَالْمُرَاءَةِ أَمَامَ النَّاسِ بِهَا، كَمَنْ يَتَصَدَّقُ مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَتَخْفِيفَ بُؤْسِ الْمُحْتَاجِينَ . وَهُوَ إِنَّمَا يُرِيدُ مَدْحَ النَّاسِ، وَالْإِشْتِهَارَ بَيْنَهُمْ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . وَهَؤُلَاءِ الْمُرَاوُونَ مَثَلُ أَعْمَالِهِمْ مَثَلُ تُرَابٍ عَلَى حَجَرٍ أَمْلَسَ، فَهَظُلٌّ مَطَرٌ فَنَسَلَ الْحَجَرَ، وَلَمْ يَتْرَكْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ التُّرَابِ، وَأَصْبَحَ الْحَجَرُ صُلْدًا لَا تُرَابٌ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ يَذْهَبُ عَمَلُ الْمُرَائِينَ وَلَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ، فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنْ ظَهَرَ أَنَّ لَهُمْ أَعْمَالًا حَسَنَةً، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ الْمُنَافِقِينَ الْمُرَائِينَ، إِلَى الْخَيْرِ وَالرَّشَادِ .

رِفَاءُ النَّاسِ - مُرَاءَةٌ لَهُمْ وَطَلَبًا لِلشُّمْعَةِ عِنْدَ النَّاسِ .

صَفْوَانٍ - حَجَرٍ أَمْلَسَ .

وَأَبْلٌ - مَطَرٌ شَدِيدٌ عَظِيمُ الْقَطْرِ .

صُلْدًا - أَجْرَدَ نَقِيًّا مِنَ التُّرَابِ .

(أَمْوَالُهُمْ) (مَرَصَاةٌ) (فَاتَتْ)

(٢٦٥) - أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ طَلَبًا لِمَرَصَاةِ اللَّهِ عَنْهُمْ، وَهُمْ مُتَحَقِّقُونَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ سَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ بُسْتَانٍ (جَنَّةٍ) بِرَبْوَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَنِ الْأَرْضِ، فَاصَابَهَا مَطَرٌ شَدِيدٌ (وَأَبْلٌ)، فَانْمَرَّتْ ضِعْفَيْنِ مِمَّا أَثْمَرَتْهُ غَيْرُهَا مِنَ الْجَنَانِ (أَوْ ضِعْفَيْنِ مِمَّا كَانَتْ تُثْمِرُهُ قَبْلًا) فَإِنَّ لَمْ يُصَبَّهَا الْمَطَرُ الشَّدِيدُ، أَصَابَهَا مَطَرٌ خَفِيفٌ يَكْفِيهَا لِحَوْدَةِ تَرْبَتِهَا، وَحُسْنِ مَوْقِعِهَا، فَهِيَ لَا تَمُجِلُ أَبَدًا . وَكَذَلِكَ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ لَا يَبُورُ أَبَدًا، بَلْ يَقْبَلُهُ اللَّهُ وَيُكَثِّرُهُ وَيَنْمِيهِ .



قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ

خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا
أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا

صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى

كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ

وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ

تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ

صُلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى

شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ

اللَّهِ وَتَنْجِيَتٍ مِّنْ أَنفُسِهِمْ

كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا

وَابِلٌ فَتَنَّتْ أَكْثَلَهَا

ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصَبَّهَا

وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى هُوَ: وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْجَوَادُ الْبَرُّ إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ أَغْدَقَ وَوَسَّعَ فِي الْإِنْفَاقِ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ قَلِيلٌ أَنْفَقَ بِقَدَرِهِ، فَخَيْرُهُ دَائِمٌ، وَبَرُّهُ لَا يَنْقُطُ).

وَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ.

الْجَنَّةُ - الْبُسْتَانُ.

الْوَابِلُ - الْمَطَرُ الشَّدِيدُ.

الطَّلُ - الْمَطَرُ الْخَفِيفُ.

الْأَكْلُ - مَا تُعْطِيهِ الشَّجَرَةُ مِنْ ثَمَارٍ.

تَثْبِيئًا - تَصْدِيقًا وَبِقِيْنًا بِثَوَابِ الْإِنْفَاقِ.

(الْأَنْهَارُ) (الشَّمَرَاتِ) (الآيَاتِ)

(٢٦٦) - ضَرَبَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَثَلًا لِرَجُلٍ غَيَّبِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ وَأَنْظَلَهَا، وَاجْتَنَحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ فَلَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، لِأَنَّهُ هَلَكَ وَبَطَلَ، وَعَزَّ عَلَيْهِ وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَكُونُ أَحْتِيَاجًا إِلَيْهِ. فَمَثَلُ هَذَا الرَّجُلِ مَثَلُ إِنْسَانٍ غَرَسَ بُسْتَانًا فِي شَبَابِهِ، وَاجْتَرَى فِيهِ الْأَنْهَارَ، فَكَبُرَتِ الْأَشْجَارُ وَأَثْمَرَتْ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْكِبَرُ كَانَ الْبُسْتَانُ فِي أَفْضَلِ حَالَيْهِ، وَكَانَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضَعْفَاءُ صِغَارٌ لَا يَقْوُونَ عَلَى الْقِيَامِ بِعَمَلِ الْبُسْتَانِ، فَارْتَسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ رِيحًا شَدِيدَةً (إِعْصَارًا) فِيهَا نَارٌ أَحْرَقَتْ الْبُسْتَانَ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الرَّجُلِ قُوَّةٌ لِيُعِيدَ غَرْسَ الْبُسْتَانِ بِالْأَشْجَارِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ذُرِّيَّةٌ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَعُودَ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ. وَكَذَلِكَ حَالُ مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَيَبْذُلُ الْمَالَ، ثُمَّ يَحْبِطُ عَمَلُهُ بِالرَّيَاءِ أَوْ الْمَنِّ وَالْأَدَى.

وَاللَّهُ يَسُوقُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ، لَعَلَّهُمْ يَتَعَلَّظُونَ،

وَيَفْهَمُونَ الْأَمْثَالَ وَالْمَعَانِي وَيَنْزِلُونَهَا مَنْزِلَهَا.

إِعْصَارٌ - رِيحٌ عَاصِفَةٌ.

فِيهِ نَارٌ - سَمُومٌ شَدِيدٌ أَوْ صَاعِقَةٌ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (طَيِّبَاتِ) (بِأَخْذِيهِ)

(٢٦٧) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِنْفَاقِ مِنْ أَطْيَبِ الْمَالِ وَأَجْوَدِهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّصَدُّقِ بِأَرْذَلِ الْمَالِ وَأَخْسَرِهِ. لِأَنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا. وَيَقُولُ لَهُمْ لَا تَقْصِدُوا الْمَالَ الْخَبِيثَ لِتَنْفِقُوا مِنْهُ، وَهَذَا الْمَالَ الْخَبِيثَ لَوْ أَنَّهُ أُعْطِيَ إِلَيْكُمْ لَمَّا أَخَذْتُمُوهُ، إِلَّا عَنْ إِغْمَاضٍ

﴿٢٦٦﴾ أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ

جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ

فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ

الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفَاءُ فَأَصَابَهَا

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْرَقَتْ

كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ

﴿٢٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ

طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا

أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا

تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ

وَحَيَاءٌ. وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ وَإِنْ أَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَاتِ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ وَعَنْ صَدَقَاتِهِمْ، وَهُوَ إِنَّمَا يَحْتُمُّ عَلَى التَّصَدُّقِ وَالْإِنْفَاقِ لِيَسَاوِيَ بَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، وَاللَّهُ حَمِيدٌ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشُرْعِهِ وَقُدْرِهِ (وَيُرَوَّى أَنَّ السَّبَبَ فِي نَزُولِ هَذِهِ آيَةِ هُوَ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَأْتُونَ بِصَدَقَتِهِمْ مِنْ رِذْيَةِ الثَّمَرِ).
لَا تَيْمُمُوا - لَا تَقْصُدُوا.

لَسْتُمْ بِأَحْذِيهِ - لَا تَأْخُذُونَهُ لَوْ أَنَّهُ أُعْطِيَ إِلَيْكُمْ.
إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ - إِلَّا عَنْ إِعْمَاضٍ وَأَسْتِحْيَاءٍ وَتَسَاهُلٍ.
الْحَبِيثُ - الْمَالُ الرَّذِيءُ.

(الشَّيْطَانُ) (وَاسِعٌ)

(٢٦٨) - الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ الْمُتَصَدِّقِينَ مِنْكُمْ مِنَ الْفَقْرِ، لِيَتَمَسَّكُوا مَا بِيَدَيْكُمْ، وَلَا تَتَفَقَّهُوا فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْمَآثِمِ، وَمُخَالَفَةِ الْأَخْلَاقِ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرِّزْقِ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ، وَبِمَا أَدْعَاهُ اللَّهُ فِي الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ مِنْ حُبِّ الْخَيْرِ. وَاللَّهُ وَاسِعٌ الرِّزْقِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَغْفِرَةِ. عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَمَا فِيهِ خَيْرُكُمْ. الْفَضْلُ - الرِّزْقُ.

(أُولُو) (الْأَلْبَابِ)

(٢٦٩) - اللَّهُ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمَعْرِفَةَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْفِقْهِ وَالْقُرْآنِ (الْحِكْمَةِ)، وَمَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَقَدْ آتَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَمَا يَنْتَفِعُ بِالذِّكْرِ وَالْمَوْعِظَةِ إِلَّا مَنْ لَهُمْ عَقُولٌ سَلِيمَةٌ يَعُونَ بِهَا مَعْنَى الْكَلَامِ.
الْحِكْمَةُ - مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْفِقْهِ وَالْقُرْآنِ.

(لِلظَّالِمِينَ)

(٢٧٠) - إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ الْعَامِلُونَ مِنَ التَّفَقَّاتِ وَالْمُنْذِرَاتِ، وَهُوَ يُجَازِي مَنْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ آتِيَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمُ الْكَرِيمِ، أَفْضَلَ الْجَزَاءِ وَأَكْرَمَهُ. أَمَّا الظَّالِمُونَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ، وَيُكَذِّبُونَ بَيِّنَاتِهِ وَأَخْبَارَهُ، وَيَعْبُدُونَ مَعَ آلِهَةٍ وَيَتَصَدَّقُونَ لِلرِّيَاءِ، أَوْ يُؤَدُّونَ مَنْ أَعْظَمَهُمُ الصَّدَقَاتِ... فَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَنَقَمَتِهِ.

وَلَسْتُمْ بِأَحْذِيهِ إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ

(الْصَّدَقَاتِ)

(٢٧١) - إِنْ أَظْهَرْتُمْ الصَّدَقَاتِ فَلَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ الصَّدَقَاتِ فَذَلِكَ أَفْضَلُ لَأَنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ، إِلَّا أَنْ يَتَرْتَبَ عَلَى الْإِظْهَارِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ، مِنْ اقْتِدَاءِ النَّاسِ بِهِ، فَيَكُونُ الْإِظْهَارُ أَفْضَلَ. وَبِحَازِي اللَّهِ عِبَادَهُ الْمُخْلِصِينَ الْمُتَصَدِّقِينَ عَلَى صَدَقَاتِهِمْ بِتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِهِمْ، وَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَسَيَجْزِيهِمْ بِهِ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَدَقَةُ السَّرِّ فِي التَّطَوُّعِ تَفْضُلٌ عَلَانِيَتِهَا سَبْعِينَ مَرَّةً، وَصَدَقَةُ الْفَرِيضَةِ عَلَانِيَتُهَا أَفْضَلُ مِنْ سِرِّهَا بِخَمْسَةِ وَعَشْرِينَ ضِعْفًا).

(هَذَاهُمْ)

(٢٧٢) - كَانَ الْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَلَى أَقْرَبَانِهِمُ الْمُشْرِكِينَ الْمُحْتَاجِينَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ ذَلِكَ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. فَاسْرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَهَا بِالصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَأَلَهُمْ مِنْ كُلِّ دِينٍ، فَالْمُؤْمِنُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى هِدَايَةِ الْآخَرِينَ، وَاللَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ.

وَالْإِنْفَاقُ عَمَلٌ خَيْرٌ يُمُودُ نَفْعُهُ عَلَى الْمُتَّقِ نَفْسِهِ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُنْفِقُ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَمَتَى ابْتَغَى الْمُؤْمِنُ مِنْ إِنْفَاقِهِ وَجْهَ اللَّهِ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، لَا يَهُمُّهُ مِنَ الَّذِي نَالَهُ الْإِنْفَاقُ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا. وَكُلُّ مَا تَنْفِقُونَهُ سَيُوفَى إِلَيْكُمْ بِالتَّامِّ، وَلَا يَنْقُصُكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ (لَا تُظْلَمُونَ).

(بِسِمَائِهِمْ) (يَسْأَلُونَ)

(٢٧٣) - أَجْعَلُوا مَا تَنْفِقُونَ لِلَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ صِفَاتِهِمُ الْخَمْسَ، الَّتِي هِيَ أَجَلُ الْأَوْصَافِ قَدْرًا، وَهِيَ: (الْإِحْصَارُ، وَالْعَجْزُ عَنِ الْكَسْبِ، وَالتَّعَفُّفُ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِسِمَائِهِمْ، وَعَدَمُ سُؤَالِهِمْ شَيْئًا مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ). وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْفُقَرَاءُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَنْقَطَعُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَسَكَنُوا الْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ لَهُمْ وَسِيلَةٌ عِيشٍ يُنْفِقُونَ مِنْهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَفَرًا لِلْبَحْثِ عَنِ الرِّزْقِ، وَيَحْسَبُهُمْ مَنْ لَا يَعْرِفُهُمْ، وَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ حَالِهِمْ، أَنَّهُمْ أَغْنِيَاءُ مِنْ تَعَفُّفِهِمْ فِي لِبَاسِهِمْ وَحَالِهِمْ وَمَقَالِهِمْ، وَتَعْرِفُهُمْ بِمَا يَظْهَرُ لِدَوِي الْأَلْبَابِ مِنْ صِفَاتِهِمْ: لَا يُلْحُونَ فِي الْمَسَالَةِ، وَلَا يَطْلُبُونَ مِنَ النَّاسِ مَا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.

وَجَمِيعُ مَا تَنْفِقُونَهُ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِهِ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهِ أَزْفَى الْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٢٧١) إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا

هِيَ وَإِنْ تَخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا

الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مَنْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ



(٢٧٢) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ

يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ

فَلَا نَفْسُكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ

إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ

(٢٧٣) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا

يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي

الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ

أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ

بِسِمَائِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ

الْحِكَا فَا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ

فَاتِ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ

الإحصار - هُوَ الانْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ .
ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ - سَفَرًا فِي سَبِيلِ الرِّزْقِ وَالتَّجَارَةِ .
سِيمَاهُمْ - صِفَاتُهُمْ وَمَظْهَرُهُمْ الْخَارِجِيُّ الدَّالُّ عَلَى الْفَاقَةِ .
الْحَافَأَ - لَا يُلْحُونَ فِي الْمَسْأَلَةِ .
التَّعَفُّفِ - التَّنَزُّهُ عَنِ السُّؤَالِ .

(أَمْوَالُهُمْ) (بِالْبَيْلِ)

(٢٧٤) - وَيَمْدَحُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالِ ،
فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ مِنْ وَرَاءِ أَنْفُسِهِمْ إِلَّا مَرْضَاةَ اللَّهِ
فَهُوَ لَا لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَخَافُونَ هَوْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ،
وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكَوا مِنْ لَذَائِذِ الدُّنْيَا .

(الرِّبَا) (الشَّيْطَانُ) (فَأُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٢٧٥) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالتَّصَدَّقَ عَلَى
عِبَادِهِ ، وَإِخْرَاجِ الرِّكَاتِ ، شَرَعَ فِي غَرْضِ حَالِ أَكْلِي الرِّبَا ، وَأَمْوَالِ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَأَنْوَاعِ الشُّبُهَاتِ ، فَاجْتَبَى عَنْ خَالِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِهِمْ مِنْ
قُبُورِهِمْ ، يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، فَقَالَ عَنْهُمْ : إِنَّهُمْ لَا يَقُومُونَ مِنْ
قُبُورِهِمْ إِلَّا قِيَامًا مُنْكَرًا ، كَمَا يَقُومُ الْمَضْرُوعُ حَالَ صَرْعِهِ . وَأَكْلَهُمْ
الرِّبَا هَذَا قَائِمٌ عَلَى اسْتِحْلَالِهِمْ لَهُ ، وَجَعَلَهُ كَالْبَيْعِ ، فَيَقُولُونَ : كَمَا يَجُوزُ
أَنْ يَبِيعَ الْإِنْسَانُ سِلْعَتَهُ الَّتِي ثَمَنُهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ نَقْدًا بِعِشْرِينَ دِرْهَمًا
لِاجْتِلٍ ، كَذَلِكَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ الْمُحْتَاجَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ عَلَى أَنْ يَرُدَّهَا
عَلَيْهِ عِشْرِينَ دِرْهَمًا بَعْدَ سَنَةٍ ، فَالسَّبَبُ فِي رَأْيِهِمْ وَاحِدٌ فِي كُلِّ مِنَ
الزِّيَادَتَيْنِ ، وَهُوَ الْاجْتِلُ .

هَذِهِ هِيَ حُجَّةُ أَكْلِي الرِّبَا وَهُمْ وَاهِمُونَ فِيمَا قَالُوهُ ، وَقِيَاسُهُمْ فَاسِدٌ ، لِأَنَّ
الْبَيْعَ فِيهِ مَا يَقْتَضِي حِلَّهُ لِأَنَّهُ يُلَاحَظُ فِيهِ دَائِمًا انْتِفَاعُ الْمُشْتَرِي بِالشَّيْءِ
انْتِفَاعًا حَقِيقِيًّا .

أَمَّا الرِّبَا فَهُوَ إعْطَاءُ الدَّرَاهِمِ وَالْمِثْلِيَّاتِ وَأَخْذُهَا مُضَاعَفَةً فِي وَقْتٍ آخَرَ .
فَمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْمَدِينِ زِيَادَةً فِي رَأْسِ الْمَالِ لَا مُقَابِلَ لَهُ مِنْ عَيْنٍ وَلَا
عَمَلٍ . فَمَنْ بَلَغَهُ نَهْيُ اللَّهِ عَنِ الرِّبَا ، فَأَنْتَهَى عَنِ الرِّبَا فَلَهُ مَا سَلَفَ مِمَّا أَكَلَهُ
مِنَ الرِّبَا قَبْلَ التَّحْرِيمِ ، وَمَا سَبَقَ لَهُ أَنْ أَخَذَهُ أَيَّامَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَمْرُهُ مَرْدُودٌ
إِلَى اللَّهِ . وَمَنْ عَادَ إِلَى الرِّبَا ، بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ النَّهْيُ عَنْهُ ، فَقَدْ اسْتَوْجَبَ
الْعُقُوبَةَ مِنَ اللَّهِ ، وَالْخُلُودَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِالْإِثْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿٢٧٥﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا
يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ
وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
مِّنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ
وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ

الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ - أَيِ الْمَصْرُوعِ. وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخِيطُ الْإِنْسَانَ فَيَصْرَعُهُ.
جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ - بَلَغَهُ أَمْرُ نَهْيِ اللَّهِ عَنْ أَكْلِ الرِّبَا.
الْمَسْرُ - الْجُنُونُ وَالْحَبَلُ.

مَرَاجِلُ تَحْرِيمِ الرِّبَا فِي الْقُرْآنِ:

كَمَا مَرَّ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ فِي مَرَاجِلَ، كَذَلِكَ مَرَّ تَحْرِيمُ الرِّبَا فِي أَرْبَعِ مَرَاجِلَ مُتَدَرِّجَةٍ:

١ - فِي الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْمَكِّيَّةِ ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ ^(١) أَيِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّ الرِّبَا لَا ثَوَابَ فِيهِ عِنْدَ اللَّهِ.

٢ - وَفِي الْمَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ - أَلْفَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ دَرْسًا وَغَيْرَةً مِنْ سِيرَةِ الْيَهُودِ الَّذِينَ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَكْلَ الرِّبَا فَأَكَلُوهُ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِمَعْصِيَتِهِمْ.

فَقَدْ جَاءَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ ﴿فَبَطَلْهُمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ ^(٢).

كَمَا جَاءَ بَعْدَهَا ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَذْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ^(٣).

وَهَذِهِ الْعِبْرَةُ لَا يَكُونُ لَهَا أَثَرٌ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ وَرَائِهَا نَوْعٌ مِنْ تَحْرِيمِ الرِّبَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَهْيٌ صَرِيحٌ عَنِ الرِّبَا، وَلَكِنَّهُ أُلْمِحَ إِلَيْهِ.

٣ - الْمَرْحَلَةُ الثَّلَاثَةُ - وَلَمْ يَجِءِ النَّهْيُ الصَّرِيحُ إِلَّا فِي الْمَرْحَلَةِ الثَّلَاثَةِ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا نَهْيًا جَزْئِيًّا عَنِ الرِّبَا الْفَاحِشِ الَّذِي يَتَزَايَدُ حَتَّى يَصِيرَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ ^(٤).

٤ - الْمَرْحَلَةُ الرَّابِعَةُ - وَفِي الْمَرْحَلَةِ الرَّابِعَةِ وَالْآخِرَةِ خُتِمَ التَّشْرِيعُ الْقُرْآنِيُّ كُلُّهُ بِالنَّهْيِ الْحَاسِمِ عَنْ كُلِّ مَا يَزِيدُ عَلَى رَأْسِ مَالِ الدِّينِ.

(١) الآية ٣٩ من سورة الروم.

(٢) الآية ١٦٠ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٦١ من سورة النساء.

(٤) الآية ١٣٠ من سورة آل عمران.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا، إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(١).

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (إِيَّاكَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي لَا تُغْفَرُ: الْعُلُولُ فَمَنْ غَلَّ شَيْئًا أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالرِّبَا، فَمَنْ أَكَلَ الرِّبَا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُتَخَبَطُ).

وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى ارتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَعَلَى تَحْلِيلِهَا، وَلَا يُحِبُّ الَّذِينَ لَا يُتَّقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِهِ.

(الرِّبَا) (الصَّدَقَاتِ)

(٢٧٦) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنَّهُ يَمَحُقُ الرِّبَا، وَيُذْهِبُ مِنْ يَدِ آكِلِهِ بَرَكَهَ مَالِهِ، وَيُهْلِكُ الْمَالَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ الرِّبَا، فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ بَعْلِهِ، وَأَنَّهُ يُضَاعِفُ ثَوَابَ الصَّدَقَاتِ، وَيَزِيدُ الْمَالَ الَّذِي أُخْرِجَتْ مِنْهُ، وَيُعَاقِبُ آكِلَ الرِّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَفُورَ الْمُتَمَادِي فِي كُفْرٍ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ، لِأَنَّهُ لَا يُنْفِقُ مِنْهُ فِي سَبِيلِهِ، وَلَا يُحِبُّ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى تَحْلِيلِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَلَا الَّذِينَ يَسْتَمِرُّونَ عَلَى ارتِكَابِهَا. يَمَحُقُ - يُهْلِكُ الْمَالَ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ الرِّبَا.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الصَّلَاةِ) (وَاتُوا) (الرَّكَاةِ)

(٢٧٧) - يَمْدَحُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُصْذِقِينَ بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ، وَعَامِلِي الصَّالِحَاتِ وَالْمُزَكِّينَ، وَيُخَبِّرُ عَنْهُمْ أَنَّهُ يَحْفَظُ لَهُمْ أَجْرَهُمْ، وَأَنَّهُمْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الرِّبَا)

(٢٧٨) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُصْذِقِينَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، بِالتَّقْوَى، فَيَقُولُ لَهُمْ: اتَّقُوا اللَّهَ وَاتْرَكُوا مَا لَكُمْ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الرِّبَا (أَيُّ مَا يَزِيدُ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِكُمْ) إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا بِمَا شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ تَحْلِيلِ الْبَيْعِ، وَتَحْرِيمِ الرِّبَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(أَمْوَالِكُمْ)

(٢٧٩) - وَأَنْذَرُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ لَا يَمْتَلِئُونَ لِأَمْرِهِ مِنْ تَرْكِ مَا بَقِيَ مِنْ

(١) الْآيَتَانِ ٢٧٨ وَ ٢٧٩ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾

وَلَا تَظْلُمُونَ

الرَّبَا عِنْدَ النَّاسِ، بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَخُرُوجِهِمْ عَنِ الشَّرْعِ،
وَعَدَمِ خُضُوعِهِمْ لَهُ، فَإِنْ تَابُوا فَلَهُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِهِمْ بِدُونِ زِيَادَةٍ، لَا
يُظْلَمُونَ بِأَخْذِ زِيَادَةٍ، وَلَا يُظْلَمُونَ بِوَضْعِ شَيْءٍ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ.
حَرْبُ اللَّهِ - غَضَبُهُ وَأَنْتِقَامُهُ مِمَّنْ يَأْكُلُ الرِّبَا.
حَرْبُ رَسُولِهِ - مُقَاوَمَتُهُ لَهُمْ بِاعْتِبَارِهِمْ خَارِجِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ.
فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ - فَأَيُّقِنُوا بِحَرْبٍ.

(٢٨٠) - فَإِنْ كَانَ الْمَدِينُ مُعْصِراً لَا يَجِدُ وَفَاءَ ذَنْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ الدَّائِنَ
بِنَظَرَتِهِ إِلَى حِينِ مَيْسَرَةٍ، وَتَمَكُّبِهِ مِنْ دَفْعِ مَا عَلَيْهِ. وَإِنْ تَصَدَّقَ الدَّائِنُ
عَلَى الْمَدِينِ الْمُعْصِرِ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ، أَوْ بِرَأْسِ الْمَالِ كُلِّهِ،
فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ. وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى تَنْفِيسِ كُرْبَةِ
الْمَكْرُوبِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِ الْمُعْصِرِ.

(٢٨١) - وَأَحْذَرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْعَظِيمَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي
تَنْفَرُغُونَ فِيهِ مِنْ مَشَاغِلِكُمُ الْجَسَدِيَّةِ وَالْذُّنُوبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَصْرِفُكُمْ عَنْ
رَبِّكُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيُجَازِي اللَّهُ كُلًّا بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا،
وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا، وَلَا تَنْقُصُ نَفْسٌ مِنْ ثَوَابِهَا، وَلَا يَزَادُ فِي عِقَابِهَا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (إِحْدَاهُمَا) (تَسْأَلُوا) (لِلشَّهَادَةِ) (تِجَارَةً)

(٢٨٢) - يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَعَامَلُوا بِمُعَامَلَاتٍ مُؤَجَّلَةٍ فَلِإِنْ
عَلَيْهِمْ أَنْ يَكْتُبُوهَا، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَحْفَظَ لِمُقْدَارِهَا وَمِيقَاتِهَا، وَأَضْبَطَ
لِلشَّهَادَةِ فِيهَا، وَلِيَكْتُبَ بَيْنَهُمْ كَاتِبٌ بِالْقِسْطِ وَالْحَقِّ (بِالْعَدْلِ)، وَلَا يُجْزَ
فِي كِتَابَتِهِ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَكْتُبُ إِلَّا مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ دُونِ زِيَادَةٍ وَلَا
نَقْصَانٍ. وَعَلَى مَنْ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ أَنْ لَا يَمْتَنِعَ عَنِ الْكِتَابَةِ إِذَا مَا سُئِلَ
الْكِتَابَةَ لِلنَّاسِ، وَلَا ضَرَرَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَكَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ
يَعْلَمُ فَلْيَتَصَدَّقْ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (مَنْ كَتَمَ عِلْماً يَعْلَمُهُ أَلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ
نَارٍ).

وَلْيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الدُّيْنُ عَلَى الْكَاتِبِ مُقَرَّاً بِمَا فِي ذِمَّتِهِ مِنَ الدُّيْنِ،
لِيَكُونَ إِمْلَالُهُ حُجَّةً عَلَيْهِ تَحْفَظُهَا الْكِتَابَةُ، وَلِيَتَّقِيَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وَلَا يَكْتُمُ
مَنْهُ شَيْئاً وَلَا يَنْقُصُ (لَا يَنْخُسُ). أَمَّا إِذَا كَانَ الْمَدِينُ سَفِيهاً مَحْجُوراً
عَلَيْهِ لِتَنْذِيرِهِ، أَوْ كَانَ ضَعِيفاً أَوْ صَغِيرَ أَوْ مَجْنُوناً، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَرَّرَ
وَيُمْلَى عَلَى الْكَاتِبِ لِعِيٍّ أَوْ لَجَهْلٍ... فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ.

وَإِنْ كَانَتْ دُوْعُسَرَةٌ فَتَنْظَرُهُ
إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ
كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ
اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِلِ الَّذِي
عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ
وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ
ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ
هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيُهُ بِالْعَدْلِ
وَأَسْأَلُ شُهَدَاءَ الَّذِينَ مِنْ
رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ

وَأَشْهَدُوا شَاهِدَيْنِ زِيَادَةً فِي الْأَشْيَاقِ: رَجُلَيْنِ أَوْ رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ مِنَ الشُّهُودِ الْعُدُولِ الَّذِينَ تَرْضَوْنَ شَهَادَتَهُمْ. وَإِذَا دُعِيَ الشُّهُودُ لِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ فَعَلَيْهِمْ أَلَّا يَمْتَنِعُوا. وَيَحْتَثُّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَدَمِ إِهْمَالِ الْكِتَابَةِ فِي الدِّينِ، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، لِأَنَّ ذَلِكَ أَعْدَلُ عِنْدَ اللَّهِ (أَقْسَطُ) وَأَثْبَتُ لِلشَّهَادَةِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ حِينَ يَضَعُ خَطُّهُ عَلَى السَّنَدِ ثُمَّ يَرَاهُ فَيَذْكُرُ الشَّهَادَةَ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى عَدَمِ الرِّيْبَةِ إِذْ تَرْجِعُونَ عِنْدَ التَّنَازُعِ إِلَى الْكِتَابَةِ وَمَا جَاءَ فِيهَا.

أَمَّا إِذَا كَانَ الْبَيْعُ بِالْحَاضِرِ يَدًا بِيَدٍ (تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا) فَلَا بَأْسَ فِي تَرْكِ الْكِتَابَةِ، لِإِنْفَاءِ الْمَحْذُورِ فِي تَرْكِهَا. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَلْحَقَ ضَرَرُ بِالْكَاتِبِ أَوْ بِالشَّاهِدِ لِمَا يَقُومَانِ بِهِ. وَمَنْ يُخَالِفْ أَمْرَ اللَّهِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ عَدَمِ إِيدَاءِ الْكَاتِبِ وَالشَّاهِدِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَسْقٌ وَخُرُوجٌ عَنِ شَرْعِ اللَّهِ. وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ وَاجِبَاتِكُمْ، وَيُرْسِدُكُمْ إِلَى خَيْرِكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وَلْيُمْلِلْ - وَلْيُمْلِلْ وَلْيَقِرْ.

لَا يَنْخَسُ مِنْهُ - لَا يَنْقُصُ مِنْهُ.

أَنْ يُمْلَ - أَنْ يُمْلِيَ بِنَفْسِهِ وَيُقِرْ.

لَا يَبَ - لَا يَمْتَنِعُ.

لَا تَسَامُوا - لَا تَمْلُوا وَلَا تَضْجُرُوا.

أَقُومُ لِلشَّهَادَةِ - أَثْبِتْ لَهَا وَأَعُوذْ عَلَى آدَائِهَا.

أَدْنَى - أَقْرَبُ.

(فِرْهَانُ) (أَمَانَتُهُ) (الشَّهَادَةُ) (آثِمُ)

(٢٨٣) - فَإِنْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ وَتَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُعَيَّنٍ (مُسَمًى)، وَلَمْ تَجِدُوا مَنْ يَكْتُبُ، أَوْ لَمْ تَجِدُوا أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ، فَلْيَكُنْ مَقَامُ الْكِتَابَةِ زَهْنٌ يُسَلِّمُهُ الْمَدِينُ إِلَى صَاحِبِ الْحَقِّ، فَإِذَا وَثِقَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلَا بَأْسَ فِي أَلَّا تَكْتُبُوا، أَوْ أَلَّا تَشْهَدُوا شَاهِدَيْنِ، وَلْيَتَّقِ الْمُؤْمِنُ اللَّهَ رَبَّهُ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ، وَأَنْ لَا تَمْتَنِعُوا عَنْ آدَائِهَا، إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى آدَائِهَا، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ آثِمَ الْقَلْبِ، وَقَدْ آثَمَ إِثْمًا وَذَنْبًا. وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٨٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ

فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُمُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقُومٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدَقُّ أَلَّا تَرْتَابُوا أَلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا بَيَّعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَهُ فَإِنْ أَثِمَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوثِنَ أَمْنَتُهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

فِيهِمْ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِيهِمْ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ السَّرَائِرُ وَلَا الظُّوَاهِرُ، وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُ عِبَادَهُ عَلَى مَا فَعَلُوهُ، وَمَا أَخْفَوْهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(أَمِنْ) (مَلَائِكَتِهِ)

(٢٨٥) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّهُ صَدَقَ بِمَا جَاءَهُ مِنَ الْوَحْيِ، وَأَمِنْ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ. وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ كَذَلِكَ بِوُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَتَمَامِ حُكْمَتِهِ فِي نِظَامِ خَلْقَتِهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِوُجُودِ مَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَيُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْكِتَابِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ جَمِيعاً صَادِقُونَ، هَادُونَ إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَنْسَخُ شَرِيعَةً بَعْضٍ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَقَالُوا: سَمِعْنَا قَوْلَكَ يَا رَبَّنَا وَفَهَمْنَاهُ، وَآمَنَّا بِالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ، نَسْأَلُكَ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَإِلَيْكَ نَحْنُ صَائِرُونَ. غُفْرَانُكَ - نَسْأَلُكَ الْمَغْفِرَةَ.

(مَوْلَانَا) (الْكَافِرِينَ)

(٢٨٦) - لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ أَحَدًا فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَهَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ. وَلِلنَّفْسِ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ. وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ مِنْ شَرٍّ، مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ. وَأَرْشَدَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ وَاسْتِزْجَارِهِ، وَالضَّرَاعَةِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ يَقُولُوا: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ تَرَكْنَا فَرَضَنَا وَنَحْنُ نَاسُونَ أَوْ أَرْتَكَبْنَا مُحَرَّمًا وَنَحْنُ نَاسُونَ أَوْ مُخْطِئُونَ، أَوْ عَنْ جَهْلِ بَوَاجِهِ الشَّرْعِيِّ، رَبَّنَا وَلَا تُكَلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ وَإِنْ أَطَقْنَاهَا، كَمَا شَرَعْتَهُ لِلْأُمَّمِ السَّالِفَةِ مِنَ الْأَغْلَالِ وَالْأَصَارِ، رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْمَصَائِبِ وَالْبَلَاءِ، وَأَعْفُ عَنَّا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَأَغْفِرْ لَنَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعِبَادِ، فَلَا تُظْهِرْهُمْ عَلَى أَعْمَالِنَا الْقَبِيحَةِ وَمَسَاوِينَا، وَآرْحَمْنَا لِكَيْلَا نَفْعَ مُسْتَقْبَلًا فِي ذَنْبٍ، أَنْتَ وَلِيُّنَا وَمَوْلَانَا، فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ، وَجَحَدُوا بِدِينِكَ. وَسُعْمَهَا - طَاقَتَهَا وَمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ. إِصْرًا - عِبْثًا ثَقِيلًا وَهُوَ التَّكْلِيفُ الشَّاقُّ. لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ - لَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى الْقِيَامِ بِهِ.

أَوْ تَخْفَوْهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

٢٨٥ ءَامِنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامِنْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ

٢٨٦ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

(٣) سُورَةُ الْعَمْرَانِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَانِيَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ الم

ألف. لام. ميم.

(١) - وَتَقْرَأُ مَقْطَعَةً كُلِّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ.

سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِلَى شَرْحِ مَعَانِي الْحُرُوفِ الْوَارِدَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ، وَتَعُودُ فَنَقُولُ إِنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ نَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(٢) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُتَقَرِّدٌ بِالْأُلُوهِيَّةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ الْحَيُّ فِي نَفْسِهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا، الْقَيِّمُ عَلَى أَمْرِ الْعَالَمِ، يُدَبِّرُهُ وَيُصَرِّفُهُ. الْحَيُّ - الدَّائِمُ الْحَيَاةَ بِلَا زَوَالٍ. الْقَيُّومُ - الدَّائِمُ الْقِيَامَ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ.

(الْكِتَابَ) (التَّوْرَةَ)

(٣) - وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، يَا مُحَمَّدُ، مُشْتَمِلًا عَلَى الْحَقِّ فِي كُلِّ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ أَصُولِ الشَّرَائِعِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا الْكُتُبُ السَّابِقَةُ، وَمُصَدِّقًا لَهَا. فَهِيَ تُصَدِّقُهُ بِمَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ، وَبَشَّرَتْ بِهِ، مِنَ الْوَعْدِ بِإِزْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ. وَهُوَ يُصَدِّقُهَا لِأَنَّهُ وَافَقَ مَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ. وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

(٤) - وَقَدْ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لِهَدَايَةِ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ، وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ وَرِسَالَتِهِ، حِينَ يُعْتَدُّ. وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ - وَهُوَ مَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، بِمَا يَذْكُرُهُ اللَّهُ مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ الْقَاطِعَاتِ - (وَيَرَى بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفُرْقَانِ) (التَّوْرَةَ).

٢ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

٣ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

٤ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
ذُو أَنْقَامٍ

وَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَحَدَّثُوا بِآيَاتِ اللَّهِ النَّاطِقَةِ بِتَوَحِيدِهِ، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِعِزَّةِ جَلَالِهِ، فَكَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ، ثُمَّ بِسَائِرِ الْكُتُبِ تَعْبًا لَذَلِكَ، وَأَنْكَرُوهَا، لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ مَنِيعٌ، غَزِيرُ الْجَانِبِ، يَنْتَقِمُ مِنْ جَحْدِ بَيِّنَاتِهِ، وَكَذَّبِ رُسُلَهُ. الْفُرْقَانُ - مَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

(٥) - يُعْلِمُ اللَّهُ النَّاسَ أَنَّهُ عَلِيمٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُ الصَّادِقِ فِي إِيْمَانِهِ، وَلَا حَالُ الْكَافِرِ، وَلَا حَالُ الْمُنَافِقِ.

(٦) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَخْلُقُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ، وَيَجْعَلُكُمْ عَلَى صُورٍ مُتَعَابِرَةٍ: مِنَ النَّطْفِ إِلَى الْعَلَقِ إِلَى الْمُضْغِ... وَمَنْ ذَكَرَ وَأَنْشَى، وَجَمِلَ وَفَبِحَ، وَشَقِيَ وَسَعِيدٌ... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالتَّصْوِيرِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي تَنْبِيهِهِ.

(الْكِتَابِ) (آيَاتِ) (مُحْكَمَاتِ) (مُتَشَابِهَاتِ) (تَشَابِهِ) (الرَّاسِخُونَ) (أَمَنَّا) (أَوَّلُو) (الْأَلْبَابِ)

(٧) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَانَ مِنْ حِكْمَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْهُ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ مُحَدَّدَةً الْمَعْنَى، بَيِّنَةً الْمَقَاصِدِ، هِيَ الْأَصْلُ وَإِلَيْهَا الْمَرْجِعُ (أُمُّ الْكِتَابِ). وَجَعَلَ مِنْهُ آيَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ، يَدِقُّ فَهْمُ مَعْنَاهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَتَشْتَبِهُ عَلَى غَيْرِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ.

فَيَأْخُذُونَ الْمُتَشَابِهَ الَّذِي يَسْتَطِيعُونَ تَحْرِيفَهُ لِيَسْتَخْدِمُوهُ فِي الْوُصُولِ إِلَى أَغْرَاضِهِمْ الْفَاسِدَةِ مِنْ إِضْلَالِ النَّاسِ لِاحْتِمَالِ لَفْظِهِ لِمَا يَصْرِفُونَهُ إِلَيْهِ. أَمَّا الْمُحْكَمُ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْإِفَادَةَ مِنْهُ لِأَنَّهُ دَامِغٌ لَهُمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ.

أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رِيعٌ عَنِ الْحَقِّ، فَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ رَغْبَةً مِنْهُمْ فِي إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ، وَيَسْتَعِينُونَ فِي ذَلِكَ بِمَا فِي غَرَائِزِ النَّاسِ وَطِبَاعِهِمْ مِنْ شَكٍّ فِيمَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ عِلْمُهُمْ، وَلَا يَنَالُهُ حِسُّهُمْ. كَالْأَحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَجَمِيعِ شُؤْنِ الْعَالَمِ الْآخَرِ. وَيَأْخُذُونَ الْمُتَشَابِهَ عَلَى ظَاهِرِهِ دُونَ نَظَرٍ إِلَى الْمُحْكَمِ، وَيَرْجِعُونَ فِي تَفْسِيرِ الْمُحْكَمِ إِلَى أَهْوَائِهِمْ، وَتَقَالِيدِهِمْ، لَا إِلَى الْأَصْلِ الْمُحْكَمِ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ الْأَعْتِقَادُ.

٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

٦ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

٧ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ۖ آمَنَّا بِهِ ۚ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

وَتَأْوِيلُ الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ،
الْمُتَمَكِّنُونَ مِنْهُ.

(وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ: إِنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّهُ لَا
يَعْلَمُ تَفْسِيرَ الْمُتَشَابِهِ إِلَّا اللَّهُ. أَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ فَعِبَارَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ).

وَهَؤُلَاءِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَرُدُّونَ الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ، وَيُؤْمِنُونَ
بِهَذَا وَهَذَا عَلَى أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ مُحْكَمِ
الْقُرْآنِ وَمُتَشَابِهِهِ.

وَلَا يَعْقِلُ ذَلِكَ وَلَا يَفْهَمُهُ إِلَّا أَصْحَابُ الْعُقُولِ السَّالِمَةِ الَّتِي لَا تَخْضَعُ
لِتَأْثِيرِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ.

وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ فَقَالَ عَنْهُمْ: (مَنْ بَرَّتْ
يَمِينُهُ، وَصَدَّقَ لِسَانُهُ، وَاسْتَقَامَ قَلْبُهُ، وَمَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرَّجَهُ، فَذَلِكَ مِنَ
الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ) (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

(٨) - وَهَؤُلَاءِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، مَعَ إِيْمَانِهِمْ بِالْمُتَشَابِهِ، فَلِإِنِّهِمْ
يَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَهُمْ مِنَ الزَّيْغِ بَعْدَ الْهَدَايَةِ، وَأَنْ يَهَبَهُمُ الثَّبَاتَ عَلَى
مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ، وَالْإِسْتِقَامَةَ عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا تُجَلِّ قُلُوبَنَا
عَنِ الْهُدَى بَعْدَ أَنْ أَقَمْتَهَا عَلَيْنَا، وَأَمْنَحْنَا مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً تُثَبِّتَ بِهَا
قُلُوبَنَا، وَتَزِيدَنَا بِهَا إِيْمَانًا وَيَقِينًا، إِنَّكَ يَا رَبُّ أَنْتَ الْمُعْطِي الْوَهَابُ.
الْوَهَابُ - الْكَثِيرُ الْعَطَاءِ.

لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا - لَا تُمِلْهَا عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى.

(٩) - وَيَتَابِعُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُعَاءَهُمْ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ إِنَّكَ سَتَجْمَعُ
النَّاسَ لِلْحِجَاءِ، يَوْمَ الْمَعَادِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ وَاقِعٌ وَأَتٍ، وَتَفْصِلُ
بَيْنَهُمْ، وَتَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا ائْتَلَفُوا فِيهِ، وَتَجْزِي كُلًّا مِنْهُمْ عَلَى عَمَلِهِ،
وَإِنَّكَ يَا رَبُّ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

(أَمْوَالُهُمْ) (أَوْلَادُهُمْ) (أَوْلِيَاكُ)

(١٠) - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَبِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَحَدُوا مَا عَرَفُوهُ مِنْ بُرْهَةِ
مُحَمَّدٍ ﷺ، لَنْ تُقَيِّدَهُمْ شَيْئًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْوَالُهُمْ (الَّتِي يَبْذُلُونَهَا
فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ) وَلَا أَوْلَادُهُمْ (الَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ بِهِمْ
فِي الدُّنْيَا)، وَسَيَكُونُونَ حَطَبًا تُوقَدُ بِهِ جَهَنَّمُ.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
أَنْتَ الْوَهَّابُ

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ
لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ
الْمِيعَادَ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ
عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ
فُؤَادُ النَّارِ

(آلِ فِرْعَوْنَ) (بَيَاتِنَا)

(١١) - وَسَيَكُونُ خَالٌ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ وَشَانَهُمْ (دَابُّهُمْ) مِثْلُ خَالٍ قَوْمِ فِرْعَوْنَ (آلِ فِرْعَوْنَ)، وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِمَّنْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ فِيمَا جَاءُواهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَعَاقِبَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَبِمَا أَرْتَكِبُوهُ مِنْ كُفْرٍ وَأَنَامٍ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعَذَابِ الْيَوْمَ، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ.
الدَّابُّ - الْعَادَةُ وَالْحَالُ.

آلِ فِرْعَوْنَ - قَوْمِ فِرْعَوْنَ.

أَخَذَهُمْ - عَاقَبَهُمْ وَأَهْلَكَهُمْ.

(١٢) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْكَافِرِينَ - وَهُمْ هُنَا الْيَهُودُ - : إِنَّهُمْ سَيُعْلَبُونَ فِي الدُّنْيَا وَيُخْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُسَاقُونَ إِلَى جَهَنَّمَ، لِيَتَكُونَ لَهُمْ مَهْدًا وَفِرَاشًا، وَيَسَّ ذَلِكَ الْمَهْدُ وَالْفِرَاشُ.

(هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي يَهُودِ بَنِي قَيْنِقَاعَ. فَبَعْدَ أَنْ نَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، جَمَعَ الرُّسُولُ ﷺ يَهُودَ الْمَدِينَةِ، وَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اسْلُمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِمَا أَصَابَ بِهِ قُرَيْشًا.

فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ لَا يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْنَا لَعَرَفْتَ أَنَّ نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنْكَ لَمْ تَلَقْ مِثْلَنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَالَّتِي بَعْدَهَا، وَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ وَعْدَهُ فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَأَجْلَوْا بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنِقَاعَ، وَفَتَحُوا خَيْبَرَ.

المِهَادُ - الْفِرَاشُ.

(آيَةُ) (تَقَاتِلُ) (الْأَبْصَارِ)

(١٣) - ثُمَّ حَذَّرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْذَرَهُمْ بِالْأَنْذَرَةِ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، فَلَهُمْ فِيهَا يُشَاهِدُونَهُ عِبْرَةً. فَأَمَرَ رَسُولُهُ بِأَنْ يَقُولَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ مَا قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ مُعِزُّ دِينِهِ، وَنَاصِرُ رَسُولِهِ، وَإِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، إِذِ التَقَّتْ فِئَتَانِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ فِئَةُ مُؤْمِنَةٍ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَنَصْرِ دِينِهِ، (وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ)، وَفِئَةُ أُخْرَى كَافِرَةٌ (وَهُمُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ). وَقَدْ أَرَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ الْمُسْلِمِينَ فِي مِثْلِي عَدَدِ الْمُشْرِكِينَ (أَيَ قَرِيبًا مِنَ الْفِي مَقَاتِلِ) بِصُورَةٍ جَلِيَّةٍ وَاضِحَةٍ، وَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ ثَلَاثِيَّةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَكَانَ ذَلِكَ إِضْعَافًا لِقُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ، وَلِيَهَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلِيَجْتَنِبُوا عَنْ

﴿١١﴾ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ

﴿١٢﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتُغْلَبُونَ

وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ

وَيَسَّ الْمِهَادُ

﴿١٣﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ

الَّتِي تَقَاتَلَتَا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ

يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى

الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ

يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً

لِأُولِي الْأَبْصَارِ

قَالَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ مَدَدًا مِنَ اللَّهِ، كَمَا أَمَدَّهُمْ بِالْمَلَائِكَةِ. وَقَدْ أَرَى اللَّهُ
الْمُسْلِمِينَ الْمُشْرِكِينَ قَلِيلِي الْعَدَدِ لِيَجْتَرِئُوا عَلَيْهِمْ.
وَدَارَتِ الْمَعْرَكَةُ فَانْتَصَرَ جُنْدُ اللَّهِ، وَأَعَزَّ اللَّهُ دِينَهُ، وَقُتِلَ رُؤُوسُ الْكُفْرِ.
وَفِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْبَصَائِرِ لِيَهْتَدُوا إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَأَفْعَالِهِ وَقَدَرِهِ
الْجَارِي بِنَصْرِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْتَثِلُونَ لِمَا أَوْصَاهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ يَقْدِرُ
طَاقَتَهُمْ، فَيَقَاتِلُونَ ثَابِتِينَ وَآثِقِينَ بِنَصْرِ اللَّهِ.
لَعِبْرَةٌ - لَعِظَةٌ وَدَلَالَةٌ.

(الشَّهَوَاتِ) (وَالْفَنَاطِيرِ) (وَالْأَنْعَامِ) (مَتَاعِ) (الْحَيَاةِ) (الْمَاءِ)

(١٤) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَطَرَ النَّاسَ عَلَى حُبِّ الشَّهَوَاتِ فِي هَذِهِ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَذَّاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، وَالْأَمْوَالِ وَالْخَيْلِ
وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، وَهِيَ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَرَبَّتُهَا الزَّائِلَةُ،
وَهِيَ لَا تَقَاسُ بِمَا أَذْخَرَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ،
وَعِنْدَ اللَّهِ حَسَنُ الْمَرْجِعِ، وَعِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ.
الشَّهْوَةُ - رَغْبَةُ النَّفْسِ.
الْحَرْثُ - الزَّرْعُ وَالنَّبَاتُ.
الْمُسَوِّمَةُ - الْمُطْلَقَةُ لِتَرْعَى فِي أَرْضِ اللَّهِ، أَوْ الْمُعَلَّمَةُ.
الْمَاءُ - الْمَرْجِعُ.
الْمُقَنْطَرَةُ - الْمَضَاعَفَةُ أَوْ الْمُحْكَمَةُ، الْمُحَصَّنَةُ.

(جَنَاتِ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ) (وَأَزْوَاجِ) (وَرِضْوَانِ)

(١٥) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ أَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِخَيْرٍ مِمَّا رَزَقَ لِلنَّاسِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ نَعِيمِهَا الزَّائِلِ؟ هُوَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ مِنْ
عِبَادِهِ، الَّذِينَ انْحَبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ، مِنْ جَنَاتٍ تَنْفَجَّرُ فِي أَرْضِهَا
الْأَنْهَارُ، مُخَلَّدِينَ فِيهَا لَا تَزُولُ عَنْهُمْ أَبَدًا، وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا تَحَوُّلًا، وَلَهُمْ
فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الدَّنَسِ وَالْخُبْثِ وَالْكَيْدِ وَسُوءِ الْخُلُقِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ
مِمَّا يَعْتَرِي النِّسَاءَ. وَيَغْمُرُهُمْ رِضْوَانُ اللَّهِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَبَدًا،
وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، يُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْعَطَاءِ.
الرِّضْوَانُ - الرِّضَا.
التَّقْوَى - الْإِحْبَاتُ لِلَّهِ.

١٤ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ

النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفُضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ
وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَعَادِ



١٥ قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ

ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ

(آمَنَّا)

(١٦) - وَعِبَادُ اللَّهِ الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ يَسْتَجِيقُونَ نَعِيمَ الْآخِرَةِ، وَرِضْوَانَ اللَّهِ، هُمُ الَّذِينَ تَنَاطَرَتْ قُلُوبُهُمْ بِشَمَاتِ إِيْمَانِهِمْ فَتَفِضُ السُّبُتَهُمُ بِالْإِعْتِرَافِ بِهَذَا الْإِيْمَانِ حِينَ الدُّعَاءِ وَالْإِتِهَالِ إِلَى اللَّهِ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا بِكَ، وَبِكُتُبِكَ، وَبِرُسُلِكَ، فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَأَمَحُهَا بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَأَذْفَعْ عَنَّا عَذَابَ النَّارِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(الصَّابِرِينَ) (وَالصَّادِقِينَ) (وَالْقَانِتِينَ)

(١٧) - وَهَؤُلَاءِ الْعِبَادُ الْمُتَّقُونَ هُمُ: الصَّابِرُونَ عَلَى قِيَامِهِمْ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَتَرْكِ مُحَرَّمَاتِهِ، وَهُمْ الصَّادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنْ إِيْمَانِهِمْ بِمَا أَلْتَزَمُوا بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَةِ، وَالْمُتَزَمُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَالْخُضُوعِ لَهُ (الْقَانِتُونَ)، وَهُمْ الْمُتَّقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي جَمِيعِ مَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ الطَّاعَاتِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَمُوَسَّاتِ ذَوِي الْحَاجَاتِ، وَهُمْ الْمُسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ فِي أَوْقَاتِ السَّحَرِ، حِينَمَا يَكُونُ النَّاسُ نَائِمِينَ. وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟)

(وَالْمَلَائِكَةَ) (وَأُولُو) (قَانِمًا)

(١٨) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ عَلَى شُؤْنِ خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ، وَقَدْ أَقَامَ الدَّلَائِلَ عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ. وَفِي إِنْزَالِ التَّشْرِيعَاتِ النَّاطِقَةِ بِذَلِكَ. وَأَخْبَرَ الْمَلَائِكَةَ الرُّسُلَ بِهَذَا، وَشَهِدُوا بِهِ شَهَادَةً مُؤَيَّدَةً بِعِلْمِ ضَرُورِيٍّ - وَهُوَ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِ الْبَقِيَّاتِ - وَأُولُو الْعِلْمِ أَخْبَرُوا بِذَلِكَ وَبَيَّنُّوهُ، وَشَهِدُوا بِهِ شَهَادَةً مَقْرُونَةً بِالْأَدَلِّ وَالْحُجَجِ، لِأَنَّ الْعَالِمَ بِالشَّيْءِ لَا تَعَوُّزُهُ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ.

وَقَوَامُهُ اللَّهُ فِي تَدْبِيرِ هَذَا الْكَوْنِ، وَأُمُورِ الْخَلْقِ، تَصِفُ دَائِمًا بِصِفَةِ الْعَدْلِ (قَانِمًا بِالْقِسْطِ). وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُنْنَ الْخَلْقِ قَانِمَةً عَلَى أَسَاسِ الْعَدْلِ. ثُمَّ أَكَّدَ تَعَالَى كَوْنَهُ مُتَفَرِّدًا بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَقَانِمًا بِالْعَدْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُجَاءُ بِصَاحِبِهَا - أَيِ بِمَنْ شَهِدَ بِمَا شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي عَهْدَ إِلَيَّ وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا

فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ

الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ

وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ
وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ

وَفِي بِالْعَهْدِ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ (رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ).

(الْإِسْلَامُ) (الْكِتَابُ) (بَيَّاتٍ)

(١٩) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ دِينًا مِنْ أَحَدٍ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ. وَالْإِسْلَامُ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ الْكَامِلُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا بَعَثَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي كُلِّ جِيلٍ، وَأَخْرَهُمُ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ بَعْدَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ عَلَى غَيْرِ شَرِيعَتِهِ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ مَا جَاءَ بِهِ، وَجَاءَتْ الرُّسُلُ أَقْوَامَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ اتِّبَاعَ سَبِيلِ اللَّهِ هَذَا، وَيُحْتَنِنُهُمْ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَلِكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَخَرَجُوا عَنِ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَتَفَرَّقُوا شَيْعًا وَطَوَائِفَ مُتَنَاجِرَةً مُقَاتِلَةً. وَلَمْ يَكُنْ سَبَبُ ذَلِكَ الْاِخْتِلَافِ جَهْلًا بِحَقِيقَةِ الدِّينِ، فَالَّذِينَ وَاحِدٌ لَا مَجَالَ لِلِاخْتِلَافِ فِيهِ، وَلَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا اعْتِدَاءً وَظُلْمًا وَبَغْيًا وَتَبَاغُضًا بَيْنَهُمْ (بَغْيًا بَيْنَهُمْ)، وَاتِّبَاعًا لِلرُّسُلِ الَّذِينَ تَجَاوَزُوا الْحُدُودَ، وَأَوَّلًا بَغْيُهُمْ وَنَصْرُهُمْ مَذْهَبًا عَلَى مَذْهَبٍ، وَتَضَلُّيلُهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ بِتَفْسِيرِ نُصُوصِ الدِّينِ بِالرَّأْيِ وَالْهَوَى، وَتَأْوِيلُ بَعْضِهِ أَوْ تَحْرِيفُهُ، لَمَّا حَدَثَ هَذَا الْاِخْتِلَافُ.

وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُوبِ الْاِعْتِصَامِ بِالدِّينِ وَوَحْدَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُجَازِيهِ عَلَى مَا اجْتَرَحَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

أَوَّلُو الْعِلْمِ - أَهْلُ الْبُرْهَانِ الْقَادِرُونَ عَلَى الْإِقْنَاعِ.

بِالْقِسْطِ - بِالْعَدْلِ.

بَغْيًا - اِعْتِدَاءً وَتَجَاوُزًا لِلْحُدُودِ.

الدِّينَ - الطَّاعَةَ وَالْاِتِّفَادَ لِلَّهِ، أَوِ الْمِلَّةَ.

(الْكِتَابُ) (وَالْأُمِّيَّانَ) (أَسْلَمْتُمْ) (الْبَلَاغُ)

(٢٠) - فَإِنْ جَادَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَوْ غَيْرُهُمْ (حَاجُّوكَ) يَا مُحَمَّدٌ فِي التَّوْحِيدِ، بَعْدَ أَنْ أَقَمْتَ لَهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَالْبَرَاهِينَ، وَبَعْدَ أَنْ جِئْتَهُمْ بِالْحَقِّ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي أَخْلَصْتُ عِبَادَتِي لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نِدَّ، وَلَا وَلَدَ وَلَا صَاحِبَةَ: وَمَنْ اتَّبَعَنِي عَلَى دِينِي يَقُولُ كَمَا لَقِيتَنِي. وَقُلْ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْأُمِّيَّانَ (مُشْرِكِي الْعَرَبِ) أَسْلَمْتُمْ وَأَمْسَلْتُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ، كَمَا أَسْلَمْتُ أَنَا؟ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا إِلَى الْخَيْرِ وَالرَّشَادِ، وَإِنْ رَفَضُوا الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ، وَاتَّبَعُوا الْبَقَاءَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَأَنْتَ مُكَلَّفٌ بِبَلَاغِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ، وَإِلَى اللَّهِ مَرْجِعُهُمْ، وَعَلَيْهِ حِسَابُهُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ، مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَ.

﴿١٩﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ

وَمَا اخْتَلَفَ الدِّينَ أَوْتُوا

الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ

وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ

اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ

﴿٢٠﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ

لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي فَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا

الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّانَ أَسْلَمْتُمْ

فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ

وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ

(بَيِّنَات) (النَّبِيِّنَ)

(٢١) - يَذُمُّ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا الْمَآثِمَ وَالْمَحَارِمَ يَكْفُرْهُمْ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ. وَالْمَقْصُودُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُمُ الْيَهُودُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ قَتَلُوا عَدَدًا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ اسْتِكْبَارًا، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِالذُّلِّ وَالصَّغَارِ فِي الدُّنْيَا، وَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ هَذَا هُوَ جَزَاءُ جُرْمِهِمْ وَصَنِيْعِهِمْ.

(أُولَئِكَ) (أَعْمَالُهُمْ) (نَاصِرِينَ)

(٢٢) - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ: (يَا أَبَا عُبَيْدَةَ قَتَلْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وَأَرْعِينَ نَبِيًّا أَوَّلَ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. فَقَامَ مِثَّةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَرُوا الْقَتْلَةَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ يَهْلِكُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَيَبْطُلُهَا فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَنَالُونَ عَلَيْهَا حَمْدًا، وَلَا ثَنًا مِنَ النَّاسِ. وَقَدْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَهَكَذَا اسْتَارَهُمْ وَأَبْدَى مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبَاحِ أَعْمَالِهِمْ، عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ. وَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، الْعَذَابَ الْأَلِيمَ وَالْخُلُودَ فِي جَهَنَّمَ، وَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَاسِ اللَّهِ.

(الْكِتَابِ) (كِتَابِ)

(٢٣) - يُنْكَرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ رَفْضَهُمُ الْأَخْذَ بِمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمُ - الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهَا - جِنْمًا يَكُونُ الْحُكْمُ فِيهَا لَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ. فَقَدْ زَنَى أَحَدُ أَشْرَافِ الْيَهُودِ فَجَاؤُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَهُ الْحُكْمَ فِي الْأَمْرِ، فَحَكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَثَلٍ مَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ. وَحُكْمُ الزَّنا فِي التَّوْرَةِ هُوَ الرَّجْمُ، قَتَلُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ. وَلَمْ يَقْبَلُوا حُكْمَهُ. فَهُمْ إِنَّمَا جَاؤُوا إِلَيْهِ لِيَجِدُوا لَدَيْهِ حُكْمًا أَخَفَّ مِمَّا فِي التَّوْرَةِ، وَكَانَ مِنَ الْمَقْرُوضِ فِيهِمْ أَلَّا يَتَرَدَّدُوا فِي إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى كِتَابِهِمْ، إِذْ أَنَّهُ أَصْلُ دِينِهِمْ، وَعَلَيْهِ بُنِيَ عَقِيدَتُهُمْ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ إِمَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ طَرَفًا مِنْ كِتَابِهِمُ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ. وَقَدْ فَقَدُوا سَائِرَهُ، وَأَنَّهُمْ لَا يُحْسِنُونَ فَهْمَهُ، وَلَا يَلْتَزِمُونَ الْعَمَلَ بِهِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

﴿الَّذِينَ آتَوْا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَدْعُونَ إِلَى الْكِتَابِ اللَّهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

النَّصِيبُ - الحَظُّ وَهُوَ هُنَا طَرَفٌ مِنَ التَّوْرَةِ وَشَيْءٌ مِنْهُ.
التَّوَلَّى - الإِعْرَاضُ بِالْبَدَنِ.

(مَعْدُودَاتٍ)

(٢٤) - وَمَا حَمَلَهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ الْحَقِّ، وَعَلَى الْعِنَادِ إِلَّا أَفْتَرَاوَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِيمَا ادَّعَوْهُ لَأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْهُمْ لَنْ يُعَذَّبُوا فِي النَّارِ، إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ (قِيلَ: إِنَّهَا سَبْعَةُ أَيَّامٍ، عَنْ كُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ عُمْرِ الدُّنْيَا يَوْمٌ مِنَ الْعَذَابِ). وَقَدْ خَدَعَهُمْ هَذَا الْاِعْتِقَادُ الْبَاطِلُ وَغَرَّهُمْ، فَاسْتَمَرُّوا فِي غِيَّهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَأَقَامُوا عَلَى ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ. لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ - لَنْ نُعَذَّبَ فِي النَّارِ.
الْاِفْتِرَاءُ - اخْتِلَاقُ الْكَذِبِ.
غَرَّهُ - خَدَعَهُ.

(جَمَعْتَاهُمْ)

(٢٥) - فَكَيْفَ يَكُونُ خَالَهُمْ - وَقَدْ كَذَّبُوا وَافْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ - إِذَا جَمَعَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ آتٍ وَوَاقِعٌ، وَرَأَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ مُحْضَرًا لَا نَقْصَ فِيهِ، ثُمَّ جُوزِيَتْ عَلَيْهِ؟ وَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا.
وَقَى - مِنَ الْوَفَاءِ وَهُوَ تَسْدِيدُ الدِّينِ.

(مَالِكٍ)

(٢٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ مُعْظَمُ رَبِّكَ، وَشَاكِرًا لَهُ أَنْعَمَ عَلَيْكَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ الْأَعْلَى، وَالتَّصَرُّفُ التَّامُّ فِي تَدْبِيرِ الْأُمُورِ، تُعَزُّ مِنْ تَشَاءٍ وَتُذَلُّ مِنْ تَشَاءٍ، وَتُعْطِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتُمْنَعُهُ وَتَنْزِعُهُ عَمَّنْ تَشَاءُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْفَعَالُ لِمَا تُرِيدُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ وَحَدُّكَ، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَا يُعْجِزُكَ شَيْءٌ عَنْ تَنْفِيذِ مُرَادِكَ.

(اللَّيْلِ) (اللَّيْلِ)

(٢٧) - إِنَّكَ يَا رَبِّ تَأْخُذُ مِنْ طُولِ النَّهَارِ فَتَزِيدُ فِي اللَّيْلِ، ثُمَّ تَزِيدُ فِي النَّهَارِ وَتَأْخُذُ مِنْ طُولِ اللَّيْلِ، وَهَكَذَا فِي فُصُولِ السَّنَةِ، وَتُخْرِجُ الزَّرْعَ الْحَيَّ مِنَ الْحَبِّ الْمَيِّتِ، وَتُخْرِجُ الْحَبَّ الْمَيِّتَ مِنَ الزَّرْعِ الْحَيِّ، وَالْبَيْضَ مِنَ الدَّجَاجِ، وَالْأَلْبَاضَ مِنَ الْبَيْضِ، وَالنُّخْلَةَ مِنَ النَّوَاةِ.
(وَقَالَ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِسْمَاعِيلُ: إِنَّ النُّطْفَةَ شَيْءٌ حَيٌّ، وَكَذَلِكَ

٢٤ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ

إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

٢٥ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَهُمْ لِيَوْمٍ

لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ

نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ

لَا يَظْلَمُونَ

٢٦ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي

الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ

مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ

مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

٢٧ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ

فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

النَّوْءُ. وَإِنَّ التَّفْسِيرَ الصَّحِيحَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ هُوَ مَا يَحْصُلُ يَوْمِيًّا مِنْ أَنَّ الْحَيَّ يَنْمُو بِأَكْلِ الْأَشْيَاءِ الْمَيِّتَةِ، فَالْصَّغِيرُ يَكْبُرُ جِسْمُهُ بِتَغَذِّيهِ بِاللَّبَنِ وَغَيْرِهِ، وَالْغِذَاءُ شَيْءٌ مَيِّتٌ. وَإِنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى تَحْوِيلِ الشَّيْءِ الْمَيِّتِ الَّذِي يَأْكُلُهُ إِلَى عَنَاصِرَ وَمَوَادٍّ مِنْ نَوْعِ جِسْمِهِ فَتَكُونُ سَبَبًا فِي نُمُوِّ جِسْمِهِ، هُوَ أَهَمُّ عِلَاقَةٍ تَفْصِلُ الْجِسْمَ الْحَيَّ عَنِ الْجِسْمِ الْمَيِّتِ).

وَأَنْتَ يَا رَبِّ تَهَبُ عَطَاءَكَ الْوَاسِعَ مَنْ تَشَاءُ وَفَقَّ حُكْمَتِكَ فَلَا رَقِيبَ عَلَيْكَ يُحَاسِبُكَ عَلَى مَا تَعْمَلُ.

بَغْيَرِ حِسَابٍ - بِلا نِهَآيَةٍ لِمَا تُعْطِي.
الْوَلُوجُ - الدُّخُولُ.

(الْكَافِرِينَ) (نَقَاةٌ)

(٢٨) - رَوَى أَبُو عَبَّاسٍ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ عَمْرٍو، وَأَبْنَ أَبِي الْحَقِيقِ وَقَيْسَ بْنَ زَيْدٍ (مِنَ الْيَهُودِ) كَانُوا يُلَازِمُونَ (يُبَاطِنُونَ) نَفَرًا مِنَ الْأَنْصَارِ يَفْتَنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ رِفَاعَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ لِأُولَئِكَ النَّفَرِ: أَجْتَنِبُوا هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ. فَأَبَوْا إِلَّا مُبَاطَنَتَهُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَفِيهَا يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ الْكَافِرِينَ، وَعَنْ أَنْ يَجْذُبُوهُمْ أَوْلِيَاءَ يُسْرِوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ تَوَعَّدَ تَعَالَى مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ فِي ذَلِكَ، إِلَّا مَنْ خَافَ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ وَالْأَوَاقَاتِ شُرُورَهُمْ (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)، فَلَهُ أَنْ يَتَّقِيَهُمْ بِظَاهِرِهِ، لَا بِبَاطِنِهِ وَنِيَّتِهِ.

(وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: التَّقِيَّةُ لَا تَكُونُ بِالْعَمَلِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ) ثُمَّ هَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُخَالِفِينَ عَنْ أَمْرِهِ بِأَنْ يَحْذَرُوا نِقْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، إِذَا اسْتَمَرُّوا فِي مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، وَمُوَالَاةِ أَعْدَائِهِ، وَعَادَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ وَالْمُنْقَلَبُ، فَيَجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ.
الْوَلِيُّ - النَّصِيرُ.

التَّقَاةُ - الْإِتْقَانُ وَالْخَوْفُ.

يَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ - يُحَوِّكُكُمْ اللَّهُ غَضَبَهُ وَعِقَابَهُ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٩) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ سَرَائِرَهُمْ وَصَمَائِرَهُمْ وَظَوَاهِرَهُمْ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْكَوْنِ

لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ

يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي

شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَسْقُوا مِنْهُمْ نِقْمَةً

وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى

اللَّهِ الْمَصِيرُ

قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ

أَوْتَدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى

جَمِيعاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ عُقُوبَةِ الْمُخَالِفِينَ عَنْ أَمْرِهِ ، وَالْمَوَالِينَ أَعْدَاءَهُ . فَمَا مِنْ مَعْصِيَةٍ خَفِيَةٍ ، أَوْ ظَاهِرَةٍ إِلَّا وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهَا ، وَقَادِرٌ عَلَىٰ عِقَابِ فَاعِلِهَا عَلَيْهَا .

(٣٠) - وَيُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ يَوْمٌ تَجَدُّ فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَاضِراً أَمَامَهَا ، فَمَا رَأَتْهُ مِنْ أَعْمَالِهَا حَسَنًا سُرَّتْ بِهِ وَفَرِحَتْ ، وَمَا رَأَتْهُ قَبِيحاً تَوَدُّ لَوْ أَنَّهُ تَبَرَّأَتْ مِنْهُ ، وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدٌ بَعِيدٌ . وَيُحَذِّرُ اللَّهُ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ عِقَابِهِ ، لِأَنَّهُ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ يُحِبُّ أَنْ يَسْتَقِيمُوا عَلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَدِينِهِ الْقَوِيمِ .
الْأَمَدُ - الْمُدَّةُ الْمُحَدَّدَةُ .
مُحَضَّراً - حَاضِراً لَدَيْهَا أَوْ مُشَاهِداً فِي صُحُفِ أَعْمَالِهَا .

(٣١) - هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ جِئْنَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَعَبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَمَنْ تَابَعَهُ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى الْإِيمَانِ ، فَقَالُوا : (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ ، وَفِيهَا يَأْمُرُ اللَّهُ نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ : مَنْ أَدْعَى حُبَّ اللَّهِ دُونَ أَنْ يَتَّبِعَ شَرَعَ مُحَمَّدٍ ، فَهُوَ غَيْرُ صَادِقٍ ، فَدِينُ اللَّهِ وَاحِدٌ ، وَشَرْعُهُ وَاحِدٌ ، وَالْأَدْيَانُ يَصْدُقُ بَعْضُهَا نَعْضاً وَيُكْمَلُهَا .

وَجَاءَ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيُخْتِمَ الْأَدْيَانَ السَّابِقَةَ وَيُكْمِلُهَا ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدَّعِيَ أَحَدٌ حُبَّ اللَّهِ ، وَهُوَ يَكْفُرُ بِشَرْعِهِ وَمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ . وَمَنْ يَتَّبِعَ شَرَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُخْلِصَ فِي ذَلِكَ يُحِبُّهُ اللَّهُ ، وَيُكَرِّمُهُ وَيَغْفِرُ ذُنُوبَهُ ، مَكْفَأَةً لَهُ عَلَى إِخْلَاصِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ . وَاللَّهُ كَثِيرُ الْغُفْرَانِ لِعِبَادِهِ ، عَظِيمُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ . وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) .

(الْكَافِرِينَ)

(٣٢) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ : أَطِيعُوا اللَّهَ بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَدَعْوَتِهِ ، فَإِنْ رَفَضُوا ذَلِكَ ، وَخَالَفُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ ، فَهُمْ كَافِرُونَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ .
التَّوَلَّى - الْإِعْرَاضُ بِالْبَدَنِ .

(آدَمَ) (وَالْإِبْرَاهِيمَ) (وَالْعِمْرَانَ) (الْعَالَمِينَ)

(٣٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ اخْتَارَ هَذِهِ الْبُيُوتَ عَلَى سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَجَعَلَهُمْ صَفْوَةَ الْعَالَمِينَ بِجَعْلِ الرِّسَالَةِ وَالنَّبُوءَةِ فِيهِمْ ، فَاصْطَفَى آدَمَ وَخَلَقَهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ . وَاخْتَارَ نُوحاً وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الرُّسُلِ ، لَمَّا

كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(٣٠) يَوْمَ تَجَدُّ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ

مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّراً وَمَا عَمِلَتْ

مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ

أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ

نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ

(٣١) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يُحِبِّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(٣٢) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ

تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ



(٣٣) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ

وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ

عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ

عَبَدَ النَّاسُ الْاَوْثَانَ وَاشْرَكُوا بِاللّٰهِ. وَاَنْتَمُ اللّٰهُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ رَفَضُوا
الاسْتِجَابَةَ اِلَيْهِ حِيْنَمَا دَعَاهُمْ اِلَى الْحَقِّ.

وَجَاءَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّبِيِّينَ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَانْتَشَرَتْ فِي الْبِلَادِ،
وَفُشِّتَ فِيهِمُ الْوَحْيُ، فَظَهَرَ اِبْرَاهِيْمُ نَبِيًّا مُّرْسَلًا، وَتَسَابَعَ الْمُرْسَلُونَ مِنْ
ذُرِّيَّتِهِ وَاِلَهٍ كِاسْمَاعِيْلُ وَاِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَالْاَسْبَاطُ، وَكَانَ مِنْ اَرْفَعِ اَوْلَادِهِ
ذِكْرًا اَلْ عِمْرَانُ وَهُمْ عِيسَى وَاُمُّهُ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخُصِمَتِ النَّبُوَّةُ بِوَلَدِ
اِسْمَاعِيْلَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللّٰهِ عَلَيْهِ.

أَصْطَفَى - أَخَذَ مَا صَفَا مِنَ الشَّيْءِ - اخْتَارَ.

اَلْ عِمْرَانُ - عِيسَى وَاُمُّهُ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ.

(٣٤) - وَهِيَ ذُرِّيَّةٌ صَالِحَةٌ تَوَارَثَ الصَّلَاحَ وَالتَّقَى وَالْإِيْمَانَ بِاللهِ، وَهُمْ
أَشْبَاهُ وَأَمْثَالُ فِي الْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبًا فِي أَصْطِفَائِهِمْ.
الذَّرِّيَّةُ - الْاَنْسَالُ - الْاَوْلَادُ وَالْاَخْفَادُ وَأَنْسَالُهُمْ.

(امْرَأَةُ) (عِمْرَانَ)

(٣٥) - قِيلَ إِنَّ امْرَأَةَ عِمْرَانَ كَانَتْ عَاقِرًا، فَرَأَتْ طَائِرًا يَرْقُ فَرْخَهُ فَتَمَنَّتْ
أَنْ يَكُونَ لَهَا وَلَدٌ، فَدَعَتْ اللّٰهَ أَنْ يَرْزُقَهَا وَلَدًا فَحَمَلَتْ.

وَلَمَّا شَعَرَتْ بِالْحَمْلِ نَذَرَتْ أَنْ يَكُونَ حَمْلُهَا خَالِصًا مُتَفَرِّعًا لِعِبَادَةِ اللّٰهِ،
وِخْدَمَةِ الْمُعْبِدِ. وَدَعَتْ اللّٰهَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهَا نَذْرَهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ السَّمِيعُ
لِدُعَائِهَا، الْعَلِيمُ بِنِيَّتِهَا.

النَّذْرُ - مَا يُوجِبُهُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ.

الْمُحَرَّرُ - الْمُخَصَّصُ لِلْعِبَادَةِ وَالْخِدْمَةِ.

(الشَّيْطَانِ)

(٣٦) - فَلَمَّا وَضَعَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ حَمْلَهَا، وَرَأَتْ أَنَّهُ اُنْثَى، تَحَسَّرَتْ
عَلَى مَا رَأَتْ مِنْ خَبِيْةٍ رَجَائِهَا، فَإِنَّهَا نَذَرَتْ أَنْ تُحَرَّرَ مَا فِي بَطْنِهَا لِخِدْمَةِ
الْمُعْبِدِ، وَالْاِنْقِطَاعِ لِلْعِبَادَةِ، وَالْاُنْثَى لَا تُصْلَحُ لِذَلِكَ.

وَقَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا اُنْثَى، وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَكَانَةِ الْاُنْثَى الَّتِي وَضَعْتُهَا،
وَأَنَّهَا خَيْرٌ مِنَ الذَّكَوْرِ. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْاُنْثَى فِي الْقُوَّةِ وَالْجَلْدِ فِي
الْعِبَادَةِ، وَفِي أَحْتِمَالِ خِدْمَةِ الْمُعْبِدِ، وَقَالَتْ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ، وَإِنِّي
عَوِّدْتُهَا بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

أَعِيْذُهَا بِكَ - أَجْعَلُهَا فِي حِفْظِكَ وَرِعَايَتِكَ، وَعَادَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا اسْتَجَارَ

(٣٤) ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللّٰهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(٣٥) إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي

نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا

فَتَقَبَّلَ مِنِّيْ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(٣٦) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي

وَضَعْتُهَا اُنْثَى وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا

وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْاُنْثَى

وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيْذُهَا

بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيمِ

(يَا مَرْيَمُ)

(٣٧) - فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِنَدِيرَةٍ مُّحَرَّرَةٍ لِلْعِبَادَةِ وَخِدْمَةِ بَيْتِهِ، وَأَحْسَنَ نَشَاتِهَا وَنَبَاتِهَا، وَقَرَّنَهَا بِالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ الْعِلْمَ وَالْخَيْرَ وَالدِّينَ. وَجَعَلَ زَكَرِيَّا كَافِلًا لَهَا، إِنَّمَامَا لِسَعَادَتِهَا، لِتَقْتَنِسَ مِنْهُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ. وَكُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا مَكَانَ مُصَلَّاهَا (الْمُحَرَّابِ) وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا، فَكَانَ زَكَرِيَّا يَسْأَلُهَا مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الرِّزْقُ يَا مَرْيَمُ؟ فَتَرُدُّ عَلَيْهِ قَائِلَةً إِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي يَرْزُقُ النَّاسَ جَمِيعًا بِتَسْخِيرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَهُوَ تَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ رِزْقًا كَثِيرًا بِلَا حُدُودٍ.

تَقَبَّلَهَا رَبُّهَا - قَبِلَهَا رَاضِيًا بِهَا.

أَنْبَتَهَا - رَبَّاهَا وَجَعَلَ زَكَرِيَّا كَافِلًا لَهَا وَرَاعِيًا لِمَصَالِحِهَا.

الْمُحَرَّابُ - الْمُصَلِّي أَوْ غُرْفَةُ الْعِبَادَةِ.

(٣٨) - فَلَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا مِنْ كَرَامَاتِ مَرْيَمَ، وَكَانَ قَدْ أَشْتَعَلَ رَأْسُهُ شَيْئًا، وَأَصْبَحَ شَيْخًا طَاعِنًا فِي السِّنِّ، طَمِعَ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ مِثْلُهَا هَبَّةً وَفَضْلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَكَانَتْ أَمْرَاتُهُ عَاقِرًا، فَسَالَ رَبَّهُ وَنَادَاهُ يَدَاءً خَفِيًّا، وَقَالَ: يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، إِنَّكَ تَسْمَعُ دُعَاءَ الصَّالِحِينَ، وَأَنْتَ الْقَدِيرُ عَلَى الْإِجَابَةِ. الطَّيِّبُ - مَا تَسْتَطِيعُ النَّفْسُ - أَوْ هُوَ مَا تُسْتَطَابُ أَعْمَالُهُ وَصِفَاتُهُ.

(الْمَلَائِكَةُ) (قَائِمٌ) (الصَّالِحِينَ)

(٣٩) - فَخَاطَبَتْهُ الْمَلَائِكَةُ خُطَابًا سَمِعَهُ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مُحَرَّابِهِ، وَمَحَلُّ خَلُوتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَقَالَتْ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِوَلَدٍ يُولَدُ لَكَ اسْمُهُ يَحْيَى، يَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُصَدِّقُ بِعِيسَى الَّذِي خُلِقَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ، إِذْ قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ، وَيَكُونُ حَلِيمًا وَسَيِّدًا يَفُوقُ قَوْمَهُ فِي الشَّرَفِ وَالْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ، وَيَكُونُ حَصُورًا يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنْ اتِّبَاعِ شَهَوَاتِهَا، وَيَكُونُ مَعْصُومًا عَنِ الْقَوَاحِشِ، وَسَيَكُونُ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ جِنْمَا يَتْلُغُ سِنَّ النُّبُوَّةِ.

كَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ - أَيُّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الَّذِي خُلِقَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ.

السَّيِّدُ - الرَّئِيسُ يَسُودُ قَوْمَهُ.

الْحَصُورُ - الَّذِي يَحْصُرُ نَفْسَهُ وَيَمْنَعُهَا مِنْ إِيَابِ النَّقَائِصِ. وَيَأْتِي اللَّفْظُ، لَعْنَةً، بِمَعْنَى الْعَاجِزُ عَنْ إِيَابِ النَّسَاءِ.

(٣٧) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا

زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا

الْمُحَرَّابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ

يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ

بِغَيْرِ حِسَابٍ

(٣٨) هُنَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ

رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً

طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ

(٣٩) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ

يُصَلِّي فِي الْمَحَرَّابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ

بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ

وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مَنْ

الصَّالِحِينَ

(غُلَامٌ)

(٤٠) - فَلَمَّا تَحَقَّقَ زَكَرِيَّا مِنَ الْبَشَارَةِ، أَخَذَ يَتَعَجَّبُ مِنْ وِلَادَةِ وَلَدٍ لَهُ بَعْدَ الْكِبَرِ، فَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ، وَقَدْ كَبُرْتُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ لَا تَلِدُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَلِكُ قَائِلًا: إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُرِيدُ، لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَتَعَاطَمُهُ أَمْرٌ، وَلَا يَحُولُ دُونُ نَفَازِ مَشِيئَتِهِ حَائِلٌ. أَنَّى يَكُونُ - كَيْفَ يَكُونُ وَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ. الْعَاقِرُ - الَّذِي لَا يُولِدُ لَهُ أَوْلَادٌ.

(آيَةٌ) (آيَتُكَ) (ثَلَاثَةٌ) (وَالْإِبْكَارِ)

(٤١) - قَالَ زَكَرِيَّا: رَبِّ اجْعَلْ لِي عِلَامَةً (آيَةً) أَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى وَجُودِ الْوَلَدِ مِنِّي. قَالَ: الْعِلَامَةُ عَلَى ذَلِكَ هِيَ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ النُّطْقَ مَعَ اسْتِثْوَاءِ صِحَّتِكَ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ. ثُمَّ أَمَرَهُ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَسْبِيحِهِ فِي الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ حِينَمَا تَعْرِضُ لَهُ هَذِهِ الْحَالَةُ. رَمَزًا - إِشَارَةً بِالْيَدِ أَوْ بِالرَّاسِ.

الْإِبْكَارُ - مِنْ وَقْتِ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى وَقْتِ الزَّوَالِ.
الْعَمِي - مِنَ الزَّوَالِ حَتَّى مَغِيبِ الشَّمْسِ.

(الْمَلَائِكَةُ) (يَا مَرْيَمُ) (أَصْطَفَاكِ) (الْعَالَمِينَ)

(٤٢) - وَادَّكَّرَ يَا مُحَمَّدٌ لِقَوْمِكَ حِينَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَكَ لَتَكُونِي أُمًّا لِنَبِيِّهِ عِيسَى، لِكثْرَةِ عِبَادَتِكَ وَرَهْدِكَ وَطَهَارَتِكَ، وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ.

(يَا مَرْيَمُ) (الرَّاكِعِينَ)

(٤٣) - وَأَمَرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ (وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْمَلَائِكَةِ هُنَا جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَةٌ أُخْرَى) بِأَنْ تَقْنَتَ لِرَبِّهَا وَتَعْبُدَهُ، وَتَتَذَلَّلَ لَهُ، وَبِأَنْ تَكُونَ مِنَ السَّاجِدِينَ وَالرَّاكِعِينَ.

(وَقِيلَ إِنَّ كَلَامَ جِبْرِيلَ مَعَهَا لَمْ يَكُنْ وَحْيًا إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا كَانَ إِلْهَامًا لَهَا بِمَا لَهَا عِنْدَ رَبِّهَا مِنَ الْمَكَانَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾^(١)).

أَقْنَتِي - أَخْلِصِي الْعِبَادَةَ وَأَدِيبِي الطَّاعَةَ.

(٤٠) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ

وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي
عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ
مَا يَشَاءُ

(٤١) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ

ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادَّكَّرَ
رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَمِيِّ
وَالْإِبْكَارِ

(٤٢) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرَيْمُ

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ
الْعَالَمِينَ

(٤٣) يَمْرَيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي

وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ

(أَقْلَامُهُمْ)

(٤٤) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ: أَنْ مَا يُوجِبُهُ إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ بَيْنَ الْقَوْمِ حِينَمَا أَقْتَرَعُوا فِي شَأْنِ مَرْيَمَ لِيَرَوْا مَنْ يَكْفُلُهَا، وَذَلِكَ حَسْمًا لِلنِّزَاعِ وَالْخِصَامِ عَلَى كِفَالَتِهَا وَالْقَوَامَةِ عَلَيْهَا، إِذْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَرْغَبُ فِي كِفَالَتِهَا لِيَقُورَ بِالْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ. الْأَقْلَامُ - الْقِدَاحُ الْمَبْرُتِيَّةُ، وَهِيَ السَّهَامُ وَالْأَزْلَامُ الَّتِي يَضْرِبُونَ بِهَا الْقُرْعَةَ.

(الْمَلَانِكَةُ) (يَا مَرْيَمُ)

(٤٥) - وَبَشَّرَتِ الْمَلَانِكَةُ مَرْيَمَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَقَالَتْ لَهَا: إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِأَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ عَظِيمُ الشَّانِ، وَيَكُونُ وُجُودُهُ وَخَلْقُهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ، فَيَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَسَيَكُونُ الْأَسْمُ الَّذِي يَعْرِفُهُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ (الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ)، وَسَيَكُونُ وَجْهًا وَذَا مَكَانَةٍ عِنْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا بِمَا يُوجِبُهُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَيَكُونُ وَجْهًا فِي الْآخِرَةِ بِأَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ شَفِيعًا لِمَنْ يَأْذَنُ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ فِيهِمْ.

(وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْمَسِيحِ - وَهُوَ لَقَبُ الْمَلِكِ عِنْدَهُمْ - فَقَدْ كَانَ مِنْ تَقَالِيدِهِمْ أَنْ يَمَسَحَ الْكَاهِنُ بِالذَّهْنِ الْمُقَدَّسِ مَنْ يَتَوَلَّى الْمُلْكَ، وَيُعَبَّرُ عَنْ تَوَلِّيهِ الْمُلْكَ بِالْمَسْحِ).

وَجْهًا - ذَا جَاهٍ وَقَدْرٍ وَشَرَفٍ.

بِكَلِمَةٍ مِنْهُ - بِقَوْلٍ مِنْهُ (كُنْ) مُبْتَدَأٌ مِنَ اللَّهِ.

(الصَّالِحِينَ)

(٤٦) - فَيَتَكَلَّمُ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ، وَيَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ حِينَمَا يُصْبِحُ كَهْلًا، وَيَكُونُ لَهُ عِلْمٌ صَحِيحٌ، وَعَمَلٌ صَالِحٌ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ حِينَمَا جَاءَتْ بِهِ قَوْمُهَا وَهِيَ تَحْمِلُهُ، فَبَرَّاهَا بِمَا رَمَاهَا بِهِ الْيَهُودُ مِنَ الْإِفْكِ، وَنَزَّهَهَا عَنِ أَفْثَرَاتِهِمْ.

الْكَهْلُ - مَنْ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ عَامًا.

فِي الْمَهْدِ - فِي السَّرِيرِ زَمَنَ الرُّضَاعَةِ.

(٤٧) - فَلَمَّا جَاءَتْهَا الْبُشْرَى مِنَ الْمَلَانِكَةِ أَخَذَتْ تُنَاجِي رَبَّهَا وَتَقُولُ: كَيْفَ يَا رَبِّ يَكُونُ لِي وَلَدٌ، وَأَنَا لَسْتُ بِذَاتِ زَوْجٍ، وَلَمْ يَمَسْسَنِي بَشَرٌ؟

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ يُوجِبُهُ

إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ

مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ

إِذْ يَخْصِمُونَ

إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ لِمَرْيَمِ

إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ

أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ

الْمُقَرَّبِينَ

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ

يَمَسْسَنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ

فَأَجَابَهَا الْمَلَائِكَةُ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَيَخْلُقُ مَا يُرِيدُ
بِأَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الشَّيْءُ قَوْرَ أَمْرِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ رَيْبٍ وَلَا إِبْطَاءٍ.
قَضَى أَمْرًا - أَرَادَ شَيْئًا أَوْ أَحْكَمَهُ وَحْتَمَهُ.

(الْكِتَابَ) (وَالْتَوْرَةَ)

(٤٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَيْمَّةٍ بِشَارَةِ الْمَلَائِكَةِ لِمَرْيَمَ بِأَنِّي قَالَتْ
لَهَا: إِنَّ اللَّهَ يُعَلِّمُ الْكِتَابَةَ، وَالْعِلْمَ الصَّحِيحَ الْبَاعِثَ لِلْإِرَادَةِ إِلَى
الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ، وَيُفْقَهُهُ فِي التَّوْرَةِ، وَيُعَلِّمُهُ أَسْرَارَهَا وَأَحْكَامَهَا،
وَيُعَلِّمُهُ الْإِنْجِيلَ الَّذِي يُوجِي بِهِ إِلَيْهِ.
الْحِكْمَةُ - الْفِقْهُ وَالصَّوَابُ قَوْلًا وَعَمَلًا.
الْكِتَابُ - الْخَطُّ بِالْيَدِ.

(بَنِي إِسْرَائِيلَ) (بِأَيِّ) (أَحْيَى)

(٤٩) - وَإِنَّ اللَّهَ سَبَّغَهُ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ رَسُولُ
اللَّهِ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ آيَاتٍ وَمُعْجَزَاتٍ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ، مِنْهَا
أَنَّهُ كَانَ يُصَوِّرُ لَهُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ، بِإِذْنِ اللَّهِ، فَتَدْبُ
فِيهِ الْحَيَاةُ وَيَطِيرُ. وَأَنَّهُ كَانَ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ الَّذِي وَلَدَ وَهُوَ أَعْمَى، وَيُبْرِئُ
الْأَبْرَصَ - وَالْبَرَصَ دَاءٌ مَعْرُوفٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ دَوَاءٌ وَلَا شِفَاءٌ - وَأَنَّهُ يُحْيِي
الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيُبْنِيهِمْ بِمَا يَأْكُلُونَ فِي بُيُوتِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَأْكَلِ،
وَبِمَا يَدْخُرُونَهُ فِيهَا إِلَى الْغَدِ. وَفِي كُلِّ ذَلِكَ آيَةٌ وَمُعْجَزَةٌ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ
فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مُصْذِقِينَ بِحُجَجِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ،
مُقَرَّرِينَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ.
الْأَكْمَةُ - الْأَعْمَى الَّذِي وَلَدَ وَهُوَ أَعْمَى.
الْأَبْرَصَ - مَنْ بِهِ دَاءُ الْبَرَصِ.
أَخْلَقَ لَكُمْ - أَصَوَّرَ لَكُمْ.

(التَّوْرَةَ) (بِأَيِّ)

(٥٠) - وَسَيَكُونُ عِيسَى مُصْذِقًا لِلتَّوْرَةِ وَشَرِيعَتِهَا، وَمُقَرَّرًا لَهَا وَمُثَبِّتًا،
وَقَدْ نَسَخَتْ شَرِيعَةُ عِيسَى بَعْضَ مَا جَاءَ فِي شَرِيعَةِ التَّوْرَةِ عَلَى أَصَحِّ
الْأَقْوَالِ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بِعَظِ الَّذِي حُرِّمَ
عَلَيْكُمْ﴾.

وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ جَاءَهُمْ بِمُعْجَزَاتٍ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا يَقُولُهُ لَهُمْ: (مِثْلُ
خَلْقِ الطَّيْرِ مِنَ الطِّينِ، وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ.

اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ
جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ
أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ
الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي
بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

وَمُصْذِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ
التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِلَ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

وَإِحْيَاءَ الْمَيِّتِ، وَالْإِنْبَاءَ بِالْخَفِيَّاتِ.. (تُمْ يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يُطِيعُوا رَسُولَهُ
فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.
مَا تَدْخِرُونَ - مَا تُخْبِتُونَ فِي بُيُوتِكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ.

(صِرَاطُ)

(٥١) - تُمْ أَمْرُهُمْ عِيسَى بِالتَّوْحِيدِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَبِمُلَازِمَةِ الطَّاعَةِ بِإِذَاءِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ
الطَّرِيقُ السَّوِيُّ الْوَاضِحُ، الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الرُّسُلُ جَمِيعاً، وَهُوَ
الْمَوْصِلُ إِلَى خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
صِرَاطُ مُسْتَقِيمٍ - طَرِيقُ سَوِيٍّ لَا عِوَجَ فِيهِ.

(أَمَنَّا)

(٥٢) - فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى رَسُولاً إِلَى قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
دَعَاهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْقَوِيمِ، فَأَبَى أَكْثَرُهُمْ وَسَجَرُوا مِنْهُ، فَلَمَّا اسْتَشْعَرَ
عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ وَالْاسْتِمْرَارَ فِي الْعِنَادِ وَالضَّلَالَةِ، وَقَصِدَ الْإِذْيَاءَ، سَأَلَ
النَّاسَ قَائِلًا: مَنْ يَتَّبِعُنِي إِلَى اللَّهِ، وَيَنْصُرُ دَعْوَتِي إِلَيْهِ؟ فَقَالَ الْخَوَارِثُونَ
(أَيُّ الْأَنْصَارِ) نَحْنُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِنُصْرَتِكَ فِي سَبِيلِ دَعْوَتِكَ إِلَى
اللَّهِ، فَقَدْ أَمَنَّا بِاللَّهِ، وَأَشْهَدُ عَلَيْنَا بِأَنَّا أَسْلَمْنَا إِلَيْهِ وَجُوهَنَا، وَنَحْنُ
مُنْقَادُونَ لِأَوَامِرِهِ.

(وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ).

أَحْسَنُ - عَلِيمٌ أَوْ شَعَرَ.

الْأَنْصَارُ - وَاجِدُهُمْ نَصِيرٌ وَهُوَ الْمُعِينُ وَالْمُظَاهِرُ.

الْخَوَارِثِيُّ - الصَّفِيُّ وَالنَّاصِرُ.

(أَمَنَّا) (الشَّاهِدِينَ)

(٥٣) - وَتَضَرَّعَ الْخَوَارِثُونَ إِلَى رَبِّهِمْ قَائِلِينَ: رَبَّنَا أَمَنَّا بِكَ وَبَنِيِّكَ، وَبِمَا
أَنْزَلْتَ عَلَيْهِ، وَآتَيْنَا رَسُولَكَ وَصَدَّقْنَاهُ، وَأَمْتَلْنَا لِمَا آتَى بِهِ، فَأَكْتَبْنَا
وَأَجَعَلْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ لِرَسُولِكَ بِالتَّبْلِغِ، وَعَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْكَفْرِ
وَالْعِنَادِ وَالْجُحُودِ.

(الْمَاكِرِينَ)

(٥٤) - وَأَرَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ التَّخْلُصَ مِنْ عِيسَى وَدَعْوَتِهِ، فَوَسَّوْا بِهِ إِلَى
مُمَثِّلٍ رُومًا فِي فِلَسْطِينَ، وَقَالُوا لَهُ إِنَّهُ يَوْجَدُ رَجُلٌ يُضِلُّ النَّاسَ،

٥١ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ



٥٢ فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَى

مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي

إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ

أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ

بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

٥٣ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا

الرَّسُولَ فَأَكْتَبْنَا مَعَ

الشَّاهِدِينَ

٥٤ وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ

وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ

وَيَصْرُفُهُمْ عَنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ، وَيَقْسِدُ الرَّعِيَّةَ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْآبِ وَأَبْنَيْهِ، قَبَعَتْ ثُلَّةٌ مِنَ الْجُنْدِ لِأَخِيذِهِ وَصَلْبِهِ، فَلَمَّا أَحَاطَ الْجُنْدُ بِالْبَيْتِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ ظَفَرُوا بِهِ نَجَاهُ اللَّهِ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ظَنُّوا الْمَسِيحَ فَآخَذُوهُ وَصَلَبُوهُ.

(وَيَقَالُ إِنَّ هَذَا الشَّخْصَ هُوَ الَّذِي وَشَى بِالْمَسِيحِ وَأَرَادَ الدَّلَالََةَ عَلَيْهِ) أَمَّا الْمَسِيحُ فَقَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَنَجَّاهُ. وَهَكَذَا مَكَرَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَبْطَلَ مَكْرَهُمْ وَكَذَبَهُمْ وَتَذَبِيرَهُمْ. الْمَكْرُ - التَّذَبِيرُ الْمُحْكَمُ الْخَفِيُّ - وَعَلَبَ اسْتِعْمَالُهُ فِي التَّذَبِيرِ السَّيِّئِ.

(يَا عِيسَى) (الْقِيَامَةِ)

(٥٥) - وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ فِيمَا تَقُصُّهُ عَلَيْهِمْ إِذْ بَشَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى بِأَنَّهُ سَيَنْجِيهِ مِنْ مَكْرِ الْيَهُودِ، وَأَنَّهُ سَيَسْتَوْفِي أَجَلَهُ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَنَالُوا مِنْهُ مَا كَانُوا يُرِيدُونَ بِمَكْرِهِمْ وَخُبَيْثِهِمْ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي مَكَانٍ رَفِيعٍ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ سَيَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَصَدَّقُوهُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَبَشِّرَ أَيْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(١)، ثُمَّ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ وَرَسُولِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، ظَاهِرِينَ بِالْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ عَلَى الَّذِينَ مَكَرُوا بِهِ وَكَذَّبُوهُ، مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ سَارُوا بِسِرَّتِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهَدَى عِيسَى، وَسَيَسْتَمِرُّ هَذَا الظُّهُورُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ يَصِيرُ الْجَمِيعُ إِلَى اللَّهِ فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا. مُتَوَفِّيكَ - مُمِيتُكَ - أَخَذَكَ وَأَفَاءَ بِرُوحِكَ وَجَسَدِكَ.

(نَاصِرِينَ)

(٥٦) - فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرِسَالَةِ الْمَسِيحِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا، فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَزَوَالِ الْمُلْكِ، وَتَسْلِيطِ الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَبَأْسِهِ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الظَّالِمِينَ)

(٥٧) - وَأَمَّا الْمُهْتَدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فَيُثَبِّتُهُمْ ثَوَابًا وَأَفَاءً عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فِي الدُّنْيَا بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْخُلُودِ فِي جَنَّتِهِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ الْمُتَجَاوِزِينَ لِخُلُودِهِ، وَلَا يَرْفَعُ لَهُمْ قَدْرًا.

٥٥ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ

اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى

يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى

مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ

فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

٥٦ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَّبْنَا لَهُمْ عَذَابًا

شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

٥٧ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

(الآيات)

(٥٨) - مَا فَصَّصْنَاهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ أَمْرِ عِيسَى، وَأُمِّهِ مَرْيَمَ، وَأُمِّهَا
أَمْرَأَةَ عِمْرَانَ، وَمَبْدَأُ وَلَادَةِ عِيسَى، وَتَفْصِيلُ أَمْرِهِ، وَأَمْرُ زَكْرِيَّا
وَيَحْيَى، وَمَا فَصَّصْنَاهُ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِ الْخَوَارِيجِ وَالْيَهُودِ... إِنَّمَا هُوَ وَحْيٌ
مِنَ اللَّهِ أَلْقَاهُ إِلَيْكَ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ، وَهُوَ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحِكْمَةِ، يُبَيِّنُ
وُجُوهَ الْعِبَرِ عَلَى مَنْ حَاجَكَ مِنْ قَوْمِ نَجْرَانَ، وَيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ
كَذَّبُوكَ، وَكَذَّبُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ.

(آدم)

(٥٩) - إِنَّ مَثَلَ عِيسَى فِي قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى خُلُقِهِ مِنْ دُونِ أَبِي، كَمَثَلِ آدَمَ
فِي خُلُقِهِ مِنْ تَرَابٍ (مِنْ دُونِ أَبِي وَلَا أُمٍّ)، وَإِنَّمَا أَنْشَأَهُ بَشَرًا يَنْفُخُ
الرُّوحَ فِيهِ، فَكَانَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ.
مَثَلُ عِيسَى - حَالَهُ وَصِفَتَهُ الْعَجِيبَةِ.

(٦٠) - وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي أَنْبَأَكَ بِهِ رَبُّكَ فِي شَأْنِ عِيسَى وَمَرْيَمَ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ، هُوَ الْقَوْلُ الْحَقُّ الَّذِي لَا حَقَّ سِوَاهُ.
الْمُتَمَتِّعِينَ - الْمُتَشَكِّكِينَ.

(لَعْنَةُ) (الكَاذِبِينَ)

(٦١) - قَدِيمٌ وَقَدْ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ فِيهِ سِتُونَ رَاكِبًا أَخَذُوا يُحَاجُّونَ
الرُّسُولَ ﷺ، وَيَقُولُونَ فِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُ اللَّهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ
إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ. وَلَمَّا طَالَ الْجَدَلُ أَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَى رَسُولِهِ الْآيَاتِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِعِيسَى وَمَرْيَمَ، وَأَمْرَهُ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى
الْمُبَاهَلَةِ، بِأَنْ يَدْعُو كُلُّ فَرِيقٍ أَبْنَاءَهُ وَنِسَاءَهُ وَنَفْسَهُ ثُمَّ يَضْرَعُونَ إِلَى اللَّهِ
بِأَنْ يَجْعَلَ غَضَبَهُ وَنَقَمَتَهُ عَلَى مَنْ كَذَّبَ فِي أَمْرِ عِيسَى مِنْ كَوْنِهِ خَلِيقٌ مِنْ
غَيْرِ أَبِي، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَيْسَ إِلَهًا.
فَتَشَاوَرَ أَعْضَاءُ الْوَفْدِ فِي أَمْرِهِمْ فَأَرَادُوا أَنْ لَا يُبْلَغُوا النَّبِيَّ خَوْفًا مِنَ
الْعَاقِبَةِ.

(وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُكَذِّبُ اللَّهُ الْيَهُودَ فِيمَا رَمَوْا بِهِ السَّيِّدَةَ الْبَتُولَ مَرْيَمَ مِنَ
الْإِنْفِكِ وَالْبُهْتَانِ، وَفِي تَكْذِيبِهِمْ عِيسَى، وَيُكَذِّبُ مَنْ زَعَمَ مِنَ النَّصَارَى
أَنَّ الْمَسِيحَ إِلَهٌ).

(الْمُبَاهَلَةُ هِيَ أَنْ يَجْتَمَعَ فَرِيقَانِ يَخْتَلِفَانِ فِي أَمْرٍ ثُمَّ يَتَهَلَّانِ إِلَى اللَّهِ بِأَنْ
يَجْعَلَ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ).

٥٨ ذَلِكَ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ

٥٩ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ
آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

٦٠ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ
الْمُتَمَتِّعِينَ

٦١ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا
وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ
اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ

(وَهَذَا الطَّلَبُ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ يَقِينٍ صَاحِبِهِ، وَتَقَتِهِ بِمَا يَقُولُ).

حَاجَكَ - جَادَلَكَ.

تَعَالَوْا - هَلُمُّوا وَأَقْبِلُوا.

نَبْتَهَلْ - نَدْعُ بِاللَّعْنَةِ عَلَى الْكَاذِبِ مِنَّا.

(٦٢) - هَذَا الَّذِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فِي أَمْرِ عِيسَى وَآمِهِ هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَعْدَى عَنْهُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ فِي قُدْرَتِهِ، الْحَكِيمُ فِيمَا قَضَى بِهِ. الْقَصَصُ - تَتَّبِعُ الْأَثَرَ. ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْحَدِيثِ.

(٦٣) - فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ آتِيَانِكَ وَتَصَدِيقِكَ، وَلَمْ يَقْبَلُوا عَقِيدَةَ التَّوْحِيدِ الَّتِي جِئْتَ بِهَا، وَلَمْ يُجِيبُوكَ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِحَالِ الْمُفْسِدِينَ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ عَلَى خُبثِ سَرَائِرِهِمْ شَرَّ الْجَزَاءِ.

(يَا أَهْلَ) (الْكِتَابِ)

(٦٤) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: أَنَا وَأَنْتُمْ نَعْتَقِدُ أَنَّ الْعَالَمَ مِنْ صُنْعِ إِلَهٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ خَالِقُهُ وَمُدَبِّرُهُ، وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الْأَنْبِيَاءَ لِيُبَلِّغُوا عَنْهُ مَا يُرِيدُ، فَتَعَالَوْا إِلَى عِبَارَةٍ، أَوْ جُمْلَةٍ عَدْلٍ وَإِنْصَافٍ (سَوَاءٍ)، نَسْتَوِي نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ فِيهَا، وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهَا جَمِيعُ الرُّسُلِ وَالْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلْتُ إِلَيْهِمْ، وَهِيَ أَلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، لَهُ السُّلْطَةُ الْمُطْلَقَةُ فِي التَّشْرِيعِ وَالتَّحْلِيمِ وَالتَّحْلِيلِ، وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً (لَا وَتَنَّا وَلَا صَنَمًا وَلَا صَلِيبًا وَلَا طَاغُوتًا) وَهَذِهِ هِيَ دَعْوَةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ، وَلَا يُطِيعُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ. فَإِنْ رَفَضُوا الِاسْتِجَابَةَ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَتَوَلَّوْا عَنْهَا، وَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَ اللَّهِ، وَاتَّخَذُوا الشُّرَكَاءَ وَالْوَسْطَاءَ وَالْأَرْبَابَ الَّذِينَ يُحْلِلُونَ وَيُحَرِّمُونَ، فَقُولُوا لَهُمْ - أَنْتُمْ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَكُمْ -: أَشْهَدُوا عَلَيْنَا بِأَنَّا مُقِيمُونَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَنَا، وَنَحْنُ مُخْلِصُونَ لَهُ لَا نَعْبُدُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا غَيْرَهُ.

الرَّبُّ - السَّيِّدُ الْمُرَبِّي الَّذِي يُطَاعُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

مُسْلِمُونَ - مُتَقَادُونَ إِلَيْهِ.

كَلِمَةٌ سَوَاءٌ - كَلِمَةٌ عَدْلٍ وَإِنْصَافٍ، لَا تَخْتَلِفُ فِيهَا الشَّرَائِعُ.

(يَا أَهْلَ) (الْكِتَابِ) (إِبْرَاهِيمَ) (التَّوْرَةِ)

(٦٥) - يُتَكْرَرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى آدَعَاءَ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ بِأَنِّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مِنْهُمْ، وَعَلَى دِينِهِمْ. فَقَدْ اجْتَمَعَ وَقَدْ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ

٦٢ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

٦٣ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ

٦٤ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

٦٥ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ

وَإِخْبَارُ يَهُودِ الْمَدِينَةِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَنَازَعُوا عِنْدَهُ حَوْلَ إِبْرَاهِيمَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ مُسْتَنْكِراً ادِّعَاءَهُمْ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ قَبْلَ نُزُولِ التَّوْرَةِ، وَقِيلَ نُزُولُ الْإِنْجِيلِ. وَلَمْ يَكُنْ إِبْرَاهِيمُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تَقَالِيدِ الْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَى الْإِسْلَامِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَكَيْفَ يَقُولُونَ قَوْلًا يَدُلُّ عَلَى جَهْلِهِمْ، وَقَصْرِ عَقُولِهِمْ؟ حَاجٌّ - جَادَلْ.

(هَآ أَنْتُمْ) (حَاجَجْتُمْ)

(٦٦) - لَقَدْ جَادَلْتُمْ وَحَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ - عَلَى مَا تَرَعُمُونَ - مِنْ أَمْرِ عِيسَى، وَإِذْ قَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ مِنْكُمْ مَنْ غَلَا وَافْرَطَ وَادَّعَى الْوَهْيَ، وَمِنْكُمْ مَنْ فَرَطَ وَقَالَ: إِنَّهُ دَعِيَ كَذَّابٌ، وَلَمْ يَكُنْ عِلْمُكُمْ بِمَنْعِ لَكُمْ مِنَ الْخَطَا، فِيمَاذَا تَحَاجُّونَ فِي أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، وَلَا لِدِينِهِ ذِكْرٌ فِي كُتُبِكُمْ، فَمِنْ أَيْنَ أَتَاكُمْ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ وَلَمْ تَشَاهِدُوهُ، وَلَمْ تَأْتِكُمْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِمَّا تُجَادِلُونَ فِيهِ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ إِلَّا مَا عَايَنْتُمْ وَشَاهَدْتُمْ وَأَذَرْتُمْ عِلْمَهُ بِالسَّمَاعِ.

(إِبْرَاهِيمَ)

(٦٧) - إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ جَادَلُوا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمِلَّتِهِ، وَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِمْ وَدِينِهِمْ، هُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ، وَإِنَّ الصَّادِقَ هُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُمْ وَخَدَهُمْ أَهْلُ دِينِهِ، وَعَلَى مَنَاجِيهِ وَشَرِيْعَتِهِ، دُونَ سَائِرِ الْمِلَلِ، فَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ مُطِيعاً لِلَّهِ، مُقِيماً عَلَى مَحَجَّةِ الْهُدَى الَّتِي أَمَرَ بِتَرْكِهَا، خَاشِعاً لِلَّهِ، مُتَذَلِّلاً الْقَلْبَ، مُذْعِناً لِمَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالزَّعْمَ بِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. الْحَنِيفُ - الْمُنْحَرِفُ عَنِ الشَّرِكِ وَالْعَقَائِدِ الرَّائِفَةِ. مُسْلِماً - مُوَحِّداً أَوْ مُتَقاداً لِلَّهِ مُطِيعاً.

(يَا إِبْرَاهِيمَ) (آمَنُوا)

(٦٨) - إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ وَنُصْرَتِهِ وَوِلَايَتِهِ، هُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ عَلَى دِينِهِ، وَسَلَكُوا طَرِيقَهُ وَمَنَاجِيَهُ فِي عَصْرِهِ، فَوَحَّدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَكَانُوا حُنَفَاءَ مُسْلِمِينَ غَيْرِ مُشْرِكِينَ، ثُمَّ هَذَا النَّبِيُّ (يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ)، وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بَعْدَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ أَهْلُ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَهُمْ الْمُخْلِصُونَ لِلَّهِ فِي

إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

هَآ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا

لَكُمْ بِهِ - عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّونَ
فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

أَعْمَالِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ، دُونَ شِرْكٍ وَلَا رِيَاءٍ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ .
أُولَى النَّاسِ - أَحَقُّ النَّاسِ .
وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ - نَاصِرُهُمْ وَمُجَارِيهِمْ بِالْحُسْنَى .

(طَائِفَةُ) (الْكِتَابِ)

(٦٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَسَدِ الْيَهُودِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَغْبَتِهِمْ فِي إِضْلَالِهِمْ، وَصَرَفِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ وَرُؤَسَائِهِمْ أَحَبُّوا أَنْ يُوَفَّعَوْكُمْ فِي الضَّلَالَةِ بِالْقَاءِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي تُشَكِّكُكُمْ فِي دِينِكُمْ، وَتَرُدُّكُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ يُضِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيُفْسِدُونَ فِطْرَتَهُمْ بِاخْتِيَارِهِمْ، لِأَنَّهُمْ يَشْغَلُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْبَحْثِ عَنْ وَسِيلَةٍ لِإِضْلَالِكُمْ فَيَصْرِفُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ النَّظَرِ فِي طُرُقِ الْهَدَايَةِ، وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ مَكْرَهُمْ مُحِيقٌ بِهِمْ، وَأَنَّ عَاقِبَةَ سَعْيِهِمْ لَا تَنْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ .
وَدَّتْ - تَمَنَّتْ .
الطَّائِفَةُ - الْجَمَاعَةُ .

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) (بَيِّنَاتٍ)

(٧٠) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ كُفْرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَبِرَاهِينِهِ الْوَاضِحَةِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَكُنْتُمْ تَشْهَدُ بِصِحَّتِهَا، وَقَدْ جَاءَتْ فِيهَا الْبَشَارَةُ بِهِ، وَبَيَّنْتَ أَوْصَافَهُ، وَهِيَ لَا تَنْطَبِقُ إِلَّا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) (بِالْبَاطِلِ)

(٧١) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ كُفْرَهُمْ، وَخَلْطَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكِتَابُ، بِالشُّبُهَاتِ الْوَاهِيَةِ، وَالتَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَعَدَمَ إِدَاعَتِهِمُ الْحَقَّ صَرِيحاً وَاضِحاً بَعِيداً عَنِ التَّخْلِيطِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ عِقَابَ اللَّهِ عَظِيمٌ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ .
تَلْبِسُونَ - تَخْلِطُونَ وَتُمَوِّهُونَ أَوْ تَسْتُرُونَ .

(طَائِفَةُ) (الْكِتَابِ) (آمَنُوا) (آخِرَهُ) (آمَنُوا)

(٧٢) - اقْتَرَحَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ: هُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّيْفِ، وَعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ عَلَى إِخْوَانِهِمُ الْيَهُودِ أَنْ يَكِيدُوا لِلْمُسْلِمِينَ،

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ

الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا

ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُؤْمِنَ فَرِيقٌ مِنَ الْيَهُودِ بِالْإِسْلَامِ أَوَّلَ النَّهَارِ (وَجَهَ النَّهَارِ)، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَرْتَدُّونَ عَنْهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ، لِيُظَنَّ الْجَهْلَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا رَدُّهُمْ إِلَى دِينِهِمْ أَطْلَاعُهُمْ عَلَى نَقِصَةِ وَعَيْبِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، فَيَرْتَدُّونَ هُمْ أَيْضًا.

وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَأَطْلَعَهُ عَلَى سِرِّهِمْ وَمَكْرِهِمْ، حَتَّى لَا تُؤَثِّرَ هَذِهِ الْجِلُّ فِي قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْإِيمَانِ.

(وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: صَلَّتِ الْيَهُودُ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، وَفَسَّرُوا آخِرَ النَّهَارِ مَكْرًا مِنْهُمْ لِيُرُوا النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ بَدَتْ لَهُمْ الضَّلَالَةُ مِنْهُ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَتْبَعُوهُ).
وَجَهَ النَّهَارِ - أَوَّلُهُ.

(وَاسِعٌ)

(٧٣) - وَتَقُولُ هَذِهِ الطَّائِفَةُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: لَا تَطْمَئِنُّوْا وَلَا تُظْهِرُوا أَسْرَارَ دِينِكُمْ، وَمَا عِنْدَكُمْ إِلَّا لِمُتَّبِعِي دِينِكُمْ، وَلَا تُظْهِرُوا شَيْئًا مِمَّا عِنْدَكُمْ لِلْمُسْلِمِينَ فَيَتَعَلَّمُوا، وَيَسَاوَوْكُمْ بِهِ، وَيَحْتَجُّوا بِهِ عَلَيْكُمْ. وَقَالُوا: لَا تَعْتَرِفُوا أَمَامَ الْعَرَبِ، أَوْ غَيْرِهِمْ أَنَّكُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُعْثَ نَبِيٌّ مِنْ غَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَرَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الرِّسَالَةَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ تَعَالَى الْعَلِيمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ قِيْعَطِيهِ، وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَهْدِي الْقُلُوبَ إِلَى الْإِيمَانِ الْكَامِلِ، بِمَا يُنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْآيَاتِ، وَالْذَّلَاتِلِ، وَالْحُجَجِ الْوَاضِحَاتِ. وَإِذَا كُنْتُمْ يَا أَيُّهَا الْيَهُودُ تَكْتُمُونَ صِفَةَ مُحَمَّدٍ الْمُبِينَةِ فِي كُتُبِكُمْ، وَوَصَلْتَكُمْ مِنْ أَنْبِيَائِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمَ بِهَا رَسُولُهُ. وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الْفَضْلَ وَالْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ، وَهُوَ الْمُعْطِي وَالْمَانِعُ، بِمَنْ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِالْإِيمَانِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ.

أَمِنْ لَهُ - صَدَقَهُ وَسَلَّمْ بِمَا يَقُولُ.

الْفَضْلُ - هُنَا النُّبُوَّةُ. وَفِي الْأَصْلِ الزِّيَادَةُ.

وَاسِعٌ - مَغْفِرَتُهُ وَاسِعَةٌ.

(٧٤) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَخْتَصُّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِرَحْمَتِهِ، وَيَبْعَثُهُ نَبِيًّا لِإِبْلَاجِ رِسَالَاتِهِ، وَقَدْ اخْتَصَّ بِهَا مُحَمَّدًا ﷺ، وَاللَّهُ هُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، لَا يُنَازِعُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وَلَا يُحْجَرُ عَلَيْهِ فِي عَطَاءِ.

وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ

قُلْ إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ أَنْ

يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ

أَوْ يَحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ

الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

يَخْنُصُ رَحْمَتَهُ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

(الْكِتَابِ) (قَائِمًا) (الْأَمِينِ)

(٧٥) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ خِيَانَةِ الْيَهُودِ، وَيُحَذِّرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِهِمْ، فَمِنْهُمْ جَمَاعَةٌ أَمَنَاءُ يُؤَدُّونَ مَا أَتَيْنُوا عَلَيْهِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ قِنْطَارًا مِنَ الْمَالِ. وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ فِي الْأَمَانَةِ، فَلَا يُؤَدُّونَ مَا أَتَيْنُوا عَلَيْهِ، إِلَّا بِالْمُلَازِمَةِ وَالْإِلْحَاحِ، لاسْتِخْلَاصِ الْحَقِّ مِنْهُمْ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ دِينَارًا وَاحِدًا. وَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ هُوَ قَوْلُهُمْ: إِنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي أَكْلِ أَمْوَالِ الْعَرَبِ (الْأَمِينِ)، وَاعْتِقَادُهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ لَهُمْ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ، مِمَّنْ هُمْ عَلَى غَيْرِ دِينِهِمْ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ كَانَتْ، بِالْحَقِّ أَوْ بِالْبَاطِلِ. وَقَوْلُهُمْ هَذَا كَذِبٌ، وَاعْتِقَادُهُمْ بَاطِلٌ، لِأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ أَكْلَ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَإِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ بُهْتٌ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ كَذِبَ قَوْلِهِمْ هَذَا، كَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ.

(وَرَوَى أَبُو جَرِيرٍ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَاغُوا إِلَى الْيَهُودِ بَعْضَ السَّلْعِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَتَقاضَوْهُمُ الثَّمَنَ قَالُوا: لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْنَا أَمَانَةٌ، وَلَا قَضَاءُ لَكُمْ عِنْدَنَا، لِأَنكُمْ تَرَكْتُمْ دِينَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيْهِ، وَادَّعَاوْا أَنَّهُمْ وَجَدُوا ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ).
تَأْمَنُهُ - تَأْتِمُنُهُ مِنَ الْأَمَانَةِ.

الْأَمِينُونَ - الْعَرَبُ لِأَنَّهُمْ لَا يَقْرَأُونَ وَلَا يَكْتُبُونَ.
السَّبِيلُ - الْمُواخَاذَةُ أَوْ الْإِثْمُ أَوْ الْجُرْمُ.
عَلَيْهِ قَائِمًا - مُلَازِمًا لَهُ تَطَالِيَةً وَتَقَاضِيَةً.

(٧٦) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: بَلَى عَلَيْكُمْ فِي الْأَمِينِ سَبِيلٌ، وَعَلَيْكُمْ الْوَفَاءُ بِعُقُودِكُمُ الْمُؤَجَّلَةِ، وَأَذَاءُ الْأَمَانَاتِ لِأَصْحَابِهَا، فَعَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُوفُوا بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يَتَّقُوا مَحَارِمَ اللَّهِ، وَيَتَّبِعُوا طَاعَتَهُ وَشَرْعَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ.

(وَأَيْمَانِهِمْ) (أُولَئِكَ) (خَلَاقِ) (الْقِيَامَةِ)

(٧٧) - أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِكُلِّ نَبِيٍّ يُرْسِلُهُ، وَأَنْ يُؤَدُّوهُ، وَأَلَّا يَكْتُمُوا شَيْئًا مِمَّا شَرَعَ اللَّهُ، وَالزَّمَهُمْ شَرْعُهُمْ بِالصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ بِمَا يَتَعَاهَدُونَ عَلَيْهِ، وَبِمَا يَتَعَاهَدُونَ، وَبِأَنْ يُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، وَأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَخَالَفُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَكَفَرُوا بِعِيسَى وَبِمُحَمَّدٍ، وَبَغَرُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَقَتَلُوا النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَكَتَمُوا مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَاتِ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ، وَمِنْ التَّنْبِيهِ بِهِمَا، خَوْفًا عَلَى نُفُوسِهِمْ مِنْ أَنْ يَزُولَ، وَعَلَى مَوَارِدِهِمْ مِنْ أَنْ

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

الْأَعْرَافِ
الْحَبِشِ

مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ يَقْنَطَارٍ

يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ

تَأْمَنَهُ يَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا

مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ

سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ

اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ

إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ عَهْدَ اللَّهِ

وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ

لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا

يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

قُلْ، إِذَا بَيَّعُوا لِلنَّاسِ شَرْعَ اللَّهِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ خَالَفُوا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ
وَكَانَتْهُمْ أَسْرَارًا بِهَذَا الْعَهْدِ قَلِيلًا مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَهَؤُلَاءِ لَا
نَصِيبَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا حَظٍّ، وَلَا يَكْتُمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا
يَتْلَقَاهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَظِيمٌ، وَيَأْمُرُ بِالْقَاتِلِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيُتْلَوْا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ.

(وَهَذِهِ الْآيَةُ تَنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَخْلِفُ يَمِينًا كَآذِيَةٍ لِأَكُلَ بِهَا مَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَقْطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ ، وَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ هَذِهِ الْآيَةَ) .
يَشْتَرُونَ - يَسْتَبِدُّوْنَ .
لَا يُزَكِّيهِمْ - لَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ وَلَا يَمْدَحُهُمْ .

العَهْدُ - عَهْدُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ بِأَنْ يَلْتَزِمُوا الصَّدَقَ وَالْوَفَاءَ بِمَا يَتَعَاهَدُونَ عَلَيْهِ.

الْأَيْمَانُ - يُقْصَدُ بِهَا هُنَا الْأَيْمَانُ الْكَادِبَةُ.

الْخَلَاقُ - النَّصِيبُ وَالْحَقُّ.

(يَلُؤُونَ) (بِالْكِتَابِ)

(٧٨) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهٖ ﷺ أَنَّ فَرِيقًا مِنَ الْيَهُودِ (مِثْلَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ وَأَصْرَابِهِمَا) يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَتَأَوَّلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيُمِيلُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْقِرَاءَةِ لِيُطْنَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الَّذِي يَقُولُونَهُ هُوَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَهُمْ يَسُبُّونَهُ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا كَذِبٌ عَلَى اللَّهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

لِيُيَسِّرَ لِلْعَذَابِ - فَنَلَهُ لِكَلَامٍ ، أَوْ تَحْرِيفُهُ بِصَرْفِهِ عَنْ مَعْنَاهُ إِلَى مَعْنَى آخَرَ.

(الْكِتَابَ) (رَبَّائِينَ)

(٧٩) - مَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ : اعْبُدُونِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ الرُّسُولَ يَقُولُ لِلنَّاسِ : اعْبُدُوا اللَّهَ، وَكُونُوا أَهْلَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَتَتَّقُوا (رَبَّائِينَ)، وَكُونُوا فُقَهَاءَ تَفْهَمُونَ شَرَائِعَ دِينِهِ، وَحَافِظُونَهَا، وَتَدْرُسُونَ كُتُبَهُ وَتَعْمَلُونَ بِهَا.

الرَّبَّانِي - الْمَسْئُوبُ إِلَى الرَّبِّ، لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِهِ، قَائِمٌ بِطَاعَتِهِ.
نَذْرُسُون - تَقْرُؤُونَ الْكِتَابَ.

الحُكْم - الْحِكْمَةُ أَوْ الْفَهْمُ وَالْعِلْمُ.

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرْقًا يَلُودُونَ

أَلَيْسَتْهُمْ بِالْكَتِبِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ الْكَتِبِ وَمَا هُوَ مِنَ
الْكَتِبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ

أَلَكْتُبَ وَالْحُكْمَ وَالْجُبَّةَ
ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا
لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا
رَبِّنِي عَنِ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
أَلَكْتُبَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ

(الْمَلَائِكَةُ) (النَّبِيِّنَ)

(٨٠) - وَلَا يَأْمُرُكُمُ النَّبِيُّ أَنْ تَعْبُدُوا أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ، لَا نَبِيًّا مُرْسَلًا وَلَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، لِأَنَّ عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ كُفْرٌ. وَمَنْ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ دَعَا إِلَى الْكُفْرِ. وَالْأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا يَأْمُرُونَ بِالْإِيمَانِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِاخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَدْعُو النَّبِيُّ النَّاسَ إِلَى الْكُفْرِ، بَعْدَ أَنْ أَسْلَمُوا وَجُوهَهُمْ لِلَّهِ مُؤْمِنِينَ مُطِيعِينَ.

(مِيثَاقَ) (النَّبِيِّنَ) (آتَيْتُكُمْ) (كِتَابٍ) (أَقْرَرْتُكُمْ) (الشَّاهِدِينَ)

(٨١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، أَنَّهُ مَهْمَا أَتَى أَحَدَهُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، وَبَلَغَ أَيَّ مَبْلَغٍ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولٌ بَعْدَهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ وَيَنْصُرَهُ، وَلَا يَمْنَعَهُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالنُّبُوَّةِ مِنْ أَتْبَاعٍ مَنْ بَعَثَ بَعْدَهُ، وَمِنْ نَصْرَتِهِ.

وَقَالَ اللَّهُ لِلْأَنْبِيَاءِ: أَقْرَرْتُكُمْ بِذَلِكَ، وَعَاهَدْتُكُمْوَنِي عَهْدًا وَثِيقًا مُؤَكَّدًا؟ قَالُوا: أَقْرَرْنَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَنْبِيَاءِ: فَاشْهَدُوا وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَقَدْ أُبَلِّغُ الْأَنْبِيَاءَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، أَمَمَهُمْ بِهَذَا الْعَهْدِ، فَوَجِبَ عَلَى أَمَمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ، وَيَنْصُرُوهُ، وَفَاءً وَأَتَابًا بِمَا أَلْزَمَ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ.

الميثاق - العهد الموثق بالإيمان.

الإضر - العهد المؤكَّد المغلط.

أخذتكم - قبِلتكم.

(فَأُولَئِكَ) (الْفَاسِقُونَ)

(٨٢) - فَمَنْ تَخَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ هَذَا الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَاتَّخَذَ الدِّينَ وَسِيلَةً لِلتَّقْرِيقِ وَالْعُدْوَانِ، وَلَمْ يُؤْمِنِ بِالنَّبِيِّ الْمُتَأَخَّرِ الْمُصَدِّقِ لِمَنْ تَقَدَّمَ، وَلَمْ يَنْصُرْهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الْجَا حِدُونَ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ. فَأَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، هُمُ خَارِجُونَ عَنْ مِيثَاقِ اللَّهِ، نَاقِضُونَ لِعَهْدِهِ، وَلَيْسُوا عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٨٣) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ آبَتَغَى دِينًا غَيْرَ دِينِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كُتُبِهِ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، الَّذِي يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّذِي آسَسَلَمَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، طَوْعًا كَمَا يَفْعَلُ الْمُؤْمِنُونَ، وَكَرْهًا كَمَا اسْتَسَلَمَ الْكَافِرُونَ، فَإِنَّهُمْ جَمِيعًا

(٨٠) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ

وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَاْمُرُكُمْ

بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

(٨١) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا

ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ

وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ

وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي

قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا

وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ

(٨٢) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ

هُمُ الْفَاسِقُونَ

(٨٣) أَغْفِرَ دِينَ اللَّهِ يَجْعَلُونَ

وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

وَالِلَّهِ يَرْجِعُونَ

تَحْتَ سُلْطَانِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يُعَارِضُ وَلَا يُرَدُّ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ
جَمِيعاً يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، فَيَجَازِي كُلَّابَعْمَلِهِ.
(أَمْنَا) (إِبْرَاهِيمَ) (وَإِسْمَاعِيلَ) (وَإِسْحَاقَ)

(٨٤) - قُلْ: أَمْنَا، أَنَا وَمَنْ مَعِيَ، بِوُجُودِ اللَّهِ، وَبِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبِالْقُرْآنِ
الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْنَا، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّينَ مِنَ الصُّحُفِ وَالْوَحْيِ،
وَمَا أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى مِنَ التَّوْرَةِ، وَعَلَى عِيسَى مِنَ الْإِنْجِيلِ
وَالْمُعْجَزَاتِ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّينَ مِنْ وَحْيٍ مِنْ رَبِّهِمْ (وَهَذَا يَعْمُ
وَيَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ) فَتَحْنُ تُؤْمِنُ بِهِمْ جَمِيعاً وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ، وَلَا
تُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُمَيِّزُ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، وَتَحْنُ مُسْلِمُونَ وَجُوهَنَا
لِلَّهِ، لَا تَبْتَغِي بِذَلِكَ إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ.
السُّبُط - وَلَدُ الْوَلَدِ - وَالْأَسْبَاطُ هُنَا أَحْفَادُ يَعْقُوبَ.

(الْإِسْلَامُ) (الْآخِرَةُ) (الْخَاسِرِينَ)

(٨٥) - مَنْ أَبْتَغَى دِينًا لَا يَقُودُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ الْكَامِلِ لِلَّهِ، وَالْخُضُوعِ
النَّامُ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ هَذَا الدِّينُ، وَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ سَلَكَ طَرِيقًا غَيْرَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ. وَجَاءَ فِي
الصَّحِيحِ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرًا فَهُوَ رَدٌّ).
الْخَاسِرُ - مَنْ أَضَاعَ رَأْسَ مَالِهِ.
الْإِسْلَامُ - التَّوْحِيدُ أَوْ دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

(إِيمَانِهِمْ) (الْبَيِّنَاتِ) (الظَّالِمِينَ)

(٨٦) - أَسْلَمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِالشَّرْكِ، ثُمَّ نَدِمَ فَأَرْسَلَ
إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَسْأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَمَا
بَعْدَهَا فَعَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ.

فَالَّذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ هُدَاةُ، وَقَامَتْ لَدَيْهِمْ
الْبَرَاهِينُ عَلَى صِدْقِهِ، وَصَدَقَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ، كَيْفَ يَسْتَحِقُّونَ
الْهُدَايَةَ؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ، الْجَانِبِينَ
عَلَيْهَا، لِأَنَّهُمْ تَنَكَّبُوا عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَتَرَكُوا هُدَايَةَ الْعَقْلِ، بَعْدَ أَنْ
ظَهَرَ نُورُ النُّبُوَّةِ، وَعَرَفُوهُ بِالْبَيِّنَاتِ.

(أُولَئِكَ) (وَالْمَلَائِكَةِ)

(٨٧) - وَهَؤُلَاءِ يَسْتَحِقُّونَ سَخَطَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ، وَسَخَطَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ
جَمِيعاً، إِذْ أَنَّهُمْ مَتَى عَرَفُوا حَقِيقَةَ حَالِهِمْ لَعَنُوهُمْ.

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ

عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ

مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ

مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا

فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

مِنَ الْخَاسِرِينَ

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا

بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ

الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ

أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

(خَالِدِينَ)

(٨٨) - وَمَنْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ جَزَاؤُهُمُ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، وَيَقِفُونَ خَالِدِينَ فِي اللَّعْنَةِ وَالْعَذَابِ مَسْخُوطاً عَلَيْهِمْ إِلَى الْأَبَدِ. وَلَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَا يُخَفَّفُ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُمَهَّلُونَ لِمَعْدِرَةٍ يَعْتَدِرُونَ بِهَا. لَا يَنْظُرُونَ - لَا يُؤْخَرُونَ عَنِ الْعَذَابِ لِحَظَةٍ.

﴿٨٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ
الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ

(٨٩) - وَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَاسْتَنْتَى، اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حُكْمِ الْمُتَدِينِ، الَّذِينَ تَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَتَرَكُوا الْكُفْرَ الَّذِي دَنَسُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، نَادِمِينَ عَلَى مَا أَصَابُوا مِنْهُ، وَأَصْلَحُوا أَنْفُسَهُمْ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ

(إِيمَانِهِمْ) (وَأُولَئِكَ)

(٩٠) - وَقَبُولِ التَّوْبَةِ مُنَوِّطٌ بِالِاسْتِمْرَارِ عَلَى الْإِيمَانِ، فَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَيَزْدَادُونَ فِي كُفْرِهِمْ طُغْيَانًا وَفَسَادًا، وَإِذَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْتَمِرُّونَ فِي ذَلِكَ حَتَّى مَمَاتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَقْبَلَ التَّوْبَةَ الَّتِي يُحْدِثُونَهَا وَقَتِ الْمَوْتِ لَأَنَّهَا لَيْسَتْ تَوْبَةً خَالِصَةً، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الضَّلَالَةِ.

﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ
ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ
تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمْ
الضَّالُّونَ

(أُولَئِكَ) (نَاصِرِينَ)

(٩١) - يُهَدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، ثُمَّ يَزْدَادُونَ كُفْرًا وَيَسْتَمِرُّونَ عَلَى الْكُفْرِ إِلَى جِوْنِ مَمَاتِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ لَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ تَوْبَةً عِنْدَ الْمَمَاتِ، وَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ عَمَلٌ خَيْرٌ أَبَدًا، وَلَوْ كَانُوا أَنْفَقُوا مِثْلَ الْأَرْضِ ذَهَبًا فِيمَا يَظُنُّونَ أَنَّهُ خَيْرٌ وَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ. كَمَا لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمْ فِدْيَةٌ وَلَوْ كَانَتْ فِي مِثْلِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْكَافِرُونَ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلَنْ يَجِدُوا أَحَدًا يُنْقِذُهُمْ وَيَجِيرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْأَلِيمِ.

﴿٩١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كَفَارًا فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

(٩٢) - لَنْ تَنَالُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْخَيْرَ وَالْجَنَّةَ حَتَّى تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَحَبِّ أَمْوَالِكُمْ إِلَيْكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ رَبِّهِ. نَالَ الشَّيْءَ - حَصَلَ عَلَيْهِ.

﴿٩٢﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَارَبَّكَ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ

البر - مَا يَكُونُ بِهِ الْإِنْسَانُ بَارًا وَهُوَ الْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ.

(إِسْرَائِيلَ) (إِسْرَائِيلَ) (التَّوْرَةُ) (التَّوْرَةُ) (صَادِقِينَ)

(٩٣) - جَاءَ وَقَدْ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَمَّا حَرَّمَ يَتَقَرَّبُ عَلَى نَفْسِهِ (إِسْرَائِيلَ) فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ مَرَضٌ مَرَضًا شَدِيدًا، فَتَذَرُ إِنْ عَافَاهُ اللَّهُ أَنْ يَقْلَعَ عَنْ أَكْلِ أَحَبِّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَهُوَ لَحْمُ الْإِيلِ، وَالذَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْبَانُهَا، فَحَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ بَعْدَ شِفَائِهِ، وَتَابَعَهُ بَنُوهُ أَقْبَدَاءُ بِهِ.

(وَيُرَوَّى أَيْضًا: أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَدْعِي أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، فَكَيْفَ نَأْكُلُ لَحُومَ الْإِيلِ، وَنَشْرَبُ الْبَانُهَا مَعَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُحَرَّمًا فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ؟ فَأَنْتَ قَدْ اسْتَحْلَلْتَ مَا كَانَ مُحَرَّمًا. فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ).

ثُمَّ ارْتَكَبَ الْيَهُودُ جَرَائِمَ وَمُخَالَفَاتٍ دِينِيَّةَ فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ كَانَتْ حَلَالًا عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَّ التَّوْرَةَ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ عَلَى الْيَهُودِ. وَقَدْ أَكَّدَ اللَّهُ هَذَا الْوَاقِعَ بِقَوْلِهِ فِي الْقُرْآنِ:

﴿يُظْلِمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (١). وَهَذِهِ هِيَ التَّوْرَةُ تَشْهَدُ بِصِدْقِ مَا نَقُولُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يَرُدُّ بِهَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ التَّوْرَةَ أَنْزَلْتُ عَلَى مُوسَى، وَمُوسَى مِنْ أَسْوَاقِ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى مِثَالُ السَّنِينَ وَلِذَلِكَ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى مُوسَى دَلِيلًا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ شَرْعُ إِبْرَاهِيمَ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَطْلُبَ مِنَ الْيَهُودِ بِأَنْ يَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ لِيَقْرَؤُوهَا وَيَرَوْا صِدْقَ مَا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ.

(فَأُولَئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

(٩٤) - فَمَنْ أَفْتَرَى الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَآخَرَعَهُ، وَزَعَمَ أَنَّ التَّحْرِيمَ كَانَ نَزَلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، قَبْلَ نَزُولِ التَّوْرَةِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الظَّالِمُونَ الْمُسْتَحِقُّونَ عَذَابَ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا أَشْيَاءَهُمْ بِإِصْرَارِهِمْ عَلَى اتِّبَاعِ الْبَاطِلِ، وَعَدَمِ تَصْدِيقِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ.

(إِبْرَاهِيمَ)

(٩٥) - بَعْدَ أَنْ أَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى عَجَزَ الْيَهُودِ عَنِ الْإِثْبَانِ بِدَلِيلٍ مِنَ التَّوْرَةِ عَلَى صِدْقِ مَا يَدْعُونَ مِنْ أَنَّ مَا يُحَرِّمُونَهُ كَانَ حَرَامًا فِي شَرْعِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: صَدَقَ اللَّهُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، بِأَنَّ سَائِرَ الْأَطْعِمَةِ كَانَتْ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ نَزُولِ التَّوْرَةِ، وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ ذَلِكَ لَوْلَا وَحْيُ اللَّهِ الَّذِي أَعْلَمَنِي بِهِ، وَبِذَلِكَ ثَبَتَ أَنِّي مُبْلَغٌ

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ﴾

حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى

نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

عَنِ اللَّهِ، فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ، وَبَيَّنَّهَا فِي الْقُرْآنِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ؛ وَكَانَتْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفَةً سَمَحَةً، فِيهِ الْمِلَّةُ الَّتِي لَمْ يَأْتِ نَبِيٌّ بِأَكْمَلِ مِنْهَا وَلَا آتِيْن، وَلَمْ يَكُنْ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّمَا كَانَ مُسْلِمًا مُنْحَرِفًا عَنِ الشِّرْكِ.
حَنِيفًا - مُنْحَرِفًا عَنِ الشِّرْكِ.

(لِلْعَالَمِينَ)

(٩٦) - وَمِنْ أَتْبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْاِتِّجَاهُ فِي الصَّلَاةِ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي بَنَاهُ، وَالْحَجُّ إِلَيْهِ فَإِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلْعِبَادَةِ (أَيِ لِعِبَادَةِ النَّاسِ) هُوَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ (الْكَعْبَةُ) الْمَوْجُودَةُ فِي مَكَّةَ.

(وَتُسَمَّى مَكَّةُ أَيْضًا بَكَّةَ، وَإِبْدَالُ الْجِيمِ بَاءً كَثِيرُ الِاسْتِعْمَالِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَيَقُولُونَ دَائِمٌ وَذَائِبٌ).

وَهَذَا الْبَيْتُ قَدْ بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمَّا بَيْتُ الْمَقْدِسِ فَقَدْ بُنِيَ بَعْدَهُ بَزْمَنٍ (وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي بَنَاهُ هُوَ سُلَيْمَانُ سَنَةَ ١٠٠٥ قَبْلَ الْمِيلَادِ).

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلنَّاسِ.
الْبَرَكَةُ - تُطْلَقُ فِي الْعَرَبِيَّةِ عَلَى مَعْنَيْنِ:

- الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ.

- الْبَقَاءُ وَالِدَوَامُ.

بَكَّةَ - مَكَّةَ.

(آيَاتٍ) (بَيِّنَاتٍ) (إِبْرَاهِيمَ) (آمِنًا) (لِلْعَالَمِينَ)

(٩٧) - وَفِيهِ دَلَالَاتٌ ظَاهِرَاتٌ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ هُوَ الَّذِي بَنَاهُ، وَهَذِهِ الدَّلَالَاتُ هِيَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أَرْتَفَعَ بِنَاءَ الْبَيْتِ، أَخَذَ لَهُ مَقَامًا يُقِفُ عَلَيْهِ، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ مَوَادَّ الْبِنَاءِ، (وَكَانَ الْمَقَامُ مُلْتَصِقًا بِجِدَارِ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آخِرَهُ إِلَى حَيْثُ يَقُومُ الْآنَ لِيَتَمَكَّنَ النَّاسُ مِنَ الصَّلَاةِ عِنْدَهُ دُونَ إِزْعَاجِ الطَّائِفِينَ بِالْبَيْتِ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَتَّخِذُهُ مَوْضِعًا لِصَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ). وَقَدْ اتَّفَقَ الْعَرَبُ جَمِيعًا عَلَى أَحْتِرَامِ الْبَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ، لِذَلِكَ كَانَ مَنْ دَخَلَهُ يُصْبِحُ آمِنًا مِمَّا يُخِيفُهُ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَفْرُضُ اللَّهُ تَعَالَى الْحَجَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَأَصْبَحَ قَرْضًا عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ الْحَجَّ مِنْ نَفَقَةٍ وَقُدْرَةٍ.

﴿٩٦﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ

﴿٩٧﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى
النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
عَنِ الْعَالَمِينَ

وَمَنْ جَحَدَ فَرِيضَةَ الْحَجِّ فَقَدْ كَفَرَ وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُ (وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْكَفْرِ هُوَ جُحُودُ كَوْنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِعِبَادَةِ النَّاسِ).

(يَا أَهْلَ) (الْكِتَابِ) (بَيِّنَاتٍ)

(٩٨) - يُعَذِّبُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَصَدَّقَهُمُ النَّاسُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى صَنِيْعِهِمْ بِمَا خَالَفُوا مَا بَيَّنَّاهُمْ مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مِمَّا يُوجِبُ عَلَيْهِمْ إِلَّا يَجْتَرِئُوا عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ.

آيَاتِ اللَّهِ - هِيَ الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.
شَهِيدٌ - شَاهِدٌ.

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) (آمَنَ) (بِغَافِلٍ)

(٩٩) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: لِمَ تَمْنَعُونَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الْإِيمَانِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى اللَّهِ، وَتَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ، كُفْرًا وَعِنَادًا، وَكِبْرًا وَحَسَدًا، وَتَلْقَوْنَ الشُّبُهَاتِ الْبَاطِلَةَ فِي قُلُوبِ الضُّعَفَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَغْيًا وَكَيْدًا لِلنَّبِيِّ؟ هَلْ تُرِيدُونَ اغْوِجَاجَ الْأُمُورِ، وَسَيَادَةَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ؟ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ عَلَى صِحَّةِ مَا أَقُولُ، وَعَلَى صِدْقِ مَا جَاءَنِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ شَيْءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ مِنْ صَدٍّ وَكُفْرٍ وَبَغْيٍ.
صَدُّهُ - صَرْفُهُ.

تَبْغُونَهَا - تُرِيدُونَهَا.

السَّبِيلُ - الطَّرِيقُ.

الْعُوجُ - الْإِغْوِجَاجُ، وَهُوَ ضِدُّ الْأَسْتِقَامَةِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الْكِتَابِ) (إِيمَانُكُمْ) (كَافِرِينَ)

(١٠٠) - يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِطَاعَةِ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَحْسُدُونَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَمَا مَنَحَهُمْ مِنْ إِرْسَالِ رَسُولٍ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يُوَدِّي بِهِمْ إِلَى الْكُفْرِ.

وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي اثْنَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَيُرَوَّى أَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حُرُوبٌ شَدِيدَةً، وَعَدَاوَاتٌ مُسْتَحْكِمَةً، وَلَمَّا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ أَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْبَحُوا إِخْوَةً فِي الْإِسْلَامِ. وَمَرَّ يَهُودِيٌّ فَرَأَى الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ مُجْتَمِعِينَ وَهُمْ

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ

بِغَايَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا
عُوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا

فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
يُرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ

أَكْثَرَ مَا يَكُونُونَ تَوَادًّا وَصَفَاءً، فَسَاءَ ذَلِكَ، فَدَسَّ يَهُودِيًّا يَذْكُرُهُمْ بِأَيَّامِ
الْحُرُوبِ بَيْنَهُمْ، وَبِمَا كَانُوا يُفَاجِرُونَ بِهِ مِنْ أَشْعَارٍ، فَفَعَلَ، فَقَامَ رَجُلٌ
مِنَ الْأَوْسِ وَآخَرُ مِنَ الْخَزْرَجِ فَتَلَسَّسَا، وَأَنَارَ كُلُّ مِثْمَهِمَا جَمَاعَتَهُ،
وَدَعَاهُمَا بِدَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَسَلَّحَ النَّاسُ وَحَرَجُوا لِلْقِتَالِ، فَجَاءَ
النَّبِيُّ ﷺ وَخَطَبَهُمْ وَذَكَرَهُمْ بِإِيمَانِهِمْ فَسَكَتُوا، فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ
وَالَّتِي قَبْلَهَا.

(آيَات) (صِرَاطِ)

(١٠١) - وَيَسْتَعِذُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكْفُرُوا، وَحَاشَاهُمْ مِنْ
ذَلِكَ (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ). فَأَيَّاتُ اللَّهِ تُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَهُوَ
يَتْلُوهَا عَلَيْهِمْ، وَيُلَقِّعُهَا إِلَيْهِمْ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِ
هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْجِعُوا، عِنْدَ كُلِّ شَبْهَةٍ يَسْمَعُونَهَا
مِنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ، إِلَى الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى يَكْشِفَ لَهُمْ عَنْهَا، وَيُزِيلَ مَا
عَلِقَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْهَا.

وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ، وَيَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُبْعِدُهُ عَنِ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ،
وَيُوصِلُهُ إِلَى الْهَدَايَةِ وَالرَّشَادِ، وَطَرِيقِ السَّادِ.
أَعْتَصَمَ بِالشَّيْءِ - تَمَسَّكَ بِهِ فَمَنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْهَلَاكِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(١٠٢) - يَا أُمَّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَقْوَهُ حَقُّ تَقَاتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُطَاعَ
فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ، وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، وَيَقُولَ لَهُمْ:
حَافِظُوا عَلَى الْإِسْلَامِ فِي حَيَاتِكُمْ لِمَوْتُوا عَلَيْهِ، فَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ
بُعِثَ عَلَيْهِ.
التَّقَاةُ - التَّقْوَى. وَحَقُّ تَقَاتِهِ يَعْنِي اتِّقَاءَ حَقِّهِ.

(نِعْمَةً) (إِخْوَانًا) (آيَاتِهِ)

(١٠٣) - يَا أُمَّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللَّهِ، أَيْ بِعَهْدِهِ وَدِينِهِ
وَدِمَّتِهِ وَقُرْآنِهِ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِلَافَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْاجْتِمَاعِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ
التَّفَرُّقِ، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَذْكُرُوا نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ إِذْ أَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ،
وَأَخَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْمُسْتَحْكِمَةِ، وَالْفُرْقَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ
وَالْخَزْرَجِ، فَقَدْ كَانُوا عَلَى مِثْلِ شَفِيرِ النَّارِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ
وَأَقْبَتِهِمْ، فَهَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَنْقَذَهُمْ.

وَكَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ رَبُّهُمْ، فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، مَا يُضْمِرُهُ لَهُمُ الْيَهُودُ مِنْ شَرِّ

﴿١٠١﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى

عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ
هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿١٠٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ

﴿١٠٣﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ
النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ

يَسُبُّوا اللَّهَ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ

وَجِدَاعٍ وَغَشٍّ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي حَالِ جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنْ كُفْرٍ وَفُرْقَةٍ
وَأَقْبَاتٍ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ بِفَضْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ وَحْدَةٍ وَإِخَاءٍ، كَذَلِكَ يَبِينُ
سَائِرُ حُجْجِهِ فِي تَنْزِيلِهِ عَلَى رَسُولِهِ، لِيُعْذِبَهُمْ لِلْإِهْتِدَاءِ الدَّائِمِ، حَتَّى لَا
يَعُودُوا إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْأَقْبَاتِ.
حَبْلُ اللَّهِ - يَعْنِي هُنَا كِتَابُهُ.
شَفَا الْحَقِيرَةَ وَشَفِيرُهَا - طَرَفُهَا وَحَافَتُهَا.

(وَأُولَئِكَ)

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(١٠٤) - لَتَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ جَمَاعَةٌ مُتَخَصَّصَةٌ مُتَمَيِّزَةٌ تَعْرِفُ أَسْرَارَ
الْأَحْكَامِ، وَحِكْمَةَ التَّشْرِيعِ، وَفَقْهَهُ، تَتَوَلَّى الْقِيَامَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ،
وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتُحَارِبُ الْمُنْكَرَ، وَتَنْهَى عَنْهُ. وَمِنْ وَاجِبِ كُلِّ مُسْلِمٍ
أَنْ يُحَارِبَ الْمُنْكَرَ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْقَائِمُونَ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ.

الْأُمَّةُ - الْجَمَاعَةُ.

المَعْرُوفُ - مَا اسْتَحْسَنَهُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ.

الْمُنْكَرُ - مَا تُنْكِرُهُ النُّفُوسُ.

(الْبَيِّنَاتِ) (وَأُولَئِكَ)

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا

وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ

الْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ

(١٠٥) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ عَنْ أَنْ يَكُونُوا كَأَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ
تَفَرَّقُوا فِي الدِّينِ، وَكَانُوا شِيعًا تَذَهَبُ كُلُّ شِيعَةٍ مِنْهَا مَذْهَبًا تَدْعُو إِلَيْهِ،
وَتُحْطَى غَيْرُهَا، وَلِذَلِكَ تَعَادَوُا وَاقْتَتَلُوا.

وَلَوْ كَانَ فِيهِمْ جَمَاعَةٌ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَنْتَجِعُ إِلَى
غَايَةِ وَاحِدَةٍ، لَمَا تَفَرَّقُوا، وَلَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. وَهَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفُونَ الْمُتَفَرِّقُونَ
لَهُمْ عَذَابٌ وَخَسْرَانٌ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ.

(إِيمَانِكُمْ)

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ

فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ

أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا

الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

(١٠٦) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَبْيَضُ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُسْرُونَ لِمَا يَعْلَمُونَهُ
مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ. وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ وَالْإِخْتِلَافِ، لِمَا
يَرَوْنَهُ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، وَمَا يَحِلُّ بِهَا مِنَ النِّكَالِ وَالْوَبَالِ. وَيُسْأَلُ الَّذِينَ
أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ، وَيُقَالُ لَهُمْ:
أَكْفَرْتُمْ بِاللَّهِ، وَخَالَفْتُمْ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْإِعْتَصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ، وَبِالْوِفَاقِ
وَأَتِّحَادِ الْكَلِمَةِ؟ فَذُوقُوا الْعَذَابَ الَّذِي تَسْتَحِقُّونَهُ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ.
أَسْوَدَادُ الْوَجْهِ - تَعْبِيرٌ يُقْصَدُ بِهِ الْمَسَاءَةُ.

(خَالِدُونَ)

(١٠٧) - وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آبَضَتْ وَجُوهُهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَبِاتِّحَادِ الْكَلِمَةِ، وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ، فَيَكُونُونَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٍ، مَا دَامُوا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَيَكُونُونَ فِي الْآخِرَةِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لِيَكُونُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا.

(آيَات) (لِلْعَالَمِينَ)

(١٠٨) - وَهَذِهِ آيَاتُ اللَّهِ وَحُجَجُهُ وَبَيِّنَاتُهُ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ، يَا مُحَمَّدُ، مُقَرَّرَةٌ مَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَجَالَ لِلشُّبْهَةِ فِيهِ (بِالْحَقِّ)، لَتَعْرِفَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ حَاكِمٌ عَادِلٌ لَا يَرِيدُ ظُلْمًا بِالْعِبَادِ، لِأَنَّهُ قَادِرٌ قَاهِرٌ لَا يَخْتَاجُ إِلَى ظُلْمٍ مُخَالِفٍ لِأَمْرِهِ.

بِالْحَقِّ - عَلَى الْوَجْهِ الثَّابِتِ الْمُتَحَقِّقِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٠٩) - جَمِيعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عِبِيدُ اللَّهِ، وَهُمْ مُلْكٌ لَهُ، يَتَصَرَّفُ فِي شُؤْنِهِمْ بِحَسَبِ سُنَنِهِ الْحَكِيمَةِ الَّتِي لَا تَبْدِيلَ فِيهَا وَلَا تَبْدِيلَ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِلَيْهِ تَصِيرُ أُمُورُ الْخَلْقِ جَمِيعًا فَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(آمَن) (الْكِتَابِ) (الْفَاسِقُونَ)

(١١٠) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ فِي الْوُجُودِ، لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ إِيمَانًا صَادِقًا بِاللَّهِ، وَيُظْهِرُ أَثَرَهُ فِي نَفْسِهِمْ، فَيَبْزِعُهُمْ عَنِ الشَّرِّ، وَيَصْرِفُهُمْ إِلَى الْخَيْرِ، فَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ وَمَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ.

وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِيمَانًا صَاحِبًا يَسْتَوِي عَلَى النَّفُوسِ، وَيَمْلِكُ أَرْزَمَةَ الْقُلُوبِ فَيَكُونُ مَصْدَرُ الْفَضَائِلِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، كَمَا تُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّا يَدْعُوْنَهُ مِنْ إِيمَانٍ لَا يَزَعُ النَّفُوسَ عَنِ الشُّرُورِ، وَلَا يُبْعِدُهَا عَنِ الرِّذَائِلِ. وَبَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ جَمَاعَةٌ مُؤْمِنُونَ مُخْلِصُونَ فِي إِيمَانِهِمْ، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ عَنْ دِينِهِمْ، مُتَمَرِّدُونَ فِي الْكُفْرِ.

كُنْتُمْ - وَجَدْتُمْ وَخَلَقْتُمْ.

أَخْرَجْتُ - أَظْهَرْتُ

الْفُسُوقُ - الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ.

(١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ آبَضَتْ وَجُوهُهُمْ

فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

(١٠٨) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ

بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا

لِلْعَالَمِينَ

(١٠٩) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

(١١٠) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ

أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا

لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ

وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ

(يُقَاتِلُوكُمْ)

(١١١) - لَنْ يَضُرَّ هَؤُلَاءِ الْفَاسِقُونَ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الْمُؤْمِنِينَ ضَرَرًا بَلِيغًا يُصِيبُ أَصْلَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَنْ يُؤْثِرُوا فِي وُجُودِ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي الْأَرْضِ، وَأَنْمَا يَكُونُ ضَرَرُهُمْ عَرَضِيًّا كَالْإِيْدَاءِ بِالْهَجَاءِ الْفَجَحِ، وَالطَّعْنِ فِي الدِّينِ، وَالْقَاءِ الشُّبُهَاتِ، وَتَحْرِيفِ النُّصُوصِ... وَحِينَ يُرِيدُونَ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَشْتَبِكُونَ مَعَهُمْ فِي الْحَرْبِ، فَالْهَرِيمَةُ مَكْتُوبَةٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي النَّهَايَةِ، وَلَا نَاصِرَ لَهُمْ مِنْ بَاسِ اللَّهِ وَبَاسِ الْمُؤْمِنِينَ.

يُؤْلُوكُمُ الْأَذْبَارُ - يَنْهَزُمُونَ.

الْأَذَى - الْإِيْدَاءُ وَالضَّرَرُ الْعَارِضُ الْبَاسِرُ.

(وَبَاؤُوا) (بِآيَاتِ)

(١١٢) - ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالزَّمَهُمْ بِهَا، وَجَعَلَهَا لَهُمْ مَصِيرًا أَيْنَمَا وَجَدُوا. وَلَا يَعْصِمُهُمْ مِنْ بَاسِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا دُخُولُهُمْ فِي ذِمَّتِهِمْ، فَيَعْصِمُ ذَلِكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، أَيْ إِنَّهُمْ لَا تَعْصِمُهُمْ مِنْ بَاسِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا ذِمَّةُ اللَّهِ، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ. وَرَجَعَ هَذَا الْفَرِيقُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِنْ عِدَائِهِمْ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، يَحْمِلُونَ غَضَبَ اللَّهِ، وَيَسْتَوْجِبُونَ سَخَطَهُ. وَالزَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِسْتِكَاثَةِ وَالْخُضُوعِ لِغَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَصَوْا وَعْتَدَوْا فِي دِينِهِ عَلَى الْحُرْمَاتِ: فَقَدْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَعْتَدَوْا عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَتَلُوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْعَدْلِ مِنَ النَّاسِ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُهُمْ أَهْلًا لِلْعَذَابِ، وَلَمَّا قَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمُسْكَنَةَ.

بَاءٌ - حَمَلَ أَوْ لَبِثَ وَحَلَ.

ثَقِفَ - وَجَدَ وَأَذْرَكَ.

الْمُسْكَنَةُ - فَقَرَّ النَّفْسِ وَشُحِّهَا.

حَبْلٌ مِنَ اللَّهِ - عَهْدٌ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ - فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ وَالزَّمُوا بِهَا.

(الْكِتَابِ) (قَائِمَةً) (آيَاتِ) (اللَّيْلِ)

(١١٣) - وَيَسْتَنِي اللَّهُ تَعَالَى بَعْضَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ، فَيَقُولُ: إِنَّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً مُهْتَدِيَةً، آمَنُوا إِيمَانًا صَادِقًا، وَأَقَامُوا عَلَى أَمْرِ

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى

وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمُ الْأَذْبَارُ
ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ

ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَيْنَ

مَا تُقِفُوا إِلَّا لِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ
مِنَ النَّاسِ وَبَاءٌ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ
وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةَ
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ



لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ
آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءً لَيْلٍ وَهُمْ
يَسْجُدُونَ

اللَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ لَهُ شَرِيكًا، وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُ وَلَدًا، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ بِرَءٍ
كَتَابَ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ، وَتَسْجُدُونَ لِلَّهِ.
(وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْيَهُودِ اسْلَمُوا
كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَتَغَلَّبَ بَنُ سَعِيدٍ).
لَيْسُوا سَوَاءً - لَيْسُوا مُتَسَاوِينَ.
فَائِمَةٌ - مُسْتَقِيمَةٌ عَادِلَةٌ.

(يُسَارِعُونَ) (الْخَيْرَاتِ) (وَأُولَئِكَ) (الصَّالِحِينَ)

(١١٤) - وَقَدْ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، إِمَانًا صَادِقًا، وَنَهَضُوا
بِتَكَالُيفِ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ، فَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَعَمِلُوا الْخَيْرَ، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الصَّالِحِينَ، وَشَهِدَ لَهُمْ بِهَذَا
الصَّلَاحِ.

(١١٥) - وَجَمِيعُ مَا يَفْعَلُونَهُ، مِنَ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ، فَلَنْ يُحْرَمُوا ثَوَابَهُ،
وَسَيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَنْ يَنْقُصَهُمْ مِنْهُ شَيْئًا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ.
لَنْ يُكْفَرُوهُ - لَنْ يُحْرَمُوا ثَوَابَهُ.

(أَمْوَالُهُمْ) (أَوْلَادُهُمْ) (وَأُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(١١٦) - الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ،
الَّذِينَ كَانُوا يُعِيرُونَ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ بِالْفَقْرِ، وَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ عَلَى
الْحَقِّ لَمَا تَرَكَهُ رَبُّهُ فِي هَذَا الْفَقْرِ، وَيَتَفَاخَرُونَ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ،
فَلَنْ هَؤُلَاءِ لَنْ تَنْفَعَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ شَيْئًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَنْ يَمْنَعَهُمْ
شَيْءٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ يَتَّقُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا
لَنْ تُغْنِيَ - لَنْ تَجْزِيَ وَلَنْ تَنْفَعُ.

(الْحَيَاةِ)

(١١٧) - وَالْكَافِرُونَ يُتَّقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِي الصَّدَقَاتِ
وَالْقُرْبَاتِ، وَفِي اكْتِسَابِ الشُّهْرَةِ وَالنَّيِّبِ... وَلَكِنَّ هَذَا الْإِنْفَاقَ ضَائِعٌ،
وَلَنْ يَنْتَفِعُوا مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ شَيْئًا. وَقَدْ شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى خَالَهُمْ هَذَا بِحَالِ
زَرْعٍ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، أَصَابَتْهُ رِيحٌ فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ
فَاهْلَكَتْهُ عَقُوبَةُ لَهُمْ. وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ بِضَيَاعِ أَجْوَرِ أَعْمَالِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ
هُمْ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالنَّبِيِّ، وَآزَيَّكَابِ الْمَعَاصِي.
فِيهَا صِرٌ - بَرْدٌ شَدِيدٌ (أَوْ سُومٌ حَارَةٌ).

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ

يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِالْمُتَّقِينَ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ

عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ

مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ

أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا

ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ

يُظْلِمُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَفْوَهِهِمْ) (الآيَاتِ)

(١١٨) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ الْكُفَّارِ وَالْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ بَطَانَةً وَخَوَاصًّا لَهُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، يُطْلَعُونَهُمْ عَلَى سِرِّهِمْ، وَمَا يُضْمِرُونَ لِأَعْدَائِهِمْ. لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَأْلُونَ جُهْدًا، وَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْ عَمَلٍ فِيهِ إِذَاءٌ وَإِضْرَارٌ بِالْمُؤْمِنِينَ، فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ وَتَوَسَّعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الضَّبِّقِ وَالْمَشَقَّةِ. وَلَقَدْ بَدَّتِ الْبَغْضَاءُ وَالْعَدَاوَةُ فِي أَفْوَهِهِمْ بِمَا يَظْهَرُ عَلَى السِّنَتِ مِنْ كَلِمَاتِ الْحَقِّدِ، وَصُدُورُهُمْ تَخْفِي حَقِّدًا أَكْبَرَ، وَبَغْضًا أَعْظَمَ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَةَ الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا الْوَلِيُّ مِنَ الْعَدُوِّ.

بَطَانَةُ الرَّجُلِ - خَاصَّتُهُ.

مِنْ دُونِكُمْ - مِنْ غَيْرِكُمْ.

لَا يَأْلُونَكُمْ - لَا يَقْصُرُونَ.

مَا عَتَيْتُمْ - مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ.

الْخَبَالُ - النِّقْصَانُ.

(هَا أَنْتُمْ) (بِالْكِتَابِ) (آمَنَّا)

(١١٩) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: إِنَّكُمْ تُجِبُونَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً لَكُمْ، وَلَا يَقْصُرُونَ فِي إِفْسَادِ أَمْرِكُمْ، وَتَمَنِّي عَنِّيَكُمْ. وَيُظْهِرُونَ لَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالغِشَّ، وَيَتَرَضُّونَ بِكُمْ رَيْبَ الْمَنُونِ، فَكَيْفَ تَوَادُّونَهُمْ وَتَوَاصِلُونَهُمْ، وَهُمْ لَا يُجِبُونَكُمْ لَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا، وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ، وَبِالْكِتَابِ الَّتِي أُنْزِلَتْ قَبْلَهُ، وَلَيْسَ لَدَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الشُّكِّ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ، وَعِنْدَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شُكٌّ وَحَيْرَةٌ، فَانْتُمْ أَحَقُّ بِبُغْضِهِمْ مِنْهُمْ لَكُمْ، فَإِذَا لَقَوَكُمْ قَالُوا: آمَنَّا إِرْضَاءً لَكُمْ، وَحَذَرًا مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْكُمْ. وَإِذَا فَارَقُوكُمْ، وَآخَتَلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ، عَصُوا عَلَيْكُمْ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِمْ مِنْ غَيْظِهِمْ مِنْكُمْ، فَقُلْ لَهُمْ: مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ فَلَنْ يَضُرَّنَا ذَلِكَ شَيْئًا، وَاللَّهُ مَتِّعٌ بِرِعْمَتِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْعِلْلِ لِلْمُؤْمِنِينَ.

الْبَغْضَاءُ - شِدَّةُ الْبُغْضِ.

عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ - كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ.

خَلَوْا - مَضَوْا وَانْفَرَدَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ
حَبَالًا وَلَا وُدًّا مَا عَتَيْتُمْ قَدْ بَدَّتِ
الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا
تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرَ قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ

هَآ أَنْتُمْ أَوْلَاءَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا
تُحِبُّونَهُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
وَإِذَا الْقَوُكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
خَلَوْا عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ
مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنْ
اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

(١٢٠) - وَلَشِدَّةُ عَدَاوَةِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُمْ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ - نَصْرٌ أَوْ رِنَجٌ أَوْ خِصْبٌ - كَمَا يَسُرُّهُمْ مَا يَنْزِلُ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَلَاءٍ وَسُوءٍ وَهَزِيمَةٍ . وَيَنْصَحُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّحَلِّيِ بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ لِلنَّجَاةِ مِنْ كَيْدِهِمْ وَأَذَاهُمْ، لَأَنَّهُ مُحِيطٌ بِمَا يَعْمَلُونَ، وَكُلُّ شَيْءٍ بِمَشِيئَتِهِ وَقَدَرِهِ .
تَمَسَّكُكُمْ - تُصِيبُكُمْ .

(مَقَاعِدُ)

(١٢١) - وَهَذَا يَتَحَدَّثُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ جِنْسًا خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ مُبَكَّرًا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ لِحَرْبِ قُرَيْشٍ، وَإِنزَالِهِ الصَّحَابَةَ فِي مَرَاكِبِ الْقِتَالِ . فَلَمَّا وَصَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى مَكَانِ الْمَعْرَكَةِ نَزَلَ بِأَصْحَابِهِ فِي الشَّعْبِ مِنْ أُحُدٍ، فِي عُدْوَةِ الْوَادِي، وَجَعَلَ ظَهَرَ عَسْكَرِهِ إِلَى أُحُدٍ، وَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ لَا يَقَاتِلُنَّ أَحَدٌ حَتَّى نَأْمُرَهُ . وَأَقَامَ خَمْسِينَ رَامِيًا، عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ، عَلَى تَلٍّ، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَنْضَحُوا الْخَيْلَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ لَا يَتْرَكُوا مَكَانَهُمْ أَبَدًا، حَتَّى وَلَوْ ذَارَبَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .
غَدَا يَغْدُو - أَنْطَلَقَ فِي الْعَدَاةِ - مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ .
تُبَوَّىءُ - تُنْهَىءُ، وَتَنْزَلُ .

(طَائِفَتَانِ)

(١٢٢) - وَكَانَتْ فِي الْأَنْصَارِ طَائِفَتَانِ (هُمَا بَنُو حَارِثَةَ وَبَنُو سَلَمَةَ) قَدْ أَثَرَتْ فِيهِمَا حَرَكَةُ أَنْسِحَابِ أَبِي أَبِي بِنِ سُلُولٍ، وَعَوْدَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَكَادَتَا أَنْ تَفْشَلَا، وَتَرْجِعَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَكِنْ عَنَايَةُ اللَّهِ تَذَارَكْتُهُمَا وَكَبَّتَهُمَا، وَأَيَّدَتْهُمَا بِوَلَايَتِهِ . وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ، فَلَيْسَ لَهُمْ سَنَدٌ غَيْرُهُ .

الْهَمُّ - حَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَوَجُّهُهَا إِلَى الشَّيْءِ .

(١٢٣) - لَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوْقِعِهِ (بَدْرٍ)، وَكَانُوا قَلِيلِي الْعَدَدِ إِذْلَاءً، وَأَذَلَّ اللَّهُ الشَّرْكَ، وَهَزَمَ جُزْءَهُ، وَذَلِكَ لِتَعْلُمُوا أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَا بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، فَإِنْ تَصَبَّرُوا لِأَمْرِ اللَّهِ يَنْصُرْكُمْ كَمَا نَصَرَكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَاتَّقُوا اللَّهَ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتَنَابِ مَحَارِمِهِ، لِيُعِدُّوا أَنْفُسَكُمْ لِشُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، وَإِظْهَارِ دِينِكُمْ .

(لَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ بَدْرٍ ٣١٧ رَجُلًا، بَيْنَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْنَ ٩٠٠ وَ ١٠٠٠ رَجُلًا) .
أَذَلَّةٌ - دَلِيلُونَ لَا مَنَعَةَ لَكُمْ .

١٢٠ إِن تَمَسَّكُكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ
وَأِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يُفْرَحُوا
بِهَا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا
لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ

١٢١ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوَّىءُ
الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

١٢٢ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ
أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا عَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

١٢٣ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ
أَذِلَّةٌ فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ

(بِثَلَاثَةِ آلَافٍ) (الْمَلَأَكَةُ)

(١٢٤) - إِذْ كُنْتَ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ: إِنَّ اللَّهَ سَيُمِدُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَأَكَةِ، أَلَا يُكَفِّيْكُمْ هَذَا الْعَدَدُ؟ (وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ بَلَغَهُمْ، يَوْمَ بَدْرٍ، أَنَّ كَرَزَ بْنَ جَابِرٍ الْمُحَارِبِيَّ يُرِيدُ أَنْ يُمِدَّ قُرَيْشًا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ تَثْبِيثًا لِقُلُوبِهِمْ).

(وَيُجْمَعُ أَهْلُ التَّفْسِيرِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ الْمَلَأَكَةَ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَنَّهُمْ شَارَكُوا فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ. وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَأَكَةُ سِوَى يَوْمِ بَدْرٍ).

الْإِمْدَادُ - تَقْدِيمُ الْمَدَدِ لِلْجَيْشِ مِنْ عُدَّةٍ وَسِلَاحٍ وَرِجَالٍ.

(آلَافٍ) (الْمَلَأَكَةُ)

(١٢٥) - فَإِنْ تَصَبَّرُوا فِي الْمَعْرَكَةِ عَلَى لِقَاءِ عَدُوِّكُمْ، وَتَتَّقُوا رَبَّكُمْ، وَتُطِيعُوا أَمْرَهُ، جِنْمَا يُطْلَعُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْفُورِ، يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَأَكَةِ يَمْنَارُونَ بِعَلَامَاتٍ يَضَعُونَهَا (مُسَوِّمِينَ)، لِيُعْجَلَ نَصْرُكُمْ، وَيُسَهَّلَ فَتَحُكُمْ.

مِنْ فُورِهِمْ - مِنْ سَاعَتِهِمْ وَبِلَا إِبْطَاءٍ.
مُسَوِّمِينَ - ذَوِي سِمَةٍ وَعَلَامَةٍ.

(وَلِتَطْمَئِنَّ)

(١٢٦) - وَمَا جَعَلَ اللَّهُ وَعْدَهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ إِمْدَادِهِمْ بِالْمَلَأَكَةِ فِي الْمَعْرَكَةِ إِلَّا بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَثْبِيثًا لِقُلُوبِهِمْ الَّتِي تَطَّرَقَ إِلَيْهَا الْخَوْفُ مِنْ كَثَرَةِ عَدَدِ الْكُفَّارِ، وَقُوَّةِ اسْتِعْدَادِهِمْ. وَلَيْسَ النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْصَرَ الْمُسْلِمِينَ دُونَ أَشْرَاقِهِمْ فِي الْقِتَالِ.

(خَائِبِينَ)

(١٢٧) - لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ بِالْجِهَادِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي يَرَاهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَذَلِكَ لِیُسَهِّلَ إِهْلَاكَ طَائِفَةٍ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَيُنْقِصَ عَدَدَهُمْ بِالْقَتْلِ، أَوْ يُنْقِصَ مِنْ سُلْطَانِهِمْ بِالْقَهْرِ، أَوْ يُنْقِصَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِالْغَنِيمَةِ، أَوْ يُنْقِصَ مِنْ تَأْثِيرِهِمْ فِي الْأَرْضِ بِالْهَزِيمَةِ، أَوْ يَضْرِبَهُمْ مَهْزُومِينَ إِذْ لَاءَ فَيَعُودُوا خَائِبِينَ مُقَهَّورِينَ لَا أَمَلَ لَهُمْ فِي نَصْرِ.

لِيَقْطَعَ - لِيُفْنِي وَيُهْلِكَ.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَا يَكْفِيْكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَأَكَةِ مُنْزَلِينَ

بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَبِأَتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَأَكَةِ مُسَوِّمِينَ

وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ

طَرَفًا - جَمَاعَةً وَطَائِفَةً.

الْكُبْت - شِدَّةُ الْغَيْظِ، أَوْ الْهَوْنُ وَالضُّعْفُ.

أَنْقَلَبَ - رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ.

(ظَالِمُونَ)

(١٢٨) - يَنْبَغِي أَنْ تَعَالَى رِسُولُهُ الْكَرِيمُ إِلَى أَنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَلَيْسَ لِلنَّبِيِّ شَيْءٌ مِنَ الْحُكْمِ وَالتَّصَرُّفِ فِي أَمْرِ الْعِبَادِ، غَيْرُ مَا أَمَرَهُ مِنْ إِبْلَاجِهِمْ رَسُولَهُ رَبَّهُمْ، وَهُوَ تَعَالَى إِمَّا أَنْ يُتُوبَ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَيَهْدِيَهُمْ بَعْدَ الضَّلَالَةِ، وَإِمَّا أَنْ يُعَذِّبَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَكْتُمَهُمْ وَيُدْلِهِمْ لِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٢٩) - وَاللَّهُ يَمْلِكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَهْلُهُمَا عِبِيدُ لَهُ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ الْمُطْلَقُ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، وَلَا مُعَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الرَّبَّاءَ) (أَضْعَافًا) (مُضَاعَفَةً)

(١٣٠) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَكْلِ الرِّبَا، وَالتَّعَامُلِ بِهِ، بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَهَدَى اللَّهُ لَهُمْ، كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذْ كَانُوا يَقُولُونَ لِلْمَدِينِ إِذَا حَلَّ أَجَلَ الدِّينِ: إِمَّا أَنْ تَقْضِيَ دَيْنَكَ وَإِمَّا أَنْ تُرَبِّي. فَإِنْ قَضَاهُ فِيهَا، وَإِلَّا زَادَهُ فِي الْمُدَّةِ وَزَادَهُ فِي الْمِقْدَارِ، وَهَكَذَا كُلُّ عَامٍ، فَرُبَّمَا تَضَاعَفَ الْقَلِيلُ حَتَّى يَصِيرَ كَثِيرًا مُضَاعَفًا. وَيَأْمُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالتَّقْوَى لَعَلَّهُمْ يَفْلَحُونَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ. أَتَقُوا اللَّهَ - خَافُوهُ وَاجْعَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَقَايَةً مِنْ عَذَابِهِ.

(لِلْكَافِرِينَ)

(١٣١) - وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالتَّقْوَى، وَبِالْإِتِّعَادِ عَنْ مُتَابَعَةِ الْمَرَابِّينَ، وَتَعَاطِي مَا يَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ أَكْلِ الرِّبَا، الَّذِي يُفْضِي بِهِمْ إِلَى دُخُولِ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ.

(١٣٢) - وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ أَكْلِ الرِّبَا، وَمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ كَيْ يُرْحَمُوا فِي الدُّنْيَا، بِصَلَاحِ حَالِ الْمُجْتَمَعِ، وَفِي الْآخِرَةِ، بِحَسَنِ الْجَزَاءِ.

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

(السَّمَاوَاتُ)

(١٣٣) - وَيَنْدُبُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ،
وَالِى الْمُسَارَعَةِ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتَأَلَّوْا مَغْفِرَةَ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ، وَجَنَّةَ
الْوَسِيعَةِ الْعَرِيضَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَمْتَثِلُونَ أَمْرَهُ.

(الكَاطِمِينَ)

(١٣٤) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ صِفَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَقُولُ: إِنَّهُمْ
الَّذِينَ يُتَّقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ، فِي الرِّخَاءِ (السَّرَّاءِ)، وَفِي
الشَّدَّةِ (الضَّرَّاءِ)، وَفِي الصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، لَا
يَسْخَلُهُمْ أَمْرٌ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْإِتْقَانِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَإِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ
غَيْظَهُمْ إِذَا تَارَ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ. وَاللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ
عَلَى عِبَادِهِ الْبَائِسِينَ، وَيُؤَسِّسُهُمْ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى جَزِيلٍ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ.
(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَادِهِ مَلَأَ اللَّهُ
جَوْفَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا).

كَظَمَ غَيْظَهُ - كَتَمَ غَيْظَهُ فِي نَفْسِهِ وَأَخْفَاهُ..
كَظَمَهُ الْغَيْظُ - أَخَذَ بِنَفْسِهِ - فَهُوَ كَظِيمٌ.
السَّرَّاءُ - الْحَالَةُ الَّتِي تَسُرُّ (الْيُسْرُ)
الضَّرَّاءُ - الْحَالَةُ الَّتِي تَضُرُّ (الْعُسْرُ).

(فَاحِشَةً)

(١٣٥) - وَمِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ إِذَا صَدَرَ عَنْهُمْ فِعْلٌ قَبِيحٌ يَتَعَدَّى
أَثَرُهُ إِلَى غَيْرِهِمْ (كَغِيْبَةِ إِنْسَانٍ)، أَوْ صَدَرَ عَنْهُمْ ذَنْبٌ يَكُونُ مُقْتَصِرًا
عَلَيْهِمْ (كَشُرْبِ خَمْرٍ وَنَحْوِهِ)، ذَكَّبُوا اللَّهَ تَعَالَى وَوَعِيدَهُ،
وَعَظَمَتَهُ وَجَلَالَهُ، فَوَجَعُوا إِلَى اللَّهِ تَائِبِينَ، طَالِبِينَ مَغْفِرَتِهِ، وَلَمْ يُقِيمُوا
عَلَى الْقَبِيحِ مِنْ غَيْرِ اسْتِغْفَارٍ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى الذَّنْبِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ،
تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَغَفَرَ لَهُ.
الْفَاحِشَةُ - الْفَعْلَةُ الشَّيْئَةُ.

ظَلَمَ النَّفْسَ - أَزْكَابَ الذَّنْبَ الَّذِي يَقْتَصِرُ أَثَرُهُ عَلَى الْفَاعِلِ كَشُرْبِ
إِنْسَانِ الْخَمْرِ مُسْتَبْرَأً.
الْإِصْرَارُ - الْإِقَامَةُ عَلَى الْفِعْلِ.

١٣٣ وَسَارِعُوا إِلَى
مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ

١٣٤ الَّذِينَ يَتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظْمِ
الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

١٣٥ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً
أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ وَمَنْ
يَعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ
يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ

(أُولَئِكَ) (وَجَنَّتْ) (الْأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ) (الْعَامِلِينَ)

(١٣٦) - وَالْمُتَّقُونَ الْمُتَمَتُّعُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ سَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ عَلَيْهَا بِالْمَغْفِرَةِ، وَبِالْأَمْنِ مِنَ الْعِقَابِ، وَلَهُمْ ثَوَابٌ عَظِيمٌ فِي جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَهُمْ مُخْلَدُونَ فِيهَا أَبَدًا، وَالْجَنَّةُ خَيْرٌ مَّا يَكْفَى بِهِ الْمُؤْمِنُونَ الْعَامِلُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَاتِ.

(عَاقِبَةُ)

(١٣٧) - يُخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ مُصَابِهِمْ فِي وَقْعَةِ أَحُدٍ يَقُولُ لَهُمْ:

لَقَدْ جَرَى عَلَى أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ مِنَ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ نَحْوُ مِمَّا جَرَى لَكُمْ يَوْمَ أَحُدٍ، فَأَصَابُوا وَقْتُلُوا وَهَزَمُوا... وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ كَانَتْ لَهُمْ، وَالذَّائِرَةُ كَانَتْ عَلَى الْكَافِرِينَ... وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنَّهُ مَا اتَّقَى الْإِيمَانَ وَالشُّرْكَ إِلَّا نَصَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَأَعْلَى رَايَةِ الْإِيمَانِ، وَهَزَمَ الشُّرْكَ وَأَهْلَهُ، وَنَكَسَ أَعْلَامَهُ. وَأَجْدَرُ النَّاسِ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ فَيَسِيرُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الْأَرْضِ، وَتَأْمَلُوا فِيمَا حُلَّ بِالْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

السُّنَنُ - جَمْعُ سُنَّةٍ - الطَّرِيقَةُ وَالسَّيْرَةُ.

خَلَّتْ - مَضَتْ.

الْعَاقِبَةُ - النِّهَايَةُ وَالْمَصِيرُ.

(١٣٨) - وَمَا تَقَدَّمَ هُوَ بَيَانٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ مِنْهُمْ خَاصَّةً، فَالْإِرْشَادُ عَامٌّ لِلنَّاسِ، وَحُجَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، (وَذَلِكَ يَذْخُصُ مَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ رَسُولًا حَقًّا لَمَا غَلِبَ فِي وَقْعَةِ أَحُدٍ). فَهَذَا الْبَيَانُ وَالْهُدًى يُرْشِدَانِ إِلَى أَنَّ سُنَنَ اللَّهِ حَاكِمَةٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، كَمَا هِيَ حَاكِمَةٌ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ، فَمَا مِنْ قَائِدٍ يُخَالِفُهُ جُنْدُهُ، وَيَتْرُكُونَ حِمَايَةَ الشَّعْرِ الَّذِي عَهْدٌ إِلَيْهِمْ بِحِمَايَتِهِ، إِلَّا كَانَ جَيْشُهُ عُرْصَةً لِلْهَزِيمَةِ.

وَهَذَا الْبَيَانُ هُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ فَيَعْتَبِرُونَ.

هُدًى - إِرْشَادٌ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ.

(١٣٦) أُولَئِكَ جَزَّوْهُمْ مَغْفِرَةً مِنْ

رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

(١٣٧) قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ

(١٣٨) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى

وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ

(١٣٩) - وَلَا تَضَعُوا عَنِ الْجِهَادِ، وَمَا يَتَطَلَّبُهُ مِنْ حُسْنِ التَّذْيِيرِ
وَالْإِعْدَادِ، بِسَبَبِ مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْفُشْلِ وَالْجَرَّاحِ يَوْمَ أَحُدٍ، وَلَا تَحْزَنُوا
عَلَى مَا فَقَدْتُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ وَالنُّصْرَ سَيَكُونَانِ لَكُمْ إِذَا
تَمَسَّكْتُمْ بِحَبْلِ اللَّهِ، وَرَاعَيْتُمْ تَعَالِيْمَهُ، فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ
الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.
الْوَهْنُ - الضَّعْفُ.

(آمَنُوا) (الظَّالِمِينَ)

(١٤٠) - إِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَصَابَتْكُمْ جَرَّاحٌ، وَقُتِلَ مِنْكُمْ رَجُلٌ يَوْمَ أَحُدٍ، فَقَدْ
أَصَابَ أَعْدَاءَكُمْ قَرِيبٌ مِمَّا أَصَابَكُمْ، فَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَقْعُدُوا
وَتَتَّقَعِسُوا عَنِ الْجِهَادِ بِسَبَبِ مَا أَصَابَكُمْ، فَالْمُشْرِكُونَ قَدْ سَبَقَ أَنْ
أَصَابَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلُ مَا أَصَابَكُمْ أَنْتُمْ فِي أَحُدٍ، فَلَمْ يَتَّقَعِسُوا، وَلَمْ
يَقْعُدُوا عَنِ الْإِعْدَادِ لِلْحَرْبِ وَمُبَاشَرَتِهَا، وَهُمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، فَكَيْفَ
تَتَرَدَّدُونَ وَأَنْتُمْ عَلَى حَقٍّ، وَاللَّهُ وَعَدَكُمْ نَصْرَهُ، وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لَكُمْ؟ وَمَنْ
سُنِّنَ اللَّهُ تَعَالَى مَدَاوِلَهُ الْآيَامِ بَيْنَ النَّاسِ، فَمَرَّةٌ تَكُونُ الْعَلْبَةُ لِلْبَاطِلِ
عَلَى الْحَقِّ، إِذَا أَعَدَّ لَهُ أَهْلُهُ وَأَحْتَاطُوا، وَتَرَخَى أَهْلُ الْحَقِّ، وَمَرَّةٌ تَكُونُ
الْعَلْبَةُ لِلْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ. وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ تَكُونُ دَائِمًا لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ. وَاللَّهُ
تَعَالَى يَنْتَلِي الْمُؤْمِنِينَ لِيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ الصَّادِقِينَ مِنْهُمْ، وَلِيَتَّخِذَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ رِجَالًا يُكْرِمُهُمْ بِالشَّهَادَةِ.
إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ - إِنْ يُصِيبَكُمْ جَرَّاحٌ.

نُذَوِلُهَا - نُصَرِّفُهَا، فَنُذِيلُ تَارَةً لِهَؤُلَاءِ وَتَارَةً لِهَؤُلَاءِ، وَالْمَدَاوِلُ نَقْلُ
الشَّيْءِ مِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ.

(آمَنُوا) (الْكَافِرِينَ)

(١٤١) - وَيُدَاوِلُ اللَّهُ الْآيَامَ بَيْنَ النَّاسِ لِيُمَيِّزَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، مِنْ
الْمُنَافِقِينَ، وَلِتَطْهَرَ نَفُوسُ بَعْضِ ضَعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كُدُورَتِهَا، فَتَصْفُوَ
مِمَّا شَابَهَا وَخَالَطَهَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّجَارِبِ الْكَثِيرَةِ، وَالْامْتِحَانِ
بِالشَّدَائِدِ، وَلِيَكُونَ الْجِهَادُ وَالْحَرْبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَسَبِيلَ التَّذْيِيرِ
الْكَافِرِينَ الَّذِينَ إِذَا ظَفِرُوا بَغَوْا وَيَطْرُوا.

التَّمْجِصُ - التَّنْقِيَةُ مِنَ الشَّوَابِ.

الْمَحْقُ - النِّقْصَانُ، وَأَصْلُهُ الْمَحْوُ وَالْإِبَادَةُ.

﴿١٣٩﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿١٤٠﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ
الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ
الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

﴿١٤١﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ

(جَاهِدُوا) (الصَّابِرِينَ)

(١٤٢) - وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْبِرَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَيُمَحِّصَكُمْ فِي الشَّدَائِدِ وَالْجِهَادِ لِيَرَى صِدْقَ إِيْمَانِكُمْ، وَيَرَى مِنْ يَسْتَجِيبُ لِلَّهِ، وَيُخْلِصَ فِي طَاعَتِهِ، وَقِتَالَ أَعْدَائِهِ، وَيَصْبِرَ عَلَى مَكَارِهِ الْحُرُوبِ.

جَاهِد - أَحْتَمِلَ الْمَشَقَّةَ فِي مُكَابَدَةِ الشَّدَائِدِ، وَيُقْصَدُ بِالْجِهَادِ هُنَا الدَّفَاعُ عَنِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ.

(١٤٣) - يُخَاطِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَهِدَ وَقَعَةَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بِذَرَأَ، وَكَانُوا يَتَحَرَّقُونَ شَوْقًا لِلْقِتَالِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَكُونَ لَهُمْ يَوْمَ كَيَوْمِ بَدْرٍ، وَقَدْ أَلْهَوْا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ فِي الْخُرُوجِ إِلَى أَحَدٍ لِيُقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ. وَيَقُولُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ: لَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنُّونَ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُلَاقُوا الْقَوْمَ فِي مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ، فَهَذَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَتَمَنُّونَ فَمَا بِالْكُمْ دَهَشْتُمْ عِنْدَمَا وَقَعَ الْمَوْتُ فِيكُمْ؟ وَمَا بِالْكُمْ تَحْزَنُونَ وَتَضَعِفُونَ عَنِ لِقَاءِ مَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ وَتَتَمَنُّونَ؟

(أَفَانِ) (أَعْقَابِكُمْ) (الشَّاكِرِينَ)

(١٤٤) - لَمَّا أَنْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، أُشِيعَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قُتِلَ، فَحَصَلَ ضَعْفٌ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَأَخَّرَ عَنِ الْقِتَالِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَفِيهَا يُذَكَّرُ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّ مُحَمَّدًا بَشَرٌ قَدْ سَبَقَتْهُ رُسُلٌ، مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، ثُمَّ يُبَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ ضَعَفَ مِنْهُمْ، حِينَ سَمِعَ إِشَاعَةَ قَتْلِ الرَّسُولِ، ضَعْفَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: أَفَانِ مَاتَ مُحَمَّدٌ، أَوْ قُتِلَ، تَرَجَعْتُمْ وَنَكَصْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟ وَمَنْ يَتَرَجَعْ وَيَنْكُصْ عَلَى عَقْبِيهِ، فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا، لِأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَقَاتَلُوا عَنْ دِينِهِ، وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الشَّاكِرُونَ، وَسَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ. أَنْقَلَبَ عَلَى عَقْبِيهِ - رَجَعَ إِلَى الْوَرَاءِ، وَنَكَصَ عَلَى عَقْبِيهِ.

(كِتَابًا) (الْآخِرَةَ) (الشَّاكِرِينَ)

(١٤٥) - لَا يَمُوتُ أَحَدٌ إِلَّا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَحَتَّى يَسْتَوْفِيَ الْمُدَّةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ أَجَلًا (كِتَابًا مُؤَجَّلًا)، فَلَا يَتَقَدَّمُ عَنْهُ وَلَا يَتَأَخَّرُ. وَإِذَا كَانَ مَحْيَا الْإِنْسَانِ وَمَمَاتُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا مَحَلَّ لِلْخَوْفِ وَالْجُبْنِ، وَلَا عُذْرَ فِي الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ.

﴿١٤٢﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ

﴿١٤٣﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ لَنْظُرُونَ

﴿١٤٤﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ

﴿١٤٥﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَشْجِيعٌ لِلْجُنَّاءِ عَلَى الْقِتَالِ . فَإِنَّ الْإِفْذَامَ وَالْإِحْجَامَ لَا يُقْضَانِ مِنْ عُمْرِ الْإِنْسَانِ ، وَلَا يَزِيدَانِ فِيهِ . وَمَنْ كَانَ عَمَلُهُ لِلدُّنْيَا فَقَطْ نَالَ مِنْهَا مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ ثَوَابِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ . وَمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ ثَوَابِهَا ، وَأَعْطَاهُ مَعَهَا مَا قَسَمَهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ نَصِيبٍ . وَاللَّهُ يَجْزِي الشَّاكِرِينَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ . وَيُعْطِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِقْدَارِ شُكْرِهِمْ وَعَمَلِهِمْ .
الْمُؤَجَّلُ - ذُو الْأَجَلِ أَوِ الْمُدَّةِ .

(وَكَايِي) (قَاتِل) (الصَّابِرِينَ)

(١٤٦) - فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِهِمْ يَوْمَ الْحُدِّ ، فَقَالَ لَهُمْ : كَمْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ وَهُوَ يُقَاتِلُ ، وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ (رَبِّيُونَ) مِمَّنْ آمَنُوا بِهِ ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَا وَهَنُوا ، وَمَا ضَعُفُوا بَعْدَ قَتْلِ النَّبِيِّ ، وَمَا اسْتَكَاثُوا ، وَمَا اسْتَدَلُّوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَفِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ دِينِهِ ، وَإِنَّمَا صَبَرُوا عَلَى قِتَالِ الْأَعْدَاءِ ، وَلَمْ يَهْرَبُوا مُؤَلِّينَ الْأَذْيَارَ ، لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا فِي سَبِيلِ نَبِيِّهِمْ ، فَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْ تَعْتَبِرُوا بِأُولَئِكَ الرَّبِّيِّينَ ، وَتَصْبِرُوا كَمَا صَبَرُوا فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ ، وَسُنَّتُهُ فِي خَلْقِهِ وَاحِدَةٌ .

رَبِّيُونَ - جَمَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ .

الْوَهْنُ - ضَعْفٌ يَلْحَقُ النَّفْسَ .

الضَّعْفُ - اخْتِلَالُ قُوَّةِ الْجِسْمِ .

الاسْتِكَاثَةُ - الْخُضُوعُ لِلْخَصْمِ .

(الْكَافِرِينَ)

(١٤٧) - فَاحْتَسَبْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ (الرَّبِّيُونَ) اللَّهُ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْخَطْبِ ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ قَوْلٍ عِنْدَ نَزُولِ الْكَوَارِثِ إِلَّا الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ بِجَهَادِهِمْ مَا كَانُوا أَلْمُوا بِهِ مِنْ ذُنُوبٍ ، وَتَجَاوَزُوا فِيهِ حُدُودَ الشَّرَائِعِ ، وَأَنْ يَثْبِتَ أَفْدَامَهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْقَوِيمِ ، حَتَّى لَا تُرْخِزَهُمُ الْفِتَنُ ، وَلَا يَعْرِوَهُمُ الْفُشْلُ حِينَ مُقَابَلَةِ الْأَعْدَاءِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ .

الْإِسْرَافُ - مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ .

وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا
نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ
الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا
وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ

﴿١٤٦﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتِلَ مَعَهُ
رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا
أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا
وَمَا اسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الصَّابِرِينَ

﴿١٤٧﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا
رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا
فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

(فَاتَانَهُمُ) (الْآخِرَةُ)

(١٤٨) - فَاتَانَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَهُمَا ثَوَابُ الدُّنْيَا، وَجَمَعَ لَهُمْ، إِلَى ذَلِكَ الظَّفَرِ، حُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ الْقَوْزُ بِرُضْوَانِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الْعَمَلَ، لِأَنَّهُمْ يُقِيمُونَ سُنَّتَهُ فِي أَرْضِهِ، وَيُظْهِرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ أَنَّهُمْ جَدِيرُونَ بِخِلَافَةِ اللَّهِ فِيهَا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَعْقَابُكُمْ) (خَاسِرِينَ)

(١٤٩) - يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِطَاعَةِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ حَاوَلُوا إِلْقَاءَ الشُّبُهَاتِ فِي قُلُوبِ ضِعَافِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِمْ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا حَقًّا لَانْتَصَرَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمٌ وَعَلَيْهِ يَوْمٌ. (وَهَؤُلَاءِ هُمُ أَبُو سُفْيَانُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنِي سُلُولٍ) لِأَنَّ إِطَاعَتَهُمْ تَوَرَّثَ الْبَوَارِ فِي الدُّنْيَا، بِخُضُوعِهِمْ لِسُلْطَانِهِمْ، وَذَلِيلِهِمْ بَيْنَهُمْ، وَفِي الْآخِرَةِ فِيمَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَجَهَنَّمَ بِشَسِ الْمَصِيرُ وَالْمُسْتَقَرُّ.

(مَوْلَاكُمْ) (النَّاصِرِينَ)

(١٥٠) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ، وَمُؤَالَاتِهِ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَحْدَهُ، لِأَنَّهُ خَيْرُ نَاصِرٍ لِعِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ. أَمَّا رُؤُوسُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ وَالنِّفَاقِ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ، وَلَا نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ.

(سُلْطَانًا) (وَمَاوَاهُمْ) (الظَّالِمِينَ)

(١٥١) - يُبَشِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيُلْقِي فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمُ الرُّعْبَ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا وَأَشْرَكُوا بِاللَّهِ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ، قَدْ جَعَلَ نَفْسَ الْمُشْرِكِينَ مُضْطَرَبَةً، وَقُلُوبَهُمْ مُمْتَلِئَةً رُعبًا وَهَلَعًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، حِينَمَا يَلْتَقُونَ بِهِمْ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ، وَأَنَّهُ سَيَذْخِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابِ النَّارِ وَنَكَالِهَا. وَالنَّارُ بِشَسِ الْمَثْوَى وَالنَّهْيَةِ لِلظَّالِمِينَ الْكَافِرِينَ.

الْمَثْوَى - الْمَقَرُّ وَالْمَأْوَى.

سُلْطَانًا - حُجَّةٌ وَبُرْهَانًا.

مَثْوَى الظَّالِمِينَ - مَاوَاهُمْ وَمَقَامُهُمْ.

(وَتَنَارَعْتُمْ) (أَرَأَيْتُمْ) (الْآخِرَةَ)

(١٥٢) - لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ قَالَ أَنَسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ: مِنْ أَيْنَ أَصَابَنَا هَذَا وَقَدْ وَعَدَنَا اللَّهُ تَعَالَى

﴿فَاتَانَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِشَسِ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾

﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ
مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن
يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ
صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ
ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ



﴿١٥٣﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ
وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ
وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ
فِي أُخْرَىٰكُمْ فَأَثْبِتْكُمْ
غَمًّا يَغْمِرُ لَكِيلًا
تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

النَّصْرَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ وَفِيهَا يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ: إِنَّهُ صَدَقَكُمْ
مَا وَعَدَكُمْ بِهِ مِنْ نَصْرٍ، فَكُنْتُمْ تَقْتُلُونَهُمْ قِتْلًا ذَرِيعًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَسَلَّطَكُمْ
عَلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا أَصَابَكُمْ الضَّعْفُ وَالْفَشْلُ، وَعَصَيْتُمْ أَمْرَ الرَّسُولِ،
وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ، (وَهُوَ مَا وَقَعَ لِلرَّمَاةِ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّسُولُ أَنْ يَلْزَمُوا
مَوَاقِعَهُمْ فَتَخَلَّوْا عَنْهَا)، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَرَاكُمْ الظَّفَرَ، وَهُوَ مَا تُجِبُونَهُ، فَكَانَ
مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَيَسْطَمُعُ فِي الْمَغْنَمِ، حِينَ رَأَوْا هَزِيمَةً
الْمُشْرِكِينَ، فَتَرَكُوا مَوَاقِعَهُمْ عَلَى الْجَبَلِ، وَمِنْكُمْ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْآخِرَةَ
فِي قِتَالِهِ الْمُشْرِكِينَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْمَغْنَمِ، فَثَبَّتَ مَكَانَهُ وَقَاتَلَ، ثُمَّ أَدَالَ
اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْكُمْ، وَجَعَلَ لَهُمُ الْغَلْبَةَ عَلَيْكُمْ لِيُخَبِّرَكُمْ، وَيَمْتَحِنَ
ثَبَاتَكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ الْفِعْلَ، وَهُوَ عَصِيَانُ أَمْرِ
الرَّسُولِ، وَالْهَرَبُ مِنَ الْمَعْرَكَةِ، وَمَا أَثَرُهُ مِنْ نَفُوسِكُمْ، حِينَمَا أَظْهَرْتُمْ
النَّدَمَ، وَرَجَعْتُمْ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى صِرْتُمْ وَكَانَتْكُمْ لَمْ تَفْشَلُوا. وَلَمْ يَسْمَحِ
اللَّهُ بِاسْتِصْصَالِكُمْ لِأَنَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

تَحْسُونَهُمْ - تَقْتُلُونَهُمْ، وَمِنْهَا سَنَةٌ حَسُوسٌ إِذَا أَتَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
الْفَشْلُ - عَدَمُ النَّجَاحِ - وَهُوَ الضَّعْفُ.
صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ - كَفَّكُمْ عَنْهُمْ.
لِيَبْتَلِيَكُمْ - لِيُخَبِّرَكُمْ.

(تَلَوُونَ) (أُخْرَىٰكُمْ) (فَأَثَابَكُمْ) (أَصَابَكُمْ)

(١٥٣) - فَقَدْ صَرَفَكُمْ اللَّهُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فَأَخَذْتُمْ فِي الْهَرَبِ مِنْ
أَعْدَائِكُمْ فِي الْجِبَالِ، لَا تَلْتَفِتُونَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الدَّهْشِ وَالْخَوْفِ، وَقَدْ
خَلَفْتُمُ الرَّسُولَ وَرَاءَكُمْ وَهُوَ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَوْدَةِ إِلَى الْقِتَالِ، وَيَقُولُ:
هَلُمَّ عِبَادَ اللَّهِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَنْ يَكْرِ فُلَهُ الْجَنَّةَ، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ
الْغَمِّ وَالضِّيقِ وَالشَّدَةِ الَّتِي تَرَكْتُمُوهَا فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِإِفْرَاقِكُمْ،
بِغَمٍّ يَمَلَأُ نَفُوسَكُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ، وَعَلَى تَرْكِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ بِصِيبِهِ
مَا أَصَابَهُ، وَهُوَ ثَابِتٌ دُونَكُمْ، وَذَلِكَ لِكَيْلَا تَهْتَمُّوا وَتَحْزَنُوا بِشَيْءٍ فَاتَكُمْ،
وَلَا يَأْذَىٰ أَصَابَكُمْ، وَلِتَمَرُّنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغُيُومِ، وَاحْتِمَالِ الشَّدَائِدِ،
إِذْ كَانَ مَا أَصَابَ النَّبِيَّ، وَمَا لَجِقَ بِنَفُوسِكُمْ مِنَ النَّدَمِ، وَهُوَ أَكْبَرُ عِنْدَكُمْ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أَكْبَرُ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْقَتْلِ وَصَيَاغِ الْمَغْنَمِ. وَاللَّهُ خَبِيرٌ
بِأَعْمَالِكُمْ وَمَقَاصِدِكُمْ، وَقَادِرٌ عَلَى مُجَازَاتِكُمْ عَلَيْهَا.

تَصْعَدُونَ - تَذْهَبُونَ فِي الْأَرْضِ، تَبْتَعِدُونَ.

لَا تَلَوُونَ - لَا تَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْهَلَعِ.

فِي أَخْرَاكُمْ - فِي آخِرِكُمْ وَمُوْخَرِّكُمْ .
 أَثَابَكُمْ - جَازَاكُمْ وَعَاقَبَكُمْ .
 الْغَمُّ - الضِّيقُ مِمَّا يُحْسُ بِهِ الْإِنْسَانُ .
 غَمًّا بَعْمَ - غَمًّا مُتَّصِلًا بَعْمَ .

(طَائِفَةٌ) (طَائِفَةٌ) (الْجَاهِلِيَّةُ) (هَآ هُنَا)

(١٥٤) - أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ فَرِيقَيْنِ :

١ - فَرِيقًا ذَكَرُوا مَا أَصَابَهُمْ فَعَرَفُوا أَنَّهُ كَانَ بِتَقْصِيرٍ مِنْ بَعْضِهِمْ ، وَذَكَرُوا وَعْدَ اللَّهِ بِنَصْرِهِمْ ، فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَوَعِدُوا بِوَعْدِ رَبِّهِمْ ، وَأَيَقَنُوا أَنَّهُمْ إِنْ غَلِبُوا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ، سَبَبَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْفَشْلِ وَالتَّنَازُعِ وَعَضِيَانِ الرَّسُولِ فِيمَا أَمَرَ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُمْ بَعْدَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النُّعَاسَ أَمَةً ، حَتَّى يَسْتَرِدُّوا مَا فَقَدُوا مِنْ قُوَّةٍ وَأَمْنٍ ، وَلِيَذْهَبَ عَنْهُمْ مَا لَحِقَهُمْ مِنْ خَوْفٍ .

٢ - وَفَرِيقًا أَذْهَلَهُمُ الْخَوْفُ حَتَّى صَارُوا مَشْغُولِينَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُمْ إِذِ الْوُثُوقُ بِوَعْدِ اللَّهِ ، وَوَعْدِ رَسُولِهِ ، لَمْ يَصِلْ إِلَى فَرَارَةِ نَفْسِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا غَيْرَ مُؤْمِنِينَ حَقًّا ، فَعَظُمَ الْخَوْفُ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى ظَنُّوا بِاللَّهِ غَيْرَ الظَّنِّ الْحَقِّ ، إِذْ كَانُوا يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ : لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا حَقًّا لَمَا نَصَرَ اللَّهُ الْكُفَّارَ عَلَيْهِ ، وَهَذَا مَقَالٌ لَا يَقُولُهُ إِلَّا أَهْلُ الشُّرْكِ . وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِبَعْضٍ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ : هَلْ لَنَا مِنَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ وَالظَّفَرِ نَصِيبٌ ؟ **﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ ﴾** ، وَهُمْ يَعْنُونَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَكَانَ مَا حَدَّثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ دَلِيلًا ، فِي نَظَرِهِمْ ، عَلَى أَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْسَ بِحَقٍّ . وَبَرَدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا : إِنْ كُلُّ مَا يَجْرِي هُوَ بِقَدَرِ اللَّهِ ، وَبِحَسَبِ سُنَنِهِ فِي الْخَلِيقَةِ وَلِذَلِكَ فَلَا أَمْرَ لِأَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ .

ثُمَّ يَكْشِفُ تَعَالَى عَنْ خَبِيئَةِ نَفُوسِ هَؤُلَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّهُمْ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ ، فَنَفُوسُهُمْ مَلَأَى بِالسَّوَاسِ وَالْهَوَاجِسِ ، وَالْإِعْتِرَاضَاتِ ، وَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ أَمْرُ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِأَيْدِينَا كَمَا ادَّعَى مُحَمَّدٌ : (وَهُوَ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَلِأَوْلِيَائِهِ وَأَنَّهُمْ هُمُ الْغَالِبُونَ) لَمَا غَلِبْنَا ، وَلَمَّا قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ قُتِلَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ ، فَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ خُطَّةَ الْبَيَادَةِ هِيَ الَّتِي أَوْصَلَتْهُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ .

وَيَقُولُ تَعَالَى مُصَحِّحًا قَوْلَ هَؤُلَاءِ وَاعْتِقَادَهُمْ ، قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ : إِنْ قَدَرَ

﴿ ١٥٤ ﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

اللَّهُ سَيَقَعُ لَا مَحَالَةَ، وَلَوْ كَانَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ مُوجِدِينَ فِي بَيُوتِهِمْ لَخَرَجُوا، دُونَ دَعْوَةِ مَنْ أَحَدٍ إِلَى حَيْثُ قُدِّرَ لَهُمْ أَنْ يُقْتَلُوا، لَيُقْتَلُوا. فَهَذَا أَجَلٌ مَكْتُوبٌ لَا يَسْتَقْدِمُ وَلَا يَسْتَأْخِرُ، وَجَعَلَ اللَّهُ الْأَمْرَ كُلَّهُ آتِلَاءً مِنْهُ، وَاخْتَبَاراً لِمَا فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وَقُلُوبِهِمْ، وَتَمْحِصاً لِمَا فِي نَفْسِهِمْ وَتَطْهِيراً. وَلَيْسَ كَالْحَقِّ كَاشِفٌ لِلنُّفُوسِ وَالْحَقَائِقِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، وَبِالْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ.

الْأَمْنَةُ - الْأَمْنُ.

يَغْشَى - يُغْطِي وَيَسْتُرُ، أَيْ يَسْتَوْلِي عَلَيْهِمُ النَّعَاسُ.

لَبَرَزَ - لَخَرَجَ.

لِيُمَحِّصَ - لِيَنْقِي وَيَكْشِفَ.

ذَاتِ الصُّدُورِ - السَّرَائِرِ.

(الشَّيْطَانُ)

(١٥٥) - إِنَّ الرُّمَةَ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّسُولُ بِأَنْ يَثْبُتُوا فِي مَوَاقِعِهِمْ لِيَدْفَعُوا الْمُشْرِكِينَ عَنْ ظُهُورِ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا تَرَكُوا مَوَاقِعَهُمْ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ اسْتَدْرَجَهُمْ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى ارْتِكَابِ الزَّلَلِ. . . وَالْخَطِيئَةُ الصَّغِيرَةُ إِذَا تَرَخَّصَ فِيهَا الْإِنْسَانُ سَهَّلَتْ اسْتِيلَاءَ الشَّيْطَانِ عَلَى نَفْسِهِ. فَهُمْ إِنَّمَا أَنْحَرَفُوا عَنْ أَمَانَتِهِمْ بِتَأْوِيلٍ مِنْهُمْ، وَظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ لَنْ تَكُونَ لِلْمُشْرِكِينَ كَرَّةٌ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ، فَلَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَهَابِهِمْ وَرَاءَ الْمَغَائِمِ قَوَاتٌ مُنْفَعَةٌ، وَلَا وَقُوعٌ ضَرَرٍ. وَلَكِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ كَانَ سَبَباً فِيمَا جَرَى مِنَ الْمَصَائِبِ، وَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَجَعَلَ عُقُوبَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا تَرْبِيَةً وَتَمْحِصاً، وَاللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا.

اسْتَزَلَّهُمْ - أَوْقَعَهُمْ فِي الزَّلَلِ وَالْخَطِيئَةِ.

بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا - بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ.

(يَا أَيُّهَا) (أَمَنُوا) (لِإِخْوَانِهِمْ)

(١٥٦) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمُنَافِقِينَ (الْكَافِرِينَ) فِي اعْتِقَادِهِمُ الْفَاسِدِ، إِذْ يَقُولُونَ عَنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي الْحُرُوبِ (كَأَنَّهُمْ غَزَى)، أَوْ مَاتُوا وَهُمْ فِي أَسْفَارِهِمْ سَعياً وَرَاءَ الرِّزْقِ فِي التَّجَارَةِ (ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ): لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَقَامُوا، وَتَرَكُوا ذَلِكَ لِمَا أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْإِعْتِقَادَ فِي نَفْسِهِمْ لِيَزِدَّادُوا أَلَمًا وَحَسْرَةً عَلَى مَوَاتِهِمْ، يَزِيدَانِهِمْ ضَعْفًا، وَيُورِثَانِهِمْ نَدَمًا

١٥٥ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ

الَّتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ

الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا

وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ حَلِيمٌ

١٥٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا

كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ

إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا

غَزَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا

وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ

عَلَى تَمْكِينِهِمْ إِيَّاهُمْ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمَا ظَنُّوه سَبَباً ضَرُورِيًّا لِلْمَوْتِ .

وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ بِيَدِ اللَّهِ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ، وَعِلْمُهُ وَبَصَرُهُ نَافِذَانِ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَكُونُوا مِثْلَ هَؤُلَاءِ فِي قَوْلِهِمْ وَأَعْتِقَادِهِمْ، وَإِلَّا أَصَابَهُمُ الضَّعْفُ وَالْوَهْنُ وَالْفُسْلُ؛ وَالْإِيمَانُ الصَّادِقُ يَزِيدُ صَاحِبَهُ إِيقَانًا وَتَسْلِيمًا بِكُلِّ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَضَاءُ، وَأَنْ مَا وَقَعَ كَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَقَعَ .

غُرَى - غُرَاةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

الضَّرْبُ فِي الْأَرْضِ - السَّفَرُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالتَّجَارَةِ .

(وَلَيْنَ)

(١٥٧) - فَالَّذِينَ يُقْتُلُونَ وَهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ إِبِلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَنَصْرِ دِينِهِ، أَوْ يَمُوتُونَ فِي أَثْنَاءِ الْجِهَادِ، سَيَجِدُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ مَغْفِرَةً تَمَحُّوَمَا كَانَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَرَحْمَةً وَرِضْوَانًا خَيْرًا مِنْ جَمِيعِ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ الْكُفَّارُ مِنَ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَهَذَا ظِلُّ زَائِلٌ، وَذَلِكَ نَعِيمٌ خَالِدٌ .

(وَلَيْنَ)

(١٥٨) - وَبِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ هَلَاكُكُمْ، فَإِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ لِيَجْزِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ مَا تَسْتَحِقُّونَ، فَاتَّبِعُوا مَا يُقَرِّبُكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَيُحَقِّقْ لَكُمْ رِضَاهُ. فَعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ .

(١٥٩) - لَقَدْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِكَ مَا يَسْتَحِقُّ الْمَلَامَةَ وَالتَّعْنِيفَ، بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ، إِذْ تَخَلَّوْا عَنْكَ حِينَ اشْتَدَّ الْحَرْبُ، وَشَمَرُوا لِلْهَزِيمَةِ وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ، وَمَعَ ذَلِكَ لَنْتَ لَهُمْ، وَعَامَلْتَهُمْ بِالْحُسْنَى، لِرَحْمَةٍ أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي قَلْبِكَ، وَخَصَّكَ بِهَا. وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْغَزِيرِ. ثُمَّ قَالَ لَوْ كُنْتَ خَشِنًا جَافِيًا فِي مُعَامَلَتِهِمْ لَتَفَرَّقُوا عَنْكَ، وَلَتَفَرَّقُوا مِنْكَ، وَلَمْ يَسْكُنُوا إِلَيْكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَمَعَهُمْ عَلَيْكَ، وَالْآنَ جَانِبَكَ لَهُمْ تَأْلَفًا لِقُلُوبِهِمْ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَهَفَوَاتِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ، وَأَنْ يُشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ تَطْلِيلًا لِقُلُوبِهِمْ، وَشَحَذًا لِهَمَمِهِمْ .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ: فَإِذَا شَاوَرْتَهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعَزَمْتَ عَلَى إِنْقَاذِهِ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فِيهِ، لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَيَتَّقُ بَصَرَهُ .
فِيمَا رَحْمَةٍ - فَيَسَبِّبُ رَحْمَةً عَظِيمَةً رُكِبَتْ فِيكَ .

حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ مِتُّمْ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ
خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ

وَلَيْنَ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ
تُحْشَرُونَ

فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ
وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيطَ الْقَلْبِ
لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ
وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي
الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

الْفُظْ - الْخَشِينُ أَوْ الشَّرِسُ الْأَخْلَاقِي.

الْفَلِيطُ - الْقَاسِي.

أَنْفَضَ الْقَوْمُ - تَفَرَّقُوا.

(١٦٠) - النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَإِنْ قَدَّرَ اللَّهُ نَصْرَكُمْ فَلَنْ يَغْلِبَكُمْ أَحَدٌ، كَمَا وَقَعَ يَوْمَ بَدْرٍ، حِينَ عَمِلْتُمْ بِسُنَّتِهِ. وَإِنْ قَدَّرَ خِذْلَانَكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنَ الْفُسْلِ وَالْتِنَازُعِ وَالْعِصْيَانِ، كَمَا جَرَى يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَا نَاصِرَ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ. وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ، وَأَنْ يُسَلِّمُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ.

فَلَا غَالِبَ لَكُمْ - فَلَا قَاهِرَ.

(الْقِيَامَةُ)

(١٦١) - يُنْزِعُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ عَنْ أَخِذِ شَيْءٍ مِنَ الْمَغْنَمِ خِلْسَةً (عَنِ الْغُلُولِ)، وَعَنِ الْخِيَانَةِ فِي آدَاءِ الْأَمَانَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلُ لَأَنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ مِنْ ذَلِكَ. وَيَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَغْلُ بِأَنَّهُ سَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يُحْمِلُ مَا غُلَّ لِيُحَاسَبَ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

(هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي قَطِيفَةِ حَمْرَاءَ فَقَدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْمَغْنَمِ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ أَخَذَهَا).

الْغُلُولُ - الْخِيَانَةُ فِي الْمَغْنَمِ. وَأَخَذَ شَيْءٍ مِنْهُ خِلْسَةً.

(رِضْوَانٍ) (مَأْوَاهُ)

(١٦٢) - لَا يَسْتَوِي مَنْ أَتْبَعَ أَمْرَ اللَّهِ فِيمَا شَرَعَهُ، وَتَرَكَ الْغُلُولَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ، حَتَّى زَكَتْ نَفْسُهُ، فَاسْتَحَقَّ رِضْوَانَ اللَّهِ، وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ، مَعَ مَنْ اسْتَحَقَّ غَضَبَ اللَّهِ بِفِعْلِ الْخَطَايَا، وَأَرْثَكَابِ الذُّنُوبِ: مِنْ سَرَقَةٍ، وَخِيَانَةِ أَمَانَةٍ، وَغُلُولٍ، وَقَتْلِ، وَسَلْبٍ... فَكَانَ جَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرُهُ. بَاءً بِسَخَطٍ - رَجَعَ مُتَلَبِّسًا بِغَضَبٍ شَدِيدٍ.

(دَرَجَاتٍ)

(١٦٣) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أَهْلَ الْخَيْرِ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَأَهْلَ الشَّرِّ الَّذِينَ بَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ، وَسَيُوقِفُهُمْ أَعْمَالُهُمْ، وَلَا يَظْلِمُهُمْ خَيْرًا فَعَلَوْهُ، وَلَا يَرِيدُهُمْ شَرًّا لَمْ يَفْعَلُوهُ.

﴿١٦٠﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ

وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي

يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

﴿١٦١﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ

يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ

وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ

﴿١٦٢﴾ أَفَمَنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ

بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

﴿١٦٣﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ

بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ

(يَتْلُو) (آيَاتِهِ) (الْكِتَابِ) (ضَلَالٍ)

(١٦٤) - مِنْ فَضَّلِ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ جَنْسِهِمْ، وَمِنْ أَهْلِ بَلَدِهِمْ وَلُغَتِهِمْ (مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، لِيَتِمَّ كُنُوزُ مِنْ مَخَاطِبِهِ وَمَجَالِسِهِ، وَالْإِنْتِفَاعِ بِصُحْبَتِهِ وَسُؤَالِهِ عَمَّا يَسْتَشْكِلُ عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ (آيَاتِ اللَّهِ) وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، لِيَتَزَكَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَيُطَهَّرَ مِنْ أَرْجَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْقُرْآنَ (الْكِتَابِ) وَالسُّنَّةَ (الْحِكْمَةَ) فَقَدْ كَانُوا قَبْلَ هَذَا الرَّسُولِ فِي غَيٍّ وَجَهَالَةٍ (ضَلَالٍ) ظَاهِرِينَ لِكُلِّ أَحَدٍ. مِنْ أَنْفُسِهِمْ - مِنْ جَنْسِهِمْ وَلُغَتِهِمْ وَقَوْمِهِمْ. الضَّلَالَةُ - الْجَهَالَةُ. يَزَكِّيهِمْ - يُطَهِّرُهُمْ مِنْ أَرْجَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ.

(أَصَابَتْكُمْ)

(١٦٥) - لَا تَعْجَبُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِمَّا حَلَّ بِكُمْ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، فَإِنَّ خِذْلَانَكُمْ فِيهَا لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ ظَفَرِكُمْ فِي بَدْرٍ، فَقَدْ كَانَ ظَفَرُكُمْ فِي بَدْرٍ ضِعْفِي نَصْرِهِمْ فِي أُحُدٍ، فَقَدْ قُتِلَ مِنْكُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا فِي أُحُدٍ، وَقُتِلْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعِينَ رَجُلًا فِي بَدْرٍ وَأَسْرُتُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا، أَيْ مِثْلِي مَا أَضَعْتُمْ، وَأَنْتُمْ الْآنَ تَتَسَاءَلُونَ كَيْفَ حَدَثَ هَذَا؟ فَأَنْتُمْ تُدَافِعُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَهُمْ يُدَافِعُونَ عَنِ الشَّرِّكَ. فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ مَا حَدَثَ كَانَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، إِذْ كَانَ سَبَبُهُ فَشْلُكُمْ، وَتَنَازُعُكُمْ فِي الْأَمْرِ، وَمُخَالَفَتُكُمْ أَمْرَ رَسُولِكُمْ، فَقَدْ كَانَ مِنْ رَأْيِ الرَّسُولِ ﷺ عَدَمُ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَاءَ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْكُمْ قَاتَلْتُمُوهُمْ عَلَى أَبْوَابِهَا، وَظَهَرُوكُمْ مَحْبِيَّةً، فَطَالَ بِبَعْضِكُمْ بِالْخُرُوجِ، وَرَجَعَ ثُلُثُ الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ، وَهَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا. ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَمَرَ الرِّمَاءَ بِالزُّومِ أَمَاكِينِهِمْ، وَبَعْدَ تَرْكِهَا مَهْمَا كَانَتْ نَتِيجَةُ الْمَعْرَكَةِ، فَتَرَكُوها جِينَمَا لَاحَتْ بِشَائِرُ النَّصْرِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ هُجُومُ فُرْسَانِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْخَلْفِ، فَبَدَّلَ نَصْرُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَرِيمَةٍ. وَاللَّهُ قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ تَعَالَى بِفَعْلِهِ مَا يَشَاءُ وَلَا مُعَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى نَصْرِكُمْ، إِنْ أَطَعْتُمْ وَتَبَتُّمْ وَصَبَرْتُمْ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى التَّخْلِي عَنْكُمْ إِنْ خَالَفْتُمْ وَعَصَيْتُمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ رَبَطَ الْمُسِيبَاتِ بِالْأَسْبَابِ، وَلَا يَشُدُّ عَنْ ذَلِكَ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ.

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ

أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ
أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

الرَّادُّ بِالْمُصِيبَةِ - مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ .
مِثْلُهَا - ضَعْفُهَا . .

مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ - بِشُؤْمٍ مَعْصِيَتِكُمْ، وَسُوءِ تَصَرُّفِكُمْ .
أُنَى هَذَا - مِنْ أَيْنَ لَنَا هَذَا الْجَدَلَانِ .

(أَصَابَكُمْ)

(١٦٦) - مَا أَصَابَكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، حِينَمَا التَّقِيْتُمْ بَعْدَكُمْ فِي مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ، وَمَا حَلَّ بِكُمْ مِنْ هَزِيمَةٍ وَقَتْلٍ، إِنَّمَا كَانَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقُدْرِهِ وَقَضَائِهِ السَّابِقِ، الَّذِي جَعَلَ الْمُسِيبَاتِ نَتَائِجَ لَأَسْبَابِهَا، فَكُلُّ عَسْكَرٍ يَعْصِي قَائِدَهُ، وَيَكْشِفُ ظَهْرَهُ لِعَدُوِّهِ يُصَابُ بِمِثْلِ مَا أُصِيبَتْ بِهِ، وَأَكْثَرُ مِنْهُ، وَلِلَّهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِي ذَلِكَ، لَأَنَّ الشَّدَائِدَ تَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَثَبَّتُوا، وَلَمْ يَتَزَلَّزَلُوا أَمَامَ الْعَدُوِّ.

الْجَمْعَانِ - هُمَا جَيْشَا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ .

بِإِذْنِ اللَّهِ - بِإِرَادَتِهِ الْأَرْثِيَّةِ .

(قَاتِلُوا) (لَا تَبْغُنَاكُمْ) (يَوْمَئِذٍ) (لِلْإِيمَانِ) (بِأَفْوَهِهِمْ)

(١٦٧) - وَالشَّدَائِدُ تُظْهِرُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَبَطَّنُوا بِالْكَفْرِ، وَأَظْهَرُوا الْإِيمَانَ، مِنْ جَمَاعَةِ ابْنِ أَبِي بِنٍ سَلُولٍ، الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ، فَلَحَقَ بِهِمْ رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُونَهُمْ لِلْعُودَةِ إِلَى الصَّفِّ، وَيُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَمُسَاعَدَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِكْثَارِ عَدَدِهِمْ أَمَامَ الْمُشْرِكِينَ (أَوْ أَدْفَعُوا)، فَرَدُّوا مُتَعَلِّلِينَ: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ حَرْبًا لَا تَبْغُنَاكُمْ، وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَنْ تَقَاتِلُوا عَدُوًّا. وَهُمْ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ بِأَفْوَهِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ يَتَعَقَّدُونَ غَيْرَهُ. وَهُمْ حِينَمَا قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ كَانُوا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَقْرَبَ لِلْكَفْرِ مِنْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي نَفْسِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكِيدِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَسِعَافُهُمْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(لِإِخْوَانِهِمْ) (فَادْرَوْا) (صَادِقِينَ)

(١٦٨) - وَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ قَعَدُوا عَنِ الْجِهَادِ، هُمُ الَّذِينَ قَالُوا عَنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي الْمَعْرَكَةِ: لَوْ سَمِعُوا مَشُورَتَنَا فِي الْقُعُودِ، وَعَدَمِ الْخُرُوجِ لَمَا قَاتَلُوا مَعَ مَنْ قُتِلَ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُسْتَكْبِرًا قَوْلَهُمْ هَذَا: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: لَوْ كَانَ الْقُعُودُ يَسْلُمُ بِهِ الشَّخْصُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ، فَيَنْبَغِي عَلَيْكُمْ أَلَّا تَمُوتُوا.

﴿١٦٦﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ
فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿١٦٧﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ
تَعَالَوْا فَيَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
أَدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا
لَا تَبْغُنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ
يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ
يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ
فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يَكْتُمُونَ

﴿١٦٨﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ
أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَوْا
عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلُمُوتُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ

وَلَكِنَّ الْمَوْتَ آتٍ لَا بُدَّ مِنْهُ، فَأَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ.
أَدْرُوا - أَدْفَعُوا.

(أَمْوَاتًا)

(١٦٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَلَكِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ تَرْزُقُ عِنْدَ اللَّهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ، لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهَا أَنْ تُرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا إِلَّا الشَّهِيدُ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى مِمَّا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ).

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: عَلَيْهِمْ أَلَّا يَخْدَعُوا بِمَا يَقُولُهُ الْمُنَافِقُونَ، وَمَا يُفَعِّلُونَهُ، فَهُمْ يُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، لِأَرْثِيَابِهِمْ فِي النَّعْتِ وَالْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ، فَالشُّهَدَاءُ أَحْيَاءُ يُرْزَقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ رِزْقًا حَسَنًا يَعْلَمُهُ هُوَ.

(أَتَاهُمْ)

(١٧٠) - وَيَكُونُ الشُّهَدَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرَجِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعِبْطَةِ، الَّتِي مِنَ اللَّهِ بِهَا عَلَيْهِمْ، مُسْتَبْشِرِينَ بِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ بَعْدَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَنَّهُمْ يَقْدُمُونَ عَلَيْهِمْ حِينَمَا يَسْتَشْهَدُونَ، لَا يَخَافُونَ مِمَّا أَمَامَهُمْ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكُوهُ فِي الدُّنْيَا. الْأَسْتِيشَارُ - الشُّرُورُ الْحَاصِلُ بِالْإِشَارَةِ. الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ - الْبَاقُونَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.

(١٧١) - وَهُمْ مُسْتَبْشِرُونَ مِنْ تَلَقِّيهِمْ مَا يُفِيضُهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ وَالثَّوَابِ، وَمِنْ يَقِينِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ.

(١٧٢) - بَعْدَ أَنْ أَنْصَرَفَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ يَوْمَ أُحُدٍ مُتَّجِهَةً إِلَى مَكَّةَ، نَدِمَتْ عَلَى الْأَنْصِرَافِ قَبْلَ اسْتِصْصَالِ شَافَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ، فَفَكَّرُوا فِي الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَدَنَبَ الْمُسْلِمِينَ لِلْخُرُوجِ وَرَاءَ الْمُشْرِكِينَ لِيُثْبِتَهُمْ عَنِ التَّغْيِيرِ فِي الْعَوْدَةِ، وَأَمَرَ بِالْأَلَّا يَخْرُجَ مَعَهُ إِلَّا مَنْ شَهِدَ أَحَدًا، فَتَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ جَرَّاحٍ.

﴿١٦٩﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

﴿١٧٠﴾ فَرَجِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ، وَاسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ

يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ



﴿١٧١﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ

مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ

لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ

مِّنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا

أَجْرٌ عَظِيمٌ

وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ مَنْ أَحْسَنَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَجِيبِينَ لِلرَّسُولِ ﷺ وَأَتَقَى أَجْرًا عَظِيمًا.

الْقَرْخُ - الْجَرَّاحُ.

الإِحْسَانُ - الْقِيَامُ بِالْعَمَلِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ.

(إِيمَانًا)

(١٧٣) - وَخَافَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنْ لَمْ يَشْتَرِكُوا فِي الْمَعْرَكَةِ، وَيَخْرُجَ وَرَاءَهُمْ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ بَعْضَ نَاقِلِي الْأَخْبَارِ لِيَهْوِلُوا عَلَيْهِ، لِيَكْفَ عَنِ اللَّحَاقِ بِهِمْ، وَقَالَ نَاقِلُو الْأَخْبَارِ لِلْمُسْلِمِينَ: إِنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ (النَّاسَ) قَدْ حَشَدُوا لَكُمْ، وَجَمَعُوا قَوَاهُمْ، فَأَحْذَرُوهُمْ، وَأَخْشَوْهُمْ، فَلَمْ يَزِدْ هَذَا الْقَوْلُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ - الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْخُ وَخَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَلَبِّينَ دَعْوَتَهُ، رَاغِبِينَ فِي نَيْلِ رِضْوَانِ رَبِّهِمْ وَنَصْرِهِ - إِلَّا إِيمَانًا بِرَبِّهِمْ، وَثِقَةً بِوَعْدِهِ وَنَصْرِهِ وَأَجْرِهِ، وَرَدُّوا عَلَى مُخَاطِبِهِمْ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ حَسْبُهُمْ. جَمَعُوا لَكُمْ - حَشَدُوا لَكُمْ قَوَاهُمْ.

(رِضْوَانًا)

(١٧٤) - فَلَمَّا تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ كَفَاهُمْ اللَّهُ مَا أَمَّهُمْ وَأَغَمَّهُمْ، وَرَدَّ عَنْهُمْ بَأْسَ النَّاسِ (الْكَافِرِينَ)، فَارْجَعُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وَقَدْ فَازُوا بِرِضْوَانِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ فَضْلِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ. (خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مَعَ الرَّسُولِ إِلَى مَوْقِعٍ يُعْرَفُ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ رُسُلًا يُحَذِّرُونَهُمْ، فَخَافَتْ قُرَيْشٌ وَتَابَعَتْ سَيْرَهَا نَحْوَ مَكَّةَ).

وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَدْ وَاْعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى بَدْرِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ، وَتَخَلَّفَتْ قُرَيْشٌ، فَاشْتَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمِيرًا مَرَّتَ بِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ، ثُمَّ بَاعَهَا فَرِيحَ، وَوَزَعَ الرِّيحَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَاثْقَلُوا مِنْ غَزْوَةِ بَدْرِ الثَّانِيَةِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وَنَالُوا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَحَصَلُوا عَلَى فَضْلِهِ فِي الرِّيحِ. وَاللَّهُ عَظِيمُ الْفَضْلِ عَلَى عِبَادِهِ.

اَثْقَلُوا - رَجَعُوا.

الْفَضْلُ - هُوَ هَذَا الرِّيحُ فِي التَّجَارَةِ.

﴿١٧٣﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ

قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا

اللَّهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ

﴿١٧٤﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ

لَمْ يَمَسَّ سَمُّهُمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا

رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ

عَظِيمٍ

(الشَّيْطَانُ)

(١٧٥) - يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي يَخَوْفُكُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُشْرِكِينَ، وَيُوْهِمُكُمْ أَنَّهُمْ دَوُوْ بَاسٍ وَقُوَّةٌ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَكُمْ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَلَا تَخَافُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ، وَالْجُؤُوا إِلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا، فَإِنَّهُ كَافٍكُمْ إِيَّاهُمْ، وَنَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ. وَخَافُوهُ هُوَ فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى النَّصْرِ وَعَلَى الْجَذَلَانِ، وَعَلَى الضَّرِّ وَالنَّفْعِ. يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ - يُخَوِّفُكُمْ مِنْ أَنْصَارِهِ الْمُشْرِكِينَ.

(يُسَارِعُونَ)

(١٧٦) - لَا يَحْزُنُكَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ، مُسَارَعَةُ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ إِلَى نُصْرَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَاهْتِمَامُهُمْ بِهِمْ، وَمَحَاوَلَةُ تَثْبِيْطِ عَزَائِمِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ حَرْبِهِمْ وَمُقَاوَمَتِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ شَيْئًا (وَهُمُ النَّبِيُّ وَاتَّبَاعُهُ). وَعَاقِبَةُ مُسَارَعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ سَتَكُونُ وَبَالًا عَلَيْهِمْ، لَا عَلَيْكَ، وَلَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هَؤُلَاءِ لَا يُحَارِبُونَكَ، وَإِنَّمَا يُحَارِبُونَ اللَّهَ، وَهُمْ أَعْزَجُ مِنْ أَنْ يُحَارِبُوا اللَّهَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَضُرُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ. وَاللَّهُ يَمُدُّ لَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ لِأَنَّهُ قَضَى بِأَنْ يَحْرِمَهُمْ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَتَوَابِهَا، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا.

لَا يَحْزُنُكَ - لَا يَحْمِلُكَ نَصْرُهُمْ عَلَى الْحُزَنِ.
يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ - يُسَارِعُونَ فِي نُصْرَةِ الْكَافِرِينَ.

(بِالْإِيمَانِ)

(١٧٧) - وَالَّذِينَ اسْتَبَدَّلُوا (أَشْتَرُوا) الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ، رَغْبَةً مِنْهُمْ فِي الْكُفْرِ، وَإِعْرَاضًا مِنْهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، لَنْ يُلْحِقُوا ضَرَرًا بِاللَّهِ، وَإِنَّمَا يَضُرُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ.
اشْتَرُوا - اسْتَبَدَّلُوا.

(١٧٨) - إِذَا كَانَ الْكَافِرُونَ يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ مَا يَمُدُّهُمْ بِهِ اللَّهُ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ وَإِمَهَالٍ وَإِطَالَةِ عُمْرٍ، هُوَ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ لِأَنَّهُ فِي ظَنِّهِمْ دَلِيلٌ عَلَى صَوَابِ مَسْلِكِهِمْ، وَعَلَى رِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ، فَهُمْ وَاهِمُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَمُدُّهُمْ لِيَزْدَادُوا ضَلَالًا وَإِثْمًا، فَتَحَقَّقْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا مُهِينًا.
مُهِينٌ - مُذِلٌّ.

أَمْلَى لِقَرَسِهِ - أَرْخَى لَهَا الطُّوْلَ لِيَتَرَعَى، وَهَذَا مَعْنَاهُ الْإِمَهَالُ.

(١٧٥) إِمَّا ذَلِكُمْ لِّلشَّيْطَانِ يَخُوْفُ

أَوْلِيَآءَهُ. فَلَا تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنَ
إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ

(١٧٦) وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي

الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ
شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ
حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ

(١٧٧) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ

بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(١٧٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

أَنَّمَا نَمْلِيْ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ
إِنَّمَا نَمْلِيْ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ

(فَامِنُوا)

(١٧٩) - مَا كَانَ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ أَنْ يَدْرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ امْتِحَانٍ وَتَمْحِصٍ، لِيُظْهَرَ لَهُ الْمُؤْمِنُ الصَّابِرُ، وَيُكْشَفَ الْمُنَافِقُ الْفَاجِرُ، وَيَبِينَ وَلِيُّ اللَّهِ، وَيَقْتَضِحَ عَدُوُّهُ، فَامْتَحَنَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَظَهَرَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى حَقِيقَتِهِمْ، وَهَكَذَا اسْتَارَ الْمُنَافِقِينَ، بِإِظْهَارِ مُحَالَفَتِهِمْ، وَتُكْوِلُهُمْ عَنِ الْجِهَادِ، وَخِيَانَتِهِمْ لِلرُّسُولِ، فَعَرَفَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَخَذُوا يَحْذَرُونَهُمْ. وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا تَعْلَمُونَ غَيْبَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُطْلَعَ عَامَّةُ خَلْقِهِ عَلَى غَيْبِهِ. وَلِذَلِكَ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ وَسِيلَةٌ تُمَيِّزُ الْحَيْثُ مِنَ الطَّيِّبِ، وَالْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُنَافِقِ، وَهَذِهِ الْوَسِيلَةُ تَبْتَدِئُ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، فَيُؤْمِنُ مَنْ يُؤْمِنُ بِالرُّسُلِ، وَيَكْفُرُ مَنْ يَكْفُرُ، ثُمَّ يَقُومُ الرُّسُلُ بِالْجِهَادِ فَيَبْتَلِي الرُّسُلُ أَصْحَابَهُمْ بِهِ، وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَتِمُّ أَمْرُ اللَّهِ وَيَتَمَيَّزُ الْحَيْثُ مِنَ الطَّيِّبِ، وَتُظْهَرُ الْقُلُوبُ وَالنُّفُوسُ. ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ - وَمِنْهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ - وَمَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ فَقَدْ آمَنَ بِالرُّسُلِ السَّابِقِينَ جَمِيعًا، لِأَنَّهُ جَاءَ مُصَدِّقًا لِرُّسُلِ السَّابِقِينَ. مَيَّزْتُ الشَّيْءَ بَعْضَهُ عَنْ بَعْضٍ - فَرَزْتُهُ وَأَزَلْتُهُ. أَجْتَنَى - أَصْطَفَى وَأَخْتَارَ.

(آثَاهُمْ) (الْقِيَامَةُ) (مِيرَاثُ) (السَّمَاوَاتِ)

(١٨٠) - وَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعَمِهِ، (كَمَنْعِ الزَّكَاةِ، وَعَدَمِ الْبَذْلِ جِنْمًا تَعَرُّضُ الْأُمَّةُ لِلْمَكَارِهِ...) هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ مُضَرَّةٌ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، لِأَنَّ الْعَبْدَ مُطَالِبٌ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالْبُخْلُ كُفْرَانٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْدُرَ عَنْ عَاقِلٍ. وَجِنْمًا يَتَهَدَّدُ الْخَطَرُ الْأُمَّةُ، وَيَقْتَضِي الْأَمْرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْبَذْلَ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَبْخُلُوا لِأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى دَفْعِ الضَّرَرِ عَنِ النَّفْسِ وَالْمَالِ؛ وَالْبُخْلُ وَالْامْتِنَاعُ عَنِ الْبَذْلِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ شَرٌّ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ. أَمَّا فِي دِينِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَهَدَّدُهُمْ بِأَنَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ بِالْمَالِ الَّذِي بَخُلُوا بِهِ، وَيَلْزَمُهُمُ الْإِثْمُ وَالذَّنْبُ، وَلَا يَجِدُونَ إِلَى دَفْعِهِ سَبِيلًا. وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَالْمَالُ كُلُّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِ، فَمَا لَهُوْلَاءُ يَبْخُلُونَ عَلَيْهِ بِمَالِهِ، وَلَا يَتَّقُونَ فِي سَبِيلِهِ، وَهُوَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ؟ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا - سَيُلْزَمُونَ إِنْثَمٌ فِي الْآخِرَةِ كَمَا يُلْزَمُ الطُّوْقُ الرِّقَّةَ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - مَا يَتَوَارَثُهُ أَهْلُهُمَا مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ.

(١٨١) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى

مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ
الْحَيْثُ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَجْتَنِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا
وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ

(١٨٢) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا

آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ
لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ
مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ
مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

﴿١٨١﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ

الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ

ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ

﴿١٨٢﴾ ذَلِكَ بِمَا فَعَدْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ

اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ

﴿١٨٣﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ

إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ

يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي

بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ

قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(١٨١) - لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا

حَسَنًا﴾^(١) قَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ أَفَتَقَرَّ رَبُّكَ فَيَسْأَلُ عِبَادَهُ

الْقَرْضَ؟ وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَقِيَ رَجُلًا مِّنَ الْيَهُودِ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ،

فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا بَنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ حَاجَةٍ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إِلَيْنَا

لَفَقِيرٌ، مَا نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَضَرَّعُ إِلَيْنَا، وَإِنَّا عَنْهُ أَغْنِيَاءُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غِنِيًّا

مَا اسْتَقْرَضَ مِنَّا كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُكُمْ.. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ بِأَنَّهُ سَمِعَ مَا قَالُوا، وَسَيَكْتُبُهُ وَيُسْجَلُهُ عَلَيْهِمْ،

وَسَيَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ، كَمَا سَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى رِضَاهُمْ بِمَا قَامَ بِهِ أَسْلَافُهُمْ مِنْ

قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ عَلَيْهِ شَرَّ الْجَزَاءِ. وَيَقُولُ لَهُمْ

تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ.

عَذَابَ الْحَرِيقِ - الْعَذَابُ الْمُحْرِقُ.

(١٨٢) - وَهَذَا الْعَذَابُ الْمُحْرِقُ الَّذِي تَذُوقُونَهُ، إِنَّمَا وَقَعَ بِكُمْ سَبَبِ مَا

فَعَدْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ عَمَلٍ سَيِّئٍ، وَكُفْرٍ وَظُلْمٍ، وَقَتْلٍ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَقَوْلٍ: إِنَّ

اللَّهُ فَقِيرٌ. وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِكُمْ هَذَا الْعِقَابَ بِالْحَقِّ، وَالْعَدْلِ، وَهُوَ لَا يَظْلِمُ

أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

الْعَبِيدُ - الْعِبَادُ.

(بِالْبَيِّنَاتِ) (صَادِقِينَ)

(١٨٣) - لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَهُودَ إِلَى الْإِسْلَامِ، رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُ

رُؤَسَائِهِمْ (مِثْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ، وَفُتْحَاسِ بْنِ

عَازُورَاءَ) قَائِلِينَ: إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا لِرَسُولٍ

حَتَّى يَأْتِيَ بِمُعْجَزَةٍ، مِنْهَا أَنْ يَكُونَ إِذَا قَرَّبَ قُرْبَانًا إِلَى اللَّهِ، (أَيُّ تَصَدَّقَ

بِصَدَقَةٍ) فَتَقْبَلَ مِنْهُ، تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَحْرُقُ الْقُرْبَانَ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُكَذَّبًا مَقَاتِلَهُمْ، فَقَالَ لِنَبِيِّ الْكَرِيمِ، قُلْ لَهُمْ: لَقَدْ

جَاءَكُمْ رَسُولٌ قَبْلِي بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ، وَبِنَارٍ تَأْكُلُ الْقُرَابِينَ الْمُتَقَبِّلَةَ

(وَهُوَ الَّذِي قَالُوهُ وَطَلَبُوهُ) فَلِمَ أَذًا قَتَلْتُمُوهُمْ، وَكَذَّبْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ؟

﴿١٨٤﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ

رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ

وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ

(جَاؤُوا) (بِالْبَيِّنَاتِ) (وَالْكِتَابِ)

(١٨٤) - وَيُعْزِي اللَّهُ رَسُولَهُ قَائِلًا: إِنَّ كَذْبَكَ هَؤُلَاءِ فَلَا يَهْمُنُكَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَلَكَ أَسْوَةٌ بِمَنْ جَاءَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، الَّذِينَ جَاؤُوا الْمُكَذِّبِينَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ، وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ مِنَ السَّمَاءِ (الزُّبُرِ) وَالْكِتَابِ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ (الْكِتَابِ الْمُنِيرِ)، وَأَتَوْا بِالْقُرْبَانِ الَّذِي تَأْكُلُهُ النَّارُ... فَقَبِلُوا مِنْهُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَالْمُعَانَدَةِ، وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ كَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمٌ غَلَاطُ الْأَكْبَادِ، فُسَاءُ الْقُلُوبِ، لَا يُقِيمُونَ الْحَقَّ، وَلَا يُدْعِنُونَ لَهُ. الزُّبُرِ - كُتِبَ الْمَوَاعِظُ وَالزُّوَاجِرُ.

(دَائِقَةُ) (الْقِيَامَةِ) (الْحَيَاةِ) (مَتَاعُ)

(١٨٥) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَتَذُوقُ طَعْمَ الْمَوْتِ، وَتُحْسِنُ بِمُقَارَفَةِ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ. وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ لَا تَمُوتُ بِمَوْتِ الْبَدَنِ، لِأَنَّ الذُّوقَ شُعُورٌ لَا يُحْسِنُ بِهِ إِلَّا الْحَيُّ، وَهُوَ تَعَالَى وَحْدَهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحْشَرُ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ، وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ أَجُورَهَا عَمَّا أَكْتَسَبَتْهُ مِنْ أَعْمَالٍ، فَمَنْ جُنِبَ النَّارَ، وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ، فَقَدْ فَازَ كُلُّ الْفَوْزِ.

وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ إِلَّا مَتَاعًا تَافَهَا زَائِلًا، صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ مَخْدُوعٌ، وَهُوَ مَتَاعُ مَتْرُوكٍ يُوشِكُ أَنْ يَضْمَحَلَّ عَنْ أَهْلِهِ. تُوَفُّونَ أَجُورَكُمْ - تَسْتَوْفُونَهَا غَيْرَ مَقْصُودَةٍ. رُخِزَ عَنِ النَّارِ - نُحِيَ عَنْهَا. الْمَتَاعُ - مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ مِمَّا يَبَاغُ وَيُشْرَى.

(أَمْوَالُكُمْ) (الْكِتَابِ)

(١٨٦) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ، وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ وَأَصْحَابُهُ سَيَلْقَوْنَ مِنَ الْكُفَّارِ أَدَى كَثِيرًا فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ، كَمَا لَقَوْهُ مِنْهُمْ مِنْ أَدَى يَوْمٍ أَحَدٍ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوطِنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ، إِذْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَنْتَلِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي شَيْءٍ مِنْ مَالِهِ، أَوْ نَفْسِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ أَهْلِهِ... وَآيَتِلَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يَكُونُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ صَلَابَةٌ فِي دِينِهِ زَيْدٌ فِي بَلَائِهِ. وَنَبَّهَ اللَّهُ

﴿١٨٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا

تُوَفُّونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُخِزَ

عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ

فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ



﴿١٨٦﴾ تَلْبَسُوا فِي

أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

وَلَسَّمَعْتُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ

الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَى

تَعَالَى رَسُولُهُ الْكَرِيمَ وَالْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ مَقْدَمِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ (وَقَبْلَ وَقَعَةٍ
بَدْرٍ) إِلَى أَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ أَدَى كَثِيرًا: مِنْ
التَّقْوَلِ وَالْإِرْجَافِ، وَنَقْضِ الْعُهُودِ وَبَثِّ الشَّائِعَاتِ، وَمُحَاوَلَةِ
الْإِيْدَاءِ... وَيَأْمُرُ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالصَّفْحِ وَالصَّبْرِ وَالْعَفْوِ حَتَّى يُفْرَجَ
اللَّهُ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَحْتِمَالِ ذَلِكَ إِلَّا أَوْلُو الْعِزْمِ الْأَقْوِيَاءُ.

مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ - مَا يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يَعِزِمَ عَلَيْهِ، وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ
بِتَفْيِيدِهِ.

لَتُبْلَوْنَ - لَتُخْتَبَرَنَّ وَتُتَحَنَّنَنَّ بِالْمِحَنِ.

(مِثَاقُ) (الْكِتَابِ)

(١٨٧) - أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَهْدَ وَالْمِثَاقَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى أَلْسِنَةِ
أَنْبِيَائِهِمْ، بِأَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ مَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ غَيْرَ كَاتِبِينَ مِنْهُ شَيْئًا، وَبِأَنْ
يُوضِّحُوا مَعَانِيَهُ كَمَا هِيَ دُونَ تَأْوِيلٍ أَوْ تَحْرِيفٍ، وَبِأَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَنْ
كُتُبُهُمْ أَشَارَتْ إِلَى بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لِيَكُونَ النَّاسُ عَلَى أَهْبَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ
حَتَّى إِذَا بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا لِلْخَلْقِ تَابِعُوهُ، وَلَكِنْ أَهْلُ الْكِتَابِ كَتَمُوا ذَلِكَ،
وَاعْتَاضُوا بِحُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ (ثَمًّا قَلِيلًا) عَنِ الْأَجْرِ الَّذِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ
بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَدْ وَبَّحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ، تَوْبِيحًا شَدِيدًا فِي أَكْثَرِ مِنْ
مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَقَالَ لَهُمْ: يَسْتِ الْبَيْعَةُ بَيْنَهُمْ.

(وَوَاجِبُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي شَرْحِ مَعَانِي كُتُبِ اللَّهِ لِلنَّاسِ وَبَيَانِ
أَحْكَامِهَا، يَنْطَبِقُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا).

الْمِثَاقُ - الْعَهْدُ الْمَوْكَّدُ.

لَتُبَيِّنَنَّ - لَتُظْهِرَنَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ.

نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ - طَرَحُوهُ وَلَمْ يَعْتَدُوا بِهِ.

(١٨٨) - بَيَّنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ إِلَى حَالٍ آخَرَ مِنْ أَحْوَالِ
أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا مِنَ التَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ
لِلْكِتَابِ، وَيَبْرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، شَرَفًا وَفَضْلًا بِأَنَّهُمْ أَيْمَةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ. وَكَانُوا
يُجِبُونَ أَنْ يُحَمِّدُوا بِأَنَّهُمْ حَفَظُوا الْكِتَابَ وَمُفَسَّرُوهُ.

وَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا فَعَلُوا نَقِيضَهُ، إِذْ حَوَّلُوهُ مِنَ الْهِدَايَةِ
إِلَى مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَ الْحُكَّامِ وَالْعَامَّةِ.

(وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْيَهُودِ إِذْ سَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فِي

كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا
فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ

وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ

ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا

قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا

آتَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحَمِّدُوا بِمَا لَمْ

يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَاقِرٍ

مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

كِتَابِهِمْ، فَكْتُمُوهُ وَأَخْبِرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنَّهُمْ أَخْبِرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ، وَاسْتَحْمَدُوهُ بِذَلِكَ، وَفَرَحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كَيْمَانٍ مَّا سَأَلَهُمْ عَنْهُ).

(وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ آيَةُ نَزَلَتْ فِي بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَخَلَّفُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا، فَإِذَا عَادَ مِنَ الْغَزَا اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا وَأَحْبَبُوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا).

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لَيَسْوَ نَاجِينَ مِنَ الْعَذَابِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا.
بِمَقَارِئِهِ مِنَ الْعَذَابِ - بِمَنْجَاةٍ مِنْهُ.
أَنْ يُحْمَدُوا - أَنْ يَحْمَدَهُمُ النَّاسُ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٨٩) - لَا تَحْزَنُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا تَضَعُفُوا، وَيَسُوا الْحَقَّ، وَلَا تَكْتُمُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا عَمِلْتُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيكُمْ مَا أَهَمَّكُمْ وَأَعَمَّكُمْ، وَيَغْنِيكُمْ عَنْ هَذِهِ الْمُتَنَكَّرَاتِ الَّتِي نُهَيْتُمْ عَنْهَا، لِأَنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ، لَا يَعْزُ عَلَيْهِ نَصْرُكُمْ عَلَى مَنْ يُؤْذِيكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

(السَّمَاوَاتِ) (وَاخْتِلَافِ) (اللَّيْلِ) (لَايَاتِ) (الْأَلْبَابِ)

(١٩٠) - إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِيهَا مِنْ مَشَاهِدٍ عَظِيمَةٍ، وَكَوَاكِبِ وَسَيَّارَاتِ، وَفِي خَلْقِ الْأَرْضِ، وَمَا فِيهَا مِنْ بَحَارٍ، وَأَنْهَارٍ وَجِبَالٍ وَأَشْجَارٍ وَنَبَاتٍ، وَفِي تَعَايُفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَقَارُضِهِمَا الطُّولَ وَالْقِصْرَ، يَطُولُ هَذَا تَارَةً، وَيَطُولُ الْآخَرُ تَارَةً أُخْرَى... لَايَاتِ وَبَرَاهِينَ وَحُجَجًا وَدَلَائِلَ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، لِأَهْلِ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ الرَّكِيَّةِ.

اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ - تَعَايُفُهُمَا وَمَجِيءُ أَحَدِهِمَا خَلْفَ الْآخَرِ.

(قِيَامًا) (السَّمَاوَاتِ) (بَاطِلًا) (سُبْحَانَكَ)

(١٩١) - وَيَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى أُولِي الْأَلْبَابِ يَقُولُ عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَائِمِينَ وَقَاعِيدِينَ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَلَا يَقْطَعُونَ ذِكْرَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، بِسَرَائِرِهِمْ، وَالسُّبُحَاتِ... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَفْهَمُوا مَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارِ خَلْقِيَّتِهِ، وَمِنْ حِكْمِ وَعَبَرِ

وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ لَا يَتَّبِعُ لَأُولَى

الْأَلْبَابِ

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا

وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا

وَعِظَاتٍ، تَذِلُّ عَلَى الْخَالِقِ، وَفُذِّرَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا الْخَلْقَ عَبَثًا وَبَاطِلًا، رَبَّنَا تَنَزَّهْتَ عَنِ الْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ بِالْحَقِّ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْضِ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقْهُ عَبَثًا، وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ لِحِكْمَةٍ. وَمَتَى حُسِرَ الْخَلْقُ إِلَيْكَ حَاسِبَتُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَتَجْزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا، وَتَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. ثُمَّ يَتُومُونَ دُعَاءَهُمْ سَائِلِينَ رَبَّهُمْ أَنْ يَغِيَّهُمْ عَذَابَ النَّارِ.

بَاطِلًا - عَبَثًا لَا فَائِدَةَ فِيهِ.

فَقِنَا - حَبْنَا وَآخَفَطْنَا.

(لِلظَّالِمِينَ)

(١٩٢) - ثُمَّ يَتَابِعُونَ دُعَاءَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ لِرَبِّهِمْ قَائِلِينَ: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُهُ النَّارَ فَقَدْ أَهَنْتَهُ وَأَذَلَّتَهُ، وَأَظْهَرْتَ خِزْيَهُ لِأَهْلِ الْجَمْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالظَّالِمُونَ لَا يَجِدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللَّهِ. أَخْزَيْتَهُ - أَذَلَّتَهُ وَأَهَنْتَهُ.

(لِلْإِيمَانِ) (آمِنُوا) (فَآمَنَّا)

(١٩٣) - وَبَعْدَ أَنْ عَرَفُوا اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ بِالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ، عَبَّرُوا عَنْ وُضُوحِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ، وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ سِرَاعًا، فَقَالُوا: رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِكَ (وَهُوَ الرَّسُولُ)، وَيَقُولُ: آمِنُوا بِرَبِّكُمْ، فَآمَنَّا مُسْتَجِيبِينَ لَهُ، رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِنَا، فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَتَوَقَّافًا مَعَ الْأَبْرَارِ الصَّالِحِينَ وَالْجَنَّةِ بِهِمْ. الْأَبْرَارُ - الْمُحْسِنِينَ فِي عَمَلِهِمْ.

مُنَادِيًا - الرَّسُولُ أَوْ الْقُرْآنُ.

كَفَّرْنَا - أَزَلَّ عَنَّا صَغَائِرَ ذُنُوبِنَا.

(وَاتَيْنَا) (الْقِيَامَةَ)

(١٩٤) - رَبَّنَا وَآتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِكَ، وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْخَلْقِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ رَسُولُكَ الْكَرَامَ، وَهُوَ قِيَامُ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَإِنَّكَ تَجْزِي الْعَامِلِينَ الصَّالِحِينَ بِالْخَيْرِ وَالْحُسْنَى، وَتَجْزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا يَسْتَجِقُونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. عَلَى رَسُولِكَ - عَلَى لِسَانِ رَسُولِكَ.

الْمِيعَادُ - الْمَوْعِدُ.

خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ
فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ

أَخْزَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي

لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ

فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّافًا

مَعَ الْأَبْرَارِ

رَبَّنَا وَآتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى

رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ

(عَامِلٍ) (دِيَارِهِمْ) (وَقَاتِلُوا) (جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارِ)

(١٩٥) - لَمَّا سَأَلَ الْمُؤْمِنُونَ ذَوُو الْأَلْبَابِ رَبَّهُمْ مَا سَأَلُوا فِي الْآيَاتِ السَّابِقَاتِ، اسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ لِمَدِّقِهِمْ فِي إِيْمَانِهِمْ، وَذَكَرَهُمْ وَتَفَكَّرَهُمْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَنْزِيلِهِمْ رَبَّهُمْ عَنِ الْعَبَثِ، وَتَصْدِيقِهِمْ رَسُولَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ لَا يُضَيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْهُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى، وَإِنَّهُ سَيُوفِي كُلَّ عَامِلٍ أَجْرَهُ، وَجَمِيعُهُمْ لَدَيْهِ سَوَاءٌ فِي الثَّوَابِ (بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دَارِ الشُّرْكِ وَأَتُوا إِلَى دَارِ الْإِيْمَانِ، وَضَاقَتْهُمْ الْمُشْرُكُونَ حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَمُفَارَقَةِ أَهْلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ، وَالَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُقْتَلُونَ صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ... فَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا سَيُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَسَيُدْخِلُهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا، وَيُنِيلُهُمْ ذَلِكَ جَزَاءً لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَثَوَابًا جَزِيلًا مِنْهُ، لِأَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ، وَالْعَظِيمُ لَا يُعْطِي إِلَّا جَزِيلًا. وَلِلْعِبَادِ الصَّالِحِينَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ.

بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ - جَمِيعُهُمْ سَوَاءٌ لَدَيْهِ فِي الثَّوَابِ.
لَا أُضَيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ - لَا أَتْرُكُ ثَوَابَ عَمَلٍ عَمِلَهُ عَامِلٌ إِلَّا جَزَيْتُهُ بِهِ.

(الْبِلَادِ)

(١٩٦) - لَا تَنْظُرْ إِلَى مَا أَنْزَلَ فِيهِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعِظَةِ وَالسُّرُورِ. وَلَا تَعْجَبْ مِنْ تَصَرُّفِهِمْ فِي الْأَسْفَارِ لِلتِّجَارَةِ وَالتَّكْسِبِ ثُمَّ عَوْدَتِهِمْ سَالِمِينَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَدِيَارِهِمْ.
(مَتَاعٌ) (مَأْوَاهُمْ)

(١٩٧) - فَإِنَّهُ مَتَاعٌ قَلِيلٌ زَائِلٌ، يَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ وَيُبْسُ الْمُسْتَقَرُّ وَالْمَهْدُ.
مَتَاعٌ قَلِيلٌ - ذَلِكَ الْكَسْبُ وَالرِّبْحُ هُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ.

(جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ)

(١٩٨) - أَمَّا الْمُتَّقُونَ فَلَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا، وَخِلَالِ أَشْجَارِهَا، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا مُخَلَّدِينَ أَبَدًا، مُنْزَلِينَ فِيهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جَزَاءٍ وَثَوَابٍ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ الَّذِينَ يَبْرُونَ وَالِدِيهِمْ وَأَبْنَاءَهُمْ.

(١٩٥) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضَيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا ذُنُوبَهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ

(١٩٦) لَا يَعْرِفُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ

(١٩٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيُبْسُ الْمَهَادُ

(١٩٨) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ

النُّزُلُ - مَا يُهَيَّأُ لِلصَّنْفِ النَّازِلِ مِنَ الصِّيَافَةِ.

(الْكِتَابِ) (خَاشِعِينَ) (بَيِّنَاتٍ) (أُولَئِكَ)

(١٩٩) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ، وَيُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، مَعَ إِيمَانِهِمْ بِمَا فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَأَنَّهُمْ خَاشِعُونَ مُطِيعُونَ لِلَّهِ، لَا يَكْتُمُونَ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْبَشَارَةِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَصِفَتِهِ وَنَعْتِهِ وَمَبْعَثِهِ لِقَاءِ عَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا زَائِلٍ. ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

وهؤلاء لهم أجرهم، وسَيَلَقُونَهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ آيَةُ نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ إِذْ صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْغَائِبِ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَيَأْمُرُنَا أَنْ نُصَلِّيَ عَلَى عِلْجٍ مَاتَ فِي الْحَبَشَةِ؟).

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢٠٠) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لَهُمْ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، فَلَا يَدْعُونَهُ لِبُشْدَةٍ وَلَا لِرِخَاءٍ، حَتَّى يَمُوتُوا مُسْلِمِينَ. وَالْمُرَابَطَةُ هِيَ الْمُرَابَطَةُ فِي الثُّغُورِ لِلْغَزْوِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (رَبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا).

(وَقِيلَ إِنَّ الْمُرَابَطَةَ الْمَقْصُودَةُ هُنَا هِيَ الْإِنْتِظَارُ فِي الْمَسَاجِدِ لِأَذَاءِ الصَّلَوَاتِ جِنْمًا تَجِبُنَّ أَوْقَاتُهَا، أَيْ رَابَطُوا فِي الْمَسَاجِدِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا قَرَضَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

صَابِرُوا - غَالِبُوا الْأَعْدَاءَ بِالصَّبْرِ.

رَابَطُوا - أَقِيمُوا فِي الثُّغُورِ مُتَاهِبِينَ لِلْجِهَادِ.

﴿١٩٩﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ

لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا

قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ

أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ

اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ

﴿٢٠٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا

وَاصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سِتُّ وَسَبْعُونَ وَفَاتِنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا) (وَاحِدَةٌ)

(١) - يَا أُمُّرُ اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَهُ بِتَقْوَاهُ (أَيَّ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ عُصْيَانِهِ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ جَمِيعًا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (هِيَ آدَمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَخَلَقَ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ زَوْجَهَا (حَوَاءَ)، وَخَلَقَ مِنْ هَاتَيْنِ النَّفْسَيْنِ الْبَشَرَ رَجُلًا وَنِسَاءً، وَنَشَرَهُمْ فِي الْأَرْضِ عَنْ طَرِيقِ التَّرَاوُجِ. ثُمَّ يَعُودُ تَعَالَى فَيُكْرِّرُ أَمْرَهُ لِعِبَادِهِ بِطَاعَتِهِ وَتَقْوَاهُ وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي يَنْسَاءُ لُونُ بِهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ (فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَسْأَلُكَ اللَّهَ، وَأَنْشُدُكَ اللَّهَ...)، وَيَأْمُرُهُمْ تَعَالَى بِأَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ قِطْعِ صَلَاتِ الرَّحْمِ وَالْقَرَابَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، (وَفِي أَكْثَرِ مِنْ مَكَانٍ مِنَ الْقُرْآنِ يُكْرِّرُ تَعَالَى أَمْرَهُ إِلَى عِبَادِهِ بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَبِرَّهَا)، ثُمَّ يُخَبِّرُهُمْ أَنَّهُ هُوَ اللَّهُ، وَأَنَّهُ مُشْرِفٌ عَلَى أَعْمَالِ الْبَشَرِ، وَمُرَاقِبٌ لَهَا، وَأَنَّهُ مُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

النَّفْسُ الْوَاحِدَةُ - هِيَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

نِسَاءُ لُونُ بِهِ - يَسْأَلُ بَعْضُكُمْ بِهِ بَعْضًا (سَأَلْتُكَ اللَّهَ).

الرَّقِيبُ - الْمَشْرِفُ مِنْ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ لِلْمُرَاقَبَةِ.

الْأَرْحَامُ - الْقَرَابَاتُ.

بَثَّ مِنْهُمَا - نَشَرَ مِنْهُمَا بِالتَّنَاسُلِ.

(وَأَتُوا) (الْيَتَامَى) (أَمْوَالَهُمْ) (أَمْوَالَهُمْ)

(٢) - يَا أُمُّرُ اللَّهِ تَعَالَى الْأَوْصِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ عَلَى الْإِيْتَامِ بِأَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَمْوَالِ الْإِيْتَامِ، وَأَنْ لَا يَتَعَرَّضُوا لَهَا بِسُوءٍ، وَأَنْ يَدْفَعُوا إِلَى الْإِيْتَامِ أَمْوَالَهُمْ كَامِلَةً إِذَا بَلَغُوا سِنَّ الرُّشْدِ، كَمَا يَنْهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَتَبَدَّلُوا الْأَمْوَالِ الْحَرَامَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى، بِالْخِلَالِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَيَقُولُ لَهُمْ: لَا



يَتَّيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وَبَثَّ مِنْهُمَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا

الْحَيِثُ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ

إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَثِيرًا

تَخْلُطُوا أَمْوَالَ الْيَتَامَى بِأَمْوَالِكُمْ حَتَّى لَا يَبْقَى بِإِمَّاكِبِكُمْ التَّفْرِيقُ بَيْنَهَا وَتَأْكُلُوهَا جَمِيعاً. وَلَا تُعْطُوا الْيَتِيمَ شَاءَ مَهْرَؤُهُ وَتَأْخُذُوا شَاءَ سَمِينَةٍ، لِأَنَّ فِعْلَ ذَلِكَ إِنْكُمْ كَبِيرٌ، وَذَنْبٌ عَظِيمٌ فَاجْتَنِبُوهُ.

الْيَتِيمُ - مَنْ مَاتَ أَبُوهُ وَلَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ.

الْخَبِيثُ - الْحَرَامُ.

الطَّيِّبُ - الْحَلَالُ.

الْحُوبُ - الذَّنْبُ الْعَظِيمُ.

(الْيَتَامَى) (وَثَلَاثَ) (وَرُبَاعَ) (فَوَاحِدَةً) (أَيَّمَانُكُمْ)

(٣) - فَإِنْ خِفْتُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْ لَا تُعْدِلُوا مَعَ الرُّوْحَةِ الْيَتِيمَةِ، وَأَنْ تَأْكُلُوا مَالَهَا، فَاعْدِلُوا عَنِ الرُّوْاجِ بِهَا إِلَى الرُّوْاجِ بِغَيْرِهَا، فَإِذَا كَانَ فِي جَجْرِ أَحَدِكُمْ يَتِيمَةً وَخَافَ أَنْ لَا يُعْطِيَهَا مَهْرَ مِثْلِهَا، فَعَلَيْهِ أَنْ يُعْدِلَ إِلَى الرُّوْاجِ بِغَيْرِهَا، فَإِنَّ السَّاءَ كَثِيرَاتٌ، وَلَمْ يُصَيِّقِ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ، إِذْ أَبَاحَ لَهُمُ الرُّوْاجَ بِأَتْنَتَيْنِ وَثَلَاثَ وَأَرْبَعٍ. فَإِنْ خِفْتُمْ، فِي حَالِ تَعْدُدِ الرُّوْاجَاتِ عِنْدَكُمْ، أَنْ لَا تُعْدِلُوا بَيْنَهُنَّ فِي الْمُعَامَلَةِ، فَاقْتَصِرُوا عَلَى الرُّوْاجِ بِوَاحِدَةٍ، وَعَلَى الْحَوَارِي السَّرَارِي (لَأَنَّهُ لَا وَجُوبَ لِلْعَدْلِ بَيْنَهُنَّ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُسْتَحَبًّا) وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى الرُّوْاجِ بِوَاحِدَةٍ فِيهِ ضَمَانٌ مِنْ عَدَمِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ. (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى - ذَلِكَ أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا - هُوَ أَنْ لَا تَفْتَقِرُوا) (وَالْعَدْلُ يَكُونُ فِيمَا يَدْخُلُ تَحْتَ طَاقَةِ الْإِنْسَانِ كَالنَّسْوِيَةِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ وَغَيْرِهِ. . . أَمَّا مَا لَا يَدْخُلُ فِي وَسْعِهِ مِنْ مِثْلِ الْقَلْبِ إِلَى وَاحِدَةٍ دُونَ الْآخَرَى فَلَا يُكَلِّفُ الْإِنْسَانَ بِالْعَدْلِ فِيهِ). أَلَّا تَقْسُطُوا - أَنْ لَا تُعْدِلُوا.

طَابَ - حَسَنَ وَمَالَ الْقَلْبَ إِلَيْهِ، وَهُوَ هُنَا مَا حَلَّ لَكُمْ.

أَلَّا تَعُولُوا - أَلَّا تَجُورُوا فِي الْمُعَامَلَةِ. أَوْ أَلَّا تَفْتَقِرُوا مِنْ كَثْرَةِ الْعِيَالِ.

النِّكَاحُ - الرُّوْاجُ.

مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ - الْعَوَارِي الْمَمْلُوكَاتُ.

(وَأَتُوا) (صَدَقَاتِهِنَّ) (مَرِيئًا)

(٤) - وَجِبَ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَ الْمَرْأَةَ مَهْرَهَا طَيِّبًا نَفْسًا بِذَلِكَ، لِيَكُونَ رَمَزًا لِلْمُودَةِ الَّتِي يَتَّبَعِي أَنْ تَكُونَ بَيْنَهُمَا، فَإِنْ تَنَازَلَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ مَهْرِهَا لِلرَّجُلِ مِنْ بَعْدِ قَرْضِ الْمَهْرِ، عَنْ طَيِّبِ خَاطِرٍ مِنْهَا، وَرِضًا نَفْسًا، دُونَ ضِرَارٍ أَوْ تَهْدِيدٍ أَوْ خَدِيعَةٍ، فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَلْيَأْكُلْهُ حَلَالًا طَيِّبًا. (وَعَلَى هَذَا فَلَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْكُلَ مَالَ الْمَرْأَةِ

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسُطُوا فِي الْيَتَامَى

فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا

تُعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً

فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا

فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا

أَوْ شَيْئاً مِنْهُ إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّ نَفْسَهَا طَيِّبَةٌ بِذَلِكَ، فَإِنْ طَلَبَ مِنْهَا شَيْئاً وَحَمَلَهَا الْخَوْفُ أَوْ الْخَجَلُ عَلَى إِعْطَاءِ مَا طَلَبَ فَلَا يَجِلُّ لَهُ).
الْصَّدَقَاتُ - الْمَهْجُورُ.

نَحْلَةٌ - الْعَطَاءُ عَنْ طَيِّبِ خَاطِرٍ.
طَابَ بِهِ نَفْساً - أَعْطَاهُ عَنْ طَيِّبِ خَاطِرٍ.
الْهَيْئَةُ - مَا يُسْتَلَذُّ أَكْلُهُ.
الْمَرِيءُ - مَا حَسُنَتْ عَاقِبَتُهُ هُضْماً وَغِذَاءً.

(أَمْوَالُكُمْ) (قِيَاماً)

(٥) - هَذَا خِطَابٌ لِمَجْمُوعِ الْأُمَّةِ، وَالنَّهْيُ فِيهِ شَامِلٌ لِكُلِّ مَالٍ يُعْطَى لِأَيِّ سَفِيهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُ النَّاسَ بِإِعْطَاءِ كُلِّ يَتِيمٍ مَالَهُ إِذَا بَلَغَ، وَكُلِّ أَمْرَأَةٍ صَدَاقَهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ أَحَدُهُمَا سَفِيْهًا لَا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ فِي مَالِهِ فَعَلَى الْمَسْئُولِينَ عَنِ الْمَالِ أَنْ لَا يُعْطَوْهُ مِنْهُ لِيَلَّا يَبْذُرَهُ، وَأَنْ يَحْفَظُوهُ لَهُ حَتَّى يَرْتُدَّ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْأَمْوَالَ لِلنَّاسِ لِيَتَقَوَّمَ بِهَا مَعَاشَاتُهُمْ وَتِجَارَتُهُمْ، وَتَثَبَّتَ بِهَا مَنَافِعُهُمْ وَمَرَافِقُهُمْ. فَمَرَافِقُهُمْ وَمَصَالِحُهُمْ الْعَامَّةُ لَا تَزَالُ ثَابِتَةً قَائِمَةً مَا دَامَتِ أَمْوَالُهُمْ فِي أَيْدِي الرَّاشِدِينَ الْمُقْتَصِدِينَ مِنْهُمْ، الَّذِينَ يُحْسِنُونَ تَثْمِيرَهَا. وَبَنَى اللَّهُ تَعَالَى الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ أَمْوَالَ السُّفَهَاءِ وَتَثْمِيرَهَا، بِأَنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا عَلَيْهِمْ، وَيُقَدِّمُوا لَهُمْ كِفَايَتَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالثِّيَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِنْ نَتَاجِ الْأَمْوَالِ وَأَرْبَاحِهَا، لَا مِنْ صُلْبِ الْمَالِ حَتَّى لَا يَأْكُلَهُ الْإِنْتِفَاقُ. وَعَلَى الْوَلِيِّ أَنْ يَنْصَحَ الْيَتِيمَ الصَّغِيرَ، أَوْ السَّفِيْهَ، وَأَنْ يُبَيِّنَ لَهُ مَا فِيهِ خَيْرُهُ وَمَصْلَحَتُهُ، وَأَنْ يُحْتَنَ عَلَى تَرْكِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، وَأَنْ يُعَامِلَهُ بِالرَّقِيِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ.

السُّفَهَاءُ - الْحِفَّةُ وَالْأَضْطِرَابُ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى التَّبْذِيرِ فِي إِنْفَاقِ الْمَالِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي.

قِيَاماً - تَقَوَّمَ بِهَا أُمُورُ النَّاسِ وَمَعَاشُهُمْ (وَمِنْهَا الْقَوَامُ).

الْقَوْلُ الْمَعْرُوفُ - هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يَطِيبُ بِهِ الْخَاطِرُ.

(الْيَتَامَى) (أَنْتُمْ) (أَمْوَالُهُمْ)

(٦) - وَاخْتَبَرُوا الْيَتَامَى، بِإِعْطَائِهِمْ شَيْئاً مِنَ الْمَالِ يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ، فَإِنْ أَحْسَنُوا التَّصَرُّفَ كَانُوا رَاشِدِينَ. فَإِذَا بَلَغُوا سِنَّ الرُّشْدِ، وَبَلَغُوا الْحُلُمَ، وَتَأَكَّدْتُمْ مِنْ صَلَاحِهِمْ فِي دِينِهِمْ، وَحَفِظْتُمْ أَمْوَالَهُمْ، فَسَلَّمُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ الَّتِي تَحْتَ أَيْدِيكُمْ. أَمَّا إِذَا لَمْ تَجِدُوهُمْ أَهْلًا لِيَسَلِّمَ الْمَالُ فَاسْتَمِرُّوا عَلَى الْإِبْتِلَاءِ حَتَّى تَأْسُوا الرُّشْدَ مِنْهُمْ. وَيَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي

جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا
وَأَكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا

وَابْنُوا إِلَيْكُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا

النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا

فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا

تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ

يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ

عَنْ أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ، وَبِمُبَادَرَةٍ مِنَ الْوَلِيِّ إِلَى الْإِسْرَافِ فِي الْإِنْفَاقِ لِتَبْدِيدِ مَالِ الْيَتِيمِ قَبْلَ أَنْ يَكْبُرَ. فَإِذَا كَانَ الْوَلِيُّ غَنِيًّا فَلْيُعْفَ عَنْ مَالِ الْيَتِيمِ، وَلَا يَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئًا، وَإِذَا كَانَ الْوَلِيُّ فَقِيرًا جَازَ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، أَيْ بِقَدْرِ جُهْدِهِ فِي الْقِيَامِ بِتَدْبِيرِ مَالِ الْيَتِيمِ (فَلَهُ أَنْ يَأْكُلَ بِأَقْلِ الْأَمْرَيْنِ: أَجْرٍ مِثْلِهِ، وَقَدْرٍ حَاجَتِهِ). وَأَشْهَدُوا شُهُودًا عَلَى عَمَلِيَّةِ دَفْعِ مَالِ الْإِيْتَامِ إِلَيْهِمْ لِتَبَرُّا ذِمَّتِكُمْ. اتَّسَمَ مِنْهُمْ رُشْدًا - لَأَحْطِظُمْ مِنْهُمْ حُسْنَ التَّصَرُّفِ. الْإِسْرَافُ - مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي التَّصَرُّفِ. الْبِدَارُ - الْمُبَادَرَةُ وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى الشَّيْءِ.

يَسْتَعْفِفُ - أَنْ يُعْفَ عَنْ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالْعِفَّةُ هِيَ تَرْكُ مَا لَا يَنْبَغِي مِنَ الشَّهَوَاتِ. الْحَسِيبُ - الْمُحَاسِبُ وَالْمُرَاقِبُ.

(الْوَالِدَانِ)

(٧) - كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَجْعَلُونَ الْمَالَ لِلرِّجَالِ الْكِبَارِ، وَلَا يُورِثُونَ النِّسَاءَ وَلَا الْأَطْفَالَ، بِحُجَّةٍ أَنَّهُمْ لَا يَتَحَمَّلُونَ أَغْيَاءَ الْحُرُوبِ. فَأَبْطَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا التَّعَامُلَ الْجَائِرَ، وَجَعَلَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ سَوَاءً فِي الْمِيرَاثِ. وَجَعَلَ اللَّهُ الْمِيرَاثَ حَقًّا مُعَيَّنًا مَقْطُوعًا لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا أَنْ يُحَاسِبَ.

(هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ حِينَمَا جَاءَتْ أَمْرًا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِي ابْنَتَانِ قَدْ مَاتَ أَبُوهُمَا، وَلَيْسَ لَهُمَا شَيْءٌ، وَحَازَ عَمَّهُمَا الْمَالَ كُلُّهُ).

نَصِيبٌ - حِصَّةٌ. الْمَفْرُوضُ - الْمَقْدَرُ وَالْمُعَيَّنُ.

(أُولُو الْوِلْيَامِ) (وَالْمَسَاكِينِ)

(٨) - (قِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَسْخُوحَةٌ بِآيَةِ الْفَرَائِضِ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ...﴾^(١)) وَكَانَ حُكْمُ هَذِهِ الْآيَةِ مَعْمُولًا بِهِ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ آيَةُ الْفَرَائِضِ فَلَمَّا نَزَلَتْ أُعْطِيَ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

إِنَّ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ مِنَ الْأَقَارِبِ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَ، وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ إِذَا حَضَرُوا قِسْمَةَ مَالٍ وَافِرٍ، فَإِنَّ نَفْسَهُمْ تَتَوَقَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يُعْطُوا شَيْئًا مِنَ الْمَالِ يَكُونُ بَرًّا بِهِمْ، وَجَبْرًا لِقُلُوبِهِمْ

(١) الآية ١١ من سورة النساء.

وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ
فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ
فَاشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا
تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ
مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو
الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ
فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ
قَوْلًا مَعْرُوفًا

الْكَبِيرَةِ، وَمَنْعًا مِنْ أَنْ يَسْرِىَ الْحَسَدُ إِلَى نَفْسِهِمْ. وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَقُولُوا لَهُؤُلَاءِ قَوْلًا طَيِّبًا، يَطْبِئُ بِهِ نَفْسُهُمْ عِنْدَمَا يُعْطَوْنَ، حَتَّى لَا يَثْقُلَ عَلَى أَبِي النَّفْسِ مِنْهُمْ مَا يَأْخُذُهُ، وَيَرْضَى الطَّامِعُ فِي أَكْثَرِ مِمَّا أَخَذَ بِمَا أَخَذَ.

الْقَوْلُ الْمَعْرُوفُ - الْقَوْلُ الَّذِي يَطْبِئُ بِهِ الْخَاطِرُ.

(ضَعَفًا)

(٩) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الرَّجُلِ تَحْضِرُهُ الْوَفَاةُ فَيَسْمَعُهُ رَجُلٌ يُوصِي بِوَصِيَّةٍ تُضَرُّ بِوَرْتَبِهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الشَّخْصَ الَّذِي يَسْمَعُهُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ، وَأَنْ يُؤَفِّقَهُ وَيُرْشِدَهُ إِلَى الصَّوَابِ، فَيَنْظُرَ لَوَرْتَبِهِ كَمَا يُحِبُّ هُوَ أَنْ يُصْنَعَ بِوَرْتَبِهِ إِذَا خَشِيَ الضَّيْعَةَ عَلَيْهِمْ. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّكَ إِنْ تَذَرُ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ).

(وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُمِرَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ بِأَنْ يُعَامِلُوا مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْيَتَامَى مُعَامَلَةً طَيِّبَةً، كَمَا يُحِبُّونَ أَنْ يُعَامِلَ غَيْرُهُمْ أَوْلَادَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ مَاتُوا وَتَرَكَوا ذُرِّيَّةً ضَعْفَاءَ يَحْتَاجُونَ إِلَى مَنْ يَكُونُ وَلِيًّا أَوْ وَصِيًّا عَلَيْهِمْ، وَهُمْ يَخْشَوْنَ الضَّيْعَةَ عَلَيْهِمْ).

لِيَخْشَ - لِيَحْفَ.

قَوْلًا سَدِيدًا - قَوْلًا صَوَابًا مُنْصَفًا.

(أَمْوَالِ) (الْيَتَامَى)

(١٠) - يُهَدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى بِدُونِ سَبَبٍ مُشْرُوعٍ، وَعَلَى سَبِيلِ الْهَضْمِ وَالظُّلْمِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي إِيصَالِهِمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بَطُونِهِمْ نَارًا تَنَاجَجُ. وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ قَوْلُهُ ﷺ: (أَجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ: الشُّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسُّحْرَ، وَقَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلَ الرِّبَا، وَأَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ).

ظُلْمًا - بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ.

سَيَصْلَوْنَ - سَيَذَوُقُونَ الْعَذَابَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَمِنْهُ صَلَّى اللَّحْمُ، إِذَا شَوَاهُ عَلَى النَّارِ.

السَّعِيرُ - النَّارُ الْمُسْتَعْرَةُ أَيْ الْمُشْتَعِلَةُ الْمُتَاجِجَةُ.

وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ

خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضَعَفًا

خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ

وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ

الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي

بَطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ

سَعِيرًا

(أَوْلَادِكُمْ) (وَاحِدَةً) (وَاحِدٍ) (يُوصِي) (أَبَاؤُكُمْ)

(١١) - يَأْمُرُكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَدْلِ فِي مُعَامَلَةِ إِبْنَائِكُمْ فَإِنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَجْعَلُونَ الْمِيرَاثَ كُلَّهُ لِلذَّكَورِ دُونَ الْإِنَاثِ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالسَّوَادَةِ بَيْنَهُمْ فِي الْمِيرَاثِ، وَجَعَلَ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ نَظَرًا لِحَاجَتِ الرَّجُلِ إِلَى مَوْنَةِ النِّفَقَةِ، وَالْكَفَّةِ وَمُعَانَاةِ التَّجَارَةِ وَالتَّكْسِبِ. فَإِنَّ كَانَ الْأَوْلَادُ إِنَاثًا اثْنَتَيْنِ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، فَلَهُنَّ ثُلَاثُ الْمِيرَاثِ، قِيَاسًا عَلَى حُكْمِ الْأَخْتَيْنِ، فَإِنَّهُمَا تَأْخُذَانِ ثُلْثِي الثَّرِكَةِ، وَالْبَتْنَانِ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَ الْأَخْتَيْنِ، لِذَلِكَ اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَكُونُ لِلْأَبَوَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ. وَإِنْ كَانَ لِلْمَيِّتِ بِنْتُ وَاحِدَةٍ كَانَ لَهَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ وَوَرَثَهُ أَبَوَاهُ، كَانَ لِلْأُمِّ الثُّلُثُ وَلِلْأَبِ الثُّلَاثَانِ. وَثَرِكَةُ الْمَيِّتِ لَا تَقْسَمُ بَيْنَ الْوَرَثَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا الدِّينُ وَالْوَصِيَّةُ الَّتِي أَوْصَى بِهَا الْمَيِّتُ عَلَى أَنْ تَكُونَ فِي الْحُدُودِ الَّتِي عَيَّنَّهَا الشَّرْعُ، فَهُمَا مُقَدَّمَانِ عَلَى الْمِيرَاثِ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ وَلَهُ أَبَوَانِ وَإِخْوَةٌ - أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ - تَنْزِلُ حِصَّةُ الْأُمِّ إِلَى السُّدُسِ، وَلَا يَسْتَفِيدُ الْأَوْلَادُ شَيْئًا مِنَ الْمِيرَاثِ بِهَذَا الْحَبْطِ، وَيُحْزَرُ الْأَبُ خَمْسَةَ أَسْدَاسِ الْمِيرَاثِ الْبَاقِيَةِ كُلِّهَا، وَقِيلَ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ إِنَّ الْأَبَ يَلِي نِفَقَةَ أَوْلَادِهِ، أَمَّا الْأُمُّ فَلَا تَجِبُ عَلَيْهَا نِفَقَتُهُمْ.

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ إِنَّمَا فَرَضَ لِلْأَبَاءِ وَالْإِبْنَاءِ نَصِيبًا مِنَ الْمِيرَاثِ، وَجَعَلَ لَهُمْ جَمِيعًا حَقًّا فِي الْمِيرَاثِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَأْتِيهِ النِّفَعُ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ أَبَوَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأْتِيهِ مِنْ إِبْنَائِهِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَكْسُ هُوَ الصَّحِيحُ. وَالَّذِي يَعْلَمُ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ.

الْحَظُّ - النَّصِيبُ وَالْحِصَّةُ.

يُوصِيكُمْ - يَعْهَدُ إِلَيْكُمْ بِأَنْ تَفْعَلُوا.

(أَزْوَاجُكُمْ) (كَلَالَةً) (وَاحِدٍ)

(١٢) - يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُكْمَ الْمِيرَاثِ بَيْنَ الرُّوَجَيْنِ، وَبَيْنَ الْإِخْوَةِ: فَلِلزَّوْجِ نِصْفُ مَالِ زَوْجَتِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ، وَالنِّصْفُ الْآخَرُ يَرِثُهُ عَصَبَتُهَا أَوْ ذَوُو أَرْحَامِهَا. أَمَّا إِذَا كَانَ لَهَا وَلَدٌ، فَإِنَّ الزَّوْجَ يَرِثُ الرُّبْعَ. وَلِلزَّوْجَةِ رُبْعُ الْمِيرَاثِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَزَوْجِهَا وَلَدٌ، فَإِنْ كَانَ أَهْلٌ وَلَدٌ وَرِثَتْ الزَّوْجَةُ الثُّمَنَ، بَعْدَ آدَاءِ الدِّينِ وَإِخْرَاجِ الْوَصِيَّةِ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ أَصُولٌ (أَبَاءٌ) أَوْ فُرُوعٌ (إِبْنَاءٌ أَوْ أَحْفَادٌ) وَوَرِثَهُ إِخْوَتُهُ وَحَوَاشِيهِ (وَالْكَلَالَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْإِكْلِيلِ وَهُوَ مَا يُحِيطُ بِالرَّأْسِ مِنْ جَوَانِبِهِ) فَيُخْرَجُ

يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ

لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ فَإِنْ

كَانَ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ

ثُلَاثُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً

فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بَوِيهَ لِكُلِّ

وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ

إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ

وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلْأُمِّ الثُّلُثُ

فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّ

السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ

يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ أَبَاؤُكُمْ

وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ

لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا



وَلَكُمْ نِصْفُ

مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ

لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ

لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا

تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ

يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ

الدَّيْنُ أَوَّلًا، ثُمَّ تَخْرُجُ الْوَصِيَّةُ، ثُمَّ تُوزَعُ التَّرَكَةُ مِيرَاثًا عَلَى الْمُسْتَحَقِّينَ.
وَالْأَخُ الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ الْأَخُ لَأُمِّ، وَكَذَلِكَ الْأَخْتُ. وَالْإِخْوَةُ لَأُمِّ
يَخْتَلِفُونَ عَنْ بَقِيَّةِ الْوَرَثَةِ مِنْ وَجْهِهِ:

(أ) - فَهُمْ يَرِثُونَ مَعَ مَنْ أَدْلَوْا بِهِ وَهُوَ الْأُمُّ.

(ب) - ذُكِرَ لَهُمْ وَإِنَّا لَهُمْ سِوَاءُ فِي الْمِيرَاثِ.

(ج) - لَا يَرِثُونَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَيِّتُ يُوْرَثُ كَلَالَةً، فَلَا يَرِثُونَ مَعَ الْأَصْلِ
وَالْفَرْعِ.

(د) - لَا يَزَادُونَ عَنِ الثَّلَاثِ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ) يَعْنِي أَنْ
تَكُونَ الْوَصِيَّةُ الَّتِي يُوصَى بِهَا الْمَيِّتُ يَقْصُدُ بِهَا الْعَدْلَ، وَلَيْسَ عَلَى سَبِيلِ
الْإِضْرَارِ وَالْجَوْرِ وَالْحَيْفِ، كَأَنْ يُرِيدَ حِرْمَانُ بَعْضِ الْوَرَثَةِ، أَوْ إِنْقَاصُ
حِصَّتِهِمْ أَوْ زِيَادَتُهَا عَمَّا قَرَضَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَمَنْ سَعَى فِي ذَلِكَ
كَانَ كَمَنْ يُضَادُّ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ وَشَرْعِهِ.

وَرَوَى أَبُو عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: (الْإِضْرَارُ فِي الْوَصِيَّةِ مِنَ
الْكِبَائِرِ). وَاللَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَا يَنْفَعُكُمْ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِنِيَّاتِ الْمُوصِّينَ
مِنْكُمْ، حَلِيمٌ لَا يُعْجِلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مُخَالَفَةِ أَحْكَامِهِ عَسَى أَنْ تَتُوبُوا إِلَيْهِ.

غَيْرُ مُضَارٍّ - لَا يَقْصُدُ بِهِ إِلَى الْإِضْرَارِ.

كَلَالَةً - مَيِّتٌ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ وَحَوْلَهُ وَرَثَةٌ مِنْ حَوَاشِيهِ.

(جَنَّاتٍ) (الْأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(١٣) - وَهَذِهِ الْأَنْصِبَةُ الَّتِي حَدَّدَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْوَرَثَةِ بِحَسَبِ قُرْبِهِمْ مِنَ
الْمَيِّتِ هِيَ حُدُودُ اللَّهِ، فَلَا تَعْتَدُوا فِيهَا، وَلَا تَتَجَاوَزُوهَا. وَمَنْ يُطِيعِ أَمْرَ
اللَّهِ، وَأَمْرَ رَسُولِهِ، فِيمَا قَرَضَهُ اللَّهُ لِلْوَرَثَةِ، فَلَمْ يُنْقِصْ لِبَعْضِهِمْ، وَلَمْ يَزِدْ
بَعْضُهُمْ بِحِيلَةٍ. أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَنَّةَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدًا فِيهَا،
وَهَذَا هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ.

حُدُودُ اللَّهِ - حُدُودُ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ.

(خَالِدًا)

(١٤) - وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ ﷺ، وَيَتَعَدَّ حُدُودَ شَرْعِ اللَّهِ،
وَيُضِرَّ عَلَى الْعِصْيَانِ، دُونَ اسْتِشْعَارِ خَوْفٍ أَوْ نَدَمٍ، يُدْخِلُهُ اللَّهُ نَارًا،
وَيَبْقَى خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا، وَلَهُ فِيهَا عَذَابٌ مُذِلٌّ مُهِينٌ.

وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ
كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ
الْثُّمْنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ
دَيْنٍ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ
كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُنَّ أَرْبَعٌ
أَوْ أُخْتُ فَلِكُلٍّ وَحِدٌ مِّنْهُمَا
السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا
أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ
شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ
غَيْرِ مُضَارٍّ وَوَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ

﴿١٣﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يُدْخِلْهُ
جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْرُ
الْعَظِيمُ

﴿١٤﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،

وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ، يُدْخِلْهُ
نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ
عَذَابٌ مُّهِينٌ

(الَّتِي) (الْفَاحِشَةُ) (نَسَائِكُمْ) (يَتَوَفَّاهُنَّ)

(١٥) - كَانَ الْحُكْمُ فِي آيَتِهَا الْإِسْلَامِ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا زَنَتْ، وَبَيَّنَتْ زَنَاهَا بِالْبَيِّنَةِ الْعَادِلَةِ، وَهِيَ شَهَادَةُ أَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ مِنَ الرِّجَالِ الْعَدُولِ، حُجِّتْ فِي بَيْتٍ فَلَا تُمْكِنُ مِنَ الْخُرُوجِ حَتَّى تَمُوتَ. وَبَقِيَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ النُّورِ فَسَخَّهَا بِالْجُلْدِ لِلْبَكْرِ، وَبِالرَّجْمِ لِلثَّيِّبِ، وَفَقَّأَ لِمَا جَاءَ فِي السُّنَّةِ، فَكَانَتْ هِيَ السَّبِيلُ الَّتِي يَجْعَلُهَا اللَّهُ لِلْمَرْأَةِ الزَّانِيَةِ فِي قَوْلِهِ (أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا).
الْفَاحِشَةُ - هِيَ الزَّانِيَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَهِيَ لُغَةُ الْفِعْلِ الْقَبِيحِ.

(وَاللَّذَانِ) (يَأْتِيَانَهَا) (فَاذُوهُمَا)

(١٦) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الرَّجُلَيْنِ إِذَا فَعَلَا الْمَوَاطَةَ، وَكَانَ الْحُكْمُ أَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ الْفِعْلُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ أَذَاهُمَا الْمُسْلِمُونَ بِالضَّرْبِ وَالشَّتْمِ وَالتَّغْيِيرِ، وَهَذَا الْعِقَابُ يُنْزَلُ بِهِمَا إِذَا لَمْ يَتُوبَا وَيُصْلِحَا، فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا عَمِلَهُمَا وَغَيْرَا أَحْوَالَهُمَا، بِالإِقْبَالِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ النَّفْسِ مِنْ أَذْرَابِ الْمَعَاصِي الَّتِي فَرَطَتْ مِنْهُمَا، فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْكَفِّ عَنْ إِذْيَاتِهِمَا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، لِأَنَّ اللَّهَ يُتُوبُ عَلَى الْعَبْدِ الثَّائِبِ، وَهُوَ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ.

وَبَقِيَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ حَتَّى نُسَخَّ بِآيَةِ الْجُلْدِ مِنْ سُورَةِ النُّورِ، وَبِالسُّنَّةِ فِي رَجْمِ الْمُحْضَنِ، (وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَعْمَلْ عَمَلٍ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ) (وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ اللَّذَانِ يَرْتَكِبَانِ جَرِيمَةَ الزَّانِي). فإِذَا ثَبَتَ الْفِعْلُ عَلَيْهِمَا، كَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُؤْذُوهُمَا بِالتَّوْبِيخِ وَالتَّائِيْبِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ.

(بِجَهَالَةٍ) (فَأُولَئِكَ)

(١٧) - إِنَّ التَّوْبَةَ الَّتِي أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ قَبُولَهَا بِوَعْدِهِ كَرَمًا مِنْهُ وَتَفَضُّلاً، لَيْسَتْ إِلَّا لِمَنْ يَجْتَرِحُ السَّيِّئَاتِ بِجَهَالَةٍ تَلَايَسُ النَّفْسَ مِنْ ثَوْرَةِ غَضَبٍ، أَوْ تَغْلِبُ شَهْوَةً، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْدَمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، وَيُتُوبُ إِلَى رَبِّهِ، وَيَتُوبُ وَيُقْلِعُ عَنْهَا. فَأُولَئِكَ الَّذِينَ فَعَلُوا الذُّنُوبَ بِجَهَالَةٍ وَتَابُوا بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ، يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ الذُّنُوبَ لَمْ تَتَرَسَّخْ فِي نَفْسِهِمْ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

وَاللَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِضَعْفِ عِبَادِهِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْلُمُونَ مِنْ عَمَلِ السُّوءِ، فَشَرَعَ بِحُكْمَتِهِ قَبُولَ التَّوْبَةِ، فَفَتَحَ لَهُمْ بَابَ الْفَضِيلَةِ، وَهَذَا هُوَ إِلَى مَحْوِ السَّيِّئَةِ.

١٥) وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَدْحَشَةُ مِنْ

نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ
شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي
الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ
أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا

١٦) وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ

فَعَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا
وَأَصْلَحَا فَاعْرِضُوا عَنْهُمَا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا

١٧) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ
يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا

السُّوء - هُوَ الْعَمَلُ الْقَبِيحُ الَّذِي يَسُوءُ فَاعِلُهُ إِذَا كَانَ عَاقِلًا سَوِيَ الْفِطْرَةِ.
الْجَهَالَةُ - الْجَهْلُ وَتَغَلُّبُ السَّفَهَةِ عَلَى النَّفْسِ عِنْدَ ثَوْرَةِ الشَّهْوَةِ أَوْ الْغَضَبِ
حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهَا الْجَلْمُ وَتَنْسَى الْحَقَّ.
يَعْمَلُونَ السُّوءَ - يَفْعَلُونَ مَا يَسُوءُ.

(الآن) (أُولَئِكَ)

(١٨) - أَمَّا الَّذِينَ يَفْعَلُونَ السَّيِّئَاتِ، وَيَسْتَمِرُّونَ فِي فِعْلِهَا وَهُمْ مُصْرُونَ
عَلَيْهَا، وَلَا يَتُوبُونَ حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِمْ، أَيْ حَتَّى يَحْضُرَهُمْ
مَلَكُ الْمَوْتِ، يَقُولُونَ: تَبْنَا الْآنَ، وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ، فَهَؤُلَاءِ
وَهَؤُلَاءِ يَتَوَعَّدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْمُوجِعِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ. (وَجَعَلَ اللَّهُ تَوْبَةَ التَّائِبِ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ غَيْرَ مَقْبُولَةٍ).

(يَا أَيُّهَا) (أَمَنُوا) (اتَّبِعُواهُمْ) (بِفَاحِشَةٍ)

(١٩) - كَانَ النَّاسُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ يَجْعَلُونَ النِّسَاءَ كَالْمَتَاعِ فَإِذَا مَاتَ
الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَائُهُ أَحَقُّ بِأَمْرَاتِهِ بِتَرْجُوْنِهَا بِدُونِ مَهْرٍ وَلَا رِضَا مِنْهَا،
وَكَانَتْهَا شَيْءٌ مِنْ مِيرَاثِ الرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى، فَإِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا، وَإِنْ
شَاءُوا زَوَّجُوهَا، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يَزَوَّجُوهَا، فَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ لِإِبْطَالِ هَذَا التَّعَامُلِ الْجَائِرِ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ بِعَدَمِ الْإِضْرَارِ بِالْمَرْأَةِ، وَبِعَدَمِ
مُضَايَقَتِهَا (عَضْلُهَا) فِي الْعِشْرَةِ لِتَتْرَكَ لِلرَّجُلِ مَا دَفَعَهَا لَهَا مِنْ مَهْرٍ، أَوْ
بَعْضَ حَقُوقِهَا عَلَيْهِ، أَوْ شَيْئًا مِنْ حَقُوقِهَا فِي الْمِيرَاثِ، عَلَى سَبِيلِ الْقَهْرِ
وَالِإِضْرَارِ.

أَمَّا إِذَا زَنَتِ الْمَرْأَةُ فَكَانَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَسْتَرْجِعَ مِنْهَا الصَّدَاقَ الَّذِي دَفَعَهُ
إِلَيْهَا، وَأَنْ يَضَاجِرَهَا حَتَّى تَتْرَكَهُ (أَيْ أَنْ لَهُ عَضْلُهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ). أَمَّا
فِي غَيْرِ حَالَةِ الزُّنَى فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّجَالَ بِمُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ
بِالْمَعْرُوفِ، أَيْ مَعَ طَيِّبِ قَوْلٍ، وَحَسَنِ فِعْلٍ، حَتَّى وَلَوْ كَرِهُوا، فَقَدْ
يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ شَيْئًا وَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا، كَانَ تِلْكَ لَهُ الْمَرْأَةُ وَلَدًا
يَنْبَغُ أَوْ يَسُودُ، أَوْ يَكُونُ ذَا شَأْنٍ أَوْ أَنْ يَنْصَلِحَ حَالُهَا فَتَكُونَ سَبَبًا فِي
سَعَادَتِهِ.

الْعَضْلُ - التَّضْيِيقُ وَالشَّدَّةُ لِلْمُضَارَةِ.

الْفَاحِشَةُ - الْفِعْلَةُ الشَّدِيدَةُ الْقَبِيحِ.

الْمُبِينَةُ - الظَّاهِرَةُ الْفَاضِحَةُ.

كَرَّهَا - مُكَرَّهَاتٍ عَلَيْهِ.

وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ

يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى

إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ

قَالَ إِنِّي تَبْتُ أَكُنْ وَلَا الَّذِينَ

يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ

أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ

كَرَّهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا

بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ

يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ

كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ

فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا

(آتَيْنَهُ) (إِحْدَاهُنَّ) (بُهْتَانًا)

(٢٠) - وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَفَارِقَ امْرَأَتَهُ لِكُرْهِهِ إِيَّاهَا، وَعَدِمَ صَبْرَهُ عَلَى مُعَاشَرَتِهَا، وَأَنْ يَسْتَبْدِلَ غَيْرَهَا بِهَا، وَهِيَ لَمْ تَأْتِ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ، وَكَانَ قَدْ أَعْطَاهَا الْكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ مَقْبُوضًا أَوْ مُلْتَزَمًا، دَفَعَهُ إِلَيْهَا، أَوْ صَارَ ذِينًا فِي ذِمَّتِهِ، فَعَلَى الرَّجُلِ أَنْ لَا يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَيْهَا بِالْكَامِلِ، وَلَوْ كَانَ قِنْطَارًا مِنَ الْمَالِ. ثُمَّ يَنْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الرِّجَالِ الْبَاهِتِينَ الْإِيمِينَ الَّذِينَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا تَطْلِيقَ الزَّوْجَةِ رَمَوْهَا بِالْفَاحِشَةِ حَتَّى تَخَافَ وَتَشْتَرِيَ نَفْسَهَا مِنْهُمْ بِتَرْكِ الْمَهْرِ الَّذِي دَفَعُوهُ.

البُهْتَانُ - الْكَذِبُ الَّذِي يَبْهَتُ الْمَكْذُوبَ عَلَيْهِ وَيُسْكِنُهُ مُتَحِيرًا.
القِنْطَارُ - يُقْصَدُ بِهِ هُنَا الْكَثْرَةُ مِنَ الْمَالِ.

(مِيثَاقًا)

(٢١) - وَيُكْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنْكَارُهُ عَلَى الرِّجَالِ الَّذِينَ يُفَكِّرُونَ بِأَخْذِ شَيْءٍ مِمَّا أَعْطَا النِّسَاءَ مِنْ مَهْرٍ وَصَدَاقٍ يَقُولُونَ: كَيْفَ نَسْتَسِيغُونَ أَخْذَ شَيْءٍ مِمَّا دَفَعْتُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ كُلًّا أَوْ بَعْضًا، بَعْدَ أَنْ تَأَكَّدَتِ الرِّابِطَةُ، بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، بِأَقْدَسِ رِبَاطٍ حَيَوِيٍّ، وَلَا بَسَ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرِ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِالِاتِّصَالِ الْجَسَدِيِّ، حَتَّى صَارَ أَحَدُهُمَا بِمِثَالَةِ الْجُزْءِ الْمُتَمِّمِ لِلْآخَرِ، وَأَخَذَنَ عَلَيْكُمْ عَهْدَ اللَّهِ عَلَى إِمْسَاكِهِنَّ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحِهِنَّ بِإِحْسَانٍ؟! أَفْضَى - وَصَلَ بِالْوَقَاعِ أَوْ الْخُلُوعِ الصَّحِيحَةِ.
مِيثَاقًا غَلِيظًا - عَهْدًا وَثِيقًا.

(أَبَاؤُكُمْ) (فَاحِشَةً)

(٢٢) - كَانَ زَوَاجُ الْأَنْبَاءِ بِزَوَاجَاتِ الْأَبَاءِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ فَاشِيًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْفِعْلَ، وَسَمَّاهُ فَاحِشَةً، وَجَعَلَهُ مَبْغُوضًا أَشَدَّ الْبُغْضِ. وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْأَنْبَاءِ زَوَاجَاتِ الْأَبَاءِ تَكْرِمَةً لَهُمْ وَتَعْظِيمًا. وَتَحْرُمُ امْرَأَةُ الْأَبِ عَلَى الْإِبْنِ بِمُجَرَّدِ الْعَقْدِ عَلَيْهَا، دَخَلَ بِهَا أَمْ لَمْ يَدْخُلْ، وَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَ هَذَا الزَّوَاجِ فَاحِشَةً، لِأَنَّهُ يُؤَدِّي بِالْإِبْنِ إِلَى مَقْتِ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِأَمْرَاتِهِ، وَأَنَّهُ طَرِيقُ سَيِّئٍ لِمَنْ سَلَكَهُ. وَأَسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذَا التَّحْرِيمِ الزَّوَاجِ الَّذِي تَمَّ قَبْلَ نَزُولِ الْآيَةِ (مَا قَدْ

سَلَفَ).

سَلَفَ - مَضَى.

مَقْتًا - مَبْغُوتًا وَمَبْغُوضًا.

سَاءَ سَبِيلًا - قَبِيحَ طَرِيقًا.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ

مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ

إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا

مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ

بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى

بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ

وَأَخَذْتَ مِنْكُمْ

مِيثَاقًا غَلِيظًا

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ

أَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ

فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ

سَبِيلًا

(أُمَّهَاتُكُمْ) (وَأَخَوَاتُكُمْ) (وَعَمَّاتُكُمْ) (وَحَالَاتُكُمْ) (وَأُمَّهَاتُكُمْ)
(اللاتي) (وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ) (وَأُمَّهَاتُ) (نِسَائِكُمْ)
(وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي) (وَحَالَاتُ) (أَبْنَائِكُمْ) (مِنْ أَصْلَابِكُمْ)

(٢٣) - هَذِهِ آيَةُ تَحْرِيمِ الْمَحَارِمِ مِنَ النَّسَبِ وَمِنَ الرِّضَاعِ،
وَالْمَحَارِمِ بِالصُّهْرِ.

فَمِنَ النَّسَبِ - تَحْرُمُ: الْأُمُّ وَالْجَدَّاتُ وَإِنْ عَلَوْنَ، وَبَنَاتُ الْأَصْلَابِ،
وَبَنَاتُ الْأَوْلَادِ وَإِنْ نَزَلْنَ، وَالْأَخْتُ وَالْعَمَّةُ وَالْخَالَهُ، وَبَنَاتُ الْأَخْتِ،
وَبَنَاتُ الْأَخِ وَإِنْ نَزَلْنَ.

وَمِنَ الرِّضَاعِ - تَحْرُمُ: الْأُمُّ وَالْأَخْتُ مِنَ الرِّضَاعِ.

وَمِنَ الصُّهْرِ - تَحْرُمُ أُمُّ الزَّوْجَةِ (وَتَحْرُمُ بِمَحْرَدِ الْعَقْدِ عَلَى ابْنَتِهَا)، وَبِنْتُ
الزَّوْجَةِ (الرَّبِيبَةُ) الْمَذْخُولُ بِهَا، وَزَوْجَةُ الْإِبْنِ، وَجَمْعُ أَخْتِ الزَّوْجَةِ مَعَ
الزَّوْجَةِ، إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ زَوَاجٍ قَبْلَ هَذَا التَّحْرِيمِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ
رَحِيمٌ.

الرَّبِيبَةُ - ابْنَةُ الزَّوْجَةِ مِنْ زَوْجٍ آخَرَ.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ - لَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ وَلَا حَرَجٌ.

(وَالْمُحْصَنَاتُ) (أَيَّمَانُكُمْ) (كِتَابُ) (بِأَمْوَالِكُمْ) (مُسَافِحِينَ)
(فَاتَوْهُنَّ) (تَرَاضِيْتُمْ)

(٢٤) - وَتَحْرُمُ النِّسَاءُ الْأَخْرِيَّاتُ، غَيْرُ الْوَارِدَاتِ فِي التَّحْرِيمِ السَّابِقِ،
الْمُتَزَوِّجَاتُ (أَيُّ الْمُحْصَنَاتِ بِالزَّوْاجِ لِأَنَّهُنَّ يَكُنَّ فِي حِصْنِ أَزْوَاجِهِنَّ
وَحِمَايَتِهِنَّ)، إِلَّا النِّسَاءُ الْمُتَزَوِّجَاتُ اللَّوَاتِي يَقَعْنَ سَبَايَا فِي مُلْكِكُمْ فِي
حَرْبٍ دِينِيَّةٍ تُدْأَفَعُونَ بِهَا عَنْ دِينِكُمْ، وَأَزْوَاجُهُنَّ كُفَّارٌ فِي دَارِ الْكُفْرِ،
فَجَبِئْتُ بِنَحْلٍ عَقْدُ زَوَاجِهِنَّ، وَيَكُنُّ حَلَالًا لَكُمْ بِالشُّرُوطِ الْمَعْرُوفَةِ فِي
كِتَابِ الْفِقْهِ.

وَيَقُولُ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنْ مِنْ سَبْيٍ مَعَهَا زَوْجُهَا فَلَا تَحِلُّ لغيرِهِ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ
أَخْتِلَافِ الدَّارِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، دَارِ الْإِسْلَامِ وَدَارِ الْكُفْرِ.

وَهَذَا التَّحْرِيمُ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَاتَرْتَمُوا بِهِ.

وَمَا عَدَا هَذِهِ الْمُحْرَمَاتِ فَذَلِكَ حَلَالٌ لَكُمْ إِذَا سَعَيْتُمْ إِلَى الْحُصُولِ عَلَيْهِ
بِأَمْوَالِكُمْ لِلزَّوْاجِ، أَوْ لِشِرَاءِ السَّرَايِ، بِالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ، لَا يَقْصِدُ
الرِّبَا وَلَا الْمُخَادَنَةَ. (وَلِذَا قَالَ تَعَالَى مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ أَيْ لَا
تَسْفَحُونَ فِيهِ مَاءَ الْفِطْرَةِ سَفْحًا).

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ

وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ

وَعَمَّتُكُمْ وَخَالَتُكُمْ وَبَنَاتُ

الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ

وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ

وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضْعَةِ

وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ

وَرَبَّائِكُمُ الَّتِي فِي

حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ

الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ

تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلِيلُ

أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ

أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا

بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَفُورًا رَحِيمًا



وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ

النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

وَأَحْلَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ

أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ

غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا

أَسْمَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاتَوْهُنَّ

أُجُورُهُنَّ فَرِيضَةً

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْنَهُ

بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

وَكَمَا تَسْتَمْتِعُونَ بِالنِّسَاءِ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُؤْتُوهُنَّ مَهْرَهُنَّ الْمَفْرُوضَةَ (أُجُورَهُنَّ)، فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ. وَإِنْ كُنْتُمْ قَرَضْتُمْ لِلْمَرْأَةِ مَهْرًا ثُمَّ رَضِيَتْ أَنْ تَضَعَ لَكُمْ مِنْهُ شَيْئًا بَعْدَ الْفَرَضِ، فَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ، كَذَلِكَ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ فِي الزِّيَادَةِ فِي الْمَهْرِ الْمَفْرُوضِ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ، وَهُوَ حَكَمٌ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَقَرَضَهُ عَلَى عِبَادِهِ.

الْمُحْصَنَةُ وَالْمُحْصَنُ - الْعَفِيفَةُ وَالْعَفِيفُ، وَأُحْصِنَتِ الْمَرْأَةُ تَزَوَّجَتْ وَأَصْبَحَتْ فِي حِصْنِ الرَّجُلِ وَحِمَايَتِهِ.

الْمُسَافِحُ - الزَّانِي. وَالْمُسَافِحَةُ - الزَّانِيَةُ.

الِاسْتِمْتَاعُ - التَّمَتُّعُ بِالشَّيْءِ.

الْأُجُورُ - هِيَ فِي الْأَصْلِ مَا يُعْطَى مُقَابِلَ عَمَلٍ وَيُقَصَّدُ بِهَا هُنَا الْمَهْرُ الَّذِي يُخَصَّصُ لِلزَّوْجَةِ.

الْفَرِيضَةُ - الْحِصَّةُ الْمُحَدَّدَةُ الْمَفْرُوضَةُ.

(الْمُحْصَنَاتِ) (الْمُؤْمِنَاتِ) (أَيْمَانُكُمْ) (فَتَيَاتُكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ) (بِأَيْمَانِكُمْ) (وَأَتُوهُنَّ) (مُحْصَنَاتٍ) (مُسَافِحَاتٍ) (مُتَّخِذَاتٍ) (بِفَاحِشَةٍ) (الْمُحْصَنَاتِ)

(٢٥) - وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَالِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْإِنْفَاقِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْحَرَائِرَ الْعَفِيفَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ (الْمُحْصَنَاتِ بِالْحُرِّيَّةِ) فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْإِمَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ، اللَّاتِي يَمْلِكُهُنَّ الْمُؤْمِنُونَ، فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فِي الْإِيمَانِ، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْدُوا بِكَسَاحِ الْإِمَاءِ، عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، عَارًا. وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ رَفَعَ شَأْنَ الْفَتَيَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ، وَسَاوَى بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الْحَرَائِرِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَدَرَجَةِ قُوَّتِهِ وَكَمَالِهِ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ)، عَلَى أَنْ يَتِمَّ الزَّوْاجُ بِإِذْنِ سَيِّدِ الْأَمَّةِ، لِأَنَّهُ وَلِيُّهَا، وَلَا تَزَوَّجُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَعَلَى أَنْ يَدْفَعَ الزَّوْجُ إِلَيْهَا مَهْرًا بِالْمَعْرُوفِ، عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ، وَعَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا، أَسْتِهَانَةً بِهَا، لِكُونِهَا أَمَةً مَمْلُوكَةٌ، عَلَى أَنْ يُخَصِّنَهُنَّ الزَّوْاجُ عَنِ الرِّزْنِ فَلَا يَتَعَاطَيْنَهُ (غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ)، وَعَنِ اتِّخَاذِ أَخْدَانٍ وَأَخْلَاءَ (وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ).

فَإِذَا أُحْصِنَتِ الْإِمَاءُ بِالزَّوْاجِ، ثُمَّ اتَّيَنَ بِفَاحِشَةٍ، كَانَ مَارَسَ الرِّزْنِ، أَوْ اتَّخَذْنَ خَلِيلًا، فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ الْحَرَائِرِ مِنَ الْعُقُوبَةِ،

﴿٢٥﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا

أَنْ يَكْحَلَ الْمُحْصَنَاتِ

الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَنِيَتِكُمْ

الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ

فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ

وَأَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ

وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا

أُحْصِنَ فَإِنَّ آتِينَ بِفَاحِشَةٍ

فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى

الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ

(لأن الأمة ضعيفة عن مقاومة الإغراء) والأئمة متفقون على أنه لا رجم على مملوك في الزنى.

وقد أبيض الزواج بالشروط المتقدمة من الإمام لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنى (خشي العنت)، وشق عليه الصبر. أما إذا استطاع الكف عن التزوج بالإمام، والصبر عن الزنى فهو خير له، لأنه إذا تزوج الأمة وجاءه أولاد منها كانوا أرقاء لسيدها. والله غفور لمن صدرت منه الهفوات، كاختيار الإمام المؤمنين، والطعن فيهن أثناء الحديث، وعدم الصبر على معاشرتهن بالمودّة، وهو تعالى رحيم بعباده إذ بين لهم أحكام شرعه.

الطول - القدرة على تحصيل الرغائب.

الفتيات - يقصد بهن هنا الإمام.

الأخذان - الأصحاب، ويراد بهم هنا العشاق الذين يزنون بهن سراً.

العذاب - العقوبة.

(٢٦) - إن الله يريد أن يبين لكم، أيها المؤمنون، ما أجل لكم، وما حرم عليكم، وأن يهديكم إلى سنن من كانوا قبلكم، وطرائقهم الحميدة، وإلى اتباع شرايعه التي يحبها ويرضاها، ويريد أن يتوب عليكم مما آرتكبتم من الإثم والمحارم، والله عليم بما تعملون، حكيم في شرعه وقدره.

السنن - وأحدثها سنة وهي الشريعة والنهج.

(الشهوات)

(٢٧) - والله يريد بما شرعه لكم من الأحكام أن يبين لكم ما فيه مصالحكم ومنافعكم، وأن تهتدوا وتعملوا صالحاً، وتتبعوا شرعه ليتوب عليكم، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويريد اتباع الشيطان الضالون أن تميلوا عن الحق إلى الباطل ميلاً عظيماً.

(الإنسان)

(٢٨) - ويريد الله تعالى أن يخفف عنكم التكليف في أوامره ونواهيه وشرعه، ولم يجعل عليكم في الدين من حرج، لأن الإنسان ضعيف في نفسه وعزمه وهيمته، لذلك أباح لكم الزواج من الإمام بشروط حددها.

منكم وأن تصبروا خير لكم
والله غفور رحيم

٢٦ يريد الله ليبين لكم

ويهديكم سنن الذين
من قبلكم ويتوب عليكم
والله عليهم حكيم

٢٧ والله يريد أن يتوب عليكم

ويريد الذين يتبعون
الشهوات أن تميلوا ميلاً
عظيماً

٢٨ يريد الله أن يخفف عنكم وحلق

الإنسان ضعيفاً

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (مَوَالِكُمْ) (بِالْبَاطِلِ) (تِجَارَةً)

(٢٩) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ عَنْ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضُهُمْ مَالَ بَعْضٍ بِالْبَاطِلِ ، أَيْ أَنْ يَأْخُذَهُ بِطَرِيقٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ : كَالْقِمَارِ وَالرِّبَا وَالْحِيلِ وَغَيْرِهَا . وَإِنْ ظَهَرَتْ فِي قَالِبِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ ، مِمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ مُتَعَاطِيَهَا إِنَّمَا يُرِيدُ الْحِيلَةَ لِأَكْلِ الرِّبَا . فَاللَّهُ تَعَالَى يُحَرِّمُ عَلَى النَّاسِ تَعَاطِيَ الْأَسْبَابِ الْمُحَرَّمَةِ فِي اكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ ، وَأَسْتَنْتَى مِنَ التَّحْرِيمِ الْمُتَاجَرَةَ الْمَشْرُوعَةَ الَّتِي تَتِمُّ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَ الْبَائِعِ وَالْمُسْتَرِي ، فَسَمَحَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِتَعَاطِيهَا ، وَالتَّسَبُّبِ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ بِهَا . وَيَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ بِارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَأَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ رَحِيمًا بِهِمْ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَنَهَاَهُمْ عَنْهُ ، لِأَنَّ فِيهِ صَلَاحَهُمْ .

وَهَذِهِ الْآيَةُ تَشْمَلُ أَيْضًا مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ قَتْلًا حَقِيقِيًّا وَأَعْدَمَهَا الْحَيَاةَ بِحَدِيدٍ أَوْ بِسُمٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَهُ . وَجَعَلَ اللَّهُ جِنَايَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى غَيْرِهِ جِنَايَةً عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعًا .

أَكَلَ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ - أَخَذَهُ بِطَرِيقٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ .

(عُدْوَانًا)

(٣٠) - وَمَنْ تَعَاطَى مَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مُعْتَدِيًا فِيهِ عَلَى الْحَقِّ ، وَظَالِمًا فِي تَعَاطِيهِ ، وَعَارِفًا بِتَحْرِيمِهِ ، وَمُتَجَاسِرًا عَلَى أَنْتِهَاكِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُعَذِّبُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ .

عُدْوَانًا - مُعْتَدِيًا بِهِ عَلَى مَا شَرَعَهُ اللَّهُ .

نُضْلِيهِ نَارًا - نُدْخِلُهُ فِيهَا وَنُعَذِّبُهُ .

(كِبَائِرُ)

(٣١) - إِذَا اجْتَنَبْتُمْ مُقَارَفَةَ كِبَائِرِ الْإِثَامِ وَالذُّنُوبِ الَّتِي نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهَا ، كَفَرْنَا عَنْكُمْ صَغَائِرَ الذُّنُوبِ ، وَأَدْخَلَكُمُ فِي جَنَّتِهِ ، وَرَحِمَكُم مِمَّا دُفِنْتُمْ بِأَذِلَّةٍ جَهْدَكُمُ فِي الْإِسْقَامَةِ .

وَأَخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي عَدَدِ الْكِبَائِرِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهَا سَبْعٌ : (الشُّرْكُ بِاللَّهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَالسُّحْرُ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِلَاتِ) وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ .

وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ : «الْكِبَائِرُ إِلَى سَبْعِينَ أَقْرَبَ ، إِذْ لَا صَغِيرَةَ مَعَ

يَتَّيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا

تِجَارَةً عَنْ تَرَضٍ مِّنْكُمْ وَلَا

تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

بِكُمْ رَحِيمًا

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا

وظُلْمًا فَسَوْفَ نُضْلِيهِ نَارًا

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرًا

إِنْ جَتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا نُهَوْنَ

عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سِغَاتِكُمْ

وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا

الإِصْرَارِ، وَلَا كِبِيرَةَ مَعَ الْاسْتِغْفَارِ. وَيُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ الذَّنْبَ يُرْتَكَبُ لِعَارِضٍ مِنْ ثَوْرَةِ شَهْوَةٍ، أَوْ غَضَبٍ، وَصَاحِبُهُ يَخَافُ اللَّهَ، وَلَا يَسْتَحِلُّ مَحَارِمَهُ فَهُوَ مِنَ السَّيِّئَاتِ يُكَفِّرُهَا اللَّهُ. وَكُلُّ ذَنْبٍ يُرْتَكَبُ مَعَ التَّهَاقُوتِ بِالْأَمْرِ، وَعَدَمِ الْمُبَالَغَةِ يُعَدُّ كَبِيرًا مَهْمًا صَغُرَ ضَرَرُهُ، إِذَا كَانَ فِيهِ إِصْرَارٌ وَاسْتِهْتَارٌ.

الاجْتِنَابُ - التَّرُكُّ وَالْإِيتِعَادُ.

السَّيِّئَاتُ - صَغَائِرُ الذُّنُوبِ.

مُدْخَلًا كَرِيمًا - مُدْخَلًا حَسَنًا شَرِيفًا (الْجَنَّةَ)

(وَأَسْأَلُوا)

(٣٢) - قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا): يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا نَغْزُو، وَلَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَتِمَّنَى الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَيْتَ لِي مَالٌ فَلَانٍ، وَلَوْ أَنَّ لِي مَالٌ فَلَانٍ. فَإِنَّ اللَّهَ نَهَى عَنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ يَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. وَلِكُلِّ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ جِزَاءٌ عَمَلِهِ بِحَسَبِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الدُّنْيَا فَيُعْطِيهِ مِنْهَا، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ فَيُفْقِرُهُ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْآخِرَةَ فَيَهَيِّئُ لَهُ أَعْمَالَهَا، وَلِذَلِكَ فَضَّلَ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ بِحَسَبِ مَرَاتِبِ اسْتِعْدَادِهِمْ، وَتَفَاوُتِ اجْتِهَادِهِمْ فِي الْحَيَاةِ. التَّمَنَّى - هُوَ تَشَبُّهُ الْأَمْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ.

(مَوَالِي) (الْوَالِدَانِ) (أَيَّمَانُكُمْ) (فَاتَوْهُمْ)

(٣٣) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى بَأَنَّهُ لِكُلِّ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا، وَمِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَهُنَّ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ، مَوَالِي (وَرَثَةً)، لَهُمْ حَقُّ الْوِلَايَةِ عَلَى مَا يَتْرَكُونَ مِنْ كَسْبِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ الْمَوَالِي هُمْ جَمِيعُ الْوَرَثَةِ مِنَ الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ وَالْحَوَاسِي وَالْأَزْوَاجِ، وَالَّذِينَ عَقَدَ الْمُتَوَفَّى مَعَهُمْ عَقْدًا مِنْ مَقْتَضَاهُ أَنْ يَرِثُوهُ إِذَا مَاتَ مِنْ غَيْرِ قَرَابَةٍ، فَأَعْطُوا هَؤُلَاءِ الْمَوَالِي نَصِيبَهُمْ الْمُقَدَّرَ لَهُمْ، وَلَا تُنْقِصُوهُمْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّ اللَّهَ رَقِيبٌ شَاهِدٌ عَلَى تَصَرُّفَاتِكُمْ، فَلَا يَطْمَعُ مَنْ كَانَ الْمَالُ بِيَدِهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ نَصِيبِ أَحَدِ الْوَرَثَةِ شَيْئًا، سِوَاءَ أَكَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا. (وَيُقَالُ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْمَدِينَةِ آخَى الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ)

﴿٣٢﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ

نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا

وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ

وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمًا

﴿٣٣﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا

تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ

وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ

فَاتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدًا

الْأَنْصَارِ، فَكَانَ الْمُتَاحِيَانِ يَتَوَارَثَانِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْمُوَاخَاةِ دُونَ سَائِرِ
الْوَرَثَةِ، ثُمَّ نَسَخَ هَذَا التَّعَامُلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ).

(وَقَدْ عَرَفَ الْمُجْتَمَعُ الْإِسْلَامِيُّ أَنْوَاعاً مِنَ الْعُقُودِ أَفْرَقَتْهَا الشَّرِيعَةُ
الْإِسْلَامِيَّةُ، وَجَعَلَتْ فِيهَا الْإِرْثَ يَذْهَبُ أَحْيَاناً لِغَيْرِ الْأَقْرَبَاءِ، مِنْهَا عَقْدُ
وَلَاءِ الْعِتَى فَكَانَ الْمُتَوَفَّى يَرِثُهُ مَوْلَاهُ إِذَا مَاتَ دُونَ عَصَبَتِهِ. وَعَقْدُ الْمُوَالَاةِ
هُوَ عَقْدُ يُبَيِّحُ لِغَيْرِ الْعَرَبِيِّ أَنْ يَرْتَبِطَ بِعَقْدٍ مَعَ عَرَبِيٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ
مِنْ عَصَبَتِهِ فَيَرِثُهُ إِذَا مَاتَ. وَعَقْدُ الْمُوَاخَاةِ الَّذِي عَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ أَبْطَلَتْ هَذِهِ الْعُقُودُ دُونَ أَنْ تَرْجِعِيَ).

جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ - وَرَثَةً عَصَبَةً يَرِثُونَ مِمَّا تَرَكَ.
الَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ - حَالَفْتُمُوهُمْ وَغَاثَتُمُوهُمْ عَلَى التَّوَارُثِ.

(قَوَامُونَ) (أَمْوَالِهِمْ) (فَالصَّالِحَاتُ) (قَانِتَاتُ) (حَافِظَاتُ)
(وَاللَّاتِي)

(٣٤) - مِنْ شَأْنِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُومَ عَلَى الْمَرْأَةِ بِالْحِمَايَةِ وَالرَّعَايَةِ، وَلِذَلِكَ
فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى الْجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَالْجِهَادُ مِنْ أَخْصِ
شُؤُونِ الْحِمَايَةِ. وَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ فِي الْخَلْقَةِ،
وَأَعْطَاهُمْ مَا لَمْ يُعْطِ النِّسَاءُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، كَمَا فَضَّلَهُمْ بِالْقُدْرَةِ عَلَى
الْإِنْفَاقِ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، فَإِنَّ فِي الْمُهْجُورِ تَعْوِضاً لِلنِّسَاءِ،
وَمُكَافَأَةً لَهُنَّ عَلَى الدُّخُولِ تَحْتَ رِئَاسَةِ الرَّجُلِ، وَقَبُولِ الْقِيَامَةِ
عَلَيْهِنَّ. وَالْقِيَامَةُ تَعْنِي الْإِرْشَادَ وَالْمُرَاقَبَةَ فِي تَنْفِيزِ مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ
النِّسَاءُ، وَمُلاحَظَةَ أَعْمَالِهِنَّ، وَمِنْ ذَلِكَ حِفْظُ الْمَنْزِلِ، وَعَدَمُ مُفَارَقَتِهِ
إِلَّا بِإِذْنٍ، وَالْأَنْصَرَافُ إِلَى وَظَيفَتِهِنَّ الْفِطْرِيَّةِ مِنْ حَمَلٍ وَرَضَاعٍ وَتَرْبِيَةٍ.
وَالنِّسَاءُ الصَّالِحَاتُ مُطِيعَاتُ لِأَزْوَاجِهِنَّ، حَافِظَاتُ لِمَا يَجْرِي بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ
أَزْوَاجِهِنَّ فِي خُلُوتَاتِهِنَّ، لَا يُطْلَعْنَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَيَحْفَظْنَ أَنْفُسَهُنَّ مِنْ
أَيْدِي الْعَاطِبِينَ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ يَحْفَظْنَ أَمْوَالَ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الضَّبَاعِ، وَهَذَا
الصَّنْفُ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ سُلْطَانُ التَّأْدِيبِ. أَمَّا اللَّوَاتِي
تَخْشَوْنَ مِنْهُنَّ أَنْ لَا يَقُمْنَ بِحَقِّ الزَّوْجِيَّةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَرْضَوْنَ،
فَعَلَى الرِّجَالِ مُعَامَلَتُهُنَّ، مُبْتَدِئِينَ بِالْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ، وَالتَّذْكِيرِ
بَوَاجِبَاتِهِنَّ، فَقَدْ يَكْفِي ذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يُجِدْ ذَلِكَ، فَجَرَّبُوا الْهَجْرَ فِي
الْمَضْجَعِ، وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُنَّ، فَقَدْ يَفِيدُهُنَّ ذَلِكَ فَيَفِشْنَ إِلَى الصَّوَابِ.

﴿٣٤﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ

بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى

بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ

أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ لِحَاتُ

قَلْبِنَا حَفِظْتَ لِلْغَيْبِ

بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِي تَخَافُونَ

نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ بِ

وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ

وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ

فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ

اللَّهُ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً

وَإِذَا لَمْ يُجِدْ ذَلِكَ فَجَرَّبُوا الضَّرْبَ غَيْرَ الْمُبْرَحِ وَغَيْرَ الْمُؤْذِي، وَهَذَا لَا يُلْجَأُ إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا يَتَسَّرُ الرَّجُلُ مِنْ رُجُوعِ الْمَرْأَةِ عَنْ نُشُوزِهَا إِلَّا بِهِ.

وَإِذَا أَطَاعَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِيمَا يُرِيدُهُ مِنْهَا، مِمَّا أَبَاحَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْهَا، فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهَا، وَلَيْسَ لَهُ ضَرْبُهَا، وَلَا هُجْرَانُهَا، وَلَا إِسَاءَةٌ مُعَامَلَتِهَا.

وَيَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى الرَّجَالَ إِذَا بَغَوْا عَلَى النِّسَاءِ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَيُعَلِّمُهُمْ بِأَنَّهُ وَلِيُّهُنَّ، وَأَنَّهُ سَيَنْتَقِمُ مِنْ يَبْغِي عَلَيْهِنَّ.

قَوَامُونَ - قِيَامُ الْوَلَاةِ الْمُصْلِحِينَ عَلَى الرَّعِيَّةِ.

قَانِتَاتٌ - مُطِيعَاتٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ.

حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ - صَائِنَاتٌ لِلْعَرَضِ وَالْمَالِ فِي الْغَيْبَةِ.

بِمَا حَفِظَ اللَّهُ - لَهُنَّ مِنْ حُقُوقِهِنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ.

النُّشُوزُ - عَدَمُ الْمُطَاوَعَةِ.

(إِصْلَاحًا)

(٣٥) - إِذَا وَقَعَ الشَّقَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، أَسْكَنَ الْقَاضِي الزَّوْجَةَ إِلَى جَنْبِ ثِقَةٍ يَنْظُرُ فِي أَمْرِهَا، وَيَمْنَعُ مِنْهُمَا الظَّالِمَ مَنْ ظَلَمَهُ، فَإِنْ تَفَاقَمَتِ الْخُصُومَةُ بَيْنَهُمَا، وَصَارَتْ تَهْدُدُ بِالْإِنْفِصَالِ، بَعَثَ الْقَاضِي ثِقَةً مِنْ أَهْلِ الزَّوْجَةِ وَثِقَةً مِنْ أَهْلِ الزَّوْجِ، لِيَجْتَمِعَا وَيَنْظُرَا فِي أَمْرِهِمَا، وَيَفْعَلَا مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ مِمَّا يَرِيَانِهِ مِنَ التَّفْرِيقِ أَوْ التَّوْفِيقِ، وَالشَّارِعُ أَمِيلٌ إِلَى التَّوْفِيقِ، لِذَلِكَ قَالَ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوقِفُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا، فَهَذِهِ الْأَحْكَامُ إِنَّمَا شَرَعَهَا اللَّهُ الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِ الْعِبَادِ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَالْخَيْرُ بِمَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ وَيَأْسَبِإِهِ.

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (وَالْيَتَامَى) (وَالْمَسَاكِينِ) (أَيْمَانُكُمْ)

(٣٦) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَبِعَدَمِ الْإِشْرَاقِ بِهِ، وَبِالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ بِهِ، ثُمَّ أَوْصَاهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، فَقَدْ جَعَلَهُمَا اللَّهُ سَبَبًا لَخُرُوجِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْعَدَمِ. ثُمَّ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى ذَوِي الْقُرْبَى، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى الَّذِينَ فَقَدُوا آبَاءَهُمْ، وَمَنْ يَتَّقُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَسَاكِينِ (وَهُمُ الْمُحْتَاجُونَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَنْ يَقُومُ بِكَفَايَتِهِمْ)، فَأَمَرَ اللَّهُ بِمُسَاعَدَتِهِمْ بِمَا تَنَبَّأَ بِهِ كِفَايَتُهُمْ. ثُمَّ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ الْجُنُبِ، وَهُوَ الْجَارُ الَّذِي لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ، كَمَا أَمَرَ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى الصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ، وَهُوَ

﴿٣٥﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ

وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا

إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ

اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا



﴿٣٦﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ

وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ

الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ

وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ

الرَّفِيقُ الصَّالِحُ فِي الْجَلِّ وَالسَّفَرِ، وَابْنُ السَّبِيلِ وَهُوَ الضَّيْفُ عَابِرُ السَّبِيلِ
مَارًّا بِكَ فِي سَفَرٍ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ. كَمَا أَمَرَ اللَّهُ النَّاسَ بِالْإِحْسَانِ
إِلَى الْأَرْقَاءِ الَّذِينَ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ.

ثُمَّ أَصَافَ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ، أَنَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فِي نَفْسِهِ،
مُعْجَبًا مُتَكَبِّرًا فَخُورًا عَلَى النَّاسِ، يَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ، فَهُوَ فِي
نَفْسِهِ كَبِيرٌ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَقِيرٌ.

الْجَارُ الْجَنُبُ - الْبَعِيدُ سَكَنًا أَوْ نَسَبًا.

الصَّاحِبُ بِالْجَنُبِ - الرَّفِيقُ فِي أَمْرِ حَسَنٍ.

مُخْتَلًا - مُتَكَبِّرًا مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ.

فَخُورًا - كَثِيرَ التَّطَاوُلِ وَالتَّعَاطُفِ بِالنَّمَانِ.

(آثَاهُمْ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٣٧) - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُخْتَالِينَ
الْفَخُورِينَ، وَهَذَا يَصِفُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُخْتَالِينَ الْفَخُورِينَ فَقُولُ: إِنَّهُمْ
هُمْ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ بِأَمْوَالِهِمْ أَنْ يَنْفَقُوهَا فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، مِنْ بَرٍّ
الْوَالِدِينَ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَالْجَارِ وَابْنِ
السَّبِيلِ، وَمَا مَلَكَتِ الْأَيْمَانُ مِنَ الْأَرْقَاءِ، وَلَا يُؤَدُّونَ حَقَّ اللَّهِ، وَلَا
يَكْتَفُونَ بِالْتَّكْبِيرِ وَالْبُخْلِ، وَإِنَّمَا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ أَيْضًا.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِيَّاكُمْ وَالشُّعْ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ
بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَّعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَقَجَّرُوا).

وَالْبُخِيلُ جَحُودٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ فَلَا تَظْهَرُ عَلَيْهِ، وَلَا تَبِينُ فِي مَأْكَلِهِ، وَلَا فِي
مَلْبَسِهِ، فَهُوَ كَاتِمٌ لِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، كَافِرٌ بِنِعْمَتِهِ، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ
لِلْكَافِرِينَ بِنِعْمِهِ عَذَابًا مُهِينًا.

(وَيَشْمَلُ الْبُخْلُ الْمَقْصُودُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْبُخْلَ بِلَيْنِ الْكَلَامِ، وَالنُّصْحَ
فِي التَّعْلِيمِ، وَإِنْقَاضَ الْمُسْرِفِ عَلَى التَّهْلُكَةِ).

(أَمْوَالُهُمْ) (الشَّيْطَانُ)

(٣٨) - لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْبُخْلَاءَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَهَذَا يَذْكُرُ تَعَالَى
الْبَاذِلِينَ الْمُرَاتِينَ، الَّذِينَ يَقْصُدُونَ بِإِعْطَائِهِمْ أَنْ يُذَكِّرُوا بِحَسَنِ السَّمْعَةِ،
وَأَنْ يُمْدَحُوا بِالْكَرَمِ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يُرِيدُونَ
مِنْ إِنْصَافِهِمْ وَجْهَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمُ الشَّيْطَانُ عَلَى صَبِيهِمْ الْقَبِيحِ.

أَيَمَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا

﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ

النَّاسَ بِالْبُخْلِ

وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا

لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا

﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

رِشَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنْ

الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا

هَذَا، وَحَسَنَ لَهُمُ الْقَبَائِحُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا، أَيُّ سَاءَ الشَّيْطَانُ رَفِيقًا لَهُؤُلَاءِ الْمُرَائِينَ.
رِثَاءَ النَّاسِ - مُرَاءَاةٌ لَهُمْ وَسُمْعَةٌ لَا لَوَجْهَ لِلَّهِ.

(آمَنُوا) (الْآخِر)

(٣٩) - تَبَّأْ لَهُؤُلَاءِ! فَمَا الَّذِي كَانَ يُصِيبُهُمْ مِنَ الضَّرَرِ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ إِيْمَانًا صَاحِحًا مُخْلِصًا، وَسَلَكُوا سَبِيلَ الْهُدَى، وَعَدَلُوا عَنِ الرِّيَاءِ وَالنَّفَاقِ إِلَى الْإِخْلَاصِ فِي الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّهُمْ مُلَاقُونَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لِيُوفِّيَهُمْ حِسَابَهُمْ، ثُمَّ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يُحِبُّهَا وَبَرَصَاهَا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِنِيَّاتِهِمْ، مَا صَلَحَ مِنْهَا وَمَا فَسَدَ، وَعَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ التَّوْفِيقَ مِنْهُمْ فَيُوفِّقُهُ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكْتَفِيَ بِعِلْمِ اللَّهِ فِي إِنْفَاقِهِ، وَلَا يُيَالِي بِعِلْمِ النَّاسِ.

(بِضَاعِهَا)

(٤٠) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ سَوْفَ يُوفِّيهِمْ أَجُورَ أَعْمَالِهِمْ كَامِلَةً، وَلَا يَظْلُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ مِثْقَالَ (أَيُّ ثَقُلَ) حَبَّةٍ خَرْدَلٍ، وَلَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِنَّمَا يُوفِّي كُلَّ عَامِلٍ عَمَلَهُ، وَبِضَاعُفَ الْحَسَنَاتِ لِفَاعِلِهَا، وَيزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ الْجَنَّةَ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ.
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ - وَزَنَ النَّمْلَةِ الصَّغِيرَةِ.

(٤١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَّةِ أَمْرِهِ، فَإِذَا كَانَ لَا يَضِيعُ مِنْ عَمَلِ الْعَامِلِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَكَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ وَالْحَالُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ، وَيَجِيءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ عَلَيْهَا (هُوَ نَبِيُّهَا)، وَيَأْتِي بِمُحَمَّدٍ شَهِيدًا عَلَى قَوْمِهِ (هُؤُلَاءِ)؟ وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ هِيَ عَرَضُ أَعْمَالِ الْأَمَمِ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَمُقَابَلَةُ عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ بِعَقَائِدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، فَمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ أَنَّهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، وَمَا أَمَرَ النَّاسَ بِالْعَمَلِ بِهِ فَهُوَ نَاجٍ، وَمَنْ تَبَرَّأَ مِنْهُ الْأَنْبِيَاءُ فَهُوَ مِنَ الْآخَسِرِينَ.

(يَوْمَئِذٍ)

(٤٢) - فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَمَنَّى الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَعَصَوْا رَسُولَهُ، لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ انْشَقَّتْ وَابْتَلَعَتْهُمْ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، وَمِمَّا يَحُلُّ بِهِمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالْفُضِيحَةِ وَالتَّوْبِيخِ. فَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَجْمَعُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ فِي بَقِيعٍ وَاحِدٍ، فَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا إِلَّا

﴿٣٩﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ
اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا

﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
وَإِنْ تَكْ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا
وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا

﴿٤١﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
بِشَهِيدٍ وَجَّئْنَاكَ عَلَى
هَؤُلَاءِ شَهِيدًا

﴿٤٢﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَعَصَوْا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ
الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا

مِنْ وَحْدِهِ، فَتَعَالَوْا نَجْعِدْ. فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ. فَيَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَيَسْتَنْطِقُ جَوَارِحَهُمْ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، فَعِنْدَئِذٍ يَتَمَتَّنُونَ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ سُوِّيَتْ بِهِمْ، وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا.

لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ - لَوْ كَانُوا وَالْأَرْضُ سَوَاءً فَلَا يَتَّبِعُونَ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الصَّلَاةَ) (سُكَارَى) (الغَائِطِ) (لَا مَسْتُمْ)

(٤٣) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي حَالِ السُّكْرِ، الَّذِي لَا يَدْرِي مَعَهُ الْمُصَلِّي مَا يَقُولُ وَمَا يَفْعَلُ وَمَا يَقْرَأُ (وَكَانَ هَذَا قَبْلَ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ).

وَيَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى مَنْ كَانَ جُنُبًا عَنْ دُخُولِ الْمَسَاجِدِ (إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُحْتَازًا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ مِنْ غَيْرِ مَكْتَبٍ). وَكَانَتْ بَيُوتُ الْأَنْصَارِ أَبْوَابُهَا مِنْ دَاخِلِ الْمَسْجِدِ، فَكَانَتْ تُصَيِّهُمُ الْجَنَابَةُ وَلَا مَاءَ عِنْدَهُمْ، فَيَرِدُونَ الْمَاءَ وَلَا يَجِدُونَ مَرًّا إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ (وَيَسْتَمِرُّ تَحْرِيمُ الْمَكْتَبِ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ حَتَّى يَغْتَسِلَا أَوْ يَتَيَمَّمَا).

وَإِذَا كُنْتُمْ مَرْضَى مَرَضًا تُخَافُ زِيَادَتَهُ بِاسْتِعْمَالِ الْمَاءِ، أَوْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَاحْدَتُكُمْ حَدًّا أَصْفَرَ (جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) أَوْ وَقَعْتُمُ النِّسَاءَ (لَا مَسْتُمْ النِّسَاءَ)، وَلَمْ تَجِدُوا مَاءً لَتَغْتَسِلُوا أَوْ لَتَتَوَضَّؤُوا فَيَتَيَمَّمُوا التُّرَابَ الطَّاهِرَ الْحَلَالَ (الطَّيِّبَ)، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ لِيَقُومَ ذَلِكَ مَقَامَ الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ، وَمِنْ عَفْوِهِ تَعَالَى عَنْكُمْ، وَمِنْ غُفْرَانِهِ لَكُمْ، أَنْ سَرَعَ لَكُمْ التَّيَمُّمُ، وَأَبَاحَ لَكُمْ الصَّلَاةَ إِذَا فَقَدْتُمُ الْمَاءَ، تَوْسِيعَةً عَلَيْكُمْ وَرُخْصَةً لَكُمْ. وَيَكُونُ التَّيَمُّمُ بِضَرْبَتَيْنِ بِالْيَدَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ، ضَرْبَةً يَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ، وَضَرْبَةً يَمْسَحُ بِهَا يَدَيْهِ.

الصَّعِيدُ - مَا صَعَدَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَدَخَلَ فِيهِ التُّرَابُ وَالرَّمْلُ وَالْحَصَى...

عَابِرِي سَبِيلٍ - مُسَافِرِينَ فَقَدُوا الْمَاءَ فَيَتَيَمَّمُوا.

الغَائِطُ - مَكَانَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ.

لَا مَسْتُمْ النِّسَاءَ - وَقَعْتُمُوهُنَّ أَوْ لَا مَسْتُمْ بَشَرَتَهُنَّ.

(الْكِتَابِ) (الصَّلَاةَ)

(٤٤) - لَا تَعْجَبْ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُعْطُوا حَقًّا مِنَ الْكِتَابِ السَّابِقَةِ كَيْفَ حَرَّمُوا هَذِهِتَاهَا، وَاسْتَبَدَّلُوا بِهَا ضِدَّهَا، فَهُمْ يَخْتَارُونَ

٤٣ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا

الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى

تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا

عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ

كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تَجِدُوا

النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا

بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا

٤٤ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ

الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ

وَيُرِيدُونَ أَنْ تَتَّخِذُوا السَّبِيلَ

الصَّلَاةَ لِأَنفُسِهِمْ، وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا بِهَا طَرِيقَ الْحَقِّ الْقَوِيمِ، كَمَا ضَلُّوا هُمْ، وَهُمْ دَائِبُو الْكَيْدِ لِيُرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُوا.

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَحْفَظُوا كِتَابَهُمْ كُلَّهُ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَظْهِرُوهُ زَمَنَ التَّنْزِيلِ، كَمَا حَفِظَ الْمُسْلِمُونَ قُرْآنَهُمْ، وَلَمْ يَكْتُبُوا مِنْهُ نُسْخًا مُتَعَدِّدَةً فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ حَتَّى إِذَا فَقِذَ بَعْضُهَا قَامَ مَقَامَهَا بَعْضُ آخَرٍ)

(بِأَعْدَائِكُمْ)

(٤٥) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ أَعْدَاؤُكُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِهِمْ، وَهُوَ يُحَذِّرُكُمْ مِنْهُمْ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا لِمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، وَكَفَى بِهِ نَصِيرًا لِمَنْ أَسْتَنْصَرَهُ.

(وَرَاعِنَا)

(٤٦) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ أَعْرَفُ مِنْهُمْ بِأَعْدَائِهِمُ الْيَهُودَ (الَّذِينَ هَادُوا)، وَإِنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ بِمِيلُونِ الْكَلَامِ عَنْ مَعْنَاهُ، وَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ) وَيُرِيدُونَ بِهِ غَيْرَ الْمَقْصُودِ بِهِ، وَهُمْ إِنَّمَا يَقْعَلُونَ ذَلِكَ عَنْ قَصْدٍ مِنْهُمْ، أَفْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، وَرَغْبَةً فِي إِسْدَاءِ النَّبِيِّ ﷺ. وَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا مَا قُلْتَ يَا مُحَمَّدُ، وَنَحْنُ لَا نَطِيعُكَ فِيهِ. وَهَذَا أُبْلَغُ فِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ لِأَنَّهُمْ مُتَوَلُّونَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، بَعْدَمَا عَقَلُوهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ عِنْدَ اللَّهِ. وَيَقُولُونَ: أَسْمَعُ مَا نَقُولُ لَكَ لَا سَمِعْتُ (أَيْ لَا أَسْمَعُكَ اللَّهُ دُعَاءً)، وَهُمْ يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ الدُّعَاءَ عَلَى النَّبِيِّ، مَعَ أَنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ إِيْهَامَ مَنْ حَوْلَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الدُّعَاءَ لَهُ. مَعَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ جِنْمًا كَانُوا يَقُولُونَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ إِنَّمَا كَانُوا يَقْصِدُونَ بِهَا الدُّعَاءَ (لَا أَسْمَعُكَ اللَّهُ مَكْرُوهًا).

وَكَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (رَاعِنَا)، وَهُمْ يُوهِمُونَ مَنْ حَوْلَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ (أُرْعِنَا سَمْعَكَ)، أَيْ أَنْتَبِهْ لِمَا نَقُولُ لَكَ. وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَلَوْنُ أَلْسِنَتَهُمْ فَيَبْدُو وَكَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ سَبَّ النَّبِيِّ وَوَصْفَهُ بِالرُّعُونَةِ (وَرَاعِنُو بِالْعِبْرِيَّةِ تَعْنِي الشَّرِيرَ) وَهُمْ إِنَّمَا يَقْعَلُونَ ذَلِكَ آسِهْرَاءَ بِالَّذِينَ الَّذِي يُبْلَغُهُ النَّبِيُّ عَنْ رَبِّهِ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِلنَّبِيِّ: سَمِعْنَا وَاطْعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَفْضَلَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَعَنَهُمْ وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ

﴿٤٥﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ

وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا

﴿٤٦﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ

الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ

سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ

مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ

وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا

سَمِعْنَا وَاطْعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ

لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ

إِلَّا قَلِيلًا

يَسَبِّبُ كُفْرَهُمْ، وَصَرَفَهُمْ عَنِ الْخَيْرِ وَالْهُدَى، فَلَا يُؤْمِنُونَ إِيمَانًا نَافِعًا لَهُمْ.

(وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى الْمَقْطَعِ الْآخِرِ: إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ إِلَّا قَلِيلُونَ).

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ - يُغَيِّرُونَهُ أَوْ يَتَأَوَّلُونَهُ بِالْبَاطِلِ .

أَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمَعٍ - قَصَدَ بِهِ الْيَهُودُ الدُّعَاءَ عَلَى النَّبِيِّ .

رَاعِنًا - قَصَدُوا بِهَا الْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ .

لَيَّا بِالسِّيْتِهِمْ - مِيلًا بِالسِّيْتِهِمْ إِلَى جَانِبِ السُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ .

(يَا أَيُّهَا) (الْكِتَابَ) (آمِنُوا) (أَصْحَابَ)

(٤٧) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، بِالْإِيمَانِ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، الَّذِي فِيهِ تَصْدِيقُ الْأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ فِي كُتُبِهِمْ، مِنْ تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ، وَالْإِتِّعَادِ عَنِ الشِّرْكِ، وَمِنْ النَّبَشِيرِ بِمُحَمَّدٍ وَشَرِيعَتِهِ، وَيَتَهَدَّدُهُمْ، إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، بِأَنْ اللَّهَ قَدْ يَعَاقِبُهُمْ بِطَمَسٍ وَجُوهِهِمْ، فَلَا يَبْقَى لَهُمْ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا أَنْفٌ، وَيَجْعَلُ وَجُوهَهُمْ إِلَى جِهَةِ ظُهُورِهِمْ، فَيَمْشُونَ الْقَهْقَرَى إِلَى الْوَرَاءِ، أَوْ يَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَ الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ، بِالْإِخْتِيَالِ فِي صَيْدِ الْأَسْمَاكِ، وَقَدْ مَسَخَهُمُ اللَّهُ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ.

وَأَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى مَفْعُولٌ لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ، وَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ فَاتَّخَذُوهُ.

نَطَمَسَ وَجُوهَهَا - نَمَحَوْهَا أَوْ نَتَرَكْنَاهُمْ فِي الضَّلَالَةِ.

(٤٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِأَنَّهُ لَا يَغْفِرُ لِعَبْدٍ جَاءَ اللَّهُ مُشْرِكًا بِعِبَادَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ مَا دُونَ الشِّرْكِ مِنَ الذُّنُوبِ، لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ آذَنَكَ ذَنْبًا عَظِيمًا، لَا يَسْتَحِقُّ مَعَهُ الْغُفْرَانَ. وَالشِّرْكَ ضَرْبَانِ:

- شِرْكٌ فِي الْأُلُوهِيَّةِ - وَهُوَ الشُّعُورُ بِسُلْطَةِ وَرَاءَ الْأَسْبَابِ وَالسَّنَنِ الْكَوْنِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ.

- شِرْكٌ فِي الرَّبُوبِيَّةِ - وَهُوَ الْأَخْذُ بِشَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ عَنْ بَعْضِ الْبَشَرِ دُونَ الْوَحْيِ.

(٤٩) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حِينَ قَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ

﴿٤٧﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا

مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ

وُجُوهًا فَتَرُدُّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا

أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ

السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

﴿٤٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يُشْرِكْ بِهِ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى

إِثْمًا عَظِيمًا

﴿٤٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ

بَلِ اللَّهُ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا

يُظْلَمُونَ فَتِيلًا

وَأَجِبَاؤُهُ، وَحِينَ قَالُوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى.
(وَقِيلَ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي دَمٍ مَدَحِ النَّفْسِ، وَتَرْكِكَ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِصُورَةٍ
عَامَّةٍ).

فَقَالَ تَعَالَى: أَلَا تَعَجَبُ، يَا مُحَمَّدُ، مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ نُسِبُوا لَهُمْ
سُوءَ عَمَلِهِمْ، فَيَرَوْنَهُ حَسَنًا، وَيُسْتَوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مُزَكِّينَ إِيَّاهَا، فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى هُوَ الْمَرْجِعُ فِي تَقْدِيرِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، لِأَنَّهُ الْعَالِمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ
وَعَوَامِضِهَا، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَكْتُمُهُ النَّاسُ وَمَا يُعْلِنُونَهُ، وَهُوَ لَا يَتْرُكُ لِأَحَدٍ
شَيْئًا مِنَ الْعَمَلِ، وَلَوْ كَانَ بِمِقْدَارِ الْقَيْلِ فِي شِقِّ نَوَاةِ الثَّمَرَةِ، إِلَّا
وَيَحْتَسِبُهُ لَهُ.

الْقَيْلُ - الْخَيْطُ الرَّفِيعُ فِي شِقِّ نَوَاةِ الثَّمَرَةِ.
يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ - يَمْدَحُونَهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الذُّنُوبِ.

(٥٠) - أَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ، فِي تَرْكِكَ
أَنْفُسَهُمْ، وَأَدْعَائِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَأَنَّهُمْ لَنْ تَمَسَّهُمُ النَّارُ إِلَّا
أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، وَكَفَى بِهَذَا الَّذِي يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ كَذِبًا ظَاهِرًا.

(الْكِتَابِ) (وَالطَّاغُوتِ) (أَمَنُوا)

(٥١) - جَاءَ بَعْضُ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ إِلَى قُرَيْشٍ فَسَأَلْتَهُمْ قُرَيْشُ: أَهُمْ، وَمَا
هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، خَيْرٌ أَمْ مُحَمَّدٌ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ
الْإِيمَانِ بِاللَّهِ؟ فَقَالَ الْيَهُودُ: بَلْ قُرَيْشُ أَهْدَى سَبِيلًا. فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
هَذِهِ الْآيَةَ، يَعْيبُ فِيهَا عَلَى الْيَهُودِ قَوْلَهُمْ هَذَا، وَتَفْضِيلَهُمُ الْكُفْرَ، وَعِبَادَةَ
الْأَصْنَامِ، عَلَى هُدَى اللَّهِ، وَدِينِهِ الْحَقِّ.

الْجِبْتُ - أَصْلُهُ الْجِنْسُ - وَهُوَ الرَّدِيُّ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ أَوْ السَّحَرُ
وَالْأَصْنَامُ وَالْكَهَّانُ وَالْخُرَافَاتُ.

الطَّاغُوتُ - مَا تَكُونُ عِبَادَتُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ سَبَبًا لِلطُّغْيَانِ وَالْخُرُوجِ مِنْ
الْحَقِّ، مِنْ مَخْلُوقٍ يُعْبَدُ، أَوْ رَئِيسٍ يُقْلَدُ، أَوْ هَوًى يُتَّبَعُ.
وَقِيلَ إِنَّهُ الشَّيْطَانُ.

(أُولَئِكَ)

(٥٢) - وَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحَدَهُ، إِرْضَاءً
لِلْكَافِرِينَ، وَاسْتِصَارًا بِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ. وَمَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَطَرَدَهُ

٥٠ أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا

٥١ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ
بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا

٥٢ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ
يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا

مِنْ رَحْمَتِهِ، فَلَا تَاصِرَ لَهُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا وَلِيٌّ لَهُ يُصْرِهُ مِنَ الدُّلِّ وَالْعَذَابِ.

(٥٣) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ، بَعْدَ أَنْ فَقَدُوهُ بِكُفْرِهِمْ، وَظُلْمِهِمْ، وَطُغْيَانِهِمْ، وَإِيمَانِهِمْ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاعُوتِ، ثُمَّ يَصِفُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْخُلِّ وَالْأَثَرَةِ، وَيَقُولُ: لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا لَهُمُ الْمُلْكُ، وَحَقُّ التَّصَرُّفِ، لَمَّا أَعْطَا النَّاسَ شَيْئًا، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْفَدَ مَا لَدَيْهِمْ، وَلَحَصَرُوا مَنَافِعَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ. النَّقِيرُ - نُقْطَةٌ صَغِيرَةٌ فِي نَوَاحِ التَّمْرِ.

(آتَاهُمْ) (آتَيْنَا) (آلَ) (إِبْرَاهِيمَ) (الْكِتَابَ) (وَأَتَيْنَاهُمْ)

(٥٤) - إِنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصِيقَ فَضْلُ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، وَلَا يُجِبُونَ أَنْ يَكُونَ لَأُمَّةٍ فَضْلٌ أَكْثَرُ مِمَّا لَهُمْ أَوْ مِثْلُهُمْ، لِمَا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْغُرُورِ بِنَسَبِهِمْ، وَتَقَالِيدِهِمْ، مَعَ سُوءِ حَالِهِمْ. وَإِنَّ حَسَدَهُمْ لِلرَّسُولِ ﷺ، عَلَى مَا رَزَقَهُ اللَّهُ مِنَ النُّبُوَّةِ الْعَظِيمَةِ، هُوَ الَّذِي مَنَعَهُمْ مِنَ التَّصَدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، لِأَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ، وَلَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَأَنْ يَحْسُدُوا مُحَمَّدًا عَلَى مَا أُوتِيَ، فَقَدْ أَخْطَوْا إِذْ أَنْ مَا آتَى اللَّهُ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِدَعَاٍ مِنَ اللَّهِ، فَقَدْ آتَى اللَّهُ مِثْلَ هَذَا آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَالْعَرَبِ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ، فَلِمَاذَا يَعْجَبُونَ بِمَا آتَى اللَّهُ مُحَمَّدًا، وَلَمْ يَعْجَبُوا بِمَا آتَى آلَ إِبْرَاهِيمَ؟

(آمَنَ)

(٥٥) - وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنَ قَرِيقٌ، مِنْ أَقْوَامِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ، وَكَفَرَ قَرِيقٌ وَسَعَى فِي الْأَرْضِ يُفْسِدُ فِيهَا، وَيَصُدُّ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَكَفَى بِالنَّارِ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ كُتُبَ اللَّهِ وَرُسُلَهُ.

(بَيَّاتِنَا) (بَدَّلْنَاهُمْ)

(٥٦) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى: بِأَنَّهُ سَيُعَاقِبُ الْكَافِرِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، بِإِحْرَاقِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَكَلَّمَا اخْتَرَقَتْ جُلُودُهُمْ أَبَدَلَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَسْتَمِرُّوا فِي تَحَسُّسِ الْعَذَابِ وَالْإِمَةِ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ لَا يَتَّخِذُهُ أَحَدٌ حَكِيمٌ فِي تَصَرُّفِهِ، يَعْرِفُ مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلْعُقُوبَةِ فَيُعَاقِبُهُ، وَمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلثَّوَابِ فَيُثِيبُهُ.

٥٣ أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا

٥٤ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا

٥٥ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَعَنَّهُ وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا

٥٦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا

نُضْلِبُهُمْ نَارًا - نُدْخِلُهُمْ نَارًا هَائِلَةً نُشَوِّبُهُمْ فِيهَا.
نُضِجَتْ - احْتَرَقَتْ وَتَهَرَّتْ وَتَلَأَشَتْ.

(أَمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ) (أَزْوَاجٍ)

(٥٧) - وَالَّذِينَ صَدَقُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُثَبِّتُهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمْ الصَّالِحِ، بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ الَّتِي تَجْرِي فِي أَرْضِهَا الْأَنْهَارُ، وَيَتَّقُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ، مِنَ الْحَيْضِ وَالذَّنْسِ وَالْأَذَى، وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَالصِّفَاتِ النَّاقِصَةِ، وَيُدْخِلُهُمْ فِي ظِلٍّ وَارِفٍ كَثِيفٍ لَا حَرَّ فِيهِ وَلَا قَرٌّ.
ظَلِيلًا - دَائِمًا لَا حَرَّ فِيهِ وَلَا قَرٌّ.

(الْأَمَانَاتِ)

(٥٨) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِإِدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا. وَأَدَاءُ الْأَمَانَاتِ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ: مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ...) وَمِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ (كَالْوَدَائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْتَمَنُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ بِيَدِ أَصْحَابِهَا وَثَائِقَ وَبَيِّنَاتٍ عَلَيْهَا). هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، فَقَدْ كَانَتْ لَهُ حِجَابَةُ الْكُفَّةِ. وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ طَافَ الرَّسُولُ ﷺ بِالْكَعْبَةِ، ثُمَّ دَعَا بِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَآخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكُفَّةِ وَدَخَلَهَا. فَجَاءَهُ الْعَبَّاسُ (وَقِيلَ بَلْ جَاءَهُ عَلِيٌّ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْمَعْ لَنَا حِجَابَةَ الْكُفَّةِ مَعَ السَّقَايَةِ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِفْتَاحَ، وَخَرَجَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، وَأَنْ يَكُونَ الْعَدْلُ عَامًا لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَلِكُلِّ أَحَدٍ، وَأَنْ لَا يَمْنَعَهُمْ مِنْ إِقَامَةِ الْعَدْلِ حَقْدٌ أَوْ كَرَاهِيَةٌ أَوْ عداوة.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ الشَّرْعُ الْكَامِلُ، وَفِيهِ خَيْرُهُمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِ الْعِبَادِ، بَصِيرٌ بِأَعْمَالِهِمْ، فَيَجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ.

تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ - جَمِيعَهَا حُقُوقَ اللَّهِ وَحُقُوقَ النَّاسِ.
نِعْمًا يَعْظُمُكُمْ بِهِ - نِعْمَ الَّذِي يَعْظُمُكُمْ بِهِ مِمَّا ذَكَرَ.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا



إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ

تَوَدُّوا الْأَمْنَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا
حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا

(يَا أَيُّهَا) (أَمَنُوا) (تَنَارَعْتُمْ) (الْآخِر)

(٥٩) - بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا خَرَجُوا اسْتَاءَ مِنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ كَانَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَكُمُ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا حَطَبًا، ثُمَّ دَعَا بِنَارٍ فَاضْرَمَهَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَتَدْخُلُنَّهَا (أَيَّ لَتَقْتُلُنَّ) أَنْفُسَكُمْ فِي النَّارِ، فَرَفَضُوا ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَسْأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ: (الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِاطَاعَتِهِ تَعَالَى، وَبِالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ، وَبِاطَاعَةِ رَسُولِهِ، لِأَنَّهُ يَبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيُبَلِّغُ عَنْ اللَّهِ شَرْعَهُ وَأَوَامِرَهُ، كَمَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِاطَاعَةِ أُولَى الْأَمْرِ، مِنْ حُكَّامٍ وَأَمْرَاءٍ وَرُؤَسَاءِ جُنْدٍ، بِمَنْ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي الْحَاجَاتِ، وَالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، فَهَؤُلَاءِ إِذَا اتَّفَقُوا عَلَى أَمْرٍ وَجِبَ أَنْ يُطَاعُوا فِيهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونُوا أَمَنَاءً، وَأَنْ لَا يُخَالِفُوا أَمْرَ اللَّهِ، وَلَا سُنَّةَ نَبِيِّهِ الَّتِي عُرِفَتْ بِالتَّوَاتُرِ، وَأَنْ يَكُونُوا مُخْتَارِينَ فِي بَحْثِهِمْ فِي الْأَمْرِ، وَاتِّفَاقِهِمْ عَلَيْهِ غَيْرِ مُكْرَهِينَ عَلَيْهِ بِقُوَّةِ أَحَدٍ أَوْ نَفْوَذِهِ.

وَكُلُّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ فَمِنْ الْوَاجِبِ رَدُّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، وَيَحْتَكِمَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَمَنْ يَحْتَكِمَ إِلَى شَرْعِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمَالًا (تَأْوِيلًا)، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُشْرَعْ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ وَمَنْفَعَتُهُمْ، وَالِاحْتِكَامُ إِلَى الشَّرْعِ يَمْنَعُ الْاِخْتِلَافَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى التَّنَازُعِ وَالضَّلَالِ.

أَحْسَنُ تَأْوِيلًا - اجْمَلْ عَاقِبَةً وَأَحْسَنُ مَالًا.

(أَمَنُوا) (الطَّاعُوتِ) (الشَّيْطَانِ) (ضَلَالًا)

(٦٠) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُرِيدُ أَنْ يَتَحَاكَمَ فِي فَضْلِ الْخُصُومَاتِ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ.

وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنْصَارِيٍّ وَيَهُودِيٍّ اخْتَلَفَا فِي شَيْءٍ، فَقَالَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ

فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ

أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ

أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ

وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ

الْيَهُودِي: بَنِي وَبَيْتَكَ مُحَمَّدٌ. وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: بَنِي وَبَيْتَكَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ (وَهُوَ مِنْ كِبْرَاءِ الْيَهُودِ). وَلَيْزِمُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَعْدِلُونَ عَنْ شَرْعِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ (وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا بِالطَّاعُوتِ)، وَقَدْ أَمَرُوا بِأَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيَحْكُمَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ لِيُضِلَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَشَرْعِهِمْ وَهُدَى رَبِّهِمْ، وَيَعْدَهُمْ عَنْهَا.

(الْمُنَافِقِينَ)

(٦١) - وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلَاءِ - الَّذِينَ يَدْعُونَ الْإِيمَانَ، ثُمَّ يُرِيدُونَ التَّحَاكُمَ إِلَى الطَّاعُوتِ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِلتَّحَاكُمِ لَدَيْهِ، وَقَفَا لِمَا شَرَعَ اللَّهُ، اسْتَكْبَرُوا وَأَعْرَضُوا وَرَغِبُوا عَنْ حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ إِعْرَاضًا مُتَعَمِّدًا مِنْهُمْ.

(أَصَابَتْهُمْ) (إِحْسَانًا)

(٦٢) - فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُمْ إِذَا سَاقَتْهُمْ الْمَقَادِيرُ إِلَيْكَ فِي مَصَائِبَ تَجُلُ بِهِمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَاحْتَاجُوا إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ جَاؤُوكَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكَ، وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا بِذَهَابِهِمْ إِلَى غَيْرِكَ، وَبِتَحَاكُمِهِمْ إِلَى أَعْدَائِكَ، إِلَّا الْمُدَارَاةَ وَالْمُضَانَعَةَ (إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا)، لَا أَعْتِقَادًا مِنْهُمْ بِصِحَّةِ تِلْكَ الْحُكُومَةِ.

(أُولَئِكَ)

(٦٣) - وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ هُمُ الْمُنَافِقُونَ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ مَبْلَغَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْحَقْدِ وَالْكِيدِ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ. ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ نَبِيَّ ﷺ إِلَى مُعَامَلَتِهِمْ:

- أَوَّلًا - بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَعَدَمِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِمْ بِالْبَشَاشَةِ وَالتَّكْرِيمِ، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْمُعَامَلَةِ يُشِيرُ فِي نَفْسِهِمُ الْهَوَاجِسَ وَالشُّكُوكَ وَالظُّنُونِ.

- ثُمَّ بِالنُّصْحِ وَالتَّذْكِيرِ بِالْخَيْرِ، عَلَى وَجْهِ تَرِقُّ لَهُ قُلُوبُهُمْ، وَيَبْعَثُهُمْ عَلَى التَّأَمُّلِ فِيمَا يُلْقَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْعِظَاتِ.

- ثُمَّ بِالْقَوْلِ الْبَلِيسِ، الَّذِي يُؤَثِّرُ فِي نَفْسِهِمْ، كَالْتَّوَعُّدِ بِالْقَتْلِ، وَالْاسْتِئْصَالِ إِنْ ظَهَرَ مِنْهُمْ نِفَاقٌ، وَأَنْ يُخَيَّرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِهِمْ.

(٦٤) - مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ فِي رَسُولِهِ أَنَّهُ لَا يُرْسِلُهُمْ إِلَّا لِيُطَاعُوا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَحَسَنَ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِمْ، أَوْ رَغِبَ عَنْ حُكْمِهِمْ، خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ وَسُنَّتِهِ،

وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ
ضَلَالًا بَعِيدًا

٦١ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا

أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ
رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ
عَنْكَ صُدُودًا

٦٢ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ

مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا
وَتَوْفِيقًا

٦٣ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ

مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ
عَنْهُمْ وَعِظَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ
فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا

٦٤ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ

وَأَزْتَكَبَ إِنَّمَا عَظِيمًا. وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، حِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَرَغِبُوا عَنْ حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى حُكْمِ الطَّاغُوتِ، جَاؤُوا الرَّسُولَ، غَقِبَ الذَّنْبُ مُبَاشَرَةً، فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَظْهَرُوا نَدَمَهُمْ عَلَى مَا قَرِطَ مِنْهُمْ لِلرَّسُولِ لِيُصَفِّحَ عَنْهُمْ، لَاغْبِثَانِهِمْ عَلَى حَقِّهِ، وَلِيَدْعُو لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ، وَلَوْ أَنَّ الرَّسُولَ دَعَا لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ، لَتَقَبَّلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ، وَلَقَمَرَهُمْ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَلَشَمِلَهُمْ بِعَفْوِهِ، فَرَحْمَةُ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى تَرْكَ طَاعَةِ الرَّسُولِ ظُلْمًا لِلنَّفْسِ إِنْ إِفْسَادًا لَهَا).

(٦٥) - يُفَسِّمُ اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى أَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ رَغِبُوا عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَى الرَّسُولِ، وَمَنْ مَاتَلَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، لَا يُؤْمِنُونَ إِيْمَانًا حَقًّا (إِنِّي إِيْمَانٌ إِذْعَانٌ وَأَنْقِيَادٌ) إِلَّا إِذَا كَمَلْتُ لَهُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ :
- أَنْ يُحْكَمُوا الرَّسُولَ فِي الْقَضَايَا الَّتِي يَخْتَصِمُونَ فِيهَا، وَلَا يَبِينُ لَهُمْ فِيهَا وَجْهُ الْحَقِّ.

- أَلَّا يَجِدُوا ضِيقًا وَخَرْجًا مِمَّا يَحْكُمُ بِهِ، وَأَنْ تُدْعَنَ نَفُوسُهُمْ لِقَضَائِهِ، إِذْعَانًا تَامًا دُونَ أَمْتِعَاضٍ مِنْ قَبُولِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، لِأَنَّهُ الْحَقُّ وَفِيهِ الْخَيْرُ.
- أَنْ يَنْقَادُوا وَيُسَلِّمُوا لِذَلِكَ الْحُكْمِ، مُوقِنِينَ بِصَدَقِ الرَّسُولِ فِي حُكْمِهِ، وَبِعِصْمَتِهِ عَنِ الْخَطَا.
مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ - مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ وَالتَّبَسُّ مِنَ الْأُمُورِ.
خَرْجًا - ضِيقًا أَوْ شُكًّا.

(دِيَارِ كُمْ)

(٦٦) - بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْإِيْمَانَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَحْكِيمِ الرَّسُولِ، مَعَ التَّسْلِيمِ وَالْأَنْقِيَادِ لِحُكْمِهِ، ذَكَرَ هُنَا قُصُورَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ، لِيُضْعِفَ إِيْمَانَهُمْ، فَقَالَ: لَوْ أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، كَمَا أَمَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِذَلِكَ تَطْهِيرًا لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، أَوْ لَوْ أَمَرُوا بِالْهَجْرَةِ مِنْ دِيَارِهِمْ إِلَى دِيَارٍ أُخْرَى، لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ. فَالْمُنَافِقُونَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ، فَإِنْ أَصَابَهُمْ خَيْرٌ أَطْمَأَنَّنُوا بِهِ، وَإِنْ نَالَهُمْ أَدَى أَنْقَلَبُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ قَدْ خَيْرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ. أَمَّا صَادِقُ الْإِيْمَانِ فَإِنَّهُمْ يُطِيعُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، فِي السَّهْلِ وَالصَّعْبِ، وَالْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، وَتَرَكُوا مَا يُنْهَوْنَ عَنْهُ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ، وَأَزْتَكَابِ مَا

أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
جَاءَهُمْ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا

٦٥ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحْكَمُوا لَكَ وَبِمَا شَجَرَ
يَلِينَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

٦٦ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبَتُّلًا

يُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَأَشَدُّ تَصَدِيقًا وَتَثْبِيًا لَهُمْ فِي إِيْمَانِهِمْ.
أَشَدُّ تَثْبِيًا - أَقْرَبَ إِلَى ثَبَاتِ إِيْمَانِهِمْ.

(لَا تِيْنَاهُمْ)

(٦٧) - وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، وَتَرَكُوا مَا يُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَأَخْلَصُوا فِي ذَلِكَ، لَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ عِنْدِهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَفِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

(لَهْدَيْنَاهُمْ) (صِرَاطًا)

(٦٨) - وَلَهْدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(فَأُولَئِكَ) (النَّبِيِّينَ) (وَالصَّالِحِينَ) (أُولَئِكَ)

(٦٩) - وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَأَنْتَهَى عَمَّا نَهَى عَنْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُسْكِنُهُ دَارَ كَرَامَتِهِ، وَيَجْعَلُهُ مُرَافِقًا لِلنَّبِيِّينَ، ثُمَّ لِمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ، وَهُمْ الصَّادِقُونَ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ، ثُمَّ عُمُومُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَتْ سَرَائِرُهُمْ وَعَلَانِيَتُهُمْ وَمَا أَحْسَنَ رِفْقَهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ.

(وَيُذَكِّرُ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَحْزُونًا، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَيْءٌ فَكَّرْتُ فِيهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: نَحْنُ نَعْدُو وَنَرُوحُ، وَنَنْظُرُ إِلَى وَجْهِكَ وَنُجَالِسُكَ، وَغَدًا تُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ فَلَا نَصِلُ إِلَيْكَ. فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ).
(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا خَيْرَ مَعَهُمْ).
(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ).

(٧٠) - وَالْقَوْرُ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ، مِنْ مُرَافَقَةِ النَّبِيِّينَ، وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي أَهْلَهُمْ لِذَلِكَ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ بِأَعْمَالِهِمْ، وَكَفَى بِاللَّهِ عَليِمًا بِالْمُخْلِصِينَ وَبِالْمُنَافِقِينَ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ.

﴿٦٧﴾ وَإِذَا لَا تِيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا

عَظِيمًا

﴿٦٨﴾ وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا

﴿٦٩﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ

فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ

وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ

أُولَئِكَ رَفِيقًا

﴿٧٠﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ

وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٧١) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَخْذِ الْحَذَرِ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ التَّعَرُّفَ عَلَى أَحْوَالِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ، وَمَعْرِفَةَ أَرْضِيهِمْ، وَعَدَدِهِمْ، وَسِلَاحِهِمْ، وَأَحْلَافِهِمْ، وَثَرَوَتِهِمْ، كَمَا يَسْتَلْزِمُ التَّاهُّبَ لَهُمْ، وَإِعْدَادَ الرِّجَالِ لِلْحَرْبِ وَتَدْرِيبَهُمْ وَتَسْلِيحَهُمْ، وَجَمْعَ السِّلَاحِ وَالْمُؤْنِ وَوَسَائِلِ النُّقْلِ وَالرُّكُوبِ، وَالِاسْتِعْدَادَ لِلتَّغْيِيرِ لِلْقِتَالِ، حِينَمَا يَدْعُو دَاعِيَ الْجِهَادِ، وَالْخُرُوجَ جَمَاعَاتٍ مُتَلَاحِقَةً (ثُبَاتٍ)، أَوْ خُرُوجَ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا، حَسَبَ حَالِ الْعَدُوِّ، وَخَطَرِهِ وَقُوَّتِهِ، وَالْخَطَرِ الَّذِي يَتَهَدَّدُ الْأُمَّةُ. ثُبَاتٍ - جَمَاعَاتٍ مُتَلَاحِقَةً يَتَلَوُ بَعْضُهَا بَعْضًا. خُذُوا حَذَرَكُمْ - تَيَقُّظُوا لِعَدُوِّكُمْ.

(أَصَابَتْكُمْ)

(٧٢) - وَمِنَ النَّاسِ (وَمِنْهُمْ) الْمُنَافِقُونَ وَالْجُبْنَاءُ وَضِعَافُ الْإِيمَانِ مَنْ يَتَأَخَّرُ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ، وَيَتَبَاطَأُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْعُدُ عَنِ الْجِهَادِ، وَيُبْطِئُ النَّاسَ عَنِ الْخُرُوجِ، فَإِنْ أَصَابَتْ الْمُؤْمِنِينَ مُصِيبَةٌ مِنْ قَتْلِ وَشَهَادَةٍ، أَوْ تَغْلِبَ عَدُوٌّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَرِحَ وَعَدَّ تَخْلُفَهُ عَنِ الْجِهَادِ نِعْمَةً، إِذْ أَنْجَاهُ تَخْلُفَهُ مِنَ الْمَصَاصِ الَّذِي حَلَّ بِالْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَدْرِ مَا فَاتَهُ مِنَ الْأَجْرِ فِي الصَّبْرِ عَلَى الشَّدَةِ، وَالشَّهَادَةِ إِنْ قُتِلَ. لَيُبْطِئَنَّ - لَيَتَأَخَّرَنَّ أَوْ لَيُبْطِئَنَّ عَنِ الْجِهَادِ.

(وَلَيْتَنِي) (أَصَابَكُمْ) (يَا لَيْتَنِي)

(٧٣) - وَإِذَا أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ نَصْرًا، وَحَقَّقُوا ظَفْرًا، وَفَازُوا بِمَغْنَمٍ، (فَضَّلَ مِنَ اللَّهِ)، أَغْنَمَ أَلَّا يَكُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُصِيبَهُ سَهْمٌ مِنَ الْغَنِيمَةِ. وَالْغَنِيمَةُ هِيَ أَكْبَرُ هَمِّهِ، وَيَقُولُ، وَكَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ كَمَا فَازُوا، فَهُوَ قَدْ نَسِيَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ، مِنْ مَدِّ يَدِ الْعَوْنِ لِإِخْوَتِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَذَلَ كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُ بِذَلِكَ مِنْ نَفْسٍ وَمَالٍ، لِيَتِمَّ لَهُمُ الظَّفَرُ.

(فَلْيُقَاتِلْ) (الْحَيَاةَ) (بِالْآخِرَةِ) (يُقَاتِلْ)

(٧٤) - فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَيَبْذُلَهَا، وَيَجْعَلَهَا ثَمَنًا لِلْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ أَعَزَّ دِينَ اللَّهِ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا. وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُظْفَرْ بِهِ عَدُوُّهُ وَيَقْتُلَهُ، أَوْ يَظْفَرُ هُوَ بِعَدُوِّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا مِنْ عِنْدِهِ.

(٧١) يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا

حَذَرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ
أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا

(٧٢) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ

أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ
شَهِيدًا

(٧٣) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ

لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا

(٧٤) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ
وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هُمَ الْمُقَاتِلِ الْمُسْلِمِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الظُّفْرُ أَوْ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُفَكِّرَ فِي الْهَرَبِ وَالنَّجَاةِ بِالنَّفْسِ، فَالْهَرَبُ لَا يَنْجِي مِنْ قَدْرِ اللَّهِ، وَفِيهِ غَضَبُ اللَّهِ وَسَخَطُهُ).

(تَقَاتِلُونَ) (وَالْوِلْدَانُ)

(٧٥) - يُحَرِّضُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَفِي سَبِيلِ إِنْقَاذِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْجُودِينَ فِي مَكَّةَ، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، الْمُتَرَمِّمِينَ بِالْمَقَامِ فِيهَا، وَيَقُولُ لَهُمْ: أَيُّ عَذْرٍ لَكُمْ يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَتَقِيْمُوا التَّوْحِيدَ، وَتَنْصُرُوا الْعَدْلَ وَالْحَقَّ، وَفِي سَبِيلِ إِنْقَاذِ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ يَسْتَدِلُّهُمْ الطَّغَاةُ الْكَفَرَةُ فِي مَكَّةَ، وَهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْبَلَدَةِ (الْقَرْيَةِ) الطَّالِمِ أَهْلَهَا، وَأَنْ يُسَخِّرَ لَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ، وَيُنْقِذَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ.

(آمَنُوا) (يُقَاتِلُونَ) (الطَّاغُوتِ) (فَقَاتِلُوا) (الشَّيْطَانَ)

(٧٦) - الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَنَشْرِ دِينِهِ، لَا يَتَّبِعُونَ غَيْرَ رِضْوَانِ اللَّهِ. أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا، فَإِنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ (الطَّاغُوتِ)، الَّذِي يُزَيِّنُ لَهُمُ الْكُفْرَ، وَيُمْنِيهِمُ النَّصْرَ. وَكَيْدُ الشَّيْطَانِ ضَعِيفٌ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ نَصْرَ أَوْلِيَائِهِ. أَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَهُمْ الْأَعَزَّةُ، لِأَنَّ اللَّهَ حَامِيَهُمْ وَنَاصِرُهُمْ وَمُعِزُّهُمْ، وَلِذَلِكَ فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، أَنْ لَا يَخَافُوا أَعْدَاءَهُمْ الْكَفَّارَ، لِأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ.

الطَّاغُوتِ - الشَّيْطَانُ أَوْ الْبَاطِلُ.

(الصَّلَاةُ) (وَاتُوا) (الزَّكَاةَ) (مَتَاعُ) (وَالْآخِرَةُ)

(٧٧) - كَانَ الْمُؤْمِنُونَ فِي بَدْءِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ، فِي مَكَّةَ، مَأْمُورِينَ بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَبِمُؤَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ، وَكَانُوا مَأْمُورِينَ بِالْعَفْرِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَالصَّبْرِ إِلَى حِينٍ، وَكَانُوا يَتَحَرِّقُونَ شَوْقًا إِلَى الْقِتَالِ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِالْقِتَالِ، لَيَنْتَصِفُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ، وَيَسْفُتُوا غَلِيلَهُمْ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَكُنِ الْحَالُ إِذْ ذَاكَ مُنَاسِبًا لِلْقِتَالِ لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ: مِنْهَا قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَمِنْهَا كَوْنُهُمْ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ، لِذَلِكَ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالْجِهَادِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ خَرَجُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَصَارَ لَهُمْ فِيهَا دَارُ مَنَعَةٍ وَأَنْصَارٍ. وَمَعَ

فَيَقْتُلُ أَوْ يَغْلِبُ فَسَوْفَ
تُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

﴿٧٥﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
نَصِيرًا

﴿٧٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ
الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ
ضَعِيفًا

﴿٧٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا
أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ
إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ
كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً
وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ
لَوْ لَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ

مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ
لِّمَنِ انْقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَنِيلاً

ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَمَّا أَمُرُوا بِمَا كَانُوا يَتَمَنَوْنَ (وَهُوَ الْقِتَالُ) جَزَعَ بَعْضُهُمْ
جَزَعًا شَدِيدًا، وَخَافُوا مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ فِي مَيْدَانِ الْحَرْبِ، وَقَالُوا: رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ الْآنَ؟ لَوْلَا أَخَّرْتَ فَرَضَهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ (أَوْ لَوْ تَأَخَّرْتَ
فِي فَرَضِهِ عَلَيْنَا حَتَّى نَمُوتَ مَوْتًا طَبِيعِيًّا حَتَّى نَأْتِفَنَا)، فَإِنْ فِيهِ سَفْكَ
الدَّمَاءِ، وَيَتِمُّ الْأَوْلَادُ، وَيَأْتِيُمُ النِّسَاءُ.. فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: مَتَاعُ الدُّنْيَا
مَهْمَا عَظُمَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَى، وَحَيَاةُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا
قَصِيرَةٌ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ، لِأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ خَالِدِينَ فِي الْجَنَّاتِ،
يَنْعَمُونَ بِرِضْوَانِ رَبِّهِمْ. وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّهُمْ سَيُوفُونَ أَعْمَالَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَوْ قُلْ، وَلَوْ كَانَ فَنِيلاً.

(وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَتَعَلَّقُ بِالْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ، الَّذِينَ كَانُوا
بَيْنَهُمْ قِتَالٌ دَائِمٌ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا دَخَلُوا الْإِسْلَامَ أَلْفَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ،
وَأَمَرَهُمْ بِكَفِّ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْقِتَالِ وَالْعُدْوَانِ، وَطَلَبَ إِلَيْهِمْ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ،
وَإِيْتَاءَ الزَّكَاةِ لِيَتَصَفَّرُوا نَفُسَهُمْ، إِلَى أَنْ أَشْتَدَّتْ الْحَاجَةُ إِلَى الْقِتَالِ لِدَفْعِ
الَّذِي عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَرَضَ اللَّهُ الْقِتَالَ، فَكَرِهَهُ الْمُنَافِقُونَ وَالضُّعَفَاءُ).
الْفَنِيْلُ - خَيْطٌ رَفِيعٌ فِي بَاطِنِ نَوَاةِ التَّمْرِ.

(فَمَا لَهُوْلَاءُ)

٧٨ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ

وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ

نُصِبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِبْتُمْ سَيِّئَةً

يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ فَهَلْ هُوَ لَاءُ الْقَوْمِ لَا

يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا

(٧٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ بِأَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ لَا مَحَالَةَ، وَلَا
يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَوْ كَانُوا مُقِيمِينَ فِي حُصُونٍ مُّبْنِيَةٍ، قُوَّةِ الْبُنْيَانِ
وَالْتَحْصِينِ، وَلِلنَّاسِ أَجَلٌ مَّخْتُومٌ، وَوَقْتُ مَعْلُومٌ، لَا يَتَقَدَّمُونَ عَنْهُ وَلَا
يَتَأَخَّرُونَ، سَوَاءً أَجَاهَدُوا وَتَعَرَّضُوا لِمَخَاطِرِ الْحُرُوبِ، أَوْ قَعَدُوا فِي
بُيُوتِهِمْ، فَلَا يُقَدِّمُ الْجِهَادُ أَجَلًا. وَلَا يُؤَخِّرُ الْقُعُودُ أَجَلًا فَلَمَّاذَا يَكْرَهُونَ
الْقِتَالَ، وَيَجْبُنُونَ وَيَتَمَنُونَ الْبَقَاءَ، أَلَيْسَ هَذَا بِضَعْفٍ فِي الْعَقْلِ وَالذِّينِ؟
ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنًا آخَرَ مِنْ شُؤْنِهِمْ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْحَقِّ وَضَعْفِ
الْإِدْرَاكِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ إِذَا أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ خَيْرٌ وَخَصْبٌ وَرِزْقٌ كَثِيرٌ، وَكَثَرَتْ
أَمْوَالُ وَأَوْلَادُ. . قَالُوا: هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُمْ بِهَا، لِأَنَّهُمْ
يَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ مِنْهُ. وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ قَحْطٌ وَجَذَبٌ وَنَقْصٌ فِي الثَّمَارِ
وَالزُّرُوعِ أَوْ مَوْتُ أَوْلَادٍ قَالُوا: هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ، وَيَسِبُّ آتِبَاعُنَا لَكَ،
وَإِيمَانُنَا بِمَا آتَيْتَنَا بِهِ، وَتَرَكْنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا. فَقُلْ لَهُمْ: كُلُّ مَا يُصِيبُ
النَّاسَ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِتَقْدِيرِهِ، اخْتِيَارًا وَآيَاتًا، فَمَا
لَهُوْلَاءِ الْقَائِلِينَ وَكَأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ، وَلَا مَا يُقَالُ لَهُمْ؟

بُرُوجٍ - حُصُونٍ وَقِلَاعٍ أَوْ قُصُورٍ.

مُشِيدَةً - مُحْكَمَةً الْبِنَاءِ .

(وَأَرْسَلْنَاكَ)

(٧٩) - يُخَاطَبُ اللهُ تَعَالَى النَّبِيَّ ﷺ وَيَقْصُدُ بِالْخِطَابِ مَنْ أَرْسَلَ النَّبِيَّ إِلَيْهِمْ، فَيَقُولُ: مَا أَصَابَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مِنْ خَيْرٍ وَحَسَنَةٍ، فَهُوَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ، فَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكَ الْمَنَافِعَ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِهَا، وَتَحْسُنُ لَدَيْكَ. وَكُلَّمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَهُوَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ بِمَا أَوْتَيْتَ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى الْعَمَلِ وَالْإِخْتِيَارِ، فِي دَرءِ الْمَقَاسِدِ، وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ، وَتَرْجِيحِ بَعْضِ الْمَقَاصِدِ عَلَى بَعْضٍ... قَدْ تُخْطِئُ فِي مَعْرِفَةِ مَا يَسُوؤُكَ، وَمَا يَنْفَعُكَ، لِأَنَّكَ لَا تَضْبُطُ إِرَادَتَكَ وَهَوَاكَ، وَلَا تُحِيطُ بِالسُّنَنِ وَالْأَسْبَابِ، فَأَنْتَ تَرْجِيحُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، إِمَّا بِالْهَوَى، وَإِمَّا قَبْلَ أَنْ تُحِيطَ خُبْرًا بِمَعْرِفَةِ النَّافِعِ وَالضَّارِّ، فَتَقَعُ فِي مَا يَسُوءُ.

وَقَدْ أَرْسَلَكَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ لِيُبَلِّغَهُمْ شَرَائِعَ رَبِّهِمْ، وَأَوَامِرَهُ، وَتَوَاهِيَهُ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يُبَلِّغُهُمْ إِيَّاهُ، وَبِمَا يَرُدُّونَ عَلَيْكَ بِهِ.

(أَرْسَلْنَاكَ)

(٨٠) - يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، لِأَنَّهُ الْأَمْرُ النَّاهِي فِي الْحَقِيقَةِ، وَالرَّسُولُ هُوَ الْمُبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ، وَمَنْ عَصَاهُ، فَقَدْ عَصَى اللهَ، أَمَّا الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ عَنِ الْحَقِّ وَيَرْفُضُونَهُ، فَقَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا، وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ لِأَنَّكَ لَمْ تُرْسَلْ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَلَمْ تُرْسَلْ مُسَيِّطِرًا عَلَيْهِمْ تَحْفَظُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، فَالْأَفْعَالُ وَالطَّاعَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْإِخْتِيَارِ بَعْدَ الْإِقْنَاعِ. حَفِظًا - حَافِظًا وَمُهِمًّا وَرَقِيبًا.

(طَائِفَةٌ)

(٨١) - يُظْهِرُ لَكَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْخُصُوعَ لَأَمْرِكَ، وَالْإِسْتِعْدَادَ وَالْإِقْنَاعَ، لِيَأْمَنُوا عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ، وَتَوَارَوْا عَنْ أَنْظَارِكَ، اسْتَسْرَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِغَيْرِ مَا أَظْهَرُوهُ لَكَ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا يُبَيِّتُونَ مِنْ مَخَالِفَتِكَ، وَيَكْتُبُهُ عَلَيْهِمْ الْكِتَابَةُ الْحَافِظُونَ، فَاصْصَعْ عَنْهُمْ، وَآخِمْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَوَاحِذْهُمْ، وَلَا تَكْتَشِفْ لِلنَّاسِ أُمُورَهُمْ (اعْرِضْ عَنْهُمْ)، وَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَنَاصِرًا.

﴿٧٩﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

﴿٨٠﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا

﴿٨١﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

بَرَزُوا - خَرَجُوا .
بَيْتَ طَائِفَةٍ - دَبَّرْتُ أَوْ سَوَّيْتُ .

(الْقُرْآنَ) (اِخْتِلَافًا)

(٨٢) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنْ يَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَ الْقُرْآنِ، وَيَتَفَهَّمُوا مَا فِيهِ مِنْ إِحْكَامٍ وَبَلَاغَةٍ، وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ، لَعَلِمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَنْ مَا وَعَدَ بِهِ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الصَّادِقِينَ، وَمَا أُنْذِرَ بِهِ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ. وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ، وَلَا اضْطِرَابَ، وَلَا تَعَارُضَ، لَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَلَوْ كَانَ مُنْزَلًا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَمَا خَلَا مِنْ اخْتِلَافٍ وَتَعَارُضٍ، لَأَنَّهُ يَكُونُ مِنْ عَمَلِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَعَمَلِ الْمَخْلُوقَاتِ لَا يَخْلُو مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ .

(الشَّيْطَانَ)

(٨٣) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يُبَادِرُ إِلَى الْأُمُورِ قَبْلَ أَنْ يَتَحَقَّقَ مِنْهَا، فَيُخْبِرُ بِهَا وَيَفْشِيهَا، وَيُنْشُرُهَا، وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهَا أَسَاسٌ مِنَ الصَّحَّةِ، وَيَكُونُ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُحْدِثَ الْبَلْبَلَةَ فِي الْجَمَاعَةِ، وَقَدْ تَكُونُ صَحِيحَةً وَلَكِنْ يَكُونُ فِي إِفْشَائِهَا وَالْإِعْلَانِ عَنْهَا مَضَرَّةٌ بِالْأُمَّةِ، يُفِيدُ مِنْهَا أَعْدَاؤُهَا. وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ يَوْمَ أَشْيَعَ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَّقَ زَوْجَاتِهِ فَبَاحَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَرَأَى النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ طَلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَزْوَاجَهُ، فَاسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَيْهِ، فَسَأَلَهُ إِنْ كَانَ طَلَّقَ نِسَاءَهُ، فَقَالَ: لَا. فَخَرَجَ عُمَرُ وَقَالَ لِلنَّاسِ: إِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُطْلَقْ نِسَاءَهُ.

وقيل أيضاً: إِنَّهَا نَزَلَتْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ إِذْ أَشَدَّ الْأَمْرُ بِالْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَ مَنْ يُخْبِرُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَنْ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَسْتَكْشِفُونَ خَبَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ وَجَدْتُمْ الْخَبَرَ صَحِيحًا فَالْحَنُوا إِلَيْنَا بِإِشَارَةِ لَكَيْلَا يَفْتُ ذَلِكَ فِي عَضِدِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَزِيدَ فِي اضْطِرَابِهِمْ، فَعَادَ الْوَفْدُ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِنَقْضِهِمُ الْعَهْدَ، وَأَنْتَشَرَ خَبَرُ نَقْضِ بَنِي قُرَيْظَةَ الْعَهْدَ، وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِمُ الْكُفَّارُ، وَتَنَاقَلَهُ الْمُسْلِمُونَ فَزَادَ ذَلِكَ فِي اضْطِرَابِهِمْ. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ رَدُّوا مَا سَمِعُوا إِلَى الرَّسُولِ، وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ تَقْدِيرَ الْأُمُورِ، وَمَعْرِفَةَ مَا يَجُوزُ نَشْرُهُ وَإِذَاعَتُهُ، وَمَا لَا يَجُوزُ، لَقَدَرُوهُ، وَلَرَأَوْا إِنْ كَانَ يَحْسُنُ نَشْرُهُ وَإِذَاعَتُهُ أَوْ لَا.

﴿٨٢﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا

﴿٨٣﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ

أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ

إِلَى الرَّسُولِ وَالْإِلَى أَوْلِيَ الْأَمْرِ

مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ

مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ

إِلَّا قَلِيلًا

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ - إِذْ هَدَاكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ظَاهِرًا
وَبَاطِنًا، وَرَدَّ الْأُمُورَ الْعَامَّةَ إِلَى الرَّسُولِ، وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ - لَا تَبِعْتُمْ
وَسُوسَةَ الشَّيْطَانِ، كَمَا اتَّبَعْتَهَا تِلْكَ الطَّائِفَةُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، الَّتِي تَقُولُ
لِلرَّسُولِ: طَاعَةٌ! ثُمَّ تَبَيَّتْ فِعْلَ غَيْرِ مَا قَالَتْ، وَالَّتِي تَذِيعُ أَمْرَ الْأَمْنِ
وَالْخَوْفِ، وَتُفْسِدُ سِيَاسَةَ الْأُمَّةِ، وَلَاخِذْتُمْ بَأَرَاءِ الْمُنَافِقِينَ، فِيمَا تَأْتُونَ،
وَفِيمَا تَذَرُونَ، وَلَمَّا اهْتَدَى إِلَى الصَّوَابِ مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلُونَ.
أَدْعُوا بِهِ - أَفْشُوهُ وَأَشَاعُوهُ.
يَسْتَنْبِطُونَهُ - يَسْتَخْرِجُونَ تَذْيِيرَهُ أَوْ عِلْمَهُ.

(فَقَاتِلْ)

(٨٤) - يَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ يُبَايِسَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ، وَمَنْ
نَكَلَ فَلَيْسَ عَلَى الرَّسُولِ مِنْهُ شَيْءٌ. كَمَا يَا أَمْرُهُ بِأَنْ يُحَرِّصَ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَى الْقِتَالِ، وَيُرَغِّبَهُمْ فِيهِ، وَيُسْجِعَهُمْ عَلَيْهِ، لِتَبَيُّتِ هِمْمِهِمْ عَلَى
مُجَازَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمُدَافَعَتِهِمْ عَنْ حُوزَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَمُقَاوَمَتِهِمْ
وَمُصَابَرَتِهِمْ، وَبِذَلِكَ يَكْفُ اللَّهُ بِأَسِ الْمَشْرِكِينَ وَأَذَاهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ،
وَاللَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْبَاسِ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْكَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
الْبَاسُ - الْقُوَّةُ وَالْحَرْبُ.

التَّنْكِيلُ - مُعَاقِبَةُ الْمُجْرِمِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ عِبْرَةٌ لِغَيْرِهِ، فَيُنْكَلُ عَنِ الْإِقْدَامِ
عَلَى ارتِكَابِ الْجَرَائِمِ.

(شَفَاعَةٌ)

(٨٥) - مَنْ سَعَى فِي أَمْرٍ، فَتَرْتَبَ عَلَيْهِ خَيْرٌ، كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا
الْخَيْرِ، وَمَنْ أَيْدَكَ وَنَاصَرَكَ فِي الْقِتَالِ، وَجَعَلَ نَفْسَهُ شَفِيعًا وَسَدًّا لَكَ،
كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ نَتَائِجِ الطُّغْرِ فِي الدُّنْيَا، وَالْثَوَابِ فِي الْآخِرَةِ. وَمَنْ
سَعَى فِي أَمْرٍ فَتَرْتَبَ عَلَيْهِ سُوءٌ وَإِثْمٌ وَمُضَرَّةٌ، كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ،
وَمَنْ انْضَمَّ إِلَى أَعْدَائِكَ فَقَاتَلَ مَعَهُمْ، أَوْ خَذَلَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِتَالِهِمْ،
كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، بِمَا يَسْأَلُهُ مِنَ الْخِذْلَانِ فِي الدُّنْيَا،
وَالْعِقَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَهَذِهِ هِيَ الشَّفَاعَةُ السَّيِّئَةُ لِأَنَّهَا إِعَانَةٌ عَلَى السُّوءِ.
وَاللَّهُ حَفِيفٌ وَشَهِيدٌ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ، وَقَادِرٌ عَلَى فِعْلِ كُلِّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ.
مُقَيَّنًا - مُقْتَدِرًا أَوْ حَفِيفًا.

كِفْلٌ مِنْهَا - نَصِيبٌ أَوْ حَظٌّ مِنْ وَرْثَتِهَا.

(٨٦) - وَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ، فَرُدُّوا السَّلَامَ عَلَيْهِ بِأَفْضَلِ مِنْهُ، أَوْ رُدُّوا

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ
إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسِ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَا
وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا

مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً
يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ
يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ
كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ مُقَيَّنًا

وَإِذَا أَحْبَبْتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ

عَلَيْهِ بِمَثَلٍ مَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ (فَإِذَا قَالَ لَكُمْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَرُدُّوْا عَلَيْهِ قَائِلِينَ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ). فَالزَّيَادَةُ مَثْبُوتَةٌ، وَالْمَثَالَةُ مَفْرُوضَةٌ.

(وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: السَّلَامُ تَطَوُّعٌ، وَالرَّدُّ فَرِيضَةٌ).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ).

وَاللَّهُ مُحَاسِبٌ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى رَقِيبٌ عَلَيْكُمْ فِي مُرَاعَاةِ الصَّلَاةِ بَيْنَكُمْ بِالتَّحِيَّةِ، وَيَحَاسِبُكُمْ عَلَى ذَلِكَ. حَسِيبًا - مُحَاسِبًا وَمُجَازِيًا وَشَهِيدًا.

(الْقِيَامَةُ)

(٨٧) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَنْ تَفَرُّدِهِ بِاللَّوْهِيَّةِ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ سَيَجْمَعُ النَّاسَ جَمِيعًا (وَقَدْ أَفْسَمَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ) فِي صَعِيدٍ وَاجِدٍ فَيَجَازِي كُلًّا عَلَى عَمَلِهِ، وَلَا أَحَدٌ أَصْدَقُ حَدِيثًا مِنْ اللَّهِ، وَلَا أَصْدَقُ وَعْدًا وَوَعِيدًا وَخَيْرًا مِنْهُ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

(الْمُنَافِقِينَ)

(٨٨) - فَمَا لَكُمْ أَصْبَحْتُمْ فَتَنِينَ فِي الْمُنَافِقِينَ، وَآخْتَلَفْتُمْ فِي كُفْرِهِمْ، مَعَ تَظَاهُرِ الْأَدْلَةِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَخْتَلِفُوا فِي شَأْنِهِمْ، وَكَيْفَ تَفْتَرِقُونَ فِي شَأْنِهِمْ وَقَدْ صَرَّفَهُمُ اللَّهُ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، بِمَا كَسَبُوا مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِّكَ، وَاجْتَرَحُوا مِنَ الْمَعَاصِي، وَقَدْ أَرْكَسَهُمُ اللَّهُ، وَجَعَلَهُمْ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ نَاكِسِي الرُّؤُوسِ، بِسَبَبِ إِبْعَالِهِمْ فِي الضَّلَالِ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْحَقِّ؟ وَأَنْتُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَيْسَ بِاسْتِطَاعَتِكُمْ أَنْ تُبَدِّلُوا سُنْنَ اللَّهِ، لِأَنَّ مَنْ قَضَتْ سُنُّ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ يَكُونَ ضَالًّا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ بِسُلُوكِهَا إِلَى الْحَقِّ.

وَسَبِيلُ الْفِطْرَةِ أَنْ يَرْضَى الْإِنْسَانُ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ عَلَى سُنَنِ الْعَقْلِ، وَيَتَّبِعَ مَا يَظْهَرُ لَهُ أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي فِيهِ مَنَفَعَتُهُ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا. وَأَكْثَرُ مَا يَصُدُّ الْإِنْسَانَ عَنْ سَبِيلِ الْفِطْرَةِ هُوَ التَّقْلِيدُ وَالْعُرُورُ وَظَنُّ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَا هُوَ أَكْمَلُ مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَبِهَذَا يَقْطَعُ عَلَى نَفْسِهِ طَرِيقَ الْعَقْلِ وَالنَّظَرِ فِي النَّفْعِ وَالضَّرَرِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

مِنْهَا أَوْرُدُوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا

٨٧ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا

٨٨ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ
فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ
بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا
مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ
تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا

الرُّكُوسَ - إِرْجَاعُ الشَّيْءِ مُنْكَوساً عَلَى رَأْسِهِ، أَوْ مُتَحَوِّلاً مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ أَرْدَأَ.

(٨٩) - وَهَؤُلَاءِ لَا يَقْنَعُونَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْغَوَايَةِ، بَلْ يَطْمَعُونَ فِي أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ، وَهُمْ يَوَدُّونَ لَكُمْ الضَّلَالَةَ لِيَسْتَوُوا أَنْتُمْ وَإِيَّاهُمْ فِيهَا، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِيُشِدَّةَ عَدَاوَتِهِمْ وَبُغْضِهِمْ لَكُمْ، فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ وَنَصْرَاءَ وَأَصْدِقَاءَ، حَتَّى يُؤْمِنُوا وَيُهَاجِرُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لِيُثْبِتُوا صِدْقَ إِيْمَانِهِمْ، فَإِنْ رَفَضُوا الْهَجْرَةَ (تَوَلَّوْا) وَلَزِمُوا مَوَاضِعَهُمْ، وَأَظْهَرُوا كُفْرَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، وَلَا تَوَالُوهُمْ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا بِهِمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ مَا دَامُوا كَذَلِكَ.

(مِثَاقُ) (يُقَاتِلُوكُمْ) (أَوْ يُقَاتِلُوا) (فَلَقَاتِلُوكُمْ)

(٩٠) - أَسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَوْجَبَ قَتْلُهُمْ، حَيْثُ وَجَدَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، الَّذِينَ لَجُّوا وَأَنَحَازُوا إِلَى قَوْمٍ يَبِينُكُمْ وَيَبِينُهُمْ مِثَاقُ مَهَادَنَةٍ، أَوْ عَقْدُ ذِمَّةٍ، يَمْنَعُ قَتْلَ الْمُتَمِينِ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ، فَاجْعَلُوا حُكْمَهُمْ كَحُكْمِ هَؤُلَاءِ. وَأَسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَتْلِ فِتْنَةً أُخْرَى مِنَ النَّاسِ جَاءَتْ إِلَى مِيدَانِ الْحَرْبِ وَصُدُّوهُمْ ضَيْقَةً، وَهُمْ كَارِهُونَ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ، وَلَا يَهْوَنَ عَلَيْهِمْ أَيْضاً أَنْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ مَعَكُمْ، بَلْ هُمْ لَا لَكُمْ وَلَا عَلَيْكُمْ، وَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِكُمْ أَنْ كَفَّهُمْ عَنْكُمْ، فَإِنْ أَعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ، وَأَرَادُوا مُسَالَمَتَكُمْ فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تُقَاتِلُوهُمْ، مَا دَامَتْ خَالَتُهُمْ كَذَلِكَ.

وَقَالَ الرَّازِي: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَادَّعَى وَقَتَ خُرُوجِهِ إِلَى مَكَّةَ هِلَالٌ بَنَ عُوبَيْرٍ الْأَسْلَمِيِّ عَلَى أَلَّا يُعِينَهُ وَلَا يُعِينُ عَلَيْهِ، وَعَلَى أَنْ كُلُّ مَنْ وَصَلَ إِلَى هِلَالٍ وَلَجَا إِلَيْهِ فَلَهُ مِنَ الْجَوَارِ مِثْلُ مَا لِهِلَالٍ.

وَهَؤُلَاءِ كَالْجَمَاعَةِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ الَّذِينَ خَرَجُوا يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ قُرَيْشٍ فَحَضَرُوا الْقِتَالَ وَهُمْ كَارِهُونَ، لِذَلِكَ نَهَى النَّبِيُّ عَنْ قَتْلِ الْعَبَّاسِ، وَأَمَرَ بِإِسْرِهِ.

حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ - ضَاقَتْ وَأَنْقَبَضَتْ.

السَّلَامُ - الْإِسْتِسْلَامُ وَالْإِنْقِيَادُ لِلصَّلَاحِ.

(آخِرِينَ) (كُلَّمَا) (أُولَئِكَ) (سُلْطَانًا)

(٩١) - وَهَنَاقَ فِتْنَةُ مُنَافِقَةٍ، يَظْهَرُونَ لِلنَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ الْإِسْلَامَ، لِيَأْمَنُوا بِذَلِكَ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَفَرَارِهِمْ، وَيُضَايَعُونَ الْكُفَّارَ فِي الْبَاطِنِ،

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا

فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا

مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ

وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ

وَبَيْنَهُمْ مِثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ

حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ

أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَسَاطَهُمْ عَلَيْهِمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ

أَعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقَوَا

إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَاجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ

عَلَيْهِمْ سَبِيلًا

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ

يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا

مَارَدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا

فَيَعْبُدُونَ مَعَهُمْ مَا يَعْبُدُونَ لِیَأْمَنُوا بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ فِي الْبَاطِنِ مَعَ
أُولَئِكَ، وَكُلَّمَا دُعُوا إِلَى الشَّرْكِ (الْفِتْنَةِ) أَوْغَلُوا فِيهِ وَأَنَّهُمْ كَوُوا، وَتَحَوَّلُوا
إِلَيْهِ أَتَجَحَّ تَحَوَّلَ، فَهُوَ لَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ بِقِتَالِهِمْ إِلَى أَنْ يَتَحَرَّلُوا
الْقِتَالَ، وَيَقْبَلُوا بِالصُّلْحِ وَالْمُهَادَنَةِ، وَيَلْقُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ زَمَامَ
الْمُسَالَمَةِ وَالْمُهَادَنَةِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ سُلْطَانًا وَاضِحًا عَلَى
قِتَالِهِمْ.
حَيْثُ نَقَفْتُمُوهُمْ - حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.

سُلْطَانًا مُبِينًا - بَرَهَانًا وَاضِحًا.
يَلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ - يَلْقُوا إِلَيْكُمْ زَمَامَ الْمُهَادَنَةِ وَالْمُسَالَمَةِ.
أَرْكَبُوا فِيهَا - قَلْبُوا فِي الْفِتْنَةِ أَشْنَعَ قَلْبٍ.

(خَطَأً) (مِثَاقُ)

(٩٢) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لَا تَتَّبِعِي لِلْمُؤْمِنِ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ، أَنْ يَقْتُلَ أَخَاهُ
الْمُؤْمِنَ مُتَعَمِّدًا، لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَمْنَعُهُ مِنْ آجِرَاحِ هَذِهِ الْكَبِيرَةِ، لَكِنْ قَدْ
يَقَعُ الْقَتْلُ مِنْهُ عَنِ خَطَأٍ دُونَ قَصْدٍ إِزْهَاقِ الرُّوحِ، وَقَدْ يَقَعُ مِنْهُ ذَلِكَ أَيْضًا
عَنِ تَهَاوُنٍ أَوْ عَدَمِ عِنَايَةٍ أَوْ نِسْيَانٍ... فَإِذَا قَتَلَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا خَطَأً، كَانَ
أَرَادَ رَمَى صَيْدٍ فَأَصَابَ شَخْصًا فَقَتَلَهُ فَحُكْمُهُ كَالْآتِي:

- إِذَا قَتَلَ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا خَطَأً فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ الدِّيَةَ إِلَى أَهْلِ الْقَتِيلِ، إِلَّا
أَنْ يَغْفُو عَنْهُ هَؤُلَاءِ، وَيَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِ بِهَا، وَعَلَيْهِ أَنْ يُعْتِقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً.

- إِذَا كَانَ الْمَقْتُولُ مُؤْمِنًا وَلَكِنَّهُ مِنْ قَوْمٍ أَعْدَاءٍ، فَعَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يُعْتِقَ
رَقَبَةً مُؤْمِنَةً كَفَّارَةً عَمَلِهِ، وَلَا تُدْفَعُ لِأَهْلِهِ دِيَةٌ لِكَيْلَا يَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى قِتَالِ
الْمُسْلِمِينَ.

- إِذَا كَانَ الْمَقْتُولُ مُؤْمِنًا مِنْ قَوْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِ الْقَاتِلِ مِثَاقٌ، وَعَهْدٌ
عَلَى عَدَمِ الْقِتَالِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِمُ الدِّيَةَ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُعْتِقَ رَقَبَةً
مُؤْمِنَةً.

فَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْقَاتِلُ الدِّيَةَ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ لِعَجْزِهِ عَنْ دَفْعِ
قِيمَتِهَا، أَوْ لِعَدَمِ اسْتِطَاعَتِهِ إِيجَادَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ يَشْتَرِيهَا... فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُومَ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا إِفْطَارٌ بِدُونِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ، فَإِنْ أَفْطَرَ
بِدُونِ عُذْرٍ كَانَ مَا صَامَهُ قَبْلًا بَاطِلًا، وَعَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَ الصَّيَامَ مِنْ جَدِيدٍ
حَتَّى يَتِمَّ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ. وَذَلِكَ تَكْفِيرٌ مِنْهُ عَنْ ذَنْبِهِ.

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِمَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ، حَكِيمًا فِي شَرْعِهِ لَهُمْ مَا يَصْلِحُهُمْ.

فَإِنْ لَمْ يَتَحَرَّلُوا لَكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمْ
السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ
فَخَذُوهُمْ وَأَقْبِلُواهُمْ حَيْثُ
تَقَفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا
لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا

﴿٩٢﴾ وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ
مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى
أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ
كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ
مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
مِثْقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى
أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا

(خَالِدًا)

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ
عَذَابًا عَظِيمًا

(٩٣) - وَإِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ الْإِسْلَامَ وَشَرَائِعَهُ، ثُمَّ قَتَلَ رَجُلًا مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا قَتَلَهُ، مُسْتَحِلًّا ذَلِكَ الْقَتْلَ، فَجَزَاؤُهُ عِنْدَ اللَّهِ جَهَنَّمُ يَبْقَى مُخَلَّدًا فِيهَا، وَيَلْعَنُهُ اللَّهُ، وَيُعَذِّبُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلُهُ فِي النَّارِ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَلِلْفُقَهَاءِ ثَلَاثَةُ آرَاءَ فِي تَوْبَةِ قَاتِلِ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا:

١ - ابْنُ عَبَّاسٍ وَفَرِيقٌ مِنَ السَّلَفِ - يَرَوْنَ أَنَّ قَاتِلَ الْمُؤْمِنِ لَا تَوْبَةَ لَهُ إِطْلَاقًا، وَيَبْقَى فِي النَّارِ خَالِدًا. وَيَسْتَنْدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا، أَوْ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا). وَإِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ:

(مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ).

وَإِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ:

(لَوْ أَنَّ الثَّقَلَيْنِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنَاجِرِهِمْ فِي النَّارِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْقَاتِلِ وَالْأَمْرِ بِهِ).

٢ - وَيَرَى فَرِيقٌ آخَرُ أَنَّ الْخُلُودَ يَعْنِي الْمَكْتَّ الطَّوِيلَ لَا الدَّوَامَ، لِظَاهِرِ النُّصُوصِ الْقَاطِعَةِ عَلَى أَنَّ عُصَاةَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَدُومُ عَذَابُهُمْ. وَمَا فِي الْآيَةِ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ أَنَّ جَزَاءَهُ ذَلِكَ، لَا أَنَّهُ يَجْزِيهِ بِذَلِكَ حَتْمًا، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(١)، فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْزِي كُلَّ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا لَعَارَضَهُ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢)، فَالْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ هَذَا هُوَ جَزَاؤُهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ مُجَازَاتَهُ.

٣ - وَيَرَى فَرِيقٌ ثَالِثٌ أَنَّ حُكْمَ الْآيَةِ يَتَعَلَّقُ بِالْقَاتِلِ الْمُسْتَحِلِّ لِلْقَتْلِ، وَحُكْمُهُ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ.

وَقَدْ فُسِّرَ عُكْرَمَةُ وَأَبْنُ جُرَيْجٍ (مُتَعَمِّدًا) بـ (مُسْتَحِلًّا) فِي الْآيَةِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (السَّلَامَ) (الْحَيَاةَ)

(٩٤) - يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ضَرْبِ آخَرَ مِنْ ضُرُوبِ الْقَتْلِ خَطَأً، كَانَ يَحْصُلُ أُنْثَاءً سَفَرٍ، أَوْ غَزْوٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى أَرْضٍ

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى
إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ
مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ

(١) الآية ٤٠ من سورة الشورى.

(٢) الآية ٣٤ من سورة الشورى.

مَعَانِمُ كَثِيرَةً كَذَلِكَ
كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ
اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا

المُشْرِكِينَ، بَعْدَ أَنْ كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ ائْتَشَرَ فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ
الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يُحَاوِلُونَ الْاِتِّصَالَ بِأَخْوَانِهِم
الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ لَا يَحْسَبُوا كُلَّ مَنْ وَجَدُوهُ
فِي أَرْضِ الْكُفْرِ كَافِرًا، وَأَنْ يَتَرْتَبُوا فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ حَتَّى يَفْحَصُوا أَمْرَهُ
وَيَتَبَيَّنُوهُ.

(وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِثْرَ حَادِثٍ وَقَعَ لِعِزَاةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ مَرَّ بِهِمْ
رَجُلٌ مِنْ سُلَيْمٍ يَرْعَى غَنَمًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَقَالُوا إِنَّهُ لَا
يُسَلِّمُ عَلَيْنَا إِلَّا لِيَتَعَوَّذَ مِنَّا، فَعَمِدُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَأَتَوْا بِغَنَمِهِ إِلَى النَّبِيِّ).

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِذَا كُنْتُمْ تُجَاهِدُونَ فِي أَرْضِ الْأَعْدَاءِ فَتَبَيَّنُوا، وَلَا تَقُولُوا
لِمَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ، وَيُظْهِرْ لَكُمْ إِسْلَامَهُ، لَسْتُ مُسْلِمًا، وَتَقْتُلُونَهُ رَغْبَةً
مِنْكُمْ فِي الْاِسْتِحْوَاذِ عَلَى الْمَغْنَمِ مِنْهُ، فَعِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا رَغَبْتُمْ فِيهِ مِنْ
عَرَضِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى قَتْلِ مِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي
الْقَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ، وَأَظْهَرَ لَكُمْ الْإِيمَانَ، فَتَغَافَلْتُمْ عَنْهُ وَأَنْهَمْتُمُوهُ
بِالْمُصَانَعَةِ وَالتَّقِيَّةِ لِيَتَبَيَّنُوا عَرَضُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرِّزْقِ
الْحَلَالِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ مَالِ هَذَا. وَقَدْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ، فِي مِثْلِ حَالِ
هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُسِرُّ إِسْلَامَهُ، وَيُخْفِيهِ عَنْ قَوْمِهِ، فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْعِزِّ
وَالنُّصْرِ، وَهَذَاكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
شَيْءٌ مِنَ الْبَوَاعِثِ الَّتِي حَفَزَتْكُمْ عَلَى فِعْلِ مَا فَعَلْتُمُوهُ.
ضَرَبْتُمْ - سَافَرْتُمْ.

السَّلَامُ - الْاِسْتِسْلَامُ أَوْ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ.

(الْقَاعِدُونَ) (وَالْمُجَاهِدُونَ) (بِأَمْوَالِهِمْ) (الْمُجَاهِدِينَ)
(الْقَاعِدِينَ)

(٩٥) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ مَا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ، مِنْ عَظِيمِ الْأَجْرِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالذَّرَجَاتِ الْكَرِيمَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ،
فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ الْقَاعِدِينَ عَنِ الْجِهَادِ - إِذَا كَانُوا غَيْرَ مُعْذَرِينَ، وَغَيْرَ
ذَوِي عِلَّةٍ وَضَرَبٍ - لَا يَسْتَوُونَ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ
اللَّهَ فَضَّلَ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ، وَخَصَّهُمْ بِذَرَجَاتٍ عَظِيمَةٍ،
وَأَجْرٍ كَبِيرٍ، وَإِنْ كَانَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَ الْقَاعِدِينَ عَنِ الْجِهَادِ عَجْزًا، مَعَ
تَمَنِّي الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، كَمَا وَعَدَ الْمُجَاهِدِينَ، بِالْخَيْرِ وَالْمُثُوبَةِ وَالْعَفْوِ
وَالْمَغْفِرَةِ لِأَنْ كُلًّا مِنْهُمْ كَامِلُ الْإِيمَانِ، مُخْلِصٌ لِلَّهِ فِي الْعَمَلِ.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً
وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا
عَظِيمًا

أُولَى الضَّرَرِ - أَرْبَابِ الْأَعْدَارِ الْمَانِعَةِ مِنَ الْجِهَادِ.

(دَرَجَاتٍ)

﴿١٦﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ

اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

(٩٦) - وَهَذَا الْأَجْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُجَاهِدِينَ، وَفَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَى الْقَاعِدِينَ مِنْ ذَوِي الْأَعْدَارِ، هُوَ دَرَجَاتٌ مِّنْهُ، وَمَنَازِلُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِنَ الْكِرَامَةِ، وَالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لِّذُنُوبِ أُولَآئِهِ الَّذِينَ يَسْتَجِئُونَ الْمَغْفِرَةَ، رَجِيمًا بِأَهْلِ طَاعَتِهِ.

(تَوْفَاهُمْ) (الْمَلَائِكَةُ) (وَأَسَمَهُ) (فَأُولَئِكَ) (مَأْوَاهُمْ)

(٩٧) - كَانَ فِي مَكَّةَ قَوْمٌ قَدْ أَسْلَمُوا، وَأَخْفَوْا إِسْلَامَهُمْ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَهُمْ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَصِيبَ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ، وَأَكْرَهُوا فَاسْتَغْفَرُوا لَهُمْ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. فَكَتَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَخْفِينَ فِي مَكَّةَ: أَنَّهُمْ لَا عُدْرَ لَهُمْ، وَأَنَّ عَلَيْهِمُ الْهَجْرَةَ.

وَالْآيَةُ عَامَّةٌ تَتَنَاوَلُ كُلَّ مَنْ أَقَامَ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْهَجْرَةِ، وَلَيْسَ مُتَمَكِّنًا فِي مَوْطِنِهِ مِنْ إِقَامَةِ أُمُورِ دِينِهِ، فَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، مُرْتَكِبٌ حَرَامًا بِالإِجْمَاعِ. وَظَلَمَهُمْ لِأَنفُسِهِمْ هُوَ تَرْكُهُمُ الْعَمَلَ بِالْحَقِّ خَوْفًا مِنَ الْأَذَى، وَفَقَدَ الْكِرَامَةَ عِنْدَ ذَوِي قُرْبَاهُمْ مِنَ الْمُبْطِلِينَ، وَهَذَا الْاِعْتِزَارُ مِمَّا يَعْتَذِرُ بِهِ الَّذِينَ يُسَايِرُونَ أَصْحَابَ الْبِدْعِ بِحُجَّةٍ دَفَعِ الْأَذَى عَنْ أَنفُسِهِمْ بِمُدَارَاةِ الْمُبْطِلِينَ، وَهَذَا لَا يَعْتَدُّ بِهِ، لِأَنَّ الْوَاجِبَ يَقْضِي عَلَيْهِمْ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ مَعَ أَحْتِمَالِ الْأَذَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْهَجْرَةَ إِلَى حَيْثُ يَتِمَكَّنُونَ مِنْ إِقَامَةِ دِينِهِمْ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ الَّذِينَ تَحْضُرُهُمُ الْوَفَاءَةُ، وَهُمْ مُقِيمُونَ فِي أَرْضِ الشُّرْكِ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِقَامَةَ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ، وَلَا إِظْهَارَهَا (وَقَدْ عَدَّ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ ظَالِمِينَ أَنفُسَهُمْ بِتَرْكِهِمُ الْهَجْرَةَ إِلَى دَارِ الْأَمْنِ وَالْإِسْلَامِ)، فَتَسْأَلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ: لِمَ لَيْسْتُمْ مُقِيمِينَ فِي أَرْضِ الْكُفْرِ، وَتَرْكْتُمْ الْهَجْرَةَ؟ فَيَجِيبُونَ: إِنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْبَلَدِ، وَلَا السُّهُابِ فِي الْأَرْضِ. فَقَوْلُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: أَلَيْسَتْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجَرُوا فِيهَا إِلَى حَيْثُ الْأَمْنُ وَالْحُرِّيَّةُ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى إِظْهَارِ الْإِيمَانِ؟ وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ لَا أَنْفُسَهُمْ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ

ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ

قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ

قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً

فَتَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا وَدَّعَهُمْ

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

(وَالْوَلَدَانِ)

(٩٨) - وَأَسْتَشَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ، الَّذِي يَنْتَظِرُ الْقَاعِيدِينَ عَنِ الْهَجْرَةِ مِنْ دَارِ الشَّرْكِ - وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِقَامَةَ شَعَائِرِ دِينِهِمْ - الْمُسْتَضْعِفِينَ الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّخْلُصِ مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَالَّذِينَ لَوْ قَدَرُوا عَلَى التَّخْلُصِ لَمَا اسْتَطَاعُوا الْإِهْدَاءَ إِلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ، وَإِبْجَادِ السَّبِيلِ، كَالْعَجَزَةِ وَالْمَرْضَى وَالنِّسَاءِ وَالْمُرَاهِقِينَ الَّذِينَ عَقَلُوا.

(فَأُولَئِكَ)

(٩٩) - فَهَؤُلَاءِ الْمَعْدُورُونَ قَدْ يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنْهُمْ بَتْرِكَ الْهَجْرَةِ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ، وَاللَّهُ كَثِيرُ الْعَمْرِ وَالْعُقْرَانِ.

(مُرَاعِمًا)

(١٠٠) - يُحَرِّضُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْهَجْرَةِ، وَيُرْعَهُهُمْ فِي مُفَارَقَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَيُعَلِّمُهُمْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُمَا ذَهَبُوا وَجَدُوا أَمَّاكِينَ أَمِنْ يَلْجُونَ إِلَيْهَا، وَيَتَحَصَّنُونَ بِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَتَحَرَّرُونَ فِيهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَيُرَاعِمُونَهُمْ بِهَا، وَيَجِدُونَ سَعَةً فِي الرِّزْقِ. وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ بِنَيْةِ الْهَجْرَةِ فَيَلْقَى حَتْفَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُ الثَّوَابُ عِنْدَ اللَّهِ، مِثْلُ ثَوَابِ مَنْ هَاجَرَ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ أَمْرَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).

الْمُرَاعِمُ - هُوَ مَكَانُ الْهَجْرَةِ وَالْمَاوَى يُصِيبُ فِيهِ الْمُهَاجِرُ الْخَيْرَ وَالسَّعَةَ فَيُرْغَمُ بِذَلِكَ أَنْوَافُ أَعْدَائِهِ.

(الصَّلَاةِ) (الْكَافِرِينَ)

(١٠١) - إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْبِلَادِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ، وَلَا تَضْيِيقُ (جُنَاحُ) أَنْ تُخَفَّفُوا مِنَ الصَّلَاةِ، بِجَعْلِ الصَّلَاةِ الرَّبَاعِيَّةِ ثَنَائِيَّةً، وَعَدَّ الرُّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ الْقَصْرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: (صَدَقَهُ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَأَقْبَلُوا صَدَقَتَهُ). وَعَدَّهَا الْأَئِمَّةُ الْمُؤْمِنُونَ مُطْلَقَةً حَتَّى وَلَوْ تَحَقَّقَ الْأَمْنُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَبْقَ مَا يُخَفِّفُهُمْ مِنَ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ. وَقُدِّرَتِ الْمَسَافَةُ الَّتِي تُجِيزُ الْقَصْرَ بِ ٨١ كِيلُومِتْرًا عِنْدَ الْأَخْصَافِ، وَبِنَحْوِ ٨٩ كِيلُومِتْرًا عِنْدَ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْأُخْرَى.

(١٨) إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالنِّسَاءِ وَالْوَلَدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا

(١٩) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ

وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا



(٢٠) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

(٢١) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ

جُنَاحٌ أَنْ تُقْصِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَلْعَنَافًا وَأَمْبِتَانًا

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا: (فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكَعَتَيْنِ فَلَمَّا هَاجَرَ
الرَّسُولُ إِلَى الْمَدِينَةِ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ، وَأُفِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ).

وَالْآيَةُ هُنَا تَعْنِي الْقَصْرَ مِنَ الرُّكْعَاتِ فِي خَالَةِ الْخَوْفِ، بِأَنْ تُصَلِّيَ طَائِفَةً
مَعَ الْإِمَامِ رَكَعَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا أُنْتَهَتْ مَعَهُ أَتَمَّتْ هِيَ الرُّكْعَةَ الْأُخْرَى
لِنَفْسِهَا، وَتَأْتِي الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى الَّتِي كَانَتْ تَحْرُسُ الطَّائِفَةَ الْأُولَى، الَّتِي
صَلَّتْ، فَتُصَلِّيَ مَعَ الْإِمَامِ الرُّكْعَةَ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ تُتِمُّ الرُّكْعَةَ الثَّانِيَةَ لِنَفْسِهَا.
(أَمَّا قَصْرُ الصَّلَاةِ الرَّبَاعِيَّةِ فِي السَّفَرِ فَإِنَّهُ مَأْخُودٌ مِنَ السَّنَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ).

(الصَّلَاةُ) (طَائِفَةً) (وَرَائِكُمْ) (وَاحِدَةً) (لِلْكَافِرِينَ)

(١٠٢) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ النَّصَّ الْمُجْمَلَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ
فِي مَشْرُوعِيَّةِ قَصْرِ الصَّلَاةِ، وَيُبَيِّنُ هُنَا كَيْفِيَّةَ آدَاءِ صَلَاةِ الْخَوْفِ.

وَالْأَيُّمَةُ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ صَلَاةَ الْخَوْفِ مَنْسُوخَةٌ مِنْ أَسْبَابِ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ.
وَفِي صَلَاةِ الْخَوْفِ، إِذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ فِي الْجَمَاعَةِ وَأَمَّ الْمُسْلِمِينَ فِي
الصَّلَاةِ، تَأْتِي طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَتَأْتُمُّ بِالرَّسُولِ وَهُمْ بِأَسْلِحَتِهِمْ،
وَكَامِلٌ عُذَّتْهُمْ، وَتُصَلِّيَ مَعَهُ الرُّكْعَةَ الْأُولَى مِنْ صَلَاتِهِ، وَيَسْتَمِرُّ النَّبِيُّ
وَاقِفًا يُصَلِّي، وَتُتِمُّ الطَّائِفَةُ الْمُؤْتَمَّةُ بِهِ صَلَاتَهَا بِآدَاءِ الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ
لِنَفْسِهَا، وَتُسَلِّمُ وَتَقُومُ إِلَى مَكَانِ الْجَرَّاسَةِ، وَتَأْتِي الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي لَمْ
تُصَلِّ، وَالَّتِي كَانَتْ فِي مَكَانِ الْجَرَّاسَةِ، فَتَأْتُمُّ بِالنَّبِيِّ، وَتُصَلِّيَ مَعَهُ
الرُّكْعَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ صَلَاتِهِ، ثُمَّ تُتِمُّ الرُّكْعَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ صَلَاتِهَا لِنَفْسِهَا
وَتُسَلِّمُ. وَيُحَذِّرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عُذْرِ الْكُفَّارِ، وَيُنَبِّهُ الْمُسْلِمِينَ لِيَأْخُذُوا
حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ، وَلِيَكُونُوا عَلَى أَهْبَةِ الْاسْتِعْدَادِ لِمُقَارَعَةِ الْأَعْدَاءِ إِذَا
أَرَادُوا الْعُذْرَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ، وَأَعْتَانِ الْفُرْصَةِ فِيهِمْ،
وَهُمْ مُنْشَغِلُونَ بِهَا.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ لَا حَرَجَ إِنْ كَانَ هُنَاكَ مَطَرٌ، أَوْ كَانَ بِالْمُسْلِمِينَ مَرَضٌ
أَنْ يَضَعُوا أَسْلِحَتَهُمْ، وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْذَرُوا وَيَحْتَاطُوا لَتَكُونَ
أَسْلِحَتُهُمْ قَرِيبَةً مِنْهُمْ لِأَخْذِهَا إِذَا أَحْتَاجُوا إِلَى اسْتِعْمَالِهَا عَلَى عَجَلٍ.
وَيُذَكِّرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ وَلِيُّهُمْ، وَأَنَّهُ نَاصِرُهُمْ وَمُخْزِي الْكَافِرِينَ، وَأَنَّهُ
أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

حِذْرَهُمْ - أَحْتَرَّازَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ.

تَغْفُلُونَ - تَسْهُونَ.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ

الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ طَائِفَةٌ

مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا

أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا

فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ

وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى

لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ

وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَيُغْفَلُونَ

عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمَّتِكُمْ

فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ

بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ

مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ

وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ

لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا

(الصَّلَاةُ) (قِيَامًا) (كِتَابًا)

(١٠٣) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ فِي أَنْفُسِهِمْ عَقِبَ صَلَاةِ الْخَوْفِ نَظَرًا لِمَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ التَّخْفِيفِ فِي أَرْكَانِهَا، وَمِنَ الرُّخْصَةِ فِي الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ فِيهَا مِمَّا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهَا. فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ، وَأَظْمَأَتِ الْمُسْلِمُونَ فَعَلَيْهِمْ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَإِتْمَامُهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، لِأَنَّ الصَّلَاةَ مَفْرُوضَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِنَقَامِ فِي أَوْقَاتٍ مَحْدُودَةٍ، لَا بُدَّ مِنْ أَذَانِهَا فِيهَا، عَلَى قَدَرِ الْإِمْكَانِ.

وَقَدْ جُعِلَتِ الصَّلَاةُ مَوْقُوتَةً لِتَكُونَ مُذَكِّرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمْ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، لِئَلَّا تَحْمِلَهُمُ الْعَفْلَةُ عَلَى إِتْيَانِ الشَّرِّ، أَوْ التَّقْصِيرِ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ.

كِتَابًا مَوْقُوتًا - مَكْتُوبًا مَحْدُودَ الْأَوْقَاتِ مَقْدَرًا.

(١٠٤) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْجِدِّ فِي قِتَالِ الْأَعْدَاءِ، وَفِي طَلَبِهِمْ وَبَيْنَهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ إِنْ كَانَتْ تُصِيبُهُمْ جِرَاحٌ، وَيَأْلَمُونَ مِنْهَا، فَإِنَّ أَعْدَاءَهُمْ تُصِيبُهُمْ أَيْضًا جِرَاحٌ، وَيَأْلَمُونَ مِنْهَا. وَالْفَارِقُ الْوَحِيدُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ الْمَوْتَةَ وَالْأَجْرَ، وَالنَّصْرَ وَالْتَّائِيْدَ، وَإِعْلَاءَ كَلِمَةِ اللَّهِ، الَّتِي وَعَدَهُ اللَّهُ بِهَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَالْكَافِرُ لَا يَنْتَظِرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ فِيمَا يَفْرُضُهُ وَيُقَدِّرُهُ. لَا تَهْنُوا - لَا تَضَعُفُوا وَلَا تَتَوَانُوا.

(الْكِتَابُ) (أَرَاكَ) (لِلْمُخَائِنِينَ)

(١٠٥) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي أُبَيْرُق، كَانَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَرَقَ لَأَنْصَارِيٍّ آخَرَ دِرْعًا، فَأَتَتْهُمْ صَاحِبُ الدَّرْعِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، فَعَمَدَ السَّارِقُ إِلَى الدَّرْعِ فَأَخْفَاهَا فِي بَيْتِ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ ذَلِكَ. فَذَهَبُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَغِيرَ صَاحِبَهُمْ، وَيَجَادِلَ عَنْهُ أَمَامَ النَّاسِ، فَقَامَ الرَّسُولُ قَبْرَاهُ، وَعَذَرَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَقَالَ النَّبِيُّ لِأَصْحَابِ الدَّرْعِ إِنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ، أَهْلٍ تَقَى وَصَلَحٍ فَأَتَتْهُمْ بِالسَّرِقَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَالْآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا. فَأَمَرَ الرَّسُولُ بِالْدَّرْعِ فَأُتِيَ بِهَا فَرَدَّهَا إِلَى صَاحِبِهَا، وَهَرَبَ السَّارِقُ فَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ.

وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ إِنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ وَتَيَانِهِ،

(١٠٣) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ

فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا
أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا

(١٠٤) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ

إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ
يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ
وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

(١٠٥) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ
اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْمُخَائِنِينَ
خَصِيمًا

لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهٍ مِنَ الْأَحْكَامِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُنْصَبَ نَفْسُهُ مُدَافِعًا عَنِ الْخَائِنِينَ تَجَاهَ مَنْ يُطَالِبُونَهُمْ بِحُقُوقِهِمْ مِنْهُمْ .
خَصِيصًا - مُخَاصِمًا وَمُدَافِعًا عَنْهُمْ .

(١٠٦) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِمَّا قَالَهُ لِأَصْحَابِ الدَّرْعِ مِنْ أَنَّهُمْ عَمِدُوا إِلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ ، أَهْلُ ثَقْيٍ وَوَرَعٍ وَصَلَاحٍ ، فَأَتَهُمُوهُ بِالسَّرِقَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى كَثِيرُ الْعُفْرِانِ لِمَنْ أَسْتَغْفَرَهُ ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ التَّائِبِينَ .

(تُجَادِلُ)

(١٠٧) - هَذَا الْخَطَابُ وَجَّهَ إِلَى النَّبِيِّ ، وَهُوَ أَغْذَلُ النَّاسِ ، وَأَكْمَلُهُمْ ، مُبَالِغَةً فِي التَّحْذِيرِ مِنْ خِلَّةِ التَّأَثُّرِ بِأَصْحَابِ الْحُجَجِ الْقَوِيَّةِ ، الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَّامِ . وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى خِيَانَةَ الْإِنْسَانِ لِغَيْرِهِ خِيَانَةً لِنَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ ضَرَرَهَا عَائِدٌ عَلَيْهِ .

(وَالْمَقْصُودُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ هُمْ سَارِقُ الدَّرْعِ وَذَوُوهُ الَّذِينَ أَعَانُوهُ لَأَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لَهُ فِي الْإِثْمِ وَالْخِيَانَةِ) .

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ : لَا تُدَافِعْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْخَوَنَةِ ، وَلَا تُسَاعِدْهُمْ عِنْدَ التَّخَاصُمِ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَكْرَهُ مَنْ أَغْتَادَ الْخِيَانَةَ (مَنْ كَانَ خَوَانًا) ، وَأَلْفَتْ نَفْسُهُ أَجْتِرَاحَ السَّيِّئَاتِ ، وَلَمْ يَعُدْ لِلْعِقَابِ الْإِلَهِيِّ فِي نَفْسِهِ رَهْبَةً وَلَا خَشْيَةً تَجْعَلَانِ مِثْلَهُ يَفْكَرُ فِيهِ .

يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ - يَخُونُونَهَا بِأَرْكَابِ الْمَعَاصِي .

(١٠٨) - ثُمَّ يَبَيِّنُ اللَّهُ أَحْوَالَ هَؤُلَاءِ الْخَائِنِينَ ، وَيُنْعِي عَلَيْهِمْ أَفْعَالَهُمْ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ مِنْ شَأْنِ هَؤُلَاءِ الْخَائِنِينَ أَنَّهُمْ يَسْتَبْرُونَ مِنَ النَّاسِ عِنْدَ أَجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ وَالْآثَامِ ، إِمَّا حَيَاءً ، وَإِمَّا خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ ، وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ ، وَلَا يَسْتَبْرُونَ مِنْهُ بِتَرْكِ أَرْبَابِهَا ، لِضَعْفِ إِيْمَانِهِمْ ، لِأَنَّ الْإِيْمَانَ يَمْنَعُ مِنَ الْإِضْرَارِ ، وَمِنْ تَكَرُّرِ الذَّنْبِ ، فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ ، فِي حَالِكِ الظُّلْمَةِ ، لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَتْرَكَ الذَّنْبَ حَيَاءً مِنَ اللَّهِ . وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ مُشَاهِدُهُمْ حِينَ يَتَّقُونَ لَيْلًا عَلَى مَا لَا يُرْضِي اللَّهُ مِنْ الْقَوْلِ تَبَرُّتَهُمْ لَأَنْفُسِهِمْ ، وَرَمْيًا لِغَيْرِهِمْ بِجَرِيمَتِهِمْ ، وَاللَّهُ حَافِظٌ لِأَعْمَالِهِمْ (مُحِيطًا) لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى نَجَاتِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ .

يُيْتُونَ - يَدْبُرُونَ بَلِيلًا .

﴿١٠٦﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ

عَفُورًا رَحِيمًا

﴿١٠٧﴾ وَلَا تَجِدْ عَنِ الَّذِينَ

يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا

﴿١٠٨﴾ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا

يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ

إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا

(هَا أَنْتُمْ) (جَادَلْتُمْ) (الْحَيَاةَ) (يُجَادِلُ) (الْقِيَامَةَ)

(١٠٩) - لَقَدْ جَادَلْتُمْ عَنِ السَّارِقِينَ، وَحَاوَلْتُمْ تَبْرِئْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَكُونُ الْحُكْمُ وَالْحَاكِمُ هُوَ اللَّهُ، الْمُحِيطُ بِأَعْمَالِهِمْ، وَأَحْوَالِهِمْ، وَأَحْوَالِ الْخَلْقِ كَافَّةً، فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُرَاقِبُوا اللَّهَ، وَلَا يَظُنُّوا أَنَّ مَنْ أَمَكَّنَهُ الْقَوْرُ بِالْحُكْمِ لَهُ مِنْ قَضَاةِ الدُّنْيَا بَغْيَرٌ حَقٌّ، يُمَكِّنُ أَنْ يَظْفَرَهُ فِي الْأَجْرَةِ. وَكَيْلًا - حَافِظًا أَوْ مُحَامِيًا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ.

(١١٠) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِعَفْوِهِ وَجَلَمِهِ وَكَرَمِهِ، وَسِعَةِ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، فَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، ثُمَّ أَسْتَغْفَرَ اللَّهَ، فَإِنَّهُ يَجِدُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ كَبِيرَةً. (وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُذْئِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدَلِكِ الذَّنْبِ إِلَّا غُفِرَ لَهُ).

(١١١) - ثُمَّ حَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فِعْلِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَذَكَرَ عَظِيمَ ضَرَرِهَا، فَقَالَ: لَا يُغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا. وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَجُحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّهُ وَضَعَ لِلنَّاسِ الشَّرَائِعَ، وَبَيَّنَ لَهُمُ الْحُدُودَ، وَوَضَعَ لِلْحُدُودِ عِقَابًا يَنْزِلُهُ بِمَنْ يَتَجَاوَزُهَا، أَوْ يَغْفُو عَنْهُ تَفَضُّلاً وَتَكْرُمًا.

(بَرِيئًا) (بُهْتَانًا)

(١١٢) - وَالَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ الْجُرْمَ وَيَزْمُونَ بِهِ بَرِيئًا، كَمَا فَعَلَ بَنُو أُبَيْرِقَ، الَّذِينَ سَرَقُوا الدَّرْعَ، وَأَتَّهَمُوا الرَّجُلَ الْيَهُودِيَّ الْبَرِيءَ بِهَا، فَإِنَّهُمْ يَرْتَكِبُونَ إِثْمًا عَظِيمًا وَاضِحًا، إِذْ حَمَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَزَرَّ الْبُهْتَانُ بِأَفْرَائِهِمْ عَلَى إِنْسَانٍ بَرِيءٍ، مَعَ وَزْرِ الْجُرْمِ الَّذِي آرَتْكَوهُ.

(طَائِفَةً) (الْكِتَابَ)

(١١٣) - لَقَدْ حَاوَلَ أَصْحَابُ بَنِي أُبَيْرِقَ تَبْرِئَةَ صَاحِبِهِمْ مِنْ سَرَقَةِ الدَّرْعِ، وَعَزَّوْا إِلَيْهِ الصَّلَاحَ وَالْتَقَى، وَلَامَوْا صَاحِبَ الدَّرْعِ لِاتِّهَامِهِ قَوْمًا صَلَحَاءَ، وَهُمْ بِذَلِكَ إِنَّمَا كَانُوا يَرِيدُونَ أَنْ يُضْلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَشَفَ لَهُ حَقِيقَةَ مَا وَقَعَ. وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَاوَلُوا تَضْلِيلَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّمَا يُضْلُونَ أَنْفُسَهُمْ، فَقَدْ عَصَمَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي الْخَطَا، وَأَيَّدَهُ بِفَضْلِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ (الْكِتَابَ) وَالْحِكْمَةَ (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى الْحِكْمَةِ هُنَا مَا تَضَمَّنَتْهُ سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ) وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ

﴿١٠٩﴾ هَاتَا تَنْتُمْ هَتَوْلَا جَدَلْتُمْ

عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ
وَكَيْلًا

﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ

نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا

يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا

﴿١١٢﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا

ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ
بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مِثْلُهَا

﴿١١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ

لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ
يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُونَكَ مِنْ
شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

مِنْ قَبْلِ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَظِيمًا عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ .

(نَجَوَاهُمْ) (إِصْلَاحِ) (مَرْضَاة)

(١١٤) - لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَتَذَكَّرُ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُسْرِوْنَ الْحَدِيثَ، مِنْ جَمَاعَةِ ابْنِ أَبِي سَرْقٍ، الَّذِينَ أَرَادُوا مُسَاعَدَتَهُ عَلَى اتِّهَامِ الْيَهُودِيِّ وَبَنِيهِ، وَمَنْ مَاتَ لَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَلَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ فِي نَجْوَى النَّاسِ، إِلَّا إِذَا تَنَاولَتْ أَحَادِيثَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ، أَوْ أَمْرًا بِصَدَقَةٍ، أَوْ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ)، أَوْ سَعْيًا فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ بَيْنَ أَنْاسٍ مُخْتَلِفِينَ مُتَخَاصِمِينَ. وَمَنْ يَفْعَلْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةَ، آيَغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَرْضَاتِهِ لَا يَتَّبِعِي ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ اللَّهِ، فَسَوْفَ يُثِيبُهُ اللَّهُ ثَوَابًا جَزِيلًا كَثِيرًا.

النَّجْوَى - الْمَسَارَةُ فِي الْحَدِيثِ. وَالنَّجْوَى مَطْنَةُ الشَّرِّ، لِأَنَّ عَادَةَ النَّاسِ جَرَتْ بِحُبِّ إِظْهَارِ الْخَيْرِ، وَالتَّحَدُّثِ فِيهِ، وَلِأَنَّ الْإِثْمَ وَالشَّرَّ هُمَا اللَّذَانِ يُذَكَّرَانِ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى.

(١١٥) - مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﷺ بِأَرْتِدَادِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَإِظْهَارِ الْعِدَاوَةِ لَهُ، وَمَنْ يَسْلُكْ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ، فَصَارَ فِي شِقِّ، وَالشَّرْعُ فِي شِقِّ آخَرَ، وَذَلِكَ عَنْ عَمْدٍ مِنْهُ، بَعْدَمَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الرُّشْدُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّتِي قَامَ عَلَيْهَا إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ (وَالْجَمَاعُ الْأُمَّةُ دَلِيلٌ عَلَى الْعِصْمَةِ مِنَ الْخَطَا)، جَازَاهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ يُحَسِّنَ لَهُ أَعْمَالَهُ فِي صُدْرِهِ، وَيَزَيِّنَهَا لَهُ أَسْتَدْرَاجًا لَهُ، وَيَجْعَلَ مَصِيرَهُ فِي جَهَنَّمَ، يَصْطَلِي بِلَطَاهَا، وَسَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمَصِيرًا. يُشَاقِقُ - يُخَالِفُ.

تَوَلَّى مَا تَوَلَّى - نُحِلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ. نَصَلَهُ جَهَنَّمَ - نُذِلَّهُ فِيهَا فَيَسْوَى فِيهَا.

(ضَلَالًا)

(١١٦) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ يُشْرِكُ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ سِوَاهُ، أَمَّا مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ يَغْفِرُهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا فَقَدْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَضَلَّ عَنِ الْهُدَى، وَابْتَعَدَ عَنِ الصَّوَابِ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ، وَخَسِرَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.



لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ

مَنْ نَجَوْنَهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا

(إِنَّا) (الشَّيْطَانُ)

(١١٧) - إِنَّ الْكَافِرِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا صُورُوهَا، وَقَالُوا إِنَّهَا تُشْبِهُ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي رَعَمُوا أَنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، لِذَلِكَ عَبْدُوهَا، وَسَمَوْهَا بِأَسْمَاءِ الْإِنَاثِ (مثل اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ . . .) وَالَّذِي أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ هُوَ الشَّيْطَانُ، وَهُوَ الَّذِي حَسَنَ لَهُمْ ذَلِكَ، وَزَيَّنَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَكَانَتْ طَاعَتُهُمْ لَهُ عِبَادَةً.

مريداً - مُتَمَرِّداً وَمُتَجَرِّداً مِنَ الْخَيْرِ.
إِنَّا - أَصْنَامًا يُزَيِّنُونَهَا كَالنِّسَاءِ.

(١١٨) - وَالشَّيْطَانُ الَّذِي أَضَلَّ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارَ قَدْ طَرَدَهُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ جَوَارِهِ (لَعْنَهُ).

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ: إِنَّهُ سَيَقْتُلُ عِبَادَ اللَّهِ، وَسَيَتَّخِذُ مِنْهُمْ نَصِيبًا مُعِينًا يَجْعَلُهُمْ مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَتْبَاعِهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ النَّصِيبَ الْمَفْرُوضَ الْمَقْصُودَ هُنَا هُوَ مَا لِلشَّيْطَانِ فِي نَفْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ لِلشَّرِّ، إِذْ مَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَيَشْعُرُ فِي نَفْسِهِ بِوَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ).

(وَلَا مَرْتَهُمْ) (أَذَانُ) (الْأَنْعَامِ) (الشَّيْطَانِ)

(١١٩) - وَتَتَابَعِ الشَّيْطَانُ قَوْلَهُ لِلَّهِ: إِنَّهُ سَيَعْمَلُ عَلَى إِضْلَالِ عِبَادِ اللَّهِ عَنِ الْحَقِّ، وَعَلَى صَرْفِهِمْ عَنِ الْهَدْيِ، وَإِنَّهُ سَيَزِينُ لَهُمُ الاسْتِعْجَالَ بِالذَّلَاتِ الْحَاضِرَةِ، وَالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَسَيَعِدُّهُمْ الْأَمَانِي، وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُهُمْ بِتَشْقِيقِ أَذَانِ الْبَهَائِمِ السَّائِمَةِ، وَجَعْلِهَا سِمَةً وَعَلَامَةً لِلْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ، وَسَيَأْمُرُهُمْ بِتَغْيِيرِ خَلْقِ اللَّهِ مِنَ النَّاجِيَةِ الْمَادِيَةِ كَخَصِيِ الدَّوَابِّ وَالْوَشْمِ، وَمِنْ النَّاجِيَةِ الْمَعْنَوِيَةِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِتَغْيِيرِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَمَّا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمِيلِ إِلَى النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَطَلَبِ الْحَقِّ، وَتَرْبِيَّتِهَا وَتَعْوِيدِهَا عَلَى الْأَبَاطِيلِ وَالرَّدَائِلِ وَالْمُنْكَرَاتِ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَهَؤُلَاءِ يُفْسِدُونَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَيَظْمُسُونَ عُقُولَ النَّاسِ.

وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَخْسِرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَتَبْلُكَ خَسَارَةً لَا جَبْرَ لَهَا، وَلَا اسْتِدْرَاكَ لِغَايَتِهَا.

يَتَكَنَّ - يُشَقِّقُنْ.

خَلَقَ اللَّهُ - فِطْرَةَ اللَّهِ.

﴿١١٧﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا

إِنْثَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا
شَيْطَانًا مَرِيدًا

﴿١١٨﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخِذَنَّ

مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا

﴿١١٩﴾ وَلَا أَضِلَّهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ

وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ

ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ

فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ

يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِمَّنْ

دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ

خُسْرَانًا مُبِينًا

(الشَّيْطَانُ)

(١٢٠) - يُخَوِّفُ الشَّيْطَانُ النَّاسَ مِنَ الْفَقْرِ إِذَا هُمْ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُوسَّسُ لَهُمْ بِأَنْ أَمْوَالَهُمْ تَنْفَدُ أَوْ تَنْقُصُ، وَيُضْبَحُونَ فَقَرَاءَ أَذْلَاءَ، وَيَعِدُّهُمْ بِالْغَنَى وَالثَّرْوَةِ حِينَ يُغْرِبُهُمْ بَلْعَبِ الْقِمَارِ وَيُمْنُهُمْ بِأَنَّهُمْ الْفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ كَذَبَ وَأَفْتَرَى فِي ذَلِكَ فَوَعْدُهُ بَاطِلَةٌ. غُرُورًا - خِدَاعًا وَبَاطِلًا.

(أُولَئِكَ) (مَاوَاهُمْ)

(١٢١) - وَهَؤُلَاءِ الْمُسْتَحْسِنُونَ لِمَا وَعَدَهُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَمَنَاهُمْ بِهِ، سَيَكُونُ مَاوَاهُمْ وَمَصِيرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ، وَلَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا وَلَا خَلَصًا. مَحِيصًا - مَهْرَبًا أَوْ مَجِيدًا.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ)

(١٢٢) - بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ أَتْبَاعِ الشَّيْطَانِ، ثَمَّ يَبَيِّنُ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ السُّعَدَاءِ، الَّذِينَ لَا يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْتَسِلُونَ لِأَمْرِهِ، وَمَا لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ التَّامَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَصَدَّقَتْ قُلُوبُهُمْ، وَعَمِلَتْ جَوَارِحُهُمْ بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرَكَوْا مَا نَهَوْا عَنْهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، سَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ، وَيَكُونُونَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَهُوَ وَعْدٌ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَ مَا وَعَدَ بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَصْدَقُ قَوْلًا مِنَ اللَّهِ.

(الْكِتَابِ)

(١٢٣) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَخَاصَمَ أَهْلُ الْأَدْيَانِ فَقَالَ أَهْلُ التَّوْرَةِ: كِتَابُنَا خَيْرُ الْكِتَابِ، وَبَيْنَنَا خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ. وَقَالَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ: مِثْلَ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ: لَا دِينَ إِلَّا الْإِسْلَامُ، وَكِتَابُنَا نَسَخَ كُلَّ الْكِتَابِ، وَبَيْنَنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَمْرُنَا أَنْ تُؤْمِنَ بِكِتَابِكُمْ وَنَعْمَلْ بِكِتَابِنَا. فَقَضَى اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. وَقَالَ لَهُمْ لَيْسَ فَضْلُ الدِّينِ وَشَرَفُهُ، وَلَا نَجَاةُ أَهْلِهِ تَكُونُ بِأَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ مِنْهُمْ إِنَّ دِينِي أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا يَهْدِيهِ إِلَيْهِ دِينُهُ، فَإِنَّ الْجَزَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ

يَعِدُّهُمْ وَيُمْنُهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا

أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ
وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ
مِنَ اللَّهِ قِيلًا

لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ
أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ
سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا يَحْدِلُهُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

عَلَى الْعَمَلِ، لَا عَلَى التَّمَنِّي وَالْغُرُورِ، فَلَيْسَ أَمْرُ نَجَاتِكُمْ، وَلَا نَجَاةُ أَهْلِ الْكِتَابِ، مُنَوَّطًا بِالْأَمَانِي فِي الدِّينِ، فَلَاذِيَانِ لَمْ تُشْرَعْ لِلتَّفَاخُرِ وَالتَّبَاهِي، وَلَا تَحْصُلُ فَايْدَتْهَا بِالِاتِّسَابِ إِلَيْهَا، دُونَ الْعَمَلِ بِهَا. فَالْعِبْرَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاتِّبَاعِ شَرْعِهِ الَّذِي جَاءَ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ، فَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا، مِنْ أَيِّ دِينٍ كَانَ يَجِدْ جَزَاءَهُ، وَلَنْ يَنْصُرَهُ أَحَدٌ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ، وَلَنْ يَجِيرَهُ أَحَدٌ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ، فَعَلَى الصَّادِقِ فِي دِينِهِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا هَدَاهُ إِلَيْهِ كِتَابُهُ وَرُسُلُهُ.

(الصَّالِحَاتِ) (فَأُولَئِكَ)

(١٢٤) - وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى عَمَلًا صَالِحًا، وَهُوَ مُطْمَئِنُّ الْقَلْبِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُكَافئُهُ عَلَى أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ بِإِدْخَالِهِ الْجَنَّةِ، وَلَا يُنْقِصُهُ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ وَلَوْ كَانَ شَيْئًا بَسِيطًا جَدًّا (نَقِيرًا). النَّقِيرُ - نَقْطَةٌ دَاخِلُ نَوَاةِ الثَّمَرِ لَا وَرْنَ لَهَا.

(إِبْرَاهِيمَ)

(١٢٥) - وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ جَعَلَ قَلْبَهُ خَالِصًا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَخْلَصَ الْعَمَلَ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَمِلَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ فِي عَمَلِهِ مُحْسِنًا، وَمُتَّبِعًا مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُ، وَمَا أُرْسِلَ بِهِ رَسُولُهُ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ. وَهَذَانِ شَرْطَانِ لَا يَصِحُّ بِذَوْنِهِمَا عَمَلٌ صَالِحٌ: - أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ خَالِصًا لِلَّهِ. - أَنْ يَكُونَ صَوَابًا مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ.

وَعَلَى الْعَامِلِ الْمُخْلِصِ فِي عَمَلِهِ لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ قَدْ اتَّبَعَ، مَعَ مُحَمَّدٍ وَالْمُسْلِمِينَ، مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ مُخْلِصًا، مُنْحَرِفًا عَنِ الشِّرْكِ (حَنِيفًا)، وَتَارِكًا لِلشِّرْكِ عَنْ بَصِيرَةٍ، وَمَقْبِلًا عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى بِكُلِّيَّةٍ. ثُمَّ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى تَرْغِيبَ الْمُؤْمِنِينَ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي بَلَغَ غَايَةَ مَا يَقْتَرِبُ بِهِ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ أَنْتَهَى إِلَى مَنَزِلَةِ الْخَلِيلِ لَدَى خَالِقِهِ، وَهِيَ أَرْفَعُ مَقَامَاتِ الْمَحَبَّةِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ هَذِهِ الْمَنَزِلَةُ كَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُتَّبَعَ فِي مِلَّتِهِ. أَسْلَمَ وَجْهَهُ - أَخْلَصَ نَفْسَهُ أَوْ تَوَجَّهَهُ وَعِبَادَتَهُ. حَنِيفًا - مَائِلًا عَنِ الْبَاطِلِ وَالشِّرْكِ.

(١٢٦) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ

مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا

(١٢٧) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ

وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ
إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا

(السَّمَاوَاتِ)

(١٢٦) - جَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مُلْكُ اللَّهِ، وَخَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، لَا رَادَّ لِمَا قَضَى، وَلَا مُعَقِّدَ عَلَيْهِ فِي حُكْمِهِ، وَعِلْمُهُ نَافِذٌ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

(الْكِتَابِ) (يَتَامَى) (اللَّاتِي) (الْوِلْدَانِ) (لِلْيَتَامَى)

(١٢٧) - يَسْتَفْتُونَكَ فِي شَأْنِ النِّسَاءِ لِيَبَانَ مَا غَمَضَ وَأَشْكَلَ مِنْ أَحْكَامِهِنَّ، مِنْ جِهَةِ حُقُوقِهِنَّ الْمَالِيَّةِ وَالزَّوْجِيَّةِ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ، فِيمَا يُوحِيهِ إِلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ فِي كِتَابِهِ، وَيُفْتِيكُمْ فِي شَأْنِهِنَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْقُرْآنِ، مِمَّا نَزَلَ قَبْلَ هَذَا الْأَسْتِفْئَاءِ، فِي أَحْكَامِ مُعَامَلَةِ يَتَامَى النِّسَاءِ، اللَّاتِي جَرَتْ عَادَتُكُمْ أَلَّا تُعْطُوهُنَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُنَّ مِنَ الْإِرْثِ، إِذَا كَانَ فِي أَيْدِيكُمْ، لِوَلَايَتِكُمْ عَلَيْهِنَّ، وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ لِجَمَالِهِنَّ وَالتَّمَتُّعِ بِأَمْوَالِهِنَّ، أَوْ تَرْغَبُونَ عَنْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ لِدِمَامَتِهِنَّ، فَلَا تَنْكِحُوهُنَّ أَنْتُمْ وَلَا تَنْكِحُوهُنَّ غَيْرَكُمْ مِنَ الرِّجَالِ حَتَّى يَبْقَى مَالُهُنَّ فِي أَيْدِيكُمْ، فَحَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ وَنَهَى عَنْهُ، وَأَمَرَ اللَّهُ الرَّجُلَ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْيَتِيمَةَ بِأَنْ يُمَهِّرَهَا أَسْوَدَ بِأَمْوَالِهَا مِنَ النِّسَاءِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُعْدِلْ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ، فَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَى الرِّجَالِ.

وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُورَثُونَ الصَّغَارَ وَلَا الْبَنَاتِ، فَنَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، وَبَيَّنَ لِكُلِّ ذِي سَهْمٍ سَهْمَهُ، وَحَثَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَأَمْتِثَالِ أَوْامِرِهِ تَعَالَى، فَقَالَ لَهُمْ: وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِهِ وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهِ أَوْفَى الْجَزَاءِ.

بِالْقِسْطِ - بِالْعَدْلِ فِي الْمِيرَاثِ وَالْأَمْوَالِ.

(١٢٨) - إِذَا خَافَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ زَوْجِهَا أَنْ يَنْفِرَ مِنْهَا، وَيُعْرِضَ عَنْهَا، فَلَهَا أَنْ تَتَّقَى مَعَهُ عَلَى أَنْ تُسْقِطَ عَنْهُ حَقَّهَا كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ: مِنْ نَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ أَوْ مَبِيتٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُقُوقِهَا عَلَيْهِ، لِيَبْقَى عِنْدَهُ عَزِيزَةٌ مُكْرَمَةٌ، أَوْ تَسْمَحَ لَهُ بِبَعْضِ الْمَهْرِ، أَوْ بِمَتَاعِ الطَّلَاقِ، أَوْ بِكُلِّ ذَلِكَ، لِيُطْلَقَهَا كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى. وَلَهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهَا ذَلِكَ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهَا فِي بَذْلِهِ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي قَبُولِهِ مِنْهَا. وَالصُّلْحُ خَيْرٌ مِنَ الْفِرَاقِ وَالتَّسْرِيحِ، وَقَدْ سَاوَى اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَمَيَّزَ الرِّجَالَ بِالْقِيَامِ بِرِئَاسَةِ الْأَسْرَةِ، لِأَنَّ الرَّجُلَ أَقْوَى مِنَ الْمَرْأَةِ بَدْنًا وَعَقْلًا، وَأَقْدَرُ عَلَى الْكَسْبِ

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا

وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

وَالنَّفَقَةِ، فَيَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُعَاشِرَ الْمَرْأَةَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْ يَتَحَرَّى الْعَدْلَ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ .

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ النُّفُوسَ غُرُضَةٌ لِلشَّحِّ، فَإِذَا عَرَضَ لَهَا ذَاعٌ مِنْ دَوَائِي الْبَذْلِ أَلَمْ يَهَا السُّحُّ وَالْبُخْلُ، فَهَاهَا عَنْ أَنْ تَبْدُلَ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَبْدُلَهُ لِأَجْلِ الصُّلْحِ، فَالنِّسَاءُ حَرِيصَاتٌ عَلَى حُقُوقِهِنَّ فِي الْقِسْمِ وَالنَّفَقَةِ، وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ، وَالرِّجَالُ حَرِيصُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ أَيْضًا، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّسَامُحُ بَيْنَهُمَا كَامِلًا. ثُمَّ رَغِبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَقَاءِ الزَّوْجِيَّةِ جِهْدَ الْمُسْتَطَاعِ فَقَالَ: وَإِنْ تَحَسَّنُوا الْعِشْرَةَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَتَتَّقُوا أَسْبَابَ النُّشُوزِ وَالْإِعْرَاضِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِمَا مِنَ الشَّقَاقِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ بِذَلِكَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

بَعْلُهَا - زَوْجُهَا.

نُشُوزًا - تَجَافًا عَنْهَا وَظُلْمًا.

السُّحُّ - الْبُخْلُ مَعَ الْجِرْصِ.

(١٢٩) - وَلَنْ يَسْتَطِيعَ الرَّجُلُ أَنْ يُسَاوِيَ فِي الْمُعَامَلَةِ بَيْنَ النِّسَاءِ، مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، فَإِنْ وَقَعَ الْقِسْمُ الصُّورِيَّ لَيْلَةً وَلَيْلَةً، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْمَحَبَّةِ، وَالرَّغْبَةِ (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي قِسْمَتِهِ بَيْنَ نِسَائِهِ: اللَّهُمَّ هَذَا قِسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تُلْمَنِي فِيمَا لَا أَمْلِكُ) - وَيَعْنِي الْقَلْبَ.

وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكْلِفِ النَّاسَ إِلَّا الْعَدْلَ فِيمَا يَسْتَطِيعُونَ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: فَإِذَا مِلْتُمْ إِلَى وَاحِدَةٍ تَحِبُّونَهَا مِنْهُنَّ، فَلَا تَبَالُغُوا فِي الْمِيلِ إِلَيْهَا فَتَبْقَى الْأُخْرَى مُعَلَّقَةً، لَا هِيَ بِذَاتِ زَوْجٍ، وَلَا هِيَ مُطْلَقَةٌ. وَإِنْ أَصْلَحْتُمْ فِي مُعَامَلَةِ النِّسَاءِ، وَأَتَّقَيْتُمْ ظُلْمَهُنَّ، وَتَفَضَّلْتُمْ بَعْضَهُنَّ عَلَى بَعْضٍ، وَعَدَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ فِيمَا يَدْخُلُ فِي اخْتِيَارِكُمْ كَالْقِسْمِ وَالنَّفَقَةِ وَأَتَّقَيْتُمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ مَا كَانَ مِنْ مِيلٍ إِلَى بَعْضِ النِّسَاءِ دُونَ بَعْضٍ.

أَنْ تَعْدِلُوا - فِي الْمَحَبَّةِ وَمِثْلِ الْقَلْبِ وَالْمُؤَانَسَةِ.

(وَاسِعًا)

(١٣٠) - أَمَّا إِذَا آثَرَ الزَّوْجَانِ أَنْ يَتَفَرَّقَا، لِأَنَّهُمَا يَخَافَانِ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُغْنِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ، وَيَعْوِضُهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ صَاحِبِهِ.

وَلَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنْهُمَا جَدِيرًا بِعَنَايَةِ اللَّهِ، إِلَّا إِذَا التَزَمَا حُدُودَ اللَّهِ، بِأَنْ

﴿١٢٩﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا

بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا

تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ

فَتَذَرُوهُنَّ كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ

تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ

كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

﴿١٣٠﴾ وَإِنْ يَفْرَقَا يُعِنَ اللَّهُ كُلًّا

مِنْ سَعْيِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا

حَكِيمًا

اجْتَهَدَا فِي الْوَقَاقِ وَالصُّلَحِ ، وَلَكِنْ ظَهَرَ لَهُمَا ، بَعْدَ التَّفَكُّيرِ وَالتَّرَوِّي فِي الْأَسْبَابِ ، أَنَّ الْحَيَاةَ الزَّوْجِيَّةَ أَصْبَحَتْ غَيْرَ مُسْتَطَاعَةٍ فَافْتَرَقَا ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا فِي النُّفُوسِ ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَطَاءَ فَيُعْطِيهِ .

(السَّمَاوَاتِ) (الْكِتَابِ)

(١٣١) - اللَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا لِكُفُّمَا ، فَلَا يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ الْإِغْنَاءُ بَعْدَ الْفَقْرِ ، وَلَا الْإِنْسَانُ بَعْدَ الْوَحْشَةِ ، وَقَدْ أَمَرَكُمْ بِمَا أَمَرَ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِتَقْوَاهُ فِي إِقَامَةِ سُنَنِهِ وَشَرْعِهِ ، لِتَرْتَقِيَ مَعَارِفُكُمْ ، وَتَرْكُوزُ نَفُوسُكُمْ ، وَتَنْتَظِمَ مَصَالِحُكُمْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ .

أَمَّا إِذَا اخْتَارَ النَّاسُ الْكُفْرَ ، فَإِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، غَنِيٌّ عَنِ النَّاسِ لَا يَضُرُّهُ كُفْرُهُمْ ، وَلَا تُؤْذِيهِ مَعَاصِيهِمْ ، وَلَا يَنْفَعُهُ شُكْرُهُمْ ، وَلَا تَقْوَاهُمْ ، وَقَدْ أَوْضَاكُمْ بِمَا أَوْصَى بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ رَحْمَةً بِكُمْ ، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ عِبَادَتِكُمْ ، وَهُوَ تَعَالَى مَحْمُودٌ فِي جَمِيعِ مَا يُقَدَّرُهُ وَيُشْرَعُهُ ، وَهُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(السَّمَاوَاتِ)

(١٣٢) - وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقًا وَمُلْكًا ، وَهُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَهُوَ الرَّقِيبُ الشَّهِيدُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ . وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْعِبَادُ تَحْتَ سُلْطَانِ اللَّهِ وَقَهْرِهِ ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تُعْجِزُوهُ طَلَبًا . وَكَيْلًا - شَهِيدًا أَوْ دَافِعًا وَمُجِيرًا أَوْ قِيمًا .

(بِآخِرِينَ)

(١٣٣) - وَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِفْنَائِكُمْ ، وَعَلَى إِجْعَادِ قَوْمٍ آخَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ ، يَحْلُونَ مَحَلَّكُمْ فِي خِلَافَةِ الْأَرْضِ وَالتَّصَرُّفِ فِيهَا ، إِذَا عَصَيْتُمُوهُ ، فَمَا أَهْوَنَ الْعِبَادَةِ عَلَى اللَّهِ إِذَا خَالَفُوهُ ، وَعَصَوْا أَمْرَهُ .

(الْآخِرَةِ)

(١٣٤) - مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ ، بِسَعْيِهِ وَجَهَادِهِ فِي حَيَاتِهِ ، نَعِيمَ الدُّنْيَا : الْمَالِ وَالْجَاهِ وَنَحْوَهُمَا . فَهُوَ قَاصِرُ الْهِمَّةِ ، لِأَنَّ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابَ الدَّارَيْنِ مَعًا ، وَالْجَمْعُ فِي الْعَمَلِ لِلدُّنْيَا مَعَ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ أَمْرٌ مَيْسُورٌ لَكُمْ ، فَمِنْ خَطَلِ الرَّأْيِ أَنْ تَتْرَكُوا الْعَمَلَ لِلْآخِرَةِ الْبَاقِيَةَ ، وَتَقْصُرُوا هِمَّكُمْ عَلَى

﴿١٣١﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ

وَيَاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ

تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا

حَمِيدًا

﴿١٣٢﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

﴿١٣٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا

النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ

اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا

﴿١٣٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا

فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا

بَصِيرًا

الْعَمَلِ لِلدُّنْيَا الرَّاثِلَةِ الْفَانِيَةِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِ الْعَاقِلِ أَنْ يَقُولَ: (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِ الْعِبَادِ، حِينَ مُخَاطَبَاتِهِمْ وَمُنَاجَاتِهِمْ، بِصِرِّ بِجَمِيعِ أُمُورِهِمْ، فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (قَوَّامِينَ) (الْوَالِدِينَ) (تَلَوُوا)

(١٣٥) - الْعَدْلُ هُوَ نِظَامُ الْوُجُودِ، لِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَجْعَلُوا الْعَيْنَاةَ بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ، عَلَى وَجْهِهِ الصَّحِيحِ، صِفَةً ثَابِتَةً لَهُمْ، رَاسِخَةً فِي نَفُوسِهِمْ (كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ).

وَالْعَدْلُ كَمَا يَكُونُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ، يَكُونُ أَيْضاً فِي الْعَمَلِ: كَالْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ مِنَ الْعَدْلِ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ وَالْأَوْلَادِ، فِي النِّفَاقَةِ، وَالْمُسَاوَاةِ بَيْنَهُمْ. وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَكُونُوا شُهَدَاءَ اللَّهِ، بِأَنْ يَتَحَرَّوْا الْحَقَّ الَّذِي يَرْضَاهُ اللَّهُ، وَيَأْمُرُ بِهِ، مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةٍ لِأَحَدٍ، وَلَا مُحَابَاةٍ لَهُ، وَلَوْ كَانَتْ الشَّهَادَةُ عَلَى نَفْسِ الْإِنْسَانِ، بِأَنْ يُثَبِّتَ بِهَا الْحَقَّ عَلَيْهِ (وَمَنْ أَقْرَبُ عَلَى نَفْسِهِ بِحَقِّ فَقَدْ شَهِدَ عَلَيْهَا)، أَوْ عَلَى وَالِدِي الْإِنْسَانِ، أَوْ عَلَى أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، إِذْ لَيْسَ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَلَا مِنْ صَلَةِ الرَّحِمِ، أَنْ يُعَانُوا عَلَى أَكْلِ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ حَقٌّ، بَلِ الْبِرُّ وَالصَّلَةُ فِي الْحَقِّ وَالْمَعْرُوفِ.

وَيُوصِي اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْتِزَامِ الْعَدْلِ فِي الشَّهَادَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقَارِبِ، سَوَاءً أَكَانَ فَقِيراً أَوْ غَنِيّاً، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْلَى بِهِ، وَشَرْعُهُ أَحَقُّ بِأَنْ يُتَّبَعَ فِيهِ، فَحَذَرُ أَنْ تُحَابُوا غَنِيّاً طَمَعاً فِي بَرِّهِ، أَوْ خَوْفاً مِنْ سَطَوْتِهِ، وَحَذَرُ أَنْ تُحَابُوا فَقِيراً عَطْفاً عَلَيْهِ، أَوْ شَفَقَةً بِهِ فَمَرْضَاةُ الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ لَيْسَتْ خَيْراً لَكُمْ وَلَا لَهُ مِنْ مَرْضَاةِ اللَّهِ، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى لِكَلَّا تَعْدِلُوا عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يُحَرِّفُوا الشَّهَادَةَ وَلَا يَتَعَمَّدُوا الْكَذِبَ فِيهَا، وَأَنْ لَا يُعْرِضُوا عَنْ أَذَانِهَا إِذَا مَا دُعُوا إِلَى الشَّهَادَةِ، وَيُخْبِرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ تَصَرُّفَاتِ الْعِبَادِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ قَصْدُهُمْ، وَأَنَّهُ مُجَازِيهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ.

أَنْ تَعْدِلُوا - كَرَاهَةِ الْعُدُولِ عَنِ الْحَقِّ.

تَلَوُوا - تُحَرِّفُوا فِي الشَّهَادَةِ.

تُعْرِضُوا - تَتْرَكُوا إِقَامَتَهَا رَأْساً.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ

لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ

وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً

أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا

تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ

تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (آمَنُوا) (وَالْكِتَابِ) (مَلَائِكَتِهِ) (الْآخِرِ)
(ضَلَالًا)

(١٣٦) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ (وَهُوَ الْقُرْآنُ)، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَهَا اللَّهُ مِنْ قَبْلُ، عَلَى رَسُولِهِ وَأَنْبِيَائِهِ الْكَرَامِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ عَوَاقِبِ الْكُفْرِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، يَكُنْ قَدْ خَرَجَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَبَعْدَ عَنِ الْقَصْدِ كُلِّ الْبُعْدِ.

(وَرُوي: أَنَّ هَذَا خُطَابَ لِمُؤْمِنِي الْيَهُودِ، فَقَدْ رُويَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالُوا نُوْمِنُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِمُوسَى وَبِالتَّوْرَةِ، وَغَزِيرٍ، وَنَكْفُرُ بِمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَكِتَابِهِ الْقُرْآنَ، وَبِكُلِّ كِتَابٍ كَانَ قَبْلَهُ، فَقَالُوا لَا نَفْعَلُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فَأَمَنُوا كُلُّهُمْ).

(آمَنُوا)

(١٣٧) - الْإِيمَانُ إِذْعَانٌ مُطْلَقٌ، وَعَمَلٌ مُسْتَمِرٌّ بِالْحَقِّ، فَالْمُتَرَدِّدُونَ الْمُضْطَرِبُونَ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ، لِذَلِكَ يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِيمَانِ، ثُمَّ عَادَ فَكَفَرَ، ثُمَّ آمَنَ، ثُمَّ عَادَ فَكَفَرَ، ثُمَّ أَرَادَ كُفْرًا، فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ فَقَدَ الاسْتِعْدَادَ لِفَهْمِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَإِذْرَاكَ مَزَايَاهُ وَقَضَائِلِهِ، وَمِثْلُهُ لَا يَرْجَى لَهُ - بِحَسَبِ سُنَنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ - أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَى الْخَيْرِ، وَلَا أَنْ يَرْتُدَّ إِلَى مَا يَنْفَعُهُ، وَلَا أَنْ يَسْلُكَ سَبِيلَ اللَّهِ، فَجَدِيرٌ بِهِ أَنْ يَمْنَعَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ وَرِضْوَانَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِحْسَانَهُ، لِأَنَّ رُوحَهُ تَكُونُ قَدْ تَدَنَسَتْ، وَقَلْبُهُ قَدْ عَمِيَ، فَلَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَهْلًا لِلْمَغْفِرَةِ، وَلَا لِلرَّجَاءِ فِي ثَوَابِ اللَّهِ.

(الْمُنَافِقِينَ)

(١٣٨) - عَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ هَذَا الصَّنَفِ الْمُتَرَدِّدِ مِنَ النَّاسِ، آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، فَطَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ بَشَّرَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا

بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

(وَالْبَشَارَةُ تُسْتَعْمَلُ عَادَةً فِي الْأَخْبَارِ السَّارَةِ، فَاسْتَعْمَلَهَا هُنَا فِي الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ هُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّهْكُمِ وَالتَّوْبِيخِ).

(الكَافِرِينَ)

(١٣٩) - ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ الْمُعَادِينَ لِلْإِيمَانِ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَوْلِيَاءَ لَهُمْ يُلْقُونَ إِلَيْهِمُ بِالْمَوَدَّةِ. وَيَنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ هَذَا الْمَسْلُوكَ فِي مَوَالِيَةِ الْكَافِرِينَ. وَيَسْأَلُ اللَّهُ مُسْتَنْكَرًا: هَلْ يَبْتَغِي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْعِزَّةَ وَالْغَلْبَةَ وَالْمَنَّةَ عِنْدَ الْكَافِرِينَ؟ ثُمَّ تَكُونُ الْعِزَّةُ لِمَنْ جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ. ثُمَّ يَحْتُثُّهُمْ اللَّهُ عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَى إِعْلَانِ عُبودِيَّتِهِمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالْإِنْتِظَامِ فِي جُمْلَةِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَهُمُ النَّصْرُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَهُمُ الْفَوْزُ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. الْعِزَّةُ - الْمَنَّةُ وَالْقُوَّةُ وَالنُّصْرَةُ.

(الْكِتَابِ) (آيَاتِ) (الْمُنَافِقِينَ) (وَالْكَافِرِينَ)

(١٤٠) - كَانَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَجْلِسُونَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ يَخُوضُونَ فِي الْكُفْرِ وَذَمِّ الْإِسْلَامِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ لِضَعْفِهِمْ، وَلِقُوَّةِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ أَمْرًا إِلَى جَمِيعٍ مَنْ يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ، أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا أَنَا سَاءَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، أَوْ يَسْتَهْزِئُونَ بِهَا فَلْيَعْلَيْهِمْ أَلَّا يَقْعُدُوا مَعَهُمْ إِلَى أَنْ يَقْلَعُوا عَنْ هَذَا الْمُنْكَرِ، وَيَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ آخَرَ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَعَدُوا مَعَ مَنْ يَسْتَهْزِئُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، فَلْيَنْهَهُمْ يَكُونُونَ مِثْلَهُمْ فِي ذَلِكَ. وَكَمَا أَشْرَكُوهُمْ فِي الْكُفْرِ، كَذَلِكَ يُشْرِكُهُمُ اللَّهُ مَعَهُمْ فِي الْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَبَدًا، وَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ فِي دَارِ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ.

(لِلْكَافِرِينَ) (الْقِيَامَةِ)

(١٤١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ دَوَائِرَ السَّوْءِ، وَيَنْتَظِرُونَ زَوَالَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ، وَظُهُورَ الْكُفْرِ عَلَيْهِمْ، وَذَهَابَ مِلَّتِهِمْ. فَلِإِذَا نَصَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَفَتَحَ عَلَيْهِمْ، وَاسْتَحْوَذُوا عَلَى الْعَنَانِ، قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ مُتَوَدِّدِينَ إِلَيْهِمْ: أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ؟ وَإِذَا فَتَحْنَا نَسْتَحِقُّ نَصِيبًا مِنَ الْمَغْنَمِ الَّذِي حُرِّمْتُمُوهُ. وَإِذَا كَانَ النَّصْرُ وَالْغَلْبَةُ

﴿١٣٩﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
أَيَبْنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ
الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا

﴿١٤٠﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ
أَنَّا إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا
وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ
إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهمُ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي
جَهَنَّمَ جَمِيعًا

﴿١٤١﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ
لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ
نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ
نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ
لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا

لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَمَا وَقَعَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، قَالُوا لِلْكَافِرِينَ
الْمُتَصَرِّينَ: أَلَمْ نُسَاعِدْكُمْ فِي الْبَاطِنِ وَنَحْمِلْكُمْ، وَنُخَذِلَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ
قِتَالِكُمْ حَتَّى آتَنَصَرْتُمْ عَلَيْهِمْ (أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ)؟ فَأَعْرِفُوا لَنَا هَذَا
الْفَضْلَ، وَأَعْطُونَا نَصِيئًا مِمَّا أَصَبْتُمْ مِنَ الْمَغْنَمِ.

وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَافِقِينَ بِأَنَّهُ سَيَحَاسِبُهُمْ حِسَابًا عَسِيرًا عَلَى بَوَاطِنِهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ تَظَاهَرُهُمْ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَنِفَاقُهُمْ، وَأَنَّهُ
سَيَحْكُمُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَبَيْنَ الْمُتَافِقِينَ، الَّذِينَ
يُطِيقُونَ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ، وَيُجَازِي كُلًا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ. وَيَقُولُ
تَعَالَى: إِنَّهُ لَنْ يَجْعَلَ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سُلْطَانًا وَسَبِيلًا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا، مَا دَامُوا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِمْ، قَائِمِينَ بِأَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَإِنْ حَقَّقَ
الْكَافِرُونَ بَعْضَ الظُّفْرِ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَالْعَاقِبَةُ لِلْحَقِّ دَائِمًا،
وَالْبَاطِلُ إِلَى زَوَالٍ. كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى لَنْ يَجْعَلَ لِلْكَافِرِينَ سُلْطَانًا عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ.

يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ - يَتَنَظَّرُونَ بِكُمْ مَا يَحْدُثُ لَكُمْ.
فَتَحْ - نَصْرٌ وَظَفَرٌ وَغَنِيمَةٌ.

أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ - أَلَمْ نَغْلِبْكُمْ فَأَبْقَيْنَا عَلَيْكُمْ.

(الْمُتَافِقِينَ) (يُخَادِعُونَ) (خَادِعُهُمْ) (الصَّلَاةِ)

(١٤٢) - يَعْتَقِدُ الْمُتَافِقُونَ، جَهْلًا مِنْهُمْ وَسَفَهًا، أَنَّ أُمُورَهُمْ رَاجَتْ عِنْدَ
النَّاسِ لِمَا أَظْهَرُوهُ لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَبْطَنُوهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَنَّ نِفَاقَهُمْ
سَيَرُوجُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْضًا، كَمَا رَاجَ عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ
جَهِلَ هَؤُلَاءِ الْمَخْدُوعُونَ أَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَسْلِكِهِمْ وَسَرَائِرِهِمْ، وَهُوَ
يَخْدَعُهُمْ إِذْ يَسْتَدْرِجُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ، وَضَلَالِهِمْ، وَيَخْدَعُهُمْ عَنِ الْحَقِّ
وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ، فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ إِنَّ خِدَاعَهُ تَعَالَى لَهُمْ هُوَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَمْشُونَ بِهِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى الصَّرَاطِ أَنْطَفَأَ نُورُهُمْ وَبَقُوا فِي
ظُلْمَةٍ).

وَمِنْ صِفَةِ هَؤُلَاءِ الْمُتَافِقِينَ أَنَّهُمْ حَتَّى فِي الصَّلَاةِ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ
الْفَرَائِضِ وَالْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ، لَا يُؤَدُّونَهَا إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى، لَا حَمَاسَةَ لَهُمْ
فِيهَا، لَا نَهْمَ لَا نِيَّةَ لَهُمْ، وَلَا إِيمَانَ لَهُمْ، وَلَا يَفْقَهُونَ مَعْنَى الصَّلَاةِ، وَهُمْ
يَتَظَاهَرُونَ بِالصَّلَاةِ أَمَامَ النَّاسِ، تَقِيَّةً وَمُصَانَعَةً، وَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ لَاهُونَ لَا يَخْشَعُونَ، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا.

إِنَّ الْمُتَفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ
وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى
الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ
النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا

(١٤٣) - الْمُنَافِقُونَ مُحِيرُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ، فَلَا هُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلَا هُمْ مَعَ الْكَافِرِينَ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بَلْ ظَوَاهِرُهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَوَاطِنُهُمْ مَعَ الْكَافِرِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعِ الشُّكَّ، فَتَارَةً يَمِيلُ إِلَى هَؤُلَاءِ، وَتَارَةً يَمِيلُ إِلَى أَوْلَئِكَ. وَمَنْ صَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، فَلَنْ تَجِدَ لَهُ مُنْقِذًا وَلَا مُرْشِدًا، فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا مُعَقِّبَ عَلَى حُكْمِهِ، وَلَا يُسَالُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسَالُونَ. مُذَبِّبِينَ - مُتَرَدِّبِينَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الْكَافِرِينَ) (سُلْطَانًا)

(١٤٤) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ، مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، يُصَاجِبُونَهُمْ وَيُضَادُّونَهُمْ، وَيُنَاصِحُونَهُمْ، وَيُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ، وَيُفْشُونَ إِلَيْهِمْ أَحْوَالَ الْمُؤْمِنِينَ الْبَاطِنَةَ. وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ جَعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ حُجَّةً بَيْنَهُ وَعُذْرًا فِي عُقُوبَتِهِ إِيَّاهُمْ. (وَالْمُرَادُ هُنَا النُّصْرَةُ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ ضَرَرُ الْمُسْلِمِينَ). سُلْطَانًا - حُجَّةً وَسَبَبًا لِلْعُقُوبَةِ.

(الْمُنَافِقِينَ)

(١٤٥) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الْمُنَافِقِينَ سَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي أَسْفَلِ طَبَقَاتِ (دَرَكَاتِ) نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَنْ يَنْصُرَهُمْ أَحَدٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. الدَّرَكُ - الطَّبَقَةُ تَكُونُ أَسْفَلَ مِنَ الْأُخْرَى. وَالنَّارُ سَبْعُ دَرَكَاتٍ وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا مُتَدَارِكَةٌ مُتَتَابِعَةٌ.

(فَأُولَئِكَ)

(١٤٦) - أَمَّا الَّذِينَ يَتُوبُونَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَيُقْلِعُونَ عَنِ النِّفَاقِ وَالْكَفْرِ، وَيُخْلِصُونَ دِينَهُمْ وَعَمَلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يُصْبِحُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيَنَالُهُمُ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ.

(وَأَمْتُمْ)

(١٤٧) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ أَنْتِقَامًا مِنْهُ، وَلَا طَلِبًا لِنَفْعِهِ، وَلَا دَفْعًا لِضَرَرِّهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَهُوَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِالنَّاسِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِأَنْعَمَ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ قَدْ

﴿١٤٣﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا

﴿١٤٤﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا

﴿١٤٥﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا

﴿١٤٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

﴿١٤٧﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا

أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، بِالْعَقْلِ وَالْحَوَاسِّ وَالْوُجْدَانِ، لَكِنَّهُمْ اسْتَعْمَلُوهَا فِي غَيْرِ مَا خُلِقَتْ لَهُ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ وَسِيلَةً لِلْإِهْتِدَاءِ بِهَا إِلَى وُجُودِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَشَكَرُوا لَطَهَّرَتْ أَرْوَاحَهُمْ، وَظَهَرَتْ آثَارُ ذَلِكَ فِي غُفُولِهِمْ، وَسَائِرِ أَعْمَالِهِمْ، الَّتِي تُصْلِحُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَاسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ رِضْوَانَ اللَّهِ. وَاللَّهُ يَجْعَلُ ثَوَابَ الْمُؤْمِنِينَ الشَّاكِرِينَ بِحَسَبِ عِلْمِهِ بِأَحْوَالِهِمْ، وَيُنِيلُهُمْ مِنَ الدَّرَجَاتِ، أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحَقُّونَ، جَزَاءَ شُكْرِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ.

(١٤٨) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يَجِبُ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَا يَرْضَى لَهُمْ، أَنْ يَجْهَرُوا فِيَمَا بَيْنَهُمْ بِذِكْرِ الْعُيُوبِ، وَالسَّيِّئَاتِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ (وَأَقْلَاهَا أَنَّهُ يَضَعُفُ فِي النَّفْسِ اسْتِقْبَاحُهُ وَاسْتِشْبَاحُهُ خُصُوصاً إِذَا تَكَرَّرَ سَمَاعُهُ)، كَمَا أَنَّهُ لَا يَجِبُ الْإِسْرَارُ بِالسُّوءِ، إِذْ أَنَّهُ تَعَالَى نَهَى عَنِ النَّجْوَى بِالْإِثْمِ. وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ. وَلَكِنْ مَنْ ظَلَمَهُ ظَالِمٌ فَلَهُ أَنْ يَجْهَرَ بِالشُّكْوَى مِمَّنْ ظَلَمَهُ، وَأَنْ يَشْرَحَ ظِلَامَتَهُ لِحَاكِمِهِ أَوْ غَيْرِهِ، مِمَّنْ تُرْجَى نَجْدَتُهُمْ، وَمُسَاعَدَتُهُمْ عَلَى إِزَالَةِ هَذَا الظُّلْمِ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَلَا إِثْمٌ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ لِعِبَادِهِ أَنْ يَسْكُتُوا عَلَى الظُّلْمِ، وَلَا أَنْ يَخْضَعُوا لِلضُّيْمِ، وَالسُّكُوتُ عَلَى الضُّيْمِ وَالظُّلْمِ أَعْظَمُ مِنَ الْجَهْرِ بِالسُّوءِ، لِذَلِكَ جَازَتْ الشُّكْوَى مِنَ الظُّلْمِ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِمَنْ دَعَاهُ، فَلَا يَقُوتُهُ قَوْلٌ مِنْ أَقْوَالِ مَنْ يَجْهَرُ بِالسُّوءِ، وَهُوَ عَلَيْهِمُ بِالْبَوَاعِثِ الَّتِي أدَّتْ إِلَيْهِ.

(١٤٩) - إِنْ عَمِلْتُمْ خَيْرًا فِي الْجَهْرِ أَوْ فِي السِّرِّ، أَوْ عَفَوْتُمْ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَقْرَبُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَيُجْزِلُ ثَوَابَكُمْ لَدَيْهِ، فَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَجْزِي الْعِبَادَ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِهِمْ. وَمِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى الصَّفْحُ عَنْ عِبَادِهِ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى عِقَابِهِمْ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:

(مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا رَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ).

(١٥٠) - يَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ بِهِ، وَالْكَافِرِينَ بِرُسُلِهِ جَمِيعاً بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ النَّبُوتَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَا آتَى بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، مِنَ الْهُدَى وَالشَّرَائِعِ، هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، لَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، كَمَا يَتَوَعَّدُ اللَّهُ، بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ، الْكَافِرِينَ بِبَعْضِ رُسُلِهِ أَوْ



﴿١٤٨﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا

﴿١٤٩﴾ إِنْ بُدِّوْا خَيْرًا أَوْ تُخَفَّوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا

﴿١٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ مِنْ بَعْضِ

أَحَدِهِمْ، كَالْيَهُودِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِمُحَمَّدٍ وَعِيسَى، وَالتَّصَارِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِنبُوءَةِ مُحَمَّدٍ، وَهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِمَجَرَّدِ الْهَوَى وَالْعَادَةِ، وَلَا أَنْهُمْ وَجَدُوا أَبَاءَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَى مَا يَتَّقِدُونَ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ طَرِيقًا وَسَطًا، وَمَسْلَكًا (سَبِيلًا).

(أُولَئِكَ) (الْكَافِرُونَ) (لِلْكَافِرِينَ)

(١٥١) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ هَؤُلَاءِ، الَّذِينَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ رُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُسُومٌ بَعْضُ وَنَكْفُرُ بَعْضُ، هُمُ الْكَافِرُونَ الْمُمَعِنُونَ فِي الْكُفْرِ، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا، عِقَابًا لَهُمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ بِأَوَامِرِ رَبِّهِمْ.

(آمَنُوا) (أُولَئِكَ)

(١٥٢) - وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَآمَنُوا بِجَمِيعِ رُسُلِهِ (وَهُمْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ) لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ الرُّسُلِ، فَهَؤُلَاءِ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ رَبُّهُمْ أَجُورَهُمْ بِحَسَبِ خَالِهِمْ فِي الْعَمَلِ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى غَفُورٌ يُغْفِرُ هَفَوَاتٍ مَنْ صَحَّ إِيْمَانُهُ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِرَبِّهِ أَحَدًا، وَلَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَ رُسُلِهِ، وَهُوَ تَعَالَى رَحِيمٌ يَرْحَمُ مَنْ يُعَامِلُهُ بِالْإِحْسَانِ، وَيُضَاعِفُ لَهُ الْحَسَنَاتِ، وَيَزِيدُهُ تَفَضُّلاً مِنْهُ.

(يَسْأَلُكَ) (الْكِتَابِ) (كِتَابًا) (الصَّاعِقَةُ) (الْبَيِّنَاتِ) (وَاتَيْنَا) (سُلْطَانًا)

(١٥٣) - سَأَلَ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ مَكْتُوبًا بِحُطِّ سَمَاوِيٍّ، يَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، كَمَا نَزَلَتِ التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى مَكْتُوبَةً. وَسَأَلَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : أَنْ يُفَجِّرَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ : لَا تَعَجَّبْ مِنْ سُؤْلِهِمْ هَذَا، فَإِنَّ الْيَهُودَ، مِنْ أَسْلَافِهِمْ، قَدْ سَأَلُوا مُوسَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا لَهُ : أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً وَعِيَانًا، فَعَاقِبَهُمُ اللَّهُ بِإِنْزَالِ الصَّاعِقَةِ عَلَيْهِمْ، بِسَبَبِ طُغْيَانِهِمْ، وَبَغْيِهِمْ وَعُتُوبِهِمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَلَئِنْهُمْ سَأَلُوا مُوسَى تَعْتَنَّا، وَبَعْدَ أَنْ رَأَوْا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْبَاهِرَةِ عَلَى يَدِ مُوسَى فِي مِصْرَ، مِنْ إِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ فِي الْبَحْرِ. ثُمَّ عَبْدُوا الْعَجَلَ حِينَمَا كَانَ مُوسَى يُنَاجِي رَبَّهُ، ثُمَّ أَعْطَى اللَّهُ مُوسَى سُلْطَةً ظَاهِرَةً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَخْضَعَهُمْ لِسُلْطَانِهِ، مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَمَرُّدٍ وَعِنَادٍ. فَلَمَّا أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَقْتُلَ الْبَرِيءَ مِنْهُمْ الْمُذْنِبَ فَعَلُوا.

وَنَكْفُرُ بَعْضُ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا

﴿١٥١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا

وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا

﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

﴿١٥٣﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ

تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا

جَهْرَةً - عَيَانًا بِالْبَصَرِ .
الصَّاعِقَةُ - نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ صَيْحَةٌ مِنْهَا .

(بِمِيثَاقِهِمْ) (مِيثَاقًا)

(١٥٤) - ثُمَّ قَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَلْتَزِمُوا بِأَحْكَامِ التَّوْرَةِ، وَمَا جَاءَ فِيهَا، فَظَهَرَ مِنْهُمْ إِبَاءٌ وَتَمَرُّدٌ عَلَى مُوسَى، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَرَفَعَ اللَّهُ فَوْقَهُمْ جَبَلَ الطُّورِ، وَهَدَّدَهُمْ بِإِسْقَاطِهِ عَلَيْهِمْ، إِنْ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِأَحْكَامِهَا، فَخَافُوا وَقَبِلُوا الْعَمَلَ بِهَا. ثُمَّ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَدْخُلُوا بَابَ أَوَّلِ مَدِينَةٍ اخْتَلَوْهَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَدًا لَهِ شُكْرًا لَهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَأَنْ يَقُولُوا حِطَّةً (إِنِّي اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّْا خَطَايَانَا وَذُنُوبَنَا) فَدَخَلُوهُ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْنَانِهِمْ (أَذْبَارِهِمْ) وَهُمْ يَقُولُونَ: (حِطَّةً فِي شَعْرَةٍ).

وَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَلْتَزِمُوا بِأَحْكَامِ السَّبْتِ، وَحُرْمَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ، فَاخْتَالُوا فِيهِ لَصِيدِ الْحِيتَانِ، عَنْ طَرِيقِ نَصْبِ الشَّبَاكِ لَهَا قَبْلَ حُلُولِ السَّبْتِ، وَجَمَعَهَا بَعْدَ أَنْقِضَائِهِ.

وَأَخَذَ اللَّهُ مِنْهُمْ عَهْدًا مُؤَكَّدًا (مِيثَاقًا غَلِيظًا) لِيَأْخُذُونَ بِأَحْكَامِ التَّوْرَةِ بِقُوَّةٍ، وَلِيَقْيُمُوا حُدُودَ اللَّهِ، وَلَا يَتَجَاوَزُوهَا، فَحَالَفُوا وَعَصَوْا، وَارْتَكَبُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، عَنْ طَرِيقِ الْحِيلَةِ وَالْخِدَاعِ .
لَا تَعْدُوا - لَا تَعْتَدُوا بِصِيدِ الْحِيتَانِ .
مِيثَاقًا غَلِيظًا - عَهْدًا مُؤَكَّدًا .

(بِمِيثَاقِهِمْ) (بِآيَاتِ)

(١٥٥) - فَسَبَبَ نَقْضَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ لِلْمِيثَاقِ الَّذِي وَاثَقَهُمُ اللَّهُ بِهِ، (إِذْ أَخْلَوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ). وَبَسَبَ كُفْرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَمُعْجَزَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ أَنْبِيَائِهِ، وَبَسَبَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا وَاجْتِرَاءً عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ، وَبَسَبَ قَوْلَهُمْ: قُلُوبُنَا مُغْلَقَةٌ بِغِطَاءٍ لَا يَتَسَرَّرُ مَعَهُ وَصُولُ الْعِلْمِ وَالْهُدَى إِلَيْهَا (غُلْفٌ) . . . فَسَبَبَ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ الْاِعْتِدَاءِ وَالتَّجَاوُزِ عَلَى أَوَامِرِ اللَّهِ وَحُدُودِهِ وَشُرْعِهِ، فَعَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مَا فَعَلَ . وَ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ قُلُوبَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ لَيْسَتْ مُغْلَقَةً، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى طَبَعَ عَلَيْهَا بِالْكَفْرِ، فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ الْإِيمَانِ (أَوْ إِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلُونَ).

قُلُوبُنَا غُلْفٌ - مُعْطَاةٌ بِأَعْيُنِ خَلْقِيَّةٍ فَلَا تَعْي .
طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا - خَتَمَ عَلَيْهَا فَحَجَبَهَا عَنِ الْعِلْمِ .

١٥٦ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ
وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ
وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا

١٥٧ فَمَا نَقِضْهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرَهُمْ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا
حَقٍّ وَقَوْلَهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ
طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا
يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا

(بُهْتَانًا)

(١٥٦) - وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ غَضَبَهُ، بِسَبِّ كُفْرِهِمْ بِعِيسَى وَرِسَالَتِهِ، وَرَمِيَهُمْ أُمَّهُ الطَّاهِرَةُ الْبَتُولُ بِالْبُهْتَانِ وَالْكَذِبِ وَالْأَفْتِرَاءِ.
بُهْتَانًا عَظِيمًا - كَذِبًا وَبَاطِلًا فَاحِشًا.

(١٥٧) - وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ قَالُوا سَاحِرِينَ مُسْتَهْزِئِينَ: إِنَّهُمْ قَتَلُوا الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ لَمْ يَقْتُلُوهُ، وَلَمْ يَصْلُبُوهُ، وَإِنَّمَا صَلَبُوا شَخْصًا آخَرَ غَيْرَهُ فَاشْتَبَهَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ وَالتَّبَسُّسُ، وَلَمْ يَتَّقُوا مِنْ أَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ بَعِيْنُهُ، إِذْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ. وَالْأَنَاجِلُ تَقُولُ إِنَّ الَّذِي أَسْلَمَهُ إِلَى الْجُنْدِ هُوَ يَهُودَا الْأَسْخَرِيوطِيُّ، وَقَدْ جَعَلَ لَهُمْ عَلَامَةً هِيَ أَنَّ مَنْ قَبْلَهُ يَكُونُ هُوَ الْمَسِيحُ، فَلَمَّا قَبْلَهُ قَبَضُوا عَلَيْهِ.

وَأَنجِلُ بَرْنَابَا يَقُولُ إِنَّ الْجُنُودَ أَخَذُوا يَهُودَا الْأَسْخَرِيوطِيَّ نَفْسَهُ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ الْمَسِيحُ، لِأَنَّ اللَّهَ أَلْقَى عَلَيْهِ شَبَهَهُ. وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي شَأْنِ عِيسَى مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَفِي شَكٍّ وَتَرَدُّدٍ مِنْ حَقِيقَةِ أَمْرِ قَتْلِهِ وَصَلْبِهِ، إِذْ لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ قَطْعِيٌّ الثَّبُوتِ، وَإِنَّمَا هُمْ يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ وَالْقَرَائِنَ الَّتِي تُرْجَحُ بَعْضُ الْأَرَاءِ عَلَى بَعْضٍ.
شَبَهَ لَهُمْ - أَلْقَى عَلَى الْمَقْتُولِ شَبَهَ عِيسَى.

(١٥٨) - وَالَّذِي تَمَّ فِعْلًا هُوَ أَنَّ اللَّهَ أَنْجَاهُ مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ عَزِيزُ الْجَانِبِ، لَا يُرَامُ جَنَابُهُ، وَلَا يُضَامُ مِنْ لَذِّ بَيَابِهِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي جَمِيعِ مَا يَقْدَرُهُ وَيَقْضِيهِ مِنَ الْأُمُورِ.
(وَقِيلَ فِي مَعْنَى: رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّهُ تَوَفَّاهُ وَطَهَّرَهُ مِنَ الذِّنِّ كَفَرُوا. وَقِيلَ أَيْضًا بَلِ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَهُ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ. وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَهُ إِلَى مَحَلِّ كَرَامَتِهِ).

(الْكِتَابِ) (الْقِيَامَةِ)

(١٥٩) - اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ، وَالَّذِي اخْتَارَهُ أَكْثَرُ كَثِيرٍ هُوَ أَنَّهُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَعْدَ نُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ، إِلَّا آمَنَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيَكُونُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَاهِدًا عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ أَبْلَغَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَأَقْرَبُهُودِيَّتِهِ لِلَّهِ.

(وَهُنَاكَ مَنْ قَالَ بَلِ الْمَعْنَى هُوَ: إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ عِنْدَمَا

١٥٦ وَكُفِّرَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيَمَ
بُهْتَانًا عَظِيمًا

١٥٧ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى
ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ
وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَبَّهُهُمْ
وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ
مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ
الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا

١٥٨ بَلِ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا

١٥٩ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا
يَوْمَئِذٍ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا

يُذَرِّكُهُ الْمَوْتَ، يَنْكَشِفُ لَهُ الْحَقُّ فِي أَمْرِ عِيسَى، وَسِوَاهُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ،
فَيُؤْمِنُ بِعِيسَى إِيْمَانًا حَقًّا صَحِيحًا).

(طَيِّبَاتِ)

(١٦٠) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ حَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ طَيِّبَاتٍ كَانَتْ حَلَالًا عَلَى مَنْ
قَبْلَهُمْ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ صَدِّهِمُ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، إِمَّا بِالْأَمْرِ بِالْمُنْكَرِ،
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمَعْرُوفِ. . وَإِمَّا بِسُوءِ الْقُدُورَةِ، فَكَانُوا كُلَّمَا أَرْتَكَبُوا
مَعْصِيَةً، أَوْ مُخَالَفَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَمْرٍ رَسُولِهِ، عَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا بِتَحْرِيمِ
نَوْعٍ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَيَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى.

(الرَّبَا) (أَمْوَالِ) (بِالْبَاطِلِ) (لِلْكَافِرِينَ)

(١٦١) - وَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِتَحْرِيمِ الطَّيِّبَاتِ عَلَيْهِمْ أَيْضًا، بِسَبَبِ تَعَامُلِهِمْ
بِالرَّبَا، وَقَدْ نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، فَاحْتَالُوا عَلَى أَكْلِهِ بِأَنْوَاعِ
الْحِيلِ، وَصُنُوفٍ مِنَ الشُّبُهَةِ، وَبِسَبَبِ أَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ،
وَذَلِكَ بِالرِّشْوَةِ وَالسَّرِقَةِ وَالْخِيَانَةِ وَنَحْوِهَا. . . مِمَّا فِيهِ اخْتِدَالٌ لِلْمَالِ بِلا
مُقَابِلٍ يُعْتَدُّ بِهِ.

وَيَنْهَدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالعِقَابِ الأليمِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِمَنْ يَرْتَكِبْ هَذِهِ
الْجَرَائِمَ، وَهُوَ الْخُلُودُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَفِيهَا الْعَذَابُ الأليمُ.

(الرَّاسِخُونَ) (الصَّلَاةِ) (الرَّزَاكَةِ) (أَوَّلِكَ)

(١٦٢) - لَكِنِ الثَّابِتُونَ فِي الْعِلْمِ، مِنَ الْيَهُودِ، وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّتِكَ يَا
مُحَمَّدُ، يُصَدِّقُونَ بِمَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ، وَمَا أَوْحِيَ إِلَى الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ.
وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ حَقَّ أَدَائِهَا، وَيَدْفَعُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَيُصَدِّقُونَ
بِاللَّهِ وَبِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، فَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا سَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ الْجَنَّةَ، جَزَاءً
لَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ.

(خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ بِالْمَدْحِ فَتَصَبَّ (الْمُقِيمِينَ) عَلَى
الْمَدْحِ، لِأَنَّ الَّذِي يُقِيمُ الصَّلَاةَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ لَا يَمْنَعُ الرَّزَاكَةَ).
وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ - مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَدْحِ.

فَيُظَاهِرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَحَرَمْنَا

عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ

وَبَصَدَّ هُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا

وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ

وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا

لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ

وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ

الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا

(وَالنَّبِيِّنَ) (إِبْرَاهِيمَ) (وَإِسْمَاعِيلَ) (وَإِسْحَاقَ) (وَهَارُونَ)
(وَسُلَيْمَانَ) (وَأَيُّوبَ) (وَدَاوُدَ)

(١٦٣) - قَالَ رَجُلٌ لِلرُّسُولِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ مَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى
بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ مُوسَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَالآيَاتِ الَّتِي
تَلِيهَا. ثُمَّ ذَكَرَ فَضَائِحَ الْمُكَذِّبِينَ وَمَعَاقِبَهُمْ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُذِبِ،
وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ وَالتَّعَنُّبِ، وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ
مُحَمَّدٍ، كَمَا أَوْحَى إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ. وَقَالَ
تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى دَاوُدَ كِتَابًا هُوَ الزَّبُورُ.
السَّبْطُ - وَلَدُ الْوَلَدِ، وَالْأَسْبَاطُ هُمْ أَخْفَدَةُ يَعْقُوبَ.

(قَصَصْنَاهُمْ)

(١٦٤) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَوْحَى إِلَى رُسُلٍ قَصَصَهُمْ عَلَى نَبِيِّهِ فِي الْآيَاتِ
السَّابِقَاتِ، وَذَكَرَ لَهُ أَسْمَاءَهُمْ، وَإِنَّهُ أَوْحَى أَيْضًا إِلَى رُسُلٍ لَمْ يَقْصُصْهُمْ
عَلَيْهِ، وَلَمْ يَرِدْ ذِكْرُهُمْ فِي الْقُرْآنِ.

وَفِي حَدِيثِ يَرْوَاهُ أَبُو ذَرٍّ: إِنَّ عَدَدَ الْأَنْبِيَاءِ مِثَّةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا
وَإِنَّ عَدَدَ الرُّسُلِ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِئَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشْرٌ أَوْ خَمْسَةَ عَشَرَ.
وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ شَرَّفَ مُوسَى بِأَنْ كَلَّمَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، بِذَوْنِ
وَاسِطَةٍ (وَالْوَحْيِ لِلرُّسُلِ يُسَمَّى تَكْلِيمًا).

(١٦٥) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَاتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ بِالْخَيْرَاتِ وَحَسَنِ الثَّوَابِ، وَيُنْذِرُونَ، بِالْعِقَابِ وَالْعَذَابِ، مَنْ
خَالَفَ أَمْرَهُ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، وَذَلِكَ لِكَيْلَا يَبْقَى لِمُعْتَدِرٍ عُذْرٌ، بَعْدَ أَنْ
أَوْضَحَتِ الرُّسُلُ لِلنَّاسِ أَوَامِرَ اللَّهِ وَنَهَاهُ، وَالْجَزَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ
بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ. وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزَ الْجَانِبِ لَا يُضَامُ،
حَكِيمًا فِي شَرْعِهِ وَتَنْذِيرِهِ.

(وَالْمَلَائِكَةُ)

(١٦٦) - لَمَّا أَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْكَافِرِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كُفْرَهُمْ
بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَكْذِيبَهُمْ بِزُورِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَتَعَنُّبَهُمْ فِي طَلَبِ
الْمُعْجَزَاتِ مِنْهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ يَشْهَدُ بِأَنَّهُ أَنْزَلَ وَحْيَهُ عَلَى رَسُولِهِ،
بِعِلْمٍ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ الرُّسُولُ وَلَا قَوْمُهُ (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ)، وَالْمَلَائِكَةُ
يَشْهَدُونَ بِذَلِكَ، وَكَفَى بِمَنْ يَشْهَدُ اللَّهُ لَهُ صِدْقًا.

﴿١٦٣﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا
أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ
مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَعِيسَى دَاوُدَ زَبُورًا

﴿١٦٤﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ
عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا

﴿١٦٥﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ
لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا

﴿١٦٦﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ
إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى
بِاللَّهِ شَهِيدًا

(ضَلَالًا)

(١٦٧) - الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَرَفَضُوا آتِيَافَ الْحَقِّ، وَسَعَوْا فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ، قَدْ خَرَجُوا عَنِ الْحَقِّ، وَضَلُّوا عَنْهُ، وَبَعُدُوا عَنْهُ بَعْدًا عَظِيمًا.

(١٦٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْكَافِرِينَ بِكِتَابِهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ، وَبِالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَبِاتِّكَافِ الْمَآثِمِ، وَأَنْتِهَائِكَ مَحَارِمِ اللَّهِ، بِأَنَّهُمْ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ، وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا إِلَى الْخَيْرِ وَالرَّشَادِ (طَرِيقًا).

(خَالِدِينَ)

(١٦٩) - وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ لَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلَى طَرِيقٍ غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي تُوَصِّلُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، لِيَقِفُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، وَذَلِكَ أَمْرٌ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ.

(يَا أَيُّهَا) (فَاقِنُوا) (السَّمَاوَاتِ)

(١٧٠) - بَعْدَ أَنْ أَقَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحُجَّةَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، وَرَدَّ شُبُهَاتِهِمْ، وَأَقْتَرَحَاتِهِمْ الَّتِي أَقْتَرَحُوهَا تَعَنُّتًا وَعِنَادًا، خَاطَبَ جَمِيعَ النَّاسِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ، وَشَفَعَهُ بِالْوَعْدِ عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ، وَالْوَعِيدِ عَلَى الْكُفْرِ وَعَمَلِ الشَّرِّ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَالْبَيَانِ الشَّافِي مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَأَنْ يَتَّبِعُوهُ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: أَمَا إِذَا أَضْرَرْتُمْ عَلَى الْكُفْرِ، أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ، وَعَنْ إِيْمَانِكُمْ، وَلَا يُلْحَقُهُ ضَرَرٌ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ، لِأَنَّهُ يَمْلِكُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُمْ جَمِيعًا خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْكُمْ الْهُدَايَةَ فِيْهِدِيهِ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ فَيُضِلُّهُ وَيُغْوِيهِ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشُرْعِهِ وَقَدَرِهِ.

(يَا أَهْلَ) (الْكِتَابِ) (الْقَاهَا) (فَاقِنُوا) (ثَلَاثَةً) (وَاحِدٌ) (سُبْحَانَهُ) (السَّمَاوَاتِ)

(١٧١) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ عَنِ الْعُلُوِّ فِي دِينِهِمْ، وَعَنِ الْمُبَالَغَةِ، وَتَجَاوُزِ الْحُدُودِ الَّتِي حَدَّهَا اللَّهُ، وَيَأْمُرُهُمْ بِأَلَّا يَتَّبِعُوا إِلَّا الْقَوْلَ الْحَقَّ الثَّابِتَ بِنَصِّ دِينِي مُتَوَاتِرٍ، وَبُزْهَانٍ قَاطِعٍ. وَيَخْصُ فِي خُطَابِهِ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ، النَّصَارَى الَّذِينَ غَلَوْا فِي الْمَسِيحِ فَجَعَلُوهُ إِلَهًا يَعْبُدُونَهُ مَعَ اللَّهِ. وَيَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِأَنْ لَا يَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، فَيَجْعَلُوا لَهُ

١٦٧ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا

١٦٨ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا

١٦٩ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

١٧٠ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

١٧١ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

صَاحِبَةً وَوَلَدًا، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، فَالْمَسِيحُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَخَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِكَلِمَةٍ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَنَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَبِالتَّصَدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ، لَا صَاحِبَةَ لَهُ وَلَا وَلَدٌ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَى الْيَهُودِ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِأَنْ لَا يَجْعَلُوا عِيسَى وَأُمَّهُ شَرِيكَيْنِ مَعَ اللَّهِ، فِي الْخَلْقِ وَالْمَلِكِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

ثُمَّ بَأْمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَنْتَهُوا عَنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي هِيَ كُفْرٌ وَإِشْرَاكٌ، لَأَنْ فِي الْإِنْتِهَاءِ عَنْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَنَزَّهَ، عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِدٌّ أَوْ شَرِيكٌ، وَجَمِيعُ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ خَلْقٍ مُلْكُهُ، وَهُمْ جَمِيعًا تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَذْيِيرِهِ وَتَضْرِيغِهِ، وَهُوَ وَكِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ صَاحِبَةٌ أَوْ وَلَدٌ؟

لَا تَقْلُوا - لَا تُجَاوِزُوا الْحَدَّ وَلَا تُفْرِطُوا.

كَلِمَتُهُ - وَجَدَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ دُونَ أَبِي رُوحَ بَنِيهِ - رُوحٌ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ.

(الْمَلَائِكَةُ)

(١٧٢) - لَا يَسْتَكْبِرُ الْمَسِيحُ، وَلَا يَسْتَكْبِرُ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، أَنْ يَكُونُوا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ عَظَمَتَهُ وَجَلَالَهُ، وَالَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَلِيْقُ بِهِمْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ سَيُعَاقِبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِقَابًا شَدِيدًا، وَيَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا فِي جَهَنَّمَ.

لَنْ يَسْتَكْبِفَ - لَنْ يَسْتَكْبِرَ وَلَنْ يَتَرَفَّعَ.

(الصَّالِحَاتِ)

(١٧٣) - أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، فَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَسِعَةً رَحْمَتِهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَامْتَنَعُوا عَنْ عِبَادَتِهِ، فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، فَهُوَ تَعَالَى يُجَازِي الْمُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ بِالْعَدْلِ وَالْفَضْلِ، وَيُجَازِي الْمُسِيءَ عَلَى إِسَاءَتِهِ بِالْعَدْلِ. وَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ وَلِيًّا يَلِي أُمُورَهُمْ وَيُدَبِّرُهَا، وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَبَأْسِهِ.

وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

(١٧٢) لَنْ يَسْتَكْبِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْبِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَيَسِيحُ حُرَّهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا

(١٧٣) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا فَاسْتَكَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

(يَا أَيُّهَا) (بُرْهَانُ)

(١٧٤) - يُخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ جَمِيعاً فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ جَاءَتْهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الدَّلَائِلُ الْفَاطِعَةُ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي رَسُولِيهِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ قُرْآنًا مُبِينًا كَالنُّورِ يُضِيءُ الطَّرِيقَ، وَيَهْدِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

بُرْهَانُ - هُوَ مُحَمَّدٌ.

نُورًا - الْقُرْآنُ.

(صِرَاطًا)

(١٧٥) - أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ، وَتَمَسَّكُوا بِحَبْلِ اللَّهِ الَّذِي يَعْصِمُهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الزَّلْزَلِ (وَهُوَ الْقُرْآنُ)، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَدِّجِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

(الْكَلَالَةِ) (أَمْرُؤُ)

(١٧٦) - الْكَلَالَةُ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْإِكْلِيلِ الَّذِي يُحِيطُ بِالرَّأْسِ مِنْ جَوَانِبِهِ، لِذَلِكَ قَالَ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ إِنَّ الْكَلَالَةَ تَعْنِي مَنْ يَمُوتُ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، وَلَهُ وَرَثَةٌ مِنْ أَقَارِبِهِ (وَقِيلَ بَلْ تَعْنِي مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ تَمَشِيًا مَعَ النَّصِّ).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمَ مِيرَاثِ مَنْ يَمُوتُ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا أَبٌ يَرِثُهُ فَيَقُولُ:

- إِذَا مَاتَ الْمَرْءُ (هَلَكَ)، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، وَكَانَ لَهُ أُخْتُ وَاحِدَةٌ فَإِنَّهَا تَرِثُ نِصْفَ التَّرَكَةِ، وَالنِّصْفَ الْآخَرَ يَرِثُهُ الْمُسْتَحَقُّونَ مِنَ الْعَصَبَةِ.

- أَمَّا إِذَا كَانَ الْمُتَوَفَّى أَمْرَأَةً، وَلَهَا أَخٌ فَإِنَّهُ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ.

- وَإِذَا كَانَ لِلْمُتَوَفَّى أُخْتَانِ وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ، فَإِنَّهُمَا تَرِثَانِ الثُّلَثَيْنِ لَا غَيْرَ.

- وَإِذَا كَانَ لِلْمُتَوَفَّى إِخْوَةٌ، رِجَالٌ وَنِسَاءً، فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ.

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ أُمُورَ دِينِكُمْ الَّتِي مِنْ أَوَّلِهَا تَفْصِيلُ هَذِهِ الْأَحْكَامِ، وَتَفْرُضُ لَكُمْ فَرَائِضَهُ، وَيُوضِّحُ لَكُمْ شَرَائِعَهُ، لِكَيْلَا تَضِلُّوا عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ الْبَيَانِ، وَهُوَ عَالَمٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ لِعِبَادِهِ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرَابَاتِ بِحَسَبِ قُرْبِهِ.

الْكَلَالَةُ - الْمَيِّتُ الَّذِي لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ فَيَرِثُهُ أَقْرَبَاؤُهُ مِنَ الْحَوَاشِي.

يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا
مُّبِينًا

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
وَأَعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيَدِّجِلُهُمْ
فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرُؤُا هَلَكَ لَيْسَ
لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ
مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ
لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا
الْثُلُثَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً
رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ
الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن
تَضِلُّوا وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا عَشْرُونَ وَفَافَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الْأَنْعَامَ)

(١) - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتِّزِمُوا الْوَفَاءَ بِجَمِيعِ الْعُهُودِ الَّتِي بَيَّنَّكُمْ وَبَيَّنَّ اللَّهُ، وَالْعُهُودَ الْمَشْرُوعَةَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ، (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْعُقُودِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هِيَ عُهُودُ اللَّهِ الَّتِي عَاهَدَ بِهَا إِلَى عِبَادِهِ، أَيْ مَا أَحَلَّ وَمَا حَرَّمَ، وَمَا فَرَضَ وَمَا حَدَّ فِي الْقُرْآنِ كُلُّهُ فَلَا غَدْرَ وَلَا نَكْثَ). فَاللَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْوَفَاءِ بِمَا عَقَدُوهُ، وَارْتَبَطُوا بِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى، مَا لَمْ يَكُنْ يُحَرِّمُ حَلَالًا، أَوْ يُحَلِّلُ حَرَامًا: كَالْعَقْدِ عَلَى الرِّبَا، أَوْ أَكْلِ مَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ (كَالرِّشْوَةِ وَالْقِمَارِ).

ثُمَّ فَصَّلَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَحْكَامَ الَّتِي أَمَرَ بِهَا فَقَالَ: إِنَّهُ أَحَلَّ لِلنَّاسِ أَكْلَ الْبِهِيمَةِ مِنَ الْأَنْعَامِ (وَهِيَ الْبَقَرُ وَالْإِبِلُ وَالْمَاعِزُ وَالْغَنَمُ وَالْحَقُّ بِهَا الطَّبَاةُ وَبَقَرُ الْوَحْشِ وَنَحْوُهَا)، إِلَّا مَا سَيَتْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيمٍ بَعْضُهَا فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ﴾^(١)، وَعَلَى أَنْ لَا يُجْلَوْا صَيْدَ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ، جَيْمًا يَكُونُونَ مُحْرَمِينَ لِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، أَوْ لِدُخُولِ مَنَاطِقِ الْحَرَمِ، وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا مُحْرَمِينَ لِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ.

وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ يَقْضِي فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ مِنْ تَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ، بِحَسَبِ الْحِكْمِ وَالْمَصَالِحِ الَّتِي يَعْلَمُهَا.

الْعُقُودُ - كُلُّ مَا تَعَاهَدَ عَلَيْهِ الْمَرْءُ وَالتَّزَمَ فِيهِ بِمُوجِبِ نَحْوِ اللَّهِ وَنَحْوِ النَّاسِ.

وَأَنْتُمْ حُرْمٌ - وَأَنْتُمْ فِي حَالَةِ الْإِحْرَامِ.

(١) الْآيَةُ ٣ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ
لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى
عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ
حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ

غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ - غَيْرَ مُسْتَحْلِيهِ فَهُوَ حَرَامٌ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (شَعَائِرَ) (الْقَلَائِدِ) (آمِينَ) (رِضْوَانًا) (شَنَانِ)
(الْعُدُونِ)

(٢) - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْبِيحُوا حُرْمَةَ شَعَائِرِ اللَّهِ بِأَنْ تَجْعَلُوا شَعَائِرَ
دِينِ اللَّهِ حَلَالًا لَكُمْ تَتَصَرَّفُونَ فِيهَا كَيْفَ تَشَاؤُونَ، بَلْ أَعْمَلُوا بِمَا بَيْنَهُ
لَكُمْ رُبُكُمْ، وَلَا تَتَهَاوَنُوا بِحُرْمَتِهَا، وَلَا تَحُولُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُتَنَسِّكِينَ
بِهَا، فَتَصُدُّوا النَّاسَ عَنِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.

وَلَا تُحِلُّوا الْقِتَالَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ. (وَهِيَ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ
وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ)، وَلَا تَمْنَعُوا الْهَدْيَ (وَهُوَ مَا يُهْدَى إِلَى الْحَرَمِ مِنْ
الْأَنْعَامِ لِيُذْبَحَ فِيهِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ) وَذَلِكَ بِأَخْذِهِ غَضَبًا وَسِرْفَةً.

وَلَا تُحِلُّوا اخْتِذَ الْمُقْلَدِ مِنَ الْهَدْيِ (وَكَانُوا يُقْلِدُونَ الْأَنْعَامَ الَّتِي تُوجَّهُ إِلَى
الْبَيْتِ هَدْيًا يَوْضَعُ قِلَادَةً فِي أَعْنَاقِهَا لِكَيْلَا يَتَعَرَّضَ لَهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ).

وَلَا تُحِلُّوا قِتَالَ قَاصِدِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ لِزِيَارَتِهِ فَتَصُدُّوهُمْ عَنْ ذَلِكَ بِأَيِّ
وَجْهِ كَانَ.

وَلَا تُصُدُّوا مَنْ قَصَدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ لِلتَّجَارَةِ أَوْ لِلنَّسِكَ وَالرَّغْبَةِ بِالْفَوْزِ
بِرِضْوَانِ اللَّهِ (يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا).

وَإِذَا فَرَغْتُمْ مِنْ إِحْرَامِكُمْ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، أَوْ خَرَجْتُمْ مِنْ أَرْضِ الْحَرَمِ
فَاصْطَادُوا إِذَا شِئْتُمْ. وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ وَعَدَاوَتُهُمْ، (وَهُمُ الَّذِينَ
صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ) عَلَى أَنْ تَعْتَدُوا، وَتَتَجَاوَزُوا
أَمْرُ اللَّهِ فِيهِمْ، فَتَقْتَضُوا مِنْهُمْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، بَلْ أَحْكُمُوا بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ
اللَّهُ مِنَ الْعَدْلِ فِي حَقِّ كُلِّ وَاحِدٍ.

وَرَوَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ فِي الْحَدِيثِ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ أَشْتَدَّ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ صَدُّ الْمُشْرِكِينَ لَهُمْ عَنْ بُلُوغِ الْبَيْتِ، فَمَرَّ بِهِمْ أَنَسُ بْنُ
الْمُسْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، يُرِيدُونَ الْعُمْرَةَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ نَصَدُّ
هَؤُلَاءِ كَمَا صَدَدْنَا أَصْحَابَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَفِيهَا يَأْمُرُ
اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّقْوَى، وَبِالتَّعَاوُنِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ (وَهُوَ
الْبِرُّ)، وَعَلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ (وَهُوَ التَّقْوَى)، وَبِنَهَائِهِمْ عَنِ
التَّنَاصُرِ عَلَى الْبَاطِلِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ، وَيُحَذِّرُ اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَطْشِهِ وَعِقَابِهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ،
وَتَعْدَى حُدُودَهُ.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا

شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ

وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقِلَادَةَ وَلَا

ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ

فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا

حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شَنَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ

عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ

تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

وَالْتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ

شَعَائِرِ اللَّهِ - جَمْعُ شَعِيرَةٍ، مَا شَرَعَ اللَّهُ وَأَمَرَ بِهِ.
الْهَدْي - مَا يُهْدَى مِنَ الْأَنْعَامِ لِلْحَرَمِ لِيُذْبَحَ عِنْدَهُ تَقَرُّبًا لِلَّهِ.
الْقَلَائِد - مَا قُلِّدَ مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي تُوجَّهُ إِلَى الْحَرَمِ هَذَا بِطَوَقٍ لِيُعْرَفَ أَنَّهُ
مُوجَّهٌ إِلَى الْكَعْبَةِ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ.

السَّنَان - الْبُغْضُ وَالكَرَاهِيَّةُ.
صَدُّوَكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - مَنَعُوكُمْ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ.
لَا تَحْلُوا - لَا تَنْتَهِكُوا حُرْمَتَهُ.
لَا يَجْرِمَنَّكُمْ - لَا يَحْمِلَنَّكُمْ.

(بِالْأَزْلَامِ) (يَسِّرَ) (الْإِسْلَامَ)

(٣) - يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا حَرَّمَ أَكْلُهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ لَحْمِ
الْأَنْعَامِ وَهِيَ:

الْمَيْتَةُ - وَهِيَ الَّتِي مَاتَتْ خَفَتْ أَنْفَهَا مِنْ غَيْرِ ذَكَاةٍ وَلَا أَصْطِيَادٍ وَذَلِكَ لِمَا
فِيهَا مِنَ الْمَضَرَّةِ، وَيُسْتَنَى مِنَ الْمَيْتَةِ السَّمَكُ، فَإِنَّهُ حَلَالٌ سِوَا مَا
بِتَذْكِيَةٍ أَوْ بغيرِهَا.

وَالدَّمُ الْمُسْفُوحُ - وَهُوَ الدَّمُ الَّذِي يَسِيلُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ.

وَكَانَ الْأَعْرَابُ فِي الْبَادِيَةِ إِذَا جَاعُوا فِي الصَّحَرَاءِ يَأْخُذُونَ شَيْئًا مُحَدَّدًا
مِنْ عَظْمٍ أَوْ نَحْوِهِ فَيَقْصِدُونَ بِهِ حَيَوَانًا فَيَجْمَعُونَ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ دَمٍ
فَيَشْرَبُونَهُ، فَحَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَجَلْتُ لَنَا مَيْتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَانِ فَالْسَّمَكُ
وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ).
لَحْمُ الْخِنْزِيرِ - أَنْسِيهِ وَوَحْشِيهِ. فَلَحْمُهُ حَرَامٌ.

مَا أَهْلُ لَيْعَرِ اللَّهِ بِهِ - أَيُّ مَا ذُبِحَ فَذَكَرَ اسْمُ غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ. لِأَنَّ
اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ أَنْ تُذْبَحَ الْأَنْعَامُ عَلَى اسْمِهِ الْعَظِيمِ.

(وَالْإِهْلَالُ هُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ، وَالْإِهْلَالُ هُنَا رَفْعُ الصَّوْتِ بِذِكْرِ اسْمِ غَيْرِ
اسْمِ اللَّهِ عِنْدَ الذَّبْحِ).

الْمُنْحَنَقَةُ - وَهِيَ الَّتِي تَمُوتُ خَفَاءً، بِأَيَّةِ صُورَةٍ تَمَّ فِيهَا خَفَقُهَا. فَهِيَ
مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَالْمَوْقُودَةُ - وَهِيَ الَّتِي تُضْرَبُ بِشَيْءٍ ثَقِيلٍ غَيْرِ مُحَدَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ.

وَالْمُتَرَدِّةُ - وَهِيَ الَّتِي تَقَعُ مِنْ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، أَوْ تَقَعُ فِي بئرٍ فَتَمُوتُ فَلَا
يَحِلُّ أَكْلُ لَحْمِهَا.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ
وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَيْعَرِ اللَّهِ
بِهِ وَالْمُنْحَنَقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ
وَالْمُتَرَدِّةُ وَالنَّطِيعَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى
النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا
بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ
يَسِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعَمِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي
مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

وَالنَّطِيطَةُ - وَهِيَ الَّتِي مَاتَتْ بِسَبَبِ نَطْحِ غَيْرِهَا لَهَا، فَهِيَ حَرَامٌ وَلَوْ خَرَجَ مِنْهَا الدَّمُ، وَلَوْ مِنْ مَذْبَحِهَا.

وَمَا أَكَلَ السَّيْعُ - وَهِيَ مَا عَدَّتْ عَلَيْهَا الْحَيَوَانَاتُ الْجَارِحَةُ فَقَتَلَتْهَا فَلَا تَحِلُّ بِالْإِجْمَاعِ.

وَأَسْتَشَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ الْحَيَوَانُ الَّذِي لِحَقِّهِ الْإِنْسَانُ بِالذَّبْحِ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَفِيهِ حَيَاةٌ مُسْتَقَرَّةٌ، فَإِنَّهُ إِذَا ذُبِحَ أَصْبَحَ حَلَالًا يَجُوزُ أَكْلُهُ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصْبِ - مُحَرَّمٌ أَكْلُهُ.

وَالنُّصْبُ هِيَ حِجَارَةٌ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا تَذْبَحُ عِنْدَهَا الذَّبَائِحَ، وَيُنْضَحُ مَا أَقْبَلَ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ بِدِمَاءِ تِلْكَ الذَّبَائِحِ، وَيُسْرَحُونَ اللَّحْمَ وَيَضَعُونَهُ عَلَى النُّصْبِ. فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَكْلَ الذَّبَائِحِ الَّتِي تَمَّ ذَبْحُهَا عِنْدَ تِلْكَ النُّصْبِ. فَالذَّبْحُ عِنْدَ النُّصْبِ مِنَ الشُّرْكِ.

ثُمَّ أَضَافَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُحَرَّمَاتِ الطَّعَامِ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَحِلُّونَهَا، عَمَلًا آخَرَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَهُوَ الِاسْتِقْسَامُ بِالْأَزْلَامِ.

وَالْأَزْلَامُ وَاحِدُهَا (رَلَمْ)، هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قِدَاحٍ (سِهَامٍ) ثَلَاثَةٌ أَحَدُهَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: (أَفْعَلْ) وَثَانِيهَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: (لَا تَفْعَلْ). وَثَالِثُهَا لَمْ يُكْتُبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ. فَإِذَا أَجَالَهَا فَطَلَعَ السَّهْمُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْهِ (لَا تَفْعَلْ)، لَمْ يَفْعَلْ. وَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْهِ (أَفْعَلْ) فَعَلْ. وَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الْغَفْلُ مِنَ الْكِتَابَةِ أَعَادَ. فَحَرَّمَ اللَّهُ الِاسْتِقْسَامَ بِالْأَزْلَامِ، وَعَدَّهُ فِسْقًا، وَخُرُوجًا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَرَدَّدُوا فِي أَمْرِهِمْ أَنْ يَسْتَخِيرُوهُ بِأَنْ يَعْبُدُوهُ، ثُمَّ يَسْأَلُوهُ الْخَيْرَةَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُرِيدُونَ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: الْيَوْمَ يَتَسَّرُ الْكُفَّارُ مِنَ الْقَضَاءِ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَمِنْ رُجُوعِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ دِينِهِمْ، لِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ وَفَى بِوَعْدِهِ، وَأَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، فَلَا تَخَافُوهُمْ فِي مَخَالِفَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَأَخْشَوْنِي أَنَا، فَإِنَّا أَنصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ، وَاجْعَلُكُمْ قُرُوقَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى مُحَاطِبًا الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّهُ أَكْمَلَ لَهُمُ الْيَوْمَ دِينَهُمُ الْإِسْلَامَ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى دِينٍ غَيْرِهِ، وَلَا إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ. وَلَمَّا أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُمُ دِينَهُمْ تَمَّتْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةُ رَبِّهِمْ، فَلْيَرْضَوْا بِالْإِسْلَامِ دِينًا لَهُمْ، فَإِنَّهُ الدِّينُ

الَّذِي أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَضِيَهُ لَهُمْ. فَمَنْ أَضْطُرَّ إِلَى تَنَاوُلِ شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مِمَّا سَبَقَ ذِكْرُهُ، لِضُرُورَةٍ أَلْجَأَتْهُ إِلَى ذَلِكَ، فَلَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ، وَلَهُ تَنَاوُلُهُ فِي حُدُودِ مَا يَدْفَعُ عَنْهُ الضَّرُورَةُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ حَاجَةَ الْعَبْدِ الْمُضْطَرِّ، وَافْتِقَارَهُ إِلَى ذَلِكَ فَيَتَجَاوَزُ عَنْهُ، وَيَغْفِرُ لَهُ. بِشَرَطِ الْأَنْ يَكُونَ تَنَاوُلُهُ الْمَحْرَمِ مَيْلًا مِنْهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَرَغْبَةً فِي الْاِعْتِدَاءِ عَلَى حُرْمَاتِ اللَّهِ (غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ).

(وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ).

(وَرَوِي أَيْضًا: إِنَّ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ رُخْصَةَ اللَّهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ جِبَالِ عَرَفَةَ). (رَوَاهُمَا أَحْمَدُ).

الْمُخْمَصَّةُ - حَالَةُ الْجُوعِ الشَّدِيدِ.

غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ - غَيْرِ رَاغِبٍ فِي آرْتِكَابِ إِثْمٍ.
الْأَزْلَامُ - سِهَامٌ ثَلَاثَةٌ يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الْاِسْتِقْسَامِ، وَالْاِقْتِرَاعِ.

(يَسْأَلُونَكَ) (الطَّيِّبَاتِ)

(٤) - (سَأَلَ عَدِي بْنُ حَاتِمٍ، وَزَيْدُ بْنُ مُهْلَهْلٍ الطَّائِفِيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَا: قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ الْمَيْتَةَ، فَمَاذَا يَحِلُّ لَنَا مِنْهَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ).

وَهَذِهِ الْآيَةُ تَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ الذَّبَائِحَ الْحَلَالَ الطَّيِّبَةَ لَهُمْ، الَّتِي ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَأَحَلَّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، وَأَحَلَّ لَهُمْ مَا أَصْطَادُوهُ بِالْجَوَارِحِ كَالْكِلَابِ وَالصَّقُورِ وَالْفُهُودِ.

(وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ بِالْجَوَارِحِ، اِسْتِيفَافًا مِنَ الْجَرْحِ وَهُوَ الْكُسْبُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فَلَانْ لَا جَارِحَ لَهُ، أَيُّ لَا كَاسِبَ لَهُ).

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ (١) أَيُّ مَا كَسَبْتُمْ.

وَهَذِهِ الْجَوَارِحُ تُقْتَنَصُ الْفَرَائِسُ بِمَخَالِبِهَا وَأَطْفَارِهَا، وَتَكُونُ قَدْ عُلِّمَتْ عَلَى الصَّيْدِ، فَإِذَا أُرْسِلَتْهَا أَصْحَابُهَا اسْتَرْسَلَتْ، وَإِذَا أُشْلُوَهَا اسْتَشْلَتْ، وَإِذَا أَخَذَتِ الصَّيْدَ امْسَكْتُهُ عَلَى أَصْحَابِهَا حَتَّى يَجِئُوا إِلَيْهَا، وَلَا تُمَسِّكُهُ لِنَفْسِهَا. فَمَتَى كَانَ الْجَارِحُ مُعْلَمًا، وَأَمْسَكَ الصَّيْدَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَكَانَ صَاحِبُهُ قَدْ ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ قَبْلَ إِطْلَاقِهِ، حَلَّ الصَّيْدُ، وَإِنْ قَتَلَهُ بِالْإِجْمَاعِ.

(١) الْآيَةُ ٦٠ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ اللَّهُ قُلُوحًا
لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمُ
مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ
بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا امْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَبِأَنْ لَا يُقَدِّمُوا عَلَى مُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ، بِالْأَكْلِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا، وَيَعْلَمُهُمْ أَنَّهُ سَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا جَمِيعِهَا، وَأَنَّهُ تَعَالَى سَرِيعُ الْحِسَابِ، يُحَاسِبُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

الْجَوَارِحُ - الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي يُصَادُ بِهَا كَالْكِلَابِ وَالصُّقُورِ.

التَّكْلِيبُ - تَعْلِيمُ الْجَوَارِحِ عَلَى الصَّيْدِ وَتَضَرُّعِهَا.

الطَّيِّبُ - هُوَ مَا تَسْتَطِيعُ النَّفُوسُ السَّالِمَةُ.

(الطَّيِّبَاتُ) (الْكِتَابُ) (وَالْمُحْصَنَاتُ) (الْمُؤْمِنَاتُ) (أَتَيْتُمُوهُنَّ) (مُسَافِحِينَ) (بِالْإِيمَانِ) (الْخَاسِرِينَ)

(٥) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا حَرَّمَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَبَائِثِ، وَمَا أَحَلَّ لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، ذَكَرَ حُكْمَ ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: فَقَالَ: إِنَّهَا حَلَالٌ لِلْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَ ذَبْحِ الذَّبَائِحِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَا يَذْكُرُونَ عَلَى ذَبَائِحِهِمْ غَيْرَ اسْمِ اللَّهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَطْعَمُوا مِنْ ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِمَّا لَمْ يَرُدْ نَصٌّ عَلَى تَحْرِيمِهِ. وَأَحَلَّ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ نِكَاحَ الْعَقِيفَاتِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (وَقِيلَ بَلْ مَعْنَاهُ الْمُحْصَنَاتُ بِالْحُرِّيَّةِ)، إِذَا دَفَعُوا لَهُنَّ مُهُورَهُنَّ (أُجُورَهُنَّ).

وَكَمَا شَرَطَ اللَّهُ الْإِحْصَانَ، وَهُوَ الْعِفَّةُ، فِي النِّسَاءِ، كَذَلِكَ شَرَطَهُ فِي الرِّجَالِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُحْصَنًا عَقِيفًا، وَلِهَذَا قَالَ (غَيْرَ مُسَافِحِينَ) (وَالْمُسَافِحُونَ هُمُ الزَّانَةُ الَّذِينَ لَا يَرْتَدُّعُونَ عَنْ مَعْصِيَةٍ، وَلَا يَرُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ عَمَّا جَاءَهُمْ، أَوْ هُمُ الَّذِينَ يُجَاهِرُونَ بِالْمَعْصِيَةِ الَّتِي يَأْتُونَهَا)، وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ (وَهُمْ أَصْحَابُ الْعَشِيقَاتِ - أَوْ هُمُ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْمَعْصِيَةَ سِرًّا)، لِذَلِكَ ذَهَبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَصِحُّ عِنْدَهُ عَقْدُ الرَّجُلِ الْفَاجِرِ عَلَى أَمْرَةٍ عَقِيفَةٍ حَتَّى يَتُوبَ.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ، وَيَجْحَدَ بِالَّذِينَ فَقَدَ هَلَكَ عَمَلُهُ وَبَطَلَ (حَبِطَ) وَسَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

مُحْصِنِينَ - أَصْحَابُ عِفَّةٍ يَتَعَفَّفُونَ بِالزَّوَاجِ عَنِ الزُّنَى.

غَيْرَ مُسَافِحِينَ - غَيْرَ مُجَاهِرِينَ بِالزُّنَى.

مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ - مُصَاحِبِي خِلَالَاتِ اللَّزْنَى سِرًّا.

﴿٥﴾ أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

حَبِطَ عَمَلُهُ - هَلَكَ عَمَلُهُ وَبَطَلَ ثَوَابُهُ.
طَعَامٌ - ذَبَائِحُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.
يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ - يُنْكِرُ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الصَّلَاةَ) (الغَائِطِ) (لَمْ تَسْتُمْ)

(٦) - فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ شُرُوطَ الْوُضُوءِ وَالتَّيْمُمِ، وَيَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْوُضُوءِ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَهُمْ مُحَدِّثُونَ (وَيُسْتَحَبُّ الْوُضُوءُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ). وَالْوُضُوءُ هُوَ غَسْلُ الْوَجْهِ، وَغَسْلُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمَرْفِقَيْنِ، وَمَسْحُ الرَّأْسِ كُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ، وَغَسْلُ الرَّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ. وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: إِذَا كُنْتُمْ جُنُبًا فَاعْتَزِلُوا، وَإِذَا كُنْتُمْ مَرْضَى لَا تَسْتَطِيعُونَ مَسَّ الْمَاءِ لِلْوُضُوءِ وَالْاِغْتِسَالِ، أَوْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ، وَلَمْ يَتَسَرَّ لَكُمْ الْمَاءُ، وَإِذَا أَحَدُنْكُمْ (جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ)، أَوْ بَاشَرْتُمُ النِّسَاءَ، وَلَمْ تَجِدُوا مَاءً لَتَغْتَسِلُوا وَتَتَوَضَّؤُوا فَتَيَمَّمُوا مَا صَعَدَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ مِنْ تُرَابٍ طَاهِرٍ (طَيِّبٍ) فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ الْأَمْرَ عَلَيْكُمْ، وَلَا يُخْرِجَكُمْ فِي أُمُورِ دِينِكُمْ، وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُطَهِّرَكُمْ، وَأَنْ يَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ، فَيَجْمَعُ لَكُمْ بَيْنَ طَهَارَةِ الْأَبْدَانِ وَطَهَارَةِ الرُّوحِ، لِيُعِدَّكُمْ بِذَلِكَ لِدَوَامِ شُكْرِهِ عَلَى نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى مَا يَسِّرُهُ لَكُمْ.

الغَائِطُ - مَكَانٌ قَضَاءِ الْحَاجَةِ.

لَمْ تَسْتُمُ النِّسَاءَ - وَاقْتُمُوهُنَّ أَوْ مَسَسْتُمُ بَشَرَتَهُنَّ.

صَعِيدًا طَيِّبًا - تُرَابًا طَاهِرًا.

خَرَجَ - ضَيَّقَ فِي دِينِهِ.

(مِثَاقُهُ)

(٧) - وَتَذَكَّرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذْ كُنْتُمْ كُفَرَاءً مُتَبَاعِضِينَ فَأَصْبَحْتُمْ بِفَضْلِ اللَّهِ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ، وَتَذَكَّرُوا الْعَهْدَ الَّذِي عَاهَدَكُمْ بِهِ، حِينَ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَشْطِ وَالْمَكْرَهِ (أَيِ الْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ)، وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، حِينَ قُلْتُمْ سَمِعْنَا مَا أَمَرْتَنَا بِهِ، وَمَا نَهَيْتَنَا عَنْهُ، وَأَطَعْنَاكَ فِيهِ فَلَا نَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ، وَكُلُّ مَا جِئْتَنَا بِهِ فَهُوَ مَعْرُوفٌ. وَأَتَقُوا اللَّهَ فَلَا تَنْقُضُوا عَهْدَهُ، وَلَا تُخَالِفُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا أَضْمَرَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِمَّنْ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِثَاقَ مِنَ الْوَفَاءِ بِهِ، أَوْ عَدِمَ الْوَفَاءَ بِهِ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ السَّرَائِرُ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالرِّيَاءِ.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا

فُتِمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاعْسِلُوا

وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى

الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ

وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ

وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْهَرُوا

وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ

أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا

مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ

وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ

حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ

وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

وَإِذْ كُروا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَمِثْقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ

إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

الْمِيثَاقُ - هُوَ التَّيَعُّدُ الَّتِي كَانَ الْمُسْلِمُونَ يُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهَا حِينَ إِسْلَامِهِمْ .

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (قَوَّامِينَ) (شَنَانُ)

(٨) - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَكُنْ هَمُّكُمْ وَدَائِبُكُمْ التَّزَامُ الْحَقُّ فِي أَنْفُسِكُمْ (يُدُونِ اعْتِدَاءً عَلَى أَحَدٍ)، وَفِي غَيْرِكُمْ (بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ) ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَحُدَّةٍ، لَا لِأَجْلِ إِرْضَاءِ النَّاسِ، وَكَتْسَابِ السُّمْعَةِ الْحَسَنَةِ عِنْدَهُمْ، وَكُونُوا شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ (الْقِسْطِ)، دُونَ مُحَابَاةٍ لِمَشْهُودٍ لَهُ، وَلَا لِمَشْهُودٍ عَلَيْهِ، فَالْعَدْلُ مِيزَانُ الْحَقُوقِ، وَمَتَى وَقَعَ الْجَوْرُ فِي أُمَّةٍ، زَالَتِ الثِّقَةُ مِنْ نَفُوسِ النَّاسِ، وَأَنْتَشَرَتِ الْمَقَابِدُ، وَتَقَطَّعَتْ رَوَابِطُ الْمُجْتَمَعِ . وَلَا تَحْمِلَنَّكُمْ عِدَاوَتُكُمْ الشَّدِيدَةَ لِقَوْمٍ، وَبُغْضُكُمْ لَهُمْ عَلَى عَدَمِ الْعَدْلِ فِي أَمْرِ الشَّهَادَةِ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ إِذَا كَانُوا أَصْحَابَ حَقٍّ، أَوْ عَلَى عَدَمِ الْحُكْمِ لَهُمْ بِذَلِكَ، فَالْمُؤْمِنُ يُؤْثِرُ الْعَدْلَ عَلَى الْجَوْرِ وَالْمُحَابَاةِ . ثُمَّ يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ السَّابِقَ بِضُرُورَةِ إِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَأَدَاءِ الشَّهَادَةِ بِالْقِسْطِ فَيَقُولُ: أَعْدِلُوا لِأَنَّ الْعَدْلَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى اللَّهِ، وَابْعُدْ عَنْ سَخَطِهِ، وَأَتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَاحْذَرُوا أَنْ يُجَازِيَكُمْ بِالْعَدْلِ عَلَى تَرْكِكُمْ الْقِيَامَ بِالْعَدْلِ .

شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ - شَاهِدِينَ بِالْعَدْلِ .

لَا يَجْرِمَنَّكُمْ - لَا يَحْمِلَنَّكُمْ .

شَنَانُ قَوْمٍ - بُغْضُكُمْ لَهُمْ .

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٩) - وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَبَكَّتْهُ رُسُلُهُ . . وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي يَرْضَاهَا رَبُّهُمْ (مِثْلَ الْعَدْلِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمُرَاعَاةِ جَانِبِ اللَّهِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي رَوَابِطِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ)، بِأَنَّهُ سَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيُثَبِّتُهُمُ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الْجَزَاءُ الْمَضَاعَفُ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَضْلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً مِنْ لَدُنْهُ .

(بَيِّنَاتِنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(١٠) - أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ كُلِّهِمْ أَوْ بَعْضِهِمْ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ (سَوَاءً مِنْهَا الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، أَوِ الَّتِي أَقَامَهَا فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى وَجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَعَلَى صِدْقِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا

قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ

قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا

هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ

مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ

الْجَحِيمِ

رُسُلِهِ فِيمَا يَلْعُونَ عَنْهُ فَسَيَكُونُونَ مِنَ أَهْلِ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ نَاصِرًا وَلَا مُنْقِذًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.
الْحَجِجِم - النَّارِ الْعَظِيمَةِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (نِعْمَةً)

(١١) - رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ مِنْزِلًا، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِصَاةِ يَسْتَظِلُّونَ تَحْتَهَا، وَعَلَى النَّبِيِّ سِلَاحُهُ عَلَى شَجَرَةٍ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى سَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخَذَهُ وَسَلَّهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُ. وَكَرَّرَ الْأَعْرَابِيُّ مَقَالَتَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُجِيبُهُ بِقَوْلِهِ: اللَّهُ. فَرَدَّ الْأَعْرَابِيُّ السَّيْفَ إِلَى مَكَانِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّ الْيَهُودَ حَاولُوا قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ وَخَذَلَهُمْ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَذَكِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ إِذْ دَفَعَ الشَّرَّ وَالْمَكْرُوهَ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَعَنْهُمْ، جِنْمَا هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَمْدُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِمْ بِصُنُوفِ الشَّرِّ وَالْإِذَاءِ، فَكَفَّ اللَّهُ تَعَالَى بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا تَنْفِيذَ مَا هُمُوا بِهِ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَتَّقُوهُ، وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي أَرَاهُمْ قُدْرَتَهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَقَدْ ضَعَفَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقُوَّةَ أَعْدَائِهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ، بَعْدَ أَنْ أَرَاهُمْ عِزَّتَهُ بِمَنْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ. يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ - يَبْطِشُوا بِكُمْ بِالْقَتْلِ وَالْإِهْلَاكِ.

(مِيثَاقَ) (إِسْرَائِيلَ) (لِئِنْ) (الصَّلَاةَ) (وَاتَيْتُمْ) (الزَّكَاةَ) (وَأَمْتُمْ) (جَنَاتِ) (الْأَنْهَارِ)

(١٢) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَخَذَ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَعْمَلُوا بِأَحْكَامِ التَّوْرَةِ الَّتِي تَحْوِي شَرِيْعَتَهُمْ. وَأَمَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِأَنْ يَخْتَارَ مِنْ كُلِّ سَبِيحٍ، مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ اثْنَيْ عَشَرَ، نَقِيًّا يَكُونُ كَفِيلًا عَلَى جَمَاعَتِهِ، بِالْوَفَاءِ بِتَنْفِيذِ مَا أَمَرُوا بِهِ، فَاخْتَارَ مُوسَى النُّبَّاءَ، وَأَخَذَ الْمِيثَاقَ وَتَكْفَلَ لَهُ النُّبَّاءُ بِالْوَفَاءِ بِمَا أَلْتَزَمُوا بِهِ.

فَسَارَ بِهِمْ مُوسَى إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ السُّكْنَى فِيهَا، وَكَانَ فِيهَا الْكَنْعَانِيُّونَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا بَعَثَ مُوسَى النُّبَّاءَ يَتَحَسَّسُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ



وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ

مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ
نَقِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي
مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ
الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ
وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْهُمْ
وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

الْأَخْبَارَ، فَرَأَوْا أَجْسَامَ الْكَتَّانِيَّيْنَ قَوِيَّةً، فَهَابُوهُمْ، وَرَجَعُوا يُحْدِثُونَ قَوْمَهُمْ بِمَا رَأَوْا، وَكَانَ مُوسَى قَدْ نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَكَتَبُوا الْمِيثَاقَ، وَلَمْ يَلْتَزِمُوا بِهِ إِلَّا نَقِيَانٌ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّكُمْ بِحِفْظِي وَرِعَايَتِي، وَإِنِّي نَاصِرُكُمْ وَمُعِينُكُمْ مَا دُمْتُمْ مُحَافِظِينَ عَلَى الْمِيثَاقِ، وَإِنِّي مُشْرِفٌ عَلَيْكُمْ، وَمُبْصِرٌ لِأَفْعَالِكُمْ، سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ بِضَمَائِرِكُمْ، وَقَادِرٌ عَلَى مُجَازَاتِكُمْ، فَإِذَا أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ، وَأَدَيْتُمُوهَا حَقَّ أَدَائِهَا، وَدَفَعْتُمُ زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَمْتَمْتُمْ بِرُسُلِي جَمِيعاً، وَصَدَقْتُمُوهُمْ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْوَحْيِ، وَنَصَرْتُمُوهُمْ وَأَزَرْتُمُوهُمْ عَلَى الْحَقِّ (عَزَّرْتُمُوهُمْ)، وَأَنْفَقْتُمُ الْأَمْوَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ (أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ) . . . إِذَا فَعَلْتُمْ كُلَّ ذَلِكَ لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَأَمْحُودٌ ذُنُوبُكُمْ، وَأَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ، وَلَا أُوَاخِذُكُمْ عَلَيْهَا وَلَا دَخِلَنَّكُمْ فِي رَحْمَتِي، وَأَسْكِنَنَّكُمْ جَنَّتِي الَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. وَمَنْ خَالَفَ هَذَا الْمِيثَاقَ بَعْدَ عَقْدِهِ وَتَوَكُّدِهِ، فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ، وَعَدَلَ عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ.

التَّعْزِيرُ - النُّصْرَةُ مَعَ التَّعْظِيمِ .
النَّقِيبُ - الشَّخْصُ يَخْتَارُهُ جَمَاعَتُهُ لِيَكُونَ كَفِيلاً عَلَيْهِمْ .
قَرَضاً حَسَناً - أَحْتِسَاباً بِطِبِّ خَاطِرٍ .

(مِيثَاقُهُمْ) (لَعْنَاهُمْ) (قَاسِيَةً) (خَائِنَةً)

(١٣) - فَسَبَبَ نَقْضَهُمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (وَمِنَهُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ نَبِيٍّ يُرْسِلُهُ اللَّهُ، وَنَصْرُهُ وَتَبَجُّلُهُ) اسْتَحَقُّوا مَقَتَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ، حَتَّى قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَأَفْتَرَوْا عَلَى مَرْيَمَ، وَأَسَاؤُوا إِلَى عِيسَى، الَّذِي جَاءَ لِإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَحَاوَلُوا قَتْلَهُ، فَسَبَبَ جَمِيعَ مَا أَقْرَفُوهُ مِنْ ذُنُوبٍ وَمَعَاصٍ جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً، فَلَا يَتَعَطَّوْنَ بِمَوْعِظَةٍ لِيُغْلِظَ قُلُوبَهُمْ وَقَسَوْنَهَا، وَجَعَلَ أَفْهَامَهُمْ فَاسِدَةً فَسَاءَتْ تَصَرُّفَاتُهُمْ فِي آيَاتِ اللَّهِ، فَأَخَذُوا فِي تَحْرِيفِهَا وَتَأْوِيلِهَا عَلَى غَيْرِ مَا أُنْزِلَتْ لَهُ، وَحَمَلُوهَا عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهَا (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِهَا رَغْبَةً عَنْهَا (نَسُوا) خَطَأً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تَزَالُ تَكْتَشِفُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ غَدْرًا وَمَكْرًا بَكَ وَبِأَصْحَابِكَ (تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ)، فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ، وَهَذَا هُوَ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ، وَفِيهِ تَأَلَّفٌ لِقُلُوبِهِمْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلَى الْحَقِّ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

حَسَنًا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دَخِلَنَّكُمْ
جَنَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ
سَوَاءَ السَّبِيلِ

﴿١٣﴾ فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ
وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ
مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى
خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(وَقَالَ آيُنُ عَبَّاسٍ إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى - وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ - هُوَ أَنَّهُمْ نَسُوا الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ).

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ - يُؤَوِّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ بِهِ وَيَحْمِلُونَهُ عَلَى غَيْرِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِهِ.

تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ - تَكْتَشِفُ مِنْهُمْ عَيْنَ غَدْرِ وَخِيَانَةٍ.

نَسُوا حَظًّا - تَرَكُوا نَصِيبًا وَافِرًا.

(نَصَارَى) (مِيثَاقُهُمْ) (الْقِيَامَةِ)

(١٤) - وَكَذَلِكَ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى الْمِيثَاقَ مِنَ النَّصَارَى عَلَى الثُّبَاتِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْقِيَامِ بِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقِ بِهِمْ، فَسَلَكُوا فِي مِيثَاقِ اللَّهِ طَرِيقَ الْيَهُودِ، قَبِلُوا دِينَهُمْ، وَنَقَضُوا الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَنَسُوا حَظًّا كَبِيرًا مِنْ كِتَابِهِمْ. وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُكْتَبْ مَا ذُكِّرْهُمْ بِهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ، وَتَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ، وَلَا طَرُقَ الْإِرْشَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَكَانَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنَ الْعَامَّةِ (الْحَوَارِيُّونَ) كَانُوا مِنَ الصَّيَادِينَ، وَاشْتَدَّ الْيَهُودُ فِي مُطَارَدَتِهِمْ فَتَفَرَّقُوا، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَاتُ ذَاتِ قُوَّةٍ وَتَقْوَى وَعِلْمٌ تَدُونُ مَا حَفِظُوهُ مِنَ الْإِنْجِيلِ. وَالْإِنْجِيلُ لَمْ يُكْتَبْ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ قُرُونٍ عِنْدَمَا دَخَلَ قِسْطَنْطِينُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي تَفَرُّقِهِمْ وَتَعَادِيهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ شَيْعًا وَطَوَائِفَ، كُلٌّ فِيهِ تَكْفُرٌ الْأُخْرَى وَتُعَادِيهَا.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَلْقَى بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، وَبِمَا أَقْتَرَفُوهُ مِنَ الْكُذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرُسُولِهِ، وَبِمَا نَسَبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ لَهُ صَاحِبَةً وَوَلَدًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَاغْرَيْنَا - هَمِجْنَا وَحَرَّشْنَا.

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) (الْكِتَابِ) (وَيَعْفُو) (كِتَابِ)

(١٥) - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا أَرْسَلْنَا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَكُنْتُمْ تَخْفَوْنَهَا (كَالرَّجْمِ لِلزَّانِي الْمُحْصَنِ، وَكَصِفَاتِ مُحَمَّدٍ، وَالبَشَارَةِ بِهِ الَّتِي حَرَفْتُمُوهَا وَحَمَلْتُمُوهَا عَلَى مَعَانٍ أُخْرَى، وَمِثْلِ الْأَحْكَامِ الَّتِي أَحْقَقْتُمُوهَا وَنَسَبْتُمُوهَا كَيْسِيَانِ الْيَهُودِ مَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ أَخْبَارِ الْحِسَابِ

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا

نَصْرَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ

فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا

بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ

بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ

جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ

لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ

تُخْفَوْنَ مِنَ الْكِتَابِ

وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ

وَالْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ أَظْهَرَ الرَّسُولُ لَهُمْ كُلَّ ذَلِكَ وَمَعَ هَذَا فَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ يَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانُوا يُخْفُونَهُ، وَلَا يُظْهِرُ الْكَثِيرَ مِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِبًا أَهْلَ الْكِتَابِ: إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَهُمْ نُورٌ مِنَ اللَّهِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، فَالنُّورُ هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي لَوْلَا مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ، لَمَا عَرَفُوا السَّيِّئَ الْحَقَّ، وَلَا مَا طَرَأَ عَلَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ تَبْدِيلٍ وَتَحْرِيفٍ، وَالْكِتَابُ هُوَ الْقُرْآنُ.
نُورٌ - هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

(رِضْوَانُهُ) (السَّلَام) (الظُّلُمَاتِ) (صِرَاطِ)

(١٦) - يَهْدِي اللَّهُ بِالْقُرْآنِ، مَنْ أَرَادَ اتِّبَاعَ رِضْوَانِ رَبِّهِ، إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالسَّلَامَةِ، وَمَنَاجِجِ اسْتِقَامَةِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالظُّلْمِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ.
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ - طَرِيقٌ قَوِيمٌ، لَا عَوَجَ فِيهِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٧) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْمَسِيحَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ هُوَ اللَّهُ، قَدْ كَفَرُوا بِذَلِكَ الْقَوْلِ، لِأَنَّ الْمَسِيحَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَخُلِقَ مِنْ خَلْقِهِ، فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: مَنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ الْمَسِيحَ وَأُمَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْمِيَهُمَا مِنْهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَهُمَا؟ بَلْ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْتَرِضَ سَبِيلَ إِرَادَةِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَهْلِكَ جَمِيعَ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلَائِقِ؟ فَاللَّهُ هُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَتَصَرَّفُ فِيهِمَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَلَا مُعَقَّبٌ عَلَى تَصَرُّفِهِ، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ قَدْ التَّبَسَّ عَلَى هَؤُلَاءِ بِسَبَبِ خَلْقِ عِيسَى مِنْ دُونِ أَبِي، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ دُونِ أَبِي وَلَا أُمَّ.

(وَالنَّصَارَى) (أَبْنَاءُ) (وَأَحِبَّاءُ) (السَّمَاوَاتِ)

(١٨) - قَالَ كُلٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى نَحْنُ مُتَّبِعُونَ إِلَى أَنْبِيََاءِ اللَّهِ، وَهُمْ بَنُوهُ، وَلَهُ بِهِمْ عِنَايَةٌ، وَهُوَ يُحِبُّنَا.

وَأُورِدُوا فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِعَبْدِهِ إِسْرَائِيلَ (يَعْقُوبَ) أَنْتَ أَبْنَى الْبِكْرِ. فَحَمَلُوا هَذَا الْقَوْلَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ وَحَرْفُوهُ. وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ غَيْرُ

جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُبِينٌ

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ
اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يَهْلِكَ
الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ
وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى
نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ قُلْ
فَلِمَ يَعْذِبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَعْزِزُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

وَاحِدٍ مِنْ عُقَلَانِهِمْ : إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ يُطْلَقُ عَنْدهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِيمِ
وَالتَّشْرِيفِ .

وَوَرَدَ فِي الْإِنْجِيلِ : إِنَّ الْمَسِيحَ قَالَ لَهُمْ : إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ ،
يَعْنِي رَبِّي وَرَبَّكُمْ .

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ رَدًّا عَلَى أَقْوَالِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ : لَوْ
كُنْتُمْ كَمَا تَدْعُونَ أَتْبَاءَ اللَّهِ وَآحِبَّاءَهُ فَلِمَ أَعَدَّ اللَّهُ لَكُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً لَكُمْ
عَلَى كُفْرِكُمْ وَكَذِبِكُمْ وَأَفْثَارِكُمْ؟ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ اللَّهُ، وَلَكُمْ
أَسْوَةٌ بِأَمْثَالِكُمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْحَاكِمُ
الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ عِبَادِهِ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَلَا
مُعَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ .

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)

(١٩) - يَقُولُ تَعَالَى لِأَهْلِ الْكِتَابِ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا رَسُولًا بَعْدَ مُدَّةٍ
مُتَطَوِّلَةٍ مَا بَيْنَ إِرسَالِ عِيسَى وَإِرسَالِهِ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا رَسُولٌ (عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ
الرُّسُلِ)، فَانْظُمَسَتْ سُبُلُ الْهُدَى، وَتَغَيَّرَتِ الْأُذْيَانُ، وَكَثُرَ عِبَادُ الْأَوْثَانِ
وَالنَّيِّرَانِ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، بَعْدَ أَنْ بَشَّرَهُمْ بِهِ فِي الْكِتَابِ
الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ، وَذَلِكَ لِكَيْلَا يَحْتَجُّوا
وَيَقُولُوا: مَا جَاءَنَا رَسُولٌ يُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ وَيُنْذِرُ بِالشَّرِّ. فَهَذَا قَدْ جَاءَكُمْ مُحَمَّدٌ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَاللَّهُ قَدِيرٌ عَلَى عِقَابِ مَنْ عَصَاهُ، وَعَلَى إِثَابَةِ مَنْ أَطَاعَهُ.
عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ - بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ لَمْ يَأْتِ فِيهَا رَسُولٌ .

(يَا قَوْمِ) (وَأَتَاكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(٢٠) - وَادَّكَّرَ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنْتَ تَبْلُغُهُمْ دَعْوَةَ رَبِّهِمْ، مَا قَالَهُ
مُوسَى لِقَوْمِهِ، وَمَا ذَكَرَهُمْ بِهِ مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ وَأَفْضَالِهِ عَلَيْهِمْ، بِمَا جَمَعَهُ
لَهُمْ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الْهُدَى، فَقَدْ جَعَلَ
الْأَنْبِيَاءَ فِيهِمْ، كُلُّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ قَامَ فِيهِمْ نَبِيٌّ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُحَذِّرُهُمْ
نَقَمَهُ، وَأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَهُمْ مُلُوكًا (بِمَعْنَى أَنْ وَاحِدَهُمْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ
وَأَهْلَهُ - وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ
وَخَادِمٌ وَدَارٌ سُمِّيَ مُلْكًا). وَأَنَّهُ تَعَالَى آتَاهُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ
مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، وَظَلَّلَهُم بِالْعَمَامِ
فِي مَسِيرَتِهِمْ فِي صَحْرَاءِ سِينَاء .

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ﴾

رَسُولُنَا يَبِينُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ
الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ
بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ
بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا﴾

أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ
مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ
أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ

(يَا قَوْمِ) (خَاسِرِينَ)

(٢١) - ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى قَالَ لِقَوْمِهِ مُحَرَّضاً إِيَّاهُمْ عَلَى الْجِهَادِ لِلْاِسْتِيلَاءِ عَلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ (أَيِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لِمَا بَعَثَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الدُّعَاةِ إِلَى التَّوْحِيدِ)، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ سِيرُوا إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ آبَاكُمْ إِبْرَاهِيمَ بِأَنْ يُسْكِنَ فِيهَا مَنْ آمَنَ مِنْ نَسْلِهِ، وَلَا تَرْجِعُوا - بَعْدَ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْهُدَى - إِلَى الْوَتَنِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَالْبَغْيِ وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ فِي هَذَا الرَّجُوعِ خُسْرَانًا لَكُمْ.

(يَا مُوسَى) (دَاخِلُونَ)

(٢٢) - فَاعْتَذَرُوا عَنْ دُخُولِ الْبَلَدِ بِأَنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ذَوِي خَلْقٍ هَائِلَةٍ، وَأَجْسَامٍ ضَخْمَةٍ، وَقُوَى شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى قِتَالِهِمْ، وَلَا يُمَكِّنُهُمُ الدُّخُولُ إِلَيْهَا، مَا دَامَ الْجَبَّارُونَ فِيهَا، فَإِنْ خَرَجُوا مِنْهَا، دَخَلَهَا قَوْمُ مُوسَى، وَالْأَقَانِئُ لَهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِقِتَالِ الْجَبَّارِينَ. الْجَبَّارُ - هُوَ الْقَوِيُّ الْعَاطِي الَّذِي يُجْبِرُ غَيْرَهُ عَلَى فِعْلٍ مَا يُرِيدُ.

(عَالِيُونَ)

(٢٣) - فَلَمَّا نَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنْ إِطَاعَةِ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَمُتَابَعَةِ مُوسَى، حَرَضَهُمْ رَجُلَانِ، اللَّهُ عَلَيْهِمَا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهُمَا مِمَّنْ يَخَافُ اللَّهُ وَيَخْشَى عِقَابَهُ، فَقَالَا لِقَوْمِيهِمَا: إِنْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ، وَتَبِعْتُمْ أَمْرَهُ، وَوَأَفَقْتُمْ رَسُولَهُ، نَصَرَكُمْ رَبُّكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، وَأَيَّدَكُمْ وَأَطْفَرَكُمْ بِهِمْ، وَدَخَلْتُمْ الْبَلَدَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ السُّكْنَى فِيهَا، فَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِمْ هَذَا الْقَوْلُ شَيْئًا.

(يَا مُوسَى) (فَقَاتِلَا) (هَاهُنَا) (قَاعِدُونَ)

(٢٤) - وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَصْرُوا عَلَى النُّكُولِ عَنِ الْجِهَادِ، وَعَلَى مُخَالَفَةِ رَسُولِهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ لَنْ يَدْخُلُوا الْبَلَدَ مَا دَامَ الْجَبَّارُونَ مُقِيمِينَ فِيهَا، فَإِذَا أَصْرَ مُوسَى عَلَى الْجِهَادِ فَلْيَذْهَبْ هُوَ وَرَبُّهُ فَلْيَقَاتِلَا الْجَبَّارِينَ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ نَتِيجَةَ الْمَعْرَكَةِ قَاعِدِينَ، حَيْثُ هُمْ يَقِيمُونَ.

(الْفَاسِقِينَ)

(٢٥) - فَلَمَّا نَكَلُوا عَنِ الْقِتَالِ، غَضِبَ عَلَيْهِمْ مُوسَى، وَاتَّجَهَ إِلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ لَيْسَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ مَنْ يُطِيعُنِي وَيُجِيبُنِي إِلَى تَنْفِيزِ مَا

يَقُومُوا ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ

قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا

جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا
مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ

أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ
الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَأِنَّكُمْ عَلَى اللَّهِ
فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا

أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا
هَاهُنَا قَاعِدُونَ

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي

وَإِخِي فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

أَمَرْتَنِي بِهِ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي هَارُونَ، فَافْضُ يَا رَبِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، الْخَارِجِينَ عَلَى طَاعَتِكَ (الْفَاسِقِينَ)، بِقَضَاءِ تَقْضِيهِ بَيْنَنَا، فَتَحْكُمَ لَنَا بِمَا نَسْتَحِقُّ، وَتَحْكُمَ لَهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ.
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: إِنَّكَ إِذَا أَخَذْتَهُمْ بِالْعِقَابِ عَلَى فُسُقِهِمْ، وَخَرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَتِكَ، فَلَا تَعَاقِبْنَا مَعَهُمْ).
فَافْرُقْ - فَافْصِلْ بِحُكْمِكَ.

(الْفَاسِقِينَ)

(٢٦) - فَلَمَّا دَعَا مُوسَى عَلَيْهِم، جِئْنَا نَكُلُّوا عَنِ الْجِهَادِ، قَضَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ دُخُولَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً، يَتِيهُونَ خِلَالَهَا فِي الْأَرْضِ (أَيِ فِي صَحْرَاءِ سِينَاء)، وَيَتَقَوْنَ مُتَحِيرِينَ مُتَرَدِّدِينَ، لَا يَذَرُونَ مَصِيرَهُمْ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْخُرُوجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ، خِلَالَ الْمُدَّةِ الَّتِي قَضَاهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَحِلَالَ وُجُودِهِمْ فِي صَحْرَاءِ سِينَاء تُوَفِّي مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَتَوَلَّى قِيَادَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ (وَهُوَ مِنْ نَسْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَجَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا فِيهِمْ، وَتُوَفِّي أَكْثَرَ الْجِيلِ الْقَدِيمِ، وَنَشَأَ فِي الصَّحْرَاءِ وَالْحَرِّيَّةِ جِيلٌ جَدِيدٌ. فَلَمَّا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ الَّتِي قَضَاهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، خَرَجَ بِهِمْ يُوْشَعَ بْنُ نُونٍ، وَتَوَجَّهَ بِهِمْ إِلَى إِحْدَى الْمُدُنِ فَحَاصَرَهَا وَفَتَحَهَا.

ثُمَّ سَأَلَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: لَا تَأْسَفْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ فِيمَا قَضَيْتَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْقِصَّةُ تَتَضَمَّنُ تَقْرِيعًا لِلْيَهُودِ، وَبَيَانًا لِفَضَائِحِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ وَأَمْرَ رَسُولِهِ، وَنُكُولِهِمْ عَنْ طَاعَتِهِمَا.

يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ - يَصْلُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسِيرُونَ عَلَى غَيْرِ هُدًى.
فَلَا تَأْسَ - فَلَا تَحْزَنْ.

(آدَمَ)

(٢٧) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى عَاقِبَةَ الْبُغْيِ وَالْحَسَدِ وَالظُّلْمِ، فِي خَبَرِ آدَمَ (قَابِيلَ وَهَابِيلَ)، وَكَيْفَ عَادَا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَقَتَلَهُ بَغْيًا عَلَيْهِ، وَحَسَدًا لَهُ، فِيمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمَةِ، وَتَقَبَّلَ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَخْلَصَ فِيهِ

٥٦ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ

أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي
الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ



الْحَرْثُ
١٢

٥٧ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ

ءَادَمَ يَالْحَقُّ إِذْ قَرَّبَا
قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

صَاحِبُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَارَزَ الْمَقْتُولُ بِغُفْرَانِ اللَّهِ لَهُ خَطَايَاهُ، وَبِالدُّخُولِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَعَادَ الْقَاتِلُ وَقَدْ خَسِرَ الدَّارَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

فَقَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: أَفْضَلُ عَلَى الْبَغَاةِ الْحَصَدَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَمْثَالِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ خَيْرٌ أَبْنَى آدَمَ الَّذِي يَرْوِيهِ النَّاسُ وَيَتَنَاقَلُونَهُ، لَقَدْ قَرَّبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قُرْبَانًا إِلَى اللَّهِ، فِي أَمْرٍ اخْتَلَفَا عَلَيْهِ، فَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْ أَحَدِهِمَا قُرْبَانَهُ (وَهُوَ هَابِيلُ) وَلَمْ يَقْبَلْ قُرْبَانَ الْآخَرِ (قَابِيلَ)، بَانَ أَنْزَلَ اللَّهُ نَارًا مِنَ السَّمَاءِ فَأَكَلَتْ قُرْبَانَ هَابِيلَ، وَلَمْ تَمَسَّ النَّارُ قُرْبَانَ قَابِيلَ. فَغَضِبَ قَابِيلُ، وَهَدَّدَ أَخَاهُ بِالْقَتْلِ، فَقَالَ لَهُ هَابِيلُ: إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ الْقُرْبَانَ وَالصَّدَقَاتِ مِنَ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ أَحْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ، وَاتَّقَوْا الشَّرَّ، وَخَافُوا عِقَابَ اللَّهِ، وَاجْتَنَبُوا الْمَعَاصِيَ. قُرْبَانًا - مَا يُقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

(لِثْنِ) (الْعَالَمِينَ)

(٢٨) - وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَبْسُطَ إِلَيَّ يَدَكَ وَتَمُدَّهَا بِالشَّرِّ، وَإِذَا نَوَيْتَ قَتْلِي، فَإِنِّي لَنْ أَقْبِلَكَ عَلَى صَنِيعِكَ الْفَاسِدِ بِمِثْلِهِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأَنْتَ سَوَاءً فِي الْخَطِيئَةِ، وَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ مِنْ أَنْ أَصْنَعَ بِكَ مَا تُرِيدُ أَنْتَ أَنْ تَصْنَعَهُ بِي، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي أَصْبِرُ وَأُحْتَسِبُ.

(تَبَوُّءِ) (أَصْحَابِ) (جَزَاءِ) (الظَّالِمِينَ)

(٢٩) - وَإِنِّي إِذْ أُرْفُضُ مُقَابِلَةَ الْجَرِيمَةِ بِمِثْلِهَا، فَإِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ تَحْمَلَ إِثْمَ قَتْلِي، وَالْإِثْمَ الَّذِي عَلَيْكَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ أَجْلِهِ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ قُرْبَانَكَ، فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَهَذَا هُوَ الْجَزَاءُ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ.

وَلَكِنْ قَابِيلُ لَمْ يَخَفِ النَّارَ الَّتِي خَوْفُهَا بِهَا أُخْصِي، وَلَمْ يَنْزَجِرْ (وَقِيلَ إِنَّ الْقَاتِلَ يَحْمِلُ فِي الْآخِرَةِ إِثْمَ مَنْ قَتَلَهُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبٍ وَأَثَامٍ وَحُقُوقٍ لِلْعِبَادِ، لِأَنَّهُ يَقْتُلُهُ مَنَعُهُ مَنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَوَفَاءٍ مَا عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ).

تَبَوُّءُ بِإِثْمِي - تَرْجِعُ أَوْ تَحْمِلُ إِثْمَ قَتْلِي إِذَا قَتَلْتَنِي. وَإِثْمُكَ - السَّابِقُ الْمَانِعُ مِنْ قَبُولِ قُرْبَانِكَ.

(الْخَاسِرِينَ)

(٣٠) - فَحَسَنْتَ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ، وَشَجَعْتَهُ عَلَيْهِ، بَعْدَ أَنْ سَمِعَ مِنْ أَخِيهِ الْمَوْعِظَةَ فَلَمْ يَتَّعِظْ، وَلَمْ يَزِدْجِرْ، فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ الْقَاتِلُ مِنَ

لَيْنِ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِنَقْلِنِي

مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ

فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ

وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ

فَطَوَّعْتُ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ

فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ

الْخَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا بِفَقْدِهِ أَخَاهُ، وَفِي الْآخِرَةِ إِذْ أَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.
(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى آتَنِ آدَمَ
الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دِمَهِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ). (رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مَسْعُودٍ).

(يُورِي) (يَا وَيْلَتَا) (فَأُورِي) (النَّادِمِينَ)

(٣١) - ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَسْتَفِيدُ مِنْ تَجَارِبِ غَيْرِهِ، فَلَمَّا
مَاتَ الْأَخِ الْقَتِيلُ، تَرَكَهُ الْقَاتِلُ فِي الْعَرَاءِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَذْفِيهِ،
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابَيْنِ فَاقْتَتَلَا، فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَحَفَرَ لَهُ حُفْرَةً الْقَاهُ
فِيهَا، ثُمَّ حَتًّا عَلَيْهِ التُّرَابَ. فَلَمَّا رَأَى آدَمُ الْقَاتِلَ قَالَ: يَا وَيْلَتَا
أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سُوءَ أَخِي؟ فَتَنَدَّمَ عَلَى مَا
فَعَلَ.
السُّوءُ - مَا يَسُوءُ ظُهُورُهُ، وَالْمَقْصُودُ بِهَا هُنَا جُثَّتُهُ.
يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ - يَخْفِرُ فِيهَا لِيَذْفِيَ غُرَابًا قَتَلَهُ.

(بَنِي إِسْرَائِيلَ) (بِالْبَيِّنَاتِ)

(٣٢) - يُخْبِرُ تَعَالَى: أَنَّهُ بِسَبَبِ قَتْلِ آتَنِ آدَمَ أَخَاهُ، شَرَعَ اللَّهُ لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ، وَقَضَى عَلَيْهِمْ، أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ مِنْ قِصَاصٍ أَوْ
إِفْسَادٍ فِي الْأَرْضِ، وَاسْتَحْلَ قَتْلَهَا، بِلَا سَبَبٍ وَلَا جُنَايَةٍ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا، لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ نَفْسٍ وَنَفْسٍ. وَمَنْ حَرَّمَ قَتْلَهَا،
وَكَانَ سَبِيًّا فِي حَيَاةِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، بِإِنْقَاذِهَا مِنْ مَوْتٍ، فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا، لِأَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى الْامْتِنَاعِ عَنْ الْقَتْلِ هُوَ اعْتِقَادُهُ بِأَنَّ ذَلِكَ شَرٌّ
وَأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يَسْلُمُونَ مِنْ شَرِّهِ، وَيَأْمَنُونَ
أَذَاهُ، وَلِأَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى إِنْقَاذِ النَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي كَانَ يَتَهَدَّدُهَا هُوَ
الرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرَائِعِ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ
مُسْتَعِدٌّ لِإِنْقَاذِ كُلِّ نَفْسٍ إِنْ اسْتَطَاعَ، وَلِذَلِكَ يَكُونُ كَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا. وَلَقَدْ جَاءَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رُسُلُهُمْ بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ وَالْذَّلَائِلِ
الْوَاضِحَةِ، وَلَكِنَّ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ كَانُوا مَعَ ذَلِكَ مُسْرِفِينَ فِي فُسَادِهِمْ فِي
الْأَرْضِ.

(وَهَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى آذِنَابِهِمُ الْمُحَارِمِ بَعْدَ
عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا مُحَارِمٌ).

﴿٣١﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابَيْنِ بِحِثِّ فِي

الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى
سُوءَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَيِّلَتَى
أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُورِيَ سُوءَ أَخِي
فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ

﴿٣٢﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى

بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي
الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا
فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا
مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ

(جَزَاءُ) (خِلَافٍ)

(٣٣) - الْمُحَارَبَةُ هُنَا هِيَ الْمُخَالَفَةُ وَالْمُضَادَّةُ، لِأَنَّ فِيهَا عَدَمَ إِدْعَائِ
لِلدِّينِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ، فِي حِفْظِ الْحُقُوقِ، وَهِيَ تَصُدُّ عَلَى الْكُفْرِ، وَعَلَى
قَطْعِ الطَّرِيقِ، وَإِخَافَةِ السَّابِلَةِ. وَكَذَلِكَ يُطْلَقُ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ عَلَى
أَنْوَاعٍ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ.

وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ فَتَقَضُّوا الْعَهْدَ، وَافْسَدُوا فِي الْأَرْضِ،
فَخَيَّرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ إِنْ شَاءَ أَنْ يَقْتُلَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَ أَيْدِيَهُمْ
وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ (أَيَّ إِنْ قَطَعَ الْيَدَ الْيُمْنَى قَطَعَ مَعَها الرَّجُلَ الْيُسْرَى،
وَالْعَكْسُ عَلَى الْعَكْسِ) أَوْ أَنْ يَنْفِيَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي أَرْتَكِبُ فِيهَا
الْجُرْمَ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى لِيُسْجَنُوا فِيهَا (وَالنَّفْيُ فِي مَفْهُومِ أَبِي حَنِيفَةَ هُوَ
السَّجْنُ) وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ تَشْمَلُ كُلَّ مَنْ ارْتَكَبَ عَمَلًا مِنْ
أَعْمَالِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

وَحُكْمُ الْمُحَارَبَةِ عِنْدَ الْأُئِمَّةِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَابْنِ حَنْبَلٍ يَكُونُ فِي الْأَمْصَارِ
كَمَا يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ خَارِجَ الْمُدُنِ، حَتَّى إِنْ مَالِكًا جَعَلَ الْمُحَارَبَةَ
تَشْمَلُ حَالَةَ الرَّجُلِ الَّذِي يَخْدَعُ رَجُلًا فَيَدْخُلُهُ بَيْتَهُ فَيَقْتُلُهُ وَيَأْخُذُ مَآمِعَهُ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ إِنَّمَا تَكُونُ الْمُحَارَبَةُ فِي الطَّرِيقَاتِ لِبُعْدِ النَّاسِ عَنْ
يُعِيشُ، أَمَّا فِي الْأَمْصَارِ فَلَا تَكُونُ مُحَارَبَةً لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَلْحَقُهُ غَوْتُ
إِذَا اسْتَعَاثَ.

وَفِي حَالَةِ الْمُحَارَبَةِ يَكُونُ دَمُ الْمَقْتُولِ لِلسُّلْطَانِ لَا إِلَى وَلِيِّ الْمَقْتُولِ،
وَلَا يَكُونُ عَفْوُهُ سَبَبًا فِي اسْقَاطِ الْعُقُوبَةِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ الْعُقُوبَةَ تَكُونُ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

إِذَا قَتَلُوا يُقْتَلُونَ بِمَنْ قَتَلُوا.

إِذَا قَطَعُوا الطَّرِيقَ وَغَضَبُوا الْمَالَ وَلَمْ يَقْتُلُوا تَقْطَعْ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ
خِلَافٍ، وَيُنْفَوْنَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ.
إِذَا أَخَافُوا السَّابِلَةَ فَقَطُّ يُجَبِّسُونَ.

وَهَذَا الْجَزَاءُ هُوَ عَارَ لَهُمْ وَنَكَالٌ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (خِزْيٌ)، وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، إِذَا لَمْ يَتُوبُوا مِنْ فِعْلِهِمْ حَتَّى تَجِينَ وَقَاتُهُمْ.

وَأَكْثَرُ الْأُئِمَّةِ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ نَزَلَتَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ عُكْلٍ
وَعُرَيْنَةٍ، قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَتَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ فَوَجَدُوا الْمَدِينَةَ

﴿٣٣﴾ إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي
الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا
أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ
خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ
الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ
فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ

رَدِيَّةَ الْمُنَاحِ ، فَأَمَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ بِبَعْضِ الْإِبِلِ وَبِرَاعِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَطْرَافِهَا لِيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِنَاحِيَةِ الْحَرَّةِ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، وَقَتَلُوا رَاعِي النَّبِيِّ ، وَاسْتَأْفَوْا الْإِبِلَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ فَأَرْسَلَ فِي الطَّلَبِ فِي آثَارِهِمْ ، فَاتَّبَعَ بِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ ، فَسَمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ ، وَقُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَتَرَكُوا حَتَّى مَاتُوا .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ لِبَيَانِ عُقُوبَةِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ .
يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ - يُبْعَدُوا أَوْ يُسَجَّنُوا .
خِزْيٌ - ذُلٌّ وَفُضِيحَةٌ وَعُقُوبَةٌ .

(٣٤) - فَإِذَا تَابَ الْجُنَّةُ الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِمُ السُّلْطَةُ فِي الْبَلَدِ ، سَقَطَ عَنْهُمْ الْعِقَابُ الْمَفْرُوضُ (وَهُوَ الْقَتْلُ أَوْ الصَّلْبُ أَوْ قَطْعُ الْيَدَيْنِ . .) وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، يَقْبَلُ تَوْبَةَ مَنْ تَابَ ، وَهُوَ مُخْلِصٌ فِيهَا ، لِأَنَّهُ تَوْبَتُهُمْ وَهُمْ فِي قُوَّةٍ وَمَنْعَةٍ جَدِيدَةٍ بِأَنَّهُ تَكُونُ خَالِصَةً لِلَّهِ ، صَادِرَةً عَنْ اعْتِقَادِ بَقِيحِ الذَّنْبِ ، وَالْعَزْمِ عَلَى تَرْكِ الْعُودَةِ إِلَى فِعْلِ مِثْلِهِ (وَلَكِنْ تَبْقَى عَلَيْهِمْ حُقُوقُ الْعِبَادِ) .
قَبْلَ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ - قَبْلَ وَقُوعِهِمْ بِيَدِ السُّلْطَةِ .

يَا أَيُّهَا (آمَنُوا) (وَجَاهِدُوا)

(٣٥) - يَا مَرْءُ اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ حَقًّا وَصِدْقًا ، وَاتَّقَاءِ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ ، وَذَلِكَ بِعَدَمِ مُخَالَفَةِ شَرْعِهِ ، وَالانْتِفَافِ عَنْ إِتْيَانِ مَحَارِمِهِ ، وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ ، وَبِأَنَّهُ يَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ ، وَبِالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ (وَاتَّبَعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) . ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِجِهَادِ أَعْدَائِهِمْ ، وَأَعْدَاءِ اللَّهِ ، الْخَارِجِينَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ . وَرَغَّبَهُمْ تَعَالَى فِي الْجِهَادِ ، بِأَنَّهُ أَبَانَ لَهُمْ مَا أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ ، وَكَرِيمِ الْمَنْزِلَةِ ، فَلَعَلَّهُمْ ، إِنْ قَامُوا بِأَمْرِ رَبِّهِمْ ، أَنْ يُفْلِحُوا بِالنُّفُوزِ بِرِضَى اللَّهِ وَجَنَّتِهِ .

(وَيَشْمُلُ الْجِهَادُ كُلَّ جَهْدٍ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ ، وَحَمْلِ النَّاسِ عَلَى الْإِزَامَةِ ، كَمَا يَشْمُلُ جِهَادُ النَّفْسِ بِكَفِّهَا عَنْ أَهْوَائِهَا ، وَحَمْلُهَا عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ) .

(الْقِيَامَةُ)

(٣٦) - إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَعَبَدُوا غَيْرَهُ ، أَوْ أَشْرَكُوا مَعَهُ فِي الْأَلُوْهِيَةِ غَيْرَهُ ، وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَتُوبُوا ، فَإِنَّهُمْ لَا نَجَاةَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ

وَلَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، وَمِثْلِهِ مَعَهُ، لَيَفْتَدِي بِذَلِكَ الذَّهَبِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي قَدْ أَحَاطَ بِهِ، لَمَا تُقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ، فَلَا مَنُودَوحَةَ عَنْ عَذَابِهِ، وَلَا مَحِيصَ لَهُ مِنْ أَنْ يُلَاقِيَ جَزَاءَهُ الْعَادِلَ مِنَ الْعَذَابِ، وَهُوَ عَذَابٌ مُوجِعٌ أَلِيمٌ.

(بِخَارِجِينَ)

(٣٧) - وَحِينَما يُحِشُّ الْمُجْرِمُونَ بِثِقَلِ الْعَذَابِ فِي النَّارِ يُحَاوِلُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا، وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَلَهُمْ عَذَابٌ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ.
مُقِيمٌ - دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَفْتَرُ.

(نَكَالًا)

(٣٨) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ، وَكَانَ الْقَطْعُ مَعْمُولًا بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَرَّرَهُ الْإِسْلَامُ، وَجُعِلَتْ لَهُ شُرُوطٌ:
- الْإِمَامُ مَالِكٌ جَعَلَ النَّصَابَ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ قَطْعَ الْيَدِ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ، مَتَى سَرَقَهَا أَوْ سَرَقَ مَا يَبْلُغُهَا ثَمَنًا وَجَبَ الْقَطْعُ.
- الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ جَعَلَ النَّصَابَ رُبْعَ دِينَارٍ أَوْ مَا يُسَاوِيهِ.
- الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَرَى أَنَّ كُلًّا مِنَ الدَّرَاهِمِ الثَّلَاثَةِ وَرُبْعِ الدِّينَارِ مَرْدٌ شَرْعِيٌّ فَمَنْ سَرَقَ وَاحِدًا مِنْهُمَا أَوْ مَا يُسَاوِيهِ قُطِعَ.

- الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ وَزَفَرٌ جَعَلَا النَّصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ مَضْرُوبَةً غَيْرَ مَغْشُوشَةٍ لِأَنَّ التَّرْسَ الَّتِي قَطَعَ النَّبِيُّ يَدَ سَارِقِهَا كَانَ ثَمَنُهَا عَشْرَةَ دَرَاهِمَ وَجَعَلَ اللَّهُ عُقُوبَةَ الْقَطْعِ وَسَبِيلَةً تَرَدُّعٌ مَنْ فَكَّرَ فِي السَّرِقَةِ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَيْهَا (نَكَالًا مِنَ اللَّهِ)، وَجَزَاءٌ لِلْسَّارِقِ عَلَى أَنْ تَكَابِ فَعَلَ السَّرِقَةَ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي أَنْتِقَامِهِ، حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ، فَمَا أَمْرٌ بِأَمْرِ إِلَّا وَهُوَ صَالِحٌ، وَلَا نَهْيٌ عَنْ أَمْرٍ إِلَّا وَهُوَ فَسَادٌ.
نَكَالًا - عُقُوبَةٌ رَادِعَةٌ تَجْعَلُ مَنْ أَرَادَ الْإِقْدَامَ عَلَى الْجُرْمِ يَنْكَلُ عَنْ ذَلِكَ.

(٣٩) - فَمَنْ تَابَ مِنَ السَّارِقِينَ، بَعْدَ سَرْقَتِهِ، وَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ. أَمَّا أَمْوَالُ النَّاسِ فَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَيْهِمْ، أَوْ رَدِّ بَدَلِهَا.

وَيَقُولُ أَبُو حَنِيفَةَ: مَتَى قُطِعَتْ يَدُ السَّارِقِ، فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ بَدَلَ الْمَالِ الْمَسْرُوقِ إِلَى صَاحِبِهِ إِذَا هَلَكَ الْمَسْرُوقُ فِي يَدِهِ.

عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ

وَتَثْبُتُ السَّرِقَةَ بِالْإِفْرَارِ أَوْ الْبَيِّنَةِ، وَيَسْقُطُ الْحَدُّ بِالْعَفْوِ عَنِ السَّارِقِ قَبْلَ رَفْعِ أَمْرِهِ إِلَى الْإِمَامِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٤٠) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ مَا فِيهِمَا، وَلَا مَعْتَبَرٌ عَلَى حُكْمِهِ، وَهُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ.

(يَا أَيُّهَا) (يُسَارِعُونَ) (آمَنَّا) (بِأَفْوَاهِهِمْ) (سَمَاعُونَ) (آخِرِينَ) (أُولَئِكَ) (الْآخِرَةُ)

(٤١) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا فِي الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ، وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ، وَفِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ، الَّذِينَ كَانُوا كَثِيرِي الاستِمَاعِ إِلَى كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْإِخْبَارِ عَنْهُ، لِأَجْلِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ بِالتَّحْرِيفِ وَاسْتِنْبَاطِ الشُّبُهَاتِ، فَهُمْ جَوَاسِيسُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَعْدَائِهِمْ، مَهْمَّتُهُمْ إِبْلَاغُ رُؤُوسِ الْكُفْرِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، كُلِّ مَا يَقِفُونَ عَلَيْهِ لِيَكُونَ مَا يَقْتَرُونَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ كَذِبٍ مَقْبُولًا، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا يُقَالُ، وَيُحَرِّفُونَ فِيهِ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ يَأْتُونَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ لِيَسْتَمِعُوا مِنْهُ، ثُمَّ يَنْقُلُونَ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنْهُ إِلَى الرُّؤَسَاءِ ذَوِي الْكَيْدِ، الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا إِلَى النَّبِيِّ لِيَسْتَمِعُوا مِنْهُ بِأَذَانِهِمْ، إِمَّا كِبَرًا وَإِمَّا تَمَرُّدًا.

وَيَقُومُ الرُّؤَسَاءُ الرُّوحِيُّونَ مِنَ الْيَهُودِ بِتَحْرِيفِ كَلَامِ التَّوْرَةِ مِنْ بَعْدِ أَنْ وَضَعَهُ اللَّهُ فِي مَوَاضِعِهِ، وَأَحْكَمَهُ، إِمَّا تَحْرِيفًا لَفْظِيًّا، بِإِبْدَالِ كَلِمَةٍ بِكَلِمَةٍ، وَإِمَّا بِإِخْفَائِهِ وَكِتْمَانِهِ، وَإِمَّا بِالزِّيَادَةِ فِيهِ، أَوْ بِالنَّقْصِ مِنْهُ، وَإِمَّا تَحْرِيفًا مَعْنَوِيًّا، بِحَمْلِ اللَّفْظِ عَلَى مَعْنَى يَخْتَلِفُ عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي قَضَاهُ الشَّارِعُ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنْ حَكَمَ لَكُمْ مُحَمَّدٌ الْحُكْمَ الَّذِي تَرِيدُونَ فَأَقْبَلُوهُ، وَإِنْ قَضَى بغيرِهِ فَلَا تَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ.

(وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي يَهُودِيَيْنِ زَنَبَا بَعْدَ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بِقَبِيلِ، وَكَانَ الْيَهُودُ قَدْ تَحَلَّوْا عَنْ تَنْفِيذِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُمْ فِي التَّوْرَةِ مِنْ رَجْمِ الزَّانَةِ الْمُحْصِنِينَ، فَحَرَّفُوا حُكْمَ اللَّهِ، وَأَصْطَلَحُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى

٤٠ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَائِكٌ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ



٤١ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ

لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ

يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ

الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ

وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ

الَّذِينَ هَادُوا وَسَمِعُوا

لِلْكَذِبِ سَمْعًا

لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْزَنُونَ

الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ

وَإِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ

يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ

لَهُ مِنْ أَلَمِ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ

الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ

قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ

وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ

عَظِيمٌ

جَلَدَ الزَّانِي مِئَةَ جَلْدَةٍ مَعَ صَبْغِ الْوَجْهِ بِالسَّوَادِ (وَيُسَمُّوهُ التَّحْمِيمَ). فَلَمَّا وَقَعَتْ حَادِثَةُ الزَّانِي، قَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ تَعَالَوْا نَتَحَاكَمْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَإِنْ حَكَمَ بِالْجَلْدِ، وَصَبَغَ الْوَجْهَ بِالسَّوَادِ، فَخَذُوا ذَلِكَ عَنْهُ، وَاجْعَلُوهُ حُجَّةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَيَكُونَ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ قَدْ حَكَمَ بَيْنَكُمْ بِذَلِكَ، وَلَنْ حَكَمَ بِالرَّجْمِ فَلَا تَتَّبِعُوهُ. فَلَمَّا جَاؤُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ سَأَلَهُمْ عَمَّا فِي كِتَابِهِمْ فِي حُكْمِ الزَّانَاةِ، فَقَالُوا نَفَضُحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ. فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ - وَكَانَ خَبِيرًا مِنْ أَحْبَابِهِمْ ثُمَّ أَسْلَمَ - : كَذَبْتُمْ إِنْ فِيهِ الرَّجْمُ).

وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْتَبِرَهُ فِي دِينِهِ فَيُظْهِرَ الْاِخْتِبَارَ كُفْرَهُ وَضَلَالَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ يَا مُحَمَّدٌ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُظْهِرَ قَلْبَهُ، وَلَا أَنْ يَهْدِيَهُ؛ وَلِهَذَا الضَّالَّ خِزِّي فِي الدُّنْيَا، وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فَلَا تَحْزَنْ يَا مُحَمَّدٌ بَعْدَ هَذَا عَلَى مُسَارَعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ، وَلَا تَطْمَعُ فِي هِدَايَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ، فَإِنَّكَ لَا تَمْلِكُ لِأَحَدٍ نَفْعًا، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ.

سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ - يَسْمَعُونَ كَلَامَكَ فَيُحَرِّفُونَ فِيهِ لِيَكْذِبُوا عَلَيْكَ.

سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ - يَسْمَعُونَ كَلَامَكَ لِلتَّجَسُّسِ عَلَيْكَ.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ - يُبَدِّلُونَهُ أَوْ يُؤَوِّلُونَهُ بِالْبَاطِلِ.

خِزِّي - ذُلٌّ وَفَضِيحَةٌ.

الْفِتْنَةُ - هِيَ الْاِخْتِبَارُ وَالْإِتْلَاءُ.

(سَمَاعُونَ) (أَكَاوُنُ)

(٤٢) - وَأَعَادَ اللَّهُ تَعَالَى وَصْفَهُمْ بِكَثْرَةِ السَّمَاعِ لِلْكَذِبِ، فَقَالَ: وَهُمْ سَمَاعُونَ لِلْبَاطِلِ، أَكَاوُنُ لِلْمَالِ الْحَرَامِ كَالرُّبَا وَالرَّشْوَةِ (السُّحْتِ)، فَإِذَا جَاؤُوكَ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْكَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَحْكُمَ بَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ بِمَجِيئِهِمْ إِلَيْكَ لِلتَّحَاكُمِ، أَتْبَاعُ الْحَقِّ، بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ تَحْكُمَ لَهُمْ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ.

(وَهَذَا الْحُكْمُ خَاصٌّ بِالْمُعَاهِدِينَ دُونَ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَبِالنِّسْبَةِ لِلْمُعَاهِدِينَ لَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَهُمْ) (كَالْأَجَانِبِ الْمَوْجُودِينَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ)، وَإِنْ تَحَاكَمُوا إِلَيْهِمْ، بَلِ الْمُسْلِمُونَ مُخَيَّرُونَ فِي ذَلِكَ حَسَبًا يَرَوْنَ فِيهِ الْمَصْلَحَةَ.

وَأَمَّا أَهْلُ الذِّمَّةِ فَيَجِبُ الْحُكْمُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَحَاكَمُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ مَنْ أَخَذَتْ مِنْهُ الْجَزْيَةُ تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ، فِي الْبُيُوعِ وَالْمَوَارِيثِ،

سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَاوُنُ

لِلْسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكَمْ

بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ

تَعَرَّضَ عَنْهُمْ فَكُلَّ يَضْرُوكَ

شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكَمْ

بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ

وَالْعُقُودَ، عَدَا بَيْعِ الْخَمْرِ وَالْخِنْزِيرِ).
(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذَا الْحُكْمُ مَنسُوحٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ^(١)).

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، فَأَحْكُمْ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَقْضُونَ بِالْعَدْلِ (الْمُقْسِطِينَ).
السُّحْتُ - الْمَالُ الْحَرَامُ - كَالرِّشْوَةِ وَالْفَائِذَةِ وَالْقِمَارِ.
بِالْقِسْطِ - بِالْعَدْلِ.
الْمُقْسِطِينَ - الْعَادِلِينَ فِي الْحُكْمِ.

(التَّوْرَةُ) (أُولَئِكَ)

(٤٣) - وَيُنَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ مَقَاصِدَهُمُ الرِّائِفَةَ، وَنِيَّاتِهِمُ الْفَاسِدَةَ، فِي تَرْكِهِمْ مَا يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهُ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي بَأْيَدِيهِمْ، وَالَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِالتَّمَسُّكِ بِهِ أَبَدًا، ثُمَّ يَخْرُجُونَ عَنْ حُكْمِهِ إِلَى غَيْرِهِ (الْقُرْآنَ وَالْإِسْلَامَ)، مِمَّا يَعْتَقِدُونَ بَطْلَانَهُ، وَعَدَمَ لُزُومِهِ لَهُمْ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ فِي أَمْرِ الزَّانَةِ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْتَ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا يَتَّفِقُ مَعَ شَرْعِهِمْ، لَمْ يَقْبَلُوا حُكْمَكَ (يَتَوَلَّوْنَ) لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا صَحِيحًا لَا بِيَدِيهِمْ، وَلَا بِدِينِكَ.

يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ - يُعْرِضُونَ عَنْ حُكْمِكَ الْمُوَافِقِ لِحُكْمِ التَّوْرَةِ بَعْدَ تَحْكِيمِكَ.

(التَّوْرَةُ) (وَالرَّبَّانِيُّونَ) (كِتَابٍ) (بَيِّنَاتٍ) (فَأُولَئِكَ) (الْكَافِرُونَ)

(٤٤) - يَمْدَحُ اللَّهُ تَعَالَى التَّوْرَةَ، فَيَقُولُ: إِنَّهُ أَنْزَلَهَا وَفِيهَا هُدًى وَنُورٌ، يُحْكُمُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَجُوهَهُمْ لِرَبِّهِمْ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (وَهُمْ مُوسَى وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بَيْنَ الْيَهُودِ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ حُكْمِهَا، وَلَا يُبَدِّلُونَهَا وَلَا يُحَرِّفُونَهَا. وَيَحْكُمُ بِهَا الْعُلَمَاءُ الْعَبَادُ (الرَّبَّانِيُّونَ)، وَالْعُلَمَاءُ (الْأَحْبَارُ) بِمَا اسْتَوْدَعُوا (اسْتَحْفَظُوا) مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرُوا بِأَنْ يَحْفَظُوهُ مِنَ التَّبْدِيلِ، وَبِأَنْ يَطْهَرُوهُ، وَيَعْمَلُوا بِأَحْكَامِهِ. ثُمَّ خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى رُؤَسَاءَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ التَّنْزِيلِ فَقَالَ: كَيْفَ لَا يَخَافُونَ اللَّهَ فِي الْكِتْمَانِ وَالتَّبْدِيلِ، بَعْدَ أَنْ قَصَّ

٤٣ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ

التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ

٤٤ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى

وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ
الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا
اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ
فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ
وَإَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ

(١) الآية ٤٩ من سورة المائدة.

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ

اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ سِيرَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمْ يَغْتَبِرُونَ
وَيَرْعَوُونَ عَنْ غَيْبِهِمْ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: وَإِذَا كَانَ الْحَالُ كَذَلِكَ أَتَيْهَا الْأَحْبَارُ،
وَلَا شَكَّ فِي أَنْكُمْ لَا تَنْكِرُونَهُ، فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ فَتَكْتُمُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ
الْكِتَابِ، خَشْيَةَ النَّاسِ، أَوْ طَمَعًا فِي مَنَافِعٍ عَاجِلَةٍ مِنْهُ، وَأَخْشَوْنِي أَنَا
وَأَقْتَدُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَحْبَارِ، وَاحْفَظُوا التَّوْرَةَ، وَلَا
تَعْدِلُوا عَنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ النِّفْعَ وَالضَّرَرَ بِيَدِ اللَّهِ، وَلَا تَتْرَكُوا بَيَانَ أَحْكَامِ
التَّوْرَةِ لِلنَّاسِ، وَالْعَمَلَ بِهَا، لِقَاءَ مَنَافِعٍ دُنْيَوِيَّةٍ قَلِيلَةٍ تَأْخُذُونَهَا مِنَ
النَّاسِ كَرَشْوَةٍ أَوْ جَاهٍ.

وَكُلُّ مَنْ يَرْغَبُ عَنِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ شَرَعٍ، وَيُخْفِيهِ وَيَحْكُمُ
بِغَيْرِهِ (كَحُكْمِ الْيَهُودِ فِي الرِّائِيَيْنِ الْمُحْصَنِينَ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ،
وَكْتِمَانِ الرَّجْمِ، وَقَضَائِهِمْ فِي بَعْضِ قَتْلَاهُمْ بِدِيَّةٍ كَامِلَةٍ، وَفِي بَعْضِهِمْ
بِنِصْفِ دِيَّةٍ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَوَّى بَيْنَ الْجَمِيعِ فِي الْحُكْمِ)، فَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ الَّذِينَ سَتَرُوا الْحَقَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ كَشَفَهُ وَبَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ.

أَسْلَمُوا - اتَّقَادُوا لِحُكْمِ رَبِّهِمْ فِي التَّوْرَةِ.

الرَّبَّانِيُّونَ - الْعُلَمَاءُ الْمُفْقِهَاءُ.

الْأَحْبَارُ - عُلَمَاءُ الْيَهُودِ.

(فَأُولَئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ

بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ

وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ

بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ

وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَنْ

تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ

لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

(٤٥) - جَاءَتِ التَّوْرَةُ بِشَرْعَةِ الْقِصَاصِ: فَالْنَفْسُ تُقْتَلُ بِالنَّفْسِ، وَلَكِنْ
الْيَهُودُ يُخَالِفُونَ هَذَا الْحُكْمَ عَمْدًا وَعِنَادًا: فَقَدْ كَانَتْ قَبِيلَتَا بَنِي النُّصَيْرِ
وَبَنِي قُرَيْظَةَ تَتَحَارَبَانِ وَتَتَقَاتِلَانِ، وَكَانَتْ قَبِيلَةُ بَنِي النُّصَيْرِ قُوَّةً عَزِيزَةً
الْجَانِبِ، وَكَانَ بَنُو قُرَيْظَةَ ضِعْفَاءُ إِذْلَاءً، فَكَانَ النُّصَيْرِيُّ إِذَا قَتَلَ قُرَيْظِيًّا،
لَمْ يَكُنْ يُقْتَلُ بِهِ، بَلْ يُعْدَلُ فِيهِ إِلَى الدِّيَةِ. أَمَّا إِذَا قَتَلَ الْقُرَيْظِيُّ نُّصَيْرِيًّا،
فَكَانَ يُقْتَلُ بِهِ، وَفِي ذَلِكَ مُخَالَفَةٌ لِحُكْمِ التَّوْرَةِ.

كَمَا خَالَفُوا حُكْمَ التَّوْرَةِ فِي تَرْكِ رَجْمِ الرِّائِي الْمُحْصَنِ، كَمَا أَمَرَتْ بِهِ
التَّوْرَةُ، وَعَدَلُوا عَنْهُ إِلَى الْجَلْدِ وَالتَّحْمِيمِ. وَقَضَتْ التَّوْرَةُ بِأَنْ تُقْفَأَ
الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ، وَبِأَنْ يُجَدَعَ الْأَنْفُ بِالْأَنْفِ، وَأَنْ تُصَلَّمَ الْأُذُنُ بِالْأُذُنِ، وَأَنْ
تُنْرَعَ السِّنُّ بِالسِّنِّ.

أَمَّا الْجِرَاحُ فَيَتِمُّ فِيهَا الْقِصَاصُ إِذَا كَانَتْ فِي مِفْصَلٍ، فَتُقَطَّعُ الْيَدُ

وَالرَّجُلُ وَالْكَفُّ وَالْقَدَمُ وَنَحْوُ ذَلِكَ. أَمَا إِذَا كَانَ الْجُرْحُ فِي عَظْمٍ وَلَيْسَ فِي مِفْصَلٍ، فَاتَّخِذْ فِي كَيْفِيَةِ التَّطْبِيقِ.

فَمَنْ عَفَا وَتَصَدَّقَ بِحَقِّهِ فِي الْقِصَاصِ عَلَى الْجَانِي، كَانَ التَّصَدُّقُ كَفَّارَةً لَهُ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا قَدْرًا مِنْ ذُنُوبِهِ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كُتُبِهِ مِنْ شَرَعٍ، فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُنْصِفُوا الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ، فِي أَمْرِ أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ فِيهِ بَيْنَ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

(آثَارِهِمْ) (التَّوْرَةِ) (وَأَتْيَاهُ)

(٤٦) - وَأَرْسَلْنَا مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مُؤْمِنًا بِالتَّوْرَةِ، وَحَاكِمًا بِمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامٍ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى لِلْحَقِّ، وَبَيَانٌ لِلْأَحْكَامِ، وَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي إِزَالَةِ الشُّبُهَاتِ، وَحَلِّ الْمُسْكَلَاتِ. وَجَاءَ الْإِنْجِيلُ مُصَدِّقًا لِلتَّوْرَةِ، وَمُتَّبِعًا لَهَا، غَيْرَ مُخَالِفٍ لَهَا فِيهَا إِلَّا فِي الْقَلِيلِ مِمَّا بَيَّنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْضُ مَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. وَجَعَلْنَا الْإِنْجِيلَ هُدًى يَهْتَدِي بِهِ الْمُتَّقُونَ، وَوَاعِظًا وَرَاجِعًا لَهُمْ عَنِ ارْتِكَابِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَعَنِ اقْتِرَافِ الْمَآثِمِ.

قَفَّاهُ بِهِ - جَعَلَهُ يَقْفُو أثرَهُ.

(أُولَئِكَ) (الْفَاسِقُونَ)

(٤٧) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ الْأَحْكَامِ، وَبِأَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ شَرَعٍ يُؤْمِنُ بِهِ، كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ. الْفَاسِقُونَ - الْخَارِجُونَ مِنْ حَظِيرَةِ الدِّينِ، الْمُتَجَاوِزُونَ لِأَحْكَامِهِ.

(الْكِتَابَ) (الْكِتَابِ) (وَاحِدَةً) (آتَاكُمْ) (الْخَيْرَاتِ)

(٤٨) - وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ (الْكِتَابَ) إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مُصَدِّقًا لِلْكِتَابِ السَّابِقَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ ذِكْرَهُ وَمَدْحَهُ، وَالْإِشَارَةَ إِلَى أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانَ نَزُولُهُ كَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ مِمَّا زَادَهَا صِدْقًا عِنْدَ حَامِلِيهَا مِنْ ذَوِي الْبَصَائِرِ، الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَشَرَعَهُ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ.

﴿٤٦﴾ وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ

مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

﴿٤٧﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ

﴿٤٨﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ
فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ

جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا
ءَاتَكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَلْيَنْتَبِهُوا بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَّفُونَ

وَالْقُرْآنَ جَاءَ آمِينًا عَلَى الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، وَشَاهِدًا عَلَيْهَا بِالْحَقِّ وَالصَّحَّةِ بِمَا
بَيَّنَّهُ مِنْ حَقِيقَةِ أَمْرِهَا (مُهِمِّنًا عَلَيْهِ)، وَمُبَيِّنًا حَالَ مَنْ خُوطِبُوا بِهَا: مِنْ
نَسْيَانِ حَظِّ عَظِيمٍ مِنْهَا، وَتَحْرِيفِ كَثِيرٍ مِمَّا بَقِيَ، أَوْ تَأْوِيلِهِ، وَالْإِعْرَاضِ
عَنِ الْعَمَلِ بِهِ.

وَبِمَا أَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ رَقِيبًا وَآمِينًا وَشَاهِدًا (مُهِمِّنًا) عَلَى الْكُتُبِ السَّابِقَةِ،
الَّتِي أُنْزِلَتْهَا اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ، فَاحْكُمُوا يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ - إِذَا
تَحَاكَمُوا إِلَيْكَ - بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ، دُونَ مَا أُنْزِلَهُ اللَّهُ
إِلَيْهِمْ، لِأَنَّ شَرِيعَتَكَ نَاسِخَةٌ لِشَرِيعَتِهِمْ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَرَغَائِبَهُمْ
فِي الْحُكْمِ لَهُمْ بِمَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ، وَيَخَفُ أَحْتِمَالُهُ.

ثُمَّ يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ شَرِيعَةً أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ
إِقَامَةَ أَحْكَامِهَا، وَمِنْهَا جَا وَطَرِيقًا فَرَضَ عَلَيْهِمْ سُلُوكُهُ لِتَرْكِيبَةِ نَفُوسِهِمْ
(فَاصِلُ الدِّينِ وَاحِدٌ، وَلَكِنْ الشَّرَائِعُ الْعَمَلِيَّةُ تَخْتَلِفُ بِأَخْتِلَافِ أَحْوَالِ
الْبَشَرِ، وَطِبَاعِهِمْ وَأَسْتِعْدَادِهِمْ).

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً، ذَاتَ شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْهَا جَا
وَاحِدٍ، يَسِيرُونَ عَلَيْهِ، لَفَعَلَ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ، لِيُخْتَبِرَهُمْ فِيَمَا
شَرَعَ لَهُمْ، وَلِيُثَبِّتَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، وَيُعَاقِبَهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِهِ.

وَيُحِثُّ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ عَلَى الْمُبَادَرَةِ وَالْإِسْرَاعِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَاتِّبَاعِ
شَرْعِهِ الَّذِي جَعَلَهُ نَاسِخًا مِمَّا قَبْلَهُ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَيُخَبِّرُهُمْ أَنَّ إِلَهَهُ
مَرْجِعُهُمْ وَمَصِيرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُخَبِّرُهُمْ بِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ،
وَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ.

الْمِنْهَاجُ - السُّنَّةُ وَالسَّبِيلُ.

الْأَيُّمُ - الْاِخْتِيَارُ.

مُهِمِّنًا - آمِينًا عَلَى الْكُتُبِ السَّابِقَةِ وَشَاهِدًا عَلَيْهَا.

اسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ - آتَدْرُوا إِلَيْهَا وَمَارِعُوا.

(لَفَاسِقُونَ)

(٤٩) - قَالَ بَعْضُ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ: أَذْهَبُوا بِنَا إِلَى مُحَمَّدٍ لَعَلَّنَا
نَفْتِنُهُ عَنْ دِينِهِ. فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَا أَحْبَارُ يَهُودَ
وَأَشْرَافُهُمْ وَسَادَتُهُمْ، وَإِنَّا إِنِ اتَّبَعْنَاكَ اتَّبَعْنَا يَهُودَ وَلَمْ يُخَالِفُونَا، وَإِنِ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ قَوْمِنَا خُصُومَةٌ، فَتَخَاصُمُهُمْ إِلَيْكَ فَتَقْضِي لَنَا عَلَيْهِمْ، وَتُؤْمِنُ لَكَ
وَنُصَدِّقُكَ فَابْنِ الرَّسُولِ ﷺ ذَلِكَ وَأُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ فِيهِمْ.

وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ
أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ
مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ
أَنَّهُ يَرْيَدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُهُ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ، وَيُحَذِّرُهُ مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُ الْيَهُودُ، وَيَصْرِفُوهُ عَنِ الْحَقِّ، وَيَأْمُرُهُ بِالْإِغْتِرَابِ بِهِمْ، فَهُمْ كَذَبَةُ كَفْرَةٍ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ حُكْمِكَ بَعْدَ تَحَكُّمِهِمْ إِلَيْكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنْ عَنِ إِرَادَةِ اللَّهِ، وَمَشِيتِهِ، وَحُكْمَتِهِ فِيهِمْ، أَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنِ الْهُدَى لِيُعَذِّبَهُمْ بَعْضُ ذُنُوبِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، وَإِنْ أَكْثَرَ النَّاسَ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، مُخَالِفُونَ لِلْحَقِّ. أَنْ يَفْتِنُوكَ - أَنْ يَمِيلُوا بِكَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ .

(الْجَاهِلِيَّةُ)

(٥٠) - أَيْتَوَلَّوْنَ عَنْ حُكْمِكَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ؟ فَهَلْ يُرِيدُونَ حُكْمًا كَحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ الْمُنْبَيِّ عَلَى التَّحْزِيرِ وَالْهَوَى، وَتَرْجِيحِ جَانِبِ الْقَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا، وَمَنْ أَعْدَلَ مِنْهُ فَصْلًا؟ لِمَنْ عَقَلَ شَرَعَ اللَّهُ وَأَمَنَ بِهِ؟

(نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ جَيْنَمَا تَخَاصَمَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَهُودُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَيَهُودُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، طَالِبِينَ إِلَيْهِ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا كَانُوا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ فِي الْمَاضِي (آيَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ) مِنْ أَنْ تَكُونَ دِيَةُ الْقُرْطِيِّ نِصْفَ دِيَةِ النَّضِيرِيِّ، لِأَنَّ بَنِي النَّضِيرِ كَانُوا أَقْوَى مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَأَعَزَّ جَانِبًا، فَفَرَضُوا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الْقَتْلَى بَوَاءٌ - أَيُّ سَوَاءٍ). فَقَالَ بَنُو النَّضِيرِ: لَا نَقْبَلُ ذَلِكَ).

(يَا أَيُّهَا (آمَنُوا) (وَالنَّصَارَى) (الظَّالِمِينَ)

(٥١) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَاتِّخَاذِهِمْ حُلَفَاءَ لَهُمْ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ مَنْ يَتَّخِذْهُمْ نَصْرَاءَ وَحُلَفَاءَ وَأَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ مِنْهُمْ فِي التَّحَرُّبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بَرِئَانِ مِنْهُ. وَمَنْ يَتَوَلَّى أَعْدَاءَ اللَّهِ فَهُوَ ظَالِمٌ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِيهِ إِلَى الْخَيْرِ. وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ. الْوَلَايَةُ - التَّنَاصُرُ وَالْمُحَافَظَةُ.

ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ لَفَسِسْتُونَ

٥٠ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

يُوقِنُونَ



٥١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

(يُسَارِعُونَ) (دَائِرَةٌ) (نَادِمِينَ)

﴿٥٢﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبَهُمْ حُجُوعًا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ

(٥٢) - وَإِذْ كَانَتْ وَلَايَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا يَنْتَعِبُهَا إِلَّا الظَّالِمُونَ فَإِنَّكَ تَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شُكٌّ وَنَفَاقٌ (مَرَضٌ) يُسَارِعُونَ إِلَى مُوَالَاتِهِمْ، وَإِلَى مُوَادَّتِهِمْ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَيَتَوَلَّوْنَ فِي مَوَدَّتِهِمْ وَفِي مُوَالَاتِهِمْ، أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ يَقَعَ أَمْرٌ مِنْ ظَفَرِ الْكَافِرِينَ بِالْمُسْلِمِينَ (تُصِيبُنَا دَائِرَةٌ) فَتَكُونُ لَهُمْ أَيَادٍ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَيَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ جَنِيذٌ. فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَهُ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُحَقِّقَ لَهُمُ الْفَتْحَ وَالْغَلْبَةَ، أَوْ يُتِمَّ أَمْرٌ مِنْ عِنْدِهِ كَفَرَضِ الْجَزِيَّةِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَيُصِغَ الَّذِينَ وَالُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ الْمُنَافِقِينَ نَادِمِينَ عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مُوَالَاةٍ هَؤُلَاءِ تَحْسَبُ لِمَا لَمْ يَقَعْ، وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ شَيْئًا، وَلَا دَفَعَ عَنْهُمْ مَحْذُورًا.

(هَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا نَزَلَتْ فِي عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْيٍ سُلُوكٍ مِنَ الْخَزَرَجِ، فَقَدْ كَانَ لهُمَا حُلَفَاءُ مِنَ الْيَهُودِ، فَجَاءَ عِبَادَةُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِي مَوَالٍ مِنَ الْيَهُودِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، وَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ وَلَايَةِ يَهُودٍ، وَأَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْيٍ بْنُ سُلُوكٍ: إِنِّي رَجُلٌ أَخَافُ الدَّوَائِرَ وَلَا أَبْرَأُ مِنَ وَلَايَةِ مَوَالِي).

الدَّائِرَةُ - مَا يَدُورُ بِهِ الزَّمَانُ مِنَ الْمَصَائِبِ.
الْفَتْحُ - الْقَضَاءُ - أَوْ فَتْحُ الْمُدُنِ وَغَيْرِهَا أَوْ نَصْرُ الرَّسُولِ.
أَسْرَوْا - أَحْفَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ.

(أَمَنُوا) (أَيْمَانِهِمْ) (أَعْمَالُهُمْ) (خَاسِرِينَ)

(٥٣) - لَمَّا آتَتْهَا هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يُوَالُونَهُمْ وَيُوَادُّونَهُمْ، أَفْتَضَحَ أَمْرُهُمْ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَسْتُرُونَ، لَا يَذَرِي أَحَدٌ كَيْفَ حَالَهُمْ، فَتَعَجَّبَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ، كَيْفَ كَانُوا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، يُعَاضِدُونَهُمْ وَيُسَاعِدُونَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ الْيَهُودِ، فَلَمَّا جَدَّ الْجِدُّ أَظْهَرُوا مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ مُوَالَاتِهِمْ وَمَمَالَاتِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. وَلَمَّا اسْتَبَانَ حَالَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: لَقَدْ هَلَكْتَ أَعْمَالُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ صَلَاةٍ وَصَوْمٍ وَزَكَاةٍ وَجِهَادٍ، وَخَيْرُوا بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَرْجُونَهُ مِنَ الثَّوَابِ.
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ - هَلَكَتْ وَبَطَلَتْ.

﴿٥٣﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الْكَافِرِينَ) (يُجَاهِدُونَ) (لَانِمِ) (وَاسِعُ)

(٥٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَيَقُولُ إِنَّ الَّذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ، وَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ نُصْرَةِ دِينِهِ، وَإِقَامَةِ شَرِيعَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَسْتَبْدِلُ بِهِمْ مَنْ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأَشَدُّ مَنَعَةً، وَأَقْوَمُ سَبِيلًا، يُجَاهِدُونَ وَيُجَاهِدُونَ، يُصَفُّونَ بِصِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ: الْعِزَّةُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوَاضُّعُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَرُدُّهُمْ رَأْدٌ عَنْ إِذَاعَةِ أَمْرِ اللَّهِ، وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ، وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَمَنْ أَنْصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَبِيرًا، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ فَيُعْطِيهِ، مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ فَيَحْرُمُهُ إِيَّاهُ.

(وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ النَّاسَ سَيَرْتَدُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ عُضْبَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، سَيَقُومُونَ بِمُحَارَبَةِ الْمُرْتَدِّينَ، وَأَنَّهُمْ سَيَثْبُتُونَ فِي حَرْبِهِمْ حَتَّى يُثِمَّ اللَّهُ نُصْرَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ).
الْإِزْدَادُ عَنِ الدِّينِ - الْعَوْدَةُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ.
أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - يَتَوَاضِعُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ رَحْمَةً بِهِمْ.
أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ - أَشِدَاءٌ عَلَيْهِمْ.
لَوْمَةٌ لَانِمٍ - أَعْتَزَّضَ مُعْتَرِضٍ فِي نُصْرِهِمُ الدِّينَ.

(آمَنُوا) (الصَّلَاةَ) (الرَّكَاةَ) (رَاكِعُونَ)

(٥٥) - يَحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مُوَالَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَيُسَاعِدُونَ الْمُحْتَاجِينَ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَهُمْ دَائِمُو الرُّكُوعِ لِلَّهِ.
(نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عِبَادَةِ بَنِي الصَّامِتِ حِينَ بَرَى مِنْ مُوَالَاةِ الْيَهُودِ، وَرَضِيَ بِمُوَالَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ).

(آمَنُوا) (الْغَالِبُونَ)

(٥٦) - وَكُلُّ مَنْ رَضِيَ بِمُوَالَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ هُوَ مُفْلِحٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ مَنْصُورٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي حِزْبِ اللَّهِ، وَحِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَلَا يُغْلِبُ مَنْ يَتَوَلَّاهُمْ اللَّهُ.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ

عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ

آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ

آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الْكِتَابَ)

(٥٧) - يُنْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَوَالِدِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ الْمُطَهَّرَةِ، هُزُؤًا يَسْتَهْزِئُونَ بِهَا، وَيَعْدُونَهَا نَوْعًا مِنَ اللَّعِبِ، وَيَتَمَنُّونَ زَوَالَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَبِأَلَّا يَتَّخِذُوا هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءَ أَوْلِيَاءَ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِشَرْعِ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا. هُزُؤًا وَلَعِبًا - سُخْرِيَّةً وَهَزْلًا.

(الصَّلَاةِ)

(٥٨) - وَهَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ يَسْخَرُونَ مِنَ الْأَذَانِ، وَمِنَ الصَّلَاةِ، وَمِنَ الْعِبَادَةِ، وَيَتَّخِذُونَهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا وَسُخْرِيَّةً، لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ مَعْنَى الْعِبَادَةِ، وَلَا مَعْنَى شَرْعِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ أَكْرَمُ شَيْءٍ وَأَفْضَلُهُ لِمَنْ يَعْقِلُ وَيَعْلَمُ.

(يَا أَهْلَ) (الْكِتَابِ) (آمَنَّا) (فَاسْقُونِ)

(٥٩) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: هَلْ لَكُمْ مَطْعَنٌ عَلَيْنَا، وَمَا الَّذِي تَعِيبُونَهُ عَلَيْنَا، وَتَنَقِمُونَهُ مِنَّا، غَيْرَ إِيمَانِنَا بِرَبِّنَا، وَمَا أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَهُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِنَا، وَغَيْرَ إِيمَانِنَا - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ - بَأَنَّا أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَنْ طَرِيقِ الْهُدَى؟ نَقَمَ عَلَيْهِ - أَنْكَرَ عَلَيْهِ أَوْ عَابَهُ.

(الطَّاغُوتِ) (أُولَئِكَ)

(٦٠) - قُلْ لَهُؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالَّذِينَ وَالْعِبَادَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ أَخْبِرَكُمْ بِمَنْ هُوَ شَرُّ مَثُوبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِمَنْ يَنَالُهُ عِنْدَهُ أَسْوَأُ الْجَزَاءِ: أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ غَضَبًا شَدِيدًا لَا يَرْضَى عَنْهُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَمَسَحَهُمْ فَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَةَ الطَّاغُوتِ... فَهَؤُلَاءِ هُمُ شَرُّ مَكَانًا، وَشَرُّ مَثُوبَةٍ وَجَزَاءٍ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَكْثَرُ ضَلَالًا عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ.

المَثُوبَةُ - الْجَزَاءُ.

عَبَدَةُ الطَّاغُوتِ - أَطَاعَ الشَّيْطَانَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.
سِوَاءِ السَّبِيلِ - الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ

اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ

الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ

وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا

هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

لَا يَعْقِلُونَ

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ

مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ

فَاسِقُونَ

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٍ

عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ

عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ

وَعَبَدَةَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرُّ

مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ

(آمَنَّا)

(٦١) - وَإِذَا جَاءَكُمْ، هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَالْيَهُودُ السَّاحِرُونَ، تَظَاهَرُوا بِالْإِيمَانِ، مَعَ أَنَّ قُلُوبَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مَنْطُورَةٌ عَلَى الْكُفْرِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْكَفْرُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَيَسْمَعُونَ مِنْهُ الْعِلْمَ وَالْقُرْآنَ، وَأَحْكَامَ الدِّينِ، وَالْمَوَاعِظَ وَالزُّوْاجِرَ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَيَخْرُجُونَ كَمَا دَخَلُوا وَالْكَفْرُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا فِي سَرَائِرِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالنَّفَاقِ، وَإِنْ أَظْهَرُوا لِخَلْقِ اللَّهِ غَيْرَ ذَلِكَ، وَتَزَيَّنُوا بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ.

(يُسَارِعُونَ) (الْعُدْوَانَ)

(٦٢) - وَتَرَى كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ يُبَادِرُونَ إِلَى ارْتِكَابِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الْمَنَائِمِ وَالْمَحَارِمِ، بِالْأَعْيَادِ عَلَى النَّاسِ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ (أَكْلِهِمُ السُّحْتَ)، وَلِبَسِ الْعَمَلِ عَمَلُهُمْ، وَلِبَسِ الْأَعْتَادِ أَعْتَادُهُمْ، وَلِبَسِ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ مِنْ أَنَّ مَجِيئَهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إِنَّمَا هُوَ لَتَسْقُطِ الْأَخْبَارُ، وَالتَّوَسُّلُ إِلَى ذَلِكَ بِالنَّفَاقِ وَالْخِدَاعِ.

يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ - يُبَادِرُونَ إِلَى ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ.

أَكْلِهِمُ السُّحْتَ - أَكَلَ الْمَالِ بِصُورَةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ كَالْقِمَارِ وَالسَّرِقَةِ وَالرِّبَا وَالْعِشِّ وَالرُّشُوءِ.

(يَنْهَاهُمْ) (الرَّبَّائِيُونَ)

(٦٣) - هَلَّا نَهَاَهُمُ الرَّبَّائِيُونَ وَالْأَخْبَارُ مِنْهُمْ عَنْ قَوْلِ الْإِثْمِ وَالْفُحْشِ، وَعَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ؟ فَلَيْسَ مَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ الْأَخْبَارُ وَالرَّبَّائِيُونَ مِنْ تَرْكِ النَّصِيحَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ ارْتِكَابِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الْمَعَاصِي، وَلِبَسِ مَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ الْإِثْمُونَ.

الرَّبَّائِيُونَ - الْعُلَمَاءُ الْعَمَالُ أَرْبَابُ الْوَلَايَةِ عِنْدَ الْيَهُودِ.

الْأَخْبَارُ - الْعُلَمَاءُ.

(طُغْيَانًا) (الْعُدَاوَةَ) (الْقِيَامَةَ)

(٦٤) - أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ وَصَفُوهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِأَنَّهُ بِخِلِّ (يَدُهُ مَغْلُورَةٌ)، كَمَا وَصَفُوهُ بِأَنَّهُ فَقِيرٌ، وَهُمْ الْأَغْيَاءُ، فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِمْ هَذَا، وَدَعَا عَلَيْهِمُ بِالْخِلِّ (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ)، وَبِاتِّقَابِصِ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ الْخَيْرِ.

٦١ وَإِذَا جَاءَكُمْ وَكُمُ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ

دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ

٦٢ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي

الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمْ
السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

٦٣ لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّائِيُونَ

وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ
وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ
مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

٦٤ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُورَةٌ

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ
يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ

(وَقِيلَ بَلِ الْمَقْصُودُ هُنَا هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَعَا عَلَيْهِمْ بِأَنْ تُغَلَّ أَيْدِيهِمْ بِالْقُبُودِ وَالْأَغْلَالِ، وَتُرَبَّطَ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ أُسَارَى، وَفِي الْآخِرَةِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ).

وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّ يَدَيْهِ مَبْسُوطَتَانِ كَرَمًا وَجُودًا، وَهُوَ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ.

وَيَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ خَفِيِّ أُمُورِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الْمُعَاصِرِينَ لِلرَّسُولِ، وَمِنْ أَحْوَالِ أَسْلَافِهِمْ، وَشُؤُونِ كُتُبِهِمْ، وَحَقَائِقِ تَارِيخِهِمْ... هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ عَلَى صِدْقِ بُتُوهِ، وَصِحَّةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَكَانَ مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ يَدْفَعَهُمْ هَذَا إِلَى الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ وَتَصْدِيقِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَطُغْيَانِيَّةً وَتَجَاوَزَهُمُ الْحُدُودَ فِي الْكُفْرِ وَالْحَسِدِ لِلْمُسْلِمِينَ لَمْ يَدْفَعْ ذَلِكَ إِلَى الْإِيمَانِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، وَلَنْ يَزِيدَ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا فِي بَغْضِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَدَاوَتِهِ، وَكُفْرًا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنَّهُ أَلْقَى بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ الْحَاسِدِينَ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، وَسَتَسْتَمِرَّانِ بَيْنَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا تَجْتَمِعُ قُلُوبُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ حَقٍّ، وَسَتَشْغَلُهُمْ عَدَاوَةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عَنِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى قِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْهُمْ كُلُّمَا شَرَعُوا فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ وَالْفِتْنَةِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، وَرَدَّ كَيْدَهُمْ إِلَى نُحُورِهِمْ، وَحَاقَ بِهِمْ مَكْرُهُمُ السَّيِّئُ، لَأَنْهُمْ يَسْعَوْنَ إِلَى الْإِسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ أَهْلَ الْفَسَادِ.

يَذُوهُ مَغْلُولَةً - يَذُوهُ مَشْدُودَةً بِالصِّيدِ إِلَى عُنُقِهِ وَالتَّعْبِيرُ هُنَا يَقْصُدُ بِهِ الْكِنَايَةَ عَنِ الْبُخْلِ.

أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ - أَعَدُّوا الْعُدَّةَ لِشَنْ الْحَرْبِ.

يَذَاهُ مَبْسُوطَتَانِ - مُنْبَسِطَةٌ وَيُرَادُ بِهَا هُنَا التَّعْبِيرُ عَنِ الْكَرَمِ.

(الْكِتَابِ) (آمَنُوا) (وَلَا دَخَلْنَاهُمْ) (جَنَاتِ)

(٦٥) - وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَأَتَقُوا مَا كَانُوا يَتَعَاطَوْنَهُ مِنَ الْمَحَارِمِ وَالْمَأْتِمِ، لَكَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ السَّيِّئَاتِ الَّتِي أَقْتَرَفُوهَا، وَلَكَفَّرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَلَا دَخَلَهُمُ الْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ. كَفَرْنَا - عَفَرْنَا لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ.

(التَّوْرَةِ)

(٦٦) - وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِمَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ، كَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ذُونَ تَحْرِيفٍ وَلَا تَبْدِيلٍ، لَقَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ،

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا
وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا
لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي
الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ

٦٥ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ

ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتِ
النَّعِيمِ

٦٦ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ

وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَى مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، لَأَنَّ كُلًّا مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بَشَّرَ
بَنِيَّ يَكُونُ مِنْ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا الْحَقَّ، وَآمَنُوا بِرِسَالَةِ
مُحَمَّدٍ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ كِتَابُهُمْ، لَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِزْقَهُمْ، وَلَا عُدَّتِ
السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مَطَرُهَا وَبَرَكَاتُهَا، وَلَا خَرَجَتْ لَهُمْ خَيْرَاتُهَا.

وَلَكِنَّ قَلَّةً مِنْهُمْ مُؤْمِنَةٌ مُلتَزِمَةٌ بِأَحْكَامِ مَا شَرَعَ اللَّهُ لَهُمْ، وَكَثَرَتْهُمْ طُعَاءُ
مُجَاوِرُونَ لِأَوَامِرِ اللَّهِ، وَسَاءَ عَمَلُهُمْ.
مُقْتَصِدَةٌ - مُعْتَدِلَةٌ وَهُمْ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ.
أَقَامُوا التَّوْرَةَ - عَمِلُوا بِأَحْكَامِهَا تَمَامًا كَمَا أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

(يَا أَيُّهَا) (الْكَافِرِينَ)

(٦٧) - يَا مُرُّهُ تَعَالَى رَسُولُهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنَّ يُبَلِّغَ النَّاسَ جَمِيعَ مَا أُنْزِلَهُ
اللَّهُ عَلَيْهِ لِيُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ، وَقَدْ أَمْتَلَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَمْرِ رَبِّهِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: فَإِذَا لَمْ تَقُمْ بِمَا أَمَرْتُ بِهِ لَا تَكُونُ قَدْ بَلَّغْتَ
رِسَالَةَ رَبِّكَ. ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ: لَا تَخَفْ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ
النَّاسِ بِأَذَى، فَأَنْتَ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ، وَهُوَ يَمْنَعُكَ مِنْهُمْ، وَيَحْفَظُكَ
وَيُؤَيِّدُكَ بِنَصْرِهِ. وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ إِلَى الطَّرِيقِ السَّوِيِّ.

[وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا
مِنَ الْقُرْآنِ لَكُنَّ الْآيَةُ ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ، وَتَخْشَى النَّاسَ
وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾] (١).
يَعِصُّكَ - يَمْنَعُكَ وَيَحْمِيكَ.

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) (التَّوْرَةِ) (طُغْيَانًا) (الْكَافِرِينَ)

(٦٨) - قُلْ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِيمَا تُبَلِّغُهُمْ إِيَّاهُ عَنْ
رَبِّهِمْ: لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالْهُدَى حَتَّى تُؤْمِنُوا
بِجَمِيعِ مَا بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ، وَتَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا، وَمِنْهَا الْإِيمَانُ
بِمُحَمَّدٍ، وَالْأَمْرُ بِاتِّبَاعِهِ، وَالْإِيمَانُ بِمَبْعِثِهِ، وَالْإِقْدَاءُ بِشَرِيعَتِهِ، وَسَبِّحُ مَا
أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، مِنَ الْقُرْآنِ وَالْهُدَى، كَثِيرًا مِنَ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ
وَالطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ فِي نَفُوسِ الْكَافِرِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَلَكِنَّ لَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ
تَهْتَمَّ بِذَلِكَ، أَوْ تَحْزَنَ لَهُ.

(١) الآية ٣٧ من سورة الأحزاب.

مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ



يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ

مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

(٦٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى

شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

لَا تَأْسَ - لَا تَحْزَنْ وَلَا تَأْسَفَ .
يَزِيدُهُمْ طُغْيَانًا - يَزِيدُهُمْ إِمْعَانًا فِي الْحَسَدِ .

(آمَنُوا) (وَالصَّابِرُونَ) (وَالنَّصَارَى) (آمَنَ) (صَالِحًا)

(٦٩) - الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ (الْمُسْلِمُونَ)، وَالَّذِينَ هَادُوا (أَهْلُ التَّوْرَةِ)، وَالصَّابِرُونَ (وَهُمْ طَائِفَةٌ يَعْبُدُونَ النُّجُومَ، وَقِيلَ بَلْ إِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَيَقْرَأُونَ الزَّبُورَ)، وَالنَّصَارَى (أَهْلُ الْإِنْجِيلِ)، مَنْ أَخْلَصَ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ لِلَّهِ، وَمَنْ آمَنَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا يَرْضَاهُ اللَّهُ، فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكَوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ مِنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا وَعَيْشِهَا، بَعْدَ أَنْ يُعَايِنُوا مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ .
الصَّابِرُونَ - عِبَادُ الْكَوَاكِبِ أَوْ عِبَادُ الْمَلَائِكَةِ .

(مِيثَاقَ) (إِسْرَائِيلَ)

(٧٠) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَخَذَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فِي التَّوْرَةِ، عَلَى تَوْحِيدِهِ تَعَالَى، وَعَلَى اتِّبَاعِ الْأَحْكَامِ الَّتِي شَرَعَهَا لِهَدْيِ خَلْقِهِ، وَعَلَى تَحْلِيهِمْ بِالْفَضَائِلِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَعَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ لِيُبَيِّنَا لَهُمُ أَحْكَامَ التَّوْرَةِ، وَيُؤَكِّدُوا عَهْدَ اللَّهِ، فَتَقْضُوا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، وَاتَّبِعُوا آرَاءَهُمْ، وَقَدِّمُوا عَلَى الشَّرَائِعِ، فَمَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ قَبِلُوهُ، وَمَا خَالَفَهَا رَدُّوهُ، وَرَفُضُوهُ، وَكُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَاهُ أَنْفُسُهُمْ، وَلَا يَتَّفِقُ مَعَ رَغْبَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، كَذَّبُوهُ أَوْ قَتَلُوهُ .
الْمِيثَاقُ - الْعَهْدُ الْمَوْثِقُ بِالْإِيمَانِ .
بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ - بِمَا لَا يُحِبُّونَ وَلَا يُوَافِقُ مَزَاجَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ .

(٧١) - وَظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَخْتَبِرَهُمْ بِشِدَائِدِ الْأُمُورِ، كَتَسْلِيطِ الْأَمْرِ الْقَوِيَّةِ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ وَالتَّخْرِيبِ وَالْاضْطِهَادِ، لِمَا كَانُوا يَقُولُونَهُ مِنْ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ، وَلِمَا كَانُوا يظُنُّونَهُ مِنْ أَنَّ بُيُوتَ أَنْبِيَائِهِمْ سَتُدْفَعُ عَنْهُمْ الْعِقَابَ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ بِسَبَبِ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَعَمُوا عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي كُتُبِهِ عَنْ عِقَابِ الْمُفْسِدِينَ، فَلَمْ يَبْصُرُواهَا، وَصَمُّوا أَسْمَاعَهُمْ عَنْ سَمَاعِ الْمَوْاعِظِ فَلَمْ يَهْتَدُوا بِهَا، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ أَدَاقَهُمُ الذَّلْلَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ تَائِبِينَ فَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ تَوْبَتَهُمْ، وَأَعَادَ إِلَيْهِمْ عِزَّهُمْ، ثُمَّ عَادَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ،

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

هَادُوا وَالصَّابِرُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي

إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا
قُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا
لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا
كَذَّبُوا وَفِرَيقًا يَقْتُلُونَ

وَحَسِبُوا أَنَّهُمْ لَآتِكُونُ فِتْنَةً

فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا
كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا
يَعْمَلُونَ

وَصَارُوا كَالْعُمَى الضُّمِّ، بِسَبَبِ عَوْدَتِهِمْ إِلَى ظُلْمِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ،
وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.
الْفِتْنَةُ - الْاِخْتِبَارُ وَالْاِبْتِلَاءُ.

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (وَمَاوَاهُ) (لِلظَّالِمِينَ)

(٧٢) - حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَكْفِيرِ الَّذِينَ أَدَّعَوْا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا، إِذْ أَنَّهُمْ فِي
إِطْرَائِهِمْ إِيَّاهُ، وَمَدَّجِهِ غُلَّوْا غُلًّا كَبِيرًا، يَقُوقُ غُلُّو الْيَهُودِ فِي تَكْذِيبِهِ
وَالْاِفْتِرَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمِّهِ، وَقَوْلِهِمْ عَلَيْهَا بُهْتَانًا عَظِيمًا، مَعَ أَنَّ الْمَسِيحَ
قَالَ لَهُمْ غَيْرَ مَا يَقُولُونَ، فَقَدْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
مُعْتَرِفًا بِأَنَّهُ رَبُّهُ وَرَبُّهُمْ، وَأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. وَأَوَّلُ كَلِمَةٍ نَطَقَ بِهَا
الْمَسِيحُ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي الْمَهْدِ قَوْلُهُ: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ).

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْمَسِيحَ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنْ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ أَحَدًا
فِي أُلُوهِيَّتِهِ، فَقَدْ أَوجِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَلَنْ يَجِدَ
الظَّالِمُونَ نَصِيرًا لَهُمْ وَلَا مُعِينًا، وَلَا مُنْقِذًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي
سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

(ثَلَاثَةٌ) (وَاحِدٌ)

(٧٣) - يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ هُمْ كُفَّارٌ، وَأَنَّهُ
لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ رَبُّ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَالْأَلْهَاءِ. وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ
الْقَائِلِينَ (إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْأَقَانِيمِ)، وَيَتَهَدَّدُهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا
عَمَّا يَقُولُونَ مِنَ الْكُذِبِ وَالْاِفْتِرَاءِ، لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ، عَذَابَ
الْيَمِّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

(وَيَقُولُ فِتْنَةً مِنَ النَّصَارَى بِالْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ: أَقْنُومِ الْآبِ، وَأَقْنُومِ الْإِبْنِ،
وَأَقْنُومِ الْكَلِمَةِ الْمُتَّبِعَةِ مِنَ الْآبِ إِلَى الْإِبْنِ).

(٧٤) - يَقُولُ تَعَالَى كَيْفَ يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ مَا ذُكِرَ مِنَ التَّفْنِيدِ لِأَقْوَالِهِمْ،
وَالْوَعْدِ عَلَيْهَا، ثُمَّ لَا يَحْمِلُهُمْ ذَلِكَ عَلَى التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى التَّوْحِيدِ،
وَعَلَى اسْتِغْفَارِ اللَّهِ عَمَّا قَرُطَ مِنْهُمْ؟ ثُمَّ يَحْنُتُهُمْ تَعَالَى عَلَى طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ
مِنْ اللَّهِ لِيَتُوبَ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ.

(الآيَاتِ)

(٧٥) - الْمَسِيحُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالرَّسَالَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ
رُسُلٌ مِنْ اللَّهِ، وَلَهُ أَسْوَةٌ بِهِمْ. وَأُمُّهُ مُؤْمِنَةٌ مُصَدِّقَةٌ لَهُ (صِدِّيقَةٌ - وَهَذَا

﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ

وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ

اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ

اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ

﴿٧٣﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ

إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا

عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٧٤﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ

وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ

عَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٧٥﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ

إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ

أَعْلَى مَقَامَاتِهَا فَذَلْ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ نَبِيَّةً، وَكَانَ الْمَسِيحُ وَأُمُّهُ
يَحْتَاجَانِ إِلَى الطَّعَامِ وَالْغِذَاءِ، وَمَا يَسْتَتَبِعُ الطَّعَامَ وَالْغِذَاءَ، فَهُمَا
مَخْلُوقَانِ مِنَ الْبَشَرِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنْهُمَا إِلَهًا خَالِقًا، وَلَا رَبًّا
مَعْبُودًا. فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدٌ كَيْفَ تُوَضِّحُ لَهُمُ الْآيَاتِ وَتُظْهِرُهَا، ثُمَّ انْظُرْ،
بَعْدَ ذَلِكَ التَّوْضِيحِ، أَيْنَ يَذْهَبُونَ، وَبِأَيِّ قَوْلٍ يَتَمَسَّكُونَ، وَكَيْفَ
يُضْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ؟
نُبَيِّنُ - نُفَسِّرُ وَنُوضِّحُ .
يُؤْفَكُونَ - يُضْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ .
خَلَّتْ - مَضَتْ .

(٧٦) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ
وَالْمَخْلُوقَاتِ، ضَلَالَهُمْ وَكُفْرَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، فَيَقُولُ
لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُؤُلَاءِ النَّصَارَى وَأَمْثَالُهُمْ مِمَّنْ عَبْدُوا غَيْرَ اللَّهِ: أَتَسْرُكُونَ
عِبَادَةَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ، الْخَالِقُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ،
وَتَعْبُدُونَ مَا لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِعَبِيدِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؟ وَلَا حَيَاةَ وَلَا
نُشُورًا، مِنْ بَشَرٍ وَصَنَمٍ وَأَنْدَادٍ؟

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)

(٧٧) - قُلْ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: إِنَّ اللَّهَ
يَنْهَاكُمْ أَنْ تَتَجَاوَزُوا فِي مِعْتَدَاتِكُمْ حُدُودَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، فَتَجْعَلُوا
بَعْضُ خَلْقِ اللَّهِ آلِهَةً، وَتُنْكِرُوا رِسَالَاتَ بَعْضِ الرُّسُلِ، وَيَنْهَاكُمْ أَنْ تَسِيرُوا
وَرَاءَ شَهَوَاتِ أَنْاسٍ سَبَقُوكُمْ، فَذُتَجَنَّبُوا طَرِيقَ الْهُدَى، وَمَنَعُوا كَثِيرًا مِنَ
النَّاسِ أَنْ يَسْلُكُوهَا، وَأَسْتَمَرُّوا عَلَى مُجَافَاتِهِمْ طَرِيقَ الْحَقِّ الْوَاضِحِ .
الْغُلُوُّ وَالْمُغَالَاةُ - تَجَاوَزُ الْإِعْتِدَالَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ .

(إِسْرَائِيلَ)

(٧٨) - لَعَنَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الزُّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ، فَقَدْ
لَعَنَ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَنْ أَعْتَدَى مِنْهُمْ فِي السَّبْتِ، أَوْ لَعَنَ الْعَاصِينَ
الْمُعْتَدِينَ مِنْهُمْ عَامَّةً، وَكَذَلِكَ لَعَنَهُمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَسَبَبَ ذَلِكَ اللَّعْنِ
هُوَ تَمَادِيهِمْ فِي الْعُصْيَانِ، وَتَمَرُّدُهُمْ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَتَمَادِيهِمْ فِي
الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ (بِمَا كَانُوا يَعْتَدُونَ) .

(٧٩) - فَقَدْ كَانُوا لَا يَنْهَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَحَدًا عَنْ مُنْكَرٍ يَقْتَرُهُ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ
الْفُجْحِ وَالضَّرَرِ. وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ حِفَاطُ الدِّينِ، وَسِيَاجُ

كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ
انْظُرْ كَيْفَ بَيَّنَّ لَهُمْ
الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَفْ
يُؤْفَكُونَ

﴿٧٦﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

﴿٧٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا
فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ
ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا
كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ
السَّبِيلِ

﴿٧٨﴾ لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ
دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ

﴿٧٩﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ
مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ

مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

الْفَضَائِلِ وَالْآدَابِ، فَلِذَا تَجَرَّأَ الْمُسْتَهْتَرُونَ عَلَى إِظْهَارِ فِسْقِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، وَرَأَاهُمُ الْعَوَاءُ مِنَ النَّاسِ قَلَدُوهُمْ فِيهِ، وَزَالَ قُبْحُهُ مِنْ نَفْسِهِمْ، وَصَارَ عَادَةً لَهُمْ، وَزَالَ سُلْطَانُ الدِّينِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَتَرَكَّتْ أَحْكَامُهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى فُسُوقِ الْمُنْكَرَاتِ فِيهِمْ. وَيُقْبَحُ اللَّهُ تَعَالَى سُوءَ فِعْلِهِمْ، وَيَذُمُّهُمْ عَلَى اقْتِرَافِ الْمُنْكَرَاتِ، وَاصْرَارِهِمْ عَلَيْهَا وَسُكُوتِ الْآخَرِينَ عَنْهَا، وَرِضَاهُمْ بِهَا.

(وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا أَتَى اللَّهَ وَدَعَا مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَجِلُّ لَكَ. ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَدُوِّ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ). (رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ).
يَتَنَاهَوْنَ - يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

(خَالِدُونَ)

(٨٠) - وَتَرَى يَا مُحَمَّدُ كَثِيرًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَيُحَالِفُونَهُمْ عَلَيْكَ، وَيُحَرِّصُونَهُمْ عَلَى قِتَالِكَ، وَأَنْتَ تُوْمِنُ بِاللَّهِ، وَبِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَتَشْهَدُ لَهُمْ بِصِدْقِ الرِّسَالَةِ، وَأُولَئِكَ لَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابٍ وَلَا رَسُولٍ، وَلَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَوْلَا اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَتَرْيُّنُ الشَّيْطَانِ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ، مَا فَعَلُوا ذَلِكَ، فَبَيَّسَ مَا قَدَّمُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ فِي آخِرَتِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي اسْتَوْجَبَتْ سَخَطَ اللَّهِ، وَعَظِيمَ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ، وَسَيُجْزَوْنَ عَلَى ذَلِكَ شَرَّ الْجَزَاءِ، وَسَيُحِيطُ بِهِمْ الْعَذَابُ، وَلَا يَجِدُونَ عَنْهُ مَصْرَفًا، وَيَخْلُدُونَ فِي النَّارِ أَبَدًا.

السَّخَطُ - أَشَدُّ الْغَضَبِ.

يَتَوَلَّوْنَ - يُحَالِفُونَ وَيُنَاصِرُونَ.

(فَاسِقُونَ)

(٨١) - وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ، الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الْكَافِرِينَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّ الَّذِي يَدْعُونَ أَتْبَاعَهُ (وَهُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، لَمَا اتَّخَذُوا أُولَئِكَ الْكَافِرِينَ مِنْ عَابِدِي الْأَوْثَانِ، أَوْلِيَاءَ وَأَنْصَارًا، وَلَكَانَتْ عَقِيدَتُهُمْ الدِّينِيَّةُ صَدَّتْهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مُتَمَرِّدُونَ فِي النِّفَاقِ، خَارِجُونَ عَنْ حَظِيرَةِ الدِّينِ، وَلَا يُرِيدُونَ إِلَّا الْحَاةَ وَالرِّيَاسَةَ، وَيَسْعَوْنَ إِلَى تَحْصِيلِهَا بِأَيِّ طَرِيقَةٍ كَانَتْ، وَبِأَيِّ وَسِيلَةٍ قَدَرُوا عَلَيْهَا.

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ

يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ
أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي
الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالنَّبِيِّ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ
مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ
كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

(عَدَاوَةٌ) (آمَنُوا) (نَصَارَى)

(٨٢) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَدَاوَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَتَّبَعُوهُ)، هُمُ الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكُونَ. وَإِنْ أَقْرَبَ النَّاسَ مَوَدَّةً لِلْمُسْلِمِينَ هُمُ النَّصَارَى، الَّذِينَ قَالُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ إِنَّهُمْ يَتَابِعُونَ الْمَسِيحَ عَلَى دِينِهِ، لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرَّقَّةِ وَالرَّأْفَةِ، وَلَئِنْ بَيْنَهُمْ فَيَسِيرِينَ يَتَوَلَّوْنَ تَعْلِيمَهُمْ أَحْكَامَ الدِّينِ، وَيُبْصِرُونَهُمْ بِمَا فِي دِينِهِمْ مِنْ سُمْوٍ وَأَذَابٍ وَفَضَائِلٍ، وَلَئِنْ بَيْنَهُمْ رُهْبَانًا يَضْرِبُونَ لَهُمُ الْمَثَلَ فِي الزُّهْدِ وَالتَّقَشُّفِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا وَفَتْنَتِهَا، وَيُتِمُّونَ فِي نَفْسِهِمُ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ، وَالْإِنْقِطَاعَ لِلْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْإِدْعَانِ لِلْحَقِّ، حِينَمَا يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ حَقٌّ.

(كَانَ الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكُونَ يَشْتَرِكُونَ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ الَّتِي أَفْتَضَتْ عَدَاوَتَهُمُ الشَّدِيدَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ: كَالْكِبَرِ وَالْعُتُوِّ وَالْبَغْيِ وَالْأَثَرَةَ وَالْقَسْوَةَ، وَضَعْفَ الْعَاطِفَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ (مِنْ حَنَانٍ وَرَحْمَةٍ) وَالْعَصَبِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ. وَكَانَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ أَرْقَ مِنَ الْيَهُودِ قُلُوبًا، وَأَعْظَمَ سَخَاءً وَإِثَارًا، وَأَكْثَرَ حُرِّيَّةً فِي الْفِكْرِ وَاسْتِقْلَالًا فِي الرَّأْيِ).

الْعَدَاوَةُ - الْبَغْضَاءُ.

الْمَوَدَّةُ - الْمَحَبَّةُ.

الْقَسِيسُ - رَجُلُ الدِّينِ عِنْدَ النَّصَارَى.

الرَّاهِبُ - رَجُلُ الدِّينِ مِنَ النَّصَارَى الرَّاهِدِ فِي الدُّنْيَا.

(آمَنَّا) (الشَّاهِدِينَ)

(٨٣) - وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَتَلَّى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، تَفِيضُ عُيُونُهُمْ بِالدَّمْعِ (أَيُّ يَبْكُونَ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمْعُ مِنْ عُيُونِهِمْ)، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ مَا بَيْنَهُ الْقُرْآنُ هُوَ الْحَقُّ، وَلَمْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ عُتُوٌّ وَلَا اسْتِكْبَارٌ وَلَا تَعْصَبٌ كَمَا يَمْنَعُ غَيْرَهُمْ. وَحِينَ يَسْمَعُونَ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْقُرْآنَ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ، يَضْرَعُونَ إِلَى اللَّهِ بِأَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ إِيْمَانَهُمْ وَأَنْ يَكْتُبَهُمْ مَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَمِمَّا يَتَنَاقَلُونَهُ عَنْ أَسْلَافِهِمْ، أَنَّ النَّبِيَّ الْأَخِيرَ الَّذِي يَكْمُلُ بِهِ الدِّينُ، وَيَتِمُّ التَّشْرِيعُ، يَكُونُ مَتَّبِعُهُ شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونُونَ حُجَّةً عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُبْطِلِينَ.

تَفِيضُ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ - يَبْكُونَ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمْعُ مِنْ عُيُونِهِمْ.

لِتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ
عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
الْيَهُودَ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا وَلِتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى
ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيرِينَ
وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ
رَأَوْا أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ
يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ

مَعَ الشَّاهِدِينَ - مَعَ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ حَقٌّ .

(الصَّالِحِينَ)

(٨٤) - وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّصَارَى: وَمَا الَّذِي يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمَا الَّذِي يَصُدُّنَا عَنْ اتِّبَاعِ مَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ أَنَّهُ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ الْمَسِيحُ وَإِنَّا لَنَنْطَمِعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ صَلَحَتْ أَعْوَالُهُمْ بِالْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ.

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ - وَمَا الَّذِي يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُؤْمِنَ .

(فَأَنبَاهُهُمْ) (جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(٨٥) - فَجَازَاهُمُ اللَّهُ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَعَلَى تَصْدِيقِهِمْ بِالْحَقِّ، وَاعْتِرَافِهِمْ بِهِ بِإِدْخَالِهِمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَإِسْكَانِهِمْ فِي جَنَاتٍ تَجْرِي فِيهَا جَنَابَاتُ الْأَنْهَارِ، وَسَيَكُونُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا وَذَلِكَ هُوَ الْجَزَاءُ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِمَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

(بِآيَاتِنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(٨٦) - وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَبِرُسُلِهِ وَكُتِبَ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ وَخَالَفُوهَا، فَأُولَئِكَ سَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَسَيَقُونُ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا. الْجَحِيمُ - النَّارُ الَّتِي أَشْتَدَّ حَرُّهَا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (طِبَّاتٍ)

(٨٧) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: نَقْطَعُ مَذَاجِيرَنَا، وَنَتْرُكُ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، وَنَسِيحُ فِي الْأَرْضِ كَمَا يَفْعَلُ الرُّهْبَانُ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ قَوْلُهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَسَلَّطَهُمْ قَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ: وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَنَا مُ وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَمَنْ أَخَذَ بِسُنَّتِي فَهُوَ مِنِّي، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يَأْمُرُ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَمْرِ بِحَرَمِ الطِّبَّاتِ الَّتِي أَحَلَّهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَسْتَعْمَلَ عِبَادُهُ نِعَمَهُ فِيمَا خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ، وَأَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَكْرَهُ أَنْ يَجْنُوا عَلَى الشَّرِيعَةِ الَّتِي شَرَعَتْ لَهُمْ فَيَعْلُوا فِيهَا بِإِبَاحَةِ مَا حَرَّمَ، أَوْ تَرْكِ مَا أَحَلَّ وَفَرَضَ.

لَا تَعْتَدُوا - لَا تَجَاوِزُوا حُدُودَ اللَّهِ، فَتُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ، أَوْ تُحِلُّوا مَا حَرَّمَ.

﴿٨٤﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا

مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا
رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ

﴿٨٥﴾ فَأَنبَاهَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ

﴿٨٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ

﴿٨٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا

طِبَّاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

(حَلَالًا)

(٨٨) - وَيُبَيِّحُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ التَّمَتُّعَ بِالْحَلَالِ الطَّيِّبِ مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي رَزَقَهُمْ، وَتَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَاهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، وَابْتِغَاءَ طَاعَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، وَتَرْكُ مُخَالَفَتِهِ وَعُصْيَانِهِ، بِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ، أَوْ بِتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ.

(أَيْمَانُكُمْ) (الْإِيمَانُ) (فَكَفَّارَتُهُ) (مَسَاكِينِ) (ثَلَاثَةً) (كَفَّارَةٌ) (أَيْمَانُكُمْ) (آيَاتُهُ)

(٨٩) - هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ السَّابِقَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ...﴾.

فَقَالَ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ كَانُوا حَرَمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ النِّسَاءَ وَاللَّحْمَ... : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَصْنَعُ بِأَيْمَانِنَا الَّتِي حَلَفْنَاها، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَاللَّغْوُ فِي الْيَمِينِ هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ: لَا وَاللَّهِ، وَبَلَى وَاللَّهِ (وَقِيلَ: إِنَّهَا الْيَمِينُ عِنْدَ الْهَزْلِ، وَقِيلَ إِنَّهَا فِي غَلْبَةِ الظَّنِّ، وَقِيلَ إِنَّهَا الْيَمِينُ عِنْدَ الْغَضَبِ).

فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُؤَاخِذُكُمْ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِنَّهُ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا صَمَّمْتُمْ عَلَيْهِ وَقَصَدْتُمُوهُ، فَإِذَا حَنَثَ الْمُؤْمِنُ بِيَمِينِهِ الَّتِي قَصَدَهَا وَعَقَدَهَا، فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينٍ مُحْتَاجِينَ مِنَ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ، أَكْلَةً وَاحِدَةً، أَوْ يَوْمًا وَاحِدًا. ثُمَّ يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى نَوْعَ الطَّعَامِ الَّذِي يُقَدَّمُ لِهَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ، فَقَالَ إِنَّهُ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ عِيَالَكُمْ فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ، أَوْ كِسْرَتِهِمْ (عَلَى خِلَافٍ فِي مِقْدَارِ هَذِهِ الْكُسْرَةِ)، أَوْ إِعْتِاقَ رَقَبَةٍ مِنَ الرِّقِّ. وَإِذَا لَمْ يَقْدِرِ الْمُكَلَّفُ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِيَارَاتِ الثَّلَاثَةِ كَفَّرَ عَنْ حَنَثِهِ بِيَمِينِهِ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ عَلَى قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ. وَهَذِهِ هِيَ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ الَّتِي يَحْلِفُهَا الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ أَوْ بِأَحَدِ أَسْمَائِهِ، إِنْ حَنَثَ بِهَا، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَحْنَثَ بِهَا. يَقُولُ تَعَالَى: لَا تَتْرَكُوا أَيْمَانَكُمْ الْمَحْنُوثَ بِهَا دُونَ كَفَّارَةٍ. (وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ - وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ - هُوَ لَا تَبْدِلُوهَا فِي أَنْفِهِ الْأُمُورِ وَأَحْقِرْهَا، وَلَا تُكْثِرُوا مِنَ الْإِيمَانِ الصَّادِقَةِ)، كَذَلِكَ يُوضِّحُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَيُبَيِّنُهَا لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذَا أَنْقَضْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ.

(وَيَجُوزُ الْحَنَثُ لِمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ مَعَ التَّكْفِيرِ قَبْلَ الْحَنَثِ. وَفِي الْحَدِيثِ: إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَكَفَّرْ عَنْ يَمِينِكَ).

﴿٨٨﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَانْقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ

﴿٨٩﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

أَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ - كَفَرُوا عَنْهَا وَلَا تَتْرُكُوهَا دُونَ كَفَارَةٍ.
تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ - إِعْتَاقُهَا.

الْحَنْثُ فِي الْيَمِينِ - عَدَمُ التَّمَسُّكِ بِمُوجِبَاتِ الْيَمِينِ.
الْلُغُو فِي الْإِيمَانِ - هُوَ الْحَلِيفُ عَلَى مَا اعْتَقَدْتُمْ صِدْقَهُ أَوْ مَا يَجْرِي
عَلَى اللِّسَانِ لَعْوًا.
عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ - وَتَقَتُّمُوهَا بِالْقَصْدِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الْأَزْلَامُ) (الشَّيْطَانِ)

(٩٠) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ تَعَاطِي الْحَمْرِ وَلَعِبِ الْقِمَارِ
(الْمَيْسِرِ)، وَعَنْ ذَنْبِ الْقَرَابِينَ عِنْدَ الْأَنْصَابِ، (وَهِيَ حِجَارَةٌ كَانَتْ
تُحِيطُ بِالْكَعْبَةِ)، كَمَا يَنْهَاهُمْ عَنِ الْاسْتِقْسَامِ بِالْأَزْلَامِ (وَالْأَزْلَامُ ثَلَاثَةٌ
قِدَاحٍ أَوْ سِهَامٍ يُجِيلُونَهَا ثُمَّ يُلْقُونَهَا، وَقَدْ كُتِبَ عَلَى أَحَدِهَا (أَفْعَلُ)،
وَعَلَى الْآخَرِ (لَا تَفْعَلُ)، وَالثَّالِثُ غُفْلٌ مِنَ الْكِتَابَةِ. فَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ
الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ (أَفْعَلُ) فَعَلُ. وَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ (لَا
تَفْعَلُ) لَمْ يَفْعَلْ. وَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الْغُفْلُ مِنَ الْكِتَابَةِ اعَادَ الْاسْتِقْسَامَ.
وَيَقُولُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ إِنَّ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ: الْحَمْرُ
وَالْمَيْسِرَ. إِنَّمَا هِيَ شَرٌّ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ (رِجْسٌ) فَاجْتَنِبُوا هَذَا الرَّجْسَ
لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ وَتَفُوزُونَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ.
الرَّجْسُ - لَعْنَةٌ هُوَ الْمُسْتَقْدَرُ جِسًا أَوْ مَعْنَى.

الْحَمْرُ - هِيَ مَا تَحْمَرُّ مِنْ عَصِيرِ الْفَوَاكِهِ عَامَّةً. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ إِنَّهَا مَا
تَحْمَرُّ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ أَوْ التَّمْرِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ إِنَّهَا كُلُّ مَا
أَسْكَرَ.

الْمَيْسِرُ - الْقِمَارُ.
الْأَنْصَابُ - حِجَارَةٌ حَوْلَ الْكَعْبَةِ كَانُوا يَعُظُمُونَهَا.

(الشَّيْطَانُ) (الْعَدَاوَةُ) (الصَّلَاةُ)

(٩١) - إِنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ لَكُمْ شُرْبَ الْحَمْرِ، وَلَعِبَ الْمَيْسِرِ، لِيُعَادِيَ
بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَغْضِبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَيَتَشَتَّ أَمْرُكُمْ بَعْدَ أَنْ أَلَفَ اللَّهُ
بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بِالْإِيمَانِ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمْ بِأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ، وَرِيدُ الشَّيْطَانِ أَنْ
يَضْرِبَكُمْ بِالسُّكْرِ وَالْإِسْتِغَالِ بِالْمَيْسِرِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ الَّذِي بِهِ صَلَاحُ
أَمْرِكُمْ، فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ، وَعَنِ الصَّلَاةِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ،
تَرْكِيَةً لِنُفُوسِكُمْ، وَتَطْهِيرًا لِقُلُوبِكُمْ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ

وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ

بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي
الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصِدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ

وَالْخَمْرُ تُفْقِدُ الْإِنْسَانَ عَقْلَهُ الَّذِي يَمْنَعُهُ عَنْ إِتْيَانِ الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَعَنْ تَوَجُّهِهِ الْأَقْوَالِ الشَّائِنَةِ إِلَى النَّاسِ، فَإِذَا شَرِبَهَا الْإِنْسَانُ أَقْدَمَ عَلَى مَا لَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ صَاحِبُ مُتَمَالِكٍ قَوَاهُ فَيُسْبِيهِ إِلَى أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ، وَيُؤْذِيهِمْ فَيُؤْذِي ذَلِكَ إِلَى الشُّحْنَاءِ وَالْبَغْضَاءِ.

وَالْمَيْسِرُ يُثِيرُ الْبَغْضَاءَ وَالشُّحْنَاءَ بَيْنَ اللَّاعِبِينَ وَالْحَاضِرِينَ، وَكَثِيرًا مَا يُفْرِطُ الْمُقَامِرُ فِي حُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، حَتَّى يُوشِكَ أَنْ يَمَقُّتَهُ كُلُّ وَاحِدٍ.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَنْتَهُوا عَنْ هَذِهِ الْمُتَنَكَّرَاتِ لِيُقَوِّتُوا عَلَى إِبْلَاسِ غَرَضِهِ.

(الْبَلَاغُ)

(٩٢) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ اجْتِنَابِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، وَغَيْرِهِمَا مِنْ سَائِرِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَبِطَاعَةِ رَسُولِهِ فِيمَا بَيَّنَّهُ لَهُمْ مِنْ شَرْعِ اللَّهِ، وَفِيمَا يَحْكُمُ بِهِ بَيْنَهُمْ، وَيَحْذَرُهُمْ مِنَ الْعِصْيَانِ وَالْمُخَالَفَةِ وَالْعِنَادِ. ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ إِنَّ تَوَلَّوْا عَنِ الْإِيمَانِ، وَأَصْرُوا عَلَى الْمُخَالَفَةِ، وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَى حُرْمَاتِ اللَّهِ، وَعَلَى تَجَاوُزِ شَرْعِهِ الْكَرِيمِ، فَإِنَّ الْحُجَّةَ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمْ، وَالرُّسُولُ قَامَ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنَ الْإِبْلَاجِ وَالْإِنْذَارِ وَالِدُّعْوَةِ، وَإِنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ فَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا.

الْبَلَاغُ - تَبْلِيغُ الدُّعْوَةِ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (وَأَمَنُوا)

(٩٣) - جِئْنَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَحْرِيمَ الْخَمْرِ تَسَاءَلَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ حَالِ مَنْ شَرِبُوا الْخَمْرَ قَبْلَ التَّحْرِيمِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَيُبَيِّنُ لَهُمْ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ، وَلَا إِنْهُمْ، فِيمَا أَكَلُوا أَوْ شَرَبُوا، قَبْلَ نَزُولِ التَّحْرِيمِ، مِنْ مَالِ الْمَيْسِرِ أَوْ الرِّبَا، أَوْ شَرَبُوا مِنَ الْخَمْرِ، أَوْ أَكَلُوا وَشَرَبُوا، مِمَّا لَمْ يَكُنْ مُحَرَّمًا ثُمَّ حُرِّمَ، إِذَا مَا اتَّقَوْا اللَّهَ، وَآمَنُوا بِمَا كَانَ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ شُرِعَتْ، كَالصَّلَاةِ وَالصُّومِ، ثُمَّ اتَّقَوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ الْعِلْمِ بِهِ، وَآمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ، ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلَى التَّقْوَى، وَأَحْسَنُوا أَعْمَالَهُمْ، فَأَتَوْا بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَتَمَمُّوا نَقْصَ فَرَائِضِهَا بِتَوَافُلِ الطَّاعَاتِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، فَلَا يُبْقِي فِي

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا
إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ
اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

فَلَوْ بِهِمْ أَثَرًا مِنَ الْأَثَارِ السَّيِّئَةِ، الَّتِي وَصَفَ بِهَا الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ، مِنْ
الْإِيقَاعِ فِي الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ.

الْجُنَاحُ - الْحَرَجُ وَالْإِثْمُ.

طَعَمُوا - أَكَلُوا أَوْ شَرَبُوا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٩٤) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى: بِأَنَّهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ (يَبْلُوهُمْ) فِي حَالَةِ
إِحْرَامِهِمْ، بِأَنْ يَجْعَلَ صِغَارَ حَيَوَانَاتِ الصَّيْدِ وَضِعَافَهَا فِي مَتَنَاقُلٍ
أَيْدِيهِمْ، لَوْ شَاءُوا لَتَنَاقَلُوهَا بِأَيْدِيهِمْ، كَمَا أَنَّهُ سَيَخْتَبِرُهُمْ بِجَعْلِ كِبَارِ
الْحَيَوَانَاتِ فِي مَتَنَاقُلٍ رِمَاجِهِمْ، تَعْرِضُ لَهُمْ، أَوْ تَعْتَاشُهُمْ فِي رِجَالِهِمْ،
لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ مِنْهُمْ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ، وَيَمْتَنِعُ عَنِ الصَّيْدِ مَا دَامَ
مُحْرَمًا. فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ هَذَا التَّحْذِيرِ مِنَ اللَّهِ، وَقَتَلَ الصَّيْدَ أَوْ أَكَلَ
لَحْمَهُ وَهُوَ مُحْرَمٌ، فَلَهُ عَذَابُ أَلِيمٍ فِي الْآخِرَةِ لِمُخَالَفَتِهِ شَرَعَ اللَّهُ.
يَبْلُوكُمْ - يَخْتَبِرُكُمْ.
تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ - يَكُونُ فِي مَتَنَاقُلِ أَيْدِيكُمْ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (بَالِغَ) (كَفَّارَةٍ) (مَسَاكِينَ)

(٩٥) - حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَ صَيْدِ الْبَرِّ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، وَنَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ
تَنَاقُلِهِ فِيهِ، وَمَنْ قَتَلَ الصَّيْدَ مُتَعَمِّدًا، وَهُوَ مُحْرَمٌ، يَجِبُ عَلَيْهِ جَزَاءٌ مِنْ
مِثْلِ الْحَيَوَانِ الَّذِي قَتَلَهُ (إِنْ كَانَ لِلْحَيَوَانِ مِثْلٌ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْأَلِيفَةِ)،
يَحْكُمُ بِهِ رَجُلَانِ عَادِلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (وَقَدْ حَكَمَ بَعْضُهُمْ بِنَحْرِ تَيْسٍ
فِي جَزَاءٍ عَنْ قَتْلِ ظَبْيٍ)، وَعَلَى مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْمِثْلِ
الَّذِي سَيَذْبَحُهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، لِيَكُونَ هَذِيًا لَهَا، فَيَذْبَحُ هُنَاكَ، وَيُورِثُ لَحْمَهُ
عَلَى فُقَرَاءِ أَهْلِ الْحَرَمِ. فَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْمُحْرَمُ مِثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النِّعَمِ،
أَوْ لَمْ يَكُنِ الصَّيْدُ الْمَقْتُولُ مِنْ ذَوَاتِ الْأَمْثَالِ فَيُخَيَّرُ الْمُحْرَمُ بَيْنَ أُمُورٍ:

أ - أَنْ يَقُومَ الصَّيْدُ الْمَقْتُولُ، وَيَقُومَ مِثْلُهُ مِنَ النِّعَمِ، لَوْ كَانَ مَوْجُودًا، فِي
الْمَكَانِ الَّذِي تَمَّ فِيهِ الصَّيْدُ، أَوْ فِي أَقْرَبِ مَكَانٍ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَشْتَرِي الْمُحْرَمُ
الْمُخَالَفَ بِثَمَنِهِ طَعَامًا فَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى فُقَرَاءِ الْحَرَمِ.

ب - أَوْ يُطْعِمَ مَسَاكِينَ. وَيَخْتَلِفُ عَدَدُهُمْ بِحَسَبِ أَهَمِّيَّةِ الصَّيْدِ
الْمَقْتُولِ: فَقِيلَ إِنَّ مَنْ قَتَلَ ظَبْيًا فَعَلَيْهِ ذَبْحُ شَاةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَامَ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَإِذَا قَتَلَ نَعَامَةً أَوْ حِمَارَ وَحْشٍ، فَعَلَيْهِ ذَبْحُ بَدَنَةٍ (نَاقَةٍ أَوْ
بَعِيرٍ)، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَطْعَمَ ثَلَاثِينَ مَسْكِينًا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبَّيْتُكُمْ اللَّهُ

بَشَىءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ

وَرِمَاجُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ

بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ

فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ

وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا

فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ

بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا يَبْلُغُ

الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَرَةَ طَعَامُ

مَسْكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا

لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ اللَّهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا

سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ

وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ

جـ - وَإِذَا لَمْ يَجِدْ مَا يَطْعُمُ بِهِ الْمَسَاكِينَ صَامَ أَيَّامًا عَنْ ذَلِكَ .
وَتَرَاوَحَ مُدَّةُ الصَّوْمِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فِي قَتْلِ ظَبْيٍ ، إِلَى ثَلَاثَيْنِ يَوْمًا ،
فِي قَتْلِ نَعَامَةٍ أَوْ حِمَارٍ وَخَشٍ . (يَصُومُ يَوْمًا عَنْ إِطْعَامِ كُلِّ مِسْكِينٍ) .
وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَّهُ أَوْجَبَ الْكَفَّارَةَ لِيَذُوقَ الْمُتَجَاوِزُ الْعُقُوبَةَ عَنِ
الْفِعْلِ الَّذِي أَرْتَكَبَ فِيهِ الْمُخَالَفَةَ (وَبَالَ أَمْرِهِ) .
وَقَدْ أَلْحَقَتِ السُّنَّةُ قَتْلَ الصَّيْدِ خَطَأً بِقَتْلِهِ عَمْدًا ، فِي وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ .
وَلَكِنْ دُونَ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْمُخْطِئِ إِثْمٌ .

وَقَدْ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا سَلَفَ مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ فِي حَالَةِ الْإِحْرَامِ ، الَّذِي
نَمَّ قَبْلَ هَذَا التَّحْرِيمِ ، وَقَبْلَ بُلُوغِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ لِلنَّاسِ . وَمَنْ عَادَ
فِي الْإِسْلَامِ إِلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ مُنِيعُ الْجَانِبِ ،
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ عَصَاةٍ .

وَأَنْتُمْ حُرْمٌ - وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ لِلْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ .
النَّعَمُ - الْحَيَوَانَاتِ الْأَلِيفَةِ (الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْمَاعِزِ) .
ذَوَا عَذْلٍ مِنْكُمْ - رَجُلَانِ عَدْلَانِ مَشْهُودٌ لَهُمَا بِالْإِنْصَافِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ .
عَذْلٌ ذَلِكَ - عَذْلُ الطَّعَامِ وَمُقَابِلُهُ .

(مَنَاعًا)

(٩٦) - أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ (وَهُوَ مَا يُصَادُ طَرِيًّا) ؛ كَمَا أَحَلَّ
لَكُمْ طَعَامَهُ (وَهُوَ مَا يُزَوَّدُ مِنْهُ مُمْلَحًا أَوْ يَابِسًا - وَرَوِي أَنْ كَلِمَةَ طَعَامِهِ
تَعْنِي مَا قَذَفَهُ الْبَحْرُ عَلَى شَطَائِهِ فَمَاتَ ، أَوْ هُوَ مَا أَخْرَجَهُ الْبَحْرُ مَيِّتًا مِنْ
حَيَوَانَاتِهِ) . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَنَاعًا يَنْتَفِعُ بِهِ وَيَسْتَمْتِعُ
مَنْ كَانَ مُقِيمًا بِحَاضِرَةِ الْبَحْرِ ، أَوْ مُجْتَازًا بِهِ فِي سَفَرٍ (لِلسَّيَارَةِ) . وَكَرَّرَ
تَعَالَى التَّأَكِيدَ عَلَى حُرْمَةِ صَيْدِ الْبَرِّ فِي حَالَةِ الْإِحْرَامِ .

وَكَّرَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَى رَبِّهِمُ الَّذِي سَيَحْشَرُونَ إِلَيْهِ
فِيحَاسِبُهُمْ عَلَى كُلِّ أَفْعَالِهِمْ .

(وَيُحَرِّمُ اللَّهُ أَكْلَ لَحْمِ صَيْدِ الْبَرِّ عَلَى الْمُحْرَمِ ، إِذَا كَانَ الصَّيْدُ قَدْ وَقَعَ
لِلْجَلْبِ ، أَمَا إِذَا لَمْ يُقْصَدْ هُوَ بِالصَّيْدِ ، وَلَمْ يُشِرْ هُوَ بِهِ ، وَلَمْ يُعْنِ عَلَيْهِ ،
جَازَ لَهُ أَكْلُهُ) .

لِلسَّيَارَةِ - لِلْمَسَافِرِينَ .

أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ

مَتَعَالَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ وَحَرَّمَ

عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ مُحْرَمِينَ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ

(قِيَامًا) (وَالْقَلَائِدَ) (السَّمَاوَاتِ)

(٩٧) - جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ بَيْتًا حَرَامًا لِلنَّاسِ ، وَيَقُومُ بِهِ أَمْرُ دِينِهِمْ بِالْحَجِّ إِلَيْهِ ، وَأَمْرُ دُنْيَاهُمْ إِذْ يَأْمَنُ الدَّخِلُ إِلَيْهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لَهُ ، وَتَجِبِي إِلَيْهِ تَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ .

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ سَبَبًا لِقِيَامِ أَمْنِ النَّاسِ مِنَ الْقِتَالِ فِيهَا ، فَكَانَ النَّاسُ إِذَا دَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ، زَالَ خَوْفُهُمْ مِنَ الْقِتَالِ ، وَأَمِنُوا فِي تِجَارَتِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ .

وَكَذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ الْهَدْيَ الْمُقَلَّدَ (الْقَلَائِدَ - هُوَ الْهَدْيُ الَّذِي طَوَّقَهُ أَصْحَابُهُ بِطَوَقٍ خَاصٍّ مِنْ لِحَاءِ الشَّجَرِ) أَمْنًا وَلَوْ سَارَ فِي غَيْرِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ (لَأَنَّ النَّاسَ يَعْرِفُونَ مِنَ الْقَلَائِدِ أَنَّهُ مُوجَّهٌ إِلَى الْحَرَمِ ، فَلَا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ بِسُوءٍ ، احْتِرَامًا لِلْحَرَمِ) ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ هَذَا التَّدْبِيرَ اللَّطِيفَ لِأَجْلِ أَنْ تَتَفَكَّرُوا فِي أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَقَدْ أَوْفَعَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ تَعْظِيمَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ ، لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ صَادِرَةٍ عَنْ عِلْمِهِ بِخَفَايَا الْأُمُورِ ، لِتَأْمِينِ الرِّزْقِ وَالْأَمْنِ لِسُكَّانِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ .

قِيَامًا لِلنَّاسِ - قَوَامًا لِمَصَالِحِهِمْ دُنْيَا وَدِينًا .
الْكَعْبَةُ - هِيَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِنَائِهِ عَلَى أَرْضٍ مَكَّةَ ، وَسَمَّيَتْ كَعْبَةً لِأَنَّهَا مَكْعَبَةُ الشَّكْلِ .

الْهَدْيِ - مَا يُهْدَى إِلَى الْحَرَمِ مِنَ الذَّبَائِحِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ .
الْقَلَائِدَ - الذَّبَائِحَ الْمَوْجَّهَةَ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَهِيَ مُقَلَّدَةٌ بِطَوَقٍ مِنْ لِحَاءِ الشَّجَرِ .

(٩٨) - وَاعْلَمُوا ، يَا أَيُّهَا الْمُخَالِفُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَعَلَانِيَتَكُمْ ، وَأَنَّهُ سَيَحْسِبُكُمْ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ ، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا ، وَأَنَّهُ تَعَالَى شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ ، وَاسْتَمَرَّ فِي عِنَادِهِ ، وَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ .

(الْبَلَاغُ)

(٩٩) - الرَّسُولُ مُكَلِّفٌ مِنْ رَبِّهِ بِالْبَلَاغِ النَّاسِ أَوْامِرَ رَبِّهِ وَرِسَالَاتِهِ ، وَجَسَابُ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ تَعَالَى يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَالْعَلَنَ ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَمَا يُبَيِّنُهُ الْإِنْسَانُ فِي سِرِّهِ ، وَسَيَحْسِبُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا .

﴿١٧﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ

الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا

لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ

وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ

﴿٩٨﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٩٩﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ

(يَا أُولِي) (الْأَلْبَابِ)

(١٠٠) - قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِمَنْ تُخَاطِبُهُمْ: لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ
أَعْجَبَكَ، يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، كَثْرَةُ الْخَبِيثِ، وَقَلِيلُ مِنَ الْحَلَالِ خَيْرٌ مِنْ
كَثِيرٍ مِنَ الْحَرَامِ الضَّارِّ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: مَا قُلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى) فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا ذَوِي
الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَتَجَنَّبُوا الْحَرَامَ، وَاقْتَنَعُوا بِالْحَلَالِ،
وَأَكْتَفَوْا بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَكَمَا لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْبُرُّ وَالْفَاجِرُ، وَلَا
الْمُصْلِحُ وَالْمُفْسِدُ، وَلَا بُدُّ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَقِّ الْعَادِلِ.
الطَّيِّبُ - هُوَ مَا طَابَ لِلنَّفْسِ أَكْلُهُ، وَيُقَصَّدُ بِهِ هُنَا مَا أَحَلَّ اللَّهُ.
الْخَبِيثُ - ضِدُّ الطَّيِّبِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (لَا تَسْأَلُوا) (الْقُرْآنَ)

(١٠١) - يُؤَدِّبُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ
أَشْيَاءَ لَا فَائِدَةَ لَهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْهَا، وَعَنِ التَّنَقُّبِ عَنْ خَفَايَاهَا، لِأَنَّهَا
إِنْ ظَهَرَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ رُبَّمَا سَاءَ نَتِيجَتُهُمْ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ سَمَاعُهَا.

(وَرَوَى فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ
غَضَبَانِ، مُحَمَّرَ الْوَجَةَ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ:
أَيْنَ أَبِي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّارِ. فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ فَقَالَ
النَّبِيُّ: أَبُوكَ حَذَافَةُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَهَيْتُمْ عَنْ السُّؤَالِ عَنْهَا،
جِئْنَا نَنْزِلُ الْقُرْآنَ فِي شَأْنِهَا أَوْ حُكْمِهَا، أَوْ لِأَجْلِ فَهَمِّ مَا نَزَلَ إِلَيْكُمْ،
فَإِنَّ اللَّهَ يُبْدِيهِ لَكُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ
سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ). (رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ أَبِي عُبَّاسٍ).

وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ...﴾ هُوَ لَا
تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ تَسْتَأْنِفُونَ السُّؤَالَ عَنْهَا، فَلَعَلَّهُ يَنْزِلُ بِسَبَبِ سُؤَالِكُمْ
تَشْدِيدٌ أَوْ تَضْيِيقٌ.

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ يَكُونُ الْآلِيبُ
لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا
عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلْ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ
وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْآنُ أَنْ تُبَدِّلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا
وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: اعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ جُرْماً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ).
إِنْ تُبَذَّ لَكُمْ تَسْوُكُم - إِنْ ظَهَرَتْ لَكُمْ سَاءَتُكُمْ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ سَمَاعُهَا.

(كَافِرِينَ)

(١٠٢) - لَقَدْ سَأَلَ هَذِهِ الْمَسَائِلَ الْمَنْهِيَّ عَنْهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ فَأَجِيبُوا عَنْهَا، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا فَأَصْبَحُوا بِسَبِيلِهَا كَافِرِينَ، لِأَنَّهُا بَيَّنَّتْ لَهُمْ، فَلَمْ يَتَّبِعُوا بِهَا، وَلَمْ يَتَّبِعُوهَا.

(سَائِبَةٍ)

(١٠٣) - الْبَجِيرَةُ هِيَ الرَّاحِدَةُ مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي يَنْحَرُونَ أَذْنَهَا، أَيْ يَشْقُونَهَا شَقًّا وَاسِعًا، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ إِذَا أُتْبِجَتْ خَمْسَةُ أَبْطُنٍ وَكَانَ الْخَامِسُ أَتْنَى. وَكَانُوا يَجْعَلُونَ دَرَّهَا لِلطَّوَاغِيتِ، فَلَا يَحِلُّهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَيُسَيِّبُونَهَا لِأَلِهَتِهِمْ.

السَّائِبَةُ - وَهِيَ الَّتِي تُسَيَّبُ بِأَنْ يَنْذُرُوهَا لِأَلِهَتِهِمْ، فَتَرعى حَيْثُ تَشَاءُ، وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ، وَلَا يُجْزُ صُوفُهَا، وَلَا يُخْلَبُ لَبَنُهَا إِلَّا لِضَيْفٍ.

الْوَصِيلَةُ - هِيَ النَّاقَةُ الْبَكْرُ، تُبَكَّرُ فِي أَوَّلِ نَتَاجِ الْإِبِلِ، ثُمَّ تُنْتَنَى بِأَتْنَى، وَكَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِطَوَاغِيتِهِمْ إِنْ وَصَلَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى لَيْسَ بَيْنَهُمَا ذَكَرٌ. الْحَامِي - هُوَ فَخْلُ الْإِبِلِ يُولَدُ مِنْ ظَهْرِهِ عَشْرَةُ أَبْطُنٍ، فَيَقُولُونَ حَمَى ظَهْرُهُ، فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ، وَلَا يَمْنَعُ مَاءٌ وَلَا مَرعى.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَمْ يَأْذَنْ لِهَؤُلَاءِ بِأَنْ يُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَشْرَعْ مَا شَرَعَهُ الْبُعَاةُ لَأَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ يَجْعَلُونَهُ شَرْعًا وَقُرْبَةً يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَيْهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِحَاصِلٍ، بَلْ هُوَ وَبَالٌ عَلَيْهِمْ، وَكَثْرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

(آبَاءُهُمْ)

(١٠٤) - وَإِذَا دُعُوا إِلَى مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَأَوْجَبَهُ، فِي الْقُرْآنِ، مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُؤَيَّدَةِ بِالْحُجَجِ وَالْأَدْلَةِ، وَإِلَى رَسُولِهِ الْمُبِينِ لِمُجْمَلِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ، وَإِلَى تَرْكِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ قَالُوا: يَكْفِينَا أَنْ نَتَّبِعَ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ الْآبَاءَ وَالْأَجْدَادَ مِنَ الطَّرَائِقِ وَالْمَسَالِكِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ. فَإِذَا كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا

﴿١٠٢﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكَ

ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ

﴿١٠٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَجِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ

وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

﴿١٠٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى

مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا

حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا

أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ

يَقْهَهُونَ شَيْئًا، وَلَا يَعْرِفُونَ حَقًّا، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ يَتَّبِعُونَهُمْ
وَالْحَالَةَ هَذِهِ؟ إِنَّهُمْ إِنْ أَتَبَعُوهُمْ كَانُوا بِلَا شَكٍّ أَكْثَرَ جَهْلًا مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَصْلَ سَبِيلًا.
حَسْبُنَا - كَافِينَا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(١٠٥) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُصْلِحُوا أَنْفُسَهُمْ، وَأَنْ يَعْمَلُوا
الْخَيْرَ جَهْدَ طَاقَتِهِمْ، لِيَتَقَرَّبُوا بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ. وَيُخَبِّرُهُمْ تَعَالَى أَنَّهُ مَنْ
أَصْلَحَ نَفْسَهُ وَأَمْرَهُ مِنْهُمْ، فَلَا يَضُرُّهُ فُسَادُ مَنْ فَسَدَ مِنَ النَّاسِ، سَوَاءً
أَكَانَ قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا، (وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: بَلَى
أَتَتَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًا مُطَاعًا،
وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ
نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرِ فِيهِنَّ مِثْلُ
الْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ
كَعَمَلِكُمْ). (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ).

فَالْمُؤْمِنُ لَا يَكُونُ مُهْتَدِيًا إِذَا أَصْلَحَ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَهْتَمْ بِإِصْلَاحِ غَيْرِهِ،
بِأَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَهَذَا فَرَضٌ لَا هَوَادَةَ فِيهِ،
وَلَكِنَّ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ تَسْقُطُ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ فَسَادًا لَا يُرْجَى مَعَهُ تَأْيِيرُ
الْوَعْدِ وَالْإِرْشَادِ.

عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ - الزُّمُوهَا وَاحْفَظُوهَا مِنَ الْمَعَاصِي.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (شَهَادَةُ) (آخِرَانِ) (فَأَصَابَتْكُمْ) (الصَّلَاةُ)
(شَهَادَةُ)

(١٠٦) - قِيلَ إِنَّ حُكْمَ هَذِهِ الْآيَةِ مَنْسُوخٌ. وَلَكِنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّهُ
مُحْكَمٌ. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَتَضَمَّنُ حُكْمَ مَنْ تُوُفِّيَ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ
الْإِسْلَامِ - وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَالنَّاسُ كُفَّارٌ، وَالْأَرْضُ أَرْضُ
حَرْبٍ - وَكَانَ النَّاسُ يَتَوَارَثُونَ بِالْوَصِيَّةِ، ثُمَّ نُسِخَتِ الْوَصِيَّةُ، وَفُرِضَتِ
الْفَرَائِضُ، وَعَمِلَ النَّاسُ بِهَا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَلِي:

(خَرَجَ بَدِيلٌ، مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، مَعَ تَاجِرَيْنِ نَصْرَانِيَيْنِ هُمَا تَمِيمٌ
الدَّارِيُّ وَعَدِيُّ بْنُ بَدَاءٍ، فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ، وَفِي الطَّرِيقِ أَشْتَكَى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ

أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ

إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ

جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ

إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ

الْوَصِيَّةِ أَتَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ

أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ

ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبَتْكُمْ

مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا

مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ

بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ

ثُمَّ أُولَؤُكَانَ دَافِرِينَ وَلَا نُنَكِّهُمُ
شَهِدَهُ اللَّهُ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ

بَدِيلٌ فَكَتَبَ وَصِيَّتَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ دَسَّهَا فِي مَتَاعِهِ، وَأَوْصَى إِلَيْهِمَا. فَلَمَّا مَاتَ
فَتَحَا مَتَاعَهُ فَأَخَذَا مِنْهُ شَيْئًا ثُمَّ حَجَرَاهُ كَمَا كَانَ. وَقَدِمَا عَلَى أَهْلِهِ فِي
الْمَدِينَةِ فَدَفَعَا مَتَاعَهُ، فَفَتَحَ أَهْلُهُ الْمَتَاعَ فَوَجَدُوا كِتَابَهُ وَعَهْدَهُ، وَمَا خَرَجَ
بِهِ، وَفَقَدُوا جَامًا مِنْ فِضَّةٍ مُطَعَّمَةٍ بِالذَّهَبِ، فَسَأَلُوهُمَا عَنْهُ فَقَالَا: هَذَا
الَّذِي قَبَضْنَا لَهُ، وَدَفَعْنَا إِلَيْنَا. فَقَالُوا هَذَا كِتَابُهُ بِيَدِهِ. قَالَا: مَا كَتَمْنَا لَهُ
شَيْئًا. فَتَرَأَفُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ أَنْ
يَسْتَحْلِفُوهُمَا، ذُبُرَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا قَبَضْنَا غَيْرَ
هَذَا وَلَا كَتَمْنَاهُ. فَحَلَفَا. ثُمَّ وَجَدَ أَهْلُهُ الْجَامَ فِي مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُمْ
مَنْ وَجَدُوهُ عِنْدَهُ: إِنَّهُ اشْتَرَاهُ مِنْ عَدِيٍّ وَتَمِيمٍ الدَّارِيِّ. فَقَالَ هَذَانِ:
نَعَمْ، وَلَكِنَّا اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ، وَنَسِينَا أَنْ نَذْكُرَهُ حِينَ حَلَفْنَا، فَكَرِهْنَا أَنْ نَكْذِبَ
فِي نَفْسِنَا. فَتَرَأَفُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَرَلَّتْ الْآيَةُ التَّالِيَةُ ﴿فَإِنْ عَثِرَ عَلَى
أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا﴾^(١) فَأَمَرَ النَّبِيُّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَيْتِ أَنْ يَحْلِفَا عَلَى
مَا كَتَمَ تَمِيمٌ وَعَدِيٌّ وَغَيْبَاهُ وَيَسْتَحِقَّانِهِ.

ثُمَّ إِنَّ تَمِيمَ الدَّارِيَّ اسْلَمَ، وَبَايَعَ النَّبِيَّ، وَكَانَ يَقُولُ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا
أَخَذْتُ الْإِنَاءَ.

(وَيَرَى آبَنُ عَبَّاسٍ أَنْ يَحْلِفَ الشَّاهِدَانِ، إِنْ كَانَا غَيْرَ مُسْلِمِينَ، بَعْدَ
صَلَاةِ أَهْلِ دِينِهِمَا، لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِحَلْفِهِمَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، لِأَنَّهُمَا لَا
يُيَالِيَانِ بِصَلَاةِ ظَهْرٍ وَلَا عَصْرِ، وَلَا يُؤْمِنَانِ بِهَا).
وَقَدْ أَصَافَ اللَّهُ تَعَالَى الشَّهَادَةَ لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ تَكْرِيمًا لَهَا وَتَعْظِيمًا.
الشَّهَادَةُ - قَوْلُ مَنْ أَبْصَرَ وَشَاهَدَ بِمَا شَاهَدَ.
تَحْسِبُونَهُمَا - تُحْسِبُونَهُمَا وَتَمْنَعُونَهُمَا مِنَ الْهَرَبِ.
أَرْتَبْتُمْ - شَكَكْتُمْ.
ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ - سَافَرْتُمْ فِيهَا.
لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا - لَا نَأْخُذُ بِقَسَمِنَا كَذِبًا عَرَضًا دُنْيَوِيًّا.

(فَآخِرَانِ) (الْأُولَيَانِ) (لَشَهَادَتُنَا) (شَهَادَتِهِمَا) (الظَّالِمِينَ)

(١٠٧) - فَإِذَا ظَهَرَ أَنَّ الشَّاهِدَيْنِ قَدْ خَانَا الْأَمَانَةَ، أَوْ غَلَا شَيْئًا مِنَ الْمَالِ
الْمَوْصَى بِهِ إِلَيْهِمَا، فَلْيَقِمِ اثْنَانِ مِنَ الْوَرَثَةِ الْمُسْتَحَقِّينَ لِلتَّرَكَةِ، وَلْيَكُونَا
مِنْ أَوْلَى مَنْ يَرِثُ ذَلِكَ الْمَالِ، فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ بِالْقَبُولِ
وَالْتَّصِدِيقِ مِنْ شَهَادَةِ الشَّاهِدَيْنِ الْآخَرَيْنِ، وَإِنْ قَوْلُنَا إِنَّهُمَا خَانَا أَحَقُّ

(١) الآية ١٠٧ من سورة المائدة.

﴿١٠٧﴾ فَإِنْ عَثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا
فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ
الْأُولَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ
لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا
وَمَا عَدَدُنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ

بِالْقُبُولِ، وَأَصَحُّ مِنْ شَهَادَتَيْهِمَا الْمُتَقَدِّمَةُ، وَمَا آعَدْنَا فِيهَا قُلْنَا فِيهِمَا مِنْ
الْحَيَاةِ، وَإِنْ كُنَّا كَذَبْنَا عَلَيْهِمَا وَافْتَرَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ.
غَيْرَ - وَجَدَ.

أَنْهَمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا - تَعْبِيرٌ يُرَادُ بِهِ حَيَاتُهُ الْأَمَانَةُ وَالْكَذِبُ فِي الشَّهَادَةِ.
الْأُولَيَانِ - الْأَقْرَبَانِ إِلَى الْمَيِّتِ الْوَارِثَانِ لَهُ.

(بِالشَّهَادَةِ) (أَيْمَانُ) (أَيْمَانِهِمْ) (الْفَاسِقِينَ)

(١٠٨) - وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ إِنَّ رَجُلًا تُوُفِيَ وَأَوْصَى بِتَرْكِتِهِ إِلَى ذِمَّتَيْنِ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَمَّا سَلِمَا الْمَالُ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ أَنْكَرَ أَهْلُ الْمَيِّتِ،
وَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، فَأَرَادَ أَبُو مُوسَى أَنْ
يَسْتَحْلِفَهُمَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبَّاسٍ: إِنَّهُمَا لَا يُبَالِيَانِ
صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَلَكِنْ اسْتَحْلِفُهُمَا بَعْدَ صَلَاتَيْهِمَا الْمُقَرَّرَةِ فِي دِينِهِمَا.

وَيَقُولُ الْإِمَامُ قَبْلَ أَنْ يُحْلِفَهُمَا: (إِنْ كَتَمْتُمَا أَوْ حَشَشْتُمَا فَضَحْتُكُمَا فِي
قَوْمِكُمَا، وَلَمْ تُجِزْ لَكُمَا شَهَادَةٌ، وَعَاقِبْتُكُمَا) ثُمَّ يُحْلِفُهُمَا. فَإِذَا قَالَ
الْإِمَامُ لَهُمَا ذَلِكَ، وَحَمَلَهُمَا عَلَى الْحَلْفِ أَمَامَ النَّاسِ بِالْأَيْمَانِ الْمُعْلَنَةِ،
كَانَ ذَلِكَ أَقْرَبَ الشُّبْلِ إِلَى أَنْ يُؤَدِّيَا الشَّهَادَةَ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ (أَذْنَى
أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا).

كَمَا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْحَامِلُ لَهُمَا عَلَى الْإِتْيَانِ بِالشَّهَادَةِ عَلَى الْوَجْهِ
الصَّحِيحِ، هُوَ تَعْظِيمُ الْحَلْفِ بِاللَّهِ، وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِ وَإِجْلَالُهُ، وَالْخَوْفُ
مِنَ الْفَضِيحَةِ بَيْنَ النَّاسِ، إِنْ رُدَّتِ الْيَمِينُ عَلَى الْوَرْتَةِ، فَيَحْلِفُونَ
وَيَسْتَحِقُّونَ مَا يَدْعَوْنَ. (أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ).

ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالسَّمْعِ
وَالطَّاعَةِ، وَبِأَنْ لَا يَحْلِفُوا أَيْمَانًا كَاذِبَةً.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ.

أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا - أَقْرَبُ إِلَى قَوْلِ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ
فِي الشَّهَادَةِ.

الْفَاسِقِينَ - الْخَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ.

(عَلَامٌ)

(١٠٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَيَسْأَلُ الْمُرْسَلِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا أَجَابَتْهُمْ
بِهِ الْأُمَمُ الَّتِي أَرْسَلَهُمْ اللَّهُ إِلَيْهَا فَيَقُولُونَ: لَا عِلْمَ لَنَا يَا رَبَّنَا بِالنَّبِيِّ إِلَى

ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى

وَجْهَيْهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ

بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ



(١٠٩) يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ

فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ

لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

عَلِمَكَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ ظَاهِرَ النَّاسِ وَبَاطِنَهُمْ، وَأَنْتَ
عَلَامُ الْغُيُوبِ.
الْغَيْبُ - مَا غَابَ عَنِ الْجَسَدِ.

(يَا عِيسَى) (وَالِدَتِكَ) (الْكِتَابَ) (وَالْتَّوْرَةَ) (إِسْرَائِيلَ)
(بِالْبَيِّنَاتِ)

(١١٠) - وَفِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ يُنَادِي اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، مِنْ بَيْنِ
الرُّسُلِ، فَيَذْكُرُهُ تَعَالَى بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ، مِمَّا أَجْرَاهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ
الْمُعْجَزَاتِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ بِخَلْقِي إِيَّاكَ مِنْ أُمٍّ بِدُونِ
أَبٍ، وَجَعَلِي إِيَّاكَ آيَةً وَبُرْهَانًا عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِي عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ.
وَأَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَى وَالِدَتِكَ، إِذْ جَعَلْتُكَ لَهَا بُرْهَانًا عَلَى بَرَاءَتِهَا مِمَّا
نَسَبَ الظَّالِمُونَ الْجَاهِلُونَ إِلَيْهَا مِنَ الْفَاحِشَةِ، إِذْ أُيِّدْتُكَ بِجِبْرِيلَ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ، (رُوحَ الْقُدُسِ)، وَجَعَلْتُكَ نَبِيًّا دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ فِي صِغَرِكَ
وَفِي كِبَرِكَ، فَأَنْطَقْتُكَ وَأَنْتَ فِي الْمَهْدِ صَغِيرٌ، فَشَهِدْتَ بِبَرَاءَةِ
أُمِّكَ مِنْ كُلِّ غَيْبٍ، وَأَعْتَرَفْتَ بِالْعُبُودِيَّةِ لِي، وَأَخْبَرْتَ عَن رِسَالَتِي إِلَيْكَ،
وَدَعَوْتَ إِلَى عِبَادَتِي، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَةَ، وَالْعِلْمَ النَّافِعَ، وَالتَّوْرَةَ
الْمُنَزَّلَةَ عَلَى مُوسَى، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ الْإِنْجِيلَ، وَإِذْ تَصَوَّرَ كَهَيْئَةَ الطَّيْرِ مِنْ
الطَّيْنِ فَتَنَفَّخَ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ذَا رُوحٍ بِإِذْنِي، وَتَشْفِي بِإِذْنِي الْأَكْمَهَ (وَهُوَ
الْأَعْمَى مُنْذُ الْوِلَادَةِ) وَالْأَبْرَصَ (وَهُوَ الْمَصَابُ بِدَاءِ الْبَرَصِ غَيْرَ الْقَابِلِ
لِلشِّفَاءِ)، وَإِذْ تَدْعُو الْمَوْتَى فَيَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ بِإِذْنِي وَقُدْرَتِي.

وَأَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ جِئِمًا جَنَّتُهُمْ بِالْبَرَاهِينِ
وَالْحُجَجِ الْفَاصِلَةِ، عَلَى بُبُوتِكَ وَرِسَالَتِكَ مِنَ اللَّهِ، فَكَذَّبُوكَ وَأَتَهَمُوكَ
بَأَنْكَ سَاحِرٌ، وَسَعَوْا فِي قَتْلِكَ وَصَلَبِكَ، فَتَجَنَّبْتَ مِنْهُمْ، وَرَفَعْتُكَ إِلَيَّ،
وَطَهَّرْتُكَ مِنْ دَنَسِهِمْ، وَكَفَيْتُكَ شَرَّهُمْ.

السَّحَرُ - تَمْوِيهِ وَتَخْيِيلُ يَرَى فِيهِ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ.
الْأَكْمَهَ - الْأَعْمَى مُنْذُ خَلْقَتِهِ.

كَفَفْتُ - مَنَعْتُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ - وَمِنْهُ كَفَّ الثَّوْبُ ثَنَاهُ.
رُوحُ الْقُدُسِ - جِبْرِيلُ.

(الْحَوَارِيِّينَ) (آمَنُوا) (آمَنَّا)

(١١١) - وَأَذْكُرُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ حِينَ أَلْهَمْتُ الْحَوَارِيِّينَ
الْإِيمَانَ بِرَبِّهِمْ، وَالتَّصَدِيقَ بِأَنَّكَ رَسُولُهُ، حِينَمَا كَذَّبَكَ جُمْهُورُ بَنِي

﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى

وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ

الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ

مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي

فَتَنَفَّخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا

بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ

الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ

بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنكَ إِذْ

جَنَّتُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ

مُبِينٌ

﴿١١١﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ

أَنَآمِنُوكَ وَبِرَسُولِي قَالُوا

ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

إِسْرَائِيلَ، وَجَعَلْتُ الْحَوَارِيِّينَ أَنْصَاراً لَكَ يُؤَيِّدُونَكَ، وَيُؤَيِّدُونَ دَعْوَتَكَ، وَيَنْشُرُونَ شَرِيعَتَكَ، فَقَالُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى، وَأَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، مُخْلِصُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ، مُذْعِنُونَ لِأَوَامِرِهِ، تَارِكُونَ لِنَوَاهِيهِ.

الْحَوَارِيُّونَ - الْأَنْصَارُ وَأُطْلِقَ اللَّفْظُ عَلَى أَنْصَارِ الْمَسِيحِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(يَا عِيسَى) (مَائِدَةُ)

(١١٢) - وَمِمَّا آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى عَبْدِهِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ اسْتِجَابَتُهُ لِدَعْوَتِهِ فِي أَنْزَالِ مَائِدَةٍ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَدْ سَأَلَ الْحَوَارِيُّونَ عِيسَى قَائِلِينَ: هَلْ يَسْتَجِيبُ لَكَ رَبُّكَ إِنْ سَأَلْتَهُ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى: اتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَقْتَرِحُوا عَلَيْهِ أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَقْتِرَاحَاتِ، الَّتِي كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْتَرِحُونَهَا عَلَى مُوسَى لِلتَّعْجِيزِ، لِئَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً لَكُمْ، فَمِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ أَلَّا يُجَرِّبَ رَبَّهُ، بِاقْتِرَاحِ الْآيَاتِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ صَادِقِينَ فِي إِيْمَانِكُمْ بِاللَّهِ.

المَائِدَةُ - الْخِوَانُ عَلَيْهِ طَعَامٌ.

(تَطْمَئِنُّ) (الشَّاهِدِينَ)

(١١٣) - فَقَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى: إِنَّا جَائِعُونَ وَمُحْتَاجُونَ لِلْأَكْلِ مِنْهَا، ثُمَّ إِنَّا إِذَا شَاهَدْنَاهَا وَهِيَ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، تَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا، وَتَزْدَادُ بَكَ إِيْمَانًا، وَعِلْمًا بِصِدْقِ رِسَالَتِكَ، وَنَشْهَدُ عَلَيْهَا عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ لَمْ يَحْضُرُوا.

(مَائِدَةُ) (آخِرِنَا) (وَايَةُ) (الرَّازِقِينَ)

(١١٤) - وَلَمَّا عَلِمَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صِدْقَ نِيَّتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ تَعْجِيزَهُ، وَلَا اقْتِرَاحَ الْآيَاتِ عَلَيْهِ، دَعَا اللَّهَ تَعَالَى بِهَذَا الدُّعَاءِ الْكَرِيمِ: فَقَالَ: يَا اللَّهُ، يَا مَالِكَ أَمْرِنَا وَمُتَوَلِّي تَرْبِيَّتِنَا، أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ يَرَاهَا هَؤُلَاءِ الْمُقْتَرِحُونَ بِأَبْصَارِهِمْ، وَتَتَغَذَّى بِهَا أَبْدَانُهُمْ، وَتَكُونَ عِيداً خَاصّاً بِنَا، مَعَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ، نُعَظِّمُ نَحْنُ وَمَنْ يَأْتِي بَعْدَنَا، وَاجْعَلْهَا عَلَامةً مِنْ لَدُنْكَ تُرْشِدُ بِهَا الْقَوْمَ إِلَى صِحَّةِ دَعْوَتِي، وَصِدْقِ بُيُوتِي، وَارْزُقْنَا رِزْقاً هَنِيئاً بِلَا كَلْفَةٍ، وَلَا تَعَبٍ، وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ رَزَقَ عِيداً - فَرِحاً وَسُروراً أَوْ يَوْماً نُعَظِّمُهُ.

١١٢ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى

أَبْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ
أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ

١١٣ قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا

وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ
صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهِمْ مِنَ
الشَّاهِدِينَ

١١٤ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا

أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وَعَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ

(الْعَالَمِينَ)

(١١٥) - فَقَالَ اللَّهُ لِعِيسَى: إِنَّهُ اسْتَجَابَ لِدُعَائِهِ، وَإِنَّهُ سَيُنَزِّلُ الْمَائِدَةَ الَّتِي سَأَلَهَا، وَلَكِنَّهُ نَبَّهَهُ إِلَى أَنَّهُ سَيُعَاقَبُ مَنْ يَكْفُرُ بَعْدَ أَنْزَالِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكُبْرَى (الْمَائِدَةِ) عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

(يَا عِيسَى) (أَنْتَ) (سُبْحَانَكَ) (عَلَامٌ)

(١١٦) - وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ مَا يَقُولُهُ رَبُّكَ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَجْمَعُ الرُّسُلَ، فَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا أَجَابْتَهُمْ بِهِ أَمُّهُمْ، ثُمَّ يُذَكِّرُ عِيسَى بِأَفْضَالِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى وَآلِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ بِحُضُورِ مَنْ أَخَذُوهُ وَأُمَّهُ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ: هَلْ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ - أَيْ مُتَجَاوِزِينَ بِذَلِكَ تَوْحِيدَ اللَّهِ وَإِفْرَادَهُ بِالْعِبَادَةِ؟ فَيَنْكُرُ عِيسَى أَنْ يَكُونَ قَالَ ذَلِكَ، وَيَقُولُ لِلَّهِ تَعَالَى: سُبْحَانَكَ! وَتَنَزَّهَ أَسْمُكَ، لَيْسَ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي حَقُّ يَقُولِهِ، فَإِذَا كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ أَنْتَ، لِأَنَّكَ عَلَامُ الْغُيُوبِ، وَتَعْلَمُ مَا تُخْفِي الْعِبَادَ وَمَا تُعْلِنُ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، لِأَنَّكَ رَبِّي وَخَالِقِي، وَأَنَا عَبْدُكَ لَا أَعْرِفُ مَا فِي نَفْسِكَ. سُبْحَانَكَ - تَنْزِيهَا لَكَ مِنْ أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ.

(١١٧) - إِنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُمْ فِي أَمْرِ الْإِيمَانِ، وَأَسَاسِ الدِّينِ إِلَّا الَّذِي أُرْسَلْتُنِي بِهِ، وَأَمَرْتَنِي بِإِبْلَاغِهِ، وَهُوَ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، وَكُنْتُ شَهِيدًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ حِينَ كُنْتُ حَيًّا بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الشَّاهِدُ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. تَوَفَّيْتَنِي - أَخَذْتَنِي إِلَيْكَ وَافِيًّا.

(١١٨) - يَزِدُّ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْأَمْرَ وَالْمَشِيئَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يُسَالُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسَالُونَ. وَيَقُولُ: إِنَّ أَمْرَ الْعِبَادِ مَوْكُوفٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ عَذَّبَهُمْ فَبِذُنُوبِهِمْ، فَهُوَ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ، وَإِنْ يَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّهُ تَعَالَى الْغَفَّارُ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَحُكْمِهِ.

(الصَّادِقِينَ) (جَنَّاتُ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ)

(١١٩) - وَحِينَ تَبَرَّأَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ عِبَادَةِ مَنْ عَبَدُوهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِصِدْقِهِ، قَالَ تَعَالَى: هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُنْفَعُ فِيهِ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ، وَالْمُوحِدِينَ تَوْحِيدُهُمْ، وَسَتَكُونُ لِلصَّادِقِينَ جَنَّاتُ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا، جَزَاءً وَفَاقًا لَهُمْ، وَسَيَكُونُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، وَلَقَدْ

١١٥ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ

١١٦ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ

١١٧ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

١١٨ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

١١٩ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ

فَازُوا بِرِضَا رَبِّهِمْ وَرِضْوَانِهِ، وَرَضُوا عَمَّا أَكْرَمَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ، وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٢٠) - اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ بِجَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ، وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، وَالْجَمِيعُ مُلْكُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَالْمَسِيحُ وَأُمُّهُ اللَّذَانِ عَبْدُهُمَا الْكَافِرُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ، ذَا جِلَالٍ تَحْتَ قُبْضَتِهِ، فَلَا يُنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى شَفَاعَتِهِمَا فِيهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(٦) سُورَةُ الْاِنْعَامِ مَكِّيَّةٌ وَاَيَاتُهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ وَفَاتَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(السَّمَاوَاتِ) (الظُّلُمَاتِ)

(١) - الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا لِلنَّاسِ، فَهُوَ الْمُسْتَوْجِبُ لِلْحَمْدِ عَلَى أَنْعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ ظُلُمَةً اللَّيْلِ وَنُورَ النَّهَارِ (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُرَادُ بِالظُّلُمَةِ وَالنُّورِ هُنَا الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ)، وَمَعَ وَضُوحِ ذَلِكَ لِكُلِّ ذِي بَصِيرَةٍ فَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَعْدِلُونَ بِاللَّهِ سِوَاهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الْأُخْرَى، وَيُسَوُّونَهُمْ بِهِ فِي الْعِبَادَةِ، مَعَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَرْيَابِ وَالشُّرَكَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. جَعَلَ - أَنْشَأَ وَأَبْدَعَ وَخَلَقَ. يَرْبَهُمْ يَعْدِلُونَ - يُسَوُّونَ غَيْرَهُ بِهِ فِي الْعِبَادَةِ.

(٢) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ مِنْ طِينٍ (أَيٍّ مِنْ تُرَابٍ خَالِطُهُ مَاءٌ)، وَأَنْشَرَ مِنْهُ أَبْنَاؤَهُ فَهُمْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ قَضَى بِأَنْ يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ أَجَلٌ مُحَدَّدٌ، تَنْتَهِي بِهِ حَيَاتُهُ، وَجَعَلَ لِلْخَلَائِقِ جَمِيعًا أَجَلًا تَنْتَهِي بِهِ الْحَيَاةُ بِتَمَامِهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَبْعَثُهُمُ اللَّهُ مَرَّةً أُخْرَى. وَيَجْمَعُهُمُ لِلْحِسَابِ، وَقَدْ اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ بِعِلْمِ مَوْعِدِ قِيَامِ السَّاعَةِ (أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ)، فَلَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهَنَّاكَ أَنْاسٌ يَشْكُونَ فِي أَمْرِ السَّاعَةِ. قَضَى أَجَلًا - قَدَّرَ زَمَانًا مُعَيَّنًا لِلْمَوْتِ. أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ - زَمَنٌ مُعَيَّنٌ لِلْبَعْثِ آسَاطِيرُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ. تَمْتَرُونَ - تَشْكُونَ فِي الْبَعْثِ أَوْ تَنْكَرُونَهُ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٣) - وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي يَعْبُدُهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَدِينُونَ لَهُ بِالْأُلُوهِيَّةِ، رَغْبًا وَرَهْبًا، وَلَا يَشُدُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَفَرَ مِنَ الْإِنْسِ

① الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

② هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ
قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ.
ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ

③ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي

الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ

وَالْجِنَّ، وَهُوَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا يُسِرُّ الْخَلْقُ وَمَا يُعْلِنُونَ، وَيَعْلَمُ جَمِيعَ مَا يَعْمَلُهُ الْخَلْقُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ يُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْحِسَابِ.

(آيَة) (آيَات)

(٤) - وَمَا تَنْزِلُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ تَلْفُتُ أَنْظَارَهُمْ إِلَى مَا أْبَدَعَهُ الْخَالِقُ مِنْ صُنْعٍ فِي خَلْقِهِ هَذَا الْكَوْنِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْأُلُوْهِيَّةِ، وَعَلَى صِدْقِ مَا أَرْسَلَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، إِلَّا أُعْرِضَ عَنْهَا هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةُ الْمُكْذِبُونَ، اسْتَهْزَأُوا وَاسْتَكْبَرُوا غَيْرَ مُتَدَبِّرِينَ مَعْنَاهَا، وَلَا مُتَفَكِّرِينَ فِي دَلَالَتِهَا.

(أَنْبَاء) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(٥) - وَيَسَبِّ إِعْرَاضُهُمْ عَنِ النَّظَرِ فِي الْآيَاتِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهَا، فَقَدْ كَذَّبُوا بِدِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، لَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَمْ يَتَرَفَّضُوا، وَلَمْ يَتَدَبَّرُوا مَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَهُدًى، وَسَيَرُونَ عَاقِبَةَ التَّكْذِيبِ وَالِاسْتَهْزَاءِ، حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ الْعُقُوبَاتُ الْعَاجِلَةُ، الَّتِي أَشَارَتْ إِلَيْهَا الْآيَاتُ: مَنْ نَصِرَ الرَّسُولَ، وَأُظْهَرَ دِينَ اللَّهِ، وَإِعْزَازَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ... أَنْبَاءٌ - أَخْبَارٌ - وَهِيَ هُنَا مَا يَنَالُهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ.

(مَكَّنَّاهُمْ) (الْأَنْهَارَ) (فَأَهْلَكْنَاهُمْ) (آخِرِينَ)

(٦) - يَلْفُتُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْظَارَ الْكُفَّارِ مِنْ قُرَيْشٍ، الْمُكْذِبِينَ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَرُسُلِهِ، إِلَى الْأَمَمِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ رُسُلَهَا، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَكَانَ تَعَالَى قَدْ مَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِمَّا مَكَّنَ لَهُؤُلَاءِ الْمُكْذِبِينَ، وَأَمَدَّهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنٍ، وَجَعَلَهُمْ أَكْثَرَ قُوَّةً وَعِمَارَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَجَعَلَ السَّمَاءَ تُمَطِّرُهُمْ بِصُورَةٍ مُتَّالِيَةٍ، مَطَرًا غَزِيرًا (مَدْرَارًا)، وَفَجَّرَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ يَنَابِيعَ وَأَنْهَارًا، اسْتَدْرَجًا لَهُمْ وَإِمْلَاءً، ثُمَّ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَجَعَلَهُمْ كَأَمْسِ الدَّائِرِ. وَجَعَلَ، مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْهَالِكِينَ، أَجْيَالًا أُخْرَى (قَرْنًا آخِرِينَ) لِيُخْتَبِرَهُمْ، فَعَمِلُوا مِثْلَ أَعْمَالِ مَنْ كَانُوا قَبْلَهُمْ، فَاحْذَرُوا أَيُّهَا الْمُخَاطَبُونَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، فَمَا أَنْتُمْ بِأَعَزَّ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ. وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْعَذَابِ وَمُعَاجَلَةِ الْعُقُوبَةِ مِنْهُمْ، لَوْلَا لَطْفُ اللَّهِ وَإِحْسَانُهُ. كَمْ أَهْلَكْنَا - كَثِيرًا مَا أَهْلَكْنَا.

وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ

﴿١﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ

رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ

﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ

فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

﴿٦﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ

قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ

نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ

عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ

بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ

قَرْنًا آخَرِينَ

قَرْنٍ - أُمَّةٌ أَوْ جِيلٌ مِنَ النَّاسِ .
مَكَّنَاهُمْ - أَعْطَيْنَاهُمْ مِنَ الْمَكَّةِ وَالْقُوَّةِ .
مَذْرَأًا - غَزِيرًا كَثِيرَ الصَّبِّ أَوْ مُتَتَابِعًا .

(كِتَابًا)

(٧) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عِنَادِ الْمُشْرِكِينَ وَتَعَتُّبِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ لِلْحَقِّ،
فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ كِتَابًا مَسْطُورًا فِي وَرَقٍ، وَمَا أَشْبَهَهُ
مِمَّا يُكْتَبُ عَلَيْهِ (قِرْطَاسٍ)، وَعَايَنُوهُ وَرَأَوْا نُزُولَهُ بِأَعْيُنِهِمْ، وَلَمَسُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ، لَقَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ وَاضِحٌ .
كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ - كِتَابًا مَكْتُوبًا فِي وَرَقٍ أَوْ رَقٍّ مِمَّا يُكْتَبُ عَلَيْهِ .

(٨) - وَقَالُوا: هَلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مَلَكًا عَلَى مُحَمَّدٍ، لِيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا،
لِيَقْتَنَعُوا بِأَنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الرَّسُولِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا .
وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ قَائِلًا: إِنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ مَلَكًا، كَمَا
أَقْتَرَحُوا، وَلَمْ يُؤْمِنُوا لِقَضَى الْأَمْرِ بِإِهْلَاكِهِمْ، ثُمَّ لَا يُؤْخَرُونَ وَلَا يُمَهَّلُونَ
لِيُؤْمِنُوا، بَلْ يَأْخُذُهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا، كَمَا مَضَتْ بِذَلِكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِيمَنْ
قَبْلَهُمْ مِنَ الْمُكْذِبِينَ .

هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ رَدًّا عَلَى عَدَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنْ وَعَظَ
النَّاسَ وَأَبْلَغَهُمْ مَا أَمَرَهُ رَبُّهُ بِإِبْلَاغِهِ إِلَيْهِمْ: (لَوْ جُعِلَ مَعَكَ يَا مُحَمَّدُ مَلَكٌ
يُحَدِّثُ عَنْكَ النَّاسَ، وَيُرَى مَعَكَ) .
لَا يَنْظُرُونَ - لَا يُمَهَّلُونَ لِحُطَّةٍ بَعْدَ إِنْزَالِهِ .

(جَعَلْنَاهُ) (لَجَعَلْنَاهُ)

(٩) - وَلَوْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّسُولَ مَلَكًا، لَجَعَلَهُ مُتِمَّنًّا بِصُورَةِ رَجُلٍ مِنَ
الْبَشَرِ، لِيَتِمَّ كُنُوزُهُمْ مِنْ رُؤْيَاهُ، وَلِيَتِمَّ كُنُوزُهُمْ مِنْ مُخَاطَبَتِهِمْ وَالْحَدِيثِ مَعَهُمْ،
لِيُبَلِّغَهُمْ رِسَالَاتِ رَبِّهِ . وَلَوْ جَعَلَ اللَّهُ الْمَلَكَ الرَّسُولَ فِي صُورَةِ الْبَشَرِ
لَا تَنَسَّى الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ بَشَرٌ، لِأَنَّهُمْ لَا يُذَكَّرُونَ مِنْهُ إِلَّا صُورَتُهُ
وَصِفَاتِهِ الْبَشَرِيَّةُ الَّتِي يَتِمُّ لَهَا بِهَا، كَمَا يَلْتَنِسُ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ الْآنَ فِي
قَبُولِ رَسُولٍ مِنَ الْبَشَرِ .

لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ - لَخَلَطْنَا عَلَيْهِمْ وَأَشْكَلْنَا عَلَيْهِمْ حِينَئِذٍ مَا
يَخْلُطُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الْيَوْمَ .

﴿٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كِتَابٍ فِي قِرْطَاسٍ

فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ

﴿٨﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ

وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ
ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ

﴿٩﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ

رَجُلًا وَلَلْبَسْنَاهُ عَلَيْهِمْ مَا
يَلْبَسُونَ

(يَسْتَهْزِئُونَ)

(١٠) - وَيُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ عِنَادِ الْكُفَّارِ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ، فَيَقُولُ لَهُ: لَقَدْ اسْتَهْزَيْءَ بِرُسُلٍ جَاءُوا قَبْلَكَ، وَسَخَّرَ مِنْهُمْ الْكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَمِنْ الْعِقَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُمْ بِهِ، فَعَاقَبَ اللَّهُ الَّذِينَ سَخَرُوا مِنْهُمْ فَدَمَّرَهُمْ، وَنَصَرَ رُسُلَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. حَاقَ - أَحَاطَ أَوْ نَزَلَ.

(عَاقِبَةُ)

(١١) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأُولَئِكَ الْمُكَذِّبِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الْجَاحِدِينَ بِمَا جِئْتُهُمْ بِهِ: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ، وَتَتَّبِعُوا أَخْبَارَ الْأُمَمِ الَّتِي عَاشَتْ فِيهَا، ثُمَّ أَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ نِهَآيَةُ الْمُكَذِّبِينَ، وَعَاقِبَةُ بَغْيِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَاعْتَبِرُوا بِذَلِكَ الْمَصِيرِ.

(السَّمَاوَاتِ) (الْقِيَامَةِ)

(١٢) - قُلْ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لِقَوْمِكَ الْمُكَذِّبِينَ الْجَاحِدِينَ لِرِسَالَتِكَ، الْمُعْرِضِينَ عَنْ دَعْوَتِكَ: لِمَنْ هَذِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَمَنْ خَلَقَهَا؟ وَبِمَا أَنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ كَانُوا يَقْرُونَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ مَالِكُهَا الْمُتَقَرِّدُ، وَأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عِبِيدُهُ، فَسَيَقُولُونَ: إِنَّهُ اللَّهُ، وَهَذَا لَا خِلَافَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فِيهِ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ الَّذِي تَقْرُونَ بِمُلْكِهِ لِلْكَوْنِ قَدْ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ بِخَلْقِهِ، إِذَا أَفَاضَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا، وَمِنْ مُقْتَضَى هَذِهِ الرَّحْمَةِ أَنْ لَا يُعْجَلَ الْعُقُوبَةُ لِلنَّاسِ، وَأَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ، إِذَا تَابُوا وَعَمِلُوا أَعْمَالاً صَالِحَةً، وَأَنَّهُ سَيَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - وَهُوَ يَوْمُ آتٍ قَرِيبٍ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ - لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، لِيُنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ الْجَزَاءَ الْعَادِلَ عَنِ عَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى أَنْ يَبَيِّنَ لِعِبَادِهِ هَذَا، لِيَحْذَرُوا، وَلِيُحْسِنُوا الْعَمَلَ، فَلَوْلَا خَوْفُ النَّاسِ مِنَ الْعِقَابِ وَالْحِسَابِ لَسَادَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا تَشَرُّ الظُّلُمِ.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْكَفْرِ، وَالتَّقْلِيدِ وَالتَّرَدُّدِ. لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ فِيمَا خَلَقَهَا اللَّهُ لَهُ مِنَ التَّفَكُّرِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْإِنْعَاطِ.

﴿١٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ

فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ

﴿١١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظُرُوا

كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ

﴿١٢﴾ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ
الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ

كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ - قَضَى وَأَوْجَبَ، تَفَضُّلاً مِنْهُ وَإِحْسَاناً، الرَّحْمَةَ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ.
خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ - أَهْلِكُوهَا وَعَبُّوْهَا بِالْكَفْرِ.

(اللَّيْلِ)

(١٣) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْخَلْقِ كُلِّهِ دَقِيقِهِ وَجَلِيلِهِ، كَمَا يَشَاءُ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الرُّبُوبِيَّةِ الْكَامِلَةِ، وَجَمِيعُ مَا فِي الْوُجُودِ عِبَادَ اللَّهِ، وَخَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُمْ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَتَصَرُّفِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ سَمْعُهُ تَعَالَى بِكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُسْمَعَ، مَهْمَا يَكُنْ خَفِيًّا، كَمَا أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَرَكَاتِ الْعِبَادِ، وَمِمَّا يُبْرُونَ فِي صَمَائِرِهِمْ.
مَا سَكَنَ - مَا اسْتَقَرَّ وَحَلَّ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٤) - قُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَطْلُبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً، وَلَا فِعْلاً وَلَا مَنَعاً، وَلَا أَتَّخِذُ غَيْرَهُ تَعَالَى وَلِيّاً لِي، فَهُوَ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَخَالِقُهُمَا وَمُبْدِعُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.
وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُ الْعِبَادَ الطَّعَامَ، وَلَيْسَ هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَرْزُقُهُ وَيُطْعِمُهُ، لِأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَقُلْ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ اسْتَبَانَ لَهُمْ الْأَدِلَّةُ عَلَى وَجُوبِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ: لَقَدْ أَمَرَنِي رَبِّي، جَلَّ شَأْنُهُ وَعَلَا، أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، وَأَنْقَادَ لِأَمْرِهِ، مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ الَّتِي يُعْنَتُ فِيهَا، فَلَا أَدْعُو إِلَى شَيْءٍ إِلَّا كُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَقَدْ أَمَرَنِي رَبِّي بِالْأَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ لِيُقَرَّبُوهُمْ إِلَيْهِ رُزْقِي.

وَلِيّاً - مَعْبُوداً وَنَاصِراً وَمُعِيناً.

فَاطِرٍ - خَالِقٍ وَمُبْدِعٍ.

هُوَ يُطْعِمُ - هُوَ يَرْزُقُ عِبَادَهُ.

مَنْ أَسْلَمَ - مَنْ خَضَعَ لِلَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ وَأَنْقَادَ لَهُ.

(١٥) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَعْصِي رَبِّي لِأَنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ أَوْامِرَهُ أَنْ يَمَسَّنِيَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ لَا تَنْفَعُ فِيهِ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.



وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيّاً فَاطِرُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا
تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

(يَوْمَئِذٍ)

(١٦) - وَمَنْ يُحَوِّلْ عَنْهُ الْعَذَابَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبَ (يُصْرِفُ عَنْهُ)،
فَيَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ رَحِمَهُ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ النِّجَاةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
الْعَظِيمِ مِنَ الْعَذَابِ، ثُمَّ دُخُولِ الْجَنَّةِ، هُمَا الْفَوْزُ الَّذِي لَا فَوْزَ أَعْظَمُ
مِنْهُ.
صُرِفَ عَنْهُ - جُنِبَ وَأُبْعِدَ عَنْهُ.

(١٧) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَالِكَ الصُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَأَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ
بِمَا يَشَاءُ، لَا مُعَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ
يُصِيبَكَ خَيْرٌ فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّ مَا
قَدَرَهُ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ أَنْ لَا يَسْأَلَ فِي الشَّدَائِدِ غَيْرَ اللَّهِ، لِأَنَّ مَنْ
دُونَهُ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا لِيَغَيِّرَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا.

(١٨) - وَهُوَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ رِقَابُ الْعِبَادِ، وَذَلَّتْ لَهُ الْجَبَابِرَةُ، وَفَهَرُ كُلِّ
شَيْءٍ، وَذَانَتْ لَهُ الْخَلَائِقُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ، فَلَا يَقَعُ فِي
تَذْيِيرِهِ خَلَلٌ، وَهُوَ الْخَبِيرُ بِمَوَاضِعِ الْأَشْيَاءِ وَمَحَالِّهَا، فَلَا يُعْطِي إِلَّا مَنْ
يَسْتَحِقُّ، وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا عَمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْمَنْعَ عَنْهُ.
الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ - الْمُسَيِّرُ عَلَيْهِمْ.

(شَهَادَةُ) (الْقُرْآنُ) (أَتَيْنُكُمْ) (الْهَةِ) (وَاحِدٌ)

(١٩) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَسْأَلَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ عَنْ أَيِّ شَهَادَةٍ
هِيَ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ، وَأَجْذَرُ بَأَنْ تَكُونَ أَصَحُّ الشَّهَادَاتِ وَأَصْدَقُهَا؟ ثُمَّ يَأْمُرُهُ
بَأَنْ يُجِيبَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ: بِأَنْ أَكْبَرَ الْأَشْيَاءِ شَهَادَةُ هُوَ مَنْ لَا يَجُوزُ
أَنْ يَقَعَ فِي شَهَادَتِهِ كَذِبٌ وَلَا خَطَأٌ وَلَا زُورٌ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى. وَهُوَ الشَّهِيدُ
بِنَبِيِّ وَبَيْنُكُمْ، وَهُوَ الَّذِي أَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ عِقَابَهُ عَلَى
تَكْذِيبِي فِيَمَا جِئْتُكُمْ بِهِ، مُؤَيِّدًا بِشَهَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنْذِرَ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ
هَذَا الْقُرْآنُ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ فَهُوَ مَدْعُوٌّ إِلَى اتِّبَاعِهِ حَتَّى تَقُومَ
الْقِيَامَةُ. وَشَهَادَتُهُ تَعَالَى هِيَ شَهَادَةُ آيَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَآيَاتِهِ فِي الْأَنْفُسِ
وَالْأَكْوَانِ، وَآيَاتِهِ فِي الْعَقْلِ وَالْوِجْدَانِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلِّغُوا عَنِ اللَّهِ فَمَنْ بَلَغَتْهُ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ
بَلَغَهُ أَمْرُ اللَّهِ).

ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ بِأَنْ يَقُولَ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: إِنْ كُنْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ
مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى، فَأَنَا لَا أَشْهَدُ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، خَلَقَ كُلَّ

١٦ مَنْ يُصْرِفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ

١٧ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ
يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ

١٨ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

١٩ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ
شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ
هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لَأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ
بَلَغَ أَيْبُكُمْ لَنَشْهَدُوهُ أَنْتَ مَعَ
اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ
قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي
بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ

شَيْءٍ، وَخَضَعَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، وَإِنِّي بِرِيءٍ مِمَّا تُشْرِكُونَ بِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ.
مَنْ بَلَغَ - مَنْ بَلَغَ الْقُرْآنَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

(آيَاتُهُمْ) (الْكِتَابِ)

(٢٠) - إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَعْرِفُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالرُّسُلِ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَنْبَاءَهُمْ، بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَنْبَاءِ، عَنِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَقَدْ بَشَّرَ الرُّسُلُ كُلَّهُمْ بِعِثَةِ مُحَمَّدٍ وَنَعْتِهِ، وَصَفَتِهِ وَمَكَانِ هَجْرَتِهِ، وَصَفَةِ أُمَّتِهِ... وَالَّذِينَ أَنْكَرُوا بُيُوتَ مُحَمَّدٍ وَرِسَالَتَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ، عَلَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ كَعِلَّةٍ مَنْ أَنْكَرُواهَا مِنْ زُعَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَهِيَ الْخَوْفُ مِنْ فَقْدَانِ الرَّعَامَةِ وَالرِّيَاسَةِ، لِذَلِكَ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يُعَدُّونَ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ لِإِثَارِهِمْ الْجَاهَ وَالرِّيَاسَةَ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ، الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا فِي كُتُبِهِمْ.

(بَيَاتِهِ) (الظَّالِمُونَ)

(٢١) - لَا أَحَدٌ أَكْثَرَ ظُلْمًا مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، كَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ وَلَدًا أَوْ شَرِيكًا... أَوْ زَادَ فِي دِينِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ الْمُنَزَّلَةِ كَالْقُرْآنِ، أَوْ آيَاتِهِ الْكُتُوبِيَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، أَوْ الَّتِي يُؤَيِّدُ بِهَا رَسُولُهُ الْكَرَامَ...

وَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ يَكُونُ أَظْلَمَ الظَّالِمِينَ، وَلَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ يَوْمَ الْحِسَابِ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي النَّارِ، وَلَا يَقُوزُونَ بِنَعِيمِ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ.

(٢٢) - وَأَذْكُرْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ مَا يَحْصُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يُحْشَرُ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مِنْهُمْ - وَهُمْ أَشَدُّهُمْ ظُلْمًا -: أَيْنَ الشُّرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ أَوْلِيَاؤُكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ تَزْعُمُونَ أَنَّ لَهُمْ شَرِيكَ فِي الْإِلَهِيَّةِ؟

(٢٣) - وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعْذِرَةٌ يَتَعَذَّرُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، عَنْ كُفْرِهِمْ وَشُرْكِهِمْ وَسُوءِ عَمَلِهِمْ، إِلَّا أَنْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ.

(وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ جِئَ يَرَوْنَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: (تَعَالَوْا نَجْهَدْ)، فَيَقُولُونَ: (وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)، فَيُخْتَمُ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَتَشْهَدُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا).

﴿٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ.

كَمَا يَعْرِفُونَ أَنْبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ

﴿٢٢﴾ وَيَوْمَ نُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ

لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ
الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ

﴿٢٣﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا

وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَقْتُونِينَ بِشُرْكِهِمْ، مُتَهَالِكِينَ فِي حُبِّهِ، وَالْقِتَالِ دُونَهُ، وَحِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ تَكُونُ عَاقِبَةُ هَذَا الشَّرْكَ الْجُحُودَ بِهِ، وَالتَّبَرُّؤَ مِنْهُ).
فَتَنَّتْهُمْ - مَعِدَرَتُهُمْ أَوْ عَاقِبَةُ شُرْكِهِمْ.

(٢٤) - وَبَتَّعَجِبَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كَذِبِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِإِنْكَارِهِمْ صُدُورَ الْإِشْرَاقِ عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ: أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا، بِالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ الَّتِي أَقْسَمُوا بِهَا لِنَفْسِي شُرْكِهِمْ، وَكَيْفَ ذَهَبَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ مِنَ الْإِشْرَاقِ، حَتَّى نَقُوا صُدُورَهُ عَنْهُمْ.
ضَلَّ عَنْهُمْ - غَابَ عَنْهُمْ وَزَالَ.

(أَذَانِهِمْ) (آيَةٍ) (يُجَادِلُونَكَ) (أَسَاطِيرُ)

(٢٥) - قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ:

(جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو سُفْيَانَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو جَهْلٍ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَاسْتَمَعُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ. فَقَالُوا لِلنَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ: يَا أَبَا قَتِيلَةَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ وَالَّذِي جَعَلَ الْكَعْبَةَ بَيْتَهُ مَا أَدْرِي مَا يَقُولُ، إِلَّا أُنِي أُرَاهُ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ يَتَكَلَّمُ بِأَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ، مِثْلَ مَا كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ بِهِ عَنِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ.

وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنِّي لَأَرَى بَعْضَ مَا يَقُولُ حَقًّا. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: كَلَّا. فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ أَوَّلَئِكَ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَتْلُو الْقُرْآنَ دَاعِيًا إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَمُبَشِّرًا وَمُنْذِرًا، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَغْطِيَةً، تَحُولُ دُونَ فَهْمِهِ، وَجَعَلَ فِي أَذَانِهِمْ وَقْرًا وَصَمًّا وَثِقَلًا يَحُولُ دُونَ سَمَاعِهِ إِذَا أَرَادُوا تَذَبُّرَهُ، وَالْوُصُولَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْهِدَايَةِ وَالرُّشْدِ.

وهؤلاء لا يؤمنون وإن رأوا كُلَّ آيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِحَّةِ بُيُوتِكَ، وَصِدْقِ دَعْوَتِكَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَهَا وَلَا يُدْرِكُونَ الْمُرَادَ مِنْهَا، وَإِذَا جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ فِي دَعْوَتِكَ قَالُوا: مَا هَذَا الَّذِي تَتْلُوهُ إِلَّا قِصَصُ الْأَوَّلِينَ وَخُرَافَاتُهُمْ، تَسْطَرُّ وَتُكْتَبُ كَخَيْرِهَا مِنَ الْأَنْبَاءِ فَلَا عِلْمَ فِيهَا وَلَا فَايِدَةَ.

أَكِنَّةٌ - أَغْطِيَةٌ.

وَقْرًا - صَمًّا، وَثِقَلًا فِي السَّمْعِ.

﴿٢٤﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

﴿٢٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا

عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي

أَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ

لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ

يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ

هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - قَصَصُ الْأَوَّلِينَ وَخُرَافَاتُهُمُ الْمُسْطَرَّةُ فِي كُتُبِهِمْ.
(وَيَنَازُونَ)

(٢٦) - وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، الْمُعَانِدُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، الْجَاحِدُونَ لِنُبُوَّتِهِ، يَتَّبِعُونَ عَنِ النَّبِيِّ، وَلَا يَأْتُونَ إِلَيْهِ (يَنَازُونَ عَنْهُ) كُرْهًا لَهُ، وَفُجُورًا مِنْهُ، وَاسْتِكْبَارًا عَلَى الْحَقِّ. وَيَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِ مَخَافَةَ أَنْ يُسَلِّمُوا وَيَهْتَدُوا إِلَى الْإِيمَانِ (وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ)، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ بِهَذَا الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ، وَالصَّدْعِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ.

يَنَازُونَ عَنْهُ - يَبْعُدُونَ عَنِ الرَّسُولِ بِأَنْفُسِهِمْ.
وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ - يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا إِلَى الرَّسُولِ.

(يَا لَيْتَنَا) (بَيِّنَات)

(٢٧) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ تَقْفُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَحْتَسِبُونَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ (أَوَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ هَذَا الْقُرْآنَ): لَوْ تَرَى مَا يَجْعَلُ بِهِؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْفَزَعِ وَالْهَوْلِ، وَالْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ، عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، لَرَأَيْتَ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ.

وَيَتَمَنَّى هَؤُلَاءِ أَنْ يَرُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا لِيُؤْمِنُوا، وَلِيَعْمَلُوا عَمَلًا صَالِحًا يَرْضَى اللَّهُ، وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الرَّدِّ إِلَى الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ تَمَنَّى الْمُسْتَحِيلِ.

وَقِفُّوا عَلَى النَّارِ - حُسِبُوا عِنْدَهَا أَوْ عَرَفُوهَا.

(لَكَادِبُونَ)

(٢٨) - وَحِينَ تَقْفُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَحْتَسِبُهُمْ عِنْدَ النَّارِ، يَظْهَرُ لَهُمْ سُوءُ عَاقِبَةِ مَا كَانُوا يُخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ، مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْمُعَانَدَةِ، وَإِنْ أَنْكَرُوهَا.

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى): وَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ صَدَقِ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانُوا يَكْتُمُونَهُ وَيُظْهِرُونَ لِاتِّبَاعِهِمْ غَيْرَ ذَلِكَ).

وَلَوْ أَنَّهُمْ أُعِيدُوا إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لَعَادُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَالتَّكْذِيبِ وَالْمُعَانَدَةِ. وَهُمْ كَاذِبُونَ فِي تَمَنِّيهِمُ الْعَوْدَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيُؤْمِنُوا، وَلِيَعْمَلُوا صَالِحًا، وَلَا يُكَذِّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ.

﴿٦٦﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ
وَإِنْ يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ

﴿٦٧﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُّوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا
يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نَكْذِبُ بَيِّنَاتٍ
رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿٦٨﴾ بَلْ بَدَأَهُمُ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ
وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَانِهِمْ عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

(٢٩) - وَلَوْ رُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا، لَعَادُوا إِلَى قَوْلِ مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ مِنْ قَبْلُ، فِي الدُّنْيَا: إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، وَلَا مَعَادَ بَعْدَهَا وَلَا رَجْعَةَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا حَشَرَ بَعْدَ، وَلَا حِسَابَ.

(٣٠) - وَلَوْ تَرَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، جِئَ تَقَفُّهُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، لِهَالِكِ أَمْرِهِمْ، وَلَا سِتْشَعَتْ مِنْظَرُهُمْ وَلَرَأَيْتَ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصَفُ فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى قَائِلًا: أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ النَّبْثِ، هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ؟ وَلَيْسَ هُوَ بِبَاطِلٍ كَمَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ؟ فَيَرُدُّونَ مُسْتَمِينَ بِأَنَّهُ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ. فَيَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: مَا دَامَ الْأَمْرُ كَمَا اعْتَرَفْتُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ جَزَاءً لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ رُسُلَ رَبِّهِمْ. وَفُتُّوا عَلَى رَبِّهِمْ - حَسِبُوا عَلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى لِلسُّؤَالِ.

(يَا حَسْرَتَنَا)

(٣١) - لَقَدْ خَسِرَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ، الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْحَشْرِ، وَلِقَاءِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ لِلْحِسَابِ، كُلُّ مَا رَبِحَهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَقَازُوا بِهِ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَسْتَمِرُّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ فِي ضَلَالِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، وَبَاطِلِهِمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ فَجَاءَةً دُونَ سَابِقِ إِذْذَارٍ، فَجَبِينِيذٍ يُدْرِكُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ. وَيَقُولُونَ: يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا قَرَّطْنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا فَكَذَّبْنَا وَاسْتَكْبَرْنَا، وَاسْتَسْلَمْنَا لِلشَّهَوَاتِ، وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنَّهُ لَا حَيَاةَ أُخْرَى، وَلَا بَعْثَ وَلَا حِسَابَ. وَيَأْتُونَ اللَّهَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ ذُنُوبَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ عَلَى طُهُورِهِمْ وَكَأَنَّهُا الْأَحْمَالُ الثَّقِيلَةُ (أَوْزَارُهُمْ)، وَمَا أَسْوأَ مَا يَحْمِلُونَ. بَغْتَةً - فَجَاءَةً.

قَرَّطْنَا فِيهَا - قَصَّرْنَا وَصَيَّعْنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.
أَوْزَارُهُمْ - أَحْمَالُهُمْ - وَهِيَ هُنَا ذُنُوبُهُمْ وَخَطَايَاهُمْ.

(الْحَيَاةُ)

(٣٢) - لَيْسَتْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، الَّتِي قَالَ الْكُفَّارُ إِنَّهَا لَا حَيَاةَ غَيْرُهَا، إِلَّا لَهَوٌ وَلَعِبٌ، فَهِيَ دَائِرَةٌ بَيْنَ عَمَلٍ لَا عَاقِبَةَ لَهُ، وَلَا فَائِدَةَ، وَبَيْنَ عَمَلٍ فَائِدَتُهُ عَاجِلَةٌ غَائِبَتُهَا دَفْعُ الْهُمُومِ وَالْآلَامِ. وَمَتَاعُ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ قَصِيرُ الْأَجَلِ، لَا يُبْنِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَغْتَرَّ بِهِ. وَالْدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الدُّنْيَا، لِمَنْ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَيَتَّقُونَ عَوَاقِبَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، فَكَيْفَ

وَقَالُوا إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ

وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَّقُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

فَدَخَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا قَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

يَفُوتُكُمْ ذَلِكَ، وَلَا تَعْفُلُوهُ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ بِأَعْيُنِكُمْ مَا يَحِلُّ بِالنَّاسِ مِنْ مَوْتٍ وَفَوَاجِعٍ؟

(الظَّالِمِينَ) (بَيِّنَاتٍ)

(٣٣) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّا نَعْلَمُ تَكْذِيبَ قَوْمِكَ لَكَ، وَنَعْلَمُ حُزْنَكَ وَأَسْفَكَ لِمَا يَقُولُونَ.

وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ الْكَافِرِينَ يُعَانِدُونَ الْحَقَّ، وَيَدْفَعُونَهُ بِصُدُورِهِمْ، وَلَيْسَتْ غَايَتُهُمْ تَكْذِيبُكَ أَنْتَ، وَلَكِنَّهُمْ يُكْذِبُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ. (كَمَا قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّا لَا نَكْذِبُكَ، وَلَكِنْ نَكْذِبُ مَا جِئْتَ بِهِ).

وَيَوْمَ بَدْرَ جَاءَ الْأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ إِلَى أَبِي جَهْلٍ وَآخَتَيْ بِهِ، وَقَالَ لَهُ: لَيْسَ بَيْنَنَا أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ، أَخْبَرَنِي يَا أَبَا الْحَكَمِ عَنْ مُحَمَّدٍ أَصَادِقٌ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: وَنَحْكَ وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ، وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ، وَلَكِنْ إِذَا ذَهَبَتْ بَنُو قُصَيٍّ بِاللَّوَاءِ وَالسَّقَايَةِ وَالْحِجَابَةِ وَالنَّبُوءَةِ فَمَاذَا يَبْقَى لِسَائِرِ قُرَيْشٍ؟

(أَنَاهُمْ) (لِكَلِمَاتٍ) (نَبَأٍ)

(٣٤) - بَلِّغَتْ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ رَسُولِهِ إِلَى مَا لَقَاهُ الرُّسُلُ قَبْلَهُ مِنْ تَكْذِيبِ أَقْوَامِهِمْ لَهُمْ، فَصَبَرُوا عَلَى الْإِذَاءِ وَالتَّكْذِيبِ، حَتَّى جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ أَنْ تَتَأَسَّى بِهِمْ، وَتَصْبِرَ، فَكَمَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ مِنْ سَبَقِكَ مِنَ الرُّسُلِ، كَذَلِكَ سَيَنْصُرُكَ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِكَ الْكَافِرِينَ، وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ الَّتِي قَضَى فِيهَا أَنْ النَّصْرَ وَالْعَاقِبَةَ سَتَكُونَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَقَدْ جَاءَكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ نَبَأُ نَصْرِ اللَّهِ رُسُلُهُ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُمْ وَعَادَاهُمْ مِنْ أَقْوَامِهِمْ، فِيمَا قَصَّ عَنْكَ رَبُّكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ قَبْلَكَ، وَفِي ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لَكَ، وَتَنْبِيْهُ.

(وَيُرَوَّى أَنَّ سُورَةَ الْأَنْعَامِ نَزَلَتْ بَيْنَ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ وَالنَّمْلِ وَهُودٍ وَالْقَصَصِ وَالْحَجْرِ، الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى أَنْبَاءِ الْمُرْسَلِينَ بِالتَّفْصِيلِ).
لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ - لَا مُغَيِّرَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ رُسُلُهُ مِنَ النَّصْرِ.

(بَيِّنَاتٍ) (الْبَاهِلِينَ)

(٣٥) - كَانَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يَقْتَرِحُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَاتٍ لِيُؤْمِنُوا لَهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ اللَّهُ بَعْضُ مَا طَلَبُوا، جِزْصًا مِنْهُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَأَسْفًا وَحُزْنًا مِنْهُ عَلَى إِضْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالِاسْتِكْبَارِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْجَاهِلِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِنْ أَنَاهُمْ الرُّسُولُ بِمَا

﴿٣٣﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي

يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ

وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيِّنَاتِ

اللَّهِ يَجْحَدُونَ

﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ

فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا

حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ

لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ

نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ

﴿٣٥﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ

فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِعَى نَفَقًا

فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ

فَتَأْتِيَهُمْ بَيِّنَاتٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

يَطْلُبُونَ مِنَ الْآيَاتِ. لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِباً رَسُولَهُ ﷺ: إِنْ كَانَ قَدْ شَقَّ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْكَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ نَفَقٍ فِي الْأَرْضِ فَتَذْهَبَ فِيهِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ، أَوْ أَنْ تَجْعَلَ لَكَ سُلْماً تَرْتَقِي فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ لِتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ أَفْضَلَ مِمَّا أَتَيْتَهُمْ بِهِ فَافْعَلْ، فَلَايَاتٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْتِيَ بِمُعْجِزَةٍ مِنْ عِنْدِكَ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ هِدَايَتَهُمْ جَمِيعاً لَهْدَاهُمْ، وَلَجَمَعَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ سُنْنَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، فَتَتَمَنَّى مَا تَرَاهُ حُسْناً نَافِعاً، وَإِنْ كَانَ حُصُولُهُ مُتَمَنِّعاً.

(٣٦) - الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ، لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ، وَيَعُونُهُ، وَيَتَذَكَّرُونَهُ، فَيَعْقِلُونَ الْآيَاتِ، وَيُذَعِّنُونَ لِمَا عَرَفُوا بِهَا مِنَ الْحَقِّ، لِسَلَامَةٍ فِطْرَتِهِمْ، وَصَفَاءِ نَفْسِهِمْ، وَطَهَارَةِ قُلُوبِهِمْ. أَمَّا الَّذِينَ لَا تُرْجَى اسْتِجَابَتُهُمْ، لِأَنَّهُمْ كَالْمَوْتَى، لَا يَسْمَعُونَ السَّمَاعَ النَّافِعَ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ، فَيَتْرَكُ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ الَّذِي يَبْعَثُهُمْ، بَعْدَ مَوْتِهِمْ، لِيَحْسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَلَا تُهْلِكُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ، فَلَيْسَ فِي اسْتَطَاعَتِكَ هِدَايَتُهُمْ، وَلَا إِرْجَاعُهُمْ إِلَى جَادَةِ الصَّوَابِ.

(آيَةٌ) (آيَةٌ)

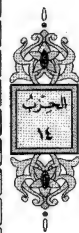
(٣٧) - كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ وَالْمَأْلُوفِ. وَبَرَدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً، وَلَكِنْ حِكْمَتُهُ أَقْتَضَتْ تَأْخِيرَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَوْ أُنْزِلَ آيَةٌ، وَفَقَّ طَلِبُهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَزِيدُوا بِهَا، لَعَاجَلَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، كَمَا فَعَلَ بِالْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ لَا يَعْلَمُونَ حِكْمَ اللَّهِ، وَسُنَّتَهُ فِي خَلْقِهِ.

(طَائِرٍ) (الْكِتَابِ)

(٣٨) - بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ الْآيَاتِ إِذَا رَأَى مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ إِزْرَالَهَا، ذَكَرَ مَا يُعَدُّ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى تِلْكَ الْقُدْرَةِ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يُوجَدُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَحْيَاءِ، الَّتِي تَذُبُّ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الطُّيُورِ الَّتِي تَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهِيَ أُمٌّ مُمَثِّلَةٌ لَكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ، لَهَا نِظَامُهَا، وَخَصَائِصُهَا، وَطَرِيقَةُ حَيَاتِهَا، وَمَعَاشُهَا. وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ أَثْبَتَهَا عِنْدَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، لَا يَنْسَى وَاحِداً مِنْهَا مِنْ رِزْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ. وَجَمِيعُ الْخَلَائِقِ تُحْشَرُ إِلَى رَبِّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ - فِي خَلْقِنَا لَهَا وَتَدْبِيرِنَا أُمُورَهَا.
مَا قَرَطْنَا - مَا أَغْفَلْنَا وَمَا تَرَكْنَا.

لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ



إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ
رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ
آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ

وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا تَطِيرُ
يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ
مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ

(بَيَاتِنَا) (الظُّلُمَاتِ) (صِرَاطِ)

﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوهُمْ

فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَسَاءِ اللَّهِ

يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

(٣٩) - وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ،

وَصَدَقَ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ مَثَلُهُمْ، فِي جَهْلِهِمْ، كَمَثَلِ الصَّمِّ الَّذِينَ لَا

يَسْمَعُونَ، الْبُكْمِ الَّذِينَ لَا يَنْطِقُونَ، وَهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ فِي ظُلُمَاتٍ لَا

يُبْصِرُونَ، فَكَيْفَ يَهْتَدِي أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى، وَيَخْرُجُونَ مِمَّا

هُمْ فِيهِ؟ وَاللَّهُ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ فَإِنْ أَرَادَ إِضْلَالَ إِنْسَانٍ، لَفَسَادٍ

قَصْدِهِ، تَرْكُهُ وَشَأْنُهُ، وَإِذَا أَرَادَ هِدَايَتَهُ، لِسَلَامَةِ قَصْدِهِ، يَسِّرْ لَهُ السَّبِيلَ فِي

طَرِيقِ الْإِيمَانِ الْوَاضِحِ الْمُسْتَقِيمِ .

فِي الظُّلُمَاتِ - ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْعِنَادِ وَالْكَفْرِ .

(أَرَأَيْتَكُمْ) (أَتَاكُمْ) (أَتَيْتَكُمْ) (صَادِقِينَ)

﴿٤٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ

اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْيَرَ اللَّهُ

تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(٤٠) - قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ: أَخْبِرُونِي إِنْ أَتَاكُمْ

عَذَابُ مِنَ اللَّهِ، كَالَّذِي نَزَلَ بِمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ،

أَوْ جَاءَتْكُمْ السَّاعَةُ بِأَهْوَالِهَا وَخَزْيِهَا وَنَكَالِهَا، وَبِعِثْتُمْ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ،

مَنْ تَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ، فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، لِيُكْشِفَ عَنْكُمْ مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنْ

الْبَلَاءِ؟ وَهَلْ تَفْرَعُونَ إِلَى الْأَلْهَةِ الَّتِي تَزْعُمُونَ شِرْكَتَهَا مَعَ اللَّهِ لِكُشْفِ

الْبَلَاءِ النَّازِلِ بِكُمْ، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ الْوَهْمِيَّةِ هَؤُلَاءِ

الشُّرَكَاء؟

أَرَأَيْتَكُمْ - أَخْبِرُونِي عَنْ عَجِيبِ أَمْرِكُمْ .

﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا

تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ

مَا تَشْرِكُونَ

(٤١) - إِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ لَا تَدْعُونَ فِي سَاعَةِ الْهَوْلِ وَالشَّدَةِ صَمًا وَلَا

وَتَنَا، وَإِنَّمَا تَدْعُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لِيُعْلِمَكُمْ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى كُشْفِ مَا

نَزَلَ بِكُمْ مِنْ بَلَاءٍ وَعَذَابٍ، وَتَنْسَوْنَ غَيْرَهُ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ . وَإِذَا شَاءَ

اللَّهُ أَنْ يَكْشِفَ مَا بِكُمْ مِنْ ضَرٍّ وَبَلَاءٍ كَشَفَهُ عَنْكُمْ .

(فَأَخَذْنَاهُمْ)

﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ

فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ

لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُّونَ

(٤٢) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أُرْسِلَ إِلَى الْأُمَمِ السَّالِفَةِ رُسُلًا يَدْعُونَهُمْ إِلَى

عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَكَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ،

فَأَبْلَاهُمُ اللَّهُ بِالْفَقْرِ، وَالضُّيْقِ، فِي الْعَيْشِ (فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ)، وَسَلَّطَ

عَلَيْهِمُ الْأَمْرَاضَ وَالْأَسْقَامَ وَالْآلَامَ (وَالضَّرَاءِ)، لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُّونَ إِلَى

اللَّهِ، وَيَخْشَعُونَ إِلَيْهِ، وَيَدْعُونَهُ لِيُكْشِفَ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ، فَقَدْ أَوْدَعَ اللَّهُ

تَعَالَى فِي فِطْرَةِ الْبَشَرِ أَنْ يَضْرَعُوا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ .

الْبَأْسَاءِ - الْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ .

الضَّرَاءُ - الْمَرَضُ وَالسَّقَمُ وَالزَّمَانَةُ.
يَتَضَرَّعُونَ - يَتَذَلَّلُونَ وَيَتَخَشَّعُونَ وَيَتَوَبُّونَ.

(الشَّيْطَانُ)

(٤٣) - فَهَلَا، إِذْ آتَلَاهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْبَلَاءِ، تَضَرَّعُوا إِلَيْهِ وَتَوَسَّلُوا، حِينَ جَاءَتْهُمْ مُقَدَّمَاتُ الْعَذَابِ، لِيُكْشِفَهُ عَنْهُمْ، وَلَكِنْ قُلُوبُهُمْ قَسَتْ فَلَمْ تَرِقْ وَلَمْ تَخْشَعْ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي وَالْمُعَانَدَةِ، وَحَسَنَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيُثْبِتُوا عَلَى مَا وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَيْهِ. جَاءَهُمْ بِأَسْنَا - أَنَاهُمْ عَذَابُنَا.

(أَبْوَابُ) (أَخَذْنَاهُمْ)

(٤٤) - فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَمَّا أَنْذَرَهُمْ بِهِ رَسُولُهُمْ، وَتَرَكُوا الْاهْتِدَاءَ بِهِ، وَتَنَاسَوْهُ وَجَعَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، اسْتَدْرَجَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ فَتَحَ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ، وَأَعْطَاهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُجِبُونَ وَيَخْتَارُونَ، وَزَادَهُمْ سِعَةً فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، فَلَمْ تَرْبِهِمُ النِّعْمَةُ، وَلَا شَكَّرُوا اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ وَالْآيَةِ، بَلْ دَفَعْتَهُمْ تِلْكَ النِّعْمَةُ إِلَى الْبَطْرِ وَالْأَسْرِ، فَفَرَحُوا بِذَلِكَ وَسُرُّوا، إِذْ ظَنُّوا أَنَّ الَّذِي أُوتُوا إِنَّمَا هُوَ بِأَسْتَحْقَاقِهِمْ، وَحِينَئِذٍ أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ بَغْتَةً، وَعَلَى حِينٍ غِرَّةٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا هُمْ يَأْسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ. (وَقَالَ قَتَادَةُ: مَا أَخَذَ اللَّهُ قَوْمًا قَطُّ إِلَّا عِنْدَ سَكْرَتِهِمْ، وَغِرَّتِهِمْ، وَنِعْمَتِهِمْ فَلَا تَعْتَرُوا).

مُبْلِسُونَ - يَأْسُونَ مِنَ الرَّحْمَةِ - أَوْ مُكْتَبُونَ.
أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ - أَغْدَقْنَا عَلَيْهِمُ النِّعَمَ الْكَثِيرَةَ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ.

(الْعَالَمِينَ)

(٤٥) - فَدَمَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ جَمِيعًا، أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا. وَإِذَا قَطَعَ اللَّهُ ذَابِرَ الْقَوْمِ (آخِرَهُمْ) فَقَدْ قَطَعَ أَوَّلَهُمْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ عَلَى مَا أَنْعَمَهُ عَلَى رُسُلِهِ، وَأَهْلٍ طَاعَتِهِ، بِإِظْهَارِ حُجَجِهِمْ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ مِنَ أَهْلِ الْكُفْرِ. ذَابِرُ الْقَوْمِ - آخِرُهُمْ.

(أَرَأَيْتُمْ) (وَأَبْصَارَكُمْ) (الآيَاتِ)

(٤٦) - قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ سَلَبْنَاكُمْ اللَّهُ قُدْرَتَكُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ، كَمَا مَنَحَكُمْوَهَا، وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ، فَلَمْ يَعُدْ يَصِلُ إِلَيْهَا شَيْءٌ، وَلَمْ تَعُدْ تَعْبِي شَيْئًا، فَهَلْ هُنَاكَ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ يَقْدِرُ عَلَى رَدِّ

٤٣ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا

وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

٤٤ فَلَمَّا دَسَّوْا مَا ذَكَّرُوا بِهِ

فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ

٤٥ فَقَطَّعَ ذَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

٤٦ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ

وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ

ثُمَّ هُمْ يَصِدُّونَ

ذَلِكَ إِلَيْكُمْ، إِذَا سَلَبَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ؟ بَلَا شَكَّ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ. فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ تُبَيِّنُ الْآيَاتِ وَالْحُجَجَ لِهَؤُلَاءِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ، وَأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ غَيْرَهُ، وَأَنَّ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَعَ هَذَا الْبَيَانِ، يُعْرِضُونَ عَنِ الْحَقِّ، وَيَصْرِفُونَ وُجُوهَهُمْ عَنِ الْآيَاتِ، وَيَصِدُّونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِهَا.

أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي مَا يَكُونُ خَالِكُكُمْ
نُصْرَفُ الْآيَاتِ - نُكَرِّرُ الْآيَاتِ بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ.
يَصِدُّونَ - يُعْرِضُونَ عَنِ الْآيَاتِ وَيَعْدِلُونَ.

(أَرَأَيْتُمْ) (أَتَاكُمْ) (الظَّالِمُونَ)

(٤٧) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ: أَخْبِرُونِي عَنْ خَالِكُكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ - الَّذِي قَضَتْ بِهِ سُنَّتُهُ فِي الْأَوَّلِينَ أَنْ يَنْزِلَهُ بِالْكَفَّارِ وَالْمُكَذِّبِينَ - مُبَاعِنًا، وَمُفَاجِئًا لَكُمْ، فَأَخَذَكُمْ عَلَى غِرَّةٍ مِنْكُمْ، وَلَمْ تَسْبِقْهُ مُقَدِّمَاتٌ، وَلَا أَمَارَاتٌ تُشْعِرُكُمْ بِقُرْبِ نَزْوِلِهِ بِكُمْ، أَوْ أَتَاكُمْ وَأَنْتُمْ تُعَانِيُونَهُ وَتَنْتَظِرُونَ إِلَيْهِ، فَهَلْ يَهْلِكُ اللَّهُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ أَصْرُوا عَلَى الشِّرْكِ وَالْحُجُودِ؟ وَلَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُهُ تَعَالَى، فِي مِثْلِ هَذَا الْعَذَابِ، أَنْ يُنْجِيَ مِنْهُ رُسُلَهُ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.
بَغْتَةً - فَجَاءَةً أَوْ لَيْلًا.
جَهْرَةً - مُعَانِيَةً - أَوْ نَهَارًا.

(آمَنَ)

(٤٨) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرْسِلُ الرُّسُلَ لِيُشِيرُوا، مَنْ آمَنَ، بِالْحَقِّ، وَحَسَنِ الثَّوَابِ، وَلِيُنْذِرُوا، مَنْ كَفَرَ وَعَنَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ، فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَهَؤُلَاءِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، مِمَّا يَنْتَقِبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلَا يَخْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

(بِآيَاتِنَا)

(٤٩) - أَمَّا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، فَإِنَّهُمْ سَيُصِيبُهُمُ الْعَذَابُ، بِمَا كَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، وَخَرَجُوا عَنْ أَوَامِرِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ.

(خَزَائِنِ)

(٥٠) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، الَّذِينَ يَقْتَرِحُونَ عَلَيْكَ الْآيَاتِ تَعْجِيزًا لِحُجْلِهِمْ بِحَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ، وَلِظَنِّهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَكُونُ نَبِيًّا إِلَّا إِذَا

﴿٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ

اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ
إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

﴿٨﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ

وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ

الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

﴿٥٠﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ

اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ
لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا

أَصْبَحَ قَادِرًا عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَيْهِ: إِنِّي لَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَمْلِكُ خَزَائِنَ اللَّهِ، وَلَا أَتَصَرَّفُ بِهَا، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ اللَّهِ، فَعِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ وَلَا أُطْلِعُ مِنْهُ إِلَّا عَلَى مَا أُطْلِعُنِي عَلَيْهِ رَبِّي، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا أَدْعِي أَنِّي مُلْكٌ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوحِي إِلَيهِ اللَّهُ، وَقَدْ شَرَّفَنِي سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ، وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ، وَإِنِّي أَتَّبِعُ مَا يُوجِيهِ اللَّهُ إِلَيَّ، وَلَا أَخْرُجُ عَنْهُ مُطْلَقًا. قُلْ لَهُمْ: هَلْ يَسْتَوِي مَنْ أَتَّبَعَ الْحَقَّ وَهُدًى إِلَيْهِ، مَعَ مَنْ ضَلَّ عَنْهُ، فَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ، وَلَمْ يَنْقُذْ إِلَيْهِ؟ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِي أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ؟

خَزَائِنُ اللَّهِ - مَرْزُوقَاتُ اللَّهِ وَمَقْدُورَاتُهُ.

(٥١) - وَأَنْذِرْ بِهَذَا الْفَرَّانِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ يَخَافُونَ أَهْوَالَ الْحَشَرِ، وَشِدَّةَ الْحِسَابِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ سَيُحْشَرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا شَفِيعَ لَهُمْ عِنْدَهُ، وَلَا وَلِيَّ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ. وَذَكَرَهُمْ بِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي لَا حَاكِمَ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ، لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ اللَّهَ، وَيَعْمَلُونَ فِي هَذِهِ الدَّارِ عَمَلًا يَنْجِيهِمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(بِالْغَدَاةِ) (الظَّالِمِينَ)

(٥٢) - وَلَا تُبْعِدْ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَيُصَلُّونَ إِلَيْهِ صَبَاحَ مَسَاءٍ، وَيَدْعُوهُ لَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ غَيْرَ رِضَا رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَتِهِ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ أُنْتِ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، إِنَّمَا حِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ، فَإِذَا أَبْعَدْتَهُمْ وَطَرَدْتَهُمْ مِنْ مَجْلِسِكَ كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

(وَرَوَى فِي أَسْبَابِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ كِبَارِ قُرَيْشٍ مَرُّوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدُوهُ قَاعِدًا مَعَ أَنَاسٍ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَضَعْفَائِهِمْ: صُهَيْبٌ وَعَمَارٌ وَبِلَالٌ وَخُبَابٌ فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ: أَرْضَيْتَ بِهِؤُلَاءِ مِنْ قَوْمِكَ؟ أَمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا؟ أَنْحُنْ نَصِيرُ تَبَعًا لَهُؤُلَاءِ؟ أَطَرَدْتَهُمْ فَلَعَلَّكَ إِنْ طَرَدْتَهُمْ تَتَبَعَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

الْغَدَاةُ - أَوَّلُ النَّهَارِ.

الْعَشِيُّ - آخِرُهُ (أَيُّ أَدْعُ رَبَّكَ بِصُورَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ).

(بِالشَّاكِرِينَ)

(٥٣) - وَكَذَلِكَ آخَبْتَنَا الْمُتَكَبِّرِينَ بِسَبْقِ الضُّعْفَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ، لِيَقُولَ الْكِبَرَاءُ عَنِ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سَاخِرِينَ: أَمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بِالْهُدَايَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَأَتَّبَعَ الْحَقَّ؟ (وَهُمْ يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ مَا كَانَ لِيَهْدِيَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعِفِينَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَدْعُ كِبَرَاءَ

مَا يُوحِي إِلَى قُلٍّ هَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا
تَتَفَكَّرُونَ

٥١ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ
يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ
مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

٥٢ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ مَاعَلَيْكَ مِنْ
حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَنْ
حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ
فَطَرَدْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ
الظَّالِمِينَ

٥٣ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ
بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ

فُرِيضٍ). وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُسْتَكْبِرًا هَذَا الْقَوْلُ وَهَذَا الْاِعْتِقَادُ:
الَّذِينَ هُوَ الْأَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ لَهُ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَصَمَائِرِهِمْ
فَيُوقِفُهُمْ، وَيَهْدِيهِمْ سَبِيلَ السَّلَامِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؟
فَقَتْنَا - أَبْتَلَيْنَا وَأَمْتَحَنَّا، وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهِمْ.

(بَيَاتِنَا) سَلَامٍ (بِجَهَالَةٍ)

(٥٤) - يَا مَرْءُ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيُّهُ ﷺ بَانَ يُكْرِمُ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَبَانَ يَرُدُّ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ، وَبَانَ يُشْرَهُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ، الشَّامِلَةِ لَهُمْ،
الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ تَفَضُّلاً وَإِحْسَاناً وَأَمْتَاناً وَأَنَّهُ مَنْ
عَمِلَ مِنْهُمْ سُوءاً وَهُوَ جَاهِلٌ (وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ كُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ
جَاهِلٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا كُلُّهَا جَهَالَةٌ)، ثُمَّ تَابَ وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ
عَلَيْهِ، وَأَقْلَعَ عَنِ الْمَعَاصِي، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا، وَأَصْلَحَ الْعَمَلَ
فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعُدُّهُ بِالْمَغْفِرَةِ.

(وَلَعَلَّ أَقْرَبَ تَفْسِيرٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى - مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ - هُوَ أَنْ
نَقُولَ: إِنَّ الَّذِي يَعْمَلُ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ هُوَ الَّذِي يَرْتَكِبُ الذَّنْبَ فِي لَحْظَةٍ
مِنْ لَحْظَاتِ الطُّشِشِ أَوْ الْأَنْفَعَالِ، أَوْ الضَّعْفِ الْإِنْسَانِيِّ، أَوْ الْهَوَى الْجَامِحِ
أَوْ ثَوْرَةِ الْغَضَبِ... وَمَا مَائِلٌ تِلْكَ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَرْتَكِبُ
إِنَّمَا وَدُنْباً، وَيُقَدِّمُ عَلَى الذَّنْبِ وَهُوَ يَسْتَشْعِرُ فِي نَفْسِهِ النَّدَامَةَ، ثُمَّ حِينَئِذٍ
يَتُوبُ إِلَى نَفْسِهِ يَنْدُمُ عَلَى مَا فَعَلَ، وَيَتُوبُ إِلَى رَبِّهِ، وَيَسْتَغْفِرُهُ، وَهُوَ
يَشْعُرُ بِثِقَلِ الذَّنْبِ عَلَى نَفْسِهِ. وَهَذَا غَيْرُ حَالٍ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى أَقْتِرَافِ
الذَّنْبِ وَهُوَ مُسْتَحْفَظٌ بِالذِّينِ وَبِحُرْمَاتِ اللَّهِ، غَيْرُ عَابِيٍّ بِهَا، وَغَيْرُ
مُسْتَشْعِرٍ نَدماً عَلَى فِعْلِهِ).

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ - قَضَى رَبُّكُمْ وَأَوْجَبَ الرَّحْمَةَ تَفَضُّلاً مِنْهُ
وَإِحْسَاناً.

بِجَهَالَةٍ - بِسَفَاهَةٍ - وَكُلَّ عَاصٍ مُسِيٍّ جَاهِلٌ.

(الآيَاتِ)

(٥٥) وَبِمَثَلِ ذَلِكَ الْبَيَانِ الْوَاضِحِ نُوضِّحُ الدَّلَائِلَ الْمُتَنَوِّعَةَ لِيُظْهَرَ طَرِيقُ
الْحَقِّ الَّذِي يَسْلُكُهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَبِينُ طَرِيقُ الضَّلَالِ الَّذِي يَسْلُكُهُ
الْكَافِرُونَ.

(٥٦) - يَا مَرْءُ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ بَانَ يَرُدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، بِأَنَّهُ مِنْهُمْ عَنْ
عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، وَمَا يَعْبُدُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَنْ

وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ

الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ

مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ

مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ

وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ

وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ

يَتَّبِعْ مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَاتٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى الْهَوَى، وَلَيْسَتْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ وَالْهَدَى، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ الضَّالِّينَ غَيْرِ الْمُهْتَدِينَ إِنْ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ.

(الْفَاصِلِينَ)

(٥٧) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنِّي، فِيمَا أَخَالَفُكُمْ فِيهِ، عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ شَرِيعَةِ رَبِّي، الَّتِي أَوْحَاهَا إِلَيَّ، وَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَنْتُمْ بِالْقُرْآنِ، وَهُوَ بَيِّنَتِي عَلَى صِدْقِ نُبُوتِي، وَعَلَى صِدْقِ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّكُمْ تَطْمَعُونَ فِي أَنْ أَتَّبِعَكُمْ عَلَى ضَلَالٍ أَنْتُمْ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ، وَلَا بَيِّنَةَ لَكُمْ عَلَيْهِ غَيْرَ التَّقْلِيدِ لِلآبَاءِ، وَالْأَجْدَادِ، وَالْخُضُوعِ لِهَوَى النَّفْسِ، وَإِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ الَّذِي أُنْذَرُكُمْ بِهِ اللَّهُ، إِنْ أَصْرَرْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَأَنَا لَا أَمْلِكُ أَنْ أَتِيَكُمْ بِالْعَذَابِ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، فَالْحُكْمُ فِي هَذَا، وَفِي غَيْرِهِ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَكُمْ بِهِ إِنْ شَاءَ. وَهُوَ تَعَالَى يَقْضُ الْحَقَّ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَجَمِيعِ أَخْبَارِهِ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَلَا يَقَعُ فِي قَضَائِهِ خِيفٌ وَلَا جَوْرٌ. يَقْضُ الْحَقَّ - يَتَّبِعُهُ فِيمَا حَكَمَ، أَوْ يُبَيِّنُهُ بَيَانًا شَامِلًا.

خَيْرُ الْفَاصِلِينَ - خَيْرُ الْحَاكِمِينَ حُكْمًا فَضْلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

(الظَّالِمِينَ)

(٥٨) - قُلْ لَهُمْ: لَوْ كَانَ مَرْجِعُ الْأَمْرِ إِلَيَّ لَأَسْتَجَبْتُ لِطَلِبِكُمْ، وَلَأَوْقَعْتُ عَلَيْكُمْ مَا تَسْتَعْجِلُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَأَنْتَهِيَ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الْعَذَابَ وَالْعُقُوبَةَ، وَقَدْ جَعَلَ لِعَذَابِهِمْ مَوْعِدًا حَدَّدَهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ.

(ظُلُمَاتٍ) (كِتَابِ)

(٥٩) - قَالَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ: إِنَّ مَفَاتِحَ الْغَيْبِ (أَيَّ خَزَائِنِهِ) خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِيْهِنَّ وَحْدَهُ:

١ - إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ.

٢ - وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ.

٣ - وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا.

٤ - وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ.

٥ - وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، لَا يَخْفَى

أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ

٥٧ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي

وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي

مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ

إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ

الْفَاصِلِينَ

٥٨ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ

بِهِ لَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي

وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِالظَّالِمِينَ



٥٩ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ

مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ

مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ

فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ

وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَيَعْلَمُ كُلَّ حَرَكَةٍ فَلَا تَسْقُطُ وَرَقَةً، وَلَا تَوْجَدُ حَبَةً فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ إِلَّا يَعْلَمُهَا اللَّهُ، وَمَا مِنْ شَجَرَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَيَعْلَمُ رُطُوبَتَهَا وَيَبُوسَتَهَا.

وَقَدْ أَحْصَى كُلَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ لَا يُهْمِلُ شَيْئًا مِنْ عَمَلٍ جَمِيعٍ خَلَقَهُ وَحَالَاتِهِمْ.

كِتَابٌ مَبِينٌ - اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ أَوْ أُمُّ الْكِتَابِ.

مَفْتَحٌ - يَفْتَحُ الْمِيمَ - هُوَ الْمَخْزُونُ.

وَمِفْتَاحٌ - يَكْسِرُ الْمِيمَ - هُوَ الْمِفْتَاحُ الَّذِي يَفْتَحُ الْقِفْلَ.

(يَتَوَفَّاكُم) (بِاللَّيْلِ)

(٦٠) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ يَتَوَفَّى أَنْفُسَ الْعِبَادِ فِي حَالِ نَوْمِهِمْ فِي اللَّيْلِ، فَيُرِزُّلُ إِحْسَاسَهَا، وَيُمْنَعُهَا مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَبْدَانِ (وَهُوَ التَّوَفَّى الْأَصْفَرُ)، وَيَعْلَمُ مَا يَكْسِبُهُ الْعِبَادُ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي النَّهَارِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى عِلْمِهِ تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ فِي النَّهَارِ لِكَسْبِ أَقْوَاتِهِمْ، وَتَأْمِينِ مَعَاشِهِمْ، وَلِيَسْتَوْفِيَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَجَلَهُ كَامِلًا، (لِيَقْضَى أَجَلُ مُسَمًّى)، ثُمَّ يَرْجِعُ الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ جِنْمًا تَنْتَهِي أَجَالُهُمْ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَجْزِيهِمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ الْجَزَاءَ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ.

الْجَرْحُ - هُوَ الْكَسْبُ وَالْعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ - أَيِ الْخَوَاسِّ.

(٦١) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْغَالِبُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَيُرْسِلُ حَفَظَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْعِبَادِ، يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، يَحْفَظُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَيُحْصِنُونَهَا، مَا دَامُوا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَلَا يَفْرُطُونَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ أَجَلُهُ، تَوَفَّاهُ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلُونَ بِذَلِكَ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، وَهُمْ لَا يُقْصِرُونَ فِيمَا يُوَكَّلُ إِلَيْهِمْ. لَا يَفْرُطُونَ - لَا يَتَوَانَوْنَ وَلَا يُقْصِرُونَ.

(مَوْلَاهُمْ) (الْحَاسِبِينَ)

(٦٢) - ثُمَّ يُرَدُّ الْعِبَادُ، الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ، إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ تَعَالَى مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ صَاحِبُ الْحُكْمِ وَالْقَوْلِ الْفَصْلِ، وَهُوَ تَعَالَى أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ.

(ظُلُمَاتٍ) (لَيْثٍ) (أَنْجَانًا) (الشَّاكِرِينَ)

(٦٣) - قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَافِلِينَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، الَّتِي نَصَبَهَا فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ: مَنْ غَيْرَ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْجِيَكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ

٦٠ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ

وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ

يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ

مُسَمًّى ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ

ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

٦١ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ

عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ

أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا

وَهُمْ لَا يَفْرُطُونَ

٦٢ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ

أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ

٦٣ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ

وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ

الشَّاكِرِينَ

الْبَرِّ إِذَا ضَلَلْتُمْ فَتَحَيَّرْتُمْ، وَأَظْلَمَتْ عَلَيْكُمُ الطُّرُقُ؟ وَمَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ، إِذَا رَكِبْتُمُوهُ فَأَظْلَمَتْ عَلَيْكُمْ فِيهِ السُّبُلُ فَلَمْ تَهْتَدُوا؟ وَهَلْ هُنَاكَ غَيْرُ اللَّهِ مَنْ تَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ، وَتَضَرَّعُونَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَتَقُولُونَ لَيْنَ أُنْجَانَا مِنْ هَذِهِ الْمَخَاطِرِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا، لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ الْمُخْلِصِينَ فِي الْعِبَادَةِ.
تَضَرَّعًا - مُعْلِنِينَ الضَّرَاعَةَ وَالتَّذَلُّلَ.
خُفِيَّةً - مُسِرِّينَ بِالْذُّعَاءِ.

(٦٤) - قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُنْجِيكُمْ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ يَعْرِضُ لَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَدْعُوهُ، وَلَكِنَّكُمْ بَعْدَ أَنْ يُنْجِيَكُمْ إِذَا بِكُمْ تَعُودُونَ إِلَى الشِّرْكِ بِهِ، وَتَدْعُونَ مَعَهُ فِي حَالَاتِ الرَّخَاءِ إِلَهَةً أُخْرَى.

(الآيَات)

(٦٥) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ، الَّذِينَ يُشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ سِوَاهُ، وَلَا يَشْكُرُونَهُ عَلَى النِّعَمِ الْوَفِيرَةِ الَّتِي أَسَدَّاهَا إِلَيْهِمْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِكُمْ مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ، فَيَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ، أَوْ يُزَلِّزَ لَهَا تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، أَوْ يَخْلِطَ الْأَمْرَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْإِلْتِمَاسِ، وَيَجْعَلَكُمْ مُتَنَبِّسِينَ شِيعًا وَفِرَقًا، مُتَخَالِفِينَ فِي الْأَهْوَاءِ وَالْمَشَارِبِ، وَيُسَلِّطَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْعَذَابِ وَالْقَتْلِ. انْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ نَبِّئُ الْآيَاتِ وَنُوضِّحُهَا لَعَلَّ هَؤُلَاءِ يَفْقَهُمُونَهَا وَيَتَذَبَّرُونَهَا.

(وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (مِنْ فَوْقِكُمْ) أَيُّ مِنْ حُكَّامِكُمْ وَأُمَرَائِكُمْ، وَإِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: (مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) أَيُّ مِنْ عَبِيدِكُمْ وَسِفَلَتِكُمْ).

نُصِرَفُ الْآيَاتِ - نَكْرَرُهَا بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ.

يُلَبِّسُكُمْ - يَخْلِطُكُمْ فِي مَلَاحِمِ الْقِتَالِ.

شِيعًا - فِرَقًا مُخْتَلِفَةً الْأَهْوَاءِ.

بَأْسَ بَعْضٍ - شِدَّةَ بَعْضٍ فِي الْقِتَالِ.

(٦٦) - وَكَذَّبَ قَوْمُكَ بِالْقُرْآنِ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ، وَهُوَ حَقٌّ ثَابِتٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ أَيْلُغِكُمْ مَا جَاءَنِي مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بِحَافِظٍ، وَلَا بِمُوكِّلٍ بِكُمْ.

بُوكِيلٍ - بِحَفِيفٍ، وَكُلُّ إِلَيَّ أَمْرُكُمْ فَأُجَازِيكُمْ.

﴿٦٤﴾ قُلْ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ

﴿٦٥﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ

﴿٦٦﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِبُوكِيلٍ

(نَبَأٌ)

(٦٧) - وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
صَدَقَ هَذِهِ الْأَخْبَارُ عِنْدَ وَقُوعِهَا.

(آيَاتِنَا) (الشَّيْطَانِ) (الظَّالِمِينَ)

(٦٨) - كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَجْلِسُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُحِبُّونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْهُ،
فَإِذَا سَمِعُوا اسْتَهْزَؤُوا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ إِذَا اسْتَهْزَؤُوا قَامَ مِنْ
مَجْلِسِهِمْ فَحَذَّرُوا، وَقَالُوا لَا تَسْتَهْزِئُوا فَيَقُومَ. وَالْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الْآيَةِ
الرَّسُولُ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ الَّذِينَ
يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ، مِنَ الْكُفَّارِ الْمُكْذِبِينَ، وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ
فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُدَّ عَنْهُمْ بِوَجْهِهِ، وَأَنْ لَا يَجْلِسَ مَعَهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا فِي
حَدِيثٍ آخَرَ غَيْرَ حَدِيثِ الْكُفْرِ وَالِاسْتَهْزَاءِ بِآيَاتِ اللَّهِ أَوْ تَأْوِيلِهَا بِالْبَاطِلِ
مِنْ جَانِبِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَإِذَا أُنْسَاكَ الشَّيْطَانُ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، هَذَا النَّهْيُ،
وَقَعَدَتِ مَعَهُمْ، وَهُمْ عَلَى بَلْكَ الْحَالِ، ثُمَّ ذَكَرَتْ فَعَمَّ عَنْهُمْ، وَلَا تَقْعُدُ
مَعَ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ لِأَنفُسِهِمْ بِالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَالِاسْتَهْزَاءِ بِهَا.
يَخُوضُونَ - يَأْخُذُونَ بِالْحَدِيثِ بِالِاسْتَهْزَاءِ وَالطَّعْنِ.

(٦٩) - وَلَيْسَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ شَيْءٌ مِنْ حِسَابِ الْخَائِضِينَ فِي
آيَاتِ اللَّهِ، فَلَا يُحَاسِبُونَ عَلَى خَوْضِهِمْ فِيهَا، وَلَا عَلَى غَيْرِهِ مِنْ
أَعْمَالِهِمْ، إِذَا هُمْ تَجَنَّبُوهُمْ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ، كَمَا أَمُرُوا. وَلَكِنْ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعْرَضُوا عَنْ هَؤُلَاءِ الْخَائِضِينَ أَمْتَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَذْكِيرًا
لِهَؤُلَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، وَيَجْتَنِبُونَ الْخَوْضَ حَيَاءً أَوْ كَرَاهَةً لِمَسَاءَتِهِمْ.

(الْحَيَاةِ) (أَوَّلَكَ)

(٧٠) - وَدَعِ أَيُّهَا الرَّسُولُ، أَنْتَ وَمَنْ تَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، هَؤُلَاءِ
الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَسُخْرِيَةً وَهَزْوَاً، وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا، وَلَا تُبَالُوا بِتَكْذِيبِهِمْ وَاسْتَهْزَائِهِمْ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ، وَأَمْهَلُوهُمْ
قَلِيلاً، فَإِنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ. وَذَكِّرُوا النَّاسَ دَائِماً بِهَذَا
الْقُرْآنِ، وَحَذِّرُوهُمْ بِقَهْمِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ الْأَلِيمِ، لِكَيْلَا تَقْتَضِحَ نَفْسُ يَوْمٍ
الْقِيَامَةِ فَتَصِيرَ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَتَكُونَ رَهْنُ الْعَذَابِ (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسُ)،
بِسَبَبِ مَا أَفْتَرَقْتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَمَا أَجْتَرَحْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ
وَالْخَطَايَا.

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَكُونُ لِهَذِهِ النَّفْسِ الْمُدْنِيَةِ شَفِيعٌ وَلَا وَلِيٌّ يَشْفَعُ لَهَا

٦٧ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

٦٨ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي
آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ
الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

٦٩ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ
حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ
ذَكِّرْهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

٧٠ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ
لَعِبًا وَلَهْوَاً وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ ۚ أَنْ تُبْسَلَ
نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ
وَأِنْ تَعَدَّلْ كُلُّ عَدَلٍ
لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ
أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۗ لَهُمْ شَرَابٌ

مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابُ الْيَمْرِ مِمَّا
كَانُوا يَكْفُرُونَ

أَوْ يَنْصُرُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا إِذَا بَدَلْتُ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْفِدَاءِ
(الْعَدْلِ)، لِنَجْوٍ مِنَ الْعَذَابِ، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهَا ذَلِكَ.
وهؤلاء الذين أَفْتَضَحُوا، وَصَارُوا رَهَنَ الْعَذَابِ (أُبْسِلُوا) بِسَبَبِ مَا
أَجْتَرَحُوهُ مِنَ الذُّنُوبِ سَيَكُونُ شَرَابُهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ مَاءٍ شَدِيدِ
الْحَرَارَةِ (حَمِيمٍ)، وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ.
عَرَّتَهُمْ - خَدَعَتْهُمْ وَأَطْمَعَتْهُمْ بِالْبَاطِلِ.
أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ - لِكَيْلَا تَحْتَسِبَ فِي النَّارِ، أَوْ تُسَامَ الْهَلَكَةُ أَوْ تَقْتَضِحَ.
تَعْدِلُ كُلُّ عَدْلٍ - تَفْتَدِي بِكُلِّ فِدَاءٍ.
حَمِيمٍ - مَاءٌ بَالِغُ النَّهْيَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرَارَةِ.

(أَنْدَعُو) (هَدَانَا) (الشَّيَاطِينُ) (أَصْحَابُ) (الْعَالَمِينَ)

(٧١) - قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ أَتُرْكُوا دِينَ مُحَمَّدٍ وَاتَّبِعُوا سَبِيلَنَا، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَفِيهَا يَقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَى
هَؤُلَاءِ الدَّاعِينَ مُوَبِّحِينَ: هَلْ يَصِحُّ أَنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ، مِمَّا لَا يَمْلِكُ جَلْبَ
نَفْعٍ، وَلَا دَفْعَ ضَرٍّ، وَنَتَكَسَّبَ فِي الشَّرِّ، بَعْدَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ إِلَى
الْإِيمَانِ، فَيَكُونُ مِثْلُنَا مِثْلَ رَجُلٍ خَرَجَ مَعَ قَوْمٍ عَلَى طَرِيقٍ، فَضَلَّ
الطَّرِيقَ، فَخَيَّرْتُهُ الشَّيَاطِينُ وَأَسْتَهْوَتْهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَصْحَابُهُ عَلَى
الطَّرِيقِ فَجَعَلُوا يَدْعُوهُ إِلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ لَهُ: أَتَيْنَا، فَإِنَّا عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَبَى
أَنْ يَأْتِيَهُمْ. فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ يَتَّبِعُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ، بَعْدَ أَنْ عَرَفَ دِينَ
مُحَمَّدٍ ﷺ. وَمُحَمَّدٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الطَّرِيقِ، وَالطَّرِيقُ هُوَ
الْإِسْلَامُ. وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى، وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ
لَهُ، وَإِنَّا أَمَرْنَا بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.
أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ - أَضَلَّتْهُ.

(الصَّلَاةُ)

(٧٢) - وَقُولُوا لَهُمْ: لَقَدْ أَمَرْنَا رَبَّنَا بِالْإِسْلَامِ، وَبِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَبِتَقْوَاهُ
فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، فَهُوَ الَّذِي تُحْشَرُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
لِيَحْسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(السَّمَاوَاتِ) (عَالِمُ) (الشَّهَادَةِ)

(٧٣) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحِكْمَةِ وَالْحَقِّ
وَالْعَدْلِ، وَلَمْ يَخْلُقْهَا عَبَثًا وَبَاطِلًا، فَهُوَ لَا يَتْرُكُ النَّاسَ سُدىً، بَلْ يَجْزِي

﴿٧١﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا

لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى

أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ

كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي

الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابُ

يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اتَّخَذُوا قُلُوبَهُمْ

إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى

وَأَمَرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿٧٢﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا

هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

﴿٧٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ

كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، فَهُوَ خَالِقُهَا وَمَالِكُهَا، وَالْمُدَبِّرُ لَهَا وَلِمَنْ فِيهَا. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: كُنْ فَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ عَنْ أَمْرِهِ كَلَمَحِ الْبَصَرِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى الْحَقُّ، وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ الْحَشْرِ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ (وَالصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ فَيُخَدِّثُ صَوْتًا) فَيَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَيُخْشِرُ الْخَلْقَ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَهُوَ الْخَبِيرُ بِذَقَائِقِهَا وَخَفَايَاهَا.

الْغَيْبِ - مَا غَابَ عَنِ النَّاسِ مِمَّا لَا يَرَوْنَهُ.

الشَّهَادَةِ - مَا شَاهَدَ النَّاسُ خَلْقَهُ. (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَقْصُودُ بِالْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُنَا السِّرُّ وَالْعَلَنُ).

الصُّورِ - قَرْنٌ إِذَا نُفِخَ فِيهِ أُخْدِتْ صَوْتًا وَجِئَ يُنْفَخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ يَضَعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ.

(إِبْرَاهِيمُ) (آزَرَ) (آلِهَةً) (أَرَاكَ) (ضَلَالٍ)

(٧٤) - وَأَذْكُرُ أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ عَبْدُوا مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ، قِصَّةَ جَدِّهِمْ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي يُجَلِّوْنَهُ، وَيَدْعُونَ أَتْبَاعَ مِلَّتِهِ، إِذْ جَادَلَ قَوْمَهُ وَرَاجَعَهُمْ فِي بَاطِلِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ: فَقَالَ لِأَبِيهِ آزَرَ: كَيْفَ تَتَّخِذُ أَنتَ وَقَوْمُكَ آلِهَةً مِنَ الْأَصْنَامِ، الَّتِي تَصْنَعُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الْحِجَارَةِ وَغَيْرِهَا، إِنِّي أَرَاكُمْ تَائِبِينَ فِي خَيْرَةٍ وَجَهَالَةٍ، وَأَمْرُكُمْ فِي الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ بَيْنَ وَاضِحٍ لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ.

(إِبْرَاهِيمُ) (السَّمَاوَاتِ)

(٧٥) - وَكَمَا أَرَيْنَا إِبْرَاهِيمَ الْحَقَّ فِي أَمْرِ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ، وَأَنَّهُمْ فِي ضَلَالٍ وَجَهَالَةٍ فِي عِبَادَتِهِمْ الْأَصْنَامَ، كَذَلِكَ أَرَيْنَاهُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ آيَاتٍ وَعَبَّرَ تَدُلُّ كُلُّهَا عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ فِي مُلْكِهِ وَخَلْقِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُحْحَانَهُ، لِيُقِيمَ الْحُجَّةَ عَلَى قَوْمِهِ، وَلِيَزِدَّادَ إِيمَانًا وَيَقِينًا بِعَظَمَةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ.

(وَقَدْ يَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ عَنْ بَصَرِ إِبْرَاهِيمَ حَتَّى رَأَى ذَلِكَ عَيْنًا، أَوْ كَشَفَ عَنْ بَصِيرَتِهِ حَتَّى أَدْرَكَهُ بِقَلْبِهِ وَقُوَادِهِ وَتَحَقَّقَهُ).

مَلَكُوتَ - مُلْكٌ - أَوْ آيَاتٍ وَعَجَائِبِ مُلْكِ اللَّهِ.

وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي
الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ



وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

لَأَبِيهِ أَزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا
ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ

وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ
مِنَ الْمُوقِنِينَ

(الرَّأْيُ) (الْأَفْلِينَ)

(٧٦) - فَلَمَّا تَغَشَّاهُ اللَّيْلُ وَسَتَرَهُ، رَأَى نَجْمًا عَظِيمًا، مُمْتَازًا عَنْ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، بِإِشْرَافِهِ وَبَرِيقِهِ (وَقِيلَ إِنَّهُ كَوْكَبُ الْمُشْتَرَى الَّذِي عَبْدَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْوَامِ الَّتِي عَبَدَتِ الْكَوَاكِبَ)، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ: هَذَا رَبِّي؛ فَلَمَّا غَابَ وَغَرَبَ (أَفْلَ) قَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ، إِذْ أَدْرَكَ أَنَّ رَبَّهُ حَاضِرٌ دَائِمٌ لَا يَزُولُ.

وَقَالَ الْأُسْتَاذُ الْمَرَاغِي - إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِقَوْمِهِ عَنِ الْكَوَكَبِ (هَذَا رَبِّي) فِي مَقَامِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْجَجَاجِ، تَمْهيدًا لِلْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ فَأَوْهَمَهُمْ أَوَّلًا أَنَّهُ مُوَافِقٌ لَهُمْ عَلَى زَعْمِهِمْ أَنَّ كَوْكَبًا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا. ثُمَّ كَرَّرَ عَلَيْهِمْ بِالنَّقْضِ بَاطِلًا حُجَّتَهُ عَلَى الْجَسِّ وَالْعَقْلِ).
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ - تَغَشَّاهُ وَسَتَرَهُ بِظُلَامِهِ.
أَفْلَ - غَرَبَ وَغَابَ وَرَاءَ الْأُفُقِ.

(الرَّأْيُ) (لَيْثُنْ)

(٧٧) - فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ طَالِعًا قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: هَذَا رَبِّي. فَلَمَّا غَرَبَ وَغَابَ، سَأَلَ رَبَّهُ الْهَدَايَةَ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِي تَوْحِيدِهِ لَأَكُونَنَّ ضَالًّا.
بَارِزًا - طَالِعًا مِنَ الْأُفُقِ مُنْتَشِرًا الضُّوءَ.

(الرَّأْيُ) (يَا قَوْمُ)

(٧٨) - فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِزَةً، وَرَأَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ النُّورِ السَّاطِعِ، وَالْحَجْمِ الْكَبِيرِ، تَظَاهَرَ أَمَامَ قَوْمِهِ بِأَنَّهُ أَهْتَدَى إِلَى الصَّوَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْمَعْبُودِ الَّذِي عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُدَهُ دُونَ غَيْرِهِ، فَقَالَ لَهُمْ مُشِيرًا إِلَى الشَّمْسِ: هَذَا رَبِّي، هَذَا أَكْبَرُ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْكَوَاكِبِ، وَأَكْثَرُهَا نُورًا. فَلَمَّا غَابَتْ تَبَرَّأَ، مِنْ كُلِّ الْمَعْبُودَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا قَوْمُهُ أَرْبَابًا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٧٩) - وَبَعْدَ أَنْ تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْكَوَاكِبِ الَّتِي عَكَفَ قَوْمُهُ عَلَى عِبَادَتِهَا، أَعْلَنَهُمْ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَسَخَّرَهَا وَقَدَّرَهَا، وَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ إِنَّهُ أَمَرَ اللَّهَ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ مُخْلِصًا فِيهَا، مُنْحَرِفًا عَنِ الشِّرْكِ، وَمُتَبَرِّئًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.
فَطَرَ - أَوْجَدَ وَأَنْشَأَ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ سَبَقٍ.

﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا
قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَ قَالَ
لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ

﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِزًا قَالَ هَذَا
رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَ قَالَ لِمَنْ لَمْ يَهْدِنِي
رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
الضَّالِّينَ

﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِزَةً قَالَ
هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا
أَفْلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَهِي بَرِيءٌ
مِمَّا تَشْرِكُونَ

﴿٧٩﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
خَافِيًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ

حَنِيفًا - مُنْحَرِفًا عَنِ الشِّرْكِ.
(أَتَحَاجُّونِي) (هَدَانِي)

(٨٠) - وَجَادَلَ إِبْرَاهِيمَ قَوْمَهُ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَنَاطَرُوهُ بِشِبْهِ
مِنَ الْقَوْلِ، وَبَيَّنُّوا لَهُ أَوْهَامَهُمْ فِي شِرْكِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: أَتَجَادِلُونِي فِي
أَمْرِ اللَّهِ، وَفِي أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟ لَقَدْ بَصَّرَنِي رَبِّي بِالْحَقِّ، وَهَدَانِي إِلَيْهِ،
وَأَنَا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ، فَكَيْفَ أَتَيْتُ إِلَى أَقْوَالِكُمْ وَحُجَجِكُمُ الْبَاطِلَةَ؟ وَمِنْ
الدَّلَائِلِ عَلَى بُطْلَانِ اعْتِقَادِكُمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ إِلَهَةٌ تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ،
أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ ضَرْأً وَلَا نَفْعاً لِأَحَدٍ، وَأَنَا لَا أَخَافُهَا، وَلَا أَبَالِي بِهَا، فَإِنْ
كَانَ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى الْكِيدِ وَالْإِيذَاءِ، فَكَيْدُونِي بِهَا، وَلَا تُنْظِرُونِ. أَمَّا
الَّذِي يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، حَقِيقَةٌ، فَهُوَ اللَّهُ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَنَا لَا
أَخَافُ الضَّرَرَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبِّي ذَلِكَ، وَلَقَدْ أَحَاطَ رَبِّي بِكُلِّ
شَيْءٍ عِلْمًا، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فَكَيْفَ لَا تَتَذَكَّرُونَ ذَلِكَ، وَلَا
تُذَكِّرُونَ أَنَّ الْحَجَرَ الْعَاجِزَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ؟
حَاجَهُ قَوْمُهُ - جَادَلُوهُ وَخَاصَمُوهُ فِي التَّوْحِيدِ.

(سُلْطَانًا)

(٨١) - وَكَيْفَ أَخَافُ أَنَا مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا، وَهِيَ لَا تَمْلِكُ
لِنَفْسِهَا، وَلَا لِغَيْرِهَا نَفْعاً وَلَا ضَرْأً، وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ مِنْ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ فِي
عِبَادَةِ اللَّهِ هَذِهِ الْأَصْنَامَ، وَهُوَ الْقَادِرُ الْقَاهِرُ، وَهُوَ تَعَالَى لَمْ يَنْزِلْ حُجَّةً وَلَا
بُرْهَانًا وَلَا دَلِيلًا عَلَى وُجُوبِ عِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ؟ وَفِي مِثْلِ هَذِهِ
الْحَالِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا: أَيُّ الْجَانِبَيْنِ - أَنَا وَأَنْتُمْ - أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ مُظْمِئًا
مِنْ أَنْ يُلْحَقَ بِهِ أَدَى: الَّذِي عَبَدَ اللَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالنَّفْعُ وَالضَّرُّ، أَمْ
مَنْ عَبَدَ أَصْنَامًا حِجَارَةً لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ؟ هَذَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَتَقْدَرُونَ
الْأُمُورَ.

(آمَنُوا) (إِيمَانَهُمْ) (أُولَئِكَ)

(٨٢) - ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنْ هُوَ الْحَقِيقُ بِالْأَمْنِ عَلَى
سَبِيلِ التَّفْصِيلِ فَقَالَ: الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ (يَلْبِسُوا) بِظُلْمٍ، وَلَا كُفْرٍ، وَلَا
شِرْكِ بِاللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ،
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
لَمْ يَلْبِسُوا - لَمْ يَخْلُطُوا.

٨٠ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَكِّمُونِي

فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ
مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ
شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ

٨١ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ

وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ
بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَآيُ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ
بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

٨٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا

إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ

يُظْلَمُ - بِشْرِكَ أَوْ كُفْرٍ.

(آتَيْنَاهَا) إِبْرَاهِيمَ (دَرَجَاتٍ)

(٨٣) - وَتِلْكَ هِيَ حُجَّةُ اللَّهِ الدَّامِغَةُ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، أَرْشَدَ إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيُوجِّهَهَا إِلَى قَوْمِهِ، وَهُمْ يُجَادِلُونَهُ فِي رَبِّهِ، وَاللَّهُ يَرْفَعُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، دَرَجَاتٍ فِي الدِّينِ وَالْفَهْمِ وَالْحُجَّةِ، وَإِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّاكَ وَعَلَّمَكَ وَهَذَا يَا مُحَمَّدُ، وَجَعَلَكَ خَاتَمَ الرُّسُلِ، حَكِيمٌ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَهْتَدِي بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَبِمَنْ يَضِلُّ، وَبِمَنْ قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ.

(إِسْحَاقَ) (دَاوُدَ) (وَسُلَيْمَانَ) (وَهَارُونَ)

(٨٤) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ وَهَبَ لِإِبْرَاهِيمَ أَبْنَهُ إِسْحَاقَ بَعْدَ أَنْ شَاحَ وَطَعَنَ فِي السَّنِّ، وَبَشَّرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَنَّهُ إِسْحَاقَ سَيُولَدُ لَهُ وَلَدَ اسْمُهُ يَعْقُوبُ، فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ.

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ هَدَى كُلًّا مِنْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِمَا آتَاهُمَا مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى هَدَى مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ : (أَوْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ - وَإِبْرَاهِيمَ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ) : دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَيُوسُفَ وَأَيُّوبَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَآتَاهُمُ الْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَكَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ فَيَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَالْإِيمَانِ.

(الصَّالِحِينَ)

(٨٥) - وَهَدَى اللَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ أَيْضًا: زَكَرِيَّا وَأَبْنَهُ يَحْيَى وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَإِلْيَاسَ، وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا مِنَ الصَّالِحِينَ. وَكَانَتْ لَهُمْ لِهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ مِيزَةُ الزُّهْدِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا، وَزِينَتِهَا، لِذَلِكَ خَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِوَصْفِ الصَّالِحِينَ.

(إِسْمَاعِيلَ) (الْعَالَمِينَ)

(٨٦) - وَمِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، مِمَّنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ، يَذْكُرُ تَعَالَى: إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا فَهَدَاهُمْ، وَآتَاهُمُ النُّبُوَّةَ، وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ.

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا

إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ
دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ
دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ

كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ

وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
الْعَالَمِينَ

(آبَائِهِمْ) (وَدُرِّيَاتِهِمْ) (وَإِخْوَانِهِمْ) (اجْتَنِبْنَاهُمْ) (وَهَدَيْنَاهُمْ)
(صِرَاطِ)

(٨٧) - وَهَدَى اللَّهُ بَعْضَ آبَائِهِمْ وَدُرِّيَاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ، - لَا كُلَّهُمْ إِذْ إِنَّ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْأَقْرَبِينَ لَمْ يَهْتَدِ بِهَدْيِ أَبِيهِ أَوْ ابْنِهِ، كَأَزَرَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَابْنَ نُوحٍ وَزَوْجَةَ لُوطٍ -. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ اخْتَارَهُمْ وَأَصْطَفَاهُمْ وَهَدَاهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

(٨٨) - وَإِنَّمَا حَصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، وَهِدَايَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ أَحَدًا، لَهَلَكَ عَمَلُهُمْ، وَلَضَاعَ أَجْرُ أَعْمَالِ الْخَيْرِ الَّتِي عَمِلُوهَا، (وهذا تشديدٌ لِأَمْرِ الشُّرْكِ، وَتَغْلِيطٌ لَشَأْنِهِ). اجْتَنِبَاهُمْ - أَصْطَفَاهُمْ. حَيْطٌ - بَطْلٌ وَسَقَطٌ وَهَلَكٌ.

(أُولَئِكَ) (آتَيْنَاهُمْ) (الْكِتَابَ) (بِكَافِرِينَ)

(٨٩) - أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، بِأَن آتَاهُمُ الْكِتَابَ (صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ، وَتُورَةَ مُوسَى وَزَبُورَ دَاوُدَ، وَإِنْجِيلَ عِيسَى) كَمَا آتَاهُمُ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ فِي الدِّينِ (الْحُكْمَ)، وَآتَاهُمُ النَّبُوَّةَ لِيَهْدُوا النَّاسَ إِلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، وَلَطْفٌ مِنْهُ بِخَلْقِهِ، فَإِنْ يَكْفُرْ أَهْلُ مَكَّةَ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْبَشَرِ (هَؤُلَاءِ) بِالْكِتَابِ وَالْحُكْمِ وَالنَّبُوَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكَلَّ بِرِعَايَتِهَا قَوْمًا مُؤْمِنِينَ، لَا يَجْحَدُونَ مِنْهَا شَيْئًا، وَلَا يَرُدُّونَ مِنْهَا حَرْفًا. (وَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالْمُؤْمِنُونَ - عَلَى مَا قَالَه أَبُو عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْمَقْطَعِ مِنَ الْآيَةِ).

(أُولَئِكَ) (فَبُهِدَاهُمْ) (أَسْأَلُكُمْ) (لِلْعَالَمِينَ)

(٩٠) - وَهَؤُلَاءِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ، الَّذِينَ وَرَدَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، وَالَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ آتَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ، هُمْ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ هِدَايَةً كَامِلَةً، فَاهْتَدَى يَا مُحَمَّدٌ، بِهُدَاهُمْ، وَأَقْبَدَ بِهِمْ، فِي الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالصِّفَاتِ الرَّفِيعَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَدَى السُّفَهَاءِ، وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ، وَقُلْ لِقَوْلِكَ إِنِّي لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا عَلَى إِبْلَاجِ رِسَالَةِ رَبِّي إِلَيْكُمْ، وَمَا أَنْزَلَهُ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ، فَهَذَا الْقُرْآنُ هُوَ تَذَكِيرٌ (ذِكْرٌ) لِلْعَالَمِينَ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ فَيُرْشَدُونَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ. أَقْبَدَهُ - أَقْبَدَ وَالْهَاءُ لِلْسُّكُوتِ.

٨٧ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَدُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ
وَأَجْنِبْنَهُمْ وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ

٨٨ ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ هَدًى يَهْدِي بِهِ مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا
لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

٨٩ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا
هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُو
بِهَا يَكْفِرِينَ

٩٠ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
فَبُهِدْنَاهُمْ أَقْبَدَهُ قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ
إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

(الْكِتَابَ) (آبَاؤُكُمْ)

(٩١) - مَا عَرَفَ مُنْكَرُوا الْوَحْيَ ، مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ، اللَّهُ حَقٌّ مَعْرِفَتِهِ ، وَلَا عَظُمُوهُ حَقُّ التَّعْظِيمِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ ، إِذْ كَذَّبُوا رُسُولَهُمْ ﷺ ؛ وَقَالُوا : (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) ، قُلْ ، يَا مُحَمَّدٌ ، لِهَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ أَنْزَالَ كِتَابَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْبَشَرِ : مِنَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، لِيَكُونَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي كَشْفِ الْغَوَامِضِ ، وَحَلِّ الْمَشْكِلاتِ ، وَهُدًى يَهْتَدَى بِهِ مِنْ ظُلَمِ الشُّبُهَاتِ ؟ .

وَمُشْرِكُوا الْعَرَبِ يُقْرُونَ بِأَنَّ التَّوْرَةَ مُنْزَلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مُوسَى ، لِذَلِكَ يَكُونُ تَعَالَى قَدْ أَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْوَحْيَ وَالْكِتَابَ عَلَى مَنْ يَخْتَارُهُمْ مِنْ خَلْقِهِ لِحَمْلِ رِسَالَاتِهِ .

وَقَدْ أَرْسَلَ مُشْرِكُوا قُرَيْشٍ وَفْدًا إِلَى الْمَدِينَةِ يَسْأَلُونَ أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَمَّا يَجِدُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِفَتِهِ ، فَرَدَّ الْأَحْبَارُ عَلَيْهِمْ : إِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ عَنْهُ شَيْئًا . وَقَدْ آهَنْدَى الْيَهُودُ بِالتَّوْرَةِ ، وَصَارُوا خَلْقًا آخَرَ مُتَمَسِّكًا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، حَتَّى اخْتَلَفُوا ، وَنَسُوا حَقًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ، وَجَعَلُوا كِتَابَهُمْ قَرِاطِيسَ يُبْدُونَهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ ، فَكَانَ الْخَبَرُ مِنْ أَحْبَارِهِمْ إِذَا اسْتَفْتِيَ فِي مَسْأَلَةٍ لَهُ هَوًى فِي إِظْهَارِ حُكْمِ اللَّهِ فِيهَا كَتَبَ ذَلِكَ الْحُكْمَ فِي قِرْطَاسٍ ، وَأَظْهَرَهُ لِلْمُسْتَفْتِي وَخُصُومِهِ . وَكَانُوا يَخْفُونَ كَثِيرًا مِنْ أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَأَخْبَارِهِ ، إِذَا كَانَ لَهُمْ هَوًى فِي ذَلِكَ وَمَصْلَحَةٌ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَ كَانَ فِي أَيْدِي الْأَحْبَارِ ، وَلَمْ تَكُنْ فِي أَيْدِي الْعَامَّةِ نُسْخُ مِنْهُ ، وَقَدْ أَحْفَى الْيَهُودُ حُكْمَ رَجْمِ الزَّانِي فِي الْمَدِينَةِ ، وَأَخْفَوْا الْبَشَارَةَ الْوَارِدَةَ فِي التَّوْرَةِ بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَكَتَمُوا صِفَتَهُ عَنِ الْعَامَّةِ ، وَصَرَفُوهَا إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى بِالنَّسْبَةِ لِلْخَاصَّةِ ، لِكَيْلَا يَتَّبِعُهُ الْيَهُودُ .

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَتَوَلَّى هُوَ الْجَوَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ إِذَا سَكَتَ الْكُفَّارُ : وَلَيَقُلْ إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ هُوَ اللَّهُ ، ثُمَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَرَكَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الضَّلَالِ ، يَخُوضُونَ وَيَلْعَبُونَ كَالصَّبِيَّانِ .

مَا قَدَرُوا اللَّهَ - مَا عَرَفُوا اللَّهَ وَمَا عَظُمُوهُ .

قَرِاطِيسَ - أَوْرَاقًا مَكْتُوبَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ .

قُلْ - اللَّهُ - قُلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ (أَيَّ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ) .

خَوْضِهِمْ - فِيمَا يَخُوضُونَ فِيهِ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْبَاطِلِ .

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ

قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ

بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ

تَجْعَلُونَهُ قَرِاطِيسَ يُبْدُونَهَا

وَيَخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلْمَتُهُ مَالُ

تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ

تَعْلَمُ دَرَجَتَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

(كِتَابُ) (أَنْزَلْنَاهُ) (بِالْآخِرَةِ)

(٩٢) - وَهَذَا الْقُرْآنُ كِتَابٌ عَظِيمٌ الْقَدِيرُ، أَنْزَلْنَاهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلُ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، وَقَدْ بَارَكْنَا فِيهِ فَجَعَلْنَاهُ كَثِيرَ الْخَيْرِ، دَائِمَ الْبَرَكَةِ وَالْمَنْفَعَةِ، يُبَشِّرُ بِالنَّوَابِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَيُنْهَى عَنِ الْمَعْصِيَةِ، مُصَدِّقًا لِمَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، فِي الْمَبَادِيءِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا، وَقَدْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ لِيُنْذِرَ أَهْلَ مَكَّةَ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ بِلَادِ اللَّهِ جَمِيعًا (كَمَا قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ)، وَلِيُحَذِّرَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَبَأْسِهِ، إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ وَبِالْمَعَادِ إِلَى اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ لِلْحِسَابِ، يُؤْمِنُ بِهَذَا الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ فِيهِ الْهَدَايَةَ وَالسَّعَادَةَ فِي تِلْكَ الدَّارِ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ يُحَافِظُونَ عَلَى صَلَاتِهِمْ فَيُؤَدُّونَهَا فِي أَوْقَاتِهَا، لِأَنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا تَدْعُو إِلَى الْقِيَامِ بِسَائِرِ الْعِبَادَاتِ.

أُمُّ الْقُرَى - مَكَّةُ.
مَنْ حَوْلَهَا - أَهْلُ الْأَفَاقِ - أَيُّ أَهْلِ بِلَادِ الْعَالَمِ جَمِيعًا.
مُبَارَكٌ - كَثِيرُ الْمَنَافِعِ وَالْفَوَائِدِ (وَهُوَ الْقُرْآنُ).

(الظَّالِمُونَ) (غَمَرَاتِ) (وَالْمَلَائِكَةُ) (بَاسِطُوا) (آيَاتِهِ)

(٩٣) - لَا أَحَدَ أَكْثَرَ ظُلْمًا مِنْ كَذَبِ عَلَى اللَّهِ، فَجَعَلَ لَهُ شَرِيكًا أَوْ وَلَدًا، أَوْ ادَّعَى أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ رَسُولًا إِلَى النَّاسِ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلَهُ (كَالَّذِينَ يَدْعُونَ النُّبُوَّةَ)، أَوْ ادَّعَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ مِثْلَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْوَحْيِ. وَالْقُرْآنُ (كَالَّذِينَ قَالُوا: لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا). وَهَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ وَأَمَنَّا لَهُمْ جَزْمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَلَوْ تَرَى يَا مُحَمَّدُ حَالَهُمْ وَهُمْ يُعَانُونَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَالْأَمَّ اللَّحْظَاتِ الْآخِرَةَ مِنْ حَيَاتِهِمْ التَّعِيسَةِ، لَرَأَيْتَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى وَصْفِهِ وَتَصْوِيرِهِ مِنْ سُوءٍ، وَقَدْ جَاءَهُمْ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ بِأَسْطِينِ إِلَيْهِمْ أَيْدِيَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْعَذَابِ لِيَسْتَخْرِجُوا أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ، بِقَسْوَةٍ وَعَنْفٍ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ فَالْيَوْمَ تُهَانُونَ غَايَةَ الْهَوَانِ، لِمَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ، وَتُسْتَكْبِرُونَ عَنْ أَتْبَاعِ آيَاتِهِ، وَالْإِقْيَادِ إِلَى رُسُلِهِ.

غَمَرَاتِ الْمَوْتِ - سَكَرَاتِهِ وَشَدَائِدِهِ.

أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ - خَلِّصُوهَا مِمَّا هِيَ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ - أَوْ تَخَلَّوْا عَنْهَا.
عَذَابُ الْهَوْنِ - الْهَوَانُ الشَّدِيدُ وَالذُّلُّ وَالْخِزْيُ.

(٩٤) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ

مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِيُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

(٩٥) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ

الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ

(فُرَادَى) (خَلَقْنَاكُمْ) (خَوَّلْنَاكُمْ) (شُرَكَاءَ)

(٩٤) - ثُمَّ يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ يُقَالُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَكَمَا بَدَأْنَاكُمْ أَعْدَانًاكُمْ، وَكُنْتُمْ تُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَتَسْتَعْدُونَ، فَهَذَا هُوَ يَوْمُ الْبَعْثِ الَّذِي كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ بِهِ، وَقَدْ تَرَكْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا أَتَيْنَاكُمْ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ، وَالْأَمْوَالِ الَّتِي جَمَعْتُمُوهَا. وَيُقْرَعُونَ عَلَى مَا كَانُوا اتَّخَذُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ ظَانِينَ أَنَّهَا تَنْفَعُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، فَيَقَالُ لَهُمْ: إِنَّا لَا نَرَى مَعَكُمْ الشُّفَعَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنْ لَهُمْ قِسْطًا مِنْ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ، لَقَدْ تَقَطَّعَتْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَسْبَابُ وَالصَّلَاتُ، وَتَلَأَسَتْ أَمَالُكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَهُ مِنْ رَجَاءِ شَفَاعَتِهِمْ.

(وَيُرَوَّى فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَهُوَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ: سَتَشْفَعُ لِي اللَّاتُ وَالْعُزَّى).
مَا خَوَّلْنَاكُمْ - مَا أَعْطَيْنَاكُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.
تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ - تَفَرَّقَ الْإِتِّصَالُ بَيْنَكُمْ.

(٩٥) - وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى بَعْثِ الْعِبَادِ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْمَعَادِ، أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُسْقِي الْحَبَّ وَالنَّوَى فِي جَوْفِ الْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ يُخَالِطُهُ الْمَاءُ، فَتَنْبُتُ الزَّرْعُ مِنَ الْحُبُوبِ، وَتَنْبُتُ الْأَشْجَارُ مِنَ النَّوَى، وَاللَّهُ يُخْرِجُ النَّبَاتَ الْحَيَّ مِنَ الْحَبِّ وَالنَّوَى الَّذِي هُوَ كَالْجَمَادِ الْمَيِّتِ. وَالَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ (ذِكْرُكُمْ اللَّهُ) فَكَيْفَ تُصَرِّفُونَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَنِ الْحَقِّ، وَتَعْدِلُونَ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ، فَتَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ؟

فَالِقُ الْحَبِّ - شَاقُّ الْحَبِّ عَنِ النَّبَاتِ، أَوْ خَالِقُهُ.
فَكَيْفَ تُؤْفِكُونَ - فَكَيْفَ تُصَرِّفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ.

(اللَّيْلِ)

(٩٦) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ الضِّيَاءِ وَالظُّلَامِ، وَهُوَ يُقْلِقُ ظِلَامَ اللَّيْلِ عَنْ غُرَّةِ الصَّبَاحِ، فَيُضِيءُ الْوُجُودَ، وَتَبْلَاشِي الظُّلَامِ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ سَاجِيًا مُظْلِمًا لِيَسْكُنَ فِيهِ الْكَائِنَاتُ، وَتَرْتَاحَ مِنْ غِنَاءِ النَّهَارِ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ بِحِسَابِ مُقَدَّرٍ، لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ، وَلِكُلِّ مَنَّهُمَا مَنَازِلَ يَسْلُكُهَا، وَيُتَّجُّ مِنْ ذَلِكَ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ جَارٍ بِتَقْدِيرِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُمَانَعُ وَلَا يُخَالَفُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ.

٩٤ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا

خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا
خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ
وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ
زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ
تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ



٩٥ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ
وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ
اللَّهُ فَالِقُ تُوْفِكُونَ

٩٦ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ لَیْلَ

سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ - شَاقُّ ظُلُمَةِ اللَّيْلِ عَنْ بَيَاضِ النَّهَارِ .
حُسْبَانًا - يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ مُقَدَّرٍ فِي فَلَكِهِمَا .

(ظُلُمَاتٍ) (الآيَاتِ)

(٩٧) - وَجَعَلَ اللَّهُ النُّجُومَ لِيَهْتَدِيَ بِهَا النَّاسُ فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَغْشَى فِيهَا الْأَرْضَ الظُّلَامَ، وَلِيَعْرِفُوا الْأَتَجَاهَاتِ، حِينَمَا تَكُونُ الشَّمْسُ غَائِبَةً . وَيَقُولُ تَعَالَى : إِنَّهُ بَيْنَ الْآيَاتِ وَوَضَحَهَا لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَيَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَيَتَجَنَّبُونَ الْبَاطِلَ .

(وَاحِدَةٍ) (الآيَاتِ)

(٩٨) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنشَأَ الْبَشَرَ، وَخَلَقَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ نَفْسُ آدَمَ، إِذْ خَلَقَهُ مِنْ طِينٍ (وَهُوَ تُرَابٌ خَالِطُهُ مَاءٌ)، ثُمَّ خَلَقَ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ زَوْجَهَا (حَوَاءَ)، وَبَثَّ الْبَشَرَ جَمِيعاً مِنْهُمَا بِالتَّزَاوُجِ . بَيْنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، وَذَلِكَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَمَقَرُّ النُّطْفَةِ صُلْبَ الرَّجُلِ، وَمُسْتَوْدَعُهَا رَحِمُ الْأُنْثَى (فَتَخْرُجُ النُّطْفَةُ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا فِي الْأَصْلَابِ وَتُسْتَوْدَعُ فِي الْأَرْحَامِ فَيَتَخَلَّقُ الْبَشَرُ) . وَيَقُولُ تَعَالَى : إِنَّهُ فَصَّلَ الْآيَاتِ وَبَيَّنَّهَا لِمَنْ يَفْقَهُونَ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُعُونَ كَلَامَ اللَّهِ، وَيَفْهَمُونَ مَعْنَاهُ .
مُسْتَقَرُّ النُّطْفَةِ - فِي أَصْلَابِ الذُّكُورِ (وَقِيلَ لَا بَلْ فِي الْأَرْحَامِ) .
وَمُسْتَوْدَعُهَا - فِي أَرْحَامِ الْإِنَاثِ (وَقِيلَ لَا بَلْ تُسْتَوْدَعُ فِي أَصْلَابِ الذُّكُورِ) .

(جَنَّاتٍ) (مُتَشَابِهٍ) (لآيَاتِ)

(٩٩) - وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بِقَدَرٍ مِنْهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا، وَرَزَقًا لِلْعِبَادِ، وَإِحْيَاءً وَغِيَاثًا لِلْخَلَائِقِ، فَأَخْرَجَ النَّبَاتَ وَالزَّرْعَ وَالشَّجَرَ الْأَخْضَرَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْلُقُ فِيهِ الْحَبَّ وَالثَّمَرَ، وَيَرْكَبُ بَعْضُ الْحَبِّ بَعْضًا كَسَنَابِلِ الْقَمْحِ وَالذَّرَّةِ وَنَحْوِهَا، وَيُخْرِجُ مِنْ طُلُوعِ النَّخْلِ عُذُوقَ الرُّطَبِ (فَتَوَانٍ - وَهِيَ عَنَاقِيدُ الثَّمَرِ)، وَتَكُونُ دَانِيَةً قَرِيبَةً مِنَ الْمُتَنَاوِلِ، وَيُخْرِجُ بِالسَّمَاءِ بَسَاتِينَ (جَنَّاتٍ الْعِنَبِ وَيُخْرِجُ الزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ . وَثِمَارُ هَذِهِ الْأَشْجَارِ تَتَشَابَهُ فِي مَنَظَرِهَا، وَتَخْتَلِفُ فِي طَعْمِهَا، فَانْظُرُوا، فِي تَدْبِيرِ وَتَمَعْنِ، إِلَى ثَمَرِهِ جِئْنِ ثَمَرٍ، وَإِلَى نَضِجِهِ، وَفَكَّرُوا فِي قُدْرَةِ الْخَالِقِ، الَّذِي أَخْرَجَهُ إِلَى الْوُجُودِ، فَبَعْدَ أَنْ كَانَ حَطْبًا صَارَ ثَمَرًا صَغِيرًا، ثُمَّ أَخَذَ فِي النَّمَاءِ حَتَّى صَارَ فَاكَةً نَاضِجَةً . فَإِنَّ فِي ذَلِكَ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، دَلَالَاتٍ

﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ

لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ
وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ

﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ فَسْتَقَرُّوْا وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَفْقَهُونَ

﴿١٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ
فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ
مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ
النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ
وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ
وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ
انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ

وَيَنْعَمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

عَلَى وُجُودِ خَالِقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَعَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، لِقَوْمٍ
يُصَدِّقُونَ بِهِ، وَيَتَّبِعُونَ رُسُلَهُ.
خَضِرًا - شَيْئًا أَتَّخَضَرُ غَضًا.
حَيًّا مُتْرَكِيًّا - يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، كَسَنَابِلِ الْقَمْحِ وَعَنَاقِيدِ الذُّرَّةِ.
طَلَعَ النُّخْلِ - أَوَّلُ مَا يَخْرُجُ ثَمَرُ النُّخْلِ فِي الْكِيزَانِ.
قِنَوَانٌ - عُدُوقُ النُّخْلِ - وَهِيَ كَالْعَنَاقِيدِ لِلْعِنَبِ تَنْشَقُّ عَنْهَا الْكِيزَانُ.
دَانِيَةٌ - مُتَدَلِّيَةٌ أَوْ قَرِيبَةٌ مِنْ مُتَنَاوِلِ الْيَدِ.
يَنْعَمُ - نَضْجُهُ.

(بَنَاتٍ) (سُبْحَانَهُ) (تَعَالَى)

(١٠٠) - قَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الزَّنَادِقَةِ
مِنَ الْمُجُوسِ، الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ النَّاسِ وَالْذُّوَابِ وَالْأَنْعَامِ، فَهُوَ
إِلَهُ الْخَيْرِ. وَإِبْلِيسُ خَالِقُ السَّبَاعِ وَالضُّوَارِي وَالْحَيَاتِ وَالشَّرِّ، فَهُوَ إِلَهُ
الشَّرِّ. وَيَقُولُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: لَقَدْ جَعَلَ الْمُشْرِكُونَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى، شُرَكَاءَ مِنَ الْجِنِّ، وَالْحَالُ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ هَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءَ الَّذِينَ
عَبَدَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، كَمَا خَلَقَ غَيْرَهُمْ، فَجَمِيعُ الْخَلْقِ عِبْدُهُ، وَالْمَخْلُوقُ
لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ رَبًّا وَلَا إِلَهًا، وَأَخْتَلَقَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِحُجَّتِهِمْ،
وَجَهْلِهِمْ، لِلَّهِ بَنَاتٍ وَبَنِينَ، وَجَعَلُوهُمْ أَبْنَاءَهُ (فَجَعَلَ الْعَرَبُ الْمَلَائِكَةَ
بَنَاتِ اللَّهِ، وَجَعَلَ الْيَهُودُ عُزَيْرًا ابْنَ اللَّهِ، وَجَعَلَ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ
اللَّهِ). وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا قَالُوا إِنْ كَانَ خَطَأٌ أَوْ صَوَابٌ (بِغَيْرِ
عِلْمٍ)، تَنَزَّهَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُهُ هَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ، وَعَنْ كُلِّ
نَقْصٍ يُنَافِي أَنْفِرَادَهُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.
الْجِنِّ - الشَّيَاطِينِ.

خَرَقُوا لَهُ - ائْتَلَقُوا وَافْتَرَوْا وَنَسَبُوا إِلَيْهِ افْتِرَاءً وَحَمَاقَةً.

(السَّمَاوَاتِ) (صَاحِبَةً)

(١٠١) - لَقَدْ أُبْدِعَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ
سَبَقَ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَالْوَلَدُ يَتَوَلَّدُ مِنْ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ، وَاللَّهُ لَا
يُشَبَّهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا صَاحِبَةَ لَهُ وَلَا وَلَدَ، لَقَدْ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ.
بِدِيعِ السَّمَاوَاتِ - مُبْدِعُهَا وَخَالِقُهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.
أَتَى يَكُونُ - كَيْفَ يَكُونُ، أَوْ مِنْ أَيْنَ يَكُونُ؟

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ

وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ
عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يَصِفُونَ

بِدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى

يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(خَالِقُ)

(١٠٢) - وَيَقُولُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ: إِنَّ إِلَهَهُ الْمُتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ مَا يَقُولُونَ، الْمُتَّصِفَ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ وَلَا وَلَدَ، هُوَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَقْرُوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبِعُودِيَّتِكُمْ لَهُ، وَهُوَ وَكِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، مُتَوَلِّ شُؤُونَ خَلْقِهِ، وَمُدَبِّرُ مَلِكِهِ بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَهُوَ حَفِظَ عَلَيْهِ، فَهُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ وَكِيلٌ - رَقِيبٌ وَمُتَوَلِّ.

(الْأَبْصَارُ)

(١٠٣) - لَا تَرَى الْأَبْصَارُ اللَّهَ رُؤْيَةً إِحَاطَةً تَعْرِفُ كُنْهَهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ تَعَالَى بَرَى الْعُيُونَ الْمُبْصِرَةَ رُؤْيَةً إِدْرَاكِ وَإِحَاطَةً، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ حَقِيقَتِهَا، وَلَا شَيْءٌ مِنْ عِلْمِهَا، وَهُوَ اللَّطِيفُ بِذَاتِهِ، يُعْجِزُ الْأَبْصَارَ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ، وَهُوَ الْخَبِيرُ بِذَفَاتِ الْأَشْيَاءِ، فَلَا يَعْزُبُ عَنْ إِدْرَاكِهِ شَيْءٌ. لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ - لَا تُحِيطُ بِهِ تَعَالَى.

(بَصَائِرُ)

(١٠٤) - وَقُلْ لَهُمْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ خَالِقِكُمْ بَصَائِرُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ، مِنَ الْحُجَجِ الْكُوْنِيَّةِ، وَالْبَرَاهِينِ الْعَظِيمَةِ، تُثَبِّتُ لَكُمْ عَقَائِدَ الْحَقِّ الْبَقِيَّةِ، فَمَنْ أَبْصَرَ الْحَقَّ وَآمَنَ، وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ أَهْتَدَى، فَيَكُونُ قَدْ قَدَّمَ لِنَفْسِهِ الْخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ، وَمَنْ عَمِيَ عَنِ الْحَقِّ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَصْرَّ عَلَى الضَّلَالَةِ، فَيَكُونُ قَدْ جَنَى عَلَى نَفْسِهِ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِرَقِيبٍ أَحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَأَفْعَالَكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولُ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَاللَّهُ هُوَ الْحَفِيزُ عَلَيْكُمْ. بَصَائِرُ - آيَاتُ وَبَرَاهِينُ تَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَتُبْصِرُ بِهِ. حَفِيزٌ - رَقِيبٌ يُحْصِي الْأَعْمَالَ لِحَاسِبٍ عَلَيْهَا.

(الآيَاتِ)

(١٠٥) - وَمِثْلُ ذَلِكَ التَّصْرِيفِ الْبَدِيعِ، فِي عَرْضِ الدَّلَائِلِ الْكُوْنِيَّةِ، نَعْرِضُ آيَاتِنَا فِي الْقُرْآنِ، مُنَوَّعَةً مَقْصَلَةً، لِإثْبَاتِ أَصُولِ الْإِيمَانِ، وَتَهْذِيبِ النُّفُوسِ وَالْأَخْلَاقِ، فَتُحَوَّلُهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. فَالْمُسْتَعِدُّونَ لِلْإِيمَانِ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ، وَالْجَاحِلُونَ الْمَعَانِدُونَ، مِنْ

١٠٢ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

١٠٣ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

١٠٤ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ

١٠٥ وَكَذَلِكَ نُصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا أَدْرَسَتْ وَلَيْسَ لِنَبِيِّنَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

المُشْرِكِينَ يَقُولُونَ قَدْ دَرَسْتَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ قَبْلُ، وَتَعَلَّمْتَ مِنْ غَيْرِكَ هَذَا الَّذِي تَقُولُهُ، وَلَيْسَ هُوَ بِوَحْيٍ مُنْزَلٍ عَلَيْكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا زَعَمْتَ. وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِهِمْ هَذَا فِي آيَةٍ أُخْرَى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١).

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: وَتَبَيَّنَ هَذَا الْقُرْآنُ الْمُشْتَبِلُ عَلَى تَصْرِيفِ الْآيَاتِ، لِقَوْمٍ لَدَيْهِمُ الاسْتِعْدَادُ إِذَا عَلِمُوا الْحَقَّ أَنْ يَتَّبِعُوهُ، وَإِذَا أَذْرَكُوا الْبَاطِلَ أَنْ يَجْتَنِبُوهُ.

نُصِرَفُ الْآيَاتِ - نَكْرَرُهَا بِأَسَالِيِبٍ مُخْتَلَفَةٍ.

دَرَسْتَ - قَرَأْتَ وَتَعَلَّمْتَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (مِنَ الدِّرَاسَةِ).

(١٠٦) - يَا مُرُّهُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَتَّبِعَ مَا يُوجِبُهُ إِلَيْهِ رَبُّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، لِيُرِيَّ نَفْسَهُ، وَلِيَكُونَ قُدْوَةً وَإِمَامًا لِلْمُؤْمِنِينَ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ. ثُمَّ يَا مُرُّهُ، بَعْدَ ذَلِكَ، بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، لِأَنَّ الْحَقَّ يُعْلَمُ بِالْقَوْلِ وَبِالْإِخْلَاصِ وَبِالْعَمَلِ.

(جَعَلْنَاكَ)

(١٠٧) - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَلْبَشَرُ لَمَّا أَشْرَكُوا، وَذَلِكَ بِأَنْ يَخْلُقَ الْبَشَرَ مُؤْمِنِينَ، مُطِيعِينَ بِالْفِطْرَةِ كَالْمَلَائِكَةِ، لَكِنْ لِحِكْمَةٍ مِنْهُ خَلَقَهُمْ مُخْتَارِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفِي كَسْبِهِمْ لِعُلُومِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ. وَقَدْ جَعَلَ فِيهِمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَمَا جَعَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَفِيزًا تَحْفَظُ أَعْمَالَهُمْ لِتُحَاسِبَهُمْ عَلَيْهَا، وَلَا وَكِيلًا تَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ وَتَتَصَرَّفُ بِهَا. وَإِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَعَلَى اللَّهِ الْحِسَابُ.

(١٠٨) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَنِ سَبِّ الْأَلِهَةِ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ، لِكَيْلَا يَقُومَ هَوْلًا بِسَبِّ اللَّهِ، الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُؤْمِنُونَ، عَدُوًّا وَتَجَاوَزًا مِنْهُمْ لِلْحَدِّ فِي السَّبِّ وَالْمُشَاتَمَةِ، لِيُغَيِّظُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ جَاهِلُونَ بِاللَّهِ، وَبِمَا يَسْتَحِقُّهُ تَعَالَى مِنَ التَّقْدِيسِ وَالْإِجْلَالِ وَالْإِحْتِرَامِ.

(وَقَالَ آيُنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ لَنْتَهَيَّ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا أَوْ لَنْهَجُونَ رَبَّكَ. فَنَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يُسَبُّوا أَوْثَانُ الْمُشْرِكِينَ لِكَيْلَا يُسَبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ).

﴿أَتَبِعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيزًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

وَكَمَا زُينَ لَهُؤُلَاءِ الْكُفَّارُ حُبُّ أَصْنَانِهِمْ، وَالْمَحَامَاةُ عَنْهَا، وَالْإِنْصَارُ
لَهَا، كَذَلِكَ، زُينَ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الضَّالَّةِ الْخَالِيَةِ عَمَلُهُمُ الَّذِي كَانُوا
فِيهِ، وَلِلَّهِ الْحُكْمَةُ النَّامَةُ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فِيمَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ
إِلَيْهِ تَعَالَى فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، وَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهِ
الْحِزَاءُ الْأَوْفَى إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.
عَدُوا - أَعْتَدَاءٌ وَظُلْمًا وَتَجَاوَزًا.

أَيْمَانِهِمْ (لَيْتُنْ) (آيَةُ) (الآيَاتِ)

(١٠٩) - وَأَقْسَمَ الْمُشْرِكُونَ أَيْمَانًا مُؤَكَّدَةً، لَيْتُنْ أَتَتْهُمْ مُعْجَزَةٌ مِنَ اللَّهِ
لَيُصَدِّقُنَهَا، وَلَيُؤْمِنَنَّ بِهَا، فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ الْآيَاتِ،
تَعْتَأُ وَتُفَرُّ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْأَشْهَادِ وَالْإِسْتِشَادِ: إِنْ الْآيَاتِ عِنْدَ اللَّهِ
وَحْدَهُ، إِنْ شَاءَ جَاءَكُمْ بِهَا، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَكُمْ. وَمَا يَذَرِكُمْ يَا أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ أَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا، وَيَسْتَمِرُّونَ عَلَى
جُحُودِهِمْ بِهَا؟

(وَرَوَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ رَدًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَدْ كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يَوْمًا قَرِيشًا، فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ: تُخْبِرُنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ مَعَهُ عَصَا يَضْرِبُ بِهَا
الْحَجَرَ، وَأَنَّ عِيسَى كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَأَنَّ صَالِحًا كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ...
فَأْتَيْنَا بِبَعْضِ تِلْكَ الْآيَاتِ حَتَّى نُصَدِّقَكَ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ: أَيُّ شَيْءٍ
تُجِبُونَ أَنْ آتِيَكُمْ بِهِ؟ قَالُوا: تُحَوِّلْ لَنَا الصِّفَا ذَهَبًا. فَقَالَ لَهُمْ إِنْ فَعَلْتُ
نُصَدِّقُوكُنِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. وَاللَّهِ لَيْتُنْ فَعَلْتُ لَنَتَّبِعَنَّكَ أَجْمَعِينَ. فَقَامَ رَسُولُ
اللَّهِ يَدْعُو. فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ الصِّفَا
ذَهَبًا، فَإِنْ لَمْ يُصَدِّقُوا عِنْدَ ذَلِكَ لَنُعَذِّبَنَّهُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَتَرَكُهُمْ حَتَّى
يَتُوبَ تَائِبِينَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَرَكُهُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ).
جَهْدُ أَيْمَانِهِمْ - مُجْتَهِدِينَ فِي الْحَلْفِ بِأَعْلَى الْأَيْمَانِ وَأَوْكِدَهَا.

أَفْتَدَتْهُمْ (وَأَبْصَارُهُمْ) (طُغْيَانِهِمْ)

(١١٠) - وَمَا يَذَرِكُ أَنَّا نَحْتَمُ عَلَى أَفْتَدَتْهُمْ عَنْ إِدْرَاكِ الْحَقِّ فَلَا
يَذَرِكُونَهُ، وَنَحْوَلُ بَيْنَ أَبْصَارِهِمْ وَبَيْنَ آجِلَاتِهِ فَلَا يُبْصِرُونَهُ، وَيَكُونُ
حَالُهُمْ حِينَئِذٍ كَحَالِهِمُ الْأَوَّلِ فِي عَدَمِ الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنَ
الْآيَاتِ. وَمَنْ لَمْ يُقْنِعْهُ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنَ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْبَرَاهِينِ
الْعَمَلِيَّةِ، لَا يُقْنِعُهُ مَا يَرَاهُ بِعَيْنِهِ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْحِسِّيَّةِ. وَإِنَّا نَدْعُهُمْ يَتَجَاوَزُونَ
الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ، وَيَتَرَدَّدُونَ حَيْثَ رَأَى مُتَحَبِّطِينَ فِيمَا سَمِعُوا مِنْ

١٠٩ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ
وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ

١١٠ وَنَقَلِبُ أَفْتَدَتْهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ

كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ

الآيَاتِ وَهُمْ يُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ: أَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَمْ إِنَّهُ سِحْرٌ خَادِعٌ؟

نَذَرَهُمْ - تَتْرُكُهُمْ.

طُغْيَانِهِمْ - تَجَاوَزِهِمُ الْحَدَّ بِالْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ.

يَعْمَهُونَ - يَعْمُونَ عَنِ الرُّشْدِ، أَوْ يَتَحَيَّرُونَ.

(الْمَلَائِكَةُ)

(١١١) - إِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا جَهْدَ إِيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا، كَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ. فَلَوْ أَجَابَكَ اللَّهُ عَلَى سُؤْلِكَ - يَا مُحَمَّدٌ - فَزَلْتَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ تُخْبِرُهُمْ بِصِدْقِ الرِّسَالَةِ الْمُنْزَلَةِ عَلَيْكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَوْ أَحْيَا اللَّهُ الْمَوْتَى فَكَلَّمُوهُمْ وَأَخْبَرُوهُمْ بِصِدْقِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، أَوْ جَمَعَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْآيَاتِ وَالْذَّلَائِلِ الْأُخْرَى وَأَرْسَلَهَا إِلَيْهِمْ مُعَايِنَةً وَمُوَاجَهَةً مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِيْمَانًا أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَجَعْلِهِمْ يُؤْمِنُونَ. فَهُوَ الْفَاعِلُ لِمَا يُرِيدُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَجْهَلُونَ هَذَا الْأَمْرَ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَاءَ الْمُسْتَهْزِئُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُمْ خَمْسَةٌ نَفَرٍ، فِي رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: أَرَأَيْتَ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ لَكَ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، أَوْ أَتَيْتَ لَنَا بَعْضَ مَوْتَانَا نَسْأَلُهُمْ: أَحَقُّ مَا تَقُولُ أَوْ بَاطِلٌ. أَوْ أَتَيْنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ).

حَشَرْنَا - جَمَعْنَا.

قَبِيلًا - مُقَابَلَةً وَمُوَاجَهَةً أَوْ جَمَاعَةً جَمَاعَةً.

(شَيَاطِينِ)

(١١٢) - وَكَمَا جَعَلْنَا هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالَهُمْ أَعْدَاءَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، يُخَالِفُونَكَ وَيُعَادُونَكَ، وَبَعْدُوكَ، كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْ قَبْلِكَ أَعْدَاءَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ (شَيَاطِينِ الْإِنْسِ هُمُ الْكِبَرَاءُ وَمَنْ يُضِلُّونَ النَّاسَ عَنِ الْهُدَى بِالْوَسْوَسَةِ وَالْإِغْرَاءِ وَالْمُخَادَعَةِ)، وَيُلْقِي بَعْضُ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ الْمُمَوِّهِ الَّذِي يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ يَسْتُرُونَ بِهِ قُبْحَ بَاطِلِهِمْ، وَيُؤَدُّونَهُ بِطَرِيقٍ خَفِيَّةٍ لَا يَفْقَهُنَّ إِلَى بَاطِلِهَا كُلِّ وَاحِدٍ، حَتَّى يَغُرُّوا النَّاسَ وَيُخَدِّعُوهُمْ وَيُؤْمِلُوهُمْ إِلَى مَا يُرِيدُونَ، كَمَا وَسَّوسَ الشَّيْطَانُ لَادَمَ وَحَوَاءَ لِلْأَكْثَرِ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاَهُمَا اللَّهُ عَنْهَا،



﴿١١١﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ

﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ

وَكَمَا يُوسُوسُ الشَّيَاطِينُ الْإِنْسَ لِمَنْ يَجْتَرِحُونَ السَّيِّئَاتِ، فَيَزَيِّنُونَ لَهُمْ مَا فِيهَا مِنْ عَظِيمِ اللَّذَّةِ، وَالتَّمَتُّعِ بِالْحَرِيرَةِ، وَيُمْنُونَهُمْ بِعَفْوِ اللَّهِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يَفْعَلُوا ذَلِكَ لَمَا فَعَلُوهُ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ إِذْ خَلَقَ النَّاسَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِقَبُولِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالْشَّرِّ. زُخْرَفِ الْقَوْلِ - بَاطِلُ الْقَوْلِ الْمَرْوُوقِ الْمُمَوَّه. غُرُورًا - خِدَاعًا وَأَخْذًا عَلَى غِرَّةٍ.

(بِالْآخِرَةِ)

(١١٣) - وَيُوجِي هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ، بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، الْقَوْلَ الْمُمَوَّهَ لِيُغُرُّوا بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَضْرِبُوهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَيَقْتَبِسُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَلِتَمِيلَ إِلَيْهِ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ الْمُوَافِقُ لِنَفْسِهِمْ إِذْ هُمْ يَمِيلُونَ إِلَى حُبِّ الشَّهَوَاتِ الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا الْأَقَاوِيلُ الْمُزْخَرَفَةُ، وَالْأَبَاطِيلُ الْمُمَوَّهَةُ، فَيَرْضَوْنَ ذَلِكَ لِأَنفُسِهِمْ بِلَا بَحْثٍ وَلَا تَمَحِيصٍ فِيهِ، وَيَرْتَكِبُونَ مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمَعَاصِي مَا هُمْ مُرْتَكِبُونَ بِغُرُورِهِمْ.

لِتَضَعِيَ - لِيَتَمِيلَ إِلَى زُخْرَفِ الْقَوْلِ.

لِيَقْتَرِفُوا - لِيَكْتَسِبُوا مِنَ الْأَثَامِ.

(الْكِتَابِ) (آيَاتِنَاهُمْ)

(١١٤) - قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ، الَّذِينَ يَقْتَرِحُونَ عَلَيْكَ تَقْدِيمَ الْأَدْلَةِ، وَالْإِتْيَانِ بِالْمُعْجَزَاتِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوتِكَ: إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِ مَا اقْتَرَحْتُمُوهُ مِنَ الْأَدْلَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الرِّسَالَةِ، وَاتِّبَاعُ حُكْمِ اللَّهِ فِيهَا. وَقُلْ لِهَؤُلَاءِ: لَيْسَ لِي أَنْ أُنْعِدَى حُكْمَ اللَّهِ، وَلَا أَنْ أَتَجَاوَزَهُ، لِأَنَّهُ لَا حُكْمَ أَعْدَلُ مِنْ حُكْمِهِ، وَلَا قَوْلَ أَصْدَقَ مِنْ قَوْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا فِيهِ كُلُّ مَا يَصِحُّ بِهِ الْحُكْمُ. وَإِنِّزَالُهُ عَلَى رَجُلٍ أُمِّيٍّ مُشْتَمِلًا عَلَى الْحُكْمِ التَّفْصِيلِيِّ لِلْعَقَائِدِ وَالشَّرَائِعِ، هُوَ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَالَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يُوجِي إِلَى رُسُلِهِ مِنَ الْبَشَرِ، كَمَا يُوجِي إِلَيْكَ، وَلَمَّا وَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْبَشَارَةِ بِكَ، وَمَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ مِنْ ذِكْرِكَ، فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الْمُتَشَكِّكِينَ فِي أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ.

الْمُمْتَرِينَ - الْمُتَشَكِّكِينَ.

وَلِتَضَعِيَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ

مُقْتَرِفُونَ

أَفْعَرَ اللَّهُ أَتَبَعِيَ حَكَمًا وَهُوَ

الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ

مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ

مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ

مِنَ الْمُتَمَتِّرِينَ

(كَلِمَةٌ) (لِكَلِمَاتِهِ)

(١١٥) - وَتَمَّتْ رَحْمَةُ رَبِّكَ فِيمَا وَعَدَكَ بِهِ مِنَ النَّصْرِ، وَفِيمَا أُوْعَدَ بِهِ الْمُسْتَهْزِئِينَ مِنَ الْهَلَكَ وَالْجَذَلَانِ، كَمَا تَمَّتْ فِي الرُّسُلِ قَبْلَكَ وَفِي أَعْدَائِهِمْ. وَقَدْ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا لِحُصُولِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أُخْبِرَ بِهِ، وَعَدْلًا بِجَزَاءِ كُلِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، وَقَدْ يَزَادُ الْمُؤْمِنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُبَدِّلَ مَا قَضَى اللَّهُ بِهِ، وَلَا أَنْ يَرُدَّ مَا حَكَمَ بِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ الْمُخَادِعُونَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالنِّيَّاتِ، وَبِمَا يَقْتَرِفُونَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ. كَلِمَةُ رَبِّكَ - كَلَامُهُ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ. صِدْقًا وَعَدْلًا - فِي مَوَاعِيدِهِ وَأَحْكَامِهِ.

(١١٦) - وَأَكْثَرُ بَنِي الْبَشَرِ فِي ضَلَالٍ، وَفِي ظُنُونٍ كَاذِبَةٍ، فَإِذَا أَطَاعَهُمْ أَحَدٌ، بِمُخَالَفَةِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ، أَوْ أُوْدَعَهُ كَلِمَاتِهِ الْمُنَزَّلَةَ، أَضَلُّوه عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ، وَعَنْ نَهْجِ الصَّوَابِ فَلَا تَتَّبِعْ أَنْتَ وَمَنْ أَتْبَعَكَ حُكْمًا غَيْرَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ فِي الْكِتَابِ. وَهَؤُلَاءِ الْمُضِلُّونَ لَا يَتَّبِعُونَ فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ إِلَّا الظَّنَّ الَّذِي تَرْجَحُهُ لَهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ، وَهُمْ يُرْجِحُونَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ عَنْ طَرِيقِ التَّخْمِينِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالْحَزَرِ (التَّخْرُصِ)، (كَمَا يَقْدُرُ أَصْحَابُ الْبَسَاتِينِ مَا تَحْمِلُهُ شَجَرَةٌ مِنْ تَمَرٍ وَهُوَ عَلَيْهَا قَبْلَ قِطَافِهِ). يَخْرُصُونَ - يَكْذِبُونَ فِيمَا يَنْسِبُونَهُ إِلَى اللَّهِ، أَوْ يَقْدُرُونَ تَقْدِيرًا جُرْأِيًّا.

(١١٧) - وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْكَ، وَمِنْ جَمِيعِ الْعِبَادِ، بِمَنْ ضَلَّ مِنْ عِبَادِهِ عَنْ سَبِيلِهِ الْقَوِيمِ، وَبِمَنْ أَهْتَدَى إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، لِأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مُنَوَّطَةٌ بِقَدْرِ الْخَالِقِ وَمَشِيتَتِهِ، فَفَوَّضَ أَمْرَهُمْ إِلَى خَالِقِهِمْ، فَهُوَ الْعَلِيمُ بِالضَّلَالِ مِنْهُمْ وَبِالْمُهْتَدِينَ، وَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.

(بَيِّنَاتِهِ)

(١١٨) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْأَكْلَ مِنَ الذَّبَائِحِ الَّتِي ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عِنْدَ ذَبْحِهَا، أَمَا مَا لَمْ يُذَكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَلَا يُبَاحُ لَهُمْ أَكْلُهُ، هَذَا إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِآيَاتِ رَبِّهِمُ الْكَرِيمِ.

(بِأَهْوَائِهِمْ)

(١١٩) - وَمَا الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ الذَّبَائِحِ الَّتِي أَحَلَّ لَكُمْ اللَّهُ الْأَكْلَ مِنْهَا؟ وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ اللَّهُ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا
لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

وَأِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَكُمْ فِي
الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ
إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ
مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ

(الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ . الخ) إِلَّا مَا دَعَيْتُكُمْ الضَّرُورَةَ الْمُلْحَقَةَ إِلَى أَكْلِهِ مِنْ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَبَاحَ لَكُمْ الْأَكْلَ مِنْهَا بِمَقْدَارِ الْحَاجَةِ، وَإِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ يَضِلُّونَ غَيْرَهُمْ بِأَهْوَائِهِمُ الرَّائِفَةِ، وَشَهَوَاتِهِمُ الْفَاسِدَةِ، مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ يَقِينٍ أَوْتُوهُ بِصِحَّةٍ مَا يَقُولُونَ، وَلَا بُرْهَانَ عَلَيْهِ، وَهُمْ إِنَّمَا يُطِيعُونَ الشَّيَاطِينَ فِي ذَلِكَ، وَنَعُصُونَ اللَّهَ بِهِ. (كَالَّذِينَ اتَّخَذُوا السَّوَابِقَ وَالْبَحَائِرَ . وَأَخْلَوْا أَكْلَ الْمَيْتَةِ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ بِهِ .) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ يَتَجَاوَزُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ إِلَى مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ.

(ظَاهِرٌ)

(١٢٠) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا (مِمَّا تَعَلَّقَ بِالْجَوَارِحِ وَأَفْعَالِهَا)، وَمَا بَطَنَ مِنْهَا (مِمَّا تَعَلَّقَ بِالْقُلُوبِ وَأَعْمَالِهِ كَالْكِبَرِ وَالْحَسَدِ، وَتَذْيِيرِ الْمَكَائِدِ، وَالْإِعْتِدَاءِ فِي أَكْلِ الْمُحَرَّمَاتِ فِي أَكْثَرِ مِمَّا تَقْتَضِيهِ الضَّرُورَاتُ)، وَالَّذِينَ يَكْتَسِبُونَ الْأَنَامَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ سَيَلْقَوْنَ جَزَاءَ إِنْمِهِمْ، وَعَاقِبَةَ كَسْبِهِمْ.

الْإِنْمُ - لُغَةً مَا قُبِحَ، وَشَرَعًا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ. وَعَرَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: هُوَ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَبِهَتْ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ.

ذَرُوا - أَتْرَكُوا.

يَقْتَرِفُونَ - يَكْتَسِبُونَ مِنَ الْإِنْمِ.

(الشَّيَاطِينَ) (أُولِيَائِهِمْ) (لِلْجَادِلِوَكُم)

(١٢١) - فَلَا تَأْكُلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِمَّا مَاتَ فَلَمْ تَذْبَحُوهُ، وَلَا مِمَّا أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ بِهِ، مِمَّا ذَبَحَهُ الْمُشْرِكُونَ لِأَوْلِيَائِهِمْ، فَإِنْ أَكَلْتَ ذَلِكَ فَسَوْفَ وَمَعْصِيَةٌ.

وَقَالَ مَالِكٌ وَأَبْنُ حَنْبَلٍ: إِنْ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ عِنْدَ الذَّبْحِ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا يَجْعَلُ الذَّبِيحَةَ غَيْرَ حَلَالٍ. وَقَالَ الذَّبِيحُ بِغَيْرِ تَسْمِيَةٍ فَسَوْفَ، وَكَذَلِكَ الْأَكْلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ الَّتِي لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهَا فَسَوْفَ.

- وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا تَشْتَرِطُ التَّسْمِيَةُ بَلْ هِيَ مُسْتَحَبَّةٌ، فَإِنْ تَرَكْتَ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا فَلَا ضَرَرَ فِي ذَلِكَ، وَيَجِلُّ الْأَكْلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ. وَقَالَ إِنْ الْمُحَرَّمُ هُوَ مَا ذُبِحَ لغيرِ اللَّهِ، كَمَا كَانَتْ تَفْعُلُ قُرَيْشٌ مِنْ نَحْرِ الذَّبَائِحِ لِلْأَوْثَانِ.

- وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنْ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ نِسْيَانًا لَا يَضُرُّ، أَمَا تَرَكُهَا عَمْدًا فَيَجْعَلُهَا غَيْرَ حَلَالٍ.

إِلَيْهِ وَإِنْ كَثُرَ يَضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ
بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُعْتَدِينَ

﴿١٢٠﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنْمِ وَبَاطِنَهُ
إِنَّ الَّذِينَ يَكْتَسِبُونَ الْإِنْمَ
سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ

﴿١٢١﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ
اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ
الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى
أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجِدُوا كُمْ وَإِنْ
أَطَعْتُمْهُمْ إِنَّكُمْ لَمَشْرِكُونَ

وَإِنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ بِالْوَسْوَسَةِ بِمَا يُجَادِلُونَكُمْ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ فَقَدْ جَادَلَتِ الْيَهُودُ النَّبِيَّ: فَقَالُوا نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلْنَا، وَلَا نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلَ اللَّهُ (أَيُّ مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةُ، أُرْسِلَتْ فَارِسُ إِلَى قُرَيْشٍ أَنْ خَاصِمُوا مُحَمَّدًا، وَقُولُوا لَهُ: فَمَا تَذْبَحُ أَنْتَ بِسَيِّئِينَ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا تَذْبَحُ اللَّهُ بِشُمُوسٍ مِنْ ذَهَبٍ (أَيُّ الْمَيْتَةِ) فَهُوَ حَرَامٌ؟

وَسَمِعَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ هَذَا الْقَوْلَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ...) ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: فَإِنْ أَطَعْتُمُ الْمُشْرِكِينَ فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ فَإِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ، لِأَنَّكُمْ تَكُونُونَ قَدْ عَدَلْتُمْ عَنْ شَرِّعِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ، إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِ، فَقَدُمْتُمْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَهَذَا هُوَ الشُّرْكُ

(فَأَحْيَيْنَاهُ) (الظُّلُمَاتِ) (لِلْكَافِرِينَ)

(١٢٢) - هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي كَانَ مَيِّتًا فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ فَأَحْيَاهُ اللَّهُ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ، وَهَذِهِ وَفَّقَهُ إِلَى اتِّبَاعِ رُسُلِهِ، وَجَعَلَ لَهُ نُورًا يَهْتَدِي بِهِ كَيْفَ يَسِيرُ، وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ وَالتَّوَرُّهُ هُوَ الْقُرْآنُ وَالْإِسْلَامُ. وَيَقُولُ تَعَالَى هَلْ يَسْتَوِي الْمُهْتَدِي السَّائِرُ عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ، مَعَ الضَّالِّ السَّائِرِ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْجَهَالَةِ وَالضَّلَالِ، وَلَا يَهْتَدِي إِلَى مَنَافِدٍ يَسْتَطِيعُ مِنْهُ الْخُرُوجُ مِمَّا هُوَ فِيهِ؟

وَكَمَا زَيَّنَ اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، كَذَلِكَ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ لِلْهَوَلَاءِ الضَّالِّينَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالِ، وَذَبَحَ الْقَرَابِينَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَتَحَرَّمَ مَا لَمْ يُحَرِّمَهُ اللَّهُ بِمِثْلِ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهَا.

(أَكَابِرِ)

(١٢٣) - وَكَمَا جَعَلْنَا فِي قَرْنِكَ أَكَابِرَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَدْعُونَ إِلَى مُخَالَفَتِكَ وَمُعَادَاةِكَ... كَذَلِكَ كَانَتْ الرُّسُلُ قَبْلَكَ يَتْلُونَ بِذَلِكَ، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ. وَيَقُومُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ بِالذَّعْوَةِ إِلَى الضَّلَالَةِ بِزُخْرَفٍ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ (يَمَكُرُونَ).

وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ لَا يَمَكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ، لِأَنَّ مَكْرَهُمْ يَعُودُ وَبَالًا عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ يُهْلِكُهُمْ بِالْعَذَابِ، وَيَبْطِلُ مَكْرَهُمْ، وَيَنْصُرُ رُسُلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ يَمَكُرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ.

أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ

وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ

فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا

كَذَلِكَ زَيَّنَ لِلْكَافِرِينَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْنَةٍ

أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا

لِيَمَكُرُوا فِيهَا وَمَا

يَمَكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ

وَمَا يَشْعُرُونَ

الْمَكْرُ - هُوَ صَرَفُ الْإِنْسَانِ عَمَّا يُرِيدُ إِلَى غَيْرِهِ بِضُرُوبٍ مِنَ الْحِيلَةِ وَالْخِدَاعِ وَزُخْرُفِ الْقَوْلِ.

(آيَةٌ)

(١٢٤) - وَإِذَا جَاءَ أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ تَتَضَمَّنُ صِدْقَ الرَّسُولِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْهُدَى، قَالُوا: لَنْ نَذَعَنَ لِلْحَقِّ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْنَا الْوَحْيُ، كَمَا يَنْزِلُ عَلَى الرَّسُولِ. وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ قَائِلًا: الرِّسَالَةُ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ يَمُنُّ بِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ بِكَسْبٍ، وَلَا يُعْطِيهِ اللَّهُ إِلَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لَهُ. ثُمَّ يَتَوَعَّدُ اللَّهُ الْمُجْرِمِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ عَنْ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ، وَالْإِنْقِيَادِ لَهُمْ فِيمَا جَاءُوا بِهِ، بِأَنَّهُمْ سَيُصِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَغَارٌ وَذَلَّةٌ دَائِمَتَيْنِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى اسْتِكْبَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَسَيُنَالُهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ وَخَدِيعَتِهِمْ. صَغَارٌ - ذُلٌّ عَظِيمٌ وَهَوَانٌ.

(لِلْإِسْلَامِ)

(١٢٥) - إِذَا أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَةَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ يُبْسِرُهُ لِلْإِسْلَامِ، وَيُوسِّعُ قَلْبَهُ لِلتَّوْحِيدِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَيَقْذِفُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ نُورًا يَنْشُرُ لَهُ وَيَنْفِصِحُ، كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُضِلَّ أَحَدًا يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا لَا يَتَّسِعُ لِشَيْءٍ مِنَ الْهُدَى وَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ، فَإِذَا طُلِبَ إِلَيْهِ التَّأْمُلُ فِيمَا يُدْعَى إِلَيْهِ مِنْ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالنَّظَرِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ، وَجَدَ فِي صَدْرِهِ ضَيِّقًا عَنْ ذَلِكَ، فَيَكُونُ مِثْلُهُ فِي ضَيْقِ الصَّدْرِ مِثْلُ مَنْ يَصْعَدُ إِلَى الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ إِذْ يَشْعُرُ بِضَيْقٍ فِي النَّفْسِ، وَكُلَّمَا تَزَايَدَ صُعُودُهُ تَزَايَدَ شُعُورُهُ بِضَيْقِ فِي النَّفْسِ. وَكَمَا يَجْعَلُ اللَّهُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ إِضْلَالَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا، كَذَلِكَ يُسَلِّطُ اللَّهُ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ مِمَّنْ أَبَا الْإِيمَانِ، فَيَغْوِيهِ، وَيَصُدُّهُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الرَّجْسُ هُنَا هُوَ الشَّيْطَانُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ هُوَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ).

وَالرَّجْسُ لَفَةٌ - كُلُّ مَا هُوَ مُسْتَقْدَرٌ عَقْلًا أَوْ شَرْعًا أَوْ حِسًّا وَهُوَ هُنَا الْعَذَابُ.

وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

حَرْجًا - شَدِيدَ الضَّيْقِ.
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ - يَتَكَلَّفُ صُعُودَهَا فَلَا يَسْتَطِيعُهَا.

(صِرَاطُ) (الآيَاتِ)

(١٢٦) - وَدِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَنَاهُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، هُوَ صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَقَدْ وَضَحْنَا الْآيَاتِ وَبَيَّنَّاهَا، لِقَوْمٍ يَفْهَمُونَ وَيَعْقِلُونَ وَيَعُونُ.
فَصَلُّنَا - بَيَّنَّا وَوَضَحْنَا.
يَذْكُرُونَ - يَعُونُ وَيَفْهَمُونَ وَيَعْقِلُونَ.

(السَّلَامِ)

(١٢٧) - وَلِهَؤُلَاءِ الْمُتَّبِعِينَ صِرَاطَ رَبِّهِمُ الْمُسْتَقِيمِ الْجَنَّةُ، عِنْدَ رَبِّهِمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ حَافِظُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ، فَجَزَاءُ لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، تَوَلَّاهُمْ اللَّهُ، وَأَنَابَهُمُ الْجَنَّةَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.
دَارُ السَّلَامِ - الْجَنَّةُ. وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ لِسَلَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهَا.
وَلِيَّهُمْ - نَاصِرُهُمْ وَحَافِظُهُمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ.

(يَا مَعْشَرَ) (مُتَوَاكُمِ) (خَالِدِينَ)

(١٢٨) - وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ، فِيمَا تَقْصُصُهُ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَتُنْذِرُهُمْ بِهِ، مَا يَجْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَحْشُرُ اللَّهُ الْجَنِّ وَأَوْلِيَاءَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَعُودُونَ بِهِمْ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنْ إِغْوَاءِ الْإِنْسِ وَإِضْلَالِهِمْ، فَأُورِدْتُمُوهُمْ النَّارَ. وَقَالَ أَوْلِيَاءُ الْجَنِّ مِنَ الْإِنْسِ يُجِيبُونَ اللَّهَ تَعَالَى: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، بِمَا كَانَ لِلْجَنِّ مِنَ اللَّذَّةِ فِي إِغْوَائِنَا بِالْأَبَاطِيلِ، وَأَهْوَاءِ الْأَنْفُسِ وَشَهَوَاتِهَا، وَبِمَا كَانَ لَنَا فِي طَاعَتِهِمْ وَوَسْوَاسَتِهِمْ مِنَ الْمُتَعَةِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، وَالْأَنْعَمَاسِ فِي اللَّذَاتِ، وَبَلَّغْنَا، بَعْدَ اسْتِمْتَاعِ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، إِلَى الْأَجَلِ الَّذِي قَدَرْتَهُ لَنَا وَهُوَ الْمَوْتُ (أَوْ هُوَ يَوْمُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ).

فِيرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: النَّارُ مُتَوَاكُمِ وَمَنْزِلُكُمْ، أَنْتُمْ وَأَوْلِيَاؤُكُمْ، مَا كُنْتُمْ فِيهَا سَرْمَدًا، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْقِذَهُ، وَاللَّهُ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَقَدِيرٌ وَحَكِيمٌ، عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُ النَّاسُ.
اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ - أَكْثَرْتُمْ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الضَّلَالَةِ وَإِغْوَائِهِمْ.
مُتَوَاكُمِ - مَاوَاكُمِ وَمُسْتَقَرُّكُمْ.

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَذْكُرُونَ



لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ

رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَنْمَعَشِرُ

الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ
وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا
اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا
أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ
مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ
اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

(الظَّالِمِينَ)

(١٢٩) - وَكَمَا جَعَلْنَا هَؤُلَاءِ الْخَاسِرِينَ مِنَ الْإِنْسِ أَنْصَارًا وَأَوْلِيَاءَ لِنُتْلِكَ
الطَّائِفَةَ الَّتِي أَغْوَيْنَاهُمْ مِنَ الْجَنِّ، كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالظَّالِمِينَ، نَسْلُطُ بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ، وَنُهْلِكُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، وَنَتَّقِيهِمْ مِنْ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ،
جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ.
وَقَالَ الْأَعْمَشُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: (إِذَا فَسَدَ النَّاسُ أَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
شِرَارَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُلُوكَ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْأُمَمِ الْجَاهِلَةِ تَصَرَّفَ الرُّعَاةِ
فِي الْأَغْنَامِ السَّائِمَةِ).

(يَا مَعْشَرَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ) (الْحَيَاءِ) (كَافِرِينَ)

(١٣٠) - وَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُفَّارَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مُقَرَّعًا يَقُولُ
لَهُمْ: هَلْ بَلَغْتُمُ الرُّسُلَ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَهَلْ أَنْذَرْتُمُ لِقَاءَ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ؟ يَقُولُونَ: إِنَّا نَقِرُّ بِأَنَّ الرُّسُلَ جَاءُونَا، وَأَبْلَغُونَا آيَاتِكَ، وَأَنْذَرُونَا
بِأَنَّا مُلَاقُوا رَبِّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَأَنَّا قَرُطْنَا فِي حَيَاتِنَا
الدُّنْيَا، وَهَلَكْنَا بِتَكْذِيبِنَا الرُّسُلَ وَمُخَالَفَتِهِمْ، وَأَغْتَرَرْنَا بِزُخْرَفِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَأَنَّا نَشْهَدُ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنَّا كَافِرِينَ فِي
حَيَاتِنَا الدُّنْيَا.
عَرَّفْتُهُمْ - خَدَعْتُهُمْ بِبَهْرَجِهَا وَزِينَتِهَا.

(غَافِلُونَ)

(١٣١) - لَقَدْ أَعَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ،
وَأَنْزَالِ الْكُتُبِ، لِيَلَّا يُوْخَذَ أَحَدٌ بِظُلْمٍ، وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْهُ دَعْوَةُ اللَّهِ. فَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ لَا يُعَاجِلُ قَوْمًا بِالْعُقُوبَةِ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَنْذِرُهُمْ إِلَى
اللَّهِ، وَيُنذِرُهُمْ عِقَابَهُ. وَلَا يُوْخِذُهُمْ رَبُّهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ مِنْهُمْ لَكَيْلًا يَقُولُوا:
مَا جَاءَنَا بِشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، وَلَوْ جَاءَنَا رَسُولٌ لَاهْتَدَيْنَا، وَلَا مَنَا بِرَبِّنَا وَأَتَّبَعْنَا
الرُّسُلَ.

(دَرَجَاتٍ) (بِغَافِلٍ)

(١٣٢) - وَلِكُلِّ عَامِلٍ - سِوَاهُ أَطَاعِ اللَّهَ أَوْ عَصَاهُ - مَرَاتِبٌ وَمَنَازِلٌ مِنْ
عَمَلِهِ، يُبْلَغُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، وَيُثَبِّتُهَا بِهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا،
وَجَمِيعُ أَعْمَالِهِمْ يَعْلَمُ اللَّهُ، يُحْصِيهَا وَيُثَبِّتُهَا عِنْدَهُ لِيُجْزِيَهُمْ بِهَا، فَهُوَ غَيْرُ
غَافِلٍ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا يَعْمَلُونَ.

﴿١٣٠﴾ وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

﴿١٣١﴾ يَمَعْشَرَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ أَلَمْ
يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ
لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا
عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ
الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ

﴿١٣٢﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الَّذِينَ يَظْلِمُونَ وَأَهْلَاهُمْ غَافِلُونَ

﴿١٣٣﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا
عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ

(آخِرِينَ)

(١٣٣) - وَرَبُّكَ، يَا مُحَمَّدُ، هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَهُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، وَهُوَ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ وَلِذَلِكَ أَمَرَهُمْ بِالْخَيْرِ، وَنَهَاَهُمْ عَنِ الشَّرِّ، لِيَفُوزُوا بِالثَّوَابِ، وَيَجْتَنِبُوا الْعِقَابَ. فَإِذَا شَاءَ أَذْهَبَكُمْ إِذَا خَالَفْتُمْ أَمْرَهُ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ آخَرِينَ يَجْعَلُهُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ يَعْمَلُونَ بِطَاعَتِهِ، وَذَلِكَ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ. فَكَمَا أَذْهَبَ الْقُرُونُ الْأُولَى، وَأَتَى بِغَيْرِهِمْ، كَذَلِكَ هُوَ قَادِرٌ عَلَى إِذْهَابِ قَوْمِكَ، وَالْإِتْيَانِ بِآخَرِينَ غَيْرِهِمْ.

(لَا تِ)

(١٣٤) - وَأَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَنَّ الَّذِي يُوعَدُونَ بِهِ، مِنْ أَمْرِ الْحَشْرِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، كَانَتْ لَا مُحَالَةَ، وَأَنْهُمْ لَا يُعْجِزُونَ اللَّهَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِمْ، وَإِنْ أَصْبَحُوا تَرَابًا وَعِظَامًا، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ. بِمُعْجِزِينَ - بِقَادِرِينَ عَلَى الْهَرَبِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

(يَا قَوْمِ) (عَاقِبَةُ) (الظَّالِمُونَ)

(١٣٥) - وَيَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى الْكُفَّارَ، وَيَتَوَعَّدُهُمْ، فَيَأْمُرُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: اسْتَمِرُّوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ أَنَّكُمْ عَلَى هُدًى، فَإِنَّا مُسْتَمِرُّونَ عَلَى طَرِيقَتِي وَمَنْهَجِي، وَسَتَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ، أَتَكُونُ لَكُمْ أَمْ لِي؟ وَقَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ لِرَسُولِهِ فَفَتَحَ مَكَّةَ، وَأَذَلَّ اللَّهُ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ وَالظَّالِمِينَ لَا يَقْلِحُونَ. عَلَى مَكَائِتِكُمْ - غَايَةَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، أَوْ عَلَى طَرِيقَتِكُمْ.

(الْأَنْعَامِ) (لِشُرَكَائِهِمْ) (لِشُرَكَائِنَا) (شُرَكَائِهِمْ)

(١٣٦) - يَذُمُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ، وَيُؤَيِّدُهُمْ عَلَى مَا أَبْتَدَعُوهُ مِنْ بَدْعٍ وَكُفْرٍ وَشِرْكِ، وَعَلَى مَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ، مِنْ أَتْدَادٍ وَشُرَكَاءَ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَدْ جَعَلُوا لَهُ نَصِيبًا مِمَّا خَلَقَ (دِرًا) مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ (مِنْ) الْحَرْثِ، وَمِنْ الْبَهَائِمِ وَالْأَنْعَامِ، وَجَعَلُوا لِمَنْ أَشْرَكُوهُمْ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ، مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْنَانِ، نَصِيبًا آخَرَ فَقَالُوا: - فِيمَا زَعَمُوا وَلَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ عَلَيْهِ - فِي النَّصِيبِ الْأَوَّلِ هَذَا اللَّهُ تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْهِ. وَقَالُوا فِي النَّصِيبِ الثَّانِي: هَذَا لِمَعْبُودَاتِنَا (لِشُرَكَائِنَا)، تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْهَا، فَكَانُوا يُتَّفِقُونَ نَصِيبَ اللَّهِ عَلَى قَرَى الْأَصْيَافِ، وَإِكْرَامِ الصَّبْيَانِ، وَالتَّصَدَّقِ

﴿١٣٣﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ

إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبْكُمْ
وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ
مَنْ يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ
مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمًا آخَرِينَ

﴿١٣٤﴾ إِنَّ مَا تُوَعَّدُونَ لَا تِ

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ

﴿١٣٥﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى

مَكَائِتِكُمْ إِنْ عَامِلٌ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ
عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ

﴿١٣٦﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ

الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ
نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ
بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا
كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ

إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ

عَلَى الْمَسَاكِينِ. أَمَّا نَصِيبُ آلِهِمْ فَكَانُوا يُنْفِقُونَهُ عَلَىٰ سَدَنَتِهَا، وَعَلَى الْقَرَابِينِ إِلَيْهَا. فَمَا خَصُّوا مَعْبُودَاتِهِمْ بِهِ، مَا كَانَ لِيُصْرَفَ شَيْءٌ مِنْهُ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ، بَلْ يَهْتَمُونَ بِحِفْظِهِ عَلَى السَّدَنَةِ، وَعَلَى ذَبْحِ الْقَرَابِينِ إِلَيْهَا. وَمَا خَصُّوا بِهِ اللَّهَ، وَجَعَلُوهُ لَهُ، فَكَانُوا يُحَوِّلُونَهُ أَحْيَانًا إِلَى الْأَصْنَامِ. وَقَدْ ذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى تَصْرِفِهِمْ هَذَا فَقَالَ: (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)، إِذْ أَنَّهُمْ أَخْطَوْا أَوَّلًا فِي الْقَسْمِ وَالتَّخْصِصِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ بِهِ أَحَدٌ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَمَّا قَسَمُوا هَذِهِ الْقِسْمَةَ الْفَاسِدَةَ لَمْ يُحَافِظُوا عَلَيْهَا، بَلْ جَارُوا فِيهَا وَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ. ذَرَأَ - خَلَقَ عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِرَاعِ أَوْ بَثَّ.

الْحَرْثُ - الزَّرْعُ.

الْأَنْعَامُ - الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْمَاعِزُ.

(أَوْلَادِهِمْ)

﴿١٣٧﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ

لِكَثِيرٍ مِّنْ

الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ

أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُهُمْ

لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا

عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ

وَمَا يَفْتَرُونَ

(١٣٧) - وَكَذَا زَيْنَتُ الشَّيَاطِينِ لِلْهَوَاءِ أَنْ يَجْعَلُوا لِلَّهِ نَصِيبًا مِّمَّا خَلَقَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ، وَلِلْأَوَّلَادِ نَصِيبًا آخَرَ، كَذَلِكَ زَيْنُوا لَهُمْ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ، خَشْيَةَ الْفَقْرِ وَالْإِمْلَاقِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ خَشْيَةَ الْعَارِ (وَالشُّرَكَاءُ، هُنَا، هُمُ الشَّيَاطِينُ). وَقَدْ زَيْنَتْ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ، لِيُهْلِكُوهُمْ بِالْإِغْوَاءِ، وَيُفْسِدُوا عَلَيْهِمْ فِطْرَتَهُمْ، فَتَقْلِبَ عَوَاطِفَ وَدِّ الْوَالِدِينَ، مِنْ رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ، إِلَى قَسْوَةٍ وَوَحْشِيَّةٍ، فَيَنْحَرِ الْوَالِدُ وَلَدَهُ، وَيَذْفَنُ الْأَبُ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ. وَقَدْ لَبَسَتْ الشَّيَاطِينُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَهُ مِنَ التَّمَسُّكِ بِدِينِ أَبِيهِمْ إِسْمَاعِيلَ، وَجَدِّهِمْ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَقَدْ اخْتَلَطَ عَلَيْهِمْ مَا أَبْتَدَعُوهُ مِنَ تَقَالِيدِ الشُّرْكِ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَعْرِفَ مَا هُوَ الْأَصْلُ، وَمَا هُوَ الْمُبْتَدَعُ فِيهِ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا يَفْعَلُوا ذَلِكَ مَا فَعَلُوهُ، وَلَكِنَّ إِرَادَتَهُ وَحُكْمَتَهُ قَضَتْ بِجَعْلِهِمْ مُسْتَعْدِينَ لِلتَّأَثُّرِ بِكُلِّ مَا يَرِدُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالْآرَاءِ، وَاخْتِيَارِ مَا يَرْجَحُ لَدَيْهِمْ. فَذَرَهُمْ يَا مُحَمَّدُ وَمَا يَتَّقُونَ وَمَا يَفْتَرُونَ وَيَتَّبِعُونَ.

لِيُرْدُوهُمْ - لِيُهْلِكُوهُمْ بِالْإِغْوَاءِ.

لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ - لِيَخْلُطُوا عَلَيْهِمْ وَلِيَمِزُوا عَلَيْهِمْ.

يَفْتَرُونَ - يَخْتَلِقُونَ مِنَ الْكَذِبِ.

(أَنْعَامُ)

(١٣٨) - وَإِنَّهُمْ، لِيُغْوِيَنَّهُمْ وَيُشْرِكِيَهُمْ، فَسَمُوا أَنْعَامَهُمْ وَزَرَعَهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ

حَبْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن

نَشَاءَ رِزْعِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرِمَتْ

أ- أَنْعَامٍ وَأَقْوَاتٍ مِنْ حُبُوبٍ وَغَيْرِهَا، تَقْتَطَعُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُجْعَلُ لِمُعْبُودَاتِهِمْ، تَعْبُدُوا وَتَدِينُوا، وَتَمْتَنِعُونَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهَا لِغَيْرِ هَذِهِ الْمُعْبُودَاتِ، وَيَقُولُونَ إِنَّهَا مُحْتَجَرَةٌ لِلَّاهَةِ، لَا تُعْطَى لِغَيْرِهَا وَلَا يُطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ يَشَاوُونَ، أَيْ لَا يَأْكُلُ مِنْهَا إِلَّا الذُّكُورُ دُونَ الْإِنَاثِ.

ب- أَنْعَامٍ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا، فَلَا تُرْكَبُ وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَهِيَ الْبَحِيرَةُ وَالسَّائِبَةُ وَالْحَامِي.

ج- وَأَنْعَامٍ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا عِنْدَ الذَّبْحِ بَلْ يَهْلُونَ بِهَا لِأَلِهَتِهِمْ وَحَدَّهَا، وَكَانُوا إِذَا حَجُّوا لَا يَحْجُونَ عَلَيْهَا، وَلَا يُلْبِثُونَ عَلَى ظُهُورِهَا. وَقَدْ قَسَمُوا هَذَا التَّقْسِيمَ، وَجَعَلُوهُ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ، وَنَسَبُوهُ إِلَى اللَّهِ أَفْتِرَاءً عَلَيْهِ، وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ، فَهُوَ لَمْ يَشْرَعْ لَهُمْ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ، عَلَى هَذَا الْإِفْتِرَاءِ، الْجَزَاءُ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ. حَجَرٌ - مُحَجَّرَةٌ وَمُحْتَجَرَةٌ وَمُحَرَّمَةٌ.

حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا - وَهِيَ السَّوَابِثُ وَالْبَحَائِرُ وَالْحَوَامِي.

(الْأَنْعَامُ) (أَرْوَاجُنَا)

(١٣٩) - وَخَصَّصُوا نِتَاجَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِثِ لِلذُّكُورِ، وَحَرَّمُوهُ عَلَى إِنَاثِهِمْ، فَلَا تَشْرَبُ الْإِنَاثُ مِنْ لَبَنِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ، وَإِذَا وَلَدَتْ ذَكَراً كَانَ لَحْمُهُ مُخَصَّصاً لِلذُّكُورِ دُونَ الْإِنَاثِ، أَمَّا إِذَا وَلَدَتْ أُنْثَى فَتَتْرَكَ لِلنِّتَاجِ. وَإِذَا وَلَدَتْ مَوْلُوداً مَيْتاً أَشْتَرَكُ فِي أَكْلِهِ الذُّكُورُ وَالْإِنَاثُ.

وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِهِمُ الْكَذِبَ فِي ذَلِكَ، إِذْ أَدْعَوُا أَنْ هَذَا التَّحْرِيمُ قَدْ أَمَرَهُمُ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى (سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ) إِنَّهُ تَعَالَى حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ.

الْبَحِيرَةُ - الْمَشْفُوقَةُ الْأُذُنُ مِنَ الْأَنْعَامِ.

السَّائِبَةُ - الَّتِي تُسَبِّبُ وَتَتْرَكَ لِلَّاهَةِ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهَا أَحَدٌ.

سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ - سَيَجْزِيهِمْ كَذِبُهُمْ عَلَى اللَّهِ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ.

(أَوْلَادُهُمْ)

(١٤٠) - أَثْنَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ أَمْرَيْنِ، وَنَعَاهُمَا عَلَيْهِمْ وَهُمَا:

أ- قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ وَوَأْدُ بَنَاتِهِمْ سَفَهًا، وَالْأَوْلَادُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَإِذَا سَعَى الْعَبْدُ فِي زَوَالِهَا فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا عَظِيمًا.

ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ
أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفْتِرَاءً عَلَيْهِ
سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ
الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلذُّكُورِ
وَحَرَّمٌ عَلَى أَرْوَاجِنَا وَإِنْ
يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ
شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ
وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا
رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ

ب - وَتَحْرِيمُ بَعْضِ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، فَقَدْ حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَشْيَاءً ابْتَدَعُوهَا هُمْ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ.

فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ أَقْدَمُوا عَلَى قَتْلِ أَوْلَادِهِمْ، وَوَادِ بَنَاتِهِمْ، وَتَحْرِيمِ الطَّيِّبَاتِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، قَدْ خَسِرُوا فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهُمْ حَرَّمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَخَسِرُوا فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ فِي أَسْوَأِ الْمَنَازِلِ بِسَبَبِ كَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ، إِذْ ادَّعَوْا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ. وَكُلُّ ذَلِكَ ضَلَالٌ مِنْهُمْ وَسَفَهٌ، وَيُعَدُّ عَنِ الْهَدْيِ.

(جَنَاتٍ) (مَعْرُوشَاتٍ) (مُتَشَابِهًا) (مُتَشَابِهٍ) (وَأَتُوا)

(١٤١) - وَرَبُّكُمْ اللَّهُ، أَيُّهَا النَّاسُ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ بَسَاتِينَ فِيهَا أَشْجَارٌ مَعْرُوشَاتٌ - أَيُّ مَرْفُوعَاتٍ عَلَى عَرَائِشٍ كَأَشْجَارِ الْكُرُومِ - وَغَيْرُ مَعْرُوشَاتٍ، وَخَلَقَ الزَّرُّوعَ، وَمِنْهَا الْحُبُوبُ، وَخَلَقَ النَّخِيلَ مُخْتَلِفًا فِي طَعْمِهِ جِذْنُ أَكْلِيهِ، وَخَلَقَ الزَّيْتُونَ وَالرِّمَانَ مُتَشَابِهًا فِي مَنَظَرِهِ، وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ فِي طَعْمِهِ، مَعَ أَنَّهُ كُلُّهُ يَنْبُتُ فِي أَرْضٍ وَاحِدَةٍ وَيُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ جِذْنُ ثَمَرٍ، وَأَدُّوا الزَّكَاةَ الْمَقْرُوضَةَ عَلَيْهِ يَوْمَ يُكَالُ أَوْ يُوزَنُ.

وَلَا تُسْرِفُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ: فِي الْأَكْلِ وَفِي الْإِنْفَاقِ وَفِي اللَّبَاسِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ.

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ مَنْ يَجُزُّ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ مِنَ التَّمْرِ بِأَنْ يَأْتِيَ بِقِنَوقِهَا يُعَلِّقُهَا فِي الْمَسْجِدِ لِْيَأْكُلَ مِنْهُ الْمَسَاكِينُ).

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا حَضَرَكَ الْمَسَاكِينُ جِذْنُ الْجَنِيِّ وَالْقَطَافِ طَرَحَتْ لَهُمْ شَيْئًا).

مَعْرُوشَاتٍ - مُخْتَاةٌ إِلَى الرُّفْعِ عَلَى الْعَرَائِشِ كَأَشْجَارِ الْكُرُومِ. مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ - مُخْتَلِفِ الطَّعْمِ جِذْنُ الْأَكْلِ.

(الْأَنْعَامِ) (خُطُوتٍ) (الشَّيْطَانِ)

(١٤٢) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ خَلَقَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَيَوَانَاتٍ كِبَارًا، لِيَحْمِلُوا عَلَيْهَا مَتَاعَهُمْ وَأَنْقَالَهُمْ (حَمُولَةً) كَالْجِمَالِ وَالْأَبْقَارِ، وَخَلَقَ مِنَ الْأَنْعَامِ صِغَارًا كَالْفُضْلَانِ الدَّانِيَةِ مِنَ الْأَرْضِ لِيَصْغُرَ أَجْسَامُهَا، كَالْفَرَسِ الْمَقْرُوشَةِ عَلَيْهَا، لِيَأْكُلُوا مِنَ اللَّبَانِهَا وَلَحُومِهَا، وَلِيَسْتَفِيدُوا مِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَبَاحَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالزَّرُّوعِ وَالشَّمَارِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ طَرَائِقِ الشَّيْطَانِ وَمَسَالِكِهِ وَأَوَامِرِهِ كَمَا اتَّبَعَهَا الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ حَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً



١٤١ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ

جَنَّتٍ مَعْرُوشَتٍ وَغَيْرَ
مَعْرُوشَتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ
وَالرِّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ
إِذَا أَثْمَرُوا أَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

١٤٢ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً

وَفَرَشَاتٍ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

عليه. وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ لِلْإِنْسَانِ بَيْنَ الْعَدَاوَةِ، لَا يُرِيدُ لَهُ الْخَيْرَ، وَلَا يُرِيدُ لَهُ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَةَ، وَلَا الْفَوْزَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُحَاوِلُ أَنْ يَضِلَّهُ وَيُودِيَ بِهِ إِلَى الْهَلَاكِ.

حُمُولَةٌ - مَا يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ كَالْإِبِلِ.

فَرَشًا - مَا يُفْرَشُ لِلذَّبْحِ، كَالْغَنَمِ وَالْمَاعِزِ. أَوْ مَا هُوَ صَغِيرُ الْجِسْمِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَرْضِ كَالْفَرَاشِ.

خُطُوبَاتٍ - طُرُقُهُ وَأَثَارُهُ تَحْرِيمًا وَتَحْلِيلًا.

(ثَمَانِيَةٌ) (أَزْوَاجٍ) (الذَّكَرَيْنِ) (صَادِقَيْنِ)

(١٤٣) - يَبِينُ اللَّهُ تَعَالَى هُنَا جَهْلَ الْعَرَبِ، قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فِيمَا كَانُوا حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَنْعَامِ، وَجَعَلُوهَا أَجْزَاءً وَأَنْوَاعًا (بَحِيرَةً وَسَائِبَةً وَحَامِيًا...) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا ابْتَدَعُوهُ فِي الْأَنْعَامِ وَالزَّرُوعِ وَالشَّجَرِ، فَيَبِينُ اللَّهُ أَنَّهُ أَنْشَأَ جَنَاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ، وَأَنَّهُ جَعَلَ مِنَ الْأَنْعَامِ حُمُولَةً وَفَرَشًا، ثُمَّ بَيَّنَّ أَصْنَافَ الْأَنْعَامِ فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا شَيْئًا مِنْ أَوْلَادِهَا، بَلْ جَعَلَهَا كُلُّهَا مُسْحَرَةً لِبَنِي آدَمَ، أَكَلًا وَرُكُوبًا وَحُمُولَةً وَحَلَبًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ الْإِنْتِفَاعِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ خَلَقَ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الْأَنْعَامِ: مِنَ الضَّأْنِ (الْغَنَمِ) زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى وَمِنَ الْمَاعِزِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَلَمْ يُحَرِّمْ مِنْهَا شَيْئًا لَا الذُّكُورَ وَلَا الْإِنَاثَ، فَلِمَ تُحَرِّمُونَ أَنْتُمْ بَعْضًا، وَتُحِلُّونَ بَعْضًا؟ وَهَلْ يَشْتَمِلُ الرَّحْمُ عِنْدَ الْحَمَلِ إِلَّا عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى؟ وَإِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُ كُلَّهُ حَلَالًا.

فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَخْبِرُونِي عَنْ يَقِينٍ (نَبْشُونِي بِعِلْمٍ) كَيْفَ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَا زَعَمْتُمْ تَحْرِيمَهُ؟

(الذَّكَرَيْنِ) (وَصَاكُمُ) (الظَّالِمَيْنِ)

(١٤٤) - وَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْإِبِلِ زَوْجَيْنِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَمِنَ الْبَقَرِ زَوْجَيْنِ، فَاسْأَلْهُمْ هَلْ حَرَّمَ اللَّهُ الذُّكُورَ أَمْ الْإِنَاثَ، (أَمْ مَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثِيَيْنِ)، وَالْأُنْثَى لَا تَحْمِلُ إِلَّا ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى. فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يُحَرِّمْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ شَيْئًا، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ كُلَّهُ حَلَالًا لِلنَّاسِ لِيَتَنَفَّعُوا بِهِ.

وَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ كَانُوا حَاضِرِينَ (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ) جِئْنَا أَوْصَاهُمُ اللَّهُ بِمَا ابْتَدَعُوهُ مِنْ تَحْرِيمٍ وَتَحْلِيلٍ؟ (وَهُوَ تَهَكُّمٌ عَلَيْهِمْ).

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا أَحَدًا أَكْثَرَ ظُلْمًا مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَأَتَى

﴿١٤٣﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ

أُنْثَيْنِ وَمِنَ الْمَاعِزِ اثْنَيْنِ

قُلْ أَلَا الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ

الْأُنْثَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ

أَرْحَامُ الْأُنْثِيَيْنِ نَبْشُونِي بِعِلْمٍ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

﴿١٤٤﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ

الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَا الذَّكَرَيْنِ

حَرَّمَ أَمْ الْأُنْثَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ

عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثِيَيْنِ أَمْ

كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ

وَصَّيْنَكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ

يَبْدِعُ، زَعَمَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيُضِلَّ بِهَا النَّاسَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

وَصَاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا - أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا التَّحْرِيمِ .

(١٤٥) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَوَلاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبِ، الَّذِينَ حَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ: إِنِّي لَا أُجِدُ، فِيمَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، طَعَاماً مُحَرَّمًا عَلَى آكِلٍ يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَهُ، إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ: (الْمَيْتَةَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَالْدَّمَ الْمُسْفُوحَ - أَيِ الْمُهْرَاقِ - وَمَا دُبِحَ لِلْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ) (مَا أَهْلٌ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ) ... إلخ .

وَمَنْ أَضْطُرَّ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَهُوَ لَا يَقْضِي بِأَكْلِهِ الْبَغْيَ وَالْعُدْوَانَ، وَتَجَاوَزَ شَرْعَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابَهُ، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، فَمَا أَحَلَّ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ).

وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، وَعَنْ أَكْلِ لَحْمِ السَّبَاعِ، وَعَنْ أَكْلِ لَحْمِ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطُّيُورِ (الْجَوَارِحِ).

طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ - آكِلٍ يَأْكُلُهُ.

دَمًا مُسْفُوحًا - دَمًا سَائِلًا مُهْرَاقًا.

رَجَسٌ - قَذَرٌ أَوْ نَجَسٌ أَوْ حَرَامٌ.

أَهْلٌ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ - دُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ

أَضْطُرَّ - الْجَائَةُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَكْلِهِ.

غَيْرَ بَاغٍ - غَيْرَ طَالِبٍ لِلْحَرَامِ لِلدَّيَّةِ أَوْ اسْتِثْنَاءٍ.

وَلَا عَادٍ - غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

(جَزَيْنَاهُمْ) (لِصَادِقُونَ)

(١٤٦) - وَيَذَكِّرُ تَعَالَى: أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ - عَلَى سَبِيلِ الْعُقُوبَةِ لَهُمْ

لَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَصُولِ شَرْعِهِمْ - لَحْمَ كُلِّ ذِي ظُفْرِ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ (أَيِ مَا لَيْسَ بِمُسْفُوقٍ الْأَصَابِعِ كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ وَالْإِوَرِّ وَالْبَطِّ)، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ الْخَالِصَةِ، وَهِيَ الشَّرْبُ (الشَّحْمُ الَّذِي يُلْفُ

الْأَمْعَاءُ، أَمَّا مَا عَلَى الظَّهْرِ مِنْ شَحْمٍ - وَمِنَهُ الْإِلْيَةُ - وَمَا وَجَدَ فِي الْحَوَايَا (وَهِيَ الْمَبَاعِرُ وَالْمَرَابِضُ) وَمَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ مِنَ الشَّحْمِ

وَالْعِظَامِ، فَإِنَّهُ حَلَالٌ). وَهَذَا التَّحْرِيمُ فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى بَغْيِهِمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ أَوْامِرَ اللَّهِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى لِعَادِلٌ فِي حُكْمِهِ

كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ

قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ

مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ

إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا

مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ

فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فَسَقًا أَهْلٌ

لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ

بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا

كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ

الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ

ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا

اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ

بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ

فِيمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَصَادِقٌ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ نَبِيِّهِ، مِنْ تَحْرِيمِ ذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ.

(وَقِيلَ إِنَّ السَّبَبَ فِي تَحْرِيمِ شُحُومِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، هُوَ أَنَّ الْقَرَابِينَ عِنْدَهُمْ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْهُمَا، وَكَانَ يَتَّخِذُ مِنْ شُحُومِهَا الْوَقُودَ لِلرَّبِّ).
شُحُومُهُمَا - شُحُومُ الْكَرْشِ وَالْكِلْبَيْتَيْنِ.

الْحَوَايَا - الْمَصَارِينِ.

مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا - مَا عَلِقَ بِهِمَا مِنَ الشَّحْمِ فَهُوَ حَلَالٌ.
مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ - كَالْيَةِ الْغَنَمِ فَهِيَ حَلَالٌ.

(وَاسِعَةً)

(١٤٧) - فَإِنَّ كَذَبَكَ قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدُ، وَكَذَبَكَ الْيَهُودُ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ - وَفِي ذَلِكَ تَرْغِيبٌ لَهُمْ فِي آيْتِغَاءِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ - فَإِنْ أَصْرُوا عَلَى عِنَادِهِمْ، وَكَفَرُوا بِهِمْ، فَحَذَرُهُمْ مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ، وَعَذَابِهِ، فَإِنْ بَأَسَ اللَّهُ تَعَالَى شَدِيدًا، وَلَا يَرُدُّهُ شَيْءٌ عَنِ الْقِسْمِ الْمُجْرِمِينَ.
لَا يَرُدُّ بَأْسُهُ - لَا يَدْفَعُ عَذَابُهُ.

(آبَاؤُنَا)

(١٤٨) - سَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، اعْتِدَارًا عَنْ شِرْكِهِمْ، لَوْ شَاءَ اللَّهُ الْأَنْشُرُكَ بِهِ، وَلَا يُشْرِكُ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلِنَا، لَمَا أَشْرَكْنَا، وَلَمَا أَشْرَكُوا، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ الْأَنْحَرَمَ شَيْئًا مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ وَغَيْرِهَا، لَمَا حَرَمْنَا، وَلَكِنَّهُ شَاءَ أَنْ تُشْرِكَ بِهِ الْأَوَّلِيَاءُ وَالشُّفَعَاءُ، وَشَاءَ أَنْ نُحَرِّمَ مَا حَرَّمَ مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِ وَغَيْرِهَا فَحَرَمْنَاهَا، فَإِنِّي أَنَا بِهَا دَلِيلٌ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى رِضَا بِهَا.

وَكَمَا كَذَّبَ مُشْرِكُو مَكَّةَ رَسُولَهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ، فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، كَذَلِكَ كَذَّبَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ رَسُولُهُمْ تَكْذِيبًا غَيْرَ مَبْنِيٍّ عَلَى أُسَاسٍ مِنَ الْعِلْمِ. وَالرُّسُلُ قَدْ أَقَامُوا الْأَدْلَةَ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَيَّدَهُمُ اللَّهُ بِالْآيَاتِ، وَالْمُعْجَزَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ، فَأَعْرَضَ الْمُكَذِّبُونَ، وَأَصْرُوا عَلَى جُحُودِهِمْ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ (حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا).

وَلَوْ كَانَ اللَّهُ رَاضِيًا عَنْ أَفْعَالِهِمْ لَمَا عَاقَبَهُمْ عَلَيْهَا، كَذَلِكَ لَوْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ صَادِرَةً عَنْهُمْ جَبْرًا، لَمَا اسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ عَلَيْهَا، وَلَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَخَذَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَهْلَكَهُمْ بِظُلْمِهِمْ. وَاسْأَلْهُمْ يَا مُحَمَّدُ:

﴿١٤٧﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ

دُورِحَمَةٌ وَاسِعَةٌ وَلَا يَرُدُّ

بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ

﴿١٤٨﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ

اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا

وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى

ذَاقُوا بِأَسْنَانِهِمْ هَلْ

عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ

لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ

أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ

هَلْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يَقُولُونَ وَيَحْتَجُونَ؟ فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ مُسْتَنْدٌ صَحِيحٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ رَضِيَ لَهُمُ الشُّرْكَ، وَالتَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ، فَلْيُظْهِرُوهُ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّكُمْ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، بَلْ تَتَّبِعُونَ فِي عَقَائِدِكُمْ وَأَرَائِكُمْ الْحَدْسَ وَالتَّخْمِينَ الَّذِي لَا يَسْتَقِرُّ عِنْدَهُ حُكْمٌ.

التَّخَرُّصُ - التَّخْمِينُ وَالتَّقْدِيرُ أَوِ الْكَذِبُ.

(الْبَالِغَةُ) (لَهْدَاكُمْ)

(١٤٩) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: اللَّهُ الْحُجَّةُ النَّامَةُ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فِي هِدَايَةِ مَنْ اهْتَدَى، وَضَلَالِ مَنْ ضَلَّ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ هِدَايَتَكُمْ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ، فَكُلُّ ذَلِكَ بِقُدْرِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَاخْتِيَارِهِ. الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ - بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ.

(بَيَاتِنَا) (بِالْآخِرَةِ)

(١٥٠) - وَقُلْ لَهُمْ أَخْضَرُوا شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ تَقُولُونَ إِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كَذِبًا وَأَفْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، فَإِنْ حَضَرَ هَؤُلَاءِ الشُّهُودُ وَشَهِدُوا فَلَا تُصَدِّقْهُمْ، وَلَا تَقْبَلْ لَهُمْ شَهَادَةً، وَلَا تُسَلِّمْ لَهُمْ بِالسُّكُوتِ عَلَى كَذِبِهِمْ، لِإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَشْهَدُونَ بِالْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَيُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ، وَيَجْعَلُونَ لَهُ مِنْ يُمَائِلِهِ مِنَ الْمُعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةَ، فِي جَلْبِ الْخَيْرِ وَدَفْعِ الشَّرِّ. هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ - أَخْضَرُوا شُهَدَاءَكُمْ. بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ - يُسَوُّونَ بِرَبِّهِمْ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ.

(وَبِالْوَالِدَيْنِ) (إِحْسَانًا) (أَوْلَادَكُمْ) (إِمْلَاقٍ) (الْفَوَاحِشَ) (وَصَاكُمْ)

(١٥١) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ، لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ عَدِلُوا غَيْرَ اللَّهِ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ، وَقَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ، وَهُمْ إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ بِأَهْوَائِهِمْ، وَبُوحَى مِنَ الشَّيْطَانِ، قُلْ لَهُمْ: تَعَالَوْا أَقْرَأْ عَلَيْكُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَصِدْقًا، لَا تَخْرُصُوا وَلَا ظَنًّا وَتَخْمِينًا، لَقَدْ وَصَّاكُمْ بِالْأَنْ تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَبِأَنْ تُحْسِنُوا إِلَى الْوَالِدَيْنِ، وَإِنْ كَانَا مُشْرِكِينَ، وَبِأَنْ تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ الصَّغَارَ خَشْيَةَ الْفَقْرِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَيَسَبِّبَ فَقْرَكُمْ الْحَاصِلَ، فَاللَّهُ

﴿١٤٩﴾ قُلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ

لَهَدَانَكُمْ أَجْمَعِينَ

﴿١٥٠﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ

يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا

فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ

مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ



﴿١٥١﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ

مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفٌّ عَنِكُمُ

الَّذِينَ تَشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا

أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ

نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ

وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ ذَلِكَكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

تَعَالَى يَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ. وَأَوْصَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْأَفْعَالِ الْفَوَاحِشِ، كَالزُّنَى
وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، سَوَاءَ مَا كَانَ مِنْهَا فِي السَّرِّ أَوْ فِي الْعَلَنِ، وَلَا تَقْتُلُوا
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا إِلَّا إِذَا كَانَ الْقَتْلُ بِحَقٍّ تَنْفِيزاً لِحُكْمِ الْقَضَاءِ،
وَهَذَا مَا أَمَرَكُمْ اللَّهُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ مَا أَمَرَ بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ.
(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: لَا يَجِلُّ دَمُ أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَمْرِ ثَلَاثَةٍ: كُفْرٍ
بَعْدَ إِيمَانٍ، وَزَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ وَقَتْلَ نَفْسٍ بَغَيْرِ حَقٍّ).
وَصَّاكُمْ - أَمَرَكُمْ وَالزَّمَكُمْ.
أَتْلُ عَلَيْكُمْ - أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ.
الْإِمْلَاقُ - شِدَّةُ الْفَقْرِ.
الْفَوَاحِشُ - كِبَارُ الْمَعَاصِي كَالزُّنَى وَنَحْوِهِ.
(وَصَّاكُمْ)

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ
بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

(١٥٢) - وَيَتَابِعُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي هَذِهِ الْآيَةِ، بَيَانَ مَا أَوْصَى بِهِ النَّاسَ، وَمَا
حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، فَيَقُولُ تَعَالَى: وَمِمَّا أَوْصَى بِهِ النَّاسَ: الْأَلَّا يَقْرَبُوا مَالَ
الْيَتِيمِ، إِذَا وُلُّوا أَمْرَهُ، أَوْ تَعَامَلُوا مَعَهُ، إِلَّا بِالطَّرِيقَةِ الْحَسَنَةِ (إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ) الَّتِي تَحْفَظُ مَالَهُ، وَتُثْمِرُهُ، وَتُرْجِعُ مَصْلَحَتَهُ، وَأَنْ يَنْفَقُوا عَلَيْهِ
مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ تَرْبِيَّتِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَأَنْ يَسْتَمِرَّ ذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْيَتِيمُ سِنَّ
الرَّشْدِ، وَالْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ عَلَى الْإِدْرَاكِ وَالتَّصَرُّفِ.
وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَأَخَذُوا فِي عَزْلِ مَالِ
الْيَتِيمِ وَطَعَامِهِ، عَنْ مَالِهِمْ، فَكَانَ طَعَامُ الْيَتِيمِ يَفْسُدُ، لَا يَمْسُهُ أَحَدٌ
مِمَّنْ هُوَ عَنْدهُمْ. فَشَكَّوْا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
قَوْلَهُ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ
فَاخْوَئُكُمْ﴾ (١).

فَاللَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُ النَّاسَ بِمُرَاعَاةِ مَصْلَحَةِ الْيَتِيمِ، وَالْعِنَايَةِ بِمَالِهِ، وَعَدَمِ
التَّصَرُّفِ فِيهِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَيُحَذِّرُهُمْ تَعَالَى مِنَ التَّجَاوُزِ عَلَى
مَالِ الْيَتِيمِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنْ مِمَّا أَوْصَى بِهِ النَّاسَ أَيْضاً: إِيفَاءُ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ عِنْدَ
الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَعَدَمُ غَمْطِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ وَاللَّهُ تَعَالَى يَدْعُو الْمُؤْمِنَ أَنْ
يَبْلُغَ جُهْدَهُ فِي آدَاءِ ذَلِكَ، فَإِذَا بَلَغَ جُهْدَهُ، وَعَمِلَ مَا فِي وُسْعِهِ، يَكُونُ
قَدْ قَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ إِنْ أَخْطَأَ بَعْدَ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَقَدَّرَ طَاقَتَهَا.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ مِمَّا وَصَّي بِهِ النَّاسُ أَيْضاً الْعَدْلَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ لِكُلِّ وَاحِدٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي كُلِّ حَالٍ: فِي الشَّهَادَةِ وَفِي الْحُكْمِ وَفِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِقَرِيبٍ، فَإِنَّ الْقَرَابَةَ وَالصَّدَاقَةَ يَجِبُ أَلَّا تَصْرِفَا الْإِنْسَانَ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَعَنِ الْعَدْلِ فِيهِ.

كَمَا يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ، فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى، وَفِيمَا عَاهَدُوا النَّاسَ عَلَيْهِ.

وَهَذَا مَا أَوْصَى بِهِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَرَهُمْ بِهِ، وَأكَّدَ عَلَيْهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِذَا اجْتَهَدْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَتَوَاصَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَلَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَعْطُونَ، وَتَنْتَهُونَ عَمَّا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ.

حَتَّى يَبْلُغَ أَشَدُّهُ - حَتَّى يَبْلُغَ اسْتِحْكَامُ قُوَّتِهِ وَبِرْثُهُ.

بِالْقِسْطِ - بِالْعَدْلِ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ.

وَسَعَهَا - طَاقَتَهَا، وَمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ.

(صِرَاطِي) (وَصَاكُم)

(١٥٣) - وَذَلَّ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَدَعَاهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا لَا عِوَجَ فِيهِ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوهُ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْهَدَايَةَ، وَالْفَوْزَ بِرِضَا رَبِّكُمْ وَرِضْوَانِهِ. وَقَالَ آبْنُ مَسْعُودٍ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا. وَخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ خَطًّا وَعَنْ شِمَالِهِ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ هَذِهِ السَّبِيلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ.

(وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَنْ جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَتَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَّاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلَجَّهُ. فَالصِّرَاطُ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ. (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ آبْنِ مَسْعُودٍ).

فَاتَّبِعُوا سَبِيلَ اللَّهِ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لِأَنَّهُ سَبِيلٌ وَاضِحٌ وَاحِدٌ، وَلَا تَتَّبِعُوا

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
ذَلِكَ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ

السُّبُلِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُضِلَّةِ، حَتَّى لَا تَتَفَرَّقُوا شَيْعاً وَأَحْزَاباً، وَتَبْعُدُوا عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ السَّوِيِّ.
صِرَاطِي مُسْتَقِيماً - سَبِيلِي وَدِينِي، لَا عِوَجَ فِيهِمَا.

(آيَاتُ) (الْكِتَابِ)

(١٥٤) - لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ صِرَاطُ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِهِ، عَطَفَ يَمْدُحُ التَّوْرَةَ وَرَسُولَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى كَامِلاً، جَامِعاً لِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ إِتْمَاماً لِلنِّعْمَةِ وَالْكَرَامَةِ، عَلَى مَنْ أَحْسَنَ فِي اتِّبَاعِهِ، وَاهْتَدَى بِهِ.

وَالْتَّوْرَةُ ذَلِيلٌ مِنْ دَلَائِلِ الْهِدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَسَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ لِمَنْ أَرَادَ الْهِدَايَةَ، وَقَدْ تَضَمَّنَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ، لَعَلَّ قَوْمَ مُوسَى يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَيُحْسِنُوا الْعَمَلَ، وَيَقْضُوا فِي الْآخِرَةِ بِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَالْمَأْبِ.

(كِتَابُ) (أَنْزَلْنَاهُ)

(١٥٥) - وَهَذَا الْقُرْآنُ هُوَ كِتَابٌ عَظِيمُ الشَّانِ، مُبَارَكٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاتَّبِعُوهُ أَيُّهَا النَّاسُ وَتَدَبَّرُوهُ، وَأَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ، وَأَدْعُوا إِلَيْهِ. وَوَصَفَهُ تَعَالَى بِالْبَرَكَةِ لِمَنْ أَتْبَعَهُ وَعَمِلَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ جَمَعَ أَسْبَابَ الْهِدَايَةِ الدَّائِمَةِ.

(الْكِتَابُ) (طَائِفَتَيْنِ) (لِعَافِلِينَ)

(١٥٦) - وَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ، الْمُرْشِدَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، لِكَيْلَا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُعْتَذِرِينَ عَنْ شُرِكِكُمْ: إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى (طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا)، وَمَا كُنَّا نَفْهَمُ مَا جَاءَ فِيهِمَا، لِأَنَّ الْكِتَابَيْنِ لَمْ يَكُونَا بِلُغَتِنَا، وَلَمْ نُؤْمَرْ بِالْأَخْذِ بِهِمَا وَبِمَا جَاءَ فِيهِمَا مِنْ أَحْكَامٍ، وَلِذَلِكَ كُنَّا عَافِلِينَ عَنْ دِرَاسَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِمَا.

(الْكِتَابُ) (بَيِّنَاتٍ) (آيَاتِنَا)

(١٥٧) - وَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِكَيْلَا تَقُولُوا: لَوْ أَنَّا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ، لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فِيمَا آتَوْهُ، فَهَا قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ - عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ - قُرْآنٌ عَظِيمٌ، فِيهِ بَيِّنَاتٌ لِلْحَقِّ، وَلِلْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَفِيهِ هُدًى لِلْقُلُوبِ، وَرَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ، وَيَقْتَفُونَ مَا فِيهِ.

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا

عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا
لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ
يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ

فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ

عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ
كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لِعَافِلِينَ

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا

الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ

فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَاتٌ مِنْ

رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ

اللَّهُ وَصَدَفَ عَنْهَا سَاجِرِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ
الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ

ثُمَّ تَهَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يُعْرِضُ عَنِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ، بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ، فَقَالَ:
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَلَمْ يَتَّبِعْ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَمْ
يَتَّبِعْ مَا أُرْسِلَ بِهِ، وَأَعْرِضَ عَنِ آيَاتِ اللَّهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا جَاءَ فِيهَا، وَلَمْ
يَتَّبِعْ عَمَّا نَهَتْ عَنْهُ، فَلَا هُوَ آمِنٌ بِهَا، وَلَا هُوَ عَمِلَ بِمَا فِيهَا.
وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ سَيَجْزِي الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَنِ آيَاتِهِ الَّتِي بَثَّهَا فِي الْأَنْفُسِ
وَالْأَفَاقِ، وَيَصْدِفُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، وَعَنِ اتِّبَاعِهَا، أَسْوَأَ الْعَذَابِ
وَأَشَدَّهُ بِسَبَبِ إِعْرَاضِهِمْ وَصَدِّهِمُ الْآخِرِينَ (بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ).
صَدَفَ عَنْهَا - أَعْرِضَ عَنْهَا أَوْ صَرَفَ النَّاسَ عَنْهَا.

(الْمَلَائِكَةُ) (آيَاتِ) (إِيمَانُهَا) (آمَنَتْ)

(١٥٨) - يَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ بِهِ، وَالْمُخَالِفِينَ لِرُسُلِهِ، وَالْمُكَذِّبِينَ
بِآيَاتِهِ، وَالصَّادِقِينَ عَنْ سَبِيلِهِ، فَيَقُولُ: مَاذَا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ لِيُؤْمِنُوا؟ هَلْ
يَنْتَظِرُونَ مَلَائِكَةَ الْمَوْتِ لِيَأْتِيَهُمْ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ؟ أَوْ هَلْ يَنْتَظِرُونَ قِيَامَ
السَّاعَةِ حِينَ يَأْتِي اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ، أَوْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَعْضُ آيَاتِ اللَّهِ قَبْلَ قِيَامِ
السَّاعَةِ، وَهِيَ الْآيَاتُ الْمُوجِبَةُ لِلْإِيمَانِ الْاضْطِرَارِيِّ، حِينَ يَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ
أَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

(وَفِي الْحَدِيثِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا
رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا - أَيُّ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْبَشَرِ). (رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ).

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ لَا يَنْفَعُ النَّفْسَ إِيمَانُهَا، إِذَا لَمْ تَكُنْ
آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، فَإِذَا آمَنَ الْكَافِرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ إِيمَانُهُ، أَمَّا
مَنْ آمَنَ مِنْ قَبْلُ، فَإِنْ كَانَ مُضِلِّحًا فِي عَمَلِهِ فَهُوَ بِخَيْرٍ عَظِيمٍ، وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ مُضِلِّحًا، فَأَخَذَتْ تَوْبَةُ حَبِيبَتِهِ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَتُهُ.

وَيَهْدَدُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يُسَوِّفُ إِيمَانَهُ وَتَوْبَتَهُ إِلَى وَقْتٍ لَا يَنْفَعُهُ فِيهِ ذَلِكَ
فَيَقُولُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَنْتَظِرُوا إِنِّي مُنْتَظَرٌ مَعَكُمْ.

(١٥٩) - (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اخْتَلَفُوا فِي دِينِهِمْ قَبْلَ
مَبْعَثِ النَّبِيِّ فَتَفَرَّقُوا، وَأَصْبَحَ دِينُ كُلِّ مِنْهُمْ أَدِيَانًا مُتَفَرِّقَةً، فَلَمَّا بَعَثَ
النَّبِيُّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ). فَالَّذِينَ فَارَقُوا دِينَ اللَّهِ، وَخَالَفُوهُ، فَإِنَّ اللَّهَ
بَعَثَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَشَرَعَ اللَّهُ
وَاجِدًا، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا أَفْرَاقَ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ
وَشَرَعَهُمْ، وَأَمَرَ مَنْ اسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ بِالْوَحْدَةِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ كَمَا
تَفَرَّقَ مِنْ قَبْلَهُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي الدِّينِ، وَصَارُوا شِيعًا، كَأَهْلِ الْمِلَلِ.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ

الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِ
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ
آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ
فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا
مُنْتَظِرُونَ

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا

شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا
أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَنْتِظِرُهُمْ بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ

وَالنَّحْلَ وَالْأَهْوَاءَ وَالضَّلَالَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَأَ رَسُولَهُ بِمَا هُمْ فِيهِ، وَأَمَرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.

(١٦٠) - مَنْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ حَسَنَةٍ، مِنْ خِصَالِ الطَّاعَاتِ، جَزَاهُ اللَّهُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا، مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ غَيْرِ الْمَحْدُودِ. وَمَنْ جَاءَ بِسَيِّئَةٍ، فَلَا يُجَازِي إِلَّا بِعُقُوبَةٍ سَيِّئَةٍ، مِثْلِهَا، وَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ عَمَلًا عَمَلَهُ، فَلَا يَزِيدُ فِي ذَنْبِ الْمُسِيءِ، وَلَا يَنْخُسُهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِ الْحَسَنَةِ. (وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

(هَذَا نَبِي) (صِرَاطِ) (إِبْرَاهِيمَ)

(١٦١) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يُخَبِّرَ النَّاسَ بِمَا أُنْعِمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ الْهِدَايَةِ إِلَى صِرَاطِ رَبِّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي لَا أَعْوَجَاجَ فِيهِ، وَلَا انْحِرَافَ، وَهَذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ أَمْرُ النَّاسِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَبِهِ يَصْلُحُونَ (دِينًا فِيمَا). وَهَذَا الدِّينُ الْقِيَمُ هُوَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَانَ حَنِيفًا مُخْلِصًا، مُنْحَرِفًا عَنِ الشِّرْكِ.

دِينًا قِيمًا - دِينًا ثَابِتًا مُقَوِّمًا لِأُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ.

حَنِيفًا - مُنْحَرِفًا عَنِ الشِّرْكِ وَالْبَاطِلِ، مَائِلًا إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ.

(الْعَالَمِينَ)

(١٦٢) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَذَّبَحُونَ الذَّبَائِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ: إِنَّكَ مُخَالِفٌ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاتَكَ وَنُسُكَكَ وَمَحْيَاكَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا. النَّسْكَ - الْعِبَادَةُ.

(١٦٣) - وَأَنَا أُوْمِنُ بِأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِذَلِكَ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَّبِعِينَ لِأَمْرِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

(لَقَدْ كَانَتْ دَعْوَةُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ: هِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ).

(١٦٤) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ غَيْرَهُ: أَلَطَّلَبُ رَبًّا سِوَى اللَّهِ أَشْرَكَهُ مَعَهُ فِي عِبَادَتِي لَهُ؟ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، خَلَقَنِي وَحَفِظَنِي وَدَبَّرَ أَمْرِي، فَأَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا أُنِيبُ وَلَا أُخْلِصُ إِلَّا إِلَيْهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُجَازِي كُلَّ نَفْسٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى مَا فَعَلَتْهُ وَكَسَبَتْهُ

١٦٠ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ

أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

١٦١ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

١٦٢ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

١٦٣ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا

أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

١٦٤ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ

كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وَزَرَأُ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

فِي الدُّنْيَا، إِنَّ خَيْرًا فَخِيرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا، وَلَا يَحْمِلُ أَحَدٌ مِنْ خَطِيئَةِ
أَحَدٍ شَيْئًا، وَهَذَا مِنْ عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى . ثُمَّ تَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ فَيُخَبِّرُكُمْ بِمَا
كُنتُمْ تَخْتَلِفُونَ فِيهِ مِنْ أُمْرِ أَدْيَانِكُمُ الْمُخْتَلِفَةِ، وَيَتَوَلَّى جَزَاءَكُمْ عَلَيْهِ
وَحْدَهُ.

إِلَّا عَلَيْهَا - إِلَّا ذَنْبًا مَحْمُولًا عَلَيْهَا عِقَابُهُ .
لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ - لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ آثِمَةً إِنْ تَمَّ غَيْرُهَا .

(خِلَافٌ) (دَرَجَاتٍ) (آتَاكُمْ)

(١٦٥) - وَاللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ الَّذِي اسْتَخْلَفَكُمْ فِي
الْأَرْضِ، وَجَعَلَكُمْ تَعْمُرُونَهَا جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَخَلَقَ بَعْدَ سَلَفٍ، وَقَدْ
فَاوَتْ بَيْنَكُمْ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِيءِ، وَالْمَنَاطِرِ
وَالْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ... وَلَهُ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ لِيُخْتَبِرَكُمْ فِي الَّذِي أَنْعَمَ
بِهِ عَلَيْكُمْ، وَيَمْتَحِنَكُمْ بِهِ، فَيُخْتَبِرَ الْغَنِيِّ فِي غِنَاهُ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ شُكْرِهِ،
وَالْفَقِيرَ فِي فَقْرِهِ وَيَسْأَلُهُ عَنْ صَبْرِهِ.

وَيَرْهَبُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ وَيَرْغَبُهُمْ، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ حِسَابَهُ وَعِقَابَهُ لِمَنْ
خَالَفَ رُسُلَهُ وَكَذَّبَ بَيِّنَاتِهِ، سَرِيعَانَ، وَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ وَالَاهُ وَأَتَّبَعَ
رُسُلَهُ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَلِمَنْ تَابَ وَأَتَابَ وَأَحْسَنَ الْعَمَلِ .
خِلَافٌ الْأَرْضِ - يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْأَرْضِ .
لِيُتْلُوَكُمْ - لِيُخْتَبِرَكُمْ .

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَةً
فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ لِيُتْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

(٧) سُورَةُ الْأَعْرَافِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سِتُّ وَانْتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلِف. لَام. مِيم. صَاد.

(١) - وَتَقْرَأُ مَقْطَعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى جِدَةٍ. اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ. وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ مَعْنَاهَا: أَنَا اللَّهُ أَفْصَلُ.

(كِتَابُ)

(٢) - هَذَا الْقُرْآنُ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، فَلَا يَضِيقُنْ صَدْرُكَ مِنَ الْإِنذَارِ بِهِ، وَإِبْلَاغِهِ إِلَى مَنْ أُمِرْتَ بِإِبْلَاغِهِ إِلَيْهِمْ، وَأَصْبِرْ لِأَمْرِ رَبِّكَ فِيمَا حَمَلَكَ مِنْ عِبَاءِ النُّبُوَّةِ، كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ، وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ لِيُنذِرَ بِهِ النَّاسَ كَافَةً، وَلِتَذَكَّرَ بِهِ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ الْهَدَايَةَ وَالْإِيمَانَ.

حَرَجٌ مِنْهُ - ضَيِّقٌ مِنْ تَبْلِيغِهِ خَشْيَةَ التَّكْذِيبِ.

(٣) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِلنَّاسِ الَّذِينَ تُنذِرُهُمْ: أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ فِي شَرْعِ الدِّينِ لَكُمْ، وَفَرَضِ الْعِبَادَاتِ عَلَيْكُمْ وَتَحْلِيلِ مَا يَنْفَعُكُمْ، وَتَحْرِيمِ مَا يَضُرُّكُمْ، لِأَنَّهُ الْعَلِيمُ بِمَا فِيهِ الْفَائِدَةُ أَوْ الضَّرَرُ لَكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوا مِنَ النَّاسِ، أَوْ مِنَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يُوسَّوْسُونَ إِلَيْكُمْ، أَوْلِيَاءَ تُؤَلِّقُونَ أُمُورَكُمْ، وَتَطِيعُونَهُمْ فِيمَا يَرْمُونَ مِنْكُمْ مِنْ ضَلَالِ التَّقَالِيدِ، وَالْإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ.

وَقَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ هُمْ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ وَيَتَعَطَّوْنَ (أَوْ قَلِيلًا مَا تَتَعَطَّوْنَ بِمَا تُوعَظُونَ بِهِ).

(أَهْلَكْنَاهَا) (بَيِّنَاتًا) (قَائِلُونَ)

(٤) - وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُرَى (أَوْ الْبِلَادِ) أَهْلَكَ اللَّهُ أَهْلَهَا، لِمُخَالَفَتِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَأَخْرَجَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَسَيَذِلُّهُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَبَأْسُهُ لَيْلًا (بَيِّنَاتًا)

الْمَصِّ



كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا

يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ
لِيُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ

أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا
مَا تَذَكَّرُونَ

وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا
بِأَسْنَابَيْتٍ أَوْهُمْ قَائِلُونَ

وَمِنْهُمْ مَنْ جَاءَهُمْ نَهَاراً وَهُمْ يَسْتَرْحُونَ وَسَطَ النَّهَارِ (قَائِلُونَ)، وَكَلَّا
الْوَقْتَيْنِ وَقَدْ غَفَلَهُ مِنَ النَّاسِ وَلَهُمْ، فَعَلَى الْعَاقِلِ أَلَّا يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا، وَأَلَّا
يَأْمَنَ عَذَرَ اللَّيَالِي.

كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ - كَثِيرٍ مِنَ الْقُرَى.

بِأَسْنَا - عَذَابُنَا.

بَيَّاتاً - وَهُمْ نَائِمُونَ فِي بُيُوتِهِمْ لَيْلاً (كَمَا حَدَّثَ لِقَوْمِ لُوطٍ).

قَائِلُونَ - يَرْتَاحُونَ وَقَدْ الْقَيْلُولَةَ، وَهِيَ بَعْدَ الظُّهْرِ كَمَا حَدَّثَ لِأَصْحَابِ
الْأَيْكَةِ قَوْمِ شُعَيْبٍ.

(دَعَاؤُهُمْ) (ظَالِمِينَ)

(٥) - وَجِئَ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ لَمْ يَقُولُوا شَيْئاً غَيْرَ الْاعْتِرَافِ بِذُنُوبِهِمْ،
وُظْلِمَهُمْ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَشَهِدُوا بِظُلْمِهِ، وَبَيَّاتُهُمْ حَقِيقُونَ بِهَذَا الْعَذَابِ
الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَظْلِمَهُمْ.

دَعَاؤُهُمْ - دَعَاؤُهُمْ وَتَضَرُّعُهُمْ.

(فَلَنَسْأَلَنَّ) (وَلَنَسْأَلَنَّ)

(٦) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ سَيَسْأَلُ الْأَمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا أَجَابُوا بِهِ رُسُلَهُمْ
فِيمَا أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمْ، وَسَيَسْأَلُ الرُّسُلَ أَيْضاً عَمَّا بَلَّغُوهُ إِلَى الْأَمَمِ
مِنْ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَعَمَّا أَجَابَهُمْ بِهِ أَقْوَامُهُمْ.

(٧) - وَسَيَقْصُصُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، عَلَى الرُّسُلِ، وَعَلَى
أَقْوَامِهِمُ الَّذِينَ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ، كُلُّ مَا وَقَعَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، قَصَصاً يَعْلَمُ مِنْهُ
مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ كَانَ مِنْهُمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ غَائِباً عَنْهُمْ فِي وَقْتٍ مِنَ
الْأَوْقَاتِ، وَلَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، بَلْ كَانَ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، وَيُبْصِرُ
مَا يَعْمَلُونَ، وَيُحِيطُ بِمَا يَسْرُونَ وَيُعْلِنُونَ.

الْقَصُّ أَصْلًا - هُوَ تَتَبُّعُ الْأَثَرِ فِعْلاً أَوْ قَوْلًا وَيُقْصَدُ بِهِ هُنَا الْإِخْبَارُ.

(مَوَازِينُهُ) (فَأُولَئِكَ) (يَوْمَئِذٍ)

(٨) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِنُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَقْدَرُهَا بِعَدْلٍ تَامٍ
(بِالْحَقِّ)، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا شَيْئاً، فَالَّذِينَ تَرَجَّحَ مَوَازِينُ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ
وَحَسَنَاتُهُمْ (ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُمْ) فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ
(الْمُفْلِحُونَ).

٥ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا
إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

٦ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ
وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ

٧ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا
فَاعِلِينَ

٨ وَأَلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ

ثَقُلْتُ مَوَازِينَهُ - رَجَحْتُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ .

(مَوَازِينُهُ) (قَاوِلَتِكَ) (بَيَاتِنَا)

(٩) - أَمَّا الَّذِينَ حَفَّتْ مَوَازِينُ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَرَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَكَثْرَةِ مَا أَجْتَرَحُوهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، فَهَؤُلَاءِ يَكُونُونَ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ لِأَنَّهُمْ حَرَمُوا السَّعَادَةَ الَّتِي كَانَتْ مُسْتَعِدَّةً لَهَا لَوْ لَمْ يُفْسِدُوا فِطْرَتَهَا .

وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ، هُمُ الْمُفْلِحُونَ، فَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَهُوَ مُفْلِحٌ، وَإِنْ عُدْبَ عَلَى بَعْضِ ذُنُوبِهِ بِمِقْدَارِهَا، وَإِنَّ الْكَافِرِينَ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَكَاتِهِمْ هُمْ فِي خُسْرَانٍ عَظِيمٍ .

(مَعَايِشُ)

(١٠) - يَمُنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِأَن جَعَلَ لَهُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا يَعْيشُونَ وَيَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ فِيهَا جِبَالًا رَاسِيَاتٍ تُسَهِّلُ اسْتِقْرَارَ النَّاسِ عَلَيْهَا، فَلَا تَمِيدُ بِهِمْ، وَجَعَلَ فِيهَا أَنْهَارًا، وَأَبَاحَ لِلنَّاسِ التَّمَتُّعَ بِمَنَافِعِهَا، وَسَخَّرَ الرِّيحَ لِإِخْرَاجِ أَرْزَاقِهِمْ مِنْهَا، وَجَعَلَ لِلنَّاسِ مَا يَتَسَبَّبُونَ بِهِ وَيَتَكَسَّبُونَ (مَعَايِشُ)، وَلَكِنَّ النَّاسَ، مَعَ جَمِيعِ هَذِهِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، قَلِيلٌ مِنْهُمْ الشُّكُورُ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى كُفْرَانِهِمْ بِالنِّعَمِ جِسَابًا عَسِيرًا .

مَكْنَانُكُمْ - جَعَلْنَا لَكُمْ مَكَانًا وَقَرَارًا .
مَعَايِشُ - مَا تَعْيشُونَ بِهِ وَتَحْيَوْنَ .

(خَلَقْنَاكُمْ) (صَوْرُنَاكُمْ) (لِلْمَلَائِكَةِ) (السَّاجِدِينَ)

(١١) - بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ إِلَى شَرَفِ أَبِيهِمْ آدَمَ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ عِدَاوَةَ إِبْلِيسَ لَهُمْ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ صَوَّرَهُ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، تَكْرِيمًا وَتَعْظِيمًا، فَسَجَدُوا إِطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، إِلَّا إِبْلِيسَ فَإِنَّهُ رَفَضَ السُّجُودَ، وَتَمَرَّدَ عَلَى أَمْرِ رَبِّهِ .

(١٢) - وَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْلِيسَ فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ بِالسُّجُودِ؟ فَردَّ عَلَى خَالِقِهِ قَائِلًا: إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ، وَآدَمَ مَخْلُوقٌ مِنْ طِينٍ، وَالنَّارُ أَفْضَلُ مِنَ الطِّينِ فِي رَأْيِ إِبْلِيسَ، لِذَلِكَ لَمْ يَسْجُدْ لِآدَمَ، وَالْأَفْضَلُ لَا يَسْجُدُ لِلْمَفْضُولِ .

مَا مَنَعَكَ - مَا حَمَلَكَ وَمَا دَعَاكَ .

وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ، قَاوِلَتِكَ

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا
كَانُوا يُعَايِنَتُنَا يَظْلُمُونَ

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ

ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

(الصَّاعِرِينَ)

(١٣) - فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْلِيسَ بِأَنْ يَهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ، لِعِصْيَانِهِ أَمْرَ رَبِّهِ، وَخُرُوجِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، فَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَكَبَّرَ فِيهَا. ثُمَّ أَمَرَهُ تَعَالَى بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ ذَلِيلًا حَقِيرًا، بِسَبَبِ كُفْرِهِ وَتَمَرُّدِهِ عَلَى أَمْرِ رَبِّهِ.

الصَّاعِرِينَ - الْأَذْلَاءُ.

(١٤) - فَاسْتَدْرَكَ إِبْلِيسُ، وَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُمَهِّلَهُ وَلَا يُمَيِّتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي سَيَبْعَثُ فِيهِ اللَّهُ الْخَلَائِقَ لِلْحِسَابِ. وَقَدْ أَرَادَ إِبْلِيسُ بِذَلِكَ أَنْ يَجِدَ فُسْحَةً مِنَ الْوَقْتِ لِإِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ وَإِضْلَالِهِمْ. أَنْظِرْنِي - أَخَّرْنِي وَأَمُهِّلْنِي فِي الْحَيَاةِ.

(١٥) - فَأَجَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى سُؤَالِهِ لِحِكْمَةٍ أَقْنَضَتْهَا إِرَادَتُهُ وَمَشِئَتُهُ الَّتِي لَا تَخَالَفُ وَلَا تَعَارِضُ. وَقَدْ أَنْظَرَهُ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى^(١). الْمُنْظَرِينَ - الْمُؤَمَّلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(صِرَاطُكَ)

(١٦) - لَمَّا اسْتَوَتْ إِبْلِيسُ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ لَهُ بِإِقْبَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، أَخَذَ فِي الْمُعَانِدَةِ وَالتَّمَرُّدِ فَقَالَ لِرَبِّهِ: كَمَا أَغْوَيْتَنِي (فِيمَا أَغْوَيْتَنِي) وَأَضَلَلْتَنِي وَأَهْلَكْتَنِي فَإِنِّي سَأُحَاوِلُ فِتْنَةَ ذُرِّيَةِ آدَمَ، وَسَأُعْتَرِضُ سَبِيلَهُمْ مُحَاوَلًا إِنْْعَادَهُمْ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، بِأَنْ أَزِينُ لَهُمْ طُرُقًا أُخْرَى حَتَّى يَضِلُّوا. فِيمَا أَغْوَيْتَنِي - كَمَا أَضَلَلْتَنِي. لَاقْعُدَنَّ لَهُمْ - لِأَجْلِسَنَّ لَهُمْ، وَلَا تَرَصَّدَنَّ لَهُمْ.

(أَيْمَانِهِمْ) (شِمَائِلِهِمْ) (شَاكِرِينَ)

(١٧) - ثُمَّ سَأُحَاوِلُ تَشْكِيكَهُمْ فِي آجَرَتِهِمْ (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) وَأَرْغَبَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ (مِنْ خَلْفِهِمْ)، وَسَأُشَبِّهُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ (عَنْ أَيْمَانِهِمْ)، وَسَأَزِينُ لَهُمُ الْمَعَاصِيَ، وَأُحَسِّنُهَا لَهُمْ (عَنْ شِمَائِلِهِمْ) وَسَأَفْتِنُهُمْ، مَا اسْتَطَعْتُ، حَتَّى لَا تَجِدَ يَا رَبُّ بَيْنَ بَنِي آدَمَ كَثِيرًا مِنَ الْمُطِيعِينَ الشَّاكِرِينَ لِأَنْعَمِكَ عَلَيْهِمْ.

(١) الآية ٣٨ من سورة الحجر.

١٣ قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاعِرِينَ

١٤ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ

١٥ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ

١٦ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ

١٧ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ

(مَذْهُومًا)

(١٨) - ثُمَّ أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى لَعْنَتَهُ عَلَى إِبْلِيسَ وَطَرَدَهُ لَهُ، وَإِبْعَادَهُ عَنِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَهُوَ مَقِيَّتٌ مَعِيْبٌ (مَذْهُومٌ) مُقْصَى مُبْعَدٌ، وَقَالَ لَهُ مُهْدِّدًا: إِنَّهُ وَمَنْ يَتَّبِعُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ سَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ جَهَنَّمَ، وَسَيَمْلَأُهَا مِنْهُمْ جَمِيعًا. مَذْهُومًا - مَذْهُومًا مَعِيْبًا لَعِينًا. مَذْهُورًا - مَطْرُودًا مُبْعَدًا.

(وَيَا آدَمَ) (الظَّالِمِينَ)

(١٩) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ: ائْسُكُنْ يَا آدَمُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ، وَأَبَاحَ لَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا مِنْ جَمِيعِ ثِمَارِهَا، إِلَّا شَجَرَةً وَاحِدَةً نَهَاَهُمَا اللَّهُ عَنِ الْاقْتِرَابِ مِنْهَا، وَقَالَ لَهُمَا إِنَّهُمَا إِذَا اقْتَرَبَا مِنْهَا وَأَكَلَا مِنْ ثَمَرِهَا، كَانَا مِنَ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ. وَلَمَّا رَأَى الشَّيْطَانُ ذَلِكَ الصَّنِيعَ الْجَمِيلَ مِنَ اللَّهِ بِآدَمَ وَزَوْجِهِ، أَخَذَهُ الْحَسَدُ وَالغِيْرَةُ، وَسَعَى، بِالْمَكْرِ وَالْوَسْوَسَةِ، لِيُسْلِبَهُمَا مَا هُمَا فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ، وَاللِّبَاسِ الْحَسَنِ.

(الشَّيْطَانُ) (وُورِي) (سَوَاءُ تَهُمَا) (نَهَاكُمَا) (الْخَالِدِينَ)

(٢٠) - وَأَخَذَ إِبْلِيسُ يُحَرِّضُهُمَا عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِ رَبِّهِمَا، وَيَحْتُمُهُمَا، وَيَزِينُ لَهُمَا الْأَكْلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، لِيُسْلِبَهُمَا لِبَاسَهُمَا الْحَسَنَ، وَقَالَ لَهُمَا: إِنَّ اللَّهَ نَهَاكُمَا عَنِ الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِكَيْلَا تُصْبِحَا مَلَكَيْنِ بِأَكْلِكُمَا مِنْهَا، لَكُمَا خَصَائِصُ الْمَلَائِكَةِ وَمَزَايَاهُمْ، أَوْ تُصْبِحَا مِنَ الْخَالِدِينَ فِي الْجَنَّةِ، الَّذِينَ لَا يَمُوتُونَ أَبَدًا، وَلَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهُمْ فِيهَا أَبَدًا.

الْوَسْوَسَةُ - الصَّوْتُ الْخَفِيُّ الْمُكْرَرُ. وَوَسْوَسَ الشَّيْطَانُ لِلْبَشَرِ هِيَ مَا يَجِدُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْخَوَاطِرِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تُزَيِّنُ لَهُمْ فِعْلَ الْقَبِيحِ. سَوَاءُ تَهُمَا - عَوْرَاتُهُمَا. مَا وَوَرِي عَنْهُمَا - مَا سَتَرَ وَغَطَّى عَنْهُمَا.

(النَّاصِحِينَ)

(٢١) - وَحَلَفَ لَهُمَا بِاللَّهِ إِنَّهُ نَاصِحٌ لَهُمَا فِيمَا رَغِبَهُمَا فِيهِ مِنَ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِالْأَيْمَانِ الْمُغْلَظَةِ، إِذْ كَانَ عِنْدَهُمَا مَحَلُّ الشَّكِّ وَالظَّنِّ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ قَدْ أَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُمَا.

١٨ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا

لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ

١٩ وَيَتَادَمُ ائْسُكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ

فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ

٢٠ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ

لَهُمَا مَا وَوَرِي عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ

٢١ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ

النَّاصِحِينَ

فَاسْمَهُمَا - أَقْسَمَ لَهُمَا وَحَلَفَ .

(فَدَلَاهُمَا) (سَوْءَاتُهُمَا) (وَنَادَاهُمَا) (الشَّيْطَانُ)

(٢٢) - فَمَا زَالَ إِبْلِيسُ يُخَادِعُهُمَا، وَيُرْغِبُهُمَا فِي الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَيُقَسِّمُ لَهُمَا بِاللَّهِ أَنَّهُ نَاصِحٌ لَهُمَا، حَتَّى حَطَّهُمَا عَمَّا كَانَا عَلَيْهِ مِنْ سَلَامَةِ الْفِطْرَةِ وَطَاعَةِ اللَّهِ، وَنَسِيَا النَّهْيَ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى - فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) ^(١) . فَلَمَّا أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاَهُمَا اللَّهُ عَنْهَا، تَعَرَّيَا مِمَّا كَانَ يَسْتُرُ سَوَاتِيَهُمَا (عَوْرَاتِيَهُمَا) فَبَدَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَوْرَةُ الْآخَرِ، وَكَانَتْ قَبْلًا مُسْتَوْرَةً عَنْهُ، فَفَتَّهَتْهُمَا إِلَى مَا كَانَ خَفِيَ عَنْهُمَا مِنْ أَمْرِهَا، فَخَجَلَا مِنْ ظُهُورِهَا، وَشَعَرَا بِالْحَاجَةِ إِلَى سِتْرِهَا، فَأَخَذَا يُلْصِقَانِ عَلَى عَوْرَاتِيَهُمَا (يُخَصِّفَانِ) مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ لِيَسْتُرَهَا .

وَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ عَنْ أَشْيَابٍ مُخَالَفَتِيَهُمَا لِأَمْرِهِ، وَأَكْلِهِمَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاَهُمَا اللَّهُ عَنْهَا، وَذَكَرَهُ بِمَا سَبَقَ أَنْ قَالَهُ مِنْ أَنَّ إِبْلِيسَ عَدُوُّ لَهُ وَلِزَوْجِهِ بَيْنَ الْعَدَاوَةِ، وَبِمَا حَدَرَهُ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ آدَمُ مُعْتَذِراً : (وَعَزَيْتُكَ مَا حَسِبْتُ أَحَدًا يَخْلِفُ بِكَ كَاذِبًا أَبَدًا) .

ذَلَّى الشَّيْءَ تَذْلِيلًا - أَرْسَلَهُ إِلَى أَسْفَلِ .

فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ - فَأَنَزَلَهُمَا عَنْ رُبَّةِ الطَّاعَةِ بِخِدَاعٍ .

يُخَصِّفَانِ عَلَيْهِمَا - يُلْصِقَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ لِيَسْتُرَ عَوْرَاتِيَهُمَا .

السَّوْءَةُ - مَا يَسُوءُ ظُهُورُهُ وَهِيَ هُنَا الْعَوْرَةُ .

الغُرُورُ - الْخِدَاعُ وَالْبَاطِلُ .

(الْخَاسِرِينَ)

(٢٣) - فَقَالَ آدَمُ وَزَوْجُهُ نَادِمِينَ مُتَضَرِّعِينَ : رَبَّنَا إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِطَاعَتِنَا لِلشَّيْطَانِ، وَمَعْصِيَتِنَا لِأَمْرِكَ، وَقَدْ أُنْذَرْتَنَا، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا مَا ظَلَمْنَا بِهِ أَنْفُسَنَا، وَتَرْحَمَنَا بِالرِّضَا عَنَّا، وَتُوفِّقَنَا لِلْهِدَايَةِ، وَتَرْكِ الظُّلْمِ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ لِأَنْفُسِنَا .

(وَهَذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ مُعْتَذِراً لِيَغْفَرَ لَهُ) .

(مَتَاعٌ)

(٢٤) - فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ وَحَوَّاءَ وَإِبْلِيسَ بِالْهُبُوطِ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ إِبْلِيسَ سَيَكُونُ عَدُوًّا لِبَنِي آدَمَ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَغْفُلُوا عَنْ عَدَاوَتِهِ وَوَسْوَاسَتِهِ، وَسَيَكُونُ لِلْجَمِيعِ قَرَارٌ عَلَى الْأَرْضِ،

﴿٢٢﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ

بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا

يَخَصِّفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ

وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا

عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

﴿٢٣﴾ فَالَرَّبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ

تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخَاسِرِينَ

﴿٢٤﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ

وَمَتَّعٌ إِلَى حِينٍ

وَمَعَاشٌ وَانْتِفَاعٌ بِمَا فِيهَا، وَسَتَكُونُ لَهُمْ أَعْمَارٌ مَضْرُوبَةٌ إِلَى آجَالٍ مَعْلُومَةٍ.

(٢٥) - وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْأَرْضَ لِبَنِي آدَمَ دَارًا مُدَّةَ حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا، فِيهَا مَحْيَاهُمْ، وَفِيهَا مَمَاتُهُمْ، وَفِيهَا قُبُورُهُمْ، وَمِنْهَا نُشُورُهُمْ.

(يَا بَنِي آدَمَ) (يُورِي) (سَوْءَاتِكُمْ) (آيَاتِ)

(٢٦) - يَمَتُّنُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ اللَّبَاسِ (وَهُوَ مَا يُلبَسُ لِسِتْرِ الْعَوْرَةِ)، وَمِنْ الرِّيشِ (وَهُوَ مَا يُجَمَلُ بِهِ ظَاهِرًا). ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ إِنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ، وَالْخَوْفَ مِنْهُ، هُمَا أَفْضَلُ مَا يَكْسِبُهُ الْإِنْسَانُ وَيُلْبَسُهُ.

وَذَلِكَ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ النِّعَمِ بِإِنزَالِ الْمَلَابِسِ هُوَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَدَلَائِلِ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ عَلَى بَنِي آدَمَ.

(وَقِيلَ بَلِ الْمَقْصُودُ بِلِبَاسِ التَّقْوَى - هُوَ مَا يُلبَسُ مِنَ الذُّرُوعِ وَالْمَغَافِرِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يَتَّقَى بِهِ النَّاسُ فِي الْحَرْبِ).

الرِّيشُ - لِبَاسُ الْحَاجَةِ وَالزَّيْنَةِ.

أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ - أَعْطَيْنَاكُمْ وَوَهَبْنَاكُمْ.

لِبَاسِ التَّقْوَى - الْإِيمَانَ وَنَمْرَاتُهُ.

(يَا بَنِي آدَمَ) (الشَّيْطَانُ) (سَوْءَاتِهِمَا) (يَرَاكُمْ) (الشَّيَاطِينُ)

(٢٧) . يَحْذَرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِبْلِيسَ وَجَمَاعَتِهِ (قَبِيلِهِ)، وَيَذَكِّرُهُمْ بِعَدَاوَتِهِ الْقَدِيمَةِ لِآدَمَ وَرَوْجِهِ، حِينَمَا سَعَى فِي إِخْرَاجِهِمَا مِنَ الْجَنَّةِ، دَارِ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ، إِلَى الْأَرْضِ دَارِ الشَّقَاءِ، وَتَسَبَّبَ فِي هُنَاكَ سِتْرِهِمَا، وَكَشَفَ عَوْرَاتِهِمَا، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَسْتُورَةً عَنْهُمَا، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِمُ إِلَّا يَمْكُنُوا إِبْلِيسَ مِنْ خِدَاعِهِمْ، وَإِقْفَاعِهِمْ فِي الْمَعَاصِي بِوَسْوَاسَتِهِ، فَأِبْلِيسُ يَرَى الْبَشَرَ فِي حِينِ أَنْهُمْ لَا يَرَوْنَهُ هُمْ. وَالشَّيَاطِينُ هُمْ أَوْلِيَاءُ وَأَخْلَاءُ وَأَصْحَابُ لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مِنَ الْإِنْسِ، لَا سَتَمْعَادِهِمْ لِقَبُولِ وَسْوَاسَةِ الشَّيَاطِينِ وَإِعْوَانِهِمْ. أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ فَإِنَّ الشَّيَاطِينِ لَيْسَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.

لَا يَقْتَتِكُمْ - لَا يُضِلُّنَّكُمْ وَلَا يَخْدَعُنَّكُمْ.

يَنْزِعُ عَنْهُمَا - يُزِيلُ عَنْهُمَا.

قَبِيلُهُ - جُنُودُهُ أَوْ ذُرِّيَّتُهُ.

﴿٢٥﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ

﴿٢٦﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا

يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ

الْتَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنَ

ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ

﴿٢٧﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ

الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ

الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا

لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ

هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ

إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(فَاحِشَةً) (آبَاءَنَا)

(٢٨) - وَإِذَا فَعَلَ الْمُكَذِّبُونَ أَمْرًا بَالِغَ النُّكْرِ، كَالشُّرْكِ، وَالطُّوَافِ، بِالنَّبِيِّ عَرَاةً، اعْتَذَرُوا عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا: إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدِينَ بِهِمْ، وَاللَّهُ أَمَرُهُمْ بِهِ، وَرَضِيَ لَهُمْ عَنْ فِعْلِهِ، إِذْ أَقْرَهُهُمْ عَلَيْهِ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ مُنْكَرًا مَا يَقْتَرُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْمُنْكَرَةِ، فَكَيْفَ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ تَعَالَى مَا لَا يَجِدُونَ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ نَسَبِهِ إِلَيْهِ؟

فَعَلُوا فَاحِشَةً - فَعَلُوا فِعْلًا مُتَنَاهِيًا فِي الْفُحْهِ.

(٢٩) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: أَمَرَ رَبِّي بِالْإِسْقَامَةِ وَالْعَدْلِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ (بِالْقِسْطِ)، فَأَقْسِطُوا وَتَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ قَلْبٍ، عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ تَعْبُدُونَهُ فِيهِ، وَأَخْلِصُوا فِي عِبَادَتِهِ، وَكَمَا خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ وَلَمْ يَكُونُوا شَيْئًا، كَذَلِكَ هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْشُرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُعِيدَهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ، ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ وَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

وَاللَّهُ لَا يَقْبَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُسْتَجْمِعًا أَمْرَيْنِ:

- الصَّوَابَ وَمُوَافَقَةَ الشَّرِيعَةِ.

- وَأَنْ يَكُونَ خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ بَعِيدًا عَنِ الشُّرْكِ.

بِالْقِسْطِ - بِالْعَدْلِ - وَهُوَ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ لِلَّهِ.

أَقِمُوا وَجُوهَكُمْ - تَوَجَّهُوا إِلَى عِبَادَتِهِ مُسْتَقِيمِينَ.

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ - فِي كُلِّ مَكَانٍ سُجُودٍ.

(٣٠) - وَكَمَا بَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ خَلْقًا وَتَكْوِينًا بِقُدْرَتِهِ، كَذَلِكَ يُعَوِّدُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرِيقَيْنِ:

أ - فَرِيقًا هَدَاهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا بِبِعْتَةِ الرُّسُلِ فَاهْتَدَى، وَأَقَامَ وَجْهَهُ لِلَّهِ مُخْلِصًا فِي عِبَادَتِهِ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

ب - وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ لِاتِّبَاعِهِمْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الطَّاعَةِ لِزُبُونِهِمْ، وَإِنَّهُمْ جِنٌّ أَطَاعُوا الشَّيَاطِينَ فِيمَا زَيَّنَّوهُ لَهُمْ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ، أَصْبَحُوا وَكَانَهُمْ وَلَوْهُمْ أُمُورُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ.

﴿٢٩﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا

عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

﴿٣٠﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا

وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ

﴿٣١﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ

الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ

أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ

(يَا بَنِي آدَمَ)

(٣١) يَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ وَهُمْ عُرَاةٌ، وَكَانَ الَّذِينَ يَطُوفُونَ مِنْهُمْ يُحْرَمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم الدَّسَمَ مَا أَقَامُوا بِالْمَوْسِمِ. فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِسِتْرِ عَوْرَاتِهِمْ حِينَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَبِالتَّجَمُّلِ عِنْدَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ أَبَاحَ لَهُمُ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ بِدُونِ إِسْرَافٍ (أَيُّ بِدُونِ تَجَاوُزِ الْحَدِّ الْمَعْقُولِ)، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ فِي كُلِّ تَصَرُّفٍ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالسُّوَا فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعَمِهِ عَلَى عَبْدِهِ).

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَآبَنُ مَاجَه)

يُقَصِّدُ بِأَخْذِ الرِّيَّةِ - أَرْتَدَاءِ الْمَلَابِسِ الْحَسَنَةِ لِسِتْرِ الْعَوْرَةِ.

(الطَّيِّبَاتِ) (آمَنُوا) (الْحَيَاةِ) (الْقِيَامَةِ) (الآيَاتِ)

(٣٢) - يَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ حَرَّمَ شَيْئًا مِنَ الْمَأْكَلِ، وَالْمَلَابِسِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ شَرَعٍ مِنَ اللَّهِ، فَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ، لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: مَنْ حَرَّمَ مَا خَلَقَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنْ أَسْبَابِ الرِّيَّةِ، وَمِنْ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ؟ فَهَذِهِ الطَّيِّبَاتِ وَالرِّيَّةُ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِنْ شَرَكْتَهُمْ فِيهَا الْكُفَّارُ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ خَالِصَةٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، لَا يَشْرِكُهُمُ الْكُفَّارُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا.

وَهَكَذَا يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى آيَاتِهِ وَيُشْرَحُهَا لِمَنْ يَعْقِلُونَ مِنَ النَّاسِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ مَالِكُ الْمُلْكِ وَبِيَدِهِ التَّحْلِيلُ وَالتَّحْرِيمُ.

(الْفَوَاحِشِ) (سُلْطَانًا)

(٣٣) - قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَآفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، فَزَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى عِبَادِهِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، كَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الرِّيَّةَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ فِيمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ إِلَّا الْأُمُورَ النَّاتِلِيَّةَ:

أ - الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ (كَالزُّنَى وَالْمَعَاصِي الْأُخْرَى).

ب - الْإِنْتَمِ - وَهُوَ الْمَعْصِيَةُ.

ج - الْبَغْيِ عَلَى النَّاسِ، وَالتَّعَدِّي عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

د - وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُشْرِكُوا مَعَهُ أَحَدًا فِي عِبَادَتِهِ.



يَبْنِي آدَمَ حُدُودًا

زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا

وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ

لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ

هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ

نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا

بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ

هـ - وَأَنْ يَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ وَيَكْذِبُوا، وَأَنْ يَقُولُوا عَلَيْهِ مَا لَا عَلِمَ لَهُمْ بِهِ (كَفَرُوا لَهُمْ إِنَّ لَهُ وَلَدًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ . . .).

الفَوَاحِشُ - كِبَارُ الْمَعَاصِي لِمَزِيدِ قُبْحِهَا.

الْإِثْمُ - مَا يُوجِبُهُ مِنْ سَائِرِ الْمَعَاصِي.

الْبَغْيُ - الظُّلْمُ وَالْاِسْتِطَالَةُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ.

سُلْطَانًا - حُجَّةً وَبُرْهَانًا.

(٣٤) - جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلًا وَمِيقَاتًا قَدَرَهُ لِهَلَاكِهِمْ. فَإِذَا جَاءَ الْأَجَلُ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لِهَلَاكِهِمْ، وَحُلُولِ الْعِقَابِ بِهِمْ، أَخَذَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِبْطَاءً وَلَا تَعْجَلًا، وَلَوْ سَاعَةً وَاحِدَةً.

(يَا بَنِي آدَمَ) (آيَاتِي)

(٣٥) - وَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِأَنَّهُ سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ، يَقُولُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ وَيُبينُونَ لَهُمْ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَمَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ. فَمَنْ آمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَآمَنَ بِرُسُلِهِ، وَاتَّقَى مَا نَهَاَهُ عَنْهُ، وَأَصْلَحَ نَفْسُهُ بِفِعْلِهِ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَحْسَنَ الْعَمَلَ . . . فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أَمْنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَخَافُ مِمَّا هُوَ مُقَدِّمٌ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَحْزَنُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا عَلَى مَا خَلَفَهُ فِيهَا وَرَاءَهُ.

(بِآيَاتِنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٣٦) - أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُتَرْتِلَةِ عَلَى أَحَدِ رُسُلِهِ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ قَبُولِهَا، وَعَنْ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهَا، وَعَنِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهَا . . . فَهُؤُلَاءِ سَيَكُونُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ أَبَدًا، لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيَوْنَ (خَالِدِينَ أَبَدًا).

(بِآيَاتِهِ) (أُولَئِكَ) (الْكِتَابِ) (كَافِرِينَ)

(٣٧) - لَا أَحَدٌ أَكْثَرَ ظُلْمًا مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بِأَنَّهُ أَوْجَبَ عَلَى الْعِبَادِ شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَاتِ لَمْ يُوجِبْهُ اللَّهُ، أَوْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ، أَوْ عَزَا إِلَى دِينِهِ أَحْكَامًا لَمْ يُنْزِلْهَا اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ.

وَلَا أَحَدٌ أَكْثَرَ ظُلْمًا مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ، بِالْقَوْلِ أَوْ بِالِاسْتِهْزَاءِ، وَالِاسْتِكْبَارِ عَنْ اتِّبَاعِهَا، وَهُؤُلَاءِ الْمُفْتَرُونَ الْمُكَذِّبُونَ سَيَحْصِلُونَ عَلَى نَصِيبِهِمْ مِمَّا قَدَرَهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْأَجَالِ وَالْأَرْزَاقِ (نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ) مَعَ ظُلْمِهِمْ وَأَفْرَاقِهِمْ، لَا يُحَرِّمُونَ شَيْئًا مِمَّا قَدَرَهُ اللَّهُ لَهُمْ إِلَى انْقِضَاءِ أَجَالِهِمْ. فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ جَاءَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ يَتَوَفَّوْنَهُمْ، فَيَسْأَلُونَهُمْ: أَيُّ الدِّينِ كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَدْعُونَهُمْ إِلَهَةً،

﴿٣٤﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ

لَا يَسْتَخْرُونَ سَاعَةً وَلَا

يَسْتَفِيدُونَ

﴿٣٥﴾ يَبْنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ

مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَن

اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

﴿٣٧﴾ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ

نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا

جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا

أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ

اللَّهِ قَالُوا أَضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا

عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ

وَتَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ أَذْعُوهُمْ الْآنَ لِيُخْلَصُوكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ؟ فَيُجِيبُهُمْ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ: لَقَدْ غَابُوا عَنَّْا وَتَوَارَوْا (ضَلُّوا عَنَّْا) فَلَا نَرْجُو مِنْهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا. وَيَقْرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ بِدَعْوَتِهِمُ الشُّرَكَاءَ مَعَ اللَّهِ، وَيَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ.

(أَخْرَاهُمْ) (أَوَّلَاهُمْ) (فَاتَبَهُمُ)

(٣٨) - يَقَالُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُفْتَرِينَ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ: أَذْخُلُوا مَعَ جَمَاعَاتٍ وَأُتِمَّ مِنْ أَمْنَالِكُمْ، وَعَلَى صِفَاتِكُمْ، قَدْ سَبَقْتُكُمْ فِي الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ. وَكُلَّمَا دَخَلَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فِي النَّارِ، لَعَنَتْ أُخْتَهَا فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ إِذْ هِيَ قَدْ ضَلَّتْ بِاتِّبَاعِهَا، وَالْإِقْبَادِ بِهَا فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا فِي النَّارِ جَمِيعًا (أَذَارَكُوا فِيهَا)، قَالَتْ آخِرُ كُلِّ أُمَّةٍ دَاخِلَةٍ إِلَى النَّارِ (وَهُمُ الْآتِبَاعُ وَالسَّفَلَةُ) تَشْكُو أَهْلَ الْمَنْزِلَةِ وَالْمَكَانَةِ مِنَ الْكِبَرَاءِ الْمَتَّبِعِينَ، مِمَّنْ تَقَدَّمُوهُمْ فِي الدُّخُولِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ:

إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَضَلُّوا وَدَفَعُونَا إِلَى الشُّرْكِ وَالضَّلَالَةِ، فَأُضْعِفْ لَهُمُ الْعَذَابَ يَا رَبِّ، وَزِدْهُمْ فِيهِ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: لَقَدْ فَعَلْنَا، وَجَعَلْنَا لِكُلِّ مِنْهُمْ ضِعْفًا مِنَ الْعَذَابِ لِإِضْلَالِهِ النَّاسَ، فَوْقَ الْعَذَابِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ عَلَى ضَلَالِهِ، وَلِكَيْنَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا يُلَاقُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ.

أَذَارَكُوا فِيهَا - تَلَاَحَقُوا فِي النَّارِ وَاجْتَمَعُوا فِيهَا.

أَخْرَاهُمْ - فِي الْمَنْزِلَةِ وَهُمْ السَّفَلَةُ وَالْآتِبَاعُ (وَقَدْ يَكُونُونَ الْآخِرِينَ فِي الدُّخُولِ إِلَى النَّارِ لِأَنَّ الْكِبَرَاءَ يَكُونُونَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهَا).

أَوَّلَاهُمْ - مَنْزِلَةٌ وَهُمْ الْقَادَةُ - وَقَدْ يَكُونُونَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ إِلَى النَّارِ.

عَذَابًا ضِعْفًا - عَذَابًا مُضَاعَفًا وَمَزِيدًا.

(أَوَّلَاهُمْ) (لَاخِرَاهُمْ)

(٣٩) - وَيَرُدُّ الْمَتَّبِعُونَ عَلَى الْآتِبَاعِ قَائِلِينَ: لَقَدْ ضَلَلْتُمْ كَمَا ضَلَلْنَا نَحْنُ وَلِذَلِكَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ يَسْمَحُ بِأَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ الْعَذَابُ، فَذُوقُوا الْعَذَابَ الَّذِي تَسْتَحِقُّونَهُ، عَلَى مَا أَقْرَفْتُمُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ. (أَوْ إِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ يَقُولُهَا اللَّهُ لَهُمْ مُوَبَّحًا وَمُقَرَّرًا).

(بَيَاتِنَا) (أَبْوَابُ)

(٤٠) - وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ تَكْبِيرًا وَطُغْيَانًا، وَلَمْ يَتَّبِعُوا رُسُلَ اللَّهِ

قَالَ أَذْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاتِبْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ

وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَبْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ

أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ

﴿٤١﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ
غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَا نَكْثِفُ نَفْسًا
إِلَّا وَوَسَعَهَا أَزْوَاجُهَا أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ
نَجْزِي مَنْ نَحْنِيهِمْ أَلا تَهْتَرُ وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهَذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدانا اللَّهُ
لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ
وَنُودُوا أَنْ تَتَكَبَّرَ الْجَنَّةُ
أُورِشْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

أَسْتَكْبَرُوا عَنِ التَّصَدِيقِ بِمَا جَاءُواهُمْ بِهِ، فَهَؤُلَاءِ لَا تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ
لِأَرْوَاحِهِمْ، وَلَا يَرْفَعُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ عَمَلٌ وَلَا دُعَاءٌ، وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّى يَدْخُلَ الْحَبْلُ الْغَلِيظُ (الْجَمَلُ) فِي فَتْحَةِ الْإِبْرَةِ الصَّغِيرَةِ
(سَمِّ الْخِيَاطِ). فَكَمَا أَنَّ الْحَبْلَ الْغَلِيظَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَمُرَّ فِي فَتْحَةِ الْإِبْرَةِ
الصَّغِيرَةِ، كَذَلِكَ لَا يَدْخُلُ الْكُفَّارُ الْجَنَّةَ.
وَهَذَا جَزَاءٌ عَادِلٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُجْرِمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، وَفِي كُلِّ
زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

الْجَمَلُ - الْحَبْلُ الْغَلِيظُ - وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ هُنَا الْجَمَلُ حَقِيقَةً.
سَمِّ الْخِيَاطِ - ثَقْبِ الْإِبْرَةِ.
(الظَّالِمِينَ)

(٤١) - وَلَهُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ فُرُشٌ مِنْ تَحْتِهِمْ (مِهَادٌ)، وَلَهُمْ مِنْهَا أَعْطِيةٌ
مِنْ فَوْقِهِمْ تُغَطِّيهِمْ (غَوَاشٍ). وَبِمِثْلِ هَذَا الْجَزَاءِ يَجْزِي اللَّهُ الظَّالِمِينَ
لأنفسِهِمْ، الْمُضِلِّينَ لِلنَّاسِ.
مِهَادٌ - فُرُشٌ أَوْ مُسْتَقَرٌّ.
غَوَاشٍ - أَعْطِيةٌ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٤٢) - وَالَّذِينَ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ، وَصَدَّقُوا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا جَاءُواهُمْ بِهِ،
وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، بِجَوَارِحِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ
فِيهَا أَبَدًا.

وَالْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ سَهْلَانِ مَيْسُورٌ فَعَلَهُمَا لِجَمِيعِ النَّاسِ، لِأَنَّ
اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ أَحَدًا إِلَّا قَدْرَ طَاقَتِهِ وَأَسْتَطَاعَتِهِ.
وَسَعَهَا - طَاقَتَهَا وَمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ.

(الْأَنْهَارُ) (هَذَانَا)

(٤٣) - وَيَنْزِعُ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ حَقْدٍ وَضَغِينَةٍ وَحَسَدٍ،
فَيُصْبِحُونَ مُتَحَابِّينَ، وَتَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ فِي أَرْضِ الْجَنَّةِ،
وَيَنْظُرُونَ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ يَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا إِلَى
طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَلَوْلَا هُدَى اللَّهِ لَمَّا كُنَّا أَهْتَدِينَا إِلَيْهِ، لَقَدْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ
رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ. وَيُنَادُونَ (يُنَادِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ تُنَادِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ
الْكِرَامُ): إِنَّ هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي أَنْتُمْ تَحْلُونَهَا قَدْ أَوْرَثَكُمْ اللَّهُ إِبَائَهَا ثَوَابًا لَكُمْ
وَجَزَاءً عَلَى إِيْمَانِكُمْ وَأَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ.
الْغُلُ - الْحَقْدُ وَالضَّغِينَةُ وَالْعَدَاوَةُ.

(أَصْحَابُ) (أَصْحَابُ) (الظَّالِمِينَ)

(٤٤) - وَبَعْدَ أَنْ يَسْتَقِرَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا، وَيَحْمَدُونَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى النِّعَمِ الَّذِي أَسْبَغَهُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ، يَطْلُبُونَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَيَرَوْنَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّصَبِ، وَيَرَوْنَ قَوْمًا مِمَّنْ عَرَفُوهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ، وَيَكْفُرُونَ بِهَا، وَيَسْخَرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُسْكَكُونَ فِي صَدْقِ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَاعِلِي الْخَيْرِ، وَعَنِ الْعَذَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُ الْمُكَذِّبِينَ الْمُجْرِمِينَ، فَيَخَاطِبُونَهُمْ قَائِلِينَ: لَقَدْ وَجَدْنَا نَحْنُ مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا مِنْ نَعِيمٍ، وَجَنَّاتٍ، حَقًّا، جَزَاءً عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ أَنْتُمْ يَا أَصْحَابَ النَّارِ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ عَذَابٍ وَتَكْالٍ حَقًّا؟ فَيُجِيبُهُمْ أَهْلُ النَّارِ: أَنْ نَعَمْ، لَقَدْ وَجَدْنَا ذَلِكَ. وَبَعْدَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ، يُعْلِنُ مُعْلِنٌ: أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ مُسْتَقِرَّةٌ عَلَى الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي.

أَذْنُ مُؤَذِّنٍ - نَادَى مُنَادٍ، أَوْ أَعْلَنَ مُعْلِنٌ.

(بِالْآخِرَةِ) (كَافِرُونَ)

(٤٥) - وَيَعْرِفُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْ اتِّبَاعِ مَا شَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى، وَمَا جَاءَتْ بِهِ النُّبُوءَاتُ، وَيَبْغُونَ أَنْ تَكُونَ سَبِيلُ اللَّهِ مُعْجِزَةً غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ حَتَّى لَا يَسْلُكَهَا أَحَدٌ، وَيَكْفُرُونَ بِلِقَاءِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، لَا يُصَدِّقُونَ وَلَا يُؤْمِنُونَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يُبَالُونَ بِمَا يَأْتُونَ مِنْ مُنْكَرِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ اللَّهِ وَحِسَابَهُ.

يَبْغُونَهَا عِوَجًا - يَطْلُبُونَهَا ذَاتَ اعْوِجَاجٍ.

(بِسِيمَاهُمْ) (أَصْحَابُ) (سَلَامٍ)

(٤٦) - وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلِ النَّارِ جَاغِزًا (حِجَابًا) يَمْنَعُ وَصُولَ أَهْلِ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهُوَ السُّورُ الَّذِي قَالَ عَنْهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: «فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ سُورًا لَهٗ بَابٌ»^(١) وَهُوَ الْأَعْرَافُ.

وَيَقُولُ الْمُفْسِّرُونَ: يَقِفُ عَلَى الْأَعْرَافِ أَنْاسٌ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ مَعَ

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ
أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا
فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا
قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٍ بَيْنَهُمْ أَنَّ
لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ
رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا
أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ
لَمَّا دَخَلُوا وَهُمْ يَطْمَعُونَ

سَيَاتِبِهِمْ، فَلَا هُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَا هُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ حَتَّى يَفْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَظْمَعُونَ فِي أَنْ يُدْخِلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَأَهْلُ الْأَعْرَافِ يَعْرِفُونَ كُلًّا مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَأَهْلِ الْجَنَّةِ بِسِيمَاهُمْ الَّتِي وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهَا (وَهِيَ بَيَاضُ الْوَجْهِ، وَنَضْرَةُ النَّعِيمِ الَّتِي تَعْلُو وَجْهَهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَسَوَادُ الْوَجْهِ وَالْقَتَرَةُ الَّتِي تَرَهَقُ وَجْهَهُ أَهْلُ النَّارِ). وَيَتَوَجَّهُ أَهْلُ الْأَعْرَافِ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ بِالسَّلَامِ قَائِلِينَ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، يَقُولُونَهَا مُهْتَبِينَ بِالْقُورَى بِالْحِسَابِ، طَامِعِينَ فِي أَنْ يُدْخِلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ مَعَهُمْ.

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَظْمَعُونَ) إِنَّ أَهْلَ الْأَعْرَافِ يُسَلِّمُونَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ يَجْتَازُوا الْحِسَابَ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، إِذْ يَكُونُونَ طَامِعِينَ فِي دُخُولِهَا لِمَا رَأَوْهُ مِنْ بُسْرِ الْحِسَابِ).

بَيْنَهُمَا حِجَابٌ - حَاجِزٌ - وَهُوَ سُورٌ بَيْنَهُمَا.

الْأَعْرَافُ - أَعَالِي السُّورِ الْفَاصِلِ بَيْنَ النَّارِ وَالْجَنَّةِ.

بِسِيمَاهُمْ - بِعَلَامَاتٍ مُمَيَّزَةٍ فِيهِمْ.

(أَبْصَارُهُمْ) (أَصْحَابِ) (الظَّالِمِينَ)

(٤٧) - وَكُلَّمَا أَتَجَهَّتْ أَبْصَارُهُمْ إِلَى جَهَةِ أَهْلِ النَّارِ تَعَوَّدُوا بِاللهِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ، وَقَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

(أَصْحَابِ) (بِسِيمَاهُمْ)

(٤٨) - وَيَعْرِفُ أَهْلُ الْأَعْرَافِ رُؤُوسَ الْكُفْرِ، وَقَادَةَ الشَّرِّكَ، وَهُمْ فِي النَّارِ، بِسِيمَاهُمْ (أَيِ بِسَوَادِ وَجُوهِهِمْ) فَيَقْرَعُونَهُمْ قَائِلِينَ: لَمْ تَنْفَعَكُمْ كَثْرَتُكُمْ، وَجَمْعُكُمْ الْمَالَ، وَلَمْ يُغْنِ عَنْكُمْ اسْتِكْبَارُكُمْ، مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَهَذَا أَنْتُمْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَسُوءِ الْمَصِيرِ. لَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ - لَمْ تُفِدْكُمْ وَلَمْ تَنْفَعَكُمْ.

(٤٩) - ثُمَّ يَقُولُونَ لَهُمْ مُوَبِّحِينَ مُقَرَّرِينَ، وَهُمْ يَلْفُتُونَ أَنْظَارَهُمْ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَسْتَبْعِدُونَ أَنْ يُصِيبَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ: أَهْلُاءُ الَّذِينَ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَرْحَمَهُمْ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قِيلَ لَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ، لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَسْتَغْلِبُونَهُ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَقْتُمْ وَرَاءَكُمْ فِي الدُّنْيَا.



(٤٧) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ

نَفَعَتِ
الْعَبْرَتِ
١٦

لِقَاءِ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا

لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

(٤٨) وَادَّيَّ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا

يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ

عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ

(٤٩) أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَظِرُ

اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ

عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ

(أَصْحَابُ) (أَصْحَابُ) (الْكَافِرِينَ)

(٥٠) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلَّةِ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ ، وَسُئِلَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَنْ يُعْطَوْهُمْ شَيْئًا مِنْ شَرَابِهِمْ وَطَعَامِهِمْ ، فَبَرَدَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْكَافِرِينَ .
أَفِضُوا عَلَيْنَا - صُبُّوا عَلَيْنَا أَوْ أَعْطُونَا .

(الْحَيَاةُ) (نَسَاهُمْ) (بَايَاتِنَا)

(٥١) - وَوصف أهل الجنة هؤلاء الكافرين ، الذين حرم الله عليهم الماء والطعام ، بأنهم : الذين اتخذوا الدين لهواً ولعباً ، واعتزوا بالدنيا وزينتها وزخرفها ، فأنصرفوا إليها ، وتركوا ما أمرهم الله به من العمل للأخرة .
وكما نسي هؤلاء دينهم وما أمرهم به ربهم ، وكذبوا بآيات الله وجحدوا بها ، فإن الله يعاملهم معاملة الشيء المنسي ، الذي لا يبحث عنه أحد ، ونسأهم فلا يجيب دعاءهم ، وتركهم في نار جهنم يعدبون .
غرثهم الحياة الدنيا - خدعتهم بزخارفها وزينتها .
نسأهم - تركهم في العذاب كالمُنْسِينَ .
وما كانوا - وكما كانوا .

(جَنَّتَاهُمْ) (بِكِتَابٍ) (فَصَلَّنَاهُ)

(٥٢) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَعْدَرَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا رَسُولًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، وَفَصَّلَهُ تَفْصِيلاً لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا يَحْتَاجُهُ الْمُكَلَّفُونَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، تَرْكِيبَةً لِلنَّفُوسِ ، وَتَطْهِيراً لِلْقُلُوبِ ، وَجَعَلَهُ سَبَبَ سَعَادَتِهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ ، وَجَعَلَهُ هُدًى وَرَحْمَةً لِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ إِمَاناً يَبْنِيهِ إِلَى الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ ، وَالْإِنْتِهَاءَ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ .
(٥٣) - إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ ، وَيَشْكُونَ فِي صِدْقِ مَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ ، فَهَلْ يَسْتَمِرُّ هَؤُلَاءِ الْجَاهِلُونَ فِي تَرْدُدِهِمْ حَتَّى يَتَحَقَّقَ وَقُوعُ مَا أَشَارَ الْقُرْآنُ إِلَى خُدُوثِهِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ وَالْمَعَادِ؟ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصْرِ وَعِزَّةٍ فِي الدُّنْيَا ، وَجَنَّةٍ وَنَعِيمٍ فِي الْآخِرَةِ ، وَمَا أَنْذَرَ بِهِ الْكَافِرِينَ مِنْ ذَلَّةٍ وَخِذْلَانٍ فِي الدُّنْيَا ، وَعَذَابٍ أَلِيمٍ فِي الْآخِرَةِ (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) . فَإِذَا وَقَعَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ ، وَبَيَّنَّتِ الْأَحْدَاثُ الْوَاقِعَةُ تَأْوِيلَهُ وَتَفْسِيرَ مَا جَاءَ فِيهِ ، وَبُعِثَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْحِسَابِ ، حِينَئِذٍ يُقَيِّضُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةَ مِنْ غَفْلَتِهِمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ نَسُوا هَذَا الْقُرْآنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَقُولُونَ لِأَنْفُسِهِمْ (أَوْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ) :

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى الْكَافِرِينَ

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى آيَاتٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

إِنَّ رُسُلَ اللَّهِ قَدْ جَاءُوا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّا لَمْ نُؤْمِنْ بِذَلِكَ، فَهَلْ لَنَا مَنْ يَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا؟ أَوْ هَلْ يَرْدُّنَا اللَّهُ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا فَنَرْجِعَ عَمَّا كُنَّا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، وَنُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا يَرْضَاهُ؟

وهؤلاء قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَعَبَنُوا حُطُوطَهَا بِدُخُولِهِمُ النَّارَ، وَحُلُودِهِمْ فِيهَا، وَغَابَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَسِيرِ (ضَلَّ عَنْهُمْ) الَّذِينَ كَانُوا يَعْْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَا يَشْفَعُونَ فِيهِمْ، وَلَا يَنْصُرُونَهُمْ، وَلَا يُنْقِذُونَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ.

تَأْوِيلُهُ - عَاقِبَةُ مَا وَعَدَ الْكِتَابُ (الْقُرْآنُ) وَمَآلُهُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

يَقْتَرُونَ - يَقُولُونَ كَذِبًا وَآخِثًا قَاعِنِ الشَّرَكَاءِ وَشَفَاعَتِهِمْ.

(السَّمَاوَاتِ) (اللَّيْلِ) (مُسَخَّرَاتِ) (الْعَالَمِينَ)

(٥٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ : السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ. أَسْتَوَى يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَأَخَذَ يُدَبِّرُ أُمُورَهُمَا، فَيَتَّبِعُ اللَّيْلُ النَّهَارَ، فَيَغْشَى الْوُجُودَ بِالظُّلْمَةِ، وَيَتَّبِعُ النَّهَارُ اللَّيْلَ، فَيَغْشَاهُ بِالضِّيَاءِ، يَتَّبَعَانِ سَرِيعًا، لَا يَتَأَخَّرُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ كُلُّهَا تَسِيرُ مُسَخَّرَةً، بِأَمْرِ رَبِّهَا، وَمُنْقَادَةً لِحُكْمِهِ وَمَشِيتِهِ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ وَالْمُلْكُ وَالتَّصَرُّفُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَنَسُوقُ هُنَا مَا قَالَهُ الْحَافِظُ أَبُو كَثِيرٍ حَوْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى (ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ): (نَسَلْتُ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَذْهَبَ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَهُوَ إِمْرَأَتُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهِ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَالظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ إِلَى أَذْهَانِ الْمُشَبِّهِينَ مَنْفَعِي عَنِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ (وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ). وَقَالَ نَعِيمُ بْنُ حَمَادٍ الْخَزَاعِمِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ: (مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولُهُ تَشْبِيهِ، فَمَنْ أَثْبَتَ مَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَثَارُ الصَّرِيحَةُ وَالْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَنَقَى عَنِ اللَّهِ النَّقَائِصَ فَقَدْ سَلَكَ سَبِيلَ الْهُدَى).

(٥٥) - يُرْشِدُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ بِتَضَرُّعٍ وَبِصُورَةٍ خَفِيَّةٍ. (أَيُّ يَخْشَعُونَ وَصِحَّةً يَقِينٍ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَبِرُبُوبِيَّتِهِ) لَا جَهَارًا وَلَا مَرَاءَةً، قَالَهُ

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ اللَّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

لَا يُحِبُّ أَنْ يَتَجَاوَزُوا فِي الدُّعَاءِ حُدُودَ مَا أُمِرُوا بِهِ (كَالْمُبَالِغَةِ فِي رَفْعِ الصُّوْتِ فِي الدُّعَاءِ، أَوْ طَلَبِ الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ عَلَى أَرْكَابِ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، أَوْ التَّوَجُّهِ بِالدُّعَاءِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ لِيُشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ . . .).
 ادْعُوا رَبَّكُمْ - اسْأَلُوهُ قَضَاءَ حَاجَاتِكُمْ.
 تَضَرَّعًا - مُظْهِرِينَ الضَّرَاعَةَ وَالذَّلَّةَ وَالْاِسْتِكَانَةَ وَالْخُشُوعَ.
 خُفْيَةً - سِرًّا فِي أَنْفُسِكُمْ.

(إِصْلَاحُهَا) (رَحْمَةً)

(٥٦) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللَّهُ بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالنِّظَامِ، وَبِمَا هَدَى النَّاسَ إِلَيْهِ مِنْ حُسْنِ اسْتِغْلَالِهَا، وَالْاِئْتِمَاعِ بِخَيْرَاتِهَا، وَبِمَا سَخَّرَهُ لَهُمْ مِنْهَا. وَيَشْمَلُ الْإِفْسَادُ كُلَّ مَا أَفْسَدَ الْعُقُولَ وَالْعَقَائِدَ، وَالْأَدَابَ الشَّخْصِيَّةَ وَالْمَعَاشَ وَالْمَرَافِقَ مِنْ زِرَاعَةٍ وَتِجَارَةٍ وَصِنَاعَةٍ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِدُعَائِهِ خَوْفًا مِمَّا عِنْدَهُ مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ، وَطَمَعًا بِمَا عِنْدَهُ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ مُرْصَدَةً لِلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَوَامِرَهُ وَيَسْتَهْجُونَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ.
 رَحْمَةً اللَّهُ - إِنْعَامَهُ وَإِحْسَانَهُ أَوْ ثَوَابَهُ.

(الرِّيَاحُ) (سُقْنَاهُ) (الثَّمَرَاتِ)

(٥٧) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُدَبِّرُ لِأَمْرِ الْخَلْقِ وَالْكَوْنِ، وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، مِنَ السَّحَابِ الْحَامِلِ لِلْمَاءِ، فَيَنْشِئُهُ بِهَا السَّحَابَ الثَّقِيلَ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا أَقْلَبَ الرِّيحُ السَّحَابَ، وَرَفَعَتْهَا إِلَى جَوْ السَّمَاءِ، سَاقَتْهَا الرِّيَّاحُ، بِأَمْرِ رَبِّهَا، إِلَى أَرْضٍ مُجْدِبَةٍ لَا نَبَاتَ فِيهَا لِيُمْطِرَ عَلَيْهَا، وَتَصْبَّ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَنْبَتِ الْأَرْضُ، وَتَخْرُجَ فِيهَا الثَّمَرَاتُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. وَكَمَا يُخْرِجُ اللَّهُ النَّبَاتَ وَالثَّمَرَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْمَوَاتِ بِالْمَطَرِ وَالْمَاءِ، كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِخْرَاجِ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَفَرَّبُوا هَذَا الْمَثَلَ مِنْ ذَلِكَ تَتَذَكَّرُوا هَذَا الشُّبْهَ، فَيَزُولُ اسْتِعْجَالُكُمْ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.
 بُشْرًا - مُبَشِّرَاتٍ بِالْمَطَرِ.
 بَلَدٌ مَيِّتٌ - بَلَدٌ مُجْدِبٌ، لَا نَبَاتَ فِيهِ وَلَا مَاءَ.

﴿٥٦﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

﴿٥٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَبَ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ يُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

(الآيات)

(٥٨) - وَالْأَرْضُ مِنْهَا الطَّيْبَةُ الْكَرِيمَةُ، ومنها الْحَبِيبَةُ كَالسَّبَاخِ وَغَيْرِهَا، فَلِأَرْضِ الطَّيْبَةِ يُخْرَجُ نَبَاتُهَا بِسُهُولَةٍ حَسَنًا، وَالْأَرْضُ الْحَبِيبَةُ لَا يُخْرَجُ نَبَاتُهَا إِلَّا بِصُعُوبَةٍ وَعُسْرٍ (نَكْدًا)، وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ الْبِرِّ وَالْكَافِرِ الْفَاجِرِ. وَهَكَذَا يُضْرَبُ الْأَمْثَالُ لِلنَّاسِ، وَبَيَّنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ (يُصْرَفُ) لَعَلَّ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ عَلَى مَا هَدَاهُمْ وَأَنعَمَ عَلَيْهِمْ. النَّكْدُ - هُوَ الْعَسِيرُ الْمُتَمَنِّعُ مِنْ إعْطَاءِ الْخَيْرِ بَخْلًا، أَوْ هُوَ الْقَلِيلُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ.

نُصْرَفُ الْآيَاتِ - نُكْرَرُهَا بِأَسَالِيبٍ مُخْتَلِفَةٍ لِيَعِيَهَا النَّاسُ.

(يَا قَوْمِ)

(٥٩) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، شَرَعَ فِي سَرْدِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ، فَابْتَدَأَ بِنُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ آدَمَ. وَقَدْ لَاقَى نُوحٌ مِنْ قَوْمِهِ عَنَاءً وَعَنَاءً، فَوَجَدَ قَوْمَهُ يَعْبدُونَ الْأَصْنَامَ وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَاءَ، مِثْلَ وَدٍّ وَسَوَاعٍ وَيَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرَ. فَبَعَثَ اللَّهُ نُوحًا فَأَمَرَ قَوْمَهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَحَذَرَهُمْ مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ).

(لَتَرَاكَ) (ضَلَالٍ)

(٦٠) فَقَالَ جُمْهُورُ السَّادَةِ وَالْكَبَرَاءِ (الْمَلَأَ) مِنْ قَوْمِ نُوحٍ: إِنَّا لَتَرَاكَ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ فِي دَعْوَتِكَ إِيَّانَا إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَعْبدونها. الْمَلَأَ - السَّادَةُ وَالْكَبَرَاءُ.

(يَا قَوْمِ) (ضَلَالَةٍ) (الْعَالَمِينَ)

(٦١) - فَقَالَ لَهُمْ نُوحٌ: إِنِّي لَسْتُ ضَالًّا، وَلَمْ أَخْرُجْ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِي دَعْوَتِي لَكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ وَمَالِكِهِ.

(رِسَالَاتِ)

(٦٢) - وَأَنَا أَتَوَلَّى إبْلَاعَكُمْ مَا أُرْسَلَنِي بِهِ اللَّهُ إِلَيْكُمْ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَأَتَوَلَّى نُصْحَكُمْ وَتَوْجِيهَكُمْ إِلَى الْخَيْرِ

٥٨ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ

يَا ذِينَ رَبِّهِ وَالَّذِي حَبِثَ لَآيَحْجُجُ

إِلَّا أَنْ كَذَّكَ كَذَلِكَ نُصْرَفُ

الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ

٥٩ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ

فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ

مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

٦٠ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ

فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

٦١ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ

وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

٦٢ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ

لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ

وَأَنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ، لِأَنِّي مُرْسَلٌ مِنْ قِبَلِهِ إِلَيْكُمْ.
أَنْصَحْ لَكُمْ - أَتَحَرَّى مَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا.

(٦٣) - قَالَ لَهُمْ نُوحٌ: أَعَجِبْتُمْ وَكَذَّبْتُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْبَشَرِ (مِنْكُمْ)، وَأَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا لِيَدْعُوَكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُحَذِّرَكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ إِنْ أَصْرَرْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، لَعَلَّ هَذَا الْإِنْذَارَ يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَّقُوا مَا يُسْخِطُ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ، مِنَ الشَّرِكِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ بِالتَّقْوَى لِلْفُوزِ بِرَحْمَتِهِ الَّتِي تُرْجَى لِكُلِّ مَنْ أَحَابَ الدَّعْوَةَ.

(فَأَنجَيْنَاهُ) (بِآيَاتِنَا)

(٦٤) - فَكَذَّبَهُ جُمُوهُورُهُمْ، وَأَصْرَرُوا عَلَى ذَلِكَ وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَجَبُوا فِي طُعْيَانِهِمْ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا مَعَهُ، إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ، فَأَنْجَى اللَّهُ نُوحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ (الْفُلِّ)، وَأَغْرَقَ بِالطُّوفَانِ الَّذِينَ كَذَّبُوا نُوحًا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَبَرَاهِينِهِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ، فَقَدْ كَانَ الَّذِينَ أَعْرَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالطُّوفَانِ، قَوْمًا عَمِينَ عَنِ الْحَقِّ، لَا يُبْصِرُونَهُ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ، فَخَصَّ اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ.

قَوْمًا عَمِينَ - عُمِيَ الْقُلُوبُ عَنِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ.

(يَا قَوْمِ)

(٦٥) - وَكَمَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، كَذَلِكَ أَرْسَلَ هُودًا إِلَى قَوْمِهِ عَادٍ، وَهُوَ مِنْهُمْ، يَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُ لُغَتَهُمْ وَتَفْكِيرَهُمْ لِيَسْتَطِيعَ مُحَاطَتَهُمْ. وَكَانَ قَوْمُ عَادٍ ذَوِي بَاسٍ شَدِيدٍ وَقُوَّةٍ، وَكَانَتْ مَسَاكِينُهُمْ فِي الْأَحْقَافِ فِي جَنُوبِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ تَكْذِيبًا لِلْحَقِّ، أَعْتَدَادًا مِنْهُمْ بِقُوَّتِهِمْ، وَشِدَّةٍ بِأَسْهِمٍ. فَدَعَاَهُمْ هُودٌ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ نِقْمِهِ إِنْ أَصْرَرُوا عَلَى فِعْلِهِ مَا يُسْخِطُ اللَّهَ مِنَ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَهَا.

(لَنَرَاكَ) (الْكَاذِبِينَ)

(٦٦) - قَالَ جُمُوهُورُ السَّادَةِ مِنْ قَوْمِهِ (الْمَلَأُ): إِنَّا نَرَاكَ فِي ضَلَالٍ وَفَسَادٍ رَأْيٍ (فِي سَفَاهَةٍ)، إِذْ تَدْعُونَا إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّا نَظُنُّ أَنَّكَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاكَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا.

سَفَاهَةٍ - خِفَّةُ عَقْلِ وَضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ.

١٣ أَوْعِجْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

١٤ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ

١٥ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْتَفُونَ

١٦ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا نَنظُرُكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(يَا قَوْمِ) (الْعَالَمِينَ)

(٦٧) - فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَسْتُ سَفِيهًا ضَالًّا عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَلَا ضَعِيفَ الرَّأْيِ، كَمَا تَزْعُمُونَ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى مِنَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ وَمَالِكُهُ.

(رِسَالَاتٍ)

(٦٨) - وَمَهْمَّتِي هِيَ مَهْمَةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ جَاءُوا قَبْلِي وَهِيَ إِبْلَاجُ رِسَالَةِ اللَّهِ إِلَى عِبَادِهِ، وَإِسْدَاءُ النَّصْحِ إِلَيْهِمْ، وَأَنَا صَادِقٌ فِي نَصْحِي لَكُمْ، أَمِينَ فِي إِبْلَاجِكُمْ مَا أَمَرَنِي رَبِّي بِإِبْلَاجِهِ إِلَيْكُمْ.

(آلَاءِ) (بَسْطَةِ)

(٦٩) - أَعَجِبْتُمْ وَكَذَّبْتُمْ أَنْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ (مِنْكُمْ) يُوجِي إِلَيْهِ لِيَدْعُوَكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِيُنْذِرَكُمْ وَيُخَوِّفَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، إِنْ أَصْرَرْتُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ كَلَّا لَا تَعْجَبُوا مِنْ ذَلِكَ، وَأَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ لُطْفٌ مِنْهُ بِكُمْ، وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ، الَّذِي أَهْلَكَ اللَّهُ النَّاسَ بِدَعْوَتِهِ لَمَّا خَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ.

وَقَدْ أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ فَرَادَ فِي أَجْسَامِكُمْ بَسْطَةً طَوِيلًا وَقُوَّةً، فَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ هَذِهِ، وَأَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَحُسْنِ الْعِبَادَةِ، لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ فِي النِّجَاحِ مِنْ نَقَمَتِهِ تَعَالَى، وَتَقْوَرُونَ فِي أَكْسَابِ مَرْضَاتِهِ. بَسْطَةُ - قُوَّةٌ وَعَظَمُ أَجْسَامٍ. آلَاءُ اللَّهِ - نِعْمَةٌ وَأَفْضَالُهُ.

(آبَاؤُنَا) (الصَّادِقِينَ)

(٧٠) - فَتَكَبَّرُوا وَطَغَوْا، وَزَادُوا فِي عِنَادِهِمْ وَتَكْدِيبِهِمْ، وَقَالُوا لِهَيْودٍ: أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَتَخَلَّى عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا آبَاؤُنَا، فَهَذَا لَنْ يَكُونَ أَبَدًا. وَإِذَا كُنْتَ صَادِقًا بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَاتِّبَا بِمَا حَدَرْتَنَا مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ بِرَبِّكَ.

(أَتَجَادِلُونِي) (آبَاؤُكُمْ) (سُلْطَانٍ)

(٧١) - قَالَ لَهُمْ هُودٌ: لَقَدْ حَقَّ عَلَيْكُمْ، بِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ، سَخَطُ مَنْ رَبُّكُمْ وَغَضَبُ (رَجْسٍ)، أَتَجَادِلُونِي فِي هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي آتَخَذْتُمُوهَا

٧٧ قَالَ يَقَوْمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

٧٨ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ

٧٩ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

٧٠ قَالُوا أَاجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتِنَا بِمَا تَعَدَّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

٧١ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ

أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ إِلَهًا، وَجَعَلْتُمْ لَهَا أَسْمَاءَ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَيْسَ لَكُمْ حُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَا دَلِيلٌ يُبْرِئُ عِبَادَتَكُمْ لَهَا، أَوْ يَصْدُقُ زَعْمُكُمْ بِأَنَّهُ رَضِيَ بِأَنْ تَكُونَ وَسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ. وَمَا دُعُوتُكُمْ قَدْ قُلْتُمْ مَا قُلْتُمْ مِنْ كَلِمَةِ الْكُفْرِ، فَانْتَظِرُوا عِقَابَ اللَّهِ وَقَضَاءَهُ. وَأَنَا مُنْتَظِرٌ مَعَكُمْ نَزْوَلَهُ بِكُمْ.

وَجَسْ - عَذَابٌ، أَوْ رَيْنٌ عَلَى الْقُلُوبِ.
غَضَبٌ - لَعْنٌ وَطَرْدٌ أَوْ سَخَطٌ.

(فَأَنْجَيْنَاهُ) (بَابَاتِنَا)

(٧٢) - فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ سَاقَ اللَّهُ إِلَى عَادِ السَّحَابِ الَّذِي يَحْمِلُ إِلَيْهِمُ الْعَذَابَ، وَأَنْجَى رَسُولُهُ هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَلُطْفٍ، وَذَمَّرَ الْكَافِرِينَ جَمِيعًا، مِنْ أَوْلَاهُمْ إِلَى آخِرِهِمْ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمُ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ.
قَطَعْنَا دَابِرَ الْقَوْمِ - أَهْلَكْنَا آخِرَهُمْ، وَمَتَى هَلَكَ الْآخِرُ فَقَدْ هَلَكَ الْأَوَّلُ.

(صَالِحًا) (يَا قَوْمِ) (آيَةً)

(٧٣) - كَانَتْ دِيَارُ قَبِيلَةِ ثَمُودَ فِي أَرْضِ الْجَبَاذِ، فِي مَدَائِنِ صَالِحَ، بَيْنَ تَبُوكَ وَالْمَدِينَةِ. وَلَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ صَالِحًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مِنْهُمْ (أَخَاهُمْ)، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَهُ جَمِيعُ الرُّسُلِ لِأَقْوَامِهِمْ: أَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِبُرْهَانٍ مِنَ اللَّهِ عَلَى صِدْقِ قَوْلِي لَكُمْ إِنَّنِي رَسُولُ اللَّهِ، وَعَلَى صِحَّةِ دَعْوَتِي، فَقَدْ طَلَبْتُمْ مِنِّي بُرْهَانًا عَلَى صِدْقِ نُبُوتِي، أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ صَخْرَةٍ صُمَاءَ عَيْتُمُوهَا لِي بِذَاتِهَا، نَاقَةٌ عَشْرَاءَ فَدَعَوْتُ اللَّهَ فَاسْتَجَابَ لِي، وَأَخْرَجَ لَكُمْ النَّاقَةَ، وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ كَيْفَ تَخْرُجُ، وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكُمُ الْعَهْدَ وَالْمَوَاقِفَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ إِنْ حَقَّقَ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ مَا سَأَلْتُمْ، فَأَمِنُوا بِاللَّهِ كَمَا وَعَدْتُمُونِي، وَذَرُّوا النَّاقَةَ تَسْرَحُ فِي أَرْضِ اللَّهِ، وَتَأْكُلُ مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا تَعْرَضُوا لَهَا بِسُوءٍ فِي نَفْسِهَا وَلَا فِي أَكْلِهَا، وَأَنَا أُحَذِّرُكُمْ بِأَنِّكُمْ إِذَا اعْتَدَيْتُمْ عَلَيْهَا، وَمَسَسْتُمُوهَا بِسُوءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُصِيبُكُمْ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ الْإِيلَامِ. (وَكَانَتْ النَّاقَةُ تَسْرَحُ فِي الْأَرْضِ، وَتَشْرَبُ مَاءَ الْبَيْرِ يَوْمًا وَتَتْرَكُهُ لِقَوْمِ ثَمُودَ يَوْمًا).

آيَةٌ - مُعْجَزَةٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ الرُّسُولِ.

سَعَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
مَّا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ
الْمُنْتَظِرِينَ

(٧٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا
مُؤْمِنِينَ

(٧٣) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا
قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَقَدْ
جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ
لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ إِلِيمٍ

(الآء)

(٧٤) - وَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ : أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ اسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ عَادٍ، وَمَكَنَكُمْ فِي الْأَرْضِ، تَبْنُونَ الْقُصُورَ فِي سُهُولِهَا، وَتَنْجُونَ الْبُيُوتَ فِي جِبَالِهَا، فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى أَنْعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ وَذَلِكَ بِتَوْحِيدِهِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَلَا تَتَصَرَّفُوا فِي الْأَرْضِ تَصَرَّفَ كُفْرَانٍ وَجُحُودٍ بِفِعْلِ لَا يُرْضِي اللَّهُ. الْعَيْثُ وَالْعُيُ - هُوَ الْفَسَادُ. يَوَّاكُم - أَنْزَلَكُمْ وَأَسْكَنَكُمْ.

(آمَن) (صَالِحًا)

(٧٥) - وَقَالَ رُؤُوسُ الْكُفْرِ، مُتَهَكِّمِينَ سَاخِرِينَ، لِلضَّعَفَاءِ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى صَالِحٍ : أَنْتُمْ أَنْ تَنْظُنُّوا أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ حَقِيقَةً؟ فَرَدَّ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْتَضْعَفُونَ قَائِلِينَ : إِنَّهُمْ يَوْمُنُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ صَالِحٌ مِنْ رَبِّهِمْ.

(آمَتُمْ) (كَافِرُونَ)

(٧٦) - فَرَدَّ الْمُسْتَكَبِرُونَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَائِلِينَ : إِنَّهُمْ كَافِرُونَ جَاحِدُونَ بِالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُسْتَضْعَفُونَ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ صَالِحٌ مِنْ رَبِّهِ.

(يَا صَالِحُ)

(٧٧) - فَقَامَ سَعَةُ زُهَيْطٍ (أَفْرَادٍ) مِنْ كِبَرَاءِ ثُمُودَ، بِاسْتِمَالَةِ قَوْمِهِمْ لِمُوَافَقَتِهِمْ عَلَى نَحْرِ النَّاقَةِ (عَقْرِهَا)، وَالتَّخَلُّصِ مِنْهَا، فَعَقَرُوهَا اسْتِخْفَافًا بِصَالِحٍ، وَنَاقَتِهِ، وَتَحْذِيرَهُ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، وَتَمَرُّدُوا وَتَجَبَّرُوا عَنْ أَتْبَاعِ الْحَقِّ الَّذِي أُبْلَغَهُمْ إِيَّاهُ صَالِحٌ (عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ)، وَقَالُوا لِصَالِحٍ : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا بِأَنَّكَ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّكَ، وَأَنَّكَ تُنذِرُنَا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَأْتِنَا بِهَذَا الْعَذَابِ.

الْعَتُو - التَّمَرُّدُ وَالْاسْتِكْبَارُ.

العقر - القتل والذبح.

(جَائِمِينَ)

(٧٨) - فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ : لَقَدْ حَقَّ عَلَيْكُمْ غَضَبُ اللَّهِ، فَامْتَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يَأْتِيكُمْ بَعْدَهَا عَذَابُ اللَّهِ، فَأَرَادَ الْمُجْرِمُونَ قَتْلَ صَالِحٍ، وَقَالُوا : إِنْ كَانَ صَادِقًا نَكُنْ قَدْ عَجَلْنَا بِهِ قَبْلَنَا، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا نَكُنْ قَدْ

﴿٧٦﴾ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ

مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يَوْمَاتٍ فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ لَا الَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا

مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْتَ صَلَاحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ

﴿٧٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا

إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ

﴿٧٧﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ

أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا لَيْصَلِّحُ أَكُنَّا بِمَا نَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

﴿٧٨﴾ فَادَّخَلَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا

فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ

الْحَقْنَاهُ بِنَاقَتِهِ، وَتَأْمَرُوا عَلَى أَنْ يَقْتُلُوهُ وَيَقُولُوا لِأَهْلِهِ: إِنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا مَضْرَعَهُ، وَيَحْلِفُوا عَلَى ذَلِكَ، لِيُدْفَعَ الْمَسْئُولِيَّةُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَلَمَّا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ لَيْلًا أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً أَهْلَكَتْهُمْ جَمِيعًا، وَذَلِكَ قَبْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ بِقَوْمِهِمْ.

وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ اسْتَعْدُوا لِلْهَلَاكِ، وَجَلَسُوا فِي بُيُوتِهِمْ لَا يَدْرُونَ مَا يَكُونُ هَذَا الْعَذَابُ، وَلَا مَتَى يَأْتِيهِمْ. فَلَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَرَجَفَةُ مِنَ الْأَرْضِ فَفَاضَتْ أَرْوَاحُهُمْ، وَزَهَقَتْ نَفْسُهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. وَأَصْبَحُوا صَرَغَى فِي دِيَارِهِمْ لَا أَرْوَاحَ فِيهِمْ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، لَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ. وَنَجَّى اللَّهُ صَالِحًا وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ.

الرَّخْفَةُ - الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ الَّتِي تَهْتَزُّ بِهَا الْأَرْضُ وَهِيَ الصَّيْحَةُ أَيْضًا.
جَانِبَيْنِ - مَوْتَى هَامِدَيْنِ، لَا حَرَكَتَ لَهُمَا.

(يَا قَوْمِ) (النَّاصِحِينَ)

(٧٩) - فَقَالَ صَالِحٌ، بَعْدَ أَنْ هَلَكَ قَوْمُهُ، تَقْرِبًا لَهُمْ وَتَوْبِيخًا: لَقَدْ أُنْذَرْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَلَمْ تَسْتَمِعُوا إِلَيَّ، وَلَمْ تَتَّبِعُونِي، لِأَنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ مَنْ يَنْصَحُكُمْ، وَيَدْعُوكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ.
(وَقِيلَ: إِنَّ صَالِحًا قَالَ لِقَوْمِهِ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمُ الْعَذَابُ).

(٨٠) - وَأَذْكَرُ لُوطًا إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى قَوْمِهِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَإِلَى تَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ آرْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ، إِلَى الْإِنْتِبَاهِ بِهَا، أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَبْلَهُمْ، لِمُخَالَفَتِهَا لِمُقْتَضَيَاتِ الْفِطْرَةِ السَّالِمَةِ.

(٨١) - فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ عَدَلْتُمْ عَنِ الْاسْتِمْتَاعِ بِالنِّسَاءِ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ وَسِيلَةً لاسْتِمْرَارِ النَّسْلِ، وَحِفْظِ النَّوْعِ، إِلَى الْاسْتِمْتَاعِ بِالذَّكُورِ لَا تَبْتَغُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ إِلَّا قَضَاءَ الْوَطَرِ وَالشَّهْوَةِ، وَالْمُتَعَةَ الْآثِمَةَ، وَهَذَا إِسْرَافٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ، وَتَجَاوُزٌ لِلْحُدُودِ، لِأَنَّهُ وَضَعَ لِلشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ الطَّبِيعِيَّ.

(٨٢) - وَكَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، سَاحِرِينَ مُتَهَكِّمِينَ عَلَى طَهَارَةِ لُوطٍ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ: أَخْرِجُوا لُوطًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَلَدِكُمْ، لِأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَعَفَّفُونَ، وَيَرْفُضُونَ

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقَرُوا لَقَدْ

أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي

وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا

تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ

الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ

أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ

شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ

أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ

وَمَا كَانَتْ جَوَابُ قَوْمِهِ

إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ

قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ

يَنْظُرُونَ

مُجَارَاتِكُمْ فِي آذِنَابِ الْفَوَاحِشِ، وَإِثْنَانِ الرَّجَالِ. فَكَانَ إِخْرَاجُ لُوطٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ، تَنْفِيزًا لِإِرَادَةِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى دَمَرُ قَوْمِ لُوطٍ، وَأَهْلُكَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِ لُوطٍ وَالْمُؤْمِنِينَ. يَنْظَهُرُونَ - يَدْعُونَ الطَّهَارَةَ مِمَّا نَفَعُلُ.

(٨٣) - لَمْ يُؤْمِنْ لِلُوطٍ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ سِوَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَمْ تُؤْمِنْ أَمْرَاتُهُ، فَدَمَرَهَا اللَّهُ مَعَ قَوْمِهَا. فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ لُوطًا بِأَنْ يُسْرِيَ بِأَهْلِهِ لَيْلًا دُونَ أَنْ تَعْلَمَ زَوْجَتُهُ بِخُرُوجِهِمْ، فَفِيَتْ مَعَ الْبَاقِينَ فَكَانَتْ مِنَ الْهَالِكِينَ. الْغَابِرِينَ - الْبَاقِينَ فِي الْقَرْيَةِ، وَالْهَالِكِينَ مَعَ مَنْ هَلَكَ. غَيْرَ - بَقِيَ أَوْ هَلَكَ.

(عَاقِبَةُ)

(٨٤) - وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ مَطَرًا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ فَدَمَرَهَا وَأَهْلُكَهَا. وَنَلَفْتُ تَعَالَى نَظَرَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى عَاقِبَةِ مَنْ يَجْتَرِيءُ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ.

وَجَاءَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى تَفْسِيرٌ لِهَذَا الْمَطَرِ فَقَالَ تَعَالَى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مُنْضُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (١).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ. (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ). وَيَشْمَلُ التَّحْرِيمُ إِثْنَانِ النِّسَاءِ فِي الْأَذْبَارِ.

(يَا قَوْمِ) (إِصْلَاحِهَا)

(٨٥) - مَذِينٌ كَلِمَةٌ تَطْلُقُ عَلَى الْقَوْمِ وَعَلَى الْقَرْيَةِ، وَمَذِينٌ قَرْيَةٌ تَقَعُ فِي جَنُوبِ الْأَرْضِ قُرْبَ الْعَقَبَةِ، وَهُمْ أَيْضًا أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَتَرْتَكِبُونَ الْمَعَاصِيَ، وَأَظْهَرُهَا بَخْسُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَالتَّعَرُّضُ لِعَابَرِي السَّبِيلِ، لِسُلْبِهِمْ وَالْاِعْتِدَاءُ عَلَيْهِمْ.

وَلَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَهُمَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَتَوْحِيدِهِ، وَتَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالْإِفْلَاحَ عَنْ تَطْفِيفِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لِلْسَّابِلَةِ بِالْإِخَافَةِ وَالسَّلْبِ. فَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ

﴿٨٣﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ. كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ

﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا. كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ

﴿٨٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِتْرَةٌ فَدَجَاءَ تَكْذِبُكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

(١) الْإِثْنَانِ ٨٢ وَ ٨٣ مِنْ سُورَةِ هُودٍ.

لَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ، وَقَدْ أَقَامَ لَكُمْ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ إِلَيْكُمْ، ثُمَّ نَصَحَهُمْ بِمَعَامَلَةِ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، وَبِإِيفَاءِ النَّاسِ، حُقُوقَهُمْ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، وَبِأَلَّا يَخُونُوا النَّاسَ، وَلَا يُخْسِرُوا الْمِيزَانَ، وَلَا يَتَخَسَّسُوا النَّاسَ حُقُوقَهُمْ (أَشْيَاءُهُمْ)، وَأَنْ يَتَرَكُوا إِخَافَةَ السَّابِلَةِ.

وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَتْبَاعَ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ الْخَيْرُ لَهُمْ، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُ.
البُخْسُ - إِنْقَاصُ الْحَقِّ.

(صِرَاطٍ) (آمَنَ) (عَاقِبَةٍ)

(٨٦) - وَنَهَاَهُمْ شُعَيْبٌ عَنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ (الصِّرَاطِ)، وَعَنْ تَوَعُّدِ النَّاسِ بِالْقَتْلِ وَالْإِذْيَاءِ إِذَا لَمْ يُعْطَوْهُمْ مَا مَعَهُمْ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ، كَمَا نَهَاَهُمْ عَنِ التَّعَدِّيِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَتَبَعُوا شُعَيْبًا، وَعَنِ التَّصَدِّيِّ لِلنَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَى شُعَيْبٍ لِلِاسْتِمَاعِ مِنْهُ إِلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، لِصَرْفِهِمْ عَنْهُ بِالْخَوْفِ وَالْإِذْيَاءِ، وَبِالْقَوْلِ: إِنَّهُ كَذَّابٌ يُرِيدُ فِتْنَةَ النَّاسِ، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلًا مِنْ قِلَّةِ فَكْرِهِمْ اللَّهَ، وَذِلَّةِ فَأَعَزَّهُمُ اللَّهُ، وَذَلِكَ لِيَتَعِظُوا وَيَرْتَدُّعُوا عَمَّا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ فُسَادٍ. ثُمَّ لَفَتْ نَظَرَهُمْ إِلَى النَّهَائَةِ الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ مِنْ خِزْيٍ وَدَمَارٍ.

صِرَاطٍ - طَرِيقٍ.

تَبْغُونَهَا عِوَجًا - تَطْلُبُونَهَا مُعْوِجَةً أَيْ ذَاتَ اعْوِجَاجٍ.

(طَائِفَةٍ) (آمَنُوا) (الْحَاكِمِينَ)

(٨٧) - وَتُبَاعِ شُعَيْبٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، نُصَحَ قَوْمِهِ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ اخْتَلَفْتُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَأَمِنْ فَرِيقٍ بِمَا جِئْتُمْ بِهِ، وَدَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، وَكَفَرُ فَرِيقٍ بِمَا أُرْسِلَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ رَبِّي، فَلَا تَتَعَجَّلُوا الْحُكْمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَانْتَظِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَفَيَصِلَ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ خَيْرٌ مَنْ يَحْكُمُ، وَأَعْدَلُ مَنْ يَقْضِي، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ سَيَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَسَيَجْعَلُ الدَّمَارَ عَلَى الْكَافِرِينَ، لِأَنَّ سُنَّتَهُ تَعَالَى قَدْ جَرَتْ بِذَلِكَ، فَلْيَعْتَبِرِ الْكَافِرُونَ بِعَاقِبَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، مِنَ الْكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ.

﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ

تُوَعَّدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ

﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ

ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ

(يَا شُعَيْبُ) (آمَنُوا) (كَارِهِينَ)

(٨٨) - تَوَعَّدَ الْمُسْتَكْبِرُونَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ نَبِيَّهُمْ شُعَيْبًا، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ قَرْيَتِهِمْ إِذَا لَمْ يَقْبَلُوا الرُّجُوعَ عَنْ دِينِهِمُ الْحَقَّ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَمِلَّةِ الشُّرْكِ، فَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: أَتَأْمُرُونَنَا بِأَنْ نَعُودَ إِلَى مِلَّتِكُمْ، وَتُهَدِّدُونَا بِالنَّفْيِ مِنْ أَوْطَانِنَا، وَالْإِخْرَاجِ مِنْ دِيَارِنَا، إِنْ لَمْ نَفْعَلْ مَا تَطْلُبُونَهُ مِنَّا؟ أَتَرِيدُونَ إِجْبَارَنَا عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِنَا، وَعَلَى الْعُودَةِ إِلَى دِينِكُمْ حَتَّى وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ لِكَيْلَا الْأَمْرَيْنِ؟

(نَجَّانًا) (الْفَاتِحِينَ)

(٨٩) - وَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: إِنَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ إِذَا عَادُوا إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدْ أَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ أَعْظَمَ الْاِفْتِرَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدْ جَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ وَأَنْدَادًا وَلَا يَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِ، وَلَا يَخْلُقُ بِهِ (وَمَا يَكُونُ لَنَا)، أَنْ يَعُودَ إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْهَا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ أَمْرًا فَعَلَهُ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلَا مُعْتَرِضَ عَلَى قَضَائِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَا يَرْضَى الْكُفْرَ لِعِبَادِهِ.

ثُمَّ قَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ هُوَ وَالْمُؤْمِنُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ. ثُمَّ دَعَا شُعَيْبٌ رَبَّهُ قَائِلًا: رَبَّنَا أَحْكَمْ وَأَقْضِ (أَفْتَحْ) بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مَعَهُمْ، وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ أَبَدًا.

أَفْتَحْ بَيْنَنَا - أَقْضِ بَيْنَنَا وَأَحْكَمْ.

الْفَاتِحَةُ - الْقَضَاءُ.

(لِئِنْ) (لَعَّاسِرُونَ)

(٩٠) - فَقَالَ الْكِبَرَاءُ الْكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ، لِمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ: لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا فِيمَا يَقُولُ، وَفِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ، وَأَقْرَرْتُمْ بِشَوَّيْتِهِ، وَأَمْسَلْتُمْ بِمَا آمَنَ بِهِ، وَكَفَرْتُمْ بِأَصْنَامِكُمْ. . . وَفِيمَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُكُمْ مِنْ دِينٍ وَعَادَاتٍ، كُنْتُمْ خَاسِرِينَ.

(جَائِمِينَ)

(٩١) - وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا، وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي

٨٨ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنَ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾

٨٩ ﴿قَدْ أَقْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

٩٠ ﴿وَقَالَ الْكَلْبَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنْ كُنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾

٩١ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾

دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ ﴿٩١﴾ فَاهْتَزَّتْ بِهِمُ الْأَرْضُ بِفَعْلٍ زَلْزَلَةٍ شَدِيدَةٍ،
فَأَصْبَحُوا هَالِكِينَ فِي دِيَارِهِمْ لَا حَرَكَ بِهَمٍّ، وَهُمْ مُكَبُّونَ عَلَى
وُجُوهِهِمْ.

جَائِمِينَ - هَالِكِينَ وَهُمْ مُكَبُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ.
الرَّجْفَةُ - الزَّلْزَلَةُ الَّتِي تَهْتَزُّ بِهَا الْأَرْضُ وَهِيَ الصَّيْحَةُ أَيْضًا.

(الْخَاسِرِينَ)

(٩٢) - ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْعَاقِبَةَ الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا قَوْمُ شُعَيْبٍ، فَقَدْ هَلَكَ
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَكَانَهُمْ لَمْ يَقِيمُوا فِي دِيَارِهِمْ،
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، أَمَّا الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فَكَانُوا هُمُ الْفَائِزِينَ الْمُفْلِحِينَ.

لَمْ يَفْنَوْا فِيهَا - لَمْ يَقِيمُوا نَاعِمِينَ فِي دِيَارِهِمْ.

(يَا قَوْمِ) (رِسَالَاتٍ) (آسَى) (كَافِرِينَ)

(٩٣) - وَبَعْدَ أَنْ نَزَلَ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ وَدَمَارُهُ تَوَلَّى شُعَيْبٌ عَنْهُمْ،
وَأَنْصَرَفَ عَنْ دِيَارِهِمْ، وَخَاطَبَهُمْ مُقَرَّعًا، فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ يَا
قَوْمِي، وَبَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسَلَنِي بِهِ رَبِّي إِلَيْكُمْ، مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ،
فَكَفَرْتُمْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ، فَدَمَرَكُمْ اللَّهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي لَا يُمَكِّنُ أَنْ آسَفَ
وَأَحْزَنَ عَلَى قَوْمٍ جَحَدُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ.
آسَى - أَحْزَنَ وَآسَفَ.

(٩٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُرْسِلْ نَبِيًّا إِلَى قَوْمٍ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ
اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ثُمَّ أَعْرَضُوا عَنْ قُبُولِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ نَبِيَّهُمْ، إِلَّا
أَخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِإِصَابَتِهِمْ بِأَبْدَانِهِمْ بِالْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ، وَبِإِنْزَالِ الْفَقْرِ
وَالْحَاجَةِ بِهِمْ، وَذَلِكَ لِكَيْ يَبْضُرَّعُوا إِلَيْهِ تَعَالَى لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ
مِنْ ضَرَاءٍ وَبِأَسَاءٍ.

الْبِأْسَاءُ - الْفَقْرُ وَالْبُؤْسُ.

الضَّرَاءُ - السَّقَمُ وَالْمَرَضُ وَالْأَلَمُ.

يَبْضُرَّعُونَ - يَتَذَلَّلُونَ وَيَخْضَعُونَ.

﴿٩٢﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ
يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا
كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ

﴿٩٣﴾ فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي
وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ
ءَآسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ

﴿٩٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ
إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبِأْسَاءِ
وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ

(آبَاءَنَا) (فَأَخَذْنَاهُمْ)

(٩٥) - فَإِذَا اسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَطُعْيَانِهِمْ يَمْتَحِنُهُمْ رَبُّهُمْ بِالْعَاقِبَةِ وَالرَّخَاءِ، فَيَسُدُّ حَالَهُمْ مِنْ بَوَسٍ وَضِيقٍ وَمَرَضٍ إِلَى رَخَاءٍ وَصِحَّةٍ لِيَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِذَا كَثُرَتْ أَوْلَادُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ (عَفَّوْا)، وَاسْتَمَرُّوا الْعَيْشَ الْهَيَّاءَ، وَنَسُوا نِعْمَةَ اللَّهِ، وَفَضْلَهُ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا لَقَدْ مَسَّتْنَا السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ مِثْلَمَا سَبَقَ لَهَا أَنْ أَصَابَتْ آبَاءَنَا فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ، وَهَذَا هُوَ حَالُ الدُّنْيَا، فَلَا الضَّرَّاءُ عِقَابٌ عَلَى ذَنْبٍ يَرْتَكِبُ، وَلَا السَّرَّاءُ جَزَاءٌ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ يُكْتَسِبُ... فَإِذَا صَرَفُوا هَمَّهُمْ إِلَى هَذَا وَأَمْثَالِهِ أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ فَجَاءَةً، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا سَيَحِلُّ بِهِمْ، لِأَنَّهُمْ جَاهِلُوا سُنَنَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، فَلَا هُمْ أَهْتَدُوا إِلَيْهَا بِعُقُولِهِمْ، وَلَا هُمْ صَدَّقُوا الرُّسُلَ فِيمَا أُنذَرُوهُمْ بِهِ.

عَفَّوْا - كَثُرُوا وَنَمَوْا عَدَدًا وَمَالًا.

بَغْتَةً - فَجَاءَةً.

(آمَنُوا) (بَرَكَاتٍ) (فَأَخَذْنَاهُمْ)

(٩٦) - وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْقُرَى آمَنُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَصَدَّقُوهُمْ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَاتَّقَوْا بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ، لَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَلَفَاضَتِ الْأَرْضُ بِالْخَيْرَاتِ، وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَعَاقِبَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، بِإِهْلَاقِهِمْ عَلَى مَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ.

(وَقِيلَ: إِنَّ الْمَقْصُودَ بِأَهْلِ الْقُرَى هُنَا أَهْلُ مَكَّةَ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى، وَلَكِنَّ النَّصَّ أَشْمَلُ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى قُرَى الْأَقْوَامِ السَّالِفَةِ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا سَلَفَ مِنَ الْأَرْزَامِ).

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ - لَيْسَرْنَا عَلَيْهِمْ، أَوْ تَابَعْنَا عَلَيْهِمْ.

(بَيِّنَاتٍ) (نَائِمُونَ)

(٩٧) - أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى الْكَافِرَةُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ وَتَكَالَهُ لَيْلًا (بَيِّنَاتٍ)، فَيَسِّتَهُمْ فِي دُورِهِمْ، وَهُمْ نَائِمُونَ مُطْمَئِنُونَ لَا يَتَوَقَّعُونَ بَلَاءً؟.

يَأْتِيهِمْ بِأَسْنَا - يَنْزِلُ بِهِمْ عَذَابُنَا.

بَيِّنَاتًا - وَهُمْ بَاتِتُونَ فِي دُورِهِمْ لَيْلًا.

(٩٨) - أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى الْكَافِرَةُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ، وَقَتَ

(١٥) ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ

حَتَّى عَفَّوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ

آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ

فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(١٦) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا

وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ

مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن

كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ

(١٧) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ

بِأَسْنَانَيْتًا وَهُمْ نَائِمُونَ

(١٨) أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ

بِأَسْنَا ضَحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ

الضُّحَى، وَهُمْ مُطْمَئِنُّونَ فِي أَشْغَالِهِمْ وَمَلَاعِيهِمْ (يَلْعُبُونَ)، لَا يَتَوَقَّعُونَ
حُلُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ؟

(الْخَاسِرُونَ)

(٩٩) - أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى الْكَافِرَةَ مَكْرَ اللَّهِ بِهِمْ، وَبِأَسَةِ وَنَقْمَتِهِ
وَاسْتِدْرَاجَهُ إِيَّاهُمْ وَقَدَّرَتُهُ عَلَى اخْتِذِهِمْ، وَتَدْمِيرِهِمْ فِي حَالٍ مِنْ سَهْوِهِمْ
وَعَفْوَتِهِمْ؟ وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الضَّالُّونَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ لَعَدَمِ
إِدْرَاكِهِمْ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَخَيْرُهُمْ.

(أَصْبَنَاهُمْ)

(١٠٠) - أَوَلَمْ يَتَّبِعِ لِلَّذِينَ يَسْتَخْلِفُهُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ - بَعْدَ أَنْ يَكُونَ
قَدْ أَهْلَكَ آخَرِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، سَارُوا سِيرَتَهُمْ، وَعَمِلُوا عَمَلَهُمْ، وَعَتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ - أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ مَا فَعَلَهُ بِمَنْ قَبْلَهُمْ، عِقَابًا لَهُمْ
عَلَى كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، وَأَنَّهُ تَعَالَى يَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
وَعْيَ مُوَعِّظَةٍ، وَلَا فَهْمَ نَصِيحَةٍ.
طَبَعَ - خَتَمَ.

أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ - أَلَمْ يَتَّبِعْ لَهُمْ - أَوَلَمْ يُبَيِّنِ اللَّهُ لَهُمْ.

(أَنْبِيََائُهَا) (بِالْبَيِّنَاتِ) (الْكَافِرِينَ)

(١٠١) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : إِنَّهُ قَصَّ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْقُرَى الْبَائِثَةِ
الَّتِي كَذَّبَ أَهْلُهَا الرُّسُلَ حِينَمَا جَاءُوا وَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، وَالْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى
صِدْقِ رِسَالَتِهِمْ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامُ لَمْ يُؤْمِنُوا حِينَمَا جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِمَا
سَأَلُوهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمُكَذِّبِينَ عِنَادًا
وَاسْتِكْبَارًا أَوْ تَقْلِيدًا، أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ، وَيُؤْمِنُوا بِدَعْوَةِ الرُّسُلِ،
بَعْدَ أَنْ سَبَقَ لَهُمُ التَّكْذِيبُ بِهَا، حِينَمَا جَاءَتْهُمْ الدَّعْوَةُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهَكَذَا
يَطْبَعُ اللَّهُ وَيَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ فَلَا تَنْفَتْحُ لِلْإِيمَانِ.

(لَفَاسِقِينَ)

(١٠٢) - وَلَمْ يَثْبُتْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ عَلَى عَهْدِ الْفِطْرَةِ، الَّذِي أَخَذَهُ
اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، بِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّهُمْ
وَخَالِقُهُمْ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَعْبُدُوهُ، فَخَالَفُوا هَذَا الْعَهْدَ، وَتَرَكُوهُ
وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا، وَعَبَدُوا مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ، وَلَا

١١ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ

مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْخَاسِرُونَ

١٢ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ
لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِدُنُوبِهِمْ
وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَسْمَعُونَ

١٣ تِلْكَ الْقُرَى نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ

أَنْبِيََائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ
الْكَافِرِينَ

١٤ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ

عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ
لَفَاسِقِينَ

بُرْهَانٍ، فَكَانُوا مِنَ الْفَاسِقِينَ الْخَارِجِينَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَنْ عَهْدِ الْفِطْرَةِ.

مِنْ عَهْدٍ - مِنْ وَفَاءٍ بِعَهْدٍ، أَوْ حِفَاطٍ عَلَى عَهْدٍ.

(بَيِّنَاتِنَا) (مَلَكُهُ) (عَاقِبَةُ)

(١٠٣) - ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ الرُّسُلِ، الَّذِينَ آتَى عَلَى ذِكْرِهِمْ، مُوسَى بِحُجَجِ رَبِّهِ وَبَرَاهِينِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ (آيَاتِهِ)، إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَكِبَرَاءِ قَوْمِهِ (مَلَكِهِ)، فَكَفَرُوا بِهَا، ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَعِنَادُوا (أَوْ فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَقَوْمَهُمْ بِالْكَفْرِ بِهَا جُحُودًا وَآسِتْكَارًا)، وَكَذَّبُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ، فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُفْسِدِينَ: لَقَدْ أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا - فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ - فِي الْبَحْرِ، وَمُوسَى وَقَوْمَهُ يَنْظُرُونَ إِلَى ذَلِكَ بِأَمْ أَعْيُنِهِمْ.

فَظَلَمُوا بِهَا - فَكَفَرُوا بِهَا.

(يَا فِرْعَوْنَ) (الْعَالَمِينَ)

(١٠٤) - وَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: لَقَدْ أَرْسَلَنِي رَبِّي وَرَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكَ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ.

(إِسْرَائِيلَ)

(١٠٥) - وَجَدِيرُ بِي، وَحَقُّ عَلَيَّ (حَقِيقٌ عَلَيَّ)، أَنْ لَا أَقْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، وَأَنْ لَا أَقُولَ إِلَّا الْحَقَّ وَالصَّدْقَ، لِمَا أَعْلَمُهُ مِنْ جَلَالِ شَأْنِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَقَدْ جِئْتُكُمْ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ، مِنْ رَبِّكُمْ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَاسْمَعْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَحَرِّرْهُمْ مِنْ رِبْقَةِ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي فَرَضَتْهَا عَلَيْهِمْ.

حَقِيقٌ عَلَيَّ - خَلِيقٌ بِي.

(بَيِّنَاتِنَا) (الصَّادِقِينَ)

(١٠٦) - وَقَالَ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى: لَسْتُ أَصَدِّقُكَ فِيمَا تَقُولُ، وَلَسْتُ أُعْطِيكَ مَا تَطْلُبُ، فَإِنْ كَانَ مَعَكَ بُرْهَانٌ وَحُجَّةٌ وَمُعْجَزَةٌ فَأُظْهِرْهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَقُولُ وَتَدَّعِي، مِنْ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا.

(١٠٧) - فَالْتَقَى مُوسَى عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَحَوَّلَتْ إِلَى ثُعْبَانٍ ظَاهِرٍ لِلْعَيَانِ، لَا خَفَاءَ فِي كَوْنِهِ ثُعْبَانًا حَقِيقًا حَيًّا، يَنْتَقِلُ وَيَسْعَى.

﴿١٠٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى

بَيِّنَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ

فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ

﴿١٠٤﴾ وَقَالَ مُوسَى يَفِرْعَوْنُ إِنِّي

رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١٠٥﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ

إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ

بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ

بَنِي إِسْرَائِيلَ

﴿١٠٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِثَابِتَةٍ فَأْتِ

بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

﴿١٠٧﴾ فَالْتَقَى عَصَاهُ فَاذَاهِيَ ثُعْبَانٌ

مُتَمِّينٌ

مُبِينٌ - ظَاهِرُ أَمْرِهِ لَا يُشْكُ فِيهِ .

(لِلنَّاظِرِينَ)

(١٠٨) - وَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ تَلَّالًا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ

وَلَا بَرَصٍ .

نَزَعَ يَدَهُ - أَخْرَجَهَا مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ .

(لَسَاجِرٌ)

(١٠٩) - فَقَالَ جُفْهُوْرُ الْكِبْرَاءِ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ نِفَاقًا وَرِيَاءً ، مُرَدِّدِينَ قَوْلَ

فِرْعَوْنَ : إِنَّ هَذَا لَسَاجِرٌ عَلَيْنَا ، أَيْ ذُو مَعْرِفَةٍ بِالسَّحْرِ عَلَيْهِ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى) .

الْمَلَأَ - الْكِبْرَاءُ وَالسَّادَةُ وَأَهْلُ الرَّأْيِ .

(١١٠) - وَغَايَتُهُ مِنْ سِحْرِهِ هَذَا أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْكُمْ بِاسْتِمَالَةِ الشَّعْبِ إِلَيْهِ ،

وَأَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ، فَمَا الَّذِي تَرَوْنَ أَنْ نَفْعَلَ بِهِ لِنَتَجَنَّبَ حُصُولَ ذَلِكَ ؟ .

(حَاشِرِينَ) (الْمَدَائِنِ)

(١١١) - وَبَعْدَ أَنْ قَلَبُوا أَوْجُهُ الرُّأْيِ ، قَالُوا لِفِرْعَوْنَ : أَخْرِ الْبَتَّ فِي

أَمْرِهِ ، وَاسْتَبْقِهِ ، وَأَرْسِلْ فِي مَدَائِنِ مَمْلَكَتِكَ مَنْ يَجْمَعُ لَكَ السَّحْرَةَ . وَكَانَ السَّحْرَةُ كَثِيرِينَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ .

أَرْجِهْ - أَخْرِ أَمْرَ عُقُوبَتِهِ وَلَا تُعَجِّلْ .

حَاشِرِينَ - رِجَالًا يَجْمَعُونَ لَكَ السَّحْرَةَ .

(سَاجِرٌ)

(١١٢) - فَيَجْمَعُوا لَكَ كُلَّ مَنْ لَهُ عِلْمٌ وَاسِعٌ بِالسَّحْرِ .

(الْغَالِبِينَ)

(١١٣) - وَسَأَلَ السَّحْرَةُ فِرْعَوْنَ حِينَمَا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، قَائِلِينَ : هَلْ لَنَا مِنْ

أَجْرٍ عَلَى مَا نَقُومُ بِهِ إِذَا تَغَلَّبْنَا عَلَى مُوسَى ، وَأَبْطَلْنَا مَفْعُولَ سِحْرِهِ ؟ .

(١١٤) - فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ مُشْجَعًا ، إِنَّهُ سَيُعْطِيهِمْ عَطَاءً جَزِيلًا ،

وَسَيَجْعَلُهُمْ مِنْ جُلَسَائِهِ وَالْمُقَرَّبِينَ إِلَيْهِ .

﴿١٠٨﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

لِلنَّاظِرِينَ

﴿١٠٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ

إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلَيْنَا

﴿١١٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

فَمَاذَا تَأْمُرُونَ

﴿١١١﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي

الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ

﴿١١٢﴾ يَا تَوَكَّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ

﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحْرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا

إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ

الْغَالِبِينَ

﴿١١٤﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ

(يَا مُوسَى)

(١١٥) - وَلَمَّا أَسْتَوْثَقَ السَّحَرَةُ مِنْ وَعْدِ فِرْعَوْنَ الْعَطَاءِ الْجَزِيلِ، قَالُوا لِمُوسَى: إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ بِسِحْرِكَ أَمَامَ الْجَمِيعِ، وَإِمَّا أَنْ نَبْدَأَ نَحْنُ بِالْإِلْقَاءِ قَبْلَكَ.

(جَاؤُوا)

(١١٦) - قَالَ لَهُمْ مُوسَى: بَلِّ الْقُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا، فَالْقُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ جِبَالٍ وَعَصِيٍّ. وَلَمَّا الْقُوا سِحْرَهُمْ، سَحَرُوا بِهِ أَعْيُنَ النَّاسِ، فَتَخَيَّلُوا أَنَّ مَا يَرَوْنَهُ حَقِيقَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْوَاقِعِ إِلَّا مُجَرَّدُ صَنْعَةٍ وَخَيَالٍ. وَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ الْجِبَالَ الَّتِي أَلْقَاهَا السَّحَرَةُ، وَالْعَصِيَّ، حَيَاتٌ وَأَفَاعٍ تَتَحَرَّكُ فَخَافُوا، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ ضَخَامَةِ مَا فَعَلَهُ السَّحَرَةُ.

سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ - خَيَّلُوا لَهُمْ مَا يُخَالِفُ الْحَقِيقَةَ.
اسْتَرْهَبُوهُمْ - خَوْفُهُمْ تَخَوُّفًا شَدِيدًا.

(١١٧) - فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ، فَلَمَّا أَلْقَاهَا انْقَلَبَتْ ثُعْبَانًا، أَخَذَ يَلْتَقِمُ مَا أَلْقَى بِهِ السَّحَرَةُ مِنْ بَاطِلٍ أَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّهُ حَقٌّ، حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ جَمِيعًا.
الْإِفْكُ - الْكَذِبُ. مَا يَأْفِكُونَ - مَا يَكْذِبُونَ وَيُؤْمَهُونَ.
تَلَقَّفَ - تَتَلَعَّ وَتَلْتَقِمُ أَوْ تَتَنَاوَلُ بِسُرْعَةٍ.

(١١٨) - فَتَبَّتِ الْحَقُّ، وَفَسَدَ مَا فَعَلَهُ السَّحَرَةُ، وَمَوَّهُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ، فَعَرَفَ السَّحَرَةُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى حَقٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَلَيْسَ هُوَ بِالسَّحْرِ. وَقَعَ الْحَقُّ - ظَهَرَ أَمْرُ مُوسَى وَتَبَيَّنَ.

(صَاغِرِينَ)

(١١٩) - وَأَذْرَكَ السَّحَرَةُ أَنَّهُمْ غُلِبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا حِيلَةَ لَهُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى، وَلَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى مُقَاوَمَتِهِ، وَشَعَرُوا بِصَغَارِهِمْ أَمَامَ عَظَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(وَقِيلَ لِلْمَقْصُودِ بِالَّذِينَ غُلِبُوا، هُمْ فِرْعَوْنُ وَمَلَوُهُ، الَّذِينَ أَذْرَكُوا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِمُ أَمَامَ الْجَمْعِ الْمُحْتَشِدِ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَشْهُودِ. وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ، فَحِينَمَا أَتَى فِرْعَوْنُ بِالسَّحَرَةِ، إِنَّمَا جَاءَ بِهِمْ لِيُقَارِعُوا

(١١٥) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ

وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ

(١١٦) قَالَ الْقُوا فَلَمَّا الْقُوا سَحَرُوا

أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ

وَجَاءَ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ



(١١٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى

أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا

هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ

(١١٨) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(١١٩) فَعْلَبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ

مُوسَى، وَهُمْ إِنَّمَا يُمَثِّلُونَ فِرْعَوْنَ وَبَاطِلَهُ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ، فَانْكَسَرُوا هُمْ هُوَ انْكَسَارٌ لِفِرْعَوْنَ وَمَلَيْتِهِ).

(سَاجِدِينَ)

(١٢٠) - وَخَرَّ السَّحَرَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ سَاجِدِينَ لِلَّهِ إِيمَانًا بِهِ، وَاعْتِذَارًا عَمَّا كَانُوا مِنْهُمْ مِنْ سِحْرٍ أَرَادُوا بِهِ مُعَارَضَةَ آيَاتِ اللَّهِ.

(آمَنَّا) (الْعَالَمِينَ)

(١٢١) - وَقَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى شَيْءٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ، إِذْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ سِحْرًا لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَغَلَّبَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

(هَارُونَ)

(١٢٢) - وَهُوَ تَعَالَى رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ الَّذِي نَصَرَهُمَا عَلَيْنَا.

(آمَتُّمُ) (آذَنَ)

(١٢٣) - وَأَدْرَكَ فِرْعَوْنَ الْأَثَرُ الْعَظِيمَ الَّذِي تَرَكْتُهُ فِي نَفُوسِ الشَّعْبِ، هَزِيمَةً جَمِيعِ السَّحَرَةِ، الَّذِينَ حَشَدَهُمْ، أَمَامَ عَصَا مُوسَى، ثُمَّ مَا تَبَعَ ذَلِكَ مِنْ إِيمَانِ السَّحَرَةِ بِاللَّهِ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ، وَإِعْلَانِهِمْ إِيمَانَهُمْ، أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَجُمُوعِهِ، بِالسُّجُودِ لِلَّهِ، وَهَذَا يَعْنِي كُفْرَهُمْ بِالْوَهْيَةِ فِرْعَوْنَ وَعِبَادَتِهِ، فَأَدْرَكَ سُوءَ عَاقِبَةِ جَمِيعِ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ إِزَالَهَ هَذَا الْأَثَرِ مِنْ نَفُوسِ الشَّعْبِ، وَالْهَاءُ الشَّعْبِ بِشَيْءٍ آخَرَ، فَأَخَذَ يَتَوَعَّدُ السَّحَرَةَ لِإِيمَانِهِمْ بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ وَبِنُورَتِهِمَا، قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ هُوَ لَهُمْ بِذَلِكَ، وَأَتَاهُمُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَوَاطِئِينَ فِي ذَلِكَ مَعَ مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَى أَنْ يَغْلِبَهُمْ مُوسَى، وَقَدْ تَمَّ ذَلِكَ عَنْ سَبْقِ اتِّفَاقٍ وَتَشَاوُرٍ مَعَهُمَا، وَذَلِكَ لِتَيْخُوحِهِمَا لِهَاجَرِ قَوْمِهِمَا مِنْ مِصْرَ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ مَا سَيَصْنَعُهُ بِهِمْ.

الْمَكْرُ - هُوَ تَصَرُّفُ الْإِنْسَانِ لِيَصْرِفَ آخَرَ عَنْ قَصْدِهِ بِالْحِيلَةِ.

(خِلَافٍ)

(١٢٤) - ثُمَّ شَرَحَ لَهُمْ مَا سَوْفَ يَصْنَعُهُ بِهِمْ، وَهُوَ أَنَّهُ سَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، بِصُورَةٍ مُتَخَالِفَةٍ، فَيَقْطَعُ الْيَدَ الْيُمْنَى وَالرَّجْلَ الْيُسْرَى، أَوْ يَقْطَعُ الْيَدَ الْيُسْرَى وَالرَّجْلَ الْيُمْنَى، ثُمَّ أَنَّهُ سَيَصْلِيهِمْ جَمِيعًا عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ حَتَّى يَمُوتُوا، لِيَكُونُوا عِبْرَةً لغيرِهِمْ.

﴿١٢٠﴾ وَالْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ

﴿١٢١﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١٢٢﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ

﴿١٢٣﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ

ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا الْمَكْرُ مَكْرُتُهُمْ
فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

﴿١٢٤﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ

خِلَافٍ ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ

﴿١٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ

﴿١٢٦﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْءٌ آمَنَّا

بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَجَاءً تَنَارَبْنَا أَفْرَغَ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

﴿١٢٧﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْدَرُ

مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ فِي الْهَتَكِ
قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ وَسَتَحْيَىٰ
نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ

﴿١٢٨﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا

بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا بِالْأَرْضِ
لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ هَكَا مِنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

﴿١٢٩﴾ قَالُوا أَوِذِيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا

(١٢٥) - فَقَالَ السَّحَرَةُ يُرُدُّونَ عَلَىٰ تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ: إِنَّا نَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّا
سَنَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ رَبِّنَا، وَعَذَابُهُ تَعَالَىٰ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِكَ، وَنَكَالُهُ عَلَىٰ مَا
أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ مُمَارَسَةِ السَّحْرِ لِمُعَارَضَةِ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَعْظَمُ مِنْ
نَكَالِكَ، لِذَلِكَ فَإِنَّا سَنَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاكَ لِنُنْجُو مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(آمَنَّا) (بآيَات)

(١٢٦) - وَنَحْنُ لَمْ نَزْكِبْ إِثْمًا أَوْ جُرْمًا تَنْقِمُ بِهِ عَلَيْنَا، وَالشَّيْءُ الْوَحِيدُ
الَّذِي تَوَاحَدْنَا عَلَيْهِ هُوَ أَنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا آيَاتُهُ. ثُمَّ أَتَجَهَّ السَّحَرَةُ
بِالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ قَائِلِينَ: اللَّهُمَّ تَبَتَّنَا عَلَىٰ دِينِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ
الصَّابِرِينَ عَلَىٰ الْأَذَى الَّذِي سَيُلْحِقُهُ فِرْعَوْنُ بِنَا، وَتَوَفَّنَا وَنَحْنُ مُتَّبِعُونَ
دِينَكَ وَنَبِيَّكَ، مُسْتَسْلِمُونَ لِقَضَائِكَ.

مَا تَنْقِمُ مِنْهَا - مَا تَكْرَهُ مِنْهَا - وَمَا تَعْتَبُ عَلَيْنَا بِهِ.

أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا - أَفْضَىٰ أَوْ صَبَّ عَلَيْنَا صَبْرًا مِنْ عِنْدِكَ.

(وَالْهَتَكِ) (قَاهِرُونَ)

(١٢٧) - وَسَأَلَ جُمُهُورُ السَّادَةِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، عَمَّا يَنْوِي فِرْعَوْنُ أَنْ
يَفْعَلَهُ بِمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَقَوْمِهِمَا، وَهَلْ سَيَتْرُكُهُمْ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ،
وَيُضِلُّونَ الرِّعْيَةَ، وَيَدْعُونَهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَإِلَىٰ تَرْكِ عِبَادَةِ فِرْعَوْنَ
وَالْهَتِيهِ؟ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ قَائِلًا: إِنَّهُ سَيَقْتُلُ الذُّكُورَ مِنْ أَبْنَاءِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، وَيَسْتَبْقِي النِّسَاءَ عَلَىٰ قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَإِنَّهُ سَيُخَضِّعُهُمْ جَمِيعًا
لِلْفَقْرِ وَالْإِذْلَالِ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِفْسَادًا فِي الْأَرْضِ.

نَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ - نَسْتَبْقِي نِسَاءَهُمْ عَلَىٰ قَيْدِ الْحَيَاةِ لِلخِدْمَةِ.

(الْعَاقِبَةُ)

(١٢٨) - وَلَمَّا سَمِعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَذَا التَّهْدِيدَ خَافُوا مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ،
فَطَمَأْنَهُمْ مُوسَىٰ، وَقَالَ لَهُمْ: اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ عَلَىٰ رَفْعِ ذَلِكَ الْوَعِيدِ
عَنْكُمْ، وَأَصْبِرُوا وَلَا تَحْزَنُوا فَإِنَّ الْأَرْضَ هِيَ لِلَّهِ، الَّذِي يَبْدُو مَلَكَوْتُ كُلِّ
شَيْءٍ، يَوْمَئِذٍ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَالْعَاقِبَةُ الْحُسْنَىٰ لِمَنْ يَتَّقُونَ اللَّهَ،
وَيُرَاعُونَ سُنَّتَهُ فِي أَسْبَابِ إِزْثِ الْأَرْضِ: اتِّحَادِ الْكَلِمَةِ، وَالْإِعْتِصَامِ
بِالْحَقِّ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الشَّدَائِدِ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ عَلَى
الْمَكَارِهِ.

(١٢٩) - فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: لَقَدْ آذَوْنَا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنَا، وَذَبَحُوا

أَبْنَاءَنَا، وَهُمْ يُعِيدُونَ ذَلِكَ الْآنَ بَعْدَ أَنْ جِئْنَا. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: أَصْبِرُوا عَلَى أَذَاهُمْ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ، وَيَجْعَلَكُمْ خُلَفَاءَ بَعْدَهُمْ فِي الْأَرْضِ لِيرَى كَيْفَ تَكُونُ أَعْمَالُكُمْ، وَهَلْ سَتَشْكُرُونَ رَبَّكُمْ عَلَى نِعَمِهِ وَالْآيَةِ عَلَيْكُمْ. أَمْ تَكْفُرُونَ؟ وَهَلْ سَتُضِلُّحُونَ أَمْ تَفْسِدُونَ لِيَجْزِيَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ.

(آل) (الثمرات)

(١٣٠) - لَقَدْ ابْتَلَى اللَّهُ قَوْمَ فِرْعَوْنَ (آل فِرْعَوْنَ) بِسِنِينَ عِجَافٍ، قَلَّتْ فِيهَا الزَّرُوعُ فَجَاعُوا، وَنَقَصَتْ فِيهَا الثَّمَرَاتُ، لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالْخَيْرَاتِ، فَيَعْرِفُوا أَنَّ اللَّهَ أَتْلَاهُمْ بِذَلِكَ الْجُوعِ، وَيَنْقُصِ الثَّمَرَاتِ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، وَلِيَذْكُرُوا عَجْزَ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ أَمَامَ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِالْغَيْبِ قُدْرَتِهِ، وَلِيَكْفُوا عَنْ ظُلْمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ مُوسَى، لِأَنَّ الْمَصَائِبَ تُرَفِّقُ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ.

بِالسِّنِينَ - بِالْقَحْطِ وَالْجَدْبِ.

(طَائِرُهُمْ)

(١٣١) - فَإِذَا جَاءَهُمُ الْخُصْبُ وَالرِّزْقُ الْوَفِيرُ (الْحَسَنَةُ) قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِقُّ ذَلِكَ لِمَا لَنَا مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِمْتِيَازِ عَلَى النَّاسِ، وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ جَدْبٍ وَقَحْطٍ تَشَاءُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ (تَطَيَّرُوا)، وَقَالُوا: هَذَا بِسَبَبِهِمْ، وَبِسَبَبِ مَا جَاءُوا بِهِ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنْ عِلِمَ شُؤْمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنْ مَا يَنْشَاءُ مُؤْنٌ مِنْهُ وَيَتَطَيَّرُونَ بِهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَدْ نَزَلَ بِهِمْ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمْ الْقَبِيحَةِ، وَلَيْسَ مِنْ عِنْدِ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا بِسَبَبِهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حِكْمَةَ تَصَرُّفِ الْخَالِقِ فِي هَذَا الْكَوْنِ، وَلَا أَسْبَابَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

يَطَيَّرُوا - يَتَشَاءُوا.

طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ - شُؤْمُهُمْ وَعِقَابُهُمْ الْمَوْعُودُ فِي الْآخِرَةِ.

(آيَةٌ)

(١٣٢) - وَقَالَ هَؤُلَاءِ لِمُوسَى: إِنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ مَهْمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ آيَاتٍ وَحُجَجٍ وَبَرَاهِينٍ، يُدَلِّلُ بِهَا عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَفِي ظَنِّهِمْ أَنَّ مَا يَأْتِيهِمْ بِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ السَّحْرِ.

وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ

(آيَاتٍ) (مُفَصَّلَاتٍ)

(١٣٣) - فَعَاقِبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جَرَائِمِهِمْ بِأَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْفِيضَانَاتِ النَّاجِمَةَ عَنِ الْأَمْطَارِ الْغَزِيرَةِ (الطُّوفَانَ)، وَأَرْسَلَ الْجَرَادَ يَأْكُلُ زُرُوعَهُمْ وَأَشْجَارَهُمْ، وَأَرْسَلَ الْقُمَّلَ (وَهُوَ السُّوسُ الَّذِي يَأْكُلُ الْحُبُوبَ)، وَأَبْتَلَاهُمْ بِالضَّفَادِعِ الَّتِي أَخَذَتْ تَمَلًّا بِيُوتَهُمْ وَتُرْجِعُهُمْ، ثُمَّ أَبْتَلَاهُمْ بِالدَّمَ، فَخَالَطَ طَعَامَهُمْ وَشَرَابَهُمْ (وَقِيلَ إِنَّهُ سَلَطَ عَلَيْهِمُ النَّزِيفَ الدَّمَوِيَّ الَّذِي يَنْجُمُ عَنْ أَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ أَبْتَلُوا بِهَا).

وَكَانَتْ تِلْكَ كُلُّهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ كَانَ تَوَعَّدُهُمْ بِوُقُوعِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ، وَقَبْلَ وَقُوعِهَا، لِيَتَكُونَ دَلَالَةً عَلَى صِدْقِهِ لَا تَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا، فَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا لِعُتُوِّهِمْ وَرُسُوخِهِمْ فِي الْإِجْرَامِ، وَإِنْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ صِدْقَ رِسَالَتِهِ، وَصِحَّةَ قَوْلِهِ.

الطُّوفَانَ - الْمَاءُ الْكَثِيرُ.

(يَا مُوسَى) (لَيْلَى) (إِسْرَائِيلَ)

(١٣٤) - وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ يَنْزِلُ بِهِمْ مَا يُنْذِرُهُمْ بِهِ مُوسَى مِنَ الْعَذَابِ، كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ رَبَّهُ لِيُنْقِذَهُمْ مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ، وَأَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ، وَتَعْتَهُدُونَ لَهُ بِأَنْ يُؤْمِنُوا لَهُ، وَبِأَنْ يَسْمَحُوا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْخُرُوجِ مَعَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَكَانَ مُوسَى يَدْعُو اللَّهَ رَبَّهُ يَسْأَلُهُ كَشْفَ الْبَلَاءِ فَيَكْشِفُهُ، فَلَا يَلْثَمُونَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَيُصِرُّونَ عَلَى عَدَمِ السَّمَاحِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ، فَيَعُودُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَبْتَلَائِهِمْ بِبَلَاءٍ آخَرَ يُرْهِقُهُمْ، فَيَعُودُونَ إِلَى رَجَاءِ مُوسَى.

(بِالْغَوَةِ)

(١٣٥) - فَإِذَا كَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ الْبَلَاءَ بِدُعَاءِ مُوسَى، عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَنَكثُوا بِوَعْدِهِمْ لَهُ. الرَّجَزَ - الْعَذَابَ.

(فَاغْرَقْنَاهُمْ) (بِآيَاتِنَا) (غَافِلِينَ)

(١٣٦) - بَعْدَ أَنْ أَبْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالْآيَاتِ الْوَاحِدَةِ بَعْدَ الْأُخْرَى، وَبَعْدَ أَنْ نَكثُوا بِوَعْدِهِمُ الْمَرَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَنْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ بِأَنْ أَغْرَقَهُمْ فِي الْبَحْرِ (الْيَمِّ) الَّذِي فَرَّقَهُ مُوسَى بِصُرْبَةٍ مِنْ عَصَاهُ، فَتَجَاوَزَهُ هُوَ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ

(١٣٣) فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ

(١٣٤) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَكُنْ مِنْكَ كَاشِفٌ عَنَّا الرِّجْزَ لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ

(١٣٥) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلِغْوِهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ

(١٣٦) فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ

إِلَى الطَّرَفِ الْآخِرِ مِنْهُ، ثُمَّ وَرَدَهُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَمِيعُهُمْ دَاخِلُهُ، أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْمَوْجُ فَغَرَّقُوا جَمِيعًا. وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَتَغَافَلُوا عَنْهَا.

(مَشَارِقَ) (وَمَغَارِبَهَا) (بَارَكْنَا) (إِسْرَائِيلَ) (كَلِمَةً)

(١٣٧) - فَأَوْرَثَ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ، يَحْكُمُ فِيهِمْ فِرْعَوْنُ بِجُودِهِ وَطُغْيَانِهِ) مَشَارِقَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَمَغَارِبَهَا، وَهِيَ فَلَسْطِينُ، الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا بِالْخَضْبِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ. وَهَكَذَا نَفَذَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ الْحُسْنَى تَامَةً، وَجَازَاهُمْ عَلَى صَبْرِهِمْ، وَدَمَّرَ الْمَبَانِي، وَخَرَّبَ الْمَزَارِعَ الَّتِي كَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ قَدْ أَقَامُوهَا، وَاسْتَصْلَحُوهَا وَعَرَّشُوهَا.

(جَاوَزْنَا) (إِسْرَائِيلَ) (يَا مُوسَى) (إِلَهَةً)

(١٣٨) - وَبَعْدَ أَنْ جَاوَزَ مُوسَى بِقَوْمِهِ الْبَحْرَ، بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ مَرُّوا أَثْنَاءَ سَيْرِهِمْ بِقَوْمٍ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا (وَقِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ عَلَى صُورَةِ الْبَقْرِ)، فَارْتَدَّتْ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ لِلْجَهْلَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالُوا لِمُوسَى: أَصْنَعْ لَنَا آلِهَةً مِثْلَ آلِهَتِهِمْ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّهُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ وَجَلَالَهُ، وَمَا يَجِبُ لِذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ مِنَ التَّنْزِيهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَعَنِ الْمُمَازِلِ.

(وَبَاطِلَ)

(١٣٩) - وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ مَقْضِيٌّ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ بِالتَّبَاطُؤِ بِمَا سَيُظْهَرُ مِنَ التَّوْحِيدِ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ، وَزَائِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ (مُتَّبِعٌ).

(الْعَالَمِينَ)

(١٤٠) - قَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَكُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ، وَفَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَأَرَاكُمْ الْمُعْجَزَاتِ الْكَثِيرَةَ، فَكَيْفَ تُرِيدُونَنِي أَنْ أَبْحَثَ لَكُمْ عَنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ؟ وَهُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ إِنَّ هَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ أَبَدًا.

(أَنْجَيْنَاكُمْ) (آلَ)

(١٤١) - وَادَّكُرُوا، يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ أَنْجَاكُمُ اللَّهُ تَعَالَى، - بِإِزَالَةِ مُوسَى إِلَيْكُمْ، وَبِمَا أَيْدَهُ رَبُّهُ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ - مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ الَّذِينَ

١٣٧ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا

يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ

الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي

بَرَكَنا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا

صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا

يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ

وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ

١٣٨ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ

فَاتَّوَلَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى

أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا لِمُوسَى

اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ

١٣٩ إِنَّ هَؤُلَاءِ مِثْلُ مَا هُمْ فِيهِ وَيَبْطُلُ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

١٤٠ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا

وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ

١٤١ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

كَانُوا يُرْهِقُونَكَ بِالْعَذَابِ، وَسُوءِ الْمُعَامَلَةِ، فَيَقْتُلُونَ الذُّكُورَ مِنْ أُنْتَانِكُمْ، وَيَسْتَبْقُونَ الْإِنَاثَ زِيَادَةً فِي التَّنْكِيلِ وَالْإِدْلَالِ، وَذَلِكَ بَلَاءٌ عَظِيمٌ، أَبْتَلَاكُمْ بِهِ اللَّهُ.

(وَوَاعَدْنَا) (ثَلَاثِينَ) (وَأَتَمَمْنَاهَا) (مِيقَاتٍ) (هَارُونَ)

(١٤٢) - يَمْتَنُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا هَذَاهُمْ إِلَيْهِ، إِذْ كَلَّمَ مُوسَى، وَنَزَلَ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ، وَفِيهَا أَحْكَامُهُمْ، وَتَفَاصِيلُ شَرْعِهِمْ، فَذَكَرَ أَنَّهُ وَاعَدَ مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً فَصَامَهَا وَطَوَّأَهَا، فَلَمَّا تَمَّ الْمِيقَاتِ، أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُكْمِلَ الصَّيَامَ بِزِيَادَةِ عَشْرِ لَيَالٍ أُخَرَ فَصَامَهَا. وَلَمَّا أَرَادَ مُوسَى الدَّهَابَ إِلَى مِيقَاتِ رَبِّهِ، اسْتَخْلَفَ أَخَاهُ هَارُونَ مَكَانَهُ لِيَتَوَلَّى رِئَاسَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْإِصْلَاحِ وَعَمَلِ الْخَيْرِ، وَبِعَدَمِ اتِّبَاعِ طَرِيقِ الْمُفْسِدِينَ.

(لِمِيقَاتِنَا) (تَرَانِي) (سُبْحَانَكَ)

(١٤٣) - فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِلْمَوْعِدِ (الْمِيقَاتِ) الَّذِي وَقَّعَهُ اللَّهُ لَهُ لِلْكَلامِ مَعَهُ، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، اسْتَشْفَرَتْ نَفْسُ مُوسَى أَنْ يَجْتَمِعَ لَهُ فَضِيلَتَا الْكَلَامِ، وَرُؤْيَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ رَبِّ مَكِّنِّي مِنْ رُؤْيَيْكَ. فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ، وَأَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ، فَسَأَتَجَلَّى لَهُ وَأَظْهَرُ، فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، وَلَمْ يَنْدَكْ وَيَتَهَدَّمْ، فَيُمْكِنُكَ أَنْ تَرَانِي. فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَبَلِ سِوَاهُ بِالْأَرْضِ وَأَصْبَحَ تَرَاباً (جَعَلَهُ ذَكَاً)، وَوَقَعَ مُوسَى صَعِقاً مَغْشِياً عَلَيْهِ مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى، فَلَمَّا أَفَاقَ اسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَأَعْلَنَ تَوْبَتَهُ مِمَّا كَانَ مِنْهُ مِنْ سُؤَالٍ، وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّهِ وَنَزَّهَهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ، فِي زَمَانِهِ، بِاللَّهِ وَجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.

(يَا مُوسَى) (بِرِسَالَتِي) (وَبِكَلَامِي) (آتَيْتُكَ) (الشَّاكِرِينَ)

(١٤٤) - فَخَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي اخْتَرْتُكَ وَأَصْطَفَيْتُكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ زَمَانِكَ بِأَنْ كَلَّمْتُكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَلَمْ أُوحِ إِلَيْكَ وَحِياً بِوَسِيطَةِ مَلَكٍ، وَبِأَنْ جَعَلْتُكَ مُرْسِلاً، فَتَمَسَّكَ بِالتَّوْرَةِ الَّتِي آتَيْتُكَ إِيَّاهَا، وَأَعْمَلْتُ بِمَا جَاءَ فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ، وَأَشْكُرُ نِعْمَتِي، عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ، بِإِقَامَةِ التَّوْرَةِ وَالْأَحْكَامِ، بِقُوَّةٍ وَعَزْمٍ، وَبِالْعَمَلِ بِهَا.

سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أُنْتَانَكُمْ
وَيَسْتَبْقُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ
عَظِيمٌ



وَوَاعَدْنَا مُوسَى

١٤٢

ثَلَاثِينَ لَيْلَةً

وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ
رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي
فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ

سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ

١٤٣

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ

رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ

قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى

الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ،

فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ،

لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ ذَكَاً وَخَرَّ

مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ

سُبْحَانَكَ نَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا

أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

١٤٤

قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ

عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي

فَخُذْ مَاءَ آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ

الشَّاكِرِينَ

(سَارِيكُمْ) (الْفَاسِقِينَ)

(١٤٥) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَعْطَى مُوسَى الْوَاحِ كُتُبَ فِيهَا أَنْوَاعُ الْهَدَايَةِ وَالْمَوَاعِظِ، وَأَحْكَامًا مُفَصَّلَةً تُبَيِّنُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ (وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَلْوِاحَ كَانَتْ تُشْتَمِلُ عَلَى التَّوْرَةِ) وَأَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَأْخُذَ بِهَا بِعَزْمٍ عَلَى الطَّاعَةِ، وَأَنْ يَأْمُرَ قَوْمَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِ مَا فِيهَا: كَالْإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ، وَبِالْعَفْوِ بَدَلَ الْقِصَاصِ. أَمَّا الْفَاسِقُونَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ، وَيَخْرُجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ، فَإِنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلَى الْهَلَاكِ، وَالذَّمَارِ، وَسَيُرِي اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فِي أَسْفَارِهِمْ، دِيَارَ الْأَمْرِ الْفَاسِقَةِ السَّالِفَةِ، وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ مِنْ خَرَابٍ، لِيَعْتَبَرُوا بِمَا أَصَابَ غَيْرَهُمْ.

(آيَاتِي) (بَيَاتِنَا) (غَافِلِينَ)

(١٤٦) - سَأَصْرِفُ عَنِ الْهَدَايَةِ قُلُوبَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنْ طَاعَتِي، وَيَتَكَبَّرُونَ عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَإِذَا رَأَوْا آيَاتِ اللَّهِ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِذَا رَأَوْا طَرِيقَ الْخَيْرِ تَنَكَّبُوا عَنْهُ، وَلَمْ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِذَا رَأَوْا سَبِيلَ الضَّلَالِ اتَّبَعُوهُ، وَقَدْ جَازَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْجَزَاءَ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَغَفَلُوا عَنْهَا، فَأَضَلَّهُمُ اللَّهُ، وَلَمْ يَهْدِهِمْ. فَكَمَا اسْتَكْبَرُوا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ اللَّهَ عَاقَبَهُمْ بِالْإِذْلَالِ وَبِالْحُتْمِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَبِالْقَاءِ الْغِشَاوَةِ عَلَى أَعْيُنِهِمْ حَتَّى لَا يَجِدَ الْحَقَّ مَتَفَدًّا لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا.

(بَيَاتِنَا) (الْآخِرَةَ) (أَعْمَالُهُمْ)

(١٤٧) - وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَكُتُبِهِ، الْمُنَزَّلَةِ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، عَلَى رُسُلِهِ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، وَلَمْ يَهْتَدُوا، وَكَذَّبُوا بِمَا يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ: مِنْ ثَوَابٍ عَلَى الْخَيْرِ، وَعِقَابٍ عَلَى الشَّرِّ. فَإِنَّ أَعْمَالَهُمْ تَهْلِكُ وَتَتَلَاشَى وَتَذْهَبُ سُدىً (تَحْبُطُ)، لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا لِغَيْرِ اللَّهِ، وَاتَّعَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِي اللَّهَ، فَتَصِيرُ أَعْمَالُهُمْ وَبَالًا عَلَيْهِمْ، وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا عَلَى الْأَعْمَالِ الَّتِي قَامُوا بِهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ بِأَنْ جَعَلَ الْجَزَاءَ فِي الْآخِرَةِ أَثَرًا لِلْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ أَبَدًا.

(ظَالِمِينَ)

(١٤٨) - وَبَعْدَ أَنْ تَوَجَّهَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ، فَتَنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ سَامِرِيُّ، خَرَجَ مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ، فَزَيَّنَ السَّامِرِيُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عِبَادَةَ الْعِجَلِ، فَصَنَعَ لَهُمْ

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوِاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَهُوَّةُ وَأَمَرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَاورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عِبْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ

وَكَاؤُا ظَلَمِينَ

يَمْثَلًا عَلَى صُورَةِ عَجَلٍ مِنَ الْحُلِيِّ الَّتِي أَخْرَجُوهَا مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ
(وَهِيَ حُلِيٌّ كَانُوا اسْتَعَارُوهَا مِنَ الْقِبْطِ وَهَرَبُوا بِهَا)، وَكَانَ هَذَا التَّمَثَلُ
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ دَخَلَتْ فِي جُوفِهِ وَصَدَرَ عَنْ مُرُورِهَا صَوْتُ كَخَوَارِ الْبَقَرِ،
فَافْتَتَنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِهَذَا الْعَجَلِ، وَعَكَفُوا عَلَى عِبَادَتِهِ وَالطَّوَافِ بِهِ.

وَيُوبِخُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى اتِّخَاذِهِمُ الْعَجَلَ رَبًّا، وَيَسْتَسْخِفُ تَصَرُّفَاتِهِمْ
هَذِهِ، لِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا لَهُمْ عِجْلًا لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يُرْشِدُهُمْ إِلَى جَنَّةٍ،
وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَتَرَكُوا عِبَادَةَ اللَّهِ، خَالِقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، الَّذِي أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَهُمْ
ظَالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ.

(لَتُنَّ) (الْخَاسِرِينَ)

(١٤٩) - ثُمَّ نَدِمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا (سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ)، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ ضَلُّوا
عَنِ الْهُدَى، فَقَالُوا مُنِيبِينَ إِلَى اللَّهِ: إِنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَرْحَمَهُمُ رَبُّهُمْ، وَيَغْفِرْ
لَهُمْ مَا أَرْتَكِبُوهُ مِنْ ظُلْمٍ، بِاتِّخَاذِهِمُ الْعَجَلَ رَبًّا، لَيَكُونَنَّ مِنَ الْهَالِكِينَ.

(غَضَبَانَ) (الظَّالِمِينَ)

(١٥٠) - أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِمَا فَعَلَهُ قَوْمُهُ مِنْ عِبَادَتِهِمُ
الْعَجَلَ بَعْدَ ذَهَابِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ غَضَبَانِ حَزِينَانِ، وَقَالَ لَهُمْ بِشْ مَا
فَعَلْتُمُوهُ فِي غَيْبَتِي بَعْدَ ذَهَابِي عَنْكُمْ إِلَى مُنَاجَاةِ رَبِّي، وَقَدْ كُنْتُ عَلَّمْتُكُمْ
التَّوْحِيدَ، وَكَفَّفْتُكُمْ عَنِ الشِّرْكِ، وَكَانَ مِنْ وَاجِبِكُمْ أَنْ تَقْتَنُوا أَثَرِي،
وَتَسِيرُوا بِسِيرَتِي، فَفَعَلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَاتَّخَذْتُمْ صَنَمًا، وَعَبَدْتُمْ بَعْضُكُمْ
وَلَمْ يَزِدْكُمْ الْآخَرُونَ عَنْ ذَلِكَ. فَهَلْ اسْتَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ، وَهُوَ أَنْتِظَارُ
عَوْدَتِي وَأَنْتُمْ حَافِظُونَ لِعَهْدِي وَمَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ؟ فَبَيَّنْتُ الْأَمْرَ عَلَى أَنَّ
الْمِيعَادَ قَدْ بَلَغَ آخِرَهُ وَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ، فَحَدَّثْتُكُمْ أَنْفُسَكُمْ بِأَنِّي مِتُّ،
فَغَيَّرْتُمْ كَمَا غَيَّرَتِ الْأُمَمُ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ؟.

(وَيُرَوَّى أَنَّ السَّامِرِيَّ قَالَ لَهُمْ: هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى، إِنَّ مُوسَى مَاتَ
وَلَنْ يَرْجِعَ).

فَالْقَى مُوسَى الْأَلْوَحَ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ هَارُونَ يَجْرُهُ إِلَيْهِ، مُحَافَةً أَنْ
يَكُونَ قَدْ تَهَاوَنَ فِي نَهْيِهِمْ عَنِ اتِّخَاذِ الْعَجَلِ، فَقَالَ لَهُ هَارُونَ: يَا أَخِي
يَا أَبْنَ أُمِّي، لَا تُعْظِمْنِي، وَلَا تُشَدِّ لِحَبِيَّتِي وَرَأْسِي - كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ
أُخْرَى -، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ اسْتَضَعَفُونِي، وَكَادُوا يَقْتُلُونِي لَمَّا نَهَيْتُهُمْ، فَلَا

وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا

أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لِمَ لَمْ

يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرَ لَنَا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ

غَضِبْنَ أَسْفَا قَالَ بَشْمَا خَلَفْتُونِي

مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ

وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ

أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنْ

الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا

يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ فِي

الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ

تَصَبُّ نَقْمَتَكَ عَلَيَّ فَتُشِمْتَ بِي الْأَعْدَاءَ، وَلَا تُعَامِلْنِي مُعَامَلَةَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَهًا.

(الرَّاحِمِينَ)

(١٥١) - فَلَمَّا تَحَقَّقَ مُوسَى مِنْ بَرَاءَةِ هَارُونَ، وَأَنَّهُ قَامَ بِوَاجِبِهِ كَامِلًا نَحْوَ
قَوْمِهِ، دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، فِيهِمَا غِلْظَةٌ
وَجَفَاءٌ، بِحَقِّ أَخِيهِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لِأَخِيهِ مَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَرَ فِيهِ مِنْ
نَهْيِ الْقَوْمِ عَنْ فِعْلٍ مَا فَعَلُوهُ، مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَأَنْ يَدْخُلَهُمَا فِي
رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَغْمُرَهُمَا بِجُودِهِ وَفَضْلِهِ، فَهُوَ تَعَالَى
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ جَمِيعًا بِعِبَادِهِ.

(الْحَيَاةُ)

(١٥٢) - إِنَّ الَّذِينَ اسْتَمَرُّوا عَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ، كَالسَّامِرِيِّ وَأَشْيَاعِهِ،
سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ عَظِيمٌ مِنْ رَبِّهِمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَمَهَانَةٌ شَدِيدَةٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَمِثْلُ ذَلِكَ الْجَزَاءُ الشَّدِيدُ يَجْزِي بِهِ اللَّهُ كُلَّ مَنْ آخَلَاقَ
الْكُذْبِ عَلَيْهِ وَعَبَدَ غَيْرَهُ.
أَفْتَرَى - آخَلَاقَ الْكُذْبِ.

(آمَنُوا)

(١٥٣) - وَالَّذِينَ يَفْعَلُونَ فِعْلًا سَيِّئًا، ثُمَّ يَتُوبُونَ بَعْدَ ذَلِكَ وَيَسْتَغْفِرُونَ
رَبَّهُمْ، وَيُخْلِصُونَ لَهُ الْعِبَادَةَ وَالْإِيمَانَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ ذَلِكَ الْفِعْلَ
السَّيِّئَ، لِأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ.

(١٥٤) - وَلَمَّا سَكَنَ غَضَبُ مُوسَى بِاعْتِدَارِ أَخِيهِ إِلَيْهِ، وَبَعْدَ أَنْ لَجَأَ إِلَى
اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَلِأَخِيهِ خَطَايَاهُمَا، عَادَ إِلَى الْأَلْوَاحِ فَأَخَذَهَا، بَعْدَ
أَنْ كَانَ الْفَقَاهَا مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ، فَوَجَدَ فِيهَا أَحْكَامًا وَأَوَامِرَ وَنَوَاهِي، إِذَا
أَخَذَ بِهَا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ. (أَوْ أَنَّهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِمَنْ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ).

(لِمِيقَاتِنَا) (وَأَيَّاي) (الغَافِرِينَ)

(١٥٥) - أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِأَنْ يَأْتِيَهُمْ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَوَعْدَهُمْ مَوْعِدًا.
فَأَخْتَارَ مُوسَى سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ لَمْ يَعْبُدُوا الْعِجْلَ، وَذَهَبَ مَعَهُمْ. فَلَمَّا

١٥١ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي

وَادْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

١٥٢ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ

سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ
يَجْزِي الْمُفْتَرِينَ

١٥٣ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ

تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ
مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

١٥٤ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ

أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى
وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ

١٥٥ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ

رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ
أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَلَئِنِّي

أَتُوا الْمَكَانَ الْمَوْعُودَ، قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى: يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ عَيْنًا وَجَهْرَةً، فَانْتَ كَلَّمْتَهُ فَاجْعَلْنَا نَرَاهُ. فَأَخَذَهُمُ الصَّاعِقَةُ فَمَاتُوا، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى، فَقَامَ مُوسَى يَبْكِي وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ إِلَى الْمِيقَاتِ وَأَهْلَكْتَنِي مَعَهُمْ، لِيرَى ذَلِكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَا يَتَّهَمُونِي بِقَتْلِهِمْ، فَلَا تَهْلِكُنَا يَا رَبِّ بِمَا فَعَلَهُ الْجَهَالُ مِنَّا، فَمَا مَحَنَ عِبَادَةِ الْعَجَلِ إِلَّا ابْتِلَاءُ مِنْكَ وَفِتْنَةُ أَضَلَلْتَ بِهَا مَنْ شِئْتَ إِضْلَالَهُ مِمَّنْ سَلَكَوا سَبِيلَ الْغَوَايَةِ، وَهَدَيْتَ بِهَا مَنْ شِئْتَ هِدَايَتَهُ، وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضَلَلْتَ، فَأَغْفِرْ لَنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِذُنُوبِنَا، وَارْحَمْنَا لِكَيْلَا نَقَعَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ الْغَافِرِينَ.

(الرَّكَاةُ) (بَيَاتِنَا)

(١٥٦) - وَأَثْبِتْ لَنَا، بِرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ ﴿اَكْتُبْ لَنَا﴾ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، مِنْ غَافِيَةٍ وَبَسْطَةٍ فِي الرُّزْقِ، وَتَوْفِيقٍ لِلطَّاعَةِ، وَمُتَوَاقِفَةٍ حَسَنَةٍ فِي الْآخِرَةِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَتَبَلُّ رِضْوَانِكَ، إِنَّا تَبْنَا إِلَيْكَ ﴿هَذَا إِلَيْكَ﴾ مِمَّا قَرِطَ مِنْ سَفَهَاتِنَا مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ، وَمِنْ تَقْصِيرِ الْعُقُلَاءِ مِنَّا فِي تَهْيِيهِمْ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ.

وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى دُعَاءِ مُوسَى قَائِلًا: لَقَدْ أَوْجَبْتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابِي خَاصًّا أَصِيبَ بِهِ مَنْ أَشَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْعَصَاةِ، الَّذِينَ لَمْ يَتُوبُوا، أَمَّا رَحْمَتِي فَقَدْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَأَثْبِتُ رَحْمَتِي بِمُسْتَمْتِنِي لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِي، وَيُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ الْمَقْرُوضَةَ، وَيُؤْتُونَ الصَّدَقَاتِ الَّتِي تَزَكَّى بِهَا أَنْفُسُهُمْ، وَلِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَيُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِ آيَاتِي الدَّالَّةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَيُصَدِّقُونَ رُسُلِي، وَمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ.

(التَّوْرَةِ) (وَيَنْهَاهُمْ) (الطَّيِّبَاتِ) (الْخَبَائِثِ) (وَالْأَغْلَالِ) (آمَنُوا) (أُولَئِكَ)

(١٥٧) - وَيَتَابِعُ اللَّهُ تَعَالَى وَصْفَ الَّذِينَ يَشْمَلُهُمْ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، الَّذِي لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ، وَقَدْ جَاءَ وَصْفُهُ وَالْبَشَارَةُ بِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَبِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ فِعْلِ الْمُنْكَرِ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرُّزْقِ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ التَّكَالِيفَ الشَّاقَّةَ، كَاشْتِرَاطِ قَتْلِ النَّفْسِ فِي صِحَّةِ التَّوْبَةِ، وَالْقِصَاصِ فِي الْقَتْلِ الْعَمْدِ أَوْ الْخَطَا، مِنْ

أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ



وَكَتَبَ لَنَا فِي

هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً

وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ

قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ

أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ

كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْتُهُمُ اللَّذِينَ

يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ

الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُثُ لَهُ،

مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ

غَيْرَ شَرَعٍ لِلدَّيَّةِ، وَقَطَعَ الْأَعْضَاءَ الْخَاطِئَةَ، وَقَطَعَ مَوْضِعَ النَّجَاسَةِ مِنَ الثَّوْبِ، وَتَحْرِيمَ السَّبْتِ . . . فَقَدْ جَاءَ مُحَمَّدٌ بِمَا هُوَ يُسَرُّ وَسَمَاحَةٌ.

[وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوصِي أَمِيرَيْنِ أَرْسَلَهُمَا فِي بَعْثَيْنِ إِلَى الْيَمَنِ: (بَشْرًا وَلَا تَنْفَرَا، وَيَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا، وَتَطَوُّعًا وَلَا تَخْتِلِفَا)].

وَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ أُمُورَهَا، وَسَهَّلَهَا لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (رُفِعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنَّسِيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ). فَالَّذِينَ آمَنُوا بِالرُّسُولِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، حِينَ بُعِثَ، مِنْ قَوْمِ مُوسَى وَعِيسَى، وَمِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، وَعَزَّرُوهُ بِأَنْ مَنَعُوهُ وَحَمَوَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ يُعَادِيهِ، مَعَ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، وَنَصَرُوهُ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الْأَعْظَمَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَ رِسَالَتِهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ . . . فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، الْفَائِزُونَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ.

(يَا أَيُّهَا) (السَّمَاوَاتِ) (فَآمِنُوا) (وَكَلِمَاتِهِ)

(١٥٨) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ جَمِيعاً: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَهُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُهُمَا، وَهُوَ مُدَبِّرُهُمَا وَمُصَرِّفُهُمَا حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، فَهُوَ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ الْكَائِنَاتِ، وَهُوَ الَّذِي يَقْضِي بِفَنَائِهَا. فَآمِنُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ جَمِيعاً بِاللَّهِ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَهَذَا الرَّسُولُ يُؤْمِنُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَيُؤْمِنُ بِكَلِمَاتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ لِهَدَايَةِ خَلْقِهِ.

وَاتَّبِعُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ طَرِيقَ الرَّسُولِ الْأُمِّيِّ، وَاقْتَفُوا أَثَرَهُ، فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ، لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَتُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١٥٩) - وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ (أُمَّةٌ) يَهْدُونَ النَّاسَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَعْدِلُونَ فِي تَنْفِيذِهِ إِذَا حَكَمُوا بَيْنَ النَّاسِ، فَلَا يَتَّبِعُونَ هَوَى، وَلَا يَأْكُلُونَ سُخْتًا وَلَا مَالًا حَرَامًا.

(وَقَطَعْنَاهُمْ) (اسْتَسْقَاهُ) (الْعِمَامَ) (طَيِّبَاتِ) (رَزَقْنَاهُمْ)

(١٦٠) - وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ جَمَاعَةً، إِذْ جَعَلَ نَسْلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ الْاِثْنَتَيْنِ عَشْرَةَ أُمَّةً وَجَمَاعَةً. وَجِئْنَا عِطْشَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي صَحْرَاءِ سِينَاءَ، اسْتَسْقَى لَهُمْ مُوسَى، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ حَجَرًا مِنْ أَحْجَارِ الصَّحْرَاءِ، فَضْرِبَهُ فَاتَّبَجَسَتِ الْمِيَاهُ

إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَدَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

﴿١٥٨﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

﴿١٥٩﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ

﴿١٦٠﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَاتَّبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

مِنْهُ، فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا، لِكُلِّ سَبْطٍ مِنْهُمْ عَيْنٌ يَشْرَبُ مِنْهَا، مُنْعًا
لِلْخَصَامِ وَالْتِفَافِ وَالْتِزَاجِ عَلَى الْمَاءِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَسَخَّرَ اللَّهُ لَهُمُ
الْغَمَامَ، فَظَلَّلَ عَلَيْهِمْ، لِيَقِيَهُمْ حَرَّ الشَّمْسِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمُنَّ
وَالسَّلْوَى، فَآخَذُوا يَأْكُلُونَ مِنْ طَيِّبَاتِ رِزْقِ اللَّهِ، وَيَشْرَبُونَ مِنَ الْمَاءِ،
فَكَفَرُوا بِهَذِهِ النِّعَمِ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ، فَالْحَقُّوا الضَّرَرَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ
يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا.

أَنْبَجَسَتْ - نَبَعَتْ وَتَفَجَّرَتْ.

الْمُنُّ - مَادَّةٌ حُلْوَةٌ تَقَعُ عَلَى الْأَشْجَارِ.

السَّلْوَى - طَائِرٌ يُشْبِهُ السَّمَانِي لِحْمُهُ لَذِيذُ الطَّعْمِ.

السَّبْطُ - وَلَدُ الْوَلَدِ وَأُطْلِقَتْ كَلِمَةُ أَسْبَاطٍ عَلَى أَحْفَادِ يَعْقُوبَ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ.

(خَطِيبَاتِكُمْ)

(١٦١) - وَبَعْدَ أَنْ اسْكَنَهُمْ رَبُّهُمْ الْبَلَدَ الَّذِي دَخَلُوهُ بَعْدَ أَنْ أَنْصَرُوا عَلَى
الْعَمَالِيْقِ، أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ بِشُكْرِهِ، وَبَدُخُولِ الْبَابِ (أَيَّ بَابِ الْبَلَدِ) سُجْدًا
شُكْرًا لِلَّهِ، وَبِأَنْ يَقُولُوا: حِطَّةُ - (أَيَّ اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا) - لِيَسْتَجِيبَ
اللَّهُ إِلَى دُعَائِهِمْ، فَيَغْفِرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَيَزِيدَ الْحَسَنَاتِ لِمُحْسِنِهِمْ.

(١٦٢) - فَلَمَّ يَدْخُلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بَابَ الْبَلَدِ سُجْدًا خَاشِعِينَ كَمَا
أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ، بَلْ دَخَلُوهُ زَاجِفِينَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ (أَيَّ أَذْبَارِهِمْ)، وَبَدَّلُوا
قَوْلَ اللَّهِ، فَلَمْ يَقُولُوا (حِطَّةُ) وَإِنَّمَا قَالُوا سَاجِرِينَ حِطَّةُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ
اللَّهِ.

(وَأَسْأَلُهُمْ)

(١٦٣) - أَسْأَلَ يَا مُحَمَّدُ، هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ بَحَضَرْتِكَ عَنْ قِصَّةِ
أَصْحَابِهِم الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، فَاصَابَهُمْ بِنَقْمَتِهِ عَلَى اعْتِدَائِهِمْ
وَإِحْتِيَالِهِمْ فِي مُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ وَحَذَرَهُمْ مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ
بِأَصْحَابِهِمْ، أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ (وَهِيَ أَيْلَةُ أَوْ
الْعَقْبَةُ الْيَوْمَ)، فَقَدْ كَانَ الْيَهُودُ فِيهَا يَعْتَدُونَ عَلَى حُرْمَةِ السَّبْتِ، وَيَتَجَاوَزُونَ
حُكْمَ اللَّهِ الَّذِي يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الصَّيْدَ فِيهِ، فَقَدْ كَانَتْ الْأَسْمَاكُ (حَيْثَانُهُمْ)
تَأْتِيهِمْ ظَاهِرَةً عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الَّذِي كَانُوا يُعَظِّمُونَهُ، فَلَا
يَصِيدُونَ فِيهِ. أَمَّا فِي الْيَوْمِ الَّذِي لَا يَسْبِتُونَ، وَلَا يُعَظِّمُونَ حُرْمَةَ
السَّبْتِ، فَكَانَتِ الْحَيْثَانُ لَا تَظْهَرُ لَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ آخِثَارًا مِنَ اللَّهِ لَهُمْ،
فَكَانَ الْيَهُودُ الْمُعْتَدُونَ يَنْصُبُونَ الشِّبَاكَ لِلْأَسْمَاكِ لَتَقَعَ فِيهَا، وَيَتْرَكُونَهَا

عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ

مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ

الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمُنَّ

وَالسَّلْوَى كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ

مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا

ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

(١٦١) وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ااسْكُنُوا هَذِهِ

الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا

حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ

وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَقْفِرْ

لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَازِيدٌ

الْمُحْسِنِينَ

(١٦٢) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ

فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرَاءَ مِنْ

السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا

يَظْلِمُونَ

(١٦٣) وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي

كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ

يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ

تَأْتِيهِمْ حَيْثَانُهُمْ يَوْمَ

سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا

يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ

كَذَلِكَ نَبُؤُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَفْسُقُونَ

فِي السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَنْتَهِيَ السَّبْتُ فَيَأْخُذُوهَا . فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَنْتَهَاكَ
لِمَحَارِمِ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِمْ ، وَمِنْهَا تَعْظِيمُ حُرْمَةِ السَّبْتِ . فَكَانَ
تَصَرُّفُهُمْ هَذَا آخِثِيَالاً يُخْفِي بَيْنَهُمْ فِي الْاِعْتِدَاءِ عَلَى السَّبْتِ ، وَفَسْقًا عَنْ
طَاعَةِ اللَّهِ .

(١٦٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ صَارُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ :

- فِرْقَةٌ أَرْتَكِبَتِ الْمُحَرَّمَ ، وَاحْتَالَتْ فِي صَيْدِ السَّمَكِ .

- فِرْقَةٌ نَهَتْ الْمُتَجَاوِزِينَ عَنْ فِعْلِهِمْ هَذَا وَاعْتَرَلَتْهُمْ .

- فِرْقَةٌ سَكَتَتْ فَلَمْ تَفْعَلْ شَيْئاً وَلَمْ تَنْهَ ، وَلَكِنَّهَا قَالَتْ لِلْفِرْقَةِ الْمُنْكَرَةِ : لِمَ
تَنْهَوْنَ قَوْمًا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهُمْ لَاسْتِحْقَاقِهِمْ عُقُوبَتَهُ وَسَخَطَهُ ؟ فَلَا
فَائِدَةَ مِنْ نَهْيِكُمْ إِيَّاهُمْ . فَرَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْفِرْقَةُ النَّاهِيَةُ قَائِلَةً : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا
بِأَنْ نَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُهُمْ لِنَقُومَ بِأَمْرِ اللَّهِ
أَوَّلًا (مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم) ، ثُمَّ إِنَّا نَرْجُو أَنْ يَنْتَهِيَ هَؤُلَاءِ الْمُتَجَاوِزُونَ
حُدُودَ اللَّهِ عَنْ غِيهِمْ ، وَيَعُودُوا إِلَى الصُّوَابِ ، لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ الْاِعْتِدَاءَ
الَّذِي أَفْتَرَفُوهُ .

(١٦٥) - فَلَمْ يَهْتَمُّ هَؤُلَاءِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَلَا بِتَذْكِيرِ إِخْوَانِهِمْ ، فَجَاءَ أَمْرُ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمْ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ (بَشِيرٍ) بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ
اللَّهِ ، وَنَجَّى اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ قَامُوا مِنْهُمْ بِأَمْرِهِ بِالنُّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .
(خَاسِئِينَ) (عَمَّا)

(١٦٦) - فَلَمَّا اسْتَمَرُّوا فِي عُتُوِّهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ ، قَالَ اللَّهُ لَهُمْ :
كُونُوا قِرْدَةً ذَلِيلِينَ حَقِيرِينَ ، فَكَانُوا .
خَاسِئِينَ - ذَلِيلِينَ حَقِيرِينَ .
(الْقِيَامَةِ)

(١٦٧) - وَادَّكَّرَ ، أَيُّهَا الرُّسُولُ ، لَهُمْ ، إِذْ أَعْلَمَ رَبُّكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ ، مَرَّةً
إِثْرَ مَرَّةً ، عَلَى السَّنَةِ أَنْبِيَاءِهِمْ ، أَنَّهُ قَضَى عَلَيْهِمْ لِيُسَلِّطَنَّ عَلَيْهِمْ - إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ - مَنْ يُوقِعُ بِهِمُ الْعِقَابَ الشَّدِيدَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَفِسْقِهِمْ
وَأَفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ ، وَأَنَّ رَبُّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ لِلْأَمْرِ الَّتِي تَفْسُقُ عَنْ
أَمْرِهِ ، وَتُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ أَقْلَعَ عَنْ ذَنْبِهِ ، وَأَنَابَ
إِلَيْهِ وَأَصْلَحَ مَا كَانَ قَدْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ ، قَبْلَ أَنْ يَجِلَّ بِهِ الْعِقَابُ .

(وَقَطَّعْنَاهُمْ) (الصَّالِحُونَ) (وَبَلَّوْنَاهُمْ) (بِالْحَسَنَاتِ)

(١٦٨) - يَقُولُ تَعَالَى : إِنَّهُ فَرَّقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ فَكَانُوا طَوَائِفَ
وَفِرَقًا (أُمَمًا) ، مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ الَّذِينَ يَنْتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ،

وَأَذْكَالٌ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لَمْ تَعْظُونَ

قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ

عَذَابًا شَدِيدًا أَقَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى

رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا

الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ

وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ

بِئْسَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ

كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَنَّ عَلَيْهِمُ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ

سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ

لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ

لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا

مِنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَالْمُنْكَرِينَ

دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ

وَمِنْهُمْ مَنْ هُمْ غَيْرُ ذَلِكَ، وَإِنَّهُ اخْتَبَرَهُمْ (بَلَوْنَاهُمْ) جَمِيعاً بِالرِّخَاءِ
وَالشَّدَّةِ، وَبِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَبِالْعَافِيَةِ وَالْبَلَاءِ، لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَى الْحَقِّ،
وَيَرْجِعُونَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَيَعُودَ إِلَيْهِمْ فَضْلُ اللَّهِ وَإِحْسَانُهُ وَرَحْمَتُهُ.
بَلَوْنَاهُمْ - اخْتَبَرْنَاهُمْ.
أُمماً - جَمَاعَاتٍ وَفِرَقاً.

(الْكِتَابِ) (مِيثَاقِ) (الْكِتَابِ)

(١٦٩) - فَجَاءَ جِيلٌ جَدِيدٌ - بَعْدَ ذَلِكَ الْجِيلِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ الصَّالِحُونَ
وَمَنْ هُمْ دُونَ ذَلِكَ - وَقَفُوا عَلَى مَا فِي التَّوْرَةِ، وَكَانُوا عَالِمِينَ بِأَحْكَامِهَا
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْتِرُونَ حُطَامَ الدُّنْيَا وَمَتَاعَهَا، عَلَى بَذْلِ الْحَقِّ وَنَشْرِهِ،
فَكَانُوا يَأْكُلُونَ السُّحْتَ وَالرُّشَا، وَيَتَاجَرُونَ بِالذِّينِ، وَيُحَابُونَ فِي
الْأَحْكَامِ وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَيُسَوِّفُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَعِدُونَهَا بِالتَّوْبَةِ، وَكُلَّمَا
لَاحَ لَهُمْ مَجَالٌ لِلْاِخْتِيَالِ عَلَى شَرْعِ اللَّهِ قَارَفُوهُ (كَمَا فَعَلَ الْمُعْتَدُونَ فِي
السَّبْتِ)، وَيَأْمُلُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، وَأَنْ لَا يُؤَاجِذَهُمْ عَلَى أَفْعَالِهِمْ
الْقَبِيحَةِ. وَيُنَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ضَبَقَهُمْ هَذَا، وَيَسْأَلُهُمْ أَنَّهُ أَوْجَبَ
عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ أَنْ يُبَيِّنُوا الْحَقَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُوهُ، وَأَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، فَقَالُوا الْبَاطِلَ، وَكَتَمُوا صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِعَثْتَهُ وَرِسَالَتَهُ
الَّتِي جَاءَتْ فِي التَّوْرَةِ.

ثُمَّ يَرْغَبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَزِيلِ ثَوَابِهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَمَا
فِيهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، خَيْرٌ لِلْمُتَّقِينَ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الْقَانِيَةِ الَّذِي
يُؤْخَذُ بِالرِّبَا، وَيَأْكُلُ السُّحْتَ، أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَصَمُوا بِعَرَضِ
الدُّنْيَا عَنْ ثَوَابِ رَبِّهِمْ؟

(بِالْكِتَابِ) (الصَّلَاةِ)

(١٧٠) - ثُمَّ يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ اسْتَمْسَكَ بِكِتَابِهِ مِنْهُمْ، وَعَمِلَ بِمَا
فِيهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَدَّاهَا حَقَّ آدَائِهَا، وَيَذْكُرُهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا مِنَ الْمُصْلِحِينَ.

(اتَيْنَاكُمْ)

(١٧١) - لَمَّا أَبْلَغَهُمُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا فِي الْأَلْوَحِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ، لِيَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا، نُقِلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَأُبْرَأَ أَنْ يَقْرَأَ بِهَا حَتَّى رَفَعَ اللَّهُ
تَعَالَى الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ حَتَّى أَظْلَ رُؤُوسَهُمْ، وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ
لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكُمْ: لَيْتِن لَمْ تَقْبَلُوا التَّوْرَةَ بِمَا فِيهَا لِأَرْمِيَنَّكُمْ

بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

١٦٩ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا
الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفِرُ لَنَا وَإِنْ
يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ
عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا
يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا
مَا فِيهِ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ
لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ

١٧٠ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ
أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ



١٧١ وَإِذْ نُنَقِّا الْجَبَلَ
فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ
وَضَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا
مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

بِهَذَا الْجَبَلِ . فَوَقَعُوا عَلَى الْأَرْضِ سُجَّدًا ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ
يُطْرَفِ أَعْيُنُهُمْ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : خُذُوا مَا آعَطَيْنَاكُمْ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ
بِعَزْمٍ ، وَاحْتِمَالٍ لِلْمِثَاقِ وَالتَّكَالِيفِ ، وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ
وَالنَّوَاهِي ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُعِدُّكُمْ لِلتَّقْوَى ، وَيَجْعَلُهَا مَرْجُوَةً لَكُمْ .

(آدَمَ) (الْقِيَامَةِ) (غَافِلِينَ)

(١٧٢) - يَبِينُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ : أَنَّهُ أَقَامَ الْأَدِلَّةَ عَلَى وُجُودِهِ وَعَظَمَتِهِ
وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَعَلَى أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَقَدْ أَقَامَ هَذِهِ الْأَدِلَّةَ عَنْ طَرِيقِ مَا
بَنَى فِي الْكَوْنِ مِنْ أَسْبَابِ الْهَدَايَةِ . كَمَا أَقَامَهَا عَنْ طَرِيقِ الْكِتَابِ
وَالرُّسُلِ . فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطَبًا رَسُولَهُ ﷺ : أَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ ، جِئْتُ
أَسْتَخْرِجُ اللَّهَ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ لِيَشْهَدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَنَّ اللَّهَ
رَبُّهُمْ وَمَلِكُهُمْ ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، كَمَا أَنَّهُ فَطَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَجَبَلَهُمْ
عَلَيْهِ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَسَحَ صُلْبَ آدَمَ فَاسْتَخْرِجَ مِنْهُ كُلَّ نَسَمَةٍ
خَلَقَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ الْمِثَاقَ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْأَرْزَاقِ ، ثُمَّ أَعَادَهُمْ فِي صُلْبِهِ ، فَلَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ
حَتَّى يُولَدَ مَنْ أَعْطَى الْمِثَاقَ يَوْمَئِذٍ .

(١٧٣) أَوْ يَقُولُوا : إِنَّهُمْ وَرِثُوا الشَّرْكَ عَنْ آبَائِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ وَإِنَّهُمْ
اِقْتَدَوْا بِهِمْ ، وَهُمْ جَاهِلُونَ بِطُلَانِ شِرْكِ آبَائِهِمْ ، فَلِمَاذَا يُهْلِكُهُمْ رَبُّهُمْ
بِمَا فَعَلَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَمَلِ الْبَاطِلِ مِنْ أَسْلَافِهِمْ ، فَهُمْ لَا ذَنْبَ
لَهُمْ ، وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِمْ .

(الآيَاتِ)

(١٧٤) - وَمِثْلُ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ الْمُسْتَبْعِ لِلْمَنَافِعِ الْجَلِيلَةِ ، تُفْصَلُ
لِلنَّاسِ الْآيَاتِ وَالذَّلَائِلُ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، لِيَسْتَعْمِلُوا عُقُولَهُمْ
فِي التَّبَصُّرِ فِيهَا ، وَالتَّنْذِيرِ فِي أَمْرِهَا ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ جَهْلِهِمْ ، وَعَنْ
تَقْلِيدِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ، وَيَهْتَدُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ .

(آيَاتِهِ) (آيَاتِنَا) (الشَّيْطَانِ)

(١٧٥) - وَأَفْصَحُ ، يَا مُحَمَّدُ ، عَلَى الْيَهُودِ قِصَّةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي
آتَيْنَاهُ حُجَجَ التَّوْحِيدِ ، وَأَفْهَمْنَاهُ أَدِلَّتَهُ حَتَّى صَارَ عَالِمًا بِهَا ، فَانْسَلَخَ مِنْهَا ،
وَتَرَكَهَا وَرَاءَهُ ظَهْرِيًّا ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا لِيَهْتَدِيَ بِهَا . وَبَعْدَ أَنْ انْسَلَخَ مِنْهَا
وَتَرَكَهَا وَرَاءَهُ بِاخْتِيَارِهِ ، لِحَقِّهِ الشَّيْطَانُ فَأَذْرَكَهُ وَتَمَكَّنَ مِنَ الْوَسْوسَةِ إِلَيْهِ إِذْ

وَأَذْأَخَذَرْتُكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ
ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا
بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا
غَافِلِينَ

أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ
قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ
أَفْنُهِدْ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ

وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ

وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ
آيَاتِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ
الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ

لَمْ يَتَّقْ لَدَيْهِ مِنْ نُورِ الْبَصِيرَةِ، وَلَا مِنْ أَمَارَاتِ الْهَدَايَةِ مَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَبُولِ وَسُوسَةِ الشَّيْطَانِ، فَصَارَ مِنَ الضَّالِّينَ.

(وَرَوَى أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ هِيَ قِصَّةُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ مُجَابَبَ الدَّعْوَةِ، لَا يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا أَرَادَ يَوْشَعَ بْنُ نُونٍ، الَّذِي تَسَلَّمَ أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى، أَنْ يُحَارِبَ الْجَبَّارِينَ مِنْ أَهْلِ فِلِسْطِينَ، أَنْسَلَخَ هَذَا الرَّجُلُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَرَاحَ إِلَى الْجَبَّارِينَ يُحَرِّضُهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ لِقِتَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنِّي أَدْعُو عَلَيْهِمْ فَأَهْلِكُهُمْ).

(لَرْفَعَتَاهُ) (هَوَاهُ) (بَيَاتِنَا)

(١٧٦) - وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَرْفَعَهُ بِتِلْكَ الْآيَاتِ وَالْعَمَلِ بِهَا إِلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ لَقَعَلْنَا، بِأَنْ نَخْلُقَ لَهُ الْهَدَايَةَ خَلْقًا، وَنُلْزِمَهُ الْعَمَلَ بِهَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، إِذْ لَا يُعْجِزُنَا ذَلِكَ، وَلَكِنَّ هَذَا الرَّفْعَ مُخَالَفٌ لِسُنَّتِنَا. لَقَدْ رَكَنَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى الدُّنْيَا، وَمَالَ إِلَيْهَا، وَجَعَلَ كُلَّ هَمِّهِ مِنْ حَيَاتِهِ التَّمَسُّعَ بِلَذَائِهَا الْمَادِّيَّةِ، فَأَقْبَلَ عَلَى لَذَائِهَا وَنَعِيمِهَا، وَغَرَّتْهُ كَمَا غَرَّتْ غَيْرُهُ مِنَ الْعُمِيِّ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ.

وَمَثَلُ هَذَا الرَّجُلِ مَثَلُ الْكَلْبِ فِي لَهَائِهِ، فَهُوَ فِي هَمِّ دَائِبٍ، وَشُغْلٍ شَاغِلٍ، فِي جَمْعٍ عَرَضِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا، وَهُوَ كَالْهَيْثِ مِنَ الْإِعْيَاءِ وَالتَّعَبِ، وَإِنْ كَانَ مَا يُعْنَى بِهِ حَقِيرًا لَا يُتَعَبُ وَلَا يُعْيِي، وَتَرَاهُ كُلَّمَا أَصَابَ سَعَةً مِنَ الرُّزْقِ فِي الدُّنْيَا، زَادَ طَمَعًا فِيهَا.

وَذَلِكَ الْمَثَلُ الْبَالِغُ الْحَدِّ فِي الْغَرَابَةِ هُوَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ جَحَدُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَاسْتَكْبَرُوا جَهْلًا بِهَا، وَتَقْلِيدًا لِلآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، فَهُمْ قَدْ ظَنُّوا أَنَّ إِيْمَانَهُمْ بِهَا، يَسْلُبُهُمُ الْعِزَّ وَالْجَاهَ، وَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنَ اللَّذَاتِ. فَاقْصُصْ يَا مُحَمَّدُ قِصَّةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ قَوْمِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، وَيَرَوْنَ الْآيَاتِ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ، لَا بِعَيْنِ الْهَوَى، فَيَصِلَ الْأَمْرُ بِهِمْ إِلَى الْإِيْمَانِ.

(بَيَاتِنَا)

(١٧٧) - قَبَحَتْ صِفَةً هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فِي الصِّفَاتِ، وَسَاءَ مَثَلُهُمْ فِي

﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخَبَّلَ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

﴿١٧٧﴾ سَاءَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ

الأمثال، بإعراضهم عن التفكير في الآيات، واستخلاص العبر منها للاقتداء بها وجعلها السبيل الموصلة إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

(فأولئك) (الخاصرون)

(١٧٨) - مَنْ يُوقِّفَهُ اللَّهُ لِسُلُوكِ سُبُلِ الْهِدَايَةِ بِاسْتِعْمَالِ عَقْلِهِ وَخَوَاسِهِ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ، بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ، وَإِرشَادِ الدِّينِ، فَهُوَ الْمُهْتَدِي الَّذِي شَكَرَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَادَّى حَقَّ رَبِّهِ عَلَيْهِ، وَمَنْ يَخْذَلُهُ وَيَحْرِمُهُ التَّوْفِيقَ فَيَتَّبِعِ الشَّيْطَانَ فِي عَدَمِ تَفْهَمِ آيَاتِهِ، وَفِي التَّقْصِيرِ فِي شُكْرِ رَبِّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، فَهُوَ الْكَفُورُ الَّذِي خَسِرَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(أَذَانٌ) (أُولَئِكَ) (كَالْأَنْعَامِ) (الْغَافِلُونَ)

(١٧٩) - لَقَدْ خَلَقْنَا كَثِيرًا مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِيَكُونُوا قُودًا لِحَبْنِهِمْ، لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَمَلِ أَهْلِهَا، وَلَا يَتَفَعَّلُونَ بِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِهِمُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ سَبِيلًا لِلْهِدَايَةِ، فَلَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ بِأَذَانِهِمْ، وَلَا يَفْقَهُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ، وَلَا يَرَوْنَ النُّورَ بِعُيُونِهِمْ، فَهُمْ كَالْبَهَائِمِ وَالْأَنْعَامِ السَّارِحَةِ، لَا تَتَفَعَّلُ بِحَوَاسِّهَا إِلَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَعَاشِهَا وَبَقَائِهَا، أَوْ هُمْ شَرٌّ مِنَ الدَّوَابِّ وَأَكْثَرُ ضَلَالًا، لِأَنَّ الدَّوَابَّ قَدْ تَسْتَجِيبُ لِإِرَاعِيهَا إِذَا أُنْسَتْ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَفْقَهُ كَلَامَهُ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ. وَلِأَنَّ الدَّوَابَّ تَفْعَلُ مَا خُلِقَتْ لَهُ، إِمَّا بِطَبْعِهَا وَإِمَّا بِتَسْخِيرِهَا. أَمَّا الْكَافِرُونَ فَإِنَّهُمْ خُلِقُوا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ وَيُوحِّدُوهُ، فَكَفَرُوا بِاللَّهِ، وَاشْرَكُوا بِهِ فَهُمْ الْغَافِلُونَ.

(أَسْمَائِهِ)

(١٨٠) - وَلِلَّهِ، دُونَ غَيْرِهِ، جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى أَحْسَنِ الْمَعَانِي، وَأَكْمَلِ الصِّفَاتِ، فَادْكُرُوهُ وَنَادُوهُ بِهَا، إِمَّا لِلثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَإِمَّا لِسُؤَالِهِ الْعَوْنِ وَالْمَغْفِرَةَ، وَمَا أَنْتُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ. وَادْعُوهُ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَاتْرَكُوا جَمِيعَ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ بِالْمِيلِ فِي أَلْفَاطِهَا، أَوْ مَعَانِيهَا عَنْ نَهْجِ الْحَقِّ، مِنْ تَحْرِيفٍ أَوْ تَأْوِيلٍ أَوْ شِرْكٍ أَوْ تَكْذِيبٍ، أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ، أَوْ مَا يَنْفِي وَصْفَهَا بِالْحُسْنَى، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُلْحِدِينَ سَيَجْزَوْنَ جَزَاءً وَفَاقًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَتَنْزِيلَ بِهِمُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَاجْتَنِبُوا الْخِتَادَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ لِكَيْلَا يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ.

(وفي الحديث: إِنَّ اللَّهَ تَسْعَةٌ وَتِسْعِينَ أَسْمَاءً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

(أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ)

﴿١٧٨﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي
وَمَنْ يَضِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ

﴿١٧٩﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا
يَبْصُرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْدَاءُ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

﴿١٨٠﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا
وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ

يَلْحُدُونَ - يَنْحَرِفُونَ وَيَمِيلُونَ إِلَى الْبَاطِلِ .

(١٨١) - وَمِنْ بَعْضِ الْأَمَمِ الَّتِي خَلَقْنَاهَا، جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ يَقُومُونَ بِالْحَقِّ قَوْلًا وَعَمَلًا، يَقُولُونَ الْحَقَّ، وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ بِالْحَقِّ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ وَيَقْضُونَ (يَعْدِلُونَ). (وَرُويَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَوْلُهُ: هَذِهِ أُمَّتِي، بِالْحَقِّ يَحْكُمُونَ وَيَقْضُونَ، وَيَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ). (أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ)

بِهِ يَعْدِلُونَ - بِالْحَقِّ يَحْكُمُونَ فِي الْخُصُومَاتِ .

(بَيِّنَاتِنَا)

(١٨٢) - أَمَّا الَّذِينَ كَذَّبُوا بَيِّنَاتِنَا، وَكَفَرُوا بِهَا، فَسَيَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابًا مِنْ وَجْهِ الرِّزْقِ وَالْمَعَاشِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَغْتَرَّوْا بِمَا هُمْ فِيهِ، وَيَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، حَتَّى يُفَاجِئَهُمْ بِأَسْ اللَّهِ، وَمَا قَضَاهُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ غَافِلُونَ، لَا يَشْعُرُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ.

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ - سَنَسْتَدْرِجُهُمْ إِلَى الْهَلَاكِ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِمْهَالِ .

(١٨٣) - وَسَيُطِيلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَعْمَارِهِمْ، وَسَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ لِيَزْدَادُوا اعْتِرَارًا وَطُغْيَانًا ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ أَخْذٌ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ، فَتَذِيرُهُ تَعَالَى لِلْأُمُورِ قَوِيٌّ شَدِيدٌ.

أُمْلِي لَهُمْ - أُمْلِي لَهُمْ فِي الْعُقُوبَةِ .

كَيْدِي مَبِينٌ - أَخْذِي شَدِيدٌ قَوِيٌّ .

(١٨٤) - لَقَدْ بَادَرَهُؤُلَاءِ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، إِلَى تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ وَرِسَالَتِهِ، وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي حَالِهِ مِنْ بَدْءِ نَشَأَتِهِ، وَفِي حَقِيقَةِ دَعْوَتِهِ، وَدَلَائِلِ رِسَالَتِهِ، وَآيَاتِ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ عَلَى إِعَادَةِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، كَمَا بَدَأَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، إِنَّهُمْ إِنْ تَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ أَذْرَكُوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ مُحَمَّدًا لَيْسَ مَجْنُونًا، وَإِنَّمَا هُوَ نَذِيرٌ نَاصِحٌ، وَمُبَلِّغٌ عَنْ رَبِّهِ. فَهُوَ يَنْذِرُهُمْ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ عَذَابٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِذَا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ.

جَنَّةٌ - جَنُونَ .

(السَّمَاوَاتِ)

(١٨٥) - أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَيَتَذَكَّرُوا ذَلِكَ، وَيَعْتَبِرُوا بِهِ، وَيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَتَخَلَّوْا عَنِ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْتَانِ؟ فَلْيَحْذَرُوا أَنْ تَكُونَ أَجْسَالُهُمْ قَدْ أَقْتَرَبَتْ

١٨١ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ
بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ

١٨٢ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بَيِّنَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ

١٨٣ وَأُمْلِي لَهُمْ إِن كَيْدِي مَبِينٌ

١٨٤ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ
جِنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مَّبِينٌ

١٨٥ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ
اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ
قَدْ أَقْرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ

فَيَهْلِكُوا وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَيَصِيرُوا إِلَى عَذَابِ الِيمِ . وَإِذَا لَمْ يَتَعْظُوا
بِمَا قَالَهُ مُحَمَّدٌ، وَبِمَا حَدَّثَهُمْ مِنْهُ، فَبِأَيِّ وَسِيلَةٍ مِنَ التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ
يُصَدِّقُونَ؟ وَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ يُؤْمِنُونَ، إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟
مَلَكَوت - الْمَلِكِ الْعَظِيمِ .

(طُغْيَانِهِمْ)

(١٨٦) - لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْقُرْآنَ أَكْثَبَ سَبَابِ الْهِدَايَةِ لِلْمُتَّقِينَ،
وَجَعَلَ الرُّسُولَ الْمُبَلِّغَ لَهُ أَقْوَى الرُّسُلِ بُرْهَانًا، وَأَكْرَمَهُمْ اخْتِلَافًا، فَمَنْ
فَقَدَ الْاسْتِعْدَادَ لِلِإِيمَانِ بِهَذَا الْكِتَابِ، وَهَذَا الرُّسُولِ، فَهُوَ الَّذِي أَضَلَّهُ
اللَّهُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَيَتْرُكُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ فِي
طُغْيَانِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي حَيْرَةٍ، وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا لِلْخُرُوجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ .
الطُّغْيَانُ - تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ .
الْعَمَّةُ - ظُلْمَةُ الْبَصِيرَةِ - أَوْ هُوَ التَّرَدُّدُ وَالْحَيْرَةُ .

(يَسْأَلُونَكَ) (مُرْسَاهَا) (السَّمَاوَاتِ)

(١٨٧) - كَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِهَا
هَذِهِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ اسْتِعْدَادًا لَوْفُوعِهَا، وَتَكْذِيبًا بِوُجُودِهَا، وَيَقُولُونَ: مَتَى
يَجِيئُ وَقْتُ رُسُومِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا (أَيَّانَ مُرْسَاهَا)؟ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَرُدَّ عَلِمَهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ يَقُولَ لَهُؤُلَاءِ السَّائِلِينَ عَنْهَا
إِنْ عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ أَمْرَهَا، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ وَقْتُهَا
إِلَّا هُوَ .

وَحِينَ يَجِيئُ وَقْتُهَا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَثْقُلُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا
يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا وَيُصِيبُهُ ضَرَرٌ مِنْهَا. وَلَا تَأْتِي السَّاعَةُ النَّاسَ إِلَّا
فَجْأَةً، وَعَلَى جَبِينِ غَرَّةٍ، وَدُونَ سَابِقِ إِنْذَارٍ. وَيَسْأَلُكَ هَؤُلَاءِ عَنِ السَّاعَةِ
كَأَنَّكَ حَرِيصٌ عَلَى الْعِلْمِ بِهَا، أَوْ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ مُبَالِغٌ فِي سُؤْلِكَ رَبَّكَ
عَنْهَا. فَقُلْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ وَحْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ .

حَفِيٌّ عَنِ الْأَمْرِ - بَلِيغٌ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ أَوْ عَالِمٌ بِهِ .
أَيَّانَ مُرْسَاهَا - مَتَى إِنْثَابُ وَقُوعِهَا .
لَا يُجَلِّيْهَا - لَا يَكْشِفُهَا وَيُظْهِرُهَا .
ثَقُلْتُ - عَظُمْتُ لِشِدَّتِهَا .

(١٨٨) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يُقَوِّضَ الْأُمُورَ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَأَنْ يُخْبِرَ

(١٨٦) مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ .
وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

(١٨٧) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيْهَا
لَوْفِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً
يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

(١٨٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ

النَّاسَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَا هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ، إِلَّا مَا أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ رَبُّهُ. وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَيَعْلَمُ مَتَى يَمُوتُ، لَاسْتَكْتَرَ مِنْ فِعْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَالْخَيْرَاتِ، وَلَتَزَوَّدَ لِلْآخِرَةِ؛ أَوْ لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا اشْتَرَى شَيْئًا رَجَحَ فِيهِ لَفَعَلَ ذَلِكَ. أَوْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاجْتَنَبَ الشَّرَّ وَالسُّوءَ وَاتَّقَاهُمَا. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: إِنَّهُ نَذِيرٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَبَشِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ، وَهَذِهِ هِيَ مَهْمَّتُهُ.

(وَاحِدَةٍ) (تَغَشَّاهَا) (لَيْلِن) (آتَيْنَا) (صَالِحًا) (الشَّاكِرِينَ)

(١٨٩) - يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَهُ إِلَى أَنَّ جَمِيعَ الْبَشَرِ مَخْلُوقُونَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (هِيَ آدَمُ)، وَأَنَّهُ خَلَقَ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ زَوْجَهَا (حَوَاءَ)، ثُمَّ أَنْشَرَ النَّاسَ مِنْهُمَا عَنْ طَرِيقِ التَّنَاسُلِ الْمَعْرُوفِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ جَعَلَ لِلنَّفْسِ زَوْجًا لَهَا مِنْ جَنْسِهَا لِيَتَأَلَّفَا، وَلِيَسْكُنَ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخِرِ، فَلَا أَلْفَةَ أَغْظَمَ مِمَّا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ. وَجِئْنَا وَقَعَ الذَّكَرُ الْأُنْثَى (تَغَشَّاهَا) عَلِقَتْ مِنْهُ. وَكَانَ الْحَمْلُ فِي أَوَّلِ عَهْدِهِ خَفِيفًا لَا تَكَادُ الْأُنْثَى تَشْعُرُ بِهِ. وَلَمَّا تَقَدَّمَ الْحَمْلُ بِهَا وَأَثْقَلَتْ، تَوَجَّهَ الزَّوْجَانِ إِلَى اللَّهِ رَبِّهِمَا بِالدُّعَاءِ، بِأَنْ يَرْزُقَهُمَا وَلَدًا صَالِحًا (أَيُّ نَامَ الْخَلْقِ)، يَصْلُحُ لِلْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ الَّتِي يَعْمَلُهَا الْبَشَرُ، وَأَقْسَمَا عَلَى مَا وَطَّنَا نَفْسَيْهِمَا عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى أَنْعَمِهِ.

تَغَشَّاهَا - وَاقَعَهَا.

فَمَرَّتْ بِهِ - فَاسْتَمَرَّتْ بِهِ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ.

أَثْقَلَتْ - صَارَتْ ذَاتَ ثِقَلٍ بِكِبَرِ الْحَمْلِ.

صَالِحًا - سَوِيًّا فِي خَلْقِهِ.

(آتَاهُمَا) (صَالِحًا) (فَتَعَالَى)

(١٩٠) - فَلَمَّا رَزَقَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَدًا سَلِيمًا سَوِيًّا، نَسِيًا دَعَوْتُهُمَا لِلَّهِ، وَجَعَلَا الْأَصْنَامَ شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي عَطِيَّتِهِ لَهُمَا، وَتَقَرَّبَا إِلَيْهَا شَاكِرِينَ. فَتَعَالَى اللَّهُ وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ شَرِكَةٍ فِي الْمُلْكِ. (وَيَرَى الْحَسَنَ الْبَصِيرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالسِّيَاقِ لَيْسَ آدَمُ وَحَوَاءَ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا).

(١٩١) - يَسْتَكْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَلِ الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ أَنْدَادًا وَأَصْنَامًا مَعَ اللَّهِ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مَرْبُوبَةٌ، لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا، وَلَا لِمَنْ يَعْبُدُونَهَا، نَفْعًا، وَلَا ضَرًّا، يَصْنَعُهَا عَابِدُوهَا وَيَخْلُقُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، وَلَا تَسْتَطِيعُ هِيَ خَلْقَ

الْغَيْبَ لَا سَتَكْتَرْتُ مِنَ
الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ



هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا
زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا
فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ
رَبَّهُمَا لِئَن يَاتِيَنَا صَالِحًا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ

شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى
اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا

وَهُمْ يُخْلِقُونَ

شَيْءٍ لِذَلِكَ كَانَ يَنْبَغِي عَلَى ذَوِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ أَنْ لَا يَجْعَلُوا
الْمَخْلُوقَ الْعَاجِزَ شَرِيكًا لِلَّهِ الْخَالِقِ الْقَادِرِ الْقَاهِرِ.

(١٩٢) - وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ الْمَعْبُودَةُ وَأَمْثَالُهَا، لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَ مَنْ
يَعْبُدُونَهَا، كَمَا لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَ نَفْسِهَا إِذَا آغْتَدَى عَلَيْهَا أَحَدٌ، أَوْ أَخَذَ
مِنْهَا شَيْئًا.

(صَامِتُونَ)

(١٩٣) - وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا تَسْمَعُ دُعَاءَ مَنْ دَعَاها وَلَا تَهْتَمُّ، وَلَا تَعْمَلُ
مَا يُقَالُ لَهَا، وَسَوَاءٌ لَدَيْهَا مَنْ دَعَاها وَمَنْ دَخَاها - كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ،
عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

(صَادِقِينَ)

(١٩٤) - يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِهِ: إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي يَعْبُدُهَا
الْمُشْرِكُونَ، وَيَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، هِيَ حِجَارَةٌ وَمَخْلُوقَاتٌ مِثْلُهُمْ، لَا
تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا. وَيَقُولُ تَعَالَى لِعِبَادِي هَذِهِ الْأَصْنَامُ:
إِنَّهُمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهَا قَادِرَةٌ عَلَى مَا يَعْجُزُونَ هُمْ عَنْهُ
بِقُوَّاهُمُ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ نَفْعٍ وَضَرٍّ، فَلْيَدْعُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ لِتَسْتَجِيبَ لَهُمْ، إِمَّا
بِنَفْسِهَا، أَوْ بِحَمْلِهَا الرَّبُّ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عَلَى إِعْطَائِهِمْ مَا يَطْلُبُونَ هُمْ
مِنْهَا. وَبِمَا أَنَّهَا لَنْ تَسْتَجِيبَ لِمَنْ يَدْعُوهَا، لِأَنَّهَا حِجَارَةٌ وَجَمَادَاتٌ،
وَمَخْلُوقَاتٌ عَاجِزَةٌ، لِذَلِكَ يَكُونُ مَنْ يَعْبُدُونَهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

(أَذَانٌ)

(١٩٥) - وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ لَيْسَ لَهَا أَرْجُلٌ تَمْشِي عَلَيْهَا، وَلَا أَيْدٍ تَضْرِبُ بِهَا
وَتَبْطِشُ، وَلَا عُيُونٌ بِهَا تَبْصُرُ، وَلَا أَذَانٌ بِهَا تَسْمَعُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهَا لَا
يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهَا أَثَرٌ فِي ضَرٍّ أَوْ نَفْعٍ. وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: ادْعُوا
أَرْبَابَكُمْ هَؤُلَاءِ، وَحَافِلُوا أَنْتُمْ وَإِيَّاهُمْ الْكَيْدَ لِي، وَلَا تَقْصُرُوا فِي ذَلِكَ،
فَإِنَّ هَذَا الْكَيْدَ لَنْ يَضُرَّ بِي شَيْئًا.
فَلَا تَنْظُرُونَ - فَلَا تَهْمَلُونِي سَاعَةً.

(الْكِتَابُ) (الصَّالِحِينَ) (وَلِيِّي)

(١٩٦) - إِنَّ اللَّهَ حَسْبِي، وَهُوَ مُتَوَلَّى أَمْرِي وَنَاصِرِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
وَهُوَ يَتَوَلَّى نَصْرَ كُلِّ صَالِحٍ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ
عَلَيَّ (الْكِتَابُ).

وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا
أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ

وَأِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا
يَسْتَعِزُّوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ
أَمْ أَنْتُمْ صَاحِتُونَ

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ
فَلَيْسَتْ جِبُوتُ الْكُفَرَانِ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ
يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ
ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ

إِنْ وَلِيَ اللَّهُ أَلَدِي نَزَلَ الْكِتَابُ
وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ

(١٩٧) - وَالْأَصْنَامُ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَكُمْ إِذَا سَأَلْتُمُوهَا النَّصْرَ وَالنَّجْدَةَ، وَلَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَ نَفْسِهَا إِذَا أَعْتَدَى عَلَيْهَا أَحَدٌ.

(تَرَاهُمْ)

(١٩٨) - وَإِنْ تَدْعُوا الْأَصْنَامَ، الَّتِي يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ، إِلَى أَنْ يَهْذُوكُمْ إِلَى مَا تَحْصُلُونَ بِهِ مَقَاصِدَكُمْ وَتَنْتَصِرُونَ بِهِ، لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ، لَأَنَّهُمْ جِجَارَةٌ لَهُمْ عْيُونَ تَنْظُرُ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مَدِّ يَدِ الْعَوْنِ لِأَحَدٍ.

(وَهَذَا الْقَوْلُ يَنْطَبِقُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَيْضًا. وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِمْ هُنَا الْمُشْرِكُونَ).

(الْجَاهِلِينَ)

(١٩٩) - أَعْرِضْ أَتَيْهَا النَّبِيُّ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَسِرَّ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ، وَخَذِ النَّاسَ بِمَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ، وَأَمُرْهُمْ بِكُلِّ أَمْرٍ مُسْتَحْسِنٍ تَعْرِفُهُ الْعُقُولُ، وَتُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُخَيِّرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا.

(وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ جَبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْمَقْصُودِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ جَبْرِيلُ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ بِأَنْ تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ) (رَوَاهُ أَبُو جَرِيرٍ وَأَبْنُ أَبِي حَاتِمٍ). وَقِيلَ إِنَّ حُسْنَ الْمَعَامَلَةِ يَكْفِي الْعَاصِيَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّمَرُّدِ. الْعَفْوُ - هُوَ السَّهْلُ الَّذِي لَا كُلْفَةَ فِيهِ.

خُذِ الْعَفْوَ - خُذْ مَا عَفَا وَصَفَا مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ. وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ - الْمَعْرُوفُ حُسْنُهُ فِي الشَّرْعِ.

(الشَّيْطَانِ)

(٢٠٠) - فَإِذَا مَا اسْتَنَارَ الشَّيْطَانُ غَضَبَكَ لِيُضِدَّكَ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَيَحْمِلَكَ عَلَى مُجَارَاتِهِمْ وَمُجَارَاتِهِمْ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَاسْتَجِرْ بِهِ مِنْ نَزْعِ الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ لِحُجَلِ الْجَاهِلِينَ عَلَيْكَ، عَلِيمٌ بِمَا يُذْهِبُ عَنْكَ نَزْعَ الشَّيْطَانِ.

النَّزْعُ - كَالنَّخْسِ وَهُوَ إِصَابَةُ الْجَسَدِ بِرَأْسٍ مُحَدَّدٍ كَالْإِبْرَةِ وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ.

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَكْنَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

وَمَا يَنْزِعُ عَنْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

يَنْزَعَنَّكَ - يُصَيِّنُكَ أَوْ يَصْرِفُكَ .

(طَائِفٌ) (الشَّيْطَانُ)

(٢٠١) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ الْمُتَّقِينَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا أَلَمَ بِهِمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ بَوَسْوَسَتِهِ إِلَيْهِمْ لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، أَوْ لِيُوقِعَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ . . . تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ عَدُوِّهِمْ وَتَذَكَّرُوا أَنَّ رَبَّهُمْ قَدْ حَذَّرَهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ وَنَزَّغَهُ، وَوَسْوَسَتِهِ، فَتَابُوا وَأَنَابُوا وَاسْتَعَاذُوا بِاللَّهِ، وَرَجَعُوا إِلَيْهِ، فَإِذَا هُمْ قَدْ اسْتَقَامُوا وَصَحُّوا (مُبْصِرُونَ) .

مَسَّهُمْ طَائِفٌ - أَلَمَ بِهِمْ وَسْوَسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ .

(وَإِخْوَانُهُمْ)

(٢٠٢) - وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْكُفَّارِ، وَهُمْ الْجَاهِلُونَ الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ اللَّهَ، تَتَمَكَّنُ الشَّيَاطِينُ مِنْ إِغْوَائِهِمْ فَيَمْدُونَهُمْ فِي غِيْهِمْ وَفَسَادِهِمْ، وَيَزِيدُونَهُمْ ضَلَالًا، وَلَا يَكْفُونَ عَنْ ذَلِكَ وَلَا يَقْصِرُونَ فِيهِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِذَا شَعَرُوا بِالتَّزْوِغِ إِلَى الشَّرِّ وَلَا يَسْتَعِيزُونَ بِاللَّهِ مِنْ نَزْعِ الشَّيْطَانِ وَمَسِّهِ .

يَمْدُونَهُمْ فِي الْغِيِّ - تُعَاوَنُهُمُ الشَّيَاطِينُ فِي الضَّلَالِ .
لَا يَقْصِرُونَ - لَا يَكْفُونَ عَنْ إِغْوَائِهِمْ .

(بَيَّاتٍ) (بَصَائِرُ)

(٢٠٣) - قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَا تُجْهَدُ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ الْآيَاتِ مِنَ اللَّهِ حَتَّى تَرَاهَا وَتُؤْمِنَ بِهَا؟ (وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيَّاتَةٌ قَرَأْنِيَّةٌ بِأَنْ تَرَاحَى الْوَحْيِ عَلَيْكَ زَمَنًا مَا، قَالُوا: لَوْلَا اخْتَلَفَتْهَا، وَافْتَعَلْتَ نَظْمَهَا وَتَأْلِيفَهَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِكَ؟) .

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهِ ﷺ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: إِنِّي لَا أَتَقَدَّمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي طَلَبِ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي، فَامْتَثِلْ إِلَى مَا يُوجِبُهُ إِلَيَّ، فَإِنَّ أَنْزَلَ آيَةً أَبْلَغْتُهَا كَمَا أَمَرَ، وَإِنْ مَنَعَهَا لَمْ أَسْأَلْهُ أَتَبَدَّأُ عَنْهَا. إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لِي بِذَلِكَ. ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ أَعْظَمُ الْمُعْجَزَاتِ، وَأَبْنَى الدَّلَالَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ .

الاجْتِبَاءُ - هُوَ الْإِخْتِرَاعُ وَالْإِخْتِلَاقُ .

هَذَا بَصَائِرُ - هَذَا الْقُرْآنُ حُجَجٌ بَيِّنَةٌ وَبَرَاهِينُ نَبِيَّةٌ .

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ

طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ

وَإِخْوَانُهُمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْغِيِّ

ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيَّاتَةٌ قَالُوا لَوْلَا

اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ

إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ

رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ

(الْقُرْآنُ)

(٢٠٤) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْقُرْآنَ بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ، أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِنصَاتِ إِلَيْهِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِلانْتِفَاعِ بِهِدَاهُ، وَإِعْظَاماً لَهُ وَاحْتِرَاماً. فَإِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فِي صَلَاةِ الْجَهْرِ فَالْمُؤْتَمِنُونَ بِهِ يَنْصِتُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ مَعَهُ.

(الْغَافِلِينَ) (الْأَصَالِ)

(٢٠٥) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِذِكْرِهِ كَثِيراً فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَفِي آخِرِهِ، كَمَا أَمَرَ عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ، (وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفَرَّضَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ). وَيَأْمُرُ اللَّهُ بِأَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ فِي النَّفْسِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، وَبِالْقَوْلِ خُفْيَةً وَسِرّاً، لَا جَهْراً، وَلِذَلِكَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ خَفِياً لَا بَدَاءً وَلَا جَهْراً بَلِيغاً، وَبِأَنْ لَا يَكُونَ الْإِنْسَانُ غَافِلاً عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَأَنْ يَسْتَشْعِرَ قَلْبُهُ الْخُضُوعَ لَهُ، وَالْخَوْفَ مِنْ قُدْرَتِهِ. تَضَرُّعاً - مُظْهِراً الضَّرَاعَةَ وَالذَّلَّةَ. خُفْيَةً - خَائِفاً مِنْ عِقَابِهِ.

(٢٠٦) - يُعَلِّمُ اللَّهُ عِبَادَهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْكَرَامَ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لَا يَفْتُرُونَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْاِقْتِدَاءُ بِهِمْ.

﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

﴿٢٠٥﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ



﴿٢٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ

(٨) سُورَةُ الْأَنْفَالِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا خَمْسٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَسْأَلُونَكَ)

(١) - الْأَنْفَالُ هِيَ الْمَغَانِمُ الَّتِي يَغْنَمُهَا الْمُقَاتِلُونَ فِي الْحَرْبِ. وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي بَدْرِ حِينَ اتَّخَلَفَ الْمُسْلِمُونَ، بَعْدَ نَصْرِهِمْ عَلَى قُرَيْشٍ، حَوْلَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي تُقَسَّمُ بِمَوْجِبِهَا الْغَنَائِمُ، كُلُّ مِنْهُمْ يَدْعِي الْفَضْلَ فِي نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَزِيمَةَ أَعْدَائِهِمْ، فَأَنْتَزَعَهَا اللَّهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَجَعَلَهَا إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ، لِيُقَسِّمَهَا الرَّسُولُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: يَسْأَلُكَ الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْأَنْفَالِ. قُلْ: هِيَ لِلَّهِ يَحْكُمُ فِيهَا بِحُكْمِهِ، وَلِلرَّسُولِ يَقْسِمُهَا وَفَقًا لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أُمُورِكُمْ، وَاجْتَنِبُوا مَا كُتِّبَ فِيهِ مِنَ الْخِلَافِ حَوْلَ قِسْمَتِهَا، وَأَصْلَحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَلَا تَخْتَصِمُوا وَلَا تَتَّظَالُمُوا، وَلَا تَتَشَاتَمُوا، وَلَا يُعْغِبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَمَا آتَاكُمْ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى خَيْرٌ مِمَّا تَخْتَصِمُونَ فِيهِ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي قِسْمَتِهَا، فَإِنَّ الرَّسُولَ إِنَّمَا يَقْسِمُهَا وَفَقًا لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، مِنْ عَدْلِ وَإِنْصَافٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، ذَوُو الْإِيمَانِ الْكَامِلِ، هُمُ الَّذِينَ يُطِيعُونَ اللَّهَ فِيمَا حَكَمَ، وَيُطِيعُونَ رَسُولَهُ فِيمَا قَسَمَ.

الْأَنْفَالُ - غَنَائِمُ الْحَرْبِ.

لِلَّهِ وَالرَّسُولِ - مُفَوَّضٌ إِلَيْهِمَا أَمْرُهَا.

ذَاتَ بَيْنِكُمْ - أَحْوَالُكُمْ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا اتِّصَالُكُمْ.

(آيَاتُهُ) (إِيمَانًا)

(٢) - يُعْرِفُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ: الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ فَرَعَتْ قُلُوبُهُمْ وَخَافَتْ (وَجَلَّتْ)، وَعَمِلَتْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَتَرَكَتْ مَا نَهَى عَنْهُ. فَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُؤْمَرُوا بِمَعْصِيَةٍ أَوْ يُظْلَمُوا، وَقِيلَ لَهُمْ: اتَّقُوا اللَّهَ، آرْتَدَعُوا عَمَّا هُمُؤَابِهِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ. وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ رَسَخَ



سُورَةُ
الْأَنْفَالِ
١٨

١٨

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ
قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ
بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

٢١

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ
عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ وَزَادَ فِيهِ، وَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ، لَا يَرْجُونَ سِوَاهُ، وَلَا يَلُودُونَ إِلَّا بِجَنَابِهِ، وَلَا يَسْأَلُونَ غَيْرَهُ.
وَجِلَّتْ - فَرَعَتْ وَرَقَّتْ اسْتِعْظَامًا وَهَيْبَةً.
يَتَوَكَّلُونَ - يَعْتَمِدُونَ عَلَى اللَّهِ وَإِلَيْهِ يُفَوِّضُونَ أُمُورَهُمْ.

(الصَّلَاةُ) (رَزَقْنَاهُمْ)

(٣) - وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ تَعَالَى إِيْمَانَ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتِقَادَهُمْ، أَشَارَ هُنَا إِلَى أَعْمَالِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ حَقَّ أَدَائِهَا، بِخُشُوعٍ وَحُضُورِ قُلُوبٍ، وَيَتَّقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ جِهَادٍ، وَزَكَاةٍ، وَصَدَقَاتٍ، وَيَفْعَلُونَ الْخَيْرَاتِ كُلَّهَا.

(أُولَئِكَ) (دَرَجَاتُ)

(٤) - وَالْمُتَّقُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقَّ الْإِيْمَانِ، لَهُمْ دَرَجَاتٌ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالزَّلْفَى عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَهُمْ مَنَازِلٌ وَمَقَامَاتٌ فِي الْجَنَّاتِ، وَيَغْفِرُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيَشْكُرُ لَهُمْ حَسَنَاتِهِمْ، وَيَرْزُقُهُمْ رِزْقًا طَيِّبًا وَافِرًا كَرِيمًا.

(لَكَارِهُونَ)

(٥) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّكُمْ كَمَا اخْتَلَفْتُمْ حَوْلَ قِسْمَةِ الْمَنَافِمِ، فَأَخَذَهَا اللَّهُ مِنْكُمْ، وَجَعَلَهَا لِرَسُولِهِ، يَقْسِمُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَتْ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةُ الْمُسْلِمِينَ، كَذَلِكَ كَرِهْتُمْ الْخُرُوجَ إِلَى الْأَعْدَاءِ، وَفَضَلْتُمْ الْإِتِّجَاهَ نَحْوَ عِيرِ قُرَيْشٍ، لِتَفُوزُوا بِالْمَغْنَمِ، دُونَ التَّعَرُّضِ إِلَى مَخَاطِرِ الْحَرْبِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ لِقَاءَكُمْ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ، وَعَلَى غَيْرِ أَنْتِظَارٍ، فَأَخْرَجَكُمْ رَبُّكُمْ إِلَيْهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَارِهُونَ لِلْحَرْبِ، وَنَصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

(يُجَادِلُونَكَ)

(٦) - خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَدْرِ لِيُعْتَرِضَ سَبِيلَ قَافِلَةِ لِقْرِيشٍ قَادِمَةٍ مِنَ الشَّامِ إِلَى مَكَّةَ، وَعَلِمَ أَبُو سُفْيَانَ - وَكَانَ عَلَى رَأْسِ الْقَافِلَةِ - بِخُرُوجِ الْمُسْلِمِينَ فَأَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ خَبِيرًا لِيُخْرِجُوا لِمَنْعِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَسْتِيلَاءِ عَلَى الْقَافِلَةِ. وَعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِخُرُوجِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يُفَضِّلُونَ الْعِيرَ، وَيَكْرَهُونَ الْقِتَالَ، وَيُرِيدُونَ الْمَغْنَمَ السَّهْلَ. وَقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ لَوْ قَالَ لَهُمْ إِنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ حَرْبًا لَاسْتَعَدُّوا لَهَا. وَأَخَذُوا يُجَادِلُونَ النَّبِيَّ فِي أَمْرِ الْقِتَالِ، مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ وَعْدَهُ النَّصْرَ، وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ حَقًّا،

٢ أُولَئِكَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

١ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ

دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

٥ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ

بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
لَكَارِهُونَ

٦ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ

كَأَنَّمَا يُسَافِقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ

فَهُمْ فِي ذَهَابِهِمْ إِلَى الْقِتَالِ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ.

(الطَّائِفَتَيْنِ) (بِكَلِمَاتِهِ) (الْكَافِرِينَ)

(٧) - خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى بَدْرٍ وَهُمْ فِي حَوَالِي أَلْفِ رَجُلٍ، وَانْحَرَفَ أَبُو سُفْيَانٌ بِالْقَافِلَةِ إِلَى طَرِيقِ الْبَحْرِ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى وَصَلُوا بَدْرًا، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِوُجُودِ قُرَيْشٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ. وَلَمَّا عَلِمَ الرَّسُولُ ﷺ بِوُجُودِ قُرَيْشٍ قَرِيبًا مِنْهُمْ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ، وَكَانُوا حَوَالِي ٣١٧ رَجُلًا، فِيمَا يَفْعَلُ. وَكَانَ يُرِيدُ مَعْرِفَةَ رَأْيِ الْأَنْصَارِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا الْكَثْرَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَكَلَّمَ الْمُهَاجِرُونَ يُفَوِّضُونَ الْأَمْرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَالْأَنْصَارُ سَاكِتُونَ، فَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُكَرِّرُ طَلَبَ الْمَشُورَةِ، يَقُولُ: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ. وَفَظَنَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَهُوَ سَيِّدُ الْأَوْسِ -، إِلَى أَنَّ الرَّسُولَ إِنَّمَا يُرِيدُ مَعْرِفَةَ رَأْيِ الْأَنْصَارِ وَمَوْقِفِهِمْ، فَقَالَ قَوْلًا كَرِيمًا، وَقَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأكَدَّ لَهُ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَخَلَّفُوا بِنَفْسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ.

وَوَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنَّهُ سَيُظْفِرُهُ بِأَحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، فَإِذَا أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا أَنْ يَمَكِّنَهُ مِنَ الْاِسْتِيلَاءِ عَلَى الْقَافِلَةِ وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَأَكْثَرُهُمْ فُقَرَاءٌ - يُرِيدُونَ الْعِيرَ، لِأَنَّهَا تُصْلِحُ حَالَهُمْ مِنْ دُونِ تَعَرُّضٍ إِلَى مَخَاطِرِ الْحَرْبِ.

وَبَيْنَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَشَاوَرُونَ أَقْتَرَبَتْ قُرَيْشٌ كَثِيرًا مِنْ مَوَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ، وَدُونِ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِمَكَانِ الْآخَرِ، فَلَمْ يَتْرِكْ اللَّهُ خِيَارًا لِأَحَدٍ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، فَكَانَتْ الْحَرْبُ. وَكَانَ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَبِذَلِكَ ثَبَّتَ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ، وَسَحَقَ قُوَّةَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَضَى عَلَى رُؤُوسِ الْكُفْرِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَأَذَلَّ الشُّرْكَ وَأَهْلَهُ، وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ.

الطَّائِفَتَيْنِ - الْعِيرِ وَالْقَافِلَةِ أَوْ النَّفِيرِ.

ذَاتِ الشُّوْكَةِ - ذَاتِ السَّلَاحِ وَالْقُوَّةِ وَهِيَ النَّفِيرُ.

ذَابِرُ الْكَافِرِينَ - آخِرُهُمْ، وَمَتَى قُطِعَ الذَّابِرُ قُطِعَ الْأَوَّلُ وَهَلَكَ.

(الْبَاطِلُ)

(٨) - وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِمَا وَعَدَهُمْ، وَإِرَادَ أَنْ يَلْتَقِيَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْقُوَّةِ الْحَرْبِيَّةِ لِقُرَيْشٍ لِيَكْسِرَ شُوكَةَ الشُّرْكِ، وَيُثَبِّتَ الْإِسْلَامَ،

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ
أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتُؤَدُّونَ أَنْ غَيْرَ
ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ
بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ ذَابِرَ الْكَافِرِينَ

لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ

وَيَرْفَعُ رَأْيَهُ (يُحَقِّقُ الْحَقَّ)، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ الْمُعْتَدُونَ، وَلَا يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ بِالْأَسْتِيْلَاءِ عَلَى الْعِمْرِ، وَإِنَّمَا بِالْقَضَاءِ عَلَى رُؤُوسِ الشُّرَكَ وَقَادِيهِ.

(الْمَلَائِكَةُ)

(٩) - جِنْمَا أَلْتَقَتِ الْفِتْنَانِ، الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ، وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ كَثِيرِي الْعَدَدِ، فَاسْتَعَاثَ الرَّسُولُ بِرَبِّهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْنِي وَعِدَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ. وَفِيهَا يُعْلَمُ أَنَّ تَعَالَى رَسُولَهُ أَنَّهُ اسْتَجَابَ لِدَعَائِهِ وَدُعَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُ سَيَمُدُّهُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ يَأْتُونَهُمْ مَدَدًا يُرِدْفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أَيَّ يَأْتِي بَعْضُهُمْ بِإِثْرِ بَعْضٍ. مُرْدِفِينَ - يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

(وَلِتَطْمَئِنَّ)

(١٠) - وَيَذْكُرُ تَعَالَى: أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ إِسْرَالَ الْمَلَائِكَةِ لِإِمْدَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي بَدْرِ إِلَّا بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ، وَتَطْمَئِنَّا لِقُلُوبِهِمْ، بِأَنَّهُمْ سَيَنْصَرُونَ، وَتَثْبِتًا لِأَقْدَامِهِمْ أَثْنَاءَ الْقِتَالِ، لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى نَصْرِهِمْ بِدُونِ ذَلِكَ، لِأَنَّ النُّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الْعَزِيزُ الْجَانِبُ، الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ.

(الشَّيْطَانُ)

(١١) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْقَائِهِ النَّعَاسَ عَلَيْهِمْ لِيُؤْمِنَهُمْ بِهِ مِنَ الْخَوْفِ الَّذِي أَغْتَرَاهُمْ مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، كَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ فَمَلَأَ الْمُسْلِمُونَ أَوْعِيَتَهُمْ، وَشَرِبُوا وَتَطَهَّرُوا، فَأَرْتَا حَتَّى نَفُوسُهُمْ، وَكَانَ بَيْنَ مَوَاقِعِهِمْ وَمَوَاقِعِ الْمُشْرِكِينَ أَرْضٌ رَمْلِيَّةٌ، فَلَمَّا نَزَلَ الْمَطَرُ ثَبَتَ رَمْلُهَا تَحْتَ الْأَقْدَامِ، فَكَانَ ذَلِكَ عَوْنًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْمَعْرَكَةِ. يُغَشِّيْكُمْ النَّعَاسَ - يَجْعَلُهُ غَاشِيًا عَلَيْكُمْ كَالْغِطَاءِ. أَمْنَةً مِنْهُ - أَمْنًا مِنَ اللَّهِ وَتَقْوِيَةً لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ. رَجَزَ الشَّيْطَانِ - وَسَوَّسَتْهُ وَتَخَوَّفَهُ إِيَّاكُمْ. لِيَرْبِطَ - لِيَشُدَّ وَيَقْوِيَ بِالْيَقِينِ وَالصَّبْرِ.

(الْمَلَائِكَةُ) (آمَنُوا)

(١٢) - وَهَذِهِ نِعْمَةٌ خَفِيَّةٌ أَظْهَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ لِيَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا، فَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ لِنَصْرِ الْمُسْلِمِينَ، بِأَنَّهُ

١ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَيْ مُدِّدْكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ

١٠ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

١١ إِذْ يُغَشِّيْكُمْ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ

١٢ إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيْ مَعَكُمْ فَاتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

يُثْبِتُوا الْمُسْلِمِينَ وَيُقُوُوا قُلُوبَهُمْ، فَيُلْهِمُوهُمْ تَذَكُّرَ وَعْدِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ
بِالنُّصْرَةِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى سَيَجْعَلُ الرُّعْبَ
يَسْتَوْلِي عَلَى قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ فَيُصِيبُهُمُ الْفَزَعُ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِأَنْ يَضْرِبُوا رِقَابَ الْمُشْرِكِينَ وَيَقْطَعُوهَا، وَبِأَنْ
يَقْطَعُوا الْأَيْدِي ذَاتِ الْبَنَانِ الَّتِي هِيَ أَدَاةُ الضَّرْبِ فِي الْحَرْبِ.

(وَقِيلَ إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، هُوَ أَمْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ لَا
لِلْمَلَائِكَةِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ مِنَ السَّيَاقِ).

أَنِّي مَعَكُمْ - أَنِّي مُعِينُكُمْ عَلَى تَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ.
الرُّعْبَ - الْخَوْفَ وَالْفَزَعُ.

كُلُّ بَنَانٍ - كُلُّ الْأَطْرَافِ أَيْ كُلُّ مِفْصَلٍ.

(١٣) - وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْكَافِرِينَ شَاقُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُمَا، وَابْتَعَدُوا عَنْهُمَا، وَتَرَكَوا شَرَعَ اللَّهِ. وَمَنْ
يُخَالِفُ شَرَعَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَالِبُ لِمَنْ خَالَفَهُ، وَلَا أَحَدَ أَجْدَرُ بِالْعِقَابِ
مِمَّنْ يُخَالِفُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.
شَاقُوا اللَّهَ - خَالَفُوا وَعَصَوْا وَعَادُوا.

(لِلْكَافِرِينَ)

(١٤) - إِنَّ هَذَا الْعِقَابَ نَزَلَ بِكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْمُشَاقُّونَ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ: مِنْ أَنْكِسَارٍ وَذَلَّةٍ وَخِزْيٍ... إِنَّمَا هُوَ عِقَابُ الدُّنْيَا الَّذِي عَجَّلَهُ
اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ فِي الْأَجْرَةِ عَذَابَ النَّارِ، إِنَّ أَصْرَ رُثْمٍ
عَلَى كُفْرِكُمْ، وَهُوَ أَشَدُّ وَأَذَى مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(١٥) - يَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّبَاتِ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَبِمُوْاجَهَةِ
الْكَافِرِينَ بِقُلُوبِ مُؤْمِنَةٍ، وَيَحْتَنُمُ عَلَى عَدَمِ الْفِرَارِ وَتَوَلِّيَةِ الظُّهُورِ
لِلْأَعْدَاءِ، وَإِنْ كَانَ الْكَافِرُونَ أَكْثَرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَدَدًا، لِأَنَّ الْفِرَارَ يُحْدِثُ
الْوَهْنَ فِي الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُقَاتِلِ.
رُحْفًا - جَيْشًا رَاحِفًا نَحْوَكُمْ.

(يَوْمئِذٍ) (مَأْوَاهُ)

(١٦) - وَلَكِنَّهُ تَعَالَى سَمَحَ لِلْمُقَاتِلِ بِحُرِّيَّةِ الْحَرَكَةِ أَثْنَاءَ الْمَعْرَكَةِ، كَانَ
يَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ فِي الْمَعْرَكَةِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، لِنُصْرَةِ فَرِيقٍ مِنْ

كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ
كُلَّ بَنَانٍ

﴿١٣﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ شَاقُّوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَكَانَ اللَّهُ
شَدِيدَ الْعِقَابِ

﴿١٤﴾ ذَلِكَ كُفْرُكُمْ فَذُوقُوا وَآتِ
لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ

﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ
الَّذِينَ كَفَرُوا رَاحِفًا فَلَا تُؤَلُّوهُمْ
الْأَذْبَارَ

﴿١٦﴾ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا
مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا
إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ

الْمُسْلِمِينَ، أَوْ لِسَدِّ ثَغْرَةٍ نَفَذَ مِنْهَا الْعَدُوَّ، فَالْمُهْمُ هُوَ أَنْ يَكُونَ هَدَفُ الْمُقَاتِلِ الْمُسْلِمِ النَّصْرَ أَوْ الشَّهَادَةَ، وَإِطَاعَةَ أَمْرِ الْقِيَادَةِ. أَمَّا الَّذِينَ يَتْرَكُونَ الْمَعْرَكَةَ فِرَارًا وَهَرَبًا مِنَ الْمَوْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَوَعَّدُهُمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(وَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ مِنَ الْكَبَابِرِ) (أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ) مُتَحَرِّفًا - مُظْهِرًا الْفِرَارَ خُذْعَةً ثُمَّ يَكُرُّ. مُتَحِيرًا إِلَى فِتْنَةٍ - مُنْضَمًّا إِلَى فِتْنَةٍ لِقَابِلِ الْعَدُوِّ مَعَهَا. بَاءً بِغَضَبٍ - رَجَعَ مُتَلَبِّسًا بِهِ، مُسْتَحِقًّا لَهُ.

(١٧) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ أَنَّهُ خَالِقُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَأَنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى جَمِيعِ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ. وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْتُلُوا الْكُفَّارَ يَوْمَ بَدْرٍ بِحَوْلِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَظْفَرَكُمْ بِهِمْ، وَأَظْهَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُمْ بِأَيْدِيكُمْ. وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَبْلَ بَدْءِ الْمَعْرَكَةِ قَدْ أَخَذَ حَقَنَةً مِنْ تَرَابٍ فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي عَيْنَيْهِ أَوْ فِي حَلْقِهِ أَوْ فِي مَنْخَرِهِ. . فَكَانَتْ مِمَّا سَاعَدَ عَلَى إِلْقَاءِ الدُّغْرِ فِي نَفُوسِ قُرَيْشٍ وَخِذْلَانِهِمْ. وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، فَالرَّمِيَةُ لَمْ تَكُنْ لَتَبْلُغَ قُرَيْشًا لَوْلَا إِرَادَةُ اللَّهِ. وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ الْمُؤْمِنِينَ الْقَلِيلِي الْعَدَدِ بِأَظْهَارِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، الَّذِي يُفَوِّقُهُمْ عَدَدًا وَعُدَّةً، آخِثَارًا حَسَنًا، وَلِيَعْرِفُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلِيَشْكُرُوهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ لَاسْتِغَاثَةِ الرَّسُولِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ. لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ - لِيُنْعِمَ عَلَيْهِمْ بِالنَّصْرِ وَالْأَجْرِ.

(الْكَافِرِينَ)

(١٨) - وَهَذِهِ بَشَارَةٌ أُخْرَى لِلْمُسْلِمِينَ تُضَافُ إِلَى نَصْرِ اللَّهِ لَهُمْ، فَقَدْ أَعْلَمَهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُضْعِفُ كَيْدِ الْكُفَّارِ، وَمُوْهِنُ تَذْبِيرِهِمْ وَمَكْرَهُمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ مُصَغِّرُ مَنْ شَانِهِمْ، وَجَاعِلُهُمْ إِلَى تَبَارِ وَبَوَارٍ. مُوْهِنٌ - مُضْعِفٌ.

(١٩) - قَالَ أَبُو جَهْلٍ فِي بَدْءِ الْمَعْرَكَةِ: (اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، فَاجْنُ الْعُدَّةَ). فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتِحُ بِاللَّهِ وَالْمُسْتَنْصِرُ بِهِ.

مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ
وَبَشَى الْمَصِيرُ

﴿١٧﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿١٨﴾ ذَلِكَ كُفُّوا إِنَّ اللَّهَ مُوْهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ

﴿١٩﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدُوْكُمْ لَنْ تُفْعَلَ

وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ قُرَيْشًا، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى بَدْرٍ، طَافَتْ بِالْكَعْبَةِ وَأَخَذَتْ بِاسْتِئْذَانِهَا، فَاسْتَنْصَرُوا بِاللَّهِ وَقَالُوا: (اللَّهُمَّ أَنْصُرْ أَعْلَى الْجُنْدَيْنِ، وَأَكْرَمَ الْفَتَيْنِ، وَخَيْرَ الْقَبْلَتَيْنِ). فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَمَعْنَاهَا: إِنْ تَسْتَنْصِرُوا بِاللَّهِ، وَتَسْتَحْكِمُوهُ أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ. وَإِنْ تَتَّبِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَالتَّكْذِيبِ لِرَسُولِهِ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ عُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَمُحَارَبَةِ النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ وَعَدَاوَتِهِمْ، نَعُدُّ لَكُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ، وَلَنْ تَنْفَعَكُمْ وَلَنْ تُفِيدَكُمْ (تَغْنِي عَنْكُمْ) جُمُوعُكُمْ شَيْئًا، وَلَنْ تُحَقِّقَ لَكُمْ النَّصْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ رَسُولِهِ وَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ كَانَ مَعَ اللَّهِ فَلَا غَالِبَ لَهُ. إِنْ تَسْتَفْتِحُوا - إِنْ تَطْلُبُوا النَّصْرَ لِأَحَدِي الْفَتَيْنِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢٠) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِطَاعَةِ اللَّهِ، وَإِطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَبِالِاسْتِجَابَةِ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاهُمْ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ مُخَالَفَتِهِ، وَتَرْكِ طَاعَتِهِ، وَرَفْضِ الْاسْتِجَابَةِ لَهُ إِذَا دَعَاهُمْ إِلَى الْجِهَادِ، لِأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ وَمُؤَالَاتِهِ وَنَصْرِهِ، وَيَعْقِلُونَهُ.

(٢١) - وَلَا تَكُونُوا كَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: سَمِعْنَا مَا قُلْتُمْ يَا مُحَمَّدٌ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَسْمَعُوا شَيْئًا، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، فَكَانُوا كَغَيْرِ السَّامِعِينَ (وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ).

(٢٢) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، هُمْ شَرُّ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَدْبُ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ، وَأَسْوُهَا لِأَنَّهُمْ صُمٌّ لَا يَسْمَعُونَ بِأَذَانِهِمْ، وَبُكْمٌ عَنْ فَهْمِ الْحَقِّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَهُ. وَكُلُّ الدَّوَابِّ مُطِيعَةٌ لِخَالِقِهَا، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ خَلَقَهُمُ اللَّهُ لِعِبَادَتِهِ فَكَفَرُوا، فَهُمْ شَرٌّ مِنَ الدَّوَابِّ.

الدَّوَابُّ - كُلُّ مَا دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ وَقَلَّمَا تُسْتَعْمَلُ لِلْإِنْسَانِ، وَاسْتَعْمَلَهَا هُنَا لِلْمُشْرِكِينَ نَوْعٌ مِنَ التَّحْقِيرِ لِشَانِهِمْ.

(٢٣) - إِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ لَا تَفْهَمُ فَهَمًّا صَحِيحًا، وَلَيْسَ لَهُمْ رَغْبَةٌ فِي عَمَلٍ خَيْرٍ صَالِحٍ، وَلَوْ كَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ فِيهِمْ اسْتِعْدَادًا لِلْإِيمَانِ وَالْإِهْتِدَاءِ بِنُورِ النُّبُوَّةِ لِأَسْمَعَهُمْ وَأَفْهَمَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُسْمِعَهُمْ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا عَنِ الْقَبُولِ قَصْدًا وَعِنَادًا، وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ.

عَنْكُمْ فَتَشْكُمُ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ
وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ
وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا

سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ



إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ

عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ

وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُعْرِضُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢٤) - يَا مَرْءَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْاِسْتِجَابَةِ إِلَى دَعْوَتِهِ تَعَالَى، وَإِلَى دَعْوَةِ رَسُولِهِ ﷺ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِإِبْلَاغِهَا إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهَا تُزَكِّي نَفْسَهُمْ وَتُطَهِّرُهَا، وَتُحْيِيهَا بِالْإِيمَانِ، وَتَرْفَعُهَا إِلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ فَتَحْطَى بِرِضَا اللَّهِ، ثُمَّ يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ قَائِمٌ عَلَى قُلُوبِ الْعِبَادِ يُوجِّهُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، فَيَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ قَلْبِهِ، فَيُمِيتُ الْإِحْسَاسَ وَالْوَجْدَانَ وَالْإِذْرَاقَ فِيهِ، فَتُشَلُّ الْإِرَادَةُ، وَيَفْقِدُ الْإِنْسَانُ سَيِّطَرَتَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ، وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ، فَلَا تَعُودُ تَنْفَعُ فِيهِ الْمَوَاعِظُ وَالْعِبَرُ. وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِمَّا تَرَدُّوا فِيهِ، إِذَا اتَّجَّهُوا إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ.

ثُمَّ يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَيَجْزِيَهُمْ عَلَيْهَا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ.
يُحْيِيكُمْ - يُورِثُكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً فِي نَعِيمٍ سَرْمَدِيٍّ.

(٢٥) - يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَقُوعِ الْبَلَاءِ وَالْفِتَنِ بَيْنَهُمْ إِذَا لَمْ يَقُومُوا بِوَاجِبِهِمْ نَحْوَ دِينِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ فِي الْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَفِي الضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي الْمُفْسِدِينَ، وَفِي النُّصْحِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَفِي إِطَاعَةِ أُولَى الْأَمْرِ. وَيُنَبِّهُهُمْ تَعَالَى إِلَى أَنَّ الْعِقَابَ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ بِالْأَمْرِ الْمُقْصَرِّ بِالْقِيَامِ بِوَاجِبَاتِهَا لَا يُصِيبُ السَّيِّئَ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا يَعْمُ بِهِ الْمُسِيءُ وَغَيْرُهُ، وَيُعَلِّمُهُمْ أَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِلْأَمْرِ الَّتِي تُخَالِفُ سُنَنَهُ وَهَدْيَ دِينِهِ، وَتُقْصِرُ فِي دَرَةِ الْفِتَنِ، وَفِي التَّعَاوُنِ عَلَى دَفْعِهَا، وَالْقَضَاءِ عَلَيْهَا.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَقْرَؤُوا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَيَعْمَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ).

(فَاوْاكُمُ) (الطَّيِّبَاتِ)

(٢٦) - يُنَبِّئُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الْوَفِيرَةِ، فَقَدْ كَانُوا قَلِيلِي الْعَدَدِ، مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ، يَعْتَدِي عَلَيْهِمُ النَّاسُ، خَائِفِينَ مِنْ مُجْرِمِي قُرَيْشٍ، فَقَوَّاهُمْ وَأَوَّاهُمْ، وَنَصَرَهُمْ وَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَكُلُّ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ فَتَأْوَلْتُمْ أَنْ يَخَذَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوَلْتُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ

تَسْتَحِقُّ مِنْهُمْ أَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا، فَاللَّهُ تَعَالَى مُنْعِمٌ يُحِبُّ الشُّكْرَ مِنْ عِبَادِهِ.

يَتَخَفَتُكُمْ - يَسْتَلْبِوْكُمْ وَيَصْطَلِمُوكُمْ بِسُرْعَةٍ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَمَانَتِكُمْ)

(٢٧) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَبِي لُبَابَةَ جَيْنَ بَعَثَهُ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ، فَاسْتَشَارَ الْيَهُودُ أَبَا لُبَابَةَ - وَكَانَ حَلِيفًا لَهُمْ - فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِالزُّلُولِ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْفِهِ، أَيْ إِنَّهُ الدَّبْحُ. ثُمَّ شَعَرَ أَنَّهُ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَرَبَطَ نَفْسَهُ فِي سَارِيَةِ الْمَسْجِدِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ لَا يَذُوقُ طَعَامًا حَتَّى تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَظْلَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. (وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي حَاطِبِ بْنِ أَبِي لَتَمْعَةَ، الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ إِلَى قُرَيْشٍ مَعَ أَمْرَةٍ يُعَلِّمُهَا فِيهَا بِأَنَّ الرَّسُولَ تَجَهَّزْ لِعِزِّهِمْ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ). وَالْآيَةُ عَامَّةٌ.

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنْ لَا يَخُونُوا اللَّهَ بِأَرْكَابِ الدُّنُوبِ، وَأَنْ لَا يَخُونُوا رَسُولَهُ بِتَرْكِ سُنَنِهِ، وَأَرْكَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْ لَا يَخُونُوا أَمَانَتَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ الَّتِي ائْتَمَنَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَيْهَا: يَعْنِي الْفَرَائِضَ، وَهِيَ تَشْمَلُ أَمَانَةَ الْإِنْسَانِ نَحْوَ النَّاسِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَهُمْ: كَالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَأَدَاءِ الشَّهَادَةِ بِالْحَقِّ وَالصَّدَقِ، وَكِتْمَانِ السِّرِّ. إلخ. فَالْأَمَانَةُ وَاحِدَةٌ وَلَا تَبْعِيضُ فِيهَا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَسَاوِيءَ الْخِيَانَةِ، وَسُوءَ عَاقِبَتِهَا.

(أَمْوَالُكُمْ) (وَأَوْلَادُكُمْ)

(٢٨) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاكُمْ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ لِيُخْتَبَرَ إِيْمَانُكُمْ، وَلِيَبْرَى هَلْ تَشْكُرُونَ رَبَّكُمْ عَلَيْهَا، وَتُطِيعُونَهُ فِيهَا، أَمْ تَشْتَغِلُونَ بِهَا عَنْهُ، وَتَعْتَاصُونَ بِهَا مِنْهُ؟ وَثَوَابُ اللَّهِ وَعَطَاؤُهُ وَجَنَاتُهُ خَيْرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، فَالْأَوْلَادُ قَدْ يَكُونُ مِنْهُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ، وَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يُغْنُونَ عَنِ الْإِنْسَانِ شَيْئًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَدَى اللَّهِ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ الَّذِي يُغْنِي الْإِنْسَانَ عَنِ الْمَالِ وَالْوَلَدِ. فَتَنَةٌ - اخْتِبَارٌ وَابْتِلَاءٌ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢٩) - يُخْبِرُ تَعَالَى النَّاسَ أَنَّهُمْ إِذَا آمَنُوا بِهِ وَاتَّقَوْا، فَاتَّبَعُوا أَوَامِرَهُ، وَأَنْتَهُوا عَنْ زَوَاجِرِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرْجًا، وَمِنْ ضَيْقِهِمْ مَخْرَجًا،

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا

اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ

وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا

اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيَكْفُرْ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ

وَجَعَلَ لَهُمْ نُورًا وَهَدَى (فُرْقَانًا) يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَغَفَرَ ذُنُوبَهُمْ، وَاللَّهُ عَظِيمُ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، جَزِيلُ الثَّوَابِ، يُثِيبُ عَلَى الْقَلِيلِ، وَتَجَاوَزَ عَنِ الْكَثِيرِ. فُرْقَانًا - هِدَايَةً وَنُورًا، أَوْ نَجَاةً وَمَخْرَجًا.

(الْمَاكِرِينَ)

(٣٠) - تَأَمَّرَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُرِيدُونَ سَجْنَهُ أَوْ قَتْلَهُ أَوْ إِخْرَاجَهُ مِنْ مَكَّةَ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِخَطْبَتِهِمْ. وَجَاءَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَمَرَهُ بِأَلَّا يَبِيتَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي يَبِيتُ فِيهِ، فَدَعَا الرَّسُولُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَمَرَهُ بِأَنْ يَبِيتَ فِي فِرَاشِهِ، وَيَتَسَجَّى بِبُرْدِهِ فَفَعَلَ. ثُمَّ خَرَحَ الرَّسُولُ ﷺ وَالْقَوْمُ الَّذِينَ كُلُّوْا بِقَتْلِهِ وَأَقْفُونُ بِالْبَابِ، وَكَانَ مَعَهُ حَفْنَةٌ مِنْ تَرَابٍ، فَجَعَلَ يَذْرُوهَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَأَخَذَ اللَّهُ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْهُ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ (يَس).

وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنَّهُمْ يُخْطِطُونَ وَيَمْكُرُونَ وَيُدَبِّرُونَ لِإِيقَاعِ الْأَذَى بِكَ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ يَمْكُرُ بِهِمْ، وَيُدَبِّرُ مَا يُقْبِضُ تَذْيِيرَهُمْ، وَيُعْطِلُ مَكْرَهُمْ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ لِأَنَّ مَكْرَهُ نَصْرٌ لِلْحَقِّ، وَإِعْزَازٌ لَأَهْلِهِ، وَجَذْلَانٌ لِلْبَاطِلِ وَجَزِيه. يَمْكُرُ اللَّهُ - أَيُّ أَنَّ اللَّهَ يُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الْمَاكِرِينَ.

(آيَاتُنَا) (أَسَاطِيرُ)

(٣١) - حِينَمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَتْلُو الْقُرْآنَ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ كَانُوا يَقُولُونَ: قَدْ سَمِعْنَا، لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَهُ. وَلَكِنْ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَوْلَ شَيْءٍ مِنْهُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَحَدَّاهُمْ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ. وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ بَعْدَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ الَّذِي يَقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى رَبِّهِمْ، يَأْتِي النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَيَجْلِسُ مَكَانَ الرَّسُولِ، وَيُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَسَاطِيرِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَقَصَصِهِمُ الْقَدِيمَةِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: بِاللَّهِ أَتَيْنَا أَحْسَنَ قِصَصًا أَنَا أَوْ مُحَمَّدٌ؟ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - أَكَاذِبُهُمُ الْمَسْطُورَةُ فِي كُتُبِهِمْ.

(٣٢) - يُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ: إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ: وَيْلَكَ إِنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ... وَمَعْنَى الْآيَةِ: اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ لِتَهْدِي بِهِ عِبَادَكَ، كَمَا يَدَّعِي مُحَمَّدٌ، فَارْجَمْنَا

لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

(٣٠) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِيُتْسُوَكَ أَوْ يَفْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَكْرِينَ

(٣١) وَإِذْ أَتَى عَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا

قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا
مِثْلَ هَذَآ إِنَّا هَذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

(٣٢) وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّا كَانَتْ

هَذَآ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ
فَاْمَطِّرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ
السَّمَآءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

بِحَجَارَةٍ مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ أَنْزَلَ بِنَا عَذَابَكَ الْآلِيمَ. وَهَذَا الْقَوْلُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَتَوْ قُرَيْشٍ كَانَ كَبِيرًا، وَعِنَادُهَا كَانَ بِالْغَا، إِذْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ هَذَا الْقَوْلَ، وَهُوَ مِمَّا عِيبٌ عَلَيْهِمْ. وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَهْدِنَا إِلَيْهِ، وَوَفِّقْنَا لِاتِّبَاعِهِ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ.

(٣٣) - وَمَا كَانَ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ، وَلَا مِنْ مُقْتَضَى رَحْمَتِهِ وَجُودِهِ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الرُّسُولُ فِيهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَرْسَلَكَ رَحْمَةً وَنِعْمَةً، لَا عَذَابًا وَنِقْمَةً، وَأَنَّ سُنَّتَهُ جَرَتْ أَلَّا يُعَذِّبَ الْمُكَذِّبِينَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾. ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَنْزَلَ تَعَالَى قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فَكَانَ قَدْ بَقِيَ فِي مَكَّةَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَلَمَّا خَرَجُوا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فَأَذِنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ يَفْتَحَ مَكَّةَ.

(وَقِيلَ فِي مَعْنَى: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَيَقُولُونَ: لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ لَيْتَكَ، وَيَقُولُونَ: غُفْرَانُكَ اللَّهُمَّ).

(٣٤) - إِنَّهُمْ أَهْلٌ لِأَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ لِأَنَّهُمْ يَصُدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالطَّوَافِ بِالْكَعْبَةِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَنْزِلْ بِهِمُ الْعَذَابَ لِبَرَكَةِ مَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، أَوْفَعَ اللَّهُ بَأْسَهُ فِيهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لَيْسُوا هُمْ أَهْلُهُ وَأَوْلِيَائُهُ، فَهُمْ دَنَسُوا بِالشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَإِنَّمَا أَهْلُهُ وَأَوْلِيَائُهُ، الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ السَّوَادَةَ عَلَيْهِ، هُمُ النَّبِيُّ وَالْمُسْلِمُونَ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ.

(٣٥) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرَاءَ تُصَفِّرُ وَتُصَفِّقُ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِيُخْلَطُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَاتِهِ. وَيُهْدَدُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُ سَيُذَيِّقُهُمُ الْعَذَابَ الْآلِيمَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَجَعَلِهِمُ الصَّلَاةَ وَالطَّوَافَ لِلْعَبَثِ وَاللَّهْوِ وَالشُّخْرِيَّةِ.

﴿٣٣﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

﴿٣٤﴾ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَائِهِ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

مَكَّةَ - صَفِيرًا، مِنَ الْمَكَاةِ وَهُوَ التَّصْفِيرُ.
تَصْدِيَةً - تَصْفِيفًا.

(أَمْوَالُهُمْ)

(٣٦) - لَمَّا أَصِيبَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ قَادَةُ الشَّرِكِ وَزُعَمَاؤُهُ، رَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بِالْعَبِيرِ إِلَى مَكَّةَ، وَهِيَ الْعَبِيرُ الَّتِي أَنْقَذَتْهَا مَعْرَكَةُ بَدْرٍ، فَمَشَى أَبْنَاءُ مَنْ قُتِلُوا فِي بَدْرٍ وَإِخْوَتُهُمْ وَأَقْرَبَاؤُهُمْ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُمْ فِي الْعَبِيرِ تِجَارَةٌ، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمُ فَاعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ لَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَارًا، بِمَنْ أَصِيبَ مِنَّا. فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ إِنْفَاقَكُمْ الْمَالَ فِي سَبِيلِ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَالصَّدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْعُ النَّاسِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ لَنْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ إِلَّا حَسْرَةٌ، وَلَنْ يُجَدِّدَكُمْ نَفْعًا، فَإِنْكُمْ سَتُعْلَبُونَ مَرَّةً أُخْرَى، وَسَيَحْشُرُكُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى جَهَنَّمَ، إِذَا مَا أَصْرَرْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَعَلَى مُعَانَدَةِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ. حَسْرَةٌ - نَدَمًا وَتَأْسَفًا.

(أُولَئِكَ) (الْخَاسِرُونَ)

(٣٧) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ لِعِبَادِهِ النَّصْرَ، وَكَتَبَ الْحَسْرَةَ وَالْخِذْلَانَ لِأَعْدَائِهِمْ وَلِمَنْ يُقَاتِلُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ لِلصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَذَلِكَ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْكَافِرَ الْخَبِيثَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، عَنِ الْمُؤْمِنِ الطَّيِّبِ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَلِيَجْمَعَ الْكُفْرَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَيَقْدِفَهُ فِي جَهَنَّمَ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقْدِفُهُمْ فِي جَهَنَّمَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا - فَيَجْعَلُهُ مُلْقَى بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.

(سُنَّةٌ)

(٣٨) - قُلْ، أَيُّهَا الرَّسُولُ، لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ: إِنَّهُمْ إِنْ يَنْتَهُوا عَنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ، وَعَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمُشَاقَّةِ وَالْعِنَادِ، وَيَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ، يَغْفِرَ اللَّهُ مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، أَمَّا إِذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ، وَعَادُوا إِلَى الْمُشَاقَّةِ وَالْحَرْبِ وَالْخِصَامِ، فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْكُفْرِ مِنْ قُرَيْشٍ وَمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ بِأَنْ مَصِيرُهُمْ سَيَكُونُ إِلَى الدَّمَارِ وَالْخِذْلَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَصِيرُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَإِلَى الدَّلِّ وَالصَّغَارِ فِي الْآخِرَةِ.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ

أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ

اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ

عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُعْلَبُونَ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ

يُحْشَرُونَ

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى

بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا

فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ

هُمُ الْخَاسِرُونَ

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ

يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ

سَلَفَ وَإِنْ يُعَادُوا فَقَدْ مَضَتْ

سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ

سُنَّةِ الْأَوَّلِينَ - عَادَةَ اللَّهِ فِي الْمَكْدُبِينَ لِرُسُلِهِ .

(وَقَاتِلُوهُمْ)

(٣٩) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُقَاتِلُوا الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ مَنْ يَسْتَطِيعُ فِتْنَةَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ دِينِهِمْ بِالْعَذَابِ وَالْإِذَاءِ وَالتَّهْدِيدِ ، وَحَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ . فَإِذَا أَنْتَهَى الْمُشْرِكُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَكَفُّوا عَنْهُ (وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا بِوِطَانِهِمْ) فَكَفُّوا عَنْهُمْ ، وَكَلُوا بِوِطَانِهِمْ إِلَى اللَّهِ ، فَهُوَ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ .
فِتْنَةً - شِرْكٌ أَوْ بَلَاءٌ .

(مَوْلَاكُمْ)

(٤٠) - وَإِنْ أَسْتَمَرُّوا عَلَى خِلَافِهِمْ لَكُمْ ، وَمُحَارَبَتِهِمْ إِيَّاكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ وَنَاصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ وَأَعْدَائِكُمْ ، وَهُوَ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ النَّاصِرِ ، فَأَيُّقُنُوا بِنَصْرِ اللَّهِ لَكُمْ ، وَهُوَ مَتَوَلَّى أُمُورِكُمْ ، فَلَا تَبَالُوا بِهِمْ ، وَلَا تَخْشَوْهُمْ .

(الْيَتَامَى) (وَالْمَسَاكِينِ) (أَمْتُمْ)

(٤١) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ طَرِيقَةَ قِسْمَةِ الْمَغَانِمِ الَّتِي يَغْنُمُهَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْحَرْبِ . وَالْغَنِيمَةُ هِيَ الْمَالُ الْمَأْخُذُ مِنَ الْكُفَرِ بِإِجَافٍ خَيْلٍ وَرِكَابٍ . أَمَّا الْفِيءُ فَهُوَ مَا أُخِذَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ (أَيُّ بِدُونِ حَرْبٍ أَوْ بِدُونِ خُرُوجِ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْأَعْدَاءِ : كَالْأَمْوَالِ الَّتِي يُصَالِحُونَ عَلَيْهَا ، أَوْ يَمُوتُونَ عَنْهَا دُونَ وَارِثٍ لَهُمْ ، وَالْخَرَاجِ وَنَحْوِ ذَلِكَ) .

يَقُولُ تَعَالَى : أَعْلَمُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ كُلَّ مَا غَنِمْتُمُوهُ مِنَ الْكُفَرِ الْمُحَارِبِينَ فَاجْعَلُوا أَوَّلًا خُمْسَهُ لِلَّهِ تَعَالَى لِيُنْفِقَ فِيمَا يَرْضِيهِ مِنْ مَصَالِحِ الدِّينِ الْعَامَّةِ : كَالدَّعْوَةِ لِلْإِسْلَامِ وَإِقَامَةِ شَعَائِرِهِ ، وَعِمَارَةِ الْكَعْبَةِ وَكِسْوَتِهَا ، ثُمَّ أَعْطُوا مِنْهُ لِلرُّسُولِ كِفَايَتَهُ لِنَفْسِهِ وَنِسَائِهِ مُدَّةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ أَعْطُوا مِنْهُ ذَوِي الْقُرْبَى مِنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ نَسَبًا وَوَلَاءً (وَقَدْ خَصَّ الرُّسُولَ ﷺ ذَلِكَ بِنَبِيِّ هَاشِمٍ وَبَنِي أَجِيهِ الْمُطَلَبِ الْمُسْلِمِينَ) ، ثُمَّ الْمُحْتَاجِينَ مِنْ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهُمْ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ ، وَآبَنُ السَّبِيلِ (وَهُوَ الْمُجْتَارُ الَّذِي تَفِدَّتْ نَفَقَتُهُ) . وَهَذَا الْخُمْسُ يُدْفَعُ لِلْإِمَامِ (بَعْدَ الرُّسُولِ) لِيَصْرِفَهُ فِي الْوُجُوهِ الْمُبِينَةِ فِي الْآيَةِ .

وَالْيَتَامَى - هُمْ أَيْتَامُ الْمُسْلِمِينَ - وَقِيلَ : إِنَّ النَّصَّ عَامٌّ يَغُمُّ الْأَغْنِيَاءَ مِنَ الْإِيْتَامِ وَالْفُقَرَاءِ .

٣٩ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ

فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ

كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوْا فَإِنْ

اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

٤٠ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

مَوْلَاكُمْ نِعَمُ الْمَوْلَى

وَنِعَمُ النَّصِيرِ



٤١ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ

مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ

وَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى

وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَآبَنِ

السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ أَمْتُمْ بِاللَّهِ

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ

الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

الْمَسَاكِينِ - هُمُ الْمُحْتَاجُونَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَسُدُّونَ بِهِ خَلْتَهُمْ.
وَأَبْنِ السَّبِيلِ - هُوَ الْمَسَافِرُ أَوْ الْمُرِيدُ السَّفَرَ مَسَافَةَ الْقَصْرِ (أَيِ الْمَسَافَةِ
الَّتِي يُبَاحُ فِيهَا قَصْرُ الصَّلَاةِ) وَلَيْسَ لَهُ مَا يُنْفِقُهُ فِي سَفَرِهِ.

أَمَّا الْأَخْمَاسُ الْأَرْبَعَةُ الْبَاقِيَّةُ فَهِيَ لِلْمَقَاتِلِينَ فَأَعْلَمُوا ذَلِكَ، وَأَعْمَلُوا بِهِ،
إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ حَقًّا، وَآمَنْتُمْ بِمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ آيَاتِ
التَّشْيِيبِ وَالْمَدَدِ يَوْمَ الْفُرْقَانِ الَّذِي فَرَقْنَا فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْإِيمَانِ
وَالْكُفْرِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي آتَى فِيهِ جَمْعُكُمْ مَعَ جَمْعِ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرِ،
وَاللَّهُ عَظِيمُ الْقُدْرَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

يَوْمَ الْفُرْقَانِ - يَوْمَ بَدْرِ الَّذِي فَرَّقَ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

(الْمِيعَادِ)

(٤٢) - فَإِذَا كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ، وَبِمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ كُنْتُمْ مُرَابِطِينَ
فِي أَقْرَبِ الْجَانِبَيْنِ مِنَ الْوَادِي إِلَى الْمَدِينَةِ (الْعُدْوَةِ الدُّنْيَا) - وَالْعُدْوَةُ هِيَ
طَرَفُ الْوَادِي)، وَكَانَتْ قُرَيْشُ تُرَابِطُ فِي أَبْعَدِ جَانِبَيْ الْوَادِي مِنَ
الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ قَافِلَةُ قُرَيْشِ (الْعَيْرُ أَوْ الرُّكْبُ) أَسْفَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا
يَلِي الْبَحْرَ. وَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَاعَدْتُمْ مَعَ قُرَيْشٍ عَلَى هَذَا اللَّقَاءِ، فِي
مَكَانٍ مُعَيَّنٍ، وَفِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ لِلْقِتَالِ، لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ، وَلَمَّا كَانَ
هَذَا التَّوَافُقُ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ
الآيَةِ هُوَ: لَوْ كَانَ اللَّقَاءُ عَنْ مَوْعِدٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ، وَعَلِمْتُمْ بِقِلَّتِكُمْ
وَكَثَرَتِهِمْ لَمَّا لَقِيتُمُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ هَيَّا طُرُوفَ اللَّقَاءِ لِيَقْضِيَ بِقُدْرَتِهِ إِعْزَازَ
الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَإِذْلالَ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِلُطْفٍ مِنْهُ).

وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لِيَتَرْتَّبَ عَلَى قَضَاءِ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ مِنَ
الْكُفَّارِ عَنْ حُجَّةٍ مُبَيَّنَةٍ مُشَاهِدَةً بِالنَّصْرِ عَلَى صِحَّةِ الْإِسْلَامِ، وَصَدَقَ مَا
أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، إِذْ أَنْجَزَ وَعْدَهُ لِرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، لِيَتَنَبَّيَ الشُّبُهَةُ،
وَلَا يَكُونَ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلِاعْتِذَارِ عَنْ عَدَمِ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، وَيَعِيشَ مَنْ
يَعِيشُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ حُجَّةٍ شَاهِدَةٍ، فَيَزْدَادَ يَقِينًا بِالْإِيمَانِ، وَنَشَاطًا
فِي الْأَعْمَالِ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِدَعَائِكُمْ وَنَصْرٌ عَكُمْ إِلَيْهِ، عَلِيمٌ بِأَنْكُمْ صَادِقُونَ
تَسْتَحِقُّونَ النَّصْرَ.

الْعُدْوَةُ - طَرَفُ الْوَادِي أَوْ ضِفَّتِهِ.

الرُّكْبُ - الْعَيْرُ أَوْ الْقَافِلَةُ وَكَانَتْ أَمْوَالُ قُرَيْشٍ فِيهَا.

إِذَا أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ
بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرُّكْبُ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ
لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ
لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ
مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ
عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ
بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ

(أَرَاكُهُمْ) (وَلَتَنَزَّاعْتُمْ)

(٤٣) - أَرَى اللَّهَ نَبِيَّ ﷺ الْمُشْرِكِينَ فِي مَنَامِهِ قَلِيلِي الْعَدَدِ فَأَخْبَرَ جَمَاعَتَهُ فَاسْتَبَشَرُوا، وَكَانَ ذَلِكَ تَثْبِيثًا لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَلَوْ أَرَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُشْرِكِينَ كَثِيرِي الْعَدَدِ لَجُبُّوا، وَلاَخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ حَوْلَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ، وَنَجَّى مِنْ عَوَاقِبِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تَكْنُهُ الضَّمَائِرُ، وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ النُّفُوسُ وَالسَّرَائِرُ. لَفَشِلْتُمْ - لَجِبْتُمْ عَنِ الْقِتَالِ وَهَبْتُمُوهُ.

(٤٤) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ أَظْهَرَ كُلَّ فِتْنَةٍ لِحُضُومِهَا أَنَّ عَدَدَهَا قَلِيلٌ، لِيُطْمَعُوا فِيهَا، وَلِيُدْفَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى لِقَاءِ بَعْضٍ، لِيُنْفِذَ أَمْرَهُ، وَلِيَقْضَى عَلَى الْكُفْرِ، وَيَنْصُرَ دِينَهُ. وَمَرَجَعَ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَى اللَّهِ، فَلَا يَنْفَذُ إِلَّا مَا قَضَاهُ وَهِيَ أَسْبَابُهُ. وَجِئِنِ التَّقِيْمُ بِالْمُشْرِكِينَ ثَبَّتَكُمْ وَبَطَّطَهُمْ فَانْتَصَرْتُمْ عَلَيْهِمْ.

(يَا أَيُّهَا) (أَمَنُوا)

(٤٥) - يَحُثُّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الثَّبَاتِ عِنْدَ لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، لِيَتَّقُوا قُلُوبَهُمْ، وَتَثَبَّتْ نَفُوسُهُمْ، وَهَذَانِ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ الْفَوْزِ وَالنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ أَسْبَابِ الْفَوْزِ بِالْفَلَاحِ وَبِرِضْوَانِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ.

(وَلَا تَنَازَعُوا) (الصَّابِرِينَ)

(٤٦) - وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ تَعَالَى فِي الثَّبَاتِ عِنْدَ لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَبِالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَبِبَذْلِ الْجُهْدِ فِي الْقِتَالِ، وَبِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا لِيُطْمِئِنُّ النُّفُوسُ وَتَهْدَأَ، وَيَزِيلَهَا الْخَوْفَ وَالشَّرْدُ وَالْقَلَقُ، كَمَا أَمَرَهُمْ بِطَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَالتَّزَامِ أَوَامِرِهِ، إِنْجَاحًا لِلْخَطَةِ الْعَامَّةِ لِلْجَيْشِ فِي الْمَعْرَكَةِ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالْأَيُّمَانِ عَنِ الْتَنَازُعِ، وَلَا يَخْتَلِفُوا، لِأَنَّ فِي التَّنَازُعِ وَالْإِخْتِلَافِ الْفُشْلَ وَالْجَذْلَانَ وَضِيَاعَ مَا حَقَّقَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَعْرَكَةِ «تَذْهَبَ رِيحُكُمْ». ثُمَّ يَكْرُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالتَّزَامِ الصَّبْرِ، لِأَنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. تَذْهَبَ رِيحُكُمْ - تَتَلَاشَى قُوَّتُكُمْ أَوْ دَوْلَتُكُمْ.

(دِيَارِهِمْ)

(٤٧) - وَعَلَيْكُمْ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَنْ تَمْتَلِكُوا لِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ تَعَالَى، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَالتَّزَامِ أَوَامِرِهِمَا، وَلَا

٤٣ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ

قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَ كَثِيرًا
لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَزَّاعْتُمْ فِي
الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

٤٤ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّاقَيْتُمْ فِي

أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ

٤٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ

فِتْنَةً فَاقْتَبِسُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

٤٦ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ

٤٧ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ

دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ

تَكُونُوا كَأَعْدَائِكُمُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ بِطَرَأَ بِمَا أَوْتُوا مِنَ النِّعْمَةِ، وَمَرَاءَاةَ لِلنَّاسِ لِيُعْجِبُوا بِهِمْ، وَيُثْنُوا عَلَيْهِمْ بِالْغِنَى وَالْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ. . وَهُمْ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ بِخُرُوجِهِمْ الصَّدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْعَ النَّاسِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْحَدَّ مِنْ أَنْتِشَارِ الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِأَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَغْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَسَوْفَ يُجَازِيهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

بَطَرًا - طُغْيَانًا وَفَخْرًا وَأَشْرًا.

(الشَّيْطَانُ) (أَعْمَالُهُمْ)

(٤٨) - وَأَذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ إِذْ زَيْنَ الشَّيْطَانُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ أَعْمَالَهُمْ بِوَسْوَستِهِ، وَإِذْ حَسَنَ فِي أَعْيُنِهِمْ مَا جَاؤُوا لَهُ، وَمَا هَمُّوا بِهِ، وَأَطْمَعَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَنْصُورُونَ، وَأَنَّهُمْ لَا غَالِبَ لَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَطَمَأْنَهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ لَنْ يُوْتُوا فِي دِيَارِهِمْ أَثْنَاءَ غَيْبَتِهِمْ فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ، لِأَنَّهُ جَارٌ لَهُمْ وَمُجِيرٌ، فَلَمَّا اتَّقَى الْمُسْلِمُونَ بِالْمُشْرِكِينَ، وَرَأَى الشَّيْطَانُ مَلَائِكَةَ اللَّهِ يَحْمُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَّى هَارِبًا ﴿نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾، وَقَالَ لِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ: إِنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا يَرُونَ، إِنَّهُ يَرَى الْمَلَائِكَةَ يَنْصُرُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَسَطَوْتِهِ، مَا لَا يَعْلَمُهُ أَوْلِيَائُهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَخَافُ اللَّهَ، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ تَعَالَى شَدِيدُ الْعِقَابِ. إِنِّي جَارٌ لَكُمْ - مُجِيرٌ وَمُعِينٌ وَنَاصِرٌ لَكُمْ.

نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ - رَجَعَ الْقَهْقَرَى وَوَلَّى مُدْبِرًا.

(الْمُنَافِقُونَ)

(٤٩) - لَمَّا أَقْتَرَبَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا حَظَّ الْمُشْرِكُونَ قِلَّةَ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَحَفُّوا بِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ هَازِمُوهُمْ لَا مَحَالَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ حَتَّى أَقْدَمُوا عَلَى قِتَالِ قُرَيْشٍ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِ عَدُوِّهِمْ. وَلَكِنْ النَّصْرُ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ، فَإِنْ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَيُسَلِّمْ أَمْرَهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ أَلْتَجَأَ إِلَى جَانِبِ عَزِيزٍ مَنِيْعٍ لَا يُضَامُ. وَاللَّهُ حَكِيمٌ يَعْرِفُ وَضْعَ الْأُمُورِ فِي مَوَاضِعِهَا، فَيَنْصُرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ.

(الْمَلَائِكَةُ) (وَأَذْبَارُهُمْ)

(٥٠) - وَلَوْ عَايَنْتَ يَا مُحَمَّدُ الْكُفَّارَ جِنْمَا تَأْتِي الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، إِذَا لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا مَهُولًا، إِذْ يَضْرِبُونَ (يَوْمَ بَدْرٍ) وَجُوهَهُمْ

وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ

وَقَالَ لَأَغَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ

مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ

لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ أَلْفَتَانِ

نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي

بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا

تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ

شَدِيدُ الْعِقَابِ

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ

دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ

كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ وَذُوقُوا

بِالسُّيُوفِ إِذَا أَقْدَمُوا، وَيَضْرِبُونَ أَذْبَارَهُمْ إِذَا وَلَّوْا، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وَسُوءِ أَعْمَالِكُمْ.

(وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَشْمَلُ أَيْضاً حَالَةَ مُوَافَاةِ الْمَلَائِكَةِ الْكَفَّارِ وَهُمْ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَنَفْسُهُمْ تَرْفُضُ الْخُرُوجَ، لِمَا تَعْلَمُهُ مِمَّا أَرْتَكِبْتَهُ مِنْ شُرُورٍ وَمَآثِمٍ فِي الدُّنْيَا، وَلَمَّا تَعْلَمُهُ مِمَّا يَنْتَظَرُهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ (١)).

(بِظُلَامٍ)

(٥١) - وَيَتَابِعُ الْمَلَائِكَةُ حَبِيدَهُمْ مَعَ الْكَفَّارِ وَهُمْ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي يَنْزِلُ بِكُمْ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ، وَمَا عَمِلْتُمْ مِنْ سَيِّئَاتٍ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ أَبَدًا.

(آلِ) (بَيِّنَاتٍ)

(٥٢) - هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، يَا مُحَمَّدُ، إِنَّمَا يَفْعَلُونَ مَا فَعَلَهُ قَبْلَهُمْ قَوْمُ فِرْعَوْنَ (آلِ فِرْعَوْنَ)، وَنَحْنُ نَفْعَلُ بِهِمْ مَا كَانَ مِنْ دَابِّنَا وَعَادَتِنَا أَنْ نَفْعَلَهُ بِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ، فَقَدْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

الذُّأبُ - الْعَادَةُ.

(٥٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ عَذْلِهِ فِي حُكْمِهِ فِي أُمُورِ الْعِبَادِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُغَيِّرُ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِسَبَبِ ذَنْبٍ أَرْتَكِبُهُ. وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَخَذَ قُرَيْشًا - بِكُفْرِهِمَا بِنِعْمِ اللَّهِ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ رَبِّهِمْ، فَكَذَّبَهُ الْكَافَرُ مِنْهُمْ وَأَخْرَجُوهُ وَحَارَبُوهُ - كَمَا أَخَذَ الْأُمَمَ الْمَكْذِبَةَ قَبْلَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ.

(آلِ فِرْعَوْنَ) (بَيِّنَاتٍ) (فَأَهْلَكْنَاهُمْ) (آلِ فِرْعَوْنَ) (ظَالِمِينَ)

(٥٤) - فَإِذَا كَفَرَتِ الْأُمَمُ بِأَنْعَمِ رَبِّهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ فِيهِمْ فِعْلَهُ يَقُومُ فِرْعَوْنُ، وَأَمْثَالُهُمْ حِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ: أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

عَذَابَ الْحَرِيقِ

٥١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ

٥٢ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ
قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ

٥٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً
أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

٥٤ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَأَغْرَقْنَاهُ آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ
كَانُوا ظَالِمِينَ

وَجَرَّائِمِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ وَأَيَّاتِهِ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ إِذْ أَغْرَقَهُمْ، وَإِنَّمَا كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ.

(٥٥) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، رَعِيَّتُهُمْ كَعَبُ بْنُ الْأَشْرَفِ، وَهُوَ مِنْ طَوَاغِيتِ الْكُفْرِ وَالْكَرْهِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلِلْإِسْلَامِ. وَفِيهَا يُطْمِئِنُّ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ إِلَى أَنَّهُ آمِنٌ مِنْ عَاقِبَةِ كَيْدِهِمْ، وَيُبَيِّنُ فِيهَا مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ الرَّسُولُ مَعَ أُمَّتَالِهِمْ مِنَ الْخَوْنَةِ الْمُتَرَبِّصِينَ.

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ شَرَّ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ، فِي حُكْمِ اللَّهِ وَعَذْلِهِ، هُمُ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ اجْتَمَعَتْ فِيهِمْ صِفَتَانِ:

(أ) - الْإِضْرَارُ عَلَى الْكُفْرِ، وَالرُّسُوحُ فِيهِ حَتَّى لَا يُرْجَى لَهُمْ إِيْمَانٌ.

(ب) - نَقْضُ الْعَهْدِ.

وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ حِينَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، عَقَدَ مَعَ الْيَهُودِ عُقُودًا، أَمْنُهُمْ فِيهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَتَقَضُّوا هَذِهِ الْعُهُودَ، وَتَأَمَّرُوا عَلَى الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ.

(عَاهَدَت)

(٥٦) - الَّذِينَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَقَضُوهُ، وَكُلَّمَا أَكْدُوهُ بِالْإِيْمَانِ نَكثُوهُ، وَهُمْ لَا يَخَافُونَ عِقَابَ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَثَامِ آذَنَ كَبُوهُ.

(٥٧) - فَإِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ فِي الْحَرْبِ، وَطَفَرَتْ بِهِمْ، فَتَكَلَّلَ بِهِمْ، وَأَخِضَ فِيهِمْ قِتْلًا، لِيَخَافَ سِوَاهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ (فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَقَهُمْ)، وَلِيَكُونُوا عِبْرَةً لغيرِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يُحَازِرُونَ أَنْ يَنْكُثُوا أَيْمَانَهُمْ، وَيَخُونُوا عُهُودَهُمْ، فَيَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ.

تَتَقَفَّنُهُمْ - تُصَادِفُهُمْ وَتُظْفَرُ بِهِمْ.

فَشَرَّدَ بِهِمْ - فَفَرَّقَ وَبَدَّدَ وَخَوَّفَ بِهِمْ.

(الْخَائِنِينَ)

(٥٨) - وَإِذَا خِفَتْ مِنْ قَوْمٍ عَاهَدَتْهُمْ، خِيَانَةً وَنَقْضًا لِلْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَاتَّبَذَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ بِأَنَّكَ نَقَضْتَ عَهْدَهُمْ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ لَا عَهْدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَلَى السَّوَاءِ، فَتَسْتَوِي أَنْتَ وَإِيَّاهُمْ فِي ذَلِكَ بِدُونِ خِدَاعٍ وَلَا اسْتِخْفَاءٍ. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ، حَتَّى وَلَوْ كَانَتِ الْخِيَانَةُ مُوجَّهَةً لِلْكَفَّارِ.

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (ثَلَاثُ، الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ فِيهِنَّ سَوَاءٌ: مَنْ عَاهَدْتَهُ قَوْفَ بَعْثِهِ مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا، فَإِنَّمَا الْعَهْدُ لِلَّهِ،

٥٥ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ

كَفَرُوا فِيهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ

٥٦ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ

يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ

وَهُمْ لَا يَنْقُوتُ

٥٧ فَاِمَّا تَتَّقِفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ

بِهِمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَعَلَّهُمْ

يَذْكُرُونَ

٥٨ وَإِذَا تَخَافَتْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً

فَاتَّبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ

وَمَنْ كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَحْمٌ فَصَلِّهَا، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا. وَمَنْ أَتَمَّنَكَ عَلَى أَمَانَةٍ فَأَدَّهَا إِلَيْهِ، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ).

مِنْ قَوْمٍ - مِنْ قَوْمٍ عَاهَدُوكَ.

فَأَنبِذْ إِلَيْهِمْ - فَاطْرَحْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ وَحَارِبَهُمْ.

عَلَى سَوَاءٍ - عَلَى أَسْتَوَاءٍ فِي الْعِلْمِ يَنْبِذُ الْعَهْدَ.

(٥٩) - وَلَا يَحْسِبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ فَاتُونَا وَسَقُونَا، وَنَجُوا مِنْ عَاقِبَةِ خِيَانَتِهِمْ وَغَدَرِهِمْ، فَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ تَحْتَ قَهْرِنَا وَقُدْرَتِنَا، وَفِي قَبْضَةِ مِشِيَّتِنَا، فَلَا يُعْجِزُونَنَا عَنْ إِدْرَاكِهِمْ، وَسَنَجْزِيهِمُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى.

سَبَقُوا - خَلَصُوا وَأَقْلَتُوا مِنَ الْعَذَابِ.

(وَأَخْرَجَ)

(٦٠) - يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالِاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ، وَبِإِعْدَادِ آيَاتِهَا لِمُقَاتَلَةِ الْكُفَّارِ، وَدَفْعِ الْعُدُوِّ، وَحِفْظِ الْأَنْفُسِ، وَالْحَقِّ وَالْفَضِيلَةِ، حَسَبِ الطَّاقَةِ وَالِاسْتِطَاعَةِ: مِنْ خَيْلٍ وَسِلَاحٍ وَعُدَدٍ وَمُؤْنٍ وَتَدْرِيبٍ وَعِلْمٍ وَكُلِّ مَا يَدْخُلُ فِي تَعْرِيفِ الْقُوَّةِ الَّتِي تُمَكِّنُ الْأُمَّةَ مِنْ مَقَاوِمِهِ خُصُومِهَا، بِحَسَبِ مَقْهُومِ الْعَصْرِ، وَذَلِكَ لِإِرْهَابِ الْكُفَّارِ - مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ غَيْرِهِمْ - أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِلِرْهَابِ الْأَعْدَاءِ الْآخَرِينَ مِنْ مُنَافِقِينَ وَيَهُودٍ يُجَاوِرُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ لَا يَعْلَمُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُمْ. وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ كُلَّ نَفَقَةٍ يَنْفِقُونَهَا فِي الْجِهَادِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ، سَتَوْقَى إِلَيْهِمْ بِالْتِمَامِ وَالْكَمَالِ، وَلَا يَخْشَى اللَّهُ أَحَدًا مِنْهُمْ شَيْئًا.

قُوَّةٌ - كُلُّ مَا يُتَّقَى بِهِ فِي الْحَرْبِ.

رِبَاطُ الْخَيْلِ - حَبْسُهَا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

(٦١) - وَإِذَا جَنَحَ الْأَعْدَاءُ إِلَى السَّلْمِ، وَمَأَلَوْا إِلَى الْمُهَادَنَةِ وَالْمُصَالَحَةِ، فَمِلْ أَنْتَ إِلَيْهَا، وَأَقْبِلْ مِنْهُمْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ غَرَضًا مَقْصُودًا لِذَاتِهِ عِنْدَكَ، وَإِنَّمَا تَقْبِضُ بِهَا أَنْتَ دَفْعَ خَطَرِهِمْ وَعُدُوَانِهِمْ، وَلِأَنَّكَ أَوَّلَى بِالسَّلْمِ مِنْهُمْ، وَفَوْضَ الْأَمْرِ لِلَّهِ، وَلَا تَخَفْ غَدَرَهُمْ وَمَكْرَهُمْ، فَإِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُونَ، الْعَلِيمُ بِمَا يَفْعَلُونَ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَأْتِمُرُونَ بِهِ مِنَ الْكَيْدِ وَالْخِدَاعِ، وَإِنْ خِفَى عَلَيْكَ.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا
إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَجَ مِنْ دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تَظْلَمُونَ



وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ
فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

وَلَذَلِكَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصُّلْحُ فِي الْحُدُوبِ لَمَّا طَلَبَهُ الْمُشْرِكُونَ).
[وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هَذِهِ آيَةً مَسْخُوحَةً بِآيَةِ السَّيْفِ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ وَقَدْ
جَاءَ فِيهَا: هَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ] (١).

جَنَحُوا لِلسَّلَامِ - مَالُوا لِلْمُسَالَمَةِ وَالْمُصَالَحَةِ.

(٦٢) - وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ
حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ
بَصَرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ
وَنَصَرَكَ.

حَسْبَكَ اللَّهُ - كَافِيكَ فِي دَفْعِ خَدِيعَتِهِمْ.

(٦٣) - وَهُوَ الَّذِي أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَمَعَهَا عَلَى الْإِيمَانِ بِكَ،
وَعَلَى طَاعَتِكَ وَمُنَاصَرَتِكَ، وَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ لِيَسْتَطِيعَ التَّأْلِيفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ،
وَلَوْ اتَّفَقَتْ جَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ، لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ قَبْلًا مِنْ
عَدَاوَاتٍ وَضَغَائِنٍ وَأَحْقَادٍ، كَمَا كَانَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ... وَلَكِنْ
اللَّهُ جَمَعَ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْهُدَى وَالتَّقْوَى، وَاللَّهُ عَزِيزُ الْجَانِبِ لَا يَضَامُ،
حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ، لَا يَخِيبُ رَجَاءَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ.

(يَا أَيُّهَا)

(٦٤) - يُحَرِّضُ اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ وَمُنَاجَزَةِ
الْأَعْدَاءِ، وَيُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّهُ حَسْبُهُمْ وَكَافِيهِمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَإِنْ
كَثُرَتْ أَعْدَادُهُمْ، وَتَتَابَعَتْ إِمْدَادَاتُهُمْ، وَلَوْ قُلَّ عَدَدُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ عَدَدِ
الْكُفَّارِ.

(يَا أَيُّهَا) (صَابِرُونَ)

(٦٥) - يَا مُرُّهُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِحَثِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَحْرِيطِهِمْ عَلَى
الْقِتَالِ، لِدَفْعِ عُدُوِّ الْكَافِرِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ
وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَأَهْلِهَا، عَلَى كَلِمَةِ الْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَأَنْصَارِهِمَا. وَيُخَبِّرُ
اللَّهُ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا وَجَدَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَشْرُونَ مُعْتَصِمُونَ بِالْإِيمَانِ

وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ اتَّفَقَتْ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ
اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزُ حَكِيمٌ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ
وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ

وَالصَّبْرَ وَالطَّاعَةَ، فَإِنَّهُمْ يَغْلِبُونَ مِثَّتَيْنِ، وَإِنْ وُجِدَ مِنْهُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الْكُفَّارِ، لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ مَا تَفْقَهُونَهُ أَنْتُمْ مِنْ حِكْمَةِ الْحَرْبِ، وَمَا يَرَادُ بِهَا مِنْ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَنْتَظِرُونَ هُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ أَنْتُمْ مِنَ الْحَرْبِ: نَصْرًا مِنَ اللَّهِ أَوْ فَوْزًا بِالشَّهَادَةِ وَرِضْوَانِ اللَّهِ. وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ.

حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ - بِالْبَالِغِ فِي حَتِّهِمْ.

(الآن) (الصَّابِرِينَ)

(٦٦) - وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُخَفَّفُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَجْعَلُ الْمُسْلِمَ الْوَاحِدَ فِي مُقَابَلَةِ اثْنَيْنِ مِنَ الْكُفَّارِ (يَبْنِمَا كَانَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ الْوَاحِدَ بَعِثَرَةً)، فَإِذَا كَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ نِصْفَ عَدَدِ عَدُوِّهِمْ، لَمْ يَسْغَ لَهُمُ التَّرَدُّدُ فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَإِذَا كَانُوا دُونَ ذَلِكَ، لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ، وَجَازَ لَهُمْ أَنْ يَتَحَرَّزُوا. فَالْعَشْرَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ يَغْلِبُونَ الْعِشْرِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ الصَّابِرِينَ وَيَنْصُرُهُمْ، فَالْنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَلَيْسَ بِالْعَدْرِ وَالْعُدَّةِ.

(الْآخِرَةَ)

(٦٧) - أَسْرَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ بَدْرٍ عَدَدًا مِنْ رُؤُوسِ الشَّرْكِ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَأَلَ الرَّسُولُ أَصْحَابَهُ مَا يَفْعَلُ بِالْأَسْرَى، فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِقَتْلِهِمْ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ بِإِقَادِ نَارٍ عَظِيمَةٍ فِي الْوَادِي وَإِحْرَاقِهِمْ فِيهَا، وَأَشَارَ أَبُو بَكْرٍ بِمُفَادَاتِهِمْ. وَقَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: هُمْ الْأَهْلُ وَالْعَشِيرَةُ. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَبِلَ الْفِدَاءَ.

فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَفِيهَا يُلَوِّمُ الرَّسُولَ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى قَبُولِ الْفِدَاءِ، وَتَفْضِيلِ عَرَضِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى مَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ الْعُلْيَا، وَهِيَ إِبَادَةُ الْكُفْرِ وَقَادِيَّتِهِ، حَتَّى يَتَضَعَّضَ الْكُفْرُ، وَيَنْهَارَ بَنِيَانُهُ، وَتَنْقَطَعَ أَوْصَالُهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجِنَ فِي الْأَرْضِ﴾، أَيِ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْدِلُوا عَنْ قَتْلِ أَعْدَائِهِمْ إِلَى أَسْرِهِمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْعِلَّةُ التَّامَّةُ، وَالسَّيْطَرَةُ الْكَامِلَةُ، وَأَنْ تَكُونَ قُوَّتُهُمْ فِي مَوْضِعِ التَّفُوقِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ النَّارَ وَالْعَوْدَةَ إِلَى الْقِتَالِ إِذَا سَنَحَتْ لَهُمُ الْفُرْصَةُ. فَإِذَا كَانَتْ لَهُمُ الْقُوَّةُ وَالسُّلْطَانُ بَعْدَ أَنْ أَتَاهُمُ الْأَعْدَاءُ قَتْلًا، جَازَ لَهُمْ

٦٦ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ

٦٧ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

الْعُدُولُ عَنِ الْقَتْلِ إِلَى الْأَسْرِ. وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنَّهُمْ فَضَّلُوا بَعْدُولَهُمْ إِلَى الْأَسْرِ، عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَمَّا هُوَ تَعَالَى فَإِنَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي أَنْتِقَامِهِ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَنْذِيرِهِ. الْإِنْخَانُ - الشَّدَّةُ وَالْغَلْبَةُ أَوْ هُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي الْقَتْلِ لِيَتِمَّ إِذْلالُ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ.

عَرَضَ الدُّنْيَا - حُطَامَهَا - وَذَلِكَ بِأَخْذِ الْفِدْيَةِ.

(كِتَابُ)

(٦٨) - وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَوْلَا كِتَابُ سَبَقَ مِنْهُ لَمَسَّهُمْ فِي أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

وَقِيلَ: إِنَّ عِبَارَةَ (كِتَابُ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ) تَحْتَمِلُ أَقْوَالَ:

- أَوَّلُهَا: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ مَنْ عَصَاهُ حَتَّى يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِالْإِعْذَارِ، لَعَاقَبَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ.

- وَثَانِيهَا - أَنَّهُ لَوْلَا كِتَابُ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ أَلَّا يُعَذِّبَكُمْ وَالرُّسُولَ فِيكُمْ، وَأَنْتُمْ تَسْتَغْفِرُونَهُ مِنَ الذُّنُوبِ لَمَسَّكُمْ بِسَبَبِ أَخْذِكُمْ الْفِدَاءَ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

- وَثَالِثُهَا - أَنَّهُ لَوْلَا أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ سَبَقَ مِنْهُ الْوَعْدُ لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَذْرًا بِالْمَغْفِرَةِ لَمَسَّهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

وَرَابِعُهَا - لَوْلَا حُكْمُ سَابِقٍ مِنَ اللَّهِ بِالْعَفْوِ عَنِ الْمُجْتَهِدِ الْمُخْطِئِ لِأَصَابِكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ كَبِيرٌ.

(حَلَالًا)

(٦٩) - أَمَّا وَإِنَّكُمْ قَدْ قَبِلْتُمْ الْفِدَاءَ، وَأَطْلَقْتُمْ الْأَسَارَى، فَكُلُوا مَا أَخَذْتُمْ مِنَ الْفِدَاءِ حَلَالًا طَيِّبًا، وَلَا تَتَحَرَّجُوا مِنْ ذَلِكَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الْغَفُورَ الرَّحِيمَ.

(يَا أَيُّهَا)

(٧٠) - وَقَعَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا فِي أَيْدِي أَنْاسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَتَوَعَّدُوهُ بِالْقَتْلِ. فَحَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَذْهَبَ إِلَيْهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَذَهَبَ عُمَرُ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ رَفَضُوا تَسْلِيمَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ أَوَلَوْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ رِضًا فِي ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ فَخُذْهُ. فَعَرَضَ عَلَيْهِ الرُّسُولُ أَنْ يَقْدِيَ نَفْسَهُ، وَيَقْدِيَ ابْنِي أَخِيهِ تَوْفَلًا وَعَقِيلًا، وَحَلِيفًا لَهُ. فَتَعَلَّلَ الْعَبَّاسُ بِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ مَا يَكْفِي مِنَ الْمَالِ.

لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ

لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ

مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ

فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا

مِمَّا أَخَذْتُمْ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: أَلَمْ تَتْرُكْ عِنْدَ زَوْجَتِكَ أُمَّ الْفَضْلِ مَا لَمْ دَفْنْتُمَاهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ نَعَمْ. وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَدَفَعَ عَشْرِينَ أُوقِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ. وَقَالَ لِلرَّسُولِ كُنْتُ مُسْلِمًا. فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ، فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَيَقُولُ الْعَبَّاسُ: إِنَّ اللَّهَ آتَاهُ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْهُ مِثَّةً ضِعْفٍ، وَإِنَّهُ لَيَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ غَفَرَ لَهُ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنْ يَكُنْ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرٌ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، يُعَوِّضْكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ، وَيَغْفِرَ مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنَ الشِّرْكِ وَالسَّيِّئَاتِ.

(٧١) - وَقَالَ بَعْضُ أَسْرَى بَدْرِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: آمَنَّا بِمَا جِئْتَ بِهِ وَنَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ نَصْحَنَ لَكَ عَلَى قَوْمِنَا. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ كَانُوا يُرِيدُونَ خِيَانَتَكَ فِيمَا أَظْهَرُوهُ لَكَ مِنَ الْأَقْوَالِ، فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ قَبْلَ بَدْرِ بِكُفْرِهِمْ بِهِ، فَأَمَّا مَنْ مِنْهُمْ، وَأَظْفَرَكُمْ بِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ فِي جُمْلَةِ الْأَسْرَى، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُ، حَكِيمٌ فِيهِ. فَأَمَّا مَنْ مِنْهُمْ - فَأَقْدَرَكُمْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرِ.

(آمَنُوا) (وَجَاهَدُوا) (بِأَمْوَالِهِمْ) (أَوْوَا) (أُولَئِكَ) (وَلَايَتِهِمْ) (مِيثَاقٌ)

(٧٢) - إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ تَرَكُوا دِيَارَهُمْ، وَجَاهَدُوا مَعَ الرَّسُولِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْأَنْصَارَ الَّذِينَ أَوْوَا الرَّسُولَ وَنَصَرُوهُ، هَؤُلَاءِ جَمِيعًا بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ، وَكُلُّ مِنْهُمْ أَحَقُّ بِالْآخِرِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ. لِذَلِكَ أَخَى الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، كُلُّ اثْنَيْنِ إِخْوَانٌ فِي اللَّهِ، فَكَانُوا يَتَوَارَثُونَ بِذَلِكَ إِرْثًا مُقَدَّمًا عَلَى الْقَرَابَةِ، حَتَّى نَسَخَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِآيَةِ الْمَوَارِيثِ.

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا، بَلْ أَقَامُوا فِي أُمَاكِنِهِمْ فَهَؤُلَاءِ لَا يَثْبُتُ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ وَلَايَةِ الْمُسْلِمِينَ وَنَصْرَتِهِمْ، إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى وَلَايَتِهِمْ حَتَّى يُهَاجِرُوا، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْمَغَانِمِ نَصِيبٌ وَلَا فِي حُمْسِهَا إِلَّا مَا حَضَرُوا فِيهِ الْقِتَالُ. وَإِذَا اسْتَنْصَرَ هَؤُلَاءِ، الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا، إِخْوَانَهُمُ الْمُسْلِمِينَ فِي قِتَالِ دِينِي عَلَى عَدُوِّ لَهُمْ، فَعَلَيْهِمْ نَصْرُهُمْ، لِأَنَّهُمْ إِخْوَانٌ فِي الدِّينِ. أَمَّا إِذَا كَانَ الِاسْتِئْصَارُ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِيثَاقٌ وَمُهَادَنَةٌ إِلَى مَدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَلَّا يَخْفِرُوا ذِمَّتَهُمْ وَلَا أَنْ يَنْقُضُوا أَيْمَانَهُمْ مَعَ الَّذِينَ عَاهَدُوهُمْ.

﴿٧١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(٧٣) - الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَبِذَلِكَ قَطَعَ اللَّهُ الْمَوَالَاةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ ، وَمَنَعَ بَيْنَهُمُ الْمِيرَاثَ (لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ) .
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فَهُمْ يَتَنَاصَرُونَ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَيَتَعَاوَنُونَ عَلَى عَدَاوَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَا تَوَالُوهُمْ يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَإِذَا لَمْ تَجْتَنِبُوا الْمُشْرِكِينَ ، وَتَوَالَوْا الْمُؤْمِنِينَ كَانَتْ فِتْنَةً بَيْنَ النَّاسِ ، وَالْيَتَاسُّ لِلْأَمْرِ عَلَى النَّاسِ ، وَاخْتِلَاطُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَافِرِينَ .

(آمَنُوا) (وَجَاهِدُوا) (أَوُوا) (أَوْلِيَاكَ)

(٧٤) - فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ عَظَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى ذِكْرِ مَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى سَيَجْزِيهِمْ بِالصَّفْحِ وَالْمَغْفِرَةِ عَنِ الذُّنُوبِ ، وَبِالرِّزْقِ الْكَرِيمِ الْحَسَنِ الطَّيِّبِ ، الَّذِي لَا يَنْقُطِعُ وَلَا يَنْقُضِي ، وَلَا يُسَامُ وَلَا يَمَلُّ حُسْنَهُ .

(آمَنُوا) (وَجَاهِدُوا) (فَأَوْلِيَاكَ) (وَأَوُوا) (كِتَابِ)

(٧٥) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ إِيْمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَكُونُونَ مَعَ السَّابِقِينَ فِي الْآخِرَةِ . وَذَوُو الْأَرْحَامِ مِنَ الْأَقَارِبِ جَمِيعاً لَهُمْ وَلَايَةُ الْقَرَابَةِ ، وَبَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي الْمَوَدَّةِ وَالْمَالِ وَالنُّصْرَةِ كَمَا شَرَعَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ .
أَوُوا الْأَرْحَامَ - ذَوُو الْقَرَابَةِ .
أَوْلَى - بِالْمِيرَاثِ مِنَ الْأَجَانِبِ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ لَا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
أَوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاكَ هُمُ
الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا

وَجَاهِدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ
وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى
بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ

(٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا تِسْعٌ وَعَشْرُونَ وَفَاتَتْ

(عَاهَدْتُمْ)

(١) - كَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ أَوَاخِرِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَكُتُبِ الصَّحَابَةُ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِهَا، أَقْبَدَاءُ يَعْثُمَانِ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ إِنْ كَانَتْ تَابِعَةً لِسُورَةِ الْأَنْفَالِ أَوْ أَنَّهَا سُورَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ.

وَأَوَّلُ هَذِهِ السُّورَةِ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَرْسَلَ الرَّسُولُ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَمِيرًا لِلْحَجِّ، وَاتَّبَعَهُ يَعْلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِيَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ سُورَةَ التَّوْبَةِ، وَأَنْ يَطْلُبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ لَا يَحْجُوا بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا.

وَيُعْلَمُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ وَرَسُولُهُ بِرِثَانٍ وَمُتَحَرِّرَانِ مِنَ الْعُهُودِ، الَّتِي التَزَمَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ.

وَالرَّأْيُ الرَّاجِحُ أَنَّ هَذِهِ الْبَرَاءَةَ هِيَ مِنَ الْعُهُودِ الْمُطْلَقَةِ غَيْرِ الْمَوْقِفَةِ بِمُدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَمِنْ عُهُودِ أَهْلِ الْعُهُودِ الَّذِينَ ظَاهَرُوا عَلَى الرَّسُولِ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ قَبْلَ أَنْقِضَاءِ مُدَّتِهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِيمَا بَعْدَ، إِنْ الَّذِينَ تَقُومُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عُهُودٌ مُوقَّتَةٌ، ذَاتُ أَجَلٍ مُعَيَّنٍ، يَجِبُ أَنْ يُتِمَّ الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ، إِذَا لَمْ يَكُونُوا قَدْ نَقَضُوا الْعَهْدَ، وَظَاهَرُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَمَنْ كَانَ عَهْدُهُ دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَيُكْمَلُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ.

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ - تَبَرُّؤُ وَتَبَاعُدٌ وَاصِلٌ مِنَ اللَّهِ. عَاهَدْتُمْ - فَتَقْضُوا الْعَهْدَ.

(الْكَافِرِينَ)

(٢) - حَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى لِلَّذِينَ عَاهَدُوا الرَّسُولَ ﷺ، وَلَمْ تَكُنْ لِعُهُودِهِمْ مُدَّةٌ مُعَيَّنَةٌ، مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ يَسِيحُونَ خِلَالَهَا فِي الْأَرْضِ، وَيَتَقَلَّبُونَ

١ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ

٢ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ
أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي

اللَّهُ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ

كَيْفَ شَأُؤُوا آمِينَ. أَمَّا الَّذِينَ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ عَهْدٌ، فَجَعَلَ مِدَّتَهُمْ أَنْسِلَاخَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَضَعَ الرَّسُولَ فِيهِمُ السَّيْفَ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ.

وَيُعَلِّمُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ، أَيْنَمَا كَانُوا، فَهُمْ خَاصِعُونَ لِسُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَهُ طَلَبًا، وَأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ قَرَضَ الْخِزْيَ عَلَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِهِ.

أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ - أَوَّلُهَا عَاشِرُ ذِي الْحِجَّةِ.
غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ - غَيْرُ فَائِزِينَ مِنْ عَذَابِهِ بِالْهَرَبِ.

(وَأَذَانٌ)

(٣) - وَبَلَاغٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْدَارٌ إِلَى النَّاسِ (أَذَانٌ) يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ (لَأَنَّهُ أَكْبَرُ الْمَنَاسِكِ، وَمَجْمَعُ النَّاسِ فِي الْحَجِّ لِيَصِلَ إِلَيْهِمُ الْبَلَاغُ)، أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ أَيْضًا، فَإِنَّ تَابَ الْمُشْرِكُونَ وَانْتَهَوْا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّرْكِ وَالضَّلَالِ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ، وَإِنْ أَصْرُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ، فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُعْجِزِي اللَّهِ الَّذِي هُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَمَسِيطَرَتِهِ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَقُوتُوهُ أَبَدًا، وَلَنْ يَجِدُوا مِنْهُ مَهْرَبًا. وَيُهِدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمًا إِذَا اسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ.

أَذَانٌ - إِعْلَانٌ وَإِبْدَانٌ.

يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ - يَوْمَ النَّحْرِ سَنَةِ تِسْعٍ لِلْهِجْرَةِ.

(عَاهَدْتُمْ) (يُظَاهِرُوا)

(٤) - وَيَسْتَشْيِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ تَحْدِيدِ الْأَجَلِ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، الَّذِينَ لَهُمْ عَهْدٌ مُحَدَّدٌ الْمُدَّةِ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِاتِّمَامِ عَهْدِهِمْ إِلَيْهِمْ إِلَى مُدَّتِهِ الْمُحَدَّدَةِ، إِذَا كَانُوا لَمْ يَقْضُوا عَهْدَهُمْ، وَلَمْ يُسَاعِدُوا أَحَدًا مِنْ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ.

(وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ مِنْ قَرَانِصِ الْإِسْلَامِ مَا دَامَ الْعَهْدُ مَعْقُودًا. وَمِنْ شُرُوطِ وَجُوبِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ مُحَافَظَةُ الْعَدُوِّ عَلَى الْعَهْدِ بِتَمَامِهِ نَصًّا وَرُوحًا، فَإِنْ نَقَصَ مِنْهُ شَيْئًا، أَوْ أَخْلَلَ بِغَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ عُدًّا نَاقِضًا لَهُ).

لَمْ يُظَاهِرُوا - لَمْ يُعَاوَنُوا.

﴿٣﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى

النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ

اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ

لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا

أَنكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيمٍ

﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ

شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ

أَحَدًا فَاقْتَرَبُوا إِلَيْهِمْ وَعَاهَدُوا إِلَى

مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ

(الصَّلَاةُ) (وَاتُوا) (الرَّكَاتِ)

(٥) - فَإِذَا أَنْقَضْتَ الْأَشْهُرَ الْمُحَدَّدَةَ أَجَلًا لِلْمُشْرِكِينَ، وَالتِّي حَرَّمَ اللَّهُ فِيهَا قِتَالَهُمْ، فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ، حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَأَسْرُوهُمْ (خَذُوهُمْ)، فَإِنْ شِئْتُمْ أَسْرًا، وَإِنْ شِئْتُمْ قَتْلًا. وَلَا تَكْتَفُوا بِقِتَالِ مَنْ تُصَادِفُونَهُ مِنْهُمْ فِي طَرِيقِكُمْ، وَلَكِنْ أَقْصِدُوهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ، وَحَاصِرُوهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، وَأَمْنَعُوا خُرُوجَهُمْ وَأَنْفِلَاتَهُمْ، وَأَرْصِدُوا طُرُقَهُمْ وَمَسَالِكَهُمْ، حَتَّى تَضِيقُوا عَلَيْهِمُ الزَّوَادِ، وَتَضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الْإِسْلَامِ.

فَإِنْ تَابُوا عَنِ الشِّرْكِ وَأَسْلَمُوا، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَدَّوْا الزَّكَاةَ، وَقَامُوا بِوَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(وَهَذِهِ الْآيَةُ تُسَمَّى آيَةُ السَّيْفِ إِذْ جَاءَ الْأَمْرُ فِيهَا بِالْقِتَالِ وَكَانَ مُؤْجَلًا إِلَى أَنْ يَقْوَى الْمُسْلِمُونَ).

أَنْسَلَخَ - أَنْقَضَى وَيُقْصَدُ بِالْأَشْهُرِ الْحُرُمِ هُنَا أَشْهُرُ الْعَهْدِ الْأَرْبَعَةِ. أَحْصَرُوهُمْ - أَحْبَسُوهُمْ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ، وَأَمْنَعُوهُمْ مِنَ الْأَنْسِيَاكِ فِي الْبِلَادِ.

كُلُّ مَرَصِدٍ - كُلُّ طَرِيقٍ وَمَمَرٍ وَمَرْقَبٍ.

(كَلَامٌ)

(٦) - وَإِذَا اسْتَجَارَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِقِتَالِهِمْ) بِالرَّسُولِ ﷺ، وَأَسَاطَنَهُ فَعَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ، وَيَقْرَأَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ الْقُرْآنَ، وَيَذْكُرَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، لِيُقِيمَ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ، ثُمَّ يُبَلِّغَهُ أَمَانَتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيُوصِلَهُ إِلَى مَكَانٍ يَكُونُ فِيهِ أَمِنًا، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْلَمُونَ أَمْرَ الدِّينِ، وَلَمْ يُعْرَضُوا عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَنْ جَهْلِ وَعَصْبِيَّةٍ، وَأَعْتَرَارٍ بِالْقُوَّةِ، وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ أَمَانَتَهُمْ لِيَعْلَمُوا دِينَ اللَّهِ، وَلِيَتَنَبَّرَ الدَّعْوَةُ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَلِهَذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُعْطِي أَمَانَتَهُ مُسْتَرَشِدًا بِالْآيَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ هِدَايَةِ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ.

اسْتَجَارَكَ - أَيُّ بَعْدَ أَنْسَلَاكِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ (أَشْهُرُ الْعَهْدِ).

(عَاهِدْتُمْ) (اسْتَقَامُوا)

(٧) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى الْحِكْمَةَ مِنَ الْبِرَاءَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعُهُودِهِمْ، وَمِنْ نَظَرَتِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَيَقُولُ تَعَالَى: كَيْفَ يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ،

⑤ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ

فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْصَرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرَصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

⑥ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

اسْتَجَارَكَ فَاجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ أَمَانَتَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ

⑦ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ

عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ

وَيَتْرَكُونَ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرْكِ، وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ، وَهُمْ إِذَا تَمَكَّنُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَّوْا عَلَيْهِمْ، لَا يَرْعَوْنَ فِيهِمْ قَرَابَةً وَلَا عَهْدًا؟ أَمَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ)، فَمَا اسْتَمْسَكُوا بِالْعَهْدِ، وَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ، فَتَمَسَّكُوا أَنْتُمْ بِهِ، وَأَوْفُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى عَهْدِهِمْ.

وَقَدْ اسْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَافِظًا عَلَى عَهْدِهِ مَعَ قُرَيْشٍ حَتَّى نَقَضَتْهُ هِيَ، وَسَاعَدَتْ بَنِي بَكْرٍ أَخْلَافَهَا، عَلَى خِرَاعَةِ خُلَفَاءِ الرَّسُولِ، فَسَارَ النَّبِيُّ إِلَى قُرَيْشٍ وَفَتَحَ مَكَّةَ. فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ - فَمَا أَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ مَعَكُمْ.

(بِأَفْوَاهِهِمْ) (فَاسِقُونَ)

(٨) - يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَسْبَابَ الَّتِي تَدْعُو إِلَى أَنْ لَا يَكُونَ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ، ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَلِأَنَّهُمْ إِذَا اتَّصَرُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ، اجْتَنَبُوا وَلَمْ يَبْقُوا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَرْقُبُوا فِي الْمُسْلِمِينَ قَرَابَةً، وَلَا عَهْدًا، فِي نَقْضِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَهَؤُلَاءِ يَخْدَعُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَلَامِهِمُ الْمَعْسُولِ، وَقُلُوبُهُمْ مُنْطَوِيَةٌ عَلَى كَرَاهَتِهِمْ، وَكَثَرَتْهُمْ خَارِجُونَ عَنِ الْحَقِّ، نَاقِضُونَ لِلْعَهْدِ. يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ - يَظْفَرُوا بِكُمْ.

لَا يَرْقُبُوا - لَا يُرَاعُوا.

إِلَّا - قَرَابَةً.

ذِمَّةٌ - عَهْدٌ وَأَمَانًا.

(بِآيَاتِ)

(٩) - اعْتَاضُوا عَنْ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللَّهِ بِمَا آتَاهَا بِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا الْخَسِيسَةِ، فَمَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَعَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ فَبَنَسَ الْعَمَلَ عَمَلُهُمْ، وَسَاءَ مَا عَمِلُوا مِنْ أَشْيَاءِ الْكُفْرِ بِالْإِيمَانِ، وَالضَّلَالَةِ بِالْهُدَى.

صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ - مَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ.

(وَأُولَئِكَ)

(١٠) - وَبَجَعْلُهُمْ كُفْرَهُمْ لَا يَرْعَوْنَ فِي مُؤْمِنٍ، يَقْدِرُونَ عَلَى الْفَتْكِ بِهِ، قَرَابَةً تَقْتَضِي الْوُدَّ، وَلَا ذِمَّةً تُوجِبُ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ، وَلَا رَبًّا يُحَرِّمُ الْخِيَانَةَ وَالْغَدْرَ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُتَجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي الظُّلْمِ.

عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ

٨ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً

يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ

٩ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنْهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

١٠ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ

الْمُعْتَدُونَ - الْمُتَجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي الظُّلْمِ .

(الصَّلَاةِ) (وَاتُوا) (الرَّكَاتِ) (فَإِخْوَانُكُمْ) (الآيَاتِ)

(١١) - فَإِذَا أَنْتَهَوْا عَمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَتَابُوا وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَادَّاءُوا الصَّلَاةَ حَتَّى آدَائِهَا، وَادَّاءُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، فَجِئْنَا بِصَبْحُونِ إِخْوَانًا لَكُمْ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ، وَيُوضِّحُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ مَا بَيْنَ اللَّهِ لَهُمْ مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ وَالْآيَاتِ، وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا. أَقَامُوا الصَّلَاةَ - آدَوْهَا حَتَّى آدَائِهَا، وَآتَمَّوْهَا بِخُشُوعِهَا.

(أَيْمَانُهُمْ) (فَقَاتِلُوا) (أُتْمَةً) (أَيْمَانِ)

(١٢) - وَإِنْ نَكَثَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ، عَهْدَهُمْ وَمَوَاقِفَهُمْ (أَيْمَانَهُمْ)، وَعَاقِبُوا دِينَكُمْ وَأَنْتَقِصُوا (طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ)، فَقَاتِلُوا زُعَمَاءَ الْكُفْرِ وَأُتْمَتَهُ، لِأَنَّهُمْ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا مَوَاقِفَ، لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ عَنِ الْكُفْرِ إِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ. (وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ شُرِعَ قَتْلُ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمَنْ طَعَنَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ).

نَكَثَ الْغَزْلَ وَالْحَبْلَ - حَلَّ خُيُوطَهُ الَّتِي تَأَلَّفَ مِنْهَا وَأَرْجَعَهَا إِلَى أَصْلِهَا. نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ - نَقَضُوا عَهْدَهُمْ الْمُؤَكَّدَةَ بِالْأَيْمَانِ.

(تَقَاتِلُونَ) (أَيْمَانَهُمْ)

(١٣) - يَحْضُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَنْكُثُونَ عَهْدَهُمْ، وَقَدْ سَبَقَ لَهُمْ أَنْ هُمَا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَذُوقُوكُمْ بِالْقِتَالِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، إِذْ خَرَجُوا إِلَى بَدْرِ لِنُصْرَةِ عِبْرِهِمْ وَإِنْقَادِهَا، ثُمَّ يَطْلُبُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَخْشَوْا الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ، وَيَقُولَ لَهُمْ: إِنَّ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْخَشْيَةَ وَالْخَوْفَ مِنْهُ هُوَ اللَّهُ ذُو السُّطُورَةِ وَالْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ. فَالْمُؤْمِنُونَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ، وَلَا يَخَافُونَ سِوَاهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ.

(قَاتِلُوهُمْ)

(١٤) - يَا مَرْءَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ الْكُفَارِ، وَيَقُولَ لَهُمْ إِنَّهُ تَعَالَى سَيُعَذِّبُهُمْ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، وَيُمْكِّنُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِقَابِهِمْ، وَيُخْزِيهِمْ وَيُذِلُّهُمْ بِالْأَسْرِ وَالْفَهْرِ وَالْهَزِيمَةِ، وَيَنْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَيُسْقِيهِمْ صُدُورَ قَوْمٍ أَعْتَدَى الْكَافِرُونَ عَلَيْهِمْ، (مِثْلُ خِرَاعَةٍ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ فِي مَكَّةَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا اللَّحَاقَ بِإِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى دَارِ الْهَجْرَةِ).

﴿١١﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ

فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

﴿١٢﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ

عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ

فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ

لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ

يَنْتَهُونَ

﴿١٣﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا

أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ

الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ

أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ

فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ

﴿١٤﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ

بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ

وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ

صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ

﴿١٥﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ

﴿١٦﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا
يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَبَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ

﴿١٧﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا
مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ
حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ
هُمْ خَالِدُونَ

(١٥) - وَيُذْهِبُ اللَّهُ بَصَرَكُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ، مَا فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْظٍ عَلَى جَمَاعَةِ الْكُفْرِ، بِسَبَبِ غَدْرِهِمْ وَظُلْمِهِمْ
وَأَعْتِدَائِهِمْ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، مِنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ،
وَيُؤَفِّقُهُمْ لِلْإِيمَانِ وَيَقْبَلُهُ مِنْهُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ، حَكِيمٌ فِي
أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ.
غَيْظُ قُلُوبِهِمْ - غَيْظُهَا الشَّدِيدُ وَغَضَبُهَا.

(جَاهِدُوا)

(١٦) - أَظَنَنْتُمْ أَنْ يُتْرَكَكُمْ اللَّهُ مُهْمَلِينَ، لَا يُخْتَبِرُكُمْ بِأُمُورٍ تُظْهَرُ فِيكُمْ
الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِهِ، وَيُخْلِصُونَ فِي
جِهَادِهِمْ وَنُضْجِهِمْ، لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَكُونَ ظَاهِرُهُمْ
بِاطِنُهُمْ، فِي الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، وَلَيْسَ لَهُمْ بَطَانَةٌ مِنْ
لُشْرِكِينَ، وَلَا رَوَابِطُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِأَسْرَارِ
لِمُسْلِمِينَ وَخُطَطِهِمْ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.
وَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ أَنَّ التَّكْلِيفَ الَّذِي يَشُقُّ عَلَى الْإِنْسَانِ هُوَ الَّذِي
يُمَحِّصُ مَا فِي الْقُلُوبِ، وَيُظْهِرُ السَّرَاتِرَ، وَيَكْشِفُ مَكْنُونَاتِ السَّرَائِرِ
الْخَبِيَّةِ.
وَلِجَبَّةٍ - بَطَانَةٌ وَأَصْحَابُ سِرٍّ.

(مَسَاجِدَ) (شَاهِدِينَ) (أُولَئِكَ) (أَعْمَالُهُمْ) (خَالِدُونَ)

(١٧) - لَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى
اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - وَمِنْهَا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ -، بِالْإِقَامَةِ فِيهَا
لِلْعِبَادَةِ، أَوْ لِلْخِدْمَةِ أَوْ لِلْوَلَايَةِ عَلَيْهَا، وَلَا أَنْ يَزُورُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
حُجَّاجًا وَمُعْتَمِرِينَ، وَقَدْ شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ، قَوْلًا وَعَمَلًا،
بِعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ، وَالِاسْتِشْفَاعَ بِهَا، وَالسُّجُودَ لِمَا وَضَعُوهُ مِنْهَا فِي
الْكُفَّةِ عَقِبَ كُلِّ شَوْطٍ مِنْ طَوَافِهِمْ، إِذْ أَنَّ عَمَلَهُمْ هَذَا يُعْتَبَرُ جَمْعًا
لِلنَّقِضَيْنِ، فَإِنَّ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الْجَسِيَّةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِعِمَارَتِهِ
الْمَعْنَوِيَّةِ بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَذَلِكَ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُوَحِّدِ. أَمَّا
الْمُشْرِكُونَ فَإِنَّهُمْ يُشْرِكُونَ بِالْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، وَيَسْأَوُونَ اللَّهَ بِبَعْضِ
خَلْقِهِ فِي الْعِبَادَةِ، وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، وَالْكَافِرُونَ بِهِ، هَلَكَتْ
أَعْمَالُهُمُ الَّتِي يَفْخَرُونَ بِهَا: مِنْ عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَسِقَايَةِ
الْحُجَّاجِ، وَفَرَى الضَّيْفِ، وَصَلَةِ الرَّجَمِ، . . . بِسَبَبِ شُرُكِهِمْ،
وَسَيَكُونُونَ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ أَبَدًا.

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ - هَلَكَتْ وَبَطَلَتْ وَذَهَبَ ثَوَابُهَا لِكُفْرِهِمْ.

(مَسَاجِدَ) (آمَنَ) (الْآخِرَ) (الصَّلَاةَ) (وَأَتَى) (الرَّكَاتَةَ) (أُولَئِكَ)

(١٨) - إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَحَدِّهِ، وَيُكْتِبُهُ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ، فَهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ كَلِمَةَ الْحَقِّ، وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ؛ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ هُوَ مِمَّنْ يَعْمُرُونَ مَسَاجِدَ اللَّهِ، لِتَوَافُقِ فِعْلِهِ مَعَ إِيْمَانِهِ، وَكَانَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالصُّوَابِ.

(آمَنَ) (وَجَاهَدَ) (يَسْتَوُونَ) (الظَّالِمِينَ)

(١٩) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، جِئِ اسْمُ بَيْدَرٍ، فَقَالَ لَيْنِ سَبَقْتُمُونَا بِالْإِسْلَامِ وَالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، لَقَدْ كُنَّا نَعْمُرُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَنُسْقِي الْحَاجَّ، وَنَفُكُ الْعَانِي. فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ قَائِلًا: إِنَّ سِقَايَةَ الْحَاجِّ، وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَا تَسْتَوِيَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَعَ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ إِلَى الْحَقِّ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَلَا إِلَى الْحُكْمِ الْعَدْلِ فِي أَعْمَالِهِمْ غَيْرِهِمْ.

سِقَايَةَ الْحَاجِّ - تَقْدِيمُ الْمَاءِ لِلْحَاجِّاجِ الْوَافِدِينَ عَلَى مَكَّةَ لِيَشْرَبُوا.

(آمَنُوا) (وَجَاهَدُوا) (بِأَمْوَالِهِمْ) (وَأُولَئِكَ) (الْفَائِزُونَ)

(٢٠) - فَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، هُمْ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ دَرَجَةً وَمَقَامًا، وَأَكْثَرُ مَثُوبَةً مِنَ الَّذِينَ عَمَرُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَسَقَوْا الْحَاجَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُجَاهِدُونَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ.

(وَرِضْوَانٍ) (وَجَنَاتٍ)

(٢١) - وَهَؤُلَاءِ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ، وَعَلَى لِسَانِ مَلَائِكَتِهِ جِئِ مَوْتِهِمْ، بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانٍ، وَبَأَنَّهُ سَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتُهُ الْوَاسِعَةُ، وَسَيَبْقُونَ فِيهَا أَبَدًا فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ. وَالرِّضْوَانُ مِنَ اللَّهِ هُوَ نَهَايَةُ الْإِحْسَانِ، وَأَعْلَى النَّعِيمِ، وَأَكْمَلُ الْجَزَاءِ.

﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ

وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ

أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ

الْمُهْتَدِينَ



﴿١٩﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ

وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

﴿٢٠﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْفَائِزُونَ

﴿٢١﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ

وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا

نَعِيمٌ مُّقِيمٌ

(خَالِدِينَ)

(٢٢) - وَسَيَكُونُ هَؤُلَاءِ الْكِرَامُ مُخَلَّدِينَ فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا وَهَذَا جَزَاءُ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمِ الصَّالِحَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهُ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ لِمَنْ آمَنَ وَجَاهَدَ، وَقَامَ بِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ.

(يَا أَيُّهَا) (آمِنُوا) (آبَاءُكُمْ) (وَإِخْوَانُكُمْ) (الْإِيمَانِ) (فَأُولَئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

(٢٣) - بَعْدَ أَنْ أَغْلَنَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَاءَتَهُ، وَبَرَاءَةَ رَسُولِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَذْنَهُمْ بِبَيْدِ عُهُودِهِمْ، بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَا عُهُودَ لَهُمْ، عَزَّ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَبَرَّمَ مِنْهُ ضَعْفَاءُ الْإِيمَانِ، وَكَانَ مَوْضِعَ الضَّعْفِ نُصْرَةُ الْقَرَابَةِ وَالْعَصِيَّةِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ فَضْلَ الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ لَا يَتَحَقَّقُ، وَلَا يَكْتُمِلُ إِلَّا بِتَرْكِ وَلَايَةِ الْكَافِرِينَ، وَإِثَارِ حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، عَلَى حُبِّ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالْأَخِ وَالْعَشِيرَةِ، فَنَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ. وَتَوَعَّدَ مَنْ يَتَوَلَّاهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِقَابِ الشَّدِيدِ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى، وَعَدَّ مَنْ يَتَوَلَّى الْكُفْرَ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءً أَوْ إِخْوَانًا، مِنَ الظَّالِمِينَ.

(وَكثيْرًا مَا عَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْكُفْرِ بِالظُّلْمِ وَمَائِلَ بَيْنَهُمَا).
اسْتَحْبُوا الْكُفْرَ - اخْتَارُوهُ وَأَقَامُوا عَلَيْهِ.

(آبَاؤُكُمْ) (وَإِخْوَانُكُمْ) (وَأَزْوَاجُكُمْ) (وَأَمْوَالُ) (وَتِجَارَةُ) (وَمَسَاكِينُ) (الْفَاسِقِينَ)

(٢٤) - ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِتَوَعُّدِ مَنْ آثَرَ حُبَّ الْقَرَابَةِ وَالْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ وَالتَّجَارَةَ وَالْأَمْوَالَ وَالْمَسَاكِينَ... عَلَى حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يَتَرَبَّصُوا أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ، وَيَنْتَظِرُوا عِقَابَهُ وَنِكَالَهُ بِهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَهْدِي الْفَاسِقِينَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ سَوَاءَ السَّبِيلِ.

الْأَمْوَالُ الْمَقْتَرَفَةُ - هِيَ الَّتِي يَكْسِبُهَا الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ.
كَسَادَهَا - بَوَارَهَا بِفَوَاتِ أَيَّامِ الْمَوْسِمِ.
فَتَرَبَّصُوا - فَانْتَظَرُوا.

(٢٥) - يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، فِي نَصْرِهِ إِيَّاهُمْ فِي مَوَاقِعَ كَثِيرَةٍ (مَوَاطِنَ) مِنْ غَزَاوَاتِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، وَإِنْ

﴿٢٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ

﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

﴿٢٥﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

ذَلِكَ كُلُّهُ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبَيَّيْدِهِ وَتَقْدِيرِهِ، لَا يَبَدِّلُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَغْدِرُهُمْ، وَلَا يَعْصِيَتَهُمْ، وَلَا يَقْوَتَهُمْ، وَلَا يَكْثُرُ أَمْوَالُهُمْ، وَنَهَهُمْ تَعَالَى إِلَى أَنْ النَّصْرَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قُلِ الْجَمْعُ أَوْ كَثُرَ.

وَفِي يَوْمٍ حُنِينَ أَعْجَبَتِ الْمُسْلِمِينَ كَثْرَتُهُمْ فَلَمْ تُفِدْهُمْ شَيْئاً، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ عَلَى سَعَتِهَا، مِنْ شِدَّةِ فَرَعِهِمْ، فَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى النِّجَاةِ سَبِيلاً، وَلَمْ يَثْبُتْ مِنْهُمْ إِلَّا عِدَدٌ قَلِيلٌ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَانَ ذَلِكَ آيَةً مِنَ اللَّهِ لَهُمْ عَلَى عَجَبِهِمْ بِكَثْرَتِهِمْ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ وَتَأْيِيدَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، لِيُعْلَمَهُمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنْ قُلُ الْجَمْعُ.

بِمَا رَحَّبَتْ - عَلَى رَحْبِهَا وَسَعَتِهَا.

فَلَمْ تُغْنِ - فَلَمْ تَنْفَعْ وَلَمْ تُفِدْ.

(الكَافِرِينَ)

(٢٦) - وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الطُّمَأْنِينَةَ عَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَهُ، فَأَذْهَبَ رَوْعَهُمْ، وَأَزَالَ حَيْرَتَهُمْ، وَأَعَادَ إِلَيْهِمْ شَجَاعَتَهُمْ، وَلَزِمَ الرَّسُولُ ﷺ مَكَانَهُ، وَمَعَهُ الْقِلَّةُ الَّتِي ثَبَتَتْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتَنْصَرَ الرَّسُولُ رَبَّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جُنُوداً مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَرَهَا الْمُسْلِمُونَ بِأَبْصَارِهِمْ، بَلْ وَجَدُوا أَثَرَهَا فِي قُلُوبِهِمْ، بِمَا عَادَ إِلَيْهَا مِنْ رِبَاطَةِ جَاشٍ، وَشِدَّةِ بَاسٍ. وَأَخَذَ الرَّسُولُ ﷺ حَفَنَةً مِنْ تُرَابٍ قَذَفَهَا فِي وَجْهِ الْقَوْمِ، فَلَمْ يَبْقَ مُقَاتِلٌ مِنْ هَوَازِنَ إِلَّا وَدَخَلَتْ فِي عَيْنِهِ أَوْ فَمِهِ حَبَّةٌ مِنْ تُرَابٍ أَشْغَلَتْهُ عَنِ الْقِتَالِ، وَتَرَاوَجَعَ الَّذِينَ هَرَبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَى حَيْثُ كَانَ يَقِفُ رَسُولُ اللَّهِ وَصَحْبُهُ الشَّابِتُونَ، وَحَمَلُوا عَلَى هَوَازِنَ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ، وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَقَاتَلُوا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخْرَاهُمُ اللَّهُ وَأَذْلَهُمُ بِالْقَتْلِ وَالسِّيِّئِ، وَهَذَا هُوَ مَصِيرُ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، وَجَزَاؤُهُمْ. السَّكِينَةُ - الطُّمَأْنِينَةُ أَوْ رَحْمَةُ اللَّهِ.

(٢٧) - ثُمَّ يُتَوَبُّ اللَّهُ، مِنْ بَعْدِ الْقَتْلِ وَالْخِزْيِ وَالتَّعْذِيبِ، عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ هَوَازِنَ فَيَهْدِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ. وَقَدْ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْلِمِينَ، وَلَحِقُوا بِهِ فِي مَكَّةَ فِي مَكَانٍ يُعْرَفُ بِالْجَعْرَانَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْمَوْقِعَةِ بِعِشْرِينَ يَوْماً، وَجَبْنِيذَ خَيْرِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ سَبِيهِمْ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ، فَأَخْتَارُوا سَبِيَّهُمْ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافٍ أَسِيرٍ مَا بَيْنَ صَبِيٍّ وَامْرَأَةٍ فَرَدَّهُمْ عَلَيْهِمْ، وَقَسَمَ الْأَمْوَالَ بَيْنَ الْمُقَاتِلِينَ.

أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلِيتُّمْ مُدْبِرِينَ

﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ

﴿٢٧﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢٨) - أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَنْعِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالطَّوَافِ بِالْكَعْبَةِ، بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، (وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْعَامِ التَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ) لِأَنَّهُمْ قَدَرُونَ، قَلِيلُو النِّظَافَةِ (نَجَسٌ)، لِذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ لَا يَحْجُ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ غُرَبَانُ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: إِذَا خِفْتُمْ بَوَارِجَ نَجَاسَتِكُمْ، وَقَلَّةَ أَرْزَاقِكُمْ، بِسَبَبِ انْقِطَاعِ مَجِيءِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى مَكَّةَ، فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَنِ ذَلِكَ، وَسَيَعْوِضُ عَلَيْكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالْمَصْلَحَةُ، حَكِيمٌ فِيمَا يَشْرَعُهُ وَيُقَرِّرُهُ. الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ - شَيْءٌ قَذِرٌ أَوْ خَبِيثٌ لِفَسَادِ بَوَاطِنِهِمْ. خِفْتُمْ عَيْلَةً - خِفْتُمْ فَقْرًا وَفَاقَةً بِانْقِطَاعِ تِجَارَتِهِمْ عَنْكُمْ.

(قَاتِلُوا) (الْآخِر) (الْكِتَاب) (صَاغِرُونَ)

(٢٩) - بَعْدَ أَنْ اسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، بِدُخُولِ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَذَلِكَ سَنَةً تِسْعَ لِلْهِجْرَةِ، لِذَلِكَ تَجَهَّزَ الرَّسُولُ ﷺ لِقِتَالِ الرُّومِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ، وَأَظْهَرَهُ لَهُمْ، وَنَدَبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجِهَادِ، وَتَخَلَّفَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ الْعَامَ عَامَ جَذْبٍ، وَالْوَقْتُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَخَرَجَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ إِلَى تَبُوكَ، فَتَرَلَّ بِهَا، وَأَقَامَ فِيهَا قَرَابَةَ عَشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ رَجَعَ لِضَيْقِ الْحَالِ، وَضَعْفِ النَّاسِ.

فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قِتَالَهُ، حَتَّى يُعْطِيَ الْجَزْيَةَ عَنْ يَدٍ مَقْهُورَةٍ مَغْلُوبَةٍ، وَهُوَ خَاضِعٌ صَاغِرٌ.

وَيَجِبُ قِتَالُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا اجْتَمَعَتْ فِيهِمْ أَرْبَعُ صِفَاتٍ هِيَ الْعِلَّةُ فِي عَدَاوَتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ:

- أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، لِأَنَّهُمْ هَدَمُوا التَّوْحِيدَ فَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ مُشْرَعِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَبْدَ الْمَسِيحِ وَعُزَيْرًا.

- أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالنُّبِيِّ الْآخِرِ، إِذْ يَقُولُونَ إِنَّ الْحَيَاةَ الْآخِرَةَ هِيَ حَيَاةُ رُوحَانِيَّةٍ يَكُونُ فِيهَا النَّاسُ كَالْمَلَائِكَةِ.

- أَنَّهُمْ لَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَلْتَزِمُونَ الْعَمَلَ بِمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا

الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ

هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً

فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ وَلَا يَلْتَزِمُونَ دِينَ

الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا

الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ

- أَنَّهُمْ لَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ دِينًا وَضَعَهُ لَهُمْ أَحْبَارُهُمْ وَأَسَاقِفَتُهُمْ.
يُعْطُوا الْجِزْيَةَ - الْخَرَجَ الْمُقَدَّرَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ.
عَنْ يَدٍ - عَنِ انْقِيَادٍ وَخُضُوعٍ، أَوْ مِنْ قَهْرٍ وَقُوَّةٍ.
صَاحِرُونَ - مُنْقَادُونَ لِحُكْمِ الْإِسْلَامِ وَهُمْ أَذِلَّةٌ.

(النَّصَارَى) (بِأَفْوَاهِهِمْ) (يُضَاهِئُونَ) (قَاتِلَهُمْ)

(٣٠) - يُحْتِ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِقَوْلِهِمْ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ، إِذْ ادَّعَى الْيَهُودُ أَنَّ عَزْرِيَّا ابْنَ اللَّهِ، وَادَّعَتِ النَّصَارَى أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، وَهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَلَا سَدَّ لَهُمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ سِوَى افْتِرَائِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ، وَهُمْ يُشَاهِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ هَذَا قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي ضَلَّتْ كَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءِ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ وَلَعَنَهُمْ، كَيْفَ يَضِلُّونَ عَنِ الْحَقِّ، وَهُوَ ظَاهِرٌ، وَكَيْفَ يَصْرَفُونَ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ؟
يُضَاهِئُونَ - يُشَاهِبُونَ فِي الْكُفْرِ وَالْقَوْلِ.
أَنَّى يُؤْفَكُونَ - كَيْفَ يَصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ سَطْوِعِهِ.

(وَرُهْبَانَهُمْ) (وَاحِدًا) (سُبْحَانَهُ)

(٣١) - اتَّخَذَ أَهْلُ الْكِتَابِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، كِبَارَ رَجَالِ دِينِهِمْ أَرْبَابًا وَمُشَرِّعِينَ، فَاحْلُوا لَهُمُ الْحَرَامَ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، فَاتَّبَعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْمَتَابَعَةُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ لِلَّهِ وَلَدًا عَبْدُوهُ مَعَ اللَّهِ، كَعَزْرِيَّا وَالْمَسِيحِ، لَا إِلَهَ غَيْرُ اللَّهِ، تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنِ الشَّرِكِ وَالْوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ، وَعَنِ النَّظَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.
وَهُمْ لَمْ يَزُومُوا بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَمَرُوا بِأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.
الْأَحْبَارُ - عُلَمَاءُ الْيَهُودِ.
الرُّهْبَانُ - مُتَنَسِّكُو النَّصَارَى.
أَرْبَابًا - أَطَاعُوهُمْ كَمَا يُطَاعُ الرَّبُّ.

(بِأَفْوَاهِهِمْ) (الْكَافِرُونَ)

(٣٢) - يُرِيدُ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ لِهِدَايَةِ عِبَادِهِ، وَأَنْ يُخْفُوا مَا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِهِ، مِنْ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، بِمَجَرَّدِ

﴿٣٠﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزْرِيَّا ابْنُ

اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى

الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ

ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ

يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ

اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ

﴿٣١﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ

دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ

مَرْيَمَ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا

لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ

عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿٣٢﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ

يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ

جَدَّاهُمْ وَافْتَرَاهُمْ، فَمَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، أَوْ نُورَ الْقَمَرِ، بِنَفْخَةٍ مِنْ فَمِهِ. وَبِمَا أَنَّ هَذَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، كَذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَى إِخْفَاءِ نُورِ النَّبُوَّةِ، وَلَا بُدَّ لِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ أَنْ يَتِمَّ وَيُظْهَرَ، وَاللَّهُ بَالِيءٌ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ذَلِكَ. الْكُفْرُ - سَتَرُ الشَّيْءِ وَتَغْطِيَتُهُ.

(٣٣) - اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﷺ بِكِتَابٍ هُوَ الْقُرْآنُ، كَفَّلَ حِفْظَهُ حَتَّى آخِرِ الزَّمَانِ، فِيهِ الْهُدَى وَدِينُ الْحَقِّ، وَسَيُظْهِرُهُ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ، لِأَنَّهُ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ الَّذِي جَاءَ بِالذِّعْوَةِ الصَّحِيحَةِ (الَّتِي جَاءَتْ بِهَا جَمِيعُ الْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ) وَهِيَ دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ، وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَبَدَّلَ النَّاسَ، وَحَرَّفُوا فِيهَا، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ لِتَصْحِيحِ ذَلِكَ، وَلِيُعِيدَ لِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ صَفَاءَهَا وَأَصَالَتَهَا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

يُظْهِرُهُ - يُعْلِيهِ حَتَّى يَظْهَرَ وَيَغْلِبَ.

(يَا أَيُّهَا) (أَمَنُوا) (أَمْوَالُ) (بِالْبَاطِلِ)

(٣٤) - يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ، وَعِبَادِ الضَّلَالَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ، الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، بِصُورٍ وَطَرِيقٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَيَسْتَغْلِبُونَ رِئَاسَتَهُمُ الدِّيْنِيَّةَ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ ذَلِكَ، وَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ اسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، طَمَعًا فِي أَنْ تَبْقَى لَهُمْ تِلْكَ الرِّئَاسَاتُ، وَأَخَذُوا يَصُدُّونَ النَّاسَ وَيَصْرِفُونَهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ دِينُ الْحَقِّ، وَيُلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُمَوِّهُونَ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ مِنَ الْجَهْلَةِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَوْ أَقْرَأُوا بِصَدَقِ مُحَمَّدٍ، وَصَحَّةِ دِينِهِ، لَتَوَجَّبَ عَلَيْهِمْ مُتَابَعَتُهُ، فَيُطْلَ حُكْمُهُمْ، وَتَزُولَ مَكَانَتُهُمْ، وَتَنْقَطِعَ مَوَارِدُهُمْ، وَمَصَادِرُ رِزْقِهِمُ الْغَرِيضَةُ.

وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ دُعَاةٌ إِلَى النَّارِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ. وَيُهَدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَكْذِبُونَ الدَّهَبَ وَالْفِضَّةَ (أَيُّ يُكْدِسُونَ الْأَمْوَالَ)، وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي الْجِهَادِ لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ، وَفِي الْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ وَمَصَالِحِهِمْ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ.

﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ



﴿٣٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّ كَثِيرًا مِنَ

الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ
الدَّهَبَ وَالْفِضَّةَ
وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

(٣٥) - قَالَ آتَيْنُ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمَقْصُودُ بِالْكَزْرِ هُوَ الْمَالُ الَّذِي لَا تُؤَدَّى زَكَاتُهُ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّ مَالٍ آدَيْتَ زَكَاتَهُ، فَلَيْسَ بِكَزْرٍ، وَإِنْ كَانَ مَدْفُونًا فِي الْأَرْضِ، وَأَيُّ مَالٍ لَمْ تُؤَدِّ زَكَاتَهُ فَهُوَ كَزْرٌ يُكْوَى بِهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْمَالَ الَّذِي لَمْ تُؤَدِّ زَكَاتَهُ سَيَحْمَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَتُكْوَى بِهِ جِبَاهُ أَصْحَابِهِ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ، وَسَيُقَالُ لَهُمْ تَبْكِيَتًا وَتَقْرِيعًا: هَذَا مَا كَزَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَلَمْ تُؤَدُّوا مِنْهُ حَقَّ اللَّهِ، وَهَذَا مَا حَبَأْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا طَعْمَهُ الْآنَ عَذَابًا أَلِيمًا.

(كِتَابِ) (السَّمَاوَاتِ) (وَقَاتِلُوا) (يُقَاتِلُونَكُمْ)

(٣٦) - خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: (أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ (أَيُّ فَرَضَ اللَّهُ احْتِرَامَهَا، وَحَرَّمَ فِيهَا الْقِتَالَ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ)، ثَلَاثَةٌ مُتَتَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ) وَذَلِكَ هُوَ الشَّرْعُ الصَّحِيحُ، الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَغَيْرُهُمَا، وَهَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَشْهُرِ الْحُرُمِ مِنْ أَحْكَامٍ، فَلَا تَظْلِمُوا فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَنْفُسَكُمْ بِأَرْبَابِكُمْ الْمَعَاصِي لِأَنَّ الْإِثْمَ فِيهَا يَتَضَاعَفُ، كَمَا أَنَّ الْمَعَاصِيَ فِي الْبِلَدِ الْحَرَامِ يَتَضَاعَفُ فِيهَا الْإِثْمُ. وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَفِي الْبِلَدِ الْحَرَامِ أَعْظَمُ ثَوَابًا عِنْدَ اللَّهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى - لَا تَظْلِمُوا فِيهِمْ أَنْفُسَكُمْ - هُوَ لَا تَجْعَلُوا حَرَامَ هَذِهِ الْأَشْهُرِ خِلَافًا، وَلَا خِلَافًا حَرَامًا، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الشِّرْكِ، وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ جَمِيعًا كَأَفَّةً، وَكُونُوا بَدَأَ وَاحِدَةً فِي دَفْعِ عُدُوَانِهِمْ، وَكَفَّ أَذَاهُمْ، لِأَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا لِهَذَا دِينِكُمْ، وَالْقَضَاءُ عَلَيْهِ، وَإِطْفَاءُ نُورِ اللَّهِ، فَانْتُمْ أَجْدَرُ بِالِاتِّحَادِ لِدَفْعِ الْعُدُوَانِ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ، يَنْصُرُهُمْ وَيُمِدُّهُمْ بِعَوْنِهِ وَجُنْدِهِ).

(وَقِيلَ إِنَّ آيَةَ تَحْرِيمِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ قَدْ نُسِخَتْ، بِدَلِيلِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ حَاصَرَ أَهْلَ الطَّائِفِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَبَدَّلَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ دُونَ اسْتِثْنَاءِ، وَقَالَ: فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِمْ أَنْفُسَكُمْ. وَدَلِيلُ السِّيَاقِ أَنَّهُ أَمَرَ بِذَلِكَ أَمْرًا عَامًا).

الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ - ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ.

الَّذِينَ الْقِيَمُ - الَّذِينَ الْمُسْتَقِيمُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ.

يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ

فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ

وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا

مَا كَزَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا

مَا كُنْتُمْ تَكْزُرُونَ

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ

اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ

اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ

ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا

فِيهِمْ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا

الْمُشْرِكِينَ كَأَفَّةً

كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَأَفَّةً

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ

(أَعْمَالِهِمْ) (الكَافِرِينَ)

(٣٧) - النَّسِيءُ لُغَةٌ هِيَ التَّأْخِيرُ، وَالنَّسِيءُ هُنَا يُقْصَدُ بِهِ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، إِذْ يُحِلُّونَ أَحَدَ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، فَيَقَاتِلُونَ فِيهِ، ثُمَّ يَتَّقُونَ عَلَى جَعْلِ أَحَدِ أَشْهُرِ الْجَلِّ مُحَرَّمًا مَكَانَهُ ذَلِكَ الْعَامَ، لِيَجْعَلُوا عِدَّةَ الشُّهُورِ الْحُرْمِ أَرْبَعَةً كَمَا أَمَرَ اللَّهُ.

وَيَذُمُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ لِتَصْرِفِهِمْ بِشَرْعِ اللَّهِ بِحَسَبِ أَهْوَائِهِمْ، وَبَارَائِهِمُ الْفَاسِدَةَ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يُحَرِّمُونَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَلَا بَأْسَ عِنْدَهُمْ فِي تَأْخِيرِ التَّحْرِيمِ أَوْ تَقْدِيمِهِ، فَالْمُهْمُ بِالنَّسِيءِ إِلَيْهِمْ أَنْ تَكُونَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ أَرْبَعَةً فِي السَّنَةِ، لَا تَخْصِيصُ أَشْهُرٍ بَعْضُهَا تَفَرَّرَتْ حُرْمَتُهَا، وَإِذْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَقَدْ حَسَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ عَمَلَهُمُ السَّيِّئَ هَذَا بِهَذِهِ الشُّبْهَةِ الْبَاطِلَةِ، إِذْ اكْتَفَوْا بِالْعَدَدِ، وَلَمْ يُدْرِكُوا حِكْمَةَ التَّخْصِيصِ. وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ إِلَى الْحَقِّ وَالْهَدْيِ.

النَّسِيءُ - تَأْخِيرُ حُرْمَةِ شَهْرٍ إِلَى شَهْرٍ آخَرَ.
لِيُؤَاطُوا - لِيُؤَافِقُوا.

(يَا أَيُّهَا) (أَمَنُوا) (بِالْحَيَاةِ) (الْآخِرَةِ) (الْحَيَاةِ)

(٣٨) - يُعَاتِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ تَخَلَّفَ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ، وَكَانَ الزَّوْقُ حَارًّا قَاطِئًا، فَيَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: مَا لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكَاسَلْتُمْ وَتَبَاطَأْتُمْ، وَبَلِمَتْ إِلَى الدَّعَةِ وَالْإِقَامَةِ فِي الظِّلِّ وَطَيْبِ الثَّمَارِ؟ أَفَعَلْتُمْ ذَلِكَ رِضًا مِنْكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَدَلًا مِنَ الْآخِرَةِ؟ وَمَا قِيَمَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا مَتَاعُهَا إِلَّا قَلِيلٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ، إِذْ يَنْتَظِرُ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوَانٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، وَجَنَاتٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أَنْفَرُوا - أَخْرَجُوا إِلَى الْجِهَادِ.

أَتَاَقَلْتُمْ - تَبَاطَأْتُمْ وَأَخْلَدْتُمْ إِلَى الرَّاحَةِ.

(٣٩) - وَإِذَا لَمْ تَنْفَرُوا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَمْ تَخْرُجُوا مَعَهُ إِلَى الْجِهَادِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا، بِزَوَالِ النِّعْمَةِ وَغَيْرِهَا عَنْكُمْ، وَفِي الْآخِرَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا يَصْعُبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ

﴿٣٧﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ رِيكَادَةٌ فِي

الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ
عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
فِيحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ
لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

﴿٣٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا
مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا قَلِيلٌ

﴿٣٩﴾ إِنَّا نَنْفَرُوا وَعِدَّ بَكُمْ

عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا

بِكُمْ، يَخْفُونَ لِنَصْرَةِ نَبِيِّهِ، وَجَاهِدُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يُضِرُّ اللَّهَ، لِأَنَّهُ الْغَنِيُّ عَنِ الْعِبَادِ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.

(لِصَاحِبِهِ)

(٤٠) - يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا لَمْ تَنْصُرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَمُؤَيَّدُهُ وَكَافِيهِ، كَمَا تَوَلَّى نَصْرَهُ حِينَ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَكَّةَ حِينَ هَاجَرَ، فَخَرَجَ مِنْهَا هَارِبًا بِصُحْبَةِ صَدِيقِهِ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَجَأَ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ ثَوْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ فِي أَثَارِهِمَا حَتَّى وَفَقُوا بَبَابِ الْغَارِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ جَزَعًا: لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ لَرَأَى. فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: مَا ظَنُّكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ تَالِثُهُمَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ طُمَأْنِينَتَهُ وَتَأْيِيدَهُ وَنَصْرَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَأَيَّدَهُ بِالْمَلَائِكَةِ تَحْفَظُهُ وَتَحْمِيهِ (بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا)، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الشُّرْكِ وَأَهْلِيهِ السُّفْلَى، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الْإِيمَانِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) هِيَ الْعُلْيَا، وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي أَنْتِقَامِهِ وَأَنْتِصَارِهِ، وَهُوَ مُنِيعُ الْجَانِبِ لَا يُضَامُ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي شَرِّهِ وَتَدْبِيرِهِ.

الْغَارُ - غَارِ جَبَلِ ثَوْرٍ قُرْبَ مَكَّةَ.

لِصَاحِبِهِ - لِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

(وَجَاهِدُوا) (بِأَمْوَالِكُمْ)

(٤١) - أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّفِيرِ الْعَامِّ، وَالْخُرُوجِ جَمِيعًا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ إِذَا دَعَاهُمْ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالزَّمَهُمْ بِالْخُرُوجِ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، فَقَالَ أَنْفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا، وَأَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ، وَرُكْبَانًا وَمُشَاهِدًا وَأَقْوِيَاءَ وَضَعْفَاءَ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ خَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ لَا عِزَّ لِلْأَمَمِ، وَلَا سِيَادَةَ إِلَّا بِالْقُوَّةِ الْحَرْبِيَّةِ، وَفِيهِ أَيْضًا خَيْرُهُمْ فِي الدِّينِ لِأَنَّهُ لَا سَعَادَةَ لِمَنْ لَمْ يَنْصُرِ الْحَقَّ، وَيُقِمِ الْعَدْلَ بِاتِّبَاعِ الْهُدَى وَالْعَمَلِ بِشَرْعِ اللَّهِ.

وَقَدْ نُبِّخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١).

(١) الآية ٩١ من سورة التوبة.

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿٤٠﴾ إِلَّا لَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ

اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا

ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمْ فِي

الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ

لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ

عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ

تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ

الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى

وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا

وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿٤١﴾ أَنْفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا

وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ

خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

(لَكَاذِبُونَ)

(٤٢) - يُوبِخُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، مُعْتَذِرِينَ بِأَنَّهُمْ ذُو أَعْدَارٍ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِغَنِيمَةٍ قَرِيبَةٍ (عَرَضًا قَرِيبًا)، أَوْ سَفَرٍ قَرِيبٍ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ (سَفَرًا قَاصِدًا) لَاتَّبَعُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ (الشَّقَّةَ) قَدْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمْ. وَيُخْبِرُ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنَّهُمْ سَيَحْلِفُونَ لَهُ بِاللَّهِ، بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الْغَزْوَةِ، أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْدَارٌ تَمْنَعُهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُ لَخَرَجُوا، وَسَيَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْأَعْدَارِ لِيَرْضَوْهُ، إِذْ أَنَّهُمْ بِهَذَا النِّفَاقِ وَالْكَذِبِ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِي حَلْفِهِمْ، وَفِي قَوْلِهِمْ: (لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ) وَلَنْ يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ.

عَرَضًا قَرِيبًا - مَغْنَمًا سَهْلًا.

سَفَرًا قَاصِدًا - مُتَوَسِّطًا بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ.

الشَّقَّةُ - الْمَسَافَةُ الَّتِي تُقَطَّعُ بِمَشَقَّةٍ.

(الكَاذِبِينَ)

(٤٣) - لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ، فِيمَا أَدَّى إِلَيْهِ اجْتِهَادُكَ مِنَ الْإِذْنِ لَهُمْ بِالْقُعُودِ، حِينَ اسْتَأْذَنْوْكَ، فَهَلَّا تَرَيْتَ فِي الْإِذْنِ لَهُمْ، وَتَوَقَّفْتَ عَنْهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ أَمْرُهُمْ، وَيَنْجَلِيَ وَضْعُهُمْ، فَتَعْرِفَ الصَّادِقِينَ مِنْهُمْ وَالْكَاذِبِينَ فِي اعْتِدَارِهِمْ، فَتُعَامِلَ كُلًّا بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَامَلَ بِهِ؟

(يَسْتَأْذِنُكَ) (الْآخِرِ) (بِأَمْوَالِهِمْ)

(٤٤) - لَا يَسْتَأْذِنُكَ، فِي الْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ، أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْجِهَادَ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ، وَإِذَا نَدَبَهُمُ النَّبِيُّ إِلَيْهِ بَادَرُوا مُمْتَثِلِينَ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ هُمُ الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ، وَيَطْلُبُونَ مَرْضَاتِهِ، وَيُعِدُّونَ لِلْجِهَادِ عُذَّتَهُ.

(يَسْتَأْذِنُكَ) (الْآخِرِ)

(٤٥) - وَلَكِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ النَّبِيَّ ﷺ، فِي الْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ، وَلَا عُدْرَ لَهُمْ، هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يَرْجُونَ ثَوَابَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَإِنْفَاقِهِمُ الْمَالِ فِيمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا

قَاصِدًا لَا تَبِعُوكُمْ وَلَكِنْ بَعُدَتْ

عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ

بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا

مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ

حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَنَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ

لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ أَنْ يَجْهَدُوا

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ

إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ

فِي رَيْبِهِمْ يَرْتَدِدُونَ

الْإِسْلَامَ، وَقَدْ شَكَّتْ قُلُوبُهُمْ فِي صِحَّةِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، فَهُمْ يَتَحَيَّرُونَ،
وَيَتَرَدَّدُونَ مُتَشَكِّكِينَ.
يَتَرَدَّدُونَ - يَتَحَيَّرُونَ.

(الْقَاعِدِينَ)

(٤٦) - وَلَوْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ مَعَكَ إِلَى الْجِهَادِ، وَصَحَّتْ نِيَّتُهُمْ
لِلْخُرُوجِ مَعَكَ، لَكَانُوا تَاهِبُوا لَهُ، وَأَعَدُّوا عُدَّةَ الْحَرْبِ وَالسَّفَرِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ
كَرِهَ خُرُوجَهُمْ مَعَكَ، فَتَبَطَّطَهُمْ، وَثَبَّتَ عَزَائِمَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَقِيلَ لَهُمْ
اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالْمَرْضَى وَالْعَجْزَةِ وَالشُّيُوخِ.
اتَّبَعَانَهُمْ - نَهَوْهُمْ لِلْخُرُوجِ مَعَكَ.

فَتَبَطَّطَهُمْ - فَجَسَّسَهُمْ وَعَوَّفَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكُمْ.

(خِلَالَكُمْ) (سَمَاعُونَ) (بِالظَّالِمِينَ)

(٤٧) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَسْبَابَ كَرَاهِيَّتِهِ لَخُرُوجِ هَؤُلَاءِ
الْمُنَافِقِينَ إِلَى الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ، فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ
الْمُسْلِمِينَ لَزَادُوهُمْ اضْطِرَابًا وَضَعْفًا (خَبَالًا) لِأَنَّهُمْ جُنُبَاءُ مَخْدُولُونَ،
وَلَا خَذُوا بِالسَّعْيِ بَيْنَكُمْ فِي الدَّسِّ وَالنِّمِيمَةِ وَإِثَارَةِ الْفِتْنَةِ، وَيُوجَدُ بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَتَأَثَّرُ بِهِمْ، وَيَسْتَمِيعُ إِلَى قَوْلِهِمْ، مِنْ ضَعَافِ الْإِيمَانِ،
وَضَعَافِ الْعَزَائِمِ، فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى وَقُوعِ الشَّرِّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَاللَّهُ
يَعْلَمُ الظَّالِمِينَ، وَمَا يَبْتَغِيهِ لِلْمُؤْمِنِينَ لَوْ خَرَجُوا مَعَهُمْ إِلَى الْغَزَاةِ.

خَبَالًا - شَرًّا وَفَسَادًا، أَوْ عَجْزًا وَضَعْفًا.

لَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ - لَأَسْرِعُوا بَيْنَكُمْ بِالدَّسِّ وَالْوَقِيعَةِ وَالنِّمِيمَةِ لِإِفْسَادِ مَا
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ رَوَابِطِ الْأُخُوَّةِ.

يَبْتَغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ - يَطْلُبُونَ لَكُمْ مَا تَفْتَنُونَ بِهِ.

(كَارِهُونَ)

(٤٨) - يُخَرِّصُ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ فَيَقُولُ لَهُ: لَقَدْ
أَعْمَلُوا رَأْيَهُمْ فِي الْكَيْدِ لَكَ، وَلَأَصْحَابِكَ وَلِدِينِكَ، مُدَّةً طَوِيلَةً، فِي بَدْءِ
مَقْدَمِكَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْكَ أَهْلُ الشَّرِّكَ، وَالْمُنَافِقُونَ مِنْ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ، وَيَهُودُ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا نَصَرَكَ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَعْلَى كَلِمَةِ
الْإِسْلَامِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سُلُولٍ لِحِجْمَاعِيهِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ.
فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا، وَكَانُوا كُلَّمَا زَادَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ عِزَّةً، زَادَهُمْ
ذَلِكَ غَيْظًا وَحَنَقًا. وَقَدْ ابْتَغَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِثَارَةَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ



٤٦ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ

لَاَعْدُوْا لَهُ عُدَّةٌ وَلٰكِنْ كَرِهَ

اللّٰهُ اَنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ

وَقِيلَ اَقْعُدُوْا مَعَ

الْقَاعِدِيْنَ

٤٧ لَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوْكُمْ

اِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعُوْا

خِلَالَكُمْ يَبْغُوْنَكُمْ الْفِتْنَةَ

وَفِيْكُمْ سَمْعُوْنَ لَهُمْ وَاللّٰهُ

عَلِيْمٌ بِالظَّالِمِيْنَ

٤٨ لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ

وَقَلْبُوا لَكَ الْاُمُوْرَ حَقِّيْ

جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ اَمْرُ اللّٰهِ

وَهُمْ كَارِهُوْنَ

الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقَ شَمْلِهِمْ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ، فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، حِينَ
اعْتَزَلَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَثْلَثَ الْجَيْشِ، وَصَارَ يَقُولُ: اطَاعَ النَّبِيَّ
الْوَلَدَانِ وَمَنْ لَا رَأْيَ لَهُ، فَعَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا؟
فَلَبَّوْا لَكَ الْأُمُورَ - ذَبُّوا لَكَ الْمَكَائِدَ وَالْجَلَلَ.

(بِالْكَافِرِينَ).

(٤٩) - وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَقُولُ لَكَ (وَهُوَ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ
وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الْمُنَافِقِينَ): أَتَذُنُّ لِي فِي الْقُعُودِ وَالتَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ،
لِأَنِّي إِذَا خَرَجْتُ مَعَكَ، أَخَافُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أَفْتِنَ بِنِسَاءِ الرُّومِ (نَبِيِّ
الْأَصْفَرِ)، إِذَا رَأَيْتُهُنَّ. وَيَقُولُ تَعَالَى: لَقَدْ سَقَطَ هَؤُلَاءِ فِي فِتْنَةٍ أَعْظَمَ
بِاعْتِدَارِهِمْ بِمَعَاذِيرِ كَاذِبَةٍ، وَبِسَبِّ تَخَلُّفِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَبِالرَّغْبَةِ
بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ. وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ أَنَّ جَهَنَّمَ مُحِيطَةٌ
بِالْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ، وَهِيَ جَامِعَةٌ لَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَا مَحِيصَ وَلَا مَهْرَبَ، وَكَفَى بِهَا نَكَالًا
وَوَبَالًا.

أَتَذُنُّ لِي - أَيُّ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ.

لَا تَفْتِنِي - لَا تُوفِّعْنِي فِي الْإِثْمِ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِكَ.

(٥٠) - وَهَؤُلَاءِ تَسَوَّوْهُمْ أَيُّهُ حَسَنَةً أَوْ نَصْرًا أَوْ فَتْحًا يُصِيبُهُ الرَّسُولُ
وَالْمُسْلِمُونَ، وَإِذَا أَصَابَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ مُصِيبَةٌ، أَوْ شِدَّةٌ، يَقُولُونَ
قَدْ اخْتَطْنَا لِأَمْرِنَا، وَأَخَذْنَا جَذْرَنَا إِذْ تَخَلَّفْنَا عَنِ الْقِتَالِ، وَلَمْ نَلْقَ بِأَيْدِينَا
إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَيَنْقَلِبُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ فَرَحِينَ بِمَا اجْتَنَبُوهُ مِنَ الْمَصَائِبِ،
وَبِالْشَّمَاتَةِ بِالنَّبِيِّ وَالْمُسْلِمِينَ.

(مَوْلَانَا)

(٥١) - قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا يُصِيبُ الْمُسْلِمِينَ
مِنَ الْمَصَائِبِ، وَتَسَوَّوْهُمْ النِّعْمَةَ الَّتِي تُصِيبُ الْمُسْلِمِينَ: نَحْنُ تَحْتَ
مَشِيئَةِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَمَا قَدَرَهُ لَنَا سَيِّئَاتِنَا، وَلَيْسَ لَهُ مَانِعٌ وَلَا دَافِعٌ. وَنَحْنُ
مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَلَا نَيَاسُ عِنْدَ الشَّدَةِ، وَلَا
نَبْطَرُ عِنْدَ النِّعْمَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنُّ لِي

وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ

سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ

لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ

إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ

تَسَوَّوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ

مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا

أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَسْتَوَلُوا

وَهُمْ فَرَحُونَ

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ

اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

(٥٢) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا، وَتَنْتَظِرُونَ أَنْ يَقَعَ لَنَا، إِلَّا وَاحِدَةً مِنَ اثْنَتَيْنِ: وَكِلَاهُمَا خَيْرٌ لَنَا وَفِيهِمَا حَسَنَةٌ: شَهَادَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ظَفَرٌ. أَمَّا نَحْنُ فَأِنَّا نَنْتَظِرُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ عَذَابُ اللَّهِ، أَوْ أَنْ يُسَلِّطَنَا عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ فَنَذِيقَكُمْ بِأَسَنَّا.

هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا - مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَا؟

الْحُسَيْنَيْنِ - النَّصْرُ أَوْ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

(فَاسِقَيْنِ)

(٥٣) - وَقُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَشْتُرُوا بِنَفْسِهِمْ بِإِنْفَاقِ الْمَالِ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ: مَهْمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ طَائِعِينَ أَوْ مُكَرَّهِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ ذَلِكَ، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ مُتَشَكِّكِينَ خَارِجِينَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَاللَّهُ إِنَّمَا يَقْبَلُ الْأَعْمَالَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ.

(نَفَقَاتِهِمْ) (الصَّلَاةِ) (كَارِهُونَ)

(٥٤) - وَبَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ سَبَبَ عَدَمِ تَقْبُلِهِ نَفَقَاتِهِمْ وَهُوَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَلَا يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى لَا حِمَاسَةَ لَهُمْ فِي أَدَائِهَا، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً فِي مَصَالِحِ الْجِهَادِ وَغَيْرِهَا إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ. وَبِمَا أَنَّ الْأَعْمَالَ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِالْإِيمَانِ، وَبِمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا إِيمَانَ لَهُمْ، لِذَلِكَ لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ نَفَقَةً وَلَا عَمَلًا.

(أَمْوَالُهُمْ) (أَوْلَادُهُمْ) (الْحَيَاةِ) (كَافِرُونَ)

(٥٥) - فَلَا يُعْجِبُكَ مَا تَرَاهُمْ فِيهِ مِنْ وَفَرَةِ الْمَالِ، وَكَثْرَةِ الْأَوْلَادِ، وَرِفَةِ الْحَيَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِيمَا أَعْطَاهُمْ بِمَا يَنَالُهُمْ بِسَبَبِهَا مِنَ التَّنْغِيسِ وَالْحَسْرَةِ، وَذَلِكَ بِالْكَدِّ وَالْعَنَاءِ فِي جَمْعِهَا، وَاتِّسَابِهَا، ثُمَّ بِاجْتِبَارِهِمْ عَلَى دَفْعِ الرِّكَازَةِ مِنْهَا، وَالْإِنْفَاقِ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ بِمَا يُوجِبُهُ الْإِسْلَامُ عَلَيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَشَدَّ نَكَالًا لَهُمْ، وَالْأَمَّ عَذَابًا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَتَكُونَ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ اسْتِذْراجًا لَهُمْ.

تَرْهَقُ أَنْفُسُهُمْ - تَخْرُجُ أَرْوَاحُهُمْ.

(٥٦) - يَتَظَاهَرُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ بِأَنَّهُمْ مِنْكُمْ، لِيَأْمَنُوا بِأَسْكَكُمْ، وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ كَذِبًا أَنَّهُمْ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ

٥٢ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا

إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَعَنْ

نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ

اللَّهُ عَذَابٌ مِنْ عِنْدِهِ

أَوْ يَأْتِيَنَا فَنَرَبَّصُوا إِنَّا

مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ

٥٣ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ

يُقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ

قَوْمًا فَاسِقِينَ

٥٤ وَمَا نَعْنَهُمْ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ

نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ

كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ

وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ

كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا

وَهُمْ كَارِهُونَ

٥٥ فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا

أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ

بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ

أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ

٥٦ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ

لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ

وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ

دِينَكُمْ، بَلْ هُمْ أَهْلُ شَكٍّ وَنِفَاقٍ، وَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَيَحْلِفُونَ لَكُمْ، خَوْفًا مِنْكُمْ وَفَرَقًا.

قَوْمٌ يَفْرُقُونَ - أَنْاسٌ يَخَافُونَ مِنْكُمْ فَيَنَافِقُونَ تَقِيَّةً.

(مَغَارَاتِ)

(٥٧) - إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ مَعَكُمْ، وَيُبَغِضُونَ مُعَاشَرَتَهُمْ إِيَّاكُمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَخَافُونَ مِنْ أَنْ يَظْهَرَ لَكُمْ نِفَاقُهُمْ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ الْفِرَارَ مِنْكُمْ، وَالْعَيْشَ فِي مَكَانٍ يَتَعَصَّمُونَ فِيهِ مِنْ انْتِقَامِكُمْ مِنْهُمْ، فَلَوْ اسْتَطَاعُوا السُّكْنَى فِي الْحُصُونِ وَالْقِلَاعِ، أَوْ فِي كُهُوفِ الْجِبَالِ وَمَغَارَاتِهَا، أَوْ فِي أَنْفَاقِ الْأَرْضِ وَأَسْرَابِهَا، لَوَلَّوْا إِلَيْهَا مُسْرِعِينَ، كَالْفَرَسِ الْجَمُوحِ لَا يَرُدُّهُمْ شَيْءٌ. وَهُمْ قَدْ أَقَامُوا بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ، مَعَ كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَرْكِ عَشِيرَتِهِمْ، وَدَوْرِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، فَصَانَعُوا الْمُسْلِمِينَ بِالنِّفَاقِ، وَادَّعَاءِ الْإِسْلَامِ.

مَلْجَأٌ - حِصْنًا أَوْ مَقْلًا يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ.

مَغَارَاتِ - غَيْرَانَا فِي الْجِبَالِ يَخْتَفُونَ فِيهَا.

مُدْخَلًا - سِرَابًا فِي الْأَرْضِ يَنْحَجِرُونَ فِيهِ.

يَجْمَحُونَ - يُسْرِعُونَ فِي الدُّخُولِ إِلَيْهِ.

(الصَّدَقَاتِ)

(٥٨) - وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَعْيبُ عَلَيْكَ فِي قِسْمَةِ الصَّدَقَاتِ وَالْمَغَانِمِ، إِذْ يُزْعَمُونَ أَنَّكَ تُحَابِي فِيهَا، وَتُؤْتِي مَنْ تَشَاءُ مِنَ الْأَقَارِبِ وَأَهْلِ الْمَوَدَّةِ، وَلَا تُرَاعِي الْعَدْلَ فِي ذَلِكَ. وَهُمْ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ سُخْطًا لِلدِّينِ، وَلَا غَيْرَةً عَلَى مَصْلَحَةِ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُونَهُ سَعْيًا وَرَاءَ مَنَافِعِهِمُ الْخَاصَّةِ، فَإِذَا أُعْطُوا مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، وَلَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، رَضُوا الْقِسْمَةَ، وَاسْتَحْسَنُوهَا، وَأَثْنَوْا عَلَى فِعْلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا مَا يُرْضِيهِمْ، سَخِطُوا، وَلَوْ كَانُوا غَيْرَ مُسْتَحِقِّينَ لِلْعَطَاءِ.

يَلْمُزُكَ - يَعْيبُكَ وَيَطْعُنُ عَلَيْكَ.

(رَاغِبُونَ)

(٥٩) - وَيُعَلِّمُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ آدَبَ الْإِيمَانِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لَوْ رَضُوا بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَقَبِعُوا بِذَلِكَ، وَفَرَحُوا بِهِ، وَقَالُوا حَسْبُنَا

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا

أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا

إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ فِي

الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا

رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا

هُمْ يَسْخَطُونَ

لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا

اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

اللَّهُ وَكَيْلًا، وَرَازِقًا فِي كُلِّ حَالٍ، وَسَيِّئِينَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَرَسُولُهُ لَا يَخْسُ أَحَدًا مِمَّا شَيْئًا يَسْتَحِقُّهُ فِي شَرِّعِ اللَّهِ، وَإِنَّا رَاغِبُونَ إِلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ مِنَ الطَّمَعِ وَلَمَزِ الرُّسُولَ وَهَمَزِهِ. حَسْبُنَا اللَّهُ - كَافِينَا فَضْلُ اللَّهِ وَقِسْمَتُهُ.

(الصَّدَقَاتُ) (الْمَسَاكِينُ) (الْعَامِلِينَ) (الْغَارِمِينَ)

(٦٠) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَاضَ الْمُنَافِقِينَ الْجَهْلَةَ، وَلَمَزَهُمُ النَّبِيُّ الْكَرِيمَ فِي قِسْمَةِ الصَّدَقَاتِ (أَمْوَالِ الزُّكَاةِ الْوَاجِبَةِ)، بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَسَمَهَا، وَبَيْنَ حُكْمَهَا، وَتَوَلَّى أَمْرَهَا بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَلَمْ يَكُلْ قِسْمَتَهَا إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَجَزَّأَهَا لَهُؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْآيَةِ. وَهُمْ: الْفُقَرَاءُ - وَهُمْ مَنْ لَهُمْ مَالٌ قَلِيلٌ دُونَ النَّصَابِ أَيْ أَقَلُّ مِنْ ١٢ دِينَارًا.

الْمَسَاكِينُ - وَهُمْ الَّذِينَ لَا شَيْءَ لَهُمْ، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ غِنًى يُغْنِيهِمْ، وَلَا يُقْطَنُ إِلَيْهِمْ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئًا.

الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا - وَهُمْ السُّعَاةُ وَالْجَبَاةُ بِشَرِّطِ أَنْ لَا يَكُونُوا مِنْ أَقْبَاءِ الرُّسُولِ ﷺ، لِأَنَّ أَقْبَاءَ الرُّسُولِ لَا تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ.

الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ - وَهُمْ الَّذِينَ يُعْطُونَ تَأْلَفًا لِقُلُوبِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيُسَلِّمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيَحْسُنَ إِسْلَامُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيَجِبِيَ الصَّدَقَاتِ مِمَّنْ يَلِيهِ.

الرَّقَابُ - هُمُ الْعَبِيدُ الْمُكَاتَبُونَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَدَاءَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَرِيضَةِ لِإِعْتَاقِهِمْ (أَوْ تَعْنِي صَرْفَ جُزْءٍ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ فِي إِعْتَاقِ رِقَابٍ).

الْغَارِمُونَ - كَمَنْ تَحَمَّلَ حِمَالَةً، أَوْ ضَمِنَ دَيْنًا فَلَزِمَهُ أَدَاؤُهُ فَأُجْحِفَ بِمَالِهِ، أَوْ غَرِمَ فِي أَدَاءِ دَيْنِهِ، أَوْ فِي مَعْصِيَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْهَا، فَهَؤُلَاءِ يُدْفَعُ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ - هُمُ الْغَزَاةُ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُعْطُونَ مِنْ مَالِ الصَّدَقَاتِ.

أَنْبَاءُ السَّبِيلِ - هُمُ الْمُسَافِرُونَ الْمُجْتَازُونَ فِي بَلَدٍ لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى سَفَرِهِمْ، وَلَا يَتَيَسَّرُ لَهُمْ إِحْضَارُ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مِنْ بَلَدِهِمْ، فَيُعْطُونَ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ مَا يَكْفِي لِنَفَقَتِهِمْ.

وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ



إِنَّمَا الصَّدَقَتُ

لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ
قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(أَمَنُوا)

(٦١) - وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ قَوْمٌ يُّؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ بِالْكَلَامِ فِيهِ، وَيَقُولُونَ: هُوَ أَذُنٌ يَسْمَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَمَنْ قَالَ لَهُ شَيْئًا صَدَقَهُ، وَمَنْ حَدَّثَهُ بِشَيْءٍ صَدَقَهُ، فَإِذَا جِئْنَا وَحَدَّثْنَاهُ وَحَفَلْنَا لَهُ صَدَقْنَا.

فَقُلْ لَهُمْ: هُوَ أَذُنٌ خَيْرٌ يَعْرِفُ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ، وَلَا يَقْبَلُ مِمَّا يَسْمَعُ إِلَّا مَا يَعُدُّهُ حَقًّا، وَفِيهِ مَصْلَحَةُ الْخَلْقِ، وَلَيْسَ هُوَ بِأَذُنٍ فِي سَمَاعِ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ، إِنَّهُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ بِيَدِيهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، وَهُوَ رَحِمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَهُوَ حُجَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ. وَالَّذِينَ يُّؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْعَمَلِ قَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ.

هُوَ أَذُنٌ - يَسْمَعُ كُلَّ مَا يُقَالُ لَهُ وَيُصَدِّقُهُ.

أَذُنٌ خَيْرٌ - يَسْمَعُ الْخَيْرَ وَلَا يَسْمَعُ الشَّرَّ.

(٦٢) - قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَنْ رُؤَسَاءِ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَتَزَلَّ فِيهِمْ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَخِيَارُنَا وَأَشْرَافُنَا، وَإِذَا كَانَ مَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ حَقًّا، لَهُمْ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ). فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا، وَلَأَنْتَ شَرٌّ مِنَ الْحِمَارِ). ثُمَّ ذَهَبَ الْمُسْلِمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يُحَدِّثُهُ بِمَا جَرَى. فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ إِلَى الْمُنَافِقِ وَسَأَلَهُ، وَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا قُلْتَ؟ فَأَخَذَ الْمُنَافِقُ يَحْلِفُ بِاللَّهِ إِنَّهُ مَا قَالَ ذَلِكَ. وَقَالَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ: اللَّهُمَّ صَدِّقِ الصَّادِقَ، وَكَذِّبِ الْكَاذِبَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ.

فَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ عَلَى أَنَّهُمْ مَا قَالُوا مَا نُقِلَ عَنْهُمْ مِمَّا يُورِثُ أَذَى النَّبِيِّ لِيَرْضَوْكُمْ، فَلَا تُخْبِرُوا النَّبِيَّ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَحَقُّ بِالْإِرْضَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

(خَالِدًا)

(٦٣) - أَلَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ مَنْ شَاقَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بَعْدَ حُدُودِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَحَارَبَهُمَا وَخَالَفَهُمَا، وَلَمْزَ رَسُولَ اللَّهِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ، فَإِنَّهُ سَيَصْلِي نَارَ جَهَنَّمَ، وَيَبْقَى خَالِدًا فِيهَا، وَهَذَا هُوَ الدَّلُّ الْعَظِيمُ، وَالشَّقَاءُ الْكَبِيرُ.

﴿٦١﴾ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٦٢﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ

﴿٦٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ مُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَتَتْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ

الْمُحَادَّةُ - الْمُسَاقَاةُ وَالْمُخَالَفَةُ وَالْمُعَادَاةُ.

(الْمُنَافِقُونَ) (اسْتَهْزَئُوا)

(٦٤) - كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَقُولُونَ الْقَوْلَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ عَسَى اللَّهُ أَنْ لَا يُفْشِيَنَا عَلَيْنَا سِرًّا هَذَا بِإِزَالِ آيَةٍ عَلَى رَسُولِهِ، تَقْضِي مَا قُلْنَا. وَيُرِدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّهُ سَيُخْرِجُ مَا يَحْذَرُونَ لِيَعْلَمَهُ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَلْيَسْتَهْزِئُوا مَا شَاءُوا.

وَخَوْفُ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفُضِيحَةِ، وَمِنْ كَشْفِ عَوْرَاتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، هُمَا أَثَرٌ مِنْ أَثَارِ الشُّكِّ وَالْارْتِيَابِ، لِأَنَّهُمْ مُدْبِدُّونَ، لَا هُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤَقِّينَ، وَلَا هُمْ بِالْكَافِرِينَ الْجَازِمِينَ بِصِحَّةِ الْكُفْرِ.

(وَلَيْتَن) (آيَاتِهِ) (تَسْتَهْزِئُونَ)

(٦٥) - حِينَمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ مُنْطَلِقًا فِي الطَّرِيقِ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ لِبَعْضٍ: اتَّحَسُّونَ جَلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ (يَعْنِي الرُّومَ) كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، وَاللَّهُ لَكَأَنَّكُمْ بِكُمْ غَدًا مُقَرَّبِينَ فِي الْجِبَالِ؟ وَكَانَ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ إِزْجَافًا، وَتَرْهِيًا لِلْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرِكِ الْقَوْمَ فَقَدْ احْتَرَقُوا، فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى لَقَدْ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذَا. فَقَالَ لَهُمْ عِمَارٌ ذَلِكَ فَأَتُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخَوْضُ وَنَلْعَبُ. أَيْ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا جَادِينَ فِيَمَا يَقُولُونَ، وَإِنَّمَا قَالُوا مَا قَالُوا لِلتَّسْلِيِّ وَالتَّلْهِيِّ، وَفِي ظَنِّهِمْ أَنَّ هَذَا عَذْرٌ مُقْبُولٌ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اتِّخَاذَ الدِّينِ هُزُوءًا وَلَعِبًا كُفْرٌ مُحَضٌّ، لِأَنَّ الْخَوْضَ وَاللَّعِبَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ، وَشَرْعِهِ وَآيَاتِهِ، الْمَنْزِلَةِ هُوَ اسْتَهْزَاءٌ بِهَا.

نَخَوْضُ وَنَلْعَبُ - نَتَلَهَّى بِالْحَدِيثِ قَطْعًا لِلطَّرِيقِ.

وَالْخَوْضُ لُغَةً - هُوَ الدُّخُولُ فِي الْبَحْرِ أَوْ الْوَحْلِ وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْبَاطِلِ.

(إِيمَانِكُمْ) (طَائِفَةً)

(٦٦) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: لَا تَعْتَذِرُوا عَمَّا قُلْتُمْ، فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ الَّذِي اسْتَهْزَأْتُمْ بِهِ بِآيَاتِ اللَّهِ. وَأَعْتَذَرُكُمْ هُوَ إِقْرَارُ بِذَنْبِكُمْ، فَإِنَّ يَعْفُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ بَعْضِكُمْ لِنُوبَتِهِمْ، فَإِنَّهُ سَيُعَذِّبُ بَعْضًا

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ

تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ
بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهْزِئُوا
إِنِ اللَّهُ مُخْرِجٌ
مَا تَحْذَرُونَ

وَلَيْتَن سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا

إِنَّمَا كُنَّا نَخَوْضُ وَنَلْعَبُ
قُلْ يَا لِلَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ
كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ

لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ
مِّنْكُمْ يُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بَآثِمَةٌ
كَأَنَّهُمْ جَحْرَمِينَ

آخِرَ لَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ الْفَاجِرَةِ، وَلَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا مُصْرِينَ عَلَى نِفَاتِهِمْ.

(الْمُنَافِقُونَ) (وَالْمُنَافِقَاتُ) (الْمُنَافِقِينَ) (الْفَاسِقُونَ)

(٦٧) - إِنَّ أَهْلَ النَّفَاقِ رَجَالًا وَنِسَاءً، يَتَشَابَهُونَ فِي صِفَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، يَأْمُرُ بَعْضُهُمْ بِفِعْلِ الْمُنْكَرِ، كَالْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ، وَإِخْلَافِ الْوَعْدِ، وَنَقْصِ الْعَهْدِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ: كَالْجِهَادِ، وَبَذْلِ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَضُنُّونَ بِالْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ. وَقَدْ نَسُوا أَنْ يَتَّقُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ، وَاتَّبَعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ، فَجَازَاهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِحُزْمَانِهِمْ مِنْ لُطْفِهِ وَتَوْفِيقِهِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ.

وَالْمُنَافِقُونَ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ فُسُوقًا، وَخُرُوجًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَنْسِلَاحًا مِنَ الْفَضَائِلِ الْفُطْرِيَّةِ السَّلِيمَةِ.

يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ - لَا يَسْطُونُ أَيْدِيَهُمْ فِي خَيْرٍ وَلَا فِي طَاعَةِ شَيْءٍ.

فَنَسِيَهُمْ - فَتَرَكَهُمْ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَهِدَايَتِهِ.

(الْمُنَافِقِينَ) (وَالْمُنَافِقَاتِ) (خَالِدِينَ)

(٦٨) - وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ، وَوَعَدَهُمْ بِهَا عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَسَيَمُكِّنُونَ فِيهَا مُخَلَّدِينَ أَبَدًا، وَلَهُمْ فِيهَا مِنَ الْجَزَاءِ وَالْعَذَابِ مَا يَكْفِيهِمْ (حَسْبُهُمْ)، وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ دَائِمٌ غَيْرُ عَذَابِ جَهَنَّمَ: كَالسُّمُومِ يَلْفَحُ وَجُوهُهُمْ، وَالْحَمِيمِ يَصْهَرُ مَا فِي بُطُونِهِمْ.

هِيَ حَسْبُهُمْ - هِيَ كَافِيَةٌ لَهُمْ عِقَابًا عَلَى كُفْرِهِمْ.

(أَمْوَالًا) (وَأَوْلَادًا) (بِخْلَاقِهِمْ) (أُولَئِكَ) (أَعْمَالُهُمْ) (وَالْآخِرَةُ) (الْخَاسِرُونَ) (بِخْلَاقِكُمْ)

(٦٩) - إِنَّ خَالَكُمُ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْذُونَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، كَخَالِ الْمُنَافِقِينَ السَّالِفِينَ مِنْ أَقْوَامِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، فُتِنْتُمْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ، وَغَرَّتْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا فُتِنُوا وَاعْتَرَوْا بِهَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً، وَأَكْثَرَ مِنْكُمْ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَقَدْ كَانَ هِمُّهُمْ التَّمَتُّعَ بِالْحَيَاةِ،

٦٧ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ

بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ
أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ

٦٨ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ

وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ

٦٩ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا

أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ
فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا
اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

وَأَخَذَ نَصِيحَهُمْ مِنْ نَعِيمِهَا وَمَبَاهِجِهَا، فَاطْفَعْتُهُمُ الدُّنْيَا. وَغَرَّتْهُمْ لَذَائِهَا، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ غَايَاتٍ سَامِيَةً كَالَّتِي يَقْصِدُهَا الْمُؤْمِنُونَ: كَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ، وَتَرْسِيخِ الْعَدْلِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. . . وَقَدْ سَلَكْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ سَبِيلَهُمْ فِي الْاسْتِمْتَاعِ بِنَصِيحَتِكُمْ مِنَ الْحَيَاةِ، وَلَمْ تَفْضَلُوا عَلَى مَنْ سَبَقَكُمْ بِشَيْءٍ، مَعَ أَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَا رَأَيْتُمْ، وَجَاءَكُمْ الْهُدَى فَلَمْ تَهْتَدُوا، فَكُنْتُمْ أَحَقَّ بِالْعِقَابِ مِنْهُمْ، وَقَدْ دَخَلْتُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَخُضْتُمْ فِيهِ، كَمَا فَعَلَ مَنْ سَبَقَكُمْ، مَعَ أَنَّ حَالَكُمْ تَقْتَضِي أَنْ تَكُونُوا أَهْدَى مِنْهُمْ سَبِيلًا.

وهؤلاء المُسْتَمْتِعُونَ بِخَلَاقِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْخَائِضُونَ فِي الْبَاطِلِ، حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَبَطَلَتْ، فَلَا ثَوَابَ لَهُمْ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِأَنَّهَا فَاسِدَةٌ. وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ هُمُ الْخَاسِرُونَ لِأَنَّهُمْ لَا ثَوَابَ لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ - فَتَمَتَّعُوا بِنَصِيحِهِمْ مِنْ مَلَأَ الدُّنْيَا.

(إِبْرَاهِيمَ) (أَصْحَابِ) (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) (بِالْيَنَابِ)

(٧٠) - يَقُولُ تَعَالَى وَاعْظُوا الْكُفَّارَ وَالْمُسَافِقِينَ الْمُكَذِّبِينَ: أَلَمْ تَصِلْهُمْ أَخْبَارُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَبُوا رُسُلَهُمُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ: قَوْمُ نُوحٍ وَمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَرَقِ، وَقَوْمُ عَادٍ وَكَيْفَ أَهْلِكُوا بِالرَّيْحِ الْعَقِيمِ، وَقَوْمُ ثَمُودَ كَيْفَ أَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ، وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ إِذْ نَصَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ قَوْمِ شُعَيْبٍ، وَكَيْفَ أَصَابَتْهُمْ الرَّجْفَةُ، وَعَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ، وَقَوْمُ لُوطٍ أَصْحَابِ الْمُؤْتَفِكَاتِ. . . أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِأَنْ جَعَلَ عَلَيَّ دِيَارَهُمْ سَاغِلًا.

وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْأَقْوَامُ رُسُلُهُمْ بِالْحَقِّ الْوَاضِحِ مِنَ اللهِ (الْيَنَابِ)، فَلَمْ يُؤْمِنُوا لَهُمْ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى عِنَادِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، فَدَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَظْلِمَهُمْ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَإِنَّمَا جَازَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جَزَاءً وَفَاقًا، وَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ.

الْمُؤْتَفِكَاتِ - الْمُتَقَلِّبَاتِ (وَهِيَ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ).

(وَالْمُؤْمِنَاتِ) (الصَّلَاةِ) (الرَّزَاكَةِ) (أُولَئِكَ)

(٧١) - الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَيْنَهُمْ أُخُوَّةٌ، وَمَوَدَّةٌ، وَتَعَاوُنٌ، وَتَرَاحُمٌ، وَيَتَصَفَّوْنَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي يَأْمُرُهُمْ بِهَا دِينُهُمْ: فَيَتَنَاصَرُونَ

بِحَلَقِهِمْ وَخُضَّتُمْ كَالَّذِي
خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

٧٠ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ

وَتَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ

وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ

وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ

رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

٧١ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

وَتَتَعَاضِدُونَ وَيَعْلَمُونَ الْخَيْرَ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤَدُّونَهَا حَقَّ أَذَانِهَا، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَى مُسْتَحَقِّهَا، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَيَتْرَكُونَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ. وَالْمُتَصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ الْكَرِيمَةِ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ عَزِيزُ الْجَانِبِ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي قِسْمَتِهِ الصِّفَاتِ بَيْنَ خَلْقِهِ، فَجَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الْمُنْكَرَةِ.

(وَالْمُؤْمِنَاتِ) (جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ) (وَمَسَاكِينَ) (وَرِضْوَانٍ)

(٧٢) - وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَنَّهُ سَيُدْخِلُهُمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، يُقِيمُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، فِي مَسَاكِينِ طَيِّبَةِ حَسَنَةِ الْبِنَاءِ، وَطَيِّبَةِ الْقَرَارِ فِي هَذِهِ الْجَنَاتِ، وَعَدَهُمْ بِرِضْوَانٍ مِنْهُ أَكْبَرَ وَأَجَلَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَذَلِكَ هُوَ الْقَرُورُ الْعَظِيمُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَجَلُ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا). (رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَمَالِكُ).

(يَا أَيُّهَا) (جَاهِدِ) (وَالْمُنَافِقِينَ) (وَمَاوَاهُمْ)

(٧٣) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَسْذُلَ الْجَهْدَ فِي مُقَاوَمَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ يَعِيشُونَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُسْلِمِينَ، مِثْلَمَا تَبَذَّلَهُ هَاتَانِ الطَّائِفَتَانِ فِي عِدَاوَةِ الرُّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ، كَمَا يَأْمُرُهُ بِمُعَامَلَتِهِمَا بِالشَّدَّةِ وَالْعُلْظَةِ لِيَتَذَعَا، وَيَرْتَدِّعَ مَنْ خَلْفَهُمَا. وَمُجَاهَدَةُ الْكُفَّارِ تَكُونُ بِالسَّيْفِ، وَمُجَاهَدَةُ الْمُنَافِقِينَ تَكُونُ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَسَيَكُونُ مَصِيرُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَدًا، وَبِذَلِكَ يَجْتَمِعُ لَهُمْ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أَغْلَظَ عَلَيْهِمْ - شَدَّدَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَرَفَّقَ بِهِمْ.

الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزُ حَكِيمٌ

٧٢ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتٍ
عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ
أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْقَرُورُ الْعَظِيمُ

٧٣ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ

وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ
وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ

(إِسْلَامِهِمْ) (أَغْنَاهُمْ) (وَالْآخِرَةَ)

(٧٤) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِحَقِّ رَئِيسِ الْمُتَنَافِقِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ، فَقَدْ اخْتَصَمَ غُلَامٌ مِنْ جَهَنَّةَ، وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُمَا عَلَى الْمَاءِ فِي بَعْضِ الْغُرُوبِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي لِلْأَنْصَارِ: أَلَا تَنْصُرُونَ أَخَاكُمْ؟ وَاللَّهِ مَا مَثَلْنَا وَمَثَلُ مُحَمَّدٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: سَمَنْ كَلَبَكَ بِأَكْلِكَ. وَقَالَ: (وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ).

فَسَعَى بِهَا غُلَامٌ اسْمُهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَجَعَلَ يَخْلِفُ بِاللَّهِ مَا قَالَ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ تَكْذِيبًا لَهُ. وَفِيهَا عَدَاةُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُتَنَافِقِينَ قَدْ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ. كَمَا أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ هَمَّ بِالْفِتَنِ بِرَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ مُنْصَرِفٌ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ عَصَمَهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَيْسَ لِلرَّسُولِ ﷺ مِنْ ذَنْبٍ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُتَنَافِقِينَ يَقْتَضِي مِنْهُمْ هَذِهِ الْكَرَاهِيَةَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْإِسْلَامِ، وَهَذِهِ الرُّغْبَةُ فِي الْأَنْتِقَامِ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَغْنَاهُمْ بِبَرَكَاتِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَبُيِّنَ سَعَادَتُهُ بِمَا أَصَابُوا مِنَ الْغَنَائِمِ. ثُمَّ دَعَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ النَّفَاقِ، وَمَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنْ سَيِّئِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، لِأَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ. أَمَّا إِذَا أَصْرُوا عَلَى مَسْلِكِهِمْ، وَرَفَضُوا التَّوْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَيُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّكَالِ وَالْهَوَانِ وَالصَّغَارِ وَالْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِنْجَادَهُمْ وَنَصْرَهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، وَدَفَعَ السُّوءَ وَالْمَذَلَّةَ عَنْهُمْ.

مَا نَقَمُوا - مَا كَرِهُوا وَمَا عَابُوا شَيْئًا.

(عَاهَدَ) (لَئِنْ) (آتَانَا) (الصَّالِحِينَ)

(٧٥) - وَبَيْنَ الْمُتَنَافِقِينَ مَنْ أَعْطَى اللَّهُ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ لَئِنْ أَغْنَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَعْطَاهُ مَا لَا وَثْرَةَ لِيَشْكُرَنَّ اللَّهَ عَلَى نِعْمَتِهِ بِالصَّدَقَةِ مِنْهَا، وَيَعْمَلَنَّ عَمَلَ أَهْلِ الصَّلَاحِ، مِنْ صَلَةِ الرَّحِمِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

(آتَاهُمْ)

(٧٦) - فَلَمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ، وَأَعْطَاهُمْ مَا طَلَبُوا، لَمْ يُوفُوا بِالْعَهْدِ، وَبَخِلُوا بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَمْسَكُوهُ فَلَمْ يَتَصَدَّقُوا مِنْهُ شَيْئًا. وَتَوَلَّوْا

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا

بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ وَابِعَا لَمْ

يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ

أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ

فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا

لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ

اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ



وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ

آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ

لَيَتَصَدَّقْنَ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا

أَصْلَاحِينَ

فَلَمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا

بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ

وَانْصَرَفُوا عَنِ الْاِسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالصَّلَاحِ ، وَإِصْلَاحِ حَالِهِمْ وَحَالِ أُمَّتِهِمْ ، كَمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ .

(٧٧) - فَكَانَتْ عَاقِبَةُ ذَلِكَ الْبُخْلِ وَالتَّوَلَّى بَعْدَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ أَنْ تَمَكَّنَ النِّفَاقُ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَلَا زَمَمَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لِأَنَّهُمْ لَا رَجَاءَ لَهُمْ مَعَ هَذَا النِّفَاقِ فِي التَّوْبَةِ ، وَذَلِكَ لِتَمَكُّنِ صِفَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النِّفَاقِ فِي قُلُوبِهِمْ وَهُمَا : الْكَذِبُ فِي الْيَمِينِ ، وَإِخْلَافُ الْعَهْدِ .

(وَيُرَوَّى فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ حَاطِبٍ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَدْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَرْزُقَنِي مَالًا . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ . قَالَ ثَعْلَبَةُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ دَعَوْتُ اللَّهَ فَرَزَقَنِي مَالًا لِأُعْطِيَنَّ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : (اَللَّهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالًا) .

فَاتَّخَذَ ثَعْلَبَةُ غَنَمًا فَتَمَّتْ فَصَافَتْ عَلَيْهَا الْمَدِينَةُ ، فَتَنَحَّى عَنْهَا ، فَزَلَّ وَادِيًا مِنْ أَوْدِيَّتِهَا حَتَّى جَعَلَ يُصَلِّي الطُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمَاعَةً ، وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُمَا . ثُمَّ نَمَتْ فَكَثُرَتْ فَتَنَحَّى حَتَّى تَرَكَ الصَّلَوَاتِ إِلَّا الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ تَرَكَ الْجُمُعَةَ بَعْدَ ذَلِكَ . وَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً عَنْ ثَعْلَبَةَ فَأَخْبَرُوهُ بِأَمْرِهِ ، فَقَالَ : (يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةُ) .

(وَنَجَوَاهُمْ) (عَلَامٌ)

(٧٨) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ أَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى ، وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِضَمَائِرِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُسِرُّونَ غَيْرَ مَا يُعْلِنُونَ ، وَإِنْ أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ إِنْ حَصَلَ لَهُمْ مَالٌ تَصَدَّقُوا وَشَكَرُوا عَلَيْهِ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى عَلَامُ الْغُيُوبِ ، فَكَيْفَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ بِمَا يُعَاهِدُونَهُ عَلَيْهِ؟

يَعْلَمُ سِرَّهُمْ - مَا أَسْرَوْهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ .

نَجَوَاهُمْ - مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ مِنَ الْمَطَاعِينَ فِي الدِّينِ .

(الصَّدَقَاتِ)

(٧٩) - وَمِنْ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ أَيْضًا أَنَّهُمْ لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ غِيْبِهِمْ ، وَلَمْ يَرْهَمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ . إِنْ جَاءَ أَحَدٌ يَتَصَدَّقُ بِمَالٍ جَزِيلٍ قَالُوا : هَذَا مُرَاءٍ . وَإِنْ جَاءَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ ، قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ لَغِيْبٌ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا .

﴿٧٧﴾ فَأَعَقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ

﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ

وَسَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَضَّ يَوْمًا عَلَى الصَّدَقَةِ وَرَغَّبَ فِيهَا، فَتَطَوَّعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَتَصَدَّقَ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَقَالُوا هَذَا مُرَاءٍ. وَجَاءَ أَنْصَارِي بِصَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا.

وَسَخِرَ الْمُنَافِقُونَ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ اجْتَهِدُوا فِي التَّصَدَّقِ قَدْرَ طَاقَتِهِمْ، فَردَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّهُ جَازَاهُمْ بِمِثْلِ ذَنبِهِمْ، فَجَعَلَهُمْ سُخْرِيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، بِفَضِيحَتِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بَيَانِ مَخَازِيهِمْ وَعُيُوبِهِمْ، وَأَذْخَرَ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. الَّذِينَ يَلْمِزُونَ - الَّذِينَ يَعْبُيُونَ.

جُهِدَهُمْ - طَاقَتَهُمْ وَوَسْعَتَهُمْ.

سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ - أَهَانَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ جَزَاءً وَفَاءً.

(الْفَاسِقِينَ)

(٨٠) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ لَيْسُوا أَهْلًا لِلِاسْتِغْفَارِ، وَأَنَّهُ لَوْ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، وَذَلِكَ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِوَاحِدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَوَحْيِهِ لِرَسُولِهِ، وَلِشَكِّهِمْ فِي أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى، وَغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَيُرَوَّى أَنَّهُ حِينَ مَرَضَ رَئِيسُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سُلُولٍ، انْطَلَقَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي يُحْتَضِرُ فَأُحِبُّ أَنْ تَشْهَدَهُ وَتُصَلِّيَ عَلَيْهِ. فَانْطَلَقَ مَعَهُ حَتَّى شَهِدَهُ وَالْبَسَهُ قَمِيصَهُ، وَصَلَّى عَلَيْهِ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّيُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَالَ إِنَّ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَا تَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ.

(خِلَافَ) (يُجَاهِدُوا) (بِأَمْوَالِهِمْ)

(٨١) - ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَفَرَحُوا بِقُعُودِهِمْ بَعْدَ خُرُوجِهِ، وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَهُ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، إِغْرَاءُ لَهُمْ بِالنِّبَاتِ عَلَى الْمُنْكَرِ، وَتَنَشِيطُ لِعَزَائِمِ الْمُؤْمِنِينَ: لَا تَخْرُجُوا إِلَى الْجِهَادِ فِي الْحَرِّ. فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ الَّتِي سَيَصِيرُونَ فِيهَا، هِيَ أَشَدُّ حَرًّا مِنْ قَيْظِ الصَّحَرَاءِ الَّتِي فَرُّوا مِنْهُ. وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُدْرِكُونَ وَيَعْقِلُونَ لَمَا خَالَفُوا وَقَعَدُوا، وَلَمَا فَرَحُوا بِقُعُودِهِمْ.

فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ
وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ

٨٠ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

٨١ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ
خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي
الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا
لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ

خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ - لِمُخَالَفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ بَعْدَ خُرُوجِهِ.
لَا تَتَفَرُّوا - لَا تَخْرُجُوا لِلْجِهَادِ.

(٨٢) - ثُمَّ تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ عَلَى فِعَالِهِمُ السَّيِّئَةِ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: لِيُضْحَكُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ قَلِيلًا، لِأَنَّ الدُّنْيَا نَفْسَهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ، فَإِذَا انْقَطَعَتِ الدُّنْيَا، وَصَارُوا إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، اسْتَأْنَفُوا بُكَاءً لَا يَنْقُطِعُ أَبَدًا بِسَبَبِ مَا اكْتَسَبُوهُ مِنْ كُفْرٍ وَأَثَامٍ، وَعَلَى مَا قَوَّتُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ فُرْصِ اكْتِسَابِ الْحَسَنَاتِ، وَعَمَلِ مَا يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ.

(طَائِفَةٍ) (فَاسْتَأْذَنُوكَ) (تُقَاتِلُوا) (الْخَالِفِينَ)

(٨٣) - فَإِذَا رَدَّكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَزْوَتِكَ هَذِهِ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمُتَخَلِّفِينَ (وَكَانُوا، فِيمَا قِيلَ، اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا) فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ مَعَكَ إِلَى غَزْوَةِ أُخْرَى، فَقُلْ لَهُمْ: لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا، وَذَلِكَ عُقُوبَةُ لَهُمْ وَتَعْزِيزٌ، وَلَنْ يَكُونَ لَكُمْ شَرَفٌ صُحْبَتِي إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ أَبَدًا، لِأَنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِخِزْيِ الْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ دُعِيتُمْ فِيهَا إِلَى الْجِهَادِ، وَأَنْتُمْ لَا عِذْرَ لَكُمْ بِزُرِّ هَذَا التَّخَلُّفِ، فَاقْعُدُوا مَعَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْجِهَادِ، مِنَ الْعَجْزَةِ وَالْمَرْضَى وَالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ.

الْخَالِفِينَ - الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ.

(فَاسِقُونَ)

(٨٤) - أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَتَبَرَّأَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ، وَأَنْ لَا يَقُومَ عَلَى قَبْرِهِ دَاعِيًا مُسْتَغْفِرًا لَهُ، لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَمَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ. وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ فِي كُلِّ نِفَاقٍ، وَإِنْ كَانَتِ الْآيَةُ قَدْ نَزَلَتْ فِي حَادِثَةٍ مُعَيَّنَةٍ هِيَ حَادِثَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سُلُوقٍ. وَلَمْ يُصَلِّ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مُنَافِقٍ أَبَدًا.

(أَمْوَالُهُمْ) (أَوْلَادُهُمْ) (كَافِرُونَ)

(٨٥) - فَلَا يَثْرِعُ عَجَبُكَ مَا تَرَاهُمْ فِيهِ مِنْ وَفَرَةِ الْمَالِ، وَكَثْرَةِ الْأَوْلَادِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِيمَا أَعْطَاهُمْ بِدَفْعِ الزَّكَاةِ مِنْهَا، وَفِي الْإِنْفَاقِ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يُوْجِبُهُ الْإِسْلَامُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يُمِيتُهُمُ اللَّهُ عَلَى الْكُفْرِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَشَدَّ نَكَالًا لَهُمْ، وَعَذَابًا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَتَكُونَ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ.

﴿٨٢﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَسْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

﴿٨٣﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ

﴿٨٤﴾ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ

﴿٨٥﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ

تَرْهَقْ أَنْفُسَهُمْ - تَخْرُجْ أَرْوَاحُهُمْ.

(آمِنُوا) (وَجَاهِدُوا) (اسْتَأْذِنَكَ) (أَوَّلُوا) (الْقَاعِدِينَ)

(٨٦) - وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ فِيهَا دَعْوَةٌ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعَقِيدَةِ لَهُ، وَفِيهَا ذِكْرٌ لِلْقِتَالِ، وَحَثٌّ عَلَى الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَاوَلْ دُؤُو الْقُدْرَةَ عَلَى الْجِهَادِ، وَالسَّعَةَ فِي الْإِنْفَاقِ، أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ الْقِيَامِ بِمَا أَمَرَ اللهُ، وَاسْتَأْذِنُوكَ فِي الْقُعُودِ مَعَ الْقَاعِدِينَ مِنَ الْعَجْزَةِ وَأَصْحَابِ الْأَعْدَارِ.

أَوَّلُوا الطَّوْلَ - أَصْحَابُ الْغِنَى وَالْيَسَارِ.

(٨٧) - رَضُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِالْقُعُودِ، وَبِعَارِ الْبَقَاءِ مَعَ النَّسَاءِ الْمُتَخَلِّفَاتِ فِي الْبَلَدِ، بَعْدَ خُرُوجِ الْجَيْشِ (الْخَوَالِفِ)، وَقَدْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَخَتَمَ عَلَيْهَا، فَالْتَبَسَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ، وَأَصْبَحُوا لَا يَفْقَهُونَ، وَلَا يَعْرِفُونَ مَا فِي الْجِهَادِ مِنْ خَيْرٍ لِلنَّفْسِ وَلِلْجَمَاعَةِ، وَلَا مَا فِي الْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ مِنْ مَضَرَّةٍ لِلنَّفْسِ وَلِلْجَمَاعَةِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الْخَوَالِفُ - النَّسَاءُ الْمُتَخَلِّفَاتِ عَنِ الْجِهَادِ.

طَبَعَ - خَتَمَ.

(آمِنُوا) (جَاهِدُوا) (بِأَمْوَالِهِمْ) (وَأَوَّلَيْكَ) (الْخَيْرَاتِ)

(٨٨) - إِذَا تَخَلَّفَ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الْجِهَادِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالْمُؤْمِنِينَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ وَعَدَهُمُ اللهُ بِالْخَيْرَاتِ: فِي الدُّنْيَا بِتَحْقِيقِ النَّصْرِ، وَمَحْوِ الْكُفْرِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالتَّمَتُّعِ بِالْمَغَانِمِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِرِضَا اللهِ وَجَنَّتِهِ.

(جَنَّتَاتِ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ)

(٨٩) - وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، جَنَّتَاتِ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّتَاتِهَا، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

(٩٠) - وَجَاءَ دُؤُو الْأَعْدَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي تَعِيشُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي الْقُعُودِ، وَأَبْدُوا أَعْدَارًا، مِنْهُمْ الصَّادِقُ، وَمِنْهُمْ الْكَاذِبُ، وَلَمْ يَأْتِ آخَرُونَ مِمَّنْ قَعَدُوا لِيَعْتَذِرُوا، وَيَبَيِّنُوا أَسْبَابَ قُعُودِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ الرَّسُولِ، وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ قَعَدُوا مِنْهُمْ كُفْرًا، وَجَزَاءُ مِنْهُمْ عَلَى اللهِ، عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا

بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ

اسْتَأْذِنَكَ أَوَّلُوا الطَّوْلَ مِنْهُمْ

وَقَالُوا أَذَرْنَاكَ مَعَ الْقَاعِدِينَ

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ

وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ

لَا يَفْقَهُونَ

لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا

مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوَّلَيْكَ لَهُمْ

الْخَيْرَاتِ وَأَوَّلَيْكَ هُمْ

الْمُقَلِّحُونَ

أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّتَاتِ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ

لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا

اللهِ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

الْمُعْذِرُونَ - أَصْحَابُ الْأَعْدَارِ (وَقِيلَ إِنَّهُمْ ذَوُو الْأَعْدَارِ الْكَاذِبَةِ).

(٩١) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَعْدَارَ الَّتِي لَا حَرَجَ عَلَى مَنْ قَعَدَ مَعَهَا عَنِ الْجِهَادِ، فَذَكَرَ مِنْهَا مَا هُوَ مُلَازِمٌ لِبَنِيَةِ الْإِنْسَانِ وَيَمْنَعُهُ مِنْ مُبَاشَرَةِ الْقِتَالِ، كَالضَّعْفِ فِي الْبَنِيَةِ الْجَسَدِيَّةِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَارِضٌ، كَالْمَرَضِ الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنَ الْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالْفَقْرِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُهُ مِنَ التَّجَهُّزِ لِلْحَرْبِ، وَاقْتِنَاءِ السَّلَاحِ وَالْعُدَّةِ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَيْتَالِ خِلَالَ مَدَّةِ الْجِهَادِ.

وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ إِذَا قَعَدُوا وَنَصَحُوا اللَّهَ، وَلِلرُّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِ قُعُودِهِمْ، وَلَمْ يُرْجَفُوا بِالنَّاسِ، وَلَمْ يَشُوا الشَّائِعَاتِ الْمُبْطِلَةَ لِلْهَمِّ، فَإِذَا التَزَمُوا بِذَلِكَ كَانُوا مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَاللَّهُ رَحِيمٌ يَمُنُّ بِقَعْدِ وَهُوَ صَاحِبُ عُدٍّ مَشْرُوعٍ.

خَرَجَ - ذَنْبٌ أَوْ إِنْهُم فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ.

(٩٢) - جَاءَ سَبْعَةٌ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مِنْ مُزَيْنَةَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى دَابَّةٍ لِيُجَاهِدُوا مَعَهُ، وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ: وَاللَّهِ مَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ. فَتَوَلَّوْا عَنْهُ يَكُونُ حُزْنًا عَلَى أَنْهُمْ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَهُ لِيَذْهَبُوا مَعَ الرَّسُولِ إِلَى الْجِهَادِ. فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ فِي الْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًا، وَلَا سِرْتُمْ سِيرًا إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ)، قَالُوا: وَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهَ)

تَقِيضُ أَعْيُنُهُمْ - تَمْتَلِيءُ أَعْيُنُهُمْ بِالْذَّمِّ حَتَّى تَقِيضَ بِهِ.

(يَسْتَأْذِنُونَكَ)

(٩٣) - ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَامَةَ وَجَعَلَهَا عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ الرَّسُولَ فِي الْقُعُودِ مِنْ غَيْرِ عُدٍّ وَلَا ضَرُورَةٍ، وَهُمْ أَصْحَاءُ أَغْنِيَاءُ، قَادِرُونَ عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَوَبَّخَهُمْ لِرِضَاهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْعَجْزَةِ وَالْمَرْضَى وَالنِّسَاءِ الْقَوَاعِدِ، وَقَالَ تَعَالَى إِنَّهُ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَخَتَمَ عَلَيْهَا، وَأَخَاطَتْ بِهِمْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبُهُمْ، فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا سُوءَ عَاقِبَتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

① لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى

الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ

لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ

خَرَجَ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ

سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

② وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّ

لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحَدٌ

مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا

وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الذَّمِّ

حَزَنًا لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ



③ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى

الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ

وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا يَكُونُوا

مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى

قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(عَالِمٍ) (وَالشَّهَادَةِ)

(٩٤) - أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنَّهُ إِذَا رَجَعَ بِالْجَيْشِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَعَدُوا عَنِ الْجِهَادِ، وَهُمْ أَغْنِيَاءُ أَصْحَاءُ، سَيَأْتُونَ إِلَيْهِ مُعْتَذِرِينَ. وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: لَا حَاجَةَ بِكُمْ لِأَنْ تَعْتَذِرُوا فَلَنْ نُصَدِّقَكُمْ، وَلَنْ نَبْقَى بِكُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ أَعْلَمَنَا بِأَحْوَالِكُمْ وَأَخْبَارِكُمْ، وَسَيَرَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَمَلَكُمْ فِيمَا بَعْدَ، وَهُوَ الَّذِي سَيَبَيِّنُ حَقِيقَةَ حَالِكُمْ: إِمَّا إِصْرَارَ عَلَى النِّفَاقِ، وَإِمَّا تَوْبَةَ وَإِنَابَةَ إِلَى اللَّهِ. أَمَّا قَوْلُكُمْ بِاللِّسَانِ فَلَا يُعْتَدُ بِهِ مَهْمَا أَكْذَبْتُمُوهُ بِالْإِيمَانِ. ثُمَّ يَتَوَلَّى اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِخْبَارَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ خَيْرَهَا وَشَرِّهَا، وَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهَا بِمَا تَسْتَحِقُّونَ.

(وَمَاوَاهُمْ)

(٩٥) - إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ غَزَاتِكُمْ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا مَعَ الْخَوَالِفِ فِي الْمَدِينَةِ، وَقَعَدُوا عَنِ الْجِهَادِ، وَهُمْ أَغْنِيَاءُ أَصْحَاءُ، سَيَأْتُونَ إِلَيْكُمْ مُعْتَذِرِينَ، وَسَيُؤَكِّدُونَ آعِذَارَهُمْ بِالْإِيمَانِ الْكَاذِبَةِ، وَهُمْ يَرْجُونَ أَنْ تُعْرِضُوا عَنْهُمْ، وَتَكْفُوا عَنْ تَوْبِيخِهِمْ، وَتَقْرِيهِمْ عَلَى قُعُودِهِمْ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِعْرَاضَ الْاِحْتِقَارِ وَالْاِسْتِصْغَارِ، لَا إِعْرَاضَ الصَّفْحِ، وَقَبُولِ الْعُذْرِ، إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَذَنَسٌ مُؤِذٌ لِلنَّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ الْكَرِيمَةِ، يَجِبُ الْاِحْتِرَاسُ مِنْهُمْ، وَالْاِتِّعَازُ عَنْهُمْ، لِكَيْلَا تَلْحَقَ عَذَابُهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَسَتَكُونُ نَارُ جَهَنَّمَ مُسْتَقَرَّهُمْ، وَجَزَاءُهُمْ، وَمَاوَاهُمْ الْأَخِيرُ. إِنَّهُمْ رَجَسٌ - قَدَرٌ بَاطِنٌ وَظَاهِرٌ.

(الْفَاسِقِينَ)

(٩٦) - وَهُمْ إِنَّمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا خُدَعْتُمْ أَنْتُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَرَضِيتُمْ أَنْتُمْ عَنْهُمْ، فَهَذَا الرِّضَا لَا يَنْفَعُهُمْ فِي شَيْءٍ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.

(٩٧) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ فِي الْأَعْرَابِ (وَالْأَعْرَابُ هُمْ رَجَالُ الْبَادِيَةِ مِنَ الْعَرَبِ) كُفَّاراً وَمُنَافِقِينَ، وَأَنَّ الْكُفْرَ وَالنِّفَاقَ فِيهِمْ أَشَدُّ وَأَغْلَظُ مِمَّا عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمُدُنِ، نَظَرًا لِبَجَافِ طِبَاعِهِمْ، وَعِلَظَةِ قُلُوبِهِمْ، وَلِبُعْدِهِمْ عَنِ الْحِكْمَةِ، وَمَتَابِعِ الْعِلْمِ، وَلِذَلِكَ فَحَرِيٌّ بِهِمْ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ، وَلَا أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّهُمْ لَا

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا

رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَحْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا

أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً إِلَّا مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ

فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

لِلْأَعْرَابِ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا

وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

يَجِدُونَ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ إِنَّا هَا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْلُحُ النَّاسَ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ.

أَجْدَرُ - أَحَقُّ وَآخَرَى.

(الدَّوَائِرُ) (دَائِرَةٌ)

(٩٨) - وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُعَدُّونَ مَا يُنْفِقُونَهُ مِنْ مَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غُرْمًا وَخَسَارًا، يَحْتَمِلُونَهُمَا مُكْرَهِينَ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ فِي ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْجِهَادِ، وَأَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَيَنْتَظِرُونَ أَنْ تَحِلَّ بِكُمْ الْمَصَائِبُ وَالْكَوَارِثُ، وَأَنْ تَدُورَ عَلَيْكُمْ الدَّوَائِرُ فِي الْحَرْبِ. وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ قَائِلًا: عَلَيْهِمْ هُمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَالْبَوَارِ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِدُعَاءِ عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْجَذْلَانِ. مَغْرَمًا - غَرَامَةٌ وَخَسَارًا.

يَتَرَبَّصُّ الدَّوَائِرُ - يَنْتَظِرُ بِكُمْ مَصَائِبَ الدَّهْرِ.

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ - الضَّرَرُ وَالشَّرُّ.

(الْآخِرِ) (قُرْبَاتٍ) (وَصَلَوَاتٍ)

(٩٩) - وَهُنَاكَ مِنَ الْأَعْرَابِ جَمَاعَةٌ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَعَدُّونَ مَا يُنْفِقُونَهُ مِنْ مَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قُرْبَةً يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ بِهَا دُعَاءَ الرُّسُولِ لَهُمْ (وَصَلَوَاتُ الرُّسُولِ) لِأَنَّهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، كَانَ يَدْعُو لِلْمُتَصَدِّقِينَ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ قَبْلَ هَذِهِ النُّفَقَةِ مِنْهُمْ، وَسَتَكُونُ قُرْبَةً عَظِيمَةً لَهُمْ عِنْدَهُ، وَسَيَدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَسَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَسَيَرْحَمُهُمْ لِأَنَّهُ تَعَالَى كَثِيرُ الْغَفَرَانِ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ، رَجِيمٌ بِهِمْ.

صَلَوَاتُ الرُّسُولِ - دَعَوَاتُ الرُّسُولِ. وَاسْتَغْفَارُهُ لِلْمُنْفِقِينَ.

(وَالسَّابِقُونَ) (الْمُهَاجِرِينَ) (بِإِحْسَانٍ) (جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ)

(١٠٠) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ رِضَاهُ عَنِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، (وَهُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا قَبْلَ صَلَاحِ الْحُدُودِ)، وَمِنَ الْأَنْصَارِ (وَهُمُ الَّذِينَ بَايَعُوا الرُّسُولَ ﷺ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ وَالرَّضْوَانِ)، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ. وَيُخَبِّرُ تَعَالَى بِرِضَاهُ عَنْهُمْ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الدُّنْيَا، مِنْ عَزٍّ وَنَصْرِ وَمَغْنَمٍ وَهَدًى، وَبِمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي

﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ

مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ
الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿١٩﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يَنْفِقُ قُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ
وَصَلَوَاتِ الرُّسُولِ إِلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ
لَهُمْ سَيَدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي
رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٢٠﴾ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

الْآخِرَةِ، مِنْ جَنَاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَوَانِبِهَا، وَهُمْ مُخَلَّدُونَ فِيهَا أَبَدًا.
وَالْفَوْزُ الَّذِي فَازَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْكِرَامُ الْبَرَّةُ هُوَ أَعْظَمُ الْفَوْزِ.

(مُنَافِقُونَ)

(١٠١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، مِمَّنْ هُمْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ،
مُنَافِقِينَ، كَمَا يُوْجَدُ مُنَافِقُونَ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ تَمَرَّنُوا عَلَى النِّفَاقِ،
وَحَذَقُوهُ، حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الْغَايَةَ فِي إِتْقَانِهِ، وَأَصْبَحَ مِنَ الصَّعْبِ الْعَسِيرِ
كَشْفُهُمْ وَمَعْرِفَتُهُمْ (مَرَدُّوْا عَلَى النِّفَاقِ)، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَعْرِفُهُمْ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْرِفُهُمْ، وَسَيَعْلَمُهُمْ فِي الدُّنْيَا مَرَّتَيْنِ:

أَوَّلَاهُمَا: - فِيمَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْخَوْفِ مِنَ الْفَضِيحَةِ بِهَتْكَ
أَسْتَارِهِمْ.

وَتَانِيَتُهُمَا: - فِي آلامِ الْمَوْتِ، وَضَرْبِ الْمَلَائِكَةِ وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ حِينَ
قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ.

وَفِي الْآخِرَةِ يُرَدُّونَ إِلَى جَهَنَّمَ، وَيَبْسُ الْمَصِيرُ.

مَرَدُّوْا عَلَى النِّفَاقِ - تَمَرَّنُوا عَلَيْهِ، وَحَذَقُوهُ.

(وَأَخْرُونَ) (صَالِحًا) (وَأَخَرِ)

(١٠٢) - بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ تَكْذِيبًا
وَشُكًّا، شَرَعَ فِي بَيَانِ حَالِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ كَسَلًا، مَعَ إِيْمَانِهِمْ
وَتَصْدِيقِهِمْ بِالْحَقِّ، فَقَالَ: وَهَنَكَ آخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقْرَأُوا بِهَا
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، لَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ خَلَطُوا بِهَا أَعْمَالًا سَيِّئَةً، هِيَ
تَقَاعُسُهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَتِهِ، وَقُعُودُهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ
مَعَهُ مِنْ غَيْرِ عُدَرٍ، فَهَؤُلَاءِ تَحْتَ عَفْوِ اللَّهِ وَغُفْرَانِهِ، وَقَدْ يَوْفُقُهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ
الصَّحِيحَةِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(وَرُوي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، تَخَلَّفُوا
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ مِنْ غَزْوَتِهِ، رَطَبُوا
أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ، وَخَلَفُوا لَا يَحِلُّهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا
أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ أَطْلَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، وَعَفَا عَنْهُمْ).

(أَمْوَالِهِمْ) (صَلَاتِكَ)

(١٠٣) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِ الَّذِينَ اعْتَرَفُوا
بِذُنُوبِهِمْ، صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الْبُخْلِ، وَالطَّمْعِ، وَالْقَسْوَةِ عَلَى

(١٠١) وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ

مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
مَرَدُّوْا عَلَى النِّفَاقِ لَا نَعْلَمُهُمْ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدَ بِهِمْ
مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى
عَذَابٍ عَظِيمٍ

(١٠٢) وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ

خَلَطُوا أَعْمَالًا صَالِحًا وَآخَرَ
سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(١٠٣) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ

وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ

صَلَوَاتِكَ سَكَنَ لَهُمُ اللَّهُ
سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ

الْفُقَرَاءِ، وَتُرْكِي بِهَا أَنْفُسَهُمْ، وَتَرْفَعُهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِفِعْلِهِ
الْخَيْرَاتِ حَتَّى يَكُونُوا أَهْلًا لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ
بِأَنْ يَدْعُو لَهُمْ، وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ (وَصَلَّ عَلَيْهِمْ)، لَأَنَّ صَلَاةَ الرَّسُولِ رَحْمَةٌ
بِهِمْ، وَرَاحَةٌ لِأَنْفُسِهِمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَاعْتِرَافِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَسَمِيعٌ لِدَعَاءِ
الرَّسُولِ لَهُمْ، عَلِيمٌ بِإِخْلَاصِهِمْ فِي تَوْبَتِهِمْ، وَنَذِيمٌ مِنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ.
تُرْكِيهِمْ بِهَا - تُنَمِّي بِهَا حَسَنَاتِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ.
صَلَّ عَلَيْهِمْ - ادْعُ لَهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ.
سَكَنَ لَهُمْ - طُمَائِنَةُ أَوْ رَحْمَةُ لَهُمْ.

(الصَّدَقَاتِ)

(١٠٤) - يَحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى التَّصَدُّقِ، وَعَلَى التَّوْبَةِ، وَهُمَا
الْوَسِيلَتَانِ اللَّتَانِ يَحُطُّ بِهِمَا الذُّنُوبُ عَنْ عِبَادِهِ، وَيُخَبِّرُ اللَّهُ أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ
الَّذِي يَقْبَلُ تَوْبَةَ عِبَادِهِ، وَأَنَّ مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَصَدَّقَ
بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ حَلَالٍ فَإِنَّهُ يَقْبَلُهَا بِبَيْعِهِ، فَيَرْبِيهَا لِصَاحِبِهَا حَتَّى
تُصْبِحَ الثَّمَرَةُ مِثْلَ جَبَلٍ أُحُدٍ.
يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ يَقْبَلُهَا وَيُشِيبُ عَلَيْهَا.

(عَالِمِ) (الشَّهَادَةِ)

(١٠٥) - هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ خَالَفُوا أَوْامِرَهُ، وَتَحَذَّرُوا لَهُمْ بِأَنْ
أَعْمَالَهُمْ سَتَعْرَضُ عَلَيْهِ، وَعَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَأَنَّهُمْ سَيُرَدُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى اللَّهِ، الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبَ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الشَّاهِدُ عَلَى خَلْقِهِ جَمِيعًا، فَيُخَبِّرُهُمْ بِكُلِّ عَمَلٍ عَمِلُوهُ.

(آخِرُونَ)

(١٠٦) - وَهَؤُلَاءِ الْمُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى هُمْ: مِرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ،
وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، قَعَدُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي جُمْلَةٍ مِنْ
قَعَدَ كَسَلًا، وَمِثْلًا إِلَى الرَّاحَةِ، لَا شَكًّا وَلَا نِفَاقًا، أَتَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَاعْتَرَفُوا لَهُ بِأَنَّهُمْ لَا عُذْرَ لَهُمْ، فَأَرْجَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي
أَمْرِهِمْ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْأَلَّا يُكَلِّمُوهُمْ، وَلَا يُخَالِطُوهُمْ، فَالْتَزَمُوا بَيُوتَهُمْ حَتَّى
ضَاقَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا عَلَى سَعَتِهَا، خَوْفًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَسُخْطِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ، وَيُرِيهِمْ وَيُرْكِيهِمْ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ لَهُمْ.
مُرْجُونَ - مُؤَخَّرُونَ لَا يَقْطَعُ لَهُمْ بَيُوتَهُ (وَأَصْلُهَا مُرْجُونَ).

﴿١٠٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ
الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿١٠٥﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَسُؤْلَهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُوءُ
إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيَنْتَبِهُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿١٠٦﴾ وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ
إِمَّا يَعِدُهُمْ وَإِمَّا يَنْتَوِبُ عَلَيْهِمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(لَكَاذِبُونَ)

(١٠٧) - قَالَ أَبُو عَاسٍ : إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ أَنَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَنَوْا مَسْجِدًا ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ (وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزَرَجِ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَبَى الْإِسْلَامَ ، وَأَخَذَ يَكِيدُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَتَوَاتَمَرُ عَلَيْهِمْ مَعَ قُرَيْشٍ ، وَمَعَ أَعْدَائِهِمْ ، وَآلَبَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ ، وَحَاوَلَ اسْتِمَالَةَ الْأَنْصَارِ فِي الْمَعْرَكَةِ فَسُوهُ) : ابْنُوا مَسْجِدًا يَكُونُ مَرَصِدًا لَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْتَعْدُوا ، وَأَنْ يَجْمَعُوا مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ وَسِلَاحٍ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصِرِ الرُّومِ قَاتٍ بِجُنُودٍ مِنَ الرُّومِ لِإِخْرَاجِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَخَذُوا فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ قَرِبَ مَسْجِدِ قِبَاءٍ ، وَلَمَّا أَتَتْهُمَا مِنْ بَنَائِهِ أَتَوْا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فَقَالُوا لَهُ : لَقَدْ فَرَعْنَا مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِنَا فَنَحِبُ أَنْ تُصَلِّيَ فِيهِ ، وَتَدْعُوَ لَنَا بِالْبَرَكَةِ . وَكَانَ الرَّسُولُ خَارِجًا إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَأَرْجَأَ ذَلِكَ إِلَى حِينَ عَوْدَتِهِ . وَحِينَ عَادَ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُخْبِرُهُ بِغَايَةِ بِنَاةِ الْمَسْجِدِ وَقَصْدِهِمْ ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ لَا يُصَلِّيَ فِيهِ أَبَدًا . وَيَقُولُ تَعَالَى : إِنَّ الَّذِينَ بَنَوْا هَذَا الْمَسْجِدَ سَيَحْلِفُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا بِنَائِهِ الْخَيْرَ وَالْإِحْسَانَ إِلَى النَّاسِ ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا قَالُوهُ ، وَفِيمَا قَصَدُوهُ ، وَفِيمَا نَوَّوْهُ ؛ فَهُمْ إِنَّمَا بَنَوْهُ ضِرَارًا لِمَسْجِدِ قِبَاءٍ ، وَكُفْرًا بِاللَّهِ ، وَتَفْرِيقًا لِلْمُؤْمِنِينَ (الَّذِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ جَمِيعًا فِي مَسْجِدٍ وَاحِدٍ هُوَ مَسْجِدُ قِبَاءٍ ، وَفِي ذَلِكَ يَحْصُلُ التَّعَارُفُ وَالتَّائُلُفُ ، وَتُجْمَعُ الْكَلِمَةُ) ، وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِ بِنَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ .

الضَّرَارُ وَالْمُضَارَّةُ - مُحَاوَلَةُ إِيقَاعِ الضَّرَرِ .

الْإِرْصَادُ - الْإِنْتِظَارُ وَالتَّرَقُّبُ مَعَ الْعِدَاوَةِ .

(١٠٨) - أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ لَا يَقُومَ فِي مَسْجِدِ الضَّرَارِ هَذَا ، وَحَتَّى عَلَى الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ قِبَاءٍ الَّذِي أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى التَّقْوَى (وَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ، وَجَمْعُ كَلِمَةِ الْمُؤْمِنِينَ) ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ قِبَاءٍ كَعُمْرَةٍ) . وَيَقُولُ تَعَالَى : إِنَّ مَسْجِدَ قِبَاءٍ فِيهِ رِجَالٌ يَعْمُرُونَهُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَذِكْرِ اللَّهِ ، وَتَسْبِيحِهِ ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا بِذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ . وَيُثْنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْأَنْصَارِ فِي تَطَهُّرِهِمْ ، وَفِي عَنَائِهِمْ بِنِظَافَةِ أَبْدَانِهِمْ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ .

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ
حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَيَحْلِفُونَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ
أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ
أَحَقُّ أَنْ يَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ

(بُنْيَانُهُ) (وَرِضْوَانِ) (الظَّالِمِينَ)

(١٠٩) - لَا يَسْتَوِي فِي عَقِيدَتِهِ، وَلَا فِي عَمَلِهِ، مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، مَعَ مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا لِلضَّرَارِ وَالْكَفْرِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهَذَا الْأَخِيرُ حَالُهُ كَحَالِ مَنْ يَبْنِي بُنْيَانَهُ عَلَىٰ طَرَفِ حُفْرَةٍ فِي أَرْضٍ رَخْوَةٍ فِي جَانِبِ جَهَنَّمَ، أَنَهَارَتْ بِهِ، وَبُنْيَانُهُ، فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الْمُتَجَاوِزِينَ طَاعَةَ اللَّهِ. فَلَا يُؤْمَنُ ثَابِتٌ رَاسِخٌ قَوِيٌّ، وَأَهْلُهُ سَعْدَاءُ بِرِضْوَانِ رَبِّهِمْ، وَالْبَاطِلُ مُضْمِلٌ وَاهٍ سَرِيعُ الْإِنْهَارِ، وَأَهْلُهُ أَشْقِيَاءُ مُتَرَدِّدُونَ حَائِرُونَ.

عَلَى شَفَا جُرْفٍ - عَلَى حَرْفٍ بِئْرٍ لَمْ تُبْنَ بِالْحِجَارَةِ.

هَارٍ - هَائِرٍ مُتَصَدِّعٍ أَوْ مُتَهَدِّمٍ.

فَأَنْهَارَ بِهِ - فَسَقَطَ الْبُنْيَانُ بِالْبَانِي.

(بُنْيَانُهُمْ)

(١١٠) - وَسَيَطُلُّ الْبُنْيَانُ، الَّذِي بَنَاهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ، يُورِثُهُمْ شَكَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَنِفَاقًا حَتَّىٰ مَوْتِهِمْ، بِسَبَبِ إِفْدَائِهِمْ عَلَىٰ هَذَا الْفِعْلِ الْقَبِيحِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ النَّاسِ، حَكِيمٌ فِي تَذْيِيرِهِ.

رَبِيَّةٌ فِي قُلُوبِهِمْ - شَكَا وَنِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ.

تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ - تَتَفَرَّقُ أَجْزَاءُ بِالْمَوْتِ.

(أَمْوَالُهُمْ) (يُقَاتِلُونَ) (التَّوْرَةَ) (وَالْقُرْآنَ)

(١١١) - يُرَغَّبُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ فِي الْجِهَادِ، وَيُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّهُ سَيَعُوضُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ عَنْ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَلِإِحْقَاقِ الْحَقِّ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ، فَهُمْ حِينَ يُجَاهِدُونَ يَقْتُلُونَ أَعْدَاءَهُمْ، وَيُقْتَلُونَ هُمْ، وَهُمْ فِي كَيْلِ الْحَالَتَيْنِ مُتَابُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ. وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا الْجَزَاءِ الْحَقِّ، وَجَعَلَهُ حَقًّا عَلَيْهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ.

ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّزَمِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَهْدِهِ اللَّهُ إِلَى الْاسْتِثْنَاءِ بِذَلِكَ الْقَوْرِ الْعَظِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَفَاءً بِالْعَهْدِ، وَلَا أَكْثَرُ مِنْهُ اتِّزَامًا بِالْوَعْدِ الَّذِي يَقْطَعُهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ رِبْحٌ أَكْبَرُ مِنَ الرِّبْحِ الَّذِي يُحَقِّقُهُ الْمُؤْمِنُونَ فِي هَذِهِ الصَّفَقَةِ.

١٠٩ أَفَمَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ

تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ

أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ

شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ

فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

١١٠ لَا يَزَالُ بَنِيَتْهُمْ أَلَّذِي بَوَارِبَةً

فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ

قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ



١١١ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنْ

الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ

وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا

عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ

وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ

أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ

فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعْيَكُمْ الَّذِي

بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْرُ

الْعَظِيمُ

(التَّائِبُونَ) (الْعَابِدُونَ) (الْحَامِدُونَ) (السَّائِحُونَ) (الرَّاكِعُونَ)
(السَّاجِدُونَ) (وَالْحَافِظُونَ)

(١١٢) - وَهَذَا يُعَدُّ اللَّهُ تَعَالَى صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اشْتَرَى مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ: التَّائِبُونَ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا، التَّارِكُونَ لِلْفَوَاحِشِ، الْقَائِمُونَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَالْمُحَافِظُونَ عَلَيْهَا، وَالْحَامِدُونَ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ، السَّائِحُونَ فِي الْأَرْضِ، لِلإِغْتِيَابِ وَالِاسْتِبْصَارِ بِمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْعَبَرِ وَالْآيَاتِ، (وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ مَعْنَى السَّائِحِينَ هُنَا الصَّائِمُونَ) وَالْمُصَلِّونَ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَسْعَوْنَ فِي نَفْعِ خَلْقِ اللَّهِ، وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى طَاعَتِهِ، بِأَمْرِهِم بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، مَعَ الْعِلْمِ بِمَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ، وَيَجِبُ تَرْكُهُ طَاعَةً لِلَّهِ (أَيَّ إِنَّهُمْ يَحْفَظُونَ حُدُودَ اللَّهِ). وَيُشِيرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَصِفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْكَرِيمَةِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

السَّائِحُونَ - فِي الْأَرْضِ لِلإِغْتِيَابِ وَالِاسْتِبْصَارِ، أَوْ هُمْ الصَّائِمُونَ أَوْ هُمْ الْمُجَاهِدُونَ الْغَزَاةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.
الْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ - أَيُّ الْمُرَاقِبِينَ لِأَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

(آمَنُوا) (أَصْحَابُ)

(١١٣) - لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ أَبَا طَالِبٍ، عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، دَخَلَ النَّبِيُّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَيْهِ، وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنْ فُرَيْشٍ، مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمَيَّةَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّ عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ أَنَا عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقَالَ النَّبِيُّ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُحِ عَنْهُ. فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَفِيهَا دَعْوَةٌ لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَدَمِ الِاسْتِغْفَارِ لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى شِرْكِهِمْ وَلَوْ كَانُوا أَقْرَبَاءَهُمْ.

(إِبْرَاهِيمَ) (لَأَوَاهُ)

(١١٤) - قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ مِنْ آبَائِنَا مَنْ كَانَ يُحْسِنُ الْجَوَارِ، وَيَصِلُ الْأَرْحَامَ، وَيَفُكُّ الْعَانِي، وَيُوفِي الدَّيْنَ، أَفَلَا نَسْتَغْفِرُ لَهُمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ لِأَبِي كَمَا اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ. فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَالَّتِي قَبْلَهَا، وَعَدَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ

﴿١١٣﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ

الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ

الرَّاكِعُونَ

السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ

لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

﴿١١٣﴾ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا

أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ

وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ

مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ

الْحَجِيمِ

﴿١١٤﴾ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ

لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا

إِلَيْهِ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ

لِللَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ

حَلِيمٌ

إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، عَمَّا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ لِأَبِيهِ
الْمُشْرِكِ.

وَالْمُسْلِمُ يَدْعُو لِقَرِيبِهِ غَيْرِ الْمُسْلِمِ بِالصَّلَاحِ مَا دَامَ حَيًّا، فَإِذَا مَاتَ وَكَلَهُ
إِلَى شَأْنِهِ، وَتَوَقَّفَ عَنِ الدُّعَاءِ وَالْاسْتِغْفَارِ لَهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ، أَيُّ كَثِيرُ الدُّعَاءِ، كَثِيرُ التَّضَرُّعِ.
أَوَّاهٌ - كَثِيرُ التَّأَوُّهِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَإِشْفَاقًا.

(هَذَا هُمْ)

(١١٥) - وَمَا كَانَ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَلَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَحُكْمَتِهِ، أَنْ
يَصِفَ قَوْمًا بِالضَّلَالِ، وَيَجْرِيَ عَلَيْهِمْ أَحْكَامُهُ بِالذَّمِّ وَالْعِقَابِ، بَعْدَ أَنْ
هَدَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، يَقُولُ يَصُدُّ عَنْهُمْ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، أَوْ عَمَلٍ يَحْدُثُ
مِنْهُمْ بِاجْتِهَادٍ خَاطِئٍ. وَيَقُولُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: وَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيَقْضِيَ عَلَيْكُمْ فِي اسْتِغْفَارِكُمْ لِمَوْتَاكُمْ الْمُشْرِكِينَ بِالضَّلَالِ، بَعْدَ إِذْ
رَزَقَكُمْ الْهُدَايَةَ، وَوَفَّقَكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَرَسُولِهِ، حَتَّى يَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ
بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَتَتْرَكُوا، فَأَمَّا قَبْلَ أَنْ يَبَيِّنَ لَكُمْ كَرَاهَةَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَحْكُمُ
عَلَيْكُمْ بِالضَّلَالِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

(السَّمَاوَاتِ) (يُحْيِي)

(١١٦) - هَذَا تَحْرِيبُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى قِتَالِ الْكَافِرِينَ، وَدَعْوَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
لِيَتَّقُوا اللَّهَ، مَا لِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلِكَيْلَا يَرْهَبُوا أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ،
فَهُوَ الَّذِي يَهَبُ الْحَيَاةَ بِقُدْرَتِهِ وَفَقِ سُنَنِ فِي التَّكْوِينِ، وَهُوَ الَّذِي يُبَيِّتُ
جَنِينًا تَقْضِي أَجَالَ النَّاسِ. وَجِنٌ يَجِيءُ الْأَجَلَ الْمُحَدَّدُ فَلَا تَتَقَدَّمُ
نَفْسٌ وَلَا تَتَأَخَّرُ. وَهُوَ تَعَالَى وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَصِيرُهُمْ، وَلَا وَلِيَّ وَلَا
نَصِيرَ لَهُمْ غَيْرُهُ.

(وَالْمُهَاجِرِينَ)

(١١٧) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ الَّتِي كَانَتْ فِي سَنَةِ جَدْبٍ،
وَوَقْتُ حَرٍّ شَدِيدٍ، وَعُسْفَرٍ فِي الزَّادِ وَالْمَاءِ، وَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ الَّذِينَ أَتَبَعُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي وَقْتِ عُسْرَةٍ مِنَ النِّفَاقِ
وَالظَّهْرِ وَالزَّادِ، بِالنُّوْبَةِ عَلَيْهِمْ لِصِدْقِ إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ، وَلَا اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ
رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، بَعْدَ أَنْ كَادَتْ تَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ
الْحَقِّ، وَهُمْ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا لِغَيْرِ عِلَّةٍ النِّفَاقِ مِمَّنْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا

﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ

قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى

يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿١١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ

وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

﴿١١٧﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ

وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ

الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ

يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ

وَأَخْرَسَيْنَا، وَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، لِعَظَمِ مَا نَالَهُمْ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالشَّدَةِ فِي سَفَرِهِمْ وَعَزْوِهِمْ. ثُمَّ رَزَقَهُمُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالرُّجُوعَ وَالنَّبَاتَ عَلَى دِينِهِ، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَإِنَّ تَعَالَى رُؤُوفٌ رَحِيمٌ بِهِمْ.

سَاعَةُ الْعُسْرَةِ - وَقْتُ الشَّدَةِ وَالضِّيقِ فِي عَزْوَةِ تَبُوكَ.

يَزِيغُ - يَجِيلُ إِلَى التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ.

(الثَّلَاثَةُ)

(١١٨) - الثَّلَاثَةُ هُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِي، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ تَخَلَّفُوا عَنْ عَزْوَةِ تَبُوكَ، وَاعْتَرَفُوا لِلرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْدَارٌ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُومُوا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي أَمْرِكُمْ. وَأَمَرَ الرَّسُولُ النَّاسَ أَنْ لَا يَكَلِّمُوهُمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ عَلَى رَحِبِهَا وَسَعِيقِهَا، وَضَاقَتْ أَنْفُسُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، لَمَّا كَانُوا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ ضَيْقِ صُدُورِهِمْ بِأَمْتِلَانِهَا بِهِمْ وَالْغَمِّ، وَلَبِثُوا فِي ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَفِيهَا التَّوْبَةُ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْزَلَ قَبُولَ تَوْبَتِهِمْ لِيَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَيْهِ، بَعْدَ أَنْ قَصُرُوا فِي اتِّبَاعِ رَسُولِهِ إِلَى الْغَزَاةِ، فَكَانَ عَاقِبَةُ صِدْقِهِمْ خَيْرًا لَهُمْ، وَتَوْبَةُ عَلَيْهِمْ.

بِمَا رَحِبَتْ - مَعَ رَحِبِهَا وَسَعِيقِهَا.

لِيَتُوبُوا - لِيُذَاوِمُوا عَلَى التَّوْبَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الصَّادِقِينَ)

(١١٩) - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَرَاقِبُوهُ بَادِئَ فَرَائِضِهِ وَوَاجِبَاتِهِ، وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَصْدَقُوا وَالزَّمُوا الصَّدْقَ تَكُونُوا أَهْلَهُ، وَتَنْجُوا مِنَ الْمَهَالِكِ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِنْ أُمُورِكُمْ وَمَخْرَجًا.

(يَطُؤُونَ) (صَالِح)

(١٢٠) - يُعَاتِبُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، عَلَى تَخَلُّفِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِمْ، وَإِبْتَارِهِمْ أَنْفُسَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ وَيَخْصُ بِالْعِتَابِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ نَقَصُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَصِيْبُهُمْ عَطَشٌ وَلَا تَعَبٌ وَلَا مَجَاعَةٌ (مَخْمَصَةٌ)، وَلَا يَنْزِلُونَ مَنَرًا يُرْهِبُ الْكُفَّارَ، وَيَغِيظُهُمْ، وَلَا يُحَقِّقُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ ظَفْرًا

تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا

حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ

حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ

يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ

وَعَلَبَةً. . . إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ، ثَوَابَ عَمَلٍ صَالِحٍ جَزِيلٍ،
وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

لَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ - لَا يَتَرَفَعُوا بِهَا، وَلَا يَضُنُّوا بِهَا، وَلَا يَصْرِفُوهَا.

نَصَبٌ - نَعَبَ مَا.

مَخْمَصَةٌ - مَجَاعَةٌ.

يَغِيظُ الْكُفَّارَ - يَغْمُهم وَيُغْضِبُهُم.

نَيْلًا - شَيْئًا مِنْ قَتْلِ أَوْ أُسْرِ أَوْ مَغْنَمٍ.

(١٢١) - وَلَا يُنْفِقُ هَؤُلَاءِ الْغُرَاةَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا
يَقْطَعُونَ وَادِيًا فِي سَبِيلِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ، إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ، وَسُجِّلَ فِي
صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ جَزَاءً أَحْسَنَ مِنْ جَزَائِهِمْ عَلَى
أَعْمَالِهِمُ الْجَلِيلَةِ فِي غَيْرِ الْجِهَادِ، فَالْفَقَّةُ الصَّغِيرَةُ فِي الْجِهَادِ كَالْفَقَّةِ
الْكَبِيرَةِ فِي غَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَبَرَاتِ.

(طَائِفَةٌ)

(١٢٢) - الْجِهَادُ فَرَضٌ كِفَايَةٌ إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ. وَلَكِنْ
إِذَا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَدَبَّ النَّاسُ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ لَمْ يَحِلَّ لِأَحَدٍ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ إِلَّا أَهْلُ الْأَعْدَارِ. وَحِينَمَا نَزَلَتِ الْآيَاتُ
السَّابِقَاتُ فِي التَّشْدِيدِ عَلَى الْمُتَخَلِّفِينَ، قَالُوا: لَا يَتَخَلَّفُ مِنَّا أَحَدٌ عَنْ
جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَبَدًا، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَبَقِيَ الرَّسُولُ وَحْدَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَفِيهَا يُبَيِّنُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَنْفِرُوا جَمِيعًا،
لِيَبْقَى قُرْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْاسٌ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ، حَتَّى إِذَا عَادَ الْغُرَاةَ إِلَى
أَهْلِهِمْ أَعْلَمُوهُمْ بِمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي غَيْبَتِهِمْ، وَبِمَا اسْتَجَدَّ مِنْ أُمُورِ
الدِّينِ، وَتَعْلِيمَاتِ الرَّسُولِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا عَلَى عِلْمٍ
بِأُمُورِ دِينِهِمْ.

لِيَنْفِرُوا كَافَّةً - لِيَخْرُجُوا إِلَى الْجِهَادِ جَمِيعًا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (قَاتِلُوا)

(١٢٣) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ الطَّرِيقَ الْأَمْتَلَ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ،
وَذَلِكَ بِأَنْ يَبْذُوبُوا بِقِتَالِ الْأَقْرَبِ فَلَا قُرْبَ مِنْهُمْ إِلَى أَرْضِ الْإِسْلَامِ،
وَبِذَلِكَ لَا يَبْقَى مَجَالٌ لَأَنْ يُوْخَذَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ خَلْفِهِمْ مِنْ قِبَلِ أَعْدَائِهِمْ،
إِذَا تَرَكُوا مَنْ هُمْ قُرْبُهُمْ وَذَهَبُوا لِيُقَاتِلُوا مَنْ خَلْفَ أَعْدَائِهِمْ، وَلِهَذَا بَدَأَ

ظُلْمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْعُونَ
مَوْطَأًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا
إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ
صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ

وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ
لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ
مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ
لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ
يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَظَةً وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ

الرَّسُولُ ﷺ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَمَّا أَنْتَهَى مِنَ الْعَرَبِ شَرَعَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَتَجَهَّزَ لِعُزْوِ الرُّومِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ. وَهَكَذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّمَا عَلَوْا أُمَّةً اتَّقَلَوْا إِلَى مَنْ هُمْ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ مِنَ الْعَتَاةِ الْفُجَارِ وَهَكَذَا.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَكُونُوا أَشِدَاءَ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ، وَأَنْ يُظْهِرُوا لَهُمْ غِلْظَةً وَشِدَّةً وَخُسُوفَةً فِي الْقِتَالِ، لِيَدْخُلُوا الْوَهْنَ إِلَى نُفُوسِهِمْ، وَنُفُوسِ مَنْ خَلَقَهُمْ. وَبِمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا أَشِدَاءَ عَلَى الْكُفَّارِ، رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ. وَيُخْبِرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ مَعَهُمْ يُثَبِّتُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ إِذَا اتَّقَوْهُ وَأَطَاعُوهُ. غِلْظَةً - شِدَّةً وَقَسْوَةً.

(إِيمَانًا) (آمَنُوا)

(١٢٤) - إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةً مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ فَمِنْ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَقُولُ لِإِخْوَانِهِ: (أَوْ يَقُولُ لِمَنْ يَلْقَاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُشَكِّكًا): أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ السُّورَةُ إِيْمَانًا وَيَقِينًا بِحَقِيقَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ، وَصَدَّقِ الرَّسُولَ؟ وَيَقُولُ تَعَالَى: أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ فَتَزِيدُهُمُ الْآيَاتُ إِيْمَانًا، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِرِضْوَانِ رَبِّهِمْ، وَبِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ. (وَقَدْ اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْإِيْمَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَزِيدَ أَوْ يَنْقُصَ).

(كَافِرُونَ)

(١٢٥) - وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَرَيْبَةٌ (مَرَضٌ)، دَعَاهُمْ إِلَى النَّفَاقِ بِإِسْرَارِ الْكُفْرِ، وَإِظْهَارِ الْإِيْمَانِ، فَتَزِيدُهُمُ الْآيَاتُ شُكًّا وَرَيْبَةً إِلَى شُكُوكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، فَالْقُرْآنُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي بِهِ اللَّهُ قُلُوبَ النَّاسِ، وَهُوَ سَبَبُ لِرِيزَادَةِ ضَلَالِهِمْ وَشَقَايِهِمْ، فَيَمُوتُونَ وَهُمْ كَافِرُونَ.

رَجَسًا - نِفَاقًا وَكُفْرًا.

(١٢٦) - أَيْجَهْلُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْتَبِرُهُمْ (يُقْتَنُونَ) كُلَّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، بِالْغَرَاةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ وَالْإِتْلَاءِ، وَالْإِخْتِبَارِ لَهُمْ، الَّتِي تَظْهَرُ اسْتِعْدَادُ النَّفُوسِ لِلْإِيْمَانِ وَالطَّاعَةِ، أَوَّلِ الْكُفْرِ وَالتَّمَرُّدِ، وَالْخُرُوجِ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِيِّ

وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن

يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ

إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا

فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا

إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ

كَافِرُونَ

أُولَئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُقْتَنُونَ

فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً

أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ

وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ

وَالضَّلَالِ، وَاقْتِرَافِ الذُّنُوبِ، وَمُقَارَفَةِ الْمَعَاصِي، وَلَا يَرْجِعُونَ عَنْ غَيْبِهِمْ، وَلَا يَتَّعِظُونَ بِمَا يَجِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ.
يُقْتَنُونَ - يَمْتَحِنُونَ وَيُخْتَبِرُونَ بِالشَّدَائِدِ وَالْبَلَايَا.
(يَرَاكُمْ)

(١٢٧) - وَهَذَا يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَكُونُونَ حَاضِرِينَ مَجْلِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَزُولِ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ وَهُمْ فِي الْمَجْلِسِ، تَسَارَقُوا النَّظَرَ، وَتَغَامَزُوا بِالْعُيُونِ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي تَخْشَعُ فِيهِ أَبْصَارُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَنْحَنِي رُؤُوسُهُمْ سَمْعًا لِلَّهِ وَطَاعَةً، وَتَسَاوَرُوا فِي الْأَسْبَالِ مِنَ الْمَجْلِسِ خَفِيَةً لِّئَلَّا يَفْتَضَحَ أَمْرُهُمْ بِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُخْرِيَةٍ وَإِنْكَارٍ. وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلْ يَرَاكُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا قُمْتُمْ مِنَ الْمَجْلِسِ؟ ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ جَمِيعًا مُتَسَلِّينَ كُرْهًا مِنْهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ. وَقَدْ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ مَا يَسْمَعُونَ، وَلَا يَعْقِلُونَ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ مَا يَسْمَعُونَ.

(١٢٨) - يَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ جَنْبِهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَقَوْمَهُمْ (مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، يَعْزُّ عَلَيْهِ وَيَصْعُبُ الشَّيْءُ الَّذِي يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَيَزِيدُهُمْ عَنَاءً، وَشَرِيعَتُهُ كُلُّهَا يُسْرٌ وَسَمَاحَةٌ وَكَمَالٌ، عَلَى مَنْ أَرَادَهَا يُسْرًا وَسَمَاحَةً، وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَصَلَاحِ حَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ شَدِيدُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ.
عَزِيزٌ عَلَيْهِ - صَعْبٌ عَلَيْهِ وَشَاقٌّ.
مَا عِثُّمُ - عَنَتُكُمْ وَمَشَقَّتُكُمْ.

(١٢٩) - فَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا جِئْتُهُمْ بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ، وَالْأَهْتِدَاءِ بِمَا جِئْتُهُمْ بِهِ، فَلَا تَحْزَنُ لَذَلِكَ، وَقُلْ: يَكْفِينِي اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، لِأَنَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَجَمِيعُ الْخَلْقِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ تَحْتَ الْعَرْشِ، مَقْهُورُونَ بِقُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقُدْرَتُهُ نَافِذٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ.
حَسْبِيَ اللَّهُ - اللَّهُ كَافِيٌّ وَمُعِينِي.

﴿١٢٧﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ

﴿١٢٨﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

﴿١٢٩﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

(١٠) سُورَةُ يُونُسَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا تَشْعُرُ وَانْتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الف. لام. را
(آيَات) (الكتاب)

(١) - أَلِفَ لَامَ رَا وَتَقْرَأُ مَقْطَعَةً. اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ. هَذِهِ هِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْمُحْكَمِ الَّذِي أَحْكَمَهُ اللَّهُ فِي أَسْلُوبِهِ وَمَعَانِيهِ، وَبَيَّنَّهَ لِعِبَادِهِ.
(آمَنُوا) (الكَافِرُونَ) (لَسَّاحِرٌ)

(٢) - يَسْتَنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى تَعَجُّبَ الْكُفَّارِ مِنْ إِرْسَالِ الْمُرْسَلِينَ مِنَ الْبَشَرِ، فَيَقُولُ: عَجِيبٌ أَمْرٌ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ أَنْ يُنْكِرُوا إِنْزَالَ الْوَحْيِ عَلَى رَجُلٍ مِنْ جَنْسِهِمْ، وَأَنْ يَعُدُّوا ذَلِكَ أَمْرًا عَجِيبًا يَتَفَكَّهُونَ بِهِ.
(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا أَنْكَرَتْ الْعَرَبُ ذَلِكَ، أَوْ مَنْ أَنْكَرَهُ مِنْهُمْ، فَقَالُوا: اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ بَشَرًا مِثْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا...).

وَمَهْمَةُ الرَّسُولِ هِيَ أَنْ يُنْذِرَ الْكَافِرِينَ بِعَذَابِ جَهَنَّمَ، إِذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَأَنْ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ سَبَقَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمَا قَدَّمُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: مِنْ صَوْمٍ وَصَلَاةٍ وَتَسْبِيحٍ وَأَمْرِ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنِ مُنْكَرٍ، وَجَهَادٍ لِلْكَافِرِينَ...

أَمَّا الْكَافِرُونَ فَقَدْ قَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّسُولَ لَسَّاحِرٌ ظَاهِرُ السَّحْرِ (مُبِينٌ)، يُؤَثِّرُ فِي النُّفُوسِ، وَيَجْذِبُهَا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَاحْتِقَارِ الْحَيَاةِ وَلَذَائِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُمْ الْكَاذِبُونَ فِي ذَلِكَ.

مُبِينٌ - ظَاهِرٌ وَاضِحٌ.

قَدَّمَ صِدْقِي - سَابِقَةً فَضْلٍ وَمَنْزِلَةً رَفِيعَةً.

الرَّئِثَاءُ أَيْبْتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَّاحِرٌ مُبِينٌ

(السَّمَاوَاتِ)

(٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَمِيعاً، وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا فِيهِمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَلَمَّا أَتَمَّ خَلْقَ الْوُجُودِ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، يُدَبِّرُ أَمْرَ الْكَوْنِ وَالْخَلَائِقِ وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، وَلَا يَتَّيَرَمُ بِالْحَاحِ الْمُلْحِنِ، وَلَا يُلْهِمُهُ الْكَبِيرُ عَنِ الصَّغِيرِ، وَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ رَبُّكُمْ فَأَفِرُّوهُ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يُسْتَنْكَرُ مِنْ رَبِّ هَذَا الْخَلْقِ، وَمُدَبِّرِهِ أَنْ يُقَيِّضَ مَا شَاءَ مِنْ عِلْمِهِ عَلَى مَنْ أَصْطَفَى مِنْ خَلْقِهِ، يَهْدِيهِمْ بِهِ لِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَكَمَالُهُمْ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ يَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ فِي أَمْرِكُمْ؟ فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً غَيْرَهُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ؟

أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ - أَسْتَوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ.

(يَبْدَأُ) (أَمْنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَظِيمُ، وَأَنَّ الْخَلَائِقَ تَرْجِعُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَدًا حَتَّى يُعِيدَهُ كَمَا كَانَ بَدَأَهُ، وَهَذَا وَعْدٌ مِنْهُ حَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، وَلَا شَكَّ ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ كَمَا بَدَأَ الْخَلْقَ أَوَّلَ مَرَّةٍ يُعِيدُهُ. وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَجْزِي الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بِالْعَدْلِ (بِالْقِسْطِ) وَيُوفِّيهِمْ جَزَاءَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، كَمَا يَجْزِي الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ بِعَذَابِهِ النَّارِ، وَسَيَكُونُ شَرَابُهُمْ مِنْ مَاءٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

حَمِيمٍ - مَاءٌ بَالِغُ الْغَايَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرَارَةِ.

(الآيَاتِ)

(٥) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا خَلَقَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُ جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً، وَجَعَلَ الْقَمَرَ نُورًا، وَهَكَذَا فَآوَتْ تَعَالَى بَيْنَ ضِيَاءِ الشَّمْسِ، وَبَيْنَ نُورِ الْقَمَرِ، وَقَدَّرَ لِلْقَمَرِ مَنَازِلَ (وهي ٢٨ منزلاً)، لِيَعْرِفَ النَّاسُ عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ، وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ ذَلِكَ الْخَلْقَ عَبَثًا وَبَاطِلًا وَتَسْلِيَةً، وَإِنَّمَا خَلَقَهُ بِالْحَقِّ، وَهُوَ تَعَالَى يَفْصِلُ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْوَهَيْتِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ لِكَيْ يَتَذَكَّرَ بِهَا الْخَلْقُ.

(وَقِيلَ إِنَّ الضُّوْءَ مَا كَانَ مِنْ ذَاتِ الشَّيْءِ كَالشَّمْسِ وَالنَّارِ، وَالنُّورُ مَا كَانَ مُكْتَسَبًا مِنْ خَارِجِ الشَّيْءِ كَالْقَمَرِ يَسْتَمِدُّ نُورَهُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ).

٣ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَدَبِّرُ
الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
إِذْنِهِ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

٤ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ

حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ
مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ
مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

٥ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً

وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ
لِنَعْلَمَ أَعْدَادَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ
إِلَّا بِالْحَقِّ يَفْصِلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

قَدَرَهُ مَنَازِلَ - صَبَّرَ الْقَمَرُ دَا مَنَازِلَ يَسِيرُ فِيهَا.

(اِخْتِلَافُ) (اللَّيْلِ) (السَّمَاوَاتِ) (لَايَاتِ)

(٦) - إِنَّ فِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ ذَاكَ، لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ، وَفِي تَقَارُصِهِمَا الطُّولَ وَالْقِصْرَ، يَطُولُ هَذَا وَيَقْصُرُ ذَاكَ، وَفِيمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ الْوَاسِعِ... لَدَلَالِيلَ عَظِيمَةً عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَحِكْمَتِهِ لِمَنْ يَخْشَوْنَ اللَّهَ، وَيَخَافُونَ سُخْطَهُ وَعِقَابَهُ (يَتَّقُونَ).

(بِالْحَيَاةِ) (آيَاتِنَا) (غَافِلُونَ)

(٧) - إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلِقَاءِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَاعْتَقَدُوا وَاهِمِينَ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا هِيَ مُنْتَهَاهُمْ، وَلَيْسَ بَعْدَهَا حَيَاةٌ، فَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا، وَلَمْ يَعْمَلُوا لِمَا بَعْدَهَا، وَغَفَلُوا عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ...

(أُولَئِكَ) (مَأْوَاهُمْ)

(٨) - فَهَؤُلَاءِ سَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيُصْلِحَهُمْ بِنِعْمَتِهِ، وَسَيَجْعَلُهَا مَأْوًى لَهُمْ وَمَنْزِلًا، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَعَلَى مَا اكْتَسَبُوا فِي دُنْيَاهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ وَالْخَطَايَا وَالْإِجْرَامِ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (بِإِيمَانِهِمْ) (الْأَنْهَارِ) (جَنَاتِ)

(٩) - أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَأَتَّقَوْهُ، وَتَبَصَّرُوا بِمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي الْكَوْنِ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ إِيمَانًا وَبَقِينًا، وَعَمِلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ إِيمَانَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ الصَّالِحَاتِ سَتَكُونُ لَهُمْ نُورًا يَهْدِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا رَبُّهُمْ، وَهِيَ جَنَّةُ رِفَةٍ وَنَعِيمٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا.

(دَعَوَاهُمْ) (سُبْحَانَكَ) (سَلَامٌ) (وَأَخِرُ) (الْعَالَمِينَ)

(١٠) - يَدْعُونَ كُلُّ دُعَاءٍ وَتَنَاءٍ عَلَى اللَّهِ بِكَلِمَةٍ (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) أَوْ تَقْدِيسًا وَتَنْزِيهًا لَكَ يَا رَبِّ. وَيُجِيبُهُمْ رَبُّهُمْ بِكَلِمَةٍ (سَلَامٌ) وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَتُحْيِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِقَوْلِهِمْ (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) طِبْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ) وَيُحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِكَلِمَةٍ سَلَامٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً إِلَّا سَلَامًا﴾^(١). وَفِي

٦ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَايَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَّقُونَ

٧ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا

وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا
غَافِلُونَ

٨ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ إِلَّا

كَأَنَّهُمْ يَكْسِبُونَ

٩ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ
بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ

١٠ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

وَتَجِيبُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ
دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ

أَخِرَ كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، مِنْ دُعَاءٍ يُنَاجُونَ بِهِ رَبَّهُمْ، أَوْ مَطْلَبٍ يَطْلُبُونَهُ مِنْ إِحْسَانِهِ وَكَرَمِهِ يَقُولُونَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا قَالُوا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَنَاهُمْ مَا يَشْتَهُونَ). دَعَاؤُهُمْ - دَعَاؤُهُمْ.

(طُغْيَانِهِمْ)

(١١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ جُلْمِهِ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ، وَيَقُولُ إِنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ بِالشَّرِّ فِي حَالِ ضَجَرِهِمْ وَغَضَبِهِمْ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ لُطْفًا مِنْهُ، وَرَحْمَةً بِهِمْ.

أَمَّا إِذَا دَعَا لِأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ فَإِنَّهُ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ. وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ اسْتَجَابَ لَهُمْ فِي كُلِّ دَعْوَةٍ تَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ لَأَهْلَكَهُمْ. وَيَتْرُكُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَلَا يَرْجُونَ لِقَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ، سَادِرِينَ فِي غَيْبِهِمْ، مُسْتَمِرِّينَ فِي طُغْيَانِهِمْ، مُتَحِيرِينَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْخُرُوجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ، حَتَّى يَجِيءَ الْيَوْمَ الَّذِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ.

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَجِّلُ لِلنَّاسِ إِبْرَاجَةً دُعَائِهِمْ وَاسْتَعْجَالَهُمْ فِي الشَّرِّ فِيمَا فِيهِ مَضَرَّتُهُمْ، فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ - كَمَا اسْتَعْجَلَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ رَسُولَ اللَّهِ بِالْعَذَابِ الَّذِي أَنْذَرَهُمْ بِهِ - كَاسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ بِدُعَائِهِمْ اللَّهُ، لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ قَبْلَ وَقْتِهِ الطَّبِيعِيِّ الْمُحَدَّدِ لَهُمْ، كَمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَاسْتَعْجَلُوا بِالْعَذَابِ مِنْ قَبْلِهِمْ).

فِي طُغْيَانِهِمْ - فِي تَجَاوُزِهِمُ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ.

يَعْمَهُونَ - يَغْمُونَ عَنِ الرُّشْدِ، أَوْ يَتَحَيَّرُونَ فِي الضَّلَالَةِ.

لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ - لَأَهْلَكَهُمْ وَأَبَادَهُمْ.

(الْإِنْسَانُ) (قَائِمًا)

(١٢) - إِنَّ الْإِنْسَانَ كَثِيرُ التَّضَجُّرِ وَالْقَلَقِ إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ وَالشَّرُّ، فَإِذَا مَسَّهُ الشُّؤُّ أَكْثَرَ مِنَ التَّضَجُّعِ إِلَى اللَّهِ، وَالْدُّعَاءِ لَهُ، رَاجِعًا كَشَفَ مَا بِهِ مِنْ ضَرٍّ، وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، وَهُوَ قَاعِدٌ، وَهُوَ قَائِمٌ، وَفِي جَمِيعِ



ثَلَاثَةُ أَرْبَاعٍ
الْحَرْبِ
٢١

﴿١١﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ

لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَ لَهُمْ
بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ
فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

﴿١٢﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا

لِجَنِّهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ
لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ

رُئِينَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

أَحْوَالِهِ. فَإِذَا فَرَجَ اللَّهُ كَرْبَهُ وَشَدَّتْهُ أَعْرَضَ وَنَأَى، وَذَهَبَ وَكَانَهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ، وَكَانَهُ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ رَبَّهُ.

وَيَذُمُّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَأَسْمَاهُمْ بِالْمُسْرِفِينَ. وَقَدْ حَسَنَ مَسَلُكُ هَؤُلَاءِ الدَّاعِينَ لِلَّهِ فِي الشَّدَّةِ، وَالنَّاسِيبِ لَهُ فِي الرِّخَاءِ، لِمُشْرِكِي مَكَّةَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنْ أَعْمَالِ السُّوءِ وَالشَّرِّ، حَتَّى إِنَّهُمْ اسْتَعْجَلُوا بِالْعَذَابِ الَّذِي أَنْذَرَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ الصَّبْرُ عَلَى الشَّدَائِدِ، وَالشُّكْرُ عَلَى الْيُسْرِ، وَفِي كِلَا الْحَالَيْنِ خَيْرٌ لَهُ.

الضَّرُّ - الْجَهْدُ وَالْبَلَاءُ وَالشَّدَّةُ.

دَعَانَا لِجَنبِهِ - اسْتَعَاثَ بِنَا لِنُكْشِفَ مَا نَزَلَ بِهِ وَهُوَ مُلْقَى إِلَى جَنبِهِ.

مَرَّ - اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَلَمْ يَتَّعِظْ.

(بِالْبَيِّنَاتِ)

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ

قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ

رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا

لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ

الْمُجْرِمِينَ

(١٣) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ مَكَّةَ بِمَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْأَقْوَامِ السَّابِقَةِ (الْقُرُونَ) الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ فِيمَا جَاؤَوْهُمْ بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا لَوْ تَرَكَهُمُ اللَّهُ، فَاعْتَبِرُوا يَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَكَمَا أَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ قَبْلَكُمْ، كَذَلِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِالْمُجْرِمِينَ مِنْكُمْ.

الْقُرْنُ - الْقَوْمُ الْمُقْتَرِنُونَ فِي زَمَنِ وَاحِدٍ.

ظَلَمُوا - بِالْكَفْرِ وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ.

(جَعَلْنَاهُمْ) (خَلَائِفَ)

ثُمَّ جَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ

مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

(١٤) - ثُمَّ اسْتَخْلَفَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ السَّابِقِينَ، وَذَلِكَ بِمَا آتَاكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَكُونُ أَعْمَالُكُمْ فِي خِلَافَتِكُمْ، وَيَظْهَرُ مَا تَخْتَارُونَهُ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ عِصْيَانٍ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُمْ مَا حَلَّ بِمَنْ سَبَقَكُمْ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: صَدَقَ اللَّهُ رَبَّنَا، مَا جَعَلْنَا خُلَفَاءَ إِلَّا لِنَنْظُرَ إِلَى أَعْمَالِنَا، فَأَرَوْا اللَّهَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ خَيْرًا بِاللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ. وَفِي ذَلِكَ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْخِلَافَةَ مَنُوطَةٌ بِالْأَعْمَالِ لِكَيْلَا يَغْتَرَّ النَّاسُ بِمَا سَيَالُونَهُ، وَيَطْنُونَهُ أَنَّهُ بَاقٍ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ بِمَنْجَاةٍ مِنْ مُقْتَضَى سُنَّةِ اللَّهِ فِي الظَّالِمِينَ.

(آيَاتُنَا) (بَيِّنَاتٍ) (بِقُرْآنٍ) (تِلْقَاءٍ)

(١٥) - كَانَ كُفَّارٌ قُرَيْشٍ إِذَا قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ عَلَيْهِمْ قَالُوا لَهُ: أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ، وَضَعُ قُرْآنًا غَيْرَهُ لَيْسَ فِيهِ مَا لَا تُؤْمِنُ بِهِ مِنْ الْبَعْثِ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَلَا مَا نَكْرَهُهُ مِنْ ذَمٍّ لَالِهَتِنَا. وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَمْرًا نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنِّي عَبْدٌ مَأْمُورٌ، وَرَسُولٌ أُبَلِّغُ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ رَبِّي، وَأَتَّبِعُ أَوْامِرَهُ، وَلَيْسَ مِنِّي شَيْءٌ، وَلَا مِمَّا تُجْبِزُهُ لِي رَسُولَتِي، أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، وَإِنِّي أَخَافُ، إِنْ أَنَا عَصَيْتُ أَمْرَهُ، عَذَابَ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ.

(أَدْرَاكُمْ)

(١٦) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي إِنَّمَا جِئْتُكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيتِيهِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا أَتْلُوهُ عَلَيْكُمْ مَا تَلَوْتُهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ لَا يُعَلِّمَكُمْ بِهِ بِإِزْسَالِي إِلَيْكُمْ، لَمَّا أُرْسَلْتَنِي، وَلَمَّا أَدْرَاكُمْ بِهِ، وَلَكِنَّهُ شَاءَ أَنْ يُعَلِّمَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعِلْمِ لِتَهْتَدُوا، وَتَكُونُوا خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ. فَقَدْ عَشْتُ فِيكُمْ وَبَيْنَكُمْ سِنِينَ طَوِيلَةً مِنْ عُمْرِي لَمْ أُبَلِّغْكُمْ خِلَالَهَا شَيْئًا، لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ بِرِسَالَتِهِ، فَلَمَّا أَوْحَى إِلَيَّ، وَأَمَرَنِي بِأَنْ أُبَلِّغْكُمْ أَوْامِرَهُ فَعَلْتُ، أَلَيْسَ لَكُمْ عُقُولٌ تُمَيِّزُونَ بَهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؟

(وَلَمَّا سَأَلَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ عَنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لَا. فَقَالَ هِرَقْلُ: أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ لِيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ).

لَا أَدْرَاكُمْ بِهِ - لَا أَعْلَمُكُمْ بِهِ بِوَاسِطَتِي.

(بَيِّنَاتِهِ)

(١٧) - لَا أَحَدٌ أَكْثَرَ ظُلْمًا، وَلَا أَشَدَّ إِجْرَامًا مِنْ رَجُلٍ تَقُولَ عَلَى اللَّهِ، وَكَذَّبَ عَلَيْهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ كَذْلِكَ، وَلَا أَظْلَمَ مِنْ رَجُلٍ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَكَذَّبَ بِمَا يَرَاهُ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ، وَبِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَلَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ الَّذِينَ يَلْفُقُونَ رَبَّهُمْ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا كَافِرِينَ.

لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ - لَا يَفُوزُونَ بِمَطْلُوبٍ.

وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ

قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ
قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ
مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا
مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ

عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ
فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا
مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى

اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ
بِآيَاتِهِ إِتَّكَ لَا يَفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ

شُفَعَاؤُنَا (السَّمَاوَاتِ) (سُبْحَانَهُ) (وَتَعَالَى)

(١٨) - وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ إِلَهَةً غَيْرَ اللَّهِ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أَصْنَامٌ مِنْ حِجَارَةٍ لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ، وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَهَا لِتَكُونَ شُفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، أَسْأَلُهُمْ يَا مُحَمَّدُ: هَلْ تُخْبِرُونَ اللَّهَ بِشَرِّكَ لَهُ لَا يَعْلَمُ اللَّهُ لَهُ وَجُوداً فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ مَلَائِكَةٍ، وَفِي الْأَرْضِ مِنْ خَوَاصِّ خَلْقِهِ؟ وَلَوْ كَانَ لَهُ شُفَعَاءُ يَشْفَعُونَ لَكُمْ عِنْدَهُ لَكَانَ هُوَ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْكُمْ، إِذْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. ثُمَّ نَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَنْ شُرَكَائِهِمْ وَكُفْرِهِمْ. سُبْحَانَهُ - تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ اسْمُهُ تَعَالَى.

(وَاحِدَةً)

(١٩) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الشَّرْكَ حَادِثٌ فِي النَّاسِ، كَائِنْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّ النَّاسَ كَانُوا جَمِيعاً أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ وَقَعَ الْاِخْتِلَافُ بَيْنَ النَّاسِ، وَعُبِدَتِ الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ وَالْأَنْدَادُ، فَبَعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ بِآيَاتِهِ وَبَيِّنَاتِهِ وَحُجَجِهِ الْبَالِغَةِ، وَبِرَاهِينِهِ الدَّامِغَةِ، لِهِدَايَتِهِمْ وَإِزَالَةِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ، وَأَيَّدَ الرُّسُلَ بِكِتَابِهِ وَوَحْيِهِ، وَلَوْ لَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ أَجَلَ الْخَلْقِ إِلَى أَجَلٍ مُوعُودٍ، هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، لَقَضَى بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَاسْعَدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَعْنَتَ الْكَافِرِينَ.

(آيَةً)

(٢٠) - وَيَقُولُ الْكَافِرُونَ: لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ آيَةً وَمُعْجِزَةً مِنْ رَبِّي، كَمَا أُعْطِيَ الْمُرْسَلُونَ مِنْ قَبْلِهِ، كَأَن يَحُولَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا، أَوْ يُزِيحَ عَنْهُمْ جِبَالٌ مَكَّةَ، وَيَجْعَلَ مَكَانَهَا بَسَاتِينَ وَأَنْهَارًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ اللَّهُ. فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَالْعَوَاقِبَ فِي الْأُمُورِ، فَإِنْ كُنتُمْ لَا تُؤْمِنُونَ حَتَّى تَرَوْا مَا سَأَلْتُمْ، فَانْتَظِرُوا حُكْمَ اللَّهِ فِي وَفْيِكُمْ. وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اسْتِزْشَادًا وَتَثْبِيحًا لِأَجَابِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوا، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَسْأَلُونَ عِنَادًا، فَلَوْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَا طَلَبُوهُ، ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ لِأَهْلَكِهِمْ، كَمَا أَهْلَكَ مَنْ كَذَّبَ قَبْلَهُمْ، وَهُوَ تَعَالَى لَا يُرِيدُ إِهْلَاكَهُمْ لِأَمْرِ اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ.

١٨ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْسَوْنَ اللَّهَ
يَمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ

١٩ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً

وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لَقَضَى بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ

٢٠ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ

آيَةً مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا
الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي
مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ

(آيَاتِنَا)

(٢١) - وَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِالْفَرْجِ بَعْدَ الْكَرْبِ، وَبِالرِّخَاءِ بَعْدَ شِدَّةٍ أَصَابَتْهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ... لَمْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى أَنَّهُ صَرَفَ عَنْهُمْ الضَّرَّ وَالْبَلَاءَ، وَبَادَرُوا إِلَى الْمَكْرِ السَّيِّئِ، وَقَابَلُوا فَضْلَ اللَّهِ بِالْإِمْعَانِ فِي الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَتْ الرَّحْمَةُ مَطَرًا أَحْيَا الْأَرْضَ، وَأَنْبَتَ الزَّرْعُ بَعْدَ جَدْبٍ وَقَحْطٍ، نَسَبُوا ذَلِكَ إِلَى الْكَوَائِبِ وَالْأَنْوَاءِ وَالْأَصْنَامِ، وَإِذَا كَانَتْ نَجَاةٌ مِنْ هَلَكَةٍ، وَأَعْوَزَهُمْ مَعْرِفَةُ عِلَلِهَا وَأَسْبَابِهَا، عَزَّوْا ذَلِكَ إِلَى الْمُصَادَفَةِ، وَإِذَا كَانَ سَبَبُهَا دُعَاءَ نَبِيٍّ أَنْكَرُوا إِكْرَامَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ.

فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: إِنَّ اللَّهَ أَسْرَعَ مِنْكُمْ مَكْرًا، وَأَشَدُّ اسْتِذْرَاكًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِهْلَاكِكُمْ، وَعَلَى تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ لَكُمْ، وَلَكِنَّ كَلِمَتَهُ تَعَالَى سَبَقَتْ بِتَأْجِيلِ حِسَابِ النَّاسِ حَتَّى يَوْمِ الْحَشْرِ، الَّذِي لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ مَوْعِدَهُ.

وَمَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ الْمُوَكَّلُونَ بِإِحْصَاءِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَتَسْجِيلِهَا عَلَيْهِمْ، يُسْجِلُونَ مَا تَمْكُرُونَ، وَسَيَحْسِبُكُمْ اللَّهُ عَلَى أَعْمَالِكُمْ جَمِيعًا.

ضُرَاءَ مَسْتَتَمٍ - نَائِبَةٌ أَصَابَتْهُمْ كَالْجُوعِ وَالْقَحْطِ.

لَهُمْ مَكْرٌ - دَفْعٌ وَطَعْنٌ وَاسْتِهْزَاءٌ.

اللَّهُ أَسْرَعَ مَكْرًا - أَسْرَعَ جَزَاءً وَعُقُوبَةً.

(لَيْتَنَ) (الشَّاكِرِينَ)

(٢٢) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي وَهَبَ النَّاسَ الْقُدْرَةَ عَلَى السَّيْرِ فِي الْبَرِّ مُشَاةً وَرُكْبَانًا، وَفِي الْبَحْرِ بِمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنَ السُّفُنِ وَالْمَرَاكِبِ (الْفُلُكِ)، وَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُهُمْ وَيَكْلُؤُهُمْ بِعِنَايَتِهِ وَرِعَايَتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي السَّفِينَةِ، وَجَرَتْ بِهِمْ إِلَى غَايَتِهَا بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ مُوَاتِيَةٍ، وَفَرَحُوا بِسُرْعَةِ سَيْرِهَا زَافِلِينَ سَعْدَاءَ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتِ السَّفِينَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ عَاصِفَةٌ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاكَ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ

وَجَرْتُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا

بِهَاجَاءِ تَهَاوِيَةٍ عَاصِفَةٍ

وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

وظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا

اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاكَ

مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ

الشَّاكِرِينَ

رِيحٌ عَاصِفٌ - رِيحٌ شَدِيدَةٌ هُبُوبٌ .

أُحِيطَ بِهِمْ - أُحْدَقَ بِهِمُ الْهَلَاكُ .

(أَنْجَاهُمْ) (يَا أَيُّهَا) (مَتَاعٌ) (الْحَيَاةِ)

(٢٣) - فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ، مِنَ الشَّدَةِ وَالْكَرْبَةِ، نَقَضُوا عَهْدَهُمْ، وَعَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمُبَادَرَةِ النَّاسِ بِالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَالْاعْتِدَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ .

وَيَخَاطَبُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُفْسِدِينَ الطُّغَاةَ وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا الْغَافِلُونَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَمَا كَفَاكُمْ بَغْيًا عَلَى الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنْكُمْ اغْتِرَارًا بِقُوَّتِكُمْ؟ إِنَّكُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا تَبْغُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لِأَنَّ عَاقِبَةَ بَغْيِكُمْ وَوَبَالَهُ إِنَّمَا يَعُودَانِ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تَتَمَتَّعُونَ بِبَغْيِكُمْ مُدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ، وَهِيَ تَنْقُضِي سَرِيعًا، وَالْعِقَابُ عَلَى هَذَا الْبَغْيِ بَاقٍ ثُمَّ تَصِيرُونَ إِلَى اللَّهِ فَيُخَبِّرُكُمْ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ، وَيُجَارِيكُمْ عَلَيْهَا أَوْفَى الْجَزَاءِ . فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ .

يَبْغُونَ - يَعْتَدُونَ وَيُفْسِدُونَ .

(الْحَيَاةِ) (أَنْزَلْنَاهُ) (وَالْأَنْعَامُ) (قَادِرُونَ) (أَتَاهَا) (فَجَعَلْنَاهَا) (الْآيَاتِ)

(٢٤) - ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي جَمَالِهَا وَبَهْجَتِهَا، ثُمَّ فِي سُرْعَةِ فَنَائِهَا، بِالنَّبَاتِ الَّذِي أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَرْضِ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَطَرِ، مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ مِنْ زُرُوعٍ وَثَمَارٍ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا، وَمِمَّا تَأْكُلُ الْحَيَوَانَاتُ (الْأَنْعَامُ) حَتَّى إِذَا أُخْذَتِ الْأَرْضُ زَيْتَتُهَا الْقَانِيَةَ (زُخْرُفُهَا) وَارْتَبَتْ بِمَا خَرَجَ فِي رَبَاهَا مِنْ زُهُورٍ نَضْرَةٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، كَمَا تَنْزِينُ الْعُرْسُ لِيلَةَ زِفَافِهَا، وَظَنُّ أَهْلِهَا، الَّذِينَ زَرَعُوهَا وَغَرَسُوهَا، أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى جَزَائِهَا وَحَصَادِهَا، وَجَنَى ثَمَرِهَا، وَالتَّمَتُّعِ بِهَا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَأْمُلُونَ ذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهَا صَاعِقَةٌ، أَوْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ بَارِدَةٌ فَأَيَّسَتْ أَوْرَاقَهَا، وَأَتَلَفَتْ ثَمَارَهَا، فَأَصْبَحَتْ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ قَبْلَ ذَلِكَ، وَهَكَذَا يُبَيِّنُ اللَّهُ الْحُجَجَ وَالْآيَاتِ، لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَذَا الْمَثَلِ، فِي زَوَالِ الدُّنْيَا عَنْ أَهْلِهَا سَرِيعًا، مَعَ اغْتِرَارِهِمْ بِهَا .

مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - حَالُهَا فِي سُرْعَةِ زَوَالِهَا وَأَنْقِصَائِهَا .

زُخْرُفُهَا - نَضَارَتُهَا وَبَهْجَتُهَا وَزِينَتُهَا بِالْوَرْدِ وَالنَّبَاتِ .

﴿٢٣﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ
إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعٌ
الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا
مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ

﴿٢٤﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا كَمَا

أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنُّ
أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا
أَتَاهَا أَمْرٌ نَالِيلاً أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ
تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ

أَمْرُنَا - مَا يَجْتَا حُهَا مِنْ الْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ .

حَصِيداً - كَالنَّبَاتِ الْمَحْصُودِ بِالْمَنَاجِلِ .

كَأَن لَّمْ تَفْنِ بِالْأَمْسِ - كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ حِيناً قَبْلَ ذَلِكَ .

(يَدْعُو) (السَّلَامِ) (صِرَاطِ)

(٢٥) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا، رَغِبَ فِي الْجَنَّةِ، وَدَعَا إِلَيْهَا، وَسَمَّاَهَا دَارَ السَّلَامِ، لِسَلَامَتِهَا مِنَ الْآفَاتِ وَالنَّقَائِصِ وَالنَّكَبَاتِ، وَلِشُعُورِ مَنْ يَدْخُلُونَهَا بِالْأَطْمِئْنَانِ وَالسَّلَامَةِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَيْهَا مِنْ أَقْصَرِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ .

(أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٢٦) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ اللَّهِ، وَيُحْسِنُونَ الْعَمَلَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، سَيَكُونُ جَزَاؤُهُمُ الْحُسْنَى مِنْ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ (وَهَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)، وَسَيُضَاعَفُ اللَّهُ لَهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ (وَزِيَادَةً)، وَسَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ، وَسَيُعْطِيهِمْ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾: (الْحُسْنَى الْجَنَّةُ. وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ). وَلَا يَغْشَى وُجُوهَهُمْ قَتَامٌ أَسْوَدُ، مِمَّا يَغْشَى وُجُوهَ الْكَافِرَةِ، مِنَ الْقَتَرَةِ وَالْغَبَرَةِ، وَلَا يَلْحَقُ بِالْمُؤْمِنِينَ صَغَارٌ وَلَا هَوَانٌ وَلَا ذِلَّةٌ .

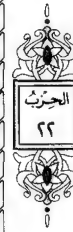
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَصِفُ الْمُؤْمِنِينَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَوْقَاهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾^(١). لَا يَزْهَقُ وُجُوهَهُمْ - لَا يَغْشَى وُجُوهَهُمْ وَلَا يَغْلُوها . قَتَرٌ - غُبَارٌ أَسْوَدُ . ذِلَّةٌ - أَثَرُ هَوَانٍ .

(اللَّيْلِ) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٢٧) - أَمَّا الْمُجْرِمُونَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، فَإِنَّهُ تَعَالَى سَيَجْزِيهِمْ عَلَى السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا مِنْ عِقَابٍ فِي الْآخِرَةِ، دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ مُضَاعَفَةٍ، وَتُعْزِرُهُمْ (تَرْهَقُهُمْ) ذِلَّةٌ مِنْ مَعَاصِيهِمْ، وَيَعْلُوهُمْ

وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ

وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ



لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى

وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ
وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ

سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ

مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا

الْخَوْفُ مِنْهَا، وَلَنْ يَجِدُوا، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، مَنْ يَعْصِمُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَتُصْبِحُ وُجُوهُهُمْ سُوداً مِنَ الْغَمِّ وَالْكَآبَةِ، كَأَنَّمَا عَلَتْهَا قِطْعٌ مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ الْحَالِكِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ يَدْخُلُونَهَا وَيَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَداً.

عَاصِمٌ - مَانِعٌ يَمْنَعُ سُخْطَهُ وَعَذَابَهُ.
أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ - كَسِبَتْ وَأَلْبَسَتْ.

(٢٨) - وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ أَحْسَنُوا فِي الدُّنْيَا، وَلِمَنْ أَسَؤُوا فِيهَا، أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَحْشُرُ اللَّهُ أَهْلَ الْأَرْضِ جَمِيعاً، مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ، وَمِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا: الزُّمُوا أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ مَكَاناً مُعَيَّناً لَا تَبْرَحُونَهُ حَتَّى تَنْظُرُوا مَا يَفْعَلُ بِكُمْ، وَيُفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شُرَكَائِكُمْ فِيمَا كَانَ سَبَبَ عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَالْحُجَّةُ الَّتِي يَذِلُّ بِهَا كُلَّ فَرِيقٍ. ثُمَّ يُفَرِّقُ اللَّهُ بَيْنَ الشُّرَكَاءِ، وَبَيْنَ مَنْ أَشْرَكَوهُمْ مَعَ اللَّهِ، وَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، لِنَقْطِيعِ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ صِلَاتٍ وَرَوَابِطٍ. وَقَالَ الشُّرَكَاءُ لِمَنْ أَشْرَكُوا: مَا كُنْتُمْ تَخْصُونَا بِالْعِبَادَةِ، وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَهْوَاءَكُمْ وَشِيَاطِينَكُمْ.

مَكَانَكُمْ - الزُّمُوا مَكَانَكُمْ.
فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ - فَفَرَّقْنَا بَيْنَهُمْ، وَقَطَعْنَا وَصْلَهُمْ.
(لِغَافِلِينَ)

(٢٩) - وَيُصِرُّ الشُّرَكَاءُ الَّذِينَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَشْعُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَلَا يَعْلَمُونَ بِهَا، وَيَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَا وَنَحْنُ لَا نَذَرِي بِكُمْ، وَاللَّهُ شَهِيدُ بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ، إِنَّا مَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَى عِبَادَتِنَا، وَلَا أَمَرْنَاكُمْ بِهَا، وَلَا رَضِينَا مِنْكُمْ بِذَلِكَ. وَفِي هَذَا تَبَيَّنَتْ عَظِيمَةُ لِلَّذِينَ عَبْدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ.

(تَبَلُّوْا) (مَوْلَاهُمْ)

(٣٠) - فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدِمَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَتَلْقَى جَزَاءَهُ، وَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْمَهُولِ يُوقِنُ الْمُشْرِكُونَ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَبْطُلُ مَا كَانُوا يَقْتَرُونَهُ، فَلَا يَجِدُونَ أَحَداً يُنْقِذُهُمْ، أَوْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَاسِ اللَّهِ.
تَبَلُّوْا - تَخْتَبِرُ أَوْ تَعْلَمُ أَوْ تَعَايِنُ.

(الْأَبْصَارُ) (أَمْ مَنْ)

(٣١) - أَسْأَلُ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ: مَنْ الَّذِي يُنْزِلُ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَيَشْقُ الْأَرْضَ شَقّاً بِقُدْرَتِهِ وَمَشِئَتِهِ، وَيُخْرِجُ لَكُمْ الزُّرُوعَ وَالْفَوَاكِي

أَغْشَيْتُ وَجُوهُهُمْ قِطْعاً مِنَ
الَّيْلِ مُظْلِماً أَوْلَيْتُكَ أَصْحَابَ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ
لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ
وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ
شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ

فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ

هَذَا لِكَيْ تَبْلُغُوا كُلَّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ
وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ
وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

وَالنَّبَاتَ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ؟ وَمَنْ الَّذِي وَهَبَكُمْ قُوَّةَ السَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ، وَلَوْ شَاءَ لَذَهَبَ بِهَا، وَلَسَلَبَكُمْ إِيَّاهَا؟ وَمَنْ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَمَنْتَهُ الْكِبَرَى، الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ؟ وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى تَدْبِيرَ أَمْرِ الْخَلِيقَةِ جَمِيعًا بِمَا أَوْدَعَهُ فِي كُلِّ مِنْهَا مِنَ السَّنَنِ، وَيَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ وَالْحَاكِمُ الْمُطْلَقُ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ، لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ؟ إِنَّهُمْ بِمَا شَكَّ سَيَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَقُلْ لَهُمْ: أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَهُ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَهُ آلِهَةً غَيْرَهُ؟

(الضَّلَالُ)

(٣٢) - فهذا، الذي اعترفتم بأنه فاعِلُ كُلِّ ذَلِكَ، هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَهُكُمْ الْحَقُّ الثَّابِتُ بِذَاتِهِ، الْمُحْيِي لغيرِهِ، الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُفَرَّدَ بِالْعِبَادَةِ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ، وَمَنْ تَجَاوَزَ الْحَقَّ وَصَلَ إِلَى الضَّلَالِ. فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَهِيَ الْهُدَى، إِلَى عِبَادَةِ الشُّرَكَاءِ وَالْوَسْطَاءِ وَالْأَنْدَادِ وَهِيَ الضَّلَالُ؟ رَبُّكُمْ الْحَقُّ - الذي ثَبَتَ رُبُوبِيَّتَهُ بِالْحُجَّةِ وَالْدَّلِيلِ ثُبُوتًا لَا رَيْبَ فِيهِ. فَأَنَّى تُصْرَفُونَ - فَكَيْفَ تَسْتَجِيرُونَ الْعُدُولَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ.

(كَلِمَةُ)

(٣٣) - وَكَمَا حَقَّتْ كَلِمَةُ اللَّهِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، وَبِأَنَّ الْحَقَّ لَيْسَ بَعْدَهُ إِلَّا الضَّلَالُ، لِمَنْ تَنَكَّبَ عَنْهُ، كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ اللَّهِ وَوَعِيدُهُ عَلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ حَظِيرَةِ الْحَقِّ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى شُرَكَائِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى، أَنَّهُمْ سَيَقُونُ أَشْقِيَاءَ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَالْهُدَى، مَهْمَا تَكُنِ الْآيَةُ بَيِّنَةً، وَالْحُجَّةُ ظَاهِرَةً، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ إِلَّا مَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُ. حَقَّتْ - ثَبَتَتْ وَوَجَبَتْ.

(شُرَكَائِكُمْ) (يَبْدَأُ)

(٣٤) - قُلْ لَهُمْ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ: هَلْ أَحَدٌ مِنْ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ عَبَدْتُمُوهُمْ مَعَ اللَّهِ، أَوْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْشِئَ الْخَلْقَ ابْتِدَاءً، ثُمَّ يَعِيدَهُ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ فَنَائِهِ؟ فَإِذَا عَجَزُوا عَنِ الْإِجَابَةِ فَقُلْ لَهُمْ: اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْخَلْقَ ابْتِدَاءً، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِعَادَتِهِ، لِأَنَّ الْإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ.

وَبِمَا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ شُرَكَاءَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَلَا

الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنْقُونَ

﴿٣٢﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ

﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ فَأَنَّى تَوَفَّكُونَ

إِعَادَةَ الْخَلْقِ، فَقُلْ لَهُمْ كَيْفَ تُصَرِّفُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَهُوَ الْحَقُّ وَالرَّشَادُ، إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ وَهِيَ الْبَاطِلُ وَالضَّلَالَةُ؟ تُؤَفِّكُونَ - تُصَرِّفُونَ.

(شُرَكَائِكُمْ) (أَمْ مَنْ)

(٣٥) - وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَهْدِي الضَّالِّينَ إِلَى الْحَقِّ وَالرَّشَادِ، بِوَجْهِ مِنْ وَجْهِ الْهِدَايَةِ الَّتِي تَنْمُ بِهَا حِكْمَةُ الْخَلْقِ، فَهَلْ مِنْ مَعْبُودَاتِكُمْ الَّتِي جَعَلْتُمُوهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ مَنْ يَسْتَطِيعُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْهَدْيِ وَالضَّلَالِ، فَيُرْشِدُ غَيْرَهُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ؟ وَبِمَا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ شُرَكَاءَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَقُلْ لَهُمْ: مَنْ هُوَ الْأَحَقُّ بِأَنْ يُتَّبَعَ: الَّذِي يَهْدِي الضَّالِّينَ، وَيَفْتَحُ عُيُونَ الْعُمَى لِيُبْصِرُوا الْحَقَّ وَالْآيَاتِ، أَمْ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ هِدَايَةَ نَفْسِهِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَهْدِيَهُ غَيْرُهُ، فَمَا بِالْكُمْ تُضِلُّونَ؟ وَكَيْفَ سَوَّيْتُمْ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَعَدَلْتُمْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ؟ لَا يَهْدِي - لَا يَهْدِي بِنَفْسِهِ.

(٣٦) - إِنَّ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ لَا يَتَّبِعُونَ فِي شُرَكَائِهِمْ، وَعِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ، وَلَا فِي إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ، إِلَّا ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ الَّذِي لَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْهِ (كَتَقْلِيدِ الْأَبَاءِ، وَالْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ الْأَبَاءَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونُوا عَلَى خَطَاٍ وَضَلَالٍ فِيمَا يَعْتَقِدُونَ وَفِيمَا يَعْمَلُونَ). وَلَكِنَّ الظَّنَّ لَا يَقُومُ مَقَامَ الْيَقِينِ فِي شَيْءٍ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ حِينَ يَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى يَقِينٍ.

وَقَلِيلٌ مِنَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ حَقٌّ، وَأَنَّ أَصْنَامَهُمْ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَجَحَدُوا آيَاتِهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ رُؤُوسُ الْكُفْرِ وَاتَّبَاعُهُمُ الَّذِينَ يُقَلِّدُونَهُمْ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.

(الْقُرْآنُ) (الْكِتَابُ) (الْعَالَمِينَ)

(٣٧) - لَا يَصِحُّ وَلَا يُعْقَلُ أَنْ يَقْتَرِيَ بَشَرُ الْقُرْآنِ عَلَى اللَّهِ، وَيُنْسِبُهُ إِلَيْهِ. فَمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ، وَتَشْرِيعَاتٍ، وَعُلُومٍ بِالْغَيْبِ، وَآدَابٍ أَجْتِمَاعِيَّةٍ سَامِيَّةٍ، وَأَسْلُوبٍ رَفِيعٍ فِي الصَّبَاغَةِ، هِيَ أَشْيَاءٌ لَا يَقْدِرُ الْبَشَرُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا. وَقَدْ تَحَدَّاهُمُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا. وَإِذَا أَضْفَأْنَا إِلَى ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عُرِفَ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا بِالْأَمِينِ فِي قَوْمِهِ، فَمَا كَانَ لِيَتْرَكَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكْذِبَ عَلَى

﴿٣٥﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

﴿٣٦﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ

﴿٣٧﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الله، لَذَلِكَ لَا بَدَّ مِنَ الْقَوْلِ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مُنْزَّلٌ وَحْيًا مِنْ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ، وَهُوَ مُصَدِّقٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ، وَمُتَقِّقٌ مَعَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، مِنَ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَفِيهِ تَفْصِيلٌ لِمَا كُتِبَ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَتْرُكُ مَجَالًا لِعَاقِلٍ أَنْ يَرْتَابَ فِيهِ، وَأَنْ يَشْكَّ فِي أَنَّهُ مُنْزَّلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

(اَفْتَرَاهُ) (صَادِقِينَ)

(٣٨) - وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا أَفْتَرَى الْقُرْآنَ وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ الْقُرْآنَ مِنْ صُنْعِ مُحَمَّدٍ، فَأَنْتُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ تَصْنَعُوا مِثْلَهُ، لِأَنَّ مُحَمَّدًا مِنْكُمْ، فَأَتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَأَدْعُوا جَمِيعَ مَنْ تَعْرِفُونَ، وَمَنْ تَسْتَطِيعُونَ دَعْوَتَهُمْ لِمُسَاعَدَتِكُمْ فِي ذَلِكَ. فَإِذَا عَجَزْتُمْ عَنِ الْإِثْنَانِ بِهَذِهِ السُّورَةِ - وَأَنْتُمْ عَاجِزُونَ حَتْمًا - فَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَيْسَ مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ، وَأَنَّهُ مُنْزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْتَرَى عَلَى اللَّهِ.

(الظَّالِمِينَ) (عَاقِبَةُ)

(٣٩) - بَلْ سَارَعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِلَى تَكْذِيبِ الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ يَتَدَبَّرُوا مَا فِيهِ، وَيَقِفُوا عَلَى مَا آخَتْهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ، وَالْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى سُوءِهِ وَكَمَالِهِ وَإِعْجَازِهِ، وَقَبْلَ أَنْ يَقِفُوا عَلَى تَفْسِيرِهِ وَبَيَانِ أَحْكَامِهِ بِسُؤَالِ غَيْرِهِمْ. وَقَدْ كَذَّبَ بِمِثْلِ هَذَا التَّكْذِيبِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، بَلَا تَبَصُّرٍ وَلَا تَدَبُّرٍ، فَعَاقِبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَدَمَرَهُمْ تَدْمِيرًا، فَأَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ، رَسُولَ رَبِّهِمْ، لِيَتَعَلَّمَ مَصِيرَ مَنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ.

(٤٠) - وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مَنْ سَيُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ جِئَنَ يَفْهَمُ مَا جَاءَ فِيهِ، وَيَتَنَبَّهَ لِمَعَانِيهِ، بَعْدَ أَنْ سَعَوْا فِي مُعَارَضَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصِرُّ عَلَى الْكُفْرِ وَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، بِالشُّرْكِ وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ لِفَقْدِهِمُ الْاسْتِعْدَادَ لِلْإِيمَانِ، وَهَؤُلَاءِ سَيُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ، وَفِي الْآخِرَةِ يُصْلِيهِمْ نَارَ جَهَنَّمَ، وَيَبْقُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا.

(بَرِيثُونَ)

(٤١) - وَإِنْ أَصْرُوا عَلَى تَكْذِيبِكَ، مَعَ وُضُوحِ الْأَدِلَّةِ عَلَى صِدْقِكَ فِيمَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ لِي جَزَاءَ عَمَلِي، وَلَكُمْ أَنْتُمْ جَزَاءَ

﴿٣٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ

مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

﴿٣٩﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ

وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ

﴿٤٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ

بِالْمُفْسِدِينَ

﴿٤١﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ

عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلْتُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ

أَعْمَالِكُمْ، وَلَنْ يَحْمِلَ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ وَزْرِ أَحَدٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ بَرِيءٌ مِنْ عَمَلِ الْآخَرِ، وَلَا يُوَاحِدُ أَحَدٌ بِعَمَلٍ غَيْرِهِ.

(٤٢) - وَمِنَ الْمَكْذِبِينَ أَنَاسٌ يُصَيِّحُونَ إِلَيْكَ سَمْعَهُمْ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ، وَبَيَّنْتَ مَا فِيهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَ مَعْنَى مَا يَسْمَعُونَ، فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ الْقَوْلَ، وَلَا يَفْقَهُونَ مَا يَرَادُ مِنْهُ، بَلْ هُمْ أَنْ يَسْتَمِعُوا إِلَى غَرَابَةِ نَظْمِهِ، وَإِلَى جَرَسِ صَوْتِكَ بِتَرْيِيلِهِ. وَالسَّمَاعُ النَّافِعُ لِلْمُسْتَمِعِ هُوَ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ مَا يَسْمَعُهُ، وَيَفْقَهُهُ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَإِنْ فَقَدَ هَذَا كَانَ كَالْأَصَمِّ الَّذِي لَا يَسْمَعُ.

وَكَمَا أَنَّكَ، أَيُّهَا الرَّسُولُ، لَمْ تُؤْتَ الْقُدْرَةَ عَلَى إِسْمَاعِ الصُّمِّ الَّذِينَ فَقَدُوا حَاسَةَ السَّمْعِ، فَكَذَلِكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْمِعَ إِسْمَاعًا نَافِعًا، مَنْ هُمْ فِي حُكْمِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ.

(٤٣) - وَمِنْهُمْ مَنْ يُوَجِّهُ إِلَيْكَ نَظْرَهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يُبْصِرُ مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ، وَالْخَلْقِ الْعَظِيمِ، وَالِدَّلَالَةِ الْقَاطِعَةِ عَلَى ثُبُوتِكَ. وَكَمَا أَنَّكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا تَقْدِرُ عَلَى هِدَايَةِ الْعُمِيِّ بِدَلَالِ الْبَصَرِ الْحَسِّيَّةِ، كَذَلِكَ فَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ بِالِدَّلَالِ الْعَقْلِيَّةِ، إِذَا كَانُوا فَاقِدِينَ لِنِعْمَةِ الْبَصِيرَةِ الَّتِي تُدْرِكُهَا.

يَنْظُرُ إِلَيْكَ - يُعَايِنُ دَلَائِلَ ثُبُوتِكَ.

(٤٤) - وَلَمْ يَكُنْ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، أَنْ يُنْقِصَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَهْتَدُونَ بِاسْتِعْمَالِهَا إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ، مِنْ إِدْرَاكِ وَإِرْشَادٍ إِلَى الْحَقِّ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَنَصْبِ الْأَدْلَةِ الَّتِي تُوَصِّلُهُمْ إِلَى سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَكِنَّ النَّاسَ يَتَنَكَّبُونَ عَنْ طَرِيقِ الْهَدَايَةِ وَالْحَقِّ، وَيُصِرُّونَ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَالْإِشْرَاكِ بِهِ، فَيُظْلِمُونَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ، لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِسَيُودِي بِهِمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَعَذَّرَ إِلَيْهِمْ، وَبَيَّنَ لَهُمْ الدَّلَائِلَ وَالْحُجَجَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ لِهِدَايَتِهِمْ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يَكُونُ قَدْ ظَلَمَ النَّاسَ شَيْئًا.

(٤٥) - يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ بِتَفَاهَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَقْصُرِ مُدَّتِهَا، وَبِسُرْعَةِ زَوَالِهَا، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ يُخْرِجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَمْوَاتَ مِنْ قُبُورِهِمْ فَيَطْنُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ (أَوْ أَنَّ حَيَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ)، وَيَتَعَارَفُ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَيَعْرِفُ الْأَبْنَاءُ الْآبَاءَ، وَيَعْرِفُ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ، وَيَعْرِفُ الْأَقْرَبَاءَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَمَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُذَكِّرُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ،

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

وَأَتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، الْقَصِيرَةَ الْمُنْعَصَةَ بِالْكَذَّارِ، عَلَى الْحَيَاةِ الْآبِدِيَّةِ، بِمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ، أَنَّهُمْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ حِينَ يَرَوْنَ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ أُمُورُهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَأَنَّهُمْ خَسِرُوا أَهْلِيَهُمْ، إِذْ فُرِّقَ بَيْنَهُمْ.

(٤٦) - إِنَّ أَرَاكَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْضَ مَا يَعِدُهُمْ مِنَ الْعِقَابِ وَالْخِذْلَانِ فِي الدُّنْيَا، فَذَلِكَ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ، وَهُمْ لَهُ أَهْلٌ، (وَقَدْ أَرَى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ فِي بَدْرِ قَتْلَ رُؤُوسِ الْكُفْرِ، وَأَسْرَهُمْ وَهَزِيمَتَهُمْ) وَإِنْ تَوَفَّاكَ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ تَرَى فِيهِمْ ذَلِكَ فَمَصِيرُهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِلَى اللَّهِ، وَسَيَلْقَوْنَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ صِدْقِ الْجَزَاءِ مَا يَلْعَمُونَ بِهِ صِدْقَ وَعِيدِهِ، وَاللَّهُ شَهِدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَهُ، فَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهِ عَلَى عِلْمٍ، وَشَهَادَةٍ حَقٍّ.

(٤٧) - مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى كُلِّ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ رَسُولًا مِنْهَا لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ: مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ، وَمِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُنْجِيهِمْ مِنَ الْعِقَابِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي مُخَالَفَتِهِ، وَيَوْمَ الْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ يَأْتِي كُلَّ رَسُولٍ لِيَشْهَدَ عَلَى مَنْ كَذَبَهُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَعَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ رِسَالَتَهُ، فَيَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ التَّامِّ، فَلَا يَظْلُمُ أَحَدًا شَيْئًا مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ.

بِالْقِسْطِ - بِالْعَدْلِ.

(صَادِقِينَ)

(٤٨) - وَنِعْمَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ فِي تَكْذِيبِهِمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَيَسْتَعْجِلُونَ بِهِ سَاحِرِينَ مُتَهَكِّمِينَ، وَيَقُولُونَ: مَتَى يَكُونُ هَذَا الَّذِي تَعِدُنَا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، إِنْ كُنْتَ يَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُكَ صَادِقِينَ فِيمَا تَعِدُونَنَا بِهِ مِنْ حَشْرِ وَحِسَابٍ وَجَزَاءٍ؟

(يَسْتَأْخِرُونَ)

(٤٩) - قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ: إِنِّي بَشَّرْتُكُمْ لَا أُمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا أُمْلِكُ إِزَالَ الْعَذَابِ بِالْكَفَّارِ الْمُعَانِدِينَ، وَلَا تَحْقِيقِ النَّصْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، يُحَقِّقُهُ مَتَى شَاءَ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ، فَإِذَا جَاءَ الْأَجَلُ فَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يُقَدِّمَهُ أَوْ يُؤَخِّرَهُ سَاعَةً عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لَهَا.

(أَرَأَيْتُمْ) (أَتَاكُمْ) (بَيِّنَاتًا)

(٥٠) - قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ: أَخْبِرُونِي عَنْ حَالِكُمْ، وَمَا يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَفْعَلُوهُ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَهُ، فِي وَقْتٍ مَبِيتِكُمْ بِاللَّيْلِ، أَوْ وَقْتِ اسْتِغَالِكُمْ بِلَهْوِكُمْ

٤٦ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِئَنَّكَ فَاِلْتِنَامًا رَجَعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ

٤٧ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

٤٨ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

٤٩ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ

٥٠ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ

وَلَعِبْكُمْ وَأُمُورٍ مَعَاشِكُمْ نَهَارًا؟ وَإِنِّي عَذَابٌ يَسْتَعْجِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ
الْمُجْرِمُونَ الْمُكَذِّبُونَ؟ أَهَوَّ عَذَابُ الدُّنْيَا أَمْ عَذَابُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟
وَأَسْتَعْجَلُهُمْ بِالْعَذَابِ أَيُّ كَانَ فَهُوَ جَهَالَةٌ.
أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي عَنْ حَالِكُمْ أَوْ عَنْ عَذَابِ اللَّهِ.
بَيِّنَاتًا - وَقَتَ الْبَيِّنَاتِ أَيْ لَيْلًا.

(أَمْتُمْ) (الآن)

(٥١) - وَحِينَ يَقَعُ الْعَذَابُ يُعْلِنُونَ إِيمَانَهُمْ، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى (١).
وَيَقْرَعُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَسَلِكِهِمْ هَذَا فَيَقُولُ لَهُمْ: أَمْتُمْ بِهِ الْآنَ
حِينَمَا وَقَعَ، وَكُنْتُمْ قَبْلًا تُكَذِّبُونَ بِهِ، وَتَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ؟
الآن - الْآنَ تُوْمِنُونَ بِوُقُوعِ الْعَذَابِ.

(٥٢) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ رَأَوْا الْعَذَابَ فَامْنُوا: ذُوقُوا عَذَابًا
تَحْلُدُونَ فِيهِ، وَهُوَ جَزَاءٌ وَفَاقٌ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ، وَتَكْسِبُونَ مِنْ ظُلْمٍ،
وَفَسَادٍ فِي الْأَرْضِ.

(٥٣) - وَيَسْتَخْبِرُكَ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ تَعُدُّهُمْ بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ مِنَ الْأَمْوَاتِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى
أَعْمَالِهِمْ، أَحَقًّا سَمِعَ ذَلِكَ، أَمْ أَنَّهُ إِرْهَابٌ وَتَخْوِيفٌ؟ وَهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ
عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، فَقُلْ لَهُمْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ، وَلَيْسَ
فِي صَبْرٍ وَرَيْبٍ لَكُمْ تَرَابًا مَا يُعْجِزُ اللَّهَ عَنْ إِعَادَتِكُمْ كَمَا بَدَأَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنَ
الْعَدَمِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ الْبُعْثِ مَا يُعْجِزُ اللَّهَ.
وَيَسْتَنْبِئُوكَ - وَيَسْتَخْبِرُونَكَ مُسْتَهْزِئِينَ عَنِ الْعَذَابِ.
إِي وَرَبِّي - نَعَمْ وَرَبِّي.

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ - وَمَا أَنْتُمْ فَاتِتِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِالْهَرَبِ.

(٥٤) - وَحِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَيُخْشَرُ الْكَافِرُونَ إِلَى اللَّهِ، يُذْرَكُونَ،
حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ، أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ لَا مَحَالَةَ، حِينَئِذٍ تَتَمَنَّى كُلُّ
نَفْسٍ ظَالِمَةً لَوْ أَنَّهَا تَمْلِكُ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ لِتُقَدِّمَهُ فِدَاءً لَهَا مِنَ
الْعَذَابِ، وَلَكِنْ أَنَّى لَهَا ذَلِكَ.

وَحِينَئِذٍ تَرْدُّ النَّدَامَةُ وَالْحَسْرَةُ فِي سَرَائِرِ الْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ، عَلَى مَا
فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَمَا كَفَرُوا بِآيَاتِهِ. وَيَقْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
بَيْنَ الْعِبَادِ، بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ شَيْئًا.

أَسْرُوا النَّدَامَةَ - أَخَفُوا الْغَمَّ وَالْحَسْرَةَ.

٥١ ثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنُكُمْ بِهِ أَتَيْنَ
وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ

٥٢ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا
عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا
بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ

٥٣ وَيَسْتَنْبِئُوكَ أَحَقُّ
هُوَ قَوْلُ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ
لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ

٥٤ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي
الْأَرْضِ لَأَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(السَّمَاوَاتِ)

(٥٥) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَأَنَّ وَعْدَهُ حَقٌّ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَأَنَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ النَّاسُ جَمِيعًا، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ لَا يَمْلِكُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا يَفْتَدُونَ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

(يُحْيِي)

(٥٦) - وَأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى خَلْقِ الْحَيَاةِ، وَعَلَى إِعْدَامِهَا، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا تَفَرَّقَ مِنَ الْأَجْسَامِ، وَتَمَزَّقَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَالْبَحَارِ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْخَلْقُ حِينَ يَبْعَثُهُمْ وَيَحْشُرُهُمْ لِلْحِسَابِ.

(يَا أَيُّهَا)

(٥٧) - يَمَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ بِإِنزَالِهِ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَفِيهِ زَاجِرٌ عَنِ الْغَيِّ، وَعَنِ الْفَوَاحِشِ، وَفِيهِ شِفَاءٌ لِلصُّدُورِ مِنَ الشُّكُوكِ وَالرَّيْبِ، وَالْقُرْآنُ يَهْدِي الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ بِهِ، وَيُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى إِدْخَالِهِمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ.

(٥٨) - يَا مُرُّ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَن يُلَاحِظَ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَنَّهُ يَحَقُّ لَهُمْ أَنْ يَفْرَحُوا بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَبِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ، وَبِالرَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ بِهِمْ، وَبِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، فَذَلِكَ أَوْلَى بِهِمْ أَنْ يَفْرَحُوا بِهِ، وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُهُ النَّاسُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الرَّائِلَةِ الْفَانِيَةِ.

(أَرَأَيْتُمْ) (وَحَلَالًا) (اللَّهُ)

(٥٩) - نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، إِنْكَارًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فِيمَا كَانُوا يُجْلِسُونَهُ وَيَحْرُمُونَهُ، مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِغِ وَالْوَصَائِلِ، وَقَدْ أَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِعْلَ مَنْ حَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَفَعَلَ مَنْ أَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالْهَوَى، وَلَا مُسْتَدْلَ لَهُ عَلَيْهِ، وَلَا دَلِيلَ، لِأَنَّ حَقَّ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ. وَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّنْ إِذْنُ لَهُمْ بِهِ؟ هَلْ جَاءَهُمْ بِهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ، أَمْ أَنَّهُمْ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ؟ وَبِمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِهِ فَهُمْ مُفْتَرُونَ.

أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي عَنْ حَالِكُمْ.

إِذْنُ لَكُمْ - أَعْلَمَكُمْ بِهَذَا التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ. يَقْتَرُونَ - يَكْذِبُونَ فِي نِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ تَعَالَى.

(٥٥) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(٥٦) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ

(٥٧) يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ

مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

(٥٨) قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فِذَلِكَ

فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ

(٥٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ

مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِثْلَهُ

حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ

لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ

(الْقِيَامَةُ)

(٦٠) - أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ ظَنُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِي تُجْزَى فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ؟ أَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ يَتْرَكُونَ بِلا عِقَابٍ عَلَى جَرِيْمَةِ اقْتِرَاءِ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، وَتَعْمُدِهِ فِيْمَا هُوَ خَاصٌّ بِرُبُوبِيَّتِهِ؟ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ مَا خَلَقَهُ لَهُمْ مِنْ أَرْزَاقٍ، وَكُلِّ مَا شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الدِّينِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَصْلَ فِيْمَا أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّزْقِ الْإِبَاحَةَ، وَهُوَ تَعَالَى لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا كَانَ ضَارًّا بِهِمْ، وَحَصَرَ مُحَرَّمَاتِ الطَّعَامِ فِي أُمُورٍ مُعَيَّنَةٍ. وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ وَالْأَفْضَالِ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيَرِ أَنْ تُنْعِمَ بِهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ). (رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ).

(تَقْلُو) (قُرْآنٍ) (كِتَابٍ)

(٦١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِ رُسُلِهِ وَأُمُورِهِ، سَوَاءٌ مِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِهِ، أَوْ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِشُؤْنِ الدَّعْوَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَتْلُو مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مِنْ قُرْآنٍ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ اللَّهُ تَعْدُدًا وَتَهْجُدًا بِهِ، أَوْ تَبْلِيغًا لَهُ لِلنَّاسِ، وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ، بِعَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ غَيْرِ صَالِحٍ، كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ، إِلَّا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى رَقِيبًا عَلَيْهِمْ فَيَحْفَظُهُ لَهُمْ، وَيَجْزِيهِمْ بِهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ صَغَرَ أَوْ كَبَرَ حَتَّى وَلَوْ كَانَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، أَوْ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، فَكُلُّ شَيْءٍ مُحْصَى عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

تَكُونُ فِي شَأْنٍ - فِي أَمْرِ هَامٍ مُعْتَنَى بِهِ.

تُفِيضُونَ فِيهِ - تَشْرَعُونَ وَتَخُوضُونَ فِيهِ.

مَا يَعْزُبُ - مَا يَبْعُدُ - وَمَا يَغِيبُ.

مِثْقَالِ ذَرَّةٍ - وَزَنِ ذَرَّةٍ.

(٦٢) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّقَوْا وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ، وَالتَّوَكَّلَ عَلَيْهِ، لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَقَهُ وَرَأَاهُمْ فِي الدُّنْيَا.

(آمَنُوا)

(٦٣) - وَيَقُولُ تَعَالَى مُعَرِّفًا (أَوْلِيَاءَ اللَّهِ): بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَكَانُوا يُتَّقُونَ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، وَبِرَاقِبُونَهُ فِي سِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، فَلَا يَقُومُونَ إِلَّا بِمَا يُرْضِي اللَّهُ رَبَّهُمْ.

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ

الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ

اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ

وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ

مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ

إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ

تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ

رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ

وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ

ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

الْآيَاتِ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا

يَتَّقُونَ

(الْحَيَاةُ) (الْآخِرَةُ) (لِكَلِمَاتِ)

(٦٤) - وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالنُّصْرِ وَالْعِزَّةِ، وَبِإِلْهَامِهِمُ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَبِالْاِسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ مَا أَقَامُوا شَرَعَ اللَّهُ، وَنَصَرُوا دِينَهُ الْحَقِّ، وَأَعْلَمُوا كَلِمَتَهُ (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ، أَوْ تَرَى لَهُ، وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ) (رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ). وَهَذَا وَعْدٌ مِنْ اللَّهِ لَا يُبَدَّلُ (لَا تُبَدِّلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ)، وَلَا يُغَيَّرُ وَلَا يُخْلَفُ، بَلْ مُقَرَّرٌ ثَابِتٌ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ. وَهَذِهِ الْبُشْرَى بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ هِيَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ.

(٦٥) - يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: لَا يَحْزُنُكَ مَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ بِحَقِّكَ، وَلَا تَهَمَّ بِهِ، وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ وَالْقَهْرَ وَالْغَلْبَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ شَيْئاً مِنْهَا، وَهُوَ يَهْبِئُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَقَدْ وَعَدَ بِهَا رَسُولُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُونَهُ مِنْ تَكْذِيبِ الْحَقِّ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يَفْعَلُونَ مِنْ إِثْدَاءٍ وَكَيْدٍ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ أَوْفَى الْجَزَاءِ. إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ - إِنَّ الْقَهْرَ وَالْغَلْبَةَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي مُلْكِهِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٦٦) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّ مَنْ فِيهِمَا عَبِيدٌ لَهُ، وَهُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا مَالِكَ لَشَيْءٍ سِوَاهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهاً مَعْبُوداً مَا يَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ؟ وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَيَدْعُونَهُمْ فِي الشَّدَائِدِ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِمْ بِالْقَرَابِينِ، لَا يَتَّبِعُونَ شُرَكَاءَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ فِي الْحَقِيقَةِ فِيمَا يَقُولُونَهُ إِلَّا الظَّنَّ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَشَفَعَاءَ عِنْدَهُ، وَوَسَطَاءَ لَدَيْهِ، وَهُمْ فِي أَتْبَاعِ الظَّنِّ لَيَسُوا إِلَّا مُتَخَرِّصِينَ يَقُولُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

التَّخَرُّصُ - التَّقْدِيرُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا يَجْرِي عَلَى قِيَاسٍ، كَتَقْدِيرِ مَا عَلَى الشَّجَرَةِ مِنْ ثَمَارٍ.

(اللَّيْلِ) (لَايَاتِ)

(٦٧) - وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ لِيَسْكُنَ فِيهِ النَّاسُ، وَبَسْتَرِيحُوا فِيهِ مِنْ نَصَبِهِمْ وَتَعَبِهِمْ، وَجَعَلَ لَهُمُ النَّهَارَ مُضِيئاً (مُبْصِراً) يَسْتَطِيعُونَ الْإِبْصَارَ فِيهِ لِيَسْعَوْا فِي تَأْمِينِ رِزْقِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ، وَقَضَاءِ مَصَالِحِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَبَيْنَ أَحْوَالِ النَّاسِ فِيهِمَا، لَايَاتِ

لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَفِي الْآخِرَةِ لَا تُبَدِّلُ

لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ

الْقَوْزُ الْعَظِيمُ

وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ

الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ

أَلَايَاتِ اللَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ

الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ

إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

يَخْرُصُونَ

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ

لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ

مُبْصِراً إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ

لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

وَبَرَاهِيمَ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ مَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ مِنَ التَّذْكِيرِ بِحُكْمَتِهِ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ.

(سُبْحَانَهُ) (السَّمَاوَاتِ) (سُلْطَانِ)

(٦٨) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُكْرِبًا عَلَى مَنْ أَدْعَى أَنَّ اللَّهَ وَلَدًا: إِنَّهُ تَقَدَّسَ اسْمُهُ وَتَنَزَّاهُ غَيْبٌ عَمَّنْ سِوَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ مِمَّا خَلَقَ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَمْلُوكٌ لَهُ وَعَبْدٌ؟ ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: لَيْسَ لَدَيْكُمْ أَثَرُهَا الْمُتَحَرِّصُونَ الْمُفْتَرُونَ مِنْ دَلِيلِ (سُلْطَانِ)، عَلَى مَا تَقُولُونَ مِنْ كَذِبٍ وَبُهْتَانٍ. ثُمَّ يَسْتَنْكِرُ تَعَالَى قَوْلَ مَنْ يَقُولُونَ بِلَا عِلْمٍ، وَلَا بَيِّنَةٍ يُؤَيِّدُونَ بِهَا صَحَّةَ قَوْلِهِمْ (إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ)، فَكَيْفَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ قَوْلًا لَا تَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ وَتَنْسُبُونَهُ إِلَيْهِ؟
مِنْ سُلْطَانٍ - مِنْ حُجَّةٍ أَوْ بَرَهَانٍ أَوْ دَلِيلٍ.
سُبْحَانَهُ - تَنَزَّاهُ اسْمُهُ وَتَقَدَّسَ.

(٦٩) - وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبِ، مِمَّنْ رَعَمُوا أَنَّ لَهُ وَلَدًا أَوْ شُرَكَاءَ، بِأَنَّهُمْ لَا يُفْلِحُونَ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا مَتَّعَهُمْ فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا فَإِنَّهُ يَسْتَدْرِجُهُمْ بِذَلِكَ، ثُمَّ يَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ، كَمَا أَنَّهُمْ لَا يُفْلِحُونَ فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ وَقُودَ جَهَنَّمَ.

(مَتَاعٌ)

(٧٠) - إِنَّهُمْ يَمْتَنِعُونَ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَمَتَاعُهُمْ فِيهَا قَلِيلٌ حَقِيرٌ، مُدَّةَ حَيَاتِهِمْ الْقَصِيرَةِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُرْجَعُونَ إِلَى اللَّهِ فَيُذَيِّقُهُمْ فِي الْآخِرَةِ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ الْمُؤَلَّمَ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ. فِيمَا أَدْعَاوَا مِنَ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ.

(يَا قَوْمِ) (بَيِّنَاتٍ)

(٧١) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ إِيْدَاءِ قَوْمِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِمَا يَقْضِي عَلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ. وَيَبْدَأُ تَعَالَى بِقِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ تَعَالَى: أَخْبِرْ يَا مُحَمَّدُ كَفَّارَ مَكَّةَ الَّذِينَ يُكْذِبُونَكَ خَبَرَ نُوحٍ مَعَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، كَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَدَمَّرَهُمُ بِالْغَرَقِ أَجْمَعِينَ، وَلِيَحْذَرَ هَؤُلَاءِ أَنْ يَصِيبَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْهَلَاكِ وَالْدَّمَارِ مَا أَصَابَ أَوَّلِيكَ.

لَقَدْ قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ ثَقُلَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي بَيْنَكُمْ (كَبِيرٌ)، وَإِنْ شَقَّ عَلَيْكُمْ تَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ، وَحُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ، فَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَاعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ، وَإِنِّي لَا أَبَالِي بِكُمْ،

﴿٦٨﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا

سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ

عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا

أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا

لَا تَعْلَمُونَ

﴿٦٩﴾ قُلِ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى

اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ

﴿٧٠﴾ مَتَّعْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا

مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ

الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا

يَكْفُرُونَ

﴿٧١﴾ وَأَتْلَوْا عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ

عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ

اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا

أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ

أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً ثُمَّ اقْضُوا

إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونِ

وَلَا أَكُفُّ عَنْكُمْ، سَوَاءَ عَظُمَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي أَوْ لَا، فَاجْتَمِعُوا أَنْتُمْ
وَشُرَكَائُكُمْ، مِنَ الْأَصْنَامِ الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ، وَلَا تَتْرَكُوا أَمْرَكُمْ مُلْتَبِسًا عَلَيْكُمْ
(غُمَةً)، بَلْ كُونُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْهُ، لِكَيْلَا تَحْوَلُوا عَنْهُ، وَأَفْصَلُوا أَمْرَكُمْ
مَعِي، فَإِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ مُحَقَّقُونَ فَاقْضُوا إِلَيَّ، وَأَفْعَلُوا مَا
تَسْتَطِيعُونَ، وَلَا تُؤَخِّرُونِي سَاعَةً وَاحِدَةً (وَلَا تَنْظُرُونَ).

كَبُرَ عَلَيْكُمْ - عَظُمَ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ.

مَقَامِي - إِقَامَتِي بَيْنَكُمْ دَهْرًا طَوِيلًا.

فَاجْتَمِعُوا أَمْرَكُمْ - اعْزَمُوا وَصَمَّمُوا عَلَى كَيْدِكُمْ.

وَشُرَكَاءُكُمْ - مَعَ شُرَكَائِكُمْ.

غُمَةً - ضِيقًا شَدِيدًا، أَوْ مُلْتَبَسًا مِثْلَهُمَا.

(٧٢) - فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ تَذْكِرَتِي، وَأَذْبَرْتُمْ عَنِ الطَّاعَةِ (تَوَلَّيْتُمْ)، فَلَا
يُضُرُّنِي ذَلِكَ لِأَنِّي لَمْ أَطْلُبْ مِنْكُمْ أَجْرًا عَلَى نَصْحِي لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَطْلُبُ
الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي أَمَرَنِي بِأَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
الْمُؤْمِنِينَ الْعَابِدِينَ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ.

(فَنَجِّنَاهُ) (وَجَعَلْنَاهُمْ) (خَلَائِفَ) (بَيَاتِنًا) (عَاقِبَةً)

(٧٣) - فَلَمَّا أَصْرُوا عَلَى تَكْذِيبِهِ، بَعْدَ أَنْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، نَجَّيَ
اللَّهُ نُوحًا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ، وَجَعَلَهُمْ خُلَفَاءَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ،
وَيَتَوَارَثُونَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَأَغْرَقَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَيَاتِهِ،
وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَاءَهُمُ
النَّذِيرُ مِنْ رَبِّهِمْ، فَاسْتَخَفُّوا بِهِ.

جَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ - خُلَفَاءَ يَخْلُقُونَ الْأُمَمَ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ.

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٧٤) - ثُمَّ ضَلَّ النَّاسُ الَّذِينَ اتَّوَا بَعْدَ نُوحٍ، وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ،
فَارْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا بِالْحُجَجِ وَالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِمْ،
وَعَلَى مَا جَاءَهُمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، فَمَا اسْتَقَامَ لِقَوْمٍ مِنْ أُولَئِكَ الْأَقْوَامِ أَنْ
يُؤْمِنَ الْمَتَأَخِّرُ مِنْهُمْ بِمَا كَذَّبَ بِهِ الْمُتَقَدِّمُ، لِأَنَّ التَّكْذِيبَ سَبَقَ التَّبَصُّرَ
وَالْإِعْتِبَارَ. وَكَمَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، حَتَّى حَقَّتْ
عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ مِنْ
خَلْفِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ، وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا.
نَطْبَعُ - نَحْتِمُ.

(وَهَارُونَ) (وَمَلِكِهِ) (بَيَاتِنًا)

(٧٥) - ثُمَّ اللَّهُ بَعَثَ الرَّسُلَ، الَّذِينَ اتَّوَا بَعْدَ نُوحٍ، مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى

﴿٧٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ

أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ

وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

﴿٧٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي

الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ

وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ

﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى

قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ

مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ

الْمُعْتَدِينَ

﴿٧٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى

وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ

فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافَ قَوْمِهِ (مَلِيهِ - وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى الْأَشْرَافَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الدُّهْمَاءَ كَانُوا تَبَعًا لَهُمْ). وَكَانُوا قَوْمًا رَاسِخِينَ فِي الْإِجْرَامِ وَالظُّلْمِ وَالْفَسَادِ، وَقَدْ أَيَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى وَهَارُونَ بِآيَاتٍ وَحُجَجٍ وَبَرَاهِينٍ، عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَعَلَى صِدْقِ بُرُوتِهِمَا، فَاسْتَكْبَرَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ. وَقَدْ ارْتَكَبُوا بِرَفْضِهِمُ الاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَةِ اللَّهِ إِنَّمَا عَظِيمًا.

(٧٦) - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى وَهَارُونَ بِالْحَقِّ الْوَاضِحِ، وَالذَّلِيلِ الْقَاطِعِ، عَلَى صِدْقِ بُرُوتِهِمَا، قَالُوا: إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ وَاضِحٌ لِمَنْ رَأَاهُ وَعَايَنَهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ فِي قَرَارَةِ نَفُوسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا آخَرَ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ الْمُعْجَزَاتِ الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهَا مُوسَى إِلَيْهِمْ.

(السَّاحِرُونَ)

(٧٧) - وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى مُوَيْخًا، وَمُسْتَكْبِرًا قَوْلَهُمْ وَأَنَّهُمَا هُمُ الْبَاسُخَرُ: اتَّقُولُونَ لِلْحَقِّ الْوَاضِحِ الظَّاهِرِ، لَمَّا جَاءَكُمْ، إِنَّهُ سِحْرٌ، فَهَلْ هَذَا سِحْرٌ، وَإِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ فِي قَرَارَةِ نَفُوسِكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِسِحْرٍ، وَلَا يَنْجَحُ السَّاحِرُونَ وَلَا يُفْلِحُونَ، لِأَنَّ السَّحْرَ بَاطِلٌ.

(آبَاءَنَا)

(٧٨) - وَقَالُوا لِمُوسَى: أَجِئْتَنَا لِتَصْرِفَنَا عَنِ الدِّينِ الَّذِي وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَتَّبِعُونَهُ، لِتَكُونَ، لَكَ وَلِأَخِيكَ هَارُونَ، الْعِظَمَةُ وَالرَّئَاسَةُ وَالسُّلْطَانُ، وَمَا يَتَّبِعُهُمَا مِنْ كِبَرِيَاءِ الْمُلُوكِ، وَالْعِظَمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ التَّابِعَةِ لَهَا، فِي أَرْضٍ مُضَرِّ كُلِّهَا، فَتَحْنُ لَنْ نُؤْمِنَ بِمَا جِئْتَنَا بِهِ. لَتَلْفِتْنَا - لِتَصْرِفَنَا وَتَلُونَا.

(سَاحِرٍ)

(٧٩) - وَإِذْ أَدْعَى فِرْعَوْنُ عِبَادًا وَعَتَوْا أَمَامَ قَوْمِهِ، أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى هُوَ سِحْرٌ، وَذَلِكَ لِإِزِيلِ مَنْ نَفُوسِهِمْ أَثَرُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَالْآيَاتِ، قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: إِنَّهُ سَيَرُدُّ عَلَى سِحْرِ مُوسَى بِسِحْرِ مِثْلِهِ، وَأَمَرَ مَنْ حَوْلَهُ أَنْ يَجْمَعُوا لَهُ كُلَّ سَاحِرٍ عَالِمٍ مُتَعَمِّقٍ فِي فُنُونِ السَّحْرِ (عَلِيمٍ).

(٨٠) - فَلَمَّا اجْتَمَعَ السَّحَرَةُ إِلَى فِرْعَوْنَ، سَأَلُوا فِرْعَوْنَ إِنْ كَانَ سَيَمْنَحُهُمْ أَجْرًا جَزِيلًا إِنْ تَغَلَّبُوا عَلَى سِحْرِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُمْ نَعَمْ إِنَّهُ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ، وَإِنَّكُمْ سَتَكُونُونَ مِنَ الْمُفْرِّقِينَ. فَاقْسَمُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ هُمْ الْغَالِبِينَ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى). وَأَرَادَ مُوسَى أَنْ يَرِي النَّاسَ أَوَّلًا مَا يُقَدِّمُهُ سَحَرَتُهُمْ مِنْ سِحْرِ عَظِيمٍ، ثُمَّ يَأْتِي هُوَ بِالْحَقِّ مِنْ

وَمَلَايِهِ بِتَايَيْنَا فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ

﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا
قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُؤْتَمِرٌ

﴿٧٧﴾ قَالَ مُوسَى اتَّقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَاءَكُمْ أَسِحْرُهُ هَذَا وَلَا يَفْلِحُ
السَّاحِرُونَ

﴿٧٨﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا
عَلَيْهِمْ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ
الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ
بِمُؤْمِنِينَ

﴿٧٩﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ
سَاحِرٍ عَلِيمٍ

﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى
أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ

عِنْدَ اللَّهِ فَيُطِيلُ مَا يَكْذِبُونَ بِهِ عَلَى النَّاسِ، وَلَذَلِكَ قَالَ لَهُمْ: اَلْقُوا مَا اَنْتُمْ مُلْقُونَ مِنْ سِحْرِ.

(٨١) - فَلَمَّا اَلْقَوْا مَا عِنْدَهُمْ مِنْ اَبْوَابِ السَّحْرِ وَفَنُوهُ، سَحَرُوا اَعْيْنَ النَّاسِ، وَاَخَافُوهُمْ وَجَاؤُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ، فَشَعَرَ مُوسَى بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ فِي نَفْسِهِ، مِنْ عِظَمِ مَا رَأَى، فَاَوْحَى اللَّهُ اِلَيْهِ مُتَبَيِّنًا فَقَالَ لِلْسَّحَرَةِ: اِنْ مَا جِئْتُمْ بِهِ سِحْرٌ، وَاِنَّ اللَّهَ سَيُطِيلُهُ، لَآِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ الْمُفْسِدِينَ الَّذِينَ يُضِلُّونَ النَّاسَ.

(بِكَلِمَاتِهِ)

(٨٢) - وَسَيَحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِاِرَادَتِهِ، وَيُثْبِتُهُ وَيَنْصُرُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ذَلِكَ.

(اٰمَنَ) (مَلَيْكَتُهُم)

(٨٣) - وَاُظْهَرَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ، فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَالْتَفَتَتْ جَمِيعُ مَا اَلْقَاهُ السَّحَرَةُ، وَمَوَّهُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ. وَكَانَ ذَلِكَ نَصْرًا عَظِيمًا لِمُوسَى مِنْ رَبِّهِ، وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ اسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ. وَلَمَّا اَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ لِلَّهِ اسْتَغْفَرُوا وَتَوْبَةً، وَرَجَاءَ اَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: اِنَّهُ سَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِتَقْطِيعِ اَيْدِيهِمْ وَاَرْجُلِهِمْ مِنْ خَلَاْفٍ، وَسَيَصْلِيهِمْ عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ، لِأَنَّهُمْ اٰمَنُوا لِمُوسَى قَبْلَ اَنْ يَأْذَنَ هُوَ لَهُمْ بِذَلِكَ - كَمَا جَاءَ فِي آيَاتِ اٰخَرٍ - . وَخَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى اَنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِمُوسَى اِلَّا جَمَاعَةٌ مِنَ الشَّبَابِ مِنْ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ اٰمَنُوا بِهِ وَهُمْ خَائِفُونَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ اَنْ يَضْطَرُّوهُمْ بِالْعَذَابِ وَالنَّكَالِ اِلَى الرُّجُوعِ عَنِ الْاِيْمَانِ بِرَبِّهِمْ (يَقْتَنِبُهُمْ)، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ مُسْتَكْبِرًا مُتَعَالِيًا فِي الْاَرْضِ، مُسْرِفًا فِي كُفْرِهِ، وَفِي اَمْرِهِ كُلِّهِ، وَمُبَالِغًا فِيهِ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِاَنْ يُخَافَ مِنْهُ.

اَنْ يَقْتَنِبَهُمْ - اَنْ يَتَّبِلَهُمْ وَيُعَذِّبَهُمْ.

ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ - طَائِفَةٌ مِنْ شَبَابِ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(يَا قَوْمِ) (اٰمَنْتُمْ)

(٨٤) - وَلَمَّا اَعْلَنَ جَمَاعَةُ مُوسَى لَهُ اِيْمَانَهُمْ بِاللَّهِ وَبِرِسَالَاتِهِ، وَهُمْ خَائِفُونَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْفِتْنَةِ، قَالَ لَهُمْ مُوسَى: اِنْ كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ بِاللَّهِ اِيْمَانًا حَقًّا، فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا، وَبِعُودِهِ ثِقُوا اِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ مُدْعَيْنِينَ، اِذْ اِنَّ الْاِيْمَانَ لَا يَكُونُ يَقِيْنًا اِلَّا اِذَا صَدَقَ الْعَمَلُ، وَهُوَ الْاِسْلَامُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

(الظَّالِمِينَ)

(٨٥) - فَارْذُوا عَلَيْهِ قَائِلِينَ: بِأَنَّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ. ثُمَّ تَوَجَّهُوا بِالْاِدْعَاءِ

(٨٦) فَلَمَّا اَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ

بِهِ السَّحْرُ اِنَّ اللَّهَ سَيُطِيلُهُ اِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ

(٨٧) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ

كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ

(٨٨) فَمَاءَ اٰمَنَ لِمُوسَى اِلَّا اَذْرِيَّةٌ مِنْ

قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ

وَمَلَايِنَهُمْ اَنْ يَفْنَيْهُمْ وَاِنَّ

فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْاَرْضِ وَاِنَّهُ

لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ

(٨٩) وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ اِنْ كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ

بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا اِنْ كُنْتُمْ

مُسْلِمِينَ

(٩٠) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا

تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

إِلَى اللَّهِ قَائِلِينَ: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا عُرْضَةً لِفِتْنَةِ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ، وَلَا تُظْفِرْهُمْ بِنَا فَيَمَارِسُوا عَلَيْنَا ضَغْطًا لِرَدِّنَا عَنْ دِينِنَا (وَالْتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لَا يَكْمُلُ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ، وَالِدُّعَاءُ لَا يُسْتَجَابُ إِلَّا إِذَا كَانَ مَقْرُونًا بِاتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ، بَأَنَّ يَعْمَلَ الْإِنْسَانُ جَمِيعَ مَا يَسْتَطِيعُ عَمَلُهُ).
لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً - لَا تَجْعَلْنَا مَوْضِعَ اخْتِبَارٍ بِالْعَذَابِ.

(الْكَافِرِينَ)

(٨٦) - وَأَنْقِذْنَا يَا رَبِّ بِرَحْمَتِكَ وَلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنُ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ وَجَحَدُوهُ، وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا بِكَ وَتَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ. (وَكَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ يَسْتَعْبِدُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيُكَلِّفُونَهُمْ بِأَشَقِّ الْأَعْمَالِ وَأَحْطَهَا وَأَقْدَرَهَا).

(الصَّلَاةِ) (تَبَوُّأً)

(٨٧) - قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِظْهَارَ صَلَاتِهِمْ خَوْفًا مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَنْ يَتَّخِذَا لِقَوْمِهِمَا بُيُوتًا فِي مِصْرَ، وَأَنْ يَجْعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بُيُوتَهُمْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، لِيُصَلُّوا فِيهَا، وَهُمْ مُتَّجِهُونَ جَمِيعًا جِهَةً وَاحِدَةً، لِأَنَّ الْإِتِّحَادَ فِي الْإِتِّجَاهِ يُسَاعِدُ عَلَى اتِّحَادِ الْقُلُوبِ. ثُمَّ يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحِفْظِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ، وَبِالْتَّوَابِ وَالنَّصْرِ الْقَرِيبِ وَالْفَرَجِ.
تَبَوُّأَ الْقَوْمِ كَمَا - اتَّخِذُوا وَأَجْعَلُوا لَهُمْ قِبْلَةً - مَسَاجِدَ أَوْ مُصَلًى جِهَةَ الْقِبْلَةِ.

(آتَيْتِ) (أَمْوَالًا) (الْحَيَاةِ) (أَمْوَالِهِمْ)

(٨٨) - بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ مُوسَى قَوْمَهُ مَا اسْتَطَاعَ لِلْخُرُوجِ بِهِمْ مِنْ مِصْرَ، وَغَرَسَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَالثِّقَةَ بِاللَّهِ، وَحُبَّ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالِدُّعَاءِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَهُ، وَدَعَا عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، لِمَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعُتُوِّ وَالضَّلَالِ، وَلِمَا رَفَضُوهُ مِنْ أَتْبَاعِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَقَالَ: رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ أَثَابِ الدُّنْيَا، وَمَتَاعِهَا وَزُخْرُفِهَا، وَمِنْ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ، فَكَانَتْ عَاقِبَةُ ذَلِكَ إِسْرَافَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَأَفْتِنَانِ الْجَهْلَةِ بِمَا أُعْطِيَتْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ إِذْ ظَنُّوا أَنَّكَ إِنَّمَا أُعْطَيْتَهُمْ هَذَا لِأَنَّكَ تُحِبُّهُمْ. رَبَّنَا أَهْلِكْ أَمْوَالَهُمْ وَآمَحِقْهَا (أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ)، وَأَطْبِعْ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَزِدْهَا قَسْوَةً حَتَّى لَا تَلِينَ، وَلَا يَصِلَ إِلَيْهَا الْإِيمَانُ، لِيَسْتَحَقُّوا عَذَابَكَ الشَّدِيدَ.

أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ - أَهْلَكَ أَمْوَالَهُمْ وَأَذْهَبَهَا وَآمَحَقَهَا.

أَشَدَّدَ عَلَى قُلُوبِهِمْ - أَطْبَعَ عَلَيْهَا.

﴿٨٦﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ

﴿٨٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوُّوا

لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا

بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِمْوْا

الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

﴿٨٨﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ

فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا

عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى

أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ

فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا

الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

(٨٩) - فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ: إِنَّ دَعْوَتَكُمَا عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ قَدْ أَجِيبَتْ، فَأَمُضِيَا لِأَمْرِي، وَاثْبِتَا عَلَى مَا أَنْتُمَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَمِنْ إِعْدَادِ شَعْبِكُمَا لِلْجَفَاحِ وَالْجَلَادِ وَالْخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ. وَلَا تَسْلُكَا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ سُنِّيَّ فِي خَلْقِي، الَّذِينَ يَسْتَعْجِلُونَ الْأَمْرَ قَبْلَ مِيقَاتِهِ، وَيَسْتَبْطِئُونَ وَقْعَهُ فِي حِينِهِ.

(وَجَاوَزْنَا) (إِسْرَائِيلَ) (آمَنْتُ) (بُنُو إِسْرَائِيلَ) (آمَنْتُ)

(٩٠) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا خَرَجُوا بِدُونِ إِذْنِ فِرْعَوْنَ أَشْتَدَّ حَقُّهُ عَلَيْهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَجْمَعُونَ لَهُ الْجِيُوشَ مِنْ أَقَالِيمِ مَمْلَكَتِهِ، فَرَكِبَ وَرَاءَهُمْ فِي أُهْبَةٍ عَظِيمَةٍ، وَجِيُوشَ كَثِيفَةٍ، فَلَحِقُوا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَهُمْ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ، قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: إِنَّهُمْ مُدْرِكُونَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: لَا. وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ، فَضْرِبُهُ فَيَنْفَلِقَ، وَنَمِرَ مُوسَى وَقَوْمُهُ بَيْنَ طَرَفِي الْمَاءِ. فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْمَاءِ مِنَ الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنَ الْبَحْرِ، وَصَلَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودُهُ إِلَى حَافَةِ الْبَحْرِ، فَاقْتَحَمَ الْمَمَرَّ وَرَاءَهُمْ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ فَأَغْرَقَهُمْ جَمِيعًا.

وَلَمَّا غَشِيَ الْمَوْجُ فِرْعَوْنَ، وَشَعَرَ بِدُنُو أَجَلِهِ، وَأَنَّهُ لَا مُنْقِذَ لَهُ قَالَ إِنَّهُ آمَنَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَفِي ذَلِكَ اسْتِجَابَةٌ لِدَعْوَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَشُدَّ عَلَى قَلْبِ فِرْعَوْنَ فَلَا يُؤْمِنَ حَتَّى يَرَى الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

بَغْيًا وَعَدُوًّا - ظُلْمًا وَأَعْدَاءً.

(الآن)

(٩١) - وَبَرَّدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ قَائِلًا: أَتُؤْمِنُ الْآنَ حِينَمَا أَدْرَكَكَ الْغَرَقُ، وَقَدْ جَاءَتْكَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ قَبْلُ، وَرَأَيْتَ مِنْ مُعْجَزَاتِ اللَّهِ، فَعَصَيْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ؟ فَدَعَاكَ الْإِسْلَامُ الْآنَ لَا تُقْبَلُ مِنْكَ، وَلَا تَنْفَعُكَ.

الآن - الْآنَ تُؤْمِنُ حِينَ أَقْبَنْتَ بِالْهَلَاكِ.

(آيَةٌ) (آيَاتُنَا) (لِنُغْفِلُونَ)

(٩٢) - قَالَ آدَمُ بْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَكُّوا فِي مَوْتِ فِرْعَوْنَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ أَنْ يُلْقِيَهُ بِجَسَدِهِ سَوِيًّا بِلا رُوحٍ، لِيَتَحَقَّقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مَوْتِهِ وَهَلَاكِهِ، فَتَكُونَ بَلَكًا لَهُمْ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَصِدْقِ وَعْدِهِ لِرُسُلِهِ، وَكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ غَافِلُونَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَتَعَبَّرُونَ بِهَا، وَلَا يَتَغَيَّرُونَ.

(٨٩) قَالَ قَدْ أَجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا

فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ



(٩٠) وَجَاوَزْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنَ
وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا
أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ
بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ

(٩١) أَلَكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ

وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

(٩٢) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدَيْكَ لِتَكُونَ

لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ
النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ

(وَكَانَ هَلَاكُ فِرْعَوْنَ وَنَجَاةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي تَصُومُونَهُ؟ فَقَالُوا يَوْمَ ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ. فَقَالَ النَّبِيُّ لِأَصْحَابِهِ أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصُومُوهُ). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).
آيَةٌ - عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ وَنَكَالٌ.

(إِسْرَائِيلَ) (رَزَقْنَاهُمْ) (الطَّيِّبَاتِ) (الْقِيَامَةِ)

(٩٣) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النِّعَمِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ هَبَّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكَ فَلَسْطِينَ، وَأَنْتِزَاعَهَا مِنْ أَيْدِي الْعَمَالِيقِ الْجَبَّارَةِ، بَعْدَ أَنْ نَكَلُوا عَنْ قِتَالِهِمْ، وَتَاهَوْا فِي صَحَرَاءِ التِّيَّةِ (سِينَاء) أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَرَزَقَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَهِيَ الرِّزْقُ الْحَلَالُ النَّافِعُ، فَمَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَسَائِلِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِقِرَاءَةِ التَّوْرَةِ، وَالْوُقُوفِ عَلَى أَحْكَامِهَا، أَنَّ نَبِيًّا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ سَيِّعَتْ. فَقَبِلَ بَعْتَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَعَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ وَبِعِثَّتِهِ. فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، كَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَأَمَنَ بِهِ آخَرُونَ، وَسَيَقْضِي اللَّهُ بَيْنَهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَيُبَيِّنُ الْمُحِقُّ مِنَ الْمُبْطِلِ، لِأَنَّ هَذَا الْاِخْتِلَافَ لَا سَبِيلَ إِلَى إِزَالَتِهِ فِي الدُّنْيَا.

الْمُبُوءُ - مَكَانُ الْإِقَامَةِ.

بُؤَانَا - أَنْزَلْنَا وَأَسْكَنَّا.

مُبُوءٌ صَدَقَ - مَنْزِلًا صَالِحًا مُرْضِيًا.

(فَاسْأَلِ) (الْكِتَابَ) (يَقْرَؤُونَ)

(٩٤) - فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ شَكٌّ، بِمَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ، مِنَ الْقُرْآنِ، وَمَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الشُّوَاهِدِ، مِنْ قِصَّةِ هُودٍ وَنُوحٍ وَمُوسَى وَغَيْرِهِمْ قَرْضًا وَتَقْدِيرًا، فَاسْأَلِ مَنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِالْكِتَابِ الَّتِي جَاءَتْ قَبْلَكَ، فَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْكِتَابِ مِنَ الْبَشَارَةِ بِبَعْتِكَ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَجِئْتَهُمْ تَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ، فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُتَشَكِّكِينَ.

(وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ يُقَدِّرُوا الشَّكَّ فِي الشَّيْءِ لِيَبْنُوا عَلَيْهِ مَا يَنْفِي آحْتِمَالَ وَقُوعِهِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ لِأَيِّهِ: إِنْ كُنْتَ آتِنِي فَكُنْ شَجَاعًا).

الْمُتَمَتِّرِينَ - الْمُتَشَكِّكِينَ، الْمُتَزَلِّزِينَ.

(بَيِّنَاتِ) (الْحَاسِرِينَ)

(٩٥) - لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ الْوَاضِعُ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ

٩٣ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَاءَ يَلْ مُبُوءًا

صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ

رَبِّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

٩٤ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ

جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا

تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ

٩٥ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا

بَيِّنَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُ

وَالنَّصَارَى يَعْلَمُونَ صِحَّةَ ذَلِكَ، وَيَجِدُونَ نَعْتَكَ وَصَفَتَكَ فِي كُتُبِهِمْ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْشَكِّكِينَ فِي صِحَّةِ ذَلِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(كَلِمَةٌ)

(٩٦) - الَّذِينَ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ، لِمَا عَلِمَ مِنْ عِنَادِهِمْ وَتَعْصِيَتِهِمْ، لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْهُمَا أَجْهَذَتْ نَفْسُكَ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ.

(آيَةٌ)

(٩٧) - حَتَّى وَلَوْ جِئْتَهُمْ بِجَمِيعِ آيَاتِ الْكَوْنِ وَالْمُعْجَزَاتِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. وَهَؤُلَاءِ الْكَافِرَةُ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَيُحْسِنُوا بِهِ، كَمَا تَمَّ عَلَى فِرْعَوْنَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ كَلِمَةً الْإِيمَانِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ.

(آمَنْتَ) (إِيمَانُهَا) (آمَنُوا) (الْحَيَاةِ) (وَمَتَعْنَاهُمْ)

(٩٨) - لَمْ تَوْجِدْ قَرْيَةً آمَنَ أَهْلُهَا جَمِيعاً بِنَبِيِّهِمْ، فَمِنْ سَلَفِ مِنَ الْقَرَى، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ، وَهُمْ أَهْلُ نِينَوَى، وَمَا كَانَ إِيْمَانُهُمْ إِلَّا تَخَوُّفاً مِنْ أَنْ يَجْلُ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي أُنْذِرُهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، فَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ مُغَاضِباً، وَعَانِيُوا أَسْبَابَ الْعَذَابِ، جَاءُوا إِلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ، وَاسْتَغَاثُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَأَحْضَرُوا أَطْفَالَهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ، وَسَالُوا اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ الَّذِي أُنْذِرُهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، فَعِنْدَهَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَكَشَفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَمَتَّعَهُمُ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى زَمَنٍ مَعْلُومٍ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ كُلُّ مِنْهُمْ بِحَسَبِ سُنَنِ اللَّهِ. عَذَابُ الْخَزْيِ - الذُّلُّ وَالْهَوَانُ.

(٩٩) - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُؤْمِنَ أَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعاً لَفَعَلَ، إِمَّا بِأَنْ يُلْجِئَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ قَسْراً، وَإِمَّا بِأَنْ يَخْلُقَهُمْ مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ، وَلَكِنْ حُكْمَتُهُ تَعَالَى اقْتَضَتْ بِأَنْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانَ وَفِيهِ الْقُدْرَةُ عَلَى أَنْ يَوَازِنَ بِاخْتِيَارِهِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، فَيُؤْمِنُ بَعْضُ النَّاسِ، وَيَكْفُرُ آخَرُونَ. وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَسْتَطِيعُ إِكْرَاءَ النَّاسِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَلَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الرِّسَالَةِ الَّتِي بَعَثَكَ اللَّهُ بِهَا.

(١٠٠) - وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَقْضِيَ مَا أَعْطَاهَا اللَّهُ مِنَ الْاخْتِيَارِ وَالْاِسْتِقْلَالِ فِي الْأَفْعَالِ، أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَمُقْتَضَى سُنَنِهِ فِي التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْمُتَقَابِلَيْنِ: فَالنَّفْسُ مُخْتَارَةٌ فِي دَائِرَةِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ، وَلَكِنَّهَا غَيْرُ مُسْتَقِلَّةٍ فِي اخْتِيَارِهَا اِسْتِقْلَالاً تَاماً، بَلْ هِيَ مُقَيَّدَةٌ بِنِظَامِ السُّنَنِ، وَالْأَقْدَارِ الْإِلَهِيَّةِ. وَإِذَا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَبْسِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ الَّتِي تَجْرِي بِقُدْرِهِ فَهُوَ يَجْعَلُ الْإِذْنَ، وَيَسِّرُ الْإِيمَانَ

مِنَ الْخَاسِرِينَ

٩٦ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ

كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

٩٧ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى

يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

٩٨ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا

إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا

آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ

الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ

إِلَى حِينٍ

٩٩ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي

الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ

تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ

١٠٠ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِجَعْلِ الرِّجْسِ

عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

لِلَّذِينَ يَعْقِلُونَ آيَاتِهِ، وَيُوزِنُونَ بَيْنَ الْأُمُورِ فَيَخْتَارُونَ خَيْرَ الْأَعْمَالِ، وَيَتَّقُونَ شَرَّهَا، وَيَرْجَحُونَ أَنْفَعَهَا عَلَى أَضَرِّهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَبْسِيرِهِ، وَيَجْعَلُ الْحَزَنَ وَالْخِذْلَانَ الْمُرْجَحَ لِلْكَفْرِ وَالْفُجُورِ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ الْحُجَجَ الْوَاضِحَةَ، وَلَا يَتَذَبَّرُونَهَا.

(السَّمَاوَاتِ) (الآيَاتِ)

(١٠١) - يُرْشِدُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَالَّتِي يَعْقِلُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ، وَكُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى الْوَهْبَةِ اللَّهِ، وَوُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ. وَلَكِنْ مَا هِيَ فَائِذَةُ الرُّسُلِ وَالْآيَاتِ وَالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ لِقَوْمٍ جَاحِلِينَ، لَا يَتَوَقَّعُ إِيْمَانُهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُوجِّهُوا أَنْظَارَهُمْ إِلَى الْاِعْتِبَارِ بِالْآيَاتِ، وَالْاِسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ (وَمَا تُغْنِي الْآيَاتِ).

(١٠٢) - فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ لَكَ يَا مُحَمَّدٌ إِلَّا أَنْ يَنَالَهُمْ مِنَ الْأَيَّامِ الشَّدَادِ مِثْلُ مَا أَصَابَ أَسْلَافَهُمُ الْمَاضِينَ، الَّذِينَ كَانُوا عَلَى مِثْلِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرْكِ، وَالتَّكْذِيبِ لِرُسُلِهِمْ، فَقُلْ لَهُمْ: إِنْ كُنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ غَيْرَ ذَلِكَ فَانْتَظِرُوا، فَإِنِّي أَنْتَظِرُ أَنْ يَهْلِكَكُمْ اللَّهُ بِالْعُقُوبَةِ لِأَنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ صَدَقَ وَعْدُ اللَّهِ لِلْمُرسِلِينَ.

(آمَنُوا)

(١٠٣) - ثُمَّ تَنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَنَهْلِكَ الْمُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ. وَإِنْجَاءُ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ، الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ بِالْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ، حَقٌّ أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّتُهُ.

(يَا أَيُّهَا) (يَتَوَفَّاكُمْ)

(١٠٤) - قُلْ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لِلنَّاسِ: إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ صِحَّةِ الدِّينِ الَّذِي أَدْعُو إِلَيْهِ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَكُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، فَاسْمَعُوا وَصَفُّهُ، وَأَعْرِضُوهُ عَلَى عُقُولِكُمْ، وَأَنْظُرُوا فِيهِ، لِتَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلشَّكِّ: إِنِّي لَا أَعْبُدُ الْحِجَارَةَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّكُمْ وَخَالِقِكُمْ، بَلْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّى الْخَلْقَ إِذَا شَاءَ، وَيَنْفَعُهُمْ وَيَضُرُّهُمْ إِذَا أَرَادَ، وَمِثْلُ هَذَا الْإِلَهِ حَقِيقٌ بِأَنْ يُعْبَدَ، وَأَنْ يُخَافَ مِنْهُ وَيَتَّقَى، وَقَدْ أُمِرْتُ بِأَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَسْلِمِينَ لِأَمْرِهِ تَعَالَى.

(١٠٥) - كَمَا أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ أَتَخَلَّصَ الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ، حَنِيفًا مُخْلِصًا لَهُ، مُنْحَرِفًا عَنِ الشَّرْكِ وَالْبَاطِلِ.

(١٠١) قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ

وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

(١٠٢) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ

فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ

الْمُنْتَظِرِينَ

(١٠٣) ثُمَّ نَجِّنِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ

آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ

الْمُؤْمِنِينَ

(١٠٤) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ

مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن

أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ

أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١٠٥) وَأَنْ أَقْعُدَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا

وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ - أَصْرَفَ ذَاتَكَ كُلَّهَا لِلدِّينِ الْحَقِيقِيِّ .
حَنِيفًا - مُنْحَرِفًا عَنِ الشُّرْكِ .

(الظَّالِمِينَ)

(١٠٦) - وَلَا تَدْعُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى دُعَاءَ عِبَادَةٍ، لَا عَلَى سَبِيلِ
الاستِغْلَالِ، وَلَا عَلَى سَبِيلِ الاِشْتِرَاكِ، فَغَيْرُ اللَّهِ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، فَإِنْ
فَعَلْتَ هَذَا، وَدَعَوْتَ غَيْرَهُ، كُنْتَ إِذَا مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَلَا ظَلَمَ
لِلنَّفْسِ أَكْبَرُ مِنْ ظَلَمِ الشُّرْكِ بِاللَّهِ .
وَهَذَا النِّهْيُ مُوجَّهٌ لِلْأُمَّةِ لِأَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَعْصُومٌ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ
الْأُمُورِ .

(١٠٧) - يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالنَّفْعَ وَالضَّرَّ مِنْ عِنْدِهِ
تَعَالَى وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِ، وَإِنْ يَرِدُ اللَّهُ أَحَدًا بِخَيْرٍ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ
أَنْ يَرُدَّ فَضْلَهُ وَيَمْنَعَهُ عَنْهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبِهِ، حَتَّى وَلَوْ
كَانَ الذَّنْبُ شِرْكًَا بِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَتُوبُ عَلَى التَّائِبِينَ، وَهُوَ رَحِيمٌ
بِالنَّاسِ .

(يَا أَيُّهَا)

(١٠٨) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يُخَبِّرَ النَّاسَ جَمِيعًا، أَنَّ الَّذِي
جَاءَهُمْ بِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، فَمَنْ أَهْتَدَى وَاتَّبَعَهُ، فَإِنَّمَا يَعُودُ
نَفْعُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ عَنْهُ، فَإِنَّمَا يَرْجِعُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ . كَمَا أَمَرَهُ
اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ : إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَإِنَّهُ نَذِيرٌ
لَهُمْ غَيْرُ مُوَكَّلٍ بِهَدَايَتِهِمْ، وَلَا بِمُسْطِطِرٍّ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا الْهَادِي هُوَ اللَّهُ .
بِوَكِيلٍ - بِحَفِظِ مُوَكَّلٍ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ .

(الْحَاكِمِينَ)

(١٠٩) - وَتَمَسَّكَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَأَوْحَاهُ إِلَيْكَ، وَأَصْبِرْ عَلَى
مُخَالَفَةِ مَنْ خَالَفَكَ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَهُوَ خَيْرُ
الْفَاتِحِينَ وَالْقَاضِينَ بِعَدْلِهِ وَحُكْمَتِهِ .

١٠٦ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ

وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا
مِنَ الظَّالِمِينَ

١٠٧ وَإِنْ يَمَسَّسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا

كَاشَفَ لَهُ إِلَّا أَهْوَاءَ
يُرِدُّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ
يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

١٠٨ قُلْ يَتَيَّأُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى
فَاتِمَّا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ
ضَلَّ فَاتِمَّا يَضِلَّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا
عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ

١٠٩ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ

يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أَلِفٌ. لَامٌ. رَا - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(كِتَابٌ) (آيَاتُهُ)

هَذَا كِتَابٌ عَظِيمٌ الشَّانِ جُعِلَتْ آيَاتُهُ مُحْكَمَةً النَّظْمِ، مُتَقَنَةً الْبَيَانِ وَالتَّالِيفِ، وَاضِحَةً الْمَعَانِي، وَجُعِلَتْ فُصُولًا مُتَفَرِّقَةً فِي سُورِهِ، ثُمَّ فُصِّلَتْ أَحْكَامُهَا، وَقَدْ أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِ إِلَهٍ حَكِيمٍ يُقَدِّرُ حَاجَةَ الْعَبِيدِ، خَبِيرٌ بِضَعُ الْأُمُورِ فِي مَوَاضِعِهَا.

أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ - نُظِمَتْ نَظْمًا مُحْكَمًا رَصِينًا.
فُصِّلَتْ - فُرِّقَتْ فِي التَّنْزِيلِ نُجُومًا بِالْحِكْمَةِ.

(٢) - وَأَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ إِلَّا هُوَ، وَبِأَنْ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي نَذِيرًا مِنَ الْعَذَابِ إِنْ خَالَفْتُمُوهُ، وَبَشِيرًا بِالثَّوَابِ إِنْ أَطَعْتُمُوهُ.

(مَتَاعًا)

(٣) - وَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ مُتَضَرِّعِينَ إِلَيْهِ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ أَعْمَالِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالْإِجْرَامِ، ثُمَّ أَرْجِعُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ، وَبِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، وَاسْتَغْفَرْتُمْ رَبَّكُمْ، وَبَشَرْتُمْ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُمَتِّعُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَتَاعًا حَسَنًا، وَيَرْزُقُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَيُنْشِئُ لَكُمْ فِي آجَالِكُمْ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي قَضَى عَلَيْكُمْ فِيهِ بِالْمَوْتِ، وَيَجْعَلُكُمْ خَيْرَ الْأُمَّةِ نِعْمَةً وَقُوَّةً وَعِزَّةً، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ، مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ، جَزَاءَ فَضْلِهِ. أَمَّا إِنْ تَوَلَّيْتُمْ وَأَعْرَضْتُمْ عَمَّا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ الْهَوْلِ، شَدِيدِ الْبَاسِ.

(٤) - وَسَيَكُونُ مَعَادُكُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ: مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ، وَانْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى

الرَّكْبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ دُخْمٌ
فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ

أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ
نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ

وَأِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تَوَابُوا إِلَيْهِ
يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ
فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ

إِعَادَةِ الْخَلَائِقِ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٥) - هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ، الْكَارَهُونَ لِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، يَحْنُونَ ظُهُورَهُمْ، وَيَنْكَسُونَ رُؤُوسَهُمْ، كَانَهُمْ يُحَاوِلُونَ طَيِّ صُدُورِهِمْ عَلَى بَطُونِهِمْ حِينَ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ، لِيَسْتَحْفُوا مِنَ الرُّسُولِ وَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ لِكَيْلَا يَرَاهُمْ وَهُمْ يَسْمَعُونَ نَذْرَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ. وَيُخْبِرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الِاسْتِحْفَاءَ لَا يُفِيدُهُمْ، وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا يَكْتُمُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ النَّيَاتِ وَالسَّرَائِرِ، حَتَّى إِنَّهُ لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ يَطْلُعَ عَلَى أَحْوَالِهِمْ، وَيَعْرِفَ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ نَفُوسُهُمْ جِئِئاً يَلْبِسُونَ ثِيَابَهُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، فَيَغْطُونَ بِهَا أَجْسَادَهُمْ، وَيَأْوُونَ إِلَى فِرَاشِهِمْ، ثُمَّ يَعْلَمُ مَا يُعْلِنُونَهُ نَهَاراً، وَمَا يُسْرُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ.

يَتَنَوَّنُونَ صُدُورَهُمْ - يَطْوُونَهَا عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِدَاوَةِ.
يَسْتَحْفُونَ ثِيَابَهُمْ - يَتَغَطُّونَ بِهَا مَبَالِغَةً فِي الِاسْتِحْفَاءِ.
لِيَسْتَحْفُوا مِنْهُ - مِنَ اللَّهِ جَهلاً مِنْهُمْ.

(كِتَاب)

(٦) - وَلَيَعْلَمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ وَعِلْمَهُ شَامِلَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، فَلَا تَوْجَدُ دَابَّةً تَتَحَرَّكُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا وَقَدْ تَكْفُلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِرِزْقِهَا، وَيَعْلَمُ مَكَانَ اسْتِقْرَارِهَا فِي حَالِ حَيَاتِهَا، وَالْمَكَانَ الَّذِي تُودِعُ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مُسْجَلٌ عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ.

(السَّمَاوَاتِ) (وَلِئِنْ)

(٧) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. وَكَانَ عَرْشُهُ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى الْمَاءِ (وَعَرْشُ الرَّحْمَنِ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ، وَلَا تَتَصَوَّرُهُ أَفْكَارُ الْبَشَرِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِدْرَاكَ كُنْهِ اسْتَوَائِهِ عَلَيْهِ)، وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْبَشَرَ وَمَكَّنَهُمْ فِي الْأَرْضِ لِيَخْتَبِرَهُمْ (لِيَبْلُوَهُمْ)، وَلِيَرَى أَتَاهُمْ سَيِّئُونَ أَعْمَالاً. وَلَا يَكُونُ الْعَمَلُ حَسَناً إِلَّا إِذَا كَانَ خَالِصاً لِلَّهِ، وَمُؤَافِقاً لِلشَّرْعِ، وَمَتَى فَقَدْ الْعَمَلُ وَاحِداً مِنْ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ حَبَطَ وَبَطَلَ. وَإِذَا أُخْبِرْتَ يَا مُحَمَّدُ، هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ اللَّهَ سَيَبْعَثُهُمْ، بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، كَمَا بَدَأَ خَلْقَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَسَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ مَا تَقُولُ مِنْ وَقُوعِ الْبَعْثِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِمَا تَقُولُ إِلَّا مِنْ سِحْرَتِكَ أَنْتَ، فَهُوَ الَّذِي يُنَابِعُكَ وَيُصَدِّقُ قَوْلَكَ هَذَا.

لِيَبْلُوَكُمْ - لِيَخْتَبِرَكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَمْرِكُمْ.
أَحْسَنَ عَمَلًا - أَكْثَرَ طَاعَةً لِلَّهِ، وَأَكْثَرَ تَوَرُّعاً عَنْ مُقَارَفَةِ مَحَارِمِهِ.

٥ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُونَ صُدُورَهُمْ

لِيَسْتَحْفُوا مِنْهُ الْأَحْيَانِ

لِيَسْتَعْمِلُوا شِيَابَهُمْ يَعْلَمُ

مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ



٦ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي

الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا

كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

٧ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى

الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتِ

إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ

الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ

(وَلَيْنَ) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(٨) - وَإِذَا أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أَجَلٍ (أُمَّةٍ) مُؤَكَّدٍ مَحْصُورٍ، فَسَيَسْأَلُونَ أَسْتَهْزِئَ مَا الَّذِي يَمْنَعُ مِنْ وَقُوعِ الْعَذَابِ الَّذِي يُنْذِرُ بِهِ الرَّسُولُ؟، فَقَدْ أَلْفَتْ نَفُوسُهُمُ الشُّكَّ وَالتَّكْذِيبَ. وَلَكِنْ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي يَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَنْ يُصْرِفَ عَنْهُمْ، وَسَيُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. أُمَّةٌ مَعْدُودَةٌ - طَائِفَةٌ مِنَ الْأَيَّامِ قَلِيلَةٌ الْعَدَدِ - أَوْ أَجَلٍ مُؤَكَّدٍ مَحْصُورٍ. حَاقَ بِهِمْ - نَزَلَ وَأَحَاطَ بِهِمْ.

(وَلَيْنَ) (الْإِنْسَانَ) (نَزَعْنَاهَا) (لِيُؤْسَ)

(٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا فِي نَفُوسِ الْبَشَرِ مِنَ الصِّفَاتِ الدِّيمِيَّةِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، فَإِذَا أَصَابَتْهُمْ شِدَّةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ، آغْرَاهُمْ الْيَأْسُ وَالْقَنُوطُ مِنْ أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَكَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ. لِيُؤْسَ - شَدِيدُ الْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ. كَفُورٌ - كَثِيرُ الْكُفْرَانِ بِالنِّعْمَةِ.

(وَلَيْنَ) (أَذَقْنَاهُ)

(١٠) - وَكَذَلِكَ الْحَالُ إِذَا أَصَابَتْهُمْ نِعْمَةٌ، بَعْدَ نِقْمَةٍ وَشِدَّةٍ، فَسَيَقُولُونَ: لَنْ يُصِيبَنَا بَعْدَ هَذَا ضَيْمٌ وَلَا سُوءٌ، وَيَحْمِلُهُمْ ذَلِكَ عَلَى الْفَرَحِ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا، وَعَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي التَّفَاخُرِ عَلَى النَّاسِ، فَيَنْشَغِلَ قُلُوبُهُمْ عَنْ شُكْرِ رَبِّهِمْ عَلَى نِعْمِهِ عَلَيْهِمْ. ضُرَاءٌ مَسْتَهٌ - نَائِبَةٌ أَوْ نَكْبَةٌ أَصَابَتْهُ. إِنَّهُ لَفَرَحٌ - لَيَطِرُ بِالنِّعْمَةِ، مُغْتَرٌّ بِهَا. فَخُورٌ - عَلَى النَّاسِ بِمَا أُوتِيَ مِنَ النِّعْمَةِ.

(الصَّالِحَاتِ) (أُولَئِكَ)

(١١) - وَيَسْتَشْنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْإِنْسَانِ اللَّجُوجِينَ الْقَنُوطِينَ، الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ، إِيمَانًا بِاللَّهِ، وَاحْتِسَابًا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ، فَهَؤُلَاءِ سَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ بِمَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الضَّرَاءِ، وَسَيَجْزِيهِمْ أَجْرًا كَبِيرًا بِمَا أَسْلَفُوا فِي زَمَنِ الرِّخَاءِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ.

(ضَائِقٍ)

(١٢) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يَلَاقِيهِ مِنْ عَنَتِ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْ تَقَوُّلِهِمْ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَارِكُ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّسُولُ إِبْلَاحَ الْمُشْرِكِينَ

وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى

أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ

مَا يَحْسِبُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ

مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ

مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا

رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ

لَيُؤْسُ كَفُورٌ

وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضُرَاءٍ

مَسْتَهٌ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ

عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ

وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ

إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ

يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كِتَابٌ

بَعْضَ مَا يُوحِيهِ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ سَمَاعُهُ، كَالْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ،
وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ، وَضَائِقَ صَدْرِكَ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ؟ ثُمَّ أَرْشَدَ اللَّهُ تَعَالَى
رَسُولَهُ ﷺ إِلَى أَنْ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَضِيقَ صَدْرُهُ بِذَلِكَ، وَأَنْ لَا يَصْرِفَهُ ذَلِكَ وَلَا
يُثْنِيهِ عَنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ، أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَأَنْ لَا يَتَضَايَقَ
مِنْ قَوْلِهِمْ: لِمَ أَذًا لَا يَنْزِلُ رَبُّهُ عَلَيْهِ كَنَزًّا، أَوْ يُرْسِلُ مَعَهُ مَلَكًا يُصَدِّقُهُ، أَوْ
غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُتَعَتَّةِ... وَيُخَبِّرُ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنَّهُ نَذِيرٌ مِنَ اللَّهِ
إِلَى النَّاسِ، يُبَلِّغُهُمْ مَا يُؤْمَرُ بِإِبْلَاغِهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ لَوْ
شَاءَ، وَهُوَ الْوَكَيلُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ.
وَكَيْلٌ - قَائِمٌ بِهِ، حَافِظٌ لَهُ.

(اِفْتَرَاهُ) (مُفْتَرِيَاتٍ) (صَادِقِينَ)

(١٣) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى إِعْجَازَ الْقُرْآنِ، وَيُرَدُّ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ فِي
قَوْلِهِمْ: إِنْ مُحَمَّدًا أَفْتَرَى الْقُرْآنَ، وَأَتَى بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ،
أَفْتِرَاءً مِنْهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ وَتَزْعُمُونَ فَاتُوا
بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ، وَاسْتَعِينُوا بِكُلِّ مَنْ اسْتَطَعْتُمْ فِي ذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ: إِنَّهُ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ. وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ
مُحَمَّدٍ فَمِنْ الْمَقْرُوضِ أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ قَوْلَ مِثْلِهِ لِأَنَّ مُحَمَّدًا مِنْهُمْ.
(١٤) - ثُمَّ يُشْعِرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعَجْزِهِمْ عَنْ ذَلِكَ، وَيَقُولُ لِلرُّسُولِ ﷺ
وَالْمُؤْمِنِينَ: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِلَى مَا طَلَبْتُمْ مِنْهُمْ الْإِتْيَانُ بِعَشْرِ سُورٍ
مِنْ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْبَشَرَ لَا
يَسْتَطِيعُونَ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ، وَأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَاسْلِمُوا لَهُ، وَأَخْلِصُوا إِلَيْهِ فِي إِيمَانِكُمْ.

(الْحَيَاةِ) (أَعْمَالُهُمْ)

(١٥) - مَنْ كَانَ يَطْلُبُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالتَّمَتُّعَ بِلَذَائِهَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ،
وَزِينَتِهَا مِنَ الثِّيَابِ وَالْأَثَاثِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، دُونَ اسْتِعْدَادٍ لِلْحَيَاةِ
الْآخِرَةِ بِعَمَلِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَتَرْكِ النَّفْسِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ، نُوذُّ
إِلَيْهِمْ ثَمَرَاتِ أَعْمَالِهِمْ وَافِيَةً تَامَةً، وَلَا يَنْقُصُونَ شَيْئًا مِنْ نِتَاجِ كَسْبِهِمْ
لِاجْتِلَاءِ كُفْرِهِمْ، لِأَنَّ مَذَارِ الْأَرْزَاقِ عَلَى الْأَعْمَالِ لَا عَلَى النِّيَّاتِ
وَالْمَقَاصِدِ، فَجَزَاءُ الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا مُنَوِّطٌ بِأَمْرَيْنِ: كَسْبِ الْإِنْسَانِ،
وَقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

وَأَمَّا جَزَاءُ الْآخِرَةِ فَهُوَ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِلا وَسَاطَةِ أَحَدٍ.
لَا يُنْخَسُونَ - لَا يَنْقُصُونَ شَيْئًا مِنْ أَجُورِ أَعْمَالِهِمْ.

أَوْحَاءَ مَعَهُ مَلِكٌ إِنَّمَا أَنْتَ
نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَكَيلٌ

١٣ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا
بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

١٤ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّمَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنَّ اللَّهَ
إِلَهُهُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

١٥ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ
فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ

(أُولَئِكَ) (الْآخِرَةِ) (وَبَاطِلُ)

(١٦) - وهؤلاء الذين لا هم لهم إلا الدنيا، وزينتها، وزخرفها... ليس لهم في الآخرة إلا النار، لأن الجزاء فيها مترتب على الأعمال في الدنيا، وهم لم يعملوا في دنياهم لإجرتهم شيئاً لينتفعوا به. حبط - هلك وبطل.

(كِتَابُ) (أُولَئِكَ)

(١٧) - أَمَنْ كَانَ عَلَى نُورٍ وَبَصِيرَةٍ فِي دِينِهِ - وهو محمد وكل مؤمن تابعه على دينه - وَيُؤَيِّدُهُ نُورٌ غَيْبِيٌّ يَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ، وهو القرآن المشرق بالنور والهدى، وَيُؤَيِّدُهُ شَاهِدٌ آخَرُ جَاءَ قَبْلَهُ، وهو الكتاب الذي أنزله الله على موسى، حَالُ كُونِهِ إِمَاماً مُتَّبِعاً فِي الْهُدَى وَالتَّشْرِيعِ، وَرَحْمَةً لِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَمَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الْأَوْصَافِ، كَمَنْ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا الْفَانِيَّةَ، وَيَطْلُبُ مَحْرُوماً مِنَ الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَى سَعَادَةِ الدَّارِ الْآخِرَةِ الدَّائِمَةِ؟

وهؤلاء الذين جمعوا بين البينة الموهوبة، والبينة المكتسبة، ليؤمنوا بهذا القرآن إيماناً يقيناً وإدعاناً، ويحرمون أنه من عند الله. أما من يكفر بهذا القرآن، ويحسد في أنه من عند الله، ممن تحزب من أهل مكة، وزعماء قريش لصد الناس عنه، فإن مصيره سيكون في نار جهنم من جراء تكذيبه لوعيد الله.

فَلَا تَكُنْ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ. وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْإِيمَانِ الْكَامِلِ.

(أُولَئِكَ) (الْأَشْهَادُ) (الظَّالِمِينَ)

(١٨) - يُبَيِّنُ اللَّهُ حَالَ الْمُفْتَرِينَ عَلَيْهِ، وَفَضِيحَتَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مِنَ الْخَلَائِقِ، وَيَقُولُ تَعَالَى: لَا أَحَدَ أَكْثَرَ ظُلْماً مِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فِي أَقْوَالِهِ أَوْ فِي أَحْكَامِهِ، أَوْ فِي صِفَاتِهِ، أَوْ فِي الزَّعْمِ أَنَّهُ اتَّخَذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَداً، أَوْ فِي تَكْذِيبِ مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ... وَيُعْرَضُ هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَبِّهِمْ لِمَحَاسِبَتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، وَيَقُولُ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ لِلشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَصَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ: (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، وَأَفْتَرَوْا، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ).

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: إِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يُذْنِبُ الْمُؤْمِنُ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَّهُ، وَيَسْتُرُهُ عَنِ النَّاسِ، وَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ عَرَفْتَ ذَنْبَ

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

أَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ

كَذَا، أَتَعْرِفُ كَذَا، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَهُ وَفِيهِ حَسَنَاتُهُ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

(بِالْآخِرَةِ) (كَافِرُونَ)

(١٩) - وَيُعْرِفُ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَمْنَعُونَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَيَسْعَوْنَ لِأَنْ تَكُونَ سَبِيلُ اللَّهِ مُعْجَزةً، مُوَافِقةً لِشَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَيَكْفُرُونَ بِالْآخِرَةِ، وَيُكَذِّبُونَ بِوُفُوعِهَا.

يَتَّبِعُونَهَا عِوَجًا - يَطْلُبُونَهَا مُعْجَزةً، أَوْ ذَاتَ اعْوِجَاجٍ.

(أُولَئِكَ) (يُضَاعَفُ)

(٢٠) - إِنَّ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ، لَمْ يَكُونُوا بِالَّذِينَ يُعْجِزُونَ اللَّهَ بِهَرَبِهِمْ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ، إِذَا أَرَادَ عِقَابُهُمْ، بَلْ هُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَتَحْتِ قَهْرِهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَنْفَعَهُمْ، أَوْ أَنْ يَنْصُرَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يُؤَخِّرُ عِقُوبَتَهُمْ وَالْإِنْتِقَامَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُضَاعَفُ لَهُمْ الْعَذَابُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّهُ جَعَلَ لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَقَفُوا صَمًّا عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، غُمِيًّا عَنِ اتِّبَاعِهِ.

مُعْجِزِينَ - فَاتَّيْنِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِالْهَرَبِ.

(أُولَئِكَ)

(٢١) - لَقَدْ خَسِرَ هَؤُلَاءِ أَنْفُسَهُمْ، وَغَنَوْنَهَا حَظَّهَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِأَفْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ، وَاشْتِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى، لِأَنَّهُمْ ادْخَلُوا النَّارَ، وَلَا قُوَّةَ عَذَابًا لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ، وَلَا يَتَوَقَّفُ، وَغَابَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَهُ عَلَى اللَّهِ مِنْ نِسْبَةِ الْأَنْدَادِ وَالشُّرَكَاءِ، وَالْأَبْنَاءِ إِلَيْهِ، فَلَمْ تَنْفَعَهُمْ أَصْنَامُهُمْ، وَلَا أَوْلَادُهُمْ شَيْئًا مِنَ اللَّهِ.

(الْآخِرَةِ)

(٢٢) - وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ النَّاسِ خُسْرَانًا. لِأَنَّهُمْ اعْتَصَمُوا عَنِ الْجَنَّةِ بِالْجَحِيمِ، وَعَنِ الْمَغْفِرَةِ بِالْعَذَابِ. لَا جَرَمَ - لَا شَكَّ، أَوْ لَا مَحَالَةَ أَوْ حَقًّا، أَوْ حَقًّا وَبَيِّنًا.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٢٣) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْأَسْفِيَاءِ فِي الْآخِرَةِ، ثَنَّى بِذِكْرِ حَالِ

﴿١٩﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ

فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ

﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

﴿٢٢﴾ لَاجِرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ

الْأَخْسَرُونَ

﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَآخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ



﴿٢٤﴾ مثلَ الْفَرِيقَيْنِ

كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ

وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِلَى

لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ

﴿٢٦﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ

﴿٢٧﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

قَوْمِهِ مَا نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا

مِثْلَنَا وَمَا نَرَبُّكَ أَتَبَعَكَ

إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِي

الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ

فَضْلٍ بَلْ نُنَظِّكُمْ كَذِبِينَ

السُّعَدَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَخَشَعَتِ نَفْسُهُمْ، وَأَطْمَأَنَّتْ إِلَى رَبِّهِمْ، وَتَرَكُوا الْمُتَنَكَّرَاتِ، فَوَرثُوا الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ لَا يُوصَفُ، بِعَمَلِهِمْ، وَأَسْتَكَانَتْهُمْ لِهَ، وَخَضَعَتْهُمْ لَهُ. وَيَكُونُونَ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ أَبَدًا. اخْبِتُوا إِلَى رَبِّهِمْ - أطمأنوا إلى وعده، أو خشعوا له.

(٢٤) - وَضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ، أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالْجَنَّةِ، وَلِحَالِ الْكَافِرِينَ، أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالْعَذَابِ فَقَالَ: إِنَّ الْكَافِرِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالْعَذَابِ مِثْلُهُمْ مِثْلُ الْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ الَّذِي لَا يَبْصُرُ وَلَا يَسْمَعُ، وَلَا يَهْتَدِي إِلَى خَيْرٍ. وَمِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ النَّعِيمِ كَمِثْلِ الْبَصِيرِ السَّمِيعِ الَّذِي يَتَّبِعُ الْخَيْرَ، وَيَتْرُكُ الشَّرَّ، وَهُوَ سَمِيعٌ لِلْحُجَّةِ فَلَا يَرُوجُ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ. فَهَلْ يَسْتَوِي هَذَانِ حَالًا؟ كَلَّا إِنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ مِنَ التَّبَاطُؤِ، وَفِيمَا بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّمَايُزِ فَتَعَبَّرُوا وَتَسِيرُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ، وَتَبْتَغُوا عَنْ طَرِيقِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ؟.

(٢٥) - كَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَشْرَكُوا، وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مِنْ اللَّهِ أُبَيِّنُ لَكُمْ طَرِيقَ النِّجَاةِ، فَاْمِنُوا بِهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ.

(٢٦) - وَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لِأَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِذَا أَقْمَنْتُمْ عَلَى شُرَكَائِكُمْ وَكُفَرْتُمْ بِرَبِّكُمْ، وَعِبَادَةَ غَيْرِهِ تَعَالَى.

(نَرَاكَ) (كَاذِبِينَ)

(٢٧) - فَرَدَّ السَّادَةُ الْكِبَرَاءُ (الْمَلَأُ) عَلَيْهِ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَهُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَهُمْ، وَلَيْسَ مَلَكًا مُنْزَلًا مِنَ السَّمَاءِ، فَكَيْفَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، وَاخْتَارَهُ لِلرَّسَالَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ؟ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْهُ إِلَّا الْأَرَادِلُ الْأَخْيَاسُ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَتَّبِعْهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالرُّؤَسَاءِ. ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَتَّبِعُوهُ عَنْ فِكْرٍ وَنَظَرٍ وَتَمَحُّصٍ، وَإِنَّمَا أَجَابُوهُ قَوْلَ دَعْوَتِهِ بِإَاهُمْ (بَادِي الرَّأْيِ - أَي فِي أَوَّلِ بَادِي).

وَقَالُوا لَهُ آخِرًا: إِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ نُوحَ وَأَصْحَابَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ وَلَا مِيزَةٍ، فِي الْخَلْقِ وَلَا فِي الْحَالِ، وَلَا فِي الْقُوَّةِ، وَلَا فِي الْعِلْمِ لِيَتَّبِعُوهُ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَأَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّ نُوحًا كَاذِبٌ فِيمَا يَدْعُوهُ مِنْ نُبُوَّةٍ، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ كَاذِبُونَ فِيمَا يَدْعُوهُ لِنَفْسِهِمْ مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَاحِ وَالْعِبَادَةِ.

الْمَلَأَ - السَّادَةُ وَالْكِبَرَاءُ.

بَادِي الرَّأْيِ - ظَاهِرُهُ دُونَ تَعَمُّقٍ وَلَا تَثَبُّتٍ.

(يَا قَوْمِ) (أَرَأَيْتُمْ) (وَاتَّانِي) (كَارِهُونَ)

(٢٨) - فَرَدَّ عَلَيْهِمْ نُوحٌ قَائِلًا: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ وَأَمْرٌ جَلِيلٌ وَبُيُوتٌ صَادِقَةٌ، وَهِيَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ أَتَانِي إِثَابُهَا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ خَفِيتُ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ، فَلَمْ تَهْتَدُوا إِلَيْهَا، وَلَا عَرَفْتُمْ قُدْرَتَهَا، بَلْ بَادَرْتُمْ إِلَى تَكْذِيبِهَا وَرَدِّهَا، أَفُنَجِّبُكُمْ عَلَى قَبُولِهَا وَالْأَخْذِ بِهَا وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ؟ أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي

عَمِيتُ عَلَيْكُمْ - أَخْفَيْتُ عَلَيْكُمْ.

(يَا قَوْمِ) (أَسْأَلُكُمْ) (آمَنُوا) (مُلَاقُوا) (أَرَاكُمْ)

(٢٩) - وَأَنَا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى نُصْجِي لَكُمْ، وَدَعَوَتِي إِثَابَكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَخُدَّةٍ، مَالًا أَخْذُهُ مِنْكُمْ أَجْرَةً عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ وَخُدَّةً، وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ طَرْدَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا طَلَبْتُمْ مِنِّي، اسْتِعْلَاءُ مِنْكُمْ عَلَيْهِمْ، وَتَحَاشِيًا مِنَ الْجُلُوسِ مَعَهُمْ، لِأَنَّهُمْ سَيَلْفُونَ رَبَّهُمْ، وَسَيَسْأَلُنِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، وَإِنِّي لَأَرَاكُمْ قَوْمًا تَنَجَّأُونَ فِي طَلَبِكُمْ الْحَقَّ وَالصَّوَابَ، إِلَى الْجَهْلِ وَالْبَاطِلِ، وَلَا تَذَرِكُونَ أَنْ مَا يَصُحُّ أَنْ يَتَفَاضَلَ فِيهِ الْخَلْقُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الْإِيمَانُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، لَا الْمَالُ، وَلَا الْحَسَبُ وَلَا الْجَاهُ.

(وَيَا قَوْمِ)

(٣٠) - إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا طَرَدْتُ أَنَا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَاتَّبَاعِهِمْ إِيَّايَ فِيمَا بَلَّغْتُهُمْ، أَكُونُ قَدِ ارْتَكَبْتُ جُرْمًا عَظِيمًا، فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ مَوْلَاهُمْ؟ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ النَّاسِ جَمِيعًا، وَأَنَّهُ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ عِنْدَهُ إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؟

(خَزَائِنِ) (الظَّالِمِينَ)

(٣١) - يُخْبِرُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى وَخُدَّةٍ، وَلَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ أَجْرًا، وَهُوَ مُكَلَّفٌ بِدَعْوَةِ النَّاسِ جَمِيعًا، الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَمَنْ اسْتَجَابَ لَهُ فَقَدْ أَفْلَحَ وَنَجَا وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي خَزَائِنِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ، إِلَّا مَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَلِكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، بَلْ هُوَ بَشَرٌ مِثْلَهُمْ وَمِنْهُمْ، مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ رَبِّهِمْ، وَمُؤَيَّدٌ بِمُعْجَزَاتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَقُولُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ يَحْتَرِقُونَهُمْ وَيَزْدَرُونَهُمْ: إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ

﴿٢٨﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى

بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَلَى رَحْمَةٍ

مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتُ عَلَيْكُمْ

أَنْزَلْتُكُمْ مَكُومَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ

﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا

أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ

مُلْكُهُمْ أَوْ يَزِيدُهُمْ وَلِكُلِّ أَرْكَكُمْ

قَوْمًا تَجْهَلُونَ

﴿٣٠﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ

طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

﴿٣١﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي

مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي

أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ

أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا

لَمِنَ الظَّالِمِينَ

اللَّهُ ثَوَابٌ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا فِي
نُفُوسِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ، حَقًّا وَصِدْقًا فَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ جَزَاءُ الْحُسْنَى،
وَإِنَّهُ إِنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

خَزَائِنُ اللَّهِ - خَزَائِنُ رَزْقِهِ وَمَالِهِ.
تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ - تَسْتَحْفِرُهُمْ وَتَسْتَهْزِئُ بِهِمْ.

(يَا نُوحُ) (جَادَلْتَنَا) (جِدَالَنَا) (الصَّادِقِينَ)

(٣٢) - قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ يَرُودُونَ عَلَى مَقَالَتِهِ هَذِهِ: لَقَدْ جَادَلْتَنَا يَا
نُوحُ وَحَاجَجْتَنَا، فَأَكْثَرْتَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى أَمْلَلْنَا، وَلَمْ يَعُدْ لَدَيْنَا شَيْءٌ
نَقُولُهُ، وَنَحْنُ لَنْ تَتَّبِعَكَ، فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا مِنَ النِّقْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَأَذْعُ عَلَيْنَا
بِمَا شِئْتَ، وَلَيَأْتِنَا الْعَذَابُ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَدْعِيهِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُنَا
عَلَى عِصْيَانِهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ عِقَابِ الْآخِرَةِ.

(٣٣) - قَالَ لَهُمْ نُوحٌ: أَنَا لَا أَمْلِكُ الْعَذَابَ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، إِنَّمَا
الَّذِي سَيَأْتِيكُمْ بِهِ، وَيُعْجِلُ الْعِقَابَ لَكُمْ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.
مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ - بِفَاتِيئِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِالْهَرَبِ.

(٣٤) - وَأَيُّ شَيْءٍ يُفِيدُكُمْ نَصِيحِي وَإِبْلَغِي إِيَّاكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي إِنْ أَرَادَ
اللَّهُ أَنْ يُضِلَّكُمْ وَيُغْوِيَكُمْ؟ فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَا لِكُ أَرْمَةِ الْأُمُورِ، الْمُتَصَرِّفِ
الْمُطْلَقِ، الْعَادِلِ الَّذِي لَا يَجُورُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ النَّاسُ، يَوْمَ الْحِسَابِ،
لِيَجْزِيَ كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، وَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ النَّصِيحَ إِنَّمَا
يَقْبَلُهُ الْمُسْتَعِدُّ لِلرَّشَادِ، وَيَرْفُضُهُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْعِيَّ وَالْفَسَادُ.
أَنْ يُغْوِيَكُمْ - أَنْ يُضِلَّكُمْ.

(افْتَرَاهُ)

(٣٥) - أَمْ يَقُولُ مُشْرِكُو مَكَّةَ: إِنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَى خَبَرَ نُوحٍ، وَجَاءَ بِهِ مِنْ
عِنْدِهِ؟ فَقُلْ لَهُمْ: إِنْ أَنَا افْتَرَيْتُهُ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ وَعِقَابُهُ عَلَيَّ، وَاللَّهُ
تَعَالَى لَا يَفْعَلُ عَنْ عُقُوبَةٍ مَنْ يَقْتَرِي عَلَيْهِ الْكَذِبَ، وَأَنْتُمْ لَا تَتَحَمَّلُونَ مَعِيَ
شَيْئًا مِنْ ذُنُوبِي هَذَا، كَمَا أَنَّنِي بَرِيءٌ مِنَ الْإِجْرَامِ الْمُتَمَثِّلِ بِكُفْرِكُمْ،
وَتَجَاوُزِكُمْ الْحَقَّ.

فَعَلَيْ إِيْجْرَامِي - فَعَلَيْ عِقَابِ مَا أَكْتَسَبْتُهُ مِنْ ذَنْبٍ.

(أَمِنْ) (تَبَتُّسُ)

(٣٦) - لَمَّا اسْتَعْجَلَ قَوْمُ نُوحٍ عَذَابَ رَبِّهِمْ، وَنَقَمَتَهُ، وَقَالُوا لَهُ أَتَيْنَا بِمَا
تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، دَعَا نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ
الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا. فَأَوْحَى تَعَالَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ
قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ آمِنٌ مِنْ قَبْلُ، فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي

٣٢ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا

فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأَنْشَأْنَا
تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

٣٣ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ

٣٤ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ

٣٥ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ

افْتَرَيْنَاهُ فَعَلَى إِيْجْرَامِي وَأَنَا
بَرِيءٌ مِمَّا تُجْعِلُونَ

٣٦ وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ

مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا
تَبْتَسِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

السَّيِّئِ الْخَوَالِي، مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ وَالْإِذَاءِ، وَلَا يَهْمُكَ أَمْرُهُمْ.
فَلَا تَبْشِيرُ - فَلَا تَحْزَنُ.

(تَخَاطَبْنِي)

(٣٧) - وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدَهُ نُوحًا أَنْ يَصْنَعَ سَفِينَةً (فُلْكَأ) حَسَبَ التَّعْلِيمَاتِ الَّتِي يَتْلَقَاهَا، وَخِيَا مِنْ رَبِّهِ لِيُنْجِيَهُ هُوَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهَا. وَيُخَيِّرُ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنَّهُ مَشْمُولٌ بِالْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالرَّعَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَأَنَّهُ سَيُغْرَقُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ.
بِأَعْيُنِنَا - بِحِفْظِنَا وَرِعَايَتِنَا الْكَامِلَتَيْنِ.

(٣٨) - وَأَخَذَ نُوحٌ يَصْنَعُ السَّفِينَةَ، فَكَانَ كِبْرَاءُ قَوْمِهِ يَمُرُونَ عَلَيْهِ، وَيَرَوْنَ مَا يَصْنَعُ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَيُكْذِبُونَهُ فِيمَا يَتَوَعَّدُهُمْ بِهِ مِنَ الْغَرَقِ، فَكَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا لِنُرْوِيَنَّكُمْ مَا لَا تَتَصَوَّرُونَهُ مُفِيداً يَوْمَ، فَإِنَّا سَنَسْخَرُ مِنْكُمْ عَذَابًا، جَيْنَمَا يَأْتِي وَعَذَابُ اللَّهِ، وَبِحُلِّ بِكُمْ مَا أَنْذَرَكُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِهِ.

(٣٩) - وَجِئَنَ يَجِيءُ أَمْرُ اللَّهِ حَامِلًا إِلَيْكُمْ عَذَابَهُ الْمَوْعُودَ، فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَطَّ تَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ الَّذِي سَيَحِلُّ بِهِ عَذَابُ اللَّهِ الَّذِي سَيُخْزِيهِ، وَيَذِلُّهُ، بِالْغَرَقِ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَذَابٌ دَائِمٌ سَرْمَدِيٌّ (مُقِيمٌ).

يُخْزِيهِ - يُذِلُّهُ وَيُهِنُّهُ.
يَحِلُّ عَلَيْهِ - يَجِبُ عَلَيْهِ وَيَنْزِلُ بِهِ.

(أَمَنَ)

(٤٠) - وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِنُوحٍ عَلَامَةً عَلَى حُلُولِ الْعَذَابِ بِقَوْمِهِ، وَهِيَ أَنَّ يَهْطِلَ الْمَطَرُ بِصُورَةٍ مُتَوَاصِلَةٍ لَا يَقْلَعُ وَلَا يَقْتَرُ، وَيَتَفَجَّرُ وَجْهُ الْأَرْضِ عُيُونًا تَتَّبِعُ وَتَفُورُ حَتَّى يَقُورَ الْمَاءُ مِنَ التَّنَائِيرِ الَّتِي هِيَ أَمَاكِنُ النَّبَرَانِ، فَجَيْنَمَا يَرَى نُوحٌ ذَلِكَ فَقَالَهُ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَالنَّبَاتَاتِ، رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ ذَكَرَا وَأُنْثَى، وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ فِيهَا أَهْلَهُ (أَهْلَ بَيْتِهِ وَأَقْرَبَاءَهُ)، وَأَسْتَنْتَى تَعَالَى مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِرِسَالَةِ نُوحٍ، وَبِرَبِّ نُوحٍ، وَكَانَ مِنْهُمْ امْرَأَتُهُ وَابْنُهُ. وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَحْمِلَ فِيهَا مَنْ آمَنَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَلَمْ يَكُونُوا كَثِيرِينَ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَارِ التَّنُورُ - نَبَعَ الْمَاءُ وَجَاشَ بِشِدَّةٍ مِنْ تَنُورِ الْحَبْرِ.

٣٧ وَأَصْنَعَ الْفُلْكَأَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا
وَلَا تَخَاطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ

٣٨ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَأَ وَكُلَّمَا مَرَّ
عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا
مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا
نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ

٣٩ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُقِيمٌ

٤٠ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ
قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن
سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا
آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ

(مَجْرَاهَا) (وَمُرْسَاهَا)

(٤١) - فَحَمَلَهُمْ نُوحٌ فِي السَّفِينَةِ وَقَالَ لَهُمْ: ارْكَبُوا فِيهَا بِأَسْمِ اللَّهِ جَرِيهَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَيَأْسِمُ اللَّهُ مُتَهَيِّ سِيرَهَا وَرُسُوهَا، فَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى ذَلِكَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَحِفْظِهِ وَعِنَايَتِهِ، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبِهِ، رَجِيمٌ بِعِبَادِهِ.

مَجْرَاهَا - وَقْتُ إِجْرَائِهَا.

مُرْسَاهَا - وَقْتُ إِرْسَائِهَا.

(يَا بُنَيَّ) (الْكَافِرِينَ)

(٤٢) - وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تَجْرِي بِرَاكِبِيهَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ فِي أَمْوَاجِ كَالْجِبَالِ بَعْدَ أَنْ غَطَى الْمَاءُ الْأَرْضَ، وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ، وَكَانَ كَافِرًا، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُؤْمِنَ وَيَرْكَبَ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ، لِكَيْلَا يَغْرُقَ كَمَا سَيَغْرُقُ الْآخَرُونَ مِنَ الْكَافِرَةِ، وَكَانَ الْابْنُ يَقِفُ فِي مَكَانٍ مُنْعَزِلٍ عَزَلَهُ الْمَاءُ وَأَحَاطَ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. مُنْعَزِلٍ - مَكَانٍ مُنْعَزِلٍ عَزَلَهُ الْمَاءُ.

(سَاوِي)

(٤٣) - فَرَدَّ عَلَيْهِ أَبْنَاهُ قَائِلًا: إِنِّي سَأَلْتُجِيءُ إِلَى قُمَّةِ جَبَلٍ عَالِيَةٍ تَغْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الطُّوفَانَ لَنْ يَبْلُغَ رُؤُوسَ الْجِبَالِ، وَأَنَّهُ إِذَا تَعَلَّقَ بِرَأْسِ جَبَلٍ أُنَجَّاهُ ذَلِكَ مِنَ الْغَرَقِ، فَقَالَ لَهُ نُوحٌ: لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَغْصِمُ الْيَوْمَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ، وَارْتَفَعَ الْمَوْجُ، وَحَالَ دُونَ رُؤْيِهِ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فَكَانَ ابْنُ نُوحٍ مِنَ الْمُغْرَقِينَ. سَاوِي - سَأَلْتُجِيءُ وَأَسْتَنْدُ.

لَا عَاصِمَ - لَا مَانِعَ وَلَا حَافِظَ.

(يَا أَرْضُ) (وَيَا سَمَاءُ) (الظَّالِمِينَ)

(٤٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمَّا غَرَقَ قَوْمَ نُوحٍ كُلَّهُمْ، إِلَّا أَصْحَابَ السَّفِينَةِ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَرْضَ بِأَنْ تَبْلُغَ مَاءَهَا الَّذِي نَبَعَ مِنْهَا، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا، وَأَمَرَ السَّمَاءَ بِأَنْ تَكْفُفَ عَنِ الْمَطَرِ (تَقْلِعَ) وَغِيضَ الْمَاءِ، وَأَخَذَ فِي التَّنَاقُصِ، وَقَضَى أَمْرُ اللَّهِ فَهَلَكَ قَوْمُ نُوحٍ قَاطِبَةً مِمَّنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَاسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ عَلَى جَبَلٍ الْجُودِيِّ (وَقِيلَ إِنَّهُ جَبَلُ قُرْبِ الْمَوْصِلِ)، وَقِيلَ: هَلَاكًا وَخَسَارًا وَبُعْدًا لِلظَّالِمِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. أَقْلِعِي - كَفِّي عَنِ الْمَطَرِ وَأَسْكِبِي.

غِيضَ الْمَاءِ - نَقَصَ وَذَهَبَ فِي الْأَرْضِ.

اسْتَقَرَّتْ عَلَى الْجُودِيِّ - اسْتَقَرَّتْ فَوْقَ جَبَلِ الْجُودِيِّ.

بُعْدًا - هَلَاكًا وَخَسَارًا وَسُحْقًا.

وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا



بِسْمِ اللَّهِ يَجْعَلُهَا

وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ

وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ وَكَانَ

فِي مَعَزِلٍ يَنْبُئُ ارْكَبْ مَعَنَا

وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ

قَالَ سَآوِيَ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي

مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ

الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ

وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ

مِنَ الْمُغْرَقِينَ

وَقِيلَ يَتَّزِأَرْضُ أَبْلَغِي مَاءَكَ

وَيَسْمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ

وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى

الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ

(الْحَاكِمِينَ)

(٤٥) - هَذَا سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ خَالٍ وَلَدِهِ الَّذِي غَرِقَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ ابْنِي هُوَ مِنْ أَهْلِي، وَقَدْ وَعَدْتَنِي بِنَجَاةِ أَهْلِي، وَوَعَدَكَ حَقٌّ لَا يُخْلَفُ، فَكَيْفَ غَرِقَ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَحُكْمُكَ يَصْدُرُ عَنْ كَمَالِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَلَا يَعْزُضُ لَهُ الْخَطَأُ وَالظُّلْمُ؟

(يَا نُوحُ) (صَالِحُ) (فَلَا تَسْأَلُنِ) (الْبَاهِلِينَ)

(٤٦) - فَرَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَائِلًا: يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الَّذِينَ وَعَدْتُكَ بِإِنجَائِهِمْ مَعَكَ فِي السَّفِينَةِ، لِأَنِّي وَعَدْتُكَ بِنَجَاةٍ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِكَ. وَأَبْنُكَ هَذَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، إِذْ إِنَّهُ يَكْفُرُهُ قَدْ انْقَطَعَتِ الْمَوْلَاةُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَقَدْ عَمِلَ أَعْمَالًا غَيْرَ صَالِحَةٍ، فَلَا تَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ لَا عِلْمَ ثَابِتٍ لَكَ بِهِ، وَإِنِّي أَنُهَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ زُمْرَةِ مَنْ يَجْهَلُونَ، فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يُبْطِلَ حُكْمَهُ، وَتَقْدِيرَهُ فِي خَلْقِهِ، اسْتِجَابَةً لِسَهْوَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ.

(أَسْأَلُكَ) (الْخَاسِرِينَ)

(٤٧) - قَالَ نُوحٌ: رَبِّ إِنِّي أَلْتَجِيءُ إِلَيْكَ، وَأُحْتَمِي بِكَ (أَعُوذُ بِكَ) مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ شَيْئًا بَعْدَ الْآنِ لَا أَعْلَمُ الْحَقَّ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لِي بِفَضْلِكَ وَمَنْكَ ذَنْبَ هَذَا السُّؤَالِ، وَتَشْمَلَنِي بِرَحْمَتِكَ، أَكُنْ فِي عِدَادِ الْخَاسِرِينَ.

(يَا نُوحُ) (بِسَلَامٍ) (وَبَرَكَاتٍ)

(٤٨) - وَلَمَّا غِيضَ الْمَاءُ، وَاسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ عَلَى جَبَلٍ الْجُودِيِّ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نُوحًا بِأَنْ يَهْطِلَ مِنَ السَّفِينَةِ، مُتَمَعًا بِسَلَامٍ وَنَجَاةٍ وَبَرَكَاتٍ عَلَى نُوحٍ، وَعَلَى الَّذِينَ مَعَهُ، فِي الْمَعَاشِ وَالْآزْرَاقِ، تَفِيضٌ عَلَيْهِمْ، وَسَيِّكُونُونَ أَمْسًا مُخْتَلِفَةً مِنْ بَعْدِهِ، وَسَيُنَالُ بَرَكَاتُ الْإِيمَانِ بَعْضُهُمْ، وَسَيَكُونُ مِنْهُمْ آخَرُونَ سَيَمْتَعُونَ فِي الدُّنْيَا بِالْبَرَكَاتِ وَالْأَزْرَاقِ لَا يُصِيبُهُمْ لُطْفٌ مِنَ اللَّهِ وَلَا رَحْمَةٌ، كَمَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ سَيُضِلُّهُمْ، وَيُزَيِّنُ لَهُمُ الشُّرْكَ وَالظُّلْمَ وَالْبَغْيَ، ثُمَّ يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

بَرَكَاتٍ - خَيْرَاتٍ ثَابِتَةٍ وَنَامِيَةٍ.

(الْعَاقِبَةُ)

(٤٩) - هَذَا الْقِصْصُ الَّذِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ مِنْ خَبَرِ نُوحٍ وَقَوْمِهِ هُوَ مِنْ أَخْبَارِ الْغَيْبِ السَّالِفَةِ، نَعْلِمُكَ بِهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَخَبْرًا مِنْ إِيَّاكَ كَمَا وَقَعَتْ، وَكَأَنَّكَ شَاهِدُهَا، وَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ، وَلَمْ يَكُنْ قَوْمُكَ يَعْلَمُونَهَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ يُكَذِّبُكَ مِنْهُمْ إِنَّكَ تَعْلَمُهَا مِنْهُ، بَلْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا مُطَابَقَةً لِمَا

٥٣٦ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ

إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ

٥٣٦ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ

إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ

٥٣٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ

أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ

٥٣٦ قِيلَ يَنْتُوخُ أَهْطِ بِسَلَامٍ مِنَّا

وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمُ مَتَاعُ عَذَابٍ أَلِيمٍ

٥٣٦ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا

إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

كَانَتْ عَلَيْهِ مُجْرَيَاتُهَا، كَمَا تَشْهَدُ بِهِ كُتُبُ الْأَنْبِيَاءِ السَّالِفِينَ قَبْلَكَ، فَأَصْبِرْ عَلَى تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَكَ مِنْ قَوْمِكَ، وَأَصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ لَكَ، كَمَا صَبَرَ الرُّسُلُ قَبْلَكَ عَلَى أَدَى أَقْوَامِهِمْ، فَإِنَّا سَنَنْصُرُكَ، وَنَحْوَطُكَ بِعَيْنَيْنَا، وَنَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَكَ، بِالْقُورِ وَالنَّجَاةِ لَكَ وَلِاتِّبَاعِكَ الْمُتَّقِينَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا فَعَلْنَا بِالْمُرْسَلِينَ السَّابِقِينَ إِذْ نَصَرْنَاهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ.

(يَا قَوْمِ)

(٥٠) - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَوْمِ عَادٍ، وَهُوَ مِنْهُمْ (أَخَاهُمْ) لِيَأْمُرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الَّتِي أَفْتَرَوْهَا كَذِبًا، وَاخْتَلَفُوا لَهَا الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ.

(يَا قَوْمِ) (أَسْأَلُكُمْ)

(٥١) - وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ مِنْهُمْ أَجْرًا عَلَى نُصْحِهِ لَهُمْ وَإِبْلَاغِهِ إِيَّاهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَإِنَّمَا يَبْغِي الثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ، الَّذِي خَلَقَهُ عَلَى الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، مُبْرَأً مِنَ الْبِدْعِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَفَلَا تَعْقِلُونَ مَا يُقَالُ لَكُمْ فْتُمِيزُونَ بَيْنَ مَا يَنْصُرُ وَمَا يَنْفَعُ، وَأَنْ مَنْ يَدْعُوكُمْ إِلَى مَا يُضِلُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ غَيْرِ أَجْرَةٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا. فَطَرَنِي - خَلَقَنِي وَأَبْدَعَنِي.

(وَيَا قَوْمِ)

(٥٢) - وَأَمَرَ هُودُ قَوْمَهُ بِاسْتِغْفَارِ رَبِّهِمْ مِنَ الشُّرْكِ، وَمِمَّا أَسْلَفُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَبِإِخْلَاصِ التَّوْبَةِ إِلَيْهِ عَمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ. وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَى رَبِّهِ وَاسْتَغْفَرَهُ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَحَفِظَ شَأْنَهُ، وَأَرْسَلَ السَّمَاءَ عَلَيْهِ بِالْمَطَرِ الْمُتَّبَعِ، فَبَزَادَ قُوَّةَ وَرَفَاهَا.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ هُودُ بِأَنْ لَا يُعْرِضُوا عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَقْلَعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِجْرَامِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَى النَّاسِ. (وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: مَنْ لَزِمَ الْاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).

السَّمَاءُ - الْمَطَرُ.

مَدْرَارًا - مُتَتَابِعًا غَزِيرًا بِلا أَضْرَارٍ.

٥٠ وَلِإِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ

يَنْقُورُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
مُفْتَرُونَ

٥١ يَنْقُورُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ

أَجَرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي
أَفَلَا تَعْقِلُونَ

٥٢ وَيَنْقُورُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ

تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ
قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ

(يَا هُودُ) (آلِهَتِنَا)

(٥٣) - قَالُوا لَهُ: يَا هُودُ إِنَّكَ لَمْ تَأْتِنَا بِحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ (بَيِّنَةٍ) عَلَى صِحَّةِ مَا تَدْعِيهِ مِنْ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَنَحْنُ لَنْ نَتْرَكَ عِبَادَةَ آلِهَتِنَا بِمُجَرَّدِ قَوْلِكَ لَنَا آتَرُكُوا آلِهَتَكُمْ، وَلَنْ نُصَدِّقَكَ فِيمَا تَقُولُ وَتَدْعِي مِنْ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْنَا.

(اعْتَزَّاكَ) (آلِهَتِنَا)

(٥٤) - وَقَالُوا لَهُ: مَا نَنْظُرُ إِلَّا أَنْ يَغْضُ آلِهَتُنَا أَصَابَكَ بِمَسٍّ مِنْ جُنُونٍ وَخَبَالٍ فِي عَقْلِكَ (اعْتَزَّاكَ)، بِسَبَبِ نَهْيِكَ إِيَّانَا عَنْ عِبَادَتِهَا، وَطَعْنِكَ فِيهَا، فَصِرْتَ تَهْذِي بِهَذَا الْكَلَامِ. فَرَدَّ عَلَيْهِمْ هُودٌ قَائِلًا: أَشْهَدُوا أَنْتُمْ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ رَبِّي عَلَى مَا أَقُولُ، بَأَنِّي بَرِيءٌ مِنْ جَمِيعِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ. اعْتَزَّاكَ - أَصَابَكَ.

بِسُوءٍ - بِجُنُونٍ وَخَبَالٍ.

(٥٥) - فَاجْتَمِعُوا أَنْتُمْ وَآلِهَتُكُمْ عَلَى الْكَيْدِ لِي، وَلَا تَتَوَانُوا فِي ذَلِكَ، وَلَا تُقْصِرُوا فِيهِ لَحِظَةً، فَهَوَ لَا يَهْمُنِي، وَلَا يَضُرُّنِي فِي شَيْءٍ. فَيَكِيدُونِي - فَاجْتَمَعُوا فِي الْكَيْدِ لِي وَالضَّرِّ. لَا تَنْظُرُونِ - لَا تَهْمَلُونِي.

(أَخِذْ) (صِرَاطِ)

(٥٦) - إِنِّي وَكَلْتُ أُمُورِي إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ الْحَقُّ، خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا، وَجَعَلَهَا تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ. وَأَفْعَالُهُ تَعَالَى، تَجْرِي عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي مُلْكِهِ. أَمَّا الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ فَهِيَ جِجَارَةٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.

أَخِذْ بِتَأْصِيَّتِهَا - مَالِكُهَا، وَقَادِرٌ عَلَيْهَا.

(٥٧) - فَإِنْ تَوَلَّوْا عَمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّكُمْ وَخَذَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ بِإِبْلَاجِي إِيَّاكُمْ رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَهْلِكَكُمْ وَأَنْ يَأْتِي بِقَوْمٍ غَيْرَكُمْ يَخْلُقُونَكُمْ فِي دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، يَعْبُدُونَهُ وَخَذَهُ، وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يُبَالِي رَبُّكُمْ بِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَضُرُّونَهُ بِكُفْرِكُمْ وَإِعْرَاضِكُمْ، بَلْ يَعُودُ وَبَالَ كُفْرِكُمْ عَلَيْكُمْ وَخَذَكُمْ، وَرَبِّي رَقِيبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَأَنْتُمْ بِالْحَفِظِ عَلَيْهِ. حَفِظٌ - رَقِيبٌ مُهَيِّمٌ.

(٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ

وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ

(٥١) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَزْنَاكَ بَعْضُ

آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ

(٥٥) مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ

لَا تَنْظُرُونَ

(٥٦) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ

مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ

بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ

(٥٧) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ

بِهِ إِلَيْكُمْ وَبَسْ خَلَفَ رَبِّي قَوْمًا

غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ

(آمَنُوا) (وَنَجَّيْنَاهُمْ)

(٥٨) - وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بِإِهْلَاكِ قَوْمِ عَادٍ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ، فَأَهْلَكَهُمْ بِهَا جَمِيعًا، وَلَمْ يَتْرَكْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَيًّا. وَنَجَّى اللَّهُ هُودًا وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ، مِنَ الْعَذَابِ الْغَلِيظِ الَّذِي أَنْزَلَهُ بِقَوْمِ عَادٍ غَلِيظٌ - شَدِيدٌ مُضَاعَفٌ.

(بَيِّنَاتٍ)

(٥٩) - وَكَانَ ذَلِكَ مَصِيرَ قَوْمِ عَادٍ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَانْكُرُوا آيَاتِهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ (لأنَّ مَنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَقَدْ كَذَّبَ الرُّسُلَ جَمِيعًا). وَأَتَّبَعَ الذُّهْمَاءُ مِنْهُمْ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ رُؤُسَائِهِمْ، وَقَادَتِهِمُ الطُّغَاةُ، الَّذِينَ يَأْتُونَ الْحَقَّ، وَلَا يَذْعَنُونَ لَهُ وَإِنْ قَامَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ. جَبَّارٌ - يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجْبِرَ غَيْرَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ. عَنِيدٌ - طَاغٍ مُعَانِدٌ لِلْحَقِّ، مُجَانِبٌ لَهُ.

(الْقِيَامَةِ)

(٦٠) - وَسَبَّبَ كُفْرَهُمْ هَذَا وَعُتُوَّهُمْ، اسْتَحَقُّوا مِنَ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ، لَعْنَةً فِي الدُّنْيَا كُلَّمَا ذُكِرُوا، وَتَتَّبِعُهُمُ اللَّعْنَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَمَا يُنَادَى عَلَيْهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ: أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ. بُعْدًا - هَلَاكًا وَخَسَارًا.

(صَالِحًا) (يَا قَوْمِ)

(٦١) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ بَعَثَ إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ رَسُولًا مِنْهُمْ هُوَ صَالِحٌ (وَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا يَسْكُنُونَ مَدَائِنَ الْحِجْرِ بَيْنَ تَبُوكَ وَالْمَدِينَةِ، وَكَانُوا بَعْدَ قَوْمِ عَادٍ) فَأَمَرَهُمْ صَالِحٌ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، وَجَعَلَكُمْ تُعْمَرُونَ الْأَرْضَ، وَتَسْتَعْمِلُونَهَا، فَاسْتَغْفِرُوا عَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ ذُنُوبٍ، وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَهُ، فَإِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ، يَسْمَعُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا، مُخْلِصًا فِي دَعْوَتِهِ. اسْتَغْمَرَكُمْ فِيهَا - جَعَلَكُمْ عَمَارًا وَسُكَّانَهَا.

(يَا صَالِحُ) (اتَّهَنَّا) (أَبَاؤُنَا)

(٦٢) - فَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْمُهُ قَائِلِينَ: لَقَدْ كُنْتَ مَحَطَّ رَجَائِنَا وَأَمَلِنَا قَبْلَ أَنْ تَتَّهَنَا عَنْ أَنْ نَعْبُدَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَسْلَافُنَا، وَقَبْلَ أَنْ تَدْعُونَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ كَبِيرٍ مِمَّا جِئْتَنَا بِهِ. مُرِيبٌ - مُوقِعٌ فِي الرَّيْبَةِ وَالْقَلْقِ.

٥٨ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ

٥٩ وَتِلْكَ آيَاتُ جَدِّكَ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ

السَّلَامُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ

٦٠ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ يَوْمِ

الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ



٦١ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ

٦٢ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ

(يَا قَوْمِ) (أَرَأَيْتُمْ) (وَاتَّانِي)

(٦٣) - فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: هَلْ تَرَوْنَ لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ عَلَى هُدًى وَبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي تَجْعَلُنِي عَلَى يَمِينٍ مِنْ أَنْ هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ، وَأَنَّهُ أَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْهُ فَأَخْتَارَنِي لِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ عَصَيْتُهُ فِيمَا أُرْسَلَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، وَتَرَكْتُ دَعْوَتَكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَّه، فَمَنْ يَنْصُرُنِي وَيُجِيرُنِي مِنَ اللَّهِ حِينَئِذٍ؟ إِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ نَفْعِي إِنْ عَصَيْتُهُ، وَلَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ خَسَارَةٍ عَلَى خَسَارَةٍ (تَخْسِيرٍ)، إِنْ أَثَرْتُ مَا عِنْدَكُمْ عَلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأَشْتَرَيْتُمْ رِضَاكُمْ بِسُخْطِهِ.

أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي.

بَيِّنَةٍ - يَقِينٍ وَبُرْهَانٍ وَبَصِيرَةٍ.

تَخْسِيرٍ - خُسْرَانٍ - أَوْ خَسَارَةٍ إِثْرُ خَسَارَةٍ.

(يَا قَوْمِ) (آيَةٌ)

(٦٤) - وَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ تَمَازُ عَنْ سَائِرِ الْإِبِلِ فِي أَكْلِهَا وَشَرِبِهَا وَخَلْقِهَا، أُرْسَلَهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ حُجَّةً، وَبُرْهَانًا عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِي إِلَيْكُمْ، فَذَرُوهَا تَسْرُخْ فِي أَرْضِ اللَّهِ، وَلَا تُحَاوِلُوا أَنْ تَمْسُوهَا بِسُوءٍ، فَيُعَاقِبَكُمْ اللَّهُ عَلَى فِعْلِكُمْ الْمُنْكَرِ بِإِهْلَاكِكُمْ بِعَذَابٍ لَا يَتَأَخَّرُ كَثِيرًا عَنْ مَسْكُمُ النَّاقَةِ بِسُوءٍ.

آيَةٌ - مُعْجَزَةٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ النُّبُوَّةِ.

(ثَلَاثَةٌ)

(٦٥) - فَضَاقَتْ ثُمُودٌ بِالنَّاقَةِ وَبِصَالِحٍ، فَفَعَرُوهَا تَحْدِيًا لِصَالِحٍ، وَتَكْذِيبًا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: إِنَّ اللَّهَ سَيَنْتَقِمُ مِنْكُمْ، وَسَيَصُوبُ الْعَذَابَ عَلَيْكُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَتَمَتَّعُونَ خِلَالَهَا، وَهُوَ وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ لَا يَتَخَلَّفُ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ تَكْذِيبٌ.

(صَالِحًا) (آمَنُوا) (يَوْمِيذٍ)

(٦٦) - فَلَمَّا حَلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ، نَجَّى اللَّهُ صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، بِرَحْمَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ اللَّهِ، مِنْ عَذَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَنَكَالِهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الْفَاعِلُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَحَدَّاهُ، وَلَا يُعْجِزَهُ شَيْءٌ.

(دِيَارِهِمْ) (جَائِمِينَ)

(٦٧) - وَبَعْدَ أَنْ نَجَّى اللَّهُ صَالِحًا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، أَخَذَتِ الْكَفَرَةُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، صَبْحَةَ الْعَذَابِ، فَأَنْدَكْتُ بِهِمُ الْأَرْضُ، وَتَزَلَّزَلَتْ وَأَصْبَحُوا هَالِكِينَ، وَهُمْ جَائِمُونَ عَلَى رُكْبِهِمْ، وَمُكَبَّرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ

(٦٣) قَالَ يَقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ

عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ

رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ

إِنْ عَصَيْتُهُ هَلْ تَزِيدُونَنِي

غَيْرَ تَخْسِيرٍ

(٦٤) وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ

لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا

تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا

تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ

عَذَابٌ قَرِيبٌ

(٦٥) فَفَعَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي

دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ

وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ

(٦٦) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ

مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ

رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

(٦٧) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ

فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ

الصَّبِيحَةَ - صَوْتُ مُهْلِكٍ مِنَ السَّمَاءِ.
جَائِمِينَ - هَامِدِينَ مَيِّتِينَ لَا حَرَكَ بِهِمْ.
(ثُمُودَ)

(٦٨) - فَكَانُوا بِسُرْعَةِ زَوَالِهِمْ، وَشُمُولِ هَلَاقِهِمْ، كَانَهُمْ لَمْ يَعْمُرُوا دِيَارَهُمْ، وَلَمْ يَقِيمُوا فِيهَا. وَقَدْ أَخَذَ الْعَذَابُ ثُمُودَ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا رَبَّهُمْ، وَأَشْرَكُوا بِهِ، وَخَالَفُوا عَنْ أَمْرِهِ، أَلَا بُعْدًا لثُمُودَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. لَمْ يَقْنُوا فِيهَا - لَمْ يَقِيمُوا طَوِيلًا فِي رَعْدٍ. بُعْدًا لثُمُودَ - هَلَكَاءَ وَسُخْقًا لثُمُودَ.

(إِبْرَاهِيمَ) (سَلَامًا) (سَلَامًا)

(٦٩) - وَجَاءَ الْمَلَائِكَةُ، رُسُلُ اللَّهِ، إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُبَشِّرُونَهُ بِوَلَادَةِ أَبْنَيْهِ إِسْحَاقَ، فَقَالُوا لَهُ: نُسَلِّمُ عَلَيْكَ سَلَامًا فَقَالَ: وَعَلَيْكُمْ سَلَامٌ. فَذَهَبَ سَرِيعًا فَاتَاهُمْ بِعَجَلٍ مِنَ الْبَقَرِ مَشْوِيٍّ (حَنِيدٍ) وَهُوَ مَا يُوجِبُهُ عَلَيْهِ حَقُّ الضِّيَافَةِ لِلنَّازِلِينَ عَلَيْهِ. عَجَلٍ حَنِيدٍ - عَجَلٍ مَشْوِيٍّ عَلَى حِجَارَةٍ مُحَمَّاةٍ فِي حُفْرَةٍ.

(رَأَى)

(٧٠) - فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَمْدُونُ أَيْدِيَهُمْ إِلَى طَعَامِهِ كَمَا تَقْضِي بِهِ آدَابُ الضِّيَافَةِ، أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ (نَكْرَهُمْ)، وَأَسْتَشْعَرَ مِنْهُمْ الْخَوْفَ، فَقَالُوا: لَا تَخَفْ مِنَّا فَإِنَّا لَا نُرِيدُ بِكَ سُوءًا، وَإِنَّمَا نَحْنُ مُرْسَلُونَ مِنْ رَبِّكَ لِنُهْلِكَ قَوْمَ لُوطَ. نَكْرَهُمْ - أَنْكَرَهُمْ وَتَقَرَّ مِنْهُمْ. أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً - أَسْتَشْعَرَ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ مِنْهُمْ وَأَحْسَنَ بِهِ.

(قَائِمَةً) (فَبَشَّرْنَاهَا) (بِإِسْحَاقَ)

(٧١) - وَكَانَتْ أَمْرًا إِبْرَاهِيمَ (سَارَةً) وَاقِفَةً وَهِيَ تَقُومُ بِخِدْمَةِ الضُّيُوفِ، فَضَحِكَتْ أَسْتَبْشَارًا بِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطَ لِكَثْرَةِ فَسَادِهِمْ، فَبَشَّرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِأَنَّهَا سَيُولَدُ لَهَا وَلَدٌ أَسْمُهُ إِسْحَاقَ، ثُمَّ يَكُونُ لِإِسْحَاقَ خَلْفٌ، فِي حَيَاتِهَا وَحَيَاةِ زَوْجِهَا، وَهُوَ يَعْقُوبُ.

(يَا وَيْلَتَا) (الْأَلَدُ)

(٧٢) - قَالَتْ لَهُمْ سَارَةً: كَيْفَ أَلَدُ وَأَنَا عَجُوزٌ، وَزَوْجِي شَيْخٌ طَاعِنٌ فِي السِّنِّ لَا يُولَدُ لِمِثْلِهِ وَلَدٌ، وَهَذَا بِلَا شَكٍّ أَمْرٌ عَجِيبٌ إِنْ وَقَعَ. يَا وَيْلَتَا - كَلِمَةٌ تَعْجَبُ.

٦٨ كَانَ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا إِنْ ثُمُودًا

كَفَرُوا وَارَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لثُمُودَ

٦٩ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ

بِالْبَشَرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ

سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ

حَنِيدٍ

٧٠ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ

نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ

خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا

إِلَى قَوْمِ لُوطَ

٧١ وَأَمْرًا لَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ

فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ

إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ

٧٢ قَالَتْ يَوْنِلَيْتِ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ

وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ هَذَا

لَشَيْءٍ عَجِيبٌ

(رَحْمَةً) (وَبَرَكَاتُهُ)

(٧٣) - فَردَّتْ عَلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ قَائِلَةً: لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْجِبِي مِنْ أَمْرِ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرُهُ، وَهَلْ يَحُولُ شَيْءٌ دُونَ قَدَرِ اللَّهِ؟ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ، إِنَّ اللَّهَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.
حَمِيدٌ - مَحْمُودٌ عَلَى أَعْمَالِهِ كُلِّهَا.
مَجِيدٌ - كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ.

(إِبْرَاهِيمَ) (يُجَادِلُنَا)

(٧٤) - خَافَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْكُلُوا طَعَامَهُ، ثُمَّ بَشَرُوهُ بِإِسْحَاقَ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ مُرْسَلُونَ لِإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ، فَأَرْتَاعَ لِذَلِكَ. وَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوعُ أَخَذَهُ الْإِسْفَاقُ، فَارَاحَ يُجَادِلُ الْمَلَائِكَةَ كَيْفَ يَهْلِكُونَ قَوْمُ لُوطٍ، وَفِيهِمْ أَنَاسٌ مُؤْمِنُونَ؟
الرُّوعُ - الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ.

(إِبْرَاهِيمَ) (أَوَاهُ)

(٧٥) - وَيَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ بِأَنَّهُ رَجُلٌ حَلِيمٌ كَثِيرُ التَّوَهُُّ، وَكَثِيرُ الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ وَقَضَائِهِ.
أَوَاهُ - كَثِيرُ التَّوَهُُّ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ.
حَلِيمٌ - مُتَنَبِّهُ غَيْرُ عَجُولٍ.
مُنِيبٌ - رَاجِعٌ إِلَى رَبِّهِ.

(يَا إِبْرَاهِيمَ) (آيِهِمْ)

(٧٦) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنِ الْجِدَالِ فِي أَمْرِ قَوْمِ لُوطٍ، وَالْإِسْتِرْحَامِ لَهُمْ. ثُمَّ أَعْلَمَهُ أَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ نَفَّذَ فِي قَوْمِ لُوطٍ وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الْكَلِمَةُ بِالْهَلَاكِ، وَحُلُولِ الْبَاسِ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.
أَعْرِضْ عَنْ هَذَا - كَفَّ عَنْهُ.

(٧٧) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ وُصُولِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ عَلَى أَجْمَلِ صُورَةٍ لِشَبَابِ حَسَنِ الْوُجُوهِ، وَكَانَ قَوْمُ لُوطٍ قَدْ نَهَوْهُ عَنْ أَنْ يَسْتَضِيفَ أَحَدًا لِكَيْلَا يَدْفَعَهُمْ عَنْ أَصْيَافِهِ، إِذَا أَرَادُوا الْاِعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ، كَمَا كَانَتْ عَادَتُهُمْ فِيمَنْ يَمُرُّونَ فِي أَرْضِهِمْ، فَأَعْتَمَّ لُوطٌ لِمَجِيئِ هَؤُلَاءِ الضُّيُوفِ، إِذْ خَافَ أَنْ يَعْتَدِي قَوْمُهُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصَّبَاحَةِ، فَأَدْخَلَهُمْ بَيْتَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِدُخُولِهِمْ غَيْرُ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَخَرَجَتْ أَمْرَأَتُهُ فَأَخْبَرَتْ قَوْمَهَا، فَجَاؤُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ، وَهُمْ يَحْثُونَ الْخُطَا طَمَعًا بِهَذَا الصَّيْدِ الثَّمِينِ، فَقَالَ لُوطٌ فِي نَفْسِهِ إِنَّ هَذَا لَيَوْمٌ شَدِيدُ الْبَلَاءِ.

(٧٣) قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ
أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ

(٧٤) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ

وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي
قَوْمِ لُوطٍ

(٧٥) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ

(٧٦) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ

جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ
عَذَابٌ عَزِيزٌ

(٧٧) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ

بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ
هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ

سِيءَ بِهِمْ - نَالَتْهُ الْمَسَاءَةُ مِنْ مَجِيئِهِمْ إِلَيْهِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ.
ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا - ضَعُفَتْ طاقته عَنْ تَذْيِيرِ خَلَاصِهِمْ.
يَوْمَ عَصِيبٍ - يَوْمٌ شَدِيدُ الشَّرِّ وَالْبَلَاءِ.
(يَا قَوْمَ)

(٧٨) - وَلَمَّا عَلِمَ قَوْمُ لُوطٍ نَبَأَ مَجِيءِ أَصْيَافِ جِسَانِ الْجُوهِ إِلَى دَارِ لُوطٍ أَسْرَعُوا إِلَيْهِ فَرَجَحِينَ بِمَا سَمِعُوا عَنْ أَصْيَافِهِ، وَكَانَ مِنْ طَبْعِهِمْ وَسْجَايَاهُمْ فَعَلُ السَّيِّئَاتِ، وَأَرْبَكَابَ الْمُنْكَرِ، إِذْ كَانُوا يَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، وَيُجَاهِرُونَ بِهَذَا الْمُنْكَرِ فِي أَتَدْبِيَّتِهِمْ. فَقَالَ لَهُمْ لُوطٌ إِنَّ النِّسَاءَ أَطْهَرُ لَكُمْ، وَهُوَ بِذَلِكَ يُرْشِدُهُمْ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ أَرْوَاجِهِمْ، وَوَجَّهَ مَنْ أَرَادَ الزَّوْاجَ مِنْهُمْ إِلَى النِّسَاءِ مِنْ قَوْمِهِمْ، لِأَنَّ الْاِسْتِمْتَاعَ بِهِنَ بِالزَّوْاجِ أَطْهَرُ مِنَ التَّلَوُّثِ بِرَجْسِ اللَّوْطِ.
ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْخَوْفِ مِنْهُ، وَسَأَلَهُمُ الْكَفَّ عَنْ طَلَبِ أَصْيَافِهِ مِنْهُ لِأَنَّ فِي الْإِسَاءَةِ إِلَى أَصْيَافِهِ خِزْيًا لَهُ وَإِذْلَالًا. وَخَتَمَ كَلَامَهُ شِبْهَ يَأْنِسٍ مِنْ دَفْعِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: أَلَيْسَ بَيْنَكُمْ رَجُلٌ عَاقِلٌ رَشِيدٌ يُعِينُنِي عَلَى دَفْعِكُمْ، وَكَفِّكُمْ عَنْ غَيْبِكُمْ؟
(وَالنَّبِيُّ يَعِدُ نِسَاءَ قَوْمِهِ جَمِيعًا بَنَاتًا لَهُ، وَلُوطٌ لَمْ يَكُنْ يَدُلُّهُمْ عَلَى بَنَاتِهِ بِالذَّاتِ، وَأَنْبِيَاءُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُونَ بِالزَّوْنِ وَدَفَعَ النَّاسَ إِلَيْهِ).
يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ - يُسْرِعُونَ إِلَيْهِ وَكَانَتْهُمْ يُدْفَعُونَ دَفْعًا.
لَا تُخْزَوْنَ - لَا تَقْضَحُونِي وَلَا تَهَيِّنُونِي.

(٧٩) - فَقَالُوا لِلُّوطِ: إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا أَرْبَ لَنَا فِي النِّسَاءِ، وَلَا نَشْتَهِيهِمْ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غَرَضَ لَنَا، وَلَا هَوًى، إِلَّا فِي الذُّكُورِ، وَهُوَ مَا جِئْنَا نَسْأَلُ إِلَيْهِ عِنْدَكَ، فَلَا فَائِدَةَ مِنْ تَكَرُّارِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ عَلَيْنَا.
مِنْ حَقٍّ - مِنْ حَاجَةٍ وَلَا أَرْبَ.

(أَوَي)

(٨٠) - فَقَالَ لَهُمْ لُوطٌ: لَوْ أَنَّهُ يَجِدُ الْقُوَّةَ فِي نَفْسِهِ، وَفِي عَشِيرَتِهِ، وَمَنْ يَسْتَدُونَهُ، لَفَعَلَ فِيهِمْ الْأَفَاعِيلَ، وَلَتَكَلَّ بِهِمْ، وَلَمَتَّعَهُمْ مِمَّا يُرِيدُونَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَجِدُ ذَلِكَ.
(ولهذا قيل إن الله تعالى لم يرسل، بعد لوط، نبيا إلا وله عز في قومه).
أَوَي إِلَى رُكْنٍ - انْضَمَّ إِلَى قَوِيٍّ انْتَصَرُ بِهِ عَلَيْكُمْ.

(يَا لُوطُ) (اللَّيْلُ)

(٨١) - وَحِينَئِذٍ أَعْلَمَهُ الرُّسُلُ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ، وَأَنَّ قَوْمَهُ لَنْ

٧٨ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرُهُمْ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ

٧٩ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ

٨٠ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ

٨١ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنْ آيَلٍ وَلَا يَلْفُتْ

يَصْلُوا إِلَيْهِ وَلَا إِلَهُمْ (إِلَى ضُيُوفِهِ) بِسُوءٍ، ثُمَّ أَمْرُهُ بِأَنْ يُسْرِيَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ
مَجْعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ (يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ) وَأَنْ يَسِيرَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرَةِ، وَيَتَّبِعُ
أَذْبَارَ أَهْلِهِ. ثُمَّ أَمْرُهُ بِأَنْ لَا يَلْتَفِتَ أَحَدٌ إِذَا سَمِعُوا صَوْتَ
الْبَلَاءِ الْمُنْصَبِّ عَلَى قَوْمٍ لُوطٍ، وَلَا يَهْوُلْنَهُمْ ذَلِكَ.

وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ أَمْرَهُ سَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ، لِأَنَّهَا مِنْ قَوْمِهَا فِي فَسَادِهَا.
ثُمَّ قَرَّبُوا لَهُ مَوْعِدَ الْهَلَاكِ، وَقَالُوا لَهُ إِنَّهُ الصُّبْحُ. (أَيُّ مِنَ الْفَجْرِ حَتَّى
شُرُوقِ الشَّمْسِ)، فَقَالَ لَهُمْ: أَهْلِكُوهُمْ السَّاعَةَ، فَقَالُوا لَهُ: أَلَيْسَ
الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟

(وَقِيلَ: إِنَّ قَوْمَ لُوطٍ كَانُوا وَاثِقِينَ بَبَابِهِ، وَلُوطٌ يُدَافِعُهُمْ، وَيَرْدَعُهُمْ،
وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَهُمْ لَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ، فَطَمَسَ اللَّهُ عَلَى أَعْيُنِهِمْ
فَرَجَعُوا لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الطَّرِيقِ كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ
ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ (١)).

يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ - بِطَائِفَةٍ مِنْهُ أَوْ مِنْ آخِرِهِ.
(عَالِيَهَا)

(٨٢) - فَلَمَّا جَاءَ الْمَوْعِدُ، الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ لِنُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ جَعَلَ
عَالِي قَوْمِ لُوطٍ سَافِلَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مَشْوِيٍّ (مِنْ
سَجِيلٍ)، مُصَفَّيَّةٍ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، لِيَتَفَعَّ عَلَيْهِمْ بِصُورَةٍ مُتَّالِيَةٍ
(مَنْصُودٍ).

سَجِيلٍ - طِينٌ طُبِخَ بِالنَّارِ كَالْفَخَّارِ أَوْ الْقَرْمِيدِ.
مَنْصُودٍ - مُتَّاعٍ، أَوْ مَجْمُوعٍ وَمُعَدٌّ لِلْعَذَابِ.

(الظَّالِمِينَ)

(٨٣) - وَكَانَتْ هَذِهِ الْحِجَارَةُ تَحْمِلُ عَلَامَاتٍ (مُسَوَّمَةً). وَمِثْلُ هَذِهِ
الْحِجَارَةِ الَّتِي أَهْلَكَ اللَّهُ بِهَا قَوْمَ لُوطٍ مُعَدَّةٌ وَجَاهِزَةٌ، بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى،
لِإِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ الْفَجَرَةِ، وَهُمْ لَيْسُوا بِنَجْوَةٍ مِنْهَا.
مُسَوَّمَةً - مُعَلَّمَةً لِلْعَذَابِ.

(يَا قَوْمِ) (أَرَأَيْتُمْ)

(٨٤) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ (وَهِيَ قَبِيلَةُ عَرَبِيَّةٌ كَانَتْ
تَسْكُنُ بَيْنَ الشَّامِ وَالْحِجَازِ قَرِيبًا مِنْ مَعَانَ) أَخَاهُمْ شُعَيْبًا رَسُولًا، وَكَانَ
مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَهَاَهُمْ عَنِ

مِنْكُمْ أَحَدًا إِلَّا أَمْرًا نَكِّإْتَهُ،
مُصِيبَهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعِدَهُمْ
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ

٨٢ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا

سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْصُودٍ

٨٣ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ

مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ



٨٤ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ

شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ

إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا

الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي

أَرَبَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ

التَّطْفِيفِ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ فِي
مَعِيشَتِكُمْ وَرِزْقِكُمْ، وَهَذَا كَانَ يُنَبِّئُ أَنْ يُغْنِيَكُمْ عَنِ الدَّائَةِ فِي بَخْسِ
حُقُوقِ النَّاسِ، وَأَكَلَ أَمْوَالَهُم بِالْبَاطِلِ بِمَا تَقْصُوْنَهُ لَهُمْ فِي الْمَبِيعِ.
وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُسَلِّبُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمَةِ فِي الدُّنْيَا بِسَبَبِ أَنْتِهَائِكُمْ
مَحَارِمَ اللَّهِ، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ عَذَابُ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْبَعْثِ
وَالنُّشُورِ، وَهُوَ يَوْمٌ يُحِيطُ بِأَهْوَالِهِ بِالنَّاسِ جَمِيعاً، وَلَا يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ
إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ - بِسَعَةِ تُغْنِيكُمْ عَنِ التَّطْفِيفِ.
يَوْمٌ مُحِيطٌ - مُهْلِكٌ يُحِيطُ بِأَهْوَالِهِ بِالنَّاسِ جَمِيعاً.
التَّطْفِيفُ - هُوَ الْإِنْقَاصُ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ إِذَا كَالُوا لِلنَّاسِ أَوْ
وَزَنُوهُمْ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ فِيهِ إِذَا اشْتَرَوْا مِنَ النَّاسِ وَآكَنَالُوا أَوْ وَزَنُوا.

(وَيَا قَوْمِ)

٨٥ وَيَقُومُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ

وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا

تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ

وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

(٨٥) - وَنَهَايَهُمْ عَنِ إِنْقَاصِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، إِذَا أَعْطَوُا النَّاسَ،
وَأَمَرَهُمْ بِوَفَاءِ الْكِيلِ وَالْوَزْنِ إِذَا أَخَذُوا مِنَ النَّاسِ، وَنَهَايَهُمْ عَنِ الْعُتُوفِ
الْأَرْضِ، وَالْفَسَادِ فِيهَا، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ.
بِالْقِسْطِ - بِالْعَدْلِ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ.
لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ - لَا تَقْصُوهُمْ شَيْئاً مِنْ حُقُوقِهِمْ.
لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ - لَا تَفْسِدُوا فِيهَا أَشَدَّ الْفَسَادِ.

(بَقِيَّةُ)

٨٦ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِحَفِيفٍ

(٨٦) - مَا يَبْقَى لَكُمْ مِنَ الرَّبِّحِ الْحَلَالِ، بَعْدَ إِفَاءِ الْمِكْيَالِ
وَالْمِيزَانِ، خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا تَأْخُذُونَهُ مِنَ التَّطْفِيفِ، وَمِنْ بَخْسِكُمْ النَّاسَ
حُقُوقَهُمْ، وَأَكَلَ الْأَمْوَالِ الْحَرَامِ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، وَبِمَا يُوجِبُهُ
عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَسْتِقَامَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ، فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ،
وَرَاقِبُوا رَبَّكُمْ، فَإِنَّا لَنَسُتُ عَلَيْكُمْ بِرَقِيبٍ وَلَا حَفِيفٍ.
بَقِيَّةُ اللَّهِ - مَا أَبْقَاهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ.
بِحَفِيفٍ - بِرَقِيبٍ مُوَكَّلٍ بِكُمْ لِإِجَازِيَتِكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

(يَا شُعَيْبُ) (أَصْلَاتُكَ) (آبَاؤُنَا) (أَمْوَالُنَا) (نَشَأُ)

٨٧ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَواتُكَ

تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ

آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا

مَا دَشَنُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ

الرَّشِيدُ

(٨٧) - قَالُوا عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ وَالشُّحْرِخَةِ: يَا شُعَيْبُ هَلْ صَلَاتُكَ
وَإِيمَانُكَ بِرَبِّكَ يَأْمُرَانِكَ بِأَنْ تَدْعُونَا إِلَى تَرْكِ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا مِنْ
أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ، أَوْ أَنْ تَمْنَعَنَا عَنِ التَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِنَا بِمَا يَنْاسِبُ
مَصْلَحَتِنَا مِنَ الْحَذَقِ وَالْخَدِيعَةِ، وَبِالشُّكْلِ الَّذِي تُرِيدُ؟ إِنَّ هَذَا غَايَةُ
السُّفْهِ. أَهَذَا أَنْتَ الْحَلِيمُ الْمُكْتَمِلُ الْعَقْلَ (الرَّشِيدُ)؟

(يَا قَوْمِ) (أَرَأَيْتُمْ) (أَنهَآكُم) (الإِصْلَاحُ)

(٨٨) - فَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: هَلْ تَرَوْنَ لَوْ أَنِّي كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَهَدَى، وَأَنَّهُ آتَانِي النُّبُوَّةَ، وَرَزَقَنِي رِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا حَسَنًا، ثُمَّ عَصَيْتُهُ فِيمَا أُرْسِلَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، وَتَرَكْتُ دَعْوَتَكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ جَبِينًا؟ وَأَنَا لَا أَنهَآكُم عَنْ شَيْءٍ وَأُخَالِفُكُمْ فِي السِّرِّ إِلَيْهِ. فَافْعَلُوا، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَنِي بِالرِّزْقِ الْحَلَالِ الْحَسَنِ، دُونَ أَنْ أُحْتَاجَ إِلَى التَّطْفِيفِ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَدُونَ أَنْ أُبْخَسَ فِيهِمَا.

وَأَنَا لَا أُرِيدُ مِنْ أَمْرِي إِيَّاكُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَبِالإِفْلَاحِ عَنِ الْمَفَاسِدِ، إِلَّا الإِصْلَاحَ بِقَدْرِ جَهْدِي وَطَاقَتِي. وَلَا أَسْأَلُ غَيْرَ اللَّهِ التَّوْفِيقَ فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ وَإِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ، وَإِلَيْهِ أَخْلَصْتُ وَأُنَبِّتُ فِي عِبَادَتِي وَطَاعَتِي. أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي.

بَيِّنَةٌ - هِدَايَةٌ وَبَصِيرَةٌ.

(وَيَا قَوْمِ) (صَالِحِ)

(٨٩) - وَتَابَعَ شُعَيْبٌ حَدِيثَهُ مَعَ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضِي وَعَدَاوَتِي عَلَى الإِضْرَارِ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَسَادِ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ أَوْ قَوْمَ لُوطٍ أَوْ قَوْمَ بَعِيدٍ الْمُجَاوِرِينَ لَكُمْ مِنْ هَلَكَ شَامِلٍ وَعَذَابٍ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَعَتُوهُمْ عَنْ أَمْرِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ.

لَا يَجْعِرُكُمْ - لَا يَحْمِلَنَّكُمْ، أَوْ لَا يَدْفَعَنَّكُمْ.

(٩٠) - وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ مِمَّا أَسْلَفْتُمْ مِنْ ذُنُوبٍ، وَتَوْبُوا إِلَيْهِ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَيَّامِكُمْ عَنِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، إِنَّ رَبِّي وَدُودٌ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِمَنْ أَخْلَصَ التَّوْبَةَ إِلَيْهِ.

(يَا شُعَيْبُ) (لَتَرَكَ) (لَرَجَمْنَاكَ)

(٩١) - قَالُوا: يَا شُعَيْبُ إِنَّا لَا نَفْهَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ لَنَا عَنْ بُطْلَانِ عِبَادَةِ إِلَهِنَا، وَفُجْ حُرْيَةِ التَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِنَا، وَمَجْجِ عَذَابٍ يُحِيطُ بِنَا، وَإِنَّا نَرَاكَ ضَعِيفًا فِينَا، لِأَنَّ أَكْثَرَ عَشِيرَتِكَ لَيْسَتْ عَلَى دِينِكَ، وَلَوْلَا عَشِيرَتُكَ الْأَقْرَبُونَ لَقَتَلْنَاكَ رَجْمًا بِالحِجَارَةِ، وَأَنْتَ لَسْتَ فِينَا بِذِي عِزٍّ وَمَنْعَةٍ يُمَكِّنُ أَنْ تَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَجْمِكَ. رَهْطُكَ - جَمَاعَتُكَ وَعَشِيرَتُكَ.

٨٨ قَالَ يَقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ

عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ

رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ

أُخَالِفُكُمْ إِلَى مَا أَنهَآكُمْ

عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ

مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

٨٩ وَيَقَوْمٍ لَا يَجْعِرُكُمْ شِقَاقِي

أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ

قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ

صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ

بَعِيدٍ

٩٠ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا

إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ

٩١ قَالُوا يَشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا

مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا

ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ

وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٍ

(يَا قَوْمِ)

(٩٢) - قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: هَلْ جَمَاعَتِي أَحَقُّ بِالْمُجَامَلَةِ وَالرَّعَايَةِ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ؟ فَتَرْكُونَ مَسَائِتي إِكْرَامًا وَآخِرَتِي لِقَوْمِي، وَلَا تَتْرَكُونَهَا إِعْظَامًا لِلَّهِ الْقَدِيرِ أَنْ تَتَّالُوا نَبِيَّهٖ بِمَسَآءَةٍ، وَقَدْ نَبَذْتُمْ جَانِبَ اللَّهِ وَحَقَّهُ، وَجَعَلْتُمُوهُ وَرَاءَ ظَهْرِكُمْ لَا تُطِيعُونَ رَبَّكُمْ، وَلَا تُعَظِّمُونَهُ. وَرَبِّي يَعْلَمُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ وَهُوَ مُحِيطٌ بِهَا، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهَا أَوْفَى الْجَزَاءِ. وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا - مَنبُودًا وَرَاءَ ظَهْرِكُمْ مَنَسِيًّا.

(يَا قَوْمِ) (عَامِلِ) (كَاذِبِ)

(٩٣) - وَلَمَّا بَيَّنَّ نَبِيُّ اللَّهِ شُعَيْبٌ مِنْ آسِجَايَةِ قَوْمِهِ لِدَعْوَتِهِ، قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا أَنْتُمْ عَلَى طَرِيقَتِكُمْ، وَمَا هُوَ فِي إِمْكَانِكُمْ (عَلَى مَكَانَتِكُمْ)، وَأَنَا سَوْفَ أَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِي، وَعَلَى قَدَرِ مَا يُؤَيِّدُنِي اللَّهُ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ مِنَّا، أَنَا وَأَنْتُمْ، سَيَاتِيهِ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ يُهَيِّنُهُ وَيُخْزِيهِ، وَمَنْ مِنَّا هُوَ الْكَاذِبُ، وَأَنْتَظَرُوا ذَلِكَ، وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَنْظِرِينَ.

مَكَانَتِكُمْ - غَايَةُ تَمَكُّنِكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ، أَوْ طَرِيقَتِكُمْ. أَرْتَقِبُوا - أَنْتَظَرُوا الْعَاقِبَةَ وَالْمَالَ.

(أَمْنُوا) (دِيَارِهِمْ) (جَائِمِينَ)

(٩٤) - وَلَمَّا حَانَ مَوْعِدُ أَنْتِقَامِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُمْ، جَاءَهُمُ الْعَذَابُ الَّذِي أَنْذَرُوا بِهِ، فَنَجَّى اللَّهُ شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَلَطْفٍ، وَأَخَذَتْ الْكَافِرِينَ الصَّيْحَةُ وَالرَّجْفَةُ، وَأَظْلَهُمُ عَذَابٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَاهْتَزَّتْ بِهِمُ الْأَرْضُ فَأَصْبَحُوا جَمِيعُهُمْ هَلَكَى فِي دِيَارِهِمْ، وَهُمْ جَالِسُونَ عَلَى رُكْبِهِمْ، مُكِبُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

جَائِمِينَ - مَتِينِينَ هَامِدِينَ لَا حَرَكَ فِيهِمْ - أَوْ مُكِبِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ. الصَّيْحَةُ - صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ مُهْلِكٌ مُرْجِفٌ.

(٩٥) - فَأَصْبَحَ الْقَوْمُ هَلَكَى كَانَهُمْ لَمْ يَعْمُرُوا دِيَارَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُقِيمُوا فِيهَا، إِلَّا بَعْدًا وَهَلَاكًا لِمَدِينٍ، كَمَا هَلَكَتْ ثَمُودٌ وَبَعْدَتْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. (وَكَانَتْ ثَمُودٌ جِيرَانَ مَدِينٍ فِي الْأَرْضِ، وَأَشْبَاهَهُمْ فِي الْكُفْرِ وَالتَّمَرُّدِ عَلَى اللَّهِ).

لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا - لَمْ يُقِيمُوا طَوِيلًا فِيهَا فِي رَعْدٍ. بَعْدًا لِمَدِينٍ - هَلَاكًا وَسُحْقًا لَهُمْ.

(بَيَاتِنَا) (وَسُلْطَانِ)

(٩٦) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِسْرَائِيلَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى فِرْعَوْنَ

٩٢ قَالَ يَنْقُومِ أَرْهَطِي أَعَزُّ

عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَتَّخِذْتُمُوهُ
وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنِّي رَبِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ

٩٣ وَيَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى

مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ
يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ
وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ

٩٤ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ

٩٥ كَانُوا يَغْنَوْنَ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ

كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ

٩٦ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا

وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ

مَلِكٍ مُصْرَ، وَكِبَارِ رَجَالٍ ذُولِيهِ (مَلِيهِ)، مُؤَيَّدًا بِآيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَاتِ،
الدَّلَالَاتِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمِيَّتِهِ، وَفِيهَا السُّلْطَانُ الْمُبِينُ،
وَالْحُجُجُ الْوَاضِحَةُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِ بُرْهَانِهِ.
سُلْطَانٍ مُبِينٍ - بُرْهَانٍ بَيِّنٍ وَاضِحٍ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ.

(مَلِيهِ)

(٩٧) - فَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَكِبَارِ
رَجَالِ ذُولِيهِ (مَلِيهِ) مِنَ الْقِبْطِ، فَكَفَرَ فِرْعَوْنُ بِمَا جَاءَهُ بِهِ مُوسَى، وَأَمَرَ
قَوْمَهُ بِأَنْ يَتَّبِعُوهُ فِي الْكُفْرِ، فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ، وَمَسَلَكُهُ وَطَرِيقَتُهُ فِي
الْعَمَى وَالضَّلَالِ، وَلَمْ يَكُنْ مَسَلَكُ فِرْعَوْنَ مُهْدِيًا رَشِيدًا حَتَّى يَتَّبِعَ.
(وَحَصَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُمْ الْكِبَرَاءُ وَالْعَامَّةُ تَبِعَ لَهُمْ).

(الْقِيَامَةِ)

(٩٨) - وَكَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكَ قَوْمِهِ وَقَائِدُهُمْ فِي الدُّنْيَا، كَذَلِكَ يَتَقَدَّمُهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَيُسَّ السَّوْرُدُ الَّذِي يَرِدُونَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
لِإِطْفَاءِ ظَمْتِهِمْ، وَهُوَ الْمَاءُ الْحَمِيمُ.
يَقْدُمُ قَوْمَهُ - يَتَقَدَّمُهُمْ كَمَا يَتَقَدَّمُ الْوَارِدُ.
فَأُورِدَهُمُ النَّارَ - أَدْخَلَهُمْ فِيهَا يَكْفُرُهُ وَكَفَرَهُمْ.
الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ - الْمَدْخُلُ الْمَدْخُولُ فِيهِ وَهُوَ النَّارُ.

(الْقِيَامَةِ)

(٩٩) - وَلَحِقَتْ بِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَمِمَّنْ يَأْتِي
بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلْعَنُهُمْ أَهْلُ الْمَوْقِفِ جَمِيعًا فَتَكُونُ
اللَّعْنَةُ تَابِعَةً لَهُمْ حَيْثُمَا سَارُوا، وَبُسَّتْ هَذِهِ اللَّعْنَاتُ عَطَاءً وَرِفْدًا يُعْطَوْنَهُ
وَيَتَّبِعُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (وَيَتَّهَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ حِينَمَا يُسَمَّى هَذِهِ
اللَّعْنَاتُ رِفْدًا وَعَطَاءً).
الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ - الْعَطَاءُ الْمُعْطَى لَهُمْ وَهُوَ اللَّعْنَةُ.

(قَائِمٍ)

(١٠٠) - يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّ مَا سَبَقَ أَنْ قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ لِنَعِظَ بِهِ
قَوْمَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَمَا جَرَى لَهُمْ مَعَ أَقْوَامِهِمْ، وَمَا حَدَثَ
لِبِلَادِهِمْ، وَمِنْ هَذِهِ الْقُرَى وَالْبِلَادِ مَا هُوَ قَائِمٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُدْمَرٌ مَذْكُوكٌ
فِي الْأَرْضِ، وَمُلْقَى كَالْحَصَادِ (الْحَصِيدِ)، هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ، وَمَا
رَوَيْنَاهُ لَكَ هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ، كَمَا وَقَعَتْ أَخْدَانُهُ.
حَصِيدٌ - عَافِي الْأَثَرِ كَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ.

١٧ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا

أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمَرَ فِرْعَوْنَ
بِرَشِيدٍ

١٨ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَيُسَّ
الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ

١٩ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ يُلْعَنُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ

١٠٠ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ

عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ

(ظَلَمْنَاهُمْ) (الْهَتَمُ)

(١٠١) - وَمَا ظَلَمْنَا هَذِهِ الْأَقْوَامَ إِذْ أَهْلَكْنَاهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَأَيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، فَلَمْ تَنْفَعَهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَمْ تَنْتَفِعْ أَنْ تَنْقِذَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي قَضَاهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ تَزِدْهُمْ عِبَادَةً هَذِهِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ غَيْرَ خَسَارَةٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا خَسِرُوا، وَذَمُّوا بِسَبَبِ عِبَادَتِهِمْ لَهَا، وَلَمْ تُجِدْهُمْ فِي نَفْعٍ. غَيْرَ تَنْبِيٍّ - غَيْرَ تَخْبِيرٍ وَهَلَاكِ.

(ظَالِمَةٌ)

(١٠٢) - وَمِثْلُ ذَلِكَ الْأَخْذِ بِالْعَذَابِ الَّذِي أَخَذَ بِهِ رَبُّكَ الْقُرَى الظَّالِمَةَ الْمُكَذِّبَةَ لِرُسُلِهِ، يَقَعْلَهُ اللَّهُ بِأَشْبَاهِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالْعُتُوِّ عَنْ أَمْرِهِ، وَإِنْ أَخَذَهُ تَعَالَى لِمَوْلٍ شَدِيدٍ.

(لَايَةٌ) (الْآخِرَةُ)

(١٠٣) - إِنْ فِيمَا قَضَاهُ اللَّهُ مِنْ إِهْلَاكِ أَوْلَئِكَ الْأُمَمِ، وَبَيَانِ سُنَّتِهِ فِي عَاقِبَةِ الظَّالِمِينَ، لَحُجَّةٌ بَيِّنَةٌ، وَعِبْرَةٌ ظَاهِرَةٌ لِمَنْ يَخَافُ عَذَابَ الْآخِرَةِ فَيَعْتَبِرُ بِهَا، وَيَتَّقِي الظُّلْمَ فِي الدُّنْيَا، إِذْ يَعْلَمُ أَنَّ مَنْ عَذَّبَ الظَّالِمِينَ فِي الدُّنْيَا، لِقَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ تَجْتَمِعُ فِيهِ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا لِلْحِسَابِ، وَتَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ، وَتَجْتَمِعُ فِيهِ الرُّسُلُ، وَتَحْشُرُ الْخَلَائِقُ، وَيَحْكُمُ فِيهِ الْمَلِكُ الْعَادِلُ، الَّذِي لَا يَظْلُمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

(١٠٤) - وَمَا يُؤَخِّرُ اللَّهُ تَعَالَى إِقَامَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) إِلَّا لِمُدَّةٍ مُؤَقَّتَةٍ مَعْلُومَةٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ، لَا يُزَادُ عَلَيْهَا وَلَا يُنْقُصُ مِنْهَا.

(١٠٥) - وَحِينَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَهْوَالِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَمْعِ شَقِيٌّ بِمَا يَنْتَظَرُهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ بِمَا يَنْتَظَرُهُ مِنَ النِّعَمِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ.

(١٠٦) - أَمَّا الْأَشْقِيَاءُ الَّذِينَ شَقُّوا بِمَا يَنْتَظَرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ فِي الدُّنْيَا، فَيَصِيرُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَتَضِيقُ صُدُورُهُمْ بِثِقَلِ الْعَذَابِ، فَيُصْبِحُ تَنْفُسُهُمْ زَفِيرًا، وَأَخَذَهُمُ النَّفْسُ شَهيقًا. زَفِيرٌ - إِخْرَاجُ شَدِيدٍ لِلنَّفْسِ مِنَ الصَّدْرِ. شَهيقٌ - رُدُّ النَّفْسِ إِلَى الصَّدْرِ.

(١٠١) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ
آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَنْبِيٍّ

(١٠٢) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ

الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ

(١٠٣) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِمَنْ خَافَ

عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ
لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ

(١٠٤) وَمَا يُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ

(١٠٥) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا

بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ

(١٠٦) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ

فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ

(خَالِدِينَ) (السَّمَاوَاتِ)

(١٠٧) - وَيَقُولُونَ فِي النَّارِ خَالِدِينَ، مَا دَامَتْ هُنَاكَ سَمَاوَاتٌ تُظِلُّ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَرْضٌ يَقِفُونَ عَلَيْهَا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، إِذْ يُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِهِ الْعَصَاةَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ يَمْتَنُّ عَلَى الْآخَرِينَ فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَقْدَارُ ذُرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ وَالْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ.

(خَالِدِينَ) (السَّمَاوَاتِ)

(١٠٨) - أَمَّا السَّعْدَاءُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الرُّسُلَ، وَآمَنُوا بِاللَّهِ، وَعَمِلُوا صَالِحًا، فَيَصِيرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَمْكُثُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، مَا دَامَتْ هُنَاكَ سَمَاوَاتٌ وَأَرْضٌ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ. (وهذا الاستثناء يعني أَنَّ وجودَهُمْ فِي النَّعِيمِ لَيْسَ أَمْرًا وَاجِبًا بَلْ هُوَ مُوَكَّلٌ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَهُ الْمِنَّةُ عَلَيْهِمْ دَائِمًا، وَعَطَاؤُهُ دَائِمٌ مُتَوَاصِلٌ لَا يَنْقَطِعُ). غَيْرَ مَجْدُودٍ - غَيْرَ مَقْطُوعٍ عَنْهُمْ.

(آبَاؤُهُمْ)

(١٠٩) - فَلَا تَكُ فِي شَكٍّ (مَرِيَّةٍ) مِنْ أَنَّ مَا يَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ مَا عَبَدَ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ، لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ فِيمَا هُمْ فِيهِ، إِلَّا اتِّبَاعُ الْآبَاءِ فِي الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَتَمَّ الْجَزَاءِ. (فَأَعْمَالُ الْخَيْرِ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا: كِبَرُ الْوَالِدِينَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَإِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ... يُوفُونَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا بِسَعَةِ الرِّزْقِ، وَكَشْفِ الضَّرِّ...، وَلَا يُجْزَوْنَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ).

(آتَيْنَا) (الْكِتَابِ)

(١١٠) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى (الْكِتَابِ) فَاخْتَلَفَ قَوْمُهُ فِي تَفْسِيرِهَا، وَفَهُمْ مَعْنَاهَا، حَسَبَ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، فَتَفَرَّقُوا شَيْعًا، وَاتَّبَعَدَ الْكَثِيرُونَ مِنْهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَلَوْلَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ وَعْدِهِ بِتَأْجِيلِ الْعَذَابِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (أَجَلٌ مَعْلُومٌ)! لَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمْ. وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَرِثُوا التَّوْرَةَ لَفِي شَكٍّ مَحْجَرٍ مِنْ أَمْرِهَا. (وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى هُوَ: وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَى بِأَنَّ لَا يُعَذَّبَ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ لَقَضَى بَيْنَهُمْ). مُرِيبٌ - مُبْهِرٌ لِلرِّيْبَةِ وَقَلَقِ النَّفْسِ أَوْ مُوقِعٌ فِي الزَّيْبَةِ.

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ

السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ



وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا

فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ

فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِمَّا يَعْبُدُ

هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ غَيْرُ مَنْقُوصٍ

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ

(أَعْمَالُهُمْ)

(١١١) - وَإِنْ أُولَئِكَ الْمُخْلَفِينَ، الَّذِينَ سَرَدْنَا عَلَيْكَ قَصَصَهُمْ، لَيُؤْفِقَهُمْ رَبُّكَ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ، فَهُوَ خَيْرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

(١١٢) - فَالْزِمِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ، وَأَثْبِتْ عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ فَلْيُتَّقِمْ مَنْ تَابَ مِنَ الشُّرْكِ، وَأَمِنْ مَعَكَ، وَلَا تَنَحَرُوا عَمَّا رُسِمَ لَكُمْ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا حُدُودَ الْأَعْتِدَالِ، فَتُكَلِّفُوا أَنْفُسَكُمْ مَا لَا تُطِيقُونَ، فَالْإِفْرَاطُ فِيهِ كَالْتَقْرِيطِ، كِلَاهُمَا زَيْغٌ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. لَا تَطْفَعُوا فِيهِ - لَا تَتَجَاوَزُوا مَا حَدَّهُ اللَّهُ لَكُمْ.

(١١٣) - وَلَا تَسْتَعِينُوا بِالظَّالِمِينَ، وَلَا تَعْتَمِدُوا عَلَيْهِمْ، وَلَا تَعْتَرُوا بِهِمْ، وَلَا تَسْتَحْسِنُوا طَرِيقَتَهُمْ (لَا تَرْكَبُوا) فَتَكُونُوا كَأَنْكُمْ رَضِيتُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَصَابَتْكُمُ النَّارُ الَّتِي هِيَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، وَلَنْ تَجِدُوا يَوْمَئِذٍ مَنْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. (وَالْآيَةُ عَامَّةٌ تَشْمَلُ الظَّالِمِينَ دُونَ تَفْرِيقِ بَيْنِ مُسْلِمٍ وَكَافِرٍ). لَا تَرْكَبُوا - لَا تَجْلِسْ قُلُوبُكُمْ بِالْمَحَبَّةِ.

(الصَّلَاةُ) (اللَّيْلِ) (الْحَسَنَاتِ) (لِلذَّاكِرِينَ)

(١١٤) - وَأَذِ الصَّلَاةَ عَلَى الْوَجْهِ الْقَوِيمِ، وَأَدِمْنَاهَا فِي طَرَفِي النَّهَارِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ، فِي الْغَدَاةِ وَالْعِشِيِّ، وَفِي أَوَائِلِ اللَّيْلِ، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ تُزَكِّي النُّفُوسَ وَتُضِلُّهَا، وَتَذْهَبُ السَّيِّئَاتُ الْمُؤَاخَذَ عَنْهَا. وَفِي الرِّضَايَا الَّتِي أَوْصَاكَ اللَّهُ بِهَا مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ، وَالنُّهْيِ عَنِ الطُّغْيَانِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ... عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ، الَّذِينَ يُرَاقِبُونَ اللَّهَ، وَلَا يَنْسَوْنَهُ. الرُّؤْفَةُ - الطَّائِفَةُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ. ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ - عِظَةٌ لِلْمُتَعَبِّطِينَ.

(١١٥) - وَوُطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى الصَّبْرِ وَاحْتِمَالِ الْمَشَقَّةِ فِي سَبِيلِ مَا أَمَرْتَ بِهِ، وَمَا نَهَيْتَ عَنْهُ، فِي هَذِهِ الرِّضَايَا وَفِي غَيْرِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

(أَوَّلُو)

(١١٦) - لَقَدْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ بِظُلْمِهَا، جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَوَّلُو عَقْلٍ، وَرَأْيٍ، وَصَلَاحٍ، يَنْهَوْنَ الْمُفْسِدِينَ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَيَأْخُذُونَ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِكَيْلَا يَنْزِلَ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ، لِأَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ أَنْ لَا يَهْلِكَ قَوْمًا إِلَّا إِذَا عَمَّ الْفَسَادُ وَالظُّلْمُ أَكْثَرَهُمْ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ الظَّالِمِينَ إِلَّا قَلَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرَهُمْ مِنَ الضَّعَفَاءِ الَّذِينَ لَا يُوْخَذُ بِرَأْيِهِمْ، وَلَا تُسْمَعُ

وَإِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُؤْفِقْنَهُمْ رَبُّكَ
أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ

فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ
مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ
وَزُلْفَاءَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ
يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى
لِلذَّاكِرِينَ

وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ
قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا
مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا
فِيهِ وَكَانُوا مُحْجَرَيْنَ

كَلِمَتُهُمْ، وَلَا يُقْبَلُ أَمْرُهُمْ وَنَهْيُهُمْ. أَمَّا الْأَكْثَرُونَ فَكَانُوا مِنَ الظَّالِمِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ الْمُعَانِدِينَ، فَأَصْرُوا عَلَى ظُلْمِهِمْ وَكُفَرِهِمْ، وَاتَّبَعُوا حَيَاةَ التَّرَفِّ وَالْفَسَادِ، فَحَالَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِنْتِفَاعِ بِدَعْوَةِ الْحَقِّ، فَبَطَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا، وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَدْ أَغْرَقُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الْجَرَائِمِ الَّتِي وَلَدَهَا النِّعِيمُ وَالتَّرَفُّ، وَاسْتَسْلَمُوا لَهَا، وَلِذَلِكَ رَجَحُوا مَا أَتَوْا بِهِ عَلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَطَاعَةِ اللَّهِ فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ. الْفُرُونِ - الْأَمَمِ.

أُولُو بَقِيَّةٍ - أَصْحَابُ فَضْلٍ وَخَيْرٍ.

مَا اتَّزَفُوا فِيهِ - مَا اتَّبَعُوا فِيهِ مِنَ الْخُصْبِ وَالسَّعَةِ.

(١١٧) - لَيْسَ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا مِنْ عَدْلِهِ فِي خَلْقِهِ، أَنْ يُهْلِكَ الْقَرْىَ بِشَرِّ أَهْلِهَا، مَا دَامُوا مُصْلِحِينَ فِي أَعْمَالِهِمِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالْعُمَرَاءِ وَالْمَدِينَةِ، فَلَا يَنْحَسِرُونَ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ، وَلَا يَبْطِشُونَ بِالنَّاسِ، وَلَا يَذْلُونَ لِمُتَكَبِّرٍ خِيَارَ كَقَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَلَا يَرْتَكِبُونَ الْفَوَاحِشَ وَلَا يَقْطَعُونَ السَّبِيلَ، وَلَا يَأْتُونَ فِي نَادِيهِمُ الْمُنْكَرَ، بَلْ لَا يَذْ لُهُمْ، لِيُحَقِّقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالْهَلَاكُ، مِنْ أَنْ يَجْمَعُوا إِلَى الشَّرِّ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَالْإِسَاءَةِ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَحْكَامِ، وَأَنْ يَفْعَلُوا الظُّلْمَ الْمُدْمِرَ لِلْعُمَرَاءِ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَالدَّبْلِيمِيُّ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: (وَأَهْلُهَا يُنْصَفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا). فَالْأَمَّةُ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الْفَسَادُ بِتَغْيِيدِ النَّاسِ لغيرِ اللَّهِ بِصُورَةٍ مِنْ صُورِهِ فَيَكُونُ فِيهَا مَنْ يَنْهَضُ لِدَفْعِهِ هِيَ أَمَمٌ نَاجِيَةٌ لَا يَأْخُذُهَا اللَّهُ بِالْعَذَابِ وَالتَّذْمِيرِ. أَمَّا الْأَمَمُ الَّتِي لَا يَجِدُ فِيهَا الظَّالِمُونَ مَنْ يَرُدُّهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَإِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ تَعَالَى تَحِقُّ عَلَيْهَا إِمَّا بِهَلَاكِ الْأَسْتِثْصَالِ، وَإِمَّا بِهَلَاكِ الْأَنْجِلَالِ وَالْإِخْتِلَالِ.

(وَاحِدَةٌ)

(١١٨) - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّكَ حَرِيصٌ عَلَى إِيْمَانِ قَوْمِكَ، وَحَزِينٌ لِإِعْرَاضِهِمْ، أَوْ إِعْرَاضِ أَكْثَرِهِمْ، عَنْ إِبَاطَةِ دَعْوَتِكَ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، بِمُقْتَضَى الْغَرِيزَةِ وَالْفِطْرَةِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهُمْ كَاسِيَيْنَ مُلْهَمِينَ، وَعَامِلِينَ مُخْتَارِينَ، لَا مُجْبَرِينَ، وَجَعَلَهُمْ مُتَفَاوِتِينَ فِي الْأَسْتِعْدَادِ، وَكَسَبَ الْعِلْمَ. وَكَانُوا فِي أَطْوَارِهِمِ الْأُولَى لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ كَثُرَتْ حَاجَاتُهُمْ وَتَنَوَّعَتْ، وَكَثُرَتْ مَطَالِبُهُمْ، فَظَهَرَ فِيهِمُ الْأَسْتِعْدَادُ لِلْإِخْتِلَافِ، وَهُمْ لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ فِي شُرُوبِهِمِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ، تَبَعًا لِمُيُولِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَاسْتِعْدَادِهِمُ الْفِطْرِيَّ، يَتَعَصَّبُ كُلُّ فَرِيقٍ لِأَرَايِهِ، وَلَمَّا وَجَدَ عَلَيْهِ أَبَاءَهُ.

﴿١١٧﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْىَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ

﴿١١٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ

(١١٩) - إِلَّا الَّذِينَ رَجَعَهُمُ اللَّهُ فَإِنَّهُمْ يَتَّقُونَ مُتَمَسِّكِينَ بِمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، وَغَيْرَ مُخْتَلِفِينَ، وَلَقَدْ سَبَقَ عِلْمُ اللَّهِ أَنَّ النَّاسَ سَيَكُونُونَ مُخْتَلِفِينَ، وَأَنَّ مِنْهُمْ فَرِيقًا سَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَتَكُونُ الْجَنَّةُ مَصِيرَهُمْ وَمَأْوَاهُمْ، وَقَدْ قَضَى اللَّهُ، لِحِكْمَةِ يَرَاهَا هُوَ، أَنَّهُ سَيَمْلَأُ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنِّ وَمِنَ الْبَشَرِ جَمِيعًا. تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ - وَجِبَتْ وَبُتَّتْ.

(١٢٠) - كُلُّ مَا قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَمَا جَرَى لَهُمْ مَعَ أَقْوَامِهِمْ، وَمَا أَحْتَمَلَهُ كُلُّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَذَى وَالْكَذِيبِ، وَكَيْفَ نَصَرَ اللَّهُ حِزْبَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَذَلَ أَعْدَاءَهُ مِنَ الْكَافِرِينَ... إِنَّمَا قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ قُودَاكَ، وَتُقَوِّيَ عَزِيْمَتَكَ، وَلِتَتَّسَى بِأَخْوَانِكَ الْمُرْسَلِينَ. وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَفَاصِيلِ مَا جَرَى لَهُمْ مَعَ أَقْوَامِهِمْ، الْقِصَصُ الْحَقُّ، وَالنَّبَأُ الصَّدُوقُ، وَالْمَوْعِظَةُ الَّتِي يَرْتَدِّعُ بِهَا الْكَافِرُونَ، وَيَتَذَكَّرُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ.

(عَامِلُونَ)

(١٢١) - يَا مُرُّهُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ بِأَن يَقُولَ - عَلَى وَجْهِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ - لِلَّذِينَ أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالْإِسْتِكْبَارِ: أَعْمَلُوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ وَمَنْهَجِكُمْ، وَمَا هُوَ مُسْتَطَاعُكُمْ وَإِمْكَانُكُمْ (عَلَى مَكَانَتِكُمْ)، وَإِنَّا سَنَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِنَا وَمَنْهَجِنَا، وَمَا يُقَدِّرُهُ اللَّهُ لَنَا، وَنَحْنُ مَاضُونَ فِي طَرِيقِنَا، ثَابِتُونَ عَلَى عَمَلِنَا. مَكَانَتِكُمْ - طَرِيقَتِكُمْ، أَوْ غَايَةِ مَا يُمَكِّنُكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ.

(١٢٢) - وَأَنْتَظِرُوا، وَنَحْنُ مَعَكُمْ مُسْتَظَرُونَ، لِمَنْ تَكُونُ عَاقِبَةُ الدَّارِ. فَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ لَا يُفْلِحَ الظَّالِمُونَ. وَقَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ تَعَالَى وَعْدَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَنَصَرَهُ وَأَيَّدَهُ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللَّهِ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى.

(السَّمَاوَاتِ) (بِغَافِلٍ)

(١٢٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ وَخَذَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّ الْمَرْجِعَ وَالْمَابَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ سَيُوتِي كُلَّ عَامِلٍ جَزَاءَ عَمَلِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ، فَلَهُ الْخَلْقُ وَلَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ. ثُمَّ يَا مُرُّهُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ بِعِبَادَتِهِ وَخَذَهُ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَافٍ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَأَنَابَ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَى رَبِّكَ حَالُ مُكَذِّبِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَهُوَ عَالِمٌ، بِأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَنْتَ الْجَزَاءِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَيَنْصُرُكَ وَجِزْنُكَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

١١٩ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

١٢٠ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَثَبْتَ بِهِ قُودَاكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ

١٢١ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ

١٢٢ وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ

١٢٣ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(١٢) سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا إِخْرَاضُ عِشْرَةِ وَمِائَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(آيَات) (الكتاب)

(١) - أَلِفٌ، لَامٌ رَا - وَتَقْرَأُ مَقْطَعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

هَذِهِ الْآيَاتُ هِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ (الْكِتَابِ) الْجَلِيِّ الْوَاضِحِ، الَّذِي يُفْصِحُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَبَهِّمَةِ مِنْ حَقَائِقِ الدِّينِ، وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَيُفَسِّرُهَا، وَيَبَيِّنُهَا لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَرْشِدَ بِهَا.

(أَنْزَلْنَاهُ) (قُرْآنًا)

(٢) - لَقَدْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، لَعَلَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، لِيَفْهَمُوهُ، وَيَتَذَكَّرُوهُ، وَيَعْقِلُوهُ.

(الْقُرْآنَ) (الْغَافِلِينَ)

(٣) - قَالَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ، لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ يَدُلُّهُمْ فِيهَا عَلَى أَحْسَنِ الْقَصَصِ، وَمِمَّا يَخُويهِ الْقُرْآنُ مِنْ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ، وَمِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَمِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ... وَقَدْ كُنْتُ يَا مُحَمَّدُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ فِي زُمْرَةِ الْغَافِلِينَ عَنْهُ مِنْ قَوْمِكَ الْأُمِّيِّينَ.

نَقُصُّ عَلَيْكَ. نُحَدِّثُكَ، أَوْ نُبَيِّنُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ.

(يَا أَبَتِ) (سَاجِدِينَ)

(٤) - أَذْكُرُ، يَا مُحَمَّدُ، لِقَوْمِكَ فِي قَصَصِكَ عَلَيْهِمْ، قِصَّةَ يُوسُفَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَعْقُوبَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

الرَّيَّةَ أَتَيْتُ الْكِتَابَ الْمُنِيرَ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ

الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي

رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ

وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا تَسْجُدُ لِي. فَفَسَّرَهَا يَعْقُوبُ أَنَّ ابْنَهُ يُوسُفَ سَيَحْتَلُ مَرْكَزًا رَافِعًا مَرْمُوقًا، وَأَنَّهُ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ يُوسُفَ، وَإِخْوَتُهُ الْأَحَدَ عَشَرَ، سَيَكُونُونَ مِمَّنْ يُعْظَمُونَ مَرْكَزَهُ تَعْظِيمًا زَائِدًا، حَتَّى لَيَصِلُوا إِلَى حَدِّ السُّجُودِ لَهُ إِجْلَالًا وَآخِرَامًا.

(يَا بُنَيَّ) (رُؤْيَاكَ) (الشَّيْطَانُ) (لِلْإِنْسَانِ)

(٥) - فَخَشِيَ يَعْقُوبُ أَنْ يُحَدِّثَ يُوسُفَ أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِهِ لِأَبِيهِ بِرُؤْيَاهُ هَذِهِ فَيَحْسُدُوهُ عَلَيْهَا، وَيَأْخُذُوا فِي الْكَيْدِ لَهُ لِإِهْلَاكِهِ، لِذَلِكَ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَقْصُصَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ إِخْوَتِهِ شَيْئًا مِنْ رُؤْيَاهُ، مَخَافَةَ أَنْ يُغْرِيبَهُمُ الشَّيْطَانُ بِالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لِلْإِنْسَانِ، بَيْنَ الْعَدَاوَةِ وَوَاضِحُهَا.

(آلِ) (إِبْرَاهِيمَ) (إِسْحَاقَ)

(٦) - وَكَمَا آخَتَارَكَ اللَّهُ رَبُّكَ وَأَرَاكَ هَذِهِ الْكَوَاكِبَ سَاجِدَةً مَعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، كَذَلِكَ يَخْتَارُكَ رَبُّكَ وَيَضْطَفِيكَ لِلنُّبُوَّةِ (يَجْتَبِيكَ)، وَيُعَلِّمُكَ تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا (تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ)، وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَيَجْعَلُكَ رَسُولًا بِالْإِيحَاءِ إِلَيْكَ، كَمَا أَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ أَبَوَيْكَ، إِنَّ رَبُّكَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ.

يَجْتَبِيكَ - يَضْطَفِيكَ لِأُمُورٍ عَظَامٍ.
تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ - تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا وَتَفْسِيرَهَا.

(آيَاتِ) (لِلسَّائِلِينَ)

(٧) - لَقَدْ كَانَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ، وَخَبْرِهِ مَعَ إِخْوَتِهِ لِأَبِيهِ، عِبْرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ حِكْمَتِهِ، وَتَوْفِيقِ أَقْدَارِهِ، وَلُطْفِهِ بِمَنْ أَصْطَفَى مِنْ عِبَادِهِ، وَعِظَةِ السَّائِلِينَ عَنْ ذَلِكَ (آيَاتِ) لِأَنَّهُ خَبَرٌ عَجِيبٌ، يَسْتَحِقُّ أَنْ يُرَوَّى، وَيُخَبَّرَ عَنْهُ.

(ضَلَالٍ)

(٨) - إِذْ قَالُوا إِخْوَةُ يُوسُفَ لِأَبِيهِ، فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَهُمْ عَشْرَةُ رِجَالٍ، إِنَّ يُوسُفَ وَأَخَاهُ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا، وَنَحْنُ أَنْفَعُ لَهُ مِنْهُمَا لِأَنَّنَا جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ الْعَدَدِ (عُصْبَةٌ)، وَإِنْ أَبَانَا لَعَلَّى خَطَاٍ وَاضِحٌ فِي تَفْضِيلِ هَؤُلَاءِ الْأَخَوِينَ، وَتَقْدِيرِهِمَا عَلَيْنَا، وَقَدْ ضَلَّ طَرِيقَ الْعَدَالَةِ وَالْمُسَاوَاةِ ضَلَالًا مُبِينًا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، فَكَيْفَ يُفْضَلُ غَلَامَتَيْنِ ضَعِيفَتَيْنِ لَا يَقُومَانِ بِخِدْمَةِ نَافِعَةٍ، عَلَى الْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ وَالْبَاسِ؟

نَحْنُ عُصْبَةٌ - نَحْنُ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ الْعَدَدِ، كِفَاةً لِلْقِيَامِ بِمَا يَأْمُرُنَا بِهِ أَبُونَا.

ضَلَالٍ مُبِينٍ - خَطَاٍ بَيِّنٍ فِي إِثَارِهِمَا عَلَيْنَا.

قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى

إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ

الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ

وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ

مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ

نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ

يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ

مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ

وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَلَكِّينَ

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ

إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ

أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

(صَالِحِينَ)

(٩) - فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ يُوسُفَ يُزَاجِمُكُمْ فِي حُبِّ أَبِيكُمْ لَكُمْ، فَأَبْعِدُوهُ عَنْ وَجْهِهِ لِيُخْلَوَ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَخَذَكُمْ، إِمَّا بِقَتْلِهِ، وَإِمَّا بِطَرْجِهِ فِي أَرْضٍ أُخْرَى. وَبَعْدَ أَنْ تَزِيلُوا يُوسُفَ - الَّذِي يَقِفُ حَائِلًا دُونَ مَحَبَّةِ أَبِيكُمْ - تُتَوَوَّنَ إِلَى اللَّهِ، وَتَنْصَلِحُ الْأُمُورَ، وَتَكُونُونَ قَوْمًا صَالِحِينَ.

أَطْرَحُوهُ أَرْضًا - أَلْقُوهُ فِي أَرْضٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أَبِيهِ.
يُخْلَ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ - يَخْلُصْ لَكُمْ حُبُّ أَبِيكُمْ وَإِقْبَالُهُ عَلَيْكُمْ.

(قَائِلٌ) (غِيَابَهُ) (فَاعِلِينَ)

(١٠) - فَقَالَ أَحَدُهُمْ: لَا تَبْلُغُوا فِي كُرْهِكُمْ يُوسُفَ حَدَّ الْقَتْلِ، وَاکْتَفُوا بِالْقَائِيهِ فِي أَعْمَاقِ بَيْتِ (غِيَابَةِ الْجُبِّ)، فَتَمُرَّ قَائِلَةٌ مِنَ الْمُسَافِرِينَ، مِمَّنْ أَلْفُوا الْأَسْتِقَاءَ مِنْ هَذِهِ الْبَيْتِ، فَتَلْتَقِطُهُ، وَتَأْخُذُهُ بَعِيدًا، فَتَرْتَاخُونَ مِنْهُ بِدُونِ ارْتِكَابِ جَرِيْمَةٍ قَتْلِ أَخِيكُمْ، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ مُصْرِّينَ عَلَى أَنْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ. وَبِمَا أَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ قَضَتْ بِأَنْ يَكُونَ يُوسُفَ ذَا شَأْنٍ عَظِيمٍ فَقَدْ قَبِلَ الْآخَرُونَ الْاِقْتِرَاحَ، لِيُبْلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ.

غِيَابَةُ الْجُبِّ - مَا غَابَ وَأُظْلِمَ مِنْ قَعْرِ الْجُبِّ.
الْمُسَافِرِينَ.

(يَا أَبَانَا) (لِنَاصِحُونَ)

(١١) - وَبَعْدَ أَنْ اتَّفَقُوا عَلَى الْخُطَةِ، جَاءُوا إِلَى أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيْهِمْ بِأَخِيهِمْ يُوسُفَ، لِيُنْفِذُوا فِيهِ مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ رَأْيُهُمْ مِنَ الْقَائِيهِ فِي الْبَيْتِ، وَهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِالنُّصْحِ وَالْمَحَبَّةِ لِأَخِيهِمْ يُوسُفَ.

(لِحَافِظُونَ)

(١٢) - وَقَالُوا لِأَبِيهِمْ: لِمَذَا لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَنَحْنُ لَهُ نَاصِحُونَ؟ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِيَسْتَمْتِعَ بِرِفْقَتِنَا وَيَلْعَبَ، وَإِنَّا نَتَكَفَّلُ بِحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ.

يَرْتَع - يَتَسَعَّ فِي أَكْلِ مَا لَدَّ وَطَابَ.
يَلْعَبُ - يُسَاقِ وَيَزِمُ بِالسَّهَامِ.

(غَافِلُونَ)

(١٣) - قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: إِنَّهُ لَيَشُقُّ عَلَيْهِ مُفَارَقَةُ يُوسُفَ مَدَّةَ ذَهَابِهِمْ بِهِ لِلرَّغْبَى لِفَرْطِ تَعَلُّقِهِ بِهِ، وَلَمَّا يَتَوَسَّمُهُ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَنْشَغِلُوا عَنْهُ فَيَأْتِيَهُ الذَّنْبُ وَيَأْكُلَهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

(٩) أَقْبَلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا

يُخْلَ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ

(١٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ

وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ

(١١) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى

يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ

(١٢) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

(١٣) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا

بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ

(لَيْلُنَ) (لَخَاسِرُونَ)

(١٤) - فَرَدُّوا عَلَى أَبِيهِمْ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ عُصْبَةٌ وَأَفْرَةُ الْعَدَدِ، فَإِذَا تَمَكَّنَ الذَّنْبُ مِنْ أَكْلِ أَحِبَّهُمْ يُوسُفَ وَهُوَ فِي حِرَاسَتِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ خَاسِرِينَ عَاجِزِينَ لَا غَنَاءَ فِيهِمْ.

(غِيَابَةُ)

(١٥) - فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ بَعِيداً عَنْ أَبِيهِ، وَعَزَمُوا عَزْماً أَكِيداً عَلَى أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ، أَتَوْا بِهِ إِلَى الْبِشْرِ، فَرَبَطُوهُ بِحَبْلِ، وَدَلُّوهُ فِيهَا إِلَى قَاعِهَا (غِيَابَةُ الْجُبِّ). وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَوْحَى، وَخَيَّ إِلَهُام، إِلَى يُوسُفَ، وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْكَرْبِ وَالضَّيْقِ، تَطْيِيباً لِقَلْبِهِ، وَتَشْيِيتاً لَهُ: أَنْ لَا تَحْزَنَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ وَالشَّلَّةِ، فَإِنَّ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَخْرَجاً حَسَناً، وَسَيَنْصُرُكَ اللَّهُ، وَيُعْلِي قَدْرَكَ، وَيَرْفَعُكَ دَرَجَةً، وَسَتُخَيِّرُ إِخْوَتَكَ بِمَا فَعَلُوا مَعَكَ مِنْ سُوءِ الصَّنِيعِ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَكَ، وَلَا يَشْعُرُونَ بِكَ، لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ تَخَلَّصُوا مِنْكَ. أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ - عَزَمُوا وَصَمَّمُوا.

(وَجَاؤُوا)

(١٦) - وَبَعْدَ أَنْ أَلْقَا يُوسُفَ فِي الْجُبِّ رَجَعُوا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَقَتَ الْعِشَاءِ، إِلَى أَبِيهِمْ وَهُمْ يَبْكُونَ وَيُظْهِرُونَ الْجَزَعَ وَالْحُزْنَ عَلَى يُوسُفَ.

(يَا أَبَانَا) (مَتَاعِنَا) (صَادِقِينَ)

(١٧) - وَقَالُوا لِأَبِيهِمْ مُعْتَذِرِينَ عَمَّا وَقَعَ: إِنَّهُمْ ذَهَبُوا يَسْتَأْذِنُونَ فِي الرَّمِي، وَتَرَكَوا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِهِمْ لِيُخْرِسَهُ، فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ. ثُمَّ قَالُوا لَهُ: إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تُصَدِّقُنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ فِيمَا نَقُولُ، فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَتَّهَمُنَا فِي ذَلِكَ، لِأَنَّكَ خَشِيتَ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ فَأَكَلَهُ، فَأَنْتَ مَعْدُورٌ فِي تَكْذِيبِكَ إِيَّانَا.

نَسْتَبِقُ - نَتَضَلُّ بِالسَّهَامِ.

مَتَاعِنَا - ثِيَابِنَا وَعُدَّتِنَا.

(وَجَاؤُوا)

(١٨) - وَيُقَالُ إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ عَمَدُوا إِلَى جَدِّي فَذَبَحُوهُ، وَلَطَّخُوا بِدَمِهِ ثِيَابَ يُوسُفَ الَّتِي حَمَلُوهَا إِلَى أَبِيهِمْ لِيُوهِمُوهُ أَنَّ هَذَا هُوَ قَمِيصُهُ الَّذِي أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَهُوَ يَلْبِسُهُ. وَيُقَالُ إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ نَسُوا أَنْ يَخْرِقُوا الْقَمِيصَ، لِأَنَّ الذَّنْبَ لَوْ أَكَلَهُ لَمَزَّقَ ثِيَابَهُ. وَلَا حَظَّ نَبِيَّ اللَّهِ يَقُوبُ ذَلِكَ، فَأَدْرَكَ أَنْ أَوْلَادَهُ كَاذِبُونَ، فَقَالَ لَهُمْ مُكَذِّبًا: بَلْ حَسَنْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرَ الْجَرِيمَةِ، وَسَهَلْتُمْ عَلَيْكُمْ، فَأَرْتَكِبْتُمْ أَمراً مُنْكَراً، فَسَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً

١٤ قَالُوا لَيْلِنَ أَكَلَهُ الذَّنْبُ

وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا
لَخَاسِرُونَ

١٥ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ

يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُنَتِّهَنَّاهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

١٦ وَجَاءَ آبَاَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ

١٧ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ

وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا
فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ
بِحُومٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ

١٨ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ
أَمَّا فَصَبِّرْ بِحَبْلِ اللَّهِ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ

لَا شُكْرَى فِيهِ عَلَى مَا أَنْفَقْتُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى يُفَرِّجَهُ اللَّهُ بِكَرَمِهِ وَمَنَّهُ، وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَذْكُرُونَ مِنَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ.
سَوَّلْتُ لَكُمْ - زَيْتَهُ لَكُمْ وَسَهَّلْتُ أَرْتِكَابَهُ عَلَيْكُمْ.
فَصَبِّرْ جَمِيلٌ - لَا شُكْرَى فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى.
مَا تَصِفُونَ - مَا تَذْكُرُونَ مِنَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ.

(يَا بُشْرَى) (غَلَامٌ) (بِضَاعَةٌ)

(١٩) - وَمرَّتْ بِالْبَيْتِ قَافِلَةٌ (سَيَّارَةٌ) مُجْتَازَةٌ فَأَرْسَلُوا رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَى الْبَيْتِ
لِيَسْتَقِيَ لَهُمُ الْمَاءَ، فَأَذَلَّى ذَلْوُهُ فِي الْبَيْتِ، فَتَعَلَّقَ يُوسُفُ بِالذَّلْوِ، فَأَخْرَجَهُ
الرَّجُلُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْوَارِدِينَ عَلَى الْمَاءِ، وَاسْتَبَشَرُوا بِرُؤْيَيْهِ، وَعَادُوا إِلَى
الْقَافِلَةِ بِهِ، وَقَالُوا لِمَنْ مَعَهُمْ إِنَّهُمْ اشْتَرَوْهُ مِنْ وَارِدِينَ عَلَى الْمَاءِ لِكَيْلَا
يُشَارِكَهُمُ الْآخَرُونَ مِنْ رِفَاقِهِمْ فِي الْقَافِلَةِ فِيهِ إِنْ عَلِمُوا حَقِيقَةَ خَبَرِهِ.
وَأَخْفَوْهُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ لِكَيْلَا يَدْعِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ،
لِيَكُونَ بِضَاعَةٌ مِنْ جُمْلَةِ تِجَارَتِهِمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ إِخْوَةُ يُوسُفَ كَانُوا يُرَاقِبُونَ الْبَيْتَ لِيَعْلَمُوا مَا الَّذِي
سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُ يُوسُفَ، وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَذَكَّرُوا خَبَرَهُ لِوَارِدِهَا، فَنَادَى
أَصْحَابَهُ وَقَالَ: يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ يُبَاعُ، فَبَاعَهُ إِخْوَتُهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ قَلِيلٍ
إِلَى وَارِدِ السَّيَّارَةِ، وَلَمْ يَقُولُوا إِنَّهُ أَخُوهُمْ، وَلَمْ يَقُلْ هُوَ إِنَّهُمْ إِخْوَتُهُ،
مُفَضِّلًا الرِّقَّ وَالْبَيْعَ عَلَى أَنْ يَقْتُلَهُ إِخْوَتُهُ، وَكَانَ الْإِخْوَةُ مِنَ الرَّاهِدِينَ فِي
يُوسُفَ وَلَوْ سَأَلَهُمْ أَحَدٌ أَنْ يُعْطُوهُ إِيَّاهُ بِغَيْرِ ثَمَنِ لَفَعَلُوا).

سَيَّارَةٌ - رِفْقَةٌ مُسَافِرُونَ مِنْ مَدِينٍ إِلَى مَدِينَةٍ.
وَارِدُهُمْ - مَنْ يَتَقَدَّمُ الرِّفْقَةَ لِيَسْتَقِيَ لَهُمْ.
فَأَذَلَّى ذَلْوُهُ - فَأَرْسَلَ ذَلْوُهُ فِي الْجَبِّ.
أَسْرُوهُ بِضَاعَةٌ - أَخْفَاهُ الْوَارِدُ عَنْ أَصْحَابِهِ فِي الْقَافِلَةِ، أَوْ أَخْفَى إِخْوَتُهُ
أَمْرَهُ لِيَكُونَ مَتَاعًا لِلتِّجَارَةِ (بِضَاعَةٌ).

(دَرَاهِمَ) (الرَّاهِدِينَ)

(٢٠) - وَبَاعَهُ رِجَالُ السَّيَّارَةِ فِي مِصْرَ بِثَمَنِ بَخْسٍ قَلِيلٍ نَاقِصٍ، عَنْ
ثَمَنِ الْحَقِيقِيِّ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ دَرَاهِمَ مَعْدُودَاتٍ (وَكَانُوا قَدِيمًا يُعْدُونَ
ثَمَنَ مَا يَشْتَرُونَ عَدًّا إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْمَبْلُغُ الْأَوْفَى - أَيْ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا - أَمَّا
إِذَا جَاوَزَ الْمَبْلُغَ الْأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا فَكَانُوا يَدْفَعُونَهُ بِالْمِيزَانِ).
وَكَانَ الَّذِينَ بَاعُوهُ يَرْغَبُونَ فِي الْخُلَاصِ مِنْهُ لَيْلًا يَظْهَرُ مَنْ يُطَالِبُهُمْ بِهِ،
لِأَنَّهُ خُرٌّ، وَلِذَلِكَ قَبِلُوا بِالثَّمَنِ الْبَخْسِ.
شُرُوهُ - بَاعُوهُ.

بِثَمَنِ بَخْسٍ - نَاقِصٍ عَنِ الْقِيَمَةِ نَقْصًا ظَاهِرًا.

١٩ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ

فَأَذَلَّى ذَلْوُهُ قَالَ يَبْشُرَى هَذَا

عَلِمَ وَأَسْرُوهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ

بِمَا يَعْمَلُونَ

٢٠ وَشُرُوهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ

مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ

الرَّاهِدِينَ

(اِشْتَرَاهُ) (مَثْوَاهُ)

(٢١) - يَقُولُ تَعَالَى : إِنَّ السَّيَّارَةَ بَاعَتْ يُوسُفَ لِرَجُلٍ مِنْ مِصْرَ (هُوَ عَزِيزُهَا أَوْ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ فِيهَا) فَكَرَّمَهُ هَذَا الرَّجُلُ، مُتَوَسِّمًا فِيهِ الْخَيْرَ، وَأَوْصَى أَهْلَهُ بِهِ. وَهَكَذَا مَكَنَ اللَّهُ لِيُوسُفَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَعَلَّمَهُ تَغْيِيرَ الرُّؤْيَا (تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ)، وَاللَّهُ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا فَلَا يَرُدُّ وَلَا يُمَانَعُ، بَلْ هُوَ الْغَالِبُ لِمَا سِوَاهُ، وَالْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ حِكْمَتَهُ فِي خَلْقِهِ، وَتَلَطُّفَهُ فِي فِعْلِهِ مَا يُرِيدُ. أَكْرَمِي مَثْوَاهُ - أَجْعَلِي مَحَلَّ إِقَامَتِهِ كَرِيمًا مُرْضِيًا. غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ - لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَذْفَعُهُ عَنْهُ أَحَدٌ.

(أَتَيْنَاهُ)

(٢٢) - وَلَمَّا اسْتَكْمَلَ يُوسُفَ عَقْلَهُ، وَتَمَّ خَلْقَهُ (بَلَغَ أَشُدَّهُ)، آتَاهُ اللَّهُ النُّبُوَّةَ (حُكْمًا وَعِلْمًا)، وَحَبَّاهُ بِهَا، مِنْ بَيْنِ أَوْلِيكَ الْقَوْمِ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحْسِنًا فِي عَمَلِهِ، عَامِلًا بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَكَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ.

بَلَغَ أَشُدَّهُ - بَلَغَ مُنْتَهَى قُوَّةِ جِسْمِهِ.

(وَرَاوَدَتْهُ) (الْأَبْوَابُ) (الظَّالِمُونَ)

(٢٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مُحَاوَلَةِ أَمْرَاءِ الْعَزِيزِ - الَّتِي أَوْصَاهَا زَوْجُهَا يُوسُفَ - اسْتِغْوَاءَهُ، وَطَلِبَهَا مِنْهُ فَعَلَ الْفَاحِشَةَ، بَعْدَ أَنْ أَحَبَّتْهُ حُبًّا شَدِيدًا، لِجَمَالِهِ وَبَهَائِهِ، فَحَمَلَهَا ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَجَمَّلَتْ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَعْلَقَتْ الْأَبْوَابَ، وَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا، قَائِلَةً لَهُ : (هَيْتَ لَكَ - أَيُّ هَلُمَّ إِلَيَّ)، فَاِمْتَنَعَ يُوسُفُ عَنِ اسْتِجَابَةِ إِلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا إِنْ بَعْلُكَ هُوَ سَيِّدُ الْبَيْتِ الَّذِي أَقِمُّ فِيهِ (رَبِّي)، وَقَدْ أَحْسَنَ إِلَيَّ، فَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقَابِلَهُ عَلَى ذَلِكَ بِفِعْلِ الْفَاحِشَةِ مَعَ أَهْلِهِ. وَالظَّالِمُونَ النَّاكِرُونَ لِلْجَمِيلِ لَا يُفْلِحُونَ أَبَدًا.

رَاوَدَتْهُ - تَمَحَّلَتْ لِمُوَاقَعَتِهِ إِثَابًا.

هَيْتَ لَكَ - هَلُمَّ إِلَيَّ، أَسْرِعْ.

مَعَاذَ اللَّهِ - أَعُوذُ بِاللَّهِ مَعَاذًا مِمَّا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ.

(رَأَى)

(٢٤) - وَيَقُولُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّ نَفْسَ يُوسُفَ حَدَّثَتْهُ بِالْمَرَّةِ فَرَأَى شَيْئًا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ أَعَادَهُ إِلَى عَقْلِهِ. وَتَرَاجَعَ عَمَّا هَمَّتْ بِهِ نَفْسُهُ، وَبِذَلِكَ صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ السُّوءَ، وَعَمَلَ الْفَاحِشَةَ، لِأَنَّهُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ. (وَأَخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ حَوْلَ الْآيَاتِ الَّتِي رَأَاهَا يُوسُفُ فَأَيُّفَظَتْهُ، فَقِيلَ إِنَّهُ

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرَاتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَنًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنَعْلَمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَاعْلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ

رَأَى صُورَةَ أَبِيهِ يَعْقُوبَ يُحْذَرُهُ، وَقِيلَ إِنَّهُ رَأَى صُورَةَ رَبِّ الْبَيْتِ، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ رَأَى بَعْضَ آيَاتِ اللَّهِ مَكْتُوبًا عَلَى الْجِدَارِ. (٢٠)
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ يُوسُفَ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ هُمْ بِهَا وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ مِنْ اسْتِعْمَالِ النَّصِّ (لَوْلَا) الَّتِي هِيَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَرْفُ امْتِنَاعٍ لُجُودٍ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ: (وَلَوْلَا أَنَّ رَأَى يُوسُفَ بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهُمْ بِهَا، فَوُجُودُ لَهُمْ مِنْهُ يَقُومُ عَلَى انْقِضَاءِ رُؤْيَةِ الْبُرْهَانِ وَلَكِنْ وَجَدَتْ رُؤْيَةَ الْبُرْهَانِ فَانْتَفَى لَهُمْ مِنْ جَانِبِهِ).
وَقَدْ بَرَأَ اللَّهُ يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الْآيَةِ نَفْسَهَا وَقَالَ إِنَّهُ صَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ لِأَنَّهُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ أَخْلَصَهُمْ رَبُّهُمْ لِبَطَاعَتِهِ عَنْ فِعْلِ مَا يَشِينُهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي.

(لَدَى)

(٢٥) - وَهَرَبَ يُوسُفُ مِنَ الْمَرْأَةِ نَحْوَ الْبَابِ لِيَنْجُو بِنَفْسِهِ مِنْهَا، فَلَحِقَتْ بِهِ لِيَرْجِعَهُ إِلَيْهَا، وَأَمْسَكَتْ بِهِ مِنْ قِمِيصِهِ مِنْ خَلْفِهِ فَقَدَّتْهُ وَمَرَّقَتْهُ، وَوَجَدَا (الْفَيَّا) زَوْجَ الْمَرْأَةِ عِنْدَ الْبَابِ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ الْمُخْرِجِ بِكَيْدِهَا وَمَكْرُهَا، فَاتَّهَمَتْ يُوسُفَ بِأَنَّهُ رَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ لِرُؤُوسِهَا: مَا جَزَاءُ الَّذِي يُرِيدُ بِزَوْجَتِكَ السُّوءَ وَالْفَاحِشَةَ، إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ فِي السَّجْنِ، أَوْ أَنْ يُوَقَّعَ عَلَيْهِ عَذَابُ أَلِيمٍ، عُقُوبَةً لَهُ عَلَى مَا جَنَّتْهُ يَذَاهُ؟

أَسْتَبَقَا الْبَابَ - تَسَابَقَا إِلَيْهِ هُوَ يُرِيدُ الْخُرُوجَ وَهِيَ تُرِيدُ مَنَعَهُ.
قَدَّتْ قِمِيصَهُ - مَرَّقَتْهُ وَشَقَّتْهُ.
الْفَيَّا سَيِّدَهَا - وَجَدَا زَوْجَهَا.

(رَاوَدَتْنِي) (الْكَاذِبِينَ)

(٢٦) - فَتَبَرَّأَ يُوسُفُ مِنَ التُّهْمَةِ الَّتِي رَمَتْهُ بِهَا الْمَرْأَةُ مِنْ مُرَاوَدَتِهِ إِيَّاهَا عَنْ نَفْسِهَا، وَقَالَ: هِيَ الَّتِي رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي، وَطَلَبْتَنِي لِفِعْلِ الْفَاحِشَةِ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ هَرَبَ مِنْهَا نَحْوَ الْبَابِ، وَلَكِنَّهَا لَحِقَتْ بِهِ، وَأَمْسَكَتْ بِقِمِيصِهِ مِنَ الْخَلْفِ فَتَمَرَّقَتْ. وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَرْأَةِ: إِنْ كَانَ قِمِيصُ يُوسُفَ تَمَرَّقَ مِنْ قَبْلِهِ (أَيْ مِنَ الْأَمَامِ)، فَتَكُونُ الْمَرْأَةُ هِيَ الصَّادِقَةُ وَيَكُونُ هُوَ الْكَاذِبُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ دَعَاها إِلَى نَفْسِهِ، وَأَبَتْ هِيَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَهَاجَمَهَا فَدَفَعَتْهُ عَنْ نَفْسِهَا، وَأَخَذَتْ بِتَلَابِيهِ فَتَمَرَّقَ قِمِيصُهُ فَيَصِحُّ مَا قَالَتْ هِيَ.

(الصَّادِقِينَ)

(٢٧) - وَإِنْ كَانَ قِمِيصُ يُوسُفَ تَمَرَّقَ مِنَ الْخَلْفِ (مِنْ دُبُرٍ) فَيَكُونُ هُوَ

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ ٢٥

قِمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفَيَّا سَيِّدَهَا
لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ
مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ
يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ٢٦

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا
إِنْ كَانَ قِمِيصُهُ قَدْ مَرَّقَ مِنْ قَبْلِ
فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

وَإِنْ كَانَ قِمِيصُهُ قَدْ مَرَّقَ مِنْ دُبُرٍ ٢٧

فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ

الصَّادِقَ وَهِيَ الْكَاذِبَةُ، لِأَنَّهَا تَكُونُ هِيَ الَّتِي لَحَقَتْ بِهِ، وَهُوَ هَارِبٌ مِنْهَا، فَجَذَبَتْهُ مِنْ قَيْمِصِهِ مِنَ الْخَلْفِ فْتَمَزَّقَ، فَيَصِحُّ مَا قَالَهُ يُوسُفُ.
(رَأَى)

(٢٨) - فَلَمَّا تَحَقَّقَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ مِنْ صَدَقِ يُوسُفَ، وَكَذِبِ الْمَرْأَةِ، إِذْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ قَمِيصَ يُوسُفَ قَدْ تَمَزَّقَ مِنَ الْخَلْفِ قَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْبُهْتُ، وَمَا حَاوَلْتُ بِهِ تَلْطِيفَ سُمْعَةَ الشَّابِّ، هُوَ مِنْ كَيْدِ النِّسَاءِ الْعَظِيمِ.

(٢٩) - ثُمَّ أَمَرَ صَاحِبُ الْبَيْتِ يُوسُفَ بِكَيْتَمَانٍ مَا وَقَعَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَضْرِبْ صَفْحًا عَنْهُ فَلَا تَذْكُرْهُ لِأَحَدٍ لِكَيْلَا يَشِيْعَ خَبْرُهُ، وَيَتَشَرَّ بَِيْنَ النَّاسِ. وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ اسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ الَّذِي وَقَعَ مِنْكَ مِنْ إِرَادَةِ الْفَاجِئَةِ بِالشَّابِّ، ثُمَّ أَتَاهُمَا بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، لِأَنَّكَ كُنْتَ بِفِعْلِكَ هَذَا مِنَ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ الْخَطِيئَةَ عَنْ عَمْدٍ وَتَصْمِيمٍ.

(امْرَأَةً) (تُرَاوِدُ) (فَتَاهَا) (لَتَرَاهَا) (ضَلَالٍ)

(٣٠) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ قِصَّةَ يُوسُفَ مَعَ الْمَرْأَةِ قَدْ شَاعَ خَبَرُهَا فِي الْمَدِينَةِ (مِصْرَ)، حَتَّى تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَا، فَقَالَتْ نِسَاءُ الْكِبَرَاءِ وَالْأَمْهَاءِ يُنْكِرْنَ عَلَى امْرَأَةِ الْعَزِيزِ (وَهُوَ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ) فَعَلَّهَا، وَيَعِينُ عَلَيْهَا مَسْلُكَهَا فِي مُرَاوِدَةِ غُلَامِهَا (فَتَاهَا) وَعَبْدَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَدَعَوْتِهِ إِلَى نَفْسِهَا، وَقُلْنَ إِنَّهُ قَدْ سَلَبَ لَهَا مِنَ الْحُبِّ، وَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَهَا فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ بَيْنَ فِي تَصَرُّفِهَا هَذَا.

(وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: الشَّغْفُ هُوَ الْحُبُّ الْقَاتِلُ، وَالشَّغَافُ هُوَ حِجَابُ الْقَلْبِ، أَيُّ إِنْ حُبُّهُ قَدْ مَسَّ شَغَافَ قَلْبِهَا).
شَغَفَهَا حُبًّا - شَقَّ حُبُّهُ سُوْدَاءَ قَلْبِهَا.

(مُتَكَأً) (وَأَتَتْ) (وَاحِدَةً) (حَاشَ)

(٣١) - فَلَمَّا سَمِعَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ مَقَالََةَ نِسْوَةِ الْكِبَرَاءِ الَّتِي أُرْدُنَ بِهَا إِغْضَابَهَا، وَمَا يَتَحَدَّثْنَ بِهِ عَنْ ذَهَابِ الْحُبِّ بِهَا كُلِّ مَذْهَبٍ، أُرْسِلَتْ إِلَيْهِنَّ تَدْعُوهُنَّ إِلَى مَنَزِلِهَا لِتُضَيِّقَهُنَّ، وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مَفَارِشَ وَأَرَائِكَ، وَطَعَامًا مِمَّا يَقْطَعُ بِالسَّكَاكِينِ، وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا لِنِسْتَعْمِلَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهَا مَكِيدَةً، وَمُقَابَلَةً مِنْهَا لَهُنَّ عَلَى كَيْدِهِنَّ. ثُمَّ دَعَتْ يُوسُفَ إِلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِنَّ. فَلَمَّا رَأَتْهُ النِّسْوَةُ أَعْظَمْنَ شَأْنَهُ، وَأَجْلَلْنَ قُدْرَهُ، وَجَعَلْنَ يُجَرِّحْنَ أَيْدِيَهُنَّ دَهْشًا بِرُؤْيَيْهِ. وَلَمَّا شَكَّوْنَ لَهَا مِمَّا أَصَابَهُنَّ، قَالَتْ لَهُنَّ: أَنْتُنَّ فَعَلْتُنَّ هَذَا مِنْ نَظَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَيْفَ الْأُمُّ أَنَا؟ فَقُلْنَ لَا لَوْمَ عَلَيْكَ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْنَا، فَهَذَا لَيْسَ بِشَرًّا مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا هُوَ أَحَدُ مَلَائِكَةِ اللَّهِ الْمُكْرَمِينَ.

﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَى أَقْبِصَهُ، قَدْ مِنْ دُبُرٍ

قَالَ إِنَّهُ وَمِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ

﴿٢٩﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا

وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ إِنَّكَ

كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ



﴿٣٠﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي

الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ

تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ

شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي

ضَلَالٍ مُبِينٍ

﴿٣١﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ

إِلَيْهِنَّ وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مَتَكَاوَهُ أَتَتْ

كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ

أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ

وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ

مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ

كَرِيمٌ

فَطْفَنُ أَيَّدِيْهِنَّ - جَرَحَنُ أَيَّدِيْهِنَّ.
حَاشَ لِلَّهِ - تَنَزَّيْهَا عَنِ الْعَجْزِ عَنِ خَلْقِ مِثْلِهِ.
(رَاوَدَتْهُ) (وَلَيْتَن) (أَمْرُهُ) (لَيَكُونَنَّ) (الصَّاعِرِينَ)

(٣٢) - وَقَالَتْ أَمْرَةُ الْعَزِيزِ لِلنَّسْوَةِ تَدَافِعُ عَنْ نَفْسِهَا: هَذَا هُوَ الْغُلَامُ الَّذِي لُمْتُنِي لِأَنِّي شَغِفْتُ بِهِ حُبًّا، وَهِيَ قَدْ رَأَيْتُ جَمَالَهُ وَبَهَاءَهُ بِأَعْيُنِكُنَّ، فَكَيْفَ لَا يَتَعَلَّقُ قَلْبِي بِهِ، وَمِثْلُ هَذَا الْجَمَالِ خَلِيقٌ بِأَنْ يُفْتَنَ بِهِ؟ وَاعْتَرَفَتْ لَهُنَّ بِأَنَّهَا رَاوَدَتْهُ فِعْلًا عَنْ نَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ اسْتَعَصَمَ وَأَمْتَنَعَ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَتْهُ بِهِ، وَيَخْضَعُ لِأَرَادَتِهَا، وَإِذَا لَمْ يَسْتَجِبْ لِرَغْبَتِهَا، فَإِنَّهُ سَيُسْجَنُ وَسَيَكُونُ مِنَ الْمُنْبُودِينَ الْمُسْتَكِينِينَ (الصَّاعِرِينَ).

فَاسْتَعَصَمَ - اِمْتَنَعَ اِمْتِنَاعًا شَدِيدًا وَأَبَى.

(الْجَاهِلِينَ)

(٣٣) - فَاسْتَعَاذَ يُوسُفُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِنَّ، وَمِنْ كَيْدِهِنَّ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، السَّجْنُ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنَ الْاسْتِحْجَايَةِ إِلَى مَا يَطْلُبُنِي مِنْ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ (وَفِي هَذَا الْقَوْلِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ النَّسْوَةَ اشْتَرَكْنَ مَعَ أَمْرَةِ الْعَزِيزِ فِي تَهْدِيدِ يُوسُفَ وَتَخْوِيفِهِ مِنْ عَاقِبَةِ إِصْرَارِهِ عَلَى الْاِمْتِنَاعِ عَنْهَا، وَرَغْبَتِهِ فِي مُسَايَرَتِهَا، وَالْاسْتِحْجَايَةِ إِلَيْهَا)، وَإِنْ وَكَلْتَنِي يَا رَبِّ إِلَى نَفْسِي فَلَيْسَ لِي مِنْهَا قُدْرَةٌ، وَلَا أَمْلِكُ لَهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، فَإِنْ لَمْ تُصَرِّفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ، وَتَعْصِمْنِي مِنَ الْفَاحِشَةِ، أَسْتَجِبْ لَهُنَّ، وَأَكُنْ بِذَلِكَ مِنَ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ تَسْتَحْفَهُمُ الشَّهَوَاتُ، فَيَجْنَحُونَ إِلَى ارْتِكَابِ الْمُؤْبَقَاتِ، وَاجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ.
أُصِبَ إِلَيْهِنَّ - اِمْلُ إِلَى إِجَابَتِهِنَّ إِلَى مَا يَطْلُبُنُهُ.

(٣٤) - فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِدَعَائِهِ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ، إِذْ كَفَّتِ الْمَرْأَةُ عَنْ مُلَاحَقَتِهِ وَمُطَالَبَتِهِ بِالْفَاحِشَةِ، وَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُنَّ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ لِمَنْ يَدْعُوهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، عَلِيمٌ بِصِدْقِ إِيْمَانِهِ، وَبِمَا يُصْلِحُ أَحْوَالَهُ.

(الآيَاتِ)

(٣٥) - وَلَمَّا قَامَتِ الْأَدِلَّةُ عَلَى صِدْقِ يُوسُفَ وَعَقِيَّتِهِ، وَبِرَاءَتِهِ بِمَا رَمَتْهُ بِهِ أَمْرَةُ الْعَزِيزِ، رَأَوْا أَنَّهُ مِنَ الْمُصْلِحَةِ أَنْ يَسْجُنُوهُ بَعْضُ الْوَقْتِ (حَتَّى حِينَ)، إِيْهَامًا بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي رَاوَدَ أَمْرَةَ الْعَزِيزِ عَنْ نَفْسِهَا، وَأَنَّهَا كَانَتْ صَادِقَةً فِيمَا قَالَتْهُ عَنْهُ، وَإِبْعَادًا لَهُ مِنَ الدَّارِ الَّتِي فَتَنَ رَبَّتُهَا وَصَدِيقَاتُهَا، وَاسْتَحْفَهُنَّ حُبًّا وَشَفَقًا، دُونَ أَنْ يَتْرَكَ لَهُنَّ فِيهِ مَطْعَمًا، وَقَطْعًا لِأَلْسِنَةِ السُّوءِ الَّتِي أَخَذَتْ فِي اللَّغْطِ فِي قِصَّةِ الْمُرَاوَدَةِ.

٣٢ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ
وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ

فَاسْتَعَصِمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ
لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ

٣٣ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا
يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي
كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ
الْجَاهِلِينَ

٣٤ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ
كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

٣٥ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا
الْآيَاتِ لَيَسْجُنَنَّهُ وَحَتَّى حِينٍ

(أَرَانِي) (نَرَاكَ)

(٣٦) - وَدَخَلَ السَّجْنَ مَعَ يُوسُفَ عَبْدَانِ مَمْلُوكَانِ لِمَلِكِ مِصْرَ (فَتَيَانِ)، قِيلَ إِنَّ أَحَدَهُمَا سَاقِي الْمَلِكِ، وَالْآخَرُ خَبَازُهُ، وَقَدْ أَتَاهُمَا بِمَحَاوَلَةٍ دَسَّ السُّمَّ لِلْمَلِكِ لِلْفَتَنِ بِهِ. وَقَدْ شَاعَ فِي السَّجْنِ مَا عَلَيْهِ يُوسُفُ مِنَ الصَّدَقِ وَالصَّلَاحِ، وَمَعْرِفَةِ تَعْبِيرِ الْأَحْلَامِ، وَقَدْ رَأَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَامِيْنَ مَنَامًا فَصَّهُ عَلَى يُوسُفَ، وَرَجَاهُ أَنْ يُفَسِّرَهُ لَهُ. وَكَانَ السَّاقِي قَدْ رَأَى فِي نَوْمِهِ أَنَّهُ يَعْصِرُ عِنَبًا وَيَصْنَعُ مِنْهُ خَمْرًا، وَرَأَى الْآخَرُ أَنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِهِ خُبْزًا فَتَأْتِي الطَّيْرُ فَتَأْكُلُ مِنْهُ. وَطَلَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ يُوسُفَ أَنْ يُفَسِّرَ لَهُ رُؤْيَاهُ، لِأَنَّهُ يَرَاهُ مِنَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ تَفْسِيرَ الْأَحْلَامِ وَتَأْوِيلَهَا.

أَعْصِرُ خَمْرًا - أَعْصِرُ عِنَبًا يُوَلِّدُ إِلَى خَمْرِ أَسْقِيهِ الْمَلِكُ.

(بِالْآخِرَةِ) (كَافِرُونَ)

(٣٧) - قَالَ لَهُمَا يُوسُفُ: إِنَّهُ يَعْرِفُ تَفْسِيرَ مَا رَأَاهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ حُلْمٍ وَسُخْبَرُهُمَا بِتَأْوِيلِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمَا إِنَّهُمَا لَا يَأْتِيهِمَا طَعَامٌ إِلَّا أَخْبَرَهُمَا بِهِ، وَهُوَ عِنْدَ أَهْلِهِ، وَبِمَا يُرِيدُونَ مِنْ إِرْسَالِهِ. (وَقِيلَ إِنَّ مُدَبِّرِي الْمُمَارَمَةِ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ رِجَالِ الدُّوَلَةِ كَانُوا يُحَاوِلُونَ إِرْسَالَ طَعَامٍ مَسْمُومٍ إِلَى الْعُلَامِيْنَ لِقَتْلِهِمَا لَكِنِّي لَا يَقْرَأُ بَشِيءٌ عَنِ أَشْتِرَاقِهِمْ بِالْمُمَارَمَةِ) وَهَذِهِ الْقُدْرَةُ عَلَى تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ، وَوَحْيِ الْإِلَهَامِ الَّذِي تَمَتَّعَ بِهِ، هُمَا مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ رَبُّهُ بِوَحْيِهِ مِنْهُ، لِأَنَّهُ تَرَكَ مُشَارَكَةَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَفِلَسْطِينَ فِي عِبَادَةِ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنَامٍ وَالْهَيْهَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَكْفُرُونَ بِالْآخِرَةِ وَبِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ. وَأَنَّهُ آمَنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَهًا وَاحِدًا لَا شَرِيكَ لَهُ.

ذَلِكُمَا - التَّأْوِيلُ وَالْإِخْبَارُ بِمَا يَأْتِي.

(أَبَانِي) (إِبْرَاهِيمَ) (وَإِسْحَاقَ)

(٣٨) - وَقَالَ يُوسُفُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِلْعُلَامِيْنَ: إِنَّهُ تَرَكَ طَرِيقَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، وَاتَّبَعَ سَبِيلَ الْمُرْسَلِينَ الْمُهْتَدِينَ مِنْ آبَائِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا التَّوْحِيدُ وَالْاعْتِرَافُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، هُوَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ، وَقَدْ أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَأَمَرَهُمْ بِهِ. وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ جَعَلَ يُوسُفَ وَآبَاءَهُ دُعَاةً لِلنَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ، وَإِلَى سَبِيلِ اللَّهِ الْقَوِيمِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ

وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ
قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي أَعْصِرُ
خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي
أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ
الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَانِ يَتَّوِيلُهُ إِنَّا
نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ
إِلَّا نَبْتَاكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي
إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا
أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ
وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ

الرُّسُلَ، وَلَا يَشْكُرُونَهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ بِالطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْعَمَلِ.

(يَا صَاحِبِي) (الْأَرْبَابُ) (الْوَاحِدُ)

(٣٩) - وَسَأَلُ يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْفَتَنَيْنِ، وَهُوَ يَدْعُوهُمَا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: هَلْ عِبَادَةُ أَرْبَابٍ مُتَفَرِّقِينَ لَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، خَيْرٌ أَمْ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ الْإِلَهِ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا يَفْهَرُ وَلَا يُغَالِبُ، وَقَدْ ذَلَّ لِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ كُلُّ شَيْءٍ.

(أَشَارَ يُوسُفُ إِلَى الْإِلَهِةِ الْمُتَفَرِّقِينَ، لِأَنَّ التَّفَرُّقَ يَقْتَضِي التَّنَازُعَ وَالْاِخْتِلَافَ فِي الْأَعْمَالِ وَالتَّدْبِيرِ وَيَقْتَضِي إِفْسَادَ نِظَامِ الْكَوْنِ).

(أَبَاؤُكُمْ) (سُلْطَانُ)

(٤٠) - ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ مَا يَعْبُدُونَهُ هُمْ وَأَبَاؤُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ الْحَقِّ مِنْ آلِهَةٍ أُخْرَى، كَالْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ... هِيَ أَسْمَاءُ سَمَّوْهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، تَلَقَّاهَا خَلْفَهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ، وَلَيْسَ لَذَلِكَ مُسْتَدَدٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا حُجَّةٌ وَلَا بُرْهَانٌ. ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْحُكْمَ وَالْمَشِيئَةَ وَالْمُلْكَ، كُلُّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِعِبَادَةِ قَاطِبَةٍ، أَنْ لَا يَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ. ثُمَّ قَالَ لِلْغُلَامَيْنِ: إِنَّ مَا يَدْعُوهُمَا إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، هُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ لِذَلِكَ كَانُوا مُشْرِكِينَ.

الدِّينُ الْقَيِّمُ - الدِّينُ الْقَوِيمُ الْمُسْتَقِيمُ بِالْبَرَاهِينِ.

(يَا صَاحِبِي)

(٤١) - ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُفَسِّرُ حُلُمَ الشَّابِّينِ: إِنَّ أَحَدَهُمَا، وَهُوَ الَّذِي رَأَى نَفْسَهُ فِي الْمَنَامِ يَعْصِرُ خَمْرًا، سَيَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ، وَسَيَسْقِي سَيِّدَهُ الْمَلِكَ (رَبَّهُ) الْخَمْرَ، وَإِنَّ الْآخَرَ - وَهُوَ الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِهِ خُبْرًا تَأْتِي الطَّيْرُ فَتَأْكُلُ مِنْهُ - فَإِنَّهُ سَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ لَحْمِ رَأْسِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمَا إِنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ سَيَقَعُ بِتَمَامِهِ، وَإِنَّهُ أَمْرٌ مُقَضًى مِنَ اللَّهِ.

(فَأَنسَاهُ) (الشَّيْطَانُ)

(٤٢) - ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ لِلسَّاقِي الَّذِي تَوَقَّعَ أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ: أَذْكَرُ حَالِي وَقَصِيَّتِي عِنْدَ سَيِّدِكَ الْمَلِكِ، لَعَلَّهُ يُنصِفُنِي، وَيُخْرِجُنِي مِنَ السِّجْنِ، فَنَسِيَ الشَّابُّ يُوسُفَ وَمَا قَالَهُ، فَبَقِيَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ.

يَصْصَحِي السِّجْنِ أَرْبَابُ

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ

سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ

الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا

إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ لِلَّذِينَ أَلْقِيمُ

وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ

يَصْصَحِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا

فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ

فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ

رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ

تَسْتَفْتِيَانِ

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا

أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ

فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ

رَبِّهِ فَلَيْثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ

سِنِينَ

(وَالْبِضْعُ تُسْتَعْمَلُ فِي الْأَعْدَادِ لِمَا بَيْنَ الثَّلَاثِ وَالتَّسْعِ ، وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ عَلَى السَّعِ).

(بَقَرَاتٍ) (سُبُلَاتٍ) (يَابَسَاتٍ) (يَا أَيُّهَا) (رُؤْيَايَ) (الرُّؤْيَا)

(٤٣) - وَرَأَى الْمَلِكُ رُؤْيَا هَالِكَةً، وَتَعَجَّبَ مِنْ أَمْرِهَا، فَجَمَعَ الْكَهَنَةَ، وَكَبَّرَ رِجَالَ الدَّوْلَةِ فَقَصَّ عَلَيْهِمْ رُؤْيَاهُ، وَطَلَبَ إِلَيْهِمْ تَفْسِيرَهَا فَلَمْ يَعْرِفُوا ذَلِكَ. وَقَدْ رَأَى الْمَلِكُ فِي مَنَامِهِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ عَجَافٍ هَزِيلَاتٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ، وَرَأَى سَبْعَ سَنَابِلٍ قَمْحٍ عَجَافٍ يَابَسَاتٍ، وَسَبْعَ سَنَابِلٍ خُضِرٍ سِمَانٍ.

عَجَافٌ - مَهَاذِيلٌ جَدًّا.
تَعْبُرُونَ - تَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا.

(أَضْغَاثُ) (أَحْلَامٍ) (الْأَحْلَامِ) (بِعَالِمِينَ)

(٤٤) - فَرَدَّ الْكَهَنَةُ وَرِجَالَ الدَّوْلَةِ عَلَى الْمَلِكِ قَائِلِينَ لَهُ: هَذِهِ الرُّؤْيَا هِيَ مِنَ الْأَحْلَامِ الْمُخْتَلِطَةِ، مِنْ خَوَاطِرَ وَخَيَالَاتٍ، يَتَصَوَّرُهَا الدِّمَاغُ فِي النَّوْمِ، وَتَهْجُسُ بِهَا النَّفْسُ، فَلَا تُعْنِي شَيْئًا مَقْصُودًا بِذَاتِهِ، وَإِنَّهُمْ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى تَفْسِيرِ وَتَأْوِيلِ مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْلَامِ الْمُضْطَرِبَةِ، وَإِنَّمَا هُمْ يَتَعْلَمُونَ تَفْسِيرَ الْأَحْلَامِ الْمَفْهُومَةِ الْمَعْقُولَةِ.

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّهُمْ يَنْفَوْنَ مَعْرِفَتَهُمْ بِتَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ عُمُومًا لِأَنَّهَا صُورٌ وَخَيَالَاتٌ تَعْرِضُ لِلْمَخِيلَةِ فِي النَّوْمِ).
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ - تَخَالِطُ أَحْلَامٍ وَأَبَاطِيلُهَا، أَوْ بَاقَاتُ أَحْلَامٍ.

(٤٥) - وَتَذَكَّرَ الْغُلَامُ، الَّذِي كَانَ مَعَ يُوسُفَ فِي السِّجْنِ ثُمَّ نَجَا، أَمْرَ يُوسُفَ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ، وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ قَدْ أَوْصَاهُ بِهِ يُوسُفَ مِنْ رَفْعِ أَمْرِهِ إِلَى الْمَلِكِ، فَنَسِيَ ذَلِكَ، وَبَقِيَ يُوسُفَ فِي السِّجْنِ عَدَدًا مِنَ السَّنِينَ. فَرَجَا الْمَلِكُ أَنْ يَسْمَعَ لَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى يُوسُفَ فِي السِّجْنِ لِيَسْأَلَهُ عَنْ تَفْسِيرِ حُلْمِ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ سَيَأْتِيهِ بِالْجَوَابِ.
أَذْكَرَ بَعْدَ أَمَّةٍ - تَذَكَّرَ بَعْدَ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ.

(بَقَرَاتٍ) (سُبُلَاتٍ) (يَابَسَاتٍ)

(٤٦) - وَجَاءَ الشَّابُّ إِلَى يُوسُفَ، وَسَأَلَهُ عَنْ تَفْسِيرِ حُلْمِ الْمَلِكِ، وَنَعْتَهُ بِالصِّدِّيقِ، لِمَا عَرَفَهُ فِيهِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ، وَرَجَاهُ أَنْ يَعْرِفَهُ تَفْسِيرَ حُلْمٍ رَأَى فِيهِ الْمَلِكُ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ مَهَاذِيلٍ، وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ يَابَسَاتٍ، لَعَلَّهُ يَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ بِالتَّفْسِيرِ الصَّحِيحِ لِيَعْلَمَ النَّاسُ مَعْنَى هَذَا الْحُلْمِ، وَلِيَعْرِفُوا لِيُوسُفَ فَضْلَهُ وَعِلْمَهُ.

٤٣ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ

بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعُ عَجَافٍ وَسَبْعُ سُبُلَاتٍ
خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابَسَاتٍ يَتَأْتِيهَا
الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُ
لِلرُّءْيَا يَتَعَبَّرُونَ

٤٤ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ

بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ

٤٥ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ

أَمَّةٍ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَأَرْسَلُونِ

٤٦ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي

سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعُ عَجَافٍ وَسَبْعُ سُبُلَاتٍ
خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابَسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ
إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ

(٤٧) - فَقَالَ يُوسُفُ مُفْسِرًا الْحُلَمَ: إِنَّهُمْ سَنَأْتِيهِمْ سَبْعُ سِنِينَ مِنْ الْخُضْبِ وَالْمَطَرِ مُتَوَالِيَاتٍ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتْرَكُوا الْغَلَّةَ فِي سَنَابِلِهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ أَحْفَظَ، وَأُبْعَدَ عَنْ إِسْرَاعِ الْفَسَادِ إِلَيْهَا، إِلَّا الْقَلِيلَ مِمَّا يَأْكُلُونَهُ. (فَقَدْ أَوْصَاهُمْ بِالْاِقْتِصَادِ وَالتَّوْفِيرِ، وَالْأَكْلِ دُونَ إِسْرَافٍ لِيَبْقَى لَهُمْ وَقَرٌ كَافٍ لِسِنِّي الْجَدْبِ التَّالِيَةِ).
دَابَّاءُ - دَابَّيْنِ كَعَادَتِكُمْ فِي الزَّرَاعَةِ.

(٤٨) - ثُمَّ تَأْتِي بَعْدَ هَذِهِ السَّنِينَ، مِنْ الْخُضْبِ وَالْخَيْرِ، سَبْعُ سِنِينَ مِنْ الْجَدْبِ وَالشَّدَّةِ، يَزْرَعُونَ فِيهَا وَلَا يَحْصُدُونَ غَلَّةً، فَتَسْهَلُكَ هَذِهِ السَّنُونَ السَّبْعُ الشَّدَادُ مَا جَمَعُوهُ فِي سِنِّي الْخُضْبِ، إِلَّا الْقَلِيلَ الَّذِي أَحْصَنُوهُ، وَاحْتَاطُوا لَهُ.
تُحْصِنُونَ - تُخْبِتُونَ مِنَ الْبَذْرِ لِلزَّرَاعَةِ.

(٤٩) - وَبَعْدَ هَذِهِ السَّنِينَ السَّبْعِ الشَّدَادِ يَأْتِي عَامٌ خِصْبٌ وَخَيْرٌ، فَتُمْطِرُ السَّمَاءُ، وَتُغْلِي الْأَرْضُ، وَيَعْصِرُ النَّاسُ مَا كَانُوا يَعْصِرُونَهُ عَلَى عَادَتِهِمْ مِنْ سُكَّرٍ وَعِنَبٍ وَزَيْتٍ...
يُغَاثُ النَّاسُ - يُمْطَرُونَ فَتُخْصِبُ أَرْضُهُمْ.
يَعْصِرُونَ - مَا شَأْنُهُ أَنْ يُعْصَرَ كَالزَّيْتُونِ وَقَصَبِ السُّكَّرِ.

(فَاسْأَلْهُ) (اللَّاتِي)

(٥٠) - فَعَرَفَ الْمَلِكُ فَضْلَ يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلِمَهُ وَحُسْنَ أَطْلَاعِهِ عَلَى رُؤْيَاهُ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ أَخْرِجُوهُ مِنَ السَّجْنِ، وَأَحْضِرُوهُ إِلَيَّ، وَذَلِكَ لِيَسْتَمَعَ مِنْهُ، وَيَتَحَقَّقَ مِنْ صِدْقِهِ. فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ الْمَلِكِ إِلَى يُوسُفَ آمَنَعَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ السَّجْنِ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْمَلِكُ، وَمَنْ حَوْلَهُ، مِنْ بَرَاءَتِهِ وَنَزَاهَةِ عَرْضِهِ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ قِبَلِ أَمْرَةِ الْعَزِيزِ. فَقَالَ يُوسُفُ لِرَسُولِ الْمَلِكِ: قُلْ لِلْمَلِكِ لِيَسْأَلَ النَّسْوَةَ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ.
مَا بَالُ النَّسْوَةِ - مَا حَالُهُنَّ وَمَا شَأْنُهُنَّ.

(رَاوَدَتْنِ) (حَاشَا) (أَمْرَةً) (الْآنَ) (رَاوَدْتُهُ) (الصَّادِقِينَ)

(٥١) - فَجَمَعَ الْمَلِكُ النَّسْوَةَ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، وَمَعَهُنَّ أَمْرَةَ الْعَزِيزِ الَّتِي كَانَ يُوسُفُ فِي بَيْتِهَا، وَأَتَهَمْتُهُنَّ بِمُراوَدَتِهَا عَنْ نَفْسِهَا، وَسَأَلَهُنَّ الْمَلِكُ عَنْ حَالِهِنَّ مَعَ يُوسُفَ، وَمَا أَتَهَمْنَهُ بِهِ مِنْ مُراوَدَتِهِ إِيَّاهُنَّ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ (وَهُوَ إِنَّمَا يَقْصِدُ بِسُؤَالِهِ أَمْرَةَ الْعَزِيزِ). فَقُلْنَ: حَاشَ لِلَّهِ لَمْ نَعْرِفْ عَلَيْهِ سُوءًا، وَمَا عَرَفْنَا مِنْهُ إِلَّا طَهْرًا وَعِفَّةً وَوَقَارًا. وَهَنَا اعْتَرَفَتِ أَمْرَةُ الْعَزِيزِ بِفِعْلِهَا، فَقَالَتْ لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ، وَحَلَاءِ مَا خَفِيَ، وَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي رَاوَدَتْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ، وَهُوَ صَادِقٌ فِيمَا قَالَهُ مِنْ

٥٦٦ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَّاءُ مَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ

٥٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شَدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا حَصَصْتُمْ

٥٩ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ

٥٠ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيَنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ

٥١ قَالَ مَا خَطْبُكُنْ إِذْ رَاوَدْتُنْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّكَ لَكِنَّ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ

أَنَّهَا هِيَ الَّتِي رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَاسْتَمْسَكَ بِعِصْمَتِهِ، وَأَنَّهُ هَرَبَ مِنْهَا نَحْوَ الْبَابِ.

(الْخَائِنِينَ)

(٥٢) - وَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُ إِنَّمَا رَدَّ الرَّسُولَ، وَرَجَا الْمَلِكَ سُؤَالَ النُّسُوءِ، وَالتَّحَقُّقَ مِمَّا جَرَى، لِيُظْهَرَ بَرَاءَتُهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخُنْ مَوْلَاهُ الْعَزِيزَ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي رُبِّيَ فِي بَيْتِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ. وَهَذَا مَا نَقَلَهُ أَبُو جَرِيرٍ وَأَبُو أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ، وَقَالَ بِهِ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ، وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى مَضْمُونِ النَّصِّ الَّذِي يَسْتَعْمِلُ الْقَائِلُ فِيهِ اسْمَ اللَّهِ، وَعِبَارَاتٍ لَا يَقُولُهَا غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِيمَانَ لَمْ يَكُنْ قَدْ دَخَلَ حَتَّى ذَلِكَ الْحِينَ أَرْضَ مِصْرَ. ثُمَّ إِنَّ الْقَوْلَ - إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ هِيَ قَائِلَتُهُ - قِيلَ فِي حَضْرَةِ الْمَلِكِ وَهُوَ كَافِرٌ يَفْرُضُ عَلَى الشَّعْبِ عِبَادَةَ نَفْسِهِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَقْبُولِ أَنْ تَتَجَرَّأَ الْمَرْأَةُ عَلَى ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ أَمَامَ الْمَلِكِ.

(وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَالَتْهُ أَمْرَأَةُ الْعَزِيزِ لِيُظْهَرَ بَرَاءَتَهَا أَمَامَ زَوْجِهَا، وَأَنَّهَا إِنَّمَا رَاودَتْ يُوسُفَ مُرَاوِدَةً فَقَطُّ. وَلَكِنَّ السِّيَاقَ يَدْعُو إِلَى الْأَخْذِ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ:

١ - لِأَنَّ يُوسُفَ هُوَ الَّذِي طَرَحَ السُّؤَالَ وَرَفَضَ الْخُرُوجَ مِنَ السِّجْنِ قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ بَرَاءَتُهُ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَمْ يَخُنْ سَيِّدَهُ فِي أَهْلِهِ.

٢ - لِأَنَّ الْمَرْأَةَ خَانَتْ زَوْجَهَا فَعَلًا بِمُرَاوِدَةِ يُوسُفَ. أَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهَا إِنَّمَا قَصَدَتْ يَقُولُهَا (لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ). يُوسُفَ وَلَيْسَ زَوْجَهَا. فَإِنَّ النَّصَّ لَا يَحْتَمِلُ هَذَا التَّأْوِيلَ الَّذِي لَا سَنَدَ لَهُ.

٣ - لِأَنَّ الْمَرْأَةَ كَافِرَةٌ لَا تَعْرِفُ اللَّهَ وَلَا تُؤْمِنُ بِهِ حَتَّى تَقُولَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) وَ(وَإِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي).

٤ - أَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ الْمَرْأَةَ آمَنَتْ فَإِنَّ النَّصَّ لَا يَحْتَمِلُهُ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّهُ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الْأَخْذِ بِهِذَا الْقَوْلِ أَوْ ذَاكَ كَبِيرُ أَثَرٍ لِأَنَّ الْقِصَّةَ إِنَّمَا سَيِّقَتْ لِيُعْتَبَرَ النَّبِيُّ وَالْمُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا هَيَّا لَهُ أَسْبَابَهُ وَتَلَطَّفَ بِهِ بِبَالِغِ حِكْمَتِهِ حَتَّى تَأْتِيَ النُّتَاجُ كَمَا أَرَادَهَا تَعَالَى.

(٥٣) - ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَإِنِّي لَا أُبْرِيءُ نَفْسِي مِنَ التَّفَكُّيرِ بِالسُّوءِ، لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِهِ، وَكُلُّ نَفْسٍ تَفَكَّرُ بِالسُّوءِ إِلَّا النَّفْسَ الَّتِي عَصَمَهَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(٥٤) - فَلَمَّا تَحَقَّقَ الْمَلِكُ مِنْ بَرَاءَةِ يُوسُفَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَحْضَرُوهُ إِلَيَّ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِي (أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي) فَلَمَّا جَاءَ بِيُوسُفَ، وَتَحَدَّثَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ، وَعَرَفَ فَضْلَهُ. وَحَسَنَ رَأْيِهِ، وَكَانَ عَرَفَ حَسَنَ خُلُقِهِ، وَسِيرَتِهِ، وَطَهَارَةَ نَفْسِهِ، قَالَ لَهُ: إِنَّكَ عِنْدَنَا ذُو مَكَانَةٍ

٥٢ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْعَيْبِ
وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ



٥٣ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنْ
النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا
مَا رَجِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

٥٤ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟ أَسْتَخْلَصُهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ

سَامِيَّةً، وَأَمَانَةً تَامَةً، فَأَنْتَ غَيْرُ مُنَازَعٍ فِي تَصَرُّفِكَ، وَلَا مُتَّهَمٍ فِي أَمَانَتِكَ.
مَكِينٌ - ذُو مَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ وَنُفُوذٍ وَأَمْرِ.

(خَزَائِنِ)

(٥٥) - فَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَلِكِ: اجْعَلْنِي حَافِظًا عَلَى خَزَائِنِ مُلْكِكَ، فَإِنِّي خَازِنٌ أَمِينٌ شَدِيدُ الْحِفْظِ، فَلَا يَضِيعُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَإِنِّي ذُو عِلْمٍ وَذُو بَصِيرَةٍ بِمَا أَقُومُ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

(٥٦) - وَقَدْ قَبِلَ الْمَلِكُ عَرْضَ يُوسُفَ، فَجَعَلَهُ الْمَلِكُ وَزِيرًا. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ مَكَنٌ بِذَلِكَ لِيُوسُفَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، يَتَصَرَّفُ فِيهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَإِنَّهُ تَعَالَى يُصِيبُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ، وَإِنَّهُ لَمْ يَضِيعْ صَبْرُ يُوسُفَ عَلَى أَدَى إِخْوَتِهِ، وَصَبْرُهُ فِي السَّجْنِ.
يَتَّبِعُوا مِنْهَا - يَتَّخِذُ مِنْهَا مَبَاءَةً وَمَنْزِلًا.

(الْآخِرَةُ) (آمَنُوا)

(٥٧) - وَإِنَّ مَا آذَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِيُوسُفَ فِي الْآخِرَةِ أَعْظَمُ وَأَجَلُ مِمَّا أَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّقَوْا.

(٥٨) - لَمَّا تَسَلَّمَ يُوسُفُ الْإِدَارَةَ فِي مِصْرَ، أَخَذَ فِي جَمْعِ الْغَلَالِ وَأَذْخَارِهَا، ثُمَّ جَاءَتِ السَّنَوَاتُ الْعِجَافُ الْمُجْدِبَةُ الشَّدَادُ، الَّتِي تَوَقَّعَهَا، فَأَصَابَتْ مِصْرَ وَفِلَسْطِينَ (بِلَادِ كِنْعَانَ) فَأَخَذَ النَّاسُ يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَى مِصْرَ لِلْحُصُولِ عَلَى الْمِيرَةِ لِعِيَالِهِمْ، فَكَانَ يُوسُفُ لَا يُعْطِي الرَّجُلَ أَكْثَرَ مِنْ جَمَلٍ بَعِيرٍ فِي الْعَامِ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهِ مَنْ وَرَدُوا عَلَيْهِ فِي طَلَبِ الْمِيرَةِ إِخْوَتُهُ لِأَبِيهِ، إِذْ بَلَغَهُمْ أَنَّ عَزِيزَ مِصْرَ يُعْطِي النَّاسَ الطَّعَامَ بِثَمَنِهِ، فَأَخَذُوا مَعَهُمْ بَضَاعَةً يَتَعَاضَوْنَ بِهَا طَعَامًا. وَكَانُوا عَشْرَةَ أَشْخَاصَ، إِذْ أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُرْسِلْ مَعَهُمْ ابْنَهُ الْأَصْغَرَ شَقِيقَ يُوسُفَ، فَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي كُرْسِيِّ الْحُكْمِ، فَعَرَفَهُمْ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَغَيَّرَ شَكْلًا، إِذْ تَرَكُوهُ صَبِيًّا وَأَتَوْهُ كَهْلًا، وَلَآئِنَّمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ يَكُونَ صَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ وَمِنْ أَيْنَ جَاءُوا. فَقَالُوا: إِنَّهُمْ أَتَوْا مِنْ بِلَادِ كِنْعَانَ، وَأَبُوهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ يَعْقُوبُ. قَالَ: وَهَلْ لَهُ أَوْلَادٌ غَيْرُكُمْ؟ قَالُوا نَعَمْ، كُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا هَلَكَ وَاحِدٌ مِنَّا فِي الْبَرِّيَّةِ، وَبَقِيَ لَهُ وَلَدٌ صَغِيرٌ اسْتَبْقَاهُ عِنْدَهُ يَتَسَلَّى بِهِ عَنْهُ. فَآكَرَهُمْ يُوسُفَ.

وَقِيلَ لَهُمْ سَأَلُوهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ جَمَلٌ بَعِيرٌ لِأَخِيهِمْ وَأَبِيهِمْ لِأَنَّهُمَا لَا بُدَّ لَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ، فَجَهَّزَ لَهُمْ بَعِيرَيْنِ لِأَخِيهِمْ وَأَبِيهِمْ. وَقَالَ لَهُمْ: أَتُؤْنِنِي بِأَخِيكُمْ هَذَا لِأَرَاهُ وَأَتَاكَدُّ مِنْ صِدْقِكُمْ.

٥٥ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِ

٥٦ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ
يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ
شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ

٥٧ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ

٥٨ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا
عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ

(٥٩) - وَأَوْفَى لَهُمْ كَيْلَهُمْ، وَحَمَلَ لَهُمْ أَحْمَالَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: أَتُؤْنِي فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ بِأَخِيكُمْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُمْ لِأَعْلَمَ صَدَقَكُمْ فِيمَا زَعَمْتُمْ، وَأَخَذَ فِي تَرْغِيهِمْ فِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفَى الْكَيْلِ حَقَّهُ، وَأَنَا أَكْرَمُ مَنْ أَنْزَلَ ضَيْفًا.

فَقَدْ أَحْسَنَ ضَيْفَتَهُمْ، وَجَهَّزَهُمْ بِالزَّادِ الْكَافِي لَهُمْ مُدَّةَ سَفَرِهِمْ. جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ - أَعْطَاهُمْ مَا هُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ.

(٦٠) - وَهَدَّاهُمْ يُوسُفُ بِأَنْهُمْ إِنْ لَمْ يَأْتُوا بِأَخِيهِمْ مَعَهُمْ فَإِنَّهُ سَيَمْنَعُ عَنْهُمْ الْمِيرَةَ فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ.

(سَرَاوِدُ) (لِفَاعِلُونَ)

(٦١) - قَالُوا: سَنَحْرُصُ عَلَى أَنْ نَأْتِيَ بِهِ، وَسَنُحَاوِلُ إِقْنَاعَ أَبِيهِ لِيُرْسِلَهُ مَعَنَا، لِنَعْلَمَ أَنَّنَا صَادِقُونَ فِيمَا قُلْنَا.

(لِفَتْيَانِهِ) (بِضَاعَتَهُمْ)

(٦٢) - وَقَالَ يُوسُفُ لِعِلْمَانِهِ: اجْعَلُوا الْبِضَاعَةَ الَّتِي قَدِمُوا بِهَا لِيَمْتَارُوا عَوَضًا عَنْهَا، فِي أُمْتِعَتِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، حَتَّى إِذَا رَجَعُوا إِلَى أَهْلِهِمْ، وَوَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ مَعَهُمْ، عَادُوا يَمْتَارُونَ بِهَا مَرَّةً أُخْرَى، فَقَدْ خَشِيَ يُوسُفُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ لَا تَكُونَ لَدَيْهِمْ بِضَاعَةٌ غَيْرُهَا يَأْتُونَ بِهَا فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ.

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّهُمْ إِذَا رَجَعُوا، وَوَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي مَتَاعِهِمْ يُذَكِّرُونَ أَنَّ عَلَيْهِمُ الْعَوْدَةَ إِلَى مِصْرَ لِيُرُدَّهَا تَحَرُّجًا مِنْ أَكْلِ الْمَالِ الْحَرَامِ.

كَمَا قِيلَ أَيْضًا بَلِ الْمَعْنَى: لِكَيْ يَعْرِفُوا لِيُوسُفَ حَقَّ إِكْرَامِهِمْ بِإِعَادَتِهَا إِلَيْهِمْ، وَجَعَلَ مَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعَلَّةِ مَجَانًا بِلَا ثَمَنِ فَيَرْجِعُونَ طَمَعًا فِي بَرِّ يُوسُفَ، فَإِنَّ الْعَوْدَ إِلَى الْقَوْتِ مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي إِلَى رُجُوعِهِمْ).

بِضَاعَتَهُمْ - ثَمَنَ مَا اشْتَرَوْهُ مِنْ طَعَامٍ. رِحَالِهِمْ - أَوْعِيَتِهِمْ الَّتِي يَضَعُونَ فِيهَا الطَّعَامَ وَغَيْرَهُ.

(يَا أَبَانَا) (لِحَافِظُونَ)

(٦٣) - فَلَمَّا عَادُوا إِلَى أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِالْمِيرَةِ أَعْلَمُوهُ بِقَضِيَّتِهِمْ مَعَ عَزِيزٍ مِصْرَ، وَمَا لَقَوْهُ مِنْهُ مِنْ إِكْرَامٍ، وَقَالُوا: إِنَّ عَزِيزَ مِصْرَ أَنْذَرَهُمْ بِمَنْعِ الْمِيرَةِ عَنْهُمْ فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ إِنْ لَمْ يَأْتُوا مَعَهُمْ بِأَخِيهِمُ الْأَصْغَرَ، وَقَالُوا لَهُ: أَرْسَلَهُ مَعَنَا نَكْتُلُ وَنَحْصُلُ عَلَى الْمِيرَةِ بِحَسَبِ عَدَدِنَا، وَبِذَلِكَ نَكُونُ قَدْ وَقَيْنَا بِمَا شَرَطَ الْعَزِيزُ عَلَيْنَا، وَإِنَّا نَعِدُكَ بِأَنَّا سَنَحْفَظُهُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(٥٩) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ

أَتُؤْنِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ اللَّاتَرَوْتَ
أَنِّي أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ

(٦٠) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ

عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ

(٦١) قَالُوا سَرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا

لَفَاعِلُونَ

(٦٢) وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ

فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا

أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ

(٦٣) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا

يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلُ

فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانَا نَكْتُلُ

وَأَنَا لَهُ لِحَافِظُونَ

(أَمْنَكُمْ) حَافِظًا (الرَّاحِمِينَ)

(٦٤) - فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: هَلْ أَنْتُمْ صَانِعُونَ بِهِ إِلَّا كَمَا صَنَعْتُمْ بِأَخِيهِ يُوسُفَ مِنْ قَبْلُ؟ وَلَكِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ حَافِظٌ، وَأَنَا أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي حِفْظِ هَذَا الصَّغِيرِ لَا عَلَى حِفْظِكُمْ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، سَرَّحَهُ كَبِيرِي وَضَعْفِي.

(مَتَاعُهُمْ) (بِضَاعَتَهُمْ) (يَا أَبَانَا) (بِضَاعَتَنَا)

(٦٥) - وَلَمَّا فَتَحَ إِخْوَةُ يُوسُفَ مَتَاعَهُمْ، وَالْأَحْمَالُ الَّتِي جَاؤُوا بِهَا مِنْ مِصْرَ، وَجَدُوا الْبِضَاعَةَ الَّتِي ذَهَبُوا بِهَا إِلَى مِصْرَ لِيُمْتَارُوا بِهَا بَيْنَ مَتَاعِهِمْ، فَقَالُوا لِأَبِيهِمْ: مَاذَا نَطْلُبُ وَرَاءَ مَا وَصَفْنَا لَكَ مِنْ إِحْسَانِ الْمَلِكِ إِلَيْنَا، وَكَرَمِهِ الَّذِي يُوجِبُ عَلَيْنَا امْتِنَالِ أَمْرِهِ، فَقَدْ أَوْفَى الْعَزِيزُ لَنَا الْكَفْلَ، وَرَدَّ بِضَاعَتَنَا إِلَيْنَا، فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا، وَنَحْصُلْ عَلَى الْمِيرَةِ لِأَهْلِنَا، وَنَحْفَظْ أَخَانَا مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ، وَنَحْصُلْ عَلَى جَمَلٍ بَعِيرٍ زِيَادَةً عَنِ الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، لِأَنَّ الْمَلِكَ يُعْطِي لِكُلِّ شَخْصٍ جَمَلٍ بَعِيرٍ، وَهُوَ أَمْرٌ سَهْلٌ يَسِيرٌ لَا صُعُوبَةَ فِيهِ لَدَى مَلِكٍ مِصْرَ.

نَعِيرُ أَهْلَنَا - نَجْلِبُ لَهُمُ الْمِيرَةَ وَالطَّعَامَ مِنْ مِصْرَ.

مَتَاعَهُمْ - طَعَامَهُمْ أَوْ رِحَالَهُمْ.

مَا نَبْغِي - مَا نَطْلُبُ مِنَ الْإِحْسَانِ بَعْدَ ذَلِكَ.

(أَتَوْهُ)

(٦٦) - فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: لَنْ أَرْسِلَ أَخَاكُمْ الصَّغِيرَ مَعَكُمْ حَتَّى تُعْطُونِي عَهْدًا مُوثِقًا بِتَأْكِيدِهِ بِإِشْهَادِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَبِالْقَسَمِ بِهِ، لَتَعُودُنَّ بِهِ مَعَكُمْ إِلَّا أَنْ تَعْرِضُوا جَمِيعًا لِأَمْرٍ لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَلَا تَقْدِرُونَ جَمِيعًا عَلَى تَخْلِيصِهِ، فَلَمَّا حَلَفُوا لَهُ قَالَ: اللَّهُ وَكِيلٌ وَشَهِدْ عَلَى مَا تَقُولُ إِذْ إِنْ يَغْفُوبَ لَمْ يَجِدْ بُدْأً مِنْ إِرْسَالِهِ مَعَهُمْ لِيَأْتُوا بِالْمِيرَةِ لِأَهْلِهِمْ. مُوثِقًا - عَهْدًا مُؤَكَّدًا بِالْيَمِينِ يُوثَقُ بِهِ. يُحَاطَ بِكُمْ - تُغْلَبُوا وَتَهْلِكُوا جَمِيعًا. وَكِيلٌ - مُطْلِعٌ وَرَقِيبٌ.

(يَا بَنِي) (وَاحِدٍ) (أَبْوَابِ)

(٦٧) - وَأَمَرَ يَغْفُوبُ بَيْنَهُ بِأَنْ لَا يَدْخُلُوا، حِينَمَا يَصِلُونَ إِلَى مِصْرَ، مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ لِكَيْلَا يَلْتَفِتُوا الْأَنْظَارَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْ يَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ، لِأَنَّهُ خَشِيَ عَلَيْهِمُ الْعَيْنَ إِنْ دَخَلُوا جَمِيعًا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْاِخْتِرَازِ، لِأَنَّ قَدَرَ اللَّهِ نَافِذٌ، وَقَضَاءُهُ لَا يَرُدُّهُ شَيْءٌ بَعِيرٍ

٦٤ قَالَ هَلْ أَمْنَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا

أَمْنَكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ

فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ

٦٥ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا

بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا

يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا

رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَعِيرُ أَهْلِنَا وَنَحْفَظْ

أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ

كَيْلٌ يَسِيرٌ

٦٦ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى

تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي

بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ

مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ

٦٧ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ

وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ

وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ

شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ

إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُعِدَّ الْعُدَّةَ لِلْأَمْرِ الَّذِي يَنْبَغِيهِ، وَيَسْذَلَّ جُهْدُهُ، وَيَكِلْ أَمْرَ النَّجَاحِ إِلَى اللَّهِ، وَيَطْلُبْ مِنْهُ الْمَعُونَةَ وَالتَّوْفِيقَ.

(قَضَاهَا) (عَلَّمَنَاهُ)

(٦٨) - وَلَمَّا دَخَلُوا مِنَ الْأَبْوَابِ الْمُتَفَرِّقَةِ، كَمَا أَوْصَاهُمْ آبَاؤُهُمْ بِهِ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الدَّخُولُ لِيَمْنَعَ عَنْهُمْ شَيْئاً مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَيَعْقُوبُ يَعْرِفُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَاجَةٌ لَمْ يُخْبِرْ أَوْلَادَهُ بِهَا، قَضَاهَا بِهِذِهِ الْوَصِيَّةِ، وَهِيَ خَوْفُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَيْنِ، وَمِنْ أَنْ يَنَالَهُمْ مَكْرُوهٌ، مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، وَهُوَ ذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْوَاجِبَ يَقْضِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْإِعْدَادِ لِلْأُمُورِ عُذَّتْهَا وَالْإِحْتِرَازِ، وَبَيْنَ الْإِتِّكَالِ عَلَى اللَّهِ.

(أَوَى) (تَبَتَّسَ)

(٦٩) - وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ، وَمَعَهُمْ أَخُوهُمْ لِابْنِهِمْ، أَحْسَنَ اسْتِقْبَالَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ، وَاخْتَلَى بِأَخِيهِ، وَعَرَفَهُ بِنَفْسِهِ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا وَقَعَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ أَخُوهُ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَأْسَفَ عَلَى مَا صَنَعُوا بِهِ، وَأَمَرَهُ بِكَتْمَانِ ذَلِكَ عَنْهُمْ. وَأَعْلَمَهُ بِأَنَّهُ سَيَحْتَالُ لِيَسْتَبْقِيَهُ عِنْدَهُ. أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ - ضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ. فَلَا تَبَتَّسَ - فَلَا تَحْزَنْ.

(لَسَارِقُونَ)

(٧٠) - وَلَمَّا أَعْطَاهُمْ يُوسُفُ مَا جَاءُواوَا يَسْعَوْنَ إِلَيْهِ مِنَ الْمِيرَةِ، وَحَمَلُوهَا عَلَى جِمَالِهِمْ، جَعَلَ الْوَعَاءَ الَّذِي يَكْتَالُونَ بِهِ (السَّقَايَةَ) فِي مَتَاعِ أَخِيهِ (رَحِلِهِ) دُونَ أَنْ يُشْعِرَهُمْ بِذَلِكَ، ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ بَيْنَهُمْ: يَا أَيُّهَا الرُّكَبُ الْقَافِلُونَ بِأَحْمَالِكُمْ، قِفُوا إِنَّكُمْ سَارِقُونَ. السَّقَايَةَ - إِنَاءٌ لِلشَّرْبِ أُتِخِذَ لِلْمِكْيَالِ. أَذَّنْ مُؤَذِّنٌ - نَادَى مُنَادٍ أَوْ أَعْلَنَ مُعْلِنٌ. الْعَبِيرُ - الْقَافِلَةُ فِيهَا الْأَحْمَالُ.

(٧١) - قَالَ لَهُمْ إِخْوَةُ يُوسُفَ: وَمَا الَّذِي ضَاعَ لَكُمْ، وَمَا الَّذِي أَفْتَقَدْتُمُوهُ؟

(٧٢) - فَقَالَ عَلِمَانُ يُوسُفَ: أَفْتَقَدْنَا وَعَاءَ الْكَيْلِ الَّذِي يَنْتَبِهُ بِهِ الْكَيْلُ، وَسَنْعُطِي لِمَنْ يَجِدُهُ وَيَأْتِي بِهِ جَمَلٌ بَعِيرٌ مِنَ الْمُؤُونَةِ مُكَافَأَةً لَهُ. وَقَالَ الْمُؤَذِّنُ الَّذِي يَتَوَلَّى النِّدَاءَ (أَوِ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ رَبِّيسُ أَعْوَابِ يُوسُفَ): وَأَنَا كَفَيْلٌ بِالْوَفَاءِ بِهَذَا الْوَعْدِ.

تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُتَوَكِّلُونَ

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ
أَبُوهُمْ مَا كَانَتْ يُعْنِي عَنْهُمْ
مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي
نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ
لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ
ءَاوَى إِلَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي
أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَسِ بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ
السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنْ
مُؤَذِّنٌ أَتَيْتَهَا الْعَبِيرُ إِنَّكُمْ
لَسَارِقُونَ

قَالُوا وَقِفُوا عَلَيْنَاهُمْ مَاذَا
تَفْقِدُونَ
قَالُوا أَفَقَدْ صُوعَ أَلْمَلِكِ
وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا
بِهِ زَعِيمٌ

صَوَاعَ الْمَلِكِ - صَاعَهُ وَمِكْيَالَهُ، وَهُوَ السَّقَايَةُ.
رَعِيمٌ - كَفِيلٌ بِأَنْ أُؤَدِّيَهُ.

(سَارِقِينَ)

(٧٣) - وَلَمَّا أَنَّهُمَ الْعِلْمَانُ إِخْوَةُ يُوسُفَ بِالسَّرِقَةِ رَدُّوا قَائِلِينَ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ
وَتَحَقَّقْتُمْ، مُنْذُ عَرَفْتُمُونَا، أَنَّنَا مَا جِئْنَا لِنَسْرِقَ وَنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ، وَلَمْ
تَكُنِ السَّرِقَةُ عَادَتَنَا، وَلَا هِيَ مِنْ أَخْلَاقِنَا.

(جَزَاؤُهُ) (كَاذِبِينَ)

(٧٤) - فَقَالَ لَهُمْ غُلْمَانُ يُوسُفَ: فَإِذَا كُنْتُمْ كَاذِبِينَ، وَتَبَتَ عَلَيْكُمُ
السَّرِقَةُ، فَمَا جَزَاءُ السَّارِقِ فِي شَرْعِكُمْ إِنْ ثَبَتَ أَنَّ السَّارِقَ مِنْكُمْ؟
(وَقِيلَ إِنَّ يُوسُفَ هُوَ الَّذِي أَوْحَى إِلَى غُلْمَانِهِ بِطَرَحِ هَذَا السُّؤَالِ عَلَى
إِخْوَتِهِ).

(جَزَاؤُهُ) (الظَّالِمِينَ)

(٧٥) - قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ: إِنَّ شَرْعَهُمْ يَقْضِي بِأَنْ يُدْفَعَ السَّارِقُ إِلَى
الْمَسْرُوقِ مِنْهُ لِيَسْتَرْقَهُ، وَيَكُونَ لَهُ عَبْدًا. وَهَذَا هُوَ الْجَزَاءُ عَلَى السَّرِقَةِ
الَّذِي يَنْزِلُونَهُ بِالسَّارِقِ، فِي شَرْعِهِمْ.

(دَرَجَاتٍ)

(٧٦) - فَبَدَأَ يُوسُفُ بِتَفْتِيْشِ أَمْتَعَةِ إِخْوَتِهِ دَفْعًا لَشُبْهَةِ الْمَكِيدَةِ، وَالتَّذْبِيرِ،
ثُمَّ وَصَلَ إِلَى مَتَاعِ أَخِيهِ فَاسْتَخْرَجَ الصَّاعَ مِنْهُ. كَذَلِكَ يَسَّرَ اللَّهُ لِيُوسُفَ
طَرِيقَةً لَطِيفَةً يَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ يَسْتَبْقِيَ أَخَاهُ عِنْدَهُ دُونَ أَنْ يَلْفَتَ أَنْظَارَ
إِخْوَتِهِ إِلَيْهِ، فَبَعْدَ أَنْ اعْتَرَفُوا أَنَّ شَرْعَهُمْ يَقْضِي بِأَنْ يُدْفَعَ السَّارِقُ إِلَى
الْمَسْرُوقِ مِنْهُ لِيَسْتَرْقَهُ، لَمْ يَعُودُوا يَسْتَطِيعُونَ الْمُطَالَبَةَ بِأَخِيهِمْ، بَعْدَ أَنْ
وُجِدَ الصَّاعُ فِي رَحْلِهِ. وَلَمْ يَكُنْ يُوسُفُ لِيَتِمَكَّنَ مِنْ اسْتِيفَاءِ أَخِيهِ لَدَيْهِ لَوْ
لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ إِلَى مَعْرِفَةِ شَرْعِ أَبِيهِ يَعْقُوبَ، لِأَنَّ الْقَانُونَ الْمِصْرِيَّ لَا يُجِزُّ
اسْتِزْفَاقَ السَّارِقِ، وَلَمْ تَكُنْ أَمَانَةُ يُوسُفَ، وَإِخْلَاصُهُ لِمَلِكِ مِصْرَ،
يُيَحِّحَانِ لَهُ بِأَنْ يُخَالِفَ قَانُونَ الْمَلِكِ الَّذِي فُوضَ إِلَيْهِ أَمْرُ تَطْيِيقِهِ وَالْعَمَلُ

بِهِ.
كَذْنَا لِيُوسُفَ - دَبَّرْنَا لِتَحْصِيلِ غَرَضِهِ.

دِينَ الْمَلِكِ - شَرِيعَةُ مَلِكِ مِصْرَ أَوْ حُكْمِهِ.

(٧٧) - وَلَمَّا رَأَى إِخْوَةُ يُوسُفَ الصَّاعَ تُسْتَخْرَجُ مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِمْ لِأَبِيهِمْ،
قَالُوا مُتَنَصِّلِينَ، أَمَامَ الْعَزِيزِ، مِنْ فِعْلِ أَخِيهِمْ: إِنْ يَسْرِقَ هَذَا الْأَخُ فَقَدْ
سَبَقَ لِأَخِيهِ يُوسُفَ أَنْ سَرَقَ، فَالسَّرِقَةُ وَرِثَتُهَا هَذَانِ الْأَخَوَانِ مِنْ أُمَمِهِمَا.

٧٣ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا

لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ

٧٤ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ

كَاذِبِينَ

٧٥ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ

فَهُوَ جَزَاؤُهُ، كَذَلِكَ نَجْزِي

الظَّالِمِينَ

٧٦ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ

أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ

أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذْنَا لِيُوسُفَ

مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ

الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ



٧٧ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ

فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ

فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ

(وَقِيلَ إِنَّ يُونُسَ كَانَ سَرَقَ لِحَدِّهِ لَأَمِهِ صَنَمًا وَكَسَرَهُ، وَأَلْقَاهُ فَعِيرَهُ إِخْوَتُهُ بِفِعْلِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَسَدَ مَا زَالَ فِي صُدُورِهِمْ).
فَاسْتَأَى يُونُسَ مِنْ قَوْلِهِمْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَأَسَرَ الْاِمْتِعَاضَ وَلَمْ يَبْدِهِ لِإِخْوَتِهِ، وَقَالَ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ: (أَنْتُمْ شُرَّ مَكَانًا)، أَيُّ أَنْتُمْ أَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ مَكَانَةً وَمَنْزِلَةً مِمَّنْ تُعْرَضُونَ بِهِ، وَتَفْتَرُونَ عَلَيْهِ، إِذْ أَنْتُمْ سَرَقْتُمْ مِنْ أَيْكُمُ أَحَبَّ أَبْنَانِهِ إِلَيْهِ، وَعَرَضْتُمُوهُ لِلْهَلَاكِ وَالرَّقِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمَا تَصِفُونَهُ بِهِ.

(يَا أَيُّهَا) (نَرَكَ)

(٧٨) - أَخَذَ إِخْوَةُ يُونُسَ يَتَرَفَّقُونَ بِهِ، وَيَسْتَعْفِفُونَهُ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لِهَذَا الشَّابَّ وَالِدًا عَجُوزًا يُحِبُّهُ حُبًّا كَبِيرًا وَيَتَسَلَّى بِهِ عَنْ وَلَدِهِ الَّذِي فَقَدَهُ، فَخُذْ أَحَدَنَا لِيَكُونَ عِنْدَكَ بَدَلًا عَنْهُ، فَإِنَّا نَرَكَ رَجُلًا مُحْسِنًا بَرًّا رَفِيقًا، فَاتِمِّ إِحْسَانَكَ إِلَيْنَا.

(مَتَاعَنَا) (لِظَالِمُونَ)

(٧٩) - فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ يَكُونُ ظَالِمًا إِنْ أَخَذَ بَرِيئًا مَكَانَ مُسِيءٍ. وَبِمَا أَنَّهُمْ قَالُوا إِنْ شَرَعَهُمْ يَقْضِي بَأَن يَكُونَ السَّارِقُ عَبْدًا لِلْمَسْرُوقِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَتَّقِدُ بِشَرِّهِمْ هَذَا.
مَعَاذَ اللَّهِ - نَعُوذُ بِاللَّهِ مَعَاذًا، وَنَعْتَصِمُ بِهِ.

(الْحَاكِمِينَ)

(٨٠) - وَلَمَّا نَظَرَ إِخْوَةُ يُونُسَ مِنْ إِقْنَاعِ الْعَزِيزِ بَأَن يَرُدَّ عَلَيْهِمْ أَخَاهُمُ الصَّغِيرَ لِقَاءَ دَفْعِ أَحَدِهِمْ إِلَيْهِ بَدَلًا عَنْهُ، انْتَحَوْا جَانِبًا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ. فَقَالَ لَهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ بِالْأَلِّ يَقْتُلُوا يُونُسَ، وَيَأْنِ يَكْتَفُوا بِالْقَائَةِ فِي الْحُبِّ: أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَرْدُنَّ عَلَيْهِ أَبْنَاهُ، وَهَذَا قَدْ تَعَذَّرَ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ أَصْعَمَ يُونُسَ، وَأَبْعَدْتُمُوهُ عَنْ أَبِيهِ فَقَاسَى الْحُزْنَ الشَّدِيدَ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي لَنْ أَتْرَكَ هَذِهِ الْأَرْضَ، وَسَأَبْقَى فِيهَا أَتَّبِعُ أَخْبَارَ أَخِينَا الصَّغِيرِ، إِلَّا إِذَا فَهِمَ أَبِي الرُّضْعَ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَسَمَحَ لِي بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَهُوَ رَاضٍ عَنِّي، أَوْ يَحْكُمُ اللَّهُ لِي بِأَن يُمْكِنَنِي مِنْ أَخِي، وَالْعَوْدَةَ بِهِ إِلَى أَبِي.
وَاللَّهُ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِمَا هُوَ حَقٌّ وَعَدْلٌ، وَهُوَ الْمُسَخَّرُ لِلْأَسْبَابِ، وَالْمُقَدَّرُ لِلْأَقْدَارِ.

أَسْتَأْصُوا مِنْهُ - يَسْتُوا مِنْ إِجَابَةِ طَلِبِهِمْ.
خَلَصُوا نَجِيًّا - أَنْفَرَدُوا عَنِ الرُّكْبِ يَتَنَاجَوْنَ وَيَسْأَوِرُونَ.
مَا قَرَّطُمْ يُونُسَ - مَا قَصَّرْتُمْ.

وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ
شُرَّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ

٧٨ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا
شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا
مَكَانَهُ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ

٧٩ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ لِمَنْ
وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا
لَظَالِمُونَ

٨٠ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا
نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ
تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ
عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ
قَبْلُ مَا قَرَّطُمْ فِي يُونُسَ فَلَنْ
أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي
أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ

(يَا أَبَانَا) (حَافِظِينَ)

(٨١) - ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَخُوهُمْ الْأَكْبَرُ بِالرُّجُوعِ إِلَى آبِهِمْ وَبِإِخْبَارِهِ بِمَا حَدَّثَ لَهُمْ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ عُذْرًا لَهُمْ، وَلِيَتَرَوْا مِمَّا وَقَعَ، وَلِيَقُولُوا لَهُ: وَمَا عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّ أَبْنَاكَ سَرَقَ، وَإِنَّمَا رَأَيْنَا صَوَاعَ الْمَلِكِ يُسْتَخْرَجُ مِنْ رَحْلِهِ، وَلَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ - حِينَمَا أُعْطِيَكَ الْعَهْدَ وَالْمَوْتُ - أَنَّهُ سَيَسْرِقُ، وَأَنَّهُمْ سَيَأْخُذُونَهُ بِسِرْقَتِهِ.

(وَأَسْأَلُ) (لَصَادِقُونَ)

(٨٢) - وَإِنْ كُنْتُ فِي شَكٍّ مِمَّا أَبْلَغَكَ فَأَرْسِلْ مَنْ يَأْتِيكَ بِشَهَادَةِ أَهْلِ مِصْرَ، وَأَسْأَلُ أَنْتَ الْقَافِلَةَ (الْعِيرَ) الَّتِي رَافَقَتَهَا عَنْ صِدْقِ قَوْلِنَا، وَأَمَّا تِنَا فِي حِفْظِ أَخِينَا، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ مِنْ أَنَّهُ سَرَقَ، وَأَنَّهُمْ أَخَذُوهُ بِسِرْقَتِهِ.

الْعِيرُ - الْقَافِلَةُ.

(٨٣) - فَارْجِعِ الْأَنْبَاءَ التَّسْعَةَ إِلَى آبِهِمْ، وَتَخَلَّفَ كَثِيرُهُمْ فِي مِصْرَ، وَقَصُّوا عَلَى آبِهِمْ مَا حَدَّثَ لَهُمْ، وَقَالُوا لَهُ مَا اتَّفَقَ الْإِخْوَةُ عَلَى قَوْلِهِ لِأَبِهِمْ. وَخَشِيَ يَعْقُوبُ أَنْ يَكُونُوا فَعَلُوا بِأَبْنَيْهِ الصَّغِيرِ مَا فَعَلُوهُ بِأَخِيهِ يُوسُفَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ كَرَّرَ نَفْسَ الْعِبَارَةِ، الَّتِي قَالَهَا لَمَّا أَخْبَرُوهُ عَنْ أَكْلِ الذَّنْبِ يُوسُفَ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾. ثُمَّ تَرَجَّى اللَّهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَوْلَادَهُ الثَّلَاثَةَ: يُوسُفَ وَشَقِيقَهُ الْأَصْغَرَ، وَالْأَخَ الْأَكْبَرَ الَّذِي بَقِيَ فِي مِصْرَ يَقْضَى أَخْبَارَ أَخِيهِ الصَّغِيرِ، وَيَنْتَظِرُ أَمْرَ أَبِيهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ بِالْحَالِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ وَقَضَائِهِ.

سَوَّلَتْ - زَيَّنَتْ وَسَهَّلَتْ.

(يَا أَسْفَا)

(٨٤) - وَأَعْرَضَ يَعْقُوبُ عَنْ بَنِيهِ، وَقَالَ مُتَذَكِّرًا حُزْنَهُ الْقَدِيمَ عَلَى يُوسُفَ: (يَا أَسْفَا عَلَى يُوسُفَ)، وَجَدَّدَ لَهُ حُزْنَهُ الْجَدِيدَ عَلَى أَبْنَيْهِ الْأَصْغَرَ، حُزْنَهُ الدَّفِينِ عَلَى يُوسُفَ، وَعَمِيَتْ عَيْنَاهُ، وَأَصَابَتْهُمَا غِشَاوَةٌ يَبِضَاءُ مِنْ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَكْظُمُ غَيْظَهُ عَلَى بَنِيهِ، وَتَحِبُّلُ مُصَابَةٍ وَهُوَ ضَامِتٌ لَا يَشْكُو إِلَى مَخْلُوقٍ مَا يَعْانِيهِ.

يَا أَسْفَا - يَا حُزْنِي الشَّدِيدَ.

أَبِضَّتْ عَيْنَاهُ - أَصَابَتْهُمَا غِشَاوَةٌ قَابِضَتَانِ.

كَظَّمُ - مُمْتَلِئٌ غَيْظًا وَحُزْنًا وَلَكِنَّهُ يَكْتُمُهُ وَلَا يُبْدِيهِ.

(تَفَنَّنَا) (الْهَالِكِينَ)

(٨٥) - وَقَالَ لَهُ أَبْنَاؤُهُ: إِنَّكَ لَا تُفَارِقُ ذَكَرَ يُوسُفَ، وَإِنَّا لَنَخَافُ عَلَيْكَ،

٨١ أَرْجِعُوا إِلَى آبَيْكُمْ فَقُولُوا

يَا أَبَانَا إِنَّكَ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا
شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا
كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ

٨٢ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا

وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا
لَصَادِقُونَ

٨٣ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ

أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ
هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

٨٤ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَآ أَسْفَى عَلَى

يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ
الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ

٨٥ قَالُوا تَاللَّهِ تَفَتَنَّا أَتَذْكُرُ

يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا

أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ

﴿٨٦﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي
إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ

﴿٨٧﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ
يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا
مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ
رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

﴿٨٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا
الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا
بِبَضْعَةٍ مَرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا
الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ

﴿٨٩﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ
وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ

إِنْ أَسْتَمَرَّتْ بِكَ هَذِهِ الْحَالُ، أَنْ يَجِلَّ بِكَ الْهَلَاكُ وَالتَّلَفُ، وَأَنْ تَنْدَهَوْرَ
صِحَّتُكَ وَتَضَعَفَ قِوَاكَ.
تَكُونُ حَرْصًا - تَصِيرُ مَرِيضًا مُشْرِفًا عَلَى الْهَلَاكِ.
تَقْنًا - لَا تَقْنًا وَلَا تَرَال.

(أَشْكُو)

(٨٦) - فَأَجَابَهُمْ أَبُوهُمْ عَمَّا قَالُوهُ لَهُ: إِنَّهُ لَا يَشْكُو إِلَيْهِمْ أَمْرَهُ وَحُزَنَهُ،
وَأِنَّمَا يَشْكُو ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّهُ يَرْجُو مِنْهُ وَحْدَهُ الْخَيْرَ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ
مِنْ اللَّهِ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صَادِقَةٌ، وَأَنَّهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ أَنْ تَتَحَقَّقَ، وَأَنَّهُ
وَأَبْنَاءَهُ سَيَسْجُدُونَ لَهُ تَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ، وَأَنَّ أَوْلَادَهُ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَلَا
يُدْرِكُونَهُ.
بَنِي - شِدَّةٌ عَمِّي وَهَمِّي.

(يَا بَنِي) (تَيَّأَسُوا) (الْكَافِرُونَ) (يَيَّأَسُ)

(٨٧) - وَحَثَّ يَعْقُوبُ بَنِيهِ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى مِصْرَ لِيَقْصِيَ أَخْبَارَ يُوسُفَ
وَأَخِيهِ (وَالْتَحَسَّسُ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ، وَالتَّوَجَّسُ يَكُونُ فِي الشَّرِّ)، وَأَمَرَهُمْ
بِالتَّلَطُّفِ فِي الْبَحْثِ وَالسُّؤَالِ عَنْهُمَا، وَبِالْأَيَّاسُوا وَيَقْطَعُوا رَجَاءَهُمْ
وَأَمَلَهُمْ مِنَ اللَّهِ فِيمَا يَرُومُونَهُ وَيَقْصِدُونَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَقْطَعُ الرَّجَاءَ مِنَ اللَّهِ،
وَلَا يَقْطَعُ وَيَيَّأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.
فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ - تَعَرَّفُوا مِنْ خَبَرِهِ.
رَوْحِ اللَّهِ - رَحْمَتِهِ وَفَرَجِهِ وَتَنْفِيسِهِ الْكَرْبِ.

(يَا أَيُّهَا) (بِبِضَاعَةٍ) (مَرْجَاةٍ)

(٨٨) - فَذَهَبَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى مِصْرَ، عَمَلًا بِوَصِيهِ أَبِيهِمْ، فَدَخَلُوا
عَلَى يُوسُفَ، وَمَعَهُمْ بِضَاعَةٌ رَدِيئَةٌ (مَرْجَاةٌ) حَمَلُوهَا مَعَهُمْ لِيُدْفَعُوا ثَمَنَ
الْمِيرَةِ الَّتِي أَتَوْا يَطْلُبُونَهَا، وَقَالُوا لِيُوسُفَ: لَقَدْ مَسَّنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ
وَالْأَذَى، وَعَعْضُنَا الْجُوعَ، فَجِئْنَا بِهَذِهِ الْبِضَاعَةِ الرَّدِيئَةِ نَطْلُبُ أَنْ تُعْطَيْنَا
بِهَا شَيْئًا مِنَ الْمِيرَةِ، وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا بِقَبُولِ هَذِهِ الْبِضَاعَةِ الرَّدِيئَةِ ثَمَنًا
لِمِيرَتِنَا، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ خَيْرًا عَلَى عَمَلِهِمْ.
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا بِرَدِّ أَخِينَا عَلَيْنَا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا
يُرِيدُونَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةَ رُؤْيَا الْأَثَرِ الَّذِي تَرَكَّهُ عَلَى مَلَامِحِ وَجْهِهِ).
الضَّرُّ - الْهَزَالُ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ.
بِضَاعَةٌ مَرْجَاةٌ - بِأَثْمَانٍ رَدِيئَةٍ كَاسِدَةٍ.

(جَاهِلُونَ)

(٨٩) - وَلَمَّا أَدْرَكَ يُوسُفَ أَنَّ الْجَهْدَ وَالْمَجَاعَةَ وَالْجَدْبَ أَزْهَقَ كُلَّ ذَلِكَ

أَهْلَهُ، تَذَكَّرَ أَبَاهُ وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ، وَمِنْ فَقْدِ وَلَدَيْهِ، فَرَّقَ قَلْبُهُ، وَعَرَفَ إِخْوَتَهُ بِنَفْسِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ يَوسُفَ وَأَخِيهِ مِنَ الْكَيْدِ وَالْإِيذَاءِ، حِينَمَا كُنْتُمْ جَاهِلِينَ قُبْحَ مَا فَعَلْتُمُوهُ فِي حُكْمِ شُرَعِكُمْ، وَخُفُوقِ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَمَا يَجِبُ مِنْ تَرَاحُمِ الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ، وَلَا تَقْدَرُونَ عَوَاقِبَ هَذَا الطُّيْشِ، وَأَتْبَاعِ الْهَوَى، وَإِطَاعَةِ الْحَسَدِ؟
(أَنْتُكَ)

(٩٠) - فَقَالُوا لَهُ بِتَعَجُّبٍ مِمَّا بَلَغَهُ أَمْرُهُ مِنْ عُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ فِي مِصْرَ: أَأَنْتَ يَوسُفَ وَقَدْ بَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ؟ قَالَ: أَنَا يَوسُفَ وَهَذَا أَخِي، قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْاجْتِمَاعِ بَعْدَ طُولِ افْتِرَاقٍ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَنِي، وَرَفَعَ شَأْنِي، وَهُوَ تَعَالَى لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ أَمْرٍ، أَنْفَاهُ صَبْرٌ وَأَحْسَنَ الْعَمَلِ.
(لَخَاطِئِينَ)

(٩١) - فَأَعْتَرَفُوا بِمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْخُلُقِ وَالْخَلْقِ، وَالْحِلْمِ وَالسَّعَةِ وَالْمُلْكِ، وَأَقْرَأُوا بِذَنبِهِمْ وَخَطِيئَتِهِمْ فِي حَقِّهِ وَحَقِّ أَخِيهِ، وَأَنَّهُمْ لَا عُذَرَ لَهُمْ فِيمَا فَعَلُوهُ.
أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا - اخْتَارَكَ وَفَضَّلَكَ عَلَيْنَا.
(الرَّاحِمِينَ)

(٩٢) - قَالَ يَوسُفَ لِإِخْوَتِهِ: لَا عَتَبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا لَوْمْ، فِيمَا فَعَلْتُمْ بِي وَبِأَخِي، وَدَعَا لَهُمْ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ وَظُلْمَهُمْ، وَأَنْ يَسْتَرْهَا عَلَيْهِمْ، فَهُوَ تَعَالَى أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ لِمَنْ تَابَ وَأَقْلَعَ عَنْ ذَنْبِهِ، وَأَتَابَ إِلَى طَاعَتِهِ بِالتَّوْبَةِ.
لَا تَثْرِبَ - لَا تَأْتِيبَ وَلَا لَوْمْ.

(٩٣) - وَسَأَلَ يَوسُفَ إِخْوَتَهُ عَنْ حَالِ آبَائِهِمْ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ بَصَرَهُ قَدْ كُفَّ مِنْ كَثَرَةِ الْبُكَاءِ وَالْحُزَنِ الْعَمِيقِ، فَدَفَعَ إِلَيْهِمْ قَمِيصَهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا إِلَى أَبِي، وَالْقُوَّةَ عَلَى وَجْهِهِ يَرْجِعُ مُبْصِراً، وَأَتُونِي مَعَ أَبِيكُمْ وَجَمِيعِ آلِ يَعْقُوبَ وَأَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ.
يَأْتِ بِصِيراً - يَرْجِعُ بِصِيراً مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ.

(٩٤) - وَلَمَّا خَرَجَتِ الْقَافِلَةُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، مُتَّجِهَةً إِلَى فِلَسْطِينَ، قَالَ يَعْقُوبُ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَحْفَادِهِ وَأَزْوَاجِهِمْ: إِنَّهُ يَشُمُّ رَائِحَةَ يَوسُفَ كَمَا عَرَفَهَا وَهُوَ صَغِيرٌ، لَوْلَا أَنْ يَسْبُوا ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الْخَرْفِ، وَكِبَرِ السَّنِّ (الْقَدِّ).

فَصَلَّتِ الْعِمْرُ - فَارَقَتِ الْقَافِلَةُ عَرِيشَ مِصْرَ.
تُفَنِّدُونَ - تُسْفَهُونَ أَوْ تُكَذِّبُونَ أَوْ تُنْسَبُونَ ذَلِكَ إِلَى الْقَدِّ.

﴿٩٠﴾ قَالُوا أَلَيْسَ لَكَ لَأَنْتَ يَوسُفَ

قَالَ أَنَا يَوسُفَ وَهَذَا أَخِي

قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ

يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ

لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

﴿٩١﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْ

اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا

لَخَاطِئِينَ

﴿٩٢﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ

يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ

﴿٩٣﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوَّةَ

عَلَى وَجْهِهِ إِي يَأْتِ بِصِيراً

وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ

أَجْمَعِينَ

﴿٩٤﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِمْرُ قَالَ

أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ

يَوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ

(ضَلَّالِكَ)

(٩٥) - فَقَالَ بَنُوهُ: إِنَّكَ مَا زِلْتَ مُقِيمًا عَلَى خَطِيئِكَ الْقَدِيمِ مِنْ حُبِّ يُونُسَ، وَعَدَمِ السُّلُوعَةِ، وَعَدَمِ نِسْيَانِ أَمْرِهِ، وَالْإِعْتِقَادِ، أَنَّهُ مَا زَالَ حَيًّا، وَأَنَّكَ تَرْجُو لِقَاءَهُ عَمَّا قَرِيبٍ. ضَلَّالِكَ - ذَهَابِكَ عَنِ الصَّوَابِ.

(الْقَاهُ)

(٩٦) - فَلَمَّا جَاءَهُ حَامِلُ الْقَمِيصِ، الَّذِي أَرْسَلَهُ يُونُسُ، أَلْقَى الْقَمِيصَ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ فَأَرْتَدَّ بَصِيرًا، وَقَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا لَا تَعْلَمُونَهُ أَنْتُمْ، وَهُوَ أَنَّهُ سِيرُدٌ عَلَى يُونُسَ، وَقَدْ أَرْسَلْتُكُمْ لِمِصْرَ لِإِعْتِقَادِي أَنَّهُ حَيٌّ فِيهَا، وَأَنَّهُ ذُو مَكَانَةٍ.

(يَا أَبَانَا) (خَاطِئِينَ)

(٩٧) - فَأَقْبَلُوا عَلَى أَبِيهِمْ مُعْتَذِرِينَ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ، وَرَجَّوهُ أَنْ يَصْفَحَ عَنْهُمْ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ عَمَّا أَرْتَكِبُوهُ مِنْ ذُنُوبٍ وَأَخْطَاءٍ يَعْقُوقُ أَبِيهِمْ وَإِذَاءَ إِخْوَتِهِمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَمِّدِينَ فِي أَرْتِكَابِ هَذِهِ الْخَطَايَا.

(٩٨) - قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: سَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ اللَّهُ رَبِّي، فَهُوَ تَوَّابٌ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ وَأَصْلَحَ، وَهُوَ رَحِيمٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ.

(أَوَى) (آمِنِينَ)

(٩٩) - وَارْتَحَلَ يَعْقُوبُ بِأَهْلِهِ وَبَنِيهِ إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا دَخَلُوا مِصْرَ، خَرَجَ يُونُسُ لِمُتَقَبِّلِهِمْ، وَعَانَقَ أَبُوهُ، وَقَالَ لِأَهْلِهِ: ادْخُلُوا مِصْرَ آمِنِينَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَضُرٍّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. أَوَى إِلَيْهِ أَبُوهُ - ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَاعْتَنَقَهُمَا.

(يَا أَبْتَ) (رُؤْيَايَ) (الشَّيْطَانُ)

(١٠٠) - وَأَجْلَسَ يُونُسُ أَبُوهُ عَلَى سَرِيرِهِ (الْعَرْشِ) وَسَجَدَ لَهُ أَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ الْأَحَدُ عَشَرَ، وَقَالَ يُونُسُ لِأَبِيهِ: يَا أَبْتَ إِنَّ هَذَا السُّجُودَ مِنْكُمْ هُوَ تَفْسِيرٌ لِلرُّؤْيَا الَّتِي كُنْتُ رَأَيْتُهَا مِنْ قَبْلُ، وَقَصَصْتُهَا عَلَيْكَ. وَلَقَدْ جَعَلَ رَبِّي رُؤْيَايَ هَذِهِ حَقًّا وَوَاقِعًا، وَلَمْ تَكُنْ أَصْغَاتٍ أَحْلَامٍ، وَقَدْ أَكْرَمَنِي رَبِّي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجَنِ بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَ بَرَاءَتِي، وَسَمَّا بِي إِلَى عَرْشِ الْمَلِكِ، وَإِذْ جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَادِيَةِ حَيْثُ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ عِيشَةَ الشُّطْفِ وَالْخَشُونَةِ، فَاجْتَمَعَ شَمْلُنَا مِنْ جَدِيدٍ، بَعْدَ أَنْ أَفْسَدَ الشَّيْطَانُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي، وَقَطَعَ مَا بَيْنَنَا مِنْ وَشَائِحِ الرَّحِمِ. وَإِنَّ رَبِّي

٩٥ قَالَوَاتَلَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ

٩٦ فَلَمَّا أَنَّ جَاءَ الْبَشِيرُ الْقَهَّ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

٩٧ قَالَوَاتَبَانَا أَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ

٩٨ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

٩٩ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُونُسَ أَوَى إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ

١٠٠ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي

لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ، فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا أَرَادَهُ هِيَ لَهُ أُسْبَابُهُ، وَقَدَرَهُ وَسِرَّهُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ وَقَضَائِهِ. سَجْدًا - كَانَ السُّجُودُ جَائِزًا فِي شَرِيعَتِهِمْ.

الْبَذْرِ - الْبَادِيَةِ.

نَزَعَ الشَّيْطَانُ - أَفْسَدَ الشَّيْطَانُ وَحَرَّشَ وَأَغْرَى.

(آتَيْنِي) (السَّمَاوَاتِ) (الْآخِرَةِ) (بِالصَّالِحِينَ)

(١٠١) - لَمَّا تَمَّتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى يُوسُفَ بِاجْتِمَاعِهِ بِأَبَوَيْهِ وَإِخْوَتِهِ، وَرَأَى مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ، وَمَا وَهَبَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ، أَتَجَّهَ إِلَى اللَّهِ رَبِّهِ بِالْإِدْعَاءِ قَائِلًا: يَا رَبُّ أَنْتَ خَالِقِي وَمَالِكُ أُمْرِي، وَمُتَوَلِّي نِعَمِي، فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي، تَوَفَّنِي عَلَى مَا أَرْتَضِيهِ لِأَنْبِيَائِكَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَدْخِلْنِي فِي زُمْرَةِ مَنْ هَدَيْتَهُمْ إِلَى الصَّلَاحِ مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الصَّالِحِينَ.

(١٠٢) - لَمَّا قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ نَبَأَ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ، وَكَيْفَ رَفَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ وَالنَّصْرَ وَالْمُلْكَ لَهُ، مَعَ مَا أَرَادَهُ إِخْوَتُهُ مِنَ الْكَيْدِ وَالسُّوءِ وَالْهَلَكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّ هَذَا الَّذِي قَصَّه عَلَيْهِ هُوَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ، وَقَدْ أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَأَعْلَمَهُ بِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْعِبْرَةِ لَهُ وَلِمَنْ خَالَفَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ مُوجُودًا مَعَ إِخْوَةِ يُوسُفَ حِينَ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى الْكَيْدِ لِيُوسُفَ، وَالْمَكْرِ بِهِ، لِيَعْلَمَهُ مُحَمَّدٌ بِتَفَاصِيلِهِ، وَإِنَّمَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَأَعْلَمَهُ بِهِ وَحْيًا مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى.

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ - عَزَمُوا عَلَى الْكَيْدِ لِيُوسُفَ.

(١٠٣) - وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَنْ يُّؤْمِنُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَوْ حَرَضْتَ أَنْتَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَوْ أَتَيْتَهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ.

(تَسْأَلُهُمْ) (لِلْعَالَمِينَ)

(١٠٤) - وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا عَلَى نُصْحِكَ لَهُمْ، وَلَا عَلَى دَعْوَتِكَ إِيَّاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ لَمْ يَهْتَدُوا فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَسَيَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا غَيْرَهُمْ، فَمَا أُنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ لَيْسَ إِلَّا مَوْعِظَةً وَعِبْرَةً لِلْعِبَادِ.

(وَكَايَ) (آيَةٍ) (السَّمَاوَاتِ)

(١٠٥) - وَمَا أَكْثَرَ الدَّلَائِلَ الَّتِي بَثَّهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَلَكِنْ قَوْمٌ

إِنْ رِئِي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ



﴿١٠١﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ

الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا

وَالْحَقِّقْ بِالصَّلَاحِينَ

﴿١٠٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ

إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ

﴿١٠٣﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ

حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ

﴿١٠٤﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

﴿١٠٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا

وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهَا، وَعَنِ التَّفْكِيرِ فِيهَا، وَفِي مَنْ خَلَقَهَا وَأَبْدَعَ نِظَامَهَا.

(١٠٦) - وَأَكْثَرُ مَنْ يَؤْمِنُ مِنْ هَؤُلَاءِ بِاللَّهِ لَا يَقُومُ إِيمَانُهُمْ عَلَى أَسَاسٍ سَلِيمٍ مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، فَهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ اعْتِرَافًا خَالِصًا، وَإِنَّمَا يَشُوبُ إِيمَانَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الشُّرْكِ (كَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ اللَّهِ، وَأَنَّ عَزِيرًا ابْنُ اللَّهِ...).

(غَاشِيَةٌ)

(١٠٧) - هَلْ آتَخَذَهُؤَلَاءِ - الَّذِينَ يَؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ، وَهُمْ يُشْرِكُونَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ - عَهْدًا عِنْدَ اللَّهِ بِأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُهُمْ فَضَمِنُوا السَّلَامَةَ وَالْأَمْنَ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ يَغْمُرُهُمْ وَيَغْشَاهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ؟ أَوْ ضَمِنُوا أَنْ لَا تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ فَجَاءَ (بَغْتَةً) وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، فَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ، وَيَقُونُ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا؟. غَاشِيَةٌ - عُقُوبَةُ تَغْشَاهُمْ وَتَجْلُلُهُمْ. بَغْتَةً - فَجَاءَ.

(أَدْعُو) (سُبْحَانَ)

(١٠٨) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يُخَبِّرَ النَّاسَ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ سَبِيلُهُ وَمَسْلَكَهُ وَسُنَّتُهُ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَبِقِيْنٍ، هُوَ وَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، مِنْ حَقِيقَةِ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَمَا يَقُولُونَ بِهِ، وَأَنَّهُ يُنَزِّهُ اسْمَ اللَّهِ، وَيُقَدِّسُهُ عَنِ الشُّرْكِ وَالْوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوقًا كَبِيرًا.

(عَاقِبَةُ) (الْآخِرَةُ)

(١٠٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنَّهُ أَرْسَلَ رَسُولَهُ جَمِيعًا مِنَ الْبَشَرِ، فَكَيْفَ عَجِبُوا بِكَ، وَلَمْ يَعْجَبُوا بِمَنْ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ؟ وَأَنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَهُمْ رِجَالًا - لَا نِسَاءَ - مِنْ أَهْلِ الْمُدْنِ - لَا الْقُرَى - لِأَنَّ أَهْلَ الْبَادِيَةِ أَجْفَى النَّاسِ طِبَاعًا وَأَخْلَاقًا، وَلِأَنَّ أَهْلَ الْمُدْنِ إِذَا آمَنُوا تَبِعَهُمْ أَهْلُ الْبَوَادِي فِي الْإِيمَانِ، أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ لَكَ، يَا مُحَمَّدُ، فِي الْأَرْضِ لِيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَذَّبُوا الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُمْ، وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَبِرُسُلِهِ وَبِالْمَعَادِ، وَكَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا، وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ؟ وَكَمَا نَجَّيْنَا الْمُؤْمِنِينَ بِدَعْوَةِ الرُّسُلِ جِئْنَا أَهْلَكْنَا الْمُكَذِّبِينَ مِنْ

وَمَا يَؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا لَا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ

أَقْوَامِهِمْ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّتُنَا فِي الدُّنْيَا، كَذَلِكَ نُنْجِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَأَفْضَلُ.

(١١٠) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّهُ أُرْسِلَ رَسُولًا قَبْلَهُ فَأَقْنَصَتْ حِكْمَتُهُ تَعَالَى أَنْ يَتَرَاخَى نَصْرُ اللَّهِ عَنِ الرُّسُلِ، وَأَنْ يَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ التَّكْذِيبُ مِنْ قَوْمِهِمْ، حَتَّى إِذَا زُلْزِلَتِ النَّفُوسُ، وَاسْتَشْعَرَتِ الْقُنُوطُ وَالْيَأْسُ مِنَ النِّجَاةِ وَالنَّصْرِ، فَحِينَئِذٍ يَأْتِي نَصْرُ اللَّهِ، فَيُنْجِي مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ مِنْ جُنْدِهِ، وَيُهْلِكُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ جُنْدِهِ، وَلَا يَرُدُّ أَحَدُ بَأْسِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ..

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى (كُذِّبُوا) قِرَاءَتَانِ:

الأولى - (كُذِّبُوا) - بِضَمِّ الْكَافِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ - وَكَذَلِكَ كَانَتْ تَقْرَأُهَا عَائِشَةُ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا - وَمَعْنَاهَا: إِنَّ الرُّسُلَ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ، وَلَنْ يُؤْمِنُوا لَهُمْ، وَيَسُوا مِنْ قَوْمِهِمُ الْكَافِرِينَ.

والثانية - (كُذِّبُوا) - بِضَمِّ الْكَافِ وَتَخْفِيفِ الدَّالِ - وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَأُهَا ابْنُ عَبَّاسٍ - وَمَعْنَاهَا: إِنَّهُ لَمَّا يَسَّ الرُّسُلُ مِنْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُمْ قَوْمُهُمْ، وَظَنَّ قَوْمُهُمْ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كَذَّبُوهُمْ، جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ فَأَيَّدَ الرُّسُلَ.

فَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُولَى: يَشْعُرُ الرُّسُلُ أَنَّهُمْ كُذِّبُوا مِنْ قَبْلِ أَقْوَامِهِمْ.

وَفِي الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ: يُدْرِكُ الْقَوْمُ أَنَّ الرُّسُلَ كَذَّبُوهُمْ بِمَا جَاءُواهُمْ بِهِ.

اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ - يَسُوا مِنَ النَّصْرِ لِيَتَطَاوَلَ الزَّمَنُ.

ظَنُّوا - تَوَهُمَ الرُّسُلَ وَحَدَّثَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ.

قَدْ كُذِّبُوا - قَدْ كَذَّبَهُمْ رَجَاؤُهُمُ النَّصْرَ فِي الدُّنْيَا.

بَأْسُنَا - عَذَابُنَا.

(الْأَلْبَابُ)

(١١١) - لَقَدْ كَانَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ مَعَ أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ عِبْرَةٌ لِدَوَى الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْتَبِرُونَ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا أَوَائِلُهَا وَمَقْدَمَاتُهَا، وَجَهَةُ الِاعْتِبَارِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الَّذِي قَدَرَ عَلَى إِنْجَاءِ يُوسُفَ بَعْدَ إِفْقَائِهِ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ، وَإِعْلَاءِ شَأْنِهِ، حَتَّى أَصْبَحَ عَزِيزَ مِصْرَ، وَرَئِيسَ وَزَرَائِهَا، بَعْدَ أَنْ بَاعَ بِالْثَمَنِ الْبَخْسِ، وَالتَّمَكُّينِ فِي الْأَرْضِ لَهُ بَعْدَ الْحَسَنِ وَالسَّجْنِ، وَجَمَعَ شَمْلَهُ مَعَ أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ..

لِقَادَرٍ عَلَى إِعْزَازِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَإِظْهَارِ دِينِهِ.

وَمَا كَانَ هَذَا الْقِصَصُ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَيُخْتَلَقُ لِأَنَّهُ أَعَجَزَ رَوَاةُ الْأَخْبَارِ، فَهُوَ

حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ
وُظِنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا
جَاءَهُمْ نَصْرٌ نَافِعٌ مَن
نَشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ
الْمُجْرِمِينَ

لَقَدْ كَانَ فِي قِصَّةِهِمْ عِبْرَةٌ
لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا
يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ
كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

دَلِيلٌ ظَاهِرٌ، وَبُرْهَانٌ قَاهِرٌ، عَلَى أَنَّهُ جَاءَ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ وَالتَّزْيِيلِ، وَقَدْ
 جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ السَّابِقَةُ الْمُنَزَّلَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،
 وَفِيهِ تَفْصِيلٌ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَهُوَ هُدًى لِمَنْ تَذَبَّرَهُ،
 وَأَمَعَنَ النَّظَرَ فِيهِ، وَتَلَاهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، وَهُوَ رَحْمَةٌ عَامَّةٌ
 لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَنَفَّذُوا فِيهِمْ شَرَائِعَهُ، فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.
 عِبْرَةٌ - عِظَةٌ وَتَذَكِيرَةٌ.
 يُفْتَرَى - يُخْتَلَقُ.

(١٣) سُورَةُ الرَّحْمَنِ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(آيَات) (الْكِتَاب)

(١) - أَلِف. لَام. مِيم. رَا - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.
هَذِهِ الْآيَاتُ هِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ. وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ رَبِّكَ مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِئَةَ، إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ، مَعَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْبَيَانِ وَالْوُضُوحِ وَالْجَلَاءِ.

(السَّمَاوَاتِ) (الْآيَات)

(٢) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَعَظِيمِ شَأْنِهِ، فَقَدْ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الْأَرْضِ بِدُونِ أَعْمَدَةٍ تَحْمِلُهَا كَمَا يَرَاهَا النَّاسُ وَاضِحَةً لِلْعَيَانِ. ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَذَلَّلَهُمَا وَجَعَلَهُمَا طَائِعِينَ، وَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَسِيرُ فِي مَدَارِهِ وَمَسَارِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ، إِلَى أَنْ يَحِينَ الْأَجَلَ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لَهُمَا. وَهُوَ تَعَالَى يُدَبِّرُ أَمْرَ الْخَلْقِ وَالْكَوْنِ، وَيُسِيرُ الْمَوْجُودَاتِ وَفَقَ نِظَامَ مُحْكَمٍ دَقِيقٍ، لِيَكُونَ ذَلِكَ دَلِيلًا وَآيَةً عَلَى الْخَلْقِ الْبَدِيعِ (يُفْصَلُ الْآيَاتِ). فَإِذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ وَأَذَرَكْتُمُوهُ، فَلَعَلَّكُمْ تُؤْمِنُونَ بِرَبِّكُمْ، وَتُوقِنُونَ بِلِقَائِهِ يَوْمَ الْمَعَادِ، وَتُذَرِّكُونَ أَنَّ مَنْ قَدَّرَ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَإِخْيَاءِ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ. بَغَيْرِ عَمَدٍ - بَغَيْرِ دَعَائِمٍ وَأَسَاطِينٍ تُقِيمُهَا. يُدَبِّرُ الْأَمْرَ - يُصَرِّفُ الْعَوَالِمَ كُلَّهَا بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ.

(رَوَاسِي) (وَأَنْهَارًا) (الشَّمَرَاتِ) (اللَّيْلِ) (لَايَاتِ)

(٣) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَالَمَ الْعُلُويَّ، شَرَعَ فِي ذِكْرِ قُدْرَتِهِ

① الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَةُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ

② اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهُنَّ إِنَّمَا اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفْصَلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبَّكُمْ تَوْقِنُونَ

③ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ

وَحَكْمَتِهِ وَأَحْكَامِهِ فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، فَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَبَسَطَهَا، وَجَعَلَهَا مُتَدَدَةً طَوْلًا وَعَرْضًا، وَأَرْسَاهَا بِجِبَالٍ رَاسِيَاتٍ لِكَيْ يَحْفَظَ تَوَازُنَهَا، وَيَجْعَلَ اسْتِقْرَارَ الْخَلْقِ عَلَيْهَا أَمْرًا هَيئًا مَيَسُورًا فَلَا تَمِيدُ بِهِمْ، وَأَجْرَى فِيهَا الْأَنْهَارَ وَالْعُيُونِ لِيَسْقِيَ مَا فِيهَا مِنْ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ، يُخْرِجَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ. وَجَعَلَ مِنْ كُلِّ ثَمَرَةٍ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى حِينَ تَكُونُهَا.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ اللَّيْلَ يَتَّبِعُ النَّهَارَ حَيْثُهَا (يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ)، بِدُونِ أَنْفِصَالٍ. وَفِي كُلِّ مَا ذُكِرَ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ لَدَلَالٌ وَحُجَجٌ لِمَنْ يَتَفَكَّرُ وَيَعْتَبِرُ.
رَوَاسِي - جِبَالًا ثَوَابِتَ لِكَيْلَا تَمِيدَ.
زَوْجَيْنِ - نَوْعَيْنِ وَضَرَبَيْنِ.
يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ - يُلْبَسُ النَّهَارُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ.

(مُتَجَاوِرَاتٍ) (وَجَنَاتٍ) (أَعْنَابٍ) (وَاحِدٍ) (لَايَاتٍ)

(٤) - وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنَ الْأَرْضِ يُجَاوِرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَكِنَّهَا تَخْتَلِفُ، وَتَتَفَاضَلُ فِيمَا بَيْنَهَا مَعَ تَجَاوُرِهَا، فَهَذِهِ قِطْعَةٌ أَرْضٍ طَيِّبَةٌ، تَنْبُتُ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَتِلْكَ سَبْخَةٌ مِلْحٌ، لَا تَنْبُتُ شَيْئًا، وَهَذِهِ مُحَجَّرَةٌ وَتِلْكَ سَهْلَةٌ. إِنْجَ وَكُلُّهَا مُتَجَاوِرَاتٍ، وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى الْخَالِقِ الْمُبْدِعِ. وَفِي الْأَرْضِ مَزَارِعٌ وَبَسَاتِينُ (جَنَاتٍ) مِنْ أَشْجَارِ النَّخِيلِ، وَالْعِنَبِ، وَالزَّرُوعِ، مِنْهَا مَا تَجْتَمِعُ أَصُولُهُ فِي مَنَبَتٍ وَاحِدٍ وَتَتَشَعَّبُ فُرُوعُهُ، كَالْتَيْنِ وَالرُّمَّانِ (صُنُونٍ) وَمِنْهَا مَا كَانَ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ كَسَائِرِ الْأَشْجَارِ (غَيْرِ صُنُونٍ)، وَتُسْقَى هَذِهِ الْأَشْجَارُ وَالزَّرُوعُ فِي مَنَابِتِهَا بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَتَقُومُ فِي أَرْضٍ وَاحِدَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يُفَضِّلُ اللَّهُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الشَّكْلِ، وَفِي الطَّعْمِ، وَالْمَذَاقِ، وَالرَّائِحَةِ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ الْخَالِقِ وَوُجُودِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، لِمَنْ يَتَفَكَّرُونَ وَيَعْقِلُونَ.
قِطْعٌ - بَقَاعٌ مُخْتَلِفَةُ الطَّبَاعِ وَالصِّفَاتِ.

نَخِيلِ صُنُونٍ - نَخْلَاتٌ يَجْمَعُهَا أَصْلٌ وَاحِدٌ.
الْأَكْلُ - مَا يُوْكَلُ وَهُوَ الثَّمَرَاتُ وَالْحُبُوبُ.

يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنْ فِي ذَلِكَ
لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ
وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ
وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَغَيْرُ صُنُونٍ
يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ



(إِذَا) (تُرَابًا) (إِثْنَا) (أُولَئِكَ) (الْأَغْلَالُ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(٥) - وَإِنْ تَعَجَّبَ مِنْ عِبَادَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْنَانِ، بَعْدَ أَنْ قَامَتِ الْحُجَّةُ وَالْأَدِلَّةُ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، فَأَعْجَبَ مِنْهُ تَكْذِيبُهُمْ بِالْبُعْثِ وَالنُّشُورِ، وَاسْتِيعَاذَتِهِمْ وَفُوعَهُ، وَقَوْلُهُمْ: أَبْعَدُ أَنْ نَمُوتَ، وَتُصْبِحَ عِظَامُنَا رَفَاتًا

وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ
قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ نَالَفِي خَلْقٍ
جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي

أَعْنَاهُمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

وَتُرَابًا، هَلْ سُبُعِدْنَا اللَّهُ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَخْلُقْنَا خَلْقًا جَدِيدًا؟
مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ إِعَادَةَ الشَّيْءِ أَسْهَلُ مِنْ آتِنْدَائِهِ، وَأَنَّ خَلْقَ الْكَوْنِ
الْعَظِيمِ أَصْعَبُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ. فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ
إِنْكَارًا لِلْبَعْثِ وَالْمَعَادِ، هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأُولَئِكَ هُمُ أَصْحَابُ
النَّارِ يُسْحَبُونَ فِيهَا عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَالسَّلَاسِلُ وَالْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ،
وَيَبْقَوْنَ فِي النَّارِ خَالِدِينَ أَبَدًا.
الْأَغْلَالُ - الْأَطْوَاقُ مِنَ الْحَدِيدِ.

(الْمَثَلَاتُ)

(٦) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِالْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، يَسْتَعْجِلُونَكَ بِأَنْ تُنْزِلَ
عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ الَّذِي هَدَدُوا بِهِ إِذَا مَا أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ،
وَهُمْ يُبَادِرُونَ إِلَى هَذَا التَّكْذِيبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالْعُقُوبَةِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلُوا
الثَّوَابَ وَالْحَسَنَةَ وَالسَّلَامَةَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْثَلَةِ سَبَقَتْ
عَلَى إِنْزَالِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَذَابَ وَالْعِقَابَ بِالْأَمْرِ الْخَالِيَةِ، الَّتِي كَذَّبَتْ
رُسُلَهَا، وَاسْتِهْزَأَتْ بِهِمْ، وَجَعَلَهُ إِيَّاهُمْ عِظَةً لِمَنْ أَنْعَطَ بِهِمْ. وَلَوْلَا جُلْمُ
اللَّهِ تَعَالَى وَعَفْوُهُ لَعَاجَلَهُمُ بِالْعُقُوبَةِ حَالِ اجْتِرَاحِهِمُ الذُّنُوبَ،
وَاجْتِسَابِهِمُ الْمَعَاصِيَ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَغْفِرُ لِلنَّاسِ ذُنُوبَهُمْ وَتَجَاوَزُهُمْ إِذَا
تَابُوا إِلَيْهِ وَأَصْلَحُوا، وَهُوَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ أَصْرَ عَلَى كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ
وَتَمَادَى فِي غِيهِ.

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعِدُهُمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا آمَنُوا، وَأَقْلَعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ
وَعِصْيَانِهِمْ وَسُخْرِيَّتِهِمْ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَكْفُرُ سَيِّئَاتِهِمْ،
وَسَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ عَذْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).
الْمَثَلَاتُ - الْعُقُوبَاتُ الْفَاضِحَاتُ لِأَمْثَالِهِمْ.
مَغْفِرَةٌ لِلنَّاسِ - سِتْرٌ وَإِمَهَالٌ.

(آيَةٌ)

(٧) - وَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ كُفْرًا وَعِنَادًا: لَوْ أَنَّ مُحَمَّدًا يَأْتِينَا بِمُعْجَزَةٍ مِنْ رَبِّهِ
(آيَةٍ)، مِثْلَ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ (وَقَدْ طَلَبُوا مِنْ مُحَمَّدٍ
أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا. وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُزِيحَ عَنْهُمْ جِبَالَ مَكَّةَ وَيَجْعَلَ
مَكَانَهَا مَرْجًا وَأَنْهَارًا...).

وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّ مَهَمَّةَ النَّبِيِّ هِيَ تَبْلِيغُ رِسَالَةِ اللَّهِ إِلَى
النَّاسِ، وَالْإِنْدَارُ بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَدْعُوهُمْ
إِلَى الْهُدَى وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَقَدْ فَطَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى. وَهَذَا

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ

الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ
مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْلَا أَنْزِلَ

عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ
مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ

الهادي إما أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا أَوْ حَكِيمًا أَوْ مُجْتَهِدًا يَسِيرُ عَلَى سُنَنِ النَّبِيِّ وَيَقْتَفِي خُطَاهُ.

(٨) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ عِلْمِهِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَإِنَّهُ مُحِيطٌ بِمَا تَحْمِلُهُ الْحَوَائِلُ مِنْ إِنْثَانِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ. وَيَعْلَمُ مَا تَنْقُصُهُ الْأَرْحَامُ (تَغِيضُهُ) وَمَا تَزِدُّهُ مِنْ عَدَدٍ فِي الْوَلَدِ (فَقَدْ يَكُونُ وَاحِدًا أَوْ أَكْثَرَ) وَقَدْ يَكُونُ تَامًا فِي الْخَلْقِ، أَوْ نَاقِصًا فِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا، وَحَسَنًا أَوْ قَبِيحًا. وَمَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُ الْجَنِينِ فِي حَيَاتِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِأَجَلٍ وَتَقْدِيرٍ. لَقَدْ حَفِظَ اللَّهُ آجَالَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ، وَجَعَلَ لِكُلِّ ذَلِكَ أَجَلًا مَعْلُومًا، وَمِقْدَارًا مَقْسُومًا.

مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ - مَا تُسْقِطُهُ أَوْ تَنْقُصُهُ.
بِمِقْدَارٍ - بِقَدَرٍ وَاحِدٍ لَا يَتَعَدَّاهُ.

(عَالِمٍ) (الشَّهَادَةِ)

(٩) - يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا يُشَاهِدُهُ الْعِبَادُ، وَمِمَّا يَغِيبُ عَنْهُمْ مِنْ عَوَالِمٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.
الْكَبِيرُ - الْعَظِيمُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ.
الْمُتَعَالِي - الْمُسْتَعْلَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ.

(بِاللَّيْلِ)

(١٠) - وَسَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ أَسَرَ قَوْلَهُ وَلَمْ يَتَلَفُظْ بِهِ، أَوْ جَهَرَ بِهِ وَأَعْلَنَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُ جَمِيعًا وَيَسْمَعُهُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ مَنْ أَسْتَخْفَى فِي بَيْتِهِ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ، وَمَنْ ظَهَرَ وَسَارَ فِي النَّهَارِ (سَارِبٌ بِالنَّهَارِ)، فَإِنَّهُمَا فِي عِلْمِ اللَّهِ عَلَى السَّوَاءِ.
سَارِبٌ - ذَاهِبٌ فِي سِرِّهِ وَطَرِيقِهِ، ظَاهِرًا.

(مُعَقَّبَاتٍ)

(١١) - لِلْعَبِيدِ مَلَائِكَةٌ يَتَعَقَّبُونَ عَلَى مُرَاقَبَتِهِ وَحِرَاسَتِهِ، وَيَحْفَظُونَهُ مِنْ الْمَضَارِّ فِي نَوْمِهِ، وَفِي خَالِ يَقْظَتِهِ، بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِذْنِهِ، فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا إِذَا كَانَ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ، مِنْ خَيْرٍ إِلَى سُوءٍ، إِلَّا إِذَا غَيَّرُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يُغَيِّرُ اللَّهُ مَا يَقُومُ مِنْ سُوءٍ إِلَى خَيْرٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ.

⑧ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى

وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا
تَزِدُّ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ
بِمِقْدَارٍ

⑨ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي

⑩ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ

جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ
بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ

⑪ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى
يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ

(وَرُوي: أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَى نَبِيِّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ قُلَّ لِقَوْمِكَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ، وَلَا أَهْلٍ بَيْتٍ يَكُونُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَيَتَحَوَّلُونَ مِنْهَا إِلَى مَعْصِيَتِهِ، إِلَّا حَوْلَ اللَّهِ عَنْهُمْ مَا يُجْبُونَ إِلَى مَا يَكْرَهُونَ).
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُصِيبَ قَوْمًا بِشَرِّ عِقَابٍ لَهُمْ، فَلَا رَادَّ لِإِرَادَتِهِ وَقَضَائِهِ، وَلَيْسَ لَهُمْ وَلِيٌّ يَنْصُرُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَرُدُّ قَضَاءَ اللَّهِ عَنْهُمْ. لَهُ مُعَقَّبَاتٌ - لَهُ مَلَائِكَةٌ تَعْتَقِبُ فِي حِفْظِهِ.
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ - بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِحِفْظِهِ.
مِنْ وَالٍ - مِنْ نَاصِرٍ أَوْ وَالٍ يَلِي أُمُورَهُمْ.

(١٢) - وَقُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْكَوْنِ ظَاهِرَةٌ بَارِزَةٌ لِلْعَيَانِ، فَهُوَ الَّذِي يُسَخِّرُ الْبَرَقَ الَّذِي يَخَافُ ضَرَرَهُ الْمُسَافِرُ، وَمَنْ يَنْصَرِّفُونَ مِنَ الْمَطَرِ وَالصَّوَاعِقِ، وَيَطْمَعُ فِيهِ بَعْضُ خَلْقِ اللَّهِ، كَالْمَقِيمِ وَصَاحِبِ الزُّرُوعِ وَالْمَاشِيَةِ، رَجَاءً أَنْ يَهْطِلَ الْمَطَرُ فَيَسْقُوا حَرْثَهُمْ وَضَرْعَهُمْ. وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي يَخْلُقُ خَلْقًا مُبْتَدَأً (يُنشِئُ) السَّحَابَ الْمُثْقَلَ بِالْمَاءِ لِيُنْزِلَهُ مَطَرًا حَيْثُ يَشَاءُ. السَّحَابُ الثَّقَالُ - الْمُوقَرَّةُ بِالْمَاءِ الْمُثْقَلَةُ بِهِ.

(وَالْمَلَائِكَةُ) (الصَّوَاعِقُ) (يُجَادِلُونَ)

(١٣) - يَقُولُ تَعَالَى: كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ تَعَالَى، وَصَوْتُ الرَّعْدِ دَلَالَةٌ عَلَى خُضُوعِهِ لِلَّهِ، وَتَنْزِيهِهِ إِيَّاهُ عَنِ الشَّرِيكِ وَعَنِ الْعُجْزِ، كَمَا يَدُلُّ صَوْتُ الْمُسَبِّحِ عَلَى انْقِيَادِهِ لِقُدْرَةِ اللَّهِ.
(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تَهْلِكْنَا بِغَدَابِكَ، وَغَافِلًا قَبْلَ ذَلِكَ). (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).
وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ، وَيُرْسِلُ اللَّهُ الصَّوَاعِقَ نِقْمَةً، يَنْتَقِمُ بِهَا مِمَّنْ يَشَاءُ. وَيَشْكُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ، وَفِي أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ)، وَهُوَ تَعَالَى شَدِيدُ الْأَخْذِ، شَدِيدُ الْقُوَّةِ، لَا يُغَالَبُ وَلَا يُعَانَدُ.
شَدِيدُ الْجَحَالِ - الْمُكَايَدَةُ أَوْ الْقُوَّةُ أَوْ الْعُقُوبَةُ.

(كَبَاسِطُ) (بِالْغِيَةِ) (الْكَافِرِينَ) (ضَلَالٍ)

(١٤) - وَلِلَّهِ تَعَالَى دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ يُوجَّهُ الدُّعَاءُ وَالنَّضْرُ (دَعْوَةُ الْحَقِّ)، وَالْأَصْنَامُ الَّتِي يَدْعُوهَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَيَعْبُدُونَهَا، وَيَنْصَرِّفُونَ إِلَيْهَا، لَا تُجِيبُهُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ، مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ، إِلَّا كَمَا يُجِيبُ الْمَاءُ مَنْ يَسْطُ إِلَيْهِ كَفْيُهُ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُلْغَ فَاهُ

مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ

١٢ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرَقَ

خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ
السَّحَابَ الثَّقَالَ

١٣ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ

وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ
الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي
اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ

١٤ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ

دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا
كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ
وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ

فَالْمَاءُ جَمَادٌ لَا يُدْرِكُ بَسْطَ الْكَفِّينِ، وَلَا قَبْضَهُمَا، فَكَيْفَ يُجِيبُ دُعَاءَهُ؟
وَكَذَلِكَ أَصْنَامُهُمْ فَإِنَّهَا حِجَارَةٌ لَا تُدْرِكُ دُعَاءَ مَنْ عَبْدُوهَا، وَلَا تَقْهَمُهُ،
وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مَنْ عَبْدُوهَا لَا يَنْتَفِعُونَ مِنْهَا بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.
وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ.
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ - اللَّهُ الدَّعْوَةُ الْحَقُّ وَهِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ.

(السَّمَاوَاتِ) (ظِلَالُهُمْ)

(١٥) - يُخْبِرُ اللَّهُ عَنْ عَظَمَةِ سُلْطَانِهِ الَّذِي خَضَعَ لَهُ كُلُّ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَيَسْجُدُ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ طَوْعاً فِي الشُّدَّةِ وَالرَّخَاءِ،
وَيَسْجُدُ لَهُ الْكَافِرُونَ كَرْهاً فِي حَالِ الشُّدَّةِ، وَتَسْجُدُ لَهُ ظِلَالُ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ
ظِلٌّ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي أَوَائِلِ النَّهَارِ (الْغَدُوُّ) وَفِي أَوَاخِرِهِ (الْأَصَالُ).
لِلَّهِ يَسْجُدُ - لِأَمْرِهِ تَعَالَى يَنْقَادُ وَيَخْضَعُ.
ظِلَالُهُمْ - تَنْقَادُ لِأَمْرِهِ تَعَالَى وَتَخْضَعُ.
الْغَدَاةُ - أَوَّلُ النَّهَارِ (وَجَمْعُ الْغَدَاةِ الْغَدُوُّ).
الْأَصَالُ - جَمْعُ أَصِيلٍ - آخِرُ النَّهَارِ.

(السَّمَاوَاتِ) (الظُّلُمَاتِ) (فَتَشَابَهَ) (خَالِقِ) (الْوَاحِدِ) (الْقَهَّارِ)

(١٦) - يُقَرِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ الْإِلَٰهُ الْوَاحِدُ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَكَانَ مُشْرِكُو
قُرَيْشٍ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ رَبُّهَا
وَمُدَبِّرُهَا، وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ هَؤُلَاءِ، مَعَ اعْتِبَارِهِمْ هَذَا، اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَوْلِيَاءَ يَعْبُدُونَهُمْ، وَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا لِعِبَادِهِمْ نَفْعاً وَلَا
ضَرراً. فَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ عَبْدَ اللَّهَ وَخَدَهُ، وَمَنْ عَبْدَ هَذِهِ الْإِلَٰهَةِ مَعَ اللَّهِ،
وَأَشْرَكَهَا فِي الْعِبَادَةِ مَعَهُ؟ وَكَمَا لَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَكَمَا لَا
تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي مَنْ عَبْدَ اللَّهَ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ
شَيْءٍ، وَمَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ إِلَٰهَةً لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَرراً وَلَا نَفْعاً.

(مَنَاعِ) (الْبَاطِلِ)

(١٧) - ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَثَلَيْنِ لِلْحَقِّ فِي ثَبَاتِهِ وَبَقَائِهِ،
وَلِلْبَاطِلِ فِي زَوَالِهِ وَقَنَائِهِ.
فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا فَسَالَتْ بِهِ الْأَوْدِيَةُ، فَأَخَذَ كُلُّ وَادٍ
مِنَ الْمَاءِ بِحَسَبِ سَعْيِهِ (بِقَدَرِهَا)، فَهَذَا كَثِيرٌ أَتَسَعَ لِمَاءٍ كَثِيرٍ، وَهَذَا
صَغِيرٌ وَسِعَ مِنَ الْمَاءِ بِقَدَرِهِ، فَحَمَلَ السَّيْلُ أَثْنَاءَ سَيْرِهِ فِي هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالُهُمْ

بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ



قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ

اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرراً

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ

أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ

فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ

شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ

أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ

زَبَدًا رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي

النَّارِ آتِغَاءَ حَلِيقَةٍ أَوْ مَتَعِ زَبْدٌ

مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ

زَبَدًا عَالِيًا (رَآيَا)، يَظْفُو عَلَيْهِ (وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْقُلُوبِ وَتَفَاوُتِهَا فَمِنْهَا مَا يَسُوعُ عِلْمًا كَثِيرًا، وَمِنْهَا مَا لَا يَتَسَّعُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ).
وَالْمَثَلُ الثَّانِي الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ مَا يُصْهَرُ مِنَ الْمَعَادِينِ، مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، لِيُجْعَلَ مِنْهُ جَلِيَّةٌ، وَمَا يُصْهَرُ مِنَ الْمَعَادِينِ الْأُخْرَى، مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ وَغَيْرِهِمَا، لِيُجْعَلَ مِنْهُ مَتَاعٌ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ النَّاسُ فِي حَيَاتِهِمْ، وَمَعَاشِهِمْ، فَجَمِيعُ هَذِهِ الْمَعَادِينِ يَغْلُوهَا، حِينَ صَهَرَهَا، زَبَدٌ مِنْهَا (خَبَتْ)، كَمَا يَغْلُو الْمَاءُ زَبَدٌ مِنْهُ؛ وَكَمَا أَنَّ الزَّبَدَ يَتَلَاشَى وَيَتَفَرَّقُ (يَذْهَبُ جُفَاءً)، وَيَبْقَى مَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَالْأَرْضَ مِنْ مَاءٍ وَمَعْدِنٍ خَالِصٍ، كَذَلِكَ يَتَلَاشَى الْبَاطِلُ إِذَا اجْتَمَعَ مَعَ الْحَقِّ، وَبَقِيَ الْحَقُّ وَثَبَتَ. بِقَدَرِهَا - بِمِقْدَارِهَا الَّذِي اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ.

الزَّبَدُ - الْغَثَاءُ (أَوْ الرُّغْوَةُ) الطَّافِي عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ.

رَآيَا - مُرْتَفِعًا مُتَنَفِّخًا.

زَبَدُ الْمَعَادِينِ - خَبْثُهَا وَهُوَ مَا يَظْفُو عَلَى سَطْحِهَا حِينَ صَهَرَهَا.

جُفَاءً - مَرِيئًا بِهِ مَطْرُوحًا أَوْ مُتَفَرِّقًا

(أُولَئِكَ) (وَمَا وَاهُمْ)

(١٨) - النَّاسُ فِي تَلَقِّيهِمْ دَعْوَةَ اللَّهِ صِنْفَانِ: فَالَّذِينَ أَطَاعُوا رَبَّهُمْ، وَأَنْقَادُوا لِأَمْرِهِ، وَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ رَسُولِهِ ﷺ لَهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَثُوبَةُ الْحَسَنَى الْخَالِصَةُ. وَالَّذِينَ عَصَوْا رَبَّهُمْ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، سَيَلَقُونَ حِسَابًا عَسِيرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحَاسِبُونَ عَلَى الْجَبِيلِ وَالْحَقِيرِ مِنَ الْأَعْمَالِ، لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا أَحْطَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَنْ يُقْدَرَهُمْ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ أَحَدٌ، وَلَنْ يُغْنِيَ عَنْهُمْ جَمْعُهُمْ وَلَا مَالُهُمْ. وَلَوْ أَنَّهُمْ اتَّوَا بِمِثْلِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَيُقْدَرُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَلَا يُمْكِنُهُمْ ذَلِكَ، وَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ، وَسَتَكُونُ جَهَنَّمُ مَا وَاهُمْ وَمُسْتَقَرُّهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

بِئْسَ الْمِهَادُ - بِئْسَ الْفِرَاشُ وَالْمُسْتَقَرُّ جَهَنَّمُ.

(أُولُو) (الْأَلْبَابِ)

(١٩) - لَا يَسْتَوِي الْمُهْتَدِي مِنَ النَّاسِ، الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ، الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، مَعَ الضَّالِّ، الَّذِي لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالْأَعْمَى لَا يَهْتَدِي إِلَى خَيْرٍ، وَلَا يَفْهَمُهُ، وَلَوْ فَهَمَهُ مَا أَنْقَادَ إِلَيْهِ، وَلَا صَدَّقَ بِهِ وَلَا آتَنَعَ. فَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ وَيَعْتَبِرُونَ هُمْ أَصْحَابُ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَالْبَصَائِرِ الْمُدْرِكَةِ (أُولُو الْأَلْبَابِ).

وَالْبَاطِلُ فَمَا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ
جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ الْأَمْثَالَ

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى
وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ وَلَوْ
أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ
أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ
وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ



الْحَزَنُ
٦٦

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى
إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولُو الْأَلْبَابِ

(الميثاق)

﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَئِنْ قُضِيَ
الْمِثْقَالُ

(٢٠) - وَالْمُهْتَدُونَ الَّذِينَ سَتَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ وَالنُّصْرَةُ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، هُمُ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ إِذَا عَاهَدُوا، وَلَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ مَعَ عِبَادِهِ، وَلَا يَغْدُرُونَ بِذِمَّةٍ، وَلَا يَفْجُرُونَ وَلَا يَخُونُونَ.

﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ

(٢١) - وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُهْتَدُونَ يَصِلُونَ الْأَرْحَامَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِوَصْلِهَا، وَيُحْسِنُونَ إِلَى الْأَقْرَبَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَيَعَامِلُونَهُمْ بِالْمَوَدَّةِ وَالْحُسْنَى، وَيَبْذُلُونَ الْمَعْرُوفَ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ فِيمَا يَأْتُونَ، وَيُرَاقِبُونَهُ فِي ذَلِكَ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَعَدَمَ الصَّفْحِ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ.

(الصَّلَاةُ) (رَزَقْنَاهُمْ) (أُولَئِكَ) (يَذَرُّوْنَ)

﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ
عُقُوبَةُ الدَّارِ

(٢٢) - وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُهْتَدُونَ يَصْبِرُونَ عَنِ آتِكَابِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ، وَيَمْتَنِعُونَ عَنْ مُقَارَفَتِهَا طَاعَةً لِلَّهِ، وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ، وَطَمَعًا بِمَرْضَاتِهِ وَجَزِيلِ ثَوَابِهِ، وَيُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ حَقَّ آدَائِهَا، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَجِبَ عَلَيْهِمْ نَفَقَتُهُمْ، مِنْ أَقْرَبَاءَ وَمُحْتَاجِينَ وَسَائِلِينَ. فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، لَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَالٌ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَإِذَا آذَاهُمْ أَحَدٌ قَابَلُوهُ بِالْجَبِيلِ صَبْرًا، وَاحْتِمَالًا وَحِلْمًا وَعَفْوًا، فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حُسْنُ الْعَاقِبَةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

يَذَرُّوْنَ - يَدْفَعُونَ وَيُجَاوِزُونَ.
عُقُوبَةُ الدَّارِ - عَاقِبَتُهَا الْمَحْمُودَةُ وَهِيَ الْجَنَّةُ.

(جَنَاتُ) (آبَائِهِمْ) (وَأَزْوَاجِهِمْ) (وَذُرِّيَّاتِهِمْ) (وَالْمَلَائِكَةُ)

﴿٢٣﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ
مِنْ كُلِّ بَابٍ

(٢٣) - وَتِلْكَ الْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ هِيَ دُخُولُ جَنَاتِ عَدْنٍ، وَالْإِقَامَةُ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا. وَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَجْبَابِهِمْ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْأَبْنَاءِ الصَّالِحِينَ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، لِيَقْرَبَهُمْ أَغْنِيَهُمْ؛ وَتَدْخُلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ مُسَلِّمِينَ مُهْتَبِينَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَيَرْضَوَانِ اللَّهَ عَلَيْهِمْ.

(سَلَامٌ)

﴿٢٤﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَّةٌ
عُقُوبَةُ الدَّارِ

(٢٤) - وَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَأَمِنْ دَائِمٍ لَكُمْ، لَقَدْ صَبَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاحْتَمَلْتُمُ الْمَسَاقَ وَالْآلَامَ، فَقَرَّبْتُمْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ، فَتَعِمَّتْ عَاقِبَتُكُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ..

(مِثَاقِهِ) (أَوَّلِكَ)

(٢٥) - أَمَّا الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ الَّذِي أَلَزَمَ بِهِ عِبَادَهُ، وَأَقَامَ الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ عَلَى صِحَّتِهِ (كَالتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَالْقَدَرِ) إِمَّا بِإِهْمَالِهِمُ النَّظَرَ فِيهِ، وَإِمَّا بِأَنْ يَنْظُرُوا فِيهِ وَيَعْلَمُوا صِحَّتَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يُعَانِدُونَ فِيهِ، وَالَّذِينَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ (مِنْ صِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالتَّحَابِّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ...)، وَالَّذِينَ يَخُونُونَ أَمَانَتَهُمْ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، وَيَزَكِبُونَ الْمُؤَيَّدَاتِ وَالْمَحْرَمَاتِ... فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ، وَيُعَذِّبُهُمْ سُوءَ الْعَاقِبَةِ وَالْمَالِ. سُوءُ الدَّارِ - عَاقِبَتُهَا السَّيِّئَةُ وَهِيَ النَّارُ.

(بِالْحَيَاةِ) (الْحَيَاةِ) (الْآخِرَةِ) (مَتَاعٌ)

(٢٦) - وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَسْتَعْلُونَ، بِأَمْوَالِهِمْ، عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْفُقَرَاءِ فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَسْطُرُ الرِّزْقَ وَيُوسِعُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُقْتَرُ الرِّزْقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ (وَيَقْدِرُ)، لِمَا لَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَالْمِثَاقَ يَفْرَحُونَ بِمَا بَسَطَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ، وَبِمَا آتَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا اسْتِدْرَاجًا وَإِمْهَالًا، مَعَ أَنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا الْمُؤْمِنِ وَغَيْرَ الْمُؤْمِنِ، فَلَا يَظُنُّ أَهْلُ الْمَالِ أَنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ فِي أَيْدِيهِمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنََّّهُمْ عَلَى حَقٍّ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ مُصْغَرًا شَأْنَ الدُّنْيَا: إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ شَيْئًا يُذَكَّرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَإِنْ هِيَ إِلَّا مَتَاعٌ سَرِيعُ الزَّوَالِ. (وَيُرَوَّى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِجَذِيٍّ صَغِيرٍ الْأَذْنَيْنِ مَيِّتٍ وَمُلْقَى فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ: (وَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَى أَهْلِهِ جِئِنَ الْقُوَّةَ) (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

يَقْدِرُ - يُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَتِهِ.

مَتَاعٌ - شَيْءٌ قَلِيلٌ ذَاهِبٌ زَائِلٌ.

(آيَةٌ)

(٢٧) - وَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَطْرُقُوا وَاعْتَرَوْا بِالدُّنْيَا: هَلَّا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مُعْجَزَاتٍ مِنْ رَبِّهِ (آيَةً): (كَسُقُوطِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ كِسْفًا، أَوِ الرُّقْيَى فِي السَّمَاءِ...) فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُضِلُّ وَهُوَ الْهَادِي، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوا، وَلَكِنْ هَذَا يَتَهُمْ وَضَلَالَتُهُمْ لَيْسَا مُتَعَلِّقَيْنِ بِإِجَابَةِ طَلِبِهِمْ بِإِنْزَالِ الْآيَةِ أَوْ عَدَمِ إِجَابَتِهِ، وَإِنَّ الْأَمْرَ مُتَعَلِّقٌ بِإِرَادَةِ اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ أَخْلَصَ وَانْتَابَ إِلَيْهِ، وَرَجَعَ عَنْ غِيٍّ، وَاسْتَعَانَ بِرَبِّهِ.

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

مِثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ

بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي

الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ

سُوءُ الدَّارِ

اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ

وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ

آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّا اللَّهُ يُصَلِّ

مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ

آثَاب - رَجَعَ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ.

(آمَنُوا) (تَطْمِئِنُّ)

(٢٨) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ، وَتَهْدَأُ إِلَى جَانِبِ اللَّهِ، وَتَسْكُنُ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَتَرْضَى بِهِ مَوْلَى وَنَاصِرًا. وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّ الْقُلُوبَ الْمُؤْمِنَةَ تَطْمِئِنُّ وَتَسْكُنُ وَتَهْدَأُ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (مَابِ)

(٢٩) - وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ عِنْدَ رَبِّهِمْ فَرْحَةٌ، وَسَعَادَةٌ، وَقُرَّةُ عَيْنٍ (طُوبَى)، وَلَهُمْ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَرْجِعِ وَالْمَأْبِ. طُوبَى لَهُمْ - عَيْشٌ طَيِّبٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

(أَرْسَلْنَاكَ) (لِتَلْتَلُوا)

(٣٠) - وَكَمَا أَرْسَلْنَاكَ، يَا مُحَمَّدُ، فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ لِتَلْتَلُوا عَلَيْهِمْ مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَلِتُبَلِّغَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ، كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا رُسُلًا فِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْكَافِرَةِ بِاللَّهِ، وَقَدْ كَذَّبَ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِكَ، فَلَكَ أُسْوَةٌ بِهِمْ. وَكَمَا أَنْزَلْنَا بَاسْنَا وَنَقَمْنَا بِأُولَئِكَ فَلْيَحْذَرُوا هَؤُلَاءِ مِنْ حُلُولِ النَّقَمِ بِهِمْ. وَقُلْ لِقَوْمِكَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِالرَّحْمَنِ، وَلَا يَقْرُونَ بِهِ: إِنَّ الَّذِي تَكْفُرُونَ بِهِ هُوَ اللَّهُ رَبِّي، وَأَنَا مُؤْمِنٌ بِهِ، مُعْتَرِفٌ بِرُبُوبِيَّتِهِ. عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فِي جَمِيعِ أُمُورِي، وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ وَأَتُوبُ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ أَحَدٌ سِوَاهُ. (لَمَّا صَالَحَ الرَّسُولُ ﷺ قُرَيْشًا، يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، كَتَبَ فِي كِتَابِ الصَّلْحِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ أَمَّا الرَّحْمَنُ فَلَا نَعْرِفُهُ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَكْتُبُونَ بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ).

(قُرْآنًا) (يُنَاسِ) (آمَنُوا)

(٣١) - لَوْ بَتَّ أَنْ كِتَابًا سِيرَتْ بِتِلَاوَتِهِ الْجِبَالُ، وَزُعْزَعَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا، أَوْ شَقِقَتْ بِهِ الْأَرْضُ فَتَفَجَّرَتْ عِيُونًا وَأَنْهَارًا (كَمَا حَدَّثَ لِلْحَجَرِ حِينَ ضَرَبَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، أَوْ كَلَّمَ بِهِ أَحَدَ الْمَوْتَى، وَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ، فَأَحْيَاهُمْ بِقِرَاءَتِهِ، وَتَكَلَّمُوا مَعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ (كَمَا حَدَّثَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ). . . لَوْ بَتَّ هَذَا لِشَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ لَبَتَّ لِهَذَا الْقُرْآنِ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، لِمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَبِدْعِ صُنْعِهِ، وَلَمَّا فِيهِ مِنَ الْإِعْجَازِ وَالْحِكْمِ. وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ لَمْ يَتَأَثَرُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَوُضُوحِهِ وَحُجَّتِهِ،

(٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ

يَذْكُرُ اللَّهُ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ
تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ

(٢٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ
وَحُسْنُ مَأْبِ

(٣٠) كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ

خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا
عَلَيْهِمْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ
رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَأْبِ

(٣١) وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ

أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ
الْمَوْتَى بَلْ لَلَّ الْأَمْرَ جَمِيعًا
أَفَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ
لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا
وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ

وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ تُؤَنِّرَ فِيهِمُ الْمُعْجَزَاتُ
الْأُخْرَى الَّتِي أَفْتَرَحُوهَا، وَلَنْ تَكُونَ سَبَبًا لِإِيمَانِهِمْ.
وَالْأُمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهَا، فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ
يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ،
أَفَلَمْ يَبْأَسِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ إِيْمَانٍ جَمِيعٍ خَلَقَ اللَّهُ؟
وَلَا تَزَالِ الْكُورِثُ وَالْقَوَارِغُ تَنْزِلُ بِالَّذِينَ كَفَرُوا فِي الدُّنْيَا، أَوْ تُصِيبُ مَنْ
حَوْلَهُمْ لِيَنْتَظِلُوا وَيَعْتَبِرُوا، وَلَكِنَّهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ،
وَسَيَظْلُمُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ
آتٍ بِلا رَيْبٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ أَبَدًا.
أَفَلَمْ يَبْأَسِ - أَفَلَمْ يَعْلَمْ وَتَبَيَّنَ -
قَارِعَةً - دَاهِيَةً تَقْرَعُهُمْ بِصُنُوفِ الْبَلَايَا.

(٣٢) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ عَمَّا يَلْقَاهُ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ، وَيَقُولُ لَهُ:
لَقَدْ سَخَّرْتُ الْأَقْوَامَ الْبَائِذَةَ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، فَانْظُرْ اللَّهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا، وَأَمْهَلْتُمْ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ (فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ)، ثُمَّ أَخَذْتُمْ،
وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ عِقَابَهُ فَلَمْ يُقِلَّتْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ عِقَابِهِ. فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ
اللَّهِ؟
فَأَمَلَيْتُ لَهُمْ - أَمْهَلْتُ وَأَطَلْتُ فِي أَمْنٍ وَدَعَةٍ.

(قَائِمٌ) (بِظَاهِرٍ)

(٣٣) - بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ عَدَدًا مِنَ الْحَقَائِقِ
الثَّابِتَةِ، الَّتِي أَقَامَ الْأَدْلَةَ عَلَيْهَا، وَضَرَبَ لَهَا الْأَمْثَالَ، وَمِنْهَا:
وَحْدَانِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ، وَتَفَرُّدُهُ تَعَالَى بِخَلْقِ كُلِّ
شَيْءٍ، وَسَيِّطَرَتُهُ الْمُطْلَقَةُ عَلَى الْكَوْنِ سَيِّطَرَةً تَامَةً، وَعِلْمُهُ التَّامُّ بِكُلِّ
حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ فِيهِ، وَعِلْمُهُ بِمَا تُسِرُّ الْمَخْلُوقَاتُ وَمَا تُعْلِنُ. . . بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ
كُلَّ ذَلِكَ سَأَلَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى الْكُفْرِ، وَعَلَى إِشْرَاكِهِمْ مَعَهُ غَيْرَهُ فِي
الْعِبَادَةِ، وَأَدْعَائِهِمْ أَنْ لَهُ شُرَكَاءُ فَقَالَ لَهُمْ مُسْتَنْكِرًا: هَلْ يَسَاوِي اللَّهُ الْقَائِمُ
عَلَى كُلِّ نَفْسٍ، وَالْحَفِيفُ الرَّقِيبُ عَلَيْهَا، الَّذِي يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُهُ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْ خَلْقِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. . . مَعَ الْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا، وَهِيَ حِجَارَةٌ لَا
تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَعْقِلُ، وَلَا تُكْشِفُ ضُرًّا، وَلَا تَجْلُبُ نَفْعًا لِمَنْ
يَعْبُدُونَهَا (وَقَدْ حَذَفَ هَذَا الْجَوَابَ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ)؟ فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ
لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ أَصْنَامًا جَعَلُوهَا شُرَكَاءَ لَهُ: سَمُّوا لَنَا هَذِهِ
الْأِلَهَةَ فَإِنَّهُمْ نَكِرَاتٌ مَجْهُولَةٌ، لَا حَقِيقَةَ لَهُمْ، وَلَا وُجُودَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
فِي السَّمَاءِ إِذْ لَوْ كَانَ لَهُمْ وُجُودٌ لَكَانَ ذَلِكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ. أَمْ إِنَّا كُنْ

يَمَّا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا
مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ رُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ
فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ
سَمُّوهُمْ أَمْ يَنْتَعُونَ بِهِمَا لَا يَعْلَمُ
فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ
بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ
وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ

تَعْلَمُونَ شَيْئًا لَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ؟ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ هُنَاكَ إِلَهَةً فِي الْأَرْضِ وَغَابَ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ؟ أَمْ تَدْعُونَ وَجُودَهَا بِكَلَامٍ سَطَحِيٍّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْلُومٌ (أَمْ بظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ). وَقَضِيَّةُ الْأُلُوْهِيَّةِ لَيْسَتْ مِنَ التَّفَاهَةِ وَالْهَزْلِ بَحِثْ يَتَنَاوَلُهَا النَّاسُ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ؟

لَقَدْ تَصَوَّرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَنَّهُمْ عَلَى صَوَابٍ، وَأَنَّ مَكْرَهُمْ وَتَدْبِيرَهُمْ ضِدُّ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَسَنٌ جَمِيلٌ، فَصَدَّهُمْ هَذَا التَّصَوُّرُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَنَعَهُمْ مِنَ الْإِهْتِدَاءِ إِلَى الْحَقِّ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

(الْحَيَاةُ) (الْآخِرَةُ)

(٣٤) - وَلِلْمُشْرِكِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْآفَاتِ وَالْقَوَارِعِ، وَالْعَذَابُ الْمُدْخَرُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَشَقُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا بِكَثِيرٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَنْ يَحْمِيهِمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَلَا مَنْ يَقِيهِمْ عَذَابَهُ الْأَلِيمَ، فَهُوَ تَعَالَى الْقَاهِرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

وَاقٍ - حَافِظٌ وَعَاصِمٌ.

(الْأَنْهَارُ) (دَائِمٌ) (الْكَافِرِينَ)

(٣٥) - صِفَةُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا الْمُتَّقِينَ، وَنَعْتُهَا، أَنَّهَا تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي أَرْجَائِهَا وَجَوَانِبِهَا، وَحَيْثُ شَاءَ أَهْلُهَا يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا، فِيهَا الْفَوَاكِهُ وَالْمَطَاعِمُ وَالْمَشَارِبُ، لَا انْقِطَاعَ لَهَا وَلَا قَنَاءَ (أَكْلُهَا دَائِمٌ)، وَظِلُّهَا دَائِمٌ لَا يَنْكَمِشُ وَلَا يَزُولُ. وَهَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي تَقَدَّمَتْ صِفَتُهَا، هِيَ جَزَاءُ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ (عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا)، أَمَّا الْكَافِرُونَ فَعُقْبَاهُمْ وَمَصِيرُهُمُ النَّارُ. وَلَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَأَصْحَابُ النَّارِ.

أَكْلُهَا دَائِمٌ - ثَمَرُهَا الَّذِي يُؤْكَلُ لَا يَنْقَطِعُ.

(آتَيْنَاهُمْ) (الْكِتَابَ) (أَدْعُو) (مَابٍ)

(٣٦) - وَالْفَرِيقُ الصَّادِقُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْاسْتِمْسَاكِ بِدِينِهِ، يَجِدُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مَصْدَاقَ الْقَوَاعِدِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، كَمَا يَجِدُ فِيهِ الْاعْتِرَافَ بِالْإِيمَانَاتِ الَّتِي سَبَقَتْهُ بِالْإِكْبَارِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَفْرَحُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيُؤْمِنُ بِهِ لِمَا فِي كِتَابِهِ مِنَ الشَّوَاهِدِ عَلَى تَصْدِيقِهِ، وَالتَّبَشِيرِ بِهِ. أَمَّا الْفَرِيقُ، الَّذِي يَتَّخِذُ الدِّينَ تَحْرِيًّا، فَإِنَّهُ يُكْرَهُ بَعْضُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ عَذَاوَةً وَعَصِيَّةً. فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِأَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِلَيْهِ تَعَالَى مَرْجِعِي، وَمَصِيرِي، وَمَأْبِي، وَبِذَلِكَ أُرْسِلَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي.

إِلَيْهِ مَابٍ - إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ مَرْجِعِي لِلْجَزَاءِ.

﴿٣٤﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ



﴿٣٥﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ

الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ
عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى
الْكَافِرِينَ النَّارُ

﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ
الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ رَقُلْ
إِنَّمَا أُورِثُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ
بِهِ إِلَهَ إِلَهٍ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبٍ

(أَنْزَلْنَاهُ) (وَلَيْنَ)

(٣٧) - وَكَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ مِنَ السَّمَاءِ، كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، بِلِسَانٍ قَوْمِكَ الْعَرَبِ، لِيَسْهَلَ عَلَيْهِمْ تَفْهَمُ مَعَانِيهِ، وَحِفْظُهُ، فَاصِلًا لِلْأُمُورِ عَلَى وَجْهِ الْحَقِّ، مُبَيِّنًا لِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ (حُكْمًا)، لِيَعْرِفَ الْمُكَلَّفُونَ مَا هُوَ مَفْرُوضٌ عَلَيْهِمْ. وَإِذَا أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُتَحَرِّيزِينَ وَآرَاءَهُمْ، بَعْدَ أَنْ جَاءَكَ الْعِلْمُ مِنْ رَبِّكَ وَالْهُدَى، فَلَا وَاقِيَ لَكَ مِنَ اللَّهِ، وَلَا نَاصِرَ يَنْصُرُكَ مِنْ دُونِهِ.

(وَهَذَا تَهْدِيدٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لِكَيْلَا يَتَّبِعُوا سُبُلَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ، بَعْدَ مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ اتِّبَاعِ السُّنَةِ النَّبَوِيَّةِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعْصُومٌ مِنْ ذَلِكَ).

(أَرْوَجًا) (بَيَّاتٍ)

(٣٨) - وَكَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَنْتَ مِنَ الْبَشَرِ، كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا الْمُرْسَلِينَ مِنْ قَبْلِكَ بَشَرًا، يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُنْجِبُونَ الْأَوْلَادَ. وَلَمْ يَكُنْ لِنَبِيِّ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ بِمُعْجِزَةٍ إِلَّا إِذَا أَدْنَى اللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ، فَلَا أَمْرَ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ. وَلِكُلِّ أَمْرٍ كَتَبَهُ اللَّهُ، وَقَدَرَهُ، أَجَلَ مُعَيَّنٍ، وَوَقْتُ مَعْلُومٍ، فَلَا تَنْزِلُ آيَةُ قَبْلَ أَوَانِهَا، وَلَا عَذَابٌ مِمَّا خُوفُوا بِهِ حَاصِلٌ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لَهُ، وَكَذَلِكَ الْبَشَرُ يَتَعَاقَبُونَ فِي الْأَرْضِ وَقَفٌّ مَا قَضَاهُ اللَّهُ.

(وَيُرَوَّى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ جِئْنَا عَابُوا عَلَى الرُّسُولِ ﷺ كَثْرَةَ مَنْ تَزَوَّجَهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالُوا لَوْ كَانَ نَبِيًّا حَقًّا كَمَا يَزْعُمُ لَشَغَلَهُ أَمْرُ النُّبُوَّةِ عَنِ النِّسَاءِ).
لِكُلِّ أَجَلَ كِتَابٍ - لِكُلِّ وَقْتٍ حُكْمٍ مُعَيَّنٍ بِالْحِكْمَةِ.

(يَمْحُو) (أَمُّ الْكِتَابِ)

(٣٩) - يَنْسَخُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَقْدَارِ بِالْذِّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، وَتُثْبِتُ مَا يَشَاءُ مِنْهَا فِي أَمِّ الْكِتَابِ الْمَحْفُوظِ.
وَقَدْ أُثِرَ عَنِ الْفُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَقْوَالٌ عِدَّةٌ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْهَا:
- يَمْحُو اللَّهُ مَنْ جَاءَ أَجَلُهُ، وَتُثْبِتُ مَنْ بَقِيَ أَجَلُهُ.
- يَمْحُو اللَّهُ الْقَمَرَ وَتُثْبِتُ الشَّمْسَ.
- يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنَ الشَّرَائِعِ بِالنَّسخِ، وَتُثْبِتُ مَا يَشَاءُ.
أَمُّ الْكِتَابِ - اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

﴿٣٧﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا

وَلَيْنَ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ

﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ

وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ

﴿٣٩﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ

وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ

(وَأَمَّا) (الْبَلَاغُ)

(٤٠) - وَإِنْ أَرَأَيْتَكَ، يَا مُحَمَّدُ، بَعْضَ الَّذِي أَوْعَدْنَا بِهِ أَعْدَاءَكَ مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ لِتُبَلِّغَهُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ، وَقَدْ فَعَلْتَ مَا أُمِرْتَ بِهِ، وَحَزَّائِهِمْ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ، وَسَيَجْزِي الْكَافِرِينَ بِالْخِزْيِ، فِي الدُّنْيَا، وَبِالْعَذَابِ الدَّائِمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ.

(٤١) - أَيُّشْكُ الْمُشْرِكُونَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، بِصِدْقِكَ فِيمَا أَنْذَرْتَهُمْ بِهِ؟ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّنَا نَفْتَحُ لَكَ الْأَرْضَ بَعْدَ الْأَرْضِ، وَنُظْهِرُ الْإِسْلَامَ عَلَى الشُّرْكِ، فَتَضِيقُ الدُّنْيَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَتَتَحَقَّقُ مَا وَعَدَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّصْرِ وَالْغَلَبَةِ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ، وَلَا مُعَقَّبَ عَلَى أَحْكَامِهِ، وَلَا مُبَدِّلَ لَهَا، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ. لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ - لَا رَادَّ وَلَا مُبْطِلَ لِحُكْمِهِ.

(الْكُفَّارُ)

(٤٢) - وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ بِرُسُلِهِمْ، وَأَرَادُوا إِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ، فَفَكَّرَ اللَّهُ بِهِمْ وَأَبْطَلَ مَكْرَهُمْ، وَجَعَلَهُمُ الْأَسْفَلِينَ، وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَاللَّهُ تَعَالَى عَالِمُ بِجَمِيعِ السَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ، وَسَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ: إِنَّهَا سَتَكُونُ لِاتِّبَاعِ الرُّسُلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(الْكِتَابُ)

(٤٣) - يُكَذِّبُكَ الْكُفَّارُ وَيَقُولُونَ: إِنَّكَ لَسْتَ مُرْسَلًا، يَا مُحَمَّدُ، مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَقُلْ لَهُمْ: كَفَى بِاللَّهِ شَاهِدًا عَلَى رَسُولَاتِي، وَحَسْبِيَ اللَّهُ شَاهِدًا عَلَى مَا بَلَغْتُ مِنَ الرِّسَالَةِ، وَعَلَى مَا كَذَبْتُمْ وَأَفْتَرَيْتُمْ مِنَ الْبُهْتَانِ، وَكَذَلِكَ يَكْفِينِي شَاهِدًا عَلَى صِدْقِي، وَصِدْقِ رَسُولَاتِي، مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِنُبُوتِي وَرِسَالَاتِي.

٤٠ وَإِنْ مَّا تُرِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي

نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ

٤١ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا

مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا
مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ

٤٢ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ

الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ
عُقِبَى الدَّارِ

٤٣ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ

مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَنَانٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كِتَابُ) (أَنْزَلْنَاهُ) (الظُّلُمَاتِ) (صِرَاطِ)

(١) - أَلِفٌ. لَامٌ. رَا. اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.
هَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ لِتُخْرِجَ بِهِ النَّاسَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ
ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، إِلَى نُورِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ وَالْإِيمَانِ، بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
وَتَوْفِيقِهِ، فَمَنْ قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ الْهُدَايَةَ أَرْسَلَ نُورًا يَهْدِي قَلْبَهُ فَيَهْتَدِي إِلَى
طَرِيقِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُمَانَعُ وَلَا يُغَالَبُ، الْمَحْمُودِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ
وَأَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ، الصَّادِقِ فِي خَبَرِهِ.
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ - بِتَسْيِيرِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَهُمْ، أَوْ بِأَمْرِهِ.
الْعَزِيزِ - الْغَالِبِ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ.
الْحَمِيدِ - الْمَحْمُودِ الْمُتَنِي عَلَيْهِ.

(السَّمَاوَاتِ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٢) - وَرَبُّهُمْ هُوَ اللَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
وَيَتَصَرَّفُ بِهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَالْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لِلْكَافِرِينَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ
الْعَذَابِ الشَّدِيدِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ، إِذَا خَالَفُواكَ يَا مُحَمَّدُ وَكَذَّبُوكَ.
وَيْلٌ - هَلَاكٌ أَوْ حَسْرَةٌ.

(الْحَيَاةِ) (الْآخِرَةِ) (ضَلَالٍ) (أُولَئِكَ)

(٣) - وَهَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ يَهْدُوهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالْوَيْلِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
هُمُ الَّذِينَ يُفْضَلُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَيُؤْتِرُونَهَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَيَعْمَلُونَ
لِلدُّنْيَا، وَيَنْسَوْنَ الْآخِرَةَ، وَيَتْرَكُونَهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْ
اتِّبَاعِ الرُّسُلِ ۖ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَيُحِبُّونَ أَنْ تَكُونَ سَبِيلُ اللَّهِ
مُعْجَزةً، غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ، لَكِنِّي يَنْفِرُ النَّاسُ مِنْهَا. وَبِمَا أَنَّ سَبِيلَ اللَّهِ

الرَّكِبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ

لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى
صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا
أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ

مُسْتَقِيمَةً فِي ذَاتِهَا فَلَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا، وَلَا مَنْ صَدَّ عَنْهَا، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ فِي اخْتِيَارِهِمْ حُبِّ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ، وَفِي صَدِّهِمُ النَّاسِ عَنْ اتِّبَاعِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَفِي ابْتِغَائِهِمْ أَنْ تَكُونَ سَبِيلَ اللَّهِ مُعْجِزَةً.. إِنَّمَا هُمْ فِي جَهْلٍ وَضَلَالٍ، وَيُعَدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا يُرْجَى لَهُمْ صَلَاحٌ. يَسْتَحِبُّونَ - يَخْتَارُونَ وَيُؤْتِرُونَ.

يَتَغَوَّنَهَا عَوَجًا - يَطْلُبُونَهَا مُعْجِزَةً أَوْ ذَاتَ اعْوِجَاجٍ

(٤) - مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ أَنَّهُ لَا يُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَى النَّاسِ إِلَّا يَلْسَانَهُمْ، لِيَهْتَمُّوا مِنْهُمْ مَا يُرِيدُونَ قَوْلَهُ لَهُمْ، وَلِيُوضِّحُوا لَهُمْ مَا أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ بِهِ، لَتَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَتَقْطَعَ الْعُذْرُ. وَبَعْدَ أَنْ يَقُومَ الرُّسُلُ بِمَهْمَةِ الدَّعْوَةِ وَالْإِبْصَاحِ وَالْبَلَاحِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى النَّاسِ، يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ عَنْ وَجْهِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَقْهَرُ، مَا شَاءَ كَانَ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَأَفْعَالِهِ.

(بَيِّنَاتِنَا) (الظُّلُمَاتِ) (بِأَيَّامِ) (لَايَاتِ)

(٥) - وَكَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَيَّدْنَاهُ بِآيَاتِنَا (وَهِيَ تِسْعُ آيَاتٍ) وَأَمَرْنَاهُ قَائِلِينَ: أَذْعُ قَوْمَكَ إِلَى الْإِيمَانِ، لِيَخْرُجُوا مِنَ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ إِلَى نُورِ الْهُدَى، وَبَصِيرَةِ الْإِيمَانِ، وَعَظَّمَهُمْ مُذَكِّرًا إِيَّاهُمْ بِأَفْضَالِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ (ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ)، فِي إِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ وَقَهْرِهِ وَبَطْشِهِ، وَفِي إِنْجَائِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ، وَقَلْبِهِ الْبَحْرَ لَهُمْ، وَتَطْلِيلِهِ الْعَمَامَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءِ سِينَاءَ، وَإِنْزَالِهِ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى.. وَفِي جَمِيعِ مَا صَنَعْنَاهُ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَعِبْرَةً وَمَوْعِظَةً لِكُلِّ صَبَّارٍ عَلَى الضَّرَاءِ، شَكُورٍ فِي السَّرَّاءِ. بِأَيَّامِ اللَّهِ - بِنِعْمَاتِهِ أَوْ وَقَائِعِهِ فِي الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ.

(أَنْجَاكُمْ) (آلِ)

(٦) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، امْتَثَلَ لِأَمْرِ رَبِّهِ، فَأَخَذَ بِدَعْوَةِ قَوْمِهِ، وَوَعَّظَهُمْ، وَتَذَكَّرَهُمْ بِمَنْنِ اللَّهِ وَأَنْعَمِيهِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْقَذَكُمْ مِنْ ظُلْمِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، الَّذِينَ كَانُوا يَسُومُونَكُمْ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ الْمُهِينَ (سُوءَ الْعَذَابِ)، إِذْ كَانُوا يَذْنِبُونَ الذُّكُورَ مِنْ أَنْبَائِكُمْ، وَيَسْتَبْقُونَ الْإِنَاثَ زِيَادَةً فِي الْإِذْلَالِ وَالتَّنْكِيلِ، فَأَنْقَذَكُمْ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ

﴿٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يَلْسَانُ قَوْمِهِ لِیَسِّتَ لَهُمْ فِیضُ اللَّهِ مَنْ یَشَاءُ وَیَهْدِی مَنْ یَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِیزُ الْحَكِیمُ

﴿٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآیَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآیَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِی ذَلِكَ لَآیَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

﴿٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَیْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ أَلِ فِرْعَوْنَ یَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَیَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَیَسْتَحْیُونَ نِسَاءَكُمْ

عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الْقِيَامِ بِشُكْرِهِ عَلَيْهَا. وَفِي كُلِّ مَا ذُكِرَ مِنَ
التَّعْذِيبِ، وَالْإِنْجَاءِ... اخْتِيارَ مِنَ اللَّهِ عَظِيمٍ، لِيُظْهَرَ مِقْدَارَ الصَّبْرِ
وَالشُّكْرِ عَلَيْهِ.
يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ - يَسْتَقْبُونَ النِّسَاءَ أَحْيَاءَ لِلْخِدْمَةِ.
يَسْؤُمُونَكُمْ - يُذَيِّقُونَكُمْ وَيُكَلِّفُونَكُمْ.
بَلَاءٌ - آتِئَاءٌ بِالنِّعَمِ وَالنِّقَمِ.

(لِئِنْ)

(٧) - وَأَذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ آذَنْتُكُمْ رَبُّكُمْ، وَأَعَلَّمْتُكُمْ بِوَعْدِهِ،
فَقَالَ: لِيَنْ شُكْرُكُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ مِنْهَا، وَلِيَنْ كَفَرْتُمْ النِّعَمَ
وَسَتَرْتُمُوهَا وَجَحَدْتُمُوهَا، لَأُعَاقِبَنَّكُمْ عِقَابًا شَدِيدًا عَلَى كُفْرِهَا،
وَلَأُسَلِّبَنَّكُمْ إِيَّاهَا.
(وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لِعِبَارَةٍ: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ» هُوَ: وَإِذْ أَقْسَمَ
رَبُّكُمْ بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ).
تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ - أَعْلَمَ إِعْلَامًا لَا شُبْهَةَ فِيهِ.

(٨) - وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ حِينَمَا عَانَدُوا وَجَحَدُوا: إِنْ كَفَرْتُمْ نِعَمَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ، أَنْتُمْ وَجَمِيعٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، وَإِنَّهُ
تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِ عِبَادِهِ لَهُ، وَهُوَ الْحَمِيدُ الْمَحْمُودُ، وَإِنْ كَفَرَهُ مِنْ
كَفَرَهُ، وَإِنَّكُمْ لَا تَضُرُّونَ، بِالْكَفْرِ وَالْجُحُودِ، إِلَّا أَنْفُسَكُمْ لِأَنَّكُمْ
تَحْرُمُونَهَا بِذَلِكَ مِنْ مَزِيدٍ مِنَ الْإِنْعَامِ، وَتُعَرِّضُونَهَا لِعَذَابِ اللَّهِ.

(نَبَأُ) (الْبَيِّنَاتِ) (أَفْوَاهِهِمْ)

(٩) - قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى خَبَرَ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَالْأَمَمِ الْأُخْرَى
الْمُكَذَّبَةِ، الَّذِينَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْحَقِّ، وَالْبَرَاهِينَ الْقَاطِعَةَ عَلَى
وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَعَلَى تَصَرُّفِهِ الْمُطْلَقِ بِالْكُوفِ، وَعَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ
الْأَنْبِيَاءُ فَقَالَ: إِنَّهُمْ كَذَّبُوا أَنْبِيََاءَهُمْ، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ،
وَقَالُوا لَهُمْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ، وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مَثِيرٍ لِلرَّيْبِ
مِمَّا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ مَعْنَى «رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ» أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا
كَلَامَ اللَّهِ عَجَبُوا، وَرَجَعُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ كَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُسْمِعَ
صَوْتَهُ مَنْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ، أَيْ إِنْ هَذَا تَعْبِيرٌ عَنْ أَنَّهُمْ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ
مُعْلِنِينَ كُفْرَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ).
وَقِيلَ إِنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ مِثْلَ يُرَادُّ بِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَلَمْ يَرُدُّوا جَوَابًا.

وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

﴿٧﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ
وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ

﴿٨﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ
لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ

﴿٩﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ
جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ
وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ
بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا
إِلَيْهِ مُرِيبٍ

وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ اسْتِغْرَاباً وَاسْتِنْكَاراً).

(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّهُمْ عَضُّوا عَلَى أُنَامِلِهِمْ تَغِيظاً مِنَ الرُّسُلِ وَكَلَامِهِمْ).

مُرِيبٍ - مُوقِعٍ فِي الرَّبِّيَّةِ وَالْقَلَقِ.

(السَّمَاوَاتِ) (أَبَاؤُنَا) (بِسُلْطَانِ)

(١٠) - فَقَالَ الرُّسُلُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، وَهُمْ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِمْ شَكَّهُمْ فِي وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ: أَفَيَ وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ شَكٌّ؟ فَإِنَّ الْفِطْرَةَ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِهِ، وَمَجْبُولَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ، لِذَلِكَ كَانَ الْاعْتِرَافُ بِهِ ضَرُورِيًّا فِي الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَلَكِنْ قَدْ يَعْزُضُ لِبَعْضِهَا شَكٌّ وَأَضْطَرَابٌ فَتَحْتَاجُ إِلَى الدَّلِيلِ الْمُوصِلِ إِلَى وُجُودِ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ لَفَتَ الرُّسُلُ نَظَرَهُمْ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّهُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُبْدِعُهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالِ سَبَقٍ، وَهُوَ تَعَالَى يَدْعُوكُمْ لِيُغْفِرَ لَكُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَيُؤَخِّرَكُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَجَلٍ مُعَيَّنٍ (مُسَمًّى). فَقَالَتِ الْأُمَمُ لِلرُّسُلِ: كَيْفَ نَتَّبِعُكُمْ بِمُجَرَّدِ قَوْلِكُمْ أَنْكُمْ رُسُلُ اللَّهِ، فَانْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا، وَلَمْ نَرِ مِنْكُمْ مُعْجَزَةً تَدُلُّ عَلَى رِسَالَتِكُمْ، فَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ فَاتُونَا بِبُرْهَانٍ وَدَلِيلٍ وَاضِحٍ عَلَى صِدْقِ مَا تَقُولُونَ.

فَاطِرٍ - مُبْدِعٍ وَمُخْتَرِعٍ.

بِسُلْطَانٍ - حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ عَلَى صِدْقِكُمْ.

(بِسُلْطَانِ)

(١١) - فَقَالَتِ لَهُمُ الرُّسُلُ: صَحِيحٌ أَنَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ بِفَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيُؤْتِيهِ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِمَا سَأَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَالْخَوَارِقِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِالْمُعْجَزَاتِ، وَيَأْذُنُ بِهَا، وَالْمُؤْمِنُونَ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، فَلْتَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَتَكْذِيبِكُمْ إِنَّا نَا.

(هَدَانَا) (أَذْيَتُمُونَا)

(١٢) - وَبَعْدَ أَنْ أَجَابَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى شُبُهَاتِهِمْ، أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ يُخَوِّفُونَهُمْ، وَيَتَوَعَّدُونَهُمْ بِالْإِنْتِقَامِ وَالْإِيذَاءِ، فَقَالَ لَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ إِنَّا لَا نَخَافُ تَهْدِيدَكُمْ، بَلْ نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، وَنَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ لَا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، وَقَدْ هَدَانَا لِأَقْوَمِ الطَّرِيقِ وَأَوْضَحِهَا وَأَبْيَنَهَا؟ وَسَنَصْبِرُ عَلَى مَا



قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي

اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ
وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْذَبُونَا
عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
فَاتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا

بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ

وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا أَذْيَتُمُونَا
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ

الْحَقِّمُوهُ بِنَا مِنَ الْأَدَى بِأَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ مَا أَهْمُهُ وَأَغَمَّهُ.

(الظَّالِمِينَ)

(١٣) - وَلَمَّا عَجَزَ رُؤُوسُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ عَنْ مُقَارَعَةِ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ، عَمَدُوا إِلَى تَهْدِيدِ الرُّسُلِ بِالنَّفْيِ وَالْإِحْرَاجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، إِنْ لَمْ يَعُودُوا فِي مِلَّتِهِمْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الرُّسُلِ: أَنَّهُ تَعَالَى سَيِّهْلُكَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الظَّالِمِينَ.

(١٤) - وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الرُّسُلِ: أَنَّهُ سَيُسْكِنُهُمْ أَرْضَ الْكَافِرِينَ وَدِيَارَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَهَذَا جَزَاءُ عَادِلٍ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَخَافَ مَا خَوْفُهُ بِهِ رَبُّهُ، وَمَا تَوَعَّدُهُ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ. خَافَ مَقَامِي - خَافَ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(١٥) - وَاسْتَنْصَرَ الرُّسُلُ بِرَبِّهِمْ عَلَى أَقْوَامِهِمْ، لَمَّا يَسُّوْا مِنْ إِيْمَانِهِمْ، وَطَلَبُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَى الْكَافِرِينَ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ، فَرَبِحُوا، وَخَسِرَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، شَدِيدِ الْعِنَادِ لِلْحَقِّ.

(وَقِيلَ بَلْ مَعْنَاهُ هُوَ: أَنَّ الْأَمَمَ اسْتَفْتَحَتْ عَلَى نَفْسِهَا، كَمَا قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١)).

اسْتَفْتَحُوا - اسْتَنْصَرَ الرُّسُلُ بِاللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ - خَسِرَ وَهَلَكَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ مُتَعَاطِمٍ. عَنِيْدٍ - مُعَانِدٍ لِلْحَقِّ.

(وَرَأَيْهِ)

(١٦) - فَقَدْ حَلَّتِ الْهَزِيمَةُ بِهَذَا الْجَبَّارِ الْعَنِيْدِ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَامَهُ فِي الْآخِرَةِ جَهَنَّمُ تَنْتِظِرُهُ، فَهِيَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ، وَسَيَكُونُ خَالِدًا فِيهَا، وَيُسْقَى فِي النَّارِ مِنَ الصَّدِيدِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ لَحْمِهِ وَجَلْدِهِ الْمُحْتَرِقِينَ. (وَوَرَاءُ، هُنَا، مَعْنَاهَا أَمَامُ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَكَانَ رَأْيَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(٢)، أَيْ كَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ).

الصَّدِيدُ - مَا يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِ أَهْلِ النَّارِ الْمُحْتَرِقَةِ.

(وَرَأَيْهِ)

(١٧) - يَشْرَبُهُ قَسْرًا وَقَهْرًا، جَرْعَةً بَعْدَ جَرْعَةٍ، وَلَا يَكَادُ يَتَلَعُّهُ لِسُوءِ

١٣ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلرُّسُلِهِمْ

لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا

أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى

إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ

١٤ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ

بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ

مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ

١٥ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ

جَبَّارٍ عَنِيْدٍ

١٦ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ

صَدِيدٍ

١٧ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ

يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ

كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٌ

وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ

(١) الآية ٣٢ من سورة الأنفال.

(٢) سورة الكهف، الآية ٧٩.

طَعْمِهِ، وَتَنِي رَائِحَتِهِ، وَحَرَارَتِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءُهُ، وَيَأْتِيهِ الْعَذَابُ بِأَنْوَاعِهِ، لَيْسَ مِنْهَا نَوْعٌ إِلَّا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يَمُوتُ لِيُخْلَدَ فِي النَّارِ وَالْعَذَابِ، وَلَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالَةِ عَذَابٌ آخَرُ شَدِيدٌ غَلِيظٌ أَهَى مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ وَأَمْرٌ.

يَتَجَرَّعُهُ - يَتَكَلَّفُ بَلْعَهُ لَشِدَّةِ حَرَارَتِهِ، وَمَرَارَةِ طَعْمِهِ.
لَا يَكَادُ يُسِيغُهُ - لَا يَكَادُ يَبْتَلِعُهُ لَشِدَّةِ كَرَاهِيَةِ وَتَنِيهِ.

(أَعْمَالُهُمْ) (الضَّلَالُ)

(١٨) - هَذَا مِثْلُ ضَرَبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِأَعْمَالِ الْخَيْرِ الَّتِي يَعْمَلُهَا الْكُفَّارُ، الَّذِينَ عَبْدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَبَنَوْا أَعْمَالَهُمْ عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ صَحِيحٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، فَانْهَارَتْ. فَقَالَ تَعَالَى: مِثْلُ أَعْمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ مِثْلُ الرَّمَادِ الَّذِي لَعِبَتْ بِهِ الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ الشَّدِيدَةُ فَتَبَعَثَتْ، وَأَصْبَحَ مِنَ الْمُسْتَجِيلِ جَمْعُهُ. كَذَلِكَ أَعْمَالُ الْكَافِرِينَ، فَإِنَّهَا تَتَبَدَّدُ وَتَذْهَبُ هَبَاءً، وَلَا يَقْدِرُونَ فِي الْآخِرَةِ أَنْ يَقْدُمُوا شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي كَسَبُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَنْتَفِعُونَ بِهَا، وَهُمْ أَخْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ. وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَالصَّوَابِ.
يَوْمٍ عَاصِفٍ - شَدِيدٍ هُبُوبِ الرِّيحِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِ الْأَبْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحِكْمَةِ عَلَى أَكْمَلِ صُورَةٍ، وَأَحْسَنَ خَلْقٍ، وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، أَفَلَيْسَ الَّذِي قَدَّرَ عَلَى خَلْقِ كُلِّ مَا فِي هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، قَادِرًا عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِ الْبَشَرِ مِنْ جَدِيدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُهْلِكَ النَّاسَ إِنْ شَاءَ، وَعَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ غَيْرِهِمْ.
(٢٠) - وَلَيْسَ ذَلِكَ الْإِذْهَابُ وَالْإِتْيَانُ صَعْبًا عَلَى اللَّهِ، وَلَا مُمْتَنِعًا عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى.

(الضُّعَفَاءُ) (هَذَا نَا) (لَهْدَيْنَاكُمْ)

(٢١) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبَرُّزُ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَتَجْتَمِعُ فِي بَرَّازٍ وَاحِدٍ (وَهُوَ الْمَكَانُ الْوَاسِعُ الْخَالِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَسْتُرُهُ)، فَيَقُولُ الْآتِبَاعُ (الضُّعَفَاءُ) لِلْقَادَةِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: لَقَدْ كُنَّا تَابِعِينَ لَكُمْ نَاتِمِينَ بِأَمْرِكُمْ، وَقَدْ فَعَلْنَا مَا أَمَرْتُمُونَا بِهِ، فَهَلْ

﴿١٨﴾ مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اسْتَدَّتْ بِهِ
الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ
ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ

﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ

﴿٢٠﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

﴿٢١﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ

الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ
مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهَ

تَدْفَعُونَ عَنَّا الْيَوْمَ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٢٢﴾ هَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَلَيْنَا؟ فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْقَادَةُ الْكِبَرَاءُ قَائِلِينَ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانَا لَهَدَيْنَاكُمْ مَعَنَا، وَلَكِنَّا ضَلَلْنَا فَضَلَلْتُمْ مَعَنَا، فَحَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَلَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ لِأَنَّ الْجَزَعَ لَا يُفِيدُ، وَسَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعُنَا أَمْ صَبَرْنَا فَلَا نَجَاةَ لَنَا مِنَ النَّارِ، وَلَا مَصْرِفَ لَنَا عَنْهَا. بَرَزُوا - خَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ لِلْحِسَابِ. مُعْتَدُونَ عَلَيْنَا - دَافِعُونَ عَلَيْنَا. مَحِيصٌ - مَنَجِيٌّ وَمَهْرَبٌ.

(الشَّيْطَانُ) (سُلْطَانُ) (الظَّالِمِينَ)

(٢٢) - وَبَعْدَ أَنْ يَتِمَّ اللَّهُ تَعَالَى قَضَاءَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، يَقُومُ إِبْلِيسُ خَطِيئًا فِي أَهْلِ النَّارِ، لِيَزِيدَهُمْ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ، وَحَسْرَةً إِلَى حَسْرَتِهِمْ، يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ عَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ، وَوَعَدَكُمْ بِالنَّجَاةِ وَالسَّلَامَةِ إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ، وَصَدَقْتُمْ رُسُلَهُ، وَكَانَ وَعْدُهُ حَقًّا. أَمَّا أَنَا فَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي دَلِيلٌ وَلَا حُجَّةٌ فِيمَا وَعَدْتُكُمْ بِهِ، وَدَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ، وَقَدْ اسْتَجَبْتُمْ لِي بِمُجَرَّدِ أَنْ دَعَوْتُكُمْ وَوَسَّوَسْتُ لَكُمْ، وَقَدْ أَقَامَتِ الرُّسُلُ عَلَيْكُمْ الْحُجَجَ وَالْأَدِلَّةَ الصَّحِيحَةَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاؤُوكُمْ بِهِ، فَخَالَفْتُمُوهُمْ وَاتَّبَعْتُمُونِي فَصَرَّيْتُكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَلَا تَلُومُونِي الْيَوْمَ، وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ لِأَنَّ الذَّنْبَ ذَنْبُكُمْ، فَمَا أَنَا الْيَوْمَ بِمُغِيثِكُمْ (مُصْرِخِكُمْ)، وَلَا مُنْقِذِكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَمَا أَنْتُمْ بِنَافِعِي وَلَا مُنْقِذِي وَلَا مُغِيثِي (مُصْرِخِي) مِمَّا أَنَا فِيهِ، مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، وَإِنِّي جَحَدْتُ (كَفَرْتُ) أَنْ أَكُونَ شَرِيكًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا أَشْرَكْتُمُونِي فِيهِ فِي الدُّنْيَا. ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ إِبْلِيسُ: إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَاتَّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وَقَدْ فَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ مَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَالُ إِبْلِيسَ مَعَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي الدُّنْيَا لِيَكُونَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا لَهُمْ، وَحِصًّا لَهُمْ عَلَى التَّبَصُّرِ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ. سُلْطَانٌ - تَسَلَّطَ أَوْ حُجَّةٌ. بِمُصْرِخِكُمْ - بِمُنْقِذِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ. بِمُصْرِخِي - بِمُنْقِذِي مِنَ الْعَذَابِ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٍ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ) (سَلَامٌ)

(٢٣) - أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَكُتِبَ، وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا فِي

لَهْدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا
أَجْرَعُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ
مَحِيصٍ

﴿٢٢﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ أَفْضَى الْأَمْرُ
إِلَى اللَّهِ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ
وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ
وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي
فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا
أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ
بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ
الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٢٣﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

الدُّنْيَا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْمِيَاهُ فِي جَنَّاتِهَا، لِيَكُونُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ، بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَفَعَلَ الْخَيْرَاتِ وَنَحِيهِمْ الْمَلَائِكَةُ فِيهَا قَائِلِينَ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ.

(٢٤) - بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَاتِ حَالَ الْأَشْقِيَاءِ، وَمَا يُلَاقُونَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ الشَّدِيدَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، كَمَا بَيَّنَّ حَالَ السَّعْدَاءِ الْأَبْرَارِ وَمَا يَنَالُونَهُ مِنْ قُورٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا بَيْنَ حَالِ الْفَرِيقَيْنِ، وَبَوَّضَ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا، لِتَقَرِيبِ الصُّورَةِ إِلَى الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ فَقَالَ تَعَالَى: أَلَمْ تَعْلَمْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عِلْمَ الْيَقِينِ، كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا وَوَضَعَهُ الْمَوْضِعَ اللَّائِقَ بِهِ، فَشَبَّهَ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ (وَهِيَ الْإِيمَانُ الثَّابِتُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يُرْفَعُ بِهِ عَمَلُهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَتَنَالَهُ بَرَكَتُهُ وَثَوَابُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ)، بِالشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ الْجَمِيلَةِ الْمَنْظَرِ الَّتِي أَصْلُهَا رَاسِخٌ فِي الْأَرْضِ وَفُرُوعُهَا مُتَصَاعِدَةٌ إِلَى السَّمَاءِ. (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الطَّيِّبَةَ هِيَ النَّخْلَةُ).

كَلِمَةُ طَيِّبَةٌ - هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ.

(٢٥) - وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ تَكُونُ عَلَيْهَا ثَمَرُهَا فِي كُلِّ حِينٍ، وَفِي كُلِّ آتٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا اللَّهُ، كَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ لَا يَزَالُ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ، وَاللَّهُ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لِيُقَرَّبَ الْأُمُورُ إِلَى أَفْهَامِهِمْ، وَيَزِيدَ فِي إِضْحَاحِهَا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَعَطَّوْنَ وَيَتَذَكَّرُونَ.

تُؤْتِي أَكْلَهَا - تُعْطِي ثَمَرَهَا الَّذِي يُؤْكَلُ.

(٢٦) - وَضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَمَا نَائِلُهَا (كَلِمَةُ خَبِيثَةٍ)، شَجَرَةً خَبِيثَةً كَالْحَنْظَلِ وَنَحْوِهِ، لَيْسَ لَهَا جُذُورٌ ثَابِتَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفُرُوعُهَا لَا تَتَجَاوَزُ سَطْحَ الْأَرْضِ، وَقَدْ أَقْتَلَعَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ لِأَنَّ عُرُوقَهَا قَرِيبَةٌ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ، وَالْقَيْتُ.

كَمَا أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الْخَبِيثَةَ لَا تَبَاتَ لَهَا وَلَا دَوَامٌ، وَثَمَرُهَا مُرُّ الْمَذَاقِ، كَذَلِكَ الْكُفْرُ لَا يَدُومُ وَلَا يَثْبُتُ، وَعَاقِبَتُهُ وَحِيمَةٌ.

كَلِمَةُ خَبِيثَةٌ - كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ.

(أَمَنُوا) (الْحَيَاةَ) (الْآخِرَةَ) (الظَّالِمِينَ)

(٢٧) - بَعْدَ أَنْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ فِيمَا تَقَدَّمَ، أَخْبَرَ عَنْ قُورٍ أَصْحَابِهَا بِبُعْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُوَ تَعَالَى قَدْ بَثَّهُمْ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ

نَحِيَهَا أَلَّا تَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ نَحِيَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي
السَّمَاءِ

تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ
رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ
خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ
مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ
الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ

الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ

التي ذَكَرَهَا اللَّهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِمْ - إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ فِتْنَتَهُمْ وَصَرَفَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ -
كَمَا يُشْبِثُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْقَبْرِ.
أَمَّا الْكَافِرُ الظَّالِمُونَ، الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَبْدِيلِ فِطْرَةِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا، وَعَدَمَ اهْتِدَائِهِمْ إِلَى الْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُضِلُّهُمْ
عَنِ الْحَقِّ. وَاللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ الْهَدْيَةُ وَالضَّلَالُ.
(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا سُئِلَ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبْرِ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾. أَمَّا الْكَافِرُ فَإِذَا أُدْخِلَ فِي
قَبْرِهِ أُقْعِدَ فَقِيلَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَلَمْ يَرْجَعْ بِشَيْءٍ وَأَنْسَاهُ اللَّهُ ذِكْرَ ذَلِكَ،
وَإِذَا قِيلَ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ الَّذِي بُعِثَ إِلَيْكُمْ، لَمْ يَهْتَدِ لَهُ، وَلَمْ يَرْجَعْ إِلَيْهِمْ
بِشَيْءٍ. فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَيُضِلُّ الظَّالِمِينَ). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - وَفِي الْقَبْرِ عِنْدَ السُّؤَالِ.

(نِعْمَةٌ)

(٢٨) - أَلَمْ تَعْلَمْ وَتَعَجَّبَ مِنْ قَوْمٍ أَنْتُمْ نِعْمَةٌ اللَّهِ فَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ
يَشْكُرُوهَا وَيُقَدِّرُوهَا، وَلَكِنَّهُمْ غَمَطُوهَا، وَكَفَرُوا بِهَا وَجَحَدُوهَا، كَأَهْلِ
مَكَّةَ الَّذِينَ أَسْكَنَهُمُ اللَّهُ حَرَمًا آمِنًا تُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَهُمْ
سَدَنَةً بَيْنَهُ، وَشَرَّفَهُمْ بِإِسْرَافِ نَبِيِّ مِنْهُمْ، فَكَفَرُوا بِتِلْكَ النِّعْمَةِ، فَاصَابَهُمُ
الْجَذْبُ وَالْفَحْطُ سَبْعَ سِنِينَ، وَأَسْرَوْا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا
مِنْ سَرَاتِهِمْ وَقَادَتْهُمْ... وَأَحْلَوْا الَّذِينَ شَايَعُوهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ دَارَ
الْهَلَاكِ (دَارَ الْبَوَارِ).
دَارَ الْبَوَارِ - دَارَ الْهَلَاكِ وَهِيَ جَهَنَّمُ.

(٢٩) - وَدَارُ الْبَوَارِ هِيَ جَهَنَّمُ يُلْقَوْنَ فِيهَا لِيُقَاسُوا حَرَّهَا. وَيَبْقَوْنَ فِيهَا
خَالِدِينَ أَبَدًا، وَيُسَّسُ الْمَقَامُ وَالْمُسْتَقَرُّ.
يَصْلُونَهَا - يَدْخُلُونَهَا، أَوْ يُقَاسُونَ حَرَّهَا.

(٣٠) - وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ (أَنْدَادًا) عَبْدُوهُمْ مَعَهُ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى
عِبَادَتِهِمْ، لِيَصْرِفُوهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْقَرِيمِ، فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ
الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا، وَصَدُّوا النَّاسَ
عَنْ اتِّبَاعِ دِينِهِ الْحَنِيفِ: اسْتَمْتِعُوا فِي الدُّنْيَا، قَدَرِ مَا تَسْتَطِيعُونَ،
وَأَفْعَلُوا مَا يُمَكِّنُكُمْ فِعْلُهُ، فَإِنَّ أَعْمَالَكُمْ هَذِهِ سَتُورِدُكُمْ مَوَارِدَ الْهَلَاكِ،
وَسَيَكُونُ مَصِيرُكُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ جَزَاءً وَفَاقًا.
أَنْدَادًا - أَمْثَالًا مِنْ الْأَوْتَانِ يَعْبُدُونَهَا.



﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا
قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ

﴿٢٩﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيُسَّسُ
الْقَرَارُ

﴿٣٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا
عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ
مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ

(آمَنُوا) (الصَّلَاةَ) (رَزَقْنَاهُمْ) (خِلَالَ)

(٣١) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِطَاعَتِهِ، وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُتِمُّوا بِرُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَخُشُوعَهَا، وَبِأَنْ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ بِأَدَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْأَقْرَبَاءِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى غَيْرِ الْأَقْرَبِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ، وَيَحْتَنُمَ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى ذَلِكَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ فِدْيَةٌ يَفْتَدِي بِهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا تَنْفَعُ الْإِنْسَانَ صِدَاقَةُ صَدِيقٍ، وَلَا شَفَاعَةُ شَفِيعٍ.

لَا خِلَالَ - لَا مَخَالَةَ وَلَا مَوَادَّةَ.

(السَّمَاوَاتِ) (الثَّمَرَاتِ) (الْأَنْهَارِ)

(٣٢) يَلْفِتُ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ الْخَلْقِ إِلَى الْأَدِلَّةِ الْمَنْصُوبَةِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ الَّتِي تُوجِبُ عَلَى الْعِبَادِ الْمُتَابِعَةَ عَلَى شُكْرِهِ، وَدَوَامِ طَاعَتِهِ، وَيُعَدُّ النِّعَمَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي أَغْدَقَهَا عَلَيْهِمْ لِيَكُونَ فِي ذَلِكَ حَثٌ لَهُمْ عَلَى التَّذَكُّرِ وَالتَّفَكُّرِ، فِيمَا يَأْتُونَ، وَفِيمَا يَذَرُونَ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ خَلَقَ لَهُمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَهُمَا أَعْظَمَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ، وَأَخْرَجَ الزَّرْعَ وَالشَّجَرَ مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ، وَالطُّعُومَ وَالْمَنَافِعَ، وَسَخَّرَ الشُّفْنَ وَالْمَرَاقِبَ (الْفُلُكَ) لِمَنْفَعَةِ الْإِنْسَانِ، وَجَعَلَهَا طَافِيَةً عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ، وَسَخَّرَ الْبَحْرَ لِحَمَلِهَا لِتَسْهِيلِ أَنْتِقَالِ النَّاسِ فِيهَا، وَسَخَّرَ الْأَنْهَارَ تَشْقُ الْأَرْضَ مِنْ قَطْرِ إِلَى قَطْرِ، فَيَشْرَبُ مِنْهَا النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ، وَتُسْقَى الزَّرْعُ مِنْهَا، وَتَجْرِي فِيهَا الْمَرَاقِبُ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِيهِ رِزْقٌ وَمَنَافِعٌ لِلْعِبَادِ.

(دَائِبِينَ) (اللَّيْلِ)

(٣٣) - وَسَخَّرَ لِلنَّاسِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، يَسِيرَانِ دَائِمِي الْحَرَكَةِ (دَائِبِينَ)، لَا يَفْتَرَانِ، لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، وَسَخَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ، وَيَتَفَاوَتَانِ طَوْلًا وَقِصْرًا، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكْنًا، وَالنَّهَارَ مَعَاشًا لَهُمْ. دَائِبِينَ - دَائِمِينَ فِي حَرَكَتَيْهِمَا وَمَنَافِعِهِمَا لَكُمْ.

(وَأَتَاكُمْ) (نِعْمَةً) (الْإِنْسَانَ)

(٣٤) - وَهِيَ لَكُمْ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ، مِمَّا تَسْأَلُونَهُ بِلِسَانِكُمْ، وَبِلِسَانِ خَالِكِكُمْ، وَنِعْمَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَالْإِنْسَانُ عَاجِزٌ عَنْ أَنْ يُؤَدِّي الشُّكْرَ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهِ. وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَقُومَ الْإِنْسَانُ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعْمِهِ، فَإِنَّهُ يَكْفُرُ هَذِهِ النِّعَمَ، وَقَدْ يَشْكُرُ

﴿٣١﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ

﴿٣٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُكَ
لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ

﴿٣٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ

﴿٣٤﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا

سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ
اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَظَلُومٌ كَفَّارٌ

عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ غَيْرَ مَنْ تَفَضَّلَ بِالْإِنْعَامِ بِهَا عَلَيْهِ كَالْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ،
فَهُوَ ظَلُومٌ كَثِيرُ الْكُفْرَانِ لِلنِّعْمَةِ.
(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودِعٍ وَلَا
مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).
لَا نَحْصُوهَا - لَا تُطِيقُوا عَدَّهَا لَعَدَمِ تَنَاهِيهَا.

(إِبْرَاهِيمُ) (أَمِنًا)

(٣٥) - وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ، وَأَنْتَ تَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، خَيْرَ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مَكَّةَ بَلَدًا أَمِنًا فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ
فَجَعَلَهَا بَلَدًا حَرَامًا أَمِنًا لَا يُسْفَكَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُظْلَمُ فِيهَا أَحَدٌ ﴿أَوْ لَمْ
يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا﴾^(١) كَمَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ أَنْ يُجَنِّبَهُ،
وَيُجَنِّبَ بَنِيهِ، عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَأَنْ يُثَبِّتَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَمِلَّةِ الْإِسْلَامِ.
أَجْنِبْنِي - أَبْعِدْنِي وَنَحْنِي.

(٣٦) - فَقَدْ أَضَلَّتْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ افْتَتَنُوا بِهَا فَعَبَدُوهَا،
وَتَبَّرَ إِبْرَاهِيمُ مِمَّنْ عَبَدَ الْأَصْنَامَ وَقَالَ: إِنْ مِنْ تَبَعَةٍ مِنْ ذُرِّيَّتِي عَلَى دِينِهِ،
وَأَخْلَصَ الْعَمَلَ وَالْعِبَادَةَ لِلَّهِ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ. أَمَّا الْعَصَاةُ الَّذِينَ
يُخَالِفُونَهُ، وَيَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَقَدْ رَدَّ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمْرَهُمْ
إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذِبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(الصَّلَاةُ) (الشَّمَرَاتُ)

(٣٧) - وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَبَّهُ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
(الْكَعْبَةَ)، فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ أَنْسَاءَ مِنْ أُنْبَائِي وَذُرِّيَّتِي بِهَذَا الْوَادِي
الَّذِي لَا زَرْعَ فِيهِ، عِنْدَ بَيْتِكَ الْحَرَامِ، الَّذِي أَمَرْتَنِي بِإِقَامَتِهِ فَأَقَمْتُهُ، وَقَدْ
جَعَلْتَهُ مُحَرَّمًا لِيَتِمَّ كُنْ أَهْلُهُ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ عِنْدَهُ، فَاجْعَلْ جَمَاعَاتٍ مِنَ
النَّاسِ تَأْتِي إِلَيْهِمْ (أَفِئْدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ)، وَمَعَهُمُ الْأَرْزَاقُ
وَالْوَبِيرَةُ وَالشَّمَرَاتُ لِيَأْكُلُوا مِنْهَا، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ غَوْنًا لَهُمْ عَلَى طَاعَتِكَ
وَشُكْرِكَ.

وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِدُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَضَ عَلَى
النَّاسِ الْحَقَّ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَاللَّهُمُّهُمُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ وَقَالَ تَعَالَى ﴿أَوْ
لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾^(٢).
تَهْوِي إِلَيْهِمْ - تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ شَوْقًا وَوِدَادًا...

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ﴾

هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا وَاجْنِبْنِي

وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ

﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ﴾

فَمَنْ يَتَّبِعَنِي فَإِنَّهُ يَمُنُّ بِي وَمَنْ

عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي

بَوَادِي غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ

الْمَحْرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ

تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ

الْثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٧.

(٢) سورة القصص، الآية ٥٧.

(٣٨) - وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُتَابِعاً دُعَاءَهُ: رَبَّنَا أَنْتَ تَعْلَمُ قَصْدِي فِي دُعَائِي، وَمَا أَرَدْتُ بِدُعَائِي لِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ الْقَصْدُ إِلَى رِضَاكَ، وَالْإِخْلَاصُ لَكَ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

(إِسْمَاعِيلَ) (إِسْحَاقَ)

(٣٩) - وَحَمَدُ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنَ الْوَلَدِ - إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ - بَعْدَ أَنْ عَلَاهُ الْكِبَرُ، وَأَيَسَ مِنَ الْوَلَدِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ لِدُعَائِ مَنْ دَعَاهُ مُخْلِصاً، وَلَقَدْ اسْتَجَابَ لِي فِيمَا سَأَلْتُهُ مِنَ الْوَلَدِ، وَفِيمَا سَأَلْتُهُ مِنْ جَعْلِ هَذَا الْبَلَدِ حَرَمًا أَمِنًا، وَفِيمَا سَأَلْتُهُ مِنْ أَنْ يَجَنِّبَنِي وَبَنِي عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ.

(الصَّلَاةِ)

(٤٠) - رَبِّ اجْعَلْنِي مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَاةِ، مُقِيمًا لِحُدُودِهَا، كَمَا فَرَضْتَهَا عَلَيَّ، وَاجْعَلْ ذُرِّيَّتِي كَذَلِكَ مُقِيمِينَ لِلصَّلَاةِ، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِي فِيمَا سَأَلْتُكَ فِيهِ.

(وَقَدْ خَصَّ إِبْرَاهِيمُ الصَّلَاةَ مِنْ بَيْنِ الْفَرَائِضِ الْأُخْرَى لِأَنَّهَا الْعُنْوَانُ الَّذِي يَمْتَنَزُ بِهِ الْمُؤْمِنُ عَنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ).

(وَلِوَالِدَيْهِ)

(٤١) - وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنْ ذُنُوبٍ، وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ، فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى عَمَلِهِ.

(وَكَانَ هَذَا الدُّعَاءُ قَبْلَ أَنْ يَتَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَبِيهِ، لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ).

(غَافِلًا) (الظَّالِمُونَ) (الْأَبْصَارُ)

(٤٢) - وَلَا تَحْسَبَنَّ، يَا مُحَمَّدُ، اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَفْعَلُهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مُحَارَبَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَإِذَا كَانَ قَدْ أَنْظَرَهُمْ وَأَجَلَهُمْ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُحْصِي عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَيُؤَخِّرُ أَنْزَالَ عِقَابِهِ بِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْهَوْلِ، تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَالرَّعْبِ. تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ - تَرْتَفِعُ الْأَبْصَارُ وَتَبْقَى مَفْتُوحَةً مِنَ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ.

(٤٣) - ثُمَّ يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ حَالِ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْحَشْرِ، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مُسْرِعِينَ (مُهْطِعِينَ) فِي مَشْيِهِمْ، وَقَدْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ إِلَى الْأَعْلَى (مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ) وَأَبْصَارُهُمْ شَانِخَةٌ

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا خَفِيَ وَمَا نُعَلِنُ

وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى

الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ

رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ

وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ

دُعَائِي

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

الْحِسَابُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا

عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ

إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخُصُ

فِيهِ الْأَبْصَارُ

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ

لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ

هَوَاءٌ

مُدِيمَةَ النَّظَرِ، لَا تَطْرَفُ عُيُونُهُمْ، وَلَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ، لَشِدَّةِ خَوْفِهِمْ، مِمَّا يُعَايِنُونَهُ مِنَ الْأَهْوَالِ، وَقُلُوبُهُمْ خَاوِيَةٌ خَالِيَةٌ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ لِشِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ، وَلَا تَعِي شَيْئًا.
مُهْطِعِينَ - مُسْرِعِي الْمَشْيِ إِلَى الدَّاعِي بِذِلَّةٍ.

مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ - رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ مُدْبِئِي النَّظَرِ إِلَى الْأَمَامِ.
أَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ - قُلُوبُهُمْ خَالِيَةٌ لَا تَعِي لِقَرطِ الْحَيَرَةِ.

(٤٤) - خَوْفٌ أَثَبَّهَا الرُّسُولُ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَّتِهِ، إِذْ يَقُولُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ: رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى مُدَّةٍ قَرِيبَةٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ، وَنُؤْمِنَ بِكَ، وَبِكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: لَقَدْ كُنتُمْ أَقْسَمْتُمْ، وَأَنْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَنَّهُ لَا زَوَالَ لَكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَأَنَّهُ لَا حَشَرَ وَلَا مَعَادَ وَلَا حِسَابَ؟ فَذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ بِذَلِكَ الْكُفْرِ.

(مَسَاكِينِ)

(٤٥) - وَقَدْ بَلَغَكُمْ مَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْعِقَابِ الشَّدِيدِ بِالْأَمْرِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ بِهِمْ، وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ، وَلَمْ تَعْتَبِرُوا، وَلَمْ تَزِدْجُرُوا عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ، وَالْآنَ تَسْأَلُونَ التَّأْخِيرَ لِلتَّوْبَةِ حِينَ نَزَلَ بِكُمْ الْعَذَابُ، فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَقَدْ فَاتَ الْأَوَانُ.

(٤٦) - فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَانِ:

الْأَوَّلُ - إِنَّ الَّذِي فَعَلُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ شِرْكٍ بِاللَّهِ، وَكَفَرٍ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، مَا ضَرَّ الْجِبَالَ شَيْئًا، وَلَا أَثَرَ فِيهَا. وَآيَاتُ اللَّهِ وَشُرْعُهُ وَدِينُهُ هِيَ كَالْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ رُسُوحًا وَتَبَاتًا، وَلِذَلِكَ فَلَنْ يُؤَثَّرَ فِيهَا مَكْرُهُمْ شَيْئًا لِقَاهَتِهِ، وَضَعْفِ أَثَرِهِ. وَقَدْ اسْتَعْمِلْتُ (إِنْ) بِمَعْنَى (مَا).

وَالثَّانِي - إِنَّ مَكْرَهُمْ وَكَفْرَهُمْ تَكَادَ الْجِبَالُ لِيَزُولَ مِنْهُ لِدِقَّةِ تَذْبِيرِهِ، وَقُوَّةِ إِحْكَامِهِ، أَوْ لِضَخَامَةِ مَا فِيهِ مِنْ كُفْرٍ وَعُتُوٍّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَجْرُ الْجِبَالُ هَذَا أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (١).

(٤٧) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ وَعَدَ رُسُلَهُ بِالنَّصْرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَنْ يُخْلِفَ وَعْدَهُ لِرُسُلِهِ، وَإِنَّهُ سَيَنْصُرُهُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُغَالِبُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَإِنَّهُ سَيَنْصُرُهُ، وَهُوَ ذُو أَنْتِقَامٍ مِمَّنْ كَفَرُوا بِهِ وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ.

(وَهَذَا خِطَابٌ لِلرُّسُولِ يَقْصِدُ مِنْهُ تَثْبِيتُ أَمْرِهِ عَلَى ثِقَتِهِمْ بِوَعْدِ اللَّهِ، وَبِأَنَّهُ سَيَنْزِلُ عِقَابُهُ بِالظَّالِمِينَ).

﴿٤٤﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ

الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا

رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ

نُحِبَّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعَ الرُّسُلَ

أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ

مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ

﴿٤٥﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ

الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ

لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ

وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ

﴿٤٦﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ

اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانِ

مَكْرُهُمْ لِيَزُولَ مِنْهُ

الْجِبَالُ

﴿٤٧﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ

رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

ذُو أَنْتِقَامٍ

(السَّمَاوَاتُ) (الْوَاحِدُ)

(٤٨) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ فُتُصْحُ غَيْرَ الْأَرْضِ الَّتِي يَعْرِفُهَا الْبَشَرُ، وَيُبَدَّلُ السَّمَاءُ فُتُصْحُ غَيْرَ السَّمَاءِ الَّتِي يَرَوْنَهَا. وَتَخْرُجُ الْخَلَائِقُ جَمِيعاً مِنَ الْقُبُورِ، وَيُسَاقُونَ لِيَقِفُوا أَمَامَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَدَانَتْ لَهُ الرِّقَابُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الْأَلْبَابُ، فَلَا مُغِيثَ لِأَحَدٍ، وَلَا مُجِيرَ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.
(وَفِي الْحَدِيثِ: يُبَدِّلُ اللَّهُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ فَيَسْطُهَا وَيَمْدُهَا مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، فَلَا تَرَى عِوَجاً وَلَا أَمْتاً).
بَرَزُوا لِلَّهِ - خَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْحِسَابِ.

(يَوْمِيذٍ)

(٤٩) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي تَبَدَّلُ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَتَبَرُّدُ الْخَلَائِقُ لِلَّهِ، تَرَى يَوْمِيذٍ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ أُجْرِمُوا بِكُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، مُقَرَّنِينَ (مَجْمُوعِينَ) بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي الْقُبُودِ، فَيَجْتَمِعُ النَّظَرَاءُ فِي الْكُفْرِ وَالْإِجْرَامِ، كُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفِهِ.
مُقَرَّنِينَ - مَقْرُونًا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.
الْأَصْفَادُ - الْقُبُودِ وَالْأَغْلَالُ.

(٥٠) - وَتَكُونُ ثِيَابُهُمُ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا مِنْ قِطْرَانٍ (وَالْقِطْرَانُ مَادَّةٌ سَائِلَةٌ تُطْلَى بِهَا الْإِبِلُ الْجَرَبَاءُ، وَهُوَ الصَّنَى شَيْءٌ بِالنَّارِ)، وَتَلْفَحُ النَّارُ وُجُوهَهُمْ.
سَرَابِيلُهُمْ - قُمَصَانُهُمْ أَوْ ثِيَابُهُمْ.
تَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ - تُغَطِّيهَا وَتُجَلِّلُهَا.

(٥١) - وَإِنَّمَا فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِهِمْ جَزَاءً وَفَاقاً لَهُمْ بِمَا كَسَبُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْآثَامِ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِعَمَلِهَا فِي الدُّنْيَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا. وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِ عِبَادِهِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

(بَلَاغٌ) (وَاحِدٌ) (أَوَّلُو) (الْأَلْبَابِ)

(٥٢) - هَذَا الْقُرْآنُ بَلَاغٌ لَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ، لِيَتَعَطَّوْا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ، وَلِيَسْتَدِلُّوا بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَالِدَّلَالَاتِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلِيَتَذَكَّرَ ذَوُو الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ (الْأَلْبَابِ).

بَلَاغٌ لِلنَّاسِ - كِفَايَةٌ فِي الْعِظَةِ وَالتَّذْكِيرِ.
الْأَلْبَابُ - الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ.

يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ
الْقَهَّارِ

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمِيذٍ
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ

سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَتَغْشَى
وُجُوهَهُمُ النَّارُ

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ

هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ
وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ

(١٥) سُورَةُ الْحَجْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا تِسْعٌ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(آيَاتُ) (الْكِتَابِ) (قُرْآنِ)

(١) - أَلِفٌ. لَامٌ. رَا. وَتُقْرَأُ مُقْطَعَةً - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

هَذِهِ الْآيَاتُ هِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْجَلِيِّ الْوَاضِحِ (الْمُبِينِ)

(٢) - يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ كَفَّارُ قُرَيْشٍ حِينَمَا يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَمَنُّونَ أَنْ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

(وَرُبَّمَا كَلِمَةٌ تَذُلُّ عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهَا قَلِيلُ الْحُصُولِ).

وَقِيلَ بَلْ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ كُلَّ كَافِرٍ يَوَدُّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ أَنْ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا.

وَفِي الْحَدِيثِ: (إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ، وَمَعَهُمْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ، قَالَ الْكَفَّارُ لِلْمُسْلِمِينَ: أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالُوا: فَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ الْإِسْلَامُ، وَقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا إِلَى النَّارِ؟ قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأَخَذْنَا بِهَا. فَسَمِعَ اللَّهُ مَا قَالُوا، فَأَمَرَ بِمَنْ كَانَ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ فَأُخْرِجُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْكَفَّارُ قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ فَتُخْرِجَ كَمَا خَرَجُوا). ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ. (رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ).

رُبَّ - لِلتَّقْلِيلِ

(٣) - يَتَهَدَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ، وَيَقُولُ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: دَعُهُمْ فِي غَفْلَتِهِمْ، يَتَمَتَّعُوا وَيَأْكُلُوا وَيُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ بِالْحَيَاةِ عَنِ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ سُوءَ عَاقِبَتِهِمْ إِذَا هُمْ عَايَنُوا سُوءَ الْجَزَاءِ. دَعُهُمْ - وَأَتْرَكُهُمْ.

(٤) - وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَقْدَرٌ مَكْتُوبٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، لَا يُنْسَى، وَلَا يُغْفَلُ عَنْهُ، وَلَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ.



الرَّ تِلْكَ آيَاتُ

الْكِتَابِ وَقُرْآنِ مُبِينٍ

رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ

ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا

وَيُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا

كِتَابٌ مَعْلُومٌ

لَهَا كِتَابٌ - أَجَلٌ مُّقَدَّرٌ مَّكْتُوبٌ فِي اللُّوحِ .
(يَسْتَخِرُونَ)

(٥) - لَا يَجِيءُ هَلَاكُ أُمَّةٍ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجَلِ الْمُحَدَّدِ لَهَا، وَلَا يَتَأَخَّرُ
الْهَلَاكُ مَتَى حَلَّ الْأَجَلُ .

(يَا أَيُّهَا)

(٦) - وَقَالَ الْكَافِرَةُ الظَّالِمُونَ - اسْتِهْزَاءً وَتَهْكُمًا - لِلنَّبِيِّ : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ
الَّذِي زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، إِنَّ مَا تَقُولُهُ إِنَّمَا أُمْلَاءُ عَلَيْكَ
الْجُثُونَ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِأَرَائِنَا وَمُعْتَقِدَاتِنَا، فَكَيْفَ نَقْبَلُ مَا لَا تَقْبَلُهُ
الْعُقُولُ؟

(بِالْمَلَائِكَةِ) (الصَّادِقِينَ)

(٧) - فَإِنْ كَانَ مَا تَدَّعِيهِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَيْدَكَ وَأَرْسَلَكَ حَقًّا، فَمَا مَنَعَكَ أَنْ
تَسْأَلَ أَنْ يُنَزَّلَ مَعَكَ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ لِيَشْهَدُوا بِصَدَقِ بُيُوتِكَ .
لَوْ مَا تَأْتِينَا - هَلَّا أَتَيْنَا .

(الْمَلَائِكَةِ)

(٨) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّهُ لَا يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ لِيَشْهَدُوا عَلَى
صِدْقِ الْأَنْبِيَاءِ فِي دَعْوَتِهِمْ، وَإِنَّمَا يُنَزَّلُهُمْ لِنُصْرَةِ الرُّسُلِ، وَتَذْمِيرِ
الْمُكَذِّبِينَ. وَحِينَ يُنَزَّلُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّهُ يُحِلُّ
بِهِمُ الْعَذَابَ سَرِيعًا وَلَا يُنْظَرُونَ، لِأَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ قَدْ جَرَتْ فِي الْأَمْرِ
السَّابِقَةِ أَنَّهُمْ إِذَا اقْتَرَحُوا آيَةً وَأَنْزَلَهَا اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا، أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ
فَوْرًا دُونَ إِمْهَالٍ .
مُنْظَرِينَ - مُؤَخَّرِينَ فِي الْعَذَابِ .

إِلَّا بِالْحَقِّ - إِلَّا بِالْوَجْهِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ .

(لِحَافِظُونَ)

(٩) - يُقَرِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ (الذِّكْرَ) عَلَى رَسُولِهِ،
وَهُوَ الْحَافِظُ لَهُ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ .
الذِّكْرَ - الْقُرْآنَ .

(١٠) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَنْ تَكْذِيبِ الْكُفَّارِ لَهُ، وَيَقُولُ
لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَكْفُرُ
بِرَبِّهَا، وَتَكْذَبُ رُسُلَهُ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، لِأَنَّهُمْ أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ
وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ .

⑤ مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا

يَسْتَخِرُونَ

⑥ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ

الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ

⑦ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ

مِنَ الصَّادِقِينَ

⑧ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ

⑨ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لِحَافِظُونَ

⑩ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي

شِيعِ الْأَوَّلِينَ

شَيْعِ الْأَوَّلِينَ - فَرَّقِ الْأَمَمِ السَّابِقِينَ.
(يَسْتَهْزِئُونَ)

(١١) - وَلَمْ يَأْتِ أُمَّةٌ رَسُولٌ إِلَّا آسَهَزُّوا بِهِ وَكَذَّبُوهُ، لِأَنَّ حَمَلَ النَّفْسِ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، مُسْتَقْتَلٌ عَلَى النَّفْسِ، كَمَا أَنَّ حَمَلَ النَّاسِ عَلَى تَرْكِ مَا أَلْفَوْهُ مِنَ الْمُعْتَقَدَاتِ هُوَ ثَقِيلٌ أَيْضًا.

(١٢) - وَكَذَلِكَ يُلْقِي اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ، وَيَسْلُكُهُ فِيهَا مُكَذَّبًا بِمَا فِيهِ، مُسْتَهْزَأً بِهِ غَيْرَ مَقْبُولٍ لَدَيْهِمْ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي نَفْسِهِمْ أَسْتِعْدَادٌ لِيَلْقَى الْحَقَّ، وَلَا تُضِيءُ نَفْسُهُمْ بِمَصَابِيحِ هِدَايَةِ الرُّبَانِيَّةِ كَمَا فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَلَكْ يَا مُحَمَّدُ أُسُوءَ بِمَنْ سَبَقَكَ مِنَ الرُّسُلِ نَسْلُكُهُ - نُدْخِلُهُ.

(١٣) - وَقَوْمُكَ، يَا مُحَمَّدُ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا بِمَا فَعَلَهُ اللَّهُ بِمَنْ كَذَّبَ رُسُلَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالْأَسْتِصْصَالِ، وَكَيْفَ نَجَّى رُسُلَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ، وَسَيَجِلُّ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ مَا حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ السَّابِقِينَ، وَنَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ حِينٍ. خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ - مَضَتْ عَادَةُ اللَّهِ بِأَهْلَاكِ الْمُكَذِّبِينَ.

(١٤) - إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةَ الْمُعَانِدِينَ يَطْلُبُونَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ لِيُؤْمِنُوا لَكَ، وَلَكِنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا، حَتَّى إِنَّا لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ فَظَلُّوا يَصْغَدُونَ فِي ذَلِكَ الْبَابِ فَيَرَوْنَ مَنْ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ لَمَا صَدَّقُوا بِذَلِكَ. يَعْرجُونَ - يَصْغَدُونَ فَيَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ وَالْعَجَائِبَ.

(أَبْصَارُنَا)

(١٥) - وَلَقَالُوا: لَقَدْ سُدَّتْ أَبْصَارُنَا، وَحُجِّسَتْ عَنِ النَّظَرِ، وَشُبِّهَ عَلَيْنَا (سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا)، وَشُجِّرْنَا، فَمَا نَرَاهُ هُوَ تَخِيلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَقَدْ سَحَرْنَا مُحَمَّدٌ بِمَا يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ. فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ يَقْتَرِحُ عَلَيْكَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ؟ سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا. سُدَّتْ وَمُنِعَتْ مِنَ الْإِبْصَارِ. قَوْمٌ مَسْحُورُونَ - أَصَابَنَا مُحَمَّدٌ بِسِحْرِهِ.

(وَرَيْنَاهَا) (لِلنَّاطِرِينَ)

(١٦) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ زَيْنَ السَّمَاءِ بِالْكَوَاكِبِ، وَجَعَلَ فِيهَا بُرُوجًا.

﴿١١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

﴿١٢﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ

﴿١٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ

﴿١٤﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرجُونَ

﴿١٥﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ

﴿١٦﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاطِرِينَ

وَهِيَ مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ - وَجَعَلَ السَّمَاءَ وَكَوَاكِبَهَا وَبُرُوجَهَا بِهَجَةٍ لِمَنْ تَأْمَلُ، وَكَرَّرَ النَّظَرَ فِيمَا يَرَى مِنْ آيَاتِهَا الْبَاهِرَاتِ .
بُرُوجاً - مَنَازِلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، أَوْ مَنَازِلَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَاتِ .

(حَفِظْنَاهَا) (شَيْطَانٍ)

(١٧) - وَحَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاءَ مِنْ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهَا كُلُّ شَيْطَانٍ مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .

رَجِيمٍ - مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ - أَوْ مَرْجُومٍ بِالشُّهْبِ .

(١٨) - وَقَدْ يُحَاوِلُ شَيْطَانٌ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ لِيَسْتَرْقِيَ السَّمْعَ إِلَى مَا تَتَحَدَّثُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى فَيَتَّبِعُهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ مُشْتَعِلٌ نَاراً ظَاهِراً لِلْعَيَانِ فَيُهْلِكُهُ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى) .

اسْتَرْقِيَ السَّمْعَ - خَطَفَ الْمَسْمُوعَ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى .
فَاتَّبَعَهُ - أَدْرَكَهُ وَلَحِقَهُ .

شِهَابٌ - شُعْلَةٌ نَارٌ مُنْقَضَةٌ مِنَ السَّمَاءِ .

مُبِينٌ - ظَاهِرٌ لِلْمُبْصِرِينَ .

(مَدَدْنَاهَا) (رَوَاسِي)

(١٩) - وَخَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَدَّهَا، وَوَسَّعَهَا، وَبَسَطَهَا أَمَامَ أَعْيُنِ النَّاطِرِينَ، لِيُمْكِنَ الْإِنْتِفَاعُ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَحَمَلَ فِيهَا جِبَالاً ثَوَابِتَ (رَاسِيَاتٍ)، لِئَلَّا تَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْخَلَائِقِ، وَأَنْبَتَ فِيهَا الزُّرُوعَ وَالنَّبَاتَ وَالْأَشْجَارَ. وَكُلُّ نَبَاتٍ قُدِّرَتْ عَنَاصِرُ تَكْوِينِهِ تَقْدِيرًا وَوُزِنَتْ بِدَقَّةٍ. (وَيُحِيلُ إِنْ مَعْنَى مُوزُونٌ هُنَا هُوَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُقَدَّرُ وَيُوزَنُ) .

الْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا - بَسَطْنَاهَا لِلْإِنْتِفَاعِ بِهَا .

رَوَاسِي - جِبَالاً ثَوَابِتَ كَيْلَا تَمِيدَ .

مُوزُونٍ - مُقَدَّرٍ بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ .

(مَعَايِشٍ) (بِرَازِقِينَ)

(٢٠) - وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ مَعَايِشَ لِلنَّاسِ مِمَّا يَأْكُلُونَ مِنْ نَبَاتِهَا وَحُبُوبِهَا وَنَمَارِهَا، وَمِمَّا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَكُلُّهَا تَتَغَذَّى عَلَى مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ، وَمِمَّا تُخْرِجُهُ الْبَحَارُ وَالْأَنْهَارُ، وَمِمَّا يَلْبَسُونَ مِنْ أَصْوَابِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَمِنْ بَعْضِ نَبَاتَاتِ الْأَرْضِ كَالْقُطْنِ وَالْكَتَّانِ .

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ دَوَابَّ وَأَنْعَامًا يَنْتَفِعُونَ بِهَا، وَلَا يَتَوَلَّوْنَ هُمْ

١٧ وَحَفِظْنَاهُمِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

١٨ إِنْ أَلَمِنْ اسْتَرْقَى السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ

شِهَابٌ مُبِينٌ

١٩ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا

فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ

شَيْءٍ مُوزُونٍ

٢٠ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ

لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ

رَزَقَهَا وَإِطْعَامَهَا، وَإِنَّمَا تُحْصِلُ رِزْقَهَا مِمَّا أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ،
فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهَا، وَيُؤَمِّنُ لَهَا قُوتَهَا، وَلَيْسَ الْإِنْسَانُ. وَفِي
ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ عَظِيمٌ.
مَعَايِش - أَرْزَاقًا يُعَاشُ بِهَا.

(خَزَائِنُهُ)

(٢١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ
سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، وَأَنَّ عِنْدَهُ خَزَائِنَ جَمِيعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعِبَادُ، وَلَكِنَّهُ يَنْزِلُ
مِنْهَا بِحِسَابٍ وَمِقْدَارٍ، كَمَا يَشَاءُ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ،
وَالرَّحْمَةِ بِالْعِبَادِ.

عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ - نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى خَلْقِهِ.

نُزِّلُهُ - نُوجِدُهُ أَوْ نُعْطِيهِ.

بِقَدْرِ مَعْلُومٍ - بِمِقْدَارِ مَا تَقْضِيهِ الْحِكْمَةُ.

(الرِّيَّاحِ) (لَوَاقِحِ) (فَأَسْقِينَاكُمْوهُ) (بِخَازِنِينَ)

(٢٢) - وَيُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى الرِّيَّاحَ، فَتَلْفَحُ السَّحَابَ فَتَدْرُ الْمَاءَ، وَتَلْفَحُ
الشَّجَرَ، فَتَنْفُخُ عَنْ أَوْرَاقِهَا وَأَكْمَامِهَا وَأَثْمَارِهَا، فَهِيَ رِيَّاحٌ يَكُونُ مِنْهَا
الْإِنْتِاجُ (وهذه الرِّيَّاحُ هِيَ غَيْرُ الرِّيحِ الْعَقِيمِ الَّتِي لَا تُنتِجُ شَيْئًا)، وَيُنْزِلُ
اللَّهُ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ عَذْبًا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَشْرَبُوا مِنْهُ، وَلَسْتُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ
تَحْفَظُونَهُ، وَإِنَّمَا اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُهُ فِي الْعُيُونِ وَالْأَنْهَارِ وَالْآبَارِ،
لِيَسْتَقِيَ مِنْهُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ وَالزَّرُوعُ وَالْأَشْجَارُ.

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى - لَسْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ - هُوَ: لَيْسَتْ خَزَائِنُهُ فِي أَيْدِيكُمْ).

الرِّيَّاحِ لَوَاقِحِ - حَوَامِلُ لِلْسَّحَابِ أَوْ لِلْمَاءِ تَمْجُهُ فِيهِ، أَوْ مُلْقِحَاتِ
لِلْسَّحَابِ أَوْ لِلْأَشْجَارِ.

(الْوَارِثُونَ) (نُحْيِي)

(٢٣) - وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى بَدْءِ الْخَلْقِ وَإِعَادَتِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ
الَّذِي أَحْيَا الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ، ثُمَّ يُعْثِرُهُمْ كُلَّهُمْ لِيَوْمِ
الْجَمْعِ. وَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ لَا يَبْقَى فِي
الْوُجُودِ حَيٌّ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ.

الْوَارِثُونَ - الْبَاقُونَ بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ.

(الْمُسْتَأْخِرِينَ)

(٢٤) - قَالَ آيَةُ عِبَّاسٍ: الْمُسْتَأْخِرُونَ هُمُ الَّذِينَ هَلَكُوا مِنْ لَدُنِ آدَمَ
حَتَّى تَارِيخِ نُزُولِ الْآيَةِ. وَالْمُسْتَأْخِرُونَ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا أَحْيَاءَ حِينَ

﴿١﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا

خَزَائِنُهُ، وَمَا نُزِّلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ
مَعْلُومٍ

﴿٢﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمْوهُ
وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ

﴿٣﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ

الْوَارِثُونَ

﴿٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ

تُزِيلُ الْآيَةَ وَمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
وَيَقُولُ تَعَالَى: لَقَدْ عَلِمْنَا مَنْ مَضَى مِنْكُمْ وَأَخَصَيْنَاهُمْ وَمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ، وَمَنْ هُوَ حَيٌّ، وَمَنْ سَيَأْتِي بَعْدُ، فَلَا تَخْضَى عَلَيْنَا خَافِيَةٌ مِنْ
أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ.

﴿٢٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ

(٢٥) - ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مَرَّةً أُخْرَى،
وَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَحْأَسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ فِي
ذَلِكَ، وَهُوَ عَالِمٌ بِهِمْ جَمِيعًا.

﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ
مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ

(الْإِنْسَانُ) (صَلْصَلٍ) (حَمَإٍ)
(٢٦) - وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ لَهُ صَلْصَلَةٌ إِذَا نُقِرَ بِالْيَدِ
(صَلْصَلٍ)، وَكَانَ قَبْلًا طِينًا رَطْبًا (حَمَإٍ) مُتَغَيَّرَ اللَّوْنُ مُسَوَّدَهُ (مَسْنُونٍ).
صَلْصَلٍ - طِينٌ يَابِسٌ كَالْفَخَّارِ.
حَمَإٍ - طِينٌ أَسْوَدَ مُتَغَيَّرٍ.

﴿٢٧﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
السُّمُومِ

(خَلَقْنَاهُ)
(٢٧) - وَخَلَقْنَا الْجَانَّ قَبْلَ الْإِنْسَانِ (مِنْ قَبْلُ) مِنَ النَّارِ ذَاتِ الْحَرَارَةِ
الشَّدِيدَةِ الَّتِي تَنْفُذُ فِي مَسَامِّ الْجَسْمِ.
السُّمُومُ - الرِّيحُ الْحَارَّةُ الَّتِي تَقْتُلُ وَتَنْفُذُ فِي الْمَسَامِّ.

﴿٢٨﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي
خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ
حَمَإٍ مَّسْنُونٍ

(لِلْمَلَائِكَةِ) (خَالِقٌ) (صَلْصَلٍ) (حَمَإٍ)
(٢٨) - وَإِذْ ذَكَرَ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي سَاخِلِقُ بَشَرًا (هُوَ
آدَمُ) مِنْ طِينٍ يَابِسٍ يُصَلِّصُ إِذَا نُقِرَ بِالْيَدِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ، طِينًا
رَطْبًا (حَمَإٍ) مُتَغَيَّرًا، مُسَوَّدَ اللَّوْنِ (مَسْنُونٍ).
(سَاجِدِينَ)

﴿٢٩﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ

(٢٩) - وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، سَجُودَ تَعْظِيمٍ
لَا سَجُودَ عِبَادَةٍ، حِينَئِذٍ يُسَوِّيهِ وَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ.
سَوَّيْتُهُ - أَتَمَمْتُ خَلْقَهُ وَهَيَّأْتُهُ لِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ.

﴿٣٠﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ

(الْمَلَائِكَةُ)
(٣٠) - فَاسْتَجَابَ الْمَلَائِكَةُ جَمِيعًا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ، فَسَجَدُوا لِآدَمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ.

﴿٣١﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ
السَّاجِدِينَ

(السَّاجِدِينَ)
(٣١) - وَلَمْ يَشُدَّ عَنِ السُّجُودِ آمِتِيًّا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا إِبْلِيسُ، فَقَدْ
رَفَضَ السُّجُودَ حَسَدًا وَكُفْرًا وَعِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا.

أَيُّ - أَمْتَعَ .

(يَا إِبْلِيسَ) (السَّاجِدِينَ)

(٣٢) - فَسَأَلَهُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ قَائِلًا: مَا لِي، يَا إِبْلِيسَ، لَا أَرَاكَ مَعَ السَّاجِدِينَ الْمُتَمَتِّلِينَ لِأَمْرِي؟
مَا لَكَ - أَيُّ غَرَضٍ لَكَ، أَوْ مَا عُذْرُكَ؟

(صَلِّصَالٍ) (حَمًا)

(٣٣) - فَقَالَ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ الْكَرِيمِ: إِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لِلْسُّجُودِ لِمَخْلُوقٍ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ مُتَغَيَّرِ اللَّوْنِ مُسَوَّدٍ .

(٣٤) - فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْلِيسَ بِالخُرُوجِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَهُوَ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ (أَوْ مَرْجُومٌ بِالشَّهْبِ - رَجِيمٌ) .
رَجِيمٌ - مَطْرُودٌ مِنَ الرَّحْمَةِ أَوْ مَرْجُومٌ بِالشَّهْبِ .

(٣٥) - وَاتَّبَعَهُ لَعْنَةً لَا تَزَالُ مُتَوَاصِلَةً لِأَجْفَةٍ بِهِ، مُتَوَاتِرَةً عَلَيْهِ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ الْحِسَابِ (يَوْمَ الدِّينِ) وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُنْزَلُ بِهِ الْعِقَابُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ .

اللَّعْنَةُ - الْإِبْعَادُ عَلَى سَبِيلِ السَّخَطِ .

(٣٦) - وَلَمَّا تَحَقَّقَ إِبْلِيسُ مِنَ الْغَضَبِ الَّذِي لَا مَصْرَفَ لَهُ عَنْهُ، سَأَلَ الرَّبَّ الْكَرِيمَ النَّظْرَةَ وَالْإِمْهَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ يُؤَخَّرَ مَوْتُهُ إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ حَسَدِهِ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ .
أَنْظِرْنِي - أُمْهَلْنِي وَلَا تُعْثِنِي .

(٣٧) - فَاجَابَهُ الرَّبُّ تَعَالَى شَأْنَهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ الْمُتَمَهِّلِينَ، أَسْتَدْرَاجًا لَهُ .

(٣٨) - إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ .
الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ - وَقْتُ النُّفْخَةِ الْأُولَى الَّتِي يَضَعُ اللَّهُ بِهَا الْخَلَائِقَ جَمِيعًا .

(٣٩) - فَقَالَ إِبْلِيسُ لِلرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا: رَبِّ بِسَبَبِ إِغْوَاثِكَ إِيَّايَ، وَإِضْلَالِكَ لِي لِأَحْبَبِّ لِدُرِّيَّةِ آدَمَ (لَأَزِينَنَّ لَهُمُ) الْمَعَاصِيَ، وَلَأَرْغَبَنَّهُمْ فِيهَا، وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ وَأُضِلَّنَّهُمْ جَمِيعًا، كَمَا أَغْوَيْتَنِي، وَقَدَّرْتَ ذَلِكَ عَلَيَّ .
لَأُغْوِيَنَّهُمْ - لَأُحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الْغَوَاةِ وَالضَّلَالِ .

(٤٠) - وَتَتَابَعَ إِبْلِيسُ خِطْبَانَهُ لِلرَّبِّ الْكَرِيمِ قَائِلًا: وَلَا أُسْتَنِي، مِنْ بَنِي آدَمَ الَّذِينَ سَاعَمْتُ عَلَى إِضْلَالِهِمْ وَإِغْوَاثِهِمْ، إِلَّا عِبَادَكَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا

٣٢ قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ اَلَّا تَكُوْنَ
مَعَ السّٰجِدِيْنَ

٣٣ قَالَ لَمْ اَكُنْ لَاسْجِدْ لِبَشَرٍ
خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ
مَّسْنُونٍ

٣٤ قَالَ فَاخْرِجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيْمٌ

٣٥ وَاِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ اِلَى يَوْمٍ
الَّذِي

٣٦ قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِي اِلَى يَوْمٍ
يُبْعَثُوْنَ

٣٧ قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ

٣٨ اِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ

٣٩ قَالَ رَبِّ بِمَا اَغْوَيْتَنِيْ لَازِيْنَنَ
لَهُمْ فِى الْاَرْضِ وَلَا اُغْوِيَنَّهُمْ
اَجْمَعِيْنَ

٤٠ اِلَّا عِبَادَكَ مِمَّنْ مَّخْلَصِيْنَ

لَكَ الْعِبَادَةَ، وَلَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ الْاِسْتِیْلَاءِ عَلَى نَفْسِهِمْ لِعُمُرَانِهَا بِذِكْرِكَ.
الْمُخْلِصِينَ - الَّذِينَ أَخْلَصْتَهُمْ لِبَطَاعَتِكَ.

(صِرَاطُ)

(٤١) - فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ مُتَوَعِّدًا مُتَهَدِّدًا: إِنَّ مَرْجِعَكُمْ إِلَيَّ، وَلَا
مَهْرَبَ لَكُمْ مِنِّهِ، وَسَأَجْزِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنَّ خَيْرًا فَخِيرًا، وَإِنْ شَرًّا
فَشَرًّا.

(وَقِيلَ بَلِ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ مَرْجِعُهَا إِلَى اللَّهِ، وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي).
(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ حَقٌّ عَلَيَّ مُرَاعَاتُهُ).

(سُلْطَانُ)

(٤٢) - إِنَّ عِبَادِي الَّذِينَ قَدَّرْتُ لَهُمُ الْهِدَايَةَ لَا سُلْطَانَ لَكَ عَلَيْهِمْ،
وَلَيْسَ لَكَ قُدْرَةٌ عَلَى إِضْلَالِهِمْ، وَلَا عَلَى أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى ارْتِكَابِ
ذُنُوبٍ يَضِيقُ عَنْهَا غَفْوِي، وَلَكِنْ مَنْ أَتْبَعَكَ مِنْهُمْ بِاخْتِيَارِهِ صَارَ مِنْ
أَتْبَاعِكَ، وَسَيَكُونُ سُلْطَانُكَ عَلَى هَؤُلَاءِ.
سُلْطَانُ - تَسَلَّطُ وَقُدْرَةٌ عَلَى الْإِغْوَاءِ.

(٤٣) - وَإِنَّ جَهَنَّمَ هِيَ مَكَانُ اللَّقَاءِ وَالْاجْتِمَاعِ (مَوْعِدُهُمْ) لِجَمِيعِ مَنْ
أَتَّبَعُوا إِبْلِيسَ وَهِيَ مَقْرَهُمْ وَبَشَسَ الْمِهَادُ.

(أَبْوَابُ)

(٤٤) - وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ لَجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ لِكُلِّ بَابٍ
مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ السَّبْعَةِ نَصِيًّا مُعَيَّنًا مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ إِلَى
جَهَنَّمَ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: لَجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَ سَيْفًا عَلَى
أُمَّتِي). (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ).

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: إِنَّ فِي جَهَنَّمَ سَبْعَ طَبَقَاتٍ - أَوْ دَرَكَاتٍ - يَنْزِلُونَهَا
بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ فِي الْعَذَابِ).

جُزْءٌ مَقْسُومٌ - فَرِيقٌ مُعَيَّنٌ مُتَمَيِّزٌ عَنْ غَيْرِهِ.

(جَنَّاتُ)

(٤٥) - ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
رَبَّهُمْ، لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَتَنْبُعُ فِي أَرْضِهَا عَيْنُونَ
الْمَاءِ.

٤١ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ

٤٢ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ أَتْبَعَكَ مِنْ
الْغَاوِينَ

٤٣ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ

٤٤ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ
جُزْءٌ مَّقْسُومٌ

٤٥ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

(بِسْلَامٍ) (آمِنِينَ)

(٤٦) - وَيُقَالُ لَهُمْ: أَذْخُلُوا الْجَنَّةَ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمُنْغَصَاتِ، آمِنُونَ مِنْ سَلْبِ تِلْكَ النُّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَفَزَعٍ، لَا تَخَافُونَ إِخْرَاجًا وَلَا فَنَاءً وَلَا زَوَالًا.

(إِخْوَانًا) (مُتَقَابِلِينَ)

(٤٧) - وَيَنْزِعُ اللَّهُ الْغُلَّ وَالْحَقْدَ وَالضَّغِينَةَ مِنْ صُدُورِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَكُونُونَ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ، وَيَجْلِسُونَ عَلَى سُرُرٍ بَعْضُهُمْ يُقَابِلُ بَعْضًا، وَيَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي وَجْهِ بَعْضٍ، وَهُمْ يَتَسَامَرُونَ وَيَتَحَادَثُونَ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ، وَلَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى أَقْفَةِ بَعْضٍ، شَأْنُ الْمُتَبَاغِضِينَ الْمُتَجَافِينَ.

غُلٌّ - ضَغِينَةٌ وَعَدَاوَةٌ وَحِقْدٌ.

(٤٨) - لَا تَلْحَقُهُمْ فِي الْجَنَّةِ مَشَقَّةٌ وَلَا أَدَى (نَصَبٌ)، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِحَاجَةٍ إِلَى الْعَمَلِ لِتَوْفِيرِ مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، فَقَدْ كَفَاهُمْ رَبُّهُمْ اللَّهُ ذَلِكَ، وَأَمَرَ بِأَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَشْتَهُونَ وَيَطْلُبُونَ. نَصَبٌ - تَعَبٌ وَعَنَاءٌ.

(٤٩) - أَخْبِرْ، يَا مُحَمَّدُ، عِبَادِي أَنِّي غُفُورٌ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، أَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ وَأَخْلَصَ الْعَمَلَ، فَلَا أَفْضَحُهُ وَلَا أَعَاقِبُهُ، وَلَا أَعَذِّبُهُ عَلَى ذَنْبٍ بَعْدَ أَنْ يَتُوبَ مِنْهُ.

(٥٠) - وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ عَذَابِي لِمَنْ كَفَرَ وَعَنَّا وَاسْتَكْبَرَ، وَأَصْرًا عَلَى آرْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَالْإِقَامَةِ عَلَيْهَا...، هُوَ الْعَذَابُ الْمُؤَلِّمُ الْمُوجِعُ الَّذِي لَا عَذَابَ مِثْلَهُ.

(إِبْرَاهِيمَ)

(٥١) - وَخَبِّرُهُمْ عَنْ قِصَّةِ الضَّيْفِ الَّذِينَ نَزَّلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، (وَكَلِمَةُ ضَيْفٍ تُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَعَلَى الْجَمْعِ) وَضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ، الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَوْمِ لُوطٍ لِإِقْبَاعِ الْعَذَابِ بِهِمْ.

ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ - أَضْيَافُهُ وَكَانُوا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

(سَلَامًا)

(٥٢) - فَقَدْ دَخَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ خَائِفٌ مِنْهُمْ (وَجُلُونَ). وَسَبَبُ خَوْفِهِ أَنَّهُ قَدَّمَ إِلَيْهِمُ الْعِجْلَ الْمَشْوِيَّ فَرَأَاهُمْ لَا

٤٦ أَذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ

٤٧ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ

٤٨ لَا يَحْسَبُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ



٤٩ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ

٥٠ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ

٥١ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ

٥٢ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ

تَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى الطَّعَامِ ، فَظَنُّ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهِ شَرًّا .
وَجَلُّونَ - فَرَعُونَ وَخَائِفُونَ .

(بَغْلَامُ)

(٥٣) - فَقَالُوا لَهُ لَا تَخَفْ مِنَّا إِنَّمَا رُسُلُ رَبِّكَ ، وَقَدْ آتَيْنَا لِنُبَشِّرَكَ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَرْزُقُكَ وَلَدًا (وَهُوَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، يَكُونُ ذَا عِلْمٍ وَفِطْنَةٍ وَفَهُمُ فِي الدِّينِ .

٥٣ قَالَوَا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ
عَلِيمٍ

٥٤ قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ
الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ

(٥٤) فَقَالَ لَهُمْ مُتَعَجِّبًا أَنْ يُوَلَّدَ لَهُ وَلَدٌ ، بَعْدَ أَنْ كَبِرَ وَطَعَنَ فِي السِّنِّ هُوَ وَزَوْجَتُهُ : كَيْفَ تُبَشِّرُونَنِي بِوِلَادَةِ وَلَدٍ لِي بَعْدَ أَنْ عَلَانِي الْكِبَرُ ، وَأَثَرُ فِيَّ ، وَتِلْكَ حَالُ تَتَنَاقَى مَعَ هَذِهِ الْبُشْرَى ، فَبَأَيُّ أَعْجُوبَةٍ تُبَشِّرُونَ ؟ وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا الْقَوْلَ مُتَعَجِّبًا ، لَا مُسْتَعِيدًا حُصُولَ ذَلِكَ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ .

(بَشْرَنَاكَ) (الْقَانِطِينَ)

٥٥ قَالَوَا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ
مِنَ الْقَانِطِينَ

(٥٥) - فَأَجَابَهُ الرُّسُلُ مُؤَكِّدِينَ الْبُشْرَى : إِنَّهُمْ يُبَشِّرُونَهُ بِالْوَلَدِ تَحْقِيقًا وَبِشَارَةً ، وَتَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ الْيَائِسِينَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ .
الْقَانِطِينَ - الْيَائِسِينَ مِنَ الْخَيْرِ أَوِ الْوَلَدِ .

٥٦ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

(٥٦) - فَأَجَابَهُمْ إِنَّهُ لَيْسَ قَانِطًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَكِنَّهُ يَرْجُو الْوَلَدَ مِنَ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ كَبِرَ وَأَسْنَتْ زَوْجَتُهُ ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ . وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ ضَلَّ طَرِيقَ الْهِدَايَةِ وَالْإِيمَانِ ، وَجَهَلَ عَظَمَةَ الْخَالِقِ .

٥٧ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ

(٥٧) - وَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ، وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى ، أَخَذَ يَسْأَلُ الْمَلَائِكَةَ الْكِرَامَ عَمَّا جَاءُوا مِنْ أَجْلِهِ غَيْرِ الْبُشْرَى ، فَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ ، وَالْبُشْرَى لَا تَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْعَدَدِ .
فَمَا خَطْبُكُمْ - فَمَا شَأْنُكُمْ الْخَطِيرُ ؟

٥٨ قَالَوَا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ
مُجْرِمِينَ

(٥٨) - فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُمْ مُرْسَلُونَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ، يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ، وَلَا هَلَاقَ لَهُمْ ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ قَوْمُ لُوطَ .
(آلُ)

٥٩ إِلَآءَ آلِ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ
أَجْمَعِينَ

(٥٩) - وَإِنَّهُمْ سَيَجُوزُونَ لُوطًا وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ .

(الْفَٰبِرِينَ)

(٦٠) - وَلَا يَسْتَوُونَ مِنْ آلِ لُوطٍ إِلَّا أَمْرَاتُهُ، فَإِنَّهَا سَتَكُونُ مِنَ الَّذِينَ يَتَقُونَ فِي الْمَدِينَةِ حِينَ تَزُولُ الْعَذَابُ بِقَوْمِهَا، فَتَهْلِكُ مَعَ مَنْ يَهْلِكُ مِنْ قَوْمِهَا.

الْفَٰبِرِينَ - تَأْتِي بِمَعْنَى الْبَاقِينَ، وَبِمَعْنَى الْهَالِكِينَ.
قَدَرْنَا - قَضَيْنَا وَحَكَمْنَا أَوْ عَلِمْنَا.

(آل)

(٦١) - وَلَمَّا جَاءَ الْمُرْسَلُونَ إِلَى لُوطٍ، فِي صُورَةِ شُبَّانٍ صَبَاحِ الْوُجُوهِ.
(٦٢) - فَصَاقَ لُوطٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِهَؤُلَاءِ الضُّيُوفِ ذَرْعًا، خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنْ فَسَادِ قَوْمِهِ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمُ الْقُدُومَ إِلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا. قَوْمٌ مُنْكَرُونَ - أَنْكَرَكُمْ وَلَا أَعْرِفُكُمْ.

(جَنَّاتِكَ)

(٦٣) - فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ جَاؤُوهُ بِالْعَذَابِ لِقَوْمِهِ، وَبِهَلَائِكِهِمْ وَدِمَارِهِمْ وَقَدْ كَانُوا يَشْكُونَ فِي حُلُولِهِ بِسَاحَتِهِمْ، حِينَمَا كَانَ لُوطٌ يُحَذِّرُهُمْ مِنْهُ، وَيُخَوِّفُهُمْ نَزْوَلَهُ بِهِمْ، عِقَابًا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَفِسْقِهِمْ وَفَسَادِهِمْ. فِيهِ يَمْتَرُونَ - يَشْكُونَ وَيَكْذِبُونَ فِيهِ.

(وَأَتَيْنَاكَ) (لَصَادِقُونَ)

(٦٤) - وَإِنَّا أَتَيْنَاكَ بِالْأَمْرِ الْمُحَقَّقِ الْمُتَيَقِّنِ الَّذِي لَا مَجَالَ لِلشُّكِّ فِيهِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْزَالَهُ بِقَوْمِهِ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ مِنْ إِهْلَاكِ قَوْمِكَ وَإِنْجَابِكَ وَأَهْلِكَ.

(اللَّيْلِ) (أَدْبَارَهُمْ)

(٦٥) - ثُمَّ أَمَرَتِ الْمَلَائِكَةُ لُوطًا بِأَنْ يُسْرِيَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ مُضِيِّ جَانِبٍ مِنَ اللَّيْلِ، أَيْ بِطَائِفَةٍ مِنْهُ (بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) وَأَنْ يَمْشِيَ لُوطٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَلْفَهُمْ فِي الْمَوْخِرَةِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَحْفَظَ لَهُمْ، وَأَمْرُهُ بِأَنْ لَا يَلْتَفِتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى الْخَلْفِ حِينَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ تَنْزِلُ بِالْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَفِيهَا الْعَذَابُ وَالذَّمَارُ. وَلَيَتَجَّهُ لُوطٌ وَأَهْلُهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي عَيَّنَهُ اللَّهُ لَهُمْ، لِيَكُونَ دَارَ مَقَامِهِمُ الْجَدِيدِ.

بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ - جَانِبٍ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنْهُ أَوْ مِنْ آخِرِهِ.
اتَّبَعَ أَدْبَارَهُمْ - سِيرَ خَلْفَهُمْ لِتَطْلُعِ عَلَيْهِمْ.

٦٠ إِلَّا أَمْرَاتُهُ، قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنْ
الْفَٰبِرِينَ

٦١ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ

٦٢ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ

٦٣ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ

٦٤ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

٦٥ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ
وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ
تُؤْمَرُونَ

(٦٦) - وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ ذَلِكَ الْأَمْرُ مَقْضِيٌّ مَبْتُوتٌ فِيهِ، وَهُوَ أَنْ آخَرَ قَوْمِكَ (دَابِرَهُمْ) سَيَكُونُ هَالِكًا مُسْتَأَصِلًا جِنْمًا يَدْخُلُ صَبَاحَ لَيْلَتِهِمْ تِلْكَ، وَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ حَيًّا. (وَإِذَا هَلَكَ دَابِرُ الْقَوْمِ فَقَدْ هَلَكَ أَوَّلُهُمْ، أَيْ هَلَكُوا جَمِيعًا). قَضَيْنَا إِلَيْهِ - أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ.

دَابِرُ هَؤُلَاءِ - آخِرُهُمْ. وَالْمَرَادُ بِالتَّعْبِيرِ أَنَّهُمْ جَمِيعًا سَيَكُونُونَ هَالِكِينَ.

(٦٧) - ثُمَّ شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى يَقْصُرُ مَا صَدَرَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، جِنْمًا عَلِمُوا بِقُدُومِ أَضْيَافِ صَبَاحِ الْوُجُوهِ إِلَى دَارِ لُوطٍ، وَمَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مِنْ دَمَارِهِمْ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ تَعَالَى سَابِقًا. فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ جَاؤُوا إِلَى دَارِ لُوطٍ مُسْرِعِينَ مُسْتَبْشِرِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَنَالُونَ بُغْيَتَهُمْ، بِفِعْلِ الْفَاحِشَةِ، مِنْ هَؤُلَاءِ الضُّيُوفِ.

(وَقِيلَ إِنَّ أَمْرًا لُوطٍ هِيَ الَّتِي أُخْبِرَتْ قَوْمَهَا بِوُصُولِ الْأَضْيَافِ إِلَى دَارِ زَوْجِهَا).

(٦٨) - وَقَبِلَ أَنْ يَعْلَمَ لُوطٌ أَنَّ أَضْيَافَهُ هُمْ رُسُلُ رَبِّهِ إِلَيْهِ، أَخَذَ يُدَافِعُ قَوْمَهُ عَنْهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ أَضْيَافُهُ، وَرَجَاهُمْ أَنْ لَا يَخَذُلُوهُ، وَيُهَيِّنُوهُ بِالْاِعْتِدَاءِ عَلَى أَضْيَافِهِ وَخَفِرَ ذِمَّتِهِ.

(٦٩) - وَأَرَادَ لُوطٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَذْكُرَهُمْ بِحَقِّهِ عَلَيْهِمْ، وَيَرْجُوهُمْ أَنْ لَا يُخْزَوْهُ أَمَامَ ضُيُوفِهِ، فَنَاشَدَهُمُ اللَّهَ، وَذَكَرَهُمْ بِمَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ، وَمُرَاعَاةِ جَانِبِهِ تَعَالَى.

(الْعَالَمِينَ)

(٧٠) - فَقَالُوا لَهُ: أَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ اسْتِضَافَةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِي قَرْيَتِنَا، فَقَدْ كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِكُلِّ غَرِيبٍ بِالسُّوءِ، وَكَانَ لُوطٌ يُدَافِعُهُمْ وَنَهَاهُمْ عَنِ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ، وَيُدَافِعُهُمْ عَنْ أَضْيَافِهِ.

عَنِ الْعَالَمِينَ - عَنْ إِجَارَةِ أَوْضِافَةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.

(فَاعِلِينَ)

(٧١) - فَأَرَشَدَهُمُ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الزَّوْاجِ مِنْ نِسَاءِ الْقَرْيَةِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ إِيْتَابِ الرِّجَالِ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ. (وَقَدْ سَمِيَ نِسَاءَ قَوْمِهِ بَنَاتِهِ لِأَنَّ رَسُولَ الْأُمَّةِ كَالْأَبِ فِيهَا).

(٧٢) فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِلُّوطِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَحْيَاتِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ، إِنَّ قَوْمَكَ لَفِي ضَلَالَتِهِمْ الَّتِي جَعَلْتَهُمْ حَيَارَى لَا يَعْرِفُونَ مَا أَحَاطَ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ، وَلَا

٦٦ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ
دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ

٦٧ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ

٦٨ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ

٦٩ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ

٧٠ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ

٧١ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ

٧٢ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ

مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، لَمَّا أَصَابَهُمْ مِنْ عَمَى الْبَصِيرَةِ (يَعْمَهُونَ). (أَوْ أَنَّ
الْقَسَمَ بِحَيَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى).
سَكَرَتِهِمْ - غَوَايَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ.
يَعْمَهُونَ - يَعْمُونَ عَنِ الرَّشْدِ أَوْ يَتَحَيَّرُونَ.

(٧٣) - فَتَزَلْ بِهِمُ الْعَذَابُ الْمُنْتَظَرُ، وَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ، وَقَتَ شُرُوقِ
الشَّمْسِ، وَكَانَ أَيْدَاؤُهَا مِنَ الصُّبْحِ، وَأَنْتَهَاؤُهَا جِوْنُ الشُّرُوقِ، لِذَلِكَ قَالَ أَوَّلًا
(مُضْجِجِينَ) وَقَالَ هُنَا (مُشْرِقِينَ).
الصَّيْحَةُ - صَوْتُ مُهْلِكٍ مِنَ السَّمَاءِ.
مُشْرِقِينَ - دَاخِلِينَ وَقَتَ الشُّرُوقِ.

(عَالِيهَا)

(٧٤) فَهَلَدَمَ اللَّهُ بَلَدَهُمْ، وَقَلَبَهَا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ، زَلَزَلَ أَرْضَهُمْ، وَجَعَلَ عَالِي بَلَدِهِمْ
سَافِلَهَا، وَأَمَطَرَ عَلَيْهِمْ أَثْنَاءَ ذَلِكَ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُشَوِّبٍ، أَوْ مُتَحَجِّجٍ،
(سَجِيلٍ)، فَقَتَلَتْ مَنْ لَمْ يَقْتُلْهُ الزَّلْزَالُ، وَهَدَمَتْ الْبُيُوتَ.
سَجِيلٍ - طِينٍ مُتَحَجِّجٍ طَبَخَ بِالنَّارِ.

(لَايَاتٍ)

(٧٥) - وَإِنَّ فِيمَا فَعَلْنَاهُ بِقَوْمِ لُوطٍ، مِنَ الْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ، لَدَلَالَاتٍ لِمَنْ
يَتَفَكَّرُونَ فِي الْكَوْنِ فَيَعْتَبِرُونَ بِمَا يَخْدُثُ فِيهِ مِنَ الْعِظَاتِ وَالْعِبَرِ، وَلِمَنْ
يَتَأَمَّلُونَ ذَلِكَ وَيَتَوَسَّمُونَهُ، وَيَنْظُرُونَهُ بَعَيْنِ الْبَصِيرَةِ وَالْبَصْرِ.
لِلْمُتَوَسِّمِينَ - لِلْمُتَفَرِّسِينَ. الْمُتَأَمِّلِينَ.

(٧٦) - وَإِنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ (قَرْيَةَ قَوْمِ لُوطٍ) الَّتِي دَمَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَجَعَلَ عَالِيهَا
سَافِلَهَا لَهْيَ فِي طَرِيقٍ مُعْلَمٍ وَاضِحٍ يَمُرُّ بِهِ الْمَسَافِرُ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ،
وَيَرَى آثَارَهَا الْبَاقِيَةَ.
لَيْسَبِيلٍ مُقِيمٍ - فِي طَرِيقٍ وَاضِحٍ بَاقٍ لَمْ يَنْدِرْ.

(لَايَةً)

(٧٧) - وَالَّذِي صَنَعْنَاهُ بِقَوْمِ لُوطٍ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْدَّمَارِ، وَمَا قُمْنَا بِهِ مِنْ أَنْجَاءِ
لُوطٍ وَأَهْلِهِ، لَدَلَالَةٍ، وَغَبْرَةٌ جَلِيلَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ، لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ مَا
حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّمَا كَانَ أَنْتِقَامًا مِنْ أُولَئِكَ الْكَفَرَةِ الْفَسَقَةِ، الَّذِينَ كَفَرُوا
بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَغَتَوْا عَنْ أَمْرِهِ.

(أَصْحَابُ) (لُطَائِمِينَ)

(٧٨) - وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ هُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ، وَكَانَ ظَلَمَهُمْ بِشْرِكِهِمْ بِاللَّهِ،

٧٣ فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ

٧٤ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا

عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ

٧٥ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ

٧٦ وَإِنَّا لَإِلَيْسَبِيلٍ مُّقِيمٍ

٧٧ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ

٧٨ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ

ظَالِمِينَ

وَقَطَّعِهِمِ الطَّرِيقَ عَلَى السَّابِلَةِ، وَخَسِبَهُمِ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ شُعَيْبًا فَكَذَّبُوهُ.
الْأَيْكَةِ - الْبُقْعَةُ الْكَثِيفَةُ الشَّجَرِ.

(٧٩) - فَاتَّقَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ بِالصَّيْحَةِ وَالرَّجْفَةِ، وَعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ. وَكَانَتْ أَرْضُهُمْ قَرِيبَةً مِنْ أَرْضِ قَوْمِ لُوطٍ، وَكَانُوا بَعْدَهُمْ فِي الزَّمَانِ، وَكَانَتْ قَرِيبَتُهُمْ وَفَرَى قَوْمِ لُوطٍ تَقَعُ عَلَى طَرِيقِ ظَاهِرِ يَأْتُمُونَ بِهِ، وَيَهْتَدُونَ فِي سَبِيلِهِمْ، بَيْنَ الْجَبَاذِ وَالشَّامِ، وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَمَا حَذَرَهُمْ نِقْمَةَ اللَّهِ: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ (١).

وَإِنَّهُمَا - أَيِ قَرْيَةِ قَوْمِ لُوطٍ وَقَرْيَةِ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ.
لِيَأْمَامٍ مُبِينٍ - بِطَرِيقٍ وَاضِحٍ يَأْتُمُونَ بِهِ فِي أَسْفَارِهِمْ.
(أَصْحَابُ)

(٨٠) - وَأَصْحَابُ الْجَبْرِ هُمْ قَوْمُ ثَمُودَ، وَقَدْ كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحًا، وَمَنْ كَذَّبَ بِرَسُولٍ فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى إِنَّهُمْ كَذَّبُوا الْمُرْسَلِينَ.
الْجَبْرِ - دِيَارُ ثَمُودَ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَتَبُوكَ.

(آيَاتُنَا)

(٨١) - وَأَنَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَذْلُهُمْ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُمْ صَالِحٌ، وَمِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّهُ دَعَا اللَّهُ - بِنَاءً عَلَى اقْتِرَاحِ قَوْمِهِ - فَأَخْرَجَ لَهُمْ نَاقَةَ عُسْرَاءَ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَاءَ، وَكَانَتِ النَّاقَةُ تَسْرَحُ فِي بِلَادِهِمْ، وَتَقْتَسِمُ مَعَهُمُ الْمَاءَ، فَتَشْرَبُهُ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَهُ يَوْمًا، فَضَاقُوا بِالنَّاقَةِ ذَرْعًا فَعَقَرُوهَا (دَبَّحُوهَا أَوْ قَتَلُوهَا)، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ عَنْ آخِرِهِمْ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ.
(آمِنِينَ)

(٨٢) - وَكَانُوا يَنْجَتُونَ بِبُيُوتِهِمْ فِي الْجِبَالِ، مَخَافَةَ هَدْمِهَا أَوْ نَقْبِهَا مِنْ قِبَلِ اللَّصُوصِ، أَوْ مَخَافَةَ تَخْرِيبِ الْأَعْدَاءِ لَهَا.
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْجَتُونَ بِبُيُوتِهِمْ فِي الْجِبَالِ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ، وَمِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بَطَرًا وَأَشْرًا وَعَبَثًا).

(٨٣) - فَلَمَّا كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ، وَعَقَرُوا النَّاقَةَ، قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ نَبِيُّهُمْ: لَقَدْ عَتَوْتُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّكُمْ فَانْظُرُوا عِقَابَ اللَّهِ، وَعَذَابَهُ عَلَى فِعْلِكُمْ، بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ الْمَحْدَدِ لِنُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ - وَهُوَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ - أَخَذَتْهُمْ صَيْحَةُ الْعَذَابِ عِنْدَ الصَّبَاحِ، فَدَمَّرَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا.

(١) الْآيَةُ ٨٩ مِنْ سُورَةِ هُودَ.

فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَأْمَامٍ مُبِينٍ

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْجَبْرِ الْمُرْسَلِينَ

وَأَلَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ

وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ

فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ

(٨٤) - فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَغْلُونَهُ مِنْ زُرُوعِهِمْ وَثِمَارِهِمْ الَّتِي صَنَعُوا بِمَائِهَا عَلَى النَّاقَةِ، حَتَّى عَقَرُوهَا، لِكَيْلَا تُشَارِكَهُمْ فِيهِ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ الْأَمْوَالَ الَّتِي يَكْسِبُونَهَا مِنْ أَعْمَالِهِمْ فِي نَحْتِ الْبُيُوتِ، وَإِعْمَارِ الْأَرْضِ، لَمَّا جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ، كَمَا لَمْ تَمْنَعَهُمُ الْبُيُوتُ الَّتِي نَحَسُّوْهَا فِي الْجِبَالِ لِتَدْفَعَ عَنْهُمْ عَادِيَاتِ الذَّهْرِ، مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ شَيْئًا.

(السَّمَاوَاتِ)

(٨٥) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَلِحِكْمَةٍ وَمَصْلَحَةٍ. وَلَمْ يَخْلُقْهُمَا بَاطِلًا وَعَبَثًا، لِلْهَوَى وَالنَّسِيلَةِ. ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّ السَّاعَةَ سَتَقُومُ لَا مَحَالَةَ، وَجَبُنِيذٍ يَلْقَى كُلَّ وَاحِدٍ جَزَاءَهُ. ثُمَّ أَمَرَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ إِسَاءَاتِ الْمُشْرِكِينَ وَأَذَاهُمْ لَهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ.

(الْخَلْقِ)

(٨٦) - وَيَقْرُرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ سَيَعِثُ الْخَلْقَ حِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ الْخَلَّاقُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، لِأَنَّهُ الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَبِمَا تَفَرَّقَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ.

(الْقُرْآنِ)

(٨٧) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّهُ آتَاهُ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي، وَآتَاهُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ.

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ حَوْلَ الْمَقْصُودِ (بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي) فَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ وَآبَنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهَا سُورَةُ الْقُرْآنِ الطُّوَالِ (الْبَقَرَةُ وَأَلْ عُمَرَانِ وَالنِّسَاءُ وَالْمَائِدَةُ وَالْأَنْعَامُ وَالْأَعْرَافُ وَيُونُسُ). وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فِي هَذِهِ السُّورِ السَّبْعِ الْفَرَائِضَ وَالْحُدُودَ وَالْقِصَاصَ وَالْأَحْكَامَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَّ، فِي هَذِهِ السُّورِ السَّبْعِ، الْأَمْثَالَ وَالْحَبَرَ وَالْعِبَرَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهَا سُورَةُ الْفَاتِحَةِ، وَسَمَّيْتُ بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي لِأَنَّهَا تَتَأَلَّفُ مِنْ سَبْعِ آيَاتٍ فِيهَا الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ، وَيُثْنَى بِهَا فَتَقْرَأُ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ مِنْ رُكْعَاتِ الصَّلَاةِ.

وَفِي حَدِيثٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ (أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ). (رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ).

سَبْعًا - سَبْعَ آيَاتٍ وَهِيَ الْفَاتِحَةُ.

مِنَ الْمَثَانِي - الَّتِي تُثْنَى وَتُكْرَرُ قِرَاءَتُهَا فِي الصَّلَاةِ.

﴿٨٤﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

﴿٨٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ

السَّاعَةَ لَأَيُّهَا فَاصْفَحِ الصَّفْحَ

الْجَمِيلِ

﴿٨٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي

وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ

(أَزْوَاجاً)

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ

(٨٨) - لَقَدْ آتَيْنَاكَ، يَا مُحَمَّدُ، الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَالسَّبْعَ الْمَثَانِي، فَقَدْ أُوتِيتَ النِّعَمَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لَا تُدَانِيهَا نِعَمٌ فِي الدُّنْيَا، فَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى زِينَتِهَا وَزُخْرُفِهَا، وَلَا إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ أَهْلَهَا مِنْ زَهْرَتِهَا الْفَانِيَةِ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ، فَلَا تَغِيْطُهُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ، وَلَا تُذْهِبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ حُزْناً عَلَيْهِمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ لَكَ، وَمُخَالَفَتِكَ فِيمَا آتَيْتَهُمْ بِهِ، وَالْأَيْنَ جَانِبَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ.

أَخْفِضْ جَنَاحَكَ - تَوَاضَعْ وَالْأَيْنَ جَانِبَكَ.

أَزْوَاجاً مِنْهُمْ - أَصْنَافاً مِنَ الْكُفَّارِ.

الْأَزْوَاجُ - وَاحِدُهَا زَوْجٌ - وَهُوَ هُنَا الصَّنْفُ.

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ

(٨٩) - وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ إِنَّهُ نَذِيرٌ إِلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، قَدْ يَحِلُّ بِهِمْ، كَمَا حَلَّ بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا وَأَخَذَهَا اللَّهُ.

كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ

(٩٠) - الْمُقْتَسِمُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ وَيَحْلِفُونَ (يُقْسِمُونَ) عَلَى مُخَالَفَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى إِبْذَائِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ. أَوْ كَمَا فَعَلَ الرَّهْطُ مِنْ قَوْمِ صَالِحِ الَّذِينَ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ، إِذْ اجْتَمَعُوا وَأَقْسَمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، عَلَى مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ، لِكَيْلَا يَنْكِلَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَيَتَرَجَّعَ عَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، فَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُقْتَسِمِينَ لَا يُجْمِعُونَ عَلَى أَمْرٍ إِلَّا أَقْسَمُوا عَلَيْهِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ الْعَذَابَ بِهِؤُلَاءِ، كَمَا أَنْزَلَهُ بِالَّذِينَ تَقَاسَمُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى تَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ وَقَتْلِهِمْ وَإِبْذَائِهِمْ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: إِنَّا آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي، كَمَا آتَيْنَا مِنْ قَبْلِكَ الْيَهُودَ التَّوْرَةَ، وَالنَّصَارَى الْإِنْجِيلَ، وَهُمْ الَّذِينَ أَقْسَمُوا الْقُرْآنَ، وَجَزَّوْهُ أَجْزَاءً، فَأَمَّنُوا بِبَعْضِهِ الَّذِي وَافَقَ كِتَابَهُمْ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ وَهُوَ مَا خَالَفَهُ).

الْمُقْتَسِمِينَ - أَهْلُ الْكِتَابِ - أَوْ مَنْ يُقْسِمُونَ عَلَى كُلِّ مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ.

(الْقُرْآنَ)

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ

(٩١) - الَّذِينَ جَزَّوْا كِتَابَ اللَّهِ فَجَعَلُوهُ أَصْنَافاً فَأَمَّنُوا بِبَعْضٍ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ.

عِضِينَ - أَعْضَاءَ وَأَجْزَاءَ فَأَمَّنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ.

(لَسْأَلْتَهُمْ)

(٩٢) - وَيَقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّهُ سَيَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ وَالْمُقْتَسِمِينَ . . . جَمِيعًا عَمَّا كَانُوا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ فِيمَا بَعَثْنَاكَ بِهِ إِلَيْهِمْ .

(٩٣) - أَيْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ، فَأَمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ ، عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ ، حِينَمَا يَخْشَرُهُمُ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٩٤) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِإِبْلَاجِ أَمْرِ رَبِّهِ إِلَى النَّاسِ ، وَالصَّدْعِ بِهِ ، وَمُوَاجَهَةِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ ، وَعَدَمِ الْخَوْفِ مِنْهُمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَصَمَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَحَفِظَهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ .
فَاصْدَعْ - فَاجْهَرْ بِهِ ، أَوْ أَمْضِهِ وَنَفِّذْهُ .

(كَفَيْنَاكَ) (الْمُسْتَهْزِئِينَ)

(٩٥) - وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ كَفَّاكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ أَمْرَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْكَ وَمِنَ الْقُرْآنِ ، وَحَفِظَكَ مِنْهُمْ .

وَالْمُسْتَهْزِئُونَ هُمْ رُؤُوسُ الشَّرْكِ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ قَدْ مَرَّ بِخَمْسَةِ مِنْهُمْ ، فَأَخَذُوا يَتَغَامَزُونَ عَلَيْهِ ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَكَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَهُمْ ، وَشَرَّهُمْ .

(آخِرَ)

(٩٦) - وَهَؤُلَاءِ حَلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللَّهِ وَعَذَابُهُ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَعَ اللَّهِ مَعْبُودًا آخَرَ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ مَصِيرَهُمْ فِي الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٩٧) - وَإِنَّا لَنَعْلَمُ - يَا مُحَمَّدُ - أَنَّكَ تَشْعُرُ بِالضُّيْقِ وَالْانْقِبَاصِ مِنْ أَذَاهُمْ ، وَمِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ ، وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِكَ ، فَلَا يَضِيقُنْ بِذَلِكَ صَدْرُكَ ، وَلَا يَتَيْنِيكَ ذَلِكَ عَنْ إِبْلَاجِ رَسُولِكَ رَبِّكَ .

(السَّاجِدِينَ)

(٩٨) - وَإِذَا نَزَلَ بِكَ ضَيْقٌ ، وَأَخَذَتْكَ شِدَّةٌ ، فَافْزَعْ إِلَى رَبِّكَ ، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ، وَاشْتَغِلْ بِذِكْرِهِ وَحَمْدِهِ ، وَتَسْبِيحِهِ وَعِبَادَتِهِ وَالصَّلَاةِ لَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُخَفِّفُ عَنْكَ مَا تَلْقَاهُ مِنْهُمْ . (وَلِذَلِكَ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ لَجَأَ إِلَى الصَّلَاةِ) .

(٩٩) - وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِالدَّوَامِ عَلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى ، وَبِالْمُواظَبَةِ عَلَيْهَا حَتَّى يَجِيْنَ أَجَلُهُ .
الْيَقِينُ - هُوَ الْمَوْتُ الْمُتَيَقَّنُ وَقُوْعُهُ .

١٢ فَوَرَيْكَ لَسْأَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ

١٣ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

١٤ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ

عَنِ الْمُشْرِكِينَ

١٥ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ

١٦ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

١٧ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ

بِمَا يَقُولُونَ

١٨ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ

السَّاجِدِينَ

١٩ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ

الْيَقِينُ

(١٦) سُورَةُ النَّجْلِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَمَانٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَتُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سُبْحَانَهُ) (وَتَعَالَى)



أَنَّى أَمَرَ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ
سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ

(١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ اقْتِرَابِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَدُنُوقِهَا، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِصِيغَةِ الْمَاضِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّحَقُّقِ وَالْوُقُوعِ لَا مَحَالَةَ. وَمَتَى قَامَتِ السَّاعَةُ، وَجَرَى الْحِسَابُ، كَانَ مَصِيرُ الْكُفَّارِ الْمُجْرِمِينَ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. فَاسْتَعْجَلُوهُمْ قِيَامَ السَّاعَةِ كَاسْتَعْجَالِهِمْ حُلُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ، لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ: فَلَا تَسْتَعْجِلُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِالْعَذَابِ. (وَكَانَ مُشْرِكُو مَكَّةَ يَسْتَعْجِلُونَ الرَّسُولَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِعَذَابِ الدُّنْيَا أَوْ عَذَابِ الْآخِرَةِ إِنْ كَانَ صَادِقًا، وَكَانَ ذَلِكَ اسْتِعْدَادًا مِنْهُمْ لَوُقُوعِ الْعَذَابِ، وَتَكْذِيبًا لِلرَّسُولِ ﷺ).

ثُمَّ نَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَنْ شِرْكِهِمْ بِهِ غَيْرُهُ، وَعِبَادَتِهِمْ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ مَعَهُ، تَقَدَّسَ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

سُبْحَانَهُ - تَنَزَّهَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى.

تَعَالَى - تَعَاظَمَ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الْجَلِيلَةِ.

(الْمَلَائِكَةُ)

(٢) - يُنَزِّلُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالْوَحْيِ عَلَى مَنْ يَصْطَفِيهِمْ مِنْ خَلْقِهِ (الْأَنْبِيَاءِ)، وَيَأْمُرُهُمْ بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَيَنْذَرُهُمْ وَيُخَوِّفُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، لِمَنْ خَالَفَ مِنْهُمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَأَشْرَكَ بِهِ غَيْرَهُ فِي عِبَادَتِهِ.

بِالرُّوحِ - بِالْوَحْيِ - وَمِنْهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ.

يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ

عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ

أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاتَّقُوا

(السَّمَاوَاتِ) (تَعَالَى)

(٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا عَلَى نَهْجٍ تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، (بِالْحَقِّ)، لَا عَثَاً، وَإِنَّمَا لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. ثُمَّ نَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَنْ شِرْكَ مَنْ عَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ، فَهُوَ تَعَالَى الْمُسْتَقِلُّ بِالْخَلْقِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَا مُعِينَ، فَلِهَذَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَعْبُدَهُ الْخَلْقُ وَحْدَهُ.

(الْإِنْسَانِ)

(٤) - يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ إِلَى أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ ضَعِيفٍ مَهِينٍ، وَمَرَّ فِي أَطْوَارٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى خَرَجَ طِفْلاً، فَغَدَاهُ وَنَمَّاهُ، وَزَرَقَهُ الْقُوَّةَ. فَلَمَّا اسْتَقْلَّ وَدَرَجَ إِذَا هُوَ يُخَاصِمُ رَبَّهُ تَعَالَى، وَيُكَذِّبُهُ وَيُحَارِبُهُ، وَيُحَارِبُ رُسُلَهُ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا خَلَقَهُ لِيَكُونَ لَهُ عَبْدًا لَا ضِدًّا. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَقَ فِي كَفِّهِ ثُمَّ قَالَ: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَبْنِ آدَمَ أَنِّي تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَيْتُكَ فَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْكَ، وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَثِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ قُلْتَ أَتَصَدَّقُ، وَأَنْتَ أَوَّانُ الصَّدَقَةِ؟). (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبْنُ مَاجَه).

الْخَصِيمُ - الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ.

النُّطْفَةُ - الْمَاءُ الصَّافِي وَهُوَ هُنَا مَادَّةُ التَّلْفِيحِ.

(الْأَنْعَامِ) (مَنَافِعِ)

(٥) - يَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا خَلَقَهُ لَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ (وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْمَاعِزُ) وَبِمَا جَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ، مِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا يَلْبَسُونَ وَيَقْتَرِشُونَ (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ)، وَمِنْ لُحُومِهَا وَالْبَنَانِهَا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ.

دِفْءٌ - مَا تَتَدَفَّوْنَ بِهِ مِنَ الْبَرْدِ.

(٦) - وَلَهُمْ فِيهَا زِينَةٌ وَبَهْجَةٌ لِلنَّفْسِ، حِينَ تَرْجِعُ مِنَ الْمَرْعَى عَشِيَّةً شَبَعَى رَبَّيَا (حِينَ تَرِيحُونَ)، وَحِينَ تَغْدُو إِلَى مَرَاعِيهَا صَبَاحاً (حِينَ تَسْرَحُونَ).

فِيهَا جَمَالٌ - فِيهَا تَجَمُّلٌ وَتَزْيِينٌ.

② خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يَشْرِكُونَ

④ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ

فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ

⑤ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ

فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

⑥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ

تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ

حِينَ تَرِيحُونَ - حِينَ تَرُدُّونَهَا بِالْعَيْشِيِّ إِلَى الْمَرَاحِ .
حِينَ تَسْرَحُونَ - حِينَ تَخْرُجُونَ بِهَا فِي الْغَدَاةِ إِلَى الْمَسْرَحِ .

(بِالْغِيَةِ)

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ

لَمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُفٌ
رَحِيمٌ

(٧) - وَهِيَ تَحْمِلُ أَيْضاً مَتَاعَكُمْ وَأَحْمَالَكُمْ الثَّقِيلَةَ (أَثْقَالَكُمْ) الَّتِي
تَعْجَزُونَ عَنْ حَمْلِهَا وَنَقْلُهَا فِي أَسْفَارِكُمْ إِلَى بِلَادٍ بَعِيدَةٍ، لَمْ تَكُونُوا
لِتَبْلُغُوهَا بِأَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ زَائِدَةٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ
لِتَرْكَبُوهَا، وَلِتَحْمِلُوا عَلَيْهَا أَثْقَالَكُمْ، لِأَنَّهُ تَعَالَى رُؤُوفٌ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ .
أَثْقَالَكُمْ - أَمْتَعَتَكُمْ الثَّقِيلَةَ الْحَمْلِ .

بِشِقِّ الْأَنْفُسِ - بِمَشَقَّتِهَا وَتَعَبِهَا .

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ

لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ
مَا لَا تَعْلَمُونَ

(٨) - وَخَلَقَ اللَّهُ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِلرُّكُوبِ وَالزَّيْنَةِ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى
أَنْ يَخْلُقَ مَخْلُوقَاتٍ وَوَسَائِلَ أُخْرَى لَا يَعْلَمُهَا النَّاسُ، تُفِيدُ فِي الزَّيْنَةِ
وَالرُّكُوبِ (كَالْفُطْرِ وَالسُّفَنِ وَالطَّائِرَاتِ . . .) .

(جَائِرٌ) (لَهْدَاكُمْ)

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا

جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ

(٩) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَرْكَبُونَهَا لِيَبْلُغُوا عَلَيْهَا
حَاجَاتِهِمْ، سَرَعَ فِي ذِكْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا النَّاسُ إِلَى رَبِّهِمْ . فَقَالَ
إِنَّ هُنَاكَ طَرِيقًا كَثِيرَةً يَسْلُكُهَا النَّاسُ، وَلَكِنْ لَا يَصِلُ مِنْهَا إِلَيْهِ إِلَّا طَرِيقُ
الْحَقِّ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي شَرَعَهُ وَرَضِيَهُ، وَأَمْرٌ بِهِ، وَهُوَ طَرِيقُ
الْإِسْلَامِ لَهُ، وَالْإِخْبَاتُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي هَدَى النَّاسَ إِلَيْهِ
رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ . أَمَّا مَا عَدَاهَا مِنَ الطَّرِيقِ فَإِنَّهَا مَسْدُودَةٌ، وَالْأَعْمَالُ فِيهَا
مَرْدُودَةٌ . وَمِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ مَا هُوَ مُعَوَّجٌ وَمُنْحَرِفٌ عَنِ الْحَقِّ (جَائِرٌ)، وَكُلُّ
ذَلِكَ كَاثِرٌ بِقَدْرِ اللَّهِ وَمَشِيتِيهِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا .

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ - بَيَانُ الطَّرِيقِ الْقَاصِدِ الْمُسْتَقِيمِ .

مِنْهَا جَائِرٌ - مِنَ السَّبِيلِ مَا ثَلَّ عَنِ الْحَقِّ .

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ
شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ

(١٠) - ثُمَّ يَمُنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ أَنْزَالِ
الْمَطَرِ عَلَيْهِمْ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ، هُمْ وَأَنْعَامُهُمْ وَزُرُوعُهُمْ، وَلِيُخْرِجَ بِالْمَاءِ
الزَّرْعَ وَالنَّبَاتَ وَالْأَشْجَارَ، فَيَأْكُلُ النَّاسُ مِنْهُ، وَيَرْعَوُ أَنْعَامُهُمْ .
تُسِيمُونَ - تَرْعَوْنَ أَنْعَامَكُمْ، وَالسَّوْمُ هُوَ الرَّعْيُ .

(الْأَعْنَابِ) (الشَّمَرَاتِ) (لَايَةٌ)

(١١) - فَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ، بِمَا يُنْزِلُهُ مِنَ الْمَطَرِ، الزُّرُوعَ وَالْحُبُوبَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّجِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَالشَّمَارَ الْأُخْرَى، الْمُخْتَلِفَةَ فِي طُعُومِهَا وَالْوَانِهَا وَأَشْكَالِهَا، مَعَ أَنَّهَا كُلُّهَا تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَتُخْرَجُ فِي أَرْضٍ وَاحِدَةٍ. وَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ بَاهِرَاتٌ لِلَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ بِصُنْعِ اللَّهِ وَيَعْقِلُونَ.

(اللَّيْلِ) (مُسْحَرَاتٍ) (لَايَاتٍ)

(١٢) - ثُمَّ يُنَبِّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى آيَاتِهِ الْعَظَامِ فِي تَسْخِيرِهِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَتَعَاقَبَانِ، وَفِي اللَّيْلِ سَكَنٌ وَرَاحَةٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ مِنْ عَنَاءِ النَّهَارِ، وَفِي النَّهَارِ سَعْيٌ، وَعَمَلٌ، وَمَعَاشٌ، وَفِي تَسْخِيرِهِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ فِي السَّمَاوَاتِ لِتَكُونَ نُوراً وَضِيَاءً وَحَرَارَةً، وَلِيَهْتَدِيَ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ، وَكُلُّ مَنْهَا يَسِيرُ فِي فَلَكِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ بِحَرَكَةٍ مُقَدَّرَةٍ مُعَيَّنَةٍ: مِنْ تَسْخِيرٍ وَمَنَافِعٍ وَنِظَامٍ... إلخ وَالْجَمِيعُ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَتَقْدِيرِهِ. وَفِي ذَلِكَ لَايَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَدَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْبَاهِرَةِ، وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ.

(الْوَانَةِ) (لَايَةٌ)

(١٣) - ثُمَّ يُنَبِّهُ تَعَالَى الْبَشَرَ إِلَى مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالْمَخْلُوقَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ وَالْمَعَادِينِ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَالْوَانِهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْخَوَاصِّ، وَيَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ إِنَّ فِي كُلِّ ذَلِكَ لَايَاتٍ وَدَلَالَاتٍ لِمَنْ يَتَذَكَّرُونَ نِعْمَ اللَّهِ وَآلَاءَهُ فَيَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْهِمْ. ذَرَأًا - خَلَقَ وَأَبْدَعَ لِمَنَافِعِكُمْ.

(١٤) - ثُمَّ يُلْفِتُ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ عِبَادِهِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ، وَمَا فِيهِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ يَأْكُلُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ لَحْماً طَرِيّاً، وَمَا جَعَلَ فِيهِ مِنْ مَنَافِعٍ لِلْبَشَرِ، إِذْ يَسْتَخْرِجُونَ مِنْهُ اللَّائِيَّ وَالْمَرْجَانَ وَغَيْرَهَا، وَيَجْعَلُونَ مِنْهَا الْحُلِيَّ، وَإِذْ يَسِيرُونَ فِيهِ السُّفُنَ وَالْمَرَاكِبَ، تَشُقُّ أَمْوَاجَهُ (تَمْخُرُ فِيهِ)، لِيَتَقَلُّوا بِوَاسِطَتِهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ لِلتَّجَارَةِ وَنَقْلِ الْبَضَائِعِ وَتَأْمِينَ الرِّزْقِ، وَقَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى صُنْعِ السُّفُنِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَنَعَ سَفِينَةً هُورُوحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَيَذْكُرُ اللَّهُ النَّاسَ بِجَمِيعِ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أُنْعَمَ عَلَيْهَا عَلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَهَا، وَيُقَدِّرُونَهَا، فَيَشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهَا، وَيَعْرِفُوا عَظِيمَ قُدْرَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ وَالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ.

مَوَاحِر - جَوَارِي فِيهِ تَشُقُّ الْمَاءَ شَقّاً.

يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ

وَالزَّيْتُونَ وَالنَّجِيلَ
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
مُسْحَرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ

مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ

لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً
وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً
تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ

(رَوَاسِي) (وَأَنْهَارًا)

(١٥) - وَالْقَى اللَّهُ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا شَامِخَاتٍ وَأَرْسَاهَا فِي الْأَرْضِ لِيَسْتَقِرَّ الْأَرْضُ بِهَا، فَلَا تَمِيدَ وَلَا تَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ أَنْهَارًا تُجْرِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ لِيَسْتَفِيعَ النَّاسُ بِمَا يَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْهَا مِنْ رِزْقٍ، وَبِمَا يُفِيدُونَهُ مِنْهَا مِنْ تَسْيِيرِ الْمَرَائِبِ لِلْحُمُولَةِ وَالْإِنْتِقَالِ، وَبِمَا يَشْرَبُونَ مِنْهَا مِنْ مَاءٍ، وَبِمَا يَرَوُونَ أَرْضَهُمْ وَأَنْعَامَهُمْ مِنْهُ، وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ طُرُقًا (سُبُلًا) يَسْلُكُهَا النَّاسُ فِي أَنْتِقَالِهِمْ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ، وَلِيَهْتَدُوا بِهَا فَلَا يَضِلُّوا.
رَوَاسِي - جِبَالًا ثَوَابِتٌ.

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ - لِكَيْلَا تَتَحَرَّكَ وَتَضْطَرِبَ بِكُمْ.

(عَلَامَاتٍ)

(١٦) - وَجَعَلَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ذَلَالَاتٍ (عَلَامَاتٍ)، مِنْ جِبَالٍ وَآكَامٍ وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ. يَسْتَدِلُّ بِهَا الْمُسَافِرُونَ بَرًّا وَبَحْرًا، إِذَا ضَلُّوا الطَّرِيقَ، وَإِنَّ تَعَالَى إِلَهُمُ النَّاسَ الْأَسْتِدْلَالَ بِالنُّجُومِ لِيَهْتَدُوا بِهَا أَثْنَاءَ سَيْرِهِمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.
عَلَامَاتٍ - مَعَالِمٌ لِلطَّرِيقِ يَهْتَدُونَ بِهَا.

(١٧) - أَفَمَنْ يَخْلُقُ هَذِهِ الْخَلَائِقَ الْعَجِيبَةَ، وَيُنْعِمُ هَذِهِ النِّعَمَ الْعَظِيمَةَ، كَمَنْ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِعِبَادِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؟ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ هَذِهِ النِّعَمَ، وَهَذِهِ الْقُدْرَةَ الْعَظِيمَةَ لِتَذَكُّرُوا أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ الْمُنْعِمِ الْمُتَفَضِّلِ عَلَى خَلْقِهِ. أَمَّا الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ فَإِنَّهَا حِجَارَةٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَا تَسْتَطِيعُ شَيْئًا.

(١٨) - وَيُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ شُكْرِهِ عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَلَا يُمَكِّنُ لِعُقُولِ هَؤُلَاءِ حَصْرَهَا، وَلَوْ طَالِبَهُمْ بِالشُّكْرِ عَلَى جَمِيعِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ لَعَجَزُوا، وَإِذَا عَذَّبَهُمْ لَتَقْصِيرِهِمْ فِي شُكْرِهِ لَكَانَ ذَلِكَ بِذُنُوبِهِمْ، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى غَفُورٌ رَحِيمٌ، يَغْفِرُ الْكَثِيرَ، وَيُثِيبُ عَلَى الْيَسِيرِ.

لَا تُحْصَوْهَا - لَا تُطَبِّقُوا حَصْرَهَا لِعَدَمِ تَنَاهِيهَا.

(١٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَيُخْفُونَ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَمَا يَجُولُ فِي خَوَاطِرِهِمْ، كَمَا يَعْلَمُ مَا يُبْدُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ

وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ
تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

وَعَلَّمَكُم بِآلَتِجْمِهِمْ
يَهْتَدُونَ

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ

وَلِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا
تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ

وَجَوَارِحِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَهُوَ مُخَصَّصٌ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَسَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٢٠) - أَمَّا الْأَصْنَامُ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّهَا حِجَارَةٌ لَا تَخْلُقُ شَيْئًا، وَهِيَ مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ، أَيْ هِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَعْبُدَهُ الْبَشَرُ.

(أَمْوَاتٌ)

(٢١) - وَالْأَصْنَامُ الَّتِي يَعْبُدُهَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَيَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، هِيَ حِجَارَةٌ لَا رُوحَ فِيهَا، وَلَا حَيَاةَ، وَلَا تَسْمَعُ، وَلَا تَبْصُرُ، وَلَا تَعْقِلُ، وَلَا تَدْرِي مَتَى تَكُونُ السَّاعَةُ وَالْبَعْثُ وَالْحِسَابُ، فَكَيْفَ يُرْجَى مِنْهَا نَفْعٌ أَوْ نَوَابٌ أَوْ جَزَاءٌ؟ وَهَلْ يَلِيْقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يُشْرِكَ مِثْلَ هَذِهِ الْحِجَارَةِ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ؟

(وَاحِدٌ) (بِالْآخِرَةِ)

(٢٢) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ أَنَّ إِلَهُهُمْ وَاحِدٌ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، أَمَّا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْآخِرَةِ، فَتَنْكُرُ قُلُوبُهُمْ وَخُدَائِيَّةُ اللَّهِ، وَتَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَتَجْحَدُ قُلُوبُهُمْ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ تَعَالَى مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَإِبْدَاعِهِ، وَفَضْلِهِ عَلَى الْعِبَادِ.

(٢٣) - وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّهُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، مِنْ كِبَرٍ، وَاسْتِكْبَارٍ، وَإِنْكَارٍ لِنِعْمِ اللَّهِ، وَيَعْلَمُ مَا يُعْلِنُونَ مِنْ كُفْرٍ وَافْتِرَاءٍ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ مَعَهُمْ حَيْثُمَا كَانُوا، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَى الْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ لَا يُجِبُّ مِنَ اسْتِكْبَارٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ، وَتَجَبَّرَ فِي الْأَرْضِ.

لَا جَرَمَ - لَا شَكَّ أَوْ حَقٌّ وَثَبَتَ أَوْ حَقًّا.

(أَسَاطِيرُ)

(٢٤) - وَإِذَا قِيلَ لَهُؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ: مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؟ قَالُوا مُعْرِضِينَ عَنِ الْجَوَابِ: لَمْ يَنْزِلْ شَيْئًا، إِنَّمَا هَذَا الَّذِي نَسْمَعُهُ هُوَ مِنْ أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ، مَاخُودٌ مِنْ كُتُبِهِمْ وَقَصَصِهِمْ.

(وَيُرَوَّى فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ قُرَيْشًا تَذَاكَرَتْ أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ
وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ

لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
يُسرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ
قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

فَقَالُوا: إِنَّهُ خُلُوُ اللَّسَانِ إِذَا كَلَّمَهُ أَحَدٌ ذَهَبَ بِعَقْلِهِ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا فِي الدُّرُوبِ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى مَكَّةَ أَنْاسًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَصْرِفُونِ النَّاسَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانُوا إِذَا اتَّفَقُوا بِوَافِدٍ عَلَى الرَّسُولِ عَرَفُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَتَّبِعْهُ إِلَّا الْعَبِيدُ وَالسُّفَهَاءُ، وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، أَمَّا شُبُوحُ قَوْمِهِ فَهُمْ لَهُ مُفَارِقُونَ، فَيَرْجِعُ الْوَافِدُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وَإِذَا كَانَ الْوَافِدُ رَشِيدًا فَاصْرَّ عَلَى مُقَابَلَةِ مُحَمَّدٍ لِيَسْمَعَ مِنْهُ، فَيَدْخُلُ مَكَّةَ، وَيَلْقَى الْمُؤْمِنِينَ فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ الرَّسُولِ، وَمَا يَقُولُ؟ فَيَقُولُونَ: خَيْرًا.

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - أَبَاطِيلُهُمُ الْمُسْطَرَّةُ فِي كُتُبِهِمْ.

(الْقِيَامَةُ)

(٢٥) - وَلَقَدْ قَالُوا مَا قَالُوهُ عَنِ الرَّسُولِ وَعَنِ الْقُرْآنِ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ، لِيَكُونَ عَاقِبَتُهُمْ أَنْ يَتَحَمَّلُوا آثَامَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَأُوزَارَ كُفْرِهِمْ، وَلِيَتَحَمَّلُوا مَعَهَا مِنْ خَطَايَا وَأُوزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ، وَيَحْمِلُونَهُمْ عَلَى أَتْبَاعِهِمْ، ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾^(١).

أُوزَارُهُمْ - آثَامُهُمْ وَذُنُوبُهُمْ.

(بُنْيَانُهُمْ) (وَأَتَاَهُمْ)

(٢٦) - لَقَدْ أَحْتَالَ مَنْ هُمْ قَبْلَ قَوْمِكَ، يَا مُحَمَّدُ، فِي إِذْءَاءِ الرَّسُلِ، وَفِي إِضْلَالِ النَّاسِ بِكُلِّ حِيلَةٍ، وَحَاوَلُوا اسْتِمَالَتَهُمْ إِلَى شِرْكِهِمْ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ ﴿مَكْرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، فَفَضَحَهُمُ اللَّهُ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ، وَأَبْطَلَ كَيْدَهُمْ وَمَكْرَهُمْ، وَهَدَمَ بُنْيَانَ مَكْرِهِمْ مِنْ أَسَاسِهِ، وَعَادَ عَلَيْهِمْ وَبَالَ مَكْرِهِمْ وَكَيْدِهِمْ، وَأَتَاَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَلَمْ يَنْتَظِرُوا فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ.

الْقَوَاعِدُ - الدَّعَائِمُ وَالْعَمَدُ أَوِ الْأُسُسُ.

(الْقِيَامَةُ) (شُرَكَائِي) (تُشَاقُونَ) (الْكَافِرِينَ)

(٢٧) - وَيُخْزِيهِمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ وَالْحَلَائِقِ، إِذْ يَظْهَرُ لِلنَّاسِ مَا كَانُوا يَسْتُرُونَ مِنَ الْمَكْرِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُحَارِبُونَ، وَتُعَادُونَ النَّبِيَّ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي سَبِيلِهِمْ (تُشَاقُونَ

(١) الآية ١٠١ من سورة طه.

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ

الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ

عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ فَأَقَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ

مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَعَ عَلَيْهِمْ

السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ

وَأَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ

لَا يَشْعُرُونَ

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ

أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ

كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ

الْيَوْمَ وَالسَّوَاءَ عَلَى الْكَافِرِينَ

فِيهِمْ؟ لِمَاذَا يَتَّخِرُونَ عَنْ نَصْرِكُمْ، وَإِنْفَادِكُمْ الْيَوْمَ؟ فَإِذَا تَوَجَّهَتْ
الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَالَاتُ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الْكَلِمَةُ،
وَسَكَتُوا عَنِ الْاِعْتِدَارِ، قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُؤْمِنُونَ
الْمُخْلِصُونَ، وَهُمْ السَّادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ): إِنَّ الْقَضِيحَةَ وَالْعَذَابَ
مُحِيطَانِ الْيَوْمَ بِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ مَا لَا يَنْصُرُهُ وَلَا
يَنْفَعُهُ.

يُخْزِيهِمْ - يُذِلُّهُمْ وَيُهَيِّئُهُم بِالْعَذَابِ.

تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ - تُخَاصِمُونَ وَتُعَادُونَ الْأَنْبِيَاءَ فِيهِمْ.

الْخِزْي - الذُّلُّ وَالْهَوَانُ.

(تَوَفَّاهُمْ) (الْمَلَائِكَةُ)

(٢٨) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الْعَذَابَ، هُمُ
الَّذِينَ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ إِلَى أَنْ جَاءَتْهُمْ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ لِقَبْضِ
أَرْوَاحِهِمْ، وَهُمْ ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، فَجِئْنَا تِلْكَ الْمَلَائِكَةَ لِقَبْضِ أَرْوَاحِ
هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِتَعْرِضِهَا لِلْعَذَابِ الْمُخْلَدِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ،
يَسْتَسْلِمُونَ جِئْنِدَ، وَيَتَقَادُونَ جِئْنَ يُعَايِنُونَ الْعَذَابَ قَائِلِينَ: مَا كُنَّا نَشْرِكُ
بِرَبِّنَا أَحَدًا، وَهُمْ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ هَذَا. وَيُكَذِّبُهُمْ تَعَالَى فِيمَا يَقُولُونَ
وَيَقُولُ لَهُمْ: بَلْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَتُشْرِكُونَ وَتَرْتَكِبُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَلَا فَايِدَةَ
الْيَوْمَ مِنَ الْاِنْتِكَارِ، وَاللَّهُ مُجَازِيكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ.

الْقُوا السَّلَامَ - أَظْهَرُوا الْاِسْتِسْلَامَ وَالْخُضُوعَ.

(أَبْوَابِ) (خَالِدِينَ)

(٢٩) - وَيَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِدُخُولِ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ لِيَقْبُوا فِيهَا، وَلِيَذُوقُوا أَلْوَانًا
مِنَ الْعَذَابِ، جَزَاءَ لَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَآرْتَكَبُوا مِنَ الْمَعَاصِي، وَلَيْسَ جَهَنَّمُ
مَقِيلًا وَمَقَامًا لِلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَالْاِهْتِدَاءِ بِالْآيَاتِ الَّتِي
أَنْزَلَتْ إِلَيْهِمْ.

مَثْوَى - مَأْوَى وَمَقَامٌ.

(الْآخِرَةُ)

(٣٠) - وَيُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُؤْمِنِينَ السَّعْدَاءِ، فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَاذَا
أَنْزَلَ رَبُّكُمْ عَلَى رَسُولِهِ؟ قَالُوا: أَنْزَلَ الْقُرْآنَ، فِيهِ خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ، وَبَرَكَاتٌ
لِمَنْ أَنْبَعَهُ، وَأَمَنَ بِهِ.

٢٨ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا
نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

٢٩ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا فليسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ

٣٠ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا



ثُمَّ يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا وَعَدَ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ، فَقَالَ: مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ فِي الدُّنْيَا، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ. أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَإِنْ دَارَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَالْجَزَاءُ فِيهَا أَتَمُّ مِنَ الْجَزَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَنِعِمَّتْ دَارُ الْآخِرَةِ دَارًا لِلْمُتَّقِينَ.

(جَنَّاتُ) (الْأَنْهَارِ)

(٣١) - وَالذَّارُ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا الْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ فِي الْآخِرَةِ هِيَ جَنَّاتُ مَقَامٍ (عَذْنٍ)، يَدْخُلُونَهَا، تَجْرِي فِي أَرْضِهَا الْأَنْهَارُ (مِنْ تَحْتِهَا) بَيْنَ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا، وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَطْلُبُونَ وَيَشْتَهُونَ، وَكَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّقَاهُ، وَأَحْسَنَ عَمَلُهُ.

(تَتَوَفَّاهُمْ) (الْمَلَائِكَةُ) (سَلَامٌ)

(٣٢) - وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَائِمِينَ بِجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَالْمُسْتَهِينِ عَنْ جَمِيعِ مَا نَهَى عَنْهُ (الطَّيِّبِينَ) حِينَ تَحْضُرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ عِنْدَ احْتِضَارِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ طَيِّبُونَ، مُخْلِصُونَ مِنَ الشُّرْكِ وَالذَّنْسِ وَالسُّوءِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، وَتُبَشِّرُهُمْ بِالْجَنَّةِ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَعَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ.

طَيِّبُونَ - طَاهِرُونَ مِنْ ذَنْسِ الشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي أَوْ يَطِيبُ لِلْمَلَائِكَةِ قَبْضُ أَرْوَاحِهِمْ.

(الْمَلَائِكَةُ)

(٣٣) - يُهَدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ عَلَى تَمَادِيهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، وَاعْتِرَازِهِمْ بِالْدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ سَيَظُلُّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مُقِيمِينَ عَلَى شِرْكِهِمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَهُمْ ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ فَيَهْلِكُهُمْ جَمِيعًا؟ فَإِنَّهُمْ يَعَادِيهِمْ، وَبَقَائِهِمْ عَلَى شِرْكِهِمْ، لَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا الْمَلَائِكَةَ تَأْتِي لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ وَهُمْ ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، بِالشُّرْكِ، وَعَمَلِ السَّيِّئَاتِ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (أَمْرُ رَبِّكَ)، وَمَا يُعَايِنُونَ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ؟

(وَقِيلَ بَلَى الْمَقْصُودُ هُنَا أَنْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا فَعَلَ بِأَسْلَافِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ فَيُرْسِلُ عَلَيْهِمُ الصَّوَاعِقَ، أَوْ يَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ).

حَسَنَةً وَلِدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا

مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي

اللَّهُ الْمُتَّقِينَ

الَّذِينَ نَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ

يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا

الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ

الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ

كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

وَكَمَا فَعَلَ مُشْرِكُو مَكَّةَ، وَتَمَادَوْا فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، كَذَلِكَ فَعَلَ
أَسْلَافُهُمْ وَنَظَرُواهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى غِيهِمْ وَضَلَالِهِمْ،
حَتَّى حَلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ وَبَأْسُهُ وَنَكَالُهُ.

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ بِإِنزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ، لِأَنَّهُ أَعَذَرَ إِلَيْهِمْ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ
عَلَيْهِمْ، بِإِرْسَالِ رُسُلِهِ إِلَيْهِمْ، وَإِنزَالِ الْكِتَابِ، وَلَكِنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
بِالْكُفْرِ، وَبِمُخَالَفَةِ الرُّسُلِ، وَبِالتَّكْذِيبِ بِمَا جَاءُواهُمْ بِهِ.
(يَسْتَهْزِئُونَ)

(٣٤) - وَلِهَذَا حَلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ الْأَلِيمُ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوا،
وَأَحَاطَ بِهِمْ (حَاقَ بِهِمْ)، وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَهْزِئُونَ بِهَذَا الْعَذَابِ،
حِينَ كَانَ الرُّسُلُ يُحَذِّرُونَهُمْ مِنْهُ، وَلِهَذَا يُقَالُ لَهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿هَذِهِ
النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى^(١).
حَاقَ بِهِمْ - أَحَاطَ بِهِمْ.

(أَبَاؤُنَا) (الْبَلَاغُ)

(٣٥) - وَيَعْتَذِرُ الْمُشْرِكُونَ عَنْ شُرِكِهِمْ، وَعِبَادَتِهِمْ الْأَصْنَامَ، وَتَحْرِيمِهِمْ
مَا حَرَّمَهُ مِنَ السَّوَائِبِ وَالْبَحَائِرِ وَالْوَصَائِلِ... إلخ وَيَحْتَمُونَ بِالْقَدْرِ،
وَيَبِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ. وَيَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ كَانَ
كَارِهاً ذَلِكَ لَمَا فَعَلُوهُ هُمْ، وَلَا فَعَلَهُ آبَاؤُهُمْ، وَلَا نَكَرَهُ عَلَيْهِمُ بِالْعُقُوبَةِ،
وَلَمَّا مَكَّنَهُمْ مِنْهُ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْهُ
عَلَيْكُمْ، فَقَدْ أَنْكَرَهُ عَلَيْكُمْ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ أَشَدَّ النَّهْيِ،
وَبَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ،
وَيُحَذِّرُهُمْ عَوَاقِبَ الشُّرْكِ، وَنَتَائِجِ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالْكُفْرِ، وَلَكِنَّهُمْ
كَذَّبُوا الرُّسُلَ، كَمَا كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ رُسُلَهُمْ، وَتَابَعُوا أَسْلَافَهُمْ
عَلَى ضَلَالِهِمْ فِي تَحْرِيمِ مَا لَمْ يُحَرِّمَهُ اللَّهُ، كَمَا فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.
وَمَهْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ هِيَ إِبْلَاجُ النَّاسِ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ وَلَيْسَتْ
مَهْمَتُهُمْ إِجْبَارُ النَّاسِ، وَإِكْرَاهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ.

(الطَّاغُوتِ) (الضَّلَالَةُ) (عَاقِبَةُ)

(٣٦) - فَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ، لَا
شَرِيكَ لَهُ، وَنَهَاهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ (الطَّاغُوتِ)، وَعَنْ عِبَادَةِ

(١) الآية ١٤ من سورة الطور.

﴿٣٦﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا

وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ

﴿٣٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ

اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ

شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا

حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ

فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ

عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ

مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ

الْأَوْتَانِ، وَعَنِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَاتَّبَعَ الرُّسُلَ فَاهْتَدَى، وَمِنْهُمْ مَنْ ضَلَّ وَاسْتَكْبَرَ وَعَنَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ. فَقُلْ، يَا مُحَمَّدُ، لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ نِهَايَةُ الْمُكَذِّبِينَ، وَكَيْفَ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَهْلَكَهُمْ، وَجَعَلَ عَاقِبَتَهُمْ أَسْوَأَ عَاقِبَةٍ، وَلِذَلِكَ كُلُّهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا بُرْهَانَ لَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ اللَّهَ رَضِيَ لَهُمُ الْكُفْرَ.

أَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ - كُلَّ مَعْبُودٍ بَاطِلٍ، وَكُلَّ دَاعٍ إِلَى ضَلَالَةٍ.

حَقَّتْ - ثَبَتَتْ وَوَجَّهَتْ.

(هُدَاهُمْ) (نَاصِرِينَ)

(٣٧) - يُخْبِرُ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ حِرْصَهُ عَلَى هِدَايَةِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِهِ لَا يَنْفَعُهُمْ إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ قَدَّرَ لَهُمُ الضَّلَالَ، وَمَنْ يُضِلُّهُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ، وَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُقِذُّهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

(أَيْمَانِهِمْ)

(٣٨) - حَلَفَ الْمُشْرِكُونَ وَأَجْهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الْحَلْفِ (جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ)، وَغَلَطُوا الْأَيْمَانَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَبْعَثُ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَبَعَدُوا ذَلِكَ، وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ فِي إِخْبَارِهِمْ لَهُمْ بِذَلِكَ. وَحَلَفُوا عَلَى نَقِيضِهِ. وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: بَلَى. سَيَكُونُ ذَلِكَ الْبَعْثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ حَقٌّ لَا بُدَّ مِنْهُ. وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ يَجْهَلُونَ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْهُ عَبَثًا، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَ الرُّسُلَ، وَيَقْعُونَ فِي الْكُفْرِ وَيُكَذِّبُونَ بِوُقُوعِ الْبَعْثِ، وَحُدُوثِ الْمَعَادِ.

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ - يُجْهَدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْحَلْفِ بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ وَأَوْكَدِهَا.

(كَاذِبِينَ)

(٣٩) - وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى حِكْمَتَهُ فِي الْمَعَادِ وَالْحَشْرِ، فَيَقُولُ: إِنَّ حِكْمَتَهُ أَقْتَضَتْ ذَلِكَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِي أَيْمَانِهِمْ، وَفِي حَلْفِهِمْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ.

(أَرَدْنَاهُ)

(٤٠) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ بَعْثَ الْخَلَائِقِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا دَاعِيَ

حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ

٣٧ إِنَّ تَحَرُّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ
مِنْ نَاصِرِينَ

٣٨ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى
وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنِ أَكْثَرُ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

٣٩ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ
كَانُوا كَاذِبِينَ

٤٠ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ
نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

لَأَنْ يَسْتَبْعِدَهُ الْكُفَّارُ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ الشَّيْءُ لَوْفَتِهِ دُونَ أَنْ يُكَرِّرَ اللَّهُ أَمْرَهُ مَرَّةً أُخْرَى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (١).

(٤١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْجَزَاءِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِهِ، وَابْتِعَاءَ مَرْضَاتِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ فَارَقُوا الدَّارَ وَالْإِخْوَانَ وَالْخِلَالَ، رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَحُسْنِ جَزَائِهِ: فَقَالَ إِنَّهُ وَعَدَهُمْ بِالْمَجَازَةِ الْحَسَنَةِ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا وَفِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَأَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِالسَّكَنِ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَتَاهُمُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ الطَّيِّبَ، وَجَعَلَهُمْ سَادَةً وَأَمْرَاءَ، وَسَيَكُونُ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِمَّا أَتَاهُمْ فِي الدُّنْيَا. وَلَوْ كَانَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْهَجْرَةِ يَعْلَمُونَ مَا أَذْخَرَ اللَّهُ، لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ، مِنْ عَظِيمِ الثَّوَابِ، لَمَا تَأَخَّرُوا عَنِ اللَّحَاقِ بِهِمْ.

لَنُؤْتِيَهُمْ - لَنُزِيلَهُمْ.

حَسَنَةً - مِبَاءَةً حَسَنَةً أَوْ دَارًا أَوْ أُعْطِيَةً حَسَنَةً.

(٤٢) - وَهَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ هُمُ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى مَا نَالَهُمْ مِنْ أَدَى قَوْمِهِمْ، وَاحْتَمَلُوهُ مُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ، الَّذِي أَحْسَنَ لَهُمُ الْعَاقِبَةَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(فَاسْأَلُوا)

(٤٣) - لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولًا أَتَتْكَ الْعَرَبُ ذَلِكَ، وَقَالُوا: اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ مِنَ الْبَشَرِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ عِجَابٌ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ (٢)، وَهَذَا يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ الْمُرْسَلِينَ، مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ، إِلَّا مِنَ الْبَشَرِ، فَاسْأَلُوا، يَا أَيُّهَا الْمُتَنَبِّهُونَ ذَلِكَ، أَهْلَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ (أَهْلَ الذِّكْرِ) أَمِنْ الْبَشَرِ كَانَ الرُّسُلُ أَمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَإِنْ كَانُوا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنْكَرْتُمْ، وَإِنْ كَانُوا مِنَ الْبَشَرِ، فَلِمَ تُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ رَسُولًا؟

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٤٤) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ السَّابِقِينَ مِنَ الْبَشَرِ، وَأَيَّدَهُمْ بِالْحُجَجِ وَالْدَّلَائِلِ (بِالْبَيِّنَاتِ)، وَبِالْكِتَابِ (الرُّبْرِ وَهِيَ جَمْعُ رُبْرٍ أَيْ

٤١) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُؤْتِيَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

٤٢) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

٤٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَشَاءُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

٤٤) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ

(١) الآية ٥ من سورة القمر.

(٢) الآية ٢ من سورة يونس.

كِتَابٍ لِلدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ،
لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَيُفَصِّلَ لَهُمْ مَا أَجْمَلَ، وَيُفَسِّرَ
لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ، لَعَلَّ النَّاسَ يَتَفَكَّرُونَ فِيمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ فَيَهْتَدُوا،
وَيَقُورُوا بِالنَّجَاةِ فِي الدَّارَيْنِ.

بِالْبَيِّنَاتِ - أَرْسَلْنَاهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ.

الرُّبُوبِ - كُتِبَ الشَّرَائِعِ وَالتَّكَالِيفِ.

الذِّكْرِ - الْقُرْآنَ.

(٤٥) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ جَلْمِهِ عَلَى الْعَصَاةِ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ، وَيَدْعُونَ إِلَيْهَا، وَيَمْكُرُونَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ،
وَيُحَاوِلُونَ صَرْفَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى
الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ فَيَقُولُ تَعَالَى: أَمِنَ هَؤُلَاءِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ،
أَوْ يَصْبَبَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَلَا يَشْعُرُونَ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَهُمْ بَغْتَةً،
وَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ يُنْظِرُهُمْ لَعَلَّهُمْ يُؤْمِنُونَ، وَيُقْلِعُونَ عَمَّا
هُمْ فِيهِ مِنَ الْجَهَالَةِ.

يَخْسِفُ - يُغَيِّبُ.

(٤٦) - أَوْ أَمِنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَأْخُذَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى،
أَثْنَاءَ تَقْلُبِهِمْ، فِي مَعَايِشِهِمْ، وَاشْتِغَالِهِمْ بِهَا فِي أَسْفَارِهِمْ، وَنَحْوِهَا مِنْ
الْأَشْغَالِ الْمُلْهِمَةِ، فَهُمْ لَا يُعْجِزُونَ اللَّهَ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانُوا؟
تَقْلُبُهُمْ - أَسْفَارِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ.

بِمُعْجِزِينَ - بِفَاتِتِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِالْهَرَبِ.

(رُؤُوفٌ)

(٤٧) - أَوْ أَمِنُوا أَنْ يَأْخُذَهُمُ اللَّهُ - بَعْدَ أَنْ يُثِيرَ فِي نَفْسِهِمُ الْخَوْفَ
وَالرُّعْبَ، بِأَنَّهُ تَعَالَى سَيَّأُخْذُهُمُ بِالْعَذَابِ - فَإِنْ مِثْلَ هَذَا الْأَخْذِ يَكُونُ
أَبْلَغَ وَأَشَدَّ، لِأَنَّ أَثَرَ مَا يَحْصُلُ لِلنَّاسِ، وَهُوَ خَائِفٌ مِنْهُ مُتَوَقِّعٌ لَهُ، أَشَدُّ
وَأَبْلَغُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رُؤُوفٌ رَحِيمٌ بِهِمْ، إِذْ لَمْ يَعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

(وَفِي الْحَدِيثِ - لَا أَحَدَ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ
وَلَدًا وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

تَخَوُّفٍ - مَخَافَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَوْ تَنْقُصٍ.

٤٥ أَفَا مِّنَ الَّذِينَ مَكُرُوا السَّيِّئَاتِ

أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ

يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ

لَا يَشْعُرُونَ

٤٦ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ

بِمُعْجِزِينَ

٤٧ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ

لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ

(يَتَقِيًّا) (ظِلَالُهُ) (السَّمَائِلِ) (دَاخِرُونَ)

(٤٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ، وَكِبَرِيَّاتِهِ، وَجَلَالِهِ الَّذِي خَضَعَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، وَدَانَ، فَأَخْبَرَ أَنْ كُلَّ مَا لَهُ ظِلٌّ يَتَقِيًّا وَيَتَّقِلُ وَيَمِيلُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ - أَيُّ بَكْرَةً وَعَشِيَّةً - فَإِنَّهُ يَسْجُدُ بِظِلِّهِ لِلَّهِ تَعَالَى، صَاحِرًا ذَلِيلًا، فَكَيْفَ لَمْ يَرَهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْقَائِمَةَ حَوْلَهُمْ، فَتَفَكَّرُوا فِي عَظَمَةِ الْخَالِقِ الْمُدَبِّرِ لِهَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ، وَيَهْتَدُوا إِلَى وَجُوبِ عِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى الْخُضُوعِ لَهُ؟
(وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ يَعْقِلُ لِأَنَّهُ نَسَبَ إِلَيْهَا السُّجُودَ).

يَتَقِيًّا ظِلَالُهُ - تَمِيلُ وَتَتَّقِلُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى آخَرَ، أَوْ يَرْجِعُ بَعْدَ امْتِدَادٍ مِنْ شَيْءٍ - مِنْ جِسْمٍ قَائِمٍ لَهُ ظِلٌّ.
سُجَّدًا - مُنْقَادُونَ لِحُكْمِهِ وَتَسْخِيرِهِ تَعَالَى.

وَهُمْ دَاخِرُونَ - وَالظَّلَالُ صَاغِرُونَ مُنْقَادُونَ كَأَصْحَابِهَا.
(السَّمَاوَاتِ) (وَالْمَلَائِكَةِ)

(٤٩) - وَيَسْجُدُ لِلَّهِ جَمِيعُ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَلَائِكَةٍ وَإِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ وَشَجَرٍ وَجَمَادٍ، وَلَا يَسْتَكْبِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَعَنِ الْخُضُوعِ لِذَاتِهِ الْعَلِيِّ.

(٥٠) - وَيَسْجُدُ لِلَّهِ جَمِيعُ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَلَائِكَةٍ وَبَشَرٍ وَحَيَوَانٍ وَجَمَادٍ، وَهُمْ خَائِفُونَ وَجُلُونَ مِنَ الرَّبِّ الْعَظِيمِ، جَلَّ جَلَالُهُ، وَهُمْ مُتَابِعُونَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَآمِنَاتُ أَوْامِرِهِ، وَتَرْكُ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

(وَاحِدٌ) (فَيَايَ)

(٥١) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ: لَا تُشْرِكُوا فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا، وَلَا تَعْبُدُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَتِمَّ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّهُ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ وَرَبُّهُ، وَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَخْشَاهُ النَّاسُ وَيَرْهَبُوهُ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٥٢) - وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ. وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ وَيَبْدِيهِ حَيَاتَهُمْ

(٤٨) أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ

يَنْفَقِيوْا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ
وَالشَّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ



(٤٩) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ

(٥٠) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ
مَا يُؤْمَرُونَ

(٥١) وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ

إِثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِنِّي
فَارْهَبُونِ

(٥٢) وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ

الْدِّينُ وَاصْبِرْ أَفْغِيرَ اللَّهُ نُنْقِوْنَ

وَمَوْتُهُمْ، وَلَهُ الْعِبَادَةُ وَاجِبَةٌ دَائِمًا، أَقْبَعُونَ غَيْرَهُ، وَيَتَّقُونَ سِوَاهُ، وَقَدْ
عَلِمُوا كُلَّ ذَلِكَ؟
لَهُ الدِّينُ - لَهُ الطَّاعَةُ وَالْإِقْيَادُ وَحْدَهُ.
وَاصِبًا - دَائِمًا وَاجِبًا لَازِمًا أَوْ خَالِصًا.

(تَجَارُونَ)

(٥٣) - وَإِلَيْهِ يُعُودُ الْفَضْلُ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالرِّزْقِ وَالْعَافِيَةِ
وَالنَّصْرِ وَالْإِحْسَانِ، وَحِينَمَا يَمْسُكُمُ الضَّرُّ وَالسَّقَمُ، وَيَجُلُّ بِكُمْ الْبَلَاءُ،
تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، وَتَرْفَعُونَ أَصْوَاتَكُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ مُسْتَغِيثِينَ بِهِ، مُلْحِينَ
فِي الرَّجَاءِ، لَا تَدْعُونَ غَيْرَهُ، وَلَا تَلْجَأُونَ إِلَى سِوَاهُ.
تَجَارُونَ - تَضْجُونَ بِالِاسْتِغَاثَةِ وَالتَّضَرُّعِ.

(٥٤) - وَحِينَمَا يَكْشِفُ اللَّهُ تَعَالَى الضَّرَّ عَنْكُمْ يَنْسَى بَعْضُكُمْ حَقَّ اللَّهِ
عَلَيْهِ، مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِحْلَاصِ لَهُ، وَيَعُودُ إِلَى الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ.

(أَتَيْنَاهُمْ)

(٥٥) - وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ لِتَكُونَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمُ الْكُفْرَ وَالْجُحُودَ بِأَنْعَمِ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُتَقَضِّلُ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ، وَبِكَشْفِ الْبَلَاءِ
وَالضَّرِّ عَنْهُمْ، وَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ هُوَ خُبْتُ
طَوِيَّتِهِمْ، وَمَا رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ وَالْعِصْيَانِ. ثُمَّ
يَتَوَعَّدُهُمْ تَعَالَى وَيَقُولُ لَهُمْ: أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، وَتَمَتَّعُوا بِمَا أَنْتُمْ فِيهِ
قَلِيلًا، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ.

(رَزَقْنَاهُمْ) (لِتُسَالَنَ)

(٥٦) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، جَعَلُوا
لِلْأَضْنَامِ وَالْأَوْتَانِ الَّتِي لَا يَعْلَمُونَ لَهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، نَصِيبًا مِمَّا رَزَقَهُمُ
اللَّهُ. فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ لَيْسَ أَلَنَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْإِفْتِرَاءِ وَالْإِفْكَ،
وَلِيُقَابِلَنَّهُمْ عَلَيْهِ، وَلِيَجَازِيَنَّهُمْ أَوْفَى الْجَزَاءِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(قَوْلُهُ تَعَالَى: وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ - أَيِ الْإِلَهَةِ الَّتِي عَبَدُوهَا وَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ لَهَا شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَتَوَفَّرَ فِيْمَنْ يُعْبَدُ).
تَفْتَرُونَ - تَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ.

٥٣ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ

إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ

٥٤ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا

فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ

٥٥ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

٥٦ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا

مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لِيُسَالَنَ عَمَّا

كُفَرْتُمْ تَفْتَرُونَ

(النَّبَات) (سُبْحَانَهُ)

﴿٥٧﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ،

وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ

﴿٥٨﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ

وَجْهَهُ سَوْدًا وَهُوَ كَظِيمٌ

(يَتَوَارَى)

﴿٥٩﴾ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ

بِهِ أَيَمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ

فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

(٥٧) - ثُمَّ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا، وَجَعَلُوهَا بَنَاتٍ لِلَّهِ، يَعْبُدُونَهَا مَعَهُ، فَنَسَبُوا إِلَيْهِ تَعَالَى الْوَلَدَ، وَهُوَ تَنْزَعُ اسْمُهُ لَا وَلَدَ لَهُ، ثُمَّ جَعَلُوا الْبَنَاتِ لَهُ، وَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِم الذُّكُورَ، لِأَنَّهُمْ يَشْتَهُونَ أَنْ يَكُونَ أَبْنَاؤُهُمْ مِنَ الذُّكُورِ، وَقَدْ أَنْفَوْا هُمْ لِأَنْفُسِهِم الْبَنَاتِ، وَنَسَبُوهَا إِلَى اللَّهِ.

(٥٨) - وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدٌ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتٍ لِلَّهِ، بِوِلَادَةِ أُنْثَىٰ لَهُ اعْتَرَاهُ الْحُزْنُ، وَعَلَتْهُ الْكَآبَةُ، وَظَلَّ سَاكِنًا يَكْظِمُ غَيْظَهُ، وَيَحَاوِلُ أَنْ يُخْفِيَهُ مِنْ شِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ. وَهُوَ كَظِيمٌ - وَهُوَ مُمْتَلِئٌ غَيْظًا فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ.

(٥٩) - يَتَوَارَى عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ خَجَلًا وَحَيَاءً، لِكَيْلَا يَرَوْهُ مِنْ شِدَّةِ مَسَاءَتِهِ مِمَّا بُشِّرَ بِهِ، وَيَظَلُّ حَائِرًا مُتَرَدِّدًا فِي أَمْرِهَا، فَإِنْ أَبْقَاهَا أَبْقَاهَا مُهَانَةً (عَلَى هُونٍ)، لَا يُوْرِنُهَا، وَلَا يَغْتَنِي بِهَا، وَيُفْضِلُ أَوْلَادَهُ الذُّكُورَ عَلَيْهَا، وَإِلَّا وَأَدَاهَا وَدَفَنَهَا فِي التُّرَابِ وَهِيَ حَيَّةٌ (يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ)، كَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَهَذَا الْمَخْلُوقُ (الْأُنْثَى) الَّذِي يَكْرَهُهُ كُلُّ هَذِهِ الْكَرَاهِيَّةِ، وَيَأْبُوْنَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، يَجْعَلُونَهُ لِلَّهِ؛ يَنْسَبُ مَا قَالُوا، وَيَنْسَبُ مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ، وَيَنْسَبُ مَا قَسَمُوا.

يَتَوَارَى - يَسْتَخْفِي وَيَتَغَيَّبُ.

عَلَى هُونٍ - عَلَى هَوَانٍ وَذُلٍّ.

يَدُسُّهُ - يُخْفِيهِ بِالْوَادِ، وَيَدْفِنُهُ حَيًّا.

(الْآخِرَةُ)

﴿٦٠﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ

السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(٦٠) - لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِوُجُودِ حَشَرٍ وَلَا نَشْرِ وَلَا حِسَابٍ، صِفَةُ السَّوْءِ وَالنَّقْصِ، الَّتِي تَحْمِلُهُمْ عَلَى تَفْضِيلِ الذُّكُورِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ عَلَى الْإِنَاثِ، لِبِقَاءِ ذِكْرِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَلِلْإِسْطِظْهَارِ وَالْإِسْتِنْصَارِ بِهِمْ، وَصِفَةُ النَّقْصِ هَذِهِ هِيَ الَّتِي تَدْفَعُهُمْ إِلَى وَإِدِ الْبَنَاتِ، وَالتَّخْلُصِ مِنْهُنَّ خَشْيَةَ الْعَارِ أَوْ الْفَقْرِ.

وَلِلَّهِ تَعَالَى الصِّفَةُ الْعُلْيَا، الَّتِي لَا يَعْتَرِيهَا نَقْصٌ، لِأَنَّهُ تَعَالَى الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْمُنَزَّاهُ عَنْ حَاجَتِهِ لِلْوَلَدِ، وَلَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَالْقُدْرَةِ

وَالْعِلْمَ وَالْإِرَادَةَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمَنِيعُ، تَكَبَّرَ وَجَلَّالًا، لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ الْبَالِغَةُ.
مَثَلُ السُّوءِ - صِفَتُهُ الْقِيحَةُ مِنَ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ.

(يَسْتَخِرُونَ)

(٦١) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بَأَنَّهُ يَحْلُمُ عَلَى الْعَصَاةِ مِنَ الْبَشَرِ، مَعَ ظُلْمِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجَلُ بِمُؤَاخَذَتِهِمْ بِأَفْعَالِهِمْ، وَبِمَا كَسَبُوا، وَلَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لَأَهْلَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، وَلَمْ يَتْرِكْ عَلَى ظَهَرِهَا مَخْلُوقًا يَدِبُ عَلَيْهَا. وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَحْلُمُ عَلَى الْعَصَاةِ، وَيَسْتُرُ عَلَيْهِمْ عُيُوبَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى الْيَوْمِ الْمَحْدَدِ لَهُمْ، فَإِذَا جَاءَ الْأَجَلُ لَا يُمَهِّلُونَ لِحِطَّةٍ وَاحِدَةً.

(٦٢) - وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ بَنَاتٍ وَشُرَكَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُمْ يَأْنِفُونَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِهِمْ بِنْتُ أَوْ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، وَيَقُولُونَ، كَذِبًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ: إِنَّ لَهُمُ الْعَاقِبَةَ الْحُسْنَى عِنْدَ اللَّهِ، إِذَا بُعِثُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَجَمَعُوا عَمَلَ السُّوءِ (الْكُفْرَ وَنِسْبَةَ الْبَنَاتِ وَالشُّرَكَاءِ لِلَّهِ)، مَعَ تَعْنِيهِمُ الْبَاطِلَ الْمُحَالَّ، بِأَنْ يُجَازِيَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ جَزَاءً حَسَنًا، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: لَا شَكَّ (لَا جَرَمَ) أَنَّ لَهُمْ، عِنْدَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، النَّارَ، وَأَنَّهُ سَيُعْجَلُ بِهِمْ إِلَيْهَا، وَيُنْسَوْنَ فِيهَا فَيُخْلَدُونَ فِيهَا أَبَدًا.

لَا جَرَمَ - لَا شَكَّ - أَوْ حَقًّا.

مُفْرَطُونَ - مُقَدَّمُونَ وَمُعْجَلٌ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ: أَفْرَطَهُ إِلَى كَذَا أَيْ قَدَّمَهُ.

(الشَّيْطَانُ) (أَعْمَالُهُمْ)

(٦٣) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ رُسُلًا يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ مُعْزِيًا وَمُسَلِّيًا: لَقَدْ كَذَّبْتَ الْأُمَمَ رُسُلَهَا فَلَكِ يَا مُحَمَّدُ بِالْمُرْسَلِينَ قَبْلَكَ أَسُوءُ، فَلَا يُهْمُنُكَ تَكْذِيبُ قَوْمِكَ لَكَ. وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِالرُّسُلِ إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْطَانُ الَّذِي زَيَّنَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وَضَلَالٍ، وَعِبَادَةِ أَوْثَانٍ وَأَصْنَامٍ وَفَسَادٍ فِي الْأَرْضِ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُجَازِي اللَّهُ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ جَزَاءً عَادِلًا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَكَفَرُوا، وَيُلْقَوْنَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا يَمْلِكُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ خَلَصًا، وَلَا نَصْرًا فَيَذْهَبُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

﴿٦١﴾ وَلَوْ تَوَخَّاهُ اللَّهُ النَّاسَ يَظْلِمُهُمْ

مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَآئِبَةٍ وَلَكِنْ
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا
جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُّونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ

﴿٦٢﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ

وَصَفَّ السَّيِّئَاتِ كَذِبًا أَنَّ
لَهُمُ الْحُسْنَى لِأَجْرَمَ أَنَّ لَهُمُ
النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ

﴿٦٣﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ

قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَآلِهِمُ الْيَوْمَ وَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ

تَاللّٰهِ - فَسَمَّ يَغْنِي وَاللّٰهُ .

(الْكِتَاب)

(٦٤) - يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالَى : إِنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ مِنْ دِينِ اللّٰهِ ، وَلِيَعْرِفُوا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَيُقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ الَّتِي بَعَثَهُ اللّٰهُ بِهَا . وَالْقُرْآنُ هُدًى لِلْقُلُوبِ الضَّالَّةِ ، وَرَحْمَةٌ لِّمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ فَاصِلٌ بَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَا يَتَنَازَعُونَ فِيهِ .

(٦٥) - بَعْدَ أَنْ وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ وَأَوْعَدَ الْكُفَّارَ بِالنَّارِ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ ، عَادَ تَعَالَى إِلَى التَّذْكِيرِ بِالْذَّلِيلِ عَلَى وُجُودِهِ سُبْحَانَهُ ، وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ، فَقَالَ : وَكَمَا جَعَلَ اللّٰهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ حَيَاةً لِلْقُلُوبِ الْمَيِّتَةِ ، كَذَلِكَ جَعَلَ اللّٰهُ الْمَاءَ حَيَاةً لِلْأَرْضِ ، فَهُوَ يُنْزِلُ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَيَنْبُتُ فِيهَا الزَّرْعُ وَالْأَشْجَارُ وَالنَّبَاتُ ، وَيُخْرِجُ الثَّمَارَ وَالْحُبُوبَ ، وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ الْكَلَامَ ، وَيَفْهَمُونَ مَعْنَاهُ .

(الْأَنْعَام) (سَائِغًا) (لِلشَّارِبِينَ)

(٦٦) - وَإِنَّ لَكُمْ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، فِي الْأَنْعَامِ لَآيَةً وَاعْبُرُوا ، وَدَلَالَةً عَلَى حِكْمَةِ الْخَالِقِ ، وَرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ . فَهُوَ تَعَالَى يَسْقِي النَّاسَ مِمَّا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ لَبَنًا خَالِصًا صَافِيًا ، طَيِّبَ الْمَذَاقِ وَالطَّعْمِ ، لَا يَغْضُ بِهِ شَارِبٌ ، وَلَا تَشْمِئُزُ مِنْهُ نَفْسُهُ (سَائِغًا) ، بَعْدَ أَنْ يَتَحَوَّلَ طَعَامُ الْحَيَوَانِ فِي بَطْنِهِ إِلَى دَمٍ وَلَبَنٍ وَفَضْلَاتٍ (فَرَثٍ) ، فَيَجْرِي كُلُّ إِلَى مَوْضِعِهِ خَالِصًا لَا يَشُوبُهُ الْآخِرُ وَلَا يُخَالِطُهُ ، وَلَا يُؤَثِّرُ عَلَيْهِ .

فَرَثٌ - مَا فِي الْكَرْسِ مِنَ الثَّقَلِ .

لَعِبْرَةٌ - لَعِظَةٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللّٰهِ .

(ثَمَرَاتِ) (وَالْأَعْنَابِ)

(٦٧) - وَتَتَخَذُ النَّاسُ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ أَشْرِبَةً ، مِنْهَا النَّبِيذُ الْمُسْكِرُ (وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ) ، وَمِنْهَا الرُّزُقُ الْحَسَنُ : كَالدَّبْسِ وَالْعَصِيرِ وَالْخَلِّ . . . إلخ وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ لِذَوِي الْعُقُولِ السَّالِمَةِ ، وَاعْبُرُوا لَهُمْ بِاللَّعَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى بَدِيعِ صُنْعِ اللّٰهِ .

١٦ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا

لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

١٦ وَاللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

١٦ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا

مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرَثٍ وَدَمٍ
لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ

١٧ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ

نَتَخَذُونَ مِنْهُ مَسْكِرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ

(وَقَالَ آتَيْنُ عَبَّاسَ : السَّكْرُ هُوَ مَا حُرِّمَ مِنْ ثَمَرَتِي النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ،
وَالرَّزْقَ الْحَسَنُ هُوَ مَا أُجِلَّ مِنْهُمَا).

السَّكْرُ - الْمُسْكِرُ أَوْ الْخَمْرُ.

(٦٨) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّهُ أَلْهِمَ النَّحْلَ، وَأَرْشَدَهَا (أَوْحَى إِلَيْهَا) أَنْ
تَجْعَلَ لَهَا بُيُوتًا فِي الْجِبَالِ تَأْوِي إِلَيْهَا، وَفِي الْأَشْجَارِ، أَوْ فِيمَا يَغْرِشُهُ
النَّاسُ مِنَ الْأَشْجَارِ الْمَرْفُوعَةِ عَلَى الْعَرَائِشِ. (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى وَمِمَّا
يَغْرِشُونَ هُوَ مِمَّا يَبْنِي النَّاسُ مِنَ الْخَلَايَا لِلنَّحْلِ).

أَوْحَى - أَلْهِمَ وَأَرْشَدَ وَسَخَّرَ.

بُيُوتًا - أَوْكَارًا تَبْنِيهَا لِتَضَعَ الْعَسَلُ فِيهَا.

(الْثَمَرَاتِ) (الْوَانِئَةِ)

(٦٩) - ثُمَّ هَذَا هُوَ اللَّهُ إِلَى أَنْ تَأْكُلَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، وَأَنْ تَسْلُكَ الطَّرِيقَ
الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ مَذْلَلَةً لَهَا مُسَهَّلَةً عَلَيْهَا، حَيْثُ شَاءَتْ فِي الْفَضَاءِ
الْوَاسِعِ، وَأَرْشَدَهَا اللَّهُ إِلَى الْإِهْتِدَاءِ إِلَى أَوْكَارِهَا وَمَسَاكِينِهَا. وَيَخْرُجُ مِنْ
بُطُونِ هَذِهِ النَّحْلِ شَرَابٌ (عَسَلٌ)، مُخْتَلِفُ الْأَلْوَانِ، بِحَسَبِ الْمَرَاغِي
الَّتِي يَأْكُلُ مِنْهَا النَّحْلُ، وَهَذَا الْعَسَلُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ مِنْ أَمْرَاضٍ
تَعْرِضُ لَهُمْ.

وَفِي الْإِهَامِ اللَّهُ لِهَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ الضَّعِيفَةِ الْخَلْقَةِ، إِلَى بِنَاءِ الْبُيُوتِ
وَجَمْعِ الْعَسَلِ وَالشَّمْعِ... آيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فِي ذَلِكَ الصَّنْعِ
الْعَجِيبِ، فَيَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ الْقَادِرِ الْحَكِيمِ.

ذُلًّا - مَذْلَلَةً مُسَهَّلَةً لَكَ.

(يَتَوَفَّكُمُ)

(٧٠) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَصَرُّفِهِ فِي عِبَادِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَهُمْ مِنْ
الْعَدَمِ، وَوَقَّتَ أَعْمَارَهُمْ بِأَجَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، ثُمَّ يَتَوَفَّاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، حِينَ
تَحِينُ أَجَالُهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَعَجَّلَ وَفَاتَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَّرَ، حَتَّى يَذُرُّهُ
الْهَرَمُ فَيَصِيرَ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، فَتَضَعُفُ قُوَّاهُ، وَتَضَعُفُ ذَاكِرَتُهُ، وَيُضِيبُهُ
الْخَرَفُ، فَيَنْسَى مَا كَانَ يَحْفَظُ، وَتَخْتَلِطُ عَلَيْهِ الْأُمُورُ لِضَعْفِ قُوَّاهُ
الْعَقْلِيَّةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ عَالِمًا. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ.

أَرْذَلِ الْعُمُرِ - أَرْذَوُهُ وَأَخْسَهُ (الْخَرَفُ أَوْ الْهَرَمُ).

وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ
مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا
يَغْرِشُونَ

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي
سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ
بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ
فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّكُمُ وَمِنْكُمْ
مَنْ يَرْدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ
بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

(أَيْمَانُهُمْ)

(٧١) - وَاللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ النَّاسَ مُتَفَارِقِينَ فِي الرِّزْقِ، فَفَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَمْ يَكُنِ الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِالرِّزْقِ الْوَافِرِ لِيَقْبَلُوا فِي إِشْرَاكِ مَمَالِيكِهِمْ وَعَبِيدِهِمْ وَنِسَائِهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَهُمْ بِشَرِّ مِثْلِهِمْ، وَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَرُدُّوا مَا فَضَّلَ عَنْهُمْ مِنَ الرِّزْقِ عَلَى عِبِيدِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، فَيَتَسَاوَوْا هُمْ وَإِبَاهُمْ فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَطْعَمِ وَالْمَسْكَنِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَرْضَوْا بِهَذِهِ الْمُسَاوَاةِ، مَعَ أَنَّهُمْ بِشَرِّ مِثْلِهِمْ. فَكَيْفَ يَرْضَوْنَ لِلَّهِ مَا لَا يَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ؟ وَكَيْفَ يُشْرِكُونَ عَبْدَ اللَّهِ مَعَهُ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ؟ وَكَيْفَ يَجْحَدُونَ هَؤُلَاءِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَيُشْرِكُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ؟ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ - أَفَهُمْ فِي الرِّزْقِ مُسْتَوُونَ؟ لَا.

(أَزْوَاجًا) (أَزْوَاجُكُمْ) (الطَّيِّبَاتِ) (أَفْبَالُ الْبَاطِلِ)

(٧٢) - وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لِلنَّاسِ أَزْوَاجًا مِنْ جِنْسِهِمْ (مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، يَأْتُسُونَ بِهِنَّ، وَيَقُومُ بِهِنَّ جَمِيعُ مَصَالِحِهِمْ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْهُنَّ بَنِينَ وَأَحْفَادًا (حَفَدَةً - أَوْلَادَ الْأَوْلَادِ) وَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ (مِنْ مَأْكَلٍ وَمَلْبَسٍ وَمَشْرَبٍ...) وَكُلُّ هَذَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ، فَكَيْفَ يَكْفُرُ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ، وَيَجْحَدُونَ نِعْمَهُ، وَيُضِيفُونَهَا إِلَى غَيْرِهِ؟ وَكَيْفَ يَزُومُونَ بِالْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ (بِالْبَاطِلِ)؟

حَفَدَةً - أَبْنَاءُ الْبَنِينَ - أَوْ خَدَمًا وَأَعْوَانًا.

(السَّمَاوَاتِ)

(٧٣) - إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَتَسَوَّنَ نِعَمَ اللَّهِ كُلَّهَا عَلَيْهِمْ، وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ، وَمَا لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِرِزْقٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَلَا مِنَ الْأَرْضِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْزِلَ الْمَطَرَ عَلَيْهِمْ، وَلَا أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ زُرُوعًا أَوْ شَجَرًا أَوْ ثَمَرًا؛ وَلَا يَمْلِكُ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَوْ أَرَادَهُ (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ).

(٧٤) - وَإِذْ ثَبَتَ لَكُمْ عَدَمَ نَفْعِ غَيْرِ اللَّهِ لَكُمْ، فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَمْثَالًا، وَلَا تُشَاهِدُوهُ بِخَلْقِهِ (فَلَا تُضَرِّبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ وَيَشْهَدُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنْتُمْ بِجَهْلِكُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ غَيْرَهُ، وَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

(٧١) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ

فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا
بِرَأْدِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ
اللَّهِ يَجْحَدُونَ

(٧٢) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ
هُمْ يَكْفُرُونَ

(٧٣) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ

لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ

(٧٤) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ

يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(رَزَقْنَاهُ) (يَسْتَوُونَ)

(٧٥) - مَثَلُكُمْ فِي إِشْرَاكِكُمْ بِاللَّهِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، مَثَلُ مَنْ سَوَّى بَيْنَ عَبْدٍ مَمْلُوكٍ عَاجِزٍ عَنِ التَّصَرُّفِ، وَبَيْنَ رَجُلٍ حُرٍّ يَمْلِكُ مَالًا يُنْفِقُ مِنْهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَتَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يُرِيدُ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ تَفَاوُتٍ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى التَّصَرُّفِ، كَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ الْإِلَهِ الْقَادِرِ عَلَى الرِّزْقِ وَالْإِفْضَالِ، وَبَيْنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ شَيْئًا، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ.

(مَوْلَاهُ) (صِرَاطِ)

(٧٦) - وَضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ وَلِلْإِلَهِةِ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَصْنَامٍ وَغَيْرِهَا، مَثَلِ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَخْرَسَ أُصَمٌّ لَا يَفْهَمُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِهِ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ عَالَةٌ عَلَى مَنْ يَعُولُهُ وَيَلِي أَمْرَهُ، وَإِذَا أُرْسِلَهُ مَوْلَاهُ فِي أَمْرٍ لَا يَرْجِعُ بِنَجَاحٍ وَلَا تَوْفِيقٍ.

وَالْآخَرُ رَجُلٌ سَوِيٌّ، سَلِيمٌ الْحَوَاسِ، عَاقِلٌ يَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَنْفَعُ غَيْرَهُ، يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ عَلَى سِيرَةٍ صَالِحَةٍ، وَدِينٍ قَوِيمٍ، فَهَلْ يَسْتَوِيَانِ؟ وَكَذَلِكَ الصَّنَمُ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَنْطِقُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُوَ عَالَةٌ عَلَى مَنْ يَصْنَعُهُ، وَهُوَ لَا يَعْقِلُ وَلَا يَنْطِقُ، فَهَلْ يَسْتَوِي هَذَا الصَّنَمُ مَعَ اللَّهِ الْقَادِرِ الْقَاهِرِ، مَالِكِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، وَمُدَبِّرِ أَمْرِ الْوُجُودِ كُلِّهِ؟

وَاللَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُ عِبَادَهُ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِه لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ. أَبْكُمْ - أَخْرَسَ خَلْقَهُ.

هُوَ كُلٌّ - عِبَاءٌ وَعِيَالٌ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٧٧) - وَاللَّهُ عَلِمَ مَا غَابَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، مِمَّا لَا سَبِيلَ إِلَى إِدْرَاكِهِ حِسًّا، وَلَا فَهْمِهِ عَقْلًا، وَهُوَ تَعَالَى يَخْتَصُّ بِعِلْمِهِ مَوْعِدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَقِيَامِ الْقِيَامَةِ. وَحُدُوثُ السَّاعَةِ الَّتِي يَقِفُ الْخَلَائِقُ فِيهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْحِسَابِ، كَرَجْعِ الْبَصَرِ، وَطَرْفَةِ الْعَيْنِ، فِي السَّرْعَةِ، فَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَا يَكْرُرُ اللَّهُ تَعَالَى

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ آثَرِ رَحْمَتِنَا فَيُؤْتِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

وَلِلَّهِ عِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أَمْرُهُ ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ﴾^(١). وَاللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

كَلِمَةً الْبَصَرِ - كَخَطْفَةِ الْبَصَرِ، أَوْ اخْتِلَاسِ النَّظَرِ.

(أُمَهَاتِكُمْ) (الْأَبْصَارَ)

(٧٨) - ثُمَّ يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى مَنَّةَ عَلَى خَلْقِهِ فِي إِخْرَاجِهِمْ مِنْ بُطُونِ أُمَهَاتِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا يَرِزُهُمُ السَّمْعَ، الَّذِي يُدْرِكُونَ بِهِ الْأَصْوَاتَ، وَيُمَيِّزُونَهَا، وَالْأَبْصَارَ الَّتِي يَرَوْنَ بِهَا، وَالْأَفْئِدَةَ (الْعُقُولَ)، الَّتِي يَتَدَبَّرُونَ بِهَا الْأُمُورَ، وَهُوَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَى الْإِنْسَانَ هَذِهِ الْجَوَارِحَ لِيَتِمَّكَّنَ بِهَا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَشُكْرِهِ عَلَى نِعَمِهِ بِاسْتِعْمَالِ هَذِهِ النِّعَمِ، فِيمَا خَلَقَتْ لَهُ.

وَإِذَا أَخْلَصَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ الطَّاعَةَ لِلَّهِ، كَانَتْ أَعْمَالُهُ كُلُّهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(مُسَخَّرَاتٍ) (لَايَاتٍ)

(٧٩) - أَلَمْ يَنْظُرْ، هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ، إِلَى الطَّيْرِ مُذَلَّلَاتٍ لِلطَّيْرَانِ فِي الْفَضَاءِ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، مَا يُمَسِّكُهُنَّ فِي جَوْ السَّمَاءِ عَنِ الْوُقُوعِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقُدْرَتِهِ، وَقَدْ كَانَ فِي ثِقَلِ أَجْسَامِهَا مَا يَقْتَضِي وَقُوعَهَا. وَلَوْ سَلَبَهَا اللَّهُ مَا أَعْطَاهَا مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى الطَّيْرَانِ لَمْ تَسْتَطِعِ النُّهُوضَ، وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

(الْأَنْعَامِ) (أَثَانًا) (وَمَتَاعًا)

(٨٠) - جَعَلَ اللَّهُ لِلنَّاسِ بُيُوتَهُمْ سَكَنًا لَهُمْ يَأْوُونَ إِلَيْهَا، وَيَسْتَبْتِرُونَ بِهَا، وَيَنْتَفِعُونَ مِنْهَا. وَجَعَلَ لَهُمْ مِمَّا عَلَى جُلُودِ الْأَنْعَامِ مِنْ أَشْعَارٍ وَأَصْوَافٍ وَأَوْبَارٍ (أَوْ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ جُلُودِهَا) بُيُوتًا يَسْتَخِفُّونَ حَمَلَهَا فِي أَسْفَارِهِمْ وَفِي إِقَامَتِهِمْ، كَمَا جَعَلَ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ مِنْ أَصْوَابِ الْأَنْعَامِ وَأَوْبَارِ الْجِمَالِ، وَأَشْعَارِ الْمَاعِزِ أَثَانًا لِبُيُوتِهِمْ (مِنْ فُرَشٍ وَبُسْطٍ)، وَثِيَابًا يَلْبَسُونَهَا، وَمَالًا لِلتِّجَارَةِ، وَمَتَاعًا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ إِلَى أَنْ تَحِينَ أَجَالُهُمْ، (إِلَى حِينٍ).

تَسْتَخِفُّونَهَا - تَسْتَخِفُّونَ حَمَلَهَا، تَجِدُونَهَا خَفِيفَةً عِنْدَ الْحَمْلِ.

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ

أُمَهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ

شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ

فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ

إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ

سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ

الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ

ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ

وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا

وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ

يَوْمَ ظَعْنِكُمْ - وَفَتَ تَرَحَالِكُمْ .

أَثَانًا - مَتَاعًا لِيُؤْتِكُمْ كَالْفُرْشِ .

مَتَاعًا - تَتَفَعَّلُونَ بِهِ فِي مَعَايِشِكُمْ وَمَتَاجِرِكُمْ .

(ظِلَالًا) (أَكْنَانًا) (سَرَابِيلَ)

(٨١) - وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ جَعَلَ لَهُمْ مِمَّا خَلَقَ، مِنَ الشَّجَرِ وَالْجِبَالِ، ظِلَالًا يَفِيثُونَ إِلَيْهَا، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْجِبَالِ كُھُوفًا يَسْتَكُونُونَ فِيهَا، وَمَعَاقِلَ (أَكْنَانًا)، وَجَعَلَ لَهُمْ ثِيَابًا وَأَرْدِيَةً وَأَعْطِيَةً (سَرَابِيلَ) تَقِيهِمُ الْحَرَّ (مِنَ الْقَطَنِ وَالصُّوفِ وَالْكُتَّانِ . . وَغَيْرِهَا)، وَسَرَابِيلَ تَقِيهِمُ بَأْسَ الْحَدِيدِ وَالسَّلَاحِ فِي الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ، (هِيَ السُّدُرُوعُ مِنَ الْحَدِيدِ الْمُصَفَّحِ وَالزَّرْدِ وَالْجُلُودِ وَغَيْرِهَا .) وَهَكَذَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى أُمُورِكُمْ، وَمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لِيَكُونَ عَوْنًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، لَعَلَّكُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَتُسَلِّمُونَ إِلَيْهِ .

الإِسْلَامُ - اسْتِسْلَامٌ وَسَكَنٌ وَرُكُوءٌ .

ظِلَالًا - أَشْيَاءٌ تَسْتَظِلُّونَ بِهَا .

أَكْنَانًا - مَوَاصِعَ تَسْكُنُونَ فِيهَا (كَالْغَيْرَانِ) .

سَرَابِيلَ - مَلَابِسٌ أَوْ دُرُوعًا .

تَقِيَكُمْ بِأَسْكُمُ - تَقِيَكُمْ الضَّرْبَ وَالطَّعْنَ أَثْنَاءَ الْقِتَالِ .

(الْبَلَاغُ)

(٨٢) - فَإِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَى غِييِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَنْ أَتْبَاعِ الْحَقِّ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّتْ لَهُمْ وَوَضَّحَتْ، وَأُبْلَغَتْهُمْ رِسَالَةُ رَبِّهِمْ . . فَلَا عَلَيْكَ مِنْهُمْ، وَلَا تُهْلِكُ نَفْسُكَ حُزْنَاً عَلَيْهِمْ، فَأَنْتَ مُكَلَّفٌ بِإِبْلَاجِهِمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَقَدْ أَدَيْتَ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ .

(نِعْمَةٌ) (الْكَافِرُونَ)

(٨٣) - وَهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِمْ بِجَمِيعِ هَذِهِ النِّعَمِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، فَاصْبَحَ أَكْثَرُهُمْ كَافِرِينَ .

(٨٤) - وَحَذَّرَ أَيُّهَا الرُّسُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ

ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ

الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ

لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمْ

الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمْ

بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يَتَرَنَّ نِعْمَتَهُ

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ

الْمُبِينُ

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ

يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ

الْكَافِرُونَ

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي يَبْعَثُ اللَّهُ فِيهِ الْخَلْقَ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْحِسَابِ، ثُمَّ يَأْتِي مَنْ
كُلُّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ عَلَيْهَا هُوَ نَبِيُّهَا، يَشْهَدُ عَلَيْهَا، بِمَا أَجَابَتْهُ بِهِ حِينَ مَا بَلَغَهَا
رِسَالَةُ رَبِّهِ، ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا - بَعْدَ شَهَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ - بِالْكَلَامِ
وَالْإِعْتِذَارِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ بَطْلَانَ مَا سَيَعْتَدِرُونَ بِهِ وَكَذِبَهُ، وَلَا يُطْلَبُ
مِنْهُمْ أَنْ يَسْتَرْضُوا رَبَّهُمْ، وَيُزِيلُوا عَنِّهِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، لِأَنَّهُ قَدْ فَاتَ
أَوَانَ الْعِتَابِ وَالْإِسْتِرْضَاءِ.

وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ - لَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ اسْتِرْضَاءُ رَبِّهِمْ.

(رَأَى)

(٨٥) - وَحِينَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأَشْرَكُوا بِهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ،
الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا يُنْجِيهِمْ مِنْهُ شَيْءٌ، إِذْ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ بِالْإِعْتِذَارِ
فَيَعْتَدِرُونَ فَيُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، بِهَذَا الْعَذْرِ، وَلَا يُمَهِّلُونَ لِلتَّوْبَةِ، لِأَنَّ
وَقْتَ التَّوْبَةِ قَدْ فَاتَ، فَيَأْخُذُهُمُ الْعَذَابُ سَرِيعاً دُونَ إِطْأَاءٍ، وَيَكُونُ
عَذَابُهُمْ مُسْتَمِراً مُتَوَاصِلاً فِي شِدَّتِهِ، لَا يَتَوَقَّفُ لِحَظَةٍ، وَلَا يُخَفَّفُ وَلَا
يَقْتَرُ.

لَا يُنْظَرُونَ - لَا يُمَهِّلُونَ وَلَا يُؤْخَرُونَ.

(رَأَى) (نَدَعُو) (لَكَاذِبُونَ)

(٨٦) - وَحِينَ يَرَى الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَهَتَهُمُ الَّذِينَ أَشْرَكُوهُمْ
بِالْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ، يَقُولُونَ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْجَبَّارُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ كُنَّا
نَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِكَ. وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا
سَبَبَ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَصَرَفَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ الْحَقِّ، فَيَرُدُّ هَؤُلَاءِ
الْمُعْبُودُونَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَائِلِينَ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ نَحْنُ لَمْ نَأْمُرْكُمْ بِعِبَادَتِنَا،
وَأَنْتُمْ لَمْ تَعْبُدُونَا وَلَكِنْ عَبْدْتُمْ أَهْوَاءَكُمْ.

(يَوْمَئِذٍ)

(٨٧) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَجِدُ الْمُشْرِكُونَ أَنْفُسَهُمْ فُرَادَى ضِعَافاً أَمَامَ اللَّهِ
الْقَوِيِّ الْجَبَّارِ، وَيُعَابِنُونَ الْعَذَابَ وَتَلْفَتُونَ فَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ وَلِيّاً وَلَا
نَاصِراً مِنْ دُونِهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ كُفْرَهُمْ وَإِجْرَامَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَيَذَلُّونَ
وَيَسْتَكِينُونَ لِلَّهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ الْأَرْبَابَ هُمُ الَّذِينَ يُلْقُونَ السَّلَامَ اللَّهُ، وَالْوَاقِعَ أَنَّهُمْ جَمِيعاً
الْعَابِدُونَ وَالْمُعْبُودُونَ يُلْقُونَ السَّلَامَ لِلَّهِ الْعَظِيمِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
الْعَصِيبِ).

ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ

٨٥ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ

فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ

٨٦ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا

شُرَكَاءَ هُمْ قَالُوا رَبَّنَا

هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ

كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا

إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ

لَكَاذِبُونَ

٨٧ وَالْقَوْلَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

وَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُمْ وَتَلَّاشَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفْتِرَاءً وَكَذِبًا عَلَى اللَّهِ .

السَّلَامُ - الاستِسْلَامُ والْإِتْقَادُ لِحِكْمَةِ اللَّهِ .

(رَدْنَاهُمْ)

(٨٨) - أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَقَامُوا بِصَدِّ النَّاسِ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَاتَّبَاعِ الرُّسُلِ فَيَزِيدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَذَابًا، يُعَذِّبُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَلَى صَدِّ النَّاسِ عَنِ الْإِيمَانِ، وَعَلَى الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ . (وهذا دليل على تفاوت الكفار في العذاب) .

(الْكِتَابِ) (تَبَيَّنًا)

(٨٩) - وَادَّكَّرْ يَا مُحَمَّدُ لِكُفَّارِ قَوْمِكَ مَا سَيَحْصُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذْ يُحْضَرُ اللَّهُ نَبِيَّ كُلِّ أُمَّةٍ لِيَكُونَ شَاهِدًا عَلَيْهَا، عَلَى أَنَّهُ دَعَاها إِلَى اللَّهِ، وَأَنْذَرَهَا عِقَابَهُ، وَحَذَّرَهَا عَذَابَهُ، ثُمَّ نَأْيِي بِكَ لِتَشْهَدَ عَلَى قَوْمِكَ (هَؤُلَاءِ)، وَمَا أَجَابُوكَ بِهِ حِينَ دَعَوْتَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ . وَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُهُ النَّاسُ، فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، وَفِي أُمُورِ مَعَاشِهِمْ، وَهُوَ هُدًى لِلْقُلُوبِ، وَرَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، إِذْ يَدُلُّهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالرَّشَادِ، وَفِيهِ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ .

(الْإِحْسَانِ) (وَإِتْيَاءِ)

(٩٠) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ، وَيَنْدُبُ إِلَى الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ، وَيَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّجِمِ وَإِعْطَاءِ ذَوِي الْقُرْبَى مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَيَنْهَى عَنِ ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْفَوَاحِشِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، مِمَّا يَأْتِيهِ الْعَبْدُ سِرًّا وَخَفِيَّةً . وَاللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالشَّرِّ، لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ مَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِي الْفِطْرَةِ مِنْ وَحْيٍ قَوِيمٍ أَصِيلٍ، فَتَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ .

الْعَدْلُ - الْإِعْتِدَالُ وَالتَّوَسُّطُ فِي الْأَمْرِ .

الْإِحْسَانُ - إِتْقَانُ الْعَمَلِ ، أَوْ نَفْعُ الْخَلْقِ .

الْفَحْشَاءُ - الذُّنُوبُ الْمُفْرِطَةُ فِي الْقُبْحِ .

الْمُنْكَرُ - مَا تُنْكِرُهُ الْعُقُولُ مِنَ الْمَسَاوِيءِ .

٨٨ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ رَدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ

٨٩ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا
بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنًا
لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ



٩٠ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي
الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

الْبَغْيِ - الظُّلْمِ وَالتَّعَدِّي وَالتَّطَاوُلِ عَلَى النَّاسِ .

(عَاهَدْتُمْ) (الْإِيمَانَ)

(٩١) - وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ إِذَا وَاقَعْتُمُوهُ، وَعَقْدُهُ إِذَا عَاقَدْتُمُوهُ، فَأَوْجَبْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ حَقًّا لِمَنْ عَاقَدْتُمُوهُمْ وَوَأْتَقُتُمُوهُمْ عَلَيْهِ (وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ كُلُّ عَقْدٍ يَلْتَزِمُ بِهِ الْإِنْسَانُ بِاخْتِيَارِهِ) وَأَشْهَدْتُمْ اللَّهَ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ . وَلَا تُخَالِفُوا مَا عَقَدْتُمْ فِيهِ الْإِيمَانَ، وَشَدَّدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ شَاهِدًا وَرَاعِيًّا عَلَيْكُمْ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مِنْ وَفَاءٍ وَخَلْفٍ، وَبِرٍّ وَخَنَثٍ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى مَا تَفْعَلُونَ .
كَفِيلًا - شَاهِدًا أَوْ رَقِيبًا أَوْ ضَامِنًا .

(أَنْكَاثًا) (أَيْمَانَكُمْ) (الْقِيَامَةِ)

(٩٢) - قِيلَ إِنَّهُ كَانَتْ فِي مَكَّةَ أَمْرَاءٌ مُلْتَأَتُهُ الْعَقْلَ تَعَزَّلُ غَزَلَهَا فِي النَّهَارِ، ثُمَّ تَعَوَّذُ فَنَقُضُهُ فِي اللَّيْلِ (أَنْكَاثًا)، وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِعْلَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْمُلْتَأَتَةِ الْعَقْلَ مَثَلًا لِلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاقِفَهُمْ تَحْضِيرًا لَهُمْ، وَتَفْصِيحًا لِفِعْلِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى : وَلَا تَكُونُوا يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي نَقْضِكُمْ أَيْمَانَكُمْ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَإِعْطَائِكُمْ رَبَّكُمْ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِفَ، كَمَنْ تَنْقُضُ غَزَلَهَا بَعْدَ إِبْرَامِهِ حِمَاقَةً وَجَهْلًا . إِذْ تَجْعَلُونَ أَيْمَانَكُمْ الَّتِي تَحْلِفُونَهَا عَلَى أَنْكُمْ مُؤَفَّوْنَ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ، وَسَبِيلَةً لِلْخِدَاعِ، وَلَيْسَ مَنْ عَاقَدْتُمُوهُمْ لِيُطْمَئِنُّوا إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ تُضْمِرُونَ الْعَدْرَ وَعَدَمَ الْوَفَاءِ، إِذَا وَجَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنَ الْجَمَاعَةِ الَّتِي تَعَاقَدْتُمْ مَعَهَا، وَأَكْثَرَ عَدَدًا، فَإِذَا وَجَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنَ الْجَمَاعَةِ الْأُولَى، الَّتِي تَعَاقَدْتُمْ مَعَهَا، تَحَالَفْتُمْ مَعَهُ، وَحَيْثُمْ بِأَيْمَانِكُمْ الَّتِي أَقْسَمْتُمُوهَا لِلْجَمَاعَةِ الْأُولَى (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) .

وَاللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ لِيُخْتَبَرَكُمْ وَيَمْتَحِنَكُمْ، وَيَبْلُوَ إِيْمَانَكُمْ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ .

مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ - مِنْ بَعْدِ إِبْرَامٍ وَإِحْكَامٍ .

أَنْكَاثًا - أَنْقَاضًا مُحْلُولَةً الْفَتْلَ .

دَخَلًا بَيْنَكُمْ - مَفْسَدَةً وَخِيَانَةً وَخَدِيعَةً بَيْنَكُمْ .

أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ - أَنْ تَكُونَ جَمَاعَةً .

﴿٩١﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ

وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ

تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ

عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

مَا تَفْعَلُونَ

﴿٩٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ

غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا

تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا

بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ

أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوَكُمْ

اللَّهُ بِهِ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ - أَكْثَرُ عَدَدًا وَأَعَزُّ نَفَرًا أَوْ أَوْفَرُ مَالًا .
يُلُوكُمْ - يَخْتَبِرُكُمْ .

(وَاحِدَةٌ) (وَلْتَسَالُنَّ)

(٩٣) - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، وَوَفَّقَ بَيْنَكُمْ، وَأَزَالَ مَا بَيْنَكُمْ مِنْ اخْتِلَافٍ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، ثُمَّ يَسْأَلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا الْجَزَاءَ الْأَوْفَى .

(أَيْمَانُكُمْ)

(٩٤) - وَلَا تَجْعَلُوا أَيْمَانَكُمْ، الَّتِي تَحْلِفُونَهَا فِيمَا تَتَعَاهَدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ، خَدِيعَةً تَعْرُونَ بِهَا النَّاسَ (دَخَلًا بَيْنَكُمْ) فَإِنَّكُمْ بِعَمَلِكُمْ هَذَا تَكُونُونَ قَدْ وَقَعْتُمْ فِي ثَلَاثٍ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ :

أ - أَنْكُمْ تَضِلُّونَ وَتَتَّبِعُدُونَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، بَعْدَ أَنْ رَسَخَتْ أَقْدَامُكُمْ فِيهَا (فَقَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا) .

ب - أَنْكُمْ تَكُونُونَ قُدُورَةً سَيِّئَةً لِسَوَاكُمْ، وَتَسْنُونَ سُنَّةً لِعَيْرِكُمْ فِيهَا صَدٌّ لِلنَّاسِ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ .

ج - أَنْكُمْ سَتُعَاقِبُونَ عَلَى فِعْلِكُمْ هَذَا فِي الْآخِرَةِ جَزَاءً مَا آجَرَحْتُمْ مِنْ مُجَانِبَةِ الْحَقِّ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ أَهْلِهِ .

(٩٥) - وَلَا تَطْمَعُوا فِي أَنْ تَأْخُذُوا مُقَابِلَ نَقْضِ الْعَهْدِ الْمَذْكُورِ عَرَضًا يَسِيرًا مِنْ عُرُوضِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَهُوَ قَلِيلٌ مِمَّا كَانَ كَثِيرًا، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُحَافِظِينَ عَلَى الْعُهُودِ، بِجَزِيلِ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ .

(وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَنَاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا وَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَنْقُضُوا مَا بَايَعُوا الرَّسُولَ عَلَيْهِ، جَزْعًا مِمَّا رَأَوْا مِنْ غَلْبَةِ قُرَيْشٍ، وَاسْتِضْعَافِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَمَّا كَانُوا يَتْلَقُونَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ وَعْدِ بِجَزِيلِ الْعَطَاءِ إِنْ آرْتَدُوا عَنِ الْإِسْلَامِ) .

(٩٦) - مَا تَمْتَعُونَ بِهِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا يَنْفَدُ وَيَفْنَى، وَمَا تَحْصُلُونَ عَلَيْهِ نَتِيجَةُ الْعَدْرِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ، وَالْحَنْثِ بِالْأَيْمَانِ، كُلُّهُ يَنْفَدُ، لِأَنَّهُ عَرَضٌ زَائِلٌ، أَمَّا ثَوَابُ اللَّهِ لَكُمْ فِي الْجَنَّةِ فَهُوَ بَاقٍ، وَلَا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا نَفَادَ، لِأَنَّهُ دَائِمٌ لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ . وَيُقَسِّمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ سَيَجْزِي الصَّابِرِينَ

٩٣ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ

أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
وَلْتَسَالُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

٩٤ وَلَا تَلْخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا

بَيْنَكُمْ فَتَزِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ

٩٥ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

٩٦ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ

وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ

عَلَى صَبْرِهِمْ، وَهُوَ أَحْسَنُ أَعْمَالِهِمْ، لِأَنَّ جَمِيعَ التَّكَالِيفِ تَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ، وَهُوَ أَسُّ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَحِينَ يَجْزِي اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ فَإِنَّهُ تَعَالَى يِعْدُهُمْ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ. يَنْقُذُ - يَنْقِضِي وَيَقْنِي وَيَزُولُ.

(صَالِحًا) (حَيَاة)

(٩٧) - مَنْ عَمِلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَقَامَ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ، مُصَلِّقٌ كُتُبَهُ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يِعْدُهُ بِأَنْ يُحْيِيَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً، تَصْحِبُهَا الْقَنَاعَةُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَالرِّضَا بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ، إِذْ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقٍ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ بِتَدْبِيرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقِسْمَتِهِ، وَاللَّهُ مُخْبِرٌ كَرِيمٌ، لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، وَفِي الْآخِرَةِ يَجْزِيهِ اللَّهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، وَيُثِيبُهُ أَحْسَنَ الثَّوَابِ، جَزَاءَ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَمَا تَحَلَّى بِهِ مِنْ إِيْمَانٍ.

(الْقُرْآنَ) (الشَّيْطَانِ)

(٩٨) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ بِأَنْ يَسْتَعِذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، إِذَا أَرَادُوا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ. اسْتَعِذْ بِاللَّهِ - اَعْتَصِمْ بِاللَّهِ وَآلِجًا إِلَيْهِ.

(سُلْطَانًا) (آمِنًا)

(٩٩) - وَيُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا سُلْطَةَ لَهُ وَلَا سُلْطَانَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى ارتِكَابِ ذَنْبٍ لَا يُتُوبُونَ مِنْهُ. سُلْطَانٌ - تَسَلَّطَ أَوْ لَاقِيَةً.

(سُلْطَانُهُ)

(١٠٠) - إِنَّمَا تَسَلَّطُهُ بِالْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ يَكُونُ عَلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَهُ نَصِيرًا فَيُجَسِّدُونَهُ وَيَطِيعُونَهُ، وَيَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِهِ، وَالَّذِينَ هُمْ بِسَبَبِ إغْوَايِهِ يُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ. يَتَوَلَّوْنَهُ - يَتَّخِذُونَهُ وَلِيًّا مُطَاعًا.

١٧ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ

أَوْ أَتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

١٨ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

١٩ إِنَّهُ وَلِيَ لِّلَّذِينَ هُم عَلَىٰ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

٢٠ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ

يَتَوَلَّوْنَهُ ۚ وَٱلَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ

(آية)

(١٠١) - وَإِذَا نَسَخْنَا حُكْمَ آيَةٍ فَأَبَدْنَا مَكَانَهُ حُكْمَ آيَةٍ أُخْرَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالَّذِي هُوَ أَصْلَحُ لِحَقْلِهِ، فِيمَا يُنْذِلُ مِنْ أَحْكَامٍ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ
الْمُكَذِّبُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ مَقُولٌ عَلَى اللَّهِ، تَأْمُرُ بِشَيْءٍ،
ثُمَّ تَعُودُ فَتَنْهَى عَنْهُ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّبْدِيلِ مِنْ حِكْمٍ
بِالْعَمَةِ. وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَيَتَكَبَّرُونَ الْفَائِدَةَ عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا.

(آمنوا)

(١٠٢) - قُلْ لَهُمْ: إِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَزَلَ عَلَيَّ مِنْ رَبِّي مَعَ جِبْرِيلَ الرُّوحِ
الطَّاهِرِ، مُقْتَرِنًا بِالْحَقِّ وَمُشْتَمِلًا عَلَيْهِ لِيُثَبِّتَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِيَهْدِيَ بِهِ
النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ بِمَا فِيهِ مِنْ أُدْلَى قَاطِعَةٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ
قُدْرَتِهِ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ حَقٍّ عَلَى التَّأَمُّلِ فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَاهِرِ الْآيَاتِ،
وَبِمَا فِيهِ مِنْ تَشْرِيعٍ وَتَعَالِيمٍ وَأَحْكَامٍ، فَهُوَ هَادٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَبَشِيرٌ لَهُمْ
بِحُسْنِ الثَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ.

رُوحُ الْقُدُسِ - الرُّوحُ الْمُطَهَّرُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١٠٣) - كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقْتَرُونَ كَذِبًا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَقُولُونَ إِنَّ
الَّذِي يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا الْقُرْآنَ هُوَ رَجُلٌ أَعْجَبِي كَانَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، وَكَانَ
غُلَامًا لِبَعْضِ بَطُونِ قُرَيْشٍ، وَبَيَّاعًا عِنْدَ الصَّفَا. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا
عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ: إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْكُفَّارَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا يَتَلَقَّى
الْقُرْآنَ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَبِي يُسَمُّونَهُ، وَلَكِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْأَعْجَبِيَّ لَا يَعْرِفُ
اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ هَذَا الْأَعْجَبِيُّ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
فِي بِلَاغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ وَإِحْكَامِهِ، وَقَدْ تَحَدَّى اللَّهُ تَعَالَى قُرَيْشًا - وَالْعَرَبَ
جَمِيعًا - وَهُمْ أَهْلُ الْفَصَاحَةِ وَاللِّسَنِ، أَكْثَرُ مِنْ مَرَّةٍ أَنْ يَأْتُوا بِآيَةٍ مِنْ مِثْلِهِ
فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا.

يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ - يَمِيلُونَ إِلَيْهِ وَيَنْسُبُونَ.

(بآيات)

(١٠٤) - إِنَّ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، بَلْ
يَقُولُونَ إِنَّهَا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ
الَّذِي يُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ سُوءِ اسْتِعْدَادِهِمْ بِمَا
أَجْتَرَحُوهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ مُوجِعٌ، جَزَاءُ مَا
نَصَبُوا لَهُ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْعِدَاءِ لِلرُّسُولِ ﷺ وَرِسَالَتِهِ.

وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ

آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ
قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ

رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى
وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ

وَلَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ

إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ
الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ
أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانُ
عَرَبٍ مُبِينٍ

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ

اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ

(بَيَّاتٍ) (الْكَافِرُونَ) (أُولَئِكَ)

(١٠٥) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ لَيْسَ بِمُفْتَرٍ، وَلَا كَذَّابٌ، لَأَنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ، الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ مِنَ الْكَفَرَةِ الْمُلْحِدِينَ الْمَعْرِوفِينَ بِالْكَذِبِ عِنْدَ النَّاسِ، وَمُحَمَّدٌ كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ، وَأَبْرَهُمْ وَأَكْمَلَهُمْ عِلْمًا وَأَخْلَاقًا، وَكَانَ يُعْرِفُ بِالْأَمِينِ عِنْدَ قَوْمِهِ، فَهُوَ لَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ.

(إِيمَانِهِ) (بِالْإِيمَانِ)

(١٠٦) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الَّذِي كَفَرَ بَعْدَ إِيْمَانِهِ، وَفُتِحَ صَدْرُهُ بِالْكَفْرِ، وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ ارْتَدَّ عَنِ الْإِيمَانِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا، وَلِأَنَّهُ عَلِمَ بِالْإِيمَانِ ثُمَّ عَدَلَ عَنْهُ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.

وَيَسْتَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ الْمَصِيرِ مَنْ أَكْرَهَ عَلَى النُّطْقِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ، فَأَرْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِلِسَانِهِ، وَوَافَقَ الْمَشْرِكِينَ بِلَفْظِهِ مُكْرَهًا، لِمَا نَالَهُ مِنْ أَذَى، وَبَقِيَ مُؤْمِنًا بِقَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ. فَمِثْلُ هَذَا الْمُكْرَهِ يُمَكِّنُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ، إِذَا عَلِمَ صِدْقَ نِيَّتِهِ.

(الْحَيَاةِ) (الْآخِرَةِ) (الْكَافِرِينَ)

(١٠٧) - وَذَلِكَ الْغَضَبُ مِنَ اللَّهِ، وَذَلِكَ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ، إِنَّمَا اسْتَحَقَّهُ هَؤُلَاءِ لِأَنَّهُمْ أَتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُوَفِّقُ مَنْ يَحْجِدُ آيَاتِهِ، وَيُصِرُّ عَلَى انْكَارِهَا، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ فَقَدَ الاستعدادَ لِسَبْلِ الْخَيْرِ بِمَا زَيَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ مِنَ الْكُفْرِ. اسْتَحَبُّوا - اخْتَارُوا أَوْ اتَّزَرُوا.

(أُولَئِكَ) (وَأَبْصَارِهِمْ) (الْغَافِلُونَ)

(١٠٨) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ قَدْ خَتَمَ اللَّهُ (طَبَعَ) عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ فَلَمْ يَعُودُوا يَنْتَفِعُونَ بِجَوَارِحِهِمْ، فَهُمْ غَافِلُونَ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ.

(الْآخِرَةِ) (الْخَاسِرُونَ)

(١٠٩) - حَقًّا وَبَلَا شَكٍّ فِي أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ فِي الْآخِرَةِ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ، لِأَنَّهُمْ بَخَسَوْهَا حُطُوطَهَا، وَصَرَفُوا أَعْمَارَهُمْ فِيمَا أَفْضَى بِهِمْ إِلَى الْعَذَابِ.

١٠٥ إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

١٠٦ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

١٠٧ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

١٠٨ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

١٠٩ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ

لَا جَرَمَ - لَا شَكَّ أَوْ حَقٌّ وَثَبَتْ.

(جَاهِدُوا)

(١١٠) - وَهَؤُلَاءِ صِنْفٌ آخَرُ كَانُوا مُسْتَضَعِّفِينَ بِمَكَّةَ مُهَانِينَ فِي قَوْمِهِمْ، فَوَافَقُوهُمْ عَلَى الْفِتْنَةِ، ثُمَّ أَمَكَّهُمُ الْخَلَاصُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، فَتَرَكُوا بِلَادَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ آتِيعَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَغُفْرَانِهِ، وَالتَّحَقُّوْا بِالْمُؤْمِنِينَ، وَجَاهِدُوا مَعَهُمْ، فَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ مِنْ بَعْدِ أَفْعَالِهِمْ (مِنْ بَعْدِهَا)، وَمِنْ بَعْدِ هَذِهِ الْأَسْتِجَابَةِ إِلَى الْفِتْنَةِ، لَغُفُورٌ رَحِيمٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فُتِنُوا - عُدُّبُوا وَابْتُلُوا بِسَبَبِ إِسْلَامِهِمْ.

(تُجَادِلُ)

(١١١) - وَإِنَّ رَبَّكَ سَيَغْفِرُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكْرَهِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا، حِينَمَا تَمَكَّنُوا مِنْ ذَلِكَ، إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَسَيَرْحَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَأْتِي فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ تُخَاصِمُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَحَاجُّ عَنْهَا، وَتَسْعَى فِي خَلَاصِهَا بِمَا أَسْلَفَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ، وَتَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ جَزَاءَ مَا عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا فَتُعْطَاهُ (تُؤْفَى)، وَتُجَازَى بِهِ.

وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، فَلَا يَنْقُصُ مِنْ حَسَنَاتِ الْمُسِيءِ، وَلَا يَزَادُ فِي سَيِّئَاتِهِ.

(أَمِنَةً) (فَإِذَاقَهَا) (مُطْمَئِنَّةً)

(١١٢) - جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ أَهْلِ مَكَّةَ مِثْلَ حَالِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، الَّتِي كَانَتْ أَمِنَةً لَا تَخَافُ عَدُوًّا، وَقَدْ تَدْفُقُ الرِّزْقُ الْوَفِيرُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَكَفَرَ أَهْلُهَا بِأَنْعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ، وَأَذَاقَهُمْ مَرَارَةَ الْجُوعِ. كَذَلِكَ كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ، فَقَدْ كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا، وَمَنْ دَخَلَهَا كَانَ آمِنًا، لَا يَخَافُ شَيْئًا، وَكَانَ الرِّزْقُ الْوَفِيرُ يَتَدْفَقُ عَلَيْهَا هَيئَةً سَهْلًا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمَكَانٍ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ، وَجَحَدَتْ بِهَا، وَأَعْظَمَ هَذِهِ النِّعَمَ هِيَ بَعَثَةُ رَسُولٍ مِنْهُمْ. وَلِهَذَا بَدَّلَ اللَّهُ أَهْلَهَا بِحَالِهِمْ (الْأَمْنِ وَالْعَيْشِ الرَّغِيدِ)، بِحَالَيْنِ جَدِيدَيْنِ، هُمَا: (الْجُوعُ وَالْخَوْفُ) - لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ فَقَدْ جَاءَهُمْ سِنُونٌ شِدَادٌ فَجَاعُوا، وَهَاجَرَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَكَانَتْ سَرَايَا الْمُسْلِمِينَ تَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى قَوَائِلِهِمْ إِلَى الشَّامِ، فَخَافُوا. وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ عِقَابًا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ بِسَبَبِ سُوءِ صَنِيعِهِمْ، وَبَغْيِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ

هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا

ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا

إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا

لَغُفُورٌ رَحِيمٌ



يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ

نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا

وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ

أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا

رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَآذَقَهَا

اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ

بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

(ظَالِمُونَ)

(١١٣) - لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِأَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِمَنْنِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، إِذْ جَعَلَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَلَكِنَّهُمْ بَدَلًا مِنَ الشُّكْرِ كَذَّبُوا الرَّسُولَ، وَاسْتَكْبَرُوا، وَغَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ، وَأَذَلَّهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، فَهَزَمُوا فِي بَدْرٍ، وَتَنَالَتْ هَزَائِمُهُمْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ.

(حَلَالًا) (نِعْمَةً)

(١١٤) - فَكُلُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أُحِلَّهَا لَكُمْ، وَذَرُوا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَبَائِثِ، وَاشْكُرُوا رَبَّكُمْ عَلَى نِعَمِهِ وَآلَائِهِ، إِنْ كُنْتُمْ تَوْمِنُونَ بِهِ، وَلَا تُشْرِكُوا مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ أَحَدًا، فَهُوَ الْمَعْبُودُ الْمُنْعَمُ.

(١١٥) - يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى مَا حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الطَّعَامِ مِمَّا فِيهِ مَضَرَّةٌ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَدُنْيَاهُمْ، مِنَ الْمَيْتَةِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَالدَّمِ الْمَسْفُوحِ، وَمَا دُبِجَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ. فَمَنْ اضْطُرَّ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فِي حُدُودِ إِزَالَةِ الضَّرُورَةِ، لِبَقِي نَفْسِهِ الْهَلَاكِ، وَدُونَ أَنْ يَكُونَ مُتَعَمِّدًا الْعُدْوَانَ وَالْبَغْيَ، وَتَجَاوَزَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

الدَّمُ الْمَسْفُوحُ - السَّائِلُ أَوْ الْمُهْرَقُ.

لَحْمُ الْخِنْزِيرِ - بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ.

أَهْلٌ لِبَغْيٍ اللَّهِ بِهِ - ذَكَرَ عِنْدَ ذَبْحِهِ اسْمَ غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ.

اضْطُرَّ - أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى التَّنَاوُلِ مِنْهُ.

غَيْرُ بَاغٍ - غَيْرُ طَالِبٍ لِلْحَرَامِ لِلذِّقَةِ.

عَادٍ - مُتَجَاوِزٍ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ، وَيُزِيلُ الضَّرُورَةَ.

(حَلَالٌ)

(١١٦) - وَلَا تَقُولُوا عَنْ شَيْءٍ هَذَا حَرَامٌ، وَهَذَا حَلَالٌ، إِذَا لَمْ يَأْتِكُمْ جِلْهُ وَتَحْرِيمُهُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَالَّذِي يُحَلِّلُ وَيُحَرِّمُ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ.

(وَيَدْخُلُ فِي هَذَا ابْتِدَاعُ بِدْعَةٍ لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدٌ شَرْعِيٌّ، أَوْ تَحْلِيلُ شَيْءٍ

١١٣ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ

١١٤ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

١١٥ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

١١٦ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرِ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ

الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ

﴿١١٧﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، أَوْ تَحْرِيمَ شَيْءٍ مِمَّا أَحَلَّهُ اللَّهُ بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالْهَوَى).
ثُمَّ يَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَيَقُولُ عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ
لَا يُفْلِحُونَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

(مَتَاعٌ)

(١١٧) - فَالْمَنَافِعُ الَّتِي يَحْصُلُ عَلَيْهَا هَؤُلَاءِ الْمُحَلَّلُونَ وَالْمَحْرُمُونَ مِنْ
هَذَا التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ الَّتِي لَا مُسْتَنَدَ شَرْعِيًّا لَهُمْ فِيهِ مِنْ شَرْعِ اللَّهِ،
هِيَ تَافِهَةٌ حَقِيرَةٌ، لَا يَعْتَدُ بِهَا عَاقِلٌ، إِذَا عَلِمَ أَنَّهَا سَتَكُونُ عَظِيمَةً الضَّرَرِ
عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَسَتَجْعَلُهُ يَدْخُلُ نَارَ جَهَنَّمَ لِيَلْقَى فِيهَا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ
الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ بِهِ.

(ظَلَمْنَاهُمْ)

(١١٨) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ حَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ فِي شَرْعِهِمْ مَا قَصَّهُ عَلَى
نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْآيَةِ (فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ١١) إِذْ جَاءَ فِيهَا
﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ وَهَذَا يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ ضَيَّقَ عَلَى
الْيَهُودِ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ، وَبَغْيِهِمْ، وَصَدَّاهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَاسْتَحَقُّوا
ذَلِكَ، وَلَمْ يَظْلِمَهُمُ اللَّهُ، وَإِنَّمَا هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ.

(بِجَهَالَةٍ)

(١١٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَكَرُّمِهِ وَتَفَضُّلِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْعَصَاةِ،
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ، بِأَنَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ،
إِذَا تَابُوا وَاسْتَغْفَرُوا رَبَّهُمْ، وَعَمِلُوا عَمَلًا صَالِحًا يَرْضَاهُ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ
ذُنُوبَهُمْ.

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنْ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ يَعْنِي مِنْ بَعْدِ هَذِهِ الْفِعْلَةِ).

وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ هُمُ الَّذِينَ يَقَارِفُونَ الْفِعْلَ الْمَحْرَمَ فِي
لَحْظَةٍ مِنْ لَحْظَاتِ الطُّشِ وَالْأَنْفَعَالِ وَالضَّعْفِ الْإِنْسَانِيِّ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ
أَنَّهُمْ يَقَارِفُونَ مُحَرَّمًا مُنْكَرًا، وَيَشْعُرُونَ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِمْ بِالنَّدَمِ وَوَحْزِ
الضَّمِيرِ لِمَا يَرْتَكِبُونَهُ حِينَمَا يَرْتَكِبُونَهُ. ثُمَّ لَا يَلْبَثُونَ - حِينَمَا تَهْدَأُ نَفْسُهُمْ
وَيَتُوبُونَ إِلَى رُشْدِهِمْ - أَنْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ، وَيَسْتَغْفِرُوهُ، وَيَشْعُرُوا بِالنَّدَمِ
عَلَى مَا قَرِطَ مِنْهُمْ.

﴿ثُمَّ إِنْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا

السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ
مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

بِجَهَالَةٍ - يَتَعَدَّى الطُّورَ وَرُكُوبِ الرُّأْسِ .

(إِبْرَاهِيمَ)

(١٢٠) - يَمْدَحُ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدَهُ إِبْرَاهِيمَ، إِمَامَ الْحُنَفَاءِ، وَيُسَرِّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أُمَّةً (أَيَّ إِمَامًا يُؤْتَمُّ بِهِ وَيُقْتَدَى بِهِ) خَاشِعًا مُطِيعًا لِلَّهِ، مُنْحَرِفًا عَنِ الشُّرْكِ، وَمَائِلًا إِلَى التَّوْحِيدِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

أُمَّةٌ - مُعَلِّمًا لِلْخَيْرِ، وَمُؤْمِنًا وَحْدَهُ .

قَانِتًا - مُطِيعًا خَاشِعًا لِلَّهِ .

خَنِيفًا - مَائِلًا عَنِ الْبَاطِلِ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ .

(اجْتَبَاهُ) (وَهْدَاهُ) (صِرَاطِ)

(١٢١) - وَكَانَ قَانِتًا بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَقَدْ اخْتَارَهُ اللَّهُ لِلنَّبُوَّةِ وَأَصْطَفَاهُ (اجْتَبَاهُ)، مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ، وَهْدَاهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ .

اجْتَبَاهُ - أَصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ لِلنَّبُوَّةِ .

(وَأَتَيْنَاهُ) (الْآخِرَةَ) (الصَّالِحِينَ)

(١٢٢) - وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً بِأَنْ جَعَلَهُ نَبِيًّا، وَإِمَامًا لِلْقَانِتِينَ، وَأَبًا لِلنَّبِيِّاءِ، وَسَيَكُونُ حَالُهُ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ لِأَنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَرْضَى اللَّهُ عَنْ أَعْمَالِهِمْ .

(اتَّبِعْ) (إِبْرَاهِيمَ)

(١٢٣) - ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَنْتَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ: أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ فِي مِثْلِهِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَبُعْدِهِ وَأَنْحَرِفِهِ عَنِ الشُّرْكِ، فَإِنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا قَانِتًا خَاشِعًا لِلَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ - شَرِيعَةَ إِبْرَاهِيمَ وَهِيَ التَّوْحِيدُ .

(الْقِيَامَةِ)

(١٢٤) - شَرَعَ اللَّهُ لِكُلِّ مِلَّةٍ يَوْمًا مِنَ الْأُسْبُوعِ يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِيهِ لِلْعِبَادَةِ، فَشَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهُ الْيَوْمُ السَّادِسُ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ خَلْقَ الْعَالَمِ .

وَقِيلَ إِنَّ اللَّهَ شَرَعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى فَقَدَلُوا

١٢٠ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ

خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

١٢١ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَاهُ

وَهْدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

١٢٢ وَآتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَإِنَّا

فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ

١٢٣ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ

إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ

١٢٤ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى

الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ

رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

عَنْهُ، وَاخْتَارُوا السَّبْتَ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ فِيهِ الرَّبُّ شَيْئًا، فَالْزَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي شَرِيعَتِهِمْ، وَوَصَاهُمْ بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَبِأَنْ يُحَافِظُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ تَحْرِيمُ السَّبْتِ فِي دِينِ إِبْرَاهِيمَ.

وَقَدْ جَعَلَ وَبَالَ الْاِعْتِدَاءِ فِي السَّبْتِ (وَهُوَ الْمَسْخُ) عَلَى الَّذِينَ آعَدُوا فِيهِ، فَاسْتَحَلُّوا الصَّيْدَ فِيهِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ وَاجِبِ الْيَهُودِ أَنْ يَتَّقُوا عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، بَعْدَ أَنْ أُمِرُوا بِتَعْظِيمِ السَّبْتِ، وَالْكَفَّ عَنِ الصَّيْدِ فِيهِ، كَمَا جَعَلَ الْوَبَالَ الَّذِي يَلْحَقُ بِالَّذِينَ حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، مِنَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَيْهِمْ هُمْ، وَسَيَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ فِي الدُّنْيَا، حِينَمَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(وَجَادِلْهُمْ)

(١٢٥) - ادْعُ يَا مُحَمَّدُ قَوْمَكَ إِلَى سُلُوكِ طَرِيقِ اللَّهِ، طَرِيقِ الْحَقِّ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ، وَاسْتَعْمِلْ فِي دَعْوَتِكَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْوَسِيلَةَ النَّاجِعَةَ مَعَهُ، وَالطَّرِيقَةَ الْمُنَاسِبَةَ، وَجَادِلْ أَهْلَ الْكِتَابِ بِالْحُجَّةِ وَالْقَوْلِ اللَّيِّنِ، وَالْعِبَارَةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَشُوْهُهَا قَسْوَةٌ وَلَا عُنفٌ، لِيَسْتَمِرَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمُ الْجَوَارُ وَالْجَدَلُ وَالنَّقَاشُ، فَتَسْتَطِيعَ إِقْنَاعُهُمْ بِصِحَّةِ دَعْوَتِكَ، وَحَمْلُهُمْ عَلَى اتِّبَاعِكَ، وَأَتْرُكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرَهُمْ لِلَّهِ، فَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَنْ ضَلَّ فَلَا يُفِيدُ مَعَهُ جَدَلَ وَلَا دَعْوَةً، وَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَنْ صَفَتْ نَفْسُهُ، وَسَلِمَ تَفَكُّيرُهُ، فَاهْتَدَى وَأَمَنَ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

(لِلصَّابِرِينَ) (لِئِنْ)

(١٢٦) - يَا مُرُّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَدْلِ فِي الْقَصَاصِ، وَالْمُمَاتِلَةِ فِي الْاِسْتِيفَاءِ لِلْحَقِّ، فَإِنْ أَخَذَ رَجُلٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَخُذُوا مِثْلَهُ. وَفِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ قُتِلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (عَمُّ الرَّسُولِ ﷺ) وَمِثْلُ الْمُشْرِكُونَ بِجُثَّتِهِ، فَاغْتَاظَ الرَّسُولُ لِذَلِكَ كَثِيرًا وَقَالَ: (لِئِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَأَمْتَلُنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ). فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، فَكَفَرَ الرَّسُولُ عَنْ يَمِينِهِ وَأَمْسَكَ عَنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا صَبَرُوا، وَلَمْ يَقْتَصُوا لِأَنْفُسِهِمْ، كَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَلِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَمْثَالٌ فِي الْقُرْآنِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَشْرُوعِيَةِ الْعَدْلِ وَالنَّدْبِ إِلَى الْفَضْلِ ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (١)، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).

١٢٥ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

١٢٦ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ

مَا عُوِفْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبِرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ

(١٢٧) - يَا مُرُّ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيُّهُ الْكَرِيمَ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنْ أَدَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمِنْ إِعْرَاضٍ عَنِ الدَّعْوَةِ، وَتُخْبِرُهُ بِأَنَّ الصَّبْرَ لَا يُنَالُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَقُوَّتِهِ، وَيَقُولُ لَهُ لَا تَحْزَنْ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ وَغَمٍّ مِمَّا يُجَاهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهِ فِي عَدَاوَتِكَ، وَإِصَالِ الْأَدَى إِلَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ وَنَاصِرُكَ وَمُظْهِرُكَ عَلَيْهِمْ.

ضَيْقٍ - ضَيْقٍ صَدْرٍ وَخَرَجٍ .

(١٢٨) - إِنَّ اللَّهَ مُؤَيِّدٌ بِنَصْرِهِ وَعَوْنِهِ وَهَدَاهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَاتَّقُوا مَحَارِمَ رَبِّهِمْ، فَاجْتَنِبُوا خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَالَّذِينَ يُحْسِنُونَ رِعَايَةَ فَرَائِضِهِ، وَالْقِيَامَ بِحَقُوقِهِ، وَلِزُومَ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَفِي تَرْكِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ
فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ
هُمْ مُحْسِنُونَ

(١٧) سُورَةُ الْاِنْبِرَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَارِثَاتُهَا الْخَلَاءُ عَشْرَةٌ وَمَاتَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سُبْحَانَ) (الْأَقْصَى) (بَارَكْنَا) (آيَاتِنَا)

(١) - يُمَجِّدُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ، وَيَنْزَعُهَا عَنْ شِرْكٍ مَنْ أَشْرَكَ، وَيُعَظِّمُ شَأْنَهُ لِقُدْرَتِهِ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَقَدْ أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْلًا مِنْ مَكَّةَ (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)، إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ (الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى)، وَهُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي بَارَكَ اللَّهُ مَا حَوْلَهُ، مِنْ زُرُوعٍ وَنَمَارٍ وَنَبَاتٍ.. لِيُرِيَ عَبْدَهُ مُحَمَّدًا، مِنْ آيَاتِهِ الْعِظَامِ، مَا فِيهِ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ، الْبَصِيرُ بِأَحْوَالِهِمْ.

(كَانَ الْإِسْرَاءُ قَبْلَ خَمْسِ سِنِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَأُسْرِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفَقَّأَ لَمَّا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

(وَأَخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ حَوْلَ مَا إِذَا كَانَ الْإِسْرَاءُ قَدْ تَمَّ بِبَدَنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ بِرُوحِهِ فَقَطْ. وَكَثُرَ الْفُقَهَاءُ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ، يَقْظَةً لَا مَنَامًا. وَلَمَّا حَدَّثَ الرَّسُولُ قُرَيْشًا بِإِسْرَائِهِ اسْتَغْرَبُوا ذَلِكَ كَثِيرًا، وَأَخَذُوا يَسْأَلُونَهُ عَنْ صِفَاتِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَأَخَذَ يَصِفُهُ لَهُمْ، فَقَالُوا: أَمَّا النَّعْتُ فَصَحِيحٌ.

وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ بِبَدَنِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَدَأَ السُّورَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ﴾، فَالتَّسْبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ لَمْ يَتَعَدَّ الْمَنَامَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَبِيرُ شَيْءٍ، وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعْظَمًا، وَلَمَّا أَزْدَدَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَمَّا بَادَرَتْ قُرَيْشٌ إِلَى تَكْذِيبِهِ، ثُمَّ إِنَّ عِبَارَةَ (عَبْدِهِ) تَدُلُّ عَلَى مَجْمُوعِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ. وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى عَنْ هَذَا الْإِسْرَاءِ: ﴿مَا رَاغَ

سُبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ
بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا
الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ
آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

الْبَصْرُ وَمَا طَفَى^(١)، وَالْبَصْرُ مِنَ آلَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحِ .

وَمَنْ آمَنَ بِقُدْرَتِهِ تَعَالَى الَّتِي لَا حُدُودَ لَهَا، لَا يَسْتَغْظَمُ أَنْ يُسْرِىَ اللَّهُ بِرَسُولِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِجَسَدِهِ، لِأَنَّ الْإِسْرَاءَ بِالنَّبِيِّ بِجَسَدِهِ هُوَ أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ فِي مِثْلِ السُّهُولَةِ الَّتِي يُسْرِى بِهِ بِرُوحِهِ، وَلِذَلِكَ فَلَا يَسْتَغْرِبُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَقُوَّعَ هَذَا الْحَادِثِ .

وَقَدْ جَاءَ فِي كُتُبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بُنُوَانِ لِنَبِيِّينَ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ تُشِيرُ أَوَّلَاهُمَا إِلَى أَنَّ سَيِّدَ الرُّسُلِ أَوْ رَسُولَ اللَّهِ سَيَزُورُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ (الْهَيْكَلِ) فَجَاءَ . وَتَقُولُ الْأُخْرَى إِنَّهُ سَيَعْرُجُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ لِيُمَثَّلَ فِي حَضْرَةِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ لِيَمُنَّحَهُ الْمَجْدَ وَالسُّلْطَانَ لِإِبَادَةِ الشِّرْكِ مِنَ الْأَرْضِ . وَلَمْ يَدْعِ أَحَدٌ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ هَذَا الشَّرْفَ الْعَظِيمَ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالنَّبِيِّينَ .

(وَاتَيْنَا) (الْكِتَابَ) (وَجَعَلْنَاهُ) (إِسْرَائِيلَ)

(٢) - وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى التَّوْرَةَ عَلَى عَبْدِهِ مُوسَى (الْكِتَابَ) وَجَعَلَهُ هَادِيًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْأَمْنِ بِتَحْذُورٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا، وَلَا نَصِيرًا، وَلَا مَعْبُودًا (وَكَيْلًا)، يَكُونُ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، وَيُعَوِّلُونَ فِيهَا عَلَيْهِ .

(٣) - وَيُهَيِّبُ اللَّهُ تَعَالَى بِدُرِّيَّةٍ مَنْ كَانُوا مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ - وَيُرَادُ بِهِمْ هُنَا بَنُو إِسْرَائِيلَ - أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِأَبْنَاءِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي كَانَ عَبْدًا كَثِيرَ الشُّكْرِ لِنَهْ (شُكُورًا)، وَأَنْ يَفْتَدُوا بِهِ، كَمَا أَفْتَدَى بِهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ .

(إِسْرَائِيلَ) (الْكِتَابَ)

(٤) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَضَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ بِأَنَّهُمْ سَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ، وَسَتَكُونُ لَهُمْ قُوَّةٌ وَسَيْطَرَةٌ، وَغَلَبٌ فِي الْأَرْضِ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَجْعَلُونَ فِيهَا الْقُوَّةَ وَالسَّيْطَرَةَ وَسَبِيلَةَ لِلطُّغْيَانِ، وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، يُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَقْهَرُهُمْ، وَيُعَاقِبُهُمْ عِقَابًا شَدِيدًا، وَيَسْتَبِيحُ حُرْمَاتِهِمْ، وَيُدْمِرُهُمْ تَدْمِيرًا .

(٥) - فَإِذَا حَانَ وَقْتُ الْعِقَابِ، عَلَى إِفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عِبَادًا مُؤْمِنِينَ مِنْ خَلْقِهِ، ذَوِي بَطْشٍ شَدِيدٍ فِي الْحُرُوبِ، فَفَقَهُرُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتَرَدَّدُوا خِلَالَ بُيُوتِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا، وَلَا يَخَافُونَ عَلَيْهِمْ رَدَّةً . وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ وَمَا قَضَاهُ كَانَتْ لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ، كَمَا قَضَى اللَّهُ وَأَعْلَمَ .

(١) الآية ١٧ من سورة النجم .

٢ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا

٣ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ

إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا

٤ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي

الْكِتَابِ لُفْسِدُنِي فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوقًا كَبِيرًا

٥ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا

عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَاسٍ

شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ

وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا

وَقَدْ وَرَدَتْ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ حَوْلَ (الْعِبَادِ) الَّذِينَ سَيَسْلُطُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكُلُّهَا تَجْعَلُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَقْوَامِ الْبَائِسَةِ (الْأَشْوَرِينَ وَالْكَلدَانِيِّينَ وَالرُّومَانَ...) عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ تِلْكَ الْأَقْوَامَ سَبَقَ لَهَا أَنْ أَذَاقَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْوَيْلَاتِ، وَدَمَّرَتْ مُلْكَهُمْ، وَشَرَّدَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ. وَلَكِنَّ الْأُسْتَاذَ مُحَمَّدَ مَتَوَلَّى الشُّعْرَاوِيِّ يَرَى أَنَّ الْعِبَادَ الَّذِينَ عَنَاهُمْ النَّصُّ هُمُ الْمُسْلِمُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ. وَيُدْعِمُ رَأْيَهُ بِمَا خُلَاصَتُهُ:

أ - اسْتَعْمَلَتِ الْآيَةُ تَعْبِيرَ (فَإِذَا جَاءَ)؛ (وَإِذَا) طَرَفٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، يَعْنِي أَنَّ الْفِعْلَ الْمَحْكِيَّ عَنْهُ سَيَحْدُثُ بَعْدَ الْقَوْلِ الَّذِي تَضْمَنَ لِقُظَّةَ (إِذَا جَاءَ). وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي قَضَاهُ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ سَيَقَعُ بَعْدَ نَزُولِ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي أَشَارَتْ إِلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِحَادِثٍ وَقَعَ قَبْلَهَا.

ب - اسْتَعْمَلَتِ الْآيَةُ عِبَارَةَ (عِبَادًا لَنَا). وَعِبَادُ اللَّهِ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ، فِي التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ تَعْنِي أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ سَيَسْلُطُهُمُ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كُتُبٍ، وَمَنْ أَرْسَلَ مِنْ رُسُلٍ وَأَنْبِيَاءَ لِهَدَايَةِ الْبَشَرِ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ الْيَوْمَ مَنْ تَجْتَمِعُ فِيهِمْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ.

كَمَا أَنَّ الْأَمَمَ الْخَالِيَةَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا مَنْ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ عَنْهَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ الْخَالِصِ.

ج - إِنَّ الْعِبَادَ الَّذِينَ سَيَسْلُطُهُمُ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ هُمْ أَنْفُسُهُمْ فِي الْمَرَّتَيْنِ، وَإِنَّ الْيَهُودَ سَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْعِبَادِ بَعْدَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، ثُمَّ يَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى الْكُرَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ أَنْ يُعْمِنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ وَطُغْيَانًا. وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْأَمَمِ الْخَالِيَةِ بَقِيَّةٌ يُمَكِّنُ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى أَسْلَافِهَا الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا لِتَقُومَ عَنْهُمْ بِالْإِنْتِقَامِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

وَيَرَى الْأُسْتَاذَ مُحَمَّدَ مَتَوَلَّى الشُّعْرَاوِيِّ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا لَهُمْ سُلْطَانٌ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَأَكْثَرُوا الْفَسَادَ زَمَنَ الرَّسُولِ ﷺ، وَتَأَمَّرُوا عَلَى الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَحَادُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْبَوَّاءَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَسَلَّطَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَأَخْرَجُوا الْبَاقِينَ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّصِّ قَهَرَ الْيَهُودِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى مِنْ قَبْلِ عِبَادِ اللَّهِ مُتَلَازِمًا مَعَ دُخُولِ هَؤُلَاءِ الْعِبَادِ

الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَلَا يَحْدُوثُ ذَلِكَ فِي أَرْضِ فَلَسْطِينَ. وَفِي الْحَقِيقَةِ
إِنَّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى كَانَ، حِينَمَا قَهَرَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فِي الْجَزِيرَةِ
الْعَرَبِيَّةِ، تَحْتَ حُكْمِ الرُّومَانِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ فِي فَلَسْطِينَ سُلْطَانٌ وَلَا
كَيَانٌ مُتَمَيِّزٌ فِي ذَلِكَ الْحِينِ.

ثُمَّ يَتَّبِعُ الْمُسْلِمُونَ عَنْ دِينِهِمْ، وَيَتْرَكُونَ الْأَخْذَ بِشَرِيعَتِهِمْ، وَتَتَفَرَّقُ
كَلِمَتُهُمْ، فَيُدِيلُ اللَّهُ لِلْيَهُودِ عَلَيْهِمْ، بَعْدَ أَنْ يُمِدَّهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ،
وَيَجْعَلُهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا مِنْهُمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى.

ثُمَّ يَنْتَسِلِمُ الْيَهُودُ إِلَى الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى مَسَلِكِهِمْ
الْقَدِيمِ فِي الْإِسَاءَةِ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَيَسْتَطِيلُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ، فَيَعُودُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى دِينِهِمْ، فَتَجِدُ كَلِمَتُهُمْ، وَيَجْمَعُونَ
قَوَاهِمَ، وَيُهَاجِمُونَ الْيَهُودَ لِيَنْتَقِمُوا مِنْهُمْ فَيَقْهَرُونَهُمْ، وَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ
الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى لَا يُبَازِعُهُمْ فِي دُخُولِهِمْ إِلَيْهِ مَنَازِعَ (كَمَا وَقَعَ لَهُمْ فِي
الْمَرَّةِ الْأُولَى بَعْدَ أَنْ آخَلُوا فَلَسْطِينَ وَطَرَدُوا الرُّومَانَ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ
أَخْرَجُوا الْيَهُودَ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ)، وَيَذْمَرُونَ مَا يَمْلِكُهُ الْيَهُودُ تَذْمِيرًا
شَامِلًا.

وَإِذَا أَضْفْنَا إِلَى حُجَجِ الْأُسْتَاذِ شَعْرَاوِي الْمُسْتَوْحَاةِ مِنَ النَّصْرِ الْقُرْآنِيِّ
الْكَرِيمِ حَدِيثًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ (رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ) عَنْ
مُسْتَقْبَلِ الْعَلَاqَاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ، وَمَا سَيَكُونُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ
قَتَلَ الْيَهُودَ قَتْلًا ذَرِيعًا لَا يُثْقُونَ فِيهِ وَلَا يَذَرُونَ، نَجِدُ أَنَّ الرَّأْيَ الَّذِي
ذَهَبَ إِلَيْهِ أَسْتَادُنَا الْجَلِيلُ يَقُومُ عَلَى سَنَدٍ مَتِينٍ. وَالْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ
الْإِمَامُ مُسْلِمٌ هُوَ التَّالِي:

(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى
يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ وَرَاءَ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ يَا عَبْدَ اللَّهِ
هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَأَقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ) (صَدَقَ
رَسُولُ اللَّهِ).

(وَأَمْدَدْنَاكُمْ) (بِأَمْوَالٍ) (وَجَعَلْنَاكُمْ)

٦ - حَتَّى إِذَا ذَاقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَبِلَاتُ الْقَهْرِ وَالذُّلَّ وَالْغَلَبَ، رَجَعُوا
إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَجَمَعُوا شَمْلَهُمْ، وَأَصْلَحُوا أُمُورَهُمْ، وَاسْتَنْجَدُوا بِبَعْضِ
عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ لَا يَذَرُكَونَ مَا أَنْطَوَتْ عَلَيْهِ نَفُوسُهُمْ، وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ
يَكُونُونَ قَدْ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَتَزَايَدَ عَدَدُهُمْ، وَيَكُونُ أَعْدَاؤُهُمْ - الْعِبَادُ

٦ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ أَلْكَرَةَ عَلَيْهِمْ

وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ

وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا

الْمُؤْمِنُونَ - قَدْ آتَبَعْدُوا عَنْ دِينِهِمْ، وَمَنْهَجَ شَرِيْعَتِهِمْ، فَيَعَايُهُمُ اللَّهُ، وَيُدِيلُ لِلْيَهُودِ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ عَادُوا إِلَى اللَّهِ تَائِبِينَ مُخْلِصِينَ، وَالتَّزَمُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ رَبُّهُمْ فِي كِتَابِهِمْ، وَإِنَّمَا لِأَنَّ أَعْدَاءَهُمْ هُمْ الَّذِينَ آتَبَعْدُوا عَنْ دِينِهِمْ، وَتَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ، فَسَلَّطَ الْيَهُودَ عَلَيْهِمْ (كَمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ فِي الْإِصْحَاحِ التَّاسِعِ مِنْ سِفْرِ تَثْنِيَةِ الْأَشْتِرَاعِ).

(الْآخِرَةِ)

(٧) - وَيَقْرُرُ اللَّهُ تَعَالَى هُنَا الْقَاعِدَةَ الثَّابِتَةَ الَّتِي لَا تَتَغَيَّرُ أَبَدًا، وَهِيَ أَنَّ عَمَلَ الْإِنْسَانِ عَائِدٌ عَلَيْهِ بِنَتَائِجِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا. فَإِنْ أَحْسَنَ الْإِنْسَانُ كَانَ إِحْسَانُهُ لِنَفْسِهِ. يَنْتَفِعُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فِي الدُّنْيَا يَذْفَعُ اللَّهُ عَنْهُ الْأَذَى، وَيَرُدُّ كَيْدَ أَعْدَائِهِ إِلَى نُحُورِهِمْ، وَيَزِيدُهُ قُوَّةً. وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ يُبَيِّهُ عَلَى عَمَلِهِ بِالْجَنَّةِ، وَيَمُنُّ عَلَيْهِ بِرِضْوَانِهِ.

فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ الْعِقَابِ عَلَى إِفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، فَإِنَّ الْأَعْدَاءَ الَّذِينَ غَلِبَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَسْتَجْمِعُونَ قُوَاهُمْ، وَيَنْدَفِعُونَ لِعِقَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَيَذِيقُونَهُمْ أَنْوَاعًا مِنَ الْقَهْرِ وَالْوَيْلَاتِ وَالْإِذْلَالِ، وَيَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا، وَيُخْرِبُونَ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَيْدِيهِمْ مِمَّا كَانَ يَمْلِكُهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، حَتَّى لَتَرَى آثَارَ الْمَسَاءَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

(لِلْكَافِرِينَ)

(٨) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّهُ قَدْ يَرْحَمُهُمْ، وَيَصْرِفُ عَنْهُمْ عَذَابَهُمْ، بَعْدَ الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، إِذَا اسْتَفَادُوا مِنَ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ، وَعَادُوا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَكَفُّوا عَنِ آرْكَابِ الْمَعَاصِي وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَيَهْدِيهِمْ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ إِنْ عَادُوا إِلَى الْإِفْسَادِ، عَادَ اللَّهُ إِلَى الْإِدَالَةِ عَلَيْهِمْ، وَتَسْلِيْطِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا. (وَقَدْ سَلَّطَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَفَرَضُوا عَلَيْهِمُ الْجَزْيَةَ، وَأَذَاقُوهُمْ وَبِلَاتِ الْحُرُوبِ).

وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنَّهُ مَصِيرَ الْكَفَّارِ وَالْمُفْسِدِينَ وَاحِدَ يَوْمٍ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، الَّتِي تَحْصِرُهُمْ جَمِيعًا، وَتُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَلَا يُفْلِتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ. حَصِيرًا - سَجْنًا أَوْ مِهَادًا أَوْ فِرَاشًا.

٥
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ
وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا
دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا
مَاعَلَوْا تَنْبِيرًا

٨
عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ
عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا

(الْقُرْآن) (الصَّالِحَات)

(٩) - يَمْدُحُ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ يَتَّصِفُ بِثَلَاثِ صِفَاتٍ:

- إِنَّهُ يَهْدِي لِأَقْوَمِ الطَّرِيقِ، وَأَوْضَحِ السَّبِيلِ.

- إِنَّهُ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ وَفَقَّ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ، أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

- إِنَّهُ يُنْذِرُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَبِرِسَالَةِ رُسُلِهِ، وَبِالْمَعَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

هِيَ أَقْوَمُ - أَسَدُ الطَّرِيقِ، وَهِيَ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ.

(١٠) - وَيُنْذِرُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يُقْرُونَ بِوُجُودِ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ عَلَى الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَتَحَاشَوْنَ أَرْكَابَ الْمَعَاصِي... بِأَنَّهُ تَعَالَى أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَمَا أَجْتَرَحُوهُ مِنَ الْأَنَامِ. أَعْتَدْنَا - أَعَدَدْنَا.

(الْإِنْسَان)

(١١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَجَلَةِ الْإِنْسَانِ، وَدُعَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِيهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِالشَّرِّ جِنِّ الْغَضَبِ، كَمَا يُسَارِعُ إِلَى الدُّعَاءِ فِي الْخَيْرِ، فَلَوْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ لَأَهْلَكَهُ وَأَهْلَكَ أَهْلَهُ. وَالَّذِي يَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى ذَلِكَ هُوَ قَلْبُهُ، وَعَجَلَتُهُ، وَقَلَّةُ صَبْرِهِ.

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُبَالِغُ فِي الدُّعَاءِ طَلَبًا لِنَفْسِهِ يُعْتَقِدُ أَنَّ فِيهِ خَيْرَهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَبَبَ بَلَاءِهِ وَشَرِّهِ لِحَبْلِهِ بِحَالِهِ، وَهُوَ إِنَّمَا يُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ لِكَوْنِهِ عَجُولًا مُغْتَرًّا بِظَوَاهِرِ الْأُمُورِ).

(اللَّيْلِ) (آيَتَيْنِ) (اللَّيْلِ) (فَصَلَّنَا)

(١٢) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْهَدَايَةَ وَالْإِرْشَادَ بِالْقُرْآنِ، جَاءَ عَلَى ذِكْرِ الْاسْتِدْلَالِ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي بَشَّرَ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ، وَلَقَّتِ الْأَنْظَارَ إِلَيْهَا لِيَتَفَكَّرَ النَّاسُ فِيهَا، وَيَتَعَفَّطُوا، وَيَتَّقُوا رَبَّهُمْ، وَيُؤْمِنُوا بِهِ، وَبِأَنَّهُ وَاجِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، تَنَزَّاهُ عَنِ الشَّرِّكَ وَالْوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ. فَقَالَ: إِنَّهُ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ مِنْ آيَاتِهِ، فَجَعَلَ اللَّيْلَ مَظْلِمًا، وَمَا الضِّيَاءُ مِنْهُ لِنَسْكُنَ الْخَلَائِقُ فِيهِ، وَتَرْتَاحَ الْأَبْدَانُ مِنْ عَنَاءِ الْعَمَلِ فِي النَّهَارِ. وَجَعَلَ

① إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي

هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ
لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا

② وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

③ وَيَذَعُ الْإِنْسَانُ بِالْإِشْرَافِ

بِالْخَيْرِ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا

④ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ

فَمَنْ نَآءَ آيَةُ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَبَغَّوْا فَضْلًا
مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ
فَصْلَانَهُ تَفْصِيلًا

النَّهَارَ مُبْصِراً مُضِيئاً، لِيَسْعَى النَّاسُ فِيهِ طَلَباً لِمَعَاشِهِمْ، وَتَصْرِيفِ أُمُورِهِمْ.

وَقَدْ خَالَفَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، طَوَّلاً وَقَصِراً، لِيَعْلَمَ النَّاسُ عَدَدَ السِّنِينَ، وَالْحِسَابَ، لِأَنَّهُ لَوْ اسْتَمَرَّ الضِّيَاءُ لَمَا عَرَفَ النَّاسُ بِمَقْدَارِ الْوَقْتِ الَّذِي يَمُرُّ. وَكَذَلِكَ لَوْ جَعَلَ اللَّيْلُ مُسْتَمِراً، لَمَا عَرَفَ النَّاسُ مِنْهُ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ بَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ، عَلَى نَحْوِ مُفْصَّلٍ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، فَتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً لِلْمُصَادَفَةِ. فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ - خَلَقْنَا الْقَمَرَ مَطْمُوسَ النُّورِ مُظْلِماً. آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرةً - الشَّمْسُ مُضِيئةٌ مُبَيِّرةٌ لِلْإِبْصَارِ.

(إِنْسَانٍ) (الزَّمَنَاءُ) (طَائِرُهُ) (الْقِيَامَةِ) (كِتَاباً) (يَلْقَاهُ)

(١٣) - وَالْإِنْسَانُ مُلْتَزِمٌ بِعَمَلِهِ، وَمَسْئُولٌ عَنْهُ. وَهَذَا الْعَمَلُ مُلْتَصِقٌ بِالْإِنْسَانِ، وَمُلَازِمٌ لَهُ مُلَازِمَةُ الْقِلَادَةِ لِلْعُنُقِ، لَا يَنْفَكُ عَنْهُ بِحَالٍ، وَسَيُؤَاخِذُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُخْرِجُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ صَحِيفَةً أَعْمَالِهِ كُلَّهَا، لَا يَغِيبُ عَنْهَا عَمَلٌ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، لِيُحَاسَبَ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ جَمِيعِهَا.

(وَطَائِرُ الْإِنْسَانِ هُنَا عَمَلُهُ الَّذِي سَبَّبَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَزْجُرُ الطَّيْرَ، فَإِذَا طَارَ الطَّائِرُ يَمِيناً تَيَمَّنُوا وَتَفَاءَلُوا بِالْخَيْرِ، وَإِنْ طَارَ شِمَالاً تَشَاءَمُوا وَتَوَجَّسُوا خِفَةً مِنَ الشَّرِّ. وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ مَثَلاً لِلشَّيْءِ الَّذِي يُلَازِمُ الْإِنْسَانَ وَلَا يُفَارِقُهُ أَبَداً، فَتَقُولُ: الزَّمَنَةُ إِيَّاهُ فِي عُنُقِهِ).

(كِتَابَكَ)

(١٤) - وَيُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ كِتَابَكَ الَّذِي يَحْوِي أَعْمَالَكَ كُلَّهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، يَكْفِيكَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُحَاسِبَ عَلَى نَفْسِكَ، وَقَدْ عَدَلَ مَعَكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيباً عَلَى نَفْسِكَ. حَسِيباً - حَاسِباً وَعَاداً أَوْ مُحَاسِباً.

(١٥) - مَنْ اسْتَقَامَ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَاتَّبَعَهُ، وَاتَّبَعَ النُّورَ الَّذِي بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ أَهْتَدَى، وَتَكُونُ عَاقِبَةُ هُدَاهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ عَنِ الْحَقِّ، وَزَاغَ عَنِ سَبِيلِ الرُّشَادِ، فَإِنَّمَا يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ، وَيَعُودُ

﴿١٣﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً

﴿١٤﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً

﴿١٥﴾ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا

وَبَالَ سَعْيِهِ عَلَيْهِ هُوَ، وَلَا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ، وَلَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِإِزْأَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِ، يَدْعُونَهُ إِلَى الْحَقِّ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ حِينَ قَالَ: أَكْفُرُوا بِمُحَمَّدٍ وَعَلَيَّ وَزُرْكُم).

لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ - لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ آيَمَةً.

(فَدَمَرْنَاهَا)

(١٦) - فِي قِرَاءَةِ (أَمَرْنَا) وَجِهَانِ:

(أَمَرْنَا بِالتَّخْفِيفِ - وَهُوَ الْمَشْهُورُ فِي قِرَاءَتِهَا: فَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّهُ إِذَا دَنَا وَقْتُ تَعَلُّقِ إِزَادَتِنَا بِأَهْلَاكِ قَرْيَةٍ بِعَذَابِ الْإِسْتِثْصَالِ لِمَا ظَهَرَ فِيهَا مِنَ الْمَعَاصِي، وَلَمَّا دُنِسَتْ بِهَ نَفْسَهَا مِنَ الْآثَامِ، لَمْ يُعَاجِلْهَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْعُقُوبَةِ، بَلْ يَأْمُرُ مُتَرَفِّفِيهَا بِالطَّاعَةِ فَإِذَا فَسَقُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَتَمَرَّدُوا، حَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ لِإِزْكَابِهِمُ الْكِبَائِرَ وَالْفَوَاحِشَ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَدْمِيرِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ. (وَحُصِّصَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَرَفِّفِينَ بِالذِّكْرِ لِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ أَنَّ الْعَامَّةَ تُقْلِدُهُمْ وَتَكُونُ تَبَعًا لَهُمْ، فِيمَا يَفْعَلُونَ).

- وَمِنْ قَائِلٍ بَلْ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ اللَّهَ يُسَخِّرُهُمْ لِفِعْلِ الْفَوَاحِشِ فَيَسْتَحِقُّونَ الْعُقُوبَةَ.

- وَأَمَرْنَا - بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ - وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ مَعْنَاهَا سَلَطْنَا شِرَارَهَا فَعَصَوْا فِيهَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ. وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارَ مُجْرِمِيهَا﴾^(١).

- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: إِنَّ مَعْنَى (أَمَرْنَا مُتَرَفِّفِيهَا)، أَكْثَرْنَا عَدَدَهُمْ فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى أَنْتِشَارِ الْفُسْقِ وَالْفَسَادِ وَالْكَفْرِ، فَيُهْلِكُكُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ.

أَمَرْنَا مُتَرَفِّفِيهَا - أَمَرْنَا مُنْعِمِيهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ.

فَفَسَقُوا فِيهَا - فَتَمَرَّدُوا وَعَصَوْا وَخَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ.

فَدَمَرْنَاهَا - أَسْتَأَصَلْنَاهَا وَمَحَوْنَا أَثَارَهَا.

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا

مُتَرَفِّفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا

الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا

(١٧) - يُنذِرُ اللَّهُ الْكُفَّارَ مِنْ قُرَيْشٍ ، الَّذِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَذَابُهُ ، عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّهُ أَهْلَكَ أُمَّامًا مِنَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ، وَإِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ لَيَسُوا أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ يَمِّنَ أَهْلِكِهِمْ ، فَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْعُقُوبَةَ بِالْأُخْرَى وَالْأُولَى ، لِأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ خَيْرَهَا وَشَرِّهَا ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ .
الْقُرُونُ - الْأَمَمِ الْمُكَذِّبَةِ السَّالِفَةِ .

(يَصْلَاهَا)

(١٨) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا كُلِّ مَنْ أَرَادَهَا ، وَإِنَّمَا يَصِلُ إِلَيْهَا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ ، وَبِالْقَدْرِ الَّذِي يُرِيدُهُ اللَّهُ لَهُ ، وَفِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يَكُونُ مَصِيرُهُ نَارَ جَهَنَّمَ ، يَدْخُلُهَا حَتَّى تَغْمُرَهُ مِنْ جَوَانِبِهِ (يَصْلَاهَا) ، وَهُوَ مَذْمُومٌ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِ وَتَصَرُّفِهِ ، إِذْ اخْتَارَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ عَلَى الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ ، وَهُوَ مُبْعَدٌ حَقِيرٌ مُهَانَ (مَذْهُورًا) . وَفِي الْحَدِيثِ (الدُّنْيَا دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَمَالٌ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ) . (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا) .
يَصْلَاهَا - يَدْخُلُهَا أَوْ يُقَاسِي حَرَّهَا .
مَذْهُورًا - مَطْرُودًا مُبْعَدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .

(الْآخِرَةِ) (فَأُولَئِكَ)

(١٩) - وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ وَسُرُورٍ ، وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ ، وَطَلَبَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِهِ ، وَهُوَ مُتَابِعَةُ الرَّسُولِ ﷺ ، وَكَانَ قَلْبُهُ مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا بِالثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَأُولَئِكَ يَشْكُرُ اللَّهُ سَعْيَهُمْ وَيَجْزِيهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ ، وَهُوَ دُخُولُ الْجَنَّةِ .
(٢٠) - وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ : الَّذِينَ أَرَادُوا الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، وَالَّذِينَ أَرَادُوا الْآخِرَةَ وَنَعِيمَهَا ، وَسَعَوْا لَهَا سَعْيَهَا ، يَمُدُّهُمْ اللَّهُ فِيمَا هُمْ فِيهِ (مِنْ) عَطَاءٍ رَبِّكَ ، فَهُوَ الْمُتَصَرَّفُ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يَجُورُ ، فَيُعْطِي كُلًّا مِنْهُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمِقْدَارَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ صَلَاحُهُ ، ثُمَّ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ : فَفَرِيقٌ الْعَاجِلَةُ يُصْرَفُ إِلَى جَهَنَّمَ ، وَفَرِيقٌ الْآجِلَةُ يَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ . وَعَطَاءُ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَهُ أَوْ يَرُدَّهُ أَوْ يَنْقُصَ مِنْهُ .
كُلًّا نُمِدُّ - نَزِيدُ مِنَ الْعَطَاءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ
بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ
خَيْرَ بَصِيرًا

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ
فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا
مَذْمُومًا مَذْهُورًا

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا
سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا

كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ
عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
مَحْظُورًا

مَحْظُورًا - مَمْنُوعًا عَمَّنْ يُرِيدُهُ اللَّهُ .

(لِلْآخِرَةِ) (دَرَجَاتٍ)

(٢١) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّهُ فَضَّلَ النَّاسَ ، بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فِي الدُّنْيَا : فِي الْمَالِ وَالْحِمَالِ وَالْحَيَاةِ وَالْعَمَلِ وَالْأَعْمَارِ ، لِحِكْمَةٍ وَأَسْبَابٍ أَقْتَضَتْهَا حِكْمَتُهُ ، وَإِنْ تَفَاوَتْهُمْ فِي الْآخِرَةِ سَيَكُونُ أَكْبَرَ مِنْ تَفَاوُتِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، وَسَيَكُونُ تَفَاضُلُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَكْبَرَ مِنْ تَفَاضُلِهِمْ فِي الدُّنْيَا .

(آخِرَ)

(٢٢) - وَيُخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْأُمَّةِ فَيَقُولُ لَهُمْ : لَا تَجْعَلْ أَيْهَا الْإِنْسَانُ لِلَّهِ شَرِيكًا وَأَنْتَ تَعْبُدُهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ قَعَدْتَ مَذْمُومًا عَلَى إِشْرَاكَكَ بِرَبِّكَ ، مَحْذُومًا لَا يَنْصُرُكَ اللَّهُ ، وَيَكِلُكَ إِلَى مَنْ عِبَدْتَهُ ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَلَا يَمْلِكُ لَكَ أَنْتَ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا .

(وَبِالْوَالِدَيْنِ) (إِحْسَانًا)

(٢٣) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ (وَقَضَى رَبُّكَ - يَعْنِي أَمَرَ رَبُّكَ وَوَصَّى) ، وَوَصَّى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ ، فَإِذَا بَلَغَا الْكِبَرَ ، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ، عِنْدَ أَبْنَائِهِمَا ، فَعَلَى الْأَبْنَاءِ أَلَّا يُسْمِعُوهُمَا قَوْلًا سَيِّئًا حَتَّى وَلَا تَأْفِقَا (وَأُفِّ كَلِمَةً تَذُلُّ عَلَى الضَّجِيرِ وَالضُّبِقِ) ، وَيَجِبُ أَنْ لَا يَنْتَهَرُوهُمَا ، وَأَنْ لَا يَصْدُرَ مِنْهُمَا إِلَيْهِمَا فِعْلٌ قَبِيحٌ يَذُلُّ عَلَى سُوءِ الْأَدَبِ . وَأَمَرَ اللَّهُ الْأَبْنَاءَ بِالْإِحْسَانِ فِي الْقَوْلِ إِلَى الْأَبَوَيْنِ وَتَوْفِيرِهِمَا ، وَبِاسْتِعْمَالِ الْكَلَامِ الطَّيِّبِ الْكَرِيمِ فِي مُحَاطَبَتَيْهِمَا (فَلَا نِعْمَةً تَصِلُ إِلَى الْإِنْسَانِ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَةِ الْخَالِقِ ثُمَّ نِعْمَةُ الْأَبَوَيْنِ) .

قَضَى رَبُّكَ - أَمَرَ وَالزَّمَ وَحَكَّمَ .

أُفِّ - كَلِمَةُ تَضْجِرُ وَتَبْرُمُ .

لَا تَنْتَهَرُهُمَا - لَا تَرْجُرُهُمَا عَمَّا لَا يُعْجِبُكَ .

قَوْلًا كَرِيمًا - حَسَنًا لِينًا جَمِيلًا .

(٢٤) - وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَبْنَاءَ بِالتَّوَّاضِعِ لِلْأَبَوَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمْ مَعَهُمَا ، حَتَّى يَبْدُوَ الْأَبْنَاءُ وَكَأَنَّهُمْ أَذْلَاءُ مِنْ شِدَّةِ الرَّحْمَةِ ، لَا يَرْدُونَ لَهُمَا طَلِبًا ، وَلَا يَرْفُضُونَ لَهُمَا أَمْرًا . ثُمَّ أَمَرَ الْأَبْنَاءَ بِالدُّعَاءِ لِلْأَبَوَيْنِ ، وَالتَّرَحُّمِ عَلَيْهِمَا ، جَزَاءَ مَا اخْتَمَلَاهُ فِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ مِنْ عَنَاءٍ وَمَشَقَّةٍ وَعَنْتٍ .

﴿٦١﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى

بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ

وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا

﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ

فَتَقْعَدَ مَذْمُومًا مَحْذُومًا



﴿٦٣﴾

﴿٦٣﴾ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

يَمْلِكَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرُ

أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ

لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

(وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ). (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ).

(صَالِحِينَ) (لِلْأَوَّابِينَ)

(٢٥) - رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ مِنْ تَعْظِيمِكُمْ أَمْرَ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ، وَالْبِرِّ بِهِمْ، وَمِنَ الْاسْتِخْفَافِ بِحُقُوقِهِمْ، وَالْعُقُوقِ لَهُمْ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَى حَسَنِ ذَلِكَ وَسَيِّئِهِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تُضْمِرُوا لَهُمْ سُوءًا، أَوْ تَجْعَلُوا لَهُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عُقُوقًا، فَاَنْتُمْ إِنْ أَصْلَحْتُمْ نِيَّاتِكُمْ فِيهِمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْبِرِّ بِهِمْ، بَعْدَ هَفْوَةٍ كَانَتْ مِنْكُمْ، أَوْ زَلَّةٍ فِي وَاجِبٍ لَهُمْ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لَكُمْ مَا فَرَطَ مِنْكُمْ، فَهُوَ غَفَّارٌ لِمَنْ يَتُوبُ مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَرْجِعُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى طَاعَتِهِ.

لِلْأَوَّابِينَ - لِلتَّوَّابِينَ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُمْ.

(وَأَتِ)

(٢٦) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَّ الْوَالِدَيْنِ، عَطَفَ عَلَى ذِكْرِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقْرَابِ، وَإِلَى صِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَالْمَسَاكِينِ، وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ الْعَاثِرِينَ، الَّذِينَ أَنْقَطَعَتْ نَفَقَتُهُمْ. (وَفِي الْحَدِيثِ: أُمُّكَ وَأَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ).

(وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَاطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَنَسَا لَهُ فِي أَجَلِهِ فَلْيُصَلِّ رَحِمَهُ).

وَبَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِنْفَاقِ نَهَى عَنِ الْإِسْرَافِ فِيهِ، وَحَثَّ عَلَى الْاِعْتِدَالِ (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: التَّبْذِيرُ هُوَ الْإِنْفَاقُ فِي غَيْرِ حَقٍّ، فَلَوْ أَنْفَقَ الْإِنْسَانُ مَالَهُ كُلَّهُ فِي أَوْجِهٍ الْحَقِّ لَمْ يَكُنْ مُبَذِّرًا، وَإِذَا أَنْفَقَ مُدًّا فِي غَيْرِ حَقٍّ كَانَ مُبَذِّرًا.

(إِخْوَانَ) (الشَّيَاطِينِ) (الشَّيْطَانُ)

(٢٧) - وَالْمُبَذَّرُونَ هُمْ قُرْنَاءُ الشَّيَاطِينِ فِي السَّفَهِّ وَالتَّبْذِيرِ وَتَرْكِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَارْتِكَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ كَفُورًا بِنِعْمَةِ رَبِّهِ، جَحُودًا بِهَا، لِأَنَّهُ أَنْكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ.

(وَتَقُولُ الْعَرَبُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لَازِمَ سَنَةِ قَوْمٍ، وَاتَّبَعَ أَثَرَهُمْ هُوَ أَخُوهُمْ).

﴿٢٥﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ

تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ
لِالْأَوَّابِينَ غَفُورًا

﴿٢٦﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ

وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا
تُبْذِرْ تَبْذِيرًا

﴿٢٧﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ

الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِرَبِّهِ كَفُورًا

(٢٨) - فَإِذَا سَأَلَكَ أَقَارِبُكَ، وَمَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِإِعْطَائِهِمْ، وَلَيْسَ لَدَيْكَ شَيْءٌ تُعْطِيهِمْ إِيَّاهُ، وَأَعْرَضْتَ عَنْهُمْ لِضِيقِ الْيَدِ، وَفَقْدَانِ مَا تُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، فَعِذْهُمْ وَعِدًّا لَيْنًا جَمِيلًا، تَطِيبُ بِهِ قُلُوبَهُمْ، وَقُلْ لَهُمْ إِذَا جَاءَكَ رِزْقٌ فَاسْتَصِلْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(٢٩) - يَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْعَيْشِ، وَتَنْهَى عَنِ السَّرْفِ، فَيَقُولُ: لَا تَكُنْ أَهْلُ الْإِنْسَانِ بَخِيلًا مُنْوعًا لَا تُعْطِي أَحَدًا شَيْئًا، وَلَا تُسْرِفُ فِي الْإِنْفَاقِ فَتُعْطِي فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَإِذَا بَخَلْتَ قَعَدْتَ مَلُومًا يَلُومُكَ النَّاسُ عَلَى الْبُخْلِ وَيَذْمُونَكَ، وَإِذَا بَسَطْتَ يَدَكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ أَفْتَقَرْتَ وَقَعَدْتَ بِمَا شِئْتَ تَنْفِقُهُ، فَتَكُونُ كَالْحَسِيرِ الْكَالِيلِ.

(وَفِي الْحَدِيثِ: إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخَلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُتَيْعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا). (أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ).

يَدُكَ مَغْلُولَةً - كِنَايَةٌ عَنِ الشُّحِّ.

تَبْسُطُهَا كُلُّ الْبَسْطِ - كِنَايَةٌ عَنِ التَّبَذِيرِ وَالْإِسْرَافِ.

مَحْسُورًا - نَادِمًا، أَوْ مُنْقَطِعًا بِكَ نَدَمًا. وَالذَّابَّةُ الْحَسِيرُ - الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَنِ السَّيْرِ كَلَالًا وَإِعْيَاءً.

(٣٠) - إِنْ رَبَّكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُوسِّعُ عَلَيْهِ، وَيَقْتَرُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيُضِيقُ عَلَيْهِ، لِمَا لَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ خَبِيرٌ بِعِبَادِهِ، فَيَعْرِفُ مَنْ يُصْلِحُهُ الْغِنَى فَيَغْنِيهِ، وَمَنْ يُصْلِحُهُ الْفَقْرُ. وَهُوَ بَصِيرٌ بِتَبَذِيرِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ.

(وَفِي الْحَدِيثِ: إِنْ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَلَوْ أَعْنَيْتُهُ لَأَفْسَدْتُ عَلَيْهِ دِينَهُ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْغِنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدْتُ عَلَيْهِ دِينَهُ) يَقْدِرُ - يُضِيقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةٍ.

(أَوْلَادُكُمْ) (إِمْلَاقٍ)

(٣١) - وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قُلْتُمْ كَانَ خَطَاءًا كَبِيرًا.

وَأَمَّا نَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ إِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّيسُورًا

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا

إِنْ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قُلْتُمْ كَانَ خَطَاءًا كَبِيرًا

خَشِيَّةٌ إِمْلَاقٍ - خَوْفٌ فَقْرٍ وَفَاقَةٍ .
خَطْئًا كَبِيرًا - إِثْمًا عَظِيمًا .

(فَاحِشَةٌ)

(٣٢) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنْ مُقَارَفَةِ الزُّنَى، وَمُبَاشَرَةِ أَسْبَابِهِ وَدَوَائِعِهِ، فَهُوَ فَعْلَةٌ ظَاهِرَةٌ الْقُبْحِ (فَاحِشَةٌ)، وَيُسَمَّى طَرِيقًا وَمَسْلَكًا (سَاءَ سَبِيلًا)، لِمَا فِيهِ مِنْ اخْتِلَاطِ الْأَنْسَابِ، وَفَسَادِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ، لِضَيَاعِ الثِّقَةِ الْوَاجِبِ تَوْفُّرُهَا لِاطْمِئْنَانِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ .

(وَفِي الْحَدِيثِ: مَا مِنْ ذَنْبٍ بَعْدَ الشُّرْكِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ نُطْفَةٍ يَضَعُهَا رَجُلٌ فِي رَحِمِ لَا يَحِلُّ لَهُ). (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ مَالِكٍ الطَّائِيِّ مَرْفُوعًا) .

(سُلْطَانًا)

(٣٣) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ قَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ شَرْعِيٍّ .
(وَفِي الْحَدِيثِ: لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ). (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ). وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا (لَا يَحِلُّ دَمُ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالزَّانِي بِالْمُحْصَنِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُقَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ). (وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ) .

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ يُوجِبُ قَتْلَهُ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا وَسَلْطَةً عَلَى الْقَاتِلِ، إِنْ شَاءَ قَتْلَهُ قَوْدًا، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَأَخَذَ الدِّيَّةَ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ بِغَيْرِ دِيَّةٍ .

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِيَّ الْمَقْتُولِ بِالْأَنْ يَتَجَاوَزَ الْحَدَّ الْمَشْرُوعَ بِأَنْ يَقْتُلَ اثْنَيْنِ مُقَابِلَ وَاحِدٍ، أَوْ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْ غَيْرِ الْقَاتِلِ، كَأَخْوَرَتِهِ وَأَقْرَبَائِهِ . وَيُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ وَلِيَّ الْمَقْتُولِ مَنْصُورٌ عَلَى الْقَاتِلِ، بِأَنْ أَوْجِبَ لَهُ الْقِصَاصُ أَوْ الدِّيَّةُ وَأَمَرَ الْحُكَّامَ بِأَنْ يُعِينُوهُ فِي اسْتِيفَائِهِ حَقَّهُ .

سُلْطَانًا - تَسَلُّطًا عَلَى الْقَاتِلِ بِالْقِصَاصِ أَوْ الدِّيَّةِ .

(٣٤) - وَبَعْدَ أَنْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ إِتْلَافِ الْأَنْفُسِ، نَهَى عَنِ إِتْلَافِ الْأَمْوَالِ، وَأَحَقُّ الْأَمْوَالِ بِالرَّعَايَةِ مَالُ الْيَتِيمِ، فَبَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى بِدَعْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ فَقَالَ: وَلَا تَصْرَفُوا بِمَالِ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الطَّرِيقِ، وَهِيَ طَرِيقَةُ حِفْظِهِ وَتَثْمِيرِهِ لِأَنَّهُ ضَعِيفٌ عَنْ تَدْبِيرِ مَالِهِ، عَاجِزٌ عَنِ الدَّوْدِ عَنْهُ، وَالْجَمَاعَةُ الْمُسْلِمَةُ مُكَالَّفَةٌ

وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً
وَسَاءَ سَبِيلًا

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا
فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا
يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ
مَنْصُورًا

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا

بِرِعَايَةِ الْيَتِيمِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَالْقُدْرَةَ عَلَى الْعِنَايَةِ بِمَالِهِ
وَتَذْيِيرِهِ. وَبِمَا أَنَّ رِعَايَةَ مَالِ الْيَتِيمِ وَشَخْصِهِ عَهْدٌ عَلَى الْجَمَاعَةِ
الْمُسْلِمَةِ، لِذَلِكَ أَلْحَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ إِطْلَاقًا، وَحَثَّ عَلَيْهِ،
فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ يَسْأَلُ عَنِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَيَحَاسِبُ عَلَيْهِ مَنْ يَنْكُثُ بِهِ
وَيَنْقُضُهُ.

يَبْلُغَ أَشُدَّهُ - قُدْرَتُهُ عَلَى حِفْظِ مَالِهِ وَرُشْدِهِ فِيهِ.

(٣٥) - وَالْوَفَاءُ بِالْكَيْلِ وَالِاسْتِقَامَةُ فِي الْوَزْنِ هُمَا مِنْ أَمَانَاتِ التَّعَامُلِ،
يَسْتَقِيمُ بِهِمَا التَّعَامُلُ فِي الْجَمَاعَةِ، وَتَتَوَافَرُ بِهِمَا الثِّقَةُ فِي النُّفُوسِ،
وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ بِإِيفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَإِتِمَامِهِمَا مِنْ
غَيْرِ بَخْسٍ وَلَا تَطْفِيفٍ، وَبِأَنْ يَزِنُوا بِمِيزَانٍ عَادِلٍ سَلِيمٍ مَضْبُوطٍ
(الْمُسْتَقِيمِ).

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ وَإِيفَاءَ الْكَيْلِ وَالْوَزْنَ خَيْرٌ لِلنَّاسِ فِي
الدُّنْيَا مِنَ النُّكْثِ بِالْعَهْدِ، وَبَخْسِ النَّاسِ حَقَّهُمْ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ،
وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمُنْقَلَبًا فِي الْآخِرَةِ.

بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ - بِالْمِيزَانِ الْعَدْلِ الْمَضْبُوطِ الصَّحِيحِ.
أَحْسَنُ تَأْوِيلًا - أَحْسَنُ مَالًا وَعَاقِبَةً.

(أُولَئِكَ) (مَسْئُولًا)

(٣٦) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ عَنِ الْقَوْلِ بِمَا يَعْلَمُ، وَيُدُونُ تَثْبِتَ، فَعَلَى
الْمُؤْمِنِ أَنْ يَمْتَنِعَ عَنِ الْحَدِيثِ فِي أَمْرِ عَلَى الظَّنِّ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّوَهُّمِ.
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: لَا تَشْهَدُ إِلَّا بِمَا رَأَتْ عَيْنَاكَ،
وَسَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ، وَوَعَاهُ قَلْبُكَ.

(وَفِي الْحَدِيثِ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ). وَيَقُولُ
تَعَالَى لِلْعِبَادِ إِنَّهُ سَيَسْأَلُهُمْ عَنْ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأَفْئِدَتِهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، وَعَمَّا أَجْتَرَحْتَهُ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجَوَارِحِ.
لَا تَقَفْ - لَا تَتَّبِعْ.

(٣٧) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ التَّجْبِيرِ، وَالتَّبَخُّرِ فِي الْمِشْيَةِ، كَمَا
يَفْعَلُ الْجَبَّارُونَ، فَيَقُولُ تَعَالَى: وَلَا تَمْشِ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ
مُتَكَبِّرًا مُتَخَالِفًا مَزْهُومًا بِقُوَّتِكَ فَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْرِقَ الْأَرْضَ الَّتِي
تَمْشِي عَلَيْهَا، بِشِدَّةِ وَطْئِكَ عَلَيْهَا بِقَدَمَيْكَ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطَاوِلَ
الْجِبَالَ، وَلَا أَنْ يَبْلُغَ طُولَ قِمَمِهَا.

﴿٣٥﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا
بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

﴿٣٦﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا

﴿٣٧﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ
لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ حَقِيرٌ، وَعِنْدَ النَّاسِ كَبِيرٌ).

مَرَحًا - فَرَحًا وَبَطْرًا وَآخْتِيَالًا وَافْتِخَارًا.

(٣٨) - لَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَاتِ عَنْ أُمُورٍ، كَمَا أَمَرَ بِأُمُورٍ، وَجَمِيعُ مَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ (وَهُوَ سَيِّئُهُ): مِنَ الْإِشْرَافِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّبَذِيرِ وَالتَّافِفِ مِنَ الْوَالِدَيْنِ، وَغِلِّ الْيَدِ بَخْلًا، وَقَتْلِ الْأَبْنَاءِ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ، وَالْمَشْيِ مَرَحًا.. هُوَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ اللَّهِ وَمَمْقُوتٌ.

(آخِرُ)

(٣٩) - وَهَذَا الَّذِي أَمَرْنَاكَ بِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَنَهَيْنَاكَ عَنْهُ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ، هُوَ مِمَّا أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ فِقْهِ الدِّينِ، وَمَعْرِفَةِ أَسْرَارِهِ، وَمِنْ الْحِكْمِ فِي تَشْرِيعِهِ لِتَأْمُرَ النَّاسَ بِهِ. وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ عَاقِبَتُكَ نَارُ جَهَنَّمَ، فَتَلُومُ نَفْسَكَ وَيَلُومَكَ اللَّهُ وَالْخَلْقُ (مَلُومًا) وَتَكُونُ مُبْعَدًا وَمَطْرُودًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ (مَذْهُورًا).

(وَالْمَقْصُودُ بِهَذَا الْخُطَابِ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِوَاسِطَةِ الرَّسُولِ، فَهُوَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَعْصُومٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ).

مَذْهُورًا - مُبْعَدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

(أَفَاضْصَاكُمُ) (الْمَلَائِكَةُ) (إِنَانًا)

(٤٠) - يَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ هُمْ إِنَانٌ، وَأَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ، ثُمَّ عَذَّبَهُمْ. فَقَالَ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ زَعْمَهُمْ هَذَا: أَخَصَّكُمْ اللَّهُ بِالذِّكُورِ، وَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ الْبَنَاتِ حَسَبًا زَعَمْتُمْ، وَأَنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ الْإِنَانَةَ لِأَنْفُسِكُمْ، فَتَجْعَلُونَ لَهُ مَا لَا تَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِكُمْ؟ إِنْكُمْ أَهْلُ الْمُشْرُوكُونَ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا فِي بَشَاعَتِهِ فِي نِسْبَةِ الْوَلَدِ لِلَّهِ، ثُمَّ فِي خَصِّ اللَّهِ بِالْإِنَانِ.

أَفَاضْصَاكُمُ رَبُّكُمْ - أَفْضَلَكُمْ رَبُّكُمْ فَخَصَّكُمْ؟

(الْقُرْآنُ)

(٤١) - وَلَقَدْ بَيَّنَّا فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْآيَاتِ وَالْحُجَجَ، وَضَرَبْنَا لِلنَّاسِ الْأَمْثَالَ، وَحَدَّرْنَاهُمْ وَأَنْذَرْنَاهُمْ، لِيَذْكُرُوا، وَيَتَعَطَّلُوا، فَيَقِفُوا عَلَى بُطْلَانِ مَا يَقُولُونَ، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَا يَتَعَطَّلُونَ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ بِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالنَّذْرِ، بَلْ لَا يَزِيدُهُمُ التَّذْكِيرُ إِلَّا نُفُورًا وَبُعْدًا عَنِ الْحَقِّ.

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً، وَعِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا

أَفَاضْصَاكُمُ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَأَتَّخِذُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا لَكُمْ لَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يُزِيدُهُمُ إِلَّا نُفُورًا

صَرَفْنَا - كَرَّرْنَا الْقَوْلَ بِأَسَالِيبٍ مُخْتَلِفَةٍ.
نُفُورًا - تَبَاعُدًا وَإِعْرَاضًا عَنِ الْحَقِّ.

(الْهَيْه)

(٤٢) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الشُّفَعَاءَ وَالْأَنْدَادَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ اللَّهَ شُرَكَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، الْعَابِدِينَ مَعَهُ غَيْرَهُ لِيُقَرِّبَهُمْ إِلَيْهِ رُفْقَى: لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ، وَأَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى تَعْبُدُ تُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ، وَلَتَشْفَعَ عِنْدَهُ، لَكَانَ أَوْلَىكَ الْمَعْبُودُونَ يَعْبُدُونَهُ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ، وَيَسْتَغْوُونَ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَالْقُرْبَةَ، فَاعْبُدُوهُ أَنْتُمْ وَحْدَهُ، كَمَا يَعْبُدُهُ مِنْ دُونِهِ، وَلَا حَاجَةَ لَكُمْ إِلَى مَعْبُودٍ يَكُونُ وَسِطًا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، فَاللَّهُ لَا يُحِبُّ ذَلِكَ.

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: لَطَلَبَ هَؤُلَاءِ الْآلِهَةَ طَرِيقًا يَصِلُونَ مَعَهُ إِلَى صَاحِبِ الْمُلْكِ الْمُطَّلَقِ لِيُنَازِعُوهُ عَلَيْهِ).
لَا تَبْتَغُوا - لَطَلَبُوا.

سَبِيلًا - بِالْمُطَالَبَةِ وَالْمُمَانَعَةِ أَوْ بِالتَّقَرُّبِ.

(سُبْحَانَهُ) (وَتَعَالَى)

(٤٣) - ثُمَّ نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ، وَقَدَّسَهَا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ، فَقَالَ: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ الظَّالِمُونَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى، بَلْ هُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٤٤) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ تَقَدَّسَهُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَنَزَّهَهُ وَتَعَظَّمَهُ وَتَجَلَّاهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَتَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَفْهَمُونَ تَسْبِيحَهُمْ، لِأَنَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ لُغَةً، وَوَسِيلَةً لِلتَّعْبِيرِ عَنْ تَسْبِيحِهِ رَبَّهُ. وَكَانَ اللَّهُ حَلِيمًا لَا يَعَاجِلُ مَنْ عَصَاهُ بِالْعُقُوبَةِ، بَلْ يُؤْجِلُهُ وَيُنْظِرُهُ، فَإِنْ تَابَ وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ مُسْتَغْفِرًا غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ أَسْتَمَرَ عَلَى كُفْرِهِ وَعِيَهُ أَخَذَهُ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

٤٢ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ

إِذَا لَا تَبْتَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا

٤٣ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ

عُلُوًّا كَبِيرًا

٤٤ تَسْبِيحُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ

وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ

إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

(الْقُرْآنَ) (بِالْآخِرَةِ)

(٤٥) - وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْهُ، الْقُرْآنَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مَسْتُورًا عَنِ الْأَبْصَارِ، يَمْنَعُ وَصُولَ الْهُدَى إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَذَلِكَ عِقَابٌ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَأَقْتِرَافِهِمُ الْمُتَكْرَرِ وَالْمَعَاصِي، الَّتِي تَجْعَلُ الْقُلُوبَ مُظْلِمَةً، وَتَضَعُ عَلَيْهَا أَغْشِيَةً تَحْجُبُ عَنْهَا الْهُدَى. حِجَابًا مَسْتُورًا - حِجَابًا سَاتِرًا، أَوْ مَسْتُورًا عَنِ الْجَسِّ.

(آذَانِهِمْ) (الْقُرْآنَ) (أَدْبَارِهِمْ)

(٤٦) - وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَغْشِيَةً (أَكِنَّةً) تَغْشَى عَلَيْهَا فَلَا يَفْقَهُونَ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي تَقْرَأُهُ شَيْئًا، وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ صَمًّا ثَقِيلًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ السَّمْعِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَإِذَا تَلَوْتُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَتَحَدَّثُ عَنْ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى أَذْبَرُوا وَرَاجِعِينَ نَافِرِينَ مِنْهُ، لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ سَمَاعَ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ: اللَّاتِ وَالْعُزَّى... أَكِنَّةٌ - أَغْشِيَةٌ كَثِيرَةٌ مَانِعَةٌ. وَقَرَأَ - صَمًّا وَثِقَلًا فِي السَّمْعِ عَظِيمًا.

(الظَّالِمُونَ)

(٤٧) - وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالْوَجْهِ الَّذِي يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِلَى الْقُرْآنِ، وَهُوَ الْهَرَاءُ وَالسُّخْرِيَّةُ وَالتَّكْذِيبُ بِهِ حِينَ اسْتِمَاعِهِمْ إِلَيْكَ، وَأَعْلَمُ بِمَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ وَيَتَسَارَوْنَ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: مَجْنُونٌ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: كَاهِنٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: رَجُلٌ مَسْحُورٌ.

هُمْ نَجَوَى - يَتَنَاجَوْنَ فِي أَمْرِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

مَسْحُورًا - مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ بِالسَّحْرِ، أَوْ سَاحِرًا.

(٤٨) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ: أَنْظِرْ كَيْفَ يَضْرِبُ هَؤُلَاءِ لَكَ الْأَمْثَالَ، وَقَدْ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، لِضَلَالِهِمْ عَنْهُ، وَبُعْدِهِمْ مِنْهُ.

(إِنِّذَا) (عِظَامًا) (وَرَفَاتًا) (إِنِّذَا)

(٤٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا قَالَهُ الْكُفَّارُ، وَهُمْ يَسْتَبِعِدُونَ وَفُوعَ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، فَيَسْتَفْهِمُونَ اسْتِفْهَامَ مُنْكَرٍ: هَلْ إِذَا صِرْنَا عِظَامًا وَتُرَابًا هَلْ

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا

وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَى أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجَوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَسْبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا

أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا

وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا

سَنُخْلِقُ مِنْ جَدِيدٍ خَلْقًا آخَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ لَا يُصَدِّقُهُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ.

رَفَاتًا - أَجْزَاءً مُفْتَتَةً أَوْ تُرَابًا أَوْ غُبَارًا.

(٥٠) - وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْبِدِينَ إِمَّا كَانَ وَقُوعَ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَالْخَلْقِ الْجَدِيدِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْبَلَى، بِقَوْلِهِ: كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، وَهُمَا أَشَدُّ أَمْتِنَاعًا مِنَ الْعِظَامِ وَالرُّفَاتِ لِقَبُولِ الْحَيَاةِ.

(رُؤُوسُهُمْ)

(٥١) - وَقُلْ لَهُمْ: أَوْ كُونُوا أَيُّ شَيْءٍ، مِمَّا تَعْتَقِدُونَهُ عَظِيمًا فِي أَنْفُسِكُمْ كَالْجِبَالِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَكُمْ أَحْيَاءً. وَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا إِذَا كُنَّا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا آخَرَ مِمَّا يُسْتَعْبَدُ قَبْلُهُ لِلْحَيَاةِ؟ فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: يُعِيدُكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ (فَطَرَكُمْ) وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، ثُمَّ صِرْتُمْ بَشَرًا تَنْتَشِرُونَ، فَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِكُمْ، وَلَوْ صِرْتُمْ عَلَى أَيِّ حَالٍ، وَلَنْ يُعْجِزَهُ إِحْيَاؤُكُمْ. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْكَافِرِينَ حِينَمَا يَسْمَعُونَ هَذَا الْجَوَابَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ سَيَحْرُكُونَ رُؤُوسَهُمْ حَرَكَةً اسْتِهْزَاءٍ، وَيَقُولُونَ: مَتَى يَكُونُ هَذَا الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ؟ اسْتِيعَادًا مِنْهُمْ لَوْقُوعِهِ. وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يُجِيبَهُمْ: إِنَّهُ قَدْ يَكُونُ قَرِيبًا فَلْيَحْذَرُوا ذَلِكَ، فَإِنَّهُ قَرِيبٌ إِلَيْهِمْ وَسَيَأْتِيهِمْ لَا مَحَالَةَ.

يَكْبُرُ - يَعْظُمُ عَنْ قَبُولِ الْحَيَاةِ كَالسَّمَاوَاتِ.

فَطَرَكُمْ - أَبْدَعَكُمْ وَأَخْدَعَكُمْ.

فَسَيَنْفُضُونَ - يُحَرِّكُونَ رُؤُوسَهُمْ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ وَمِنْ أَسْفَلٍ إِلَى أَعْلَى حَرَكَةً اسْتِهْزَاءٍ.

(٥٢) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَدْعُو اللَّهُ عِبَادَهُ فَيَقُومُونَ كُلُّهُمْ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِهِ، وَطَاعَةً لِإِرَادَتِهِ، وَهُمْ يَطْنُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْوَقْتِ، وَهَذَا يَقْلِلُ مِنْ قِيَمَةِ الدُّنْيَا، بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا هُمْ مُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ. بِحَمْدِهِ - مُنْقَادُونَ أَنْفِقَادَ الْحَامِدِينَ لَهُ.

(الشَّيْطَانِ) (لِلْإِنْسَانِ)

(٥٣) - وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَنْصَحَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَقُولُوا فِي مُحَاطَبَتِهِمْ، وَمُحَاوَرَتِهِمْ الْكَلَامِيَّةِ، الْعِبَارَاتِ الْأَحْسَنَ، وَالْكَلِمَاتِ



مُتَّفَقٌ
الْجَزْءِ
٢٩

٥٠ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ

حَدِيدًا

٥١ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي

صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا

قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

فَسَيَنْفُضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ

وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ

يَكُونَ قَرِيبًا

٥٢ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ

بِحَمْدِهِ وَتَنْتَوْنُ أَنْ لَيْسَ لَكُمْ

إِلَّا قَلِيلًا

٥٣ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ

الْأَطْيَبَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، وَأَوْقَعَ بَيْنَهُمُ الشَّرَّ وَالْمُخَاصَمَةَ، وَالْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، فَهُوَ عَدُوٌّ لِدُرِّيَّةِ آدَمَ، ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ سَافِرُهَا.
يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ - يُفْسِدُ وَيُهَيِّجُ الشَّرَّ بَيْنَهُمْ.

(أَرْسَلْنَاكَ)

(٥٤) - رَبُّكُمْ هُوَ الْعَلِيمُ بِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَدَايَةَ وَبِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، فَإِنْ شَاءَ رَحِمَكُمْ بِتَوْفِيقِكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ بِصَرْفِكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى، فَتَمُوتُونَ عَلَى شِرْكِكُمْ، وَتَصِيرُونَ إِلَى النَّارِ وَعَذَابِهَا. فَعَاقِبَةُ النَّاسِ مَجْهُولَةٌ، وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَمْ نُرْسِلْكَ يَا مُحَمَّدُ وَكِيلًا عَلَيْهِمْ لَتَجْبِرَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَإِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ، وَحِسَابَ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَكِيلًا - مُوَكَّلًا إِلَيْكَ أَمْرُهُمْ.

(السَّمَاوَاتِ) (النَّبِيِّنَ) (وَاتَيْنَا)

(٥٥) - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَرَاتِبِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَقَدْ فَضَّلَ بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ. وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١)، وَهُوَ تَفْضِيلُ اللَّهِ أَعْلَمُ بِأَسْبَابِهِ. وَهَذَا الْقَوْلُ لَا يُنَافِي مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ)، فَالْمَقْصُودُ هُنَا التَّفْضِيلُ بِمُجَرَّدِ التَّشْهِي وَالْعَصَبِيَّةِ، لَا بِمُقْتَضَى دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ، وَلَكِنْ إِذَا قَامَ دَلِيلٌ عَلَى شَيْءٍ وَجَبَ اتِّبَاعُهُ، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنَ بَاقِي الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ أَوْلَى الْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ أَفْضَلُهُمْ.

وَأَوْلَى الْعَزَمِ هُمْ خَمْسَةٌ: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَتَى دَاوُدَ زَبُورًا، وَفَضَّلَهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَلَمْ يُفَضَّلْهُ بِالْمَلِكِ.
الزَّبُور - كِتَابٌ فِيهِ تَحْمِيدٌ وَتَمْجِيدٌ لِلْخَالِقِ وَمَوَاطِظُ.

(٥٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ: أَدْعُوا الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ - الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ أَرْبَابُ آلِهَةٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ - جِئَنَّا

(١) الآية ٢٥٣ من سورة البقرة.

إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَاءُ رَحِمَكُمْ

أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ

النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ

زَبُورًا

قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ

فَلَا يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضُّرِّ

عَنْكُمْ وَلَا نَحْوِيْلًا

يَنْزِلُ بِكُمْ الضَّرَّ إِلَى عَوْنِكُمْ، وَلَرَفَعِ الضَّرَّ عَنْكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ، وَلَا يَمْلِكُونَ تَحْوِيلَهُ إِلَى غَيْرِكُمْ، وَالَّذِي يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ.

تَحْوِيلًا - نَقَلَهُ إِلَى غَيْرِكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدْهُمْ.

(أُولَئِكَ)

(٥٧) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْإِنْسِ كَانُوا يَعْبُدُونَ جَمَاعَةً مِنَ الْجِنِّ، فَاسْلَمَ الْجِنُّونَ، وَالْإِنْسُ لَا يَدْرُونَ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَقُوا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِمْ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ. يَقُولُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ جَمِيعًا: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ آلِهَةً، وَتَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، هُمْ عِبَادُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَيَعْمَلُونَ جَاهِدِينَ عَلَى الْفَوْزِ بِالْقُرْبِ مِنْهُ تَعَالَى، بِالطَّاعَةِ وَالْقُرْبَةِ، وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمَعْبُودِينَ قُرْبًا مِنَ اللَّهِ يَدْعُو اللَّهَ، وَيَسْتَعِينُ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَالْقُرْبَةَ مِنْهُ، وَيَخْشَى عَذَابَهُ وَعِقَابَهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ حَالُ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَابِ فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهُمْ؟ وَمَا أَجْدَرَكُمْ أَنْ تَتَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْخَالِقِ الْقَاهِرِ بِالْعِبَادَةِ وَالِدُ الدُّعَاءِ وَالْخَشْيَةِ، كَمَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِهَا الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ أَنْتُمْ وَتَدْعُونَهُمْ أَرْبَابًا. وَعَذَابُ اللَّهِ خَلِيقَ بَأَن يُحْذَرُ، وَيَخَافُ مِنْهُ.

الْوَسِيلَةُ - الْقُرْبَةُ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.

(الْقِيَامَةِ) (الْكِتَابِ)

(٥٨) - وَمَا مِنْ قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى الَّتِي ظَلَمَ أَهْلُهَا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، إِلَّا وَهَلَكَهَا اللَّهُ، وَبُهَلَكَ أَهْلُهَا، وَبُيِدَ هُمْ بِالْإِسْتِصَالِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ بِإِتِلَائِهِمْ بِأَصْنَافٍ مِنَ الْعَذَابِ، بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَخَطَايَاهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ مُثَبَّتًا فِي عِلْمِ اللَّهِ، أَوْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: أَكْتُبُ الْمُقَدَّرَ وَمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ).

(بِالْآيَاتِ) (وَاتَيْنَا)

(٥٩) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنْحِيَ عَنْهُمْ جِبَالَ مَكَّةَ فَيَزْرَعُوا، عَلَى أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنَّ حَقَّقَ لَهُمْ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ: أَوْتَفَعَلُونَ؟ قَالُوا:

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ

إِلَى رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلَةً أَيْهِمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ

عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا

وَلِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ

مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ

الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا

شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ

مَسْطُورًا

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ

إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ

وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْنَاقَةَ مُبْصِرَةً

فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ إِلَّا نَذِيرًا
إِلَّا تَخْوِيفًا

نَعَمْ قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ رَبَّهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ شَيْئًا أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَابًا، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَذْبَتُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. وَإِنْ شِئْتُ فَتَحْتُ لَهُمُ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ.

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ: إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَى قُرَيْشٍ كَمَا سَأَلُوهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، وَلَكِنَّ الَّذِي مَنَعَهُ مِنْ إِرْسَالِ الْآيَاتِ الَّتِي سَأَلُوهَا هُوَ تَكْذِيبُ الْأَوَّلِينَ بِمِثْلِهَا، بَعْدَ أَنْ سَأَلُوهَا وَجَاءَتْهُمْ. فَإِذَا أُرْسِلَهَا اللَّهُ إِلَى قُرَيْشٍ، وَكَذَّبُوا بِهَا عَوجِلُوا بِالْعَذَابِ، وَلَمْ يُمْهَلُوا.

وَقَدْ سَأَلَتْ ثُمُودُ نَبِيَّهَا صَالِحًا أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ نَاقَةً عَشْرَاءَ، فَدَعَا اللَّهَ، فَأَخْرَجَهَا لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَاءَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ النَّاقَةَ حُجَّةً وَاضِحَةً، وَدَلَالَةً عَلَى وَحْدَانِيَّةِ خَالِقِهَا وَقُدْرَتِهِ، وَعَلَامَةً عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ رَسُولِهِ صَالِحٍ، فَكَفَرَتْ ثُمُودُ بِالنَّاقَةِ، وَمَنَعُوهَا شُرَبَهَا، وَقَتَلُوهَا، فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ عَنْ آخِرِهِمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِنَّهُ يُخَوِّفُ النَّاسَ بِمَا شَاءَ مِنَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَتَعَبَّرُونَ وَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ.

مَبْصُرَةً - آيَةً بَيِّنَةً وَاضِحَةً أَوْ ذَاتَ بَصِيرَةٍ لِمَنْ يَتَأَمَّلُهَا.

فَظَلَمُوا بِهَا - فَكَفَرُوا بِهَا ظَالِمِينَ فَأَهْلِكُوا.

(الرُّؤْيَا) (أَرَيْنَاكَ) (الْقُرْآنَ) (طُغْيَانًا)

(٦٠) - يُحِثُّ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ عَلَى الْقِيَامِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ إِبْلَاجِ الرِّسَالَةِ، وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى عِبَادِهِ، وَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَتَحْتِ قَهْرِهِ وَغَلْبَتِهِ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَمْرٍ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقُدْرِهِ، وَقَدْ عَصَمَكَ اللَّهُ مِنْ أَعْدَائِكَ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِصْصَالِ الْأَذَى إِلَيْكَ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ الرُّؤْيَا، الَّتِي أَرَاهَا رَسُولُهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، إِلَّا أَمْتِحَانًا وَآخِيبَارًا لِلنَّاسِ، فَأَنْكَرَهَا قَوْمٌ، وَكَذَّبُوا بِهَا، وَكَفَرَ بَعْضُ مَنْ كَانَ أَسْلَمَ وَآمَنَ بِرِسَالَةِ الرَّسُولِ، وَأَزْدَادَ الْمُخْلِصُونَ إِيمَانًا.

(وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الرُّؤْيَا كَانَتْ رُؤْيَا عَيْنٍ أَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ، لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ).

وَمَا جَعَلَ اللَّهُ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ الَّتِي جَاءَ ذِكْرُهَا فِي الْقُرْآنِ (وَهِيَ شَجَرَةُ الزُّقُومِ - : إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ - ، فَعَجِبَ الْمُشْرِكُونَ وَأَسْتَهْزَؤُوا.. مِنْ وَجُودِ شَجَرَةٍ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ..) إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ،

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ
بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي
أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ
الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ
فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا

فَالْمُؤْمِنُونَ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَعَلِمُوا أَنَّ الَّذِي جَاءَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَمَّا الْمُجْرِمُونَ الْمَكْذُبُونَ فَازْدَادُوا تَشْكُكًا وَطُغْيَانًا، وَكُفْرًا. وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ يُخَوِّفُ الْكُفَّارَ بِالْوَعِيدِ، وَالْعَذَابِ، وَالنَّكَالِ، فَلَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا طُغْيَانًا، وَتَمَادِيًا فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ.

(لِلْمَلَائِكَةِ) (لَادَمَ) (الْأَسْجُدُ)

(٦١) - يُذَكِّرُ اللَّهُ الْعِبَادَ بِعِدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَادَمَ وَدُرَيْتِهِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَادَمَ. فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ إِلَّا إِبْلِيسَ فَإِنَّهُ اسْتَكْبَرَ وَأَبَى السُّجُودَ لَادَمَ اسْتِعْلَاءً عَلَيْهِ، وَاحْتِقَارًا لَهُ، وَقَالَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: كَيْفَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ؟

(أَرَأَيْتَكَ) (لَيْنَ) (الْقِيَامَةِ)

(٦٢) - وَقَالَ إِبْلِيسُ لِلرَّبِّ الْكَرِيمِ مُتَوَاقِعًا: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الَّذِي شَرَفْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ عَلَيَّ فَإِنِ أَخَّرْتَنِي وَأَنْظَرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأُضِلَّنَّ دُرَيْتَهُ، وَلَأَسْبِطَنَّ عَلَيْهِمْ، وَلَأُخَوِّبَنَّهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ. أَرَأَيْتَكَ - أَخْبِرْنِي.

لَأُخَوِّبَنَّ - الْأَخْتِنَاكَ، لُغَةً، وَضَعُ شَيْءٍ فِي حَنَكِ الدَّابَّةِ الْأَسْفَلَ لِيُقَادَ بِهِ، أَيْ إِنَّهُ سَيَمْلِكُ نَاصِيَتَهُمْ، وَيُسَبِّطُ عَلَيْهِمْ. أَوْ لَأُسْتَأْصِلَنَّهُمْ بِالْإِغْوَاءِ.

(٦٣) - لَمَّا سَأَلَ إِبْلِيسُ النَّظْرَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: أَذْهَبَ لِشَأْنِكَ الَّذِي أَخَّرْتَهُ، فَقَدْ أَنْظَرْتُكَ. ثُمَّ أَوْعَدَهُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ، نَارَ جَهَنَّمَ، وَأَنَّهَا سَتَكُونُ جَزَاءَ لَهُمْ، جَزَاءً وَافِيًا كَافِيًا لَا يَنْقُصُ لَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ. (جَزَاءً مَوْفُورًا).

(الْأَمْوَالِ) (وَالْأَوْلَادِ) (الشَّيْطَانِ)

(٦٤) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ: وَأَدْعُ مِنْهُمْ مَنْ اسْتَطَعْتَ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْفَهُ وَأَزْعَجَهُ (اسْتَفْزَرُ) وَأَحْمِلْ عَلَيْهِمْ بِجُنُودِكَ: خِيَالَتِهِمْ وَرَجَالَتِهِمْ (بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ)، وَحَاوِلْ إِغْوَاءَهُمْ بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتَ، وَأَدْعُهُمْ إِلَى كَسْبِ أَمْوَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ السَّبِيلِ الْمَشْرُوعِ، وَإِنْفَاقِهَا فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَبَاحَهَا اللَّهُ، وَأَحْمِلُهُمْ عَلَى عِصْيَانِ اللَّهِ فِي أَوْلَادِهِمْ بِتَسْوِيَتِهِمْ بِمَا يَكْرَهُ اللَّهُ (كَعَبْدِ اللَّاتِ وَعَبْدِ الْعُزَّى)، وَبِالزَّنى بِأُمَّهَاتِهِمْ، أَوْ بِإِذْخَالِهِمْ فِي غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، (وَهَذَا كُلُّهُ مُشَارَكَةٌ مِنْ إِبْلِيسَ فِي

٦١ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لَادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ
ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا

٦٢ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي

كَرَّمْتُ عَلَى لَيْنٍ أَخَّرْتَنِي إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُخَوِّبَنَّكَ
دُرَيْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا

٦٣ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ

فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ كُلِّ جَزَاءٍ
مَوْفُورًا

٦٤ وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ

بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ
وَرَجُلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ
وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا

الْأَوْلَادِ)، وَعَذَهُمْ بِاطِلَاءِ النَّصْرَةِ وَالْعَوْنِ . فَإِنَّكَ فِي كُلِّ ذَلِكَ لَنْ تُضِلَّ
غَيْرَ الضَّالِّينَ، وَهَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ هُمْ وَحْدَهُم الَّذِينَ تَسْتَطِيعُ إِغْوَاءَهُمْ .
ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى : إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَعِدُّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا كَذِبًا وَبَاطِلًا وَغُرُورًا، لِأَنَّهُ
لَا يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ .
اسْتَفْزِرُوا - اسْتَخَفَّ وَاسْتَعْجَلَ أَوْ أَرْعَجَ .
أَجْلَبَ عَلَيْهِمْ - صَحَّ عَلَيْهِمْ وَسَقَمَهُمْ .
بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ - بِكُلِّ رَاكِبٍ وَمَاشٍ فِي مَعَاصِي اللَّهِ .
غُرُورًا - بَاطِلًا وَخَدَاعًا .

(سُلْطَانٌ)

(٦٥) - وَيَقُولُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ : أَمَّا عِبَادِي الَّذِينَ أَطَاعُونِي فَأَتَّبِعُوا أَمْرِي
وَعَصَوْكَ، فَلْيَسْ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ إِضْلَالَهُمْ
وَلَا إِغْوَاءَهُمْ، فَهُمْ فِي حِفْظِي، وَجِرَاسَتِي، وَرِعَايَتِي، وَكَفَى بِاللَّهِ حَافِظًا
وَمُؤَيِّدًا وَنَصِيرًا .

سُلْطَانٌ - تَسَلَّطَ وَقُدْرَةٌ عَلَى إِغْوَائِهِمْ .

(٦٦) - وَاللَّهُ تَعَالَى رَبُّكُمْ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الشُّفْنَ وَالْمَرَائِبَ، لِيَسِيرَ
فِي الْبَحْرِ، وَتَقْلُكُمُ وَأَتْفَالُكُمْ وَأُمْتِعَتْكُمْ وَتَجَارَتَكُمْ، مِنْ مَكَانٍ إِلَى
مَكَانٍ، لِيَتَّبِعُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، بِالتَّجَارَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ
وَالْكَسْبِ، وَتَبَادُلِ الْحَاجَاتِ وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ .
يُرْجِي - يُجْرِي وَيُسِيرُ وَيَسُوقُ بِرَفْقٍ .

(نَجَاكُمُ) (الْإِنْسَانُ)

(٦٧) - وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ، لَمْ يَجِدُوا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ
يَدْعُوهُ مُبِينًا إِلَيْهِ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، لِيُنْقِذَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، مِنْ كَرْبٍ
وَشِدَّةٍ، وَيَغِيثُ فِي سَاعَةِ الشَّدَةِ وَالضِّيقِ عَنْ خَوَاطِرِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ
وَأَذْهَابِهِمْ كُلِّ مَعْبُودٍ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ غَيْرَ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ يُذَرُّونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى إِنْجَائِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ .

وَلَكِنَّهُمْ حِينَ يُنَجِّهِمُ اللَّهُ، وَيُعِيدُهُمْ إِلَى الْبَرِّ سَالِمِينَ، يَنْسَوْنَ اللَّهَ الَّذِي
عَبَدُوهُ، وَدَعَوْهُ فِي الْبَحْرِ، وَيُعْرِضُونَ عَنْ دُعَائِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمِنْ
سَجِيَّةِ الْإِنْسَانِ الْكُفْرَ، يَنْسَى النِّعَمَ وَيَجْحَدُهَا (وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) .

٦٥ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ

وَكَيْلًا

٦٦ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ

الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ

فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

٦٧ وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ

مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ

إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ

كَفُورًا

(٦٨) - أَفَحَسِبْتُمْ أَنْتُمْ يَخْرُجُكُمْ سَالِمِينَ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَرِّ، قَدْ أَمِنْتُمْ أَنْتِقَامَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ؟ فَقَدْ يَخْصِفُ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ يَزْلُزَالٌ أَوْ بُرْكَانٍ. وَقَدْ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ رِيحًا شَدِيدَةً تَرْمِيكُمْ بِالْحَصْبَاءِ، أَوْ يَهْلِكُكُمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُسَخَّرَةِ لِقُدْرَةِ اللَّهِ، دُونَ أَنْ تَجِدُوا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَكِيلًا يَحْمِيكُمْ وَيُدْفَعُ عَنْكُمْ.

الْحَاصِبُ - مَطَرٌ تَسْقُطُ مَعَهُ حَصْبَاءٌ، أَوْ رِيحٌ تَحْمِلُ حَصْبَاءً. وَالْحَصْبَاءُ حِجَارَةٌ صَغِيرَةٌ.

أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ - أَنْ يَغْوِرَ وَيُغَيِّبَ بِكُمْ تَحْتَ الثَّرَى.

(٦٩) - أَمْ أَمِنْتُمْ أَيُّهَا الْمُعْرِضُونَ عَنْ رَبِّكُمْ فِي الْبَرِّ، بَعْدَ مَا اعْتَرَفْتُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَأَنْتُمْ فِي الْبَحْرِ، أَنْ يُعِيدَكُمْ فِي الْبَحْرِ مَرَّةً أُخْرَى، فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ رِيحًا تَقْصِفُ الصُّوَارِي، وَتَغْرِقُ الْمَرَكَبَ، بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ، وَإِعْرَاضِكُمْ عَنِ اللَّهِ، وَحِينَئِذٍ لَا تَجِدُونَ لَكُمْ مَنْ يَنْصُرُكُمْ أَوْ يَأْخُذُ بِئَارِكُمْ بَعْدَكُمْ.

قَاصِفًا - عَاصِفًا شَدِيدًا مُهْلِكًا - أَوْ هُوَ رِيحُ الْبَحَارِ.

نَيْبًا - نَصِيرًا أَوْ مُطَالِبًا بِالنَّارِ.

(آدَمَ) (وَحَمَلَنَاهُمْ) (وَرَزَقْنَاهُمْ) (الطَّيِّبَاتِ) (وَفَضَّلْنَاهُمْ)

(٧٠) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَشْرِيفِهِ لِنَبِيِّ آدَمَ، وَتَكْرِيمِهِ إِيَّاهُمْ بِأَنْ خَلَقَهُمْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَكْمَلَ هَيْئَةٍ، وَبِأَنْ مَيَّرَهُم بِالْعَقْلِ، وَبِأَنْ حَمَلَهُمْ فِي الْبَرِّ عَلَى الدُّوَابِّ وَغَيْرِهَا، وَفِي الْبَحْرِ فِي السُّفُنِ وَالْمَرَكَبِ، وَبِأَنْ رَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ، وَلُحُومٍ وَلِبَاسٍ وَسُكُنٍ، وَمِنْ مَنَاطِرٍ مُبْهِجَةٍ. كَمَا يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَفْضِيلِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ، بِالْعَقْلِ، وَالتَّفَكُّيرِ، وَقَدْ فَضَّلَهُمْ بِاسْتِخْلَافِهِمْ فِي الْأَرْضِ.

(نَدَعُو) (بِإِمَامِهِمْ) (كِتَابَهُ) (كِتَابَهُمْ) (أُولَئِكَ) (يَقْرَؤُونَ)

(٧١) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُدْعَى كُلُّ أُمَّةٍ بِالشَّعَارِ الَّذِي تُعَرَفُ بِهِ، فَيَقَالُ: يَا أُمَّةَ عِمْسَى، وَيَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ... لِيَسْأَلُوا كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ، فَالَّذِينَ يُعْطَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَهُمْ السُّعَدَاءُ، فَهَؤُلَاءِ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ مُبْتَهِجِينَ، وَلَا يَنْقُصُونَ مِنْ أَجُورِ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا.

إِمَامُهُمْ - شُعَارُهُمْ أَوْ نَبِيُّهُمْ أَوْ كِتَابُ أَعْمَالِهِمْ.

الْفَتِيلُ - خَيْطٌ رَفِيعٌ فِي نَوَاةِ الثَّمَرَةِ.

٦٨ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ

الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا

٦٩ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً

أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا
مِنَ الرِّيْحِ فَيَغْرِقُكُمْ بِمَا كُفَرْتُمْ
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ نَبِيْعًا



٧٠ وَلَقَدْ ذَكَّرْنَا بِآيَاتِ آدَمَ

وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْضِيلًا

٧١ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ

فَمَنْ أُوِّقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ
وَلَا يَنْقُصُونَ فَتِيلًا

(الْآخِرَةُ)

(٧٢) - وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَعْمَى الْقَلْبِ، لَا يُبْصِرُ سَبِيلَ الْهُدَى وَالرَّشَادِ، وَلَا يَتَأَمَّلُ حُجَجَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَبَيِّنَاتِهِ، فَهُوَ كَذَلِكَ أَعْمَى فِي الْآخِرَةِ لَا يَرَى طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالنَّجَاةِ، وَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ أَشَدَّ ضَلَالًا مِنْهُ فِي الدُّنْيَا.

(٧٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَأْيِيدِهِ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَعَنْ تَثْبِيتهِ إِيَّاهُ، وَعِصْمَتِهِ لَهُ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ، وَكَيدِ الْفُجَّارِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُتَوَلَّى أَمْرَهُ وَنَصْرَهُ، فَقَدْ حَاوَلَ الْمُشْرِكُونَ فِتْنَتَهُ عَمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، لِيُفْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَهُ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، فَقَدْ سَاوَمُوهُ عَلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّهُ، مُقَابِلَ أَنْ يَتْرَكَ التَّنْذِيرَ بِالْهَيْتِهِمْ، وَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ. وَسَاوَمُوهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ لِبَعْضِ كِبَرَائِهِمْ مَجْلِسًا غَيْرَ مَجْلِسِ الْفُقَرَاءِ، وَلَوْ أَنَّهُ رَضِيَ مُسَايَرَتَهُمْ فِيمَا أَرَادُوا لَا تَخَذُوهُ خَلِيلًا، وَلَكَفُّوا عَنْ إِيْدَائِهِ وَتَكْذِيبِهِ.

لِيُفْتِنُونَكَ - لِيُوقِعُونَكَ فِي الْفِتْنَةِ، وَلِيُبْصِرُ فَوْنَكَ.

لِنُفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ - لِنُخْتَلِقَ وَتَقُولَ عَلَيْنَا.

(تَبَتُّنَاكَ)

(٧٤) - وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ثَبَّتَ رَسُولَهُ ﷺ، وَعِصَمَهُ عَنِ الْأَنْحِرَافِ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ. وَلَوْلَا عِصْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ لَرَكَنَ إِلَى الْكُفَّارِ بَعْضُ الشَّيْءِ. وَالْأَنْحِرَافُ الطُّفِيفُ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ يَنْتَهِي إِلَى الْأَنْحِرَافِ الْكَامِلِ فِي نِهَائِهِ. تَرَكَّنُ إِلَيْهِمْ - تَعِيلُ إِلَيْهِمْ.

(لَاذِقْنَاكَ) (الْحَيَاةِ)

(٧٥) - وَلَوْ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ رَكَنَ إِلَى الْكُفَّارِ، وَلَوْ قَلِيلًا، لَعَاقَبَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ الرُّكُونِ بِإِذَاتِهِ عَذَابَ الدُّنْيَا، وَعَذَابَ الْآخِرَةِ مُضَاعَفَيْنِ، وَبِإِفْقَادِهِ الْمُعِينِ وَالنَّصِيرِ. وَلِأَنَّ الرَّسُولَ الْعَظِيمَ قُدْوَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يَقْتَدُونَ بِهِ، فَأَيُّ تَصَرُّفٍ مِنْهُ يَتَّبِعُهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهِ، وَيَتَّخِذُونَهُ سُنَّةً. ضِعْفَ الْحَيَاةِ - عَذَابًا مُضَاعَفًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

(خِلَافَكَ)

(٧٦) - وَلَمَّا يَسَسَ الْكُفَّارُ مِنْ إِمْكَانِ اسْتِدْرَاجِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا

وَإِنْ كَادُوا لِيُفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْتَرِيَ عَلَيْكَ غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا

وَلَوْلَا أَنْ تَبَتُّنَاكَ لَقَدْ كَدَتِ تَرَكَّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا

إِذَا لَا ذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا

الْأَنْحِرَافِ بِالْعَنُوتِ عَمَّا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ، أَرَادُوا أَنْ يُزْعِجُوهُ، وَيَسْتَحْفُوهُ (يَسْتَفْزِزُوكَ)، لِيُخْرِجُوهُ مِنْ مَكَّةَ (مِنْ الْأَرْضِ)، فَضَيَّقُوا عَلَيْهِ، وَعَلَى بَنِي هَاشِمٍ، وَالْجَوْرُ هُمْ إِلَى الشَّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ مُهَاجِرًا، لِمَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ قُرَيْشًا بِالْإِبَادَةِ. وَلَوْ أَنَّ قُرَيْشًا أَخْرَجَتْ رَسُولَ اللَّهِ عَنُوتًا وَقَسْرًا، لَحُلَّ بِهِمُ الْهَلَاكُ (وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا).
لَيْسْتَ فَرْزُوكَ - لَيْسْتَ حَفْزُوكَ وَبُزْعُوكَ.

(٧٧) - فَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي تَدْمِيرِ الْأُمَمِ الَّتِي تُكَذِّبُ رُسُلَهَا، وَتُخْرِجُهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ سُنَّةً جَارِيَةً، لَا تَتَحَوَّلُ وَلَا تَتَبَدَّلُ. وَلَمَّا لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ قُرَيْشًا بِعَذَابِ الْإِبَادَةِ، لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُخْرِجُوهُ عَنُوتًا، بَلْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بِالْهَجْرَةِ، وَهَكَذَا مَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي طَرِيقِهَا، لَا تَحْوِيلَ لَهَا وَلَا تَبْدِيلَ.
تَحْوِيلًا - تَغْيِيرًا وَتَبْدِيلًا.

(الصَّلَاةُ) (اللَّيْلِ) (قُرْآن)

(٧٨) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ الْمَقْرُوضَةِ، وَأَدَائِهَا عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ الْأَكْمَلِ، مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ (عِنْدَ مُتَنَصِّفِ النَّهَارِ - دُلُوكِهَا)، إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ، وَحُلُولِ الظَّلَامِ، وَبِذَلِكَ تَدْخُلُ الصَّلَوَاتُ الْمَقْرُوضَةُ: الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ وَالْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ. ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا لِمَا لَهَا مِنَ الْفَضْلِ، وَشُهُودِ الْمَلَائِكَةِ لَهَا.
(وَمَوَاقِيتُ الصَّلَاةِ حُدِّثَتْ بِفِعْلِ الرَّسُولِ ﷺ).
دُلُوكُ الشَّمْسِ - زَوَالُهَا عَنْ دَائِرَةِ نِصْفِ النَّهَارِ.
الْغَسَقُ - أَشْتِدَّادُ الظُّلْمَةِ.
قُرْآنُ الْفَجْرِ - صَلَاةُ الصُّبْحِ.

(اللَّيْلِ)

(٧٩) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِقِيَامِ بَعْضِ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا، زِيَادَةً عَنِ الصَّلَاةِ الْمَقْرُوضَةِ (نَافِلَةً). وَقَدْ خَصَّ الرَّسُولُ بِهَذَا الْأَمْرِ. ثُمَّ أَمَرَهُ تَعَالَى بِأَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ فِي اللَّيْلِ بَعْدَ أَنْ يَسْتَقِظَ مِنَ النَّوْمِ لِلصَّلَاةِ.
التَّهَجُّدُ - الصَّلَاةُ بَعْدَ الِاسْتِيقَظِ مِنَ النَّوْمِ.
نَافِلَةٌ لَكَ - فَرِيضَةٌ زَائِدَةٌ خَاصَّةٌ بِكَ.

وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ
إِلَّا قَلِيلًا

﴿٧٧﴾ سُنَّةٌ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا
تَحْوِيلًا

﴿٧٨﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى
غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ
قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا

﴿٧٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً
لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ
مَقَامًا مَحْمُودًا

مَقَامًا مَحْضُودًا - مَقَامَ الشَّفَاعَةِ الْعَظْمَى .

(سُلْطَانًا)

(٨٠) - يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ دُعَاءَ يَدْعُوهُ بِهِ هُوَ وَأُمَّتُهُ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: رَبِّ أَذْخِلْنِي فِي كُلِّ مَقَامٍ تُرِيدُ إِدْخَالِي فِيهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُدْخَلًا صَادِقًا، أَيْ يَسْتَحِقُّ الدَّخْلَ فِيهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَنْتَ صَادِقٌ فِي قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ، وَأَخْرَجَنِي مِنْ كُلِّ مَا تُخْرِجُنِي مِنْهُ مُخْرَجٌ صِدْقٍ، أَيْ يَسْتَحِقُّ الْخَارِجَ مِنْهُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَنْتَ صَادِقٌ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُ سُلْطَانًا وَهَيْبَةً وَقُوَّةَ حُجَّةٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، يَسْتَعْلِي بِهَا عَلَى سُلْطَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقُوَّةَ الْمُشْرِكِينَ، وَيَنْصُرُ بِهَا كَلِمَةَ اللَّهِ، وَكُتْبَهُ وَحُدُودَهُ، وَفَرَاتِصَهُ.

فَجِئْنَا أَنْتَمَرَّ كُفَّارٍ قُرَيْشٍ بِالرُّسُولِ ﷺ فِي مَكَّةَ، أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَعَلَّمَ نَبِيَّهُ هَذَا الدُّعَاءَ، لِيَدْعُوهُ حِينَ خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ، وَجِئَ دُخُولَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

مُدْخَلَ صِدْقٍ - إِدْخَالًا مُرْضِيًا جَيِّدًا فِي أُمُورِي.

سُلْطَانًا نَصِيرًا - قَهْرًا وَعِزًّا تَنْصُرُ بِهِ الْإِسْلَامَ.

(الْبَاطِلُ) (الْبَاطِلُ)

(٨١) - وَقُلْ لِلْمُشْرِكِينَ مُهْدَدًا: لَقَدْ جَاءَهُمُ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَمَتَى جَاءَ الْحَقُّ زَهَقَ الْبَاطِلُ وَأَضْمَحَلَّ، لِأَنَّ مِنْ صِفَةِ الْبَاطِلِ عَدَمَ الثَّبَاتِ مَعَ الْحَقِّ. وَحِينَمَا دَخَلَ الرُّسُولُ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، كَانَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ (٣٦٠) ثَلَاثُمِئَةٍ وَسِتُّونَ نَصَبًا، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَتْلُو: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

زَهَقَ الْبَاطِلُ - زَالَ وَأَضْمَحَلَّ.

(الْقُرْآنُ) (الظَّالِمِينَ)

(٨٢) - وَنَزَّلُ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يُسْتَشْفَى بِهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَمَا يُذْهِبُ مَا فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَمْرَاضِ الشُّكِّ وَالنَّفَاقِ، وَالشُّرْكِ وَالرِّغْصِ، وَيَشْفِي مِنْهَا، وَهُوَ رَحْمَةٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَعَمِلَ بِأَوَامِرِهِ، وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيهِ. أَمَّا الْكَافِرُونَ الظَّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يَزِيدُهُمْ سَمَاعُ الْقُرْآنِ إِلَّا بُعْدًا عَنِ الْإِيمَانِ وَكُفْرًا، وَعُتُوًّا وَخَسَارًا، لِأَنَّهُمْ قَدْ طُعِنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ.

خَسَارًا - هَلَاكًا بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِهِ.

٨٠ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ

وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ

لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا

٨١ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ

إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا

٨٢ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ

الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا

(الْإِنْسَانِ) (وَنَأَى) (يُؤُوساً)

(٨٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَقْصِ الْإِنْسَانِ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ، فَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَالٍ وَعَافِيَةٍ وَرِزْقٍ وَنَصْرٍ . وَأَنَالَهُ مَا يُرِيدُ، أَعْرَضَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَنَأَى بِجَانِبِهِ عَنِ اللَّهِ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ وَالضَّرُّ وَالسُّوءُ، وَنَزَلَتْ بِهِ الْمَصَائِبُ وَالنَّوَابِئُ . . . قَنَطَ وَيَسَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ مَا هُوَ فِيهِ .

نَأَى بِجَانِبِهِ - لَوَى عِطْفَهُ تَكْبُراً وَعِنَاداً .

كَانَ يُؤُوساً - شَدِيدَ الْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .

(٨٤) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ: كُلُّ مِنَّا أَنَا وَأَنْتُمْ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَالْكَافِرِينَ يَفْعَلُ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَحَالِهِ فِي الْهُدَى وَالضَّلَالِ (شَاكِلَتِهِ)، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَكْثَرُ هِدَايَةً، وَأَوْضَحُ سَبِيلًا، وَاتَّبَاعًا لِلْحَقِّ، فَيُؤْتِيهِ أَجْرَهُ مُؤَفَّوْرًا، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَضَلُّ سَبِيلًا، فَيُعَاقِبُهُ .

شَاكِلَتِهِ - مَذْهَبِهِ الَّذِي يُشَاكِلُ حَالَهُ .

(وَيَسْأَلُونَكَ)

(٨٥) - اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ حَوْلَ الْمُرَادِ بِالرُّوحِ هُنَا .

- فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ رُوحِ الْبَشَرِ، وَكَيْفَ تُعَذَّبُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. فَالْمَقْصُودُ بِالرُّوحِ هُنَا، رُوحُ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الْأَرْجَحُ .

- وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ إِنَّ الْمُرَادَ بِالرُّوحِ هُنَا جَبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

- وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِالرُّوحِ هُنَا مَلَكٌ عَظِيمٌ .

وَمَعْنَى الْآيَةِ إِنَّ الرُّوحَ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَلَمْ يُطْلِعِ الْخَلْقَ إِلَّا عَلَى الْقَلِيلِ مِنْ عِلْمِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُحِيطُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ .

(وَلَيْنَ)

(٨٦) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُوْتِ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْعِلْمِ، بَيَّنَّ هُنَا أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يَذْهَبَ بِهَذَا الْقَلِيلِ مِنَ الْعِلْمِ، وَيَأْخُذَهُ مِنْهُمْ لَفَعَلَ،

﴿٨٣﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ

وَنَاجَىٰ جَانِبَهُ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ
يُؤُوسًا

﴿٨٤﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۖ

فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا

﴿٨٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ

الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ
مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

﴿٨٦﴾ وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَآتِيَنَّاكَ بِهِ ۖ

لَوْ شَاءَ أَنْ يَمْحُوَ الْقُرْآنَ مِنَ الصُّدُورِ وَالْمَصَاحِفِ، وَأَنْ لَا يَتْرَكَ لَهُ أَثَرًا
لَفَعَلَ، حَتَّى يَعُودَ النَّبِيُّ لَا يَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ.

وَإِذَا فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ لَنْ يَجِدَ لَهُ نَاصِرًا يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ، فَيَحُولُ
بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ فِعْلِهِ مَا يُرِيدُ.

وَكَيْلًا - مَنْ يَتَعَهَّدُ بِإِعَادَتِهِ إِلَيْكَ.

(٨٧) - وَلَكِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَتَرَكَهُ وَلَمْ يَذْهَبْ بِهِ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: وَقَدْ كَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا يَا مُحَمَّدُ إِذْ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا،
وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، وَأَبْقَاهُ فِي حِفْظِكَ، وَفِي حِفْظِ الْمُؤْمِنِينَ
وَمَصَاحِفِهِمْ.

(الْجِنُّ) (الْقُرْآنُ)

(٨٨) - وَقُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مُتَحَدِّيًا لَهُمْ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَا يَمْلِكُ
الْبَشَرُ مُحَاكَاتَهُ، وَلَا يَمْلِكُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَلَوْ تَظَاهَرُوا
وَتَعَاوَنُوا فِي ذَلِكَ. فَالْقُرْآنُ لَيْسَ أَفْظًا وَعِبَارَاتٍ يَسْتَطِيعُ الْمَخْلُوقُونَ
مُحَاكَاتَهَا، وَإِنَّمَا هُوَ كَسَائِرُ مَا يُبْدِعُهُ اللَّهُ، يَعْجزُ الْمَخْلُوقُونَ عَنْ صُنْعِهِ،
وَمُحَاكَاتِهِ.

ظَهِيرًا - مُعِينًا.

(الْقُرْآنُ)

(٨٩) - وَلَقَدْ رَدَدْنَا الْقَوْلَ فِيهِ بِوُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَكَرَّرْنَا الْآيَاتِ وَالْعِبَرَ،
وَالْتَرَعِيبَ وَالتَّرْهِيْبَ وَالْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِي، وَأَقَاصِيصَ الْأَوَّلِينَ لِيَتَذَكَّرُوا
آيَاتِهِ، وَلِيَتَعِظُوا بِهَا، فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفْرًا وَجُحُودًا وَإِنْكَارًا لِلْحَقِّ،
وَإِعْرَاضًا عَنْهُ.

صَرَفْنَا - رَدَدْنَا الْقَوْلَ بِأَسَالِيْبٍ مُخْتَلِفَةٍ.

مِنْ كُلِّ مَثَلٍ - مِنْ كُلِّ مَعْنَى غَرِيبٍ حَسَنٍ يَدِيعُ.

فَأَيُّ - فَلَمْ يَرْضَ.

كُفُورًا - جُحُودًا لِلْحَقِّ.

(٩٠) - أَجْتَمَعَ قَادَةُ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ
لِيَأْتِيَهُمْ لِيُكَلِّمُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ جِئْتَنَا بِشَيْءٍ فَرَّقَتْ بِهِ
الْجَمَاعَةُ، فَإِنْ كُنْتَ جِئْتَ تُرِيدُ الشَّرْفَ فِينَا، سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ مَا

عَلَيْنَا وَكَيْلًا

٨٧ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ

كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا

٨٨ قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ

عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا

٨٩ وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا

الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ

النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

٩٠ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى

تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا

يَأْتِيكَ رَبِّيَا (أَيُّ تَابِعًا) مِنَ الْجَنِّ، جَعَلْنَا مِنَ الْمَالِ، وَطَلَبْنَا لَكَ الْأَطْبَاءَ حَتَّى تَشْفَى أَوْ نُعْذَرَ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا يَهَذَا جِئْتُكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يَعْزِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا فَإِنْ تَسَمَّعُوا مِنِّي، وَتَقَبَّلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَهُوَ حَظُّكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ أَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. ثُمَّ أَخَذُوا فِي الْأَفْتِرَاحِ عَلَيْهِ تَعْجِيزًا وَتَعَنُّتًا:

- فَأَقْتَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُو رَبَّهُ لِيُسِيرَ عَنْهُمْ الْجِبَالَ الَّتِي ضَيَّقَتْ عَلَيْهِمْ، وَلِيَسْطَ لَهُمْ بِلَادَهُمْ، وَلِيَفْجَرُ فِيهَا أَنْهَارًا.

- ثُمَّ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُو رَبَّهُ لِيَبْعَثَ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ لِيَشْهَدُوا عَلَى صَدَقِ رَسُولِهِ.

- ثُمَّ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَبْعَثَ مَلَكًا يُصَدِّقُهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُ رَبُّهُ جَنَاتٍ وَبَسَاتِينَ وَكُنُوزًا وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ.

- ثُمَّ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ يُسْقِطَ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ كَسَفًا (أَيُّ قِطْعًا) كَمَا زَعَمَ لَهُمْ أَنَّ رَبَّهُ إِنْ شَاءَ فَعَلَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَوْمِنَا لَهُ إِلَّا بِفَعْلٍ مَا طَلَبُوهُ مِنْهُ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ فَعَلَهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ آيُنُ عَمِّيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِي : وَاللَّهِ، لَا أَوْمِنُ بِكَ حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سُلْمًا ثُمَّ تَرْقَى فِيهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَأْتِيَهَا، وَتَأْتِي مَعَكَ بِصَحِيفَةٍ مَنْشُورَةٍ وَمَعَكَ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ لَطَنَنْتُ أَنِّي لَا أَصْذَقُكَ. فَهُمْ أَنَاسٌ مُتَعَنِّتُونَ لَا يَسْأَلُونَ أَسْتَرِشَادًا، وَلَوْ كَانَ سُؤَالُهُمْ أَسْتَرِشَادًا لِأَجِيبُوا إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ كُفْرًا وَعِنَادًا، وَهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ حَدُوثَ مَا يَطْلُبُونَ.

فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ : إِنْ شِئْتَ أُعْطِيتُهُمْ مَا سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا عَذَّبْتُهُمْ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلْ تَفْتَحُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ.

تَفْجَرُ مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا - تَجْعَلُ عَيْنَ مَاءٍ تَجْرِي فِي الْأَرْضِ لَا يَنْصُبُ مَاؤُهَا.

(الْأَنْهَارَ) (خِلَالَهَا)

(٩١) - أَوْ يَكُونُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ بُسْتَانٌ (جَنَّةٌ)، فِيهِ أَشْجَارُ النَّخِيلِ وَالْعِنَبِ، وَتَتَدَفَّقُ الْأَنْهَارُ فِي أَرْضِهِ بِالْمِيَاهِ.

١١ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ

وَعِنَبٍ فَتَفْجَرُ الْأَنْهَارُ

خِلَالَهَا تَفْجِيرًا

(الْمَلَائِكَةُ)

(٩٢) - أَوْ أَنْ يُسْقِطَ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ قِطْعًا (كِسْفًا) كَمَا زَعَمَ أَنَّ رَبَّهُ إِنْ شَاءَ فَعَلَ ذَلِكَ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا يَنَاصِرُونَهُ، وَيَذْفَعُونَ عَنْهُ، كَمَا يَفْعَلُونَ فِي قِبَائِلِهِمْ (وَقِيلَ بَلْ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنْ يَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ لِيُقَابِلُوهُمْ مُعَايَنَةً وَمُوَاجَهَةً).

قَبِيلًا - جَمَاعَاتٍ يَنَاصِرُونَ الرَّسُولَ - أَوْ يُقَابِلُونَهُمْ مُقَابَلَةً وَعِيَانًا. كِسْفًا - قِطْعًا.

(كِتَابًا)

(٩٣) - أَوْ أَنْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ (زُخْرُفٍ)، أَوْ أَنْ تَصْعَدَ فِي السَّمَاءِ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَلَنْ نُؤْمِنَ أَنَّكَ صَعَدْتَ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى تَأْتِيَ مَعَكَ بِصُحُفٍ مَكْتُوبَةٍ مُوجَّهَةٍ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَحَدِّثِينَ مَعَ الرَّسُولِ.

فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: سُبْحَانَ رَبِّي إِنْ أَنَا إِلَّا نَبَشِّرُ رَسُولَ اللَّهِ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِهِ، وَلَا أَمْلِكُ شَيْئًا مِمَّا طَلَبْتُمْ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، إِنْ شَاءَ أَجَابَكُمْ إِلَيْهِ.

زُخْرُفٍ - ذَهَبٍ.

تَرَقَّى - تَصْعَدُ.

(٩٤) - وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، وَالرَّسَالَةِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا رَسُولُهُمْ، إِلَّا تَعَجُّبُهُمْ مِنْ إِرْسَالِ اللَّهِ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ: كَقَوْلِهِمْ: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ (١) وَقَوْلِهِمْ: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا؟﴾ (٢) وَقَوْلِهِمْ: ﴿أُبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا؟﴾ (٣).

(مَلَائِكَةٌ) (مُطَمِّنِينَ)

(٩٥) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ كَمَا يَمْشِي الْبَشَرُ، وَيُقِيمُونَ فِيهَا، كَمَا يُقِيمُ الْبَشَرُ، وَيَسْهُلُ الْاجْتِمَاعُ بِهِمْ، وَالْحَدِيثُ مَعَهُمْ... لَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

(١) الآية ١٥ من سورة يس.

(٢) الآية ٦ من سورة التغابن.

(٣) الآية ٩٤ من سورة الإسراء.

٩٢ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ

عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا

٩٣ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ

أَوْ تَرَقَّى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
لِرُفُيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا
نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا

٩٤ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ

أَنْ هُدِيَ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ
بَشَرًا رَسُولًا

٩٥ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ

مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ
مُطَمِّنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ
السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا

لِهَدَايَتِهِمْ، وَإِزْشَادِهِمْ. وَلَكِنَّ طَبِيعَةَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَصْلُحُ لِلِاجْتِمَاعِ
بِالْبَشَرِ، وَلَا يَسْهَلُ عَلَيْهِمُ التَّخَاطُبُ مَعَهُمْ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرْسِلْ
رُسُلًا إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّمَا أَرْسَلَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ، وَقَدْ
أَخْتَارَهُمْ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ.

(٩٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ: إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، وَأَنْزَلَ
عَلَيَّ الْقُرْآنَ، وَفِيهِ أَخْبَارُ الْقُرُونِ الْأُولَى كَمَا وَقَعَتْ، وَهِيَ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ
الْعَرَبُ، وَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى صِدْقِ قَوْلِي، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَمَنْ
شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى بِصِدْقِهِ، فَهُوَ صَادِقٌ، فَادْعَاؤُكُمْ أَنْ الرَّسُولَ يَجِبُ أَنْ
يَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، هُوَ تَعَنَّتْ مِنْكُمْ.

ثُمَّ نَبَّهَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ إِلَى إِنْهَاءِ الْجَدَلِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْمُتَعَنِّتِينَ، وَإِلَى أَنْ
يَكُلَّ أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ الْخَيْرُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ فَهَيْدِيهِ، وَهُوَ
الْبَصِيرُ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ، الْمُحِيطُ بِهَا، فَلَا يَشُدُّ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ.

(الْقِيَامَةِ) (مَأْوَاهُمْ) (زِدْنَاهُمْ)

(٩٧) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ فِي خَلْقِهِ، وَتَفْوِذِ حُكْمِهِ
فِيهِمْ، لَا مُعَقَّبَ عَلَيْهِ فِيهِ، فَمَنْ هَدَاهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ فَلَا يَمْلِكُ
أَحَدٌ هِدَايَتَهُ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ يَحْشُرُ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ
يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، عُمِيًّا لَا يُبْصِرُونَ، وَبُكْمًا لَا يَنْطِقُونَ،
وَصُمًّا لَا يَسْمَعُونَ. وَذَلِكَ جَزَاءُ لَهُمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَمَى
وَالصَّمِّ وَالْبُكْمِ، لَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى:
إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ الَّتِي يُعَذِّبُونَ فِيهَا كُلَّمَا سَكُنَتْ وَخَفَّ لَهَا فِيهَا (خَبَتْ)، زَادَ
اللَّهُ فِي تَأْجِجِهَا وَسَعِيرِهَا عَلَيْهِمْ، لِيَزْدَادَ أَلْمُهُمْ وَعَذَابُهُمْ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْكُفَّارَ وَقُودَ جَهَنَّمَ، فَإِذَا أُحْرِقَتْهُمْ وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ
مِنْهُمْ صَارَتْ جَمْرًا تَتَوَهَّجُ، فَذَلِكَ خُبْرُهَا، فَإِذَا بَدَّلُوا خَلْقًا جَدِيدًا
عَاوَدَتْهُمْ).

خَبَتْ - سَكَنَ لَهَا فِيهَا.

سَعِيرًا - لَهَا وَتَوَقَّدًا.

(بَيَاتِنَا) (أَيْذَا) (عِظَامًا) (وَرَفَاتًا) (أَيْنَا)

(٩٨) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ إِنَّمَا جَاوَزَ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِعَيْنِهِمْ عُمِيًّا
بُكْمًا صُمًّا، لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ، وَأَسْتَبَعَدُوا وَقُوعَ الْبَعْثِ

﴿٩٦﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ أَنَّهُ كَانَ بَعِيدًا
خَيْرًا بَصِيرًا

﴿٩٧﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ
دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ
زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا

﴿٩٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِعَايِنَاتِنَا وَقَالُوا لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِظَامًا

وَالنُّشُورَ، وَقَالُوا سَاحِرِينَ: أَبَعَدَ أَنْ صِرْنَا إِلَى مَا صِرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَى وَالْهَلَاكِ وَالتَّفَرُّقِ فِي الْأَرْضِ . . نَعَادُ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَنُخْلَقُ خَلْقًا جَدِيدًا؟ رُفَاتًا - أَجْزَاءً مُفْتَتَةً، أَوْ تَرَابًا أَوْ غُبَارًا.

(السَّمَاوَاتِ) (الظَّالِمُونَ)

(٩٩) - يَنْبَغِي لِلَّهِ تَعَالَى هُوْلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ إِلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَهَذَا أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى، وَيُنْشِئَهُمْ نَشَاءً أُخْرَى كَمَا بَدَأَهُمْ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِإِعَادَةِ بَعْثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ أَجَلًا (مَوْعِدًا) مَضْرُوبًا، وَمُدَّةً مُوقَّتَةً مُقَدَّرَةً لَا بُدَّ مِنْ انْقِضَائِهَا، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا تَمَادِيًا فِي ضَلَالِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، مَعَ وُضُوحِ الْحُجَّةِ.

(خَزَائِنِ) (الْإِنْسَانِ)

(١٠٠) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: لَوْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَمْلِكُونَ التَّصَرُّفَ فِي خَزَائِنِ اللَّهِ كُلِّهَا، لَأَمْسَكْتُمْ عَنِ الْإِنْفَاقِ خَشْيَةَ الْفَقْرِ، وَخَشْيَةَ أَنْ يَنْقُذَ مَا فِيهَا، مَعَ أَنَّ خَزَائِنَ اللَّهِ لَا تَفْرُغُ وَلَا تَنْقُذُ أَبَدًا، وَلَكِنْ مِنْ طِبَاعِ الْإِنْسَانِ وَسَجَايَاهُ التَّقْيِيرُ وَالْبُخْلُ وَالْمَنْعُ. وَلَوْ آتَيْنَا هَؤُلَاءِ مَا اقْتَرَحُوهُ لَمَا آمَنُوا، وَلَصَرَفُوهُ عَنْ وَجْهِهِ الصَّحِيحِ.

قَتُورًا - مُبَالِغًا فِي الْبُخْلِ.

(آتَيْنَا) (آيَاتِ) (بَيِّنَاتِ) (فَاسْأَلِ) (إِسْرَائِيلَ) (يَا مُوسَى)

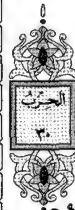
(١٠١) - لَقَدْ أَعْطَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ الدَّلَالَةِ عَلَى صِحَّةِ بُيُوتِهِ، وَصِدْقِهِ حِينَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا. وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى: إِنِّي لَأُظَنُّكَ يَا مُوسَى مُحْبُولَ الْعَقْلِ، إِذْ أَدْعَيْتَ أَنَّكَ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ. فَاسْأَلِ يَا مُحَمَّدُ الْيَهُودَ الَّذِينَ هُمْ فِي زَمَانِكَ، سُؤَالَ اسْتِشْهَادٍ، لِتَزِيدَ طُمَأْنِينَتَكَ وَبَيِّنَتِكَ، وَلِتَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ مُحَقَّقٌ ثَابِتٌ فِي كِتَابِهِمْ.

مَسْحُورًا - مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ بِالسَّحْرِ - أَوْ سَاحِرًا.

(السَّمَاوَاتِ) (بَصَائِرِ) (يَا فِرْعَوْنَ)

(١٠٢) - فَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: لَقَدْ عَلِمْتَ يَا فِرْعَوْنُ أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ هُوَ اللَّهُ تَائِيدًا لِي، وَحُجَّةً عَلَى صِحَّةِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، وَدَعْوَتُكُمْ

وَرَفَقَتًا أَيْ تَالِمَبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا



أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارِيبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا

قُلْ لَوَأَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ

رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ

بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَبَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأُظَنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ

إِلَّا أَرْسَالُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

إِلَيْهِ. وَهَذِهِ الْآيَاتُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ لِتَكُونَ بَصَائِرَ لِمَنْ أَسْتَبْصَرَ، وَهَدَى لِمَنْ
أَهْتَدَى بِهَا، يَعْرِفَ مَنْ رَأَاهَا أَنْ مَنْ جَاءَ بِهَا صَادِقٌ مُحَقِّقٌ. ثُمَّ قَالَ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخَاطَبُ فِرْعَوْنَ: وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَصْرُوفًا عَنِ
الْخَيْرِ، مَطْبُوعًا عَلَى الشَّرِّ (مَثْبُورًا) - وَقِيلَ إِنَّ مَثْبُورًا نَعْنِي هَالِكًا أَوْ
مَلْعُونًا).

بَصَائِرَ - بَيِّنَاتٍ تُبَصِّرُ مَنْ يَشْهَدُهَا بِصِدْقِي.

(فَاغْرَقْنَاهُ)

(١٠٣) - فَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُخْرِجَ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ،
وَأَنْ لَا يَبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ فِيهَا، فَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَهُ إِلَى نَحْرِهِ، وَأَغْرَقَهُ هُوَ وَجُنُودُهُ
جَمِيعًا فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ.

يَسْتَفِزُّهُمْ - يَسْتَخِفُّهُمْ وَيُزْعِجُهُمْ لِلْخُرُوجِ.

(إِسْرَائِيلَ) (الْآخِرَةَ)

(١٠٤) - وَنَجَّيْنَا مُوسَى وَقَوْمَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقُلْنَا لَهُمْ بَعْدَ هَلَاكِ
فِرْعَوْنَ: لَقَدْ أَوْزَيْنَاكُمْ الْأَرْضَ فَاسْكُنُوهَا وَاسْتَعْمِرُوهَا، فَإِذَا حَانَتْ
السَّاعَةُ، وَحُشِرَ النَّاسُ، جِئْنَا بِكُمْ جَمِيعًا (لَفِيضًا)، أَنْتُمْ وَهُمْ لِيَلْقَى كُلُّ
وَاحِدٍ جَزَاءَ عَمَلِهِ.

لَفِيضًا - جَمِيعًا مُخْتَلِطِينَ.

(أَنْزَلْنَاهُ) (أَرْسَلْنَاكَ)

(١٠٥) - وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ قَائِمًا عَلَى الْحَقِّ، وَمُتَّصِمًا لَهُ، فَفِيهِ أَمْرٌ
بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَفِيهِ نَهْيٌ عَنِ الظُّلْمِ، وَعَنْ
ذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ)، وَأَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ
مَحْفُوظًا مَحْرُوسًا لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، وَقَدْ أَنْزَلْنَاهُ لِيُقَرَّرَ الْحَقُّ فِي
الْأَرْضِ (وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ)، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَّا مُبَشِّرًا لِمَنْ أَطَاعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَيْرِ وَالْجَنَّةِ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ. وَمُنْذِرًا لِمَنْ عَصَاكَ،
وَكَذَّبَكَ، مِنَ الْكَافِرِينَ، بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

(وَقُرْآنًا) (فَرَقْنَاهُ) (نَزَّلْنَاهُ)

(١٠٦) - وَآتَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ قُرْآنًا نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ مُفْرَقًا وَمُنْجَمًا لِيَتْلُوهُ عَلَى
النَّاسِ، وَيُبَلِّغُهُمْ إِيَّاهُ عَلَى مَهَلٍ (عَلَى مُكْثٍ)، لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ حِفْظِهِ،
وَفَهْمِ أَحْكَامِهِ، وَالتَّمَعُّنِ فِيهَا لِتَرْسُخَ فِي عُقُولِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ. وَقَدْ نَزَّلْنَاهُ

بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرْعَوْنُ
مَثْبُورًا

١٠٣ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ

فَاغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا

١٠٤ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ

أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ

الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيضًا

١٠٥ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

١٠٦ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ

عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيرًا

شَيْئًا فَشَيْئًا بِحَسَبِ الظُّرُوفِ وَالْحَوَادِثِ وَالْوَقَائِعِ (نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) .
وَفَرَّقْنَاهُ بِالْتَّشْدِيدِ - كَذَلِكَ كَانَ يَقْرُوهَا ابْنُ عَبَّاسٍ : وَمَعْنَاهَا أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَنْزَلَهُ آيَةً قَائِمَةً مَقْسَرًا وَمُبَيِّنًا لِيَتْلُوهُ عَلَى النَّاسِ
عَلَى مَهَلٍ ، وَتُبْلَغَهُمْ إِيَّاهُ عَلَى مَهَلٍ .
فَرَقْنَاهُ ، بِالْتَّخْفِيفِ - أَنْزَلْنَاهُ مُفَرَّقًا ، أَوْ بَيِّنًا وَفَصْلَنَاهُ .
عَلَى مُكَبٍّ - عَلَى تَوَدُّعٍ وَتَأْنٍّ .

(أَمِنُوا)

(١٠٧) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي جِئْتُهُمْ
بِهِ : سَوَاءٌ أَمَنْتُمْ بِهِ أَمْ لَمْ تَتُومِنُوا بِهِ ، فَهُوَ حَقٌّ فِي نَفْسِهِ ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ ، وَتَوَهُ
بِذِكْرِهِ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ لَهُ ، الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ السَّابِقِينَ .
وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ ، وَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِهِمْ ،
وَلَمْ يُبَدِّلُوهُ ، وَلَمْ يُحَرِّفُوهُ ، إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ يَخْرُونَ سَاجِدِينَ لِلَّهِ
شُكْرًا لَهُ عَلَى إِنْجَازِهِ وَعَدِهِ بِأَرْسَالِكَ إِلَى النَّاسِ .

(سُبْحَانَ)

(١٠٨) - وَيَقُولُونَ فِي سُجُودِهِمْ : تَنَزَّهَ رَبُّنَا عَنْ خَلْفِ الْوَعْدِ ، إِنَّهُ كَانَ
وَعْدُهُ آيَةً لَا مَحَالَةَ .

(١٠٩) - وَيَخْرُونَ سَاجِدِينَ عَلَى دُفُونِهِمْ (لِلْأَذْقَانِ) وَيَكْبُونَ خُشُوعًا
وَحُضُوعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِيمَانًا وَتَصَدِيقًا بِكِتَابِهِ ، وَبِرَسُولِهِ ، وَيَزِيدُهُمْ
إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (خُشُوعًا) .

(١١٠) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُتَكِبِينَ صِفَةَ الرَّحْمَنِ لِلَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ ، الْمَعَارِضِينَ تَسْمِيَّتَهُ بِالرَّحْمَنِ : لَا فَرْقَ بَيْنَ دُعَائِكُمْ لَهُ بِاسْمِ اللَّهِ ،
أَوْ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذُو الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى .

وَلَا تَجْهَرُ أَيُّهَا الرُّسُولُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تَرْفَعُ صَوْتَكَ بِالْقُرْآنِ فَيَسْمَعُكَ
الْمُشْرِكُونَ ، فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ . وَلَا تَخَافُ بِهَا عَنْ أَصْحَابِكَ ، فَلَا تَسْمِعُهُمْ
الْقُرْآنَ ، لِيَأْخُذُوا عَنْكَ ، وَآتَبَعُ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَسَطًا .

(وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ وَالرُّسُولُ ﷺ مُتَوَارٍ فِي مَكَّةَ ،
فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ
سَبُّوا الْقُرْآنَ ، وَسَبُّوا مَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ) .

لَا تَخَافُ بِهَا - لَا تُسِرَّ بِهَا حَتَّى لَا يَسْمَعُكَ مَنْ خَلْفَكَ .

﴿١٠٧﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ؕ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ

أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ؕ إِذَا يُتْلَى
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا

﴿١٠٨﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ

رَبِّنَا الْمَفْعُولَ

﴿١٠٩﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكْبُونَ

وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا



﴿١١٠﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا

الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ
وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ
سَبِيلًا

﴿١١١﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا

(١١١) - لَمَّا أَثَبَّتَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى ، نَزَّهَ نَفْسَهُ
عَنِ النَّقَائِصِ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، فَهُوَ تَعَالَى لَيْسَ ذَلِيلًا فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ،
أَوْ وَلِيٌّ أَوْ حَلِيفٌ ، أَوْ وَزِيرٌ ، أَوْ مُشِيرٌ ، بَلْ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، خَالِقُ كُلِّ
شَيْءٍ ، وَمُدَبِّرُهُ وَمُقَدِّرُهُ ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى
لِنَبِيِّهِ ﷺ : أَحْمِدِ اللَّهَ ، وَعَظِّمُهُ ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا .

(١٨) سُورَةُ الْكَافِرَاتِ وَإِنَّمَا عَشْرٌ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْكِتَابُ)

(١) - يَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عِنْدَ فَوَاتِحِ الْأُمُورِ وَعِنْدَ خَوَاتِيمِهَا، وَهَذَا يَحْمَدُ نَفْسَهُ عَلَى أَنْزَالِهِ الْقُرْآنَ (الْكِتَابَ) عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ كِتَابَهُ مُسْتَقِيمًا لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا زَيْغَ. عِوَجًا - اخْتِلَافًا، أَوْ اخْتِلَالًا أَوْ انْحِرَافًا عَنِ الْحَقِّ.

(الصَّالِحَاتِ)

(٢) - وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ مُعْتَدِلًا (قِيمًا) لَا إِفْرَاطَ فِيهِ، فِيمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْلِيفِ، وَلَا تَقْرِيطَ فِيهِ بِإِهْمَالِ مَا تَمَسُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، لِيُنْذِرَ بِهِ مَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، عُقُوبَةً عَاجِلَةً فِي الدُّنْيَا، وَآجَلَةً فِي الْآخِرَةِ، مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (مِنْ لَدُنْهِ)، وَيُبَشِّرَ، بِهَذَا الْقُرْآنِ، الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آيَدُوا إِيمَانَهُمْ بِاللَّهِ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ، بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابًا حَسَنًا جَزِيلًا، هُوَ الْجَنَّةُ.

قِيمًا - مُسْتَقِيمًا مُعْتَدِلًا.

بُأَسًا - عَذَابًا آجِلًا أَوْ عَاجِلًا.

(مَاكِثِينَ)

(٣) - وَإِنَّهُمْ يَبْقَوْنَ فِي الْجَنَّةِ مُخْلِطِينَ أَبَدًا، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا، وَلَا يَزُولُونَ.

فِيهِ - يَعْنِي مَاكِثِينَ فِي أَجْرِهِمْ وَثَوَابِهِمُ الْحَسَنِ.

(٤) - وَلِيُنْذِرَ وَيُحَذِّرَ، مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، الَّذِينَ قَالُوا: اتَّخَذَ اللَّهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ

تَعَالَى اللَّهُ
الْعِزُّ الْمُبِيتُ

الْكِتَابَ وَلِتَمِيزَ الْمُجْرِمِينَ
عِوَجًا

قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ

لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا

مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا

وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ

اللَّهُ وَلَدًا

وَلَدًا، وَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ
اللهِ، وَهُنَاكَ مِنَ النَّصَارَى مَنْ جَعَلَ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، وَمِنَ الْيَهُودِ مَنْ
جَعَلَ غُزَيْرًا ابْنَ اللهِ - فَالْإِنْدَارُ يَشْمَلُ جَمِيعَ هَؤُلَاءِ، وَيَشْمَلُ كُلَّ مَنْ
نَسَبَ إِلَى اللهِ وَلَدًا.

(لَا بَاتِيهِمْ) (أَفْوَاهِهِمْ)

(٥) - وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ لَا بُرْهَانَ لَهُمْ، وَلَا دَلِيلَ، عَلَى مَا يَقْتَرُونَ، وَمَا
يَنْسُبُونَ إِلَى اللهِ مِنَ الْوَلَدِ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ لِأَبَائِهِمْ عِلْمٌ وَلَا بُرْهَانٌ عَلَى
هَذِهِ الْفَرِيَةِ. وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا فِي الْكُفْرِ (كَبُرَتْ كَلِمَةً). وَهَذَا
الْقَوْلُ الَّذِي يَقُولُونَهُ إِنَّهُ هُوَ الْكَذِبُ وَبُهْتَانٌ.
كَبُرَتْ كَلِمَةً - مَا أَكْبَرَهَا وَمَا أَعْظَمَهَا فِي الْقُبْحِ مِنْ كَلِمَةٍ.

(بَاخِعٌ) (آثَارِهِمْ)

(٦) - لَا تَهْلِكِ يَا مُحَمَّدُ نَفْسَكَ حُزْنًا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لِأَنَّهُمْ لَمْ
يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، وَبِهَذَا الْقُرْآنِ (بِهَذَا الْحَدِيثِ)، بَلْ أُبَلِّغُهُمْ أَنَّ مَا أَوْحَى
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَأَدْعُهُمْ إِلَى اللهِ، وَهَذِهِ هِيَ مَهْمَّتُكَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ
هَذَاهُمْ، فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا.
بَاخَعَ نَفْسَهُ - قَتَلَهَا وَأَهْلَكَهَا.
أَسْفًا - حُزْنًا أَوْ غَيْظًا.

(٧) - إِنَّ اللهَ جَعَلَ الدُّنْيَا حُلُوءَةً خَضِرَةً، لِيَنْظُرَ مَاذَا يَعْمَلُ النَّاسُ - كَمَا
جَاءَ فِي الْحَدِيثِ -، وَجَعَلَ مَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْ نَبَاتٍ وَجَمَادٍ
وَحَيَوَانٍ. زِينَةٌ لَهَا وَلِأَهْلِهَا لِيُخْتَبِرَهُمْ فِي فَهْمِ مَقَاصِدِ تِلْكَ الزَّيْنَةِ،
الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَلِيَبْتَلِيَهُمْ
أَيُّهُمْ يُحْسِنُ الْعَمَلَ فِيهَا، وَفَقًّا لِلْمَقَاصِدِ الَّتِي أَرَادَهَا اللهُ.
لِيَبْلُوَهُمْ - لِيُخْتَبِرَهُمْ مَعَ عِلْمِ اللهِ بِحَالِهِمْ.
أَحْسَنُ عَمَلًا - أَزْهَدُ فِيهَا وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللهِ.

(لَجَاعِلُونَ)

(٨) - ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ زَوَالِ الدُّنْيَا وَذَهَابِهَا، وَذَهَابِ مَا عَلَيْهَا، إِذْ
يَجْعَلُ اللهُ جَمِيعَ مَا عَلَيْهَا خَرَابًا نَبَاتًا، وَبَلَقْعًا لَا تَبْتَ فِيهِ (صَعِيدًا
جُرُزًا)، بَعْدَ أَنْ كَانَ خَضِرًا نَضِيرًا، مُبْهَجًا، تُسْرِبُهُ الْعُيُونُ.
صَعِيدًا جُرُزًا - تُرَابًا أَجْرَدًا لَا نَبَاتَ فِيهِ.

٥ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَائِهِمْ
كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا

٦ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى
آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا
الْحَدِيثِ أَسَفًا

٧ إِنَّا جَاعِلُنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً
لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

٨ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا
جُرُزًا

١٠ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ

الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ

ءَايَاتِنَا عَجَبًا

(أَصْحَابَ) (آيَاتِنَا)

(٩) - قَالَ آتَيْنَ عَبَّاسٍ فِي نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: إِنَّ قُرَيْشًا أَرْسَلَتْ شَخْصَيْنِ إِلَى يَهُودِ الْمَدِينَةِ يَسْأَلُونَهُمْ رَأْيَهُمْ فِي دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ الْيَهُودُ لِرَسُولِي قُرَيْشٍ: أَسْأَلُوهُ عَنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ، فَإِنْ أَجَابَكُمْ عَلَيْهِنَّ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِلَّا فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ، فَتَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ.

- سَلُّوهُ عَنْ فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ، مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ.

- وَسَلُّوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، مَا كَانَ نَبْؤُهُ؟

- وَسَلُّوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ؟

وَلَمَّا سَأَلَتْ قُرَيْشُ النَّبِيَّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، اسْتَمْتَلَهُمْ إِلَى الْغَدِ وَلَمْ يَسْتَسْنِ (أَيَّ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)، فَتَأَخَّرَ الرُّوحُ عَنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَحَزَنَ الرُّسُولُ لِذَلِكَ، وَتَقَوَّلَ الْمُشْرِكُونَ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِذِهِ السُّورَةِ.

وَيَبْدَأُ تَعَالَى بِسَرْدِ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَهُمْ الْفِتْيَةُ الَّذِينَ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ إِنَّ أَمْرَهُمْ لَيْسَ عَجِيبًا فِي قُدْرَتِنَا وَسُلْطَانِنَا، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَخَلَقَ كُلَّ ذَلِكَ أَعْجَبُ مِنْ أَخْبَارِ أَهْلِ الْكَهْفِ. وَيَقُولُ تَعَالَى مُبْتَدِئًا سَرْدَ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ: لَا تَحْسِبْ أَنَّ قِصَّةَ أَهْلِ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ، الَّذِينَ نَامُوا أَمَدًا طَوِيلًا، هِيَ الْآيَةُ الْعَجِيبَةُ وَحْدَهَا مِنْ بَيْنِ آيَاتِنَا الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَالَّتِي تَذُلُّ عَلَيَّ قُدْرَتِنَا، فَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، أَعْجَبُ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ.

أَمْ حَسِبْتَ - بَلْ ظَنَنْتَ.

الْكَهْفِ - النَّقْبِ الْمَتَّسِعِ فِي الْجَبَلِ.

الرَّقِيمِ - اللَّوْحِ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْكَهْفِ وَقِصَّتُهُمْ.

(آيَاتِنَا)

١١ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ

فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا

(١٠) - أَذْكَرُ يَا مُحَمَّدُ قِصَّةَ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ قَرُّوا بِدِينِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، لِئَلَّا يَفْتِنُوهُمْ عَنْهُ، فَلَجُّوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، لِيَخْتَفُوا فِيهِ عَنْ عِيُونِ قَوْمِهِمْ. فَلَمَّا دَخَلُوهُ سَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ عَاقِبَتَهُمْ رُشْدًا وَهُدًى.

أَوْى الْفِتْيَةَ - أَلْتَجَوُّوا هَرَبًا بِدِينِهِمْ .
رَشَدًا - أَهْتَدَاءٌ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ .
(آذَانِهِمْ)

(١١) - فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ حِجَابًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ السَّمَاعِ ، وَأَنَّمَانَاهُمْ فِي الْكَهْفِ عَدَدًا مِنَ السِّنِينَ .
فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ - أَنَّمَانَاهُمْ إِنَامَةً ثَقِيلَةً .
(بَعَثْنَاهُمْ)

(١٢) - ثُمَّ أَقْبَضْنَاهُمْ مِنْ رَفْدِهِمْ تِلْكَ ، لِنَعْلَمَ أَيُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ (الْحَزِينِينَ) ، وَالْمُخْتَلِفِينَ فِيهِمْ أَدَقُّ إِحْصَاءً ، وَأَعْرَفُ بِالْمُدَّةِ الَّتِي نَامُوهَا فِي الْكَهْفِ .
بَعَثْنَاهُمْ - أَقْبَضْنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ .
أَمَدًا - مُدَّةً وَعَدَدًا مِنَ السِّنِينَ ، أَوْ غَايَةً .

(آَمَنُوا) (وَزِدْنَاهُمْ)
(١٣) - نَحْنُ نُخْبِرُكَ بِنَبَأِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكَهْفِ كَمَا وَقَعَ ، وَلَا مَحَلَّ فِيهِ لِلرَّيْبَةِ أَوْ الشَّكِّ .
إِنَّهُمْ شُبَّانٌ فِي مُقْتَبِلِ الْعُمَرِ (فِتْيَةٌ) ، أَهْتَدَوْا إِلَى الْإِيمَانِ بِرَبِّهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَعَبَدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، ثُمَّ زَادَهُمْ رَبُّهُمْ هُدًى عَلَى هُدَاهُمْ ، بِتَشْيِيتِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَتَوْفِيقِهِمْ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا .
(وَيَرَى ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّ قِصَّةَ أَهْلِ الْكَهْفِ كَانَتْ قَبْلَ ظَهْوَرِ النَّصْرَانِيَّةِ لَا بَعْدَهَا ، لِأَنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ كَانُوا يَعْرِفُونَهَا ، وَقَدْ أُرْسِلُوا إِلَى قُرَيْشٍ لِسُؤَالِ النَّبِيِّ عَنْهَا عَلَى وَجْهِ التَّعْجِيزِ) ، (وَأَسْتَدَلَّ الْفُقَهَاءُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَزِيدَ وَيُنْقُصَ) .

(السَّمَاوَاتِ) (نَدْعُو)

(١٤) - وَيُقَالُ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ نَظَرُوا إِلَى مَا يَعْبُدُهُ قَوْمُهُمْ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْتَانٍ فَفَرَّوْا مِنْهَا ، فَاتَّخَذُوا لِأَنفُسِهِمْ مَكَانًا يَتَعَبَّدُونَ اللَّهَ فِيهِ ، فَعَلِمَ بِهِمْ قَوْمُهُمْ ، فَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى الْمَلِكِ ، وَكَانَ مَلِكًا جَبَّارًا غَنِيْدًا ، فَاسْتَحْضَرَهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ ، وَمَا يَعْبُدُونَ ، فَأَلْهَمَهُمُ اللَّهُ قُوَّةَ الْعَزِيمَةِ ، وَشَدَّدَ قُلُوبَهُمْ بِنُورِ الْإِيمَانِ ، فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ ، فَأَعْتَرَفُوا

١١ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي
الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا

١٢ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِينَ
أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا

١٣ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ فَتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ
وَزِدْنَاهُمْ هُدًى

١٤ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا
فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ
إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا

لَهُ يَنْفُورُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْتَانِ، وَبِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ. ثُمَّ دَعَوَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. وَلَمَّا أَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ يَقْنَعَهُمْ بِالْعُودَةِ إِلَى دِينِ قَوْمِهِمْ قَالُوا لَهُ: إِنْ دِينُهُمْ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ الْحَقُّ، وَلَنْ يَرْجِعُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ أَبَدًا، لِأَنَّهُمْ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ يَهْتَانًا وَبَاطِلًا (لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا).

رَبَطْنَا - شَدَدْنَا وَقَوَّيْنَا بِالصَّبْرِ.

شَطَطًا - قَوْلًا مُفْرِطًا فِي الْبُعْدِ عَنِ الْحَقِّ.

(الْهَيْهَاتَ) (بِسُلْطَانٍ)

(١٥) - لَقَدْ اتَّخَذَ قَوْمُنَا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، هِيَ أَصْنَامٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي عِبَادَتِهَا مِنْ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ وَلَا دَلِيلٍ، فَهَلَّا جَاؤُوا عَلَى صِدْقِ قَوْلِهِمْ فِي أَنَّهَا آلِهَةٌ بِدَلِيلٍ مُقْنِعٍ؟ فَلَا أَحَدٌ أَكْثَرُ ظُلْمًا مِنْ كَذِبِ عَلَى اللَّهِ، وَنَسَبَ إِلَيْهِ تَعَالَى قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ، وَأَمْرًا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

(فَأُورُوا)

(١٦) - وَيُقَالُ: إِنَّ الْمَلِكَ هَدَّدَهُمْ إِنْ لَمْ يَعُودُوا إِلَى دِينِ قَوْمِهِمْ، وَسَجَنَهُمْ، فَقَرُّوا مِنَ السَّجْنِ، وَالتَّجَوُّوا إِلَى الْكَهْفِ. وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّكُمْ أَعْتَزَلْتُمْ قَوْمَكُمْ وَخَالَفْتُمُوهُمْ فِيمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَانْتَبِعُوا عَنْهُمْ، وَفَارَقُوهُمْ وَأَذْهَبُوا إِلَى الْكَهْفِ، يَسْطُرُ عَلَيْهِمْ رَبُّكُمْ رَحْمَةً يَسْتَرْكُمُ بِهَا مِنْ قَوْمِكُمْ، وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ، أَمْرًا تَرْتَفِعُونَ بِهِ وَتَنْتَفِعُونَ (مِرْفَقًا). فَخَرَجُوا إِلَى الْكَهْفِ، وَالتَّجَوُّوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَهْتِدِ إِلَيْهِمْ قَوْمُهُمْ.

مِرْفَقًا - مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي عَيْشِكُمْ.

(تَزَاوَرُ) (آيَاتِ)

(١٧) - وَكَانَ وَضَعُ الْكَهْفِ الَّذِي آوَى الْفِتْيَةَ إِلَيْهِ، أَنَّهُ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ تَمِيلُ عَنْهُ ذَاتُ الْيَمِينِ، وَإِذَا مَالَتْ لِلْغُرُوبِ، دَخَلَتْ غَارَهُمْ مِنْ شِمَالِي بَابِهِ (تَقَرُّضُهُمْ)، (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ مَعْنَى تَقَرُّضُهُمْ هُوَ: تَتَرَكُّهُمْ، وَتَعْدِلُ عَنْهُمْ)، وَكَانَ الْفِتْيَةُ فِي مَكَانٍ مُتَّسِعٍ، دَاخِلِ الْكَهْفِ (فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) لَا تَمَسُّهُمْ فِيهِ الشَّمْسُ. وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَلَطْفِهِ بِهِمْ أَنَّهُ

هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ

دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ

عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

وَإِذْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

إِلَّا اللَّهَ فَأُورُوا إِلَى الْكَهْفِ

يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ

وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا



وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا

طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ

الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ

ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ

مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ عَاجِلِ اللَّهِ مَنْ

أَرْسَدَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَتَبَتَّهُمْ عَلَيْهِ، حِينَ قَامُوا بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ
الْجَبَّارِ، ثُمَّ أَنَّهُ هَدَاهُمْ إِلَى هَذَا الْكَهْفِ الَّذِي يَدْخُلُهُ النُّورُ وَالْهَوَاءُ
وَالشَّمْسُ لَتَبْقَى أَبْدَانُهُمْ سَلِيمَةً. وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي هَدَى هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ
إِلَى عِبَادَتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِمْ، وَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي،
وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَهْدِيهِ وَيُرْسِدُهُ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ.
فَرَضَتِ الْمَكَانَ - عَدَلَتْ عَنْهُ.

تَزَاوَرُ - تَتَنَحَّى وَتَمِيلُ.

فَجَوْءَ - مُتَّسِعٍ مِنَ الْكَهْفِ.

(بَاسِطٌ)

(١٨) - وَيُقَالُ: إِنَّ الْفِتْيَةَ نَامُوا وَعُيُونُهُمْ مَفْتُوحَةٌ لِكَيْلَا يُسْرَعَ إِلَيْهَا الْبَلَى،
فَيَحْسَبُ النَّاطِرُ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أَيْقَاطُ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ نِيَامٌ (رُقُودٌ)،
وَيُقَالُ لَهُمْ اللَّهُ عَلَى جَنَّتِهِمْ: ذَاتَ الْبَيِّنِ، وَذَاتَ الشَّمَالِ، لِثَلَا تَأْكُلُ
الْأَرْضُ أَجْسَادَهُمْ، وَيُسْرَعَ إِلَيْهَا الْبَلَى، وَكَلْبُهُمْ رَابِضٌ فِي فِنَاءِ الْكَهْفِ
(أَوْ عِنْدَ بَابِهِ) - (بِالْوَصِيدِ) عَلَى هَيْئَتِهِ فِي جُلُوسِهِ حَالِ الْحِرَاسَةِ، وَكَأَنَّهُ
يَخْرُسُهُمْ، وَأَضْفَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مَهَابَةً، لِكَيْلَا يَقْتَرِبَ مِنْهُمْ أَحَدٌ،
وَلِكَيْلَا تَمَسَّهُمُ الْأَيْدِي حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ نَاطِرٌ
أَمْتَلَاتْ نَفْسُهُ مِنْهُمْ مَهَابَةً وَخَوْفًا.

بِالْوَصِيدِ - بِفِنَاءِ الْكَهْفِ، أَوْ عَتَبَةِ بَابِهِ.

رُغْبًا - خَوْفًا وَفَزَعًا.

(بَعَثْنَاهُمْ) (قَائِلٌ)

(١٩) - وَكَمَا أَرْقَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْكَهْفِ وَحَفِظَ أَجْسَادَهُمْ مِنَ الْبَلَى،
بَعَثَهُمْ مِنْ رُقُودِهِمْ، وَأَبْدَانُهُمْ سَلِيمَةً، وَشُعُورُهُمْ وَأَبْشَارُهُمْ سَلِيمَةً،
فَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمْ كَانَتْ مَدَّةُ رَقْدَتِكُمْ؟ فَقَالُوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ (إِذْ يُقَالُ إِنَّهُمْ دَخَلُوا الْكَهْفَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَاسْتَيْقَظُوا فِي
آخِرِهِ، فَقَالُوا وَكَأَنَّهُمْ اسْتَكْثَرُوا نَوْمَهُمْ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْنَا. وَالْمُهْمُ
الْآنَ أَنْ تَبْعَثُوا وَاحِدًا مِنْكُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ بِمَا مَعَكُمْ مِنْ عَمَلَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ
(وَرِقْقِكُمْ)، فَلْيَبْحَثْ لَكُمْ عَنْ أَطْيَبِ طَعَامٍ وَأَطْهَرِهِ، وَلْيَبَايِعْكُمْ بِشَيْءٍ مِنْهُ،
وَعَلَى هَذَا الرَّسُولِ أَنْ يُحَاوَلَ قَدْرَ جُهِدِهِ عَدَمَ لَفْتِ الْأَنْظَارِ إِلَيْهِ،
وَلْيَتَلَطَّفْ فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ، لِكَيْلَا يُشْعِرَ أَحَدًا بِمَكَانِكُمْ.

يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ
يُضِلُّ فَلَنْ يَهْدِيَهُ إِلَّا مَنْ شَاءَ

١٨ وَحَسَبَهُمْ آتِفًا ظَاوَهُمْ رُقُودٌ

وَقَلْبُهُمْ ذَاتُ الْيَمِينِ وَذَاتُ

الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ

ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطْلَعَتْ

عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا

وَلَمِلْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا

١٩ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ

لَيْسَاءَ لَوِ ابْنَاهُمْ قَالَ قَائِلٌ

مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالَ لَيْسَاءَ

يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ وَارْتَبِكُمْ

أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا

أَحَدَكُمْ بِرِقْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى

الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى

طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ

بَعَثْنَاهُمْ - أَيَقْظَنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ .

بَوْرَقَكُمْ - يَدْرَاهِمُكُمْ الْمَضْرُوبَةُ مِنَ الْفِضَّةِ .

أَرْكَى طَعَامًا - أَكْثَرَ جَلًّا ، أَوْ أَجْوَدَ طَعَامًا .

(٢٠) - لِأَنَّ قَوْمَكُمْ إِنْ عَلِمُوا بِمَكَانِكُمْ عَذَّبُوكُمْ ، وَأَذَوْكُمْ إِلَى أَنْ يَضْطَرُّوَكُمْ إِلَى الْعَوْدَةِ فِي مِلَّتِهِمْ ، أَوْ يَبْلُغُوا بِكُمْ الْمَوْتَ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ ، وَإِذَا وَافَقْتُمُوهُمْ عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى دِينِهِمْ فَلَا فَلَاحَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ .

يُظْهِرُوا عَلَيْكُمْ - يُطْلِعُوا عَلَيْكُمْ ، أَوْ يُغْلِبُوكُمْ .

(يَتَنَازَعُونَ) (نُبَيَّانًا)

(٢١) - وَكَمَا أَرْقَدْنَاهُمْ وَأَيَقْظَنَاهُمْ بِهَيَاتِهِمْ ، أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، لِيَعْلَمَ الشَّاكُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْقِيَامَةَ سَتَقُومُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لَهَا ، بِدُونِ شَكٍّ . وَأَخَذَ النَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَةِ فَقَالَ قَوْمٌ : سُدُّوا عَلَيْهِمْ بَابُ الْكَهْفِ بَيْنَاءً وَأَتْرَكُوهُمْ لِإِرَادَةِ اللَّهِ . وَقَالَ آخَرُونَ (وَهُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمُ الْغَلْبَةُ فِي الْحُكْمِ) ، إِنَّهُمْ سَيُقِيمُونَ عَلَى كَهْفِهِمْ مَعْبَدًا يُصَلِّي النَّاسُ فِيهِ لِيَتَّخِذْنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا .

أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ - أَطْلَعْنَا النَّاسَ عَلَيْهِمْ .

(ثَلَاثَةً) (ظَاهِرًا)

(٢٢) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي عَدَدِ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَةِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ ، وَكَلِبُهُمْ رَابِعُهُمْ . وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّهُمْ خَمْسَةٌ وَكَلِبُهُمْ سَادِسُهُمْ . وَضَعَفَ اللَّهُ تَعَالَى كِلَا الْقَوْلَيْنِ وَعَدَّهُمَا مِنْ قِبَلِ الرَّجْمِ بِالْغَيْبِ ، وَالْقَوْلَ بِثَلَاثَةٍ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ إِنَّهُمْ سَبْعَةٌ وَكَلِبُهُمْ ثَامِنُهُمْ ، وَلَمْ يُضَعِّفِ اللَّهُ هَذَا الْقَوْلَ ، وَلَمْ يَقُلْ عَنْهُ إِنَّهُ رَجُمَ بِالْغَيْبِ ، فَدَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ ، وَإِنَّهُ هُوَ الْحَقِيقَةُ - كَمَا قَالَ آئِنَ عَبَّاسٍ - .

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ : إِنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ رَدُّ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ ، إِذْ لَا ضَرُورَةَ لِلْخَوْصِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ بِإِلَاعِلْمٍ . فَلَا يَعْلَمُ عَدَدُهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ .

وَيَنْبَغِي اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ ، مِنْ خِلَالِ خِطَابِهِ لِلرَّسُولِ ، أَنْ لَا يَخَوْضُوا ، وَلَا يُجَادِلُوا فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ إِلَّا خَوْضًا سَهْلًا هَيِّنًا ، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ لَا تَتَرْتَّبُ

مَنْهُ وَلَيْسَ تَلَطَّفٌ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ
وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا

وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ
لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ
بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ
بُيُوتًا رِيبُكُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ
الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ
وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ
كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ
سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ
رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ
إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً
ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ
مَنْهُمْ أَحَدًا

عَلَيْهَا فَائِدَةٌ كَبِيرَةٌ، وَأَنْ لَا يَسْأَلُوا أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِمَّنْ يَدْعُونَ
الْعِلْمَ فِي أَمْرِ أَهْلِ الْكَهْفِ فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِشَيْءٍ، وَإِنْ مَا يَقُولُونَهُ إِنَّمَا
هُوَ رَجْمٌ بِالْغَيْبِ، وَقَوْلٌ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ فِيهِ، وَقَدْ جَاءَكُمْ
الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ، وَهُوَ قَوْلٌ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ،
وَالْمُهْمُّ فِي الْمَوْضُوعِ لَيْسَ مَعْرِفَةُ الْعَدَدِ، وَلَكِنْ الْإِعْتِبَارُ بِالْقِصَّةِ.
رَجْمًا بِالْغَيْبِ - قَدْفًا بِالظَّنِّ مِنْ غَيْرِ يَقِينٍ.

فَلَا تُعَارِ فِيهِمْ - فَلَا تُجَادِلْ فِي عُدَّتِهِمْ وَشَأْنِهِمْ.
إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا - تِلَاوَةً مَا أَوْحَى إِلَيْكَ فِي أَمْرِهِمْ.
(لِشَيْءٍ)

(٢٣) - يُرْسِدُ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ إِلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ إِذَا عَزَمَ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ أَنْ يَرْدَّهُ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ. أَيْ وَلَا تَقُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ إِنِّي سَأَفْعَلُ
ذَلِكَ الشَّيْءَ غَدًا إِلَّا أَنْ تَقُولَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لِأَنَّهُ قَدْ يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنَ الْوَفَاءِ
بِمَا قَالَ فَيَكُونُ مُخْلِفًا.

(٢٤) - حِينَمَا سَأَلَ الْكُفَّارُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ قَالَ
لَهُمْ: إِنَّهُ سَبْعِيهِمْ غَدًا، وَلَمْ يَسْتَنْ (أَيْ لَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ) فَتَأَخَّرَ
الْوَحْيُ عَنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَنَبَّهَ اللَّهُ رَسُولَهُ إِلَى وَجُوبِ رَدِّ الْمَشِيئَةِ إِلَى
اللَّهِ، وَأَنْ عَلَيْهِ إِذَا نَسِيَ أَنْ يَسْتَشِيرَ وَيَقُولَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلْيَذْكُرِ اللَّهَ، فَإِنَّ
ذِكْرَ اللَّهِ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ. وَإِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْرِفُهُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى
اللَّهِ فِيهِ لِيَسْأَلَهُ أَنْ يُوفِّقَهُ إِلَى الصَّوَابِ.
رَشْدًا - هِدَايَةً وَإِرْشَادًا لِلنَّاسِ.

(ثَلَاثِمِئَةٍ)

(٢٥) - وَكَانَتْ مُدَّةُ رَقْدَتِهِمْ فِي الْكَهْفِ، مِنْذُ دُخُولِهِمْ إِلَيْهِ حَتَّى بَعَثْنَاهُمْ،
وَتَسَاءَلُوهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ: ثَلَاثِمِئَةَ سَنَةٍ شَمْسِيَّةٍ (وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي كَانَ يَتَعَامَلُ
بِهَا أَهْلُ الْكِتَابِ)، تُعَادِلُ ثَلَاثِمِئَةَ وَتِسْعَ سِنَوَاتِ قَمَرِيَّةٍ، (وَهِيَ السَّنَةُ
الَّتِي كَانَ يَتَعَامَلُ بِهَا الْعَرَبُ).

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٦) - ثُمَّ أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْمُدَّةَ الَّتِي نَامَهَا الْفِتْيَةُ فِي الْكَهْفِ هِيَ الَّتِي
بَيْنَهَا تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، فَقَالَ لَهُوَلَاءِ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي عَدَدِهِمْ،
وَفِي مُدَّةِ لَبْسِهِمْ فِي الْكَهْفِ، إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِهِمْ، وَبَعْدَهُمْ، وَبِمُدَّةِ

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنٍ إِنْ فَعَلْتُ
ذَلِكَ غَدًا

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي
رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ
سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ
بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ

مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ
أَحَدًا

لَيْسَ لَهُمْ، وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْ مُدَّتِهِمْ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ.
وَاللَّهُ عِلْمُ مَا غَابَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَفِيَ مِنْ أَحْوَالِهِمَا وَأَحْوَالِ
أَهْلِهِمَا، لَا يَغْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

وَمَا أَبْصَرَ اللَّهُ بِكُلِّ مَوْجُودٍ! وَمَا أَسْمَعَهُ بِكُلِّ مَسْمُوعٍ! لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ
ذَلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي يَمْلِكُ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ، وَلَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ،
وَلَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَلَا مُشِيرٌ، تَعَالَى اللَّهُ وَتَقَدَّسَ.

أَبْصَرَ بِهِ - مَا أَبْصَرَ اللَّهُ بِكُلِّ مَوْجُودٍ!

(لِكَلِمَاتِهِ)

﴿٢٧﴾ وَأَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ
تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مَلْتَحَدًا

(٢٧) - وَأَتْلُ الْكِتَابَ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْكَ رَبُّكَ، وَالزَّمِ الْعَمَلَ بِهِ،
وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ مِنْ أَوْامِرَ وَنَوَاهٍ، فَلَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ مَا فِيهِ مِنْ وَعِيدٍ
لِلْأَهْلِ الْمَعَاصِي، وَمِنْ وَعْدٍ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ، وَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَّبِعْهُ
نَالَكَ وَعِيدُ اللَّهِ الَّذِي أَوْعَدَ بِهِ الْعَصَاةَ، فَلَنْ تَجِدَ مَوْثِلًا مِنْ دُونِهِ، وَلَا
مَلْجَأَ تَلْجَأُ إِلَيْهِ.

مُلْتَحَدًا - مَلْجَأٌ وَمَوْثِلًا.

(بِالْغَدَاةِ) (الْحَيَاةِ) (هَوَاهُ)

﴿٢٨﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ
تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا
تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا

(٢٨) - وَأَجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ، وَيَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَيَسْأَلُونَهُ
مِنْ فَضْلِهِ بِكُرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، سَوَاءٌ كَانُوا أَغْنِيَاءَ
أَوْ فَقَرَاءَ (وَيُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ حِينَ طَلَبُوا مِنَ
النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ وَحَدِّثَهُمْ، وَأَنْ لَا يَجَالِسَ الْفُقَرَاءَ وَالضُّعَفَاءَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ). ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ لَا يُجَاوِزَ هَؤُلَاءِ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الشَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ، وَبِأَنْ لَا يُطِيعَ مَنْ
شُغِلَ بِالدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ، وَعَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمَنْ تَجَاوَزَ فِي أَعْمَالِهِ حُدُودَ
اللَّهِ، وَتَمَادَى فِي ارتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ، وَكَانَ مُفْرِطًا سَفِيهًا فِي
أَمْرِهِ.

أَصْبِرْ نَفْسَكَ - أَحْبِسْهَا وَتَبَتَّهَا.

لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ - لَا تَصْرِفْ عَيْنَاكَ النَّظَرَ إِلَيْهِمْ.

أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ - جَعَلْنَا قَلْبَهُ غَافِلًا سَاهِيًا.

فُرْطًا - إِسْرَافًا، أَوْ تَضْيِيقًا وَهَلَاكًا.

(لِلظَّالِمِينَ)

(٢٩) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ : إِنَّ هَذَا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، وَلَا شَكَّ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ بِهِ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ، فَقَدْ أَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، نَارًا لَهَا سُرٌّ يُحِيطُ بِمَنْ يَدْخُلُونَهَا (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا). وَإِذَا أَسْتَعَاثَ أَهْلُ النَّارِ لِيُطْفِئُوا عَظْمَهُمْ يُعَاثُونَ بِمَاءٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ، فَإِذَا قَرَّبُوهُ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ أَشْتَبَتْ وَجُوهُهُمْ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ، وَيُشَسُّ هَذَا الشَّرَابُ شَرَابًا، وَسَاءَتِ النَّارُ مَنَزِلًا لِلْإِزْفَاقِ، وَالْإِتْكَاءِ لِلرَّاحَةِ، وَسَاءَتْ مَقِيلًا.

سُرَادِقُهَا - فُسْطَاطُهَا أَوْ لَهِيْهَا أَوْ دُخَانُهَا.

كَالْمُهْلِ - كَذَرْدِيِّ الزَّيْتِ أَوْ الذَّائِبِ مِنَ الْمَعَادِنِ.

سَاءَتْ مُرْتَفَقًا - سَاءَتْ النَّارُ مَقَرًّا أَوْ مَتَكًّا.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٣٠) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْأَشْقِيَاءِ، ثَنَّى بِذِكْرِ حَالِ السُّعَدَاءِ، مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَقَالَ تَعَالَى : إِنَّهُ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَخْلُوقٍ مِنْ عِبَادِهِ آمَنَ بِالْحَقِّ الَّذِي يُوحَى إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَعَمِلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، وَلَا يَظْلِمُهُ نَقِيرًا.

(أُولَئِكَ) (جَنَّاتُ) (الْأَنْهَارِ) (الْأَرَائِكِ)

(٣١) - فَهَؤُلَاءِ السُّعَدَاءُ الْأَبْرَارُ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لِيُقِيمُوا فِيهَا أَبَدًا، وَتَجْرِي الْأَنْهَارُ وَالْمِيَاهُ فِي جَنَّاتِهَا، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا خِلْيَاءً، هِيَ أَسَاوِرُ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤٍ، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا ثِيَابًا مِنَ الْحَرِيرِ خَضْرَاءَ اللَّوْنِ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى) ^(١)، مِنْهَا ثِيَابٌ رَقِيقَةٌ كَالْقَمَصَانِ، وَمَا مِثْلُهَا، (مِنْ سُندُسٍ)، وَمِنْهَا ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ، كَالدِّيَابِجِ لَهُ بَرِيقٌ (مَنْ إِسْتَبْرَقَ)، وَيَجْلِسُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ وَالْأَسِرَّةِ مُسْتَبِدِّينَ (مُتَكَبِّينَ)، لِيَرْتَاخُوا فِي جِلْسَتِهِمْ. وَحَسَنَتِ الْجَنَّةُ ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَحَسَنَتِ مَنَزَلًا وَمَقِيلًا.

جَنَّاتُ عَدْنٍ - جَنَّاتُ إِقَامَةٍ وَأَسْتِقْرَارٍ.

سُندُسٍ - رَقِيقِ الدِّيَابِجِ.

إِسْتَبْرَقَ - غَلِيظِ الدِّيَابِجِ.

الْأَرَائِكِ - السُّرُرِ.

(٣٢) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ

فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا

أَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ

سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا

بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ

يُسْكَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا

(٣٣) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ

أَحْسَنَ عَمَلًا

(٣٤) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ

مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ

سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا

عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ

وَحَسَنَتِ مُرْتَفَقًا

(أَعْنَابٍ) (وَحَفَفْنَاهُمَا)

(٣٢) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ : أَضْرِبْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ، الَّذِينَ سَأَلُوكَ أَنْ تَطْرُدَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، مَثَلًا بِرَجُلَيْنِ أَغْنَى اللَّهُ أَحَدَهُمَا وَآتَاهُ بُسْتَانَيْنِ مِنْ كَرَمِ الْعِنَبِ، وَأَحَاطَهُمَا بِأَشْجَارِ النَّخِيلِ، وَجَعَلَ وَسْطَ هَذَيْنِ الْبُسْتَانَيْنِ زَرْعًا يُنْتَفَعُ بِهِ جَنَّتَيْنِ - بُسْتَانَيْنِ. حَفَفْنَاهُمَا - أَحَاطَنَاهُمَا.

(آتَتْ) (خِلَالَهُمَا)

(٣٣) - وَقَدْ أَخْرَجَتْ كُلُّ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ ثَمَرَهَا، وَلَمْ تَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئًا فِي سَائِرِ الْأَعْوَامِ، عَلَى خِلَافِ مَا يُعْهَدُ فِي الْكُرُومِ وَالْأَشْجَارِ، مِنْ أَنَّهَا تَكْثُرُ غَلَّتُهَا أَعْوَامًا، وَتَقِلُّ أَعْوَامًا أُخْرَى. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَسْطَ الْجَنَّتَيْنِ نَهْرًا كَبِيرًا تَنْفَرُجُ مِنْهُ الْجَدَاوِلُ، لِيُدْومَ رَيُّ أَشْجَارِهَا وَزَرْعِهَا، فَيَزِيدَ بِهَاؤُهَا، وَتَكْثُرَ غَلَّتُهَا. أَكْلُهَا - ثَمَرُهَا الَّذِي يُؤْكَلُ. لَمْ تَظْلِمْ - لَمْ تَنْقُصْ مِنْ أَكْلِهَا. فَجَرْنَا خِلَالَهُمَا - شَقَقْنَا وَأَجَرْنَا وَسَطَهُمَا.

(لِصَاحِبِهِ)

(٣٤) - وَفِي يَوْمٍ كَانَتْ فِيهِ الثَّمَارُ تَعْلُو الْأَشْجَارَ فِي الْبُسْتَانَيْنِ، فَالْتَقَى صَاحِبُ الْبُسْتَانَيْنِ بِصَاحِبٍ لَهُ مُؤْمِنٌ، كَانَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِيمَانِ، وَيَذْكُرُهُ بِأَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَأَنَّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَفْتَرَّ بِهَا، وَأَنَّ ثَوَابَ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ فِي الْآخِرَةِ أَعْظَمُ لِلْمُؤْمِنِ الْمُتَّقِي مِنْ كُلِّ مَا فِي الدُّنْيَا، وَكَانَ يُحَذِّرُهُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ الْبُسْتَانَيْنِ لِصَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ، وَيُجَادِلُهُ: أَلَا تَرَى أَنِّي أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا، فَلَدَيَّ زُرُوعٌ وَبُسَاتَيْنِ وَأَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ، وَأَنِّي أَعَزُّ مِنْكَ عَشِيرَةً وَرَهْطًا، فَيَنْفَرُ مَعِيَ أَهْلِي وَعَشِيرَتِي، إِذَا اسْتَنْفَرْتُهُمْ لِنُصْرَتِي وَعَوْنِي عِنْدَ الْحَاجَةِ. وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ - كَانَتْ لَهُ ثِمَارٌ عَلَى أَشْجَارِهِ وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ أُخْرَى يَثْمُرُهَا، وَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا. أَعَزُّ نَفَرًا - أَقْوَى أَعْوَانًا وَعَشِيرَةً.



وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ
أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا
بَيْنَهُمَا زَرْعًا



كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلَهُمَا وَلَمْ
تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا
نَهْرًا



وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ
وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ءَأَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا



(٣٥) - وَدَخَلَ الْغَيِّي، الْمَفَاجِرُ بِمَالِهِ، وَعَشِيرَتِهِ وَنَفَرِهِ، إِلَى بُسْتَانِهِ، وَرَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ وَبْهَاءٍ، وَزَمَارٍ، وَخَضَبٍ، فَأَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَقَالَ لِصَاحِبِهِ، الْمُؤْمِنِ: مَا أَظُنُّ أَنَّ تَفْنَى هَذِهِ الْجَنَّةُ أَبَدًا، وَلَا أَنْ تَخْرُبَ.

أَنْ تَبِيدَ - أَنْ تَهْلِكَ وَتَفْنَى وَتَخْرُبَ.

(قَائِمَةٌ) (وَلَيْنُ)

(٣٦) - وَقَادَهُ غُرُورُهُ إِلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَبِالْآخِرَةِ وَبِالْمَعَادِ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَظُنُّ أَنَّ يَكُونُ هُنَاكَ حَشَرٌ، وَلَا مَعَادٌ، وَلَا حِسَابٌ. وَأَرَدَفَ قَائِلًا: إِنَّهُ إِنْ كَانَ هُنَاكَ سَاعَةٌ وَحَشَرٌ وَمَعَادٌ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِدُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا مِنْ هَذَا الْبُسْتَانِ، لِأَنَّهُ لَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَى اللَّهِ لَمَا أُعْطَاهُ هَذَا الرِّزْقُ الْوَفِيرُ فِي الدُّنْيَا.

مُنْقَلَبًا - مَرْجِعًا وَعَاقِبَةً.

(سَوَاكُ)

(٣٧) - فَأَجَابَهُ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ بِعِظِهِ، وَبِزَجْرِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْغَيِّ، وَالْإِغْتِرَارِ: أَتَكْفُرُ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا قَوِيًّا بِالْعِلْمِ؟

(٣٨) - لَكِنِّي لَا أَقُولُ مَا تَقُولُ أَنْتَ، بَلْ أَعْتَرَفْتُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَبِالرُّبُوبِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ، لَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا.

لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ - لَكِنِ أَنَا أَقُولُ: هُوَ اللَّهُ رَبِّي.

(٣٩) - وَلَقَدْ كَانَ الْأَوَّلَى بِكَ (وَلَوْلَا)، إِذْ أَعْجَبَتْكَ جَنَّتُكَ حِينَ دَخَلْتَهَا، وَنَظَرْتَ إِلَيْهَا، أَنْ تَحْمَدَ اللَّهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ، وَأَعْطَاكَ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ، وَأَنْ تَقُولَ: هَذَا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَا قُوَّةَ لِي عَلَى تَحْصِيلِهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ. وَإِنَّكَ إِذَا كُنْتَ تَرَانِي أَفْقَرَ مِنْكَ، وَأَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا.

(٤٠) - فَإِنِّي أَرْجُو أَنَّ يَغْلِبَ الْآيَةُ، فَيَجْعَلَكَ فَقِيرًا، قَلِيلَ الْمَالِ، وَالْوَلَدِ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي رَبِّي الْغَنَى وَالْوَلَدَ لِإِيمَانِي وَإِخْلَاصِي لِلَّهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي جَنَّةً تَكُونُ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ، وَيَسْلُبَكَ بِكُفْرِكَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ، وَيُخْرِبَ جَنَّتَكَ بِأَنْ يُرْسِلَ عَلَيْهَا مَطَرًا مِنَ السَّمَاءِ، يُدَمِّرُ زُرُوعَهَا، وَيَقْتُلِعُ أَشْجَارَهَا، فَتَصْبِحَ بَلْقَعًا لَا تَنْبُتُ شَيْئًا (صَعِيدًا زَلَقًا).

حُسْبَانًا - مَطَرًا شَدِيدًا أَوْ عَذَابًا كَالصَّوَاعِقِ وَالْآفَاتِ.

٢٥ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنَّ تَبِيدَ هَذِهِ
أَبَدًا

٣٦ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
وَلَيْنُ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا

٣٧ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا

٣٨ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ
بِرَبِّي أَحَدًا

٣٩ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ
مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ
تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا

٤٠ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا
مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا
زَلَقًا

صَمِيداً زَلَقاً - بَلَقْعاً لَا تَنْبُتُ شَيْئاً أَوْ رَمَلاً هَائِلاً يَزَلُّ مَنْ يَسِيرُ عَلَيْهَا.

(٤١) - أَوْ يَغُورُ مَاؤُهَا فِي الْأَرْضِ وَيَتَوَارَى، فَلَا تَسْتَطِيعُ الْعُثُورُ عَلَيْهِ لِإِخْرَاجِهِ لِسَفِيِّهَا.

غُوراً - غَائِراً ذَاهِياً فِي الْأَرْضِ.

(يَا لَيْتَنِي)

(٤٢) - وَأَحَاطَتِ الْكَوَارِثُ بِبِمَارِ جَنَّتِهِ الَّتِي يَقُولُ إِنَّهُ لَا يَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ أَبَداً، وَحَلَّ بِهَا مَا كَانَ يُحَذِّرُهُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ، مِنْ دَمَارٍ وَغُورٍ مَاءٍ (وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ)، فَاصْبَحَتِ الْجَنَّةُ بَلَقْعاً يَبَابُ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا، فَأَخَذَ يَضْرِبُ كَفّاً بِكَفِّ أَسْفَاً وَنَدَماً وَحُزْناً عَلَى مَا حَلَّ بِهَا، وَعَلَى مَا أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنْ مَالٍ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي ثُبْتُ لِرَشْدِي فَلَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً.

أُحِيطَ بِشَمْرِهِ - أَهْلِكْتَ أَمْوَالَهُ مَعَ جَنَّتِهِ.

يَقْلُبُ كَفِّهِ - كِنَايَةً عَنِ النَّدَمِ وَالتَّحْسُرِ.

خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا - سَاقِطَةً سُقُوفُهَا عَلَى قِيَعَانِهَا.

(٤٣) - وَلَمْ تَكُنْ لَهُ جَمَاعَةٌ (فِتَّةٌ مِنْ عَشِيرَةٍ، أَوْ أَهْلٌ، وَوَلَدٌ، مِمَّنْ كَانَ يَفْتَخِرُ بِهِمْ، وَيَعْتَرُ، يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُ، وَمَنْعَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ بِهِ. وَبِجَنَّتِهِ مِنْ خَرَابٍ وَدَمَارٍ، وَمَا كَانَ مُتَّصِراً بِقُوَّتِهِ عَنِ انْتِقَامِ اللَّهِ مِنْهُ).

(الْوَلَايَةُ)

(٤٤) - وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ، تَكُونُ الْمُوَالَاةُ، وَتَكُونُ النُّصْرَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ. وَفِي الشَّدَائِدِ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، يَعْلِنُونَ خُضُوعَهُمْ وَاعْتِرَافَهُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ، فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَثَابٍ، وَخَيْرٌ مِنْ جَازَى. وَالْأَعْمَالُ الَّتِي تَكُونُ خَالِصَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَكُونُ عَاقِبَتُهَا خَيْراً وَرَشَداً لِفَاعِلِهَا.

الْوَلَايَةُ - النُّصْرَةُ لَهُ تَعَالَى وَحْدَهُ.

خَيْرٌ عَقِباً - خَيْرٌ عَاقِبَةً لِأَوْلِيَائِهِ.

(الْحَيَاةُ) (أَنْزَلْنَاهُ) (الرِّيَاحُ)

(٤٥) - وَأَضْرَبَ يَا مُحَمَّدٌ لِلنَّاسِ مَثَلاً بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِي نُصْرَتِهَا، ثُمَّ فِي صَيُورَتِهَا إِلَى زَوَالٍ، وَأَنْفِضَائِهَا، بِمَاءِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ،

أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غُوراً فَلَنْ

تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً

وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ، فَاصْبَحَ يَقْلُبُ كَفِّهِ

عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى

عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ

بِرَبِّي أَحَداً

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتَّةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ

دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِراً

هَذَا لِكَالْوَلَايَةِ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ

ثَوَاباً وَخَيْرٌ عَقِباً

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ

بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَاصْبَحَ

فَأَصَابَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَدُورٍ وَحَبٍّ، فَتَبَتَ وَحَسُنَ مُنْظَرُهُ، وَعَلَاهُ
الرَّهَرُ، وَالنُّورُ، وَالنُّضْرَةُ، ثُمَّ أَصْبَحَ بَعْدَ ذَلِكَ يَابِسًا، هَشِيمًا، مُتَكَسِّرًا.
تُبَغِّضُهُ الرِّيَّاحُ، وَتُفَرِّقُهُ وَتَطْرَحُهُ يَمِينًا وَشِمَالًا (تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ)، وَاللَّهُ قَادِرٌ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا مُتَعَةٌ قَلِيلَةٌ ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَفْنَى وَتَنْطَفِئَ.

هَشِيمًا - يَابِسًا مُنْفَتِّسًا.

تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ - تُفَرِّقُهُ وَتَنْسِفُهُ.

(الْحَيَاةُ) (وَالْبَاقِيَاتُ) (الصَّالِحَاتُ)

(٤٦) - الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَهْجَتُهَا. وَالْإِقْبَالُ عَلَى عِبَادَةِ
اللَّهِ، وَالتَّفَرُّغُ لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ، خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ وَمِنَ الْبَنِينَ، عِنْدَ
اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ،
وَالْمَالُ وَالْبَنُونَ لَا يَنْفَعُونَهُ فِيهِ شَيْئًا، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ خَيْرٌ أَمَلٍ يَتَعَلَّقُ
بِهِ الْإِنْسَانُ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ).

(أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ).

(وَحَشَرْنَاَهُمْ)

(٤٧) - وَأَذْكُرُ، أَيُّهَا الرُّسُولُ، مَا يَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأُمُورِ
الْعَظَامِ، إِذْ يَقْتُلِعُ اللَّهُ تَعَالَى الْجِبَالَ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَيُسِيرُهَا فِي الْجَوِّ
كَالسَّحَابِ، وَيَجْعَلُهَا هَبَاءً مُثَوَّرًا، فَتَذْهَبُ الْجِبَالُ، وَتَسَاوَى الْبِهَادُ،
وَتُصْبِحُ الْأَرْضُ قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَى فِيهِ عِوَجًا وَلَا أَمْتًا، وَلَا أَدِيمًا، وَلَا
جَبَلًا. وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَظْهَرُ الْأَرْضُ وَلَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ وَاحِدٌ، وَلَا بِنَاءٌ،
وَلَا شَجَرٌ، وَلَا مَكَانٌ يُوَارِي أَحَدًا، بَلْ يَكُونُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ضَاوِحُونَ
لِرَبِّهِمْ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ، وَيَحْشُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ
فَيَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَلَا يَتْرُكُ مِنْهُمْ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا.

بَارِزَةً - ظَاهِرَةً لَا يَسْتُرُهَا شَيْءٌ.

(خَلَقْنَاكُمْ) (أَنْ لَنْ)

(٤٨) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ، فَيَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَفًّا وَاحِدًا،
وَيُقَرَّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْكُفَّارَ الْمُتَكَبِّرِينَ لِلْبُعْثِ وَالنُّشُورِ عَلَى رُؤُوسِ
الْأَشْهَادِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَكُنْتُمْ تَظُنُّونَ

هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا

٤٦ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا مَلَا

٤٧ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ
بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ تَعَادِرْ
مِنْهُمْ أَحَدًا

٤٨ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ
جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا

أَنْ هَذَا لَنْ يَكُونَ، وَالْآنَ اسْتَبَانَ لَكُمْ أَنَّهُ حَقٌّ.
مَوْعِدًا - وَقَدْ لَانْجَازِ الْوَعْدِ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

(الْكِتَابُ) (يَا وَيْلَتَنَا) (الْكِتَابُ) (أَحْصَاهَا) (مَا لِهَذَا)

(٤٩) - وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيِ كُلِّ فَرْدٍ كِتَابُ أَعْمَالِهِ، وَفِيهِ جَمِيعُ مَا عَمِلَهُ فِي حَيَاتِهِ، مِنْ حَسَنٍ وَفَاحٍ، وَمِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ. وَيَرَى الْمُجْرِمُونَ أَعْمَالَهُمْ الْقَبِيحَةَ مُحْصَاةً بِتَمَامِهَا، لَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا شَيْءٌ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْعَذَابَ وَاقِعٌ بِهِمْ، فَيُشْفِقُونَ بِمَا سَيَحُلُّ بِهِمْ، وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: يَا وَيْلَتَنَا، وَإِنَّا حَسْرَتْنَا، عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَتْرُكُ صَغِيرًا مِنْ أَعْمَالِنَا وَذُنُوبِنَا، وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَاهُ وَوَعَاهُ؟ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ حَاضِرًا لِيُحَاسِبُوا عَلَيْهِ، وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ. وَإِنَّمَا يُحَاسِبُ الْعِبَادَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِالْعَدْلِ النَّاتِمِ.

وُضِعَ الْكِتَابُ - صُحُفُ الْأَعْمَالِ فِي أَيْدِي أَصْحَابِهَا.

مُشْفِقِينَ - خَائِفِينَ وَجَلِينَ.

يَا وَيْلَتَنَا - يَا هَلَاكُنَا.

لَا يُغَادِرُ - لَا يَتْرُكُ وَلَا يَبْقَى.

أَحْصَاهَا - عَدَّهَا وَضَبَطَهَا وَأَتَبَّهَا.

(لِلْمَلَائِكَةِ) (لَادَمَ) (لِلظَّالِمِينَ)

(٥٠) - يُنَبِّئُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ إِلَى عِدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَهُمْ، وَلِإِبْلِيسَ آدَمَ، قَبْلَهُمْ، وَيُفَرِّغُهُمْ عَلَى أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ، وَمُخَالَفَةِ الْخَالِقِ. وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: أَذْكَرَ لِقَوْمِكَ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ: اسْجُدُوا لِآدَمَ، اعْتَرِفًا بِفَضْلِهِ، وَاعْتِدَارًا عَمَّا قَالُوهُ بِحَقِّهِ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١). فَامْتَلُوا جَمِيعًا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ الْكَرِيمِ، إِلَّا إِبْلِيسَ، الَّذِي كَانَ مِنَ الْجِنِّ، فَامْتَنَعَ عَنِ السُّجُودِ، وَخَرَجَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ (فَسَقَ)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَنْ يَسْجُدَ لِمَخْلُوقٍ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنَ الطِّينِ، وَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ. فَكَيْفَ تَسْجُدُونَ، يَا بَنِي آدَمَ، هَذَا الْعَدُوُّ لَكُمْ، هُوَ وَذُرِّيَّتُهُ، أَوْلِيَاءُ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَطُغْيُونُ أَوَامِرِهِمْ، وَهُمْ عَلَى مَا عَرَفْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِدَاوَةِ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، فَبَشِّرْ مَا فَعَلْتُمْ (بَشِّرِ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا).

(١) الآية ٣٠ من سورة البقرة.

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَرَى الْمُجْرِمِينَ

مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ

يَوَيْلَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ

لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا

أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا

حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ

الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ

يَبْشِرُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا

اسْجُدُوا لِادَمَ - سُجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَعْظِيمٍ لَا سُجُودَ عِبَادَةٍ.
(السَّمَاوَاتِ)

(٥١) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي (إِبْلِيسَ وَدُرَيْتَهُ)، هُمْ عَيْدٌ مِثْلُكُمْ، لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً، وَلَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا كَانُوا مَوْجُودِينَ فِي ذَلِكَ الْجَيْنِ، وَلَا أَشْهَدْتُ بَعْضَهُمْ خَلْقَ بَعْضٍ، وَأَنَا وَحِيدِي الْمُسْتَقْبَلِ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَمُدَبِّرُهَا وَمُقَدِّرُهَا، وَمَا كُنْتُ لِأَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ الَّذِينَ لَا يَهْدُونَ إِلَى الْحَقِّ أَغْوَاناً وَأَنْصَاراً.
عُضْداً - أَغْوَاناً وَأَنْصَاراً.

(شُرَكَائِي)

(٥٢) - وَأَذْكُرُ، أَيُّهَا الرُّسُولُ، لِقَوْلِكَ أَيْضاً مَا يَقَعُ يَوْمَ الْجَمْعِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، إِذْ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، تَقْرِيباً لَهُمْ وَتَوْبِيحاً: ادْعُوا الْيَوْمَ مَنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنَّهُمْ شُرَكَائِي فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَفِي خَلْقِ هَذَا الْكَوْنِ وَتَدْبِيرِهِ. فَيَدْعُونَهُمْ فَلَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ، وَيَجِدُونَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى أَرْبَابِهِمْ، إِذْ جَعَلَ اللَّهُ، بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، مَهَالِكٌ وَأَهْوَالاً.
مَوْبِقاً - مَهْلِكاً يَشْتَرِكُونَ فِيهِ وَهُوَ النَّارُ.

(وَرَأَى)

(٥٣) - وَجِئْنَا يُعَايِنُ الْمُجْرِمُونَ نَارَ جَهَنَّمَ تَتَلَفَّى يَتَحَقَّقُونَ مِنْ أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهَا لَا مَحَالَةَ (مَوَاقِعُوهَا)، وَأَنَّهُمْ لَا مَصْرِفَ لَهُمْ وَلَا مَجِيدَ عَنْهَا، لِأَنَّ اللَّهَ حَتَمَ ذَلِكَ، وَلِأَنَّهَا أَحَاطَتْ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.
(وَرُؤْيَا جَهَنَّمَ، وَتَأَكَّدُ الْمُجْرِمُ مِنْ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهَا لَا مَحَالَةَ، هُمَا عَذَابٌ نَاجِزٌ).
مَوَاقِعُوهَا - وَاقِعُونَ فِيهَا، وَدَاخِلُونَ فِيهَا.
مَصْرِفاً - مَعْدِلاً وَمَكَاناً يَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِ.

(الْقُرْآنِ) (الْإِنْسَانِ)

(٥٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ بَيَّنَ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ كُلِّ مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ، وَدُنْيَاهُمْ، وَفَصَّلَهُ لِكَيْلَا يَضِلُّوا عَنِ الْحَقِّ، وَيَخْرُجُوا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَالصَّوَابِ، وَلِيَذْكُرُوا فَيُنِيسُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَيَعْتَبِرُوا، وَيَزِدُّوهُمُ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّرْكِ وَسُوءِ الْعَمَلِ. وَمَعَ هَذَا الْبَيَانِ



٥١ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا
خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ
الْمُضِلِّينَ عُضْداً

٥٢ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ
مَوْبِقاً

٥٣ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا

أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا
عَنْهَا مَصْرِفاً

٥٤ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ

لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدلاً

وَالْتَوْضِيحِ فَإِنَّ الْكَافِرِينَ طَلَبُوا مُعْجَزَاتٍ أُخْرَى غَيْرَ الْقُرْآنِ، وَالْإِنْسَانِ فِي طَبِيعَتِهِ حُبُّ الْجَدَلِ، وَمُعَارَضَةُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، إِلَّا مَنْ هَدَى اللَّهُ. صَرَفْنَا - كَرَّرْنَا الْقَوْلَ بِأَسَالِبٍ مُخْتَلِفَةٍ.

كُلُّ مَثَلٍ . مَعْنَى غَرِيبٍ كَالْمَثَلِ فِي غَرَابَتِهِ.

(٥٥) - وَمَا مَنَعَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ مِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، وَبِرُسُلِهِ، وَكُتُبِهِ، حِينَ جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ، وَعَلِمُوا صِحَّةَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَمَّا فَرَقُوا مِنْهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، إِلَّا تَعَتُّهُمْ وَعِنَادُهُمْ، الَّذِي جَعَلَ بَعْضَهُمْ يَطْلُبُ مُشَاهَدَةَ الْعَذَابِ الَّذِي أَوْعَدَهُمْ بِهِ اللَّهُ، فَقَالُوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اتِّنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١). وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ الْآخَرَ يَطْلُبُ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ وَالْبَلَاءِ يَتَلَوُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُمْ يَشَاهِدُونَ ذَلِكَ، وَيَرَوْنَهُ عَيْنَانَا، أَوْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَوَّلِينَ، وَهِيَ الْهَلَاكُ الْمُسْتَأْصِلُ، الَّذِي أَتَى الْأَوَّلِينَ مِثْلَ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ لُوطٍ. سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ - عَذَابُ الْاسْتِئْصَالِ إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا.

قَبْلًا - أَنْوَاعًا وَأَلْوَانًا، أَوْ عَيَانًا وَمُقَابَلَةً.

(وَيُجَادِلُ) (بِالْبَاطِلِ) (آيَاتِي)

(٥٦) - وَبَرَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّهُ لَا يُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ مِنْ صِدْقِهِمْ، وَأَمِنْ يَدْعُوهُمْ، بِأَنْ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمُ الْحُسْنَى؛ وَمُنْذِرِينَ مِنْ كَذِبِهِمْ وَخَالَفَهُمْ، عِقَابَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُرْسِلُ الْمُرْسِلِينَ لِيَقْتَرِحَ عَلَيْهِمُ الظَّالِمُونَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ، وَيَطْلُبُوا مِنْهُمْ مَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ. وَالظَّالِمُونَ الْكَفَّارُ لَا يُجَادِلُونَ، وَلَا يَقْتَرِحُونَ لِلْأَسِيرِ شَادٍ وَالْأَهْبَاءِ، وَإِنَّمَا يُجَادِلُونَ بِالْبَاطِلِ لِيُضَعِّقُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، وَيَبْطِلُوهُ (لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)، وَلَنْ يَبْلُغُوا غَايَتَهُمْ. وَقَدْ اتَّخَذُوا جَمِيعَ الْحُجَجِ وَالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا رُسُلُهُمْ، وَالْعَذَابَ الَّذِي حَذَّرُوهُمْ مِنْهُ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ نَزْوِلِهِ بِهِمْ... هَزَّوْا وَسُخَّرِيَهُ.

لِيُدْحِضُوا - لِيَبْطِلُوا وَيُزِيلُوا.

هَزَّوْا - أَسْتَهْزَأَ وَسُخَّرِيَهُ.

(بَيِّنَاتٍ) (آذَانَهُمْ)

(٥٧) - وَلَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَكْثَرَ ظُلْمًا مِنْ مَنْ وَعِظَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَدُلَّ بِهَا

(١) الآية ٣٢ من سورة الأنفال.

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا

وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسِلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هَزْوًا

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً

عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَالرُّشَادِ فَأَعْرِضْ عَنْهَا وَلَمْ يَتَذَبَّرْهَا، وَلَمْ يَكْتَرِثْ بِهَا،
وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِي عَوَاقِبِ مَا ارْتَكَبَهُ مِنَ الظُّلْمِ، وَالْكَفْرِ، وَالْمَعَاصِي (نَسِي)
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ)، فَلَمْ يُنِبْ إِلَى اللَّهِ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ تَائِبًا مُسْتَغْفِرًا.

وَقَدْ كَانَ إِعْرَاضُ الْكَافِرِينَ عَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
أَغْطِيَةً وَأَغْلِقَةً لِكَيْلًا يَفْقَهُوا مَا يُذَكَّرُونَ بِهِ (أَكِنَّةً) وَلَأَنَّهُ جَعَلَ فِي آذَانِهِمْ
وَقْرًا وَثِقَلًا لِكَيْلًا يَسْمَعُوهُ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ دَعْوَتَكَ إِيَّاهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِلَى
الْهُدَى وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِهِ، لَنْ تُؤَثِّرَ فِيهِمْ، وَلَنْ
يَسْتَجِيبُوا لَهَا أَبَدًا.

أَكِنَّةٌ - أَغْطِيَةٌ كَثِيرَةٌ مَانِعَةٌ.

وَقْرًا - صَمَمًا ثَقِيلًا فِي السَّمْعِ.

(مَوْثَلًا)

(٥٨) - وَرَبُّكَ هُوَ اللَّهُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، يُنْهَلِ النَّاسُ لَعَلَّهُمْ يُتُوبُونَ
وَيُؤْمِنُونَ، وَيَسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ، فَيُتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَيَرْحَمَهُمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ
ذُنُوبِهِمْ، وَلَوْ أَنَّهُ أَخَذَهُمْ بَذُنُوبِهِمْ، لَعَجَلَ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ وَأَهْلَكَهُمْ، وَلَكِنَّهُ
جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا مُعَيَّنًا لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْهُ، وَلَا مُجِدَّ لَهُمْ عَنْهُ.

مَوْثَلًا - مَنَجَّى أَوْ مُلَجًّا أَوْ مُخْلَصًا.

(أَهْلَكْنَاهُمْ)

(٥٩) - لَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ الْأَمَمَ السَّالِفَةَ: عَادًا وَنَمُودًا وَقَوْمَ نُوحٍ وَقَوْمَ لُوطٍ
وَأَصْحَابَ الْأَيْكَةِ. وَدَمَّرَ قُرَاهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَعِنَادِهِمْ، وَجَعَلَ
لِمَهْلِكِهِمْ وَقْتًا مُعَيَّنًا (مَوْعِدًا)، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، فَاحْذَرُوا، أَيُّهَا
الْمُشْرِكُونَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِنْ تَمَادَيْتُمْ فِي تَكْذِيبِ رَسُولِكُمْ
مُحَمَّدٍ ﷺ.

لِمَهْلِكِهِمْ - لِهَلَاكِهِمْ.

(لِقَتَاهُ)

(٦٠) - قِيلَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مُوْجُودًا فِي
مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، عِنْدَهُ عِلْمٌ لَمْ تُحِطْ بِهِ أَنْتَ، فَاحْبَبْ مُوسَى الرَّجُلَ إِلَيْهِ
لِيَسْمَعَ مِنْهُ. فَقَالَ لِقَتَاهُ (وَقِيلَ إِنَّهُ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ وَهُوَ مِنْ نَسْلِ يُوسُفَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِنِّي سَأَسِيرُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، وَالتَّقِي بِالرَّجُلِ،
وَلَوْ سِرْتُ أَمَدًا طَوِيلًا.

أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
وَأِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ
يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا

٥٨ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ
يُؤْخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ
لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ
يُجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِلًا

٥٩ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ
مَوْعِدًا

٦٠ وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ
لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ
الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا

مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ - مُلْتَقَاهُمَا.

أَمْضِي حُقْبًا - أَسِيرَ زَمَنًا طَوِيلًا.

(٦١) - وَكَانَ قَبْلَ لِمُوسَى أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ حُوتًا مُمْلَحًا، وَفِي الْمَكَانِ الَّذِي يَفْقَدُ فِيهِ الْحُوتَ فَإِنَّهُ يَلْتَقِي بِذَلِكَ الرَّجُلِ الْعَالِمِ . فَسَارَ مَعَ فَتَاهُ حَتَّى بَلَغَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَقَطَ الْحُوتُ فِي الْمَاءِ، فَأَخَذَ يَسْبِغُ فِيهِ، وَكَانَ يَشْقُهُ شَقًّا، وَيَتْرُكُ وَرَاءَهُ مِثْلَ السَّرْبِ (النَّفَقِ). سَرَبًا - مَسْلَكًا وَمَنْقِذًا.

(لِفَتَاهُ) (آتِنَا)

(٦٢) - فَلَمَّا جَاوَزَا الْمَكَانَ الَّذِي أَضَاعَا فِيهِ الْحُوتَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: هَاتِ الْغَدَاءَ، فَقَدْ أَتَعَبْنَا الْمَسِيرُ. نَصَبًا - تَعَبًا وَشِدَّةً وَإِعْيَاءً.

(أَرَأَيْتَ) (أَنْسَانِيهِ) (الشَّيْطَانُ)

(٦٣) - فَقَالَ الْفَتَى لِمُوسَى: لَقَدْ نَسِيتُ الْحُوتَ حِينَمَا جَلَسْنَا نَزَاتُحَ إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ (إِذْ أَوْثِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ)، وَلَمْ أَذْكُرْ ذَلِكَ لَكَ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ أَنْسَانِيهِ، فَأَتَخَذَ الْحُوتَ طَرِيقَهُ فِي الْبَحْرِ بِصُورَةٍ عَجِيبَةٍ غَيْرِ مألُوفَةٍ، لِأَنَّهُ حُوتٌ مَيِّتٌ، وَكَانَ يَشْقُ الْمَاءَ، وَهُوَ يَسْبِغُ، فَيَكُونُ الْمَاءُ فَوْقَهُ كَالنَّفَقِ، أَوِ الشَّقِّ فِي الْأَرْضِ (السَّرْبِ).

أَوْثِنَا - جَلَسْنَا لِلْإِسْتِرَاحَةِ.

عَجَبًا - سَبِيلًا أَوْ اتَّخَذَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ.

(آثَارِهِمَا)

(٦٤) - فَقَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ذَلِكَ هُوَ الَّذِي كُنَّا نَبْغِيهِ وَنُرِيدُهُ مِنْ سَفَرِنَا - وَهُوَ فَقَدْ الْحُوتَ - لِأَنَّنَا وَعِدْنَا بِلِقَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي نَفْقَدُ فِيهِ الْحُوتَ، فَرَجَعَا يَقْضِيَانِ أَثَرَهُمَا فِي السَّيْرِ، حَتَّى أَنْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ. مَا كُنَّا نَبْغِ - الَّذِي كُنَّا نَطْلُبُهُ وَنَلْتَمِسُهُ.

فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا - رَجَعَا فِي طَرِيقِهِمَا الَّذِي جَاءَ فِيهِ.

(آتَيْنَاهُ) (وَعَلَّمْنَاهُ)

(٦٥) - فَوَجَدَ مُوسَى وَفَتَاهُ رَجُلًا عِنْدَ الصَّخْرَةِ، مُسَجًى بِثَوْبٍ أَبْيَضٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ إِنَّ أَهْلَ أَرْضِكَ لَا يَعْرِفُونَ السَّلَامَ.

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءٌ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْثِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا

وَيَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى الرَّجُلَ بِأَنَّ اللَّهَ آتَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ، وَعَلَّمَهُ مِنْ عِلْمِهِ.
(٦٦) - قَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّهُ مُوسَى نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّهُ جَاءَهُ لِيُعَلِّمَهُ
مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، لِيَسْتَرْشِدَ بِهِ، فَهَلْ يَسْمَحُ لَهُ بِمُرَافَقَتِهِ؟
رُشْدًا - صَوَابًا أَوْ إِصَابَةً خَيْرًا.

(٦٧) - فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّهُ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ لَا يَعْلَمُهُ مُوسَى، وَلَا
يَسْتَطِيعُ مُوسَى أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مُرَافَقَتِهِ حَتَّى يَتَعَلَّمَهُ.
(٦٨) - ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَلَى أُمُورٍ لَا تَعْرِفُ أَنْتَ
خَفَايَاهَا، وَالْمَصْلَحَةَ الْبَاطِنَةَ فِيهَا، الَّتِي أَطْلَعَنِي اللَّهُ عَلَيْهَا؟
خَيْرًا - عِلْمًا وَمَعْرِفَةً.

(٦٩) - فَقَالَ لَهُ مُوسَى: سَتَجِدُنِي صَابِرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى مَا سَأَرَى مِنْ
الْأُمُورِ مِنْكَ، وَلَنْ أَعْصِيَ أَمْرًا لَكَ، وَلَنْ أَخَالَفَكَ فِي شَيْءٍ.
(تَسْأَلُنِي)

(٧٠) - فَقَالَ الرَّجُلُ لِمُوسَى: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُرَافِقَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ
يَبْدُو لَكَ غَرِيبًا، غَيْرَ مَفْهُومٍ، مِنْ أَفْعَالِي، حَتَّى أَبْذُوكَ أَنَا بِالْحَدِيثِ
عَنْهُ، وَأُشْرَحَهُ لَكَ.

(٧١) - وَبَعْدَ أَنْ اتَّفَقَا عَلَى أَنْ يُرَافِقَ مُوسَى الرَّجُلَ الصَّالِحَ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ،
رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ، فَانْطَلَقَتْ بِهِمَا تَمَحُّرُ عِبَابِ الْبَحْرِ، وَلَمَّا
أَوْغَلَتِ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ، قَامَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَخَرَقَ السَّفِينَةَ بِأَنْ
اسْتَخْرَجَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَحِهَا، ثُمَّ وَضَعَ مَكَانَهُ لَوْحًا آخَرَ، فَأَصْبَحَتِ
السَّفِينَةُ وَكَأَنَّهَا مَرْقُوعَةٌ، فَلَمْ يَتِمَّ لَكَ مُوسَى نَفْسُهُ، فَقَالَ مُنْكَرًا: إِنْ
خَرَقَكَ السَّفِينَةُ يُؤَدِّي إِلَى إِغْرَاقٍ مِنْ فِيهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا عَجِيبًا مُنْكَرًا.
شَيْئًا إِمْرًا - شَيْئًا عَظِيمًا مُنْكَرًا، أَوْ عَجِيبًا.

(٧٢) - فَقَالَ الرَّجُلُ لِمُوسَى: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ صَبْرًا عَلَى
مَا سَتَرَاهُ مِنْ فِعْلِي؟ وَإِنَّمَا أَنَا قُمْتُ بِمَا قُمْتَ بِهِ لِمَصْلَحَةٍ لَا تَعْرِفُهَا أَنْتَ.

(٧٣) - فَقَالَ لَهُ مُوسَى مُعْتَذِرًا: إِنَّهُ نَسِيَ مَا كَانَ مِنَ اتِّفَاقٍ بَيْنَهُمَا، وَرَجَاهُ
أَنْ لَا يُضَيِّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَرْهَقَهُ بِالْمَوْأَخَذَةِ.

لَا تُرْهَقُنِي - لَا تُحْمِلْنِي.

عُسْرًا - صُعُوبَةً أَوْ مَشَقَّةً.

٦٦ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى
أَنْ تَعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا

٦٧ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

٦٨ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا

٦٩ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ

صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا

٧٠ قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ

شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا

٧١ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ

خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ

أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا

٧٢ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبْرًا

٧٣ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا

رُهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا

(عُلَامًا)

(٧٤) - وَبَعْدَ أَنْ نَزَلَا مِنَ السَّفِينَةِ، سَارَا فِي سَبِيلِهِمَا فَوْجَدًا غُلَامًا فِي إِحْدَى الْقُرَى يَلْعَبُ مَعَ أَتْرَابِهِ، فَأَخَذَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَتْلَهُ، فَاسْتَكْرَ مُوسَى ذَلِكَ. وَقَالَ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ: إِنَّكَ قَدْ ارْتَكَبْتَ أَمْرًا تُنْكِرُهُ الْعُقُولُ (نُكْرًا)، بِقَتْلِكَ نَفْسًا زَكِيَّةً طَاهِرَةً، بِدُونِ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا قَتْلٌ تَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْعُقُوتَةُ.

شَيْئًا نُكْرًا - شَيْئًا مُنْكَرًا فَظِيْعًا تُنْكِرُهُ الْعُقُولُ.

(٧٥) - فَقَالَ الرَّجُلُ مُذْكَرًا بِمَا قَالَهُ فِي بَدْءِ الرُّحْلَةِ، وَهُوَ أَنَّ مُوسَى لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَا يَرَاهُ مِنْهُ، وَأَنَّهُ سَيَعْتَرِضُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الْأَسْبَابَ الْخَفِيَّةَ لِلْفِعْلِ؟

(تُصَاحِبِنِي)

(٧٦) - فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنْ اعْتَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي شَيْءٍ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ، فَلَا تُصَاحِبِنِي لِأَنَّكَ أَعْذَرْتَ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

(لَا تَأْخُذْ)

(٧٧) - فَسَارَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي سَبِيلِهِمَا حَتَّى آتَيَا قَرْيَةً، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمَا زَادٌ، فَسَأَلَا أَهْلَهَا الطَّعَامَ، فَلَمْ يَقْبَلْ أَحَدٌ فِيهَا أَنْ يُطْعِمَهُمَا. وَبَيْنَمَا كَانَا يَسِيرَانِ فِي الْقَرْيَةِ وَجَدَا جِدَارًا مُتَدَاعِيًا لِلْسَّقُوطِ، فَقَامَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بِإِقَامَتِهِ وَتَذَعُّبِهِ. فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ لَمْ يُطْعِمُوهُمَا، فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَقُومَ لَهُمْ بِعَمَلٍ بِدُونِ أَجْرٍ.

فَأَبَوْا - فَاْمْتَنَعُوا.

يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ - مُتَدَاعِيًا لِلْسَّقُوطِ.

(٧٨) - فَقَالَ الرَّجُلُ لِمُوسَى: إِنَّكَ اشْتَرَطْتَ وَقْتُ قَتْلِ الْغُلَامِ أَنْ لَا أَصَاحِبَكَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ دُونَ أَنْ أُحَدِّثَكَ أَنَا بِأَمْرِهِ، وَلِذَلِكَ فَأَنِي أَفَارِقُكَ، وَلَكِنِّي سَأُخْبِرُكَ بِتَفْسِيرِ (تَأْوِيلِ) مَا قُمْتُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ. اسْتَكْرَتَهَا أَنْتَ، وَاسْتَغْرَبْتُهَا، وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا عَلَيْهَا.

بِتَأْوِيلِ - بِمَالٍ وَعَاقِبَةٍ، أَوْ تَفْسِيرِ.

(لِمَسَاكِينِ)

(٧٩) - وَبَدَأَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بِشَرْحِ الْأَسْبَابِ الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى خَرْقِ السَّفِينَةِ، فَقَالَ: إِنَّهُ إِنَّمَا قَامَ بِخَرْقِ السَّفِينَةِ لِیُحَدِّثَ فِيهَا عَمِيًّا، لِأَنَّهُمْ

٧٤ ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾

قَالَ أَقْبَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بغيرِ نَفْسٍ
لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا نُكْرًا



٧٥ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

٧٦ ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾

فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي
عُذْرًا

٧٧ ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾

اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ
يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا
يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ فَأَقَامَهُ قَالَ
لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا

٧٨ ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَوْ كُنْتَ صَبْرًا عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَوْ كُنْتَ صَبْرًا
عَلَيْهِ صَبْرًا

٧٩ ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾

يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا

كَانُوا سَيِّمُونَ فِي طَرِيقِهِمْ عَلَى مَلِكٍ ظَالِمٍ ، يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ حَسَنَةَ الْمَنْظَرِ ، غَضَبًا ، وَأَحْدَاثَ الْعِيبِ فِي السَّفِينَةِ يُنْقِذُهَا مِنْ شَرِّ هَذَا الْمَلِكِ الظَّالِمِ ، وَالسَّفِينَةِ يَمْلِكُهَا جَمَاعَةٌ مَسَاكِينُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ غَيْرَهَا يَرْتَقُونَ مِنْهُ .

وَرَأَوْهُمْ - أَمَامَهُمْ أَوْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ .

غَضَبًا - اسْتِلَابًا بِغَيْرِ حَقٍّ .

(الْغُلَامُ) (طُفْيَانًا)

(٨٠) - أَمَّا الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ ، فَإِنَّهُ فِيمَا قَدَّرَ اللَّهُ ، قَدْ طُبِعَ عَلَى الْكُفْرِ ، وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ صَالِحَيْنِ ، فَخَشِيتُ أَنْ يَحْمِلَهُمَا حُبُّهُمَا لِابْنِهِمَا عَلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَى كُفْرِهِ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ هَلَاكُهُمَا . يُرْهِقُهُمَا - يُكَلِّفُهُمَا أَوْ يُغْشِيَهُمَا .

(زَكَاةً)

(٨١) - فَأَرَادَ أَنْ يُبْدِلَهُمَا اللَّهُ بِهِ وَلَدًا أَرْكَى مِنْهُ نَفْسًا (خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً) ، وَأَكْثَرَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ .

زَكَاةً - طَهَارَةً مِنَ الشُّوْءِ ، أَوْ دِينًا وَصَلَحًا .

أَقْرَبَ رُحْمًا - رَحْمَةً عَلَيْهِمَا وَبَرًّا بِهِمَا .

(لِغُلَامَيْنِ) (صَالِحًا)

(٨٢) - أَمَّا الْجِدَارُ الَّذِي أَقَامَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، وَدَعَّمَهُ دُونَ أَجْرٍ ، فَقَدْ كَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْقَرْيَةِ ، وَكَانَ أَبُوهُمَا رَجُلًا صَالِحًا ، وَكَانَ تَحْتَ الْجِدَارِ الْمَائِلِ لِلْإِنْهَادِ ، كَنْزٌ مَذْفُونٌ لَا يَعْرِفُ مَكَانَهُ أَحَدٌ ، فَإِذَا أَنَّهُمَا الْجِدَارُ ، وَهُمَا صَغِيرَانِ ، فَقَدْ بَضِيعَ الْكَنْزِ ، وَلَا يَنْتَفِعَانِ بِهِ ، لِذَلِكَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُقِيمَ الْجِدَارَ لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى الْكَنْزِ الَّذِي تَحْتَهُ ، حَتَّى يَبْلُغَ الْغُلَامَانِ أَشُدَّهُمَا ، وَيَسْتَطِيعَا اسْتِخْرَاجَهُ وَالْإِنْتِفَاعَ بِهِ .

وَأَضَافَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَائِلًا : إِنَّ الَّذِي فَعَلَهُ فِي الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ إِنَّمَا كَانَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِأَصْحَابِ السَّفِينَةِ ، وَبِوَالِدِي الْغُلَامِ الَّذِي قَتَلَهُ ، وَبِالْيَتِيمَيْنِ ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ، وَقَدْ فَعَلَهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَوَحْيِهِ .

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ هُوَ تَفْسِيرٌ لِلْأَفْعَالِ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِيعَ مُوسَى الصَّبْرَ عَلَيْهَا .

وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا

﴿٨٠﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ

فَخَشِيتُ أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا

﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا

مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا

﴿٨٢﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ

يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ

عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

بَلَا أَشَدَّهُمَا - قُوَّتُهُمَا وَشِدَّتُهُمَا وَكَمَالَ عَقْلِيَّاهُمَا .

(وَيَسْأَلُونَكَ) (سَأَلُوا)

(٨٣) - وَتَسْأَلُكَ قُرَيْشٌ يَا مُحَمَّدُ - يَتْلِفِينَ مِنَ الْيَهُودِ - عَنْ خَبَرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَقُلْ لَهُمْ سَأَقْصُ عَلَيْكُمْ قِصَّتَهُ كَمَا أَخْبَرَنِي بِهَا رَبِّي .

(وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ هُوَذَا الْقَرْنَيْنِ هَذَا الْمَقْصُودُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ الْمَشَارَ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ، يَعْرِفُ اللَّهُ وَيَمْتَثِلُ لِأَمْرِهِ) .

(وَأَيَّتَاهُ)

(٨٤) - إِنَّا أَعْطَيْنَاهُ مُلْكًا عَظِيمًا ثَابِتًا مُمَكَّنًا لَهُ فِيهِ، وَأَيَّتَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَبَسْطْنَا لَهُ الْيَدَ، وَقَدَّرْنَا لَهُ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُوَصِّلُهُ إِلَى مَا يُرِيدُ .

سَبَبًا - عِلْمًا وَطَرِيقًا يُوصِلُهُ إِلَيْهِ .

(٨٥) - فَأَرَادَ بُلُوغَ الْمَغْرِبِ، فَاتَّبَعَ طَرِيقًا يُوصِلُهُ إِلَيْهِ، أَيْ سَلَكَ طَرِيقًا يُوصِلُهُ إِلَيْهِ .

(يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ)

(٨٦) فَسَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَقْصَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّائِرُ، نَحْوَ الْغَرْبِ (وَقِيلَ إِنَّهُ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِ الْمَحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ)، فَرَأَى الشَّمْسَ وَكَأَنَّهَا تَغْرُبُ، فِي الْبَحْرِ، فِي عَيْنٍ مِنْ طِينٍ أَسْوَدَ، وَوَجَدَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَهَى إِلَيْهِ فِي سَيْرِهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ كُفَّارًا، وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِطَرِيقِ الْإِلَهَامِ: إِمَّا أَنْ يَقْتُلَهُمْ، إِنْ هُمْ لَمْ يَقْرَأُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَ بِتَعْلِيمِهِمْ طَرِيقَ الْهُدَى وَالرَّشَادِ، وَيُبَصِّرَهُمْ بِأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ وَالْقَوَانِينِ .

تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ - بِحَسَبِ رَأْيِ الْعَيْنِ .

حِمِيَّةٌ - ذَاتُ حِمَاةٍ وَالْحِمَاةُ هِيَ الطِّينُ الْأَسْوَدُ وَهُنَاكَ مَنْ قَرَأَهَا فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ أَيْ حَارَةٍ .

حُسْنًا - الدَّعْوَةُ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ .

(٨٧) - فَأَعْلَنَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي أَفْرَادِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ مَنْ ظَلَمَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ بِرَبِّهِ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ بِالْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا، وَجِئْنَا بِرَجْعٍ إِلَى رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّهُ سَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا مُؤَلَّمًا .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا

إِنَّا مَكَّانُهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا

فَاتَّبَعَ سَبَبًا

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا

عَذَابًا نُّكَرًا - مُنْكَرًا فَظِيْعًا.

(آمَن) (صَالِحًا)

(٨٨) - وَأَمَّا مَنْ تَابَعَنَا عَلَى مَا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَهُ الْمُثَوِّبَةُ الْحُسْنَى فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، جَزَاءٌ لَهُ عَلَى إِيْمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَسَنَعَامُلُهُ بِرَفْقٍ فِي الدُّنْيَا، وَسَنُعَلِّمُهُ مَا يَتَسَرَّرُ لَنَا تَعْلِيمُهُ بِمَا يُقَرُّهُ إِلَى رَبِّهِ، وَيَلِينُ لَهُ قَلْبُهُ، وَلَا يَشْقُ عَلَيْهِ فِعْلُهُ.

(٨٩) - ثُمَّ قَلَّ رَاجِعًا فَسَلَكَ الطَّرِيقَ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى مَشْرِيقِهَا.

(٩٠) - فَلَمَّا بَلَغَ أَقْصَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي سَبِيلِهِ بِاتِّجَاهِ الشَّرْقِ مِنَ الْأَرْضِ (مَطْلِعِ الشَّمْسِ) وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى أَمَةٍ مِنَ النَّاسِ لَيْسَ لَهُمْ بِنَاءٌ يُكْنَهُمْ، وَلَا أَشْجَارٌ تُظِلُّهُمْ وَتَسْتُرُهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ وَلَفْحِهَا، فَهُمْ يَغِيثُونَ فِي سَرَادِبٍ فِي النَّهَارِ، يَقِيهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَلَفْحِهَا، وَيَخْرُجُونَ مِنْ هَذِهِ السَّرَادِبِ لَيْلًا لِكَسْبِ عَيْشِهِمْ.

سِتْرًا - سَاتِرًا مِنَ اللَّبَاسِ أَوْ الْبِنَاءِ.

(٩١) - لَقَدْ كَانَ حَالُ ذِي الْقَرْنَيْنِ كَمَا وَصَفْنَا مِنْ قَبْلُ: مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَبَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَمَغْرِبَهَا، وَنَحْنُ عَلَى عِلْمٍ وَأَطْلَاعٍ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ جَنَّتِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ. خَيْرًا - عِلْمًا شَامِلًا.

(٩٢) - ثُمَّ اتَّبَعَ طَرِيقًا ثَالِثًا مُعْتَرِضًا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ إِلَى الشَّمَالِ.

(٩٣) - حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدْنَيْنِ، وَجَدَ، دُونَ السُّدْنَيْنِ، قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا، لَا اسْتِعْجَامَ كَلَامِهِمْ، وَبُعْدَ لَفْظِهِمْ عَنِ لُغَاتِ النَّاسِ، مَعَ قَلَّةِ فِطْنَتِهِمْ، إِذْ لَوْ كَانَتْ لَهُمْ فِطْنَةٌ لَفَهِمُوا مَا يُرَادُ مِنَ الْقَوْلِ بِالْقَرَائِنِ، وَمُقْتَضِيَاتِ الْحَالِ.

السُّدْنَيْنِ - جَبَلَيْنِ مُتَنَاوَحَيْنِ بَيْنَهُمَا ثَغْرَةٌ يَخْرُجُ مِنْهَا قَوْمٌ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عَلَى بِلَادِ التُّرْكِ، فَيَعِثُونَ فِيهَا فُسَادًا، وَيُهْلِكُونَ الْحَرثَ وَالنَّسْلَ.

(يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ)

(٩٤) - فَقَالُوا: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ قَوْمٌ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ هُمْ قَوْمٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، وَيَعِثُونَ فِي أَرْضِنَا فُسَادًا، فَيَقْتُلُونَ وَيَخْرَبُونَ. فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ جُعْلًا مِنْ أَمْوَالِنَا لِتُبَيِّنَ لَنَا سَدًّا يَحُولُ دُونَهُمْ وَصُولِهِمْ إِلَيْنَا؟

﴿٨٨﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ

جَزَاءٌ الْخُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ

أَمْرٍ نَائِصًا

﴿٨٩﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا

﴿٩٠﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا

تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ

دُونِهَا سِتْرًا

﴿٩١﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا

﴿٩٢﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا

﴿٩٣﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدْنَيْنِ وَجَدَ مِنْ

دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ

يَفْقَهُونَ قَوْلًا

﴿٩٤﴾ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ

مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ

خَرْجًا عَلَيْنَا أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا

يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ - قَبِيلَتَانِ.

خَرَجًا - جُعَلًا مِنَ الْمَالِ تَسْتَعِينُ بِهِ فِي الْبِنَاءِ.

(٩٥) - فَقَالَ لَهُمُ ذُو الْقَرْنَيْنِ: إِنَّ الَّذِي أُعْطَانِي اللَّهُ رَبِّي مِنَ الْمَالِ وَالْقُوَّةِ وَالتَّمَكُّنِ فِي الْأَرْضِ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي تَبْذُلُونَهُ لِي، فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِ، وَلَكِنْ سَاعِدُونِي بِعَمَلِكُمْ، وَبِآلَاتِ الْبِنَاءِ (بِقُوَّةٍ)، أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ سَدًّا مَنِيعًا، وَحَاجِزًا حَصِينًا مَتِينًا (رَدْمًا).

(أَتُونِي)

(٩٦) - قَالَ أَتُونِي بِقِطْعِ الْحَدِيدِ، فَأَتَوْهُ بِهَا، فَأَخَذَ يَنْصُدُّهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِنَ الْأَسَاسِ، حَتَّى إِذَا حَادَى بِهَا رُؤُوسَ الْجِبَالِ طَوَلًا وَعَرْضًا، أَضْرَمَ النَّارَ، حَتَّى إِذَا صَارَ الْحَدِيدُ كُلُّهُ نَارًا، قَالَ: أَتُونِي بِالنُّحَاسِ الدَّائِبِ لِيُصَبَّهُ عَلَى الْحَدِيدِ الْمُحْمَى. فَصَارَ السَّدُّ كُلُّهُ كُتْلَةً وَاحِدَةً.

زُبَيْرَ الْحَدِيدِ - وَاحِدُهَا زُبْرَةٌ أَيْ قِطْعَةٌ ضَخْمَةٌ.

الْقَطْرُ - النُّحَاسُ الدَّائِبُ.

الصُّدُفَيْنِ - جَانِبِي الْجَبَلَيْنِ - أَوْ رَأْسَ الْجَبَلَيْنِ.

(اسْتَطَاعُوا) (اسْتَطَاعُوا)

(٩٧) - فَمَا اسْتَطَاعَ قَوْمُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَنْ يَصْعَدُوا فَوْقَ السَّدِّ لَارْتِفَاعِهِ وَمَلَأَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا نَقْبَهُ لِصَلَابَتِهِ وَسَمَكَتِهِ. أَنْ يَظْهَرُوهُ - أَنْ يَعْلَمُوا ظَهْرَهُ لَارْتِفَاعِهِ. نَقْبًا - خَرَقًا وَنَقْبًا لِصَلَابَتِهِ وَثَخَانَتِهِ.

(٩٨) - وَلَمَّا أَتَتْهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ إِقَامَةِ السَّدِّ قَالَ: هَذَا السَّدُّ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِالنَّاسِ، إِذْ حَالَ دُونِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَالْعَيْثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، فَإِذَا أَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ، وَحَانَ مَوْعِدُ خُرُوجِهِمْ مِنْ وَرَاءِ السَّدِّ، ذَكَهُ اللَّهُ، وَسَوَّاهُ بِالْأَرْضِ، وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ حَقًّا مَفْعُولًا لَا مَحَالَةَ. جَعَلَهُ دَكَاةً - مَدْكُوكًا مِنْ أَسَاسِهِ وَمُسَوًى بِالْأَرْضِ. وَتَقُولُ الْعَرَبُ نَاقَةً دَكَاةً أَيْ لَا سَنَامَ لَهَا.

(يَوْمَئِذٍ) (فَجَمَعْنَاهُمْ)

(٩٩) - وَيَوْمَ يَذُكُ اللَّهُ هَذَا السَّدَّ يَخْرُجُ هَؤُلَاءِ فَيَمْوُجُونَ فِي النَّاسِ، وَيُفْسِدُونَ عَلَى النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ، وَيَتَلَفُونَ أَشْيَاءَهُمْ. وَحِينَ يَحِينُ مَوْعِدُ

٩٥ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا

٩٦ أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصُّدُفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا

٩٧ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا

٩٨ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَاةً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا



٩٩ وَتَرْكَنَّا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ لِبَعْضٍ يَمْوُجُ فِي بَعْضٍ وَفُتِحَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا

يَقَامُ السَّاعَةُ يَنْفُخُ الْمَلَكُ فِي الصُّورِ، وَيَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ جَمِيعًا إِلَيْهِ
لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.
يَمْوجُ - يَخْتَلِطُ وَيَضْطَرِبُ.

نُفِخَ فِي الصُّورِ - نُفِخَ فِي الْقَرْنِ نَفْخَةُ الْبُعْثِ؛ وَالصُّورُ قَرْنٌ إِذَا نُفِخَ فِيهِ
أُحْدِثَ صَوْتًا.

(يَوْمَئِذٍ) (لِلْكَافِرِينَ)

(١٠٠) - وَيَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ يَعْزِضُ اللَّهُ تَعَالَى جَهَنَّمَ عَلَى الْكَافِرِينَ،
وَيَبْرِزُهَا لَهُمْ لِيَرَوْا مَا فِيهَا مِنَ الْهَوْلِ وَالنَّكَالِ، قَبْلَ أَنْ يَقْدِفَهُمْ فِيهَا،
لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي تَعْجِيلِ أَلْهِمَّ وَالْحُزْنِ وَالْأَلَمِ لَهُمْ.

(١٠١) - وَهَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ، الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا هَذَا الْعِقَابَ، هُمُ الَّذِينَ
تَغَافَلُوا عَنْ قَبُولِ الْهُدَى، وَاتَّبَاعِ الْحَقِّ، وَكَانُوا لَا يَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ
وَنَهْيَهُ.

عِظَاءُ - غِشَاءٌ غَلِيظٌ، وَسِتْرٌ كَثِيفٌ.

(لِلْكَافِرِينَ)

(١٠٢) - أَفَطَرْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِي، وَاتَّخَذُوا عِبَادِي، الَّذِينَ هُمْ فِي
قَبْضَتِي، وَتَحْتَ سُلْطَانِي، كَالْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى وَعَزِيرٍ. مَعْبُودَاتٍ مِنْ
دُونِي أَنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْبُودِينَ سَيَنْفَعُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ إِنَّ ذَلِكَ لَنْ يُجْدِيَهُمْ
نَفْعًا، وَلَنْ يُنْجِيَهُمْ مِمَّا يَجِلُّ بِهِمْ مِنَ النَّكَالِ وَالْوَبَالِ، وَلَنْ يُنْجِيَهُمْ مِنَ
الْعَذَابِ، فَقَدْ هَيَّأْنَا جَهَنَّمَ وَأَعَدَدْنَاهَا لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ لِيَكُونَ لَهُمْ مَقَرًّا
وَمُسْتَقَرًّا (نُزْلًا).

نُزْلًا - مَنَزَلًا أَوْ شَيْئًا يَمْتَنِعُونَ بِهِ.

(أَعْمَالًا)

(١٠٣) - قُلْ، أَيُّهَا الرُّسُولُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ بِالْبَاطِلِ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ: هَلْ تَرِيدُونَ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا؟ إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ
عَبَدُوا اللَّهَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ يَرْضَاهَا تَعَالَى، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُصِيبُونَ
فِيهَا، وَأَنْ عَمَلَهُمْ مَقْبُولٌ. وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مُخْطِئُونَ وَاهْمُونَ، وَعَمَلُهُمْ
مَرْدُودٌ.

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ
عَرَضًا

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ
ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا
عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا
أَعْدَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا

(الحياة)

﴿١٠٤﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا

(١٠٤) - يُفسِّرُ اللهُ تَعَالَى هُنَا مَعْنَى (الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا)، وَيَذُلُّ عَلَيْهِمْ، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ عَمِلُوا أَعْمَالًا بَاطِلَةً عَلَى غَيْرِ شَرِيعَتِهِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْهُدَى وَالصَّوَابِ، وَأَنَّهُمْ مَقْبُولُونَ وَمَحْبُوبُونَ، وَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ حَسَنَةٌ يَقْبَلُهَا اللهُ تَعَالَى.

﴿١٠٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا

(أُولَئِكَ) (بِآيَاتِ) (وَلِقَائِهِ) (أَعْمَالُهُمْ) (الْقِيَامَةِ) (١٠٥) - وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَكَفَرُوا بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَكَفَرُوا بِحُجَجِ رَبِّهِمْ وَبِرَاهِيْنِهِ وَدَلَالِيْلِهِ الَّتِي أَقَامَهَا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَصَدَقَ رُسُلُهُ، وَكَذَّبُوا بِالْآخِرَةِ وَالْحِسَابِ، فَهَلَكَتْ أَعْمَالُهُمْ وَبَطَلَتْ (حَبِطَتْ)، فَلَا تَزَنُ أَعْمَالُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَيْئًا، وَلَا يَكُونُ فِي كَفَّةِ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَلٌ صَالِحٌ يُرْجَحُهَا، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ خَالِيَةٌ مِنْ عَمَلٍ خَيْرٍ، وَالْمَوَازِينَ لَا تَرْجَحُ وَلَا تَنْقُلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

(وَفِي الْحَدِيثِ: يُوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرَجُلٍ عَظِيمٍ طَوِيلٍ فَلَا يَزَنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحٌ بَعْضُهُ). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

وَزَنًا - مِقْدَارًا وَاعْتِبَارًا لِحُبُوطِ أَعْمَالِهِمْ وَتَلَاثِيْنِهَا.

(آياتي)

﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا

(١٠٦) - وَيَكُونُ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ اللهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَدْ جَازَاهُمْ اللهُ بِهَذَا الْجَزَاءِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَاتَّخَذَهُمْ آيَاتِ اللهِ وَرُسُلُهُ وَنَذِيرُهُ هُزُوءًا، فَاسْتَهْزَؤُوا وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ أَشَدَّ التَّكْذِيبِ.

(آمنوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَاتِ)

﴿١٠٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا

(١٠٧) أَمَّا السُّعَدَاءُ فَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَرْضَاهُ اللهُ، وَهَؤُلَاءِ يَكُونُ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ اللهِ جَنَاتٍ تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ، وَتَكُونُ مَنَزِلًا لَهُمْ. (وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ - الْفِرْدَوْسُ مِنْ رَبْوَةِ الْجَنَّةِ هِيَ أَوْسَطُهَا وَأَحْسَنُهَا).

(خَالِدِينَ)

﴿١٠٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا

(١٠٨) - وَيُقِيمُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَنْتَقِلُونَ مِنْهَا وَلَا يَخْتَارُونَ عَنْهَا بَدِيلًا، وَلَا يَرْضَوْنَ بِسِوَاهَا مَنَزِلًا وَمَتَحَوَّلًا.

جَوْلًا - تَحَوَّلًا وَانْتِقَالًا.

(كَلِمَاتٍ) (كَلِمَاتُ)

(١٠٩) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ: لَوْ كَانَ مَاءُ الْبَحْرِ كُلُّهُ حَبِيرًا (مِدَادًا) لِلْقَلَمِ الَّذِي تَكْتُبُ بِهِ كَلِمَاتُ اللَّهِ، وَحِكْمُهُ وَأَيَاتُهُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ، لَنَفَذَ مَاءُ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ كِتَابَتُهُ ذَلِكَ وَتُسْتَنْفَذَ، وَلَوْ كَانَ وَرَاءَ الْبَحْرِ بُحُورٌ أُخْرَى تَمُدُّهُ.

الْمِدَادُ - الْمَادَّةُ الَّتِي يُكْتُبُ بِهَا - الْحَبِيرُ.

(وَاحِدٌ) (صَالِحًا) (يَرْجُو)

(١١٠) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِرِسَالَتِكَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، فَمَنْ زَعَمَ أَنِّي كَاذِبٌ فَلْيَأْتِ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، مِنَ الْمَاضِي، عَمَّا سَأَلْتُمْ مِنْ قِصَصِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَخَيْرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، مِمَّا هُوَ مُطَابِقٌ لِلْحَقِيقَةِ وَوَاقِعِ الْحَالِ، وَلَوْ لَمْ يُطْلِعْنِي عَلَيْهِ اللَّهُ رَبِّي لَمَا عَلِمْتُهُ.

وَأَنَا أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ إِلَهُكُمْ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ. فَمَنْ كَانَ يَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ (لِقَاءَ رَبِّهِ)، وَجَزَاءَهُ الْحَسَنَ فِي الْآخِرَةِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا خَيْرًا مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ، وَلَا يُرِدْ بِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

(وَمُوَافَقَةُ الْعَمَلِ لِلشَّرْعِ، وَابْتِغَاءُ وَجْهِ اللَّهِ بِهِ هُمَا الرُّكْنَانِ الْأَسَاسِيَّانِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَقْبَلُهُ اللَّهُ).

﴿١٠٩﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي

لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

﴿١١٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ

أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا

(١٩) سُورَةُ مَرْيَمَ
وَأَيُّهَا الْمَائِكَةُ وَتَسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - كَافَ . هَا . يَا . عَيْنَ . صَادُ . اللَّهُ أَغْلَمَ بِمُرَادِهِ .

(رَحْمَةً)

(٢) - هَذَا ذِكْرُ رَحْمَةِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ زَكَرِيَّا نَقَصُهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ . (وَزَكَرِيَّا نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ) .

(٣) - حِينَ دَعَا رَبَّهُ خَفِيَةً عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ (لَأَنَّ الدُّعَاءَ الْخَفِيَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى الْإِخْلَاصِ ، وَالْبُعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ) .

(بَدْعَاتِكَ)

(٤) - فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي كَبَرْتُ وَضَعُفْتُ، وَخَارَتْ قُوَايَ (وَهَنَّ الْعَظْمُ مِنِّي)، وَشَابَ رَأْسِي وَلَمْ أَعْهَدْ مِنْكَ إِلَّا الْإِجَابَةَ لِدُعَائِي، وَلَمْ تَرُدَّنِي قَطُّ خَائِبًا فِيمَا سَأَلْتُكَ .

وَهَنَّ الْعَظْمُ - ضَعُفَ وَرَقَّ .

شَقِيًّا - خَائِبًا فِي وَقْتِ مَا .

(الْمَوَالِي) (وَرَائِي)

(٥) - وَإِنِّي خِفْتُ إِذَا مِتُّ بِلَا خَلْفٍ وَلَا وَلَدٍ أَنْ تَتَصَرَّفَ غَضَبِي بِالنَّاسِ تَصَرُّفًا سَيِّئًا، وَأَنْ تَخْرُجَ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَأَمْرًاي عَاقِرٌ لَا تَلِدُ، فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلَدًا (وَلِيًّا)، يَكُونُ نَبِيًّا فَيُخَلِّفَنِي فِي قَوْمِي، وَيُسَوِّسُهُمْ بِمَا يُوْحَى إِلَيْهِ .

(وَأَسْتَبْعَدُ الْمُفَسِّرُونَ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِالْآيَةِ أَنَّ زَكَرِيَّا خَافَ أَنْ يَرْتَهُ أَحَدٌ مِنْ مَوَالِيهِ فِي مَالِهِ، لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُورَثُونَ) .

كَهَيْعَصَ

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ .

زَكَرِيَّا

إِذَا نَادَى رَبَّهُ دَعَاءَ خَفِيًّا

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي

وَأَسْتَعْلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ

أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِي مِنْ

وَرَاءِي وَكَأَنِّي أَمْرًاي

عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

وَلِيًّا

خَفْتُ الْمَوَالِي - أَقَارِبِي الْعَصَبَةِ وَالْمَوَالِي عَصَبَةُ الْإِنْسَانِ .
وَلِيًّا - ابْنًا يَلِي الْأَمْرَ بَعْدِي .

(آل)

(٦) فَبَرِثْتُ هَذَا الْوَلَدَ مِنِّي الْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَالْحِكْمَةَ، وَبَرِثْتُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ الْمُلْكَ، وَأَجْعَلُهُ يَا رَبِّ مَرْضِيًّا عِنْدَكَ، وَعِنْدَ خَلْقِكَ، تُحِبُّهُ أَنْتَ، وَتُحِبُّهُ إِلَى الْخَلْقِ فِي دِينِهِ وَخُلُقِهِ .
رَضِيًّا - مَرْضِيًّا عِنْدَكَ قَوْلًا وَفِعْلًا .

(يَا زَكَرِيَّا) (بِغْلَامٍ)

(٧) فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِدُعَائِ زَكَرِيَّا، وَقَالَ لَهُ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ: إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِوَلَدٍ يُؤَلِّدُ لَكَ، وَيَكُونُ اسْمُهُ يَحْيَى، يَكُونُ نَبِيًّا وَصَالِحًا وَمُصَدِّقًا بِالْمَسِيحِ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)، وَلَمْ نَجْعَلْ لَاسْمِهِ مُمَازًا مِنْ قَبْلُ .

(غُلَامٍ)

(٨) - فَتَعَجَّبَ زَكَرِيَّا حِينَ بُشِّرَ بِالْوَلَدِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ يُؤَلِّدُ لِي وَلَدٌ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ، وَأَنَا قَدْ تَقَدَّمْتُ بِيَ السَّنُّ كَثِيرًا وَكَبُرْتُ، وَفَجَلَ عَظِيمِي، وَلَمْ تَنْقُ فِي قُوَّةٍ؟
أَنَّى يَكُونُ - كَيْفَ يَكُونُ .

الْعَاقِرُ - الْعَقِيمُ الَّذِي لَا يُؤَلِّدُ لَهُ وَلَدٌ .

عَتِيًّا - أَيُّ كَبَرٍ وَبَسَتْ مَفَاصِلُهُ .

(٩) - فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ قَائِلًا (أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ الْمَلَكُ الَّذِي أُبْلَغَهُ الْبُشْرَى بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى) إِنَّ جَعْلَكَ وَزَوْجَكَ تَنْجِيَانٍ وَلَدًا وَأَنْتَ هَرِمٌ، وَأَمْرَاتُكَ عَاقِرٌ هُوَ أَمْرٌ هَيْنَ يَسِيرٌ عَلَيَّ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ أَنْتَ مِنْ قَبْلُ، وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا، وَالْخَلْقُ أَضْعَبٌ مِنْ تَبْدِيلِ الصِّفَاتِ، كَجَعْلِ الْعَاقِرِ وَلَدًا .

(آيَةً) (آيَتُكَ) (ثَلَاثَ)

(١٠) - قَالَ زَكَرِيَّا: يَا رَبِّ اجْعَلْ لِي عَلَامَةً وَدَلَالَةً (آيَةً) عَلَى وُجُودِ مَا وَعَدْتَنِي بِهِ مِنْ حَمَلِ زَوْجَتِي، لِتَسْتَقَرَّ نَفْسِي، وَيَسْطَمَّ قَلْبِي بِمَا وَعَدْتَنِي؟

قَالَ الرَّبُّ: الْعَلَامَةُ هِيَ أَنْ يَنْحَسِرَ لِسَانُكَ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَأَنْتَ صَاحِبُ

٦ يَرْثُنِي وَبَرِثْتُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ

وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا

٧ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ

أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا

٨ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ

وَكَاثَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا

٩ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى

هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا

١٠ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ

ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا

مُعَافَى (سَوِيًّا)، وَلَيْسَ بِكَ عِلَّةٌ، وَلَا أَنْتَ تَشْكُو مَرَضًا، فَلَا تَسْتَطِيعُ
تَكْلِيمَ النَّاسِ وَمُحَاوَرَتَهُمْ. وَحِلَالُ هَذِهِ اللَّيَالِي تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ
بِعِبَادَتِكَ، وَتَسْبِيحَ رَبِّكَ.

آيَةٌ - عَلَامَةٌ عَلَى تَحَقُّقِ الْمَسْئُولِ.

سَوِيًّا - سَلِيمًا لَا خَرَسَ بِكَ وَلَا عِلَّةٌ.

(١١) - وَبَعْدَ أَنْ أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْعَلَامَةِ، خَرَجَ
زَكَرِيَّا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ مَصَلَّاهُ، أَوْ مَحَلِّ عِبَادَتِهِ (الْمِحْرَابِ)، وَهُوَ لَا
يَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ، وَقَدْ أَنْطَلَقَ لِسَانُهُ بِتَسْبِيحِ اللَّهِ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا بِهِ، فَأَشَارَ
إِلَيْهِمْ لِيُسَبِّحُوا رَبَّهُمْ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، وَلِيُشَارِكُوهُ الشُّكْرَ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، إِذْ جَعَلَ فِيهِمْ نَبِيًّا يَخْلُقُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

الْمِحْرَابِ - الْمُصَلَّى أَوْ مَكَانِ الْعِبَادَةِ.

بُكْرَةً وَعَشِيَّةً - طَرَفَيِ النَّهَارِ.

(يَا يَحْيَى) (الْكِتَابَ) (وَأَتَيْنَاهُ)

(١٢) - وَوُلِدَ لِزَكَرِيَّا ابْنُهُ يَحْيَى، وَأَصْبَحَ صَبِيًّا، فَنَادَاهُ الرَّبُّ قَائِلًا: يَا
يَحْيَى تَعْلَمُ التَّوْرَةَ (خُذِ الْكِتَابَ) وَأَعْمَلْ بِمَا فِيهَا بِحَدِّ وَاجْتِهَادٍ. وَأَتَاهُ
اللَّهُ الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالْجِدَّ وَالْعَزَمَ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْخَيْرِ، وَالْاجْتِهَادَ فِيهِ
وَهُوَ حَدَّثَ صَغِيرَ السِّنِّ.

الْحُكْمَ - فَهْمَ التَّوْرَةِ وَالْعِلْمَ.

(وَزَكَاةً)

(١٣) - وَجَعَلْنَاهُ ذَا حَنَانٍ وَشَفَقَةٍ عَلَى النَّاسِ، مُجِبًّا لِلطَّهَارَةِ مِنَ الدَّنَسِ
وَالْأَثَامِ وَالذُّنُوبِ (وَزَكَاةً)، وَكَانَ تَقِيًّا طَاهِرًا لَا يَزْتَكِبُ الذُّنُوبَ
وَالْمَحْرَمَاتِ.

حَنَانًا - رَحْمَةً وَعَظْفًا عَلَى النَّاسِ.

زَكَاةً - بَرَكَةً أَوْ طَهَارَةً مِنَ الذُّنُوبِ.

تَقِيًّا - مُطِيعًا وَمُجْتَنِبًا لِلْمَعَاصِي.

(بِوَالِدَيْهِ)

(١٤) - وَجَعَلْنَاهُ كَثِيرَ الْبِرِّ بِوَالِدَيْهِ، مُطِيعًا لَهُمَا، مُجَازِبًا لِعُقُوبِهِمَا قَوْلًا

١١ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ

فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا

١٢ يٰ يَحْيٰى خُذِ الْكِتٰبَ بِقُوَّةٍ

وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا

١٣ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكٰوةً وَكَانَ

تَقِيًّا

١٤ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا

عَصِيًّا

وَفِعْلًا، وَلَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّرًا مُتَجَبِّرًا عَلَى النَّاسِ (جَبَّارًا)، بَلْ كَانَ لِيَنْ
الْجَانِبِ، وَلَمْ يَكُنْ عَاصِيًا لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ.
بِرَأْيِهِ - كَثِيرُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا.
جَبَّارًا عَصِيًّا - طَاعِيَةً مُخَالِفًا أَمْرَ رَبِّهِ.

(وَسَلَامٌ)

(١٥) - وَلَهُ التَّحِيَّةُ مِنَ اللَّهِ، وَلَهُ الْأَمَانُ يَوْمَ وُلِدَ، وَيَوْمَ يَمُوتُ، وَيَوْمَ يُنْعَثُ
اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ حَيًّا مَعَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْحَشْرِ.

(الْكِتَابِ)

(١٦) - وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ زَكْرِيَّا فِي إِيجَادِ وَلَدٍ لَهُ بَعْدَ أَنْ كَبُرَ
وَشَاخَ، وَأَمْرَاتِهِ عَاقِرٍ لَا تَلِدُ، أَتَى عَلَى ذِكْرِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَوَلَادَةِ
وَلَدٍ لَهَا مِنْ غَيْرِ أَبِي. وَفِي كِلَا الْأَمْرَيْنِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ
وَقُدْرَتِهِ.

وَمَرْيَمُ هِيَ بِنْتُ عِمْرَانَ مِنْ سُلَالَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَتْ مَرْيَمُ مِنْ
بَيْتِ طَيْبٍ طَاهِرٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَشَأَهَا فِي سُورَةِ آلِ
عِمْرَانَ، فَكَانَتْ إِحْدَى الْعَابِدَاتِ النَّاسِكَاتِ، وَكَانَتْ فِي كِفَالَةِ زَوْجِ
خَالَتِهَا زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى - وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ - أَنْ
يُوجِدَ مِنْهَا وَلَدًا مِنْ غَيْرِ أَبِي، انْتَحَتْ (انْتَبَذَتْ) عَنْ أَمَاكِنِ أَهْلِهَا،
وَاتَّخَذَتْ لَهَا مَكَانًا يَقَعُ شَرْقِيَّ أَمَاكِنِهِمْ (مَكَانًا شَرْقِيًّا).

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ النُّصَارَى اتَّخَذُوا الْمَشْرِقَ قِبْلَةً لَهُمْ لِأَنَّ الْمَشْرِقَ
كَانَ مَكَانَ مِيلَادِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ).

انْتَبَذَتْ - اعْتَزَلَتْ وَأَنْفَرَدَتْ.

(١٧) - فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِ أَهْلِهَا سِتْرًا يَسْتُرُهَا عَنْ أَعْيُنِهِمْ وَعَنِ النَّاسِ،
فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَاءَهَا مَتَمَثِّلًا فِي صُورَةِ رَجُلٍ تَامَّ
الْخَلْقِ.

حِجَابًا - سِتْرًا.

رُوحَنَا - جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

بَشَرًا سَوِيًّا - إِنْسَانًا تَامَّ الْخَلْقِ مُسْتَوِيًّا.

(١٨) - وَلَمَّا تَبَدَّى لَهَا الْمَلَكُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ دَاخِلَ الْحِجَابِ الَّذِي

١٥ وَسَلَّمُ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ

وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا

١٦ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ

انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا

١٧ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ

لَهَا بِبَشَرٍ سَوِيًّا

١٨ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ

إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا

١٨ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ

لَأَهْبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا

١٩ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ

يَمَسَّسَنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا

٢٠ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ

عَلَى هَيْنَ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً

لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ

أَمْرًا مَقْضِيًّا



٢١ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ

بِهِ مَكَانًا قَفِصِيًّا

٢٢ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ

النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ

هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا

(غُلَامًا)

اتَّخَذَتْهُ لِنَفْسِهَا، خَافَتْهُ وَظَنَّتَهُ رَجُلًا يَرِيدُ بِهَا سُوءًا، فَقَالَتْ: إِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ وَأَسْتَجِيرُ بِهِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا تَخَافُ اللَّهَ، وَتَرْعَوِي إِذَا ذُكِّرْتَ بِهِ.

(١٩) - فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ مُطْمَئِنَّا: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بَعَثَنِي لِأَهْبَ لَكَ غُلَامًا طَاهِرًا صَالِحًا، وَلَنْ يَنَالَكَ مِنِّي أَذَى.

غُلَامًا زَكِيًّا - مُزَكَّى مُطَهَّرًا بِالْخَلْقَةِ.

(غُلَامٌ)

(٢٠) - فَتَعَجَّبَتْ مَرْيَمُ مِنْ قَوْلِ الْمَلِكِ، وَقَالَتْ لَهُ: كَيْفَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ دُونَ أَنْ يَمَسَّنِي رَجُلٌ، وَأَنَا لَسْتُ بِذَاتِ زَوْجٍ، وَلَسْتُ بِغِيًّا: فَاجِرَةٌ؟

بَغِيًّا - فَاجِرَةٌ تَبْغِي الرِّجَالَ.

(آيَةٌ)

(٢١) - فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ مُجِيبًا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: إِنَّهُ سَيُوجِدُ مِنْكَ وَلَدًا، وَإِنْ لَمْ يَمَسَّسْكَ بَشَرٌ، وَإِنْ لَمْ تَكُونِي ذَاتَ بَعْلٍ، وَلَمْ تَفْحُشِي، فَإِنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى فِعْلِ مَا يَشَاءُ، وَسَتَكُونُ وَلَادَةً هَذَا الْوَلَدِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ دَلَالَةً لِلنَّاسِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ بَارِئِهِمْ وَخَالِقِهِمْ، وَسَيَكُونُ هَذَا الْوَلَدُ رَحْمَةً لِلنَّاسِ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَإِنَّهُ أَمْرٌ مَقْضِيٌّ مِنَ اللَّهِ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ، وَلَا رَاؤَ لِمَا قَضَى.

(٢٢) - وَجِئِمَا نَفَخَ فِيهَا الْمَلِكُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَحَمَلَتْ بِأَبْنِهَا عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ضَاقَتْ بِهِ ذَرْعًا، وَلَمْ تَذَرِ مَا تَقُولُ لِلنَّاسِ، فَابْتَعَدَتْ عَنْ أَهْلِهَا، وَذَهَبَتْ إِلَى مَكَانٍ قَاصٍ لَا تَرَاهُمْ فِيهِ وَلَا يَرَوْنَهَا.

مَكَانًا قَفِصِيًّا - بَعِيدًا عَنْ أَهْلِهَا.

(يَا لَيْتَنِي)

(٢٣) - فَاضْطَرَّهَا أَلَمُ الْمَخَاضِ، وَالْجَاهُ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ تَسْتَبِدُّ إِلَيْهِ بِي الْمَكَانِ الَّذِي لَحَاتْ إِلَيْهِ، وَانْتَحَتْ فِيهِ عَنْ أَهْلِهَا، وَفَكَّرَتْ فِيمَا سَيَقُولُهُ قَوْمُهَا عَنْهَا، إِذَا عَادَتْ بِالْوَلِيدِ، وَهِيَ تَحْمِلُهُ، فَتَمَنَّيَ الْمَوْتَ، وَقَالَتْ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْحَمْلِ، وَلَمْ أَكُنْ شَيْئًا يَذْكُرُ فَيَعْرِفُ، وَلَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ مِنْ أَنَا.

النِّسْيُ - الشَّيْءُ النَّافِهُ الْحَقِيرُ الَّذِي لَا يُعْتَدُّ بِهِ فَيَنْسَى.

أَجَاءَهَا الْمَخَاضُ - أَلْجَأَهَا وَجَعُ الطَّلَقِ وَالْوِلَادَةِ.
الْمَخَاضُ - آلامُ الطَّلَقِ.

(فَنَادَاهَا)

(٢٤) - فَتَوَدَّتْ مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْ تَحْتِهَا (وَأَخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ حَوْلَ مَنْ نَادَاهَا: أَمُّو جِبْرِيلَ أَمْ هُوَ الْوَلِيدُ)، وَقَالَ لَهَا مَنْ نَادَاهَا: لَا تَحْزَنِي لِمَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الشَّدَةِ، وَقَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَ قَدَمَيْكَ جَدُولَ مَاءٍ تَشْرِبِينَ مِنْهُ.

سَرِيًّا - جَدُولَ مَاءٍ.

(تُسَاقِطُ)

(٢٥) - وَهَزَيْ جَذْعَ هَذِهِ النُّخْلَةِ، الَّتِي فَوْقَكَ، فَتُسْقِطُ عَلَيْكَ ثَمَرًا طَارِجًا طَرِيًّا حَانَ قِطَافُهُ.

رُطْبًا - ثَمَرًا طَارِجًا.

جَنِيًّا - حَانَ جَنِيُّهُ وَقِطَافُهُ.

(٢٦) - وَهَكَذَا أَصْبَحَ لَدَيْكَ مَاءٌ تَشْرِبِينَ مِنْهُ وَطَعَامٌ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَطِيبِي نَفْسًا، وَابْعِدِي عَنْكَ الْهُمُومَ وَالْأَحْزَانَ، فَإِذَا رَأَيْتِ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ فَلَا تُكَلِّمِيهِ، وَأَشِيرِي إِلَيْهِ أَنَّكَ نَذَرْتَ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا عَنِ الْكَلَامِ، وَأَنَّكَ لَا تُكَلِّمِينَ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ هَذَا الْيَوْمَ.

قَرِّي عَيْنًا - طِيبِي نَفْسًا وَلَا تَحْزَنِي.

(يَا مَرْيَمُ)

(٢٧) - وَجَيْنَا صَدَرَ الْأَمْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَرْيَمَ بَأَن تَصُومَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَنِ الْكَلَامِ، وَأَنْ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ، فَعَلَتْ مَا أَمَرَتْ بِهِ، وَأَسْتَسَلَمَتْ لِقَضَاءِ اللَّهِ، فَأَخَذَتْ وَلِيدَهَا، وَجَاءَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، فَلَمَّا رَأَوْهَا وَبَيَّنَ يَدَيْهَا الْوَلِيدَ، أَعْظَمُوا الْأَمْرَ وَاسْتَنْكَرُوهُ، وَقَالُوا لَهَا: لَقَدْ جِئْتَ يَا مَرْيَمُ أَمْرًا عَظِيمًا مُنْكَرًا.

شَيْئًا فَرِيًّا - شَيْئًا عَظِيمًا مُنْكَرًا.

(يَا أُخْتَ) (هَارُونَ)

(٢٨) - ثُمَّ تَابِعُوا خِطَابَهُمْ إِلَيْهَا قَائِلِينَ لَهَا: يَا شَيْبَةَ هَارُونَ فِي التَّقَى

﴿٢٤﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ

جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا

﴿٢٥﴾ وَهَزَيْ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ

تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا

﴿٢٦﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا

تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي

إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ

أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا

﴿٢٧﴾ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا

يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا

فَرِيًّا

﴿٢٨﴾ يَتَأَخَتِ هَارُونُ مَا كَانَ أَبُوكَ

أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا

وَالْوَرَعَ وَالْعِبَادَةَ، أَنْتَ مِنْ بَيْتِ طَيْبٍ طَاهِرٍ، مَعْرُوفٍ بِالصَّالِحِ وَالْعِبَادَةِ، فَكَيْفَ صَدَرَ مِنْكَ هَذَا؟ إِنَّ أَبَاكَ رَجُلٌ صَالِحٌ لَمْ يَعْرِفْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ السُّوءِ، وَكَانَتْ أُمُّكَ صَالِحَةً مِثْلَ أَبِيكَ وَلَمْ تَكُنْ مُتَهَكَّةً بَغِيًّا.

(وَقَدْ أَلِفَ النَّاسُ أَنْ يُنَادِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَا أَخَا تَمِيمٍ، وَيَا أَخَا مَضَرَ، وَيَا أَخَا هَارُونَ. . . وَهَارُونَ هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ كَانَ مَعْرُوفًا بِالزُّهْدِ وَالتَّقَى فِي قَوْمِهِ، وَكَانَ مُعَاصِرًا لَوْلَادَةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ).

(٢٩) - وَكَانَتْ مَرْيَمُ صَائِمَةً ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَأَشَارَتْ إِلَى وَلِيدِهَا لِيَسْأَلُوهُ، فَقَالُوا لَهَا مُتَهَكِّمِينَ سَاخِرِينَ: كَيْفَ نَكَلِّمُ طِفْلًا مَا زَالَ فِي الْمَهْدِ رَضِيعًا؟

(آتَانِي) (الْكِتَاب)

(٣٠) - فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى: إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْوَلَدِ، وَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ الْعُبُودِيَّةَ لِرَبِّهِ. ثُمَّ بَرَأَ أُمَّهُ مِمَّا آتَاهُمَا بِهِ قَوْمُهَا. فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ نَبِيًّا وَآتَاهُ كِتَابًا.

(وَأَوْصَانِي) (بِالصَّلَاةِ) (وَالزَّكَاةِ)

(٣١) - وَجَعَلَنِي مُعَلِّمًا لِلْخَيْرِ، نَافِعًا لِلنَّاسِ (مُبَارَكًا)، حَيْثُمَا حَلَلْتُ، وَأَيْنَمَا كُنْتُ، وَأَوْصَانِي رَبِّي بِالمُوَاطَّئَةِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. (بِوَالِدَتِي)

(٣٢) - وَأَمَرَنِي رَبِّي بِبِرِّ وَالِدَتِي، وَبِإِطَاعَتِهَا وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا وَلَمْ يَجْعَلَنِي رَبِّي جَبَّارًا مُسْتَكْبِرًا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلَنِي عَدِيمَ الْبِرِّ بِوَالِدَتِي فَاشْقَى بِذَلِكَ.

بِرَّأَبِي وَبِوَالِدَتِي - بَارَأَ بِهَا مُحْسِنًا مُكْرَمًا.

(وَالسَّلَامُ)

(٣٣) - ثُمَّ عَادَ لِيُثَبِّتَ عُبُودِيَّتَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِيُؤَكِّدَ أَنَّهُ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، يُوَلَّدُ وَيَحْيَا وَيَمُوتُ وَيَبْعَثُ كَسَائِرِ الْبَشَرِ، وَلَكِنَّهُ سَتَكُونُ لَهُ السَّلَامَةُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الَّتِي هِيَ أَشَقُّ مَا تَكُونُ عَلَى الْعِبَادِ (السَّلَامُ عَلَيَّ).

(٣٤) - ذَلِكَ الَّذِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، مِنْ خَيْرِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، هُوَ الْقَوْلُ الْحَقُّ الَّذِي يَخْتَلِفُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى، وَقَالُوا عَلَى أُمِّهِ، وَشَكَرُوا فِي وَلَادَتِهِ، وَالَّذِينَ غَالَوْا فِيهِ فَادَّعَوْا أَنَّهُ اللَّهُ أَوْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ.

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ

مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ

وَجَعَلَنِي نَبِيًّا

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ

وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ

مَا دُمْتُ حَيًّا

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلَنِي

جَبَّارًا شَقِيًّا

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ

أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ

الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمَارُونَ

قَوْلَ الْحَقِّ - كَلِمَةَ اللَّهِ لِخَلْقِهِ كُنْ .
يَمْتَرُونَ - يَشْكُونَ أَوْ يُجَادِلُونَ بِالْبَاطِلِ .

(سُبْحَانَهُ)

(٣٥) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَأَنَّهُ خَلَقَهُ لِيَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا، نَزَّهَ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ عَمَّا يَقُولُهُ الْجَاهِلُونَ الظَّالِمُونَ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ، وَكَمَالِ أُلُوهِيَّتِهِ أَنْ يَتَّخِذَ الْوَلَدَ، لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهُ لَخَلَقَهُ بِأَنْ يَقُولَ لَهُ (كُنْ) فَيَكُونُ بِلَا حَمَلٍ وَلَا وَلَاذَةٍ. وَلِأَنَّ الْوَلَدَ إِنَّمَا يَرْعُبُ فِيهِ الْبَشَرُ لِيَكُونَ حَافِظًا لِأَبِيهِ يَعُولُهُ وَهُوَ حَيٌّ، وَلِيَكُونَ ذِكْرًا لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ مُلْكٌ لَهُ، وَهُوَ حَيٌّ أَبَدًا لَا يَمُوتُ.

إِذَا قَضَى أَمْرًا - إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَهُ.

(صِرَاطُ)

(٣٦) - وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ عِيسَى لِقَوْمِهِ جِئْنَاكُمْ بِكَلِمَةٍ مَهْدٍ: إِنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَرَبُّهُمْ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَالطَّرِيقُ الْقَوِيمُ مِنْ أَتْبَعَهُ رَشْدٌ، وَمَنْ خَالَفَهُ ضَلَّ وَعَوَى.

(٣٧) - فَاخْتَلَفَتْ الْأَقْوَالُ فِي عِيسَى:

- فَقَالَ الْيَهُودُ إِنَّهُ وَلَدٌ مِنْ أَبِي مَعْرُوفٍ، وَقَالُوا عَنْ كَلَامِهِ فِي الْمَهْدِ إِنَّهُ سِحْرٌ.

وَاخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ النَّصَارَى فِي عِيسَى عَلَى وَجْهِ شَتَّى:

- فَقَالَ الْيَعَانِيَّةُ - إِنَّ اللَّهَ هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ.

- وَقَالَ النَّسْطُورِيُّونَ - هُوَ آتَيْنِ اللَّهُ أَظْهَرَهُ مَا شَاءَ ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ.

- وَقَالَ الْارْيُوسِيُّونَ - إِنَّهُ عَبْدٌ كَسَائِرِ خَلْقِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْقَوْلُ الْحَقُّ الَّذِي أُرْشَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ هَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ أَفْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ وَلَدٌ، بِأَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ جَزَاءَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَالْوَيْلُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَشْهَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ.

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ

سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ
لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا

صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ

(الظَّالِمُونَ) (ضَلَالٍ)

(٣٨) - لَئِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ جَعَلُوا اللَّهَ انْدَادًا، وَزَعَمُوا أَنَّ لَهُ وَلَدًا، غُمِيًّا فِي الدُّنْيَا عَنْ إِبْصَارِ الْحَقِّ، وَعَنْ إِدْرَاكِ حُجَجِ اللَّهِ الَّتِي أُودِعَهَا فِي الْكَوْنِ، وَكُلُّهَا تَذُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَبَدِيعِ حِكْمَتِهِ، وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْيَوْمَ صُمًّا فِي الدُّنْيَا عَنْ سَمَاعِ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا رُسُلُهُمْ.. فَمَا أَسْمَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَقْدُمُونَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَمَا أَبْصَرَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، حِينَ لَا يُجِدِي السَّمَاعُ، وَلَا الْإِبْصَارُ، وَلَا يَنْفَعَانِ شَيْئًا. وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْصُونَ الْأَنَامِلَ مِنَ الْأَسَفِ وَالنَّدَمِ وَالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنُّونَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا لِيَعْمَلُوا غَيْرَ مَا عَمِلُوا، وَلَكِنْ لَا يُجَابُ لَهُمْ طَلَبٌ.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ - مَا أَشَدَّ سَمْعَهُمْ وَمَا أَحَدَ بَصَرَهُمْ !

(٣٩) - وَأَنْذِرِ النَّاسَ جَمِيعًا، وَحَذِّرْهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَهُوَ يَوْمٌ يَتَحَسَّرُ الظَّالِمُونَ فِيهِ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، حِينَ يُفْرَغُ مِنَ الْحِسَابِ، وَيَذْهَبُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَذْهَبُ أَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، وَيُقَالُ لِكُلِّ فَرِيقٍ: إِنَّهُ الْخُلُودُ حَيْثُ هُمْ، فَلَا مَوْتَ وَلَا زَوَالَ. وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَعَنْ حَسْرَاتِهِ، وَأَهْوَالِهِ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَالْمُجَازَاةِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

يَوْمَ الْحَسْرَةِ - يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ يَوْمُ النَّدَامَةِ عَلَى مَا فَاتَ.

(٤٠) - لَا يَحْزُنُكَ أَيُّهَا الرُّسُولُ تَكْذِيبُ الْمُكَذِّبِينَ لَكَ فِيمَا أَنْتَهُم بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ إِلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ، وَمَصِيرَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، فَالْخَلَائِقُ كُلُّهَا تَهْلِكُ، وَيَبْقَى اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ وَارثًا لِكُلِّ خَلْقِهِ، وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

(الْكِتَابِ) (إِبْرَاهِيمَ)

(٤١) - وَأَتْلُ عَلَى قَوْمِكَ، الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، خَبَرَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي يَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّتِهِ، وَقَدْ كَانَ نَبِيًّا مُرْسَلًا مُصَدِّقًا بِكَلِمَاتِ رَبِّهِ.

(يَا أَبَتِ)

(٤٢) - حِينَمَا قَالَ لِأَبِيهِ وَهُوَ يَنْهَاهُ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَيَدْعُوهُ إِلَى عِبَادَةِ

٣٨ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا

لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

٣٩ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ

الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

٤٠ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا

وإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ

٤١ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ

صَدِيقًا نَبِيًّا

٤٢ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا

يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا

اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَبَتِ لِمَآذَا تَعْبُدُ حِجَارَةً أَصْنَامًا، لَا تَسْمَعُ وَلَا تَبْصِرُ، وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ.

(يَا أَبَتِ) (صِرَاطًا)

(٤٣) - يَا أَبَتِ إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَبْنَكَ، وَإِنْ كُنْتُ أَصْغَرَ مِنْكَ سِنًا، إِلَّا أَنِّي قَدْ أَطْلَعْتُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِ أَنْتَ وَلَمْ تَعْلَمْهُ، فَاتَّبِعْنِي فِيمَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ أَوْصِلْكَ إِلَى طَرِيقِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي يُوصِلُكَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِلَى النِّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ.

صِرَاطًا سَوِيًّا - طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا مُنْجِيًا مِنَ الضَّلَالِ.

(يَا أَبَتِ) (الشَّيْطَانِ)

(٤٤) - يَا أَبَتِ لَا تُطِعِ الشَّيْطَانَ فِي عِبَادَتِكَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ، فَإِنَّهُ هُوَ الدَّاعِي إِلَى عِبَادَتِهَا، وَقَدْ عَصَى الشَّيْطَانُ اللَّهَ رَبَّهُ، وَقَدْ خَلَقَهُ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَاسْتَكْبَرَ عَنْ إِطَاعَةِ أَمْرِ رَبِّهِ فَطَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ، فَلَا تَتَّبِعْهُ يَا أَبَتِ لِأَنَّهُ يُوصِلُكَ مِنَ اتَّبَعَهُ إِلَى الْهَلَاكِ وَإِلَى نَارِ جَهَنَّمَ.

عَصِيًّا - كَثِيرَ الْعِصْيَانِ.

(يَا أَبَتِ) (لِلشَّيْطَانِ)

(٤٥) - وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ يَا أَبَتِ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي شِرْكِكَ وَفِي تَعَتُّبِكَ، وَاسْتِكْبَارِكَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، فَتَكُونَ قَرِينًا وَتَابِعًا لِلشَّيْطَانِ فِي النَّارِ. وَلِيًّا - قَرِينًا تَلِيهِ وَبَلِيكَ فِي النَّارِ.

(الْهَيْتِي) (يَا إِبْرَاهِيمُ) (لِئِنْ)

(٤٦) - فَأَجَابَهُ أَبُوهُ قَائِلًا: أُرْتَفَضُ عِبَادَةَ الْهَيْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ؟ لِيَنْ لَمْ تَنْتَهَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنْ مَطَالِبَتِي بِالْإِفْلَاحِ عَنْ عِبَادَتِهَا، وَعِبَادَةِ إِلَهِكَ وَحْدَهُ، لِأَرْجُمَنَّكَ بِالْحِجَارَةِ، فَأَحْذَرْنِي، وَابْتَعِدْ عَنِّي وَفَارِقْنِي دَهْرًا طَوِيلًا، حَتَّى تَهْدَأَ ثَائِرَتِي.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ (مَلِيًّا) أَيُّ أَهْجُرْنِي وَأَنْتَ سَوِيٌّ سَالِمٌ، قَبْلَ أَنْ تَنَالَكَ عُقُوبَتِي).

وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا - فَارِقْنِي وَقَتًا طَوِيلًا.

(سَلَامٌ)

(٤٧) - فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ: أَمَّا أَنَا فَلَنْ يَصِلَكَ مِنِّي أَدَى أَوْ مَكْرُوهٌ

(٤٣) يَأْتِ ابْنِي قَدْ جَاءَنِي مِنْكَ الْعِلْمُ

مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا

(٤٤) يَأْتِ ابْنِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ

الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا

(٤٥) يَأْتِ ابْنِي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ

عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا

(٤٦) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ الْهَيْتِي

يَا إِبْرَاهِيمُ لِيَنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ
وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا

(٤٧) قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ

لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا

أَحْتَرَاماً مِنِّي لِمَقَامِ الْأُبُوَّةِ، وَسَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَكَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيكَ، وَيَغْفِرَ لَكَ ذُنُوبَكَ، فَقَدْ كَانَ رَبِّي دَائِمَ الْإِكْرَامِ لِي، وَالْاهْتِمَامِ بِحَالِي، وَالْإِجَابَةِ لِدَعَوَتِي.

حَقِيقاً - بَرّاً لَطِيفاً أَوْ رَحِيماً مُكْرَماً.

(وَأَدْعُو) -

(٤٨) - وَسَأَحْتَبِيكُمْ وَأَتَبَرُّ مِنْكُمْ وَمِنْ آلِهَتِكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَسَأَعْبُدُ رَبِّي وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَاجِئاً أَنْ يُكْرِمَنِي رَبِّي بِسَبَبِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ، وَهَذَا الدُّعَاءِ، وَالْأَلَّ يَجْعَلَنِي شَقِيّاً، كَمَا شَقِيتُمْ أَنْتُمْ بِعِبَادَةِ تِلْكَ الْأَصْنَامِ.

شَقِيّاً - خَائِثاً ضَائِعَ السَّعْيِ.

(إِسْحَاقَ)

(٤٩) - فَلَمَّا اعْتَزَلَ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ وَقَوْمَهُ، وَهَاجَرَ مِنْ أَرْضِهِمْ أَبَدَلَهُ اللَّهُ خَيْراً مِنْهُمْ، وَجَعَلَ لَهُ نَسْلاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَوَهَبَ لَهُ ابْنَهُ إِسْحَاقَ، وَوَهَبَ لِإِسْحَاقَ ابْنَهُ يَعْقُوبَ فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ، وَكُلًّا مِنْهُمْ قَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيّاً مُبَارَكاً، وَجَعَلَ لَهُمْ نَسْلاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ.

(٥٠) - وَوَهَبَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَنَسْلَهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ تَعَالَى فَاتَاهُمُ النَّسْلُ الطَّاهِرُ، وَالذَّرِّيَّةُ الْمُبَارَكَةُ وَإِجَابَةُ الدُّعَاءِ، وَالْبَرَكَاتُ فِي الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَجَعَلَ لَهُمْ ثَنَاءً جَمِيلاً وَذِكْراً طَيِّباً عَلَى مَدَى الدَّهْرِ، وَجَعَلَهُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَتِهِمْ، مَسْمُوعِي الْكَلِمَةِ فِي قَوْمِهِمْ، يُؤْخَذُ قَوْلُهُمْ بِالطَّاعَةِ وَالتَّبَعِيلِ وَالْاحْتِرَامِ.

لِسَانَ صِدْقٍ - ثَنَاءً جَمِيلاً فِي أَهْلِ كُلِّ دِينٍ.

(الْكِتَابِ)

(٥١) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ ثَنَّى بِذِكْرِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنَّ مُوسَى كَانَ مُخْلِصاً فِي عِبَادَتِهِ (بِكَسْرِ اللَّامِ) وَقَرَأَهَا آخَرُونَ بِفَتْحِ اللَّامِ (أَيُّ مُصْطَفَى) فَقَدْ جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى - ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ ^(١) فَكَانَ رَسُولاً مِنْ أُولِي الْعِزِّمِ، وَكَانَ نَبِيّاً دَاعِياً إِلَى الْخَيْرِ، وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِلْخَلْقِ.

٤٨ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى

أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً

٤٩ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّاً

٥٠ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا

لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً

٥١ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ

كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً

مُخْلِصًا - بِكَسْرِ اللَّامِ - يَعْنِي صَادِقًا فِي عِبَادَتِهِ.
مُخْلِصًا - بِفَتْحِ اللَّامِ - يَعْنِي أَخْلَصَهُ اللَّهُ وَأَصْطَفَاهُ.
(وَنَادَيْنَاهُ) (وَقَرَّبْنَاهُ)

(٥٢) - وَحِينَمَا كَانَ مُوسَى سَائِرًا بِأَهْلِهِ مِنْ مَدْيَنَ إِلَى مِصْرَ، وَصَلَ إِلَى وَادِي الطُّورِ، فَلَمَحَ نَارًا عَنْ بُعْدٍ، وَهُوَ فِي اللَّيْلِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ آمْكُثُوا لَعَلِّي آتِيكُمْ بِقَيْسٍ مِنَ النَّارِ، أَوْ أَسْأَلُ مَنْ هُنَاكَ عِنْدَ النَّارِ لِيَهْدُونِي إِلَى الطَّرِيقِ، فَوَجَدَ النَّارَ عَنْ يَمِينِهِ، فَنَادَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَرَّبَهُ وَنَاجَاهُ، وَأَنْبَأَهُ بِأَنَّهُ اخْتَارَهُ لِيَكُونَ رَسُولُهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ.
قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا - مُنَاجِيًّا لَنَا.
(هَارُونَ)

(٥٣) - حِينَمَا كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّوْحِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، لِيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَلِإِنْقَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ (١). وَقَالَ فِي مَكَانٍ آخَرَ: ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ (٢)، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَائِهِ، وَشَفَاعَتِهِ فِي أَخِيهِ هَارُونَ فَجَعَلَهُ نَبِيًّا.
(الْكِتَابِ) (إِسْمَاعِيلِ)

(٥٤) - وَأَتَى يَا مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِكَ صِفَاتِ أَبِيهِمْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَهْتَدُونَ بِهِدْيِهِ، وَيَتَخَلَّقُونَ بِأَخْلَاقِهِ. وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَيَصِفُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ، مَا التَزَمَ بِعِبَادَةٍ قَطُّ إِلَّا قَامَ بِهَا. ثُمَّ وَصَفَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ كَانَ رَسُولًا، وَكَانَ نَبِيًّا، بَيْنَمَا وَصَفَ إِسْحَاقَ بِأَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا.

(بِالصَّلَاةِ) (وَالزَّكَاةِ)

(٥٥) - وَأَتَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ كَانَ صَابِرًا عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، أَمِيرًا أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَكَانَ مَرْضِيًّا عِنْدَ رَبِّهِ.

(الْكِتَابِ)

(٥٦) - ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا. (وَيُقَالُ إِنَّ إِدْرِيسَ كَانَ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ).

٥٢ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا

٥٣ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا

٥٤ وَادَّكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

٥٥ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا

٥٦ وَادَّكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ
صِدِّيقًا نَبِيًّا

(١) الآية ٣٤ من سورة القصص.

(٢) الأيتان ٣١ و ٣٢ من سورة طه.

(وَرَفَعْنَاهُ)

(٥٧) - وَقَالَ تَعَالَى إِنَّهُ رَفَعَهُ فِي الْجَنَّةِ مَكَانًا عَلِيًّا. وَيُرَوَّى أَنَّهُ كَانَ حَيَّاطًا، فَكَانَ لَا يَغُرُّ بِبَرَةٍ إِلَّا قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ، فَكَانَ يُمَسِّي حِينَ يُمَسِّي وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلًا.

(أُولَئِكَ) (النَّبِيِّينَ) (آدَمَ) (إِبْرَاهِيمَ) (إِسْرَآئِيلَ) (آيَاتِ)

(٥٨) - وَهَؤُلَاءِ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ قَصَصَهُمْ، هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ، وَمَنْ هَذَا هُمْ وَقُرْبَهُمْ، وَكَانُوا إِذَا سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ الْمُتَضَمِّنَ حُجَجَهُ وَدَلَالَتَهُ وَإِبْرَاهِيمَ، سَجَدُوا لِرَبِّهِمْ خُضُوعًا وَخُشُوعًا وَحَمْدًا وَشُكْرًا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ وَهُمْ يَكُونُ.

أَجْتَبَيْنَا - أَصْطَفَيْنَا وَاخْتَرْنَا لِلنَّبُوءَةِ.

بُكِيًّا - بَاكِينَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

(الصَّلَاةِ) (الشَّهَوَاتِ)

(٥٩) - ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الصَّالِحِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الْقَائِمِينَ بِحُدُودِ اللَّهِ وَأَوَامِرِهِ الْمُؤَدِّينَ فَرَائِضَهُ، خَلَفُ سَوْءٍ، تَرَكُوا الصَّلَاةَ وَإِقَامَتَهَا، وَأَقْبَلُوا عَلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، فَهَؤُلَاءِ سَوْفَ يَلْقَوْنَ خَسَارَةً وَشَرًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(وَلِذَلِكَ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ).

خَلَفَ - عَقِبَ سَوْءٍ.

يَلْقَوْنَ غَيًّا - يَلْقَوْنَ جَزَاءَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ.

(وَأَمِنْ) (صَالِحًا) (فَأُولَئِكَ)

(٦٠) - إِلَّا مَنْ تَدَارَكَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ، وَصَدَّقَ الْإِيمَانَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَرَجَعَ عَنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ، وَغَنِ أَتْبَاعِ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ، وَيُحْسِنُ عَاقِبَتَهُ، وَجَنَامَهُ، وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، لِأَنَّ التَّوْبَةَ تَحِبُّ مَا قَبْلَهَا، وَلَا يَقْضِيهِ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ.

(وَفِي الْحَدِيثِ: التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ). (أَخْرَجَهُ أَبُو مَاجَةٍ).

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ

النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ

حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْرَآئِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا

إِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ

خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا



خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ

أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا

فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا

(جَنَاتِ)

(٦١) - وَالْجَنَّاتُ الَّتِي يَدْخُلُهَا اللَّهُ تَعَالَى التَّائِبِينَ، هِيَ جَنَّاتُ الْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ (جَنَّاتِ عَدْنٍ)، الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ بِهَا، وَهِيَ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَلَمْ يَرَوْهُ، وَإِنَّمَا آمَنُوا بِهِ بِسَبَبِ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ، وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ بِمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا، فَإِنَّ مَا يَعِدُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ سَيَحْصُلُ، وَسَيَصِلُ إِلَى الْعِبَادِ (أَوْ سَيَأْتِيهِ الْعِبَادُ - وَالْعَرَبُ تَقُولُ كُلُّ مَا أَتَاكَ فَقَدْ أَتَيْتَهُ، أَيْ إِنْ مَاتِيًّا وَآتِيًّا بِمَعْنَى وَاحِدٍ).

مَاتِيًّا - آتِيًّا أَوْ مُنْجَرًّا.

(سَلَامًا)

(٦٢) - وَفِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ لَا يَسْمَعُ نَزْلًا وَهَذَا كَلَامًا لِقَوْلِهَا لَا مَعْنَى لَهُ، وَلَا فَائِدَةٌ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَسْمَعُونَ الْمَلَائِكَةَ يُحَوِّثُهُمْ بِالسَّلَامِ، بِمَا يُشْعِرُهُمْ بِالْأُطْمِئْنَانِ وَالسَّعَادَةِ وَالرِّضَا، وَيَأْتِيهِمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي طَرَفِي النَّهَارِ (بُكْرَةً وَعَشِيًّا) كَمَا كَانَ حَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا.

لِقَوْلِهِ - كَلَامًا قَبِيحًا أَوْ كَلَامًا فَضُولًا لَا خَيْرَ فِيهِ.

(٦٣) - وَالْجَنَّةُ الَّتِي بَيْنَ اللَّهِ أَوْصَافُهَا الْعَظِيمَةُ فِيمَا تَقَدَّمَ، هِيَ الَّتِي يُورِثُهَا عِبَادُهُ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَيَكْظُمُونَ الْغَيْظَ، وَيَعْفُونَ عَنِ النَّاسِ.

(٦٤) - رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِجِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ. فَالْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ لَا تَنْزِلُ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ الَّذِي لَهُ أَمْرُ الدُّنْيَا (مَا بَيْنَ أُيُودِنَا)، وَلَهُ أَمْرُ الْآخِرَةِ (وَمَا خَلَقْنَا)، وَمَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا يَنْسَى اللَّهُ شَيْئًا، وَلَا تَطْرَأُ عَلَيْهِ غَفْلَةٌ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ إِنْ كَانَ قَدْ آخَرَ الْوَحْيَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ يَعْرِفُهَا هُوَ.

(السَّمَاوَاتِ) (لِعِبَادَتِهِ)

(٦٥) - وَرَبُّكَ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُدَبِّرُهُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْمُتَصَرِّفُ فِي هَذَا الْوُجُودِ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا شَبِيهٌ وَلَا مُمَاتِلٌ، فَاعْبُدْهُ يَا مُحَمَّدُ، وَثَابِرْ عَلَى عِبَادَتِهِ صَابِرًا مُطْمَئِنًّا، وَلَيْسَ لِرَبِّكَ

٦١ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ

عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا

٦٢ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا

وَلَهُمْ فِيهَا مَرْفُوعٌ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَا

٦٣ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا

مَنْ كَانَ نَقِيًّا

٦٤ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا

بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ

ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ شَيْئًا

٦٥ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ

هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا

مُمَائِلٌ يُسَمَّى بِأَسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ.

سَمِيًّا - مُمَائِلًا فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

(الإنسان) (إِذَا)

(٦٦) - وَيَقُولُ الْكَافِرُ مُتَعَجِّبًا مِنْ وَقُوعِ الْبَعْثِ: كَيْفَ أُبْعَثُ حَيًّا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ، وَتَنَاقُرِ ذَرَاتِ الْأَجْسَادِ.

(الإنسان) (خَلَقْنَاهُ)

(٦٧) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى، عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُتَشَكِّكِينَ فِي أَمْرِ الْبَعْثِ، فَيُلْفِتُ نَظْرَهُمْ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَبْتَدَأَ الْخَلْقَ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ لَأْ شَيْءٍ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قَبْلَهُ إِنْسَانٌ. وَيَسْتَدِلُّ اللَّهُ تَعَالَى بِإِبَارَتِهِ إِلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ، عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِمْ مِنْ جَدِيدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ الْإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ، وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ^(١).

(وَالشَّيَاطِينِ)

(٦٨) - يُقَسِّمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَحْشُرَهُمْ جَمِيعًا، وَشَيَاطِينَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ثُمَّ يُحْضِرُهُمْ جَمِيعًا حَوْلَ جَهَنَّمَ فَعُودًا عَلَى رُكْبِهِمْ، تَغْيِيرًا عَنِ الْإِهَانَةِ وَالتَّخْفِيرِ لَهُمْ.

جَنَّتًا - جَائِنٌ عَلَى رُكْبِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ.

(٦٩) - وَيَتَابَعُ تَعَالَى قَسَمَهُ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ يَقُولُ: إِنَّهُ سَيَنْزِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ أَهْلِ دِينٍ (شَيْعَةً) قَادَتَهُمْ وَكُبَرَاءَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا أَشَدَّ جَمَاعَتِهِمْ تَكْبِيرًا، وَعُتُوا عَلَى الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَغَمَرَهُمْ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَكْثَرَهُمْ تَجَاوُزًا لِلْحُدُودِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ، ثُمَّ يَذْفَعُ بِهِمْ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ.

عِتِيًّا - عَضِيَانًا. جَرَاءَةً وَفُجُورًا.

(٧٠) - وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْ عِبَادِهِ بِأَنْ يَصْلَى بِنَارِ جَهَنَّمَ، وَيَخْلُدَ فِيهَا، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ مُضَاعَفَةَ الْعَذَابِ فَيَدْخِلُهُمْ أَوَّلًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيَصْلُوهَا ثُمَّ يَدْخُلُ الْآخَرِينَ إِلَيْهَا بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ فِي الْعُتُوِّ وَالتَّكْبِيرِ.

(٧١) - وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَذْنُوبُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَصِيرُ حَوْلَهَا (أَوْ

٦٦ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذَا مَا مِثْ

لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا

٦٧ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا

خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا

٦٨ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ

وَالشَّيَاطِينِ ثُمَّ لَنَحْضُرَنَّهُمْ

حَوْلَ جَهَنَّمَ جَنَّتًا

٦٩ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ

أَيُّهُمْ أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا

٧٠ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى

بِهَاصِلًا

٧١ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ

عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا

يَدْخُلُهَا فِعْلًا)، وَقَدْ قَضَى اللَّهُ رَبُّكَ بِذَلِكَ، وَجَعَلَهُ أَمْرًا مَخْتُومًا، مَقْرُوعًا مِنْهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: (يَرُدُّ النَّاسُ كُلُّهُمْ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ).
(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ).

(وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا - أَيِ النَّارِ - فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى إِنْ لِلنَّارِ ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ، ثُمَّ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا).

(الظَّالِمِينَ)

(٧٢) - وَبَعْدَ أَنْ يَرُدَّ النَّاسُ جَمِيعًا النَّارَ، - يَدْخُلُونَهَا أَوْ يَكُونُونَ حَوْلَهَا - يُنَجِّي اللَّهُ تَعَالَى بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْهَا، وَيَتْرَكُ الظَّالِمِينَ جَائِشِينَ فِيهَا عَلَى رُكْبِهِمْ.

(آيَاتُنَا) (بَيِّنَاتٍ) (آمَنُوا)

(٧٣) - وَحِينَ تَتْلَى آيَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَهِيَ ظَاهِرَةُ الدَّلَالَةِ وَاضِحَةُ الْبُرْهَانِ، يَصُدُّونَ عَنْهَا، وَيُعْرِضُونَ، وَيَقُولُونَ مُفْتَحِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَاطِلِ: إِنَّهُمْ أَحْسَنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنَزَلًا، وَأَرْفَعُ دُورًا (خَيْرٌ مَقَامًا)، وَإِنْ نَادَيْهِمْ أَعَزَمُ وَأَكْثَرُ رُودًا وَطَارِقًا (أَحْسَنُ نَدِيًا)، مِنْ دَارِ الْأَرْقَمِ، الَّتِي كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجْتَمِعُونَ فِيهَا مُسْتَخْفِينَ. وَفِي ظَنِّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ الْأَمْرَ مَا دَامَ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ سَيَكُونُونَ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ، إِذْ كَيْفَ يَكُونُونَ هُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَضَلَالٍ، وَفُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَخْفِينَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ الْمُتَوَاضِعَةِ عَلَى حَقٍّ.

خَيْرٌ مَقَامًا - مَنَزَلًا وَسَكَنًا.

أَحْسَنُ نَدِيًا - مَجْلِسًا وَمُجْتَمَعًا (نَادِيًا).

(أَثَانًا) (وَرِقِيًا)

(٧٤) - وَكَمْ مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ قَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ، وَكَانُوا أَحْسَنَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ أَمْوَالًا وَأَمْتَعَةً وَهَيْثَاتٍ وَمَنَاطِرَ... فَعَلَى هَؤُلَاءِ أَنْ يَتَعِظُوا بِمَا حَلَّ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْكُفْرَةِ الْمُكَذِّبِينَ، فَمَا كَانُوا أَحْسَنَ حَالًا، وَلَا أَكْثَرَ قُوَّةً وَمَالًا.

ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ

الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا

وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا

أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا

وَأَحْسَنُ نَدِيًا

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ

أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِثًا

الرُّفْي - الْمَنْظَرُ وَالْهَيْئَةُ.

الْأَنَاءُ - الْمَتَاعُ وَالْثِيَابُ.

قَرْنٍ - أُمَةٍ.

(الصَّلَاةُ)

(٧٥) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْمُتَفَاخِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ أَحْسَنُ مَتَاعاً وَمَنْظَراً وَنَادِيّاً، فَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ، وَالْمُدَّعِينَ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ، وَأَنْكُمْ عَلَى بَاطِلٍ: إِنْ مَا افْتَخَرْتُمْ بِهِ مِنْ زُخْرَفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا لَا يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الْحَالِ فِي الْآخِرَةِ، فَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ بِأَنَّ مَنْ كَانُوا مِنْهُمْ كَيْفَ فِي الصَّلَاةِ، مُسْتَرْسِلِينَ فِي آرْتِكَابِ الْمَعَاصِي، فَإِنَّهُ يَسُطُّ لَهُمْ نَعِيمَ الدُّنْيَا، وَيُطَيِّبُ عَيْشَهُمْ فِيهَا، وَلَا يَزَالُ يَمْهَلُهُمْ اسْتِدْرَاجاً لَهُمْ إِلَى أَنْ يُشَاهِدُوا مَا وَعَدُوا بِهِ رَأْيَ الْعَيْنِ: إِمَّا عَذَاباً فِي الدُّنْيَا، كَمَا حَصَلَ لَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِمَّا قِيَامَ السَّاعَةِ، وَهُمْ مُكَذَّبُونَ بِهَا. وَإِذْ ذَاكَ يَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ الْفَرِيقَيْنِ مَكَاناً، وَمَنْ هُوَ الْأَضْعَفُ نَاصِراً وَجُنداً. إِنَّهُمْ بِلَا شَكٍّ سَيَجِدُونَ الْأَمْرَ عَلَى عَكْسِ مَا كَانُوا يَقْدُرُونَ.

فَلْيَمْدُدْ لَهُ - يَمْهَلُهُ اسْتِدْرَاجاً.

أَضْعَفُ جُنْداً - أَقْلُ أَعْوَاناً وَأَنْصَاراً.

(الْبَقَايَاتُ) (الصَّالِحَاتُ)

(٧٦) - أَمَّا الْمُهْتَدُونَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَزِيدُهُمْ هُدًى، عَلَى هُدَاهُمْ، بِمَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ، وَالطَّاعَاتِ الَّتِي تَنْشُرُ لَهَا الصُّدُورَ وَتَسْتَبِيرُ بِهَا الْقُلُوبَ، وَتَوْصِلُ إِلَى الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ، وَتَبْلُغُ رِضْوَانَهُ. وَهَذِهِ كُلُّهَا خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ جَزَاءً وَعَاقِبَةً مِمَّا مُتَّعَ بِهِ أَوْلِيكَ الْكَافِرُونَ مِنَ النِّعَمِ الْفَاقِيَةِ، الَّتِي يَفْخَرُ بِهَا هَؤُلَاءِ مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ وَجَاهٍ. . إلخ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ - وَتَسْبِيحُ اللَّهِ وَذِكْرُهُ - سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِنَ الْبَقَايَاتِ الصَّالِحَاتِ). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ).

خَيْرٌ مَرَدّاً - خَيْرٌ مَرْجِعاً وَعَاقِبَةً.

(أَفْرَأَيْتَ) (بَيِّنَاتِنَا)

(٧٧) - كَانَ لِخُبَابِ بْنِ الْأَرْتِ دَيْنٌ عِنْدَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السُّهْمِيُّ فَأَتَاهُ

﴿٧٥﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ

الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ

إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا

وَأَضْعَفُ جُنْدًا

﴿٧٦﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا

هُدًى وَالْبَقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ

خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا

﴿٧٧﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا

وَقَالَ لَا وَتَبَرَّكَ مَا لَا وُلْدًا

يَطْلُبُ مِنْهُ دِينَهُ، فَقَالَ لَهُ الْعَاصُ: وَاللَّهِ لَا أَدْفَعُ إِلَيْكَ دِينَكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ. فَقَالَ لَهُ حَبَابُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ بُعِثَ. فَقَالَ لَهُ الْعَاصُ: فَإِنِّي إِن مِتُّ ثُمَّ بُعِثْتُ جِئْتَنِي وَلِيَّ مَالٍ وَلَوْلَدٌ فَأَعْطِيكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَيَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: انْظُرْ إِلَى هَذَا الْكَافِرِ، وَأَعْجَبْ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَجُرْأَتِهِ عَلَى اللَّهِ، إِذْ قَالَ سَأَعْطِي فِي الْآخِرَةِ مَالًا وَلَوْلَدًا. أَفَرَأَيْتَ - أَخْبِرْنِي.

(٧٨) - وَهَذَا الْكَافِرُ الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ سَيُوتَى فِي الْآخِرَةِ الْمَالُ وَالْوَلَدُ، هَلْ أَطْلَعَ عَلَى الْغَيْبِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ سَيَمُوتُ لَهُ ذَلِكَ، أَمْ أَنَّ لَهُ عَهْدًا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ سَيُوتَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ عَهْدَهُ أَبَدًا؟ أَطْلَعَ الْغَيْبِ - أَعْلِمَ الْغَيْبِ.

(٧٩) - كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ (وَكَلَّا حَرْفُ رَدْعٍ لِمَا قَبْلَهَا، وَتَأْكِيدُ لِمَا بَعْدَهَا)، وَسَيَكْتُبُ اللَّهُ مَا قَالَهُ هَذَا الْمُشْرِكُ فِي صَحِيفَةٍ أَعْمَالِهِ، كَمَا أُثْبِتَ فِيهَا شِرْكُهُ وَكُفْرُهُ بِاللَّهِ، وَسَيَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ مَدًّا، وَيَزِيدُهُ مِنْهُ لَتَقُولَهُ الْكَذِبَ وَالْبَاطِلُ فِي الدُّنْيَا، زِيَادَةً عَلَى كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ وَتَكْذِيبِ رَسُولِ اللَّهِ. نَمُدُّ لَهُ - نُطَوِّلُ لَهُ أَوْ نَزِيدُهُ.

(٨٠) - وَيَقُولُ هَذَا الْمُشْرِكُ: إِنَّهُ سَيُوتَى فِي الْآخِرَةِ مَالًا وَلَوْلَدًا، زِيَادَةً عَلَى مَالِهِ وَلَوْلَدِهِ فِي الدُّنْيَا. وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّهُ سَيَمُوتُ وَسَيَتْرَكُ مَالَهُ وَلَوْلَدَهُ فِي الدُّنْيَا. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْتِي رَبَّهُ فَرْدًا وَحِيدًا لَا مَالَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ، وَلَا نَاصِرَ. وَبِمَا أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ سَتَهْلِكُ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا تَبْقَى وَكَانَهَا الْمِيرَاثُ الْآيِلُ إِلَى اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، فَهُوَ وَارِثُهُمْ جَمِيعًا، وَمِمَّا يَرِثُهُ تَعَالَى مَالُ هَذَا الْكَافِرِ.

(آلِهَةٌ)

(٨١) - وَاتَّخَذَ الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ لَتَكُونَ لَهُمْ عِزًّا يَعْتَزُّونَ بِهَا، وَيَسْتَنْصِرُونَهَا، وَبَجَعَلُونَهَا شُفْعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ. عِزًّا - أَنْصَارًا وَشُفْعَاءَ يَتَعَزَّزُونَ بِهِمْ.

(٨٢) - وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنُّوا بِأَنَّ الْآلِهَةَ الَّتِي عَبَدُوهَا سَتَنْصُرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَسَتَكُونُ لَهُمْ عِزًّا، فَهَذِهِ الْآلِهَةُ سَتَكْفُرُ بِعِبَادَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ

٧٨ أَطْلَعَ الْغَيْبِ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا

٧٩ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا

٨٠ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا

٨١ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا

٨٢ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا

لَهَا - أَوْ سَيَكْفُرُ الْمُشْرِكُونَ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ - وَسَيَكُونُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(الشَّيَاطِينِ) (الْكَافِرِينَ)

(٨٣) - أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَلَطَ الشَّيَاطِينُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، لِيُغْوُواهُمْ، وَيُغْوُوهُمْ بِأَرْبَابِ الْمَعَاصِي، وَيَهَيِّجُوهُمْ لِلْوُقُوعِ فِيهَا؟ تَوَزُّهُمْ - تُغْرِيبُهُمْ بِالْمَعَاصِي إِغْرَاءً.

(٨٤) - وَلَا تَسْتَعْجِلْ يَا مُحَمَّدُ إِهْلَاكَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، وَأَسْتَيْصَالَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ إِلَّا أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُحْصِي عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ وَأَيَّامَهُمْ فِي الْحَيَاةِ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ.

(٨٥) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْشُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَصَدَّقُوا رُسُلَ رَبِّهِمْ، إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، كَمَا يُكْرَمُ الْوَفْدُ الْقَادِمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ. الْوَفْدُ - الْقَادِمُونَ رَاكِبِينَ.

(٨٦) - أَمَّا الْمُجْرِمُونَ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ، الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّهُمْ يُسَاقُونَ بِالْعَنْفِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَهُمْ عِطَاشٌ لِيَرِدُوهَا. وَرَدًّا - عِطَاشًا أَوْ كَالِدَوَابِّ الَّتِي تَرِدُ الْمَاءَ.

(الشَّفَاعَةِ)

(٨٧) - لَا يَمْلِكُ الْعِبَادُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عَهْدًا عِنْدَ اللَّهِ، بِأَنْ أَعَدَّ لَهَا عِدَّتَهَا، فَكَانَ فِي الدُّنْيَا مُصْلِحًا وَهَادِيًا، فَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ شَافِعًا وَمُشَفَّعًا. وَالشَّفَاعَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالشُّهَدَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْعَهْدُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَبْرَأَ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَلَا يَرْجُو إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

(٨٨) - لَمَّا قَرَّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَبْدِيَّةَ عِيسَى اللَّهِ، وَذَكَرَ خَلْقَهُ مِنْ مَرْيَمَ بَدُونِ أَبِي، شَرَعَ فِي اسْتِنْكَارِ أَقْوَالِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَلَدًا، فَقَالَ: إِنَّهُمْ قَالُوا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ مِنَ النَّاسِ.

(٨٩) - ثُمَّ يَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: لَقَدْ جِئْتُمْ، بِقَوْلِكُمْ هَذَا، شَيْئًا مُنْكَرًا عَظِيمًا يَدُلُّ عَلَى الْجُرْأَةِ الْمُتَنَاهِيَةِ.

شَيْئًا إِذَا - مُنْكَرًا فَظِيمًا.

﴿٨٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا

﴿٨٤﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا

﴿٨٥﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا

﴿٨٦﴾ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا

﴿٨٧﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا

﴿٨٨﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا

﴿٨٩﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا

(السَّمَاوَاتُ)

(٩٠) - وَلَوْ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ الْفَاجِرَ، الَّذِي يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ، سَمِعَتْهُ السَّمَاوَاتُ لَأَنْشَقَّتْ وَتَفَطَّرَتْ مِنْهُ، وَلَوْ أَنَّ الْأَرْضَ سَمِعَتْهُ لِنَشَقَّتْ، وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ سَمِعَتْهُ لَأَنْهَدَتْ، وَتَهَدَّمَتْ، إِعْظَامًا لِلرَّبِّ وَإِجْلَالًا، فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ - يَنْشَقُّنَّ وَيَتَفَتَّسْنَ مِنْ شِنَاعَتِهِ.

تَجْرُ الْجِبَالُ هَذَا - تَسْقُطُ مَهْدُودَةً عَلَيْهِمْ.

(٩١) - وَتَكَادُ الْجِبَالُ تَنْهَدُ، وَالْأَرْضُ تَنْشَقُّ، وَالسَّمَاءُ تَفْطِرُ بِسَبَبِ مَا نَسَبَهُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ.

(٩٢) - وَلَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَلَا يَسْتَقِيمُ فِي الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لِأَنَّ إِثْبَاتَ الْوَلَدِ لَهُ يَقْتَضِي حُدُوثَهُ وَحَاجَتَهُ. تَنْزَعُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَتَعَالَى.

(السَّمَاوَاتِ) (آتِي)

(٩٣) - لِأَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هُمْ عِبِيدُ اللَّهِ وَلِأَنَّهُ لَا كِفَاءَ لَهُ، وَلَا مِثَالَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ.

(أَحْصَاهُمْ)

(٩٤) - وَلَقَدْ أَحْصَى اللَّهُ تَعَالَى عَدَدَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، مِنْذُ بَدَأَ الْخَلِيفَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَرَفَ ذُكُورَهُمْ وَإِنَاثَهُمْ، وَصِغَارَهُمْ وَكِبَارَهُمْ، وَأَحْصَى أَعْمَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ، وَهُمْ جَمِيعًا تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ.

(الْقِيَامَةِ) (آتِيهِ)

(٩٥) - وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ سَيِّئَاتِي اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحْدَهُ، لَا نَاصِرَ وَلَا مُجِيرَ لَهُ، فَيَحْكُمُ اللَّهُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

(الصَّالِحَاتِ) (آمَنُوا)

(٩٦) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُلْقِي مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الصَّالِحِينَ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا،

١٠ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ

مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَجْرُ
الْجِبَالُ هَذَا

١١ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا

١٢ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا

١٣ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا

١٤ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا

١٥ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا

١٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وُدًّا

فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ يُنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ). (رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

وَدًّا - مَحَبَّةً وَوَدًّا فِي الْقُلُوبِ.

(يَسْرَنَاهُ)

(٩٧) - وَإِنَّمَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَهُوَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ، لِنَسْتَطِيعَ قِرَاءَتَهُ عَلَى النَّاسِ، وَإِبْلَاغَهُ إِلَيْهِمْ، فَنُبَشِّرَ بِهِ الْمُسْتَجِيبِينَ لِرَبِّهِمْ، وَالْمُصَدِّقِينَ رُسُلَهُ، وَلِنُنْذِرَ بِهِ الْفُجَّارَ الشَّدِيدِي الْخُصُومَةَ وَالْجَدَلَ.

لُدًّا - شَدِيدِي الْخُصُومَةِ.

(٩٨) - وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أُمَمٍ وَأَجْيَالٍ (قَرْنٍ) كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ. وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، فَبَادُوا وَانْقَرَضُوا، وَلَمْ تَبْقَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ بَاقِيَةٌ. فَهَلْ تَرَى مِنْهُمْ أَحَدًا، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتًا؟

هَلْ تُحِسُّ - هَلْ تَرَى أَوْ تَعْلَمُ.

الرُّكُزُ لُغَةً - الصَّوْتُ الْخَفِيُّ.

فَإِنَّمَا يَسْرَنَهُ بِلِسَانِكَ

لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ

وَنُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ

هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ

لَهُمْ رِكْرًا

(٢٠) سُورَةُ طِهٍ مَكِينَةٍ
وَأَيُّهَا خَيْرٌ وَلَدَاوُنَ وَمَانَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْقُرْآنُ)

(٢) - مَا جَعَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ شِقَاءَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ هُدًى وَرَحْمَةً وَدَلِيلًا إِلَى الْجَنَّةِ، تَذَكَّرَ بِهِ قَوْمَكَ، وَتَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَأَصْلَحَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ.

لِنَشْفَى - لِنُكَابِدَ الشَّدَائِدَ.

(٣) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابَهُ وَبَعَثَ رَسُولَهُ رَحْمَةً رَحِمَ بِهَا عِبَادَهُ، لِيُذَكَّرَ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ، وَيَخْشَعُ قَلْبُهُ لَهُ، وَيَتَأَثَّرَ بِالْإِنذَارِ، وَلِيَسْتَفِيعَ بِهِ مَنْ حَسُنَ اسْتِعْدَادُهُ لِلْهُدَى.

(السَّمَاوَاتِ)

(٤) - وَهَذَا الْقُرْآنُ نُزِّلَ عَلَيْكَ تَنْزِيلًا مِنْ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى فِي أَرْبَعَةِ لَوَافِتِهَا.

(٥) - وَالَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى، هُوَ الرَّحْمَنُ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ اسْتِوَاءً يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ. وَهُوَ الْمُهِيمُنْ عَلَى الْكَوْنِ كُلِّهِ، فَأَمْرُ النَّاسِ إِلَيْهِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٦) - وَلِلَّهِ مَا فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَمَا فِي جَوْفِ الْأَرْضِ.

وَمَا تَعَتَّ الثَّرَى - مَا فِي جَوْفِ الْأَرْضِ.

طه

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ

الْحَزْبُ
٢٢

لِنَشْفَى

إِلَّا نَذْكُرَكَ لِمَنْ يَخْشَى

تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ
الْعُلَى

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْأَرَى

(٧) - وَإِنْ تَجَهَّرَ بِدُعَاءِ اللَّهِ وَذَكَرَهُ، فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا أَسْرَرْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ دُونَ أَنْ تَرْفَعَ بِهِ صَوْتَكَ، وَيَعْلَمُ مَا هُوَ أَخْفَى مِنْهُ مِمَّا يَخْطُرُ فِي بَالِكَ دُونَ أَنْ تَتَّقُوهُ بِهِ.

وَأَخْفَى - حَدِيثِ النَّفْسِ وَخَوَاطِرِهَا.

(٨) - وَالَّذِي نَزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُنْعَتَ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى التَّقْدِيسِ وَالتَّمْجِيدِ (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى).

(أَتَاكَ)

(٩) - يَقُصُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ حَدِيثَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَيْفَ كَانَ آتِئَاءُ الْوَحْيِ إِلَيْهِ.

(رَأَى) (آنَسْتُ) (آتَيْكُمْ)

(١٠) - بَعْدَ أَنْ قَصَى مُوسَى مُدَّةَ عَقْدِهِ مَعَ شُعَيْبٍ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، عَلَى رِعَايَةِ الْغَنَمِ لِقَاءَ تَرْوِيجِهِ بِآبَتَيْهِ، سَارَ مُوسَى بِأَهْلِهِ قَاصِدًا بِلَادَ مِصْرَ، بَعْدَ أَنْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنْهَا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ شَاتِيَةً مُمَطَّرَةً، وَالْبَرْدُ قَارِسًا، فَحَاوَلَ إِشْعَالَ النَّارِ لِيَتَدَفَّأَ، وَقَدَحَ زَنْدَهُ لِيُشْعَلَ بِشَرَارَتِهِ نَارًا كَمَا جَرَتْ لَهُ الْعَادَةُ، فَلَمْ يُفْلِحْ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْ زَنْدِهِ شَرَرٌ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ ظَهَرَتْ لَهُ نَارٌ مِنْ جَانِبِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ يُبَشِّرُهُمْ: إِنَّهُ رَأَى نَارًا، وَطَلَبَ إِلَى زَوْجَتِهِ الْبَقَاءَ حَيْثُ هِيَ لِيَذْهَبَ إِلَى النَّارِ، فَيَرَى مِنْ حَوْلِهَا، وَيَطْلُبَ مِنْهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ شِهَابًا مِنْ نَارٍ (قَبْسًا) يُوقِدُ بِهِ نَارًا لَهُمْ، وَيَسْأَلُهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ.

(أَتَاهَا) (يَا مُوسَى)

(١١) - فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى النَّارَ الَّتِي رَأَاهَا، وَجَدَهَا تَشْتَعِلُ فِي شَجَرَةٍ خَضِرَاءَ، وَكَلَّمَا أَزْدَادَتِ النَّارُ تَوْهَجًا، أَزْدَادَتِ الشَّجَرَةُ اخْضِرَارًا، فَوَقَفَ مُتَعَجِّبًا مِمَّا يَرَى. فَنَوْدَى: يَا مُوسَى وَصَدَرَ إِلَيْهِ النَّدَاءُ مِنَ الْجَهَةِ الَّتِي مَنِ الْوَادِي، فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ، كَمَا فِي آيَةِ أُخْرَى^(١). فَرَدَّ مُوسَى عَلَى الصَّوْتِ الَّذِي نَادَاهُ قَائِلًا: مَنِ الْمُتَكَلِّمُ؟

(١٢) - فَرَدَّ عَلَيْهِ الصَّوْتُ قَائِلًا: إِنَّ الَّذِي يُكَلِّمُكَ هُوَ اللَّهُ رَبُّكَ، فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ مِنْ رَجُلَيْكَ.

(١) الآية ٣٠ من سورة القصص.

وَأِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ
الْأَسْرَى وَأَخْفَى

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى

إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا
إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عَلَيَّ إِلَيْكُمْ مِنْهَا
يَقْبَسُ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى

إِنِّي أَنَارُكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ
بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى

(وَقِيلَ إِنَّ تَعْلِيَهُ كَانَتْ مِنْ جِلْدِ جَمَارٍ غَيْرِ ذِكِّيْ أُنْى غَيْرِ مُذْبُوحٍ ، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ أَمْرٌ يَخْلُجُهُمَا تَعْظِيمًا لِلْبَقْعَةِ ، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ أَمْرٌ بِذَلِكَ لِيُطَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةَ بِقَدَمَيْهِ فَيَمَسَّ تُرَابَهَا جِلْدَهُ).

طوى - هُوَ اسْمُ الْوَادِي الَّذِي كَانَ فِيهِ مُوسَى كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ .

(١٣) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّهُ اخْتَارَهُ وَأَصْطَفَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْمَوْجُودِينَ فِي زَمَانِهِ لِيَكُونَ رَسُولَهُ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ الْاسْتِمَاعَ لِمَا سَيُوجِبُهُ إِلَيْهِ ، وَمَا يَقُولُهُ لَهُ .

(الصَّلَاةُ)

(١٤) - إِنْ أَوَّلَ وَاجِبٍ لِلْمُكَلَّفِ هُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَهُوَ رَبُّ الْمَخْلُوقَاتِ وَخَالِقُهَا ، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهَا ، فَقُمْ يَا مُوسَى بِعِبَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ شَرِيكَ ، وَأَدِّ الصَّلَاةَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ الَّذِي أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ ، بِكَامِلِ شُرُوطِهَا لِتَذْكُرَ بِهَا رَبُّكَ ، وَتَدْعُوهُ دُعَاءَ خَالِصٍ لَا يَشُوهُ إِشْرَاكَ .

(وَفِي الْحَدِيثِ : مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا ، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ) . (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ) .

(آيَةٌ)

(١٥) - إِنْ السَّاعَةُ آيَةٌ لَا مَحَالَةَ وَلَا شَكَّ فِي ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يُطْلَعُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ عَلَى مَوْعِدِهَا ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَكَادُ يُخْفِيهَا عَنْ نَفْسِ الْكَرِيمَةِ (أَكَادُ أَخْفِيهَا) ، فَهِيَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُ ، لِيَتَّقَى النَّاسُ عَلَى حَذَرٍ بِاسْتِمْرَارٍ ، وَإِنَّهُ تَعَالَى سَيَقِيمُ السَّاعَةَ ، وَتَحْشُرُ النَّاسَ لِلْحِسَابِ ، لِيَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَكَسَبَتْ .

السَّاعَةُ - الْقِيَامَةُ .

(هَوَاهُ)

(١٦) - وَيُخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُكَلَّفِينَ فِي تَوْجِيهِهِ الْخِطَابَ لِرَسُولِهِ مُوسَى (وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الْخِطَابَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ) فَيَقُولُ تَعَالَى : لَا تَتَّبِعُوا سَبِيلَ مَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ ، وَأَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْمَلَذَّاتِ فِي دُنْيَاهُ ، وَعَصَى رَبَّهُ وَأَتْبَعَ هَوَاهُ ، لِأَنَّ أَتْبَاعَ الْمَلَذَّاتِ ، وَعِصْيَانَ اللَّهِ ، يُؤْصِلَانِ الْإِنْسَانَ إِلَى الْهَلَاكِ ، وَالْعَطْبِ ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ .

فَتَرَدَّى - فَتَهَلَّكَ .

١٣ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى

١٤ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي

١٥ إِنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا
لِيَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى

١٦ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى

(يَا مُوسَى)

(١٧) - ثُمَّ سَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَنِ الْعَصَا الَّتِي يَحْمِلُهَا بِيَمِينِهِ فَقَالَ لَهُ: وَمَا ذَلِكَ الشَّيْءُ الَّذِي تَحْمِلُهُ بِيَدِكَ الْيُمْنَى؟

(أَتَوَكُّأُ) (مَارِبُ)

(١٨) - فَقَالَ مُوسَى: إِنَّهَا عَصَا يَتَعَمَّدُ عَلَيْهَا فِي مَشْيِهِ (أَتَوَكُّأُ عَلَيْهَا) وَيُحَرِّكُ بِهَا أَغْصَانَ الشَّجَرِ لِيَسْقَاطَ وَرَقُهَا، وَثَمَرُهَا، فَتَأْكُلُهُ الْغَنَمُ، دُونَ ضَرْبٍ أَوْ خَبْطٍ (أَهْشُ بِهَا)، وَإِنَّ لَهُ فِيهَا مَنَافِعَ أُخْرَى، وَحَاجَاتٍ غَيْرَ مَا ذَكَرَ.

أَهْشُ بِهَا - أَحْرَكُ بِهَا أَغْصَانَ الشَّجَرِ لِيَسْقَاطَ وَرَقُهَا.

مَارِبُ أُخْرَى - مَنَافِعُ وَأَسْتِعْمَالَاتٌ أُخْرَى.

(يَا مُوسَى)

(١٩) - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى: أَلْقِ الْعَصَا الَّتِي تُمْسِكُهَا بِيَمِينِكَ لَنَرَى لَهَا شَأْنًا آخَرَ.

(فَالْقَاهَا)

(٢٠) - فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ، فَانْقَلَبَتْ حَيَّةً تَمْشِي (تَسْعَى). وَفِي آيَةٍ أُخْرَى^(١) قَالَ إِنَّ الْعَصَا كَانَتْ تَهْتَزُّ بِسُرْعَةٍ وَكَأَنَّهَا جَانٌّ، (وَالْجَانُّ نَوْعٌ سَرِيعُ الْحَرَكَةِ مِنَ الْحَيَّاتِ).

حَيَّةٌ تَسْعَى - تَمْشِي بِسُرْعَةٍ وَخِفَّةٍ.

(٢١) - فَلَمَّا رَأَى مُوسَى الْحَيَّةَ تَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ خَافَ وَوَلَّى مُدْبِرًا، لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)^(٢)، ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالرُّجُوعِ فَرَجَعَ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَقِفُ، وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: خُذِ الْعَصَا فَإِنَّهُ سَيُعِيدُهَا، عَصَا كَمَا كَانَتْ قَبْلًا.

سَيُعِيدُهَا سِيرَتَهَا - إِلَى حَالَتِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا قَبْلًا.

(آيَةٌ)

(٢٢) - ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بِأَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ تَحْتَ إِبْطِهِ (جَنَاحِهِ) (وَفِي آيَةٍ أُخْرَى جَاءَ: ﴿أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾^(٣)) فَادْخَلَ مُوسَى يَدَهُ

(١٧) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى

(١٨) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ

عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَارِبُ أُخْرَى

(١٩) قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى

(٢٠) فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى

(٢١) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَيُعِيدُهَا

سِيرَتَهَا الْأُولَى

(٢٢) وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ

بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةٌ أُخْرَى

(١) الآية ١٠ من سورة النمل.

(٢) الآية ٣١ من سورة القصص.

(٣) الآية ٣٢ من سورة القصص.

تَحْتَ إِبْطِهِ، مِنْ فَتْحَةِ ثَوْبِهِ (جَبِيهِ)، ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ تَلَلًا
دُونَ أَنْ يَكُونَ بِهَا أَذَى أَوْ مَرَضٌ أَوْ بَرَصٌ. . . فَإِذَا أَعَادَ يَدَهُ فِي جَبِيهِ مَرَّةً
أُخْرَى عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَهَذَا بَرَهَانٌ ثَانٍ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إِلَى جَنَاحِكَ - إِلَى جَنْبِكَ تَحْتَ الْعَصِيدِ أَوْ تَحْتَ الْإِبْطِ.

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ - مِنْ غَيْرِ دَاءٍ أَوْ مَرَضٍ.

(آيَاتِنَا)

(٢٣) - وَهَاتَانِ الْآيَتَانِ اللَّتَانِ أَرِيتُهُمَا، السَّاعَةَ، هُمَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
الْكُبْرَى، وَقَعْنَا تَحْتَ جِسِّكَ وَبَصْرِكَ، لِنَطْمِئِنَّ إِلَى أَنَّكَ لَقِيتَ رَبَّكَ
فِعْلًا، تَمْهيدًا لِلنُّهوضِ بِأَمَانَةِ الرِّسَالَةِ الْكُبْرَى الَّتِي سَيَعْهَدُ بِهَا إِلَيْكَ
رَبُّكَ.

(٢٤) - أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكٍ مِصْرَ، الَّذِي خَرَجْتَ هَارِبًا مِنْ بَطْشِهِ،
فَادْعُهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَمْرُهُ فَلْيُحْسِنْ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
فَلَا يُعَذِّبْهُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ طَغَى وَبَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَنَسِيَ الرَّبَّ
الْأَعْلَى.

طَغَى - جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْعُتُوِّ وَالتَّجَبُّرِ.

(٢٥) - فَسَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ أَنْ يَشْرَحَ لَهُ صَدْرَهُ (وَيُشْرِحَ الصُّدْرُ يَعْنِي
أُطْمِئِنَّانِ النَّفْسَ إِلَى مَا يَقُومُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ عَمَلٍ، وَإِذَا أَطْمَأَنَّتِ النَّفْسُ
إِلَى مَا تَقُومُ بِهِ تَحَوَّلَتْ مَشَقَّةُ التَّكْلِيفِ إِلَى مُتْعَةٍ).

(٢٦) - ثُمَّ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُسِّرَ لَهُ أَمْرَهُ، وَأَنْ يَضْمَنَ لَهُ نَجَاحَ مَهْمَّتِهِ، وَإِذَا
لَمْ يُسِّرِ اللَّهُ الْأَمْرَ لِعَبْدِهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ بِقُوَاهِ الْمَحْدُودَةِ لَا يَمْلِكُ ضَمَانَ
النَّجَاحِ.

(٢٧) - وَكَانَ فِي لِسَانِ مُوسَى حَبْسَةٌ فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَزُولَ مِنْهَا شَيْءٌ بِقَدْرِ
مَا يُمَكِّنُهُ مِنَ الْإِفْصَاحِ، وَالتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَهْمَةِ الَّتِي أَرْسَلَهُ بِهَا إِلَى
فِرْعَوْنَ.

(٢٨) - لِيَفْهَمَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مَا يُرِيدُ أَنْ يَقُولَهُ لَهُمْ حِينَمَا يُبَلِّغُهُمْ رِسَالَةَ
رَبِّهِمْ.

(٢٩) - ثُمَّ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ أَنْ يُعِينَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهِ لِيَكُونَ لَهُ رِدْعًا،
وَعَوْنًا، عَلَى أَدَاءِ مَهْمَّتِهِ الشَّاقَّةِ.

الْوَزِيرُ - الْمُعِينُ.

﴿٢٣﴾ لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى

﴿٢٤﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى

﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي

﴿٢٦﴾ وَيسِّرْ لِي أَمْرِي

﴿٢٧﴾ وَاجْعَلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي

﴿٢٨﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي

﴿٢٩﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي

(هَارُونَ)

(٣٠) - ثُمَّ خَصَّصَ طَلَبَهُ، فَطَلَبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يُرِيدُهُ مُعِينًا فِي أَدَاءِ مَهْمَّتِهِ أَخَاهُ هَارُونَ، فَهُوَ أَفْصَحُ مِنْهُ لِسَانًا كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى^(١).

(٣١) - تَشُدُّ بِهِ أَزْرِي وَتَقْوِيَنِي بِهِ.

أَزْرِي - ظَهَرِي وَقَوِّي.

(٣٢) - وَتَجْعَلُهُ حَامِلًا مَعِيَ أَمَانَةَ التَّكْلِيفِ فِي هَذِهِ الْمَهْمَةِ الْكُبْرَى الَّتِي أَمَرْتَنِي بِالْقِيَامِ بِهَا.

(٣٣) - وَالْأَمْرُ الْجَلِيلُ الَّذِي كُلَّفَ اللَّهُ بِهِ مُوسَى يَحْتَاجُ إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ التَّسْبِيحِ وَذِكْرِ اللَّهِ، لِتَقْوَى النَّفْسُ وَتَطْمِئِنَّ وَتَهْدَأَ.

(٣٤) - كَمَا يَحْتَاجُ إِلَى الْكَثِيرِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، لِتَطْمِئِنَّ النَّفْسُ وَتَهْدَأَ فَتَتِمَّكَ مِنَ الْقِيَامِ بِمَا كُلَّفْتَ بِهِ بِرُؤْيَاهُ وَهُدُوءِ بَالٍ.

(٣٥) - لَقَدْ كُنْتُ يَا رَبِّ بَصِيرًا بِمَا إِذَا صَطَفَيْتَنَا، وَآتَيْتَنَا النُّبُوَّةَ وَأَمَرْتَنَا بِالتَّوَجُّهِ إِلَى عَدُوِّكَ فِرْعَوْنَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ.

(يَا مُوسَى)

(٣٦) - فَأَجَابَ الرَّبُّ قَائِلًا: إِنَّ دَعْوَتَهُ قَدْ اسْتُجِيبَتْ جَمِيعًا فِيمَا سَأَلَهُ مِنْ شَرْحِ صَدْرِهِ، وَتَبْيِيزِ أَمْرِهِ، وَشَدِّ أَزْرِهِ بِأَخِيهِ هَارُونَ وَجَعْلِهِ وَزِيرًا وَنَبِيًّا.

أُوتِيتَ سُؤْلَكَ - أُعْطِيتَ مَا سَأَلْتَ.

(٣٧) - ثُمَّ قَالَ لَهُ تَعَالَى: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ لَهُ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، مَرَّةً أُخْرَى، إِذْ تَوَلَّاهُ بِعَيْنَيْهِ، وَأَكْرَمَهُ وَحَفِظَهُ وَرَعَاهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَنْ يَضُنَّ عَلَيْهِ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ فِيمَا سَأَلَ.

(٣٨) - وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَقْتُلُ الذُّكُورَ مِنْ مَوَالِيدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِرُؤْيَا رَأَاهَا فَأَزْعَجَتْهُ، فَلَمَّا وُلِدَ مُوسَى خَافَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ فِرْعَوْنُ، فَالْتَمَسَ اللَّهُ أُمُّ مُوسَى إِلَهَاها طَمَآنَ قَلْبِهَا.

(٣٩) - وَهَذَا الْإِلَهَامُ الَّذِي أَلْهَمَهَا اللَّهُ هُوَ أَنْ تَضَعَ مُوسَى فِي تَابُوتٍ صَغِيرٍ، فَتَقْدِفُهُ فِي الْمَاءِ (الْيَمِّ)، فَيَحْمِلُهُ الْيَمُّ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ فِي الْمَكَانِ الْمَوَاجِهَ لِقَصْرِ فِرْعَوْنَ، فَيَأْخُذَهُ فِرْعَوْنُ - وَهُوَ عَدُوُّ اللَّهِ وَمُوسَى -

(١) الآية ٣٤ من سورة القصص.

هَارُونَ أَخِي

أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي

وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي

كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا

وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا

إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى

وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى

إِذَا وَحْيَنَا إِلَى أُمِّكَ مَائُوحَى

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ
فِي الْيَمِّ فَلْيَحْمِلْهُ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ
عَدُوِّي وَعَدُوُّكَ، وَأَلْقَيْتَ عَلَيْكَ
مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي

فَرِيَّهُ وَزَوْجُهُ، وَبَقِذَ اللَّهُ حُبَّهُ فِي قَلْبِ فِرْعَوْنَ وَزَوْجِهِ، وَهَكَذَا يُرَى مُوسَى بِعَيْنِ اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ، وَيُنْشَأُ أَحْسَنَ تَنْشِئَةٍ، فَفَعَلَتْ أُمُّ مُوسَى مَا الْفِي فِي رُوعِهَا، فَأَخَذَهُ آلُ فِرْعَوْنَ، وَفَرَحَتْ بِهِ زَوْجُهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ، فَلَمْ يَكُنْ يَقْبَلُ الرُّضَاعَ مِنْ نَذِي أُمِّهِ أُخْرَى، وَذَلِكَ لِيُسِّرَ اللَّهُ عَوْدَتَهُ إِلَى أُمِّهِ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهَا وَلَا تَحْزَنَ لِفِرَاعِهِ.

أَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ - اطرجه في ماء النهر.

لِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي - ليربى بمراقبتي ورعايتي.

(فَرَجَعْنَاكَ) (فَنَجَّيْنَاكَ) (وَفَتَّنَاكَ) (يَا مُوسَى)

(٤٠) - فَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُوسَى عِنْدَ آلِ فِرْعَوْنَ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ فَأَبَاها، جَاءَتْ أُخْتُ مُوسَى، وَقَالَتْ لآلِ فِرْعَوْنَ: هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ أَذْلَكُمْ عَلَى أَهْلِ يَبْتِ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ، وَيُرْضِعُونَهُ؟ فَأَخَذْتَهُمْ إِلَى أُمِّهَا فَعَرَضَتْ نَذِيهَا عَلَى مُوسَى فَأَخَذَهُ، فَفَرِحَ جَمَاعَةُ فِرْعَوْنَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَاسْتَأْجَرُواهَا لِإِرْضَاعِهِ، وَبِذَلِكَ قُرَّتْ عَيْنُهَا، وَأَطْمَأْنَنَتْ عَلَى سَلَامَةِ آئِنِهَا، إِذَا أَصْبَحَ مَشْمُولًا بِرِعَايَةِ فِرْعَوْنَ وَزَوْجِهِ.

وَلَمَّا كَبُرَ مُوسَى، وَجَدَ قِبْطِيًا يَتَخَاصَمُ مَعَ إِسْرَائِيلِيٍّ، فَضَرَبَ مُوسَى الْقِبْطِيَّ بِجُمُوعِ يَدِهِ فَقَتَلَهُ. وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ بِمَقْتَلِهِ، ثُمَّ وَجَدَ ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ يَتَخَاصَمُ مَعَ قِبْطِيٍّ آخَرَ فَاسْتَغَاثَ الْإِسْرَائِيلِيُّ بِمُوسَى، فَوَبَّخَهُ مُوسَى عَلَى شُرُورِهِ، فَخَافَ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ مُوسَى، وَقَالَ لَهُ لَعَلَّكَ تُرِيدُ قَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْقِبْطِيَّ يَوْمَ أَمْسٍ. وَعَلِمَ فِرْعَوْنَ بِأَنَّ مُوسَى هُوَ قَاتِلُ الْقِبْطِيِّ فَهَرَبَ إِلَى مَدْيَنَ. وَلَبِثَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ يَرْعَى الْغَنَمَ فِيهَا لَشُعَيْبٍ.

ثُمَّ لَمَّا آتَتْهُى الْأَجَلَ سَارَ مُوسَى بِأَهْلِهِ، وَفِي الطَّرِيقِ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ رِسَالَتَهُ فِي الْوَقْتِ الْمَقْدُرِ.

حَدِيثُ الْقُتُونِ:

وَسَأَلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَنِ الْقُتُونِ الْوَاردِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ لَهُ:

- أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِذَبْحِ الذُّكُورِ مِنَ الْمُؤَلُودِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكَانَ رِجَالُهُ يَطُوفُونَ، فَلَا يَتْرُكُونَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُؤَلُودِينَ فِي مِصْرَ وَلِيدًا ذَكَرًا إِلَّا ذَبَحُوهُ. وَلَمَّا خَافَ الْأَقْبَاطُ أَنْ يَفْنَى بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلَا يَبْقَى لِلْأَقْبَاطِ مَنْ

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ

أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ

إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ

وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ

وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي

أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَّى

يَخْدِمُهُمْ، وَيَقُومُ بِالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ لَدَيْهِمْ، اسْتَقَرَّ رَأْيِي فِرْعَوْنَ عَلَى أَنْ
يُدْبِحَ ذُكُورَ الْأَطْفَالِ سَنَةً، وَيَتْرَكُهُمْ سَنَةً. وَحَمَلَتْ أُمُّ مُوسَى بِهِ فِي عَامٍ
يُدْبِحُ فِيهِ الذُّكُورُ، فَخَافَتْ عَلَيْهِ، فَمَا دَخَلَ عَلَى مُوسَى وَهُوَ فِي بَطْنِ
أُمِّهِ، أَوْ مِمَّا يُرَادُ بِهِ هُوَ مِنَ الْفُتُونِ.

- ثُمَّ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَخَافَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَتْهُ فِي الْيَمِّ بَوْحِي مِنَ اللَّهِ، فَلَمَّا
أَخْتَفَى عَنْهَا آتَتْهَا وَمَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: مَا صَنَعْتُ
بِابْنِي، لَوْ أَنَّهُ بَقِيَ عِنْدِي وَدُبِحَ فِي حِجْرِي لَوَارِثَتُهُ التُّرَابَ، فَذَلِكَ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَأْكُلَهُ دَوَابُّ الْبَحْرِ.

- وَلَمَّا أَلْتَقَطَهُ جَوَارِي أَمْرَأَةٍ فِرْعَوْنَ وَهُوَ فِي الثَّابُوتِ حَمَلَتْهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا
فَتَحَتْهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ أَحَبَّتْهُ، بَوْحِي مِنَ اللَّهِ، مَحَبَّةً كَبِيرَةً. وَجَاءَهَا
الذَّبَّاحُونَ لِيَذْبَحُوا مُوسَى، وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ.

- فَقَالَتْ أَمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ اتْرُكُوهُ حَتَّى آتِي فِرْعَوْنَ فَأَسْتَوْهِيهِ بِأَبَاهُ، فَإِنْ هَذَا
الوَاحِدَ لَا يَزِيدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنْ وَهَبَهُ لِي كُنْتُ قَدْ أَحْسَنْتُمْ، وَإِنْ
أَمَرَ بِذَبْحِهِ لَمْ أَلْمُكُمْ، فَأَتَتْ فِرْعَوْنَ فَقَالَتْ: قُرَّةُ عَيْنِي لِي وَلَكَ. فَقَالَ
فِرْعَوْنُ: قُرَّةُ عَيْنِي لَكَ، أَمَا أَنَا فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.

- ثُمَّ عَرَضَتْهُ عَلَى الْمَرَاضِعِ فَأَبَاهَا، وَأَصْبَحَتْ أُمُّ مُوسَى وَالِهَا فَقَالَتْ
لِابْنَتِهَا قُصِّي أَثَرَهُ فَبَصُرْتُ بِهِ أَخْتَهُ فَعَرَفْتُهُ، وَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّهُ رَفَضَ الرِّضَاعَ
مِنَ الْمَرْضِعَاتِ، تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ: هَلْ أَذَلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ
يَكْفُلُونَهُ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ؟ فَقَالُوا وَمَا يُدْرِيكَ مَا نُنْصِحُهُمْ لَهُ؟ هَلْ
تَعْرِفِينَهُ؟ حَتَّى شَكُّوا فِي أُمِّهَا، وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ.

- ثُمَّ وَجَدَ مُوسَى رَجُلًا إِسْرَائِيلِيًّا يَتَخَاصَمُ مَعَ قِبْطِيٍّ فَاسْتَعَاثَ الْإِسْرَائِيلِيَّ
بِمُوسَى فَقَتَلَ الْقِبْطِيَّ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مِنْ قَتَلِهِ، فَخَافَ مُوسَى عَلَى
نَفْسِهِ. ثُمَّ وَجَدَ مُوسَى ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ يَتَخَاصَمُ مَعَ قِبْطِيٍّ آخَرَ، فَاسْتَاءَ
مُوسَى مِنْ فِعْلِ الْإِسْرَائِيلِيَّ، فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ لَعَوِي مُبِينٌ. فَخَافَ
الْإِسْرَائِيلِيَّ أَنْ يَقْتُلَهُ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا
بِالْأَمْسِ؟ فَعَرَفَ الْقِبْطِيَّ أَنَّ مُوسَى هُوَ الَّذِي قَتَلَ الْقِبْطِيَّ الْآخَرَ، فَذَهَبَ
إِلَى فِرْعَوْنَ يُعْلِمُهُ بِمَا سَمِعَ، فَأَمَرَ فِرْعَوْنَ بِذَبْحِ مُوسَى، وَأُرْسَلَ
الذَّبَّاحِينَ يَبْحَثُونَ عَنْهُ، وَسَمِعَ رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ مُوسَى بِمَا أَمَرَ بِهِ فِرْعَوْنُ،
فَأَسْرَعَ إِلَى مُوسَى يُخْبِرُهُ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِرْعَوْنُ، فَهَرَبَ مُوسَى إِلَى أَهْلِ
مَدْيَنَ، وَهَذَا مِنَ الْفُتُونِ أَيْضًا.

وَبَقِيَ مُوسَى عِدَّةً مِنَ السَّنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ يَرْعَى الْغَنَمَ لِصِهْرِهِ، حَتَّى انْقَضَتِ الْمُدَّةُ الَّتِي أَنْفَقَهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ وَأَرَادَتْهُ مَشِيتُهُ تَعَالَى، مِنْ غَيْرِ مِيعَادٍ، لِيَجْعَلَهُ رَسُولًا.

مَنْ يَكْفُلُهُ - مَنْ يَضُمُّهُ إِلَيْهِ وَيُرَبِّيهِ.

تَقَرَّرَ عِنْدَهَا - تَسَرَّ بِلِقَائِكَ.

فَتَنَّاكَ فُتُونًا - خَلَصْنَاكَ مِنَ الْمِحْنِ تَخْلِيصًا.

جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ - عَلَى وَفْقِ الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لِرِسَالَتِكَ.

(٤١) - وَأَخْتَرْنَاكَ لِإِقَامَةِ حُجَّتِي، وَأَصْطَفَيْتُكَ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي. فَصِرْتَ أَشْبَهَ بِمَنْ يَرَاهُ الْمَلِكُ أَهْلًا لِكِرَامَتِهِ، فَيُقَرِّبُهُ وَيَجْعَلُهُ مِنْ خَوَاصِهِ

(بِأَيَاتِي)

(٤٢) - أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ هَارُونُ مُؤَيَّدَيْنِ بِمُعْجَزَاتِي، وَحُجَجِي، وَبِرَاهِنِي الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوتِكُمَا، إِلَى فِرْعَوْنَ، وَلَا تَقْتَرَا عَنْ ذِكْرِي عِنْدَ لِقَائِكُمَا إِيَّاهُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لَكُمَا، وَقُوَّةً وَسُلْطَانًا كَاسِرًا لَهُ، وَلَا تَتَهَاوَنَا فِي دَعْوَتِهِ وَتَبْلِيغِهِ مَا أَرْسَلْتُكُمَا بِهِ إِلَيْهِ.

لَا تَنْيَا فِي ذِكْرِي - لَا تَقْتَرَا عَنْ ذِكْرِي حِينَ تَبْلِيغِ رِسَالَتِي إِلَيْهِ.

(٤٣) - أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ فَإِنَّهُ عَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَتَمَرَّدَ وَتَجَبَّرَ عَلَى اللَّهِ وَعَصَاهُ.

(٤٤) - وَأَدْعُوهُ بِرَفْقٍ وَلِينٍ وَحُسْنَى إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَتَرَكِ الْعُتُوَّ، وَالتَّجَبُّرَ وَالْاِسْتِعْلَاءَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، لَعَلَّ الْكَلَامَ الرَّفِيقَ اللَّيِّنَ يُؤَثِّرُ فِي نَفْسِهِ فَيَرْجِعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ، وَيَتَذَكَّرَ آيَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَى لِقَاءَهُ وَعَذَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَرْتَدِعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ.

(٤٥) - فَقَالَ هَارُونُ وَمُوسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: يَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَبْطِشَ بِنَا فِرْعَوْنُ إِنْ نَحْنُ دَعَوْنَاهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْعُتُوِّ وَالطُّغْيَانِ، وَنَخْشَى أَنْ يُعْجَلَ لَنَا بِالْعُقُوبَةِ، أَوْ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْنَا.

يَفْرُطُ عَلَيْنَا - يُعْجِلُ عَلَيْنَا بِالْعُقُوبَةِ.

يَطْفَى - يَزْدَادُ طُغْيَانًا وَعُتُوًّا.

(٤٦) - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا تَخَافَا مِنْهُ فَإِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ كَلَامَكُمَا وَكَلَامَهُ، وَأَرَى مَكَانَكُمَا وَمَكَانَهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيَّ مِنْ أَمْرِكُمْ شَيْءٌ،

٤١ وَأَصْطَفَيْتُكَ لِنَفْسِي

٤٢ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِأَيَاتِي وَلَا نَبِيًّا

فِي ذِكْرِي

٤٣ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى

٤٤ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ

أَوْ يَخْشَى

٤٥ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا

أَوْ أَنْ يَطْفَى

٤٦ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا

أَسْمَعُ وَأَرَى

وَأَعْلَمْنَا أَنَّ نَاصِيَتَهُ بِيَدِي، فَلَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَتَنَفَّسُ، وَلَا يَبْطِشُ إِلَّا بِإِذْنِي،
وَأَنْتَمَا فِي حِفْظِي وَرِعَايَتِي.

إِنِّي مَعَكُمْ - إِنِّي حَافِظُكُمْ وَنَاصِرُكُمْ.

(إِسْرَائِيلَ) (جَنَّاتِكَ) (بِآيَةٍ) (وَالسَّلَامُ)

(٤٧) - أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ فَقُولَا لَهُ: إِنَّنَا رَسُولَا اللَّهِ رَبِّكَ، وَرَبِّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ لِنَدْعُوكَ إِلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ،
وَالْإِلَهَ الْكَفَّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالطُّغْيَانِ، وَالضَّلَالِ، وَلِنَدْعُوكَ إِلَى الْكَفِّ
عَنْ تَعْذِيبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ جِئْنَاكَ بِحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ مِنْ
اللَّهِ (آيَةٍ)، عَلَى صِدْقِ قَوْلِنَا إِنَّنَا رَسُولَانِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ إِلَيْكَ، وَالسَّلَامَةُ
وَالْأَمْنُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ رُسُلَ رَبِّهِ، وَأَهْتَدَى
بِهَدَاهُ.

(٤٨) - وَلَقَدْ أَخْبَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِيمَا أَوْحَاهُ أَنَّ عَذَابَهُ الْأَلِيمَ سَيَنْزِلُ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمَنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، وَبِمَا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنَ
الْإِيمَانِ، وَيَتَوَلَّى عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالْإِسْتِجَابَةِ إِلَى دَعْوَةِ الْحَقِّ وَالْهُدَى.

(يَا مُوسَى)

(٤٩) - فَقَالَ لَهُمَا فِرْعَوْنُ، وَقَدْ وَجَّهَ الْخِطَابَ إِلَى مُوسَى: إِذَا كُنْتُمَا
رُسُولَيْنِ مِنْ رَبِّكُمَا، كَمَا تَدْعِيَانِ، فَمَنْ هُوَ رَبُّكُمَا الَّذِي أَرْسَلَكُمْ؟

(٥٠) - قَالَ مُوسَى: رَبُّنَا هُوَ الَّذِي وَهَبَ الْوُجُودَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، فِي
الصُّورَةِ الَّتِي أَوْجَدَهُ فِيهَا، وَفَطَرَهُ عَلَيْهَا، ثُمَّ هَدَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَى وَطِيفَتِهِ
الَّتِي خَلَقَهُ لَهَا، وَأَمَدَهُ بِمَا يَنْسِبُ إِلَيْهِ الْوُطِيفَةُ، وَبِمَا يَعْنِيهِ عَلَيْهَا. فَكُلُّ
شَيْءٍ مَخْلُوقٍ وَمَعَهُ الْإِهْتِدَاءُ الطَّبِيعِيُّ الْفِطْرِيُّ لِلْوُطِيفَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ
لَهَا.

أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ - صُورَتَهُ اللَّائِقَةَ بِخَاصَّتِهِ.

هَدَى - أَرْشَدَهُ إِلَى مَا يَصْلُحُ لَهُ.

(٥١) - قَالَ فِرْعَوْنُ: فَمَا هُوَ حَالُ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ (الْقُرُونِ الْأُولَى)، كَعَادِ
وَنُمُودَ وَقَوْمِ نُوحٍ... أَئِنَّ ذَهَبْتَ، وَمَنْ كَانَ رَبُّهَا، وَمَا يَكُونُ شَأْنُهَا،
وَقَدْ هَلَكَتْ هَذِهِ الْأُمَمُ مِنْ قَبْلُ، وَلَمْ تَعْرِفِ اللَّهَ، وَقَدْ عِبَدْتَ سِوَاهُ؟

فَمَا بَالُ - فَمَا حَالُ؟

الْقُرُونِ - الْأُمَمِ.

﴿٤٧﴾ فَأَنبِأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ

فَأَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا

تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن

رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ

أَهْدَى

﴿٤٨﴾ إِنَّا قَدْ أَوْحَى إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ

عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى

﴿٤٩﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى

﴿٥٠﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى

كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى

﴿٥١﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى

(كِتَاب)

(٥٢) - قَالَ لَهُ مُوسَى : إِنَّ الْقُرُونَ الْأُولَى الَّتِي مَضَتْ وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَعْبُدِ اللَّهَ فَإِنَّ عَمَلَهَا مَحْفُوظٌ عَلَيْهَا، وَمُخَصَّصٌ فِي كِتَابٍ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا يَشُدُّ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا يَضِيعُ، وَلَا يَقُوتُهُ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، وَلَا يَنْسَى رَبُّنَا شَيْئًا.

لَا يَضِلُّ - لَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ مَا .

(أَزْوَاجًا)

(٥٣) - وَتَابَعَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَائِلًا لِفِرْعَوْنَ: إِنَّ رَبَّنَا هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ لِلنَّاسِ قَرَارًا يَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا، وَيَقُومُونَ وَيَنَامُونَ عَلَيْهَا، وَيَسَافِرُونَ عَلَى ظَهَرِهَا، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا طُرُقًا يَمْشُونَ فِيهَا، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا فَأَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا مُخْتَلِفًا، وَزُرُوعًا وَيَمَارًا مُخْتَلِفًا فِي أَصْنَافِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا.

الأزواج - الأنواع.

مَهْدًا - مُهَيَّئَةً كَالْفِرَاشِ .

(أَنْعَامُكُمْ) (لَايَاتِ)

(٥٤) - وَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ نَبَاتِ الْأَرْضِ مَا هُوَ لِبَطْعَائِكُمْ وَفَاكِهَتِكُمْ، وَمَا هُوَ لِأَقْوَابِ أَنْعَامِكُمْ، تَأْكُلُهُ خَضِرًا وَيَابِسًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ: كُلُوا مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَرْعُوا أَنْعَامَكُمْ مِنْهُ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ دَلَالَاتٌ وَحُجَجٌ وَبَرَاهِينٌ لِدَوِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ.

لِأَوَّلِي النَّهْيِ - لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ وَالْبَصَائِرِ .

(خَلَقْنَاكُمْ)

(٥٥) - مِنَ الْأَرْضِ مَبْدُوكُمْ، فَأَبُوكُمْ آدَمُ مَخْلُوقٌ مِنْهَا، وَنُطْفُكُم تَخْلُقُ مِمَّا تَتَغَدَّوْنَ بِهِ مِمَّا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ، وَإِلَيْهَا تَصِيرُونَ إِذَا مِتُّمْ، وَبَلِيَتْ أَجْسَادُكُمْ، وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ يَوْمَ الْحَشْرِ مَرَّةً أُخْرَى.

(أَرْيَانَاهُ) (آيَاتِنَا)

(٥٦) - وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ أَرَى فِرْعَوْنَ آيَاتِهِ الدَّالَّةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى، فَعَابَنَهَا بِنَفْسِهِ، وَتَحَقَّقَ مِنْهَا، وَلَكِنَّهُ أَبَى أَنْ يَنْقَادَ إِلَيْهَا، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِرَبِّهِ، وَأَسْتَمَرَ عَلَى كُفْرِهِ وَتَكْذِيبِهِ.

٥٢ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى

٥٣ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى

٥٤ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النَّهْيِ



٥٥ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى

٥٦ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى

أَبَى - آمَنَعَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.
(يَا مُوسَى)

(٥٧) - وَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ الْآيَةَ الْكُبْرَى، وَهِيَ تَحُولُ الْعَصَا إِلَى حَيَّةٍ، وَخُرُوجُ يَدِ مُوسَى بَيَظَاءَ تَتَلَأُلَا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ بِهَا، حِينَمَا نَزَعَهَا مُوسَى مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ، قَالَ لِمُوسَى: هَذَا سِحْرٌ جِئْتَنَا بِهِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ، بَعْدَ غَيْبَتِكَ الطَّوِيلَةِ، لَتَسْحَرَنَا، وَتُسْتَوِلِيَ عَلَى عُقُولِ النَّاسِ لِكَيْ يَتَّبِعُوكَ، وَتَكَايِرُنَا بِهِمْ، وَتُسَيِّطَرَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، وَتُخْرَجَ الْقِبْطُ مِنْهَا. وَغَايَةُ فِرْعَوْنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنْ يُثِيرَ فِي نَفُوسِ الْقِبْطِ التَّعَصُّبَ الْعُنْصَرِيَّ، فَلَا يَتَّبِعُوا مُوسَى، وَلَا يَهْتَمُّوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ.

(٥٨) - وَنَحْنُ لَدَيْنَا سَحْرَةٌ يَقْبِرُونَ عَلَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ أَنْتَ مِنَ السَّحْرِ، فَحَدِّدْ لَنَا مَوْعِدًا تَجْتَمِعُ بِهِمْ فِيهِ لِيُعَارِضُوا مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ السَّحْرِ، وَحَدِّدْ أَنْتَ الْمَوْعِدَ (وَقَالَ هَذَا زِيَادَةً فِي التَّحَدِّيِّ)، فَلَا تُخْلِفِ الْمَوْعِدَ أَنْتَ، وَلَا نُخْلِفْهُ نَحْنُ. وَلِكِنْ الْإِلْقَاءَ فِي مَكَانٍ مَكْشُوفٍ وَمُسْتَوٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَشْهَدَهُ النَّاسُ، فَلَا يَحْجُبَ شَيْءٌ عَنْ نَظَرِهِمْ مَا يَجْرِي مِنْ مُبَارَزَةٍ. مَكَانًا سَوًى - مَكَانًا وَسَطًا أَوْ مُسْتَوًى مِنَ الْأَرْضِ.

(٥٩) - فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ يَوْمُ الزَّيْنَةِ، (وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يَوْمَ عِيدٍ مِنْ أَعْيَادِهِمْ) فَيَكُونُ النَّاسُ مُتَفَرِّغِينَ مِنْ مَشَاغِلِهِمْ، فَيَجْتَمِعُونَ لِيُشَاهِدُوا قُدْرَةَ اللَّهِ وَمُعْجَزَاتِهِ، وَبُطْلَانَ السَّحْرِ، وَخَبِيَّةَ السَّاحِرِينَ. وَأَقْتَرَحَ مُوسَى أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ جَمِيعًا، وَأَنْ يَجْتَمِعُوا ضَحَى ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِيَكُونَ مَا يَقَعُ مِنَ الْمُبَارَزَةِ بَيْنَ مُوسَى وَالسَّحْرَةِ، أَوْضَحَ لِلنَّاسِ، وَأَظْهَرَ. يَوْمُ الزَّيْنَةِ - يَوْمَ عِيدٍ مَشْهُودٍ عِنْدَهُمْ.

(٦٠) - فَخَرَجَ فِرْعَوْنُ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ، وَفَرَعَ فِي جَمْعِ السَّحْرَةِ مِنْ أَطْرَافِ مَمْلَكَتِهِ، وَكَانَ السَّحْرُ كَثِيرًا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ أَتَى مَعَهُمْ فِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ إِلَى الْمَكَانِ الْمُعَيَّنِ لِلِقَاءِ وَجَلَسَ فِرْعَوْنُ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ، وَوَقَفَ السَّحْرَةُ صُفُوفًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحَرِّضُهُمْ وَيُسْجِّعُهُمْ. وَجَاءَ مُوسَى بِتَوَكُّأٍ عَلَى عَصَاهُ، وَإِلَى جَانِبِهِ أَخُوهُ هَارُونَ.

كَيْدُهُ - سَحَرَتُهُ الَّذِي يَكِيدُ بِهِمْ.

٥٧ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى

٥٨ فَلَمَّا بَيَّنَّا لَكِ سِحْرَ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ لَنَا وَمِثْلَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًى

٥٩ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى

٦٠ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى

(٦١) - فَقَالَ مُوسَى لِلسَّحَرَةِ: لَا تَحَاوِلُوا خِدَاعَ النَّاسِ بِسِحْرِكُمْ، فَتُظْهِرُوا لَهُمْ وَكَانَ أَشْيَاءَ مُوجُودَةً وَهِيَ لَيْسَتْ مُوجُودَةً، فَتَكُونُوا قَدْ كَذَبْتُمْ عَلَى اللَّهِ فِيهِلِكُمْ اللَّهُ (يُسْحِتْكُمْ) بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، عِقَابًا لَكُمْ عَلَى كَذِبِكُمْ وَأَفْتِرَائِكُمْ، وَلَا يَبْقَى لَكُمْ أَثَرًا، وَالَّذِي يَفْتَرِي الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ فَاقْبَلْ مَغْلُوبٌ لَا مَحَالَةَ.

وَيَلْكُمْ - دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ.

فَيُسْحِتْكُمْ - فِيهِلِكُمْ وَيَسْتَأْصِلْكُمْ وَيَبِيدْكُمْ.

(فَتَنَّا زُعُورًا)

(٦٢) - فَاخْتَلَفَ السَّحَرَةُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَأَخَذُوا يَتَحَاوَرُونَ وَيَتَنَاجَوْنَ سِرًّا، وَيَتَشَاوَرُونَ فِيمَا قَالَ لَهُمْ مُوسَى، وَفِيمَا سَيَفْعَلُونَهُ لِيُفَاجِئُوا مُوسَى وَهَارُونَ، وَلِيَتَغْلِبُوا عَلَيْهِمَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَذَا لَيْسَ بِكَلَامٍ سَاجِرٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ نَبِيٍّ، وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّهُ وَأَخَاهُ سَاجِرَانِ. أَسْرُوا النَّجْوَى - أَخْفُوا التَّنَاجِيَّ أَشَدَّ الْإِخْفَاءِ.

(هَذَانِ) (لَسَاجِرَانِ)

(٦٣) - ثُمَّ اسْتَقَرَّ رَأْيُ الْأَغْلَبِيَّةِ عَلَى الْقَوْلِ إِنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ سَاجِرَانِ، عَالِمَانِ بِصِنَاعَةِ السَّحْرِ وَفُنُونِهَا، وَهُمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَغْلِبَاكُمْ وَقَوْمَكُمْ بِسِحْرِهِمَا، وَيَسْتَوْلِيَا عَلَى النَّاسِ، وَأَنْ تَتَّبِعَهُمَا الْعَامَّةُ، ثُمَّ يُقَاتِلَانِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، وَيَنْتَصِرَانِ عَلَيْهِ وَيُخْرِجَانِيَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ، وَيَسْتَأْثِرَانِ بِالسَّحْرِ، وَهُوَ طَرِيقَةُ عَيْشِكُمْ الْفُضْلَى (الْمَثْلَى)، وَمَوْرِدُ رِزْقِكُمْ، وَمَصْدَرُ جَاهِكُمْ.

بِطَرِيقَتِكُمُ الْمَثْلَى - بِسُنَّتِكُمْ وَشَرِيعَتِكُمُ الْفُضْلَى.

(٦٤) - وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ يُشَدُّ عَزِيمَةً بَعْضٌ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: أَجْمَعُوا كَلِمَتَكُمْ، وَقِفُوا صَفًّا وَاحِدًا، وَأَلْقُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً لِيُبْهَرُوا الْأَبْصَارُ، وَتَقْبَلُوا مُوسَى وَأَخَاهُ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ الْعَلَبَةُ الْيَوْمَ، كَانَتْ لَهُ الرِّيَاسَةُ وَالْعِظْمَةُ.

فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ - فَأَحْكِمُوا سِحْرَكُمْ وَأَعِزُّوهُ عَلَيْهِ.

أَفْلَحَ - فَازَ بِالْمَطْلُوبِ.

٦١ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلْكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى

٦٢ فَتَنَّا زُعُورًا أَمَرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى

٦٣ قَالُوا إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاجِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى

٦٤ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّوَصَفَّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى

(يَا مُوسَى)

(٦٥) - فَقَالَ السَّحَرَةُ لِمُوسَى: إِمَّا أَنْ تَبْدَأَ أَنْتَ بِإِظْهَارِ مَا عِنْدَكَ مِنْ فُتُونِ السَّحْرِ، وَتُلْقِيَهُ أَمَامَ النَّاسِ وَالْمَلِكِ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْبَادِيَيْنِ.

(٦٦) - فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: بَلِّ الْقُوا أَنْتُمْ لِنَرَى مَاذَا تَصْنَعُونَ مِنَ السَّحْرِ، فَالْقُوا مَا لَدَيْهِمْ فَسَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ، وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَأَدْخَلُوا الرُّوعَ إِلَى نَفُوسِهِمْ، وَجَاؤُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ - كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى (١) - وَظَهَرَ لِلنَّاسِ مِنْ قُوَّةِ سِحْرِهِمْ أَنَّ جِبَالَهُمْ وَعِصِيَهُمْ الَّتِي أَلْقَوْهَا، تَسْعَى وَتَسِيرُ بِاخْتِيَارِهَا.

(٦٧) - فَشَعَرَ مُوسَى بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ. وَقَالَ مُفسَّرُونَ إِنَّهُ إِنَّمَا خَافَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَفْتِنَهُمُ السَّحَرَةُ، وَيَغْتَرُوا بِهِمْ، قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَ هُوَ عَصَاهُ، وَيُبْطِلَ عَمَلَ السَّحَرَةِ.

أَوْجَسَ - اسْتَشْعَرَ فِي نَفْسِهِ.

(٦٨) - فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: لَا تَخَفْ شَيْئًا فَأَنْتَ الْغَالِبُ، الْيَوْمَ.

(سَاحِرٍ)

(٦٩) - وَأَلْقَى عَصَاكَ فَإِنَّمَا تَتَحَوَّلُ إِلَى ثُعْبَانٍ ضَخْمٍ يَبْتَلِعُ جَمِيعَ مَا أَلْقَوْهُ مِنَ الْجِبَالِ وَالْعِصِيِّ، وَيُبْطِلُ جَمِيعَ مَا صَنَعُوهُ مِنَ السَّحْرِ، لِأَنَّ مَا صَنَعُوهُ سِحْرٌ وَتَمَرُّبٌ، لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ السَّاحِرِينَ، وَلَا مَا يَصْنَعُونَ.

وَقَدْ تَحَوَّلَتِ الْعَصَا إِلَى ثُعْبَانٍ أَخَذَ يَبْتَلِعُ جَمِيعَ مَا أَلْقَاهُ السَّحَرَةُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْئًا، وَفِرْعَوْنُ وَالسَّحَرَةُ وَالنَّاسُ يَرَوْنَ كُلَّ ذَلِكَ. فَوَقَعَ الْحَقُّ، وَرَهَقَ الْبَاطِلُ.

تَلَقَّفَ - تَبَتَّلَعَ وَتَلْتَقِمَ بِسُرْعَةٍ.

(آمَنًا) (هَارُونَ)

(٧٠) - وَلَمَّا عَايَنَ السَّحَرَةُ ذَلِكَ وَشَاهَدُوهُ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْخَبْرَةِ يَفْتُونُ السَّحْرَ، وَطُرُقَهُ، عَلِمُوا عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ السَّحْرِ وَالْحِيلِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَحِينَئِذٍ وَقَعُوا سَاجِدِينَ لِلَّهِ، وَقَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ.

(١) الآية ١١٦ من سورة الأعراف.

٦٥ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى

٦٦ قَالَ بَلِّ الْقُوا إِذَا جِئْتُمْ وَعِصِيَهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى

٦٧ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى

٦٨ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى

٦٩ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحَرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى

٧٠ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى

(آمَنُتُمْ) (آذَنَ) (خِلَافٍ)

(٧١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كُفْرِ فِرْعَوْنَ وَعِبَادِهِ، وَمُكَابَرَتِهِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، حِينَ رَأَى الْمُعْجِزَةَ الْبَاهِرَةَ، وَرَأَى الَّذِينَ اسْتَنْصَرُوا بِهِمْ قَدْ آمَنُوا بِحُضْرَتِهِ، وَأَمَامَ النَّاسِ جَمِيعاً، وَغَلِبَ عَلَى أَمْرِهِ، فَشَرَعَ فِي الْمُكَابَرَةِ وَالتَّهْدِيدِ، وَتَوَعَّدَ السَّحَرَةَ وَقَالَ لَهُمْ: آمَنُتُمْ بِهِ وَصَدَقْتُمُوهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ بِذَلِكَ، وَهَذَا كَائِنٌ مِنْكُمْ عَنْ اتِّفَاقٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَلَيَّ، فَهُوَ كَبِيرُكُمْ فِي السَّحَرِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَكُمْ إِيَّاهُ، ثُمَّ شَرَعَ فِي بَيَانِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ سَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ، فَإِذَا قَطَعَ الْيَدَ الْيُمْنَى قَطَعَ الرَّجْلَ الْيُسْرَى... وَإِنَّهُ سَيَصْلُبُهُمْ عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ، وَسَيَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً وَمُثَلَّةً.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنِّي وَقَوْمِي عَلَى ضَلَالَةٍ، وَإِنَّكُمْ وَمُوسَى عَلَى حَقٍّ وَهَدًى، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَكُونُ أَشَدَّ عَذَاباً وَأَدْوَمَ زَمَناً، أَنَا أَمْ إِلَهُ مُوسَى؟

(الْبَيِّنَاتِ) (الْحَيَاةِ)

(٧٢) - وَلَمَّا صَالَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ وَتَوَعَّدَهُمْ، هَانَتْ عَلَيْهِمْ نَفُوسُهُمْ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالُوا لَهُ: لَنْ نَخْتَارَكَ عَلَى رَبِّنَا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَخَالِقِنَا وَخَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ عَدَمٍ، فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ وَحْدَهُ الْعِبَادَةِ لَا أَنْتَ، فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئاً إِلَّا فِي هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا، وَهِيَ دَارُ زَائِلَةٍ قَانِيَةٍ، وَنَحْنُ قَدْ رَغَبْنَا فِي دَارِ الْقَرَارِ، الدَّارِ الْآخِرَةِ.

الَّذِي فَطَرَنَا - الَّذِي أَبْدَعَنَا وَأَوْجَدَنَا وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

(آمَنَّا) (خَطَايَانَا)

(٧٣) - إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا مَا كَانَ مِنَّا مِنْ خَطَايَا وَأَثَامٍ، وَلِيَغْفِرَ لَنَا مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْقِيَامِ بِالسَّحَرِ، لِيُعَارِضَ بِهِ آيَاتِ اللَّهِ وَمُعْجَزَاتِهِ، وَاللَّهُ خَيْرُ مِنْكَ ثَوَاباً إِنْ أَطِيعَ، وَأَبْقَى عَذَاباً إِنْ عَصِيَ.

(وَقِيلَ بَلْ مَعْنَاهُ: وَاللَّهُ خَيْرُ مِنْكَ وَأَدْوَمُ ثَوَاباً مِمَّا وَعَدْتَنَا وَمَيِّتَنَّا).

(٧٤) - وَتَابَعَ السَّحَرَةُ وَعَظَّمُوا لِفِرْعَوْنَ وَهُمْ يُحَدِّثُونَهُ مِنْ نَقَمَةِ اللَّهِ، وَعَذَابِهِ الدَّائِمِ، وَيُرْغَبُونَهُ فِي ثَوَابِهِ الْأَبَدِيِّ الْمُخَلَّدِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ مَنْ

٧٦٢ قَالَ آمَنُتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ

إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ

السَّحَرَ فَلَا قِطْعَانَ أَيْدِيَكُمْ

وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلْبَتَكُمْ

فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ آيُنَا

أَشَدَّ عَذَاباً وَأَبْقَى

٧٦٢ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ

الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا

أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

٧٦٢ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا

وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحَرِ

وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى

٧٦٢ إِنَّهُ وَمَنْ يَاتِ رَبَّهُ مِجْرَماً فَقَدْ لَعَنَ

جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى

يَأْتِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ جَزَاءً لَهُ، وَكَانَ مُخَلَّدًا فِيهَا، وَلَا يَمُوتُ فِيهَا مِثَّةَ مَرِيحَةٍ فَيَرْتَاحُ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً مُمْتَعَةً يُسَرُّ بِهَا.

(الصَّالِحَاتِ) (فَأُولَئِكَ) (الدَّرَجَاتِ)

(٧٥) - وَمَنْ جَاءَ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ الْقَلْبِ، قَدْ صَدَّقَ ضَمِيرُهُ، يَقُولُهُ وَعَمِلَهُ الصَّالِحِ جَزَاءُ رَبُّهُ عَلَى عَمَلِهِ بِالْجَنَّةِ، ذَاتِ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ، وَالْغُرَبِ الْأَمْنَاتِ، وَالْمَسَاكِينِ الطَّيِّبَاتِ.

(جَنَّاتُ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ)

(٧٦) - وَهَذِهِ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا، هِيَ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ (عَدْنٍ)، تَنْسَابُ فِيهَا الْأَنْهَارُ، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا مَآكِثِينَ أَبَدًا، وَهَذَا جَزَاءُ مَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الدَّنَسِ وَالْخَبَثِ وَالشُّرْكِ، وَعَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاتَّبَعَ الْمُرْسَلِينَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ.

تَزَكَّى - تَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الشُّرْكِ.

(لَا تَخَافُ)

(٧٧) - وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى، حِينَ أَبَى فِرْعَوْنُ أَنْ يَنْقَادَ إِلَى الْحَقِّ، وَيُرْسِلَ مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يُسْرِىَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيُخْرِجَ بِهِمْ لَيْلًا مِنْ مِصْرَ، بِاتِّجَاهِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ لَمْ يَكُنْ فِي مِصْرَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَغَضِبَ فِرْعَوْنُ غَضَبًا شَدِيدًا، وَأَرْسَلَ يَجْمَعُ الْجُنُودَ، ثُمَّ سَارَ بِجَيْشِهِ يُلاحِقُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَدْرَكَهُمْ عِنْدَ سَاحِلِ الْبَحْرِ، وَقَتَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ، وَنَظَرَ كُلُّ فَرِيقٍ إِلَى الْآخَرِ، قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى: إِنْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ سَيَذَرُوكُنْهُمْ؛ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى لَا. وَحِينَئِذٍ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَضْرَبَهُ، فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرِيقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا عَلَى أَرْضِ الْبَحْرِ فَلَفَحَتْهَا فَأَصْبَحَتْ يَابِسَةً، كَوَجْهِ الْأَرْضِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا). ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ أَجْتَزِ الْبَحْرَ بِمَنْ مَعَكَ مِنْ قَوْمِكَ، وَلَا تَخْشَوْا أَنْ يُدْرِكَكُمْ فِرْعَوْنُ، وَلَا تَخْشَوْا أَنْ يُطَبِّقَ عَلَيْكُمْ الْبَحْرَ فَيَغْرِقَكُمْ (لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى).

أَسْرَ بَعَادِي - سَرَّ بِهِمْ لَيْلًا مِنْ مِصْرَ.

﴿٧٥﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ

الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ
الدَّرَجَاتُ الْعُلَى

﴿٧٦﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى

﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ

أَسْرِ بِعِبَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا
وَلَا تَخْشَى

يَسَاءُ - يَابَسًا لَا مَاءَ فِيهِ وَلَا طِينٌ .

لَا تَخَافُ دَرَكًا - لَا تَخْشَى إِدْرَاكَاً وَلِحَاقًا .

لَا تَخْشَى - الْغَرَقَ مِنَ الْأَمَامِ .

(٧٨) - وَتَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، وَسَارُوا حَيْثُ سَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَيْنَ فِرْقَتِي الْبَحْرِ، فَأُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ، وَغَشِيَهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِأَهْوَالِهِ، فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا .

غَشِيَهُمْ مَا غَشِيَهُمْ - أَحَاطَ بِهِمْ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى إِدْرَاكِ كُنْهِهِ .

(٧٩) - وَهَكَذَا أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ، وَدَفَعَ بِهِمْ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْذَّمَارِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَمْ يَهْدِهِمْ سِوَاءَ السَّبِيلِ .

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) (أُنَجِّنَاكُمْ) (وَوَاعِدْنَاكُمْ)

(٨٠) - يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْجَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ فِرْعَوْنَ، وَأَقَرَّ عُيُوبَهُمْ بِإِهْلَاكِهِ، وَإِهْلَاكِ جُنُودِهِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وَوَاعَدَ مُوسَى لِبَنَاتِهِ إِلَى جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً صَامَهَا، لِيَتَهَيَّأَ لِلِقَاءِ رَبِّهِ، لِيَسْمَعَ مَا سَوَّجِيهِ رَبُّهُ إِلَيْهِ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ أُمُورِ الْعَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ، وَأَرْسَلَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِيَأْكُلُوا مِنْهُمَا فِي صَحْرَاءِ سِينَاءَ .

الْمَنَّاءُ - مَادَّةٌ صَمْغِيَّةٌ حُلْوَةٌ كَالْعَسَلِ .

السَّلْوَى - طَيْرُ السَّمَاءِ - أَوْ طَيْرٌ يُشَبَّهُ طَائِرَ السَّمَاءِ .

(طَيِّبَاتٍ) (رَزَقْنَاكُمْ)

(٨١) - كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ هَذَا الرِّزْقِ الَّذِي رَزَقْنَاكُمْ، وَلَا تَطْعَمُوا فِي رِزْقِي، فَتُخْلَوْا بِشُكْرِهِ، أَوْ تَأْخُذُوهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ، أَوْ تُخَالِفُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ حَلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي، وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ شَقِيَ وَهَلَكَ .

لَا تَطْعَمُوا فِيهِ - لَا تَكْفُرُوا نِعْمَهُ وَلَا تَطْلُمُوا .

فَيَحْلِلْ عَلَيْكُمْ - فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ وَيُلْزِمُكُمْ .

هَوَى - هَلَكَ أَوْ وَقَعَ فِي الْهَوَايَةِ .

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ
مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ

وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَاهَدَى

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أُنَجِّنَاكُمْ مِنْ
عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ
الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ
وَالسَّلْوَى

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحْلِلْ عَلَيْكُمْ
غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي
فَقَدْ هَوَى

(وَأَمِنْ) (صَالِحًا)

(٨٢) - وَكُلُّ مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ، وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالنَّفَاقِ... وَأَمِنْ بِقَلْبِهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا بِجَوَارِحِهِ، وَأَسْتَقَامَ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلَمْ يُشَكَّكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَيَتُوبُ عَلَيْهِ.

(يَا مُوسَى)

(٨٣) - اخْتَارَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا صَحِبَهُمْ مَعَهُ فِي ذَهَابِهِ لِلْمِيقَاتِ الَّتِي حَدَّدَهُ لَهُ رَبُّهُ. وَلَمَّا اقْتَرَبَ مُوسَى مِنَ الْمَكَانِ الْمَحْدَدِ، تَقَدَّمَ مُوسَى مُسْرِعًا، وَخَلَّفَ قَوْمَهُ يَسِيرُونَ عَلَى مَهَلٍ، فَأَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ هَذِهِ الْعَجَلَةَ، فَقَالَ لَهُ: وَمَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى التَّعَجُّلِ وَعَلَى تَقْدِيمِكَ عَلَى قَوْمِكَ؟ مَعَ أَنَّكَ مَأْمُورٌ بِأَنْ تَسْتَصْحِبَهُمْ مَعَكَ إِلَى مِيقَاتِ رَبِّكَ؟.

مَا أَعْجَلَكَ - مَا حَمَلَكَ عَلَى الْعَجَلَةِ.

(٨٤) - فَأَجَابَ مُوسَى رَبَّهُ مُعْتَذِرًا: هُمْ أَتَوْنَ خَلْفِي، وَعَلَى أَثَرِي، وَمَا تَقَدَّمْتُهُمْ إِلَّا بِخُطُواتٍ قَلِيلَةٍ، وَعَجَّلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَزِدَادَ عَنِّي رِضًا، وَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ تَقْدِيمِي عَلَيْهِمْ لَيْسَ فِيهِ مَا يُؤْخَذُ عَلَيَّ.

(٨٥) - فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِأَنَّهُ اخْتَبَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُمْ مُوسَى، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى مِيقَاتِ رَبِّهِ. فَقَدْ دَعَاهُمْ رَجُلٌ سَامِرِيٌّ، خَرَجَ مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ، (وَكَانَ مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ)، إِلَى عِبَادَةِ الْعِجَلِ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ، وَصَنَعَ لَهُمْ عِجَلًا مِنَ الْحُلِيِّ الَّتِي أَخْرَجُوهَا مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَتِ الرِّيحُ فِي جُوفِ الْعِجَلِ حَدَثَ صَوْتٌ يُشَبِّهُ الْخَوَارَ، فَافْتَنَّ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَصَارُوا يَسْجُدُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى.

فَتَنَّا قَوْمَكَ - آتَلَيْنَاهُمْ أَوْ أَوْقَعْنَاهُمْ فِي الْفِتْنَةِ.

(غَضَبَانِ) (يَا قَوْمَ)

(٨٦) - وَبَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى، بِمَا أَحْدَثَهُ قَوْمُهُ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُمْ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى مِيقَاتِ رَبِّهِ، غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَعَادَ إِلَى قَوْمِهِ، وَهُوَ مَنِظٌ مُحَقِّقٌ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمَ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ عَلَى لِسَانِي بِكُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا، وَبِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ شَاهَدْتُمْ نَصْرَهُ بِأَيْدِيكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ، وَإِظْهَارَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَطْلُ الْعَهْدُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَنْسُوا وَعَدَ اللَّهِ

وَأَنَا لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى



وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى

قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُونَ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ

لَكُمْ، بَلْ أَرَدْتُمْ يَسْوءَ صَنِيعِكُمْ هَذَا أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبُ مِنْ رَبِّكُمْ،
فَأَخْلَقْتُمْ مَا عَاهَدْتُمْونِي عَلَيْهِ مِنَ الثَّباتِ عَلَى الْإِيمَانِ.
أَسِفاً - حَزِيناً أَوْ شَدِيدَ الْغَضَبِ.
مَوْعِدِي - وَعَدْتُكُمْ لِي بِالثَّباتِ عَلَى دِينِي.

فَقَدَفْنَاهَا

(٨٧) - فَرَدَّ بنو إِسْرَائِيلَ عَلَى قَوْلِ مُوسَى هَذَا: إِنَّهُمْ لَمْ يُخْلِقُوا
مَوْعِدَهُ بِطُوعِهِمْ وَأَخْتِيَارِهِمْ (بِمَلِكِنَا)، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ حُلِيّاً
أَسْتَعَارُوهَا مِنَ الْفِطْرِ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ، وَخَرَجُوا بِهَا
وَهُمْ هَارِبُونَ، وَهُمْ يَتَوَرَّعُونَ عَنِ الْاِحْتِفَاطِ بِهَا، وَعَنِ الْاِسْتِفَادَةِ مِنْهَا،
فَالْقُوها فِي حُفْرَةٍ (فَقَدَفْنَاهَا) وَأَضْرَمُوا النَّارَ فِيهَا، وَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ
مَا مَعَهُ مِنْ حُلِيِّ، وَصَنَعَ لَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْحُلِيِّ، بَعْدَ إِذْ أَبَيْتْهَا فِي النَّارِ،
تَمْثِلاً عَلَى هَيْئَةِ عِجَلٍ.

مَلِكِنَا - مَقْدِرَتَنَا وَطَاقَتَنَا.

أَوْزَاراً - أَثْقَالاً وَأَنَاماً.

مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ - مِنْ حُلِيِّ الْفِطْرِ.

(٨٨) - وَقَدْ صَنَعَ السَّامِرِيُّ لَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْحُلِيِّ تَمْثِلاً عَلَى هَيْئَةِ عِجَلٍ
مُجَسِّدٍ، وَكَانَ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ، وَدَخَلَتْ فِي جَوْفِهِ أَحْدَثَتْ صَوْتاً يُشَبِّهُ
خَوَارَ الْعِجَلِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، فَكَانَ الضَّالُّونَ يَسْجُدُونَ لَهُ إِذَا
خَارَ، وَيَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ إِذَا خَارَ. وَأَحَبَّهُ الضَّالُّونَ وَأَفْتَتُوا بِهِ، وَكَانُوا
يَقُولُونَ إِنَّ هَذَا الْعِجَلُ هُوَ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى، وَقَدْ نَسِيَ مُوسَى قَبْلَ
ذَهَابِهِ إِلَى مَوْعِدِهِ مَعَ رَبِّهِ أَنْ يَذْكُرَ لَكُمْ أَنَّ هَذَا الْعِجَلُ هُوَ إِلَهُهُ (وَقَالَ
مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: إِنَّ مُوسَى ذَهَبَ يَطْلُبُ رَبَّهُ فَوْقَ
الْجَبَلِ، وَنَسِيَ أَنَّ رَبَّهُ حَاضِرٌ هُنَا).

عِجْلاً جَسَداً - مُجَسِّداً أَيْ أَحْمَرَ مِنْ ذَهَبٍ.

لَهُ خَوَارٌ - لَهُ صَوْتٌ كَصَوْتِ الْبَقَرِ.

(٨٩) - وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ، مُقَرَّعاً إِيَّاهُمْ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ
مِنْ عِبَادَةِ الْعِجَلِ، وَالْقَوْلُ: إِنَّهُ إِلَهُهُمْ: أَلَا يَرَى هَؤُلَاءِ أَنَّ هَذَا الْعِجَلُ لَا

فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي

٨٧ قَالَوَمَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا

وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ
الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى
السَّامِرِيُّ

٨٨ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ

خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
وَالَهُ مُوسَى فَلَنَسِيَ

٨٩ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا

وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا

يُجِيبُهُمْ إِذَا سَأَلُوهُ، وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ إِذَا خَاطَبُوهُ، وَأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا فِي دُنْيَاهُمْ وَلَا فِي آخِرَتِهِمْ؟

(هَارُونُ) (يَا قَوْمُ)

(٩٠) - وَقَدْ نَهَاَهُمْ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ مُوسَى، عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْعِجْلَ فِتْنَةٌ وَاخْتِبَارٌ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ هُوَ رَبُّهُمْ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَدَّرَهُ. ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى إِطَاعَةِ أَمْرِهِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ.

(عَاكِفِينَ)

(٩١) - فَرَدُّوا عَلَيْهِ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ لَنْ يَتْرَكُوا عِبَادَةَ الْعِجْلِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِمْ مُوسَى، وَيَسْمَعُوا قَوْلَهُ فِي أَمْرِ الْعِجْلِ، وَخَافُوا هَارُونَ فِي ذَلِكَ وَحَارَبُوهُ وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ.

(يَا هَارُونُ)

(٩٢) - وَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَانَ أَسِفًا، وَالْقَى مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ مِنَ الْأَلْوَابِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ رَبُّهُ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَكْفَهُمْ عَنْ هَذِهِ الضَّلَالَةِ، جِنْسًا رَأَيْتَهُمْ وَقَعُوا فِيهَا؟

مَا مَنَعَكَ - مَا حَمَلَكَ.

(٩٣) - وَمَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَلْحَقَ بِي فَتُخْبِرَنِي بِمَا تَمَّ؟ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي فِيمَا قَدَّمْتُ إِلَيْكَ: أَنْ «أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ؟» (١)

(يَا ابْنَ أُمَّ) (إِسْرَائِيلَ)

(٩٤) - فَقَالَ هَارُونُ مُعْتَذِرًا وَمُتَرَفِّقًا: يَا أَخِي، وَيَا ابْنَ أُمِّي لَا تَعَايِلْنِي بِغَضَبِكَ، وَلَا تُمَسِّكْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي، إِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَتَيْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِهَذَا أَنْ تَقُولَ: لِمَ تَرَكْتَهُمْ وَحَدَّاهُمْ، كَمَا خَشِيتُ إِنْ شَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَتَفَرَّقُوا شَيْعًا، أَنْ تَقُولَ لِي لِمَ فَرَّقْتَ بَيْنَ الْقَوْمِ، وَلَمْ تَتَّقِدْ بِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ حِينَ اسْتَخْلَفْتُكَ عَلَيْهِمْ؟

(يَا سَامِرِيُّ)

(٩٥) - فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْسَامِرِيِّ: وَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ

يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ

حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى

قَالَ يَهْدُورُونَ مَانَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ

ضُلُّوا

أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي

قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي

وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ

صُنْعَ مَا صَنَعْتَ؟ وَمَا الَّذِي عَرَضَ لَكَ حَتَّى فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ؟
مَا خَطْبُكَ - مَا شَأْنُكَ الْخَطِيرُ.

(٩٦) - قَالَ آتَيْنُ عَبَّاسَ: إِنَّ السَّامِرِيَّ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَاجِرَ وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ، وَكَانَ حُبُّ الْبَقَرِ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ لِمُوسَى: إِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ جَاءَ لِهَلَاكِ فِرْعَوْنَ، فَقَبِضَ بِكَفِّهِ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ مِنْ تَحْتِ حَافِرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ، ثُمَّ أَلْقَى مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ تُرَابٍ فَوْقَ الْحُلِيِّ الَّتِي أَضْرَمْتَ فِيهَا النَّارَ مِنْ قِبَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ قَذَفُوهَا فِي الْحُفْرَةِ، ثُمَّ دَعَا أَنْ يَكُونَ عِجْلًا فَكَانَ. وَهَكَذَا حَسَنْتَ لَهُ نَفْسُهُ هَذَا الْعَمَلِ (وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي).

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّ السَّامِرِيَّ قَالَ لِمُوسَى: إِنَّهُ كَانَ آمِنَ بِهِ رَسُولًا، وَأَقْتَفَى أَثَرَهُ، وَتَبَعَ دِينَهُ، ثُمَّ اسْتَبَانَ أَنَّ ذَلِكَ ضَلَالٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِحَقٍّ، فَطَرَحَهُ وَرَاءَهُ ظَهْرِيًّا، وَسَارَ عَلَى النَّهْجِ الَّذِي رَأَى، وَلَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى فِعْلٍ مَا فَعَلَ إِلَّا هَوَى النَّفْسِ).
بَصُرْتُ - عَلِمْتُ بِالْبَصِيرَةِ.

فَنَبَذْتُهَا - قَالَقَيْتُهَا فِي الْحُلِيِّ الذَّاكِبِ.
سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي - زَيَّنْتُ وَحَسَّنْتُ.

(الْحَيَاة)

(٩٧) - فَقَالَ مُوسَى لِلْسَّامِرِيِّ: أَذْهَبَ فَأَنْتَ طَرِيدٌ شَرِيدٌ، وَسَتَكُونُ عُقُوبَتُكَ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَتَجَنَّبَكَ النَّاسُ، وَأَنْ تَتَجَنَّبَهُمْ، وَسَتَقُولُ لِمَنْ يَقْتَرِبُ مِنْكَ: لَا مَسَاسَ - أَيُّ لَا يَمْسُكَ أَحَدٌ، وَلَا تَمْسُ أَحَدًا - وَسَيَكُونُ لَكَ عِقَابٌ آخَرٌ فِي الْآخِرَةِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ الَّذِي هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ، وَهَذَا الْمَوْعِدُ سَيُنْجِزُهُ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ، وَهُوَ آتٍ لَا مَنَآئَ عَنْهُ وَلَا مَجِيدَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْظِرْ إِلَى هَذَا الْعِجْلِ الَّذِي اتَّخَذْتَهُ إِلَهًا وَأَقَمْتَ عَاكِفًا عَلَى عِبَادَتِهِ، لَنَحْرِقَهُ فِي النَّارِ، وَلَنُلْقِيَنَّ رَمَادَهُ فِي الْبَحْرِ وَنَلْدُرُونَهُ ذُرُوءًا فِيهِ (لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا).

لَا مَسَاسَ - لَا تَمْسُنِي وَلَا أَمْسُكَ.
لَنَنْسِفَنَّهُ - لَنَلْدُرُونَهُ.

(٩٨) - وَبَعْدَ أَنْ أَحْرَقَ مُوسَى الْعِجْلَ، وَدَرَّاهُ فِي الْبَحْرِ، قَالَ لِبَنِي

٩٦ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ
فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ
الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا
وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي

٩٧ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّكَ لَكَ فِي
الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ
وَإِنَّكَ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَأَنْظِرْ
إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ
فِي الْيَمِّ نَسْفًا

٩٨ اِكْمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا

إِسْرَائِيلَ: إِنَّ هَذَا الْعَجَلُ لَيْسَ إِلَهُكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ إِلَهُكُمْ وَهُوَ
الَّذِي لَا تَتَّبِعِي الْعِبَادَةَ إِلَّا لَهُ، فَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ،
وَمُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، فَلَا يَغْزُبُ عَنْ
عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

(آيَاتُكَ)

(٩٩) - وَكَمَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرَ مُوسَى، وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ
فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ عَلَى الْجَلِيلَةِ، وَالْأَمْرَ الْوَاقِعَ، كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَخْبَارَ
الْأَمَمِ الْخَالِيَةِ، كَمَا وَقَعَتْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ وَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (الذِّكْرَ) الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ، فَهُوَ جَامِعٌ لِلْأَخْبَارِ، حَاطٍ لِلْأَحْكَامِ، فِيهِ صَلَاحُ الْبَشَرِ، فِي دِينِهِمْ
وَدُنْيَاهُمْ.

(الْقِيَامَةِ)

(١٠٠) - مَنْ كَذَبَ بِهِ وَأَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِهِ، وَاتَّبَعَى الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ،
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُضِلُّهُ، وَيَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يُحْمَلُ حِمْلًا ثَقِيلًا
(وَزْرًا)، مِنَ الْكُفْرِ، وَظُلْمِ النَّفْسِ، وَالذُّنُوبِ، فَيَهْوِي فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ.

وَزْرًا - عِقُوبَةً ثَقِيلَةً عَلَى إِعْرَاضِهِ.

(خَالِدِينَ) (الْقِيَامَةِ)

(١٠١) - وَمَنْ ضَلَّ عَنْهُ شَقِيٌّ فِي الدُّنْيَا، وَكَانَتْ النَّارُ مَوْعِدَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، وَيَبْقَى خَالِدًا فِيهَا وَبِئْسَ الْحِمْلُ الَّذِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ
يَحْمِلُهُ، وَيَقُودُهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ.

(يَوْمَئِذٍ)

(١٠٢) - حِينَ يَحِينُ قِيَامُ السَّاعَةِ، يَقُومُ الْمَلَكُ الْمَكْلُوفُ بِالنَّفْخِ فِي
الصُّورِ، بِالنَّفْخِ فِيهِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ
مَرَّةً أُخْرَى، فَيُخْشَرُ اللَّهُ النَّاسَ جَمِيعًا، وَيَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ سِرَاعًا
يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ، وَيَكُونُ الْمُجْرِمُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ زُرْقَ الْوُجُوهِ، مِنْ
شِدَّةِ مَا يَرَوْنَهُ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ.

(وَقِيلَ بَلْ يُخْشَرُونَ زُرْقَ الْعُيُونِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ).

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ

مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا
ذِكْرًا

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ وِزْرًا

خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ حِمْلًا

يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنُخْشِرُ

الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا

وَالصُّورُ - قَرْنَ يُنْفَخُ فِيهِ فَيُحْدِثُ صَوْتًا.
وَالنَّفْخَةُ الْأُولَى فِي الصُّورِ - إِذَا نَ بِإِهْلَاكِ الْخَلَائِقِ جَمِيعًا إِلَّا مَنْ شَاءَ
اللَّهُ.

- وَالنَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ إِذَا نَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.
زُرْقًا - زُرْقَ الْعُيُونِ أَوْ زُرْقَ الْوُجُوهِ مِنَ الْهَوْلِ، أَوْ عُمِيًّا.

(يَتَخَفَتُونَ)

(١٠٣) - وَيَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، بِصَوْتٍ خَافِتٍ، وَيَهْمِسُ بَعْضُهُمْ فِي
أُذُنِ بَعْضٍ لِمَا دَاخَلَهُمْ مِنَ الْهَلَعِ وَالرُّعْبِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:
إِنَّكُمْ لَمْ تَلْبَثُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا مَدَّةً قَصِيرَةً، عَشْرَةَ أَيَّامٍ أَوْ نَحْوَهَا.
يَتَخَفَتُونَ - يَتَسَارُونَ وَيَتَهَامِسُونَ.

(١٠٤) - وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَوْلَ مَدَّةٍ
لَبِثُهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَالْعَاقِلُ الْكَامِلُ بَيْنَهُمْ (أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً) يَقُولُ: إِنَّكُمْ لَمْ
تَلْبَثُوا إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا - وَذَلِكَ لِقَصْرِ مَدَّةِ الدُّنْيَا فِي أَنْفُسِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -
وَعَايَتُهُمْ مِنَ التَّنْذُرِ بِهَذَا الْقَوْلِ هِيَ ذُرَّةُ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ الدُّنْيَا
كَانَتْ مَدَّتَهَا قَصِيرَةً فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَقْتُ لِلتَّفْكِيرِ فِي أَمْرِهِمْ، وَالْإِيمَانِ
بِرَبِّهِمْ.

أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً - أَعَدَّلُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا.

(وَيَسْأَلُونَكَ)

(١٠٥) - وَسَأَلَتْ قُرَيْشُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ مَصِيرِ الْجِبَالِ، وَكَيْفَ يُفْعَلُ بِهَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ
سَيَنْسِفُهَا نَسْفًا وَيَذْكُرُهَا ذِكْرًا، فَلَا يَبْقَى لَهَا أَثَرٌ.
يَنْسِفُهَا - يَقْتُلُهَا أَوْ يَفْتَتِيهَا وَيُفَرِّقُهَا بِالرِّيَّاحِ.

(١٠٦) - فَيَذَرُهَا بَسَاطًا وَاحِدًا مُسْتَوِيًّا.

الْقَاعُ - الْمُسْتَوِيُّ مِنَ الْأَرْضِ.

الْصَّفْصَفُ - تَغْيِيرٌ عَنْ اسْتِوَاءِ الْأَرْضِ، أَوْ هُوَ الْأَرْضُ الَّتِي لَا تَبَاتُ
فِيهَا.

(١٠٧) - وَلَا تَرَى فِي الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ وَايَةً وَلَا رَايَةً وَلَا أَنْجَاءً وَلَا
أَعْوَجَاجًا.

يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ
إِلَّا عَشْرًا

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ
يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا

لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا

(يَوْمِئِذٍ)

يَوْمِئِذٍ يَدْعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا

(١٠٨) - وَيَوْمَ يَرَوْنَ كُلُّ ذَلِكَ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ مُسَارِعِينَ إِلَيْهِ حَيْثُمَا أَمَرَهُمْ، وَلَا يَمِيلُونَ عَنْهُ، وَتَسْكُنُ الْأَصْوَاتُ خُشوعاً لِلَّهِ، فَلَا تَسْمَعُ لِهَذِهِ الْخَلَائِقِ صَوْتٌ مُرْتَفِعٌ، وَلَا تَسْمَعُ غَيْرَ وَطءٍ أَقْدَامِهِمْ وَهُمْ مُسْرِعُونَ وَرَاءَ الدَّاعِيَ إِلَى الْمَحْشَرِ، وَتَتَكَلَّمُونَ هَمْساً فِي إِسْرَارٍ وَصَوْتٍ خَفِيٍّ. لَا عِوَجَ لَهُ - لَا يَعْوجُّ لَهُ مَدْعُوٌّ، وَلَا يَزِيغُ عَنْهُ. هَمْساً - صَوْتاً خَفِيّاً خَافِئاً.

(يَوْمِئِذٍ) (الشَّفَاعَةُ)

يَوْمِئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا

(١٠٩) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا إِذَا أَذِنَ اللَّهُ لِلشَّافِعِ بِأَنْ يَشْفَعَ، وَرَضِيَ قَوْلَهُ.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً

(١١٠) - وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِيطُ عِلْماً بِالْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ، وَيَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِي الْعِبَادِ مِنْ شُؤْنِ الدُّنْيَا، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ شُؤْنِ الْآخِرَةِ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً مِنْ تَدْبِيرِهِ وَحُكْمَتِهِ.

وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً



(١١١) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَبْدُلُ الْوُجُوهُ لِلَّهِ، وَتَخْضَعُ الْخَلَائِقُ لِجَبَّارِهَا، وَتَسْتَسْلِمُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ، الَّذِي لَا يَمُوتُ، الْقَيِّمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، يُدَبِّرُهُ وَيَحْفَظُهُ، وَهُوَ الْكَامِلُ فِي نَفْسِهِ، الَّذِي يَفْتَقِرُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ شَيْءٌ إِلَّا بِهِ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ.

وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَدْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَلَا يُجَاوِزُهُ ظُلْمُ ظَالِمٍ، وَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَحُرِمَ الثَّوَابُ مَنْ جَاءَ رَبَّهُ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُوَ مُشْرِكٌ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، يَحْمِلُ أَوْزَارَهُ.

عَنَتِ الْوُجُوهُ - ذَلَّتْ وَخَضَعَتْ.

الْحَيُّ الْقَيُّومُ - الدَّائِمُ الْقِيَامُ بِتَدْبِيرِ أُمُورِ الْخَلْقِ.

حَمَلَ ظُلْماً - حَمَلَ شِرْكَاً أَوْ كُفْراً.

(الصَّالِحَاتِ)

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً

(١١٢) - أَمَّا الَّذِي آمَنَ بِاللَّهِ، وَبِكُتْبِهِ، وَرُسُلِهِ جَمِيعاً، وَعَمِلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، عَلَى قَدَرِ طَاقَتِهِ، فَلَا يَخَافُ مِنْ أَنْ يَحْمِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَنْبَ غَيْرِهِ، وَلَا يَخَافُ مِنْ أَنْ يَنْقُصَهُ شَيْئاً مِنْ حَسَنَاتِهِ.

الظُّلُمُ - حَمَلَ ذَنْبٍ عَلَى أَمْرٍ، وَهُوَ لَمْ يَرْتَبِهُ.
الهَضْمُ - النَّقْصُ وَغَمَطُ الْمَرْءِ شَيْئًا مِنْ حَقِّهِ.

(أَنْزَلْنَاهُ) (قُرْآنًا)

(١١٣) - وَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ وَاقِعًا لَا مَحَالَةَ، لَذَلِكَ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ لِيَفْهَمَهُ قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدٌ، وَيَذْكُرُوا مَعَانِيَهُ وَمَرَامِيَهُ، وَلِيَكُونَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَنَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ. وَقَدْ نَوَّعْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ صُورِ الْوَعِيدِ وَمَوَاقِفِهِ وَمَشَاهِدِهِ. لَعَلَّهُ يُبَيِّرُ فِي نَفْسِهِ الْمُكَذِّبِينَ شُعُورَ التَّقْوَى، أَوْ يُذَكِّرُهُمْ بِمَا سَيَلْقَوْنَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ سُوءِ الْمَالِ وَالْمُنْقَلَبِ فَيَزِدُّوهُ عَنْ غِيهِمْ، وَيَقْلِعُوا عَنْ ضَلَالِهِمْ.
صَرَّفْنَا - كَرَّرْنَا الْقَوْلَ بِأَسَالِيِبٍ مُخْتَلِفَةٍ.

ذَكَرْنَا - عِظَّةً وَاعْتِبَارًا.

(فَتَعَالَى) (بِالْقُرْآنِ)

(١١٤) - تَنَزَّهَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ، وَتَقَدَّسَ سُبْحَانَهُ، فَوَعْدُهُ حَقٌّ، وَوَعِيدُهُ حَقٌّ. وَمِنْ عَذْلِهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا قَبْلَ الْإِنْذَارِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ، لِكَيْلَا يَبْقَى لِأَحَدٍ حُجَّةٌ وَلَا شُبْهَةٌ.

وَكَانَ الرُّسُولُ ﷺ - كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - يُعَانِي مِنَ الْوَحْيِ شِدَّةً، فَكَانَ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِهِ، وَيُكْرِّرُ مَا تَلَاهَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ شِدَّةٍ جَرَّصَهُ عَلَى حِفْظِ مَا يُوحِي إِلَيْهِ، فَأَرْشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَا هُوَ أَسْهَلُ وَأَخَفُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: فَإِذَا قَرَأَ عَلَيْكَ الْمَلَكُ الْقُرْآنَ فَأَنْصِتْ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ فَأَقْرَأْهُ بَعْدَهُ، وَقُلْ: رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا.

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ). (أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ).

قَبْلَ أَنْ يُقْضَى - قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ وَيَتِمَّ.

(آدَمَ)

(١١٥) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا لِأَنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْهِ فَنَسِيَ، فَقَدْ نَسِيَ آدَمُ مَا عَهْدَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ وَضَعَفَ أَمَامَ الْإِغْرَاءِ بِالْخُلُودِ، فَاسْتَمَعَ لَوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ عَزِيمَةٌ ثَابِتَةً. وَكَانَ هَذَا آيَةً لِبَلَاءِ

﴿١١٣﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا

﴿١١٤﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا

تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُفْصَلَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ
رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

﴿١١٥﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ

فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا

مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، قَبْلَ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيْهِ بِخِلَافَةِ الْأَرْضِ . وَهَذَا يُذَكِّرُ اللَّهَ
تَعَالَى بَنِي آدَمَ بِعَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لِأَيُّهُمْ آدَمَ لِيَحْذَرُوا وَيَتَّعِظُوا .
عَهْدَنَا - أَمَرْنَا وَأَوْحَيْنَا .

(لِلْمَلَائِكَةِ)

(١١٦) - وَأَذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ مَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ الْجَنِّ مِنَّا وَمِنْ آدَمَ حَتَّى
يَسْتَبِينَ لَكَ كَيْفَ نَسِي وَفَقَدَ الْعَزِيمَةَ، وَضَعَفَ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِإِخْرَاجِهِ
مِنَ الْجَنَّةِ .

لَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِأَنْ يَسْجُدُوا لَهُ،
فَسَجَدُوا جَمِيعُهُمْ إِلَّا إِبْلِيسَ فَإِنَّهُ أَمْتَنَعَ وَاسْتَكْبَرَ (أَبَى) .

(يَا آدَمَ)

(١١٧) - فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لآدَمَ، مُحْذِرًا مِنْ عَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَهُ، وَلِزَوْجِهِ
حَوَاءَ: يَا آدَمَ إِنَّ إِبْلِيسَ عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ، وَهُوَ يُحَاوِلُ إِيْذَاءَكُمَا
وَإِخْرَاجَكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَإِنَّكَ أَنْ يَصْدُرَ عَنْكَ مَا يَسْتَوْجِبُ إِخْرَاجَكَ مِنْهَا
فَتَشْقَى فِي طَلَبِ رِزْقِكَ وَتَتَعَبَ وَتَنْصَبَ، وَأَنْتَ هُنَا فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ،
وَرِزْقٍ وَفِيرٍ بِلَا كُلْفَةٍ وَلَا مَشَقَّةٍ .

(١١٨) - فَإِنَّكَ هُنَا فِي عَيْشٍ بِلَا كُلْفَةٍ، وَلَا مَشَقَّةٍ، وَقَدْ ضَمِنَّا لَكَ الْأَ
تَجُوعَ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ، وَلَا تَعْرَى، فَلَا تَشْعُرُ بِذُلِّ الْجُوعِ وَلَا بِذُلِّ
الْعُرْيِ مِنَ الثِّيَابِ .

(تَظْمَأُ)

(١١٩) - وَلَا تَعْطَشُ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا تَشْعُرُ بِحَرِّ الشَّمْسِ وَأَنْتَ تَكْدَحُ فِي
سَبِيلِ الْعَيْشِ خَارِجَ الْجَنَّةِ .
لَا تَضْحَى - لَا تَبْرُزُ لِلشَّمْسِ فَيُصِيبُكَ حَرُّهَا .

(الشَّيْطَانُ) (يَا آدَمَ)

(١٢٠) - فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ نَاصِحٍ مُشْفِقٍ، وَحَاوَلَ إِغْرَاءَهُ
وَإِضْلَالَهُ لِيُخَالِفَ مَا عَهِدَ إِلَيْهِ رَبُّهُ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ الشَّجَرَةَ الَّتِي نَهَاكَمُ اللَّهُ
عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا هِيَ شَجَرَةُ الْخُلُودِ، مَنْ أَكَلَ مِنْهَا أَصْبَحَ مِنَ الْخَالِدِينَ،
وَأَصْبَحَ ذَا سُلْطَانٍ، وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى وَلَا يَنْتَهِي . فَضَعُفَ آدَمَ وَزَوَّجَهُ تَجَاهَ

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ

وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنْ
الْجَنَّةِ فَتَشْقَى

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى

وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى

فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ

قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ
الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى

هَذَا الْإِغْرَاءُ بِالْمُلْكِ، وَالْعُمَرُ الْمَدِيدُ، وَنَسِيًا مَا عَاهَدَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمَا، فَأَكَلَا مِنْ الشَّجَرَةِ.

لَا يَتْلَى - لَا يَزُولُ وَلَا يَفْنَى .

(سَوْءَاتُهُمَا) (آدَمُ)

(١٢١) - فَأَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ، وَبَدَتْ لَهُمَا عُورَاتُهُمَا (سَوْءَاتُهُمَا)، وَكَانَتْ مَشُورَةً عَنْهُمَا، فَأَخَذَا يَسْتُرَانِهَا بِوَرَقِ الشَّجَرِ، يَشْكَايَهُ لِيَسْتَسْرَا مَوَاضِعَ الْعِفَّةِ مِنْهُمَا، وَبِذَلِكَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَضَلَّ وَغَوَى .

سَوْءَاتُهُمَا - عُورَاتُهُمَا .

طَفِقَا يَخْصِفَانِ - أَخَذَا يُلْصِقَانِ .

عَصَى آدَمُ - خَالَفَ النَّهْيَ سَهْوًا أَوْ بِنَاقِيلٍ .

(اجْتَنَاهُ)

(١٢٢) - ثُمَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَابَ عَلَيْهِ، وَهَدَاهُ وَأَصْطَفَاهُ وَاجْتَنَاهُ بَعْدَ أَنْ أَلْهَمَهُ اللَّهُ عِبَارَاتٍ اسْتِغْفَارٍ، وَاعْتِدَارٍ قَالَهَا فَعَفَا اللَّهُ عَنْهُ، وَغَفَرَ لَهُ .

اجْتَنَاهُ - أَصْطَفَاهُ لِلنُّبُوَّةِ وَقَرَّبَهُ .

(١٢٣) - فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ وَرَوْجَهُ وَإِبْلِيسَ بِأَنْ يَهْبِطُوا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ . وَقَالَ لَهُمْ: سَتَكُونُ هُنَاكَ عِدَاوَةٌ بَيْنَ ذُرِّيَةِ آدَمَ، وَذُرِّيَةِ إِبْلِيسَ، فَإِذَا جَاءَكُمْ هُدًى مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولٍ وَأَنْبِيَاءِهِ، فَمَنْ تَبِعَ هُدَى اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ .

(الْقِيَامَةِ)

(١٢٤) - وَمَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَكَفَرَ بِمَا أُنْزِلْتُ عَلَى رَسُولِي، وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي وَتَنَاسَاهُ فَسَتَكُونُ مَعِيشَتُهُ فِي الدُّنْيَا ضَنْكًا لَا طُمَآنِينَةَ لَهُ فِيهَا، وَلَا يَنْشُرُ فِيهَا صَدْرُهُ، بَلْ يَبْقَى صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا، بِسَبَبِ ضَلَالِهِ . وَمَا لَمْ يَخْلُصِ الْهُدَى وَالْيَقِينَ إِلَى قَلْبِهِ، فَإِنَّهُ سَيَقِفُ فِي قَلْبِي وَحَيْرَةٍ وَمَلَكٍ، وَيَخْشَرُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى الْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةِ، قَدْ عَمِيَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا جَهَنَّمَ، لِأَنَّ الْجَهَالََةَ الَّتِي كَانَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا تَبْقَى مُلَازِمَةً لَهُ فِي الْآخِرَةِ .

مَعِيشَةٌ ضَنْكًا - ضَيْقَةٌ شَدِيدَةٌ .

﴿١٢١﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا

سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ

عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى

آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى

﴿١٢٢﴾ ثُمَّ اجْتَنَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى

﴿١٢٣﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا

يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ

اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى

﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ

لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ أَعْمَى

(١٢٥) - فَيَسْأَلُ رَبُّهُ قَائِلًا: لَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَلِمَ آذَا حَشَرْتَنِي أَعْمَى فِي الْآخِرَةِ؟
(آيَاتُنَا)

(١٢٦) - فَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْمُسَائِلِ مُبَيِّنًا: لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رُسُلًا بِآيَاتِنَا فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا، وَتَنَاسَيْتَهَا، فَكَذَلِكَ نُعَامِلُكَ الْيَوْمَ مُعَامَلَةَ الْمَنَسِيِّ، فَتَتْرَكَ فِي النَّارِ.

(بِآيَاتِ) (الْآخِرَةِ)

(١٢٧) - وَهَكَذَا نُجَازِي الْمُسْرِفِينَ الْمُتَجَاوِزِينَ لِلْحُدُودِ، الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ، فَنَذِيقُهُمْ عَذَابَنَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ أَلَمًا مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، وَهُوَ دَائِمٌ أَبَدًا سَرْمَدًا.

(مَسَاكِينُهُمْ) (لَايَاتِ)

(١٢٨) - مَا لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ لَا يَهْتَدُونَ، وَلَا يَتَّعِظُونَ، مَعَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ الرُّسُلَ قَبْلَهُمْ، فَبَادُوا وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ، وَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ، كَمَا يُشَاهِدُونَ ذَلِكَ مِنْ دِيَارِهِمُ الْخَالِيَةِ، الَّتِي خَلَفُوهُمْ فِيهَا، وَهُمْ الْآنَ يَمْشُونَ فِيهَا أَقْلَمَ يُرْشِدُهُمْ (يَهْدِي لَهُمْ) مَا فَعَلْنَاهُ بِالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْإِهْلَاكِ وَالْإِبَادَةِ، وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى الْاِغْتِيَارِ وَالْاِتِّعَاضِ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ بَرَاهِينَ وَحُجَجًا وَدَلَالَاتٍ لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ الْمُدْرِكَةِ؟

أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ - أَلَمْ يُرْشِدْهُمْ، وَيُوضِّحْ لَهُمْ.

كَمْ أَهْلَكْنَا - كَثِيرًا مَا أَهْلَكْنَا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.

(١٢٩) - وَلَوْ لَا الْكَلِمَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الْمُسَمَّى الَّذِي أَمْهَلَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ لِحُلُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً، وَحَلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِالْقُرُونِ الْأُولَى.

لِزِمَا - لِأَزِمَا لَهُمْ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُمْ.

أَجَلٌ مُسَمًّى - يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

(آثَاءِ) (اللَّيْلِ)

(١٣٠) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ فَيَقُولُ لَهُ: أَصْبِرْ عَلَى تَكْذِيبِ

(١٢٥) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا

(١٢٦) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى

(١٢٧) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى

(١٢٨) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي النُّهَى

(١٢٩) وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَا وَاجِلٌ مَعْمَى

(١٣٠) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ

هُؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ (قَبْلَ غُرُوبِهَا)، وَفِي فِتْرَاتِ اللَّيْلِ، فَالتَّسْبِيحُ اتِّصَالُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالنَّفْسُ الَّتِي تَتَّصِلُ بِاللَّهِ تَطْمَئِنُّ وَتَرْضَى. فَالرِّضَا ثَمَرَةُ التَّسْبِيحِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ وَحْدَهُ جَزَاءُ حَاضِرٍ يَنْبَغُ مِنْ دَاخِلِ النَّفْسِ.

آنَاءَ اللَّيْلِ - سَاعَاتِ اللَّيْلِ.

(أَزْوَاجًا) (الْحَيَاةِ)

(١٣١) - وَلَا تَطْلُ النَّظَرَ اسْتِحْسَانًا وَرَغْبَةً فِيمَا مُتَّعَ بِهِ هُؤُلَاءِ الْمُتْرَفُونَ مِنَ النَّعِيمِ، فَإِنَّمَا هُوَ زَهْرَةٌ زَائِلَةٌ، وَنِعْمَةٌ حَائِلَةٌ، يَخْتَبِرُهُمُ اللَّهُ بِهَا، وَلِيَعْلَمَ هَلْ يُؤَدُّونَ شُكْرَهَا أَوْ لَا، فَإِذَا لَمْ يُؤَدُّوا شُكْرَهَا كَانَتْ وَيَالًا عَلَيْهِمْ. وَقَدْ آتَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا آتَاهُمْ، فَرِضَاهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

أَزْوَاجًا مِنْهُمْ - أَصْنَافًا مِنَ الْكُفَّارِ.

زَهْرَةٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - زِينَتُهَا وَبَهْجَتُهَا.

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ - لِنَجْعَلَهُ فِتْنَةً لَهُمْ.

(بِالصَّلَاةِ) (نَسَّالِكَ) (الْعَاقِبَةِ)

(١٣٢) - وَأُمِرَ أَهْلُكَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا، لِنُقَدِّمَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَأَصْبِرْ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأَدِّهَا كَامِلَةً حَتَّى أَدَائِهَا، فَالْوَعْدُ بِالْفِعْلِ أَشَدُّ أَثَرًا مِنْهُ بِالْقَوْلِ. وَإِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ آتَاكَ الرَّزْقُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ، وَلَمْ تُكَلِّفْ أَنْتَ رِزْقَ نَفْسِكَ. وَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ أَمْرٌ فَرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ. وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: (يَا أَبْنَى آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غِنَى، وَأَسَدُ فَقْرِكَ. وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسَدُ فَقْرَكَ) (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ).

وَأِنْ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ - وَهِيَ هُنَا الْجَنَّةُ - سَتَكُونُ جَزَاءً لِمَنْ أَتَقَى رَبَّهُ وَأَطَاعَهُ.

(بِأَيَّةِ)

(١٣٣) - وَقَالَ الْكُفَّارُ فِي عِنَادِهِمْ: هَلَّا يَأْتِينَا مُحَمَّدٌ بِمُعْجَزَةٍ، وَحُجَّةٍ، وَبُرْهَانٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ (بِأَيَّةِ)، تَذُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِي أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، كَمَا جَاءَ مُوسَى بِالْعَصَا وَالْيَدِ، وَعِيسَى بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَصَالِحٌ بِالنَّاقَةِ. . . وَبَرُّدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: لَقَدْ جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ الْآيَاتِ، وَأَكْبَرُ الْمُعْجَزَاتِ فَالرَّسُولُ رَجُلٌ أُمِّي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَالْقُرْآنُ يَصِلُ حَاضِرَ الرِّسَالَةِ بِمَا ضَمَّهَا، وَيُوَحِّدُ طَبِيعَةَ

فَسِيحَ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى

وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعَانَا بِهِ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ
عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ
وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقْوَى

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ
أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مِمَّا فِي الصُّحُفِ
الْأُولَى

أَتَجَاهِهَا، وَبَيِّنْ وَيَفْصَلْ مَا أَجْمَلَ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ (الْصُّحُفِ الْأُولَى).

بَيِّنَةُ - الْقُرْآنُ الْمُعْجَزُ، أَوْ الْآيَاتُ.

(أَهْلَكْنَاهُمْ) (آيَاتِكَ)

(١٣٤) - وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ قَبْلَ أَنْ نُرْسِلَ إِلَيْهِمْ هَذَا الرَّسُولَ الْكَرِيمَ، وَقَبْلَ أَنْ نُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، لَقَالُوا: هَلَّا أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا يَا رَبُّ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ تَهْلِكَنَا حَتَّى نُؤْمِنَ بِهِ وَتَتَّبِعَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِلَّ بِنَا الْعَذَابُ وَاللَّعْنَةُ، وَقَبْلَ أَنْ يَلْحَقَ بِنَا الدَّلُّ وَالْخِزْيُ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مُتَعَتِّتُونَ مُعَانِدُونَ، لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ بِكُلِّ آيَةٍ.

مِنْ قَبْلِهِ - مِنْ قَبْلِ الْإِثْبَاتِ بِالْبَيِّنَةِ.

نَخْزَى - نَفْتَضِحُ فِي الْأَجْرَةِ بِالْعَذَابِ.

(أَصْحَابُ) (الصِّرَاطِ)

(١٣٥) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ كَذَبَكَ وَخَالَفَكَ، وَأَسْتَمَرَ عَلَى كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ مُنْتَظَرٌ مُتَرَبِّصٌ لِلْمَصِيرِ وَالْعَاقِبَةِ، وَإِنْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ مَعْرُوفَةٌ، وَمَصِيرُهُمْ أَسْوَأُ مَصِيرٍ، وَإِنْ أَعْتَقَدُوا هُمْ أَنَّ مَصِيرَهُمْ سَيَكُونُ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَفِي يَوْمِ الْحِسَابِ يَعْلَمُ الْمُكَذِّبُونَ مَنْ هُمْ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى الْمُوَصِّلِ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ هُمْ الَّذِينَ آهَتُوا إِلَى الْحَقِّ وَسُبُلِ الرَّشَادِ.

﴿١٣٤﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ

قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ

إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ

قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى

﴿١٣٥﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا

فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ

الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى

(٢١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ مَكِّيَّةٌ
وآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةٌ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ إِلَى اقْتِرَابِ وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَدُنُوِّ مَوْعِدِهَا. وَمَتَى قَامَتِ السَّاعَةُ حَشَرَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ لِحِسَابِهِمْ عَلَى مَا عَمِلُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِيَجْزِيَ كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا عَمِلَ. وَلَكِنَّ النَّاسَ غَافِلُونَ عَنْ أَمْرِ السَّاعَةِ وَأَمْرِ الْحِسَابِ، وَإِذَا نُبِّهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ بِمَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالنَّذْرِ أَعْرَضُوا وَاسْتَكْبَرُوا، وَرَفَضُوا الْاسْتِمَاعَ إِلَى مَا يُقَالُ لَهُمْ. أَقْتَرَبَ - قَرُبَ وَدَنَا.

(٢) - وَإِذَا تَجَدَّدَ لَهُمْ التَّذْكَيرُ بِالسَّاعَةِ وَالْحِسَابِ، بِمَا يُنْزِلُهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ مِنَ الْقُرْآنِ، اسْتَمَعُوا إِلَى مَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ، وَهُمْ لَا يَعْبُونَ سَاحِرُونَ. مُعَدِّثٌ - تَتْرِكُهُ بِالْوَحْيِ، جَدِيدٌ أَنْزَالُهُ.

(٣) - وَيَسْتَمِعُونَ إِلَى آيَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَقُلُوبُهُمْ لَاهِيَةٌ مُسْتَهْزِئَةٌ، وَقَدْ أَخَذُوا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيَتَحَدَّثُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ سِرًّا، فَقَالَ الْكُفَّارُ (الَّذِينَ ظَلَمُوا): هَلِ الرَّسُولُ إِلَّا بَشَرٌ يَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ، وَيَشْرَبُ كَمَا يَشْرَبُونَ، فَكَيْفَ اخْتَصَمَهُ اللَّهُ بِالْوَحْيِ مِنْ دُونِهِمْ؟ (وَهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ اسْتِعْجَادًا لِأَنْ يَكُونَ نَبِيًّا حَقًّا لِأَنَّهُ مِنَ الْبَشَرِ). وَإِنْ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا سِحْرٌ، لَا حَقِيقَةَ لَهُ، فَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِهِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟

(قَالَ)

(٤) - وَيُجِيبُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَى مَا قَالُوا، وَاخْتَلَفُوهُ مِنَ الْكُذِبِ وَالْبُهْتَانِ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: إِنَّكُمْ وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ قَوْلَكُمْ، وَطَعَنْتُمْ فِيَّ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُ فَهُوَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ أَوْ أَنْ يَخْتَلِفَهُ وَيَتَقَوْلَهُ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِقَوْلِكُمْ، الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِكُمْ.

١ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ

وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ

مُعْرَضُونَ

٢ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ

تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ

٣ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى

الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْلَ هَذَا الْبَشَرِ

مِثْلَكُمْ أَفْتَأْتُونَ

السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ

٤ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(أَضْغَاثُ) (أَحْلَامُ) (اِفْتِرَاهُ) (بَيَّاتٍ)

(٥) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَعْنَتِ الْكُفَّارِ، وَالْحَادِثِمْ، وَاجْتِلَانِهِمْ فِيمَا يَصِفُونَ بِهِ الْقُرْآنَ، وَخَيْرَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ عَنْهُ، فَتَارَةً يَجْعَلُونَهُ سِحْرًا، وَتَارَةً يَجْعَلُونَهُ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، أَيْ أَحْلَامًا مُخْتَلِطَةً بِرَأْيَاهَا مُحَمَّدٌ وَيَزِيدُهَا، وَتَارَةً يَجْعَلُونَهُ مُفْتَرًى، اخْتَلَفَهُ مُحَمَّدٌ وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَارَةً يَقُولُونَ إِنَّهُ شِعْرٌ... ثُمَّ يُحَاوِلُونَ التَّخْلُصَ مِنْ هَذَا الْحَرْجِ بِأَنْ يَطْلُبُوا بَدَلَ هَذَا الْقُرْآنِ خَارِقَةً مِنَ الْخَوَارِقِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ الْأَوَّلُونَ: كَنَاقَةِ صَالِحٍ، وَمُعْجَزَاتِ مُوسَى وَعِيسَى، الَّتِي تَثْبِتُ ثُبُوءَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا تَتْرُكُ مَجَالَاً لِأَحَدٍ لِيُنَازِعَ فِيهَا، وَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ الرُّسُولَ إِذَا جَاءَهُمْ بِمُعْجَزَةٍ خَارِقَةٍ آمَنُوا بِهِ. أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ - تَخَالِيطُ أَحْلَامٍ رَأَاهَا فِي نَوْمِهِ.

(أَمَنْتُ) (أَهْلَكْنَاهَا)

(٦) - وَيُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُكَذِّبًا مَقَالَتَهُمْ هَذِهِ - أَيْ إِنَّ الرُّسُولَ إِذَا جَاءَهُمْ بِخَارِقَةٍ آمَنُوا بِهِ - فَيَقُولُ تَعَالَى: لَمْ تُؤْمِنْ قَرِيئَةً مِنَ الْقَرَى الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ بِالْآيَاتِ الَّتِي جَاءَهَا بِهَا رَسُولُهَا، بَلْ كَذَّبْتَ بِهَا، فَأَهْلَكَهَا اللَّهُ بِكُفْرِهَا، أَفَيُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ بِالْآيَاتِ لَوْ رَأَوْهَا مِنْ دُونِ أَوْلَئِكَ؟ وَهُمْ أَشَدُّ مِمَّنْ سَبَقُوهُمْ كُفْرًا، وَجَهْلًا، وَعُتُوًّا، وَاسْتِكْبَارًا، وَعِنَادًا؟

(فَاسْأَلُوا)

(٧) - وَيُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَنْكَرَ بَعَثَةَ الرُّسُلِ مِنَ الْبَشَرِ قَائِلًا: إِنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ كَانُوا مِنَ الْبَشَرِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ (الذِّكْرُ) مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ (الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى) هَلْ كَانَ الرُّسُلُ الَّذِينَ جَاءُواهُمْ مِنَ الْبَشَرِ أَمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟

(جَعَلْنَاهُمْ) (خَالِدِينَ)

(٨) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ الرُّسُلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ لَهُمْ أَجْسَادٌ، وَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَنْشَرُونَ مِثْلَ النَّاسِ، وَيَذْخُلُونَ إِلَى الْأَسْوَاقِ يَتَكَسَّبُونَ بِالتَّجَارَةِ وَالْعَمَلِ، وَلَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ وَلَا يَنْتَقِصُ مِنْهُمْ شَيْءٌ، وَكَانُوا يَعِيشُونَ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ الْبَشَرِ، وَيَمُوتُونَ مِثْلَهُمْ وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ أَحَدًا مِنْهُمْ خَالِدًا، وَإِنَّمَا أَمْتَارُوا عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ بِمَا يُنْزَلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ مِنْ رَبِّهِمْ. جَسَدًا - أَجْسَادًا أَوْ ذَوِي أَجْسَادٍ

٥ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ

٦ مَاءَ أَمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيئَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ

٧ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

٨ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ

(صَدَقْنَاهُمْ) (فَأَنجَيْنَاهُمْ)

(٩) - وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ، فِيمَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِمْ، أَنَّهُ سَيُهْلِكُ الظَّالِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ (المُسْرِفِينَ)، وَأَنَّهُ سَيُنْجِي رَسُولَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُمْ، فَصَدَقَهُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَأَنجَاهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ، وَأَهْلَكَ الْمُسْرِفِينَ الْمُتَجَاوِزِينَ الْحُدَّ فِي تَكْذِيبِهِمْ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ.

(كِتَابًا)

(١٠) - يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى شَرَفِ الْقُرْآنِ، وَيُحِثُّ النَّاسَ عَلَى مَعْرِفَةِ قُدْرِهِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَفِيهِ عِظَتُهُمْ بِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَفَاضِلِ الْأَدَابِ وَسَيِّدِ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ، مِمَّا فِيهِ سَعَادَةُ الْبَشَرِ، فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ (ذَكَرْكُمْ)، ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَى التَّفَكُّرِ فِيهِ، وَعَلَى تَدْبِيرِهِ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَتَفَكَّرْ وَلَمْ يَتَدَبَّرْ كَانَهُ لَا عَقْلَ لَهُ. فِيهِ ذَكَرْكُمْ - فِيهِ مَوْعِظَتُكُمْ أَوْ شَرْفُكُمْ وَصِيَّتُكُمْ.

(آخِرِينَ)

(١١) - لَقَدْ أَهْلَكْنَا قُرَى وَأُمَمًا كَثِيرَةً كَانَتْ ظَالِمَةً يَكْفُرُهَا وَفْسَادُهَا، وَتَكْذِيبُهَا الرُّسُلَ، وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهُمْ أَقْوَامًا آخِرِينَ، خَلَقْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ. كَمْ قَصَمْنَا - كَثِيرًا مَا أَهْلَكْنَا.

(١٢) - فَلَمَّا تَقَيَّنُوا مِنْ أَنَّ الْعَذَابَ نَازِلٌ بِسَاحَتِهِمْ لَا مَحَالَةَ، كَمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ، أَخَذُوا يَقْرُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَقُرَاهِمُ، وَكَانُوا قَبْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ يَسْتَكْبِرُونَ عَلَى رُسُلِهِمْ، وَيُكَذِّبُونَهُمْ. أَحْسُوا بِأَسَنَّا - أَدْرِكُوا بِحَاسَتِهِمْ عَذَابَنَا الشَّدِيدَ. يَرْكُضُونَ - يَهْرَبُونَ مُسْرِعِينَ.

(وَمَسَاكِينُكُمْ) (تُسْأَلُونَ)

(١٣) - وَيَنْهَيْكُمْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ لِإِفْرَاقِهِمْ هَرَبًا مِنَ الْعَذَابِ، وَيَأْمُرُ بِأَنْ يُنَادَى عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالسُّرُورِ، وَالْعَيْشِ الرَّغِيدِ، وَالْمَسَاكِينِ الطَّيِّبَةِ، لِيَسْأَلُوا عَمَّا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَهَلْ أَدَيْتُمْ الشُّكْرَ عَلَيْهِ لِلَّهِ تَعَالَى. أَتَرَفْتُمْ فِيهِ - نَعَّمْتُمْ فِيهِ وَبَطَرْتُمْ.

١ ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ
فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ
وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ

١٠ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ
ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

١١ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ
ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
آخِرِينَ

١٢ فَلَمَّا أَحْسُوا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا
يَرْكُضُونَ

١٣ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا
أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْأَلُونَ

﴿١٤﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

(يَا وَيْلَنَا) (ظَالِمِينَ)
(١٤) - وَحِينَمَا اسْتَشَعَرُوا الْيَأْسَ مِنَ النِّجَاةِ وَالْخَلَاصِ مِنَ الْعَذَابِ، لَمْ يَجِدُوا بُدْأً مِنَ الْاعْتِرَافِ بِظُلْمِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ، وَأَخَذُوا يُرَدِّدُونَ عِبَارَةً: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. (أَيُّ إِنَّهُمْ يُنَادُونَ يَا هَلَاكًا وَيَا تَبَارًا لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَظُلْمِهِمْ لَأَنْفُسِهِمْ).

﴿١٥﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ

(دَعْوَاهُمْ) (جَعَلْنَاهُمْ) (خَامِدِينَ)
(١٥) - وَمَا زَالُوا يُرَدِّدُونَ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، وَهِيَ الْاعْتِرَافُ بِالظُّلْمِ وَالْكَفْرِ، حَتَّى حَصَدَهُمُ اللَّهُ حَصْدًا، وَأَهْلَكَهُمْ وَأَخَمَدَ أَنْفُسَهُمْ، فَلَمْ يَعِدْ يُسْمَعْ لَهُمْ جِسْ.
حَصِيدًا - كَالنَّبَاتِ الْمَحْصُودِ بِالْمَنَاجِلِ.
خَامِدِينَ - مَيِّتِينَ كَالنَّارِ الَّتِي سَكَنَ لَهَبُهَا.

﴿١٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَْعِبِينَ

(لَْعِبِينَ)
(١٦) - لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، بِهَذَا النِّظَامِ الْمُحْكَمِ الْبَدِيعِ، إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ لِقَوَائِدِ دِينِيَّةٍ، وَحِكْمِ رَبَّانِيَّةٍ، وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَةِ خَالِقِهَا، وَوَسِيلَةً لِلْعِظَةِ وَالْاعْتِبَارِ، وَلَمْ يَخْلُقْهَا لِلْعَبَثِ وَاللَّهْوِ وَالتَّسْلِيَةِ.

﴿١٧﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلًا تَخَذَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ

(لَا تَتَّخِذْنَاهُ) (فَاعِلِينَ)
(١٧) إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ. لِلَّهِوِ وَالتَّسْلِيَةِ وَالْعَبَثِ، وَإِنَّمَا خَلَقَهَا لِحِكْمَةٍ قَدَرَهَا، وَصَوَّرَ الْمَخْلُوقَاتِ لِمُنَافَعَةٍ رَمَى إِلَيْهَا، وَجَعَلَ لَهُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْعُقُولَ لِمَنَافِعِ اعْتِبَارِهَا، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِوِ وَالْعَبَثِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّهُ لَنْ يَتْرَكَهُمْ سُدًى بَلْ إِنَّهُ سَيَحَاسِبُهُمْ وَيُؤَاخِذُهُمْ عَلَى مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا.
وَيُنَزِّهُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَنِ اللَّهْوِ وَالْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ، وَعَنِ الصَّاحِيَةِ وَالْوَلَدِ، أَيْ وَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ
(وَلَوْ حَرَفَ امْتِنَاعَ لَامْتِنَاعَ، تَفْهِيمُ امْتِنَاعَ وَقُوعِ فِعْلِ الْجَوَابِ لَامْتِنَاعَ وَقُوعِ فِعْلِ الشَّرْطِ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُرَدْ أَنْ يَتَّخِذَ لَهُمْ آلًا يَكُنْ هُنَاكَ لَهُمْ لَا مِنْ لَدُنْهُ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ خَارِجٍ عَنْهُ).
(وَقَالَ مُجَاهِدٌ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ (إِنْ) فَهُوَ إِنكَارٌ أَيْ مَا كُنَّا فَاعِلِينَ)
نَتَّخِذَ لَهُمْ - مَا يَتْلَهُ بِه مِنْ صَاحِيَةٍ أَوْ وَلَدٍ

١٨ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ

فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ
الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ

(الباطل)

(١٨) - وَمِنْ شَأْنِهِ تَعَالَى الَّذِي يَلِيقُ بِهِ هُوَ أَنْ يُبَيِّنَ الْحَقَّ، فَيَذْخَصَ بِهِ الْبَاطِلَ وَيُزْهِقَهُ، وَأَنَّهُ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَكْسِرُ دِمَاعَهُ (يَدْمَغُهُ)، وَيُهْلِكُهُ، وَالْوَيْلُ وَالْعَذَابُ الشَّدِيدُ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ وَلَدًا أَوْ صَاحِبَةً، مِمَّا يَقُولُونَ وَيَقْتِرُونَ وَيَصِفُونَ رَبَّهُمْ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ.

(بَلْ - حَرْفٌ يَعْينِي الْإِضْرَابَ عَنِ الْحَدِيثِ السَّابِقِ وَالْعُدُولَ عَنْهُ إِلَى حَدِيثٍ آخَرَ، وَهَذَا يَعْينِي الْعُدُولَ عَنْ حَدِيثِ اللَّهِ إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ الْحَقِّ وَغَلَبَتِهِ عَلَى الْبَاطِلِ).

نَقْذِفُ بِالْحَقِّ - نَرْمِي بِهِ وَنُورِدُهُ.

فَيَدْمَغُهُ - فَيُزْهِقُهُ وَيَمْحَقُهُ، أَوْ يَكْسِرُ دِمَاعَهُ.

زَاهِقٌ - ذَاهِبٌ، مُضْمَحِلٌّ.

الْوَيْلُ - الْهَلَاكُ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٩) - وَلِلَّهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَلْقًا وَمُلْكًا وَتَذْيِيرًا وَتَصَرُّفًا، وَإِحْيَاءً وَجِسَابًا... دُونَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ سُلْطَانٍ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ، الَّذِينَ شَرَفَتْ مَنْزِلَتُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، لَا يَسْتَغْطِمُونَ عِبَادَتَهُ، وَلَا يَكِلُونَ عَنْهَا، وَلَا يَتَّبِعُونَ، وَلَا يَتَوَقَّفُونَ.

لَا يَسْتَخْسِرُونَ - لَا يَكِلُونَ وَلَا يَعْيُونَ.

وَالْحُسُورُ - تَوَقَّفُ الدَّابَّةِ عَنِ السَّيْرِ كَلَالًا وَتَعَبًا.

(اللَّيْلِ)

(٢٠) - فَهُمْ دَائِبُونَ فِي تَسْبِيحِهِمْ لِلَّهِ وَتَتَزِيهِهِ، وَفِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ لَيْلَ نَهَارًا لَا يَتَوَقَّفُونَ عَنْ ذَلِكَ لَحْظَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ.
لَا يَفْتَرُونَ - لَا يَتَوَقَّفُونَ وَلَا يَسْكُنُونَ عَنْ نَشَاطِهِمْ فِي التَّسْبِيحِ.

(الْهَةِ)

(٢١) - يُنَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْكَافِرِينَ عِبَادَتَهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ هَذِهِ الْأَلِهَةَ الَّتِي جَعَلَهَا الظَّالِمُونَ آلِهَةً وَأَنْدَادًا لِلَّهِ، لَا يَسْتَطِيعُونَ شَيْئًا مِنْ خَلْقٍ وَنَشْرٍ وَخَشَرٍ، وَرِزْقٍ لِلْعِبَادِ، فَكَيْفَ جَعَلُوهَا أَنْدَادًا لِلَّهِ وَأَمْثَالًا، وَعَبَدُوهَا مَعَهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُهَيِّمُ؟
يُنْشِرُونَ - يُحْيُونَ الْمَوْتَى وَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ.

١٩ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَخْسِرُونَ

٢٠ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ

٢١ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ

هُمْ يُنْشِرُونَ

(الْهَةِ) (فُسْبَحَانَ)

(٢٢) - لَوْ كَانَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آلِهَةٌ آخَرُونَ غَيْرُ اللَّهِ لَفَسَدَتِ الْأُمُورُ، وَاضْطَرَبَ نِظَامُ الْكَوْنِ لِأَنَّ كُلَّ إِلَهٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَذْهَبَ بِمَا خَلَقَهُ، وَيَسْتَقِلَّ بِهِ، فَيَتَلَاشَى هَذَا النَّاسُ الْبَدِيعَ الْقَائِمَ فِي هَذَا الْكَوْنِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، تَنَزَّهَ اسْمُهُ الْكَرِيمُ عَمَّا يَقُولُهُ الظَّالِمُونَ مِنْ أَنَّ لَهُ وَلَدًا أَوْ شَرِيكَاً فِي الْمُلْكِ.

لَفَسَدَتَا - لَأَخْتَلَّ نِظَامُهُمَا.

(يُسْأَلُ) (يُسْأَلُونَ)

(٢٣) - وَهُوَ الْخَالِقُ الْبَارِيُّ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُطْلَقُ الْمُتَصَرِّفُ بِالْكَوْنِ كُلِّهِ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يَعْترِضُ عَلَيْهِ أَحَدٌ لِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَسْأَلُ خَلْقَهُ عَمَّا يَقْعَلُونَ.

(الْهَةِ) (بُرْهَانَكُمْ)

(٢٤) - يَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ، عَنِ الدَّلِيلِ النَّقْلِيِّ الَّذِي يَسْتَبْدُونَ إِلَيْهِ فِي دَعْوَى الشُّرْكِ الَّتِي يَدْعُونَهَا، وَهِيَ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى ذَلِيلٍ، فَيَقُولُ تَعَالَى: أَبْعَدُ هَذِهِ الْأَدْلَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ تَقُولُونَ إِنَّ لِلَّهِ شَرِيكَاً؟ فَهَاتُوا بُرْهَانَكُمْ وَذَلِيلَكُمْ عَلَيْهِ فَهَذَا الْقُرْآنُ الْمُنَزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ عِظَةُ لِلَّذِينَ مَعَهُ، وَهُنَاكَ الْكُتُبُ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الرُّسُلِ، وَهِيَ ذِكْرٌ وَعِظَةٌ لِأَمَمِهِمْ، لَيْسَ فِيهَا جَمِيعاً ذِكْرٌ لَشُرَكَاءَ، فَكُلُّ الدِّيَانَاتِ قَائِمَةٌ عَلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ أَيْنَ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِدَعْوَى الشُّرْكِ الَّتِي تَقْضُهَا طَبِيعَةُ الْكَوْنِ؟ وَلَا يُوْجَدُ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ ذَلِيلٌ عَلَيْهَا. وَلَكِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ، وَلِذَلِكَ فَاتَّهَمُ مُعْرِضُونَ عَنْهُ.

(٢٥) - فَالتَّوْحِيدُ قَاعِدَةٌ الْعَقِيدَةِ مِنْذُ أَنْ بَعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ إِلَى النَّاسِ، لَا تَبْدِيلَ فِيهَا، وَلَا تَحْوِيلَ، فَلَا انفِصَالَ بَيْنَ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَلَا مَجَالَ لِلشُّرْكِ فِي الْأُلُوهِيَّةِ وَلَا فِي الْعِبَادَةِ. وَكُلُّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ كَانَ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْفِطْرَةُ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ، وَالْمُشْرِكُونَ لَا بُرْهَانَ لَهُمْ عَلَى مَا يَدْعُونَ.

(سُبْحَانَهُ)

(٢٦) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى زَعْمِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَتَزَعُّ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَنْ شُرُكِهِمْ وَقَالَ: الْمَلَائِكَةُ عِبَادٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، مُكْرَمُونَ عِنْدَهُ فِي مَنَازِلٍ عَالِيَةٍ، وَمَقَامَاتٍ سَامِيَةٍ، وَهُمْ لَهُ فِي غَايَةِ الطَّاعَةِ قَوْلًا وَفِعْلًا.

(كَانَ بَعْضُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ يَقُولُونَ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ تَعَالَى).

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ

لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ

أَمْ آتَاخُذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ
مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ

(٢٧) - لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِمَا يُأْمُرُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ تَأْدِيبًا وَطَاعَةً، وَلَا يُخَالِفُونَهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، بَلْ يُبَادِرُونَ إِلَىٰ فِعْلِهِ دُونَ تَرْدُّدٍ.

(٢٨) - وَعَلَّمَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِهِمْ فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ بِالشَّفَاعَةِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَرِضَا، فَلَا يَطْمَعَنَّ أَحَدٌ فِي شَفَاعَتِهِمْ، وَهُمْ مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمْ يُشْفِقُونَ مِنْ عِقَابِهِ، وَيَحْذَرُونَ أَنْ يَعْصُوهُ أَوْ يُخَالِفُوا أَمْرَهُ. مُشْفِقُونَ - خَائِفُونَ حَذِرُونَ.

(الظَّالِمِينَ)

(٢٩) - وَالْمَلَائِكَةُ الْأَطْهَارُ يَعْرِفُونَ حُدُودَهُمْ، فَلَا يَدْعُونَ الْأُلُوهِيَّةَ، وَإِذَا ادَّعَى أَحَدٌ مِنْهُمْ الْأُلُوهِيَّةَ مَعَ اللَّهِ، كَانَ جَزَاؤُهُ الْخُلُودُ فِي جَهَنَّمَ، وَجَهَنَّمَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ يَدْعُونَ هَذِهِ الدَّعْوَى الظَّالِمَةَ.

(السَّمَاوَاتِ) (فَفَتَقْنَاهُمَا)

(٣٠) - أَلَمْ يَعْلَمِ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْعَابِدُونَ مَعَهُ غَيْرُهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُسْتَقِلُّ بِالْخَلْقِ، الْمُسْتَبْدُّ بِالتَّوْبِيرِ، فَكَيْفَ يَلِيْقُ أَنْ يُعْبَدَ مَعَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يُشْرَكَ بِهِ مَا سِوَاهُ؟ فَقَدْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَحْدَةً مُتَّصِلَةً فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِ الْخَلِيقَةِ (كَانَتَا رَتْقًا) فَفَتَقَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، وَفَصَلَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِالْهَوَاءِ فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَنْتَبَتِ الْأَرْضُ وَجَعَلَ اللَّهُ الْمَاءَ أَصْلَ الْحَيَاةِ، فَكَيْفَ لَا يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ، وَهُمْ يَرَوْنَ كُلَّ ذَلِكَ؟ كَانَتَا رَتْقًا - كَانَتَا مُلْتَصِقَتَيْنِ بِلَا فَصْلٍ. فَفَتَقْنَاهُمَا - فَفَصَلْنَاهُمَا بَيْنَهُمَا.

(رَوَاسِي)

(٣١) - وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا أَرْسَاهَا بِهَا، وَنَقَّلَهَا لِكَيْلَا تَمِيدَ بِالنَّاسِ، وَتَضْطَرِبَ، فَلَا يَبْقَى لَهُمْ عَلَيْهَا قَرَارٌ، وَأَنَّهُ جَعَلَ فِي الْجِبَالِ نَعْرَاتٍ وَفُجَوَاتٍ (فُجَاةً) لِيَسْلُكَ النَّاسُ فِيهَا طُرُقًا فِي انْتِقَالِهِمْ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، وَلِيَهْتَدُوا بِهَا فِي أَصْفَارِهِمْ. رَوَاسِي - جِبَالًا نَوَابِتٍ.

أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ - لِكَيْلَا تَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا فَلَا تَسْتَقِرَّ. فُجَاةً سُبُلًا - طُرُقًا وَاسِعَةً مَسْلُوكَةً.

لَا يَسْفِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ

وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ



الْحَجَرُ
الْجَبَرُ

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ

إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ

نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ

نَجْرِي الظَّالِمِينَ

أَوْ لَمْ يَرَالَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ كَانَّا رَتْقًا

فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ

تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا

سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

(آيَاتُهَا)

(٣٢) - وَجَعَلَ اللَّهُ السَّمَاءَ فَوْقَ النَّاسِ كَالسَّقْفِ لِلْأَرْضِ ؛ وَحَفِظَ هَذَا السَّقْفَ مِنَ الْخَلَلِ ، وَمِنْ أَنْ يُنَالَ ، وَلَكِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْإِتْسَاعِ الْعَظِيمِ ، وَالْعُلُوِّ الْبَاهِرِ ، وَمَا زُيِّنَتْ بِهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالشُّمُوسِ الَّتِي تَسِيرُ فِي مَدَارَاتِهَا وَفَقْ نِظَامٍ بَدِيعٍ وَدَقِيقٍ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْتَبِرُونَ .
سَقْفًا مَحْفُوظًا - مَصُونًا مِنَ الْوُقُوعِ أَوْ التَّغْيِيرِ .

(اللَّيْلِ)

(٣٣) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ بِظُلَامِهِ وَسُكُونِهِ ، وَالنَّهَارَ بِضِيَائِهِ وَأُنْسِهِ ، يَطُولُ هَذَا ثُمَّ يَقْصُرُ ، وَيَتَنَوَّانِ ذَلِكَ ، وَخَلَقَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ ، وَكُلَّ مِنْهُمَا لَهُ مَسَارٌ ، وَفَلَكَ يَخْتَصُّ بِهِ ، وَيَسْبَحُ فِيهِ وَيَتَحَرَّكُ ، وَتَدُورُ الْكَوَاكِبُ فِي مَدَارَاتِهَا كَمَا يَدُورُ الْمَغْرُلُ فِي الْفُلْكَ .
كُلُّ فِي فَلَكَ - أَيِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ .
يَسْبَحُونَ - يَجْرُونَ فِي السَّمَاءِ .

(أَفَانِ) (الْخَالِدُونَ)

(٣٤) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ : إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ خَالِدًا فِي الدُّنْيَا ، لِأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَجْعَلْ دَارَ خُلُودٍ ، وَإِنَّمَا جُعِلَتْ دَارَ إِبْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ ، وَلَتَكُونَ وَسِيلَةً وَطَرِيقًا إِلَى الْآخِرَةِ ، وَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَمُوتَ كَمَا مَاتَ غَيْرُكَ ، وَلَكِنْ إِذَا مِتَّ أَنْتَ فَهَلْ يُؤْمَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَكُونُوا هُمْ خَالِدِينَ بَعْدَكَ ؟ إِنَّ الْجَمِيعَ إِلَى فَنَاءٍ وَزَوَالٍ .

(ذَاتِقَةُ)

(٣٥) - كُلُّ النَّاسِ سَائِمُونَ لَا مَحَالَةَ ، وَلَنْ يَخْلُدَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ . وَيَخْتَبِرُ اللَّهُ النَّاسَ بِالصَّابِغِ تَارَةً ، وَبِالنَّعْمِ تَارَةً أُخْرَى ، فَيَنْظُرُ مَنْ يَشْكُرُ مِنْهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ فَيَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ .
تَبْلُوكُمْ - نَخْتَبِرُكُمْ مَعَ عِلْمِنَا بِخَالِكُمْ .

(رَاكٍ) (الْهَتَكُم) (كَافِرُونَ)

(٣٦) - إِنَّ الْكَافَرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْتَهْزِئُونَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَيَتَنَقَّصُونَكَ جِنْمًا يَرَوْنَكَ ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ اسْتِنْكَارًا ، أَهَذَا الَّذِي يُسَبُّ الْهَتَكُمْ ، وَيُسَفَّهُ أَحْلَامَكُمْ ؟ وَكَيْفَ يَعْبُجُونَ مِنْ ذَلِكَ وَهُمْ كَافِرُونَ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهُمْ ؟

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا

مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا
مَعْرِضُونَ

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ
يَسْبَحُونَ

وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ
الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ
الْخَالِدُونَ

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً
وَلِلَّيْنَا تُرْجِعُونَ

وَلِإِذَارَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا
أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ
ءَالِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُونَ
الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ

(الْإِنْسَانُ) (سَارِيكُمْ) (آيَاتِي)

(٣٧) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالرُّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَعَ فِي بَعْضِ النُّفُوسِ سُرْعَةُ الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَاسْتَعْجَلَتْ ذَلِكَ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَلِّي لِلظَّالِمِينَ، وَيُمَهِّلُهُمْ وَيَمُدُّ لَهُمْ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُمْ لَمْ يَفْلِتُهُمْ، إِنَّهُ تَعَالَى يُؤَجِّلُ ثُمَّ يُعَجِّلُ، وَيُنْظِرُ ثُمَّ لَا يُؤَخِّرُ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: سَارِيكُمْ نِقَمِي وَجِحْمِي وَقَدَرْتِي عَلَى مَنْ عَصَانِي (آيَاتِي)، فَلَا تَسْتَعْجِلُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ.

(صَادِقِينَ)

(٣٨) - وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ أَيْضًا بِوُقُوعِ الْعَذَابِ بِهِمْ، تَكْذِيبًا وَجُحُودًا وَكُفْرًا فَيَسْأَلُونَ: مَتَى يَكُونُ مَوْعِدُ هَذَا الْعَذَابِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيمَا يَقُولُونَ؟

(٣٩) - لَوْ يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ مَاذَا أَعَدَّ لَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَالُهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ، وَلَمَّا أَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَلَمَّا اسْتَعْجَلُوا لِأَنْفُسِهِمُ النَّكَالَ وَالْوَبَالَ، فَنَارُ جَهَنَّمَ سَتَحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، تَلْفَحُ وَجُوهَهُمْ، وَتَكْوِي ظُهُورَهُمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا، وَلَا دَفْعَهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ نَاصِرًا لَهُمْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. لَا يَكْفُصُونَ - لَا يَمْنَعُونَ وَلَا يَدْفَعُونَ.

(٤٠) - وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى شِدَّةَ الْعَذَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَكَرَ أَنَّ وَقْتَهُ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا، وَإِنَّمَا تَأْتِي السَّاعَةُ بَغْتَةً فَتَفْجُؤُهُمْ، فَيَهْتُوتُونَ وَيَذْعَرُونَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ جِيلَةً فِي رَدِّهَا وَدَفْعِهَا، وَلَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْهَا، وَلَا يَمْهَلُونَ لِتَوْبَةٍ وَلَا لِتَقْدِيمِ مَعْدِرَةٍ، فَقَدَّاتِ الْأَوَانُ، وَأَحَاطَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَيَسْتَعْجِلُونَ. بَغْتَةً - فَجَاءَةً.

فَتَبْهَتُهُمْ - تُحِيرُهُمْ وَتُدْهِشُهُمْ
يَنْظُرُونَ - يَمْهَلُونَ وَيُؤَخَّرُونَ.

﴿٣٧﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا

تَسْتَعْجِلُونِ

﴿٣٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

﴿٣٩﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ

لَا يَكْفُتُونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ

النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا

هُمْ يَنْصُرُونَ

﴿٤٠﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا

وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ

(يَسْتَهْزِئُونَ)

(٤١) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ مُسْلِيًا عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ
الاسْتَهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ: لَقَدْ اسْتَهْزَأَتِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ
جَاءُواهُمْ، فَتَزَلَّ بِالَّذِينَ سَخَرُوا مِنْهُمْ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَسْتَبْعِدُونَ وَفُوعُهُ،
وَلَنْ يَكُونَ حَالُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ بِأَفْضَلَ مِنْ حَالِ الْكُفَّارِ السَّابِقِينَ،
الَّذِينَ كَانُوا يَسَخَرُونَ مِنَ الرُّسُلِ جِئِمَا كَانُوا يُحَذِّرُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.
حَاقَ - أَحَاطَ وَنَزَلَ.

(بِاللَّيْلِ)

(٤٢) - سَلِّ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ: مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْفَظَهُمْ مِنَ
الرَّحْمَنِ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ عَذَابُهُ فِي اللَّيْلِ أَثْنَاءَ نَوْمِهِمْ، وَفِي النَّهَارِ أَثْنَاءَ
سَعْيِهِمْ فِي أُمُورِ مَعَاشِهِمْ؟ إِنَّهُ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ أَلْهَتَهُمُ
النَّعْمُ عَنْ مَعْرِفَةِ الْمُنْعَمِ وَشُكْرِهِ، فَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ حَتَّى يَخَافُوا بَاسَهُ.
يَكْلُوكُمْ - يَحْفَظُكُمْ وَيَحْرُسُكُمْ.

(الْهَيْه)

(٤٣) - وَيَنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ إِعْرَاضَهُمْ عَنْ ذِكْرِ آيَاتِهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ مَقْرَعًا
وَمَوْخَا: أَلَيْسَ إِلَهُهُمُ إِلَهُةٌ تَمْنَعُهُمْ وَتَكْلُوكُهُمْ غَيْرُ اللَّهِ؟ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ
كَمَا تَوَهَّمُوا، وَلَا كَمَا زَعَمُوا، فَالْإِلَهُةُ الَّتِي اسْتَدَّوْا إِلَٰهَهَا غَيْرُ اللَّهِ لَا
يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ مِنَ اللَّهِ، وَلَا دَفْعَ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَلَا يَجِدُونَ مَنْ
يَنْصُرُهُمْ أَوْ يُجِيرُهُمْ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ غَيْرِهِمْ.
يُضْحَبُونَ - يُجَارُونَ وَيَنْصَرُونَ.

(وَأَبَاءَهُمْ) (الْغَالِيُونَ)

(٤٤) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُشْرِكِينَ فَيَقُولُ: إِنَّ الَّذِي غَرَّهُمْ وَحَمَلَهُمْ
عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ، هُوَ أَنَّهُمْ مَتَّعُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هُمْ وَأَبَاءُهُمْ،
وَنَعَّمُوا فِيهَا، وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ فِيمَا هُمْ فِيهِ، فَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى
وَصَوَابٍ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَاعْظَايَاهُمْ: أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّنَا نَأْتِي الْأَرْضَ فَنَنْقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا وَنَنْظُرُ الْإِيمَانَ عَلَى الشَّرِّ، وَنَنْصُرُ أَوْلِيَاءَنَا عَلَى أَعْدَائِنَا، وَنَضِيقُ
الْخُنَاقَ عَلَى الشَّرِّ حَتَّى تَضِيقَ بِهِ الْأَرْضُ، بِإِنْتِقَالِ الْأَرَاضِي مِنْ أَيْدِي
الْكُفَرَةِ إِلَى أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، وَنُهْلِكَ الْقُرَى الظَّالِمَةَ وَأَهْلَهَا، وَنُنَجِّي
الْمُؤْمِنِينَ. أَفَلَا يَتَعَبَّرُ هَؤُلَاءِ بِكُلِّ ذَلِكَ؟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا مَا رَأَوْا أَنَّ
الْعَلْبَةَ لَنْ تَكُونَ لَهُمْ، فِي جَوْلَتِهِمْ مَعَ الْإِيمَانِ، بَلْ سَيَكُونُونَ هُمْ الْمَغْلُوبِينَ
الْأَخْسَرِينَ؟

وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِّنْ

قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ

سَخَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ

قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ

عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ

مُعْرِضُونَ

أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ

دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ

أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَنِائِصْحُونَ

بَلْ مَتَّعَاهُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ

حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ

أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّنَا نَأْتِي الْأَرْضَ

نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمْ

الْغَالِيُونَ

(٤٥) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: إِنَّمَا أَنَا مُبَلِّغٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، وَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، وَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَلَكِنَّ الْإِنذَارَ لَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ لَا يَنْفَعُ، فَخَالَهُمْ كَحَالِ مَنْ أَعْمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ وَسَمِعِهِ.

(وَلَيْثِن) (يَا وَيْلَنَا) (ظَالِمِينَ)

(٤٦) - وَإِذَا مَسَّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ شَيْءٌ يَسِيرٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي يَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ ظَافِيًا (نَفْحَةً)، فَإِنَّهُمْ يَغْتَرِفُونَ بِذُنُوبِهِمْ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ لَا تُنْفِسُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِعِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ، وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الَّذِي لَا إِلَهَ سِوَاهُ. نَفْحَةٌ - دَفْعَةٌ يَسِيرَةٌ، أَوْ نَصِيبٌ يَسِيرٌ.

(الْمَوَازِينِ) (الْقِيَامَةِ) (حَاسِبِينَ)

(٤٧) - وَيَضَعُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَوَازِينَ الْعَادِلَةَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيُوزَنَ أَعْمَالُ الْخَلَائِقِ، فَلَا يَظْلَمُ أَحَدًا شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ وَزَنَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، فَإِنَّهَا تُوزَنُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ. وَكَفَى بِاللَّهِ حَاسِبًا لِأَعْمَالِ الْخَلَائِقِ، فَلَا يُغَادِرُ مِنْهَا صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا. الْقِسْطُ - الْعَدْلُ أَوْ ذَوَاتُ الْعَدْلِ. بِثِقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ - وَهِيَ أَقَلُّ شَيْءٍ وَزَنًا.

(آتَيْنَا) (وَهَارُونَ)

(٤٨) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ التَّوْرَةَ (الْفُرْقَانَ)، وَهِيَ، كَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، تَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَفِيهَا نُورٌ لِلْقُلُوبِ، وَتَذَكِيرٌ وَعِظَةٌ لِمَنْ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ وَيَخْشَوْنَ عَذَابَ اللَّهِ.

(٤٩) - وَهَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ، الَّذِينَ تَعْظُمُهُمْ كُتُبُ اللَّهِ، وَتُذَكِّرُهُمْ، وَتُنِيرُ قُلُوبَهُمْ، هُمْ الَّذِينَ تَسْتَشْعِرُ قُلُوبُهُمْ خَشْيَةَ اللَّهِ، وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُمْ وَهُمْ لَمْ يَرَوْهُ، وَهُمْ يَخَافُونَ قِيَامَ السَّاعَةِ، وَتُشْفِقُونَ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَعْمَلُونَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ وَيَسْتَعِدُّونَ. مُشْفِقُونَ - خَائِفُونَ خَيْرُونَ.

٤٥ قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرْتُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ

٤٦ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

٤٧ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَلَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ

٤٨ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ

٤٩ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ

(أَنْزَلْنَاهُ)

(٥٠) - وَهَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ هُوَ ذِكْرٌ مُبَارَكٌ، فِيهِ هُدًى، وَمَوْعِظَةٌ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ؛ كَمَا أَنْزَلَ الْكُتُبَ السَّابِقَةَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، أَفْتَكْبِرُونَهُ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْجَلَاءِ؟

(آتَيْنَا) (إِبْرَاهِيمَ) (عَالِمِينَ)

(٥١) - وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ مَا فِيهِ صَلَاحُهُ وَهَدَاهُ، مِنْ قَبْلِ هَارُونَ وَمُوسَى، وَوَفَّقْنَاهُ لِلْحَقِّ، وَأَصْنَانًا لَهُ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَكُنَّا عَالِمِينَ بِأَنَّهُ ذُو يَقِينٍ وَإِيمَانٍ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ لَهُ، وَأَنَّهُ أَهْلٌ لِحَمْلِ الرِّسَالَةِ.
(وَقِيلَ بَلِ الْمَعْنَى هُوَ: وَفَّقْنَاهُ إِلَى هُدَاهُ مِنْ قَبْلِ النَّبُوَّةِ وَالْبُلُوغِ، وَوَفَّقْنَاهُ لِلنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، لَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، فَرَأَى النَّجْمَ وَالْقَمَرَ ثُمَّ رَأَى الشَّمْسَ).

(عَاكِفُونَ)

(٥٢) - وَقَدْ ظَهَرَ رُشْدُهُ جَيْمًا أَنْكَرَ عَلَى أَبِيهِ وَقَوْمِهِ، مُنْذُ صِغَرِهِ، عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ (الْتِمَائِيلُ) الَّتِي تَعْبُدُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا؟
الْتِمَائِيلُ - الْأَصْنَامُ الْمَصْنُوعَةُ بِأَيْدِيكُمْ

(آبَاءَنَا) (عَابِدِينَ)

(٥٣) - فَلَمْ يَجِدُوا مَا يَرُدُّونَ بِهِ عَلَى سُؤَالِهِ لَهُمْ إِلَّا قَوْلَهُمْ لَهُ: إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ يَعْبُدُونَهَا، فَهُمْ يَقْتَفُونَ آثَارَهُمْ فِي عِبَادَتِهَا.

(ضَلَالٍ)

(٥٤) - فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّكُمْ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ بَيْنَ، كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ عَلَى ضَلَالٍ فِي عِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ، الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ.

(الْعَالِينَ)

(٥٥) - فَقَالُوا لَهُ، وَهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى ضَلَالٍ: إِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ مِنْ قَبْلُ. وَسَأَلُوهُ إِنْ كَانَ جَادًّا فِي قَوْلِهِ هَذَا أَوْ هَازِلًا؟

٥٠ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ



٥١ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ

رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ

٥٢ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ

الْتِمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ هَا عَاكِفُونَ

٥٣ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَا عَابِدِينَ

٥٤ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ

وَعِبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

٥٥ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ

مِنَ اللَّاعِينَ

(السَّمَاوَاتِ) (الشَّاهِدِينَ)

(٥٦) - فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ إِنَّهُ جَاءَهُم بِالْحَقِّ، وَإِنَّ رَبَّهُمْ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ (فَطَرَهُنَّ)، وَإِنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِبْتِثَاتٍ مَا يَقُولُ بِالْحُجَّةِ وَالذَّلِيلِ - فَطَرَهُنَّ - خَلَقَهُنَّ وَأَبْدَعَهُنَّ.

(أَصْنَامَكُمُ)

(٥٧) - ثُمَّ أَقْسَمَ إِبْرَاهِيمُ فِي نَفْسِهِ عَلَىٰ أَنَّهُ سَيَكِيدُ لِأَصْنَامِ قَوْمِهِ، وَسَيَحْرُضُ عَلَىٰ تَحْطِيمِهَا بَعْدَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ إِلَى الْاِخْتِفَالِ بِعِيْدِهِمْ، لِيُظْهَرَ لَهُمْ ضَلَالُ مَا هُمْ عَلَيْهِ فِي عِبَادَتِهَا. (وَيُرَوَّى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَاهُ أَبُوهُ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ لِيَرَى الْاِخْتِفَالَ بِعِيْدِ قَوْمِهِ، وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ لَوْرَأَى هَذَا الْاِخْتِفَالَ لِأَعْجَبَهُ دِينُهُمْ. فَخَرَجَ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ أَلْقَىٰ بِنَفْسِهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ لِأَبِيهِ إِنَّهُ سَقِيمٌ، فَلَمَّا أَقْسَمَ عَلَىٰ أَنَّهُ سَيَكِيدُ لِأَصْنَامِ قَوْمِهِ سَمِعَهُ بَعْضُ مَنْ تَأَخَّرَ عَنِ الذَّهَابِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى الْاِخْتِفَالِ).

(جُدَاذًا)

(٥٨) - فَلَمَّا اتَّبَعُوا عَنْهُ، عَادَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْأَصْنَامِ يُحْطِمُهَا، حَتَّى تَرَكَهَا حُطَامًا (جُدَاذًا)، وَلَمْ يَتْرِكْ إِلَّا الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ عِنْدَهُمْ، وَتَرَكَ النَّاسَ قُرْبَهُ، لَعَلَّ الْقَوْمَ يَتَهَمُونَهُ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَامَ بِتَحْطِيمِ الْأَصْنَامِ الصَّغِيرَةِ، غَيْرَةَ مِنْهُ أَنَّ يَعْبُدَهَا الْقَوْمُ مَعَهُ.

(بِالْهَيْتَا) (الظَّالِمِينَ)

(٥٩) - وَجِينَمَا رَجَعَ الْقَوْمُ مِنَ الْاِخْتِفَالِ، وَشَاهَدُوا الْأَصْنَامَ مُحْطَمَةً قَالُوا مُتَسَائِلِينَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا وَحَطَمَهَا؟ إِنَّهُ بِلَا شَكٍّ ظَالِمٌ فِي صَنِيعِهِ.

(إِبْرَاهِيمُ)

(٦٠) - فَقَالَ مَنْ سَمِعَ إِبْرَاهِيمَ يَحْلِفُ عَلَىٰ أَنَّهُ سَيَكِيدُ لِأَصْنَامِ: إِنَّهُ سَمِعَ شَابًا اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ يَذْكُرُ الْإِلَهَةَ بِسُوءٍ، وَيُقْسِمُ عَلَىٰ أَنَّهُ سَيَكِيدُ لَهَا.

(٦١) - فَقَالُوا: ائْتُوا بِهِ أَمَامَ الْجَمْعِ الْمُحْتَشِدِ لِيَسْأَلَ عَنْ فِعْلِهِ أَمَامَ الْأَشْهَادِ، لِيَتَكُونَ شَهَادَتُهُمْ حُجَّةً عَلَيْهِ. عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ - ظَاهِرًا يَمْرَأَى مِنَ النَّاسِ.

٥٦ قَالَ يٰۤاِبْرٰهِيْمُ رَبُّكَ رَبُّ السَّمٰوٰتِ

وَالْاَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ
وَاَنَا عَلٰى ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِيْنَ

٥٧ وَتَاللهِ لَآكِيدَنَّ اَصْنَامَكُمْ

بَعْدَ اَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِيْنَ

٥٨ فَجَعَلَهُمْ جُدَاذًا اِلَّا كَبِيْرًا

لَهُمْ لَعَلَّهُمْ اِلَيْهِ يَرْجِعُوْنَ

٥٩ قَالُوْا مَنْ فَعَلَ هٰذَاۤ اِلٰهَيْتَاۤ

اِنَّهٗ وَلِمَنْ الظَّٰلِمِيْنَ

٦٠ قَالُوْا سَمِعْنَا فَتٰى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ

لَهُۥٓ اِبْرٰهِيْمُ

٦١ قَالُوْا فَاَتَاوٰىهِ عَلٰى اَعْيُنِ النَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُوْنَ

(أَنْتَ) (بِالْهَيْتَا) (يَا إِبْرَاهِيمُ)

(٦٢) - فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ أَمَامَ الْجَمْعِ الْحَاشِدِ قَالُوا لَهُ: هَلْ أَنْتَ الَّذِي فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا، وَجَعَلَهَا جُذَاذًا وَحُطَامًا؟

(فَأَسْأَلُوهُمْ)

(٦٣) - قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ مُتَهَكِّمًا: إِنَّ الَّذِي حَطَّمَ الْأَصْنَامَ هُوَ الصَّنَمُ الْكَبِيرُ. وَطَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ الْآلِهَةَ لِيَتَدَلَّوْهُمْ عَلَى مَنْ فَعَلَ هَذَا بِهَا وَحَطَّمَهَا، هَذَا إِنْ كَانَ لَهُمْ لِسَانٌ يَنْطِقُ. وَكَانَتْ غَايَةُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَعْتَرِفَ النَّاسُ أَمَامَ الْحَفْلِ الْعَظِيمِ أَنَّ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ لَا تَنْطِقُ، وَأَنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَمْنَعَ مِنْ اعْتَدَى عَلَيْهَا مِنَ الْقِيَامِ بِفَعْلَتِهِ.

(الظَّالِمُونَ)

(٦٤) - فَرَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلَامَةِ عَلَى تَرْكِهِمُ الْهَيْتَهُمْ بِدُونِ حَارِسٍ وَلَا حَافِظٍ.

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلَامَةِ إِذْ عَلِمُوا أَنَّ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَجْلِبَ النِّفْعَ لغيرِهِ، وَلَا رَدَّ الْأَذَى عَنْهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مُعْبُودًا).

(٦٥) - فَأَذْرَكَ الْقَوْمَ خَيْرَةً مِنْ مَقَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، فَتَكْسُوا رُؤُوسَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ: إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ حِجَارَةٌ لَا تَنْطِقُ، فَكَيْفَ نَسْأَلُهُمْ؟

تَكْسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ - رَجَعُوا إِلَى الْبَاطِلِ وَالْعِنَادِ.

(٦٦) - فَلَمَّا اعْتَرَفُوا بِأَنَّ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ لَا تَنْطِقُ، قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ مُوَبِّحًا وَمُقَرِّعًا: كَيْفَ تَعْبُدُونَ حِجَارَةً لَا تَنْطِقُ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَتَتْرَكُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ الْخَالِقِ الْمُصَوِّرِ الرَّازِقِ الَّذِي بِيَدِهِ النِّفْعُ وَالضَّرُّ؟

(٦٧) - أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَتَذَرُكُونَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ الَّذِي لَا يَرْجُحُ إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ لَا عَقْلَ لَهُ؟ فَتَبَّ لَكُمْ وَلِمَعْبُودَاتِكُمْ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَبِذَلِكَ أَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ الْحُجَّةُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا تَعَالَى فِي آيَةِ أُخْرَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ (١).

أَفِ - كَلِمَةٌ تَضَجَّرُ وَتَبْرُمُ.

قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا
بِالْهَيْتَيْنِ إِبْرَاهِيمُ

قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا
يَنْطِقُونَ

فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا
إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ

ثُمَّ تَكْسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا
وَلَا يَضُرُّكُمْ

أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

(أَلِهَتَكُمْ) (فَاعِلِينَ)

(٦٨) - وَلَمَّا دُحِضَتْ حُجَّتُهُمْ، وَبَانَ عَجْرُهُمْ، وَظَهَرَ الْحَقُّ، وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، عَذَلُوا إِلَى اسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ الْجَائِرَةِ، وَهِيَ وَسِيلَةُ الضَّعِيفِ الْجَبَانِ، فَقَالُوا: اجْمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا ثُمَّ أَشْعِلُوا النَّارَ فِيهِ، وَالْقُوا إِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ انْتِقَامًا لِأَلِهَتِكُمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ. وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ كَيْدَهُمْ.

(يَا نَارُ) (وَسَلَامًا) (إِبْرَاهِيمَ)

(٦٩) - فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّارَ بِأَلَّا تَحْرِقَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِأَنَّ تَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا فَكَانَتْ. وَنَجَّى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْمَصِيرِ الَّذِي أَرَادَهُ لَهُ الظَّالِمُونَ.

(فَجَعَلْنَاهُمْ)

(٧٠) - وَأَنْجَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْكَيْدِ الَّذِي أَرَادَهُ بِهِ قَوْمُهُ، وَهُوَ التَّحْرِيقُ فِي النَّارِ، وَبَاءَ الْكَائِدُونَ لَهُ بِالْخَسَارَةِ.

(وَنَجَّيْنَاهُ) (بَارِكْنَا) (لِلْعَالَمِينَ)

(٧١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ نَجَّى إِبْرَاهِيمَ مِنْ نَارِ قَوْمِهِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ مُهَاجِرًا إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَخَرَجَ مَعَهُ مُهَاجِرًا ابْنُ أَخِيهِ لُوطٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. (الْأَرْضُ الْمُبَارَكَةُ الْمَقْصُودَةُ هُنَا هِيَ أَرْضُ الشَّامِ أَوْ فِلَسْطِينَ. وَفِلَسْطِينَ جُزْءٌ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ)

(إِسْحَاقَ) (صَالِحِينَ)

(٧٢) - وَوَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ، وَوَهَبَ لِإِسْحَاقَ ابْنَهُ يَعْقُوبَ (نَافِلَةً)، فِي حَيَاةِ حَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا أَهْلَ تَقْوَى وَخَيْرٍ وَصَلَاحٍ. نَافِلَةً - عَطِيَّةٌ أَوْ زِيَادَةٌ عَمَّا سَأَلَ وَالنَّافِلَةُ هُنَا وَلَدُ الْوَلَدِ.

(وَجَعَلْنَاهُمْ) (أَيْمَةً) (الْخَيْرَاتِ) (الصَّلَاةِ) (الزَّكَاةِ) (عَابِدِينَ)

(٧٣) - وَجَعَلَهُمُ اللَّهُ أَيْمَةً يَقْتَدِي بِهِمُ النَّاسُ، وَيَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ (يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)، وَاللَّهُمَّهُمُ اللَّهُ فِعْلُ الْأَعْمَالِ الْخَيْرَةِ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَتَادِيَةُ الزَّكَاةِ؛ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَقُومُونَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ النَّاسُ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ طَاعَتِهِ (وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ).

﴿٦٨﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ

﴿٦٩﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى

إِبْرَاهِيمَ

﴿٧٠﴾ وَأَرَادُوهُ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ

الْأَخْسَرِينَ

﴿٧١﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ

الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ

﴿٧٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

نَافِلَةً ۖ وَكَلَّمْنَا صَالِحِينَ

﴿٧٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ

بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ

وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا

لَنَا عَابِدِينَ

(آتَيْنَاهُ) (نَجَّيْنَاهُ) (الْخَبَائِثَ) (فَاسِقِينَ)

وَلُوطًا إِذْ أَنَا فِي سَفَرٍ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ
وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْبَةِ الَّتِي
كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَاسِقِينَ

(٧٤) - وَكَانَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ آمَنَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَاتَّبَعَهُ، وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَأَتَاهُ اللَّهُ النُّبُوَّةَ، وَحَسَنَ الْقَضَاءِ وَالْفَضْلَ فِي الْخُصُومَاتِ، وَالْعِلْمَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَالْإِخْبَاتِ لِلَّهِ، وَبَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ سَدُومَ (وَهِيَ قَرْيَةٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ) فَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى إِيْتَانِ الرِّجَالِ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْجَى لُوطًا وَأَهْلَهُ.

وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى خَبَرَ لُوطٍ فِي مَكَانٍ آخَرَ، وَذَكَرَ الْأَفْعَالَ الْخَبِيثَةَ الَّتِي كَانَ يَرْتَكِبُهَا أَهْلُ سَدُومَ، وَكَيْفَ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَرْيَتَهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا لُوطًا وَأَهْلَهُ، وَلَمْ يَسْتَنْ مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ أَهْلَكَهَا اللَّهُ مَعَ الْهَالِكِينَ.
قَوْمٌ سَوَاءٌ - قَوْمٌ فَسَادٌ وَفَعَلَ مَكْرَهُ.
الْخَبَائِثُ - إِيْتَانُ الرِّجَالِ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ.

(أَدْخَلْنَاهُ) (الصَّالِحِينَ)

وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ
الصَّالِحِينَ

(٧٥) - وَجَعَلَ اللَّهُ لُوطًا فِي جُمْلَةِ مَنْ يَسْتَحِقُّونَ رَحْمَتَهُ وَلُطْفَهُ فَنَجَّاهُ مِنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. وَوَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْحُسْنَى.

(فَنَجَّيْنَاهُ)

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ

(٧٦) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا رَبَّهُ لَمَّا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ، وَقَالَ لَهُ إِنِّي مَغْلُوبٌ، وَدَعَا عَلَى قَوْمِي فَأَتَيْلًا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (١) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَنَجَّاهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ، وَنَصَرَهُ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَغْرَقَهُمْ أَجْمَعِينَ. وَنَجَّى اللَّهُ نُوحًا، وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَاسْتَنْتَى اللَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نُوحٍ أَبْنَهُ وَأَمْرَأَتَهُ، فَكَانَا مَعَ الْغَارِقِينَ.

(وَنَصَرْنَاهُ) (بِآيَاتِنَا) (فَأَغْرَقْنَاهُمْ)

وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ
كَانُوا
قَوْمٌ سَوَاءٌ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ

(٧٧) - وَنَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَغْرَقَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا بِالطُّوفَانِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا يُبْسِثُونَ الْأَعْمَالَ فَيَعْصُونَ اللَّهَ، وَيَخَالِفُونَ أَوَامِرَهُ، وَيَكْذِبُونَ رَسُولَهُ وَيُؤْذُونَهُ.

(دَاوُدَ) (وَسُلَيْمَانَ) (شَاهِدِينَ)

(٧٨) - أَمَّا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قِصَّةِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ جِنْمَا حَكْمًا فِي خِلَافٍ قَامَ بِسَبَبِ دُخُولِ غَنَمِ شَخْصٍ كَرَمَ شَخْصٍ آخَرَ فَرَعَتْهُ لَيْلًا، وَأَتْلَفَتْ شَجَرَهُ وَعَنَاقِيدَهُ، فَقَضَى دَاوُدُ بِأَنْ تَكُونَ الْغَنَمُ لِصَاحِبِ الْكَرَمِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ أَوْ غَيْرُ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ تَدْفَعُ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ، فَيَقْرُمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعودَ كَمَا كَانَ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الْكَرْمِ فَيُصِيبُ مِنْهَا، وَيَنْتَفِعُ بِبَنَاتِجِهَا، حَتَّى إِذَا الْكَرْمُ عَادَ إِلَى مَا كَانَ دَفَعْتَ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِهِ، وَدَفَعْتَ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا. فَكَانَ حُكْمُ سُلَيْمَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدْلِ مِنْ حُكْمِ دَاوُدَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ.

(وَقَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ عَلَى الْحُكَّامِ ثَلَاثًا: أَنْ لَا يَشْتَرَوْا بِهِ نَمْنًا قَلِيلًا، وَأَنْ لَا يَتَّبِعُوا فِيهِ الْهَوَى، وَأَنْ لَا يَخْشَوْا فِيهِ أَحَدًا).
نَفْسَتْ - رَعَتْ لَيْلًا.

الْحَرْثُ - الْكَرْمُ أَوْ الزَّرْعُ.

(فَفَهَّمْنَاهَا) (سُلَيْمَانَ) (آتَيْنَا) (دَاوُدَ) (فَاعِلِينَ)

(٧٩) - وَلَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى سُلَيْمَانَ بِالْقَوْلِ الْفَصْلِ فِي هَذَا النِّزَاعِ، وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ آتَى كُلًّا مِنْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَإِنَّهُ سَخَّرَ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ يُسَبِّحُنَ مَعَ دَاوُدَ، وَذَلِكَ لِطَبِيبِ صَوْتِهِ يَتَلَاوَعُ الزُّبُورَ، فَكَانَ إِذَا تَرَنَّمَ بِهِ رَدَدَتْ تَسْبِيحُهُ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ تَأْوِيًّا، وَكَانَ اللَّهُ فَاعِلًا ذَلِكَ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ.

(وَعَلَّمْنَاهُ) (شَاكِرُونَ)

(٨٠) - وَعَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَنْعَةَ الدُّرُوعِ، فَجَعَلَهَا حَلَقًا مُتَدَاخِلًا لِتَيْسِيرِ سَهْوَةِ الْحَرَكَةِ لِمَنْ لَبَسَهَا، وَكَانَتِ الدُّرُوعُ، مِنْ قَبْلُ، صَفَائِحَ. وَالْغَايَةُ مِنْ هَذِهِ الدُّرُوعِ هِيَ أَنْ تَقِيَّ الْمُقَاتِلَ بِأَسِ السَّلَاحِ وَأَذَاهُ، فَهَلْ تَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى مَا أَلْهَمَ عَبْدَهُ دَاوُدَ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ مِنْ أَجْلِكُمْ؟

صَنْعَةُ لَبُوسٍ - عَمَلُ الدُّرُوعِ الَّتِي تُلْبَسُ فِي الْحُرُوبِ.

لِتُخَصِّنَكُمْ - لِيَحْفَظَكُمْ وَتَقِيَكُمْ.

مِنْ بِأَسِكُمْ - مِنْ إِصَابَتِكُمْ بِسِلَاحِ عَدُوِّكُمْ.

(٧٨) وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ

فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ

(٧٩) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا

ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ

(٨٠) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ

لَكُمْ لِنُخَصِّنَكُمْ مِنْ بِأَسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ

(وَلِسُلَيْمَانَ) (بَارَكْنَا) (عَالَمِينَ)

(٨١) - وَسَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ سُلَيْمَانَ حَيْثُ يَشَاءُ عَاصِفَةً تَارَةً، وَرُخَاءً لَيِّنَةً تَارَةً أُخْرَى. وَهَذَا يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهَا تَجْرِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَقَدْ آتَى سُلَيْمَانَ مَا آتَاهُ لِمَا يَعْلَمُهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ وَالْحِكْمَةِ. عَاصِفَةً - شَدِيدَةً الْهُبُوبِ.

(الشَّيَاطِينَ) (حَافِظِينَ)

(٨٢) - وَسَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الشَّيَاطِينَ لِسُلَيْمَانَ: مِنْهُمْ مَنْ يَغُوصُونَ فِي الْمَاءِ يَسْتَخْرِجُونَ مِنْهُ اللَّالِيَّ وَالْجَوَاهِرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ كِبْنَاءِ الْحُصُونِ وَالْقُصُورِ (دُونَ ذَلِكَ)، وَيَحْرُسُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ بَعْضُ الشَّيَاطِينِ بِأَذَى، بَلْ إِنَّهُ جَعَلَ سُلَيْمَانَ مُحْكَمًا فِي الشَّيَاطِينِ، إِنْ شَاءَ أَطْلَقَ، وَإِنْ شَاءَ حَبَسَ مِنْهُمْ مَنْ أَرَادَ. يَغُوصُونَ لَهُ - فِي الْبَحَارِ لِاسْتِخْرَاجِ النِّفَائِسِ. لَهُمْ حَافِظِينَ - مِنَ الزَّيْغِ عَنْ أَمْرِهِ أَوْ الْإِفْسَادِ.

(الرَّاحِمِينَ)

(٨٣) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَصَابَ عَبْدَهُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنَ الْبَلَاءِ فِي مَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَسَدِهِ، وَلَبِثَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ مُدَّةً طَوِيلَةً فَنَادَى رَبَّهُ: يَا رَبِّ لَقَدْ مَسَّنِيَ الضَّرُّ فَارْحَمْنِي، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ جُودِكَ وَرَحْمَتِكَ مَا يُسَعِّفُنِي، وَيُدْفَعُ الضَّرَّ عَنِّي، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

(وَأَتَيْنَاهُ) (لِلْعَابِدِينَ)

(٨٤) - فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَائِهِ فَكَشَفَ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَدَاءٍ، وَعَوَّضَهُ أَهْلَهُ بِمِثْلِهِمْ، وَإِنَّمَا فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ رَحْمَةً مِنْهُ بِعَبْدِهِ أَيُّوبَ، وَجَعَلَهُ قُدْرَةً وَمِثَالًا لِكَيْلَا يَظُنَّ النَّاسُ مِنَ أَهْلِ الْبَلَاءِ أَنَّمَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ ذَلِكَ لِيَهْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَلِيَتَّسُوا بِهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ.

(إِسْمَاعِيلَ) (الصَّابِرِينَ)

(٨٥) - وَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ، كُلَّهُمْ مِنَ الرُّسُلِ الْكَرَامِ، الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى مَا آتَاهُمُ بِهِ اللَّهُ، وَأَخْبَتُوا لِرَبِّهِمْ، فَتَالُوا رِضَاهُ. ذُو الْكِفْلِ - نَبِيٌّ وَقِيلَ إِنَّهُ الْيَاسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٨١ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي

بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا
فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ

٨٢ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ

لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ

٨٣ وَيَأْتِيكَ إِذْ نَادَى
رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

٨٤ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ

مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ

٨٥ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ

وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنْ
الصَّابِرِينَ

(وَأَدْخَلْنَاهُمْ) (الصَّالِحِينَ)

(٨٦) - وإِنَّ تَعَالَى أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ رَحْمَتَهُ لَأَنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ .

(مُغَاضِبًا) (الظُّلُمَاتِ) (سُبْحَانَكَ) (الظَّالِمِينَ)

(٨٧) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وهو ذو النُونِ أَيُّ صَاحِبِ الْحُوتِ)، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ بَعَثَهُ نَبِيًّا إِلَى أَهْلِ نِينَوَى فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ فَأَبَوْا، وَتَمَادَوْا فِي كُفْرِهِمْ، فَخَرَجَ يُونُسُ مِنْ بَيْنِهِمْ مُغَاضِبًا لَهُمْ، وَأَنْذَرَهُمْ أَنَّ الْعَذَابَ وَقَعَ بِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَلَمَّا تَحَقَّقُوا مِنْ ذَلِكَ، وَعِلِمُوا أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَكْذِبُ، خَرَجُوا مِنَ الْبَلَدِ بِأَطْفَالِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ وَمَوَاتِيهِهِمْ، ثُمَّ تَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَازُوا إِلَيْهِ بِالْذُّعَاءِ، فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَصَرَفَهُ عَنْهُمْ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى (١).

أَمَّا يُونُسُ فَإِنَّهُ تَرَكَ قَوْمَهُ مُغَاضِبًا لَهُمْ، وَذَهَبَ فَرَكِبَ فِي سَفِينَةٍ فَاضْطَرَبَتْ وَخَافَ مَنْ فِيهَا مِنْ غَرَفَهَا، فَاقْتَرَعُوا عَلَى رَجُلٍ يُلْقُوهُ مِنْ بَيْنِهِمْ فِي الْمَاءِ يَتَحَقَّقُونَ مِنْهُ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونُسَ، فَأَبَوْا أَنْ يُلْقُوهُ، ثُمَّ أَعَادُوا الْقُرْعَةَ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ، فَأَبَوْا، ثُمَّ أَعَادُوا لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ، فَتَجَرَّدَ يُونُسُ مِنْ ثِيَابِهِ، وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْمَاءِ، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ بِصَاحِبِ الْحُوتِ (ذُو النُونِ).

وَكَانَ يُونُسُ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يُضَيِّقَ عَلَيْهِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، (أَوْ أَنَّهُ تَعَالَى لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ) فَكَانَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فِي ظُلْمَةٍ، وَفِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ فِي ظُلْمَةٍ، وَفِي ظِلَامِ اللَّيْلِ فِي ظُلْمَةٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) وَدَعَا رَبَّهُ قَائِلًا: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

ذُو النُونِ - هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالنُّونُ هُوَ الْحُوتُ.

مُغَاضِبًا - غَضَبَانٍ عَلَى قَوْمِهِ لِكُفْرِهِمْ.

لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ - لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ بِحَبْسٍ أَوْ نَحْوِهِ.

(وَنَجَّيْنَاهُ) (نُجِّي)

(٨٨) - وَلَمَّا نَادَى يُونُسُ رَبَّهُ وَدَعَاهُ، اسْتَجَابَ اللَّهُ لِذُعَائِهِ، وَنَجَّاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ، وَمِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَكَذَلِكَ يُنَجِّي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا كَانُوا فِي شِدَائِدٍ، وَدَعَا رَبَّهُمْ مُخْلِصِينَ إِلَيْهِ مُنِيبِينَ.

(١) سورة يونس، الآية: ٩٨.

٨٦ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا

إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ

٨٧ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا

فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى

فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

الظَّالِمِينَ

٨٨ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ

الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِّي

الْمُؤْمِنِينَ

(الْوَارِثِينَ)

(٨٩) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَما تَقَدَّمَتْ بِهِ السُّنُّ، وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُهَيِّئَ وَلَدًا يَرِثَ النُّبُوَّةَ مِنْ بَعْدِهِ، فَنادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا عَنْ قَوْمِهِ، وَقَالَ: رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا بِلَا وَلَدٍ، وَلَا وَارِثٍ، يَقُومُ بَعْدِي فِي النَّاسِ، وَأَنْتَ يَا رَبَّ خَيْرٌ مَنْ وَرِثَ الْعِبَادَ (وفي هذا الدُّعَاءُ إشارةٌ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهَلَاكِ الْبَشَرِ جَمِيعًا، وَبَقَاءِ اللَّهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ).

(يُسَارِعُونَ) (الْخَيْرَاتِ) (خَاشِعِينَ)

(٩٠) - فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ، وَأَصْلَحَ لَهُ زَوْجُهُ، إِذْ كَانَتْ عَاقِرًا لَا تَلِدُ فَازَالَ اللَّهُ الْمَوَانِعَ الَّتِي كَانَتْ تَمْنَعُهَا مِنَ الْحَمْلِ وَالْوِلَادَةِ، وَوَهَبَ لَهُ ابْنَهُ يَحْيَى، وَكَانَ زَكَرِيَّا وَزَوْجُهُ وَابْنُهُمَا يَحْيَى يَقُومُونَ بِعَمَلِ الْخَيْرِ، وَيَفْعَلُونَ الطَّاعَاتِ لِلَّهِ، وَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ خَيْرٍ، وَنَعِيمٍ، وَثَوَابٍ، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدَهُ مِنْ عَذَابٍ، وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ حَقًّا، خَاشِعِينَ لِلَّهِ وَمُصْذِقِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ. رَغْبًا وَرَهْبًا - رَجَاءً فِي الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ. خَاشِعِينَ - مُتَذَلِّلِينَ خَاضِعِينَ.

(وَجَعَلْنَاهَا) (آيَةً) (لِلْعَالَمِينَ)

(٩١) - يَذْكُرُ تَعَالَى قِصَّةَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَيَصِفُهَا بِالْعِفَّةِ وَالطَّهَارَةِ وَإِخْصَانِ النَّفْسِ، فَفَتَحَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ، فَحَمَلَتْ بِابْنِهَا عِيسَى، وَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ وَابْنَهَا عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، دَلَالَةً مِنَ اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ يَصْدُرُ مَرَّةً وَاحِدَةً، لَا يَتَكَرَّرُ فَيَكُونُ مَا أَرَادَ فِي لَمَحَةٍ بَصَرٍ. أَخْصَنَتْ فَرْجَهَا - حَفِظَتْهُ.

مِنْ رُوحِنَا - مِنْ جِهَةِ رُوحِنَا! وَالرُّوحُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(وَاحِدَةً)

(٩٢) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الْإِنْفِيزَادُ لَهُ وَحْدَهُ، لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ، وَعَلَيْهِ اتَّفَقَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالشَّرَائِعِ، وَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا فِي الصُّورِ وَالرُّسُومِ، بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَزْمَةِ وَالْأَمَكَةِ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. (وفي الْحَدِيثِ: نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ: دِينُنَا وَاحِدٌ) وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمَقْصُودَ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِشَرَائِعٍ مُتَنَوِّعَةٍ لِرُسُلِهِ.

أَمَّتْكُمْ - مِلَّتْكُمْ (الْإِسْلَامُ).

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ، وَزَوْجُهُ إِتْنَهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ

(رَاجِعُونَ)

(٩٣) - ثُمَّ اخْتَلَفْتَ الْأُمَمُ عَلَى رُسُلِهَا، فَصَارُوا فِرْقًا كَثِيرَةً فَمِنْ بَيْنِ مُكَذِّبٍ وَمُصَدِّقٍ لَهُمْ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى جَمِيعًا، فَيَجَازِي كُلًّا بِحَسَبِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا.
(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ: إِنَّ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا شَيْعًا وَاخْتَلَفُوا هُمُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَدْ تَفَرَّقُوا فِرْقًا كَثِيرَةً، كُلُّ فِرْقَةٍ تَنْعِي عَلَى مَا سَوَاهَا، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ مِنْ عِبَرِ الْمَاضِي مَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ هَذَا التَّفَرُّقِ).
تَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ - تَفَرَّقُوا فِي دِينِهِمْ فِرْقًا وَأَحْزَابًا.

(الصَّالِحَاتِ) (كَاتِبُونَ)

(٩٤) - فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُضِيعُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ، وَلَا يَكْفُرُهُ سَعْيَهُ، بَلْ يَشْكُرُهُ لَهُ، وَيَكْتُبُ لَهُ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ، فَلَا يُضِيعُ شَيْءٌ مِنْهَا، وَلَا يَظْلِمُهُ مِنْ عَمَلِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ.

(حَرَامٌ) (أَهْلُكُنَّهَا)

(٩٥) - وَقَدْ قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرَ أَنَّ كُلَّ قَرْيَةٍ أَهْلَكَ اللَّهُ أَهْلَهَا بِظُلْمِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَيَاةِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَهَذَا تَأْكِيدٌ لِلرَّجْعَةِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
حَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ - مُنْتَهَجُ الْبَتَّةِ عَلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ.
أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ - إِلَى الْحَيَاةِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(٩٦) - وَيَسْتَمِرُّ هَذَا الْاِمْتِنَاعُ مِنَ الرَّجْعَةِ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ إِشَارَاتِ قِيَامِهَا أَنْبِيَاءَ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجَ فِي الْأَرْضِ، يَهْلِكُونَ الْحَرَّتَ وَالنَّسْلَ، يَقْتُلُونَ وَيَذْمُرُونَ، وَيَنْطَلِقُونَ مِنْ كُلِّ مُرْتَفَعٍ (حَدَبٍ) يُسْرِعُونَ الْمَشْيَ (يَنْسِلُونَ) إِلَى الْفَسَادِ، فَيَمْوِجُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، هَرَبًا مِنْهُمْ، مُحَاوِلِينَ الْأَنْجِيزَ إِلَى حُصُونِهِمْ وَقِلَاعِهِمْ وَمَعَاqِلِهِمْ لِلنَّجَاةِ مِنْ شُرُورِهِمْ.
حَدَبٍ - مُرْتَفَعٍ مِنَ الْأَرْضِ.
يَنْسِلُونَ - يُسْرِعُونَ الْمَشْيَ فِي الْخُرُوجِ.

٩٣ وَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
كُلُّ الْيَنَارِ جِجُوبٌ

٩٤ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوبٌ

٩٥ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا
أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ

٩٦ حَقَّ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ
وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ
حَدَبٍ يَنْسِلُونَ

(شَاحِصَةً) (أَبْصَارُ) (يَا وَيْلَنَا) (ظَالِمِينَ)

(٩٧) - فَإِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ الْأَهْوَالُ وَالزَّلَازِلُ، وَحَدَّثَتِ الْقُوضَى بِخُرُوجِ قَوْمٍ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجَ، فَذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى اقْتِرَابِ الْوَعْدِ الْحَقِّ (قِيَامِ السَّاعَةِ). فَإِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ يُفَاجَأُ الْكَافِرُونَ بِهَا، وَيَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ مَشْدُوهِينَ مَبْهُوتِينَ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَأَبْصَارُهُمْ شَاحِصَةٌ مِنْ هَوْلٍ مَا يَرُونَ: لَقَدْ كُنَّا غَافِلِينَ فِي الدُّنْيَا عَنْ هَذَا الْيَوْمِ. وَيَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ، فَيَنْدُمُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا، وَلَآتِ سَاعَةٌ مِّنْهُمْ.

الْوَعْدُ الْحَقُّ - قِيَامُ السَّاعَةِ وَالْبَعْثُ وَالْحِسَابُ.
شَاحِصَةٌ أَبْصَارُ - مُرْتَفَعَةٌ أَبْصَارُهُمْ لَا تَكَادُ تَطْرُقُ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ.

(وَارِدُونَ)

(٩٨) - وَيَخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ قَائِلًا لَهُمْ: إِنَّهُمْ وَالْأَصْنَامَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا سَيَكُونُونَ جَمِيعًا وَقُودًا لِنَارِ جَهَنَّمَ، وَسَيَدْخُلُونَهَا يُقَدِّفُونَ فِيهَا قَدْفًا كَمَا تَقْدَفُ النَّوَاءُ وَالْحِصَاةُ.

(وَقُرِئَ أَيْضًا) (حَطَبُ جَهَنَّمَ)، وَاللَّفْظَانِ مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى حَصَبُ جَهَنَّمَ - حَطْبُهَا وَوَقُودُهَا، أَوْ مَا يُلْقَى فِيهَا إلقاءً لَهَا وَارِدُونَ - مُقَدِّمُونَ عَلَيْهَا، أَوْ دَاخِلُونَ فِيهَا.

(آلِهَةً) (خَالِدُونَ)

(٩٩) - لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ وَالْأَنْدَادُ آلِهَةً حَقِيقَةً لَّمَّا دَخَلُوا نَارَ جَهَنَّمَ، وَلَمَّا بَقُوا خَالِدِينَ فِيهَا مَعَ مَنْ عَبَدُوها.

(١٠٠) - يُسْمَعُ فِيهَا صَوْتُ زَفِيرِهِمْ مِنْ شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ وَالشِدَّةِ، وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا مِّمَّا يَجْرِي حَوْلَهُمْ لِشِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ، وَلَا رَتْفَاعَ صَوْتِ زَفِيرِهِمْ.

(وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِذَا بَقِيَ فِي النَّارِ مَنْ قَضَى اللَّهُ خُلُودَهُمْ فِيهَا جُعِلُوا فِي تَوَابِيَتْ مِنْ نَّارٍ فَلَا يَرَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّ فِي النَّارِ غَيْرَهُ مِمَّنْ يُعَذِّبُونَ) زَفِيرٌ - تَنْفُسٌ شَدِيدٌ، وَهُوَ إِخْرَاجُ النَّفْسِ مِنَ الرِّئَتَيْنِ.

(أُولَئِكَ)

(١٠١) - أَمَّا الَّذِينَ قَضَى اللَّهُ لَهُمْ بِالرَّحْمَةِ وَالسَّعَادَةِ بِسَبَبِ إِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيَا، فَأُولَئِكَ يُبْعَدُونَ عَنْ جَهَنَّمَ جَزَاءً لَهُمْ، وَتَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا

هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصُرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَيُولِيْنَا قَدْ كُنَّا فِي
عَقْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ

إِنَّكُمْ وَمَنْ يَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ

لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ آلِهَةً

مَا وَرَدُّوْهَا وَكُلٌّ فِيهَا
خَالِدُونَ

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا
لَا يَسْمَعُونَ

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا

الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا
مُبْعَدُونَ

(خَالِدُونَ)

(١٠٢) - وَلَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ النَّارِ، (حَسِيسَهَا) وَهِيَ تَسْرِي وَتُحْرِقُ لِيُعَذِّبَهُمْ عَنْهَا، وَيَكُونُونَ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، مُخَلَّدِينَ فِيهَا، وَلَهُمْ فِيهَا كُلُّ مَا تَشْتَهُهُ أَنْفُسُهُمْ. حَسِيسَهَا - صَوْتَ حَرَكَةِ لَهَبِهَا.

(وَتَلْقَاهُمْ) (الْمَلَائِكَةُ)

(١٠٣) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ - يَوْمِ الْقِيَامَةِ - يَسْتَوِي عَلَى الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ لَهَوْلٌ مَا يَرَوْنَهُ، وَلَهَوْلٌ الْمَفَاجِئَةُ، وَلَهَوْلٌ مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ حِسَابٍ كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ. وَلَكِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ الْحُسْنَى مِنْ رَبِّهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُخِيفُهُمْ ذَلِكَ الْفَرْعُ، وَلَا يَحْزَنُهُمْ، فَقَدْ جَنَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى النَّارَ، وَجَنَّبَهُمْ سَمَاعَ حَسِيسِهَا، وَرُؤْيَا مَا فِيهَا، وَأَدْخَلَهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ، فَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَسْلُمُونَ عَلَيْهِمْ، وَيُهَيِّئُونَ لَهُمُ السَّلَامَةَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ.

(فَاعِلِينَ)

(١٠٤) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ، يَطْوِي اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ كَمَا تَطْوِي الصَّحِيفَةُ فِي الْكِتَابِ، وَكَمَا بَدَأَ اللَّهُ خَلْقَ الْكَوْنِ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ قَبْلًا، كَذَلِكَ يُعِيدُ خَلْقَهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِ. وَذَلِكَ وَاجِبُ الْوُقُوعِ لِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ، وَمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقَعَ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا.

السَّجَلُ - الصَّحِيفَةُ الَّتِي يُكْتُبُ فِيهَا.

لِلْكَتُبِ - عَلَى مَا كُتِبَ فِيهَا.

(الصَّالِحُونَ)

(١٠٥) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَتَمِهِ وَقَضَائِهِ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ بِالسَّعَادَةِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَوَرَاثَةِ الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ قَضَى فِي الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ (الرُّبُورِ) كَمَا قَضَى فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ وَهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ (الذِّكْرِ) أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا الصَّالِحُونَ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَقَدْ جَعَلَ ذَلِكَ سُنَّةً وَمِنْهَا جَاءَ.

(وَالصَّالِحُونَ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، فَإِذَا اجْتَمَعَ إِيمَانُ الْقَلْبِ، وَنَشَاطُ الْعَمَلِ فِي أُمَّةٍ فَهِيَ الْوَارِثَةُ لِلْأَرْضِ. وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ أَبَدًا).

(الرُّبُورُ - الْكُتُبُ الْمُتَرَتِّلَةُ، وَالرُّبُورُ قِسْمٌ مِنْ كِتَابٍ أَوْ هُوَ الْكِتَابُ الْمُتَرَتِّلُ

عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الذِّكْرُ - اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ - وَهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ

فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
خَالِدُونَ

لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ

وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ
تُوعِدُونَ

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ

السَّجَلِ لِلْكِتَابِ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ،

وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرُّبُورِ مِنْ

بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ

(لَبَّاعًا) (عَابِدِينَ)

(١٠٦) - وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَى عَبْدِنَا مُحَمَّدٍ، وَمَا يَكْشِفُهُ مِنْ سُنَنِ الْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ، وَمِنْ مَصَائِرِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْ قَوَاعِدِ الْعَمَلِ وَالْجَزَاءِ، بَلَاغٌ وَكَفَايَةٌ لِلْعَابِدِينَ الْخَاشِعِينَ، الَّذِينَ يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، الْمُسْتَعِدِّينَ لِتَقْبِيلِ هُدَى اللَّهِ وَالْإِنْتِفَاعِ بِهِ.

لَبَّاعًا - كَفَايَةٌ أَوْ وُضُولًا إِلَى الْبُغْيَةِ.

(أَرْسَلْنَاكَ) (لِلْعَالَمِينَ)

(١٠٧) - وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِهَذَا وَأَمْثَالِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ إِلَّا لِرَحْمَةِ النَّاسِ، وَهَدَايَتِهِمْ فِي شُؤُونِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَلَا يَهْتَدِي بِهِ إِلَّا الْمُتَهَيِّئُونَ لِتَقْبِيلِ الْهُدَى.

(وَاحِدٌ)

(١٠٨) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ، وَلِمَنْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ إِلَهُكُمْ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَمْرِي بِأَنْ أَسْأَلَكُمْ هَلْ تَقْرُونَ بِذَلِكَ، وَتُسَلِّمُونَ لَهُ، وَتَتَقَادُونَ إِلَيْهِ؟

(أَدْنَتْكُمْ)

(١٠٩) - فَإِنْ رَفَضُوا الِاسْتِجَابَةَ إِلَى مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُ فَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ كَمَا أَنْتُمْ بَرَاءٌ مِنِّي وَقَدْ أَعْلَمْتُكُمْ جَمِيعًا بِمَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي، وَبِذَلِكَ اسْتَوَيْنَا فِي الْعِلْمِ أَنَا وَأَنْتُمْ. وَقُلْ لَهُمْ: إِنْ مَا يُوعَدُونَ بِهِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَكِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ، قَرِيبًا أَمْ بَعِيدًا، لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُطْلِعْكَ عَلَيْهِ.

أَدْنَتْكُمْ - أَعْلَمْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُ بِهِ.

عَلَى سَوَاءٍ - مُسْتَوِينَ جَمِيعًا فِي الْإِغْلَامِ.

وَأَنْ أَدْرِي - وَمَا أَدْرِي.

إِنَّ فِي هَذَا الْبَلَاغِ الْقَوْمِ
عَابِدِينَ

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ

قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا
إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آدَنْتُكُمْ
عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ
أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ
الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ

(١١٠) - إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ جَمِيعَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يُظَاهِرُهُ الْعِبَادُ، وَمَا يُسِرُّونَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ فِي سِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَجْهَرُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ، مِنْ تَكْذِيبِ الرَّسُولِ، وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ، وَأَيَاتِهِ، وَيَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ مِنَ الْعَدَاءِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْأَذَى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ تَعَالَى سَوْفَ يَجْزِيهِمُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى.

(وَمَتَاعٌ)

(١١١) - وَمَا أَذْرِي سَبَبَ تَأْخِيرِ وَقُوعِ الْجَزَاءِ بِكُمْ ؛ لَعَلَّ فِي ذَلِكَ زِيَادَةً فِي فِتْنَتِكُمْ وَامْتِحَانِكُمْ لِيَنْظُرَ رَبُّكُمْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ؛ أَوْ لَعَلَّهُ يُؤَخِّرُكُمْ إِلَى حِينٍ كِي تَتَمَتَّعُوا بِلَذَاتِ الدُّنْيَا مَعَ اسْتِمْرَارِ إِعْرَاضِكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ ، فَيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِاسْتِحْقَاقِكُمُ الْعَذَابَ .
فِتْنَةٌ لَكُمْ - امْتِحَانٌ وَاجْتِبَاءٌ .

(قَالَ)

(١١٢) - وَقَالَ الرَّسُولُ : اللَّهُمَّ أَفْصِلْ (احْكُم) بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ كَذَّبَنِي ، وَكَفَّرَ بِكَ ، وَعَبَدَ غَيْرَكَ ، بِإِحْلَالِ نِقْمَتِكَ بِهِ بِالْعَدْلِ الَّذِي يَفْتَضِي تَعْجِيلَ الْعَذَابِ لَهُ ، وَتَشْدِيدَهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَقُولُونَ مِنَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ (مَا تَصِفُونَ) .

﴿٣١﴾ وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ

﴿٣٢﴾ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ

(٢٢) سُورَةُ الْحَجِّ فَلَنِيبُنَّ
وَاتَّيَّبُوا لَهَا بَاقِينَ وَسَيَجْزِي
كَفَرًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا)

(١) - يَا أَيُّهَا اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ بِتَقْوَاهُ، وَإِطَاعَةِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ أُمُورٍ عَظَامٍ، وَزَلْزَلَةٍ يَشِيبُ لِهَوْلِهَا الْوِلْدَانُ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ: هَلْ تَكُونُ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ قَبْلَ قِيَامِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ تَكُونُ بَعْدَ قِيَامِهِمْ وَنُشُورِهِمْ:

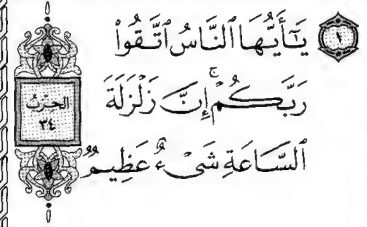
١ - فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ تَكُونُ فِي آخِرِ عُمْرِ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ أَحْوَالِ السَّاعَةِ. وَفِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ:

نَفْخَةُ الْفَرَجِ - فَيَفْزَعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَتَسِيرُ الْجِبَالُ فَتَكُونُ تَرَابًا، وَتَرْجُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعَهَا الرَّادِفَةُ﴾^(١) فَيَتَمَدَّدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، وَتَذْهَلُ الْمَرَاضِعُ عَنْ رُضْعَانِهَا، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الْوِلْدَانُ، وَيُولِي النَّاسُ مُدِيرِينَ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾^(٢)، فَيَتِمَّا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَنْصَدَعَتِ الْأَرْضُ مِنْ قَطْرِ إِلَى قَطْرٍ، وَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا، فَأَخَذَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْكَرْبِ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هِيَ كَالْمُهْلِ، ثُمَّ خُفِفَ شَمْسُهَا وَقَمَرُهَا، وَأَنْتَثَرَتْ نُجُومُهَا، ثُمَّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ، وَالْأَمْوَاتُ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

ب - نَفْخَةُ الصُّعْقِ - وَبِهَا يُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

(١) سورة النازعات، الآية: ٧.

(٢) سورة غافر، الآية: ٣٢.



ج - نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ - وَبِهَا يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ وَيَقُومُونَ لِرَبِّ الْعِبَادِ).

٢ - وَقَالَ مُفسِّرُونَ آخَرُونَ بَلْ ذَلِكَ هُوَ الْفَزَعُ وَزَلْزَالَ كَاتِنٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعَرَصَاتِ بَعْدَ قِيَامِ الْأَمْوَاتِ مِنْ قُبُورِهِمْ. وَسَاقُوا عَلَى ذَلِكَ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ.

الزَّلْزَالُ - الهَزْةُ الشَّدِيدَةُ الَّتِي تَحْدُثُ فِي الْأَرْضِ.
وَزَلْزَلَةُ السَّاعَةِ - أَهْوَالُ الْقِيَامَةِ وَشِدَائِدُهَا وَمَا يَحْدُثُ لِلنُّفُوسِ مِنَ الرُّعْبِ وَالْفَزَعِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

(سُكَارَى) (سُكَارَى)

(٢) - وَمِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ الَّذِي يُدَاخِلُ النَّفُوسَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيْبِ، تَرَى الْمَرَاضِعَ ذَاهِلَةً عَنْ رُضْعَانِهَا، وَهُمْ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهَا، وَتُسْقِطُ الْحَوَامِلُ أَجْتَنُّهُنَّ قَبْلَ تَمَامِ مَدَّةِ الْحَمْلِ، وَيَبْدُو النَّاسُ وَكَأَنَّهُمْ سُكَارَى، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مَا بِهِمْ مِنْ سُكْرِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْهَوْلِ وَالْخَوْفِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ، الَّذِي يَجْعَلُهُمْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الضَّيَاعِ.

تَذَهَلُ - تَغْفَلُ وَتُسْغَلُ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ.

(بُجَادِلُ) (شَيْطَانِ)

(٣) - بَعْدَ أَنْ شَرَحَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ النَّاسِ يَوْمَ الْحَشْرِ، وَبَعْدَ أَنْ أَكَّدَ أَنَّ الْحَشْرَ وَالْفَزَعَ وَأَقْعَانِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا مَحَالَةَ، قَالَ تَعَالَى: وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ هُنَاكَ بَعْضَ النَّاسِ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ: فِي وُجُودِ اللَّهِ، وَفِي وَحْدَانِيَّتِهِ، وَفِي قُدْرَتِهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى... وَفِي عِلْمِهِ. وَجِدَالُهُمْ هَذَا بِغَيْرِ عِلْمٍ صَحِيحٍ، وَيَدُونُ ذَلِيلٍ وَأَضْحَى، وَهُوَ جِدَالٌ نَاتِجٌ عَنِ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ الْمُتَمَرِّدِ عَلَى رَبِّهِ.

الْمَرِيدُ - الْعَاتِي الْمُتَجَرِّدُ لِلْفَسَادِ، الْمُخَالِفُ لِلْحَقِّ.

(٤) وَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَنْ اتَّبَعَ الشَّيْطَانَ وَقَلَّدَهُ وَاتَّخَذَهُ هَادِيًا، فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ فِي الدُّنْيَا، بِمَا يُوسَّسُ لَهُ مِنْ اتِّبَاعِ الْعَوَايَةِ وَالْفُجُورِ، وَيَقُودُهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى عَذَابٍ حَارٍّ مُؤْلِمٍ وَمُرْعِجٍ. وَهَذِهِ النَّتِيجَةُ هِيَ حَتْمٌ مُقَدَّرٌ مِنَ اللَّهِ. (وَيَنْتَهِكُمُ التَّعْبِيرُ عَلَى الْكُفَّارِ فَيُسَمَّى قِيَادَةَ الشَّيْطَانِ اتِّبَاعَهُ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ هَذَاهِيَ).

تَوَلَّاهُ - اتَّخَذَهُ وَلِيًّا وَتَبِعَهُ.

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَلُ كُلُّ

مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ

وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ

حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى

وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ

عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ

بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ

شَيْطَانٍ مُرِيدٍ

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ

يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ

السَّعِيرِ

(يَا أَيُّهَا) (خَلَقْنَاكُمْ)

(٥) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْمُنْكَرِ لِلْمَعَادِ وَالْمَعَادِ، ذَكَرَ هُنَا الدَّلِيلَ عَلَى قُدْرَتِهِ بِمَا يُشَاهَدُ مِنْ بَذْيِهِ الْخَلْقَ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَشْكُونَ فِي قُدْرَتِنَا عَلَى بَعْثِ الْأَمْوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَخَلْقِهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا، فَانظُرُوا إِلَى مَبْدَأِ خَلْقِكُمْ لِيُزِيلَ شُكَّكُمْ، وَلِتَعْلَمُوا أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى خَلْقِكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ عَدَمٍ، هُوَ أَقْدَرُ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِكُمْ ثَانِيَةً، لِأَنَّ الْإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الْإِبْدَاءِ، فَقَدْ خَلَقْنَا أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ يُخَلِّقُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ - أَيٍّ مِنْ نُطْفَةٍ - ثُمَّ تُصْبِحُ النُّطْفَةُ عَلَقَةً حُمْرَاءَ، ثُمَّ تُصْبِحُ الْعَلَقَةُ مُضْغَةً، ثُمَّ تَبْدَأُ الْمُضْغَةُ فِي الشَّكْلِ، وَتَبْدُو مَلَامِيحَ الرَّأْسِ وَالْأَطْرَافِ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الْمُضْغَةَ قَدْ تُسْقِطُهَا الْمَرْأَةُ قَبْلَ اكْتِمَالِ مُدَّةِ الْحَمْلِ - أَيٍّ قَبْلَ اكْتِمَالِ خَلْقِهَا - وَقَدْ تَبَقَّى هَذِهِ الْمُضْغَةُ حَتَّى اكْتِمَالِ خَلْقِهَا، فَتُخْرَجُ طِفْلًا ضَعِيفًا فِي بَذْيِهِ، وَفِي سَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَخَوَاسِمِهِ، ثُمَّ يُعْطِيهِ اللَّهُ الْقُوَّةَ شَيْئًا فَشَيْئًا، فَيَبْلُغُ أَشَدَّهُ وَتَكَامُلَ فِي قُوَّتِهِ، ثُمَّ يَتَزَايَدُ فَيَصِلُ إِلَى عُتُقَوَانِ الشَّبَابِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَوَفَّى فِي حَالِ شَبَابِهِ وَقُوَّتِهِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ إِلَى الشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ وَالضَّعْفِ فِي الْقُوَّةِ وَالْعَقْلِ وَالْفَهْمِ، وَيُصِيبُهُ الْخَرَفُ، وَضَعْفُ الذَّاكِرَةِ، فَإِذَا هُوَ بَعْدَ الْقُوَّةِ وَالْإِكْتِمَالِ يَرْتَدُّ طِفْلًا فِي وَغِيهِ وَمَذَارِكِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَيَنْسَى عِلْمَهُ فَلَا يَعُودُ يَذْكُرُ مِنْهُ شَيْئًا (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا).

وَيَسُوقُ اللَّهُ تَعَالَى دَلِيلًا آخَرَ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَهُوَ إِحْيَاءُ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ الْهَامِدَةِ الَّتِي لَا تَبُتُ فِيهَا، فَإِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ تَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ، وَحَيَّتْ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَرَبَّتْ وَارْتَفَعَ التُّرَابُ الَّذِي عَلَى سَطْحِهَا مِنْ حَرَكَةِ النَّبَاتِ تَحْتَهُ ثُمَّ أَتَبَتِ الْأَرْضُ نَبَاتًا حَسَنَ الْمَنْظَرِ، طَيِّبَ الرَّائِحَةِ، يُبْهِجُ الْعُيُونَ النَّاطِرَةَ إِلَيْهِ.

هَامِدَةٌ - سَاكِنَةٌ أَوْ مَيِّتَةٌ يَابِسَةٌ.

بُهِجَ - بِيَّهَجَ النَّفْسَ بِمَرَاةٍ.

عَلَقَةٌ - قِطْعَةٌ دَمٍ جَامِدَةٌ.

مُضْغَةٌ - قِطْعَةٌ لَحْمٍ يَقْدَرُ مَا يُمَضَّغُ.

مُخْلَقَةٌ - مُسْتَبِينَةُ الْخَلْقِ مُصَوَّرَةٌ.

رَبَّتْ - ارْتَفَعَ قَوْفُهَا التُّرَابُ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يَسُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ

(يُحْيِي)

(٦) - وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَبْدَأَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ تُرَابٍ، وَتَطَوَّرَ الْجَنِينِ فِي مَرَاجِلِ تَكْوِينِهِ، وَتَطَوَّرَ الْوَلَدُ فِي مَرَاجِلِ حَيَاتِهِ، وَأَنْبَعَثَ الْحَيَاةُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَهُمْ مَوْجُودَةٌ، لِيَذِلَّ النَّاسُ عَلَى أَنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَنَّ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ بَاطِلٌ، وَأَنَّ تَعَالَى جَعَلَ ذَلِكَ مِنَ السَّنَنِ الْمُطَرَّدَةِ فَلَا تَخْتَلِفُ وَلَا تَتَخَلَّفُ. فَكَمَا أَحْيَا اللَّهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ عَلَيْهَا، وَأَنْبَتَ فِيهَا الزَّرْعَ وَالنَّبَاتَ، كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى.

(آيَةٌ)

(٧) - وَلَيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ السَّاعَةَ سَتَأْتِي فِي الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ لَهَا، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ وَلَا رَيْبَ. وَجَمِيعُ الْيَوْمِ مَوْعِدٌ قِيَامِ السَّاعَةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيُعِيدُ خَلْقَهُمْ مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ أَنْ صَارُوا رَمِيمًا.

(يُجَادِلُ) (كِتَابُ)

(٨) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ سَابِقَةٍ حَالَ الضَّالِّينَ مِنَ الْجَهْلَةِ الْمُقْلِدِينَ لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَبِمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ^(١) ذَكَرَ هُنَا حَالَ الدَّاعِينَ إِلَى الضَّلَالَةِ مِنْ رُؤُوسِ الْكُفْرِ وَالْبِدْعِ فَقَالَ: وَبِمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَبِدُونِ عَقْلِ صَحِيحٍ، وَبِدُونِ نَقْلِ صَرِيحٍ مِنْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا يُجَادِلُ لِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالْهَوَى وَالْعِنَادِ.

(الْقِيَامَةُ)

(٩) - وَهُوَ يُجَادِلُ مُسْتَكْبِرًا عَنِ الْحَقِّ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهِ. وَقَدْ لَوَى رَقَبَتَهُ (ثَانِي عَطْفِهِ) إِعْرَاضًا عَنِ الْحَقِّ، وَغَايَتُهُ مِنْ ذَلِكَ إِضْلَالُ النَّاسِ وَصَرْفُهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ. وَهَذَا الْمُضِلُّ الْمُسْتَكْبِرُ الْمُتَجَبَّرُ، لَهُ فِي الدُّنْيَا ذُلٌّ وَمَهَانَةٌ (خِزْيٌ) مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، جَزَاءٌ لَهُ عَلَى اسْتِكْبَارِهِ، وَيَجْزِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِإِخْضَاعِهِ إِلَى عَذَابٍ مُحْرِقٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

ثَانِي عَطْفِهِ - لَاوِيًا رَقَبَتَهُ أَوْ جَانِبَهُ تَكْبَرًا وَتَجَبُّرًا وَإِبَاءً.
خِزْيٌ - ذُلٌّ وَهَوَانٌ.

٦ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

٧ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ

٨ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ

٩ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ

(بِظُلَامٍ)

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَإِنَّ اللَّهَ
لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ

(١٠) - وَيُقَالُ لَهُ وَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ تَفْرِيعاً وَتَوْبِيخاً: إِنْ مَا تَذَوَّقَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَتَلَاقِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، إِنَّمَا هُوَ جَزَاءُ لَكَ عَلَى مَا قَدَّمْتَ يَدَكَ فِي الدُّنْيَا مِنْ سَيِّئِ الْأَعْمَالِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَادِلٌ لَا يَظْلِمُ عِبْدَهُ أَبَداً.

(١١) - وَمِنَ النَّاسِ صِنْفٌ لَمْ يَتَمَكَّنِ الْإِيمَانُ مِنْ قَلْبِهِ، بَلْ هُوَ مُتَزَعِرٌ عَنِ الْعَقِيدَةِ، تَتَحَكَّمُ مَصَالِحُهُ فِي إِيمَانِهِ، فَإِنْ أَصَابَهُ رَحَاءٌ وَسَعَةٌ عَيْشٍ، رَضِيَ وَاطْمَأَنَّ وَاسْتَبَشَرَ بِالَّذِينَ فَعَبَدَ اللَّهَ، وَإِنْ أَصَابَهُ شَرٌّ وَبَلَاءٌ، وَضِيقُ عَيْشٍ، ارْتَدَّ وَرَجَعَ إِلَى الْكُفْرِ فَخَسِرَ فِي الدُّنْيَا رَاحَةً الْاطْمِئْنَانِ إِلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ، كَمَا خَسِرَ فِي الْآخِرَةِ النَّعِيمَ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي بَعْضِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيُسَلِّمُونَ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ فَإِنْ وَجَدُوا عَامَ غَيْثٍ وَخَضِبٍ، وَعَامَ وِلَادٍ حَسَنٍ قَالُوا: إِنَّ دِينَنَا هَذَا لَصَالِحٌ فَتَمَسَّكُوا بِهِ. وَإِنْ وَجَدُوا عَامَ جَذَبٍ، وَعَامَ وِلَادٍ سُوءٍ، قَالُوا: مَا فِي دِينِنَا هَذَا خَيْرٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ).

وَهَذِهِ الْآيَةُ تَنْطَبِقُ عَلَى الْمُنَافِقِ الَّذِي إِنْ صَلَحَتْ لَهُ دُنْيَاهُ أَقَامَ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَإِنْ فَسَدَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَتَغَيَّرَتْ انْقَلَبَ كَافِراً فَلَا يُقِيمُ عَلَى الْعِبَادَةِ إِلَّا لِمَا صَلَحَ مِنْ دُنْيَاهُ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَوْ شِدَّةٌ أَوْ ضِيقٌ تَرَكَ دِينَهُ، وَرَجَعَ إِلَى الْكُفْرِ، وَارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾، فَلَا يَحْصُلُ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى شَيْءٍ. وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، فَهُوَ فِيهَا فِي غَايَةِ الشَّقَاءِ وَالْإِهَابَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أَيِ الْخَسَارَةِ الْعَظِيمَةِ وَالصَّفَقَةِ الْخَاسِرَةِ. عَلَى حَرْفٍ - عَلَى شَكِّ وَقَلْتِ وَتَرْتَلُزِلِ فِي الدِّينِ.

(يَدْعُو) (الضَّلَالُ)

(١٢) - وَهَذَا الْمُرْتَدُّ إِلَى الْكُفْرِ، الَّذِي خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ، وَيَسْتَعِيْثُ بِهَا، وَيَسْتَصْرِهَا وَيَسْتَرْفِقُهَا، وَهِيَ لَا تَنْفَعُهُ وَلَا تَضُرُّهُ، وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ عَنِ الْحَقِّ، وَالسَّيْرُ عَلَى غَيْرِ هُدًى.

يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا
لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ
ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ

(يَدْعُو)

(١٣) - وَيَدْعُو هَذَا الْعَابِدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ مِنْ صَرُّهُ فِي الدُّنْيَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْعِهِ، وَأَمَّا صَرُّهُ فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ مُحَقَّقٌ مُؤَكَّدٌ، وَيُسَّ السُّؤْنُ الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ الضَّالُّ مَوْلَى لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَاتَّخَذَهُ وَلِيًّا وَنَاصِرًا، وَيُسَّ الْمُخَالِطُ وَالْمُعَاشِرُ.

يُسَّ الْمَوْلَى - يُسَّ النَّاصِرُ

الْعَشِيرُ - الْمُصَاحِبُ الْمُعَاشِرُ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٍ) (الْأَنْهَارِ)

(١٤) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الشَّقَاءِ وَالضَّلَالَةِ، عَطَفَ بِذِكْرِ الْأَبْرَارِ السَّعْدَاءِ الَّذِينَ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ، وَصَدَّقُوا إِيْمَانَهُمْ بِأَفْعَالِهِمْ فَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ، وَتَرَكُوا الْمُنْكَرَاتِ، فَجَازَاهُمْ اللَّهُ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ بِأَنْ أَوْزَنَهُمُ الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ فِي الْآخِرَةِ. وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَضَلَّ أَوَّلَكُمْ، وَهَدَى هَؤُلَاءِ، قَالَ إِنَّ الْأَمْرَ يَعُودُ إِلَيْهِ تَعَالَى فَهُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

(الْآخِرَةِ)

(١٥) - مَنْ كَانَ يَطْنُ مِنَ الْكُفَّارِ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَنْصُرَ مُحَمَّدًا، وَدِينَهُ، وَكِتَابَهُ، فَلْيَذْهَبْ فَلْيَقْتُلْ نَفْسَهُ بِرَبْطِ حَبْلٍ فِي سَقْفِ بَيْتِهِ، ثُمَّ لِيُخْنَقْ نَفْسُهُ بِهِ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ غَائِظَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ لَا مَحَالَةَ. فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (١).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: فَلْيَنْظُرْ هَذَا الْمَغِیْظُ هَلْ يَنْفِي فِعْلُهُ هَذَا - أَيْ خَنَقَ نَفْسِهِ بِحَبْلٍ فِي سَقْفِ بَيْتِهِ - صَدْرَهُ مِنَ الْغَيْظِ، وَهَلْ يُحَقِّقُ فِعْلُهُ هَذَا رَغْبَةً نَفْسِهِ فِي أَنْ لَا يَنْصُرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ؟ كَلَّا إِنْ ذَلِكَ لَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَى غَايَتِهِ. يَنْصُرُهُ اللَّهُ - أَيْ يَنْصُرُ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا.

يُسَبِّحُ إِلَى السَّمَاءِ - بِحَبْلٍ إِلَى سَقْفِ بَيْتِهِ.
ثُمَّ لِيَقْطَعَ - ثُمَّ لِيُخْنَقَ بِهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَمُوتَ.
كَيْدُهُ - صَنِيعُهُ بِنَفْسِهِ.

(أَنْزَلْنَاهُ) (آيَاتٍ) (بَيِّنَاتٍ)

(١٦) - وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ (بَيِّنَاتٍ)، فِي لَفْظِهَا وَمَعْنَاهَا، لِتَكُونَ حُجَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ، وَاللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، (١) سورة غافر، الآية: ٥١.

يَدْعُو لِمَنْ صَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ

نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ

يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

مَنْ كَانَ يَطْنُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ

يَسْبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ

فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبُ كَيْدُهُ

مَا يَغِیْظُ

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ

وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ النَّامَةُ، وَالْحُجَّةُ الْفَاطِعَةُ فِي ذَلِكَ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

(آمَنُوا) (وَالصَّابِرِينَ) (وَالنَّصَارَى) (الْقِيَامَةِ)

(١٧) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَيَفْصِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ الْمُخْتَلِفَةِ: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ عَدَدَهُمْ، وَأَنَّهُ سَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، فَيَدْخُلُ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِهَ الْجَنَّةِ، وَيَدْخُلُ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى شَهِيدٌ عَلَى أَفْعَالِهِمْ جَمِيعِهَا، حَافِظٌ لِأَقْوَالِهِمْ، عَلِيمٌ بِسِرَائِرِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ.

الصَّابِرِينَ - عَبْدَةُ الْكَوَائِبِ أَوْ عَبْدَةُ الْمَلَائِكَةِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ يَسْجُدُ لِعَظَمَتِهِ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ الْمَوْجُودَاتِ، وَمُدَبِّرُهَا، وَمُنْشِئُهَا، وَالْمَلَائِكَةُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا مِنْ إِنْسٍ وَجَنٍّ وَدَوَابٍّ وَطُيُورٍ... تَسْجُدُ لِلَّهِ، وَيَسْجُدُ لِلَّهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا وَتَعَبْدًا بِذَلِكَ السُّجُودِ، وَيَكُونُ سُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ بِمَا يَنْاسِبُ حَالَهُ فَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ تَسْجُدُ بِظِلَالِهَا. وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَشَرِ يَمْتَنِعُونَ عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ اسْتِكْبَارًا وَإِبَاءً، فَيَحِقُّ عَلَيْهِمْ عَذَابُ اللَّهِ. وَمَنْ يَهِنَ اللَّهُ فَيَكْتَبُ لَهُ الشَّقَاءُ لِسُوءِ اسْتِعْدَادِهِ فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ. وَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ فَقَدْ حَقَّ عَلَيْهِ الْهَوَانُ، وَلَا كَرَامَةَ إِلَّا بِأَكْرَامِ اللَّهِ، وَلَا عِزَّةَ إِلَّا بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَاللَّهُ الْمُتَصَرِّفُ بِالْكَوْنِ وَالْخَلْقِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَلَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ فِيمَا يَفْعَلُ.

يَسْجُدُ لَهُ - يَخْضَعُ لَهُ وَيَقَادُ.

حَقٌّ عَلَيْهِ - ثَبَتَ وَوَجَبَ عَلَيْهِ.

(رُؤُوسِهِمْ)

(١٩) - تَجَادَلُ أَهْلُ الْأَدْيَانِ فِي دِينِ اللَّهِ فَكُلُّ فَرِيقٍ يَمْتَقِدُ أَنَّ مَا هُوَ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا عَلَيْهِ خَضَعَهُ هُوَ الْبَاطِلُ، وَبَنَى عَلَى ذَلِكَ جَمِيعَ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ نَوْعًا مِنَ الْخُصُومَةِ، وَاللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ شَيْئًا، فَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَعَدَّتْ لَهُمْ نِيرَانٌ تُحِيطُ بِهِمْ وَكَأَنَّهُا مَقْطَعَاتٌ مِنَ الثِّيَابِ قُدَّتْ عَلَى قَدَرِ أَجْسَادِهِمْ، وَيُصَبُّ الْمَاءُ الشَّدِيدُ

١٧ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

وَالصَّبِيَّةِ وَالنَّصَارَى

وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا

إِنَّ اللَّهَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ

١٨ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ

وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ

حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَمُنْ

اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ



١٩ هَذَا نَحْصَانِ أَخْصَمُوا

فِي رِيحِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ

لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ

فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ

الْحَرَارَةُ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ فَيَسْوِي وُجُوهُهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ، وَيَذِيبُ أَمْعَاءَهُمْ.
خَصْمَانِ - الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ عَامَّةً.

الْحَمِيمُ - الْمَاءُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةَ وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّهُ النُّحَاسُ الْمَذَابُ.
(٢٠) - فَيَصْهَرُ هَذَا الْحَمِيمُ الَّذِي يُصَبُّ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ مَا فِي بُطُونِهِمْ
مِنْ أَحْشَاءٍ، وَيَذِيبُ جُلُودَهُمْ.
يُصْهَرُ - يَذَابُ.

(مَقَامِعُ)

(٢١) - وَيُضْرَبُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِالسَّيَاطِ وَالْمَطَارِقِ (مَقَامِعُ) مِنَ الْحَدِيدِ
الْمُحْمَى فَتَنْتَأَثَرُ أَعْضَاؤُهُمْ.
الْمَقَامِعُ - الْمَطَارِقُ أَوْ السَّيَاطِ.

(٢٢) - وَيَشْتَدُّ الْعَذَابُ بِالْكَفَّارِ، وَيَتَجَاوَزُ بِهِمُ الطَّاقَةُ، فَيَهْمُونَ
بِالْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْغَمِّ، فَيَرُدُّونَ بِعُنفٍ وَيَسْمَعُونَ التَّائِيْبَ: ﴿وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

(أَمْنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارِ)

(٢٣) - لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ، وَمَا يُلاقُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ
وَالنَّكَالِ وَالْحَرِيقِ وَالْأَغْلَالِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ ثِيَابٍ مِنْ نَارٍ، ذَكَرَ حَالِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَاتٍ
تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي أَرْجَائِهَا، وَيَلْبَسُهُمْ رَثْبُهُمْ فِيهَا حُلِيًّا: مِنْهَا أَسَاوِرُ مِنْ
ذَهَبٍ، وَمِنْهَا لَوْلُؤُ (وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: تَبْلُغُ الْجَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ
يَبْلُغُ الْوُضُوءُ) (رَوَاهُ الْإِمَامَانِ) وَيَكُونُ لِبَاسُهُمْ مِنَ الْحَرِيرِ فِي الْجَنَّةِ.
(وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ: لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ مِنْ
لِبَسَةِ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسُهُ فِي الْآخِرَةِ).

(صِرَاطِ)

(٢٤) - وَيَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ إِلَى الْقَوْلِ الطَّيِّبِ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ حِينَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ
حَيْثُ نَشَاءُ﴾^(١)، وَيَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْحَمِيدِ الَّذِي
يَجْعَلُ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ مُرْضِيَةً عِنْدَ اللَّهِ، مَحْمُودَةً عِنْدَ مُعَاشِرِيهِمْ،
فَيَسْبَحُونَ اللَّهَ وَيُقَدِّسُونَهُ، وَيَشْكُرُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ.

صِرَاطِ الْحَمِيدِ - الْإِسْلَامِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ دِينًا لِعِبَادِهِ.

يُصْهَرُ بِهِ مَافِي بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودُ

وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِنْ حَدِيدٍ

كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
يُحَاكُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤُا وَلِبَاسُهُمْ
فِيهَا حَرِيرٌ

وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ
وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ

(جَعَلْنَاهُ) (الْعَاكِفُ)

(٢٥) - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَأَنكَرُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ أَنْ يَدْخُلُوا فِي دِينِ اللَّهِ ۖ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ كَافَّةً، سَوَاءً مِنْهُمْ الْمُقِيمُ فِيهِ، وَالْبَعِيدُ الدَّارَ عَنْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَوَعَّدُهُمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا يَتَّهَدُّ اللَّهُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَمِيلَ إِلَى الظُّلْمِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَيَعْصِي اللَّهَ فِيهِ، أَوْ يُخَالِفَ أَمْرَهُ، مُتَعَمِّدًا غَيْرَ مُتَأَوِّلٍ، وَقَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ عِقَابُهُ الشَّدِيدَ بِأَهْلِ الضَّلَالِ لَمَّا هُمُوا بِتَخْرِيْبِ الْبَيْتِ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الطَّيْرَ الْأَبَابِيلَ فَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً وَنَكَالًا لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ بَيْتَ اللَّهِ سُوءًا. الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ - الْحَرَمُ أَيُّ مَكَّةَ أَوْ هُوَ الْكَعْبَةُ.

الْعَاكِفُ - الْمُقِيمُ فِيهِ، الْمُلَازِمُ لَهُ.

الْبَادِ - الطَّارِئُ غَيْرُ الْمُقِيمِ.

إِلْحَادٍ بِظُلْمٍ - يَمِيلُ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ.

(إِبْرَاهِيمَ) (لِلطَّائِفِينَ) (وَالْقَائِمِينَ)

(٢٦) وَأَذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، مَعَ أَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ مَكَانًا لِأَصْنَامِهِمْ، قِصَّةَ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، إِذْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِبِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى اسْمِهِ تَعَالَى، وَأَرْشَدَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَيْنَهُ فِيهِ، وَأَمَرَهُ بِالْأَيْشُرْكَ بِاللَّهِ شَيْئًا فِي الْعِبَادَةِ، وَبِأَنْ يُطَهَّرَ بَيْتُهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَرْجَاسِ وَالْأَقْدَارِ لِيَكُونَ مَعَدًّا لِمَنْ يَطُوفُ بِهِ، وَيُقِيمُ بِجَوَارِهِ، وَيَتَعَبَّدُ فِيهِ رَبَّهُ، وَيُؤَدِّي صَلَاتَهُ.

بَوَانَا لإِبْرَاهِيمَ - وَطَنًا وَبَيْتًا.

(٢٧) - وَقُلْنَا لإِبْرَاهِيمَ: نَادِ النَّاسَ دَاعِيًا إِلَيْهِمْ إِلَى الْحَقِّ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَمَرْنَاكَ بِبِنَائِهِ، يَا تُوَكُّ مَشَاءَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ (رِجَالًا)، مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ، وَيَا تُوَكُّ رَاكِبِينَ (رُكْبَانًا) عَلَى الْخَيْلِ وَالْجِمَالِ الْمُضْمَرَّةِ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ بَعِيدٍ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أَبْلُغُ النَّاسَ وَصُوتِي لَا يَنْفَعُهُمْ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: نَادِ وَعَلَيْنَا الْبَلَاغُ، فَقَامَ فَتَنَادَى، يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبِّكُمْ اتَّخَذَ بَيْتًا فَحُجُّوهُ. وَلِهَذَا يَرُدُّ مَنْ يَحُجُّ الْبَيْتَ عَلَى نِذَاءِ اللَّهِ قَائِلًا: (لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ)

أَذَّنَ فِي النَّاسِ - نَادَى فِيهِمْ وَأَعْلَمَهُمْ.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ

سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ

يُزِدْ فِيهِ بِالْحِكْمِ يُظْلَمِ

نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ

الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي

شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ

وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ

رِجَالًا أَوْ عَلَى كُلِّ صَامِرٍ

يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ

رَجَالًا - مُشَاءً عَلَى أَرْجُلِهِمْ .
ضَامِرٌ - بَعِيرٌ أَوْ فَرَسٌ مَهْزُولٌ مِنْ بَعْدِ الشَّقَةِ .
فَجٌّ عَمِيقٌ - طَرِيقٌ بَعِيدٌ .

(مَنَافِعُ) (مَعْلُومَاتُ) (الْأَنْعَامِ) (الْبَائِسُ)

(٢٨) - وَيَأْتِي النَّاسُ مَكَّةَ لِلطَّوَافِ بِبَيْتِ اللَّهِ، وَلِيَحْصُلُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، مِنْهَا الْمَنَافِعُ الدُّنْيَوِيَّةُ، مِنْ نَشَاطِ الْأَبْدَانِ فِي السَّقَرِ، وَمِنْ ذَبْحِ الذَّبَائِحِ وَالتَّجَارَةِ... وَمِنْهَا الْمَنَافِعُ الْآخِرَوِيَّةُ وَهِيَ: رِضْوَانُ اللَّهِ. وَخِلَالِ الْحَجِّ يَذْكُرُ النَّاسُ اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامِ مَعْلُومَاتٍ، وَيَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ (الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْمَاعِزِ) وَأَبَاحَ اللَّهُ لِمَنْ ضَحَّى أَنْ يَأْكُلَ مِنْ لَحْمِ أَضْحِيَّتِهِ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمٍ أَضْحِيَّتِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ: (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ). وَالْبَائِسُ هُوَ الْمُضْطَرُّ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَيْهِ الْبُؤْسُ، وَهُوَ الْفَقِيرُ الْمُتَعَفِّفُ الَّذِي لَا يَمُدُّ يَدَهُ بِالسُّؤَالِ.

(وَالْأَيَّامُ الْمَعْلُومَاتُ الَّتِي أَشَارَتْ إِلَيْهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ هِيَ الْأَيَّامُ الْعَشْرَةُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَمِنْهَا يَوْمُ النَّحْرِ وَيَوْمُ عَرَفَةَ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْأَيَّامَ الْمَعْلُومَاتِ هِيَ يَوْمُ النَّحْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَهُ).

(وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ إِنَّهَا يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ وَيَوْمُ بَعْدَهُ).

(٢٩) - ثُمَّ لِيُزِيلُوا مَا عَلِقَ بِهِمْ مِنَ الْأَوْسَاحِ أَثْنَاءَ السَّفَرِ وَالْإِحْرَامِ فَيَحْلِقُوا الشَّعْرَ، وَيَقْلَمُوا الْأَظْفَارَ، وَيُخَفِّقُوا شَعْرَ الْوَجْهِ وَالرَّأْسِ (لِيَقْضُوا تَقَاتُلَهُمْ)، وَلِيَتَحَلَّلُوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ وَلِيُؤْفُوا مَا نَذَرُوهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَلِيَطُوفُوا طَوَافَ الْوَدَاعِ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ (الْبَيْتِ الْعَتِيقِ)، الَّذِي هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضَعَ لِلْعِبَادَةِ.

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقَاتُلَهُمْ - ثُمَّ لِيُزِيلُوا بِالتَّحْلِيلِ مَا عَلِقَ بِهِمْ مِنَ الْأَوْسَاحِ؛ أَوْ ثُمَّ لِيُؤْدُوا مَنَاسِكَهُمْ.

(حُرُمَاتُ) (الْأَنْعَامِ) (الْأَوْتَانِ)

(٣٠) - وَهَذَا الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ قَضَاءِ النَّفْتِ، وَالْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ، وَالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ... هُوَ الْفَرَضُ الْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي حَجَّكُمْ، وَمَنْ يَجْتَنِبُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِاجْتِنَابِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ تَعْظِيمًا مِنْهُ لِحُدُودِ اللَّهِ، فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ فِي الْآخِرَةِ.

وَأَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَأْكُلُوا لَحْمَ الْأَنْعَامِ إِذَا ذَكَّيْتُمُوهَا، فَإِنَّهُ

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ

وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ

مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ

مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا

مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقَاتُلَهُمْ

وَلِيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا

بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ

اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ

وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ

إِلَّا مَا يَتَلَى عَلَيْكُمْ

فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ

الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
الزُّورِ

تَعَالَى لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا تَلَاَهُ عَلَيْكُمْ فِي الْقُرْآنِ (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ .) (١) فَابْتَغُوا عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَإِنَّ ذَلِكَ
رِجْسٌ، وَاتَّقُوا قَوْلَ الْكَذِبِ وَالْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ بِأَنْ تَنْسُبُوا لَهُ وَلَدًا . أَوْ
تَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكَاً فَإِنَّ ذَلِكَ كَذِبٌ وَزُورٌ، وَاجْتَنِبُوا شَهَادَةَ الزُّورِ الَّتِي
يَشْهَدُ فِيهَا الْمَرْءُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّهُ كَاذِبٌ .

الرَّجْسُ - الْقَذَرُ وَالنَّجَسُ وَهُوَ الْأَوْثَانُ .

قَوْلُ الزُّورِ - قَوْلُ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ الْقَبِيحِ .

حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ
السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ
أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ
سَحِيقٍ

(٣١) - وَتَمَسَّكُوا بِهِذِهِ الْأُمُورِ عَلَى وَجْهِ الْإِخْلَاصِ وَالْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَحَدِّهِ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ دُونَ شُرَكَاءَ، لِأَنَّ مَنْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ سِوَاهُ فَقَدْ أَهْلَكَ
نَفْسَهُ، وَكَانَ حَالُهُ كَحَالِ مَنْ سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ، فَتَخَطَّفَتْهُ الطَّيْرُ، فَفَرَّقَتْ
أَجْزَاءَهُ فِي حَوَاصِلِهَا، أَوْ كَمَنْ عَصَفَتْ بِهِ الرِّيحُ فَهَوَتْ بِهِ فِي الْمَهَاوِي
الْعَمِيقَةِ . وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ: أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا تَوَفَّاهُ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ
وَصَعِدُوا بِرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَلَا تَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ بَلْ تُطْرَحُ رُوحُهُ
طَرَحاً مِنْ هُنَاكَ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ .

حُفَاءَ - مَائِلِينَ عَنِ الْبَاطِلِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ .

تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ - تُسْقِطُهُ وَتَقْدِفُهُ .

مَكَانٍ سَحِيقٍ - مُوَضَّعٍ بَعِيدٍ مُهْلِكٍ .

(شَعَائِرُ)

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ
فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ

(٣٢) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ تَعْظِيمَ شَعَائِرِ اللَّهِ، وَاحْتِرَامَ أَوَامِرِهِ، وَالْإِلتِزَامَ
بِذَلِكَ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّقْوَى . وَمِنْ تَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللَّهِ تَعْظِيمُ الْهَدَايَا
وَالْبُذُنِ (الْأَصَاحِي) وَاسْتِسْمَانُهَا وَاسْتِحْسَانُهَا . وَالتَّقْوَى هِيَ الْغَايَةُ مِنْ
مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَشَعَائِرِهِ؛ وَهَذِهِ الْمَنَاسِكُ وَالشَّعَائِرُ لَيْسَتْ إِلَّا رُمُوزاً
تُعْبَرُ عَنْ التَّوَجُّهِ إِلَى رَبِّ الْبَيْتِ وَطَاعَتِهِ .

شَعَائِرُ اللَّهِ - أَوَامِرُهُ أَوْ الْبُذُنُ الْمُهِدَاةُ إِلَى الْحَرَمِ .

(مَنَافِعُ)

لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
تُحْمَلُهُآ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ

(٣٣) - وَالْأَنْعَامُ الَّتِي يَتَّخِذُهَا الْحُجَّاجُ هَدَايَا لِتَنْحَرَفَ فِي نَهَايَةِ أَيَّامِ
الْإِحْرَامِ، يَجُوزُ لِصَاحِبِهَا الْإِنْتِفَاعُ بِهَا فَيَرْكَبُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ لَبَانِهَا
وَيَسْتَفِيدُ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَصْوَافِهَا . حَتَّى تَبْلُغَ مَكَانَ حِلِّهَا (مَحِلَّهَا) وَهُوَ

الْبَيْتِ الْحَرَامِ، ثُمَّ تَنَحَّرَ هُنَاكَ لِتَأْكُلَ مِنْهَا أَصْحَابُهَا، وَلِيُطْعِمُوا الْبُؤْسَاءَ وَالْفُقَرَاءَ.

مَحَلُّهَا - وَجُوبُ نَحْرُهَا.

إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ - مُنْتَهَى إِلَى أَرْضِ الْحَرَمِ كُلِّهِ.

(وَاحِدٌ) (الْأَنْعَامُ)

(٣٤) - وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ أَهْلِ دِينٍ مِنَ الْأَدْيَانِ السَّالِفَةِ ذَبْحًا يَذْبَحُونَهُ، وَدَمًا يَرْبِقُونَهُ (مَنْسَكًا) عَلَى وَجْهِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ، وَإِنَّمَا شَرَعَ ذَلِكَ لَهُمْ لِكَيْ يَذْكُرُوا اللَّهَ حِينَ ذَبَحُوا، وَيَشْكُرُوهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّحَةِ وَالْأَنْعَامِ. ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ بِأَنَّهُ مُتَقَرِّدٌ بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ مَعْبُودَكُمْ وَاحِدٌ وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْعِبَادَاتُ بِحَسَبِ الْأَرْثَمَةِ وَالْأَمَكَةِ، وَنَسَخَ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَاَلْمَقْصُودُ مِنْهَا جَمِيعًا عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يُبَشِّرَ عِبَادَهُ الْخَاصِيعِينَ الْمُسْتَكِينِينَ (الْمُخْتَبِينَ) لَهُ بِمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ.

الْمَنْسَكُ - الْعِبَادَةُ مُطْلَقًا، ثُمَّ أُطْلِقَ اللَّفْظُ عَلَى شَعَائِرِ الْحَجِّ وَيُرَادُ بِهَا هُنَا الذَّبْحُ وَإِرَاقَةُ الدَّمِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ.

الْمُخْتَبِينَ - الْمُطْمَئِنِّينَ، الْمُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ.

(وَالصَّابِرِينَ) (الصَّلَاةِ) (رَزَقْنَاهُمْ)

(٣٥) - وَيُعَرِّفُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُخْتَبِينَ بِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَشَعَتِ قُلُوبُهُمْ وَخَافَتْ (وَجَلَّتْ)، وَالَّذِينَ يَصْبِرُونَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ فِي الشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ اسْتِسْلَامًا لِقَضَائِهِ، وَالَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيُؤَدُّونَهَا حَقًّا أَذَائِهَا، وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ مِمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ عَلَى أَهْلِهِمْ وَأَقَارِبِهِمْ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَيُحْسِنُونَ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ.

وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ - خَافَتْ هَيْبَةً وَإِجْلَالًا.

(جَعَلْنَاهَا) (شَعَائِرَ) (سَخَّرْنَاهَا)

(٣٦) - وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَحْرَ الْأَنْعَامِ فِي الْحَجِّ شَعِيرَةً مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، يَتَقَرَّبُ النَّاسُ بِهَا إِلَى اللَّهِ، وَجُعِلَتْ فِيهَا الْخَيْرَاتُ لِلنَّاسِ، وَهِيَ حَيَّةٌ تُرْكَبُ وَتُحَلَبُ، وَهِيَ ذَبِيحَةٌ تُهْدَى وَتُطْعَمُ. فَجَزَاءُ مَا جَعَلَ اللَّهُ

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا

لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ

مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْهَكْمُ

إِلَهُ وَحْدَهُ فَلَهُ اسْلِمُوا وَبَشِّرِ

الْمُخْتَبِينَ

الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ

وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ

وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ

وَالْبَدَتِ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ

شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا

اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ

جُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا

الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِّكَ ذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

الْأَنْعَامَ خَيْرًا لِلنَّاسِ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا حِينَ ذَبَحُوهَا، وَأَنْ يَتَوَجَّهُوا بِهَا إِلَيْهِ وَهِيَ تَهَيَّأَةٌ لِلذَّبْحِ بِصَفِّ قَوَائِمِهَا، فَإِذَا نُحِرَتْ وَمَاتَتْ، وَاطْمَأَنَّتْ جُنُوبُهَا عَلَى الْأَرْضِ (وَجَبَتْ) أَكَلَ مِنْهَا أَصْحَابُهَا اسْتِحْسَانًا وَاسْتِحْبَابًا، وَأَطْعَمُوا مِنْهَا الْفَقِيرَ الْقَانِعَ الَّذِي لَا يَسْأَلُ، وَالْفَقِيرَ الْمُعْتَرِّ الَّذِي يَتَعَرَّضُ لِلسُّؤَالِ. فَهَذِهِ الْبُذُنُ سَخَّرَهَا اللَّهُ لِلنَّاسِ لِيَشْكُرُوهُ عَلَى مَا قَدَّرَ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَهِيَ حَيَّةٌ وَهِيَ مَذْبُوحَةٌ. شَعَائِرُ اللَّهِ - أَعْلَامُ شَرِيعَتِهِ فِي الْحَجِّ.

الْبُذُنُ - الْإِبِلُ الْمُهْدَاةُ إِلَى الْبَيْتِ لِتَنْحَرَ عَنْدهُ (وَقِيلَ إِنَّهَا تَشْمَلُ الْبَقَرَ أَيْضًا).

وَجَبَتْ جُنُوبُهَا - سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ النُّحْرِ وَاسْتَقَرَّتْ.

الْقَانِعُ - الْفَقِيرُ الَّذِي لَا يَتَعَرَّضُ لِلسُّؤَالِ.

الْمُعْتَرُّ - الْفَقِيرُ الَّذِي يَتَعَرَّضُ لِلسُّؤَالِ.

(هَذَاكُمْ)

(٣٧) - إِنَّمَا شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ نَحَرَ هَذِهِ الضُّحَايَا لِتَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ ذَبْحِهَا، فَهُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ؛ وَهُوَ تَعَالَى لَا يَنَالُهُ شَيْءٌ مِنْ لُحُومِهَا، وَلَا مِنْ دِمَائِهَا، فَهُوَ الْغَنِيُّ عَمَّنْ سِوَاهُ، يَقْبَلُ الذَّبِيحَةَ، وَيَجْزِي عَلَيْهَا. (وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا ذَبَحُوا لِآلِهَتِهِمْ، وَضَعُوا شَيْئًا مِنْ لُحُومِ قَرَابَتِهِمْ وَدِمَائِهَا عَلَى أَصْنَامِهِمْ).

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَخَّرَ اللَّهُ لَكُمْ الْبُذُنَ لِيُعْظِمُوهُ عَلَى مَا هَذَاكُمْ لِيَذْبَحُوهُ وَشُرْعِهِ، وَفَعَلَ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَنَهَاكُمْ عَنْ فِعْلِ الْمُنْكَرِ، وَعَنْ فِعْلِ مَا يَكْرَهُ. وَبَشَّرَ يَا مُحَمَّدُ الْمُحْسِنِينَ فِي عَمَلِهِمْ، الْقَائِمِينَ بِحُدُودِ اللَّهِ، بِأَنَّ اللَّهَ سَيَجْزِيهِمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

(يَدَافِعُ) (آمَنُوا)

(٣٨) - وَالشَّعَائِرُ وَالْعِبَادَاتُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ حِمَايَةٍ تَدْفَعُ عَنْهَا الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَمْنَعُهُمْ مِنَ الْاِعْتِدَاءِ عَلَى حُرِّيَةِ الْعَقِيدَةِ، وَحُرِّيَةِ الْعِبَادَةِ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ أَدْنَى اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ، بَعْدَ الْهَجْرَةِ، فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، لِيَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَعَنْ عَقِيدَتِهِمْ، اِعْتِدَاءَ الْمُعْتَدِينَ، وَلِيَحَقِّقُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَلِغَيْرِهِمْ حُرِّيَةَ الْعَقِيدَةِ، وَحُرِّيَةَ الْعِبَادَةِ، وَوَعَدَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ وَالتَّمَكِينَ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَنْهَضُوا هُمْ بِتَكَالُيفِ عَقِيدَتِهِمُ الَّتِي بَيْنَهَا لَهُمْ فِي الْآيَاتِ النَّالِيَةِ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُؤْذِنُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْهُمْ، فَهُمْ

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا
وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّفُوسُ مِنْكُمْ
كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَشْكُرُوا
اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ
الْمُحْسِنِينَ



إِنَّا اللَّهُ يَدْفَعُ عَنِ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
خَوَّانٍ كَفُورٍ

فِي جَمَالَتِهِ، وَأَنَّهُ سَيَكْفِيهِمْ شَرَّ الْأَشْرَارِ وَكَيِّدَ الْفُجَّارِ، وَيَحْفَظُهُمْ وَيَكْلُومُهُمْ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ عْبَادِهِ مِنْ اتَّصَفَ بِالْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ، وَعَدَمَ الْوَفَاءِ بِالْمُعْهُودِ وَالْمَوَائِقِ؛ وَكُفْرَانَ النِّعْمَةِ وَجُحُودَهَا، وَعَدَمَ الْاعْتِرَافِ بِهَا.
خَوَانٌ كُفُورٌ - خَائِنٌ لِلْأَمَانَاتِ، جَاوِدٌ لِلنِّعَمِ.

(يُقَاتِلُونَ)

(٣٩) - هَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْجِهَادِ، وَقَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ خُرُوجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ ظَلَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَلَا ذَنْبَ لَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَقَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ. وَلِذَلِكَ أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، دَفْعاً لَأَذَاهُمْ، وَإِضْعَافاً لِسُوءَاتِهِمْ، وَتَشْجِيعاً لِمَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى الْإِتِّحَاقِ بِالْمُسْلِمِينَ لِيَكُونُوا قُوَّةً تُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتُرْهِبُ أَعْدَاءَهَا الْكُفَّارَ، وَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ وَحْدَهُ عَلَى نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ دُونَ عَوْنِ مَنْهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يُرِيدُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَذَلُّوا جُهْدَهُمْ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَأَنْ يَقُومُوا بِوَاجِبِهِمْ فِي الدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَدِينِهِمْ.

(دِيَارِهِمْ) (صَوَامِعُ) (وَصَلَوَاتُ) (وَمَسَاجِدُ)

(٤٠) - وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، هُمُ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ مِنْ دِيَارِهِمْ لَا لِذَنْبٍ ارْتَكَبُوهُ، وَلَا لِإِسَاءَةٍ صَدَرَتْ عَنْهُمْ، وَإِنَّمَا لِأَنَّهُمْ قَالُوا كَلِمَةَ الْحَقِّ: (رَبُّنَا اللَّهُ). وَهَؤُلَاءِ الْمَظْلُومُونَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَعَنْ عَقِيدَتِهِمْ بِالْقُوَّةِ. وَلَوْلَا قِيَامُ الْمُؤْمِنِينَ بِدَفْعِ الشَّرِّ وَأَهْلِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَعَنْ إِخْوَانِهِمْ، وَعَنْ حُرِّيَّتِهِمْ فِي آدَاءِ الْعِبَادَةِ لَسَادَ الْبَاطِلُ وَتَمَادَى الطُّغْيَانُ فِي طُغْيَانِهِمْ، وَلَهْتَمَتِ الْبُيُوتُ الْمُخَصَّصَةُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ، مِنْ صَوَامِعِ رَهْبَانِ النَّصَارَى، وَبَيْعِهِمْ (كَنَائِسِهِمْ)، وَمَعَابِدِ الْيَهُودِ (صَلَوَاتُ)، وَمَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمَّا شَفَعَ لَهَا فِي نَظَرِ أَهْلِ الشَّرِّ وَالْكُفْرِ أَنَّهَا مُخَصَّصَةٌ لِلْخَيْرِ، وَلِعِبَادَةِ اللَّهِ. وَالَّذِي يَحْمِيهَا مِنَ الْهَدْمِ وَالْإِعْتِدَاءِ هُوَ أَنَّ يَقُومَ أَهْلُهَا بِالْدِّفَاعِ عَنْهَا، وَمَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ يَنْصُرْهُ اللَّهُ، وَاللَّهُ قَوِيٌّ لَا يُغْلَبُ، غَزِيرٌ لَا يَجُلُّ بِهِ ضَمِيمٌ.
صَوَامِعُ - مَعَابِدُ رَهْبَانِ النَّصَارَى.

بَيْعٌ - كَنَائِسُ النَّصَارَى

صَلَوَاتُ - مَعَابِدُ الْيَهُودِ

مَسَاجِدُ - مَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ وَجَوَامِعُهُمْ.

﴿٣٩﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ

﴿٤٠﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوَامِعُ وَبُيعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ كَثِيرًا فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

(مَكَّنَاهُمْ) (الصَّلَاةَ) (وَاتُوا) (الزَّكَاةَ) (عَاقِبَةُ)

(٤١) - وَيَتَابِعُ اللَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَظْلُومِينَ يَقُولُ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ إِذَا مَكَنَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَحَقَّقَ لَهُمُ النَّصْرَ وَالْغَلْبَةَ، وَجَعَلَ لَهُمُ الْعَاقِبَةَ، عَمِلُوا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، فَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَدَوْهَا حَقَّ أَذَائِهَا، وَدَفَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَخَشُوا النَّاسَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَمَا يُرْضِي اللَّهَ، وَنَهَوْا الْمُتَجَاوِزِينَ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ عَنْ فِعْلِ الْمُنْكَرِ. وَعِنْدَ اللَّهِ حِسَابُ النَّاسِ جَمِيعاً فِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ، وَلَهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ، فَيَجْزِي كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى عَمَلِهِ.

(٤٢) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ لَهُ؛ فَيَقُولُ لَهُ: إِنْ كَانَ قَوْمُكَ قَدْ كَذَّبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ أَقْوَامٌ نُوحٍ وَعَادٍ وَنَمُودَ أَنْبِيَاءِهِمْ.

(إِبْرَاهِيمَ)

(٤٣) - وَكَذَلِكَ كَذَّبَ إِبْرَاهِيمَ قَوْمُهُ، وَكَذَّبَ قَوْمُ لُوطٍ لُوطاً عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

(أَصْحَابُ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٤٤) - وَكَذَّبَ أَهْلُ مَدْيَنَ نَبِيَّهُمْ شُعَيْباً، وَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مُوسَى. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْظَرَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ وَأَخْرَهُمْ (أَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ)، لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَى رُسُلِهِمْ، وَيَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، وَلَكِنَّهُمْ اغْتَرَوْا وَتَمَادَوْا فِي تَكْذِيبِ رُسُلِهِمْ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِأَشَدِّ أَنْوَاعِ الْعِقَابِ، فَكَيْفَ كَانَ انْكَارُهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؟ وَكَيْفَ كَانَتْ مُعَاقِبَتُهُ لَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ؟

(وَفِي الْحَدِيثِ - إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَقْلُتْهُ).

فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ - أَمَهَلْتُهُمْ وَأَخَّرْتُ عُقُوبَتَهُمْ.

كَيْفَ كَانَ تَكْبِيرُ - كَيْفَ كَانَ انْكَارِي عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ إِذْ أَهْلَكْتُهُمْ.

(أَهْلَكْنَاهَا)

(٤٥) - إِنَّ الْقُرَى الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ بِظُلْمِهَا وَكُفْرِهَا وَتَكْذِيبِهَا رُسُلَ اللَّهِ، هِيَ كَثِيرَةٌ (فَكَأَيُّ) فَأَصْبَحَتْ مُهْدَمَةٌ الْبِنَانِ، قَدْ سَقَطَتْ سَقُوفُهَا عَلَى قِيَعَانِهَا، وَأَقْفَرَتِ الْأَبْنِيَةُ مِنْ سَاكِنِهَا، فَأَصْبَحَتْ مُوحِشَةً كَثِيبَةً، وَأَصْبَحَتِ الْأَبَارُ مُعْطَلَةً مُهْجُورَةً لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَأْتِي إِلَيْهَا لِيَحْمِلَ مِنْهَا الْمَاءَ، وَأَصْبَحَتِ الْقُصُورُ الْمَبْنِيَّةُ لِيَتَكُونَ حُصُونًا وَمَعَاقِلَ يَحْتَمِي أَصْحَابُهَا بِهَا، مُهْجُورَةً خَالِيَةً مِنْ سَاكِنِهَا.

٤١) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَهُمْ فِي الْأَرْضِ

أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ

٤٢) وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ

قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنَمُودٌ

٤٣) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ

٤٤) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى

فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ

أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ تَكْبِيرُ

٤٥) فَكَأَيُّ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا

وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ

عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مُعْطَلَةٌ

وَقَصْرِ مَشِيدٍ

(آذَانُ) (الْأَبْصَارُ)

(٤٦) - يَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي اسْتِنْكَارٍ عَنِ الْأَثَرِ الَّذِي تَرَكَهُ فِي نَفُوسِ الْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ يَرَوْنَ مَا حَلَّ بِالْأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ هَلَاكِ دِمَارٍ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ، مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ فِي الْأَرْضِ فَيَرَوْا بِأَعْيُنِهِمْ مَا حَلَّ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنْ مُكْذِبِي الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ مِنْ دِمَارٍ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَظُلْمِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: أَوَلَمْ يَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ قَصَصَهُمْ وَأَخْبَارَهُمْ؟ ثُمَّ أَلَا يَعْقِلُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ مَا يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ فَيَعْتَبِرُوا وَيَتَّعِظُوا؟

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَرَوْنَ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَتَّعِظُونَ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ وَلَا يَعْتَبِرُونَ، لِأَنَّهُمْ عُمِيَ الْقُلُوبِ وَالْبَصَائِرُ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ قُلُوبٌ مُبْصِرَةٌ لَا تَعْظُتْ وَتَفَكَّرُتْ فِيمَا تَرَاهُ الْعَيْنُ، لِأَنَّ الْعَمَى لَيْسَ هُوَ عَمَى الْعَيْنِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَمَى الْبَصِيرَةِ، أَيِ الْقَلْبِ.

(٤٧) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الْكُفَّارَ الْمُكْذِبِينَ يَرَوْنَ آيَاتِ اللَّهِ، وَيَرَوْنَ مَا حَلَّ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْمُكْذِبِينَ، مِنْ دِمَارٍ وَهَلَاكِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَ وَلَا يَتَّعِظُونَ، وَيَسْخَرُونَ مِمَّنْ يَدْعُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَمِمَّنْ يُحَذِّرُونَهُمْ عَقُوبَتَهُ وَعَذَابَهُ، وَهُمْ يَسْتَعِيدُونَ وَفُوعَ الْعَذَابِ بِهِمْ، وَيَذْفَعُ بِهِمْ غُرُورَهُمْ إِلَى حَذِّ اسْتِعْجَالِ وَقُوعِ الْعَذَابِ بِهِمْ، اسْتِعْجَالاً لَهُ وَإِنْكَاراً، وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَنْ يُبَدِّلَ سُنَّتَهُ، فَالْعَذَابُ آتٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ، وَقَدَّرَهُ وَفَقَّ حِكْمَتِهِ، وَلَا يُعْجَلُهُ اسْتِعْجَالُ النَّاسِ. وَتَقْدِيرُ الزَّمَنِ فِي حِسَابِ اللَّهِ غَيْرُهُ فِي حِسَابِ الْبَشَرِ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ اللَّهِ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا يَعُدُّهُ الْبَشَرُ مِنْ سِنِّي أَرْضِهِمْ.

(٤٨) - وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ ظَالِمَةٌ آخَرَ اللَّهُ إِهْلَاكَ أَهْلِهَا مَعَ اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَاغْتَرَوْا بِذَلِكَ التَّأْخِيرِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَسْوَءِ عِقَابِهِ بِهِمْ، وَسَيَلْفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَاباً شَدِيداً عَسِيراً حِينَمَا يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ النَّاسَ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِالْوَعِيدِ؟ (يَا أَيُّهَا)

(٤٩) - وَحِينَمَا اسْتَعْجَلَ الْكُفَّارُ وَقُوعَ الْعَذَابِ بِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّي أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ نَذِيراً بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ، وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ حِسَابِكُمْ مِنْ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا أَمْرُكُمْ

﴿٤٦﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ

﴿٤٧﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَئِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ

﴿٤٨﴾ وَكَأَن مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ

﴿٤٩﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مِمَّنْ

إِلَى اللَّهِ إِنَّ شَاءَ عَجَّلَ لَكُمْ الْعَذَابَ، وَإِنْ شَاءَ أَخْرَهُ عَنْكُمْ، وَإِنْ شَاءَ نَابَ عَلَى مَنْ يَتُوبُ إِلَيْهِ.

(آمِنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٥٠) - وَالَّذِينَ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ، وَصَدَّقُوا إِيمَانَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَتَقْصِيرِهِمْ، وَيُجَازِيهِمْ بِالْحُسْنَى عَلَى حَسَنَاتِهِمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، وَلَهُمْ فِيهَا رِزْقٌ كَرِيمٌ.

(آيَاتِنَا) (مُعَاجِزِينَ) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(٥١) - أَمَّا الَّذِينَ بَدَّلُوا جُهْدَهُمْ فِي رَدِّ دَعْوَةِ اللَّهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِهَا، وَسَعَوْا فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَسَعَوْا فِي تَعْطِيلِ آيَاتِ اللَّهِ، وَمَنْعِهَا مِنْ أَنْ تَفْعَلَ مَفْعُولُهَا فِي الْقُلُوبِ، فَأُولَئِكَ أَهْلُ الْجَحِيمِ، وَإِنْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يُعْجِزُونَ اللَّهَ وَيَقْتُلُونَهُ هَرَبًا.

(الشَّيْطَانُ) (آيَاتِهِ)

(٥٢) - أَوْرَدَتْ بَعْضُ كُتُبِ التَّفْسِيرِ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ قِصَّةَ غَرِيبَةٍ تُعْرَفُ بِقِصَّةِ الْغَرَانِيقِ. وَالْغَرَانِيقُ طَائِرٌ أَيْضٌ... وَتَقُولُ الْقِصَّةُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ فِي مَكَّةَ سُورَةَ النُّجْمِ فِي حُضُورِ جَمْعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ فَلَمَّا بَلَغَ فِي قِرَائَتِهِ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾^(١) أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ (تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى وَإِنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتَرْتَجَى) فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ مَا ذَكَرَ إِلَهُتُنَا بَخِيرَ قَبْلِ الْيَوْمِ. فَلَمَّا خَتَمَ السُّورَةَ سَجَدَ وَسَجَدُوا. فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَزَلَّ تَسْلِيَةً لَهُ (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ... الْآيَةِ).

وَلَكِنْ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ الثَّقَاتِ (مِثْلَ الْقَاضِي عِيَاضٍ وَالْفَخْرِ الرَّازِيِّ وَالْقَسْطَلَانِيِّ وَابْنِ إِسْحَاقٍ وَالْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَلِّ) يَقُولُونَ إِنَّهُ لَا يُجُوزُ عَلَى النَّبِيِّ تَعْظِيمُ الْأَوْثَانِ. وَلَوْ جُوزَ ذَلِكَ لَارْتَفَعَ الْأَمَانُ عَنْ شَرْعِهِ، وَجُوزَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ أَيْ مَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ. وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مِنْ وَضْعِ الزُّنَادِقَةِ.

وَأَفَرَدَ عَالِمُ حَلَبِ الْجَلِيلِ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ سِرَاجُ الدِّينِ فَضْلًا مَطُولًا فِي كِتَابِهِ (هَذِي الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ إِلَى الْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ) لِنَفْيِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَتَأْكِيدِ عَدَمِ جَوَازِ وَقُوعِهَا.

وَيَتَلَخَّصُ رَأْيُ الْقَائِلِينَ بِنَفْيِ الْقِصَّةِ فِي الْآتِي:

(١) - يَمْتَنِعُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ

(١) سورة النجم، الآية: ٢٠.

فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

في مَدْحِ إِلَهِهِ غَيْرِ اللَّهِ لَأَنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ. كَمَا يَمْتَنِعُ فِي حَقِّهِ أَنْ يَسَوِّدَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ، وَيُشَبِّهَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ حَتَّى يَجْعَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَيَتَعَدَّى النَّبِيُّ أَنْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَيْسَ مِنْهُ حَتَّى يُفْهَمَ جَبْرِيلُ ذَلِكَ.

٢- يَمْتَنِعُ بِحَقِّ النَّبِيِّ (ﷺ) أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا، فَالنَّبِيُّ مَعْصُومٌ مِنْ جَرَيَانِ الْكُفْرِ عَلَى لِسَانِهِ أَوْ قَلْبِهِ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا، أَوْ أَنْ يَشَبِّهَ عَلَيْهِ مَا يَلْقِيهِ عَلَيْهِ الْمَلَكُ وَمَا يَلْقِيهِ الشَّيْطَانُ، أَوْ أَنْ يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ.

٣- وَيَقُولُ الْعَالِمُ الْهِنْدِيُّ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ إِنْ قِرَاءَةُ الْآيَاتِ مُتَسَلِّسَةٌ تُظْهِرُ أَنَّ لَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ تُحْشَرَ بَيْنَهَا آيَاتٌ مُنَاقِضَةٌ لَهَا فِي أَصْلِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَصَلَبَ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ، دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ.

٤- وَيَرَى الْإِمَامُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ أَنَّهُ يُمَكِّنُ تَفْسِيرُ الْآيَةِ بِمَا يَلِي:

لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ رَسُولًا نَبِيًّا إِلَى قَوْمٍ إِلَّا وَتَمَنَّى أَنْ يَتَّبِعَهُ قَوْمُهُ وَأَنْ يَسْتَجِيبُوا لِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ. وَلَكِنْ مَا تَمَنَّى نَبِيٌّ وَلَا رَسُولٌ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةَ السَّامِيَّةَ إِلَّا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي سَبِيلِهِ الْعَوَائِقَ وَأَثَارَ الشُّكُوكِ وَوَسْوسَ فِي صُدُورِ النَّاسِ، لِيَسْلُبَهُمُ الْقُدْرَةَ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِمَا وَهَبَهُ مِنْ قُوَّةِ الْعَقْلِ، وَسَلَامَةِ الْفِكْرِ، فَتَارُوا فِي وَجْهِ النَّبِيِّ وَصَدَّوهُ عَنْ غَايَتِهِ. فَلَمَّا ظَهَرُوا فِي بَادِي الْأَمْرِ ظَنُّوا أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَلَكِنْ كَلِمَةُ اللَّهِ سَتَكُونُ دَائِمًا فِي الْعَالِيَا، وَكَلِمَةُ الشَّيْطَانِ وَأَعْوَانِهِ فِي السُّفْلَى دَائِمًا.

(الشَّيْطَانُ) (الظَّالِمِينَ)

(٥٣) - فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَشَكٌّ وَنِفَاقٌ، أَوْ انْحِرَافٌ (مِنْ الْمُنَافِقِينَ)، وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالْكَفَّارِ وَالْمُعَانِدِينَ فَيَجِدُونَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ مَادَّةً لِلْجَدَلِ وَاللَّجَاجِ وَالشَّقَاقِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ.

(آمَنُوا) (صِرَاطِ)

(٥٤) - وَأَمَّا الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ فَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ إِلَى بَيَانِ اللَّهِ، وَحُكْمِهِ الْفَاصِلِ، لِأَنَّهُمْ يُفَرِّقُونَ بِالْعِلْمِ الَّذِي أُوتُوهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَيُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ وَيُصَدِّقُونَهُ، وَيَتَقَادُونَ إِلَيْهِ، وَتَخَضَعُ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَتَذِلُّ فَتُخْبِتُ، وَاللَّهُ يَهْدِي الَّذِينَ آمَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ. أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى اتِّبَاعِهِ، وَيُوقِفُهُمْ إِلَى مُحَالَفَةِ الْبَاطِلِ وَإِلَى اجْتِنَابِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ يَهْدِيهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُجَنِّبُهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ.

لِيَجْعَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً

لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ

قُلُوبَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي

شِقَاقٍ بَعِيدٍ

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا

بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ

اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطِ

مُسْتَقِيمٍ

(٥٥) - أَمَّا الْكُفَّارُ فَيَقْبُونَ فِي شَكٍّ وَتَرَدُّدٍ (مِرْيَةٍ)، مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ (أَوْ مِمَّا أَقْبَاهُ الشَّيْطَانُ)، وَيَعْتَرُونَ بِاللَّهِ، وَيَقْبُونَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَبْغَتْهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ فِي لَهْوِهِمْ وَاغْتِرَارِهِمْ. يَوْمَ عَقِيمٍ - هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَسُمِّيَ عَقِيمًا لِأَنَّهُ نَهَارُ كُلِّهِ لَا لَيْلَ لَهُ مِرْيَةٍ - شَكٍّ وَقَلْبٍ مِنَ الْقُرْآنِ.

(يَوْمِئِذٍ) (آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٍ)

(٥٦) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ السُّلْطَانُ الْقَاهِرُ، وَالتَّصَرُّفُ الْمُطْلَقُ لِلَّهِ فَيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِعَدْلِهِ، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا شَيْئًا، وَيُخْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَنَّاتٍ يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ دَائِمٌ.

(بِآيَاتِنَا) (فَأُولَئِكَ)

(٥٧) - أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ، وَجَحَدُوهُ، وَكَذَّبُوا بِهِ، وَخَالَفُوا الرُّسُلَ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ اتِّبَاعِهِمْ، فَيُخْزِيهِمُ اللَّهُ عَلَى اسْتِكْبَارِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ مُخْزٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَذُلُّهُمْ وَيُخْزِيهِمْ.

(الرَّازِقِينَ)

(٥٨) - وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، اتَّبَعَاءَ مَرْضَاتِهِ، وَطَلَبًا لِمَا عِنْدَهُ مِنْ أَجْرٍ وَثَوَابٍ، وَتَرَكَوا الْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ، ثُمَّ قُتِلُوا وَهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ مَاتُوا فِي مَهْجَرِهِمْ حَتْفًا أَنْفِهِمْ، فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُمْ عَلَى اللَّهِ، وَسَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، وَسَيُخْزِي عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ وَرِزْقِهِ فِي الْجَنَّةِ لَيَتَرَّ عَيُونُهُمْ، وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، فَهُوَ تَعَالَى يَرْزُقُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

(٥٩) - وَسَيُدْخِلُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الْجَنَّةَ (وهي المَدْخَلُ الذي يَرْضُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَنْ هَاجَرَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْجَزَاءَ الْحَسَنَ، وَهُوَ حَلِيمٌ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، وَيَصْفَحُ عَنِ السَّيِّئَاتِ. مُدْخَلًا - الْجَنَّةَ، أَوْ دَرَجَاتٍ رَافِعَةٍ فِيهَا.

(٦٠) - وَكَمَا يَعِدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَاجِرِينَ بَأَنْ يُدْخِلَهُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا، يَعِدُهُمْ أَيْضًا بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، إِذَا هُمْ قَاتِلُوهُمْ وَبَغَزُوا عَلَيْهِمْ. وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ. فَالَّذِينَ يَقَعُ عَلَيْهِمُ الْعُدُوَانُ مِنَ الْبَشَرِ قَدْ لَا يَحْمِلُونَ وَلَا يَصْبِرُونَ فَيَرُدُّونَ الْعُدُوَانُ، وَيُعَاقِبُونَ بِمِثْلِ مَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَذَى، فَإِنْ لَمْ يَكْفُ

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ

أَلَمْ لِكُ يَوْمِئِذٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ يَغِيثُ اللَّهُ إِلَهُكُمْ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ لَعَفْوٌ غَفُورٌ



الْمُعْتَدُونَ عَنْ عُدْوَانِهِمْ، وَعَادُوا إِلَى الْبَغْيِ عَلَى الْمَظْلُومِينَ، تَكْفُلُ اللَّهُ عِنْدَئِذٍ بِنَصْرِ الْمَظْلُومِينَ عَلَى الْمُعْتَدِينَ. فَشَرَطَ هَذَا النَّصْرُ أَنْ يَكُونَ الْعِقَابُ قِصَاصًا عَلَى اعْتِدَاءٍ، لَا عُدْوَانًا وَتَبْطُرًا، وَالْأَيُّ جَاوَزَ الْعِقَابَ الْعُدْوَانَ الْوَاقِعَ دُونَ مُغَالَاةٍ. وَمَنْ قَامَ بِرَدِّ الْاِعْتِدَاءِ الْوَاقِعِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَغْفِرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ عَنْهُ، وَيَغْفِرُ لَهُ لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَفْوُ الْعَفْوُ.

(نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي سَرِيَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقِيَتْ جَمَاعَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي شَهْرٍ مُحَرَّمٍ، فَنَاشَدَهُمُ الْمُسْلِمُونَ لَيْلًا يُقَاتِلُوا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَأَبَى الْمُشْرِكُونَ إِلَّا قِتَالَهُمْ، فَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَنَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ).

(الَلِيلِ) (الَلِيلِ)

(٦١) - يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ إِلَى أَنَّهُ الْخَالِقُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى نَصْرِ الْمَظْلُومِ الَّذِي يُبْغِي عَلَيْهِ، وَنَصْرُهُ هُنَّ عَلَيْهِ، كَمَا أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى جَعْلِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُتَدَاخِلَيْنِ مُتَابِلَيْنِ، يَتَنَاقِضَانِ الطُّولَ وَالْقِصَرَ، وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى. وَلَكِنَّ النَّاسَ يَمُرُّونَ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ غَافِلِينَ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ بِصِيرُ بِأَحْوَالِهِمْ.

يُولِجُ - يَدْخُلُ.

(الْبَاطِلِ)

(٦٢) - وَذَلِكَ الْاِتِّصَافُ بِكَمَالِ الْقُدْرَةِ، وَكَمَالِ الْعِلْمِ، إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ لِأَنَّهُ ذُو السُّلْطَانِ، فَمَا شَاءَ كَانَ. وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ ذَلِيلٌ لَدَيْهِ، وَإِنَّ الْأَضْنَامَ الَّتِي يَدْعُونَهَا، وَالْأَوْتَانَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ هِيَ بَاطِلٌ لِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، لَا شَيْءَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ.

(٦٣) - وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَعَظِيمِ شَأْنِهِ أَنَّهُ يُنْزِلُ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْضُرُ الْأَرْضُ، وَتَنْبُتُ بِالنَّبَاتِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَيِّتَةً. وَمِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى أَنْ تَتَحَرَّكَ النَّبَاتَاتُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْهَا. وَهُوَ عَلِيمٌ بِجَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَهُوَ تَعَالَى لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، خَبِيرٌ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ فَيَدَبِّرُهَا وَيَتَوَلَّاها بِعَيْنَاتِهِ.

١٦ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ

فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي
الَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

١٦ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ

وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ
اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

١٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَتَخْضِبُ الْأَرْضُ
مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ

(السَّمَاوَاتِ)

(٦٤) - وَجَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِلَّهِ: خَلَقَهُ وَدَبَّرَهُ وَنَظَّمَهُ وَأَمَّنْ رِزْقَهُ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، مُحْمُودٌ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَقَضَائِهِ.

(لَرُؤُوفٌ)

(٦٥) - وَمِنْ إِحْسَانِهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ سَخَّرَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانٍ وَجَمَادٍ وَنَبَاتٍ لِيَسْتَفْعُوا بِهِ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْمَرَاقِبَ الَّتِي تَسِيرُ فِي الْبَحْرِ، وَتَنْقُلُ النَّاسَ وَمَتَاعَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، وَرَفَعَ السَّمَاءَ بِقُدْرَتِهِ وَأَمْسَكَهَا وَمَنْعَهَا بِلُطْفِهِ مِنْ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَوْ شَاءَ لَأَذِنَ لَهَا فَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ فَدَمَرَتْهَا وَأَهْلَكَتْ مَنْ فِيهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ بِالنَّاسِ رَحِيمٌ، يَحْلُمُ عَلَيْهِمْ، وَيَرَأْفُ بِحَالِهِمْ، مَعَ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ.

(الْإِنْسَانِ)

(٦٦) - فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ أَنْدَادًا، وَتَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْمُسْتَقِلُّ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّصَرُّفِ، وَقَدْ أَوْحَدَكُمْ وَمَنْحَكُمُ الْحَيَاةَ، وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ مِيتَةَ الْحَقِّ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، ثُمَّ يُعِيدُ خَلْقَكُمْ مِنْ جَدِيدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُجَازِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ يَرَى كُلَّ ذَلِكَ وَيُدْرِكُهُ، إِلَّا أَنَّهُ يَكْفُرُ بِرَبِّهِ، وَيَجْحَدُ بِآيَاتِهِ لِأَنَّهُ كَثِيرُ الْكُفْرِ، شَدِيدُ الْجُحُودِ.

(فَلَا يَنَارُ عُنْكَ)

(٦٧) - وَلَقَدْ جَعَلْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ ذَاتَ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ، شَرْعًا وَمِنْهَا جَاءَ (مَنْسَكًا)، يَسِيرُونَ عَلَيْهِ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ وَفَقَهُ إِلَى أَنْ يَنْسَخَهُ مَا يَأْتِي بَعْدَهُ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ التَّوْرَةَ شَرِيعَةً لِلْيَهُودِ حَتَّى مَبْعَثِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَعَلَ الْإِنْجِيلَ شَرِيعَةً لِلنَّصَارَى حَتَّى مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ، وَجَعَلَ الْقُرْآنَ شَرِيعَةً لِلْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُ نَسَخَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الشَّرَائِعِ، فَلَا تَتْرُكُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالشَّرَائِعِ الْمَنْسُوخَةِ بِصُرُوفِكَ، بِمَنَازِعَتِهِمْ لَكَ، عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، وَتَابِعِ طَرِيقَكَ، وَأَدِّ مَهْمَّتَكَ فِي إِبْلَاجِ الدَّعْوَةِ لِلنَّاسِ فَإِنَّكَ عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ الْوَاضِحِ.

مَنْسَكًا - شَرِيعَةً خَاصَّةً أَوْ نُسْكَاً وَعِبَادَةً.

٦٤ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

٦٥ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ

٦٦ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ

٦٧ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رِيكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ

(جَادُلُوكَ)

(٦٨) - فَإِذَا جَادَلَكَ هَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ فَاجْتَصِرِ الْجَدَلَ مَعَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَسْعَوْنَ إِلَى الْإِسْتِصْحَاحِ وَالتَّعْلَمِ، وَإِنَّمَا يُجَادِلُونَكَ تَعْتًا، وَقُلْ لَهُمْ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَبِمَا تَرْمُونَ إِلَيْهِ مِنْ جَدَلِكُمْ، وَهُوَ تَعَالَى يُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ، وَيَحْاسِبُكُمْ عَلَيْهَا جَمِيعًا.

(الْقِيَامَةِ)

(٦٩) - وَاللَّهُ يَجْمَعُ النَّاسَ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَحْكُمُ بِعَذَابِهِ بَيْنَهُمْ وَسَيَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، فَيَتَبَيَّنُ الْمُحَقُّ مِنَ الْمُبْطَلِ.

(كِتَابِ)

(٧٠) - يَلْفُتُ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَنَظَرَ النَّاسِ، إِلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَ جَمِيعَ مَا فِيهِمَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، وَهُوَ عَالِمٌ بِحَالِ كُلِّ مَخْلُوقٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، وَقَدْ سَطَرَ كُلَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ لَدَيْهِ (اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَوْ أُمِّ الْكِتَابِ) وَلَيْسَ ذَلِكَ صَعْبًا عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَهِيَ قُدْرَةٌ لَا حُدُودَ لَهَا.

(سُلْطَانًا) (لِلظَّالِمِينَ)

(٧١) - وَيَعْبُدُونَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَصْنَامًا وَأَوْثَانًا وَأَنْدَادًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَيْسَ لَهُمْ فِي عِبَادَتِهَا حُجَّةٌ وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا عِلْمٌ لَهُمْ فِيمَا اخْتَلَقُوهُ، وَفِيمَا أَدْعَوْهُ، وَإِنَّمَا نَقَلُوهُ عَنْ أَسْلَافِهِمْ، فَسَارَوْا عَلَيْهِ بِدُونِ تَمْحِصٍ، وَلَا إِعْمَالِ عَقْلِ فِيهِ. وَيَتَوَعَّدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُفْرِهِمْ هَذَا بِأَنَّ الظَّالِمِينَ لَنْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ يُنصِّرُهُمْ مِنَ اللَّهِ فِيمَا يَجْلُبُ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. سُلْطَانًا - حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ.

(آيَاتِنَا) (بَيِّنَاتٍ)

(٧٢) - وَإِذَا قُرِئَتْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الْعَابِدِينَ غَيْرَ اللَّهِ، آيَاتُ الْقُرْآنِ الْبَيِّنَاتِ، وَذَكَرُوا بِمَا فِيهَا مِنْ حُجَجٍ وَبُرَاهِينٍ، وَدَلَائِلَ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، تَبَدَّلَ مَلَامِحُ وَجُوهِهِمْ، وَتَشَوَّرَ نَفْسُهُمْ، وَبُهِمُوا بِالْبَطْشِ بِالَّذِينَ يَقْرَأُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ، وَيَذْكُرُونَهُمْ بِهَا، وَيَكَادُونَ يُبَادِرُونَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالشَّتْمِ (يَسْطُونُ بِهِمْ).

٦٨ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ

٦٩ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

٧٠ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

٧١ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ

٧٢ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونُ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُفَرَاءُ

فَقُلْ يَا مُحَمَّدٌ لَهُؤُلَاءِ: إِنَّ النَّارَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ لِيُعَذِّبَهُمْ فِيهَا هِيَ أَشَدُّ وَأَقْسَى وَأَعْظَمُ مِمَّا تُخَوِّفُونَ بِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، وَيُبْسِ النَّارَ مَنْزِلًا وَمَقَامًا وَمَصِيرًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِلَّذِينَ كَفَرُوا. الْمُنْكَرُ - الْأَمْرُ الْمُسْتَقْبَحُ.

يَسْطُونَ - يَثْبُونَ وَيَبْطِشُونَ غَيْظًا وَغَضَبًا.

(يَا أَيُّهَا)

(٧٣) - يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى تَفَاهَةِ الْأَصْنَامِ، وَسَخَافَةِ عُقُولِ عَابِدِيهَا، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ جَعَلَ الْمُشْرِكُونَ لِي أَشْبَاهًا وَأَنْدَادًا مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مَعِيَ، فَأَنْصِتُوا وَتَفَهَّمُوا حَالَ هَؤُلَاءِ الْمَعْبُودِينَ: لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ مَنْ يَعْبُدُهُمُ الْبَشَرُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَلَى أَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا لَمَا اسْتَطَاعُوا، وَلَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ، وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مُقَاوَمَةِ الذُّبَابِ إِذَا سَلَبَهُمْ شَيْئًا مِمَّا عَلَيْهِمْ مِنْ طَيْبٍ وَغَيْرِهِ، وَلَوْ أَرَادُوا اسْتِنْقَاذَهُ مِنْهُ لَمَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ، فَإِذَا عَجَزَ هَؤُلَاءِ عَنْ خَلْقِ الذُّبَابِ، وَعَنْ مُقَاوَمَتِهِ، وَهُوَ مِنْ أَوْعَفِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ، فَهُمْ أَعَجَزُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِشَيْءٍ آخَرَ، فَكَيْفَ يَعْبُدُهُمْ عَاقِلٌ؟ ضَعْفُ الصَّنَمِ الطَّالِبِ، وَضَعْفُ الذُّبَابِ الْمَطْلُوبِ.

(٧٤) - مَا عَرَفَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قَدَرَ اللَّهِ وَعَظَمَتَهُ حِينَ أَشْرَكُوا مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ سِوَاهُ مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ مُقَاوَمَةَ الذُّبَابِ لِضَعْفِهَا وَعَجْزِهَا. وَاللَّهُ هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي خَلَقَ الْكَوْنَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، وَلَا يُعْجِزُهُ خَلْقٌ وَلَا مَخْلُوقٌ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُضَامُ وَلَا يُرَامُ. مَا قَدَرُوا اللَّهَ - مَا عَظَّمُوهُ، أَوْ مَا عَرَفُوهُ.

(الْمَلَائِكَةُ)

(٧٥) - اقْتَضَتْ مِثْبُتَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْتَارَ رَسُولًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ الْكَرَامِ، فِيمَا يَشَاءُ إِبْلَاغَهُ إِلَى رُسُلِهِ مِنَ الْبَشَرِ، وَأَنْ يَخْتَارَ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ لِإِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ إِلَى النَّاسِ، فَكَيْفَ تَقْتَرِحُونَ عَلَى مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ رَسُولًا إِلَيْكُمْ؟ وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ، بَصِيرٌ بِأَحْوَالِهِمْ. عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُمْ أَنْ يَخْتَارَهُ اللَّهُ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ.

(٧٦) - يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَفْعَلُهُ رَسُولُهُ وَمَلَائِكَتُهُ فِيمَا أُرْسِلَهُمْ بِهِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ، شَهِيدٌ عَلَى مَا يُقَالُ لَهُمْ، حَافِظٌ لَهُمْ وَنَاصِرٌ. وَإِلَيْهِ تَعَالَى يَرْجِعُ أَمْرُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَحَاسِبُهُمْ وَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ.

يُشَرِّينَ ذَلِكَمُ النَّارِ وَعَدَهَا
اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسِ الْمَصِيرُ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ

فَأَسْتَعِزُّوهُ رَبِّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا
ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ
يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا
لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ

مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ
اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

اللَّهُ يَصْطَلِفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٧٧) - يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِبَادَتِهِ، وَبِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَبِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ لَهُ، وَبِفِعْلِ الْخَيْرِ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُوصِلُهُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(وَجَاهِدُوا) (اجْتَنِبُوا) (إِبْرَاهِيمَ) (سَمَائِكُمْ) (الصَّلَاةَ) (وَاتُوا)
(الزَّكَاةَ) (مَوْلَاكُمْ)

(٧٨) - يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجِهَادِ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ وَأَخْلَصَهُ: بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَاللِّسَنَةِ، فَقَدْ اضْطَرَّتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَنَابَهُمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَمْ يُلْزِمْهُمْ بِشَيْءٍ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ إِلَّا جَعَلَ لَهُمْ مِنْهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا، وَلَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ، بَلْ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ، كَمَا وَسَّعَ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَنَصَبَ (مِلَّةً) عَلَى تَقْدِيرِ الزَّمَانِ وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ)، وَقَدْ سَمَّاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمُسْلِمِينَ فِي شَرْعِ إِبْرَاهِيمَ وَفِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ (مَنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا). وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ أُمَّةً وَسَطًا عُدُولًا لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا يَعْتَرِفُونَ بِفَضْلِ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلِهَذَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ عَلَيْهِمْ، فِي أَنَّ الرُّسُلَ أُنْبَلَتْهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَالرُّسُلُ يَشْهَدُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ أُنْبَلَتْهَا مَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَلْيَقَابِلِ الْمُسْلِمُونَ هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ بِالْقِيَامِ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَأَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَ مِنْ أَمْرِ ذَلِكَ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَأَدَاؤُهَا حَقَّ آدَائِهَا، وَدَفْعُ الزَّكَاةِ، وَالْإِعْتَصَامُ بِاللَّهِ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ، وَالِاتِّكَالُ عَلَيْهِ، فَهُوَ مَوْلَاهُمْ وَحَافِظُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ، وَهُوَ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ النَّاصِرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ - يُعِثُّ بِالْحَيَفِيَّةِ السُّمْحَةِ). وَأَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأَبَا مُوسَى جِينِمَا بَعَثَهُمَا أَمِيرَيْنِ عَلَى الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُمَا: بَشِّرَا وَلَا تُنْفَرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا.

الْجِهَادُ - بَذْلُ الْجُهْدِ فِي مُدَافَعَةِ الْعَدُوِّ.

هُوَ اجْتِنَابُكُمْ - اجْتَنَابُكُمْ لِدِينِهِ وَعِبَادَتِهِ وَنُصْرَتِهِ.

حَرَجٌ - ضَيْقٌ بِتَكْلِيفٍ يَشُقُّ وَيَعَسِّرُ.

هُوَ مَوْلَاكُمْ - مَا لَكُمْ وَمَنْ نَاصِرُكُمْ وَمُتَوَلِّي أَمْرِكُمْ.



سَجْدَةٌ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْجُدُوا وَاعْبُدُوا

رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ

هُوَ اجْتَنَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ

أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاهُمْ

الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا

لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ

وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ

فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

(٢٣) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - لَقَدْ فَازَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَسَعِدُوا وَأَفْلَحُوا.
الإِفْلَاحُ - الْفَوْزُ بِالْبَغْيَةِ بَعْدَ سَعْيٍ وَاجْتِهَادٍ .

(خَاشِعُونَ)

(٢) - الَّذِينَ خَشَعَتِ قُلُوبُهُمْ وَخَافَتِ مِنَ اللَّهِ، وَسَكَتَتْ. وَالْخُشُوعُ فِي
الصَّلَاةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبُهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا سِوَاهَا، وَآثَرَهَا
عَلَى غَيْرِهَا، وَجَبَتْ لَهَا تَكُونُ رَاحَةً لَهُ، وَفَرَّةٌ عَيْنٍ.
خَاشِعُونَ - مُتَذَلِّلُونَ خَائِفُونَ سَاكِنُونَ.

(٣) - وَالَّذِينَ يَنْصَرِفُونَ إِلَى الْجِدِّ، وَيَعْرِضُونَ عَمَّا لَا فَايِدَةَ مِنْهُ مِنَ
الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ (اللُّغُو). وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا
مَرُّوا بِاللُّغُوِّ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(١)، أَيِ إِنَّهُمْ لَا يَتَوَقَّفُونَ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ.
اللُّغُو - مَا لَا يَجْمَلُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

(لِلزَّكَاةِ) (فَاعِلُونَ)

(٤) - وَالَّذِينَ يُطَهِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ بِتَأْدِيَةِ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ. وَهَذِهِ آيَةُ مَكِّيَّةٌ،
وَزَكَاةُ الْمَالِ فُرِضَتْ فِي الْمَدِينَةِ، لِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْمَقْصُودَ
بِالزَّكَاةِ هُنَا زَكَاةُ النَّفْسِ مِنَ الشَّرِّ وَالذَّنْسِ. (وَيَرَى ابْنُ كَثِيرٍ: أَنَّهُ قَدْ
يَكُونُ الْمَقْصُودُ بِهَا كِلَا الْأَمْرَيْنِ، زَكَاةُ النَّفْسِ وَطَهَارَتُهَا، وَزَكَاةُ الْأَمْوَالِ
لأنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ زَكَاةِ النَّفْسِ).

(حَافِظُونَ)

(٥) - وَالَّذِينَ يَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ فَلَا يُقَارِفُونَ مُحَرَّمًا، وَلَا يَقَعُونَ فِيهَا
نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ زَنًى وَغَيْرِهِ.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.

١ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ



٢ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ

٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ

٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ

٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ

(أَزْوَاجِهِمْ) (أَيْمَانُهُمْ)

(٦) - وَلَا يَقْرَبُونَ سِوَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ مِنْ إِمَاءٍ. وَمَنْ بَاشَرَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ فَهُوَ غَيْرُ مُلُومٍ فِي ذَلِكَ.

(فَأُولَئِكَ)

(٧) - فَمَنْ تَجَاوَزَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْحَرَامِ، فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ، الْمُتَجَاوِزِينَ حُدُودَ مَا شَرَعَ اللَّهُ. الْعَادُونَ - الْمُعْتَدُونَ الْمُتَجَاوِزُونَ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

(لَأَمَانَاتِهِمْ) (رَاعُونَ)

(٨) - وَالَّذِينَ إِذَا أَتَمُّنُوا لَمْ يَخُونُوا أَمَانَاتِهِمْ، بَلْ يُؤَدُّونَهَا إِلَى أَهْلِهَا، وَإِذَا عَاهَدُوا أَوْ عَاقَدُوا أَوْفَوْا بِذَلِكَ، وَلَمْ يَخُونُوا وَلَمْ يَغْدُرُوا، وَبَقُوا مُحَافِظِينَ عَلَى عُقُودِهِمْ وَأَمَانَاتِهِمْ وَعُقُودِهِمْ.

(صَلَوَاتِهِمْ)

(٩) - وَالَّذِينَ يُدْأِئُونَ عَلَى آدَاءِ صَلَوَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ، يُؤَدُّونَهَا فِي مَوَاقِفِهَا، وَيُتِمُّونَهَا بِخُشُوعِهَا، وَسُجُودِهَا، حَتَّى تُوَدَّى الْمَقْصُودُ مِنْهَا، وَهُوَ خَشْيَةُ اللَّهِ، وَالْإِنْتِهَاءُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

(أُولَئِكَ) (الْوَارِثُونَ)

(١٠) - وَبَعْدَ أَنْ عَدَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْصَافَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَمِيدَةَ قَالَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الرَّفِيعَةِ يَرِثُونَ الْجَنَّةَ، وَيَتَّبَعُونَ أَعْلَى مَرَاتِبِهَا، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَا زَيَّنُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالْآذَابِ الْعَالِيَةِ، وَيَبْقُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ. فَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾. (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ).

(خَالِدُونَ)

(١١) - فَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ هُمُ الَّذِينَ يَرِثُونَ مَنَازِلَ الْكُفَّارِ فِي الْجَنَّةِ، وَيَبْقُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا. وَجَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ (إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ الْجَنَّةَ

٦ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ

٧ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ

٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

١٠ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ

١١ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ.

(الْإِنْسَانُ) (سَلَالَةُ)

(١٢) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ بَدْءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، أَيْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَلَّ مِنَ الطِّينِ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى الْمُوجِبَةِ لِلِإِيمَانِ بِهِ.

السَّلَالَةُ - مَا اسْتُلَّ مِنَ الشَّيْءِ وَاسْتُخْرِجَ مِنْهُ أَوْ خُلِصَتْهُ.

(جَعَلْنَاهُ)

(١٣) - ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ نَسْلَ آدَمَ مُتَحَدِّراً مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ضَعِيفٍ (مَهِينٍ)، فَتَخْرُجُ النُّطْفَةُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَسْتَقِرُّ فِي رَجِمِ الْأُنْثَى، وَتَكُونُ النُّطْفَةُ فِي جِرْزٍ حَصِينٍ فِي وَقْتِ الْحَمْلِ، إِلَى جِوْنِ الْوِلَادَةِ. وَالرَّجِمُ مَحْفُوظٌ بِعِظَامِ الْحَوْضِ.

قَرَارٍ مَكِينٍ - مُسْتَقَرٌّ مُتَمَكِّنٌ وَهُوَ الرَّجِمُ.

(عِظَامًا) (الْعِظَامُ) (أَنْشَأَنَاهُ) (آخِرَ) (الْخَالِقِينَ)

(١٤) - ثُمَّ صَيَّرَ النُّطْفَةَ عِلْقَةً مِنْ دَمٍ. ثُمَّ صَيَّرَ الْعِلْقَةَ مُضْغَةً - أَيْ قِطْعَةً مِنْ لَحْمٍ يَقْدَرُ مَا يُمَضَّغُ - ثُمَّ أُعْطِيَ هَذِهِ الْمُضْغَةُ شَكْلَ الْمَخْلُوقِ، فَأَخَذَ فِي إِظْهَارِ الرَّأْسِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَمَلَامِجِ الْوَجْهِ. وَخَلَقَ الْعِظَامَ وَكَسَاهَا لَحْمًا، ثُمَّ جَعَلَ هَذَا الْجَبِينَ خَلْقًا آخَرَ بَعْدَ وَلَاذَتِهِ. ذَا سَمْعٍ وَبَصَرٍ وَصَوْتٍ وَحَرَكَةٍ وَإِدْرَاكِ، مُغَايِرًا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي بَدْءِ تَكْوِينِهِ، ثُمَّ يَتَطَوَّرُ فِي النُّمُو. فَتَبَارَكَ اللَّهُ، وَتَنَزَّاهُ عَلَى هَذِهِ الْقُدْرَةِ، وَعَلَى هَذَا الْخَلْقِ.

عِلْقَةً - دَمًا مُتَجَمِّدًا.

مُضْغَةً - قِطْعَةً لَحْمٍ قَدَرُ مَا يُمَضَّغُ

خَلْقًا آخَرَ - مُبَايِنًا لِلأَوَّلِ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ.

أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ - أَتْقَنَ الصَّانِعِينَ وَالْمُصَوِّرِينَ.

(١٥) - وَبَعْدَ هَذِهِ النِّشْأَةِ الْأُولَى مِنَ الْعَدَمِ، تَصِيرُونَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَى الْمَوْتِ لَا مَحَالَةَ.

﴿١٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ

سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ

﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ

﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا

الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا

الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا

ءَاخِرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

الْخَالِقِينَ

﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ

(الْقِيَامَةِ)

(١٦) - ثُمَّ يُعِيدُ اللَّهُ إِنْشَاءَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَبْعَثُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ، لِيَحَاسِبَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عَلَى عَمَلِهِ.

(طَرَائِقَ) (غَافِلِينَ)

(١٧) - وَبَعْدَ أَنْ أَشَارَ تَعَالَى إِلَى خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَمَوْتِهِ وَبَعْثِهِ، أَشَارَ إِلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا أَبْدَعَ فِيهِنَّ. فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ خَلَقَ سَبْعَ طَرَائِقَ؛ وَهَذِهِ الطَّرَائِقُ تُعْنِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ - وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^(١) وَهَذِهِ الطَّرَائِقُ السَّبْعُ كَانَتْ فَوْقَ الْأَرْضِ، أَوْ تُحِيطُ بِالْأَرْضِ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، أَوْ خَلْفَ بَعْضٍ، وَقَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ بِحِكْمَةٍ وَتَذْيِيرٍ، وَحَفِظَهَا بِنَامُوسٍ مَحْفُوظٍ فِيهِ مُتَنَاسِقَةٌ فِي وُظَائِفِهَا وَفِي اتِّجَاهِهَا، وَحَكْمَهَا بِنَامُوسٍ وَاحِدٍ، وَكُلُّهَا تَتَعَاوَنُ فِي آدَاءِ وُظَائِفِهَا، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ تَعَالَى غَافِلًا عَمَّا خَلَقَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ أَهْمَلَ الْخَلْقَ لِاخْتَلَّ تَوَازُنُهُ وَاضْطَرَبَ فِي سَيْرِهِ.

(فَأَسْكَنَاهُ) (لِقَادِرُونَ)

(١٨) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا (مَاءً)، بِحَسَبِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، لَا كَثِيرًا فَيُفْسِدُ الْأَرْضَ وَالْعُمْرَانَ، وَلَا قَلِيلًا فَلَا يَكْفِي الزَّرْعَ وَالشَّارَ (يَقْدِرُ)، وَيَسْتَقِرُّ هَذَا الْمَاءُ فِي الْأَرْضِ... وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ اسْتِعْدَادًا لِلانْتِفَاعِ بِهِ لِإِخْرَاجِ النَّبَاتِ وَالشَّارِ وَالزَّرْعِ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا تُمْطِرَ السَّمَاءُ لَفَعَلَ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ صَرَفَ الْمَطَرَ عَنِ النَّاسِ إِلَى الْأَرْضِ السَّيْحَةِ الَّتِي لَا تُنْبِتُ لَفَعَلَ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مِلْحًا يَضُرُّ بِالْأَرْضِ وَالنَّبَاتِ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ لَفَعَلَ. وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ يَمُورًا فِي الْأَرْضِ فَلَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِ لَفَعَلَ ذَلِكَ أَيْضًا. وَلَكِنَّهُ تَعَالَى بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ الْمَطَرَ عَذْبًا فَيُسْكِنُهُ فِي الْأَرْضِ وَيَسْلُكُهُ يَنْابِيعَ فِيهَا فَيَفْتَحُ الْعُيُونِ وَالْأَنْهَارَ، وَتُسْقَى بِهِ الزَّرْعُ وَالشَّارُ، تَشْرَبُونَ مِنْهُ أَنْتُمْ وَدَوَابُّكُمْ وَأَنْعَامُكُمْ وَتَسْتَعْمِلُونَهُ فِي طُهُورِكُمْ وَنَظَافَتِكُمْ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. يَقْدِرُ - بِمَقْدَارِ الْحَاجَةِ وَالْمَصْلَحَةِ.

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُعْثَرُونَ

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ

طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ

فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ

بِهِ لَقَادِرُونَ

(جَنَاتٍ) (أَعْنَابٍ) (فَوَاكِهَ)

(١٩) - فَأَخْرَجَ اللَّهُ بِهَذَا الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ بَسَائِينَ وَحَدَائِقَ (جَنَاتٍ)، فِيهَا النَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ وَالزَّيْتُونُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْفَوَاكِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَأْكُلُهَا النَّاسُ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا.

(لِلْأَكْلِيلِ)

(٢٠) - وَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الْمَاءِ أَيْضاً شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ، وَهِيَ شَجَرَةٌ تَنْبُتُ فِي جَبَلِ طُورِ سَيْنَاءَ، الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَشَجَرَةُ الزَّيْتُونِ الْمُبَارَكَةُ يُسْتَخْرَجُ مِنْ ثَمَرِهَا الزَّيْتُ (تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ)، وَيَكُونُ زَيْتُهَا إِذَا مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ فِي الطَّعَامِ (وَصَبِغٌ لِلْأَكْلِيلِ). (وَفِي الْحَدِيثِ: كُلُوا الزَّيْتُ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ)

شَجَرَةُ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ - شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ الَّتِي يَلْتَبَسُ ثَمَرُهَا بِالزَّيْتُ. صَبِغٌ لِلْأَكْلِيلِ - إِدَامٌ لَهُمْ يُغْمَسُ فِيهِ الْخَبِزُ.

(الْأَنْعَامِ) (مَنَافِعِ)

(٢١) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى مَا جَعَلَ فِي الْأَنْعَامِ - وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْمَاعِزُ - مِنْ مَنَافِعٍ لِيَخْلُقَ بِهِ، فَهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا، وَيَأْكُلُونَ مِنْ لَحُومِهَا، وَيَلْبَسُونَ مِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَيَرْكَبُونَ عَلَى الْإِبِلِ وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي خَلْقِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ عِبْرَةً لِلنَّاسِ، وَدَلَالَةً عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، فَالِدَّمُ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنَ الْأَغْذِيَةِ يَتَحَوَّلُ فِي غَدِّ الضَّرْعِ إِلَى لَبَنِ طَيِّبِ الْمَذَاقِ، لِيَذِيذَ الطَّعْمِ، صَالِحٍ لِلتَّغْذِيَةِ.

الْأَنْعَامُ - الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْمَاعِزُ.

لَعِبْرَةٌ - لَعِظَةٌ وَآيَةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

(٢٢) - وَبَرَكَبُ النَّاسِ عَلَى ظُهُورِ الْأَنْعَامِ وَفِي السُّنَنِ وَالْمَرَائِبِ (الْفُلُكِ)، وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ وَيَنْتَقِلُونَ مِنْ قَطَرٍ إِلَى قَطَرٍ.

(يَا قَوْمِ)

(٢٣) - لَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَوْمِهِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَحَذِّرَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَبَاسِهِ الشَّدِيدِ، وَأَنْتَقِمَ مِنْهُمْ أَشْرَكَ بِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، أَفَلَا تَتَخَفُونَ عِقَابَهُ فَتَحْذَرُوا أَنْ تَعْبُدُوا مَعَهُ سِوَاهُ؟

(١٩) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ

وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

(٢٠) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ

تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِلْأَكْلِيلِ

(٢١) وَلِئِنْ لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ

تُشْفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

(٢٢) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلُكِ تُحْمَلُونَ

(٢٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ

فَقَالَ يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ

(الْمَلَأَ) (مَلَأْنِكَ) (آبَائِنَا)

(٢٤) - فَقَالَ السَّادَةُ الْكِبَرَاءُ مِنْ قَوْمِهِ (الْمَلَأَ): لَيْسَ نُوحٌ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَرْفَعَ عَلَيْكُمْ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ فَكَيْفَ أُوجِي إِلَيْهِ مِنْ دُونِكُمْ وَهُوَ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ لَا يَفْضُلُكُمْ بِشَيْءٍ؟ وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ نَبِيًّا لَبَعَثَ مَلَكًا مِنْ عِنْدِهِ لَا بَشَرًا، وَنَحْنُ لَمْ يَأْتِنَا عَنْ أَسْلَافِنَا وَآبَائِنَا الْأَوَّلِينَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ، وَلَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ نُوحٌ مِنْ عِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ

الْمَلَأَ - وَجَّهَهُ الْقَوْمَ وَالسَّادَةَ.

يَفْضُلُ عَلَيْكُمْ - يَتَرَأَسُ وَيَشْرَفُ عَلَيْكُمْ

(٢٥) - وَهُوَ رَجُلٌ بِهِ جُنُونٌ (جَنَّةٌ)، فِيمَا يَزْعُمُهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ، وَاخْتَصَّهُ بِالْوَحْيِ مِنْ بَيْنِكُمْ، فَانْتَظَرُوا حَتَّى يُوَفِّيَهُ أَجَلَهُ، وَاصْبِرُوا عَلَيْهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ فَتَرَأَوْا حُجَّتَهُ.

(وَقِيلَ بَلِ الْمَعْنَى هُوَ: اصْبِرُوا عَلَيْهِ فَلَعَلَّهُ يَضِيقُ بِمَا هُوَ فِيهِ فَيَرْجِعُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَى دِينِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ) بِهِ جَنَّةٌ - بِهِ جُنُونٌ، أَوْ جُنٌّ يَحْبِلُونَهُ. فَتَرَبَّصُوا بِهِ - انْتَظَرُوا وَاصْبِرُوا عَلَيْهِ.

(٢٦) - وَبَعْدَ أَنْ دَعَاهُمْ نُوحٌ مُدَّةً طَوِيلَةً سِرًّا وَجَهْرًا، لَيْلًا وَنَهَارًا، وَلَمْ يَرِ مِنْهُمْ إِلَّا عِنَادًا وَإِصْرَارًا عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، أَدْرَكَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا رَجَاءَ فِيهِمْ، فَدَعَا رَبَّهُ مُسْتَنْصِرًا بِهِ عَلَيْهِمْ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾^(١)، وَهَذَا يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ نُوحًا دَعَا رَبَّهُ لِيَنْصُرَهُ عَلَى قَوْمِهِ الْمُكَذِّبِينَ.

(تَخَاطَبْنِي)

(٢٧) - فَأَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ حِينَ اسْتَنْصَرَنَا عَلَى قَوْمِهِ الْكَافِرَةِ، أَنْ اصْنَعْ السَّفِينَةَ بِأَعْيُنِنَا وَتَحْتَ حِفْظِنَا وَرِعَايَتِنَا لَكَ مِنَ التَّعَدِّيِّ عَلَيْكَ، وَتَعْلِيمِنَا إِيَّاكَ طَرِيقَةَ صُنْعِهَا، فَإِذَا جَاءَ قَضَاؤُنَا بِإِهْلَاكِ قَوْمِكَ وَعَذَابِهِمْ، وَأَخَذَ الْمَاءُ يَتَّبِعُ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ حَتَّى وَصَلَ فِي ارْتِفَاعِهِ إِلَى التَّنُورِ - وَهُوَ مَوْضِعُ النَّارِ - فَفَارَ، فَأَدْخَلَ فِي السَّفِينَةِ أَهْلَكَ - أَوْلَادَكَ وَنِسَاءَهُمْ - إِلَّا مَنْ سَقَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ هَبْلَكَ ضَمِنَ مَنْ سَيِّهْلَكَ، فَلَا تَحْمِلُهُ مَعَكَ - ، وَأَدْخَلَ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى لِيَتَّبِقَى بُدُورُ الْحَيَاةِ، بَعْدَ أَنْ تَهْلِكَ الْخَلَائِقُ بِالطُّوفَانِ. وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نُوحًا بِالْأَنِ

(١) سورة القمر، الآية: ١٠

﴿٢٤﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ

مَاهَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ
يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا
فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ

﴿٢٥﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ

فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ

﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ

﴿٢٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ

بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا

وَفَارَ الْتُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا

مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ

وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ

الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبْنِي فِي

الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ

تَأْخُذُهُ الرَّافَةُ فَيَمْنَنَ كَفَرٌ مِنْ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ وَقَضَى اللَّهُ بِإِهْلَاكِهِ. وَأَعْلَمَهُ تَعَالَى
بِأَنَّهُ قَضَى بِأَنَّهُمْ مُغْرَقُونَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعُتُوِّ، فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يَرْجُوا
مِنْ رَبِّهِ إِنْجَاءَهُمْ.

بِأَعْيُنِنَا - بِرِعَايَتِنَا وَحِفْظِنَا.

فَارَ التَّنُورَ - نَبَعَ الْمَاءَ مِنَ التَّنُورِ الْمَعْرُوفِ.

فَاسْلُكْ فِيهَا - فَادْخِلْ فِي السَّفِينَةِ.

(نَجَاتَنَا) (الظَّالِمِينَ)

(٢٨) - فَإِذَا رَكِبْتَ فِي السَّفِينَةِ، وَاطْمَأْنَنْتَ أَنَّكَ وَمَنْ حَمَلْتَهُمْ مَعَكَ
فِيهَا، فَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الظَّالِمِينَ.

(٢٩) - وَقُلْ إِذَا سَلِمْتَ مِنَ الْغَرَقِ، وَخَرَجْتَ مِنَ السَّفِينَةِ: رَبِّ أَنْزِلْنِي
مَنْزَلًا مُبَارَكًا، تَطِيبُ الْإِقَامَةَ فِيهِ عِنْدَ النُّزُولِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهَبْ لِي
الْأَمْنَ فِيهِ، وَأَنْتَ يَا رَبُّ خَيْرُ مَنْ أَنْزَلَ عِبَادَهُ الْمَنَازِلَ.
مَنْزَلًا - إِنْزَالًا أَوْ مَكَانًا إِنْزَالًا.

(آيَاتِ)

(٣٠) - وَإِنْ فِيمَا فَعَلْنَا بِقَوْمِ نُوحٍ، مِنْ إِهْلَاكِهِمْ إِذْ كَذَّبُوا رَسُولَنَا،
وَجَحَلُوا بِآيَاتِنَا، وَكَفَرُوا بِوَحْدَانِيَّتِنَا وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ، لَعِبْرَةً لِقَوْمِكَ
الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ، وَحُجَّةً لَنَا عَلَيْهِمْ يَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى سُتُنَانَا فِي
أُمْتَالِهِمْ. لَعَلَّهُمْ يَزِدُّجُرُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ وَعَيْبِهِمْ، وَيَكْفُرُونَ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ،
وَعِنَادِهِمْ. وَقَدْ كُنَّا مُخْتَبِرِينَ بِهِمْ بِالتَّذْكِيرِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ لَنَنْظُرَ مَاذَا يَفْعَلُونَ
قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِم الْعُقُوبَةُ (وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ).

لَمُبْتَلِينَ - لِمُخْتَبِرِينَ عِبَادَنَا بِهَذِهِ الْآيَاتِ.

(آخِرِينَ)

(٣١) - ثُمَّ أَوْجَدَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ أَقْوَامًا آخِرِينَ (قَرْنًا)، يَخْلُقُونَهُمْ
فِي الْأَرْضِ - وَقِيلَ إِنَّهُمْ قَوْمٌ عَادٌ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَخْلَفِينَ بَعْدَهُمْ - وَقَدْ
جَاءَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ مَا قَالَهُ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ وَهُوَ يُحَذِّرُهُمْ
وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (١).

قَرْنًا آخِرِينَ - أُمَمًا آخِرِينَ. أُمَمًا أُخْرَى وَهُمْ عَادُ الْأُولَى قَوْمُ هُودٍ.

(١) سورة الاعراف، الآية: ٦٩.

﴿٢٨﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى

الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا

مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

﴿٢٩﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ

خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ

﴿٣٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ

﴿٣١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخِرِينَ

(٣٢) - وَإِنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، هُوَ هُوْدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ، وَأَطِيعُوهُ، دُونَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، فَإِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَهُ أَنْ يَجْلِبَ بِكُمْ إِذَا عَبْدْتُمُ الْأَصْنَامَ، وَتَرَكْتُمُ عِبَادَتَهُ وَحْدَهُ بِلَا شَرِيكَ.

(الْآخِرَةُ) (وَأَتَرَفْنَاهُمْ) (الْحَيَاةِ)

(٣٣) - وَقَالَ الْكِبَرَاءُ الْمُتَرَفُونَ مِنْ قَوْمِ هَذَا النَّبِيِّ، وَهُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوا بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ قَوْمِهِمْ: إِنَّ هَذَا الْمُدْعِي بِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا، إِنْ هُوَ إِلَّا بَشَرٌ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ كَمَا تَفْعَلُونَ أَنْتُمْ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ بَشَرًا رَسُولًا مِنَ اللَّهِ؟ أَتَرَفْنَاهُمْ - نَعْمَنَاهُمْ وَوَسَعْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ فَبَطَرُوا.

(وَلَيْنَ) (لِخَاسِرُونَ)

(٣٤) - وَإِنَّكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ لِبَشَرٍ مِثْلِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، وَعَبَدْتُمْ الْإِلَهَ الَّذِي يَدْعُوكُمْ لِعِبَادَتِهِ... فَإِنَّكُمْ تَكُونُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، لِأَنَّكُمْ لَنْ تَنْتَفِعُوا بِطَاعَتِهِ.

(عِظَامًا)

(٣٥) - ثُمَّ قَالَ الْكِبَرَاءُ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ سَاخِرِينَ: أَيْعِدُكُمْ هَذَا الْمُدْعِي أَنَّكُمْ سَتُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ عِظَامُكُمْ وَأَجْسَادُكُمْ قَدْ بَلِيَتْ وَأَصْبَحَتْ تَرَابًا، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ؟

(٣٦) - إِنْ مَا يَعِدُكُمْ بِهِ مِنْ بَعْثٍ وَحْشٍ وَنَشْرِ، بَعِيدٌ جِدًّا وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ. هَيْهَاتَ - بَعْدَ وَقُوعِ ذَلِكَ الْمَوْعُودِ.

(٣٧) - فِيهِ حَيَاةٌ نَعِيشُهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تَمُوتُ بَعْدَهَا، وَتَأْتِي بَعْدَنَا أَجْيَالٌ أُخْرَى لِلْحَيَاةِ، وَهَكَذَا دَوَائِلُكَ وَبِالْمَوْتِ يَنْتَهِي كُلُّ شَيْءٍ، فَلَا بَعْثَ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَا نُشُورَ وَلَا حِسَابَ.

﴿٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ

﴿٣٣﴾ وَقَالَ الْمَلَائِمُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ أَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ

﴿٣٤﴾ وَلَٰئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ لَأَتَّكُم إِذَا الْخَسِرُونَ

﴿٣٥﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ



﴿٣٦﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ

﴿٣٧﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ

﴿٣٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ

﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ

﴿٤٠﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ

﴿٤١﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ
فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوٰمِ
الظَّالِمِينَ

﴿٤٢﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا
ءَاخِرِينَ

﴿٤٣﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَأْخِرُونَ

(٣٨) - وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ عَنْ رَسُولِهِمْ: إِنَّهُ يَخْتَلِقُ الْأَكَاذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَيَدَّعِي أَنَّ اللَّهَ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ، وَهَذَا كُلُّهُ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ، وَنَحْنُ لَا نُصَدِّقُ شَيْئًا مِمَّا يَقُولُ عَنْ رَسُولِهِ، وَعَنِ الْبَغْيِ وَالنُّشُورِ، وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ... وَلَنْ نُؤْمِنَ لَهُ، وَلَنْ نَتَّبِعَهُ.

(٣٩) - وَلَمَّا يَشَسَّ الرَّسُولُ مِنْ إِيْمَانِهِمْ بَعْدَ قَوْلِهِمْ (وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ)، دَعَا رَبَّهُ مُسْتَنْصِرًا بِهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، وَأَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُمْ.

(نَادِمِينَ)

(٤٠) - فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَىٰ دُعَاءَهُ، وَقَالَ لَهُ، إِنَّ قَوْمَهُ سَيُصْبِحُونَ، خِلَالَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، نَادِمِينَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ، حِينَمَا يَجُلُّ بِهِمُ الْعَذَابُ.

(فَجَعَلْنَاهُمْ) (الظَّالِمِينَ)

(٤١) - فَأَخَذَتْهُمُ صَيْحَةُ الْعَذَابِ، وَقَدْ كَانُوا لِيَمْلِكُهَا مُسْتَحَقِّينَ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ (بِالْحَقِّ)، فَأَصْبَحُوا هَلَكَى لَا غَنَاءَ فِيهِمْ، وَلَا فَائِدَةَ تُرْجَى مِنْهُمْ، كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ. وَفِي هَذَا مِنَ الْمَذَلَّةِ وَالْمَهَانَةِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِهِمْ مَا لَا يَخْفَى، وَإِنَّ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعِقَابِ وَالْمَهَانَةِ لَأَعْظَمُ مِمَّا حَلَّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَفِيهِ عَظِيمُ الْعِبْرَةِ لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ.

الغُثَاءُ - الشَّيْءُ الْحَقِيرُ الَّذِي لَا يُنْتَفَعُ بِهِ الَّذِي يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مَعَهُ، أَيْ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَ أَصْبَحُوا هَالِكِينَ لَا قِيَمَةَ لَهُمْ.

الصَّيْحَةُ - الْعَذَابُ الشَّدِيدُ - أَوْ هِيَ صَوْتُ الزَّلْزَالِ.

فَبَعْدًا - فَهَلَاكًا، أَوْ بَعْدًا مِنَ الرَّحْمَةِ.

(آخِرِينَ)

(٤٢) - ثُمَّ أَنشَأَ اللَّهُ أُمَّةً وَأَجْيَالًا آخِرِينَ بَعْدَ إِهْلَاكِهِ عَادًا، مِنْهُمْ نَمُودُ قَوْمٌ صَالِحٌ، وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ قَوْمٌ شُعَيْبٍ، وَقَوْمٌ لُوطٍ.

قُرُونًا آخِرِينَ - أُمَّةٌ أُخْرَى.

(يَسْتَأْخِرُونَ)

(٤٣) - وَلَا تَتَقَدَّمُ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ الْمُهْلَكَةِ الْوَقْتِ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِهَلَاكِهَا، وَلَا تَسْتَأْخِرُ عَنْهُ، فَلِكُلِّ شَيْءٍ مِيقَاتٌ يَمُّ فِيهِ، وَلَا يَتَعَدَّاهُ.

(تَتَرَى) (وَجَعَلْنَاهُمْ) (كُلَّمَا)

(٤٤) - ثُمَّ أَوْجَدَ اللَّهُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الْمُهْلِكِينَ أُمَّةً (قُرُونًا) أُخْرَى، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُبَلِّغُهُمْ رِسَالَاتِهِ، وَأَتَتْهُمُ الرُّسُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا (تَتَرَى)، وَكُلَّمَا جَاءَ رَسُولٌ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، كَذَّبَهُ جُمْهُورُ الْكِبَرَاءِ وَالْقَادَةِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَالْحَقُّهُمْ بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الْمُهْلِكِينَ، وَجَعَلْنَاهُمْ أَخْبَارًا وَأَحَادِيثَ يَتَحَدَّثُ بِهَا النَّاسُ. فَأَبْعَدَ اللَّهُ مِنَ رَحْمَتِهِ الْقَوْمَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ رُسُلَهُ.

تَتَرَى - مُتَابِعِينَ عَلَى فتراتٍ.

جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ - مُجَرَّدَ أَخْبَارٍ لِلتَّعْجُبِ وَالتَّلَهِّي.

(هَارُونَ) (بَيَاتِنَا) (وَسُلْطَانٍ)

(٤٥) - ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى، بَعْدَ الرُّسُلِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، مُوسَى وَهَارُونَ بِالْآيَاتِ، وَالْحُجَجِ الدَّامِغَاتِ، وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَاتِ. سُلْطَانٍ مُبِينٍ - بَرَهَانٍ مُبِينٍ مُظْهِرٍ لِلْحَقِّ.

(وَمَلَأْنَاهُ)

(٤٦) - أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْقَادَةِ وَالْكَبَرَاءِ (مَلَأْنَاهُ)، فَاسْتَكْبَرُوا عَنْ اتِّبَاعِهَا وَالْإِيمَانِ بِهَا، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولًا رَبِّهِمْ، مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَرَكُوا تَعْذِيبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى^(١))، وَكَانُوا قَوْمًا مُتَعَالِينَ، ذَائِبُهُمُ الْعُتُوُّ وَالْبَغْيُ عَلَى النَّاسِ. قَوْمًا عَالِينَ - مُتَكَبِّرِينَ، أَوْ مُتَطَاوِلِينَ بِالظُّلْمِ.

(عَابِدُونَ)

(٤٧) - وَقَالَ فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ: كَيْفَ تُؤْمِنُ لِرَجُلَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلِنَا، وَقَوْمَهُمَا، بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَوْجُودُونَ فِي مِصْرَ، مُسَخَّرُونَ مُسْتَذَلُّونَ، يَخْضَعُونَ لَنَا وَيَعْبُدُونَ فِرْعَوْنَ؟

(وَهَذَا فِي رَأْيِ فِرْعَوْنَ أَدْعَى إِلَى الْاسْتِهَانَةِ بِمُوسَى وَهَارُونَ، وَإِلَى عَدَمِ التَّصَدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ).

(٤٨) - فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، مُوسَى وَهَارُونَ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَجْمَعِينَ وَأَغْرَقَهُمْ فِي صَبِيحَةٍ وَاجِلَةٍ وَأَخَذَهُمُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

(١) سورة طه، الآية: ٤٧.

٤٤ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّ مَجَاءٍ

أُمَّةٍ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

٤٥ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ

بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ

٤٦ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ

فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ

٤٧ فَقَالُوا اتُّؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا

وَقَوْمَهُمَا لَنَا عِبَادُونَ

٤٨ فَكَذَّبُواهُمَا فَكَانُوا مِنَ

الْمُهْلَكِينَ

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ)

(٤٩) - وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى (الْكِتَابَ)، وَفِيهَا أَحْكَامٌ، وَأَوَامِرُ، وَنَوَاهٍ مِنَ اللَّهِ، لِيَسْتَهْدِيَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِمَا جَاءَ فِيهَا مِنَ الْحَقِّ، وَيَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرَائِعِ.

(آيَةٌ) (وَأَوْيْنَاهُمَا)

(٥٠) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ جَعَلَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ مَرْيَمَ بَنَاتِ عِمْرَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، آيَةً لِلنَّاسِ، وَبُرْهَانًا قَاطِعًا عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَشَاءُ، فَقَدْ أَوْجَدَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبِي، خِلَافًا لِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ، وَأَنْطَقَهُ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ، وَأَبْرَأَ عَلَى يَدَيْهِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَأَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَجَعَلَهُ وَأُمَّهُ يَتْرَلَانِ فِي مَكَانٍ مِنَ الْأَرْضِ (رَبْوَةٍ) تَطِيبُ فِيهِ الْإِقَامَةُ وَيَحْسُنُ فِيهِ النَّبَاتُ، فِيهِ الْمَاءُ وَالْخَضِرَةُ.

الْمَعِين - الْمَاءُ الْجَارِي.

ذَاتِ قَرَارٍ - ذَاتِ خُصْبٍ.

أَوْيْنَاهُمَا - صَيَّرْنَاهُمَا وَأَوْصَلْنَاهُمَا.

(يَا أَيُّهَا) (الطَّيِّبَاتِ) (صَالِحَاتِ)

(٥١) - يَأْمُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُرْسَلِينَ بِالْأَكْلِ مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، وَالْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، فَذَلِ هَذَا عَلَى أَنْ الْحَلَالَ عَوْنٌ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالرُّسُلُ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِ أَيْدِيهِمْ، وَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ وَقَدْ قَامَ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْتُمْ قِيَامٌ وَجَمَعُوا بَيْنَ كُلِّ خَيْرٍ قَوْلًا وَعَمَلًا وَدَلَالَةً وَنُصْحًا.

(٥٢) - إِنْ دِينَكُمْ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ، دِينٌ وَاحِدٌ، وَمِلَّتُكُمْ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَدِينُكُمْ هُوَ الدُّعْوَةُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُ رَبُّهُمْ فَلْيَعْلَمِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَيَتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ.

أَمْتُكُمْ - مِلَّتُكُمْ وَشَرِيعَتُكُمْ.

(٥٣) - لَقَدْ مَضَى الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، أَصْحَابُ عِبَادَةِ وَاحِدَةٍ، فَإِذَا بِالنَّاسِ مِنْ بَعْدِهِمْ أَحْزَابٌ وَفِرَقٌ وَجَمَاعَاتٌ مُتَنَازِعَةٌ لَا تَلْتَقِي عَلَى مَنَهْجٍ وَلَا طَرِيقٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحْبِسُ نَفْسَهُ مِنَ الْمُهْتَدِينَ فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ، وَيَعْجَبُ بِهِ.

٥٩ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

٥٠ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ

٥١ يٰٓأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

٥٢ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ

٥٣ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

(وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ تَنَازَعُوا الْأَمْرَ وَتَجَادَبَوْهُ حَتَّى مَزَقُوهُ بَيْنَهُمْ مِزْقًا، وَقَطَعُوهُ فِي أَيْدِيهِمْ قِطْعًا، ثُمَّ مَضَى كُلُّ حِزْبٍ بِالْمِزْقَةِ الَّتِي خَرَجَتْ بِيَدِهِ فِرْحًا وَهُوَ لَا يَتَفَكَّرُ فِي شَيْءٍ آخَرَ).

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ - تَفَرَّقُوا فِي أَمْرِ دِينِهِمْ
رُبْرًا - قِطْعًا وَمِزْقًا وَأَحْزَابًا مُخْتَلِفَةً.

(٥٤) - وَبَعْدَ أَنْ أَدَّتْ يَا مُحَمَّدُ الرِّسَالَةَ، وَأَبْلَغَتْهَا إِلَى النَّاسِ، دَعَى الْكَافِرِينَ فِي جَهَالَتِهِمْ وَضَلَالِهِمْ (عَمَرْتِهِمْ)، فَرَحِينَ مُشْغُولِينَ، حَتَّى يَفْجَأَهُمُ الْمَصِيرُ حِينَ يَجِيئُ مَوْعِدُهُ.
الْعُمْرَةُ - أَصْلًا هِيَ الْمَاءُ الَّذِي يَغْمُرُ الْقَامَةَ وَيَسْتُرُهَا وَيُرَادُّ بِهَا هُنَا الْجَهَالَةُ وَالضَّلَالَةُ.

(٥٥) - أَيُظُنُّ هَؤُلَاءِ الْمَغْرُورُونَ أَنَّ مَا نُعْطِيهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ هُوَ كَرَامَةٌ لَهُمْ عَلَيْنَا، وَإِجْلَالٌ لِأَقْدَارِهِمْ لَدُنَّا، كَلَّا. إِنَّ مَا نُعْطِيهِمْ هُوَ إِمْهَالٌ وَاسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ فِي الْمَعَاصِي لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَطُغْيَانًا.
مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ - مَا نَجْعَلُهُ مَدَدًا لَهُمْ.

(الْخَيْرَاتِ)

(٥٦) - هَلْ يَظُنُّ هَؤُلَاءِ أَنَّنَا نُعْطِيهِمْ ذَلِكَ لِكِرَامَتِهِمْ عَلَيْنَا، وَلِمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَنَا، وَأَنَّ هَذَا الْإِمْدَادَ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ مَقْصُودٌ بِهِ الْمُسَارَعَةُ لَهُمْ بِالْخَيْرَاتِ، وَإِيْنَارُهُمْ بِالنِّعْمَةِ وَالْعَطَاءِ؟
إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا يَتَوَهَّمُونَ، إِنَّا فِي الْحَقِيقَةِ نَبْتَلِيهِمْ وَنَفْتِنُهُمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا يَنْتَظِرُهُمْ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ، وَمِنْ شَرِّ مُسْتَطِيرٍ.
(وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّهُ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَبْدًا حَتَّى يُسَلِّمَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بِوَائِقِهِ). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ).

(٥٧) - إِنَّ الَّذِينَ هُمْ، مَعَ حَسَنَاتِهِمْ، وَإِيمَانِهِمْ، وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ، مُشْفِقُونَ خَائِفُونَ مِنَ اللَّهِ، وَجُلُونَ مِنْ مَكْرِهِ بِهِمْ.
مُشْفِقُونَ - خَائِفُونَ حَذِرُونَ.

٥٤ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينَ

٥٥ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ

٥٦ سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ

٥٧ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ

(بَيَّاتِ)

(٥٨) - وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ رَبِّهِمُ الَّتِي نَصَّبَهَا فِي الْكَوْنِ، فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ، وَبِآيَاتِهِ الَّتِي نَزَّلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، وَيُوقِنُونَ بِهَا، لَا يَعْتَرِيهِمْ شَكٌّ فِيهَا، كَمَا يُوقِنُونَ بِأَنْ مَا كَانَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ قَدَرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ.

(٥٩) - وَهُمْ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، وَيُنْزَهُونَهُ عَنِ الشُّرْكِ وَعَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ

(آتَوْا) (رَاجِعُونَ)

(٦٠) - وَهُمْ يَنْهَضُونَ بِالتَّكْلِيفِ وَالْوَاجِبَاتِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْهِمْ، وَيُؤَدُّونَ الطَّاعَاتِ وَالنَّوَافِلَ، وَيَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ مُقَصَّرُونَ فِي جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى. وَيَسْتَقْبِلُونَ كُلَّ طَاعَةٍ إِلَى جَانِبِ آيَةِ اللَّهِ وَنِعْمِهِ، وَيَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ طَاعَتُهُمْ لَخَوْفِهِمْ مِنْ أَنْ يَكُونُوا قَصْرُوا فِي شُرُوطِ أَذَانِهَا، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَسَيَحَاسِبُهُمْ وَسَيَحَاسِبُ جَمِيعَ الْخَلْقِ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ.

يُؤْتُونَ مَا آتَوْا - يُعْطُونَ مَا أُعْطُوا مِنَ الصَّدَقَاتِ.
قُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ - خَائِفَةٌ أَلَّا تُقْبَلَ أَعْمَالُهُمْ.

(أُولَئِكَ) (يُسَارِعُونَ) (الْخَيْرَاتِ) (سَابِقُونَ)

(٦١) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَمَعُوا هَذِهِ الْمَحَاسِنَ، يَرْعَبُونَ فِي الطَّاعَاتِ أَشَدَّ الرَّغْبَةِ، فَيُبَادِرُونَهَا لِثَلَاثِ تَقَوُّتِهِمْ إِذَا هُمْ مَاتُوا، وَيَتَعَجَّلُونَ فِي الدُّنْيَا وَجُوهَ الْخَيْرَاتِ الْعَاجِلَةِ الَّتِي وَعَدُوا بِهَا عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَهُمْ يَرْعَبُونَ فِي الطَّاعَاتِ، وَهُمْ لِأَجْلِهَا سَابِقُونَ النَّاسَ إِلَى الثَّوَابِ.

(كِتَابِ)

(٦٢) - يَفْرَضُ الْإِسْلَامُ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِقِسْطَةٍ هِيَ فِي طَوْقِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ، وَلَيْسَتْ فَوْقَ طَاقَتِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا مَا هِيَ فِي مَقْدُورِهَا، وَأَنَّهُ تَعَالَى يُحَاسِبُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي سُجِّلَتْ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِ مَسْطُورٍ، لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَهُمْ لَا يَبْخَسُونَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْخَيْرَةِ، وَلَا يَنْقُصُونَ مِنْهَا وَلَا يَزَادُ شَيْءٌ فِي سَيِّئَاتِهِمْ.

وُسْعُهَا - قَدَرُ طَاقَتِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ.

لَا يُظْلَمُونَ - لَا يَزَادُ شَيْءٌ فِي سَيِّئَاتِهِمْ مِمَّا لَمْ يَفْعَلُوهُ.

وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجِيهِمْ يَوْمُئِذٍ

وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجِيهِمْ لَا يَشْرِكُونَ

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ

وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ

أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ

لَهَا سَابِقُونَ

وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ

أَعْمَالُ (عَامِلُونَ)

(٦٣) - إِنَّ قُلُوبَ الْمُشْرِكِينَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هُدَى الْقُرْآنِ، وَعَنْ الْاسْتِرْشَادِ بِمَا جَاءَ فِيهِ، مِمَّا فِيهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَوْ أَنَّهُمْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ وَتَذَبَّرُوهُ لَرَأَوْا أَنَّهُ كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَأَنَّهُ يَقْضِي بَأْنَ أَعْمَالِ الْمَرْءِ، مَهْمَا دَقَّتْ، فَهُوَ مُحَاسَبٌ عَلَيْهَا، وَأَنَّ رَبَّكَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ. وَلِهَذَا لَئِ الْمُشْرِكِينَ أَعْمَالُ سَيِّئَةٍ أُخْرَى، فَقَدْ أَغْرَقُوا فِي الشَّرِّكَ وَالْمَعَاصِي، وَاتَّخَذُوا الْقُرْآنَ هُزُوءًا، وَقَالُوا عَنْهُ إِنَّهُ سِحْرٌ مُفْتَرًى، وَكَذَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالُوا إِنَّهُ مَجْنُونٌ، وَإِنَّهُ قَدْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: قَوْلُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا) (رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ) غَمْرَةً - جَهَالَةً وَغَفْلَةً.

يَجَارُونَ

(٦٤) - حَتَّى إِذَا جَاءَ الْمُتَرَفِّينَ مِنْهُمْ، الْمُنْعَمِينَ فِي الدُّنْيَا، عَذَابُ اللَّهِ وَيَأْسُهُ وَرَفْمَتُهُ، إِذَا هُمْ يَسْتَعِيشُونَ، وَيَصْرُخُونَ وَاعْوَانُهُ (يَجَارُونَ)، لِشِدَّةِ مَا يَعَانُونَ مِنَ الْكَرْبِ وَالْآلَامِ. مُتَرَفِّفِهِمْ - مُنْعِمِهِمُ الَّذِينَ أَبْطَرَتْهُمْ النِّعْمَةُ. يَجَارُونَ - يَصْرُخُونَ مُسْتَعِيشِينَ بِرَبِّهِمْ.

تَجَارُوا

(٦٥) - وَيُجِيبُهُمُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَائِلًا: لَا تَسْتَعِيشُوا فَلَنْ يُجِيرَكُمْ، الْيَوْمَ أَحَدٌ مِمَّا حَلَّ بِكُمْ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ، سَوَاءٌ اسْتَعِثْتُمْ وَصَرَخْتُمْ، أَوْ سَكَتُمْ، وَلَنْ يَنْصُرَكُمْ أَحَدٌ مِنَ اللَّهِ، فَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ، وَوَجِبَ الْعَذَابُ.

أَعْقَابُكُمْ

(٦٦) - لَقَدْ كَانَتْ آيَاتُ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ، فَكُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ عَنْ سَمَاعِهَا، وَتَسْخَرُونَ مِنْهَا، وَتُعْرِضُونَ عَنْهَا، وَتَذِيرُونَ ظُهُورَكُمْ إِلَيْهَا وَلِلَّذَلِكَ فَلَا عُدْرَ لَكُمْ الْيَوْمَ. تَنْكِصُونَ - تَرْجِعُونَ مُعْرِضِينَ عَنْ سَمَاعِهَا.

٦٣ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ

٦٤ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتَرَفِّفِيهِمُ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ

٦٥ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَنَا نُصْرُونَ

٦٦ قَدْ كَانَتْ آيَاتُنَا تُلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تُنْكِصُونَ

(سَامِرًا)

(٦٧) - وَقَدْ كُنْتُمْ تَعْرِضُونَ عَنِ الْإِيمَانِ وَأَنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَتَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ، وَخُدَّامُ بَيْتِهِ، فَلَا يُظْهَرُ عَلَيْنَا أَحَدًا، وَلَا نَخَافُ أَحَدًا، وَكُنْتُمْ تَسْمُرُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ، وَتَتَنَاولُونَ الْقُرْآنَ بِالْهَجْرِ مِنَ الْقَوْلِ (سَامِرًا تَهْجُرُونَ).

(وَقِيلَ بَلِ الْمَقْصُودُ بِالْهَجْرِ مِنَ الْقَوْلِ وَالتَّكْذِيبِ رَسُولَ اللَّهِ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ).

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ - مُسْتَغْظِمِينَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ .

سَامِرًا - سَمَارًا حَوْلَهُ بِاللَّيْلِ .

تَهْجُرُونَ - تَتَكَلَّمُونَ هُجْرًا أَيْ طَعْنًا بِالْقُرْآنِ أَوْ بِمُحَمَّدٍ .

(آبَاءَهُمْ)

(٦٨) - وَيُؤْتِبُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ، وَيُنَكِّرُ عَلَيْهِمْ عَدَمَ تَقَهُمِهِمْ، وَعَدَمَ تَذَبُّرِهِمْ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَمَا خُصَّ بِهِ مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ، وَقَدْ كَانَ لَدَيْهِمْ فَسْحَةٌ مِنَ الْوَقْتِ تُمْكِّنُهُمْ مِنَ التَّذَبُّرِ فِيهِ، وَمَعْرِفَةِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَنَّهُ مَبْرَأٌ مِنَ التَّنَاقُضِ، وَأَنَّ فِيهِ الْأَخْلَاقَ، وَالتَّشْرِيعَ، وَالْحِكْمَ الْبَالِغَةَ. أَمْ اعْتَقَدُوا أَنَّ مَجِيءَ الرُّسُلِ أَمْرٌ لَمْ تَسْبِقْ بِهِ السُّنُنُ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاسْتَبَعَدُوا وَفُوعَهُ؟ لَكِنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ الرُّسُلَ كَانَتْ تَتَّبَعُ، وَتُظْهَرُ عَلَى أَيْدِيهِمْ الْمُعْجَزَاتُ، فَهَلَّا كَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى التَّصْدِيقِ بِهَذَا الرُّسُولِ الْكَرِيمِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِقُرْآنٍ لَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟

(٦٩) - أَمْ إِنْهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ مُحَمَّدًا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَعْرِفُوا أَخْلَاقَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، فَتَشَكَّكُوا فِيَمَا جَاءَهُمْ بِهِ؟ وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنْهُمْ عَرَفُوهُ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ، وَاشْتَهَرَ بِبَيِّنَتِهِمُ بِالْأَمِينِ، وَشَهِدَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَهُوَ مُشْرِكٌ، بِالصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ عِنْدَ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ، فَكَيْفَ يُنْكِرُونَ رِسَالَاتَهُ؟

(كَارِهُونَ)

(٧٠) - أَمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا رَجُلٌ بِهِ مَسٌّ مِنْ جُنُونٍ فَلَا يَذَرِي مَا يَقُولُ؟ مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا، وَأَكْثَرُهُمْ رَزَانَةً، وَأَتْقَبُهُمْ ذَهْنًا، وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا يَقُولُوا وَافْتَرَوْا، فَالَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِ، فِيهِ دَعْوَةٌ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَبَيَانٌ لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، وَمِمَّا فِيهِ سَعَادَةُ الْبَشَرِ، لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ جَبَلُوا عَلَى الرِّبْغِ وَالْانْحِرَافِ عَنِ الْحَقِّ لِمَا رَأَوْا عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الشُّكِّ وَالشَّرْكِ،

٦٧ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ

٦٨ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ

يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ

٦٩ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ

مُنْكَرُونَ

٧٠ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ

بِالْحَقِّ وَكَثَرَتْ لَهُمُ لِحَاقُ كَرِهُونَ

وَالْإِسْرَافِ فِي الْمَعَاصِي، وَلِذَلِكَ فَانْهَاهُمْ لَا يَقْفَهُونَ الْحَقَّ، وَلَا يَسْتَسِيغُونَهُ فَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ.
بِهِنَّ - بِهِ جُنُونَ.

(السَّمَاوَاتُ) (أَتَيْنَاهُمْ)

(٧١) - وَلَوْ سَلَكَ الْقُرْآنُ طَرِيقَهُمْ بَانَ جَاءَ مُؤَيِّدًا الشَّرْكَ بِاللَّهِ، وَاتَّخَذَ الْوَلَدَ، وَتَزَيَّنَ الْآثَامَ، وَالْحَثَّ عَلَى اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ. . . لاختلَّ نِظَامُ الْكَوْنِ، وَلَفْسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَمَنْ فِيهِنَّ لَفَسَادُ أَهْوَائِهِمْ:
- فَلَوْ أَنَّهُ أَبَاحَ الظُّلْمَ، وَتَرَكَ الْعَدْلَ لَفَسَدَ أَمْرُ الْجَمَاعَاتِ.
- وَلَوْ أَبَاحَ لِلْقَوِيِّ الْاعْتِدَاءَ عَلَى الضَّعِيفِ لَمَا اسْتَبَّ الْأَمْنُ وَلَا سَادَ النَّظَامُ.

- وَلَوْ أَبَاحَ الرَّبُّ لَفَسَدَتِ الْأَنْسَابُ، وَلَمَا عَرَفَ وَلَدٌ وَالِدَهُ فَيَكُونُ الْأَوْلَادُ فِي الطُّرُقَاتِ كَالْبَهَائِمِ السَّارِحَةِ وَلَا يَقُومُ عَلَى أُمُورِهِمْ أَحَدٌ.
ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ جَاءَهُمُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي فِيهِ فَخْرُهُمْ وَشَرَفُهُمْ فَأَعْرَضُوا عَنْهُ، وَكَذَّبُوا بِهِ وَجَعَلُوهُ هُزُوًا.
بِذِكْرِهِمْ - بِفَخْرِهِمْ وَشَرَفِهِمْ - وَهُوَ الْقُرْآنُ.

(تَسَالَهُمْ) (الرَّازِقِينَ)

(٧٢) - أَمْ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ طَلَبْتَ مِنْهُمْ أَجْرًا عَلَى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ فَلَأَجَلَ ذَلِكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّكَ لَمْ تَسْأَلَهُمْ أَجْرًا، وَلَا خَرْجًا، فَإِنْ مَا رَزَقَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا وَعَدَكَ بِهِ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ فِي الْآخِرَةِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَإِنَّكَ تَحْتَسِبُ أَجْرًا مَا تَقُومُ بِهِ، مِنْ إِبْلَاجِ الرِّسَالَةِ، عِنْدَ اللَّهِ لَا عِنْدَهُمْ.
خَرْجًا جُعَلًا أَوْ أَجْرًا مِنَ الْمَالِ.

(صِرَاطِ)

(٧٣) - وَإِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا تَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِ الْخَيْرِ وَالْهُدَى، وَإِلَى السَّبِيلِ الْقَوِيمِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي يُوصِلُهُمْ إِلَى جَنَّةِ رَبِّهِمْ.

(بِالْآخِرَةِ) (الصِّرَاطِ) (لَنَّاكِبُونَ)

(٧٤) - أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَفَرُوا بِالْآخِرَةِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَهُمْ مُتَنَكِّبُونَ وَتَارِكُونَ عَمْدًا الطَّرِيقَ الْقَوِيمَ الْمُوَصِّلَ إِلَى جَنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.

لَنَّاكِبُونَ - لَعَادِلُونَ عَنِ الْحَقِّ زَائِعُونَ.

٧١ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ

السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ

٧٢ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِيَاك

خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

٧٣ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

٧٤ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ

(رَحِمَنَاهُمْ) (طُغْيَانِهِمْ)

(٧٥) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ غِلْظَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي كُفْرِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ فِيهِ،
فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَوْ أَرَادَ عَنْهُمْ الضَّرَّ، وَأَفْهَمَهُمُ الْقُرْآنَ لَمَا انْقَادُوا لَهُ،
وَلَا اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْ عَلِمَ
اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ^(١).
(وَقِيلَ بَلِ الْمَعْنَى هُوَ: وَلَوْ أَنَّهُمْ رُدُّوا فِي الْآخِرَةِ إِلَى الدُّنْيَا لَعَادُوا لِمَا
نُهُوا عَنْهُ).

وقال ابن عباس (إِنَّ كُلَّ مَا فِيهِ (لَوْ) مِمَّا لَا يَكُونُ أَبَدًا).
لَلْجُؤِ فِي طُغْيَانِهِمْ - لَتَمَادَوْا فِي ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ.
يَعْمَهُونَ - يَعْمُونَ عَنِ الرَّشِدِ، أَوْ يَتَحَيَّرُونَ.

(أَخَذْنَاهُمْ)

(٧٦) - وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ ابْتَلَاهُمْ بِالْمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ، (كَقَتْلِ سَرَاتِهِمْ
يَوْمَ بَدْرٍ). وَالشَّدَائِدِ الْأُخْرَى الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ) فَمَا رَدَّهُمْ ذَلِكَ عَمَّا هُمْ
فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعُتُوبِ اسْتَمَرُّوا عَلَى غِيَّهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَلَمْ يَخْشَعُوا لِلَّهِ
(مَا اسْتَكَانُوا)، وَلَمْ يَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ دَاعِينَ مُسْتَجِيرِينَ لِيُكْشِفَ عَنْهُمْ ذَلِكَ
الْبَلَاءَ.

وقد جاء في الصحيحين أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَلَى قُرَيْشٍ حِينَ
اسْتَعْصَمُوا عَلَيْهِ فَقَالَ (اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَيْهِمْ بِسَعْرِ كَسْبِعِ يُونُسَ) أَيِ بَسْعٍ
سَبِينَ شِدَادٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حِينَمَا
اشْتَدَّ الْأَمْرُ فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ انْشُدْكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ فَقَدْ أَكَلْنَا الْعِلَهِيَّ (أَيِ
الْوَبَرَ وَالْدَّمَ). فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.
فَمَا اسْتَكَانُوا - فَمَا خَضَعُوا وَأُظْهِرُوا الْمَسْكَنَةَ.
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ - وَلَا يَتَذَلَّلُونَ إِلَيْهِ تَعَالَى بِالْدُّعَاءِ.

(٧٧) - حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَجَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً، فَأَخَذَهُمْ
مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ، يَيْسُوا (أَيْلَسُوا) مِنْ كُلِّ خَيْرٍ،
وَانْقَطَعَتْ آمَالُهُمْ، وَخَابَ رَجَاؤُهُمْ.
مُبْلِسُونَ - يَأْتِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَوْ مَتَحَيَّرُونَ.

(الْأَبْصَارِ)

(٧٨) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ السَّمْعَ، لِتَسْمَعُوا بِهِ الْأَصْوَاتَ،
وَالْأَبْصَارَ، لِتَبْصُرُوا بِهَا الْأَشْيَاءَ وَالْمَحْسُوسَاتِ، وَالْعُقُولَ، لِتَفْقَهُوا بِهَا
وَتُدْرِكُوا آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجَهُ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ، الدَّلَالَةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ
وَقُدْرَتِهِ.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٣.



﴿٧٥﴾ وَلَوْ رَمَيْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا
مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُؤِ فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا
اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرَّعُونَ

﴿٧٧﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ
شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ

﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
مَّا تَشْكُرُونَ

وَبَعْدَ أَنْ عَدَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذِهِ النِّعَمَ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى الْبَشَرِ، أَشَارَ إِلَى كُفْرَانِهِمْ بِإِيَّاهَا فَقَالَ: مَا أَقَلَّ شُكْرَكُمْ لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْوَفِيرَةِ (قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ).

(٧٩) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ النَّاسَ فِي الْأَرْضِ، وَبَثَّ فِيهَا (ذُرَاهُمْ)، وَاسْتَخْلَفَهُمْ فِيهَا، ثُمَّ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ لِيَحْسِبَهُمْ عَلَى جَمِيعِ مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالٍ. ذَرَأْتُمْ - خَلَقْتُمْ وَبَثَّكُمْ بِالتَّنَاسُلِ.

(اِخْتِلَافُ) (الَّيْلِ) (يُحْيِي)

(٨٠) - وَهُوَ الَّذِي وَهَبَ الْخَلْقَ الْحَيَاةَ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِمْ، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَحْيَاهُمْ، ثُمَّ يُعِيدُ خَلْقَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَيَجْمَعُهُمْ إِلَيْهِ لِلْحِسَابِ، كَمَا سَبَقَ أَنْ بَدَأَ خَلْقَهُمْ. وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَجَعَلَهُمَا مُتَعاقِبَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ، وَكَأَنَّمَا يَطْلُبُ الْوَاحِدُ مِنْهُمَا الْآخَرَ وَجَعَلَهُمَا مُخْتَلِفَيْنِ طَوْلًا وَقِصْرًا، يَقْصُرُ هَذَا تَارَةً وَيَطُولُ الْآخَرُ، ثُمَّ يَطُولُ فَيَقْصُرُ الْآخَرُ.

وَأَنْتُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَرَوْنَ كُلَّ ذَلِكَ فِي كُلِّ حِينٍ، أَفَلَيْسَتْ لَكُمْ عُقُولٌ لَتَتَفَكَّرُوا بِهَا أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يُخْلَقْ عَبَثًا وَلَا مُصَادَفَةً؟ وَإِنَّمَا خَلَقَهُ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ، وَقَدَرَهُ وَضَبَطَهُ، وَجَعَلَهُ خَاضِعًا لَهُ، لِيَسْتَدِلَّ بِهِ النَّاسُ عَلَى وَجُودِ خَالِقِهِ الْقَدِيرِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ؟

(٨١) - وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ لَمْ يَعْتَبِرُوا بآيَاتِ اللَّهِ، وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا حُجَجَهُ الدَّالَّةَ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى فِعْلِ كُلِّ مَا يُرِيدُ: كإِعَادَةِ خَلْقِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبَعْثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَجَمْعِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ. بَلْ قَالُوا مِثْلَمَا قَالَهُ أَسْلَافُهُمْ مِنْ مُكَذِّبِي الْأُمَمِ الْأُخْرَى الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَ اللَّهِ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ.

(أَيُّهَا) (وَعِظَامًا) (أَيُّهَا)

(٨٢) - وَقَدْ كَانَ مُكَذِّبُو الْأُمَمِ السَّابِقَةِ يَقُولُونَ مُنْكَرِينَ: هَلْ سَبَّعْتُ مِنْ قُبُورِنَا، وَنَعُودُ أَحْيَاءَ كَمَا كُنَّا، بَعْدَ أَنْ نَمُوتَ وَتَبْلَى عِظَامُنَا؟

(أَبَاؤُنَا) (أَسَاطِيرُ)

(٨٣) - وَقَالُوا إِنَّ آبَاءَهُمْ وَعُذُوهُمُ يَمُوتُونَ هَذَا الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ يُوعَدُونَ بِهِ أَيْضًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقَعْ بَعْدُ. ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ قِبَلِ الْقِصَصِ الْخَيَالِيَّةِ، وَالْأَسَاطِيرِ الَّتِي تَرَوَى عَنِ الْأَوَّلِينَ. أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - أَكَاذِبُهُمْ وَقِصَصُهُمُ الْخُرَافِيَّةُ الْمَسْطُورَةُ فِي كُتُبِهِمْ.

﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

﴿٨٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴿٨١﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ

﴿٨٢﴾ قَالُوا أَأِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَ لَمَبْعُوثُونَ

﴿٨٣﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

(٨٤) - كَانَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ مُضْطَرِيي الْعَقِيدَةِ، لَا يُنْكِرُونَ وُجُودَ اللَّهِ، وَلَا يُنْكِرُونَ أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمُدَبِّرُهُمَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا مَعَ ذَلِكَ يُشْرِكُونَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ آلِهَةً أُخْرَى، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ هَذِهِ الْآلِهَةَ لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى. وَيَجْعَلُونَ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللَّهِ، وَهَذَا يَأْخُذُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْمُسْلِمَاتِ الَّتِي يُقَرِّونَ بِهَا، فَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ: اسْأَلْهُمْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟

(٨٥) - إِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ إِنَّ مَالِكَهَا، وَخَالِقَهَا، وَمُدَبِّرَهَا هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَذْكُرُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ حِينَمَا يَتَوَجَّهُونَ بِالْعِبَادَةِ لِبُعِيثِهِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٨٦) - وَقُلْ لَهُمْ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَنْ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ؟ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْعَرْشُ لَا يَقْدَرُ قُدْرَهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

(٨٧) - إِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ: إِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ هُوَ اللَّهُ، وَهُوَ رَبُّهُ، وَلَيْسَ لَهُمْ جَوَابٌ غَيْرُ هَذَا. فَقُلْ لَهُمْ: إِذَا كُنْتُمْ تَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَهُ، وَتَحْذَرُونَ عَذَابَهُ فِي عِبَادَتِكُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَإِشْرَاكِكُمْ بِهِ، وَإِنْكَارِكُمْ قُدْرَتَهُ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِكُمْ وَتَشْرِكِكُمْ، وَجَسَابِكُمْ، فِي الْآخِرَةِ؟

(٨٨) - قُلْ لَهُمْ: مَنْ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ وَمَنْ هُوَ الْمُسَيِّطِرُ الْمُسْتَعْلَى عَلَيْهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ بِقُوَّتِهِ، وَسُلْطَانِهِ أَنْ يَسْطِيَ حِمَايَتَهُ (يُجِيرُ) عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ بِسُوءٍ، وَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يُجِيرَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَمْنَعَ أَمْرَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ وَصُولَ أَمْرِهِ إِلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ عِلْمٌ بِذَلِكَ فَاجِيبُونِي؟ أَجَارُهُ - جَعَلَهُ فِي جَوَارِهِ، وَشَمَلَهُ بِحِمَايَتِهِ.

الْمَلَكُوتُ - الْمُلْكُ الْوَاسِعُ الْعَظِيمُ.

هُوَ يُجِيرُ - يُغِيثُ وَيَحْمِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُهُ.

لَا يُجَارُ عَلَيْهِ - لَا يُغَاثُ أَحَدٌ مِنْهُ وَلَا يُمْنَعُ.

(٨٩) - فَسَيَعْتَرِفُونَ أَنَّ السَّيِّدَ الْعَظِيمَ، الَّذِي يُجِيرُ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُجِيرَ عَلَيْهِ، هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقُلْ لَهُمْ: كَيْفَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ، وَتُخَذَعُونَ وَتُضَرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، فَتَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، مَعَ اعْتِرَافِكُمْ أَنَّهُ لَا رَبَّ سِوَاهُ فَتَكُونُونَ كَمَنْ سَجَرَتْ عُقُولُهُمْ، وَغَابَتْ عَنْ رُشْدِهَا؟

فَأَنِّي تُسْحَرُونَ - فَكَيْفَ تُخَذَعُونَ عَنْ تَوْجِيهِهِ.

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقَرُونَ

قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ

(أَتَيْنَاهُمْ) (لَكَاذِبُونَ)

(٩٠) - لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ (بَلْ)، وَلَا كَمَا يَزْعُمُونَ مِنْ أَنْ مَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُمْ هُوَ مِنْ قِصَصِ الْأَوَّلِينَ وَأَحَادِيثِهِمْ، وَلَيْسَ مُنْزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُ بِإِبْلَاغِهِ إِلَى النَّاسِ، وَدَعَوْتِهِمْ إِلَى الْإِخْذِ بِهِ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَهُ وَيَزْعُمُونَهُ، وَفِيمَا يَعْبُدُونَهُ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ.

(سُبْحَانَ)

(٩١) - يَنْزِعُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ شَرِيكَ فِي الْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ وَالْعِبَادَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ لَوْ كَانَ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ إِلَهٍ لَطَلَبَ كُلُّ مِنْهُمْ قَهْرَ الْآخَرِينَ، وَخِلَافَهُمْ، وَلِحَاوَلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَثْبِتَ سُلْطَانَهُ، وَالِاسْتِعْلَاءَ عَلَى غَيْرِهِ، فَتَعَالَى اللَّهُ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَتَنَزَّهَ عَمَّا يَقُولُهُ الظَّالِمُونَ الْمُعْتَدُونَ فِي دَعْوَاهُمْ الْوَلَدَ، وَالشَّرِيكَ لَهُ.

(عَالِمِ) (وَالشَّهَادَةِ) (فَتَعَالَى)

(٩٢) - وَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَغِيبُ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمَا يُشَاهِدُونَهُ، فَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُهُ الظَّالِمُونَ الْجَا حِدُونَ، وَعَمَّا يَنْسُبُونَهُ إِلَيْهِ مِنْ وُجُودِ الشَّرِيكِ وَالنَّدِّ وَالْوَلَدِ.

(٩٣) - يَا مُرُّهُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولُهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ عِنْدَ حُلُولِ النَّقَمِ: فَإِذَا عَاقَبْتَهُمْ يَا رَبِّ وَأَنَا شَهِدٌ ذَلِكَ.

(الظَّالِمِينَ)

(٩٤) - فَإِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَنْ لَا تَجْعَلَنِي فِيهِمْ، وَأَنْ لَا تُهْلِكَنِي بِمَا تُهْلِكُهُمْ بِهِ.

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو فَيَقُولُ: وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مُفْتُونٍ). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ).

(لِقَادِرُونَ)

(٩٥) - وَلَوْ شِئْنَا لَازَيْنَاكَ مَا نَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْبَلَاءِ، فَإِنَّا قَادِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّا نُوَخِّرُهُ حَتَّى يَلْبِغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ. (وَقَدْ أَرَى اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ).

(٩٦) - ادْفَعْ الْأَذَى عَنْكَ بِالطَّرِيقَةِ وَالْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: بِالْإِعْضَاءِ وَالصَّفْحِ عَنْ جَهْلِهِمْ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ وَتَكْذِيبِهِمْ بِمَا

بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ

عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

وَإِنَّا عَلَى أَنْ تَرْيَاكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ

جَنَّتْهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ، وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَنَا بِهِ، وَنُحْلِقُونَنَا لِإِيَّاهُ مِنْ
الْاِخْتِلَاقِ وَالْاَكَاذِيبِ، وَبِمَا يَقُولُونَ فِيكَ، وَسَنَجْزِيهِمْ عَلَى مَا يَقُولُونَ فَلَا
يَحْزُنُكَ ذَلِكَ.

(هَمَزَاتِ) (الشَّيَاطِينِ)

(٩٧) - وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَمِنْ هَمَزَاتِهِمْ، وَدَفْعَاتِهِمْ، وَنَفْثِهِمْ،
وَنَفْجِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَا تَنْفَعُ مَعَهُمُ الْحِيلُ، وَلَا يَنْقَادُونَ بِالْمَعْرُوفِ،
وَالنَّبِيِّ ﷺ مَعْصُومٌ مِنْهَا، وَلَكِنْ ذَلِكَ زِيَادَةٌ فِي التَّوْفِي، وَتَعْلِيمٌ لِأَمْنِهِ أَنْ
يَتَحَصَّنُوا بِاللَّهِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ فِي كُلِّ حِينٍ.
أَعُوذُ بِكَ - أَعْتَصِمُ وَأَمْتَنُ.

(٩٨) - وَقُلْ أَعُوذُ بِكَ رَبِّي أَنْ تَحْضُرَنِي الشَّيَاطِينُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي،
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَزَاتِهِمْ وَنَحْسَاتِهِمْ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الاسْتِعَاذَةُ هُنَا مِنْ
حُضُورِهِمْ إِيَّاهُ سَاعَةَ الْوَفَاةِ. وَكَانَ الرَّسُولُ يَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ تَحْضُرَهُ
الشَّيَاطِينُ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ، وَلَا سَيِّمًا جِئِنِ الصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ،
وَحُلُولِ الْأَجَلِ.

(٩٩) - وَلَا يَزَالُ الْكَافِرُ يَجْتَرِحُ السَّيِّئَاتِ، وَلَا يُبَالِي بِمَا يَأْتِيهِ وَمَا يَذُرُّ مِنْ
الْأَنْثَامِ وَالْأَوْرَارِ. حَتَّى إِذَا جَاءَهُ الْمَوْتُ، وَعَايَنَ مَا هُوَ مُقَدِّمٌ عَلَيْهِ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ نَدِمَ عَلَى مَا فَاتَ، وَأَسِيفَ عَلَى مَا قَرُطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَقَالَ:
رَبِّ ارْجِعُونِ لِأَعْمَلْ صَالِحًا فِيمَا قَصُرْتُ مِنْ عِبَادَتِكَ، وَحَقُوقِ عِبَادِكَ.

(صَالِحًا) (قَاتِلُهَا) (وَرَائِهِمْ)

(١٠٠) - إِنَّ الْكَافِرَ يَسْأَلُ رَبَّهُ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَعْمَلَ صَالِحًا، وَيَتَذَارَكَ
مَا قَرُطَ مِنْهُ، وَلِيُصْلِحَ فِيمَا تَرَكَ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ. وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ
رَادِعًا وَزَاجِرًا: إِنَّهُ لَا يُجِيبُهُ إِلَى طَلَبِهِ هَذَا (كَلا). فَهِيَ كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ لَا
مَعْنَى لَهَا، يَقُولُهَا كُلُّ ظَالِمٍ وَقَتَ الضِّيقِ وَالشَّدَةِ، وَلَوْ رَدَّ لَعَادَ إِلَى مَا
كَانَ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ، وَجَاءَتْهُ الْآيَاتُ فَلَمْ يَتَعَبَّ بِهَا، وَلَمْ يَعْمَلْ
صَالِحًا، وَيَقُومَ وَرَاءَهُمْ حَاجِزٌ (بَرْزَخٌ)، يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّجُوعِ إِلَى
الدُّنْيَا، وَيَبْقُونَ كَذَلِكَ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ وَيُنْشَرُونَ.

(وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّ الْبَرْزَخَ الْمَقْصُودَ هُنَا هُوَ الْفَتْرَةُ الَّتِي يَقْضِيهَا
الْأَمْوَاتُ فِي قُبُورِهِمْ، مِنْ يَوْمٍ مَمَاتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ).

مِنْ وَرَائِهِمْ - أَمَامَهُمْ

بَرْزَخٌ - حَاجِزٌ دُونَ الرَّجْعَةِ.

﴿٩٧﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ

الشَّيَاطِينِ

﴿٩٨﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ

﴿٩٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ

رَبِّ ارْجِعُونِ

﴿١٠٠﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ

كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا

وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ

(يَوْمِئِذٍ)

(١٠١) - فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَهُ النُّشُورُ، قَامَ النَّاسُ مِنَ الْقُبُورِ، فَلَا تَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِي ذَلِكَ يَوْمَ قَرَابَةِ، وَلَا يَسْأَلُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، فَلِكُلِّ أَمْرٍ يَوْمِئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ.
الصُّورُ - قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ فَيُخْدِثُ صَوْتًا.

(مَوَازِينُهُ) (فَأُولَئِكَ)

(١٠٢) - وَالْعَمَلُ هُوَ مِيزَانُ التَّقْدِيرِ عِنْدَ اللَّهِ، فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ كَانَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ قَارَوْا بِمَا سَعَوْا إِلَيْهِ، فَنَجَّوْا مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلُوا الْجَنَّةَ.

(مَوَازِينُهُ) (فَأُولَئِكَ) (خَالِدُونَ)

(١٠٣) - وَمَنْ ثَقُلَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَابُوا وَهَلَكُوا، وَبَآوُوا بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ، وَخَلَدُوا فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(كَالْحُوتِ)

(١٠٤) - تَلْفَحُ النَّارُ وُجُوهَهُمْ فَتَشْوِيهَا، وَتَتَقَلَّصُ شِفَاهُهُمْ، وَتَتَغَيَّرُ مَلَامِحُهُمْ.

كَالْحُوتِ - عَابِسُونَ، أَوْ مُتَقَلَّصُوا الشَّفَاهِ عَنِ الْإِنْسَانِ مِنْ أَثَرِ اللَّفْحِ.
تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ - تَحْرِقُ.

(آيَاتِي)

(١٠٥) - وَيُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ تَوْبِيخًا وَتَقْرِيعًا لَهُمْ عَلَى مَا ارْتَكَبُوا مِنْ كُفْرٍ وَأَثَامٍ فِي الدُّنْيَا فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ: لَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلْتُ إِلَيْكُمْ الْكُتُبَ، وَأَزَلْتُ شَبَهَكُمْ، فَلَمْ تَبْقَ لَكُمْ حُجَّةٌ، وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِآيَاتِي.

(١٠٦) - وَيَزِيدُونَ قَائِلِينَ: يَا رَبِّ لَقَدْ كَثُرَتْ مَعَاصِينَا الَّتِي أَوْرَثَتْنا الشَّقَاءَ وَقَدْ قَامَتْ عَلَيْنَا الْحُجَّةُ وَلَكِنَّنا كُنَّا أَشْقَى مِنْ أَنْ نَقَادَ لَهَا، وَكُنَّا بِذَلِكَ ضَالِّينَ عَنْ طَرِيقِ الثَّوَابِ.

عَلَبَتْ عَلَيْنَا - اسْتَوْلَتْ عَلَيْنَا وَمَلَكْتَنَا.

شَقَوْتُنَا - شَقَاوَتُنَا، أَوْ لَذَّتُنَا وَشَهَوَاتُنَا.

(١٠١) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ

بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ

(١٠٢) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ

(١٠٣) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ

(١٠٤) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا

كَالْحُوتِ

(١٠٥) أَلَمْ تَكُنْ أَيْتِي تُلَى عَلَيْكُمْ

فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ

(١٠٦) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا

وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ

(ظَالِمُونَ)

﴿١٧﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ

(١٧) - ثُمَّ يَقُولُونَ لِرَبِّهِمْ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ، وَرُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا، فَإِنْ عُدْنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَارْتِكَابِ الْأَسَامِ، فَتَنْحَن ظَالِمُونَ لِنَفْسِنَا مُسْتَحِقُونَ لِلْعُقُوبَةِ.

(١٨) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْكُفَّارِ إِذَا سَأَلُوا الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ، وَالرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا، وَيَقُولُ لَهُمْ: امْكُثُوا فِيهَا صَاحِرِينَ مُهَانِينَ أَذْلَاءَ وَاسْكُتُوا (اخْسَوْا) وَلَا تَعُودُوا إِلَى سُؤَالِكُمْ هَذَا، فَإِنَّهُ لَا رَجْعَةَ لَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا.

اخْسَوْا فِيهَا - اسْكُتُوا سُكُوتَ ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ كَالْكِلَابِ.

(آمَنَّا) (الرَّاحِمِينَ)

(١٩) - ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى مُذَكِّرًا لِهَؤُلَاءِ بِذُنُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَبِاسْتِهْزَائِهِمْ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلِيَائِهِ: إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي آمَنُوا بِي وَبِرُسُلِي، وَكَانُوا يَقُولُونَ: رَبَّنَا آمَنَّا بِكَ، وَبِرُسُلِكَ، فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.

(١١٠) - فَتَسَاءَلْتُمْ بِهِمْ سَاحِرِينَ مِنْهُمْ، وَدَأَبْتُمْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى نَسِيتُمْ ذِكْرِي، وَلَمْ تَخَافُوا عِقَابِي، وَكُنْتُمْ تَضْحَكُونَ مِنْهُمْ اسْتِهْزَاءً بِهِمْ. سَخِرِيًا - مُؤْضِعًا لِلْهَزْءِ وَالسَّخِرِيَةِ

(الْفَائِزُونَ)

(١١١) - وَإِنِّي جَزَيْتُهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَكَفَأْتُهُمْ عَلَى صَبْرِهِمْ عَلَى أَذَاكُمْ لَهُمْ، وَاسْتِهْزَائِكُمْ بِهِمْ، وَجَعَلْتُهُمْ الْفَائِزِينَ بِالسَّعَادَةِ وَالسَّلَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

(قَالَ)

(١١٢) - يُنَبِّئُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَا أَضَاعُوهُ، فِي عُمْرِهِمُ الْقَصِيرِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَوْ صَبَرُوا مُدَّةَ حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا الْقَصِيرَةَ لَفَازُوا كَمَا فَازَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُتَّقُونَ.

وَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: كَمْ كَانَتْ مُدَّةُ لَيْتِكُمْ وَإِقَامَتِكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ السِّنِينَ؟

(فَاسْأَلْ)

(١١٣) - فَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ لَبِثُوا فِي الْأَرْضِ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ يَا رَبَّنَا الْحَفَظَةَ الْعَارِفِينَ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ، الْمُحْصِينَ لَهَا (الْعَادِينَ).

﴿١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ

﴿١٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًا حَتَّى أَنْسَوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ

﴿٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ

﴿٢١﴾ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ

﴿٢٢﴾ قَالُوا لَيْثًا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْأَلِ الْعَادِينَ

(قَالَ)

(١١٤) - وَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: إِنَّكُمْ لَبِئْسَ مَدَّةٌ يَسِيرَةٌ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ، وَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تُدْرِكُونَ لَمَا آتَرْتُمْ الرَّاثِلَ الْفَانِي، عَلَى الدَّائِمِ الْبَاقِي، وَلَمَّا تَصَرَّفْتُمْ هَذَا التَّصَرُّفَ السَّيِّئَ الَّذِي اسْتَوْجَبَ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي بَلِّكَ الْمُدَّةَ الْيَسِيرَةَ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَبَرْتُمْ عَلَى عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، كَمَا فَعَلَ الْمُؤْمِنُونَ لَفَرَّزْتُمْ كَمَا فَارَوْا.

(خَلَقْنَاكُمْ)

(١١٥) - هَلْ ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ أَنَّنَا خَلَقْنَاكُمْ لِعِبَادٍ وَبَاطِلًا (عَبْنًا)، وَأَنَّنَا لَا حِكْمَةَ لَنَا فِي خَلْقِكُمْ؟ إِنَّا لَمْ نَخْلُقْكُمْ عَبْنًا وَلَا بَاطِلًا لِلْعِبِّ وَالتَّسْلِيَةِ، وَإِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ لِتَعْبُدُوا اللَّهَ، وَتَقِيمُوا أَوْامِرَهُ، فَهَلْ حَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ لَا تَرْجِعُونَ إِلَيْنَا فِي الْآخِرَةِ لِنَحَاسِبَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ؟ (وَقِيلَ بَلْ مَعْنَى الْآيَةِ هُوَ: هَلْ تَظُنُّونَ أَنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِتَعْبُدُوا وَتَلْعَبُوا كَمَا خُلِقَتِ الْبَهَائِمُ، لَا ثَوَابَ وَلَا عِقَابَ؟)

(فَتَعَالَى)

(١١٦) - فَتَعَالَى اللَّهُ وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا عَبْنًا، فَإِنَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُنَزَّهَ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّ الْعَرْشِ، (وَالْعَرْشُ هُوَ سَقْفُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ) فَهُوَ تَعَالَى الْمُهِيمُ الْمُسَيِّطِرُ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي الْوُجُودِ، وَهُوَ الْكَرِيمُ. (وَقِيلَ إِنَّ الْكَرِيمَ هُنَا صِفَةٌ لِلْعَرْشِ، وَتَعْنِي أَنَّهُ الْبَدِيعُ الْحَسَنُ الْبَهِيُّ الْمَنْظَرُ).

فَتَعَالَى اللَّهُ - ارْتَفَعَ بِعَظَمَتِهِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الْعَبَثِ.

(آخَرَ) (بُرْهَانَ) (الْكَافِرُونَ)

(١١٧) - يَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ أَشْرَكَ بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا سِوَاهُ فَيَقُولُ: إِنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ سِوَاهُ، وَعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَا بُرْهَانَ لَهُ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ، وَلَا دَلِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحَاسِبُهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُوفِّيهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ جَزَاءٍ، وَلَا يُفْلِحُ الْكَافِرُ، وَلَا يَنْجُونَ مِنَ الْعِقَابِ.

﴿١١٤﴾ قُلْ إِنْ لَيْسَ لَكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿١١٥﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ

﴿١١٦﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

﴿١١٧﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ

(الرَّاحِمِينَ)

﴿١١٨﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ
الرَّاحِمِينَ

(١١٨) - ثُمَّ أَرْشَدَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ إِلَى هَذَا الدُّعَاءِ . فَقُلْ
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: يَا رَبِّ اغْفِرْ (أَيِ امْحُ ذَنْبِي وَاسْتُرْهُ عَنِ النَّاسِ) ، وَارْحَمْ
(أَيِ سَدِّدْ خُطَايَ وَوَفَّقْنِي فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ) ، وَأَنْتَ يَا رَبِّ خَيْرُ مَنْ
رَحِمَ ذَا ذَنْبٍ ، فَقَبِلْ تَوْبَتَهُ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ عِقَابِهِ .

(٢٤) سُورَةُ النُّورِ فَلْيَتَنَبَّهْ
وَأَنبَأْنَاهَا أَنِ اجْعَلْ وَسْئَلُهُنَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُنزِلْنَاهَا (فَرَضْنَاهَا) (آيَاتٍ) (بَيِّنَاتٍ)

(١) - يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى الْإِعْتِنَاءِ بِهَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي أُنزِلَتْ عَلَيْهَا عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ، وَقَدَّرَ فِيهَا الْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِ ، وَبَيَّنَّ فِيهَا أَدْلَةَ التَّوْحِيدِ وَبَيِّنَاتِهِ الْوَاضِحَةَ لِيُعِدَّهُمْ بِذَلِكَ إِلَى الْهُدَى وَالْإِتْعَاطِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ فِيهَا مِنْ أَوْامِرَ ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا جَاءَ فِيهَا مِنْ نَوَاهٍ وَرَوَاجِرَ ، لِيَتَحَقَّقَ لَهُمُ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
فَرَضْنَاهَا - أَوْجَبْنَا أَحْكَامَهَا عَلَيْكُمْ ، أَوْ قَدَّرْنَاهَا .

(وَاحِدٍ) (الْآخِرِ) (طَائِفَةٍ)

(٢) - فَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِيهَا حُكْمُ الزَّانِي فِي الْحَدِّ فَالزَّانِي إِذَا كَانَ بِكْرًا - ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى - وَهُوَ خُرٌّ بَالِغٌ عَاقِلٌ فَحَدُّهُ مِثْلُ جَلْدَةٍ كَمَا فِي الْآيَةِ . وَبَرَى جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ أَنْ يُعْرَبَ سَنَةٌ عَنْ مَوْطِئِهِ ، إِنْ شَاءَ الْإِمَامُ تَغْرِيبُهُ (أَي نَفْيُهُ مِنْ مَوْطِئِهِ) . أَمَّا إِذَا كَانَ الزَّانِي مُحْصَنًا ، وَهُوَ الَّذِي سَبَقَ لَهُ الْوُطْءُ فِي نِكَاحٍ صَحِيحٍ ، فَإِنَّهُ يُرْجَمُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى الْمَوْتِ . وَحُكْمُ الزَّانِي الْمُحْصَنِ مَأْخُودٌ مِنَ السُّنَّةِ ، فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَجْمِ امْرَأَةٍ مُحْصَنَةٍ زَنَتْ

وَيُثْبِتُ الزَّانِي بِالْإِقْرَارِ ، أَوْ بِحَبْلِ الْمَرْأَةِ بِلَا زَوْجٍ مَعْرُوفٍ لَهَا ، أَوْ بِشَهَادَةِ أَرْبَعَةٍ مِنَ الشُّهُودِ الْعَدُولِ يَرَوْنَهَا فِي حَالَةِ الْفِعْلِ .
(وَقَالَ بَعْضُ الْأُئِمَّةِ : إِنَّهُ يَجِبُ الْجَلْدُ مَعَ الرَّجْمِ عَمَلًا بِالنَّصِّ . وَلَكِنْ أَكْثَرُ الْأُئِمَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى عَدَمِ وَجُوبِ الْجَلْدِ مَعَ الرَّجْمِ لِأَنَّ عُقُوبَةَ الرَّجْمِ أَشَدُّ مِنْ عُقُوبَةِ الْجَلْدِ) .



سُورَةُ أَنْزِلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا

وَأَنزَلْنَاهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ

مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وَبَشِّرِ اللَّهَ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَلَّا تَأْخُذَهُمْ رَافَةُ الزُّنَاةِ فِي تَطْيِيقِ حُكْمِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ، لِأَنَّ مِنْ مُقْتَضَى الْإِيمَانِ إِثَارَ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَلَى مَرْضَاةِ النَّاسِ، فَإِذَا رُفِعَتِ الْحُدُودُ إِلَى السُّلْطَانِ فُتْقَامَ وَلَا تَعْطَلُ. (وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: تَعَاَفَا الْحُدُودُ بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَغْنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ).

فَإِذَا كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُم بِهِ اللَّهُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى الزُّنَاةِ، وَشَدُّدُوا عَلَيْهِمُ الضَّرْبَ عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ الضَّرْبُ مُبِرِّحًا، لِيَرْتَدَّ مَنْ يَصْنَعُ مِثْلَهُمْ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَكُونَ تَنْفِيزُ الْحُدُودِ عَلَانِيَةً، وَأَنْ يَشْهَدَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ يَكُونُ أُبْلَغَ فِي زَجْرِ النَّاسِ، وَأَنْجَعَ فِي رَدِّعِهِمْ، وَيَكُونُ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا وَفَضِيحَةً إِذَا كَانَ النَّاسُ حُضُورًا. الطَّائِفَةُ - تَشْمَلُ الْوَاحِدَ فَمَا فَوْقَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّهَا تَشْمَلُ الْأَرْبَعَةَ فَصَاعِدًا.

(٣) - الزَّانِي لَا يَطَأُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَلَا يَطَاوِعُهُ فِي فِعْلِ الزَّنى إِلَّا زَانِيَةً عَاصِيَةً، أَوْ مُشْرِكَةً لَا تَعْتَقِدُ حُرْمَةَ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ الزَّانِيَةُ لَا يَطْوَاهَا وَلَا يَنْكِحُهَا إِلَّا عَاصٍ بِزَنَاهُ، أَوْ مُشْرِكٌ لَا يَعْتَقِدُ بِتَحْرِيمِ الزَّنى.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ هَذَا بِالنِّكَاحِ إِنَّمَا هُوَ الْجَمَاعُ، لَا يَزْنِي بِهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ). وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ تَعَاطِي الزَّنى، وَالتَّزْوُجَ بِالْبَغَايَا، أَوْ تَزْوِيجَ الْعَفَائِفِ مِنَ النِّسَاءِ بِالْفَجَّارِ الزُّنَاةِ مِنَ الرِّجَالِ، إِلَّا إِذَا حَدَّثَتْ تَوْبَةً. فَإِنَّهُ يُسَمَحُ لِلنَّائِبِ مِنَ الزَّنى بِالزَّوَاجِ مِنَ الْحَرَائِرِ الْعَفِيفَاتِ.

(الْمُحْصَنَاتِ) (ثَمَانِينَ) (شَهَادَةً) (وَأُولَئِكَ) (الْفَاسِقُونَ)

(٤) - فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَفِيفَاتِ بِالزُّنَا (وَهُنَّ الْحَرَائِرُ الْبَالِغَاتُ الْعَفِيفَاتُ). وَإِذَا كَانَ الْمَذْذُوفُ رَجُلًا يُجْلَدُ قَاضِيهِ أَيْضًا. فَإِذَا أَقَامَ الْقَاضِيُ الْبَيِّنَةَ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ، دَرَأَ ذَلِكَ الْحَدَّ عَنْهُ. فَإِذَا لَمْ يَأْتِ الْقَاضِيُ بِأَرْبَعَةِ رِجَالٍ يَشْهَدُونَ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ، وَيُثْبِتُونَ صِحَّةَ دَعْوَاهُ - فَإِنَّهُ يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِثَلَاثِ عُقُوبَاتٍ:

③ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

④ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَتًا بِزُجْجٍ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

- يُجْلَدُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً.

- تُرَدُّ شَهَادَتُهُ.

- يُعَدُّ فَاسِقًا لَيْسَ بِعَدْلٍ لَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَ النَّاسِ.

- يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ - يَقْدُرُونَ الْعَفِيفَاتِ بِالزُّنَى.

(٥) - وَاسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعُقُوبَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ الَّذِينَ تَابُوا، وَرَجَعُوا عَمَّا قَالُوا، وَنَدِمُوا عَلَى مَا تَكَلَّمُوا بِهِ، وَأَصْلَحُوا أحوَالَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَتَارٌ لِدُنُوبِهِمْ، رَحِيمٌ بِهِمْ، فَيُزِيلُ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَارَ الَّذِي لِحَقِّ بِهِمْ بِعَدَمِ قَبُولِ شَهَادَتِهِمْ، وَوَسْمِهِمْ بِمِيسَمِ الْفُسُوقِ.

وَاخْتَلَفَ الْأَئِمَّةُ حَوْلَ مَدَى أَثَرِ التَّوْبَةِ: هَلْ تَشْمَلُ الْفِسْقَ وَرَدَّ الشَّهَادَةَ مَعًا، أَمْ الْفِسْقُ فَقَطْ؟

- فَقَالَ الْأَئِمَّةُ: مَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَالشَّافِعِيُّ: إِنَّ الْقَافِذَ إِذَا تَابَ ارْتَفَعَ عَنْهُ حُكْمُ الْفِسْقِ، وَقُبِلَتْ شَهَادَتُهُ.

- وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّ الْاسْتِثْنَاءَ الْوَارِدَ فِي الْآيَةِ يَعُودُ لِلْجُمْلَةِ الْأَخِيرَةِ فَقَطْ، فَيَرْتَفِعُ الْفِسْقُ بِالتَّوْبَةِ وَيَبْقَى مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ.

- وَقَالَ الشُّعْبِيُّ وَالضَّحَّاكُ: لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ وَإِنْ تَابَ إِلَّا أَنْ يَعْتَرِفَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ قَالَ الْبُهْتَانَ فَجَيِّنْهُ تَقْبَلُ شَهَادَتُهُ.

(أَرْوَاجُهُمْ) (فَشَهَادَةُ) (شَهَادَاتِ) (الصَّادِقِينَ)

(٦) - هَذِهِ الْآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا تَتَعَلَّقُ بِاللَّعَانِ، وَفِيهَا مَخْرَجٌ لِلأَرْوَاجِ إِذَا اتَّهَمُوا زَوْجَاتِهِمْ بِالزُّنَى، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا إِقَامَةَ الْبَيِّنَةِ عَلَى زَنَاھُنَّ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، فَيُحْضِرُ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ إِلَى الْإِمَامِ، فَيَدَّيْعِي عَلَيْهَا بِمَا رَمَاهَا بِهِ، فَيُحْلِفُهُ الْحَاكِمُ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لِمَنْ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنْ الزُّنَى. وَهَذِهِ الشَّهَادَاتُ الْأَرْبَعُ تُقَابِلُ شَهَادَةَ الشُّهَدَاءِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى شَهَادَتَهُمْ كَافِيَةً لِإثْبَاتِ الزُّنَى.

(وَالْخَامِسَةُ) (لَعْنَةُ) (الْكَاذِبِينَ)

(٧) - وَيُحْلِفُهُ فِي الْمَرَّةِ الْخَامِسَةِ: أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ بَاتَتْ مِنْهُ زَوْجَتُهُ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ أَبَدًا. وَيُعْطِيهَا مَهْرَهَا، وَيَتَوَجَّبُ عَلَيْهَا حُدُّ الزُّنَى إِنْ سَكَتَتْ عَلَى مَا رَمَاهَا بِهِ زَوْجُهَا.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا
فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ
أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ وَلِمَنِ
الصَّادِقِينَ

وَالْخَامِسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ
إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(وَيَذَرُ) (شَهَادَاتٍ) (الْكَاذِبِينَ)

٨ وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ

شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ

(٨) - وَلَا يَذَرُ عَنْهَا إِقَامَةَ حَدِّ الزَّنى عَلَيْهَا (وَهُوَ الرَّجْمُ) إِلَّا أَنْ تُلَاعِنَ، فَتَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ عَلَى أَنَّ زَوْجَهَا مِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنى.

يَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ - يَذْفَعُ عَنْهَا عُقُوبَةَ الرَّجْمِ.

(وَالْخَامِسَةَ) (الصَّادِقِينَ)

٩ وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا

إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ

(٩) - وَتَحْلِفُ فِي الْمَرَّةِ الْخَامِسَةِ أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ زَوْجُهَا مِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنى. وَالْمَغْضُوبُ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ الْحَقَّ ثُمَّ يَحِيدُ عَنْهُ لَذَلِكَ خَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْغَضَبِ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَتَجَسَّمُ فَضِيحَةَ أَهْلِهِ وَرَمَاهَا بِالزَّنى إِلَّا وَهُوَ صَادِقٌ مَعْدُورٌ، وَهِيَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ.

١٠ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ

وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ

(١٠) - وَلَوْ لَا تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَوْ لَا رَحِمْتُهُ بِكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي قَبُولِ تَوْبَتِكُمْ فِي كُلِّ آيٍ، وَأَنَّهُ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ، وَفِعْلِهِ، وَحُكْمِهِ، وَمِنْهَا مَا شَرَعَهُ لَكُمْ مِنَ اللَّعَانِ، لَفَضَحَكُمْ، وَلَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ. وَلَكِنَّهُ سَتَرَ عَلَيْكُمْ، وَدَفَعَ عَنْكُمْ الْحَدَّ بِاللَّعَانِ، إِذْ لَوْ لَمْ يَشْرَعْ ذَلِكَ لَوَجِبَ عَلَى الزَّوْجِ حَدُّ الْقَذْفِ، مَعَ أَنَّ قَرَأَتَيْنِ الْأَحْوَالِ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَفْتَرِي عَلَى زَوْجَتِهِ، لِأَنَّهُمَا مُشْتَرِكَانِ فِي الْفَضِيحَةِ.

وَلَوْ جَعَلَ شَهَادَةُ الرَّجُلِ مُوجِبَةً لِحَدِّ الزَّنى وَحَدَّهَا، لَكُنَّ أَفْتِرَاءُ الْأَزْوَاجِ عَلَى زَوْجَاتِهِمْ لِضَغِينَةٍ قَدْ تَكُونُ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَمِنْ ثَمَّ جَعَلَ شَهَادَاتِ كُلِّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ مَعَ الْجَزْمِ بِكَذِبِ الْآخَرِ تَذَرًا عَنْهُ الْعُقُوبَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ.

(وَرَوَى أَنَّ سَبَبَ نَزُولِ آيَةِ اللَّعَانِ، هُوَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْقَذْفِ (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ)، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ يَقُولُ لَهُ إِنَّهُ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ فَوَجَدَ رَجُلًا عِنْدَ امْرَأَتِهِ، فَسَمِعَ بِأَذْنِهِ، وَرَأَى بَعِيْنِهِ، فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ، وَجَاءَ إِلَى الرَّسُولِ فَأَعْلَمَهُ بِمَا رَأَى وَسَمِعَ، فَأَعْتَبَرَ الرَّسُولُ ذَلِكَ الْقَوْلَ قَذْفًا مِنْهُ بِحَقِّ زَوْجَتِهِ، وَطَالَبَهُ بِإِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ أَوْ أَنَّ الرَّسُولَ سَيَأْمُرُ بِحَدِّهِ الْقَذْفِ. فَقَالَ الرَّجُلُ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَقُولُ لَهُ: الْبَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، وَلَيُنَزِّلَنَّ اللَّهُ مَا يَبْرِيءُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ. فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ. فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ إِلَى الرَّجُلِ وَزَوْجِهِ فَشَهِدَ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ يَقُولُ

لَهُ: إِنَّ اللَّهَ لَيَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا لَكَاذِبٌ، ثُمَّ قَامَتِ الْمَرْأَةُ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةَ وَقَفُوهَا، وَقَالُوا لَهَا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، تَوْجِبُ الْعَذَابَ عَلَيْكَ، فَتَلَكَّاتٌ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْصَحُ قَوْلِي سَائِرَ الْيَوْمِ، فَمَضَتْ وَحَلَفَتْ.

(جَاؤُوا) (أَمْرِي).

(١١) - هَذِهِ الْآيَةُ أَشَارَتْ إِلَى حَدِيثِ الْإِنْفِكَ الَّذِي أَطْلَقَهُ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ بِحَقِّ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا. وَتَلَخَّصُ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي الْآتِي:

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا أَجْرَى الْقُرْعَةَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَمَنْ خَرَجَ سَهْمَهَا مِنْهُنَّ صَحِبَهَا فِي غَزْوَتِهِ. وَفِي إِحْدَى الْغَزَوَاتِ خَرَجَ سَهْمُ عَائِشَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ. فَلَمَّا فَرَعَ الرَّسُولُ مِنَ الْغَزْوَةِ قَفَلَ عَائِدًا بِالْجَيْشِ، وَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ النَّاسَ لَيْلَةً بِالرَّجِيلِ، فَلَمَّا آذَنَهُمُ بِالرَّجِيلِ خَرَجَتْ عَائِشَةُ لِقَاءِ بَعْضِ حَاجَتِهَا، حَتَّى جَاوَزَتْ الْجَيْشَ. ثُمَّ عَادَتْ فَالْتَمَسَتْ عَقْدًا لَهَا فَوَجَدَتْهُ قَدْ انْفَرَطَ، فَرَجَعَتْ تَلْتِمِسُهُ، فَتَأَخَّرَتْ فِي الْبَحْثِ عَنْهُ. وَجَاءَ الرِّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا يَحْمِلُونَهَا، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجَهَا فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِهَا الَّذِي كَانَتْ تَرْكِبُهُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهَا فِيهِ (وَكَانَ النِّسَاءُ فِي ذَلِكَ الْجَنِّ خُفَافًا لَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ) فَلَمْ يَسْتَتِكِرِ الرِّجَالُ خُفَّةَ الْهُودَجِ حِينَمَا رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ عَلَى الْبَعِيرِ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذْ ذَاكَ صَغِيرَةً السِّنِّ، خَفِيفَةَ الْوِزْنِ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا.

أَمَّا عَائِشَةُ فَإِنَّهَا وَجَدَتْ عَقْدَهَا بَعْدَ أَنْ سَارَ الْجَيْشُ، فَلَمَّا جَاءَتْ مَنَازِلَ الْجَيْشِ وَجَدَتْهُ قَدْ ارْتَحَلَ، فَاتَّجَهَتْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ تَنْزِلُ فِيهِ، وَفِي ظَنِّهَا أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْتَقِدُونَهَا فَيَرْجِعُونَ لِلْبَحْثِ عَنْهَا. وَبَيْنَمَا كَانَتْ جَالِسَةً غَلَبَتْهَا عَيْنَاهَا فَنَامَتْ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ مَعْطَلٍ السَّلَمِيُّ - وَهُوَ مِنْ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ - قَدْ عَرَسَ غَازِيًا مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَذْلَجَ (سَارَ لَيْلًا) فَأَصْبَحَ عِنْدَ الْمَنْزِلِ الَّذِي كَانَتْ عَائِشَةُ فِيهِ، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ فَاقْتَرَبَ فَعَرَفَ عَائِشَةَ حِينَ رَأَاهَا، وَكَانَ قَدْ رَأَاهَا قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَرْجَعَ حَتَّى اسْتَيْقَظَتْ عَائِشَةُ، فَأَنَاحَ رَاجِلَتَهُ فَرَكِبَتْ، وَقَادَ الرَّاحِلَةَ وَسَارَ بِهَا حَتَّى أَتَى الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا عِنْدَ الظَّهِيرَةِ.

وَتَقُولُ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَاحِدَةً.

فَانْطَلَقَ الْمُنَافِقُونَ - وَعَلَى رَأْسِهِمْ رَأْسُ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنٍ

١١ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ

سَلُولٍ - يَقُولُونَ وَيُلْمَحُونَ بِمَا يُثِيرُ الشُّبُهَاتِ فِي نَفُوسِ ضِعَافِ الْإِيمَانِ
وَالذَّمِّ، فَخَاضَ فِيهِ مَنْ خَاضَ. وَهَلَكَ فِيهِ مَنْ هَلَكَ.

ثُمَّ مَرَضَتْ عَائِشَةُ بَعْدَ عَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهِيَ لَا تَعْلَمُ شَيْئًا
مِمَّا يَقُولُهُ الْمُنَافِقُونَ، وَقَدْ رَأَتْهَا مَا لَاحَظَتْهُ مِنْ أَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُظْهَرْ لَهَا
مِنَ اللَّطْفِ فِي الْمُعَامَلَةِ مِثْلَمَا كَانَتْ تَرَاهُ مِنْهُ حِينَ تَشْتَكِي عِلَّةً. وَحِينَمَا
بَدَأَتْ تَسْتَرِدُّ صِحَّتَهَا، خَرَجَتْ مَعَهَا أُمُّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الْمُطَّلِبِ اسْمُهُ
مِسْطَحٌ، وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُثِقُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ
كَانَ مُقْلًا مِنَ الْمَالِ. فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ بِمِرْطَها فَقَالَتْ تَعَسَ مِسْطَحُ.
فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: بِسْمَا قُلْتُ تَسْبِيحَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا! فَأَذْرَكْتُ أُمَّ
مِسْطَحٍ أَنَّ عَائِشَةَ لَا تَذَرِي مِمَّا يُقَالُ عَنْهَا شَيْئًا، فَأَخْبَرَتْهَا بِحَدِيثِ الْإِفْكِ
فَازْدَادَ مَرَضُهَا. وَاسْتَأْذَنْتِ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَنْ تَمْرُضَ فِي بَيْتِ أَبِيهَا، فَأَذِنَ
لَهَا. وَأَخَذَتْ تَبْكِي لَيْلَ نَهَارٍ، وَلَا تَجِدُ أُمُّهَا مَا تَهْوُنُ بِهِ عَلَيْهَا. وَأَرْسَلَ
الرَّسُولُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بِسِتْرَيْنِ فِي أَمْرِ
عَائِشَةَ. أَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُهُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي
يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوَدِّ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا
خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا
كَثِيرَاتٌ. وَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ جَارِيَتَهَا بَرِيرَةَ إِنْ كَانَتْ رَأَتْ مِنْ عَائِشَةَ مَا يُرِيهَا،
فَقَالَتْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِضُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ
أَنِّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجَبِي أَهْلَهَا فَتَأْتِي الدَّوَاجِنَ فَتَأْكُلُهُ.

فَقَامَ الرَّسُولُ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ، فَقَالَ وَهُوَ
عَلَى الْمِنْبَرِ: (يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَّغَنِي أَذَاهُ
فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا
عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي).

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ فَقَالَ: أَنَا أَعْذَرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ
كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُقَّةً، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْنَا
فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنَّ
الْحِمِيَّةَ قَدْ اخْتَمَلَتْهُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا
تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يُقْتَلَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ
حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، كَذَبْتَ لَعَمْرُ
اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّكَ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِ.

فَنَارَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا بِالْإِقْتَالِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ
فَلَمْ يَزَلِ الرَّسُولُ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ وَزَوْجَتُهُ وَعَائِشَةُ فِيهِ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ. وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يَجْلِسُ عِنْدَهُمَا، وَلَا يُوحَى إِلَيْهِ شَيْءٌ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ. وَبَعْدَ أَنْ جَلَسَ تَشْهَدُ رَسُولُ اللَّهِ، وَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بِرِيئَةً فَسَيَرْتُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِأَبِيهَا أَحِبَّ رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ. فَقَالَتْ لِأُمِّهَا أُحِبِّي رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَصَدَقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بِرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بِرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونَنِي، وَلَكِنْ اعْتَرَفْتُ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بِرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي، فَوَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبِرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(١). وَتَحَوَّلَتْ عَنْهُمْ إِلَى فِرَاشِهَا فَاضْطَجَعَتْ. فَبَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُبَرَّةَ لِعَائِشَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا، فَسَرَّيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَضَحِكَ، وَقَالَ لَهَا: (أُبَشِّرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأكَ).

وَبَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ أَقْسَمَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لَا يُنْفِقَ عَلَى مِسْطَحٍ أَبَدًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾^(٢) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٣). فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهُ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ.

وَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدَّ الْقَذْفِ عَلَى رَجُلَيْنِ هُمَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَمِسْطَحٌ، وَعَلَى امْرَأَةٍ هِيَ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ أَخْتُ زَوْجَتِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَضَرَبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِحَدِيثِ الْإِفْكِ، وَهُوَ الْكَذِبُ وَالْبُهْتَانُ وَالْإِفْتِرَاءُ، هُمْ جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ (عُصْبَةٌ) فَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ فِي ذَلِكَ شَرًّا لَكُمْ وَفِتْنَةً، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُوَ لِسَانُ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا، وَرِفْعَةٌ مَنَازِلٍ فِي الْآخِرَةِ، وَإِظْهَارُ شَرَفٍ لَكُمْ بِإِعْتِنَاءِ اللَّهِ تَعَالَى بِعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَائَتَهَا فِي الْقُرْآنِ. وَلِكُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٢.

وخاص فيه، ورَمَى أُمَ الْمُؤْمِنِينَ بَشْيءٍ مِنَ الْفَاحِشَةِ، جَزَاءُ مَا اجْتَرَحَ مِنَ الْإِثْمِ، بِقَدَرٍ مَا خَاصَ فِيهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ تَكَلَّمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَمِعَ وَصَحَّكَ سُرُورًا بِمَا سَمِعَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ ذَنْبُهُ أَقْلَ، وَبَعْضُهُمْ مَنْ كَانَ ذَنْبُهُ أَكْبَرَ. وَالَّذِي تَوَلَّى مُعْظَمَ الْإِثْمِ مِنْهُمْ (كَبِيرُهُ) - وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ، إِذْ كَانَ يَجْمَعُهُ وَيُدْبِعُهُ وَيُشْبِعُهُ... - لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ عَلَى ذَلِكَ. الْإِفْكَ - أَفْخَجَ الْكَذِبَ وَأَفْحَشَهُ. عَصْبَةٌ مِنْكُمْ - جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ. تَوَلَّى كَبِيرُهُ - تَوَلَّى مُعْظَمَهُ.

(الْمُؤْمِنَاتُ)

(١٢) - يُؤَدَّبُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِصَّةِ عَائِشَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا، حِينَ أَفَاضَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ الْإِفْكَ، فَقَالَ تَعَالَى: هَلَّا إِذْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي رُمِيَ بِهِ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَسَمْتُمْ ذَلِكَ الْكَلَامَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِذَا كَانَ لَا يَلِيْقُ بِكُمْ، فَأُمَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، بِالْأُخْرَى وَالْأُولَى.

وَقَالَ تَعَالَى: هَلَّا ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ الْخَيْرَ، فَأُمَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُهُ وَأَوْلَى بِهِ. وَهَلَّا قَالُوا بِالْبَسِيتِهِمْ هَذَا كَذِبٌ ظَاهِرٌ عَلَى أُمَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الَّذِي وَقَعَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يُرِيبُ، وَذَلِكَ أَنَّ عَائِشَةَ جَاءَتْ رَاكِبَةً جَهْرَةً عَلَى رَاحِلَةٍ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِ السَّلْمِيِّ، فِي وَقْتِ الظُّهْرِ، وَالْجَيْشُ بِكَامِلِهِ يُشَاهِدُ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ مَعَهُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْفِي كُلَّ شُبْهَةٍ وَشَكٍّ، وَلَوْ كَانَ فِي الْأَمْرِ مَا يُرْتَابُ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا جَهْرَةً.

(وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُ أَيُّوبَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَذَلِكَ الْكَذِبُ. أَكُنْتُ فَاعِلَةً ذَلِكَ يَا أُمُ أَيُّوبَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لَأَفْعَلَهُ، فَقَالَ: فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكِ).

(وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي أَيُّوبَ حِينَ قَالَ مَا قَالَ لَزَوْجَتِهِ أُمُ أَيُّوبَ).

(جَاؤُوا) (فَأُولَئِكَ) (الْكَاذِبُونَ)

(١٣) - هَلَّا جَاءَ الْخَائِضُونَ فِي الْإِفْكَ بِأَرْبَعَةِ شُهُودٍ عَلَى ثُبُوتِ مَا قَالُوا، وَمَا رَمَوْهَا بِهِ، فَإِذَا لَمْ يَأْتِ هَؤُلَاءِ الْمُفْسِدُونَ بِالشُّهَدَاءِ لِإثْبَاتِ مَا قَالُوا فَهُمْ كَاذِبُونَ فِي حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَشَرْعِهِ.

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا

وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ

لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ

عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ

(الآخِرَة)

(١٤) - وَلَوْلَا تَفَضُّلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكُمْ بِبَيَانِ الْأَحْكَامِ ، وَلَوْلَا رَحْمَتُهُ بِكُمْ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ التَّعْجِيلِ بِالْعُقُوبَةِ ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْمَغْفِرَةِ ، لَنَزَلَ بِكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ بِسَبَبِ الْخَوْصِ فِي هَذِهِ التَّهْمَةِ .

أَفْضَنْتُمْ فِيهِ - خَضَنْتُمْ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْإِفْكِ .

(١٥) - فَقَدْ تَنَاقَلْتُمْ الْخَبَرَ بِالْبَسِيتِ كُمْ ، وَأَشَعْتُمُوهُ بَيْنَكُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَكُمْ عِلْمٌ بِصِحَّتِهِ ، وَتَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ هَيِّنٌ ، لَا يُعَاقِبُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، أَوْ أَنَّ عِقَابَهُ يَسِيرٌ ، مَعَ أَنَّهُ خَطِيرٌ يُعَاقِبُ اللَّهُ عَلَيْهِ عِقَابًا شَدِيدًا .

(وَفِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يَدْرِي مَا تَبْلُغُ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) ، (رواه مسلم والبخاري)

تَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا - تَظُنُّونَهُ سَهْلًا لَا تَبْعَةَ فِيهِ .

(سُبْحَانَكَ) (بُهْتَانٌ)

(١٦) - وَكَانَ يَنْبَغِي عَلَيْكُمْ عِنْدَ سَمَاعِ مَا أَشَاعَهُ الْمُنَافِقُونَ مِنْ حَدِيثِ الْإِفْكِ وَالْكَذِبِ وَالْاِفْتِرَاءِ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ الطَّاهِرَةِ ، أَنْ تَنْصَحُوا بَعْدَ الْخَوْصِ فِيهِ لِأَنَّهُ غَيْرُ لَائِقٍ بِكُمْ ، وَأَنْ تَتَعَجَّبُوا مِنْ اخْتِرَاعِ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْكَذِبِ وَالبُهْتَانِ ، وَأَنْ تَقُولُوا : لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَنْقُوهُ بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَلَا أَنْ نَذْكُرَهُ لِأَحَدٍ تَنَزَّهَ اللَّهُ رَبَّنَا أَنْ يُقَالَ هَذَا الْكَلَامُ ، عَلَى ابْنَةِ الصَّدِّيقِ زَوْجَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا هُوَ إِلَّا كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ ، وَإِنَّا لَنَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ رَبَّنَا مِنْهُ ، وَمِنْ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَكُونَ الْوَسِيلَةَ فِي انْتِشَارِ هَذَا الْقَوْلِ الْكَاذِبِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ .

سُبْحَانَكَ - تَعَجَّبُ مِنْ شَنَاعَةِ هَذَا الْإِفْكِ .

بُهْتَانٌ - كَذِبٌ يُحِيرُ سَامِعَهُ لِفُظَاعَتِهِ .

(١٧) - وَيَنْهَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى ، وَيَعْظُمُكُمْ بِهِدِهِ الْمَوَاعِظِ الَّتِي تَعْرِفُونَ بِهَا عَظَمَ الذَّنْبِ ، كَيْلًا يَقَعُ مِثْلُ هَذَا مِنْكُمْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَشَرْعِهِ ، وَمِمَّنْ يَعْظُمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنَّ صِفَةَ الْإِيمَانِ تَتَنَافَى مَعَ مِثْلِ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ .

(الآيَات)

(١٨) - وَنَزَّلَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى الْأَحْكَامِ وَاضِحَةً جَلِيلَةً ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَقَدِيرٌ .

١٤ وَلَوْلَا تَفَضُّلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

١٥ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالِلسَتِكُمْ وَتَقُولُونَ

يَا فَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ

١٦ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ

لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ

١٧ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ

أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

١٨ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(الْفَاحِشَةُ) (آمَنُوا) (الْآخِرَةُ)

(١٩) - إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ، وَبِخَاصَّةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَجَرَّوْنَ عَلَى رَبِي يَبْتَ الثُّبُوءَ الْكَرِيمِ، إِنَّمَا يَعْمَلُونَ عَلَى زَعْرَعَةِ ثِقَةِ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ بِالْخَيْرِ وَالْعَقَّةِ، وَعَلَى إِزَالَةِ التَّحَرُّجِ مِنْ ارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْإِيحَاءِ بِأَنَّ الْفَاحِشَةَ شَائِعَةٌ فِيهَا، وَبِذَلِكَ تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي النَّفُوسِ، ثُمَّ تَشِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْوَاقِعِ، فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ: فِي الدُّنْيَا بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ، وَاللَّعْنِ وَالذَّمِّ مِنَ النَّاسِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِعَذَابِ النَّارِ. وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرَى الظَّاهَرَ وَالْبَاطِنَ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ؟ فَرُدُّوا الْأُمُورَ إِلَى اللَّهِ تَرْشُدُوا، وَلَا تَزُورُوا مَا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ.

(٢٠) - فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَلَوْلَا رَحْمَتُهُ بِكُمْ بَعْدَ الَّذِي قِيلَ، لَأَهْلَكَكُمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى رُؤُوفٌ بِعِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، فَتَابَ عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَطَهَّرَ مِنْهُمْ مَنْ طَهَّرَ بِالْحَدِّ الَّذِي أُقِيمَ عَلَيْهِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (خُطُوبَاتِ) (الشَّيْطَانِ)

(٢١) - يَا أَمُرُ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَلَا يَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَسَالِكِهِ، وَمَا يَأْمُرُ بِهِ أَوْلِيَائَهُ، وَالشَّيْطَانُ إِنَّمَا يَأْمُرُ أَوْلِيَائَهُ بِفَعْلِ الْفَاحِشَةِ وَإِسَاعَتِهَا، وَارْتِكَابِ الْمُنْكَرَاتِ، فَمَنْ اتَّبَعَ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ جَرَّهُ إِلَى ارْتِكَابِ هَذِهِ الْمُوقَفَاتِ. وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ التَّوْبَةَ، وَالرَّجُوعَ إِلَيْهِ، وَيُزَكِّي بِهَا النَّفُوسَ وَيُطَهِّرُهَا مِنْ شِرْكِهَا وَفُجُورِهَا وَذَنْبِهَا، لَمَا تَطَهَّرَ مِنْكُمْ أَحَدٌ مِنْ ذَنْبِهِ، وَلَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ النُّكَالَ وَالْوَبَالَ، وَلَعَاجَلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُمْ الْهَدَايَةَ فِيهِدِيهِ.

خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ - طُرْفُهُ وَمَذَاهِبُهُ وَأَثَارُهُ

الْفَحْشَاءُ - مَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ

الْمُنْكَرُ - مَا يُنْكَرُهُ الشَّرْعُ

مَا زَكَّى - مَا تَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ.

(أُولُو) (الْمَسَاكِينِ) (الْمُهَاجِرِينَ)

(٢٢) - وَلَا يَخْلِفِ الْقَادِرُونَ مِنْكُمْ عَلَى الْإِنْفَاقِ وَالْإِحْسَانِ (أُولُو الْفَضْلِ)، وَالَّذِينَ يَجِدُونَ سَعَةً فِي الرُّزْقِ، عَلَى أَنْ لَا يَصِلُوا أَقْرَبَاءَهُمْ

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي



الْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ، وَلِيَصْفَحُوا عَنْهُمْ، وَلِيَعْفُوا عَمَّا تَقَدَّمَ مِنْهُمْ مِنَ
الْإِسَاءَةِ وَالْأَذَى، قَالَ تَعَالَى يَجْزِيهِمْ بِصَفْحِهِمْ عَنْ أَدَى ذَوِي قُرْبَاهُمْ
الْمَسَاكِينَ، وَعَلَى إِحْسَانِهِمْ إِلَيْهِمْ، بِالْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ. فَإِذَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ أَنْ
يَعْفُو رَبُّكُمْ عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ، فَافْعَلُوا مَعَ الْمُسِيءِ إِلَيْكُمْ مِثْلَمَا تُحِبُّونَ أَنْ
يَفْعَلَ بِكُمْ رَبُّكُمْ، وَتَادَّبُوا بِأَدَبِهِ تَعَالَى، فَهُوَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.
(نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ حِينَمَا أَقْسَمَ عَلَى أَنْ لَا
يُنْفِقَ عَلَى ابْنِ خَالَتِهِ مِسْطَحَ بْنِ أَثَّاثَةَ، وَهُوَ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ لِمَا
خَاصَ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْإِفْكِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: (بَلَى
وَاللَّهِ إِنَّا نَحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا يَا رَبِّ). ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ
عَلَى مِسْطَحٍ).

أَوَّلُو الْفَضْلِ - أَصْحَابُ الزِّيَادَةِ فِي الدِّينِ.
السَّعَةِ - الْغِنَى.

(الْمُحْصَنَاتِ) (الْغَافِلَاتِ) (الْمُؤْمِنَاتِ) (وَالْآخِرَةِ)

(٢٣) - يَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِالْفَاحِشَةِ النَّسَاءَ الْعَفِيفَاتِ
(الْمُحْصَنَاتِ) الْغَافِلَاتِ عَنْهَا، الْمُؤْمِنَاتِ (وَمِنْ بَابِ أَوَّلَى أُمَهَاتِ
الْمُؤْمِنِينَ)، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى أَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا لَمْ يَتُوبُوا، فَإِذَا تَابُوا قَبِلَتْ تَوْبَتَهُمْ.
الْمُحْصَنَاتُ - الْعَفِيفَاتُ.

(٢٤) - وَنَزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْفَاسِقِينَ، الَّذِينَ يَقْذِفُونَ الْمُحْصَنَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ، الْعَذَابَ الْأَلِيمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا سَبِيلَ فِيهِ
لِلْإِنْكَارِ، لِأَنَّهُمْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ بِمَا نَطَقَتْ، كَمَا تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِجَمِيعِ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنْ آثَامٍ إِذْ يُنْطَقُهَا اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي
أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ الْمَشْرِكِينَ حِينَ يَرَوْنَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالصَّلَاةِ، يَقُولُونَ: تَعَالَوْا
نَحْجِدْ، وَنَتَكَبَّرْ مَا كَانُوا مِنَّا، فَيَجْحَدُونَ، فَيَحْتِمُ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتَشْهَدُ
عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَجْتَرِحُونَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهُ حَدِيثًا.

سَبِيلُ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا
أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

٢٣ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ

الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ

٢٤ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ

وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٥) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى جَزَاءَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِالتَّامِّ وَالْكَمَالِ (وَيَنْهَهُمُ الْحَقُّ)، وَحِينَئِذٍ يَعْلَمُونَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَوَعْدُهُ حَقٌّ، وَحِسَابُهُ هُوَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا جَوْرَ فِيهِ، وَيَرْوُلُ عَنْهُمْ كُلُّ شَيْءٍ وَرَيْبٍ أَلَمْ يَهْمُ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا. ذَيْنَهُمُ الْحَقُّ - جَزَاءَهُمْ الثَّابِتُ لَهُمْ بِالْعَدْلِ.

(الْخَبِيثَاتُ) (وَالطَّيِّبَاتُ) (أُولَئِكَ)

(٢٦) - النِّسَاءُ الْخَبِيثَاتُ يَكُنُّ لِلرِّجَالِ الْخَبِيثِينَ، وَالْخَبِيثُونَ مِنَ الرِّجَالِ يَكُونُونَ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالطَّيِّبُونَ مِنَ الرِّجَالِ يَكُونُونَ لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ النِّسَاءِ يَكُنُّ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ الرِّجَالِ، لِأَنَّ الْمُجَانِسَةَ مِنْ دَوَاعِي الْإِلْفَةِ، فَمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لِيَجْعَلَ عَائِشَةً رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا، إِلَّا وَهِيَ طَيِّبَةٌ، لِأَنَّهُ ﷺ أَطْيَبُ خَلْقِ اللَّهِ، وَلَوْ كَانَتْ خَبِيثَةً لَمَا صَلَحَتْ لَهُ شَرْعًا وَلَا قَدْرًا.

وَالطَّيِّبُونَ وَالطَّيِّبَاتُ يَبْعِدُونَ عَمَّا يَقُولُهُ أَهْلُ الْإِفْكِ، مُبْرَوِّونَ مِنَ التَّهْمِ الَّتِي يَصِفُوهَا بِهَا الْخَبِيثُونَ، وَلَهُمْ مَغْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ بِسَبَبِ مَا قِيلَ فِيهِمْ مِنَ الْكُذِبِ، وَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَّاتُ النَّعِيمِ، وَالرَّزْقُ الْكَرِيمُ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْخَبِيثَاتِ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْأَقْوَالِ لَا تَقَاتُ بِالْخَبِيثِينَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَتَقَوَّهُونَ بِهَا).

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢٧) - يُؤَدِّبُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَأْمُرُهُمْ بِالْأَنْ يَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِهِمْ حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا قَبْلَ الدُّخُولِ (يَسْتَأْذِنُوا)، وَيُسَلِّمُوا بَعْدَ الْاسْتِئْذَانِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَأْذِنُوا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُمْ دَخَلُوا وَإِلَّا انْصَرَفُوا، فَلَا اسْتِئْذَانَ خَيْرَ لِلْمُسْتَأْذِنِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ، فَالْبَيْتُ سَكَنٌ يَبْقَى إِلَيْهِ النَّاسُ فَتَسْكُنُ أَرْوَاحُهُمْ، وَيَطْمَئِنُّونَ عَلَى عِزِّهِمْ وَحُرْمَتِهِمْ، وَيُلْقُونَ عَنْهُمْ أَغْيَاءَ الْجَرِّصِ وَالْحَذَرِ الْمُرْهَقَةِ لِلنُّفُوسِ وَالْأَعْصَابِ، وَالْبُيُوتُ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا حِينَ تَكُونُ جَرَمًا آمِنًا لَا يَسْتَسِيحُّهُ أَحَدٌ إِلَّا بِعِلْمِ أَهْلِهِ وَإِذْنِهِمْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُرِيدُونَ هُمْ.

(وَكُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَدْخُلُونَ بِدُونِ اسْتِئْذَانٍ ثُمَّ يَقُولُونَ لَقَدْ دَخَلْنَا).

يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقِّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

(٢٨) - فَإِذَا لَمْ يَجِدُوا فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ أَحَدًا يَأْذَنُ لَهُمْ بِالْدُخُولِ إِلَيْهَا، كَانَ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَدْخُلُوهَا، وَإِذَا كَانَ أَهْلُ الْبَيْتِ فِيهِ، وَلَمْ يَأْذَنُوا بِالْدُخُولِ، كَانَ عَلَى الزَّائِرِ الْإِنْصِرَافَ، وَلَيْسَ لَهُ الدُّخُولُ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَغْضَبَ، أَوْ يَسْتَشِيرَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ، أَوْ الْفَسَادَ مِنْهُ، فَلِلنَّاسِ أَسْرَارُهُمْ وَأَعْذَارُهُمْ وَيَجِبُ أَنْ يَتْرَكَ لَهُمْ وَحْدَهُمْ حَقَّ تَقْدِيرِ ظُرُوفِهِمْ. وَاللَّهُ هُوَ الْمُطَّلِعُ عَلَى خَفَايَا الْقُلُوبِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِالذَّوَافِعِ. أَزْكَى لَكُمْ - أَطْهَرُ لَكُمْ مِنْ دَنَسِ الرِّيَّةِ وَالذَّنَاءَةِ.

(مَتَاعٌ)

(٢٩) - وَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مُعَدَّةٍ لِسُكْنَى قَوْمٍ مُعَيَّنِينَ، وَلَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ، كَالْحَمَامَاتِ، وَالْفَنَاقِ وَالْخَانَاتِ الْمُعَدَّةِ لِمُسْتَقْبَالِ الْعَامَّةِ، فَإِذَا أَذِنَ لِلزَّائِرِ أَوَّلَ مَرَّةٍ كَفَى، وَالْأَمْرُ مُتَعَلِّقٌ بِإِطْلَاعِ اللَّهِ عَلَى ظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ، وَرَقَابَتِهِ عَلَى سَرَائِرِكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ، وَفِي هَذِهِ الرِّقَابَةِ ضَمَانَةُ لِبَاطِنِ الْقُلُوبِ وَامْتِنَالُهَا لِلْأَدَبِ الَّذِي يُؤَدِّبُهَا بِهِ اللَّهُ.

جُنَاحٌ - جُرْمٌ أَوْ إِنْهُم أَوْ خَرَجَ.
مَتَاعٌ لَكُمْ - مَنَفَعَةٌ لَكُمْ وَمَصْلَحَةٌ.

(أَبْصَارُهُمْ)

(٣٠) - يَأْمُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ وَقَعَ الْبَصَرُ عَلَى مُحَرَّمٍ عَلَيْهِمْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ بَصَرَهُ سَرِيعًا، كَمَا يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحِفْظِ فُرُوجِهِمْ عَنِ الزَّنى، وَبِحِفْظِهَا مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، فَذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ وَأَزْكَى لِدِينِهِمْ.

(وَفِي الْحَدِيثِ: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ).
(أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ)

يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ - يَكْفُوا نَظْرَهُمْ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ.

(لِلْمُؤْمِنَاتِ) (أَبْصَارُهُنَّ) (آبَائُهُنَّ) (أَبْنَائُهُنَّ) (أَخَوَاتُهُنَّ)
(إِخْوَانُهُنَّ) (نِسَائُهُنَّ) (أَيْمَانُهُنَّ) (التَّابِعِينَ) (عَوْرَاتِ) (أَيْهَا)

(٣١) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَجِلُّ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنْ عَوْرَاتِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَأَنْ

٢٨ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ

٢٩ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ

٣٠ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ

٣١ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا

مَظْهَرٍ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ
عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِ
أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ
أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ
التَّالِبِينَ غَيْرَ أُولَى الْأَرْبَةِ
مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الذِّي
لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ
مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

يَغْضُضْنَ بَصَرَهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ عَنْهُنَّ، لِأَنَّهُ أَوْلَى بِهِنَّ
وَأَلْيَقُ، وَأَنْ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَعَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ، وَعَنْ
أَنْ يَرَاهُنَّ أَحَدٌ، وَأَنْ لَا يَظْهَرْنَ شَيْئًا مِنَ الزَّيْنَةِ لِلْأَجَانِبِ إِلَّا مَا لَا يُمَكِّنُ
إِخْفَاؤَهُ كَالرِّدَاءِ وَالنِّيَابِ وَالْخَلْخَالِ (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْوَجْهِ وَالْكَتِفَيْنِ
وَالْخَاتَمِ)، وَأَنْ يُلْقِينَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى فَتَحَاتِ ثِيَابِهِنَّ عِنْدَ الصُّدُورِ
(جُيُوبِهِنَّ) لِيَسْتَرْنَ بِذَلِكَ شُعُورَهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ وَصُدُورَهُنَّ حَتَّى لَا يَرَى
مِنْهَا شَيْءٌ، وَأَنْ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ (كَالسَّوَارِ وَالْخَاتَمِ وَالْكُحْلِ
وَالْخِصَابِ .) إِلَّا لِلْأَزْوَاجِ وَأَبْنَاءِ الْأَزْوَاجِ وَالْإِخْوَةِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَأَبْنَاءِ
الْأَخَوَاتِ، وَأَبْنَاءِ الْأَزْوَاجِ، وَبَقِيَّةِ الْمَحَارِمِ الَّذِينَ عَدَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
هَذِهِ الْآيَةِ، أَوْ لِلنِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ (نِسَائِهِنَّ - وَقِيلَ إِنَّ نِسَاءَهُنَّ تَعْنِي
النِّسَاءَ الْمُخْتَصَّاتِ بِصُحْبِهِنَّ وَخِدْمَتِهِنَّ)، أَوْ لِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنْ
عَبِيدٍ مُسْلِمِينَ (وَقِيلَ حَتَّى لِعَبِيدِ الْمُسْلِمِينَ)، أَوْ الْأَتْبَاعِ الْمُعْقِلِينَ وَفِي
عُقُولِهِمْ وَلَهُ، وَلَا يَسْتَهْنُونَ النِّسَاءَ (وَهُمُ التَّابِعُونَ غَيْرَ أَوْلَى الْإِزْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ)، أَوْ لِلْأَطْفَالِ الصِّغَارِ الَّذِينَ لَا يَفْهَمُونَ أَحْوَالَ النِّسَاءِ
وَعَوْرَاتِهِنَّ، أَمَّا إِذَا كَانَ الطِّفْلُ مُرَاهِقًا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ، يَعْرِفُ ذَلِكَ وَيَذَرِيهِ،
وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّوَاهِدِ وَالْحَسَنَاءِ فَلَا يُسْمَعُ لَهُ بِالْدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ).
كَمَا أَمَرَهُنَّ اللَّهُ بِأَنْ لَا يَمْشِينَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَفِي أَرْجُلِهِنَّ الْخَلَائِلَ
فَيَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ الْأَرْضَ لِيُسْمَعَ صَوْتُ مَشْيِهِنَّ، وَلِتَلْتَفِتَ الْأَنْظَارُ
إِلَيْهِنَّ، كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ نِسَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ.
(وَفِي الْحَدِيثِ الرَّافِلَةُ فِي الزَّيْنَةِ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا كَمَثَلِ ظُلْمَةِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ). (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ)

وَارْجِعُوا تَائِبِينَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ
رَبُّكُمْ مِنَ التَّحَلُّقِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَاتْرُكُوا مَا
كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، فَإِنَّ الْفَلَاحَ فِي
فِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَا عَنْهُ.

زِينَتُهُنَّ - مَوَاضِعُ زِينَتِهِنَّ مِنَ الْجَسَدِ
ظَهَرِ مِنْهَا - الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ وَالْقَدَمَانِ .
وَلْيَضْرِبَنَّ - وَلْيُلْقِينَ وَيُسِدِّلْنَ
بِخُمْرِهِنَّ - أَعْطِيَهُ رُؤُوسِهِنَّ وَالْمَقَانِعَ .

جُيُوبِهِنَّ - فَتَحَاتِ يَبَابُهُنَّ عِنْدَ الصُّدُورِ .
نِسَائِهِنَّ - الْمُخْتَصَّاتِ بِخُدَمَتِهِنَّ وَصُحْبَتِهِنَّ .
أُولَى الْإِزْبَةِ - أَصْحَابِ الْحَاجَةِ إِلَى النِّسَاءِ .
لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ - لَمْ يَلْبَسُوا حُدَّ الشُّهُوَةِ .

(الْأَيَامَى) (الصَّالِحِينَ) (إِمَانِكُمْ) (وَاسِعُ)

(٣٢) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَدِّ يَدِ الْمُسَاعِدَةِ، بِكُلِّ الْوَسَائِلِ، لِمَنْ أَرَادَ التَّزْوِجَ، وَلَا زَوْجَ لَهُ مِنَ الْأَحْرَارِ وَالْحَرَائِرِ (الْأَيَامَى مِنْكُمْ - وَالْأَيُّمُ هُوَ مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى) الْقَادِرِ عَلَى النِّكَاحِ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِ الزَّوْجِيَّةِ، مِنَ الصَّحَّةِ وَالْمَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: رَغِبَهُمُ اللَّهُ فِي التَّزْوِجِ وَأَمَرَ بِهِ الْأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ، وَوَعَدَهُمْ عَلَيْهِ الْغِنَى (إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ) وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ، عَلَيْهِمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ .

أَنْكِحُوا الْأَيَامَى - زَوِّجُوا مَنْ لَا زَوْجَ لَهَا، وَمَنْ لَا زَوْجَةَ لَهُ .

(الْكِتَابَ) (أَيْمَانِكُمْ) (وَأَتَوْهُمْ) (آتَاكُمْ) (فَتَيَاتِكُمْ) (الْحَيَاةِ) (إِكْرَاهَهُنَّ)

(٣٣) - وَمَنْ لَمْ يَجِدْ سَبِيلًا إِلَى التَّزْوِجِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُ بِالْتَّعَفُّفِ عَنِ الْحَرَامِ، إِلَى أَنْ يُمْنَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَا يُمَكِّنُهُ مِنَ الزَّوَاجِ . وَإِذَا طَلَبَ الْعَبْدُ مِنْ سَيِّدِهِ أَنْ يَكَاتِبَهُ عَلَى مَالٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ مِنْ كَسْبِهِ مُقْسَطًا وَمُنْجَمًا، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ سَيِّدَهُ بِأَنْ يَكَاتِبَهُ . إِذَا قَدَّرَ أَنْ لِلْعَبْدِ حِيلَةً، وَقُدْرَةً عَلَى الْكَسْبِ، وَأَمَانَةً وَصِدْقًا .

(وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرُ إِرْشَادٍ وَاسْتِحْبَابٍ لَا أَمْرَ إِجْبَابٍ، فَإِنْ شَاءَ كَاتِبَهُ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَكَاتِبَهُ) .

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى (وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) . وَالْأَكْثَرُونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: أَطْرَحُوا لَهُمْ مِنَ الْكِتَابَةِ بَعْضَهَا .

وَقَالَ آخَرُونَ بَلِ الْمَقْصُودُ هُوَ النَّصِيبُ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ مَالِ الرِّكَازَةِ . وَعَلَى كُلِّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ حَتَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عُنُقِ الرِّقَابِ، وَالْإِعَانَةِ فِي تَحْرِيرِهَا .

﴿ ٣٢ ﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ

مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

﴿ ٣٣ ﴾ وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْنِعُونَ الْكُتُبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْإِغْيَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْلُوْهُنَّ أَغْرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ثَلَاثَةٌ حَقَّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمَكَاتِبُ الَّتِي يُرِيدُ الْأَذَاءَ، وَالنَّائِجُ يُرِيدُ الْعَفَاةَ، وَالْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ).

وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أُمَةٌ أُرْسِلَهَا تَرْزِي، وَجَعَلَ عَلَيْهَا ضَرِيَّةً يَأْخُذُهَا مِنْهَا كُلُّ وَقْتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ ذَلِكَ.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سُلُولٍ لَهُ إِمَاءٌ يُكْرِهُهُمْ عَلَى الْبِغَاءِ طَلَبًا لِحَرَاجِهِمْ، وَرَغْبَةً فِي أَوْلَادِهِمْ، وَكَانَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْإِمَاءِ يَأْتِيَنَّ ذَلِكَ، وَشُكُونٌ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فِيهِ. فَهَنُّ يَرُدُّنَ التَّعَفُّفَ، وَهُوَ يُرِيدُ إِكْرَاهَهُمْ لِيُحْصَلَ خَرَاجُهُمْ وَمُهورُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ.

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا أَكْرَهَهُمْ سَادَتْهُمْ عَلَى الْبِغَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَغْفِرُ لَهُمْ إِنْهُمْ، وَيَكُونُ الْإِنَّمُ عَلَى مَنْ أَكْرَهُهُمْ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: لَا تُكْرِهُوا إِمَاءَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ الَّتِي مَسَّاءَ لَعَرَضَ الدُّنْيَا، فَالزَّئِي عَمَلٌ قَبِيحٌ شَنِيعٌ، فَإِنَّ ذَا الْمُرُوءَةِ لَا يَرْضَى بِمُجْبُورٍ مَنْ يَحْوِيهِ بَيْتُهُ، فَكَيْفَ يَرْضَى شَهْمٌ عَاقِلٌ أَنْ يُكْرِهَ أُمَّتُهُ عَلَى الزَّئِي وَهِيَ تُرِيدُ التَّعَفُّفَ وَالتَّحَصُّنَ؟

يَتَنَفَّوْنَ الْكِتَابَ - يَطْلُبُونَ عَقْدَ الْمَكَاتِبِ الْمَعْرُوفِ.

فَتَيَاتِكُمْ - إِمَاءَكُمْ.

الْبِغَاءُ - الزَّئِي.

تَحَصُّنًا - تَعَفُّفًا وَتَصُونًا عَنِ الزَّئِي.

(آيَاتٍ) (مُبَيِّنَاتٍ)

(٣٤) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَفِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَاتٌ لِمَا أَنْتُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرْعِ، كَمَا أَنْزَلَ فِيهِ قِصَصًا تَحْوِي أَخْبَارَ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ، وَفِيهِ عِظَةٌ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَخَافَهُ.

(السَّمَاوَاتِ) (كَيْمَشَكَاةٍ) (مُبَارَكَةٍ) (الْأَمْثَالِ)

(٣٥) - اللَّهُ تَعَالَى هَادٍ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمَا نَصَبَ مِنَ الْأَدِلَّةِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ، وَبِمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رُسُلِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ، فَهُمْ يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ بِنُورِهِ، وَبِهِ يَنْجُونَ مِنْ حَيْرَةِ الشُّكِّ وَالضَّلَالِ. وَمَثَلُ الْأَدِلَّةِ الَّتِي بَنَاهَا اللَّهُ فِي الْأَفَاقِ، وَالَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، فَهَذِي مَنْ شَاءَ مِنْ

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ

وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ



اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا

مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ

الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ

مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ

لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ يَكَادُ زَيْتُهَا
يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن
يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

خَلَقَهُ، كَمَثَلِ النُّورِ الثَّاقِبِ الْمُتَّبِعِ مِنْ سِرَاجٍ ضَخْمٍ (مُضْبَحٍ) مُؤْضِعٍ
فِي كُوَّةٍ غَيْرِ نَافِذَةٍ مِنْ جِدَارٍ (مَشْكَاةٍ)، وَالْمُضْبَحُ يَقُومُ فِي قَنْدِيلٍ مِنْ
زُجَاجٍ أَزْهَرَ صَافٍ (زُجَاجَةٍ)، وَهَذِهِ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ ضَخْمٌ مُضِيءٌ
مِنْ دَرَارِي النُّجُومِ ذَاتِ اللَّمَعَانِ الشَّدِيدِ، وَقَدْ رُوِيَ قَتِيلَةٌ هَذَا
الْمُضْبَحِ بَزِيَّتٍ صَافٍ جَدًّا يُسْتَخْرَجُ مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ زَيْتُونٍ كَثِيرَةِ الْخَيْرِ
وَالْمَنَافِعِ (مُبَارَكَةٍ)، زُرِعَتْ عَلَى جَبَلٍ عَالٍ، أَوْ فِي صَحْرَاءٍ وَاسِعَةٍ،
فَهِىَ مُعَرَّضَةٌ لِلشَّمْسِ، لَا يُظْلِمُهَا جَبَلٌ، وَلَا يَحْبُبُ نُورَ الشَّمْسِ عَنْهَا
شَيْءٌ، مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى غُرُوبِهَا (وَمِثْلُ هَذِهِ الزَّيْتُونَةِ يَكُونُ زَيْتُهَا
أَشَدَّ مَا يَكُونُ الزَّيْتُ صَفَاءً).

(وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ، إِنَّهَا لَا شَرْقِيَّةٌ فَحَسَبُ، فَتَقَعُ
عَلَيْهَا الشَّمْسُ مِنْ جِهَتِهَا الشَّرْقِيَّةِ فَحَسَبُ، وَلَا تُصِيبُهَا مِنْ طَرَفِهَا
الْغَرْبِيِّ، كَذَلِكَ لَيْسَتْ هِيَ غَرْبِيَّةٌ فَحَسَبُ، وَإِنَّمَا تُصِيبُهَا الشَّمْسُ طَوَّلَ
النَّهَارِ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى مَغِيبِهَا، وَمِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا).

وَهَذَا الزَّيْتُ يَكَادُ يُضِيءُ بِنَفْسِهِ لِشِدَّةِ صَفَائِهِ، وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، فَإِذَا
أُشْعِلَ اجْتَمَعَ نُورُ الزَّيْتِ، وَنُورُ النَّارِ فِيهِ وَأَضَاءُهَا مَعَ (نُورٍ عَلَى نُورٍ).
وَكَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِالْهُدَى قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْعِلْمُ، فَإِذَا جَاءَهُ الْعِلْمُ
ازْدَادَ نُورًا عَلَى نُورٍ، وَهُدًى عَلَى هُدًى، وَاللَّهُ يُرْسِدُ مَنْ يَشَاءُ إِلَى
الصَّوَابِ بِالنَّظَرِ وَالتَّدْبِيرِ، وَلِيُدْرِكُوا بِهَا مَعَانِي مَا أَرَادَ اللَّهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى
عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهُدَايَةَ فَيَهْدِيهِ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَ فَيُضِلُّهُ.
اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - مُنَوَّرُهُمَا أَوْ هَادِي أَهْلِهِمَا.

الْمَشْكَاةُ - الْكُوَّةُ غَيْرُ النَّافِذَةِ فِي الْجِدَارِ.
مُضْبَحٌ - سِرَاجٌ ضَخْمٌ ثَاقِبٌ.
زُجَاجَةٌ - قَنْدِيلٌ مِنَ الزُّجَاجِ صَافٍ أَزْهَرُ
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ - مُتَلَالِيٌّ صَافٍ.

(٣٦) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلَ نُورِهِ لِعِبَادِهِ، وَهُدَايَتَهُ إِيَّاهُمْ، أَرَادَ هُنَا
بَيَانَ حَالِ مَنْ اهْتَدَوْا بِذَلِكَ النُّورِ، وَصِفَاتِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّ حَالَ هَؤُلَاءِ
الْمُهْتَدِينَ فِي الطَّهَارَةِ مِنَ النَّجَاسَاتِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ (كَالْلُّغُو وَالرَّفَثِ
فِي الْحَدِيثِ) كَمَثَلِ الْقَنْدِيلِ فِي الْمُضْبَحِ الْمُضِيءِ، الدَّرِي الْمَقَامِ
فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ الَّتِي أُقِيمَتْ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا، وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ
مُنَزَّهَةٌ، يَقُومُ فِيهَا عِبَادَتُهُ تَعَالَى رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ يُنَزَّهُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا
وَيُقَدِّسُونَهُ فِي أَوَائِلِ النَّهَارِ (الْعُدُو) وَفِي آخِرِهِ (الْأَصَال).

﴿٣٦﴾ فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ
وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ
لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ

فِي بُيُوتٍ - الْمَسَاجِدِ كُلِّهَا .
أَنْ تُرْفَعَ - أَنْ تُعْظَمَ وَتُطَهَّرَ أَوْ تُشَادَّ
بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ - أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ .

(تِجَارَةٌ) (الصَّلَاةُ) (الرَّكْعَةُ) (الْأَبْصَارُ)

(٣٧) - وَهَؤُلَاءِ الرِّجَالُ ، الَّذِينَ يَعْمُرُونَ بُيُوتَ اللَّهِ ، هُمْ رِجَالٌ أَصْحَابُ
هِمَمٍ وَعَزَائِمٍ لَا يُلْهِيهِمْ شَيْءٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ : لَا تِجَارَةً ،
وَلَا بَيْعٌ ، وَلَا تَشْغَلُهُمُ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا ، وَزِينَتُهَا ، وَمَلَادُهَا ، وَلَا يَبِيعُهَا ، وَلَا
رَبْحُهَا . . عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَنْفَعُ
مِمَّا بَأْيَدِيهِمْ ، وَهُمْ يَقْدُمُونَ طَاعَةَ رَبِّهِمْ وَمَحَبَّةَ عَلَى مُرَادِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ ،
فَلَا شَيْءٌ يُلْهِيهِمْ عَنْ أَنْ يُؤَدُّوا الصَّلَاةَ فِي وَقْتِهَا ، لِأَنَّهُمْ يَخَافُونَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ الَّذِي تَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَعِ وَعِظَمِ
الْهَوْلِ .

(٣٨) - وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى حَسَنَاتِهِمْ ، وَيَجَاوِزُ عَنْ
سَيِّئَاتِهِمْ ، فَيَضَاعِفُ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) ، وَهُوَ تَعَالَى
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَيُدُونُ تَحْدِيدٍ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ - بَلَا نِهَآيَةٍ لِمَا يُعْطِي ، أَوْ يَتَوَسَّعُ .

(أَعْمَالُهُمْ) (الظَّمَانُ) (فَوْقَاهُ)

(٣٩) - وَيَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَعْمَلُهَا الَّذِينَ
كَفَرُوا بِاللَّهِ ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ ، وَجَحَدُوا كُتُبَهُ ، وَهُمْ يَطْنُونَ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ
تَنْفَعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَتُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، ثُمَّ تَخِيْبُ فِي النُّتِيْجَةِ
أَمَالَهُمْ ، وَتَجِدُونَ خِلَافَ مَا قَدَّرُوا . فَيُشَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ
بِالسَّرَابِ الَّذِي يَرَاهُ الظَّمْآنُ فِي الْقِيَعَانِ مِنَ الْأَرْضِ وَكَأَنَّهُ بَحْرٌ طَامٌ ،
مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا رَأَى السَّرَابَ مَنْ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْمَاءِ
حَسِبَهُ مَاءً فَقَصَدَهُ لِيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا . فَكَذَلِكَ الْكَافِرُ
يَحْسِبُ أَنَّهُ قَدْ عَمِلَ عَمَلًا يَنْفَعُهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ شَيْئًا فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا
يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَإِذَا جَاءَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَحَاسَبَهُ رَبُّهُ ،
وَنَاقَشَهُ فِي أَعْمَالِهِ لَمْ يَجِدْ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْعَمَلِ مَقْبُولًا يَنْتَفِعُ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ
فَيُوقِيهِ اللَّهُ حِسَابَهُ ، وَهُوَ الْعِقَابُ الَّذِي تَوَعَّدَ اللَّهُ بِهِ الْكَافِرِينَ . وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ لَا يُبْطِئُ وَلَا يُخْطِئُ .

السَّرَابُ - شُعَاعٌ يَرَى ظَهْرًا فِي الْبَرِّ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ كَالْمَاءِ السَّارِبِ .
الْقِيَعَةُ - الْأَرْضُ الْمُنْبَسِطَةُ وَفِيهَا يَظْهَرُ السَّرَابُ .

٣٧ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِجْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ

ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِنَّآ
الزَّكَاةَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ
الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ

٣٨ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

٣٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ

يَقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى
إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ
اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ
وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ

(كُظِّلِمَاتٍ) (يَغْشَاهُ) (ظُلُمَاتٍ) (يَرَاهَا)

(٤٠) - وَيَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا آخَرَ يُشَبِّهُ بِهِ أَعْمَالَ الْكَافِرِينَ الصَّالِحَةِ، فَيَقُولُ إِنَّهَا تُشَبِّهُ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ الْعَمِيقِ الْوَاسِعِ، الَّذِي تَتَلَاظِمُ أَمْوَاجُهُ عِنْدَ هَيَاجِهِ، وَيَعْلُو بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَيُعْطِيهَا سَحَابٌ كَثِيفٌ قَاتِمٌ يَحْجُبُ النُّورَ عَنْهَا، فَهَذِهِ ظُلُمَاتٌ مُتَرَاكِمَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ رَاكِبُ الْبَحْرِ مَعَهَا أَنْ يَرَى يَدَهُ إِذَا أَخْرَجَهَا لِشِدَّةِ الظُّلْمَةِ. وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذِهِ الْخَيْرَةِ مِنْ غَيْرِ نُورٍ يَهْدِيهِ فِي مَسِيرَتِهِ.

كَذَلِكَ الْكَافِرُونَ لَا يَفِيدُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْ عَمَلَاتِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، إِلَّا بِنُورِ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ، وَإِلَى الْخَيْرِ، فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَهْدِيهِ. وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَلَيْسَ لَهُ مِنْ نُورٍ.

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا بِالظُّلُمَاتِ أَعْمَالَ الْكَافِرِينَ، وَبِالْبَحْرِ اللَّجِّيِّ قُلُوبُهُمُ الَّتِي غَمَرَهَا الْجَهْلُ، وَتَغَشَّتْهَا الْخَيْرَةُ وَالضَّلَالَةُ، فَبِهَا لَا تَعْقِلُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ آيَاتٍ وَحُجَجٍ وَعِظَاتٍ فَبِئْسَ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ).

بَحْرٌ لُجِّيٌّ - عَمِيقٌ كَثِيرُ الْمَاءِ.

يَغْشَاهُ - يَعْלוهُ وَيُعْطِيهِ.

سَحَابٌ - غَيْمٌ يَحْجُبُ نُورَ السَّمَاءِ.

(السَّمَاوَاتِ) (صَافَاتٍ)

(٤١) - أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ (وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ)، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْبَشَرِ وَالْدَّوَابِّ وَالْجَمَادِ وَالنَّبَاتِ، وَتُسَبِّحُ لَهُ الطَّيْرُ فِي حَالِ طَيْرَانِهَا فِي أَجْوَاءِ الْفَضَاءِ (صَافَاتٍ)، وَتَعْبُدُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُهُ، وَقَدْ أَرَشَدَ اللَّهُ كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى طَرِيقَتِهِ وَمَسْلَكِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ ذَلِكَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، فَكَيْفَ يَكْفُرُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْجَا حِدُونَ؟

صَافَاتٍ - بِاسِطَاتٍ أُنْجِنَتْهَا فِي الْهَوَاءِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٤٢) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُوَ الْحَاكِمُ وَالْإِلَهُ الْمَعْبُودُ، الَّذِي لَا تُنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا مُعَقَّبٌ لِحُكْمِهِ، وَإِلَيْهِ يَصِيرُ النَّاسُ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَيَجْزِيَهُمْ عَلَيْهَا.

٤٠ أَوْ كُظِّلِمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ

مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ

سَحَابٌ ظُلِمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ

بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ

يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا

لَهُ مِنْ نُورٍ

٤١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ

صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ

وَتُسَبِّحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ

٤٢ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ

(خِلَالِهِ) (بِالْأَبْصَارِ)

(٤٣) - أَلَمْ تَرَ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ كَيْفَ يَسُوقُ اللَّهُ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ السَّحَابَ بِالرَّيْحِ أَوَّلَ مَا يَنْشِئُهُ (وَهُوَ الْإِزْجَاءُ)، ثُمَّ يَجْمَعُهُ وَيَضْمُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ بَعْدَ تَفَرُّقِهِ (وَهُوَ التَّالِيفُ)، ثُمَّ يَجْعَلُهُ مُتْرَاكِمًا يَرْكُبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَإِذَا أَثْقَلَ خَرَجَ الْمَطَرُ (الْوَدْقُ) مِنْ خِلَالِهِ، وَيَكُونُ السَّحَابُ فِي هَيْئَةِ الْجِبَالِ الضَّخْمَةِ الْكَثِيفَةِ فِيهَا قِطْعُ الْبَرَدِ وَالتَّلْجِ الصَّغِيرَةِ، ثُمَّ وَفَى نِظَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، يُوجِّهُ اللَّهُ السَّحَابَ إِلَى الْأَمَاكِينِ الَّتِي يُرِيدُ لِيُفْرِغَ مَا فِيهِ مِنْ مَاءٍ وَبَرَدٍ وَتَلْجٍ، فَيَصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيَخْرِجُ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ الْبَرَقَ الَّذِي تَكَادُ قُوَّةُ بَرِيقِهِ تَخْطِفُ الْأَبْصَارَ، وَتَذْهَبُ بِهَا. وَهَذِهِ الظُّوَاهِرُ دَلَالَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْمُوجِبَةِ لِلْإِيمَانِ بِهِ.

الْوَدْقُ - مَاءُ الْمَطَرِ.

يُزْجِي سَحَابًا - يَسُوقُهُ بِرَفْقٍ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ.

يَجْعَلُهُ رُكَامًا - مُجْتَمِعًا يَرْكُبُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

سَنَا بَرَقَهُ - ضَوْءَ بَرَقِهِ وَلَمَعَانَهُ.

(اللَّيْلِ) (بِالْأَبْصَارِ)

(٤٤) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَصَرَّفُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَيَاخُذُ مِنْ طُولِ هَذَا لِيُضَيِّفَ فِي قِصَرِ هَذَا حَتَّى يَغْتَدِلَا، ثُمَّ يَتَابَعُ هَذَا التَّنَاوُبُ؛ فَهُوَ تَعَالَى الْمُتَصَرِّفُ بِذَلِكَ بِأَمْرِهِ وَقَهْرِهِ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ تَجْعَلُ ذَوِي الْأَبْصَارِ وَالْعُقُولِ الْمُدْرِكَةِ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

(٤٥) - يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِقُدْرَتِهِ التَّامَّةِ، وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ فِي خَلْقِهِ الْمَخْلُوقَاتِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَحَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا، مِنْ مَاءٍ جَعَلَهُ أَسَاسًا فِي تَرْكِيبِ أَجْسَامِ الْمَخْلُوقَاتِ ثُمَّ خَالَفَ بَيْنَهَا فِي الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالِاسْتِعْدَادَاتِ فَمِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ، مَنْ يَمْشِي رَحْفًا عَلَى بَطْنِهِ كَالْحَيَّاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ كَالْإِنْسَانِ وَالطُّيُورِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ كَالْأَنْعَامِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَخْلُقُ بِقُدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ، لِيَكُونَ خَلْقُهُ دَلِيلًا عَلَى قُدْرَتِهِ. وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَبَدًا.

(٤٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ

بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى

الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ

مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ

فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ

عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرَقِهِ

يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ

(٤٤) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ

(٤٥) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ

مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ

يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي

عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(آيَاتِ) (مُبَيِّنَاتِ) (صِرَاطِ)

(٤٦) - وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ وَاصْخَاتِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالرُّشَادِ، وَلَكِنْ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَى فَهْمِهَا إِلَّا مَنْ أُوتِيَ فَهْمًا سَلِيمًا وَبَصِيرَةً نَبِيَّةً، وَاللَّهُ يُرْشِدُ مَنْ يَشَاءُ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَرِيبِ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ، طَرِيقِ الْهُدَى وَالرُّشَادِ.

(أَمَنَّا) (أَوْلَيْكَ)

(٤٧) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُتَافِقِينَ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ خِلَافَ مَا يُبَيِّنُونَ، فَيَقُولُونَ بِالسَّيِّئِ: أَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ، وَأَطَعْنَا أَمْرَهُمَا، ثُمَّ تُخَالِفُ أَعْمَالُهُمْ أَقْوَالَهُمْ فَيَفْعَلُونَ خِلَافَ مَا يَقُولُونَ، لِذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى عَنْهُمْ: إِنَّ أَوْلَيْكَ لَيَسُوا بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الشَّابِتِينَ عَلَى الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ.

(٤٨) - وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلَاءِ الْمُتَافِقُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ فِيمَا ائْتَفَقُوا فِيهِ، بِمُقْتَضَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ شَرْعٍ، طَهَّرَ نِقَاطَهُمْ، وَأَعْرَضُوا عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ عَنْ اتِّبَاعِهِ، فَإِذَا كَانَتْ الْحُكُومَةُ عَلَيْهِمْ أَعْرَضُوا وَدَعَا إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَاحْبُوا أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ لِيُرْجَ بَاطِلُهُمْ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ.

(٤٩) - وَإِذَا كَانَتْ الْحُكُومَةُ لَهُمْ، لَا عَلَيْهِمْ، جَاؤُوا سَامِعِينَ مُطِيعِينَ (مُذْعِنِينَ)، وَلَكِنْ إِذْغَانَهُمْ هَذَا لَمْ يَكُنْ عَنِ اعْتِقَادٍ مِنْهُمْ أَنَّ حُكْمَهُ هُوَ الْحَقُّ بَلْ لِأَنَّهُ مُوَافِقٌ لَأَهْوَائِهِمْ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ إِذَا خَالَفَ الْحَقَّ قَضَدَهُمْ عَدَلُوا عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. مُذْعِنِينَ - مُتَقَادِينَ مُطِيعِينَ.

(أَوْلَيْكَ) (الظَّالِمُونَ)

(٥٠) - وَلَا يَخْرُجُ سَبَبٌ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الِاخْتِكَامِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْ ثَلَاثَةٍ. - إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضُ الْكُفْرِ وَالنَّفَاقِ. - إِمَّا أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ أَنَّهُمْ ارْتَابُوا أَوْ شَكُّوا فِي بُرْهَانِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤٦ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

٤٧ وَيَقُولُونَ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ

وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ

٤٨ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكَمَ

بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ

٤٩ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ

مُذْعِنِينَ

٥٠ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ

يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ

- وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ أَنَّهُمْ خَافُوا أَنْ يَجُورَ عَلَيْهِمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي الْحُكْمِ .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْدِلُوا عَنْ الْإِحْتِكَامِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَّا لِأَنَّهُمْ مَرَضَى الْقُلُوبَ بِالْكَفْرِ وَالنَّفَاقِ، وَلِأَنَّهُمْ طَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ الَّذِي يَقْضِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالرِّضَا بِحُكْمِ اللَّهِ، وَحُكْمِ رَسُولِهِ فِيمَا أَحَبُّوا، وَفِيمَا كَرَهُوا، وَالتَّسْلِيمِ لِقَضَائِهِ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (١) .
أَنْ يَحِيفَ - أَنْ يَجُورَ .

(أُولَئِكَ)

(٥١) - أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ فَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: سَمِعْنَا وَطَاعَةَ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ، هُمُ الْمُفْلِحُونَ، لِأَنَّهُمْ يَنَالُونَ مَا يَطْلُبُونَ، وَيَسْلَمُونَ مِمَّا يَرْهَبُونَ .

(فَالْغَافِرُونَ)

(٥٢) - وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَا بِهِ، وَيَنْتَهَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَمَنْ يَخْشَى اللَّهَ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَيَتَّقِيهِ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ وَالْأَعْمَالِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْغَافِرُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَالْآمِنُونَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

(أَيْمَانِهِمْ)

(٥٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّفَاقِ، الَّذِينَ كَانُوا يَخْلِفُونَ لِلرُّسُولِ ﷺ عَلَى أَنَّهُ إِذَا أَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى الْغَزَاةِ لِيُخْرِجَنَّ مَعَهُ مُطِيعِينَ مُمْتَلِينَ. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ قُلْ لَهُمْ: لَا تُقْسِمُوا، وَلَا تَخْلِفُوا فِطَاعَتَكُمْ مَعْرُوفَةً، فِيهِ قَوْلٌ لَا فِعْلَ، وَكُلَّمَا خَلَفْتُمْ كَذَبْتُمْ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِكُمْ، وَيَمَنْ يُطِيعُ، وَيَمَنْ يَعْصِي، فَالْحَلْفُ وَإِظْهَارُ الطَّاعَةِ إِذَا رَاجَا عَلَى الْمَخْلُوقِ، فَلَا يَرُوجَانِ عَلَى الْخَالِقِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الضَّمَائِرِ، وَإِنْ أَظْهَرَ الْعِبَادُ خِلَافَ مَا يُضْمَرُونَ .

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ - مُجْتَهِدِينَ فِي الْحَلْفِ بِأَعْلَظِ الْأَيْمَانِ .

طَاعَةً مَعْرُوفَةً - طَاعَتَكُمْ طَاعَةً مَعْرُوفَةً بِاللِّسَانِ .

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥ .

٥١ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ
هُمْ الْمُقْلِحُونَ

٥٢ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ

اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِرُونَ



تَقَاتُ
الْحَرْبِ
٣٦

٥٣ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ

أَيْمَانِهِمْ لَنْ أَمُرَهُمْ لِيُخْرِجَنَّ قُلْ
لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

(الْبَلَاغُ)

(٥٤) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَطِيعُوا اللَّهَ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ طَاعَةً صَادِقَةً، وَاتَّبِعُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ، فَبِئْسَ أَتَابِعُهُمَا الْهَدْيَانِ وَالرُّشَادُ، أَمَا إِذَا تَوَلَّيْتُمْ وَأَعْرَضْتُمْ وَتَرَكْتُمْ مَا جَاءَكُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلَى الرَّسُولِ إِبْلَاجُ الرِّسَالَةِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ (عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ)، فَهِيَ مَا حَمَلَهُ اللَّهُ، أَمَا أَنْتُمْ فَقَدْ حُمِّلْتُمْ قَبُولَ ذَلِكَ، وَالْإِيمَانَ بِهِ وَتَعْظِيمَهُ، وَالْقِيَامَ بِمُقْتَضَاهُ. وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَبْلُغُوا الْهَدْيَانَةَ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالرَّسُولُ مُكَلِّفٌ يَدْعُو تَكْمُلَ وَإِبْلَاجَكُمْ.

مَا حُمِّلَ - مَا أُمِرَ بِهِ مِنَ التَّبْلِيغِ .
مَا حُمِّلْتُمْ - مَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْإِقْيَادِ .

(أَمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (فَأُولَئِكَ) (الْفَاسِقُونَ)

(٥٥) - هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ مِنْ أُمَّتِهِ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ، وَأُيُومَةً لِلنَّاسِ، وَأَنَّهُ سَيُبَدِّلُهُمْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ مِنَ النَّاسِ أَمْنًا وَحُكْمًا فِيهِمْ. وَقَدْ أَمَضَى الْمُسْلِمُونَ عَشْرَ سِنِينَ فِي مَكَّةَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا، وَهُمْ خَائِفُونَ لَا يَوْمِرُونَ بِالْقِتَالِ، حَتَّى أَمَرُوا بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَمَرُوا بِالْقِتَالِ، فَكَانُوا خَائِفِينَ يُمَسُونَ بِالسَّلَاحِ، وَيُضْبِحُونَ بِالسَّلَاحِ، فَصَبَرُوا عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَدَ الدَّهْرُ نَحْنُ خَائِفُونَ هَكَذَا؟ مَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمَ نَأْمَنُ فِيهِ، وَنَضْعُ السَّلَاحَ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: لَنْ تَصْبِرُوا إِلَّا بِسِرٍّ حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِيًّا لَيْسَتْ فِيهِ حَدِيدَةٌ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ سَيَسْتَخْلِفُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَرْضِ، كَمَا اسْتَخْلَفَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَسَيَكُونُ لَهُمْ الْأَمْرُ. وَحَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمَنْ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَجَحَدَ نَعْمَةً عَلَيْهِ، فَقَدْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ وَكَفَى بِذَلِكَ ذَنْبًا عَظِيمًا.

(الصَّلَاةِ) (الرَّكَاتِ)

(٥٦) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِتْمَامِهَا بِخُشُوعٍ وَحُضُورٍ قَلْبٍ، وَبِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِإِتْيَانِ الرَّكَاتِ (وَهِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الضُّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ) كَمَا يَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يُطِيعُوا فِي ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ فِيَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَأَنْ يَتْرَكُوا مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَهُمْ بِذَلِكَ.

٥٤ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ
تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

٥٥ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

الَّذِينَ لَيْسَتْ خُلَفَاءُ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ
لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

٥٦ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ

(مَأْوَاهُمْ)

(٥٧) - وَلَا تَنْظُنْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَخَالَفُوكَ، وَكَذَّبُوكَ، أَنَّهُمْ سَيُعْجِزُونَ اللَّهَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ فِي الْأَرْضِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَسَيَجْعَلُ جَهَنَّمَ مَأْوَاهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَسَاءَتِ النَّارُ مُسْتَقَرًّا وَمَصِيرًا.
مُعْجِزِينَ - فَاتَّبِعِينَ مِنْ عَذَابِنَا بِالْهَرَبِ.

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمْ النَّارُ وَلَيْسَ
الْمَصِيرُ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (لِيَسْتَأْذِنَكُمْ) (أَيْمَانُكُمْ) (ثَلَاثَ) (مَرَّاتٍ)
(صَلَاةٍ) (ثَلَاثَ) (عَوْرَاتٍ) (طَوَافُونَ) (الآيَاتِ)

(٥٨) - هَذِهِ الْآيَةُ تَشْمَلُ آدَابَ الْأَسْتِذَانِ بَيْنَ الْأَقْرَابِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، بِأَنْ يَسْتَأْذِنَهُمْ خَدَمُهُمْ (الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) وَأَطْفَالُهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَلْعَوْا الْحِلْمَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ.

- قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِذْ يَكُونُ النَّاسُ نِيَامًا فِي فُرُشِهِمْ.
- وَوَقْتَ الْقِيلُولَةِ بَعْدَ الظَّهِيرَةِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَضَعُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَعَ أَهْلِهِ.
- وَوَقْتَ النَّوْمِ (بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ).

فَيُؤْمَرُ الْخَدَمُ وَالْأَطْفَالُ بِأَلَّا يَهْجُمُوا عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ.
وَقَالَ تَعَالَى إِنَّ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ هِيَ عَوْرَاتُ النَّاسِ. أَمَّا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ إِذَا دَخَلُوا لِأَنَّهُمْ فِي خِدْمَةِ الْبَيْتِ يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ آيَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، حَكِيمٌ فِيمَا يَشْرَعُ.
جُنَاحٌ - خَرَجَ فِي الدُّخُولِ بِلَا اسْتِذْنَانٍ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
وَالَّذِينَ لَمْ يَتَلْعَوْا الْحِلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ
تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ
عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَافُونَ
عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(الْأَطْفَالُ) (فَلْيَسْتَأْذِنُوا) (اسْتِذْنَانٍ) (آيَاتِهِ)

(٥٩) - فَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ الدِّينَ كَانُوا يَسْتَأْذِنُونَ فِي الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ مَبْلَغَ الرِّجَالِ (الْحِلْمَ)، وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ كَمَا يَسْتَأْذِنُ مَنْ سَقُومُهُ فِي الْبُلُوغِ، مِنْ وَلَدِ الرَّجُلِ وَأَقَارِبِهِ. وَكَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مَا ذَكَرَ غَايَةَ الْبَيَانِ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا فِيهِ سَعَادَتُكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتُكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ خَلْقِهِ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَقَدَرِهِ.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحِلْمَ
فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(الْقَوَاعِدُ) (اللَّاتِي) (مُتَبَرِّجَاتٍ)

(٦٠) - وَالنِّسَاءُ الطَّاعِنَاتُ فِي السِّنِّ اللَّاتِي يَشْنَ مِنَ الْوَلَدِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُنَّ تَطْلُعُ إِلَى التَّزْوُجِ، فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ مَا عَلَى غَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ فِي الْحَجْرِ وَالتَّسْتُرِ، وَلَا حَرَجٌ عَلَيْهِنَّ فِي أَنْ يَخْلَعْنَ ثِيَابَهُنَّ الْخَارِجِيَّةَ عَلَى أَنْ لَا تَتَكَشَّفَ عَوْرَاتُهُنَّ، وَلَا يَتَكَشَّفَنَّ عَنْ زِينَةٍ، وَخَيْرٌ لَهُنَّ أَنْ يَتَّقِينَ كَاسِيَاتِ بَشَائِبَهُنَّ الْخَارِجِيَّةِ الْفَضْفَاضَةَ. وَاسْمُ تَعَالَى مِنْهُنَّ ذَلِكَ اسْتِعْفَافًا، أَيْ يَفْعَلْنَهُ طَلَبًا لِلْعِفَّةِ، وَإِثَارًا لَهَا لِمَا بَيْنَ التَّبَرُّجِ وَالْفِتْنَةِ مِنْ صِلَةٍ، وَبَيْنَ التَّحَجُّبِ وَالتَّسْتُرِ وَالْعِفَّةِ مِنْ صِلَةٍ، وَخَيْرٌ سَبِيلٌ إِلَى الْعِفَّةِ تَقْلِيلُ فُرُصِ الْغَوَايَةِ، وَالْحِيلُولَةُ بَيْنَ أَسْبَابِ الْإِثَارَةِ وَبَيْنَ الْفُوسِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْمَعُ مَا يَقُولُهُ اللِّسَانُ، وَيَطْلُعُ عَلَى مَا يُوسُوسُ فِي الْجَنَانِ وَيُجَازِي عَلَى ذَلِكَ. وَالْأَمْرُ كُلُّهُ أَمْرٌ نَبِيٌّ وَحَسَابِيٌّ فِي الضَّمِيرِ.

الْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ - الْعَاجِزُ اللَّوَاتِي قَعَدْنَ عَنِ الْحَيْضِ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ - مُظْهَرَاتٍ لِلزَّيْنَةِ الْخَفِيَّةِ.

(أَبَائِكُمْ) (أُمَّهَاتِكُمْ) (إِخْوَانِكُمْ) (أَخَوَاتِكُمْ) (أَعْمَامِكُمْ)
(عَمَّاتِكُمْ) (أَخَوَالِكُمْ) (خَالَاتِكُمْ) (مُبَارَكَةٌ) (الآيَات)

(٦١) - اختلفَ الْمُفَسِّرُونَ حَوْلَ مَوْضُوعِ الْحَرَجِ الَّذِي رُفِعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنِ الْأَعْمَى وَالْأَعْرَجِ وَالْمَرِيضِ :

- فَقِيلَ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْجِهَادِ، وَإِنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَى هَؤُلَاءِ فِي تَرْكِهِ لِضَعْفِهِمْ وَعَجْزِهِمْ.

- وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ مِنَ الْأَكْلِ مَعَ الْأَعْمَى لِأَنَّهُ لَا يَرَى الطَّعَامَ، وَمَا فِيهِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، فَرُبَّمَا سَبَقَهُ غَيْرُهُ إِلَى ذَلِكَ، كَمَا كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ مَعَ الْأَعْرَجِ لِأَنَّهُ لَا يَتِمَكَّنُ مِنَ الْجُلُوسِ فَيَنْتَأَتِ عَلَيْهِ جَلِيسُهُ. كَمَا قِيلَ إِنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِالْمَرِيضِ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَوْفِي مِنَ الطَّعَامِ كَغَيْرِهِ، فَكَرِهُوا أَنْ يُوَاكِلُوهُمْ لِئَلَّا يَظْلَمُوهُمْ.

- وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ يَتَحَرَّجُونَ مِنَ الْأَكْلِ مَعَ هَؤُلَاءِ تَقَدُّرًا وَتَعَزُّزًا، لِئَلَّا يَتَقَفَّضُوا عَلَيْهِمْ.

- وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الرُّجُلَ كَانَ يَدْخُلُ بَيْتَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ فَتَتَحَفَّهُ الْمَرْأَةُ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ فَلَا يَأْكُلُ لِأَنَّ رَبَّ الْبَيْتِ غَيْرُ حَاضِرٍ.

وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ تَعَالَى الْأَبْنَاءَ لِأَنَّ بَيْتَ الْإِبْنِ بِمَنْزِلَةِ بَيْتِ الْأَبِ نَفْسِهِ وَمَالَ الْإِبْنِ فِي مَنْزِلَةِ مَالِ الْأَبِ.

٦٠ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي

لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ
عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ
ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ
بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ
لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

٦١ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى

الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ
تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا
مَلَكَتُمْ مَفَاحِحُهُ
أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ

يُوتَا فَلَاسِلْمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةً
طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

- وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ هَذِهِ الْبُيُوتِ دُونَ اسْتِثْنَائِهِ، وَيَسْتَصْحِبُونَ الْعُمَى وَالْعَرَجَ وَالْمَرْضَى مِنَ الْفُقَرَاءِ لِيُطْعِمُوهُمْ، وَبَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ الْآيَةُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (١) تَحَرَّجَ النَّاسُ أَنْ يُطْعِمُوا، وَتَحَرَّجَ الْعُمَى وَالْمَرْضَى أَنْ يَصْحَبُوهُمْ دُونَ دَعْوَةٍ مِنْ أَصْحَابِ الْبُيُوتِ أَوْ إِذْنٍ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ لِيَرْفَعَ الْحَرَجَ عَنِ الْأَعْمَى وَالْعَرَجِ وَالْقَرِيبِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ بَيْتِ قَرِيبِهِ، وَأَنْ يَصْحَبَ هَؤُلَاءِ الْمُحْتَاجِينَ تَأْسِيساً عَلَى أَنْ صَاحِبَ الْبَيْتِ لَا يَكْرَهُ هَذَا، وَلَا يَتَضَرَّرُ بِهِ.

وَكَانَ مِنْ عَادَةِ بَعْضِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ لَا يَأْكُلَ الطَّعَامَ عَلَى انْفِرَادٍ، فَكَانَ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَنْ يُؤَاكِلُهُ عَافَ الطَّعَامَ، فَرَفَعَ اللَّهُ هَذَا الْحَرَجَ الْمُتَكَلَّفَ وَرَدَّ الْأَمْرَ إِلَى بَسَاطَتِهِ، دُونَ تَعْقِيدِهِ. وَقَالَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا أَفْرَاداً أَوْ جَمَاعَاتٍ (جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً).

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى آدَابَ دُخُولِ الْبُيُوتِ الَّتِي يُؤْكَلُ فِيهَا، فَيَسَلِّمُ الْإِنْسَانُ عَلَى قَرِيبِهِ أَوْ صَدِيقِهِ، وَهُوَ كَأَنَّمَا يُسَلِّمُ عَلَى نَفْسِهِ، ﴿فَلَاسِلْمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، وَالتَّحِيَّةُ الَّتِي يُلْقِيهَا عَلَيْهِمْ هِيَ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِلنَّاسِ آيَاتِهِ وَحِكْمَهُ لَعَلَّهُمْ يَذَرُكُونَ الْمَنَهِجَ الْإِلَهِيَّ، وَلَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ مَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ.

(آمَنُوا) (يَسْتَأْذِنُوهُ) (يَسْتَأْذِنُونَكَ) (أُولَئِكَ) (أَسْتَأْذِنُوكَ)

(٦٢) - وَهَذَا يُؤَدِّبُ اللَّهُ النَّاسَ، فَكَمَا أَمَرَهُمُ بِالْإِسْتِثْنَاءِ عِنْدَ الدُّخُولِ، كَذَلِكَ أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْأَذْنِ يَقْرَأُوا عَنِ النَّبِيِّ إِلَّا بَعْدَ اسْتِثْنَائِهِ وَمُشَاوَرَتِهِ، وَلِلرُّسُولِ ﷺ أَنْ يَأْذَنَ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ.

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: لَمَّا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشُ وَالْأَحْزَابُ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، أَمَرَ الرُّسُولُ ﷺ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ الْمَدِينَةِ، وَأَخَذَ يَعْمَلُ بِنَفْسِهِ تَرْغِيباً لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ، فَعَمِلَ الْمُسْلِمُونَ، وَأَبْطَأَ رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَخَذُوا يَقُومُونَ بِالضَّعِيفِ مِنَ الْعَمَلِ وَيَسْتَسْلِلُونَ بِغَيْرِ إِذْنِ الرُّسُولِ ﷺ. وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَأْذِنُونَ الرُّسُولَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُهُمْ حَاجَتَهُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ، رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَالْأَجْرِ، وَاحْتِسَاباً لَهُ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً.

أَمْرٍ جَامِعٍ - أَمْرٍ مِنْهُمْ يَجِبُ اجْتِمَاعُهُمْ لَهُ.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى
أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى
يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ
شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(٦٣) - كَانَ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُنَادِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَا مُحَمَّدُ، أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ... فَهَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ تَعْظِيمًا لِقَدْرِ الرَّسُولِ وَتَبْجِيلًا، فَقَالَ قُولُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَيَا رَسُولَ اللَّهِ. وَيُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ وَيَذْهَبُونَ بِدُونِ إِذْنٍ. يَلُودُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَيَتَدَارَى بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِكَيْلًا يَرَاهُمُ الرَّسُولُ، فَعَيْنُ اللَّهِ تَرَاهُمْ وَإِنْ لَمْ تَرَهُمْ عَيْنُ الرَّسُولِ. وَيُصَوِّرُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ هَؤُلَاءِ وَهُمْ يَتَسَلَّلُونَ بِحَذَرٍ مِنْ مَجْلِسِ الرَّسُولِ، مِمَّا يُمَثِّلُ جُنْهُهُمْ عَنِ الْمُوَاجَهَةِ وَطَلَبِ الْإِذْنِ. وَيَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَيَتَّبِعُونَ نَهْجًا غَيْرَ نَهْجِهِ، وَيَتَسَلَّلُونَ مِنَ الصَّفِّ ابْتِغَاءَ مَنْفَعَةٍ، أَوْ اتِّقَاءَ ضَرَرٍ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ تَخْتَلُ فِيهَا الْمَوَازِينُ، وَيَضْطَرِبُ فِيهَا النِّظَامُ، فَيَخْتَلِطُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَتَفْسُدُ أُمُورُ الْجَمَاعَةِ وَحَيَاتُهَا، أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابُ الْبِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

دُعَاءُ الرَّسُولِ - دَعَوْتُهُ لَكُمْ لِلْاجْتِمَاعِ، أَوْ نِدَاءُكُمْ لَهُ. يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ - يَخْرُجُونَ مِنْهُ تَدْرِيجًا فِي خَفِيَّةٍ. لَوْأَدَّ - يَسْتَرُّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِي الْخُرُوجِ. يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ - يُعْرِضُونَ أَوْ يَصُدُّونَ عَنْهُ. فِتْنَةٌ - بَلَاءٌ وَمِحْنَةٌ فِي الدُّنْيَا.

(السَّمَاوَاتِ)

(٦٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ، فِي سِرِّهِمْ وَجَهْرِهِمْ، وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَمُشَاهِدٌ لَهُ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَيَوْمَ يَرْجِعُ الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْبِرُهُمْ بِجَمِيعِ مَا فَعَلُوهُ فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا.

٦٣ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ
بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَوْأَدَّ فَلْيَحْذَرِ
الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ
تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ

٦٤ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ
عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ
فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ

(٢٥) سُورَةُ الْفِرْقَانِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأَ نَهَا سَمِعَ وَشَبَّعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((لِلْعَالَمِينَ))

(١) - يَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ، وَيُبَارِكُهَا عَلَى إِنْزَالِهِ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ فُرْقَانًا، يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَنْزَلَهُ تَعَالَى مُنْجِمًا شَيْئًا فَشَيْئًا، حَسَبَ مُقْتَضِيَاتِ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَاتِ لِيَكُونَ نَذِيرًا لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ (الْعَالَمِينَ) مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ إِذَا اسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ.

تَبَارَكَ - تَعَالَى وَتَمَجَّدَ، أَوْ تَكَاثَّرَ خَيْرُهُ.

الْفُرْقَانُ - الْقُرْآنُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

((السَّمَاوَاتِ))

(٢) - وَاللَّهُ تَعَالَى الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ، لِيَكُونَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، لَهُ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَيْسَ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، تَعَالَى وَتَنَزَّهَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ وَبَارِئُهُ، وَهُوَ مُلْكُهُ وَإِلَهُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَقَدْ أَوْجَدَ كُلَّ شَيْءٍ بِحَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ إِرَادَتُهُ الْمُبِينَةُ عَلَى الْحِكْمِ الْبَالِغَةِ، وَهِيَاهُ لِمَا أَرَادَهُ لَهُ مِنْ الْخَصَائِصِ وَالْأَفْعَالِ اللَّائِقَةِ بِهِ.

((إِلَهَةٍ)) (حَيَاةٌ)

(٣) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ جَهْلِ الْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِ آلِهَةٍ عَبْدُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ الْخَالِقِ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْمَالِكِ لِأَزْمَةِ الْأُمُورِ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ عَبْدُوا مَعَهُ أَصْنَامًا لَا تَقْدِرُ أَنْ تَخْلُقَ بَعُوضَةً، وَلَا تَمْلِكَ لِنَفْسِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَكَيْفَ تَمْلِكُ مِثْلَ ذَلِكَ لِمَنْ يَعْبُدُونَهَا؟ وَلَا تَمْلِكُ هَذِهِ الْأَصْنَامُ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً، وَلَا تَمْلِكُ



تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ

عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ

شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً

لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا

وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا

وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا

نُشُوراً. وَالَّذِي يَمْلِكُ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيءُ،
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيَبْعَثُ الْخَلَائِقَ وَيَنْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ مَلَكَ
ذَلِكَ كَانَ هُوَ الْأَحَقُّ بِالْعِبَادَةِ.
نُشُوراً - بَعَثًا بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْآخِرَةِ.

(اِفْتَرَاهُ) (آخِرُونَ) (جَاؤُوا)

(٤) - وَيَقُولُ الْكَافِرُونَ الْجَهْلَةُ اسْتَكْنَاراً وَعِنَاداً، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي
جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، إِنَّ هُوَ إِلَّا كَذِبٌ تَقَوْلُهُ مُحَمَّدٌ وَنَسَبَهُ إِلَى رَبِّهِ (إِفْكَ
اِفْتَرَاهُ)، وَاسْتَعَانَ عَلَى جَمْعِهِ وَوَضَعِهِ بِآخِرِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (وَالَّذِي
قَالَ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ أَبُو جَهْلٍ)، وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا
الْقَوْلِ هُمْ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ الْكَذِبَ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا يَقُولُونَهُ بَاطِلٌ،
وَيَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا زَعَمُوهُ.
إِفْكَ - كَذِبٌ.

الافتراء - الاختلاق والاختراع.
الزور - الكذب العظيم الذي لا تبلغ غايته.

(أَسَاطِيرُ)

(٥) - وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ أَيْضاً: إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، إِنَّ هُوَ
إِلَّا قِصَصُ الْأَوَّلِينَ (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) وَكُتِبَتْهُمْ اسْتَنْسَخَهَا مُحَمَّدٌ
(اَكْتَتَبَهَا)، فَهِيَ تَقْرَأُ عَلَيْهِ صَبَاحاً وَمَسَاءً (تُمْلَى عَلَيْهِ) خَفِيَّةً، لِيَحْفَظَهَا
غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، فَلَا يَقِفُ النَّاسُ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ. وَهَذَا دَبِيلٌ عَلَى
سُخْفِ عُقُولِهِمْ، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ
طَوَالِ حَيَاتِهِ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، فَمَا كَانَ
لِيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَيَدَّعِ الْكُذِبَ عَلَى النَّاسِ - كَمَا قَالَ هِرْقْلُ لِأَبِي
سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ - .

أساطير الأولين - قصص الأولين المسطورة في كتبهم
بُكْرَةً وَأَصِيلًا - أَوَّلُ النَّهَارِ وَآخِرُهُ - أَيْ دَائِمًا.

(السَّمَاوَاتِ)

(٦) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ هُوَ اللَّهُ، الَّذِي يَعْلَمُ غَيْبِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَعْلَمُ السَّرَائِرَ، كَمَا يَعْلَمُ الظَّوَاهِرَ، وَهُوَ غَفُورٌ
لِمَنْ اسْتَغْفَرَهُ وَتَابَ إِلَيْهِ، وَهُوَ تَعَالَى يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ عَمَّا
هُمْ فِيهِ، وَيَعِدُّهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ إِنْ تَابُوا وَأَخْلَصُوا فِي تَوْبَتِهِمْ.
يَعْلَمُ السِّرَّ - يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَغِيبُ وَيَخْفَى.

٤ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا
إِفْكَ اِفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا
وَزُورًا

٥ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
اَكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمْلَى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

٦ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

(مَا لِهَذَا)

﴿٧﴾ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ

الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ

لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ

مَعَهُ، نَذِيرًا

﴿٨﴾ أَوْ يُقْلِعَ إِلَيْهِ كَزُورٍ تَكُونُ

لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا

وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن

تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا

(الظَّالِمُونَ)

(٧) - وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُ، إِمْعَانًا فِي عِنَادِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ: إِنْ هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ مِثْلَمَا نَأْكُلُ، وَيَشْرَبُ كَمَا نَشْرَبُ، وَيَتَجَوَّلُ فِي الْأَسْوَاقِ طَلِبًا لِلتَّكْسِبِ وَالتَّجَارَةِ، فَكَيْفَ يُرِيدُنَا أَنْ نُصَدِّقَهُ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ وَهَلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا مِنْ عِنْدِهِ، فَيَكُونُ شَاهِدًا لَهُ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا يَدْعِيهِ؟

(٨) - وَهَلَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ عِلْمٌ عَنْ مَكَانٍ كَثَرِ يُنْفِقُ مِنْهُ، أَوْ يَكُونُ لَهُ بُسْتَانٌ (جَنَّةٌ) يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهِ، وَقَالَ الْكَافِرُونَ، الظَّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ: إِنْ مُحَمَّدًا رَجُلٌ مَسْحُورٌ قَدْ أَثَرَفِيهِ السَّحَرُ فَهُوَ يَهْدِي وَيَخْلِطُ.

وَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحَقِّقَ لِرَسُولِهِ جَمِيعَ مَا سَأَلُوهُ، وَقَالُوا لَهُ عَنْهُ، وَلَكِنْ، لَهُ الْحِكْمَةُ فِي تَرْكِ ذَلِكَ، وَلَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، لِأَنَّهُ إِنْ أَجَابَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ، دَمَرَهُمُ اللَّهُ كَمَا دَمَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.

جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا - بُسْتَانٌ مُثْمَرٌ يَتَعَيْشُ مِنْهُ.
رَجُلًا مَسْحُورًا - رَجُلًا غَلَبَ السَّحَرُ عَلَى عَقْلِهِ.

(الْأَمْثَالُ)

﴿٩﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ

الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

سَبِيلًا

(٩) - فَأَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ تَقُولُوا عَلَيْكَ، وَكَيْفَ جَاءُوا بِمَا يَقْدِفُونَكَ بِهِ، وَتَكْذِبُونَ بِهِ عَلَيْكَ، فَاخْتَرَعُوا لَكَ صِفَاتٍ وَأَحْوَالًا بَعِيدَةً كُلُّ الْبُعْدِ عَنْ صِفَاتِكَ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا (وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ سَاجِرٌ وَمَجْنُونٌ وَشَاعِرٌ وَمُقْتَرِبٌ...) وَكُلُّهَا بَاطِلَةٌ، فَضَلُّوا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَصَارُوا حَائِرِينَ مُتَرَدِّدِينَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَلَا يَدْرُونَ مَا يَقُولُونَ فَيْكَ.

(جَنَّاتٍ) (الْأَنْهَارُ)

﴿١٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ

خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ

قُصُورًا

(١٠) - يَبَارِكُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ، وَيَزَيِّهْهَا عَنْ شِرْكِهِمْ، وَيَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّهُ إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ فِي الدُّنْيَا خَيْرًا مِمَّا يَسْأَلُونَ: جَنَّاتٍ تَجْرِي فِي جَنَابَاتِهَا الْأَنْهَارُ، وَقُصُورًا (وَكُلُّ بَيْتٍ مَبْنِيٍّ بِالْجِبَارَةِ تُسَمِّيهِ قُرَيْشٌ قُصْرًا)، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ أَرَادَ إِعْطَاكَ ذَلِكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

(وَيُرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قِيلَ لَهُ: إِنَّ شَيْئًا أَنْ تُعْطِيَكَ خَزَائِنَ الْأَرْضِ، وَمَقَاتِيحَهَا مَا لَمْ تُعْطِ نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَلَا تُعْطِيَ أَحَدًا بَعْدَكَ، وَلَا يُنْقَضَ ذَلِكَ مِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَجْمَعُوهَا لِي فِي الْآخِرَةِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ).

(١١) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: إِنَّ كُفَارَ قُرَيْشٍ لَمْ يُنْكِرُوا مَا جِئْتُهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَلَمْ يَقُولُوا عَلَيْكَ إِلَّا لَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحِسَابِ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِأَمْرِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَتَعَلَّلُونَ بِهَذِهِ الْمَطَالِبِ لِيَصْرِفُوا النَّاسَ عَنِ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ يُكَذِّبُ بِالسَّاعَةِ، وَالْقِيَامَةِ، وَالْحَشْرِ، وَالْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ، نَارًا أَلِيمَةً شَدِيدَةَ الْأَشْتِعَالِ. السَّعِيرُ - النَّارُ الْعَظِيمَةُ الشَّدِيدَةُ الْأَشْتِعَالِ.

(١٢) - وَإِذَا أَصْبَحَتْ جَهَنَّمُ مِنْهُمْ عَلَى مَرَأَى النَّظَرِ، وَهُمْ فِي الْمَحْشَرِ، بَعِيدُونَ عَنْهَا، سَمِعُوا لَهَا صَوْتًا يُشَبِّهُ صَوْتَ الْمَغِيْظِ الْمُحْتَقِ، لِشِدَّةِ تَوَقُّدِهَا، وَيُشَبِّهُ صَوْتَ الرَّفِيرِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الْحَزِينِ الْمَكْرُوبِ الْمُتَحَسِّرِ. تَغِيْظًا - صَوْتُ غُلِيَانٍ كَصَوْتِ الْمُتَغِيْظِ. زَفِيرًا - صَوْتًا شَدِيدًا كَصَوْتِ الرَّافِرِ.

(١٣) - وَإِذَا الْقُوَا فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مِنْهَا، وَأَيْدِيهِمْ مَجْمُوعَةٌ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ بِالْقَيْودِ وَالْأَغْلَالِ، نَادَوْا هُنَاكَ طَالِبِينَ تَعْجِيلِ هَلَاكِهِمْ لِيَسْتِيرِيحُوا مِنْ هَوْلِ الْعَذَابِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ لَيَسْتَكْرَهُونَ فِي النَّارِ كَمَا يُسْتَكْرَهُ الْوَتْدُ فِي الْحَائِطِ). مَقْرَيْنَ - مَقْرُونَةً أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ بِالْأَغْلَالِ. ثُبُورًا - وَبِلَا وَهْلًا فَقَالُوا وَابْثُورَاهُ.

(١٤) - فَيَقَالُ لَهُمْ تَوْبِخًا وَتَقْرِيعًا: لَا تَطْلُبُوا الْيَوْمَ هَلَاكًا وَاحِدًا بَلْ اطْلُبُوهُ مِرَارًا، فَلَنْ تَجِدُوا لَكُمْ خَلَاصًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ هُوَ إِبْلِيسُ، فَيَضَعُهَا عَلَى حَاجِبِهِ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ؛ وَذَرِيَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهُوَ يُنَادِي وَابْثُورَاهُ. وَيَقُولُونَ يَا ثُبُورَهُمْ، فَيَقَالُ لَهُمْ: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا). (رواهُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ).

١١ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا

١٢ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا

١٣ وَإِذَا الْقَوَا فِي مَكَانٍ ضَيِّقًا مَقْرَيْنَ دَعَوْا هُنَاكَ ثُبُورًا

١٤ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا

(١٥) - قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لَهُؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ: أَهَذَا الَّذِي وَصَفْنَاهُ لَكَ مِنْ حَالِ
الْأَشْقِيَاءِ، الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ، فَتَتَلَقَّاهُمْ بِوَجْهِهِ
عَبُوسٍ وَتَغِيظُ وَزَفِيرٍ، وَيُلْقُونَ فِي أَمَاكِنَ ضَيِّقَةٍ مِنْهَا مُقَرَّنِينَ، لَا
يَسْتَطِيعُونَ حَرَكَاً وَلَا اسْتِنصَاراً مِمَّا هُمْ فِيهِ... أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ
الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ، وَأَعَدَّهَا لَهُمْ لَتَكُونَ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً
عَلَى مَا أَطَاعُوا رَبَّهُمْ فِي الدُّنْيَا؟

(خَالِدِينَ) (يَشَاوُونَ) (مَسْؤُولًا)

(١٦) - وَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْمَأْكَلِ، وَالْمَشَارِبِ،
وَالْمَلَابِسِ، وَالْمَسَاكِينِ، وَالْمَنَاطِرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا غِنَى رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ
سَمِعَتْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ خَالِدُونَ أَبَدًا سَرْمَدًا، وَلَا يَبْغُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ
تَحَوُّلاً وَلَا زَوْالاً، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَحْسَنَ
بِهِ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ وَاجِبُ الْوُقُوعِ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقَعَ.
وَعْدًا مَسْؤُولًا - وَعْدًا حَقِيقًا بِأَنْ يُسْأَلَ وَيُطْلَبَ.

(أَنْتُمْ)

(١٧) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ تَقْرِيعٍ لِلْكَفَّارِ عَلَى
عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامِ، وَالْأَوْثَانِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَعِيسَى، وَغَيْرِهَا، وَغَيْرِهِمْ،
فَيُحْشَرُ اللَّهُ الْعَابِدِينَ وَالْمَعْبُودِينَ إِلَيْهِ، وَيَسْأَلُ الْمَعْبُودِينَ يَقُولُ لَهُمْ:
أَنْتُمْ دَعَوْتُمْ هَؤُلَاءِ إِلَى عِبَادَتِكُمْ مِنْ دُونِي، أَمْ هُمْ الَّذِينَ ضَلُّوا سَبِيلَ
الْهُدَى بِاخْتِيَارِهِمْ، فَعَبَدُوكُمْ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ مِنْكُمْ لَهُمْ؟

(سُبْحَانَكَ) (آبَاءَهُمْ)

(١٨) - فَيُجِيبُ الْمَعْبُودُونَ قَائِلِينَ: سُبْحَانَكَ وَتَنَزَّهَ اسْمُكَ يَا رَبَّنَا، لَيْسَ
لِلْخَلَائِقِ جَمِيعاً أَنْ يَعْبُدُوا أَحَدًا سِوَاكَ، لَا نَحْنُ وَلَا هُمْ، وَنَحْنُ لَمْ
نَدْعُهُمْ إِلَى ذَلِكَ، بَلْ هُمْ فَعَلُوهُ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَمْرِنَا وَلَا
رِضَانَا، وَنَحْنُ بَرَاءٌ مِنْهُمْ، وَمِنْ عِبَادَتِهِمْ، وَلَكِنَّ السَّبَبَ فِي كُفْرِهِمْ هُوَ
أَنْكَ يَا رَبَّنَا أَكْثَرْتَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى آبَائِهِمْ نِعْمَكَ، لِيَعْرِفُوا حَقَّهَا وَيَشْكُرُوكَ
عَلَيْهَا، فَاسْتَغْرَقُوا فِي الشَّهَوَاتِ، وَانْهَمَكُوا فِي الْمَلَذَاتِ، وَغَفَلُوا عَنْ
ذِكْرِكَ فَكَانُوا مِنَ الْهَالِكِينَ.

قَوْمًا بُورًا - هَالِكِينَ بِأَثَرِينَ.

نَسُوا الذِّكْرَ - غَفَلُوا عَنْ دَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ.

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ
الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا

وَيَوْمَ يَحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ
أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ
ضَلُّوا السَّبِيلَ

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا
أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ
وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ
حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا
بُورًا

(١٩) فَيَقَالُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبْدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ حِينَئِذٍ: لَقَدْ رَأَيْتُمْ أَنَّ الَّذِينَ عَبْدْتُمُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاؤُكُمْ يُقَرِّبُونَكُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَدْ كَذَّبُوكُمْ فِيمَا تَقُولُونَ، وَهَذَا أَنْتُمْ فَرَادَى ضِعَافٍ أَمَامَ الْخَالِقِ الْقَوِيِّ الدَّيَّانِ، لَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفَ الْعَذَابِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا الْإِنْتِصَارَ لَهَا، وَلَا تَجِدُونَ نَصْرًا مِنْ أَحَدٍ يَصْرِفُ الْعَذَابَ عَنْكُمْ، فَانْتُمْ مُعَذَّبُونَ لَا مَحَالَةَ. وَلْيَعْلَمْ الْعِبَادُ جَمِيعًا أَنَّ مَنْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ بِالْكَفْرِ وَالطُّغْيَانِ كَمَا فَعَلَ أُولَئِكَ، فَإِنَّا سَنُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا. صَرْفًا - دَفْعًا لِلْعَذَابِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ.

(٢٠) - وَيُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ، وَهُوَ يَخَاطِبُ رَسُولَهُ ﷺ قَائِلًا: إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُرْسِلِ الرُّسُلَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ إِلَّا مِنَ الْبَشَرِ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَتَزَوَّجُونَ، وَيَتَكَسَّبُونَ بِالْعَمَلِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ غَرَابَةٌ، وَلَا مُنَافَاةٌ لِخَالِ النَّبُوَّةِ. وَجَعَلَ اللَّهُ لِلنَّبِيِّاءِ مِنْ حُسْنِ الْقَوْلِ، وَمِمَّا أَجْرَاهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الْآيَاتِ، دَلَائِلَ وَحُجَجًا عَلَى صِحَّةِ دَعْوَتِهِمْ، وَصِدْقِ مَا جَاءُوا بِهِ أَقْوَامَهُمْ، وَجَعَلَ اللَّهُ بَعْضَ النَّاسِ آيَةً لِبَعْضٍ، وَالْمُفْسِدُونَ يُحَاوِلُونَ سَدَّ الطَّرِيقِ إِلَى الْهَدَايَةِ وَالْحَقِّ، بَشْتَى الْأَسَالِيبِ، فَهَلْ تَصْبِرُونَ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَى هَذَا الْإِتِلَاءِ، وَتَتَمَسَّكُونَ بِدِينِكُمْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِنَصْرِهِ؟ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِصِيرٍ مُطَّلِعٌ عَلَى أَحْوَالِ الْعِبَادِ، وَسَيَجْازِي كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى عَمَلِهِ. فِتْنَةٌ - آيِتِلَاءٌ وَمِحْنَةٌ

(الْمَلَائِكَةُ) (وَعَتُوا)

(٢١) - وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأُنْكِرُوا الْبَعْثَ، وَالنُّشُورَ، وَالْجَزَاءَ، وَكَذَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ: هَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَتَرَاهُمْ عَيْنًا لِيُخْبِرُونَا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَإِنَّا فِي شَكٍّ وَمِزْيَةٍ مِنْ أَمْرِهِ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا فَلَنَرِ رَبَّنَا فَيُخْبِرُنَا أَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، وَنَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَنُضَيِّقَهُ. وَيُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى اقْتِرَاحَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُقْتَرِحِينَ قَائِلًا: لَقَدْ اسْتَكْبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي شَأْنِ أَنْفُسِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الْعَتْوِ وَالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ. لَا يَزْجُونَ لِقَاءَنَا - لَا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ. عَتَوْا - تَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ وَالتَّكْبَرِ.

١٩ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ
فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ
نَفْسَهُ عَذَابًا كَبِيرًا

٢٠ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ
وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ
فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ
رَبُّكَ بِصِيرًا

٢١ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
الْمَلَائِكَةَ أَتُرَى رَبَّنَا لَقَدْ
اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا
عَتْوًا كَبِيرًا

(الْمَلَائِكَةُ) (يَوْمَئِذٍ)

(٢٢) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ: إِنَّهُمْ جِئِن يَرُونِ الْمَلَائِكَةَ فِي سَاعَةٍ أَحْتَضَارِهِمْ، وَدُنُوْا أَجْلَهُمْ فَبَشِّرْهُمْ الْمَلَائِكَةُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ مِنَ اللَّهِ وَيَضْرِبُونَ وُجُوْهُهُمْ وَأَذْبَارُهُمْ لِإِخْرَاجِ أَرْوَاحِهِمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمًا عَسِيراً عَلَى الْكَافِرِينَ، لَا يَوْمَ بَشَارَةٍ لَهُمْ بِالْكَرَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ. وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِهَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ: حَرَامٌ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ الْفَلَاحُ الْيَوْمَ، وَحَرَامٌ عَلَيْكُمْ الْبُشْرَى - أَيِ جَعَلَ اللَّهُ الْبُشْرَى وَالْجَنَّةَ عَلَيْكُمْ حَرَامًا مُحَرَّمًا. (وَقِيلَ إِنَّ هَذَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا عِنْدَ الْمَوْتِ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ، فَيَوْمَ الْمَمَاتِ وَيَوْمَ الْحَشْرِ تَظْهَرُ الْمَلَائِكَةُ لِلْخَلَائِقِ فَيُبَشِّرُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ، وَيُبَشِّرُونَ الظَّالِمِينَ بِالْوَيْلِ وَالشُّورِ).
حَجْرًا مَحْجُورًا - حَرَامًا مُحَرَّمًا.

(فَجَعَلْنَاهُ)

(٢٣) - وَهَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ عَمِلُوا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا أَعْمَالًا ظَنُّوْهَا حَسَنَةً مُفِيدَةً: كَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَإِعَاثَةِ الْمَلْهُوفِ، وَالْمَنْ عَلَى الْأَسِيرِ... مِمَّا لَوْ كَانُوا عَمِلُوهُ مَعَ الْإِيمَانِ لَنَالُوا ثَوَابَهُ، فَعَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُحَاسِنِ أَعْمَالِهِمْ هَذِهِ فَجَعَلَهَا كَالْهَبَاءِ الْمَثُورِ الَّذِي لَا يُفِيدُ وَلَا يُجْنَعُ.
(وَقَدْ مَثَلَ اللَّهُ حَالَهُمْ بِحَالِ قَوْمٍ خَالَفُوا سُلْطَانَهُمْ، وَاسْتَعْصَمُوا عَلَيْهِ، فَقَصَدَ إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَأَفْسَدَهُ وَبَعَثَهُ وَلَمْ يَتْرِكْ لَهُ أَثَرًا).

الْهَبَاءُ - الرَّمَادُ أَوْ مَا تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ.

الْمَثُورُ - الْمَفْرَقُ الْمُبْعَثُ.

(أَصْحَابُ) (يَوْمَئِذٍ)

(٢٤) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَصِيرُ الْمُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ فِي الْجَنَّاتِ الْعَالِيَاتِ، وَالْغُرَفِ الْأَمْنَابِ، فَهُمْ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ حَسَنٍ الْمَنْظَرِ، طَيِّبِ الْمَقَامِ، وَالْكَفَارُ يَكُونُونَ فِي دَرَكَاتِ النَّارِ السَّافِلَاتِ، فَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مَنْزِلًا وَمُسْتَقَرًّا مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الَّذِينَ كَانُوا يَفْتَخِرُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

مَقِيلًا - مَكَانَ اسْتِرَاحٍ وَتَمَتُّعٍ وَقْتَ الظَّهِيرَةِ.

(بِالْعَمَامِ) (الْمَلَائِكَةُ)

(٢٥) - وَادَّكَّرَ أَهْلِهَا الرُّسُولُ لِقَوْمِكَ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، إِذْ تَفَتَّتِ الشُّمُوسُ وَالْكَوَاكِبُ، وَتَنْشِيرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى

يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ

حَجْرًا مَحْجُورًا

وَقَدْ مَثَلَ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ

فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ

مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلَ

الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا

كَالْغَمَامِ الْمُتَشَقِّقِ، وَتَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ نَزْولًا مُؤَكَّدًا بِصَحَائِفِ أَعْمَالِ
الْعِبَادِ، لِقُدُومِ لَدَى الْعَرْشِ وَالْحِسَابِ، وَتَكُونُ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ لَدَى
الْفَصْلِ وَالْقَضَاءِ، وَتُحِيطُ بِالْخَلَائِقِ فِي مَقَامِ الْمُحْشَرِ.
نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا - نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ نَزْولًا مُؤَكَّدًا.
تَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ - تَتَفَتَّحُ السَّمَاوَاتُ بِالسَّحَابِ الْأَبْيَضِ الرُّقِيقِ.

(يَوْمَئِذٍ) (الْكَافِرِينَ)

(٢٦) - وَيَكُونُ الْمَالِكُ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَلَا مِلْكٌ غَيْرُهُ. وَهُوَ يَوْمٌ صَعَبٌ شَدِيدُ الْهَوْلِ عَلَى الْكَافِرِينَ، لِأَنَّهُ يَوْمٌ
عَدْلِ، وَقَضَاءٍ، وَفَصْلٍ، وَيَعْلَمُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا قَدَّمُوا مِنْ سَيِّئِ
الْعَمَلِ، وَمَا أَسْلَفُوا مِنْ كُفْرٍ بِرَبِّ الْعِبَادِ، وَتَكْذِيبٍ لِأَنْبِيَائِهِ، وَمِنْ عَمَلٍ
أَثِيمٍ.

(يَا لَيْتَنِي)

(٢٧) - وَيَنْدَمُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الظَّالِمُونَ الْكَافِرُونَ، الَّذِينَ تَرَكُوا طَرِيقَ
الرَّسُولِ، وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ،
وَيَعْصُونَ عَلَى أَيْدِيهِمْ نَدْمًا عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا
اتَّبَعْنَا طَرِيقَ الرَّسُولِ الْمُوصِلِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَكِنَّ النَّدَمَ لَا يَنْفَعُهُمْ
حِينَئِذٍ.

(وَيُرَوَّى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عُقْبَةِ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، إِذْ كَانَ يَزْجُرُ
أَتَيْ بَنَ خَلْفَ لِحْضُورِهِ مَجْلِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
سَبِيلًا - طَرِيقًا إِلَى الْهَدَى.

(يَا وَيْلَتَى)

(٢٨) - وَيَقُولُ الظَّالِمُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُتَحَسِّرًا: يَا خَسَارَةً وَيَا هَلَاكَةً، وَيَا
لَيْتَنِي لَمْ يَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا وَصَدِيقًا (وَيَذْكُرُ اسْمَ مَنْ أَضَلَّهُ وَصَرَفَهُ عَنِ
الْحَقِّ وَالْهَدَى)، وَيَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِعْ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِهِ.

(الشَّيْطَانُ) (لِلْإِنْسَانِ)

(٢٩) - لَقَدْ أَضَلَّنِي هَذَا الصَّدِيقُ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ بُلُوغِهِ إِلَيَّ،
وَمَنَانِي بِالنُّصْرِ وَالْفَلَاحِ، وَمِنْ عَادَةِ الشَّيْطَانِ أَنْ يُمْنِي وَيَعِدَّ، وَيُمْنِي
كَذِبًا وَغُرُورًا، وَأَنْ يَخْذُلَ الْإِنْسَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَتْرَكُهُ لِمَصِيرِهِ، وَيَقُولُ
لِأَوْلِيَائِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ (١).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

﴿٣٨﴾ أَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ

وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ
عَسِيرًا

﴿٣٧﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ
الرَّسُولِ سَبِيلًا

﴿٣٨﴾ يَوَيْلَ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا

﴿٣٩﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ

إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ
الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ يُخْذِلُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْحَقِّ، وَيَصْرِفُهُ عَنْهُ، وَيَسْتَعْمِلُهُ فِي الْبَاطِلِ وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ).
خَذُولًا - كَثِيرَ الْخِذْلَانِ لِمَنْ يُؤَالِيهِ.

(يَا رَبِّ) (الْقُرْآنَ)

(٣٠) - وَقَالَ الرَّسُولُ مُشْتَكِبًا إِلَى رَبِّهِ: يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا، أَيْ أَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ بَعَثَنِي إِلَيْهِمْ لِأَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِكَ، وَأَمَرْتَنِي بِإِبْلَاجِ الْقُرْآنِ إِلَيْهِمْ، قَدْ هَجَرُوا كِتَابَكَ، وَتَرَكُوا الْإِيمَانَ بِكَ، وَلَمْ يَأْهُوْا بِوَعِيدِكَ، بَلْ أَعْرَضُوا عَنِ اسْتِمَاعِهِ وَاتَّبَاعِهِ. مَهْجُورًا - مَتْرُوكًا مُهْمَلًا.

(٣١) - وَكَمَا جَعَلْنَا لَكَ أَعْدَاءَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَقُولُونَ عَلَيْكَ التَّهَاتِ وَالْأَبَاطِيلُ، كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ أَعْدَاءَ لَهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يُفَاوِمُونَ دَعْوَتَهُمْ، وَيُزَعِّجُونَهُمْ، وَيُكْذِبُونَهُمْ، فَلَا تَحْزَنْ يَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمْ، فَهَذَا ذَابُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ، فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا. وَحَسْبُكَ بِرَبِّكَ هَادِيًا لَكَ إِلَى مَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، وَسَيَنْصُرُكَ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَبِئْلَعُكَ غَايَةً مَا تَطْلُبُ، وَلَا يَهُولُنَّكَ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ فَإِنَّهُ تَعَالَى جَاعِلُ كَلِمَتِهِ هِيَ الْعُلْيَا لَا مَحَالَةَ.

(الْقُرْآنَ) (وَاحِدَةً) (وَرَتَّلْنَاهُ)

(٣٢) - وَقَالَ الْيَهُودُ: هَلَّا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ دُفْعَةً وَاحِدَةً كَمَا أَنْزَلْتَ الْكُتُبَ السَّابِقَةَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ. وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِهِمْ هَذَا، قَائِلًا: إِنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ مُنْجِمًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ، وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ لِيُثَبِّتَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَثُبَّتْ قَلْبُ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مَهَلٍ هَكَذَا عَلَى رَسُولِهِ، وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ، بِلِسَانِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، شَيْئًا فَشَيْئًا لِيَتِمَكَّنَ مِنْ حِفْظِهِ وَاسْتِيعَابِهِ.

رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا - فَرَقْنَاهُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ، أَوْ بَيِّنَةً.

(جِئْنَاكَ)

(٣٣) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ لَا يَأْتُونَ بِحُجَّةٍ وَشُبْهَةٍ (مَثَلٍ)، وَلَا يَقُولُونَ قَوْلًا يُعَارِضُونَ بِهِ الْحَقَّ، إِلَّا آتَى اللَّهُ نَبِيَّهُ مِنَ الْحَقِّ مَا يَدْحُضُ بِهِ شُبْهَهُمْ، وَيُدْفَعُ بِهِ حُجَجَهُمْ وَتَعْتَهُمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ أَوْضَحَ وَأَفْصَحَ مِنْ مَقَالَتِهِمْ.

(٣٠) وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي

اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا

(٣١) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا

مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ

هَادِيًا وَنَصِيرًا

(٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ

الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ

لُنُثِبْتَ بِهِ فَوَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ

تَرْتِيلًا

(٣٣) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ

بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ يَلْتَمُسُونَ بِهِ غَيْبَ الْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ إِلَّا أَنْزَلَ جِبْرِيلُ بِجَوَابِهِمْ).
أَحْسَنَ تَفْسِيرًا - أَصْدَقُ بَيَانًا وَتَفْصِيلًا.

(أُولَئِكَ)

(٣٤) - وَإِنِّي لَا أَقُولُ لَكُمْ كَمَا تَقُولُونَ، وَلَا أَصِفُكُمْ بِمَثَلٍ مَا تَصِفُونَنِي بِهِ، بَلْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِينَ يُسْحَبُونَ إِلَى جَهَنَّمَ، وَيُجْرُونَ فِيهَا بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، هُمْ شَرُّ مَكَانًا، وَأَضَلُّ سَبِيلًا. فَفَكِّرُوا وَقُولُوا قَوْلَ مُنْصِفٍ: مَنْ هُوَ الْأَوَّلَى مِنَّا وَمِنْكُمْ بِهِذِهِ الْأَوْصَافِ.

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ) (هَارُونَ)

(٣٥) - وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ يَا مُحَمَّدُ، وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا وَظَهِيرًا وَمُعِينًا.

(بَيَاتِنَا) (قَدَمَرْنَاهُمْ)

(٣٦) - وَأَرْسَلْنَاهُمَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَكَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، فَدَمَرْنَاهُمْ اللَّهُ تَدْمِيرًا، وَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ. التَّدْمِيرُ - كَسْرُ الشَّيْءِ كَسْرًا لَا جَبْرَ لَهُ.

(أَغْرَقْنَاهُمْ) (وَجَعَلْنَاهُمْ) (آيَةً) (لِلظَّالِمِينَ)

(٣٧) - وَادَّكَرَ قَوْمُ نُوحٍ حِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ لَبِثَ فِيهِمْ أَمَدًا طَوِيلًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُحَذِّرُهُمْ نِقَمَهُ، فَلَمْ يُؤْمِنْ لَهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)، فَأَغْرَقْنَاهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا بِالطُّوفَانِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي السَّفِينَةِ مَعَ نُوحٍ، وَجَعَلْنَاهُمْ اللَّهُ عِبْرَةً لِلنَّاسِ، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ لِقُرَيْشٍ بِأَنَّهُمْ سَيَحْلُلُ بِهِمْ مَا حَلَّ بِالْأُمَمِ السَّالِفَةِ).

(نَمُودَ) (أَصْحَابَ)

(٣٨) - وَقَدْ كَذَّبَ قَوْمُ عَادٍ رَسُولَهُمْ هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَذَّبَ قَوْمُ ثَمُودَ نَبِيَّهُمْ صَالِحًا، وَكَذَّبَ أَصْحَابُ الرِّسِّ رَسُولَهُمْ، وَقَدْ كَذَّبَتْ جَمِيعُ هَذِهِ الْأَقْوَامِ رُسُلَهَا فَأَهْلَكَهَا اللَّهُ، كَمَا أَهْلَكَ أُمَمًا وَأَقْوَامًا آخَرِينَ (قُرُونًا) غَيْرَ هَؤُلَاءِ لَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ.

الرِّسُّ - الْبُتْرُ غَيْرُ الْمَطْوِيَّةِ أَيْ غَيْرُ الْمُنْبِيَّةِ.

وَقِيلَ الرِّسُّ وَادٍ - مِنْ قَوْلِهِمْ «فَهْنُ وَوَادِي الرِّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الرِّسُّ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى ثَمُودَ.

٣٤ الَّذِينَ يَحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ

إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرُّ
مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا

٣٥ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ
وَزِيرًا

٣٦ فَقُلْنَا أَذْهَبْ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ
تَدْمِيرًا

٣٧ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ

أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ
عَذَابًا أَلِيمًا

٣٨ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ

وَقُرُونًا يَنْبَغِي ذَلِكُ كَثِيرًا

(الْأَمْثَالُ)

(٣٩) - وقد بينَ الله تعالى لهؤلاء الأقوامَ جميعاً الآياتِ والحُجَجَ والبراهينَ الدَّالَّةَ على صِدْقِ ما جَاءَتْهُمْ بِهِ النُّبُوءَاتُ، فَلَمْ يَتَّعِظُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ إِهْلَاكاً عَجَبِيًّا.

التَّسْيِيرُ - التَّفَتُّيْتُ والتَّكْسِيرُ والإِهْلَاكُ

(٤٠) - ويقولُ اللهُ تعالى لِرَسُولِهِ الكريمِ : إِنَّ قَوْمَكَ يَا مُحَمَّدُ مَرُوءٌ يَقْرَى قومَ لوطٍ، ورَأَوْا كَيْفَ أَهْلَكَهَا اللهُ وَدَمَّرَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (قُرْآنٍ مَشْوِيٍّ) بِسَبَبِ ظُلْمِ أَهْلِهَا، وَكُفْرِهِمْ، وَفَسَادِهِمْ، فَهَلَّا اعْتَبَرُوا بِمَا حَلَّ بِهِؤَلاءِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ؟ إِنَّ الَّذِينَ مَرُّوا بِهَا رَأَوْا بَاطِنَهُمْ مَا حَلَّ بِهَا وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعتَبِرُوا لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَالْمَعَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ سَيُسْئَرُونَ، وَأَنَّ اللهُ تَعَالَى سَيُعِيدُ خَلْقَهُمْ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِلَّذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْقِنُونَ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ هُنَاكَ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ وَحِسَابٌ فَيَرُدُّعُهُمْ عَنْ كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ.

مَطَرُ السُّوءِ - حِجَارَةٌ مُهْلِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ
لَا يَرْجُونَ نُشُوراً - يَنْكُرُونَ الْبَعْثَ وَلَا يَتَوَقَّعُونَهُ

(٤١) - وَإِذَا رَأَى هَؤَلاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكَ قِصَّتَهُمْ اتَّخَذُوا مَوْضِعَ هُزْءٍ وَسُخْرِيَةٍ، وَقَالُوا مُسْتَهْزِئِينَ: أَهَذَا الَّذِي بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا لِنَتَّبِعَهُ وَنُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ؟ هُزُوءًا - مَهْزُوءًا بِهِ.

(الْهَيْتَا)

(٤٢) - وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا الرَّسُولَ كَاذِبٌ أَن يَنْبِئَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ أَصْنَانِهِمْ، بِقُوَّةِ حُجَّتِهِ، وَحُسْنِ بَيَانِهِ، لَوْلَا أَنَّهُمْ صَبَرُوا وَتَجَلَّدُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى عِبَادَتِهَا.

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِهِمْ هَذَا مُتَوَعِّدًا: إِنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ الْآنَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَلَكِنَّهُمْ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، يُذَكِّرُونَ أَنَّ الرَّسُولَ صَدَقَهُمُ الْقَوْلُ، وَاللَّعْنَةُ وَالتَّحْذِيرُ، وَأَنَّهُ كَانَ عَلَى هُدًى وَحَقًّا، وَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ يَرْفُضُهُمُ الِاسْتِجَابَةَ إِلَيْهِ، وَاتِّبَاعَ رِسَالَتِهِ.

٣٩ وَكَأَلَّا ضَرْبًا لَهُ الْأَمْثَلُ
وَكَأَلَّا تَبَرَّنَاتٍ نَبِيرًا

٤٠ وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا
مَطَرًا السُّوءَ أَفْكَمَ يَكُونُوا
يَكُونَهَا بَلْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ نُشُورًا

٤١ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَسْخَدُونَكَ
إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ
اللَّهُ رَسُولًا

٤٢ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ الْهَيْتَا
لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا
وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا

(أَرَأَيْتَ) (هَوَاهُ)

(٤٣) - انْظُرْ إِلَى خَالِ هَذَا الَّذِي جَعَلَ هَوَاهُ إِلَهَهُ، بَأْنَ أَطَاعَهُ وَبَنَى عَلَيْهِ أَمْرَ دِينِهِ، وَأَعْرَضَ عَنْ آسْتِمَاعِ الْحَقِّ، وَالْحُجَجِ، وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَأَعْجَبَ مِنْهُ، وَلَا تَعْبَأُ بِهِ فَإِنَّكَ لَسْتَ حَفِظًا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِبْلَاغُهُ الرِّسَالَةَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ هَذَا، وَإِنْ شَاءَ أَضَلَّهُ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْْبُدُ الْحَجَرَ الْأَبْيَضَ، فَإِذَا مَا رَأَى أَحْسَنَ مِنْهُ عَبْدَ الثَّانِي، وَتَرَكَ الْأَوَّلَ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ).

وَكَيْلًا - حَفِظًا تَمْنَعُهُ مِنْ عِبَادَةِ مَا يَهْوَاهُ.

أَرَأَيْتَ - أَخْبِرْنِي.

(كَالْأَنْعَامِ)

(٤٤) - هَلْ تَنْظُرُ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ؟ إِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَسْمَعُونَ حَقَّ السَّمَاعِ، وَلَا يُدْرِكُونَ حَقَّ الْإِدْرَاكِ وَلَا يَفْهَمُونَ فَهْمًا صَحِيحًا مَا تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْمَوَاعِظِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِلَى الْخَيْرِ، حَتَّى تَجْتَهِدَ فِي دَعْوَتِهِمْ، وَتَحْفِلَ بِإِرْشَادِهِمْ، وَتَذَكِّرِهِمْ، وَتُطَمِّعَ فِي إِيْمَانِهِمْ، فَهُمْ أَسْوَأُ مِنَ الْأَنْعَامِ السَّارِحَةِ، وَأَضَلُّ سَبِيلًا، لَأَنَّ الْأَنْعَامَ السَّارِحَةَ تَفْقَدُ لِمَاصِيهَا الَّذِي يَتَعَهَّدُهَا، وَتَعْرِفُ مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْهَا وَمَنْ يُسِيءُ، وَتَطْلُبُ مَا يَنْفَعُهَا، وَتَجْتَنِبُ مَا يَضُرُّهَا، وَتَهْتَدِي لِمَرْغَاها وَمَشْرِبِهَا.

أَمَّا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْقَادُونَ لِخَالِقِهِمْ وَبَارِيهِمْ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِسَاءَةَ الشَّيْطَانِ وَعِدَاوَتَهُ لَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَزِينُ لَهُمُ الْكُفْرَ وَاتِّبَاعَ الشَّهْوَاتِ.

(٤٥) - يَبِينُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَدْلَةَ عَلَى جُودِهِ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ التَّامَّةِ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ فَقَالَ: أَلَا تَرَى يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ كَيْفَ جَعَلَ رَبُّكَ لِكُلِّ شَيْءٍ مُظِلًّا ظِلًّا مُنْذُ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى مَغِيْبِهَا، فَاسْتَحْدَمَهُ الْإِنْسَانُ لِلْوَقَايَةِ مِنْ لَفْحِ الشَّمْسِ وَحَرِّهَا، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ ثَابِتًا عَلَى خَالٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَهُ مُتَغَيِّرًا فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ الْمُخْتَلِفَةِ، لِذَلِكَ اتَّخَذَ دَلِيلًا عَلَى قِيَاسِ الزَّمَانِ. ثُمَّ جَعَلَ طُلُوعَ الشَّمْسِ دَلِيلًا عَلَى ظَهْرِ الظِّلِّ وَمُشَاهَدَتِهِ بِالْحِسِّ وَالْمُعَايَنَةِ، فَلَوْلَا الشَّمْسُ لَمَا عُرِفَ الظِّلُّ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: الظِّلُّ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ) وَهَذَا هُوَ الشَّفَقُ.

﴿٤٣﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا

﴿٤٤﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا

﴿٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا

(قَبْضَنَاهُ)

(٤٦) - ثُمَّ يَقْبِضُ اللَّهُ الظِّلَّ قَبْضًا سَهْلًا خَفِيفًا، وَيَجْعَلُهُ مُنْكَمِشًا بِحَسَبِ سِيرِ الشَّمْسِ، حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ ظِلٌّ إِلَّا تَحْتَ سَقْفٍ أَوْ شَجَرَةٍ.

(الَّيْلِ)

(٤٧) - وَمِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَرَوَائِعِ رَحْمَتِهِ الْفَائِضَةِ عَلَى خَلْقِهِ، أَنَّهُ جَعَلَ اللَّيْلَ يَلْبَسُ الْوُجُودَ وَيَغْشَاهُ، وَيَسْتُرُهُ بِظِلَالِهِ، كَمَا يَسْتُرُ اللَّبَاسُ جَسَدَ الْإِنْسَانِ، وَجَعَلَ النَّوْمَ كَالْمَوْتِ قَاطِعًا لِلْحَرَكَةِ لِتَرْتَاحَ الْأَبْدَانُ (سُبَاتًا)، فَإِنَّ الْأَجْسَادَ تَكِلُ مِنْ كَثْرَةِ الْحَرَكَةِ، فِإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ سَكَنَتْ الْحَرَكَاتُ فَاسْتَرَاخَتِ الْأَجْسَادُ وَنَامَتْ، وَفِي النَّوْمِ رَاحَةٌ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّاسَ يَنْبَغِثُونَ فِي النَّهَارِ، وَيَتَنَبَّشُونَ لِكَسْبِ مَعَايِشِهِمْ، وَتَأْمِينِ رِزْقِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ.

الَّيْلِ لِبَاسًا - سَاتِرًا لَكُمْ بِظِلَالِهِ كَاللِّبَاسِ.

السُّبَاتُ - قَطْعُ الْحَرَكَةِ لِتَرْتَاحَ الْأَبْدَانُ.

نُشُورًا - انْبِعَاثًا مِنَ النَّوْمِ لِلسَّعْيِ وَالْعَمَلِ.

(الرِّيَّاحِ)

(٤٨) - وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى أَنَّهُ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ بِمَجِيءِ السَّحَابِ بَعْدَهَا (بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)، وَمِنَ الرِّيَّاحِ مَا يُثِيرُ السَّحَابَ، وَمِنْهَا مَا يَحْمِلُهُ، وَمِنْهَا مَا يَسُوقُهُ، وَمِنْهَا مَا يُلْقِحُ السَّحَابَ لِيُمْطِرَ، وَيُنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى مَطَرًا مِنَ السَّمَاءِ يَنْظَهِّرُ بِهِ النَّاسَ.

بُشْرًا - مُبَشِّرَاتٍ بِالرَّحْمَةِ وَهِيَ الْمَطَرُ.

طَهُورًا - طَاهِرًا بِنَفْسِهِ مَطْهَرًا لِغَيْرِهِ.

(أَنْعَامًا)

(٤٩) - فَيُخَيِّ اللَّهُ بِالْمَطَرِ أَرْضًا طَالَ أَنْتَظَارُهَا لِلْغَيْثِ، فَهِيَ هَامِدَةٌ لَا نَبَاتَ فِيهَا (مَيْتًا)، فَلَمَّا جَاءَهَا الْمَطَرُ عَاشَتْ، وَأَنْبَتَتْ، وَاكْتَسَتْ رُبَاهَا بِالْخُضْرَةِ وَالْأَزْهَاجِ. وَيَشْرَبُ، مِنْ هَذَا الْمَاءِ الْمُنْزَلِ مِنَ السَّمَاءِ، الْحَيَوَانُ، مِنْ أَنْعَامٍ وَبَشَرٍ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ لِشُرْبِهِمْ، وَلِرَيِّ أَرْضِهِمْ وَرُزُقِهِمْ.

٤٦ ثُمَّ قَبْضَنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا

٤٧ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ

لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ
النَّهَارَ نُشُورًا

٤٨ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا

بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا

٤٩ لِنُخَيِّ بِهِ بِلَدَةً مَيْتًا وَنُشْفِيَهُ

مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّ
كَثِيرًا

(صَرْفَنَاهُ)

(٥٠) - وَلَقَدْ صَرَّفْنَا الْمَطَرُ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى أَوْصَاعٍ شَتَّى، فَخَصَّصْنَا بِهِ أَرْضاً دُونَ غَيْرِهَا، وَسُقْنَا السَّحَابَ فِيمُرُّ فَوْقَ الْأَرْضِ وَيَتَعَدَّاهَا وَيَتَجَاوَزُهَا إِلَى الْأَرْضِ الْأُخْرَى فَيُمِطُّهَا اللَّهُ، وَيَكْفِيهَا، وَيَجْعَلُهَا غَدَقًا، وَالتِّي وَرَاءَهَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهَا قَطْرَةٌ مَطَرٍ وَاحِدَةٍ. وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لَعَلَّ النَّاسَ يَتَذَكَّرُونَ، وَهُمْ يَرَوْنَ إِحْيَاءَ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ، أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ وَالْعِظَامِ وَالرُّقَاتِ، وَلَيَذَكَّرَنَّ مَنْ مَنَعَهُ اللَّهُ الْمَطَرَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ إِنَّمَا كَانَ بِذَنْبِهِ، فَيُقْلِعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ. وَحِينَ تُمْطَرُ السَّمَاءُ يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ: أُمِطْرُنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. وَيَقُولُ الْكَافِرُونَ: أُمِطْرُنَا بِنُوءٍ كَذَا. وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى (فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا).
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (صَرْفَنَاهُ) هُنَا هُوَ الْقُرْآنُ، أَيْ إِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ آيَاتِهِ وَوَضَّحَهَا لِلنَّاسِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ لِأَنَّهُ يَتَّفِقُ مَعَ السِّيَاقِ).

(٥١) - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَبَعَثَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ رَسُولًا، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُ خَصَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا بِالْبَعْثَةِ إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يُبَلِّغَهُمْ هَذَا الْقُرْآنَ.

(الْكَافِرِينَ) (جَاهِدْهُمْ)

(٥٢) - ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ إِلَى مُجَاهَدَةِ الْكَافِرِينَ بِالْقُرْآنِ دُونَ هَوَادَةٍ، وَإِلَى عَدَمِ إِطَاعَتِهِمْ فِيمَا يَدْعُونَهُ إِلَيْهِ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ عَلَى مَذَاهِبِهِمْ وَأَرَائِهِمْ.

(٥٣) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمِيَاءَ فِي الْأَنْهَارِ، وَالنَّيَابِيعِ، وَالْعُيُونِ، وَالْآبَارِ، لِيَشْرَبَ مِنْهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ، وَتَنْتَفِعَ بِهَا الْمَخْلُوقَاتُ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمِيَاءَ الْمِلْحَةَ فِي الْبِحَارِ، وَمَنْعَهَا مِنْ أَنْ يَخْتَلِطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَجَعَلَ بَيْنَهَا حَوَاجِزَ مِنَ الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ، وَمَنْعًا أَنْ يَصِلَ مَاءُ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ - مَنْعَهُمَا مِنَ الْاِخْتِلَاطِ - أَوْ أَرْسَلَهُمَا فِي مَجَارِيهِمَا عَذْبٌ فُرَاتٌ - عَذْبٌ شَدِيدُ الْعُدْوَةِ. مِلْحٌ أُجَاجٌ - شَدِيدُ الْمُلُوحَةِ.

حِجْرًا مَخْجُورًا - حَرَامٌ وَمُحَرَّمٌ تَغْيِيرُ صِفَاتِهِمَا أَوْ اخْتِلَاطُهُمَا.

٥٠ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى

أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

٥١ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ

قَرْيَةٍ نَذِيرًا

٥٢ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ

وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا

كَبِيرًا



٥٣ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ

الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا

مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا

وَحِجْرًا مَخْجُورًا

(٥٤) - وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ (مَاءٍ مَهِينٍ) فَسَوَّاهُ وَعَدَّلَهُ، وَجَعَلَهُ كَامِلَ الْخَلْقَةِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى كَمَا يَشَاءُ، فَالذُّكُورُ هُمْ ذَوُو النِّسْبِ، وَالنِّسَاءُ هُنَّ ذَوَاتُ الصَّهْرِ يُصَاهِرُ بِهِنَّ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ: إِنْ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْمَاءَ جُزْءًا مِنَ الْمَادَّةِ الْمَكُونَةِ لِجَسْمِ الْإِنْسَانِ).

نَسَبًا - ذَوِي نَسَبٍ - أَيُّ ذُكُورًا يُنْتَسَبُ إِلَيْهِمْ
صَهْرًا - ذَوَاتُ أَصْهَارٍ - أَيُّ إِنَاثًا يُصَاهَرُ بِهِنَّ.

(٥٥) - لَقَدْ قَدَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَدِلَّةَ عَلَى وُجُودِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِ الْعِبَادِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ وَحْدَهُ الْعِبَادَةَ مِنَ الْخَلْقِ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَيْسَ لَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا دَلِيلٌ وَلَا حُجَّةٌ، وَإِنَّمَا عَبَدُوهَا بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالْهَوَى، فَهُمْ يُوَالُونَ الْأَصْنَامَ وَيَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهَا، وَيُعَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فِيهَا، وَكَانَ الْكَافِرُ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ، وَمُظَاهِرًا لَهُ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ تَعَالَى وَتَبَارَكَ.

عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا - مُعِينًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى رَبِّهِ بِالشُّرْكِ

(أَرْسَلْنَاكَ)

(٥٦) - وَكَيْفَ يَطْلُبُونَ الْعَوْنَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ قَدْ أَرْسَلَ رَسُولَهُ لِنَفْعِهِمْ، إِذْ قَدْ بَعَثَهُ لِيُبَشِّرَهُمْ وَيُحْثِمَهُمْ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَيُنْذِرَهُمْ وَيُحَذِّرَهُمْ مِنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي الَّتِي تَسْتَوْجِبُ عِقَابَ فَاعِلِيهَا.

(أَسْأَلُكُمْ)

(٥٧) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ: أَنَا لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا عَلَى مَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، لَتَقُولُوا إِنَّمَا يَدْعُونَا لِأَخْذِ أَمْوَالِنَا، وَمِنْ ثَمَّ لَا نَتَّبِعُهُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ فِي أَمْوَالِنَا مَطْمَعٌ. وَلَكِنْ مَنْ شَاءَ أَنْ يَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ، وَيَتَّخِذَ ذَلِكَ سَبِيلًا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَتَبِيلٍ تَوَابِهِ فَلْيَفْعَلْ.

(٥٨) - وَتَوَكَّلْ عَلَى رَبِّكَ الدَّائِمِ الْبَاقِي، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكِهِ وَاجْعَلْهُ مَلْجَأَكَ وَذُخْرَكَ، وَفَوْضَ إِلَيْهِ أَمْرَكَ، وَاسْتَسْلِمَ إِلَيْهِ، وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ، فَإِنَّهُ كَافِيكَ وَنَاصِرُكَ وَمُبْلَغُكَ مَا تُرِيدُ، وَنَزْهَهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، وَحَسْبُكَ نَاصِرًا وَسَدَأُ بِاللَّهِ الْحَيِّ

٥٤ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا
فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ
قَدِيرًا

٥٥ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ
الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا

٥٦ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

٥٧ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ
سَبِيلًا

٥٨ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ
بِذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا

الباقى، الذى لا يموت، وحسبك به خبيراً بذنوب خلقه، فهو مخصصها عليهم، ولا يخفى عليه من أفعالهم شيء، وسيحاسبهم عليها جميعاً يوم القيامة، ويجزئهم بما يستحقون.
سبح - نزه الله تعالى عن جميع النقائص.
بحمده - مثنيًا عليه بأوصاف الكمال.

(السَّمَاوَاتِ) (فَأَسْأَلُ)

(٥٩) - والله تعالى خالق كل شيء، وربّه ومليكه، وقد خلق، بقدرته وسلطانه، السماوات في ارتفاعها واتساعها، والأرض، خلال ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر، ويقضي بالحق، وهو خير الحاكمين. وهو تعالى عظيم الرحمة بكم فلا تعبدوا إلا إياه، فاستعلم عنه سبحانه وتعالى ممن له خيرة وعلم به، واقتد به واتبعه.
(ومحمد ﷺ، بما أعطاه الله من علم، هو أكثر الناس علماً ومعرفة بالله تعالى).

(٦٠) - ينكر الله تعالى على المشركين الذين يسجدون لغير الله من الأصنام والأنداد، فيقول تعالى: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلَّهِ الرَّحْمَنِ، وَاخْضَعُوا لَهُ قَالُوا: وَمَا الرَّحْمَنُ؟ إِنَّا لَا نَعْرِفُهُ لِنَسْجُدَ لَهُ.

(وكانوا ينكرون أن يُسمى الله باسم الرحمن، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية)، ثُمَّ يَقُولُونَ أَنَسْجُدُ لِمُجَرِّدِ قَوْلِكَ؟ وَزَادَهُمْ هَذَا الْأَمْرُ نَفُورًا مِنَ السُّجُودِ، وَبُعْدًا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (١).

زَادَهُمْ نَفُورًا - تَبَاعَدًا عَنِ الْإِيمَانِ.
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا - أَنَسْجُدُ بِمُجَرَّدِ أَمْرِكَ.

(سِرَاجًا)

(٦١) - يبارك الله تعالى نفسه الكريمة ويمجدها على بديع ما خلق في السماوات من البروج (والبروج منازل الكواكب)، وعلى ما جعل فيها من شمس مضيئة هي كالسراج في الوجود، كما جعل فيها قمرًا مشرقًا مضيئًا.

تبارك - تعالى وتمجد وتكاثرت خيره.

بروجاً - منازل الكواكب.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

٥٩ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا



٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا

٦١ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا

(الَّلِيل)

(٦٢) - وَالرَّحْمَنُ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ مُتَعَابَتَيْنِ يَخْلُفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، وَقَدْ ذُبِرَ ذَلِكَ لِيَتَذَكَّرَ مَنْ شَاءَ هَذَا التَّدْبِيرَ الْمُحْكَمَ فَيَتَعَطَّى، وَيَعْرِفَ حِكْمَةَ اللَّهِ وَقُدْرَتَهُ، فَيَشْكُرَهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ.
خِلْفَةً - يَخْلُفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ وَيَتَعَابَانِ.

(الْجَاهِلُونَ) (سَلَامًا)

(٦٣) وَيَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ مُتَوَاضِعُونَ، يَسِيرُونَ عَلَى الْأَرْضِ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَرَفَقٍ (هَوْنًا) مِنْ غَيْرِ تَجَبُّرٍ وَلَا اسْتِكْبَارٍ، وَإِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمُ الْجَاهِلُونَ بِالْقَوْلِ لَمْ يُقَابِلُوهُمْ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا وَقَوْلًا مَعْرُوفًا، وَيُرْثَوْنَ عَلَيْهِمْ قَائِلِينَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ.
هَوْنًا - بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَتَوَاضَعٍ.
قَالُوا سَلَامًا - قَوْلًا سَدِيدًا يَسْلُمُونَ بِهِ مِنَ الْأَذَى.

(قِيَامًا)

(٦٤) - وَهُمْ يَبْتَغُونَ قِيَامًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ وَيَذْكُرُونَهُ ذِكْرًا كَثِيرًا فِي رُكُوعِهِمْ وَسُجُودِهِمْ.
(وَقَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ فِي سُورَةِ أُخْرَى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١).
يَبْتَغُونَ - أَيُّ يَذْكُرُهُمُ اللَّيْلُ.

(٦٥) - وَهُمْ الَّذِينَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ فَيَدْعُوهُ، وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ، فَإِنَّ عَذَابَهَا مَوْلَمٌ مَلَزَمٌ لِلْإِنْسَانِ، لَا يَزُولُ عَنْهُ، وَلَا يَحُولُ، وَلَا يُفَارِقُهُ.
غَرَامًا - لَازِمًا أَوْ مُتَمَدِّدًا كَلَزُومِ الْغَرِيمِ

(٦٦) - وَإِنَّ جَهَنَّمَ بَشَسَ الْمَنْزِلَ، وَيَبْسُ الْمَقِيلَ وَالْمَقَامَ.

(٦٧) - وَمِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ أَيْضًا الْإِعْتِدَالُ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، فَهُمْ لَيْسُوا بِمُبْذَرِينَ فِي إِنْفَاقِهِمْ فَيَصْرِفُونَ فَوْقَ الْحَاجَةِ، وَلَا يُخَلِّاءَ عَلَى أَهْلِيهِمْ فَيَقْصُرُونَ فِي حَقِّهِمْ، فَلَا يَكْفُونَهُمْ، بَلْ هُمْ مُعْتَدِلُونَ فِي أُمُورِهِمْ.

لَمْ يَقْتَرُوا - لَمْ يُضَيِّقُوا تَضْيِيقَ الْأَشْخَاءِ.

قَوَامًا - عَدْلًا وَسَطًا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ.

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧ - ١٨.

﴿٦٢﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا

﴿٦٣﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا

﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا

﴿٦٥﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا

﴿٦٦﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا

﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا

(آخِر)

(٦٨) - وَهُمْ مُخْلِصُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً، وَلَا يَدْعُونَ مَعَهُ أَحَدًا، وَلَا يَعْبُدُونَ سِوَاهُ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا إِلَّا بِحَقِّهَا، وَفَقًا لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا يَزْنِيْنَ الزَّانِي، وَلَا يَأْتُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الْفُرُوجِ. وَمَنْ يَزْنِكَبْ هَذِهِ الْكِبَائِرَ فَإِنَّهُ يَلْقَى عَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءٌ لَهُ عَلَى مَا ارْتَكَبَ. يَلْقَى أَثَامًا - يَلْقَى عِقَابًا فِي الْآخِرَةِ.

(يُضَاعَفُ) (الْقِيَامَةِ)

(٦٩) - وَيُزَادُ فِي عَذَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُعْظَلُ لَهُ فِيهِ، وَيَخْلَدُ فِي جَهَنَّمَ مَهَانًا ذَلِيلًا حَقِيرًا، جَزَاءٌ لَهُ عَلَى مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُنْكَرَةِ.

(آمَنَ) (صَالِحًا) (فَأُولَئِكَ) (حَسَنَاتٍ)

(٧٠) - إِلَّا مَنْ تَابَ فِي الدُّنْيَا، وَأَخْلَصَ التَّوْبَةَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَقَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ، وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ مُسْتَغْفِرًا مُنِيْبًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتُوبُ عَلَيْهِ، وَيُحْسِنُ عَاقِبَتَهُ (وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ)، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، كَانُوا قَبْلَ إِيْمَانِهِمْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ، فَحَوَّلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْحَسَنَاتِ، وَأَبْدَلَهُمْ مَكَانَ السَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

(وَقِيلَ بَلْ مَعْنَاهُ: إِنَّ السَّيِّئَاتِ السَّابِقَةَ تَنْقَلِبُ بِنَفْسِ التَّوْبَةِ إِلَى حَسَنَاتٍ).

(صَالِحًا)

(٧١) - وَيَعِدُ اللَّهُ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ وَعَدًا جَمِيلًا، فيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ مَنْ تَابَ عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي عَمِلَهَا وَنَدِمَ عَلَى مَا قَرَّطَ مِنْهُ، وَأَكْمَلَ نَفْسَهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَصُوحًا مَقْبُولَةً لَدَيْهِ، مَاجِيَةً لِلْعِقَابِ، مُحْصَلَةً لِجَزَائِلِ الثَّوَابِ.

(٧٢) - وَمِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ الزُّوْرَ، وَلَا يَحْضُرُونَ مَجَالِسَ الْفِسْقِ وَاللُّغُوِّ وَالْبَاطِلِ، وَمَجَالِسَ السُّوءِ، وَإِذَا مَرُّوا بِمَنْ يَلْعُونُ وَيَهْذَرُونَ وَيَفْسُقُونَ لَمْ يَتَوَقَّفُوا عَلَيْهِمْ وَاسْتَمَرُّوا فِي سَبْرِهِمْ مُسْرِعِينَ. (وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِالزُّوْرِ هُنَا شَهَادَةُ الزُّوْرِ وَهِيَ الْكَذِبُ عَمْدًا فِي الشَّهَادَةِ).

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

ءَاخَرًا وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا

يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ وَيَخْلَدُ فِيهِ مِهَانًا

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ

عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ

يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ

يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّوْرَ

وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا

مَرُّوا بِاللَّغْوِ - بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُلَغَى وَيُطْرَحَ مِنَ الْكَلَامِ
مَرُّوا كِرَامًا - مُسْرِعِينَ أَوْ مُكْرِمِينَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْمَشَارَكَةِ وَالْخَوْصِ فِيمَا
يَخُوضُونَ.

(بَيِّنَات)

(٧٣) - وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا
تَلَيْثَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَبِقِيْنًا بِصِدْقِ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ النُّبُوءَاتُ،
وَلَمْ يَكُونُوا كَالْكَفَّارِ الَّذِينَ لَا يَتَأَثَّرُونَ بِمَا يَسْمَعُونَ وَيُبْصِرُونَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
وَمُعْجَزَاتِهِ، وَيَسْتَمِرُّونَ وَكَانَهُمْ صُمٌّ لَا يَسْمَعُونَ، وَعُمِّيٌّ لَا يَبْصُرُونَ.
لَمْ يَجْرُوا - لَمْ يَقْعُوا وَلَمْ يَسْقُطُوا.

(أَزْوَاجِنَا) (ذُرِّيَّاتِنَا)

(٧٤) - وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُخْرِجَ مِنْ
أَصْلَابِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ مَنْ يَطِيعُ اللَّهَ وَيَعْبُدُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لِيَتَقَرَّ بِهِ
أَعْيُنُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يُجْعَلَ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ مَنْ يَطِيعُ اللَّهَ
تَعَالَى، وَيَهْتَدِي بِهِدَاهِ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُجْعَلَهُمْ أَيْمَةً يُقْتَدَى بِهِمْ فِي
الْخَيْرِ.

فَرَّةٌ أَعْيُنٌ - مَسْرَّةٌ وَفَرَحًا.
إِمَامًا - قُدْرَةٌ وَحُجَّةٌ أَوْ أَيْمَةٌ.

(أُولَئِكَ) (سَلَامًا)

(٧٥) - وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّصِفُونَ بِالصِّفَاتِ السَّابِقَةِ، يُجْزَوْنَ، يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، بِالذَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ، وَالْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ، فِي الْجَنَّةِ، لَصَبْرِهِمْ
عَلَى الْقِيَامِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي الْجَنَّةِ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ،
فَلَهُمُ السَّلَامُ، وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
الْعُرْفَةُ - أَمَاكُنُ عَالِيَةٍ فِي الْجَنَّةِ.

(خَالِدِينَ)

(٧٦) - وَيَبْقَوْنَ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِي مَقَامِهِمْ، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا
يَزُولُونَ وَلَا يَرْتَحِلُونَ، وَنِعْمَتِ الْجَنَّةِ مُسْتَقَرًّا وَمَقَامًا.

﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ

رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا
وَعُمًانَا

﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا

مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً
أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْفِقِينَ
إِمَامًا

﴿٧٥﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ

بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا
نَحِيَّةً وَسَلَامًا

﴿٧٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ

مُسْتَقَرًّا وَمَقَامًا

(يَقْبَأُ)

﴿٧٧﴾ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا

دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ

فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا

(٧٧) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِمْ : إِنَّ الْفَائِزِينَ يَنْعَمُ اللَّهُ الْجَلِيلُ، الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ إِنَّمَا نَالُوهَا بِمَا ذُكِرَ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي أَنْصَفُوا بِهَا، وَلَوْلَاهَا لَمْ يَهْتَمُّ بِهِمْ رَبُّهُمْ، وَلَمْ يَعْتَدُ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَقْبَأُ بِكُمْ إِذَا لَمْ تَعْبُدُوهُ، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ إِلَّا لِيَعْبُدُوا رَبَّهُمْ وَيُطِيعُوهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمَا دُمْتُمْ قَدْ خَالَفْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ، وَعَصَيْتُمْ حُكْمَهُ، وَكَذَّبْتُمْ رَسُولَهُ، فَسَوْفَ يُلْزَمُكُمْ أَثَرُ تَكْذِيبِكُمْ، وَهُوَ الْعِقَابُ الَّذِي لَا مَنَاصَ مِنْهُ، فَاسْتَعِدُّوا لَهُ، وَهَيِّئُوا أَنْفُسَكُمْ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ، وَهُوَ آتٍ قَرِيبٌ.

مَا يَقْبَأُ بِكُمْ - مَا يَكْتَرِثُ وَمَا يُبَالِي .

دُعَاؤُكُمْ - عِبَادَتُكُمْ .

يَكُونُ لِزَامًا - يَكُونُ جَزَاءُ تَكْذِيبِكُمْ عَذَابًا دَائِمًا مُلَازِمًا لَكُمْ .

(٢٦) سُورَةُ الشَّجَرَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا سِتِّعٌ وَعَشْرُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(طَا) (سِين) (مِيم)

(١) - وَهِيَ تُقْرَأُ مُقَطَّعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.
(آيَات)

(٢) - هَذِهِ الْآيَاتُ هِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْجَلِيِّ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ الَّذِي يُفَرِّقُ
بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .
الْمُبِينِ - الْمَوْضُحِ - الْجَلِيِّ .

(بَاخِع)

(٣) - لَا تُهْلِكُ يَا مُحَمَّدُ نَفْسَكَ أَسَى وَحُزْنًا وَخَسْرَةً عَلَى قَوْمِكَ إِذَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ .
(وَفِي هَذَا الْخِطَابِ نَسْلِيَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ عَمَّا يَلَايِقُهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ عِنَادٍ وَكُفْرٍ
وَتَكْذِيبِ بِرِسَالَةِ رَبِّهِمْ وَتَكْذِيبِ لِرَسُولِهِ) .
بَاخِعٌ - مَهْلِكٌ نَفْسَكَ خَسْرَةً وَحُزْنًا .

(آيَةٌ) (أَعْنَاقُهُمْ) (خَاضِعِينَ)

(٤) - وَلَوْ نَشَاءُ أَنْ نُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً تَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ
اضْطِرَّارًا وَقَهْرًا لَفَعَلْنَا، كَمَا نَفْعُنَا الْجَبَلَ فَوْقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَكِنَّا لَا
نَفْعُلُ ذَلِكَ، لِأَنَّا لَا نُرِيدُ أَنْ يُؤْمِنَ أَحَدٌ إِلَّا طَائِعًا مُخْتَارًا، مُقْتِنِعًا بِصَدَقِ
مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ. وَقَدْ أَنْزَلْنَا الْكُتُبَ، وَأَرْسَلْنَا الرُّسُلَ، لِيَتَقَوْمَ الْحُجَّةُ
الْبَالِغَةُ عَلَى الْخَلْقِ .
وَقِيلَ إِنَّ أَعْنَاقَهُمْ تَعْنِي قَادَتَهُمْ وَرُعَمَاءَهُمْ .

(٥) - وَمَا يَأْتِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ، شَيْءٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
يُذَكِّرُهُم بِالْذِّينِ الْحَقِّ، إِلَّا أَعْرَضُوا عَنْ اسْتِمَاعِهِ وَتَرَكُوا إِعْمَالَ الْفِكْرِ
فِيهِ، وَلَمْ يُوجِّهُوا هَمَّهُمْ إِلَى تَدْبِيرِهِ .

طسم



تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

لَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ

إِنْ شَاءَ أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً
فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ
إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ

(أَنْبَاءُ) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(٦) - لَقَدْ كَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكُونَ بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ مِنَ الْحَقِّ، ثُمَّ انْتَقَلُوا مِنَ التَّكْذِيبِ إِلَى الْاسْتِهْزَاءِ فَاصْبِرْ عَلَيْهِمْ فَسَوْفَ يَرَوْنَ - بَعْدَ حِينٍ - عَوَاقِبَ هَذَا التَّكْذِيبِ وَالْاسْتِهْزَاءِ، وَسَيَحْلُ بِهَمِ الْعِقَابِ عَلَى ذَلِكَ.
(وقد يكون ذلك في الحياة الدنيا، وقد يكون ذلك يوم القيامة).

(٧) كَيْفَ يُصِرُّونَ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَعَلَى تَكْذِيبِ رَسُولِهِ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ، وَأَنْبَتَ فِيهَا الزَّرْعَ وَالثَّمَارَ فِي أَصْنَافٍ وَطُغُومٍ مُخْتَلِفَةٍ تَبْهَرُ النَّاطِرِينَ، وَتَسْتَرْعِي أَنْظَارَ الْغَافِلِينَ، أَفَلَمْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ ذَلِكَ؟ إِنَّهُمْ لَوْ نَظَرُوا مُتَأَمِّلِينَ لَاهْتَدَوْا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخَذَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ - مِنْ كُلِّ صِنْفٍ حَسَنٍ كَرِيمٍ كَثِيرِ النِّفَعِ.

(لَايَةٌ)

(٨) - وَفِي إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى هَذِهِ الْأَشْكَالِ الْبَدِيعَةِ، لِدَلَالَاتٍ، لِأُولَى الْأَبَابِ وَالْعُقُولِ، عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، فَإِنَّ مَنْ أَحْيَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَأَخْرَجَ النَّبَاتَ وَالْأَشْجَارَ وَالزَّرْعَ وَالْفَوَاكِهَ مِنْهَا لَنْ يُعْجِزَهُ نَشْرُ الْخَلَائِقِ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ غَفَلُوا عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ فَجَحَدُوا بِهَا، وَكَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ.

(٩) - وَرَبُّكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُنَالُ، وَقَدْ غَلَبَ كُلُّ شَيْءٍ، وَهُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ بِخَلْقِهِ، فَلَا يُعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَنْ عَصَاهُ، بَلْ يُؤْجِلُهُ وَيُنْظِرُهُ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَسَيَنْتَقِمُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُكْذِبِينَ.

(الظَّالِمِينَ)

(١٠) - وَادْكُرْ أَيُّهَا الرَّسُولُ لِقَوْمِكَ، قِصَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَمَا نَادَاهُ رَبُّهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ، وَكَلَّمَهُ وَنَاجَاهُ، وَأَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، وَالظَّالِمِينَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِاسْتِعْبَادِهِمْ، وَذَنَحِ الذِّكْرِ مِنْ أَنْبَائِهِمْ.

﴿٦﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا

مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَتْنَا فِيهَا

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ

﴿٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ

﴿٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

﴿١٠﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ آتِنِ

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

(١١) - ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ (أَي مَن حَوْلَهُ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى أَلَا يَتَّقِي هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ رَبَّهُمْ وَيَحْذَرُونَ عِقَابَهُ، وَيَخَافُونَ عَاقِبَةَ بَغْيِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِهِ؟

(١٢) - فَقَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ: إِنَّهُ يَخَافُ أَنْ يُكَذِّبَهُ فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ، فِيمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ، كِبَرًا وَبَطَرًا وَعِنَادًا.

(هَارُونَ)

(١٣) - وَإِنَّهُ يَخَافُ إِذَا كَذَّبُوهُ أَنْ يَضِيقَ صَدْرُهُ، تَأَثُّرًا، وَيَتَلَجَّجَ لِسَانُهُ، وَهُوَ يُجَادِلُهُمْ وَيُنَاقِشُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ رَجَا رَبَّهُ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ، وَيَجْعَلَهُ نَبِيًّا مَعَهُ يُؤَاوِرُهُ وَيُشَدُّ بِهِ عُضُدَهُ.

(١٤) - ثُمَّ عَادَ يَتَوَلَّى إِلَى رَبِّهِ بَأَنَّهُ كَانَ قَتَلَ رَجُلًا مِنَ الْقَبِيلِ وَهَرَبَ مِنَ الْعِقَابِ إِلَى مَدْيَنَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوهُ قِصَاصًا بِتِلْكَ الْجَرِيْمَةِ، إِذَا جَاءَهُمْ وَحَدَّهُ.

(بَيَاتِنًا)

(١٥) - فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى قَائِلًا: لَا تَخَفْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ. إِنَّمَا سَنَشُدُّ عُضُدَكَ بِأَخِيكَ هَارُونَ، فَادْهَبِ أَنْتَ وَإِيَّاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِالْآيَاتِ الَّتِي آتَيْنَاكَ، وَمِنْهَا الْعَصَا وَالْيَدُ، وَسَاكُونَ مَعَكُمْ حَاضِرًا مُسْتَمِيعًا وَمُبْصِرًا مَا سَيَجْرِي، وَأَنْتُمْ بِحِفْظِي وَرِعَايَتِي، وَأَنْتُمْ الْعَالِيَانِ.

(الْعَالَمِينَ)

(١٦) - فَادْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُولَا لَهُ: إِنَّ كُلًّا مِنْكُمَا مُرْسَلٌ إِلَيْكَ وَإِلَى قَوْمِكَ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(وَكَلِمَةُ رَسُولٍ تُسْتَعْمَلُ لِلْفَرْدِ وَالْجَمْعِ).

(إِسْرَائِيلَ)

(١٧) - وَهُوَ يَأْمُرُكَ بِأَنْ تُطْلِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْضَتِكَ وَإِسَارِكَ وَقَهْرِكَ وَتُكْفَ عَنْ تَعْذِيبِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنْ تَتْرُكَهُمْ يَذْهَبُونَ مَعَنَا إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ.

(١٨) - فَرَدَّ فِرْعَوْنُ عَلَى مُوسَى بِازْدِرَاءٍ، وَعَدَمِ اكْتِرَافٍ، وَقَالَ لَهُ: أَمَّا أَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَنَاهُ فِي بَيْتِنَا، وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ، وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِ عَدَدًا مِنَ السِّنِينَ؟

(١١) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُوتُ

(١٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ

(١٣) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ

لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ

(١٤) وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ

(١٥) قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا

مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ

(١٦) فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١٧) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

(١٨) قَالَ أَلَمْ نَرْبِكْ فِيْنَا وَلِيدًا أَوَلَيْسَتْ

فِيْنَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ

(الْكَافِرِينَ)

(١٩) - ثُمَّ قَابَلْتُ ذَلِكَ الْإِحْسَانَ بِقَتْلِ رَجُلٍ مِنَّا، وَجَحَدْتُ نِعْمَتَنَا عَلَيْكَ وَكَفَرْتُ بِهَا.
الْكَافِرِينَ - الْجَاحِدِينَ لِلنَّعْمَةِ.

(٢٠) - فَقَالَ مُوسَى مُجِيبًا: قَدْ فَعَلْتُ تِلْكَ الْفَعْلَةَ - وَهِيَ قَتْلُ الْقَبِيضِيِّ - وَأَنَا إِذْ ذَاكَ مِنَ الْجَاهِلِينَ أَنْ وَكَرَّيْتُ سَتَقْضِي عَلَيَّ.
(وقيل إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: لَقَدْ فَعَلْتُهَا وَأَنَا فِي تِلْكَ الْحَالِ (إِذَا) قَبْلَ أَنْ يُوحِيَ اللَّهُ إِلَيَّ بِالرَّسَالَةِ، وَالنُّبُوَّةُ وَكُنْتُ جَاهِلًا).
الضَّالِّينَ - الْمُخْطِئِينَ غَيْرِ الْمُتَعَمِّدِينَ.

(٢١) - فَهَرَبْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُ أَنْ تَبْطِشُوا بِي، فَاخْتَارَنِي اللَّهُ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ، وَوَهَبَنِي عِلْمًا بِالْأَشْيَاءِ عَلَى وَجْهِ الصُّورِ، وَجَعَلَنِي رَسُولًا لِهَدَايَةِ الْعِبَادِ، وَأَمَرَنِي بِأَنْ آتِيكَ لِأَدْعُوكَ إِلَيْهِ، فَإِنْ أَطَعْتَهُ سَلِمْتَ، وَإِنْ خَالَفْتَهُ هَلَكْتَ.

(إِسْرَائِيلَ)

(٢٢) - وَإِنَّكَ تَمُنُّ عَلَيَّ بِأَنْكَ أَحْسَنْتَ إِلَيَّ، وَرَبِّيتَنِي فِي بَيْتِكَ، وَلَكِنْكَ اسْتَعْبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَجَعَلْتَهُمْ عِبِيدًا لَكَ وَخَدَمًا تُصَرِّفُهُمْ فِي أَعْمَالِكَ الشَّاقَّةِ، وَتَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ، وَلَوْلا خَوْفُ أُمِّي عَلَيَّ مِنَ الذَّبْحِ لَمَّا قَذَفْتَنِي فِي التَّابُوتِ فِي الْمَاءِ، وَلَمَّا صِرْتُ إِلَى قَصْرِكَ، وَلَكَانَ أَبَوَايَ رِثْيَانِي، وَلَمَّا كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى تَرْبِيَّتِكَ لِي. فَلَيْسَتْ نِعْمَتُكَ عَلَيَّ، وَتَرْبِيَّتُكَ إِنِّي بِشَيْءٍ يُقَاسُ بِالنَّسَبِ إِلَى مَا فَعَلْتَهُ أَنْتَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ.
عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ - اتَّخَذْتَهُمْ عِبِيدًا لَكَ مُسْتَذِلِّينَ

(الْعَالَمِينَ)

(٢٣) - وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَحْمِلُ قَوْمَهُ عَلَى عِبَادَةِ شَخْصِهِ هُوَ، وَيَقُولُ لَهُمْ: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) ^(١)، فَلَمَّا دَعَاهُ مُوسَى إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَقَالَ لَهُ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ مُسْتَخَفًا جَاحِدًا: وَمَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الَّذِي تَدَّعِي أَنَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَيَّ؟ وَمَا هِيَ حَقِيقَتُهُ؟

١٩ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ

٢٠ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ

٢١ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ

٢٢ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ

٢٣ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٤) - فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَاللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَوْ كَانَتْ لَكُمْ قُلُوبٌ مُوقِنَةٌ، وَأَبْصَارٌ نَافِذَةٌ لَانْتَفَعْتُمْ بِهَذَا الْجَوَابِ، وَلَا هَتَدَيْتُمْ، وَلَعَرَفْتُمْ أَنَّ مُلْكَ فِرْعَوْنَ لَا يُقَاسُ بِمُلْكِ اللَّهِ الْعَظِيمِ.

(٢٥) - فَالْتَفَتَ فِرْعَوْنُ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنْ مَلَائِكِهِ، وَكِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ، قَائِلًا لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالتَّكْذِيبِ لِمُوسَى: أَلَا تَسْتَمْعُونَ إِلَى مَا يَقُولُهُ هَذَا فِي زَعْمِهِ أَنَّ لَكُمْ إِلَهًا غَيْرِي.

(آبَائِكُمْ)

(٢٦) - فَتَابَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى، قَائِلًا: إِنَّهُ رَبُّكُمْ وَخَالِقُكُمْ، وَخَالَقَ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ.

(٢٧) - فَقَالَ فِرْعَوْنُ لَمَلَائِكِهِ: إِنَّ هَذَا الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ رَجُلٌ مَجْنُونٌ لَا عَقْلَ لَهُ، إِذْ يَدَّعِي أَنَّ ثَمَّةَ إِلَهًا غَيْرَهُ هُوَ (أَيَ غَيْرِ فِرْعَوْنَ).

(٢٨) - فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّ اللَّهَ رَبُّهُ هُوَ رَبُّكُمْ الَّذِي جَعَلَ الْمَشْرِقَ مَشْرِقًا، وَالْمَغْرِبَ مَغْرِبًا، فَتَطْلُعُ الْكَوَاكِبُ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَتَغْرُبُ فِي الْمَغْرِبِ، هَذَا إِنْ كَانَتْ لَكُمْ عُقُولٌ تَفْقَهُونَ بِهَا مَا تَرَوْنَ، وَمَا يُقَالُ لَكُمْ. فَإِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ فَانْتُمْ الَّذِينَ تَسْتَحِقُّونَ أَنْ تُوصَفُوا بِالْجُنُونِ.

(لَيْلِنَ)

(٢٩) - فَلَمَّا شَعَرَ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ غُلِبَ وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ، عَدَلَ إِلَى اسْتِغْثَالِ جَاهِهِ وَقُوَّةِ سُلْطَانِهِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُهُ، وَنَافِذٌ فِي مُوسَى وَأَخِيهِ فَقَالَ لِمُوسَى: إِذَا عَبَدْتَ إِلَهًا غَيْرِي فَسَأَسْجُنُكَ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ سُوءَ حَالِ مَنْ يَدْخُلُ فِي سِجْنِي.

(٣٠) - فَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ مُتَلَطِّفًا طَمَعًا فِي إِيمَانِهِ: وَهَلْ تَسْجُنُنِي حَتَّى وَلَوْ جُنْتُكَ بِبِرْهَانٍ قَاطِعٍ وَاضِحٍ عَلَى صِدْقِ مَا أَقُولُ مِنْ أَنِّي مُرْسَلٌ إِلَيْكَ مِنَ الْإِلَهِ الْقَادِرِ وَأَنَّ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ تَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ؟

﴿٢٤﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُمْ مُوقِنِينَ

﴿٢٥﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ

﴿٢٦﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ

﴿٢٧﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ

﴿٢٨﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ

﴿٢٩﴾ قَالَ لَيْلِنَ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ

﴿٣٠﴾ قَالَ أَوْ لَوْ جُنْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ

(الصَّادِقِينَ)

(٣١) - فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ هَاتِ مَا عِنْدَكَ مِنْ بُرْهَانٍ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي دَعْوَاكَ أَنْ لَدَيْكَ آيَةٌ وَمُعْجِزَةٌ.

(٣٢) - فَالْقَى مُوسَى الْعَصَا الَّتِي كَانَتْ بِيَدِهِ، فَانْقَلَبَتْ إِلَى ثُعْبَانٍ حَقِيقِيٍّ ظَاهِرٍ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْجَلَاءِ.

(لِلنَّاطِرِينَ)

(٣٣) - وَنَزَعَ يَدَهُ مِنْ جَيْبٍ قَمِيصِهِ فَإِذَا بِهَا تَتَلَّأُ كَقِلْقَلَةِ الْقَمَرِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَلَا مَرَضٍ.

نَزَعَ يَدَهُ - أَخْرَجَهَا مِنْ جَيْبِهِ (وَالْجَيْبُ فَتْحَةُ الثَّوبِ عِنْدَ الصُّدْرِ).

(لِسَاحِرٍ)

(٣٤) - فَبَادَرَ فِرْعَوْنُ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ بَطَانَتِهِ: إِنَّ مُوسَى سَاحِرٌ بَارِعٌ فِي السِّحْرِ (عَلِيمٌ) فَادْخُلْ فِي رُوعِهِمْ أَنْ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى هُوَ مِنْ قَبِيلِ السِّحْرِ، لَا مِنْ قَبِيلِ الْمُعْجِزَةِ الْخَارِقَةِ، ثُمَّ حَرَّضَهُمْ عَلَى مُخَالَفَتِهِ، وَالْكَفْرِ بِهِ.

الْمَلَأَ - وَجَّهَ الْقَوْمَ وَكَبَّرَاءَ الدَّوْلَةِ.

(٣٥) - فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ يُرِيدُ بِسِحْرِهِ هَذَا أَنْ يَذْهَبَ بِقُلُوبِ النَّاسِ، فَيَكْثُرَ أَغْوَانُهُ وَاتِّبَاعُهُ، وَيُغْلِبَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى دَوْلَتِكُمْ، فَيَأْخُذَ الْبِلَادَ مِنْكُمْ، وَيُخْرِجَكُمْ مِنْهَا، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ بِالَّذِي تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ؟

(الْمَدَائِنِ) (حَاشِرِينَ)

(٣٦) - فَقَالَ الْمَلَأُ لِفِرْعَوْنَ: أَجَلِ الْفَضْلَ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِ أَخِيهِ، وَأَرْسِلْ مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا (حَاشِرِينَ) يَطُوفُونَ أَرْجَاءَ مَمْلَكَتِكَ بَحْثًا عَنِ السَّحَرَةِ.

أَرْجَاهُ - آخِرُ أَمْرِهِمَا وَلَا تُعَجِّلْ لَهُمَا بِالْعُقُوبَةِ.

حَاشِرِينَ - أَنَا سَأَجْمَعُونَ لَكَ السَّحَرَةَ.

(٣٧) لِيَأْتُوكَ بِكُلِّ مَنْ لَهُ عِلْمٌ كَافٍ بِالسِّحْرِ، وَفُنُونِهِ، لِيُقَابِلُوا مُوسَى وَأَخَاهُ بِنَظِيرٍ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى فَتَغْلِبَهُ أَنْتَ، وَتَكُونَ لَكَ النُّصْرَةُ وَالْغَلْبَةُ عَلَيْهِ، وَعَلَى أَخِيهِ. فَاجَابَهُمْ فِرْعَوْنُ إِلَى ذَلِكَ وَكَانَ هَذَا مِنْ تَسْخِيرِ اللَّهِ تَعَالَى لِيَجْتَمِعَ السَّحَرَةُ وَالنَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَظْهَرَ آيَاتُ اللَّهِ وَحُجُجُهُ فِي النَّهَارِ جَهْرَةً أَمَامَ الْخَلَائِقِ.

﴿٣١﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ

﴿٣٢﴾ فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ

﴿٣٣﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٌ لِلنَّظَرِينَ

﴿٣٤﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ

عَلِيمٌ

﴿٣٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ

﴿٣٦﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي

الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ

﴿٣٧﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ

(لَمِيقَاتٍ)

(٣٨) - فَضْرِبَ لِلْسَّحَرَةِ مَوْعِدٌ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ وَوَقْتُ مُعَدَّدٌ.

(٣٩) ودُعِيَ النَّاسُ إِلَى الْاجْتِمَاعِ لِمُشَاهَدَةِ الْمُبَارَزَةِ بَيْنَ السَّحَرَةِ وَبَيْنَ مُوسَى وَهَارُونَ، فَأَخَذَ النَّاسُ يَحُثُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الْاجْتِمَاعِ فِي الْيَوْمِ الْمَعْلُومِ لِحَضُورِ الْحَفْلِ الْمَشْهُودِ. هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ - حَثَّ عَلَى الْاجْتِمَاعِ وَاسْتَعْجَالَ لَهُ.

(الْغَالِبِينَ)

(٤٠) - وَقَالَ قَائِلُهُمْ: لَعَلَّنَا تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ غَلَبُوا مُوسَى وَآخَاهُ. (وَلَمْ يَقُولُوا لَعَلَّنَا تَتَّبِعُ الْحَقَّ سَوَاءٌ كَانَ مِنَ السَّحَرَةِ أَوْ مِنْ مُوسَى، وَلَكِنْهُمْ كَانُوا عَلَى دِينِ مَلِكِهِمْ فِرْعَوْنَ).

(أَيُّنَ) (الْغَالِبِينَ)

(٤١) - وَجَاءَ السَّحَرَةُ إِلَى مَجْلِسِ فِرْعَوْنَ، وَقَدْ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ وَحَوْلَهُ كِبَارُ رِجَالِ دَوْلَتِهِ، وَخَدَمُهُ وَحَشَمُهُ وَجُنْدُهُ، فَقَامَ السَّحَرَةُ بَيْنَ يَدَيْ فِرْعَوْنَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ إِنْ غَلَبُوا مُوسَى وَهَارُونَ، وَقَالُوا لَهُ: وَهَلْ لَنَا مِنْ أَجْرٍ إِذَا انْتَصَرْنَا عَلَيْهِمَا؟

(٤٢) - فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: نَعَمْ إِنْ لَكُمْ لِأَجْرًا، وَإِنْ لَكُمْ عِنْدِي أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّكُمْ سَتَكُونُونَ مِنْ جُلَسَائِي، وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدِي.

(٤٣) - وَلَمَّا اجْتَمَعُوا، فِي الْيَوْمِ الْمَعْلُومِ، أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَالنَّاسِ الْمُحْتَشِدِينَ، سَأَلَ السَّحَرَةُ مُوسَى إِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَبْدَأَ هُوَ بِالْقَاءِ مَا عِنْدَهُ مِنْ فُنُونِ السَّحْرِ، أَوْ يَكُونُونَ هُمُ الْبَادِئِينَ؟ فَقَالَ لَهُمْ: بَلَى أَلْقُوا أَنْتُمْ مَا لَدَيْكُمْ مِنْ فُنُونِ السَّحْرِ.

(الْغَالِبُونَ)

(٤٤) - فَأَلْقَوْا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ فَسَحَرُوا أَغْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآؤُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ - كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى (١) - وَنَظَرُوا إِلَى مَا أَتَوْا مِنْ السَّحْرِ فَظَنُّوهُ عَظِيمًا، وَدَاحِلَهُمُ الرَّهْوُ، وَاقْتَنُوا بِالنَّصْرِ، فَأَقْسَمُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ، وَقُوَّتِهِ، وَبُيُوتِهِ، أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ الْغَالِبِينَ. بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ - بِعَظَمَةِ فِرْعَوْنَ وَبُيُوتِهِ.

﴿٣٨﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ

﴿٣٩﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ

﴿٤٠﴾ لَعَلَّنَا تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ

﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا خِشْيَا الْغَالِبِينَ

﴿٤٢﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ

﴿٤٣﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ

﴿٤٤﴾ فَأَلْقَوْا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ

(٤٥) - فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَأَنْفَلَتْ تُعْبَانًا عَظِيمًا أَخَذَ يُطَارِدُ حِبَالَ السَّحَرَةِ، وَعَصِيَّتُهُمْ، وَبِتَلْعُهَا، حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا جَمِيعًا، وَقَدْ حَدَثَ كُلُّ ذَلِكَ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَجُنْدِهِ وَأَهْلِ مَمْلِكَتِهِ.
مَا يَأْفِكُونَ - مَا يَكْذِبُونَ، وَيُمَوِّهُونَ بِهِ عَلَى النَّاسِ
تَلْقَفْ - تَبْتَلِعْ بِسُرْعَةٍ

(سَاجِدِينَ)

(٤٦) - وَعَلِمَ السَّحَرَةُ أَنَّ مَا أَتَى بِهِ مُوسَى لَيْسَ سِحْرًا، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ سِحْرًا لَمَا غَلَبَهُمْ، وَهُمْ جُمُوعٌ مِنَ السَّحَرَةِ، لَهُمْ بِالسَّحْرِ عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ، وَأَيُّقُنُوا أَنَّ مَا أَتَى بِهِ مُوسَى هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَخَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ سَاجِدِينَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، تَائِبِينَ مُسْتَغْفِرِينَ رَبَّهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ سِحْرٍ وَكُفْرٍ، وَرَغْبَةٍ فِي مُعَارَضَةِ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِسِحْرِهِمْ.

(أَمَنَّا) (الْعَالَمِينَ)

(٤٧) - وَقَالُوا: أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي دَعَا مُوسَى فِرْعَوْنَ إِلَى عِبَادَتِهِ حِينَمَا جَاءَهُ. وَأَعْلَنُوا إِيمَانَهُمْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ.

(هَارُونَ)

(٤٨) - ثُمَّ بَيَّنَّا أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي آمَنُوا بِهِ هُوَ رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ، وَمُؤَيِّدُهُمَا بِنَصْرِهِ.

(أَمْسَتْمْ) (آذَنَ) (خِلَافِ)

(٤٩) - فَسَعَرَ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ غُلِبَ عَلَى أَمْرِهِ غَلِبًا كَبِيرًا أَمَامَ شَعْبِهِ وَمَلَئِهِ وَسَحَرَتِهِ، فَعَدَلَ إِلَى الْمُكَابَرَةِ وَالْعِنَادِ، وَدَعَا إِلَى الْبَاطِلِ، فَشَرَعَ يَتَهَدَّدُ السَّحَرَةَ وَيَتَوَعَّدُهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ مُوسَى هُوَ كَبِيرُهُمْ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَهُمُ السَّحْرَ، وَإِنَّهُمْ تَوَاطَوْا مَعَهُ لِيُظْهَرَ عَلَيْهِمْ أَمَامَ النَّاسِ فِتْنَتُهُ. وَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنَ: كَيْفَ تَؤْمِنُونَ لَهُ قَبْلَ أَنْ تَسْتَأْذِنُونِي فِي ذَلِكَ؟ وَقَبْلَ أَنْ أَسْمَحَ لَكُمْ بِهِ؟ ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ بِقَطْعِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ بِصُورَةٍ مُتَخَالِفَةٍ، فَإِذَا قُطِعَ الْيَدُ الْيُمْنَى قُطِعَ الرَّجْلُ الْيُسْرَى، وَبِأَنَّهُ سَيَصْلِبُهُمْ جَمِيعًا عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ.

٤٥ فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ

٤٦ فَالْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ

٤٧ قَالُوا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ

٤٨ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ

٤٩ قَالَ أَمْسَتْمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمَدُ لَأَقْطَعَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ

(٥٠) - فَقَالُوا لَهُ: لَا حَرْجَ عَلَيْنَا وَلَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ لَا يَضُرُّنَا وَلَا نُبَالِي بِهِ، فَلَمَّا رَاجِعُونَ إِلَى رَبَّنَا، وَهُوَ تَعَالَى لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا سَتَفَعَلَهُ بَنَّا، وَسَنَجِدُ عِنْدَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ.
لَا ضَمِيرَ عَلَيْنَا - لَا ضَرَرَ عَلَيْنَا فِيمَا يُصِيبُنَا.

(خَطَايَانَا)

(٥١) - وَإِنَّا نَطْمَعُ فِي أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا ذُنُوبَنَا وَمَا اقْتَرَفْنَاهُ فِي حَيَاتِنَا الْمَاضِيَةِ مِنَ الْخَطَايَا، وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ، إِذْ كُنَّا أَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنْ قَوْمِكَ بِمُوسَى وَرِسَالَتِهِ انْقِيَادًا لِلْحَقِّ، وَإِعْرَاضًا عَنْ زُخْرَفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا.

(٥٢) - وَلَمَّا طَالَ مُقَامُ مُوسَى فِي مِصْرَ، وَأَقَامَ بِهَا حُجَجَ اللَّهِ وَبِرَاهِينَهُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يُكَابِرُونَ وَيُعَانِدُونَ، لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَذَابُ وَالنَّكَالُ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى أَنْ يَخْرُجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا مِنْ مِصْرَ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِرْعَوْنَ سَيَتَّبِعُهُمْ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ حَيْثُ يَؤْمَرُ، فَفَعَلَ مُوسَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ.
مُتَّبِعُونَ - يَتَّبِعُكُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ.
السُّرَى - السَّيْرِ لَيْلًا.

(الْمَدَائِنِ) (حَاشِرِينَ)

(٥٣) - وَلَمَّا عَلِمَ فِرْعَوْنُ بَارْتِحَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ مُوسَى لِيَخْرُجُوا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ اغْتَاظَ وَأَرْسَلَ رَسُولًا (حَاشِرِينَ) يَجْمَعُونَ لَهُ الْجُنُودَ مِنْ أَطْرَافِ مَمْلَكَتِهِ، لِيَتَّبِعَهُمْ وَيَرُدَّهُمْ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ، وَيَمْنَعَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهَا.
حَاشِرِينَ - أَنَا سَأَجْمَعُونَ لَهُ الْجُنْدَ

(٥٤) - وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (هَؤُلَاءِ) طَائِفَةٌ خَسِيسَةٌ فِي شَأْنِهَا، قَلِيلَةٌ فِي عَدِّهَا (لِشِرْذِمَةٍ)، وَمِنَ السَّهْلِ قَهْرُهُمْ وَالسَّيْطَرَةُ عَلَى مُقَاوَمَتِهِمْ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ.
شِرْذِمَةٌ - طَائِفَةٌ قَلِيلَةُ الْأَهَمِّيَّةِ.

(لَفَائِظُونَ)

(٥٥) - وَقَدْ أَقْدَمُوا عَلَى عَمَلِ مَا يُبَيِّرُ غَيْظَنَا بِمُخَالَفَةِ أَمْرِنَا، وَمُحَاوَلَةِ الْخُرُوجِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِغَيْرِ إِذْنِنَا، وَبِذَهَابِهِمْ بِالْحَيْلِ الَّتِي اسْتَعَارُوهَا مِنَ الْقِطْطِ.

٥٠ قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ

٥١ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا

أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ



٥٢ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ

أَسْرِ بِعِبَادِيَ إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ

٥٣ فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ

٥٤ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ

٥٥ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ

(حَاذِرُونَ)

(٥٦) - وَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَحْذَرَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ شَرُّهُمْ. وَنَحْنُ قَوْمٌ مِنْ عَادَتِنَا الْحَذَرُ وَالتَّقِيطُ، وَاسْتِعْمَالُ الْحَزْمِ فِي الْأُمُورِ.
حَاذِرُونَ - مُحْتَزِرُونَ أَوْ مُتَأَهِّبُونَ بِالسَّلَاحِ

(فَأَخْرَجْنَاهُمْ) (جَنَاتٍ)

(٥٧) - فَأَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَجُنُودَهُ مِنْ نَعِيمِ الْحَيَاةِ الَّتِي كَانُوا يَعِيشُونَهَا، فَتَرَكُوا الْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ، وَالْبَسَاتِينَ النَّصْرَةَ وَالْمِيَاهَ الْوَفِيرَةَ، لِيُهْلِكَهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ غَرَقًا.
(٥٨) - وَتَرَكُوا الْكُنُوزَ وَالْأَمْوَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَالْجَاهَ الْوَافِرَ فِي الدُّنْيَا.

(أَوْرَثْنَاهَا) (إِسْرَائِيلَ)

(٥٩) - وَهَكَذَا أَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَجُنُودَهُ مِنْ أَرْضِهِمْ، الَّتِي كَانُوا مُقِيمِينَ فِيهَا، لِيُهْلِكَهُمْ فِي الْبَحْرِ غَرَقًا، وَجَعَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، وَفِيهَا جَنَاتٌ وَعُيُونٌ وَنَعِيمٌ يُمَازِلُ مَا تَرَكَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي مِصْرَ فَتَحَوَّلَ حَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الرِّقِّ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ، إِلَى الْحُرِّيَّةِ وَالتَّرَفِّ وَالنَّعِيمِ.

(٦٠) - فَاتَّبَعَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَدْرَكُوهُمْ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ.
مُشْرِقِينَ - دَاخِلِينَ فِي وَقْتِ الشُّرُوقِ.

(تَرَأَى) (أَصْحَابُ)

(٦١) - فَلَمَّا رَأَى كُلُّ فَرِيقٍ الْفَرِيقَ الْآخَرَ، قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى: إِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ قَدْ أَدْرَكُوهُمْ وَإِنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَهُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، وَلَمْ يَعُدَّ بِإِمْكَانِهِمْ مُتَابَعَةَ السَّيْرِ لِلتَّخْلُصِ مِنْ مَطَارِدَةِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.
تَرَأَى الْجَمْعَانِ - رَأَى كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ.

(٦٢) - فَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: كَلَّا. إِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَمَرَنِي بِأَنْ أَسِيرَ بِكُمْ إِلَى هُنَا، وَهُوَ تَعَالَى لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَإِنَّهُ سَيَهْدِينِي سَوَاءَ السَّبِيلِ، إِلَى مَا يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَهُ لِنَنْجُو.

٥٦ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ

٥٧ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

٥٨ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ

٥٩ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

٦٠ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ

٦١ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ

مُوسَى إِنَّا لَمَدْرَكُونَ

٦٢ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ

﴿٦٣﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ
بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ
فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ

(٦٣) - فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بِأَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ فَضْرَبَهُ فَانْفَلَقَ
الْبَحْرُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ كُلُّ جَانِبٍ مِنَ الْمَاءِ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ.
(وقال ابن عباس: أَصْبَحَتِ الْفَتْحَةُ الَّتِي انشَقَّ عَنْهَا الْمَاءُ كَالْفَجِّ الْعَظِيمِ
بَيْنَ جَبَلَيْنِ).

فَانْفَلَقَ - انشَقَّ اثْنِي عَشَرَ فَرْقًا.

فَرَقٍ - قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ مُرْتَفِعَةٍ.

كَالطُّودِ الْعَظِيمِ - كَالْجَبَلِ الْمُرْتَفِعِ فِي السَّمَاءِ.

(الْآخَرِينَ)

﴿٦٤﴾ وَأَرْلَفْنَا نَأْمَ الْآخَرِينَ

(٦٤) - وَقَرَّبَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ مِنَ الْبَحْرِ، وَأَذَانَهُمْ مِنْهُ.

أَرْلَفْنَا - قَرَّبْنَاهُمْ مِنَ الْبَحْرِ (أَيِ جَمَاعَةَ فِرْعَوْنَ).

(٦٥) - فَسَارَ مُوسَى وَقَوْمُهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي انْفَتَحَ فِي الْبَحْرِ وَأَصْبَحَ
يَابِسًا، وَبَلَغُوا الطَّرْفَ الْآخَرَ مِنَ الْبَحْرِ، فَتَجَوَّأَ جَمِيعًا.

﴿٦٥﴾ وَأَخْبَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ

(الْآخَرِينَ)

(٦٦) - وَتَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي انْفَتَحَ فِي الْبَحْرِ، فَلَمَّا
أَصْبَحُوا جَمِيعًا بَيْنَ فَرَقَتِي الْمَاءِ، أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْبَحْرُ فَأَغْرَقَهُمْ أَجْمَعِينَ.

﴿٦٦﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ

(لَايَةً)

﴿٦٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

(٦٧) - وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّأْيِيدِ لِعِبَادِ
اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، لِلدَّلَالَةِ وَاضِحَةٍ وَحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى
صِدْقِ مُوسَى، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا مَعَ أَنَّهُمْ رَأَوْا بِأَعْيُنِهِمْ هَذِهِ الْآيَاتِ
الْعِظَامَ الْبَاهِرَةَ.

أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ

(٦٨) - وَإِنَّ خَالِقَكَ وَمُرِيكَ، يَا مُحَمَّدُ، لَهُوَ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ
مِنَ الْمُكَذِّبِينَ، الْمُنْعِمُ بِالرَّحْمَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

﴿٦٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

(إِبْرَاهِيمَ)

﴿٦٩﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ

(٦٩) - وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى قَوْمِكَ أَخْبَارُ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
لَعَلَّهُمْ يَقْتَدُونَ بِهِ فِي الْإِخْلَاصِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالتَّبَرُّؤِ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ فَقَدْ أُوتِيَ رُشْدُهُ مِنْ صِغَرِهِ، فَهَوَّ
حِينَ نَشَأَ وَتَرَعَرَغَ أَنْكَرَ عَلَى أَبِيهِ وَقَوْمِهِ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ.

(٧٠) - فَقَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: مَاذَا تَعْبُدُونَ؟ وَمَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَى
عِبَادَتِهَا عَاكِفُونَ؟ مَعَ أَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ.

﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ

(عَاكِفِينَ)

(٧١) - فَقَالُوا لَهُ مُبَاهِينَ: إِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا يَظُنُّونَ مُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَتِهَا وَدُعَائِهَا تَعْظِيمًا لَهَا وَتَمْجِيدًا.
عَكَفَ - انْكَبَّ وَأَقَامَ

(٧٢) - فَسَأَلَهُمْ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَعْرِبًا، وَمُسْتَهْزِئًا، وَمُنْكَرًا تَصَرُّفُهُمْ هَذَا: هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ حِينَمَا تَدْعُونَهُمْ وَهُمْ حِجَارَةٌ، وَهَلْ يُجِيبُونَكُمْ إِذَا دَعَوْتُمُوهُمْ؟

(٧٣) - وَهَلْ يَسْتَطِيعُونَ نَفْعَكُمْ إِذَا أَطَعْتُمُوهُمْ، أَوْ ضَرَّكُمْ إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ؟
(آبَاءَنَا)

(٧٤) - فَاعْتَرَفُوا بِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهَا تَنْفَعُ وَتَضُرُّ، وَإِنَّمَا وَجَدُوا آبَاءَهُمْ يَعْبُدُونَهَا، وَيَسْجُدُونَ لَهَا، وَيُنْحَرُونَ لَهَا الْقَرَابِينَ، فَاقْتَدَوْا بِهِمْ، وَفَعَلُوا فِعْلَهُمْ.

(أَفَرَأَيْتُمْ)
(٧٥) - قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ: هَلْ تَرَوْنَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا أَنْتُمْ؟
أَفَرَأَيْتُمْ - أَتَأْمَلْتُمْ فَعَلَيْتُمْ.

(آبَاؤُكُمْ)
(٧٦) - وَالَّتِي عَبَدَهَا آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ؟

(الْعَالَمِينَ)

(٧٧) - إِنِّي بَرَاءٌ مِنْهَا جَمِيعًا، وَأَنَا لَا اعْتَرِفُ بِرُبُوبِيَّةِ شَيْءٍ مِنْهَا، وَإِنِّي لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

(٧٨) - وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَنِي، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ الَّذِي هَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ، فَكُلُّ يَجْرِي عَلَى مَا قَدَّرَ لَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَهْدِينِي إِلَى كُلِّ مَا يُوصِلُنِي إِلَى السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(٧٩) - وَهُوَ خَالِقِي وَرَازِقِي بِمَا سَخَّرَ وَيَسَّرَ مِنَ الْأَسْبَابِ.
(٨٠) - وَإِذَا أَلَمَ بِي مَرَضٌ قَرِيبِي هُوَ الَّذِي يَشْفِينِي مِنَ الْمَرَضِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى شِفَائِي غَيْرُهُ، بِمَا يَقْدَرُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُوصِلَةِ إِلَيْهِ.

(٨١) - وَهُوَ الَّذِي خَلَقَنِي ثُمَّ يُمِيتُنِي حِينَمَا يَجِبُنِي أَجَلِي، ثُمَّ يَبْعَثُنِي حَيًّا مَرَّةً أُخْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ سِوَاهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

٧١) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّهَا عَاكِفِينَ

٧٢) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذَا تَدْعُونَ

٧٣) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ

٧٤) قَالُوا بَلَى وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ

٧٥) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ

٧٦) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ

٧٧) فَاتَّهَمَ عَدُوِّيَ الْآرَبَ الْعَالَمِينَ

٧٨) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ

٧٩) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ

٨٠) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ

٨١) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ

﴿٨٢﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي

خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ

﴿٨٣﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا

وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ

﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي

الْآخِرِينَ

﴿٨٥﴾ وَاجْعَلْ لِي وَرَثَةً حَسَنَةً النَّعِيمِ

﴿٨٦﴾ وَأَعِزِّ لَأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ

﴿٨٧﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ

﴿٨٨﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ

﴿٨٩﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

(٨٢) - وإني أطمع في أن يغفر تعالى خطاياي وذنوبي وهفواتي يوم القيامة (يوم الدين)، ولا يقدر على مغفرة الذنوب غيره، في الدنيا والآخرة، وهو الفعال لما يشاء.

يوم الدين - يوم القيامة.

(بالصالحين)

(٨٣) - ثم دعا إبراهيم ربه أن يؤثبه علماً ورأياً سديداً (حكماً - وقيل بل المراد بالحكم هنا النبوة) وأن يوفقه إلى العمل في طاعة ربه ليكون من زمرة المقربين إليه، المطيعين له، المؤهلين لحمل رسالته.

(الآخرين)

(٨٤) - وأن يجعل له ذكراً جميلاً، يذكره به من يأتي بعده، وأن يكون قدوة يقتدى به بما يوفقه إليه ربه من عمل الخير.

لسان صدق - ثناء جميلاً، وذكرًا حسناً.

(٨٥) - وأن ينعم عليه ربه في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعده، وأن ينعم عليه في الآخرة بأن يجعله ممن يرثون جنة النعيم.

(٨٦) - ودعا إبراهيم ربه ليغفر لأبيه (لأنه كان مشركاً بالله، ضالاً عن طريق الهدى).

(ولكن إبراهيم تبرأ من أبيه فيما بعد حينما تبين له أنه عدو لله، ورجع في دعائه هذا كما جاء في آية أخرى^(١)).

(٨٧) - ودعا ربه أن يجيره من الخزي والهوان يوم القيامة، يوم يبعث الله الخلائق، ويحشرهم جميعاً للحساب.

لا تخزني - لا تفضخني ولا تدلني بعقابك.

(٨٨) - وفي يوم القيامة، يوم يبعث الخلائق، لا يقي المرء من عذاب الله ماله، ولو اقتدى بملء الأرض ذهباً، ولا ينفعه بنوه، ولا أحد من خلق الله.

(٨٩) - ولا ينفعه في ذلك اليوم إلا إيمانه، وعمله الصالح، وأن يأتي الله ربه بقلب سليم، مبرراً من الشرك والذنس والخطايا، وقد أخلص الإيمان لله، وأخلص العقيدة له، وأمن إيماناً صادقاً أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

بقلب سليم - بريء من مرض النفاق والكفر.

(٩٠) - وَأُذِيتِ الْجَنَّةَ وَقُرِبَتْ مِنَ السُّعْدَاءِ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى أَصْبَحَتْ مِنْهُمْ بِمَرَأَى الْبَصَرِ وَهِيَ مُزَيَّنَةٌ مُزَخْرَفَةٌ لِيَفْرَحُوا بِرُؤْيَيْهَا، وَهَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ رَغَبُوا فِيهَا، وَعَمِلُوا لَهَا، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ سَيَحْشَرُونَ إِلَيْهَا. أُرْلِفَتِ الْجَنَّةُ - قُرِبَتْ لِتُصْبَحَ بِمَرَأَى الْعَيْنِ.

(٩١) - وَأُبْرِزَتْ جَهَنَّمُ، وَأُظْهِرَتْ لِأَهْلِهَا الْكَفَرَةِ الطُّغَاةِ الْغَاوِينَ، لِتَكُونَ بِمَرَأَى الْعَيْنِ مِنْهُمْ، وَفِي ذَلِكَ تَعْجِيلٌ لِحَسْرَتِهِمْ، وَعَمَهُمْ. بُرِّزَتْ الْجَحِيمُ - أُظْهِرَتْ وَأُبْرِزَتْ بِحَيْثُ تُرَى أَهْوَالُهَا. لِلْغَاوِينَ - الضَّالِّينَ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ.

(٩٢) - وَقِيلَ لِأَهْلِ النَّارِ تَقَرَّبُوا وَتَوَيْخَأُوا: أَيْنَ الْآلِهَةُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَصْنَامٍ وَأُنْدَادٍ؟

(٩٣) - لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ سَيَسْقِعُونَ لَكُمْ عَذَابَ اللَّهِ، فَهَلْ يَسْتَطِيعُونَ الْيَوْمَ نَصْرَكُمْ أَوْ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ؟ وَهَلْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَذْفَعُوا عَذَابَ اللَّهِ عَنْكُمْ أَوْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؟ إِنَّكُمْ وَإِبَاهُمْ صَاحِرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا وَمُسْتَقَرًّا.

(الْغَاوُونَ)

(٩٤) - فَالْقُوا فِي جَهَنَّمَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ (كُبْكِبُوا)، هُمْ وَقَادَتُهُمْ وَكِبَرَاؤُهُمْ، الَّذِينَ دَعَوْهُمْ إِلَى الشِّرْكِ. كُبْكِبُوا - أُلْقُوا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ عَلَى وُجُوهِهِمْ. الْغَاوُونَ - الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَهُمْ هُنَا الْكُفَرَاءُ.

(٩٥) - وَقُذِفَ فِي النَّارِ مَعَهُمْ جَنُودُ إِبْلِيسَ الَّذِينَ كَانُوا يُزَيِّنُونَ لَهُمُ الشِّرْكَ وَالْمَعَاصِي، فَصَارُوا جَمِيعًا فِي النَّارِ.

(٩٦) - فَيَقُولُونَ مُعْتَرِفِينَ بِخَطِيئَتِهِمْ، وَهُمْ يَتَخَاصِمُونَ فِي النَّارِ مَعَ مَنْ أَضَلُّوهُمْ مِنْ مَعْبُودَاتِهِمْ.

(ضَلَالٍ)

(٩٧) - وَاللَّهُ لَقَدْ كُنَّا ضَالِّينَ بِصُورَةٍ جَلِيلَةٍ وَأَصَحَّةٍ.

(الْعَالَمِينَ)

(٩٨) - إِذْ اسْتَجَبْنَا لَكُمْ أَيُّهَا الْمَعْبُودُونَ، وَعَظَّمْنَاكُمْ تَعْظِيمَ الْمَعْبُودِ الْحَقِّ، وَسَوَّيْنَاكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ. نُسَوِّيَكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ - نَجْعَلُكُمْ وَإِبَاهُ سَوَاءً فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ.

٩ وَأُرْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ

١١ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ

١٢ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ

١٣ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ

١٤ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ

١٥ وَجَنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ

١٦ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ

١٧ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

١٨ إِذْ نُسَوِّيَكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ

(٩٩) - وَمَا دَعَانَا إِلَى ذَلِكَ، وَلَا حَمَلْنَا عَلَيْهِ إِلَّا الْمُجْرِمُونَ مِنَ السَّادَةِ
وَالْكِبَرَاءِ، الَّذِينَ أَضَلُّونَا السَّبِيلَ.

(شَافِعِينَ)

(١٠٠) - فَلَيْسَ لَنَا الْيَوْمَ مَنْ يَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ، وَيُنْقِذَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ
ضَيْقٍ وَعَذَابٍ.

(١٠١) - وَلَيْسَ لَنَا الْيَوْمَ صَدِيقٌ مُخْلِصٌ الصَّدَاقَةَ وَثِيقَهَا (حَمِيم) يُؤَاوِزُ
فِي الشَّفَاعَةِ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ يَتَوَجَّعُ لَنَا وَيُرِييَ لِحَالِنَا.
حَمِيمٌ - قَرِيبٌ مُشْفِقٌ يَهْتَمُّ بِأَمْرِنَا

(١٠٢) - وَيَتَمَنُّونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَوْ أَنَّهُمْ يُرَدُّونَ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا لِيَعْمَلُوا
بِطَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا يَرْغُمُونَ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا
لِمَا نُهَوْا عَنْهُ.
كَرَّةٌ - رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا

(لَايَةٌ)

(١٠٣) - وَإِنَّ فِي مَحَاجَّةِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فِي
وُجُوبِ التَّوْحِيدِ لَايَةً، وَبُرْهَانًا جَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ. وَمَعَ وَضُوحِ ذَلِكَ وَجَلَالِهِ لِأَعْيُنِهِمْ فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ أَكْثَرُهُمْ بِهِ.
(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: وَمَا كَانَ أَكْثَرُ قَوْمِكَ الَّذِينَ تَتَلَوُ عَلَيْهِمْ هَذَا النَّبَأُ
مُذْعَبِينَ لِدَعْوَتِكَ).

(١٠٤) - وَرَبِّكَ، يَا مُحَمَّدٌ، هُوَ الْعَزِيزُ الْجَانِبِ، الَّذِي لَا يُقَاوَمُ وَلَا
يُغَالَبُ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ، وَهُوَ الرَّحِيمُ، إِذْ لَمْ
يُهْلِكِ الْعِبَادَ بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ، بَلْ أَخَّرَ ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ
لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ.

(١٠٥) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ
اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، بَعْدَ مَا عَبَدَ النَّاسُ الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ، فَبَعَثَهُ
اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ نَاهِيًا لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَمَحَذِّرًا إِيَّاهُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى،
فَكَذَّبَهُ قَوْمُهُ، وَاسْتَمَرُّوا مُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالشُّرَكِ
بِاللَّهِ. (وَمَنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَكَأَنَّهُ كَذَّبَ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ لِاتِّحَادِ دَعْوَةِ
جَمِيعِ الرُّسُلِ فِي أَصُولِهَا وَغَايَاتِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ: (كَذَّبْتَ قَوْمُ نُوحٍ
الْمُرْسَلِينَ).

(١٠٦) - إِذْ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ - وَسَمَاءُ أَخَاهُمْ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ نَسَبًا - : أَلَا تَخَافُونَ
اللَّهَ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ؟ وَهَلَّا اتَّقَيْتُمْ عِقَابَهُ؟

(١١) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ

(١٢) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ

(١٣) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ

(١٤) فَلَوْلَا نُنَا كَرَّةً فَكَفُونٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ

(١٦) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

(١٧) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ

(١٨) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ

(١٠٧) - إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، آمِينَ فِيمَا بَعَثَنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، أَبْلُغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي، وَلَا أُزِيدُ فِيهَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهَا.

(١٠٨) - فَأَطِيعُونِي فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَخُدَّه لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاتَّقُوهُ وَأَخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ، وَأَقْلِعُوا عَنِ الزُّنُوبِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَعَاصِي.

(أَسْأَلُكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٠٩) - وَإِنِّي لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَجْرًا، وَلَا جَزَاءً، عَلَى نُصْحِي فِي إِبْلَاحِ رَسُولَةِ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا أَتَّبِعِي الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١١٠) - فَخَافُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِي وَاسْتَجِيبُوا لِنُصْحِي، فَقَدْ وَضَحَ لَكُمْ الْأَمْرَ، وَبَانَ لَكُمْ نُصْحِي وَأَمَانَتِي فِي آدَاءِ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ إِلَيْكُمْ.

(١١١) - قَالُوا: كَيْفَ نُؤْمِنُ لَكَ، وَكَيْفَ نَتَّبِعُكَ وَنَتَّاسِي فِي ذَلِكَ بِهَؤُلَاءِ الْأَرْدَلِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ وَصَدَّقُوكَ؟
اتَّبِعْكَ الْأَرْدَلُونَ - السَّفَلَةُ الْأَذْنِيَاءُ مِنَ النَّاسِ

(١١٢) - قَالَ لَهُمْ نُوحٌ: إِنِّي دَعَوْتُ هَؤُلَاءِ فَصَدَّقُونِي وَاسْتَجَابُوا لِي، وَعَلَيَّ أَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ ذَلِكَ، وَأَكُلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَتَقَبَّ عَنْ ضَمَائِرِهِمْ، وَلَا أَنْ أَدَقِّقَ فِي أَعْمَالِهِمُ السَّابِقَةِ.

(١١٣) - وَالَّذِي يُحَاسِبُهُمْ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ، وَعَلَى أَعْمَالِهِمُ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ، إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَهُوَ الْمُطَّلِعُ عَلَيْهِمْ، لَوْ كُنْتُمْ مِنْ ذَوِي الشُّعُورِ وَالْعُقُلِ.

(١١٤) - وَحِينَمَا سَأَلُوهُ أَنْ يَطْرُدَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُبْعِدَهُمْ عَنْهُ، أَجَابَهُمْ: إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ.

(١١٥) - وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَهُ نَذِيرًا لِلنَّاسِ، فَمَنْ أَطَاعَهُ وَصَدَّقَهُ كَانَ مِنْهُ، وَلَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ، وَلَا بَيْنَ جَلِيلٍ وَخَفِيرٍ.

(لَيْتَ) (يَا نُوحُ)

(١١٦) - طَالَ مَقَامُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجَهَارًا، وَكُلَّمَا كَرَّرَ عَلَيْهِمُ الدَّعْوَةَ أَزْدَادُوا كُفْرًا وَاسْتِكْبَارًا.

وَلَمَّا كَرَّرَ لَهُمْ نُوحٌ الدَّعْوَةَ تَضَائَقُوا مِنْهُ وَمِمَّنْ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ آمِينَ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ



قَالُوا أَنْتُمْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ

قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ

إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ

قَالُوا لَيْتَ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ

قومه: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ عَنْ دَعْوَتِكَ إِنَّا نَأْتِي بِكَ بِالْحِجَارَةِ وَلَنَقَتْلَنَّكَ.

(١١٧) - فَدَعَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ، وَاسْتَنْصَرَ رَبَّهُ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ لِرَبِّهِ: رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِي.

(١١٨) - ثُمَّ رَجَا رَبَّهُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ، وَأَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ، وَأَنْ يُنَجِّيَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي سَيُنْزِلُهُ اللَّهُ بِهِؤَلَاءِ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ. افْتَحْ - اقْضِ وَأَحْكَمْ، أَوْ افْرُق.

(فَانْجِيئَهُ)

(١١٩) - فَاُنْجَى اللَّهُ نُوحًا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِصُنْعِهَا، وَبِأَنْ يَحْمِلَ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنبَاتَاتِ. وَلِذَلِكَ قَالَ الْمَشْحُونُ إِشَارَةً إِلَى امْتِلَاءِ السَّفِينَةِ بِالْحُمُولَةِ.

الْفُلُكُ - السَّفِينَةُ وَالْمَرْكَبُ.

الْمَشْحُونُ - الْمُتَمَلِّئُ بِالْحُمُولَةِ مِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ.

(١٢٠) - ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَغْرَقَ الْبَاقِينَ جَمِيعًا، بَعْدَ أَنْ أَنْجَى نُوحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ.

(لَايَةً)

(١٢١) - وَفِي ذَلِكَ لَايَةً عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى إِهْلَاكِ الْمُجْرِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ. وَمَعَ أَنَّ نُوحًا حَدَّرَ قَوْمَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَنَكَالِهِ وَدَعَاَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجَهَارًا فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ.

(١٢٢) - وَإِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ هُوَ الْعَزِيزُ الْجَانِبُ الَّذِي لَا يُقَاوَمُ وَلَا يُغَالَبُ وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ، الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ إِذْ لَمْ يُعَاجِلِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْعُقُوبَةِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَأَخَّرَ عُقُوبَتَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ.

(١٢٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ رَسُولَهُ هُودًا إِلَى قَوْمِ عَادٍ - وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الْأَحْقَافَ وَهِيَ تِلَالٌ رَمْلِيَّةٌ قُرْبَ حَضْرَمَوْتٍ - وَكَانُوا بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ - فَدَعَاَهُمْ هُودٌ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْإِقْلَاعِ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ فَكَذَّبُوهُ.

(١١٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ

(١١٨) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَاجِبِي
وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١١٩) فَانْجِيئَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ
الْمَشْحُونِ

(١٢٠) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ

(١٢١) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ

(١٢٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

(١٢٣) كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ

(١٢٤) - فَقَالَ لَهُمْ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَا تَخَافُونَ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى هِيَ أَصْنَامُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ؟

(١٢٥) - إِنِّي مُرْسَلٌ إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنِّي صَادِقٌ فِيمَا أُبَلِّغُكُمْ إِيَّاهُ مِنْ رَبِّكُمْ.

(١٢٦) - فَاطِيعُونِي، وَاتَّبِعُوا قَوْلِي، وَاسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِي وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، وَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

(أَسْأَلُكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٢٧) - وَأَنَا لَا أَسْأَلُكُمْ جَزَاءً وَاجِراً عَلَى مَا أَقُومُ بِهِ مِنْ دَعْوَتِي إِيَّاكُمْ، وَإِنَّمَا أَنْظُرُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ.

(آيَةٌ)

(١٢٨) - كَانَ قَوْمٌ عَادَ جَبَّارِينَ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ الْبَطْشِ، وَكَانَتْ لَهُمْ وَفَرَةٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالزَّرُوعِ وَالْمِيَاهِ وَالْأَنْبَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوا يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ مَعَهُ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ هُوداً، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، رَسُولٌ وَنَذِيرٌ أَدْعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَحَذَّرَهُمْ نِقْمَهُ وَعَذَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: أَتُبْنُونَ فِي كُلِّ مَرْتَفَعٍ مِنَ الْأَرْضِ (رَبِيعٍ) بِنَاءً ضَخْماً مُحْكَمًا لِلْعَبَثِ وَالتَّفَاخُرِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى الْغِنَى وَالْقُوَّةِ؟ لِذَلِكَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّهُمْ الْأَشْتِعَالَ فِيمَا لَا يُجْدِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

رَبِيعٍ - مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ - أَوْ طَرِيقٍ.

آيَةٌ - بِنَاءٌ شَامِخاً كَالْعَلَمِ فِي الْأَرْتِفَاعِ.

تَعْبَثُونَ - يَبْنِيئُهَا أَوْ يَمْنُ يَمُرُّ بِهَا.

(١٢٩) - وَتُبْنُونَ قُصُوراً مُشِيدَةً، وَحِيَاضاً ضَخْماً لِيَجْمَعَ الْمِيَاهُ، وَتَنْظُونُ أَنْتُمْ خَالِدُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا لَيْسَ بِحَاصِلٍ لَكُمْ، بَلْ هُوَ زَائِلٌ عَنْكُمْ كَمَا زَالَ عَنْ قَبْلِكُمْ.

المصانع - الْأَحْوَاضُ الضَّخْمَةُ لِيَجْمَعَ الْمَاءُ - أَوْ الْقُصُورُ.

(١٣٠) - وَيَصِفُهُمْ نَبِيُّهُمْ بِالْقَسْوَةِ، وَالْغِلْظَةِ، وَالْجَبَرُوتِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ حِينَمَا يَتَقَمُّونَ وَيَضْرِبُونَ، فَإِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِقَسْوَةٍ بِالْغَةِ، كَمَا يَفْعَلُ الْجَبَّارُونَ الْأَقْوِيَاءُ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ اللَّهَ تَعَالَى.

(١٣١) - فَاطِيعُونِي فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ، وَتَجَنَّبُوا مَا حَذَّرْتُكُمْ مِنْهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَخَافُوا نِقْمَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

١٢٤ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ

١٢٥ إِنِّي لَكُمُ رَسُولٌ أَمِينٌ

١٢٦ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

١٢٧ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

أَجَرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ

١٢٨ أَتُبْنُونَ بِكُلِّ رَبْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ

١٢٩ وَتَسْجُدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ

تَخْلُدُونَ

١٣٠ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ

١٣١ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١٣٢) - وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي آتَاكُمْ الْأَمْوَالَ وَالْبَنِينَ وَالْقُوَّةَ.
أَمَدَّكُمْ - أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَرَزَقَكُمْ.

(بِأَنْعَامٍ)

(١٣٣) - الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ تَنْتَفِعُونَ بِأَوْبَارِهَا وَأَصْوَابِهَا وَلُحُومِهَا
وَالْبَنَانِهَا، وَأَمَدَّكُمْ بِبَنِينَ يَزِيدُونَ فِي قُوَّتِكُمْ.

(جَنَاتٍ)

(١٣٤) - وَأَمَدَّكُمْ بِسَاتِينَ وَمَزَارِعَ وَعِيُونَ مَاءٍ تَجْرِي فِي أَرْضِكُمْ.

(١٣٥) - فَإِنْ كَذَّبْتُمْ وَتَوَلَّيْتُمْ وَرَفَضْتُمْ أَتَابِعِي فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ
اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَحِلَّ بِكُمْ نِقَمُ اللَّهِ وَعَذَابُهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
وَهُوَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْهَوْلِ.

(الْوَاعِظِينَ)

(١٣٦) - فَردَّ الْقَوْمُ عَلَى هُودٍ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ لَا يُبَالُونَ بِنُصْحِهِ، وَوَعْظِهِ،
وَدَعْوَتِهِ، وَإِنَّهُمْ لَنْ يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ، وَلَنْ يَتْرَكُوا
آلِهَتَهُمْ كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى.

(١٣٧) - وَإِنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ هُوَ دِينُ آبَائِهِمُ الْأَوَّلِينَ (خُلِقُوا
الْأَوَّلِينَ)، وَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مَا وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَيْهِ، فَيَعِيشُونَ كَمَا عَاشُوا،
وَيَمُوتُونَ كَمَا مَاتُوا.

خُلِقَ الْأَوَّلِينَ - عَادَتْهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ أَنَّهُ لَا بَعَثَ وَلَا نُشُورَ.

(١٣٨) - وَإِنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ سَيَكُونُ هُنَاكَ بَعَثٌ، أَوْ نُشُورٌ، أَوْ
حِسَابٌ، أَوْ قِيَامَةٌ، أَوْ جَنَّةٌ، أَوْ نَارٌ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يُعَذَّبُوا عَلَى مَا يَأْتُونَهُ مِنَ
الْأَعْمَالِ.

(فَأَهْلَكْنَاهُمْ) (لَايَةً)

(١٣٩) - وَاسْتَمَرُّوا فِي تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّهُمْ هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي مُخَالَفَتِهِ
وَمُعَانَدَتِهِ فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ بِأَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَصْرًا شَدِيدَةً الْبُرُودَةِ،
بَالِغَةَ الْعُنْفِ وَالْقَسْوَةِ (عَاتِيَةً)، لَقَدْ كَانُوا عَتَاةً فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا هُوَ
أَعْتَى مِنْهُمْ، وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ وَعِظَةٌ، وَعِبْرَةٌ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، إِلَّا أَنْ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ.

(١) سورة هود، الآية: ٥٣.

(١٣٢) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ

(١٣٣) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ

(١٣٤) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

(١٣٥) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ

(١٣٦) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ
تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ

(١٣٧) إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ

(١٣٨) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ

(١٣٩) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ

(١٤٠) - وَاللَّهُ رَبُّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُقَهَّرُ، وَلَا يُغَالَبُ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ يُرِيدُ أَنْ يُؤْمِنُوا وَيَتُوبُوا إِلَيْهِ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

(١٤١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ عَبْدَهُ صَالِحًا رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ ثَمُودَ، وَكَانُوا عَرَبًا يَسْكُنُونَ الْحِجْرَ، بَيْنَ وَادِي الْقَرْيَةِ وَبِلَادِ الشَّامِ، وَمَسَاكِينُهُمْ مَعْرُوفَةٌ بِأَسْمِ مَدَائِنِ صَالِحٍ، وَكَانُوا بَعْدَ عَادٍ، وَقَبْلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَعَاهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَكَذَّبُوهُ، وَبِذَلِكَ يَكُونُونَ قَدْ كَذَّبُوا جَمِيعَ الرُّسُلِ لِاتِّحَادِ رِسَالَاتِ الرُّسُلِ فِي أَصُولِهَا وَغَايَاتِهَا.

(صَالِحُ)

(١٤٢) - وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ: أَلَا تَخَافُونَ أَنْ تُشْرِكُوا مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى فِي الْعِبَادَةِ؟ (وَصَالِحٌ مِنْ ثَمُودَ لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى عَنْهُ إِنَّهُ أَخُوهُمْ).

(١٤٣) - فَأَنَّا مُرْسَلٌ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنِّي أَمِينٌ فِي نُصْحِي لَكُمْ، وَفِي إِبْلَاعِكُمْ رَسُولَةَ رَبِّي.

(١٤٤) - فَأَطِيعُونِي فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَفِي الْإِقْلَاعِ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ.

(أَسْأَلُكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٤٥) - وَإِنِّي لَا أَتَّبِعِي مِنْكُمْ أَجْرًا عَلَى مَا أَقُومُ بِهِ مِنْ إِبْلَاعِكُمْ رَسُولَةَ رَبِّي، وَإِنَّمَا أَطْلُبُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ.

(هَٰ هُنَا) (آمِينَ)

(١٤٦) - وَذَكَرَهُمْ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْجَنَاسَاتِ، وَالزَّرُوعِ، وَالشَّامِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: هَلْ تَطْنُونَ أَنْ تُتْرَكُوا طَوِيلًا فِي هَذِهِ النِّعَمِ وَالرِّفَاقِ وَالْأَمْنِ، وَأَنْتُمْ كَافِرُونَ، جَاحِدُونَ نِعَمَ اللَّهِ، مُخَالِفُونَ أَوَامِرَهُ؟

(جَنَاتِ)

(١٤٧) - فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ وَالْعُيُونِ وَالْخَيْرَاتِ الْحَسَنَاتِ.

(١٤٠) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

(١٤١) كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ

(١٤٢) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ

أَلَا تَنْقُوتُونَ

(١٤٣) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

(١٤٤) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١٤٥) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

أَجَرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١٤٦) أَتَنْتَرِكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا أَمِنِينَ

(١٤٧) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

١٤٨ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَٰضِيْمٌ

(١٤٨) - فِي هَذِهِ الزُّرُوعِ وَالنَّخِيلِ، وَقَدْ أُنْبَغَ ثَمَرُهَا، وَبَلَغَ، فَاصْبَحَ نَاضِجًا هَاضِمًا.

الطَّلَعُ - الثَّمَرُ الَّذِي يُؤْوِلُ إِلَيْهِ الطَّلَعُ.

هَاضِمٌ - نَاضِجٌ يَأْنِغُ.

(فَارِهِيْن)

١٤٩ وَتَنْجُتُونَ بِيُوتَا الْجِبَالِ بِيُوتَا

(١٤٩) - وَتَنْجُتُونَ بِيُوتَا فِي الْجِبَالِ أَشْرًا وَبَطْرًا وَعَبَثًا (فَارِهِيْن)، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى سُكْنَاهَا.

(كَانَ قَوْمٌ ثَمُودَ مَهْرَةً حَازِقِيْنَ فِي نَحْتِ الْبُيُوتِ فِي الْجِبَالِ وَنَقَشُهَا).

فَارِهِيْن - بَطْرِيْن مَتْرَفِيْن - أَوْ حَازِقِيْنَ فِي نَحْتِهَا.

١٥٠ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١٥٠) - فَاطِيعُونِي فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدِّهِ، وَالْإِقْلَاعِ عَنِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَالطُّغْيَانِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَأَقْبِلُوا عَلَى مَا يَعُودُ عَلَيْكُمْ نَفْعُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، وَتَسْبِيحِهِ بُكْرَةً وَاصِيلًا.

١٥١ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِيْنَ

(١٥١) - وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الرُّؤَسَاءِ وَالْكَبَرَاءِ، الدُّعَاةِ إِلَى الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ وَمُخَالَفَةِ الْحَقِّ (الْمُسْرِفِيْنَ).

الْمُسْرِفِيْنَ - الْمُتَجَاوِزِيْنَ الْحُدُودَ.

١٥٢ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

(١٥٢) - وَهَؤُلَاءِ الْكَبَرَاءُ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، وَيَدْعُونَ إِلَى الضَّلَالِ، وَيَصْرِفُونَ النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا يَدْعُونَ إِلَى الْهُدَى وَالْإِصْلَاحِ.

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِؤُلَاءِ الْكَبَرَاءِ هُمْ الرَّهْطُ التَّسْعَةُ الَّذِينَ تَأَمَّرُوا عَلَى قَتْلِ صَالِحٍ وَعَقَرِ نَاقِيَتِهِ).

١٥٣ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِيْنَ

(١٥٣) - فَاجَابُوهُ: إِنَّكَ رَجُلٌ غَلَبَ السَّحَرُ عَلَى عَقْلِهِ، فَلَا يَقْبَلُ لَهُ قَوْلٌ، وَلَا يُسْمَعُ لَهُ نَصْحٌ.

الْمُسَحَّرِيْنَ - الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقُولِهِمْ بِالسَّحَرِ.

(بَيَّاتِيَّة) (الصَّادِقِيْنَ)

١٥٤ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ

(١٥٤) - فَلَسْتُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا فَكَيْفَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْكَ مِنْ دُونِنَا؟ ثُمَّ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِمُعْجَزَةٍ خَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ (بَيَّاتِيَّة)، لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ.

بَيَّاتِيَّةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ

(١٥٥) - وَلَمَّا سَأَلَهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْآيَةِ الَّتِي يُرِيدُونَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِهَا، اجْتَمَعَ مَلَأُوهُمْ وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ عَيْنُوهَا لَهُ نَاقَةٌ عُشْرَاءُ مِنْ صِفَتِهَا كَذَا وَكَذَا. وَحِينَئِذٍ أَخَذَ عَلَيْهِمْ صَالِحٌ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ لِثَلَاثِ أَجَابِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوا لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. ثُمَّ دَعَا اللَّهُ رَبُّهُ أَنْ يُجِيبَهُمْ إِلَى سُؤْلِهِمْ، فَانْفَطَرَتِ الصَّخْرَةُ الَّتِي أَشَارُوا إِلَيْهَا عَنْ نَاقَةٍ عُشْرَاءَ، لَهَا الصِّفَاتُ الَّتِي طَلَبُوهَا. فَأَمَنَ بَعْضُهُمْ، وَكَفَرَ أَكْثَرُهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ هَذِهِ النَّاقَةُ الَّتِي سَأَلْتُمُوهَا، وَإِنَّهَا سَتَرُدُّ الْمَاءَ يَوْمًا، لَا يُشَارِكُونَهَا فِيهِ، وَيَرُدُّونَهُ هُمْ يَوْمًا لَا تُشَارِكُهُمْ فِيهِ.

لَهَا شَرِبٌ - نَصِيبٌ مَشْرُوبٌ مِنَ الْمَاءِ.

(١٥٦) - وَحَذَّرَهُمْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ أَنْ تَحِلَّ بِهِمْ إِنْ هُمْ مَسُوا النَّاقَةَ بِسُوءٍ. فَمَكَثَتِ النَّاقَةُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ تَرُدُّ الْمَاءَ، وَتَرْعَى فِي أَرْضِ اللَّهِ، وَبِتَنَفُّعُونَ بِبَلَدِهَا، يَحْلُبُونَ مِنْهَا مَا يَكْفِيهِمْ شُرْبًا وَرِيًّا. فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ وَحَضَرَ أَشْقَاهُمْ تَمَالَوْا عَلَى قَتْلِهَا وَعَقَرِهَا.

(نَادِيَمِينَ)

(١٥٧) - فَقَتَلُوا النَّاقَةَ. فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ: تَمَتُّعُوا فِي دِيَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَجِلُّ بِكُمْ الْعَذَابُ، فَتَدِمُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ أَشْقِيَاءُ وَهُمْ.

(لَايَةً)

(١٥٨) - وَفِي الْمَوْعِدِ الَّذِي حَدَّدَهُ لَهُمْ صَالِحٌ، حَلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ، فَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَجَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ عَظِيمَةٌ أَقْتَلَتِ الْقُلُوبَ مِنْ مَحَالِّهَا، وَأَتَاهُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ، وَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ هَلَكَى جَائِعِينَ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ صَالِحٌ، وَفِي ذَلِكَ لَايَةً وَعِبْرَةً وَعِظَةً لِلْعَاقِلِينَ.

(١٥٩) - وَإِنَّ رَبَّكَ، يَا مُحَمَّدُ، هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُقَارَمُ وَلَا يُغَالَبُ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ.

(١٦٠) - وَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ - إِلَى قَوْمٍ عَرَفُوا فِيمَا بَعْدَ بَقُومِ لُوطٍ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ مَدِينَةَ سَدُومَ جَنُوبِيَّ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ فِي الْأُرْدُنِّ فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَّ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ يُطِيعُوا رَسُولَهُ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَنِ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ إِلَى ارْتِكَابِهَا، فَكَذَّبُوهُ.

١٥٥ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ

١٥٦ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ

١٥٧ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ

١٥٨ فَآخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ

١٥٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

١٦٠ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ

(١٦١) - فَقَالَ لَهُمْ لُوطُ: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ، وَتَخَافُونَ عِقَابَهُ، وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً أَصْنَامًا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَتَرْتَكِبُونَ الْفَوَاحِشَ؟
(١٦٢) - فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَإِنِّي أَمِينٌ فِي إِبْلَاجِكُمْ مَا أَنزَلَنَاهُ مِنْ رَبِّي.

(١٦٣) - فَاطِيعُونِي وَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

(أَسْأَلُكُمْ) (الْعَالَمِينَ)
(١٦٤) - وَأَنَا لَا أَسْأَلُكُمْ جَزَاءً، وَلَا أَجْرًا عَلَى نُصْحِي لَكُمْ، وَدَعْوَتِي إِيَّاكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا أُبْغِي الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(الْعَالَمِينَ)
(١٦٥) - وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُنْكَرٌ لَمْ يَسْبِقْكُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ.

(أَرْوِاجِكُمْ)
(١٦٦) - وَتَذَرُونَ نِسَاءَكُمْ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْهُنَّ، فَاتَّمِ بِذَلِكَ قَوْمٌ مُعْتَدُونَ، مُتَجَاوِزُونَ حُدُودَ اللَّهِ، وَشَرَائِعَهُ.
عَادُونَ - مُتَجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي الْمَعَاصِي.

(لَيْنَ) (يَا لُوطُ)
(١٦٧) - فَقَالُوا لَهُ: لَيْنَ لَمْ تَنْتَ يَا لُوطُ عَمَّا جِئْنَا بِهِ مِنْ دَعْوَتِنَا إِلَى التَّطَهُّرِ، وَتَرْكِ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا، وَلِنُنْفِيتَنَّكَ مِنْ بَلَدِنَا أَنْتَ وَأَهْلُكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْاسٌ تَتَطَهَّرُونَ.

(١٦٨) - فَقَالَ لَهُمْ لُوطُ إِنَّهُ كَارِهٌ لِمَا يَعْمَلُونَهُ، وَلَا يَرْضَى بِهِ، وَإِنَّهُ بَرَاءٌ مِنْهُمْ.

الْقَالِينَ - الْمُبْغِضِينَ أَشَدَّ الْبُغْضِ.

(١٦٩) - وَدَعَا لُوطُ رَبَّهُ قَائِلًا: رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، وَأَنْقِذْنَا بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ حِينَما نَنْزِلُ بِالضَّالِّينَ عَذَابَكَ الْأَلِيمَ.

(فَنَجَّيْنَاهُ)

(١٧٠) - فَأَنْجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَهْلَهُ جَمِيعًا.

(١٦١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ

(١٦٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

(١٦٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١٦٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١٦٥) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ

(١٦٦) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ

أَرْوِاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ

(١٦٧) قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ

مِنَ الْمُخْرَجِينَ

(١٦٨) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ

(١٦٩) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ

(١٧٠) فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ

(الغابرين)

(١٧١) - إِلَّا أَمْرُهُ، وَكَانَتْ عَجُوزَ سَوْءٍ، بَقِيَتْ مَعَ قَوْمِهَا آلِهَالِكِينَ حِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُسْرِى بِأَهْلِهِ، فَهَلَكَتْ مَعَ قَوْمِهَا.

في الغابرين - في الباقين في العذاب كأمثالها - أو في آلِهَالِكِينَ.

(الآخرين)

(١٧٢) - وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى لُوطًا بِأَنْ يُسْرِى بِأَهْلِهِ بَعْدَ مُضِيِّ جَانِبٍ مِنَ اللَّيْلِ، - بِقَطْعٍ مِنْهُ - وَأَنْ لَا يَلْتَفِتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَى الْوَرَاءِ حِينَمَا يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ تَذْمُرُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، وَقَرَيْتَهُمْ. وَلَمَّا خَرَجَ لُوطٌ وَأَهْلُهُ، وَابْتَعَدُوا صَبَّ اللَّهُ عَذَابَهُ عَلَى الْقَرْيَةِ. وَأَمْطَرَهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.

دَمَرْنَا الْآخِرِينَ - أَهْلَكْنَاهُمْ إِهْلَاكًا شَدِيدًا.

(١٧٣) - وَأَمْطَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْقَرْيَةِ مَطَرًا مُهْلِكًا، وَكَانَ بِشَسِ الْمَطَرِ يَنْزِلُ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمُ اللَّهُ بِالْهَلَاكِ وَالْذَّمَارِ.

مَطَرًا - حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مُهْلِكَةٍ.

(لَايَةً)

(١٧٤) - وَفِي ذَلِكَ لُبْرَهَانٌ وَدَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ عِظَةٌ لِلْعَاقِلِينَ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١٧٥) - وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ، هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَقَاوِمُ وَلَا يُغَالِبُ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بَعْبَادِهِ، يُرِيدُهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا لِيُغْفِرَ لَهُمْ.

(أَصْحَابُ) (الْأَيْكَةِ)

(١٧٦) - أَهْلُ الْأَيْكَةِ هُمْ أَصْحَابُ مَدْيَنَ، وَالْأَيْكَةُ هِيَ الشَّجَرُ الْمُلْتَفَتُ كَالْغَيْضَةِ، كَانُوا يَعْبُدُونَهَا. وَمَدْيَنُ تَقَعُ جَنُوبِي الْأُرْدُنِّ قَرِيبًا مِنَ الْعَقَبَةِ. وَنَبِيُّهُمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَتَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ وَالضَّلَالِ فَكَذَّبُوهُ.

الْأَيْكَةُ - الْغَيْضَةُ الْمُلْتَفَتَةُ الْأَشْجَارِ.

(١٧٧) - فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ شُعَيْبٌ: أَلَا تَعْبُدُونَ اللَّهَ وَتُطِيعُونَ أَمْرَهُ، وَتَقْلَعُونَ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ؟ وَتَكْفُونَ عَنْ تَطْفِيفِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ؟ إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَاقِبُكُمْ عِقَابًا شَدِيدًا.

(١٧١) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ

(١٧٢) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ

(١٧٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ

(١٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ

(١٧٥) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

(١٧٦) كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ

(١٧٧) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَنْتَقُونَ

(١٧٨) - وَإِنِّي رَسُولٌ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ، آمِينَ فِي إِبْلَاعِكُمْ مَا أُنْقَلَاهُ مِنْ رَبِّي .

(١٧٩) - فَأَطِيعُونِي وَأَسْمِعُوا قَوْلِي، وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

(أَسْأَلُكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٨٠) - وَأَنَا لَا أَسْأَلُكُمْ جَزَاءً أَوْ أَجْرًا عَلَى نُصْحِي لَكُمْ، وَدَعْوَتِي إِلَيْكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِنَّمَا ابْتَغِي الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

(١٨١) - ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِإِيْفَاءِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّطْفِيفِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا دَفَعْتُمْ لِلنَّاسِ فَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ حَقَّهُمَا، وَلَا تَبَخَّسُوا الْمِكْيَلَ فَتَعْطَوْهُ نَاقِصًا، وَتَأْخُذُوهُ وَافِيًا إِذَا كَانَ لَكُمْ، وَلَكِنْ خُذُوا كَمَا تُعْطُونَ، وَأَعْطُوا كَمَا تَأْخُذُونَ .

المُخْسِرِينَ - الْمُنْقِصِينَ لِلْحَقُوقِ بِالتَّطْفِيفِ .

(١٨٢) - وَزِنُوا بِالْمِيزَانِ الْعَادِلِ الْمَضْبُوطِ (الْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) .

الْقِسْطَاسِ - الْعَادِلِ - أَوِ الْمَضْبُوطِ .

(١٨٣) - وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ شَيْئًا مِنْ حُقُوقِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلَا تَعْيُتُوا فِي الْأَرْضِ فُسَادًا، وَلَا تَقْطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى النَّاسِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾^(١) .

لَا تَبْخَسُوا - لَا تَنْقُصُوا .

لَا تَعْيُتُوا - لَا تَفْسِدُوا أَشَدَّ الْإِفْسَادِ .

(١٨٤) - وَحَذَّرَهُمْ شُعَيْبٌ مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ وَبَأْسِهِ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْعَدَمِ لِيَكُونُوا مُصْلِحِينَ فِي الْأَرْضِ .

الْجِيلَةُ الْأَوَّلِينَ - الْخَلْقُ الْأَوَّلِينَ . وَجَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾^(٢) أَي خَلَقًا كَثِيرًا .

(١٨٥) - فَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مَسْحُورٌ فَأَقِدِ الْعَقْلَ .

الْمُسْحَرِينَ - الْمَغْلُوبَةَ عُقُولُهُمْ بِكَثْرَةِ السَّحْرِ .

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٦ .

(٢) سورة يس، الآية: ٦٢ .

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿١٧٩﴾

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾



أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَلَا تَكُونُوا
مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾

وَلَا تَبَخَّسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
وَلَا تَعْيُتُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِكِينَ ﴿١٨٣﴾

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾

(الكَاذِبِينَ)

(١٨٦) - فَلَسْتَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا فَكَيْفَ أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ دُونِنَا؟ وَمَا تَنْظُنُّكَ إِلَّا كَاذِبًا فِيمَا تَقُولُهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ نَبِيًّا إِلَيْنَا.

(الصَّادِقِينَ)

(١٨٧) - فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا السَّمَاءَ قِطْعًا فِيهَا الْعَذَابُ لَنَا، هَذَا إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا زَعَمْتَ مِنْ أَنَّكَ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ اللَّهَ حَفِيٌّ بِكَ. (وَهَذَا مِثْلُ مَا قَالَتْهُ قُرَيْشٌ لِلرُّسُولِ ﷺ : ﴿أَوْ تُسْقِطِ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾^(١)).

كِسْفًا - قِطْعًا

(١٨٨) - قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْمَالِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ الْعَذَابَ جَازَاكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَكُمْ (أَوْ إِنْ شَاءَ عَجَّلَ لَكُمْ الْعَذَابَ، وَإِنْ شَاءَ أَخَّرَهُ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ).

(١٨٩) - فَأَصْرَوْا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ شُعَيْبًا، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ التَّكْذِيبِ، وَعَلَى جُحُودِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ رَبِّهِمْ، بِأَنَّهُ سَلَطَ عَلَيْهِمْ حَرًّا شَدِيدًا مُدَّةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَاتٍ، لَا يَقِيهِمْ مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ إِلَيْهِمْ سَحَابَةٌ أَظْلَتَهُمْ فَجَعَلُوا يَنْطَلِقُونَ إِلَيْهَا يَسْتَظِلُّونَ بِظِلِّهَا مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ تَحْتَهَا، أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَرًّا مِنْ نَارٍ، وَلَهَا بِأَوْهَجٍ عَظِيمًا، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، وَجَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ عَظِيمَةٌ أَزْهَقَتْ أَرْوَاحَهُمْ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْهَوْلِ.

الظُّلَّةُ - سَحَابَةٌ أَظْلَتَهُمْ ثُمَّ أَمْطَرَتْهُمْ نَارًا.

(لَايَةً)

(١٩٠) - وَفِيمَا نَزَلَ بِأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ مِنَ الْعُقُوبَةِ دَلِيلٌ، وَبُرْهَانٌ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِظَةٌ لِلْعَاقِلِينَ وَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١٩١) - وَرَبُّكَ هُوَ الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ، وَهُوَ لَا يُغَالِبُ وَلَا يُقَادِمُ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

(الْعَالَمِينَ)

(١٩٢) - وَإِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي تَقْدَمُ التَّنْوِيهِ بِهِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ...﴾^(٢) أَنْزَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ، وَأَوْحَاهُ إِلَيْكَ، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَخَبْرُهُ صَادِقٌ، وَحُكْمُهُ نَافِذٌ.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٤.

﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ

نُظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ

الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

وَإِنَّهُ وَلَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١٩٣) - وَهَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَجَاءَكَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (الرُّوحُ الْأَمِينُ).

(١٩٤) - وَهَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَتَلَاهُ عَلَيْكَ الرُّوحُ الْأَمِينُ حَتَّى وَعَيْتَهُ بِقَلْبِكَ لِتُنذِرَ بِهِ قَوْمَكَ.

(١٩٥) - وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْقُرْآنَ عَلَيْكَ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ وَاضِحٍ لِيَكُونَ بَيِّنًا وَاضِحًا فِي دَلَالَتِهِ، قَاطِعًا لِلْعُدْرِ.

(١٩٦) - وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ هَذَا الْقُرْآنِ وَالتَّنْوِيهِ بِهِ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ الْمَأْثُورَةِ عَنْ أَنْبِيَائِهِمُ الَّذِينَ بَشَّرُوا بِهِ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ، كَمَا أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ بَأَن يُؤْمِنُوا بِهِ.

(الرُّبُوبُ) - الْكُتُبُ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾^(١) أَيِ إِنَّهُ مُسَجَّلٌ فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ.

زُبُرِ الْأَوَّلِينَ - كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ.

(آيَةٌ) (عُلَمَاءُ) (إِسْرَائِيلَ)

(١٩٧) - أَوَّلَيْسَ يَكْفِيهِمْ شَاهِدًا عَلَى صِدْقِ هَذَا الْقُرْآنِ أَنَّ عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَجِدُونُ ذِكْرَهُ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي يَدْرُسُونَهَا، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ - مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ.

(نَزَّلْنَاهُ)

(١٩٨) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عِنَادِ الْمُشْرِكِينَ وَشِدَّةِ كُفْرِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ لَا يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ التَّكَلُّمَ بِهَا.

(١٩٩) - وَكَانَ هَذَا الْأَعْجَمِيُّ لَا يَعْرِفُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَكُفَّارُ قُرَيْشٍ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ مِنْهُ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْأَعْجَمِيُّ هَذَا الْقُرْآنَ قِرَاءَةً صَحِيحَةً وَاضِحَةً، وَهُمْ مُتَأَكِّدُونَ مِنْ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ بَيِّنًا وَفَصَاحَةً، لَمَّا آمَنُوا بِهِ، وَلَا سَتَمَرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَلَوْ جَدُّوا عُدْرًا لَهُمْ عَلَى اسْتِمْرَارِهِمْ فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

(سَلَكْنَاهُ)

(٢٠٠) - وَقَدْ أَدْخَلْنَا الْكُفْرَ وَالتَّكْذِيبَ وَالْجُحُودَ فِي قُلُوبِ الْكَافِرَةِ الْمُكَابِرِينَ الْمُجْرِمِينَ، وَقَرَّرْنَاهُ فِيهَا، مِثْلَمَا قَرَّرْنَاهُ فِي قُلُوبِ مَنْ هُمْ عَلَى صِفَتِهِمْ.

(١٩٣) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ

(١٩٤) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ

(١٩٥) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ

(١٩٦) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ

(١٩٧) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ

بَنِي إِسْرَءِيلَ

(١٩٨) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ

(١٩٩) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

مُؤْمِنِينَ

(٢٠٠) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ

الْمُجْرِمِينَ

(٢٠١) - لَذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ، وَلَا يَتَأَثَّرُونَ بِالْأُمُورِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَسَيُطْلَوْنَ مُقِيمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ، وَحِينَئِذٍ يُؤْمِنُونَ وَلَكِنْ إِيْمَانُهُمْ فِي ذَلِكَ الْحِينِ لَا يَنْفَعُهُمْ شَيْئًا.

(٢٠٢) - فَيَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ فَجَاءَةً عَلَى غَيْرِ تَوْقَعٍ مِنْهُمْ وَلَا انْتِظَارٍ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُ آتِيهِمْ. بِغَنَّةٍ - فَجَاءَةً.

(٢٠٣) - وَحِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ يَتَمَنُّونَ أَنْ لَوْ أَنْظَرُوا قَلِيلًا لَيَعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَكُلُّ كَافِرٍ ظَالِمٍ يَشْعُرُ بِالنَّدَمِ حِينَ يَرَى عُقُوبَةَ اللَّهِ. هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ - هَلْ نَحْنُ مُمَهَّلُونَ لِنُؤْمِنَ.

(٢٠٤) - وَبَرَدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ، مُنْكَرًا وَمُتَّهَدًا لَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ لِلرُّسُولِ الْكَرِيمِ اسْتِيعَادًا وَتَكْذِيبًا: ﴿إِنَّا بَعْدَآبِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(١). فَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: أَيْسْتَعْجِلْ هَؤُلَاءِ بِعَذَابِنَا، وَيَسْتَحْفِزُونَ بِهِ؟

(أَفَرَأَيْتَ) (مَتَّعْنَاهُمْ) (٢٠٥) - فَلَوْ أَنَّا أَخَّرْنَاهُمْ وَأَنْظَرْنَاهُمْ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ، يَتَمَتَّعُونَ خِلَالَهُ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ.

(٢٠٦) - وَإِنْ طَالَتْ مُدَّةُ تَمَتُّعِهِمْ، ثُمَّ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ، وَنَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ بِهِ.

(٢٠٧) - فَأَيُّ شَيْءٍ يُغْنِي عَنْهُمْ تَمَتُّعُهُمْ بِطُولِ الْعُمُرِ، وَطِيبِ الْعَيْشِ؟ وَهَلْ يُخَفِّفُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ، أَوْ يَصْرِفُهُ عَنْهُمْ؟ فَعَذَابُ اللَّهِ وَاقِعٌ بِهِمْ، عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، وَلَا خَيْرَ فِي نِيعِمٍ يَعْقِبُهُ عَذَابٌ سَرْمَدِيٌّ.

مَا أَغْنَى عَنْهُمْ - أَيُّ شَيْءٍ يُغْنِي عَنْهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ.

(٢٠٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَذْلِهِ فِي خَلْقِهِ يَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَهْلِكْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُرْسِلَ الرُّسُلَ إِلَيْهَا يُنْذِرُونَهُمْ بِأَسْ اللَّهِ وَعِقَابِهِ الْأَلِيمِ، إِذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَفِسْقِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، وَبَدَعُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيَعْرِفُونَهُمْ مَا فِيهِ النُّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ، لِيَتَّقُوا عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ.

(٢١) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

(٢٢) فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(٢٣) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ

(٢٤) أَفَعَذَابُنَا لَيْسَ تَعْلَمُونَ

(٢٥) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ

(٢٦) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ

(٢٧) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ

(٢٨) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ

(ظَالِمِينَ)

(٢٠٩) وَاللَّهُ تَعَالَى يُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ لِيُنْذِرُوهُمْ، وَيُذَكِّرُوهُمْ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

(الشَّيَاطِينُ)

(٢١٠) - ثُمَّ يَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ مُحَمَّدًا كَاهِنٌ، وَإِنَّ مَا يَأْتِيهِ هُوَ مِنْ نَوْعٍ مَا تَأْتِي بِهِ الشَّيَاطِينُ إِلَى الْكَهَنَةِ.. فَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ تَنْزَلْ بِهِ الشَّيَاطِينُ لِيَكُونَ كَهَانَةً وَسِحْرًا.

(٢١١) - وَمَا يَنْبَغِي لِلشَّيَاطِينِ أَنْ يَنْزِلُوا بِهِ، لَأَنَّ مِنْ سَجِيَّةِ الشَّيَاطِينِ الْفَسَادَ، وَإِضْلَالَ الْعِبَادِ، وَالْقُرْآنَ هُدًى، وَنُورٌ، وَبُرْهَانٌ عَظِيمٌ لِلْعِبَادِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ، وَعَلَى الْخَيْرِ، وَالْحَقِّ، فَبَيَّنَهُ وَبَيَّنَ الشَّيَاطِينُ مُنَافَاةَ عَظِيمَةً.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ حَمْلَهُ وَلَا تَأْدِيتَهُ، لَأَنَّ حَمْلَ الْقُرْآنِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَعْزُولٍ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ حَالِ نُزُولِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ.

(٢١٢) - وَالشَّيَاطِينُ مَعْزُولُونَ عَنِ اسْتِمَاعِ حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْقُرْآنِ لِثَلَا يَنْتَبِهَ الْأَمْرُ. وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَمِنْ حِفْظِهِ لِشَرْعِهِ، وَتَأْيِيدِهِ لِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ.

(آخِرُ)

(٢١٣) - يَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِبَادَتِهِ وَحَذَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ عَذَبَهُ. وَجَاءَ الْخُطَابُ لِلرُّسُولِ ﷺ وَالْمَقْصُودُ بِهِ أُمَّتُهُ لَأَنَّ الرُّسُولَ مَعْصُومٌ مِنْ ذَلِكَ.

(٢١٤) - يَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ بَانَ يُنْذِرُ غَشِيرَتَهُ الْأَذْنَنَ لَهُ، وَأَنْ يُعْلِمَهُمْ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِيمَانُهُ بِرَبِّهِ، وَعَمَلُهُ الصَّالِحُ.

(٢١٥) - وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، بَانَ يُلِينَ جَانِبَهُ لِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ يَتَرَفَّقَ بِهِمْ، فَذَلِكَ أَدْعَى لِإِحْلَاصِهِمْ لِلرُّسُولِ، وَلِزِيَادَةِ مَحَبَّتِهِ.

اخْفِضْ جَنَاحَكَ - أَلِنْ جَانِبَكَ وَتَوَاضَعْ.

ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾

وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾

وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾

إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿٢١٣﴾

فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ ﴿٢١٥﴾

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(٢١٦) - فَإِنْ عَصَاكَ مَنْ أُنْذَرْتَهُمْ مِنْ عَشِيرَتِكَ الْأَذْنِينَ فَلَا ضَيْرَ عَلَيْكَ، فَقَدْ أَذَيْتَ أَنْتَ مَا أُمِرْتَ بِهِ، وَقُلْ لَهُمْ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ، وَمِمَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

(وفي الحديث: والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌّ ولا يؤمن بي إلا دخل النار). (رواه مسلم).

(٢١٧) - وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ، فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، فَإِنَّهُ مُؤَيَّدُكَ وَحَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ، وَمُظْفِرُكَ وَمُعَلِّي كَلِمَتِكَ بِعِزَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

(يَرَاكَ)

(٢١٨) - الَّذِي يَرَاكَ فِي تَقَلُّبِكَ وَفِي جَمِيعِ حَالَاتِكَ.

(السَّاجِدِينَ)

(٢١٩) - وَيَرَاكَ وَأَنْتَ تَقَلُّبُ فِي صَلَاتِكَ وَتَوْمُ الْمُصَلِّينَ.

(وقال ابن عباس: إنَّ المعنى هو: تُقَلِّبُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ صُلْبِ نَبِيِّ إِلَى صُلْبِ نَبِيِّ، حَتَّى أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا).

(٢٢٠) - وَهُوَ تَعَالَى السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ، الْعَلِيمُ بِحَرَكَاتِهِمْ، وَسَكَنَاتِهِمْ، وَنِيَّاتِهِمْ.

(الشَّيَاطِينِ)

(٢٢١) - زَعَمَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِحَقٍّ، وَأَنَّهُ شَيْءٌ افْتَعَلَهُ مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ بِهِ رِيٌّ مِنَ الْجَانِّ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ مُنْزَهًا رَسُولَهُ الْكَرِيمَ عَنْ قَوْلِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ، وَمُنْهَبًا إِلَى أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَيْسَ مِنْ قِبَلِ الشَّيَاطِينِ، لِأَنَّ الشَّيَاطِينِ إِنَّمَا تَنْزَلُ عَلَى مَنْ يُشَاكِلُهُمْ وَيُشَابِهُهُمْ مِنَ الْكُهَّانِ الْكَذِبَةِ الْفَسَقَةِ.

(٢٢٢) - إِنَّهُمْ يَنْزِلُونَ عَلَى كُلِّ كَاذِبٍ (أَفَّاكٍ) فَاجِرٍ كَثِيرِ الْإِثْمِ مِنَ الْكُهَّانَةِ.

أَفَّاكٍ أَثِمٍ - كَثِيرِ الْكَذِبِ وَالْإِثْمِ.

(كَاذِبُونَ)

(٢٢٣) - وَيَسْتَرْقِي الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ مِنَ السَّمَاءِ فَيَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ مِنَ عِلْمِ الْغَيْبِ، فَيَزِيدُونَ فِيهَا الْكَذِبَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَيُلْقُونَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ

﴿٣٦﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ

﴿٣٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ

﴿٣٨﴾ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ

﴿٣٩﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّجِدِينَ

﴿٤٠﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

﴿٤١﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ

﴿٤٢﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِمٍ

﴿٤٣﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَاذِبُونَ

مِنَ الْإِنْسِ، فَيَحْدُثُونَ بِهِ، وَيَزِيدُونَ فِيهِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، فَيَصْدُقُهُمْ النَّاسُ فِي كُلِّ مَا قَالُوا بِسَبَبِ صِدْقِهِمْ فِي تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ. وَمُحَمَّدٌ رَجُلٌ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى مُقَارَنَتِهِ بِالْكَهَنَةِ الْكَذَّابِينَ.

(الْغَاوُونَ)

(٢٢٤) - قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَشَاعِرٌ، وَقَالُوا: إِنْ الْقُرْآنَ شِعْرٌ، فَانْزَلِ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ يَرُدُّ بِهَا عَلَى اقْتِرَائِهِمْ هَذَا، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الْقُرْآنَ فِيمَا حَوَاهُ مِنْ حِكْمٍ وَأَحْكَامٍ، وَفِي أَسْلُوبِهِ يَتَنَاقَضُ مَعَ الشَّعْرِ. وَإِنَّ حَالَ مُحَمَّدٍ يَتَنَافَى مَعَ حَالِ الشَّعْرَاءِ، فَهُوَ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ وَالصِّدْقِ، وَيَتَّبِعُهُ الصَّادِقُونَ الْمُخْلِصُونَ. وَالشَّعْرَاءُ يَقُولُونَ الْبَاطِلَ وَالزُّورَ، وَلَا يَتَّبِعُهُمْ إِلَّا الضَّالُّونَ.

(٢٢٥) - وَالشَّعْرَاءُ يَخُوضُونَ فِي كُلِّ لُغُو، وَيَهْمُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْكَلَامِ، فَهُمْ يَخُوضُونَ مَرَّةً فِي شَتِيمَةِ فُلَانٍ، وَمَرَّةً فِي مَدِيحِ فُلَانٍ، فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ. يَهْمُونَ - يَخُوضُونَ وَيَذْهَبُونَ كُلَّ مَذْهَبٍ.

(٢٢٦) - وَالشَّعْرَاءُ يَقُولُونَ مَا لَا يَلْتَزِمُونَ بِهِ فِي عَمَلِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَ بِأَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ لَمْ تَصُدَّرْ عَنْهُمْ وَلَا مِنْهُمْ، فَيَتَكَبَّرُونَ بِمَا لَيْسَ لَهُمْ، وَالرَّسُولُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ لَيْسَ بِكَاهِنٍ وَلَا شَاعِرٍ لِأَنَّ حَالَهُ مُنَافٍ لِحَالِ الشَّعْرَاءِ مِنْ وُجُوهِ ظَاهِرَةٍ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢٢٧) - وَاسْتَمْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ الشَّعْرَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَتَوَلَّوْا الرَّدَّ عَلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَانُوا يَهْجُونَ الْمُؤْمِنِينَ.

(وفي الحديث: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي تَقْسَى بِيَدِهِ لَكَانَ مَا تَرْمُونَ بِهِ نَضْحَ النَّبْلِ). (أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ).

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشُّرْكِ، وَهَجَاءِ الرُّسُولِ، كَيْفَ يَكُونُ مُنْقَلَبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ.

٣٢٤ وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ

٣٢٥ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ

٣٢٦ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ

٣٢٧ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

(٢٧) سُورَةُ الْفَاكِهَةِ
وَإِسْمَانُهَا ثَلَاثٌ وَتَسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(آيَات) (الْقُرْآن)

(١) - طَائِسِينَ وَتَقْرَأُ مَقْطَعَةً كُلَّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.
هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ، هِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْجَلِيِّ
الْوَاضِحِ (الْمُبِينِ).

(٢) - وَهَذَا الْقُرْآنُ فِيهِ الْهُدَى لِمَنْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَكْتُبُهُ
وَرُسُلُهُ، وَفِيهِ الْبُشْرَى لَهُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ.
هُدًى - هَادٍ مِنَ الصَّلَاةِ

(الصَّلَاةِ) (الرَّكَاتِ) (بِالْآخِرَةِ)

(٣) - وَالْمُؤْمِنُونَ حَقَّ الْإِيمَانِ هُمُ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيُؤَدُّونَهَا حَقَّ
أَدَائِهَا، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَبِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
سَيَبْعَثُ النَّاسَ مِنْ قُبُورِهِمْ، لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَبْتَذِلُونَ جُهْدَهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ.

(بِالْآخِرَةِ) (أَعْمَالُهُمْ)

(٤) - أَمَّا الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِالْآخِرَةِ وَيَسْتَعْبِدُونَ قِيَامَ السَّاعَةِ، فَقَدْ حَسَنَ اللَّهُ
لَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَمَذَلَّهُمْ فِي غِيْهِمْ، فَهُمْ يَتَّبِعُونَ فِي ضَلَالِهِمْ
خِيَارَى (يَعْمَهُونَ)، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا.
يَعْمَهُونَ - يَتَحَيَّرُونَ وَيَتَرَدَّدُونَ فِي الصَّلَاةِ.

(أُولَئِكَ) (الْآخِرَةِ)

(٥) - وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ أَسْوَأَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا، يَقْتُلُهُمْ
وَأَسْرِهِمْ وَفَرَضَ الْجَزِيَّةَ عَلَيْهِمْ...، وَسَيَكُونُونَ فِي الْآخِرَةِ هُمُ
الْخَاسِرِينَ وَخُدَّاهُمْ.

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ

وَكِتَابِ مُبِينٍ



هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الرَّكَاتِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا
لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ

(الْقُرْآنَ)

(٦) - وَإِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ تَتْلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْحَكِيمِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، الْعَلِيمِ بِأُمُورِ جَمِيعِهَا، جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، فَخَبْرُهُ هُوَ الصَّدَقُ الْمَحْضُ، وَحُكْمُهُ هُوَ الْعَدْلُ النَّامُ.

(أَنْتَ) (سَيِّئِيكُمْ) (آتِيَكُمْ)

(٧) - وَادْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ خَيْرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ سَارَ بِأَهْلِهِ مِنْ مَدِينٍ مُتَّجِهاً إِلَى مِصْرَ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ فِي لَيْلَةٍ ظُلُمَاءَ، فَرَأَى مِنْ جَانِبِ وَادِي الطُّورِ نَاراً تَتَّجِجُ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ إِنَّهُ رَأَى نَاراً، وَإِنَّهُ سَيَسْأَلُ مَنْ عَلَى النَّارِ مِنَ النَّاسِ عَنِ الطَّرِيقِ أَوْ إِنَّهُ سَيَأْتِيهِمْ - أَيُّ سَيِّئِي أَهْلَهُ - بِقِطْعَةٍ مِنْ نَارٍ يُوقِدُونَ بِهَا نَاراً لَهُمْ يَسْتَدْفِئُونَ عَلَيْهَا مِنْ بَرْدِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ. أَنْتَ نَاراً - أَبْصَرْتَ إِبْصَاراً بَيِّناً.

بِشَهَابٍ قَبَسَ - بِشُعْلَةٍ نَارٍ سَاطِعَةٍ مَقْبُوسَةٍ مِنْ أَصْلِهَا. تَضْطَلُونَ - تَسْتَدْفِئُونَ بِهَا.

(سُبْحَانَ) (الْعَالَمِينَ)

(٨) - فَلَمَّا أَتَى مُوسَى النَّارَ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا أَحَدًا، وَوَجَدَهَا تَشْتَعِلُ فِي شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ، وَالنَّارُ لَا تَزْدَادُ إِلَّا اضْطِرَامًا، وَالشَّجَرَةُ لَا تَزْدَادُ إِلَّا اخْضِرَارًا، فَتَعَجَّبَ مُوسَى مِنْ ذَلِكَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَوَجَدَ نُورًا مُتَصِلًا بَعَثَانَ السَّمَاءِ، فَوَقَفَ مُوسَى مُتَعَجِّبًا مِمَّا يَرَى، فَتَذَاهُ صَوْتُ قَائِلًا: تَقَدَّسَ مَنْ فِي مَكَانِ النَّارِ، وَمَنْ حَوْلَ مَكَانِهَا (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ تَقَدَّسَ مَنْ حَوْلَ النَّارِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ)، وَتَنَزَّهَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَهُوَ الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ، وَهُوَ الْأَخَذُ الصَّمَدُ الْمُتَنَزَّهَ عَنْ مُمَاثَلَةِ الْمُحَدَّثَاتِ، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

بُورِكَ - قَدَّسَ وَطَهَّرَ وَزِيدَ خَيْرُهُ.

مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا - الَّذِينَ فِي ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي بَدَأَ فِيهِ النُّورُ.

(يَا مُوسَى)

(٩) - ثُمَّ أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي يُكَلِّمُهُ، وَيُنَاجِيهِ هُوَ اللَّهُ، رَبُّهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي عَزَّ كُلُّ شَيْءٍ، وَقَهْرُهُ وَعَلَبُهُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ وَأَفْعَالِهِ.

وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ

حَكِيمٍ عَلِيمٍ

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ

نَارًا سَيَأْتِيكُمْ مِنْهَا خَبَرٌ أَوْ آتِيكُمْ
بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

فَلَمَّا جَاءَهَا نُورٌ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي
النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ

يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(رَأَاهَا) (يَا مُوسَى)

(١٠) - ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بِأَنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ لِيُظْهِرَ لَهُ ذَلِيلًا وَاضِحًا عَلَى أَنَّهُ الْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَلَمَّا أَلْقَى الْعَصَا مِنْ يَدِهِ انْقَلَبَتْ فِي الْحَالِ إِلَى حَيَّةٍ سَرِيعَةِ الْحَرَكَةِ كَأَنَّهَا جَانٌّ (أَيُّ ضَرْبٍ مِنَ الْحَيَّاتِ سَرِيعِ الْحَرَكَةِ) فَلَمَّا رَأَى مُوسَى ذَلِكَ هَرَبَ مُسْرِعًا وَلَمْ يَلْتَفِتْ خَلْفَهُ (وَلَمْ يُعَقِّبْ) ، مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ وَاضْطِرَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى : يَا مُوسَى لَا تَخَفْ مِمَّا تَرَى ، فَإِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَصْطَفِيكَ رَسُولًا ، وَأَجْعَلَكَ نَبِيًّا وَجِيهًا ، وَإِنِّي لَا يَخَافُ عِنْدِي رَسُولِي وَأَنْبِيَائِي .

نَهَزْتُ - تَنَحَّرْتُ .

كَأَنَّهَا جَانٌّ - كَأَنَّهَا حَيَّةٌ خَفِيفَةُ الْحَرَكَةِ .

لَمْ يُعَقِّبْ - لَمْ يَرْجِعْ عَلَى عَقْبَيْهِ أَوْ لَمْ يَلْتَفِتْ .

(١١) - وَلَكِنْ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِعَمَلٍ مَا نَهَى عَنْهُ ، فَإِنَّهُ يَخَافُ عِقَابِي ، إِلَّا إِذَا تَابَ ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ، فَإِنِّي أَغْفِرُ لَهُ ، وَأَمْحُو ذُنُوبَهُ . وَفِي هَذَا بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْبَشَرِ بِأَنْ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ سُوءًا ثُمَّ تَابَ وَأَقْلَعَ عَمَّا كَانَ فِيهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ، وَيَغْفِرُ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَيُدْخِلُهُ فِي رَحْمَتِي .

(آيَاتٍ) (فَاسِقِينَ)

(١٢) - ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بِأَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ فِي فَتْحَةِ الصُّدْرِ مِنْ تَوْبِهِ (جَنِيهِ) ، فَأَدْخَلَهَا وَأَخْرَجَهَا فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ تَلَوُّنًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَلَا مَرَضٍ . وَهَاتَانِ آيَاتَانِ مِنْ تِسْعِ آيَاتِ أَيْدِ اللَّهِ بِهَا مُوسَى ، وَجَعَلَهَا بُرْهَانًا لَهُ فِي دَعْوَتِهِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، فَقَدْ كَانُوا خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ (فَاسِقِينَ) إِذْ ادَّعَى فِرْعَوْنُ الْإِلَوهِيَّةَ ، وَصَدَّقَهُ قَوْمُهُ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى .

جَنِيكَ - فَتْحَةُ الْقَمِيصِ عِنْدَ الصُّدْرِ .

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ - مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَلَا بَأْسٍ .

(آيَاتِنَا)

(١٣) - فَلَمَّا جَاءَتْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ هَذِهِ الْآيَاتُ الْوَاضِحَاتُ الظَّاهِرَاتُ (مُبْصِرَةً) ، جَحَدُوا بِهَا ، وَعَانَدُوهَا ، وَقَالُوا عَنْهَا : هَذَا سِحْرٌ وَاضِحٌ بَيِّنٌ .

مُبْصِرَةٌ - وَاضِحَةٌ بَيِّنَةٌ هَادِيَةٌ .

وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ

كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُدِيرٌ وَلَمْ يُعَقِّبْ
يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى
الْمُرْسَلُونَ

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ

سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَجَ

بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ
إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ

فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا

هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ

(عَاقِبَةُ)

(١٤) - وَجَحَدُوا بِالآيَاتِ الَّتِي جَاءَتْهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى يَدَيِّ مُوسَى، وَكَانَ جُحُودُهُمْ بِهَا ظُلْمًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، وَاسْتَكْبَارًا عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ (عُلُوءًا)، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَأَنْ مَنْ جَاءَ بِهَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَإِنْ قَالُوا عَنْهُ: سَاحِرٌ. فَاهْلَكَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ. فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، فَاحْذَرُوا يَا مَنْ تُكْذِبُونَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ.

عُلُوءًا - تَرْفَعًا وَاسْتِكْبَارًا عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا.

(آتَيْنَا) (دَاوُدَ) (سُلَيْمَانَ)

(١٥) يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عَبْدَيْهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، مِنَ النِّعَمِ وَالْمَوَاهِبِ الْجَلِيلَةِ، وَمَا جَمَعَ لَهُمَا مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْمُلْكِ وَالنَّبُوَّةِ، فَحَمْدًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى فَضْلِهِ، وَأَتَيْنَا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، لِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمَا مِنْ تَفْضِيلِهِ إِيَّاهُمَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ بِالْعِلْمِ وَالشَّرِيعَةِ وَدِرَاسَةِ الْأَحْكَامِ وَالنَّبُوَّةِ. فَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ دَاوُدَ صُنْعَةَ الدُّرُوعِ، وَعَلَّمَ سُلَيْمَانَ مَنَطِقَ الطَّيْرِ، وَالْحَيَوَانَاتِ، وَتَسْبِيحَ الْجِبَالِ، وَسَخَرَهُ الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ.

(سُلَيْمَانَ) (دَاوُدَ) (يَا أَيُّهَا)

(١٦) - وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ أَبَاهُ دَاوُدَ فِي الْمُلْكِ وَالنَّبُوَّةِ (وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْوِرَاثَةِ هُنَا وِرَاثَةُ الْمَالِ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُوَرِّثُونَ أَمْوَالَهُمْ). وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ مَنْ حَوْلَهُ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَبِمَا وَهَبَهُ مِنَ الْمُلْكِ الْعَظِيمِ، حَتَّى إِنَّهُ سَخَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالطَّيْرَ، وَكَانَ يَعْرِفُ لُغَةَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانَاتِ، وَأُعْطِيَ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلْكُ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الظَّاهِرِ الْبَيِّنِ عَلَيْهِ. مَنَطِقَ الطَّيْرِ - فَهَمَّ أَغْرَاضِهِ كُلُّهَا مِنْ أَصْوَاتِهِ.

(لِسُلَيْمَانَ)

(١٧) - وَجُمِعَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فِي صَعِيدٍ وَاجِدٍ، فَكَرِبَ فِيهِمْ فِي أَبْهَةِ عَظِيمَةٍ لِيُحَارِبَ بِهِمْ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَكَانَ يَتَوَلَّى أَمْرَ كُلِّ فِتْنَةٍ وَازْعُونَ مِنْهُمْ يُلْزِمُونَ كُلَّ وَاحِدٍ مَكَانَهُ، لِكَيْلَا يَتَقَدَّمَ عَنْهُ فِي الْمَوْكِبِ، أَثْنَاءَ السَّيْرِ.

يُوزَعُونَ - يُحْبَسُ أُولَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ حَتَّى يَكْتَمِلَ جَمْعُهُمْ وَيَبْقَوْا كُتْلَةً وَاحِدَةً.

١٤ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا

أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ

١٥ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا

وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا
عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ

١٦ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْ مَنَطِقِ الطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا
هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ

١٧ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ

(وَادِي) (يَا أَيُّهَا) (مَسَاكِنُكُمْ) (سُلَيْمَانُ)

(١٨) - حَتَّى إِذَا مَرَّ سُلَيْمَانُ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ عَلَى وَادٍ لِلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ لِيَصْحَبِيهَا: ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ، فَإِنَّ سُلَيْمَانَ وَجُنُودَهُ قَدْ يَحْطِمُونَكُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِوُجُودِكُمْ، وَلَا بِمَا يَفْعَلُونَ مِنْ تَحْطِيطِكُمْ. يَحْطِمُنْكُمْ - يَدُوسُكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ.

(وَالِدَيَّ) (صَالِحًا) (تَرْضَاهُ) (الصَّالِحِينَ)

(١٩) - فَفَهِمَ سُلَيْمَانُ مَا قَالَتْهُ النَّمْلَةُ لَجَمَاعَةِ النَّمْلِ، فَتَبَسَّمَ مُتَعَجِّبًا مِنْ حَذَرِهَا، وَمِنْ تَحْذِيرِهَا جَمَاعَتَهَا، وَسُرَّ بِمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ فَهْمٍ قَوْلِهَا، وَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُلْهِمَهُ شُكْرَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى وَالِدَيْهِ، وَأَنْ يُسِّرَهُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَرْضَاهُ اللَّهُ لَهُ. وَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَنْ يُدْخِلَهُ فِي رَحْمَتِهِ. أَوْرَعْنِي - أَلْهِمْنِي وَآخِمْلَنِي.

(الغَائِبِينَ)

(٢٠) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ الْهُدْهُدُ يَدُلُّ سُلَيْمَانَ عَلَى مَوَاقِعِ الْمَاءِ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ. فَيَأْمُرُ سُلَيْمَانُ الْجِنَّ بِالْحَفْرِ لِيُسْتَنْبَطَ الْمَاءُ. وَفِي يَوْمٍ نَزَلَ سُلَيْمَانُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ فَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ لِيَرَى الْهُدْهُدَ، فَلَمْ يَرَهُ فَسَأَلَ عَنْهُ، وَقَالَ: مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ، هَلْ أَخْطَأَهُ بَصَرِي مِنَ الطَّيْرِ، أَمْ إِنَّهُ غَابَ فَلَمْ يَحْضُرْ؟ وَلَمْ أَشْعُرْ بِغَيْبَتِهِ؟

(لَأَذْبَحَنَّهُ) (بِسُلْطَانٍ)

(٢١) - فَقَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّهُ سَيُعَذِّبُ الْهُدْهُدَ عَذَابًا شَدِيدًا يَنْتَفِ رِيشُهُ وَتَرْكُهُ لِيَأْكُلَهُ الذَّرُّ وَالنَّمْلُ، أَوْ إِنَّهُ سَيَقْتُلُهُ إِذَا لَمْ يَأْتِ بِعُذْرٍ مُقْنِعٍ مَقْبُولٍ (مُبِينٍ)، يُبَرِّرُ بِهِ غَيْبَتَهُ.

بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ - بِحُجَّةٍ وَمَعْدَرَةٍ تُبَرِّرُ غَيْبَتَهُ.

(سَيِّئًا) (بَنِيًّا)

(٢٢) - فَغَابَ الْهُدْهُدُ زَمَنًا يَسِيرًا (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) بَعْدَ أَنْ سَأَلَ سُلَيْمَانُ عَنْهُ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ لِسُلَيْمَانَ: لَقَدْ أَطْلَعْتُ عَلَى مَا لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَنْتَ وَجُنُودُكَ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَيِّئٍ بَنِيًّا صَادِقٍ حَقٍّ (يَقِينٍ).

بَنِيًّا - بِخَيْرٍ.

سَيِّئًا - مَدِينَةً فِي الْيَمَنِ.

١٨ حَتَّى إِذَا اتَّوَا عَلَى وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ

نَمْلَةٌ يَتَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا

مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ

سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

١٩ فَتَبَسَّمَ صَاحِبًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ

رَبِّ أَوْرَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ

وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ

٢٠ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا

أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ

الْغَائِبِينَ

٢١ لَأَذْبَحَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ

لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ

٢٢ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ

أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ

وَجِئْتُكَ مِنْ سَيِّئٍ بَنِيًّا يَقِينٍ

(٢٣) - لَقَدْ وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ، وَأُوتِيتُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الْمُتَمَكِّنُ، وَلَهَا سَرِيرٌ مُلْكٌ عَظِيمٌ تَجْلِسُ عَلَيْهِ (عَرْشٌ)، وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي بِنَاءِ ضَخْمٍ تَدْخُلُهُ الشَّمْسُ مِنْ طَاقَةٍ، وَتَغْرُبُ مِنْهُ مِنْ طَاقَةٍ أُخْرَى فَيَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ صَبَاحًا وَمَسَاءً.

(الشَّيْطَانُ) (أَعْمَالُهُمْ)

(٢٤) - لَقَدْ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيَسْجُدُونَ لَهَا، وَقَدْ أَضَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٥) - وَقَدْ صَدَّهُمُ الشَّيْطَانُ عَنِ السَّبِيلِ السَّوِيِّ حَتَّى لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْمَخْبُوءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْأَرْزَاقِ: الْمَطَرُ، وَالْمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ، وَالنَّبَاتُ مِنَ الْأَرْضِ، وَيَعْلَمُ مَا يُخْفِيهِ الْعِبَادُ، وَمَا يُعْلِنُونَهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

الْخَبَاءُ - الْمَخْبُوءُ، الْمُسْتَوْرَ أَيْ كَانَ.

(٢٦) - فَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَكُلُّ عَرْشٍ وَإِنْ عَظُمَ فَهُوَ دُونُهُ، فَأَفْرِدُوهُ بِالطَّاعَةِ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

(وَيُرَوَّى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ الْهُدُودِ لِأَنَّهُ دَاعِيَةٌ إِلَى الْخَيْرِ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى). (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَبُو دَاوُدَ).

(الكَاذِبِينَ)

(٢٧) - فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلْهُدُودِ: سَنَنْظُرُ فِيمَا قُلْتُمْ أَصَدَقْتَ فِيمَا أَخْبَرْتَ بِهِ، أَمْ كَذَبْتَ لِلتَّخْلُصِ مِنَ الْعِقَابِ الَّذِي أَوْعَدْتِكَ بِهِ؟

(بِكِتَابِي)

(٢٨) - فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ كِتَابًا إِلَى بَلْقَيْسَ مَلِكَةِ سَبَأَ، وَأَمَرَ الْهُدُودَ بِحَمْلِهِ إِلَيْهَا، وَبِالْقَائِهِ بَيْنَ يَدَيْهَا، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالتَّحِي عَنْهُمْ جَانِبًا لِيُلاحِظَ مَا سَتَفَعَلُهُ بِالْكِتَابِ، وَمَاذَا يَكُونُ رَدُّهَا عَلَيْهِ. فَحَمَلَ الْهُدُودُ الْكِتَابَ إِلَيْهَا، وَالْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْهَا. وَلَمَّا فَتَحَتْهُ وَقَرَأَتْهُ، اسْتَدْعَتْ كِبَارَ رِجَالِ دَوْلَتِهَا، لِيُشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ.

تَوَلَّى عَنْهُمْ - تَنَحَّى عَنْهُمْ قَلِيلًا.

(٢٣) إِنْى وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ

(٢٤) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ



(٢٥) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

(٢٦) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

(٢٧) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(٢٨) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ

(يَا أَيُّهَا) (الْمَلَأُ) (كِتَابُ)

(٢٩) - فَقَصَّصْتُ عَلَى رَجَالٍ دَوْلَتِهَا خَبَرَ الْكِتَابِ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْهَا، وَوَصَفْتُ الْكِتَابَ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ، لِأَنَّهَا رَأَتْ طَائِرًا يَحْمِلُهُ إِلَيْهَا، وَيُلْقِيهِ بَيْنَ يَدَيْهَا، ثُمَّ يَقِفُ جَانِبًا مُتَذَبِّبًا، وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَفْعَلُهُ الْبَشَرُ عَادَةً.

(سُلَيْمَانَ)

(٣٠) - وَقَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ إِنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ سُلَيْمَانَ نَبِيِّ اللَّهِ، وَمُبْتَدَأٌ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

(٣١) - ثُمَّ طَلَبَ إِلَيْهَا سُلَيْمَانُ فِي الرِّسَالَةِ أَلَّا تَتَكَبَّرَ هِيَ وَقَوْمُهَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَأْتُوهُ طَائِعِينَ مُسْتَسْلِمِينَ.

أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ - لَا تَتَكَبَّرُوا عَلَيَّ.

مُسْلِمِينَ - مُؤْمِنِينَ مُتَقَادِينَ مُسْتَسْلِمِينَ.

(يَا أَيُّهَا) (الْمَلَأُ)

(٣٢) - وَلَمَّا قَرَأَتْ عَلَيْهِمْ كِتَابَ سُلَيْمَانَ وَاسْتَشَارَتْهُمْ فِي أَمْرِهَا، وَكَيْفَ تَفْعَلُ، قَالَتْ لَهُمْ إِنَّهَا لَا تَقْطَعُ بِأَمْرِ مِنْ أُمُورِ الدَّوْلَةِ حَتَّى يَجْتَمِعُوا إِلَيْهَا، وَيُشِيرُوا عَلَيْهَا فِيهِ.

تَشْهَدُونَ - تَحْضُرُونَ، أَوْ تُشِيرُونَ عَلَيَّ.

(أُولُو)

(٣٣) - فَذَكَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ ذَوُو عَدَدٍ وَعُدَّةٍ وَقُوَّةٍ، فَإِذَا شَاءَتْ أَنْ تَقْصِدَ سُلَيْمَانُ لِتِجَارَةِ فَهْمٍ مَعَهَا، وَتَحْتَ أَمْرِهَا، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ ذَوُو عَدَدٍ وَعُدَّةٍ وَمَعْرِفَةٍ بِالْحَرْبِ، ثُمَّ فَوَّضُوا الْأَمْرَ إِلَيْهَا لِتَنْصَرِفَ حَسْبَمَا تَرَى فِيهِ الْمَصْلَحَةَ.

أُولُو بَأْسٍ - أَصْحَابُ قُوَّةٍ وَبِلَاءٍ وَنَجْدَةٍ فِي الْحُرُوبِ.

(٣٤) - وَأَذْرَكَتْ بِلَقِيْسُ أَنَّهَا لَا طَاقَةَ لَهَا، وَلَا لِقَوْمِهَا، بِحَرْبِ سُلَيْمَانَ، وَقَدْ لَاحَظَتْ مَا سَخَّرَهُ اللَّهُ لَهُ، فَقَالَتْ لَهُمْ إِنَّهَا تَخْشَى أَنْ يَمْتَنِعُوا عَلَيْهِ، وَيَبَادِرُوهُ بِالْعَدَاءِ، فَيَقْصِدُهُمْ، وَيُهْلِكُهُمْ بِمَنْ مَعَهُ، فَيَجِلُ فِي بَلَدِهِمُ الْخَرَابُ وَالْدَّمَارُ، فَإِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا بِلَدًا عَتَوَتْ خَرَبُوهُ وَأَفْسَدُوهُ، وَجَعَلُوا كِرَامَ أَهْلِهِ مِنْ قَادَةٍ وَكُبْرَاءَ وَأَمْرَاءَ وَشُرَفَاءَ. . أَذَلَّةٌ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَهَذَا مَا يَفْعَلُونَهُ عَادَةً.

(٣٥) - ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ: الرَّأْيُ أَنْ يَمِيلُوا إِلَى الْمَصَالِحَةِ، وَالْمُسَالَمَةِ، وَأَنَّهَا سَتُرْسَلُ إِلَى سُلَيْمَانَ بِهَدِيَّةٍ تَلِيْقُ بِمِثْلِهِ، وَسَيَنْظُرُونَ حَيْثُ مَاذَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ جَوَابُهُ، فَلَعَلَّهُ يَقْبَلُ ذَلِكَ، وَيَكْفُ أَذَاهُ عَنْهُمْ. (وَقَالَ ابْنُ

(٢٩) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ

إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ

(٣٠) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٣١) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ

(٣٢) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي

أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا

حَتَّى تَشْهَدُونَ

(٣٣) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ

شَدِيدُوا الْأَمْرَ إِلَيْكَ فَانْظُرِي

مَاذَا تَأْمُرِينَ

(٣٤) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا

فَرْجَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا آعِزَةً

أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ

(٣٥) وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ

فَنَظِرَةٌ لَهُمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ

عَاسٍ : إِنَّمَا قَالَتْ لَهُمْ إِنَّ قَبِيلَ سُلَيْمَانَ الْهَدِيَّةُ فَهُوَ مِلْكٌ فَقَاتِلُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ، لِأَنَّ النَّبِيَّ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا اتِّبَاعَ دِينِهِ).

(سُلَيْمَانَ) (آتَانِي) (آتَاكُمْ)

(٣٦) - وَأَرْسَلْتُ إِلَى سُلَيْمَانَ بِالْهَدِيَّةِ فَلَمْ يَهْتَمْ بِهَا، وَقَالَ لِمَنْ حَمَلَ إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ بِهَذِهِ الْهَدِيَّةِ مُصَانَعَتِي عَلَى مَالٍ لَا تُرْكُكُمْ، فَمَا أَعْطَانِي اللَّهُ، مِنَ الْمَالِ وَالْمُلْكِ وَالْجُنُودِ، خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ وَمِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَأَنْتُمْ الَّذِينَ تَهْتَمُونَ بِالْهَدَايَا وَالتَّحَفِ، وَتَتَفَادُونَ إِلَيْهَا، وَتَفْرَحُونَ بِهَا، أَمَا أَنَا فَلَا أَقْبَلُ مِنْكُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوْ السَّيْفَ.

(صَاغِرُونَ)

(٣٧) - ثُمَّ أَمَرَ سُلَيْمَانَ الرَّسُولَ بِأَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَلْقَيْسَ وَقَوْمِهَا بِالْهَدِيَّةِ الَّتِي أَرْسَلُوهَا إِلَيْهِ، وَبِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ إِنَّهُ سَيَسِيرُ إِلَيْهِمْ بِجُيُوشٍ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِقِتَالِهَا، وَإِنَّهُ سَيُخْرِجُهُمْ مِنْ بِلَدِهِمْ وَأَرْضِهِمْ أَذَلَّةً، وَهُمْ مُهَانُونَ مَذْحُورُونَ.

فَلَمَّا عَاذَ الرَّسُولُ إِلَى بَلْقَيْسَ، مَعَ جَوَابِ سُلَيْمَانَ، سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا، وَسَارَتْ إِلَيْهِ بِجَيْشِهَا وَجُنُودِهَا خَاضِعَةً لِأَمْرِ سُلَيْمَانَ، وَرَاغِبَةً فِي مُتَابَعَتِهِ عَلَى دِينِهِ، وَأَرْسَلَتْ تُخَبِّرُ سُلَيْمَانَ بِقُدُومِهَا عَلَيْهِ.

لَا قَبِيلَ لَهُمْ بِهَا - لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِمَقَامَتِهَا.

صَاغِرُونَ - ذَلِيلُونَ مَقْهُورُونَ.

(يَا أَيُّهَا) (الْمَلَأَ)

(٣٨) - وَلَمَّا تَحَقَّقَ سُلَيْمَانَ مِنْ قُدُومِهِمْ عَلَيْهِ طَائِعِينَ مُسْتَسْلِمِينَ فَرِحَ، وَكَانَ الْهَذْهُدُ قَدْ وَصَفَ لَهُ كُرْسِيَّ الْمُلْكِ الَّذِي تَجْلِسُ بَلْقَيْسُ عَلَيْهِ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الرُّوعَةِ وَالْبَهَاءِ، فَاعْجَبَهُ، وَخَافَ أَنَّهُمْ إِنْ أَتَوْهُ مُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ اخْتِذَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَجَمَعَ مَنْ تَحْتَ يَدِهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَسَأَلَهُمْ مَنْ مِنْهُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ عَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتَوْهُ مُسْلِمِينَ؟ لِيُرِيَهَا بَعْضُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْعَجَائِبِ، لِيَتَعَرَّفَ صِدْقَ نُبُوتِهِ.

(آتَيْكَ)

(٣) - فَقَالَ لَهُ مَا رَدَّ مِنَ الْجِنِّ إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ هَذَا، وَإِنَّهُ قَوِيٌّ عَلَى حَمْلِهِ، أَمِينٌ عَلَيَّ مَا فِيهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتَمِدُّونَنِي

بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ

أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ

لَا قَبِيلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ

قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَتَيْكُمْ يَأْتِينِي

بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ

قَالَ عَفَرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَاءَ إِلَيْكَ بِهِ

قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ

(الْكِتَابِ) (آيَتِكَ) (رَأَاهُ) (أَشْكُرُ)

(٤٠) - فَقَالَ سُلَيْمَانُ لَجَمَاعَتِهِ إِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَأْتُوهُ بِهِ بِأَسْرَعٍ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَعْرِفُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ (عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) إِنَّهُ مُسْتَعِدٌّ أَنْ يَأْتِيَهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَطْرِفَ عَيْنُهُ وَدَعَا الرَّجُلُ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، فَمَثَلَ الْعَرْشَ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ فَلَمَّا رَأَاهُ سُلَيْمَانُ وَمَنْ حَوْلَهُ مُسْتَقِرًّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ قَالَ سُلَيْمَانُ: هَذَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ لِيَخْتَبِرَنِي رَبِّي أَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِهِ أَمْ أَكْفُرُ بِهَا؟ وَمَنْ شَكَرَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادِ، وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ.

(وقيل بل المعنى هُوَ: أَنَّ سُلَيْمَانَ قَالَ لِلْجَنِيِّ أَنَا أَحْضَرُهُ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ، وَكَانَ كَمَا قَالَ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَمَامَهُ شَكَرَ رَبَّهُ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ).

الذي عنده عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ - رَجُلٌ أَوْ مَلَكٌ يَعْلَمُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ.

يَرْتَدُّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ - قَبْلَ أَنْ تُغِيضَ عَيْنَكَ ثُمَّ تَفْتَحَهَا.

ليبلونني - لِيخْتَبِرَنِي وَيَمْتَحِنَنِي.

(٤١) - فَأَمَرَ سُلَيْمَانُ بَأَنْ يُجْرُوا بَعْضَ التَّغْيِيرِ فِي هَيْئَةِ عَرْشِ بَلْقَيْسَ لِيخْتَبِرَ مَعْرِفَتَهَا، وَثَبَاتَهَا، عِنْدَ رُؤْيَاهَا، وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْرِفَ عَرْشَهَا إِذَا بَدَّلَ فِيهِ وَتَكَّرَ، أَمْ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ.

تَكَّرُوا - غَيَّرُوا فِيهِ وَبَدَّلُوا.

(٤٢) - فَلَمَّا وَصَلَتْ بَلْقَيْسُ إِلَى سُلَيْمَانَ، عَرَضَ عَلَيْهَا عَرْشُهَا وَقَدْ غُيِّرَ فِيهِ، وَتَكَّرَ، وَزَيِّدَ فِيهِ، فَسَأَلَهَا أَهَكَذَا عَرْشُكَ؟ وَلَكِنِّهَا اسْتَبَعَدَتْ أَنْ يُحْمَلَ عَرْشُهَا مِنْ تِلْكَ الْمَسَافَاتِ الْبَعِيدَةِ، فَقَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ، فَهُوَ يُشَبِّهُهُ وَيُقَارِبُهُ. وَقِيلَ إِنَّ جَوَابَهَا هَذَا دَلِيلٌ عَلَى رَجَاحَةِ عَقْلِهَا، وَفُطْنَتِهَا وَدَهَائِهَا، وَثَبَاتِ قَلْبِهَا.

وَقَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّهُ أُوتِيَ الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَهُ بَلْقَيْسُ، وَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا.

(وقيل إنَّ معنى قوله تعالى ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ هُوَ أَنَّ سُلَيْمَانَ أَرَادَ بِذَلِكَ اخْتِبَارَ رَجَاحَةِ عَقْلِهَا، وَإِظْهَارَ الْمُعْجَزَةِ لَهَا، فَقَالَتْ: لَقَدْ أُوتِينَا الْعِلْمَ بِكَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَصِدْقِ نُبُوتِكَ، مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْمُعْجَزَةِ، بِمَا شَاهَدْنَاهُ مِنْ أَمْرِ الْهُدُودِ، وَبِمَا سَمِعْنَاهُ مِنْ رُسُلِنَا إِلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ، وَكُنَّا مُتَقَادِرِينَ لَكَ مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى إِظْهَارِ مَزِيدٍ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْآخَرَى).

٤٠ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ

أَنَاءَ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ

طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ

قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُونِي

أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي

عَنِّي كَرِيمٌ

٤١ قَالَ تَكْرُوْا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ

أَن تَعْلَمِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ

لَا يَتَذَكَّرُونَ

٤٢ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ

قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ

قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ

(كَافِرِينَ)

(٤٣) - أَمَّا هِيَ فَقَدْ صَدَّهَا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَعَنِ الْإِسْلَامِ إِلَيْهِ، مَا كَانَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَكَانُوا كَافِرِينَ.

(سُلَيْمَانَ) (الْعَالَمِينَ)

(٤٤) - كَانَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَمَرَ الشَّيَاطِينَ فَبَنَوْا لَهَا قَصْرًا (صَرْحًا) عَظِيمًا مِنْ زُجَاجٍ، أُجْرِيَ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِهِ، فَمَنْ لَا يَعْرِفُ أَمْرَهُ يَظُنُّ أَنَّهُ مَاءٌ، وَلَكِنَّ الزُّجَاجَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَاءِ وَبَيْنَ الْمَاشِي. ثُمَّ قَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ: ادْخُلِي الصَّرْحَ لِيُرِيَهَا مُلْكًا أَعَزُّ مِنْ مُلْكِهَا، وَسُلْطَانًا أَعْظَمُ مِنْ سُلْطَانِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ الْمَاءَ تَحْتَ الزُّجَاجِ ظَنَّتْ أَنَّهَا سَتَخْوِضُ فِيهِ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا لِتَخْوِضَ فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ إِنَّهُ زُجَاجٌ، وَلَيْسَ مَاءٌ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَى سُلَيْمَانَ عَاتَبَهَا عَلَى عِبَادَةِ الشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَدَعَاهَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَاسْلَمَتْ وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا، وَأَتْبَعَتْ دِينَ سُلَيْمَانَ، وَقَالَتْ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِعِبَادَةِ الشَّمْسِ، وَبِاغْتِرَارِي بِمُلْكِي، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَخَالَتِي كُلَّ شَيْءٍ.

الصَّرْحُ - الْقَصْرُ أَوْ الْبِنَاءُ الْمُرْتَفِعُ.

مُمرَّد - مُمْلَسٌ مُسْرَى.

لُجَّةٌ - مَاءٌ غَزِيرٌ أَوْ عَمِيقٌ.

مِنْ قَوَارِيرَ - مِنْ زُجَاجٍ شَفَافٍ.

(صَالِحًا)

(٤٥) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْمٍ ثَمُودَ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَعَ نَبِيِّهِمْ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. حِينَ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فَدَعَاَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَأَمَنَ بِهِ، بَعْضُهُمْ، وَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَأَصْبَحُوا قَرِيقَيْنِ يَخْتَصِمَانِ وَتَجَادَلَانِ فِي اللَّهِ، وَفِي رِسَالَةِ صَالِحٍ.

(يَا قَوْمِ)

(٤٦) - فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: لِمَاذَا تَطْلُبُونَ أَنْ يُنَزَلَ اللَّهُ بِكُمْ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ، وَلَا تَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةَ؟ فَهَلَّا تَبْتَغُونَ مِنْ كُفْرِكُمْ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَأَسْأَلُكُمْ الْعَفْوَ لَعَلَّكُمْ تَغْفِرُونَ لَكُمْ وَبِرَحْمَتِكُمْ؟

(طَائِرُكُمْ)

(٤٧) - فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ تَشَاءُوا مِنْ وَجُودِهِ بَيْنَهُمْ، وَمِنْ وَجُودِ مَنْ آمَنَ مِنْ قَوْمِهِ (أَيَّ تَطَيَّرُوا بِهِمْ). فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ مَا

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ

قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

قَالُوا أَطِيعُوا نَارَكُمْ وَبِمَنْ مَعَكُمْ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ

يُصِيبُكُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ بِبَدٍ غَيْرِهِ تَعَالَى، فَهُوَ إِنْ شَاءَ رَزَقَكُمْ وَإِنْ شَاءَ حَرَمَكُمْ. وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ يَخْتَارُكُمْ رَبُّكُمْ حِينَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ لِيرَى: أَطِيعُونَهُ فَتَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، فَتَتَلَوْا ثَوَابَهُ، أَمْ تَعْصُونَهُ فَتَعْمَلُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَيَجْلِبُ بِكُمْ عِقَابُهُ.

اطَّيَّرْنَا - تَطَيَّرْنَا وَتَشَاءُ مِنَّا إِذَا أَصَبْنَا بِالشَّدَائِدِ.

طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ - شُؤْمُكُمْ عَمَلُكُمْ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

قَوْمٌ تَفْتَنُونَ - قَوْمٌ يَفْتِنُكُمْ الشَّيْطَانُ بِوَسْوَئِهِ.

(٤٨) - وَكَانَ فِي مَدِينَةِ الْحِجْرِ (وَهِيَ مَدِينَةُ ثَمُودَ) تِسْعَةُ أَفْرَادٍ (رَهْطٍ) مُجْرِمِينَ طُغَاةَ، وَكَانُوا هُمْ دُعَاةَ قَوْمِهِمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمُ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ، وَالْأَمْرُ بِالْفَسَادِ وَالضَّلَالِ، وَلَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُصْلِحِينَ، وَقَدْ غَلَبُوا عَلَى قَوْمِهِمْ لِأَنَّهُمْ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ وَكِبَرَائِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ، وَهُمْوَا بِقَتْلِ صَالِحٍ غِيلَةً. تِسْعَةُ رَهْطٍ - تِسْعَةُ أَشْخَاصٍ مِنَ الرُّؤَسَاءِ مَعًا كَانَهُمْ رَهْطٌ.

(لَصَادِقُونَ)

(٤٩) - فَقَالَ أُولَئِكَ الْمُفْسِدُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعَالَوْا نَتَحَالَفْ، وَنَتَقَاسَمَ فِيمَا بَيْنَنَا عَلَى أَنْ نَقْتُلَ صَالِحًا لَيْلًا غِيلَةً. فَبَعْدَ أَنْ قَتَلُوا النَّاقَةَ أَنْذَرَهُمْ صَالِحٌ بِأَنَّهُمْ سَيَهْلِكُونَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ صَالِحًا وَأَهْلَهُ، ثُمَّ لَنَقُولَنَّ إِنَّا لَا نَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ مَصْرَعِهِمْ. فَإِذَا كَانَ صَادِقًا فِيمَا يَقُولُ عَجَّلْنَا بِهِ قَبْلَنَا، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا أَلْحَقْنَاهُ بِنَاقَتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مَكْرًا مِنْهُمْ. فَاتَّوَهَ لَيْلًا لِيَسْتُوهُ فِي أَهْلِهِ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحِجَارَةِ، وَلَمَّا أَبْطَرُوا عَلَى أَصْحَابِهِمْ أَتَى هَؤُلَاءِ إِلَى مَنْزِلِ صَالِحٍ فَوَجَدُوهُمْ قَدْ رَضِخُوا بِالْحِجَارَةِ، فَقَالَ أَهْلُهُمْ لَصَالِحٍ أَنْتَ قَتَلْتَهُمْ.

تَقَاسَمُوا - حَلَفُوا بِاللَّهِ.

لَنُيَسِّتَهُ - لَنَقْتُلَنَّهُ، غِيلَةً.

مَهْلِكٌ أَهْلُهُ - هَلَكَهُمْ.

(٥٠) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُمْ دَبَّرُوا أَمْرًا لِإِهْلَاكِ نَبِيِّ اللَّهِ صَالِحٍ، فَدَبَّرَ اللَّهُ تَدْبِيرًا خَفِيًّا مُحْكَمًا أَبْطَلَ مَكْرَهُمْ وَتَدْبِيرَهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ

رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

وَلَا يُصْلِحُونَ

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ

وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَهُ

مَا شَهِدْنَا مَهْلِكٌ أَهْلِهِ

وَأِنَّا لَصَادِقُونَ

وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا

مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

إِلَى صَالِحٍ وَأَهْلِهِ بِأَذَى، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ عَيْنَ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَعَى نَبِيَّهُ
صَالِحًا وَالْمُؤْمِنِينَ، وَتَعْرِفُ مَا يُدْبِرُهُ هَؤُلَاءِ الْمُفْسِدُونَ.
مَكْرَ - دَبَّرَ تَدْبِيرًا خَفِيًّا.

(عَاقِبَةُ) (دَمَرْنَاهُمْ)

(٥١) - وَكَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنْ دَمَرَ اللَّهُ الْمُجْرِمِينَ وَأَهْلَكَهُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ
أَجْمَعِينَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْكُفَّارِ أَحَدٌ فِي دِيَارِهِمْ.
دَمَرْنَاهُمْ - أَهْلَكْنَاهُمْ.

(لَايَةٌ)

(٥٢) - وَهَذِهِ بَيُّوتُهُمْ أَصْبَحَتْ خَاوِيَةً خَالِيَةً لَا يَسْكُنُهَا أَحَدٌ، وَذَلِكَ
عِقَابٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ. وَفِيمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ
عَذَابٍ وَهَلَاكِ لَعِبْرَةٍ وَعِظَةٌ لِمَنْ يَنْظُرُ وَيَتَفَكَّرُ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ
فَيَتَعَبَّرُ.

خَاوِيَةٌ - خَالِيَةٌ خَرِبَةٌ - أَوْ سَاقِطَةٌ مُتَهَدِّمَةٌ.

(آمَنُوا)

(٥٣) - أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ صَالِحٌ، وَاتَّقَوْا رَبَّهُمْ وَخَافُوهُ، فَقَدْ
أَنْجَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ صَالِحٍ وَأَهْلِهِ.

(الْفَاحِشَةُ)

(٥٤) - وَادْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ حَدِيثَ لُوطٍ مَعَ قَوْمِهِ إِذْ أَنْذَرَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ
نَعَمَ اللَّهُ أَنْ تَحُلَّ بِهِمْ إِذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى فِعْلِهِمْ الْفَاحِشَةَ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ
إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ، فَقَدْ كَانُوا يَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ،
وَيَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ فِي نَادِيهِمْ فِي حُضُورِ الْآخَرِينَ، وَأَمَامَ أَعْيُنِهِمْ (وَأَنْتُمْ
تُبْصِرُونَ).

(وَقِيلَ بَلِ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا فَاحِشَةٌ،
وَاقْتِرَافُ الْقَبِيحِ. مِمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ قَبِيحٌ، هُوَ أَقْبَحُ وَأَشْنَعُ).
وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ - لَا تُبَالُونَ بِإِظْهَارِهَا مَجَانَةً.

(إِنَّكُمْ)

(٥٥) - فَإِنَّكُمْ تَأْتُونَ الذُّكُورَ، وَتَذَرُونَ النِّسَاءَ، وَهَذَا فَسَادٌ وَمُنْكَرٌ، فَانْتُمْ
مُعْتَدُونَ جَاهِلُونَ، لَا تُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْحَبِيثِ وَالطَّيِّبِ، مُتَجَاوِزُونَ حُدُودَ مَا
شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ.

٥١ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ

عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ
وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ

٥٢ فَبِذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ خَاوِيَةَ بَيْمَاتِهِمْ

ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

٥٣ وَأَخْبَرَنَا الَّذِينَ آمَنُوا

وَكَانُوا يُقْبِرُونَ

٥٤ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ
تُبْصِرُونَ

٥٥ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً

مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
بَٰجِلُونَ

(آل)

(٥٦) - فَلَمْ يَجِدْ هَؤُلَاءِ الْمُفْسِدُونَ مَا يَرُدُّونَ بِهِ عَلَى دَعْوَةِ لُوطٍ لَهُمْ، وَاسْتِنَكَارِهِ، لأَعْمَالِهِمْ وَفَسَادِهِمْ، إِلَّا أَنْ قَالُوا: إِنَّ لُوطاً وَأَهْلَهُ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ، وَيَتَوَرَّعُونَ عَنْ مُجَارَاتِكُمْ فِي فِعْلِ الْمُنْكَرِ، فَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ، لَأَنَّهُمْ لَا يَصْلَحُونَ لِمُجَاوَرَتِكُمْ. يَنْظَهُرُونَ - يَزْعُمُونَ التَّزَهُةَ عَمَّا نَفْعُلُ.

(فَأَنْجَيْنَاهُ) (قَدَرْنَاهَا) (الْفَايِرِينَ)

(٥٧) - وَعَزَّمُوا عَلَى إِخْرَاجِ لُوطٍ وَأَهْلِهِ مِنْ قَرْيَتِهِمْ، فَعَاجَلَهُمُ اللَّهُ بِالْعُقُوبَةِ، فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ، وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا. وَأَنْجَى اللَّهُ لُوطاً وَأَهْلَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، إِلَّا أَمْرَاتَهُ فَقَدْ قَضَى اللَّهُ بِهَلَاكِهَا، لِأَنَّهُا كَانَتْ رَاضِيَةً بِأَفْعَالِ قَوْمِهَا الْقَبِيحَةِ فَكَانَتْ تَذُلُّ قَوْمَهَا عَلَى أَصْيَافِ زَوْجِهَا لُوطٍ لِيَأْتُوا إِلَيْهِمْ لِفِعْلِ الْمُنْكَرِ مَعَهُمْ. قَدَرْنَاهَا - حَكَمْنَا عَلَيْهَا.

مِنَ الْفَايِرِينَ - بِجَعْلِهَا مِنَ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ أَوْ الْهَالِكِينَ.

(٥٨) - فَأَمْطَرَ اللَّهُ عَلَى قَرْيَةِ قَوْمِ لُوطٍ (وَهِيَ سَدُومُ عَلَى قَوْلِ) حِجَارَةً، وَخَسَفَ بِهِمُ الْأَرْضَ فَدَمَّرَهُمْ تَدْمِيرًا، وَلَمْ يَنْجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ، بَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى لُوطاً وَأَهْلَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، بِالْخُرُوجِ مِنْهَا وَالْإِتِّجَاهِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ، فَبَشَّسَ ذَلِكَ الْمَطَرُ قَوْمَ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمُ اللَّهُ بِالْعِقَابِ الْأَلِيمِ.

مَطَرًا - حِجَارَةً مُهْلِكَةً، تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا الْمَطَرُ.

(سَلَامٌ) (اللَّهُ)

(٥٩) - يَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ بِأَنْ يَحْمَدَ رَبَّهُ عَلَى نِعَمِهِ وَآلَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَهِيَ نِعَمٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَعَلَى مَا اتَّصَفَ بِهِ تَعَالَى مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَأَنْ يُسَلِّمَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ أَصْطَفَاهُمْ رَبُّهُمْ، وَاخْتَارَهُمْ لِحَمْلِ رِسَالَاتِهِ (وَهُمُ الرُّسُلُ الْكِرَامُ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمِنْ أَصْطَفَاهُمْ اللَّهُ لِنُصْرَةِ الرُّسُلِ).

وَيُنَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ عِبَادَتَهُمْ آلِهَةً مَعَ اللَّهِ. ثُمَّ يَسْأَلُهُمْ مُسْتَنْكِرًا، مَنْ هُوَ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ: أَهَوَا اللَّهُ الْحَقُّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَمُدَبِّرُ الْكَوْنِ، وَمَنْ فِيهِ، وَرَازِقُ الْمَخْلُوقَاتِ، أَمْ الْأَصْنَامُ الَّتِي لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِغَيْرِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا؟

٥٦ فَمَا كَانَتْ



جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ

قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ

مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ

يَنْظَهُرُونَ

٥٧ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ

قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ

٥٨ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ

مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ

٥٩ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ

الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرَ

أَمَا يَشْكُرُونَ

(أَمْ مِنْ) (السَّمَاوَاتِ) (حَدَائِقِ) (الْإِلَهِ)

(٦٠) - وَأَسْأَلُهُمْ هَلْ عِبَادَةُ مَا تَعْبُدُونَ يَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَوْثَانٍ وَأَصْنَامٍ ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، خَيْرٌ أَمْ عِبَادَةُ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ فِي أَرْتِفَاعِهَا وَعَظَمَتِهَا ، وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ وَالْأَفْلَاقِ الدَّائِرَةِ ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ بَحَارٍ وَجِبَالٍ وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ وَمَخْلُوقَاتٍ . . وَأَنْزَلَ لَكُمْ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَوَى بِهِ الْأَرْضَ فَأَنْبَتَ الزَّرْعَ وَالْأَشْجَارَ وَالنَّمَارَ ، وَلَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُنْبِتَ مِنْهَا شَيْئًا؟

إِنَّكَ إِنْ سَأَلْتَهُمْ هَذَا السُّؤَالَ فَسَيَقُولُونَ إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ ، وَسَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ مَعَ اللَّهِ قَامَ بِعَمَلِ شَيْءٍ مِنَ الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَإِنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِكُلِّ ذَلِكَ . فَقُلْ لَهُمْ : كَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ إِذَا ، وَهُوَ الْمُسْتَقِلُّ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟

حَدَائِقِ ذَاتِ يَهْجَةٍ - بَسَائِنِ ذَاتِ حُسْنٍ وَرَوْتِي .

قَوْمٌ يَعْبُدُونَ - يَنْحَرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ .

(أَمْ مِنْ) (خِلَالِهَا) (أَنْهَارًا) (رَوَاسِي) (الْإِلَهِ)

(٦١) - وَأَسْأَلُهُمْ : هَلْ عِبَادَةُ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ، الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ خَيْرٌ أَمْ عِبَادَةُ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ مُسْتَقَرًّا لِلْبَشَرِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ، وَجَعَلَ فِيهَا أَنْهَارًا يَنْتَفِعُونَ بِهَا فِي شُرْبِهِمْ وَسَقْيِ أَنْعَامِهِمْ وَرِيِّ زُرُوعِهِمْ؟ وَجَعَلَ فِيهَا جِبَالًا رَاسِيَاتٍ تُرْسِي الْأَرْضَ وَتُثَبِّتُهَا لِكَيْلَا تَمِيدَ وَتَضْطَرِبَ بَمَنْ عَلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ وَالْمِلْحَةِ حَاجِزًا يَمْنَعُهَا مِنَ الْاِخْتِلَاطِ لِكَيْلَا يَفْسُدَ الْمَاءُ الْعَذْبُ ، فَيَمْتَنِعَ عَلَى الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ ، وَجَعَلَ الْبَحَارَ مِلْحَةً لِأَنَّهَا سَاكِتَةٌ ، وَلَوْلَا مُلُوحَتُهَا لَفْسَدَتْ .

إِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِ . فَقُلْ لَهُمْ كَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى لَا تَسْتَطِيعُ فِعْلَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ جَاهِلُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ (لَا يَعْلَمُونَ) .

﴿٦٠﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ

بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ

تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ

﴿٦١﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا

وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ

هَارَ وَاسِيً وَجَعَلَ بَيْنَ

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

الْأَرْضَ قَرَارًا - مُسْتَقَرًّا بِالذَّخْرِ وَالنَّسْوَةِ .
رَوَاسِي - جِبَالًا ثَوَابِتَ لِكَيْلَا تَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا .
حَاجِزًا - فَاصِلًا يَمْنَعُ اخْتِلَاطَهُمَا .

(أَمْ مَنْ) (الَّهِ)

(٦٢) - وَاسْأَلْهُمْ هَلِ الَّذِينَ تُشْرِكُونَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ خَيْرٌ، وَهُمْ لَا يَضُرُّونَ وَلَا يَنْفَعُونَ، أَمْ مَنْ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْمُضْطَرِّ عِنْدَ الشَّدَةِ إِذَا دَعَاهُ لِيَكْشِفَ عَنْهُ مَا بِهِ مِنْ ضَرٍّ، وَمَنْ يَجْعَلُ أَمَّا فِي الْأَرْضِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَجِبَالًا بَعْدَ جِبَلٍ، وَلَوْ شَاءَ لَخَلَقَهُمْ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَعْضَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ بَعْضٍ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَصَافَتْ الْأَرْضُ بِالْبَشَرِ، وَلَصَافَتْ عَلَيْهِمْ مَعَاشِيَتُهُمْ وَأَرْزَاقُهُمْ، وَلَكِنْ حِكْمَتُهُ اقْتَضَتْ أَنْ يَخْلُقَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ أَمَّا يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَنْقُضِيَ الْأَجَلَ وَيَعُودَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَهَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ، وَهَلْ تَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا غَيْرَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ؟ فَمَا أَقَلُّ تَذَكُّرِكُمْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الَّتِي يُرِيدُكُمْ بِهَا إِلَى الْحَقِّ، وَيَهْدِيكُمْ بِهَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؟

(أَمْ مَنْ) (ظُلُمَاتِ) (الرِّيَاحِ) (الَّهِ) (تَعَالَى)

(٦٣) - وَمَنْ تُشْرِكُونَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الَّذِي يُرِيدُكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِذَا أَظْلَمَتْ عَلَيْكُمْ السُّبُلُ، فَضَلَلْتُمْ الطَّرِيقَ، بِمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الدَّلَائِلِ السَّمَاوِيَّةِ، وَالْعَلَامَاتِ الْأَرْضِيَّةِ؟ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ بِالسَّحَابِ الْمُثْقَلِ بِالْمَطَرِ الَّذِي يُغِيثُ بِهِ الْعِبَادَ الْمُجْدِبِينَ الْقَانِطِينَ؟ فَهَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ آخَرُ غَيْرُ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ فِعْلَ ذَلِكَ؟

إِنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ إِلَهَةً لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ؟ فَتَعَالَى اللَّهُ وَتَنَزَّاهُ عَنْ شِرْكِ الْمُشْرِكِينَ وَكَذِبِهِمْ .

رَحْمَتِهِ - الْمَطَرُ الَّذِي تَحْيَا بِهِ الْأَرْضُ .

(أَمْ مَنْ) (يَبْدَأُ) (الَّهِ) (بُرْهَانِكُمْ) (صَادِقِينَ)

(٦٤) - وَاسْأَلْهُمْ هَلِ الَّذِينَ تُشْرِكُونَهُمْ بِالْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ، يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَسُلْطَانِهِ، وَيَبْدَعُهُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، ثُمَّ يُفْنِيهِ إِذَا شَاءَ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ بِإِزَالِ الْمَطَرِ مِنَ السَّمَاءِ فَيَخْرِجُ

٦٢ أَمْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

وَيَكْشِفُ السَّوْءَ

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا

مَا تَذْكُرُونَ

٦٣ أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ

الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى

اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

٦٤ أَمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ

يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَكَأُوْبَرِّهَنَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ زُرُوعًا وَنَمَارًا وَبَنَاتٍ، تَنْتَفِعُ بِهَا الْأَنْعَامُ وَالْمَخْلُوقَاتُ
وَالْبَشَرُ، فَهَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ آخَرُ مَعَ اللَّهِ فَعَلَ هَذَا؟ أَمْ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ؟ فِإِذَا
أَدْعَيْتُمْ أَنَّ هُنَاكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى فَهَاتُوا بُرْهَانَكُمْ عَلَى صِحَّةِ مَا تَقُولُونَ مِنْ
وُجُودِ هَذِهِ الْإِلَهَةِ الْأُخْرَى الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْلُقَ وَتَرْزُقَ؟

(السَّمَاوَاتِ)

(٦٥) - يَا مُرُّهُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بَانَ يُعْلِمُ الْخَلَائِقَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ
أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَعِنْدَهُ وَحْدَهُ
مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَلَا يَشْعُرُ الْخَلَائِقُ الْمَوْجُودُونَ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ وَمَتَى يَبْعَثُ اللَّهُ الْأَمْوَاتَ مِنْ
قُبُورِهِمْ.

(أَذَارِكُ)

(٦٦) وَقَدْ قَصَرَ عِلْمُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ
وَعَابَ عَنْهُمْ، وَإِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي شَكٍّ مِنْ خُلُوقِهَا
وَوُقُوعِهَا، بَلْ هُمْ فِي عَمَايَةٍ وَجْهَلٍ كَبِيرِينَ مِنْ أَمْرِهَا وَشَأْنِهَا.
أَذَارِكُ عِلْمُهُمْ - تَكَامَلْ وَاسْتَحْكَمْ عِلْمُهُمْ بِأَحْوَالِهَا. وَيَقْصِدُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ
هَذَا التَّهَكُّمَ عَلَيْهِمْ.

عَمُونَ - عُمِيَ الْبَصَائِرُ.

(أَيْذَا) (تُرَابًا) (أَبَاؤُنَا) (أَيْثْنَا)

(٦٧) - وَقَالَ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ، وَالْمُكَذِّبُونَ لِرُسُلِهِ، الْمُتَكَبِّرُونَ لِلْبَعْثِ
وَالنُّشُورِ: هَلْ سَنَخْرِجُ مِنْ قُبُورِنَا أَحْيَاءَ كَهَيْئَتِنَا مِنْ بَعْدِ مَمَاتِنَا، وَبَعْدَ أَنْ
نَكُونَ قَدْ بَلَيْنَا، وَأَصْبَحَتْ عِظَامُنَا تُرَابًا؟

(أَبَاؤُنَا) (أَسَاطِيرُ)

(٦٨) - وَمَا زَلْنَا نَسْمَعُ بِهَذَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا، وَلَا نَرَى حَقِيقَةَ لَهُ، وَلَا وَقُوعًا،
وَمَا هَذَا الْوَعْدُ بِإِعَادَةِ نُشْرِ الْأَجْسَادِ مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ أَنْ تَصِيرَ رَفَاتًا وَتُرَابًا إِلَّا
قَصَصٌ مِنْ قَصَصِ الْأَوَّلِينَ، تَتَنَاقَلُهَا الْأَلْسُنُ، جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَلَا سَنَدَ
لِهَا مِنَ الْحَقِيقَةِ وَلَا ظِلٍّ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْبَعْثُ حَقًّا لَحَصَلَ.
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - قَصَصُهُمْ وَآكَادِيهِمْ الْمَسْطُورَةُ فِي كُتُبِهِمْ.

(عَاقِبَةُ)

(٦٩) - فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ وَالْمَعَادِ: سِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ نِهَآيَةُ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِكُمْ،

٦٥ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ

٦٦ بَلْ أَدَارِكُ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ
مِنْهَا عَمُونَ

٦٧ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ ذُكِّرُوا

تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَبْنَا الْمَخْرُجُونَ

٦٨ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا

مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ

٦٩ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ

وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ؟ لَقَدْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَهْلَكَهُمْ، وَنَجَّى رُسُلَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَاحْذَرُوا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، وَلَسْتُمْ بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ.

(٧٠) - وَلَا تَحْزَنْ عَلَى تَوَلَّى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ عَمَّا جِئْتُهُمْ بِهِ، وَلَا تَأْسَفْ عَلَى أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَا تَذْهَبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ، وَلَا يَضِيقَنَّ صَدْرُكَ بِمَكْرِهِمْ وَكَيْدِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ لَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مُؤَيِّدُكَ وَنَاصِرُكَ وَمُظْهِرُ دِينِكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ وَعَانَدَكَ.

ضَيْقٍ - حَرَجٍ وَضَيْقٍ صَدْرٍ.

(صَادِقِينَ)

(٧١) - وَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ مُتَسَائِلِينَ: مَتَى يَكُونُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (أَوْ مَتَى يَكُونُ هَذَا الْعَذَابُ) الَّذِي تَعِدُونَنَا بِهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ؟

(٧٢) - فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: عَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ قَرِيبًا.

(أَوْ عَسَى أَنْ يُلْحَقَكُمْ وَيَصِلَ إِلَيْكُمْ بَعْضُ مَا تَسْتَعْجِلُونَ خُلُوهُ مِنَ الْعَذَابِ - أَيُّ مَاحِلٍ بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ).

رَدِفَ لَكُمْ - عَجَّلَ لَكُمْ، أَوْ وَصَلَ إِلَيْكُمْ، أَوْ لَحِقَ بِكُمْ.

(٧٣) - وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا لِتَرْكِهِ الْمَعَاجِلَةَ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْكَفْرِ، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْرِفُونَ حَقَّ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَشْكُرُهُ إِلَّا قَلِيلُونَ مِنْهُمْ.

(٧٤) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا تَسِرُّ صُدُورُهُمْ، وَمَا تُخْفِي ضَمَائِرُهُمْ، كَمَا يَعْلَمُ الظُّوَاهِرَ، وَيَعْلَمُ مَا يُعْلِنُونَ.

مَا تَكْنُ صُدُورُهُمْ - مَا تُخْفِي وَتَسْتُرُ مِنَ الْأَسْرَارِ.

(غَائِيَّة) (كِتَاب)

(٧٥) - وَمَا مِنْ أَمْرٍ مَكْتُومٍ، وَسِرٍّ خَفِيٍّ، يَغِيبُ عَنِ النَّاطِرِينَ (غَائِيَّةً)، فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، إِلَّا وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَقَدْ أَثْبَتَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ، الَّذِي لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَقَدْ أَثْبَتَ فِيهِ تَعَالَى كُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ مِنْ آيَاتِ الْخَلْقِ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ.

غَائِيَّةٌ - مَا غَابَ عَنِ النَّاطِرِينَ، وَخَفِيَ عَنْهُمْ.

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي

ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ

قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ

الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ

وَأَنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ

وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ

وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ

صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ

وَمَا مِنْ غَائِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

(الْقُرْآنَ) (إِسْرَائِيلَ)

(٧٦) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ تَضَمَّنَ كَثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي اخْتَلَفَ حَوْلَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ، وَمِنْ وَلَادَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرِسَالَتِهِ، وَمَا افْتَرَوْهُ عَلَى أُمِّهِ مَرِيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنَ الْإِفْكِ وَالْهَيْثَانِ، فَجَاءَ الْقُرْآنُ بِالْقَوْلِ الْفَصْلِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنْصَفُوا أَنْ يَتَّبِعُوهُ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْقِلُوا، وَلَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، عُتَوْاً وَاسْتِكْبَاراً عَنِ الْحَقِّ.

(٧٧) - وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ هُدًى لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَرَحْمَةً لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ.

(٧٨) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ (أَوْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَنْ خَالَفَهُمْ فِي أَمْرِ عِيسَى)، وَقَضَاؤُهُ تَعَالَى هُوَ الْفَصْلُ، ثُمَّ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْجَزَاءِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ فِي اتِّقَائِهِ، الْعَلِيمُ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ وَأَقْوَالِهِمْ.

(٧٩) - فَتَوَكَّلْ يَا مُحَمَّدٌ عَلَى اللَّهِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، وَبَلِّغْ رِسَالَاتِ رَبِّكَ لِقَوْمِكَ، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ (الْمُبِينِ)، وَإِنْ خَالَفَكَ مَنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَاوَةُ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ.

(٨٠) - وَكَمَا أَنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى، كَذَلِكَ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُعَانِدِينَ مَا يَنْفَعُهُمْ، فَقَدْ رَأَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ غِشَاوَةً، وَجَعَلَ اللَّهُ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَعْقِلُونَ وَلَا يُؤْمِنُونَ. الصُّمُّ - الَّذِينَ فَقَدُوا حَاسَةَ السَّمْعِ.

الدُّعَاءُ - الدُّعَاءُ.

(بِهَادِي) (ضَلَالَتِهِمْ) (بَايَاتِنَا)

(٨١) - وَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْدِيَ مَنْ أَعْمَاهُمُ اللَّهُ عَنِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فَجَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً تَمْنَعُهُمْ مِنَ النَّظَرِ فِيمَا جِئْتَ بِهِ نَظْرًا يُوصِلُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَسُلُوكِ سَبِيلِهِ، وَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُ لَكَ مَنْ هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَنْتَفِعُ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَقَدْ خَضَعَ وَخَشَعَ لِلَّهِ، وَوَعَى مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَهَؤُلَاءِ هُمْ مُسْلِمُونَ لِأَمْرِ رَبِّهِمْ.

٧٦ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

٧٧ وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

٧٨ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ

٧٩ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ

٨٠ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ

٨١ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ

(بَيَّاتِنَا)

(٨٢) - وَفِي آخِرِ الزَّمَانِ، حِينَمَا يَفْسُدُ النَّاسُ، وَيَتْرَكُونَ أَوْامِرَ اللَّهِ، وَيَتَّبِعُونَ الْكُفْرَ بِالَّذِينَ الْحَقُّ وَالْإِيمَانُ، وَتَحَقُّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْرِجُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ دَابَّةً تُخَاطِبُ النَّاسَ وَتُكَلِّمُهُمْ وَتَقُولُ لَهُمْ: (إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِأَيَاتِنَا لَا يَوْقِنُونَ). أَيُّ إِنَّهُمْ لَا يَوْقِنُونَ بَيَّاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَظُهُورِ مُقَدَّمَاتِهَا.

وَقَعَ الْقَوْلُ - دَنَتْ السَّاعَةُ وَأَهْوَلَهَا الْمَوْعُودَةُ.

دَابَّةٌ - خُرُوجُهَا مِنْ أَشْرَاطِ قِيَامِ السَّاعَةِ.

(بَيَّاتِنَا)

(٨٣) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَنْ حَشَرِهِ الظَّالِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ رُسُلَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، لِيَسْأَلَهُمْ عَمَّا فَعَلُوهُ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، تَقْرِعاً لَهُمْ، وَتَضَعِيراً وَتَحْقِيراً لِشَانِهِمْ، فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَحْشُرُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ وَامَّةٍ جَمَاعَةً مِمَّنْ كَانُوا يَكْذِبُونَ بَيَّاتِ رَبِّهِمْ، وَيُؤْمَرُونَ بِالزَّيْمِ أَمَّاكِيهِمْ (يُوزَعُونَ) لِيَجْتَمِعُوا فِي مَوْقِفِ التَّوْبِخِ وَالْإِهَانَةِ.

يُوزَعُونَ - يُوقَفُ أَوَائِلُهُمْ لِيَلْحَقَهُمْ أَوَاخِرُهُمْ ثُمَّ يُسْأَلُونَ.

فَوْجاً - جَمَاعَةً وَرُومَةً.

(جَاؤُوا) (بَيَّاتِي) (أَمْ مَاذَا)

(٨٤) - حَتَّى إِذَا جَاؤُوا وَوَقَفُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَقَامِ الْمُسَاءَلَةِ، وَمُنَاقَشَةِ الْحِسَابِ، قَالَ لَهُمُ الرَّبُّ الْكَرِيمُ، مُؤَنِّباً وَمُؤَبِّخاً عَلَى مَا كَانُوا مِنْهُمْ مِنْ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ: أَكْذَبْتُمْ بَيَّاتِي النَّاطِقَةَ بِلِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا دُونَ تَذَبُّرٍ وَلَا فَهْمٍ، غَيْرَ نَاطِرِينَ فِيهَا نَظراً يُوَصِّلُكُمْ إِلَى الْعِلْمِ بِحَقِيقَتِهَا، أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِيهَا مِنْ تَصْدِيقٍ وَتَكْذِيبٍ؟

(٨٥) - وَحَلَّ بِأُولَئِكَ الْمُكَذِّبِينَ السَّخَطُ، وَالْغَضَبُ، وَالْعَذَابُ، بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بَيَّاتِ اللَّهِ، فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِحُجَّةٍ يَدْفَعُونَ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ عَظِيمَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ.

(اللَّيْلِ) (لَايَاتِ)

(٨٦) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ، وَشَأْنِهِ الرَّفِيعِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ جَعَلَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنَ حَرَكَاتُهُمْ فِيهِ، وَتَهْدَأَ أَنْفُسُهُمْ، وَيَسْتَرِيحُوا مِنَ الْعَنَاءِ وَالتَّعَبِ فِي نَهَارِهِمْ. وَجَعَلَ النَّهَارَ مُبْصِراً مُشْرِقاً

وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ



عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَاهُمُ دَابَّةً
مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ

أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يَوْقِنُونَ

وَيَوْمَ تَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً

مِمَّنْ يَكْذِبُ بَيَّاتِنَا فَهُمْ

يُوزَعُونَ

حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكْذَبْتُمْ

بَيَّاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً

أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا

فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ

لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ

بِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ لِيَعْمَلُوا فِيهِ، وَيَتَصَرَّفُوا فِي مَعَايِشِهِمْ وَمَكَاسِبِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ وَتِجَارَاتِهِمْ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ شُؤْنِهِمْ. وَفِي ذَلِكَ دَلَالَاتٌ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَعَلَى عِزَّتِهِ وَلَطْفِهِ بِعِبَادِهِ.

(السَّمَاوَاتِ) (دَاخِرِينَ)

(٨٧) - وَادْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ هَؤُلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حِينَ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ، وَحِينَمَا يَسْمَعُ الْأَحْيَاءُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَلِكَ الصَّوْتُ يُصِيبُهُمُ الْفَزَعُ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْأَبْرَارِ الْمُخْلِصِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمُ الْفَزَعُ. ثُمَّ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ نَفْخَةً أُخْرَى هِيَ نَفْخَةُ الصَّبَقِ، فَيُصْعَقُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ. ثُمَّ يَنْفُخُ الثَّالِثَةُ الْمَوْذَنَةُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، فَتَقُومُ الْأَجْسَادُ لِرَبِّ الْعِبَادِ، وَيَأْتُونَ رَبَّهُمْ جَمِيعاً صَاحِرِينَ مُطِيعِينَ لَا يَخْلَفُ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.

فَزَعٌ - خَافَ خَوْفًا يَسْتَتِيعُ الْمَوْتَ.

دَاخِرِينَ - صَاحِرِينَ ذَلِيلِينَ.

(٨٨) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَرَى النَّاسُ الْجِبَالَ وَتَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ وَلَكِنهَا تَزُولُ عَنْ أَمَاكِينِهَا وَتَتَحَرَّكُ كَمَا يَتَحَرَّكُ السَّحَابُ، وَهَذَا مِنْ فِعْلِ اللَّهِ ذِي الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّذِي أَتَقَنَ صُنْعَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَأَوْدَعَ فِيهِ الْحِكْمَةَ، وَهُوَ خَيْرٌ بِمَا يَفْعَلُهُ عِبَادُهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى.

(يَوْمَئِذٍ) (آمِنُونَ)

(٨٩) - وَمَنْ جَاءَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَبَّهُ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَيُجَنِّبُهُ الْفَزَعَ الْأَكْبَرَ الَّذِي يُصِيبُ الْمُجْرِمِينَ الْأَشْقِيَاءَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

(٩٠) - وَمَنْ جَاءَ رَبَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَدْ أَشْرَكَ بِهِ وَعَصَاهُ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَهَؤُلَاءِ يَكُفُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَيُنْزِلُ بِهِمْ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ السَّيِّئَةِ.

(أَوْ يُقَالُ لَهُمْ: هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا يَسْخِطُ رَبُّكُمْ؟).

كُفَّتْ وَجُوهُهُمْ - أُلْقُوا مَنكُوسِينَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ.

(٨٧) وَيَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ

دَاخِرِينَ

(٨٨) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ

تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي

أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ

بِمَا تَفْعَلُونَ

(٨٩) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا

وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ

(٩٠) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ

وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ

تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ

(٩١) - يَأْمُرُ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ: إِنَّهُ أَمَرَ بِعِبَادَةِ رَبِّ مَكَّةَ الَّتِي جَعَلَهَا بَلَدًا حَرَامًا، لَا يُسْتَبَاحُ فِيهَا دَمٌ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ رَسُولَهُ بِأَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ، الْمُوَحِّدِينَ الْمُخْلِصِينَ لِحَبْلِهِ.

(أَتْلُو) (الْقُرْآنَ)

(٩٢) - وَقُلْ لَقَدْ أَمَرَنِي رَبِّي بِأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ عَلَى النَّاسِ، وَأُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ، وَلِي أَسْوَةٌ بِمَنْ تَقَدَّمَ مِنِّي مِنَ الرُّسُلِ، الَّذِينَ أَنْذَرُوا أَقْوَامَهُمْ، وَقَامُوا بِتَأْدِيَةِ الرِّسَالَةِ، وَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَيَنْتَفِعْ بِهَدَاهُ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا.

(آيَاتِهِ) (بِقَافِلِ)

(٩٣) - وَقُلْ لَهُمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَالْإِعْذَارُ إِلَيْهِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى سَيُظْهِرُ لِلنَّاسِ آيَاتِهِ الْعِظَامَ لِيَعْرِفَهَا النَّاسُ، وَيَتَّعِظُوا بِهَا، وَيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى جُودِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ جَمِيعًا لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَغْفُلُ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ.

﴿٩١﴾ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ

هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا
وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ

أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

﴿٩٢﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى

فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ

فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ

﴿٩٣﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ

فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبَّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا

تَعْمَلُونَ

(٢٨) سُورَةُ الْقَصَصِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَمَانٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - طَاسِينَ مِيمٌ - .

وَتَقْرَأُ مَقْطَعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى جِدَةٍ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(آيَاتُ) (الْكِتَابِ)

(٢) - هَذِهِ الْآيَاتُ هِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ. الَّذِي يَكْشِفُ عَنْ أُمُورِ الدِّينِ، وَأَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ، لَمْ تَقُولَهُ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، وَلَمْ تَخْرُصْهُ كَمَا زَعَمَ الْمُشْرِكُونَ.

(تَتْلُو) (نَبَأٌ)

(٣) - إِنَّا نَذْكُرُ لَكَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ عَلَى حَقِّقَتِهِ، كَأَنَّكَ شَاهِدٌ حَاضِرٌ، وَلَا يَعْتَبَرُ بِآيَاتِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا، وَلَهُ قَلْبٌ وَاعٍ.

(طَائِفَةٌ) (وَيَسْتَحْيِي)

(٤) - لَقَدْ تَكَبَّرَ فِرْعَوْنُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَتَجَبَّرَ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا فِرْقًا وَأَصْنَافًا وَأَحْزَابًا مُتَعَدِّدَةً (شُعَبًا)، وَأَغْرَى بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، لِكَيْلًا يَتَفَقَّحُوا عَلَى أَمْرِ، وَلَا يُجْمِعُوا عَلَى رَأْيٍ، وَيَسْتَغْلِبُ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ لِيُغْضِبَ، فَلَا يَصُغُّ عَلَيْهِ خُضُوعُهُمْ وَأَسْتِسْلَامُهُمْ، وَأَسْتَضْعَافُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (طَائِفَةٌ مِنْهُمْ)، وَكَانُوا أَهْلَ الْإِيمَانِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَأَسْتَذْلَافُهُمْ، فَأَخَذَ يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي أَحْطَى الْأَعْمَالِ وَأَشَقِّهَا، وَيَقْتُلُ الذُّكُورَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ حِينَ يُوَلِّدُونَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَخَافُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَسْتَوْلُوا عَلَى الْمَرَافِقِ الْعَامَّةِ، وَأَنْ يَغْلِبُوا الْأَقْبَاطَ إِذَا تَكَاثَرُوا وَتَنَاسَلُوا، وَقَدْ كَانَ فِرْعَوْنُ مِنَ الضَّالِّينَ الْمُفْسِدِينَ.

(وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَقْتُلُهُمْ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُولِدَ غُلَامٌ مِنْهُمْ يَكُونُ سَبِيًّا فِي هَلَاكِهِ، وَزَوَالِ مُلْكِهِ، كَمَا فُسِّرَ لَهُ بَعْضُ الْكَهَنَةِ حُلْمًا رَأَى).

طَسَمَ

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى

وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ

إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدِّحُ

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ

إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ

عَلَا فِي الْأَرْضِ - تَجَبَّرَ وَطَغَى فِي أَرْضِ مِصْرَ .
شَيْعاً - أَصْنَفَا فِي الْخِدْمَةِ وَالتَّسْخِيرِ وَالْإِذْلَالِ .
يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ - يَسْتَبْقِي النِّسَاءَ لِلْخِدْمَةِ .

(أُئِمَّةٌ) (الْوَارِثِينَ)

(٥) - وَلَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ لَا مَهْرَبَ مِنْهُ، وَلَا يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، فَوُلِدَ مُوسَى وَتَرَبَّى عَلَى فِرَاشِ فِرْعَوْنَ، فَنَجَا مِنَ الْقَتْلِ، وَهَكَذَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانَ يَسْتَضِعُّهُمْ فِرْعَوْنُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَجَعَلَهُمْ أُئِمَّةً، وَقُدُوةً لِلنَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ، وَأَوْرَثَهُمُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِالسُّكْنَى فِيهَا عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ .

(هَامَانَ)

(٦) - وَمَكَّنَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَنْقَذَهُمْ مِنْ عَسَفِ فِرْعَوْنَ وَطُعْيَانِهِ، فَخَرَجَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَجُنُودُهُمَا، يَتَّبِعُونَ آثَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِيَضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْعُودَةِ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ، فَأَغْرَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَذَاقَهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ مِنَ الْهَلَاكِ، وَضِيَاعَ الْمُلْكِ عَلَى يَدِ وَلَدٍ يُولَدُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ .
يَحْذَرُونَ - يَخَافُونَ مِنْ ذَهَابِ مُلْكِهِمْ .

(٧) - لَمَّا أَكْثَرَ فِرْعَوْنُ الْقَتْلَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ خَافَ الْأَقْبَاطُ أَنْ يَفْتَنَى بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَيَضْطَرُّوا الْقَبْطَ إِلَى الْقِيَامِ بِمَا يَقُومُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَةِ، فَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْوُلْدَانِ عَاماً، وَتَرْكِهِنَّ عَاماً، فَوُلِدَ هَارُونُ فِي السَّنَةِ الَّتِي يَتْرَكُونَ فِيهَا الذُّكُورَ، وَوُلِدَ مُوسَى فِي السَّنَةِ الَّتِي يَقْتُلُونَ فِيهَا الذُّكُورَ فَخَافَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ، وَضَاقَتْ بِهِ ذُرْعاً، وَقَدْ أَحْبَبَتْهُ حُبًّا شَدِيداً (فَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى مَحَبَّتَهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مَنْ رَأَاهُ كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى) (١) فَالْتَمَسَهَا اللَّهُ أَنْ تَضَعَهُ فِي ثَأْبُوتٍ، وَتَقْدِفَهُ فِي الْمَاءِ حِينَمَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا أَحَدٌ تَخَافُهُ. وَرَبَطَتِ الثَّأْبُوتَ بِحَبْلِ فَإِذَا ذَهَبَ مَا تَحْذَرُهُ جَذَبَتِ الْحَبْلَ وَأَخْرَجَتْ مُوسَى مِنَ الثَّأْبُوتِ. وَذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْهَا مَنْ تَحْذَرُهُ، فَوَضَعَتْ مُوسَى فِي الْمَهْدِ، وَنَسِيتَ رَبَطَ الْحَبْلِ، فَذَهَبَ بِهِ الْمَاءُ، وَاحْتَمَلَهُ حَتَّى مَرَّ بِهِ أَمَامَ دَارِ فِرْعَوْنَ. وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ أُمَّ مُوسَى بِمَا يُسَلِّيها، وَيُطْمِئِنُّ قَلْبُها، وَهُوَ أَنَّهُ سَيَحْفَظُهَا لَهَا، وَسَيُرِدُّهُ إِلَيْهَا لِتَكُونَ مُرْضِعَتَهُ، وَأَنَّهُ سَيَجْعَلُهُ مُرْسَلًا إِلَى فِرْعَوْنَ الطَّاعِيَةِ، وَسَيَجْعَلُ عَلَى يَدَيْهِ هَلَاكَ فِرْعَوْنَ، وَنَجَاةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا هُمْ فِيهِ .

(١) الْآيَةُ ٣٩ مِنْ سُورَةِ طه .

وَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ

أَسْتَضِعُّوْا فِي الْأَرْضِ
وَيَجْعَلُهُمْ أُيَمَّةً وَيَجْعَلَهُمْ
الْوَارِثِينَ

وَمُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ

فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ

وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ
فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ
وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ

(آلَ) (هَامَانَ) (خَاطِئِينَ)

(٨) - فَالْتَقَطَهُ الْجَوَارِي، وَحَمَلْنَهُ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَكَانَتْ لَقَطَةً، فَأَوْفَعَ اللَّهُ مَحَبَّتَهُ فِي قَلْبِهَا، وَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَتَرَبَّى مُوسَى فِي دَارِ فِرْعَوْنَ، وَعَلَى فِرَاشِهِ، لِيَكُونَ عَدُوًّا لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَلِتَحِلَّ بِهِمُ الْمُصِيبَةُ عَلَى يَدَيْهِ، فَقَدْ كَانَ فِرْعَوْنُ، وَوَزِيرُهُ هَامَانُ، وَجُنُودُهُمَا الَّذِينَ لَاحِقُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالَّذِينَ كَانُوا أَدَاءَ الظُّلْمِ وَالْإِرْهَابِ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ، جَمِيعاً مِنْ مُرْتَكِبِي الْخَطَايَا.

خَاطِئِينَ - مُذْنِبِينَ، آثِمِينَ.

(امْرَأَةً) (قُرَّةً)

(٩) - فَلَمَّا رَأَهُ فِرْعَوْنُ هَمَّ بِقَتْلِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَتْ امْرَأَتُهُ نَسْتَعِظُفَهُ، فَقَالَتْ لَهُ: لَا تَقْتُلْهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ قُرَّةً عَيْنٍ لِي وَلَكَ، وَقَدْ يَنْفَعُنَا أَوْ تَنْجِذُهُ وَلَدًا وَنَتَّبِنَاهُ، لَأَنَّهُا لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ. فَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ قُرَّةُ عَيْنٍ لَكَ لَا لِي. فَكَانَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُونُوا يَدْرُونَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنَ الْبِقَاطِ لَهُمْ إِيَّاهُ مِنَ الْحِكْمَةِ الْعَظِيمَةِ الْبَالِغَةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَلُطْفِهِ فِي تَهْنِئَةِ الْأَسْبَابِ لِمَا يُرِيدُ (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ).

قُرَّةُ عَيْنٍ - مَسْرَّةٌ وَفَرَحٌ.

(فَارِغًا)

(١٠) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أُمَّ مُوسَى لَمَّا ذَهَبَ وَلَدُهَا مَعَ الْمَاءِ أَصْبَحَ قَلْبُهَا خَالِيًا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَّا مِنَ التَّفَكُّيرِ فِيهِ، وَكَادَتْ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِهَا وَحُزْنِهَا أَنْ تُعْلِنَ أَنَّ وَلَدُهَا ذَهَبَ مَعَ الْمَاءِ وَأَنْ تُخْبِرَ بِحَالِهَا، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ثَبَّتَهَا، وَصَبَّرَهَا، وَرَبَطَ عَلَى قَلْبِهَا، لَتَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ الْمُصْذِقِينَ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَأَنَّهُ سِيرُهُ عَلَيْهَا.

فَارِغًا - خَالِيًا مِنْ كُلِّ مَا سِوَى مُوسَى.

لَتُبْدِي بِهِ - لَتُصْرِّحْ بِأَنَّ أَبْنَاهَا ذَهَبَ مَعَ الْمَاءِ لِشِدَّةِ وَجْدِهَا عَلَيْهِ.

رَبَطْنَا - بِالْعِصْمَةِ وَالصَّبْرِ وَالتَّثَبُّتِ.

(١١) - فَقَالَتْ لِابْنَتِهَا: قُصِّي أَثَرَ أَخِيكَ، وَتَبَيَّعِي خَبْرَهُ، فَخَرَجَتْ لِذَلِكَ، فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ بُعْدٍ بَيْنَ يَدَيْ جَوَارِي آلِ فِرْعَوْنَ، وَهِيَ تَتَجَنَّبُ ظُهُورَ أَمْرِهَا، وَكَانَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَكَانَهَا لَا تُرِيدُ ذَلِكَ (عَنْ جُنُبٍ)، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهَا أُخْتُهُ، وَأَنَّهَا كَانَتْ تَقْصُهُ، وَتَعْرِفُ حَالَهُ.

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ

لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا
إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ
وَجُنُودَهُمَا كَانُوا
خَاطِئِينَ

وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ

عَيْنِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا

إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ
لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا
لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ

فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ

فَصِيهِ - أَتَّبِعِي أثرَهُ وَتَعَرَّفِي خَبْرَهُ.

عَنْ جُنُبٍ - مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ - أَوْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.

(نَاصِحُونَ)

(١٢) - وَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُوسَى فِي دَارِ آلِ فِرْعَوْنَ، عَرَضُوا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ فَلَمْ يَقْبَلْ أَنْ يَرْضَعَ مِنْ ثَدْيِ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ، فَخَرَجُوا بِهِ إِلَى السُّوقِ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ امْرَأَةً تَصْلُحُ لِإِرْضَاعِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ أُخْتُهُ فِي أَيْدِيهِمْ عَرَفَتْهُ وَلَمْ تُظْهِرْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَشْعُرُوا بِهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ: هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ أَذْلكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ؟ فَذَهَبُوا مَعَهَا إِلَى أُمِّهَا، فَأَعَطَتْهُ ثَدْيَهَا فَالتَقَمَهُ، فَفَرَحُوا بِذَلِكَ، وَبَشَرُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، فَاسْتَدَعَتْ أُمَّ مُوسَى، وَأَحْسَنْتْ إِلَيْهَا، وَهِيَ لَا تَعْرِفُ أَنَّهَا أُمُّهُ، ثُمَّ سَأَلَتْهَا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَهَا لِتَرْضِعَهُ فَأَبَتْ عَلَيْهَا، وَقَالَتْ لَهَا إِنَّ لَهَا زَوْجًا وَأَوْلَادًا، فَسَمَحَتْ لَهَا امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ بِأَنْ تَأْخُذَهُ إِلَى بَيْتِهَا لِتَرْضِعَهُ، وَأَجْرَلَتْ لَهَا الْعَطَاءَ.

(فَرَدَدْنَاهُ)

(١٣) - فَارْجَعَتْ أُمُّ مُوسَى بِوَلَدِهَا رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، قَدْ أَبْدَلَهَا اللَّهُ بِخَوَافِهَا عَلَيْهِ أَمْنًا، وَأَقْرَبَ عَيْنَهَا فَلَا تَحْزَنُ لِفِرَاقِهِ، وَلِتَزْدَادَ عِلْمًا بِأَنْ مَا وَعَدَهَا بِهِ رَبُّهَا، مِنْ رَدِّ وَلَدِهَا إِلَيْهَا، هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي أَفْعَالِهِ، وَعَوَاقِبُهَا الْمَحْمُودَةِ، فَرُبَّمَا وَقَعَ الْأَمْرُ كَرِيحًا إِلَى النَّفُوسِ، وَعَاقِبَتُهُ حَمِيدَةٌ.

(أَتَيْنَاهُ)

(١٤) - وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى رُشْدَهُ، وَبَلَغَ حَدَّ الرُّجُولَةِ، وَاسْتَكْمَلَ قُوَّتَهُ الْبَدَنِيَّةَ، آتَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، وَهَذَا جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ، الَّذِينَ يُطِيعُونَ أَمْرَهُ.

بَلَغَ أَشُدَّهُ - بَلَغَ مَبْلَغَ الرُّجُولَةِ.

اسْتَوَى - أَعْتَدَلَ عَقْلَهُ وَكَمَلَ.

(فَاسْتَعَاثَهُ) (الشَّيْطَانُ)

(١٥) - وَدَخَلَ مُوسَى مَدِينَةَ مِصْرَ فِي وَقْتٍ كَانَتْ خَالِيَةً فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا (وَقِيلَ إِنَّهُ دَخَلَ فِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ وَقْتُ الْقِيلُولَةِ، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ دَخَلَ بَعْدَ الْغُرُوبِ بَعْدَ أَنْ انْصَرَفَ النَّاسُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ)، فَوَجَدَ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ وَتَضَارَبَانِ أَحَدُهُمَا إِسْرَائِيلِيُّ (مِنْ شِيعَتِهِ) وَالْآخَرُ قِبْطِيٌّ (مِنْ عَدُوِّهِ) فَاسْتَعَاثَ الْإِسْرَائِيلِيُّ بِمُوسَى، فَضَرَبَ مُوسَى الْقِبْطِيَّ



وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ

الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ

فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا

وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ

حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ

مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَمِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ

بُجِّعَ يَدُهُ، أَوْ بَعْصاً كَانَتْ فِي يَدِهِ (فَوَكَزَهُ) فَقَضَى عَلَيْهِ. فَقَالَ مُوسَى :
هَذَا الَّذِي حَدَّثَ هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ تَزْيِينُهُ، وَهُوَ الْعَدُوُّ الْمُبِينُ
لِلْإِنْسَانِ، فَيَنْبَغِي الْحَذَرُ مِنْهُ.
وَكَزَهُ - ضَرَبَهُ بِجَمْعِ يَدِهِ فِي صَدْرِهِ.

(١٦) - فَاسْتَغْفَرَ مُوسَى رَبَّهُ، وَقَالَ إِنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِقَتْلِهِ الرَّجُلَ، فَغَفَرَ اللَّهُ
لَهُ ذَنْبَهُ، وَعَفَا عَنْهُ. وَاللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ، الرَّحِيمُ بِهِمْ.

(١٧) - ثُمَّ قَالَ مُوسَى : رَبِّ بِمَا جَعَلْتَ لِي مِنَ الْجَاهِ وَالْعِزِّ، وَبِمَا
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِعَقُوبِكَ عَنْ قَتْلِ هَذِهِ النَّفْسِ، لِأُمْتِنَعَنَّ عَنْ مِثْلِ هَذَا
الْفِعْلِ، وَلَنْ أَكُونَ عَوْنًا لِلْمُجْرِمِينَ الْكَافِرِينَ بِكَ، الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِكَ،
وَلَنْ أَظَاهِرَهُمْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.
ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ - مُعِينًا لَهُمْ.

(خَائِفًا)

(١٨) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى لَمَّا قَتَلَ الْقِبطِيَّ أَصْبَحَ خَائِفًا مِنْ مَعْرِةِ
مَا فَعَلَ، يَتَلَفَّتُ وَيَتَوَقَّعُ مَا يَكُونُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ (يَتَرَقَّبُ)، وَصَارَ يَتَحَسَّسُ
الْأَخْبَارَ، وَيَسْأَلُ عَمَّا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ فِي مَوْضِعِ قَتْلِ الْقِبطِيَّ، فَمَرَّ
فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَإِذَا بِالرَّجُلِ الْإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ
عَلَى ذَلِكَ الْقِبطِيَّ، يُقَاتِلُ رَجُلًا قِبطِيًّا آخَرَ وَيُخَاصِمُهُ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِ مُوسَى
اسْتَنْصَرَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ طَالِبًا عَوْنَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : إِنَّكَ لَرَجُلٌ ظَاهِرُ
الْغَوَاةِ، كَثِيرُ الشَّرِّ.

يَتَرَقَّبُ - يَتَوَقَّعُ الْمَكْرُوهَ.

يَسْتَنْصِرُخُهُ - يَسْتَعِيثُ بِهِ مِنْ بُعْدٍ.

إِنَّكَ لَعَوِيٌّ - ضَالٌّ عَنِ الرُّشْدِ.

(يَا مُوسَى)

(١٩) - ثُمَّ عَزَمَ مُوسَى عَلَى الْبَطْشِ بِذَلِكَ الْقِبطِيَّ، فَظَنَّ الْإِسْرَائِيلِيُّ
لِحُبِّهِ، أَنَّ مُوسَى إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ هُوَ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا سَمِعَهُ مِنْهُ مِنَ
التَّقْرِيعِ، فَقَالَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ : يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ ذَلِكَ
الْقِبطِيَّ يَوْمَ أَمْسٍ؟

فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ
هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ
عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ

(١٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ
لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ

(١٧) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ
أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ

(١٨) فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ
يَسْتَنْصِرُخُهُ وَقَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ
لَعَوِيٌّ مُبِينٌ

(١٩) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ
عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ
أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ
إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي

فَلَمَّا سَمِعَ الْقِطِيُّ هَذَا الْقَوْلَ ذَهَبَ بِهِ إِلَى فِرْعَوْنَ يَشْكُو مُوسَى، فَاسْتَدَّ حَقْنَ فِرْعَوْنَ عَلَى مُوسَى، وَأَرْسَلَ الذَّبَّاحِينَ إِلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ. يَبْطِشُ - يَأْخُذُ بِقُوَّةٍ وَعُتْفٍ.

(أَقْصَى) (يَا مُوسَى) (النَّاصِحِينَ)

(٢٠) - وَجَاءَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ، يَعْرِفُ مُوسَى، وَقَدْ سَمِعَ مَا دَارَ مِنْ حَدِيثِ بَيْنَ كِبَرَاءِ الدَّوْلَةِ (الْمَلَأَ)، فِي حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ، وَأَنَّ فِرْعَوْنَ أَرْسَلَ إِلَى مُوسَى مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ، فَخَالَفَ الرَّجُلُ الطَّرِيقَ الَّذِي ذَهَبَ فِيهِ رُسُلُ فِرْعَوْنَ، وَأَسْرَعَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ أَقْرَبَ، فَالتَقَى بِمُوسَى، فَقَالَ لَهُ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَكِبَرَاءَ رِجَالِهِ دَوْلَتِهِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ قَتْلِكَ، جَزَاءَ مَا قَتَلْتَ ذَلِكَ الْقِطِيَّ، فَأَخْرُجْ مِنَ الْبَلَدِ، وَأَنْجِ بِنَفْسِكَ فَإِنَّا نَاصِحٌ لَكَ، مُخْلِصٌ فِي نَصِيحَتِي.

يَسْعَى - يَسْرِعُ فِي الْمَشْيِ.

يَأْتِمُرُونَ بِكَ - يَتَشَاوَرُونَ فِي شَأْنِكَ.

(خَائِفًا) (الظَّالِمِينَ)

(٢١) - فَخَرَجَ مُوسَى مِنْ مَدِينَةِ فِرْعَوْنَ وَحْدَهُ، يَتَلَفَّتُ خَوْفٌ أَنْ يُدْرِكُوهُ، وَهُوَ لَمْ يَأْلَفْ مِثْلَ تِلْكَ الْمَشَاقِّ، فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجَمَاعَتِهِ (الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، فَلَا مَلْجَأَ لِلْمُضْطَّرِّ إِلَّا إِلَيْهِ تَعَالَى.

(٢٢) - وَلَمَّا سَلَكَ الطَّرِيقَ الْمُوَصِّلَ إِلَى مَدْيَنَ (وَهِيَ بَلَدٌ قَرِيبَةٌ مِنْ الْعَقَبَةِ) فَرِحَ بِذَلِكَ، وَقَالَ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي إِلَى الطَّرِيقِ الْأَقْوَمِ، فَقَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ وَهَدَاهُ.

تَلْقَاءَ مَدْيَنَ - نَحْوَ مَدْيَنَ، وَجَهْتَهَا.

سَوَاءَ السَّبِيلِ - الطَّرِيقَ الْوَسَطَ الَّذِي فِيهِ النِّجَاةُ.

(٢٣) - فَلَمَّا وَصَلَ مُوسَى إِلَى مَدْيَنَ وَرَدَ مَاءَهَا، وَكَانَ لَهَا بِئْرٌ يَرُدُّهَا رِعَاةُ الْمَاشِيَةِ، فَوَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ أَنْعَامَهُمْ وَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ تَكْفِكِيَانِ غَنَمَهُمَا أَنْ تَرَدَّ مَعَ أَوْلِيكِ الرِّعَاةِ (أَيُّ تَذُودَانِ غَنَمَهُمَا عَنْ الْوُرُودِ) لِئَلَّا يُؤْذِيَهُمَا أَحَدٌ، فَرَقَّ لُهُمَا قَلْبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَأَلَهُمَا لِمَاذَا لَا تَرْدَانِ مَعَ النَّاسِ؟ فَقَالَتَا: إِنَّهُمَا لَا تَسْتَطِيعَانِ مَزَاحِمَةَ الرِّعَاةِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمَا تَنْتَظِرَانِ حَتَّى يَخْفَ الزُّحَامُ عَلَى الْبِئْرِ، وَيَذْهَبَ الرِّعَاةُ بِمَوَاشِيَهُمْ (يُصْدِرُ الرِّعَاءُ)، وَجِيئَهُمَا تَسْتَطِيعَانِ سَقْيَ أَغْنَامِهِمَا، وَهُمَا لَيْسَ

الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى

قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنَّكَ الْمَلَأُ

يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرَجْ

إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ

فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ

نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ

عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ

السَّبِيلِ

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ

أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ

وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا امْرَأَتَيْنِ

تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا

لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ

وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ

لَهُمَا قَرِيبٌ ذَكَرَ يُسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِمَهْمَةِ السَّقْيِ، وَأَبُوهُمَا شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَحْتَمِلُ مِثْلَ هَذِهِ الْمَشَقَّةِ، لِذَلِكَ تَقُومَانِ هُمَا بِهَا.

تَذُودَانِ - تَمْنَعَانِ أَغْنَاهُمَا عَنْ وُرُودِ الْمَاءِ.

مَا حَاطَبُكُمَا - مَا شَانُكُمَا وَمَا مَطْلُوبُكُمَا.

يُصْدِرُ الرِّعَاءَ - يَنْصَرِفُ الرِّعَاءُ بِمَوَاشِيهِمْ عَنِ الْمَاءِ.

(٢٤) - فَتَوَلَّى مُوسَى السَّقْيَ لَهُمَا، ثُمَّ جَلَسَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ هُنَاكَ يَسْتَرِيحُ، وَقَالَ: رَبِّ إِنِّي لَمُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ تَنْزِلُهُ إِلَيَّ مِنْ خَزَائِنِ جُودِكَ وَكَرَمِكَ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ مُوسَى أَتَفَرَّ إِلَى شَيْءٍ ثَمَرَةٍ، وَلَصِقَ بَطْنُهُ بِظَهْرِهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، فَجَاءَهُ الْفَرَجُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى).

(إِحْدَاهُمَا) (الظَّالِمِينَ)

(٢٥) - وَلَمَّا رَجَعَتِ الْمَرْأَتَانِ إِلَى أَبِيهِمَا بِالْغَنَمِ سَرِيعاً عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِمَا، سَأَلَهُمَا عَنْ خَبَرِهِمَا، فَقَضَتْ عَلَيْهِمَا مَا فَعَلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَعَثَ إِحْدَاهُمَا لِتَدْعُوهُ إِلَيْهِ. فَجَاءَتْهُ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ (أَيُّ وَهْيٍ مُسْتَحْيِيَةٍ مُتَسْتَرَةٍ) فَقَالَتْ لَهُ مُتَأَذِّبَةً فِي حَدِيثِهَا، لِكَيْلَا يَظُنَّ فِيهَا السُّوءَ: إِنَّ أَبَاهَا يَدْعُوهُ لِيُكَافِئَهُ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ لِابْنَتَيْهِ فِي سَقْيِ الْغَنَمِ، فَسَارَ أَمَامَهَا، وَهِيَ تَسِيرُ خَلْفَهُ، حَتَّى أَتَبَا إِلَى أَبِيهَا.

وَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ مُوسَى قِصَّةَ هَرَبِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ، قَالَ الرَّجُلُ (وَقِيلَ إِنَّهُ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ): لَا تَخَفْ فَقَدْ نَجَوْتَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ الظَّالِمِينَ، لِأَنَّ فِرْعَوْنَ لَا سُلْطَانَ لَهُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ.

(إِحْدَاهُمَا) (يَا أَبَتِ) (اسْتَأْجَرَهُ) (اسْتَأْجَرَتْ)

(٢٦) - فَقَالَتْ إِحْدَى ابْنَتَيْ الرَّجُلِ لِأُخِيهَا: يَا أَبَتِ اسْتَأْجَرَهُ لِرِعْيِ الْغَنَمِ، فَهُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ يُسْتَأْجَرُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَهْمَةِ فَهُوَ قَوِيٌّ أَمِينٌ.

(وَقِيلَ إِنَّ أَبَاهَا سَأَلَهَا: وَكَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهُ قَوِيٌّ أَمِينٌ؟ فَقَالَتْ أَمَّا إِنَّهُ قَوِيٌّ فَقَدْ رَفَعَ صَخْرَةً تَغْطِي فَوْهَةَ الْبِئْرِ وَحْدَهُ، وَهِيَ لَا يُطِيقُ رَفْعَهَا عَشْرَةُ رِجَالٍ. وَأَمَّا إِنَّهُ أَمِينٌ فَقَدْ طَلَبَ مِنِّي أَنْ يَتَقَدَّمَ مِنِّي فَإِذَا اخْتَلَفَ الطَّرِيقُ حَذَفْتُ لَهُ بِحِصَاةٍ يَعْلَمُ بِهَا كَيْفَ الطَّرِيقُ وَذَلِكَ لِكَيْلَا يَسِيرَ وَرَاءَهَا، وَيَنْظُرَ إِلَى جَسْمِهَا).

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ
فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ
مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى
اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبَتِ
يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرًا
سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ
عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ
نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجَرَهُ
إِنَّكَ خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَأْجَرَتْ
الْقَوِيُّ الْأَمِينُ

(هَاتَيْنِ) (ثَمَانِي) (الصَّالِحِينَ)

(٢٧) - فَقَالَ الرَّجُلُ لِمُوسَى: إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَرْوِّجَهُ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَهْرُهَا أَنْ يَعْمَلَ مُوسَى لَدَيْهِ، فِي رَغْيِ الْغَنَمِ، مُدَّةَ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ، فَإِنْ تَبَرَّعَ مُوسَى بِالْعَمَلِ سَتَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ فَذَلِكَ إِحْسَانٌ مِنْهُ، وَإِلَّا فَفِي الثَّمَانِي كِفَايَةٌ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَلَيْهِ بِفَرَضٍ أَطْوَلَ الْأَجَلَيْنِ، وَلَا أَنْ يُؤْذِيَهُ، وَلَا أَنْ يُمَارِيَهُ، وَإِنَّهُ سَيَجِدُهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَتَّقِدُونَ بِشُرُوطِهِمْ وَعَهْدِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

تَأْجُرْنِي - تَكُونُ لِي أَجِيرًا فِي رَغْيِ الْأَغْنَامِ.

جَجَجَ - سَنِينَ.

(عُدْوَانٌ)

(٢٨) - فَقَالَ مُوسَى لِصَهِرِهِ: الْأَمْرُ كَمَا قُلْتَ مِنْ أَنَّكَ اسْتَأْجَرْتَنِي عَلَى ثَمَانِي سَنِينَ، فَإِنْ أَتَمَمْتُ عَشْرًا مِنَ الْعَمَلِ فَذَلِكَ تَطْلُوعُ مِنِّي، وَأَنَا مَتَى عَمِلْتُ أَقْلَ الْأَجَلَيْنِ بَرَأْتُ ذِمَّتِي مِنَ الْعَهْدِ، وَحَقَّقْتُ الشَّرْطَ، وَلَا حَرَجَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ (فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ)، ثُمَّ تَوَكَّلَا عَلَى اللَّهِ، تَأَكِيدًا لِلْعَقْدِ.

(وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ مُوسَى قَضَى عَشْرَ سَنِينَ عِنْدَ الرَّجُلِ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِذَا قَالَ فَعَلَ).

(آنَسَ) (آنَسْتُ) (آتَيْكُمْ)

(٢٩) - فَلَمَّا أَوْفَى مُوسَى الْأَجَلَ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ، سَارَ بِأَهْلِهِ مِنْ مَدْيَنَ بِاتِّجَاهِ مِصْرَ، لِزِيَارَةِ أَهْلِهِ خَفِيَّةً مِنْ فِرْعَوْنَ، فَسَلَكَ بِهِمْ فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ خَالِكَةَ الظَّلَامِ، شَدِيدَةَ الْبَرْدِ، فَتَزَلَّ مِنْزَلًا، فَجَعَلَ كُلُّمَا أَوْرَى زَنْدَهُ، لَا يَظْهَرُ مِنْهُ شَرٌّ، فَتَعَجَّبَ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ رَأَى نَارًا تُضِيءُ عَنْ بُعْدٍ مِنْ جَانِبِ جَبَلِ الطُّورِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: أَبْقُوا حَيْثُ أَنْتُمْ (أَمْكُثُوا)، حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى النَّارِ لَعَلِّي أَسْأَلُ مَنْ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ عَنِ الطَّرِيقِ، أَوْ آتَيْكُمْ بِقَبَسٍ مِنَ النَّارِ (جَذْوَةً أَوْ قِطْعَةً) أَوْ قَدْ لَكُمْ بِهِ نَارًا تَسْتَدْفِتُونَ بِهَا.

آنَسَ - أَبْصَرَ بوضوح.

جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ - عُودٌ فِيهِ نَارٌ، بِلَا لَهَبٍ.

تَصْطَلُونَ - تَسْتَدْفِتُونَ بِهَا مِنَ الْبَرْدِ.

(أَتَاهَا) (شَاطِئُهُ) (الْوَادِي) (الْمُبَارَكَةِ) (يَا مُوسَى) (الْعَالَمِينَ)

(٣٠) - فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى النَّارَ آتِيًا أَبْصَرَهَا عَنْ بُعْدٍ نُودِيَ مِنْ جَانِبِ الْوَادِي، (مِمَّا يَلِي الْجَبَلَ عَنْ يَمِينِهِ، مِنْ نَاحِيَةِ الْغَرْبِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ

٢٧ قَالَ إِنْ أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِحْدَى

ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرْنِي

ثَمَانِي جَجَجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ

عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا

أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ

الصَّالِحِينَ

٢٨ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيُّمَا

الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ

عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ



٢٩ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى

الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ

مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ

أَمْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي

آتَيْكُمْ مِنْهَا خَبَرٌ أَوْ جَذْوَةٌ

مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

٣٠ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ

الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ

الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ

أُخْرَى) - فَلَمَّا أَقْتَرَبَ مُوسَى وَجَدَ النَّارَ تَشْتَعِلُ فِي شَجَرَةٍ خَضِرَاءَ فِي لِحْفٍ جَبَلٍ، مِمَّا يَلِي الْوَادِي، فَوَقَفَ مُوسَى بَاهِتًا مُتَحِيرًا فِي أَمْرِهَا، فَتَنَادَاهُ رَبُّهُ: إِنَّ الَّذِي يُكَلِّمُكَ هُوَ اللَّهُ رَبُّكَ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ، الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ.

(رَأَاهَا) (يَا مُوسَى) (الْأَمِينِ)

(٣١) - ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى قَائِلًا: أَلْقِ عَصَاكَ الَّتِي هِيَ فِي يَدِكَ الْيُمْنَى، فَلَقَاهَا فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ بِحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ كَأَنَّهَا جَانٌ مِنَ الْحَيَاتِ، فَخَافَ مُوسَى وَوَلَّى مُدْبِرًا، وَلَمْ يَلْتَفِتْ (وَلَمْ يُعَقِّبْ)، فَقَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ارْجِعْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتَ تَقِفُ فِيهِ أَوَّلًا، وَلَا تَخَفْ فَلَنْ يُصِيبَكَ أَذًى مِنْهَا فَهِيَ عَصَاكَ، أَرَدْنَا أَنْ نُرِيكَ فِيهَا آيَةً كُبْرَى، لِتَكُونَ غَوْنًا لَكَ جِئْنَا تَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتَدْعُوهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ. فَرَجَعَ مُوسَى وَوَقَفَ حَيْثُ كَانَ يَقِفُ.

تَهْتَزُّ - تَتَحَرَّكُ بِشِدَّةٍ وَاضْطِرَابٍ.

كَأَنَّهَا جَانٌ - حَيَّةٌ خَفِيفَةٌ فِي سُرْعَتِهَا وَحَرَكَتِهَا. لَمْ يُعَقِّبْ - لَمْ يَرْجِعْ عَلَى عَقِبَيْهِ أَوْ لَمْ يَلْتَفِتْ.

(فَذَانِكَ) (بُرْهَانَانِ) (مَلَكِيهِ) (فَاسِقِينَ)

(٣٢) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى: أَدْخُلْ يَدَكَ فِي فَتْحَةِ ثَوْبِكَ عِنْدَ الصَّدْرِ (جَيْبِكَ) فَإِنَّهَا سَتَخْرُجُ بَيَضَاءَ تَلَالًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَلَا مَرَضٍ، فَفَعَلَ فَخَرَجَتْ بَيَضَاءَ، ثُمَّ عَادَ فَأَدْخَلَهَا، فَعَادَتْ إِلَى خِلْقَتِهَا الْأُولَى. ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ جَنَاحَهُ (عَصْدَهُ - أَوْ يَدَهُ) إِذَا شَعَرَ بِخَوْفٍ فَيَزُولُ الْخَوْفُ عَنْهُ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى إِنَّهُ جَعَلَ الْعَصَا حَيَّةً تَسْعَى، وَجَعَلَ يَدَهُ بَيَضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ إِذَا أَدْخَلَهَا فِي جَيْبِهِ، لِتَكُونَ ذَلِكَ آيَةً وَبُرْهَانًا لَهُ مِنْ رَبِّهِ، عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى صِحَّةِ ثُبُوتِهِ مَنْ جَرَتْ هَاتَانِ الْخَارِقَتَانِ عَلَى يَدَيْهِ.

ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَتَوَجَّهَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ لِيَذْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ ظَالِمُونَ، فَاسِقُونَ، خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

(٣٣) - فَقَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ: إِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ ذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَقْتُلُوهُ بِذَلِكَ الرَّجُلِ.

يَكُونُ إِيَّيَّ أَنْتَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

(٣١) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا

نَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَكُونُ إِيَّيَّ أَنْتَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

(٣٢) أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ

بَيَضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرُّهْبِ فَلَمَّا نَاكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

(٣٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ

(هَارُونُ)

(٣٤) - وَكَانَ فِي لِسَانِ مُوسَى لُغَةً يَجِدُ مَعَهَا صُعُوبَةً فِي التَّعْبِيرِ، فَقَالَ لِرَبِّهِ إِنَّ أَخَاهُ هَارُونُ أَفْصَحُ مِنْهُ لِسَانًا، وَرَجَا رَبُّهُ أَنْ يُرْسِلَهُ مَعَهُ لِيَتَوَلَّى التَّعْبِيرَ عَنْهُ، نَظَرًا لِفَصَاحَتِهِ، وَلِيَصْدَقَهُ وَيُؤَيِّدَهُ إِذَا كَذَبَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ.
رَدَّءًا - عَوْنًا وَمُؤَيِّدًا.

(سُلْطَانًا) (بَيَاتِنًا) (الْعَالِيُونَ)

(٣٥) - فَأَجَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُ سَيُقَوِّي أَمْرَهُ وَيُعِزُّ جَانِبَهُ بِأَخِيهِ هَارُونُ، فَيَجْعَلُهُ نَبِيًّا كَمَا سَأَلَ، وَسَيَجْعَلُ لَهُمَا قُوَّةً وَحُجَّةً قَاهِرَةً (سُلْطَانًا) فَلَا يَسْتَطِيعُ فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ الْاِعْتِدَاءَ عَلَيْهِمَا حِينَمَا يُبَلِّغَانِهِمْ آيَاتِ رَبِّهِمْ. وَطَمَأَنَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُ وَأَخَاهُ وَمَنْ آمَنَ لَهُمَا سَتَكُونُ الْعَلْبَةُ لَهُمْ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

سَنَشُدُّ عَضُدَكَ - سَنُقَوِّيكَ وَنُعِينِكَ.

سُلْطَانًا - حُجَّةً أَوْ تَسْلُطًا وَعَلْبَةً.

(بَيَاتِنًا) (بَيِّنَاتٍ) (آبَائِنَا)

(٣٦) - فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ، وَعَرَضَا عَلَيْهِمَا مَا آتَاهُمَا اللَّهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، وَالذَّلَالَاتِ الْقَاهِرَاتِ عَلَى صِدْقِهِمَا، لَمْ يَجِدْ فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ مَا يَذْخُسُونَ بِهِ بَرَاهِينَ اللَّهِ وَحُجَجَهُ، فَقَالُوا: مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَعَلٌ وَمُصْنُوعٌ (مُفْتَرَى)؛ وَقَالُوا إِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا فِيمَا تَنَاقَلُوهُ عَنْ آبَائِهِمُ الْأَوَّلِينَ أَنَّ أَحَدًا عَبْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا.

مُفْتَرَى - يَنْسُبُهُ إِلَى اللَّهِ كَذِبًا.

(عَاقِبَةُ) (الظَّالِمُونَ)

(٣٧) - فَأَجَابَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُهُ: إِنَّ رَبِّي يَعْلَمُ أَنِّي جِئْتُ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، فَهُوَ شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ سَتَكُونُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَأَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَشُرْكِهِمْ لَا يُفْلِحُونَ أَبَدًا، وَلَا يُدْرِكُونَ طَلِبَتَهُمْ وَبَغْيَتَهُمْ.

وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ

مِنْ لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رَدَّءًا
يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يَكْذِبُونِ

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ

وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا
وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا

بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي
آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ

وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ

بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ
لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ

(يَا أَيُّهَا) (يَا هَامَانَ) (الكَافِرِينَ)

(٣٨) - كَانَ فِرْعَوْنُ يَدْعِي الْأُلُوهِيَّةَ، وَقَدْ حَمَلَ قَوْمَهُ عَلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَى وَهَارُونُ يَدْعُوَانِهِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُحَذِّرَانِهِ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ إِنْ أَسْتَمَرَ فِي كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، أَخَذَ فِي الْمُكَابَرَةِ وَالْمُعَانَدَةِ، وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ كِبَارِ رَجَالِ دَوْلَتِهِ: إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ لِقَوْمِهِ إِلَهًا غَيْرَهُ هُوَ. وَقَالَ لِمُوسَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿لَئِنْ أَتَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾^(١). ثُمَّ أَمَرَ وَزِيرَهُ هَامَانَ بِأَنْ يُوقِدَ النَّارَ لِشَوِيِّ الطِّينِ، وَيَجْعَلَ مِنْهُ أَجْرًا لِإِشَادَةِ قَصْرِ شَامِخٍ لَهُ (صَرْحًا)، يَضَعُدُ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ لِيَرَى إِلَهَ مُوسَى. ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ يَتَعَقَّدُ أَنَّ مُوسَى مِنَ الْكَافِرِينَ فِيمَا يَدْعِيهِ مِنْ أَنَّ لَهُ إِلَهًا فِي السَّمَاءِ يَنْصُرُهُ وَيُؤَيِّدُهُ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ. وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَرْمِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِلَى تَخْفِيفِ أَثَرِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَى وَهَارُونُ، فِي نَفْسِ رَعِيَّتِهِ.

صَرْحًا - قَصْرًا أَوْ بِنَاءً عَالِيًا مَكشُوفًا.

(٣٩) - وَطَغَى فِرْعَوْنُ وَمَلَأَهُ وَجُوْدُهُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَتَجَبَّرَ، وَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ لَا قِيَامَةَ وَلَا حَشَرَ وَلَا مَعَادَ، وَلَا رَجْعَةَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا حِسَابَ لَهُمْ عَلَى عَمَلِهِمُ السَّيِّئِ، وَاعْتَقَادِهِمُ الْفَاسِدَ.

(فَأَخَذْنَاهُ) (فَنَبَذْنَاهُمْ) (عَاقِبَةً) (الظَّالِمِينَ)

(٤٠) - فَجَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، وَأَغْرَقَهُمْ فِي الْبَحْرِ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُعْتَبِرُ بِالْآيَاتِ، كَيْفَ كَانَ أَمْرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَهَدَاهُ هِيَ عَاقِبَةُ الْكُفْرِ وَالْبَغْيِ وَالظُّلْمِ.

فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ - أَلْقَيْنَاهُمْ وَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ.

(جَعَلْنَاهُمْ) (أُتَمَّةً) (الْقِيَامَةِ)

(٤١) - وَجَعَلَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ أُتَمَّةً، يَقْتُلِي بِهِمْ أَهْلَ الْعُتُوِّ وَالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ، فَهُمْ يَتَحَوَّنُونَ عَنِ الشُّرُورِ وَالْمَعَاصِي، الَّتِي تَلْقَى بِصَاحِبِهَا فِي النَّارِ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَصِيرَ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ، وَيَقْتُلِي بِهِمْ فِي الْكُفْرِ، وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ مِثْلَ مَصِيرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا يَنْصُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا، مُتَّصِلًا بِذُلِّ الْآخِرَةِ.

٢٨ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ

مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمِنُونَ

عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا

لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى

وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ

٢٩ وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُوْدُهُ فِي

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَطَنُوا

أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ

٤٠ فَأَخَذْنَاهُ وَجُوْدُهُ

فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الظَّالِمِينَ

٤١ وَجَعَلْنَاهُمْ أُتَمَّةً يَدْعُونَ

إِلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

لَا يَنْصُرُونَ

(٤٢) - وَالزَّمِ اللَّهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خِزْيًا وَطَرْدًا مِنْ رَحْمَتِهِ (لَعْنَةً)، ثُمَّ قَضَى عَلَيْهِم بِالْيَوَارِ وَالْهَلَاكِ، وَسُوءِ الْأَخْدَوْثِ، وَسَيِّئِهِمْ لَعْنَةً أُخْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَذِلُّهُمْ وَيُخْزِيهِمْ خِزْيًا دَائِمًا مُسْتَمِرًّا لَا فَنَّاكَ لَهُمْ مِنْهُ.

لَعْنَةً - طَرْدًا أَوْ إِبْعَادًا مِنَ الرَّحْمَةِ.

مِنَ الْمَقْبُوحِينَ - الْمُبْعَدِينَ أَوْ الْمُسَوِّهِينَ فِي الْخَلْقَةِ.

(أَتَيْنَا) (الْكِتَابَ) (بَصَائِرَ)

(٤٣) - وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، لِتَكُونَ نُورًا لِلْقُلُوبِ الْمُظْلِمَةِ، بَعْدَ أَنْ دَرَسَتْ مَعَالِمُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ، وَسَادَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ، وَفَنَّا الشَّرَّ بَيْنَ النَّاسِ، فَاحْتَاجَ النَّاسُ إِلَى تَشْرِيعٍ جَدِيدٍ يُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ عَقَائِدِهِمْ، وَأَفْعَالِهِمْ، بِتَقْرِيرِ أَصُولٍ فِي ذَلِكَ التَّشْرِيعِ، تَبْقَى أَبَدَ الدَّهْرِ، وَتُرْتِيبِ فُرُوعٍ تَتَبَدَّلُ بِتَبَدُّلِ الْعُصُورِ، وَاخْتِلَافِ أَحْوَالِ النَّاسِ. وَفِي التَّوْرَةِ تَذَكِيرٌ بِأَحْوَالِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عِبْرَةً لِلنَّاسِ، لَعَلَّهُمْ يَتَعِظُونَ بِمَا نَزَلَ بِهِؤَلَاءِ، فَيَقْلَعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

الْقُرُونُ الْأُولَى - الْأُمَمُ الْمَاضِيَةُ الْمُكَذِّبَةُ.

بَصَائِرَ لِلنَّاسِ - أَنْوَارًا لِقُلُوبِهِمْ تُبَصِّرُ بِهَا.

(الشَّاهِدِينَ)

(٤٤) - يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ إِلَى الْبُرْهَانِ عَلَى نُبُوَّةِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِذْ أَخْبَرَ عَنْ أُمُورٍ حَدَّثَتْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ لَمْ يَكُنِ الْعَرَبُ يَعْرِفُونَهَا، وَقَصَّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ بِتَفَاصِيلِهَا وَهُوَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ؛ وَأَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ عَدَدٍ مِنَ الْقَصَصِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأُولَيْنِ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ، وَرَدَّتْ فِي الْقُرْآنِ: مِثْلُ قِصَّةِ نُوحٍ، وَمَرْيَمَ، وَيُوسُفَ. وَهَذَا يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَمْ تَكُنْ فِي الْجَانِبِ الْغَرِيبِ مِنَ الْوَادِي جَيْنَمَا كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى مِنَ الشَّجَرَةِ عَلَى شَاطِئِ الْوَادِي، وَلَمْ تَكُنْ مُشَاهِدًا لِشَيْءٍ مِمَّا وَقَعَ، لَكِنَّ اللَّهَ أَوْحَاهُ إِلَيْكَ، وَأَخْبَرَكَ بِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً وَبُرْهَانًا عَلَى صِدْقِ نُبُوتِكَ.

فَضَيْنَا - عَهَدْنَا.

٤٢ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ
مِنَ الْمَقْبُوحِينَ

٤٣ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
الْأُولَى بِصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهَدَى
وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

٤٤ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرِيبِ إِذْ
فَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ
مِنَ الشَّاهِدِينَ

(تَتْلُو) (آيَاتِنَا)

(٤٥) - وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ أَجْيَالًا كَثِيرَةً طَالَ عَلَيْهَا الزَّمَنُ فَنَسُوا مَا أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمَوَاقِيقِ، وَدَرَسَتِ الْعُلُومُ، وَتَشَوَّهَتِ الشَّرَائِعُ فَوَجَبَ إِرسَالُ مُحَمَّدٍ إِلَى النَّاسِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، بِإِذْنِ رَبِّهِمْ. وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِأَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الَّتِي دَمَّرَهَا اللَّهُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ دَلَالَةً لَهُ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، فَهُوَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَقَوْمُهُ أُمِّيُّونَ لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَصَصِ فَاخْبَارُهُ بِهَا عَلَى الشَّكْلِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَوْحِيَ إِلَيْهِ بِهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُقِيمًا بَيْنَ أَهْلِ مَدْيَنَ (ثَاوِيًا) يَتَّبِعُ أَخْبَارَهُمْ، وَيَتَعَرَّفُ مِنْهُمْ عَلَى أَخْبَارِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْمِهِ، لِيُرِيَهُمَا بِالشَّكْلِ الصَّحِيحِ الَّذِي وَقَعَتْ عَلَيْهِ.

ثَاوِيًا - مُقِيمًا.

(أَتَاهُمْ)

(٤٦) - وَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ بِجَانِبِ الطُّورِ لَيْلَةَ الْمُنَاجَاةِ، إِذْ نَادَيْنَا مُوسَى، وَلَمْ تَشْهَدْ شَيْئًا مِمَّا حَدَثَ لِنَسْتَطِيعَ رَوَايَتَهُ لِلنَّاسِ رِوَايَةَ الْخَبِيرِ الْعَالِمِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَوْحَاهُ إِلَيْكَ، وَأَخْبَرَكَ بِهِ رَحْمَةً مِنْهُ بِكَ وَبِالْعِبَادِ، إِذْ أَرْسَلَكَ إِلَى قَوْمٍ - هُمُ الْعَرَبُ - لَمْ يَسْبِقْ أَنْ أَتَاهُمْ قَبْلَكَ نَذِيرٌ، لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

(آيَاتِكَ)

(٤٧) - وَلَمْ نَشَأْ أَنْ نُنْزِلَ عَذَابًا بِقَوْمِكَ هَؤُلَاءِ، قَبْلَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَذْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ شَرَعَ اللَّهِ وَأَوَامِرَهُ، لِكَيْلَا يَحْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ وَلَا مُنْذِرٌ. وَلِكَيْلَا يَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا يُبَيِّنُ لَنَا لَاتَّبَعْنَاهُ، وَلَا مَنَّا بِكَ، وَصَدَقْنَا رَسُولَكَ.

(تَظَاهَرَا) (كَافِرُونَ)

(٤٨) - فَلَمَّا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا، قَالَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّتِ، وَالْعِنَادِ، وَالْكَفْرِ، وَالْإِلْحَادِ: هَلَّا جَاءَ بِمُعْجَزَةٍ مِثْلَمَا جَاءَ عَلَى يَدَيِ مُوسَى (كَالْعَصَا وَالْيَدِ...)، وَقَدْ جَاءَ مُوسَى بِكُلِّ هَذِهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِيئِهِ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَكَفَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا كَمَا كَفَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْبَشَرِ بِمَا أَوْتِيَ مُوسَى مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ، وَقَالُوا لِمُوسَى

١٥ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ

عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ

ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا

عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا

مُرْسِلِينَ

١٦ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ

نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ

رَبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا

مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

١٧ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا

رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا

فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

١٨ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا

قَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ

مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ

مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ

تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ

وَهَارُونَ: إِنَّهُمَا سَاجِرَانِ تَعَاوَنَا وَتَنَاصَرَا، وَصَدَّقَ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ،
وَأَعْلَنُوا كُفْرَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى وَهَارُونَ.
(وَقِيلَ بَلِ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِمْ سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَتَعَاوَنَا التَّوْرَةُ وَالْقُرْآنُ،
وَقِيلَ بَلِ مُوسَى وَمُحَمَّدٌ).

(بِكِتَابِ) (صَادِقِينَ)

(٤٩) - كَثِيرًا مَا يَقْرَأُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَ التَّوْرَةِ بِذِكْرِ الْقُرْآنِ، وَهَذَا يَقُولُ
مُخَاطَبًا نَبِيَّهُ ﷺ، قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ: أَتُونَا بِكِتَابٍ مُنْزَلٍ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَكُونُ أَكْثَرَ هِدَايَةً مِنَ التَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ، لِأَتْرَكُهُمَا وَأَتَّبِعُهُ، هَذَا
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ خَيْرًا مِنْهُمَا، وَأَكْثَرَ وَضُوحًا
وَتَفْصِيلًا.

(هَوَاهُ) (الظَّالِمِينَ)

(٥٠) - فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا طَلَبْتَهُ مِنْهُمْ مِنَ الْإِتْيَانِ بِكِتَابٍ أَهْدَى مِنَ التَّوْرَةِ
وَالْقُرْآنِ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْحَقَّ فَأَعْلَمَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَيَتَكَلَّمُونَ
بِغَيْرِ حُجَّةٍ مَأْخُودَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،
وَلَا يُوفِّقُهُمْ إِلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ.

(٥١) - وَلَقَدْ فَصَّلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمُ الْآيَاتِ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِمُ الْقُرْآنَ مُتَوَاصِلًا
بَعْضُهُ إِثْرَ بَعْضٍ، حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ الْحَاجَةُ (وَصَلَّنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) وَأَخْبَرَهُمْ
بِمَا صَنَعَ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ، وَبِمَا سَيَصْنَعُهُ بِهِمْ إِنْ اسْتَمَرُّوا
عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَعَتُّبِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَيَرْتَدُّعُوا، وَيَعُودُوا إِلَى الْحَقِّ.
وَصَلَّنَا لَهُمُ الْقَوْلَ - أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ مُتَوَاصِلًا مُتَابِعًا.

(آتَيْنَاهُمْ) (الْكِتَابَ)

(٥٢) - وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ أَدْرَكُوا
مُحَمَّدًا، يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ فِي كُتُبِهِمُ الْبُشْرَى بِهِ، وَأَنْطَبَاقَ
الْأَوْصَافِ عَلَيْهِ، وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ هَذَا الْقُرْآنَ قَالُوا: صَدَقْنَا بِأَنَّهُ أَنْزَلَ مِنْ
عِنْدِ رَبِّنَا حَقًّا وَصِدْقًا.

(وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْقِسْيَسِيِّينَ بَعَثَهُمُ
النَّجَاشِيُّ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، قَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ (يَس) فَبَكَرُوا
وَأَسْلَمُوا).

٤٩ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ
اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ
إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ

٥٠ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمِنْ
أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

٥١ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ
الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

٥٢ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن
قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ

(أَمَّا)

(٥٣) - وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ قَالُوا: أَمَّا بَاءُ الْحَقِّ مِنْ رَبِّنَا وَقَدْ اسْلَمْنَا إِلَىٰ رَبِّنَا، وَكُنَّا مُوحِّدِينَ مُخْلِصِينَ لِلَّهِ، مُسْتَجِيبِينَ لَهُ، قَبْلَ أَنْ نَسْمَعَ هَذَا الْقُرْآنَ، لَأَنَّا وَجَدْنَا فِي كُتُبِنَا نَعْتَ مُحَمَّدٍ، وَنَعْتَ كِتَابِهِ، لِذَلِكَ أَمَّا بِهِ قَبْلَ نُزُولِهِ.

(أُولَٰئِكَ) (رَزَقْنَاهُمْ) (يَذَرُون)

(٥٤) - وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ آمَنُوا بِالْقُرْآنِ، سَيُؤْتِيهِمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ صَبْرِهِمْ عَلَىٰ أَتْبَاعِ الْحَقِّ، وَعَلَىٰ الْإِيمَانِ بِكِتَابِهِمْ أَوَّلًا، ثُمَّ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِالْقُرْآنِ، لِأَنَّ أَتْبَاعَ الْحَقِّ فِيهِ مَشَقَّةٌ عَلَىٰ النَّفُوسِ. وَيَتَصِفُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِكِتَابِهِمْ، ثُمَّ آمَنُوا بِالْقُرْآنِ بِأَنَّهُمْ لَا يُقَابِلُونَ السَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا، وَإِنَّمَا يَغْفُونَ وَيَصْفَحُونَ، وَيُغْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، عَلَىٰ خَلْقِ اللَّهِ، وَعَلَىٰ ذَوِي قُرْبَاهُمْ وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ. يَذَرُونَ - يَدْفَعُونَ.

(أَعْمَالُنَا) (أَعْمَالُكُمْ) (سَلَامٌ) (الْجَاهِلِينَ)

(٥٥) وَهُمْ لَا يُخَالِطُونَ أَهْلَ اللَّغْوِ وَاللَّهْوِ، وَالْخَوْصِ فِيمَا لَا يَنْفَعُ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، وَلَا يُعَاشِرُونَهُمْ بَلْ يُعْرِضُونَ عَنْهُمْ، وَيَتَجَنَّبُونَ مَجَالِسَهُمْ، وَإِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا لَا يَلِيقُ، أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِمِثْلِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ إِلَّا كَلَامٌ طَيِّبٌ. وَيَقُولُونَ لِمَنْ سَفِهَ عَلَيْهِمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مُتَارِكَةٌ وَتَوَدِيعٌ، إِنَّا لَا نُرِيدُ أَتْبَاعَ طَرِيقِ الْجَاهِلِينَ السُّفَهَاءِ، وَلَا نُحِبُّهَا.

(وهذه الآية نزلت في وفدٍ من نصارى الحبشة الذين أسلموا فاعتزضهم كفار قريش، وشتموهم وأتهموهم بالحمق، فردوا عليهم قائلين: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه).

(وقيل أيضاً إنها نزلت في وفدٍ من نصارى نجران في اليمَن).

(٥٦) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ هِدَايَةَ مَنْ أَحْبَبَتْ أَنْتَ هِدَايَتَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى، وَبِمَنْ ضَلَّ سِوَاءَ السَّبِيلِ.

(وقيل إن هذه الآية نزلت في أبي طالب، فحينما حضرته الوفاة أتاه الرسول وقال له: يَا عَمَّاهُ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ لَوْلَا أَنْ تُعِيرَنِي قُرَيْشٌ: يَقُولُونَ مَا حَمَلَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا جَزَعُهُ مِنَ الْمَوْتِ، لِأَقْرَبَتْ بِهَا عَيْنُكَ).

وَاذْبَانِي عَلَيْهِمْ قَالُوا أَمَّا بَاءُ

إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ

أُولَٰئِكَ يُتَوَنَّجِرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا

صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا

عَنْهُ وَقَالُوا إِنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

لَا يَنْبَغِي الْجَاهِلِينَ

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

﴿٥٧﴾ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَى مَعَكَ
نُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ
نُمْكِن لَهُمْ حَرَمَاءَ آمِنًا يُجْبَى
إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ
لَّدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ

(آمِنًا) (ثَمَرَاتُ) (٥٧) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا اعْتَدَرَ بِهِ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَنْ سَبَبِ عَدَمِ إِيْمَانِهِمْ بِرِسَالَتِهِ، وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَذِرِينَ الْحَارِثُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ فَقَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُ: نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى الْحَقِّ، وَلَكِنَّا نَخَافُ إِنْ أَتَيْتَنَّاكَ، وَخَالَفْنَا الْعَرَبَ، أَنْ يُخْرِجُونَا مِنْ أَرْضِنَا، وَيَغْلِبُونَا عَلَى سُلْطَانِنَا وَنَحْنُ قَلَّةٌ. وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ بِقَوْلِهِ: إِنَّ الَّذِي اعْتَدَرُوا بِهِ بَاطِلٌ، لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُمْ فِي بَلَدٍ آمِنٍ، وَحَرَمٍ مُّعَظَمٍ آمِنٍ مِنْذُ وَضِعَ. فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا الْحَرَمُ آمِنًا لَهُمْ وَهُمْ كُفَّارٌ، مُشْرِكُونَ، وَلَا يَكُونُ آمِنًا لَهُمْ إِذَا أَسْلَمُوا وَأَتَّبَعُوا الْحَقَّ؟ ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ يَسَّرَ وَضُوعَ الثَّمَرَاتِ وَالْأَمْتَةِ وَالْأَرْزَاقِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ إِلَى أَهْلِ الْحَرَمِ، وَهَذَا كُلُّهُ بِفَضْلِ اللَّهِ، وَمِنْ عَنَانِيهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ جَهْلَةٌ لَا يَعْلَمُونَ مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ، وَلِذَلِكَ قَالُوا مَا قَالُوا.

نُخْطَفُ - نُنْتَزَعُ بِسُرْعَةٍ.
يُجْبَى إِلَيْهِ - يُجْلِبُ إِلَيْهِ وَيُحْمَلُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ.

(مَسَاكِينُهُمْ) (الْوَارِثِينَ) (٥٨) - يُعَرِّضُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَهْلِ مَكَّةَ، وَيُنَبِّهُهُمْ إِلَى أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ لَهُ أَنْ أَهْلَكَ كَثِيرًا مِنَ الْمُدُنِ وَالْقُرَى، الَّتِي طَغَتْ وَأَثِيرَتْ وَكَفَرَتْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَذَمَّرَهَا تَدْمِيرًا، وَلَمْ يَتْرَكْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا حَيًّا، وَلَمْ يَعُدْ يَرَى فِيهَا إِلَّا الْمَسَاكِينَ الْخَرَابَ الْمُهْجُورَةَ، لَمْ يَسْكُنْهَا أَحَدٌ بَعْدَهُمْ، إِلَّا عَابَرُوا السَّبِيلَ لِقُرَاتٍ قَصِيرَةٍ، وَهُمْ مَارُونَ مُجْتَازُونَ بِهَا، وَآلَتْ وَرَاثَتُهَا إِلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدٌ يُمَكِّنُ أَنْ يَدَّعِيَ وَرَاثَتَهَا.

كَمْ أَهْلَكْنَا - كَثِيرًا مَا أَهْلَكْنَا.
بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا - طَغَتْ وَتَمَرَّدَتْ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهَا.

(يَتْلُو) (آيَاتِنَا) (ظَالِمُونَ) (٥٩) - وَيُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَذَلِهِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُهْلِكُ أَحَدًا وَهُوَ ظَالِمٌ لَهُ، وَإِنَّمَا يُهْلِكُهُ بَعْدَ أَنْ تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ. وَإِنَّهُ لَا يُهْلِكُ الْقُرَى حَوْلَ مَكَّةَ بِكُفْرِهِمْ وَظُلْمِهِمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَبْعَثَ فِي أُمَّ الْقُرَى (مَكَّةَ) رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ سَبِيلَ الْهَدَايَةِ وَالرَّشَادِ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ لَا يُهْلِكُ هَذِهِ الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ، قَدْ كَذَّبُوا النَّبِيَّ، وَرَفَضُوا أَتْبَاعَهُ، وَقَبُولَ دَعْوَتِهِ.

﴿٥٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ
بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَلَكْ
مَسَكِينُهُمْ لَمْ يَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ
الْوَارِثِينَ

﴿٥٩﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى
حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى
إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ

(وَفِيهِمْ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بُعِثَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَيْسَ لِأَهْلِ مَكَّةَ خَاصَّةً).

(فَمَتَاعُ) (الْحَيَاةِ)

(٦٠) - كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ زِينَةٍ زَائِفَةٍ، وَزَهْرَةٍ فَائِيَةٍ، وَأَمْوَالٍ وَأَوْلَادٍ هُوَ مَتَاعٌ مَحْدُودٌ مُؤَقَّتٌ تَافَهُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ دَائِمٍ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ، فَلَا تَصْرِفْتَكُمْ، أَيُّهَا الْعِبَادُ، الْعُرُوضُ الْفَائِيَةُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، عَنْ النَّعِيمِ الْخَالِدِ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، وَحَكِّمُوا عُقُولَكُمْ فِي أُمُورِكُمْ بِدَلِّ أَهْوَائِكُمْ تَفُوزُوا.

(وَفِي الْحَدِيثِ: مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَغْمِسُ أَحَدُكُمْ إصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرِجُ). (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

(وَعَدْنَاهُ) (لَا قِيَةَ) (مَتَعْنَاهُ) (مَتَاعُ) (الْحَيَاةِ) (الْقِيَامَةِ)

(٦١) - لَا يَسْتَوِي مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ، مُصَدِّقٌ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ عَظِيمِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَاسْتَحَقَّ وَعْدَ اللَّهِ الْحَسَنَ بِالْجَنَّةِ، وَحُسْنَ الثَّوَابِ، مَعَ مَنْ كَفَرَ وَكَذَّبَ بِلِقَاءِ اللَّهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ، فَهُوَ يَتَمَتَّعُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا أَيَّامًا قَلِيلَةً ثُمَّ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ لِلْجَسَابِ، الْمَلَايِقِ لِلْعِقَابِ.

(شُرَكَائِي)

(٦٢) - وَأَذْكُرُ أَيُّهَا الرُّسُولُ جِئْتُ بِرِخِّ اللَّهِ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ الْمُضِلِّينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَسْأَلُهُمْ قَائِلًا: أَيْنَ الْآلِهَةُ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مِنْ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ وَالْجِنَّ... هَلْ يَدْفَعُونَ عَنْكُمْ الْيَوْمَ، أَوْ يَشْفَعُونَ فِيكُمْ؟

(أَغْوَيْنَاهُمْ)

(٦٣) - وَيَقُولُ رُسُلُ الضَّلَالَةِ، وَالِدُّعَاةُ إِلَى الْكُفْرِ، الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللَّهِ: رَبَّنَا إِنَّ هَؤُلَاءِ الْآتِبَاعَ الَّذِينَ أَضَلَلْنَاهُمْ كَمَا ضَلَلْنَا، هُمْ الَّذِينَ غَوَّوْا بِطُغْيِهِمْ وَأَخْتِيَارِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَّا لَهُمْ إِلَّا الْوَسْوَسةُ وَالتَّسْوِيلُ، وَلَمْ نَكْرِهُهُمْ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ لَا يُرِيدُونَهُ، فَهُمْ كَانُوا مُخْتَارِينَ جِئْنَا تَقَبَّلُوا تِلْكَ الْعَقَائِدَ، وَأَقْدَمُوا عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ. وَإِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ الْيَوْمَ، وَمِمَّا اخْتَارُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ، وَهُمْ لَمْ يَعْبُدُونَا نَحْنُ، بَلْ عَبْدُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَأَطَاعُوا شَهَوَاتِهِمْ.

أَغْوَيْنَا - دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْغَيِّ فَاتَّبَعُونَا.

﴿٦٠﴾ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ

خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴿٦١﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا

فَهُوَ لَنَقِيرَ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعٍ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

مِنَ الْمُحْضَرِينَ

﴿٦٢﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي

الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ

﴿٦٣﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ

كَمَا أَغْوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا

كَانُوا إِلَّا نَاعِبِدُونَ

(٦٤) - وَيُقَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ - يَوْمِ الْقِيَامَةِ - لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ فِي الدُّنْيَا، وَعَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ: أَدْعُوا إِلَهُتَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا شُرَكَاءَ اللَّهِ، لِيُخَلِّصَكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، كَمَا كُنْتُمْ تَرْجُونَ مِنْهُمْ ذَلِكَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا. فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِمْ لِعِجْزِهِمْ عَنِ الْإِجَابَةِ، وَأَيَّقِنَ الدَّاعُونَ وَالْمَدْعُونَ أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى النَّارِ لَا مَحَالَةَ، فَتَمَنَّوْا لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، لِكَيْلَا يَصِيرُوا إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

(٦٥) - ثُمَّ يَنَادِي اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ وَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا أَجَابُوا بِهِ عَلَى دَعْوَةِ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهِمْ، وَكَيْفَ كَانَ حَالُهُمْ مَعَهُمْ حِينَمَا أبلغُوهُمْ دَعْوَةَ رَبِّهِمْ؟ (يَوْمَئِذٍ)

(٦٦) - فَلَا يَجِدُونَ مَا يَرُدُّونَ بِهِ عَلَى السُّؤَالِ فَيَسْكُتُونَ. وَتَخْفَى عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَكُلُّ طُرُقِ الْعِلْمِ الَّتِي كَانَتْ تُجَدِّدُهُمْ نَفْعًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَلَا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لِيَسَاوِيَهُمْ جَمِيعًا فِي عَمَى الْأَنْبَاءِ عَلَيْهِمْ، وَالْعِجْزِ عَنِ الْجَوَابِ.

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ - خَفِيَتْ وَاشْتَبَهَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ.

(آمَنَ) (صَالِحًا)

(٦٧) - وَأَمَّا الَّذِي تَابَ، مِنَ الْمُشْرِكِينَ، عَمَّا اقْتَرَفَهُ مِنَ الشُّرْكِ وَالذُّنُوبِ وَالْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ، وَآمَنَ بِرَبِّهِ إِيْمَانًا مُخْلِصًا، وَصَدَّقَ رَسُولَهُ، وَعَمِلَ فِي الدُّنْيَا عَمَلًا صَالِحًا، فَإِنَّهُ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْمُفْلِحِينَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ.

(وَعَسَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مُوجِبَةٌ أَيْ إِنْ ذَلِكَ وَاقَعَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ لَا مَحَالَةَ).

(سُبْحَانَ) (وَتَعَالَى)

(٦٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالِاخْتِيَارِ، وَأَنَّهُ لَا يُنَازِعُهُ فِي ذَلِكَ مُنَازِعٌ، وَلَا مُعَقِّبٌ عَلَى حُكْمِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ فَالْأُمُورُ كُلُّهَا، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، بِيَدِهِ فَيَخْتَارُ قَوْمًا لِأَدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَهِدَايَةِ خَلْقِهِ، وَيُمَيِّزُ بَعْضَ الْخَلْقِ عَلَى بَعْضٍ، وَيُفَضِّلُهُ بِمَا شَاءَ، وَلَيْسَ لِلْخَلْقِ أَنْ يَخْتَارُوا عَلَى اللَّهِ شَيْئًا، وَلَهُ الْخَيْرَةُ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ لِلْخَلْقِ إِلَّا اتِّبَاعُ مَا أَصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَتَنْزَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ شِرْكِهِمْ، وَتَبَارَكَ أَسْمُهُ وَتَقَدَّسَ.

الْخَيْرَةُ - الْإِخْتِيَارُ.

٦٤ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ

٦٥ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ

٦٦ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ

٦٧ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ

٦٨ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

(٦٩) - وَاللَّهُ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ الصُّمَّاتُ، وَمَا تَتَّطَوِي عَلَيْهِ السَّرَائِرُ، كَمَا يَعْلَمُ مَا تُبْدِيهِ الظُّوَاهِرُ، وَاخْتِيَارُهُ تَعَالَى لِمَنْ اخْتَارَهُمْ لِلْإِيمَانِ مَبْنِيٍّ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ بِسَرَائِرِ أُمُورِهِمْ وَبَوَادِيهَا، فَيَخْتَارُ لِلْخَيْرِ أَهْلَهُ وَيُوقِفُهُمْ لَهُ، وَيُولِي الشُّرَّ أَهْلَهُ، وَيُخْلِيهِمْ وَيَأْتِيهِ.

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ عَلِيمٌ بِمَا تُخْفِيهِ صُدُورُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَدَاوَةٍ لَكَ، وَمَا يُعْلِنُونَهُ بِالسَّيِّئَةِ مِنَ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى اخْتِيَارِكَ لِلرَّسَالَةِ).

مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ - مَا تُضْمِرُهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْعَدَاوَةِ.

(الْآخِرَةُ)

(٧٠) - وَرَبُّكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ الْمُتَعَزِّدُ بِالْأُلُوهِيَّةِ، فَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، وَلَا رَبَّ غَيْرَهُ، لَهُ الْحُكْمُ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ (فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ)، فَهُوَ الْعَادِلُ، وَلَهُ الْحُكْمُ، وَلَا مُعَقَّبَ لَهُ، لِقَهْرِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَحُكْمَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْخَلْقُ جَمِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

(أَرَأَيْتُمْ) (اللَّيْلَ) (الْقِيَامَةَ)

(٧١) - يَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ بِمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لِيَكْسِبُوا مَعَاشَهُمْ فِي النَّهَارِ، وَلِيَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ، وَيَرْتَاحُوا. وَلَوْ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ اللَّيْلَ دَائِماً عَلَيْهِمْ مُتَتَابِعاً (سَرْمَداً) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَأْضَرَّ ذَلِكَ بِهِمْ، وَلَسَيَّمَتُهُ النُّفُوسُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ، الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ الْمُشْرِكُونَ، أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِضِيَاءٍ يُبْصِرُونَ فِيهِ، وَيَسْتَأْنِسُونَ بِمَا يَرَوْنَهُ، أَفَلَا يَسْمَعُونَ هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُمْ وَيَتَدَبَّرُونَهُ؟

أَرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي.

سَرْمَداً - دَائِماً مُطَرِّداً.

(أَرَأَيْتُمْ) (الْقِيَامَةَ)

(٧٢) - وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّهَارَ عَلَى النَّاسِ دَائِماً سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَأْضَرَّ ذَلِكَ بِهِمْ، وَلَتَعَبَّتِ الْأَبْدَانُ وَكَلَّتْ مِنْ كَثْرَةِ الْحَرَكَةِ وَالْأَشْغَالِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ أَنْ يَأْتِيَ بِلَيْلٍ يَرْتَاحُ فِيهِ النَّاسُ وَيُسْكُنُونَ. أَفَلَا يُبْصِرُ هَؤُلَاءِ بِأَعْيُنِهِمْ تَدْبِيرَ اللَّهِ وَخَلْقَهُ؟

﴿٦٩﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ

﴿٧٠﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ

﴿٧٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

(اللَّيْلِ)

(٧٣) - وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِكُمْ أَنَّهُ خَلَقَ اللَّيْلَ مُظْلِمًا لِّتَسْكُنُوا فِيهِ، وَتَرَاحُوا وَخَلَقَ النَّهَارَ مُضِيًّا، لَتَعْمَلُوا فِيهِ، وَلِتَكْسِبُوا مَعَاشَكُمْ بِالْعَمَلِ وَالْأَسْفَارِ (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)، وَهُوَ تَعَالَى يُذَكِّرُكُمْ بِنِعْمَتِهِ وَأَلَايِهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَقُومُونَ بِشُكْرِهِ عَلَيْهَا بِأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ لَهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتُخْلِصُونَ الْحَمْدَ لَهُ.

(شُرَكَائِي)

(٧٤) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنَادِي الرَّبُّ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مُوْبِحًا وَمُقَرَّعًا، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا أَنَّهُمْ شُرَكَائِي، هَلَّا دَعَوْتُمُوهُمْ لِيُخْلِصُوكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ الْيَوْمَ؟

(بُرْهَانَكُمْ)

(٧٥) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْزِعُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهَا، هُوَ نَبِيُّهَا، فَيَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا أَجَابَتْهُ بِهِ أَمَّتُهُ حِينَ دَعَاها إِلَى اللَّهِ، وَأَبْلَغَهَا رِسَالَاتِ رَبِّهِ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُخَالَفِينَ مِنْهُمْ: هَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ عَلَى صِحَّةِ مَا أَدْعِيْتُمُوهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ شُرَكَاءُ. وَحِينَئِذٍ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ، وَلَا حَقَّ غَيْرُهُ، فَلَا يَنْطِقُونَ، وَلَا يُجِيبُونَ بِشَيْءٍ عَنْ سُؤَالِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ، وَيَتَلَاشَى بَاطِلُهُمْ، وَمَا كَانُوا يَدْعُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

(قَارُونُ) (وَأَتَيْنَاهُ) (لَتَنُوءَ)

(٧٦) - وَبَلِّغْتُ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ كِبَرَاءِ قُرَيْشٍ، الَّذِينَ آغْتَرَوْا بِأَمْوَالِهِمْ، وَأَسْتَطَالُوا بِهَا عَلَى الرُّسُولِ ﷺ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى أَنَّ الْمَالَ عَرَضٌ زَائِلٌ، وَأَنَّ الْمَالَ لَا قِيَمَةَ لَهُ فِي مِيزَانِ اللَّهِ تَعَالَى، يَوْمَ الْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ أَمْوَالَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنْ قُرَيْشٍ لَا تُعَدُّ شَيْئًا مَذْكُورًا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَالِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ قَارُونُ، ثُمَّ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبَدَّارِهِ الْأَرْضَ لِأَنَّهُ بَطَرُ وَأَثِيرَ، وَأَسْتَكْبَرَ وَلَمْ يَتَّبِعْ بِهَذَا الْمَالِ ثَوَابَ اللَّهِ، وَجَزَاءَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَقْرِبَاءِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ كَثِيرًا مِنَ الْمَالِ، حَتَّى إِنَّ مِفْتَاحَ خَزَائِنِ أَمْوَالِهِ لِيَضَعُ عَلَى الْجَمَاعَةِ حَمْلَهَا لِكَثْرَتِهَا، وَثَقَلِ وَزْنُهَا، فَطَغَى وَبَغَى، وَبَطَرَ، وَتَكَبَّرَ، فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ نَاصِحِينَ: لَا تَبْطُرْ،

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ

شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ
تَزْعُمُونَ

وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعِلِمُوا

أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ

مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ



إِنْ قَارُونُ كَات

مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ

وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ

لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ

قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

وَلَا تَفْرَحْ بِمَا آتَىٰ فِيهِ مِنَ النُّعْمَةِ وَالْمَالِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ
الْبَطْرِينَ الْأَشْرِينَ، الَّذِينَ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ وَآلَائِهِ، وَتَنْسِيهِمْ
الدُّنْيَا الْآخِرَةَ.

فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ - ظَلَمَهُمْ وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ.

لَتَنْوُوا بِالْمُصِيبَةِ - لَتَثْقُلُ الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةَ وَتَمِيلُ بِهِمْ.

لَا تَفْرَحْ - لَا تَبْتَظَرُوا وَلَا تَأْثُرَ بِكَثْرَةِ الْمَالِ.

(آتَاكَ) (الْآخِرَةَ)

(٧٧) - وَاسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ الْجَزِيلِ، وَالنُّعْمَةِ الطَّائِلَةِ،
فِي طَاعَةِ رَبِّكَ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَلَا تَنْسَ حَقَّكَ (نَصِيْبَكَ) مِنَ الدُّنْيَا،
مِمَّا أَبَاخَهُ اللَّهُ فِيهَا لِعِبَادِهِ، مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَغَيْرِهَا. .
فَإِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا. . . فَآتَ كُلَّ ذِي حَقٍّ
حَقَّهُ. وَأَحْسِنَ إِلَى خَلْقِي اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْإِفْسَادُ
فِي الْأَرْضِ، وَالْإِسَاءَةُ إِلَى خَلْقِي اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.

(لَا يُسْأَلُ)

(٧٨) - فَأَجَابَ قَارُونُ نَاصِحِيهِ مِنْ قَوْمِهِ: إِنَّهُ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى مَا يَقُولُونَ،
فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَعْطَاهُ هَذَا الْمَالَ لِعَلِّمِهِ بِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّهُ، وَلَأنَّهُ يُحِبُّهُ. وَبَرَدَ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَيْهِ قَائِلًا: إِنَّهُ كَانَ قَبْلَ قَارُونَ أَنْاسٌ كَثِيرُونَ أَكْثَرُ مِنْهُ مَالًا، إِلَّا أَنَّهُ
سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِهِمْ هَذَا الْمَالَ عَنْ مَحَبَّةٍ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمْ بِكُفْرِهِمْ،
وَعَدِمَ شُكْرِهِمْ، وَفِي الْآخِرَةِ لَا يُسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُجْرِمِينَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ،
وَمِقْدَارِهَا وَكُنْهَافِهَا. . . وَلَا يُعَاتِبُهُمْ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا يُلْقِيهِمْ فِي جَهَنَّمَ دُونَ
سُؤَالٍ.

مِنَ الْقُرُونِ - مِنَ الْأُمَمِ.

لَا يُسْأَلُ - سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ بَلْ سُؤَالُ تَوْبِيخٍ.

(الْحَيَاةَ) (يَا لَيْتَ) (قَارُونُ)

(٧٩) - وَخَرَجَ قَارُونُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى قَوْمِهِ، وَهُوَ فِي زِينَةٍ عَظِيمَةٍ،
وَتَجَمَّلَ بِأَهْرٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ مَنْ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَيَمِيلُ إِلَى زُخْرِفِهَا
وَزِينَتِهَا مِنْ قَوْمِهِ، تَمَنَّوْا أَنَّهُ لَوْ كَانُوا يُعْطَوْنَ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ قَارُونُ مِنْ
الْمَالِ، فَهُوَ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَافِرٍ فِي الدُّنْيَا.

فِي زِينَتِهِ - فِي مَظَاهِرِ غِنَاهُ وَتَرَفِهِ.

وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ

الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ

نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ

كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ

وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ

اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي

أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ

مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ

أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا

وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ

الْمُجْرِمُونَ

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ

الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ

قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ

(أَمَنَ) (صَالِحًا) (يُلْقَاهَا) (الصَّابِرُونَ)

(٨٠) - فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ الْعِلْمِ النَّافِعَ مَقَالَ مَنْ تَمَنَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِثْلُ مَا أُوتِيَ قَارُونَ مِنَ الْمَالِ، قَالُوا لَهُمْ: الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لَكُمْ عَلَى مَا تَمْنِيْتُمْ، فَمَا يَذْخِرُهُ اللَّهُ مِنْ جَزَاءِ وَثَوَابِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا تَرَوْنَهُ، وَلَا يَقُورُ بِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ إِلَّا الصَّابِرُونَ عَلَى مَحَبَّتِهِ، الرَّاعِبُونَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

وَيَلْجَأُكُمْ - زَجَرَهُمْ عَلَى هَذَا التَّمَنِي - وَالْوَيْلُ لُغَةُ الْهَلَاكِ.

لَا يُلْقَاهَا - لَا يُوفِّقُ لِلْعَمَلِ لِلْمُتَوَبِّةِ.

(٨١) - وَبَيْنَمَا كَانَ قَارُونَ يُخَالِطُ بَطْرًا مُتَفَاخِرًا عَلَى قَوْمِهِ، وَهُوَ فِي حِلْيَتِهِ وَزِينَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ، فَأَصْبَحَ هُوَ وَدَارُهُ وَأَمْوَالُهُ وَخَزَائِنُهُ لَا أَثَرَ لَهُمْ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ بَطْشِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، وَلَمْ يَغْنِ عَنْهُ مَالُهُ وَلَا جَمْعُهُ وَلَا خَدَمُهُ، وَلَمْ يَدْفَعْ كُلَّ ذَلِكَ عَنْهُ نَقْمَةَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ.

(وَيَ كَانَ) (وَيَ كَانَهُ) (الْكَافِرُونَ)

(٨٢) - وَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ تَمَنَّا مَالَ قَارُونَ وَكُنُوزَهُ، مَا حُلَّ بِهِ وَبِمَالِهِ، قَالُوا: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ؟ وَلَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ بِنَا لِأَعْطَانَا مَا سَأَلْنَا، ثُمَّ فَعَلَ بِنَا كَمَا فَعَلَ بِقَارُونَ، فَخَسَفَ بِنَا الْأَرْضَ، لَقَدْ كَانَ قَارُونَ كَافِرًا بَرِيءًا، وَلَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ فِي النِّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

يَقْدِرُ - يُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، لِجُحْمِهِ.

(الْآخِرَةُ) (الْعَاقِبَةُ)

(٨٣) - بَلَّكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ - الْجَنَّةُ الَّتِي عَلِمْتَ مِمَّا تَقْدَمُ وَصَفَهَا - قَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ خَالِصَةً لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ، الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ اسْتِكْبَارًا عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تَعَاظُمًا عَلَيْهِمْ، وَلَا تَجَبُّرًا، وَلَا فُسَادًا فِي الْأَرْضِ. وَالْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، جَعَلَهَا اللَّهُ لِمَنْ مَلَأَتْ خَشْيَتُهُ اللَّهَ قَلْبَهُ، وَاتَّقَى عَذَابَهُ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرَكِ الْمَحْرَمَاتِ.

(٨٤) - مَنْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ حَسَنَاتٌ آكَنَسَهَا فِي الدُّنْيَا، ضَاعَفَ اللَّهُ ثَوَابَهُ، فَضْلًا مِنْهُ وَكَرَمًا، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا، عَدْلًا مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً.

٨٠ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

وَيَلْجَأُكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ

ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا

يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ

٨١ فَخَسَفَ بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا

كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ

الْمُنْتَصِرِينَ

٨٢ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّا مَكَانَهُ

بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ

عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ

لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ

٨٣ بَلَّكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا

لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ

وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

٨٤ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى

الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(الْقُرْآنَ) (ضَلَالٍ)

(٨٥) - يُخَاطَبُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ فَيَقُولُ: إِنَّ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَيْكَ الْعَمَلَ بِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَفَرَائِضِهِ لَرَأْدُكَ إِلَى مَكَّةَ ظَافِرًا مُتَّصِرًا، كَمَا أَخْرَجَكَ مِنْهَا - وَتَمَّ ذَلِكَ بَعْدَ الْفَتْحِ - .

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَوْعِدٍ - وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ - لِيُفْصَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مُكَدَّبِكَ). وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، لَمَّا خَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، نَزَلَ بِالْجُحْفَةِ، فَعَرَفَ طَرِيقَ مَكَّةَ، وَاشْتَقَّ إِلَيْهَا جِنِينَ تَذْكُرُ مَوْلَدَهُ وَمَوْلِدَ وَالِدِهِ فِيهَا. فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ لَهُ: أَتَشْتَقُّ إِلَى بَلَدِكَ وَمَوْلَدِكَ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لَكَ ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ...﴾ الآية.

مَعَادٍ - مَكَّةَ ظَاهِرًا عَلَيْهَا.

(تَرْجُو) (الْكِتَابَ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٨٦) - وَمَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدٌ تَنْظُرُ - قَبْلَ إِنْزَالِ الْوَحْيِ عَلَيْكَ - أَنَّهُ سَيَنْزِلُ عَلَيْكَ، فَتَعْلَمُ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِكَ، وَمَا سَيَحْدُثُ مِنْ بَعْدِكَ، وَمَا فِيهِ تَشْرِيعٌ وَسَعَادَةٌ لِلْبَشَرِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، ثُمَّ تَتْلُو ذَلِكَ عَلَى قَوْمِكَ، وَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ رَحْمَةً مِنْهُ بِكَ وَبِالْعِبَادِ، فَإِذَا حَبَاكَ اللَّهُ بِهِذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، فَلَا تَكُونُ مُعِينًا لِلْكَافِرِينَ، وَلَكِنْ فَارِقُهُمْ وَخَالِفُهُمْ. ظَهِيرًا - مُعِينًا.

(آيَاتِ)

(٨٧) - وَلَا يَصْرِفَنَّ الْكُفَّارُ عَنِ الْقِيَامِ بِإِبْلَاحِ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْكَ إِلَى قَوْمِكَ، وَلَا تَتْرُكْ دَعْوَةَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لِأَنَّكَ إِنْ تَرَكْتَ دَعْوَتَهُمْ كُنْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُ فِعْلَ الْمُشْرِكِينَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ.

(آخِرِ)

(٨٨) - إِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَأَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَلَا تَعْبُدْ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا غَيْرَهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْبَاقِي الدَّائِمُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، غَيْرُ اللَّهِ، هَالِكٌ وَفَانٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَالْمُلْكُ وَالتَّنَصُّفُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا مُعَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا.

٨٥ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ

الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ
رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ
هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

٨٦ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ

الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ
رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا
لِّلْكَافِرِينَ

٨٧ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ

إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى
رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ

٨٨ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا السَّمْعُ وَسَمِعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - أَلِفَ لَامٍ. مِيمٍ. وَتُفْرَأُ مُقَطَّعَةً - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(أَمَّنَا)

(٢) - هَلْ ظَنَّ النَّاسُ أَنْ تَتْرَكَهُمْ وَشَأْنَهُمْ بِمَجَرَّدِ نَظَرِهِمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَقَوْلِهِمْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، دُونَ أَنْ يَبْتَلِيَهُمُ اللَّهُ، وَيَخْتَبِرَ صِدْقَ إِيْمَانِهِمْ بِالْهَجْرَةِ، وَالتَّكْلِيفِ الدِّينِيَّةِ الْآخَرَى، وَالْجِهَادِ، وَالْمَصَائِبِ؟ كَلَّا، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ إِيْمَانٍ.

(وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ: أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ قُوَّةٌ زِيدَ لَهُ فِي الْبَلَاءِ).

لَا يُفْتَنُونَ - لَا يُمْتَحَنُونَ بِالْمَشَاقِّ لِتَمَيُّزِ الْمُخْلِصِ مِنَ الْمُنَافِقِ.

(الْكَاذِبِينَ)

(٣) - وَلَقَدْ أَمْتَحَنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ السَّالِفِينَ، وَعَرَضَهُمْ لِلْفِتْنَةِ وَالْإِخْتِبَارِ، وَغَايَتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِخْتِبَارِ هِيَ أَنْ يُمَحِّصَهُمْ فَيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَّقُوا فِي دَعْوَى الْإِيْمَانِ، مِمَّنْ هُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ، وَلِيُجَازِيَ كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.

(٤) - أَمْ هَلْ يَظُنُّ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ الْفَوَاحِشَ وَالْآثَامَ، أَنْ يَقُولُوا رَبُّهُمْ، وَيَسْقِفُوهُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْزَلَ بِهِمْ عِقَابُهُ الْعَادِلُ، وَلَا أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِظُلْمِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، كَمَا هِيَ سُنَّتُهُ فِي الظَّالِمِينَ؟ إِنَّهُمْ إِنْ ظَنُّوا أَنَّ فِي أَسْطَاعَتِهِمْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ، وَمَا يَحْكُمُونَ أَنْ يَسْقِفُونَا - أَنْ يُعْجِزُونَا وَيَقْضُوا.

١ الم



٢ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

٣ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ

٤ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْقِفُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

(يَرْجُو) (لَاتِ)

(٥) - مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَيَطْمَعُ فِي ثَوَابِ اللَّهِ يَوْمَ لِقَائِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَلْيَبَادِرْ إِلَى فِعْلِ مَا يَنْفَعُهُ، وَعَمَلِ مَا يُوَصِّلُهُ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّهِ، وَلْيَجْتَنِبْ مَا يُسْخِطُ رَبَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ الَّذِي حَدَّدَهُ لِبَعْثِ خَلْقِهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ لَاتٌ لَا مَحَالَةَ، وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لَأَقْوَالِ الْعِبَادِ، الْعَلِيمُ بِعَقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

أَجَلَ اللَّهِ - الْمَوْعِدَ الَّذِي حَدَّدَهُ لِلْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ.

(جَاهِدَ) (يُجَاهِدُ) (الْعَالَمِينَ)

(٦) - وَمَنْ بَذَلَ جُهْدَهُ فِي جِهَادِ عَدُوِّ دِينِهِ وَوَطَنِهِ وَقَوْمِهِ، وَفِي مُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ، وَكَفَّهَا عَنِ التَّفَكُّيرِ فِي الْمُنْكَرِ وَالسُّوءِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ آتِبِغَاءَ نَفْعِ نَفْسِهِ، بِالْفَوْزِ بِثَوَابِ اللَّهِ عَلَى جِهَادِهِ، وَبِالنَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ، وَلَيْسَ اللَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى جِهَادِ أَحَدٍ، فَهُوَ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَزِيزٌ لَا يَنَالُ وَلَا يُضَامُ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٧) - وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَكُتِبَ، وَرُسُلِهِ، وَصَحَّ إِيمَانُهُمْ حِينَ آتَبَلَاهُمْ وَآخْتَبَارِهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْزِيهِمْ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، فَيَكْفُرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ الَّتِي فَرَطَتْ مِنْهُمْ فِي شُرُكِهِمْ، أَوْ صَدَرَتْ مِنْهُمْ لِمَا فِي حَالِ إِيمَانِهِمْ، ثُمَّ نَدِمُوا عَلَى مَا اجْتَرَحُوهُ مِنْهَا، وَثَبَّتْهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ، فَيَتَقَبَّلُ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَثَبَّتْ عَلَيْهَا الْوَاحِدَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَيجْزِي عَلَى السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا أَوْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ.

(الْإِنْسَانِ) (بِوَالِدَيْهِ) (جَاهِدَاكَ)

(٨) - يَا مُرُّهُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدِينَ، لِأَنَّهُمَا سَبَبُ وُجُودِ الْإِنْسَانِ، وَلَهُمَا عَلَيْهِ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. وَلَكِنْ إِذَا كَانَ الْوَالِدَانِ مُشْرِكَيْنِ وَأَمْرًا وَلَدَهُمَا الْمُؤْمِنُ بِمَا فِيهِ كُفْرٌ وَمَعْصِيَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، أَوْ أَمْرًا بِأَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِأُلُوهِيَّتِهِ، (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)، فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُطِيعَهُمَا، لِأَنَّ حَقَّ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ إِذَا (لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ) كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

ثُمَّ يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

٥ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

٦ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

٧ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ

٨ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

فَيَجْزِيهِمْ بِإِحْسَانِهِمْ إِلَى وَالِدَيْهِمْ، وَيَصْبِرُهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَيَحْشُرُهُمْ
مَعَ الصَّالِحِينَ.
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ - أَمْرَانَهُ.
حُسْنًا - بِرَأْ بَوَالِدَيْهِ وَعَظْفًا عَلَيْهِمَا

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الصَّالِحِينَ)

(٩) - وَاللَّهُ تَعَالَى سَيُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِي
رَحْمَتِهِ، وَيَحْشُرُهُمْ مَعَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ.
(وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ آيَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا نَزَّلْنَا فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَأُمِّهِ، فَقَدْ
قَالَتْ لَهُ يَوْمًا: أَلَيْسَ اللَّهُ أَمْرَكَ بِالْبِرِّ؟ وَاللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ
شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ. فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا فَتَحُوا فَمَهَا
بِعُودٍ، فَنَزَّلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ).

(آمَنَّا) (لَيْتَن) (الْعَالَمِينَ)

(١٠) - وَهُنَاكَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ يَدْعُونَ الْإِيمَانَ بِالْإِسْتِثْمِ، فَإِذَا آذَاهُ
الْمُشْرِكُونَ لِإِيمَانِهِ بِاللَّهِ، جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسِ فِي الدُّنْيَا كَعَذَابِ اللَّهِ فِي
الْآخِرَةِ، فَأَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ، وَرَجَعَ عَنْ إِيْمَانِهِ إِلَى الْكُفْرِ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ صَبَرَ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُ، لِأَنَّ عَذَابَ النَّاسِ لَهُ دَافِعٌ يَدْفَعُهُ عَنْهُ، وَلَهُ نِهَآيَةٌ، وَيَثَابُ
الْمُؤْمِنُ عَلَيْهِ. وَعَذَابُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ مَنْ يَدْفَعُهُ عَنْهُ، وَلَا نِهَآيَةٌ لَهُ، وَيَتَرْتَّبُ
عَلَيْهِ الْعِقَابُ الْأَلِيمُ.

أَمَّا إِذَا جَاءَ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَفُتِحَ وَمَغَانِمٌ يَقُولُ هَؤُلَاءِ
الْمُتَظَاهِرُونَ بِالْإِيمَانِ: إِنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ يَنْصُرُونَهُمْ، وَإِنَّهُمْ
إِخْوَانُهُمْ فِي الدِّينِ، وَطَالَبُوا بِنَصِيْبِهِمْ مِنَ الْمَغْنَمِ. ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى:
إِنَّهُمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْدَعُوا اللَّهَ بِهَذِهِ الدَّعْوَى فَهُوَ عَالِمٌ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ
نِفَاقٍ، وَبِمَا تُكِنُّهُ صَمَائِرُهُمْ، وَإِنْ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ تَعَالَى
لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

فِتْنَةُ النَّاسِ - مَا يَصِيبُهُ مِنْ أَذَاهُمْ وَعَذَابِهِمْ.

(آمَنُوا) (الْمُنَافِقِينَ)

(١١) - وَلَيُخْتَبِرَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالسَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ، لِيُمَيِّزَ الْمُؤْمِنَ
الصَّادِقَ فِي إِيْمَانِهِ، مِنَ الْمُنَافِقِ الْمُتَشَكِّكِ، وَلِيُظْهِرَ مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ فَيَصْبِرُ
عَلَى الْأَذَى إِنْ مَسَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ يَعْصِيهِ، وَيَنْكُصُ عَلَى عَقْبِهِ إِنْ
مَسَّهُ ضَرٌّ ﴿إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى
وَجْهِهِ﴾^(١).

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ
فَإِذَا أُوْذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً
النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ
نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا
كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ

وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ

(آمَنُوا) (خَطَايَاكُمْ) (بِحَايِلِينَ) (خَطَايَاهُمْ) (لَكَاذِبُونَ)

(١٢) - وَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ لِمَنِ آمَنَ مِنْهُمْ، وَاتَّبَعُوا الرَّسُولَ ﷺ: أَرْجَعُوا إِلَى دِينِكُمْ الْأَوَّلِ، وَغَوْدُوا فِيهِ، وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ بَعْثٌ وَجَسَابٌ فَإِنَّهُمْ سَيَحْمِلُونَ عَنْهُمْ تَبِعَةَ آثَامِهِمْ، وَهِيَ فِي رِقَابِهِمْ. وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُكَذَّبًا: إِنَّهُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ وَزْرَ أَحَدٍ، فَكُلُّ أَمْرٍ بِمَا اكْتَسَبَ رَهِيْنٌ. خَطَايَاهُمْ - أَوْزَارُهُمْ وَذُنُوبُهُمْ.

(لَيْسَالْنَّ) (الْقِيَامَةِ)

(١٣) - وَسَيَحْمِلُ الدُّعَاءُ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْزَارَ أَنْفُسِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَمِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ أَضَلُّوهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَصَرُّوهُمْ عَنِ الْهُدَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِ أُولَئِكَ شَيْءٌ، وَسَيَحَاسِبُ هَؤُلَاءِ الْمُضِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا يَخْتَلِفُونَهُ مِنَ الْبُهْتَانِ، وَيُعَذَّبُونَ بِهِ. أَثْقَالَهُمْ - أَوْزَارُهُمْ الْفَادِحَةَ. يَفْتَرُونَ - يَخْتَلِفُونَ مِنَ الْأَبَاطِيلِ.

(ظَالِمُونَ)

(١٤) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِمَا يَقْضُهُ عَلَيْهِ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ، وَمَا لَقَوْهُ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ، فَمَا وَهَنُوا وَلَا ضَعُفُوا، وَقَامُوا بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ. وَهُنَا يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ أَنَّ نُوحًا مَكَتَ فِي قَوْمِهِ مَدَّةَ تِسْعِينَ وَخَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا فِرَارًا، وَلَمْ يَوْمِنْ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا الْقَلِيلُونَ، كَمَا جَاءَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى، وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَرْضِهِمْ فَتَضَرَّهُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ الْكَفَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ، وَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا بِالطُّوفَانِ، وَهُمْ ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَبِيدُهُ الْأَمْرُ كُلَّهُ.

(فَأَنْجَيْنَاهُ) (أَصْحَابَ) (جَعَلْنَاهَا) (آيَةً) (لِّلْعَالَمِينَ)

(١٥) - فَأَنْجَى اللَّهُ تَعَالَى نُوحًا وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِالسَّفِينَةِ، وَجَعَلَ قِصَّتَهُمْ (أَوْ جَعَلَ السَّفِينَةَ) آيَةً وَذَلَالَةً عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَعَلَى حِكْمَتِهِ، وَأَعْرَقَ الْآخَرِينَ بِالطُّوفَانِ.

(إِبْرَاهِيمَ)

(١٦) - وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ قِصَّةَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ آتَاهُ اللَّهُ رُشْدَهُ مِنْذُ صِغَرِهِ، فَكَمَّلَ عَقْلَهُ، وَأَخَذَ فِي دَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ

١٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ

خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ

مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ

لَكَاذِبُونَ

١٣ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا

مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ

١٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ

فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا

خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ

الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ

١٥ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ

وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ

١٦ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا

اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى الْإِخْلَاصِ فِي تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّ الْإِيمَانَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ إِنْ كَانُوا مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ، وَإِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ فَازُوا بِالْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(أَوْتَانَا)

(١٧) - إِنَّكُمْ لَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا تَمَائِيلَ مِنْ حِجَارَةٍ تَنْحَتُونَهَا أَنْتُمْ، وَتَخْتَلِقُونَ الْكَذِبَ فَتُسَمُّونَهَا آلِهَةً، وَهَذِهِ التَّمَائِيلُ لَا تَمْلِكُ لَكُمْ وَلَا لِأَنْفُسِهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا تَسْتَطِيعُ رِزْقَكُمْ وَلَا رِزْقَ أَنْفُسِهَا، وَالرَّازِقُ هُوَ اللَّهُ، فَاطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنَ اللَّهِ، وَكُلُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَاعْبُدُوهُ، وَاشْكُرُوا لَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ سَتَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَحَاسِبُكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَيَجْزِيكُمْ بِهَا. (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ مَعْنَى (تَخْلُقُونَ إِفْكًا) هُوَ تَنْحَتُونَ أَصْنَامًا)

(الْبَلَاغُ)

(١٨) - وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُتَابِعًا نَصَحَ قَوْمِهِ: إِنَّكُمْ إِنْ كَذَّبْتُمْ رَسُولَكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أُمَّةً أُخْرَى قَبْلَكُمْ رُسُلَهَا، وَقَدْ بَلَغَكُمْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْدمَارِ، وَكَيْفَ أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِهِ. وَمَهْمَةُ الرَّسُولِ هِيَ ابْلَاغُ النَّاسِ مَا أَمَرَهُ رَبُّهُ بِإِبْلَاغِهِ إِلَيْهِمْ فَأَحْرِصُوا عَلَى أَنْ تَكُونُوا مِنَ السُّعْدَاءِ الْمُسْتَجِيبِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ.

(١٩) - ثُمَّ لَفَتَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَظَرَ قَوْمِهِ إِلَى الْأَدِلَّةِ عَلَى وَقُوعِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، ثُمَّ أَوْجَدَهُمْ وَجَعَلَهُمْ أَنَسًا ذَوِي سَمْعٍ وَبَصَرٍ، فَالَّذِي يَبْدَأُ هَذَا قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ، لِأَنَّ الْإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (١).

(الْآخِرَةُ)

(٢٠) - وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ بِإِرْشَادِ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى الْإِعْتِبَارِ بِمَا فِي الْكَوْنِ مِنَ الْآيَاتِ الْمُشَاهِدَةِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْأَشْيَاءِ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالنَّبَاتَاتِ... وَفِي كُلِّ ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ خَالِقَهَا هُوَ اللَّهُ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ. فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَرَّةً أُخْرَى.

﴿١٧﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿١٨﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أُمَّةً مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

﴿١٩﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

﴿٢٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(٢١) - وَيُعَذِّبُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ - وَهُمْ الْمُنْكَرُونَ لِلْبَعْثِ، الْجَاهِدُونَ بآيَاتِ اللَّهِ - فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِعَذْلِهِ فِي حُكْمِهِ فِي الْخَلْقِ، وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ - وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ - فَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُتَصَرِّفُ الَّذِي يَقْعُلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسَالُ عَمَّا يَقْعُلُ، وَإِلَيْهِ يُرَدُّ الْخَلْقُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِيَحْسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ. وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ - تُرَدُّونَ وَتُرْجَعُونَ إِلَيْهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

(٢٢) - وَلَا يُعْزِزُ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ فَيَقِيرُ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ مِنْ دُونِهِ مَنْ وَلِيٌّ يَلِي أُمُورَهُمْ، وَيَحْرُسُهُمْ مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ بَلَاءٌ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مَنْ نَاصِرٌ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ. بِمُعْجِزِينَ - فَاتَيْنِ بِالْهَرَبِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

(بَيِّنَاتٍ) (لِقَائِهِ) (أُولَئِكَ) (يَسْأَلُونَ)

(٢٣) - وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِالذَّلَائِلِ الَّتِي نَصَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْكَوْنِ، لِلذَّلَالَةِ عَلَى وَجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالذَّلَائِلِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ لِلْإِرْشَادِ، وَلِهَدَايَةِ الْخَلْقِ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ، وَجَحَدُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَانْكُرُوا الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ، أُولَئِكَ لَا مَطْمَعَ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَخَافُوا عِقَابَهُ، وَلَمْ يَرْجُوا ثَوَابَهُ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ مُوجِعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(فَأَنْجَاهُ) (لَا يَاتِ)

(٢٤) - فَلَمْ يَكُنْ لِقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ جَوَابٍ يَرُدُّونَ بِهِ عَلَى الْحُجَجِ الدَّمِغَةِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَى فُسَادِ مُعْتَقَدَاتِهِمْ، وَعِبَادَتِهِمْ الْأَصْنَامَ، إِلَّا قَوْلَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ: أَقْتُلُوا إِبْرَاهِيمَ أَوْ آخِرُوهُ فِي النَّارِ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَحْرِقُوهُ، وَجَمَعُوا لَهُ حَطَبًا كَثِيرًا، وَأَشْعَلُوا النَّارَ فِيهِ، وَقَذَفُوا إِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْهَا بِأَنْ أَمَرَ النَّارَ بِأَنْ تَكُونَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ. وَفِي أَنْجَاءِ إِبْرَاهِيمَ مِمَّا أَرَادَهُ بِهِ قَوْمُهُ، لَآيَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ، لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَيَتَفَكَّرُونَ، وَيُؤْمِنُونَ.

(أَوْثَانًا) (الْحَيَاةِ) (الْقِيَامَةِ) (مَاؤَاكُمُ) (نَاصِرِينَ)

(٢٥) - وَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُقَرَّعًا وَمُؤَبِّخًا عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ الْأَوْثَانَ: إِنَّكُمْ إِنَّمَا أَجْتَمَعْتُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا فِي الدُّنْيَا لِلصَّدَاقَةِ، وَالْإِلَافَةِ الَّتِي تَقُومُ بَيْنَكُمْ، لَا لِقِيَامِ دَلِيلٍ عِنْدَكُمْ عَلَى

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ
وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ
رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَاقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّنْ دُونِ
اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ

صِحَّة عِبَادَتِهَا، وَلَمْ يُنْكِرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ عِبَادَةَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ. مُرَاعَاةً
لهَذِهِ الْمَوَدَّةِ. ثُمَّ تَنَعَّسَ الْحَالُ فِي الْآخِرَةِ فَتَضَحَّ هَذِهِ الْمَوَدَّةُ وَالصَّدَاقَةُ
بُغْضًا وَشَتَانًا، وَتَجَحَّدَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ، وَتَلَعَّنَ الْأَتْبَاعُ مِنْكُمْ
الْمُتَّبِعِينَ، وَتَلَعَّنَ الْمُتَّبِعُونَ الْأَتْبَاعَ، وَسَيَكُونُ مَاوَاكُمُ جَمِيعًا النَّارُ،
وَلَيْسَ لَكُمْ مَنْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.
مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ - لِلتَّوَادُّ وَالتَّوَاصُلِ بَيْنَكُمْ لِاجْتِمَاعِكُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا.
مَاوَاكُمُ النَّارُ - مَنْزِلُكُمْ الَّذِي تَأْوُونَ إِلَيْهِ النَّارُ.

(فَامَنْ)

(٢٦) - فَامَنْ لُوطٌ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنِّي
مُهَاجِرٌ إِلَى الْجَهَةِ الَّتِي أَمَرَنِي اللَّهُ بِالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا، لَدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ
فِيهَا، وَهُوَ تَعَالَى الْعَزِيزُ الْجَانِبُ، الَّذِي يَمْنَعُنِي مِمَّا يُرِيدُهُ بِي أَعْدَائِي،
وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.
(وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾) يَحْتَمِلُ عَوْدَهُ إِلَى لُوطٍ عَلَى أَنَّهُ
أَقْرَبُ الْمَذْكُورِينَ، كَمَا يَحْتَمِلُ عَوْدَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ الْمَحْكِيُّ عَنْهُ،
وَهُوَ الْأَقْرَبُ لِأَنَّ الْحَدِيثَ عَنْهُ).

(إِسْحَاقَ) (الْكِتَابَ) (آتِيَانَهُ) (الصَّالِحِينَ)

(٢٧) - وَلَمَّا فَارَقَ إِبْرَاهِيمُ قَوْمَهُ أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ بِوِلَادَةِ ابْنِهِ إِسْحَاقَ، وَجَعَلَهُ
اللَّهُ نَبِيًّا، ثُمَّ وَلَدَ لِإِسْحَاقَ يَعْقُوبَ فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا،
أَيْضًا. وَجَعَلَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فَكَانَ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ ذُرِّيَّةِ
يَعْقُوبَ، وَآخِرُهُمْ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَانَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ،
عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَجَمَعَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ
سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَكَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا الرِّزْقُ الْوَاسِعُ، وَالْمَنْزِلُ
الرَّحْبُ، وَالْمَوْرِدُ الْعَذْبُ، وَالزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ، وَالثَّنَاءُ الْجَمِيلُ، وَالذِّكْرُ
الْحَسَنُ، وَالدَّرَجَةُ الصَّالِحَةُ الْوَفِيرَةُ الْعَدَدِ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ قَائِمًا بِطَاعَةِ رَبِّهِ
وَعِبَادَتِهِ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ مِنْ ذَوِي الدَّرَجَاتِ الْعَلِيِّ.

(الْفَاحِشَةَ) (الْعَالَمِينَ)

(٢٨) - وَأَذْكَرَ لِقَوْمِكَ قِصَّةَ لُوطٍ حِينَ أُرْسِلَتْهُ إِلَى أَهْلِ سُدُومَ الَّذِينَ
سَكَنَ بَيْنَهُمْ، وَصَاحَرَهُمْ فَصَارُوا قَوْمَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ سُوءَ صَنِيعِهِمْ، وَفَبِئْسَ فَعَالِهِمْ، الَّتِي لَمْ
يَسْبِقْهُمْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ لَفْظَاتِهَا، وَثَفْرَةِ الطَّبَاعِ السَّالِمَةِ مِنْهَا.

الْقِيَمَةَ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ
بَعْضًا وَمَاوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ



﴿فَامَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ﴾

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرًا فِي
الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ
مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ
أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ

(اِنَّكُمْ) (الصّٰدِقِيْنَ)

(٢٩) - ثُمَّ اخَذَ فِي بَيَانِ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي كَانُوا يَأْتُونَهَا وَهِيَ :

- اَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ، وَهُوَ مُنْكَرٌ لَمْ يَسِفْهُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ .

- اَنَّهُمْ كَانُوا يَقْطَعُونَ السَّبِيلَ عَلَى الْمَارَّةِ فَيَقْتُلُونَهُمْ ، وَيَعْتَدُونَ عَلَيْهِمْ وَيَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ .

- اَنَّهُمْ كَانُوا يَقْعَلُونَ الْمُنْكَرَ قَوْلًا وَفِعْلًا فِي نَوَادِيهِمْ ، وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ ، جَهْرَةً وَدُونِ تَحْرُجٍ ، وَلَا يَسْتَحْيِ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ فِعْلٍ ، وَلَا يُنْكِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ فِعْلَ مُنْكَرٍ أَتَاهُ .

فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَوَابٌ عَلَى دَعْوَتِهِ إِنَّمَا هُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَعَلَى مَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبِيحِ الْأَعْمَالِ إِلَّا أَنْ قَالُوا لَهُ : إِنَّمَا بَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِي نَعِدُّنَا بِهِ ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَقُولُ مِنْ أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ سَيَنْزِلُ بِنَا .

يَقْطَعُونَ السَّبِيلَ - يَتَعَرَّضُونَ لِلْمَارَّةِ بِالْقَتْلِ وَالسَّلْبِ وَالْإِعْتِدَاءِ .

نَادِيَكُمْ - مَجْلِسَكُمْ وَمُنْتَدَاكُمْ الَّذِي تَجْتَمِعُونَ فِيهِ .

(٣٠) - فَاسْتَنْصَرَ لُوطٌ رَبَّهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُفْسِدِينَ مِنْ قَوْمِهِ ، الَّذِينَ يَسْخَرُونَ مِنْهُ ، وَمِنْ إِذْذَارِهِ لَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ ، إِنْ أَسْتَمَرُّوا عَلَى غَيْبِهِمْ وَضَلَالِهِمْ .

(إِبْرَاهِيمَ) (مُهْلِكُو) (ظَالِمِينَ)

(٣١) - وَلَمَّا جَاءَ رُسُلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ يُبَشِّرُونَهُ بِوَلَادَةِ إِسْحَاقَ ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ، قَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ : إِنَّمَا سَنُهْلِكُ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي يَوْجَدُ فِيهَا لُوطٌ لِأَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ ، بِتَمَادِيهِمْ فِي الْفَسَادِ وَالْمَعَاصِي ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِ اللَّهِ .

(الْغَابِرِينَ)

(٣٢) - فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِمَلَائِكَةِ اللَّهِ الْكَرَامِ : إِنَّ فِي الْقَرْيَةِ الَّتِي يُرِيدُونَ إِهْلَاكَ أَهْلِهَا لُوطًا وَهُوَ لَيْسَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَهُوَ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ . فَقَالَ الرُّسُلُ : إِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَنْ فِي الْقَرْيَةِ مِنَ الْكَافِرِينَ وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّهُمْ سَيَنْجُونَ لُوطًا وَأَهْلَهُ وَمَنْ آمَنَ لَهُ ، مِنَ الْهَالِكِ . إِلَّا أَمْرًا تَهُ فَيَنْهَا سَتَبْقَى فِي الْقَرْيَةِ مَعَ قَوْمِهَا ، وَسَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ (الْغَابِرِينَ) لِمَلَأَتْهَا قَوْمُهَا عَلَى فِعْلِ الْخَبَائِثِ ، وَالْكَفْرِ وَالْبَغْيِ .

الْغَابِرِينَ - الْبَاقِينَ فِي الْقَرْيَةِ ، أَوِ الْهَالِكِينَ .

(٢٩) اِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ

وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ

فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا

كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا

أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ

(٣٠) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى

الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ

(٣١) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ

بِالْبَشَرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا

أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا

كَانُوا ظَالِمِينَ

(٣٢) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا النَّجِيسَةُ

وَأَهْلُهُ إِلَّا أَمْرًا تَهُ

مِنَ الْغَابِرِينَ

(الغَابِرِينَ)

(٣٣) - وَجَاءَ رُسُلُ اللَّهِ إِلَى بَيْتِ لُوطٍ فِي صُورَةِ شُبَّانٍ حَسَّانِ الْوُجُوهِ، فَخَافَ عَلَيْهِمْ لُوطٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَعْتَمَّ لِمَجِيئِهِمْ إِلَيْهِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقْصِدَهُمْ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ بِسُوءٍ، لِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ فَسَادِ قَوْمِهِ، وَلِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ عَجْزِهِ عَنْ جِمَائَتِهِمْ، وَدَفَعَ الْأَذَى عَنْهُمْ. وَلَمَّا رَأَوْا مِنْهُ هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْهَمِّ وَالْقَلَقِ قَالُوا لَهُ: هَوْنٌ عَلَيْكَ، وَلَا تَخَفْ عَلَيْنَا مِنْ قَوْمِكَ، فَإِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ، وَقَدْ جِئْنَا لِنَهْلِكَ قَوْمَكَ لِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا فِي فِعْلِ الْخَبَائِثِ مَبْلَغًا لَا مَطْمَعَ فِي رُجُوعِهِمْ عَنْهُ، وَإِنَّا سَنُنَجِّيكَ وَأَهْلَكَ وَمَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يُصِيبُكُمْ مَكْرُوهٌ. إِلَّا أَنْ أَمْرًا تَكُ سَتَكُونُ مِنَ الْبَاقِينَ فِي الْقَرْيَةِ، وَسَتَهْلِكُ مَعَ قَوْمِهَا لِفَسَادِهَا، وَمُشَارَكَتِهَا قَوْمَهَا فِي فِسَادِهِمْ.

(وَقِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَى أَضْيَافِ لُوطٍ لِيَقْصِدُوهُمْ طَلَبًا لِفِعْلِ الْفَاحِشَةِ).

مِنَ الْغَابِرِينَ - مِنَ الْبَاقِينَ فِي الْقَرْيَةِ - أَوْ مِنَ الْهَالِكِينَ.
سَيِّئٌ بِهِمْ - أَعْتَرَاهُ الْغَمُّ لِمَجِيئِهِمْ إِلَيْهِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ.
ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا - ضَعُفَتْ طَاقَتُهُ عَنْ تَدْبِيرِ خَلَاصِهِمْ.

(٣٤) - وَقَالَ الْمَلَأَيْكَةُ لِلُّوطِ: إِنَّا سَنُنْزِلُ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ تَنْخَلِيعُ لَهُ قُلُوبُهُمْ (رَجْزًا)، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى فِسْقِهِمْ وَفَسَادِهِمْ. فَتَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ، وَغَارَتِ الْقَرْيَةُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، وَتَسَاقَطَتْ عَلَيْهِمُ الْحِجَارَةُ، فَأَصْبَحَ عَلَيْهَا سَافِلُهَا وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَقَامَتْ مَكَانَهَا بُحَيْرَةٌ خَبِيثَةٌ مُتَبَنَّةٌ هِيَ بُحَيْرَةُ لُوطٍ، وَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً لغيرِهِمْ.

(آيَةٌ)

(٣٥) - وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا هَذِهِ الْقَرْيَةَ، وَتَرَكْنَا مِنْهَا آثَارًا ظَاهِرَةً لِيَكُونَ مَا فَعَلْنَاهُ عِبْرَةً بَيْنَهُ، وَعِظَةً زَاجِرَةً لِقَوْمٍ يُبْصِرُونَ قِيْدِرُكُونَ، وَيَتَنَفَّعُونَ بِعُقُولِهِمْ (يَعْقِلُونَ).

(يَا قَوْمِ) (الْآخِرِ)

(٣٦) - وَأَرْسَلْنَا رَسُولَنَا شُعَيْبًا إِلَى مَدْيَنَ فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَأَخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ، وَارْجُوا بِعِبَادَتِكُمْ إِلَهُ الْيَوْمِ وَالْآخِرِ وَنَوَائِبِهِ، وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، وَلَا تَبْغُوا عَلَى أَهْلِهَا، فَتَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، وَتَقْطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى الْمَارَّةِ - كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى - .
الْعَيْثُ - الْفَسَادُ وَالْبَغْيُ.

﴿٣٣﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا

سَيِّئٌ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا

وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا

مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُ

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ

﴿٣٤﴾ إِنَّا أَمْنُ لُوطٍ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ

الْقَرْيَةِ رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ

يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

﴿٣٦﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَارْجُوا الْيَوْمَ وَالْآخِرَ وَلَا

تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

(جَائِمِينَ)

(٣٧) - فَكَذَّبُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِزُلْزَلَةٍ عَظِيمَةٍ أَرْتَجَتْ لَهَا الْأَرْضُ، وَأَرْتَجَفَتْ لَهَا الْقُلُوبُ، وَهَلَكُوا جَمِيعًا، فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ مَوْتَى، لَا حَرَكَ لَهُمْ. أَخَذَتُهُمُ الرَّجْفَةُ - الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ، بِسَبَبِ الصَّيْحَةِ. جَائِمِينَ - هَامِدِينَ، مَيِّتِينَ، لَا حَرَكَ لَهُمْ.

(ثُمُودَ) (مَسَاكِينَهُمْ) (الشَّيْطَانَ) (أَعْمَالَهُمْ)

(٣٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْأَمَمِ الْمُكَذِّبَةِ، وَكَيْفَ أَهْلَكَهُمْ وَأَنْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ، فَقَادًا، قَوْمُ هُودٍ (وَكَانُوا يَسْكُنُونَ فِي الْأَحْقَافِ، فِي مَنَاطِقَ خَصْرَمُوتَ)، أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ مُتَوَاصِلَةٍ فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ. وَثُمُودُ قَوْمٌ صَالِحٌ (وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الْجَبَلَ قُرْبَ وَادِي الْقُرَى) أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا بِالصَّيْحَةِ، وَبَزُلْزَلَةِ الْأَرْضِ بِهِمْ، لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللَّهُ لَهُمْ، بِنَاءٍ عَلَى طَلَبِهِمْ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَاءَ. وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَسَاكِينَ قَوْمِ عَادٍ، وَقَوْمِ ثُمُودَ، وَتَمَرُّ بِهَا فِي تَرْحَالِهَا، وَتَرَى آثَارَ الدَّمَارِ وَالْهَلَاكِ الَّذِي نَزَلَ بِهَا وَبِأَهْلِهَا. وَكَانَ سَبَبُ إِهْلَاكِهِمْ هُوَ مَا رَزَقَهُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ أَعْمَالٍ سَيِّئَةٍ، وَعِبَادَةٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى الْإِدْرَاكِ وَالِاسْتِبْصَارِ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلِذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عُذْرٌ فِي الْعَفْلَةِ، وَغَدَمِ التَّبَصُّرِ فِي الْعَوَاقِبِ. مُسْتَبْصِرِينَ - عُقْلَاءَ مُتَمَكِّنِينَ مِنَ التَّدَبُّرِ.

(قَارُونَ) (هَامَانَ) (بِالْبَيِّنَاتِ) (سَابِقِينَ)

(٣٩) - وَأَذْكُرُ لَهُوْلَاءِ الْمُعْتَرِّينَ بِأَمْوَالِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ كَيْفَ أَهْلَكَ اللَّهُ قَارُونَ صَاحِبَ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ، إِذْ خَسَفَ بِهِ وَبَدَارِهِ وَكُنُوزِهِ الْأَرْضَ، كَمَا أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ وَوَزِيرَهُ هَامَانَ، فَقَدْ جَاءَهُمُ مُوسَى بِالْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ، فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَبَوْا أَنْ يُصَدِّقُوهُ وَأَنْ يُؤْمِنُوا لَهُ، وَلَمْ يَكُونُوا فَائِتِينَ اللَّهُ، وَلَا نَاجِينَ مِنْ عِقَابِهِ، فَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَهُوَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ.

سَابِقِينَ - فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

(٣٧) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ

الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي

دَارِهِمْ جَثْمِينَ

(٣٨) وَعَادًا وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ

لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ

وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ

وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ

(٣٩) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ

فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ

وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ

(٤٠) - وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ فِتْنَةٍ لُونًا مِنَ الْوَانِ الْعَذَابِ يَتَنَاسَبُ مَعَ عُتُوِّهِمْ وَجَرَائِبِهِمْ :

- فَقَوْمٌ عَادُوا كَانُوا يَقُولُونَ : (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا شَدِيدَةً الْبُرُودَةِ (صَرَصَرًا) ، بِأَلْغَةِ الْعُنْفِ وَالْعُتُوِّ (عَاتِيَةً) ، تَحْمِلُ الْحَصْبَاءَ ، وَتَرْمِيهِمْ بِهَا ، فَأَهْلَكَتَهُمْ جَمِيعًا .

- وَقَوْمٌ ثُمُودٌ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ صَالِحًا ، وَتَهَدَّدُوهُ وَعَقَرُوا النَّاقَةَ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً أَهْمَدَتْ أَنْفُسَهُمْ ، وَلَمْ تَرَكَ مِنْهُمْ أَحَدًا .

- وَقَارُونُ طَعَى وَبَغَى وَعَصَى اللَّهَ ، وَمَشَى فِي الْأَرْضِ مَرَحًا فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضُ ، وَأَهْلَكَهُ وَكُنُوزُهُ .

- وَفِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَقَوْمُهُمَا مِنَ الْقِبْطِ أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُقُوبَةُ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَا اجْتَرَحُوهُ مِنَ الْإِجْرَامِ ، وَلَمْ يَظْلِمَهُمُ اللَّهُ فِيهَا فَعَلَّ بِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ ، وَالْبَطْرِ وَالْعُتُوِّ وَالطُّغْيَانِ ، فَأَوْصَلَوْهَا إِلَى الْعَذَابِ وَالْبَلَاءِ الَّذِي حَلَّ بِهَا .

خَاصِبًا - رِيحًا عَاصِفًا تَرْمِيهِمُ بِالْحَصْبَاءِ .

أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ - صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ مُهْلِكٌ مُرْجِفٌ .

(٤١) - ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ ، يَرْجُونَ نَفْعَهُمْ وَنَصْرَهُمْ وَرِزْقَهُمْ ، فَقَالَ : إِنَّ مَثَلَ عَمَلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، مَثَلُ الْعَنْكَبُوتِ الَّتِي اتَّخَذَتْ بَيْتًا تَحْتَمِي بِهِ ، مَعَ أَنَّ بَيْتَهَا هُوَ أَوْهَى الْبُيُوتِ ، وَأَضْعَفُهَا ، وَأَبْعَدُهَا عَنِ الصَّلَاحِ لِتَأْمِينِ الْجِمَاسَةِ . وَلَوْ عَلِمَ الْمُشْرِكُونَ حَقِيقَةَ حَالِهِمْ لَمَّا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ لَا يُغْنُونَ عَنْهُمْ شَيْئًا ، لَكِنَّ الْجَهْلَ بَلَغَ مِنْ هَؤُلَاءِ حَدًّا لَا يَسْتَطِيعُونَ مَعَهُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

(٤٢) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ حَالَ مَا يَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ عِبَادَتَهَا لَا تَنْفَعُهُمْ شَيْئًا وَلَا تَضُرُّهُمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ نَفْعًا أَوْ ضَرًّا ، وَمَثَلُهَا فِي قَلْبِ نَفْعِهَا كَمَثَلِ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ فِي ضَعْفِهِ ، وَقَلْبِ نَفْعِهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَزِيزُ فِي أَنْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ ، وَتَدْبِيرِهِ أُمُورَ خَلْقِهِ .

﴿٤٠﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ

مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ

مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ

وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

﴿٤١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ

اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا

وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ

الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ

﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ

دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ

(الْأَمْثَالُ) (الْعَالِمُونَ)

(٤٣) - وَهَذَا الْمَثَلُ، وَمَا مَثَلُهُ مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي أَشْتَمَلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، إِنَّمَا ضَرَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ لِيُقَرَّبَ مِنْ أَفْهَامِهِمْ مَا بَعْدَ عَنْهَا، وَلِيُوضَّحَ لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ، وَأَسْتَعَصَى عَلَيْهِمْ فَهْمُهُ، وَهَذِهِ الْأَمْثَالُ الَّتِي يَضْرِبُهَا اللَّهُ لِلنَّاسِ لَا يَفْهَمُهَا، وَيُدْرِكُ مَعْنَاهَا وَمَغْزَاهَا، إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، الْمُتَدَبِّرُونَ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ.

(السَّمَاوَاتِ) (لَايَةٌ)

(٤٤) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَهُوَ إِنَّمَا خَلَقَهَا لِجُحْمَةٍ وَقَوَائِدٍ يُقَدِّرُهَا هُوَ سُبْحَانَهُ، وَلَمْ يَخْلُقْهَا لِلْعَبَثِ، وَلَا لِلْعِبْ وَالتَّسْلِيَةِ، وَلَا يَفْهَمُ هَذِهِ الْأَسْرَارَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَدِلُّونَ بِالْآثَارِ عَلَى مُؤَثِّرَاتِهَا، وَبِالْخَلْقِ عَلَى خَالِقِهِ.

(الْكِتَابِ) (الصَّلَاةِ)

(٤٥) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ يُوجِّهُ خِطَابَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ، بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ تَعَالَى: وَأَدِّمْ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِتِلَاوَتِهِ، وَتَذَكُّرًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْفَوَائِدِ، وَأَعْمَلٌ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالْأَدَابِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ، وَأَدِّهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ بِخُشُوعِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، لِأَنَّ الصَّلَاةَ إِن تَمَّتْ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ كَانَتْ لَهَا فَايْدَتَانِ:

- أَنَهَا تَنْتَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ وَتَحْمِلُ الْمُؤْمِنَ عَلَى مُجَانِبَتِهَا، وَتَرْكُهَا لِمُنَافَاةِ الصَّلَاةِ لِفِعْلِ الْفَاحِشَةِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ.
- وَفِيهَا فَائِدَةٌ أَعْظَمُ، أَلَا وَهِيَ ذِكْرُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَهُ، وَيُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ بِشُرُوطِهَا، وَيُسَبِّحُونَهُ وَيُحَمِّدُونَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِهِ.

(تُجَادِلُوا) (الْكِتَابِ) (آمَنَّا) (وَاحِدٌ)

(٤٦) - قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَسْخُوحَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ. وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّهَا بَاقِيَةٌ مُحْكَمَةٌ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمُجَادَلَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى (أَهْلِ الْكِتَابِ) الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْمَعْرِفَةَ وَالِاسْتِبْصَارَ فِي الدِّينِ، بِالْبَلِينِ وَالرَّفْقِ، أَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَعَانَدُوا، وَأَرَادُوا بِمُجَادَلَتِهِمُ الْإِسَاءَةَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَإِيْذَاءَ الْمُسْلِمِينَ فَهَؤُلَاءِ يُجَادَلُونَ بِالسَّيْفِ.

٤٣ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعَالِمُونَ

٤٤ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ

٤٥ أَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ
تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ



٤٦ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا
وَأَنْزِلْ إِلَيْكُمْ وَلِأَنَّهُنَّ
وَاللَّهُمَّ وَحْدُوْنَهُ مُسْلِمُونَ

(وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْمَقْصُودُ بِالَّذِينَ ظَلَمُوا هُنَا: الَّذِينَ عَادُوا الرُّسُولَ، وَقَاتَلُوهُ، وَأَذَوْهُ، فَيَحَارِبُونَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُسْلِمُوا، أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ).

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: إِذَا جَادَلْتُمْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِمَا فِي دِينِهِمْ وَكِتَابِهِمْ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ صِدْقَ مَا يَقُولُ فَقُولُوا لَهُ: آمَنَّا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِنَا، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ إِلَهَانَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ، وَقَدْ أَسْلَمْنَا إِلَيْهِ وَجُوهَنَا، وَخَضَعْنَا لَهُ خُضُوعًا تَامًا. (وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَصْدُقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا... (الآيَةُ).

(الْكِتَابِ) (آيَاتُهَا) (بَيِّنَاتُهَا) (الْكَافِرُونَ)

(٤٧) - كَمَا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ السَّابِقَ عَلَى مَنْ جَاءَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ يَا مُحَمَّدُ، فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِمْ أَنَّ اللَّهَ سَمِعَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا عَلَى رَسُولِهِ. وَمِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ، مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا يُكَذِّبُ بَيِّنَاتِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ يَجْحَدُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَيَكْفُرُ بِاللَّهِ، وَيُنْكِرُ وَحْدَانِيَّتَهُ عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا.

(تَتْلُو) (كِتَابِ)

(٤٨) - لَقَدْ لَبِثْتُ فِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ عُمُرًا طَوِيلًا قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ، وَأَنْتَ لَا تَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا تَعْرِفُ كِتَابَةً، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ قَوْمِكَ يَعْرِفُ أَنَّكَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ - وَكَذَلِكَ كَانَتْ صِفَةُ الرُّسُولِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ - لَمْ تَعْرِفِ الْقِرَاءَةَ وَلَا الْكِتَابَةَ. وَلَوْ أَنَّكَ كُنْتَ تَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ لَارْتَابَ أَهْلُ الْبَاطِلِ مِنَ جَهْلَةِ النَّاسِ، وَلَقَالُوا: إِنَّهُ رَبُّمَا اقْتَبَسَ مَا يَقُولُ مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ. وَلَكِنْ لَمَّا كُنْتَ أُمِّيًّا فَإِنَّهُ لَمْ يَعُدْ لَارْتِيَابِهِمْ وَجْهٌ مَقْبُولٌ.

(آيَاتِ) (بَيِّنَاتِ) (بَيِّنَاتُهَا) (الظَّالِمُونَ)

(٤٩) - وَهَذَا الْقُرْآنُ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ، وَاصْطَحَاتُ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِّ، يَحْفَظُهَا الْعُلَمَاءُ، وَقَدْ يَسَّرَهُ اللَّهُ حِفْظًا وَبَيِّنَةً، وَمَا يُكَذِّبُ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَيَرْفُضُهَا، وَيَبْخَسُهَا حَقَّهَا إِلَّا الْمُعْتَدُونَ الظَّالِمُونَ، الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَيَحِيدُونَ عَنْهُ.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ

وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ

وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ

بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ

(آيَاتُ) (الآيَاتُ)

(٥٠) - وَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ تَعْتَبُ: هَلَّا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَ مِثْلَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ السَّابِقِينَ، كَنَافَةِ صَالِحٍ، وَعَصَا مُوسَى... فَيَكُونُ ذَلِكَ حُجَّةً وَبُرْهَانًا عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يُجِيبَهُمْ: إِنَّ أَمْرَ حُدُوثِ الْمُعْجَزَاتِ (الآيَاتِ) يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَوْ أَنَّهُ عَلِمَ أَنَّكُمْ سَأَلْتُمْ أَسْتَبْصَارًا وَتَعَلُّمًا، وَطَلَبًا لِرِيَازَةِ الْبَقِيَّةِ، لِأَجَابِكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ، لَأَنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّكُمْ إِنَّمَا قَصَدْتُمْ بِذَلِكَ التَّعَنُّتَ وَالتَّعْجِيزَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يُجِيبُكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِأَنْ يَقُولَ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ: إِنَّهُ رَسُولٌ مَهْمَّتُهُ إِبْلَاحُ رِسَالَةِ رَبِّهِ إِلَى مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْ يُنْذِرَهُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَبَاسَهُ، إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَلَيْسَ مِنْ مَهْمَّتِهِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ حَمَلًا.

(الْكِتَابُ)

(٥١) - أَمَّا كَفَاهُمْ آيَةً وَدَلِيلًا عَلَى صِدْقِكَ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَفِيهِ خَبَرٌ مِّنْ قَبْلِهِمْ، وَفِيهِ أَخْبَارٌ مَا فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ كَمَا أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَفِيهِ بَيَانٌ لِّمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْهَا، وَأَنْتَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ لَا تَقْرَأُ وَلَا تَكْتُبُ، وَلَمْ تُخَالِطْ أَهْلَ الْكِتَابِ. وَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ لِرَحْمَةِ النَّاسِ، وَلِبَيَانِ الْحَقِّ، وَإِزْهَاقِ الْبَاطِلِ، وَجَاءَ فِيهِ تَذْكِرَةٌ بِعِقَابِ اللَّهِ الَّذِي حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ قَبْلَهُمْ، وَبِمَا سَيَحِلُّ بِالْكُفَّارِ الْمُعَانِدِينَ الظَّالِمِينَ.

(السَّمَاوَاتِ) (آمَنُوا) (بِالْبَاطِلِ) (أُولَئِكَ) (الْخَاسِرُونَ)

(٥٢) - وَقُلْ لَهُمْ حَسْبِيَ وَحَسْبُكُمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى عَالِمًا بِمَا صَدَرَ مِنِّي مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ، وَنُذْرِهِ إِلَيْكُمْ، وَبِمَا صَدَرَ مِنْكُمْ مِنْ مُقَابَلَةِ ذَلِكَ بِالتَّكْذِيبِ وَالْجُحُودِ، وَهُوَ يَجْزِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ. وَإِنِّي لَوَكْتُ كَاذِبًا لَا تَنْتَقِمُ مِنِّي. وَلَكِنِّي صَادِقٌ فِيمَا أَقُولُهُ عَنْ رَبِّي، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤَيِّدُنِي بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْذَّلَائِلِ عَلَى صِدْقِ بُيُوتِي، وَهُوَ تَعَالَى يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَعْلَمُ مَا تَنْسُبُونَهُ إِلَيَّ مِنَ التَّقْوِيلِ عَلَيْهِ. وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، مَعَ تَظَاهُرِ الْأَدِلَّةِ عَلَى وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَيَكْفُرُونَ بِرَسُولِهِ مَعَ تَعَاصِدِ الْبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِهِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْخَاسِرُونَ أَعْمَالًا، وَسَيَلْقَوْنَ جَزَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٥٠ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ

ءَايَاتٍ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا
الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ

٥١ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

٥٢ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

(٥٣) - وَتَحَدَّاكَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ أَنْ تُعَجِّلَ لَهُمْ بِنُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ. وَقَدْ قَالُوا مَرَّةً: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ؟﴾^(١)، وَقَالُوا مَرَّةً أُخْرَى: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جِبَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَتِنَا بِعَذَابِ الْيَمِّ...﴾^(٢).

وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: إِنَّ حِكْمَتَهُ تَعَالَى قَدْ أَقْتَضَتْ أَنْ يُحَدِّدَ لَهُمْ أَجَلًا مُعَيَّنًا لِعَذَابِهِمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابَ حِينَ اسْتَعْجَلُوا بِهِ، وَسَيَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ، دُونَ شَكِّ، بِصُورَةٍ مُفَاجِئَةٍ لَهُمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهِ.

أَجَلٌ مُّسَمًّى - هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
بَغْتَةً - فَجَاءَةً.

(بِالْكَافِرِينَ)

(٥٤) - يَسْتَعْجِلُونَكَ بِإِنزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ، لَا مَحَالَةَ، وَلَوْ عَلِمُوا مَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ لَمَّا تَمَنَّوْا اسْتَعْجَالَ الْعَذَابِ، وَلَعَمِلُوا جُهِدَهُمْ لِلْخَلَّاصِ مِنْهُ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ سَتُحِيطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْكَافِرِينَ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ

(يَغْشَاهُمْ)

(٥٥) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ، وَيُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ: مِنْ فَوْقِهِمْ، وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، وَعَنْ مِيَامِنِهِمْ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ، وَيَقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ: ذُوقُوا الْعَذَابَ الَّذِي أَوْصَلَكُمْ إِلَيْهِ سُوءُ عَمَلِكُمْ.

يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ - يُجَلِّلُهُمْ وَيُحِيطُ بِهِمْ.

(يَا عِبَادِي) (آمَنُوا) (وَأَسِعَةً) (فَيَأْتِي)

(٥٦) - يَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهَجْرَةِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ لَا يَقْدِرُونَ فِيهِ عَلَى إِقَامَةِ الشَّعَائِرِ الدِّيْنِيَّةِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ، يَسْتَطِيعُونَ فِيهِ إِقَامَةَ شَعَائِرِ دِينِهِمْ كَمَا أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: الْبِلَادُ بِلَادُ اللَّهِ، وَالْعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ، حَيْثُمَا أَصَبَتْ خَيْرًا فَأَيْمٌ). (أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ

يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ

(١) سورة يس، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

(ذَاقَةُ)

(٥٧) - وَأَيْنَمَا كُنْتُمْ يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ، فَكُونُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَحَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، فَالْمَوْتُ آتٍ لَا مَحَالَةَ، وَلَا مَقَرٌّ مِنْهُ وَلَا مَهْرَبٌ، ثُمَّ تَرْجَعُونَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعِنْدَهُ الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ) (الْعَامِلِينَ)

(٥٨) - وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ فَأَطَاعُوهُ فِيهِ، وَأَنْتَهَوْا عَمَّا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَعِدُهُمْ وَعَدًا حَقًّا أَنَّهُ سَيَنْزِلُهُمْ فِي الْجَنَّةِ قُصُورًا، وَأَمَاكِينَ مُرْتَفِعَةً (غُرَفًا) تَجْرِي فِي أَرْضِهَا الْأَنْهَارُ وَسَيَقْبُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوا.

وَمَا حَصَلُوا عَلَيْهِ مِنْ جَزَاءٍ كَرِيمٍ هُوَ نِعْمَ الْأَجْرُ لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا. لِنُبُوَّتِهِمْ - لِنُزُولِهِمْ عَلَى وَجْهِ الْإِقَامَةِ. غُرَفًا - مَنَازِلَ رَفِيعَةً عَالِيَةً.

(٥٩) - وَهَؤُلَاءِ الْعَامِلُونَ، الَّذِينَ فَازُوا بِغُرَفَاتِ الْجَنَّةِ، هُمْ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى أذى الْمُشْرِكِينَ، وَعَلَى شِدَائِدِ الْهَجْرَةِ، وَعَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّهِمْ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ.

(وَكَايُ)

(٦٠) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الرِّزْقَ لَا يَخْتَصُّ بِقُضْعَةٍ دُونَ غَيْرِهَا، وَأَنَّ رِزْقَ اللَّهِ لِيَخْلِقَ بِصَلِّ إِلَيْهِمْ حَيْثُمَا كَانُوا، فَكَمْ مِنْ دَابَّةٍ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْغِذَاءِ وَالْمَطْعَمِ، وَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ جَمْعَ قُوَّتِهَا، وَلَا حَمْلَهُ وَلَا أَذْخَارَهُ إِلَى غِذَاهَا، اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ يَوْمَ يَبْرُمُ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِقَوْلِ الْعِبَادِ، الْعَلِيمُ بِحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَاتِهِمْ.

(رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَكَّةَ حِينَ آذَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ: أَخْرَجُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَهَاجِرُوا وَلَا تَجَاوَرُوا الظُّلْمَةَ. قَالُوا: لَيْسَ لَنَا بِهَا دَارٌ وَلَا عَقَارٌ، وَلَا مَنْ يُطْعِمُنَا، وَلَا مَنْ يَسْقِينَا، فَانْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ).

(لَئِنْ) (السَّمَاوَاتِ)

(٦١) وَلَئِنْ سَأَلْتَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَسَوَّاهُنَّ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ ذَاتَيْنِ لِمَصَالِحِ خَلْقِهِ؟ لَيَقُولُنَّ: الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ كُلَّهُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يَذْكُرُونَ أَحَدًا سِوَاهُ. وَإِذَا كَانُوا قَدِ اعْتَرَفُوا بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ، فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ

٥٧ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تَرْجَعُونَ

٥٨ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

٥٩ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

٦٠ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

٦١ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ

الهدى والحق، وَعِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؟
فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ - فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ.

(٦٢) - إِنَّ اللَّهَ يُوسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيَقْتَرُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ (يَقْدِرُ)، حَسْبَمَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ بِالصَّالِحِ، فَلَا رِزْقَ وَاقِسَمَتُهَا بِيَدِ اللَّهِ، لَا بِيَدِ أَحَدٍ سِوَاهُ، فَلَا يُؤْخِرُكُمْ عَنِ الْهَجَرَةِ وَجَهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ خَوْفُ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، فَمَنْ خَلَقَ الْكَائِنَاتِ لَا يَعْجَزُ عَنْ أَرْزَاقِهَا، وَهُوَ تَعَالَى الْعَلِيمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، فَيَعْلَمُ مَنْ يَصْلِحُهُ بَسْطَ الرِّزْقِ، وَمَنْ يُقْسِدُهُ. يَقْدِرُ لَهُ - يُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ.

(لِئِنْ)

(٦٣) - وَإِذَا سَأَلْتَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: مَنْ يُنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ الْمَطَرَ، فَيُخْبِي بِهِ الْأَرْضَ الْمَوَاتِ، فَتُصْغِحُ خُضْرَاءَ النَّبْتِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ النَّبَاتِ، لَيَقُولُنَّ: اللَّهُ هُوَ الْمَوْجِدُ لِسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَكِنَّهُمْ، مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِهَذَا، يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ، الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَلْقِ.

فَقُلْ لَهُمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِظْهَارِ الْحُجَّةِ، وَعَلَى اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْقِلُونَ مَا يَقْعُونَ فِيهِ مِنْ تَنَاقُضٍ، وَأَنَّ الْأَصْنَامَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا لَا تَمْلِكُ لَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا تَسْتَجِيبُ أَنْ يَعْبُدَهَا الْبَشَرُ.

(الْحَيَاةُ) (الْآخِرَةُ)

(٦٤) - يُخْبِرُ تَعَالَى الْخَلْقَ عَنْ حَقَارَةِ الدُّنْيَا وَزَوَالِهَا، فَيَقُولُ: إِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا شَيْءٌ مُنْقَضٌ زَائِلٌ عَمَّا قَرِيبٍ، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، الَّتِي لَا زَوَالَ لَهَا، وَلَا انْقِطَاعَ، وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ لَمَا آثَرُوا الْحَيَاةَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ. لَهُوَ وَلَعِبٌ - لَذَائِدُ مُتَصَرِّمَةٍ، وَعَبَثٌ بَاطِلٌ. لِهِيَ الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ الْخَالِدَةُ.

(نَجَاهُمْ)

(٦٥) - وَالْمُشْرِكُونَ يُؤْخِرُونَ حَيَاةَ الْعَبَثِ وَاللَّهُوِي الرِّخَاءِ، وَلَكِنَّهُمْ جِئِنَ آتِيَانَهُم بِالشَّدَائِدِ: كَرُكُوبِهِمُ الْبَحْرَ، وَخَوْفِهِمُ مِنَ الْغَرَقِ فِيهِ، فَإِنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ، وَيَعْلِنُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا قَادِرَ عَلَى حِفْظِهِمْ وَإِنْجَاتِهِمْ مِنَ الْمَهَالِكِ غَيْرِهِ، فَيَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا خَرَجُوا مِنَ الْبَحْرِ عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَالْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ. الدِّينُ - الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ.

٦٢ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

٦٣ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

٦٤ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

٦٥ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ

(اتَيْنَاهُمْ)

(٦٦) - وَلَيَكْفُرْ هَؤُلَاءِ بِمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ، وَلَيُجْحَدُوا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِإِنْجَالِهِمْ مِنَ الْعَرَقِ، وَلَيَمْتَنِعُوا بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَتَوَادُّهِمْ عَلَيْهَا، فَسَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ حِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ وَالْعِقَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(آمِنًا) (أَفْبَالُ الْبَاطِلِ)

(٦٧) - أَوْ لَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ مَا خَصَّصْنَاهُمْ بِهِ مِنَ النِّعَمِ، فَاسْكَنَاهُمْ بِلَدًا حَرَمْنَا عَلَى النَّاسِ أَنْ يَدْخُلُوهُ لِعَارَةِ أَوْ لِحَرْبٍ، وَجَعَلْنَا مِنْ سَكَنِهِ آمِنًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ خَائِفُونَ، يُقْتَلُونَ وَيُسَبَّوْنَ، وَتُسَلَبُ أَمْوَالُهُمْ، فَكَيْفَ لَا يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَى بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَالْإِقْلَاعِ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ وَالشِّرْكِ، وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ يَتَخَفَتُ النَّاسُ - يُسْتَلَبُونَ قَتْلًا وَأَسْرًا.

(لِلْكَافِرِينَ)

(٦٨) - وَلَا أَحَدٌ أَكْثَرَ ظُلْمًا مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ إِنَّهُ أَوْحِيَ إِلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَوْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ شَرِيكًا، أَوْ قَالَ - إِذَا فَعَلَ فَاِحِشَةً - إِنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِهَا، أَوْ كَذَبَ بِكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ دُونَ أَنْ يَتَمَعَّنَ فِيهِ، وَدُونَ أَنْ يُحَاوِلَ فَهْمَ مَقَاصِدِهِ وَمَعَانِيهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَحَقَّ بِالْعِقَابِ وَالْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُفْتَرِينَ. مَثْوَى لِلْكَافِرِينَ - مَكَانٌ يَثْوُونَ فِيهِ وَيُقِيمُونَ.

(جَاهِدُوا)

(٦٩) - أَمَّا الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَجَاهَدُوا الْكُفَّارَ، وَبَذَلُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعِدُهُمْ بِأَنْ يَزِيدَهُمْ هِدَايَةً إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَتَوْفِيقًا لِسُلُوكِهَا. وَاللَّهُ تَعَالَى مَعَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلُهُ مِنْ عِبَادِهِ، يُعِينُهُ وَيَنْصُرُهُ.

٦٦ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَمْتَنِعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

٦٧ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ

٦٨ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ

٦٩ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ

فهرس الجزء الثاني

السورة	رقمها	صفحة
يونس	١٠	٤٩٥
هود	١١	٥٢٥
يوسف	١٢	٥٥٤
الرعد	١٣	٥٨٢
إبراهيم	١٤	٥٩٦
الحجر	١٥	٦١٠
النحل	١٦	٦٢٧
الإسراء	١٧	٦٦٣
الكهف	١٨	٦٩٩
مريم	١٩	٧٢٧
طه	٢٠	٧٤٨
الأنبياء	٢١	٧٧٨
الحج	٢٢	٨٠٣
المؤمنون	٢٣	٨٢٧
النور	٢٤	٨٥٢
الفرقان	٢٥	٨٧٩
الشعراء	٢٦	٨٩٩
النمل	٢٧	٩٣٠
القصص	٢٨	٩٥١
العنكبوت	٢٩	٩٧٤

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ألف. لام. ميم)

(١) - وَتُقرأُ مُقَطَّعةً. كُلُّ حَرْفٍ عَلَى جِدَةٍ. اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(٢) - فِي أَوَّلِ عَهْدِ الْإِسْلَامِ، وَقَبْلَ الْهَجْرَةِ، جَرَتْ حَرْبٌ بَيْنَ الْفُرسِ وَالرُّومِ فِي أَرْضِ فَلَسْطِينَ، انْتَصَرَ فِيهَا الْفُرسُ انْتِصَارًا سَاجِقًا، وَتَابَعُوا مُطَارَدَةَ الرُّومِ حَتَّى حَاصَرُوا الْقِسْطَنْطِينِيَّةَ، وَقَدْ حَزَنَ الْمُسْلِمُونَ لَا نَكْسَارِ الرُّومِ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ وَأَظْهَرُوا الشَّمَانَةَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَالرُّومُ أَهْلُ كِتَابٍ، وَنَحْنُ أُمِّيُونَ، وَقَدْ ظَهَرَ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ، عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِنِّكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمُونَا لَنُظْهَرَ عَلَيْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ.

(٣) - لَقَدْ غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومِ فِي أَقْرَبِ أَرْضِ الرُّومِ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ (أَذْنَى الْأَرْضِ) - وَكَانَتْ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ وَلَكِنَّ الرُّومَ سَيَغْلِبُونَ الْفُرسَ، خِلَالَ بَضْعِ سِنِينَ (وَالْبَضْعُ تَسْتَعْمِلُهَا الْعَرَبُ لِمَا بَيْنَ الثَّلَاثِ وَالْتَّسْعِ)، وَكَانَتْ غَلَبَةُ الرُّومِ لِلْفُرسِ خِلَالَ تِسْعِ سَنَوَاتٍ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ. وَقَدْ تَرَاهُنَّ أَبُو بَكْرٍ مَعَ أَبِي بَنٍ خَلَفٍ (وَهُوَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) عَلَى تَحْقِيقِ غَلَبِ الرُّومِ خِلَالَ تِسْعِ سَنَوَاتٍ، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، عَلَى مِثَّةِ نَاقَةٍ، فَرِحَ أَبُو بَكْرٍ الرَّهْآنَ، وَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ.

أَذْنَى الْأَرْضِ - أَقْرَبِ أَرْضِ الرُّومِ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ.

(يَوْمَئِذٍ)

(٤) - وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ غَلَبِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ، وَمِنْ بَعْدِهِ، فَمَنْ غَلَبَ فَإِنَّهُ يَغْلِبُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَضَائِهِ، وَيَوْمَ تَغْلِبُ الرُّومُ الْفُرسَ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ مَنْ لَهُ كِتَابٌ عَلَى أَهْلِ الشُّرْكِ، وَسَيَكُونُ ذَلِكَ فَلَاءً حَسَنًا لِعَلْبَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ.

١ الم

٢ غَلَبَتِ الرُّومُ

٣ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ

عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ

٤ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ

مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ

يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ

(٥) - وَيَوْمَ تَنْتَصِرُ الرُّومُ عَلَى الْفَرَسِ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ يَنْصُرُ اللَّهُ إِخْوَانَهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْمَجُوسِ ، وَاللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ فَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَالْإِنْتِقَامِ ، وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ عَلَيْهِ وَحَدَّهُ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَيْهِ ، وَيَرْجِعُونَ عَمَّا كَانُوا يَجْتَرِحُونَهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ .

(٦) - وَهَذَا الَّذِي أَخْبَرَكَ بِهِ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَنَّهُ سَيَنْصُرُ الرُّومَ عَلَى الْفَرَسِ ، هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا ، لِأَنَّ سُنَّتَهُ قَدْ جَرَتْ بِأَن يَنْصُرَ أَقْرَبَ الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ ، وَيَجْعَلَ لَهَا الْعَاقِبَةَ . وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ لِجَهْلِهِمْ ، وَعَدَمِ تَفَكُّرِهِمْ فِي النُّوَامِيسِ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ فِي الْكَوْنِ .

(ظَاهِرًا) (الْحَيَاةِ) (غَافِلُونَ)

(٧) - وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ إِلَّا بِالْأُمُورِ الدُّنْيَا: كَتَذْيِيرِ مَعَاشِهِمْ ، وَتَنَمِّيَةِ مَتَاجِرِهِمْ ، وَاسْتِثْمَارِ مَزَارِعِهِمْ . وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ أُمُورِ الدِّينِ ، وَمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، كَأَن أَعْدَهُمْ مُغْفَلٌ لَا عَقْلَ لَهُ .

(السَّمَاوَاتِ) (بِلِقَاءِ) (لَكَافِرُونَ)

(٨) - أَوَلَمْ يَتَفَكَّرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ ، مِنْ قَوْمِكَ ، فِي خَلْقِ اللَّهِ لَهُمْ ، وَلَمْ يَكُونُوا شَيْئًا ، وَتَعْهَدِهِ لَهُمْ ، حَتَّى صَارُوا كَامِلِي الْخَلْقِ وَالْعَقْلِ . إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَهُمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا ، ثُمَّ يَتَعَفَّاهُمْ لِحِجَازِي كُلِّ غَاطِلٍ بِعَمَلِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ أَحَدًا ، فَلَا يَعَاقِبُ مَنْ لَمْ يَزْنِكْ ذَنْبًا ، وَهُوَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلَّا بِالْعَدْلِ ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ ، إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى . فَإِذَا جَاءَ الْأَجَلُ أَفْنَى اللَّهُ ذَلِكَ الْخَلْقَ كُلَّهُ ، وَبَدَّلَهُ ، فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، وَحَشَرَ النَّاسَ لِلْحِسَابِ ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ غَفَلُوا عَنْ الْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ حِسَابٍ وَجَزَاءٍ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَلَوْ تَفَكَّرُوا فِيهَا ، وَدَرَسُوا عَجَائِبَهَا لَأَيَقَنُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ . أَجَلٌ مُّسَمًّى - وَقْتُ مُقَدَّرٍ لِبَقَائِهَا .

(عَاقِبَةُ) (بِالْبَيِّنَاتِ)

(٩) - أَوَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِوُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَبِرِسَالَةِ الرُّسُلِ ، الْغَافِلُونَ عَنْ الْآخِرَةِ ، فِي الْبِلَادِ الَّتِي يَقْصِدُونَهَا لِلتَّجَارَةِ ،

يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُم عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ
اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ
لَكَافِرُونَ

أَوَلَمْ يَسِرُّوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا

فَيَنْظُرُوا إِلَى آثَارِ عِقَابِ اللَّهِ لَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَمَمِ الْمُكَذِّبَةِ: كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْ قَوْمِكَ قُوَّةً، وَحَرَّتُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرَهَا كَفَّارُ فَرِيضٍ، ثُمَّ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ بِظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ.
أَثَارُوا الْأَرْضَ - حَرَّتُوهَا وَقَلَبُوهَا لِلزَّرَاعَةِ.

(عَاقِبَةُ) (أَسَاؤُهَا) (بَيِّنَات) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(١٠) - وَكَانَتْ عَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ الْمُسِيئِينَ الْمُكَذِّبِينَ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ، سَيِّئَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، وَاسْتَهْزَائِهِمْ بِرُسُلِهِمْ عَتَوْا وَاسْتَكْبَرُوا.
السَّوْءُ - الْعُقُوبَةُ الْمُتَنَاهِيَةُ فِي السَّوْءِ - وَهِيَ النَّارُ.

(يَبْدَأُ)

(١١) - لَقَدْ أَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ وَأَوْجَدَهُ بِقُدْرَتِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا مُعِينَ لَهُ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ يُعِيدُ خَلْقَهُ مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ فَنَائِهِ وَإِعْدَامِهِ. ثُمَّ يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ وَيُرْجِعُهُمْ إِلَيْهِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلِيُجْزِيَ كُلًّا بِعَمَلِهِ.

(١٢) - وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُجْرِمُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَقْفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَاكِتِينَ، وَهُمْ يَشْعُرُونَ بِالْيَأْسِ وَالْخِزْيِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَا يَقُولُونَ دِفَاعاً عَنْ أَنْفُسِهِمْ.
أَبْلَسَ - سَكَتَ وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ - أَوْ يَيْسَ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

(شُرَكَائِهِمْ) (شُفَعَاءُ) (كَافِرِينَ)

(١٣) - وَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا مِنَ الْإِلَهِاتِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا، وَيُشْرِكُونَهَا بِالْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ، يَتَقَدَّمُ لِيُشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَيُنْقِذَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَحِينَئِذٍ يَكْفُرُ الْمُجْرِمُونَ بِالشُّرَكَاءِ، وَيَتَبَرَّوْنَ مِنْهُمْ.
(أَوْ أَنَّ الْمَعْبُودِينَ يَكْفُرُونَ بِعِبَادَةِ الْمُجْرِمِينَ إِيَّاهُمْ).

(يَوْمَئِذٍ)

(١٤) - وَحِينَئِذَا تَقُومُ السَّاعَةُ، وَيَتِمُّ الْحِسَابُ، يُوجَّهُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ، فَيَفْتَرِقُ أَهْلُ الْإِيمَانِ عَنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، فَلَا لِقَاءَ بَيْنَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا.

أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

﴿١٠﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا

السَّوْءِ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ

﴿١١﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿١٢﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ

الْمُجْرِمُونَ

﴿١٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ

شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ

كَافِرِينَ

﴿١٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ

بِنُفُورِهِمْ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(١٥) - فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَكَتَبَهُ وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّاتِ يَنْعَمُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ .
يُحْبَرُونَ - يَنْعَمُونَ أَوْ يَتَمَتَّعُونَ .

(بَيَّاتِنَا) (لِقَاءِ) (الْآخِرَةِ) (فَأُولَئِكَ)

(١٦) - وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ عَنْهُ أَبَدًا .

مُحْضَرُونَ - تُحْضِرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْعَذَابِ وَلَا يَغِيبُونَ عَنْهُ أَبَدًا

(فَسُبْحَانَ)

(١٧) - هُنَا يُوجَّهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْظَرَ الْعِبَادَ إِلَى تَسْبِيحِهِ، وَتَتَزَيُّهِهِ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ .

(السَّمَاوَاتِ)

(١٨) - وَهُوَ الْحَقِيقُ بِالْحَمْدِ، وَالشُّكْرِ، وَالثَّنَاءِ، مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَاحْمَدُوهُ وَنَزِّهُوهُ وَقْتَ اسْتِدَادِ الظَّلَامِ فِي اللَّيْلِ (عَشِيًّا)، وَوَقْتَ الظُّهَيْرَةِ جِئِ اسْتِدَادِ الضِّيَاءِ .

(يُحْيِي)

(١٩) - فَهُوَ تَعَالَى الْقَادِرُ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ وَأُضْدَادِهَا، لِيَدُلَّ بِذَلِكَ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ إِخْرَاجُهُ النَّبَاتِ الْحَيِّ مِنَ الْحَبِّ الْمَيِّتِ، وَإِخْرَاجُهُ الْحَبِّ الْمَيِّتِ مِنَ النَّبَاتِ الْحَيِّ، وَيُحْيِي الْأَرْضَ الْمَوَاتَ بِمَاءِ الْمَطَرِ الَّذِي يُنْزِلُهُ مِنَ السَّحَابِ، فَتُخْرِجُ الْأَرْضُ النَّبَاتَ الرُّطْبَ الْغَضَّ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صَعِيدًا جُرْزًا. وَكَمَا أَحْيَا اللَّهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَأَخْرَجَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، وَيَبْعَثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .

(آيَاتِهِ)

(٢٠) - وَمِنْ حُجَجِهِ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ إِفْنَاءِ وَإِبْجَادِ، أَنَّهُ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ لَا حَيَاةَ فِيهِ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ يُخْلَقُونَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ضَعِيفٍ، ثُمَّ يُقَلَّبُهُمْ فِي بُطُونِ أُمَهَاتِهِمْ فِي أَطْوَارِ شَتَّى إِلَى أَنْ يُخْرَجُوا أَطْفَالًا، ثُمَّ يَنْطَوِّرُونَ فِي نُمُوهُمْ، ثُمَّ يَنْتَشِرُونَ فِي الْأَرْضِ لِلْعَمَلِ فِيهَا كَسْبًا لِمَعَاشِهِمْ، وَإِعْمَارًا لَهَا .
تَنْتَشِرُونَ - تَنْصَرِفُونَ فِي شُؤْنِ حَيَاتِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ .

١٥ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ
يُحْبَرُونَ

١٦ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي
الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ

١٧ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ

وَحِينَ تُصْبِحُونَ

١٨ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ

١٩ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ

الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ

٢٠ وَمِنْ ءَايَاتِهِ ءَنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْتَشِرُونَ

(آيَاتِهِ) (أَزْوَاجًا) (لَايَاتِ)

(٢١) - وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى الْبَعْثِ وَالْإِعَادَةِ، أَنَّهُ خَلَقَ لِلْبَشَرِ أَزْوَاجًا مِنْ جَنْسِهِمْ، لِيَأْنُسُوا بِهِمْ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوَاجِهِمْ مَحَبَّةً وَرَأْفَةً (مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)، لِيَدُومَ الْحَيَاةُ الْمَنْزِلِيَّةُ. وَفِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ خَلْقٍ مِنْ تُرَابٍ، وَخَلَقَ لِلْأَزْوَاجِ مِنَ الْأَنْفُسِ... وَجَعَلَ الْمَوَدَّةَ وَالرَّحْمَةَ تَسُودُ عِلَاقَاتِ الْأَزْوَاجِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ... لَعِبْرَةٌ لِمَنْ تَأَمَّلَ فِي ذَلِكَ مِنْ ذَوِي أَلْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ. لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا - لَتَمِيلُوا إِلَيْهَا وَتَأْلُفُوهَا.

(آيَاتِهِ) (السَّمَاوَاتِ) (اِخْتِلَافُ) (الْوَانِكُمْ) (لِلْعَالَمِينَ)

(٢٢) - وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ، أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ فِي أَرْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا، وَخَلَقَ فِيهَا النُّجُومَ وَالْكَوَاكِبَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ بَحَارٍ وَمِيَاهٍ وَمَخْلُوقَاتٍ وَنَبَاتَاتٍ وَجِبَالٍ، وَجَعَلَ أَلْسِنَةَ الْبَشَرِ مُخْتَلِفَةً مُتَمَايِزَةً، كَمَا جَعَلَ أَلْوَانَ الْبَشَرِ مُخْتَلِفَةً، وَإِنْ تَشَابَهُوا جَمِيعًا فِي الْخُطُوطِ الْكُبْرَى مِنْ فَلَاحِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ لِأُولِي الْعِلْمِ الَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ فِيَمَا خَلَقَ اللَّهُ.

(آيَاتِهِ) (بِاللَّيْلِ) (لَايَاتِ)

(٢٣) - وَمِنْ عِلَامَاتِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ أَنَّكُمْ تَنَامُونَ فِي اللَّيْلِ، وَتَهْدُؤُونَ، لِتَرْتَاحَ أَبْدَانَكُمْ مِنْ عَنَاءِ الْعَمَلِ فِي النَّهَارِ، وَأَنَّكُمْ تَتَّبِعُونَ فِي النَّهَارِ لِلْعَمَلِ وَطَلَبِ الرِّزْقِ، وَفِي ذَلِكَ عِبَرٌ وَأَدِلَّةٌ لِمَنْ يَسْمَعُونَ الْمُوعِظَةَ وَيَتَعَطَّوْنَ بِهَا.

(آيَاتِهِ) (فَيْحِي) (لَايَاتِ)

(٢٤) - وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةُ عَلَى عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، أَنَّهُ يُرِيكُمْ الْبَرَقَ فَتَخَافُونَ مِنْ صَوَاعِقِهِ، وَتَرْجُونَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ بَعْدَهُ الْمَطَرُ، لِيُحْيِيَ الْأَرْضَ، فَتَغْزَرَ الْمِيَاهُ، وَتَنْبُتِ الْأَرْضُ بِالْكَلِّ وَالنَّبَاتِ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَاتٌ، وَعِبَرٌ وَاضِحَةٌ لِمَنْ يَتَبَصَّرُونَ وَيَعْقِلُونَ، عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى بَعْثِ الْخَلَائِقِ فِي الْآخِرَةِ، وَنَشْرِهِمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

(آيَاتِهِ)

(٢٥) - وَمِنْ الْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَشَاءُ، قِيَامُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِأَمْرِهِ بِلَا عَمَدٍ تَحْمِلُهَا، وَلَا أَرْبِطَةٍ تُشَدُّهَا، وَإِنَّمَا تَقُومَانِ بِأَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، بِمَوْجِبِ نِظَامٍ قُدْرَةُ وَأَقَامَهُ فِي الْوُجُودِ، وَلَا يَزَالُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ

٢١ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

٢٢ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ

وَالْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِلْعَالَمِينَ

٢٣ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

٢٤ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرَقَ

خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

٢٥ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ

وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ

دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ

حَتَّى يَنْتَهِيَ أَجْلُ الْعَالَمِ فِي الْمَوْعِدِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لَانْتِهَائِهِ، فَتُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ، وَتُنْشَأُ الْجِبَالُ، وَحِينَئِذٍ يَأْمُرُ اللَّهُ فَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ، فَيَخْرُجُ الْبَشَرُ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا إِلَىٰ رَبِّهِمْ مُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِهِ تَعَالَىٰ.

(السَّمَاوَاتِ) (قَانُونِ)

(٢٦) - وَجَمِيعُ مَنْ خَلَقَهُمُ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْشَعُونَ لِرَبِّهِمْ، وَيَخْضَعُونَ لَهُ، طَوْعًا أَوْ كَرْهًا. قَانُونٌ - مُطِيعُونَ مُتَقَادُونَ لِإِرَادَتِهِ.

(يَبْدَأُ) (السَّمَاوَاتِ)

(٢٧) - وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي بَدَأَ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ، سَبَقَ، ثُمَّ يَقْضِي بِقَنَائِهَا وَزَوَالِهَا، ثُمَّ يُعِيدُ خَلْقَهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ هَيِّنٌ عَلَيْهِ. ثُمَّ لَفَتَ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ الْبَشَرِ إِلَىٰ أَنْ إِعَادَةَ الْخَلْقِ وَالصُّنْعُ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ أَيْدَائِهِ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا، فَمِنْ الْمَفْرُوضِ فِي الْبَشَرِ أَنْ يَذَرِكُوا أَنْ إِعَادَةَ خَلْقِ الْكَائِنَاتِ أَهْوَنُ مِنْ خَلْقِهَا أَيْدَاءً، وَأَنَّ ذَلِكَ لَنْ يُعْجِزَ اللَّهَ تَعَالَى، فَبَعَثَ الْبَشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَسْهَلُ عَلَى اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِمْ، وَلِلَّهِ الْوَصْفُ الْبَدِيعُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ وَلَا يُضَامُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ، فَلَا يَخْلُقُ شَيْئًا عَبَثًا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ. لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى - لَهُ الْوَصْفُ الْأَعْلَى فِي الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ.

(مِمَّا) (أَيْمَانُكُمْ) (فِيمَا) (رَزَقْنَاكُمْ) (الآيَاتِ).

(٢٨) - وَهَذَا مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ، فَيَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً غَيْرَهُ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُعْتَرِفُونَ أَنَّ شُرَكَاءَهُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ عِبِيدُ اللَّهِ، وَمَلِكٌ لَهُ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي طَوَافِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ: (لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلِكُكَ)، فَقَالَ تَعَالَى لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يَضْرِبُ لَكُمْ مَثَلًا مُتَنَزِعًا مِنْ أَحْوَالِ أَنْفُسِكُمْ وَأَوْطَارِهَا، وَهِيَ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكُمْ، وَبِهِ يَسْتَبِينُ مِقْدَارُ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالَةِ بِعِبَادَتِكُمُ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ. وَهَذَا الْمَثَلُ هُوَ: هَلْ يَرْضَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ شَرِيكًا لَهُ فِي مَالِهِ فَيَكُونَ مَعَهُ عَلَى السَّوَاءِ فِي التَّصَرُّفِ فِي الْمَالِ، فَيَحْسَبُ حِسَابَهُ مَعَهُ، فَلَا يَتَصَرَّفُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَمْلِكُ مِنْ دُونِ إِذْنِهِ، كَمَا يَحْسَبُ حِسَابَ الشَّرِيكِ الْمُتْرَكِ الْمُمَاطِلِ، وَيَخْشَى أَنْ يَجُورَ عَلَيْهِ شَرِيكُهُ، كَمَا يَتَجَرَّعُ هُوَ مِنَ الْجَوْرِ عَلَى شَرِيكِهِ لِأَنَّهُ كَفءٌ لَهُ وَنِدٌّ (تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ)، فَهَلْ يَقَعُ شَيْءٌ مِنْ

٢٦ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانُونٌ

٢٧ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

٢٨ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

ذَلِكَ فِي مُحِيطِكُمُ الْقَرِيبَ وَشَأْنِكُمُ الْخَاصُّ؟ فَإِذَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَا يَفْعُ، فَكَيْفَ تَرْضَوْنَهُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى؟
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِنَّهُ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ مِثْلَ هَذَا التَّفْصِيلِ الْبَدِيعِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ الْكَاشِفَةِ لِلْمَعَانِي، لِيُقَرَّبَهَا مِنْ أَفْهَامِ مَنْ يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ فِي تَدَبُّرِ الْأَمْثَالِ، وَاسْتِخْرَاجِ الْمَعَانِي لِلْوُصُولِ إِلَى الْأَغْرَاضِ الَّتِي تَرْمِي إِلَيْهَا.

(نَاصِرِينَ)

(٢٩) - وَلَكِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، قَدْ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ جَهْلًا مِنْهُمْ بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعَظَمَتِهِ، فَأَشْرَكُوا الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَلَا حُجَّةَ وَلَا دَلِيلَ لَهُمْ فِي عِبَادَتِهَا، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْدِيَ بَشَرًا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْتِعْدَادَ لِلضَّلَالَةِ؟ وَهَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَلَا مَنْ يُجِيرُهُمْ مِنْ بَأْسِهِ وَعِقَابِهِ.

(فِطْرَةَ)

(٣٠) - فَوَجَّهَ وَجْهَكَ إِلَى الدِّينِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَكَ، وَهُوَ الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي هَذَاكَ اللَّهُ إِلَيْهَا، وَفَطَرَكَ عَلَيْهَا، كَمَا فَطَرَ الْخَلْقَ عَلَيْهَا، وَبِهَذِهِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ يَهْتَدِي الْبَشَرُ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ تَعَالَى وَتَقْدُسَ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَقَدْ سَاوَى اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ فِي الْفِطْرَةِ، لَا تَفَاوُتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ فِي مَعْنَى (لَا تَبْدِيلَ لِمَ خَلَقَ اللَّهُ): إِنْ ذَلِكَ يَعْنِي لَا تَبْدِيلَ لِدِينِ اللَّهِ.

وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّةً أَوْ يُمَجَّسَانِيَّةً كَمَا تَنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ. هَلْ تَحْسُونُ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ) (البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ التَّمَسُّكَ بِالشَّرِيعَةِ، وَبِالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، هُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ الْمُسْتَقِيمُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ فَهُمْ عَنْهُ نَاكِوْنَ. فَأَقِمْ وَجْهَكَ - قَوْمَهُ وَعَدْلَهُ.

لِلدِّينِ - دِينِ التَّوْحِيدِ.

حَنِيفًا - مَائِلًا إِلَيْهِ مُسْتَقِيمًا عَلَيْهِ.

فِطْرَةَ اللَّهِ - الزُّمُوهَا وَهِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ.

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ

بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ
اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا

فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ

أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

فَقَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا - جَبَلَهُمْ وَطَبَعَهُمْ عَلَيْهَا .
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ - لِدِينِهِ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهِ .
الَّذِينَ الْقَيْمُ - الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ .

(الصَّلَاةُ)

(٣١) - فَأَقِمْ وَجْهَكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ أَنْتَ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ لِلدِّينِ الصَّحِيحِ ،
خُفَاءً مُنِيبِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَخَافُوهُ ، وَحَازِرُوا أَنْ تُفَرِّطُوا فِي طَاعَتِهِ ،
وَتَرْتَكِبُوا مَعْصِيَتَهُ ، وَدَاوُمُوا عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَأَتِمُّوْهَا
بِخُشُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَرُكُوعِهَا وَبِحُضُورِ الْقَلْبِ ، فَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ ،
وَهِيَ تَذَكُّرُ الْمُؤْمِنِ بِرَبِّهِ فِي كُلِّ حِينٍ ، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ ، وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .
مُنِيبِينَ - رَاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِخْلَاصِ .

(٣٢) - وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدَّلُوا دِينَهُمْ ، وَغَيَّرُوا فِيهِ ، وَأَمَّا
بَعْضُ ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ ، فَأَصْبَحُوا فِرْقًا وَشِيعًا ، وَظَنَّ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ
أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ الصَّحِيحِ ، وَالْهُدَى ، فَفَرَحَ بِذَلِكَ .
كَانُوا شِيعًا - فِرْقًا مُخْتَلِفَةً الْأَهْوَاءِ وَالْمَشَارِبِ .

(٣٣) - وَإِذَا مَسَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ضُرٌّ كَفَحَطَ وَبَلَاءٌ وَمَرَضٌ وَشِدَّةٌ . . .
دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَالْعِبَادَةَ وَأَفْرَدُوهُ بِالتَّنْصُرِ وَالِاسْتِعَانَةِ ،
وَرَجَوْهُ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ شِدَّةٍ ، وَلَكِنَّهُمْ حِينَمَا يَكْشِفُ اللَّهُ
عَنْهُمْ مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ وَبَلَاءٍ يَعُودُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ
بِاللَّهِ .

(آتَانَاهُمْ)

(٣٤) - فَلْيَكْفُرُوا بِنِعَمِ اللَّهِ وَبِمَا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَلْيَجْحَدُوا بِمَا تَفَضَّلَ
بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَشْفِ الضَّرِّ وَالْبَلَاءِ ، وَلْيَتَمَتَّعُوا بِمَا آتَاهُمْ مِنَ الرِّخَاءِ
وَالنَّعَمِ ، فَإِنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ كَيْفَ يَأْخُذُ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ الْمُفْسِدِينَ ، وَكَيْفَ
يُعَاقِبُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ .

(سُلْطَانًا)

(٣٥) - وَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مُسْتَنْكِرًا شِرْكَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ
غَيْرَ اللَّهِ وَيَقُولُ: هَلْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابًا فِيهِ تَصْدِيقٌ لِمَا يَقُولُونَ ، وَإِرْشَادٌ
إِلَى مَا يَعْتَقِدُونَ؟ فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَنْزِلْ كِتَابًا بِهَذَا ، وَلَمْ يُرْسِلْ رَسُولًا يَقُولُ
بِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَنْبَدَعُوهُ هُمْ ، وَأَفْتَعَلُوهُ أَتْبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ .
سُلْطَانًا - كِتَابًا أَوْ حُجَّةً .



شَفَعَتِ
الْحَجْرَتِ
٤١

٢١ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ
وَأَقِمْ الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ

٢٢ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ
بِمَالِدِهِمْ فَرِحُونَ

٢٣ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَاؤُهُمْ
مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَانُ قَوْمِهِ
مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ

٢٤ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

٢٥ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ
يَحْكُمُ بِمَا كَانَ نُوَاحِيَهُ يُشْرِكُونَ

(٣٦) - لَقَدْ رُكِبَ فِي طَعْنِ الْإِنْسَانِ الْفَرْحُ وَالْبَطْرُ، وَسُرْعَةُ الْقُنُوطِ وَالْيَأْسُ، فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي نِعْمَةٍ وَرَخَاءٍ وَأَمِنَ فَرِحَ وَبَطِرَ، وَتَجَاوَزَ الْحُدُودَ، وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ الشَّدَائِدُ وَالْمَصَائِبُ وَالْحُتُّ عَلَيْهِ الْجَائِحَاتُ، بِسَبَبِ فَسَادِ رَأْيِهِ، وَسُوءِ أَعْمَالِهِ، قُطِعَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَبُيْسَ مِنَ الْخَلَاصِ مِمَّا هُوَ فِيهِ.
فَرَحُوا بِهَا - بَطَرُوا وَأَشْرُوا.
يَقْنُطُونَ - يَيْئُسُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

(لَايَاتِ)

(٣٧) - أَوْ لَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْمُتَصَرِّفَ فِي الْحَالَيْنِ: حَالِ الرِّخَاءِ وَحَالِ الشَّدَّةِ، هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَمَا لَهُمْ لَمْ يَشْكُرُوا رَبَّهُمْ فِي الرِّخَاءِ وَالنِّعْمَةِ، وَلَمْ يَحْتَسِبُوا وَيَضْرِبُوا فِي الضَّرَاءِ وَالشَّدَّةِ؟ كَمَا يَفْعَلُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ؟
إِنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا أَنَّ حَالِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ مِنَ اللَّهِ لَمَّا ضَجُّوا وَقَنَطُوا، وَلَمَّا فَرَحُوا وَبَطَرُوا، وَلَشْكُرُوا اللَّهَ فِي الْحَالَيْنِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَدِّبُ عِبَادَهُ، بِالرَّحْمَةِ وَالنِّعْمَةِ، كَمَا يُرَبِّيهُم بِالشَّدَّةِ وَالْبَلَاءِ.
يَقْدِرُ - يُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةٍ.

(فَاتِ) (أَوَّلِكَ)

(٣٨) - وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَسْطُرُ الرِّزْقَ، وَيَقْدِرُهُ، فَأَعْطَا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْتَ وَالْمُؤْمِنُونَ، مَا تَسْتَطِيعُونَ إِعْطَاءَهُ مِنَ الْمَالِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَا مَالَ لَهُمْ، وَلِلْمُسَافِرِينَ أَبْنَاءَ السَّبِيلِ الَّذِينَ انْقَطَعَتْ نَفَقَتُهُمْ، وَهُمْ يَعِيدُونَ عَنْ أَهْلِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ لِيَتِمَّ كُنُوزُ الْعَوْدَةِ إِلَى بِلَدِهِمْ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْإِعْطَاءَ لِهَؤُلَاءِ الْمُحْتَاجِينَ فِيهِ خَيْرٌ لِلْمُعْطِينَ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَيَجْزِي بِهِ فَاعِلَهُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، وَقَدْ رُبَّ هَؤُلَاءِ الْمُعْطُونَ فِي صَفَقَتِهِمْ لَأَنْهُمْ أَعْطَوْا مَا يَبْقَى، وَحَصَلُوا عَلَى مَا يَبْقَى (وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِمَنْ يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ﴾ هُوَ: ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

(آتَيْتُمْ) (لِرَبِّو) (أَمْوَالِ) (يَرَبُّو) (زَكَاةَ) (فَأُولَئِكَ)

(٣٩) - قَالَ آئِنِ عَبَّاسٌ: الرَّبَّاءُ رِبَوَانٌ: رَبًّا لَا يَصْحُ وَهُوَ رَبُّ الْبَيْعِ، وَرَبًّا لَا بَأْسَ بِهِ وَهُوَ هَدِيَّةُ الرَّجُلِ يُرِيدُ فَضْلَهَا وَإِضَاعَهَا، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. وَكَذَلِكَ قَالَ عِكْرِمَةُ: فَمَنْ أَعْطَى عَطِيَّةً، أَوْ أَهْدَى هَدِيَّةً وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُرَدَّ

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنُطُونَ

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لِّرَبْوٍ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ

عَلَيْهِ النَّاسُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا، فَلَا ثَوَابَ لَهُ عَلَيْهِ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ هَذَا الصَّنِيعَ لَا
إِثْمَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ نَهَى اللَّهُ رَسُولَهُ عَنْهُ حِينَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَمْنُنْ
تَسْتَكْبِرُ﴾ (١).

أَمَّا مَنْ أَعْطَى الصَّدَقَةَ يَتَغَيُّ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى خَالِصًا، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ
يُضَاعِفُ اللَّهُ لَهُمُ الثَّوَابَ وَالْجَزَاءَ (الْمُضْعِفُونَ).

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: وَمَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ
طَيِّبٍ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ فَيَرِيَّهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرِيَّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ
أَوْ فَصِيلُهُ، حَتَّى تَصِيرَ التَّمْرَةُ أَعْظَمَ مِنْ أَحَدٍ).

الرَّبَّاءُ - هُوَ الْمُحَرَّمُ الْمَعْرُوفُ.

لِيَرْبُو - لِيَزِيدَ ذَلِكَ الرَّبَّاءُ.

فَلَا يَرْبُو - فَلَا يَزْكُو وَلَا يُبَارِكُ فِيهِ.

الْمُضْعِفُونَ - ذَوُو الْأَضْعَافِ مِنَ الْحَسَنَاتِ.

(شُرَكَائِكُمْ) (سُبْحَانَهُ) (تَعَالَى)

(٤٠) - اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، يُخْرِجُ الْإِنْسَانَ مِنْ
بَطْنِ أُمِّهِ غُرِيَانًا، ثُمَّ يَرْزُقُهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَالْقُوَّةَ وَاللِّبَاسَ، وَالْعِلْمَ
وَالْمَالَ، وَمَا تَقُومُ بِهِ الْحَيَاةُ، ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ يُمَيِّتُكُمْ، ثُمَّ يَعُودُ
فِيْحْيِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَحْسِبَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ كُلِّهَا.

ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ مُسْتَكْبِرًا وَمُقَرَّعًا: هَلْ أَحَدٌ مِنَ الْآلِهَةِ الَّتِي
يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ وَغَيْرِهَا... مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ
ذَلِكَ؟

وَبِمَا أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ وَالْآلِهَةَ الْمَزْعُومَةَ لَا تَسْتَطِيعُ لِأَحَدٍ وَلَا
لِنَفْسِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَكَفَّارُ قُرَيْشٍ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ وَيَعْتَرِفُونَ بِهِ، لِذَلِكَ
قَالَ تَعَالَى: نَزَّهَ اللَّهُ وَتَعَاظَمَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ وَلَدٌ.

(٤١) - ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْعَالَمِ بِالْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ وَالْاضْطِرَابَاتِ...
وَذَلِكَ بِسَبَبِ مَا أَقْتَرَفَهُ النَّاسُ مِنَ الظُّلْمِ، وَأَنْتَهَاكِ الْحُرُمَاتِ، وَالتَّنَكُّرِ
لِلدِّينِ، وَنِسْيَانِ يَوْمِ الْحِسَابِ فَانْطَلَقَتِ النَّفُوسُ مِنْ عِقَالِهَا، وَعَاشَتْ
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا بَلَا وَازِعَ وَلَا رَقِيبَ مِنْ ضَمِيرٍ أَوْ وَجْدَانٍ أَوْ حَيَاءٍ أَوْ
حِسَابٍ لِدِينٍ، فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ جَزَاءَ بَعْضِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي
وَالْآثَامِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَيَكْفُونَ عَنِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ،
وَيَتَذَكَّرُونَ يَوْمَ الْحِسَابِ.

(١) سورة المدثر، الآية: ٦.

وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُضْعِفُونَ

④٠
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ
ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ
مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

④١
ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ
بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

(عَاقِبَةُ)

(٤٢) - وَلَمَّا كَانَ ظُهُورُ فَسَادٍ مِنْ نَتِيجَةِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَتَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّ أَنْفُسِهِمْ، وَفِي حَقِّ خَالِقِهِمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ شَرْعَ اللَّهِ، فَقَدْ لَفَتْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْظَارَ الْعِبَادِ إِلَى مَا حَلَّ بِالْأَمَمِ الْمُفْسِدَةِ السَّالِفَةِ، وَكَيْفَ دَمَرَهُمُ اللَّهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَقَالَ تَعَالَى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ: سِيرُوا فِي أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ، فَاَنْظُرُوا إِلَى مَسَاكِينِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، كَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً لَأَنْ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ بِاللَّهِ.

(يَوْمِئِذٍ)

(٤٣) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ فِي طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ نَهْجِهِ الْقَوِيمِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا رَادَّ لَهُ، وَسَيَقَعُ حَتْمًا لَا مَحَالَةَ. وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَفَرَّقُ النَّاسُ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، فَرِيقٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَيَنْعَمُ فِيهَا بِالْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ، وَفَرِيقٌ يَدْخُلُ جَهَنَّمَ بِضَلَالَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا.

الَّذِينَ الْقِيمَ - الْمُسْتَقِيمَ . دِينَ الْفِطْرَةِ .

لَا مَرَدَّ لَهُ - لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى رَدِّهِ .

يَصْدَعُونَ - يَتَفَرَّقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ .

(صَالِحًا)

(٤٤) - مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَعَمِلَ السَّيِّئَاتِ فَعَلَيْهِ وَحْدَهُ وَزُرُّ كُفْرِهِ، وَأَثَامُ جُحُودِهِ يَنْعَمُ اللَّهُ. وَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا، وَأَطَاعَ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَ، وَابْتَعَدَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ فَيَكُونُ كَمَنْ مَهَّدَ لِنَفْسِهِ الْفِرَاشَ وَوَطَّأَهُ، حَتَّى لَا يَقْضَ مَضْجَعُهُ، وَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْفَائِزِينَ (أَوْ يَكُونُ كَمَنْ مَهَّدَ لِنَفْسِهِ طَرِيقَ الْجَنَّةِ).

يَمْهَدُونَ - يُوطِّئُونَ الْفِرَاشَ - أَوْ طَرِيقَ الْجَنَّةِ .

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الْكَافِرِينَ)

(٤٥) - وَيَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ يَفْرُقُهُمْ بِحَسَبِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَجْزِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَيُضَاعَفُ لَهُمْ رِبُّهُمْ الْحَسَنَاتِ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَإِنَّهُمْ يَلْقَوْنَ جَزَاءَهُمُ الْعَادِلَ، بِلَا جَوْرِ وَلَا ظُلْمٍ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَجْزِيهِمْ إِلَّا بِالْعَدْلِ النَّامِ.

(٤٢) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ

(٤٣) فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَئِيمِ مِنْ

قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنَ اللَّهِ
يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ

(٤٤) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ

صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ لَهُمْ يَمْهَدُونَ

(٤٥) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ

(آيَاتِهِ) (مُبَشِّرَاتٍ)

(٤٦) - وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَنَّهُ تَعَالَى يُرْسِلُ الرِّيحَ لِيُبَشِّرَ النَّاسَ بِالْمَطَرِ الَّذِي يَأْتِي فِي إِثْرِ الرِّيحِ، فَيُرِي الْمَطَرُ الْأَرْضَ، فَتَنْبُتُ بِالزُّرُوعِ وَالنَّبَاتِ، وَتُخْرَجُ الثَّمَارُ وَالْحُبُوبُ فَيَأْكُلُ مِنْهَا النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ (وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) وَتَجْرِي السُّفُنُ بِفِعْلِ الرِّيحِ فِي الْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ تَحْمِلُ النَّاسَ وَالْأَقْوَاتِ وَأَنْوَاعَ الْبَضَائِعِ، مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، فَيَسْتَفِيدُ الْخَلْقُ مِنَ الْأَنْجَارِ بِهَا. وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَذْكُرَ الْخَلْقَ الْآءَهُ وَنِعْمَهُ فَيَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا.

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٤٧) - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى أَقْوَامِهِمْ بِالْأَدْلَالِ الْوَاضِحَاتِ عَلَى أَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ، وَأَنَّهُمْ مُرْسَلُونَ إِلَيْهِمْ لِدَعْوَتِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَكَذَّبَتِ الْأَقْوَامُ رُسُلَهَا، فَأَتَقَمْنَا مِنْ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ آخَرَحُوا السَّيِّئَاتِ، وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ رُسُلِهِ وَقَدْ أَوْجَبْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَذَلِكَ نَفْعَلُ، فَلَا تَبْتَسُ يَا مُحَمَّدُ لِمَا تَرَاهُ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِكَ لَكَ، وَمِنْ إِسْدَائِهِمْ إِيَّاكَ، فَسَنَنْصُرْكَ عَلَيْهِمْ.

(الرِّيحَ) (خِلَالِهِ)

(٤٨) - يُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى الرِّيحَ فَتَنْشِئُ سَحَابًا فَيَنْشُرُهُ فِي السَّمَاءِ أَوْ يَجْمَعُهُ، أَوْ يَجْعَلُهُ قِطْعًا (كِسْفًا)، فَتَرَى قَطْرَاتِ الْمَاءِ (الْوَدَقَ) تَخْرُجُ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ، فَإِذَا أَصَابَ الْمَطَرُ مَنْ أَرَادَهُمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ فِرَحُوا بِهِ، وَاسْتَبَشَرُوا بِالْخَيْرِ وَالْخُسْبِ. فَتُبَشِّرُ سَحَابًا - فَتَنْشِئُهُ وَتُحَرِّكُهُ وَتَنْشُرُهُ. يَجْعَلُهُ كِسْفًا - قِطْعًا مُتَفَرِّقَةً. الْوَدَقَ - الْمَطَرُ.

مِنْ خِلَالِهِ - مِنْ فُرْجِهِ وَوَسْطِهِ.

(٤٩) - وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ قَانِطِينَ يَأْتِسِينَ (مُبْلِسِينَ)، فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْمَطَرُ اسْتَبَشَرُوا، وَانْتَعَشَتْ أَمَالُهُمْ. مُبْلِسِينَ - يَأْتِسِينَ مِنْ نُزُولِ الْمَطَرِ.

(آثَارِ) (رَحْمَةٍ) (يُحْيِي) (لَمْحِي)

(٥٠) - فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ إِلَى الْآثَارِ الَّتِي يُعْجِلُهَا نُزُولُ الْمَطَرِ، فَتَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ، وَتَنْبُتُ الزُّرُوعُ، وَالنَّبَاتُ وَالْخَضِرَةُ وَالثَّمَارُ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَوَاتًا.

(٤٦) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَتَجَرَّيَ أَفْئُكَ بِأَمْرِهِ وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(٤٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ

(٤٨) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبَشِّرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبَشِرُونَ

(٤٩) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ

(٥٠) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَجَائِ الْمَوْقِيِّ

وَالَّذِي قَدَّرَ عَلَىٰ أَحْيَاءِ الْأَرْضِ الْمَوَاتَ لِقَادِرٍ عَلَىٰ أَحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْحَشْرِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَدْ أَوْجَدَ اللَّهُ الْكَوْنَ وَمَا فِيهِ وَمَنْ فِيهِ مِنْ عَدَمٍ.

(لَيْسَ)

(٥١) - وَإِذَا أَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً، أَوْ رِيحًا حَارَةً لَفَحَتْ زُرُوعَهُمْ وَنَمَارَهُمْ، فَاتْلَفَتْهَا فَاصْفَرَّتْ مِنْ بَعْدِ خُضْرَةٍ، وَذَوَتْ مِنْ بَعْدِ نُضْرَةٍ، لَتَبَدَّلَتْ فَرَحَتَهُمْ حُزْنَ، وَلَا تَقْلَبْ رِجَاؤَهُمْ قَنُوطًا وَكُفْرًا وَجُحُودًا بِأَنِّعَمَ اللَّهُ السَّالِفَةَ لِاضْطِرَابِ عَقِيدَتِهِمْ وَتَشَكُّكِهِمْ، فَالْمُؤْمِنُ مِنْ وَاجِبِهِ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فِي كُلِّ حِينٍ، وَفِي كُلِّ حَالٍ، وَأَنْ يَشْكُرَهُ أَبَدًا وَدَائِمًا. فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا - فَرَأُوا النَّبَاتَ مُصْفَرًّا بَعْدَ الْخُضْرَةِ.

(٥٢) - وَكَمَا أَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْمِعَ الْأَمْوَاتَ فِي أَجْدَائِهَا، وَلَا أَنْ تَسْمِعَ الَّذِينَ فَقَدُوا حَاسَةَ السَّمْعِ (الصَّمِّ)، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِلَ مَنْ تَصَامُوا عَنْ فَهْمِ آيَاتِ اللَّهِ فَتَجْعَلَهُمْ يَسْمَعُونَهَا، وَيَفْهَمُونَهَا، فَكَذَلِكَ إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْدِيَ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَتُرُدَّهُ عَنْ ضَلَالِهِ، فَاللَّهُ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ فِعْلِ ذَلِكَ، فَهُوَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَلَا تَحْزَنْ أَنْتَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَبْتَئِسْ مِنْ عِنَادِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ الْبَقَاءِ فِي الضَّلَالَةِ.

(بِهَادِي) (ضَلَالَتِهِمْ) (بِآيَاتِنَا)

(٥٣) - وَهَؤُلَاءِ الْكَفَّارُ الْمُعَانِدُونَ هُمْ كَالْعُمِيِّ لِانْغِلَاقِ قُلُوبِهِمْ عَنِ الْهُدَى، وَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ هِدَايَتَهُمْ، وَلَا صَرَفَهُمْ عَنْ كُفْرِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ، فَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْمِعَ أَحَدًا سَمَاعًا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ قَلْبُهُ قَدْ تَهَيَّأَ لِلْإِيمَانِ بِآيَاتِ اللَّهِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي إِذَا سَمِعَ كِتَابَ اللَّهِ تَدَبَّرَهُ، وَفَهِمَهُ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ بِخُشُوعٍ وَاتِّقِيَادٍ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

(٥٤) - يَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ قَائِلًا: إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ يَمُرُّ فِي أَطْوَارٍ مُتَعَدِّدَةٍ حَتَّى يَخْرُجَ طِفْلًا ضَعِيفًا عَارِيًا، ثُمَّ يَنْمُو وَيَكْبُرُ فَيَصْبِحُ قَوِيًّا، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْقِدُ قُوَّتَهُ شَيْئًا فَيَسِيئًا، حَتَّى يَعُودَ ضَعِيفًا وَيَعْلُوهُ الشَّيْبُ. وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ مِنْ ضَعْفٍ وَقُوَّةٍ وَشَبَابٍ وَشَيْبٍ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِحَالِ خَلْقِهِ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ. فَمَنْ فَعَلَ كُلَّ هَذَا لَا يَضَعُ عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَ نَشْرَ الْخَلْقِ، وَيَعْتَنَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. شَيْئَةً - حَالِ الشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ.

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

٥١ وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا
لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ

٥٢ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ
الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ

٥٣ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ
إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا
فَهُمْ مُسْلِمُونَ

٥٤ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ
قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ
ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ



(٥٥) - وَحِينَمَا تَقُومُ السَّاعَةُ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَعَمِلُوا السَّيِّئَاتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ حَيَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَاعَةً وَاحِدَةً (أَوْ أَنَّهُمْ مَا لَبِثُوا فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا سَاعَةً وَاحِدَةً)، لِذَلِكَ لَمْ تَكُنْ كَافِيَةً لَهُمْ لِيَعْرِفُوا خَالِقَهُمْ، وَلِيَذْكُرُوا مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ. وَهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ لِيُذْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمِ الْحُجَّةَ الْقَائِمَةَ عَلَيْهِمْ. وَكَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَيُضَرِّفُونَ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَيَكْذِبُونَ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ، كَذَلِكَ يُضَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ فِي الْآخِرَةِ وَيَكْذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ أَنَّهُمْ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ، وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ.
يُؤَفِّكُونَ - يُضَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّدَقِ.

(الْإِيمَانُ) (كِتَابُ)

(٥٦) - فَيَرُدُّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَبِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ فِي الدُّنْيَا، الَّذِينَ يَحْلِفُونَ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبِثُوا فِي الدُّنْيَا (أَوْ فِي قُبُورِهِمْ) إِلَّا سَاعَةً وَاحِدَةً قَانِلِينَ: إِنَّهُمْ لَبِثُوا فِي قُبُورِهِمْ مِنْ يَوْمٍ مَمَاتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ، فَهَذَا هُوَ يَوْمُ الْبَعْثِ الَّذِي أَنْكَرُوهُ فِي الدُّنْيَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مِثْلُ هَذَا الْيَوْمِ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ، وَغَفْلَتِهِمْ وَقِصَرِ نَظَرِهِمْ.

(فَيَوْمَئِذٍ)

(٥٧) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، وَإِنْكَارِهِمْ الْبَعْثَ، مَا يَقْدُمُونَهُ مِنْ أَعْدَارٍ يُبَرَّرُونَ بِهَا كُفْرَهُمْ وَظُلْمُهُمْ (كَقَوْلِهِمْ: مَا عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَائِنٌ...) وَلَا هُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَتُوبُوا وَلِيَعْمَلُوا صَالِحًا، فَلَا الرَّجْعَةَ مُمَكِّنَةً، وَلَا التَّوْبَةَ مَقْبُولَةً لِأَنَّ أَوَانَهَا قَدْ فَاتَتْ، وَلَا يُطَلَّبُ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ أَنْ يَفْعَلُوا مَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى وَيُزِيلَ عَنَّهُ عَلَيْهِمْ لَهَوَانِهِمْ عَلَيْهِ.
لَا يُسْتَعْتَبُونَ - لَا يُطَلَّبُ مِنْهُمْ إِزَالَةُ عَذَابٍ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ بِالتَّوْبَةِ.

(الْقُرْآنُ) (لَيْتَنَ) (بَآيَةٍ)

(٥٨) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ ضَرَبَ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى، وَعَلَى قُدْرَتِهِ، وَعَلَى خَلْقِهِ الْكَوْنُ بِمَا فِيهِ، لِيَتَّبِعُوا الْحَقَّ وَلِيَتَّبِعُوهُ، وَلِكَيْتُمْ أَغْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا. وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ: إِنَّكَ لَوْ جِئْتَهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ عَلَى صِدْقٍ مَا تَقُولُ فَإِنَّهُمْ لَنْ

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ
كَذَلِكَ كَانُوا يُؤَفِّكُونَ

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ
الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ
وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا
الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ
جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ أَتَانَا إِلَّا مِثْلُ مَا

يُؤْمِنُوا لَكَ، وَسَيَقُولُونَ إِنَّهُ سِحْرٌ، أَوْ إِنَّهُ أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَإِنْ مَا أُتِيَهِمْ بِهِ بَاطِلٌ.

(٥٩) - وَيَخْتِمُ اللَّهُ مِثْلَ هَذَا الْخَتْمِ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَهَمَّ مَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَا إِدْرَاكَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ.

(٦٠) - فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدٌ عَلَى أَدَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى تَكْذِيبِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ، وَبَلِّغْهُمْ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، فَإِنَّهُ وَعْدُكَ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ، وَسَيَنْجِزُ لَكَ وَعْدَهُ، وَلَا يَحْمِلَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ (لَا يُوقِنُونَ) عَلَى الْخِيفَةِ وَالْأَنْفِعَالِ، فَيَصْرِفُوكَ بِذَلِكَ عَمَّا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ مِنْ إِبْلَاجِ رِسَالَاتِهِ إِلَى النَّاسِ. لَا يَسْتَخَفُّكَ - لَا يَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْخِيفَةِ وَالْقَلَقِ.

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ

(٣١) سُورَةُ لَيْسَانَ مَكِّيَّةٍ وَأَيَّانَهَا اِنْجِ وَذَلَامُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ الم

(ألف) (لام) (ميم)
(١) - وَتَقْرَأُ مَقْطَعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى جَذَةٍ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(آيَات) (الْكِتَاب)

(٢) - هَذِهِ هِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ بَيَانًا وَتَفْصِيلًا.

(٣) - وَهِيَ تَهْدِي مِنَ الزَّيْغِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ وَاتَّبَعُوا الشَّرِيعَةَ، وَتُشْفِيهِمْ مِنَ الشُّكِّ وَالضَّلَالَةِ.

(الصَّلَاة) (الزَّكَاة) (بِالْآخِرَةِ)

(٤) - ثُمَّ يَعْرِفُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الْعَمَلَ، وَيَهْتَدُونَ بِالْقُرْآنِ، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ عَلَى وَجْهِهَا الْأَكْمَلِ، وَيُتِمُّونَهَا بِخُشُوعِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَيُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ الْمَقْرُوضَةَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَيُؤْمِنُونَ إِيمَانًا ثَابِتًا رَاسِخًا بِأَنَّ اللَّهَ سَيَبْعُثُ الْخَلِائِقَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّهُ سَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ.

(أُولَئِكَ)

(٥) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِالصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ، هُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ وَنُورٍ مِنْ رَبِّهِمْ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِمَا أَمَلُوا مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَزَيَّحَتْ صَفَقَتُهُمْ.

(أُولَئِكَ)

(٦) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ السُّعْدَاءِ، الَّذِينَ يَهْتَدُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَيَتَّبِعُونَ بِسَمَاعِهَا، ثَمَّ يَذْكُرُ حَالَ الْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِكَلَامِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى مَا لَا فَايِدَةَ مِنْهُ يَتَلَهَوْنَ بِهِ مِنْ

٢ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ

٣ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ

٤ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

٥ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

٦ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوً

الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا

لَعُو الْحَدِيثِ، لِيُضِلُّوا النَّاسَ عَنِ السَّبِيلِ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى اللَّهِ. وَهَؤُلَاءِ يُجَازِيهِمُ اللَّهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِالْعَذَابِ الْمُخْزِي الْمُهِينِ.
(هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي النَّصْرِ بْنِ الْحَارِثِ فَقَدْ اشْتَرَى جَارِيَةً مُغْنِيَّةً (قَيْنَةً) وَكَانَ إِذَا سَمِعَ بِأَحَدٍ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ أَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى قَيْنَتِهِ، فَيَقُولُ لَهَا أَطْعِمِيهِ وَأَسْقِيهِ وَغَنِّيهِ، هَذَا خَيْرٌ مِمَّا يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ).
لَهُوَ الْحَدِيثُ - الْحَدِيثُ الْبَاطِلُ الْمُلهِي عَنِ الْخَيْرِ.
هَزُوءٌ - سُخْرِيَّةٌ - مَهْزُوءٌ بِهَا.

(آيَاتُنَا)

(٧) - وَإِذَا قُرِئَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ عَلَى هَذَا الَّذِي يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُعْرِضُ عَنْهَا، وَيُوَلِّي مُسْتَكْبِرًا غَيْرَ مُهْتَمٍّ بِهَا، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا لِيَصْمَمَ فِي أَذْنِهِ، فَبَشِّرْ هَذَا الْمُعْرِضَ الْمُسْتَكْبِرَ، بِأَنَّهُ سَيَلْقَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا مُؤَلِمًا مُهِينًا.
وَلَّى مُسْتَكْبِرًا - أَعْرَضَ مُتَكَبِّرًا عَنْ تَذَرُّبِهَا.
وَقَرَأَ - مَانِعًا عَنِ السَّمْعِ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتٍ)

(٨) - أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْأَبْرَارُ الصَّالِحُونَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْزِيهِمْ بِإِدْخَالِهِمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي جَنَّاتٍ يَنْعَمُونَ فِيهَا.

(خَالِدِينَ)

(٩) - وَيَتَقَوْنَ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ، وَلَا يَنْقُضِي نَعِيمُهُمْ وَلَا يَنْقُصُ، وَهَذَا الَّذِي وَعَدَهُمُ بِهِ اللَّهُ، هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ لَأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُوَ تَعَالَى الْعَزِيزُ الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشُرْعِهِ.

(السَّمَاوَاتِ) (رَوَاسِي)

(١٠) - وَمِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ لَا تَسْتَنِدُ إِلَى أَعْمِدَةٍ تَحْمِلُهَا، كَمَا يَرَى النَّاسُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا تَقُومُ بِقُدْرَتِهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ، وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا تُرْسِيهَا وَتُثَبِّتُهَا لِكَيْلَا تَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا، وَتَمِيدَ بِهِمْ، وَخَلَقَ فِي الْأَرْضِ حَيَوَانَاتٍ مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَشْكَالِ وَالْأَنْوَاعِ وَالْأَلْوَانِ، وَثَبَّتَهَا فِيهَا، ثُمَّ أَنْزَلَ تَعَالَى مَطَرًا مِنَ السَّمَاءِ فَسَقَى بِهِ الْأَرْضَ وَرَوَّاهَا، فَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ كَرِيمٍ فِي النَّبَاتِ، فِيهِ الْمَنْفَعَةُ الْعَمِيمَةُ لِلْمَخْلُوقَاتِ.

أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ

وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ أَيْنَنَا وَلِيٌّ

مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا
كَانَ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَّ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ

خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا

وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ

بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ

بَغِيرِ عَمَدٍ - بغير دَعَائِمٍ وَأَسَاطِينٍ تُقِيمُهَا.
رَوَاسِي - جبالاً ثَوَابِتَ.
أَنْ تَمِيدَ - أَنْ تَضْطَرِبَ بِكُمْ.
رُوحٍ كَرِيمٍ - صِنْفٍ حَسَنٍ كَثِيرِ الْمُنْفَعَةِ.
بَثَّ فِيهَا - نَشَرَ وَفَرَّقَ وَأَظْهَرَ فِيهَا.

(الظَّالِمُونَ) (ضَلَالٍ)

(١١) - وَرَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ
نُورِسِيهَا، وَخَلَقَ كُلَّ نَبَاتٍ، وَكُلَّ صِنْفٍ كَرِيمٍ بِهِيجٍ فِي الْأَرْضِ...
كُلُّ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَتَقْدِيرِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَأَرُونِي يَا
أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَصْنَامٍ
وَأَوْثَانٍ... حَتَّى اسْتَحَقُّوا مِنْكُمْ مِثْلَ هَذِهِ الْعِبَادَةِ؟ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ، وَالْعَابِدِينَ سِوَاهُ، هُمْ فِي جَهْلِ وَعَمَايَةٍ، وَضَلَالٍ
وَاضِحٍ ظَاهِرٍ لَا خَفَاءَ فِيهِ.

(آتَيْنَا) (لُقْمَانَ)

(١٢) - أَكْثَرَ الْمُفْسِرِينَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ لُقْمَانَ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَيْسَ
نَبِيًّا، وَهُوَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ يَعْمَلُ نَجَّارًا. وَقَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى الْفَهْمَ
وَالْعِلْمَ الصَّحِيحَ وَالرَّأْيَ الصَّائِبَ. وَأَمَرَهُ تَعَالَى بِشُكْرِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا
آتَاهُ اللَّهُ، وَعَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ، وَمَنْ
شَكَرَ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَقْعَلُ ذَلِكَ لِيُخَيِّرَ نَفْسَهُ وَمَنْفَعَتَهَا، أَمَّا مَنْ
كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادِ، لَا يَتَضَرَّرُ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَفَرَ أَهْلُ الْأَرْضِ
جَمِيعًا، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْحَمْدِ وَالثَنَاءِ، وَإِنْ لَمْ
يَحْمَدْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

الْحِكْمَةُ - الْعَقْلُ وَالْفَهْمُ وَالْفِطْنَةُ وَإِصَابَةُ الْقَوْلِ.

(لُقْمَانَ) (يَا بُنَيَّ)

(١٣) - وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ قِصَّةَ لُقْمَانَ حِينَ قَالَ لِابْنِهِ، وَهُوَ أَحَبُّ
النَّاسِ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ وَيَنْصَحُهُ: يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ شَيْئًا، لِأَنَّ
الشُّرَكَ أَعْظَمُ الظُّلْمِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ النَّاسَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ،
وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِنِعَمٍ لَا تُحْصَى، فَإِذَا عَبْدَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ ذَلِكَ غَيْرَ اللَّهِ فَإِنَّهُ
يَكُونُ ظَالِمًا نَاكِرًا لِلْجَمِيلِ.

﴿١١﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا

خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ

الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

﴿١٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ

أَشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ

اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ

يَبْنِيُّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ

الشُّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

(الْإِنْسَانُ) (بِوَالِدَيْهِ) (فَصَالُهُ) (لِوَالِدَيْكَ)

(١٤) - وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا وَصَّى بِهِ لُقْمَانَ ابْنَهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لِأَنَّهُ الْمُنْعِمُ الْمُجِدُّ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِمَا أَوْصَى بِهِ الْوَلَدَ بِالْوَالِدَيْنِ، لِكُونِهِمَا السَّبَبُ فِي وُجُودِهِ، فَقَالَ تَعَالَى إِنَّهُ أَمَرَ (وَصَيْنَا) الْإِنْسَانَ بِرَّ وَالِدَيْهِ وَطَاعَتِهِمَا، وَبِالْقِيَامِ بِمَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ نَحْوُهُمَا، وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ بِمَا تَحَمَّلَتْهُ أُمُّهُ مِنْ الْعَنَاءِ وَالْجَهْدِ وَالْمَشَقَّةِ فِي حَمْلِهِ وَوِلَادَتِهِ، وَإِرْضَاعِهِ وَتَرْبِيَتِهِ، فَقَدْ حَمَلَتْهُ فِي جَهْدٍ (وَهْنٍ) يَتَزَايِدُ بِتَزَايُدِ ثِقَلِ الْحَمْلِ، ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ فِي عَامَيْنِ كَامِلَيْنِ، وَهِيَ تَقَاسِي مِنْ ذَلِكَ مَا تَقَاسِي مِنَ الْمَشَاقِّ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ بِشُكْرِهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِ، وَبِشُكْرِ وَالِدَيْهِ لِأَنَّهُمَا كَانَا سَبَبَ وُجُودِهِ، ثُمَّ نَبَّهَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ إِلَى أَنَّهُ سِيرَجُ إِلَى اللَّهِ فَيُجَازِيهِ عَلَى عَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

وَصَيْنَا - أَمَرْنَا وَالزَّمْنَا.

وَهْنًا - ضَعْفًا.

فَصَالُهُ - فِطَامَتُهُ عَنِ الرُّضَاعِ.

(جَاهِدَاكَ)

(١٥) - وَإِذَا أُلْحَ عَلَيْكَ وَالِدَاكَ لِيَحْمِلَاكَ عَلَى أَنْ تَكْفُرَ بِاللَّهِ رَبِّكَ، وَعَلَى أَنْ تُشْرِكَ مَعَهُ بِالْعِبَادَةِ غَيْرَهُ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَنْدَادٍ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ لَهُوْلَاءِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ شِرْكَهُ مَعَ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ وَالْأَلُوْهِيَّةِ، فَلَا تُطْعِمُهُمَا فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ لَا يَمْنَعَكَ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَمُصَاحَبَتِهِمَا بِالْمَعْرُوفِ خِلَالَ أَيَّامِ هَذِهِ الدُّنْيَا الْقَلِيلَةِ الْفَانِيَةِ كَاطْعَامِهِمَا وَكِسْوَتِهِمَا، وَالْعِنَايَةِ بِهِمَا إِذَا مَرَضَا... وَأَتَّبِعْ فِي أُمُورِ الدِّينِ سَبِيلَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَتَابُوا إِلَيْهِ بَدُونِ وَهْنٍ وَلَا تَرَدُّدٍ، فَإِنَّكُمْ رَاجِعُونَ إِلَيْهِ تَعَالَى جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُخَبِّرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَيُجَازِيكُمْ بِهِ.

(هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ (وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ) فَقَدْ قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ لَمَّا أَسْلَمَ: (إِنَّمَا أَنْ تَكْفُرَ بِالَّذِينَ آمَنْتَ بِهِ، وَتَعُودَ إِلَى دِينِ آبَائِكَ، وَإِنَّمَا أَنْ أَمْتَنَعَ عَنْ تَنَاوُلِ شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أَمُوتَ). وَأَمْتَنَعْتُ عَنْ تَنَاوُلِ شَيْءٍ. فَقَالَ لَهَا سَعْدُ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكَ مِثْقَةُ نَفْسٍ، وَخَرَجْتَ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، فَإِنْ شِئْتَ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتَ لَا تَأْكُلِي فَأَكَلْتُ).

أَتَابَ إِلَيَّ - رَجَعَ بِالْإِخْلَاصِ وَالطَّاعَةِ إِلَى رَبِّهِ.

وَوَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ

وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ

لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ

وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِمُهُمَا

وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا

وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ

إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(السَّمَاوَاتِ) (يَا بُنَيَّ)

(١٦) - وَتَابَعِ لِقَمَانٍ وَعَظَمَ لِابْنِهِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ خَطِيئَةَ الْإِنْسَانِ وَفَعَلْتَهُ وَلَوْ كَانَتْ وَزْنٌ (مِثْقَالِ) حَبَّةِ الْخَرْدَلِ الصَّغِيرَةِ، مُحَبَّاةً فِي صَخْرَةٍ، أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ، أَوْ فِي الْأَرْضِ يُحْضَرُهَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَضَعَهَا فِي مِيزَانِ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ، لِيُحَاسِبَهُ عَلَيْهَا، وَكَذَلِكَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ لِحَسَنَاتِ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُحَاسِبُهُ عَلَيْهَا. وَاللَّهُ لَطِيفٌ يَصِلُ عِلْمُهُ إِلَى كُلِّ خَفِيٍّ، وَهُوَ تَعَالَى خَيْرُ يَعْلَمُ ظَوَاهِرَ الْأُمُورِ وَخَوَافِهَا.

مِثْقَالِ حَبَّةٍ - وَزْنُ حَبَّةِ الْخَرْدَلِ، أَيُّ أَصْغَرِ شَيْءٍ.

(يَا بُنَيَّ) (الصَّلَاةِ)

(١٧) - ثُمَّ قَالَ لِقَمَانٍ لِابْنِهِ، يَا بُنَيَّ أَدِّ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا، وَاتَّمِمَّهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَخُشُوعِهَا، لِأَنَّ الصَّلَاةَ تُذَكِّرُ الْعَبْدَ بِرَبِّهِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى فِعْلِ الْمَعْرُوفِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَنِ فِعْلِ الْمُنْكَرِ، وَإِذَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ ذَلِكَ تَصَفَّوْا نَفْسَهُ وَتَسْمُوْا، وَيَسْهَلُ عَلَيْهَا احْتِمَالُ الصَّعَابِ فِي اللَّهِ، ثُمَّ حَتَّى لِقَمَانٍ أَنَّهُ عَلَى احْتِمَالِ أَذَى النَّاسِ إِذَا قَابَلُوهُ بِالسُّوءِ وَالْأَذَى عَلَى حَتَّى إِيَّاهُمْ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَنِ فِعْلِ الْمُنْكَرِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَوْصَا بِهِ هُوَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي الْحِرْصُ عَلَيْهَا، وَالتَّمَسُّكُ بِهَا (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

(١٨) - وَلَا تُعْرِضْ بَوَجهَكَ عَنِ النَّاسِ كِبَرًا وَاسْتِعْلَاءً، وَلَكِنْ أَقْبِلْ عَلَيْهِمْ بَوَجهَكَ كُلَّهُ إِذَا كَلَّمْتَهُمْ، مُسْتَبِيرًا مُتَهَلِّلًا مِنْ غَيْرِ كِبَرٍ وَلَا عُتُوٍّ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَتَّخِيزًا، مُعْجَبًا بِنَفْسِكَ كَالْجَبَّارِينَ الطُّغَاةِ الْمُتَكَبِّرِينَ (مَرَحًا)، بَلْ أَمْشِ هَوْنًا مَشْيَةَ الْمُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ، فَيُجِبَكَ اللَّهُ، وَيُجِبَكَ خَلْقُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْمُعْجَبَ بِنَفْسِهِ (الْمُخْتَالِ) الْفَخُورِ عَلَى غَيْرِهِ.

(وفي الْحَدِيثِ: مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ فِي خِيَلَاءٍ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).
لَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ - لَا تَمِلْ بَوَجهَكَ عَنْهُمْ كِبَرًا وَتَعَاظُمًا.
مَرَحًا - فَرَحًا وَبَطْرًا وَخِيَلَاءً.

مُخْتَالٍ فَخُورٍ - مَتَكَبِّرٍ مُتَطَاوِلٍ بِمَنَاقِبِهِ.

يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالِ حَبَّةٍ
مَنْ خَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي
السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ

يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ
بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ
مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ
فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

(الْأَصْوَاتِ)

(١٩) - وَأَمْشِ مُقْتَصِدًا فِي مَشْيِكَ، عَدْلًا وَسَطًا بَيْنَ الْبَطِيءِ الْمُسْبِطِ، وَالسَّرِيعِ الْمُفْرِطِ، وَلَا تُبَالِغْ فِي الْكَلَامِ، وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَحِينَمَا لَا تَكُونُ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلَى رَفْعِ الصَّوْتِ، فَذَلِكَ يَكُونُ أَوْفَرَ لِلْمُتَكَلِّمِ، وَأَبْسَطَ لِنَفْسِ السَّامِعِ. ثُمَّ قَالَ لِقَمَانٍ لَابِنِهِ مُتَفَرِّجًا بِأَنَّهُ مِنْ رَفْعِ صَوْتِهِ حِينَمَا لَا يَكُونُ هُنَاكَ حَاجَةٌ لِذَلِكَ: إِنَّ الْحِمَارَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ عِنْدَ التَّهَيُّقِ، وَلَكِنَّ الصَّوْتِ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْهُ قَبِيحٌ مُتَكَرِّرٌ، فَلَا يَلِيقُ بِالْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلَ الْحِمَارِ.

أَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ - تَوَسَّطْ فِي الْمَشْيِ بَيْنَ الْإِسْرَاعِ وَالْإِبْطَاءِ.
اغْضُضْ - اخْفِضْ وَأَنْقِصْ.

(السَّمَاوَاتِ) (ظَاهِرَةً) (يُجَادِلُ) (كِتَابِ)

(٢٠) - أَلَمْ تَرَوْا يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ، وَكَوَاكِبَ تَسْتَضِيئُونَ بِهَا لَيْلًا وَنَهَارًا، وَتَهْتَدُونَ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمَنْ سَحَابٌ يَنْزِلُ مِنْهُ الْمَطَرُ لَتَنْبِتَ الْأَرْضُ بِالْخَضِرَةِ وَالثَّمَارِ، وَلِيَشْرَبَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ وَالْأَنْعَامُ وَالْمَخْلُوقَاتُ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ نَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ وَجَمَادٍ وَمَعَادِنَ، لَتَنْتَفِعُوا بِهِ، وَأُسَبِّحَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا لَكُمْ عَيَانًا، وَمَا بَطَّنَ مِنْهَا، مِمَّا يَسْتُرُهُ اللَّهُ عَلَى عِبْدِهِ مِنْ سَيِّئِ عَمَلِهِ، وَمِمَّا يَسْتَشْعِرُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ حُسْنِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْبَقِيَّةِ. وَمَعَ أَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ تَذَلُّ بِوُضُوحٍ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، فَإِنَّ هُنَاكَ أَنْاسًا يُجَادِلُونَ فِي وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ (كَالنَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَأَبِيِّ بَنٍ خَلْفٍ...) بِدُونِ عِلْمٍ، وَلَا مَعْرِفَةٍ فِيمَا يَقُولُونَ، وَبِدُونِ أَنْ يَسْتَنِدُوا إِلَى كِتَابٍ مَأْثُورٍ، أَوْ حُجَّةٍ صَحِيحَةٍ. سَخَّرَ لَكُمْ - لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ.

أُسَبِّحَ - أَتَمَّ وَأَوْسَعَ وَأَكْمَلَ.

(آبَاءَنَا) (الشَّيْطَانُ)

(٢١) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَا كِتَابٍ، لَا مَطْمَعٍ فِي هِدَايَتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى آتِبَاعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ شَرْعٍ وَهُدًى قَالُوا: إِنَّهُمْ يُفَضِّلُونَ آتِبَاعَ مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ مِنْ دِينٍ، لِأَنَّ آبَاءَهُمْ، وَأَسْلَافَهُمْ لَا يَقْعُونَ جَمِيعًا فِي الْخَطَا.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: أَتَتَّبِعُونَ آبَاءَهُمْ وَأَسْلَافَهُمْ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا عَلَى خَطَاٍ وَضَلَالٍ فِيمَا يَعْبُدُونَ؟ وَحَتَّى وَلَوْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ

(١٩) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ

صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ
لَصَوْتُ الْحَمِيرِ

(٢٠) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسَبَّحَ
عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً
وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ

(٢١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ
يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ

مَا زَيْتٌ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ؟ وَمَنِ اتَّبَعَ الشَّيْطَانَ أَوْصَلَهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ وَسَعِيرَهَا.

(عَاقِبَةُ)

(٢٢) - وَمَنْ يُخْلِصِ الْعَمَلَ لِلَّهِ، وَيَخْضَعُ لِأَمْرِهِ، وَيَتَّبِعْ شَرْعَهُ، وَهُوَ مُخْسِنٌ فِي عَمَلِهِ بِاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ، فَقَدْ تَعَلَّقَ بِأَوْتَقِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ، وَحُسْنِ جَزَائِهِ، وَالنَّاسُ رَاجِعُونَ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ، وَأَعْمَالُهُمْ وَأُمُورُهُمْ صَائِرَةٌ إِلَيْهِ فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ.

يُسَلِّمُ وَجْهَهُ لِلَّهِ - يَقْرَضُ أَمْرَهُ كُلَّهُ لِلَّهِ.

اسْتَمْسَكَ - تَمَسَّكَ وَاعْتَصَمَ وَتَعَلَّقَ.

الرُّغْوَةُ الْوُثْقَى - بِالْعَهْدِ الْأَوْتَقِ الَّذِي لَا نَقْضَ لَهُ.

(٢٣) - وَيُسَلِّيَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ فَيَقُولُ لَهُ: أَمَّا مَنْ كَفَرَ بِمَا جِئْتَهُ بِهِ، فَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَسَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُغْرِضُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَيَجْزِيهِمْ بِهَا، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ خَافِيَةٌ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ نَوَايَا.

(٢٤) - وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَهِّلُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَمَنًا قَلِيلًا يَتَمَتَّعُونَ فِيهِ، وَيَنْعَمُونَ بِزُخَارِفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ عَلَى كُرْهِ مِنْهُمْ (نَضْطَرُّهُمْ) لِيَذُوقُوا فِيهَا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ الْكَبِيرَ الشَّاقَّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. الْعَذَابُ الْغَلِيظُ - الشَّدِيدُ الثَّقِيلُ.

(لَتُنَ) (السَّمَاوَاتِ)

(٢٥) - وَإِذَا سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ، هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللَّهُ. لِأَنَّهُمْ لَا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَإِذْ أَنْضَحَ صِدْقَكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَأَسْتَبَانَ الْحَقُّ، فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلْجَأَهُمْ إِلَى الْاِعْتِرَافِ بِالْحَقِّ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ الْمُسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ وَحْدَهُ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٦) - وَاللَّهُ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ، مُلْكًا وَخَلْقًا وَتَصَرُّفًا، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ سِوَاهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةُ فِيهِمَا غَيْرُهُ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَةِ الْخَلْقِ لَهُ، وَعَنْ عَوْنِهِمْ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ.

وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ
إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُخْسِنٌ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالرُّغْوَةِ الْوُثْقَى
وَالِإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ

وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ
لِيَنَامِرْ جَعْلَهُمْ فَنِيَّتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

نَمَتُّهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى
عَذَابٍ غَلِيظٍ

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

(أَنَّ مَا) (أَقْلَامُ) (كَلِمَاتُ)

(٢٧) - وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ أَغْصَانِ الشَّجَرِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْأَرْضِ جُعِلَتْ أَقْلَامًا لَتُكْتُبَ بِهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ، وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْبَحْرِ جُعِلَ حَبْرًا (مِدَادًا)، ثُمَّ أَمَدَّتْهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَقْلَامِ تَتَحَطَّمُ، وَجَمِيعَ الْبَحَارِ تَجْفُ مِيَاهُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ كِتَابَةُ كَلِمَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ، وَالْمُعْبَرَةِ عَمَّا خَلَقَ، وَعَنْ خَصَائِصِ مَا خَلَقَ. . . فَاللَّهُ تَعَالَى عَزِيزٌ لَا يُضَامُّ، حَكِيمٌ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ. مَا نَفَقْتُ - مَا فَرَعْتُ وَمَا فَنَيْتُ. يَمُدُّهُ - يَزِيدُهُ وَيَنْصَبُ فِيهِ.

(وَاحِدَةٌ)

(٢٨) - وَلَيْسَ خَلْقُ النَّاسِ جَمِيعُهُمْ، وَلَا بَعْثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ إِلَّا كَخَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَالْجَمِيعُ هَيِّنٌ عَلَيْهِ (وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلَمَحٍ بِالْبَصْرِ^(١))، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِ الْعِبَادِ، بَصِيرٌ بِأَفْعَالِهِمْ.

(اللَّيْلِ)

(٢٩) - أَلَمْ تَنْظُرْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ نَظْرَ اعْتِبَارٍ وَتَأْمُلٍ، أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ مَتَدَاخِلَيْنِ، يَتَلَوَّأُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، يَتَنَوَّانِ الطُّوْلَ وَالْقَصْرَ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِمَصْلَحَةِ خَلْقِهِ، وَمَنْفَعَتِهِمْ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مُعَيَّنٍ إِذَا بَلَغَهُ أَنْتَهَى أَمْرُهُ؟ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. يُوَلِّجُ - يَدْخِلُ.

(الْبَاطِلُ)

(٣٠) - وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَائِنَاتِ، وَقَدَّرَهَا، وَسَخَّرَهَا، وَجَعَلَ لَهَا أَجَلًا مُعَيَّنًا. . . لِأَنَّهُ الْإِلَٰهَ الْحَقُّ، وَلَا حَقَّ سِوَاهُ، وَلَا يَسْتَرْجِبُ الْعِبَادَةَ غَيْرَهُ، وَلَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ لِلْعَبَثِ وَاللَّهْوِ وَالتَّسْلِيَةِ، وَإِنَّمَا خَلَقَهُمْ لِحُكْمِهِ يَقْدَرُهَا هُوَ، وَهُوَ تَعَالَى يُظْهِرُ لِلْخَلْقِ آيَاتِهِ لِيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى أَنَّهُ الْإِلَٰهَ الْحَقُّ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ بَاطِلٌ. وَلِيَسْتَدِلُّوا عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي الَّذِي لَا أَكْبَرَ مِنْهُ، وَلَا أَعْلَى، وَأَنَّ الْكُلَّ خَاضِعٌ إِلَيْهِ وَهُوَ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ.

﴿٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿٨﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا

كَفَسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

﴿٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

وَيُولِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي

إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ

مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ

اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

(بِنِعْمَةِ) (آيَاتِهِ) (لَايَاتِ)

(٣١) - أَلَمْ تُشَاهِدْ بِمَا آتَاهَا الْإِنْسَانُ السُّفْنَ وَهِيَ تَمْحَرُّ عُيَابَ الْبَحْرِ، وَهِيَ تَحْمِلُ الْبَشَرَ وَالْمَتَاعَ وَالْأَنْعَامَ وَالْمُؤْنَ، مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، لِيَنْفَعَ بِهَا النَّاسُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَهَذِهِ السُّفْنَ تَسِيرُ بِقُوَّةِ الرِّيحِ الَّتِي يُسَخِّرُهَا اللَّهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَحْفَظُهَا مِنَ الْغَرَقِ، وَالضَّيَاعِ فِي الْبَحْرِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَشَرِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ، لِكُلِّ صَبَّارٍ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْبَلَاءِ، شُكُورٍ لِرَبِّهِ عَلَى النِّعَمَاءِ.

(نَجَاهُ) (بَايَاتِنَا)

(٣٢) - وَإِذَا أَحَاطَتْ بِمَنْ يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ، أَمْوَاجٌ عَلَيْهِ كَالْجِبَالِ أَوْ لَغَمَامٍ (كَالظُّلَلِ)، يَدْعُونَ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْعِبَادَةَ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا قُدْرَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى نَفْعِهِمْ وَإِنْقَازِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ. فَإِذَا اسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَائِهِمْ، وَأَنْقَذَهُمْ وَأَوْصَلَهُمْ إِلَى الْبَرِّ سَالِمِينَ، كَانَ بَيْنَهُمْ أَنْاسٌ تَوَسَّطُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، مُعْتَدِلُونَ فِي عَمَالِهِمْ، مُؤَفَّونَ بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ حِينَمَا كَانُوا فِي الْبَحْرِ. وَكَانَ بَيْنَهُمْ أَنْاسٌ نَاكِثُونَ لِلْعَهْدِ، كُفَّارٌ بِالنِّعَمِ اللَّهِ. وَلَا يَجْحَدُ بِالنِّعَمِ اللَّهِ يَكْفُرُهَا إِلَّا كُلُّ شَدِيدِ الْعَدْرِ، كَافِرٍ بِالنِّعَمِ.

لُظْلَلٍ - الْغَمَامِ الَّذِي يُظَلِّلُ.

مُقْتَصِدٌ - سَالِكٌ لِلطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ.

لِخْتَارٍ - الْعَدَارِ.

(الْحَيَاةُ) (يَا أَيُّهَا)

(٣٣) - يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَاهُ لِيُنْقِذُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَهْوَالِهِ، فَهُوَ يَوْمٌ لَا يَسْتَطِيعُ فِيهِ أَحَدٌ نَفْعَ أَحَدٍ، فَلَا الْوَالِدُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْذِيَ ابْنَهُ، وَلَا الْمَوْلُودُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْذِيَ وَالِدَهُ، أَوْ أَنْ يَنْفَعَهُ بَشِيءٌ، أَوْ أَنْ يَحْمِلَ مِنْ دُونِهِ شَيْئًا، وَلَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا إِيمَانُهُ بِرَبِّهِ، وَإِخْلَاصُهُ الْعِبَادَةَ لَهُ، وَعَمَلُهُ الصَّالِحِ. ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِأَلَّا تَلْهَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا، وَزِينَتِهَا، وَمَتَاعِهَا، عَنِ الْعَمَلِ النَّافِعِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا. كَمَا يَأْمُرُهُمْ بِأَلَّا يَغْرَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَحْمِلَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي بِزِينَتِهَا لَهُمْ.

(٣١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ

(٣٢) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا

اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا
بَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ

(٣٣) يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَتَقْوَارِبَكُمْ وَأَخْشَوْا

يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارِعٌ عَنْ وَالِدِهِ
شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا
تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ

يَوْمًا لَا يَجْزِي - لَا يَقْضِي فِيهِ شَيْئًا.
فَلَا تَغُرُّكُمْ - فَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ وَتُلْهِيَنَّكُمْ بِلَذَائِهَا.
الْفُرُورُ - الشَّيْطَانُ وَكُلُّ مَا يَغُرُّ وَيَخْدَعُ.

(٣٤) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى خَمْسَةَ أَشْيَاءٍ اخْتَصَّ نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ بِعِلْمِهَا، فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ سِوَاهُ وَهِيَ:
- عِلْمُ السَّاعَةِ - فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَوْعِدَ قِيَامِ السَّاعَةِ.
- انْزَالُ الْغَيْثِ - فَهُوَ تَعَالَى يُنْزِلُ الْغَيْثَ فِي وَقْتِهِ الْمُقَدَّرِ، وَمَكَانِهِ الْمُعَيَّنِ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.
- عِلْمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَمِنْ جَنِينٍ تَامَ الْخَلْقِ أَوْ نَاقِصِهِ... وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ذَلِكَ، فِي بَدْءِ تَخْلُقِ الْجَنِينِ.
- مَا تَكْسِبُهُ النَّفْسُ فِي عَدِّهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَلَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ.
- مَكَانُ الْوَفَاةِ وَزَمَانُهَا - فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَنْ يَعْلَمَ أَيْنَ يَمُوتُ وَمَتَى يَمُوتُ.
وَالَّذِي يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ.

٣٤ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا
تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ
بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ الرَّ

أَلِفٌ لَامٌ مِيمٌ.
(١) اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(الْكِتَابِ) (الْعَالَمِينَ)

(٢) - إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ، الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا هُوَ بِشِعْرٍ وَلَا سِحْرٍ وَلَا هُوَ مُفْتَرَى عَلَى اللَّهِ.

(أَفْتَرَاهُ) (أَتَاهُمْ)

(٣) - إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَى الْقُرْآنَ عَلَى رَبِّهِ، وَهَذَا كَذِبٌ مِنْهُمْ وَتَخَرُّصٌ، فَهُوَ الْحَقُّ وَالصَّدَقُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ لِتُنذِرَ بِهِ قَوْمَكَ، وَتُخَوِّفَهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ، عِقَابًا لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ.

وَقَوْمُكَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَذِيرٌ مِنْ قَبْلِكَ يُبَيِّنُ لَهُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ فَأَرْسَلْنَاكَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ لِيُنذِرَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَيُرْشَدُونَ.

افْتَرَاهُ - اخْتَلَقَ الْقُرْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٤) - لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ (وَهَذِهِ الْأَيَّامُ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ كُنْهَهَا، وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَتْ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ الدُّنْيَا، وَقَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمَالِكُ لِأَرْزَمَةِ الْأُمُورِ، وَهُوَ الْمُدَبِّرُ لِشُؤْنِ خَلْقِهِ، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ مِنْ دُونِهِ مَنْ يَلِي أُمُورَهُمْ أَوْ يَنْصُرُهُمْ مِنْهُ إِنْ أَرَادَ بِهِمْ ضَرًّا، وَلَيْسَ لَهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَهُ إِنْ أَرَادَ عِقَابَهُمْ عَلَى مَعَاصِيهِمْ. أَفَلَا يُدْرِكُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فَيَعْتَبِرُ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ عَقْلٌ يُدْرِكُ بِهِ؟

٢ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ
مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

٣ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ
مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ

٤ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ

(٥) - وَمِنْ دَلَائِلِ عَظَمَتِهِ تَعَالَى أَنَّهُ يُدَبِّرُ أَمْرَ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ، وَتُرْفَعُ إِلَيْهِ نَتَائِجُ تَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ، وَهُوَ تَعَالَى فِي عِلَاهِهِ، فِي يَوْمٍ مُقَدَّرٍ بِأَلْفِ سَنَةٍ مِنْ سِنِيِّ الدُّنْيَا الَّتِي تَعْدُوْنَهَا. يَرْجِعُ إِلَيْهِ - يَصْعَدُ الْأَمْرُ، يَرْتَفِعُ إِلَيْهِ.

(عَالِمٌ) (الشَّهَادَةُ)

(٦) - ذَلِكَ الْمَوْصُوفُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ، هُوَ الْعَالِمُ بِمَا يَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِكُمْ، مِمَّا تُكِنُّهُ الصُّدُورُ، وَتُخْفِيهِ النَّفُوسُ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا تُشَاهِدُهُ الْأَبْصَارُ وَتُعَايِنُهُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي فَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِمَنْ تَابَ مِنْ ضَلَالِهِ وَرَجَعَ إِلَى الْإِيمَانِ.

(الْإِنْسَانُ)

(٧) - وَهُوَ الَّذِي أَحْسَنَ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ وَاتَّقَنَهَا، وَأَحْكَمَهَا، وَقَدْ خَلَقَ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ مِنْ طِينٍ. أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ - أَحْكَمَهُ وَاتَّقَنَهُ.

(سُلَالَةٌ)

(٨) - ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَ آدَمَ يَتَنَاسَلُونَ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ، تَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ، وَتَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ الْأُنْثَى. سُلَالَةٌ - خُلَاصَةٌ. مَهِينٌ - ضَعِيفٌ، وَقَلِيلٌ.

(سَوَاهُ) (الْأَبْصَارُ)

(٩) - ثُمَّ عَدَّلَهُ وَأَكْمَلَ خَلْقَهُ فِي الرَّحِمِ، وَصَوَّرَهُ عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ فَظَهَرَتْ فِيهِ آثَارُ الْحَيَاةِ، وَأَنْعَمَ عَلَى الْبَشَرِ بِمَنْحِهِمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَالْأَفْئِدَةَ الَّتِي يُمَيِّزُونَ بِهَا بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ فَإِنَّ الْبَشَرَ قَلِيلُو الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى. سَوَاهُ - قَوْمُهُ بِتَصْوِيرِ أَعْضَائِهِ وَتَكْمِيلِهَا.

(إِذَا) (إِنَّا) (كَافِرُونَ)

(١٠) - وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، الْمُكَذِّبُونَ بِالنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّينَ: هَلْ إِذَا صَارَتْ لِحُومُنَا وَعِظَامُنَا تُرَابًا، وَتَفَرَّقَتْ فِي الْأَرْضِ، وَاخْتَلَطَتْ بِتُرَابِهَا فَلَمْ نَعُدْ تَمَيِّزُ عَنْهُ، سُبِّحَتْ مَرَّةً أُخْرَى، وَنُخْلَقَ خَلْقًا جَدِيدًا؟ وَهَؤُلَاءِ

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ

ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ

وَقَالُوا آءَآءَ ضَلَّلَنَا فِي الْأَرْضِ آءَ نَالَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ

الْمُشْرِكُونَ يَنْكُرُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ، وَيَكْفُرُونَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ - ضِغْنًا فِيهَا وَصَرْنَا تُرَابًا.

(يَتَوَفَّاكُم)

(١١) - قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ، الَّذِي وَكَّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ، يَقُومُ بِمَا كُلَّفَ بِهِ، وَيَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ حِينَمَا تَسْتَفِذُ الْخَلَائِقُ أَجَالَهَا، ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ.

(نَاكِسُو) (صَالِحًا) (رُؤُوسِهِمْ)

(١٢) - وَإِنَّكَ لَتَرَى عَجَبًا يَا مُحَمَّدٌ لَوْ أُتِيحَ لَكَ أَنْ تَرَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ الْقَائِلِينَ: (إِذَا مِتْنَا وَتَفَرَّقَتْ أَجْسَامُنَا فِي الْأَرْضِ سَنُخْلَقُ خَلْقًا جَدِيدًا)، وَهُمْ وَاقِفُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، وَهُمْ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ حَيَاءً وَخَجَلًا مِنْهُ، لِمَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ مَعَاصٍ فِي الدُّنْيَا، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا الْحَشَرَ، وَسَمِعْنَا قَوْلَ الرَّسُولِ، وَصَدَّقْنَا بِهِ، فَأَرْجِعْنَا إِلَى الدُّنْيَا نَعْمَلْ صَالِحًا، فَإِنَّا أَتَيْنَا الآنَ مَا كُنَّا نَجْهَلُهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ وَحْدَانِيَّتِكَ، وَأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلْعِبَادَةِ سِوَاكَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ أَعَادَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا لَعَادُوا إِلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بآيَاتِ اللَّهِ. نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ - مَطْرِقُوهَا خِزْيًا وَنَدَمًا.

(لَا تَيْنَا) (هَذَاهَا)

(١٣) - وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُلْهِمَ كُلَّ نَفْسٍ مَا تَهْتَدِي بِهِ، إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَفَعَلَ، وَلَكِنْ تَدْبِيرُهُ تَعَالَى لِلْخَلْقِ، وَحِكْمَتُهُ، قَضَا بِأَنْ تَوْضَعَ كُلَّ نَفْسٍ فِي الْمَرْتَبَةِ الَّتِي هِيَ أَهْلُ لَهَا، بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهَا. وَقَدْ سَبَقَ الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ سَيَمْلَأُ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لِعِلْمِهِ تَعَالَى أَنَّ أَكْثَرَهُمْ سَيَخْتَارُونَ الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى. حَقَّ الْقَوْلُ - ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ وَنَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ. الْجِنَّةُ - الْجِنَّ.

(نَسِينَاكُمْ)

(١٤) - وَيُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ، عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ بِهَذَا الْيَوْمِ، وَاسْتِعْصَادِكُمْ وَقُوعَهُ. وَسَيُعَامِلُكُمْ رَبُّكُمْ مُعَامَلَةً مِّنْ نَّسِيكُمُ لِأَنَّكُمْ نَسِيتُمْ رَبَّكُمْ، وَنَسِيتُمْ لِقَاءَهُ فذُوقُوا عَذَابًا تَخْلُدُونَ فِيهِ أَبَدًا، وَذَلِكَ جَزَاءُ لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَمَعَاصِيكُمْ.



﴿١١﴾ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكٌ

الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ

﴿١٢﴾ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ

نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ

﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ

هُدًى وَنَهَأْنَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

﴿١٤﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ

هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(بَيَاتِنَا)

(١٥) - إِنَّمَا يُصَدِّقُ بَيَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا وُعِظُوا بِهَا أَسْتَمَعُوا إِلَيْهَا خَاشِعِينَ، وَأَطَاعُوهَا مُمْتَلِينَ، وَخَرُّوا سُجَّدًا لِلَّهِ خُضُوعًا وَخَشْيَةً، وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ أَتَابِعِهَا، وَلَا يَقْيَادُ إِلَيْهَا.

(رَزَقْنَاهُمْ)

(١٦) - وَهُمْ يَخْرُونَ مَضَاجِعَهُمْ لِيَقُومُوا فِي اللَّيْلِ إِلَى الصَّلَاةِ وَالنَّاسِ نِيَامًا، وَلِيدْعُوا رَبَّهُمْ تَضَرُّعًا إِلَيْهِ، وَخَوْفًا مِنْ سَخِطِهِ، وَطَمَعًا فِي عَفْوِهِ عَنْهُمْ، وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ مَالٍ. (وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ هِيَ قِيَامُ الْعَبْدِ أَوَّلَ اللَّيْلِ).

تَتَجَافَى - تَرْتَفِعُ وَتَتَنَحَّى لِلْعِبَادَةِ.

الْمَضَاجِعِ - الْفُرُشِ الَّتِي يُضْطَجَعُ عَلَيْهَا

(١٧) - وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ عَظَمَةَ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ وَأَخْفَاهُ فِي الْجَنَاتِ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ، وَاللَّذَائِدِ الَّتِي لَمْ يَطْلُعْ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِهَا، جَزَاءً وَفَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، لَقَدْ أَخْفَا أَعْمَالَهُمْ فَأَخْفَى اللَّهُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ - مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَسَرَّةِ وَالْفَرَحِ.

(يَسْتَوُونَ)

(١٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي فِي حُكْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ مُتَّبِعًا رَسُولَهُ، مَعَ مَنْ كَانَ خَارِجًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ (فَاسِقًا)، مُكَذِّبًا رَسُولَهُ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَاتٍ)

(١٩) - أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَأَنْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ. فَهَؤُلَاءِ لَهُمُ الْجَنَاتُ الَّتِي فِيهَا الْمَسَاكِينُ، وَالذُّورُ، وَالْغُرَفُ الْعَالِيَاتُ (جَنَاتُ الْمَأْوَى) يَحْلُونَ فِيهَا نُزُلًا فِي ضِيَافَةٍ وَكَرَامَةٍ، جَزَاءً لَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ. نُزُلًا - ضِيَافَةً وَعَطَاءً وَتَكْرَمَةً.



سُجْدَةٌ

١٥ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِبَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

١٦ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

١٧ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

١٨ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ

١٩ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(فَمَا وَهُمْ)

(٢٠) - وَأَمَّا الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ (فَسَقُوا) وَكَفَرُوا بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ. . فَإِنَّ مَا وَهُمْ سَيَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَكُلَّمَا حَاوَلُوا الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ يَرُدُّونَ إِلَيْهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَقْرِيعًا: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ، بِمَا كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّكُمْ صَارْتُمْ فِيهِ.

(٢١) - وَسَيَسْتَبِيلُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَصَائِبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِنَ الْقَتْلِ، وَالْأَسْرِ وَالثَّقَلِ، وَفَقْدِ الْمَالِ، وَالْمَرَضِ وَالْمَصَائِبِ الْأُخْرَى، لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ، وَيَتُوبُونَ إِلَى رُسُلِهِمْ، وَيَقْلَعُونَ عَنِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَهَذَا الْعَذَابُ الْأَدْنَى يَحِلُّ بِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(بَيِّنَات)

(٢٢) - وَلَا أَحَدٌ أَكْثَرَ ظُلْمًا مِنْ إِنْسَانٍ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِآيَاتِهِ، وَبَيَّنَّاهُ لَهُ وَوَضَحْنَا، ثُمَّ جَحَدَهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَتَنَاسَاهَا كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا، وَلَمْ يَعْرِفْهَا. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُ سَيَنْتَقِمُ مِنَ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ أَجْرَمَ: مَنْ عَقَدَ لَوَاءً فِي غَيْرِ حَقٍّ، أَوْ عَقَّ وَالِدِيهِ، أَوْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ يَنْصُرُهُ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ).

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ) (لِقَائِهِ) (جَعَلْنَاهُ) (إِسْرَائِيلَ)

(٢٣) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ ﷺ أَنَّهُ أَتَى مُوسَى التَّوْرَةَ (الْكِتَابَ)، لِيَكُونَ هُدًى وَعِظَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، كَمَا أَتَى عَبْدَهُ مُحَمَّدًا الْقُرْآنَ، وَأَمْرُهُ بِالْأَلَا يَكُونُ فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ مِنْ صِحَّةِ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ، فَمُحَمَّدٌ لَيْسَ بِدُعَا فِي الرُّسُلِ، فَقَدْ أَتَى اللَّهُ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كُتُبًا. فِي مِرْيَةٍ - فِي شَكٍّ.

مِنْ لِقَائِهِ - مِنْ تَلْقَائِهِ إِثْنًا بِالرُّضَا وَالْقَبُولِ.

(أَيُّمَةً) (بَيِّنَاتًا)

(٢٤) - وَجَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَيْمَةً فِي الدُّنْيَا، يَهْدُونَ أَتْبَاعَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، لِأَنَّهُمْ صَبَرُوا عَلَى طَاعَتِهِ، وَعَزَفَتْ نَفْسُهُمْ عَنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ، وَبِمَا اسْتَبَانَ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ.

﴿٦٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَهُمْ النَّارُ

كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ

﴿٦١﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ

الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

﴿٦٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ

فَرَأَى أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ

﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ

﴿٦٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ

يَأْمُرُنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِشَايِئِنَا يُوقِنُونَ

(الْقِيَامَةُ)

(٢٥) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ . . وَبِجَازِي كُلِّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ .

(مَسَاكِينُهُمْ) (لَايَاتِ)

(٢٦) - أَوَلَمْ يَتَّبِعْنِ لَهُوْلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، طَرِيقَ الْحَقِّ مِنْ كَثْرَةِ مَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، وَخَالَفَتْهُمْ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ . وَهُوْلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ يَرَوْنَ بِأَمِّ أَعْيُنِهِمْ ذَلِكَ، وَهُمْ يَمْشُونَ فِي أَرْضِ الْبَائِذِينَ، وَيَرَوْنَ مَسَاكِينَهُمْ خَاوِيَةً خَالِيَةً، أَفَلَا يَسْمَعُونَ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لِيَتَّعِظُوا وَيَعْتَبِرُوا؟ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ - أَغْفَلُوا وَلَمْ يَتَّبِعْنِ لَهُمْ مَالَهُمْ؟ الْقُرُونُ - الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ .

(أَنْعَامُهُمْ)

(٢٧) - أَوَلَمْ يَشَاهِدْ هُوْلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، كَيْفَ يُوجِّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ (يُسُوقُ) الْمَطَرُ إِلَى الْأَرْضِ الْقَاجِلَةَ الْمُجْدِبَةَ الَّتِي لَا تَبَاتُ فِيهَا (الْجُرْزُ) فَتَرْتَوِي وَتَنْبُتُ الزَّرُّوعُ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ، أَفَلَا يَبْصُرُونَ ذَلِكَ بِأَمِّ أَعْيُنِهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوَاتِهَا، لِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ، وَنُشْرِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ؟ الْأَرْضُ الْجُرْزُ - الْيَابِسَةُ الْجَرْدَاءُ .

(صَادِقِينَ)

(٢٨) - وَيَقُولُ هُوْلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ أَسْتَبْعَادًا لِحُلُولِ غَضَبِ اللَّهِ بِهِمْ، وَنَقَمَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَكْذِيبًا لِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُ رَبِّهِمْ: مَتَى يَكُونُ هَذَا النُّصْرُ (الْفَتْحُ) الَّذِي تَقُولُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكَ بِهِ عَلَيْنَا، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَقُولُ مِنْ أَنَّنَا مُعَاقِبُونَ عَلَى تَكْذِيبِنَا الرَّسُولَ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُ دِينَهُ، وَيُظْهِرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ؟ هَذَا الْفَتْحُ - النُّصْرُ عَلَيْنَا - الْفَصْلُ فِي الْخُصُومَةِ .

(إِيمَانُهُمْ)

(٢٩) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِذَا حَلَّ يَوْمُ الْفَتْحِ الَّذِي سَيَنْصُرُ اللَّهُ فِيهِ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَيُجِلُّ فِيهِ عَذَابَهُ وَنَقَمَتَهُ بِالْمُشْرِكِينَ، فَلَا يَنْفَعُ الْمُشْرِكِينَ حِينَئِذٍ إِيْمَانُ يُحْدِثُونَهُ فِيهِ، وَلَا يُؤْخَرُونَ لِيَتُوبُوا مِنْ شُرْكِهِمْ

٢٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

٢٦ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ

٢٧ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ

٢٨ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

٢٩ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ

وَكُفِّرْهُمْ، وَلْيَعْمَلُوا صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالٍ
وَلَا يُمَهِّلُونَ لِحَظَةٍ عَنِ الْعَذَابِ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ.
يُنْظَرُونَ - يُمَهَّلُونَ لِيُؤْمِنُوا.

(٣٠) - فَأَعْرِضْ يَا مُحَمَّدٌ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَبَلِّغْ
رِسَالَتَكَ كَمَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ، وَلَا تُبَالِ بِهِمْ، وَانْتَظِرْ مَا سَيَفْعَلُهُ اللَّهُ بِهِمْ،
فَإِنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ وَعَانَدَكَ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا.

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ
مُنْتَظَرُونَ

(٣٣) سُورَةُ الْاِخْرَافِ مَدَنِيَّةٌ
وَايَاتُهَا ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا) (الْكَافِرِينَ) (الْمُنَافِقِينَ)

(١) - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اسْتَمِرَّ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، رَجَاءَ ثَوَابِهِ، وَاجْتَنِبْ مَعْصِيَتَهُ مَخَافَةَ عِقَابِهِ وَعَذَابِهِ، وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِيمَا يَطْلُبُونَهُ مِنْكَ، وَلَا تَسْمَعْ مِنْهُمْ، وَلَا تَسْتَشِرْهُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَا تُصِيرُهُ أَنْفُسُهُمْ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ جَوَانِحُهُمْ - وَهُمْ يُظْهِرُونَ لَكَ النُّصْحَ - مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدَاوَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

(وَرُوِيَ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ بَعْضَ سَرَاةٍ قَرِيشٍ عَرَضُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُعْطَوْهُ نِصْفَ أَمْوَالِهِمْ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ عَنْ دَعْوَتِهِ، وَهَذِهِ الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ بِالْقَتْلِ إِنْ لَمْ يَكْفَ عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ).

اتَّقِ اللَّهَ - دُمْ عَلَى تَقْوَاهُ أَوْ أَرَدَدَ مِنْهَا.

(٢) - وَاعْمَلْ بِمَا يُوجِبُهُ إِلَيْكَ رَبُّكَ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى أَقْوَالِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَتَهْدِيدَاتِهِمْ، فَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ، وَبِمَا يَعْمَلُهُ الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، ثُمَّ يَجْزِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

(٣) - وَاتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَاعْتَمِدْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ وَأَحْوَالِكَ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَافِظًا لِمَنْ يُوَكِّلُ إِلَيْهِ شُؤْنَهُ. وَكَيْلًا - حَافِظًا مُفَوَّضًا إِلَيْهِ كُلُّ أَمْرٍ.

يَتَّيَبُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا

تُطِيعِ الْكَافِرِينَ

وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا



وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ

رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرًا

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

وَكِيلًا

(أَزْوَاجُكُمْ) (اللَّائِي) (تُظَاهِرُونَ) (أُمَّهَاتِكُمْ) (بِأَفْوَاهِكُمْ)

(٤) - وَكَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ لِنَاسٍ قُلُوبَيْنِ فِي صَدْرِهِ، وَكَمَا أَنَّ زَوْجَةَ الرَّجُلِ لَا تَصِيرُ أُمُّهُ بِمُجَرَّدِ مُظَاهَرَتِهِ مِنْهَا، وَقَوْلُهُ لَهَا: (أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي)، كَذَلِكَ لَا يَصِيرُ الدَّعِيُّ ابْنًا لِمَنْ تَبَنَاهُ، بِمُجَرَّدِ ادِّعَاءِ الرَّجُلِ الْمُتَّبَنِي أَنْ الْوَلَدَ الْمُتَّبَنِي (الدَّعِيُّ) ابْنُهُ بِالتَّبْنِي. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِرِجْلَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي، وَدَعْوَةُ الرَّجُلِ الْوَلَدَ الْمُتَّبَنِي أَنَّهُ ابْنُهُ، إِنَّمَا هُوَ قَوْلُ هَؤُلَاءِ الْفَائِلِينَ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْوَاقِعِ وَلَا حُكْمَ، فَلَا تَصِيرُ الزَّوْجَةُ أُمًّا لِرِجْلَتِهَا، وَلَا يَثْبُتُ بِدَعْوَى التَّبْنُو نَسَبُ الْوَلَدِ الْمُتَّبَنِي لِمَنْ تَبَنَاهُ. وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَالصَّدَقَ، وَيَهْدِي عِبَادَهُ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، فَدَعُوا مَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ وَمَا تَدْعُونَ، وَخُذُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى.

تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ - تُحَرِّمُونَهُنَّ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِكُمْ.

أَدْعِيائِكُمْ - مَنْ تَبَنَيْتُمْ مِنْ أَبْنَاءِ غَيْرِكُمْ.

(لَا بَأَئِهِمْ) (آبَاءُهُمْ) (فَإِخْوَانُكُمْ) (مَوَالِيَكُمْ)

(٥) - يَنْسَخُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُكْمَ التَّبْنِي الَّذِي كَانَ مَعْمُولًا بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَدْ كَانَ التَّبْنِي جَائِزًا وَظَلَّ حُكْمُ التَّبْنِي سَارِيًّا فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَتَّبَنِي وَلَدَ غَيْرِهِ، فَيُصْبِحُ حُكْمُهُ حُكْمَ الْوَلَدِ مِنَ الصُّلْبِ، فِي أُمُورِ النَّسَبِ وَالْمِيراثِ. . . وَلَكِنْ اللَّهُ تَعَالَى نَسَخَ حُكْمَ التَّبْنِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ. وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَدِّ نَسَبِ الْأَدْعِيَاءِ (الْأَوْلَادِ بِالتَّبْنِي) إِلَى آبَائِهِمُ الْحَقِيقِيِّينَ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْعَدْلُ وَالْقِسْطُ وَالْبِرُّ.

(فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا زَيْدٌ بْنُ حَارِثَةَ لَا زَيْدٌ بْنُ مُحَمَّدٍ)، أَمَّا إِذَا كَانَ الْوَلَدُ الْمُتَّبَنِي لَا يَعْرِفُ أَبُوهُ لِيُنْسَبَ إِلَيْهِ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْدُوا هَؤُلَاءِ الْأَدْعِيَاءَ إِخْوَانًا لَهُمْ فِي الدِّينِ - إِنْ كَانُوا قَدْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ - وَأَنْ يَعْدُوهُمْ مَوَالِيَهُمْ إِنْ كَانُوا مُحَرَّرِينَ (فَيُقَالُ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ).

وَلَا حَرَجَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَخْطَؤُوا فِيهِ مِنْ نَسَبِ بَعْضِ هَؤُلَاءِ الْأَدْعِيَاءِ إِلَى غَيْرِ آبَائِهِمْ، بَعْدَ اسْتِفْرَاجِ الْجَهْدِ فِي الْبَحْثِ وَالِاسْتِفْصَاءِ، أَوْ فِيمَا يَسْبِقُهُمْ بِهِ لِسَانُهُمْ، وَلَكِنْ الْحَرَجُ وَالِإِثْمُ وَالْمُؤَاخَذَةُ تَقَعُ عَلَى مَنْ يَفْعَلُونَهُ مُتَعَمِّدِينَ بِهَ الْبَاطِلِ. وَاللَّهُ غَفُورٌ لَذَنْبٍ مَنْ تَابَ أَوْ أَخْطَأَ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ، وَهُوَ رَحِيمٌ بِهِ فَلَا يُعَاقِبُهُ مِنْ بَعْدِ التَّوْبَةِ.

أَقْسَطُ - أَعْدَلُ.

مَوَالِيَكُمْ - أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الدِّينِ.

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِلرَّجُلِ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي

جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ

الَّتِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ

وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ

ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ

يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

أَدْعُوهُمْ لَا بَأَئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ

عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ

فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ

وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا

أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ

قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا

(أَرْوَاجُهُ) (أُمَهَاتُهُمْ) (أُولُو) (كِتَابِ) (الْمُهَاجِرِينَ) (أُولِيَايَكُمْ)

(٦) - جَعَلَ اللَّهُ الرَّسُولَ ﷺ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَوَلَايَتُهُ مُقَدَّمَةٌ عَلَىٰ وَلَايَتِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْمُرُهُمْ إِلَّا بِمَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَصَلَاتُهُمْ، أَمَّا النَّفْسُ فَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، وَقَدْ تَجَهَّلَ بَعْضُ الْمَصَالِحِ. وَجَعَلَ أَرْوَاجَ النَّبِيِّ فِي مَقَامِ الْأُمَهَاتِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْحُرْمَةِ وَالاحْتِرَامِ. وَكَانَ التَّوَارُثُ فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ بِالْحِلْفِ وَالْمُوَاحَاةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ الْمُتَاخِيَانِ يَتَوَارَثَانِ (وَإِنْ كَانَا مُخْتَلِفَيْنِ نَسَبًا) دُونَ سَائِرِ الْأَقْرَبَاءِ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ هَذَا التَّعَامُلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَرَدَّ الْمِيرَاثَ إِلَىٰ أَقْرَبَاءِ النَّسَبِ، فَجَعَلَ أُولَىٰ الْأَرْحَامِ بِحَقِّ الْقَرَابَةِ، أُولَىٰ بِالْمِيرَاثِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِحَقِّ الدِّينِ، وَالْمُهَاجِرِينَ بِحَقِّ الْهَجْرَةِ. وَأَسْتَشْنَىٰ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ الْوَصِيَّةَ (الْمَعْرُوفَ)، الَّتِي يُرِيدُ أَحَدُهُمْ أَنْ يُوصِيَ بِهَا إِلَىٰ أَحَدِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ (أُولِيَايَكُمْ) فَإِنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ يَسْتَحِقُّهَا دُونَ ذَوِي الْحُقُوقِ فِي الْمِيرَاثِ مِنْ أَقْرَبَاءِ النَّسَبِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: إِنْ جَعَلَ ذَوِي الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَىٰ بَعْضٍ فِي الْمِيرَاثِ هُوَ حُكْمٌ قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، وَأَثَبْتُهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي لَا يُبَدَّلُ وَلَا يُغَيَّرُ. أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ - أَرَأَيْتُمْ بِهِمْ، وَأَنْفَعَ لَهُمْ. أَرْوَاجُهُ أُمَهَاتُهُمْ - مِثْلُهُمْ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِهِمْ وَتَعْظِيمِ حُرْمَتِهِمْ. أُولُو الْأَرْحَامِ - ذَوُو الْقَرَابَاتِ.

(النَّبِيِّنَ) (مِيثَاقَهُمْ) (إِبْرَاهِيمَ) (مِيثَاقًا)

(٧) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ ﷺ أَنَّ أُولَىٰ الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ هُمْ خَمْسَةٌ: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمُحَمَّدٌ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ أَخَذَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ، وَعَلَىٰ سَائِرِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، فِي إِبْلَاغِ رِسَالَةِ اللَّهِ لِلنَّاسِ، وَإِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ، وَفِي التَّعَاوُنِ وَالتَّنَاصُرِ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَفَرَّقُوا فِيهِ^(١). وَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَىٰ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ أَنَّهُ سَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا فَعَلُوهُ فِي إِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢)، فَاعْتَبَرَ ذَلِكَ مِيثَاقًا غَلِيظًا، عَظِيمَ الشَّانِ.

مِيثَاقَهُمْ - الْعَهْدَ عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا حَمَلُوا.

مِيثَاقًا غَلِيظًا - عَهْدًا وَثِيقًا قَوِيًّا عَلَى الْوَفَاءِ.

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦.

٦ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاجُهُ أُمَهَاتُهُمْ

وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ

إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَايَكُمْ

مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي

الْكِتَابِ مَسْطُورًا

٧ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ

وَمِنَكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا

مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا

(لَيْسَالُ) (الصَّادِقِينَ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٨) - وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَيْثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَالَهُمْ عَمَّا أَجَابَتْهُمْ بِهِ الْأُمَمُ الَّتِي أَرْسَلُوا إِلَيْهَا، وَعَمَّا فَعَلَتْهُ الْأُمَمُ فِيمَا بَلَغَهُ الْمُرْسَلُونَ إِلَيْهَا مِنْ رِسَالَةِ رَبِّهِمْ، وَلَيْسَالُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ، لِيُكَافِئَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَيْسَالُ الْكَاذِبِينَ عَنْ كَذِبِهِمْ، لِيُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٩) - وَبَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِتَقْوَاهُ، وَبَعْدَ خَوْفٍ مِنْ سِوَاهُ، ذَكَرَ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمٍ، وَمِنْ تَحْقِيقِ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنْ نَصْرِ، وَذَلِكَ جِئْنَا بِجَاءَتْهُمْ جُنُودُ الْأَحْزَابِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا كَفَّاتُ قُدُورَهُمْ، وَأَقْتَلَعَتْ خِيَامَهُمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَلَائِكَةً مِنْ عِنْدِهِ - وَهُمْ جُنُودُهُ، وَلَمْ يَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ - يُوقِعُونَ الْخَوْفَ وَالرُّعْبَ وَالْجَذْلَانَ فِي نَفُوسِ الْمُشْرِكِينَ، فَارْتَحَلُوا فِي لَيْلَةٍ شَتَايَةِ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، وَكَانَ اللَّهُ بَصِيرًا بِأَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ، وَصَدَقَ نَبَاتُهُمْ، فَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْهُمْ.

وَقِصَّةُ الْأَحْزَابِ كَمَا رَوَتْهَا كُتُبُ السِّيَرَةِ كَانَتْ كَمَا يَلِي: إِنَّ نَفَرًا مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ جَاءُوا إِلَى قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ، فِي شَوَالٍ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ لِلْهِجْرَةِ يُحَرِّضُونَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى قَبَائِلِ عَطْفَانَ وَقَيْسِ عِيلَانَ وَأَسَدٍ وَحَالَفُوهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ عَلَى الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ يَدًا وَاحِدَةً، فَخَرَجَتْ هَذِهِ الْقَبَائِلُ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَلَمَّا عَلِمَ الرَّسُولُ بِمَسِيرِهِمْ إِلَيْهِ، اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ يُسَاعِدُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَنَعِ تَقَدُّمِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى دَاخِلِهَا، فَقَامَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ. وَلَمَّا وَصَلَتِ الْقَبَائِلُ الْمُتَحَالِفَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَدُوا الْخَنْدَقَ، فَحَاصَرُوا الْمَدِينَةَ، وَنَشِبَتْ مَنَاوَشَاتٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ. وَفِي أَثْنَاءِ الْحَصَارِ نَقَضَ بَنُو قُرَيْظَةَ عَهْدَهُمْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، بِمَسْعَى مِنْ حُتَيْبِ بْنِ أُخْتَبٍ سَيِّدِ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ الَّذِينَ أَجْلَاهُمُ الرَّسُولُ إِلَى خَيْبَرَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ جَاءَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَهُوَ مِنْ عَطْفَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْلِمُهُ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَأَنَّ قَوْمَهُ لَا يَعْلَمُونَ بِإِسْلَامِهِ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَأْمُرَهُ بِمَا يَرَى فِيهِ الْمَصْلَحَةَ لِلْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَالْحَرْبُ خُدْعَةٌ فَخَذَلْنَا عَنْهَا مَنْ اسْتَطَعْتَ، فَذَهَبَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ - وَكَانَ يُخَالِطُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ قُرَيْشًا وَمَنْ مَعَهَا مِنَ الْقَبَائِلِ لَيْسَ لَهُمْ مَقَامٌ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَنْتُمْ إِذَا مَا عَصَيْتُمْ الْحَرْبَ

لَيْسَالُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ
وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ
تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا

انْسَحِبُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، وَتَبَقُونَ أَنْتُمْ وَحَدُوكُمْ مَعَ مُحَمَّدٍ، وَأَنْتُمْ لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ وَحَدُوكُمْ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَطْلُبُوا رَهَائِنَ مِنْ هَذِهِ الْقَبَائِلِ الَّتِي تُحَاصِرُ الْمَدِينَةَ لِكَيْلَا يَنْسَجِبُوا وَيَتَرَجَعُوا عَنْ قِتَالِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ قَبْلَ الْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ، فَفَعَلُوا.

وَذَهَبَ إِلَى قُرَيْشٍ وَعُظْفَانَ وَالْقَبَائِلِ الْأُخْرَى يَقُولُ لَهُمْ إِنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ نَدِمُوا عَلَى نَقْضِ عَهْدِهِمْ مَعَ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّهُمْ وَعَدُوهُ بِأَنْ يُسَلِّمُوهُ وَجُوهَ الْقَبَائِلِ لِيَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، عَلَى أَنْ يَعُودَ الْعَهْدُ بَيْنَهُمْ وَيَبْنِيَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ. فَدَبَّ الْخِلَافُ وَالْجِدْلَانِ، وَسَادَ الشُّكُّكَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَبَيْنَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَأَسْتَشْعَرَ كُلُّ فَرِيقٍ الْحَذَرَ مِنَ الْآخَرِ. وَفِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ بَارِدَةٌ أَخَذَتْ تَكْفَأُ الْقُدُورَ، وَتَقْتَلِعُ الْخِيَامَ، فَنَادَى أَبُو سُفْيَانٍ بِالرَّجُلِ فِي النَّاسِ فَارْتَحَلُوا. جَاءَتْكُمْ جُنُودُ - الْأَحْزَابِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ.

(الْأَبْصَارُ) (جَاؤُوكُمْ)

(١٠) - حِينَ جَاءَتْكُمْ الْأَحْزَابُ مِنَ أَعْلَى الْوَادِي (مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ)، وَمِنْ أَسْفَلِهِ (مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ)، وَحِينَ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَأَضْطَرَبَتِ الرُّوْيَةُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ الَّذِي آغَرَتِ الْمُسْلِمِينَ، وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ (وَهُوَ تَعْبِيرٌ عَنِ الضَّيْقِ وَشِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ وَالْيَأْسِ الَّذِي آغَرَتِ الْمُسْلِمِينَ) وَنَشَطَ الْمُنَافِقُونَ يُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ، وَيُشِيرُونَ الشُّكُوكَ بِالْإِشَاعَاتِ الْكَاذِبَةِ الْمُبْطِطَةِ الَّتِي كَانُوا يَنْشُرُونَهَا لِإِضْعَافِ ثِقَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَبِقُدْرَتِهِمْ عَلَى الْقِتَالِ، حَتَّى طَنَّ بَعْضُ ضِعَافِ الْفُوسِ وَالْإِيمَانِ أَنَّ الْأَحْزَابَ سَيَسْتَاصِلُونَ شَاقَّةَ الْمُسْلِمِينَ. وَقَالَ مُعْتَبُ بْنُ قُسَيْبٍ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ.

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ فَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُ الْمُسْلِمِينَ، وَسَيَنْصُرُ دِينَهُ وَيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. زَاغَتِ الْأَبْصَارُ - مَالَتْ عَنْ سَمَتِهَا حَيْرَةً وَدَهْشَةً. بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ - تَمَثَّلَتْ لِشِدَّةِ الْخَوْفِ.

(١١) - وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ آمَنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحَصَّهُمْ أَشَدَّ التَّمْحِصِ، فَظَهَرَ الْمُخْلِصُ الرَّاسِخُ الْإِيمَانِ، مِنَ الْمُنَافِقِ الْمُتَزَلِّزِ، وَأَضْطَرَبُوا أَضْطِرَابًا شَدِيدًا مِنَ الْخَوْفِ الَّذِي أَصَابَهُمْ. ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ - اخْتَبِرُوا بِالشَّدَائِدِ وَمُحْصُوا. زُلْزِلُوا - أَضْطَرَبُوا كَثِيرًا مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ.

١٠ إِذَا جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذَا زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا

١١ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا

(الْمُنَافِقُونَ)

(١٢) - أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَبَدَّوْا نَفْسَهُمْ، فَقَالَ مُعْتَبِرٌ بْنُ قُسَيْبٍ مَا قَالَ، وَقَالَ ضَعَّافُ الْإِيمَانِ وَالَّذِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ رَيْبٌ وَشَكٌّ، لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ - (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ): (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا)، أَنِّي لَمْ يَكُنْ مَا وَعَدَنَا بِهِ اللَّهُ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِالْعَدُوِّ إِلَّا وَعْدًا يَغُرُّنَا بِهِ وَيَخْدَعُنَا. غُرُورًا - خِدَاعًا وَتَاطُلًا.

(طَائِفَةٌ) (يَا أَهْلَ) (يَسْتَأْذِنُ)

(١٣) - وَأَذْكُرُ يَا مُحَمَّدُ جَيْنَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ (كَعَبِدَ اللَّهُ بْنُ أَبِي آتَيْنَ سُلُوكِ وَأَصْحَابِهِ): يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ (يَتَرَبَّ) لَيْسَ هَذَا الْمَقَامُ، الَّذِي تُقِيمُونَهُ مُرَاطِبِينَ مَعَ النَّبِيِّ، بِمَقَامِ صَالِحٍ لَكُمْ، فَارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ لِتَحْمُوَهَا، وَلِتُدَافِعُوا عَنْهَا وَعَنْ عِيَالِكُمْ. وَاسْتَأْذِنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ ﷺ طَالِبِينَ السَّمَاخَ لَهُمْ بِالْعَوْدَةِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ (وَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ)، وَقَالُوا إِنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَى بُيُوتِهِمِ السَّرَاقَ، وَأَنَّ بُيُوتَهُمْ لَيْسَ لَهَا مَنْ يَحْمِيهَا (عَوْرَةً). وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ قَائِلًا: إِنَّ بُيُوتَهُمْ لَيْسَتْ عَوْرَةً، وَلَا مُهَدَّدَةٌ مِنْ أَحَدٍ كَمَا يَزْعُمُونَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ الْفِرَارَ وَالْهَرَبَ مِنَ الْقِتَالِ، وَعَدَمِ إِعَانَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَرْبِهِمْ أَعْدَاءَ اللَّهِ. يَتَرَبَّ - اسْمُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ قَدِيمًا. لَا مَقَامَ لَكُمْ - لَا إِقَامَةَ لَكُمْ هُنَا. بُيُوتُنَا عَوْرَةٌ - قَاصِبَةٌ، يُخْشَى عَلَيْهَا الْعَدُوُّ. فِرَارًا - هَرَبًا مِنَ الْقِتَالِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

(سُئِلُوا)

(١٤) - وَلَوْ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْمَدِينَةِ، وَكُلُّ قُطْرٍ مِنْ أَقْطَارِهَا (وَقِيلَ بَلِ الْمَقْصُودُ بُيُوتُهُمْ) وَطَلَبُوا إِلَيْهِمْ أَلَّا يَتَدَاوَعُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَالْعَوْدَةَ إِلَى الشُّرْكِ، (لَوْ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) لَفَعَلُوا ذَلِكَ سَرِيعًا دُونَ تَرَدُّدٍ مِنْ شِدَّةِ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِمْ. مِنْ أَقْطَارِهَا - مِنْ نَوَاجِيهَا وَجَوَانِبِهَا. سُئِلُوا الْفِتْنَةَ - طُلِبَ مِنْهُمْ مُقَاتَلَةُ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَلَّا يَتَدَاوَعُوا عَنِ الْإِسْلَامِ. مَا تَلَبَّثُوا بِهَا - مَا تَأَخَّرُوا عَنِ الْقِيَامِ بِمَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ.

(عَاهَدُوا) (الْأَذْيَارَ)

(١٥) - وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَأْذِنُونَ - وَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ - قَدْ هَرَبُوا مِنَ الْقِتَالِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَفَرُّوا مِنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، ثُمَّ تَابُوا وَعَاهَدُوا اللَّهَ عَلَى أَلَّا يَعُودُوا

(١٢) وَلَوْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا

(١٣) وَلَوْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَتَرَبَّ لَمْ مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا

(١٤) وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا لَيْسِيرًا

(١٥) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُوبُونَ الْأَذْيَارَ وَكَانَ

إِلَى مِثْلِهَا، وَلَا يَنْكُصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَمَنْ عَاهَدَ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَسْأَلُهُ عَنْ عَهْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَجْزِيهِ بِهِ.

(١٦) - فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤَلَاءِ الْمُسْتَأْذِنِينَ الْهَارِبِينَ مِنْ قِتَالِ الْعَدُوِّ وَلِقَائِهِ: إِنَّ الْفِرَارَ مِنَ الْقِتَالِ لَنْ يَنْفَعَكُمْ وَلَنْ يَدْفَعَ عَنْكُمْ مَا قَضَاهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ مَوْتٍ أَوْ قَتْلٍ، وَإِذَا نَفَعَكُمْ الْفِرَارُ فَلَمْ تَقْتُلُوا فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ، فَإِنَّ بَقَاءَكُمْ فِي الدُّنْيَا مَحْدُودُ الْأَجَلِ، وَمَتَاعَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ، وَسَيَأْتِي الْمَوْتُ فِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ لَا يَتَأَخَّرُ وَلَا يَتَقَدَّمُ.

(١٧) - وَقُلْ لَهُمْ: لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ قَضَاءَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ شَرًّا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ عَنْكُمْ، وَلَا أَنْ يَحُولَ دُونُ وَفُوعِهِ بِكُمْ. وَإِنْ أَرَادَ بِكُمْ خَيْرًا وَرَحْمَةً، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحُولَ دُونُ وَصُولِ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ، فَلَا أَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ. وَلَنْ يَجِدَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَلِيًّا لَهُمْ غَيْرَ اللَّهِ، وَلَا نَاصِرًا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا قَضَاهُ اللَّهُ، وَمَا قَدَّرَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ وَبَلَاءٍ. يَعْصِمُكُمْ - يَمْنَعُكُمْ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ.

(الْقَائِلِينَ) (لِإِخْوَانِهِمْ)

(١٨) - إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ حَقَّ الْعِلْمِ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِتَبْطِيطِ هِمَمِ النَّاسِ عَنِ الْقِتَالِ وَالثَّبَاتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، وَيَصْرِفُونَهُمْ عَنْ شُهُودِ الْحَرْبِ مَعَهُ، وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لِأَصْحَابِهِمْ وَعَشْرَاتِهِمْ: أَسْرِعُوا إِلَيْنَا، وَأَقْبِلُوا عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ طِيبِ الْمَقَامِ فِي الظَّلَالِ وَالثَّمَارِ (هَلُمَّ إِلَيْنَا)، وَهُمْ لَا يَخْضَرُونَ إِلَى مُعَسَّكَرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَقْتًا قَصِيرًا يَثْبُتُونَ فِيهِ وَجُودَهُمْ أَمَامَ النَّاسِ، ثُمَّ يَخْتَفُونَ مُتَسَلِّينَ إِذَا غَفَلَ النَّاسُ عَنْهُمْ. الْمُعَوِّقِينَ - الْمُبْطِطِينَ مِنْكُمْ عَنِ الرَّسُولِ. هَلُمَّ إِلَيْنَا - أَقْبِلُوا أَوْ قَرَّبُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَيْنَا. الْبَاسُ - الْحَرْبُ وَالْقِتَالُ.

(أُولَئِكَ) (أَعْمَالُهُمْ)

(١٩) - وَهُمْ بِخِلَاءِ شَجِيحُونَ، لَا يَمُدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّفَقَةِ وَالْمَالِ، وَلَا يَقْدُمُونَ لَهُمُ الْعَوْنُ وَالنُّصْرَةَ بَالنَّفْسِ. فَإِذَا بَدَأَتِ الْحَرْبُ، وَالتَّحَمَّ الْمُقَاتِلُونَ رَأَيْتَهُمْ وَقَدْ اعْتَرَاهُمُ الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَعْيُنُهُمْ تَدُورُ خَوْفًا وَفَرَقًا، كَدُورَانِ عَيْنِ الْيَدِيِّ غَشِيَهُ الْمَوْتُ، وَقَرَّبَ مِنْهُ، فَتَجَمُّدُ عَيْنِهِ وَلَا تَطَرُّفٌ.

عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا

﴿١٦﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا

﴿١٧﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

﴿١٨﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا

﴿١٩﴾ أَشْحَاةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ

أَمَّا إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ وَأَسْبَابُهُ، وَعَادَ الْأَمْنُ إِلَى الْفُؤَسِ، فَإِنَّهُمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ، وَيَتَكَلَّمُونَ عَنِ النَّجْدَةِ وَالشَّهَامَةِ، وَالْبُطُولَاتِ الَّتِي أَظْهَرُوهَا فِي مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ، وَهُمْ فِي هَذَا كَاذِبُونَ. وَإِذَا ظَهَرَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْحَرْبِ فَهُمْ بِخِلَاءٍ حَرِيصُونَ عَلَى الْأَيُّفَتِهِمْ نَصِيبٍ مِنَ الْمَغَانِمِ، فَهُمْ حِينَ الْبَاسِ جُبْنَاءُ، وَحِينَ الْغَنِيمَةِ أَشِحَاءُ (وَقِيلَ بَلِ الْمَعْنَى هُوَ: إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ بِالْعَوَا فِي شَتْمِكُمْ وَدَمَكُم بِاللَّيْسَةِ جِدَادٍ مَشْحُودَةٍ قَاطِعَةٍ).

وهؤلاء، الَّذِينَ بَسَطَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْصَافَهُمْ، لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِمَانًا صَادِقًا، وَلَمْ يُخْلِصُوا الْعَمَلَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ يَفَاقٍ فَأَهْلَكَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ، وَأَبْطَلَهَا، وَأَذْهَبَ ثَوَابَهَا وَأَجُورَهَا، وَجَعَلَهَا هَبَاءً مَثُورًا، وَكَانَ إِحْبَاطُ أَعْمَالِهِمْ أَمْرًا يَسِيرًا عَلَى اللَّهِ.

يُغْنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ - نُصِيبُهُ غَشِيَةً مِنْ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ.

سَلَفُوكُمْ بِاللَّيْسَةِ جِدَادٍ - اسْتَقْبَلُوكُمْ بِاللَّيْسَةِ جِدَادٍ.

أَشِحَّةٌ عَلَى الْخَيْرِ - لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ، جَمَعُوا الْجُبْنَ وَالْكَذِبَ وَالْجِرْصَ وَقِلَّةَ الْخَيْرِ.

(يَسْأَلُونَ) (أَنْبَاءَكُمْ) (قَاتِلُوا)

(٢٠) - وَهُمْ مِنْ شِدَّةِ دَهَشَتِهِمْ، وَضَعْفِ إِيْمَانِهِمْ لَا يَزَالُونَ يَطْطُونَ أَنَّ الْأَحْزَابَ مِنْ قُرَيْشٍ وَعُظْفَانٍ.. لَمْ يَرْحَلُوا عَنِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ هَزَمَهُمُ اللَّهُ وَرَحَلُوا. وَإِذَا عَادَ الْأَحْزَابُ مَرَّةً أُخْرَى لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَحِصَارِهَا، تَمَنَّوْا لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُقِيمِينَ فِي الْبَادِيَةِ بَيْنَ الْأَعْرَابِ بَعِيدًا عَنِ الْمَدِينَةِ، حَتَّى لَا يَلْحَقَ بِهِمْ مَكْرُوهٌ، وَيَكْتَفُونَ بِالسَّوَالِ عَنْ أَخْبَارِكُمْ كُلِّ قَادِمٍ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ الْمَدِينَةِ. وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا بَيْنَكُمْ أَثْنَاءَ الْقِتَالِ لَمَا قَاتَلُوا مَعَكُمْ إِلَّا قِتَالًا يَسِيرًا رِيَاءً وَخَوْفًا مِنَ الْمَعْرَكَةِ، لَا قِتَالَ يَرْجُونَ بِهِ ثَوَابَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ.

بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ - كَانُوا مَعَ الْأَعْرَابِ فِي الْبَادِيَةِ.

(يَرْجُوا)

(٢١) - يُحِثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالتَّاسِّيِ بِهِ فِي صَبْرِهِ وَمُصَابَرَتِهِ وَثَبَاتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَظْهَرُوا الضَّعْفَ وَتَزَلَّزَلُوا وَأَضْطَرُّوا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: هَلَّا أَقْنَدْتُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَتَأَسَّيْتُمْ بِسَمَائِلِهِ فَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَ حَسَنَةٍ إِنْ كُنْتُمْ تَبْتَغُونَ ثَوَابَ اللَّهِ، وَتَخَافُونَ عِقَابَهُ، وَتَذْكُرُونَ اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، فَيَذْكُرَ اللَّهُ يَوْمَ الْيَوْمِ إِلَى طَاعَتِهِ، وَيَذْفَعَ إِلَى أَتْبَاعِ مَسْلِكِ رَسُولِهِ وَالْاِقْتِدَاءِ بِهِ. أُسُوءَ حَسَنَةٍ - قُدْرَةَ صَالِحَةٍ فِي كُلِّ أَمْرٍ.

سَلَفُوكُمْ بِاللَّيْسَةِ جِدَادٍ
أَشِحَّةٌ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ
يُؤْمِنُوا فَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا
وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا
لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ
يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ
كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا
قَلِيلًا

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسُوءَ حَسَنَةٍ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا
اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا

(رَأَى) (إِيمَانًا)

(٢٢) - وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمُ الْأَحْزَابَ، يُحْدِقُونَ بِالْمَدِينَةِ، قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِخْتِبَارِ وَالْإِمْتِحَانِ بِالشَّدَائِدِ، الَّذِي يَعْقِبُهُ النَّصْرُ الْقَرِيبُ. وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي النَّصْرِ وَالثَّوَابِ، كَمَا صَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِخْتِبَارِ، وَمَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا صَبْرًا عَلَى الْبَلَاءِ، وَتَصَدِيقًا بِتَحْقِيقِ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَسْلِيمًا لِلْقَضَاءِ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: مَسْتَهْمُ النَّسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (١).

(عَاهَدُوا)

(٢٣) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْمُنَافِقِينَ تَقْضُوا الْعَهْدَ، وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا عَلَى الْمَحَافَظَةِ عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَأَنَّ مِنْهُمْ رِجَالًا أَوْفُوا بِمَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبْرِ فِي الشَّدَةِ وَالْبَأْسَاءِ، فَاسْتَشْهَدَ بَعْضُهُمْ فِي بَدْرِ، وَبَعْضُهُمْ اسْتَشْهَدَ فِي أُحُدٍ، وَبَعْضُهُمْ لَقِيَ وَجْهَ رَبِّهِ فِي غَيْرِ هَذَيْنِ الْمَوْقِعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ قَضَاءَ اللَّهِ، وَالْفَرَاغَ مِنْ أَجَلِهِ، كَمَا قَضَى مِنْهُمْ مَنْ مَضَى عَلَى الْوَفَاءِ لِلَّهِ بِالْعَهْدِ، وَمَا غَيَّرُوا وَمَا بَدَّلُوا. (رَوَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ الَّذِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَ غَابَ عَنْ مَعْرَكَةِ بَدْرِ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أَرَانِي اللَّهُ تَعَالَى مَشْهَدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، فِيمَا بَعْدَ، لَيَرَيْنَ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَصْنَعُ). وَقِيلَ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَحَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَغَيْرُهُمْ نَذَرُوا أَنَّهُمْ إِذَا لَقُوا حَرْبًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَبَتُوا وَقَاتَلُوا حَتَّى يُسْتَشْهَدُوا).

قَضَى نَجْبَهُ - وَفِي نَذْرِهِ أَوْ مَاتَ شَهِيدًا.

(الصَّادِقِينَ) (الْمُنَافِقِينَ)

(٢٤) - وَاللَّهُ تَعَالَى يُخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِالْخُوفِ وَالزَّلْزَلَةِ لِيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَيُظْهِرَ أَمْرَ كُلِّ مِنْهُمَا جَلِيًّا وَاضِحًا، فَيَجْزِي أَهْلَ الصِّدْقِ بِصِدْقِهِمْ بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ النَّاقِضِينَ لِلْعَهْدِ، الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِ رَبِّهِمْ، إِذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى نِفَاقِهِمْ، حَتَّى يُلْقَوْهُ. أَمَّا إِذَا تَابُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ سَيِّئَاتٍ وَأَثَامٍ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَرَحْمَتُهُ لِعِبَادِهِ هِيَ الْغَالِيَةُ لِعُصْبِهِ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

﴿٢٢﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ

قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ
إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا

﴿٢٣﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ
قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

﴿٢٤﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ

وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَحِيمًا

(٢٥) - وَرَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ قُرَيْشٍ وَعُظْفَانَ وَأَسَدٍ وَسَلِيمٍ، بِغَيْظِهِمْ لِقَوْلِ مَا أَمَلُوهُ مِنَ الظَّفَرِ بِمُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ، وَالْفَوْزِ بِالْغَنَائِمِ، وَلَمْ يَخْجِ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى مُنَازَلَتِهِمْ لِإِجْبَارِهِمْ عَلَى الْأَنْسِحَابِ، وَإِنَّمَا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَهُ يُلْقُونَ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَانْسَحَبُوا مَخْذُولِينَ مَقْلُولِينَ فَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ شَرَّ الْقِتَالِ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا، لَا يُغْلَبُ وَلَا يُضَامُ.

(ظَاهَرُهُمْ) (الْكِتَاب)

(٢٦) - لَمَّا قَدِمَتِ الْأَحْزَابُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَيْنَ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ عَهْدٌ وَمُوَادَعَةٌ، فَجَاءَ حُيَّ بْنُ أَخْطَبٍ - زَعِيمُ يَهُودِ بَنِي النُّضِيرِ - وَكَانَ مَعَ قَوْمِهِ مَعَ الْأَحْزَابِ، - إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يَسْتَحِثُّهُمْ عَلَى نَقْضِ عَهْدِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمُشَارَكَةِ الْأَحْزَابِ فِي مُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الْأَحْزَابَ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَسِيرَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيُعَاقِبَهُمْ عَلَى غَدْرِهِمْ، وَنَقْضِهِمُ الْعَهْدَ. وَبَعْدَ حَرْبٍ دَامَتْ خَمْسَةٌ وَعِشْرِينَ يَوْمًا اضْطُرُّوا إِلَى التَّوَلُّوْا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ حَلِيفًا لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَاسْتَدْعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ يَسْتَكِي مِنْ جُرْحٍ أَصَابَهُ - فَحَكَّمَ سَعْدُ بِأَنْ تُقْتَلَ الْمُعَاتِلَةُ، وَتُسَيَّ الدَّرِيَّةُ وَالْأَمْوَالُ.

وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ قَذَفَ فِي قُلُوبِ بَنِي قُرَيْظَةَ الرُّعْبَ (الَّذِينَ ظَاهَرُوا الْأَحْزَابَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)، وَأَنْزَلَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ (صِيَاصِيهِمْ) عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ قَرِيقًا، وَأَسْرَوْا قَرِيقًا.

الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ - الَّذِينَ أَغَانُوا الْأَحْزَابَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ.

صِيَاصِيهِمْ - أَحْصُونَهُمْ وَمَعَايِلِهِمْ.

الرُّعْبُ - الْخَوْفُ الشَّدِيدُ.

(دِيَارُهُمْ) (أَمْوَالُهُمْ)

(٢٧) - وَأَوْرَثَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَرْضَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَنَخِيلَهُمْ، وَمَزَارِعَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَمَوَاشِيَهُمْ، وَأَوْرَثَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَرْضَ الَّتِي فَتَحُوهَا فِيمَا بَعْدَ، مِنْ أَرْضِي الْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ، فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَخَارِجِهَا. وَهِيَ أَرْضٌ لَمْ يَسْبِقْ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ وَطِئْتُهَا أَقْدَامُهُمْ مِنْ قَبْلُ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ.

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ
لَمَنِائِلُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا

وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا

يَا أَيُّهَا (لَا زَوَاجَكَ) (الْحَيَاةُ)

(٢٨) - بَعْدَ أَنْ نَصَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ، وَعَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، ظَنَّ أَرْوَاجُهُ أَنَّهُ اخْتَصَّ بِنَفَائِسِ الْيَهُودِ، وَذَخَائِرِهِمْ، فَجِئَتْهُ يُطَالِبُهُ بِالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ، وَبِمُعَامَلَتِهِمْ مُعَامَلَةَ نِسَاءِ الْمُلُوكِ، قَالَمَنْ قَلْبُهُ الشَّرِيفَ بِمَطَالِبِهِمْ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِشَانِهِمْ.

وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَسْتَأْذِنَانِ عَلَيْهِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمَا، ثُمَّ أَدِنَ لَهُمَا، فَدَخَلَا فَوَجَدَا الرَّسُولَ جَالِساً وَحَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَهُمْ سُكُوتٌ. فَتَكَلَّمَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَ ابْنَةَ زَيْدٍ (يَعْنِي زَوْجَةَ عُمَرَ) سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ فَوَجَّاهْتُ عَنْقَهَا (أَيَّ قَطَعْتُهُ)، فَضَحِكَ الرَّسُولُ. وَقَالَ: هُنَّ حَوْلِي يَسْأَلُنَنِي النَّفَقَةَ. فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ لِيُضْرِبَهَا، وَقَامَ عُمَرُ إِلَى ابْنَتِهِ حَفْصَةَ لِيُضْرِبَهَا، وَكُلُّ مِنْهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلَانِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ! فَتَهَاهُمَا الرَّسُولُ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؛ فَقَالَتَا: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذَا الْمَجْلِسِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ.

وَأُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى الْخِيَارَ، فَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَائِشَةَ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهَا: إِنِّي أَذْكَرُ لَكَ أَمراً مَا أَحِبُّ أَنْ تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبِيكَ. قَالَتْ وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ عَلَيْهَا الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلزَّوْجِ أَجَلِكُمْ...﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَفِيكَ اسْتَأْمِرُ أَبَوِي؟ بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَسْأَلُكَ أَلَّا تَذْكَرَ لَامِرَةً مِنْ نِسَائِكَ مَا اخْتَرْتُ. فَقَالَ لَهَا الرَّسُولُ: إِنْ اللَّهُ لَمْ يَعْصِيْنِي مُعْتَصِماً، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّماً وَمُسِيراً، لَا تَسْأَلُنِي أَمْرَةً مِنْهُنَّ عَمَّا اخْتَرْتَهُ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا.

ثُمَّ وَعَظَهُنَّ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ اخْتَرَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَخَصَّهِنَّ بِأَحْكَامٍ. وَمَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلزَّوْجِ أَجَلِكُمْ اخْتَرَنَ لِنَفْسِكُمْ إِحْدَى خِلَّتَيْنِ:

- الْأُولَى: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَزِينَتَهَا، وَزُخْرُفَهَا، فَلَيْسَ لَكُمْ مَقَامٌ عِنْدِي، إِذْ لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْهَا، فَأَقْبِلُنَ إِلَيَّ أُعْطِكُنَّ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى الرِّجَالِ لِلنِّسَاءِ مِنَ الْمُنْتَعَةِ عِنْدَ مُفَارَقَتِهِمْ إِيَّاهُنَّ بِالطَّلَاقِ.

- أَمَّا الثَّانِيَةُ فَقَدْ جَاءَتْ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ.

اُمْتَعَكُنَّ - أُعْطِكُنَّ مُنْعَةَ الطَّلَاقِ.

أَسْرَحَكُنَّ - أَطْلَقَكُنَّ.

سَرَاحاً جَمِيلاً - طَلَاقاً حَسَنًا لَا ضِرَارَ فِيهِ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلزَّوْجِ أَجَلِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً

(الْآخِرَةَ) (لِلْمُحْسِنَاتِ)

(٢٩) - أَمَّا الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِعَرْضِهَا عَلَى أَرْوَاجِهِ فِيهَا: إِنْ كُنْ يُرْذَنَ رِضَاءُ اللَّهِ، وَرِضَاءُ رَسُولِهِ، وَتَوَابُ الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَرِضَيْنَ بِمَا هُنَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشٍ خَيْرَيْنِ، فَعَلَيْهِنَّ أَنْ يُطْعَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لِأَنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْهُنَّ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ ثَوَابًا عَظِيمًا تُسْتَحَقَّرُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَزَخْرُفُهَا بِالْمُقَارَنَةِ بِهِ.

(يَا نِسَاءَ) (بِفَاحِشَةٍ) (يُضَاعَفُ)

(٣٠) - ثُمَّ وَعَظَ اللَّهُ تَعَالَى نِسَاءَ النَّبِيِّ اللَّاتِي أَخْتَرَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، فَقَالَ لَهُنَّ: إِنْ مَنْ تَرْتَكِبُ مِنْهُنَّ خَطَا كُنْشُورَ أَوْ سُوءَ خُلُقٍ (فَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ) فَإِنَّ عِقَابَهَا عَلَى خَطِيئَتِهَا سَيَكُونُ مُضَاعَفًا عَنْ عِقَابِ سِوَاهَا مِنَ النِّسَاءِ، نَظَرًا لِمَنْزِلَتِهَا الرَّفِيعَةِ، وَذَلِكَ سَهْلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ - بِمَعْصِيَةِ كَبِيرَةٍ ظَاهِرَةِ الْقُبْحِ.

(صَالِحًا)

(٣١) - أَمَّا الَّتِي تُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَتَسْتَجِيبُ لَهُمَا فَإِنَّ اللَّهَ يُضَاعَفُ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهَا فِي الْجَنَّةِ رِزْقًا كَرِيمًا، لِأَنَّهُا تَكُونُ فِي الْجَنَّةِ فِي مَنَازِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. يَفْقَتُ مِنْكُنَّ - تَطْعُ أَوْ تَخْضَعُ مِنْكُنَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

(يَا نِسَاءَ)

(٣٢) - يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَا يُشَبِّهُكُنَّ أَحَدٌ مِنَ النِّسَاءِ، وَلَا تَلْحَقُ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ بِكُنَّ فِي الْفَصِيلَةِ وَالْمَنْزِلَةِ، فَإِنْ أَتَقَيْتُنَّ اللَّهَ كَمَا أَمَرَكُنَّ فَلَا تُخَاطِبُنَ الرِّجَالَ بِرِقَّةٍ تُطْمِعُ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَفَسَادٌ، وَرِييَةٌ وَفُسْقٌ، وَقُلْنَ قَوْلًا بَعِيدًا عَنِ الرِّييَةِ، لَا يَتْرُكُ لِأَحَدٍ مَطْمَئِنَةً. فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ - لَا تَلْنِ الْقَوْلَ وَلَا تَرْفُقْنَهُ لِلرِّجَالِ.

(الْجَاهِلِيَّةِ) (الصَّلَاةِ) (آتِينَ) (الرُّكَاةِ)

(٣٣) - وَالزَّمَنَ يُبَيِّنُكُمْ فَلَا تَخْرُجْنَ لِغَيْرِ حَاجَةٍ. (وَفِي الْحَدِيثِ: إِنْ الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ آسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَأَقْرَبَ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا). (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ). وَلَا تُبَيِّنَنَّ زِينَتَكُمْ وَمَحَاسِنَكُمْ لِلرِّجَالِ، كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ نِسَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَأَدِّينَ الرُّكَاةَ عَنْ أُمُوكُنَّ كَمَا أَمَرَ

(٣١) وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،

وَالِدَارَ الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا
عَظِيمًا

(٣٢) يَنْسَاءَ الَّتِي مِنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ

بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفُ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

(٣٣) وَمَنْ يَفْقَتْ مِنْكُنَّ

لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ
صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ
وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا

(٣٤) يَنْسَاءَ الَّتِي لَسْنَنَّ كَأَحَدٍ

مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا
تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي
فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا
مَعْرُوفًا

(٣٥) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ

تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ
الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ
وَاطَّعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ
اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

اللَّهُ، فَاللَّهُ تَعَالَى يُرِيدُ أَنْ يُطَهِّرَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ تَطْهِيراً لَا تُخَالِطُهُ شُبْهَةٌ مِنْ دَنَسِ الْفُسْقِ وَالْفُجُورِ، وَأَنْ يَذْهَبَ عَنْهُمْ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ.
قَرْنَ فِي بَيُوتِكُنَّ - الزَّمَنُ بَيُوتِكُنَّ.
لَا تَبَرَّجْنَ - لَا تُبْدِينَ الزَّيْنَةَ الْوَاجِبَ سِتْرُهَا.
الْبَاهِلِيَّةُ الْأُولَى - مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ.
الرَّجَسُ - الذَّنْبُ أَوْ الْإِثْمُ.

(آيَاتِ)

(٣٤) - وَأَذْكُرَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُنَّ بَأَنْ جَعَلَ بَيُوتَكُنَّ تُتْلَى فِيهَا آيَاتُ اللَّهِ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَى الرَّسُولِ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ، وَأَشْكُرَنَّ رَبَّكُنَّ عَلَى جَمِيلِ فَضْلِهِ عَلَيْكُنَّ، فَإِنَّهُ كَانَ ذَا لُطْفٍ بِكُنَّ إِذْ جَعَلَكُنَّ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي تُتْلَى فِيهَا آيَاتُ اللَّهِ وَيُعْمَلُ فِيهَا بِسُنَّةِ رَسُولِهِ. وَكَانَ اللَّهُ خَبيراً بِكُنَّ إِذْ اخْتَارَكُنَّ أَرْوَاجاً لِرَسُولِهِ ﷺ.
الْحِكْمَةُ - هَدْيِ النَّبُوَّةِ - أَوْ السُّنَّةِ أَوْ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ.

(الْمُسْلِمَاتِ) (الْمُؤْمِنَاتِ) (الْقَانِتِينَ) (الْقَانِتَاتِ) (الصَّادِقِينَ)
(الصَّادِقَاتِ) (الصَّابِرِينَ) (الصَّابِرَاتِ) (الْخَاشِعِينَ)
(الْخَاشِعَاتِ) (الْمُتَّصِدِّقِينَ) (الْمُتَّصِدِّقَاتِ) (الصَّائِمِينَ)
(الصَّائِمَاتِ) (الْحَافِظِينَ) (الْحَافِظَاتِ) (الذَّاكِرِينَ)
(الذَّاكِرَاتِ)

(٣٥) - قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: قَالَ النَّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا لَهُ يَذْكُرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَذْكُرُ الْمُؤْمِنَاتِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.
وَقَدْ مَيَّزَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَجَعَلَ الْإِيمَانَ أَخْصَصَ مِنَ الْإِسْلَامِ. وَقَالَ تَعَالَى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا. قُلْ: لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (١).
وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ: (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ) فَالزَّانِي حِينَ يَزْنِي تُنْتَرَعُ عَنْهُ صِفَةُ الْإِيمَانِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُعْتَبَرُ كَافِراً، وَلَا تُنْتَرَعُ عَنْهُ صِفَةُ الْإِسْلَامِ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.
وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى الصِّفَاتِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا عِبَادُهُ أَنْ يُغْفَرَ

﴿٣٦﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا تَلَى فِي
بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
لَطِيفًا خَبِيرًا

﴿٣٥﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهُ كَثِيرٌ أَوَّلُ الذَّاكِرَاتِ
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا

اللَّهُ لَهُمْ، وَأَنْ يَمْحُو عَنْهُمْ زَلَّاتِهِمْ، وَيُثَبِّتَهُم بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ هِيَ :

- إِسْلَامُ الظَّاهِرِ بِالْإِقْبَادِ لِأَحْكَامِ الدِّينِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .
- إِسْلَامُ الْبَاطِنِ (الْإِيمَانُ) بِالتَّصَدِيقِ التَّامِ وَالْإِدْعَانِ لِمَا فَرَضَ الدِّينُ مِنْ أَحْكَامِ .
- الْقُنُوتُ وَهُوَ دَوَامُ الْعَمَلِ فِي هُدًى وَطُمَأْنِينَةٍ .
- الصَّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَهُوَ عَلَامَةٌ عَلَى الْإِيمَانِ كَمَا أَنَّ الْكَذِبَ عَلَامَةٌ عَلَى النِّفَاقِ .
- الصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارِهِ وَتَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ فِي أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ وَتَرْكِ الشَّهَوَاتِ .
- الْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُّعُ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ ، آيْتِغَاءُ ثَوَابِ اللَّهِ ، وَخَوْفُ عِقَابِهِ .
- التَّصَدُّقُ بِالْمَالِ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْمُحْتَاجِينَ الَّذِينَ لَا كَسْبَ لَهُمْ .
- الصُّومُ فَإِنَّهُ مُعَيَّنٌ عَلَى كَسْرِ حِدَّةِ الشَّهْوَةِ .
- (وَفِي الْحَدِيثِ : الصُّومُ زَكَاةُ الدِّينِ) (رَوَاهُ أَبُو مَاجَهَ) .

(ضِلَالًا)

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى

اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ

اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

كَبِيرًا

(٣٦) - رَوَى أَبُو عَبَّاسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ آيَةَ عَمَّتِهِ (زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ) لِمَوْلَاهُ زَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ، فَأَبَتْ، وَقَالَتْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ حَسَبًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. فَقَبِلْتُ أَنْ تَنْزَوِجَ مِنْهُ، وَقَالَتْ سَمِعَا وَطَاعَةً. (وَفِي الْحَدِيثِ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ) .

وَكَانَ زَوَاجُ زَيْنَبَ مِنْ زَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ لِحِكْمَةٍ إِذْ تَبَعَهُ رَدُّ الْأُمُورِ إِلَى نِصَابِهَا فِي أَمْرِ التَّبَنِيِّ. فَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تُعْطِي الْوَلَدَ الْمُتَبَنَّى (الدَّعْيَى) حُقُوقَ الْإِبْنِ مِنَ النَّسَبِ، حَتَّى الْمِيرَاثَ، وَحُرْمَةَ النَّسَبِ. فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى مَحْوَ ذَلِكَ بِالإِسْلَامِ، حَتَّى لَا يُعْرَفَ إِلَّا النَّسَبُ الصَّرِيحُ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ (١) وَمَعْنَى الْآيَةِ : لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَضَاءً، أَنْ يَتَخَيَّرُوا مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرَ مَا قَضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَهُمْ، وَلَا أَنْ يَخَالِفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ وَقَضَاءَهُمَا. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَا بِهِ، وَنَهَيَا عَنْهُ، فَقَدْ جَارَ عَنِ السَّبِيلِ الْقَوِيمِ، وَسَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ.

الْخِيَرَةُ - الْإِخْتِيَارُ.

تَخْشَاهُ (رَوْجَانَكهَا) (أَرْوَاج) (أَدْعِيَانِهِمْ)

(٣٧) - كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ أَمْرَأَةً، فِي طَبْعِهَا جِدَّةٌ، وَلَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ قِيلَتْ يَا نَزْوَجُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ. وَلَكِنْ زَيْنَبُ لَمْ تَحْسِنْ عِشْرَتَهُ، فَكَانَتْ تَتَعَالَى عَلَيْهِ، وَكَانَ هُوَ ذَاتِمَ الشُّكْوَى مِنْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ لَهُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ. وَكَانَ الرَّسُولُ قَدْ أَلْهَمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُ زَيْنَبَ بَعْدَ طَلَاقِهَا مِنْ زَيْدٍ لِإِبْطَالِ آثَارِ التَّبْنِيِّ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً بَيْنَ الْعَرَبِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ زَيْدًا، وَكَانَ زَيْدٌ يُقَالُ لَهُ (الْحَبُّ - أَوْ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ).

وَلَمَّا تَكَرَّرَتْ شُكْوَى زَيْدٍ مِنْ سُوءِ مُعَامَلَةِ زَيْنَبَ لَهُ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ، وَفِيهَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: أَذْكَرَ يَا مُحَمَّدُ حِينَ قَوْلِكَ لِمَوْلَاكَ زَيْدٍ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ، وَبِمَتَابَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَبِجَعْلِهِ رَبِيبًا لِرَسُولِ اللَّهِ، وَأَنْعَمْتَ أَنْتَ عَلَيْهِ بِالْعِتْقِ، وَبِحُسْنِ التَّرْبِيَةِ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ زَيْنَبَ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَمْرِهَا، وَلَا تَطْلُقْهَا ضَرَارًا، وَتَعْلَلًا بِتَكْبِيرِهَا وَشُمُوجِهَا بِأَنْفِهَا عَلَيْكَ، لِأَنَّ الطَّلَاقَ يَشِينُهَا. وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الطَّلَاقَ سَيَقَعُ، وَأَنْكَ سَتَتَزَوَّجُهَا لِتَكُونَ قُدْوَةً وَأُسُوةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا غَلَبَكَ مِنْ ذَلِكَ الْحَيَاءُ وَأَنْ يُقَالَ تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ مُطْلَقَةً مُتَبَنَاهُ. فَأَنْتَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ مِنَ الْحُكْمِ الَّذِي أَلْهَمَكَ، وَتَخَافُ مِنْ تَقَوْلِ النَّاسِ وَأَعْتِرَاضِهِمْ، وَاللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا أَحَقُّ بِأَنْ تَخْشَاهُ، فَكَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ فِي الْأَمْرِ قَدَمًا لِتُقَرَّرَ شَرْعَ اللَّهِ.

فَلَمَّا خَالَطَهَا زَيْدٌ، وَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا، وَمَلَّهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا، جَعَلْنَاهَا زَوْجَةً لَكَ لِتَرْتَفَعَ الْحَرَجُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يَتَزَوَّجُوا نِسَاءً كُنَّ مِنْ قَبْلُ، أَرْوَاجًا لِأَدْعِيَانِهِمْ. وَكَانَ مَا قَضَى اللَّهُ مِنْ قَضَاءٍ كَانُوا لَا مَحَالَةَ، فَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ زَيْنَبُ زَوْجَةً لَكَ، وَسَيَفُذُّ ذَلِكَ.

وَطَرًا - حَاجَتُهُ الْمِهْمَةُ - كِنَايَةً عَنِ الطَّلَاقِ بَعْدَ التَّمَاسِ.

حَرَجٌ - ضَيْقٌ أَوْ إِنْثَم.

أَدْعِيَانِهِمْ - الْأَوْلَادِ الْمُتَبَنِينَ.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

(٣٨) - لَيْسَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ أَوْ غَضَاضَةٍ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ، وَأَمْرُهُ بِهِ (فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ)، مِنْ زَوَاجِ زَيْنَبَ مُطْلَقَةً مُتَبَنَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَهَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ فَقَدْ أَبَاحَ لَهُمُ الزَّوَاجِ وَالسَّرَّارِ، وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَثِيرَاتٌ مِنْهُنَّ. وَمَا يَقْدَرُهُ اللَّهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ سَيَقَعُ لَا مَحَالَةَ، وَلَا رَادَّ لَهُ.

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ عَابُوا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ
كَثْرَةَ أَزْوَاجِهِ.

خَلَوْا مِنْ قَبْلِ - مَضَوْا مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.
قَدَرًا مَقْدُورًا - مُرَادًا أَزَلًا - أَوْ قَضَاءً مُقْضِيًّا لَا رَادَّ لَهُ.

(رِسَالَاتٍ)

(٣٩) - يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ الْكَرَامَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ،
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُومُونَ بِإِبْلَاجِ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ إِلَى مَنْ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ،
وَلَا يَتَرَدَّدُونَ فِي ذَلِكَ مَهْمَا كَانَ الْحُكْمُ الَّذِي يُرِيدُونَ تَبْلِيغَهُ ثَقِيلًا عَلَى
نَفْسِهِمْ. وَيَخَافُونَ اللَّهَ فِي تَرْكِهِمْ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا
سِوَاهُ، وَكَفَى بِاللَّهِ مُعِينًا وَنَاصِرًا وَحَافِظًا لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَمُحَاسِبًا
عَلَيْهَا.

حَسِيبًا - مُحَاسِبًا عَلَى الْأَعْمَالِ.

(النَّبِيِّينَ)

(٤٠) - وَلَمَّا قَالَ الْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ: تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ مِنْ أَمْرَأَةٍ آتِيَةٍ، أُنْزِلَ
اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ، وَفِيهَا يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَكُنْ أَبَا
أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ لِيَحْرَمَ عَلَيْهِ التَّزْوُجُ بِمُطْلَقَةِ آتِيَةٍ، وَلَكِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ يُبْلِغُ
رِسَالَتَهُ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ. وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَآخِرُهُمْ وَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ. (فَقَدْ
مَاتَ أَبْنَاءُ الرَّسُولِ ﷺ الذُّكُورُ كُلُّهُمْ قَبْلَهُ).

(يَا أَيُّهَا) (أَمَنُوا)

(٤١) - يَا مَرْءُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ، فَهُوَ الْمُنْعِمُ
الْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِمْ، لِمَا لَهُمْ فِي ذِكْرِ اللَّهِ مِنْ عَظِيمِ الثَّوَابِ.

(٤٢) - وَيَأْمُرُهُمُ تَعَالَى أَيْضًا بِتَتَرُّبِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بَيْنَ طَرَفِي النَّهَارِ: فِي
الْبُكُورِ عِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ، وَوَقْتُ الْأَصِيلِ، وَقْتُ الْإِنْتِهَاءِ مِنَ الْعَمَلِ
الْيَوْمِيِّ، فَيَكُونُ الذُّكْرُ فِي الصَّبَاحِ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نَعْتِ الْإِنْسَانِ مِنْ
رُقَادِهِ، وَفِي الْمَسَاءِ شُكْرًا لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ لِأَدَاءِ الْعَمَلِ، وَالْقِيَامِ بِالسَّعْيِ
لِلْخُصُولِ عَلَى الرِّزْقِ.
بُكْرَةً وَأَصِيلًا - أَوَّلُ النَّهَارِ وَآخِرُهُ.

(مَلَانِكُهُ) (الظُّلُمَاتِ)

(٤٣) - يَحُثُّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ذِكْرِ رَبِّهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُ تَعَالَى
يَذْكُرُهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ وَيُنْثِي عَلَيْهِمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنْ عِبَادِهِ، وَتَسْتَغْفِرُ

﴿٤١﴾ الَّذِينَ يُبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ
وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا
اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا

﴿٤٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ
وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ
ذِكْرًا كَثِيرًا

﴿٤٢﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

﴿٤٣﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ
لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا

لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ، وَإِنَّهُ بِرَحْمَتِهِ تَعَالَى، وَهَذَا يَتَبَيَّنُ، وَدُعَاءُ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ تَعَالَى رَجِيمٌ بِالْعِبَادِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. أَمَّا رَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ هَذَا هُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَبَصُرَهُمْ بِالطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ. وَأَمَّا رَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ آمَنَهُمْ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِأَنْ يَتْلَقُوهُمْ بِالْبَشَارَةِ بِالْقُورِ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

(سَلَامٌ)

يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ

لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا

(٤٤) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحْيِيُونَ بِالسَّلَامِ، وَهُنَاكَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ حَوْلَ مَنْ الَّذِي يُحْيِيهِمْ بِالسَّلَامِ:

- يَقُولُ أَحَدُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ بِالسَّلَامِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ (١).

- وَيَقُولُ الْآخَرُ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْكَرَامَ هُمُ الَّذِينَ يُحْيِيوْنَهُمْ بِالسَّلَامِ، إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ (٢).

- وَالْقَوْلُ الْآخَرُ يَقُولُ: إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالسَّلَامِ، يَوْمَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (٣).

وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ ثَوَابًا عَظِيمًا عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمْ الصَّالِحِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(يَا أَيُّهَا) (أَرْسَلْنَاكَ) (شَاهِدًا)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

(٤٥) - يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَكَ شَاهِدًا عَلَى مَنْ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِمْ، تَرَأَى أَعْمَالَهُمْ، وَتَرَى أَعْمَالَهُمْ، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَرْسَلْنَاكَ مُبَشِّرًا لَهُمْ بِالْجَنَّةِ إِنْ صَدَّقُوا، وَعَمِلُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمُنْذِرًا لَهُمْ بِعَذَابِ النَّارِ إِنْ هُمْ كَذَّبُواكَ وَخَالَفُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ، وَنَهَيْتَهُمْ عَنْهُ.

(١) سورة يس، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٤٦) - وَإِنَّهُ تَعَالَى بَعَثَكَ دَاعِيَا الْخَلْقِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَمُرَاقِبَتِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَجَعَلَ أَمْرَكَ ظَاهِرًا كَالشَّمْسِ فِي إِشْرَاقِهَا وَإِضَاءَتِهَا لَا يَجْحَدُهَا إِلَّا مُكَابِرٌ.
(أَوْ إِنْ الْمَعْنَى هُوَ: وَجَعَلْنَاكَ سِرَاجًا مُنِيرًا لِيَسْتَضِيَ بِكَ الضَّالُّونَ، وَيَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكَ الْمُهْتَدُونَ).

(٤٧) - وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ فَضْلًا كَبِيرًا مِنَ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَسَيُلْقِي اللَّهُ عَلَى عَائِقِهِمْ مَهْمَةً نَشْرَ الْإِيمَانِ فِي الْأَرْضِ، وَإِخْرَاجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

(الْكَافِرِينَ) (الْمُنَافِقِينَ) (أَذَاهُمْ)

(٤٨) - وَلَا تُطْعَ قَوْلَ كَافِرٍ، وَلَا قَوْلَ مُنَافِقٍ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْدُّعْوَةِ، وَتَجَاوَزْ وَأَصْفَحْ عَنْ أَذَاهُمْ، وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَنَالُكَ مِنْهُمْ، وَقَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ وَتَوَكَّلْ بِهِ فَإِنَّهُ كَافِيكَ وَنَاصِرُكَ وَحَافِظُكَ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الْمُؤْمِنَاتِ)

(٤٩) - النِّكَاحُ هُنَا هُوَ الْعَقْدُ. وَيَقُولُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا عَقَدْتُمْ عَقْدَةَ النِّكَاحِ عَلَى النِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ، ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهِنَّ، فَلَا عِدَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ (وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْأُئِمَّةِ)، وَلَكِنْ عَلَى الزَّوْجِ أَنْ يُمْتَعَ الْمَرْأَةُ مَتَاعًا حَسَنًا بِحَسَبِ حَالِهِ (عَلَى الْمُعْسِرِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُوسِرِ قَدْرُهُ) وَأَنْ يُخْرِجَهَا مِنْ بَيْتِهِ إِخْرَاجًا كَرِيمًا لَا نِفَاقًا (سَرَاحًا جَمِيلًا) فَيَهَيِّئْ لَهَا الْمَرْكَبَ، وَالزَّادَ، وَيُحَسِّنْ مُعَامَلَتَهَا لِنَقَرٍ عَيْنُهَا، وَيُسِرَّ بِذَلِكَ أَهْلُهَا، وَلِيَكُونَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ السُّلُوى عَمَّا لَحِقَ بِهَا مِنْ أَدَى الطَّلَاقِ.

(يَا أَيُّهَا) (أَزْوَاجُكَ) (اللَّاتِي) (آتَيْتِ) (عَمَاتِكَ) (خَالَاتِكَ) (اللَّاتِي) (أَزْوَاجَهُمْ) (أَيْمَانَهُمْ)

(٥٠) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلرَّسُولِ ﷺ: إِنَّهُ أَحَلَّ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ أَزْوَاجَهُ اللَّاتِي أَعْطَاهُنَّ مَهْرَهُنَّ (وَهِيَ الْمُعْبَرُ عَنْهَا بِالْأَجُورِ هُنَا)، وَأَبَاحَ لَهُ التَّسْرِيَّ بِالنِّسَاءِ اللَّاتِي يَأْخُذُهُنَّ مِنَ الْمَغَانِمِ (وَقَدْ مَلَكَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُجَيِّ بْنِ أَخْطَبَ وَجُوبَرِيَّةَ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَأَعْتَقَهُمَا وَتَزَوَّجَهُمَا)، وَأَبَاحَ لَهُ الزَّوَاجَ مِنْ بَنَاتِ عَمِّهِ، وَبَنَاتِ عَمَاتِهِ، وَبَنَاتِ خَالِهِ، وَبَنَاتِ خَالَاتِهِ،

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا

وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِيعَتُهُنَّ وَسِرَّحُهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمِكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا

وَبَذَلَكَ جَاءَ الشَّرْعُ الْإِسْلَامِيُّ مُعْتَدِلًا بَيْنَ إِفْرَاطِ النَّصَارَى فِي التَّشَدُّدِ، وَتَقْرِيطِ الْيَهُودِ فِي التَّسَاهُلِ، فَقَدْ كَانَ النَّصَارَى لَا يَتَزَوَّجُونَ الْمَرْأَةَ إِلَّا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا سَبْعَةُ أَجْدَادٍ فَصَاعِدًا. وَكَانَ الْيَهُودُ يَتَزَوَّجُونَ بَنَاتِ الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأُخْتِ. وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَيْنِ بَنَاتِ الْأَعْمَامِ وَالْعَمَّاتِ وَبَنَاتِ الْأَخْوَالِ وَالْخَالَاتِ، اللَّوَاتِي أَبَاحَ لِلرُّسُولِ الزَّوْاجَ مِنْهُنَّ، اللَّوَاتِي هَاجَرْنَ مَعَهُ، فَاسْتَبْنَى بِذَلِكَ اللَّوَاتِي لَمْ يَهَاجِرْنَ. كَمَا أَحَلَّ اللَّهُ لِرَسُولِهِ التَّمَتُّعَ بِالْمَرْأَةِ الْمُؤْمِنَةِ الَّتِي تَهَبُ نَفْسَهَا لَهُ، فَلَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِلاَ مَهْرٍ إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ (وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِبَاحَةٌ خَاصَّةٌ بِالرُّسُولِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَوْ وَهَبَتْ امْرَأَةٌ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ لَوَجَبَ عَلَيْهِ مَهْرٌ مِثْلُهَا). وَلَكِنَّ الرُّسُولَ لَمْ يَتَزَوَّجْ وَاحِدَةً مِنْ وَهَبَتْ أَنْفُسَهُنَّ لَهُ. وَقَدْ أَحَلَّ اللَّهُ ذَلِكَ لِرَسُولِهِ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْهِ حَرَجٌ، وَتَضْيِيقٌ، فِي نِكَاحِ مَنْ نَكَحَ مِنَ الْأَصْنَافِ السَّالِفَةِ. وَقَدْ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا لِرَسُولِهِ وَلَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَرَحِيمًا بِهِمْ.

آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ - أُعْطِيَتْهُنَّ مُهْرَهُنَّ.
أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ - رَجَعَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ الْغَنَائِمِ.

(آتَيْتَهُنَّ) (تَوَوَّى)

(٥١) - وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ، وَلَا حَرَجٌ، فِي أَنْ تَتْرَكَ الْقِسْمَ لَهُنَّ، فَتَقْدَمَ مَنْ شِئْتَ، وَتُؤَخَّرَ مَنْ شِئْتَ، وَتُضَاجِعَ مَنْ شِئْتَ، وَتَتْرَكَ مَنْ شِئْتَ، وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنْ نَبِيِّهِ الْحَرَجَ فِي الْقِسْمِ، إِنْ شَاءَ قِسْمٌ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَقْسِمْ، ثُمَّ التَزَمَ هُوَ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِهِ بِالْقِسْمِ بَيْنَهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ يَفْرَحْنَ بِذَلِكَ وَيَسْتَبْشِرْنَ بِهِ. وَيَعْتَرِفْنَ بِمِيتَةِ عَلَيْهِنَّ فِي قِسْمَتِهِ وَإِنْصَافِهِ لَهُنَّ، وَعَدْلِهِ فِيهِنَّ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْمِيلِ إِلَى بَعْضِهِنَّ دُونَ بَعْضٍ، مِمَّا لَا يُمَكِّنُ دَفْعَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالضَّمَائِرِ وَالسَّرَائِرِ، يَحْلُمُ وَيَعْفُو وَيَغْفِرُ.

(وَمَعَ الْجَوَازِ الَّذِي مَنِحَهُ الرُّسُولُ ﷺ فِي عَدَمِ الْقِسْمِ بَيْنَ نِسَائِهِ فَإِنَّهُ كَانَ يَقْسِمُ لَأَزْوَاجِهِ).

تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ - تُؤَخَّرُ وَلَا تُضَاجِعُ.
تَوَوَّى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ - تَضُمُّ إِلَيْكَ وَتُضَاجِعُ.
عَزَلْتَ - أَجْتَنَّبْتَ بِالْإِرْجَاءِ.

اِئْتَمَعَتْ - طَلَبْتَ.

أَذْنَى أَنْ تَقْرَأَ أُعِيْنَهُنَّ - التَّفْوِضُ إِلَى مَشِيئَتِهِ أَقْرَبُ إِلَى سُورِهِنَّ لِعِلْمِهِنَّ أَنَّهُ يَحْكُمُ اللَّهُ.

لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَنْزُوجِهِمْ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا



تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ
وَتَوَوَّى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ
اِئْتَمَعَتْ مِنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَأَ
أُعِيْنَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ
بِمَاءِ ائْتَمَعَتْهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَلِيمًا

(أَزْوَاجٍ)

(٥٢) - هَذِهِ آيَةُ نَزَلَتْ مُكَافَأَةً لِنِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِنَّ فِي اخْتِيَارِهِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ حِينَمَا خَيَّرَهُنَّ الرَّسُولُ. فَلَمَّا اخْتَرَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَانَ جَزَاؤُهُنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَصَرَهُ عَلَيْهِنَّ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بغيرهنَّ، أَوْ أَنْ يَسْتَبْدِلَ بِهِنَّ أَزْوَاجًا غَيْرَهُنَّ بِأَنْ يُطْلَقَ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ وَيَتَزَوَّجَ غَيْرَهَا، إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ. وَقَدْ مَلَكَتْ يَمِينُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَارِيَّةُ الْقِبْطِيَّةُ فَتَسَرَّاهَا وَأَوْلَدَهَا إِسْرَاهِيمَ وَمَاتَ رَضِيعًا. وَكَانَ اللَّهُ حَافِظًا، وَمُطْلِعًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، عَلِيمًا بِالسِّرِّ وَالنَّجْوَى، فَاحْذَرُوا تَجَاوَزَ حُدُودِهِ، وَتَخَطَّيْ حِلَالِهِ إِلَى حَرَامِهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى - لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ) هُوَ مِنْ بَعْدِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ صِفَةِ النِّسَاءِ اللَّاتِي أَخْلَلْنَا لَكَ مِنْ نِسَائِكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَبَنَاتِ الْأَعْمَامِ وَالْعَمَّاتِ وَبَنَاتِ الْأَخْوَالِ وَالْخَالَاتِ، وَالْوَاهِبَاتِ أَنْفُسَهُنَّ. أَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ النِّسَاءِ فَلَا يَحِلُّ لَكَ). رَقِيبًا - حَفِظًا وَمُطْلِعًا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (نَاطِرِينَ) (إِنَاهُ) (مُسْتَأْنِسِينَ) (مَتَاعًا)
(فَاسْأَلُوهُنَّ) (أَزْوَاجَهُ)

(٥٣) - يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا أَنْ تُدْعَوْا إِلَى طَعَامٍ تَطْعَمُونَهُ غَيْرَ مُتَنْظِرِينَ إِفْرَاقَ نَضْجِهِ، (أَي إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى طَعَامٍ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَدْخُلُوا إِلَّا إِذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الطَّعَامَ قَدْ نَمَّ نَضْجُهُ وَإِعْدَادُهُ) وَلَكِنْ إِذَا دَعَاكُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الدُّخُولِ فَادْخُلُوا، فَإِذَا أَكَلْتُمُ الطَّعَامَ فَانصُرفُوا، وَلَا تَمْكُثُوا فِيهِ لِتَبَادُلِ الْحَدِيثِ، فَذَلِكَ اللَّبْثُ، بَعْدَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ، كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ، وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَسْتَحْيِي مَنْ أَنْ يَقُولَ لَكُمْ ذَلِكَ، وَأَنْ يَدْعُوَكُمْ إِلَى الانْصِرَافِ، وَاللَّهُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُحَسِّنَ تَرْبِيَتَكُمْ وَتَأْدِيبَكُمْ، يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَكُمْ الْحَقَّ لَتَعْمَلُوا بِهِ، فَإِذَا طَعِمْتُمْ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَاخْرُجُوا، وَلَا تَقْعُدُوا لِلْحَدِيثِ. وَإِذَا طَلَبْتُمْ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا تَتَمَتَّعُونَ بِهِ، مِنْ مَاعُونٍ، وَغَيْرِهِ، فَاطْلُبُوهُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ بَيْتِكُمْ وَبَيْنَهُنَّ. وَذَلِكَ الدُّخُولُ بَعْدَ الْاسْتِثْنَاءِ، وَعَدَمُ الْبَقَاءِ بَعْدَ الطَّعَامِ لِلِاسْتِثْنَاءِ بِالْحَدِيثِ، وَسُؤَالِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَتَاعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. كُلُّ ذَلِكَ أَظْهَرَ لِقُلُوبِ الرِّجَالِ وَقُلُوبِ النِّسَاءِ مِنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ، وَأَبْعَدَ عَنِ الرَّيْبِ

٥٢ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا

٥٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكَحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ

وَالشُّكُوكِ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلًا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ يُؤْذِيهِ وَيُزَعِّجُهُ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُؤْذُوهُ بَعْدَ وَقَاتِهِ بِالتَّزْوِجِ بِنِسَائِهِ. فَإِذَا النَّبِيُّ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يَقْدَرُ قَدْرُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

(وَقَدْ سُمِّيتِ هَذِهِ الْآيَةُ بآيَةِ الثَّقَلَيْنِ).

غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّهُ - غَيْرَ مُنْتَظَرِينَ نَضْجَهُ.

فَانْتَشِرُوا - فَتَفَرَّقُوا وَلَا تَمَكُّثُوا عِنْدَهُ.

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا - حَاجَةٌ يَنْتَفِعُ بِهَا.

(٥٤) - إِنْ تَظْهَرُوا شَيْئًا مِمَّا يُؤْذِي النَّبِيَّ، أَوْ تُخَفُّوهُ فِي صُدُورِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِكُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُهُ الضَّمَائِرُ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ السَّرَائِرُ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ خَافِيَةٌ، ثُمَّ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ فِعْلِهِ وَنَوَائِهِ.

(وَرَوِي فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ قَالَ رَجُلٌ: أَتُنْهَى أَنْ تُكَلِّمَ بَنَاتِ أَعْمَامِنَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ؟ لَيْنَ مَاتَ مُحَمَّدٌ لَتَتَزَوَّجُنَّ نِسَاءَهُ).

(أَبَائُهُنَّ) (أَبْنَائُهُنَّ) (إِخْوَانُهُنَّ) (أَخَوَاتُهُنَّ) (نِسَائُهُنَّ) (أَيْمَانُهُنَّ)

(٥٥) - أَسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنْ يَجِلُّ لَهُمْ أَنْ يُكَلِّمُوا نِسَاءَ النَّبِيِّ (وَالنِّسَاءَ عَامَّةً)، مِنْ دُونِ حِجَابٍ، وَهُمْ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُ وَالْإِخْوَةُ وَأَبْنَاؤُ الْإِخْوَةِ وَأَبْنَاؤُ الْأَخَوَاتِ، وَالنِّسَاءُ الْمُسْلِمَاتُ، وَالْعَبِيدُ الَّذِينَ يَمْلِكُن رِقَابَهُمْ لِأَنَّ فِي الْاِخْتِجَابِ عَنْهُمْ حَرَجًا وَمَشَقَّةً، لِأَنَّهُمْ يَقُومُونَ بِالْخِدْمَةِ عَلَيْهِنَّ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ نِسَاءَ النَّبِيِّ بِأَنْ يَخْشِينَ اللَّهَ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ، فَإِنَّهُ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

(مَلَائِكَتُهُ) (يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٥٦) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ لِيَجْتَمِعَ لَهُ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِينَ: الْعُلُوِّيِّ وَالسُّفْلِيِّ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ جَبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَانِي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ). (رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ).

بَعْدَهُ أَبَدًا إِنْ دَلَّكُمْ كَانَ
عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا

٥٤ إِنْ تَبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

٥٥ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا
أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ
إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ
وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَالِكَتِ
أَيْمَانِهِنَّ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا

٥٦ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

(الْآخِرَةُ)

(٥٧) - إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ فَيَرْتَكِبُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، (وَمِنْهُمْ الْيَهُودُ الَّذِينَ قَالُوا: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَالْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ...) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ (كَالَّذِينَ قَالُوا شَاعِرٌ وَكَاهِنٌ وَالَّذِينَ آذَوْهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ...) فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِجَعْلِهِمْ فِي مَقَامِ الزَّرَّاءِ وَالْإِحْقَارِ وَالْخِزْيِ.

(الْمُؤْمِنَاتِ) (بُهْتَانًا)

(٥٨) - وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، بِأَنْ يَنْسُبُوا إِلَيْهِمْ أَعْمَالًا لَمْ يَعْمَلُوهَا عَلَى سَبِيلِ الْغَيْبِ وَالتَّنْقِصِ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدْ اجْتَرَحُوا كَذِبًا فُظِيحًا، وَذَنْبًا عَظِيمًا وَاضِحًا، فَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الرَّسُولَ يُؤْذُونَ اللَّهَ. (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّبَّاءَ عِنْدَ اللَّهِ اسْتِحْلَالَ عِرْضِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ). (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).
بُهْتَانًا - فِعْلًا شَنِيعًا - أَوْ كَذِبًا فُظِيحًا.

(يَا أَيُّهَا) (لَا زَوَاجَكَ) (جَلَابِيهِنَّ)

(٥٩) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَأْمُرَ نِسَاءَهُ وَبَنَاتِهِ وَالنِّسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ، بِأَنْ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ، وَأَنْ يُعْطِينَ وَجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ، وَأَنْ يُعْطِينَ ثَغْرَةَ نُحُورِهِنَّ بِالْجَلَابِيبِ الَّتِي يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ. وَالْغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ التَّسْتُرُ، وَأَنْ يُعْرَفَنَّ بِأَنَّهُنَّ حَرَائِرٌ فَلَا يُؤْذِيهِنَّ أَحَدٌ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ فَاسِقٌ بِأَدَى وَلَا رِبِيَّةٌ. وَرَبُّكُمْ غَفَّارٌ لِمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ صَدَرَ مِنَ الْإِخْلَالِ بِالسَّتْرِ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِمَنْ أَمْتَثَلَ أَمْرَهُ، وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ عَمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَرَ فِي مُرَاقَبَتِهِ فِي أُمُورِ التَّسْتْرِ. يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ - يُرْجِحْنَ وَيُسَدِّلْنَ عَلَيْهِنَّ.
جَلَابِيهِنَّ - مَا يَسْتُرْنَ بِهِ كَالْمِلَاءَةِ.

(لَيْتَنَ) (الْمُنَافِقُونَ)

(٦٠) - لَيْتَنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ الْإِيمَانَ، وَيُطِيقُونَ الْكُفْرَ، وَأَهْلُ الرِّيبِ وَالشُّكُوكِ وَالْفُسُوقِ (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِاتِّبَاعِ نِسَائِهِمْ، وَالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ، وَلَيْتَنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُرْجِفُونَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَالْمُؤْمِنِينَ بِنَشْرِ الشَّائِعَاتِ الْكَاذِبَةِ الْمُثْبِطَةِ لَهُمْ.

٥٧ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،
لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا

٥٨ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا
اُكْتُسِبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا
بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا

٥٩ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ
وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ
مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ
يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا

٦٠ لَيْتَنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ

الْمُؤْمِنِينَ وَعَزَائِمِهِمْ (كَقَوْلِهِمْ مُحَمَّدٌ غُلَبٌ، وَجَاءَتْ جُيُوشُ مُشْرِكَةٍ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا...) لَيْتَن لَمْ يَنْتَ هَؤُلَاءِ جَمِيعاً، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَسْلُطُ رَسُولَهُ عَلَيْهِمْ، وَيُغْرِيه بِقَتَالِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ عَنِ الْمَدِينَةِ فَلَا يَسْكُنُونَ مَعَهُ فِيهَا، وَلَا يَمُضِي وَقْتُ قَصِيرٍ حَتَّى تَحُلُو الْمَدِينَةَ مِنْهُمْ.

الْمُرْجِفُونَ - الْمُشْبِعُونَ لِلْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ.

لَنُغْرِينَكَ بِهِمْ - لَنُسَلِّطَنَّكَ عَلَيْهِمْ.

(٦١) - وَسَيَكُونُونَ خِلَالَ هَذَا الْوَقْتِ الْقَصِيرِ الَّذِي يَبْقُونَ فِيهِ فِي الْمَدِينَةِ مَلْعُونِينَ، مَطْرُودِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَإِذَا خَرَجُوا تَبَقِيَ الدَّلَّةُ مُلَازِمَةً لَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ مَلْجَأً يَغْنَصُهُمْ مِنْ بَأْسِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَيْنَمَا وَجَدُوا كَانُوا فِي ذَلَّةٍ مُعَرَّضِينَ لِلْأَخْذِ وَالْقَتْلِ فِي كُلِّ حِينٍ. تُقْفُوا - وَجَدُوا وَأَدْرَكُوا.

(٦٢) - وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ شَرْعُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ، وَفِي أَمْثَالِهِمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، إِذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَلَمْ يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ غَيٍّ وَضَلَالٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْلُطُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْإِيمَانِ، وَسُنَّةُ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ تَبْدِيلَهَا وَلَا تَغْيِيرَهَا.

(يَسْأَلُكَ)

(٦٣) - يُكْثِرُ النَّاسُ مِنْ سُؤَالِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، وَمَتَى يَكُونُ مَوْعِدُ قِيَامِهَا. فَالْمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ عَنْ ذَلِكَ اسْتَعْجَالاً لَهَا، لِأَنَّهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ وَقُوعَهَا، وَالْيَهُودُ يَسْأَلُونَ عَنْهَا اخْتِبَاراً لِلرُّسُولِ، وَهَلْ سِيرُدُ أَمْرَهَا إِلَى اللَّهِ كَمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ، أَمْ أَنَّهُ سَيَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يُجِيبَ هَؤُلَاءِ جَمِيعاً: إِنَّ عِلْمَ السَّاعَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَمْ يُطْلِعْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى لِلرُّسُولِ ﷺ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَقَدْ يَكُونُ مَوْعِدُ قِيَامِهَا قَرِيباً جَدًّا.

(الْكَافِرِينَ)

(٦٤) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَعَنَ الْكَافِرِينَ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ نَارًا تَتَّقِدُ وَتَتَسَعَّرُ.

(خَالِدِينَ)

(٦٥) - وَيَبْقَوْنَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ أَبَدًا، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ نَاصِرًا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ.

لَنُغْرِينَكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا
يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا

﴿٦١﴾ مَلْعُونِينَ أَتَيْنَا تُقْفُوا أَخَذُوا

وَقَتْلُوا تَفْتِيلًا

﴿٦٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا

مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَحْدِلَ سُنَّةُ اللَّهِ

تَبْدِيلًا

﴿٦٣﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ

إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ

لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا

﴿٦٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ

سَعِيرًا

﴿٦٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ

وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

(يَا لَيْتَنَّا) (الرَّسُولَ)

(٦٦) - وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَلَيَّا وَلَا نَصِيرًا يَنْصُرُهُمْ، وَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، حِينَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ آخَرَ، كَمَا يَقْلَبُ اللَّحْمُ فَوْقَ النَّارِ، وَحِينَئِذٍ يَقُولُونَ مُتَحَسِّرِينَ: يَا لَيْتَنَّا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَمَّا جَاءَنَا بِهِ فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى اللَّهِ، وَتَحْذِيرٍ مِنْ عَذَابِهِ، وَلَوْ أَنَّا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَمَّا كُنَّا الْيَوْمَ نَتَقَلَّبُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا نَجِدُ لَنَا مَنْ يَنْقِذُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ، وَلَا مَنْ يُجِيرُنَا مِنْ عَذَابِهِ.

(السَّبِيلَ)

(٦٧) - وَقَالَ الْكَافِرُونَ، وَهُمْ يُقَاسُونَ شِدَّةَ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ: رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا أَثْمَنًا فِي الضَّلَالَةِ، وَكُتِبَ لَنَا، وَأَشْرَفَ قَوْمُنَا، فَجَعَلُونَا نُضِلُّ طَرِيقَ الْهُدَى وَالْحَقِّ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْإِيمَانِ بِكَ وَإِلَى الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ.

(أَتَيْهِمْ)

(٦٨) - رَبَّنَا وَأَضْعِفْ لَهُمُ الْعَذَابَ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً لِكُفْرِهِمْ بِكَ، وَمَرَّةً لِإِضْلَالِهِمْ إِيَّانَا، اللَّهُمَّ وَآخِرِهِمْ وَأَطْرُدْهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ. ضَعِيفَيْنِ - مِثْلَيْنِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (آذُوا)

(٦٩) - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلٍ يَكْرَهُهُ، وَلَا بِفِعْلٍ لَا يُجِبُهُ، وَلَا تَكُونُوا أَمْثَالَ الَّذِينَ آذَوْا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَبِيَّ اللَّهِ، فَزَعَمُوا كَذِبًا وَبَاطِلًا أَنَّ فِيهِ عَيْبًا فِي جِسْمِهِ، فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا فِيهِ، بِمَا أَظْهَرَهُ مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى كَذِبِهِمْ، وَأَفْتَرَائِهِمْ، وَكَانَ مُوسَى ذَا وَجَاهَةٍ وَكَرَامَةٍ عِنْدَ اللَّهِ. وَجِئَهَا - ذَا جَاءٍ وَقَدِيرٍ - مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٧٠) - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَقُولُوا فِي الْمُؤْمِنِينَ قَوْلًا حَقًّا لَا بَاطِلَ فِيهِ، وَلَا جَوْرَ عَنِ الصَّوَابِ. قَوْلًا سَدِيدًا - صَوَابًا وَصِدْقًا أَوْ قَاصِدًا إِلَى الْحَقِّ.

﴿٦٦﴾ يَوْمَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ

يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطْعَمَنَا اللَّهُ
وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ

﴿٦٧﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا

وَكُتِبَ لَنَا فَاضْلَمْنَا السَّبِيلَ

﴿٦٨﴾ رَبَّنَا أَتَيْهِمْ ضَعِيفَيْنِ مِنَ

الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا

﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا

كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ
مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِئَهَا

﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا

(أَعْمَالُكُمْ)

(٧١) - وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَبِیَّهِ، وَيَقُلِ الْقَوْلَ الْمُنْصِفَ السَّدِيدَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُؤَقِّتُهُ إِلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَيَسُدُّ خُطَاهُ فِي مَسِيرَتِهِ، وَيَغْفِرُ لَهُ ذُنُوبَهُ. وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَيَعْمَلْ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَيَسْتَبِغِ عَمَّا نَهَا عَنْهُ، فَقَدْ ظَفِرَ بِالْمَثُوبَةِ وَالْكَرَامَةِ يَوْمَ الْحِسَابِ (فَارَ فَوْزًا عَظِيمًا).

(السَّمَاوَاتِ) (الْإِنْسَانِ)

(٧٢) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْأَمَانَةُ هُنَا تَعْنِي الطَّاعَةَ، وَقَالَ آيضًا: إِنَّهَا الْفَرَائِضُ.

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ عَرَضَ التَّكَالِيفِ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فَلَمْ يُطِقْنَ حَمْلَهَا، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا مَخَافَةَ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِ أَرَادَهُ اللَّهُ، ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَى آدَمَ وَقَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ عَرَضْتُ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ يُطِقْنَهَا، فَهَلْ أَنْتَ آخِذٌ بِمَا فِيهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا فِيهَا؟ قَالَ: إِنَّ أَحْسَنَتْ جُزَيْتَ، وَإِنْ أَسَأتْ عُرِيقَتْ. فَقَبِلَ آدَمُ حَمْلَهَا بِمَا فِيهَا. وَهَكَذَا حَمَلَ الْإِنْسَانُ الْأَمَانَةَ عَلَى ضَعْفِهِ، وَكَانَ جَاهِلًا بِثِقَلِهَا، ظَلُمًا نَفْسَهُ بِحَمْلِهَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ.

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ - التَّكَالِيفَ مِنْ أَوْامِرَ وَنَوَاهٍ.

فَأَيُّنَ - أَمْتَنَ.

أَشْفَقْنَ - خَفْنَ مِنَ الْخِيَانَةِ فِيهَا.

(الْمُنَافِقِينَ) (الْمُنَافِقَاتِ) (الْمُشْرِكَاتِ) (الْمُؤْمِنَاتِ)

(٧٣) - وَقَدْ حَمَلَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ الْأَمَانَةَ (وَهِيَ التَّكَالِيفُ) لِتَكُونَ نَتِيجَةُ ذَلِكَ أَنْ يُعَذَّبَ مَنْ خَانَهَا، وَقَصُرَ فِي حَمْلِهَا وَأَذَانِهَا، مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ الَّذِينَ يَبْطِنُونَ الْكُفْرَ وَالشُّرْكَ، وَيُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ خَوْفًا وَتَحَسُّبًا، وَمِنَ الْكَافِرِينَ الْجَاهِلِينَ بِوُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَلِيقْبَلَ تَوْبَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ تَائِبِينَ مُبِينِينَ، لِتَلْفِيهِمْ مَا قَرِطَ مِنْهُمْ عَنْ جَهْلِ وَعَدَمِ تَبَصُّرٍ، وَتَذَارِكِهِمْ ذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى غَفَّارٌ لِلذُّنُوبِ، سِتَّارٌ لِلْعُيُوبِ، كَثِيرٌ الرَّحْمَةِ لِلْعِبَادِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ.

(٧١) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

(٧٢) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

(٧٣) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ

وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

(٣٤) سُورَةُ سَبَأٍ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا اَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(السَّمَاوَاتِ) (الْآخِرَةِ)

(١) - يُعْجِدُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ، وَيُخَيِّرُ عِبَادَهُ بِأَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَوْجِبُ
النَّشْأَ الْمُطْلَقَ (الْحَمْدُ) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
لَأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، الْمُتَفَضِّلُ عَلَى الْخَلَائِقِ، فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ،
وَهُوَ الْمَالِكُ لِلْوُجُودِ جَمِيعِهِ بِمَنْ فِيهِ وَمَا فِيهِ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُتَصَرِّفُ
فِيهِ، وَالْجَمِيعُ تَحْتَ قَهْرِهِ وَحُكْمِهِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَدْرِهِ
وَتَنْذِيرِهِ، وَهُوَ الْخَبِيرُ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْخَلْقِ.

(٢) - يَعْلَمُ مَا يَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ (يَلِجُ) مِنْ مَطَرٍ وَبَدَرٍ وَمَعَادِنٍ وَأَمْوَاتٍ
وَدَفَائِنٍ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ وَغَازَاتٍ وَمَاءٍ وَمَعَادِنٍ
وَمُخْلَفَاتٍ تَرَكْتَهَا الْأُمَمُ السَّالِفَةُ، وَيَعْلَمُ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَلَائِكَةٍ
وَكُتُبٍ وَشُهَبٍ وَمَطَرٍ وَصَوَاقِعَ، وَمَا يَصْعَدُ (يَعْرُجُ) فِيهَا مِنْ مَلَائِكَةٍ
وَأَعْمَالٍ عِبَادٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ فَلَا يَعَاجِلُ الْعَصَاةَ
بِالْعُقُوبَةِ، وَهُوَ الْغَفُورُ لِدُنُوبِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ، الْمُتَنَبِّسِينَ لَهُ.

مَا يَلِجُ - مَا يَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَطَرٍ وَغَيْرِهِ.

مَا يَعْرُجُ - مَا يَصْعَدُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَعْمَالِ.

(عَالِمِ) (السَّمَاوَاتِ) (كِتَابِ)

(٣) - يَعْدُ أَنْ أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ صَاحِبُ الْحَمْدِ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، وَفِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى مَا أَسَدَى إِلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ،
اتَّبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ خَلْقِهِ يُنْكِرُ الْآخِرَةَ، وَيَسْتَهْزِئُ بِمَنْ يَتَّقِدُ

① اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ

وَمَا فِي الْاَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي

الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

② يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْاَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ

مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ

وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ

الْغَفُورُ

③ وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَا تَاْتِيْنَا

السَّاعَةُ قُلْ بَلٰى وَرَبِّىْ لَتَاْتِيَنَّكُمْ

عَلِمَ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ

ذَرَّةٍ فِى السَّمٰوٰتِ وَلَا فِى الْاَرْضِ

وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

بُوقُوعِهَا، وَيَسْتَعْجِلُ بِالْعَذَابِ الَّذِي يَنْهَدُّ اللَّهُ بِهِ الْمُجْرِمِينَ الْكَافِرِينَ،
فَيَقُولُ تَعَالَى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَنِعْمِهِ عَلَيْهِمْ، وَجَحَدُوا بِمَا تَنذَرُ
إِلَيْهِ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ: إِنَّهُ لَا رَجْعَةَ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ الْبَشَرُ، وَلَا
بَعْثَ وَلَا حِسَابَ وَلَا عِقَابَ، وَمَا يُهْلِكُهُمْ، إِلَّا الدَّهْرُ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ
تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مُقْسِمًا بِرَبِّهِ الْعَظِيمِ عَلَى أَنَّ الْمَعَادَ
سَيَقَعُ، لَا مَحَالَةَ، وَلَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ وَقْتُ مَجِيءِ السَّاعَةِ الَّتِي
تَقُومُ فِيهَا الْقِيَامَةُ، وَتَبْعَثُ فِيهَا اللَّهُ الْخَلَائِقَ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ عَلَامُ
الْغُيُوبِ، الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ دَخَلَ فِي الْأَرْضِ، أَوْ صَعِدَ
فِي السَّمَاءِ، فَهُوَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا يَتَفَرَّقُ مِنْ ذَرَاتِ أَجْسَادِ الْأَمْوَاتِ وَأَيْنَ
تَسْتَقِرُّ فَيَجْمَعُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَمْرِ مِنْهُ فَيُعِيدُهَا خَلْقًا جَدِيدًا كَمَا كَانَتْ، وَقَدْ
أَوْدَعَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ وَلَا يَنْسَى.

وَهَذِهِ الْآيَةُ إِحْدَى ثَلَاثِ آيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ، أَمَرَ اللَّهُ فِيهَا الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ
بِأَنْ يُقْسِمَ بِرَبِّهِ الْعَظِيمِ عَلَى أَنَّ السَّاعَةَ سَتَقُومُ، وَأَنَّ الْأَمْوَاتَ سَيَبْعَثُونَ
لِلْحِسَابِ.

الْآيَةُ الْأُولَى جَاءَتْ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي
رَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (١).
وَالْآيَةُ الثَّانِيَّةُ جَاءَتْ فِي سُورَةِ التَّغَابُنِ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ
يُعْصُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ﴾ (٢).

وَالثَّلَاثَةُ هَذِهِ الْآيَةُ.

لَا يَعْزُبُ - لَا يَغِيبُ عَنْهُ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ.
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - مِقْدَارُ أَصْغَرِ مَا يُوزَنُ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (أُولَئِكَ)

(٤) - وَالْحِكْمَةُ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ، وَحَشْرِ الْخَلَائِقِ هِيَ لِحِسَابِهِمْ عَلَى مَا
قَدَّمُوا مِنْ عَمَلٍ فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا، فَيَجْزِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمْ، وَكُتِبَ
وَرُسُلِهِ، الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَ بِالْحُسْنَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ،
وَيُدْخِلُهُمْ فِي جَنَّتِهِ، وَيُؤْتِيهِمْ رِزْقًا كَرِيمًا وَاسِعًا.

لَيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٢) سورة التغابن، الآية: ٧.

(سَعَوْا) (آيَاتِنَا) (مُعَاجِزِينَ) (أُولَئِكَ)

(٥) - أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَسَعَوْا فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ اتِّبَاعِ مَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَسُبُلِ الْهُدَى، وَأَجْهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي مُحَازَبَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقُرْآنِهِ... فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ عَذَابًا أَلِيمًا.
مُعَاجِزِينَ - مُسَابِقِينَ ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يَفُوتُونَ اللَّهَ هَرَبًا.
الرَّجْزُ - الْعَذَابُ الشَّدِيدُ الْمُؤْلِمُ.

(صِرَاطِ)

(٦) - وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ صَدَّقُوا الرُّسُلَ فِيمَا جَاءُواهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ وَاعْتَقَدُوا أَنَّ اللَّهَ سَيَحْشُرُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّهُمْ حِينَئِذٍ يَرَوْنَ قِيَامَ السَّاعَةِ يَقُولُونَ: مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِيةَ، وَهُوَ يُرْشِدُ مَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُغَالِبُ وَلَا يُمَانَعُ (الْعَزِيزِ)، وَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ مَا قَالَا وَشَرَعَا وَقَدَّرَا.

(٧) - وَقَالَ بَعْضُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ لِبَعْضِ الْمُتَهَكِّمِينَ وَالْمُسْتَهْزِئِينَ بِالرُّسُولِ: هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ نَذَلَّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُخْبِرُكُمْ أَنَّكُمْ سَتَبْعَثُونَ أَحْيَاءَ، بَعْدَ أَنْ تَمُوتُوا، وَتَتَفَرَّقَ أَجْسَادُكُمْ، وَتَتَّبَعْتُمْ فِي تَرَابِ الْأَرْضِ، وَأَنْتُمْ سَتَحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ الَّتِي عَمِلْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا؟ وَيَقْصِدُونَ بِالرَّجُلِ مُحَمَّدًا (ﷺ).

(بِالْآخِرَةِ) (وَالضَّلَالِ)

(٨) - وَهَذَا قَوْلٌ لَا يَقُولُهُ إِلَّا رَجُلٌ تَعَمَّدَ الْاِفْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ، وَالزَّعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ ذَلِكَ، أَوْ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مَعْتَوَى، قَدْ اخْتَلَّ عَقْلُهُ، فَصَارَ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَتَحَيَّلُهُ.

وَيُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ قَائِلًا: إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا زَعَمُوا وَتَوَهَّمُوا، وَقَدَّرُوا، فَمُحَمَّدٌ لَيْسَ مُفْتَرِيًّا، وَلَا مَجْنُونًا، وَإِنَّمَا هُوَ الْبَرُّ الرَّشِيدُ، الَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَإِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ الْجُهْلَاءُ، الْمُوْغِلُونَ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، وَهَذَا مَا سَيُودِي بِهِمْ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ.

بِهِ جَنَّةٌ - بِهِ جُنُونٌ يُوْهِمُهُ مَا يَقُولُ.

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِيءِ آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ
أَلِيمٌ

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي
أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ
وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَذَلَّكُمْ
عَلَى رَجُلٍ يَنْبِئُكُمْ إِذَا مَرِقْتُمْ كُلَّ
مَرَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ

أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جَنَّةٌ
بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ

(لَايَةٌ)

(٩) - ثُمَّ ذَكَرَهُمْ تَعَالَى بِمَا يَرَوْنَهُ بِأَعْيُنِهِمْ فِي هَذَا الْوُجُودِ حَوْلَهُمْ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى فِعْلٍ مَا يَشَاءُ، فَقَالَ: أَفَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذَّبُونَ بِالْمَعَادِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَقِفُونَ عَلَيْهَا، وَالسَّمَاءِ الَّتِي تَطْلُفُهُمْ وَتُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ مُحِيطَةٌ بِهِمْ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَأْمُرَ الْأَرْضَ فَتَنْخَسِفَ بِهِمْ، وَأَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ فَتَسْقُطَ عَلَيْهِمْ قِطْعًا (كِسْفًا)، وَتَذَرَهُمْ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ يُؤَخِّرُ وَفُوعُهُ إِلَى أَجَلٍ حَدَدَهُ هُوَ، وَعَيَّنَ مِيقَاتَهُ. وَفِي النَّظَرِ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ دَلَالَةٌ كَافِيَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى بَعْثِ الْأَجْسَادِ مِنَ الْأَجْدَاثِ لِكُلِّ عَبْدٍ فُطِنَ، مُنِيبٌ إِلَى رَبِّهِ.

نَخَسِفَ بِهِمْ الْأَرْضَ - نَعَيَّبَ بِهِمْ الْأَرْضَ.

كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ - قِطْعًا مِنْهَا.

مُنِيبٌ - رَاجِعٌ إِلَى رَبِّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ.

(آتَيْنَا) (دَاوُدَ) (يَا جَبَالَ)

(١٠) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ الْفَضْلِ الْمُبِينِ، إِذْ جَمَعَ لَهُ الْمُلْكَ الْمُتَمَكِّنَ، وَالتَّوْبَةَ، وَالصَّوْتِ الرَّخِيمَ، فَكَانَ إِذَا سَبَّحَ رَافِعًا صَوْتَهُ كَانَتْ الْجِبَالُ تَرْجِعُ تَسْبِيحَهُ، وَتَقِفُ لَهُ الطُّيُورُ، وَتُجَاوِبُهُ مُسَبِّحَةً بِأَصْوَاتِهَا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى دَاوُدَ أَيْضًا بِأَنْ أَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ، وَعَلَّمَهُ صُنْعَ الدُّرُوعِ، وَجَعَلَهَا حَلَقًا مُتَدَاخِلًا لِيُوقَايَةَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِنْ بَأْسِ الْأَعْدَاءِ، أُنْشَاءَ الْقِتَالِ، وَكَانَتْ الدُّرُوعُ تُصَنِّعُ قَبْلًا صَفَائِحَ تَعُوقُ حَرَكَةَ لِابِسِهَا، فَلَمَّا أُصْبِحَتْ حَلَقًا مُتَدَاخِلًا أُصْبِحَتْ حَرَكَةً لِابِسِهَا أَكْثَرَ سُهُولَةً.

أَوْبِي - رَجَعِي وَرَدِّدِي مَعَهُ التَّسْبِيحَ.

الآن - جَعَلَهُ لَنَا طَرِيًّا.

(سَابِغَاتٍ) (صَالِحًا)

(١١) - وَاللَّهِمَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَصْنَعَ مِنَ الْحَدِيدِ الَّذِي الْأَنَّهُ لَهُ الدُّرُوعُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ، وَأَحْكَمِ نِظَامٍ (سَابِغَاتٍ) فَكَانَ يَسْتَعْمِلُ مِسْمَارًا وَسَطًا لَا رَفِيعًا وَلَا غَلِيظًا، فَتَجِيءُ الْحَلَقَاتُ عَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ (وَقَدَّرَ فِي الشَّرْدِ).

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى دَاوُدَ بِشُكْرِهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْمَلَ هُوَ وَأَهْلُهُ أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْضَى اللَّهُ، وَقَالَ لَهُ تَعَالَى إِنَّهُ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ.

١٠ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَاءُ نَخْسِفْ بِهِمْ

الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا

مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ

لَايَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ



١١ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا

فَضْلًا يَجِبَالٍ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرِ

وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ

١٢ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي

الشَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

سَابِغَاتٍ - دُرُوعًا كَامِلَةً وَاسِعَةً .
السَّرْدُ - حَلَقِ الْحَدِيدِ - وَقِيلَ إِنَّهُ النَّسْجُ أَيْ الصُّنْعُ وَرَبَطُ الْحَلَقَاتِ
بَعْضُهَا بِبَعْضٍ .
قَدَّرَ فِي السَّرْدِ - أَيْ أَقْتَصَدَ وَاجْعَلَ الْحَلَقَاتِ مُتَجَانِسَةً مُتَقَارِبَةً .

((سُلَيْمَانَ))

(١٢) - وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى عَبْدِهِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ، بِأَنْ سَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ، يَنْتَفِعُ بِهَا فِي أُمُورٍ يَعْرِفُهَا هُوَ، وَكَانَتْ
الرِّيحُ حِينَ تَسِيرُ تَقْطَعُ خِلَالَ فِتْرَةِ الْغَدَاةِ (أَيَّ مِنَ الصُّبْحِ حَتَّى الزَّوَالِ)
مَسَافَةً يَقْطَعُهَا الرَّابِّبُ الْمُجِدُّ خِلَالَ شَهْرِ كَامِلٍ . وَكَانَتْ تَقْطَعُ فِي فِتْرَةِ
الرَّوَّاحِ (أَيَّ مِنَ الزَّوَالِ حَتَّى مَغِيبِ الشَّمْسِ) مَسَافَةً يَقْطَعُهَا الرَّابِّبُ
الْمُجِدُّ خِلَالَ شَهْرٍ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِنَّهُ أَذَابَ النُّحَاسَ (الْقَطِرَ) لِسُلَيْمَانَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ إِلَى نَارٍ،
فَكَانَ النُّحَاسُ يُخْرَجُ مِنْ عَيْنٍ فِي الْأَرْضِ سَائِلًا ذَائِبًا، وَكَانَهُ يَنْبُوعُ مَاءٍ
(وَلِذَلِكَ قَالَ عَيْنَ الْقَطِرِ)، وَسَخَّرَ تَعَالَى لِسُلَيْمَانَ الْجَنَّ يَعْمَلُونَ بِأُذُنِهِ
تَعَالَى مَا يَأْمُرُهُمْ سُلَيْمَانُ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ - وَقَدْ جَاءَ تَفْصِيلُهَا فِي الْآيَةِ
التَّالِيَةِ - وَمَنْ شَذَّ عَنْ طَاعَةِ سُلَيْمَانَ مِنْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِيقُهُ عَذَابًا أَلِيمًا .

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: وَمَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا أَمَرَهُ مِنَ الْعَمَلِ
بِأَمْرِ سُلَيْمَانَ فَإِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُهُ وَيُذِيقُهُ عَذَابًا أَلِيمًا) .

زَاغَ عَنِ الْأَمْرِ - خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ وَعَدَلَ عَنْهَا .

غُدُوُّهَا شَهْرٌ - جَرَّيْهَا بِالْغَدَاةِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ .

رَوَّاحُهَا شَهْرٌ - جَرَّيْهَا بِالْعِشِيِّ كَذَلِكَ .

عَيْنَ الْقَطِرِ - عَيْنَ النُّحَاسِ يَنْبُعُ ذَائِبًا كَالْمَاءِ .

(مَحَارِبَ) (تَمَائِيلَ) (رَاسِيَاتٍ) (آلَ دَاوُدَ)

(١٣) - وَكَانَتْ الْجَنُّ تَعْمَلُ لِسُلَيْمَانَ مَا يَشَاءُ: مِنْ قُصُورٍ شَامِيخَاتٍ
(مَحَارِبَ)، وَصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ (تَمَائِيلَ)، وَقِصَاعٍ لِلطَّعَامِ ضَخْمَةٍ (جِفَانٍ)
كَأَنَّهَا أَحْوَاضُ الْمَاءِ (كَالْجَوَابِ) وَقُدُورٍ ثَوَابِتٍ لَا تَنْقُلُ مِنْ مَكَانِهَا
لِضَخَامَتِهَا (رَاسِيَاتٍ) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَالِ دَاوُدَ: أَعْمَلُوا بِطَاعَةِ رَبِّكُمْ شُكْرًا لَهُ عَلَى أَنْعَمِهِ الَّتِي
لَا تُحْصَى عَلَيْكُمْ، وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ يُطِيعُهُ شُكْرًا لَهُ عَلَى أَنْعَمِهِ .

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ثَلَاثُ مَنْ أُوتِيَهُنَّ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَمَا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ:

﴿١٢﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ

وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ

الْقَطِرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ

يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ بَرِغَ مِنْهُمْ

عَنْ أَمْرٍ نَأْدِقْهُ مِنْ عَذَابِ

السَّعِيرِ

﴿١٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ

وَتَمَثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ أَعْمَلُوا آلَ

دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ

الشَّاكِرِينَ

الْعَذْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السُّرِّ وَالْعَلَنِ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ).
تَمَائِيل - صُورٌ مُجَسِّمَةٌ مِنْ نُحَاسٍ وَغَيْرِهِ.
جَفَانٍ كَالْجَوَابِ - قِصَاعٌ كِبَارٌ كَحِيَاضِ الْمِيَاهِ الْعِظَامِ.
قُدُورٌ رَاسِيَاتٍ - ثَابِتَاتٌ عَلَى الْمَوَاقِدِ لِعِظَمِهَا.
الْمَحَارِبُ - الْقُصُورُ الشَّامِخَاتُ (أَوْ الْمَسَاجِدُ لِلْعِبَادَةِ).

(١٤) - وَلَمَّا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْمَوْتَ، انْتَكَا عَلَى عَصَاهُ وَهُوَ وَاقِفٌ، وَلَبِثَ فِتْرَةً وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَالْجِنُّ يَعْمَلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ حَيٌّ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَلَا يَتَوَقَّفُونَ عَنِ الْعَمَلِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ. ثُمَّ سَخَّرَ اللَّهُ حَشْرَةً صَغِيرَةً أَخَذَتْ تَنْخُرُ عَصَاهُ حَتَّى ضَعُفَتْ فَأَنْكَسَرَتْ وَسَقَطَ سُلَيْمَانُ عَلَى الْأَرْضِ، فَعَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّهُ مَاتَ مِنْذُ زَمَنٍ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ. وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ لِلنَّاسِ وَلِلْجِنِّ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ لَعَلِمُوا بِمَوْتِ سُلَيْمَانَ سَاعَةَ حُدُوثِهِ، وَلَمْ يَتَنَبَّهُوا حَتَّى تَأْكُلَ دَابَّةُ الْأَرْضِ عَصَاهُ الَّتِي كَانَ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا فَيَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَمْ يَسْتَمِرُّوا فِي الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ الَّتِي كَلَّفَهُمْ بِهَا سُلَيْمَانُ (الْعَذَابِ الْمُهِينِ).
الْمُنْسَاءُ - الْعَصَا.
خَرَّ - سَقَطَ.

دَابَّةُ الْأَرْضِ - حَشْرَةُ الْأَرْضِ الَّتِي تَأْكُلُ الْخَشَبَ.

(آيَةٌ)

(١٥) - كَانَتْ قَبِيلَةُ سَبَأٍ تَسْكُنُ الْيَمْنَ، وَقِيلَ إِنَّ (سَبَأً) جَدَّهُمْ هُوَ يَشْجُبُ بْنُ يَعْرَبَ بْنِ قُحْطَانَ.
وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ كَانَتْ فِي نِعْمَةٍ وَفِي غِبْطَةٍ فِي بِلَادِهِمْ وَعَيْشِهِمْ، وَاتَّسَعَ أَرْزَاقُهُمْ. وَكَانَتْ لَهُمْ حَدَائِقُ غَنَاءٍ، وَبَسَاتِينُ فَيْحَاءٍ، عَنْ يَمِينِ الْوَادِي الَّذِي أَقَامُوا فِيهِ السَّدَّ فِي مَارِبَ، وَعَنْ شِمَالِهِ. ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ تَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْجِيدِهِ، وَبِأَنْ يَأْكُلُوا مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي يَسَّرَهُ لَهُمُ اللَّهُ، وَبِأَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ مِنَ الْبَلَدِ الطَّيِّبِ، وَالرِّزْقِ الْوَفِيرِ، فَأَطَاعُوا، وَعَبَدُوا اللَّهَ وَشَكَرُوهُ إِلَى حِينٍ.

سَبَأٌ - قَبِيلَةٌ فِي الْيَمَنِ - وَبَلَدَةٌ أَيْضًا.

آيَةٌ - بُرْهَانٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ.

جَتَّتَانِ - بُسْتَانَانِ أَوْ جَمَاعَتَانِ مِنَ الْبَسَاتِينِ.

بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ - زَكِيَّةٌ مُسْتَلَدَّةٌ.

﴿١٤﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ

﴿١٥﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٌ

(وَبَدَّلْنَاهُمْ)

(١٦) - ثُمَّ أَعْرَضُوا عَمَّا أُمِرُوا بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَشُكِرَهُ عَلَى أَنْعَمِهِ، وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَنِعْمِهِ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ سَيْلًا ضَخْمًا كَسَرَ السُّدَّ وَخَرَّبَهُ، وَأَقْتَلَعَ حِجَارَتَهُ الْمُرْكُومَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ لِحَبْزِ الْمَاءِ، فَتَدَقَّقَ الْمَاءُ مِنَ السُّدِّ، وَذَهَبَ بِالْجَنَانِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْحُضْرَةِ وَالنُّضْرَةِ، وَأَهْلَكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ فِي الْبِلَادِ، وَأَبَدَلَهُمُ اللَّهُ بِتِلْكَ الْجَنَانِ الْفَيْحَاءِ، وَالثَّمَارِ الْوَفِيرَةِ، وَالنَّعْمِ الْكَثِيرَةِ، بَسَاتِينَ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا بَعْضُ الْأَشْجَارِ ذَاتِ الثَّمَرِ الْمُرِّ الْمَذَاقِ (أَكْلَ خَمْطٍ)، وَبَعْضُ أَشْجَارٍ مِنَ الطَّرَفَاءِ (أَثْلٍ) وَأَشْجَارٍ قَلِيلَةٍ مِنَ النَّبْتِ (السَّدْرِ).

فَأَعْرَضُوا - أَيَّ عَنِ الشُّكْرِ وَتَوَلَّوْا عَنْ دَعْوَةِ أَنْبِيَائِهِمْ.

سَيْلَ الْعَرِمِ - سَيْلَ السُّدِّ أَوْ الْمَطَرِ الشَّدِيدِ.

أَكْلَ خَمْطٍ - ثَمَرٍ مَرٍّ حَامِضٍ يَشْبَعُ.

أَثْلٍ - ضَرْبٌ مِنَ الطَّرَفَاءِ (وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ).

سَدْرٍ - الضَّالُّ أَوْ شَجَرَةُ النَّبْتِ.

(جَزَيْنَاهُمْ) (نُجَازِي)

(١٧) - وَقَدْ عَاقَبْنَاهُمْ ذَلِكَ الْعِقَابَ الْأَلِيمَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِنِعْمِهِ، وَعُدُولِهِمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَاللَّهُ لَا يُجَازِي مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ الشَّدِيدِ الْمُسْتَأْصِلِ إِلَّا الْجَحُودَ الْكَثِيرَ الْكُفْرَ بِاللَّهِ وَنِعْمِهِ (الْكُفُورَ).

(بَارَكْنَا) (ظَاهِرَةٌ) (أَمِينٍ)

(١٨) - وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَانَ لِسَبَابٍ مِنْ نِعِيمٍ وَسَعَادَةٍ، وَوَفْرَةٍ رَزَقَ فِي مَسَاكِينِهِمْ فِي الْيَمَنِ، ذَكَرَ تَعَالَى هُنَا مَا كَانَ قَدْ مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي مَسَالِكِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ، فَكَانُوا يَمُرُّونَ فِي أَرْضٍ عَامِرَةٍ أَمِينَةٍ، فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةٌ عَلَى مَسَافَاتٍ مُتَقَارِبَةٍ (قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ)، يَجِدُونَ فِيهَا الْمَاءَ وَالزَّادَ وَالْعَلْفَ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى حَمْلِ زَادٍ وَلَا مَوْنَةٍ، فَيَخْرُجُونَ صَبَاحًا مِنْ قَرْيَةٍ، وَيَبْتَثُونَ مَسَاءً فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، إِلَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى قُرَى الشَّامِ (الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا).

١٧ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ

١٨ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ قَالَ لَهُمْ: سِيرُوا فِي هَذِهِ الْقَرْيَ الَّتِي تَقَعُ بَيْنَ الْيَمَنِ، وَبَيْنَ بِلَادِ الشَّامِ، لِيَالِي وَأَيَّامًا لَا تَخْشَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْجُوعِ أَوِ الْعَطَشِ أَوْ بَطْشِ الْأَعْدَاءِ. فَرَى ظَاهِرَةً - مُتَوَاصِلَةً مُتَقَارِبَةً.

قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ - جَعَلْنَاهُ عَلَى مَرَاجِلَ مُتَقَارِبَةٍ. آمَنِينَ - مِنْ بَطْشِ الْأَعْدَاءِ وَمِنْ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ.

(بَاعِدُ) (فَجَعَلْنَاهُمْ) (مَرَقْنَاهُمْ) (لَايَاتٍ)

(١٩) - فَبَطَرُوا وَمَلَأُوا تِلْكَ النُّعْمَةَ، وَآثَرُوا الَّذِي هُوَ أَذْنَى عَلَى الَّذِي هُوَ خَيْرٌ فَظَلَمُوا أَنْ يَفْصِلَ اللَّهُ بَيْنَ الْقَرْيَ بِمَقَاوِرَ وَقِفَارٍ، لِيُظْهِرَ الْقَادِرُونَ مِنْهُمْ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ زَادٍ وَفَيْرٍ، وَرَوَاجِلَ، تَكْبَرًا وَفَخْرًا عَلَى الْعَاجِزِينَ الْفُقَرَاءِ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ الظُّلْمِ لِلْأَنْفُسِ بِكُفْرَانٍ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَالْبَطْرِ، فَجَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ لِلنَّاسِ، يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُمْ فِي مَجَالِسِ سَمَرِهِمْ، وَمَرَقَ شَمْلَهُمْ وَبَدَّدَهُ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ.

وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَا حَلَّ بِهِؤَلَاءِ آيَةً وَعِبْرَةً لِكُلِّ عَبْدٍ صَبْرٍ عَلَى الْإِثْلَاءِ، شُكْرٍ عَلَى النُّعْمَاءِ.

فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ - أَخْبَارًا يُتْلَاهُ بِهَا.

مَرَقْنَاهُمْ - فَرَقْنَاهُمْ فِي الْبِلَادِ.

(٢٠) - وَلَقَدْ ظَنَّ إِبْلِيسُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَتَّبِعُونَهُ، وَأَنَّهُ قَدْ يَسْتَطِيعُ غَوَايَتَهُمْ وَإِضْلَالَهُمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالْبَطْرِ، فَأَطَاعُوهُ وَعَصَوْا رَبَّهُمْ فَدَمَرَهُمْ، فَصَدَّقَ ظَنُّ إِبْلِيسَ فِيهِمْ. وَلَمْ يَشُدَّ مِنْهُمْ عَنْ إِطَاعَةِ إِبْلِيسِ إِلَّا فِتْنَةٌ قَلِيلَةٌ مُؤْمِنَةٌ بَنَتْ عَلَى الْإِيمَانِ. صَدَّقَ عَلَيْهِمْ - حَقَّقَ عَلَيْهِمْ.

(سُلْطَانٍ) (بِالْآخِرَةِ)

(٢١) - وَلَمْ يَكُنْ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَةٍ يَحْمِلُهُمْ بِهَا كَرْهًا عَلَى الْكُفْرِ، وَالْبَطْرِ، وَالْعِصْيَانِ، وَإِنَّمَا دَعَاهُمْ فَأَطَاعُوهُ وَقَدْ سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لِيُخْتَبِرَهُمْ، لِيُظْهِرَ حَالَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ، وَيُصَدِّقُ بِالنُّوَابِ وَالْعِقَابِ، مِمَّنْ هُوَ فِي شَكٍّ مِنْهَا، فَلَا يُؤْمِنُ بِمَعَادٍ وَلَا حَشَرٍ وَلَا نُّوَابٍ وَلَا عِقَابٍ. وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ حَفِظَ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ يُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ يُجَازِيهِمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

سُلْطَانٍ - تَسَلَّطَ وَاسْتَيْلَأَ بِالْوَسْوسَةِ وَالْإِغْوَاءِ.

فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا

وظلموا أنفسهم فجعلناهم

أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن

في ذلك لآيت لكل صبار

شكور

ولقد صدق عليهم إبليس ظنه

فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين

وما كان له عليهم من سلطان

إلا لنعلم من يومئذ بالآخرة

ممن هو منها في شك وربك

على كل شيء حفيظ

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٢) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُوَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ قَوْمِكَ، مُوَبِّخًا وَمُقَرَّعًا، وَمُؤَبِّنًا لَهُمْ سُوءَ صَنِيعِهِمْ بِالْشُرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ: أَدْعُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ، الَّتِي تَزْعُمُونَ أَنَّ لَهَا شِرْكَهَ مَعَ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ، فِي أُمُورِكُمْ الْهَامَّةِ لِتُدْفَعَ عَنْكُمْ الضَّرُّ وَالْبَلَاءُ، أَوْ لِتَجْلِبَ لَكُمْ النِّفْعُ إِنْ اسْتَطَاعَتْ، لِيَتَرَوْا أَنَّهُ لَا تَمْلِكُ أَنْ تَأْتِيَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَا فِي الْأَرْضِ، كَمَا لَا تَمْلِكُ ذَرَّةٌ فِيهِمَا عَلَى سَبِيلِ الشِّرْكِ لِلْخَلْقِ الْعَظِيمِ. وَلَيْسَ لِلَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَلِهَةِ الْمَزْعُومَةِ مَنْ يُعِينُهُ، وَيُظَاهِرُهُ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ، أَوْ فِعْلِ شَيْءٍ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الْعَاجِزَةَ يَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ؟ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ - وَزَنَ أَصْغَرَ مَا يُوزَنُ مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ. ظُهِيرٌ - مُعِينٌ عَلَى الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ.

(الشَّفَاعَةُ)

(٢٣) - وَلِعَظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ، وَهُوَ تَعَالَى لَا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْفَعَ لَهُوَلَاءِ الْكَافِرِينَ، لِأَنَّ الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ لَا تَكُونُ أَبَدًا. يَقِفُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجِلِينَ فَرِيعِينَ مُنْتَظِرِينَ الْإِذْنَ بِالشَّفَاعَةِ، حَتَّى إِذَا أُذِنَ لِلشَّافِعِينَ، وَهَذَاتِ نَفُوسِ الْمُنْتَظِرِينَ، وَزَايِلَهَا الْخَوْفُ (فَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ)، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فِي الْإِذْنِ وَالشَّفَاعَةِ؟ قَالُوا: قَالَ رَبُّنَا الْحَقُّ، وَهُوَ الْإِذْنُ بِالشَّفَاعَةِ لِمَنْ أَرْتَضَى. وَالْآيَاتُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَشْفُوعَ لَهُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ. أَمَّا الْكَافِرُونَ فَهُمْ بِمَعْزِلٍ عَنِ مَوْقِفِ الشَّفَاعَةِ. وَاللَّهُ جَلَّ نَسَاؤُهُ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْعُلُوِّ وَالْكَبَرِيَاءِ، لَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ.

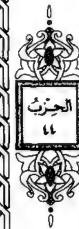
فَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ - أُرْزِلَ عَنْهَا الْفَزَعُ وَالْخَوْفُ.
الْحَقُّ - قَالَ الْقَوْلُ الْحَقُّ - وَهُوَ الْإِذْنُ بِالشَّفَاعَةِ.

(السَّمَاوَاتِ) (ضَلَالٍ)

(٢٤) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُوَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ: مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ بِإِنْزَالِ الْغَيْثِ عَلَيْكُمْ فَتَرْتَوِي الْأَرْضُ وَالْأَنْعَامُ وَالْبَشَرُ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْأَقْوَاتَ مِنَ الْأَرْضِ رِزْقًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ؟ فَإِذَا سَكَنُوا عَنِ الْجَوَابِ فَقُلْ لَهُمْ: هُوَ اللَّهُ. وَإِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ أَنَا أَوْ أَنْتُمْ، عَلَى

﴿٢٢﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ

﴿٢٣﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ



﴿٢٤﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

هُدًى، وَيَكُونُ الْآخِرُ عَلَى ضَلَالٍ، وَبِمَا أَنَّنِي أَقَمْتُ الْبُرْهَانَ عَلَى صِحَّةِ التَّوْحِيدِ، وَعَلَى صَوَابِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى، فَذَلْ ذَلِكَ عَلَى بُطْلَانِ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ يَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنَ الشُّرْكِ، وَعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ.

(تُسَالُونَ) (نَسأل)

(٢٥) - وَقُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: إِنكُمْ لَا تُسَالُونَ عَمَّا نَكْتَسِبُهُ نَحْنُ مِنْ آثَامٍ، وَنَجْتَرِحُهُ مِنْ ذُنُوبٍ، وَنَحْنُ لَا نَسْأَلُ عَنْ عَمَلٍ تَعْمَلُونَهُ أَنْتُمْ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا. أَجْرَمْنَا - أَكْتَسَبْنَا مِنَ الْخَطَايَا.

(٢٦) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ رَبَّنَا سَيَجْمَعُنَا وَإِيَّاكُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يُخْشَرُ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَقْضِي (يَفْتَحُ) بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ (بِالْحَقِّ)، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ، الْعَالِمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ، وَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ. وَسَتَعْلَمُونَ حِينَئِذٍ لِمَنْ تَكُونُ الْعِزَّةُ وَالنُّصْرَةُ وَالسَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ. يَفْتَحُ بَيْنَنَا - يَقْضِي، وَيَحْكُمُ بَيْنَنَا. هُوَ الْفَتَّاحُ - الْقَاضِي وَالْحَاكِمُ.

(٢٧) - وَقُلْ لَهُمْ: أَرُونِي هَؤُلَاءِ الْآلِهَةَ الَّذِينَ عَبَدْتُمُوهُمْ مَعَ اللَّهِ، وَجَعَلْتُمُوهُمْ لَهُ شُرَكَاءَ وَأَنْدَادًا. كَلَّا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ وَوَصَفْتُمْ، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا نِدَّ وَلَا شَرِيكَ. إِنَّهُ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، ذُو الْعِزَّةِ الَّذِي فَهَرُ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَلَبَ كُلَّ مَنْ سِوَاهُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشُرْعِهِ. كَلَّا - أَرْتَدُّعُوا عَنْ دَعْوَى الشُّرْكِ.

(أَرْسَلْنَاكَ)

(٢٨) - وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَى قَوْمِكَ خَاصَّةً، وَإِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا، مُبَشِّرًا مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، وَالْجَنَّاتِ الْعَالِيَاتِ، وَمُنْذِرًا مَنْ عَصَاهُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ. وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَيَحْمِلُهُمْ جَهْلُهُمْ عَلَى الْإِصْرَارِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ. كَافَّةً لِلنَّاسِ - إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا.

(صَادِقِينَ)

(٢٩) - وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ آسِئْهَازًا وَتَعْتًا: مَتَى يَكُونُ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَعِدُونَنَا فِيهِ بِالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ؟

﴿٢٥﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ

﴿٢٦﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ

﴿٢٧﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَفْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿٢٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(تَسْتَخِرُونَ)

(٣٠) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: لَكُمْ مِيعَادٌ مُؤَجَّلٌ، فَإِذَا حَانَ مَوْعِدُهُ فَلَا يُؤَخَّرُ سَاعَةً وَلَا يُقَدَّمُ.

(الْقُرْآنِ) (الظَّالِمُونَ)

(٣١) - وَقَالَ قَوْمٌ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ: لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَلَا بِالْكِتَابِ الَّتِي تَقْدِّمُهُ، وَلَا بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، وَالْبَعْثِ، وَالنُّشُورِ، وَالْحِسَابِ، وَالْجَزَاءِ. وَيُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، قَائِلًا لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: لَوْ تَرَى يَا مُحَمَّدُ حَالَ أَوْلِيكَ الْكُفَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ وَقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِمْ، لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَقَدْ عَلَتْهُمْ الدُّلَّةُ وَالْمَهَانَةُ. إِذَا لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَجَبًا، إِذْ يَقُولُ الْأَتَّبَاعُ الْمُسْتَضْعَفُونَ لِلْسَّادَةِ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِينَ حَمَلُوهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْغَيِّ وَالضَّلَالَةِ: لَوْلَا أَنْكُمْ صَدَدْتُمُونَا عَنْ الْهُدَى، وَحَمَلْتُمُونَا عَلَى اتِّبَاعِكُمْ حَمَلًا لَكُنَّا أَمَنَّا بِرَبِّنَا، وَبِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ.

مَوْقُوفُونَ - مَحْبُوسُونَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ.
يَرْجِعُ - يَرُدُّ.

(صَدَدْنَاكُمْ)

(٣٢) - فَيُرِيدُ السَّادَةُ الْمُسْتَكْبِرُونَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ قَائِلِينَ: هَلْ نَحْنُ الَّذِينَ صَدَدْنَاكُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ؟ لَيْسَ هَذَا حَقًّا، إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ مَنَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ حَظَّهَا مِنْ اتِّبَاعِ الْهُدَى، لِاجْرَامِكُمْ وَإِثَارِكُمُ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ.

(اللَّيْلِ) (الْأَغْلَالِ)

(٣٣) - فَقَالَ الْأَتَّبَاعُ الْمُسْتَضْعَفُونَ لِلْسَّادَةِ: بَلْ أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُوسَّوْسُونَ لَنَا بِالْكُفْرِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَتَغُرُّونَا بِالثَّبَاتِ عَلَى الْكُفْرِ، وَالْإِقَامَةِ عَلَيْهِ، وَتُخْبِرُونَا أَنَّنا عَلَى هُدًى فِيمَا نَعْبُدُهُ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ وَأَنْدَادٍ. وَيَتَوَقَّفُ الْجَوَارُ بَيْنَ الْأَتَّبَاعِ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَبَيْنَ السَّادَةِ الْمُتَبَوِّعِينَ، وَيُسِرُّ كُلُّ فَرِيقٍ فِي نَفْسِهِ مَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ حَسْرَةٍ وَنَدَمٍ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَمَا قَصَرَ فِي طَاعَتِهِ، حِينَ يَرَى الْعَذَابَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْكَافِرَةِ الْمُجْرِمِينَ. ثُمَّ تَوْضَعُ الْأَغْلَالُ وَسِلَاسِلُ الْحَدِيدِ فِي أَعْنَاقِ هَؤُلَاءِ، وَهُمْ فِي النَّارِ.

وَالْعَذَابُ الَّذِي يَلْقَوْنَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِنَّمَا هُوَ الْجَزَاءُ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى مَا آخَرَحُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِثَامِ. وَالسَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا.
مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ - صَدَدْنَا مَكْرَكُمْ بِنَا فِيهِمَا.

﴿٣٠﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٌ لَا تَسْتَخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ

﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ

﴿٣٢﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحَنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ

﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ لِلدَّامَةِ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

أَنْدَادًا - أَمْثَلًا مِنْ مَخْلُوقَاتِ نَعِيدُهَا .
أَسْرُوا النَّدَامَةَ - أَخَفُوا النَّدَمَ أَوْ أَظْهَرُوهُ .
الْأَغْلَالُ - الْقَيْدُ الَّتِي تَجْمَعُ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ .
(كَافِرُونَ)

(٣٤) - ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِرُسُولِهِ ﷺ : إِنَّهُ لَيْسَ أَوَّلَ رَسُولٍ كَذَبَهُ قَوْمُهُ ، فَكُلُّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَقْوَامِ كَذَبَهُ أَوَّلُو النِّعْمَةِ وَالْمَالِ وَالْجَاهِ فِيهَا (مُتَرَفُّوْهَا) ، وَأَعْلَنُوا لَهُ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْبِرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ .
مُتَرَفُّوْهَا - مُتَعَمِّمُوهَا وَقَادَةُ الشَّرِّ فِيهَا .

(أَمْوَالًا) (أَوْلَادًا)

(٣٥) - وَقَالَ الْمُتَرَفُّونَ مُتَفَاخِرِينَ : إِنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُمْ وَعِنَايَتِهِ بِهِمْ ، إِذْ لَوْ كَانُوا عَلَى خَطَأٍ وَضَلَالٍ لَمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مَا أَعْطَاهُمْ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنْ يُعَذِّبَهُمْ .

(٣٦) - فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ : إِنَّ رَبِّي يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ ، وَإِنَّهُ تَعَالَى يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ لَا لِمَحَبَّةٍ فِيهِ ، وَلَا لِرُفْقَى اسْتَحَقَّ بِهَا ذَلِكَ عِنْدَهُ ، وَهُوَ يُضَيِّقُ الرِّزْقَ (يَقْدِرُ) عَلَى مَنْ يَشَاءُ لَا لِبُغْضٍ مِنْهُ لِمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ، وَلَا لِمَقْتٍ ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِيَحْكُمَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ .
يَقْدِرُ - يُضَيِّقُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةٍ .

(أَمْوَالُكُمْ) (أَوْلَادُكُمْ) (آمَنَ) (صَالِحًا) (فَأُولَئِكَ) (آمِنُونَ) (الْغُرَفَاتِ)

(٣٧) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ : إِنَّ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي تُفَاجِرُونَ النَّاسَ بِهَا ، وَأَوْلَادَكُمْ الَّذِينَ تَسْتَكْبِرُونَ بِهِمْ عَلَى النَّاسِ ، لَا تُقَرِّبُكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَلَيْسَتْ دَلِيلًا عَلَى عِنَايَتِهِ بِكُمْ ، وَمَحَبَّتِهِ بِأَيْكُمُ ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُقَرِّبُكُمْ مِنَ اللَّهِ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا جَزَاءَ عَمَلِهِ فَيَجْزِيهِ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ ، وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ ، وَيَجْعَلُ مَسْكَنَهُ فِي غُرَفَاتِهَا الْعَالِيَةِ ، وَهُوَ آمِنٌ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَشَرٍّ وَهَوْلٍ .

رُفْقَى - تَقَرُّبًا .

﴿٣٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُّوْهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ

﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا كُنَّا بِمُعَذِّبِينَ

﴿٣٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٣٨﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآِلَتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنَآءَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ

لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ - لَهُمُ الثَّوَابُ الْمُضَاعَفُ .
فِي الْغُرَفَاتِ - الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ الْعَالِيَةِ فِي الْجَنَّةِ .
(آيَاتِنَا) (مُعَاجِزِينَ) (أُولَئِكَ)

(٣٨) - أَمَّا الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي مُعَارَضَةِ آيَاتِ اللَّهِ، وَتَعْجِيزِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ الْكَرَامِ، وَيَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ الْكَرِيمِ، وَعَنِ الْإِيمَانِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهَا . فَأُولَئِكَ تُحْضِرُهُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِلَى جَهَنَّمَ لِيَدْخُلُوها، وَيَذُقُوا الْعَذَابَ فِيهَا، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَسَعْيِهِمْ فِي مَنَعَ النَّاسِ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ .

مُعَاجِزِينَ - مُسَابِقِينَ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُوتُونَا .
مُحْضِرُونَ - تُحْضِرُهُمُ الرِّبَاطِيَّةُ إِلَى جَهَنَّمَ .

(الرَّازِقِينَ)

(٣٩) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِلنَّاسِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُقَسِّمُ الرِّزْقَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيُوسِّعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ حِينًا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ حِينًا آخَرَ لِحِكْمَةٍ يَرَاهَا، فَلَا تَخْشَوُا الْفَقْرَ، وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِأَمْوَالِكُمْ لَتَنَالُوا رِضَاهُ . وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ فِي وَجْهِ، أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالْإِنْفَاقِ فِيهِ، أَوْ أَبَاحَهُ لَكُمْ، فَهُوَ يُعْوضُهَا عَلَيْكُمْ بِذَلَا مِنْهَا مَالًا فِي الدُّنْيَا، وَثَوَابًا فِي الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَيْرُ الرَّازِقِينَ، فَيَرْزُقْكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُونَ .

(لِلْمَلَائِكَةِ)

(٤٠) - وَأَذْكُرْ يَا مُحَمَّدٌ لِقَوْمِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يَحْشُرُ اللَّهُ فِيهِ الْمُشْكِرِينَ مِنْهُمْ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، الَّذِينَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمْ طَمَعًا فِي شَفَاعَتِهِمْ، وَلِيُقَرَّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ قَائِلًا : هَلْ أَنْتُمْ أَمَرْتُمْ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَتِكُمْ؟

(سُبْحَانَكَ)

(٤١) - فَتَرُدُّ الْمَلَائِكَةُ عَلَى سُؤَالِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ قَائِلِينَ : تَعَالَيْتَ رَبَّنَا، وَتَقَدَّسْتَ، وَتَنَزَّهْتَ أَسْمَاؤُكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِلَهٌ، نَحْنُ نَعْبُدُكَ، وَنَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَأَنْتَ الَّذِي نُوَالِيهِ مِنْ دُونِهِمْ، فَلَا مَوْلَاةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَا، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ زَيَّنُوا لَهُمُ الشِّرْكَ، وَعِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَأَضَلُّوهُمْ فَطَاعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَكَثَرَهُمْ بِهِمْ يَوْمُنُونَ وَيُصَدِّقُونَ .
أَنْتَ وَلِيْنَا - أَنْتَ الَّذِي نُوَالِيهِ .

وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا
مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ
مُحْضِرُونَ

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ
يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَقُولُ
لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِيَاكُمُ الَّذِينَ
يَعْبُدُونَ

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ
دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ
أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ

(٤٢) - فَيَقُولُ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى : الْيَوْمَ لَا يَنْتَفِعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَزْوَاجِ الَّتِي عَبَدْتُمُوهَا وَأَشْرَكْتُمُوهَا بِالْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ ، طَمَعًا فِي نَفْعِهَا وَاتَّقَاءَ لَضَرِّهَا . ثُمَّ يَقُولُ لَهُمُ تَعَالَى مُقَرَّعًا وَمُوبِّخًا : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ بِهَا فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا ، فَهَا أَنْتُمْ قَدْ عَابَيْتُمُوهَا ، وَأَذَرْتُمْ أَنَّهُ لَا مَحِيصَ لَكُمْ عَنْهَا ، فَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ .

(آيَاتُنَا) (بَيِّنَاتٍ) (أَبَاؤُكُمْ)

(٤٣) - وَقَدْ اسْتَحَقَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَلَيْسَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ كِتَابِ اللَّهِ ، الدَّلَالَةُ عَلَى التَّوْحِيدِ ، وَيُطْلَانِ الشِّرْكُ يَقُولُونَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَرِيدُ أَنْ يَصْرِفَكُمْ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ ، دِينَ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ لِيَجْعَلَكُمْ مِنْ اتِّبَاعِهِ ، ذُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ عَلَى صِحَّةِ مَا يَقُولُ . وَقَالُوا : إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ، وَقَالَ إِنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا كَذِبٌ أَفْتَرَاهُ وَصَنَعَهُ وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ ، تَرْوِيجًا لِدَعْوَتِهِ . وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ مُشْتَمِلًا عَلَى الشَّرَائِعِ وَالْهُدَى : إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ بَيْنَ لَا خَفَاءَ فِيهِ . وَقَدْ أَثَرْنَا هَذَا السِّحْرَ عَلَى عُقُولِنَا وَقُلُوبِنَا .

إِفْكَ مُفْتَرَى - كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ وَمَنْسُوبٌ إِلَى اللَّهِ .

(أَتَيْنَاهُمْ)

(٤٤) - وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْقَائِلِينَ : إِنَّ دِينَهُمْ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ ، فَقَالَ : إِنَّ الدِّينَ الصَّحِيحَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَيَكْتَابُ يَنْزِلُ عَلَى الرَّسُولِ لِيُبلِّغَهُ لِلنَّاسِ ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ فِيهِ الشَّرَائِعَ وَالْأَحْكَامَ . وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أُمَّةٍ لَمْ يَأْتِهَا كِتَابٌ قَبْلَ الْقُرْآنِ ، وَلَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَهُمْ أَنْ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكٍ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ ؟

(أَتَيْنَاهُمْ)

(٤٥) - وَكَانَ لَهُمْ عِظَةٌ وَعِبرَةٌ فِيمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ، الَّتِي بَلَغَتْ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْبَأْسِ وَالْغِنَى أَضْعَافًا كَثِيرَةً مِمَّا بَلَغَهُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ ، فَذَمَّرَهُمُ اللَّهُ ، وَأَبَادَهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَ اللَّهِ ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَهُمْ يَرَوْنَ آثَارَ هَذِهِ الْأُمَمِ وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ ، فَكَيْفَ وَجَدُوا عِقَابَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ وَنَكَالَهُ بِمَنْ كَفَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، وَكَذَّبَ رُسُلَ اللَّهِ ؟ (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ) .

مَعْشَرًا مَا أَتَيْنَاهُمْ - عُسْرًا مَا أُعْطِينَاهُمْ مِنَ النِّعَمِ .

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ

وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ إِيثْنَايَتِنِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكَ مُفْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مِثْلُ

وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ

وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مَعْشَرَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ

(بِوَاحِدَةٍ) (فَرَادَى)

(٤٦) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الزَّاعِمِينَ أَنَّكَ مَجْنُونٌ: إِنِّي أَنْصَحُ لَكُمْ أَلَّا تَبَادُرُوا إِلَى التَّكْذِيبِ عِنَادًا وَأَسْتَكْبَارًا، بَلْ اتَّبِعُوا، وَتَفَكَّرُوا مَلِيًّا فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ، وَابْتَثُوا عَنِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ، إِمَّا وَاحِدًا وَاحِدًا، وَإِمَّا اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ (لَأَنَّ الْأَرْذَحَامَ يَكُونُ سَبَبًا لِتَخْلِيطِ الْكَلَامِ، وَقِلَّةِ الْإِنْصَافِ) فَإِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، وَتَرَوُوا فِي أَمْرِهِمْ، وَصَلُوا إِلَى أَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ مَجْنُونًا، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا، وَأَصْدَقُهُمْ قَوْلًا، وَأَجْمَعُهُمْ لِلْكَمَالِ النَّفْسِيِّ وَالْعَقْلِيِّ، وَهَذَا يُوجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُصَدِّقُوهُ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَتِهِ، وَأَنْ يَتَّبِعُوهُ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا نَذِيرًا لَهُؤُلَاءِ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ، يَحُلُّ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنْ قَدَّمُوا عَلَى رَبِّهِمْ وَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَإِشْرَاكِهِمْ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِدَعْوَةِ الرَّسُولِ، وَلَمْ يُخَدِّثُوا تَوْبَةً.

مِنْ جَنَّةٍ - مِنْ جُنُونٍ.

(٤٧) وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَا أُرِيدُ مِنْكُمْ جُعْلًا وَلَا أَجْرًا، وَلَا عَطَاءً عَلَى أَداءِ الرِّسَالَةِ الَّتِي أَمَرَنِي اللَّهُ بِإِبْلَاغِهَا إِلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا أَطْلُبُ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ، الْمُشَاهِدُ لَهَا، فَيَعْلَمُ صِدْقِي وَإِخْلَاصِي فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ.

(عَلَامٌ)

(٤٨) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنْ رَبِّي يَقْدِفُ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ، وَيَرْمِيهِ بِهِ حَتَّى يَبْطُلَهُ، وَيُزِيلُ آثَارَهُ، وَيُشِيعُ الْحَقَّ فِي الْأَفَاقِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ عَلَامُ الْغُيُوبِ فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. يَقْدِفُ بِالْحَقِّ - يَرْمِي بِهِ الْبَاطِلَ فَيَدْمَغُهُ.

(الْبَاطِلُ)

(٤٩) - وَقُلْ: جَاءَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالشَّرْعُ الْعَظِيمُ (أَيِ الْإِسْلَامِ)، وَرُفِعَتِ رَأْيَتُهُ، وَعَلَا ذِكْرُهُ، وَذَهَبَ الْبَاطِلُ وَأَضْمَحَلَّ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ تَفْعَلُ أَمْرًا أَتَيْدَاءَ (يُبْدِيءُ) وَلَا تَفْعَلُ فَعْلَةً ثَانِيَةً (يُعِيدُ).

(٥٠) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ: إِنْ ضَلَلْتُ عَنْ الْهُدَى، وَسَلَكَتُ غَيْرَ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَإِنَّمَا ضَرَّرْتُ ذَلِكَ يَعُودُ عَلَيَّ أَنَا وَخُدَيَّ، وَإِنْ أَسْتَقَمْتُ عَلَى الْحَقِّ فَبُخْوِي مِنَ اللَّهِ إِلَيَّ، وَتَوْفِيقِي مِنْهُ لِي، لِلِاسْتِقَامَةِ عَلَى مَحَجَّةِ الْحَقِّ، وَطَرِيقِ الْهُدَى، إِنَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ، قَرِيبٌ يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ.



﴿٤٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ

بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ
مَشْقًى وَفَرْدَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا
مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ
إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ
شَدِيدٍ

﴿٤٧﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ

﴿٤٨﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْدِفُ بِالْحَقِّ عِلْمَ

الْغُيُوبِ

﴿٤٩﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ

وَمَا يُعِيدُ

﴿٥٠﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى

نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي
إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ

(٥١) - وَلَوْ رَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، حِينَ يَغْتَرِبُهُمُ الْفَرْعُ مِنْ رُؤْيَةِ الْعَذَابِ الْمَهُولِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا لَرَأَيْتَ شَيْئًا يَعْجِزُ الْقَوْلُ عَنْ وَصْفِهِ، فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْهَرَبَ وَالنَّجَاةَ، وَلَا مَهْرَبَ لَهُمْ وَلَا مَلْجَأَ (قَوْتَ)، بَلْ يُؤْخَذُونَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ (رَأْسًا) مِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى النَّارِ. فَرَعُوا - خَافُوا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ عِنْدَ الْبَعْثِ. فَلَا قَوْتَ - فَلَا مَهْرَبَ، وَلَا نَجَاةَ مِنَ الْعَذَابِ. مَكَانٍ قَرِيبٍ - مَوْقِفِ الْحِسَابِ.

(آمَنَّا)

(٥٢) - وَحِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِالْحَقِّ (بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْبَعْثِ) وَلَكِنْ أَتَى لَهُمْ ذَلِكَ، وَكَيْفَ لَهُمُ الْإِيمَانُ بِسَهُولَةٍ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ - وَهُوَ الدُّنْيَا - الَّتِي أَنْقَضَى وَقْتُهَا، وَأَصْبَحَتْ بَعِيدَةً عَنْهُمْ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، أَمَّا الْآخِرَةُ فَلَيْسَتْ دَارًا لِقَبُولِ التَّكْلِيفِ، وَإِنَّمَا هِيَ دَارُ الْجَزَاءِ. التَّنَاضُؤُ - التَّنَاضُؤُ السَّهْلُ لَشَيْءٍ قَرِيبٍ - وَهُوَ هُنَا تَنَاوُلُ الْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ. مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ - مِنَ الْآخِرَةِ.

(٥٣) - وَكَيْفَ يَحْصُلُ لَهُمُ الْإِيمَانُ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ كَفَرُوا بِالْحَقِّ حِينَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا، وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَكَانُوا يَرْجُمُونَ بِالظُّنُونِ (يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ) الَّتِي لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهَا فَيُخْطِئُونَ الْهَدَفَ، وَكَانُوا يَقْعَلُونَ ذَلِكَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، فَيَتَكَلَّمُونَ فِي الرُّسُولِ كَلَامًا لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ فِيهِ، فَيَقُولُونَ: سَاحِرٌ وَكَاهِنٌ وَمَجْنُونٌ... وَيُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ. يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ - يَرْجُمُونَ بِالظُّنُونِ.

(٥٤) - وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرُّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا لِيُؤْمِنُوا، وَلِيَعْمَلُوا صَالِحًا وَهَلِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ قَبْلَهُمْ فَتَمَنَّوْا، حِينَ رَأَوْا الْعَذَابَ، أَنْ لَوْ كَانُوا آمَنُوا. وَلَكِنْ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مُتَشَكِّكِينَ مُرْتَابِينَ فِيمَا أُخْبِرَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ. بِأَشْيَاءِهِمْ - بِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ. مُرِيبٍ - مُوقِعٍ فِي الرِّيْبَةِ وَالْقَلْبِ.

٥١ وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قَوْتَ
وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ

٥٢ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ
التَّنَاضُؤُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ

٥٣ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ
وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ

٥٤ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَأَفْعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ
إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبِئَانَهَا خَمْسُونَ وَارْجِعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(السَّمَاوَاتِ) (الْمَلَائِكَةِ) (ثَلَاثَ) (رُبَاعَ)

(١) - يَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَلَى آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ (فَاطِرٍ)، فَأَبْدَعَ الْخَلْقَ، وَأَحْكَمَ نَظْمَهُ وَتَنْدَبِيرَهُ، وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ وَسَطَاءَ وَرُسُلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ، يُبَلِّغُونَهُمْ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ. وَقَدْ جَعَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ، وَمَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَجْنِحَةٍ، وَمَنْ لَهُ أَرْبَعَةٌ، وَمَنْ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَزِيدُ تَعَالَى فِي خَلْقِ الْأَجْنِحَةِ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ. فَاطِرٍ - مُبْدِعٍ وَمُخْتَرِعٍ.

(٢) مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ وَمَعَالِيْقُهُ بِيَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَمَا يُعْطِ مِنْ خَيْرٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مَنَعَهُ وَلَا إِمْسَاكَهُ، وَمَا يُمْسِكُهُ مِنْ خَيْرٍ لَا يَسْتَطِيعُ وَلَا يَفْتَحُهُ لِلنَّاسِ فَاتِيحٌ. وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي مِنْهَا الْفَتْحُ وَالْإِمْسَاكُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَتَصَرَّفُ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ. مَا يَفْتَحُ - يُرْسِلُ أَوْ مَا يُعْطِ.

(يَا أَيُّهَا) (نِعْمَةً) (خَالِقِي)

(٣) - يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ، وَاحْفَظُوهَا بِمَعْرِفَةِ حَقِّهَا، وَالاعْتِرَافِ بِهَا، وَالشُّكْرِ عَلَيْهَا، وَخُصُوصُهُ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، فَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ، بِمَا يَنْزِلُهُ مِنَ الْمَطَرِ، وَمِنَ الْأَرْضِ، بِمَا يُخْرِجُهُ مِنْ زُرُوعٍ وَنَمَارٍ، فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ الْخَالِقِ الرَّازِقِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ؟ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ - فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ.

١ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ
يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

٢ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ

فَلَا تُمَسِّكُ لَهُمْ أَوْ مَا يُمْسِكُ فَلَا
مُرْسَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ

٣ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ
يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُؤْفَكُونَ

(٤) - وَإِنْ يَكْذِبْكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ، وَيُخَالِفُوكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، فَاصْبِرْ عَلَيْهِمْ، فَلكَ أَسُوءُ فِيمَنْ سَبَقَكَ مِنَ الرُّسُلِ، فَقَدْ جَاءُوا أَقْوَامَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِمْ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ، فَكَذَّبُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ فَصَبَرَ الرُّسُلُ عَلَى مَا أُوذُوا حَتَّى جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ، وَسَبَّحَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى.

(يَا أَيُّهَا) (الْحَيَاةُ)

(٥) - يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ... هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِرْيَةَ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا تَلْهَيْنَكُم بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا، عَنْ طَلَبِ مَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ حُلُولِ مَزْعِدِ الْحَشْرِ، وَبَعْثِ الْخَلَائِقِ، وَلَا تَدْعُوا الشَّيْطَانَ يَغُرَّكُمْ، وَيَفْتِنَكُمْ، وَيَصْرِفَكُمْ عَنْ اتِّبَاعِ رُسُلِ اللَّهِ، وَتَصْدِيقِ كَلِمَاتِهِ، فَإِنَّهُ غَرَارٌ كَذَّابٌ. فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ - فَلَا تَخْذَعْنَكُمْ وَلَا تَلْهَيْنَكُم. الْغُرُورُ - الَّذِي يَغُرُّ النَّاسَ وَيَغْشَهُمْ وَهُوَ الشَّيْطَانُ.

(الشَّيْطَانُ) (يَدْعُو) (أَصْحَابِ)

(٦) - إِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَهُوَ يُوسِسُ لَكُمْ لِيُضِلَّكُمْ، وَيُدْفَعْ بِكُمْ إِلَى هَاوِيَةِ الْحَجِيمِ، فَاحْذَرُوا مِنْهُ وَكُونُوا أَنْتُمْ أَغْدَاءَهُ، وَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ فِيمَا يَغُرُّكُمْ بِهِ، وَهُوَ يَدْعُو جُزْءَهُ وَأَوْلِيَائَهُ وَشِبَعَتَهُ، إِلَى اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَالرُّكُوعِ إِلَى اللَّذَاتِ، وَالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ، لِيُضِلَّهُمْ وَيُلْقِيَهُمْ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ، فِي سَعِيرِ جَهَنَّمَ.

(أَمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٧) - وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَأَطَاعُوا الشَّيْطَانَ، وَعَصَوْا الرَّحْمَنَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تُرْضِي اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعِدُهُمْ بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيُثَبِّتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ.

(فَرَأَاهُ) (حَسْرَاتِ)

(٨) - أَفَمَنْ حَسَنَ لَهُ الشَّيْطَانُ عَمَلَهُ السَّيِّئَ، مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَالْكَفْرِ بِهِ، وَالْإِشْرَاقِ فِي عِبَادَتِهِ مِنْ هُمْ دُونَهُ... فَرَأَى ذَلِكَ حَسَنًا، وَظَنَّ قَبِيحَهُ جَمِيلًا، هَلْ لَكَ يَا مُحَمَّدُ فِيهِ حِيلَةٌ؟ وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُنْهِيَهُ إِلَى

وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ

الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ

نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ

الْحَقُّ وَالصَّوَابُ؟ وَهَلْ يَسْتَوِي هَذَا الضَّالُّ مَعَ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ، وَوَقَّعَهُ إِلَى
الْإِيمَانِ فَرَأَى الْحَسَنَ حَسَنًا فَعَلَّهُ، وَالْقَبِيحَ قَبِيحًا فَاجْتَنَبَهُ؟ إِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا
يَتِمُّ بِقَدَرٍ مِنَ اللَّهِ، فَهُوَ تَعَالَى الَّذِي يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،
وَلَا رَادَّ لَأَمْرِهِ وَقَدْرِهِ، فَلَا تَأْسَفُ أَنْتَ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِدَعْوَتِكَ،
وَعَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ فِي قَدْرِهِ، وَهُوَ تَعَالَى عَلِيمٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ، وَسَيَجْزِيهِمْ بِهِ.

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ - فَلَا تُهْلِكَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ هَمًّا وَحُزْنًا.

(الرِّيَاحُ) (فَسَقْنَاهُ)

(٩) - يَلْفُتُ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ الْمُشْرِكِينَ، الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ وَالْجِسَابِ
وَالْعِقَابِ، إِلَى أَنَّهُ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ السَّحَابَ، وَتَجْعَلُهُ يَتَكَوَّنُ فِي جَوِّ
السَّمَاءِ، ثُمَّ تَسُوقُهُ الرِّيَّاحُ إِلَى الْأَرْضِ الْمَوَاتِ، الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا،
فَيُفْرِغُ السَّحَابُ مَا فِيهِ مِنْ مَاءٍ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ، فَتَحْيَا الْأَرْضُ
بِالْمَاءِ، وَتَهْتَزُّ وَتَرْبُو، وَتَخْرُجُ مِنْهَا النَّبَاتُ. وَكَمَا أَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى الْأَرْضَ
الْمَيِّتَةَ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا النَّبَاتَ النَّضِيرَ، كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْأَمْوَاتَ مِنَ
الْبَشَرِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحْاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.
تُثِيرُ سَحَابًا - تُحَرِّكُهُ وَتُهَيِّجُهُ.
النُّشُورُ - بَعَثُ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ.

(الصَّالِحُ) (أُولَئِكَ)

(١٠) - مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَزِيزًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلْيَلْزِمْ طَاعَةَ
اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُدْرِكُ بِذَلِكَ مَا يُرِيدُ، لِأَنَّ اللَّهَ مَالِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ الْعِزَّةُ
جَمِيعًا. وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلُ طَيِّبَ الْكَلَامِ (كَالتَّوْحِيدِ وَالذِّكْرِ وَقِرَاءَةِ
الْقُرْآنِ). وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِيهِ النِّيَّةَ يَرْفَعُ الْكَلِمَ
الطَّيِّبَ إِلَى اللَّهِ، لِيُثِيبَ الْعَبْدَ عَلَيْهِ (أَوْ وَاللَّهُ يَرْفَعُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَقْبَلُهُ).
أَمَّا الْعَمَلُ الَّذِي لَا إِخْلَاصَ فِيهِ فَلَا ثَوَابَ عَلَيْهِ. وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ الْمَكْرَ
السَّيِّئَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَيَعْمَلُونَ مَا يُسِيءُ إِلَيْهِمْ، وَمَا يُضْعِفُ أَمْرَهُمْ
وَيُسْتَتُّ جَمْعُهُمْ وَيُفَرِّقُ كَلِمَتُهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، وَمَكْرَهُمْ
يَذْهَبُ وَيَضْمَحِلُّ، وَلَا يُحَقِّقُ غَرَضًا، لِأَنَّهُ سَيَنْكَشِفُ عَمَّا قَرِيبَ.

الْكَلِمُ الطَّيِّبُ - كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَعِبَادَاتُ اللِّسَانِ.

الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ - يَرْفَعُ اللَّهُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَيَقْبَلُهُ.

يُورُ - يُفْسِدُ وَيَبْطِلُ.

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ

سَحَابًا فَسَقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ
النُّشُورُ

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ
وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ
هُوَ يَوْمٌ

(أَزْوَاجًا) (كِتَاب)

(١١) - وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ يَتَنَاسَلُونَ عَنْ طَرِيقِ التَّزْوَاجِ فَيَخْلُقُونَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ يُصَّبُ فِي الْأَرْحَامِ، ثُمَّ جَعَلَ الْبَشَرَ أَصْنَافًا (أَزْوَاجًا) ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَجَعَلَ لِلْأُنْثَى أَزْوَاجًا مِنْ جَنْسِهَا لِيَسْكُنَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَيَطْمَئِنَّ، وَجَعَلَ عَدَدَ الْإِنَاثِ مُقَابِلًا عَدَدَ الذُّكُورِ لِحِفْظِ النُّوعِ، وَلَا تَكُونَ الْمُقَابِلَةُ فِي الْعَدَدِ إِلَّا بِعِلْمٍ وَتَقْدِيرٍ وَتَدْبِيرٍ. وَلَا تَحْمِلُ الْإِنَاثُ وَلَا تَضَعُ، إِلَّا بِعِلْمِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. وَلَا يَقْضِي عَلَى أَحَدٍ بِطُولِ الْعُمُرِ إِلَّا بَلَّغَ مَا قَدَرَهُ اللَّهُ لَهُ، لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ وَلَا يَنْقُصُ، وَلَا يَقْضِي عَلَى أَحَدٍ بِقِصَرِ الْعُمُرِ إِلَّا آسْتَوْفَى مَا قَدَّرَ لَهُ بِدُونِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ. وَكُلُّ ذَلِكَ مَكْتُوبٌ فِي أُمِّ الْكِتَابِ عِنْدَ اللَّهِ.

وَضَبَطَ هَذَا النِّظَامَ الْبَدِيعَ الْقَائِمَ فِي الْكَوْنِ هُوَ أَمْرُهُنَّ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. أَزْوَاجًا - ذُكُورًا وَإِنَاثًا. مُعَمَّرٌ - طَوِيلِ الْعُمُرِ.

(سَائِغٌ)

(١٢) - يُنْبِئُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ إِلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ: فَخَلَقَ الْمِيَاهَ: مِنْهَا مَا هُوَ عَذْبٌ صَافٍ شَدِيدُ الْعَذْوِيَّةِ، تَقْبَلُ النَّفْسُ تَنَاوُلَهُ بِسُهُولَةٍ (سَائِغٌ شَرَابُهُ)، وَهِيَ الْمِيَاهُ الَّتِي تَحْوِيهَا الْأَنْهَارُ وَأَكْثَرُ الْبُحَيْرَاتِ وَالْآبَارِ. فَيَشْرِبُهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ، وَتُسْقَى مِنْهَا النَّبَاتَاتُ. وَمِنْهَا مَا هُوَ مِلْحٌ شَدِيدُ الْمُلُوحَةِ (أَجَاجٌ)، كَمِيَاهِ الْبَحَارِ وَبَعْضِ الْبُحَيْرَاتِ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الْبَشَرَ يَسْتَخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ الْمَاءَيْنِ: الْعَذْبِ وَالْمِلْحِ، لَحْمًا طَرِيًّا يَتَغَذَّوْنَ بِهِ هُوَ لَحْمُ الْأَسْمَاكِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْمَائِيَّةِ. وَيَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً (لَالِيَةً وَمَرْجَانًا وَغَيْرَهَا) يَلْبَسُهَا النَّاسُ. وَتَجْرِي السُّفُنُ فِي كُلِّ الْمَاءَيْنِ (تَمُخَّرُ) وَهِيَ تَحْمِلُ النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ وَالْأَقْوَاتِ وَالْبَضَائِعَ مِنْ قَطَرٍ إِلَى قَطَرٍ، لِيَتَفَيَّعَ بِهَا النَّاسُ، وَيَتَكَسَّبُوا بِالْآتِجَارِ بِهَا. وَلَا يَسْتَوِي فِي عِلْمِ اللَّهِ الْبَحْرَانِ الْمِلْحُ وَالْعَذْبُ، وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي بَعْضِ خَصَائِصِهِمَا وَمَنَافِعِهِمَا، وَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ ذَلِكَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ وَيَعْتَبِرُونَ، وَيَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى أَنْعَمِهِ وَآلَاتِهِ.

عَذْبٌ فَرَاتٌ - حُلُوٌ شَدِيدُ الْعَذْوِيَّةِ.

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

صَانِعَ شِرَابِهِ - مَرِيءٌ سَهْلٌ أُتِيَ لَعْنُهُ.
يَمْلَحُ أَجَاجٌ - يَمْلَحُ شَدِيدُ الْمُلُوحَةِ.
مَوَاجِرٌ - تَشُقُّ عُقَابَ الْمَاءِ بِحَيَازِيْمِهَا.

(اللَّيْلِ)

(١٣) - وَمِنْ عَظِيمٍ قُدْرَتِهِ تَعَالَى: أَنَّهُ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَنَوَّبَانِ الطُّوْلَ وَالْقَصْرَ، فَيَأْخُذُ مِنْ طُولِ أَحَدِهِمَا لِيُضِيفَهُ إِلَى الْآخَرِ، ثُمَّ يَتَعَدَّلَانِ، ثُمَّ يَطُولُ الَّذِي كَانَ مِنْهُمَا قَصِيرًا، وَيَقْصُرُ الْآخَرُ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِلْخَلْقِ فِي جَرَيَانِهِمَا، لِمَعْرِفَةِ عَدَدِ السَّنِينَ وَالْحِسَابِ، وَلِمَدِّ الْأَرْضِ بِالْحَرَارَةِ وَالنُّورِ وَالذَّفءِ الْمُعْتَدِلِ، لِيَبْقَى الْحَيَاةُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَا تَزَالَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَجْرِيَانِ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْأَجَلُ الْمُسَمَّى لَهُمَا. وَالَّذِي فَعَلَ هَذَا كُلَّهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى رَبُّ الْخَلْقِ كُلِّهِ، الَّذِي لَا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، فَهُوَ صَاحِبُ الْخَلْقِ، وَصَاحِبُ الْمُلْكِ. أَمَّا مَنْ يَدْعُوهُمْ الْمُشْرِكُونَ إِلَهَةً مِنْ دُونِهِ، مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْتَانٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، حَتَّى الْحَقِيرِ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ الْعِبَادَةَ.

يُولِجُ - يَدْخُلُ.

لِلْأَجْلِ مُسَمًى - لِأَجْلِ مُقَدَّرٍ لِفَنَائِهِمَا، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
قَطْمِيرٍ - غِلَالَةٌ رَقِيقَةٌ تَلْفُ نَوَاةَ التَّمْرِ.

(الْقِيَامَةِ)

(١٤) - أَمَّا الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْتَانٍ، فَإِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا لِمَنْ يَعْبُدُونَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا. وَإِذَا دَعَاهُمْ عَابِدُوهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا دُعَاءَهُمْ، وَإِذَا سَمِعُوا الدُّعَاءَ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الاسْتِجَابَةَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يَطْلُبُونَ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَبَرَّأُ الْمُعْبُدُونَ مِنْ شِرْكِ الْعَابِدِينَ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ، بَلْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَهْوَاءَكُمْ وَشَهَوَاتِكُمْ، وَلَا يُخْبِرُكَ عَنْ حَقِيقَةِ أَمْرِ هَذِهِ الْأِلَهِةِ، وَأَمْرٌ مَنْ عَبَدُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا دُوْ خَيْرَةٍ وَمَعْرِفَةٍ بِالَّذِي سَيَقَعُ هُنَاكَ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ.

(يَا أَيُّهَا)

(١٥) - يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ مُخْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنْكُمْ، وَعَنْ عِبَادَتِكُمْ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ بِكُمْ فَهِيَ مِنْهُ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ
النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ
لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ

إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ
وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ
بِشْرِكِكُمْ وَلَا يَبِيتُكَ مِثْلُ
خَيْرٍ



يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ
الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ

(١٦) - وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَذْهَبَ بِكُمْ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَنْ يَأْتِيَ بِخَلْقٍ آخَرَ غَيْرِكُمْ يُطِيعُونَهُ، وَلَا يَعْصُونَهُ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ، لَفَعَلَ.

(١٧) - وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَصْعُبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ.

(الصَّلَاةُ)

(١٨) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ مَذْنِبَهُ ذَنْبَ نَفْسٍ أُخْرَى، بَلْ تَحْمِلُ كُلُّ نَفْسٍ وِزْرَهَا فَحَسْبُ، وَإِنْ تَسْأَلُ نَفْسٌ تُثْقِلُهَا الذُّنُوبُ نَفْسًا أُخْرَى، لَتَحْمِلَ عَنْهَا شَيْئًا مِنْ ذُنُوبِهَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُجِيبُهَا إِلَى مَا تَطْلُبُ، وَلَوْ كَانَ الْمَدْعُوُّ إِلَى الْحَمْلِ قَرِيبًا مِنَ النَّفْسِ السَّائِلَةِ: كَأَبٍ أَوْ أَخٍ، لَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مَشْغُولٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِمَا فِيهِ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ^(١)، وَلَا يَحْزَنُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ عِنَادُ قَوْمِكَ، فَإِنَّمَا يَنْفَعُ النَّصْحُ مَعَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ، وَيَخَافُونَ شَدِيدَ عِقَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِيْمَانًا وَتَصَدِيقًا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يُعَايِنُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ (يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ)، وَهُمْ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ بِخُشُوعٍ تَامٍ، وَيُتِمُّونَهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا (أَقَامُوا الصَّلَاةَ). وَمَنْ تَطَهَّرَ مِنْ أَرْجَاسِ الشَّرِّكَ، وَجَانِبِ الْمَعَاصِي فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَلِكَ عَلَيْهِ. وَيَصِيرُ الْخَلْقُ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيُنْجِزِيَ كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا.

لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ - لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ آثِمَةً.

مُثْقَلَةٌ - نَفْسٌ أَثْقَلَتْهَا الذُّنُوبُ.

تَزَكَّى - تَطَهَّرَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

(١٩) - وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى عَنِ الْحَقِّ، وَعَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُولُ، مَعَ الْبَصِيرِ الَّذِي أَهْتَدَى بِهِدْيِ الرُّسُولِ، فَآمَنَ بِاللَّهِ، وَاتَّبَعَ رِسُولَهُ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالَاتُ.

(الظُّلُمَاتُ)

(٢٠) - وَلَا تَسْتَوِي ظُلْمَةُ الْكُفْرِ، وَلَا نُورُ الْإِيْمَانِ.

(٢١) - وَلَا يَسْتَوِي الظُّلُّ الْبَارِدُ (وَهُوَ الْجَزَاءُ عَلَى الْإِيْمَانِ)، مَعَ الْحَرِّ الْلَافِحِ (وَهُوَ الْجَزَاءُ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي).
الْحَرُورُ - شِدَّةُ الْحَرِّ لَيْلًا كَالسُّمُومِ.

١٦ إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبْ بِكُمْ وَيَأْتِ

بِخَلْقٍ جَدِيدٍ

١٧ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

١٨ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ

تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جَمَلِهَا لَا يَحْمِلُ

مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

إِنَّمَا نُذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ

لِنَفْسِهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ

١٩ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

٢٠ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ

٢١ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ

(الْأَمْوَاتِ)

(٢٢) - وَلَا يَسْتَوِي أَحْيَاءُ الْقُلُوبِ بِالْإِيمَانِ، مَعَ أَمْوَاتِ الْقُلُوبِ بِغَلَبَةِ الْكُفْرِ عَلَيْهَا، حَتَّى صَارَتْ لَا تَعْبِي، وَلَا تَعْقِلُ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سَمَاعِ الْحُجَّةِ سَمَاعِ قَبُولِ. وَكَمَا أَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَسْتَطِيعُ إِسْمَاعَ الْأَمْوَاتِ فِي قُبُورِهِمْ، كَذَلِكَ فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ إِسْمَاعَ الْمُعَابِدِينَ الَّذِينَ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ.

(٢٣) - وَمَا أَنْتَ أَيُّهَا الرَّسُولُ إِلَّا نَذِيرٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِعِقَابِ اللَّهِ، وَلَسْتَ مُكَلِّفًا بِهَدَايَتِهِمْ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

(أَرْسَلْنَاكَ)

(٢٤) - وَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ، لِنُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ، وَنُنَذِرَ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِأَنَّ لَهُمُ عَذَابًا أَلِيمًا مِنَ اللَّهِ. وَلَيْسَ فِي الْأَمْرِ السَّالِفَةِ الْبَائِدَةِ أَمَةٌ إِلَّا وَجَاءَهَا مُنْذِرٌ مِنَ اللَّهِ يَدْعُوهَا إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهَا وَتَوْحِيدِهِ، وَيُنْذِرُهَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ إِنْ أَسْتَمَرَّتْ مُقِيمَةً عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وَطُغْيَانٍ وَضَلَالٍ، لِكَيْلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.

(بِالْبَيِّنَاتِ) (بِالْكِتَابِ)

(٢٥) - وَنُسَلِّيَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ لِمَا يُلَاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ، وَمِنْ إِضْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، فَيَقُولُ لَهُ: إِنْ كَانَ قَوْمُكَ قَدْ كَذَّبُوكَ، فَلَا تَحْزَنْ لَذَلِكَ، فَقَدْ كَذَّبَ الْأُمَمُ السَّالِفَةُ رُسُلَهَا لَمَّا جَاؤُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، وَالْمُعْجَزَاتِ، وَالذَّلَالَاتِ، وَالْكِتَابِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ (كَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزُّبُورِ وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ) الَّتِي تَدُلُّ كُلُّهَا عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ النُّبُوتُ. الزُّبُرُ - الْكِتَابُ الْمَكْتُوبَةُ كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. الْكِتَابُ الْمُنِيرُ - الْكِتَابُ الْوَاضِحُ.

(٢٦) - وَلَمَّا اسْتَمَرَّ الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَإِضْرَارِهِمْ عَلَى التَّكْذِيبِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ، أَخَذَهُمُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَدَمَّرَهُمْ تَدْمِيرًا. فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُهُ تَعَالَى لَهُوْلَاءِ شَدِيدًا وَأَلِيمًا، وَكَيْفَ كَانَ إِنْكَارُهُ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ وَتَكْذِيبَهُمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ وَعَمَلَهُمُ الْقَبِيحَ؟

كَانَ نَكِيرٍ - إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ بِالتَّدْمِيرِ.

(٢٢) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ

إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ

(٢٣) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ

(٢٤) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

وَلِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ

(٢٥) وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْأَمِينِ

(٢٦) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ

كَانَ نَكِيرٍ

(ثَمَرَاتِ) (الْوَانِهَا)

(٢٧) - يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى الْعِبَادُ إِلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، الْمُتَنَوِّعَةِ الْمَظَاهِرِ وَالْأَشْكَالِ، مِنْ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ، فَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا فَأَرْوَى بِهِ الْأَرْضَ، فَأَخْرَجَتْ ثِمَارًا مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالرُّوَائِحِ، وَإِنَّهُ خَلَقَ الْجِبَالَ كَذَلِكَ مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانِ، فَمِنْهَا الْأَبْيَضُ وَمِنْهَا الْأَحْمَرُ وَمِنْهَا الْأَسْوَدُ الْغَرِيبُ. جَدَّدَ - ذَاتُ طُرُقٍ وَخُطُوطٍ مُخْتَلِفَةٍ الْأَلْوَانِ. غَرِيبٌ أَسْوَدٌ - شَدِيدُ السَّوَادِ كَالْأَغْرِبَةِ.

(الْأَنْعَامِ) (الْوَانِهَا) (الْعُلَمَاءِ)

(٢٨) - وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ وَالْذُّوَابَ وَالْأَنْعَامَ مُخْتَلِفِي الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ فِي الْجِنْسِ الْوَاحِدِ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَالَّذِي يَعْرِفُهُ مِنْهُمْ هُمْ الْعَالِمُونَ بِأَسْرَارِ الْكَوْنِ، الْعَارِفُونَ بِعَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى، فَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ، وَيَتَّقُونَ عِقَابَهُ، فَيَعْمَلُونَ بِطَاعَتِهِ. وَاللهُ عَزِيزٌ فِي أَنْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرُوا بِهِ، غَفُورٌ لِدُنُوبِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ.

(كِتَابِ) (الصَّلَاةِ) (رَزَقْنَاهُمْ) (تِجَارَةً)

(٢٩) - إِنَّ عِبَادَ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ أَوَامِرٍ: مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَأَدَائِهَا بِخُشُوعِهَا، وَإِتْمَامِهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَمِنْ الْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَفِيمَا فِيهِ خَيْرُ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعِبَادَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ يَقُومُونَ بِذَلِكَ، يَرْجُونَ الثَّوَابَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، عِنْدَ اللهِ، وَسَتَكُونُ تِجَارَتُهُمْ رَابِحَةً عِنْدَ اللهِ، وَلَنْ تَكُودَ.

لَنْ تَبُورَ - لَنْ تَكُودَ، أَوْ لَنْ تَفْسُدَ وَتَهْلِكَ.

(٣٠) - وَيَرْجُونَ أَنْ يَحْزِرَهُمُ اللهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى عَلَى أَعْمَالِهِمْ الصَّالِحَةِ، وَأَنْ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَيَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَهَفَوَاتِهِمْ، وَيُضَاعَفَ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، وَاللهُ تَعَالَى غَفُورٌ لِلذُّنُوبِ، شَكُورٌ لِلْقَلِيلِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

(٢٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ
وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَعَرَابِيبٌ سُودٌ

(٢٨) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ

وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ

(٢٩) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ

(٣٠) لِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ أَجُورَهُمْ

وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ
إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ

(الْكِتَابُ)

(٣١) - وَهَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْكَ، يَا مُحَمَّدُ، هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ يُصَدِّقُ الْكِتَابَ السَّابِقَةَ فِيمَا جَاءَتْ بِهِ، وَهِيَ بَشَّرَتْ بِهِ، وَنَوَهَتْ بِذِكْرِهِ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ لِيَقُوزُوا وَيَنْجِسُوا مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَاللَّهُ خَيْرٌ بِأَحْوَالِ الْعِبَادِ، بَصِيرٌ بِمَا يَصْلُحُ لَهُمْ مِنْ شَرَعٍ وَأَحْكَامٍ.

(الْكِتَابُ) (بِالْخَيْرَاتِ)

(٣٢) - ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَائِمِينَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، هُمْ الَّذِينَ أَصْطَفَاهُمْ مِنْ عِبَادِهِ، مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، وَأَوْزَنَهُمُ الْكِتَابَ. وَقَالَ تَعَالَى فِي مَكَانٍ آخَرَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (١)، فَذَلِكَ عَلَى أَنْ الَّذِينَ أَصْطَفَاهُمْ اللَّهُ لِلْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ هُمْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَجَعَلَهُمْ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً:

- مِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُفْرَطٌ فِي فِعْلِ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ، مُرْتَكِبٌ بَعْضَ الْمُحَرَّمَاتِ.

- وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِالْوَجِبَاتِ، التَّارِكُ لِلْمُحَرَّمَاتِ، وَقَدْ يُقَصِّرُ فِي فِعْلِ بَعْضِ الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَيَفْعَلُ بَعْضَ الْمَكْرُوهَاتِ.

- وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ - وَهُوَ الْفَاعِلُ لِلْوَجِبَاتِ، وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، التَّارِكُ لِلْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ.

وَذَلِكَ الْمِيرَاثُ، وَذَلِكَ الْأَصْطِفَاءُ، فَضْلٌ عَظِيمٌ مِنَ اللَّهِ لَا يَقْدَرُ قَدْرُهُ.

(جَنَاتُ)

(٣٣) - وَهَؤُلَاءِ الْكَرَامُ الَّذِينَ أَصْطَفَاهُمْ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ، الَّذِينَ أَوْزَنُوا الْقُرْآنَ، وَالْكِتَابَ السَّابِقَةَ، سَتَكُونُ جَنَاتُ الْإِقَامَةِ (جَنَاتُ عَذْنٍ) هِيَ مَاوَاهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا حُلِيًّا مِنْ ذَهَبٍ، وَلَوْثٍ، وَيَلْبَسُونَ فِيهَا ثِيَابًا مِنْ حَرِيرٍ. وَهَذِهِ الْجَنَاتُ هِيَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ الَّذِي مِنَ اللَّهِ بِهِ عَلَيْهِمْ.

(٣٤) - وَيَقُولُونَ جِئْنَا بِذَلِكَ الْجَنَّةِ، وَيَلْبَسُونَ الْحَرِيرَ، وَتَتَحَلَّلُونَ بِالذَّهَبِ وَاللَّوْثِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْخَوْفَ (الْحَزْنَ) مِمَّا كُنَّا نَحْذَرُ وَتَتَخَوَّفُ. إِنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَفُورٌ لِدُنُوبِ الْمُذْنِبِينَ، شَكُورٌ لِأَفْعَالِ الْمُطِيعِينَ.

الْحَزْنَ - مَا يُغِيْمُ وَيُحْزِنُ وَيُخَفِّفُ.

(٣١) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ

هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ

(٣٢) ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ

أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ
ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ
وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ
اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ

(٣٣) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ

فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْثٍ
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ

(٣٤) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ

عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ

(٣٥) - وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَعْطَانَا هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ وَهَذَا الْمَقَامَ الْكَرِيمَ مِنْ فَضْلِهِ وَمِنِّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَمْ تَكُنْ أَعْمَالُنَا لِنَبْلُغْ ذَلِكَ، لَا يَمَسُّنَا فِي هَذِهِ الدَّارِ عَنَاءٌ وَلَا تَعَبٌ وَلَا إِعْيَاءٌ.
دَارُ الْمَقَامَةِ - دَارُ الْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ (الْجَنَّةِ)
النَّصَبُ وَاللُّغُوبُ - التَّعَبُ وَالْإِعْيَاءُ.

(٣٦) - أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، فَعِقَابُهُمْ سَيِّئُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ فِيهَا بِمَوْتٍ فَيَسْتَرِيحُوا مِنَ الْعَذَابِ وَالْآلَامِ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا يُفْتَرُ. وَكُلَّمَا خَبَتْ نَارُ جَهَنَّمَ زَادَهَا اللَّهُ سَعِيرًا، لِيَسْتَمِرَّ عَذَابُهُمْ شَدِيدًا أَلِيمًا. وَمِثْلُ هَذَا الْجَزَاءِ يَجْزِي اللَّهُ بِهِ كُلَّ كَافِرٍ بِاللَّهِ، جَاحِدٍ بِأَنْعِمِهِ، مُكَذِّبٍ لِرُسُلِهِ.

(صَالِحًا) (لِلظَّالِمِينَ)

(٣٧) - وَفِي النَّارِ يَذُوقُ الْكَافِرُونَ الْمُجْرِمُونَ حَرَّ النَّارِ وَلَهَبِهَا، فَيَأْخُذُونَ فِي الْأَسْتِغَاثَةِ وَالْإِصْطِرَاحِ وَالضَّجِيجِ وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ النَّارِ، وَأَعِزَّنَا إِلَى الدُّنْيَا، لِنَعْمَلَ صَالِحًا، وَنَتَّبِعَ الرُّسُلَ، وَنُقَلِّعَ عَمَّا كُنَّا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْإِجْرَامِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِنْ عَادُوا إِلَى الدُّنْيَا عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَلِذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ قَاتِلًا وَمُقَرَّرًا (أَوْ تُرَدُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى): أَلَمْ نَجْعَلْكُمْ تَعِيشُونَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَارًا؟ وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يَنْتَفِعُونَ بِالْحَقِّ لَا تَنْفَعْتُمْ بِهِ مَدَّةَ عُمْرِكُمْ فِي الدُّنْيَا. وَجَاءَكُمْ الرُّسُولُ وَمَعَهُ كِتَابٌ يُنذِرُكُمْ بِالْعِقَابِ إِنْ خَالَفْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ، وَتَرَكْتُمْ طَاعَتَهُ، فَلَمْ تَتَّعِبُوا، وَلَمْ تَتَّعِظُوا، وَلِذَلِكَ فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مِمَّا أَنتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ عِقَابًا لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَمُخَالَفَتِكُمُ الْأَنْبِيَاءَ، وَلَنْ تَجِدُوا لَكُمْ نَاصِرًا يَنْصُرُكُمْ مِنَ بَاسِ اللَّهِ، وَلَا مُنْقِذًا يُنْقِذُكُمْ مِمَّا أَنتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ.

يَصْطَرِحُونَ - يَسْتَعِثُونَ وَيَضْجُونَ وَيَصِيحُونَ بِشِدَّةٍ.

(عَالِمٍ) (السَّمَاوَاتِ)

(٣٨) - وَاللهُ عَالِمٌ بِمَا أَنْظَرْتَ عَلَيْهِ ضَمَائِرُ الْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ، مِنْ تَضْيِيقِ عَلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، فَهَمَّا طَالَتْ أَعْمَارُهُمْ فَلَنْ تَتَّعِبَ حَالَهُمْ، وَلَوْ أَعَادَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا لَعَادُوا إِلَى فِعْلِ مَا نُهُوا عَنْهُ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ السَّرَائِرُ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ، وَسَيَجَازِي كُلَّ عَامِلٍ عَلَى عَمَلِهِ.

﴿٣٥﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ

﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ

﴿٣٧﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرْ فِيهِ مَنِ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ

﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

(خَلَائِفَ) (الْكَافِرِينَ)

(٣٩) - وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ خُلَفَاءَ، يَخْلَفُ جِيلٌ مِنْكُمْ جِيلًا آخَرَ، وَيَنْتَفِعُ فِي الْأَرْضِ، وَتَنْصَرِفُ بِمَا فِيهَا، لِتَشْكُرُواهُ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ، فَمَنْ عَصَى أَمْرَ رَبِّهِ، وَحَدَّ بَيِّنَاتِهِ، وَكَفَرَ بِخَالِقِهِ، وَبِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا يَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَيَلْقَى الْعِقَابَ عَلَى ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَأَسْتَمِرَّارُ هَؤُلَاءِ فِي الْكُفْرِ يَزِيدُ فِي كُرْهِ اللَّهِ، وَبُغْضِهِ لَهُمْ، وَكُلَّمَا أَطْمَأْنَنُوا إِلَى كُفْرِهِمْ زَادَتْ خَسَارَتُهُمْ لِأَنفُسِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَقَّ عَلَيْهِمْ سُوءُ الْعَذَابِ.

جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ - خُلَفَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.
مَقْتًا - أَشَدَّ الْبُغْضِ وَالْغَضَبِ وَالْإِحْتِقَارِ.
خَسَارًا - هَلَاكًا وَخُسْرَانًا.

(أَرَأَيْتُمْ) (السَّمَاوَاتِ) (آتَيْنَاهُمْ) (كِتَابًا) (بَيِّنَةً) (الظَّالِمُونَ)

(٤٠) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَخْبِرُونِي، أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، عَنْ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ: أَيُّ شَيْءٍ خَلَقُوهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ، أَوْ مِنَ الْبَشَرِ وَالْمَخْلُوقَاتِ حَتَّى اسْتَحَقُّوا أَنْ يَكُونُوا آلِهَةً تَعْبُدُونَهُمْ؟ أَمْ هَلْ لَهُمْ شَرِكَةٌ مَعَ اللَّهِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ حَتَّى اسْتَحَقُّوا مَا زَعَمْتُمْ؟

أَمْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا يَقُولُ لَهُمْ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ شُرَكَاءَ لَهُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْكِتَابَ حُجَّةً لِلْمُشْرِكِينَ عَلَى أَنَّ مَعْبُودَاتِهِمْ لَهَا شَرِكَةٌ مَعَ اللَّهِ؟ وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ إِنَّمَا اتَّبَعُوا فِي ذَلِكَ أَهْوَاءَهُمْ، وَأَمَانِيَهُمْ الَّتِي تَمَنُّوْهَا لِأَنفُسِهِمْ، وَهِيَ غُرُورٌ وَبَاطِلٌ وَزُورٌ.

أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمْ - أَخْبِرُونِي عَنْ شُرَكَائِكُمْ.
أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ - بَلْ لَهُمْ شَرِكَةٌ مَعَ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ.
غُرُورًا - خِدَاعًا وَبَاطِلًا.

(السَّمَاوَاتِ) (لَئِنْ)

(٤١) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ جَعَلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مُسْتَقَرَّةً، تَسِيرُ فِي أَفلاكِهَا بِأَنْتِظَامٍ وَهَدْوٍ، وَقُدْرَتُهُ تَعَالَى هِيَ الَّتِي تَمْنَعُهَا مِنَ الاضطرابِ والخروجِ عَنْ مَسَارَاتِهَا، وَالانفلاتِ فِي الْفَضَاءِ عَلَى غَيْرِ

﴿٣٩﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي

الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا

﴿٤٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمْ الَّذِينَ تَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَمَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْآغْرُورِ



﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

هُدًى. وَإِذَا أَشْرَفَتْ عَلَى الزَّوَالِ، مَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ أَنْ يُمَسِّكَهَا، وَهُوَ تَعَالَى مَعَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَوَاسِعِ سُلْطَانِهِ، حَلِيمٌ غَفُورٌ، يَرَى عِبَادَهُ يَعْصُونَ، وَيَكْفُرُونَ بِهِ، فَيَحْلُمُ عَلَيْهِمْ، وَيُؤَخِّرُ عِقَابَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَيْهِ فَيَغْفِرَ لَهُمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

(أَيْمَانِهِمْ) (لِثَنٍ)

(٤٢) - وَأَقْسَمَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ، قَبْلَ إِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ، أَيْمَانًا مُعَاطَّةً (جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) أَنَّهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ جَمِيعِ الْأَمْرِ، الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ فِيهَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ حِينَ جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَعَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، لَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا كُفْرًا وَعُتُوًّا وَبُعْدًا عَنِ الْإِيمَانِ (نُفُورًا).

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ - مُجْتَهِدِينَ فِي الْحَلْفِ بِأَعْلَظِ الْإِيمَانِ.
نُفُورًا - تَبَاعُدًا عَنِ الْحَقِّ وَفِرَارًا مِنْهُ.

(سُنَّةَ) (لِسُنَّةِ)

(٤٣) - وَلَمْ يَزِدْهُمْ مَجِيءُ الرَّسُولِ إِلَّا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ عَنْ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللَّهِ، وَمَكْرًا بِالنَّاسِ مَكْرًا سَيِّئًا فَصَدُّوهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمَكْرُ السَّيِّئُ لَا تَعُودُ نَتَائِجُهُ وَعَوَاقِبُهُ إِلَّا عَلَى أَصْحَابِهِ أَنْفُسِهِمْ. فَهَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِلَّا أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ نِقْمَتُهُ وَعَذَابُهُ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ، كَمَا أُنْزِلَ نِقْمَتُهُ وَعَذَابُهُ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ؟ وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي كُلِّ كَافِرٍ مُسْتَكْبِرٍ مُكَذِّبٍ، وَلَا تَبْدِيلَ لِسُنَّةِ اللَّهِ، وَلَا تَحْوِيلَ لَهَا، فَلَنْ يَجْعَلَ الرَّحْمَةُ مَوْضِعَ الْعَذَابِ، وَلَنْ يُحَوَّلَ الْعَذَابُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرَ. وَمَكْرُ السَّيِّئِ - وَالْمَكْرُ السَّيِّئُ - وَهِيَ الْكَيْدُ لِلرَّسُولِ ﷺ.

لَا يَحِيطُ - لَا يُحِيطُ أَوْ لَا يَنْزِلُ.

فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ - فَمَا يَنْتَظِرُونَ.

سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ - سُنَّةُ اللَّهِ فِيهِمْ بِتَعْدِيهِمْ لِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ.

(عَاقِبَةُ) (السَّمَاوَاتِ)

(٤٤) - أَوَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمَكْذِبُونَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ، أَثْنَاءَ رَحَلَاتِهِمْ فِي تَجَارِزَاتِهِمْ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ أَهْلَكْنَا الْمَكْذِبِينَ السَّالِفِينَ، وَدَمَرْنَا عَلَيْهِمْ تَدْمِيرًا، وَلَمْ تَتْرَكْ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ؟ وَكَانَ أَوَّلُكَ السَّالِفُونَ

٤٢ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ

جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ

إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ

مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا

٤٣ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ

السَّيِّئِ لَا يَحِيطُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ

إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا

سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَحْدِلَ سُنَّتُ

اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَحْدِلَ سُنَّتُ اللَّهِ

نَحْوِيلًا

٤٤ أَوَلَمْ يَسِرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي

الْأَسْمَوتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ
كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا

أَكْثَرُ قُوَّةٍ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ فَكَانَ حَرَبًا بِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ أَنْ يَتَّعِظُوا بِمَا
رَأَوْهُ، وَأَنْ يَزْدَجِرُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ وَالتَّكْذِيبِ. وَاللَّهُ
تَعَالَى لَا يُعْجِزُهُ إِدْرَاكَ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ، لِذَلِكَ فَإِنَّ
هَؤُلَاءِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُوتُوا اللَّهَ، وَلَا أَنْ يُقْلِتُوا مِنْ عِقَابِهِ، إِنْ أَرَادَ إِهْلَاكَهُمْ
وَعِقَابَهُمْ. وَهُوَ يَعْلَمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةُ، فَيُعَجِّلُهَا لَهُ، وَهُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهِ اسْتِعْدَادٌ لِلتَّوْبَةِ، فَيُؤَخِّرُهَا لِيَتُوبَ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ
مِمَّنْ شَاءَ، وَعَلَى هِدَايَةِ مَنْ شَاءَ إِلَى الْإِيمَانِ.

(٤٥) - وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَاقَبَ النَّاسَ عَلَى جَمِيعِ ذُنُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا
لَأَهْلَكَ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَمَا يَمْلِكُونَ مِنْ أَرْزَاقٍ وَدَوَابٍّ، وَلَكِنَّهُ
تَعَالَى يَدَّخِرُ مُوَاعِدَتَهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَيَحَاسِبُهُمْ
عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ. وَهُوَ تَعَالَى بَصِيرٌ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ
وَبِمَا اكْتَسَبُوا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿٤٥﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا
كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى
ظَهْرِهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا
جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِعِبَادِهِ بَصِيرًا

(٣٦) سُورَةُ بَسْمِ مَكِينَةٍ
وَأَيَّاهَا ثَلَاثٌ وَشَاوُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَاسِينَ)

(١) - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ يَاسِينَ تَعْنِي يَا إِنْسَانُ.

(الْقُرْآنِ)

(٢) - أَقْسِمُ بِالْقُرْآنِ الْمُحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ،
الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.

(٣) - إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ.

(صِرَاطِ)

(٤) - الَّذِينَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ دِينًا قِيمًا، وَشَرَعًا مُسْتَقِيمًا هُوَ
الْإِسْلَامُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٥) - إِنَّ هَذَا الدِّينَ الَّذِي جِئْتُ بِهِ هُوَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْقَوِيِّ الْغَالِبِ
لِكُلِّ شَيْءٍ (الْعَزِيزِ)، الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ إِذْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى
الْهُدَى.
(وَتَنْزِيلِ مَنْصُوبٍ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرُ أَيِّ نَزَلَ تَنْزِيلًا).

(آبَاؤُهُمْ) (غَافِلُونَ)

(٦) - إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ لِتُنْذِرَ قَوْمَكَ الْعَرَبَ، الَّذِينَ لَمْ يَأْتِيَهُمْ نَذِيرٌ قَبْلَكَ، فَهُمْ
سَاهُونَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ مَعْرِفَةِ الْأَدْيَانِ وَالشَّرَائِعِ.

يَسَّ ①

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ②

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ③

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ④

نَزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ⑤

لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنْذَرْنَا آبَاؤُهُمْ
فَهُمْ غَافِلُونَ ⑥

(٧) - لَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِنَا الْأَزَلِيِّ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَخْتَارُونَ الْإِيمَانَ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بَرُسُولِهِمْ، فَوَاقِقٌ وَاقِعُهُمْ مَا عَلِمْنَاهُ عَنْهُمْ، فَلَنْ يُؤْمِنُوا. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ - لَقَدْ ثَبَتَ وَوَجِبَ الْعِقَابُ.

(أَعْنَقِيهِمْ) (أَغْلَالًا)

(٨) - إِنَّا جَعَلْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدَرْنَا أَنَّهُمْ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ لَا يُؤْمِنُونَ، كَمَنْ جُعِلَ فِي عُنُقِهِ قَيْدٌ (عَلٌّ)، فَجُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ، فَصَارَ مُقْمَحًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُطَاطِئَ رَأْسَهُ، وَهَكَذَا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مَغْلُولُونَ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ نَافِعٍ.

المُقْمَحُ - الرَّافِعُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَعْلَى وَهُوَ غَاضُ الْبَصَرِ.
الْأَغْلَالُ - قِيودٌ تُشَدُّ بِهَا الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ.

(فَأَغْشَيْنَاهُمْ)

(٩) - وَرَبَّنَا لَهُمْ سُوءٌ عَلَيْهِمْ، فَأَعْجِبُوا بِهِ، وَرَفَضُوا الْخُضُوعَ لِمَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ، فَمَثَلُهُمْ مَثَلُ مَنْ أَحَاطَ بِهِ سَدَانِ، مِنْ أَمَامِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، فَحَجَبَا عَنْهُ الرُّؤْيَا، فَهُوَ لَا يَبْصُرُ شَيْئًا مِمَّا حَوْلَهُ. سَدًّا - حَاجِزًا مَانِعًا.

فَأَغْشَيْنَاهُمْ - فَالْبَسْنَا أَبْصَارَهُمْ غِشَاوَةً تَحْجُبُ عَنْهُمْ الرُّؤْيَا الْوَاضِحَةَ.

(الْأَنْذَرْتَهُمْ)

(١٠) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلْأَنْذَرْتَهُمْ وَخَوْفَتَهُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَذَابِهِ، أَوْ تَرَكْتَهُمْ دُونَ إِنْذَارِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، لِأَنَّ نَفْسَهُمْ قَدْ خَبِثَتْ، وَاسْتَعْدَادَهُمْ لِلْهَدَايَةِ قَدْ سَاءَ.

(١١) - إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِإِنْذَارِكَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقُرْآنَ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ، حِينَ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، اعْتِقَادًا مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُمْ، وَيَر_اقِبُ أَعْمَالَهُمْ (بِالْغَيْبِ)، فَبَشِّرْ هَؤُلَاءِ الْمَتَّبِعِينَ أَحْكَامَ الدِّينِ، الْخَائِفِينَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ، بِمَغْفِرَةٍ وَعَفْوٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِدُنُوبِهِمْ، وَأَجْرٍ وَاسِعٍ كَرِيمٍ مِنَ اللَّهِ.

⑦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

⑧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا
فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ
مُقْمَحُونَ

⑨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ
فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ

⑩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلْأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ
تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

⑪ إِنَّمَا نُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ
وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ
بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ

(آثَارُهُمْ) (أَحْصَيْنَاهُ) (نُحْيِي)

(١٢) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِي الْمَوْتَى جَمِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَنْعُمُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَكْتُبُ مَا عَمِلُوا فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ، لِحَاسِبِهِمْ عَلَيْهَا، وَيُسَجِّلُ عَلَيْهِمْ مَا تَرَكُوا مِنْ أَثَرٍ حَسَنٍ أَوْ سَيِّئٍ خَلَفُوهُ فِي الدُّنْيَا. (مَثَلُ الْأَثَرِ الْحَسَنِ: عِلْمٌ عَلَّمُوهُ، أَوْ مُسْتَشْفَى بَنَوْهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ خَلْقُ اللَّهِ، أَوْ مَدْرَسَةٌ أَنْشَرُوهَا لِيَتَعَلَّمَ فِيهَا أَبْنَاءُ الْأُمَّةِ. وَمَثَلُ الْأَثَرِ السَّيِّئِ: أَحْقَادٌ زَرَعُوهَا فِي الْمُجْتَمَعِ، وَفِتْنٌ وَضَلَالَاتٌ ابْتَدَعُوهَا فَأَخَذَ بِهَا النَّاسُ).

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ. ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: وَكَتَبَ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ). (رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْمَرَادَ بِآثَارِهِمْ هُوَ آثَارُ خُطَاهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ. وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَلَّتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ فَأَرَادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: يَا بَنِي سَلَمَةَ دِيَارُكُمْ تَكْتُبُ آثَارَكُمْ، دِيَارُكُمْ تَكْتُبُ آثَارَكُمْ. فَلَمْ يَنْتَقِلُوا. (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالتِّرْمِذِيُّ).

وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ أَشْيَاءَ وَمَخْلُوقَاتٍ، وَجَمِيعُ مَا يَعْمَلُهُ الْبَشَرُ مَسْطُورٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ.

(١٣) - وَأَضْرَبَ يَا مُحَمَّدٌ مَثَلًا لِقَوْمِكَ قِصَّةَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنَّهَا كَقِصَّتِهِمْ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهَا قَرْيَةٌ أَنْطَاكِيَّةٌ، وَإِنَّ الرُّسُلَ هُمْ رُسُلُ اللَّهِ إِلَى أَهْلِهَا، تَأْيِيداً لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمَّا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ مِنْ شَرِيعَةٍ. وَلَكِنْ هُنَاكَ مَنْ ضَعَّفَ هَذَا الْقَوْلَ، وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُهْلِكْ بَعْدَ إِنْزَالِ التَّوْرَةِ قَرْيَةً لِكُفْرِهَا).

(١٤) - حِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ رَسُولَيْنِ مِنْ عِنْدِهِ، فَكَذَّبُوهُمَا، وَأَنْكَرُوا رِسَالَتَهُمَا إِلَيْهِمْ، فَأَيَّدَهُمَا اللَّهُ بِرُسُولٍ ثَالِثٍ، فَقَالَ الرُّسُلُ الثَّلَاثَةُ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ: إِنَّهُمْ مُرْسَلُونَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ،

١٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ
وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ
مُبِينٍ

١٣ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ

الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ

١٤ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا

فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا
إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ

لِإِبْلَاجِهِمْ رِسَالَتَهُ، وَلَدَعَوْتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَالِى عِبَادَتِهِ، وَإِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَرْضَاهُ.
فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ - فَقَوَّيْنَاهُمَا وَشَدَدْنَاهُمَا بِرَسُولٍ ثَالِثٍ.

(١٥) - فَقَالَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ لِلرُّسُلِ: إِنَّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
أَهْلِ الْقَرْيَةِ، وَلَا مِيزَةَ لَهُمْ تَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى يَخْتَصُّهُمْ بِرِسَالَاتِهِ مِنْ دُونِ
النَّاسِ، وَإِنَّ الرَّحْمَنَ لَمْ يَنْزِلْ إِلَيْهِمْ رَسُولًا وَلَا كِتَابًا، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ
بِإِبْلَاجِ أَحَدٍ شَيْئًا، فَمَا هُمْ إِلَّا كَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ.

(١٦) - فَأَجَابَهُمُ الرُّسُلُ قَائِلِينَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُمْ رُسُلُهُ إِلَى أَهْلِ
الْقَرْيَةِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ، فِيمَا يَدْعُوهُ، لَأَنْتَقَمَ مِنْهُمْ.

(الْبَلَاغُ)

(١٧) - وَقَالَ الرُّسُلُ: إِنَّ مَهْمَّتَهُمْ تَنْحَصِرُ فِي إِبْلَاجِ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى
أَهْلِ الْقَرْيَةِ، فَإِنْ أَطَاعُوا فَازُوا بِرِضَا اللَّهِ وَجَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، وَإِنْ تَوَلَّوْا
وَأَعْرَضُوا وَأَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَاءِ
الْأَوْفَى.

(لِثَنٍ)

(١٨) - فَقَالَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ لِلرُّسُلِ: إِنَّهُمْ تَشَاءُمُوا (تَطْيَرُوا) مِنْ وُجُودِهِمْ
فِي الْقَرْيَةِ، لِمَا أَحْدَثُوهُ فِيهَا مِنَ الْاِنْتِصَامِ وَالشَّقَاقِ وَالْاِخْتِلَافِ حَوْلَ
الدَّعْوَةِ، إِذْ اتَّبَعَهُمْ أَنْاسٌ مِنْهُمْ، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ. ثُمَّ هَدَّوْهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ
لَمْ يَكْفُوا عَنْ بَثِّ الدَّعْوَةِ بَيْنَهُمْ قَتَلُوهُمْ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ، أَوْ أَلْحَقُوا بِهِمْ
الْأَذَى وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

تَطْيَرْنَا بِكُمْ - تَشَاءُمْنَا مِنْكُمْ.

(طَائِرُكُمْ) (أَيْنَ)

(١٩) - فَقَالَ الرُّسُلُ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَهُمْ: إِنْ كُفَرْتُمْ
وَأَفْعَلْتُمْ الْقَبِيحَةَ هِيَ سَبُّ شُؤْمِكُمْ، أَمَا نَحْنُ فَلَا شُؤْمَ مِنْ قِبَلِنَا، فَنَحْنُ
لَمْ نَفْعَلْ غَيْرَ الدَّعْوَةِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَوْحِيدِهِ وَتَمْجِيدِهِ، وَفِي ذَلِكَ
خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ.

اتَّقَابِلُونَا بِمِثْلِ هَذَا الرَّعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ، لِأَنَّا وَعَظْنَاكُمْ وَدَعَوْنَاكُمْ إِلَى
عِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ؟ إِنَّكُمْ بِلَا شَكٍّ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ مُتَجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي
الضَّلَالَةِ وَالطُّغْيَانِ.

١٥ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا

وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ

١٦ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنََّّا لِنَكُفِّرُ

لِمُرْسَلُونَ

١٧ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

١٨ قَالُوا إِنَّا نَطْيَرُ بِكُمْ لَئِنْ لَمْ

تَنْتَهُوا لَتَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ
مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ

١٩ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ

ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
مُسْرِفُونَ

طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ - شُؤْمُكُمْ هُوَ كُفْرُكُمْ الْمُصَاحِبُ لَكُمْ.
إِنَّ ذِكْرْتُمْ - تَطَيَّرْتُمْ بِسَبَبِ مَا وَعِظْتُمْ بِهِ.

(أَقْصَى) (يَا قَوْمَ)

(٢٠) - وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ يَسْعَى مُسْرِعاً إِلَى حَيْثُ كَانَ
يَجْتَمِعُ النَّاسُ وَهُمْ يَحَاوِرُونَ الرَّسُلَ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا رُسُلَ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ.

يَسْعَى - يُسْرِعُ الْمَشْيَ.

(يَسْأَلُكُمْ)

(٢١) - اتَّبِعُوا الَّذِينَ لَا يَطْلُبُونَ أَجْراً عَلَى تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَلَا
يَطْلُبُونَ غُلُوقاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَاداً، وَهُمْ مُهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ
الْقَوِيمِ، فَإِذَا اتَّبَعْتُمُوهُمْ أَهْتَدَيْتُمْ بِهِدَاهُمْ.

(٢٢) - وَيَتَذَكَّرُونَ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَتَاهُمَا مَوَاطِنُهُم، الَّذِي جَاءَ يَسْعَى مُسْرِعاً
لِيُدَافِعَ عَنِ الرَّسُلِ، وَلِيَنْصَحَ قَوْمَهُ، بِأَنَّهُ مُوَالٍ لِلرَّسُلِ، وَمُؤْمِنٌ بِمَا
جَاؤُوهُمْ بِهِ، فَأَجَابَهُمْ قَائِلاً: وَلِمَاذَا لَا يَعْبُدُ اللَّهُ، وَلَا يُخْلِصُ الْعِبَادَةَ لَهُ،
فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْخَلْقُ جَمِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ
لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

فَطَرَنِي - خَلَقَنِي وَأَبْدَعَنِي.

(آلِهَةً) (شَفَاعَتُهُمْ) (اتَّخِذْ)

(٢٣) - وَهَلْ تُرِيدُونَنِي أَنْ أَعْبُدَ آلِهَةً غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَإِذَا
أَرَادَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ أَنْ يَنْزِلَ بِي ضُراً لَمْ تَنْفَعْنِي تِلْكَ الْآلِهَةُ شَيْئاً، وَلَمْ
تَشْفَعْ لِي عِنْدَهُ، وَلَمْ تَنْقِذْنِي مِنْ عَذَابِهِ.
لَا تَنْفَعُنِي - لَا تَدْفَعُ عَنِّي وَهُوَ جَوَابُ الشَّرْطِ.

(ضَلَالٍ)

(٢٤) - إِنِّي إِنِ اتَّخَذْتُ تِلْكَ الْأَصْنَامَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، كُنْتُ فِي
ضَلَالٍ بَيِّنٍ، وَاضِحٍ.

(آمَنْتُ)

(٢٥) - ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ لِلرَّسُلِ الْكَرَامِ: إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ الَّذِي
أُرْسَلْتُمْ، وَاتَّبَعْتُكُمْ، فَاشْهَدُوا لِي بِذَلِكَ، عِنْدَ رَبِّكُمْ الْكَرِيمِ.

﴿٢٠﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ

يَسْعَى قَالَ يَنْقُورُ اتَّبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ

﴿٢١﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ

أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ

﴿٢٢﴾ وَمَالِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي

وَالِإِلَهِ تَرْجِعُونَ

﴿٢٣﴾ أَلَا اتَّخَذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ

يُرِدُّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ
عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا
يُنْقِذُونِ

﴿٢٤﴾ إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ

﴿٢٥﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ

فَأَسْمَعُونَ

(وَهُنَاكَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ إِنَّمَا خَاطَبَ قَوْمَهُ، قَائِلًا إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ الَّذِي كَفَرْتُمْ أَنْتُمْ بِهِ).

(يَا لَيْتَ)

(٢٦) - وَيُرَوَّى أَنَّ الْقَوْمَ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُدْفِعْ عَنْهُ بَيْنَهُمْ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ، وَأَكْرَمَهُ عَلَى حُسْنِ إِيمَانِهِ وَنَفَقَتِهِ بِرَبِّهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ قَالَ لَهُ: أَدْخُلِ الْجَنَّةَ جَزَاءً لَكَ عَلَى مَا قَدَّمْتَ مِنْ إِيمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ، وَمَا أَسْلَفْتَ مِنْ إِحْسَانٍ. فَلَمَّا دَخَلَهَا، وَعَايَنَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ وَصَبْرِهِ، قَالَ: يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا آتَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ، بِسَبَبِ إِيمَانِي بِرَبِّي، وَتَصْدِيقِي بِمَا جَاءَ بِهِ رُسُلُهُ الْكَرَامُ.

(٢٧) - وَقَدْ تَمَنَّى أَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَحُسْنِ الْمَثْوَى، لِيُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَ، لَعَلَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ، وَيُكْرِمُهُمْ كَمَا أَكْرَمَهُ، فَقَدْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى هِدَايَةِ قَوْمِهِ، حَيًّا وَمَيِّتًا.

(٢٨) - وَقَدْ أَنْتَقَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَوْمِ، بَعْدَ أَنْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ، وَقَتَلُوا وَلِيَّهُ، وَلَمْ يَخْجِ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ جُنْدًا مِنَ السَّمَاءِ لِأَهْلَاكِهِمْ، بَلْ كَانَ الْأَمْرُ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ.

(وَاحِدَةً) (خَامِدُونَ)

(٢٩) - فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً أَهْلَكَتْهُمْ جَمِيعًا، وَأَخْمَدَتْ أَنْفُسَهُمْ، وَلَمْ تَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.

صَيْحَةً - صَوْتًا مُهْلِكًا مِنَ السَّمَاءِ. (خَبِرَ كَانَ وَأَسْمَهَا مُضْمَرٌ، تَقْدِيرُهُ: إِنَّ كَاتِبَ الصَّيْحَةِ إِلَّا صَيْحَةً).

خَامِدُونَ - مَيِّتُونَ كَمَا تَخْمَدُ النَّارُ.

(يَا حَسْرَةً) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(٣٠) - يَا حَسْرَةً مُكَذِّبِي الرُّسُلِ، وَيَا نَدَامَتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَمَا يُعَايَنُونَ الْعَذَابَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ، فَإِنَّهُمْ مَا جَاءَهُمْ مِنْ رَسُولٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِلَّا اسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَكَذَّبُوا، وَجَحَدُوا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ.

يَا حَسْرَةً - يَا وَيْلَتَا وَيَا نَدَامَتَا وَيَا خَسَارَتَا.

﴿٦٦﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ لَيْتَ

قَوْمِي يَعْلَمُونَ

﴿٦٧﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ

الْمُكْرَمِينَ



﴿٦٨﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ

مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنْ

السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مِنْ لَدُنْ

﴿٦٩﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا

هُمْ خَامِدُونَ

﴿٣٠﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

(٣١) - أَلَمْ يَتَّعِظْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ الْكَافِرُونَ بِمَا حَلَّ بِمَنْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَهُمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ السَّابِقِينَ، وَيَعْتَبِرُوا بِمَا نَزَلَ بِهِمْ، وَيَذَرُكُوا أَنَّهُمْ لَا رَجْعَةَ لَهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟
كَمْ أَهْلَكْنَا - كَثِيرًا مَا أَهْلَكْنَا.
الْقُرُونِ - الْأُمَمِ.

(٣٢) - وَإِنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ سَتَحْضُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.
لَمَّا جَمِيعٍ - إِلَّا مَجْمُوعُونَ.
مُحْضَرُونَ - نُحْضِرُهُمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

(وَابَّةٌ)

(٣٣) - وَمِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ الشَّامَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، أَنَّ الْأَرْضَ تَكُونُ مَيِّتَةً هَامِدَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا حَيَاةَ، فَيَنْزِلُ اللَّهُ الْمَطَرَ عَلَيْهَا فَتَرْتَوِي، وَتَهْتَرُ تُرْبَتُهَا، وَتَعْلُو بِمَا يَتَحَرَّكُ فِي بَاطِنِهَا مِنْ بُدُورِ النَّبَاتَاتِ الْآخِذَةِ فِي الثَّبَتِ وَالنُّمُو، ثُمَّ يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْ هَذَا النَّبَاتِ حَبًّا يَأْكُلُهُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ.

(جَنَاتٍ) (أَعْنَابٍ)

(٣٤) - وَأَنْشَأَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي أَحْيَاها بِالْمَطَرِ بَسَاتِينَ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، وَفَجَّرَ الْعُيُونَ فِيهَا فَأَخَذَتِ الْمَيِّةُ تَسَابُ فِي جَنَابَتِهَا.
فَجَرْنَا فِيهَا - شَقَقْنَا وَأَجَرْنَا فِي الْأَرْضِ.

(٣٥) - لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَارِ هَذِهِ الْبَسَاتِينَ، وَلَا فَضْلَ لَهُمْ فِي إِنْبَاتِهَا وَإِخْرَاجِهَا مِنَ الْأَرْضِ، أَفَلَا يَشْكُرُونَ خَالِقَ هَذِهِ النُّعْمِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ؟

(سُبْحَانَ) (الْأَزْوَاجِ)

(٣٦) - تَنَزَّهَ اسْمُ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْأَصْنَافَ وَالْأَنْوَاعَ كُلَّهَا عَلَى سُنَّةِ الذُّكُورَةِ وَالْأُنُوثَةِ: مِنَ النَّبَاتِ وَمِنَ الْأَنْفُسِ، وَمِمَّا لَا يَعْلَمُهُ النَّاسُ.
الْأَزْوَاجِ - الْأَنْوَاعُ وَالْأَصْنَافُ.

﴿٣١﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ
مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ
لَا يَرْجِعُونَ

﴿٣٢﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ

﴿٣٣﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ
أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ

﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ
نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا
مِنَ الْعُيُونِ

﴿٣٥﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ
أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ

﴿٣٦﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ
كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ
وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ

(آيَةُ اللَّيْلِ)

(٣٧) - وَمِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةُ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى قُدْرَتِهِ: خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، هَذَا بِظُلَامِهِ، وَذَلِكَ بِضِيَائِهِ، وَجَعَلَهُمَا بَتَعَاقِبَانِ، وَيَتَنَاقِضَانِ الطُّولَ وَالْقَصَرَ، فَيَنْزِعُ النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَأْتِي الظُّلْمَةُ، وَتَلْفُ الْكَوْنُ، فَيَهْدَأُ الْخَلْقُ وَيَنَامُونَ.

نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ - نَنْزِعُ مِنْ مَكَانِهِ الضُّوءَ.

(٣٨) - وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْغَالِبِ، الْمُحِيطِ عِلْمًا بِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ.

(قَدَرْنَاهُ)

(٣٩) - وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِسِيرِ الْقَمَرِ مَنَازِلَ يَنْزِلُ فِيهَا كُلُّ لَيْلَةٍ مِنْ أَسْفَلِ دَوْرَانِهِ حَوْلَ الْأَرْضِ، وَبِمَوْجِبِ حَرَكَتِهِ هَذِهِ فَإِنَّ صَفَحَاتِهِ تَتَبَدَّلُ فَيَكُونُ بَدْرًا، ثُمَّ يَتَنَاقِصُ حَتَّى يُصْبِحَ ذَقِيقًا كَعُودِ عَذْقِ النَّخْلِ الْقَدِيمِ الْيَاسِرِ (الْعُرْجُونِ).

قَدَرْنَاهُ مُنَازِلَ - قَدَرْنَا سِيرَهُ فِي مَنَازِلَ، وَمَسَافَاتٍ.

الْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ - عُودِ عَذْقِ النُّخْلَةِ الْقَدِيمِ الْيَاسِرِ.

(اللَّيْلُ)

(٤٠) - لَا يَتَأَتَّى لِلشَّمْسِ، وَلَا يَسْهُلُ عَلَيْهَا (لَا يَنْبَغِي لَهَا) أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ فِي مَسِيرَتِهِ، لِأَنَّ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَسَارًا مُسْتَقِيمًا، وَهُمَا مَسَارَانِ مُتَبَاعِدَانِ لَا مَجَالَ لِاتِّقَائِهِمَا، وَلِذَلِكَ فَلَا مَجَالَ لِلْقَوْلِ إِنَّ اللَّيْلَ سَابِقُ لِلنَّهَارِ، أَوْ إِنَّ النَّهَارَ سَابِقُ لِلَّيْلِ؛ وَكُلٌّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَغَيْرِهِمَا يَسْبَحُ فِي الْفَضَاءِ فِي فَلَكٍ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ أَبَدًا. يَسْبَحُونَ - يَسِيرُونَ أَوْ يَدُورُونَ.

(وَايَةٌ)

(٤١) - وَمِنَ آيَاتِهِ تَعَالَى الدَّالَّةُ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ جَعَلَ الْبَشَرَ يَرْكَبُونَ السُّفْنَ الْمُحَمَّلَةَ بِالْبَضَائِعِ، الَّتِي يَقْلُوبُونَهَا مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ آخَرَ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا خَلْقُ اللَّهِ فِي الْأَقْطَارِ الَّتِي لَا تَنْتِجُ فِيهَا هَذِهِ الْمُنْتَجَاتُ، وَلِيَسْتَفِيدُوا مِنْهَا بِالتَّجَارَةِ وَالْمُبَادَلَةِ.

ذُرِّيَّتَهُمْ - أَوْلَادَهُمْ وَضِعْفَاءَهُمْ.

الْمَشْحُونِ - الْمَمْلُوءِ بِالْبَضَائِعِ.

﴿٣٧﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ

﴿٣٨﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ
﴿٣٩﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ

﴿٤٠﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

﴿٤١﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ

(٤٢) - وَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعِبَادِ وَسَائِلَ نَقْلِ أُخْرَى تُمَاتِلُ السُّفْنَ الَّتِي تَمُخَّرُ عُبَابَ الْبَحَارِ. مِنْهَا الْإِبِلُ، وَحَيَوَانَاتُ الْجَرِّ وَالنَّقْلِ. . . كَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ وَالْفِيلَةِ وَغَيْرَهَا، وَمِنْهَا الْوَسَائِلُ الْحَدِيثَةُ مِنْ سُفْنٍ وَقَطِرٍ وَمَرْكَبَاتٍ.

(٤٣) - وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُغْرِقَ الَّذِينَ يَرَكِبُونَ السُّفْنَ، فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ إِغْرَاقَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مُعِينًا مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَلَا يَجِدُونَ مُنْقِذًا يُنْقِذُهُمْ مِنَ الْغَرَقِ.

(وَمَتَاعًا)

(٤٤) - وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يُسَيِّرُ الْعِبَادَ فِي الْبَحْرِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَيَحْفَظُهُمْ مِنَ الْغَرَقِ، وَيُمَتِّعُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِلَى أَنْ تَجِيْنَ أَجَالُهُمْ الْمُحَدَّدَةُ لَهُمْ.

(٤٥) - وَإِذَا قِيلَ لَهُؤُلَاءِ، الْمُكَذِّبِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: أَخَذُوا أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُكَذِّبِي الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، مِنْ دَمَارٍ وَهَلَاكِ، وَأَخْشَوْا عَذَابَ اللَّهِ الَّذِي يَسْتَقْبِلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاْمَنُوا بِاللَّهِ، وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ، وَأَعْمَلُوا صَالِحًا لَعَلَّ اللَّهَ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيَرْحَمَكُمْ. . . أَعْرَضُوا مُسْتَكْبِرِينَ، وَظَلُّوا فِي عِيَاهُمْ وَضَلَالِهِمْ سَادِرِينَ.

(آيَةُ) (آيَاتِ)

(٤٦) - فَكَانُوا كُلَّمَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَصِدْقِ رَسُولِهِ، بَادَرُوا إِلَى تَكْذِيبِهَا، وَالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَلَمْ يَكْلَفُوا أَنْفُسَهُمْ عَنَاءَ النَّظَرِ وَالتَّعَمُّقِ فِيهَا.

(أَمَنُوا) (ضَلَالِ)

(٤٧) - وَإِذَا أُمِرُوا بِالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا لِمَنْ أَمْرُهُمْ بِذَلِكَ. أَتَأْمُرُونَا بِأَنْ نُنْفِقَ أَمْوَالَنَا عَلَى أَنْاسٍ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَاهُمْ، وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ رِزْقِهِ، فَنَحْنُ فِي عَدَمِ الْإِنْفَاقِ إِنَّمَا نُوَافِقُ مَشِيئَةَ اللَّهِ الَّتِي اقْتَضَتْ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ فُقَرَاءَ، وَأَنْتُمْ بِأَمْرِكُمْ إِيَّانَا بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ فِي ضَلَالٍ وَجَهَالَةٍ وَاضْحِينَ لِأَنْكُمْ تَأْمُرُونَا بِمُعَانَدَةِ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ تَدْرَعُ هَؤُلَاءِ بِهَذِهِ الْحُجَجِ الْوَاهِيَةِ مِنَ الشَّبهِ لِيَسْتُرُوا بُخْلَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ أَنْ يُنْفِقُوهَا فِيمَا أَمَرَهُمُ بِهِ اللَّهُ، وَفِي مُوَاسَاةِ عِبَادِ اللَّهِ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَرْزُقَ جَمِيعَ خَلْقِهِ. وَلَكِنَّهُ يَبْتَلِي الْخَلْقَ بِالْأَوَامِرِ وَالزَّوَالِجِ لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُ أَمْرَهُ،

(٤٢) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ

(٤٣) وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَا يَصْرِحْ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْقُذُونَ

(٤٤) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ

(٤٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

(٤٦) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ

(٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مِنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

وَيَمْتَلِئُ لِمِشْيَتِهِ، وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذَلِكَ.

(صَادِقِينَ)

(٤٨) - وَيَقُولُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ، اسْتَهِزَّاءُ وَإِنْكَارُ لِقِيَامِ السَّاعَةِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ: مَتَى يَقَعُ الْبَعْثُ الَّذِي تُخَوِّفُونَنَا بِهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ؟

(وَاحِدَةً)

(٤٩) - وَبَرَّدُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سُؤَالِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالرُّسُلِ: إِنَّهُمْ لَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا نَفْخَةً وَاحِدَةً فِي الصُّورِ فَتَأْخُذُ جَمِيعَ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلَائِقِ بَغْتَةً، وَهُمْ فِي أَسْرَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ، يَتَجَادَلُونَ وَيَتَخَاصِمُونَ فِي شُؤُونِ الدُّنْيَا، فَتَصْعَقُ الْخَلَائِقُ جَمِيعاً. صَيْحَةً وَاحِدَةً - نَفْخَةُ الْمَلِكِ فِي الصُّورِ الَّتِي تَصْعَقُ أَهْلَ الْأَرْضِ. يَخْصِمُونَ - يَتَخَاصِمُونَ فِي أُمُورِهِمْ وَهُمْ غَافِلُونَ.

(٥٠) - فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَعْهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ إِلَى أَحَدٍ لِيَرْعَاهَا لَهُمْ (تَوْصِيَةً)، إِذْ لَا يُمْهِلُونَ لِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَنْ كَانَ بَعِيداً عَنْ دَارِهِ وَأَهْلِهِ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمْ، إِذْ تَبَغَّتِ الصَّيْحَةُ الْخَلَائِقَ فَيَمُوتُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَيْثُ هُوَ قَائِمٌ.

(٥١) - ثُمَّ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةً أُخْرَى (هِيَ نَفْخَةُ النُّشُورِ)، فَتَخْرُجُ الْأَمْوَاتُ مِنَ الْقُبُورِ أَحْيَاءً، وَيُسْرِعُونَ فِي الْخُرُوجِ وَالْمَشْيِ إِلَى الْمَحْشَرِ لِيَقِفُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى. الْأَجْدَاثُ - الْقُبُورُ. يَنْسِلُونَ - يُسْرِعُونَ فِي الْخُرُوجِ وَالْمَشْيِ.

(يَا وَيْلَنَا)

(٥٢) - فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَنْ بَعَثَنَا مِنْ قُبُورِنَا الَّتِي كُنَّا نَرْقُدُ فِيهَا بَعْدَ حَيَاتِنَا الدُّنْيَا (فَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَانُوا لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ سَيُعِيدُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِذَلِكَ يَسْتَغْرِبُونَ بَعْثَهُمْ هَذَا). وَبَرَدٌ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ: هَذَا الْبَعْثُ الَّذِي تَرَوْنَهُ هُوَ الَّذِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ بِهِ عِبَادَهُ، وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ فِي إِنْخِبَارِهِمْ عَنْهُ. (أَوْ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَقُولُهُ الْمُتَسَائِلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ).

٤٨ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

٤٩ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ

٥٠ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ

٥١ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ

٥٢ قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ

سَكَنَةُ
نَاطِقَةٍ
عَلَّامَةٍ

(وَاحِدَةً)

(٥٣) - وَلَمْ يَحْتَجِ الْأَمْرُ فِي بَعْثِهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ إِلَى أَكْثَرٍ مِنْ صَنِيعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَنَفَحَ فِي الصُّورِ، فَإِذَا جَمِيعُ الْخَلَائِقِ قَدْ أَحْضَرُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

مُحْضَرُونَ - نُحْضِرُهُمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

(٥٤) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا تَنْقُصُ نَفْسٌ أَجْرَ شَيْءٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ، وَلَا يُزَادُ لَهَا شَيْءٌ فِي سَيِّئَاتِهَا وَذُنُوبِهَا، وَلَا تُجْزَى نَفْسٌ إِلَّا بِمَا عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا.

(أَصْحَاب) (فَاكُهُونَ)

(٥٥) - وَيَكُونُ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَرَحِينَ سُعْدَاءَ يَتَمَتَّعُونَ بِلَذَائِهَا، وَيَكُونُونَ فِي شُغْلٍ بِذَلِكَ النِّعَمِ عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الشُّوَاعِلِ.

الْفَاكَةُ - الْفَرَحُ الْمُسْتَبِيرُ، الضُّحُوكُ، الْهَادِيَةُ النَّفْسِ.

(وَأَزْوَاجُهُمْ) (ظِلَالٍ) (الْأَرَائِكِ)

(٥٦) - وَيَكُونُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ وَارِقَةٍ لَا يُصِيبُهُمْ فِيهَا لَفْحُ الشَّمْسِ، وَهُمْ جَالِسُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ، وَمُتَكَبِّرُونَ عَلَيْهَا فِي وَضْعِ الْمُنْعَمِ الْمُرتَاحِ فِي جَلْسَتِهِ.

الْأَرَائِكِ - السُّرُرُ.

(فَاكِهَةٌ)

(٥٧) - وَلَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ، وَكُلُّ مَا يَتَمَنَّوْنَهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ.

يَدْعُونَ - يَتَمَنَّوْنَ أَوْ يَطْلُبُونَ.

(سَلَامٌ)

(٥٨) - وَيُقَالُ لَهُمْ: سَلَامٌ قَوْلًا صَادِرًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: بَيْنَا يَكُونُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ عَلَيْهِمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ تَعَالَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ). قَالَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَاجِبَ عَنْهُمْ، وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ وَفِي دِيَارِهِمْ) (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ).

وَقَوْلًا - مَصْدَرٌ - أَيْ يَقُولُ اللَّهُ ذَلِكَ قَوْلًا.

٥٣ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَنِيعَةً

وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا
مُحْضَرُونَ

٥٤ فَالْيَوْمَ لَا تَنْظِلُمْ نَفْسٌ شَيْئًا

وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ

٥٥ إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي

شُغْلٍ فَكَهْونَ

٥٦ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى

الْأَرَائِكِ مُتَكَبِّرُونَ

٥٧ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ

٥٨ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ

(وَأَمَّا تَزُوا)

(٥٩) - وَيَوْمَ الْمُجْرِمُونَ بِالْإِمْتِنَانِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوْقِفِهِمْ، وَبِاعْتِزَالِهِمْ وَبِدُخُولِ النَّارِ.

امتازوا - تَمَيَّزُوا وَأَنْفَرَدُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ.

(يَا بَنِي) (آدَمَ) (الشَّيْطَانِ)

(٦٠) - أَلَمْ أُوصِكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ تَتْرَكُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ فِيمَا يُوسَّسُ لَكُمْ مِنْ مَغْصِيَةِ رَبِّكُمْ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، لِأَنَّهُ عَدُوٌّ لَكُمْ ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ، وَكَانَ عَدُوًّا لِأَبِيكُمْ آدَمَ مِنْ قَبْلُ. فَقَدْ خَلَقْتُ لَكُمْ الْعُقُولَ لِتُنْذِرُكُمْ بِهَا الْأَشْيَاءَ، وَتَفَرِّقُوا بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ، وَنَصَبْتُ لَكُمْ الْأَدِلَّةَ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ عَلَى وُجُودِ خَالِقِكُمْ، وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَرْسَلْتُ لَكُمْ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ الْكُتُبَ وَفِيهَا الشَّرَائِعَ وَأُمُورُ الدِّينِ، لِيُعْظَوْكُمْ بِهَا، وَلِيَدْعَوْكُمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرٌ لَكُمْ. أَلَمْ أَعْهَدْ - أَلَمْ أُوصِكُمْ وَأَكْلَفْكُمْ.

(صِرَاطُ)

(٦١) - وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِعِبَادَتِي وَخُدْيِ، وَبِإِطَاعَةِ أَمْرِي، وَالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ. وَهَذَا الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَتِي، وَالَّذِي نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ مِنْ إِطَاعَةِ الشَّيْطَانِ، هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْمَوْصِلُ إِلَيَّ، وَلَكِنَّكُمْ سَلَكَتُمْ غَيْرَهُ، وَأَتَّبَعْتُمْ سَبِيلَ الشَّيْطَانِ فَضَلَلْتُمْ، وَكَانَتْ عَاقِبَتُكُمْ سَيِّئَةً.

(٦٢) - وَلَقَدْ أَضَلَّ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ خَلْقًا كَثِيرًا (جِبِلًّا) عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ، أَفَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ عُقُولٌ تُنْذِرُكُمْ بِهَا أَنَّكُمْ الْخَاسِرُونَ فِي مُخَالَفَةِ أَمْرِ رَبِّكُمْ، وَفِي إِطَاعَةِ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ. جِبِلًّا - خَلْقًا أَوْ جَمَاعَةً عَظِيمَةً.

(٦٣) - وَيُقَالُ لَهُمْ: هَذِهِ هِيَ جَهَنَّمُ الَّتِي كَانَتْ الرُّسُلُ تُحَذِّرُكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ لَوْبِهَا وَسَعِيرِهَا، إِذَا أَقَمْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ بِاللهِ، وَضَلَّالِكُمْ وَإِطَاعَتِكُمْ أَمْرَ الشَّيْطَانِ.

(٦٤) - فَأَدْخَلُوا النَّارَ، وَدُفِّقُوا سَعِيرَهَا الْيَوْمَ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِكُمْ رُسُلَهُ، وَإِنْكَارِكُمْ الْحَشَرَ وَالْجِسَابَ وَالنَّارَ.

أَصْلَوْهَا - أَدْخَلُوهَا وَقَاسَوْا حَرَّهَا

﴿٥٩﴾ وَأَمَّا تَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ



﴿٦٠﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ

يَسْبَى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

﴿٦١﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ

﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا

أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ

﴿٦٣﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ

تُوعَدُونَ

﴿٦٤﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ

تَكْفُرُونَ

(أَفْوَهِهِمْ)

(٦٥) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُنْكِرُ الْكُفَّارُ وَالْمُجْرِمُونَ مَا أَجْتَرَحُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ وَأَثَامٍ ، وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ رَبِّهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّهُمْ مَا فَعَلُوا مَا وَجَدُوهُ فِي صُحُفٍ أَعْمَالِهِمْ . . . فَيُخَيَّمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَفْوَهِهِمْ كَيْلًا تَنْطِقُ ، وَيَسْأَلُ جَوَارِحَهُمْ (أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَأَعْيُنَهُمْ) عَمَّا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي . . فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ .

(الصُّرَاطُ)

(٦٦) - وَلَوْ نَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى لَعَاقَبَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ فَطَمَسَ أَعْيُنَهُمْ فَجَعَلَهُمْ عُمْيًا لَا يَبْصُرُونَ طَرِيقًا ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى سَبِيلٍ ، فَيَأْخُذُونَ فِي التَّدَافُعِ ، مُتَزَاحِمِينَ عَلَى الصُّرَاطِ لِيَعْبُرُوهُ ، فَيَتَسَاقَطُونَ عَنْهُ فِي النَّارِ . (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : وَلَوْ نَشَاءُ لَأَضَلَّلْنَاهُمْ عَنْ الْهُدَى فَكَيْفَ يَهْتَدُونَ؟) .

لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ - لَصَيَّرْنَاهَا مَمْسُوحَةً لَا يَرَى لَهَا فَتْحَةً
فَاسْتَبَقُوا الصُّرَاطَ - ابْتَدَرُوا الطَّرِيقَ لِيَجُوزُوهُ .
فَأَنَّى يَبْصُرُونَ - فَكَيْفَ يُبْصِرُونَ الطَّرِيقَ وَقَدْ طُمِسَتْ أَعْيُنُهُمْ .

(لَمَسَخْنَاهُمْ) (اسْتَطَاعُوا)

(٦٧) - وَلَوْ نَشَاءُ تَغْيِيرَ صُورِهِمْ لَغَيَّرْنَا خَلْقَهُمْ ، مِنْ حَالِهِمْ تِلْكَ ، إِلَى حَالٍ أَسْوَأَ وَأَقْبَحَ ، فَجَعَلْنَاهُمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ أَوْ حِجَارَةً فَيَلْزَمُونَ حَالًا وَاجِدَةً ، لَا يَتَقَدَّمُونَ عَنْهَا ، وَلَا يَتَأَخَّرُونَ . (أَوْ فَيَلْزَمُونَ أَمَاكِنَهُمُ الَّتِي هُمْ فِيهَا لَا يَتَقَدَّمُونَ إِلَى الْأَمَامِ ، وَلَا يَتَأَخَّرُونَ إِلَى الْوَرَاءِ) .

(٦٨) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَرُدُّ الَّذِينَ يَطُولُ عُمرُهُمْ إِلَى الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ ، بَعْدَ الْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ ، أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ وَيَتَفَكَّرُونَ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ خَلْقِهِمْ ، ثُمَّ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي شَيْخُوخَتِهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الدُّنْيَا رَائِلَةٌ ، وَأَنَّهُمْ خَلِقُوا لِدَارٍ أُخْرَى غَيْرَهَا دَائِمَةٌ؟
نُعْمَرُهُ - نُطِيلُ عُمرَهُ .
نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ - نَرُدُّهُ إِلَى أَوَّلِ الْعُمْرِ .

(عَلَّمْنَاهُ) (قُرْآنَ)

(٦٩) - وَمَا عَلَّمْنَا رَسُولَنَا الشَّعْرَ ، وَمَا يَصْحُحُ لَهُ ، وَلَا يَلِيقُ بِهِ ، بِسَبَبِ مَكَانَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ ، أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا ، وَإِنَّ الشَّعْرَ لَا يَصْلُحُ لَهُ ، لِأَنَّ الشَّعْرَ

٦٥ أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَهِهِمْ

وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ
أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

٦٦ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ

فَاسْتَبَقُوا الصُّرَاطَ فَأَنَّى
يُبْصِرُونَ

٦٧ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى

مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا
مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ

٦٨ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي

الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ

٦٩ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ

تُبِيرُهُ فِي النَّفْسِ أَهْوَاءَ وَضَعَائِنُ، وَالشَّرَائِعَ السَّمَائِيَّةَ، وَالذِّيَّانَاتِ، تَنْزَرُهُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِي يَجْرِي عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ وَاضِحٌ، مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.

(الْكَافِرِينَ)

(٧٠) - لِيَتَفَعَّ بِذِكْرِهِ وَإِنذَارِهِ مَنْ كَانَ حَيَّ الْقَلْبِ، مُسْتَنِيرَ الْبَصِيرَةِ، فَيَرْشُدَ بِهَدْيِهِ. أَمَّا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي حُكْمِ الْأَمْوَاتِ فَإِنَّ كَلِمَةَ الْعَذَابِ تَحِقُّ عَلَيْهِمْ لِقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَالْقُرْآنُ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَحُجَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ.

(أَنْعَامًا) (مَالِكُونَ)

(٧١) - أَوْ لَمْ يُشَاهِدْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ أَنَّنَا خَلَقْنَا لَهُمْ بِأَيْدِينَا أَنْعَامًا: مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، يُصَرَّفُونَهَا كَيْفَ شَاءُوا.

(ذَلَّلْنَاهَا)

(٧٢) - وَأَخْضَعْنَاهَا لَهُمْ، فَجَعَلْنَاهَا مُنْقَادَةً يَرْكَبُونَهَا، وَيَحْمِلُونَ عَلَيْهَا، وَيَنْحَرُونَهَا، وَيَأْكُلُونَ مِنْ لُحُومِهَا. ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ - صَيَّرْنَاهَا مُسَخَّرَةً مُنْقَادَةً لَهُمْ.

(مَنَافِعُ)

(٧٣) - وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ أُخْرَى غَيْرُ الرُّكُوبِ وَالنَّحْرِ، فَهُمْ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ جُلُودِهَا وَأَصْوَابِهَا وَالْبَانِيَا، وَيَسْتَعْدِمُونَهَا فِي أَعْمَالِ الرِّيِّ وَالْجِرَائَةِ وَغَيْرِهَا، أَفَلَا يَشْكُرُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ نِعْمَةَ رَبِّهِمْ بِالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحُدَّةِ لَا شَرِيكَ لَهُ؟

(الْهَةِ)

(٧٤) - وَاتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً يَبْذُلُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، طَمَعًا فِي أَنْ تَنْصُرَهُمْ، وَتَدْفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَأَنْ تُقَرِّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى.

(٧٥) - وَلَكِنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ الَّتِي اتَّخَذُوهَا وَعِبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَهُمْ وَلَا رِزْقَهُمْ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُقَرِّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ وَالْمَعْبُودَاتُ سَتُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ ذَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ، وَسَتُحْضَرُ مَعَ عَابِدِيهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِذَلِكَ يَزِيدُ اللَّهُ حُزْنَ عَابِدِيهَا وَالْمُحْتَضِرُ إِذْ إِنَّهُمْ عَبَدُوا مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُ، وَتَرَكُوا عِبَادَةَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

٧٠ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ

عَلَى الْكَافِرِينَ

٧١ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا

عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ

لَهَا مَالِكُونَ

٧٢ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ

وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ

٧٣ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا

يَشْكُرُونَ

٧٤ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً

لَعَلَّهُمْ يَنْصُرُونَ

٧٥ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ

جُنْدٌ مُتَحَضِّرُونَ

وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ كَالْجُنْدِ حَوْلَ هَذِهِ الْإِلَهَةِ يَذُبُّونَ عَنْهَا، وَيَدْفَعُونَ عَنْهَا مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِهَا شَرًّا، وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ لَا تَنْفَعُهُمْ وَلَا تَنْصُرُهُمْ.

جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ - الْأَصْنَامُ جُنْدٌ مُعَدُّونَ لِلْكَفَّارِ، وَنُحْضِرُهُمْ مَعَهُمْ فِي النَّارِ.

(٧٦) - فَلَا يَحْزُنُكَ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ عَنْكَ: سَاجِرٌ وَشَاعِرٌ وَمَجْنُونٌ... وَلَا تَحْزَنْ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا يَقُولُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ بِالْبُيُوتِ، وَمَا يُسِرُّونَهُ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَمَا يَخْفَوْنَهُ، وَسَيَجْازِيهِمْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْجَزَاءِ الْأَوْفَى.

(الْإِنْسَانُ) (خَلَقْنَاهُ)

(٧٧) - جَاءَ أَبِي بَنْ خَلَفٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ عَظْمٌ رَمِيمٌ، أَخَذَ يَفْتُهُ وَيَذَرُوهُ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ:

أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
نَعَمْ يُبْعِثُكَ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ يَبْعَثُكَ، ثُمَّ يَحْشُرُكَ إِلَى النَّارِ.
فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي تَلِيهَا.

وَالْآيَةُ عَامَّةٌ فِيهَا رَدٌّ عَلَى كُلِّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ. وَفِيهَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَوَلَمْ يَسْتَدِلْ كُلُّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بِالْبَدْءِ عَلَى الْإِعَادَةِ؟ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ حَقِيرَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا شَيْئًا يَذْكُرُ، ثُمَّ جَعَلَهُ بَشَرًا سَوِيًّا، فَأَخَذَ يُخَاصِمُ رَبَّهُ، وَيُنْكِرُ قُدْرَتَهُ عَلَى إِحْيَاءِ الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ بِالْيَةِ؟

(الْعِظَامُ) (يُحْيِي)

(٧٨) - وَذَكَرَ أَمْرًا عَجَبِيًّا يُنْفِي بِهِ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِحْيَاءِ الْخَلْقِ، بَعْدَ أَنْ يَمُوتُوا، وَتَبْلَى عِظَاهُمْ، وَتُصْبِحَ رَمِيمًا، فَقَالَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ جِئْنَا تُصْبِحُ رَمِيمًا؟

وَنَسِيَ هَذَا الْإِنْسَانُ الْخَصِيمُ خَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ مِهْنَةً، ثُمَّ جَعَلَهُ بَشَرًا سَوِيًّا. وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَا يُعْجِزُهُ أَنْ يُعِيدَ الْأَمْوَاتَ إِلَى الْحَيَاةِ.

(٧٩) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ مُذَكَّرًا بِمَا نَسَوْهُ مِنْ خَلْقِهِمْ مِنْ عَدَمٍ: يُحْيِي الْعِظَامَ الَّذِي أَنْشَأَهَا وَخَلَقَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ عَدَمٍ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِالْعِظَامِ، وَأَيْنَ تَفَرَّقَتْ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ.

(٧٦) فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يَعْلَمُونَ

(٧٧) أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ

(٧٨) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالِ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ

(٧٩) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ رَجُلًا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَأَيَسَ مِنَ الْحَيَاةِ، فَأَمَرَ بَنِيهِ أَنْ يَحْرِقُوهُ، ثُمَّ يَسْحَقُوهُ، ثُمَّ يَذَرُوهُ يَصْفَهُ فِي الْبَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمٍ رَائِحٍ (شَدِيدِ الرِّيحِ)، فَفَعَلُوا ذَلِكَ. فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ؛ وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ. فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَمَا تَلَاهُ أَنْ غَفَرَ لَهُ). (رواه الإمام أحمد).

(٨٠) - وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي بَدَأَ خَلْقَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ مِنْ مَاءٍ حَتَّى صَارَ خَضِرًا نَضِرًا، ثُمَّ أَعَادَهُ حَطْبًا يَابِسًا تَوْقَدُ بِهِ النَّارُ، وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَ بَعَثَ الشَّجَرِ الْيَابِسِ أَخْضَرَ نَضِرًا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى فِعْلٍ مَا يُرِيدُ، لَا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ. وَقِيلَ إِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ شَجَرُ الْمَرْخِ وَالْعَفَارِ، الَّذِي يَنْبُتُ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ قِيَاسِي مَنْ أَرَادَ قَذْحَ نَارٍ وَلَيْسَ مَعَهُ زِنَادٌ فَيَأْخُذُ مِنْهُ عُودَيْنِ أَخْضَرَيْنِ وَيَقْدَحُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ فَيَتَوَلَّدُ النَّارُ بَيْنَهُمَا كَالزَّنَادِ سَوَاءً.

(السَّمَاوَاتِ) (بِقَادِرٍ) (الْخَلْقِ)

(٨١) - يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ الْمُتَكِبِينَ قُدْرَتَهُ عَلَى بَعَثِ الْعِظَامِ بَعْدَ أَنْ تُصْبَحَ رَمِيمًا، إِلَى أَنْ خُلِقَ مِثْلُ هَذِهِ الْعِظَامِ الرَّمِيمِ لَيْسَ بِأَعْظَمَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبٍ وَمَخْلُوقَاتٍ وَكَوَاكِبٍ. وَإِذَا كَانَ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْأَعْظَمُ، لَمْ يَتَعَدَّرْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعْجِزْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّ إِعَادَةَ بَعَثِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ الْأَسْهَلُ، لَنْ يَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ.

بَلَى إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَدُّهُ هُوَ الْخَلْقُ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ مَا فِي الْوُجُودِ، الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ وَأَحْوَالِهِمْ، وَمَا يَتَفَتَّتُ مِنْ أَجْسَادِهِمْ، وَيَتَبَعَثُ فِي التُّرَابِ، وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. بَلَى - إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ مِثْلِهِمْ.

(٨٢) - وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ فَيَكُونُ وَيَحْدُثُ فَوْرًا دُونَ إِبْطَاءٍ. وَأَمْرُهُ تَعَالَى لَا يَتَكَرَّرُ، كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(١).

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

(فُسُبْحَانَ)

﴿٨٣﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ

كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(٨٣) - تَنَزَّهَ اللَّهُ رَبُّنَا الَّذِي يَبْدِئُ مَقَالِيدُ الْأُمُورِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ
فِي الدُّنْيَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

مَلَكُوتُ - الْمُلْكُ التَّامُ الْعَظِيمُ.

(٣٧) سُورَةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا الثَّنَائَاتُ وَثَمَانُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الصَّافَّاتِ)

(١) - قَسَمًا بِالمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُتِمُّونَ صُفُوفَهُمْ، وَيَتَرَاصُونَ فِيهَا وَهُمْ وَقُوفٌ فِي مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا تَصِفُونَ كَمَا تَصِفُ المَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ فَقَالَ المُسْلِمُونَ: وَكَيْفَ تَصِفُ المَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِّ). (رَوَاهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ).

(فَالزَّاجِرَاتِ)

(٢) - وَقَسَمًا بِالمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَرُدُّعُونَ النَّاسَ عَنِ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي بِالْإِلْهَامِ، وَيَزَجُرُونَهُمْ زَجْرًا شَدِيدًا.

الرَّجْرُ - السُّوقُ أَوْ الْحَثُّ، أَوْ هُوَ الْمَنْعُ وَالنَّهْيُ.

(فَالنَّالِيَاتِ)

(٣) - وَقَسَمًا بِالمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ.

(لَوَاحِدٌ)

(٤) - لَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُتِمُّونَ صُفُوفَهُمْ، وَيَزَجُرُونَ الْأَشْرَارَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالشُّرُورِ، وَيَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عَلَى رُسُلِهِ، عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا مَعْبُودٌ سِوَاهُ (وَهَذَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ).

(المَشَارِقِ) (السَّمَاوَاتِ)

(٥) - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالِقُهُمَا، وَخَالِقُ مَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِالْكُونِ بِتَسْخِيرِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ كَوَاكِبٍ تَطْلُعُ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَتَغْرُبُ فِي الْمَغْرِبِ. وَقَدْ اكْتَفَى بِذِكْرِ الْمَشَارِقِ عَنِ الْمَغَارِبِ لِدَلَالَةِ النَّصِّ عَلَيْهِ. وَبِمَا أَنَّ لِكُلِّ كَوْكَبٍ مَشَارِقَ مُتَعَدِّدَةً لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: رَبُّ الْمَشَارِقِ، وَلَمْ يَقُلْ رَبُّ الْمَشْرِقِ.

١ وَالصَّفَّاتِ صَفًّا

٢ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا

٣ فَالنَّالِيَاتِ ذِكْرًا

٤ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ

٥ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ

(٦) - وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَوَاكِبَ زِينَةً فِي السَّمَاءِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْأَرْضِ (الدُّنْيَا)، وَجَعَلَهَا لِأَهْلِ الْأَرْضِ ضِيَاءً وَزِينَةً.

(شَيْطَانٍ)

(٧) - وَحَفِظَ اللَّهُ السَّمَاءَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مُتَمَرِّدٍ عَاتٍ فَإِذَا تَجَاوَزَ هَذَا الشَّيْطَانُ حُدُودَهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَرْقِيَ السَّمْعَ أَتَاهُ شَهَابٌ نَاقِبٌ. مَارِدٌ - مُتَمَرِّدٌ خَارِجٌ عَنِ الطَّاعَةِ.

(٨) - وَيُمْنَعُ عَتَاةُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْاسْتِمَاعِ إِلَى مَا يَجْرِي فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِذَا حَاوَلُوا الْوُصُولَ إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ لِيَسْتَمِعُوا إِلَى مَا تَتَحَدَّثُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، فَإِنَّهُمْ يُرْمَوْنَ بِالشُّهُبِ، وَيُرَدُّونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ يُرِيدُونَ بُلُوغَ السَّمَاءِ مِنْهُ.

يُقَذَّفُونَ - يُرْجَمُونَ.

(٩) - وَيَذْخَرُونَ دُحُورًا، وَيُزْجَرُونَ بِقُوَّةٍ وَعُنْفٍ، وَيُمْنَعُونَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ وَيُرْجَمُونَ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ دَائِمٌ مُوجِعٌ مُسْتَمِرٌّ. دُحُورًا - يُبْعَدُونَ إِبْعَادًا وَيُطْرَدُونَ طَرْدًا. وَاصِبٌ - دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ.

(١٠) - إِلَّا مَنْ اخْتَلَفَ مِنَ الشَّيَاطِينِ الْكَلِمَةَ الَّتِي يَسْمَعُهَا مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى (الْخُطْفَةِ)، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَيُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى الَّذِي تَحْتَهُ قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا شِهَابٌ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَقَدْ يُلْقِيهَا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ الشَّهَابُ، فَيَنْقُلُهَا الْآخَرُ إِلَى الْكَاهِنِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ. خُطِفَ الْخُطْفَةُ - اخْتَلَسَ الْكَلِمَةُ مُسَارَقَةً.

شِهَابٌ - مَا يُرَى كَالْكَوَاكِبِ مُنْقَضًا مِنَ السَّمَاءِ. نَاقِبٌ - شَدِيدُ الضُّوئِ أَوْ مُحْرِقٌ.

(خَلَقْنَاهُمْ)

(١١) - فَسَلِّ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُتَكِبِينَ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ: أَيُّ شَيْءٍ أَصْعَبُ خَلْقًا وَإِبْدَادًا (أَشَدُّ خَلْقًا)؟ هُمْ أَمْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَوَالِمَ وَمَخْلُوقَاتٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى؟ وَبِمَا أَنَّهُمْ يَقْرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ أَصْعَبُ خَلْقًا مِنْهُمْ، وَلِهَذَا فَإِنَّ الْأَمْرَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَلِمَ إِذَا يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ وَهُمْ يُشَاهِدُونَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا تُنْكِرُونَ؟

٦ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ

٧ وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ

٨ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى

وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

٩ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ

١٠ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخُطْفَةَ فَاتْبَعَهُ

شِهَابٌ نَاقِبٌ

١١ فَاسْتَفْهِمِ لَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ

خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ

لَازِبٍ

مَعَ أَنَّهُمْ هُمْ قَدْ خُلِقُوا مِنْ شَيْءٍ ضَعِيفٍ مَهِينٍ، إِنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ طِينٍ لَزِجٍ يُمْكِنُ أَنْ يُلْتَصِقَ بِالْيَدِ (طِينٍ لَزِجٍ)، فَلِمَذَا يَسْتَبْعِدُونَ إِعَادَةَ خَلْقِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى؟

طِينٍ لَزِجٍ - لَزِجٍ مُلْتَصِقٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ أَوْ بِالْيَدِ.

(١٢) - إِنَّكَ تَعْجَبُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ إنْكَارِ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ الْمُعَانِدِينَ لِلْبَعْثِ، مَعَ تَضَافُرِ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى صِدْقِ رِسَالَتِكَ، وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِنْ تَعْجَبِكَ مِنْهُمْ، وَمِنْ تَأْكِيدِكَ صِحَّةَ قَوْلِكَ عَنْ حُدُوثِ الْبَعْثِ لَا مَحَالَةَ.

يَسْخَرُونَ - يَهْزُؤُونَ بِتَعْجَبِكَ.

(١٣) - وَهُمْ لِقِسْوَةِ قُلُوبِهِمْ إِذَا وُعِظُوا لَا تَنْفَعُهُمُ الْمَوْعِظَةُ، لِأَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا.

(آيَةٌ)

(١٤) - وَإِذَا أُقِيمَتْ لَهُمُ الْأَدِلَّةُ وَالْمُعْجَزَاتُ الَّتِي تُرْشِدُ إِلَى صِدْقِ مَنْ يَعْظُهُمْ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ، نَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا مُتَصَاحِكِينَ مُسْتَهْزِئِينَ.

يَسْتَسْخِرُونَ - يُبَالِغُونَ فِي سَخَرِيَّتِهِمْ.

(١٥) - وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا الَّذِي جِئْتُ بِهِ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا سِحْرٌ وَاضِحٌ ظَاهِرٌ لِلْعَيَانِ.

(أَيُّهَا) (عِظَامًا) (أَيُّهَا)

(١٦) - وَهَلْ سَبَّعْتُ مِنْ قُبُورِنَا أَحْيَاءَ بَعْدَ مَا نَمُوتُ، وَبَعْدَ أَنْ تَبْلَى عِظَامُنَا وَأَجْسَادُنَا، وَتُصْبِحَ رَمِيمًا؟

(أَبَاؤُنَا)

(١٧) - وَهَلْ سَبَّعْتُ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ أَيْضًا، وَقَدْ مَضَى عَلَى مَوْتِهِمْ مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ، فَأَصْبَحَ بَعْثُهُمْ أَشَدَّ صُعُوبَةً وَغَرَابَةً، وَأَكْثَرَ اسْتِيعَادًا؟

(دَاخِرُونَ)

(١٨) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّكُمْ سَتَبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ مَا تَصِيرُونَ تُرَابًا وَعِظَامًا رَمِيمًا، وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ أَذِلَّاءَ (دَاخِرُونَ)، أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْبَالِغَةِ، الَّتِي لَا حُدُودَ لَهَا.

دَاخِرُونَ - صَاغِرُونَ أَذِلَّاءَ.

١٣ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ

١٣ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ

١٤ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ

١٥ وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ

١٦ آيَةً دَامِنًا وَكَأَنَّا بَرَابٍ وَعِظَمًا آيَةً

لَسَبْعُونَ

١٧ أَوَّابًا أَوَّابًا أَوَّلُونَ

١٨ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ

(وَاحِدَةً)

(١٩) - وَسَيَكُونُ أَمْرُ إِعَادَةِ بَعْثِكُمْ سَهْلًا يَسِيرًا عَلَى اللَّهِ إِذْ يَأْمُرُ اللَّهُ بِأَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ بِهِ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ.

(يَا وَيْلَنَا)

(٢٠) - وَحِينَئِذٍ يَرْجِعُ الْكَافِرُونَ الْمُنْكَرُونَ لِلْبَعْثِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلَامَةِ قَائِلِينَ: يَا خَسَارَنَا وَيَا هَلَاكَنَا (يَا وَيْلَنَا) هَذَا هُوَ يَوْمُ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ (يَوْمَ الدِّينِ) الَّذِي أُنْذَرْنَا بِهِ الرَّسُولُ، فَكَذَّبْنَاهُ، وَسَخَرْنَا مِنْهُ. يَا وَيْلَنَا - يَا خَسَارَنَا وَيَا هَلَاكَنَا. يَوْمَ الدِّينِ - يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

(٢١) - فَيَقَالُ لَهُمْ: (تَقُولُهُ الْمَلَائِكَةُ، أَوْ يَقُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَقُولُهُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَهُمْ يَتَنَجَّوْنَ): هَذَا هُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ، الَّذِي يُفْرَقُ فِيهِ بَيْنَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ، وَيَمْتَأَزُ فِيهِ كُلُّ مُنْهَمَا عَنِ الْآخَرِ، وَلَقَدْ كُنتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ وَانْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(أَرْوَاهُمْ)

(٢٢) - وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ بِأَنْ يُمَيِّزُوا الْكُفَّارَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَوْقِفِ، وَيَأْنُ يَحْشُرُوا الظَّالِمِينَ مَعَ قُرَّانِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ (أَرْوَاهُمْ). فَيَحْشُرُ أَصْحَابُ الرَّزَى مَعَ أَصْحَابِ الرَّزَى، وَأَصْحَابُ الرَّبَا مَعَ أَصْحَابِ الرَّبَا، وَعَابِدُو الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ مَعَ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

أَرْوَاهُمْ - أَشْبَاهَهُمْ وَقُرَّانَهُمْ.

(صِرَاطِ)

(٢٣) - ثُمَّ يَأْمُرُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ الْكَرَامَ قَائِلًا: أَرْشِدُوا هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ إِلَى طَرِيقِ جَهَنَّمَ، وَدُلُّوهُمْ عَلَيْهَا.

(مَسْئُولُونَ)

(٢٤) - وَاحْبِسُوهُمْ فِي الْمَوْقِفِ (قَفُوهُمْ) حَتَّى يُسْأَلُوا عَمَّا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَعَمَّا اجْتَرَحُوهُ مِنَ الْآثَامِ وَالْمَعَاصِي. قَفُوهُمْ - احْبِسُوهُمْ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ.

١٩ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ

٢٠ وَقَالُوا بَلَوْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ

٢١ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تَكْذِبُونَ



٢٢ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ

٢٣ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ

٢٤ وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ

(٢٥) - ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيعِ وَالتَّقْرِيعِ : مَا لَكُمْ لَا يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا يَوْمَ، وَقَدْ كُنْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَتَنَاصَرُونَ؟ تَنَاصَرُونَ - يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

(٢٦) - فَهُمْ الْيَوْمَ لَا يُنَازِعُونَ فِي الْوُقُوفِ، وَلَا يَتَمَرَّدُونَ، وَإِنَّمَا هُمْ مُنْقَادُونَ ذَلِيلُونَ مُسْتَسْلِمُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُخَالِفُونَهُ، وَلَا يَحِيدُونَ عَنْهُ.

(٢٧) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْكُفَّارِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، وَيُخْبِرُ أَنَّهُمْ يَتَلَاوَمُونَ فِي عَرَصَاتِ الْمَحْشَرِ، وَيَتَخَاصِمُونَ فِي دَرَكَاتِ النَّارِ، فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ التَّائِبُونَ، لِلرُّؤَسَاءِ الْمُضِلِّينَ لَهُمْ: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا، وَأَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُوسَّسُونَ لَنَا لِلْكَفْرِ.

(٢٨) - وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَمْنَعُونَنَا عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَتَأْتُونَنَا مِنَ النَّاحِيَةِ الَّتِي كُنَّا نَنْظُرُ فِيهَا الْخَيْرَ وَالْيَمْنَ، وَتُرْغَبُونَا فِيمَا كُنْتُمْ تَدِينُونَ بِهِ وَتَعْتَقِدُونَ، وَمِنْ ثَمَّ أَوْرَدْتُمُونَا مَوَارِدَ الْهَلَاكِ.

(٢٩) - وَيُرِدُّ الرُّؤَسَاءُ الْمُتَّبِعُونَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ مُكْرِينَ إِضْلَالَهُمْ بِأَهْلِهِمْ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَرْغُمُونَ بَلْ كَانَتْ قُلُوبُكُمْ مُكْرِرَةً لِلْإِيمَانِ، مُسْتَعِدَّةً لِلْكَفْرِ وَالْعِصْيَانِ.

(سُلْطَانٍ) (طَاغِينَ)

(٣٠) - وَنَحْنُ لَمْ يَكُنْ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَسِيلَةٍ نُكْرَهُكُمْ بِهَا عَلَى الْكُفْرِ وَالْغَوَايَةِ (أَوْ لَمْ يَكُنْ لَنَا سَبَبٌ نَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ نُؤَكِّدَ لَكُمْ أَنَّنَا كُنَّا عَلَى صَوَابٍ فِيمَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَيْهِ)، وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ قَوْمًا تَمِيلُونَ إِلَى الطُّغْيَانِ وَمُجَاوِزَةِ الْحَقِّ، فَلِهَذَا اسْتَجَبْتُمْ لِدَعْوَتِنَا، وَتَرَكْتُمْ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ رُسُلُ رَبِّكُمْ.

قَوْمًا طَاغِينَ - مُجَاوِزِينَ الْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ وَالْفَسَادِ.

(لَذَائِقُونَ)

(٣١) - وَيَقُولُ الْكِبَرَاءُ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ: إِنَّهُمْ بِسَبَبِ اسْتِعْذَادِ نَفْسِهِمْ لِلْكَفْرِ وَالطُّغْيَانِ، وَتَجَاوُزِ الْحَقِّ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْهُدَى، حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ أَنَّهُمْ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ الدَّائِقِينَ لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَحَقَّ عَلَيْنَا - ثَبَتَ وَوَجَبَ.

(٥) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ

(٦) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ

(٧) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ

(٨) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ

(٩) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

(١٠) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ

بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ

(٣١) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ

(أَغْوَيْنَاكُمْ) (غَاوِينَ)

(٣٢) - وَإِنَّهُمْ دَعَوُا الْمُسْتَضْعَفِينَ إِلَى مَا كَانُوا هُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ، فَاسْتَجَابَ الْمُسْتَضْعَفُونَ لَهُمْ، فَأَصْبَحُوا جَمِيعاً مِنَ الضَّالِّينَ الْغَاوِينَ، فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِمْ فِيمَا كَانَ مِنْهُمْ.
أَغْوَيْنَاكُمْ - دَعَوْنَاكُمْ إِلَى الْغَيِّ فَاسْتَجَبْتُمْ.

(يَوْمَئِذٍ)

(٣٣) - وَكَمَا أَشْتَرَكَ الْفَرِيقَانِ - الْكِبَرَاءُ وَالْمُسْتَضْعَفُونَ - فِي الضَّلَالَةِ، كَذَلِكَ يَشْتَرِكُونَ فِي الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، كُلُّ مِنْهُمْ بِحَسَبِ عَمَلِهِ، وَمَرْتَبَتِهِ فِي الضَّلَالَةِ وَالْغَوَايَةِ.

(٣٤) - وَمِثْلُ هَذَا الْجَزَاءِ الْعَظِيمِ يُوقِعُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمُشْرِكِينَ وَفَقَالُوا لِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَيُوجِبُهُ عَدْلُهُ بَيْنَ الْعِبَادِ.

(٣٥) - وَكَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا إِذَا دُعُوا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَقُّنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ، نَفَرُوا مِنْهَا، وَأَعْرَضُوا عَنْ قَبُولِهَا مُسْتَكْبِرِينَ.

(أَنَا) (لِنَارِكُو) (آلِهَتِنَا)

(٣٦) - وَيَقُولُونَ: هَلْ تَتْرُكُ آلِهَتَنَا الَّتِي وَرَثْنَا عِبَادَتَهَا عَنْ أَسْلَافِنَا الْأَوَّلِينَ، اتِّبَاعاً لِقَوْلِ شَاعِرٍ مَجْنُونٍ يَهْذِي وَيَخْلُطُ فِي كَلَامِهِ؟

(٣٧) - وَيَكْذِبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا قَالُوا، وَيَذْكُرُ لَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَهُوَ دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ، وَوَأَفَقْتُ دَعْوَتُهُ دَعْوَةَ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ، وَصَدَقَتْ كُلُّ دَعْوَةٍ مِنْهُمَا الْأُخْرَى، فَدَعْوَتُهُ صَدَقَتْ الدَّعَوَاتِ السَّابِقَةِ، فَهُوَ لَيْسَ بِدَعَا فِي الرُّسُلِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَنْ هَذَا حَالَهُ شَاعِراً مَجْنُوناً؟

(لَذَانِقُو)

(٣٨) - إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْكُفَّارُ الْمُجْرِمُونَ سَتَذُوقُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، وَسَتَخْلُدُونَ فِيهِ.

(٣٩) - وَلَا يَنَالُكُمْ مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا مَا تَسْتَحِقُّونَهُ جَزَاءً لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ سَيِّئِ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا.

(٤٠) - أَمَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلِصُونَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَذُوقُونَ الْعَذَابَ وَلَا يَنَاقِشُونَ فِي الْحِسَابِ، بَلْ يَتَجَاوَزُ الرَّبُّ الْكَرِيمُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيُثَبِّتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً.

الْمُخْلِصِينَ - الَّذِينَ أَخْلَصَهُمُ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ.

﴿٣٢﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ

﴿٣٣﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ

﴿٣٤﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ

﴿٣٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ

﴿٣٦﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لِلنَّارِ كَوَاءُ آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ

﴿٣٧﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ

﴿٣٨﴾ إِنَّكُمْ لَذَانِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ

﴿٣٩﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٤٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ

(أُولَئِكَ)

﴿٤١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ

(٤١) - وَيُثْبِتُهُمْ رَبُّهُمْ الْكَرِيمُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِإِذْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ، وَيَتَمَتَّعُونَ فِيهَا بِكُلِّ مَا لَدَى وَطَافٍ، وَلَهُمْ فِيهَا رِزْقٌ كَرِيمٌ مَّعْلُومٌ.

(فَوَاكِهَ)

﴿٤٢﴾ فَوَاكِهَ وَهُمْ مُكْرَمُونَ

(٤٢) - وَتَأْتِيَهُمُ الْفَوَاكِهُ الَّتِي يَشْتَهُونَهَا، وَهُمْ مُكْرَمُونَ مَخْدُومُونَ مُرَفَّهُونَ.

(جَنَّاتِ)

﴿٤٣﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ

(٤٣) - وَيَأْتِيَهُمْ رِزْقُهُمُ الْكَرِيمُ وَهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

(مُتَقَابِلِينَ)

﴿٤٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ

(٤٤) - وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى أَسِرَّةٍ يُقَابِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، يَتَمَتَّعُونَ بِالْإِنْيَاسِ، وَطِيبِ الْحَدِيثِ، شَأْنُ الْمُتَحَابِّينَ.

(٤٥) - وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي جَلْسَتِهِمْ تِلْكَ، بِكُؤُوسٍ مِنْ خَمْرٍ مِنْ مَنَابِعٍ جَارِيَةٍ لَا تَنْقَطِعُ.
بِكَاسٍ - بِخَمْرٍ أَوْ يَقْدَحٍ فِيهِ خَمْرٌ.

﴿٤٥﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ

(لِلشَّارِبِينَ)

﴿٤٦﴾ بَيِّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ

(٤٦) - لَوْنُهَا أَبْيَضُ صَافٍ مُشْرِقٌ، وَطَعْمُهَا لَذِيذُ الْمَذَاقِ، تِلْكَ شَارِبِيهَا.

(٤٧) - وَهَذِهِ الْخَمْرُ لَا تُؤَثِّرُ فِي الْأَجْسَامِ، وَلَا تَغْتَالِ الْعُقُولَ، وَلَا تُحَدِّثُ صُدَاعًا وَلَا خَمَارًا، كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي خَمْرِ الدُّنْيَا، وَلَا تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِي سَاعَةِ صَفْوِهِمْ وَأَنْسَبِهِمْ (يُنْزَفُونَ) (وَقِيلَ بَلْ إِنَّ مَعْنَى يُنْزَفُونَ هُوَ أَنَّهَا لَا تُذْهِبُ عُقُولَهُمْ، وَلَا تُنْزِفُهَا بِالسُّكْرِ، كَمَا يُنْزِفُ الرَّجُلُ مَاءَ الْبَيْتِ).

﴿٤٧﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ

لَا فِيهَا غَوْلٌ - لَيْسَ فِيهَا ضَرَرٌ وَلَا تَغْتَالِ الْعُقُولَ.

(قَاصِرَاتِ)

﴿٤٨﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ

(٤٨) - وَلَدَيْهِمْ نِسَاءٌ غَفِيفَاتٌ، لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَهُنَّ نُجُلُ الْعُيُونِ، فِي جَمَالٍ وَحُسْنٍ.

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ - لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ.

عَيْنٌ - وَاسِعَاتُ الْعُيُونِ مَعَ جَمَالٍ.

(٤٩) - وَكَانَهُنَّ فِي بَيَاضِهِنَّ، وَصَوْنُهُنَّ عَنِ اللَّمَسِ وَالْإِبْتَدَالِ، بَيَّضُ مَصُونٍ لَمْ تَمْسُهُ الْأَيْدِي؛ وَلَمْ تَعْبَثْ بِهِ.
(وَقِيلَ إِنْ لَوْنُهُنَّ أَبْيَضُ ضَارِبٌ إِلَى صُفْرَةٍ كَلَوْنٌ بَيَّضِ النَّعَامِ وَهُوَ اللَّوْنُ الَّذِي يَرُغَبُ فِيهِ الْعَرَبُ فِي النِّسَاءِ).
مَكْنُونٌ - مَصُونٌ مَسْتُورٌ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلْغُبَارِ.

(٥٠) - وَيَأْخُذُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَهُمْ فِي جِلْسَتِهِمْ تِلْكَ، فِي تَجَاذُبِ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ، وَيَتَنَاوَلُونَ فِي أَحَادِيثِهِمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(قَائِلٌ)

(٥١) - قَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِينَ يَتَحَادَثُونَ: إِنَّهُ كَانَ لِي صَاحِبٌ (قَرِينٌ) مُشْرِكٌ فِي الدُّنْيَا يَلُومُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ، وَيَسْخَرُ مِنْهُمْ.

(أَنْتَكَ)

(٥٢) - وَيَقُولُ لِصَدِيقِهِ الْمُؤْمِنِ: هَلْ أَنْتَ مُصَدِّقٌ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْجَزَاءِ؟

(أَيْذَا) (عِظَامًا) (أَيْثَا)

(٥٣) - وَيَقُولُ مُتَعَجِّبًا: هَلْ إِذَا أَصْبَحْنَا تُرَابًا وَعِظَامًا نَخْرَةً، سَبُعْتُ لِنَحَاسَبَ عَلَى أَعْمَالِنَا وَنَجْزَى بِهَا؟ إِنْ ذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ أَبَدًا.
لَمَدِينُونَ - لَمَجْزِيُونَ وَمُحَاسِبُونَ.

(٥٤) - وَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ لِأَصْحَابِهِ الْجَالِسِينَ مَعَهُ فِي رَحَابِ الْجَنَّةِ: هَلْ تَوَدُّونَ أَنْ تَطْلُعُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي الْجَحِيمِ، لَتَرَوْا عَاقِبَةَ أَمْرِ هَذَا الْقَرِينِ الْكَافِرِ؟

(فَرَأَاهُ)

(٥٥) - فَاطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ النَّارِ، فَرَأَى قَرِينَهُ وَسَطَ الْجَحِيمِ، يَتَلَطَّى بِلَهْيَيْهَا.
سَوَاءَ الْجَحِيمِ - وَسَطَ الْجَحِيمِ.

(٥٦) - فَقَالَ الْمُؤْمِنُ لِقَرِينِهِ الْمُشْرِكِ مُوَبِّخًا وَمُقَرِّعًا: لَقَدْ كِدْتَ أَنْ تَهْلِكَنِي لَوْ أَنَّي أَطَعْتُكَ فِي كُفْرِكَ وَعِصْيَانِكَ.
إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ - إِنَّكَ قَارَبْتَ لَتَهْلِكَنِي بِالْإِغْوَاءِ.

٤٩ كَانَهُنَّ بَيَّضٌ مَكْنُونٌ

٥٠ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

يَتَسَاءَلُونَ

٥١ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ

٥٢ يَقُولُ أَأَنْتَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ

٥٣ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا

لَمَدِينُونَ

٥٤ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مَطْلُوعُونَ

٥٥ فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ

٥٦ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ

﴿٥٧﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ

﴿٥٨﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ

﴿٥٩﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ

﴿٦٠﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْفُورِ الْعَظِيمِ

﴿٦١﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ

﴿٦٢﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ

﴿٦٣﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ

﴿٦٤﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ

(٥٧) - وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيَّ، لَكُنْتُ مِثْلَكَ مُحْضَرًا فِي الْعَذَابِ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ، وَلَكِنْ رَحْمَتُهُ تَعَالَى أَنْقَذَتْنِي مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، إِذْ هَذَا بِي اللَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ.
الْمُحْضَرِينَ - الْمُسَوِّقِينَ لِلْعَذَابِ مِثْلَكَ.

(٥٨) - ثُمَّ التَفَتَ الْمُؤْمِنُ إِلَى جُلَسَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ لَهُمْ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الْكَافِرِ، لِيَزِيدَ فِي أَلَمِهِ وَحَسْرَتِهِ وَعَذَابِهِ: هَلْ نَحْنُ مُخْلَدُونَ فِي الْجَنَّةِ، مُنْعَمُونَ فِيهَا، لَا نَمُوتُ، وَلَا تَزُولُ نِعْمَتُنَا عَنَّْا؟

(٥٩) - وَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى، وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ؟ فَقِيلَ لَهُ: لَا.

(٦٠) - فَقَالَ الْمُؤْمِنُ لِأَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ: إِنْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، مَعَ مَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَذَاتِ، هُوَ الْفُورُ الْعَظِيمُ، وَالنَّجَاةُ بِمَا كُنَّا نَحْذَرُهُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

(الْعَامِلُونَ)

(٦١) - وَلِمِثْلِ هَذَا النَّعِيمِ، الَّذِي فَازَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ الْبَرَّةُ فِي الْآخِرَةِ، فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ فِي الدُّنْيَا لِيُذَرِّكُوا مَا أَدْرَكُوا.

(٦٢) - أَذَلِكَ الرِّزْقُ الْكَرِيمُ الْوَفِيرُ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا الْمَنْزِلُ الطَّيِّبُ الَّذِي أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ فِيهِ فِي رَحَابِ الْجَنَّةِ خَيْرٌ، أَمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَ النَّارِ مِنَ الْأَكْلِ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ، ذَاتِ الثَّمَرِ الْكَرِيهِ الْمَذَاقِ؟

خَيْرٌ نُزُلًا - خَيْرٌ ضِيَافَةً وَتَكْرَمَةً.

شَجَرَةُ الزَّقُّومِ - شَجَرٌ خَبِيثٌ يَخْرُجُ فِي تِهَامَةٍ، وَيَكُونُ فِي الْجَحِيمِ لِيَأْكُلَ مِنْهُ أَهْلُ النَّارِ.

(جَعَلْنَاهَا) (لِلظَّالِمِينَ)

(٦٣) - وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ عَنْ وُجُودِ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ابْتِلَاءً مِنْهُ وَاخْتِبَارًا لِيَرَى مَنْ يُصَدِّقُ بِهَا، مِمَّنْ يُكَذِّبُ، وَجَعَلَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ الْكَافِرِينَ.

فِتْنَةٌ لِلظَّالِمِينَ - ابْتِلَاءٌ وَمِخْنَةٌ، أَوْ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ.

(٦٤) - جِئْنَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ وَسْطِ نَارِ جَهَنَّمَ، قَالَ الْكَافِرُونَ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَالنَّارُ تَحْرِقُ الشَّجَرَ؟

أَصْلُ الْجَحِيمِ - فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ.

(الشَّيَاطِينِ) (رُؤُوسُ)

(٦٥) - كَأَن تَمَرَّهَا (طَلَعَهَا)، فِي قُبْحِ مَنْظَرِهِ، رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ:
(وَالْعَرَبُ كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى
تَقْبِيحَ شَجَرَةِ الرُّقُومِ، وَتَكْرِيبَ السَّامِعِينَ بِهَا).

(٦٦) - وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الظَّالِمِينَ، لَا يَجِدُونَ فِي النَّارِ طَعَامًا غَيْرَ
الرُّقُومِ الْكَرْبَةِ الطَّعْمِ، وَالْمَنْظَرِ، وَالرَّيْحِ، فَيُضْطَرُّونَ إِلَى الْأَكْلِ مِنْهُ
لِيَمْلَأُوا بَطُونَهُمُ الْجَائِعَةَ.

(٦٧) - وَإِنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَا يَشْرَبُونَ إِلَّا الْمَاءَ الشَّدِيدَ الْحَرَارَةِ،
الْمَمْزُوجَ بِالصَّدِيدِ وَالْغَسَاقِ.
شُوبًا - مَرْجَأً.

حَمِيمٌ - مَاءٌ بَالِغُ الْغَايَةِ فِي الْحَرَارَةِ.

(٦٨) - ثُمَّ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ بَعْدَ هَذَا الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ إِلَى نَارٍ تَتَّجِعُ،
وَجَحِيمٍ تَتَوَقَّدُ، فَهُمْ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ.

(آبَاءُهُمْ)

(٦٩) - إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ فَتَابَعُوهُمْ.

(آثَارِهِمْ)

(٧٠) - فَأَسْرَعُوا فِي تَقْلِيدِهِمْ، وَأَتَّبَعَهُمْ بِلا تَدَبُّرٍ وَلَا تَرَوُّفٍ
يُهْرَعُونَ - يُسْرِعُونَ الْمَشْيَ.

(٧١) - وَلَقَدْ ضَلَّ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، قَبْلَ قُرَيْشٍ، أَكْثَرُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ،
فَعَبَدُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى.

(٧٢) - فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ رَسُولًا يُنذِرُهُمْ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ عَوَاقِبِ
كُفْرِهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ عَلَى الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَغَيْرِ اللَّهِ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ..

(عَاقِبَةُ)

(٧٣) - وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَأَصْرُوا عَلَى الْإِقَامَةِ عَلَى
شِرْكِهِمْ فَدَمَرَهُمُ اللَّهُ وَأَهْلَكَهُمْ، وَعَقَى آثَارَهُمْ، فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدٌ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمْ رَسُولُهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ وَبِأَسِيهِ، فَلَمْ
يَسْمَعُوا وَلَمْ يَتَّعِظُوا، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ.

٦٥ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ

٦٦ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا
الْبَطُونُ

٦٧ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ حَمِيمٍ

٦٨ ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ

٦٩ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ مُّضَالِينَ

٧٠ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ

٧١ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ
الْأَوَّلِينَ

٧٢ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ

٧٣ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنْذَرِينَ

(٧٤) - وَجِئَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الدَّمَارِ الَّذِي أُنْزِلَهُ بِالْمُكَذِّبِينَ، وَجَعَلَ النُّصْرَ وَالْعَاقِبَةَ لِلرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

(نَادَانَا)

(٧٥) - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ ضَلُّوا أَخَذَ يُبَيِّنُ ذَلِكَ تَفْصِيلاً، فَذَكَرَ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا لَفِيَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ لَهُ إِلَّا الْقَلِيلُونَ، فَاسْتَنْصَرَ نُوحٌ بِرَبِّهِ عَلَى كُفَّارِ قَوْمِهِ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾^(١)، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى نِعَمَ الْمُجِيبِ وَالنَّاصِرِ لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، فَنَجَّاهُ وَأَهْلَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، وَأَهْلَكَ الْكَافِرِينَ.

(نَجَّيْنَاهُ)

(٧٦) - فَأَنْجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَهْلَهُ مِنَ الْغَمِّ الشَّدِيدِ مِنْ أَذَى قَوْمِهِ، وَمِنْ الْغَرَقِ بِالطُّوفَانِ، وَمِنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ.

(٧٧) - وَأَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ كَفَرَ بِهِ اسْتِجَابَةً لِدَعْوَةِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَاراً﴾^(٢) وَجَعَلَ النَّاسَ الْبَاقِينَ فِي الْأَرْضِ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، لِأَنَّهُ أَهْلَكَ الْآخَرِينَ بِالطُّوفَانِ.

(الْآخِرِينَ)

(٧٨) - وَأَبْقَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ نَسْأً جَمِيلاً، وَذَكَرُوا حَسَناً فِيمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(السَّلَامُ) (الْعَالَمِينَ)

(٧٩) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ فِي الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ (الْعَالَمِينَ).

(٨٠) - وَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ هَذَا الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ جَزَاءً لَهُ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَصَبَرَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ.

(٨١) - وَكَانَ سَبَبَ إِحْسَانِهِ، وَتَحْمِيلِهِ أَذَى قَوْمِهِ، أَنَّهُ كَانَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ فِي عِبُودِيَّتِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى، الَّذِينَ وَقَفُوا بِعَهْدِهِ.

٧٤) إِيَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ

٧٥) وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ

٧٦) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ

٧٧) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ

٧٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ

٧٩) سَلَّمَ عَلَيْنَا نُوحٌ فِي الْعَالَمِينَ

٨٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

٨١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة القمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٦.

(الْآخِرِينَ)

(٨٢) - ثُمَّ أَغْرَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا.

(لِإِبْرَاهِيمَ)

(٨٣) - وَكَانَ مِنْ سَارٍ عَلَى نَهْجِ نُوحٍ، وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُ وَسُنَّتَهُ، إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. مِنْ شِيعَتِهِ - مِنْ شَابِعِهِ عَلَى مِلَّتِهِ وَمِنْهَا جِه.

(٨٤) - إِذْ أَخْلَصَ الْإِيمَانُ لِرَبِّهِ، فَكَانَ يُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ وَهِيَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٨٥) - وَقَدْ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ حِينَمَا أَنْكَرَ عَلَى أَبِيهِ وَقَوْمِهِ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ؟

(أَتُنْفِكُ) (الْهَةَ)

(٨٦) - أَتَتَّخِذُونَ أَصْنَامًا تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَزْعُمُونَ إِنْكَارًا وَكَذِبًا أَنَّهَا آلِهَةٌ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ حُجَّةٌ أَوْ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ؟ إِنَّ هَذَا لَخَطَأٌ جَسِيمٌ.

(الْعَالَمِينَ)

(٨٧) - أَعَلِمْتُمْ أَيَّ شَيْءٍ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَتَّى جَعَلْتُمْ الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ لَهُ شُرَكَاءَ فِي الْعِبَادَةِ؟

(٨٨) - فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ، وَأَطَالَ الْفِكْرَ فِيمَا هُوَ فِيهِ مَعَ قَوْمِهِ عَبْدَةَ الْأَصْنَامِ.

(وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ لِمَنْ تَفَكَّرَ وَأَطَالَ التَّفَكُّيرَ نَظَرَ فِي النُّجُومِ).

(٨٩) - فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَبَعْدَ أَنْ فَكَّرَ مَلِيًّا: إِنَّهُ مَنْحَرِفٌ الصَّحَّةِ. وَكَانَتْ غَايَتُهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنْ يَبْقَى فِي الْبَلَدِ بَعْدَ أَنْ يَذْهَبَ قَوْمُهُ إِلَى الْإِحْتِفَالِ بِالْأَعْيَادِ خَارِجَ الْبَلَدِ، وَذَلِكَ لِيُحْطَمَ أَصْنَامُهُمْ (أَوْ أَنَّهُ سَقِيمُ الْقَلْبِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ).

(٩٠) - فَتَرَكَهُ قَوْمُهُ وَشَأْنَهُ وَخَرَجُوا إِلَى أَحْتِفَالِهِمْ.

(٨٢) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ

(٨٣) وَإِنِّ مِنْ شِيعَتِهِ
لِإِبْرَاهِيمَ

(٨٤) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

(٨٥) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا
تَعْبُدُونَ

(٨٦) أَتُنْفِكُ الْهَةَ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ

(٨٧) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ

(٨٨) فَتَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ

(٨٩) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ

(٩٠) فَلَوْلَا عَنَتُهُ مُدْبِرِينَ

(الْبَهِيمِ)

(٩١) - فَذَهَبَ إِلَى آلِهِ قَوْمَهُ بِسُرْعَةٍ مُسْتَخْفِيًا، وَقَالَ لَهَا مُسْتَهْزِئًا بِهَا أَلَا تَأْكُلُونَ الطَّعَامَ الَّذِي قَدَّمْ إِلَيْكُمْ؟
وَكَانَ قَوْمُهُ يَضْعَوْنَ الطَّعَامَ أَمَامَ الْآلِهَةِ فِي الْأَعْيَادِ لِتُبَارِكَهُ).
رَاعَ - أَسْرَعَ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ

(٩٢) - مَا لَكُمْ قَدْ عَجَزْتُمْ عَنِ الرَّدِّ عَلَى سُؤَالِي؟ وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ اسْتِهْزَاءً
وَاحْتِقَارًا.

(٩٣) - فَمَالَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِفَأْسٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى (وَالضَّرْبُ بِالْيَدِ الْيُمْنَى أَشَدُّ أَثَرًا، وَكَثُرَ إِيدَاءُ مِنَ الضَّرْبِ بِالْيَدِ الْيُسْرَى). وَقَدْ تَرَكَ الْأَصْنَامَ جُذَاءً إِلَّا الصَّنَمَ الْأَكْبَرَ، فَلَمْ يُحْطَمْ، وَعَلَّقَ الْفَأْسَ فِي رَقَبَتِهِ لِيَقُولَ لِقَوْمِهِ إِذَا سئِلَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي حَطَّمَ الْآلِهَةَ غَيْرَهُ مِنْهَا، وَضِيْقًا بِعِبَادَةِ قَوْمِهِ لَهَا.

(٩٤) - وَلَمَّا عَلِمَ قَوْمُهُ بِمَا حَدَثَ مِنْ تَحْطِيمِ الْأَصْنَامِ، أَدْرَكُوا أَنَّ الَّذِي فَعَلَ هَذَا بِهَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ لِمُجَادَلَتِهِ إِيَّاهُمْ حَوْلَ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَجَاؤُوا إِلَيْهِ يُسْرِعُونَ فِي مَشِيهِمْ (يَرْفُونَ). لِيُحَاسِبُوهُ عَلَى مَا فَعَلَ بِالْبَهِيمِ.

(٩٥) - وَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ مُوَبِّحًا وَمُقَرِّعًا: أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَامًا تَتَجَنَّبُوهَا أَنْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، وَتَقُولُونَ عَنْهَا إِنَّمَا آلِهَةٌ، فَأَيْنَ دَهَبَتْ عُقُولُكُمْ؟

(٩٦) - وَتَتْرَكُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَخَلَقَ تِلْكَ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ. وَالْخَالِقُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

(بُنْيَانًا)

(٩٧) - وَلَمَّا أَبْطَلَ حُجَّتَهُمْ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، مَالُوا إِلَى أَخِيهِ بِالْقَهْرِ وَالْبَطْشِ سِتْرًا لِعِزِّهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا، وَضَعُوا فِيهِ حَطَبًا أَوْ قُدُوه، ثُمَّ أَقْدِفُوهُ فِي هَذِهِ النَّارِ فَفَعَلُوا.

(فَجَعَلْنَاهُمْ)

(٩٨) - فَأَرَادُوا بِهٖ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ
وَالنَّصَرَ عَلَيْهِمْ.

﴿١١﴾ فَرَاغَ إِلَى إِلَهِ الْبَهِيمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ

﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ

﴿١٣﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ

﴿١٤﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ

﴿١٥﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ

﴿١٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

﴿١٧﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَقْدِفُوهُ

فِي الْجَحِيمِ

﴿١٨﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ

الْأَسْفَلِينَ

﴿١١﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ

(٩٩) - وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِمَا يَسِّرُ مِنْ إِيْمَانِهِمْ: إِنِّي مُفَارِقٌ هَذِهِ الدَّيَّارِ، وَمُهَاجِرٌ إِلَىٰ أَرْضٍ أَتَفَرَّغُ فِيهَا لِعِبَادَةِ رَبِّي، وَإِنَّهُ تَعَالَىٰ سَيِّدِي إِلَىٰ مَا فِيهِ صَلَاحٌ دِينِي وَدُنْيَايَ، وَهَاجِرٌ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ.

﴿١٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ

(الصَّالِحِينَ)

(١٠٠) - وَلَمَّا هَاجَرَ مِنْ أَرْضِهِ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ ذُرِّيَّةً مِنَ الصَّالِحِينَ الْمُطِيعِينَ الَّذِينَ يُعِينُونَهُ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ الدَّعْوَةِ وَيَتَوَلَّوْنَهَا بَعْدَهُ.

﴿١١﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ

(فَبَشَّرْنَاهُ) (بِغُلَامٍ)

(١٠١) - فَبَشَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِمَوْلُودٍ لَهُ يَبْلُغُ الْحُلُمَ، وَيَكُونُ حَلِيمًا - وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَىٰ أَصَحِّ الْأَقْوَالِ.

﴿١٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

(يَا بُنَيَّ) (يَا أَبَتِ) (الصَّابِرِينَ)

(١٠٢) - فَلَمَّا كَبُرَ وَتَرَعَرَ، وَصَارَ يَذْهَبُ مَعَ أَبِيهِ، وَيَسْعَىٰ فِي أَشْغَالِهِ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِ قَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بُنَيَّ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَمَا رَأَيْكَ؟ وَقَدْ قَصَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ لِيَعْلَمَ صَبْرَهُ، وَمَا يَرَاهُ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْإِيتِلَاءِ، وَلِيُوطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى الذَّبْحِ أَكْتِسَابًا لِلْمُثُوبَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ. فَرَدَّ إِسْمَاعِيلُ عَلَىٰ أَبِيهِ قَائِلًا: يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ، وَسَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْإِيتِلَاءِ، وَعَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ. بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ - دَرَجَ فِي الْعَمَلِ مَعَهُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ.

يَبْنِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ
قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ

﴿١٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ

(١٠٣) - فَلَمَّا اسْتَسْلَمَا وَاتَّقَادَا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَقَوَّضَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ الْأَمْرَ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَكَبَّ إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ عَلَىٰ جَبْهَتِهِ (تَلَّهُ لِلْجَبِينِ)، حَتَّى لَا يَرَىٰ وَجْهَهُ فَيَسْتَفِيقَ عَلَيْهِ، وَيَضَعُفَ عَنْ إِنْقَادِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ. (وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أَسْلَمَا - اسْتَسْلَمَا وَاتَّقَادَا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ. تَلَّهُ لِلْجَبِينِ - أَضْجَعَهُ عَلَىٰ جَبْهَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ.

﴿١٤﴾ وَتَدَيَّنَّهُ أَنْ يَدَّ إِبْرَاهِيمُ

(نَادَيْتَاهُ) (يَا إِبْرَاهِيمُ)

(١٠٤) - وَعَلِمَ اللَّهُ تَعَالَىٰ صِدْقَ إِبْرَاهِيمَ وَآثِنَهُ فِي الْإِخْتِبَارِ، فَتَنَادَىٰ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ ذَلِكَ.

(الرُّؤْيَا)

(١٠٥) - وَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ لَقَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا بِعِزِّكَ عَلَى ذَنْبِ آتِيكَ
إِطَاعَةً لِأَمْرِ رَبِّكَ، فَحَصَلَ الْمُقْصُودُ
وَهَكَذَا يَجْزِي اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ الْمُطِيعِينَ، فَيَصْرِفُ عَنْهُمْ الْمَكَائِدَ
وَالشَّدَائِدَ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرْجًا وَمَخْرَجًا.

(الْبَلَاءُ)

(١٠٦) - وَهَذَا الْإِتْلَاءُ الَّذِي أَتَلَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَاهُ لَهُوَ الْإِتْلَاءُ الَّذِي
أَبَانَ جَوْهَرَ إِيمَانِهِمَا وَيَقِينَهُمَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، إِذْ أَمَرَهُ رَبُّهُ بِذَنْبِ آتِيهِ
فَسَارَعَ هُوَ وَأَبْنَاهُ إِلَى ذَلِكَ مُسْتَسْلِمِينَ، خَاضِعِينَ مُنْقَادِينَ لِأَمْرِ رَبِّهِمَا.
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ - الْاِخْتِيَارُ الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ.

(فَدَيْنَاهُ)

(١٠٧) - وَفَدَى اللَّهُ تَعَالَى إِسْمَاعِيلَ بِكَبْشٍ سَمِينٍ ضَخْمٍ قَامَ إِبْرَاهِيمُ
بِذَبْحِهِ بَدَلًا مِنْ ذَنْبِ آتِيهِ.
بِذَنْبِ عَظِيمٍ - بِكَبْشٍ يُذْبَحُ.

(الْآخِرِينَ)

(١٠٨) - وَتَرَكَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذِكْرًا حَسَنًا عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا،
وَجَعَلَهُ مُحِبًّا لِلنَّاسِ جَمِيعًا.

(سَلَامٌ) (إِبْرَاهِيمَ)

(١٠٩) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ فِي الْمَلَائِكَةِ
وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

(١١٠) - وَيَجْزِي اللَّهُ تَعَالَى الْمُحْسِنِينَ الصَّابِرِينَ مِنْ عِبَادِهِ مِثْلَ هَذَا
الْجَزَاءِ الْحَسَنِ.

(١١١) - لَقَدْ كَانَ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِينَ الْمُخْلَصِينَ.

(وَبَشَّرْنَاهُ) (إِسْحَاقَ) (الصَّالِحِينَ)

(١١٢) - وَبَشَّرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِأَنَّهُ سَيُولَدُ لَهُ أَبْنَاهُ
إِسْحَاقُ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَ
كَانَ إِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ بَعْدَ حَادِثَةِ الذَّبْحِ وَلَدَ إِسْحَاقَ.

﴿١٠٥﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا يَا إِبْرَاهِيمُ

يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

﴿١٠٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ

﴿١٠٧﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ

﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ

﴿١٠٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ

﴿١١٠﴾ كَذَلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

﴿١١١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ

﴿١١٢﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ

الصَّالِحِينَ

(بَارَكْنَا) (إِسْحَاقَ)

(١١٣) - وَأَفَاضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ بَرَكَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَكَثُرَ نَسْلُهُمَا، وَجَعَلَ مِنْهُمَا أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا وَجَعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أَنْسَاءَ مُحْسِنِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ، مُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمْ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ.

(هَارُونَ)

(١١٤) - وَأَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ مُوسَى وَهَارُونَ بِالنُّبُوَّةِ وَالنَّصْرِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ.

(نَجَّيْنَاهُمَا)

(١١٥) - وَنَجَّاهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا، مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ تَحْتَ حُكْمِ فِرْعَوْنَ، الَّذِي كَانَ يَسْتَخْدِمُهُمْ فِي أَخْسِ الْأَعْمَالِ وَأَشَقِّهَا، وَكَانَ يَقْتُلُ الذُّكُورَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ، وَيَسْتَحْيِي النِّسَاءَ.

(نَصَرْنَاهُمْ) (الْفَالِغِينَ)

(١١٦) - وَنَصَرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَعْدَائِهِمَا فَعَلَبَاهُم.

(الْكِتَابَ) (آتَيْنَاهُمَا)

(١١٧) - وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ الْكِتَابَ الْجَلِيلِي الْوَاضِحَ، الْجَامِعَ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَشَرُ فِي مَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، وَهُوَ التَّوْرَةُ.

(هَدَيْنَاهُمَا) (الصِّرَاطَ)

(١١٨) - وَأَرْشَدَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَى.

(الْآخِرِينَ)

(١١٩) - وَأَبْقَى اللَّهُ لَهُمَا الذِّكْرَ الْحَسَنَ، وَالنِّسَاءَ الْجَمِيلَ فِيمَنْ أَتَوْا بَعْدَهُمَا.

(سَلَامَ) (هَارُونَ)

(١٢٠) - وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ وَالْإِنْسَ وَالْجِنَّ يُسَلِّمُونَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدَ الدَّهْرِ.

(١٢١) - وَمِثْلُ هَذَا الْجَزَاءِ الَّذِي جَازَى اللَّهُ بِهِ مُوسَى وَهَارُونَ، يَجْزِي بِهِ اللَّهُ تَعَالَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ.

﴿١١٣﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ

ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ مُبِينٌ

﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ

﴿١١٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ

﴿١١٦﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْفَالِغِينَ

﴿١١٧﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَدِينَ

﴿١١٨﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

﴿١١٩﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ

﴿١٢٠﴾ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ

﴿١٢١﴾ إِنَّكَ ذَٰلِكَ تَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ

(١٢٢) - لَاتِهَمَّا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُتَّقِينَ لِأَمْرِهِ، وَالْعَامِلِينَ فِي طَاعَتِهِ.

(١٢٣) - يُقَالُ إِنَّ إِلْيَاسَ هُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ نَبِيٌّ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ عَبَدُوا الصَّنَمَ (بَعْلًا)، فَدَعَاهُمْ نَبِيُّهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَنَهَاَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ.

(١٢٤) - فَحَذَّرَ قَوْمَهُ بِأَسِ اللَّهِ، وَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تَخَافُونَ اللَّهَ فَتَمْتَلُوا لِأَوَامِرِهِ، وَتَتْرَكُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ؟

(الْخَالِقِينَ)

(١٢٥) - أَتَعْبُدُونَ الصَّنَمَ (بَعْلًا)، وَتَتْرَكُونَ عِبَادَةَ مَنْ خَلَقَكُمْ، وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ، وَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ. أَتَدْعُونَ بَعْلًا - أَتَعْبُدُونَ الصَّنَمَ بَعْلًا.

(آبَائِكُمْ)

(١٢٦) - وَاللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَاءِ السَّالِفِينَ فَهُوَ الْحَقِيقُ بِالْعِبَادَةِ.

(١٢٧) - فَكَذَّبُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ ضَرُورَةِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَسَيَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ فِي الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. لَمُحْضَرُونَ - تُحْضِرُهُمُ الرِّبَابِيَّةُ فِي النَّارِ.

(١٢٨) - إِلَّا الَّذِينَ عَبَدُوا اللَّهَ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ، فَهَؤُلَاءِ لَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(الْآخِرِينَ)

(١٢٩) - وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ ذِكْرًا حَسَنًا بَيْنَ النَّاسِ تَتَنَاقَلُهُ الْأَجْيَالُ، وَجَعَلَهُ مُحِبًّا إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا.

(سَلَامٌ)

(١٣٠) - سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى إِلْيَاسَ (وَأِلْيَاسِينَ لَعْنَةُ فِي إِلْيَاسَ).

(١٣١) - وَمِثْلُ هَذَا الْجَزَاءِ الْحَسَنِ الَّذِي جَازَى اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ إِلْيَاسَ، يُجَازَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ السَّابِقِينَ الْمُحْسِنِينَ.

(١٣٢) - وَإِنَّ إِلْيَاسَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ.

١٢٢ إِتِهَمَّا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ

١٢٣ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ

١٢٤ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ كُفَّارُونَ

١٢٥ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ

١٢٦ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ

١٢٧ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ

١٢٨ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ

١٢٩ وَرَكَعًا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ

١٣٠ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ

١٣١ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

١٣٢ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ

(١٣٣) - وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَ لُوطًا إِلَى أَهْلِ سَدُومَ وَكَانُوا قَدْ أَتَوْا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ مَا لَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ فَنَصَحَهُمْ، وَطَالَبَهُمْ بِالْكَفِّ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ، وَالْكَفْرِ، وَالْبَغْيِ، فَلَمْ يَنْتَصِحُوا فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا.

(نَجْيَانُهُ)

(١٣٤) - وَنَجَّى اللَّهُ لُوطًا وَأَهْلَهُ مِمَّا أَنْزَلَهُ بِقَوْمِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْدَّمَارِ.

(الْغَابِرِينَ)

(١٣٥) - وَلَمْ يَسْتَنْ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ أَهْلِ لُوطٍ الَّذِينَ أَنْجَاهُمْ مِنَ الدَّمَارِ الَّذِي أَنْزَلَهُ بِقَوْمِ لُوطٍ إِلَّا أَمْرَاتَهُ الَّتِي بَقِيَتْ مَعَ قَوْمِهَا، فَهَلَكَتْ مَعَهُمْ. فِي الْغَابِرِينَ - فِي الْبَاقِينَ أَوْ فِي الْهَالِكِينَ.

(الْآخِرِينَ)

(١٣٦) - ثُمَّ أَهْلَكَ اللَّهُ الْقَوْمَ جَمِيعًا، فَخَسَفَ بِهِمُ الْأَرْضُ، وَجَعَلَ عَالِي قَرْيَتِهِمْ سَافِلِهَا، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

(١٣٧) - وَإِنَّكُمْ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَتَمْرُونَ بِقَوْمِ لُوطٍ مُصْبِحِينَ، وَأَنْتُمْ فِي طَرِيقِكُمْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ ذَاهِبِينَ آيِسِينَ. مُصْبِحِينَ - دَاخِلِينَ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ.

(بِاللَّيْلِ)

(١٣٨) - كَمَا تَمْرُونَ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيْلِ أَيْضًا، وَتَرَوْنَ آثَارَهُمْ، وَكَيْفَ أَصْبَحَتْ دِيَارُهُمْ خَرَابًا يَبَابًا، وَالْمَقْرُوضُ فِيكُمْ أَنْ تَعْتَبِرُوا، وَتَنْتَعِظُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِؤُلَاءِ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ عُقُولٌ تَعِي وَتَذَرُكُ، فَتَقْلَعُوا عَنِ الْكُفْرِ وَالْفَسَادِ وَالْعُتُوِّ وَالْعَصْيَانِ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِ اللَّهِ.

(١٣٩) - وَإِنَّ يُونُسَ رَسُولَ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ تَعَالَى، (وَقَدْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَهْلِ نِينَوَى، وَكَانَتْ عَاصِمَةَ الْأَشُورِيِّينَ فِي وَقْتِ مَا، وَهِيَ قُرْبُ الْمَوْصِلِ).

(١٤٠) - إِذْ خَرَجَ مُغَاضِبًا قَوْمَهُ بَعْدَ أَنْ أَنْذَرَهُمْ بِحُلُولِ عَذَابِ اللَّهِ بِهِمْ، وَهَرَبَ بِغَيْرِ إِذْنِ رَبِّهِ، وَرَكِبَ فِي سَفِينَةٍ مُحْمَلَةٍ بِالْبَضَائِعِ وَالرُّكَّابِ. أَبَقَ الْعَبْدُ - هَرَبَ مِنْ سَيِّدِهِ.

الْمَشْحُونُ - الْمَمْلُوءُ بِالْحُمُولَةِ.

(١٣٣) وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ

(١٣٤) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ

(١٣٥) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ

(١٣٦) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ

(١٣٧) وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ

(١٣٨) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

(١٣٩) وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ

(١٤٠) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ

﴿١٤١﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ

(١٤١) - وَعَرَضَ لِلسَّيْفَةِ عَارِضٌ أَقْتَضَى أَنْ يُتَخَفَّفَ مِنْ حُمُولَتِهَا، فَاقْتَرَعَ الرُّكَّابُ عَلَى مَنْ يَكُونُ هُوَ الَّذِي يُلْقَى فِي الْمَاءِ تَخْفِيفًا عَنِ السَّيْفَةِ، فَخَرَجَ سَهْمٌ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ مِنَ الْمَغْلُوبِينَ فِي الْقُرْعَةِ فَالْقِي فِي الْبَحْرِ.

فَسَاهَمَ - فَفَارَعَ مَنْ فِي الْفُلِّكِ.
الْمُدْحَضِينَ - الْمَغْلُوبِينَ بِالْقُرْعَةِ.

﴿١٤٢﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ

(١٤٢) - فَابْتَلَعَهُ الْحُوتُ، وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْمَلَامَةِ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ خُرُوجِهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِ قَوْمِهِ بِغَيْرِ إِذْنِ رَبِّهِ، وَتَحْلِيهِ عَنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَالِدَعْوَةِ تَسْتَدْعِي الصَّبْرَ وَالثَّبَاتَ.
فَالْتَقَمَهُ - فَابْتَلَعَهُ.
مُليِمٌ - آتٍ بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ.

﴿١٤٣﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ

(١٤٣) - وَلَوْلَمْ يَكُنْ مِنَ الذَّاكِرِينَ رَبَّهُمْ كَثِيرًا، وَالْمُسَبِّحِينَ بِحَمْدِهِ.

﴿١٤٤﴾ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ

(١٤٤) - لَلْبَيْتِ مَيْتًا فِي بَطْنِ الْحُوتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَلَكَانَ طَعَامًا يَتَغَذَّى بِهِ الْحُوتُ.

(فَنَبَذْنَاهُ)

﴿١٤٥﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ

(١٤٥) - فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْحُوتَ بِأَنْ يُلْقِيَهُ فِي مَكَانٍ خَالٍ لَا شَجَرَ فِيهِ وَلَا نَبَاتَ، وَهُوَ غَلِيلُ الْجِسْمِ، سَقِيمُ النَّفْسِ.
فَنَبَذْنَاهُ - فَطَرَحْنَاهُ فِي الْأَرْضِ الْفُضَاءِ.



﴿١٤٦﴾ وَأَبْلَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ

(١٤٦) - فَأَنْبَتَ اللَّهُ بِجَانِبِهِ شَجَرَةً يَقْطِينٌ تُظِلُّهُ بِأَوْرَاقِهَا، وَتَقِيهِ لَفْحُ الشَّمْسِ، وَيَأْكُلُ ثَمَرُهَا.

الْيَقْطِينُ - الْفَرْعُ الْمَعْرُوفُ (وَقِيلَ بَلْ هُوَ شَجَرُ الْمَوْرِ).

(أَرْسَلْنَاهُ)

﴿١٤٧﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلِفٍ أَوْ يَزِيدُونَ

(١٤٧) - ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ أَنْ شَفِيَ، وَرَضِيَ عَلَيْهِ رَبُّهُ، بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَكَانَ عَدَدُهُمْ كَثِيرًا قَدْ يَتَجَاوَزُ مِئَةَ آلْفٍ، فَاسْتَقَامَتْ حَالُهُمْ مَعَهُ، لِأَنَّهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنْهُمْ، خَافُوا عَذَابَ اللَّهِ، وَمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ يُؤْنَسُ، فَخَرَجُوا خَارِجَ الْبَلَدِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَمَوَاشِيَهُمْ، وَجَازَوْا إِلَى اللَّهِ بِالْذُّعَاءِ، وَأَعْلَنُوا التَّوْبَةَ لِرَبِّهِمْ، فَأَنْجَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ، وَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِمْ يُؤْنَسُ انْقَضَوْا حَوْلَهُ.

(فَأَمُّنُوا) (فَمَتَّعْنَاهُمْ)

(١٤٨) - فَأَمُّنُوا بِاللَّهِ، وَبِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ نَبِيُّهُمْ يُونُسَ، فَمَتَّعْنَاهُمْ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَتَّى حَانَتْ آجَالُهُمْ، فَهَلَكُوا فِيمَنْ هَلَكَ.

(١٤٩) - فَسَلِّ يَا مُحَمَّدُ قَوْمَكَ مُوبِخاً وَمُقَرَّعاً بِإِسَاءِهِمْ عَلَى ضَعْفِ عُقُولِهِمْ، وَسُخْفِ مُعْتَقَدَاتِهِمْ: أَيْجَعِلُونَ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُنَّ بَنَاتُ اللَّهِ، وَيَجَعِلُونَ الذُّكُورَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ الْبَنَاتِ أَشَدَّ الْكَرْهِ، وَيَأْبُونَ أَنْ تُنْسَبَ إِلَيْهِمُ الْبَنَاتُ، فَمِنْ أَيْنَ جَاؤُوا بِهِذِهِ الْقِسْمَةِ الْجَائِزَةِ؟

(الْمَلَائِكَةُ) (إِنَاثًا) (شَاهِدُونَ)

(١٥٠) - وَهَلْ كَانُوا شُهَدَاءَ حِينَ خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَرَأَوْا أَنَّهُ خَلَقَهُمْ إِنَاثًا؟ وَبِمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا خَلَقَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَتَهُ، وَلَيْسَ لَهُمْ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَلَا حُجَّةٌ.

(١٥١) - وَمَا جَرَّاهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْبَاطِلِ إِلَّا أَعْتَقَادُهُمْ كَذِبًا وَافْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ: إِنْكَهَم - كَذِبَهُمْ عَلَى اللَّهِ.

(لَكَاذِبُونَ)

(١٥٢) - وَقَوْلُهُمْ إِنَّ لِلَّهِ وَلَدًا. وَهُوَ افْتِرَاءٌ قَبِيحٌ، وَإِنْكَ صَرِيحٌ لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ فِيهِ، وَلَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَى صِحَّتِهِ، وَهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ.

(١٥٣) - وَأَيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَخْتَارَ لِنَفْسِهِ الْبَنَاتِ وَيَتْرُكَ لَهُمُ الْبَنِينَ؟ وَكَفَّارُ قُرَيْشٍ يُفَضِّلُونَ الْبَنِينَ عَلَى الْبَنَاتِ وَيَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِهِمُ الْبَنِينَ فِيمَا لَوْ كَانَ لَهُمْ خِيَارٌ.

أَصْطَفَى - اخْتَارَ - اسْتَفْهَمَ تَوْبِيخٌ.

(١٥٤) - أَمَّا لَكُمْ عُقُولٌ تَتَدَبَّرُونَ بِهَا مَا تَقُولُونَ، وَتَتَفَكَّرُونَ فِي صِحَّةِ مَا تَقُولُونَ؟ فَالْعَقْلُ يَقْضِي بِطُلَانِ ذَلِكَ.

(١٥٥) - أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ذَلِكَ، وَتَعْقِلُونَهُ لِتَعْرِفُوا خَطَأَ مَا تَعْتَقِدُونَ وَلِتَرْجِعُوا عَمَّا تَقُولُونَ؟

١٤٨ فَأَمُّنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ

١٤٩ فَاسْتَفْتَيْتَهُمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتِ وَلَهُمُ الْبَنُونَ

١٥٠ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ

١٥١ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْكَهَم لَيَقُولُونَ

١٥٢ وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

١٥٣ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ

١٥٤ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

١٥٥ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ

﴿١٥٦﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ

﴿١٥٧﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

﴿١٥٨﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا
وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ أَنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ

﴿١٥٩﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ

﴿١٦٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ

﴿١٦١﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ

﴿١٦٢﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ

﴿١٦٣﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ

(سُلْطَانٌ)

(١٥٦) - أَمْ لَكُمْ حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ وَاضِحَانِ عَلَى صِحَّةِ مَا تَقُولُونَ وَتَعْتَقِدُونَ، نَزَلَ بِهِمَا وَحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ؟
سُلْطَانٌ - حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ.

(بِكِتَابِكُمْ) (صَادِقِينَ)

(١٥٧) - وَإِذَا كَانَ قَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ وَحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَرُونِي هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ.

(١٥٨) - وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ تَعَالَى. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَنْ أُمَهَاتُهُنَّ؟ قَالُوا: بَنَاتُ سُرَوَاتِ الْجِنِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يَرُدُّ بِهَا عَلَى مَقَالَتِهِمْ.

وَيُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْجِنَّ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ الْمُفْتَرَى، لَمُحْضَرُونَ فِي الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِكُذِّبِهِمْ وَأَفْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ.

الْجَنَّةُ - الشَّيَاطِينُ - (وَهَذَاكَ مَنْ قَالَ بَلْ هُمْ الْمَلَائِكَةُ).
إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ - إِنَّ الْكُفَّارَ لَمُحْضَرُونَ فِي النَّارِ لِلْعَذَابِ.

(سُبْحَانَ)

(١٥٩) - تَعَالَى اللَّهُ وَتَزَهَّ وَتَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَعَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَسِيبٌ، وَعَمَّا يَصِفُهُ الظَّالِمُونَ، وَتَعَالَى عُلُوًّا كَبِيرًا.

(١٦٠) - وَلَكِنْ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ، الْمُتَّبِعِينَ لِلْحَقِّ الْمُنَزَّلِ عَلَى الرُّسُلِ، نَاجُونَ فَلَا يُحْضَرُونَ إِلَى النَّارِ، وَلَا يُعَذَّبُونَ فِيهَا.

(١٦١) - فَإِنَّكُمْ أَهْلُ الضَّالُّونَ الْمُشْرِكُونَ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ.

(بِفَاتِنِينَ)

(١٦٢) - لَا يَتَّبِعُ لَكُمْ فِتْنَةٌ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا إِضْلَالٌ أَحَدٍ، وَصَرَفُهُ عَنِ الْهُدَى.

عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ - بِمُضِلِّينَ أَوْ مُفْسِدِينَ عَلَى اللَّهِ أَحَدًا.

(١٦٣) - إِلَّا مَنْ قَدَّرَ اللَّهُ ضَلَالَتَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.
صَالٍ الْجَحِيمِ - دَاخِلُهَا أَوْ مُقَاسٍ حَرَّهَا.

﴿١٦٤﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ

(١٦٤) - وَإِنَّ لِكُلِّ مِنَّا مَرْتَبَةً لَا يَتَجَاوَزُهَا فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِنْتِهَاءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، خُضُوعًا لِعَظَمَتِهِ، وَخُشُوعًا لِهَيْبَتِهِ.
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ تَنْزِيهِ الْمَلَائِكَةِ مِمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِمُ الْكُفَّارُ كَذِبًا وَأَفْتِرَاءً مِنْ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ. (رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبْنُ جَرِيرٍ).

﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَنْفِصُ الصَّافُونَ

(١٦٥) - وَإِنَّا لَنَنْفِصُ صُفُوفًا فِي أَدَاءِ الطَّاعَاتِ وَمَنَازِلِ الْكِرَامَاتِ، لِكُلِّ مِنَّا مَنَزَلَةٌ لَا يَتَعَدَّاهَا، وَمَرْتَبَةٌ لَا يَتَخَطَّاهَا.
(وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: كَانُوا لَا يَصِفُونَ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَصَفُوا).

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: فَضَّلْنَا اللَّهَ عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلْنَا صُفُوفًا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا، وَتُرْبَتُهَا طَهُورًا).
(رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

الصَّافُونَ - أَنْفُسَنَا فِي مَقَامِ الْعِبَادَةِ.

﴿١٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَنْحِنُ الْمُسَبِّحُونَ

(١٦٦) - وَإِنَّا لَنَنْفِصُ صُفُوفًا فِي الصَّلَاةِ فَنَسْبِحُ الرَّبَّ، وَنُحَمِّدُهُ، وَنُزَيِّهُهُ عَنِ النَّقَائِصِ، فَنَحْنُ عِبِيدُ لَهُ، فَقَرَاءُ إِلَيْهِ، خَاضِعُونَ لِأَمْرِهِ.
الْمُسَبِّحُونَ - الْمُتَزَهِّوْنَ اللَّهَ تَعَالَى عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ.

(١٦٧) - وَقَدْ كَانُوا يَتَمَنُّونَ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّكَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَا مُحَمَّدُ:

(١٦٨) - أَنْ لَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ مَنْ يَذْكُرُهُمْ بِأَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ، وَأَنْ يَأْتِيَهُمْ بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى يَتَضَمَّنُ شَرَائِعَهُ، وَأَخْبَارَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ.

﴿١٦٩﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ

(١٦٩) - لَكُنَّا نَحْنُ أَوْلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَلَكُنَّا أَوْفَى سَبِيلًا مِمَّنْ سَبَقَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ السَّابِقِينَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

﴿١٧٠﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

(١٧٠) - وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِيمَا يَقُولُونَ وَيَتَمَنُّونَ، لِأَنَّهُمْ حِينَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يُبَلِّغُهُمْ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَيَنْصَحُ لَهُمْ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قُرْآنٍ، كَذَبُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ، وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَعَصَوْا اللَّهَ، وَأَصْرُوا عَلَى شِرْكِهِمْ. وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَسَيَرَوْنَ مَا يَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَنَقِمِهِ.

(١٧١) - وَلَقَدْ سَبَقَ وَعْدُ اللَّهِ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلرُّسُلِ
وَاتَّبَاعِهِمُ الْمُخْلِصِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١٧٢) - وَأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُمْ وَيُزِيلُ أَعْدَاءَهُمْ وَأَعْدَاءَ اللَّهِ.

(الْغَالِبُونَ)

(١٧٣) - وَإِنَّ جُنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا،
سَتَكُونُ لَهُمُ الْغَلَبَةُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فِي الْحَرْبِ.

(١٧٤) - وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، وَأَصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ، وَانْتَظِرْ مُدَّةً
قَلِيلَةً، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ الْعَاقِبَةَ، وَالنَّصْرَ وَالْغَلَبَةَ.

(١٧٥) - وَانْتَظِرْ وَارْتَقِبْ فَسَيَرُونَ مَا سَيَجِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ.

(١٧٦) - إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَسْتَعْجِلُونَ وَقُوعَ الْعَذَابِ لِأَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ لِمَا تَقُولُ،
وَمُنْكَرُونَ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْجِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَمُسْتَبْعِدُونَ حُلُولَ
الْعَذَابِ بِهِمْ، كَمَا تُوْعِدُهُمْ، وَاللَّهُ سَيَنْزِلُ عَذَابُهُ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ.

(١٧٧) - فَإِذَا نَزَلَ الْعَذَابُ بِهِمْ وَبِمَحَلَّتِهِمْ (بِسَاحَتِهِمْ)، فَبُشِّ
الصَّبَاحُ صَبَاحُهُمْ، وَبُشِّ الْيَوْمِ يَوْمُهُمْ لِهَلَاكِهِمْ وَدَمَارِهِمْ، فَقَدْ
أَنْذَرَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ بِالْعَذَابِ فَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ، وَاسْتَعْجَلُوا عَذَابَ اللَّهِ.
بِسَاحَتِهِمْ - بِفَنَائِهِمْ أَيْ نَزَلَ بِهِمْ.

(١٧٨) - وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، وَأَصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ، وَانْتَظِرْ مُدَّةً قَلِيلَةً
فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ الْعَاقِبَةَ، وَالنَّصْرَ، وَالْغَلَبَةَ.

(١٧٩) - وَانْتَظِرْ وَارْتَقِبْ فَسَوْفَ يَرَوْنَ مَا يَجِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ.

(سُبْحَانَ)

(١٨٠) - يُقَدِّسُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ، وَيُنْزِلُهَا عَمَّا يَقُولُهُ الظَّالِمُونَ
الْمُفْتَرُونَ، فَهُوَ رَبُّ الْعِزَّةِ الَّتِي لَا تَرَامُ وَلَا تُغَالَبُ.
رَبُّ الْعِزَّةِ - رَبُّ الْقُدْرَةِ وَالْغَلَبَةِ وَالْبَطْشِ.

(سَلَامٌ)

(١٨١) - وَيُسَلِّمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُرْسَلِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١٧١) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا

الْمُرْسَلِينَ

(١٧٢) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ

(١٧٣) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ

(١٧٤) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ

(١٧٥) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ

(١٧٦) أَفِعْدَا إِنَّا يَسْتَعْجِلُونَ

(١٧٧) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ
الْمُنْذَرِينَ

(١٧٨) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ

(١٧٩) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ

(١٨٠) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا
يَصِفُونَ

(١٨١) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

(الْعَالَمِينَ)

(١٨٢) - وَيَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ فِي آخِرِ السُّورَةِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُخْلَصِينَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ، وَعَلَى خَلْقِهِ مِنْ أَنْعَمِ وَأَفْضَالٍ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ.

(٣٨) سُورَةُ صَاحِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا هَمْدَانُ وَشَاهِدُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ

(والقرآن)

(١) - صَادٌ - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ .

أَتَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ ذِي الشَّرَفِ وَالرُّفْعَةِ، الْمُشْتَمِلِ عَلَى مَا فِيهِ ذِكْرٌ لِلْعِبَادِ، وَنَفْعٌ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ وَمَعَادِهِمْ .

(وَجَوَابُ الْقَسَمِ هُوَ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً) .

وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ جَوَابَ الْقَسَمِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ .

ذِي الذِّكْرِ - ذِي الشَّرَفِ وَالرُّفْعَةِ، أَوْ ذِي الْبَيَانِ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ .

(٢) - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْقُرْآنِ لَمْ يَكْفُرُوا بِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا فِيهِ عِبْرَةً وَعِظَةً وَذِكْرًا، وَإِنَّمَا كَفَرُوا بِهِ اسْتِكْبَارًا وَحِمِيَّةً (عِزَّةً)، وَمُخَالَفَةً وَمُشَاقَّةً لِلرُّسُولِ .

عِزَّةٌ - حِمِيَّةٌ وَتَكَبُّرٌ عَنِ الْأَنْصِياعِ لِلْحَقِّ .

شِقَاقٌ - مُخَالَفَةٌ وَمُخَالَفَةٌ لِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ .

﴿٢﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ

﴿٣﴾ كَرَاهِلِكُم مِّن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا

وَلَا تَجِئْ مِنَّا

(٣) - يُنَبِّئُهُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُشَاقِّينَ لِلرُّسُولِ الْكَرِيمِ إِلَى أَنَّهُ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَثِيرًا مِنَ الْأُمَمِ (مِنْ قَرْنٍ) الْمَكْدُوبَةِ، فَنَادَوْا جِئْ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ، وَاسْتَغَاثُوا وَجَارُوا إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ، فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا، لِأَنَّ أَوَانَ الْعَمَلِ وَالتَّوْبَةِ قَدْ فَاتَتْ، وَجَاءَ الْبَاسُ، فَلَيْسَ الْوَقْتُ وَقْتُ فِرَارٍ وَهَرَبٍ مِنَ الْعِقَابِ .

كَمْ أَهْلَكْنَا - كَثِيرًا مَا أَهْلَكْنَا .

قَرْنٍ - أُمَّةٌ .

فَنَادَوْا - فَاسْتَغَاثُوا جِئْ عَاثُوا الْعَذَابَ .

وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ - لَيْسَ الْوَقْتُ وَقْتُ فِرَارٍ وَخَلَاصٍ .

(الْكَافِرُونَ) (سَاحِرٌ)

(٤) - وَتَعَجُّبُوا مِنْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَشَرٌ مِثْلَهُمْ يَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ لِيَدْعُوَهُمْ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَا يُمَيِّزُهُ عَنْهُمْ لِيَخْتَصِمَهُ اللَّهُ بِحَمْلِ رِسَالَتِهِ مِنْ دُونِهِمْ، وَقَالَ الْكَافِرُونَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلُ مَا هُوَ إِلَّا خَدَاعٌ كَذَّابٌ فِيمَا يُنْسِبُهُ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِرسَالِهِ إِلَيْهِمْ رَسُولًا لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ .

(وَاحِدًا)

(٥) - أَيْزَعُمُ أَنَّ الْمَعْبُودَ إِلَهُ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ؟ ثُمَّ تَعَجُّبُوا مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِقْلَاعِ عَنِ الشَّرِكِ الَّذِي أَشْرَبَتْهُ نَفُوسُهُمْ، وَتَلَقَّوْهُ عَنْ أَسْلَافِهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُثِيرُ الْعَجَبَ الشَّدِيدَ .

(وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَالَّتِي تَلِيهَا، أَنَّهُ لَمَّا مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتُمُ إِلَهَنَا، فَلَوْ نَعَتْنَا إِلَيْهِ فَهَتَيْتَهُ . فَبَعَثَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ وَعِنْدَهُ الْقَوْمُ . فَقَالَ لَهُ: أَيُّ ابْنِ أَخِي مَا يَقُومُ بِكَ بِشُكْرِكَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَهُمْ، وَتَقُولُ وَتَقُولُ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: إِنِّي أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي لَهُمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجَزْيَةَ، فَفَرَحُوا لِكَلِمَتِهِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: وَمَا هِيَ وَأَبِيكَ لَنُعْطِيَنَّكَهَا وَعَشْرًا . قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَقَامُوا فَرَحِينَ يَنْفُضُونَ أَثْوَابَهُمْ وَيَقُولُونَ: أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ) .

عَجَابٌ - بَالِغُ الْغَايَةِ فِي الْعَجَبِ - أَوْ مُثِيرٌ لِلْعَجَبِ .

(آلِهَتِكُمْ)

(٦) - وَأَنْطَلَقَ قَادَةُ قُرَيْشٍ (الْمَلَأُ) مِنْ مَجْلِسِ أَبِي طَالِبٍ يَأْتِسِينَ لِمَا رَأَوْهُ مِنْ تَصَلُّبِ مُحَمَّدٍ فِي دِينِهِ، يَتَحَارُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَوْلَ مَا جَرَى، وَيَقْلِبُونَ أَوْجَهُ الرَأْيِ فِيمَا يَقُولُونَ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اثْبُتُوا عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِكُمْ، وَاحْتَمِلُوا الْقَذْحَ فِيهَا، وَالْغَضَّ مِنْ شَأْنِهَا، وَلَا تَسْتَجِيبُوا لِمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنَ التَّوْحِيدِ، فَهَذَا الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَنَالَ بِهِ الشَّرْفَ، وَالرَّفْعَةَ، وَالِاسْتِعْلَاءَ عَلَيْكُمْ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْكُمْ أَتْبَاعٌ، وَلَسْنَا بِمُسْتَجِيبِينَ لَهُ، (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) .

الْمَلَأُ مِنْهُمْ - كِبَرَاءُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ .

أَمْشُوا - سِيرُوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ وَدِينِكُمْ .

وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ

أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ

وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَشُوا

وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ

(الْآخِرَةُ) (اخْتِلَاقُ)

(٧) - مَا سَمِعْنَا بِهَذَا الَّذِي يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ فِي مِلَّةِ النَّصَارَى (الْمِلَّةُ الْآخِرَةُ)، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالتَّثْلِيثِ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُ الدِّينُ الَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثُمَّ إِنْ مُحَمَّدًا لَوْ كَانَ نَبِيًّا حَقًّا لَأَخْبَرْتَهُمْ بِهِ النَّصَارَى، وَبِمَا أَنَّهُمْ لَمْ يُخْبِرُوهُمْ بِهِ فَإِنَّ الدِّينَ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مَا هُوَ إِلَّا كَذِبٌ وَاخْتِلَاقٌ وَتَحْرُصُ.

الْمِلَّةُ الْآخِرَةُ - مِلَّةُ النَّصَارَى.

اخْتِلَاقٌ - افْتِرَاءٌ وَكَذِبٌ.

(الْأَنْزِلُ)

(٨) - إِنَّهُ مِنَ الْبَعِيدِ أَنْ يَخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا مِنْ بَيْنِهِمْ بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ، وَبَجْعِلِهِ رَسُولًا مَعَ أَنَّ بَيْنَهُمْ ذَوِي الْجَاهِ وَالْفُؤُودِ وَالْثَرَاءِ الْعَرِضِ. وَيَقْرَعُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَهَذَا الشَّكِّ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ تِلْكَ الدَّلَائِلِ الَّتِي لَوْ أَنَّهُمْ تَابَعُوهَا لَزَالُوا مَا يَسْتَشْعِرُونَهُ مِنَ الشَّكِّ، لِأَنَّهَا دَالَّةٌ بِنَفْسِهَا عَلَى صِحَّةِ بُرْهَانِهِ. وَلَكِنَّهُمْ حِينَ تَرَكَوا النَّظَرَ وَالِاسْتِدْلَالَ لَمْ يَصِلُوا إِلَى الْحَقِّ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَدُوقُوا عَذَابَ اللَّهِ وَنَقَمَتَهُ، وَلَوْ أَنَّهُمْ ذَاقُوا عَذَابَ اللَّهِ لَزَالَتْ لَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّكِّ وَالْحَسَدِ، وَلَمَّا كَذَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

(خَزَائِنُ)

(٩) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِأَنَّهُ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْكَوْنِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لِأَنَّهُ خَلَقَهُ وَمَلَكُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ، وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الرُّوحَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَنَّ الْعِبَادَ لَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَيْمَلِكُونَ هُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ اللَّهِ الْقَهَّارِ لِخَلْقِهِ حَتَّى يَتَصَرَّفُوا هُمْ فِيهَا حَسَبَ مَا يُرِيدُونَ، وَيَمْنَحُوهَا مَنْ يَشَاءُونَ، وَيَصْرِفُوهَا عَمَّنْ لَا يُجِبُونَ؟

(السَّمَاوَاتِ) (الْأَسْبَابِ)

(١٠) - أَمْ يَمْلِكُونَ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا حَتَّى يَتَعَرَّضُوا عَلَى التَّصَرُّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ؟ فَإِنْ كَانُوا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلْيَضَعُوا فِي طُرُقِ السَّمَاوَاتِ، وَلْيَصِلُوا إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، وَلْيَدْبُرُوا شُؤْنَهُمَا حَتَّى يُظَنَّ أَنَّهُمْ صَادِقُونَ فِي دَعْوَاهُمْ، لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى التَّصَرُّفِ بِهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ.

٧ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ

هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ

٨ أَمْ نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ

فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا

عَذَابِ

٩ أَمْ عِنْدَهُ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ

الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ

١٠ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ

﴿١١﴾ جُنْدٌ مَا هُنَاكَ مَهْرُومٌ مِنَ
الْأَحْزَابِ

(١١) - إِنَّ أُعْدَاءَ اللَّهِ الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ حَسْبَ أَهْوَائِهِمْ وَأَرَائِهِمِ الْفَاسِدَةِ، لَا يَزِيدُونَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا جُنْدًا مَهْرُومًا هَيئًا، لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ تَصْرِيفِ مُلْكِ اللَّهِ، وَلَا تَذْيِيرِ خَزَائِنِهِ، وَلَا شَأْنٍ لَهُمْ فِيمَا يَجْرِي بِهِ قَضَاءُ اللَّهِ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى تَغْيِيرِ شَيْءٍ مِمَّا قَضَاهُ اللَّهُ. وَهُوَ جُنْدٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ جَمَاعَاتٍ وَأَحْزَابٍ مُخْتَلِفَةٍ الْأَهْوَاءِ وَالْآرَاءِ وَالْمَشَارِبِ، وَسَيَهْزُمُ الْأَحْزَابُ الَّذِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ، كَمَا هُزِمَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَحْزَابِ الَّذِينَ تَأَلَّبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ السَّابِقِينَ، وَكَذَّبُوهُمْ.

جُنْدٌ مَا - جَمَاعَةٌ حَقِيرَةٌ هَيئَةً.

هُنَاكَ - فِي مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، أَوْ يَوْمَ بَدْرٍ.

﴿١٢﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ
وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ

(١٢) - وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، بِأَقْوَامٍ كَانَتْ قَبْلَهُمْ، وَكَانَتْ أَشَدَّ مِنْهُمْ بَأْسًا وَبَطْشًا وَقُوَّةً، فَطَغَوْا وَبَعَوْا، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَذَّبُوهُمْ، فَذَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ بَاقِيَةٌ.

وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَامِ الْمُكَذِّبَةِ: قَوْمَ نُوحٍ الَّذِينَ أَغْرَقَهُمُ بِالطُّوفَانِ، وَقَوْمَ عَادٍ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ بَرِيحٌ صَرْصَرٌ عَاتِيَةٌ، وَفِرْعَوْنَ مَلِكٌ مِصْرَ وَجُنْدَهُ، وَقَدْ أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ فِي الْبَحْرِ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ. وَأَشَارَ تَعَالَى إِلَى ثَبَاتِ مُلْكِ فِرْعَوْنَ وَاسْتِقْرَارِهِ فَشَبَّهَهُ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ ثَبَّتَتْ أَوْتَادُهُ فِي الْأَرْضِ.

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى - ذُو الْأَوْتَادِ - هُوَ أَنَّهُ صَاحِبُ الْأَهْرَامَاتِ وَالْأَبْنِيَةِ الْفَخْمَةِ الْمُتَرَسِّخَةِ فِي الْأَرْضِ كَالْأَوْتَادِ).

(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ مَعْنَاهَا هُوَ أَنَّ فِرْعَوْنَ سُمِّيَ بِذِي الْأَوْتَادِ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ قَتْلَ خُصْمِهِ فَإِنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَوْتَادًا يَتَسَدُّ إِلَيْهَا أَطْرَافُهُمْ، ثُمَّ يَقْتُلُهُمْ بِالنِّبَالِ).

(أَصْحَابُ) (الْأَيْكَةِ) (أُولَئِكَ)

(١٣) - ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ثَمُودَ قَوْمَ صَالِحٍ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالصَّبْحَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمَ لُوطٍ وَقَدْ دَمَّرَ اللَّهُ قَرَاهِمَ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا، فَلَمْ يَنْجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

﴿١٣﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ، وَهُمْ قَوْمٌ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَتْ بِلَادُهُمْ جَنُوبِي الْأَرْدُنِّ - قُرْبَ الْعَقَبَةِ - وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ، وَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا تَحَزَّبُوا عَلَى رَسُولِهِمْ، وَهُمْ كَالْأَحْزَابِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ.

أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ - أَهْلُ الْغِيصَةِ الْكَثِيفَةِ الْمُتَنَفِّةِ الشَّجَرِ، قَوْمٌ شُعَيْبٌ.

(١٤) - وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ قَدْ كَذَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَانُوا ذَوِي قُوَّةٍ وَبَأْسٍ وَبَطْشٍ، وَعَدِدٌ وَبُيُوتَانٍ رَاسِخٍ فِي الْأَرْضِ فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَمْ يُبَالِ بِهِمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمَكْذِبِينَ الضَّعَفَاءِ مِنْ قَوْمِكَ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ مَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ؟

(وَاحِدَةٌ)

(١٥) - وَهَلْ يَنْتَظِرُ كُفَّارُ فُرَيْشٍ (هَؤُلَاءِ) إِلَّا نَفْخَةً وَاحِدَةً فِي الصُّورِ حَتَّى يُضَعَّفُوا، وَيَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ قَبْلَهُمْ، وَلَا يَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى صَيِّحَةٍ ثَانِيَةٍ غَيْرَهَا لِأَهْلَاكِهِمْ، وَإِذَا حُلَّ الْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ لِعَذَابِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ وَلَوْ مَدَّةً قَلِيلَةً.

الْفَوَاقُ - الزَّمَنُ الْفَاصِلُ بَيْنَ حَلَّتَيْنِ لِلنَّاقَةِ، أَيُّ إِنَّ الْعَذَابَ يَأْتِيهِمْ فَوْرًا وَلَا يَتَأَخَّرُ لِحَظَّةٍ وَاحِدَةٍ.

(١٦) - وَجِئْنَا سَمِعَ الْكَافِرُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَخَّرَ عَذَابَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالُوا سَاخِرِينَ مُسْتَهْزِئِينَ: رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا نَصِيصًا مِنَ الْعَذَابِ (قَطْنَا) الَّذِي تَوَعَّدْنَا بِهِ، وَلَا تُؤَخِّرْهُ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ، الَّذِي يَبْدَأُ بِالصَّيِّحَةِ الْمُهْلِكَةِ لِلْبَشَرِ.

(وَالَّذِي قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ أَوْ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ).

الْقِطُّ - النَّصِيبُ أَوْ الْحِظُّ أَوْ كِتَابُ الْأَعْمَالِ.

(دَاوُدُ)

(١٧) - يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كَذَّبَتْهُمْ أَقْوَامُهُمْ، وَاسْتَهْزَأَتْ بِهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْجَزَ لَهُمْ وَعَدَهُ بِأَنَّ النَّصْرَ وَالْغَلْبَةَ سَتَكُونُ لَهُمْ، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ سَيَكُونُونَ هُمُ الْمَخْذُولِينَ الْخَاسِرِينَ.

﴿١٤﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ

فَحَقَّ عِقَابِ

﴿١٥﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيِّحَةً

وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ

﴿١٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ

يَوْمِ الْحِسَابِ

﴿١٧﴾ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا

دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يَقُولُهُ الْكَفَرَةُ الطُّغَاةُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ قَالُوا عَنْهُ مَرَّةً سَاحِرٌ، وَمَرَّةً مَجْنُونٌ، وَمَرَّةً كَذَابٌ.. وَقَالُوا عَنْهُ سَاحِرِينَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ دُونِنَا.

وَيَذْكُرُ اللَّهُ رَسُولَهُ بِقِصَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي حَبَّاهُ اللَّهُ بِالْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ (ذَا الْأَيْدِ)، وَلَكِنَّهُ جَعَلَهُ أَوَّابًا كَثِيرَ الرُّجُوعِ إِلَى رَبِّهِ، طَائِعًا تَائِبًا ذَاكِرًا، وَكَانَ دَاوُدُ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَكَانَ يَقُومُ ثُلُثَ اللَّيْلِ مُتَعَبِدًا رَبَّهُ.

ذَا الْأَيْدِ - ذَا الْقُوَّةِ فِي الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ.

أَوَّابٌ - رَجَاعٌ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوْبَةِ.

(١٨) - وَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْجِبَالَ تُسَبِّحُ مَعَ دَاوُدَ، وَهِيَ تَسْمَعُ تَرَائِمَهُ عِنْدَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا. وَهَذَا تَأَكِيدُ لِفَضْلِ الْعِبَادَةِ فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ.

(١٩) - وَكَانَتِ الطَّيْرِ تَجْمَعُ عِنْدَمَا تَسْمَعُ نَعْمَاتِ تَرَائِمِهِ فِي تَمْجِيدِ اللَّهِ، وَتَقْدِيسِهِ، لِتُشَارِكَهُ تَسْبِيحَهُ لِخَالِقِهِ، وَتَمْجِيدَهُ لَهُ، وَهِيَ مُطِيعَةٌ رَاجِعَةٌ إِلَى أَمْرِهِ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ.

(آتِيَانَهُ)

(٢٠) - وَقَوَّى اللَّهُ مُلْكَ دَاوُدَ بِكَثْرَةِ الْجُنْدِ، وَبَسْطَةِ الثَّرَاءِ، وَعِظَمِ الْهَيْبَةِ، وَتَقْوِذِ الْكَلِمَةِ، وَالنُّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَأَعْظَاهُ الْعَقْلَ وَالْفَهْمَ وَالْفِطْنَةَ (وَأَتِيَانَهُ الْحِكْمَةَ)، فَكَانَ يَسُوسُ مُلْكَهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْحَزْمِ مَعًا، وَحُسْنِ الْفَضْلِ فِي الْخُصُومَاتِ.

شَدَدْنَا مُلْكَهُ - مَدَدْنَاهُ بِأَسْبَابِ الْقُوَّةِ كُلِّهَا.

آتِيَانَهُ الْحِكْمَةَ - النُّبُوَّةَ وَكَمَالَ الْعِلْمِ، وَإِتْقَانَ الْعَمَلِ.

فَضَلَ الْخُطَابِ - عِلْمَ الْفَضْلِ فِي الْخُصُومَاتِ.

(أَتَاكَ) (نَبَأُ)

(٢١) - وَهَلْ جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرُ ذَلِكَ النَّبِيِّ الْعَجِيبِ، نَبَأِ الْخُصُومِ الَّذِينَ تَسَلَّقُوا سُورَ الْعُرْفَةِ الَّتِي كَانَ دَاوُدُ يَتَعَبَّدُ رَبَّهُ فِيهَا (الْمِحْرَابِ)، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ مِنَ السُّورِ، لَا مِنَ الْبَابِ، وَهُوَ مُشْغِلٌ بِالْعِبَادَةِ؟

تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ - تَسَلَّقُوا سُورَ عُرْفَةِ مُصَلَّاهُ وَنَزَلُوا إِلَيْهِ.

١٨ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ

١٩ وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ

٢٠ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَنَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ



٢١ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ

(دَاوُدَ) (الصَّرَاطِ)

(٢٢) - وَقَدْ دَخَلَ الْخَصْمَانِ عَلَى دَاوُدَ وَهُوَ مُشْغَلٌ بِالْعِبَادَةِ فِي غَيْرِ وَقْتٍ جُلُوسِهِ لِلْحُكْمِ ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ حَتَّى يَخْرُجَ هُوَ إِلَى النَّاسِ ، فَخَافَ هُوَ مِنَ الدَّاخِلِينَ عَلَيْهِ بِالتَّسْوِيرِ لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ بِالتَّسْوِيرِ إِلَّا مَنْ أَرَادَ شَرًّا ، فَطَمَئَنَّهُ الْخَصْمَانِ ، وَقَالَ لَهُ إِنَّهُمَا خَصْمَانِ تَجَاوَزَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ ، وَقَدْ جَاءَ إِلَيْهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، وَطَلَبَا إِلَيْهِ أَنْ لَا يَجُوزَ فِي حُكْمِهِ ، وَأَنْ يَهْدِيَهُمَا إِلَى الْحُكْمِ السَّوِيِّ الْعَادِلِ .

بَغَى بَعْضُنَا - تَعَدَّى وَظَلَمَ وَجَارَ .

لَا تُشْطِطُ - لَا تَجْزُ فِي حُكْمِكَ .

سَوَاءَ الصَّرَاطِ - وَسَطُ الطَّرِيقِ ، وَهُوَ عَيْنُ الْحَقِّ .

(وَاحِدَةً)

(٢٣) - وَقَالَ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ لِدَاوُدَ : إِنَّهُ يَمْلِكُ شَأً وَاحِدَةً وَإِنْ صَاحِبُهُ يَمْلِكُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ شَأً (نَعَجَةً) ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ مَالِكَ النَّعَاجِ الْكَثِيرَةِ : أُعْطِنِي نَعَجَتَكَ لِأُضْمَمَهَا إِلَيَّ نِعَاجِي ، وَأَكْفُلَهَا لَكَ ، وَغَلْبَنِي فِي الْمَحَاجَةِ ، لِأَنَّهُ جَاءَ بِحُجَجٍ ، لَمْ أَسْتَطِعْ لَهَا دَفْعًا .

عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ - غَلْبَنِي فِي الْمَحَاجَةِ ، وَقِيلَ إِنَّهَا تَعْنِي شِدَّةَ عَلَيَّ فِي الْقَوْلِ وَأَغْلَظَ .

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (دَاوُدَ) (فَتَنَاهُ)

(٢٤) - فَقَالَ دَاوُدُ لِلْمُنْكَلَمِ مِنَ الْخَصْمَيْنِ : إِنْ صَاحِبِكَ قَدْ ظَلَمَكَ وَجَارَ عَلَيْكَ إِذْ طَلَبَ مِنْكَ نَعَجَتَكَ الْوَحِيدَةَ لِيُضْمَمَهَا إِلَيَّ نِعَاجِي . وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَعَامَلُونَ بَيْنَمَا بَيْنَهُمْ يَجُوزُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَثْنَاءَ التَّعَامُلِ ، إِلَّا الْمُتَّقِينَ الصَّالِحِينَ ، فَهَؤُلَاءِ يُرَاقِبُونَ اللَّهَ وَيَخْشَوْنَهُ ، وَيَمْتَنِعُونَ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ قَلِيلُونَ .

وَيَبْدُو أَنَّ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَضْدَرَ حُكْمَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ حُجَّةَ الْخَصْمِ الْآخَرِ ، إِذْ أَنَّهُ لَوْ سَمِعَهَا فَقَدْ تَغَيَّرَ حُكْمُهُ فِي الزَّرْعِ ، مَعَ أَنَّ الْحُكْمَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُسْتَأْزَرَ ، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ بِظَاهِرِ الْقَوْلِ ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُمْنَعَ الْخَصْمُ الْآخَرُ فُرْصَةً لِلدَّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُمَحَّصَ وَيُدْفَقَ فِيمَا يَغْرِضُهُ الْخَصْمُ عَلَيْهِ لِكَيْلَا يَضْدَرَ حُكْمُهُ عَنْ هَوَىِّ وَأَنْفِعَالٍ .

وَلَمَّا تَوَارَى الْخَصْمَانِ - وَيَبْدُو أَنَّهُمَا كَانَا مَلَكَئِن مَّرْسَلِينَ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ

﴿٢٢﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ

﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِيَ نَعَجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ

﴿٢٤﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُؤَالِ نَعِيجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ الْخِلَاطِاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ



تَعَالَى - أَذْرَكَ دَاوُدَ أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ اخْتِيَارَهُ وَفَتَنَتْهُ، فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ سَاجِداً تَائِباً.

(وَقَدْ وَرَدَتْ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسَ لَهَا سَنَدٌ صَحِيحٌ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٌ فَيَحْسُنُ إِهْمَالُهَا).

الْخُلَطَاءُ - الشُّرَكَاءُ.

فَتْنَاهُ - اِمْتَحَنَاهُ وَاخْتَبَرْنَاهُ.

أُنَابَ - رَجَعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ.

(مَابٍ)

(٢٥) - فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، وَغَفَرَ لَهُ تَسْرَعُهُ فِي الْحُكْمِ، وَسَكُونُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْبَةً يَقْرُبُهُ اللَّهُ بِهَا، وَسَيَكُونُ لَهُ حُسْنُ مَرْجِعٍ، لِتَوْبَتِهِ، وَعَدْلِهِ التَّامِّ فِي مُلْكِهِ.

لُرْلَقَى - لِقُرْبَةٍ وَمَكَانَةٍ.

حُسْنُ مَابٍ - حُسْنُ مَرْجِعٍ فِي الْآخِرَةِ.

(يَا دَاوُدُ) (جَعَلْنَاكَ)

(٢٦) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِدَاوُدَ: إِنَّهُ جَعَلَهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، نَافِذَ الْكَلِمَةِ وَالْحُكْمِ بَيْنَ الرِّعْيَةِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَأَنْ لَا يَتَّبِعَ الْهَوَى لَأَنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى يَكُونُ سَبِيلاً لِلضَّلَالَةِ وَالْجَوْرِ عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَهْدَاهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ (يَوْمَ الْحِسَابِ) عَذَابٌ شَدِيدٌ لِنِسْيَانِهِمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَإِنَّ اللَّهَ سَيَحَاسِبُ الْعِبَادَ فِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعاً، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا.

(بَاطِلًا)

(٢٧) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَبَثِ وَاللَّهْوِ وَالتَّسْلِيَةِ، وَإِنَّمَا خَلَقَهَا بِالْحَقِّ وَقَائِمَةً عَلَى الْحَقِّ، لِلْعَمَلِ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عِبَادَهُ عَنْهُ، وَإِنَّ تَعَالَى لَنْ يَتْرَكَ الْخَلْقَ سُدىً، بَلْ إِنَّهُ سَيُعَذِّبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَرَّةً أُخْرَى لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَلْقَى كُلَّ وَاحِدٍ جَزَاءَهُ حَسَبَ عَمَلِهِ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا ظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ عَبَثًا وَبَاطِلًا، وَلَمْ يَذَرِكُوا الْحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ الْخَلْقَ إِنَّمَا وَجِدَ لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَهُ، وَبُرْهَانًا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فَالْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لِلْكَافِرِينَ مِنَ النَّارِ، الَّتِي سَيُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ فِيهَا، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ.

﴿٢٥﴾ فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا

لُرْلَقَى وَحُسْنُ مَابٍ

﴿٢٦﴾ يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي

الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ

﴿٢٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

قَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ

بَاطِلًا - عَبَثًا وَلَهُوَ وَلَعِبًا .
فَوَيْلٌ - فَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ .

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢٨) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُسَوِّي بَيْنَ الْأَخْيَارِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، وَبَيْنَ الْفَجَّارِ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَجْعَلُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ كَالْفَجَّارِ وَالْمُفْسِدِينَ، وَإِنَّهُ سَيَجْمَعُ الْجَمِيعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَجْزِيَ كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى التَّام .

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ الْمَقْصُودَ بِالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُمْ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبِيدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، الَّذِينَ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ بَرَزَ إِلَى مَيْدَانِ الْحَرْبِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَتَلُوا ثَلَاثَةً مِنْ رُؤُوسِ الشُّرْكِ : هُمْ عُبَيْدَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ، وَأَبْنَاهُ رَبِيعَةُ. وَعُتْبَةُ وَأَخُوهُ وَأَبْنَاهُ هُمُ الَّذِينَ عَنَتُهُمُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ).

(كِتَابُ) (أَنْزَلْنَاهُ) (مُبَارَكٌ) (آيَاتِهِ) (أُولُو) (الْأَلْبَابِ)

(٢٩) - وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْكَ، يَا مُحَمَّدُ، هَذَا الْقُرْآنَ، وَفِيهِ خَيْرٌ وَبَرَكَهٌ، وَنَفْعٌ وَهُدًى لِلنَّاسِ، لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ، وَلِيَتَذَكَّرَهُ أُولُو الْأَفْهَامِ وَالْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ. وَتَذَكَّرُ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ بِحُسْنِ تِلَاوَتِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ أَوَامِرَ، وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ.

(لِدَاوُدَ) (سُلَيْمَانَ)

(٣٠) - وَأَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى دَاوُدَ بِأَنْ وَهَبَهُ وَلَدَهُ سُلَيْمَانَ، وَكَانَ عَبْدًا مُحْسِنًا مُطِيعًا لِلَّهِ، حَسَنَ الْإِعْقَادِ وَالْإِيمَانِ، كَثِيرَ الْإِنَابَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(الصَّافِنَاتُ)

(٣١) - وَقَدْ غُرِضَتْ عَلَيْهِ الْخُيُولُ الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ، مِنْ الْعَصْرِ حَتَّى نِهَآيَةِ النَّهَارِ، لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا، وَيَتَعَرَّفَ أَحْوَالَهَا، وَمَبْلَغَ صَلَاحِهَا لِخَوْصِ الْحُرُوبِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

الصَّافِنَاتُ - صِفَةُ لِلْخُيُولِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَقِفُ عَلَى ثَلَاثٍ مِنْ قَوَائِمِهَا وَتَرْفَعُ طَرَفَ حَافِرِ الرَّابِعَةِ .

﴿٢٨﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ
أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَّارِ

﴿٢٩﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَ

ءَاثِمَهُمْ وَلِيَسْتَدْكَرُوا وَلِأَلْبَبِ

﴿٣٠﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ

الْعَبْدِ إِنَّهُ ءَوَّابٌ

﴿٣١﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ

الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ

(٣٢) - فَقَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُ أَحَبُّ الْخَيْلِ، وَإِنَّ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ إِنَّمَا كَانَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ، لَا عَنْ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَى. وَظَلَّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَهِيَ تَنْهَبُ الْأَرْضَ بِفُرْسَانِهَا، حَتَّى حَجَبَهَا الْغُبَارُ عَنْ نَاطِرِيهِ، فَأَعْجَبَهُ مِنْهَا حُسْنُ جَرِيهَا.

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّهُ ظَلَّ يَنْظُرُ إِلَى الْخَيْلِ وَهِيَ تَجْرِي، فَأَلْهَتْهُ عَنِ الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَنْتَبِهْ إِلَى أَنَّ الشَّمْسَ تَمِيلُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَوَارَتْ الشَّمْسُ وَرَاءَ الْأَفْقِ، فَأَضَاعَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَالَ إِنَّ حُبَّهُ لِلْخَيْلِ قَدْ أَنْسَاهُ الصَّلَاةَ).

(٣٣) - فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِمَنْ حَوْلَهُ: رُدُّوا هَذِهِ الْخَيْلَ فَكَفَى مَا قَامَتْ بِهِ مِنْ جَرِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَمَّا رُدَّتْ إِلَيْهِ أَخَذَ يَمْسَحُ سَوْقَهَا وَأَعْنَاقَهَا بِيَدَيْهِ تَكْرِيمًا لَهَا.

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّهُ طَلَبَ أَنْ تَرُدَّ الْخَيْلُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَشْغَلِينِي عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهَا، وَعَرِاقِيهَا بِالسُّيُوفِ. وَهَذَا قَوْلٌ ضَعِيفٌ).

(سُلَيْمَانُ)

(٣٤) - وَلَقَدْ آمَنَحَنَ اللَّهُ تَعَالَى سُلَيْمَانَ حَتَّى لَا يَغْتَرُ بِأُيُوتِهِ الْمُلُوكُ، فَأَبْتَلَاهُ بِمَرَضِ عِضَالٍ، فَأَصْبَحَ مُلْقًى وَكَأَنَّهُ الْجَسَدُ الَّذِي لَا حَيَاةَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ، وَأَعَادَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ سُلَيْمَانَ سَلَبَهُ اللَّهُ مُلْكُهُ وَسُلْطَانَهُ، وَسَلَطَ عَلَيْهِ شَيْطَانًا جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ مُلْكِهِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ مُلْكَهُ وَهَيْبَتَهُ).

(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ اللَّهَ وَهَبَهُ شَيْئًا إِنْسَانٍ وَلَدَ لَهُ).

أَبْتَلَيْنَاهُ - أَمْتَحَنَاهُ وَعَاقَبْنَاهُ.

(٣٥) - فَسَأَلَ سُلَيْمَانُ رَبَّهُ الْمَغْفِرَةَ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَمْنَحَهُ مُلْكًا عَظِيمًا لَا يَتَسَنَّى لِأَحَدٍ بَعْدَهُ أَنْ يَمْلِكَهُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ دَلَالَةً عَلَى ثُبُوتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْوَهَّابُ الْوَاسِعُ الْعَطَاءِ.

(٣٦) - فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِدَعْوَتِهِ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ، وَجَعَلَهَا مَذْلَلَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ لَيْتَةً طَيِّعَةً، حَيْثُ أَرَادَ تَوَجُّهَهَا، لَا تَمْتَنِعُ عَنْ ذَلِكَ.

حَيْثُ أَصَابَ - حَيْثُ أَرَادَ مِنَ الْبِلَادِ
رُخَاءً - لَيْتَةً أَوْ مُتَقَادَةً.

(٣٢) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ
عَنْ ذِكْرِي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ

(٣٣) رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ

(٣٤) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَاءَ عَلَى
كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ

(٣٥) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا
لَا يَلْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ
أَنْتَ الْوَهَّابُ

(٣٦) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً
حَيْثُ أَصَابَ

(الشَّيَاطِينُ)

(٣٧) - وَسَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الشَّيَاطِينَ النَّبَاتِينَ وَالْغَوَاصِينَ يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِ مَا يُكَلِّفُهُمُ الْقِيَامَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ، مِنْ غَوَاصٍ فِي الْبَحَارِ لاسْتِخْرَاجِ اللَّالِيَةِ وَالنَّفَائِسِ، وَمِنْ بِنَاءٍ مَا يُرِيدُ بِنَاءَهُ مِنْ قُصُورٍ وَبُيُوتٍ وَمَعَابِدَ
غَوَاصٍ - يَغُوصُ فِي الْبَحْرِ لاسْتِخْرَاجِ النَّفَائِسِ .

(آخِرِينَ)

(٣٨) - وَأَخْضَعَ اللَّهُ تَعَالَى الشَّيَاطِينَ، الْمُشَاكِسِينَ الْمُتَمَرِّدِينَ، لِأَمْرِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَضَعَهُمْ سُلَيْمَانُ فِي الْقَيْدِ وَالْأَصْفَادِ لِيَتَقَيَّ شَرَّهُمْ، وَيَكْفُتْ فَسَادَهُمْ عَنِ الْعِبَادِ
الْأَصْفَادُ - الْأَغْلَالُ تُجْمَعُ بِهَا الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ .

(٣٩) - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِسُلَيْمَانَ: هَذَا الَّذِي مَنَحَكَ اللَّهُ إِيَّاهُ، هُوَ عَطَاءٌ خَاصٌّ مِنَ اللَّهِ بِكَ، فَأَعْطِ مَا شِئْتَ لِمَنْ شِئْتَ، وَأَمْنَعْ مَنْ شِئْتَ غَيْرَ مُحَاسِبٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَانْتَ حُرٌّ مُطْلَقُ التَّصَرُّفِ .
بَغَيْرِ حِسَابٍ - غَيْرَ مُحَاسِبٍ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ .

(مَابٍ)

(٤٠) - وَإِنَّ لِسُلَيْمَانَ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ لَقُرْبَةً وَكِرَامَةً وَحِطًّا عَظِيمًا .
لَزُلْفَى - لَقُرْبَةً وَكِرَامَةً .

(الشَّيْطَانُ)

(٤١) - وَادْذَكِّرْنَا مُحَمَّدٌ قِصَّةَ نَبِيِّ اللَّهِ وَعَبْدِهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ آتَتْهُ اللَّهُ بِجَسَدِهِ حَتَّى أَرْهَقَهُ الْمَرَضُ، وَآتَتْهُ بِأَوْلَادِهِ فَمَاتَ مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ، وَتَفَرَّقَ مَنْ تَفَرَّقَ، وَآتَتْهُ بِهَلَاكِ مَالِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْعُدْ عَنْهُ مَا يَكْفِي لِعَيْشِهِ، فَصَبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا. وَلَمَّا طَالَ بِهِ الْبَلَاءُ دَعَا رَبَّهُ مُتَضَرِّعًا: ﴿إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى^(١). وَهُنَا قَالَ: لَقَدْ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، إِذْ أَنَّ أَيُّوبَ لَمَّا طَالَ بَلَاؤُهُ تَخَلَّى عَنْهُ أَهْلُهُ وَأَصْدِقَاؤُهُ إِلَّا زَوْجَتَهُ، وَقَلَّةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الْأَصْحَابِ .
فَأَخَذَ الشَّيْطَانُ يُوسُوسَ لَهُؤُلَاءِ الْمُقِيمِينَ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِأَيُّوبَ لِيُنْفِرَهُمْ مِنْهُ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ كَانَ يُحِبُّ أَيُّوبَ مَا آتَتْهُ .

﴿٣٧﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ

﴿٣٨﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ

﴿٣٩﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ
بَغَيْرِ حِسَابٍ

﴿٤٠﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَآبٍ

﴿٤١﴾ وَادْذَكِّرْنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ
إِنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِذَعَايِ أَيُّوبَ لَمَّا رَأَى إِخْلَاصَهُ لِرَبِّهِ، وَتَفَوُّرَهُ مِنْ
وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ.

بِتَضَبُّبٍ - بِتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ.

وَعَذَابٍ - أَلَمٍ وَضَرْ.

(٤٢) - فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ يَضْرِبَ بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ فَيَتَفَجَّرَ مِنْهَا
الْمَاءُ، وَفِي هَذَا الْمَاءِ الْمُتَفَجِّرِ شِفَاؤُهُ فَفَعَلَ، فَتَفَجَّرَ الْمَاءُ فَشَرِبَ
وَأَغْتَسَلَ قَبْرِيَّ، وَعَادَ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ عَلَيْهِ.

أَرْكَضَ بِرِجْلِكَ - اضْرِبْ بِهَا الْأَرْضَ.

مُغْتَسِلٌ - مَاءٌ تَغْتَسِلُ بِهِ وَفِيهِ شِفَاؤُكَ.

(الْأَلْبَابُ)

(٤٣) - فَلَمَّا عَادَتْ إِلَيْهِ صِحَّتُهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَهْلَهُ بَعْدَ التَّفَرُّقِ وَالتَّشْتُّبِ،
وَأَكْثَرَ نَسْلَهُمْ حَتَّى صَارُوا ضِعْفِي مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَكَانَ ذَلِكَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ
بِأَيُّوبَ، وَجَزَاءً لَهُ عَلَى صَبْرِهِ وَتَبَاتِهِ وَإِنَابَتِهِ إِلَى اللَّهِ، وَتَذَكُّرِهِ لِذَوِي
الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَأَنَّ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ الْفَرْجُ،
وَعَاقِبَةُ التَّقْوَى وَالْإِخْلَاصِ وَالثِّقَةِ بِاللَّهِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَتَخَلَّى عَنْ عِبَادِهِ
الْمُخْلِصِينَ، بَلْ يَرْعَاهُمْ وَيُعِزُّهُمْ وَيُقْوِيهِمْ.

(وَجَدْنَاهُ)

(٤٤) - وَكَانَ أَيُّوبُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ غَضِبَ عَلَى زَوْجَتِهِ فِي شَيْءٍ
فَعَلَّتْهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَأَقْسَمَ أَنْ شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِيَضْرِبَهَا مِثَّةَ جِلْدَةٍ،
وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ قَدْ أَخْلَصَتْ لَهُ، وَاحْتَمَلَتْ بَلَاءَهُ بِصَبْرٍ كَبِيرٍ فَكَانَ ضَرْبُهَا
مَعَ كُلِّ مَا احْتَمَلَتْهُ جَزَاءً سَيِّئًا، فَأَفْتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَأْخُذَ بِيَدِهِ حُرْمَةً مِنْ
الْعِيدَانِ فِيهَا مِثَّةُ عُوْدٍ، وَيَضْرِبَهَا بِهَا ضَرْبَةً وَاحِدَةً، فَيَتَحَلَّلَ مِنْ يَمِينِهِ،
وَلَا يَحْنُثَ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْفَتْوَى، وَرَحِمَ زَوْجَتَهُ الصَّابِرَةَ، فَقَدْ كَانَ
أَيُّوبُ عَبْدًا مُخْلِصًا لِلَّهِ، كَثِيرَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ.

ضِعْفًا - طَاقَةً أَوْ حُرْمَةً صَغِيرَةً أَوْ قَبْضَةً.

(عِبَادَنَا) (إِبْرَاهِيمَ) (وِإِسْحَاقَ) (الْأَبْصَارِ)

(٤٥) - وَادَّكُرَ يَا مُحَمَّدُ أَيْضًا صَبْرَ عِبَادِ اللَّهِ: إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ،
الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ، وَقَوَّاهُمْ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي

٤٢ أَرْكَضُ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ
وَشَرَابٌ

٤٣ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ
رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ

٤٤ وَحَدِّثْ بِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا
تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ
الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ

٤٥ وَادَّكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ

يُرْضَى اللَّهُ عَنْهُ، وَأَتَاهُمُ الْبَصِيرَةُ فِي الدِّينِ وَالْفِقْهُ فِي أَسْرَارِهِ، وَالْعَمَلُ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ، فَجَعَلَهُمْ مِمَّنْ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَ بِأَيْدِيهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ بِعُقُولِهِمْ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي مَعْنَى أُولَى الْأَيْدِي: إِنَّهُمْ ذَوُو قُوَّةٍ، وَقَالَ فِي مَعْنَى (وَالْأَبْصَارِ)، إِنَّهُ الْفِقْهُ فِي الدِّينِ).
(أَخْلَصْنَاهُمْ)

(٤٦) - وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْلَصَهُمْ وَمَيَّزَهُمْ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ، هِيَ ذِكْرُهُمُ الدَّارَ الْآخِرَةَ لِيَعْمَلُوا لَهَا، فَهَذِهِ مَيَّزَتُهُمْ وَرَفَعَتُهُمْ.
أَخْلَصْنَاهُمْ - بِخُصْلَةٍ لَا شَائِبَةَ فِيهَا.

(٤٧) - وَهَذِهِ السَّيْرَةُ جَعَلَتْهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَجْتَبِينَ أُخْيَارًا، وَمُصْطَفَيْنَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ.

(إِسْمَاعِيلَ)
(٤٨) - وَاذْكُرْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ وَتَأَمَّلْ صَبْرَهُمْ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ بِهِمْ.

(مَابٍ)
(٤٩) - وَهَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ سَرْدُهُ، مِنْ أُخْيَارِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ، فِيهِ ذِكْرُ لَهُمْ، وَشَرَفٌ، وَإِشَادَةٌ بِمَحَاسِنِهِمْ، وَفِيهِ تَذَكُّيرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ. وَالْمُؤْمِنُونَ السَّعْدَاءُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ الْمُتَقَلَّبُ الْحَسَنُ، وَالْمَابُ الْكَرِيمُ.
هَذَا ذِكْرُ - الْمَذْكُورُ مِنْ مَحَاسِنِهِمْ شَرَفَ لَهُمْ.

(جَنَاتٍ) (الْأَبْوَابِ)
(٥٠) - وَهَذَا الْمَابُ الْحَسَنُ هُوَ جَنَاتُ اسْتِقْرَارٍ وَإِقَامَةٍ مُفْتَحَةٌ أَبْوَابُهَا إِكْرَامًا لَهُمْ لِيَدْخُلُوهَا آمِنِينَ.

(بِفَاكِهَةٍ)
(٥١) - وَيجلسون في الجنة متكئين على الأرائك في وضع المطمئن المرتاح في جلسته، ويطلبون ما يشاؤون من أنواع الفواكه والشراب بلا تحديد، وهذا هو منتهى النعيم.
يَدْعُونَ - يَطْلُبُونَ.

﴿٤٦﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ

﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ

﴿٤٨﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ

﴿٤٩﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ

﴿٥٠﴾ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مُمْكِنَةٍ لَهُمْ فِيهَا الْأَبْوَابُ

﴿٥١﴾ مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ

(قَاصِرَاتُ)

(٥٢) - وَعِنْدَهُمْ نِسَاءٌ لَا يَمْدُدْنَ أَبْصَارَهُنَّ إِلَىٰ غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ حَيَاءً وَخَفَرًا، وَهُنَّ مُتَسَاوِيَاتٌ فِي السَّنِّ مَعَهُمْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَذْعَىٰ إِلَىٰ الْوَفَاقِ بَيْنَهُمْ.

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ - لَا يَنْظُرْنَ إِلَىٰ غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ.
أَتْرَابُ - مُتَسَوِّياتٌ فِي السَّنِّ.

(٥٣) - وَهَذَا النَّعِيمُ فِي الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فِيمَا تَقَدَّمَ، هُوَ مَا وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُ سَيَجْزِيهِمْ بِهِ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ.

(٥٤) - وَهَذَا النَّعِيمُ، وَتِلْكَ الْكَرَامَةُ، عَطَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَنْقُذُ، وَلَا يَنْقُطِعُ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.
نَقَادٌ - أَنْقَطَاعٌ وَقَنَاءٌ.

(لِلطَّاغِيَةِ) (مَابٍ)

(٥٥) - هَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ هُوَ جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْآخِيَارِ، عَلَىٰ مَا قَدَّمُوهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَطَاعَةٍ لِرَبِّهِمْ. أَمَّا الْكَافِرُونَ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمُكْذِبُونَ رُسُلَهُ الْكَرَامَ، فَلَهُمْ سُوءُ الْمُنْقَلَبِ، وَشَرُّ الْعَاقِبَةِ.
لَشَرِّ مَابٍ - لَأَسْوَأَ مُنْقَلَبٍ وَمَصِيرٍ.

(٥٦) - إِذْ تَكُونُ عَاقِبَتُهُمُ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُقَاسُونَ حَرَّهَا الشَّدِيدَ، وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ مَهْدًا وَفِرَاشًا.
يَصْلَوْنَهَا - يَدْخُلُونَهَا أَوْ يُقَاسُونَ حَرَّهَا.
الْمِهَادُ - الْفِرَاشُ.

(٥٧) - وَهَذَا الْعَذَابُ هُوَ جَزَاؤُهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ. فَلْيَذُوقُوهُ فَهُوَ مَاءٌ حَارٌّ، مَتَنَاهُ فِي شِدَّةِ حَرَارَتِهِ، وَقَدْ مُزِجَ بِالصَّدِيدِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِهِمُ الْمُحْتَرِقَةِ فِي النَّارِ (عَسَاقٌ).
حَمِيمٌ - مَاءٌ بَلَغَ النِّهَايَةَ فِي الْحَرَارَةِ.

عَسَاقٌ - الصَّدِيدُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ الْمُحْتَرِقَةِ. وَقِيلَ إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْعَذَابِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.



٥٢ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ
الطَّرْفِ أَتْرَابٌ

٥٣ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ

٥٤ إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَهُ مِنْ نَقَادٍ

٥٥ هَذَا أَوْرَاتٌ لِلطَّاغِيَةِ لَشَرِّ مَابٍ

٥٦ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسْأَلُونَ لِمِهَاذُ

٥٧ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ

(آخِرُ) (أَزْوَاجُ)

﴿٥٨﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجُ

(٥٨) - وَلَهُمْ صُنُوفٌ أُخْرَى مِنَ الْعَذَابِ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا الْعَذَابِ يُعَذَّبُونَ بِهَا، كَالزَّمْهَرِيرِ، وَالسَّمُومِ، وَشَرْبِ الْحَمِيمِ، وَالْعَسَاقِ، وَأَكْلِ الرِّقُومِ.

وَأَخْرُ - وَعَذَابٌ آخَرُ.

أَزْوَاجُ - أَصْنَافُ.

(صَالُوا)

﴿٥٩﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ

(٥٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ، وَكَيْفَ يَتَنَكَّرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَكَيْفَ يَتَشَاتَمُونَ وَيَتَلَاعَنُونَ، وَيُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَجِئْنَا بِرَى جَمَاعَةِ الْكِبَرَاءِ، الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ، فَوْجًا يَدْخُلُهَا مِنَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَذَا فَوْجٌ مِنَ الْكَفَرَةِ الصَّالِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ مَعَكُمْ، فَلَا مَرْحَبًا بِهِمْ، إِنَّهُمْ سَيَذُوقُونَ عَذَابَ النَّارِ، وَسَيَصِلُونَ سَعِيرَهَا.

فَوْجٌ - جَمْعٌ كَثِيفٌ.

مُقْتَحِمٌ - دَاخِلُ النَّارِ فَهْرًا عَنْهُ.

(٦٠) - فَبَرِّدْ عَلَيْهِمُ الْأَتْبَاعَ الدَّاخِلُونَ قَائِلِينَ لَهُمْ، وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَاتَهُمْ: بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ فَأَنْتُمْ الَّذِينَ أَضَلَلْتُمُونَا وَدَعَوْتُمُونَا إِلَى مَا أَفْضَى بِنَا إِلَى هَذَا الْمَصِيرِ، فَبُئْسَ الْمَنْزِلُ وَالْمُسْتَقَرُّ وَالْمَصِيرُ. فَبُئْسَ الْقَرَارُ - بُئْسَ الْمُسْتَقَرُّ لِلْجَمِيعِ جَهَنَّمُ.

﴿٦٠﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبُئْسَ الْقَرَارُ

(٦١) - فَيَقُولُ الْأَتْبَاعُ دَاعِينَ عَلَى رُؤُوسِ الصَّلَاةِ: رَبَّنَا عَذَّبْ مَنْ كَانَ السَّبَبُ فِي وَصُولِنَا إِلَى هَذَا الْعَذَابِ وَأَذِقْهُ عَذَابًا مُضَاعَفًا فِي النَّارِ: عَذَابًا لِصَلَاتِهِ، وَعَذَابًا آخَرَ لِأَصْلَالِهِ غَيْرَهُ.

﴿٦١﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهِ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ

(٦٢) - ثُمَّ يَلْتَفِتُ أَهْلُ النَّارِ لِيَنْظُرُوا بِأَنْظَارِهِمْ فِي النَّارِ عَنْ قُرَّاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَضَعْفَانِهِمْ، الَّذِينَ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَعْتَدُونَ لَهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ، فَلَا يَرَوْنَهُمْ فِي النَّارِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِمَاذَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعْتَدُهُمْ أَشْرَارًا فِي الدُّنْيَا، وَكُنَّا نَسْخَرُ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِنَّا نَأْتِي إِلَى الْإِيمَانِ؟ (وَهُمْ يَقْصُدُونَ قُرَّاءَ الْمُؤْمِنِينَ).

﴿٦٢﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعْتَدُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ

(اتَّخَذْنَاهُمْ) (الْأَبْصَارُ)

(٦٣) - ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلِ اتَّخَذْنَاهُمْ مَوْضُوعًا لِلْهَزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلًا لَذَلِكَ، فَكَانُوا عَلَى حَقٍّ، وَكُنَّا عَلَى بَاطِلٍ، فَفَارَّوْا بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَلَمْ يَدْخُلُوا النَّارَ مَعَنَا، أَمْ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ مَعَنَا وَلَكِنَّ أَبْصَارَنَا زَاغَتْ عَنْهُمْ، فَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِمْ؟
اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا - هَلِ جَعَلْنَاهُمْ مَوْضِعَ سُخْرِيَّتِنَا.
زَاغَتْ الْأَبْصَارُ - مَا لَتْ فَلَمْ تَعْلَمْ مَكَانَهُمْ.

(٦٤) - وَهَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَحَادِيثِ أَهْلِ النَّارِ وَتَخَاصُصِهِمْ وَتَلَاغِيهِمْ، لِحَقٍّ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقَعَ.

(الْوَاحِدُ)

(٦٥) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ: إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ لِأَحْذَرَكُمْ مُخَالَفَةَ أَوَامِرِهِ حَتَّى لَا يَحِلَّ بِكُمْ الْعَذَابُ مِثْلَمَا حَلَّ بِالْأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ قَبْلِكُمْ كَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ لُوطٍ . . . وَلَسْتُ بِالسَّاحِرِ وَلَا بِالْكَذَّابِ، حِينَمَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا مُعِينَ وَلَا صَاحِبَةَ وَلَا وَلَدَ، وَقَدْ فَهَرَّ كُلُّ شَيْءٍ وَعَلَبَهُ بِعِزَّتِهِ وَجَبَرُوتِهِ.

(السَّمَاوَاتِ) (الْغَفَارُ)

(٦٦) - وَهُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّهُمَا وَمَالِكُهُمَا، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُ، الْغَفُورُ الَّذِي يَتَجَاوَزُ عَنْ ذُنُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، إِذَا تَابَ إِلَيْهِ وَأَصْلَحَ وَأَتَابَ.

(نَبَأُ)

(٦٧) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، وَمَا يُعْرِضُونَ عَنْهُ هُوَ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِمَّا يَطْنُونَ، وَإِنْ وَرَاءَهُ مَا وَرَاءَهُ.

(٦٨) - وَلَكِنَّكُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ، لَا تَتَفَكَّرُونَ فِيهِ، فَتَمَادَيْتُمْ فِي الْغَفْلَةِ، وَالضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ.

(٦٩) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّهُ لَوْلَا مَا عَلَّمَنِي رَبِّي عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، مَا كَانَ لِي أَنْ أَعْلَمَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ مِنْ شَأْنِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى: مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، وَامْتِنَاعِ إِبْلِيسَ عَنِ السُّجُودِ، وَأَمْرِ اللَّهِ لِآدَمَ وَرَوْجِهِ وَإِبْلِيسَ بِالْهَبُوطِ إِلَى الْأَرْضِ.

٦٣ اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
الْأَبْصَارُ

٦٤ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ

٦٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ
الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

٦٦ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
الْعَزِيزُ الْغَفُورُ

٦٧ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ

٦٨ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ

٦٩ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى
إِذْ يَخْتَصِمُونَ

الْمَلَأِ الْأَعْلَى - الْمَلَائِكَةِ .

يَخْتَصِمُونَ - يَتَجَادَلُونَ فِي آدَمَ وَخَلْقِهِ .

(٧٠) - مَا يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنِّي رَسُولُ أُبْلِغُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي بِأَيِّنٍ عِبَارَةٍ وَأَوْضَحِ قَوْلٍ .

(لِلْمَلَائِكَةِ) (خَالِقُ)

(٧١) - وَأَذْكُرْ لَهُمْ حِينَ أَعْلَمَ رَبُّكَ الْمَلَائِكَةَ - قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ - بِأَنَّهُ سَيَخْلُقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ .

(سَاجِدِينَ)

(٧٢) - وَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالسُّجُودِ لِهَذَا الْبَشَرِ، مَتَى أَتَمَّ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَهُ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، تَعْظِيمًا لَهُ وَتَكْرِيمًا .
سُوَيْتُهُ - أَتَمَّتْ خَلْقُهُ بِالصُّورَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ .
سَاجِدِينَ - تَحِيَّةً لَهُ وَتَكْرِيمًا .

(الْمَلَائِكَةُ)

(٧٣) - فَامْتَلَأَتِ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ لِأَمْرِ رَبِّهِمْ فَسَجَدُوا لِآدَمَ تَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا .

(الْكَافِرِينَ)

(٧٤) - وَلَمْ يَرْتَضِ الْإِمْتِثَالُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ إِلَّا إِبْلِيسَ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنَ الْجِنِّ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى^(١)، فَاسْتَكْبَفَ عَنِ السُّجُودِ تَكْبِيرًا فَكَفَرَ بِهَذَا التَّكْبِيرِ وَالْبَغْضَاءِ .

(يَا إِبْلِيسَ)

(٧٥) - وَقَالَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ لِإِبْلِيسَ: مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ الَّذِي خَلَقْتَهُ بِيَدِي، هَلْ اسْتَكْبَرْتَ عَنْ إِطَاعَةِ أَمْرِي؟ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْمُتَعَالِينَ الَّذِينَ لَا يَخْضَعُونَ لِأَمْرِي؟
الْعَالِينَ - الْمُسْتَحِقِّينَ لِلْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ .

(٧٦) - وَأَجَابَ إِبْلِيسُ رَبَّهُ الْكَرِيمَ: إِنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ لِآدَمَ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ مِنْ نَارٍ، بَيْنَمَا خَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ، وَفِي طِينِ إِبْلِيسَ أَنَّ النَّارَ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْأَعْلَى لَا يَسْجُدُ لِلْأَدْنَى .

(١) سورة الكهف الآية ٥٠ .

﴿٧٠﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ

﴿٧١﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ

﴿٧٢﴾ فَاذْأَسَوَيْتُهُ وَاذْأَفْخَتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُولًا هُوَ سَاجِدٌ

﴿٧٣﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

﴿٧٤﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ

﴿٧٥﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ

﴿٧٦﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ

﴿٧٧﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ

(٧٧) - فَأَصْدَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ إِلَى إِبْلِيسَ بِأَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجَنَّةِ (أَوْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)، مَلْعُونًا مَطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. رَجِيمٌ - مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿٧٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْنِيكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

(٧٨) - وَإِنَّا لَعْنَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ سَلَّازِمَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، يَوْمَ الْبَعْثِ وَالشُّعُورِ، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَجْزِي اللَّهُ إِبْلِيسَ بِكُفْرِهِ وَتَعَالِيهِ عَلَى أَمْرِ رَبِّهِ.

﴿٧٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ

(٧٩) - وَسَأَلَ إِبْلِيسُ رَبَّهُ أَنْ يُنْظَرَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ لَا يُمِيتَهُ قَبْلَ ذَلِكَ لِيَتَّقِمَ مِنْ آدَمَ وَدُرِّيَّتِهِ، وَلِيُحَاوِلَ إِضْلَالَهُمْ، كَمَا كَانَ آدَمُ سَبَبَ مَا لَحِقَ بِهِ مِنْ طَرْدٍ، وَلَعْنَةٍ وَعَظَبٍ مِنَ اللَّهِ. فَأَنْظِرْنِي - أُمَهِّلْنِي وَلَا تُمِتْنِي.

﴿٨٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ

(٨٠) - وَأَقْتَضَتْ حُكْمُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَشِئَتُهُ أَنْ يُجِيبَ إِبْلِيسَ إِلَى مَا سَأَلَهُ مِنَ النُّظْرَةِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ الْمُنْظَرِينَ الْمُمَهِّلِينَ.

﴿٨١﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ

(٨١) - إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي حَدَدَهُ اللَّهُ مَوْعِدًا لِمَوْتِ الْخَلَائِقِ ثُمَّ لِيُعْثِمَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ - يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿٨٢﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوْنَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

(٨٢) - وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْتَقَّ إِبْلِيسُ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالنُّظْرَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَشَفَ عَمَّا كَانَ يَسْتَهْدِفُهُ مِنْ سُؤَالِهِ رَبَّهُ النُّظْرَةَ وَالْإِمْهَالَ، فَأَقْسَمَ بِعِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ عَلَى أَنَّهُ سَيُضِلُّ جَمِيعَ ذُرِّيَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُغْوِيَهُمْ.

فَبِعِزَّتِكَ - أَقْسَمُ بِسُلْطَانِكَ وَجَبَرُوتِكَ.

لَأَعُوْنَنَّهُمْ - لَأُضِلَّنَّهُمْ بِتَرْزِيقِ الْمَعَاصِي لَهُمْ.

﴿٨٣﴾ إِيَّاكَ أَعْبَادُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ

(٨٣) - وَلَا يَسْتَنْبِي إِبْلِيسُ مِنَ الَّذِينَ سَيُحَاوِلُ إِغْوَاءَهُمْ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ الْمُتَّقِينَ، لِأَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ.

﴿٨٤﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ

(٨٤) - فَأَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ دَائِمًا.

﴿٨٥﴾ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ

(٨٥) - لَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ سَيَمْلَأُ جَهَنَّمَ مِنْ إِبْلِيسَ وَدُرِّيَّتِهِ، وَمِمَّنْ يَتَّبِعُ غَوَايَةَ الشَّيْطَانِ وَحَبَائِلُهُ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ، فَيُضِلُّهُ الشَّيْطَانُ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ الْقَوِيمِ.

مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ

﴿٨٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ

(أَسْأَلُكُمْ)

(٨٦) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ : إِنِّي لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا عَلَى مَا أَقُومُ بِهِ مِنْ إِبْلَاعِكُمْ رَسُولَ رَبِّي ، وَإِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّي لَا أَتَكَلَّفُ مَا لَيْسَ عِنْدِي حَتَّى أَدْعِيَ النُّبُوَّةَ ، وَلَا أَتَقُولُ الْقُرْآنَ .
الْمُتَكَلَّفُ - الَّذِي يَدْعِي مَعْرِفَةَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ . وَالْمُتَصَنِّعُ الْمُتَقَوَّلُ عَلَى اللَّهِ .

﴿٨٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

(لِلْعَالَمِينَ)

(٨٧) - وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا عِظَةٌ لِلْعَالَمِينَ كَافَّةً مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ .

﴿٨٨﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ

(٨٨) - وَإِذَا أَصْرَرْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِنَادِ وَالْجَهْلِ ، وَأَبَيْتُمْ إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ وَالضَّلَالَةِ ، وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ، فَسَتَعْلَمُونَ جَيْمًا يَنْزِلُ بِكُمْ الْمَوْتُ ، إِنْ كُنْتُمْ عَلَى حَقٍّ فِي إِعْرَاضِكُمْ وَضَلَالِكُمْ ، أَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ مُخْطِئِينَ .
نَبَاهُ - صِدْقُ أَخْبَارِهِ .

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسُونَ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْكِتَابُ)

(١) - هَذَا الْكِتَابُ الْعَظِيمُ (أَيُّ الْقُرْآنُ) مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، الْمَنِيعِ الْجَانِبِ (الْعَزِيزِ)، الْحَكِيمِ فِي شَرْعِهِ وَقَدْرِهِ وَأَفْعَالِهِ. فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِئَةَ.

(الْكِتَابُ)

(٢) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ (الْكِتَابَ) أَمْرًا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ الْوَاجِبِ اتِّبَاعُهُمَا، وَالْعَمَلُ بِهِمَا، فَأَعْبُدْهُ يَا مُحَمَّدُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَالْعِبَادَةَ، وَأَدْعُ الْخَلْقَ إِلَى ذَلِكَ. مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ - مُمَحِّضًا لَهُ الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ.

(كَاذِبٌ)

(٣) - أَلَا اللَّهُ وَحْدَهُ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ، وَلَا شَرَكَةَ لِأَحَدٍ مَعَهُ فِيهِمَا، لِأَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ هُوَ مُلْكٌ لَهُ، وَعَلَى الْمَمْلُوكِ طَاعَةٌ مَالِكِهِ، وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُخْلِصَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ، وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا هُوَ أَنَّهُمْ مَثَلُوا بِهِذِهِ الْأَصْنَامِ الْمَلَائِكَةَ، فَعْبُدُوا تِلْكَ الصُّورَ تَنْزِيلًا لَهَا مَنَزَلَةُ الْمَلَائِكَةِ، لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ فِي حَاجَتِهِمْ.

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُبَرِّرُونَ عِبَادَتَهُمْ لِمَنْ هُمْ دُونَ اللَّهِ بِأَنَّ الْإِلَهَ الْأَعْظَمَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَعْبُدَهُ الْبَشَرُ مُبَاشَرَةً، فَهُمْ يَعْبُدُونَ هَذِهِ الْإِلَهَةَ، وَهِيَ تَعْبُدُ الْإِلَهَ الْأَعْظَمَ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْكُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ، مُتَّبِعِي الْحَقِّ وَسُبُلِ الْهَدَى، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالشَّرْكِ، وَبُجَازِي كُلِّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ.

١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ

٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا
لَهُ الدِّينَ

٣ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ
رُفْقًا إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي
مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ

وَاللهُ تَعَالَى لَا يُرِيدُ إِلَى الْحَقِّ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ عَلَيْهِ، فَيَزْعُمُ أَنَّ لَهُ وَلَدًا أَوْ صَاحِبَةً. تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.
رُفِئِي - تَقَرُّبًا.

(سُبْحَانَهُ) (الْوَاحِدُ)

(٤) - لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا يَزْعُمُونَ، وَلَمَّا رَضِيَ إِلَّا بِأَكْمَلِ الْأَنْبَاءِ، فَكَيْفَ نَسَبَ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْهِ النَّبَاتِ؟ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوًّا كَبِيرًا عَمَّا يَقُولُونَ وَيَأْفِكُونَ، وَعَمَّا يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ فَهُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، فَدَانَتْ لَهُ الْخَلَائِقُ وَذَلَّتْ.
سُبْحَانَهُ - تَنْزِيهًا لَهُ عَنِ اتِّخَاذِ وَلَدٍ.

(السَّمَاوَاتِ) (الَلَّيْلِ) (الْغَفَّارُ)

(٥) - خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ، وَأَبْدَعَ نِظَامًا، وَجَعَلَهَا قَائِمَةً عَلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَالْحِكْمِ وَالْمَصَالِحِ، يُتَّبَعُ اللَّيْلُ النَّهَارَ، وَيَتَّبَعُ النَّهَارُ اللَّيْلَ، فَهُمَا مُتَعَابِقَانِ مُتَلَازِمَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ فِي مَدَارَيْهِمَا بِنِظَامٍ لَا يَخْرُجَانِ عَنْهُ، وَجَعَلَهُمَا مُسْخَرَيْنِ مُذَلَّلَيْنِ لِإِرَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَيَسْتَمِرَّانِ فِي دَوْرَانِهِمَا إِلَى أَجَلٍ عَيْنَهُ اللهُ لَهُمَا، هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَنْتَهِي أَمْرُهُمَا. وَاللهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِمَّنْ عَادَاهُ، وَهُوَ الْغَفَّارُ الْكَثِيرُ الْغُفْرَانِ الَّذِي يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ مُنِيبًا مُسْتَغْفِرًا.
يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ - يَلْفُهُ عَلَى النَّهَارِ لَفَ اللَّبَاسِ عَلَى اللَّابِسِ. فَيَسْتَرُّهُ فَتَظْهَرُ الظُّلْمَةُ.

(وَاحِدَةٍ) (الْأَنْعَامِ) (ثَمَانِيَةِ) (أَزْوَاجٍ) (أُمَهَاتِكُمْ) (ظُلُمَاتٍ) (ثَلَاثِ)

(٦) - وَقَدْ خَلَقَكُمْ اللهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَى اخْتِلَافٍ الْوَانِكُمْ وَالْبَسْتِكُمْ، مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هِيَ آدَمُ، ثُمَّ خَلَقَ مِنْ آدَمَ حَوَاءَ، ثُمَّ بَثَّ مِنْهُمَا فِي الْأَرْضِ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَخَلَقَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ)^(١)، أَيْ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ مِنْ كُلِّ صُنْفٍ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَقَدَّرَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ، فَيَكُونُ الْمَخْلُوقُ أَوَّلًا نُطْقَةً ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً، ثُمَّ يَخْلُقُ

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٣.

④ لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا

لَاَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ

⑤ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِالْحَقِّ يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى
إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ

⑥ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ

جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ
مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ
يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَهَاتِكُمْ
خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ
ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْصَرِفُونَ

لَهُ لَحْمًا وَعَظَامًا وَأَعْصَابًا وَأَوْعِيَةً، وَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَيَصِيرُ خَلْقًا آخَرَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ.

وَتَكُونُ الْأَجْنَةُ فِي بُطُونِ أُمَهَاتِهَا مُحَاطَةً بِأَغْشِيَةِ ثَلَاثَةِ سَمَاهَا اللَّهُ تَعَالَى، ظُلُمَاتٍ، وَهَذِهِ الْأَغْشِيَةُ يَعْرِفُهَا الطَّبُّ، وَلَا تَظْهَرُ إِلَّا بِالتَّشْرِيحِ الدَّقِيقِ، وَإِنْ بَدَتْ لِلْعَيْنِ وَكَانَتْهَا غِشَاءً وَاحِدٌ (كَمَا يَقُولُ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِسْمَاعِيلُ)، (وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثُ هِيَ ظُلْمَةُ الرَّجْمِ، وَظُلْمَةُ الْمُشِيمَةِ، وَظُلْمَةُ الْبُطْنِ)، وَذَلِكَ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَى خَلْقِ الْكَوْنِ وَتَذْيِيرِهِ، كَمَا بَيَّنَّ لَكُمْ هُوَ اللَّهُ رَبُّكُمْ، لَهُ الْمُلْكُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا تَتَّبِعِي الْعِبَادَةَ إِلَّا لَهُ، وَكَيْفَ تُصَرِّفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ تَعَالَى، مَعَ تَوْفُرِ مُوجِبَاتِهَا وَدَوَاعِيهَا، إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ؟

أَنْزَلَ لَكُمْ - أَنْشَأَ وَأَحْدَثَ لِجَلِكُمْ.

ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ - ظُلُمَاتِ الْمُشِيمَةِ ذَاتِ الْأَغْلِفَةِ الثَّلَاثَةِ، أَوْ هِيَ ظُلُمَاتِ الرَّجْمِ، وَالْبُطْنِ، وَالْمُشِيمَةِ.
فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ - فَكَيْفَ تُصَرِّفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى مَا سِوَاهُ.

(٧) - وَإِنْ تَكْفُرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَعَ مَا تَقْدَمُ مِنْ بَيَانٍ يُوجِبُ عَلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَالشُّكْرَ فَإِنَّ كُفْرَكُمْ لَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، فَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْكُفْرَ لِعِبَادِهِ، وَلَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا يُحِبُّ لِعِبَادِهِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ عَلَيْهِمْ. وَكُلُّ نَفْسٍ تُحَاسِبُ عَمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلَا تُسْأَلُ نَفْسٌ عَمَّا فَعَلَتْهُ نَفْسٌ أُخْرَى؛ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرْجِعُ الْخَلْقُ إِلَى اللَّهِ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، وَبِمَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَمَا أَعْلَنُوهُ، وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ - لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا أَوْ إِنَّمَا.

(الْإِنْسَانُ) (يَدْعُو) (أَصْحَابِ)

(٨) - وَالْإِنْسَانُ الْكَافِرُ لَا يَتَذَكَّرُ رَبَّهُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ، فَإِذَا أَصَابَهُ الْبَلَاءُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ فِي مَعِيشَتِهِ، أَوْ نَزَلَ بِهِ خَوْفٌ عَلَى حَيَاتِهِ أَسْتَغَاثَ بِرَبِّهِ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ، وَدَعَاهُ مُخْلِصًا مُنِيًّا لِيَكْشِفَ عَنْهُ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ بَلَاءٍ وَشِدَّةٍ، فَإِذَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَزَلَ بِهِ، وَأَعْدَقَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ، نَسِيَ اللَّهَ، وَتَرَكَ التَّضَرُّعَ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ، وَأَصْلَ النَّاسِ، وَمَنْعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ.

وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ هَذَا الْكَافِرَ وَأَمْثَالَهُ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ قُلْ لَهُ: تَمَتَّعْ

٧) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي

عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ

وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا

تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ

رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ

بِذَاتِ الصُّدُورِ



٨) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ

ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ

ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ

مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ

لِلَّهِ أَدْنَادًا لَّيْضِلَ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ

تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ

أَصْحَابِ النَّارِ

بِمَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ زُخْرَفٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٍ ، وَلَذَّةٍ عَابِرَةٍ ، فَمَا هِيَ إِلَّا مُدَّةٌ
يَسِيرَةٌ فَيَنْتَهِي أَجْلُكَ ، ثُمَّ تُصِيرُ إِلَى النَّارِ ، فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِهَا ، وَتُخَلَّدُ
فِيهَا أَبَدًا .

مُنِيًّا إِلَيْهِ - رَاجِعًا إِلَيْهِ وَمُسْتَغْنًا بِهِ .
خَوَلَهُ نِعْمَةٌ - أَعْطَاهُ نِعْمَةً عَظِيمَةً تَفْضُلًا وَإِحْسَانًا .
أَنْدَادًا - أَمْثَالًا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ .

(أَمْ مَنْ) (قَائِلَتِ) (آنَاءُ) (اللَّيْلِ) (قَائِمًا) (يَرْجُو) (أُولُو) (الْأَلْبَابِ)

(٩) - وَهَلْ يَسْتَوِي حَالُ هَذَا الْمُشْرِكِ الَّذِي يَكْفُرُ بِنِعَمِ اللَّهِ ، وَيُشْرِكُ بِهِ
الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ ، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا عِنْدَ الشَّدَّةِ وَالْبَلَاءِ ، مَعَ حَالٍ مَنْ هُوَ
مُؤْمِنٌ قَائِمٌ بِأَدَاءِ الطَّاعَاتِ ، وَدَائِبٌ عَلَى الْعِبَادَاتِ آتَاءَ اللَّيْلِ حِينَمَا يَكُونُ
النَّاسُ نِيَامًا ، لَا يَرْجُو مِنْ أَدَائِهَا غَيْرَ رِضْوَانِ اللَّهِ وَتَوَابِهِ وَرَحْمَتِهِ ، إِنَّهُمَا
بِلَا شَكٍّ لَا يَسْتَوِيَانِ .

ثُمَّ أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَدَمَ التَّسَاوِيِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ الْمُطِيعِ وَالْكَافِرِ
الْجَاهِدِ ، فَقَالَ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ : هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ
يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ مِنْ ثَوَابٍ ، وَمَا لَهُمْ فِي مَعْصِيَتِهِ مِنْ
عِقَابٍ ، وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ ؟ وَإِنَّمَا يَعْتَبَرُ بِحُجَجِ اللَّهِ ، وَتَتَعَبَّ بِهَا ،
وَيَتَذَبَّرُهَا أَهْلُ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ ، لَا أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْعَفْلَةِ .

هُوَ قَائِلَتِ - مُطِيعٌ خَاضِعٌ لِلرَّبِّ .

آتَاءَ اللَّيْلِ - سَاعَاتِهِ .

(يَا عِبَادَ) (آمَنُوا) (وَأَسِيعَةً) (الصَّابِرُونَ)

(١٠) - يَا مُرَّ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولُهُ الْكَرِيمِ بِأَنْ يَعْطَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَبِأَنْ يَأْمُرَهُمْ
بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالثَّبَاتِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَبِأَنْ يَذْكُرَ لَهُمْ أَنَّهُ مَنْ أَحْسَنَ
مِنْهُمْ الْعَمَلَ فَلَهُ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ يَقُولَ لِلْمُؤْمِنِينَ
مُرْعَبًا يَا لَهُمْ فِي الْهَجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ : إِنَّ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ فَإِذَا
لَمْ يَسْتَطِيعُوا الْقِيَامَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ فِي الْبَلَدِ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، فَعَلَيْهِمُ الْهَجْرَةُ
إِلَى مَكَانٍ آخَرَ تَتَوَقَّرُ فِيهِ حُرِّيَةُ الْعِبَادَةِ ، وَإِنْ اللَّهُ يُوفِّي الصَّابِرِينَ عَلَى
الْإِتْلَاءِ ، ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

التَّقْوَى - اتَّخَذُ شَيْءٌ يُتَّقَى بِهِ الْمَكْرُوهُ .

بِغَيْرِ حِسَابٍ - بِلَا نِهَآيَةٍ لِمَا يُعْطَى أَوْ يُتَوَسَّعُ .

﴿٩﴾ أَمَّنْ هُوَ قَائِلَتِ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا

وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو

رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ

يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ

أُولُو الْأَلْبَابِ

﴿١٠﴾ قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا

رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ

الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ

وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ

أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ

(١١) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَنْ أَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ أُخْلِصَ لَهُ الْعِبَادَةَ.

(١٢) - وَأَمَرَنِي رَبِّي بِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَأَتَقَادَ، وَأَخْلِصَ الْعِبَادَةَ وَالتَّوْحِيدَ لِلَّهِ.

(١٣) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي أَخَافُ - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكَثِيرِ الْأَهْوَالِ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي، وَتَرَكْتُ الْإِخْلَاصَ لَهُ وَإِفْرَادَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ.

(١٤) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي أَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأُخْلِصُ لَهُ عِبَادَتِي.

(الْخَاسِرِينَ) (الْقِيَامَةِ)

(١٥) - فَاعْبُدُوا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ مَا شِئْتُمْ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ، وَسَتَعْلَمُونَ سُوءَ مَقْبَلِكُمْ حِينَمَا تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الْخُسْرَانَ الَّذِي لَا خُسْرَانَ بَعْدَهُ، هُوَ خُسْرَانُ النَّفْسِ وَإِضَاعَتُهَا بِالضَّلَالِ، وَخُسْرَانُ الْأَهْلِ، وَعَدَمُ الْإِتِّفَاقِ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، سِوَاءَ ذَهَبِ الْخَاسِرِ إِلَى النَّارِ وَأَهْلِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ ذَهَبُوا جَمِيعاً إِلَى النَّارِ، وَذَلِكَ الْخُسْرَانُ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ الظَّاهِرُ لِفُطْرَانِهِ وَهَوْلِهِ.

(يَا عِبَادِ)

(١٦) - يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ هَؤُلَاءِ الْخَاسِرِينَ وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِيهَا، وَمِنْ قُوْفِهِمْ طَبَقَاتٌ مُتْرَاكِمَةٌ مِنَ النَّارِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَكَأَنَّهَا الظُّلُلُ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ طَبَقَاتٌ مِثْلُهَا، فَتَغْمُرُهُمُ النَّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْصُصُ عَلَى النَّاسِ مَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُخَوِّفَهُمْ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَيَزِدَّجَرِ الْعُقَلَاءَ عَنِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَيَعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا رَبَّكُمْ تَعَالَى، وَبِالْعَوَا فِي الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ، وَلَا تَرْتَكِبُوا مَا يُسْخِطُ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ. ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ - أَطْبَاقٌ مِنْهَا مُتْرَاكِمَةٌ.

(الطَّاغُوتِ)

(١٧) - وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَاتَّبَعَ الشَّيَاطِينَ، وَأَقْبَلُوا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ مُعْرِضِينَ عَمَّا سِوَاهُ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ بِالثَّوَابِ الْعَظِيمِ حِينَ الْمَوْتِ، وَحِينَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ.

﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ

﴿١٢﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ

﴿١٣﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

﴿١٤﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي

﴿١٥﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ

﴿١٦﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلُلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَبْعَادُونَ فَاتَّقُوا اللَّهَ

﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ

الطَّاغُوتَ - الشَّيْطَانَ وَيُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ. وَسُمِّيَتْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ عِبَادَةً لِلشَّيْطَانِ. أَوْ هُوَ الْأَوْثَانُ وَالْمَعْبُودَاتُ الْبَاطِلَةُ. أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ - رَجَعُوا إِلَى عِبَادَتِهِ وَحَدَهُ.

(أُولَئِكَ) (هَدَاهُمْ) (أُولُو) (الْأَلْبَابِ)

(١٨) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ، وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَسَمِعُوا الْقَوْلَ فَاتَّبَعُوا أَحْسَنَهُ وَأَوْلَاهُ بِالْقَبُولِ. . . هَؤُلَاءِ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ وَقَّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِلرَّشَادِ وَالصَّوَابِ، وَأُولَئِكَ هُمُ أَصْحَابُ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ السَّالِمَةِ.

(١٩) - أَفَمَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةَ، هَلْ تَقْدِرُ أَنْتَ أَنْ تُنْقِذَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْهَلَكَةِ؟ إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ هِدَايَةَ الْخَلْقِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ لَا تَمْلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى إِنْقَاذِ أَحَدٍ مِنَ النَّارِ، بَعْدَ أَنْ وَجِبَتْ لَهُ الْعُقُوبَةُ. حَقٌّ عَلَيْهِ - وَجِبَ وَتَبَتَ عَلَيْهِ.

(الْأَنْهَارُ)

(٢٠) - أَمَّا الْمُتَّقُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيهِمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمْ الصَّالِحِ بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ، وَبِأَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ فِيهَا دُورًا شَاهِقَةً (عَرَفَ) مِنْ فَوْقِهَا عَرَفَ مُحْكَمَةَ النَّبِيَّانِ، وَتَجْرِي الْأَنْهَارُ خِلَالَ أَشْجَارِهَا، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ حَقٌّ لِلْمُتَّقِينَ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا. لَهُمْ عَرَفٌ - مَنَازِلٌ رَفِيعَةٌ عَالِيَةٌ فِي الْجَنَّةِ.

(يَنَابِيعَ) (الْوَاهُ) (فَتَرَاهُ) (حُطَامًا) (الْأَلْبَابِ)

(٢١) - يُشَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الدُّنْيَا فِي نَضْرَتِهَا وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهَا بِحَالِ الْمَاءِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فَيَجْرِي عُيُونًا فِي الْأَرْضِ فَتُسْقَى بِهَذَا الْمَاءِ الْأَرْضُ فَتَنْبُتُ الزَّرْعُ وَالنَّبَاتُ وَالْخُضْرَاءُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، وَتُصْبِحُ الْأَرْضُ خُضْرَةً نَضْرَةً، ثُمَّ لَا يَلْبُثُ هَذَا النَّبَاتُ أَنْ يَنْضَجَ وَيَجِفَّ وَيَصْفَرَّ، ثُمَّ يُصْبِحُ يَابِسًا يَتَكَسَّرُ. وَفِي كُلِّ ذَلِكَ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ لِدَوَى الْعُقُولِ السَّالِمَةِ تُنْهِيهِمْ إِلَى عَدَمِ الْاِغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا وَنَعِيمِهَا الزَّائِلِ.

سَلَكَهُ يَنَابِيعٌ - أَدْخَلَهُ فِي عُيُونٍ وَمَجَارٍ.

يَهْجُجُ - يَنْضَجُ وَيَجِفُّ.

يَجْعَلُهُ حُطَامًا - يُصِيرُهُ هَشِيمًا مُحْطَمًا مُفْتَتًا.

١٨ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

١٩ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ

٢٠ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِمَّا هُمْ عَرَفُوا مِنْ فَوْقِهَا عَرَفُ مَبْنِيَّةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ

٢١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْجُجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لَأُولِي الْأَلْبَابِ

(لِلْإِسْلَامِ) (لِلْقَاسِيَةِ) (أُولَئِكَ) (ضَلَالٍ)

(٢٢) - هَلْ يَسْتَوِي مَنْ دَخَلَ نُورَ الْإِيمَانِ إِلَى قَلْبِهِ، وَأَنْشَرَحَ صَدْرُهُ لَهُ، لِمَا رَأَى فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّوَابِ وَالْهَدَايَةِ، مَعَ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَهُوَ قَاسِي الْقَلْبَ بَعِيدُ عَنِ الْهُدَى وَالْحَقِّ؟ إِنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ أَبَدًا. فَالْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لِمَنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، فَأَصْبَحَتْ لَا تَلِينُ لِذِكْرِ اللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ الْقَسَاةُ الْقُلُوبُ هُمْ فِي غَوَايَةِ ظَاهِرَةٍ (فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).
(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ أَنْشَرَحَ وَأَنْفَسَحَ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ: الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالتَّأَهُبُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزُولِ الْمَوْتِ).
قَوْلٌ - فَهَلَاكَ أَوْ حَسْرَةٌ أَوْ شِدَّةُ عَذَابٍ.

(كِتَابًا) (مُتَشَابِهًا)

(٢٣) - اللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ قُرْآنًا يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا (مَثَانِي)، وَيَتَرَدَّدُ فِيهِ الْقَوْلُ، مَعَ الْمَوَاعِظِ وَالْأَحْكَامِ لِيَفْهَمَ النَّاسُ مَا أَرَادَ رَبُّهُمْ تَعَالَى، وَإِذَا تَلَيْتَ مَعَهُ آيَاتِ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ أَقْشَعَتْ لَهَا جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَوَجَلَتْ لَهَا قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تَلَيْتَ آيَاتِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالثَّوَابِ تَلَيْنَ قُلُوبُهُمْ، وَتَطْمَئِنُّ نَفُوسُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ. وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ لَعَلِمِهِ أَنَّهُ سَيَعْرِضُ عَنِ الْحَقِّ فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَهْدِيهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ - أَبْلَغُهُ وَأَصْدَقُهُ وَأَوْفَاهُ وَهُوَ الْقُرْآنُ.
كِتَابًا مُتَشَابِهًا - يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي إعْجَازِهِ وَهِدَايَتِهِ.
مَثَانِي - مُكَرَّرًا فِيهِ الْأَحْكَامُ وَالْمَوَاعِظُ.
تَقْشَعِرُ مِنْهُ - تَرْتَعِدُ وَتَنْقَبِضُ مِنْ قَوَارِعِهِ.
تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ - تَسْكُنُ وَتَطْمَئِنُّ، وَتُصْبِحُ لَيِّنَةً غَيْرَ مُنْقَبِضَةٍ.

(الْقِيَامَةِ) (لِلظَّالِمِينَ)

(٢٤) - لَا يَسْتَوِي الْمُجْرِمُونَ وَالْمُتَّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالْمُجْرِمُونَ الْكَافِرُونَ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَيْدِيهِمْ مَغْلُولَةٌ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَذْفَعُوا بِهَا سُوءَ الْعَذَابِ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيَضْطَرُّونَ إِلَى تَلْقِي الْعَذَابِ بِوُجُوهِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ تَبْكِيئًا وَتَقْرِيعًا: ذُوقُوا الْعَذَابَ الْإِلِيمَ جَزَاءَ لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَإِجْرَامِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.
أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى اتِّقَاءٍ مَحْظُورٍ مَخُوفٍ.

﴿٢٢﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

﴿٢٣﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ

﴿٢٤﴾ أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ

(فَاتَاهُمْ)

(٢٥) - كَذَّبَتِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ رُسُلَهَا فَصَبَّ اللَّهُ الْعَذَابَ عَلَى الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَأَخَذَهُمُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

(الْحَيَاةِ)

(٢٦) - فَأَخْرَأَهُمُ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِمَا أَنْزَلَهُ بِهِم مِّنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، وَإِنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ وَأَشَدُّ نَكَالًا مِّنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، لَوْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ وَالتَّقْدِيرِ.
الْخِزْي - الذُّلُّ وَالْهَوَانُ.

(الْقُرْآنِ)

(٢٧) - وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُقَرِّبَ الْمَعَانِي مِنْ أَفْهَامِ النَّاسِ فَضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ فِي الْقُرْآنِ، وَنَوَّعَ الْأَمْثَالَ فِيهِ زِيَادَةً فِي تَقْرِيبِ الْمَعَانِي وَإِبْضَاحِهَا، لَعَلَّ النَّاسَ يَفْهَمُونَ وَيَذْكُرُونَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ بِمَا قَصَّهُ عَلَيْهِمْ.

(قُرْآنًا)

(٢٨) - وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا وَاضِحًا لَا لَبْسَ فِيهِ وَلَا غُمُوضَ، وَلَا عِوَجَ وَلَا أَنْجِرَافَ لِيَفْهَمَ الْعَرَبُ مَعَانِيَهُ. وَيَعُوا مَرَامِيَهُ، لَعَلَّهُمْ يَقْتُونَ اللَّهَ، وَيَحْذَرُونَ نِقْمَهُ.
عِوَجٌ - اخْتِلَافٌ وَأَضْطِرَابٌ وَأَعْوِجَاجٌ.

(مُتَشَاكِسُونَ)

(٢٩) - يَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَثَلًا لِلْمُشْرِكِ الَّذِي يَعْبُدُ إِلَهَةً مَعَ اللَّهِ، وَلِلْمُؤْمِنِ الَّذِي يُخْلِصُ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ مَثَلَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ كَمَثَلِ عَبْدَيْنِ أَحَدُهُمَا يَمْلِكُهُ شُرَكَاءُ مُخْتَلِفُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَهُمْ يَتَجَادَبُونَ فِي أُمُورِهِمْ، وَهُوَ حَائِزٌ فِي أَمْرِهِ، إِذَا هُوَ أَرْضَى أَحَدَهُمْ أَغْضَبَ الْآخَرِينَ، وَإِذَا احْتَجَّ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرٍ مِنْهُمْ طَلَبَ إِلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْآخَرِينَ، فَهُوَ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ وَنَصَبٍ. أَمَّا الْعَبْدُ الْآخَرُ فَيَمْلِكُهُ رَجُلٌ سَوِيٌّ وَاحِدٌ، يَقُومُ الْعَبْدُ عَلَى خِدْمَتِهِ بِرَاحَةٍ وَإِخْلَاصٍ، فَأَيُّ الْعَبْدَيْنِ أَحْسَنُ حَالًا؟ فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَشْكُ عَاقِلٌ فِي أَنَّ الْعَبْدَ الَّذِي يَخْدُمُ سَيِّدًا وَاحِدًا أَحْسَنُ حَالًا، كَذَلِكَ لَا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُشْرِكِ.

وَإِذَا أَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى الْحُجَّةَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَمَدَ نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَلَى

١٥ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَتَاهُمْ

الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

١٦ فَادَاَقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

١٧ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا

الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ

يَنْذَكُرُونَ

١٨ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ

يَقْتُونَ

١٩ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ

شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا

لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

هَذَا الْبَيَانُ وَالْإِضَاحُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ .

شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ - مُتَنَازِعُونَ شُرُوسُ الطَّبَاعِ .

سَلَمًا لِرَجُلٍ - خَالِصًا لَهُ مِنَ الشَّرِكَةِ وَالْمُنَازَعَةِ .

(٣٠) - سَمَوْتُ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ ، وَسَيَمُوتُونَ هُمْ أَيْضًا .

(الْقِيَامَةِ)

(٣١) - ثُمَّ يَبْعَثُكُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِكُمْ ، وَيَحْشُرُكُمْ إِلَيْهِ فَتَخْتَصِمُونَ عِنْدَهُ . فَتَحْتَاجُ أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّكَ أُبْلَغْتَهُمْ مَا أُرْسَلْتَ بِهِ رَبُّكَ إِلَيْهِمْ فَكَذَّبُوكَ ، وَيَأْتُونَ هُمْ بِأَعْدَادٍ وَاهِيَةٍ لَا تَفِيدُهُمْ ، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ .

(لِلكَافِرِينَ)

(٣٢) - لَا أَحَدٌ أَكْثَرَ ظُلْمًا مِنْ شَخْصٍ قَالَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فَجَعَلَ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى ، وَأَدَّعَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ ، أَوْ جَعَلَ لِلَّهِ وَلَدًا ، ثُمَّ كَذَّبَ بِالْحَقِّ (بِالصَّدَقِ) لَمَّا جَاءَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِ اللَّهِ ، وَهُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ ، وَالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ . وَاللَّهُ تَعَالَى سَيَجْزِي مَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ بِإِدْخَالِهِ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَفَلَا تَكْفِي نَارَ جَهَنَّمَ الْكَافِرِينَ جَزَاءً لَهُمْ ، وَمَثْوًى وَمَنْزِلًا عَلَى أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ ؟

مَثْوًى لِلكَافِرِينَ - مَأْوًى وَمَقَامٌ لَهُمْ .

(أُولَئِكَ)

(٣٣) - وَالَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَالصَّدَقِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَالَّذِي صَدَّقَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ) ، هُمْ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ فَوَحَّدُوهُ ، وَتَبَرَّأُوا مِنَ الشَّرِكِ وَمِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ ، وَأَدَّأُوا الطَّاعَاتِ لِلَّهِ رَجَاءَ ثَوَابِهِ .

(يَسْأَلُونَ)

(٣٤) - وَهَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ لَهُمُ الْكَرَامَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ فَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتهُ ، وَلَهُمْ مَا تَشْتَهُهُ أَنْفُسُهُمْ ، وَتَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ ، وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ .

(٣٥) - وَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ لِيُحَقِّقَ مَا أَرَادَهُ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَكَرَامَةٍ ، وَمِنْ فَضْلِ يَزِيدُ عَلَى الْعَدْلِ يُعَامِلُهُمْ بِهِ . فَالْعَدْلُ أَنْ تُحَسَّبَ الْحَسَنَاتُ وَتُحَسَّبَ السَّيِّئَاتُ ثُمَّ يُكَوَّنَ الْجَزَاءُ . أَمَّا الْفَضْلُ فَهُوَ أَنْ يُعَامِلَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى ، وَهُوَ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ أَسْوأَ أَعْمَالِهِمْ فَلَا يَبْقَى

٣٠ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ

٣١ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ



٣٢ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ

كَذَبَ عَلَى اللَّهِ

وَكَذَّبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِلْكَافِرِينَ

٣٣ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ

بِهِ أَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

٣٤ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ

ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ

٣٥ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوأَ

الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ

بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ

لَهَا حِسَابٌ فِي مِيزَانِهِمْ، وَأَنْ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِحِسَابِ الْإِحْسَنِ فِيمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، فَتَزِيدُ الْحَسَنَاتِ وَتَرْجِعُ عَلَى السَّيِّئَاتِ فِي الْمِيزَانِ.

(٣٦) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِي الَّذِي يَعْبُدُهُ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فَيَوْمُنَ الرَّزْقُ لَهُ، وَيَصْرِفُ عَنْهُ الْبَلَاءَ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ. وَيُخَوِّفُكَ الْمُشْرِكُونَ بِغَيْرِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا جَهْلًا وَضَلَالًا، فَهَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ، وَكُلُّ نَفْعٍ وَضَرٍّ لَا يَصِلُ إِلَّا بِإِزَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ يَهْدِيهِ إِلَى الرَّشَادِ، وَيُنْقِذُهُ مِنَ الضَّلَالَةِ.

(٣٧) - وَمَنْ يُؤَفِّقَهُ اللَّهُ إِلَى الْخَيْرِ وَالْهُدَى وَالسَّعَادَةِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُضِلَّهُ، وَلَا أَنْ يَصُدَّهُ عَنْ مَقْصِدِهِ إِذْ لَا رَادَّ لِأَمْرِ اللَّهِ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ لَا يُغَالَبُ، وَهُوَ تَعَالَى ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَمَنْ لَجَأَ إِلَى بَابِهِ الْكَرِيمِ فَلَا يَضَامُ.

(لَيْلِنَ) (السَّمَاوَاتِ) (أَفْرَأَيْتُمْ) (كَاشِفَاتِ) (مُمْسِكَاتِ)

(٣٨) - وَإِذَا سَأَلْتَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُمْ يَعْترِفُونَ بِأَنَّهُ اللَّهُ الْعَالِمُ الْحَكِيمُ. وَإِذَا كُنَّا يُقِرُّونَ بِوُجُودِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ، فَكَيْفَ سَأَعُ لَهُمْ عِبَادَةٌ غَيْرُهُ، أَوْ إِشْرَافٌ غَيْرُهُ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ؟

فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَخْبِرُونِي عَنْ إِلَهَيْكُمْ هَذِهِ هَلْ تَقْدِرُ أَنْ تَكْشِفَ عَنِّي ضُرًّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُنْزِلَهُ بِي، أَوْ تَمْنَعُ وَصُولَ خَيْرٍ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيَّ؟ وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُمْ سَيَقْرُونَ بِأَنَّهَُا غَيْرُ قَادِرَةٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ فَلَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَعْبُدَهَا وَيَخَاصِمَ فِي سَبِيلِهَا. وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَسْبِي وَكَفَائِي. وَأَنَا أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِي، وَعَلَيْهِ يَجِبُ أَنْ يَتَوَكَّلَ مَنْ أَرَادَ التَّوَكُّلَ وَالْإِعْتِمَادَ.

(وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى

اللَّهِ). (أَخْرَجَهُ أَبُو أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ).

أَفْرَأَيْتُمْ - أَخْبِرُونِي.

حَسْبِي اللَّهُ - اللَّهُ كَافِيٌّ فِي جَمِيعِ أُمُورِي.

(يَا قَوْمِ) (عَامِلِ)

(٣٩) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَعْمَلُوا أَنْتُمْ عَلَى طَرِيقَتِكُمْ مَا تَرَوْنَهُ حَسَنًا، وَإِنِّي أَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِي وَمَنْهَجِي مَا يُوقِنِي اللَّهُ إِلَيْهِ فِي سَبِيلِ إِبْلَافِ دَعْوَةِ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ مَنْ سَيَكُونُ الرَّابِحُ الْفَائِزُ أَنَا أَوْ أَنْتُمْ؟

﴿٣٦﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ.

وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ

دُونِهِ. وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا

لَهُ مِنْ هَادٍ

﴿٣٧﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ

أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ

﴿٣٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ

هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ

أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ

مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ

اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ

﴿٣٩﴾ قُلْ يَتَقَوِّمُ أَعْمَلُوا عَلَى

مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

مَكَاتِنَكُمْ - حَالَتِكُمْ الْمَتَمَكِّينَ مِنْهَا، أَوْ مِنْهَجِكُمْ، وَطَرِيقَتِكُمْ.

(٤٠) - وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ الْمَبْطُلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ عَذَابُ اللَّهِ الْمُخْزِي الْمُهِينُ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ يَكُونُ الْعَذَابُ عَاقِبَتَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا.

يُخْزِيهِ - يُذِلُّهُ.

يَجْلُ عَلَيْهِ - يَجِبُ عَلَيْهِ.

(الْكِتَاب)

(٤١) - إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ يَا مُحَمَّدُ، مُشْتَمِلًا عَلَى الْحَقِّ الثَّابِتِ لِنُبَلِّغَهُ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ، وَلِتَذَعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِتُنْذِرَهُمْ عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ، فَمَنْ أَهْتَدَى وَأَمَنَ بِمَا جِئْتُهُ بِهِ فَإِنَّ فَائِذَةَ ذَلِكَ تَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ وَضَلَّ، فَإِنَّهُ لَا يُضِلُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَسْتَ رَقِيبًا تَرَاقِبُ مَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مُبْلَغٍ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَى اللَّهِ الْحِسَابُ.

(لَايَاتِ)

(٤٢) - اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ الْأَنْفُسَ حِينَ أَنْتَهَاءِ الْأَجَالِ بِالْمَوْتِ، وَيَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ النَّائِمَةَ الَّتِي لَمْ يَجْنُ أَجْلُهَا، فَيَقْبِضُهَا عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الْأَجْسَادِ، مَعَ بَقَاءِ الْأَرْوَاحِ مُتَّصِلَةً بِهَا، فَيَمْسِكُ اللَّهُ الْأَنْفُسَ، الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ، فَلَا يَرُدُّهَا إِلَى الْأَجْسَادِ، وَيَرُدُّ الْأَنْفُسَ النَّائِمَةَ إِلَى الْأَجْسَادِ حِينَ الْبَقْظَةِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، وَهُوَ وَقْتُ الْمَوْتِ الْمُقَرَّرِ. وَفِيمَا ذَكَرَ آيَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَدَلَالَاتٍ كَبِيرَةٍ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، لِمَنْ يَتَفَكَّرُونَ فِي عَجَائِبِ صُنْعِ اللَّهِ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ - يَقْبِضُهَا عَنِ الْأَبْدَانِ.

(٤٣) - أَمْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ اتَّخَذُوا الْآلِهَةَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا شُفْعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ؟ فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: اتَّخَذُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ شُفْعَاءَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا تَزْعُمُونَ؟ حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ لَا تَمْلِكُ لَكُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا تَعْقِلُ أَنْكُمْ تَعْبُدُونَهَا؟

(السَّمَاوَاتِ) (الشَّفَاعَةُ)

(٤٤) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الشَّفَاعَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ شَيْءٌ مِنْهَا، إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلِمَنْ أَرْتَضَاهُ وَأَذِنَ لَهُ، فَمَرَّجِعُهَا كُلُّهَا إِلَيْهِ، فَهُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهَا، وَلَا شَرَكَةَ لِأَحَدٍ فِيهَا، وَإِلَيْهِ

٤٠ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَجْلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ

٤١ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ

بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ

٤٢ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

٤٣ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ

٤٤ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

يَرْجِعُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِعَدْلِهِ، وَيَجْزِي كُلًا بِعَمَلِهِ.
لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا - لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

(٤٥) - وَإِذَا قِيلَ لِأَمَامِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، تَشْمِئُزْ قُلُوبُهُمْ، وَتَنْقَبِضُ قَسَمَاتُ وُجُوهِهِمْ غَيْظًا وَالْمَسَاءُ، وَإِذَا ذُكِرَتِ الْإِلَهَةُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، اسْتَبْشَرُوا وَفَرِحُوا.
اسْمَأَزَّتْ - نَفَرَتْ وَانْقَبَضَتْ عَنِ التَّوْحِيدِ.

(السَّمَاوَاتِ) (عَالِمِ) (الشَّهَادَةِ)

(٤٦) - فَادْعُ يَا مُحَمَّدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمُبْدِعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، عَالِمِ السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ، فَتَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا، فَاحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ.
فَاطِرٌ - مُبْدِعٌ وَمُخْتَرَعٌ وَخَالِقٌ.

(الْقِيَامَةِ)

(٤٧) - وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مَلَكَوا جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ، وَمَلَكَوا مِثْلَهُ مَعَهُ، وَرَأَوْا سُوءَ الْعَذَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَتَمَنَّوْا أَنْ يُقَدِّمُوا جَمِيعَ ذَلِكَ فِدَاءً لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَأْتُونَ رَبَّهُمْ فِرَادَى لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، وَلَوْ مَلَكَوا شَيْئًا لَمَّا قَبِلَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ فِدَاءً.

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبُ يَظْهَرُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِمْ، وَمَا لَمْ يُحَدِّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِهِ.
يَحْتَسِبُونَ - يَظُنُّونَهُ وَيَتَوَقَّعُونَهُ وَيُدْخِلُونَهُ فِي حِسَابِهِمْ.

(يَسْتَهْزِئُونَ)

(٤٨) - وَتَظْهَرُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ صَحَائِفُ أَعْمَالِهِمْ وَفِيهَا جَمِيعُ مَا أَجْتَرَحُوهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَآرَتَكَبُوهُ مِنَ الْآثَامِ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ سَيُجَازَوْنَ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ، عَظِيمُهَا وَحَقِيرُهَا، وَيُحِيطُ بِهِمُ الْعَذَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَيُؤَفِّنُونَ بِأَنَّهُمْ لَا نَجَاةَ لَهُمْ مِنْهُ، لِكُفْرِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِمَا كَانَ يُنْذِرُهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ.
حَاقَ بِهِمْ - نَزَلَ بِهِمْ أَوْ أَحَاطَ بِهِمْ.

(٤٩) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ

اسْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

(٥٠) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

(٥١) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا

مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَأَفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ

(٥٢) وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا

وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

(الْإِنْسَانُ) (خَوَلَنَاهُ)

(٤٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ هُنَا يَقْصِدُ الْمُشْرِكِينَ، فَهُوَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الضَّرُّ وَالْبَلَاءُ تَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ، وَأَتَابَ وَأَخْلَصَ إِلَيْهِ الدُّعَاءَ، وَإِذَا كُشِفَ عَنْهُ الضَّرُّ، وَآتَاهُ النِّعْمَةُ، طَغَى وَبَغَى وَكَفَرَ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ آتَاهُ النِّعْمَةَ وَالْمَالَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، وَلَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَى اللَّهِ لِمَا أَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْإِنْسَانُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ لِيُخَبِّرَهُ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ لِيَرَى أَطِيعَ وَيَشْكُرُ، أَمْ يَطْغَى وَيَكْفُرُ؟ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ، وَيَدْعُونَ مَا يَدْعُونَ.

خَوَلَنَاهُ نِعْمَةً - أَعْطَيْنَاهُ إِيَّاهَا تَفَضُّلاً وَإِحْسَاناً.
هِيَ فِتْنَةٌ - تِلْكَ النِّعْمَةُ أَمْتِحَانٌ وَآبِتَاءٌ.

(٥٠) - وَقَدْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَادَّعَى هَذَا الْادِّعَاءَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئاً مَا يَكْسِبُونَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَلَا مَا يَجْمَعُونَ مِنْ حُطَامِهَا حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ عُقُوبَتَهُ، بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ، وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِرُسُلِ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ.

(٥١) - فَحَلَّ بِأُولَئِكَ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ جَزَاءُ السَّيِّئَاتِ الَّتِي أَكْتَسَبُوهَا، فَعُوجِلُوا بِالْجَزَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَسَيُصِيبُهُمُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ الدَّائِمُ فِي الْآخِرَةِ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ (مِنْ هَؤُلَاءِ) سَيُنْزَلُ بِهِمْ عِقَابُ السَّيِّئَاتِ الَّتِي أَكْتَسَبُوهَا، كَمَا نَزَلَ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَسَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ فَيَحْسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَنْ يُعْجِزُوا اللَّهَ طَلَباً.
بِمُعْجِزِينَ - بِفَائِتِينَ مِنَ الْعَذَابِ بِالْهَرَبِ.

(آيَاتِ)

(٥٢) - أَلَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى قَوْمٍ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى قَوْمٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ جَهْلًا مِنَ الْمُقِلِّ بِمَعْرِفَةِ طَلَبِ الرِّزْقِ، وَلَا عِلْماً بِالْمَوْسِعِ عَلَيْهِ فِي طَلَبِهِ وَسَعْيِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ الْعَاقِلُ الْقَادِرُ ضَيِّقَ الرِّزْقِ، وَالْجَاهِلُ الْأَحْمَقُ ذَا بَسْطَةٍ فِي الْمَالِ، وَإِنَّمَا هُوَ اللَّهُ تَعَالَى يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، لِحِكْمٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَاتٌ وَعِبَرٌ وَعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَيُوقِنُونَ أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ.

يَقْدِرُ - يُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِحُكْمَتِهِ.

١٩ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ عَانَاثُمْ
إِذَا خَوَلَنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا
أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

٥٠ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا
أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

٥١ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ
سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ

٥٢ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

(يَا عِبَادِي)

(٥٣) - يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى الْعَصَاةَ وَالْكَفَرَةَ وَالْمُسْرِفِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ تَجَاوَزَ حُدُودَ مَا شَرَعَ اللَّهُ، إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَيُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ، وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ وَالْإِسْرَافِ فِي الْأَمْرِ، إِلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْغَفُورُ وَهُوَ الرَّحِيمُ. (وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: كَفَّارَةُ الذُّنُوبِ النَّدَامَةُ.).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ)

أَسْرَفُوا - تَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الْمَعَاصِي .
لَا تَقْنَطُوا - لَا تَيَاسُوا .
الذُّنُوبَ جَمِيعًا - إِلَّا الشُّرْكَ .

(٥٤) - وَيَسْتَحِثُّ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى التَّوْبَةِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: ارْجِعُوا إِلَى رَبِّكُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ بِكُمْ نَقْمُهُ، وَقَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ الْعَذَابُ، وَحِينَئِذٍ لَا تَجِدُونَ مَنْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ. وَلَا مَنْ يَدْفَعُ عَنْكُمْ عَذَابَهُ

أَنْبِيَا إِلَى رَبِّكُمْ - ارْجِعُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ .
أَسْلِمُوا إِلَيْهِ - أَخْلَصُوا لَهُ عِبَادَتَكُمْ .

(٥٥) - ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِاتِّبَاعِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ (وَهُوَ أَحْسَنُ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَى عِبَادِهِ)، وَبِاجْتِنَابِ مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمُ الْعَذَابُ فَجَاءَهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَلَا يَنْتَظِرُونَ وَقُوعَهُ حِينَ يَغْشَاهُمْ.

بَغْتَةً - فَجَاءَةً .

(يَا حَسْرَتًا) (السَّاخِرِينَ)

(٥٦) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ وَبِالرَّجُوعِ إِلَيْهِ تَعَالَى لِكَيْلَا يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقُولَ بَعْضُ الْأَنْفُسِ حِينَ تَرَى صِدْقَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ: يَا حَسْرَتِي عَلَى تَقْصِيرِي فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى سُخْرِيَّتِي وَأَسْتَهْزَئِي بِرَسُولِ اللَّهِ، وَبِمَا جَاءَنِي بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

يَا حَسْرَتًا - يَا نَدَامَتِي وَيَا حُزْنِي
فَرَطْتُ - قَصُرْتُ .

فِي جَنْبِ اللَّهِ - فِي حَقِّهِ وَفِي طَاعَتِهِ .
السَّاخِرِينَ - الْمُسْتَهْزِئِينَ .



٥٣ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

٥٤ وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لِلَّهِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ

٥٥ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً
وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

٥٦ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْزَرُنِي عَلَى مَا
فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ
لِمَنِ السَّاخِرِينَ

(هَدَانِي)

(٥٧) - أَوْ تَقُولُ بَعْضُ الْأَنْفُسِ الْمُذْنِبَةِ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي وَارْشَدَنِي إِلَى دِينِهِ وَطَاعَتِهِ، لَكُنْتُ فِي الدُّنْيَا بِمَنْ أَتَقَى اللَّهَ، وَتَرَكْتُ الشَّرْكَ، وَأَقْلَعْتُ عَنِ آرْتِكَابِ الْمَعَاصِي.

(٥٨) - أَوْ تَقُولُ بَعْضُ الْأَنْفُسِ الْمُذْنِبَةِ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَيْتَ لِي رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا فَاتَّبِعَ الرُّسُلَ، وَأَكُونُ مِنَ الْمُهْتَدِينَ الْمُحْسِنِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ. كَرَّةٌ - رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا.

(آيَاتِي) (الْكَافِرِينَ)

(٥٩) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ الْمُتَبَايِطِينَ فِي التَّوْبَةِ. إِنَّ رَدَّهُ تَعَالَى عَلَى تِلْكَ الْأَنْفُسِ الَّتِي تَتَمَنَّى الْمُنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَتَحَسَّرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا مِنْ قُصُورٍ، هُوَ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الْيَوْمَ، فَقَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فِي الدُّنْيَا عَلَى لِسَانِ رُسُلِي تُذَكِّرُكَ وَتَدْعُوكَ وَتُنذِرُكَ فَكَذَّبْتَ بِهَا، وَاسْتَكْبَرْتَ عَنْ قَبُولِهَا، وَكُنْتَ مِنَ الثَّابِتِينَ عَلَى الْكُفْرِ.

(الْقِيَامَةِ)

(٦٠) - وَتَرَى يَا مُحَمَّدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ، فَرَعَمُوا أَنْ لَهُ وَلَدًا أَوْ صَاحِبَةً أَوْ شَرِيكًا، أَوْ عَبْدُوا مَعَ اللَّهِ شُرَكَاءَ... الْخِ قَدْ أَسْوَدَتْ وَجُوهُهُمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالْحُزْنِ وَالْكَآبَةِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ النَّارَ لِيَلْقَوْا فِيهَا الْعَذَابَ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ. أَوْ لَيْسَتْ جَهَنَّمُ كَافِيَةً سِجْنًا وَمَوْتَلًا لِلْمُتَكَبِّرِينَ فَيَرَوْا فِيهَا الْخِزْيَ وَالْهَوَانَ بِسَبَبِ تَكْبَرِهِمْ وَتَجَبُّرِهِمْ. وَاسْتَعْلَانِهِمْ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ لِلْحَقِّ. مَتَوًى - مَاوًى وَمَقَامٌ.

(٦١) - وَنَجَّى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ الَّذِينَ اتَّقَوْا الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِي بِمَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ مِنَ السَّعَادَةِ وَالْفَوْزِ (بِمَقَارَتِهِمْ)، وَنَبِلَهُمْ مَا يَتَغَوَّنُهُ، وَيُعْطِيهِمْ فَوْقَ مَا كَانُوا يُؤْمَلُونَ، وَلَا يَمَسُّهُمْ أَدَى جَهَنَّمَ، وَلَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْغُ الْأَكْبَرُ، بَلْ هُمْ آمِنُونَ مِنْ كُلِّ فَرْعٍ. الْمَقَارَةُ - الظَّفَرُ بِالْبَغْيَةِ.

(خَالِقُ)

(٦٢) - اللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْخَالِقُ لِجَمِيعِ مَا فِي الْوُجُودِ، وَهُوَ الْقَائِمُ عَلَى

٥٧ أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

٥٨ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

٥٩ بَلَى قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ

٦٠ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ

٦١ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِقَارَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

٦٢ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

كُلُّ نَفْسٍ يَتَوَلَّى الْوُجُودَ بِحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ، فَلَا شَيْءَ جَمِيعُهَا مُحْتَاجَةٌ إِلَى اللَّهِ فِي وُجُودِهَا وَفِي بَقَائِهَا.

(السَّمَاوَاتِ) (بَيَّاتٍ) (أُولَئِكَ) (الْخَاسِرُونَ)

(٦٣) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْحَافِظُ لِخَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمُدَبِّرُهَا وَمَالِكُهَا وَمَالِكُ مَقَاتِلِهَا (مَقَالِيدُهَا) فَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِكُلِّ شَيْءٍ مَخْزُونٍ فِيهَا.

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: وَاللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ تَصَارِيفُ أُمُورِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَتَصَرَّفُ فِيهِنَّ سِوَاهُ).

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبَيَّاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ الدَّالَّةُ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ. الْمَقَالِيدُ - الْمَقَاتِلُ وَالْخَزَائِنُ، وَقِيلَ إِنَّهُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ.

(الْجَاهِلُونَ)

(٦٤) - دَعَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعْبُدَ مَعَهُمْ أَصْنَامَهُمْ عَلَى أَنْ يَعْبُدُوا هُمْ مَعَهُ اللَّهُ، مَعَ اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَفِيهَا يُؤَيِّخُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْجَاهِلِينَ، وَيَأْمُرُ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: أَفَتَأْمُرُونَنِي أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ بِأَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِي بِاللَّهِ، وَمُشَاهَدَتِي الْأَدِلَّةِ وَالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَالْخَلْقِ؟ إِنَّ هَذَا لَنْ يَكُونَ أَبَدًا.

(لَيْسَ) (الْخَاسِرِينَ)

(٦٥) - يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ مِنَ الشُّرْكِ عَلَى لِسَانِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: لَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْكَ أَنَّهُ إِذَا حَصَلَ مِنْكَ إِشْرَاكَ بِهِ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ أَوْ الْأَوْثَانِ لِيَبْطُلَنَّ عَمَلُكَ جَمِيعُهُ، وَكُلُّ مَا فَعَلْتَهُ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ (كَصَلَاةِ الرَّحِمِ، وَبِرِّ الْفُقَرَاءِ... الخ)، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا مَا أَوْحَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ.

لِيَحْبَطَنَّ - لِيَهْلِكَنَّ وَلِيَبْطُلَنَّ.

(الشَّاكِرِينَ)

(٦٦) - لَا تُطْعِ قَوْمَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، الَّتِي يَدْعُونَكَ إِلَى عِبَادَتِهَا، وَأَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ بِهَذَايِكَ إِلَى طَرِيقِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ

أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ

وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ

عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ

الشَّاكِرِينَ

(الْقِيَامَةُ) (السَّمَاوَاتُ) (مَطْوِيَّاتُ) (سُبْحَانَهُ) (تَعَالَى)

(٦٧) - مَا عَظَّمَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ التَّعْظِيمِ الَّذِي يَسْتَجِئُهُ جَنَابُهُ، إِذْ عَبْدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الْقَادِرُ، الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْأَرْضُ كُلُّهَا تَكُونُ فِي قَبْضَتِهِ تَعَالَى، وَطَوْعُ أَمْرِهِ وَتَحْتَ قُدْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَالسَّمَاوَاتُ تُطَوَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَمِينِهِ تَعَالَى طَيِّ السَّجَلِ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْكِتَابَةِ، لَا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ شَيْءٌ، تَعَالَى اللَّهُ وَتَنَزَّهَ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَعَمَّا يَجْعَلُونَ لَهُ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ، وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ.

(السَّمَاوَاتُ)

(٦٨) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ، وَالْآيَاتِ وَالزَّلَازِلِ، وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الصُّورَ (وَهُوَ قَرْنٌ إِذَا نَفِخَ فِيهِ أُحْدِثَ صَوْتًا) يُنْفَخُ فِيهِ نَفْخَتَانِ: نَفْخَةٌ يَمُوتُ فِيهَا الْخَلْقُ وَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَيُصْعَقُونَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْتَتِيهَ مِنَ الصَّعَقِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ فَيَقُومُ الْخَلْقُ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ يَنْظُرُونَ حَوْلَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا عِظَامًا وَرَفَاتًا. الصُّورُ - قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ فَيُحْدِثُ صَوْتًا. صَبَقَ - هَلَكَ وَمَاتَ.

(الْكِتَابُ) (جِيءَ) (بِالنَّبِيِّينَ)

(٦٩) - وَتُضَيِّءُ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا حِينَ يَتَجَلَّى تَعَالَى عَلَى الْخَلَائِقِ الْمَخْشُورَةِ إِلَيْهِ، وَيُوضَعُ الْكِتَابُ الَّذِي يَحْوِي أَعْمَالَ الْخَلَائِقِ جَمِيعًا وَيُخَصِّصُهَا عَلَيْهِمْ (وَقِيلَ بَلْ إِنَّ كِتَابَ أَعْمَالِ كُلِّ وَاحِدٍ يُوضَعُ فِي يَدِهِ). وَيُؤْتَى بِالنَّبِيِّينَ لِيَشْهَدُوا عَلَى الْأُمَمِ بِأَنَّهُمْ أُبْلَغُوهُمْ رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ، وَيُؤْتَى بِالشُّهَدَاءِ - وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْحَفَظَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْعِبَادِ لِيُخَصِّصُوا أَعْمَالَهُمْ - لِيَشْهَدُوا أَيْضًا عَلَى الْخَلَائِقِ. ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْعِبَادِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ فَلَا يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابٍ، وَلَا يَزِيدُ فِي عِقَابٍ (وَلَا يُظْلَمُونَ).

وُضِعَ الْكِتَابُ - أُعْطِيَتْ صُحُفُ الْأَعْمَالِ لِأَصْحَابِهَا أَوْ يُوضَعُ الْكِتَابُ الْحَاوِي أَعْمَالَ الْخَلَائِقِ لِيُحَاسِبَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَسَاسِهِ.

(٧٠) - وَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ الْجَزَاءَ الْعَادِلَ الَّذِي تَسْتَحِقُّهُ عَلَى أَعْمَالِهَا، إِنَّ خَيْرًا فَخِيرًا، وَإِنْ شَرًّا فَفَسَادًا. وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْأَعْلَمُ بِمَا كَانَ يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَقُوتُهُ مِنْهُ شَيْءٌ.

٦٧ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

٦٨ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ

٦٩ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

وُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ
بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

٧٠ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ

وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ

(جَاؤُوهَا) (أَبْوَابُهَا) (آيَاتِ) (الْكَافِرِينَ)

(٧١) - وَيُسَاقُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ جَمَاعَاتٍ (زُمرًا) سَوْقًا غَنِيماً يَرْجُرُ وَتَهْدِيدٍ، وَحِينَمَا يَصْلُونَ إِلَيْهَا، تَفْتَحُ لَهُمْ جَهَنَّمَ أَبْوَابُهَا، وَيَقُولُ لَهُمْ حُرَّاسُ جَهَنَّمَ (خَزَنَتُهَا): أَلَمْ يَأْتِكُمْ فِي الدُّنْيَا رَسُولٌ مِنْ جَنْسِكُمْ يُحَذِّرُكُمْ مِنْ هَؤُلَ هَذَا الْيَوْمِ؟ فَيَجِيبُونَ مُعْتَرِفِينَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّهِمْ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْإِفْلَاحِ عَنِ الْكُفْرِ. وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا الرَّسُولَ، وَخَالَفُوهُمْ، وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِمْ لِمَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَعَذَلُوا بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ فَاسْتَحَقُّوا هَذَا الْمَصِيرَ.
زُمرًا - جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً مُتَابِعَةً
حَقَّتْ - وَجِبَتْ وَنَبَتَتْ.

(أَبْوَابِ) (خَالِدِينَ)

(٧٢) - وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ لَتَبْقُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، وَيَسْتَسْ جَهَنَّمَ مَصِيرًا وَمَقِيلًا لِمَنْ كَانُوا يَتَكَبَّرُونَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَرْفُضُونَ أَتْبَاعَ الْحَقِّ، فَيَسَّ الْحَالِ، وَيَسَّ الْمَالِ.

(جَاؤُوهَا) (أَبْوَابُهَا) (سَلَامِ) (خَالِدِينَ)

(٧٣) - وَيُوجَّهُ الْمُتَّقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ جَمَاعَاتٍ إِثْرَ جَمَاعَاتٍ: الْمُقَرَّبُونَ، ثُمَّ الْأَبْرَارُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. فَإِذَا وَصَلُوا الْجَنَّةَ تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُهَا لِاسْتِقْبَالِهِمْ، وَيَسْتَقْبِلُهُمْ حُرَّاسُهَا (خَزَنَتُهَا) بِالسَّلَامِ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ وَأَقْوَالُكُمْ، وَطَابَ سَعْيُكُمْ وَجَزَاؤُكُمْ، فَادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَتَمَكَّنُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا.
طَبْتُمْ - طَهَّرْتُمْ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

(الْعَامِلِينَ)

(٧٤) - وَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ يُعَابِنُونَ فِي الْجَنَّةِ الْجَزَاءَ الْوَافِرَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لَهُمْ، وَالنَّعِيمَ الْمُقِيمَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ وَعَدَنَا عَلَى السَّيِّئَةِ رُسُلِهِ الْكَرَامَ بِالثَّوَابِ الْكَرِيمِ فِي الْآخِرَةِ فَصَدَقْنَا مَا وَعَدَنَا بِهِ، وَآكْرَمَنَا بِأَنْ جَعَلَنَا نَتَصَرَّفُ فِي أَرْضِ الْجَنَّةِ تَصَرَّفَ الْوَارِثِ فِيمَا يَرِثُ، فَتَتَّخِذُ مِنْهَا مَبَاءةً وَمَسْكَنًا حَيْثُ نَشَاءُ، فَنَعْمُ الْأَجْرُ أَجْرُنَا عَلَى عَمَلِنَا، وَنَعْمَ الثَّوَابُ ثَوَابُنَا الَّذِي آكْرَمَنَا بِهِ اللهُ تَعَالَى.
صَدَقْنَا وَعَدَهُ - أَنْجَزْنَا مَا وَعَدَنَا مِنَ النَّعِيمِ.
نَتَّبِعُوا - نَزَلُ.

﴿٧١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ

جَهَنَّمَ زُمرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ

﴿٧٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
لِلْمُتَكَبِّرِينَ

﴿٧٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ

الْجَنَّةِ زُمرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طِبِّتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ

﴿٧٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

صَدَقْنَا وَعَدَهُ. وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ
نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ
نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

(الْمَلَائِكَةُ) (الْعَالَمِينَ)

(٧٥) - وَتُحَدِّقُ الْمَلَائِكَةُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ حَوْلِ عَرْشِ رَبِّهِمُ الرَّحْمَنِ
يُمَجِّدُونَهُ وَيُعْظَمُونَهُ وَيَنْزَهُونَهُ عَنِ الْجَوْرِ وَعَنِ النَّقَائِصِ ، وَقَدْ قُضِيَ
الْأَمْرُ ، وَحَكَمَ الرَّبُّ بَيْنَ الْخَلَائِقِ بِعَدْلِهِ التَّامِّ ، وَنَطَقَ الْكَوْنُ أَجْمَعُهُ
بِحَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ عَلَى حُكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ فِي حُكْمِهِ .

حَافِينَ - مُحِيطِينَ وَمُحَدِّقِينَ .

وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ

حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(٤) سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا أَحْسَنُ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حَا . مِيم)

(١) - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ .

(الْكِتَابِ)

(٢) - هَذَا الْقُرْآنُ (الْكِتَابُ) مُنْزَلٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْعِزَّةِ الَّذِي لَا يُرَامُ جَنَابُهُ، وَذِي الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ .

(٣) - وَاللَّهُ تَعَالَى مُنْزَلُ الْقُرْآنِ هُوَ الَّذِي يَغْفِرُ مَا سَلَفَ مِنَ الذَّنْبِ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِمَّنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَتَابَ، وَأَخْلَصَ فِي التَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ، وَهُوَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ تَمَرَّدَ وَطَغَى، وَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَهُوَ الْمَتَّقُضِلُّ عَلَى عِبَادِهِ، وَهُوَ ذُو الْمَنِّ وَالطُّوْلِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَإِلَيْهِ تَعَالَى الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ وَالْمُنْقَلَبُ .

غَافِرِ الذَّنْبِ - سَاتِرِ الذَّنْبِ لِلْمُؤْمِنِينَ .

قَابِلِ التَّوْبِ - الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنَ الْمُذْنِبِينَ .

ذِي الطُّوْلِ - ذِي الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ .

(يُجَادِلُ) (آيَاتِ) (الْبِلَادِ)

(٤) - لَا يُخَاصِمُ فِي الْقُرْآنِ بِالطَّعْنِ فِيهِ، وَتَكْذِيبِهِ، وَلَا يَدْفَعُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ بَعْدَ الْبَيَانِ، وَظُهُورِ الْبُرْهَانِ، إِلَّا الْجَاحِلُونَ لَايَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ، الْمَعْرِضُونَ عَنِ الْحَقِّ مَعَ ظُهُورِهِ وَوُضُوحِهِ . فَلَا يَغْرُرُكَ أَنْتَقَالُهُمْ فِي الْبِلَادِ، وَأَسْفَارُهُمْ فِيهَا لِلتَّجَارَةِ وَالتَّكْسِبِ، ثُمَّ عَوْدَتُهُمْ سَالِمِينَ، بَعْدَ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُمُ الْهَلَاكُ .

فَلَا يَغْرُرُكَ - فَلَا يَخْدَعَنَّكَ .

تَقْلُبُهُمْ - تَنْقُلُهُمْ فِي أَسْفَارِهِمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ فَهُوَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ .

١ حَم



٢ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

٣ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ
الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ

٤ مَا يَجِدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا

الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ
فِي الْبِلَادِ

(وَجَادَلُوا) (بِالْبَاطِلِ)

(٥) - يُسَلِّيَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يَلَاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ الْمُكَذِّبِينَ، وَإِعْرَاضِ الْمُعْرِضِينَ، فَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ الْأُمَّةَ السَّابِقَةَ كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، وَلَمْ يُؤْمِنْ لَهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَلِمُحَمَّدٍ فِي الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ أُسُوءَ حَسَنَةً. فَقَدْ كَذَّبَ قَوْمُ نُوحٍ، نَبِيَّهُمْ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَحَزَّبَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جَمَاعَةٌ عَلَى رَسُولِهِمْ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ، وَحَرَصَتْ كُلُّ أُمَّةٍ عَلَى الْإِسَاءَةِ إِلَى رَسُولِهِمْ وَإِذَائِهِ، وَخَاصَّمُوا رَسُولَهُمْ بِالْبَاطِلِ، بِإِسْرَادٍ حُجَجٍ وَشَبِّهِ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَأَسْتَصَلْ شَأْنَهُمْ، فَكَانَ عِقَابًا أَلِيمًا لَهُمْ. وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ بِالْمُكَذِّبِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِثْلَ ذَلِكَ. لِيُدْحِضُوا - لِيَبْطُلُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ.

(كَلِمَةً) (أَصْحَابُ)

(٦) - وَكَمَا حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ مِنَ الْأُمَّةِ السَّالِفَةِ، كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ اللَّهِ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُوجِبُ عِقَابَ الْفَرِيقَيْنِ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبُ الرُّسُلِ، وَمُعَانَدَةُ الْحَقِّ. حَقَّتْ - وَجَبَتْ وَبَيَّنَتْ بِالْإِهْلَاكِ.

(آمَنُوا)

(٧) - إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّهِمْ، وَالْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَوْلِهِ يَتَزَاهَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَالْآيَةِ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُسِيئِينَ الَّذِينَ تَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ، وَتَرْكِ الْمُنْكَرِ، وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يُجَنِّبَ (يَقِي) هَؤُلَاءِ النَّاسِ الْمُتَابِينَ الْمُتَابِعِينَ عَذَابَ النَّارِ. سَبِيلَكَ - طَرِيقَ الْهُدَى - الَّذِينَ الْقَوِيمَ. قِيَمَهُمْ - أَحْفَظَهُمْ وَجَنَّبَهُمْ.

(جَنَاتٍ) (آبَائِهِمْ) (أَزْوَاجِهِمْ) (ذُرِّيَّاتِهِمْ)

(٨) - وَتَتَابِعُ الْمَلَائِكَةُ الْأَطْفَالَ دُعَاءَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ النَّاسِ، فَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَعَدَهُمْ تَعَالَى بِهَا عَلَى الْأَمْسَةِ رُسُلِهِ، وَأَنْ يُدْخِلَ مَعَهُمُ الْجَنَّاتِ الصَّالِحِينَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ لِيَقَرَّ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ، فَإِنَّ الْاجْتِمَاعَ بِالْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ فِي مَوَاضِعِ الشَّرُّورِ يَكُونُ

٥ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ
وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ
كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ
وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا
بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ

٦ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ

٧ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ
بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ
رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ
تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ

٨ رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ
الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ
مِنْ آبَائِهِمْ وَازْوَاجِهِمْ

أَكْمَلُ لِلْبَهْجَةِ وَالْأَنْسِ، فَأَنْتَ يَا رَبَّ الْعَالِبِ الَّذِي لَا يُقَاوَمُ، الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَفِعْلِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

(يَوْمِئِذٍ)

(٩) - وَأَصْرَفَ عَنْهُمْ عَاقِبَةَ مَا أَفْتَرَوْهُ مِنْ فِعْلِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ (أَوْ أَصْرَفَ عَنْهُمْ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ)، وَمَنْ تَصْرَفَ عَنْهُ عَاقِبَةُ مَا أَرْتَكَبَ مِنَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّكَ تَكُونُ قَدْ رَحِمْتَهُ، وَنَجَّيْتَهُ مِنْ عَذَابِكَ، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا يَعْدِلُهُ فَوْزٌ.

فِيهِمُ السَّيِّئَاتِ - أَحْفَظْهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي، أَوْ أَصْرِفَ عَنْهُمْ عَاقِبَةَ مَا أَفْتَرَوْهُ مِنْهَا.

(الْإِيمَانِ)

(١٠) - وَجِئْنَا يَلْقَى الْكَافِرُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، يَمُوتُونَ أَنْفُسُهُمْ، وَيَكْرَهُونَهَا أَشَدَّ الْكَرْهِ، بِسَبَبِ مَا أَسْلَفُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ سَيِّئٍ أَوْ صَلَاحٍ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، فَتَنَادِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَيَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّ مَقَتَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حِينَ كَانَ الْإِيمَانُ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ فَيَكْفُرُونَ، كَانَ أَشَدَّ مِنْ مَقَتِهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ يَنْتَظُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. الْمَقَتُ - الْكَرْهُ الشَّدِيدُ وَالْغَضَبُ.

(١١) - يَقُولُ الْكَافِرُونَ: رَبَّنَا خَلَقْتَنَا مِنْ عَدَمٍ وَلَمْ نَكُنْ لَنَا حَيَاةٌ، وَأَمَتْنَا حِينَ أَنْقَضْتَ أَجَالَنا، وَأَحْيَيْتَنَا أَوَّلًا بِنَفْخِ الْأَرْوَاحِ فِينَا وَنَحْنُ فِي الْأَرْحَامِ، وَأَحْيَيْتَنَا بِإِعَادَةِ أَرْوَاحِنَا إِلَى أَبْدَانِنَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، فَأَعْتَرَفْنَا بِأَنَّا كُنَّا أَنْكَرْنَا الْبَعْثَ فَكَفَرْنَا، وَاجْتَرَحْنَا السَّيِّئَاتِ، فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى إِخْرَاجِنَا مِنَ النَّارِ، وَإِعَادَتِنَا إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ؟ فَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

(١٢) - فَيُجَابُونَ عَلَى سُؤْلِهِمْ هَذَا أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الرَّجْعَةِ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَأَنْكَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ الْأُلُوهِيَّةُ خَالِصَةً لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنْ أَشْرَكَ بِهِ مُشْرِكٌ صَدَّقْتُمُوهُ وَأَمَنْتُمْ بِهِ. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِفَسَادِ طِبَاعِكُمْ، وَرَفْضِهَا لِلْحَقِّ، فَإِذَا عُدْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا عُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ فَسَادٍ وَكُفْرٍ وَافْسَادٍ فِي الْأَرْضِ، فَالْحُكْمُ الْيَوْمَ لِلَّهِ، وَهُوَ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَهُوَ ذُو الْكِبَرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَقَدْ أَقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ خُلُودَ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا. تَوَمَّنُوا - تَذَنُّعُوا وَتَقَرُّوا بِالشَّرْكِ.

وَذَرَيْتَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

① وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَوَى
السَّيِّئَاتِ يَوْمِئِذٍ فَقَدْ
رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ

② إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادون
لَمَقَتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ
أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى
الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ

③ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا لَئِنْ وَأَحْيَيْتَنَا
أَتْنَتِنَ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ

④ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ
وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ
يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاَلْحَكُمُ لِلَّهِ
الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

(آيَاتِهِ)

(١٣) - وَاللَّهُ تَعَالَى يُظْهِرُ قُدْرَتَهُ لِحَلْقِهِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ فِي الْعَالَمِينَ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ خَلْقِهَا، وَقُدْرَةِ مُبْدِعِهَا، وَتَنْفَرِدِهِ بِالْأَلُوْهِيَةِ، فَيُنْزِلُ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَيُخْرِجُ بِهِ الزَّرْعَ وَالنَّبَاتَ وَالشَّجَرَ بِالْوَانِ وَطُغُومٍ وَأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَيُقَدِّرَتِ الْعَظِيمَةُ فَاتَتْ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُسْقَى كُلُّهَا مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ، وَمَا يَغْتَبِرُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ، وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا إِلَّا مَنْ هُوَ بِصِيرٍ مُنِيبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.
مَنْ يُنِيبُ - مَنْ يَرْجِعُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي الْآيَاتِ.

(الْكَافِرُونَ)

(١٤) - فَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَخَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ فِي مَسَلِكِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى كِرَاهِيَتِهِمْ لِذَلِكَ.

(الدَّرَجَاتِ)

(١٥) - فَاللَّهُ تَعَالَى أَرْفَعُ الْمَوْجُودَاتِ، وَأَعْظَمُهَا شَأْنًا، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الوجودِ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَمَّنْ سِوَاهُ، وَهُوَ تَعَالَى ذُو الْعَرْشِ الْمُسْتَوِي عَلَيْهِ، فَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْأَجْسَامِ وَالْأَرْوَاحِ وَيُلْقِي الْوَحْيَ بِقَضَائِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَصْطَفِيهِمْ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ، وَلِيُنْذِرَ بِالْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي تَلْتَقِي فِيهِ الْخَلَائِقُ جَمِيعُهَا.
رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ - أَيُّ الْعَالَمِينَ الْأَعْلَى الَّذِي اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَاخْتَصَّ بِهِ وَارْتَفَعَتْ دَرَجَاتُهُ تَعَالَى ارْتِفَاعًا بَيِّنًا بِمَخْلُوقَاتِهِ وَارْتَفَعَ بِهِ قُدْرُهُ، وَجَلَّتْ أَوْصَافُهُ وَتَعَالَتْ ذَاتُهُ أَنْ يَقْرَبَ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْعَمَلِ الزَّكِيِّ الطَّاهِرِ الْمُطَهَّرِ وَهُوَ الْإِخْلَاصُ الَّذِي يَرْفَعُ دَرَجَاتِ أَصْحَابِهِ، وَيُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ، وَيَجْعَلُهُمْ فَوْقَ خَلْقِهِ.

(بَارِزُونَ) (الْوَاحِدِ)

(١٦) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَبَرَّرُ الْخَلَائِقُ لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَعَالَى وَتَبَارَكَ مُنَادِيًا الْخَلَائِقَ فِي الْمَحْشَرِ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ فَيَقُولُ: لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ.

(١٧) - وَالْيَوْمَ تَلْقَى كُلُّ نَفْسٍ جَزَاءَ عَمَلِهَا، فَلَا تُبَخْسُ نَفْسٌ مِمَّا اسْتَوْجَبَتْهُ مِنْ أَجْرِ عَلَى عَمَلٍ عَمِلَتْهُ فِي الدُّنْيَا، (فَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ) إِنْ كَانَ صَالِحًا، وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا إِثْمٌ لَمْ تَعْمَلْهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى سَرِيعُ الْحِسَابِ، يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ كَمَا يُحَاسِبُ نَفْسًا وَاحِدَةً.

(١٣) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ

وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ

(١٤) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

(١٥) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ

يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ

(١٦) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ

مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

(١٧) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ

(الْآزِفَةُ) (كَاطِمِينَ) (لِلظَّالِمِينَ)

(١٨) - وَأَنْذِرْ يَا مُحَمَّدُ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ ، وَهُوَ يَوْمٌ يَعْظُمُ فِيهِ الْخَوْفُ ، حَتَّى لَيْشْعُرَ كُلُّ أَمْرِيءٍ أَنَّ قَلْبَهُ تَعَلَّقَ بِحَلْقِهِ ، فَيُرِيدُ إِزْجَاعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ فَلَا هُوَ قَادِرٌ عَلَى رَدِّهِ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الصَّدْرِ ، وَلَا الْقَلْبُ بِخَارِجٍ فَيَقْضَى عَلَى الْمَرْءِ بِالْمَوْتِ .
وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَكُونُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالشُّرْكِ قَرِيبٌ يَنْفَعُهُمْ ، وَلَا شَفِيعٌ يُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ لَهُمْ .

الْآزِفَةُ - اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاقْتِرَابِ مَوْعِدِهَا .

كَاطِمِينَ - بَاكِينَ أَوْ مُنْسِكِينَ عَلَى الْغَمِّ الَّذِي يَمَلَأُ صُدُورَهُمْ .
حَمِيمٍ - قَرِيبٌ مُشْفِقٍ .

(خَائِنَةٌ)

(١٩) - وَهُوَ تَعَالَى يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى إِنَّهُ لَيَعْلَمُ الْغَيْبَ الْخَائِنَةَ الَّتِي تَنْظُرُ جُلُوسَةً إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهَا . وَيَعْلَمُ خَبَايَا الصُّدُورِ مِنَ الصَّمَاوِيَّاتِ وَالسَّرَائِرِ ، وَمَا تُؤْمِسُ بِهِ النَّفْسُ .
خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ - النَّظَرَةُ الْخَائِنَةُ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ .

(٢٠) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ، وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ جَلِيلًا وَحَقِيرًا ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهَا . وَالْآلِهَةُ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ لَا تَمْلِكُ التَّصَرُّفَ بِشَيْءٍ ، وَلَا تَعْلَمُ شَيْئًا . وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُهُ الْعِبَادُ ، الْبَصِيرُ بِمَا يَفْعَلُونَهُ .

(عَاقِبَةُ) (آثَارًا)

(٢١) - أَوَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ ، الْمُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ ، الْجَاغِدُونَ بِآيَاتِهِ ، فِي الْبِلَادِ ، لِيَسِرُوا عَاقِبَةَ مَنْ كَانُوا قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ، سَلَكَوا سَبِيلَهُمْ فِي الْكُفْرِ ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْ هَؤُلَاءِ بَطْشًا ، وَأَبْقَى فِي الْأَرْضِ آثَرًا ، فَلَمْ تَنْفَعَهُمْ قُوَّتُهُمْ ، وَلَا عَظِيمُ مَا خَلَقُوهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ آثَارٍ جِنَمًا جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ ، وَأَخَذَهُمْ جَمِيعًا فَلَمْ يَتْرَكْ مِنْهُمْ أَحَدًا بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ ، وَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مَنْ يَقِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَلَا مَنْ يَنْصَحُهُمْ عَنْهُمْ بِأَسْءَ وَبَطْشِهِ .
وَاقٍ - دَافِعٍ عَنْهُمْ الْعَذَابَ .

(١٨) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ

لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ
مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا
شَفِيعٍ يُطَاعُ

(١٩) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي

الصُّدُورُ

(٢٠) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ

(٢١) أَوَلَمْ يَسِرُوا فِي

الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ
قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ
قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ



(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٢٢) - وَقَدْ أَخَذَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَاقٍ وَلَا نَاصِرٍ، لِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلٌ بِالْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، فَكَفَرُوا بِهَا، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ وَأَبَادَهُمْ، وَلَمْ يَتْرَكْ لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَاقِيَةٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَوِيٌّ عَزِيزٌ، ذُو بَطْشٍ شَدِيدٍ.

(بِآيَاتِنَا) (سُلْطَانِ)

(٢٣) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ الْمُكْذِبِينَ، فَيَذْكُرُ لَهُ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ، وَمَا لَأَقْوَمِهِ مِنْ أَقْوَامِهِمْ، فَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ لَهُمْ، وَالذَّمَّارُ لِأَعْدَائِهِمْ وَمُكْذِبِيهِمْ. وَبَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى بِسَرْدِ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنَّهُ أَرْسَلَهُ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ الدَّامِغَاتِ.

(هَامَانَ) (قَارُونَ) (سَاحِرٍ)

(٢٤) - إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَهَامَانَ وَزِيرِهِ، وَقَارُونَ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَغْنَى أَهْلِ زَمَانِهِ (وَجَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) (١) فَكَذَّبُوا مُوسَى، وَقَالُوا جَمِيعُهُمْ إِنَّهُ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، لِأَنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ مُقَارَعَةِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

(آمَنُوا) (الْكَافِرِينَ) (ضَلَالٍ)

(٢٥) - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ وَأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمَنْ حَوْلُهُ: اقْتُلُوا الذُّكُورَ مِنْ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى وَرِسَالَتِهِ، وَاسْتَبَقُوا نِسَاءَهُمْ، زِيَادَةً فِي الْإِذْلَالِ وَالنَّكَالِ، وَذَلِكَ لِتَنْشَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُؤْجِدُونَ فِي مِصْرَ مِنْ مُوسَى، إِذْ تَكُونُ الْمَصَائِبُ قَدْ حَلَّتْ بِهِمْ مِنْ جَرَاءِ تَصْدِيقِهِمْ لِمُوسَى بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ. وَكَانَ هَدَفُ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، مِنْ قَتْلِ الذُّكُورِ أَنْ يَنْقُصَ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَلْغِبُوا عَلَى الْقِبْطِ؛ وَلَكِنْ مَكْرَهُمْ هَذَا أَفْسَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنْفَذَ اللَّهُ قُدْرَهُ، فَأَنْجَى مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ. اسْتَخْبُوا نِسَاءَهُمْ - اسْتَبَقُوا بَنَاتِهِمْ أَحْيَاءَ لِلْخِدْمَةِ. ضَلَالٍ - ضَيَاعٍ وَبَاطِلٍ.

(١) سورة القصص الآية ٧٦.

٢٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ

رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدٌ

الْعِقَابِ

٢٣ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا

وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ

٢٤ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَلَانَ وَقَارُونَ

فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ

٢٥ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا

قَالُوا اقْتُلُوا نِسَاءَ الَّذِينَ

آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا

نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

(٢٦) - وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمَلِيْهِ: دَعُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَسْتَجِدْ مُوسَى بَرِيْهَ لِيَنْقِذَهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ إِنْ لَهُ رَبًّا أَرْسَلَهُ، وَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى جِمَاطِهِ، لِأَنَّ فِرْعَوْنَ يَخَافُ - عَلَى مَا قَالَهُ لِمَلِيْهِ - أَنْ يُفْسِدَ مُوسَى مُعْتَقَدَاتِ الْقِبْطِ، أَوْ أَنْ يَخْلُقَ بِدَعْوَتِهِ الاضطراباتِ وَالْفَلَاقِلَ فَتَعْتَطِلَ الْأَعْمَالُ فِي الْمَزَارِعِ وَالْمَتَاجِرِ.

(٢٧) - وَرَدَّ مُوسَى عَلَى تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ إِيَّاهُ بِالْقَتْلِ وَالْإِيْدَاءِ، بِأَنْ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ، وَاسْتَعَانَ بِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ مُسْتَكْبِرٍ لَا يُدْعِنُ لِلْحَقِّ، وَلَا يُؤْمِنُ بِبَعْثِ وَلَا حَشَرٍ وَلَا نَشْرِ.

عُذْتُ - اعْتَصَمْتُ وَاسْتَجَرْتُ.

(آلِ) (إِيْمَانُهُ) (بِالْبَيِّنَاتِ) (كَاذِبًا)

(٢٨) - وَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْ مُوسَى، لِيَصْرِفَ فِرْعَوْنَ عَمَّا اعْتَزَمَهُ مِنْ قِتْلِهِ، رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ بَنِي فِرْعَوْنَ، كَانَ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ خَوْفًا مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلِيْهِ، فَقَالَ لِفِرْعَوْنَ: أُنَبِّئِي لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا رَجُلًا لَمْ يَرْتَكِبْ ذَنْبًا سِوَى أَنَّهُ قَالَ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِدَلَالَاتٍ وَبَرَاهِينٍ عَلَى صِدْقِهِ، وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ لَا يَسْتَدْعِي قِتْلًا. فَإِذَا كَانَ مُوسَى كَاذِبًا فِيمَا يَدْعِيهِ مِنْ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَأْمُرَكُمْ بِعِبَادَتِهِ تَعَالَى، وَتَرْكِ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّكُمْ كَذِبُهُ يَعُودُ عَلَيْهِ هُوَ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْ إِيْمَانِهِ شَيْءٌ. وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِيمَا يَقُولُ فَسَلَا يُنَبِّئِي لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُ لِأَنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمُوهُ اسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَلَيْهِمْ لِكُفْرِكُمْ، وَلِقَتْلِكُمْ رَسُولَهُ، وَاسْتَوْجَبْتُمْ عِقَابَهُ الَّذِي أُنْذَرْتُمْ بِهِ مُوسَى، وَلَوْ كَانَ كَاذِبًا كَمَا تَزْعُمُونَ لَكَانَ أَمْرُهُ أَتَضَحَّ، وَلَمَّا هَدَاهُ اللَّهُ، وَلَمَّا أَيْدَهُ بِمُعْجَزَاتِهِ وَأَيَاتِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ مَنْ كَانَ كَاذِبًا مُسْرِفًا فِي كَذِبِهِ.

(يَا قَوْمِ) (ظَاهِرِينَ)

(٢٩) - وَتَابَعَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ وَعَظُمُ لِفِرْعَوْنَ وَمَلِيْهِ لِيُشَبِّطَهُمْ وَيَصْرِفَهُمْ عَنْ قَتْلِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْمُلْكِ، وَبِالظُّهُورِ فِي الْأَرْضِ بِالْكَلِمَةِ النَّافِذَةِ، وَالْجَاهِ الْعَرِيضِ، فَرَاغُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ، وَلَا تُفْسِدُوا أَمْرَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تُعْرِضُوا أَنْفُسَكُمْ لِبَاسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ بِقِتْلِهِ، فَإِنَّهُ لَا قِبَلَ لَكُمْ بِذَلِكَ، وَإِذَا جَاءَكُمْ بِأَسْأَلِ اللَّهِ لَمْ يَمْنَعَكُمْ مِنْهُ أَحَدٌ.

وَلَمَّا سَمِعَ فِرْعَوْنُ قَوْلَ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: إِنَّهُ لَا يَقُولُ لَهُمْ، وَلَا يُشِيرُ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِمَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَدْعُوهُمْ إِلَّا إِلَى

﴿٦٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ دَرُونِي أَقْتُلْ

مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ

أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ

يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ

﴿٦٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي

وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ

لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ

﴿٦٨﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ ۖ

أَنْقَلَبْتُمْ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ

اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ

رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا

فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۚ وَإِنْ يَكُ

صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ

الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَاذِبٌ

﴿٦٩﴾ يَنْقَوْمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ

ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ

يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا

قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا

أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ

الرَّشَادِ

طَرِيقِ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ وَالرُّشْدِ.
(أَيُّ إِنَّهُ لَا يُشِيرُ عَلَيْهِمْ بِرَأْيِ سِوَى قَتْلِ مُوسَى حَسْماً لِلْفِتْنَةِ، وَإِنَّهُ يَرَى هَذَا هُوَ سَبِيلَ الرُّشَادِ)
ظَاهِرِينَ - عَالِينَ غَالِبِينَ.
بِأَسِ اللَّهِ - عَذَابِهِ وَنَقْمَتِهِ.
مَا أَرِيكُمْ - مَا أُشِيرُ عَلَيْكُمْ.
(آمَنَ) (يَا قَوْمَ)

(٣٠) - وَقَالَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ نَاصِحاً فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ: يَا قَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِنْ كَذَبْتُمْ مُوسَى، وَتَعَرَّضْتُمْ لَهُ بِسُوءٍ، أَنْ يَجْلَّ بِكُمْ مِثْلَمَا حَلَّ بِمَنْ تَحَزَّبُوا وَاجْتَمَعُوا عَلَى تَكْذِيبِ أَنْبِيَائِهِمْ مِنَ الْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ. الْأَحْزَابِ - الْأَمَمِ الْمُتَحَزِّبَةِ عَلَى رُسُلِهَا.

(٣١) - مِثْلُ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَقَدْ نَزَلَ بِهِمْ بِأَسِ اللَّهِ وَعَذَابُهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَمْ يُهْلِكِ اللَّهُ هَذِهِ الْأَمَمَ الْمُكَذِّبَةَ ظُلْماً، وَإِنَّمَا أَهْلَكَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَمَا اجْتَرَحُوهُ مِنْ آثَامٍ. دَابَ - عَادَةً فِي الْإِقَامَةِ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

(يَا قَوْمَ)

(٣٢) - ثُمَّ خَوَّفَهُمْ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ يَخَافُ عَلَيْهِمْ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. يَوْمَ النَّتَادِ - هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ إِذْ يَهْلَعُ النَّاسَ فَيَنْطَلِقُونَ يَنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

(٣٣) - إِذْ تَهْرُبُونَ مُدْبِرِينَ مِنْ زَفِيرِ النَّارِ وَشَهيقِهَا، فَلَا يُجَدِّدُكُمْ ذَلِكَ شَيْئاً، وَلَا تَجِدُونَ مَنْ يَعْصُمُكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَتَرُدُّونَ إِلَيْهِ، وَيُنَالِكُمْ مِنْهُ مَا قَدَّرَ لَكُمْ، وَمَنْ يُضِلُّهُ اللَّهُ لَا يَجِدْ لَهُ هَادِياً مِنَ الْخَلْقِ. عَاصِمٍ - مَانِعٍ وَدَافِعٍ.

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٣٤) - وَلَقَدْ جَاءَ يُوسُفُ أَسْلَافَكُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ بِالآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ فَارْتَابُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَشَكُّوا فِي صِدْقِهِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، حَتَّى إِذَا مَاتَ قَالُوا: لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَحْدَرُّهُمْ مِنْ نَقْمِهِ وَبَأْسِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُضِلُّ مِثْلَ هَذَا الضَّلَالِ الْبَيِّنِ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ فِي مَعَاصِيهِ شَاكٌّ فِي وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ.

﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي

أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ
الْأَحْزَابِ

﴿٣١﴾ مِثْلُ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ

وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ
ظُلْماً لِلْعِبَادِ

﴿٣٢﴾ وَيَتَقَوَّمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ

النَّتَادِ

﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَالَكُمْ مِنَ

اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ

﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَ كُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ

بِالْبَيِّنَاتِ فَمَارَلْتُمْ فِي شَكِّ وَتَمَّا
جَاءَ كُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ

قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ
رَسُولاً كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ

مُرْتَابٌ - شَاكٌ فِي دِينِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ .

(يُجَادِلُونَ) (آيَاتِ) (سُلْطَانِ) (أَتَاهُمْ) (آمَنُوا) .

(٣٥) - وَهَؤُلَاءِ الْمُسْرِفُونَ الْمُرْتَابُونَ هُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي حُجَجِ اللَّهِ الَّتِي أَنْتَهُمُ بِهَا رُسُلُهُ لِيَذْخُسُوهَا بِالْبَاطِلِ ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ وَلَا بُرْهَانٌ عَلَى صِحَّةِ مَا يَقُولُونَ . وَيَسْتَتِيعُ ذَلِكَ الْجَدَلُ الْمَقْتِ الْكَبِيرَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ . وَكَمَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ، كَذَلِكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى يَطْبَعُ عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ يَسْتَكْبِرُ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، وَعَنْ تَصَدِيقِ رُسُلِهِ ، وَيَتَجَبَّرُ فِي الْأَرْضِ بِالْقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ .

بِغَيْرِ سُلْطَانٍ - بِغَيْرِ بُرْهَانٍ أَوْ حُجَّةٍ .

كَبِيرٌ مَقْتًا - عَظِيمٌ جَدَّالُهُمْ بِغَيْرِ حُجَّةٍ مُغْضًا .

(يَا هَامَانَ) (الْأَسْبَابَ)

(٣٦) - وَلَمَّا سَمِعَ فِرْعَوْنُ عِظَةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِهِ الَّذِي كَانَ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ ، قَالَ لَوَازِيرِهِ هَامَانَ مُسْتَهْزِئًا : يَا هَامَانُ أَتَبْنِي قَصْرًا مُنِيفًا عَالِيًا ، لَعَلِّي أَضَعُدُ فَأَبْلُغَ طُرُقَ السَّمَاوَاتِ وَأَبْوَابَهَا .
صَرَحًا - قَصْرًا مُنِيفًا عَالِيًا .

(أَسْبَابَ) (السَّمَاوَاتِ) (كَاذِبًا) .

(٣٧) - فَإِذَا وَصَلْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ رَأَيْتُ إِلَهَ مُوسَى ، وَإِنِّي لِأُظَنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنْ أَنَّ لَهُ إِلَهًا فِي السَّمَاءِ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا نَبِيًّا . وَهَكَذَا زَيْنَ الشَّيْطَانِ لِفِرْعَوْنَ عَمَلَهُ السَّيِّئَ هَذَا ، فَأَوْغَلَ فِي كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ ، وَصَدَّهُ النَّاسُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّيْبَةِ وَالْتَمُوهِيَّاتِ ، وَلَنْ يَكُونَ كَيْدُ فِرْعَوْنَ وَآخِثِيَّالِهِ فِي بِنَاءِ الصَّرْحِ لِيَصْعَدَ إِلَيْهِ ، فَيَطْلُعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى . .
إِلَّا خَسَارًا وَبَاطِلًا يَلْحَقُهُ .

كَيْدٌ - آخِثِيَالٌ وَتَدْبِيرٌ .

تَبَابٌ - خَسَارٌ وَهَلَاكٌ .

(آمَنَ) (يَا قَوْمَ)

(٣٨) - وَقَالَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ الْمُؤْمِنُ : يَا قَوْمَ أَتَبْعُونِي تَرْشُدُوا ، وَتَهْتَدُوا إِلَى دِينِ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ مُوسَى رَسُولًا .

مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ

﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ

اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنْتَهُمُ كَبِيرٌ

مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى

كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ

﴿٣٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ أَبْنِي لِي

صَرْحًا لَعَلِّي أَتَبْلُغُ الْأَسْبَابَ

﴿٣٧﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَى

إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأُظَنُّهُ .

كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ

لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنْ

السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ

فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ

﴿٣٨﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ

أَتَبْعُونِ أَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ

الرَّشَادِ

(يَا قَوْمِ) (الْحَيَاةُ) (مَتَاعٌ)

(٣٩) - وَيَا قَوْمِ إِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ وَتَرَفٍ إِنْ هِيَ إِلَّا مَتَاعٌ قَلِيلٌ زَائِلٌ لَا يَدُومُ، تَتَمَتَّعُونَ بِهِ ثُمَّ تَبْلُغُونَ أَجَلَكُمْ فَيُنْزِلُ بِكُمْ الْمَوْتَ، أَمَّا الدَّارُ الْآخِرَةُ فَهِيَ دَارُ الْاسْتِقْرَارِ وَالْبَقَاءِ الَّتِي لَا زَوَالَ لَهَا، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَبَقِيَ فِيهَا خَالِدًا أَبَدًا.

(صَالِحًا) (فَأُولَئِكَ)

(٤٠) - فَمَنْ عَمِلَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَمَلًا سَيِّئًا، أَوْ اجْتَرَحَ إِنَّمَا فَإِنَّهُ لَا يُعَاقَبُ إِلَّا بِمِقْدَارِ عَمَلِهِ، دُونَ مُضَاعَفَةٍ لِلْعِقَابِ. وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَتَمَتَّعَ بِمَا فِيهَا مِنْ رِزْقٍ كَرِيمٍ، وَنَعِيمٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا تَحْدِيدٍ.

بَغَيْرِ حِسَابٍ - بِلاَ تَحْدِيدٍ وَلَا نِهَايَةٍ فِي الرِّزْقِ.

(يَا قَوْمِ) (النَّجَاةُ)

(٤١) - ثُمَّ كَشَفَ هَذَا الْمُؤْمِنُ عَنْ إِيمَانِهِ، فَأَعْلَنَهُ لِقَوْمِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي لِمَآذَا أَدْعُوكُمْ أَنَا إِلَى النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَتَصَدِيقِ رُسُلِهِ، وَتَدْعُونِي أَنْتُمْ لِأَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ بِالْبَقَاءِ عَلَى الْكُفْرِ، وَالْعَمَلِ السَّيِّئِ.

(الْغَفَّارِ)

(٤٢) - فَأَنْتُمْ تَدْعُونِي إِلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالْإِشْرَافِ بِهِ مِنْ دُونِهِ، بِغَيْرِ بَرَهَانٍ وَلَا دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَاهِرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْغَفَّارُ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ إِذَا اسْتَغْفَرُوهُ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ.

(أَنْ مَا) (أَصْحَابُ)

(٤٣) - لَا شَكَّ فِي أَنَّ مَا تَدْعُونِي أَنْتُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْتَانِ لَا يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ، فَهَوَ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. وَإِنْ مَرَدَّنَا جَمِيعًا فِي الْآخِرَةِ سَيَكُونُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَإِنَّ الْمُسْرِفِينَ الْمُتَجَاوِزِينَ الْحَدَّ بِالْكَفْرِ وَالشِّرْكِ سَيَكُونُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ وَيُعَذَّبُونَ فِيهَا.

لَا جَرَمَ - لَا مَحَالَةَ أَوْ حَقًّا أَوْ لَا شَكَّ.

لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ - مُسْتَجَابَةٌ.

(يَقُومُ) إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ

(٤٠) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى

إِلَّا أَمْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا

مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ يَرْفُوقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُو

كُفِّرُوا إِلَى النَّجْوَةِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

(٤٤) - وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ صَدَقَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَتَذَكَّرُونَ وَتَتَذَكَّرُونَ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، وَأَسْتَعِينُ بِهِ، وَأَقَاطِعُكُمْ، وَأَبْتَعِدُ عَنْكُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى بِصِيرٍ بِعِبَادِهِ، خَبِيرٌ بِأَحْوَالِهِمْ، يَهْدِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَدَايَةَ، وَيُضِلُّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَ.

(فَوْقَاهُ) (بِالِ)

(٤٥) - فَحَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِمَّا أَرَادُوا بِهِ مِنَ الْمَكْرِ السَّيِّئِ، إِذْ أَنْجَاهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَجَعَلَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَأَحَاطَ بِفِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ وَمَلَكِهِ سُوءَ الْعَذَابِ، فَأَغْرَقَهُمْ فِي أَلِيمٍ فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا الْعَذَابُ الْأَلِيمُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. حَاقَ بِهِمْ - أَحَاطَ أَوْ نَزَلَ بِهِمْ.

(آلِ)

(٤٦) - وَتُعْرَضُ أَرْوَاحُهُمْ عَلَى النَّارِ صَبَاحًا وَمَسَاءً مِنْ حِينَ مَوْتِهِمْ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَيُقَالُ لَهُمْ يَا آلَ فِرْعَوْنَ هَذِهِ مَنَارُكُمْ. وَحِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَيَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ، يُقَالُ لِحَزْنَةِ جَهَنَّمَ: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ أَلَمًا، وَأَعْظَمَهُ نَكَالًا.

(الضُّعْفَاءُ)

(٤٧) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ أَهْلُ النَّارِ فِي الْحِجَاجِ وَالْخِصَامِ، فَيَقُولُ الْأَتْبَاعُ لِلْقَادَةِ: إِنَّا أَطَعْنَاكُمْ فِيمَا دَعَوْتُمُونَا إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، فَهَلْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا عَنَّا قِسْطًا مِنَ الْعَذَابِ فَتُخَفَّفُوهُ عَنَّا؟ فَقَدْ كُنَّا لَكُمْ أَتْبَاعًا، وَإِنَّمَا دَخَلْنَا النَّارَ بِسَبَبِ إِطَاعَتِنَا لَكُمْ. مُغْنُونَ عَنَّا - دَافِعُونَ أَوْ حَامِلُونَ عَنَّا.

(٤٨) - وَيَقُولُ الْكِبَرَاءُ لِلْمُسْتَضْعِفِينَ: إِنَّهُمْ جَمِيعًا فِي النَّارِ يَذُوقُونَ الْعَذَابَ، وَقَدْ فَصَّلَ اللَّهُ بِقَضَائِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ، فَلَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يُعَذَّبُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِذَنْبِهِ، وَإِنَّهُمْ جَمِيعًا كَافِرُونَ وَقَدْ اسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

(٤٩) - وَلَمَّا يَرَى الْمُسْتَضْعِفُونَ مِنْ أَنْ يَحْمِلَ السَّادَةُ الَّذِينَ كَانُوا سَبَبَ كُفْرِهِمْ، وَإِدْخَالِهِمْ فِي النَّارِ، شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ عَنْهُمْ، اتَّجَّهُوا إِلَى خَزَنَةِ جَهَنَّمَ يَسْأَلُونَهُمُ الْإِتِّجَاهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْدُّعَاءِ لِيُخَفَّفَ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ فِي النَّارِ.

﴿٤٤﴾ فَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ

وَأَقِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ

﴿٤٥﴾ فَوَقَّهٖ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا

مَكَرُوا وَحَاقَ بِشَالٍ فِرْعَوْنَ
سُوءَ الْعَذَابِ

﴿٤٦﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا

وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
الْعَذَابِ

﴿٤٧﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ

فَيَقُولُ الضُّعْفَتَانِ لِلَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ
تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ
عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ

﴿٤٨﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

إِنَّا كُلُّ فِيهَا آتٍ اللَّهُ قَدْ
حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ

﴿٤٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ

جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ
عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ

(بِالْبَيِّنَاتِ) (دُعَاءُ) (الْكَافِرِينَ) (ضَلَالٍ)

(٥٠) - وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ يَقْرَعُونَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْ رَبِّكُمْ بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ مَا يَدْعُونَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَيَقُولُ الْمُسْتَضْعَفُونَ: نَعَمْ لَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بِالْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَحِينَئِذٍ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ: إِذَا قَادَعُوا أَنْتُمْ وَحَدَّكُمْ. وَلَكِنَّ دُعَاءَ الْكَافِرِينَ لَا يُفِيدُ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ، وَيَذْهَبُ سُدىً.

(آمَنُوا) (الْحَيَاةُ) (الْأَشْهَادُ)

(٥١) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، إِنَّهُ سَيَجْعَلُ رَسُولَهُ هُمْ الْغَالِبِينَ لِأَعْدَائِهِمْ وَمُعَانِدِيهِمْ، وَإِنَّهُ سَيَنْصُرُ مَعَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ يَكُونُ بِالطَّرِيقِ التَّالِيَةِ:

- إِمَّا بِجَعْلِهِمْ غَالِبِينَ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُمْ، كَمَا فَعَلَ بِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَمُحَمَّدٍ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

- وَإِمَّا بِالْإِنْتِقَامِ مِنْ عَادَاهُمْ وَأَذَاهُمْ، وَإِهْلَاكِهَ إِيَّاهُمْ، وَإِنْجَائِهِ الرُّسُلَ وَالْمُؤْمِنِينَ، كَمَا فَعَلَ بِنُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَمُوسَى وَلُوطٍ.

- وَإِمَّا بِالْإِنْتِقَامِ مِنْ أَدَى الرُّسُلِ بَعْدَ وَفَاةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، بِتَسْلِيطِ بَعْضِ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ الْمُجْرِمِينَ لِيَنْتَقِمُوا مِنْهُمْ، كَمَا فَعَلَ مَعَ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وَكَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْصُرُ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِدَعْوَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَذَلِكَ يَنْصُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَقُومُ فِيهِ الْأَشْهَادُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ، بِالشَّهَادَةِ عَلَى الْأَمَمِ الْمُكَذِّبَةِ بِأَنَّ الرُّسُلَ قَدْ أُبْلَغُوهُمْ رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ.

يَقُومُ الْأَشْهَادُ - الْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ وَالْمُؤْمِنُونَ.

(الظَّالِمِينَ)

(٥٢) - وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعِبَادِ يُؤَدُّونَ شَهَادَاتِهِمْ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَنْفَعُ أَهْلَ الشَّرِّكَ أَعْتَادُهُمْ لِأَنَّ أَعْدَارَهُمْ بَاطِلَةٌ، مَرْدُودَةٌ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اللَّعْنَةُ وَالطُّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَهُمْ سُوءُ الْعَاقِبَةِ وَالْقَرَارُ فِي جَهَنَّمَ، وَيُسَسِّسُ الْمُسْتَقَرُّ وَالْمَأْوَى.

مَعْدِرَتُهُمْ - أَعْتَادُهُمْ حِينَ يَعْتَدِرُونَ.

(٥٠) قَالُوا أَوَلَمْ تَأْتِكُمْ

رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا

بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاؤُ

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

(٥١) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ

آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ

يَقُومُ الْأَشْهَادُ

(٥٢) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ

وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ

الدَّارِ

(آتَيْنَا) (إِسْرَائِيلَ) (الْكِتَابَ)

(٥٣) - وَلَقَدْ أَعْطَيْنَا مُوسَى الشَّرَافَ وَالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا النَّاسُ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِ التَّوْرَةَ وَفِيهَا مَا يَهْدِي بِهِ قَوْمُهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَوَارَتْهُ خَلْفًا مِنْ سَلَفٍ.

(الْأَلْبَابِ)

(٥٤) - وَجَعَلْنَا التَّوْرَةَ هُدًى يَهْتَدِي بِنُورِهَا إِسْرَائِيلَ بِأَحْكَامِهَا، وَتَذَكُّرَةً لِأُولِي الْعُقُولِ السَّالِمَةِ وَالْأَفْهَامِ الْمُسْتَقِيمَةِ (لِأُولِي الْأَلْبَابِ).

(الْإِبْكَارِ)

(٥٥) - فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ لِأَمْرِ رَبِّكَ، وَبَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَابْقِنِ بِأَنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ لَكَ، وَنَاصِرٌ لَكَ وَمُؤَيِّدٌ عَلَى مَنْ عَادَاكَ وَعَانَدَكَ، وَكَفَرُ بِرِسَالَتِكَ، وَسَلِّ رَبُّكَ الْمَغْفِرَةَ لِدُنْيِكَ، وَالصَّفْحَ عَنْكَ، وَصَلِّ فِي طَرَفِي النَّهَارِ، وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا فِي الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ.

(يُجَادِلُونَ) (آيَاتِ) (سُلْطَانٍ) (أَتَاهُمْ) (بِبَالِغِيهِ)

(٥٦) - إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَكَ لِيَذْفِرَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُحَاوِلُونَ رَدَّ الْحُجَجِ الصَّحِيحَةِ بِالشُّبُهَةِ الْفَاسِدَةِ، بَلَا بُرْهَانٍ وَلَا دَلِيلٍ لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى صِحَّةِ مَا يَقُولُونَ، إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِمَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اسْتِكْبَارٍ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَاحْتِقَارٍ لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِ، وَلَنْ يَتْلَوْا مَا يَزُومُونَ وَمَا يُرِيدُونَ وَيُؤْمَلُونَ بِهِ مِنْ إِخْمَادِ الْحَقِّ، وَإِعْلَاءِ الْبَاطِلِ، وَسَيَبْقَى الْحَقُّ هُوَ الْغَالِبُ دَائِمًا، فَالْتَجِئْ إِلَى اللَّهِ مُسْتَعِذًا بِهِ فِي دَفْعِ كَيْدِ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَكْبِرِينَ الْمُجَادِلِينَ بِالْبَاطِلِ، فَهُوَ السَّمِيعُ لِدُعَائِكَ وَأَسْتَعَاذَتِكَ، وَلَمَّا يَقُولُونَ وَيَأْكُفُونَ، وَهُوَ الْبَصِيرُ بِحَالِكَ وَحَالِهِمْ.

بَغَيْرِ سُلْطَانٍ - بَغَيْرِ حُجَّةٍ أَوْ بُرْهَانٍ.

مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ - مُقْتَضَى الْكِبَرِ وَالْتَعَاطُفِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٥٧) - إِنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آتِيْدَاءُ، مِنْ غَيْرِ مَادَّةٍ سَابِقِ وَجُودِهَا، أَعْظَمُ وَأَجَلُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، لِعِظَمِ الْأَجْرَامِ وَالْأَفْلَاقِ وَالنُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ السَّابِقَةِ فِي السَّمَاوَاتِ، وَالَّتِي لَا يُمَسِّكُهَا وَيَضْبِطُهَا إِلَّا أَمْرُ اللَّهِ وَإِرَادَتُهُ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ بِالنَّبَسَةِ إِلَى الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَبَحَارٍ وَأَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ، وَمَخْلُوقَاتٍ، لَا يُحْصِي عَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَمَنْ قَدَّرَ عَلَى خَلْقِ الْعَظِيمِ لَا يُعْجِزُهُ الْحَقِيرُ، وَمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِمَا آتِيْدَاءُ لِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُعِيدَ بَعَثَ النَّاسَ،

٥٣ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى

وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
الْكِتَابَ

٥٤ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي

الْأَلْبَابِ

٥٥ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَسَيِّحُ

بِمُحَمَّدٍ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ

وَالْإِبْكَارِ

٥٦ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ

فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ

أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا

كِبَرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ

فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

٥٧ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ

وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ

وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَتَذَكَّرُونَ الْحُجَجَ وَالْآيَةَ الْقَائِمَةَ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٥٨) - وَكَمَا أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى الَّذِي لَا يَبْصُرُ شَيْئاً، مَعَ الْبَصِيرِ الَّذِي يَرَى مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ، بَلْ هُنَاكَ بَيْنَهُمَا فَارَقٌ كَبِيرٌ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ الْأَبْرَارَ الَّذِينَ يُطِيعُونَ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، مَعَ الْفُجَّارِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ، وَعَصَوْا رَبَّهُمْ، وَغَتَوْا عَنْ أَمْرِهِ، فَمَا أَقَلَّ تَذَكُّرُكُمْ حُجَجَ اللَّهِ، وَمَا أَقَلَّ اغْتِبَارُكُمْ وَأَتَعَاظُكُمْ بِهَا، وَلَوْ تَذَكَّرْتُمْ وَاعْتَبَرْتُمْ لَعَرَفْتُمْ خَطَا مَا أَنْتُمْ فِيهِ.

(٥٩) - إِنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُحْيِي اللَّهُ فِيهِ الْمَوْتَى لِيَحْسِبَهُمْ فِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، لَا بَ لَاشْكُ فِيهِ، وَسَتَبْعُونَ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، وَسَتَحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَسَتُجَازَوْنَ عَلَيْهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يُصَدِّقُونَ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آتٍ قَرِيبٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَنْهَمِكُونَ فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ، وَاجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ.

(٦٠) - يَحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى دُعَائِهِ، وَتَكْفُلُ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ عَلَى دُعَائِهِمْ؛ وَدُعَاءُ الْعَبْدِ رَبَّهُ دَلِيلٌ عَلَى إِيمَانِهِ بِرَبِّهِ، وَخَوْفِهِ مِنْهُ، وَطَمَعِهِ فِي ثَوَابِهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَمَنْ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْتَمُّ بِإِجَابَةِ دُعَائِهِ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْخَلَائِقِ، وَتَضَرِيفِ شُؤْنِهِمْ، وَإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ، وَإِعَادَةِ بَعْثِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحْسِبَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَجْزِيَهُمْ بِهَا.

وَلَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ فَإِنَّهُ سَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ أَذِلَّةٌ صَاغِرُونَ.

دَاخِرِينَ - صَاغِرِينَ أَذِلَّةً.

(اللَّيْلِ)

(٦١) - وَاللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِي الَّذِي لَا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ لِلْسُّكُونِ وَالرَّاحَةِ مِنَ الْحَرَكَةِ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّهَارَ مُضِيئاً لِيَسْتَطِيعَ النَّاسُ فِيهِ الْإِبْصَارَ لِيَتَصَرَّفُوا فِيهِ فِي طَلَبِ مَعَاشِهِمْ، وَمُزَاوَلَةِ أَعْمَالِهِمْ، فَهُوَ الْمُتَفَضِّلُ عَلَى النَّاسِ بِالنِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ يَجْحَدُونَ بِهَذِهِ النِّعَمِ، وَلَا يَعْتَرِفُونَ بِهَا، وَلَا يَشْكُرُونَ الْخَالِقَ عَلَيْهَا.

مُبْصِراً - مُضِيئاً لِيَسْتَطِيعَ النَّاسُ الْعَمَلَ فِيهِ.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى

وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا

الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهَا لَارِيبَ

فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ

لَا يُؤْمِنُونَ

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي

أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ

لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالتَّهَارَ

مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ

عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ

النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

(خَالِقُ)

(٦٢) - وَالَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَأَعْدَقَ عَلَيْكُمْ النَّعْمَ الَّتِي لَا تُحْصَى، هُوَ اللَّهُ، وَهُوَ رَبُّكُمْ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ فَتَتْرَكُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟
فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ - فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ.

(بَيِّنَاتٍ)

(٦٣) - كَذَلِكَ يُصْرَفُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا صُرِفَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، فَعْبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ، بِلَا دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ عَلَى صِحَّةِ مَا يَفْعَلُونَ، وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ بِمُجَرَّدِ الْهَوَى وَالْجَهْلِ وَالتَّقْلِيدِ.
يُؤْفَكُ - يُصْرَفُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ.

(الطَّيِّبَاتِ) (الْعَالَمِينَ)

(٦٤) - وَاللَّهُ الْمُسْتَجِبُ لِلْعِبَادَةِ وَالَّذِي لَا تَتَّبِعِي الْعِبَادَةَ لِغَيْرِهِ، هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَقَدَّسَ، فَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.
الْأَرْضُ قَرَارًا - مُسْتَقَرًّا يَعِيشُونَ فِيهَا.
السَّمَاءُ بِنَاءً - سَقْفًا مَرْفُوعًا مَحْفُوظًا.

(الْعَالَمِينَ)

(٦٥) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَوَّلًا وَأَبَدًا، وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ، فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الطَّاعَةَ، مُوَحِّدِينَ، مُقِرِّينَ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَقُولُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنُسَبِّحُهُ، فَهُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ

(الْبَيِّنَاتِ) (الْعَالَمِينَ)

(٦٦) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَانِي، وَنَهَى خَلْقَهُ جَمِيعًا، فِي الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيَّ، أَنْ تَعْبُدَ مِنْ دُونِهِ مَا تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ، وَأَمْرَنِي بِأَنْ أَتَقَادَّ إِلَيْهِ، وَأَنْ أُخْلِصَ لَهُ دِينِي، لِأَنَّهُ تَعَالَى رَبُّ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا.
أَنْ أُسَلِّمَ - أَنْ أَتَقَادَّ وَأَخْلِصَ دِينِي.

١٦ ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ

١٧ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُوا بِاللَّهِ يَجْحَدُونَ

١٨ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

١٩ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



٢٠ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ

(٦٧) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي بَدَأَ خَلْقَ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ يَتَوَلَّدُونَ مِنْ نُطْفَةٍ تَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ الْأُنْثَى، فَتَلْفَحُ الْبُيُوضَةُ، وَتَتَطَوَّرُ الْحَيَوَانُ الْمَنَوِيُّ إِلَى عِلْقَةٍ، ثُمَّ يَسْتَمِرُّ مُقْبِلًا فِي أَطْوَارٍ شَتَّى حَتَّى يَخْرُجَ طِفْلًا فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ؛ وَيَبْدَأُ الْإِنْسَانُ حَيَاتَهُ ضَعِيفًا، ثُمَّ يَتَدَرَّجُ فِي التَّقَدُّمِ حَتَّى يَبْلُغَ أَشَدَّهُ وَمُنْتَهَى قُوَّتِهِ، ثُمَّ يَبْدَأُ فِي التَّرَاجُعِ، وَيُنْهَضِرُ إِلَى الشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَوَفَّى قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الشَّيْخُوخَةَ بِأَمْرِ اللَّهِ؛ وَيَفْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ لِيَبْلُغَ النَّاسُ الْأَجَلَ الْمُسَمَّى، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَلِيَذَرِكُوا الْعَبْرَ مِنْ هَذَا التَّنَقُّلِ فِي أَطْوَارِ التَّكْوِينِ وَالْحَيَاةِ.

لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ - كَمَالَ عَقْلِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ.

(٦٨) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَيُمِيتُ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْأَحْيَاءِ، وَإِذَا أَرَادَ كَوْنَ شَيْءٍ فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ لِقَوْرِهِ. وَأَمْرُهُ تَعَالَى لَا يُعَانَدُ وَلَا يُمَانَعُ وَلَا يَتَكَرَّرُ ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(١).

قَضَى أَمْرًا - أَرَادَ إِيجَادَ شَيْءٍ.

(يُجَادِلُونَ) (آيَاتِ)

(٦٩) - أَلَا تَعَجَّبُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، كَيْفَ تُصَرِّفُ عُقُولَهُمْ عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ؟

أَنَّى يُصَرِّفُونَ - كَيْفَ يُصَرِّفُونَ عَنِ الْآيَاتِ مَعَ وُضُوحِهَا.

(بِالْكِتَابِ)

(٧٠) - وَهَؤُلَاءِ الْمُبْطِلُونَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ هُمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ، وَبِجَمِيعِ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ مَصِيرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

(الْأَغْلَالُ) (أَعْنَاقِهِمْ) (السَّلَاسِلُ)

(٧١) - إِذْ تَجْعَلُ الْأَغْلَالُ وَالسَّلَاسِلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَيُسْحَبُونَ بِهَا. يُسْحَبُونَ - يُجْرَوْنَ.

الْأَغْلَالُ - الْقَيْدُ.

﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلَ مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿١٨﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصَرِّفُونَ

﴿٢٠﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

﴿٢١﴾ إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ

﴿٧٢﴾ فِي الْحَمِيرِ تُرْمَى النَّارُ يُسْجَرُونَ

﴿٧٣﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ

﴿٧٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا

بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوهُمْ مِنْ قَبْلُ شَيْئًا
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ

﴿٧٥﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ

﴿٧٦﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

فِيهَا فِئَسَ مَنَؤَى الْمُتَكَبِّرِينَ

﴿٧٧﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

فَكَيْفَ مَا تَرْيَاكَ بَعْضَ الَّذِي
نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّا لَیَرْجِعُونَ

(٧٢) - وَيُسْجَرُونَ بِالسَّلَاسِلِ فِي النَّارِ، وَالْأَغْلَالِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، ثُمَّ تُمْلَأُ بِهِمُ النَّارُ لِيَكُونُوا وَقُودًا لَهَا.

سُجِرَ النَّورُ - أَضْرِمَ فِيهِ النَّارُ.

(٧٣) - ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: أَتَيْنَ الْأَصْنَامَ الَّتِي كُنتُمْ تُشْرِكُونَهَا فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ؟

(نَدْعُو) (الْكَافِرِينَ)

(٧٤) - وَأَتَيْنَ الْمَعْبُودَاتِ الَّتِي كُنتُمْ تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَادْعُوهُمْ لِيُقَدِّوْكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ؟ فَيَرُدُّونَ قَائِلِينَ: إِنَّهُمْ غَابُوا عَنْهُمْ، وَلَا يَعْرِفُونَ لَهُمْ مَكَانًا، وَلَا يَرْجُونَ مِنْهُمْ نَفْعًا، ثُمَّ يَحْجِدُونَ عِبَادَتَهُمُ الْأَصْنَامَ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَكُونُوا يَدْعُونَ إِلَهَةً أُخْرَى غَيْرَ اللَّهِ. وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ: «لَوْ لَمْ تَكُنْ فَتَتَّهِمُ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»^(١).

(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَدْعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا شَيْئًا يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الْأَرْبَابِ) وَهَكَذَا يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ، فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

(٧٥) - وَيُقَالُ لَهُمْ إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، هُوَ جَزَاءُ لَكُمْ عَلَى فَرْحِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَمَرَحِكُمْ وَإِشْرَاكِكُمْ فِيهَا، وَتَمَتُّعِكُمْ بِالذَّلَاتِ.

تَفْرَحُونَ - تَبْتَطِرُونَ.

تَمْرَحُونَ - تَخْتَالُونَ كِبَرًا وَبَطْرًا.

(أَبْوَابِ) (خَالِدِينَ)

(٧٦) - فَادْخُلُوا الْآنَ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ لِيَتَقِيمُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، وَبِسَ جَهَنَّمَ مَنَزِلًا وَمَقَامًا لِلْمُتَكَبِّرِينَ عَلَى اللَّهِ فِي الدُّنْيَا مَنَؤَى الْمُتَكَبِّرِينَ - مَا وَاهُمْ وَمَقَامُهُمْ.

(٧٧) - يَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَى تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَ مِنْ قَوْمِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَنْجِزُ وَعْدَهُ، وَسَيُظْفِرُهُ بِأَعْدَائِهِ، وَسَيَنْزِلُ الْعِقَابَ بِالْمُكَذِّبِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: إِمَّا أَنْ يَرِيَهُ فِي حَيَاتِهِ بَعْضَ الَّذِي يَعِدُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنِّقْمَةِ، كَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فِي بَذَرٍ، فَذَلِكَ مَا يَسْتَحْقُونَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ عِقَابُهُ وَعَذَابُهُ فَإِنَّهُ سَيُعَاقِبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِقَابًا شَدِيدًا حِينَمَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(بَآيَةِ)

(٧٨) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ : إِنَّهُ تَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ قَبْلَهُ رُسُلًا إِلَى أَقْوَامِهِمْ ، مِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ لَهُ أَخْبَارَهُمْ فِي الْقُرْآنِ وَهُمْ خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَقْصُصِ اللَّهُ أَخْبَارَهُمْ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ .

(وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ عَدَدُ الْأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ مِئَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا ، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُمِئَةٍ وَخَمْسَةُ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا) . (رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ) .

وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ بِمُعْجِزَةٍ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ بِذَلِكَ ، فَيُذِلُّ ذَلِكَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ . فَإِذَا نَزَلَ عَذَابُ اللَّهِ وَكَانَ الْبَالُ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ . فَيُنْجِي اللَّهُ رُسُلَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ ، وَيُهْلِكُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .

(الْأَنْعَامِ)

(٧٩) - يَمُنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا خَلَقَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ، وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالغَنَمُ وَالْمَاعِزُ ، فَيَأْكُلُونَ مِنْ لُحُومِهَا ، وَيَرْكَبُونَ عَلَى الْإِبِلِ مِنْهَا وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ .

(مَنَافِعِ)

(٨٠) - وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ أُخْرَى فَيَسْتَفِيدُونَ مِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا فِي صُنْعِ مَلَابِسِهِمْ وَأَتَانِهِمْ وَفَرَشِهِمْ وَخِيَامِهِمْ . . وَيَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْ جُلُودِهَا ، وَيَتَبَاهَوْنَ بِهَا وَيَتَفَاخَرُونَ ، وَيُسَرُّونَ مِنْ مَنَظَرِهَا حِينَ تَذْهَبُ إِلَى الْمَرَاعِي صَبَاحًا ، وَحِينَ تَرْجِعُ مَسَاءً شَبَعًا زَيًّا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ ^(١) وَيَتَنَقَّلُونَ فِيهَا وَأَحْمَالُهُمْ وَأَثْقَالُهُمْ عَلَى الْإِبِلِ ، إِلَى الْأَمَاكِينِ الْبَعِيدَةِ انْتِجَاعًا لِلْكَلَالِ ، أَوْ سَعْيًا وَرَاءَ الْعَمَلِ وَالتَّجَارَةِ .
حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ - أَمْرًا ذَا بَالٍ تَهْتَمُونَ بِهِ .

(آيَاتِهِ) (آيَاتِ)

(٨١) - وَيُرِيكُمْ اللَّهُ آيَاتِهِ وَحُجَجَهُ الدَّالَّةَ عَلَى وُجُودِهِ ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ ، فَأَيًّا مِنْهَا تُنْكِرُونَ ، وَبِأَيِّهَا تَعْتَرِفُونَ ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ بَادِيَةٌ لِلْعَيَانِ ، لَا سَبِيلَ إِلَى جُحُودِهَا .

﴿ ٧٨ ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ

مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ

فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ

الْمُبْطِلُونَ

﴿ ٧٩ ﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ

لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا

تَأْكُلُونَ

﴿ ٨٠ ﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ

وَلِتَسْبَلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي

صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى

الْأَفْئِدَةِ تُحْمَلُونَ

﴿ ٨١ ﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ

اللَّهِ تُنْكِرُونَ

(عَاقِبَةُ) (آثَارًا)

(٨٢) - أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ مِنْ كُفَارِ قُرَيْشٍ فِي الْأَرْضِ فِيرَوْا فِي الْبِلَادِ الَّتِي مَرُّوا بِهَا مَا حَلَّ بِالَّذِينَ كَذَّبُوا قَبْلَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ مِنَ الْأَمْرِ الْبَائِدَةِ: عَادَ وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَأَصْحَابَ الْأَيْكَةِ . وَكَيْفَ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَبَادَ خَضِرَاءَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ السَّالِفُونَ أَكْثَرَ قُوَّةً مِنْ قُرَيْشٍ، وَابْقَى أَثَرًا فِي الْأَرْضِ، وَأَكْثَرَ عَدَدًا . فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ كُلُّ ذَلِكَ وَلَمْ يَغْنِ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ حِينَمَا جَاءَهُمْ، فَهَلَّا أَعْتَبَرُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ بِذَلِكَ؟
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ - فَمَا دَفَعَ عَنْهُمْ .

(بِالْبَيِّنَاتِ) (يَسْتَهْزِئُونَ)

(٨٣) - فَلَمَّا جَاءَ رُسُلُ اللَّهِ أَقْوَامَهُمْ بِالْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ وَالْحُجَجِ الدَّامِغَةِ، وَالْبَرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ، لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى الرُّسُلِ، وَلَمْ يَأْخُذُوا بِمَا أَتَوْهُمْ بِهِ، وَاسْتَغْنَوْا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعَقَائِدِ الزَّائِفَةِ، وَالشَّبَهِ الدَّاحِضَةِ، وَهُمْ يَظُنُّونَهَا عِلْمًا نَافِعًا، فَفَرَحُوا بِهَا، فَتَزَلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ، وَأَخَاطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَهَذَا الْعَذَابُ هُوَ مَا كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ .

مِنْ الْعِلْمِ - مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَقَائِدِ الزَّائِفَةِ .
حَاقَ بِهِمْ - أَخَاطَ بِهِمْ أَوْ نَزَلَ بِهِمْ .

(آمَنًا)

(٨٤) - فَلَمَّا عَانِيُوا عَذَابَ اللَّهِ النَّازِلَ بِهِمْ قَالُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَكَفَرْنَا بِتِلْكَ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِعِبَادِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا .
رَأَوْا بِأَسَاسًا - عَانِيُوا شِدَّةَ عَذَابِنَا .

(إِيمَانُهُمْ) (سُنَّةَ) (الْكَافِرُونَ)

(٨٥) - فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ حِينَمَا عَانِيُوا الْعَذَابَ، وَمَضَى فِيهِمْ حُكْمُ اللَّهِ؛ وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ سَلَفُوا مِنْ قَبْلِهِمْ، إِنَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ التَّوْبَةَ حِينَمَا يَرَوْنَ عَذَابَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ؛ وَأَمَضَى فِيهِمْ حُكْمَهُ الْعَادِلَ بِإِبَادَتِهِمْ، وَخَسِرَ الْكَافِرُونَ الْمُبْطِلُونَ خُسْرَانًا مُبِينًا .
خَلَّتْ - مَضَتْ .

(٨٢) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا
أَكْثَرِمَهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً
وَأَشَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

(٨٣) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ

(٨٤) فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسَاسًا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ

وَحْدَهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ

(٨٥) فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا

رَأَوْا بِأَسَاسًا سَنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ
خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
الْكَافِرُونَ

(٤) سُورَةُ فَصَّلَتْ مَكِينَةً
وَأَيُّهَا الزَّيْجُ وَخُسُوفُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ حم

٢ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣ كِتَابٌ فَصَّلَتْ أَيْتُهُ قُرْءَانًا
عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

٤ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

٥ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَةٍ مِمَّا
تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ
وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ

(حَا. مِيم)

(١) - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(٢) - هَذَا الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

(كِتَابُ) (آيَاتُهُ) (قُرْآنًا)

(٣) - وَهُوَ كِتَابٌ بَيَّنَتْ مَعَانِيهِ، وَأَحْكَمَتْ أَحْكَامُهُ، وَأَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى
بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَيْسَهْلَ عَلَى أَهْلِ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ مِنَ الْعَرَبِ قِرَاءَتُهُ
وَفَهْمُ مَعَانِيهِ (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ).
فُصِّلَتْ - مُيِّزَتْ أَوْ بَيَّنَتْ أَوْ أُحْكِمَتْ.

(٤) - وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ لِيَكُونَ مُبَشِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ، بِالْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَمُنْذِرًا لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْعَذَابِ
الْأَلِيمِ، وَالْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاسْتَكْبَرَ أَكْثَرُ الْمُشْرِكِينَ عَنِ
الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، وَأَعْرَضُوا عَنِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى.

(آذَانِنَا) (عَامِلُونَ)

(٥) - لَقَدْ أَعْرَضَ الْمُشْرِكُونَ وَبَيْنُوا ثَلَاثَةَ أَسْبَابٍ لِإِعْرَاضِهِمْ:
فَقَالُوا: إِنَّ قُلُوبَنَا تُلْفَهَا أُغْطِيَةٌ مُتَكَاثِفَةٌ فَلَا يَبْلُغُهَا مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مِنْ
عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا نَفْقَهُ مَا تَقُولُهُ أَنْتَ.
وَقَالُوا: إِنَّ فِي آذَانِنَا صَمًّا يَمْنَعُهَا مِنْ سَمَاعِ مَا تَقُولُ.
وَقَالُوا: هُنَاكَ بَسْتَرٌ (حِجَابٌ) يَمْنَعُ وَصُولَ شَيْءٍ مِمَّا نَقُولُ إِلَيْنَا.
فَاعْمَلْ يَا مُحَمَّدُ مَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ عَمَلَهُ عَلَى طَرِيقَتِكَ، وَنَحْنُ نَعْمَلُ
عَلَى طَرِيقَتِنَا فَلَا تَتَابَعُكَ فِي دَعْوَتِكَ.

(وَقِيلَ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ اسْتَعْشَى عَلَى رَأْسِهِ ثَوْبًا، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ، اسْتَهِزَّاءٌ مِنْهُ بِالرُّسُولِ ﷺ وَدَعْوَتِهِ).

أَكِنَّةٌ - أُعْطِيَتْ تَمْنَعُ الْفَهْمَ.
وَقُرْ - صَمَمَ وَثَقُلَ يَمْنَعُ السَّمْعَ.
حِجَابٌ - سِتْرٌ غَلِيظٌ يَمْنَعُ التَّوَاصُلَ.

(وَاحِدٌ)

(٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ قَوْمِكَ: إِنِّي لَسْتُ إِلَّا بَشَرًا مِنْ جَنْسِكُمْ، وَلَسْتُ مَلَكًا، وَقَدْ اخْتَارَنِي اللَّهُ تَعَالَى لِيُوجِيَ إِلَيَّ رِسَالَتَهُ إِلَيْكُمْ وَهُوَ يُوجِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنْ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ وَالْحِجَارَةَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِعِبَادِيهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ عَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ ذُنُوبٍ وَمَعَاصٍ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ كَمَا أَمَرَكُمْ. وَالْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخَسَارُ لِمَنْ أَشْرَكَ مَعَ رَبِّهِ فِي الْعِبَادَةِ سِوَاهُ. فَاسْتَغْفِرُوا إِلَيْهِ - تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.

(الزَّكَاةَ) (كَافِرُونَ)

(٧) - وَالْوَيْلُ وَالْخَسَارُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِرَبِّهِ، وَلَمْ يَدْفَعْ زَكَاةَ مَالِهِ لِمَوَاسَةِ الْفَقِيرِ وَالْمُحْتَاجِ وَالْيَتِيمِ، وَكَفَرَ بِالْبَعْثِ وَالْمَعَادِ وَالْحِسَابِ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مَنَعَ آدَاءِ الزَّكَاةِ مَقْرُونًا بِالشَّرْكِ، لِأَنَّ بَذْلَ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِيلٌ عَلَى اسْتِقَامَةِ الْإِنْسَانِ، وَصِدْقُهُ فِي إِيمَانِهِ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٨) - إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَكُتِبَ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللَّهَ يَعِدُهُمْ بِأَنْ يَجْزِيَهُمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمْ الصَّالِحِ جَزَاءً كَرِيمًا غَيْرَ مَقْطُوعٍ وَلَا مَمْنُوعٍ. غَيْرَ مَمْنُونٍ - غَيْرَ مَقْطُوعٍ عَنْهُمْ.

(إِنَّكُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(٩) - قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ مَوْبِحًا وَمُقَرَّعًا: إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ الَّتِي تَقِفُونَ عَلَيْهَا فِي يَوْمَيْنِ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا وَأَمْثَالًا تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، فَعِبَادَتُكُمْ غَيْرُهُ مَعَهُ، ظَلَمٌ كَبِيرٌ.

٦ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحِي

إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ
فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ
وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ

٧ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

٨ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ



٩ قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ

بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ
وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ
الْعَالَمِينَ

(وَقَسَرَ بَعْضُهُمْ: فِي يَوْمَيْنِ، فِي طَوْرَيْنِ أَوْ عَلَى دُفْعَتَيْنِ أَوْ نَوْبَتَيْنِ: نَوْبَةً جَعَلَهَا جَامِدَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ كُرَّةً غَازِيَةً، وَمَرَّةً جَعَلَهَا سِتًّا وَعَشْرِينَ طَبَقَةً فِي سِتَّةِ أَطْوَارٍ).
أَنَدَادًا - أَمْثَالًا وَأَشْبَاهًا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

(رَوَاسِي) (بَارَكْ) (أَقْوَاتَهَا) (لِلسَّائِلِينَ)

(١٠) - وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا ثَوَابِتَ، رَاسِيَاتٍ، تُرْسِي الْأَرْضَ وَتُثَبِّتُهَا لِكَيْلَا تَمِيدَ وَتَضْطَرِبَ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ. وَهُوَ الَّذِي بَارَكَ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَهَا كَثِيرَةَ الْخَيْرِ وَالْمَنْفَعَةِ، وَقَدَّرَ لِأَهْلِهَا الْأَقْوَاتِ وَالْأَرْزَاقِ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَ كُلِّ مِنْهُمْ، فَاتَمَّ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ: فَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا الرِّوَاسِيَّ فِي يَوْمَيْنِ، وَكَثَّرَ الْخَيْرَاتِ وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فِي يَوْمَيْنِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ كَامِلَةً، وَفَقَّ مُرَادِ طَالِبِ الْقُوَى (سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ)، وَهُوَ مَنْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَيْهِ مِنْ إِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ.

رَوَاسِي - جِبَالًا ثَوَابِتَ تَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِمَنْ عَلَيْهَا.

بَارَكْ فِيهَا - كَثَّرَ خَيْرَهَا وَمَنَافِعَهَا.

سَوَاءً - وَفَقَّ الْمُرَادِ، أَوْ اسْتَوَتْ وَتَمَّتْ.

(طَائِعِينَ)

(١١) - ثُمَّ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ فَجَعَهُ إِزَادَتَهُ إِلَى خَلْقِهَا، وَهِيَ مَادَّةٌ غَازِيَةٌ أَشْبَهَ بِالْدُّخَانِ أَوْ بِالسَّيْدِمِ، وَقَالَ لِلْسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: اسْتَجِيبَا لِأَمْرِي كَيْفَ شِئْتُمَا: طَوْعًا أَوْ كَرْهًا. قَالَتَا: أَتَيْنَا طَائِعِينَ.

أَتَيْنَا - أَفْعَلًا مَا أَمَرْتُكُمَا بِهِ.

(فَقَضَاهُنَّ) (سَمَاوَاتٍ) (بِمَصَابِيحٍ)

(١٢) - فَاتَمَّ خَلْقُهُنَّ وَجَعَلَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَأَصْبَحَ خَلْقُ الْكَوْنِ كُلِّهِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. وَجَعَلَ فِي كُلِّ مِنْهَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَمَا هِيَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ. وَزَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِكَوَاكِبٍ مُضِيَّةٍ مُتَلَالِئَةٍ كَالْمَصَابِيحِ، وَحَفِظَهَا مِنَ الاضطرابِ فِي سَيْرِهَا (وَحِفْظًا)، وَجَعَلَهَا تَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ وَاحِدٍ مَا دَامَ هَذَا النِّظَامُ بَاقِيًا حَتَّى يَأْتِيَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ. وَذَلِكَ الَّذِي تَقَدَّمَ هُوَ تَقْدِيرُ اللَّهِ الَّذِي عَزَّ كُلُّ شَيْءٍ وَفَهَرَهُ، الْعَلِيمُ بِحَرَكَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِمْ.

١٠ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا

وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي

أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ

١١ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ

فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا

أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ

١٢ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي

يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا

وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ

وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ

فَقَضَاهُنَّ - أُنْتُمْ خَلَقْتَهُنَّ وَأَحْكَمَهُ وَأَبْدَعَهُ.
أَوْحَى - كَوَّنَ أَوْ دَبَّرَ.

حِفْظًا - حَفِظْنَا مَا حِفْظًا مِنَ الْخَلَلِ وَالْاضْطِرَابِ.
(صَاعِقَةً) (صَاعِقَةً)

(١٣) - فَإِنْ أَعْرَضَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: إِنْ أَعْرَضْتُمْ عَمَّا جِئْتَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَإِنِّي أَنْذِرُكُمْ بِحُلُولِ نَقْمَتِهِ تَعَالَى بِكُمْ كَمَا نَزَلَتْ بِالْأَمْرِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي كَذَّبْتَ رُسُلَهَا كَعَادٍ وَثَمُودَ وَمَنْ شَاكَلَهُمَا. أَنْذِرْتُمْكُمْ - خَوَّفْتُمْكُمْ مِنْ حُلُولِ الْعَذَابِ بِكُمْ.

(مَلَائِكَةً) (كَافِرُونَ)

(١٤) - فَقَدْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ، وَأَمَرُوهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَكَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ اتِّبَاعِ دَعْوَتِهِمْ، مُتَعَلِّينَ بِأَنَّ اللَّهَ لَوْ شَاءَ أَنْ يُرْسِلَ رُسُلًا لَأَرْسَلَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَمْ يُرْسِلَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ، وَبِمَا أَنَّ رُسُلَهُمْ كَانُوا مِنَ الْبَشَرِ لِذَلِكَ أَعْلَنُوا هُمْ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَتَّبِعُوهُمْ، وَأَنَّهُمْ كَافِرُونَ بِمَا أُرْسِلُوا بِهِ إِلَيْهِمْ.

(بَيَاتِنَا)

(١٥) - أَمَّا عَادٌ فَإِنَّهُمْ بَعَوْا وَعَصَوْا رَبَّهُمْ، وَاعْتَرَوْا بِقُوَّتِهِمْ فَقَالُوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً حَتَّى يَسْتَطِيعَ قَهْرَنَا وَإِذْلَانَا؟. وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُوَبِّخًا: أَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيمَنْ يُبَارِزُونَ بِالْعَدَاوَةِ؟ إِنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ، وَرَكَّبَ فِيهَا الْقُوَّةَ الْحَامِلَةَ لَهَا، وَإِنْ بَطَشَهُ شَدِيدٌ، وَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ فِيهِمْ بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ. وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهَا، وَلَكِنَّهُمْ جَحَدُوهَا، وَعَصَوْا رُسُلَ رَبِّهِمْ.

(الْحَيَاة)

(١٦) - فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ رِيحًا شَدِيدَةً الْهُبُوبَ، أَوْ شَدِيدَةَ الْبُرُودَةِ (صَرَصْرًا) تَهْلِكُ بِشِدَّتِهَا أَوْ بِشِدَّةِ بُرُودَتِهَا، وَإِذَا هَبَّتْ سَمِعَ لَهَا صَوْتُ قَوِيٍّ لِيَكُونَ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى اعْتِرَازِهِمْ بِقُوَّتِهِمْ، وَقَدْ أَرْسَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ شَوْمٍ مُتَتَابِعَةٍ (نَحْسَاتٍ)، لِيَذِيقَهُمْ عَذَابَ الذَّلِّ وَالْهَوَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِسَبَبِ ذَلِكَ الْاسْتِكْبَارِ. وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدَّ خِزْيًا وَإِهَانَةً مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، وَلَا يَجِدُونَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نَصِيرًا وَلَا مَعِينًا.

الصَّرَصْرُ - الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الْبُرُودَةُ أَوْ الشَّدِيدَةُ الْهُبُوبِ.

أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ - أَيَّامٍ شَوْمٍ مُتَتَابِعَةٍ.

أُخْرَى - أَكْثَرُ إِذْلَالًا وَإِهَانَةً.

١٣ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ

صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ

١٤ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ

أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا

تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ

رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا

أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ

١٥ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ

أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ

الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً

وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ

١٦ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي

أَيَّامٍ مَّتَّحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ

الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ

الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ

(فَهْدَيْنَاهُمْ) (صَاعِقَةً)

(١٧) - أَمَا تُمُودُ فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِمْ صَالِحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَذَّبُوهُ وَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى، وَالْكَفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَرَجْفَةً وَذَلًّا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْآثَامِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِ اللَّهِ. فَهْدَيْنَاهُمْ - بَيَّنَّا لَهُمْ طَرِيقِي الْهُدَى وَالضَّلَالِ. الْعَذَابِ الْهُونِ - الْعَذَابِ الْمُهِينِ.

(آمَنُوا)

(١٨) - وَنَجَّى اللَّهُ تَعَالَى صَالِحًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ، فَلَمْ يُوقِعْهُ بِهِمْ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ، وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَاتِ.

(١٩) - وَأَذْكَرَ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ حَالَ الْكَفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ وَيَرْتَدِعُونَ عَنْ غَوَايَاتِهِمْ، فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُسَاقُ الْكُفْرَةُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ، فَتَحْبُسُ الزَّبَانِيَةُ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ (أَيُّ تَقْفُهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يَتَلَاحَقُوا، وَيَتَكَامَلَ جَمْعُهُمْ). يُوزَعُونَ - يُحْبَسُونَ وَيُوقَفُونَ لِيَلْحَقَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ.

(أَبْصَارُهُمْ) (جَاؤُوهَا)

(٢٠) - حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَى النَّارِ وَوَقَفُوا عَلَيْهَا، شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ (سَمِعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) بِمَا كَانُوا يَجْتَرَحُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَعَاصِي، وَمِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ أَعْمَالٍ، لَا يَكْتُمُونَ مِنْهَا شَيْئًا.

(٢١) - فَيَقُولُ الْمَجْرُمُونَ لِجُلُودِهِمْ، وَهُمْ يَلُومُونَهَا عَلَى شَهَادَتِهَا عَلَيْهِمْ: لِمَاذَا شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ فَتَرُدُّ الْجُلُودُ قَائِلَةً: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْطَقَهَا، وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَهَا وَخَلَقَهُمْ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، فَهُوَ تَعَالَى لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ.

(وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلُهُ: عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: أَيُّ رَبِّي أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي لَا تَظْلِمُنِي؟ قَالَ: بَلَى. فَيَقُولُ إِنِّي لَا أَقْبَلُ عَلَيَّ شَاهِدًا إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَوْلَيْسَ كَفَى بِي شَهِيدًا، وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ قَالَ فَيَرُدُّ هَذَا الْكَلَامَ. فَيُخْتِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى فِيهِ، وَتَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ. فَيَقُولُ بَعْدًا لَكِنَّ وَسُحْقًا، عَنَّا كُنْتَ أَجَادِلُ). (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ بَرَزٍ).

وَأَمَّا تُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا

الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ

صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ

وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا

يَنْقُوتُونَ

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ

فَهُمْ يَوْرَعُونَ

حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهُمْ شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ

سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

وَقَالُوا الْجُلُودُ دِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ

عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي

أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(أَبْصَارُكُمْ)

(٢٢) - وَتَقُولُ لَهُمْ جَوَارِحُهُمْ وَجُلُودُهُمْ: وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَخْفُونَ مِنَّا حِينَمَا كُنْتُمْ تَرْكَبُونَ الْفَوَاحِشَ حَذَرًا مِنْ أَنْ نَشْهَدَ عَلَيْكُمْ، بَلْ كُنْتُمْ تُجَاهِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ.

تَسْتَتِرُونَ - تَسْتَخْفُونَ عِنْدَ أَرْكَابِ الْفَوَاحِشِ .

أَنْ يَشْهَدَ - مَخَافَةَ أَنْ يَشْهَدَ

ظَنَنْتُمْ - اعْتَقَدْتُمْ عِنْدَ اسْتِتَارِكُمْ مِنَ النَّاسِ .

(أُرْدَاكُمْ) (الْخَاسِرِينَ)

(٢٣) - وَهَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ هُوَ الَّذِي أُرْدَاكُمْ وَأَوْصَلَكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ، فَصَرَّيْتُمْ الْيَوْمَ مِنَ الْهَالِكِينَ الْخَاسِرِينَ .
(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ، فَإِنْ قَوْمًا أُرْدَاهُمْ سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ .) (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه عَنْ جَابِرٍ)

أُرْدَاكُمْ - أَهْلَكَكُمْ .

(٢٤) - وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَصْبَرُوا أَمْ لَمْ يَصْبِرُوا فَإِنَّهُمْ فِي النَّارِ لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا، وَإِنْ طَلَبُوا أَنْ يَسْتَعْتَبُوا وَيُبَدُّوا مَعَاذِيرَهُمْ فَلَنْ يُقْبَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَلَا تُقَالَ عَثْرَاتُهُمْ .

يَسْتَعْتَبُونَ - يَطْلُبُونَ الْعُتْبَى وَالرَّضَا مِنَ اللَّهِ، وَيُقَالُ اسْتَعْتَبْتُهُ فَأَعْتَبَنِي، أَيَّ اسْتَرْضَيْتُهُ فَأَرْضَانِي .

مِنَ الْمُعْتَبِينَ - الْمُجَابِينَ إِلَى مَا طَلَبُوا مِنَ الْعُتْبَى .

(خَاسِرِينَ)

(٢٥) - وَيَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْهَوَلَاءِ الْكَافِرِينَ أَخْدَانًا وَأَقْرَانًا مِنْ شَيَاطِينِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، فَرِيقًا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، فَحَسَّنُوا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَلَمْ يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا مُحْسِنِينَ، وَأَوْحَا إِلَيْهِمْ أَنَّهُ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا حِسَابَ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا وَجَبَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

﴿٢٢﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ

عَلَيْكُمْ سَعْيُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ

وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ

اللَّهُ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ

﴿٢٣﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ

بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ

مِنَ الْخَاسِرِينَ

﴿٢٤﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى

لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ

الْمُعْتَبِينَ



﴿٢٥﴾ وَفِيصَّصْنَاهُمْ قُرْنًا

فَرِيقًا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ

الْقَوْلُ فِي أُمِّهِمْ فَذَلَّتْ مِنْ

قَبْلِهِمْ مِنَ الْحَيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ

كَانُوا خَاسِرِينَ

قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَعَلُوا مِثْلَ أَفْعَالِهِمْ، فَكَانُوا جَمِيعاً فِي الْخَسَارِ وَالْدمَارِ،
وَأَسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قِيَضْنَا - يَسْرُنَا وَهَيَّانَا.

حَقٌّ - وَجَبَ وَثَبَتَ.

(الْقُرْآن)

(٢٦) - وَتَوَاصَى الَّذِينَ كَفَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْأَلْفِ يَوْمِنَا بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَنْقَادُوا
إِلَيْهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِذَا تَلَّى الْقُرْآنَ لَا تَنْصِتُوا لَهُ، وَعَارِضُوهُ
بِاللُّغُوِّ وَالْبَاطِلِ بِرَفْعِ الصَّوْتِ بِالشَّعْرِ، أَوْ الْكَلَامِ أَوْ الصَّفِيرِ. لَعَلَّكُمْ
تَكُونُونَ أَنْتُمْ الْعَالِيْنَ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِذَا قَرَأَ مُحَمَّدٌ الْقُرْآنَ فَصِيحُوا فِي
وَجْهِهِ حَتَّى لَا يَذَرِي مَا يَقُولُ).

الْفَوَا فِيهِ - عَارِضُوهُ بِاللُّغُوِّ مِنَ الْكَلَامِ وَالْبَاطِلِ.

(٢٧) - وَيَهْدِدُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُ سَيَذِيقُهُمْ عَذَاباً لَا تُمْكِنُ
الْإِحَاطَةُ بِوَصْفِهِ، وَسَيَجْزِيهِمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ الصَّالِحَةَ فِي
الدُّنْيَا أَحْبَطَهَا الشُّرْكُ وَأَهْلَكَهَا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ إِلَّا الْقَبِيحُ
السَّيِّئُ وَلِلذَلِكَ فَانْتَهَى لَا يُجَازُونَ إِلَّا عَلَى السَّيِّئَاتِ.

(بَيَانِنَا)

(٢٨) - وَذَلِكَ الْجَزَاءُ الشَّدِيدُ، الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِأَعْدَائِهِ، هُوَ النَّارُ يُعَذَّبُونَ
فِيهَا، وَيَبْقَوْنَ فِي الْعَذَابِ خَالِدِينَ أَبَداً، وَهِيَ جَزَاؤُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ
وَجُحُودِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَأَسْتَكْبَارِهِمْ عَنْ سَمَاعِهَا.

(الَّذِينَ)

(٢٩) - وَيَسْأَلُ الْكَافِرُونَ اللَّهَ، وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، أَنْ يُرِيَهُمُ الَّذِينَ
أَضَلُّوهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِيُدْخِلُوهُمْ بِأَقْدَامِهِمْ إِنْتِقَاماً مِنْهُمْ،
وَلِهَاقَةً لَهُمْ (أَوْ لِيَجْعَلُوهُمْ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الْعَذَابِ لِيَكُونَ عَذَابُهُمْ
أَشَدَّ).

(وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: هُمَا ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ، وَإِبْلِيسُ
لِأَنَّهُمَا هُمَا اللَّذَانِ سَنَا الْمَعْصِيَةَ).

الْأَسْفَلِينَ - فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

﴿٢٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا

الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٢٧﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا

شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي
كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٢٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ

فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَأْتُونَ
بِجُحُودٍ

﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا

الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ
نَجْعَلُهُم بِتَحْتِ أَعْدَامِنَا لِيَكُونُوا
مِنَ الْأَسْفَلِينَ

(اسْتَقَامُوا) (الْمَلَائِكَةُ)

(٣٠) - إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَتَبَسَّوْا عَلَى الْإِيمَانِ (اسْتَقَامُوا) تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْبُشْرَى الَّتِي يُرِيدُونَهَا، وَبِأَنَّهُمْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَقْدِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَقَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَزَوْجٍ وَوَلَدٍ، وَيَبْشُرُونَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ. (وَقِيلَ إِنَّ الْبُشْرَى تَكُونُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ الْمَوْتِ، وَفِي الْقَبْرِ، وَجِئِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ).

اسْتَقَامُوا - عَلَى الْحَقِّ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا وَإِخْلَاصًا.

(الْحَيَاةِ)

(٣١) - وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ يُبْشِرُونَهُمْ: نَحْنُ كُنَّا أَوْلِيَاءَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا نُسَدُّ خُطَاكُمْ، وَنُلْهِمُكُمْ الْحَقَّ، وَنُرْشِدُكُمْ إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَرِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَكَذَلِكَ تَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ، نُؤْمِنُكُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ وَخْشَةِ الْقَبْرِ، وَعِنْدَ النُّفْخَةِ فِي الصُّورِ، وَنُسَوِّمُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَنُوصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ، وَإِنَّا وَاجِدُونَ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ مِنَ الْمَلَذَّاتِ وَالنَّعِيمِ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَتَمَنَوْنَ وَتَطْلُبُونَ. تَدْعُونَ - تَتَمَنَوْنَ وَتَطْلُبُونَ.

(٣٢) - وَالَّذِي أَنْزَلَ لَكُمْ دَارَ الْكَرَامَةِ هَذِهِ هُوَ اللَّهُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. النَّزْلُ - مَا يَهَيَأُ لِلضَّيْفِ حِينَ نَزُولِهِ لِيَأْكُلَهُ.

(صَالِحًا)

(٣٣) - وَلَا أَحَدٌ أَحْسَنُ قَوْلًا. مِمَّنْ جَمَعَ بَيْنَ ثَلَاثٍ يَخْصَالُ: دَعَا إِلَى اللَّهِ، وَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَتَوَجَّيْهِهِ وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ.

- وَعَمِلَ صَالِحًا، وَاجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ.
- وَأَنْ يَتَّخِذَ دِينَ الْإِسْلَامِ دِينًا لَهُ وَيُخْلِصَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ.
وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ - أَيُّ جَعَلَ الْإِسْلَامَ دِينَهُ وَمُعْتَقَدَهُ.

(عِدَاوَةً)

(٣٤) - وَلَا تَسَاوَى الْحَسَنَةُ الَّتِي يَرْضَى اللَّهُ بِهَا، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا، مَعَ السَّيِّئَةِ الَّتِي يَكْرَهُهَا اللَّهُ وَيُعَاقِبُ عَلَيْهَا، فَادْفَعْ سَفَاهَةَ السُّفَهَاءِ، وَجَهَالَةَ

٢٣ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ

٢٤ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ

٢٥ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ

٢٦ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

٢٧ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

الْجُهْلَاءِ بِالطَّرِيقَةِ الْحُسْنَى، فَقَابِلْ إِسَاءَتَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَقَابِلِ
الدُّنْبَ بِالْعَفْوِ، فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى سُوءِ أَخْلَاقِهِمْ، وَقَابَلْتَ سَفَاهَتَهُمْ
بِرَحَابَةِ صَدْرِ اسْتَحْيَاؤٍ مِنْ دَمِيمِ أَخْلَاقِهِمْ، وَتَرَكُوا قَبِيحَ أَعْمَالِهِمْ.
وَأَنْقَلَبُوا مِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى الْمَحَبَّةِ.

وَلِيَّ حَمِيمٍ - صَدِيقٌ قَرِيبٌ.

أَدْفَعْ - رُدَّ وَأَصْرَفَ.

(يُلْقَاهَا)

(٣٥) - وَلَا يَقْبَلْ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ وَيَعْمَلْ بِهَا إِلَّا مَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، لَأَنْ
الصَّبْرَ يَشُقُّ عَلَى النَّفْسِ، وَيَصْعَبُ احْتِمَالُهُ فِي مَجْرَى الْعَادَةِ، وَلَا
يَتَقَبَّلُهَا إِلَّا ذُو نَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(الشَّيْطَانِ)

(٣٦) - وَإِذَا وَسَّوسَ لَكَ الشَّيْطَانُ لِيَحْمِلَكَ عَلَى مُجَازَاةِ الْمَسِيءِ،
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ كَيْدِهِ وَشُرِّهِ، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ خَطَرَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ
السَّمِيعُ لاسْتِعَاذَتِكَ، الْعَلِيمُ بِمَا أَلْقَى فِي رَوْعِكَ مِنْ نَزَعَاتِهِ وَوَسَاوِسِهِ.
نَزَعٌ - وَسْوَسَ. وَأَصْلُ النَّزْعِ هُوَ النَّخْسُ.

(آيَاتِهِ) (اللَّيْلِ)

(٣٧) - وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى
الْخَلْقِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَتَعاقُبُهُمَا، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَتَقْدِيرُ مَنَازِلِهِمَا،
وَأَخْتِلَافُ سِيرِهِمَا فِي السَّمَاءِ لِيُعْرِفَ النَّاسُ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ،
وَهُمَا مَخْلُوقَانِ لِلَّهِ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَلَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَعْبُدُوهُمَا،
وَلَا أَنْ يَسْجُدُوا لَهُمَا، وَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ خَالِقَهُمَا، الَّذِي لَا
تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ.

(بِاللَّيْلِ) (يَسْأَمُونَ)

(٣٨) - فَإِنْ اسْتَكْبَرَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ هَذِهِ الْكَوَاكِبَ عَنْ عِبَادَةِ
اللَّهِ وَحْدَهُ، وَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَسْجُدُوا لَهَا وَحْدَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَعْجَبُ بِهِمْ،
فَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي حَضْرَتِهِ، وَهُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ
اللَّهِ رَبِّهِمْ، بَلْ يُسَبِّحُونَ لَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَهُمْ لَا يَقْتُرُونَ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا
يَمْلُونَ.

سَمِمٌ - مَلٌّ وَضَجَرٌ.

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ

٣٥

وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الذُّوْحُ حَظٌّ عَظِيمٌ

٣٦

وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ

٣٧

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ
إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

٣٨

فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ



بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ
لَا يَسْمُونُ



(آيَاتِهِ) (خَاشِعَةً) (لَمُحْيِي)

(٣٩) - وَمِنَ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْبَعْثِ وَالشُّورِ، وَإِخْرَاجِ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْقُبُورِ، أَحْيَاءَ يَنْظُرُونَ. . أُنْكَ تَرَى الْأَرْضَ يَابِسَةً غَيْرَاءَ لَا نَبَاتَ فِيهَا، فَإِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا الْمَطَرَ، تَبَدُّا النَّبَاتَاتُ بِالتَّحَرُّكِ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ وَتَعْلُو التُّرْبَةَ (تَرَبُّو)، وَتَخْرُجُ سُوقُ النَّبَاتَاتِ، فَتُزَيِّنُ الْأَرْضَ وَتُجَمِّلُهَا. وَالَّذِي أَحْيَا هَذِهِ الْأَرْضَ الْيَابِسَةَ، وَأَخْرَجَ النَّبَاتَاتِ مِنْهَا، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى، وَعَلَى أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَهُوَ الْقَدِيرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

رَبَّتْ - ارْتَفَعَتْ وَعَلَتْ.

خَاشِعَةً - يَابِسَةً مُتَطَامَةً.

اهْتَزَّتْ - تَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ فِي دَاخِلِهَا.

(آيَاتِنَا) (آمِنًا) (الْقِيَامَةِ)

(٤٠) - الَّذِينَ يُعَانِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ، وَيَمِيلُونَ بِهَا عَنِ الْحَقِّ جُحُودًا وَتَكْذِيبًا، اللَّهُ عَالِمُ بِهِمْ، وَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْهِ تَعَالَى، وَهُوَ لَهُمْ بِالْمُرْصَادِ. وَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِ وَتَكْذِيبِهِ، مَعَ مَنْ يَأْتِي رَبَّهُ مُؤْمِنًا مُطْمَئِنًّا لَا يَخْشَى مِنْ عَمَلِهِ شَيْئًا. ثُمَّ يُهَدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةَ الْمُعَانِدِينَ فَيَقُولُ لَهُمْ: أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ أَعْمَالٍ فَإِنَّكُمْ سَتُجْزَوْنَ عَلَيْهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى مُحْصٍ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ جَمِيعًا، وَهُوَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَا شِئْتُمْ بَعْدَ أَنْ عَلِمْتُمْ مَصِيرَ كُلِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُكَذِّبِينَ.

أَلْحَدَ بِالْقَوْلِ - مَا لَهُ بِهِ عَنْ مَعْنَاهُ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهِ وَوَضَعَهُ عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهِ.

الْإِلْحَادُ - الْكُفْرُ وَالْمُعَالِطَةُ.

(لِكِتَابِ)

(٤١) - وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْقُرْآنُ كِتَابٌ عَزِيزٌ قَوِيٌّ مَنِيْعُ الْجَانِبِ، سَيَلْفُوتُونَ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ عَلَى اللَّهِ. الذِّكْرُ - الْقُرْآنُ.

(الْبَاطِلِ)

(٤٢) - وَالْقُرْآنُ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ، لَيْسَ لِلْبَاطِلِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ لِأَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا كَانَ مُنْزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَيْدِي

﴿٣٩﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ

خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا
لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ

﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا

لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي
النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آيَاتِنَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

﴿٤١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا

جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ

﴿٤٢﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
حَمِيدٍ

الْمُطِيلِينَ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) وَاللَّهُ تَعَالَى حَكِيمٌ فِي قَوْلِهِ وَشَرَعِهِ وَقَدَرِهِ وَفِعْلِهِ، مَحْمُودٌ فِي جَمِيعِ مَا يَأْتُرُ بِهِ، وَمَا يَنْهَى عَنْهُ.
حميد - محمود.

(٤٣) - هَذِهِ آيَةٌ فُسِّرَتْ عَلَى وَجْهَيْنِ:

١ - مَا يُقَالُ لَكَ مِنَ التَّكْذِيبِ إِلَّا كَمَا قَدْ قِيلَ لِمَنْ جَاءَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، فَكَمَا كُذِّبْتَ أَنْتَ، كُذِّبُوا هُمْ، وَكَمَا صَبَرُوا عَلَى أَدَى أَقْوَامِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ فَاصْبِرْ أَنْتَ عَلَى أَدَى قَوْمِكَ وَتَكْذِيبِهِمْ لَكَ.

٢ - إِنَّ رِسَالَةَ اللَّهِ لِرُسُلِهِ وَاحِدَةٌ، وَمَبَادِيءُ الدَّعْوَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرُّسُلُ جَمِيعاً مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ وَاحِدَةٌ، وَالْعَقِيدَةُ وَاحِدَةٌ، وَتَكْذِيبُ الْمُكْذِبِينَ وَاعْتِرَاضَاتِهِمْ عَلَى مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاحِدَةٌ. وَمِمَّا قِيلَ لِلرُّسُلِ، وَقِيلَ لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً: إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ، لِيَسْتَقِيمَ نَفُوسَ الْمُؤْمِنِينَ فَيُطَمَّعُوا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيَحْذَرُوا عِقَابَهُ، وَيَخْشَوْا بَأْسَهُ، فَلَا يَغْفُلُوا عَنْ ذِكْرِهِ أَبَداً.

(جَعَلْنَاهُ) (قُرْآنًا) (آيَاتُهُ) (أَعْجَمِيٍّ) (أَمْنًا) (آذَانِهِمْ) (أُولَئِكَ)

(٤٤) - يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ الْعَرَبَ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِيَفْهَمُوهُ، وَيَتَذَكَّرُوا أَحْكَامَهُ. ثُمَّ يُشِيرُ تَعَالَى إِلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي الْعِنَادِ، وَالْمُكَابَرَةِ، وَيَسْتَكْبِرُهَا عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ بِلُغَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ لَاعْتَرَضُوا عَلَيْهِ، وَلَقَالُوا: لَوْلَا جَاءَ عَرَبِيًّا فَصِيحاً مُفَصَّلاً ذَقِيقاً.

وَلَوْ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ بَعْضُهُ عَرَبِيًّا وَبَعْضُهُ أَعْجَمِيًّا لَاعْتَرَضُوا كَذَلِكَ وَلَقَالُوا: أَعْجَمِيٍّ وَعَرَبِيٍّ؟

وَجِئْنَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا مُبِينًا قَالُوا: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ. فَهُمْ لَا يُرِيدُونَ إِلَّا الْجِدَلَ وَالْمُكَابَرَةَ وَالْمُعَانَدَةَ، وَهَذَا الْقُرْآنُ هُوَ هُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ يَهْتَدُونَ بِأَحْكَامِهِ وَبِمَا جَاءَ فِيهِ، وَهُوَ شِفَاءٌ لِنَفْسِهِمْ. أَمَّا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ فَعَلُّوهُمْ مَطْمُوسَةٌ لَا تَفْقَهُ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَصَمٌّ، فَلَا تَسْمَعُ، وَفِي قُلُوبِهِمْ عَمًى فَلَا تَبْصُرُ مِنْهُ شَيْئاً. فَكَأَنَّ خَالَهُمْ حَالٌ مَنْ يُنَادِيهِ أَحَدٌ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْتَمَّ مِنْهُ مَا يَقُولُهُ لَهُ.

(أَوْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ بَعِيدٌ جِداً مِنْ قُلُوبِهِمْ).

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ

مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ
وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ

علامة
الهجرة
المسجلة

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا

لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٍّ

وَعَرَبِيٍّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ

وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ

يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ

قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا - بَلُغَةً أَعْجَمِيَّةً .

لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ - هَلَّا بَيَّنَّتْ آيَاتُهُ بِلِسَانٍ نَعْرِفُهُ .

أَعْجَمِيٍّ وَعَرَبِيٍّ - أَقْرَأَنَّا أَعْجَمِيٍّ بَعْضُهُ، وَبَعْضُهُ عَرَبِيٍّ، أَوْ أَقْرَأَنَّا أَعْجَمِيٍّ، وَرَسُولٌ عَرَبِيٍّ .

فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ - صَمَمُ وَيَقِلُّ يَمْنَعُهُمْ مِنَ السَّمْعِ .
هُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى - ظُلْمَةٌ وَشُبْهَةٌ مُسْتَوَلِيَةٌ عَلَيْهِمْ .

(آتَيْنَا) (الْكِتَابَ)

(٤٥) - وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ (الْكِتَابَ) عَلَى مُوسَى، فَاخْتَلَفَ قَوْمُهُ فِيهِ، وَقَدْ أَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمَهُ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُهُ أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ فِي هَذِهِ الْاِخْتِلَافَاتِ كُلِّهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَوْلَا سَبْقُ وَعَدِهِ بِهَذَا لَفَصَلَ بَيْنَهُمْ، وَلَعَجَلَ الْعِقَابَ لِمَنْ يَسْتَحِقُّوهُ . وَلَمْ يَكُنْ تَكْذِيبُ مَنْ كَذَّبَ مِنْ قَوْمِهِ بِالْكِتَابِ عَنْ بَصِيرَةٍ وَيَقِينٍ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَهْلَةً يُكْذِبُونَ بِلاَ عِلْمٍ، وَهُمْ مُتَشَكِّكُونَ فِيمَا يَقُولُونَ .

مُرِيبٌ - مُثِيرٌ لِلشَّكِّ أَوْ مُوقِعٌ فِي الرَّيْبَةِ .

(صَالِحًا) (بِظُلَامٍ)

(٤٦) - وَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنْ يَتْرَكَ النَّاسَ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ عَلَى مَا يَعْمَلُونَ، فَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنْ نَفَعَ عَمَلُهُ يَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَإِنَّمَا يَرْجِعُ وَبَالَ عَمَلِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ، فَلَا يُعَاقِبُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِذَنْبِهِ، وَلَا يُعَذِّبُهُ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ .

(ثَمَرَاتٍ) (شُرَكَائِي) (أَذْنًاكَ)

(٤٧) - مَوْعِدُ قِيَامِ السَّاعَةِ (الْقِيَامَةِ) لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ مَوْعِدِ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَقَالَ لَهُ: (مَا الْمَسْئُولُ بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)، فَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى يُرَدُّ عِلْمُهَا جِئِمَا يَسْأَلُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْهَا . وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا تُخْرِجُهُ الْأَشْجَارُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِ الْأَزْهَارِ الَّتِي تَحْمِلُهَا، وَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُهُ إِنَاثُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَمَا تَضَعُهُ .

وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُنَادِي اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ وَيَسْأَلُهُمْ عَنِ الْآلِهَةِ الَّتِي عَبَدُوهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهَا شُرَكَاءُ اللَّهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: (أَيْنَ شُرَكَائِي؟)، فَيَرُدُّونَ

﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ

بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ

مُرِيبٍ

﴿٤٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ

أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ

لِّلْعَبِيدِ



﴿٤٧﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ

وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ

أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى

وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ

يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا

ءَاذْنًاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ

عَلَيْهِ قَائِلِينَ: لَقَدْ أَعْلَمْنَاكَ الْيَوْمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ يَشْهَدُ عَلَى وُجُودِ شَرِيكَ
لَكَ.
أَذْنَاكَ - أَعْلَمْنَاكَ أَوْ أَشْعَرْنَاكَ.

(٤٨) - وَغَابَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَذْرَكُوا أَنَّهُمْ لَا مَخْرَجَ لَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ
وَلَا مَهْرَبَ.
وُظَنُوا - وَاقْنُوا.
مَحِيصٍ - مَهْرَبٍ أَوْ مَلْجَأٍ.

(يَسَامُ) (الْإِنْسَانُ) (فَيُؤُسُّ)

(٤٩) - لَا يَمَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَائِهِ رَبَّهُ وَسُؤَالِهِ إِيَّاهُ الْخَيْرَ لِنَفْسِهِ مِنْ مَالٍ،
وَصِحَّةٍ وَعِزٍّ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ وَالضَّرُّ فَقَدْ الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ، وَظَنَّ أَنَّ لَا
مَخْرَجَ لَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَلَا فَرَجَ، لِيُضْعِفَ ثِقَتَهُ بِرَبِّهِ.
الْقُنُوطُ - ظُهُورُ أَثَرِ الْيَأْسِ عَلَى الْإِنْسَانِ.
الْيَأْسُ - انْقِطَاعُ الرَّجَاءِ.
لَا يَسَامُ - لَا يَمَلُ وَلَا يَفْتَرُ.

(لَيْن) (أَذَقْنَاهُ) (قَائِمَةً)

(٥٠) - وَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ مِنْ مَرَضٍ أَوْ ضَيْقٍ عَيْشٍ .. أَظْهَرَ
الْحُزْنَ وَالْيَأْسَ وَالْقُنُوطَ، ثُمَّ إِذَا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ ضُرَّهُ، فَعَافَاهُ مِنْ بَعْدِ
سَقَمٍ، وَرَزَقَهُ مِنْ بَعْدِ فَاقَةٍ .. فَإِنَّهُ سَيَقُولُ إِنَّ هَذَا الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ هُوَ
حَقٌّ لَهُ، لِأَنَّهُ اسْتَحَقَّهُ بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَأَعْمَالِ الْبِرِّ
وَالْتَقْوَى، وَلَيْسَ تَفَضُّلاً عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ يَنْظُرُ هَذَا الْعَبْدَ فَيَكْفُرُ بِالْبُعْثِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَنْظُرُ أَنَّ الْقِيَامَةَ سَتَقُومُ، وَأَنَّ النَّاسَ
سَيَبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ، لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ بَعِيدٌ الْاِحْتِمَالِ.
وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ قِيَامَةٌ حَقًّا، وَقَامَتْ هَذِهِ الْقِيَامَةُ،
وَرَجَعَ هُوَ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ سَيَجِدُ فِي الْآخِرَةِ إِكْرَامًا حَسَنًا
لِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْكَرَامَةَ، إِذْ أَنَّهُ لَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَى اللَّهِ فِي الدُّنْيَا لَمَا
أَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ.

ثُمَّ يَتَهَدَّدُ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ بِرَبِّهِ وَبِالْمَعَادِ وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ
حِينَمَا يَأْتِي رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ سَيَجِدُ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ غَيْرَ مَا يَتَوَقَّعُ،
وَسَيَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْمُذِلَّ الْمُهِينِ الشَّدِيدِ، جَزَاءً لَهُ عَلَى كُفْرِهِ وَاجْتِرَاحِهِ
السَّيِّئَاتِ.

٤٨ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ
مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ

٤٩ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ
وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤُسُّ قُنُوطٌ

٥٠ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ
ضُرٍّ مَسَّاهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا إِلَى
وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ
رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ
لِلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ
عَذَابٍ غَلِيظٍ

عَذَابٍ غَلِيظٍ - عَذَابٍ كَبِيرٍ .

الْحُسْنَى - الْكَرَامَةُ .

هَذَا لِي - هَذَا مَا أَسْتَحِقُّهُ بِسَبَبِ عَمَلِي وَفَضْلِي .

(الْإِنْسَانِ) (وَنَأَى)

(٥١) - وَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ الْجَحُودَ الْكَفُورَ فَرَزَقَهُ وَكَشَفَ الضَّرَّ عَنْهُ، أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَاسْتَكْبَرَ عَنِ الْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِهِ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ وَكَرَبٌ جَارَ إِلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ فَأُطْلَاهُمَا .

نَأَى بِجَانِبِهِ - تَبَاعَدَ عَنِ الشُّكْرِ بِكُلِّيَّتِهِ تَكْبَرًا .

دُعَاءٍ عَرِيضٍ - دُعَاءٍ مُسْتَمِرٍّ كَثِيرٍ .

(أَرَأَيْتُمْ)

(٥٢) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْقُرْآنِ الَّذِي جِئْتُهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ: أَخْبِرُونِي كَيْفَ يَكُونُ حَالُكُمْ إِنْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي تُكَذِّبُونَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ثُمَّ كَفَرْتُمْ أَنْتُمْ بِهِ؟ أَفَلَا تَكُونُونَ مُفَارِقِينَ لِلْحَقِّ، يَبْعِدِينَ عَنِ الصُّوَابِ، وَمُسْتَحْقِّينَ لِلْعِقَابِ؟

(آيَاتِنَا)

(٥٣) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَّرِي هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ آيَاتِهِ وَحُجَجَهُ الدَّلَالَةَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَقٌّ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، بِدَلَالَتِ خَارِجِيَةٍ مِمَّا حَوْلَهُمْ مِنَ الْكَوْنِ الْعَظِيمِ، تُعَبِّرُ عَنْ عَظَمَةِ الْخَالِقِ وَمُدَبِّرِ الْكَوْنِ وَمُسَيِّرِهِ، وَبِدَلَالَتِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَتَرْكِيبِهِمُ الْجِسْمَانِي، وَكَيْفَ تَعْمَلُ الْأَجْهَزَةُ وَالْخَلَائِجُ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ بِدَقِّهِ مُتَنَاهِيَةٍ وَتَنَاسُقٍ عَجِيبٍ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ وَأَقْوَالِهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَشْهَدُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ .

الْأَفَاقُ - أَقْطَارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .

(٥٤) - إِنَّهُمْ فِي شَكٍّ وَرَيْبَةٍ، (مِرْيَةٍ)، مِنَ الْفِيَامَةِ وَالْبُعْثِ وَالنُّشُورِ، وَالرُّجْعَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَسْتَعِدُّونَ أَنْ تُجْمَعَ ذَرَاتُ أَجْسَادِهِمْ وَأَجْسَادُ الْخَلَائِقِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ لَا حَدَّ لَهَا، وَأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يَعْرِفُ أَيْنَ تُوْجَدُ ذَرَاتُ كُلِّ جِسْمٍ، فَيَجْمَعُهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيُعِيدُهَا إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى .

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ

وَنَاجَىٰ جَانِبَهُ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
فَذُودُ دَعَاءٍ عَرِيضٍ

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ
مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ

وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ

رَبِّهِمْ أَأَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُّحِيطٌ

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَى مَكِّيَّةٌ
وَأَنبِأَانَا ثَلَاثَ مِائَةٍ خَمْسِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حَا. مِيم)

(١) - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(عَيْن. سَيْن. قَاف)

(٢) - (وَتَقْرَأُ هَذِهِ الْحُرُوفُ، مُقْطَعَةً كُلَّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ) اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(٣) - يُوحِي إِلَيْكَ اللَّهُ تَعَالَى، الْعَزِيزُ فِي أَنْتِقَامِهِ، الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، الْحَكِيمُ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، بِمَثَلِ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَإِلَى الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ وَالرُّسُلِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَإِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ بِمَثَلِ ذَلِكَ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٤) - اللَّهُ تَعَالَى هُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَجَمِيعُ مَنْ فِيهِنَّ عِبِيدٌ لَهُ، وَهُمْ تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَهُوَ الْمُتَعَالِي فَوْقَ كُلِّ مَا فِي الْوُجُودِ، الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَمَانِلُهُ شَيْءٌ.

(السَّمَاوَاتِ) (الْمَلَائِكَةُ)

(٥) - تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَشَقَّقْنَ (يَتَفَطَّرْنَ) مِنْ هَبِيبَةِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ فَوْقَهُنَّ بِالْأَلُوهِيَّةِ وَالْخَلْقِ وَالْعَظَمَةِ، وَالْمَلَائِكَةُ يُزْهَوْنَ رَبَّهُمْ عَنْ صِفَاتِ النِّقْصِ (يُسَبِّحُونَ)، وَيَصِفُونَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمُ الْمَغْفِرَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَرْضِ. وَهُوَ تَعَالَى كَثِيرُ الْغُفَرَانِ لِعِبَادِهِ الْمُذْنِبِينَ، عَظِيمُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ. يَتَفَطَّرْنَ - يَتَشَقَّقْنَ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ.

١ حم

٢ عسق

٣ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

٤ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

٥ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقَهُنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

(٦) - وَالْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَامًا آلِهَةً، يَتَوَلَّوْنَهَا وَيَعْبُدُونَهَا، اللَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِأَعْمَالِهِمْ، وَشَهِيدٌ عَلَيْهَا يُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ، وَيَعُدُّهَا عَدًّا، وَسَيَجْزِيهِمُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَسْتُ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ مَسْئُولًا عَنْهُمْ، وَلَا وَكِيلًا عَلَيْهِمْ، فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

أُولِيَاءُ - مَعْبُودَاتِ يَزْعُمُونَ نُصْرَتَهَا لَهُمْ.

حَفِيطٌ - رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

وَكَيْلٌ - مُوَكَّلٌ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ.

(قُرْآنًا)

(٧) - وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَأَرْسَلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى قَوْمِهِ لِيَسْتَطِيعَ دَعْوَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ بِلُغَتِهِمْ وَلِسَانِهِمْ، وَلِيَفْهَمُوا مِنْهُ مَعَانِي مَا يُرِيدُ إِبْلَاغَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا وَاضِحًا جَلِيًّا مُتَزَلًّا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، لَعَلَّ قَوْمَكَ لِيُنْذِرَ أَهْلَ مَكَّةَ (أُمَّ الْقُرَى)، وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَتُحَذَّرَهُمْ عِقَابُ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ يَوْمٌ وَقِيعٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ، فَيَجْزِي الْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ بِمَا آخَرَحُوا مِنَ الْإِثْمِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَذَّفُونَ فِيهَا قَذْفًا، وَيَجْزِي الْمُحْسِنِينَ بِالْجَنَّةِ.

يَوْمَ الْجَمْعِ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسُمِّيَ كَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِلْحِسَابِ.

أُمَّ الْقُرَى - مَكَّةَ.

(وَاحِدَةً) (الظَّالِمُونَ)

(٨) - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَ النَّاسَ جَمِيعًا أُمَّةً وَاحِدَةً، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى أَوْ عَلَى الضَّلَالَةِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى فَآوَتْ بَيْنَهُمْ. فَهُدَى مَنْ يَشَاءُ إِلَى الْحَقِّ، وَأَضَلَّ مَنْ شَاءَ عَنْهُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ. فَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ مَبْنِيًّا عَلَى التَّكْلِيفِ وَالِاخْتِيَارِ، يَدْخُلُ فِيهِ الْمَرْءُ بِطَوَّعِهِ وَاخْتِيَارِهِ، وَنَتِيجَةُ تَأْمُلِهِ فِي الْأَدِلَّةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى الْهُدَى، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْكَافِرِينَ، الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، عَذَابًا أَلِيمًا، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مَنْ يُنْصِرُهُمْ مِنَ اللَّهِ، أَوْ يُجِيرُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ، فَلَا تُهْلِكُ نَفْسُكَ يَا مُحَمَّدُ أَسَى وَحْزَنًا عَلَى أَنْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

أُولِيَاءَ اللَّهُ حَفِيطٌ عَلَيْهِمْ وَمَا
أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا
وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ
فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ

(٩) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ اتِّخَاذَهُمْ إِلَهَةً مِنْ دُونِهِ سُبْحَانَهُ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ اتَّخَذُوا لَهُمْ أَصْنَامًا إِلَهَةً يَسْتَعِصِرُونَ بِهَا، وَيَسْتَعِزُّونَ وَيَتَوَلَّوْنَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا، وَلَا لِعِبَادِهَا، نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَإِذَا كَانُوا يَرِيدُونَ وَلِيًّا يَنْفَعُهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عِنْدَ الْخُطُوبِ وَالشَّدَائِدِ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْوَلِيُّ الْحَقُّ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى إَحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

الْوَلِيُّ - النَّاصِرُ.

(١٠) - وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ وَاخْتَلَفْتُمْ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ فَرُدُّوا حُكْمَهُ إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ الَّذِي يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. وَذَلِكَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ هُوَ اللَّهُ الَّذِي أُعْبِدُهُ، وَاتَّخِذْهُ لِي رَبًّا، وَلَا أَعْبُدْ غَيْرَهُ، وَلَا أَدْعُو سِوَاهُ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فِي دَفْعِ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ، وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ فِي جَمِيعِ أُمُورِي.

أَنَابَ - رَجَعَ.

(السَّمَاوَاتِ) (أَزْوَاجًا) (الْأَنْعَامِ)

(١١) - فَهُوَ تَعَالَى خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُبْدِعُهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وَقَدْ تَفَضَّلَ عَلَى الْعِبَادِ بِأَنْ جَعَلَ لِلنَّاسِ أَزْوَاجًا مِنْ جِنْسِهِمْ لِيَكُونَ هُنَاكَ تَنَاسُلٌ وَتَوَالِدٌ وَبَقَاءٌ لِلنَّسْلِ إِلَى الْأَجْلِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ. وَجَعَلَ لِلْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا أَيْضًا لِتَنْظِيمِ شُؤْنِ الْحَيَاةِ، وَجَعَلَ لِلبَشَرِ وَالْمَخْلُوقَاتِ تَوَالِدًا وَتَكَاثُرًا عَنْ طَرِيقِ التَّزَاوُجِ بَيْنَ الذَّكَورِ وَالْإُنَاثِ (يَبْذُرُكُمْ فِيهِ)، وَلَيْسَ كَخَالِقِ الْأَزْوَاجِ شَيْءٌ يُمَانِلُهُ، فَهُوَ تَعَالَى فَرَّدَ صَمَدًا لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مِثِيلَ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَنْطِقُ بِهِ الْخَلْقُ، الْبَصِيرُ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ.

الْفَاطِرُ - الْخَالِقُ الْمَوْجِدُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.

مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا - زَوْجَاتٍ وَخَلَائِلَ مِنْ جِنْسِكُمْ.

مِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا - أَصْنَافًا ذَكَرًا وَأُنْثَى.

يَبْذُرُكُمْ - يَبْثُرُكُمْ وَيَكْثُرُكُمْ بِالتَّزَاوُجِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٢) - لَهُ تَعَالَى مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْخَلْقِ كَيْفَ يَشَاءُ، فَمَا فَتَحَ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا، يَوْسَعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى

١٠ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

١١ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

١٢ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

١٣ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

مَنْ يُرِيدْ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَالتَّدْبِيرُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ، وَيَمْنُ يُضِلُّهُ بَسْطَ الرُّزْقِ وَمَنْ يَفْسِدْهُ، وَمَنْ يُضِلُّهُ التَّضْيِيقُ وَمَنْ يَفْسِدْهُ، فَيُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ بِحَسَبِهِ.

المَقَالِيدُ - الْمَفَاتِيحُ (وَقِيلَ إِنَّهُ أَعْجَمِي مُعَرَّبٌ).

يَقْدِرُ - يُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِحُكْمَتِهِ.

(إِبْرَاهِيمُ)

(١٣) - شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا شَرَعَ لِنُوحٍ، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَرْبَابِ الشَّرَائِعِ وَأُولَى الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ، وَأَمْرُهُمْ أَمْرًا مُؤَكَّدًا مِمَّا هُوَ أَصْلُ الْإِيمَانِ، وَأَصْلُ الشَّرَائِعِ، مِمَّا لَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ: كَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالرُّسُلِ. وَقَدْ أَوْصَاهُمْ تَعَالَى جَمِيعًا بِإِقَامَةِ دِينِ التَّوْحِيدِ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ، وَبِحِفْظِهِ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِيهِ زَيْغٌ أَوْ أَصْطِرَابٌ، وَبِالْإِتِّفَاقِ فِي أَصُولِ الشَّرِيعَةِ وَمَبَادِيئِهَا.

(أَمَّا فِي التَّفَاصِيلِ فَقَدْ جَاءَ كُلُّ مُرْسَلٍ بِمَا يُنَاسِبُ قَوْمَهُ وَزَمَانَهُ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا).

وَقَدْ شَقَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَمَا أَلْفَوْا عَلَيْهِ آبَاءُهُمْ، وَاللَّهُ يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُفَرِّقُهُمْ إِلَيْهِ، وَيُؤَفِّقُهُمْ لِلْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ.

اجْتَمَى - أَصْطَفَى وَاخْتَارَ وَقَرَّبَ

أَنَابَ - رَجَعَ.

كَبَّرَ - عَظَّمَ وَشَقَّ.

شَرَعَ - بَيَّنَ لَكُمْ طَرِيقًا وَاضِحًا.

(الْكِتَابُ)

(١٤) - بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْأَسْبَابَ الَّتِي حَمَلَتْ النَّاسَ عَلَى التَّفَرُّقِ وَالْاخْتِلَافِ فِي الدِّينِ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى أَمْرُهُمْ جَمِيعًا بِأَمْرٍ وَاحِدٍ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ الْأَخْذَ بِهِ، وَعَدَمَ التَّفَرُّقِ فِيهِ. فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُمْ لَمْ يَتَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ عَلِمُوا أَنَّ الْفُرْقَةَ ضَلَالَةٌ، وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ بَغْيًا وَطَلَبًا لِلرَّئَاسَةِ وَاللَّحْمِيَّةِ وَالْعَصْبِيَّةِ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَذْهَبُ مَذْهَبًا وَتَدْعُو إِلَيْهِ، وَتَقْبَحُ مَا سِوَاهُ لِلظُّهْرِ وَالتَّفَاخُرِ، وَلَوْلَا الْكَلِمَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنْ يُؤَخَّرَ حِسَابُهُمْ، وَالْفَضْلُ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَعَجَلَ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا. وَالَّذِينَ وَرُّوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ عَنْ أَسْلَافِهِمُ السَّابِقِينَ، هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ كِتَابِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ حَقَّ الْإِيمَانِ.



شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ

مَا وَصَّيَ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا

الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى

الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ

اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ

الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ

مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ

أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ

لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ

وَهُمْ يَقْلُدُونَ أَسْلَافَهُمْ بِلَا حُجَّةٍ وَلَا دَلِيلٍ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ فِي شَكٍّ وَحَيْرَةٍ مُقْلِقِينَ .

الْبَغْيُ - الظُّلْمُ وَالتَّجَاوُزُ .

تَفَرَّقُوا فِيهِ - اختلفوا فاتوا بعضهم ببعضاً وتركوا بعضاً .

مُرِيبٌ - مُثِيرٌ لِلشَّكِّ وَالرَّيْبَةِ .

(آمَنْتُ) (كِتَابٍ) (أَعْمَالُنَا) (أَعْمَالُكُمْ)

(١٥) - فَادْعُ النَّاسَ إِلَى إِقَامَةِ الدِّينِ الْقَوِيمِ ، الَّذِي أَوْحَى بِهِ اللَّهُ إِلَى جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ ، الَّذِينَ جَاءُوا قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَبِذَلِكَ تَكُونُ قَدْ دَعَوْتَ إِلَى تَحْقِيقِ وَحْدَةِ الدِّينِ كَمَا أَنْزَلَهَا اللَّهُ ، وَابْتُغِيتُ أَنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَعَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَشَرَعَ كَمَا أَمَرَكُمْ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الْمُشْرِكِينَ ، الَّذِينَ شَكُّوا فِي الْحَقِّ بِمَا ابْتَدَعُوهُ وَأَفْتَرَوْهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ ، وَقُلْ : إِنِّي صَدَقْتُ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ ، لَا أَكْذِبُ بِشَيْءٍ مِنْهَا ، وَإِنْ رَبِّي قَدْ أَمَرَنِي بِالْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَلَا أَحِيفُ وَلَا أَجُورُ ، وَأَمَرَنِي رَبِّي بِأَنْ أَقُولَ لِلْهَوَلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَعْبُودُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، وَنَحْنُ نَقْرُؤُ بِهِ طَوْعاً وَاجْتِبَاراً ، وَأَنْتُمْ تُنْكِرُونَ رَبُّوبِيَّتَهُ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَضِيرُهُ بِشَيْءٍ فَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ، وَنَحْنُ بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ ، فَتَنْحُنْ نُجْزَى بِأَعْمَالِنَا ، وَأَنْتُمْ تُجْزَوْنَ بِأَعْمَالِكُمْ وَلَا يَحْمِلُ أَحَدٌ وَزْرَ أَحَدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَلَا خُصُومَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَلَا احْتِجَاجٌ ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدْ وَضَحَ وَلَيْسَ لِلْمَحَاجَةِ مَجَالٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَيَجْمَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقْضِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا كُنَّا نَخْتَلِفُ فِيهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْتِ بِفِي جَزَائِ كُلِّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا .

(١٦) - وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، حُجَّتُهُمْ زَانِقَةٌ بَاطِلَةٌ (دَاحِضَةٌ) لَا تَقْبَلُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ لَأَنَّهُمْ مَارَوْا فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَقَدْ جَادَلُوا الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ لِيُضِدُّوهُمْ عَنِ الْهُدَى ، وَطَمَعُوا فِي أَنْ تَعُودَ الْجَاهِلِيَّةُ) .

يُجَاحُونَ - يُجَادِلُونَ وَيُخَاصِمُونَ .

حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ - حُجَّتُهُمْ بَاطِلَةٌ وَزَانِقَةٌ .

﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ

كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ

كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ

بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا

أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ

لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ

يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ يُجَاحُونَ فِي اللَّهِ مِنْ

بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ وَجَحَّتْ

دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ

غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

(الْكِتَاب)

(١٧) - اللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ كُتُبَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ مُتَضَمِّنَةً الْحَقَّ الَّذِي لَا شُبْهَةَ فِيهِ، وَأَنْزَلَ الْعَذْلَ (الْمِيزَانَ) لِيَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْإِنْصَافِ دُونَ حَيْفٍ وَلَا جَوْرِ. وَالسَّاعَةُ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَا شَكَّ، وَسَيَعِثُ اللَّهُ الْخَلْقَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ مَوْعِدُ السَّاعَةِ قَرِيباً وَأَنْتَ لَا تَدْرِي، فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَأَنْ يُشْمَرَ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ لِلْعَمَلِ لَا خَيْرَ لَعَلَّهُ يَكُونُ مِنَ الْفَائِزِينَ.
مَا يُدْرِيكَ - مَا يُعْلِمُكَ وَيُعْرِفُكَ.

(آمَنُوا) (ضَلَالٍ)

(١٨) - رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ السَّاعَةَ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالُوا لَهُ اسْتَهِزَأَ وَتَكْذَبُ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ آيَةَ وَالتَّتِي قَبْلَهَا.
وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَا بِالسَّاعَةِ يَسْتَعْجِلُونَ قِيَامَ السَّاعَةِ اسْتَهِزَاءً بِهَا وَتَكْذِيباً. أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا سَتَكُونُ بِالْغَةِ الْهَوْلِ وَالشَّدَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ. لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِهَا، وَيُصَدِّقُونَ بِحُدُوثِهَا، وَيَسْتَشْعِرُونَ الْخَشْيَةَ مِنْهَا مَخَافَةً أَنْ يَكُونُوا قَصْرُوا فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ فَيُصِيبُهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَهْوَالِ السَّاعَةِ، وَالَّذِينَ يَشْكُونَ فِي حُدُوثِ السَّاعَةِ، وَيُجَادِلُونَ فِي وَقْعِهَا لَفِي جَوْرِ بَيْنٍ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَفِي بُعْدٍ عَنِ الصَّوَابِ.
مَا رَى - جَادَلَ وَشَكَّ.
مُشْفِقُونَ - خَائِفُونَ.

(١٩) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ سَوَاءً مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، فَهُوَ يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُدْفَعُ عَمَّنْ يَرِيدُ الْبَلَاءَ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُقْهَرُ.
لَطِيفٌ - بَرٌّ، رَفِيقٌ.

(٢٠) - مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِأَعْمَالِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ، وَرِضْوَانَ رَبِّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُؤَفِّقُهُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيَجْزِيهِ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ بِأَعْمَالِهِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا وَزِينَتِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُؤْتِيهِ مَا قَسَمَهُ لَهُ فِيهَا، وَلَا يَكُونُ لَهُ حَظٌّ (نَصِيبٌ) فِي ثَوَابِ الْآخِرَةِ، فَلِأَعْمَالٍ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى.

﴿١٧﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ

﴿١٨﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ الْأَيُّ الْوَعْدِ الَّذِينَ يَمَارُؤْنَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ

﴿١٩﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

﴿٢٠﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْنَاهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ

(وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَتَى
أَدَمَ تَفَرَّغَ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غَنَى ، وَأَسَدَّ فَقْرَكَ ، وَإِلَّا تَفَعَّلَ مَلَأْتُ
صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسَدَّ فَقْرَكَ). (أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَابْتِهَاقِي عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ).

حَرْثُ الْآخِرَةِ - ثَوَابُهَا الْمُوعُودُ أَوْ الْعَمَلُ لَهَا.

(شُرَكَاء) (الظَّالِمِينَ)

(٢١) - إِنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ اللَّهُ مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ بَلْ يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ
لَهُمْ شِيَاطِينُهُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ مِنْ تَحْرِيمٍ مَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ مِنَ
الْبَحَائِرِ وَالْوَصَائِلِ وَالسَّوَائِبِ وَتَحْلِيلِ أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَالْدَّمِ ، وَالْمَيْسِرِ ،
وَأِنْكَارِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحِسَابِ . . . وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَى بِأَنْ يُؤَخَّرَ
عِقَابُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَعَاجَلَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ . وَالَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ بِشَرِّ مَا لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ لَهُمْ بِهِ ، لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
كَلِمَةُ الْفَضْلِ - الْحُكْمُ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ إِلَى الْآخِرَةِ .

(الظَّالِمِينَ) (آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢٢) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الظَّالِمِينَ خَائِفِينَ فَرَعَيْنِ مِنَ الْعِقَابِ الْعَادِلِ
الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ عَمَّا أَجْتَرَحُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ ، وَهَذَا الْعِقَابُ وَقِيعٌ
بِهِمْ لَا مَحَالَةَ . أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ، وَأَطَاعُوهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ ، وَنَهَى عَنْهُ
فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ آمِنِينَ مَطْمَئِنِينَ مِنَ الْخَوْفِ وَالْفَرَعِ ،
يَتَمَتَّعُونَ بِمَحَاسِنِهَا ، وَيَأْتِيهِمْ مَا تَشْتَهُيهِ أَنْفُسُهُمْ ، وَيَنَالُونَ مَا يَشَاوُونَ مِنْ
ضُرُوبِ اللَّذَاتِ وَالْمَتَعِ ، وَذَلِكَ الَّذِي أَعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ هَذَا النِّعَمِ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ الَّذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ الْأَمَالُ .
رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ - أَطْيَبُ بَقَاعِهَا أَوْ مَحَاسِنِهَا .

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (أَسْأَلُكُمْ)

(٢٣) - وَهَذَا الَّذِي أَخْبَرَكُمْ اللَّهُ بِأَنَّهُ أَعَدَّهُ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءً لِلَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ ، هُوَ الْبُشْرَى الَّتِي يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُبَشِّرَ بِهَا
فِي الدُّنْيَا لِيَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَا كَائِنَةٌ لَا مَحَالَةَ . وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ
الْمُشْرِكِينَ : إِنِّي لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَجَزَاءً عَلَى مَا أَقُومُ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِكُمْ
رِسَالَاتِ رَبِّي ، وَمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دِينِ حَقٍّ ، وَخَيْرِ وَبُشْرَى
فِي الْآخِرَةِ ، وَإِنَّمَا أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَتَرَكُونِي أَبْلُغُ رِسَالَاتِ رَبِّي فَلَا
تُؤْذُونِي بِحَقِّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ .

﴿١١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ أَشْرَعُوا

لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ
بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ
لَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿١٢﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ

مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ
بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ
الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ

﴿١٣﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
الْقُرْبَى وَمَنْ يَقَرَفْ حَسَنَةً نَزِدْ
لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَلَا تُؤْذُونِي فِي نَفْسِي لِقِرَائَتِي مِنْكُمْ، وَتَحْفَظُوا الْقِرَاءَةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ).
وَمَنْ يَعْمَلْ عَمَلًا فِيهِ طَاعَةٌ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ نَزِدَ لَهُ فِيهِ أَجْرًا وَثَوَابًا، فَتَجْعَلَ لَهُ مَكَانَ الْحَسَنَةِ عَشْرَةً أضعافها، فَمَا فَوَّقَ ذَلِكَ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً، وَاللَّهُ تَعَالَى يَغْفِرُ الْكَثِيرَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَيُكَثِّرُ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَسَنَاتِ فَيَسْتُرُ وَيَغْفِرُ وَيُضَاعِفُ وَيُشْكِرُ.
يَقْتَرِفُ حَسَنَةً - يَكْتَسِبُ طَاعَةً.

(يَسَاءُ) (الْبَاطِلُ) (بِكَلِمَاتِهِ)

(٢٤) - أَيْقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا أَفْتَرَى الْقُرْآنَ وَنَسَبَهُ إِلَى رَبِّهِ كَذِبًا، وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَوْحَاهُ إِلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْئًا؟ وَلَكِنَّ هَذَا قَوْلٌ مَرْدُودٌ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَدْعَ أَحَدًا يَدْعِي أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ وَهُوَ لَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْئًا، وَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يُنْطِقَ بِقُرْآنٍ كَهَذَا، وَأَنْ يَكْشِفَ الْبَاطِلَ الَّذِي جَاءَ بِهِ وَيَمْحُوهُ، وَأَنْ يُظْهِرَ الْحَقَّ مِنْ وَرَائِهِ وَيُثَبِّتَهُ، وَمَا كَانَ لِيُخْفِيَ عَلَيْهِ مَا يَدُورُ فِي خَلْدِ مُحَمَّدٍ لِأَنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تُكِنُّهُ الصُّدُورُ.
خَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ - طَبَعَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَهُ.
يُحَقِّقُ الْحَقَّ - يُثَبِّتُهُ.
كَلِمَاتُ اللَّهِ - حُجَجُهُ وَآيَاتُهُ.

(يَعْفُو)

(٢٥) - وَيَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِأَنَّهُ مِنْ كَرَمِهِ وَجَلَمِهِ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، إِذَا تَابُوا وَرَجَعُوا إِلَيْهِ، وَيَعْفُو عَنْهُمْ فَعَلُوا، مِنَ السَّيِّئَاتِ فِيمَا سَلَفَ، وَهُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ مَا يَفْعَلُونَ وَمَا يَقُولُونَ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الْكَافِرُونَ)

(٢٦) - وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِدَعْوَةِ رَبِّهِمْ، وَهُوَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَطْلُوبِهِمْ إِذَا مَا دَعَوْهُ، أَمَّا الْكَافِرُونَ فَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعَائِهِمْ ﴿وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(١).

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هُوَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ لِدَعَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِذَا دَعَوْهُ).

﴿٢٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ

﴿٢٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ

﴿٢٦﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

(٢٧) - وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَى عِبَادَهُ مِنَ الرِّزْقِ فَوْقَ حَاجَتِهِمْ لَحَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ، وَلَتَجَاوَزَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَشْرًا وَبَطْرًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِيهِمْ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِحَالِهِمْ، فَيُغْنِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى، وَيُقْفِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ، بِحَسَبِ مَا يَقْدَرُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمَصْلَحَةِ فِي ذَلِكَ.

بَسَطَ الرِّزْقَ - وَسَعَهُ وَزَادَ فِيهِ.
الْبَغْيُ - الظُّلْمُ وَالْإِعْتِدَاءُ وَتَجَاوُزُ الْحُدُودِ.
يَقْدِرُ - بِتَقْدِيرٍ مُحْكَمٍ.

(٢٨) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَيُغِيثُ النَّاسَ مِنْ بَعْدِ يَأْسِهِمْ مِنْ نَزْوِلِهِ مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي يَنْشُرُ وَيُعَمِّمُ بَرَكَاتِ الْمَطَرِ وَمَنَافِعَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى عِبَادَهُ بِإِحْسَانِهِ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَى مَا يُوصِلُهُ إِلَيْهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ.
الْغَيْثُ - الْمَطَرُ.
فَنَطَ - يَنْسُ.
نَشَرَ الرَّحْمَةَ - عَمَّمَ مَنَافِعَ الْمَطَرِ.

(آيَاتِهِ) (السَّمَاوَاتِ)

(٢٩) - وَمِنْ دَلَائِلِ عَظَمَتِهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا نَشَرَ فِيهِمَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ تَدْبُ وَتَتَحَرَّكُ، وَيَجْمَعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمِيعًا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لِيَحَاسِبَهُمْ، وَيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى جَمْعِهِمْ وَحِسَابِهِمْ.

(أَصَابَكُمْ) (يَعْفُو)

(٣٠) - مَا يَحِلُّ بِكُمْ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا فَإِنَّمَا تُصَابُونَ بِهِ عُقُوبَةٌ لَكُمْ عَلَى مَا أَجْتَرَحْتُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَمَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، أَوْ أَخَذَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يُعَاقِبُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْصَفَ بِالرَّحْمَةِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الظُّلْمِ.

(٣١) - وَإِنَّكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُعْجِزُونَ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَلَا تَسْتَطِيعُونَ بِهَرَبِكُمْ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ النِّجَاةَ مِنْ بَطْشِهِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَخْذِكُمْ وَعِقَابِكُمْ فِي كُلِّ جَيْنٍ. وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ يَتَوَلَّى الدَّفَاعَ عَنْكُمْ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ عُقُوبَةً، وَلَيْسَ لَكُمْ نَصِيرٌ يَنْصُرُكُمْ إِذَا هُوَ عَاقِبُكُمْ.

﴿٢٧﴾ وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ
لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ
وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ
بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ

﴿٢٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ
بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ
رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ

﴿٢٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ
دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ
قَدِيرٌ

﴿٣٠﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ
فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا
عَنْ كَثِيرٍ

﴿٣١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

(آيَاتِهِ) (كَالْأَعْلَامِ)

(٣٢) - وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى تَسْخِيرُهُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ فِيهِ السُّفُنُ (الْجَوَارِي) بِأَمْرِهِ كَالْجِبَالِ الشَّاهِقَاتِ .
الْجَوَارِي - السُّفُنُ وَالْمَرَاجِبُ أَوْ الْفُلُكُ .
الْأَعْلَامُ - الْجِبَالُ الشَّاهِقَاتُ .

(لَايَاتِ)

(٣٣) - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُسَكِّنَ هُبُوبَ الرِّيحِ الَّتِي تُسِيرُ السُّفُنَ فِي الْبَحْرِ لِأَسْكِنَهَا فَتَتَوَقَّفَ السُّفُنُ عَنِ الْجَرِيِّ ، وَتَثْبُتَ فِي أَمَاكِنِهَا عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ .
وَفِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ جَرِيِّ السُّفُنِ فِي الْبَحْرِ بِقُوَّةِ الرِّيحِ ، الَّتِي يُسَخِّرُهَا اللَّهُ لَهَا ، وَفِي تَوَقُّفِهَا حِينَ تُسَكِّنُ الرِّيحُ ، لَايَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، كَثِيرِ الشُّكْرِ لِنِعْمِهِ .
أُسَكِّنَ الرِّيحَ وَسَكَّنَهَا - أَوْقَفَ هُبُوبَهَا .
رَوَاكِدَ - سَوَاكِنَ .

(٣٤) - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَجَعَلَ الرِّيَّاحَ قُوَّةً عَاصِفَةً فَتُغْرِقَ السُّفُنَ ، أَوْ تُصْرِفُهَا عَنْ خُطُوطِ سَيْرِهَا ، فَتُسِيرُ فِي الْبَحْرِ عَلَى غَيْرِ هُدًى ، وَكَانَتْهَا هَارِبَةً أَبَقَةً ، وَذَلِكَ عِقَابٌ لِمَنْ فِيهَا بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ ذُنُوبٍ وَمَآثِمٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ مِنْ ذُنُوبِ الْعِبَادِ ، وَلَوْ أَنَّهُ أَخَذَهُمْ بِجَمِيعِ مَا يَجْتَرِحُونَ لَأَهْلَكَ كُلَّ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ .
يُوبِقُهُنَّ - يَجْعَلُهُنَّ يَسِيرْنَ عَلَى غَيْرِ هُدًى وَكَانَهُنَّ أَبَقَاتُ .

(يُجَادِلُونَ) (آيَاتِنَا)

(٣٥) - وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَكْذِبُونَهَا أَنَّهُمْ تَحْتَ قَهْرِ اللَّهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَلَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْ بَأْسِهِ وَنَقْمَتِهِ .
مَحِيصٍ - مَهْرَبٍ وَمَحِيدٍ .

(فَمَتَاعٌ) (الْحَيَاةِ) (آمَنُوا)

(٣٦) - وَكُلُّ مَا حَصَلْتُمْ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَأَنْثَاهِ وَرِيَاشٍ وَنَعْمَةٍ . . . فَهُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ تَأْفَهُ تَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ الرَّائِلَةِ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ مَتَاعِ هَذِهِ الدُّنْيَا ، لِأَنَّهُ بَاقٍ دَائِمٌ لَا يَزُولُ وَلَا يَنْصُبُ ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ ، وَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ . . . بِأَنَّهُ سَيُعِينُهُمْ عَلَى الصَّبْرِ فِي إِدَاءِ الْوَاجِبَاتِ .

(٣٢) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ
كَالْأَعْلَامِ

(٣٣) إِنْ يَشَاءُ يُسَكِّنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ
رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

(٣٤) أَوْ يُوبِقُهُنَّ يَمَكْسِبُوا وَيَعِغْفُ
عَنْ كَثِيرٍ

(٣٥) وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا
مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ

(٣٦) هَذَا أَوْ لَدَيْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَتَّعُوا
الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى
لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

مَتَاعٌ - مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ أَثَابٍ وَرِيَاسٍ وَنِعْمَةٍ .
يَتَوَكَّلُونَ - يُفَوِّضُونَ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ .

(كِبَائِرُ) (الْفَوَاحِشُ)

(٣٧) - وَيَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَعَدَّ لَهُمُ الثَّوَابَ وَالْجَنَّةَ فِي
الآيَاتِ النَّالِيَاتِ . فَهُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنْ أَرْكَابِ كِبَائِرِ الْإِثْمِ كَالْقَتْلِ
وَالزَّنى وَالسَّرْقَةِ ، وَيَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَوَاحِشِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، وَإِذَا مَا
غَضِبُوا كَظَمُوا غَيْظَهُمْ وَصَفَحُوا وَعَفَوْا عَمَّنْ أَغَضَبَهُمْ .
الْفَوَاحِشُ - مَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ .

(الصَّلَاةُ) (رَزَقْنَاهُمْ)

(٣٨) - وَهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ أَعَدَّ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الثَّوَابَ وَالْجَنَّةَ فِي
الآيَاتِ السَّابِقَاتِ ، هُمُ الَّذِينَ أَجَابُوا رَبَّهُمُ الْكَرِيمَ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ
الْإِيمَانِ بِهِ ، وَتَوَحُّدِهِ وَإِطَاعَةِ أَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ،
وَأَدَوْهَا حَقَّ أَذَانِهَا فِي أَوْقَاتِهَا ، وَأَتَمُّوْهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَخُشُوعِهَا ،
وَلَا يَبْرُمُونَ أَمْرًا حَتَّى يَتَشَاوَرُوا فِيهِ ، وَيُذِلُّ كُلُّ بَرَاءَةٍ لِيَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى
وَالصَّوَابُ فِيهِ . وَلَتَتَبَيَّنَ جَمِيعُ جَوَابِ الْمَوْضُوعِ ، فَلَا يَنْتَكِسُ أَمْرُ
الْمُسْلِمِينَ بِاسْتِزْدَادٍ فَرْدٍ أَوْ جَمَاعَةٍ فِي الرَّأْيِ . وَيَنْفَقُونَ مِمَّا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ
فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ ، فِيمَا فِيهِ نَفْعُ الْجَمَاعَةِ .
أَمْرُهُمْ شُورَى - يَتَشَاوَرُونَ وَيَتَرَأَّجِعُونَ فِيهِ .

(٣٩) - وَهُمْ الَّذِينَ إِذَا آفَعَدَى عَلَيْهِمْ مُعْتَدٍ بَاغٍ يَنْتَصِرُونَ مِنْهُ ،
وَيَنْتَصِفُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ، وَلَا يَسْتَكِينُونَ وَلَا يَخْضَعُونَ ، فَهُمْ كِرَامٌ أَعَزَّةٌ أَبَاءُ ،
وَلَيْسُوا بِأَذْلَاءَ وَلَا ضَعَفَاءَ ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى رَدِّ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ عَنْ
أَنْفُسِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا قَدَرُوا صَفَحُوا وَعَفَوْا .
أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ - نَالَهُمُ الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ .
يَنْتَصِرُونَ - يَنْتَقِمُونَ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَلَا يَعْتَدُونَ عَلَى النَّاسِ .

(جَزَاءُ) (الظَّالِمِينَ)

(٤٠) - وَجَزَاءُ مَا يَفْعَلُهُ الْمُسِيءُ مِنَ السُّوءِ هُوَ أَنْ يُعَاقَبَ وَفَقَ مَا شَرَعَهُ
اللَّهُ مِنْ عِقَابٍ لِحُرْمِهِ ، وَقَدْ سَمَى اللَّهُ تَعَالَى الْعُقُوبَةَ سَيِّئَةً لِأَنَّهَا تَسُوءُ
مَنْ تَنَزَّلُ بِهِ . فَمَنْ عَفَا عَنْ مُسِيءٍ ، وَأَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ عَادَاهُ بِالْعَفْوِ
عَنْهُ ، وَبِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيهِ عَلَى فِعْلِهِ أَعْظَمَ الْجَزَاءِ ، وَاللَّهُ
لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ ، الْمُتَجَاوِزِينَ لِلْحُدُودِ ، الْمُعْتَدِينَ عَلَى الْعِبَادِ .
السَّيِّئَةُ - الْفِعْلُ الَّذِي يَسُوءُ .

(٣٧) وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبَائِرَ الْأَثَمِ

وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا
هُمْ يَغْفِرُونَ

(٣٨) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا

الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

(٣٩) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ

(٤٠) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِثْلُهَا فَمَنْ

عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

(فَأُولَٰئِكَ)

(٤١) - وَالَّذِينَ نَزَّلَ بِهِمْ ظُلْمًا فَانْتَصَرُوا مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ، فَلَيْسَ لِلظَّالِمِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَظْلِمُوهُ، وَإِنَّمَا أَنْتَصَرُوا بِحَقِّ مِّنْ ظُلْمِهِ، وَمَنْ أَخَذَ حَقَّهُ مِمَّنْ وَجَبَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَعَدَّهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَظْلِمِ، فَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ. أَنْتَصَرَ - سَعَى فِي نَصْرِ نَفْسِهِ بِجَهْدِهِ. مِّنْ سَبِيلٍ - مِّنْ عِتَابٍ أَوْ لَوْمٍ أَوْ عِقَابٍ.

(أُولَٰئِكَ)

(٤٢) - إِنَّمَا الْحَرَجُ وَاللُّؤْمُ وَالْإِثْمُ عَلَى الَّذِينَ يَبْذُؤُونَ النَّاسَ بِالظُّلْمِ، وَيَزِيدُونَ فِي الْإِنْتِقَامِ، وَيَتَجَاوَزُونَ حَقَّهُمْ، وَيَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ، وَيُفْسِدُونَ فِيهَا، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ عَذَابٌ مُّؤَلَّمٌ عِقَابًا لَهُمْ عَلَى بَغْيِهِمْ وَظُلْمِهِمْ. يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ - يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَتَكَبَّرُونَ فِيهَا.

(٤٣) - وَبَعْدَ أَنْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الظُّلْمَ وَأَهْلَهُ، وَشَرَعَ الْقصاصَ وَالْإِنْتِصَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ، نَذَبَ النَّاسَ إِلَى الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا تَمَكِينٌ لِلْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى وَمَغْفِرَةُ السَّيِّئَةِ وَسَرَّهَا مِنَ الْأُمُورِ الْمَشْكُورَةِ، وَالْأَفْعَالِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي يُجْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا الثَّوَابَ لِإِفْعَالِهَا، وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُوجِبَهَا عَلَى نَفْسِهِ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثُ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظَلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا إِلَّا أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا وَنَصَرَهُ. وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صَلَةً إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا كَثْرَةً. وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَةً). (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ).

مِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ - مِنَ الْأُمُورِ الْحَمِيدَةِ الْمَشْكُورَةِ أَوْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُوجِبُهَا الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ.

(الظَّالِمِينَ)

(٤٤) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَمَنْ أَصْلَهُ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ مِنْ دُونِهِ. ثُمَّ يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ، الظَّالِمِينَ أَنفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، أَنَّهُمْ جِنَمًا يَرُونَ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَتَمَنُّونَ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَعْمَلُوا صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَلِيُؤْمِنُوا وَيُطِيعُوا الرُّسُولَ، وَيَقُولُونَ: هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الرَّجْعَةِ إِلَى الدُّنْيَا لِنَعْمَلَ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ؟

(٤١) وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ

(٤٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(٤٣) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

(٤٤) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ

﴿٤٥﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ

مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ ۖ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ

فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ

﴿٤٦﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ

يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ

يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ سَبِيلٍ

﴿٤٧﴾ أَسْتَجِيبُوا لِلرَّبِّ كَمَا مِنْ قَبْلِ أَنْ

يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ

مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ

وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ

(تَرَاهُمْ) (خَاشِعِينَ) (آمَنُوا) (الْخَاسِرِينَ) (الْقِيَامَةِ) (الظَّالِمِينَ)

(٤٥) - وَيُعْرَضُ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّارِ وَهُمْ

خَاشِعُونَ مِنَ الدَّلِّ الَّذِي آعَتْزَهُمْ لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ عَظَمِ ذُنُوبِهِمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا، وَيَنْظُرُونَ إِلَى النَّارِ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَهُمْ يَذَرُكَونَ أَنَّهُمْ صَائِرُونَ

إِلَيْهَا لَا مَحَالَةَ. وَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبُ: إِنَّ

الْخَاسِرِينَ أَعْظَمَ الْخَسَارَةَ هُمْ الَّذِينَ يَصِيرُونَ إِلَى النَّارِ فَيُنْسِبُهُمُ الْعَذَابُ

فِيهَا لَذَائِدِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحْبَابِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ

فَيَخْسَرُونَهُمْ. أَلَا إِنَّ الْكَافِرِينَ لَفِي عَذَابٍ دَائِمٍ لَا يَقْتَرُونَ وَلَا يَتَوَقَّفُونَ وَلَا يَنْقُطُ.

خَاشِعِينَ - خَاضِعِينَ مُتَضَاعِلِينَ.

مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ - يُسَارِقُونَ النَّظَرَ إِلَيْهَا مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ.

(٤٦) - وَلَا يَجِدُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ، الظَّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، مَنْ يَنْصُرُهُمْ

وَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ. وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى

الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْوُصُولِ إِلَى الْجَنَّةِ فِي

الْآخِرَةِ.

(مَلْجَأٍ) (يَوْمَئِذٍ)

(٤٧) - وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِمَا يَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ

الْأَهْوَالِ وَالْعَظَائِمِ، حَذَّرَهُمْ مِنْهُ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْاسْتِعْدَادِ لَهُ فَقَالَ لَهُمْ:

أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَآمَنُوا بِهِ، وَاتَّبِعُوهُ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ

مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ، وَهُوَ يَوْمٌ

آتٍ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ مَجِيئَهُ إِذَا جَاءَ بِهِ اللَّهُ. وَلَيْسَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ

الْيَوْمِ مِنْ مَكَانٍ تَلْتَجِئُونَ إِلَيْهِ لِتَنْجُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ

سَبِيلٍ إِلَى إِنْكَارِ مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ جَرَائِمٍ وَسَيِّئَاتٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِأَنَّ

جَمِيعَ ذَلِكَ مَسْطُورٌ فِي صَحِيفَةٍ أَعْمَالِكُمْ، وَإِذَا جَحَدْتُمُوهُ أَشْهَدَ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ جُلُودَكُمْ وَأَسْمَاعَكُمْ وَأَنْصَارَكُمْ.

(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ الظَّالِمِينَ لَنْ يَجِدُوا لَهُمْ نَاصِراً يُنْكِرُ

مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: لَيْسَ لَكُمْ مِنْ مَكَانٍ يَسْتُرُكُمْ وَتَتَنَكَّرُونَ فِيهِ

فَتَغْيَبُوا عَنْ بَصَرِ اللَّهِ تَعَالَى).

نَكِيرٍ - إِنْكَارٍ لِدُنُوبِكُمْ - أَوْ مُنْكَرٍ لِعَذَابِكُمْ.

(أَرْسَلْنَاكَ) (الْبَلَاغُ) (الْإِنْسَانَ)

(٤٨) - فَإِنْ أَعْرَضَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّا آتَيْنَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ، فَدَعَهُمْ وَشَأْنَهُمْ، فَإِنَّا أَرْسَلْنَاكَ لِتَبْلُغَهُمْ مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الدِّينِ وَالْقُرْآنِ، وَلَمْ نُرْسِلْكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا تُحْصِي عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَتَحْفَظُهَا. وَإِنَّا إِذَا أَصَبْنَا الْإِنْسَانَ بِنِعْمَةٍ مِنَّا وَرَحْمَةٍ وَرَزَقٍ فَرِحَ بِذَلِكَ وَسُرَّ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ أَوْ مَرَضٌ (سَيِّئَةٌ) بِسَبَبِ مَا عَمِلَ مِنَ الْمَعَاصِي، جَحَدَ نِعْمَتَنَا، وَآيَسَ مِنَ الْخَيْرِ؛ وَالْإِنْسَانُ مِنْ طَبْعِهِ الْجُحُودُ وَكُفْرَانُ النِّعْمَةِ. فَرِحَ بِهَا - بَطَرَ لِاجْلِيلِهَا.

(السَّمَاوَاتِ) (إِنَائًا)

(٤٩) - اللَّهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَالِكُهَا، وَالْمُنْصَرِفُ فِيهَا، يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَمْنَعُ عَمَّنْ يَشَاءُ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ وَقَضَائِهِ، فَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ذُرِّيَّةً إِنَائًا، وَيَهْبُ مَنْ يَشَاءُ ذُرِّيَّةً ذُكُورًا.

(إِنَائًا)

(٥٠) - أَوْ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ ذُرِّيَّةً مِنَ الرِّوَجِينَ الذُّكُورَ وَالْإِنَائَاتِ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا بِلَا نَسْلِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ، قَدِيرٌ عَلَى خَلْقِ مَا يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَ، فَيَفْعَلُ مَا يَقَعْلُهُ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ.

(وَرَاءَ)

(٥١) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الطَّرُقَ الَّتِي يُوحِي بِهَا أَوَامِرَهُ إِلَى مَنْ يَخْتَارُهُمْ مِنْ عِبَادِهِ:

أ - أَنْ يُحَسِّنَ الرَّسُولُ بِمَعَانٍ تُلْقَى فِي قَلْبِهِ فَلَا يَتَمَارَى فِي أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ). (صَحِيحُ أَبِي حَبَانَ).

ب - أَوْ يَرَى فِي نَوْمِهِ مَنَامًا لَا يَشْكُ فِي أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَرُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ يَذْبَحُ ابْنَهُ.

ج - أَنْ يَسْمَعَ كَلَامًا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، كَمَا سَمِعَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي وَادِي الطُّورِ دُونَ أَنْ يُبْصَرَ مَنْ يُكَلِّمُهُ.

﴿٤٨﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّجَ بِهَا وَإِنْ نَضَبْنَاهُمْ سَيِّئَتَهُ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ

﴿٤٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ

﴿٥٠﴾ أَوْ يَزُوجُهُمْ ذُكْرًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ



﴿٥١﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِّإٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ

د- أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ مَلَكًا فَيُوجِي ذَلِكَ الْمَلَكُ مَا يَشَاءُ إِلَى النَّبِيِّ .
والله تَعَالَى قَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ، حَكِيمٌ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ .

(الْكِتَابُ) (الْإِيمَانُ) (جَعَلْنَاهُ) (صِرَاطُ)

(٥٢) - وَكَمَا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ، كَذَلِكَ أَوْحَى إِلَيْكَ الْقُرْآنَ، وَلَمْ تَكُنْ، مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكَ وَحْيُهُ، تَعْلَمُ مَا الْقُرْآنُ، وَمَا الشَّرَائِعُ، الَّتِي بِهَا هِدَايَةُ الْبَشَرِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ الْقُرْآنَ، وَجَعَلَهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ هِدَايَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ . وَإِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَتَهْدِي بِذَلِكَ النُّورِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، مَنْ أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ .

رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا - قُرْآنًا، أَوْ جَبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ نُبُوَّةً .

(صِرَاطُ) (السَّمَاوَاتِ)

(٥٣) - وَهَذَا الْقُرْآنُ هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ الَّذِي يَهْدِي اللَّهُ إِلَيْهِ عِبَادَهُ وَهُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَالْمُتَصَرِّفُ بِهِمَا، وَالْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقَّبَ عَلَيْهِ حُكْمِهِ، أَلَا إِنَّ أُمُورَ الْخَلَائِقِ كُلَّهَا تَصِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَفْصَلُ فِيهَا بَعْدِلِهِ النَّامُ، وَحُكْمَتِهِ .

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ

أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ

وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا

نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا

وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ

صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

أَلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ

(٤٣) سُورَةُ الْاِخْرَافِ مَكِّيَّةٌ
وَاَيُّهَا النَّاسُ سَمِعْنَا وَمَا يُبَيِّنُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ حم

٢ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ

٣ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

٤ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا

لَعَلِّي حَكِيمٌ

٥ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ

صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا

مُسرِّفِينَ

(حَا . مِيم)

(١) - وَتُقْرَأُ مُقْطَعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ. اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(وَالْكِتَابِ)

(٢) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ (الْكِتَابِ الْجَلِيِّ الْوَاضِحِ الْمُبِينِ).

(جَعَلْنَاهُ) (قُرْآنًا)

(٣) - إِنَّ الْقَصْدَ مِنْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا جَلِيًّا وَاضِحًا، هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ الْعَرَبَ يَعْقِلُونَهُ وَيَتَدَبَّرُونَ أَحْكَامَهُ وَمَعَانِيَهُ وَإِعْجَازَهُ لِأَنَّهُ مُنْزَلٌ بِلِسَانِهِمْ.

(الْكِتَابِ)

(٤) - وَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ، فِي عِلْمِ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ، وَتَقْدِيرِهِ الْبَاقِي، ذُو رَفْعَةٍ وَمَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ وَشَرَفٍ، وَهُوَ مُحْكَمُ النِّظْمِ، مُنْزَعٌ عَنِ اللَّبْسِ وَالزُّبْغِ. أُمُّ الْكِتَابِ - عِلْمُ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ - أَوِ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

(٥) - فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَوْلَانِ:

الْأَوَّلُ - أَتَحْسِبُونَ أَنَّ نَصْفَحَ عَنْكُمْ فَلَا نَعُدُّبُكُمْ مَعَ أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ - وَهُوَ قَوْلُ آبْنِ عَبَّاسٍ.

الثَّانِي - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ لُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ يَخْلُقُهُ لَا يَتْرُكُ دُعَاءَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ، وَإِلَى الذِّكْرِ الْحَكِيمِ (الْقُرْآنِ)، وَإِنْ كَانُوا مُسرِّفِينَ مُعْرِضِينَ عَنْهُ، لِيَهْتَدِيَ مَنْ قَدَّرَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ، وَلِيَتَّقُوا الْحُجَّةَ عَلَى مَنْ قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الشَّقَاوَةَ.

أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ - أَفَتَتْرُكُ تَذَكِيرَكُمْ وَإِلْزَامَكُمْ الْحُجَّةَ.

صَفْحًا - إِعْرَاضًا أَوْ مُعْرِضِينَ عَنْكُمْ

مُسرِّفِينَ - مُتَجَاوِزِينَ الْحَدَّ

(٦) - وَبَسَّلَىٰ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ رَسُولَهُ ﷺ لِمَا يَنَالُهُ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ لَهُ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ، فَيَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ أَرْسَلَ رَسُولًا كَثِيرِينَ قَبْلَهُ إِلَى الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.
فِي الْأَوَّلِينَ - فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.

(يَسْتَهْزِئُونَ)

(٧) - فَكَانَتْ تِلْكَ الْأَقْوَامُ تُكَذِّبُ كُلَّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ إِلَيْهَا، وَتَسْتَهْزِئُ بِهِ، وَتَسْخَرُ مِنْهُ.

(٨) - فَأَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَقْوَامَ الَّتِي كَذَّبَتْ الرُّسُلَ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَقْوَامُ الَّتِي كَذَّبَتْ الرُّسُلَ أَكْثَرَ قُوَّةً وَبَطْشًا مِنْ قَوْمِكَ الْعَرَبِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَجَعَلَ إِهْلَاكَ الْمُكَذِّبِينَ سُنَّةً وَمَثَلًا وَعِبْرَةً يَغْتَبِرُ بِهَا الْعَاقِلُونَ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدَهُمْ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِهِؤُلَاءِ.
بَطْشًا - قُوَّةً.
مَثَلُ الْأَوَّلِينَ - صِفَتُهُمْ أَوْ قِصَّتُهُمْ.

(لَتُن) (السَّمَاوَاتِ)

(٩) - وَإِذَا سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ اغْتَرَفُوا بِأَنْ خَالَقَهُنَّ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ فِي سُلْطَانِهِ وَأَنْتِقَامِهِ، الْعَلِيمُ بِهِنَّ وَبِمَا فَوْقَهُنَّ.

(١٠) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ لِلنَّاسِ مُوْطَأَةً الْجَوَانِبِ كَالْفِرَاشِ، يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَنَامُونَ، وَجَعَلَ فِيهَا طُرُقًا (سُبُلًا) لِيَهْتَدِيَ النَّاسُ إِلَى الْجِهَاتِ الَّتِي يَقْصِدُونَهَا أَثْنَاءَ أَسْفَارِهِمْ مِنْ صُقْعٍ إِلَى صُقْعٍ.
سُبُلًا - طُرُقًا تَسْلُكُونَهَا أَوْ مَعَايِشَ.

(١١) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ الْحَاجَةَ، فَلَا يَجْعَلُهُ كَثِيرًا فَيَتَلَفُ الزَّرْعُ، وَهَيْلُكَ الْبَشَرُ، وَلَا قَلِيلًا لَا يَكْفِي لِإِنْبَاتِ الْأَعْشَابِ وَالزَّرْعِ فِيهِلِكَ النَّاسُ وَالْحَيَوَانَ جُوعًا وَعَطْشًا.
وَكَمَا أَحْيَا اللَّهُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا بِالْمَاءِ، كَذَلِكَ يُحْيِي الْبَشَرَ بِنَشْرِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
فَأَنْشَرْنَاكُمْ - فَأَحْيَيْنَاكُمْ بِالْمَاءِ.

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا
وَمَنْصِيٍّ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ

وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا
كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ

(الْأَزْوَاجِ) (الْأَنْعَامِ)

(١٢) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ مَا أَنْبَتُهُ الْأَرْضُ مِنَ الْأَصْنَافِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَمِنَ الْحَيَوَانِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِ وَأَلْوَانِهِ وَأَحْجَامِهِ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ السُّفْنِ مَا تَرْكَبُونَهُ فِي الْبَحْرِ وَالنَّهْرِ فِي أَسْفَارِكُمْ، وَنَقَلَ أَمْتِعَتَكُمْ وَأَرْزَاقَكُمْ، وَجَعَلَ لَكُمْ مَا تَرْكَبُونَهُ فِي الْبَرِّ وَتَحْمِلُونَ عَلَيْهِ أَنْقَالَكُمْ كَالْحَمِيرِ وَالْبَعَالِ وَالْجَمَالِ .

خَلَقَ الْأَزْوَاجَ - أَوْجَدَ الْأَصْنَافَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ .

(لَتَسْتَوُوا) (سُبْحَانَ)

(١٣) - لَتَسْتَقْبِرُوا فَوْقَ ظُهُورِ مَا تَرْكَبُونَهُ، مِنِ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ ، ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ فَتُعْظَمُوهُ وَتُجَادُوهُ، وَتَقُولُوا نَنْزِيلُهَا لَهُ تَعْظِيمًا: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ وَذَلَّلَ لَنَا هَذَا الَّذِي رَكَبْنَاهُ وَمَا كُنَّا لَوْلَا فَضْلَ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، لِنَسْتَطِيعَ تَسْخِيرَهُ، وَتَذْلِيلَهُ، وَالْإِنْتِفَاعَ بِهِ .

لَتَسْتَوُوا - لَتَسْتَقْبِرُوا وَتَسْتَعْمِلُوا .

سَخَّرَ - ذَلَّلَ .

(١٤) - وَلَتُكْمِلُوا تَعْيِيرَكُمْ عَنْ شُكْرِكُمْ لِرَبِّكُمْ عَلَى نِعْمِهِ فَتَقُولُوا: وَإِنَّا لَصَائِرُونَ إِلَى رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ مَمَاتِنَا فَيَجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا بِعَمَلِهِ، فَاسْتَعِدُّوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ لِذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَا تَغْفُلُوا عَنْ ذِكْرِهِ فِي حُلُوكُمْ وَتَرْحَالِكُمْ .

(الْإِنْسَانِ)

(١٥) - وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَدًا (جُزْءًا) (عَلَى أَعْتِبَارِ أَنَّ الْوَلَدَ جُزْءٌ مِنَ الْوَالِدِ)، إِذْ قَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْعَرَبِ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، فَخَصُّوا أَنْفُسَهُمْ بِالذُّكُورِ مِنَ الْأَبْنَاءِ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ، وَهُمْ يَكْفُرُونَ الْبَنَاتِ لِأَنْفُسِهِمْ، فَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدْنَى النَّصِيبِ .

وَالْإِنْسَانُ جَحُودٌ بِنِعْمِ اللَّهِ رَبِّهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ شَدِيدُ الْكُفْرَانِ لَهَا، وَجُحُودُهُ بِالنَّعْمِ ظَاهِرٌ بَيْنَ لِمَنْ تَأَمَّلَ فِي ذَلِكَ وَتَدَبَّرَ .

(وَأَصْفَاكُمْ)

(١٦) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ قِسْمَتَهُمْ هَذِهِ فَيَقُولُ لَهُمْ: هَلْ اتَّخَذَ رَبُّكُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَفْسِهِ أَدْنَى الصَّنَفَيْنِ مِنْ خَلْقِهِ (الْبَنَاتِ)، وَاخْتَارَ لَكُمْ أَفْضَلَهُمَا (الذُّكُورَ)؟
أَصْفَاكُمْ - خَصَّكُمْ وَأَثَرَكُمْ .

﴿١٢﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا

وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ

وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ

﴿١٣﴾ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا

نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ

وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ

لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ

﴿١٤﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ

﴿١٥﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ

﴿١٦﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ

وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ

(١٧) - وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِوَلَادَةِ ابْنٍ لَّهُ أَنْفَ مِنْ ذَلِكَ وَغَلَتِ الْكَأْبَةُ وَالْعُزْنُ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ. وَتَوَارَى مِنْ قَوْمِهِ خَجَلًا، فَكَيْفَ يَأْنِفُ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ بَنَاتٌ ثُمَّ يَنْسُبُونَ الْبَنَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى؟ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

مَثَلًا - شَيْهًا وَمَمَانِلًا.
كَظِيمٌ - مَمْلُوءُ الْقَلْبِ غَيْظًا وَغَمًّا.

(يُنْشَأُ)

(١٨) - وَقَدْ جَعَلُوا الْأَنْثَى لِلَّهِ، وَهِيَ نَاقِصَةٌ تَتَذَرُكَ نَقْصَهَا يَلْبَسُ الْحُلِيَّ وَالرِّينَةَ مُنْذُ أَنْ تَكُونَ طِفْلَةً، وَإِذَا خَاصَتْ فِيهَا عَاجِزَةٌ عَيْنِيَّةٌ قَاصِرَةٌ عَنِ الْبَيَانِ. أَفَمَنْ يَكُونُ هَذَا حَالَهُ يَلِيْقُ بِهِ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ؟ يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ - يُرَبَّى فِي الرِّينَةِ وَالنَّعْمَةِ (الْبَنَاتِ). الْخِصَامُ - فِي الْجَدَلِ وَالْمَخَاصِمَةِ.

(عِبَادُ) (إِنَاثًا) (الْمَلَائِكَةِ) (شَهَادَتُهُمْ) (يُسْأَلُونَ)

(١٩) - وَاعْتَقَدَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ - وَهُمْ عِبِيدُ اللَّهِ، وَخَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ - هُمْ مِنْ جَنْسِ الْإِنَاثِ وَسَمَوْهُمْ بِذَلِكَ، وَحَكَمُوا عَلَيْهِمْ، فَهَلْ كَانُوا حَاضِرِينَ حِينَمَا خَلَقَهُمُ اللَّهُ فَعَرَفُوا أَنَّهُمْ إِنَاثٌ؟ إِنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا شَيْئًا. ثُمَّ تَهَدَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ سَيَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ هَذِهِ، وَسَيَسْأَلُهُمْ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا.

فَالْمُشْرِكُونَ كَفَرُوا فِي قَوْلِهِمْ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَإِنَّهُمْ إِنَاثٌ مِنْ ثَلَاثَةِ وُجُوْهٍ:

- إِنَّهُمْ نَسَبُوا بِقَوْلِهِمْ هَذَا الْوَلَدَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ ذَلِكَ.

- ثُمَّ أَعْطَوْا مَا يَعْتَقِدُونَهُ أَحْسَنَ النَّصِيبِينَ لِلَّهِ (الْبَنَاتِ).

- ثُمَّ اسْتَحَفُّوا بِالْمَلَائِكَةِ فَجَعَلُوهُمْ مِنْ جَنْسِ الْإِنَاثِ.

(عَبَدَنَاهُمْ)

(٢٠) - وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَا يَعْبُدُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي صَوَّرُوهَا عَلَى جَنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَقَالُوا عَنْهَا إِنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، لَحَالَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَهُوَ تَعَالَى عَالِمٌ بِعِبَادَتِهِمْ لَهَا، وَهُوَ يُقَرِّهُمُ عَلَيْهَا. وَفِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِمْ هَذَا، وَلَا بُرْهَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَمَا هُمْ فِي دَعْوَاهُمْ هَذِهِ إِلَّا كَاذِبُونَ، مُتَّفَقُونَ عَلَى اللَّهِ، نَاسِبُونَ إِلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ (مُتَخَرِّصُونَ).

يَخْرُصُونَ - يَكْذِبُونَ فِيمَا قَالُوا.

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ،
مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ

أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ
وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ
عِبَدُ الرَّحْمَنِ أَنْثَى أَسْهَدُوا
خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ
وَيُسْأَلُونَ

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ

(آيَاتُهُمْ) (كِتَابًا)

(٢١) - أَمْ يَتَعَمَدُ هَؤُلَاءِ فِي شُرْكِهِمْ وَعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ كِتَابًا قَبْلَ هَذَا الْقُرْآنِ (أَوْ قَبْلَ شُرْكِهِمْ هَذَا) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَهُمْ يَسْتَنِدُونَ إِلَيْهِ؟
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُوْرِهِمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ عَلَى مَا قَالُوا، وَلَا بُرْهَانَ وَلَا دَلِيلَ.

(آبَاءُهُمْ) (آثَارُهُمْ)

(٢٢) - وَإِذْ قَعَدَ الْمُشْرِكُونَ كُلُّ حُجَّةٍ وَدَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، قَالُوا: إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ يَعْبُدُونَهَا فَعَبَدُوهَا، وَاتَّبَعُوهُمْ فِي ذَلِكَ مُقْتَدِينَ بِهِمْ، لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ آبَاءَهُمْ أَرْجَحُ مِنْهُمْ عُقُولًا، وَأَصَحُّ أَفْهَامًا، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونُوا فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ عَلَى ضَلَالٍ.
عَلَى أُمَّةٍ - عَلَى دِينٍ وَعَلَى طَرِيقَةٍ.

(آبَاءُهُمْ) (آثَارُهُمْ)

(٢٣) - وَلَيْسَتْ مَقَالَةُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ هَذِهِ شَيْئًا مُبْتَدَعًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُرْسِلْ رَسُولًا إِلَى قُرَيْةٍ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ إِلَّا قَالَ أَهْلُ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ فِيهَا: إِنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى دِينٍ وَمِلَّةٍ (أُمَّةٍ) وَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ طَرِيقَهُمْ، وَيَسِيرُونَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَيَقْتَدُونَ بِهِمْ فِيمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.
مُتَرَفُوها - مُتَعَمُّوها الْمُتَغَمِّسُونَ فِي شَهَوَاتِهِمْ.

(قَالَ) (آبَاءُهُمْ) (كَافِرُونَ)

(٢٤) - فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُهُمْ: وَهَلْ سَتَسْتَمِرُّونَ فِي السَّيْرِ عَلَى نَهْجِ آبَائِكُمْ وَأَسْلَابِكُمْ حَتَّى وَلَوْ جِئْتُمْ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ هِدَايَةٍ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ؟ فَرَدُّوا عَلَيْهِ قَائِلِينَ إِنَّهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ وَلَوْ جَاءَهُمْ بِمَا هُوَ أَفْضَلُ وَأَهْدَى، وَإِنَّهُمْ كَافِرُونَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَلَا فَايِدَةَ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى تَرْكِ دِينِ آبَائِهِمْ.

(عَاقِبَةُ)

(٢٥) - فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِأَسْءَلِهِ وَنَقَمَتِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، فَأَنْظَرَ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ أُمَرِهِمْ، وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَمَّرَ عَلَيْهِمْ دِيَارَهُمْ فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ بَاقِيَةً، كَذَلِكَ يَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ.

﴿٢١﴾ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ
فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ

﴿٢٢﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى
أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ

﴿٢٣﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي
قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُّوْهَا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا
عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ



﴿٢٤﴾ قُلْ أُولَئِكَ جَحَّتْكُمْ
بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ
آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ
كَافِرُونَ

﴿٢٥﴾ فَانْظُرْ مِنْهُمْ فَاَنْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ

(إِبْرَاهِيمُ)

(٢٦) - وَادْكُرْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ خَبَرَ جَدِّهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جِئَ أُعْلِنَ لِأَبِيهِ آزَرَ وَقَوْمِهِ بِأَنَّهُ مُتَبَرِّئٌ مِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ .

براء - بريء .

(٢٧) - وَأَنَّهُ لَنْ يَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُ مِنْ عَدَمٍ وَالَّذِي سَيَهْدِيهِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَيُوفِّقَهُ إِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ .
فَطَرَنِي - خَلَقَنِي وَأَبْدَعَنِي .

(٢٨) - وَجَعَلَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ (وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي ذُرِّيَّتِهِ يَتَوَارَثُونَهَا، وَيَقْتَدِي بِهَا فِيهَا مَنْ هَذَا اللَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، لَعَلَّ ذُرِّيَّتَهُ يَذْكُرُونَ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبُوهُمْ إِبْرَاهِيمَ، فَيَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ، وَيُخْلِصُوا الْعَمَلَ وَالْإِيمَانَ لَهُ .

كَلِمَةً بَاقِيَةً - كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ - أَوْ الْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ .

(آبَاءُهُمْ)

(٢٩) - وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَتَّعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَمَتَّعَ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَمَدَّ فِي أَعْمَارِهِمْ، وَأَكْثَرَ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ، فَشَغَلَهُمُ النِّعَمُ، وَحُبُّ الشَّهَوَاتِ فَاطَاعُوا الشَّيْطَانَ، وَنَسُوا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ فِي بَنِي إِبْرَاهِيمَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى الْعَوْدَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَأَنْزَلَ مَعَهُ الْقُرْآنَ لِيَكُونَ رِسَالَتُهُ بَيِّنَةً وَاضِحَةً .

(كَافِرُونَ)

(٣٠) - فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْقُرْآنُ وَالرُّسُولُ قَالُوا: إِنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ إِنْ هُوَ إِلَّا سِحْرٌ، وَمَا هُوَ بِوَحْيٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ بِهِ وَيَكْفُرُونَ، بَغْيًا وَحَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ .

(الْقُرْآنُ)

(٣١) - وَقَالُوا كَالْمُعْتَرِضِينَ عَلَى اخْتِيَارِ اللَّهِ رَسُولَهُ الْكَرِيمِ: إِنَّ مُنْصِبَ الرِّسَالَةِ مُنْصَبٌ شَرِيفٌ، فَلَا يَلِيقُ إِلَّا بِرَجُلٍ شَرِيفٍ عَظِيمٍ الْجَاهِ كَثِيرِ الثَّرَاءِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَوْ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ (الْقُرَيْشِيِّينَ) لِأَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِذَلِكَ الْغَنِيِّ الْعَظِيمِ الْجَاهِ .

(وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَقْصِدُونَ بِقَوْلِهِمْ هَذَا الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ مِنْ مَكَّةَ أَوْ الْوَلِيدَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ مِنَ الطَّائِفِ) .
مِنْ الْقُرَيْشِيِّينَ - مَكَّةَ وَالطَّائِفِ .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ

إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ

حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ

وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا

سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى

رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ

(رَحْمَةً) (الْحَيَاةِ) (دَرَجَاتٍ) .

(٣٢) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا قَالُوهُ فَقَالَ رَدًّا عَلَى اعْتِرَاضِهِمْ هَذَا: إِنَّ أَمْرَ اخْتِيَارِ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ مَرْدُودًا إِلَيْهِمْ حَتَّى يَقْتَرِحُوا عَلَى اللَّهِ مَنْ يَخْتَارُونَهُ هُمْ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ، وَحْدَهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ، فَهُوَ لَا يَنْزِلُهَا إِلَّا عَلَى أَزْكَى الْخَلْقِ قُلُوبًا وَنَفْسًا، وَأَشْرَفِهِمْ بَيْتًا، وَأَطْهَرِهِمْ أَصْلًا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَ الْعِبَادِ عَلَى بَعْضٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: فِي الْقُوَّةِ وَالْغِنَى وَالشُّهْرَةِ وَالنَّشَاطِ، لِأَنَّهُ لَوْ سَوَّى بَيْنَهُمْ جَمِيعًا فِي شُرُوطِ الْحَيَاةِ لَمْ يَخْدُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَمْ يَسْتَخْدِمِ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ فَسَادُ نِظَامِ الْحَيَاةِ.

وَرَحْمَةُ اللَّهِ بِخَلْقِهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا يَجْمَعُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَتَاعِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

سُخْرِيًّا - مُسَخَّرًا فِي الْعَمَلِ، مُسْتَخْدَمًا فِيهِ.

(وَاحِدَةً)

(٣٣) - وَلَوْلَا أَنْ يُعْتَقَدَ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهْلَةِ أَنَّ عَطَاءَ اللَّهِ الْمَالَ لِلنَّاسِ ذَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّتِهِ تَعَالَى لِمَنْ يُعْطِيهِ فَيَجْتَمِعُوا جَمِيعًا عَلَى الْكُفْرِ لِأَجْلِ الْمَالِ، وَيَرْغَبُوا فِيهِ إِذَا رَأَوْا سَعَةَ الرِّزْقِ، لَجَعَلَ اللَّهُ لِبُيُوتِ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ سُقُوفًا مِنْ فِضَّةٍ، وَسَلَاطِمَ مِنْ فِضَّةٍ يَصْعَدُونَ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ لِهَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ.

مَعَارِجَ - مَصَاعِدَ وَسَلَاطِمَ وَدَرَجَاتٍ.

يُظْهِرُونَ - يَصْعَدُونَ وَيَرْتَقُونَ.

(أَبْوَابًا)

(٣٤) - وَلَجَعَلَ لِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا مِنْ فِضَّةٍ وَسُرُرًا مِنْ فِضَّةٍ، يَتَكُونُونَ عَلَيْهَا.

(مَتَاعُ) (الْحَيَاةِ)

(٣٥) - وَلَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِبُيُوتِهِمْ زَخَارِفَ وَزِينَةً فِي كُلِّ مَا يُرْتَفَقُ بِهِ مِنْ شُؤُنِ الْحَيَاةِ، وَلَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا مَتَاعٌ قَصِيرُ زَائِلٌ، وَالْآخِرَةُ بِمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ هِيَ خَالِصَةٌ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ لَا يَشَارِكُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ غَيْرُهُمْ.

زُخْرَفًا - زِينَةً أَوْ ذَهَبًا عَلَى قَوْلٍ.

لَمَّا - إِلَّا مَتَاعٌ.

﴿٣٢﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ

فَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
سُخْرِيًّا وَرَحْمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ

﴿٣٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ أُمَّةٌ

وَاحِدَةٌ لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ
بِالْحَرَمِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُوفًا مِنْ
فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ

﴿٣٤﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا

يَتَكُونُونَ

﴿٣٥﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا

مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ
عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ

(شَيْطَانًا)

(٣٦) - وَمَنْ يَتَغَافَلْ وَيَتَعَامَ عَنِ الْقُرْآنِ، وَعَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَنْهَمِكَ فِي الْمَعَاصِي، وَلَذَاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا. فَإِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَيَكُونُونَ لَهُ قُرَنَاءَ، يُزَيِّنُونَ لَهُ أَرْكَابَ الْمَعَاصِي، وَالْإِسْتِغَالَ بِاللَّذَاتِ، فَيَسْتَرْسِلُ فِيهَا فَيَحِقُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَعِقَابُهُ.

مَنْ يَعِشْ - مَنْ يَتَعَامَ وَيُعْرِضُ وَيَغْفُلُ
نَقِيضٌ - نَمْنَحُ لَهُ وَنُيَسِّرُ لَهُ.

(٣٧) - وَهَؤُلَاءِ الْقُرَنَاءُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، الَّذِينَ يُقِيضُهُمُ اللَّهُ لِكُلِّ مَنْ يَعِشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ، يُحَاوِلُونَ صَرْفَهُ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَيُوسَّسُونَ لَهُ أَنَّهُ عَلَى جَادَةِ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَنَّ غَيْرَهُ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيُكْرَهُونَ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ فَيُطِيعُهُمْ.

(يَا لَيْتَ)

(٣٨) - وَجِئَ يُؤَافِي هَذَا الْغَافِلُ، الَّذِي تَسَلَّطَ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ، رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَّبِعُ الشَّيْطَانَ الَّذِي وَكَّلَ بِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَبِئْسَ الْقَرِينُ أَنتَ، لِأَنَّكَ أَضَلَلْتَنِي، وَأَوْصَلْتَنِي إِلَى مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ.

الْمَشْرِقِينَ - الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

(٣٩) - وَيُقَالُ لِهَذَا الْغَافِلِ الْجَاهِلِ وَأَمْثَالِهِ، وَشَيَاطِينِهِمْ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا: لَنْ يَنْفَعَكُمْ، وَلَنْ يُغْنِيَ عَنْكُمْ أَجْتِمَاعُكُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ وَفَرَنَائُكُمْ، وَلَا اشْتِرَاكُكُمْ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُعَاقِبُ مِنَ الْعَذَابِ مَا يَكْفِيهِ.

(ضَلَالٍ)

(٤٠) - إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْمِعَ الصُّمَّ الَّذِينَ سَلَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْقُدْرَةَ عَلَى السَّمْعِ، وَلَا أَنْ تَهْدِيَ الْعُمَى الَّذِينَ أَعْمَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَعُيُونَهُمْ عَنِ الْإِبْصَارِ، كَمَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْدِيَ الَّذِينَ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ فَزَيَّنَتْ لَهُمْ طَرِيقَ الْهَلَاكِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ مُبَلِّغٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَيْكَ أَنْ تُبَلِّغَ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْكَ رَبُّكَ، وَالَّذِي يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعًا.

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ
لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ

وَالَّذِينَ لِيَصِدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ

حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ
الْقَرِينُ

وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ
ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ
مُشْتَرِكُونَ

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي
الْعُمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ

(٤١) - فَإِذَا مَا أَخْرَجَكَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِم بِالْمَوْتِ أَوْ بِالْهَجْرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا فَعَلَ بِغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِرُسُلِهِمْ.

(وَعَدَتَاهُمْ)

(٤٢) - أَوْ إِنَّهُ تَعَالَى سَيَرِي رَسُولَهُ الْكَرِيمَ مَا وَعَدَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنَ الظَّفَرِ بِأَعْدَائِهِ الْمُشْرِكِينَ، وَإِظْهَارِهِ عَلَيْهِمْ، لِيُخْتَبِرَهُمُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مَا حَذَّرَهُمْ نَزُولُهُ بِهِمْ إِنْ أَسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ.

(صِرَاطِ)

(٤٣) - وَإِذَا كَانَ أَحَدُ هَذَيْنِ الْاِخْتِمَالَيْنِ وَاقِعًا فَاسْتَمْسِكَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يُفْضِي بِمَنْ أَخَذَ بِهِ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي يُوصِلُ مَنْ سَلَكَهُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي الْآخِرَةِ.

(تُسْأَلُونَ)

(٤٤) - وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لَشَرَفٌ عَظِيمٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ، لِأَنَّهُ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْأَخْذِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ، وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّ هَذَا الْقُرْآنِ، وَعَنِ الْعَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ شَرِيعَةٍ وَأَحْكَامٍ. (وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: إِنَّهُ لَتَذَكِيرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ).
لِتَذْكُرَ - لَشَرَفٍ عَظِيمٍ أَوْ لَتَذَكِيرٍ.

(وَأَسْأَلُ) (إِلَهَةً)

(٤٥) - إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَنْتَ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ فَمَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمِنَ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ، وَعَنِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ. دَعَتْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ سَبَقُوكَ الْأَمَمَ الَّتِي أُرْسِلُوا إِلَيْهَا، وَلَمْ يَدْعُ أَحَدٌ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لِأَنَّهُ لَا رَبَّ سِوَاهُ، وَلَا مَعْبُودَ غَيْرُهُ.

(بِآيَاتِنَا) (وَمَلِئَتْهُ) (الْعَالَمِينَ)

(٤٦) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أُرْسِلَ عَبْدُهُ مُوسَى رَسُولًا إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَأَيَّدَهُ بِآيَاتٍ وَمُعْجَزَاتٍ تَأْيِيدًا لَهُ فِي دَعْوَتِهِ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِمْ، كَمَا قُلْتَ أَنْتَ لِقَوْمِكَ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ.

٤١) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ

٤٢) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ

٤٣) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

٤٤) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ

٤٥) وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ

٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(بَيَاتِنَا)

(٤٧) - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالمُعْجَزَاتِ الَّتِي آيَدَهُ اللَّهُ بِهَا كَالْيَدِ وَالْعَصَا . فإِذَا بِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ يُضْحَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْمُعْجَزَاتِ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْ مُوسَى ذُوْن أَنْ يَتَأَمَّلُوا فِيهَا ، كَمَا يَسْخَرُ الْيَوْمَ قَوْمُكَ مِنْمَا جِئْتَهُمْ بِهِ .

(آيَةِ) (وَأَخَذْنَاَهُمْ)

(٤٨) - وَمَا أَرَيْنَا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ حُجَّةً وَمُعْجِزَةً مِنْ حُجَجِنَا ، وَمُعْجَزَاتِنَا الدَّالَّةَ عَلَى صِدْقِ مُوسَى فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ ، إِلَّا كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْ سَابِقَاتِهَا ، وَأَكْثَرَ دَلَالَةً عَلَى صِحَّةِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَلَمَّا أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْوَأْنَاءَ مِنَ الْعَذَابِ كَنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَالْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ لَعَلَّ ذَلِكَ يَحْمِلُهُمْ عَلَى التَّفَكِيرِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى ، فَيَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ ، وَيَقْلِعُوا عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ .

(يَا أَيُّهَا)

(٤٩) - وَكَانُوا كُلَّمَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ يَضْرَعُونَ إِلَى مُوسَى ، وَيَتَلَطَّفُونَ إِلَيْهِ ، وَيَقُولُونَ : يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ (أَيُّ الْعَالَمِ) ، لَقَدْ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ رَبَّكَ عَهْدَ إِلَيْكَ أَنَّا إِذَا آمَنَّا بِهِ وَبِرِسَالَتِكَ إِلَيْنَا ، فَإِنَّهُ يَكْشِفُ عَنَّا الْعَذَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ بِنَا ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنَّا هَذَا الْعَذَابَ ، وَإِنَّا نَعَاهِدُكَ بِأَنَّا سَنُؤْمِنُ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِنْ حَدَثَ ذَلِكَ .

بِمَا عَهْدَ عِنْدَكَ - مِنْ كَشْفِ الْعَذَابِ عَمَّنْ أَهْتَدَى .

(٥٠) - فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ فَكَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ الْعَذَابَ ، فَلَمَّ يَوْمُنَا لَهُ ، وَنَكُّثُوا بِمَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ . يَنْكُثُونَ - يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ بِالْإِهْتِدَاءِ .

(يَا قَوْمِ) (الْأَنْهَارِ)

(٥١) - فَجَمَعَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَنَادَى فِيهِمْ مُتَّبِعًا مُتَّفَاخِرًا بِمُلْكِ مِصْرَ ، وَتَصَرُّفِهِ فِيهَا ، وَفِي أَنْهَارِهَا الْجَارِيَةِ فِي أَرْضِهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَفَلَا تَرَوْنَ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَعَظَمِ الْمَكَانَةِ ؟ وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَقْصُدُ بِهِذَا النَّدَاءَ تَهْنِئَتَهُمْ فِي طَاعَتِهِ ، وَصَرْفَهُمْ عَنِ التَّأَثُّرِ بِمُوسَى وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ .

(٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ

(٤٨) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

(٤٩) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَادُونَ

(٥٠) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ

(٥١) وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمِ آلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ

(٥٢) - وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِقَوْمِهِ، بَلْ إِنَّهُ (أَم) خَيْرٌ مِنْ مُوسَى الَّذِي هُوَ ضَعِيفٌ ذَلِيلٌ (مُهِينٌ)، وَهُوَ عَيَّى اللِّسَانَ يَكَادُ لَا يَسْتَطِيعُ التَّعْبِيرَ وَالْإِفْصَاحَ عَمَّا يُرِيدُ قَوْلَهُ.

مُهِينٌ - ذَلِيلٌ حَقِيرٌ.
يُبِينُ - يُفْصِحُ الْكَلَامَ لِلثَّغَةِ فِي لِسَانِهِ.

(الْمَلَائِكَةُ)

(٥٣) - فَهَلَّا أُلْقِيَ إِلَيْهِ رَبُّهُ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ يَتَحَلَّى بِهَا إِنْ كَانَ صَادِقًا فِيمَا يَدَّعِيهِ، وَهَلَّا جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُتَتَابِعِينَ مُتَقَارِنِينَ (مُقْتَرِنِينَ). يُعِينُونَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالنَّبُوءَةِ، وَيَمْشُونَ مَعَهُ. مُقْتَرِنِينَ - مَقْرُونِينَ بِهِ، يُصَدِّقُونَهُ فِيمَا يَقُولُ.

(فَاسِقِينَ)

(٥٤) - فَاسْتَخَفَّ فِرْعَوْنُ عُقُولَ قَوْمِهِ بِهَذِهِ الْحُجَجِ الْوَاهِيَةِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ طَائِعِينَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا غَاوِينَ ضَالِّينَ، خَارِجِينَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى. فَاسْتَخَفَّ قَوْمُهُ - وَجَدَهُمْ خِفَافَ الْعُقُولِ.

(أَسْفُونَا) (فَأَغْرَقْنَاهُمْ)

(٥٥) - فَلَمَّا أَغْضَبُونَا بِعِنَادِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ وَبَغْيِهِمْ فِي الْأَرْضِ أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَجَعَلْنَا لَهُمُ الْعُقُوبَةَ، وَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. أَسْفُونَا - أَغْضَبُونَا أَشَدَّ الْغَضَبِ.

(فَجَعَلْنَاهُمْ)

(٥٦) - فَجَعَلْنَاهُمْ قُدُورَةً لِمَنْ يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، وَعِبْرَةً وَمَوْعِظَةً لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ. سَلَفًا - قُدُورَةً فِي اسْتِحْقَاقِ الْعَذَابِ.

(٥٧) - رُوِيَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ يَوْمًا مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُعْبِرَةِ الْمُخْزُومِيِّ فِي الْمَسْجِدِ فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى جَلَسَ مَعَهُمْ، وَفِي الْمَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى:

٥٢ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
مُهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ

٥٣ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ
ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ
الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ

٥٤ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَطَاعُوهُ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

٥٥ فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْتَقَمْنَا
مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ

٥٦ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا
لِّلْآخِرِينَ

٥٧ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ
يَصِدُّونَ



﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾^(١).
 ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . ثُمَّ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ مُحَمَّدًا
 خَصَمَ النَّصْرَ، وَقَدْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنَ الْإِلَهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ.
 فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصَمْتُهُ. سَلُوا مُحَمَّدًا أَكَلْ مَا يُعْبَدُ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عِبَدَهُ؟ فَتَحَنَّنَ عَبْدُ الْمَلَائِكَةِ، وَالْيَهُودُ تَعْبُدُ
 عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَى تَعْبُدُ الْمَسِيحَ. فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ (فَقَالَ:
 كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عِبَدَهُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ
 الشَّيْطَانَ وَمَنْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ).

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(٢).

وهؤلاء الذين سَبَقَتْ لَهُمُ الْحُسْنَى مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، هُمُ الَّذِينَ مَضَوْا
 عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِهِ.
 وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: لَمَّا ضَرَبَ ابْنُ
 الزُّبَيْرِ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مَثَلًا، وَجَادَلَ رَسُولَ اللَّهِ فِي عِبَادَةِ النَّصَارَى لَهُ
 إِذَا قَوْمُكَ يَرْتَفِعُ لَهُمْ صُجُوحٌ وَجَلْبَةٌ مِنْ فَرْحِهِمْ بِهَذَا الْمَثَلِ الَّذِي ظَنُّوا
 أَنَّهُ أَفْحَمَ بِهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ.
 مِنْهُ يَصُدُّونَ - يَصْجُونُ وَيَصِيحُونَ وَيُصَفِّقُونَ فَرَحًا مِنْ أَجْلِهِ.

(الْإِهْتِنَاءُ)

(٥٨) - وَقَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ إِلَهَتَهُمْ لَيْسَتْ خَيْرًا مِنْ عِيسَى، فَإِذَا كَانَ
 عِيسَى مِنْ حَصَبِ جَهَنَّمَ، كَانَ أَمْرُ إِلَهَتِهِمْ أَيْسَرَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ
 هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَضْرِبُوا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مَثَلًا إِلَّا جَدَلًا لَا لِإِظْهَارِ
 الْحَقِّ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ
 جَهَنَّمَ﴾^(١). يَنْطَبِقُ عَلَى الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَلَا يَنْطَبِقُ عَلَى عِيسَى
 وَالْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّ (مَا) تُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِ الْعَاقِلِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يُحِبُّونَ
 الْجَدَلَ وَالْحِجَاجَ.

قَوْمٌ خَصْمُونَ - لُدُّ شِدَادُ الْخُصُومَةِ بِالْبَاطِلِ.

(جَعَلْنَاهُ) (إِسْرَائِيلَ)

(٥٩) - وَلَيْسَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ إِلَّا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ،

﴿وَقَالُوا أَلِإِلَهَتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾

مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ
 قَوْمٌ خَصْمُونَ

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾

وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠١.

وَجَعَلْنَاهُ آيَةً لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ بِخَلْقِنَا إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ آبٍ، لِيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَيْسَتْ مُخَالَفَةُ الْعَادَةِ فِي خَلْقِهِ بِمُسْتَوْجِبَةٍ لِعِبَادَتِهِ.
مَثَلًا - آيَةٌ وَعِبْرَةٌ كَالْمَثَلِ السَّائِرِ.

(مَلَائِكَةٌ)

(٦٠) - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَجَعَلَ ذُرِّيَّتَكُمْ مَلَائِكَةً يَخْلُقُونَكُمْ فِي الْأَرْضِ. كَمَا يَخْلُقُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَبِذَلِكَ تَعْرِفُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ خَاضِعُونَ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ، فَهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يَكُونُوا إِلَهًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ - بَدَلًا مِنْكُمْ، أَوْ لَوْلَدْنَا مِنْكُمْ.

(صِرَاطٌ)

(٦١) - وَإِنْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ مِنْ غَيْرِ آبٍ، ثُمَّ بَعَثَهُ نَبِيًّا، كُلُّ ذَلِكَ أَمَارَةٌ وَدَلِيلٌ عَلَى قُرْبِ حُلُولِ السَّاعَةِ.
(وَقَدْ تَوَارَتْ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَخْبَرَةً بِنُزُولِ عِيسَى قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِمَامًا عَادِلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا).

فَلَا تَشْكُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي أَنَّ السَّاعَةَ وَاقِعَةٌ لَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ وَلَا شَكٍّ، وَأَنَّهَا كَائِنَةٌ لَا مَحَالَةَ، فَاتَّبِعُوا هُدَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، الْمَوْصِلُ إِلَى الْجَنَّةِ.

إِنَّهُ لَعِلَّمَ لِلَّسَّاعَةِ - يَعْلَمُ قُرْبَهَا بِنُزُولِهِ.

فَلَا تَعْتَرَنَّ - فَلَا تَشْكُرَنَّ فِي قِيَامِهَا.

(الشَّيْطَانُ)

(٦٢) - وَلَا تَعْتَرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ بَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَشُبْهِهِ الَّتِي يُوقِعُهَا فِي قُلُوبِكُمْ لِيَمْنَعَكُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الدِّينِ الْحَقِّ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَادِمٌ وَبَيْنَهُ، بَيْنَ الْعَدَاوَةِ.

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٦٣) - وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْمُعْجَزَاتِ الْوَاضِحَةِ قَالَ لِبَنِي إِسْرَآئِيلَ: إِنَّهُ جَاءَهُمْ بِالشَّرَائِعِ الَّتِي فِيهَا صَلَاحُ الْبَشَرِ (الْحِكْمَةِ)، وَإِنَّهُ جَاءَ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ بَعْضَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ. ثُمَّ طَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا اللَّهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَأَنْ يُطِيعُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ، وَمَا يُبَلِّغُهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالتَّكَالِيفِ.

﴿٦٠﴾ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي

الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ

﴿٦١﴾ وَإِنَّهُ لَعِلَّمَ لِلَّسَّاعَةِ فَلَا تَعْتَرَنَّ

بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ

﴿٦٢﴾ وَلَا يَصِدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ

لَكُمْ عَدُوٌّ مِينٌ

﴿٦٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ

فَدَجَّجْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يَنْبَغُ

لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْلُقُونَ فِيهِ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(صِرَاطٌ)

(٦٤) - ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ وَإِيَّاهُمْ عِبِيدُ اللَّهِ، فَهُوَ تَعَالَى الْمُتَعَرِّدُ بِالْأَلَوِيَّةِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَوْجِبُ لِلْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنَّ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَنْدُ، هُوَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ وَكُلُّ الدِّيَانَاتِ جَاءَتْ بِمِثْلِهِ.

(٦٥) - وَلَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِرِسَالَةِ عِيسَى اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ اللَّهُ. وَيَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُخْتَلِفِينَ الَّذِينَ غَالَوْا فِي عِيسَى فَقَالُوا فِيهِ مَا جَعَلَهُمْ يَكْفُرُونَ، وَيَخْرُجُونَ مِنْ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ: الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الشَّدِيدِ الْإِيلَامِ. فَوَيْلٌ - فَهَلَاكٌ أَوْ حَسْرَةٌ.

(٦٦) - فَهَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُغَالِبُونَ فِي شَأْنِ عِيسَى، الْقَائِلُونَ فِيهِ الْبَاطِلَ، إِلَّا أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فَجَاءَهُمْ فِي غَفْلَتِهِمْ لَا يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهَا، وَحِينَئِذٍ يَنْدُمُونَ وَلَا تَسَاعَةُ مَنْدَمٍ، إِذْ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ. هَلْ يَنْظُرُونَ - هَلْ يَنْتَظِرُونَ. بَغْتَةً - فَجَاءَةً.

(يَوْمَئِذٍ)

(٦٧) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ صِدَاقَةٍ وَصُحْبَةٍ فِي الدُّنْيَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَى عَدَاوَةٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي اللَّهِ، أَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا تَبْقَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ دَائِمَةً بِدَوَامِ اللَّهِ تَعَالَى. الْأَخْلَاءُ - الْأَجْبَاءُ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ.

(يَا عِبَادِي)

(٦٨) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا عِبَادِي لَا تَخَافُوا مِنْ عِقَابِي، فَقَدْ أَمَنْتُكُمْ مِنْهُ، وَرَضِيتُ عَنْكُمْ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا خَلَقْتُمْ فِي الدُّنْيَا. فَالَّذِي أَدْخَرْتُهُ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْهُ.

(آمَنُوا) (بِآيَاتِنَا)

(٦٩) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ صِفَةَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ، وَالرِّضَا، فَلَا يَخَافُونَ الْعَذَابَ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَقُوا فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ، وَصَفَتْ نَفْسُهُمْ، وَأَنْقَادَتْ لِشَرَعِ اللَّهِ بِوَاطِنِهِمْ وَظَوَاهِرُهُمْ.

٦٤ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

٦٥ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ

٦٦ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

٦٧ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ

٦٨ يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ

٦٩ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ

(أَزْوَاجُكُمْ)

(٧٠) - وَقَالَ لَهُمْ: ادْخُلُوا إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ وَنُظَرَاؤُكُمْ الْجَنَّةَ تَتَعَمَّوْنَ فِيهَا وَتَسْعَدُونَ (تُحْبَرُونَ) بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنْ عَطَاءٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ وَلَا مَقْطُوعٍ.

تُحْبَرُونَ - تُسْرُونَ سُرُوراً وَتُسْعَدُونَ.

(خَالِدُونَ)

(٧١) - وَبَعْدَ أَنْ يَسْتَقَرُّوا فِي الْجَنَّةِ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَوَانٍ مِنْ ذَهَبٍ عَلَيْهَا أَنْوَاعُ الطَّعَامِ، وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَكْوَابٍ لِلشَّرَابِ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِي كُلِّ مِنَ الْأَوَانِي وَالْأَكْوَابِ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ، وَتَتَلَذَّذُ بِهِ الْأَعْيُنُ، فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَنْعَمُونَ وَيَتَلَذَّذُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ إِكْمَالاً لِسُرُورِهِمْ: إِنَّهُمْ بِأَقْوَنَ فِي هَذَا النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ أَبَدًا.

أَكْوَابٍ - أَقْدَاحٍ لَا عَرَى لَهَا.

(٧٢) - ثُمَّ يُقَالُ لَهُؤُلَاءِ الرَّائِعِينَ فِي هَذَا النَّعِيمِ الدَّائِمِ: إِنَّ هَذِهِ هِيَ الْجَنَّةُ، وَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ بَاقِيَةً لَكُمْ كَالْمِيرَاثِ الَّذِي يَبْقَى عَنِ الْمَوْرَثِ، جَزَاءً لَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ، وَإِيمَانِكُمْ بِرَبِّكُمْ.

(فَاكِهَةٌ)

(٧٣) - وَلَكُمْ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ مَا لَا حَصَرَ لَهُ تَأْكُلُونَ مِنْهَا مَا تَخْتَرُونَ بِغَيْرِ حِسَابٍ لَتَنِمَّ لَكُمْ النِّعْمَةُ وَالْعِظَةُ وَالْحُبُورُ.

(خَالِدُونَ)

(٧٤) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْمُؤْمِنِينَ السُّعْدَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَفَاكِهَةٍ، وَنَعِيمٍ لَا يَبُلَى، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ حَالِ الْكَافِرَةِ الْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ، فَقَالَ إِنَّ الْكَافِرَةَ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا.

(٧٥) - لَا يُخَفَّفُ الْعَذَابُ عَنْهُمْ لِحِظَةً، وَهُمْ سَاكِتُونَ يَأْسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَفَرَجٍ.

يُفْتَرُّ عَنْهُمْ - يُخَفَّفُ عَنْهُمْ.

مُيْلِسُونَ - يَأْسُونَ.

٧٠ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

تُحْبَرُونَ

٧١ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ

وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ

الْأَنْفُسُ وَتَلَذَّذُ الْأَعْيُنُ

وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

٧٢ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

٧٣ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا

تَأْكُلُونَ

٧٤ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ

خَالِدُونَ

٧٥ لَا يُفْتَرَّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ

(ظَلَمْنَاهُمْ) (الظَّالِمِينَ)

(٧٦) - وَمَا ظَلَمَ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ بِمَا أَنْزَلَهُ بِهِمْ مِنْ عِقَابٍ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَلَكِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَإِجْرَامِهِمْ وَهُمْ الَّذِينَ أَسَاءُوا إِلَيْهَا، فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْمَصِيرِ الشَّقِيِّ.

(يَا مَالِكُ) (مَا كُتِبَ)

(٧٧) - وَحِينَمَا يُشْتَدُّ الْعَذَابُ بِالْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ يَضْجُونَ فِي النَّارِ، وَيُنَادُونَ: يَا مَالِكُ (وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ) أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَقْبِضْ أَرْوَاحَنَا لِيُرِيحَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. فَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ مَالِكُ قَائِلًا لَهُمْ: إِنَّهُمْ مَا كُتِبَ فِي النَّارِ أَبَدًا، وَلَا مَجَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى خُرُوجِهِمْ مِنْهَا. لِيَقْبِضَ - لِيَمْتَنَّا حَتَّى نَرْتَاحَ.

(جِئْنَاكُمْ) (كَارِهُونَ)

(٧٨) - وَيُذَكِّرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - أَوْ يُذَكِّرُهُمْ مَالِكُ بِأَمْرِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ - بِسَبَبِ شَقَائِهِمْ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَأَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوا فَأَوْصَلَهُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ.

(٧٩) - لَقَدْ جَاءَهُمُ الْحَقُّ فَأَخَذُوا يَعْمَلُونَ عَلَى رَدِّهِ بِالْبَاطِلِ، وَيَكِيدُونَ وَيَمْكُرُونَ، وَيُذَبِّرُونَ قَتْلَ الرُّسُلِ ﷺ؛ فَأَبْطَلَ اللَّهُ تَعَالَى كَيْدَهُمْ، وَرَدَّهُ إِلَى نُحُورِهِمْ إِذْ أَدْخَلَهُمُ النَّارَ يُعَذِّبُونَ فِيهَا، وَيَقُولُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا. أَمْ أَبْرَمُوا - بَلْ أَحْكَمُوا كَيْدًا لِلنَّبِيِّ.

(نَجَّوَاهُمْ)

(٨٠) - أَيْظَنُّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَنَّنَا لَا نَسْمَعُ مَا يُبَيِّتُونَ فِي سِرِّهِمْ، وَمَا يُجُولُ فِي خَوَاطِرِهِمْ، وَمَا يُذَبِّرُونَ وَمَا يَكِيدُونَ. إِنَّهُمْ مُخْطِئُونَ فِي هَذَا الظَّنِّ فَإِنَّا نَعْلَمُ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُكَلَّفُونَ بِهِمْ يَكْتَبُونَ أَيْضًا أَعْمَالَهُمْ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا.

(الْعَابِدِينَ)

(٨١) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّ اللَّهَ وَلَدًا: إِنْ ثَبَتَ بَبْرَهَانٍ صَحِيحٍ وَحُجَّةٍ تُدْلُونَ بِهَا أَنَّ لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا، لَكُنْتُ أَنَا أَسْبَقُ مِنْكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ، وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ، كَمَا يُعْظَمُ الرَّجُلُ آئِنَ الْمَلِكِ إِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا لِأَبِيهِ.

(٧٦) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ

الظَّالِمِينَ

(٧٧) وَنَادَوْا أَيْمَالِكَ لِيَقْبِضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ

قَالَ إِنَّكُمْ مَكْتُوبُونَ

(٧٨) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ

لِلْحَقِّ كَارِهُونَ

(٧٩) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْ أَكْرَمُوا فَإِنَّا مُبْرَمُونَ

(٨٠) أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ

وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ

يَكْتُبُونَ

(٨١) قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ

الْعَابِدِينَ

(سُبْحَانَ) (السَّمَاوَاتِ)

(٨٢) - يُزَيِّرُهُ اللَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِمَا مِنَ الْخَلْقِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْمُحِيطِ بِذَلِكَ، نَفْسُهُ الْكَرِيمَةُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ كَذِبًا، وَمَا يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَلَدِ

(يُلَاقُوا)

(٨٣) - فَاتَّركَ، أَيُّهَا الرَّسُولُ، هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ، يَخُوضُوا فِي بَاطِلِهِمْ، وَيَلْعَبُوا فِي دُنْيَاهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْهُ، وَحِينَئِذٍ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِهُمْ، وَيُلَاقُونَ جَزَاءَ مَا أَفْتَرَوْهُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْكُذْبِ.
يَخُوضُوا - يَدْخُلُوا مَذَاجِلَ الْبَاطِلِ.

(٨٤) - وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي يَعْبُدُهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَدْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِ الْعِبَادِ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ - مَعْبُودٌ فِي السَّمَاءِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٨٥) - وَتَقَدَّسَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ عَوَالِمٍ وَمَخْلُوقَاتٍ، الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا بِلَا مُدَافَعَةٍ، وَلَا مُمَانَعَةٍ مِنْ أَحَدٍ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، وَعِنْدَهُ الْعِلْمُ بِمَوْعِدِ السَّاعَةِ لَا يَخْصُ بِعِلْمِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْخَلَائِقُ فَيُجَازِي كُلًّا عَلَى عَمَلِهِ.
تَبَارَكَ - تَعَالَى وَتَكَاثَرَ خَيْرُهُ.

(الشَّفَاعَةِ)

(٨٦) - وَالْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا لِتَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَلِتُقَرَّبَهُمْ إِلَيْهِ زُلْفَى، لَا تَسْتَطِيعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْقِيَامَ بِمَثَلِ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ، لَكِنَّ الَّذِي نَطَقَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ (شَهِدَ بِالْحَقِّ)، وَكَانَ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ مِنْ رَبِّهِ (كَالْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى) فَإِنَّ شَفَاعَتَهُمْ تَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ بِإِذْنِهِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا.
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: لَا يَمْلِكُ هَؤُلَاءِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَآمَنَ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ).

(وَلِئِنْ)

(٨٧) - وَلِئِنْ سَأَلْتَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ، الْعَابِدِينَ غَيْرَهُ، مَنْ خَلَقَهُمْ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ جَمِيعًا، لَيَعْتَرِفُنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ،

٨٢ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ

٨٣ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى

يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ

٨٤ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي

الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ

الْعَلِيمُ

٨٥ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ

عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

٨٦ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ

مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ

بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

٨٧ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ

اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ

وَحَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ. وَلَكِنَّهُمْ مَعَ
 اعْتِرَافِهِمْ هَذَا فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، وَلَا يَقْدِرُ
 عَلَى شَيْءٍ، فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ إِلَى طَرِيقِ الضَّلَالَةِ لَوْ لَمْ
 يَكُونُوا فِي غَايَةِ الْجَهْلِ، وَسَفَاهَةِ الرَّأْيِ؟
 فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ - فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ.

(يَا رَبَّ)

(٨٨) - وَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَشْكُو قَوْمَهُ: يَا رَبَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَنْتَظِرُ
 إِيمَانَهُمْ.
 قِيلَ - قَوْلُهُ.

(سَلَامٌ)

(٨٩) - فَأَعْرِضْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُعَانِدِينَ بَعْدَ أَنْ أُبْلِغْتَهُمْ رِسَالَاتِ رَبِّكَ، وَلَا
 تُجِبْهُمْ بِمِثْلِ مَا يُخَاطِبُونَكَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ وَلَكِنْ تَأَلَّفْهُمْ،
 وَأَصْفَحْ عَنْهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ أَنَّ عَاقِبَةَ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ
 هِيَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.
 سَلَامٌ - أَمْرِي تَسَلُّمٌ وَمُتَارَكَةٌ لَكُمْ.

﴿٨٨﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ

لَا يُؤْمِنُونَ

﴿٨٩﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ

(٤٤) سُورَةُ الدَّخَانِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا تَسْبُحُ وَخَشِيعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حَا. مِيم)

(١) - وَتَقْرَأُ مَقْطَعَةً، كُلُّ حَرْفٍ عَلَى حِدَةٍ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(الْكِتَابِ)

(٢) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى، جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، بِكِتَابِهِ الْمَجِيدِ، الْمُبَيِّنِ لِلنَّاسِ مَا يُصْلِحُ حَالَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجَتِهِمْ.

(أَنْزَلْنَاهُ) (مُبَارَكَةً)

(٣) - أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ الْمُبِينِ عَلَى أَنَّهُ بَدَأَ أَنْزَالَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ، هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ - كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى (١) - لِيَعْلَمَ النَّاسُ مَا يَنْفَعُهُمْ فَيَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا يَضُرُّهُمْ لِيَجْتَنِبُوهُ، وَلِتَقُومَ عَلَيْهِمْ حُجَّةُ اللَّهِ.

(٤) - وَفِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ بَدَأَ سُبْحَانَهُ يُبَيِّنُ لِعِبَادِهِ مَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ أُمُورٍ مُحْكَمَةٍ لَا تَغْيِيرَ فِيهَا وَلَا تَبْدِيلَ.

(٥) - وَبَدَأَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِأَنْزَالِ ذَلِكَ التَّشْرِيعِ الْكَامِلِ، الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ الْبَشَرِ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجَتِهِمْ، وَمِنْ شَأْنِهِ تَعَالَى أَنْ يُرْسِلَ الرُّسُلَ بِالْكِتَابِ لِإِبْلَاحِ الْعِبَادِ مَا يُرِيدُ.

(٦) - وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ إِلَى الْعِبَادِ رَحْمَةً مِنْهُمْ بِهَمِّ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ وَمَا يَنْفَعُهُمْ، وَحَتَّى لَا تَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَهُوَ تَعَالَى السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ، الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ.

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥.

١ حَم

٢ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ

٣ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ
إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ

٤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ

٥ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ

٦ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ

(السَّمَاوَاتِ)

(٧) - وَالَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى رُسُلِهِ، هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَخَالِقُهُمَا، وَمَالِكُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ مَعْرِفَةً يَقِينٍ لَا شَكَّ فِيهَا.

(آبَائِكُمْ) (يُحْيِي)

(٨) - وَهُوَ الْإِلَهَ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي مَا يَشَاءُ مِمَّا يَقْبَلُ الْحَيَاةَ، وَيُمِيتُ مَا يَشَاءُ عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَلِهِ، وَهُوَ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَأَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

(٩) - بَلْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي شَكٍّ مِنَ التَّوْحِيدِ وَمِنَ الْبَعْثِ، وَمِنَ الْاعْتِرَافِ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ، وَقَدْ قَابَلُوا دَعْوَةَ الْحَقِّ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ، بِالْهَزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ، فِعَلُ اللَّاعِبِ الْعَابِثِ.

(١٠) - قَالَ آتَيْنُ مُسْعُودٍ: إِنْ قَرِيشًا لَمَّا أَبْطَأَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَاسْتَعْصَمَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، دَعَا اللَّهُ أَنْ يُنْزَلَ بِهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ جُوعٌ، وَجَهْدٌ عَظِيمَانِ، حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ وَالْمَيْتَةَ، وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَلَا يَرَوْنَ إِلَّا الدُّخَانَ، فَأَتَى بَعْضُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضَرٍّ فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ، فَاسْتَسْقَى لَهُمْ فَسَقُوا، فَلَمَّا كَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ الْعَذَابَ عَادُوا إِلَى حَالِهِمُ الْأَوَّلِ.

(١١) - وَحِينَمَا تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ فَإِنَّهُ يُلْفُفُ النَّاسَ، وَيُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَيَقُولُونَ: هَذَا عَذَابٌ شَدِيدٌ الْإِيلَامِ.

(١٢) - وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنْ يُؤْمِنُوا إِذَا كَشَفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، فَقَالُوا رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا آمَنَّا بِكَ.

(١٣) - وَكَيْفَ يَتَذَكَّرُ هَؤُلَاءِ، وَيُؤْفِقُونَ بِمَا وَعَدُوا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مِنَ الْإِيمَانِ إِذَا دَعَا لَهُمْ فَكَشَفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ، بَيْنَ الرِّسَالَةِ، مُؤَيَّدٌ بِالْمُعْجَزَاتِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا لَهُ، وَكَذَّبُوهُ.

(١٤) - ثُمَّ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا: إِنَّهُ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مَخْبُولٌ الْعَقْلِ، يَعْلَمُهُ بَعْضُ الْأَعَاجِمِ مَا يَقُولُ، فَيَدَّعِي بِأَنَّهُ مُنْزَلٌ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى.

٧ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ

٨ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ

رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ

٩ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ

١٠ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ

بِدُخَانٍ مُبِينٍ

١١ يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ

أَلِيمٌ

١٢ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا

مُؤْمِنُونَ

١٣ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ

مُبِينٌ

١٤ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ

(كَاشِفُو) (عَائِدُونَ)

(١٥) - إِنَّا سَنَرْفَعُ عَنْهُمْ الضُّرَّ النَّازِلَ بِهِمْ لِنُبْعِثَ الْوَقْتَ، فَتَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ لِيَنْبِتَ الْأَرْضُ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّهُمْ عَائِدُونَ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

(١٦) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْطِشُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى، وَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ أَوْ يَشْفَعُ لَهُمْ، فَيَنْدُمُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَلَا تَسَاعَةُ مَنْدَمٍ.

(١٧) وَلَقَدْ اخْتَبَرَ اللَّهُ تَعَالَى، قَبْلَ مُشْرِكِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، الْقَبْطَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ رَسُولٌ كَرِيمٌ، فَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَسَجَرُوا مِنْهُ عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا.

(١٨) - فَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: أَدُوا إِلَيَّ يَا عِبَادَ اللَّهِ مَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ، وَاسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَإِنِّي أَمِينٌ فِيمَا أُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّي.

(أَوْ اسْمَحُوا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَخْرُجُوا مَعِيَ).

(أَتِيكُمْ) (بِسُلْطَانٍ)

(١٩) - وَلَا تَسْتَكْبِرُوا عَنْ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِنْقِيَادِ إِلَى حُجَجِهِ، فَإِنِّي أَتِيكُمْ بِمُعْجَزَاتٍ بَاهِرَةٍ، وَادِلَةٍ قَاطِعَةٍ، عَلَى صِدْقِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ. لَا تَعْلُوا - لَا تَتَكَبَّرُوا وَلَا تَغْتَرُوا.

بِسُلْطَانٍ - بِحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ عَلَى صِدْقِ نُبُوتِي.

(٢٠) - وَإِنِّي آتِيكُمْ إِلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ أَنْ تَقْتُلُونِي رَجُماً بِالْحِجَارَةِ.

إِنِّي عُذْتُ - إِنِّي اسْتَجَرْتُ وَالتَّجَأْتُ.

أَنْ تَرْجُمُونِ - أَنْ تَقْتُلُونِي رَجُماً بِالْحِجَارَةِ.

(٢١) - وَإِذَا لَمْ تُصَدِّقُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَخَلُّوا سَبِيلِي وَدَعُوا الْأَمْرَ مُسَالَمَةً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ.

(٢٢) - وَلَمَّا طَالَ مُقَامُ مُوسَى بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا كُفْرًا وَعِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا عَنِ الْحَقِّ، وَرَفَضُوا أَنْ يُرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ دَعَا رَبَّهُ مُسْتَنْصِراً بِهِ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ

﴿١٥﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ

﴿١٦﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ



﴿١٧﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ

﴿١٨﴾ أَنْ أَدُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

﴿١٩﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ

﴿٢٠﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ

﴿٢١﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّ لَكُمْ

﴿٢٢﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ

قَوْمٌ مُشْرِكُونَ بِكَ، مُكَذِّبُونَ رَسُولَكَ، فَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ وَعَذَابَكَ الْمَوْعُودَ.

(٢٣) - وَحِينَئِذٍ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَسِيرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا (يُسْرِي) مِنْ غَيْرِ إِذْنِ فِرْعَوْنَ وَلَا رَأْيِهِ، وَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بِأَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ سَيَتَّبِعُونَ آثَارَهُمْ.

فَأَسِرْ - سِرْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا.

مُتَّبِعُونَ - يَتَّبِعُكُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنْدُهُ.

(٢٤) - بَعْدَ أَنْ وَصَلَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الْبَحْرِ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بِأَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَحْرَ، فَانْفَلَقَ، ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ يُجَاوِزَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ مِنْ خِلَالِ الْفُرْقِ الَّذِي حَدَثَ فِي الْمَاءِ مِنْ أَثَرِ ضَرْبَةِ مُوسَى، وَبَعْدَ أَنْ جَاوَزَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، أَرَادَ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ لِيُعِيدَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ لِكَيْلَا يَتَّبِعَهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنْدُهُ مِنَ الْفُرُوقِ الْحَادِثَةِ فِي الْمَاءِ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بِتَرْكِ الْبَحْرِ كَمَا هُوَ حِينَ مَرَّ بِهِ سَاكِئًا يَابَسًا (رَهَوًّا)، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ بَأَنَّهُ سَيَغْرُقُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِيهِ، وَبَشَّرَ مُوسَى بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ).

أَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًّا - هَادِئًا سَاكِئًا أَوْ مُنْفَرَجًا مُفْتُوحًا.

جُنْدٌ - جَمَاعَةٌ.

(جَنَاتٍ)

(٢٥) - كَمْ تَرَكَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ قَبْلَ مَهْلِكِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَسَاتِينَ نَضْرَةٍ، وَحَدَائِقِ غَنَاءٍ، وَعُيُونِ مَاءٍ جَارِيَةٍ وَأَنْهَارٍ.

(٢٦) - وَكَمْ تَرَكَوا مِنْ زُرُوعٍ نَاضِرَةٍ، وَمَسَاكِينِ طَيِّبَةٍ.

(فَاكِهِينَ)

(٢٧) - وَعَيْشٍ رَغِيدٍ كَانُوا يَتَفَكَّهُونَ فِيهِ فَيَأْكُلُونَ مَا شَاءُوا، وَيَلْبَسُونَ مَا أَحَبُّوا.

نَعْمَةٌ - نَعْمٌ وَنَضَارَةٌ عَيْشٍ.

فَاكِهِينَ - نَاعِمِينَ مُتَفَكِّهِينَ.

﴿٢٣﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ

﴿٢٤﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ

﴿٢٥﴾ كَمْ تَرَكَوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ

﴿٢٦﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ

﴿٢٧﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ

(وَأَوْرَثْنَاهَا) (آخِرِينَ)

(٢٨) - فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَكَذَا يَقْعَلُ اللَّهُ بِالَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ، وَيُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُبِيدُهُمْ وَيُورِثُ أَرْضَهُمْ قَوْمًا آخَرِينَ لِيُسُوا مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ قَرَابَةً وَلَا دِينًا.

(٢٩) - وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الطُّغَاةُ الْعَتَاةُ هَيِّئِينَ عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ يُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَا عَمَلٌ خَيْرٌ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ. يُذَكِّرُ لَهُمْ، فَلَمْ تَبِكْ لَفَقْدِهِمِ الْأَرْضُ وَلَا السَّمَاءُ، وَلَمْ يُمَهِّلُوا لِتَوْبَةٍ، وَإِنَّمَا عَجَّلَ اللَّهُ لَهُمُ الْعَذَابَ دُونَ إِبْطَاءٍ. وَسَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ تَبْكِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ عَلَى أَحَدٍ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مُصَلَّى فِي الْأَرْضِ، وَمَضَعْدٌ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنْ آلَ فِرْعَوْنُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا عَمَلٌ يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ آيَةَ الْكَرِيمَةِ.

(إِسْرَائِيلَ)

(٣٠) - يَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَنْقَذَهُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ وَمِنْ عَذَابِهِ الْمُهِينِ الَّذِي أَخْضَعَهُمْ لَهُ، إِذْ كَانَ يَسْتَحْدِمُهُمْ فِي أَشَقِّ الْأَعْمَالِ وَأَخْسَهَا، وَكَانَ يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، زِيَادَةً فِي النَّكَالِ وَالْإِذْلَالِ.

(٣١) - وَكَانَ فِرْعَوْنُ جَبَّارًا عَنِيدًا مُسْتَكْبِرًا عَلَى قَوْمِهِ، مُسْرِفًا فِي الشَّرِّ وَالطُّغْيَانِ.

عَالِيًا - مُتَكَبِّرًا جَبَّارًا.

(اخْتَرْنَا لَهُمُ) (الْعَالَمِينَ)

(٣٢) - وَلَقَدْ أَصْطَفَى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ، بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُتُبِ، وَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ أَصْطَفَاهُمُ اللَّهُ وَهُوَ عَالَمٌ بِأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ حَمَلَةَ الْإِيمَانِ فِي زَمَانِهِمْ.

عَلَى الْعَالَمِينَ - عَلَى الْعَالَمِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ.

(آتَيْنَاهُمْ) (الْآيَاتِ) (بَلَاءً)

(٣٣) - وَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدِ مُوسَى مِنَ الْكَرَامَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى كَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَنْجَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ فِي صَحْرَاءِ سِينَاءِ الشَّدِيدَةِ الْحَرِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى لِيَأْكُلُوا مِنْهُمَا، وَفَجَّرَ لَهُمُ الْمَاءَ مِنَ الْحَجَرِ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ.

بَلَاءٌ مُبِينٌ - اخْتِبَارٌ ظَاهِرٌ.

(٢٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ

(٢٩) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ

(٣٠) وَلَقَدْ جَعَلْنَا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ
الْعَذَابِ الْمُهِينِ

(٣١) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ
الْمُسْرِفِينَ

(٣٢) وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ

(٣٣) وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ
بَلَاءٌ مُّبِينٌ

(٣٤) - إِنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ يَقُولُونَ:

(٣٥) - لَيْسَ ثَمَّ إِلَّا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا بَعَثَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَا حَشْرٌ وَلَا حِسَابٌ.

بِمُشْرِكِينَ - بِمَبْعُوثِينَ بَعْدَ مَوْتِنَا.

(بَابَانَا) (صَادِقِينَ)

(٣٦) - فَإِذَا كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُونَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَبْعَثُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحْسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فَعَجَّلُوا لَنَا بِأَحْيَاءِ آبَائِنَا الْمَاضِينَ لِنَعْلَمَ صِدْقَكُمْ فِيمَا تَقُولُونَ.

(أَهْلَكْنَاهُمْ)

(٣٧) - وَلَقَدْ كَانَ قَوْمٌ تَبِعَ أَكْثَرَ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ قُوَّةً، وَأَكْثَرَ غِنًى، وَأَعَزَّ نَفَرًا، وَكَانَ قَبْلَ قَوْمِ تَبِعَ أَقْوَامٌ أُخْرَى ذُووُ غِنًى وَقُوَّةٍ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا، وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ لَمَّا عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْمُجْرِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ، أَنْ يُهْلِكَهُمْ اللَّهُ، وَلَا يُبْقِي لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَاقِيَةٍ، فَلْيَعْتَبِرْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بِمَا حَلَّ بِغَيْرِهِمْ.

قَوْمٌ تَبِعَ - مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ مِنْ حَمِيرٍ.

(السَّمَاوَاتِ) (لَا عَيْنِ)

(٣٨) - يُنَزِّهُهُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَنِ اللَّعِبِ وَالْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ، فَيَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَبَثًا وَدُونَ حِكْمَةٍ، كَأَن يُوْجِدُهُمْ ثُمَّ يُفْنِيهِمْ دُونَ أَمْتِحَانٍ وَآبِتِلَاءٍ، وَدُونَ مُجَازَاةٍ عَلَى الْعَمَلِ، إِنَّ خَيْرًا فَخِيرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

(خَلَقْنَاهُمَا)

(٣٩) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ إِلَّا لِحِكْمَةٍ مَقْصُودَةٍ، وَذَلِكَ لِيَذِلَّ النَّاسَ بِخَلْقِهِمْ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَوَاحِدَانِيَّتِهِ، وَوُجُوبِ الْإِطَاعَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ، وَلِذَلِكَ فَاتَّهَمُوا لَا يَخَافُونَ مِنْ سُخْطِهِ عَلَيْهِمْ لَمَّا يَجْتَرِحُونَهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَهُمْ لَا يَرْجُونَ ثَوَابَهُ عَلَى مَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ خَيْرٍ.

٣٤ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ

٣٥ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ

٣٦ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

٣٧ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ

٣٨ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ

٣٩ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(مِيقَاتُهُمْ)

(٤٠) - إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُفْصِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، فَيُحَقِّقُ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ، هُوَ آتٍ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ مَوْعِدُ حِسَابِهِمْ وَجَزَائِهِمْ عَلَى مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ شَرٍّ.

يَوْمَ الْفَصْلِ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْحِسَابِ.

(٤١) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْقَطِعُ الْأَسْبَابُ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَا يَسْأَلُ فِيهِ قَرِيبٌ عَنْ قَرِيبٍ، وَلَا يَنْفَعُ النَّاسَ إِلَّا عَمَلُهُمْ، وَلَا يَذْفَعُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا يَنْصُرُ الْقَرِيبُ قَرِيبَهُ، وَلَا يَنْصُرُهُ أَحَدٌ مِنْ بَاسِ اللَّهِ.

لَا يُعْنِي مَوْلَى - لَا يَذْفَعُ صَدِيقٌ أَوْ قَرِيبٌ.

(٤٢) - وَلَا يَنْفَعُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ، فَمَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى قَرِيبٍ يَذْفَعُ عَنْهُ، وَلَا إِلَى نَاصِرٍ يَنْصُرُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَزِيزُ فِي اتِّبَاعِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، الرَّحِيمُ بِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ.

(شَجَرَةٌ)

(٤٣) - الزُّقُومُ ثَمَرُ شَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ النَّارِ وَثَمَرُهَا كَرِيرَةٌ، وَلَكِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَا يَجِدُونَ مَا يَأْكُلُونَ غَيْرَهُ لَذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَضْطَرُّونَ إِلَى أَكْلِهِ وَهُمْ كَارِهُونَ.

شَجَرَةُ الزُّقُومِ - شَجَرٌ نَبْتُ فِي النَّارِ.

(٤٤) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ مَصِيرَ الْكَافِرِ الْكَثِيرِ الذُّنُوبِ وَالْأَثَامِ (الْأَثَامِ) يَكُونُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَإِنْ طَعَامُهُ سَيَكُونُ مِنْ شَجَرَةِ الزُّقُومِ.

(٤٥) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ ثَمَرَ الزُّقُومِ يَكُونُ كَعَكْرِ الزَّيْتِ الْأَسْوَدِ، وَهُوَ يَغْلِي فِي بُطُونِ أَكْلِيهِ بِفعلِ حَرَارَةِ الْحَجِيمِ.

المُهْل - دَرْدِي الزَّيْتِ - عَكْرُهُ - دَوْبُ الْمَعَادِنِ.

(٤٦) - كَمَا يَغْلِي الْمَاءُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ الَّذِي بَلَغَ النَّهَاةَ فِي الْعَلْيَانِ.

الحِيمِ - الْمَاءُ الَّذِي بَلَغَ النَّهَاةَ فِي الْحَرَارَةِ.

(٤٧) - وَيُقَالُ لِلزُّبَانِيَةِ مِنْ حَرَسِ جَهَنَّمَ: خُذُوا هَذَا الْمُجْرِمَ الْأَثِيمَ فَادْفَعُوهُ دَفْعًا بِغُلْظَةٍ وَعَنْفٍ إِلَى وَسْطِ نَارِ جَهَنَّمَ لِيَسَالَ جَزَاءَهُ عَلَى كُفْرِهِ وَأَثَامِهِ.

٤٠ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ

أَجْمَعِينَ

٤١ يَوْمَ لَا يُعْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا

وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ

٤٢ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

٤٣ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ

٤٤ طَعَامُ الْأَثِيمِ

٤٥ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ

٤٦ كَغَلِي الْحَمِيمِ

٤٧ خُذُوهُ فَاغْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ

الْجَحِيمِ

اعْتَلَوْهُ - اَدْفَعُوهُ أَوْ جُرُّوهُ بَغْلَظَةٍ وَعُثْفٍ .

سَوَاءِ الْجَحِيمِ - وَسَطُهَا .

(٤٨) - وَيُقَالُ لِحَرَسٍ جَهَنَّمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: بَعْدَ أَنْ تُدْخِلُوهُ وَسَطَ الْجَحِيمِ ، صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنَ الْمَاءِ الشَّدِيدِ الْحَرَارَةَ زِيَادَةً فِي الْعَذَابِ .

الْحَمِيمِ - الْمَاءِ الَّذِي بَلَغَ النَّهْيَةَ فِي الْحَرَارَةِ .

(٤٩) - وَبَعْدَ إِدْخَالِهِ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ، وَصَبَّ الْحَمِيمِ فَوْقَ رَأْسِهِ ، يُقَالُ لَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِ: دُقْ هَذَا الْعَذَابُ الْمُذِلُّ الْمُهِينَ الْيَوْمَ ، فَإِنَّكَ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا تَزْعُمُ أَنَّكَ الْعَزِيزُ فِي قَوْمِكَ ، الْكَرِيمُ فِي حَسَبِكَ .

(٥٠) - وَهَذَا الْعَذَابُ الْمُذِلُّ الْمُهِينُ ، الَّذِي تَذَوُّقُونَ طَعْمَهُ الْيَوْمَ ، هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ فِيهِ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ سَيَلْقَوْنَ شَيْئًا مِنْهُ ، فَهَا أَنْتُمْ قَدْ لَقِيتُمُوهُ الْيَوْمَ فَذُقُوهُ .

بِهِ تَمْتَرُونَ - تُجَادِلُونَ فِيهِ وَتُمَارُونَ .

(٥١) - وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ وَحَالَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَا يُلَاقُونَهُ مِنْ أَهْوَالٍ وَعَذَابٍ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بَيَانِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْهَوْلِ ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا سَيَكُونُونَ فِي مَكَانٍ يُقِيمُونَ فِيهِ ، وَيَأْمُنُونَ فِيهِ الْمَوْتَ وَالْهَمَّ وَالْحُزْنَ وَالْعَذَابَ .

(جَنَّاتٍ)

(٥٢) - وَسَيَكُونُونَ فِي حَدَائِقَ وَارِفَةٍ الظَّلَالِ ، كَثِيرَةِ الْفَوَاكِهِ ، كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ ، وَالْأَنْهَارِ تَسْرَحُ فِي أَرْجَائِهَا ، وَسَيَكُونُ لَهُمْ حَقُّ التَّمَتُّعِ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ بِدُونِ حِسَابٍ وَلَا تَحْدِيدٍ .

(مُتَقَابِلِينَ)

(٥٣) - وَيَلْبَسُونَ ، وَهُمْ فِي هَذَا النَّعِيمِ ، ثِيَابًا مِنَ الْحَرِيرِ الرَّفِيعِ (سُنْدُسٍ) ، وَثِيَابًا مِنْ قَمَاشٍ مَزِينٍ بِأَشْيَاءَ ذَاتِ بَرَقٍ وَلَمَعَانٍ (إِسْتَبْرَقٍ) ، وَيَجْلِسُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى سُرُرٍ وَهُمْ مُتَقَابِلُونَ شَأْنَ الْمُتَحَابِّينَ الَّذِينَ يُقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْحَدِيثِ ، وَذَلِكَ زِيَادَةً فِي الْإِنْسَانِ .

السُّنْدُسُ - رَفِيقُ الدِّيْبَاجِ .

الْإِسْتَبْرَقُ - الثِّيَابُ ذَاتُ اللَّمَعَانِ وَالْبَرَقِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ غَلِيظُ الدِّيْبَاجِ .

٤٨ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ

عَذَابِ الْحَمِيمِ

٤٩ دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْكَرِيمُ

٥٠ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ

٥١ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ

٥٢ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

٥٣ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ

وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ

(رَوْحَانَهُمْ)

(٥٤) - وَفَوْقَ هَذَا الْعَطَاءِ الْكَرِيمِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَحَهُمْ زَوْجَاتٍ حَسَنَاتٍ وَأَسْعَاتِ الْعُيُونِ (عَيْنٍ).

زَوْجَانَهُمْ - قَرْنَاهُمْ.

(فَاكِهَةٍ) (آمِنِينَ)

(٥٥) - وَيَطْلُبُونَ مَا يَشْتَهُونَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ وَهُمْ آمِنُونَ مِنْ أَنْ تَنْقَطِعَ عَنْهُمْ، وَمِنْ أَنْ يُصِيبَهُمْ مِنْهَا أَدَى.

يَدْعُونَ - يَطْلُبُونَ وَيَتَمَنُّونَ.

(وَوَفَاهُمْ)

(٥٦) - وَلَا يَخْشَوْنَ فِي الْجَنَّةِ مُوتًا أَبَدًا، بَعْدَ أَنْ ذَاقُوا، طَعْمَ الْمَوْتَةِ الْأُولَى حِينَ أَنْقِضَاءِ أَجَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَقَدْ وَفَاهُمُ اللَّهُ وَنَجَاهُمُ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ الْأَلِيمِ.

(٥٧) - وَقَدْ أَنْجَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفِ الْمَوْتِ تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَاناً مِنْهُ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا الَّذِي قَارَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْكِرَامِ الْبَرَّةُ، مِنْ عَطَاءِ رَبِّهِمْ، وَفَضْلِهِ، وَكَرَمِهِ، هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

(يَسْرَنَاهُ)

(٥٨) - وَقَدْ جَعَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ سَهْلاً وَاضِحاً جَلِيّاً، وَأَنْزَلْنَاهُ بِلِسَانِكَ وَلِسَانِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَفْهَمُونَ مَعَانِيَهُ، وَيُدْرِكُونَ مَرَامِيَهُ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَدْعُوا لِلْحَقِّ.

(٥٩) - فَانْتَظِرْ مَا يَجِلُّ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ مَا يَجِلُّ بِكَ، وَسَيَعْلَمُونَ لِمَنْ يَكُونُ النَّصْرُ وَالْغَلْبَةُ وَالظَّفَرُ، وَعَلَوُ الْكَلِمَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَارْتَقِبْ - فَانْتَظِرْ مَا يَجِلُّ بِهِمْ.

إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ - إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ مَا يَجِلُّ بِكَ.

٥٤ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ

عَيْنٍ

٥٥ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ

ءَامِنِينَ

٥٦ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ

إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ

عَذَابَ الْجَحِيمِ

٥٧ فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ

٥٨ فَاِنَّمَا ابْتَرَنَاهُ لِبَلْسَانِكَ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ

٥٩ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ

(٤٥) سُورَةُ الْحَاشِيَةِ مَكِينًا
وَأَيُّهَا سَبِيحٌ وَتِلَاوَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حَا . مِيم)

(١) - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ .

(الْكِتَابِ)

(٢) - إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

(السَّمَاوَاتِ) (الْآيَاتِ)

(٣) - وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ أَشْيَاءَ بَاهِرَةٍ ، وَنِظَامٍ بَدِيعٍ دَقِيقٍ ، وَأَوْجَبَ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يَتَمَعَّنُوا فِي هَذَا الْخَلْقِ الْعَظِيمِ الْبَدِيعِ ، لِيَسْتَدِلُّوا بِهِ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَعَظَمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَعَلَى أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ لَمْ يُخْلَقْ عَبَثًا ، وَإِنَّمَا خُلِقَ بِالْحَقِّ ، لِحِكْمَةٍ يَعْرِفُهَا وَيُقَدِّرُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ . وَالْمُؤْمِنُونَ هُمْ وَحْدَهُمُ الَّذِينَ يُفَكِّرُونَ فِي هَذَا الْخَلْقِ ، وَيَتَوَصَّلُونَ بِفِكْرِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِخَالِقِهِ .

(آيَاتِ)

(٤) - وَإِنَّ فِي خَلْقِ اللَّهِ النَّاسِ عَلَى أَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَفِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَتَقْوِيمٍ ، وَفِي خَلْقِ الْحَيَوَانَاتِ وَالِدَّوَابِّ . . . لِأَدِلَّةٍ وَبَرَاهِينٍ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فِي هَذَا الْخَلْقِ قِيُومُونَ بِوُجُودِ خَالِقِهِ إِيمَانًا يَقِينًا .

يُبَيِّنُ - يَنْشُرُ وَيُفَرِّقُ .

حَم

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ

إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ
لِلْمُؤْمِنِينَ

وَفِي خَلْقِهِمْ وَمَا يَبْتَغُونَ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

(اِخْتِلَافُ) (اللَّيْلِ) (الرِّيَّاحِ) (آيَاتُ)

(٥) - وَإِنَّ فِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى الْخَلْقِ، وَتَقَارُصِهِمَا الطُّولَ وَالْقَصْرَ، وَفِيمَا أُنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَطَرٍ مِنَ السَّمَاءِ تَحِيًّا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَيُخْرِجُ بِهِ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُجْدِبَةً يَابِسَةً، وَفِي تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَتَوَجُّهِهَا إِلَى الْجِهَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ... إِنَّ فِي ذَلِكَ كُفْلًا لَدَلَّةً وَحُجَجًا لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، بِأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْهُمْ عَبَثًا وَبَاطِلًا، وَإِنَّمَا خَلَقَهُمْ لِيَعْبُدُوهُ.

تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ - تَقْلِيلِهَا فِي مَهَاتَهَا وَأَحْوَالِهَا.

(آيَاتُ) (وَأَيَّاتُ)

(٦) - هَذِهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ، بِمَا فِيهَا مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ، تَتْلُوهَا عَلَيْكَ وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ الْحَقَّ، إِذَا كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا، وَلَا يَنْقَادُونَ إِلَيْهَا، فَيَأْتِي حَدِيثٌ، وَبَيَّاتُ آيَةٍ وَحُجَّةٌ يَوْمُنَ هَؤُلَاءِ وَيُصَدِّقُونَ، بَعْدَ حَدِيثِ اللَّهِ، وَبَعْدَ حُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ وَآيَاتِهِ؟

(٧) - فَالْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ لِكُلِّ كَذَّابٍ فِي قَوْلِهِ، أُنِيمَ فِي فِعْلِهِ وَقَلْبِهِ، كَافِرٍ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَيْلٌ - هَلَاكٌ وَحَسْرَةٌ وَشِدَّةٌ عَذَابٍ.

أَفَّاكٌ أُنِيمَ - كَذَّابٌ كَثِيرُ الْإِثْمِ.

(آيَاتُ)

(٨) - يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَقْرَأُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ عَلَى كُفْرِهِ، وَجُحُودِهِ، عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا، كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا. فَأَخْبِرْهُ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ، بِأَنَّهُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا مُوجِعًا أَلِيمًا.

(آيَاتُنَا) (أُولَئِكَ)

(٩) - وَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا الْجَاوِدِ الْعَنِيدِ الْمُسْتَكْبِرِ، خَبَرُ شَيْءٍ مِنْ آيَاتِنَا، جَعَلَهَا هُزُوعًا وَسُخْرِيَةً. وَهَؤُلَاءِ الْأَفَّاكُونَ الْإِيمُونُ الْمُتَصِفُونَ بِالصِّفَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ لَهُمْ عَذَابٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مُذِلٌّ مُهِينٌ، جَزَاءٌ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِالْقُرْآنِ، وَاسْتِكْبَارِهِمْ فِي الْأَرْضِ.

(هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ، فَجِئِنِ أُنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلُهُ الْكَرِيمُ ﴿إِنَّ

٥ وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أُنْزَلَ اللَّهُ

مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رَزْقٍ فَأَحْيَاهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ
الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

٦ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ
يُؤْمِنُونَ

٧ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ

٨ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ

مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

٩ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا

هُزُوعًا وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ

شَجَرَةَ الرُّقُومِ طَعَامَ الْإِنِّيمِ ﴿١﴾ دَعَا أَبُو جَهْلٍ بِتَمْرٍ وَزَبْدٍ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَرْقُمُوا مِنْ هَذَا، مَا يَعِدُكُمْ مُحَمَّدٌ إِلَّا شَهْدًا. وَحِينَ سَمِعَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ﴿٢﴾ أُنِيَ عَلَى النَّارِ، قَالَ: (إِنْ كَانُوا تِسْعَةَ عَشَرَ فَأَنَا الْقَاهِمُ وَحْدِي).

(وَرَائِهِمْ)

(١٠) - وَسَيَصِيرُونَ فِي الْآخِرَةِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي تَنْتَظِرُهُمْ، وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَوْلَادُهُمْ وَلَا أَمْوَالُهُمْ الَّتِي كَسَبُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَنْ تُفِيدَهُمُ الْآلِهَةُ الَّتِي عَبَدُوهَا، مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا، وَسَيُعَذَّبُونَ عَذَابًا أَلِيمًا لَا يَقْدُرُ قَدْرُهُ.

لَا يُغْنِي عَنْهُمْ - لَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ.

(بَيِّنَاتٍ)

(١١) - هَذَا الْقُرْآنُ، الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، هُوَ هُدًى يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَإِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ، لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ الْمَوْجِعُ.

رَجَزٍ - أَشَدُّ الْعَذَابِ.

(١٢) - يَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ لِنَسِيرٍ فِيهِ السُّفُنَ وَالْمَرَائِكِبَ بِأَمْرِهِ تَعَالَى، تَحْمِلُهُمْ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ هُمْ وَبِضَائِعِهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ. لِيَتَجَرَّوْا بِهَا، وَيُؤْمِنُوا بِرِزْقِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ، وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَاتِ، وَلِيَسْتَخْرِجُوا مِنَ الْبَحْرِ اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ وَالْأَسْمَاكَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى عِبَادِهِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْوَفِيرَةِ، فَيَعْبُدُوهُ وَيُطِيعُوا أَمْرَهُ.

(السَّمَاوَاتِ) (لَايَاتٍ)

(١٣) - وَسَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ نُجُومٍ وَكَوَاكِبَ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَحَارٍ وَأَنْهَارٍ وَدَوَابٍّ وَأَشْجَارٍ، وَنَبَاتَاتٍ، وَرِيَّاحٍ، وَأَمْطَارٍ. لِيَتَقَوَّمَ بِهِ مَعَاشُهُمْ وَمَصَالِحُهُمْ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ آيَاتٌ تَدُلُّ أَصْحَابَ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ عَلَى أَنَّ الْخَالِقَ الرَّازِقَ، الْمُسَخِّرَ لِكُلِّ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

(١) سورة الدخان الآيات ٤٣ - ٤٤.

(٢) سورة المدثر الآية ٣٠.

﴿١٠﴾ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ

مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

﴿١١﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ

رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجَزٍ أَلِيمٌ



﴿١٢﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ

الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ

وَلِيَلْبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(آمَنُوا)

(١٤) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ - وَكَانَ ذَلِكَ فِي بَدْءِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ - بِأَنْ يَصْبِرُوا عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ وَنِقْمَهُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ تَأْلُفًا لِقُلُوبِهِمْ، فَإِذَا صَفَحُوا عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ السَّيِّئَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ لَمَّا اسْتَمَرَّ هَؤُلَاءِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَإِذَائِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى الْجِهَادَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَدَفَعَ الْأَذَى عَنْ دِينِهِمْ وَعَنْ أَنْفُسِهِمْ.

(وَرَوَى أَبُو عَبَّاسٍ أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ أَنَّ يَهُودِيًّا أَسَمَهُ فَنَحَاصْرَ سَمِعَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرُضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(١). فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَحْتَاجُ رَبِّ مُحَمَّدٍ؟ فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَلِكَ اسْتَلَّ سَيْفَهُ، وَخَرَجَ فِي طَلَبِ الْيَهُودِيِّ، فَجَاءَ جَبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ يَطْلُبُ عُمَرَ، فَلَمَّا جَاءَهُ أَمَرَهُ بِوَضْعِ سَيْفِهِ).

لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ - لَا يَتَوَقَّعُونَ وَقَائِعَهُ بِأَعْدَائِهِ.

(صَالِحًا)

(١٥) - مَنْ عَمِلَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عَمَلًا صَالِحًا يُرْضِي اللَّهَ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ عَمِلَ لِنَفْسِهِ، لِأَنَّ عَلَيْهَا وَحْدَهَا تَعُودُ عَاقِبَةُ عَمَلِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ عَمَلِ الْعِبَادِ. وَمَنْ أَسَاءَ الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا، وَعَصَى رَبَّهُ، وَاسْتَرْسَلَ فِي كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، فَإِنَّ مَضْرَّةَ ذَلِكَ تَعُودُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَصِيرُ الْخَلْقُ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحَاسِبُ كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

(آتَيْنَا) (إِسْرَائِيلَ) (الْكِتَابَ) (وَرَزَقْنَاهُمْ) (الطَّيِّبَاتِ)
(فَضْلَنَاهُمْ) (الْعَالَمِينَ)

(١٦) - يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَنْزَالِ الْكِتَابِ عَلَيْهِمْ، وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، وَمِنْ جَعْلِهِ الْمُلْكَ فِيهِمْ، وَمِنْ رِزْقِهِ إِيَّاهُمْ طَيِّبَاتِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ، وَمِنْ تَفْضِيلِهِمْ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَمَا كَانَ فِيهِمْ.

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ

لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ
قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ^ط

وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
تُرْجَعُونَ

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ

وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

عَلَى الْعَالَمِينَ

(وَأَيَّانَهُمْ) (بَيِّنَاتٍ) (الْقِيَامَةِ)

(١٧) - وَقَدْ آتَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَحْكَامًا وَمَوَاعِظَ مُؤَيَّدَةً بِالْمُعْجَزَاتِ، وَهَذَا يَسْتَدْعِي الْقَتْنَهُمْ وَاجْتِمَاعَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ اخْتَلَفُوا. وَكَانَ سَبَبُ اخْتِلَافِهِمُ الْحَسَدُ، وَالْإِعْتِدَاءُ، وَالتَّنَافُسُ عَلَى الرَّئَاسَةِ. وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدٌ يَقْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ الدُّنْيَا.

(وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يَخْتَلِفُوا كَمَا اخْتَلَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ).

بَغْيًا بَيْنَهُمْ - حَسَدًا وَعَدَاوَةً.

(جَعَلْنَاكَ)

(١٨) - لَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ، بَعْدَ اخْتِلَافِ أَهْلِ الْكِتَابِ، عَلَى مِثْلِ مَنْهَاجٍ وَاضِحٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ شَرَعَهُ لَكَ، وَلَمَنْ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، فَاتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ، وَلَا تَتَّبِعْ مَا دَعَاكَ الْمُشْرِكُونَ الْجَاهِلُونَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ آلِهَتِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ لَا يَعْلَمُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ.

شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ - طَرِيقَةٍ وَمِثْلِ مَنْهَاجٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ.

(الظَّالِمِينَ)

(١٩) - وَهَؤُلَاءِ الْجَاهِلُونَ لَا يَذْفَعُونَ عَنْكَ شَيْئًا مِمَّا أَرَادَهُ اللَّهُ بِكَ إِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ، وَتَرَكْتَ شَرَعَ رَبِّكَ. وَالْكَافِرُونَ يَتَوَلَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الدُّنْيَا، وَيُظَاهِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا. أَمَّا الْمُتَّقُونَ الْمُتَهَدِّدُونَ فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّهُمْ يَنْصُرُهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

لَنْ يُغْنُوا - لَنْ يَذْفَعُوا عَنْكَ.

(بَصَائِرُ)

(٢٠) - إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُدًى وَدَلِيلٌ لِلنَّاسِ فِيمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، وَهُوَ بَيِّنَاتٌ تُبَصِّرُهُمْ، وَتُعَرِّفُهُمْ بِوَاجِبَاتِهِمْ نَحْوَ رَبِّهِمْ، وَهُوَ هُدًى يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَصَلَاحُ أَمْرِهِمْ، وَفِيهِ الرَّحْمَةُ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ بِأَنَّهُ مُنْزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بَصَائِرُ لِلنَّاسِ - بَيِّنَاتٌ تُبَصِّرُهُمْ سَبِيلَ الْفَلَاحِ.

وَأَيَّانَهُمْ يَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ
فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ
الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

هَذَا ابْصِرْ لِلنَّاسِ وَهْدًى
وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (مَحْيَاهُمْ)

(٢١) - أَيُظَنُّ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ، وَاکْتَسَبُوا الْأَثَامَ وَالْمَعَاصِيَ فِي الدُّنْيَا، فَكَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَخَالَفُوا أَوْامِرَهُ . . أَنْ يُسَاوِيَهُمُ اللَّهُ بِالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِي الدُّنْيَا؟ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُسَاوِي بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ فِي الْآخِرَةِ. وَجَعَلَ اللَّهُ الْكَفْرَةَ الْفَجْرَةَ فِي ذُلِّ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا، وَفِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ الْخَالِدِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ. فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَسَاءَ مَا ظَنَّهُ، وَمَا قَدَّرَهُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ، تَعَالَى اللَّهُ مِنْ أَنْ يُسَاوِيَهُمُ بِالْمُؤْمِنِينَ الْأَطْهَارِ.

اجتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ - اِكْتَسَبُوا الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ .

(السَّمَاوَاتِ)

(٢٢) - لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمَا لِلْعِبَثِ وَاللَّهُوِ، وَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ لَا يُسَوَّى فِي الْمُعَامَلَةِ بَيْنَ الْكَفْرَةِ الْمُجْرِمِينَ، وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِأَعْمَالِهَا، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا شَيْئًا، فَلَا يَحْمِلُ عَلَى نَفْسٍ مَا لَمْ تَعْمَلْهُ مِنْ سُوءٍ، وَلَا يُقْصِصُهَا أَجْرَ عَمَلٍ عَمِلَتْهُ.

(أَفَرَأَيْتَ) (هَوَاهُ) (غَشَاوَةٌ)

(٢٣) - أَفَلَا تَرَى إِلَى حَالِ هَذَا الَّذِي اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَاتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، فَلَا يَهْوِي شَيْئًا إِلَّا فَعَلَهُ، لَا يَخَافُ رَبًّا، وَلَا يَخْشَى عِقَابًا، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ فَلَمْ يَجْعَلْهُ يَسْلُكْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَهْتَدِي وَلَوْ جَاءَتْهُ كُلُّ آيَةٍ.

وَحَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَمْعِهِ فَأَصْبَحَ لَا يَتَأَثَّرُ بِمَا يُتْلَى عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَحَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَمْ يُعْذِ بِعِي مَا هُوَ الْحَقُّ، وَمَا هُوَ الصَّوَابُ، وَجَعَلَ اللَّهُ عَلَى بَصَرِهِ غَشَاوَةً فَلَمْ يُعْذِ بِبَصَرِ حُجَجِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَلَمْ يُعْذِ بِتَنْفَعِ بِهَا. فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوَفِّقَ مِثْلَ هَذَا الضَّالِّ، الْخَاضِعِ لِهَوَاهُ، إِلَى الْهُدَى، وَإِصَابَةِ الْحَقِّ إِنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ وَتُذَرِّكُونَ؟

أَفَرَأَيْتَ - أَخْبِرْنِي .

غَشَاوَةٌ - غَطَاءٌ حَتَّى لَا يُبْصَرَ.

(٢١) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا

السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ

(٢٢) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(٢٣) أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ

وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَاوَةً
فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ

(٢٤) - وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ مُنْكَرِينَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ فِي الْآخِرَةِ: لَا حَيَاةَ أُخْرَى بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَنَحْنُ نَعِيشُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ثُمَّ نَمُوتُ، وَبِحَيَاةِ أَبْنَائِنَا مِنْ بَعْدِنَا، وَلَا مَعَادَ، وَلَا يُغْنِي الْعِبَادَ غَيْرُ كَرِّ اللَّيَالِي، وَمَرُّ الْأَيَّامِ (الدَّهْرِ). وَلَيْسَ لَهُؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ هَذَا الْقَوْلَ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِمْ أَنْ لَا حَيَاةَ أُخْرَى، وَلَا يُهْلِكُ الْعِبَادَ إِلَّا كَرُّ الْأَيَّامِ، وَمَرُّ الدَّهْرِ، وَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ وَالتَّوَهُّمِ. وَالظَّنُّ لَا يُغْنِي عَنِ الْحَقِّ شَيْئاً.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: يَقُولُ تَعَالَى يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، يَبْدِي الْأَمْرَ أَقْلَبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ).
(وَفِي رَوَايَةٍ: لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الدَّهْرُ). (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

(آيَاتُنَا) (بَيِّنَاتٍ) (بِآيَاتِنَا) (صَادِقِينَ)

(٢٥) - وَإِذَا قُرِئَتْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيُعِيدُ خَلْقَ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ الْأَبْدَانِ بَعْدَ فَنَائِهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يَجِدُونَ حُجَّةً يَدَّخُسُونَ بِهَا ذَلِكَ إِلَّا قَوْلَهُمْ: إِذَا كَانَ مَا تَقُولُونَهُ حَقًّا، فَابْعَثُوا لَنَا آبَاءَنَا الْأَوَّلِينَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَأُعِيدُوهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ حَتَّى نَصْدَقَ مَا تَقُولُونَ.

(الْقِيَامَةِ)

(٢٦) - فَقُلْ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الْمُنْكَرِينَ لَوْقُوعِ الْبَعْثِ وَالْمَعَادِ، وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، عَلَى الْأَعْمَالِ... إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ وَأَخْرَجَكُمْ إِلَى الْوُجُودِ مِنَ الْعَدَمِ، وَسَتَعِيشُونَ مَا قَدَّرَ لَكُمْ مِنْ حَيَاةٍ، ثُمَّ إِذَا أَنْقَضَتْ آجَالُكُمْ أَمَاتَكُمْ، ثُمَّ يَعُودُ فَيُحْيِيكُمْ وَيَحْشُرُكُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ آتٍ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ، وَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ فِي تَشْرِكُكُمْ وَحْشَرُكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ لِيُحَاسِبَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَنْكَرُونَ الْبَعْثَ، وَسَتَعْبُدُونَ عَوْدَةَ الْأَجْسَادِ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ تَرَاباً.

(السَّمَاوَاتِ) (يَوْمَئِذٍ)

(٢٧) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْحَاكِمُ فِيهِمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا تَمْلِكُ الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ وَالْأَنْدَادُ شَيْئاً. وَيَوْمَ

﴿٢٤﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ

﴿٢٥﴾ وَإِذَا نَتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْسَوْنَ مَا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُوتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

﴿٢٦﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٢٧﴾ وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ

تَقُومُ السَّاعَةُ يَبْعَثُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ مِنَ الْقُبُورِ، وَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ يُدْرِكُ الْكَافِرُونَ، الْمُنْكَرُونَ لِلْبَعْثِ، أَنَّهُمْ قَدْ خَسِرُوا خُسْرَانًا مُبِينًا يَكْفُرُهُمْ بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبُهُمْ كُتْبَهُ وَرُسُلَهُ.

(كِتَابُهَا)

(٢٨) - وَفِي الْيَوْمِ الَّذِي تَقُومُ فِيهِ السَّاعَةُ، تَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَانِيَةً عَلَى رُكْبِهَا، مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَتُدْعَى كُلُّ أُمَّةٍ إِلَى كِتَابِ أَعْمَالِهَا الَّذِي أودَعَ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ الْكَاتِبُونَ أَعْمَالَ الْخَلَائِقِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: هَذِهِ هِيَ أَعْمَالُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَسَيُحْزَوْنَ بِهَا. جَانِيَةً - بَارَكَةً عَلَى الرُّكْبِ، لِشِدَّةِ الْهَوْلِ.

كِتَابُهَا - صَحَافِ أَعْمَالِهَا.

(كِتَابُنَا)

(٢٩) - وَيُقَالُ لَهُمْ: هَذَا هُوَ كِتَابُنَا الَّذِي سَجَلْنَا فِيهِ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ، وَقَدْ أَمَرْنَا الْمَلَائِكَةَ الْحَافِظِينَ بِنَسْخِ أَعْمَالِكُمْ وَإِثْبَاتِهَا فِي صَحَائِفِكُمْ، فَهُوَ وَفْقَ مَا عَمِلْتُمْ بِالضَّبْطِ. نَسْتَنَسِخُ - نَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ بِنَسْخِ.

(أَمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٣٠) - فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ، وَعَمِلَتْ جَوَارِحُهُمْ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُكَافِئُهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِأَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ؛ وَالظُّفْرُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ قُوْرٌ عَظِيمٌ لَا يَعْدِلُهُ قُوْرٌ.

(آيَاتِي)

(٣١) - وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَأَنكَرُوا كُتْبَهُ وَشَرَعَهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ، عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: أَلَمْ تَكُنْ رُسُلُ رَبِّكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِهِ فَكُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْإِيْمَانِ بِهَا، وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ فِي أَفْعَالِكُمْ.

(٣٢) - وَكُنتُمْ إِذَا قَالَ لَكُمْ الرُّسُلُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَإِنَّ اللَّهَ سَيَعْتِقُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِكُمْ لِخَاسِبِكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ وَلَا شَكَّ، فَأَتَقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، فَكُنتُمْ تَقُولُونَ عَتُوا وَآسَيْتُمْ كِبَارًا: مَا هِيَ هَذِهِ السَّاعَةُ الَّتِي تَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا؟ إِنَّا لَا نَعْرِفُهَا وَلَا عَلِمَ لَنَا بِهَا، وَنَحْنُ نَظُنُّ وَقُوعَهَا ظَنًّا، وَمَا نَحْنُ بِمُوقِنِينَ أَنَّهَا آتِيَةٌ.

٢٨ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَانِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى

إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

٢٩ هَذَا كِتَابُنَا يُنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ

إِنَّا كُنَّا نَسْتَنَسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

٣٠ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ

٣١ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي

تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ

٣٢ وَإِذْ قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ

لَارَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَـا إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقْبِرِينَ

(يَسْتَهْزِئُونَ)

(٣٣) - وَظَهَرَتْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ قَبَائِحُ أَعْمَالِهِمْ، وَأَحَاطَ بِهِمْ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَيَسْتَبْعِدُونَ وَقُوعَهُ. حَاقَ بِهِمْ - نَزَلَ بِهِمْ وَأَحَاطَ بِهِمْ.

(نَسَاكُمْ) (وَمَا أَوَّاكُمْ) (نَاصِرِينَ)

(٣٤) - وَيُقَالُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ نَسِيتُمْ لِقَاءَ هَذَا الْيَوْمِ فَلَمْ تَعْمَلُوا لَهُ عَمَلًا يَنْفَعُكُمْ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى سَيِّدُكُمْ النَّارَ لِيُجَازِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمُ السَّيِّئَةِ، وَسَيَنْسَاكُمْ فِيهَا لِتَخْلُدُوا فِي الْعَذَابِ، كَمَا نَسِيتُمْ أَنْتُمْ سُبْحْرُونَ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْتُمْ سَتَلَاقُونَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْهَوْلِ، وَلَنْ تَجِدُوا مَنْ يُنْقِذُكُمْ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ.

نَسَاكُمْ - تَرَكُكُمْ فِي الْعَذَابِ.

مَا أَوَّاكُمْ النَّارَ - مَنَزَلُكُمْ وَمَقَرُّكُمْ.

(آيَاتِ) (الْحَيَاةِ)

(٣٥) - وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: إِنَّ الَّذِي حَلَّ بِكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنَّمَا سَبَبُهُ أَنْتُمْ أَنْتُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَوْضُوعًا لِلْهَزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ، وَخَدَعْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَأَطْمَأْنَنْتُمْ إِلَيْهَا، فَأَضْحَكْتُمْ مِنْ الْخَاسِرِينَ، فَالْيَوْمَ لَا تُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ، وَلَا تُرَدُّونَ إِلَى الدُّنْيَا لِتَتَوَبَّأُوا وَتَعْمَلُوا صَالِحًا. وَلَا يُطَلَّبُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ يَسْتَرْضُوا رَبَّهُمْ الْكَرِيمَ بِالْإِعْتِدَارِ إِلَيْهِ لِيُزِيلُوا عَنْهُ عَلَيْهِمْ، لِقَوَاتٍ أَوْانِ ذَلِكَ.

عَزَّيْنَكُمْ - خَدَعْتُمْ بِبَهْرَجِهَا.

يُسْتَعْتَبُونَ - يُطَلَّبُ مِنْهُمْ الرُّجُوعُ إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ.

(السَّمَاوَاتِ) (الْعَالَمِينَ)

(٣٦) - فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالنَّشَاءُ عَلَى أَنْعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَخَالِقُهُمَا وَمَالِكُهُمَا، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٣٧) - وَلِلَّهِ الْعَظِيمِ وَخِصَّةُ الْجَلَالِ وَالسُّلْطَانِ، فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكُلِّ شَيْءٍ خَاصُّعٌ لَهُ، فَقِيرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُمَانَعُ وَلَا يُغَالَبُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ.

لَهُ الْكِبَرِيَاءُ - لَهُ الْعَظَمَةُ وَالْمُلْكُ وَالْجَلَالُ.

(٣٢) وَيَدَّاهُمْ سِيَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ

بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

(٣٤) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنَسِكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ

يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَا وَدَّكُمْ النَّارُ وَمَا

لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

(٣٥) ذَلِكَ بِأَنْتُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا

وَعَزَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ

لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ

(٣٦) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ

الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(٣٧) وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(٤٦) سُورَةُ الْحَقَّافِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسُونَ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حَا . مِيم)

(١) - وَتَقْرَأُ مَقْطُوعَةً كُلِّ حَرْفٍ عَلَى جِدَّةٍ (حَا - مِيم) اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

(الْكِتَابِ)

(٢) - إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُعَالَبُ، الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَتَنْبِيهِهِ، عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ لِيَكُونَ نَذِيرًا لِلنَّاسِ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابِ الْيَمِّ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٣) - لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ الَّتِي أَفْتَضَتْهَا مَشِيئَتُهُ تَعَالَى، لَا لِلْعَبَثِ وَاللَّهْوِ وَالتَّسْلِيَةِ. وَقَدَّرَ لِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ أَجَلًا مُعَيَّنًا لِبَقَائِهَا، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، فَإِذَا حَانَ ذَلِكَ الْأَجَلُ قَامَتِ الْقِيَامَةُ، وَبُعِثَ النَّاسُ، وَخُوِصِبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى عَمَلِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَجُزِيَ بِعَمَلِهِ.

وَمَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ نَصَبَ الْأَدِلَّةَ لِلْعِبَادِ فِي الْأَنْفُسِ وَفِي الْأَفَاقِ عَلَى وَجُودِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ، ثُمَّ أَرْسَلَ الرُّسُلَ إِلَى النَّاسِ بِالْكِتَابِ مُحَذِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، فَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ نُذُرِ اللَّهِ.

أَجَلٍ مُّسَمًّى - هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

(أَرَأَيْتُمْ) (السَّمَاوَاتِ) (بِكِتَابٍ) (أَثَارَةٍ) (صَادِقِينَ)

(٤) - قُلْ - يَا مُحَمَّدُ - لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: تَأْمَلُوا فِي خَلْقِ هَذَا الْكَوْنِ،

١ حَم



٢ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

٣ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ
مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا
أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ

٤ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَرَأَيْتُمْ مَاذَا خَلَقْنَا مِنَ الْأَرْضِ

وَمَا فِيهِ مِنْ كَائِنَاتٍ، ثُمَّ أَخْبَرُونِي عَنْ حَالِ الْإِلَهَةِ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، هَلْ خَلَقُوا شَيْئاً مِنَ الْكَائِنَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْأَرْضِ لِيَسْتَحِقُّوا الْعِبَادَةَ مِنْ أَجْلِ خَلْقِهِ؟ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا خَلَقُوا شَيْئاً لَطَهَّرَ التَّفَاوُتُ فِي الْخَلْقِ بَيْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَمَا خَلَقُوهُ هُمْ.

وَلَكِنْ خَلَقَ الْكَوْنُ مُتَنَاسِقٌ بَدِيعٌ، وَكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ نِظَامٍ وَأَتَسَاقٍ وَجَمَالٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ خَالِقَهُ وَاحِدٌ. وَإِذْ ظَهَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْلُقُوا شَيْئاً فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُمْ لَا شَرَكَةَ لَهُمْ فِي خَلْقِ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ لِيَسْتَحِقُّوا الْعِبَادَةَ مِنْ أَجْلِ خَلْقِهِ، أَوِ الْإِشْرَاقِ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

إِنَّ الْمُلْكَ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَلَهُ وَحْدَهُ التَّصَرُّفُ فِي الْوُجُودِ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ؟ وَكَيْفَ تُشْرِكُونَ الْأَصْنَامَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ؟ وَمَنْ أَرْشَدَكُمْ إِلَى هَذَا؟ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَكُمْ بِهَذَا؟ أَمْ هُوَ شَيْءٌ أَفْتَرَحْتُمُوهُ أَنْتُمْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ؟ فَإِذَا كَانَ مَا تَقُولُونَهُ عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِهَذِهِ الْإِلَهَةِ وَالْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ حَقًّا، فَهَاتُوا كِتَاباً مِنْ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رُسُلِهِ يَأْمُرُكُمْ فِيهِ بِعِبَادَتِهَا، أَوْ هَاتُوا شَيْئاً تَبْقَى لَكُمْ مِنْ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ الْمُفَكِّرِينَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُرْشِدُ إِلَى اسْتِحْقَاقِ الْأَصْنَامِ لِلْعِبَادَةِ؟

لَهُمْ شِرْكٌ - شَرِكَةٌ وَنَصِيبٌ مَعَ اللَّهِ.

آثَارُهُ مِنْ عِلْمٍ - بَقِيَّةٌ مِنْ عِلْمٍ عِنْدَكُمْ.

(يَدْعُو) (الْقِيَامَةَ) (دُعَائِهِمْ) (غَافِلُونَ)

(٥) - وَيُقَرِّعُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَتَرَكُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ الْقَادِرِ الْقَاهِرِ الْمُبْدِعِ، وَيَعْبُدُونَ أَصْنَاماً وَأَوْثَاناً لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ، فَيَقُولُ تَعَالَى: لَا أَحَدٌ أَكْثَرَ ضَلَالاً مِمَّنْ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً هِيَ أَصْنَامُ وَأَوْثَانُ، لَا تَسْمَعُ دَعْوَتَهُمْ إِذَا دَعَوْهَا، وَلَا تَسْتَجِيبُ لِدُعَائِهِمْ أَبَدَ الدَّهْرِ (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) إِذَا دَعَوْهَا، إِذْ إِنَّ هَذِهِ الْإِلَهَةَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ دُعَاءِ مَنْ يَدْعُوها لِأَنَّهَا حِجَارَةٌ صَمَاءٌ لَا حَيَاةَ فِيهَا، لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، وَلَا تَحْكُمُ.

(كَافِرِينَ)

(٦) - وَالْمَعْبُودَاتُ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْكَفَرَةُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تَنْفَعُ عَابِدِيهَا شَيْئاً فِي الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ فَإِنَّهَا لَا تَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَتَكُونُ عَلَيْهِمْ ضِئلاً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، إِذْ أَنَّهَا سَتَكْفُرُ بِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا، وَتَسْتَبِرُّ مِنْهُمْ وَهُمْ أَخْرَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهَا.

أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي
بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ
مِّنْ عَلَمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً
وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ

(آيَاتُنَا) (بَيِّنَاتٍ)

(٧) - وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ آيَاتُ اللَّهِ، وَهِيَ بَيِّنَةٌ جَلِيلَةٌ وَاضِحَةٌ، قَالُوا: هَذَا سِحْرٌ وَاضِحٌ يُؤْثِرُ فِي النُّفُوسِ، كَمَا يُؤْثِرُ السَّحَرُ فَيَمُنُّ شَاهِدُهُ.

(اِفْتَرَاهُ)

(٨) - أَمْ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَى الْقُرْآنَ، وَوَضَعَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ بِأَنْ يَرُدَّ عَلَى فِرْيَةِ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ، وَأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: لَوْ أَنَّنِي كَذَبْتُ عَلَى اللَّهِ، وَزَعَمْتُ أَنَّهُ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَهُوَ لَمْ يَبْعَثْنِي رَسُولًا، لَعَاقَبَنِي عِقَابًا شَدِيدًا، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يُجِيرَنِي مِنْهُ، فَكَيْفَ أُجْرُو عَلَى الْإِقْدَامِ عَلَى هَذِهِ الْفِرْيَةِ، وَأَعْرَضَ نَفْسِي لِعِقَابِ اللَّهِ؟ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ بِمَا تَخْضَعُونَ فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالْقُرْآنِ، وَالطَّغْنِ فِي آيَاتِهِ، وَالْقَوْلِ إِنَّهَا سِحْرٌ.

وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا لِي بِالصِّدْقِ فِيمَا أُبَلِّغُكُمْ عَنْهُ، وَيَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِالْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَهُوَ الْعَفُورُ إِنْ تُبْتُمْ، وَأَقْلَعْتُمْ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ يَرْحَمُ التَّائِبِينَ الْمُسْتَغْفِرِينَ.

نُفِضُونَ فِيهِ - تَنْدَفِعُونَ فِيهِ طَعْنًا وَتَكْذِيبًا.

(٩) - وَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنِّي لَسْتُ بِأَوَّلِ رَسُولٍ جَاءَ إِلَى الْخَلْقِ فِي الْأَرْضِ وَبَلَّغَ رِسَالَةَ عَنْ رَبِّهِ، فَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ قَبْلِي، وَأَبْلَغُوا أَقْوَامَهُمْ رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ، وَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَكُتِبَ الْمُنْزَلَةُ عَلَيْهِمْ.

وَأَنَا بَشَرٌ لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ آتِيَ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِي، وَالَّذِي يُرْسِلُ الْمُعْجَزَاتِ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، يُرْسِلُهَا جَيْمًا يَشَاءُ، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَا يُفْعَلُ بِي فِي الدُّنْيَا أَوْ أُخْرَجُ مِنْ بَلَدِي أَمْ أُقْتَلُ؛ وَأَنَا لَا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْقُرْآنِ، لَا أُبْتَدِعُ شَيْئًا مِنْ عِنْدِي، وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ أَنْذِرُكُمْ عِقَابَ اللَّهِ، وَأَخَوْفُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ، وَآتِيَكُمْ بِالشَّوَاهِدِ الْوَاضِحَةِ عَلَى صِدْقِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ.

(أَرَأَيْتُمْ) (إِسْرَائِيلَ) (فَأَمَنَ) (الظَّالِمِينَ)

(١٠) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ بِالْقُرْآنِ: أَخْبِرُونِي عَنْ حَالِكُمْ إِنْ تَبَتْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِسِحْرٍ وَلَا مُفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَمَا تَزْعُمُونَ، ثُمَّ كَذَّبْتُمْ أَنْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ

وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَجَاءُهُمْ
هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ

فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِضُونَ فِيهِ كَفَى
بِهِ شَهِيدًا لِبَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ
الْعَفُورُ الرَّحِيمُ

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاءٍ مِنَ الرُّسُلِ

وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

وَكُفْرُكُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ
بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامَنَ

عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَمَنْ هُوَ بِهِ،
وَأَسْتَكْبَرْتُمْ أَنْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، أَفَلَا تَكُونُونَ أَضَلَّ النَّاسِ وَأَظْلَمَهُمْ؟
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

(وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الشَّاهِدُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَكَانَ
حَبْرًا مِنْ أَخْبَارِ الْيَهُودِ ثُمَّ أَسْلَمَ).

(آمَنُوا)

(١١) - وَقَالَ مُشْرِكُو مَكَّةَ اسْتَهْزَأَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتَعْلَاءَ عَلَيْهِمْ: لَوْ كَانَ
مَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ حَقًّا، مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ فَقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، وَضَعْفَأُوهُمْ،
وَعَبِدُوهُمْ (مِثْلُ بِلَالٍ وَصُهَيْبٍ وَعَمَّارٍ وَأَبْنِ مَسْعُودٍ...) لَأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ
أَعَالِي الْأُمُورِ لَا يَنَالُهَا إِلَّا أَصْحَابُ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ، وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ
أَكْثَرُهُمْ فَقَرَاءَ وَعَبِيدٌ، لِذَلِكَ اسْتَبَعَدَ رُؤُوسُ الشُّرْكِ أَنَّ يَسْبِقَهُمْ غَيْرُهُمْ
إِلَى الْخَيْرِ، وَإِلَى الْحَقِّ. وَبِمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ
وَقَرَأَنِيهِ، فَسَيَقُولُونَ: هَذَا كَذِبٌ قَدِيمٌ مِنْ أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ.
إِفْكَ قَدِيمٌ - كَذِبٌ مُتَقَادِمٌ.

(كِتَابُ)

(١٢) - وَقَبْلَ هَذَا الْقُرْآنِ، الَّذِي يُكَذِّبُ بِهِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، أَنْزَلَ اللَّهُ
التَّوْرَةَ عَلَى عَبْدِهِ مُوسَى، وَجَعَلَهَا إِمَامًا وَقُدُوةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَحْمَةً
لَهُمْ. وَقَدْ أَشَارَتِ التَّوْرَةُ إِلَى مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ، وَرِسَالَتِهِ، وَصِفَاتِهِ. وَبِمَا
أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يَمَارُونَ فِي أَنَّ التَّوْرَةَ مُنَزَّلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِمَا أَنَّ
التَّوْرَةَ بَشَّرَتْ بِمُحَمَّدٍ وَكِتَابِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنَّ يَكُونُ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فِي
رِسَالَتِهِ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنَّ يَكُونُ هَذَا الْقُرْآنُ مُنَزَّلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى.
وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشُّرْكِ، وَلِيُبَشِّرَ
الْمُؤْمِنِينَ الْمُحْسِنِينَ بِأَنَّ لَهُمُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ مُوَافِقًا لِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ، وَمُصَدِّقًا لَهَا فِيمَا جَاءَتْ بِهِ،
مَعَ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَالْقُرْآنُ جَاءَ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَتَوَافَقَهُمَا فِي الْأَغْرَاضِ
وَالْأَفْكَارِ وَالْمَبَادِيءِ الْأَسَاسِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى وَحْدَةِ الْمَصْدَرِ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

(اسْتَقَامُوا)

(١٣) - إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، ثُمَّ نَبَتُوا
عَلَى تَصْدِيقِهِمْ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِشُرْكِ أَوْ ظُلْمٍ، وَلَمْ
يُخَالِفُوا أَمْرَ اللَّهِ، أُولَئِكَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ يَوْمَ

وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

١١ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ

آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا
إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ
فَسَيَقُولُونَ هَذَا افْكٌ قَدِيمٌ

١٢ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا

وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ
لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا وَبَشِّرَ لِلْمُحْسِنِينَ

١٣ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

الْقِيَامَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَفُوهُ وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

(أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدِينَ)

(١٤) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ، وَاسْتَقَامُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، هُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَخْلُدُونَ فِيهَا أَبَدًا، ثَوَابًا لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَجَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَاتٍ فِي الدُّنْيَا.

(الْإِنْسَانُ) (بِوَالِدَيْهِ) (إِحْسَانًا) (فَصَالَهُ) (ثَلَاثُونَ) (وَالِدَيَّ)

(صَالِحًا) (تَرْضَاهُ)

(١٥) - بَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِتَصْدِيقِ رَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى الْإِيمَانِ، حَثَّ النَّاسَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ فَأَخْبَرَ تَعَالَى: أَنَّهُ أَمَرَ الْإِنْسَانَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى وَالِدَيْهِ، وَبِالْحُنُوِّ عَلَيْهِمَا، وَجَعَلَ بَرَّهُمَا مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ إِلَى اللهِ، وَجَعَلَ عُقُوبَهُمَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى سَبَبَ تَوْصِيَةِ الْإِنْسَانِ بِبِرِّ وَالِدَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ قَاسَتْ فِي حَمْلِهِ مَشَقَّةً وَتَعَبًا، وَقَاسَتْ فِي وَضْعِهِ مَشَقَّةً وَالْمَاءَ، وَكُلَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مِنَ الْإِنْسَانِ الشُّكْرَ، وَاسْتِحْقَاقَ التَّكْرِيمِ، وَجَمِيلَ الصُّحْبَةِ. وَمُدَّةُ حَمْلِ الْوَلَدِ، وَفَطَامِهِ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا تَحْمِلُ فِيهَا الْأُمُّ أَعْظَمَ الْمَشَاقِّ. حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْوَلَدُ كَمَالَ قُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ قَالَ: رَبِّ أَلْهِمْنِي وَوَفَّقْنِي إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ، وَعَلَى وَالِدَيَّ، مِنْ صِحَّةِ جِسْمٍ، وَسَعَةِ عَيْشٍ، وَاجْعَلْنِي أَعْمَلًا صَالِحًا يُرْضِيكَ عَنِّي لِأَنَالَ مَثُوبَتَهُ عِنْدَكَ، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ الصَّلَاحَ سَارِيًا فِي دُرِّيَّتِي، إِنِّي نُبْتُ إِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِي الَّتِي صَدَرَتْ عَنِّي فِيمَا سَلَفَ مِنْ أَيَّامِي، وَإِنِّي مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ لِأَمْرِكَ وَقَضَائِكَ.

وَصَيْنَا - أَمَرْنَا وَالزَّمْنَا.

كُرْهَا - ذَاتَ كُرْهِ وَمَشَقَّةٍ.

حَمْلُهُ وَفَصَالُهُ - مُدَّةُ حَمْلِهِ وَفَطَامِهِ.

بَلَغَ أَشُدَّهُ - بَلَغَ كَمَالَ قُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ.

رَبِّ أَوْرَعْنِي - يَا رَبِّ أَلْهِمْنِي وَوَفَّقْنِي.

(أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(١٦) - وَهَؤُلَاءِ الْمُتَصِفُونَ بِالصِّفَاتِ السَّابِقَةِ (الْثَابِتُونَ إِلَى اللهِ، الْمُتَّبِعُونَ إِلَيْهِ، الْمُسْتَدْرِكُونَ مَا فَاتَ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ). هُمْ الَّذِينَ يَقْبَلُ اللهُ

(١٤) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ

فِيهَا جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(١٥) وَوَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا

حَمْلَتُهُ أُمُّهُ كُرْهَا وَوَضَعَتْهُ

كُرْهَا وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ

شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ

أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْرَعْنِي

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي

فِي دُرِّيَّتِي إِنِّي نُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي

مِنَ الْمُسْلِمِينَ

(١٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ

مَاعْمَلُوا وَنَجَّأوْهُمْ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ

فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقِ
الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ

تَعَالَى مِنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا، وَيَصْفَحُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَيَغْفِرُ لَهُمْ
الكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ الَّذِي صَدَرَ مِنْهُمْ فِي حَيَاتِهِم الدُّنْيَا، وَلَمْ يَتَرَسَّخْ فِعْلُهُ
فِي نَفْسِهِمْ، وَيَقْبَلُ الْقَلِيلَ مِنَ الْعَمَلِ. وَهُمْ فِي عِدَادِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
تَحْقِيقًا لِلْوَعْدِ الصَّدَقِ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يُخْلِفُ اللَّهُ
وَعْدَهُ أَبَدًا.

(وَرُوِيَ أَنَّ هَذِهِ آيَةَ نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ .

وَرُوِيَ أَيْضًا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَالْآيَةُ
تَنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ فَهُوَ مُوصَى بِاللَّيْثِ، فَأَمُورٌ بِشُكْرِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمَا، وَبِأَنْ يَعْمَلَ صَالِحًا، وَأَنْ يَسْعَى فِي إِصْلَاحِ دُرَيْتِهِ، وَأَنْ يَدْعُو
اللَّهُ أَنْ يُوفِّقَهُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ).

(لِوَالِدَيْهِ) (آمِن) (أَسَاطِيرُ)

(١٧) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الْبَرَّةِ الصَّالِحِينَ، وَمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنَ
النَّعِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، جَاءَ عَلَى ذِكْرِ الْأَشْقِيَاءِ أَهْلِ الْعُقُوبِ
لِلْوَالِدِينَ، الْمُتَكَبِّرِينَ لِلْبُعْثِ وَالنُّشُورِ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى: أَنَّ الَّذِي أُجَابَ
وَالِدَيْهِ جَنِيمًا دَعَاؤُهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْإِقْرَارِ بِالْبُعْثِ وَالْحِسَابِ: أَفَّ
لَكُمْ، أَتَقُولَانِ إِنِّي سَأُبْعَثُ مِنْ قَبْرِي حَيًّا بَعْدَ مَوْتِي، وَبَعْدَ أَنْ أَصِيرَ
تُرَابًا وَرَمِيمًا؟ إِنَّ هَذَا لِأَمْرٌ لَا يُصَدَّقُ، فَهَذِهِ أَجْيَالٌ مِنَ الْبَشَرِ مَضَتْ،
وَأَمُّ قَدْ خَلَتْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا أَحَدٌ، وَلَوْ كُنْتُ مَبْعُوثًا بَعْدَ مَوْتِي لَكَانَ
بُعْثُ مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ. وَقَدْ اسْتَغَاثَ الْإِدَاهُ بِاللَّهِ أَسْتَعْظَمًا
لِجُرْمِهِ، وَقَالَ لَهُ، وَهُمَا يَحْتَانِيهِ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: هَلَكْتَ إِنْ لَمْ تُؤْمِنْ
بِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْمَعَادِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ، ثُمَّ بِالْحِسَابِ وَبِالْجَزَاءِ عَلَى
الْأَعْمَالِ، فَوَعَدَ اللَّهُ حَقًّا لَا شَكَّ فِيهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا.
وَيُرَدُّ الْوَلَدُ عَلَى نَصِيحَةِ وَالِدَيْهِ قَائِلًا: إِنَّ مَا يَقُولَانِي لَهُ إِنَّ هُوَ إِلَّا شَيْءٌ
مِمَّا سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ مِنْ أَبَاطِيلِهِمْ، وَلَا ظِلَّ لَهُ مِنَ الْحَقِيقَةِ.

أَفَّ لَكُمْ - أَفَّ كَلِمَةً تَضَجَّرُ وَتَبْرُمُ بِمَا يَقُولَانِ. وَهِيَ اسْمُ فِعْلٍ مُضَارِعٍ .

أَنْ أُخْرِجَ - أَنْ أُبْعَثَ مِنْ قَبْرِي بَعْدَ أَنْ تَصِيرَ عِظَامِي رَمِيمًا.

خَلَتْ الْقُرُونُ - مَضَتْ الْأُمَمُ وَلَمْ تَبْعَثْ.

وَيْلَكَ - هَلَكْتَ، وَهِيَ هُنَا تَعْنِي حُثَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ.

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - قِصَصُ الْأَوَّلِينَ وَخُرَافَاتُهُمُ الْمَسْطُورَةُ فِي كُتُبِهِمْ.

وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمْ
أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتْ
الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ
اللَّهُ وَبَيْنَكَ آمِنٌ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا
فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ

(أُولَئِكَ) (خَاسِرِينَ)

(١٨) - وهؤلاء الذين اتَّصَفُوا بِصِفَاتِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَالْعُقُوقِ لِلْوَالِدَيْنِ، يُصَنَّفُونَ فِي زُمْرَةِ أُمَّثِلِهِمْ مِنَ الْكَافِرِينَ مِنْ أُمَّمٍ قَدْ مَضَتْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَحَقَّتْ عَلَيْهِمْ عُقُوبَةُ اللَّهِ وَعَذَابُهُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ إِذْ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى.

حَقٌّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ - وَجَبَ عَلَيْهِمْ وَعِيدُ اللَّهِ.
قَدْ خَلَتْ - مَضَتْ وَتَقَدَّمَتْ.

(دَرَجَاتٍ) (أَعْمَالُهُمْ)

(١٩) - وَلِكُلِّ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنَازِلُ تُنَاسِبُ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، لِيُظْهَرَ عَدْلُ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلِيُؤْفِقَهُمْ رَبُّهُمْ أَجُورَ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَظْلِمَهُمُ اللَّهُ شَيْئًا: فَلَا يَزِيدُ فِي سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا يَنْقُصُهُمْ شَيْئًا مِنْ حَسَنَاتِهِمْ.

(طَبَائِكُمْ)

(٢٠) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُوقَفُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ، وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّائِيْبِ: إِنَّ كُلَّ مَا قَدَّرَ لَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالنَّعِيمِ قَدْ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ، وَاسْتَوْفَيْتُمُوهُ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَهْلَكْتُمُوهُ فِيهَا، وَلَمْ يَبْقَ لَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْمُتَعِ وَاللَّذَاتِ. وَهَكَذَا لَمْ يَبْقَ لَكُمْ شَيْءٌ فِي الْآخِرَةِ تَنَالُونَهُ غَيْرَ الْخِزْيِ وَالْإِهَانَةِ، جَزَاءَ لَكُمْ عَلَى اسْتِكْبَارِكُمْ عَنْ أَتْبَاعِ الْحَقِّ، وَعَلَى فَسْقِكُمْ وَخُرُوجِكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ.

الْفِسْقُ - الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ.

(٢١) - وَيُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ لَهُ، وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِهِ، وَيَذْكُرُهُ بِقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ قَبْلَهُ، فَكَذَّبَهُمْ أَقْوَامُهُمْ، وَاسْتِهْزَؤُوا بِهِمْ فَجَاءَ نَصْرُ اللَّهِ فَفَجَّى الرُّسُلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَأَهْلَكَ الْمُجْرِمِينَ.

وَهَذَا يَبْدَأُ تَعَالَى بِسَرْدِ قِصَّةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ قَوْمِهِ عَادٍ، وَقَدْ كَانُوا يَسْكُنُونَ الْأَحْقَافَ فِي مَنَاطِقَةِ حَضَرِ مَوْتٍ، جَنُوبِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَذَكَرَهُمْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَبِمَا مَنَّ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ قُوَّةٍ وَغِنَى، وَكَثْرَةِ عَدَدٍ، وَأَنْذَرَهُمْ بِأَسَاسِ اللَّهِ الشَّدِيدِ وَعِقَابِهِ إِنْ أَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَظُلْمِهِمْ. وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ

١٨ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ

الْقَوْلُ فِي أُمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ

١٩ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ

أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ

٢٠ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ

أَذْهَبَتْ طَبَائِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا

وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ

تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ



٢١ وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ

قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ

النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

قَبْلَ هُودٍ رَسُولًا آخَرِينَ دَعَا أَقْوَامَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَأَنْذَرُوهُمْ عَذَابَ اللَّهِ إِنْ أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَخَشَوْهُمْ عَلَى الْإِقْلَاعِ عَنِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ، وَعَلَى إِفْرَادِهِ تَعَالَى بِالْأُلُوهِيَّةِ وَحْدَهُ. وَقَالَ هُودٌ لِقَوْمِهِ نَاصِحًا: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ الْهَوْلِ، هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ إِذَا أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِبِهِمْ.

الْأَحْقَافُ - فِي جَنُوبِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ - حَضَرَ مَوْتُ.

الْحَقْفُ - هُوَ كَثِيبُ الرَّمْلِ.

(الْهَيْتَا) (الصَّادِقِينَ)

(٢٢) - فَرَدُّوا عَلَيْهِ قَائِلِينَ: أَجِئْنَا لِنَتَصَرَّفَنَا عَنْ عِبَادَةِ آلِهَتِنَا إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَعَجَّلْ لَنَا بِإِنزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْنَا، إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِي وَعِيدِكَ لَنَا (وَهُوَ أَنَّ رَبَّكَ سَيَنْزِلُ عَلَيْنَا عَذَابًا مُدْمِرًا مُهْلِكًا يُبِيدُنَا بِهِ إِذَا مَا بَقِينَا مُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِنَا). لِنَأْفِكَنَّ - لِنَتَصَرَّفَنَا.

(أَرَاكُم)

(٢٣) - فَقَالَ لَهُمْ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ تَسْتَحِقُّونَ الْعَذَابَ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِنْزَالِهِ بِكُمْ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِالْوَقْتِ الَّذِي يَنْزِلُهُ بِكُمْ إِنْ شَاءَ، أَمَّا أَنَا فَمَهْمَتِي هِيَ إِبْلَاغُكُمْ مَا أُرْسَلُنِي بِهِ إِلَيْكُمْ، وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعَجِّلَ الْعَذَابَ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ مَهْمَةَ الرَّسُولِ، وَلِذَلِكَ طَلَبْتُمْ مِنِّي أَنْ أُعَجِّلَ لَكُمْ الْعَذَابَ، كَمَا أَنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ وَقُدْرَتَهُ وَشِدَّةَ بَأْسِهِ، لِذَلِكَ طَلَبْتُمْ تَعْجِيلَ إِنْزَالِ الْعَذَابِ بِكُمْ، وَالْعَذَابَ لَا يَطْلُبُ عَاقِلٌ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ.

(٢٤) - وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ حَبَسَ الْمَطَرَ عَنْ عَادٍ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، حَتَّى أَشْتَدَّ بِهِمُ الْعَطَشُ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ غُيُومًا كَثِيفَةً أَتَجَهَّتْ إِلَى أَوْدِيَّتِهِمْ فَفَرِحَ بِهَا قَوْمٌ عَادٍ، وَاسْتَبَشَرُوا ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهَا سَحَابٌ تَحْمِلُ الْمَطَرَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَذَا سَحَابٌ سَيُمِطِرُنَا.

وَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى (أَوْ قَالَ لَهُمْ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ):

بَلْ هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي اسْتَعْجَلْتُمْ بِإِنْزَالِهِ بِكُمْ، حِينَ قُلْتُمْ لِرُسُلِكُمْ ﴿فَاتِنَا

﴿٢٢﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

﴿٢٣﴾ قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ

﴿٢٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ

بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾ إِنَّهُ رِيحٌ تَحْمِلُ إِلَيْكُمْ عَذَابًا مُهِلِكًا
شَدِيدَ الْإِيلَامِ .

عَارِضًا - سَحَابًا يَعْْرِضُ فِي الْأَفْقِ .

(مَسَاكِينُهُمْ)

(٢٥) - وَهَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللَّهُ عَلَى قَوْمِ عَادٍ تُهْلِكُ وَتُخَرِّبُ كُلَّ شَيْءٍ مَرَّتَ بِهِ بِإِذْنِ رَبِّهَا . وَوَصَفَهَا تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى بِأَنَّهَا ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ﴾ (٢) .

وَسَلَّطَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الرِّيحَ الْعَاتِيَةَ عَلَى قَوْمِ عَادٍ، فَهَبَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ كَامِلَاتٍ مُتَّالِيَاتٍ، فَاهْلَكْتُهُمْ جَمِيعًا، وَلَمْ تَتْرَكْ لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَاقِيَةٍ، وَلَمْ يَعْذُرْ فِي دِيَارِهِمْ إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ خَالِيَةً لَا سَاكِنَ فِيهَا .

وَيُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يُعَاقِبُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ كُلَّ مَنْ كَذَّبَ رُسُلَهُ، وَخَالَفَ أَوْامِرَهُ .

تُدَمِّرُ - تُهْلِكُ وَتُخَرِّبُ .

(مَكْنَاهُمْ) (مَكْنَاكُم) (أَبْصَارًا) (أَبْصَارُهُمْ) (بِآيَاتِ)
(يَسْتَهْزِئُونَ)

(٢٦) - وَقَدْ مَكَّنَّا لِقَوْمِ عَادٍ فِي الدُّنْيَا فِيمَا لَمْ نُمَكِّنْكُمْ فِيهِ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ مَا لَمْ نُعْطِكُمْ مِثْلَهُ، وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ، مِنَ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ، وَالْأَوْلَادِ، وَبَسْطَةِ الْأَجْسَامِ، وَقُوَّةِ الْأَبْدَانِ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا، فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا شَيْئًا مِنْ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأَفْئِدَتِهِمْ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ، وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا فِي الْإِهْتِدَاءِ إِلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى الْخَلْقِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُكَذِّبُونَ رُسُلَ اللَّهِ، وَيُنْكِرُونَ آيَاتِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَيَسْتَعْبِدُونَ وَقُوَّةَهُ بِهِمْ، فَاسْتَعْجَلُوهُ . فَلْيَحْذَرُوا مُشْرَكَو مَكَّةَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ بِقَوْمِ عَادٍ، إِذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ .

مَكْنَاهُمْ - أَقْدَرْنَاهُمْ وَبَسَطْنَا لَهُمْ .

فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ - فَمَا دَفَعَ عَنْهُمْ .

حَاقَ بِهِمْ - أَحَاطَ وَنَزَلَ بِهِمْ .

(١) سورة الأحقاف، الآية ٢٢ .

(٢) سورة الذاريات، الآية ٤٢ .

﴿٢٥﴾ تَدَمَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا

فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِينُهُمْ
كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ

﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ

فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا

وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ

وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ

شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا

بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

(الآيات)

(٢٧) - وَلَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى الْفُرَى مِنْ حَوْلِ مَكَّةَ (مِثْلَ عَادٍ وَثَمُودَ وَمَدْيَنَ وَقَوْمِ لُوطٍ)، وَأَهْلَ مَكَّةَ يَعْرِفُونَ مَنَازِلَ تِلْكَ الْأَقْوَامِ، وَكَانُوا يَمُرُّونَ بِهَا وَهُمْ غَادُونَ رَائِحُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ، وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ أَهْلَ هَذِهِ الْفُرَى بَعْدَ أَنْ أُنْذِرَهُمْ، وَحَذَّرَهُمْ، وَصَرَّبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ، وَبَيَّنَ لَهُمْ دَلَائِلَ قُدْرَتِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ غِييِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، فَلَمْ يَرْجِعُوا، وَلَمْ يَتَّعِظُوا، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

(الآلهة)

(٢٨) - فَهَلَّا نَصَرَهُمُ الْأَرْبَابُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا عِبَادَتَهُمْ قُرْبَةً يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ فِيمَا زَعَمُوا، حِينَمَا نَزَلَ بِهِمْ بَأْسُ اللَّهِ وَأَمْرُهُ فَأَنْقَذُوهُمْ مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ؟ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَابَ أَصْنَامٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَقَدْ غَابُوا عَنْهُمْ، وَهُمْ أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِمْ. وَعَجَزُ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَابِ عَنْ نَصْرَتِهِمْ أَثَبَتَ لَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِي اتِّخَاذِهِمْ آلِهَةً، وَأَنَّهُمْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ يَقَرِّبُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَيَشْفَعُونَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. قُرْبَانَا آلِهَةً - مُتَقَرِّبًا بِهِمْ إِلَى اللَّهِ.

إِفْكُهُمْ - أَثَرُ كَذِبِهِمْ فِي اتِّخَاذِهَا آلِهَةً.

يَفْتَرُونَ - يَخْتَلِقُونَ فِي قَوْلِهِمْ إِنَّهَا آلِهَةٌ.

(القرآن)

(٢٩) - يَقُصُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ قِصَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْجِنَّ وَجَّهَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَاسْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنْصِتُوا وَاسْتَمِعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ.

فَلَمَّا فَرَغَ الرَّسُولُ مِنْ تِلَاوَتِهِ أَنْصَرَفُوا إِلَى جَمَاعَتِهِمْ يُخْبِرُونَهُمْ بِمَا سَمِعُوا، وَيُحَذِّرُونَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِهِ.

صَرَفْنَا إِلَيْكَ - وَجَّهْنَا نَحْوَكَ.

أَنْصِتُوا - اسْتَمِعُوا وَأَسْكُتُوا.

قُضِيَ - أَيْمٌ وَفُرِغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ.

(يَا قَوْمَنَا) (كِتَابًا)

(٣٠) - وَقَالَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنَّ، الَّذِينَ اسْتَمَعُوا إِلَى تِلَاوَةِ الرَّسُولِ ﷺ

﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَ كَرَمِنَ

الْفُرَى وَصَرَفْنَا الْأَيْتَ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ

﴿٢٨﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ

دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا
عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ
وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

﴿٢٩﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنَّ

يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا
قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ

﴿٣٠﴾ قَالُوا يٰ قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا

كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى

الْقُرْآنَ لِقَوْمِهِمْ: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَهُ اللَّهُ بَعْدَ التَّوْرَةِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُوسَى، يُصَدِّقُ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ قَبْلَهُ مِنَ الْكِتَابِ عَلَى رُسُلِهِ، وَيُرْشِدُ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَإِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ.

(وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ التَّوْرَةَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ الْكِتَابُ الْإِمَامُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَأَنَّ الْإِنْجِيلَ مُتِمُّ لَشَرِيعَةِ التَّوْرَةِ).

(يَا قَوْمَنَا) (وَأَمِنُوا)

(٣١) - وَتَابَعَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ نَصَحَهُمْ لِقَوْمِهِمْ فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِرَبِّكُمْ، وَالْإِخْلَاصِ فِي طَاعَتِهِ، وَصَدَّقُوهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ، يَغْفِرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَقْكُم مِّنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ.

(أُولَئِكَ) (ضَلَالٍ)

(٣٢) - وَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ إِلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِفْلَاقَ مِنْ عِقَابِ رَبِّهِ إِذَا أَرَادَ عُقُوبَتَهُ، وَلَا يَجِدُ لَهُ مَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ بَاسِ اللَّهِ، وَلَا مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ سُوءَ الْعَذَابِ.

وَالَّذِينَ لَا يَسْتَجِيبُونَ لِلرَّسُولِ يَكُونُونَ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ بَيْنَ، وَيَسْتَحِقُّونَ الْعِقَابَ الشَّدِيدَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ - فَلَيْسَ بِفَائِتٍ مِنْهُ بِالْهَرَبِ.

(السَّمَاوَاتِ) (بِقَادِرٍ) (يُحْيِي).

(٣٣) - أَوَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرُونَ لِلْبَعْثِ، الْمُسْتَعِدُّونَ إِحْيَاءَ الْأَمْوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِخْرَاجَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا خَلْقًا مُّبْتَدَأً، وَلَمْ يُعْجِزْهُ خَلْقُهُمَا، وَلَمْ يَضُقْ بِهِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَا يُعْجِزُهُ أَنْ يُعِيدَ بَعْثَ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ أَجْسَادُهُمْ وَعِظَامُهُمْ رَمِيمًا بَالِيًا. فَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ الشَّيْءُ لِسَاعَتِهِ.

بَلَى إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْأَكْوَانَ لَذُو قُدْرَةٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُعْجِزُهُ إِعَادَةُ بَعْثِ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْقُبُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

لَمْ يَعْ - لَمْ يَتْعَبْ، أَوَلَمْ يُعْجِزْهُ.

بَلَى - إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ

(٣١) يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا

بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ
وَيُخْرِجْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

(٣٢) وَمَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ

بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ
مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ

(٣٣) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ
يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ
الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ

(٣٤) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُوقَفُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ
وَالنُّشُورِ عَلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّائِيِبِ:
أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي تَرَوْنَهُ، مِنْ بَعَثٍ وَحْشٍ وَحِسَابٍ وَجَزَاءٍ عَلَى الْأَعْمَالِ،
وَنَارٍ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ... حَقًّا؟ وَكُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُونَ: بَلَى وَرَبَّنَا إِنَّهُ لَحَقٌّ. فَيُقَالُ لَهُمْ: دُوقُوا الْآنَ الْعَذَابَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ، جَزَاءَ لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَتَكْذِيبِكُمْ بِالْحَقِّ.

(أُولُو) (بَلَاغٍ) (الْفَاسِقُونَ)

(٣٥) - فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تُلَاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِكَ لَكَ، كَمَا صَبَرَ
أَصْحَابُ الْقُوَّةِ وَالثَّبَاتِ، مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ سَبَقُوكَ، عَلَى تَكْذِيبِ
أَقْوَامِهِمْ لَهُمْ حِينَمَا أُبْلَغُوهُمْ دَعْوَةَ اللَّهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ. وَلَا تَسْتَعْجِلْ
بِسُؤَالِ رَبِّكَ أَنْ يُنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ، فَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ. وَإِنَّهُمْ
حِينَمَا يُنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرَوْنَ أَنَّ مُدَّةَ لَبِثِهِمْ فِي الدُّنْيَا (أَوْ فِي
قُبُورِهِمْ) كَانَتْ قَصِيرَةً، حَتَّى لَيَحْسَبُوهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

وَهَذَا الَّذِي وَعِظْتُمْ بِهِ لِكَافٍ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَلَا يَهْلِكُ بِالْعَذَابِ إِلَّا
الْكَافِرُونَ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ
يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ.

(٣٤) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ
أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا
قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

(٣٥) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ
الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ
يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا
إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ
يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ

(٤٧) سُورَةُ مُحَمَّدٍ مَدَنِيَّةٌ
وَأَنبَأْنَا هَاجِرًا وَتِلْكَ الْأَنبُؤَاتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أَعْمَالُهُمْ)

(١) - الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَبِآيَاتِهِ، وَبُكْتِبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَعَبَدُوا غَيْرَهُ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، أَبْطَلَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ، وَأَهْلَكَهَا وَجَعَلَهَا تَسِيرًا عَلَى غَيْرِ هُدًى.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْمُطْعِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ يَبْدِرُ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا).

أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ - أَبْطَلَهَا وَأَحْبَطَهَا.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢) - وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَبُكْتِبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَصَدَّقُوا بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ الْحَقُّ مِنَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَغَفَرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَأَصْلَحَ خَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا، بِتَوْفِيقِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ. وَيُصْلِحُ خَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِأَنْ يُورَثَهُمُ الْجَنَّةَ لِيَبْقُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا. كَفَّرَ عَنْهُمْ - أزال وَمَحَا عَنْهُمْ.

أَصْلَحَ بِأَلَهُمْ - أَصْلَحَ خَالَهُمْ وَشَأْنَهُمْ.

(الْبَاطِلِ) (آمَنُوا) (أَمْثَالَهُمْ)

(٣) - وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْمَالَ الْكُفَّارِ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارِ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ خَالَهُمْ، لِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اخْتَارُوا اتِّبَاعَ الْبَاطِلِ عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَلِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ اتَّبَعُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ فَهَذَا هُمْ رَبُّهُمْ إِلَى سَبِيلِ الرُّشَادِ.

① الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ

② وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَأَمَّا أَمْثَالُهُمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ

مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَأَصْلَحَ بِأَلَهُمْ

③ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا

الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ

مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ

أَمْثَالَهُمْ

وَمَا يَبْنِ اللَّهُ تَعَالَى أَعْمَالَ الْكُفَّارِ وَالْفُجَّارِ، وَحَالَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارِ، وَمَا سَيَفْعَلُهُ بِكُلِّ فَرِيقٍ، فَإِنَّهُ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ، وَيُسَبِّحُ لَهُمُ الْأَشْيَاءَ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ مَالَ أَعْمَالِهِمْ وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ لِيَتَفَكَّرُوا وَيَتَعَبَّطُوا.

(لِيَبْلُغُوا) (أَعْمَالَهُمْ)

(٤) - يُرْشِدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى وَجُوبِ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِهِ حَتَّى يَنْخَذِلَ الشُّرُكُ وَأَهْلُهُ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الْأَسْلُوبَ الَّذِي يَغْتَمِدُونَهُ فِي قِتَالِهِمْ فَيَقُولُ تَعَالَى: إِذَا لَقِيتُمُ الْمُشْرِكِينَ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ فَأُخْضِدُوهُمْ خُضْدًا بِالسُّيُوفِ، حَتَّى إِذَا تَمَّتْ لَكُمْ الْغَلْبَةُ عَلَيْهِمْ، وَقَهَرْتُمْ مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ حَيًّا، وَصَارُوا أَسْرَى فِي أَيْدِيكُمْ، شُدُّوا وَثَاقُهُمْ لِكَيْلَا يَعْمَدُوا إِلَى الْهَرَبِ، أَوْ الْعُودَةِ إِلَى الْقِتَالِ، وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ فَأَنْتُمْ بِالْخِيَارِ بَيْنَ الْمَنْ عَلَيْهِمْ وَإِطْلَاقِ سَرَاجِهِمْ بِدُونِ فِدَاءٍ، وَبَيْنَ مُفَادَاتِهِمْ. وَقَدْ تَكُونُ الْمُفَادَةُ بِمَالٍ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ لِإِضْعَافِ شَوْكَتِهِمْ، وَقَدْ تَكُونُ بِأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَهَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَفَّارِ حَتَّى تَنْتَهِيَ الْحَرْبُ وَتَضَعَ أَوْزَارَهَا. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُمْ بِعُقُوبَةٍ عَاجِلَةٍ لَفَعَلَ، وَلَكَفَّأَكُمُ أَمْرَهُمْ، وَلَكِنَّهُ شَرَعَ الْجِهَادَ، وَقَاتَلَ الْأَعْدَاءَ، لِيُخْتَبِرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَبْرَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَيُخْتَبِرَ الْمُشْرِكِينَ، فَيُعَاقِبَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، وَيَتَعَبَّطُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ وَيَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ. وَاللَّهُ يَجْزِي الشُّهَدَاءَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِهِ تَعَالَى، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيُسَمِّرُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَيُنَمِّيها لَهُمْ.

فَضْرَبَ الرَّقَابَ - فَاضْرِبُوا الرَّقَابَ ضَرْبًا.

أَنْخَضْتُمُوهُمْ - أَوْسَعْتُمُوهُمْ قِتْلًا وَجَرَحًا وَأَسْرًا.

شُدُّوا الْوُثَاقَ - أَحْكَمُوا وَثَاقَ الْأَسْرَى.

حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا - حَتَّى تَنْتَهِيَ الْحَرْبُ.

مَتْنًا - إِطْلَاقُ سَرَاحِ الْأَسْرَى بِغَيْرِ فِدَاءٍ.

فِدَاءً - أَوْ إِطْلَاقُ سَرَاجِهِمْ مَعَ الْمُفَادَةِ بِمَالٍ أَوْ بِأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

(٥) - وَسَيَهْدِي اللَّهُ الشُّهَدَاءَ فِي سَبِيلِهِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَيُضْلِحُ حَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

(٦) - وَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ الْجَنَّةَ، فَيَجِدُ كُلَّ وَاحِدٍ فِيهَا مَقَرَّهُ لَا يُضِلُّ فِي طَلَبِهِ، وَكَأَنَّهُ يَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لَأَحْذَكُمْ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ أَعْرَفُ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

٤ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ

الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشَدُّوا

الْوُثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ إِمَّا فِدَاءٍ حَتَّى

تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ لَأَنْصَرِمَنَّهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُغُوا

بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ

٥ سَيَهْدِيهِمْ وَيُضْلِحُ بَالَهُمْ

٦ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٧) - يَحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْجِهَادِ، وَيُعَلِّمُهُمْ بِأَنَّهُ يَنْصُرُهُمْ إِذَا اخْلَصُوا النِّيَّةَ فِي قِتَالِ أَعْدَائِهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ إِذَا نَصَرُوا دِينَ اللَّهِ نَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَتُبَّتْ أَقْدَامُهُمْ فِي الْحَرْبِ وَفِي الدِّينِ.

(أَعْمَالُهُمْ)

(٨) - وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ فَخِزْبًا لَهُمْ وَشِقَاءٌ، وَأَبْطَلَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ، وَجَعَلَهَا عَلَى غَيْرِ هُدًى وَاسْتِقَامَةٍ لِأَنَّهَا عَمِلَتْ لِلشَّيْطَانِ. فَتَعَسَّأَ لَهُمْ - فَعِثَارًا أَوْ شِقَاءً لَهُمْ.

(أَعْمَالُهُمْ)

(٩) - وَقَدْ انْتَسَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ وَأَخْرَأَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ، لِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ قُرْآنٍ وَأَحْكَامٍ وَشَرَعٍ وَتَكَالَيْفٍ. أُحْبَطَ أَعْمَالُهُمْ - أَبْطَلَهَا.

(عَاقِبَةُ) (لِلْكَافِرِينَ) (أَمْثَالُهَا)

(١٠) - أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ فِي الْأَرْضِ لِيَرَوْا كَيْفَ عَاقَبَ اللَّهُ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْأَمَمِ السَّالِفَةِ، لَقَدْ دَمَّرَ اللَّهُ قُرَاهُمْ وَيُيُوتَهُمْ، وَأَهْلَكَ أَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، أَفَلَا يَعْتَبِرُ هَؤُلَاءِ بِمَا نَزَلَ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِيِّ وَالضَّلَالَةِ؟

وَكَمَا أَهْلَكَ اللَّهُ الْمُكَذِّبِينَ السَّابِقِينَ، وَنَجَّى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، كَذَلِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِالْكَافِرِينَ، السَّائِرِينَ سِيرَتَهُمْ. دَمَّرَ عَلَيْهِمْ - أَطْبَقَ الْهَلَاكَ عَلَيْهِمْ.

(آمَنُوا) (الْكَافِرِينَ)

(١١) - وَقَدْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَنَجَّى الْمُؤْمِنِينَ وَأَظْهَرَهُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ وَأَطَاعُوهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُمْ وَحَافِظُهُمْ، وَلِأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا نَاصِرَ لَهُمْ فَيُدْفَعُ عَنْهُمْ الْعُقُوبَةُ وَالْعَذَابُ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَاتِ) (الْأَنْهَارِ) (الْأَنْعَامِ)

(١٢) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُدْخِلُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَيَكْتُبُهُ، وَرُسُلُهُ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، جَنَاتٍ تَجْرِي فِي أَرْضِهَا الْأَنْهَارُ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ. أَمَّا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَيَكْتُبُوا رُسُلَهُ، فَإِنَّهُمْ يَتَمَتَّعُونَ بِمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعٍ زَائِلٍ، وَيَأْكُلُونَ فِيهَا

يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَعَمَلُهُمْ

كَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ



أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا

كَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ

كَالْأَنْعَامِ ، غَيْرَ مُفَكِّرِينَ فِي عَوَاقِبِ أُمُورِهِمْ ، وَلَا مُعْتَبِرِينَ بِمَا أَقَامَهُ اللَّهُ لِلْعِبَادِ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ، وَسَيَصِيرُونَ فِي الْآخِرَةِ إِلَى جَهَنَّمَ فَتَكُونُ مَسْكَنَهُمْ وَمَأْوَاهُمْ .
مَثْوًى - مَوْضِعُ نَوَاءٍ وَأَقَامَةٍ لَهُمْ .

(وَكَايَ) (أَهْلَكْنَاهُمْ)

(١٣) - وَكَثِيرٌ مِنَ الْبِلَادِ السَّالِفَةِ كَانَ أَهْلُهَا أَشَدَّ بَاسًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ أَخْرَجُوكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ، وَكَثُرَ قُوَّةُ ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ ، وَدَمَّرَ قُرَاهُمْ ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَلَا مُعِينًا يَذْفَعُ عَنْهُمْ بِأَسْهُ وَعَذَابِهِ ، فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ سَتَكُونُ لَكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .
كَايٌ مِنْ قَرِيَةٍ - كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَى .

(١٤) - أَقْمَنُ كَانَ عَلَى بَصِيرَةِ رَبِّهِ وَخَالِقِهِ ، وَبِمَا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، فَهُوَ يُدْرِكُ أَنَّ لَهُ رَبًّا خَلَقَهُ وَرَعَاهُ ، وَأَنَّهُ سَيَجَازِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِ فِي الْآخِرَةِ بِإِدْخَالِهِ الْجَنَّةِ ، كَمَنْ حَسَنَ لَهُ الشَّيْطَانُ عَمَلُهُ الْقَبِيحَ ، وَارَاهُ إِثْمًا جَمِيلًا فَأَقَامَ عَلَيْهِ ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَشَهْوَاهُ فَانْغَمَسَ فِي الْمَعَاصِي غَيْرَ مُفَكِّرٍ فِي بَعْثٍ وَلَا حِسَابٍ ، وَلَا فِي جَزَاءٍ عَلَى الْأَعْمَالِ ، إِنَّهُ بِلَا شَكٍّ لَا يَتَسَاوَى الْمُؤْمِنُ الصَّالِحُ ، مَعَ الْكَافِرِ الْفَاجِرِ ، فِي الْجَزَاءِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ .

(أَنْهَارٌ) (أَسِينٌ) (لِلشَّارِبِينَ) (الشَّمَرَاتِ) (خَالِدٌ)

(١٥) - يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقِينَ بِإِدْخَالِهِمْ إِلَيْهَا ، فَيَقُولُ تَعَالَى : إِنَّهَا جَنَّةٌ تَجْرِي فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مِيَاهٍ غَيْرِ مُتَغَيِّرَةِ الطَّعْمِ وَاللَّوْنِ وَالرَّائِحَةِ ، لَطُولِ مُكْثِهَا وَرُكُودِهَا ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَلَمْ يَفْسُدْ ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذَةِ الطَّعْمِ وَالْمَذَاقِ لِشَارِبِيهَا ، لَا تَغْتَالُ الْعُقُولُ ، وَلَا يُتَكْرَهَا الشَّارِبُونَ ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ قَدْ صُفِّيَ مِنَ الشَّمْعِ وَالْفَضَلَاتِ . وَلِلْمُتَّقِينَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ جَمِيعِ الْفَوَاكِهِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَنْوَاعِ وَالطُّعُومِ وَالْمَذَاقِ وَالرَّائِحَةِ . وَلَهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُوَ يَقْبَلُ مَا قَدَّمُوهُ مِنْ عَمَلٍ ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ هَفَوَاتِهِمُ الَّتِي أَقْتَرَفُوهَا فِي الدُّنْيَا .

فَهَلْ يَتَسَاوَى هَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ النَّاعِمُونَ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ ، وَجَنَاتِهِ ، مَعَ الْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ لَيَقْفُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا ، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْدِيرِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ ، وَأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ؟ إِنَّهُمْ لَا يَتَسَاوُونَ

مَثْوًى لَهُمْ

(١٣) وَكَانَ مِنْ قَرِيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْنِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ

(١٤) أَقْمَنُ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ

(١٥) مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ

أَبَدًا. وَإِذَا طَلَبَ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءُ، وَهُمْ يُعَذِّبُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، الْمَاءَ لِيُطْفِئُوا ظَمَأَهُمْ فَإِنَّهُمْ يُسْقَوْنَ مَاءً شَدِيدَ الْحَرَارَةِ إِذَا شَرِبُوهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ.

مَثَلُ الْجَنَّةِ - وَصْفُهَا.

غَيْرَ آسِنٍ - غَيْرَ مُتَيْنٍ وَلَا مُتَغَيِّرِ الطَّعْمِ.

مَاءٌ حَمِيمًا - بِالْغَايَةِ فِي الْحَرَارَةِ.

(أَنفَاءً) (أُولَئِكَ)

(١٦) - وَمِنَ النَّاسِ مَنَافِقُونَ يَسْتَمِعُونَ إِلَى الرُّسُولِ فَلَا يَعْوَنُ مَا يَقُولُ، وَلَا يَفْهَمُونَ مَا يَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ قَالُوا لِمَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَكْتَابُ اللَّهُ: مَاذَا قَالَ مُحَمَّدٌ قَبْلَ أَنْ نُعَادِرَ الْمَجْلِسَ؟ وَهُمْ بِذَلِكَ يَسْتَهْزِئُونَ، وَيَسْتَحْفُونَ بِمَا يَقُولُهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَأَنَّمَا يَقُولُهُ لَيْسَ مِمَّا يُؤْتِيهِ بِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُولُ، وَاتَّبَعُوا شَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوَاءَهُمْ، فَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ.

أَنفَاءً - الْآنَ أَوِ السَّاعَةِ أَوْ مُنْذُ قَلِيلٍ.

(آتَاهُمْ) (تَقْوَاهُمْ)

(١٧) - وَالَّذِينَ قَصَدُوا الْاِهْتِدَاءَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُولُ، وَالْاِنْتِفَاعَ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوفِّقُهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَيُثَبِّتُهُمْ عَلَيْهِ، وَيُشْرَحُ صُدُورَهُمْ لَهُ، وَيُلْهِمُهُمْ رُشْدَهُمْ، وَيُعِينُهُمْ عَلَى تَقْوَاهُ.

(ذَكَرَاهُمْ)

(١٨) - وَبَعْدَ أَنْ قَامَتِ الدَّلَائِلُ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَصِدْقِ بُيُوتِ رُسُولِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَبْعَثُ الْعِبَادَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَمَاذَا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ لِيَعْتَبِرُوا وَيُؤْمِنُوا؟ وَهَلْ سَيَظْلُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَرُدُّدِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ وَتَفْجَأَهُمْ، وَهُمْ لَا هَوْنَ، لِيَتَأَكَّدُوا أَنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُولُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ حَقٌّ، وَحِينَئِذٍ يُؤْمِنُونَ وَيُصَدِّقُونَ، وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَامَاتُ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَأَمَارَاتُ اقْتِرَابِهَا. وَحِينَئِذٍ تَقُومُ السَّاعَةُ فَمِنْ أَيْنَ لِلْكَافِرِينَ التَّذَكُّرُ، وَقَدْ فَاتَ أَوَانُهُ، وَهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ التَّوْبَةُ بَعْدَ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا.

جَاءَ أَشْرَاطُهَا - عَلَامَاتُ حُلُولِهَا وَوُقُوعِهَا.

فَأَنَّى لَهُمْ - فَكَيْفَ لَهُمْ وَمِنْ أَيْنَ لَهُمْ.

ذَكَرَاهُمْ - تَذَكُّرُهُمْ مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ.

(١٦) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا

خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ

الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا

أَهْوَاءَهُمْ

(١٧) وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى

وَأَنَّهُمْ تَقَوُّهُمْ

(١٨) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ

تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا

فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذَكَرَهُمْ

(الْمُؤْمِنَاتِ مَثْوَاكُمُ)

(١٩) - يَا مُرُّهُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولُهُ الْكَرِيمُ ﷺ بِالْبَيِّنَاتِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمَنْ دَوَّامِ الْاسْتِغْفَارِ لِنَفْسِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ تَصَرُّفَ الْعِبَادِ فِي نَهَارِهِمْ، وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهُمْ فِي لَيْلِهِمْ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوهُ وَيَسْتَغْفِرُوهُ.

(وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي فَضْلِ الْاسْتِغْفَارِ).

يَعْلَمُ مُتَقَلِّبُكُمْ - مُتَصَرِّفُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ.

وَمَثْوَاكُمُ - مُقَامُكُمْ وَمَكَانُ ثَوَائِكُمْ.

(آمَنُوا)

(٢٠) - كَانَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ يَشْتَأِقُونَ إِلَى الْوَحْيِ، وَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ تَنْزِلَ آيَاتُ تَحْتِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْجِهَادِ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا نَزَلَتْ سُورَةٌ تَأْمُرُنَا بِهِ. فَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ وَأُضِحَتْ الدَّلَالَةُ فِي الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ، وَهِيَ لَا تَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا آخَرَ غَيْرَ وَجُوبِهِ، فَرِحَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَشَخَصَتْ أَبْصَارُهُمْ مِنْ فِرْعَانِهِمْ وَجَزَعَهُمْ مِنْ لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ، وَنَظَرُوا نَظْرَةَ الشَّاخِصِ بِبَصَرِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ، وَكُرْهًا لَهُ، وَكَانَ الْأَوَّلَى بِهِؤْلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ هَذَا الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ أَنْ يَسْتَمِعُوا وَيُطِيعُوا.

مُحْكَمَةٌ - وَأُضِحَتْ وَلَا تَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا آخَرَ.

الْمَغْشِيُّ عَلَيْهِ - مَنْ أَصَابَتْهُ الْعَشْيَةُ وَالسُّكْرَةُ.

فَأَوَّلَى لَهُمْ - فَالْعِقَابُ وَالْهَلَاكُ أَحَقُّ بِهِمْ وَأَوَّلَى لَهُمْ.

(٢١) - وَطَاعَةُ اللَّهِ، وَقَوْلُ مَعْرُوفٍ، خَيْرٌ لَهُمْ وَأَحْسَنُ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ، فَإِذَا جَدَّ الْجِدُّ، وَخَضَرَ الْقِتَالُ، فَلَوْ صَدَّقُوا اللَّهَ فِي الْقِتَالِ، وَأَخْلَصُوا لَهُ النِّيَّةَ، وَبَذَلُوا جَهْدَهُمْ لَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، لِأَنَّهُمْ يَنَالُونَ بِهِ الثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

طَاعَةٌ - لَوْ أَطَاعُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ.

عَزَمَ الْأَمْرُ - جَدَّ الْجِدُّ وَخَضَرَ الْجِهَادُ.

(٢٢) - فَلَعَلَّكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنِ الْجِهَادِ خَوْفًا وَفِرْعَانًا مِنْ أَهْوَالِ الْحَرْبِ، تَخْرُجُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ الَّذِي دَخَلْتُمُوهُ فِي الظَّاهِرِ، وَتَعُودُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ.

(١٩) فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبُكُمْ
وَمَثْوَاكُمُ

(٢٠) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا

نُزِلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ
مُحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالُ
رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ
عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوَّلَى لَهُمْ

(٢١) طَاعَةً وَقَوْلُ مَعْرُوفٍ فَإِذَا عَزَمَ

الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ

(٢٢) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ

تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُوا
أَرْحَامَكُمْ

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: فَلَعَلَّكُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ الْحُكْمَ وَأُمُورَ الْأُمَّةِ تَعْمَدُونَ إِلَى
الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَتَقْطِيعِ الْأَرْحَامِ).
فَهَلْ عَسَيْتُمْ - فَهَلْ يَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ أَوْ لَعَلَّكُمْ.
تَوَلَّيْتُمْ - إِذَا تَرَكْتُمْ الْجِهَادَ - أَوْ تَوَلَّيْتُمْ الْحُكْمَ.

(أُولَئِكَ) (أَبْصَارُهُمْ)

(٢٣) - وَالَّذِينَ يَبْلُغُ بِهِمُ الْأَمْرُ حَدَّ التَّوَلَّى عَنِ الْجِهَادِ، وَعَنِ الْإِيمَانِ،
وَحَدَّ الْإِقْدَامِ عَلَى الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ، هُمُ الَّذِينَ
طَرَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَأَصْمَهُمُ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِمَا يَسْمَعُونَ، وَأَعَمَّى
أَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَا مَا نَصَبَ اللَّهُ فِي الْكَوْنِ مِنْ آيَاتٍ، وَعَنِ الْاعْتِبَارِ بِهَا.

(الْقُرْآنُ)

(٢٤) - أَفَلَا يَتَذَكَّرُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَوَاطِئَ وَعِبَرٍ لِيَعْلَمُوا
خَطَأَ مَا هُمْ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ، أَمْ أَنَّ قُلُوبَهُمْ وَضَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا أَفْصَالاً فَهِيَ
تَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرْآنِ وَتَذَكِّرُ عِظَاتِهِ؟
أَفْأَلْهَا - مَعَالِيقُهَا.

(أَذْبَارِهِمْ) (الشَّيْطَانُ)

(٢٥) - إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَنِ الْإِيمَانِ، وَرَجَعُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ
الْكُفْرِ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، وَالْهُدَى، وَالْإِيمَانُ، الشَّيْطَانُ هُوَ
الَّذِي زَيَّنَ لَهُمْ ذَلِكَ، وَحَسَّنَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَمَدَّ لَهُمْ فِي الْأَمَالِ الْكَاذِبَةَ،
وَوَسَّوَسَ لَهُمْ أَنَّ الْحَيَاةَ لَذِيذَةُ خُلُوةٍ يَسْتَطِيعُونَ التَّمَتُّعَ بِهَا، ثُمَّ يَتَوَبُّونَ
وَيَعُودُونَ إِلَى التَّقْوَى وَالْإِخْلَاصِ فِي الْإِيمَانِ.
سَوَّلَ لَهُمْ - زَيَّنَ لَهُمْ وَحَسَّنَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ.
أَمْلَى لَهُمْ - مَدَّ لَهُمْ فِي الْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ.

(٢٦) - وَكَانَ السَّبَبُ الَّذِي جَعَلَ لِلشَّيْطَانِ سُلْطَانًا عَلَيْهِمْ فَأَدَّى ذَلِكَ بِهِمْ
إِلَى الْارْتِدَادِ عَنِ الْإِسْلَامِ، بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، هُوَ أَنََّّهُمْ مَالُؤُوا
يَهُودَ الْمَدِينَةَ، وَنَاصَحُوهُمْ سِرًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ وَلَا يُخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ خَافِيَةً. وَالْيَهُودُ كَرِهُوا أَنْ يَتَّبِعَ اللَّهُ
رَسُولًا مِنَ الْعَرَبِ، فَكَادُوا لِلرَّسُولِ وَالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَحَارَبُوهُمْ
خَرَبًا لَا هَوَادَةَ فِيهَا، مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِمْ أَنَّ اللَّهَ سَيَبْعَثُ
رَسُولًا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ (أَيَّ مِنَ الْعَرَبِ)، وَكَانُوا هُمْ قَبْلَ مَبْعَثِ
الرَّسُولِ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ عَلَى عَرَبِ الْمَدِينَةِ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّهُمْ

﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ

فَأَصْمَهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ

﴿٢٤﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ

عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَالًا

﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ

مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى

الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ

﴿٢٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ

كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضٍ

الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ

سِحَارِبُونَ الْعَرَبَ تَحْتَ لَوَائِهِ، وَسَيَتَصِرُونَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا بُعِثَ الرَّسُولُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ وَبِرِسَالَتِهِ.

يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ - إِخْفَاءَهُمْ مَا يُسْرُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ.

(الْمَلَائِكَةُ) (أَذْبَارُهُمْ)

(٢٧) - فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُمْ غَدًا جِئْنَا تَانِي مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ لِقَبْضِ أَرْوَاجِهِمْ، وَهُمْ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ، وَتَضْرِبُ وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ لَاسْتِخْرَاجِ أَرْوَاجِهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ، وَهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ لَا حَوْلَ لَهُمْ فِيهَا وَلَا قُوَّةَ، مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَاسِ اللَّهِ، وَلَا مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّدَةِ وَالْكَرْبِ وَالْعَذَابِ.

(رِضْوَانُهُ) (أَعْمَالُهُمْ)

(٢٨) - وَقَدْ صَارُوا إِلَى هَذَا الْمَصِيرِ السَّيِّئِ لِأَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى مَا يُسْخِطُ اللَّهَ مِنْ نِفَاقٍ وَمَعْصِيَةٍ وَتَأَمَّرَ مَعَ الْيَهُودِ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَأَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ، فَاتَّبَعُوهُ. وَهُمْ الَّذِينَ كَرِهُوا رِضْوَانَ اللَّهِ، فَلَمْ يَعْمَلُوا لَهُ، بَلْ عَمِلُوا مَا يُسْخِطُ اللَّهَ وَيُغْضِبُهُ، فَأَبْطَلُوا مَا عَمِلُوا مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ، الَّتِي كَانُوا يُعْجِبُونَ بِهَا، وَيَتَفَاخَرُونَ بِعَمَلِهَا، لِيَنَالُوا بِهَا حُسْنَ السَّعَةِ عِنْدَ النَّاسِ. أَحْبَطَ - أَبْطَلَ وَأَهْلَكَ.

(أَضْغَانُهُمْ)

(٢٩) - أَيَحْسَبُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ، الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَشَكٌّ وَرِيبةٌ مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ وَالْإِسْلَامِ، أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَكْشِفَ لِلرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ حِفْدٍ عَظِيمٍ كَامِنٍ، وَلَنْ يَفْضَحَهُمْ وَيَهْتِكَ أَسْتَارَهُمْ؟ أَضْغَانُهُمْ - أَحْقَادُهُمْ الْكَامِنَةُ.

(لَأَرَيْنَاكَهُمْ) (بِسِيمَاهُمْ) (أَعْمَالُكُمْ)

(٣٠) - وَيَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَشْفِ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ لِلرَّسُولِ فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ: إِنَّهُ لَوْ شَاءَ تَعَالَى لَكَشَفَ لَهُ عَنْ أَشْخَاصِهِمْ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرَى أَحَدَهُمْ فَيَعْرِفُهُ مِنْ مَلَاحِجِهِ (بِسِيمَاهُمْ)، وَإِنْ لَهَجَتْهُمْ وَبَرَاتِ أَصْوَاتِهِمْ، وَإِمَالَتَهُمْ فِي لَفْظِ الْكَلِمَاتِ، وَأَنْجَرَاتِ مَنْطِقِهِمْ فِي خِطَابِ الرَّسُولِ، سَيَدُلُّهُ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى نِفَاقِهِمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، وَسَوْفَ يُجَازِيهِمْ بِهَا.

٢٧ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَكَةُ

يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ

٢٨ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا

مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ

٢٩ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ

٣٠ وَلَوْ شَاءَ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَعَرَفْتَهُمْ

بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي

لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ

بِسِيَّمَاهُمْ - بِعَلَامَاتٍ يَسْمُهُمْ بِهَا.
فِي لَحْنِ الْقَوْلِ - بِطَرِيقَةٍ كَلَامِيهِمُ الْمُتَلَوِّيةِ.

(الْمُجَاهِدِينَ) (الصَّابِرِينَ) (تَبَلَّوْا)

(٣١) - أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِالْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ، وَبِالْأَخْذِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَبِالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، لِيُخْتَبِرَهُمْ وَيُكْشِفَ حَقِيقَتَهُمْ، فَيُظْهِرَ الْمُجَاهِدُونَ الصَّابِرُونَ، وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ، وَالْمُسْتَسْلِمُونَ لِلَّهِ وَأَمْرَهُ وَقَدْرِهِ، وَيُظْهِرَ الْمُتَشَكِّكُونَ النَّاكِلُونَ عَنِ الْجِهَادِ، وَعَنِ الْقِيَامِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

لَتَبْلُوَنَكُمْ - لَنُخْتَبِرَنَّكُمْ بِالتَّكْلِيفِ الشَّاقَّةِ.
تَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ - نُظْهِرُهَا وَنُكْشِفُهَا.

(أَعْمَلَهُمْ)

(٣٢) - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَخَالَفُوا الرَّسُولَ، وَوَقَفُوا فِي وَجْهِ الْحَقِّ أَنْ يَبْلُغَ النَّاسَ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ بِالْقُوَّةِ وَالْمَالِ وَالْخِدَاعِ، وَشَاقُّوا الرَّسُولَ بِمُحَارَبَتِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَبِمُحَارَبَةِ دِينِهِ أَوْ شَرِيعَتِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ.

إِنَّ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا، لِأَنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، وَنَاصِرُ رَسُولِهِ وَمُظْهِرُ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَسَيُحِطُّ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ، فَتَنْتَهِيَ إِلَى الْحَيَّةِ وَالْدَّمَارِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَعْمَلَكُمْ)

(٣٣) - يَا أُمَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِاطَاعَةِ اللَّهِ، وَاطَاعَةِ رَسُولِهِ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَفِيمَا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ إِبْطَالِ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ، بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَفِعْلِ الْكَبَائِرِ وَالنِّفَاقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُبْطِلُ الْحَسَنَاتِ وَتُذْهِبُهَا.

(٣٤) - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكُتِبَ، وَرُسُلِهِ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، وَلَنْ يَغْفُوَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، لِأَنَّ بَابَ التَّوْبَةِ يَظُلُّ مَفْتُوحًا لِلْكَافِرِ وَالْعَاصِي حَتَّى تَبْلُغَ رُوحُهُ الْحُلُقُومَ، فَإِذَا بَلَغَتْهُ فَلَا تَوْبَةَ وَلَا مَغْفِرَةَ.

(أَعْمَلَكُمْ)

(٣٥) - فَلَا تَضَعُفُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْجِهَادِ، وَقِتَالِ الْكُفَّارِ

﴿٣١﴾ وَلَتَبْلُوَنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ

الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ
وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ

﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أُهْدُوا لَنْ يَضُرُّوا
اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالَهُمْ



ثَلَاثَةُ أَرْبَاعٍ
الْحَبِيبِ
٥١

﴿٣٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ

﴿٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ

﴿٣٥﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ

الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ

وَالْمُشْرِكِينَ، وَلَا تَدْعُوا إِلَى الْمُهَادَنَةِ وَالْمُسَالَمَةِ وَوَضَعَ الْقِتَالِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ الْغَالِبُونَ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَظْلِمُكُمْ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ.
فَلَا تَهِنُوا - فَلَا تَضَعُفُوا عَنْ مُقَاتَلَةِ الْكُفَّارِ.
السَّلَامُ - الصُّلْحُ وَالْمُوَادَعَةُ وَتَرْكُ الْقِتَالِ.
يَتَرَكُمُ أَعْمَالَكُمْ - يُنْقِصُكُمْ أَجُورَهَا.
(الْحَيَاةُ) (يَسْأَلُكُمْ) (أَمْوَالُكُمْ)

(٣٦) - يَحْضُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْجِهَادِ، وَعَلَى بَذْلِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ نَصْرِ دِينِهِ. وَيُصَغِّرُ لَهُمْ شَأْنَ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَعِبٌ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَضْمَحِلَّ حِينَ لَا يَكُونُ وَرَاءَهَا غَايَةٌ أَكْرَمُ وَأَبْقَى، فَلَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ تَصْرِفَهُ لَذَائِدِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ عَنِ الْعَمَلِ فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى، وَيُوصِلُهُ إِلَى الْفَوْزِ بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ. وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ بِاللَّهِ وَبِكُتْبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتَتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ فَتَقْوُمُوا بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَتَتَّهَوُوا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُ يُبَيِّضُكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَلَا يَبْخَسُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا.

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَمَرَكُمْ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ، وَبِالْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الطَّاعَاتِ فَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمُوَسَّاتَةِ إِخْوَانِكُمُ الْفُقَرَاءِ، وَهُوَ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَعَنْ أَمْوَالِكُمْ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَأْمُرُكُمْ بِإِنْفَاقِ أَمْوَالِكُمْ جَمِيعِهَا، وَإِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِإِخْرَاجِ الْقَلِيلِ مِنْهَا، وَهُوَ تَعَالَى لَا يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْعِبَادِ فِي فَرَائِضِهِ وَتَكَالِيفِهِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فَطَرَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ شُحٍّ وَجَرَصٍ.
(يَسْأَلُكُمْوهَا) (أَضْغَانُكُمْ)

(٣٧) - فَإِنَّهُ تَعَالَى إِذَا أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِإِخْرَاجِ أَمْوَالِهِمْ كُلِّهَا، وَالْحَاجَّ عَلَيْهِمْ فِي طَلَبِ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ يُخْرِجُهُمْ بِذَلِكَ، وَيُظْهِرُ شُحَّ نَفْسِهِمْ، وَتَعَلُّقَهُمْ الشَّدِيدَ بِالْمَالِ، فَتَخْرُجُ أَحْقَادُهُمْ.
يُخَفِّكُم - يُجْهِدُكُمْ فِي طَلَبِهَا.
وَيُقَالُ أَحْقَاءُ بِالْمَسْأَلَةِ إِذَا أَكْثَرَ الْإِلْحَاحَ فِيهَا.
أَضْغَانُكُمْ - أَحْقَادُكُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ.

(هَا أَنْتُمْ) (أَمْثَالُكُمْ)

(٣٨) - إِنَّكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ تَدْعُونَ إِلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ مُجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِ، وَفِي سَبِيلِ نَصْرِ دِينِهِ. وَمَنْ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَبْخُلُ بِالْإِنْفَاقِ فِي هَذَا السَّبِيلِ، وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ

أَعْمَلَكُمْ

(٣٦) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ

وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ

(٣٧) إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ

تَبْخُلُوا وَيُخْرِجُ أَضْغَانَكُمْ

(٣٨) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ

لِنُفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ
يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ

وَاللَّهُ الْعَلِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ
وَلِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ

يَحْرِمُهَا ثَوَابَ اللَّهِ، وَيَحْرِمُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادِ، وَعَنْ
أَمْوَالِهِمْ وَعَنْ جِهَادِهِمْ، وَهُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِنَّمَا حُثُّهُمْ
عَلَى الْجِهَادِ وَالْبَذْلِ لِيَنَالُوا الْأَجْرَ وَالْمُثُوبَةَ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ: إِنَّهُمْ إِنْ كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَعَنْ اتِّبَاعِ
شَرْعِهِ فَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِهْلَاكِهِمْ، وَعَلَى الْإِثْنَانِ بِقَوْمٍ آخَرِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَيَسْتَجِيبُونَ لِأَوَامِرِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِشَرَائِعِهِ، وَلَا يَكُونُونَ أَمْثَالَ مَنْ أَهْلَكَهُمْ
فِي الْبُخْلِ وَالتَّبَاطُؤِ عَنِ الْجِهَادِ.

(٤٨) سُورَةُ الْفَتْحِ وَلَنَنْبِئَكَ
وَأَنبِيَانُهَا تَتَّبِعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، بَعْدَ أَنْ أَبْرَمَ مَعَ قُرَيْشٍ وَثِيقَةَ الصُّلْحِ الْمَعْرُوفِ بِصُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (إِنَّكُمْ تَعُدُّونَ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ صُلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ).

وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ، إِنَّهُ فَتَحَ لَهُ فَتْحًا ظَاهِرًا مُبِينًا بِعَقْدِ الصُّلْحِ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ مَعَ قُرَيْشٍ، إِذْ آمَنَ النَّاسُ، وَاجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَتَكَلَّمَ الْمُؤْمِنُونَ مَعَ الْكَافِرِ، وَتَسَابَقَ الْعَرَبُ إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ عَامَيْنِ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ لِفَتْحِ مَكَّةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ، أَكْثَرُهُمْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ بَعْدَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ.

(صِرَاطًا)

(٢) - لِيَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ جَمِيعَ مَا صَدَرَ عَنْكَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْهَفَوَاتِ، قَبْلَ الرِّسَالَةِ وَبَعْدَهَا، وَيُتِمَّ رَبُّكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بِإِعْلَاءِ شَأْنِكَ وَشَأْنِ الْإِسْلَامِ، وَاتِّبَاعِهِ فِي الْبُلْدَانِ، وَرَفْعِ ذِكْرِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُرْشِدَكَ رَبُّكَ طَرِيقًا مِنَ الدِّينِ لَا أَعْوَجَاجَ فِيهِ، بِمَا يَشْرَعُهُ لَكَ مِنَ الشَّرْعِ، وَالَّذِينَ الْقَوِيمِ.

(٣) - وَنَبْصُرُكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ عَادَاكَ نَصْرًا ذَا عِزَّةٍ.

(إِيمَانًا) (إِيمَانِهِمْ) (السَّمَاوَاتِ)

(٤) - كَانَ مِنْ شُرُوطِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ شَرْطَانِ تَرَكَآ أَثَرًا فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ:

١ - أَنْ لَا يَدْخُلَ الْمُسْلِمُونَ مَكَّةَ عَامَهُمْ ذَاكَ، وَأَنْ يَأْتُوا مُعْتَمِرِينَ فِي الْعَامِ الَّذِي يَلِيهِ.

١ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا

٢ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ

وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

٣ وَنَبْصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَرِيزًا

٤ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ

الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ

إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

٢ - أَنْ يَرُدَّ الْمُسْلِمُونَ مَنْ جَاءَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ مُسْلِمًا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَأَنْ لَا تَرُدَّ قُرَيْشٌ مَنْ جَاءَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُرْتَدًّا عَنِ الْإِسْلَامِ.

وَلَنْ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ فِي هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ غِنًا لِلْمُسْلِمِينَ، حَتَّى إِنْ رُسُولُ اللَّهِ لَمَّا أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِنَحْرِ الْهَدْيِ، وَبِحَلْقِ شُعُورِهِمْ، لَمْ يَمْتَثِلُوا لِأَمْرِهِ فِي بَادِي الْأَمْرِ، فَقَدْ ثَارَتْ فِي نَفْسِهِمُ الْحِمِيَّةُ لِلْإِسْلَامِ. فَانْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ، وَلِيَزْدَادُوا يَقِينًا فِي دِينِهِمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ أَمْرَ الْكَوْنِ، فَيَجْعَلُ جَمَاعَةً مِنْ جُنْدِهِ يُقَاتِلُونَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ، وَيَجْعَلُ غَيْرَهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ جُنْدًا مِنَ السَّمَاءِ يَقْضُونَ عَلَيْهِمْ، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَرَعُ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

السَّكِينَةُ - السُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ.

(الْمُؤْمِنَاتِ) (جَنَاتِ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ)

(٥) - وَإِنَّمَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِيَعْرِفَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ نِعْمَةَ اللَّهِ، وَيَشْكُرُوهُمَا فَيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لِيَتَّقُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، وَلِيَكْفُرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَفِي ذَلِكَ ظَفَرٌ لَهُمْ بِمَا يَرْجُونَ، وَمَا يَسْعَوْنَ إِلَيْهِ. وَهَذَا الظَّفَرُ بِالْبَيْعَةِ، وَدُخُولُ الْجَنَّةِ، هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ.

((الْمُنَافِقِينَ) (الْمُنَافِقَاتِ) (الْمُشْرِكَاتِ) (دَائِرَةُ)

(٦) - وَلِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، وَالْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ وَالْمُشْرِكَاتِ، فِي الدُّنْيَا بِالْفَهْرِ وَالْغَلْبَةِ، وَيَسْلِطِ النَّبِيُّ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ يظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَنْصُرَ الرُّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَكَانُوا يَتَرَبَّصُونَ بِهِمْ الدَّوَائِرُ وَقَدْ دَعَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى هَؤُلَاءِ بِأَنْ تَدُورَ عَلَيْهِمْ أَحْدَاثُ الزَّمَنِ بِالسَّوَاءِ، وَأَنْ تَنْزَلَ بِهِمُ النَّكَبَاتُ وَالْمَصَائِبُ، ثُمَّ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْذَرَهُمْ بِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ مَصِيرًا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ.

ظَنَّ السَّوَاءَ - ظَنَّ الْأَمْرَ الْفَاسِدَ الْمَذْمُومَ.

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ - دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ وَالْدَّمَارِ.

٥ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَيُكْفَرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا

٦ وَلِيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ
الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوَاءِ
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ وَغَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

(السَّمَاوَاتِ)

(٧) - يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى قُدْرَتَهُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَأَعْدَاءِ رَسُولِهِ، الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ يَمْلِكُ جُنُودَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ، وَالْجِنِّ، وَالصَّيْحَةِ، وَالرَّجْفَةِ، وَالزَّلَازِلِ وَالْفَيْضَانَاتِ، وَالرَّيْحِ الْعَقِيمِ... فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَهْلِكَ أَعْدَاءُهُ سَلَطَ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْجُنُودِ عَلَيْهِمْ فَأَهْلَكَهُمْ، وَاللَّهُ غَالِبٌ لَا يَرُدُّ بَأْسَهُ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

(أَرْسَلْنَاكَ) (شَاهِدًا)

(٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ شَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ فِيمَا أَجَابُوكَ بِهِ عَلَى دَعْوَتِكَ إِيَّاهُمْ لِلْإِيمَانِ بِاللَّهِ، فَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ، وَالثَّوَابُ الْحَسَنُ، وَتَنْذِرِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُعْرِضِينَ عَمَّا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ، بِعَذَابِ أَلِيمٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(٩) - قَامُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنْصُرُوا دِينَهُ وَعَظُمُوهُ، وَنَزَّهُوهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ فِي الْغُدُوِّ وَالْعِشِيِّ.

عَزُّوهُ - أَنْصُرُوهُ بِتَقَانٍ.

وَقَرُّوهُ - عَظَّمُوهُ وَبَجَّلُوهُ.

بُكْرَةً وَأَصِيلًا - فِي الْغُدُوِّ وَالْأَصَائِلِ أَيَّ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِ الْيَوْمِ.

(عَاهِدَ)

(١٠) - حِينَمَا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ مُعْتَمِرًا (وَالْحُدَيْبِيَّةُ قَرْيَةٌ عَلَى مَسِيرَةِ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَكَّةَ)، مَعَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، دَعَا خُرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخَزَاعِيَّ فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ لِيُبَلِّغَ أَشْرَافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لِأَجْلِهِ، فَعَقَرَتْ قُرَيْشُ الْجَمَلِ، وَأَرَادُوا قَتْلَ خُرَاشٍ فَمَنْعَتْهُ الْأَحَابِيشُ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَعَادَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى. وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرْسِلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَقَارِبُ فِي مَكَّةَ يَمْنَعُونَهُ، وَذَلِكَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَاسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ وَأَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ، يُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِلْبَيْتِ، مُعْتَمِرًا، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ، حِينَ دَخَلَ عُثْمَانُ مَكَّةَ، فَجَعَلَهُ فِي جَوَارِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ إبْلَاجِ رِسَالَتِهِ، ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا أَحْبَسَتْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ عِنْدَهُمْ فَشَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ، فَقَالَ الرَّسُولُ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ.

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتَعَزَّوْهُ وَتُقَرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا
يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ
عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ تَحْتَ شَجَرَةٍ كَانَتْ هُنَاكَ.
وَبَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى الْأَيْمَانِ أَبَدًا. وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنِ الْبَيْعَةِ إِلَّا الْجَدُّ بْنُ
قَيْسٍ، وَهُوَ مُنَافِقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. وَعَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِالْبَيْعَةِ فَخَافَتْ وَأَرْسَلَتْ
الرُّسُلَ إِلَى النَّبِيِّ يَسْأَلُونَهُ الصُّلْحَ وَالْمُوَادَعَةَ، فَتَمَّ الصُّلْحُ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ
الرُّسُولُ وَالْمُسْلِمُونَ هَذَا الْعَامَ، وَلَا يَدْخُلُوا مَكَّةَ، وَأَنْ يَحُجَّ فِي الْعَامِ
الْقَادِمِ، وَعَلَى أَنْ يَقُومَ صُلْحٌ بَيْنَ الرُّسُولِ وَقُرَيْشٍ مُدَّةَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَتَحَدَّثُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ الَّتِي تَمَّتْ
تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ فِي الْحُدُوبِ مِنْ
أَصْحَابِكَ عَلَى الْأَيْمَانِ مِنَ الْمَعْرَكَةِ، وَلَا يُولُوا الْأَذْيَارَ، إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ
بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّاكَ، وَاللَّهُ خَاصِرٌ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي يَدِكَ
مُبَايَعِينَ، يَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ، وَيَرَى مَكَانَهُمْ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ، فَهُوَ
تَعَالَى الْمُبَايِعُ بِوَاسِطَةِ رَسُولِهِ، وَيَدُهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ.

وَفِي الْحَدِيثِ: (مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ بَايَعَ).

فَمَنْ نَقَضَ الْبَيْعَةَ الَّتِي عَقَدَهَا مَعَ النَّبِيِّ فَإِنْ ضَرَرَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعُودُ عَلَيْهِ،
وَلَا يَضُرُّ بِالنَّكَثِ وَالْإِخْلَافِ إِلَّا نَفْسَهُ.

أَمَّا مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِ الْبَيْعَةِ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْأَجْرَ وَالْمُثُوبَةَ فِي الْآخِرَةِ،
وَيَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ لِيَبْقَى فِيهَا خَالِدًا.

نَكَثَ - نَقَضَ الْعَهْدَ أَوْ الْبَيْعَةَ.

(أَمْوَالُنَا)

(١١) - لَمَّا أَتَجَهَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا عَامَ الْحُدُوبِ اسْتَنْفَرَ
الْقَبَائِلَ الْمُسْلِمَةَ الَّتِي تُقِيمُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، فَفَرَّ أَنْاسٌ وَتَبَاطَأَ أَنْاسٌ وَكَانَ
مِمَّنْ تَبَاطَأَ وَاعْتَذَرَ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُ: قَبَائِلُ جُهَيْنَةَ وَمَرْزِنَةَ وَغِفَارٍ وَأَشْجَعٍ
وَأَسْلَمَ، وَقَالُوا لِلرُّسُولِ مُعْتَذِرِينَ:

إِنَّ أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ قَدْ شَغَلَتْهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ
كَانُوا ضِعَافَ الْإِيمَانِ، خَائِفِينَ مِنْ مُوَاجَهَةِ قُرَيْشٍ وَثَقِيفٍ وَكِنَانَةَ وَالْقَبَائِلِ
الْمُحَالِفَةِ لِقُرَيْشٍ حَوْلَ مَكَّةَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:

كَيْفَ نَذْهَبُ إِلَى قَوْمٍ غَزَوْهُ فِي عَقْرِ دَارِهِ بِالْمَدِينَةِ فَنُقَاتِلُهُمْ؟ وَقَالُوا: لَنْ
يَرْجِعَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْ هَذِهِ السَّفَرَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ
يَقْضِيهِمْ فِيهَا.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: سَيَقُولُ لَكَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا مِنَ الْأَعْرَابِ عَنْ صُحْبِكَ إِلَى

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ

مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا
وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا يَقُولُونَ
بِالْإِسْنَةِ هُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ
بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا

مَكَّةَ لِلْعُمْرَةِ: لَقَدْ شَغَلْتَنَا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكَ رِعَايَةُ أَمْوَالِنَا وَأَهْلِينَا، فَاسْتَغْفِرْ لَنَا اللَّهُ رَبِّكَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ تَخْلُقْنَا عَنْ مُحَالَفَةِ لِأَمْرِكَ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُكَذِّبًا فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِصَادِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ إِنَّ سَبَبَ آمِنَتَانِهِمْ عَنِ الْخُرُوجِ هُوَ رِعَايَةُ مُصَالِحِ أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَإِنَّهُمْ إِنَّمَا تَخَلَّفُوا لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ وَالْمُؤْمِنِينَ سَيُعْلَبُونَ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَرْجِعُوا مِنْ سَفَرِهِمْ هَذَا أَبَدًا.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّسُولَ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ قَعَدْتُمْ ظَنًّا مِنْكُمْ أَنَّ فِي الْقُعُودِ السَّلَامَةَ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ شَرًّا وَسُوءًا فَلَنْ يَنْقُصَكُمْ الْقُعُودُ شَيْئًا، وَإِذَا أَرَادَ بِكُمْ خَيْرًا فَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَسِرُّهُ الْعِبَادُ، وَمَا يُعْلِنُونَهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَذِرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ كَاذِبُونَ فِيمَا قَالُوا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا تَخَلَّفُوا شُكًّا وَنِفَاقًا وَضَعْفَ إِيْمَانٍ.

الْمُخَلَّفُونَ - الْمُتَخَلَّفُونَ عَنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحُدُودِ.

(١٢) - فَقَدْ كَانَ سَبَبَ قُعُودِكُمْ هُوَ اعْتِقَادُكُمْ أَنَّ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ سَيَقْتُلُونَ، وَتَسْتَأْصِلُ شَأْفَتُهُمْ، وَلَنْ يَعُودَ مِنْهُمْ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَزَيْنَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ الظَّنَّ السَّيِّئَ. فَقَعَدْتُمْ عَنْ صُحْبَتِهِ، وَظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَنْصُرَ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فَصَرْتُمْ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ قَوْمًا هَالِكِينَ، مُسْتَوْجِبِينَ سُخْطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ.

لَنْ يَنْقَلِبَ - لَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ.
بُورًا - هَالِكِينَ.

(لِلْكَافِرِينَ)

(١٣) - وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُخْلِصِ الْعَمَلَ لِلَّهِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لَهُ نَارًا مُلْتَهَبَةً يُعَذَّبُ فِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءً لَهُ عَلَى كُفْرِهِ.

السَّعِيرُ - النَّارُ ذَاتُ اللَّهَبِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٤) - وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ وَهُوَ صَاحِبُ السُّلْطَانِ الْمُطْلَقِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ذُنُوبَهُ، وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُدْخِلُهُ النَّارَ، وَاللَّهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ

وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا
وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ
وَوَظَنْتُمْ ظَنَّ السُّوءِ
وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا

وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا

أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ
يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا

(كَلَامٌ)

(١٥) - بَعْدَ أَنْ آمَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَهْدِ الْحُدَيْبِيَّةِ، أَتَجَهَّ إِلَى الْيَهُودِ فِي خَيْرٍ لِيَسْتَأْصِلَ شَأْنَهُمْ، وَيَقْضِيَ عَلَى شَرِّهِمْ؛ إِذْ لَاقَى الرَّسُولَ وَالْمُسْلِمُونَ مِنَ الْيَهُودِ، وَكَيَّدَ لَهُمُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ. وَلَمَّا أَرَادَ الرَّسُولَ ﷺ الْخُرُوجَ إِلَى خَيْرٍ تَقَدَّمَ الْأَعْرَابُ، الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ السَّيْرِ مَعَ الرَّسُولِ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ، يَطْلُبُونَ الْإِذْنَ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى خَيْرٍ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِالْأَذْنِ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ مَعَهُ، لِأَنَّهُمْ قَعَدُوا جَمِيعًا كَانَتْ هُنَاكَ مَخَاطِرُ حَرْبٍ شَدِيدَةٍ، وَهُمْ يُرِيدُونَ الْخُرُوجَ الْآنَ لِيُحَوِّزُوا الْمَغَانِمَ السَّهْلَةَ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ إِنَّ سَبَبَ مَنَعِهِمْ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى خَيْرٍ هُوَ حَسَدُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ أَنْ يُشَارِكُوهُمْ فِي الْمَغْنَمِ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: يَقُولُ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ صُحْبَتِكَ فِي عُمَرَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ، مُعْتَذِرِينَ بِرِغَايَةِ مَصَالِحِهِمْ وَأُمُورِهِمْ، دَعُونَا نَسِيرَ مَعَكُمْ إِلَى خَيْرٍ، وَهُمْ بِذَلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يُبْذِلُوا مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الرَّسُولَ وَأَصْحَابَهُ، الَّذِينَ سَارُوا مَعَهُ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ، بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَغْنَمٌ خَيْرٌ خَالِصًا لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ. فَإِذَا سَمِعَ الرَّسُولُ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى خَيْرٍ كَانَ لَهُمْ حَقٌّ بِالْمُشَارَكَةِ فِي الْمَغْنَمِ. وَفِي ذَلِكَ تَبْدِيلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَوَعْدِهِ. وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ: لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ، إِذْ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مَغْنَمَ خَيْرٍ خَالِصًا لِمَنْ كَانُوا مَعَ الرَّسُولِ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ، فَادَّعَى هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ أَنَّ اللَّهَ مَا قَالَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ، بَلْ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ يَحْسَدُونَهُمْ وَلَا يُرِيدُونَ أَنْ يُشَارِكَهُمْ أَحَدٌ فِي الْمَغْنَمِ. وَبَرَّدَ اللَّهُ تَعَالَى قَائِلًا لَهُؤُلَاءِ: إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ أَنَّكُمْ تَمْنَعُونَهُمْ عَنْ أَتْبَاعِكُمْ حَسَدًا مِنْكُمْ لَهُمْ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ الْقَوْلَ لِأَنَّهُمْ لَا يَقْفَهُونَ أَمْرَ الدِّينِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَوْ كَانُوا يَقْفَهُونَ لَمَا اتَّهَمُوا الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْحَسَدِ، وَلَمَا نَفَوْا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ وَعَدَ أَصْحَابَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِحَوِزِ مَغْنَمٍ خَيْرٍ وَحَدَّهُمْ.

ذَرُونَا تَتَّبِعْكُمْ - دَعُونَا نَخْرُجْ مَعَكُمْ إِلَى خَيْرٍ.

كَلَامُ اللَّهِ - حُكْمُهُ بِاخْتِصَاصِ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ بِالْمَغْنَمِ.

(تَقَاتِلُونَهُمْ)

(١٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ، الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ صُحْبَتِكَ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ: إِنَّكُمْ سَتَدْعُونَ إِلَى قِتَالِ قَوْمٍ أُولِي قُوَّةٍ وَنَجْدَةٍ وَبَأْسٍ، وَإِنْ

﴿١٥﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا

أَنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ
لِتَأْخُذُوا هَؤُلَاءِ نَتَّبِعْكُمْ
يُرِيدُونَ أَنْ يُبْذِلُوا كَلِمَ
اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ
قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ
بَلْ تَحْسَدُونَنَا لَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ
إِلَّا قَلِيلًا

﴿١٦﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ

سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ
شَدِيدٍ نَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ

عَلَيْكُمْ أَنْ تُخَيِّرُوهُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إمَّا السَّيْفَ وَإِمَّا الْإِسْلَامَ - وَهَذَا حَكْمٌ عَامٌّ فِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَالْمُرْتَدِّينَ - فَإِذَا أُطِيعَ أَمْرُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى مُجَاهَدَةِ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُثَبِّتُكُمْ عَلَى ذَلِكَ ثَوَابًا جَزِيلًا فَتَنَالُونَ الْمَغْنَمَ فِي الدُّنْيَا، وَالْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ. أَمَّا إِذَا رَفَضْتُمْ الْخُرُوجَ إِلَيْهِمْ، وَالْمُبَادَرَةَ إِلَى مُجَاهَدَتِهِمْ، وَعَصَيْتُمْ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، كَمَا فَعَلْتُمْ مِنْ قَبْلُ، جِئِن قَعَدْتُمْ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْحُدُوبِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أُولَى بَأْسٍ - أَصْحَابُ شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ فِي الْحَرْبِ.

(جَنَاتِ) (الْأَنْهَارِ)

(١٧) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَعْدَارَ الْمُبِيحَةَ لِلْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ، يَقُولُ: إِنَّهُ لَا إِثْمَ وَلَا مَلَامَةَ عَلَى الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَبَبِ مَا بِهِمْ مِنْ عِلَلٍ تَمْنَعُهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ، وَمِنْ الْقِتَالِ: كَالْعَمَى وَالْعَرَجِ وَالْمَرَضِ. ثُمَّ حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْجِهَادِ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ، وَبَيَّنَ لَهُمْ مَا أَعَدَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ مِنْ أَجْرِ وَثَوَابٍ فِي الْآخِرَةِ. فَقَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُجِبِ الدَّعْوَةَ إِلَى مُجَاهَدَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ دِفَاعًا عَنْ دِينِهِ، وَإِعْلَاءً لِكَلِمَةِ رَبِّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُدْخِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِهَا، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَرْفُضِ الْخُرُوجَ إِلَى الْجِهَادِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا.

(أَثَابَهُمْ)

(١٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ عَنْ رِضَاةِ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَايَعُوا الرَّسُولَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ يَوْمَ الْحُدُوبِ، وَكَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِئَةِ رَجُلٍ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الصِّدْقِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الطَّمَانِينَ، وَهُدُوءَ النَّفْسِ، وَأَعْطَاهُمْ جَزَاءَ مَا وَهَبَهُ مِنْ الطَّاعَةِ فَتَحَ خَبِيرَ عَقِبِ أَنْصَرِفِهِمْ مِنَ الْحُدُوبِ، ثُمَّ تَلَا ذَلِكَ فَتَحُ مَكَّةَ.

يُبَايِعُونَكَ - بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بِالْحُدُوبِ.

فَتَحَا قَرِيْبًا - هُوَ فَتَحَ خَبِيرَ.

(١٩) - وَعَوَّضَهُمْ عَنِ الْمَغَانِمِ، الَّتِي فَاتَتْهُمْ بِسَبَبِ صَلَاحِ الْحُدُوبِ، بِمَغَانِمَ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا مِنْ خَبِيرَ، وَخَصَّهُمْ بِهَا دُونَ غَيْرِهِمْ، وَاللَّهُ غَزِيرٌ لَا يُغَالَبُ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

١٧ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى

الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا

١٨ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ

تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا

١٩ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

(آيَةُ) (صِرَاطًا)

(٢٠) - وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَحْصُلُونَ عَلَى مَغَانِمَ كَثِيرَةٍ فِي الْأَيَّامِ الْقَادِمَةِ، مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا مُسْلِمُونَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَجَّلَ لَهُمْ بِمَغْنَمٍ خَيْرٍ، وَكَفَّ أَيْدِيَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَعَنْ حَرَمِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِبَائِهِمْ، وَأَصْحَابِ الْأَعْدَارِ الَّذِينَ بَقُوا فِيهَا، فِي غِيَابِ الْحَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْحُدُوبِ وَخَيْرٍ، لِيَكُونَ ذَلِكَ دَلِيلًا لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ حَافِظُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَلِيَهْدِيَهُمْ رَبُّهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا بِاتِّبَاعِ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَالْإِتِّبَادِ لَهُمَا.

(٢١) - وَوَعَدَ اللَّهُ فَتَحَ بِلَادٍ أُخْرَى لَمْ تَكُونُوا تَقْدِرُونَ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَقْدَرَكُمْ عَلَيْهَا بِعِزِّ الْإِسْلَامِ، وَبَسْرَ لَكُمْ فَتَحَهَا، وَاحْتِيَازَ مَغَانِمِهَا، وَكَانَ اللَّهُ قَدِيرًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ أَمْرٌ. أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا - أَعَدَّهَا اللَّهُ لَكُمْ أَوْ حَفَظَهَا لَكُمْ.

(فَاتَلَكُمُ) (الْأَذْبَارُ)

(٢٢) - يُبَشِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ إِذَا قَاتَلَهُمُ الْمُشْرِكُونَ لَا تَنْصُرُ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَنْهَزِمُ جَيْشُ الْكُفْرِ قَرَارًا مُؤَلَّيًّا الْأَذْبَارَ، وَلَا يَجِدُ وَلِيًّا يَتَوَلَّى رِعَايَتَهُ وَيَحْرُسُهُ، وَلَا نَاصِرًا يَنْصُرُهُ وَيُسَاعِدُهُ، لِأَنَّهُ يُحَارِبُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

(٢٣) - وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ: مَا تَقَابَلَ الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ فِي مَيْدَانٍ إِلَّا نَصَرَ اللَّهُ الْإِيمَانَ، وَهَزَمَ الْكُفْرَ، وَسُنَّةُ اللَّهِ لَا تَبْدِيلَ لَهَا. فَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالْمُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ وَهُمْ قَلِيلَةٌ، وَنَصَرَهُمْ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ أُخْرَى.

(٢٤) - يَمُنُّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ كَفَّ أَيْدِيَ الْمُشْرِكِينَ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ (يَوْمَ الْحُدُوبِ) فَلَمْ يَصِلْ لِلْمُؤْمِنِينَ ضَرَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكَفَّ أَيْدِيَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فَلَمْ يُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَأَوْجَدَ بَيْنَهُمَا صُلْحًا فِيهِ خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَنَصْرٌ. وَقَدْ أَشَارَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى ثَلَاثٍ مِنَ الْجُنْدِ أَرْسَلْتَهُمْ قُرَيْشٌ لِيُطْفِئُوا بِالْمَعْسَكِ الْإِسْلَامِيَّ يَلْتَمِسُونَ غَرَّةً لِيُصِيبُوا مِنْهُمْ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً فَأَسْرَتَهُمْ جَمِيعًا، وَجَاءَتْ بِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ، فَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ عَنْهُمْ، فَكَانَ أَسْرُهُمْ ظَفَرًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ اللَّهُ بِصِيرًا بِأَعْمَالِكُمْ وَأَعْمَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ.

بِطْنِ مَكَّةَ - بِالْحُدُوبِ قُرْبَ مَكَّةَ.

أُظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ - نَصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَأَظْهَرَكُمْ.

(٢٥) وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً

تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ

وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ

آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

(٢٦) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ

اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرًا

(٢٧) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا

الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا

وَلَا نَصِيرًا

(٢٨) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا

(٢٩) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ

وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ

بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ

اللَّهُ بِمَا نَعْمَلُونَ بَصِيرًا

(مُؤْمِنَاتٌ)

(٢٥) - وهؤلاء الذين كفَّ الله أيدي المسلمين عنهم، وكفَّ أيديهم عن المسلمين عند المسجد الحرام يَطْنُ مَكَّةَ، هم المشركون من قُرَيْشٍ وَمَنْ وَالَاهُمْ، واجتمع لِنَصْرَتِهِمْ مِنَ الْأَحَابِيشِ وَيَقِيفٍ وَغَيْرِهِمْ، وهم كفروا بالله، وصدوا المسلمين عن دخول المسجد الحرام، ومنعوا الهدى الذي ساقه النبي ﷺ والمسلمون أن يصل إلى المسجد الحرام ليُدْبِحَ عنده، بعد أداء مناسك الحج والعمرة (وكان النبي ساق معه سبعين بدنة لينحرها عند الحرم).

لَقَدْ كَانَ فِي مَكَّةَ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنُونَ، وهم يَكْتُمُونَ إيمانَهُمْ خِيفَةً مِنْ إِيذَاءِ قُرَيْشٍ، وكان دخول المسلمين مَكَّةَ خَرَبًا سَيُودِي إِلَى أَنْ يَقْتُلَ الْمُسْلِمُونَ الدَّاخِلُونَ مَكَّةَ عَتَوَةً بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ دُونَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِهِمْ، ولولا ذلك لَسَلَطَ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكُفَّارِ وَلَقَتْلُوهُمْ وَأَبَادُوهُمْ، وَلَدَخَلُوا مَكَّةَ عَتَوَةً، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ أَنْ يَقْتُلَ الْمُسْلِمُونَ إِخْوَانَهُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمَوْجُودِينَ فِي مَكَّةَ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُمْ، فَيَلْحَقَهُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ إِنْهُمْ وَغَرَامَةٌ (أَي كَفَّارَةُ الْقَتْلِ الْخَطَا). وَقَدْ حَالَ اللَّهُ تَعَالَى دُونَ وَقُوعِ الْقِتَالِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ لِدُخُولِ مَكَّةَ لِيُتَبَيَّنَ لِلْمُسْلِمِينَ الْمَوْجُودِينَ فِي مَكَّةَ الْخُرُوجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِ الْكُفَّارِ، وَالنَّجَاةَ وَالسَّلَامَةَ مِنَ الْأَذَى، وَلِيُتَبَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ. وَلَوْ كَانَ الْكُفَّارُ مُتَمَيِّزِينَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ الْمَوْجُودِينَ فِي مَكَّةَ فِي شَيْءٍ، فَيَعْرِفُ الْمُسْلِمُونَ، الدَّاخِلُونَ مَكَّةَ، هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، لَسَلَطَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ فَقَتَلُوهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا.

الْوُطْءُ - الدُّوسُ.

الْمَعْرَةُ - الْإِثْمُ أَوْ الْغَرَامَةُ أَوْ الْكَفَّارَةُ.

تَرَزَّلُوا - تَمَيَّزُوا.

عَكَفَهُ - حَبَسَهُ وَمَنَعَهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى غَايَتِهِ.

الْهَدْيُ - الْبُذْنُ الَّتِي تُسَاقُ لِتَنْحَرَ عِنْدَ الْحَرَمِ.

مَجْلَهُ - الْمَكَانَ الَّذِي يَجُلُ فِيهِ نَحْرُهُ.

(الْجَاهِلِيَّةُ)

(٢٦) - ولولا وجود الرجال المسلمين، والنساء المسلمات، في مَكَّةَ لَعَذَّبَ اللَّهُ الْكُفَّارَ، وَلَسَلَطَ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْتُلُونَهُمْ حِينَمَا جَعَلُوا فِي

هَمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ

عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ

مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجْلَهُ، وَلَوْلَا

رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ

لَمْ يَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّعُوهُمْ

فَتَضَيِّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بَعِيرٍ

عِلْمٌ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ

مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي

قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى
رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَأَلَزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

الْحَمِيَّة - الْأَنَفَةُ وَالْغَضَبُ وَالْعُنْجُيَّةُ .

السَّكِينَةُ - الْهُدُوءُ وَالْوَقَارُ .

كَلِمَةُ التَّقْوَى - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

(الرُّؤْيَا) (أَمِينٍ) (رُؤُوسَكُمْ)

(٢٧) - قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ رَأَى فِي
مَنَامِهِ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَمِينِينَ، مِنْهُمْ مَنْ يَخْلُقُ
شَعْرَ رَأْسِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْصُرُ شَعْرَهُ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ فَفَرَحُوا،
وَعُظُنُوا أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ مَكَّةَ عَامِهِمْ ذَاكَ، فَلَمَّا أَنْصَرَفُوا عَائِدِينَ مِنَ
الْحُدَيْبِيَّةِ، عَقِبَ تَوَقُّعِ الصُّلْحِ مَعَ قُرَيْشٍ بِدُونِ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ، شَيْءٌ
ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى إِنْ عَمَرَ بَنَ الْخَطَّابِ جَاءَ أَبَا بَكْرٍ
وَعَدَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ يُسْأَلُ عَنْ أَسْبَابِ الرِّضَا بِهَذَا الصُّلْحِ الَّذِي ظَنُّهُ
يَنْحَوِي شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي صَالِحِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ:
وَهَلْ قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّكَ سَتَدْخُلُ مَكَّةَ هَذَا الْعَامَ؟ قَالَ لَا، قَالَ:
فَإِنَّكَ سَتَأْتِيهِ وَسَتُطَوِّفُ بِهِ .

وَيَذْكُرُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَنَّهُ أَرَى رَسُولَهُ ﷺ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ آمِنُونَ مُطْمَئِنُّونَ، لَا يَخَافُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ أَدَّوْا
مَنَاسِكَهُمْ، فَخَلَقَ بَعْضُهُمْ شَعْرَ رَأْسِهِ، وَسَيَجْعَلُ مَا أَرَاهُ رَسُولُهُ حَقًّا .
لَكِنَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ أَنَّ فِي مَكَّةَ رِجَالًا وَنِسَاءً مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْرِفُهُمُ النَّبِيُّ
وَأَصْحَابُهُ، وَلَوْ دَخَلُوا مَكَّةَ عَنَوْهَ لَقَتَلُوا بَعْضُهُمْ، وَلَأَصَابُوا بَعْضُهُمْ، فَرَدَّ
اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ لِيَمْنَعَ إِيْذَاءَ الْمُسْلِمِينَ الْمُقِيمِينَ فِيهَا،
وَجَعَلَ قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ مَكَّةَ فَتْحًا قَرِيبًا، يُحَقِّقُهُ اللَّهُ

﴿٢٧﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ
الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ
مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
فَجَعَلَ مِنْ ذَلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا

لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ صَلَاحُ الْحُدُيْبِيَّةِ وَفَتْحُ خَيْبَرَ، ثُمَّ حَقَّقَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَامَيْنِ فَتَحَ مَكَّةَ وَأَنْهَى الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ.
فَتَحًا قَرِيبًا - صَلَاحُ الْحُدُيْبِيَّةِ أَوْ فَتَحَ خَيْبَرَ.

(٢٨) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْإِسْلَامِ، لِيَجْعَلَ الْإِسْلَامَ - وَهُوَ دِينُ الْحَقِّ - ظَاهِرًا عَلَى جَمِيعِ الْأَذْيَانِ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ وَعَدَ رَسُولُهُ بِدُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَهُمْ آمِنُونَ، فَحَقَّقَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَعْدَ، وَسَيَحَقُّ وَعْدُهُ لِرَسُولِهِ بِأَنَّهُ تَعَالَى سَيُظْهِرُ الْإِسْلَامَ عَلَى سَائِرِ الْأَذْيَانِ، وَهُوَ تَعَالَى شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ أَبَدًا.
لِيُظْهِرَهُ - لِيُعْلِيَهُ وَيُقَوِّيه.

(تَرَاهُمْ) (رِضْوَانًا) (التَّوْرَةَ) (شَطْأَهُ) (فَازَرَهُ) (آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢٩) - إِنْ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، بَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ، وَإِنْ أَصْحَابُهُ يَتَصَفُّونَ بِالصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ الْحَسَنَةِ، فَهُمْ أَشِدَّاءُ غِلَاطٍ الْقُلُوبِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَهُمْ رُحَمَاءُ مُتَوَادُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَرَاهُمُ النَّاطِرُ إِلَيْهِمْ ذَائِبِينَ عَلَى آدَاءِ الصَّلَاةِ، مُخْلِصِينَ فِيهَا لِلَّهِ، مُحْتَسِبِينَ أَجْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، يَتَّبِعُونَ بِصَلَاتِهِمْ رِضَا اللَّهَ وَرِضْوَانَهُ، تَتْرُكُ نَفْسُهُمُ الْمُطْمَئِنَّةُ أَثَرًا عَلَى وَجُوهِهِمْ، فَهِيَ هَادِئَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَهَذِهِ هِيَ صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ فِي التَّوْرَةِ. وَجَاءَ وَصْفُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ أَنَّ أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ سَيَكُونُونَ قَلِيلِينَ ثُمَّ يَزْدَادُونَ وَيَكْثُرُونَ وَيَسْتَغْلِظُونَ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ فُرُوعُهُ (شَطْأَهُ) الَّتِي تَنْفَرُ مِنْهُ عَلَى جَوَانِبِهِ، فَيَقْوَى وَيَتَحَوَّلُ مِنَ الدَّقَّةِ إِلَى الْغِلَظَةِ، وَيَسْتَقِيمُ عَلَى أَصُولِهِ فَيُعْجَبُ بِهِ الزَّارِعُ لِخَصْبِهِ، وَقُوَّتِهِ، وَحُسْنِ مَظْهَرِهِ، وَقَدْ نَمَاهُمْ اللَّهُ وَأَكْثَرَ عَدَدَهُمْ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، الْعَامِلِينَ لِلصَّالِحَاتِ، بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَأَنْ يُجْزَلَ لَهُمُ الْأَجْرُ وَالْعَطَاءُ، وَبِأَنْ يَدْخُلَهُمْ جَنَّاتِهِ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ أَبَدًا.
مِثْلُهُمْ - صِفَتُهُمْ.

أَزَرَهُ - قَوَّاهُ وَأَعَانَهُ.

الشَّطْأُ - فُرُوعُ الزَّرْعِ وَهُوَ مَا خَرَجَ مِنْ حَوَالِيهِ وَتَفَرَّعَ.

اسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ - اسْتَقَامَ عَلَى أَصُولِهِ.

سَيَمَاهُمْ - عَلَامَتُهُمْ.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ.

بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ.

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ

شَهِيدًا

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ.

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَتَّبِعُونَ فَضْلًا

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَيَمَاهُمْ فِي

وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ

مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي

الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ

فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلِظَ فَاسْتَوَى

عَلَى سُوقِهِ يَعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيُغِيظَ

بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

(٤٩) سُورَةُ الْحُجُرَاتِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا مَن كَانَ فِي عَشِيرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(١) - يُؤدَّبُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُعَلِّمُهُمْ أَصُولَ مُخَاطَبَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَالتَّعَامُلِ مَعَهُ، وَتَوْفِيَّتِهِ حَقَّهُ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالاحْتِرَامِ. فَيَقُولُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: لَا تُسْرِعُوا فِي الْقَضَاءِ فِي أَمْرِ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ لَكُمْ فِيهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَكُونُوا تَبَعًا لِقَضَائِهِمَا وَأَمْرِهِمَا، وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الرَّسُولُ عَلَى الْكَلَامِ فِيهِ، وَلَا تَفْعَلُوا فِعْلًا قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَهُ الرَّسُولُ، وَأَتَّقُوا اللَّهَ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَإِنَّهُ سَمِيعٌ لِمَا تَقُولُونَ، عَلِيمٌ بِمَا تَفْعَلُونَ.

وَرُوي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ رَدًّا عَلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَقُولُونَ لَوْ أُنْزِلَ فِي كَذَا وَكَذَا).

لَا تَقْدُمُوا - لَا تَفْتَرِحُوا - أَوْ لَا تَقْطَعُوا أَمْرًا.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَصَوَاتُكُمْ) (أَعْمَالُكُمْ)

(٢) - وَإِذَا نَطَقْتُمْ وَأَنْتُمْ فِي حَضْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَلَا تَرْفَعُوا أَصَوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِهِ، وَلَا تَبْلُغُوا بِهَا الْحَدَّ الَّذِي يَبْلُغُهُ صَوْتُهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَذِلُّ عَلَى قَلَّةِ الْاحْتِرَامِ. وَإِذَا كَلَّمْتُمُوهُ وَهُوَ صَامِتٌ فَلَا تَبْلُغُوا بِهِ الْجَهْرَ الَّذِي يَدُورُ بَيْنَكُمْ، وَإِذَا كَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَقُولُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، بَلْ خَاطِبُوهُ بِالنَّبُوءَةِ (كَيَا نَبِيِّ اللَّهِ، وَيَا رَسُولَ اللَّهِ) مَخَافَةَ أَنْ يُؤْذِيَ، ذَلِكَ التَّهَاوُنُ فِي تَوْفِيَةِ الرَّسُولِ حَقَّهُ مِنَ الْاحْتِرَامِ، إِلَى الْكُفْرِ وَبُطْلَانِ الْأَعْمَالِ، وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ بِذَلِكَ.

(رُوي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَدْ جَاءَ وَفَدٌ مِنْ تَمِيمٍ فَأَشَارَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ بِأَنْ يُؤَمِّرَ عَلَيْهِمُ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبُدٍ، وَأَشَارَ عُمَرُ بِأَنْ يُؤَمِّرَ عَلَيْهِمُ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، فَتَمَارَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، وَارْتَفَعَتْ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا



لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا

أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ
وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ
أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

أَصْوَاتُهُمَا فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يُكَلِّمُ الرَّسُولَ إِلَّا هَمْسًا،
وَكَانَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَلَا يَسْمَعُهُ الرَّسُولُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ).
أَنْ تَحْطَ - مَخَافَةً أَوْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَبْطُلَ أَعْمَالُكُمْ.

(أَصْوَاتُهُمْ) (أُولَئِكَ)

(٣) - وَالَّذِينَ يَخْفَضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ
فِي حَضْرَتِهِ إِجْلَالًا وَاحْتِرَامًا، هُمُ الَّذِينَ أَبْتَلَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِالْمَحْنِ
وَالْتَكَالِيفِ الشَّاقَّةِ، حَتَّى تَطْهَّرَتْ وَصَفَتْ بِمَا كَابَدَتْهُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى
الْمَشَاقِّ، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ لَذُنُوبِهِمْ، وَلَهُمْ ثَوَابٌ عَظِيمٌ عَلَى
غَضِّهِمْ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ النَّبِيِّ أَحْتِرَامًا مِنْهُمْ لَهُ، وَتَعْظِيمًا لِقُدْرِهِ.
يَغْضُونَ - يَخْفَضُونَ.

أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ - أَخْلَصَهَا وَصَفَّاهَا.

(الْحَجَرَاتِ)

(٤) - اجْتَمَعَ أَنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالُوا: أَنْطَلِقُوا بِنَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ
كَانَ نَبِيًّا فَنَحْنُ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا نَعِشْ بِحَنَاجِهِ، فَجَاؤُوا
إِلَى حُجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلُوا يُنَادُونَهُ وَهُوَ فِي حُجْرَتِهِ: يَا مُحَمَّدُ.
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَأْدِيبًا لِهَؤُلَاءِ وَأَمْسَالِهِمْ، الَّذِينَ
يَأْتُونَ إِلَى النَّبِيِّ، وَهُوَ فِي بَيْتِهِ مَعَ نِسَائِهِ، فَيُنَادُونَهُ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ
لِيُخْرِجَ إِلَيْهِمْ.

وَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ أَكْثَرُهُمْ جُهَالٌ بِمَا يَجِبُ لِلرَّسُولِ
مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْاحْتِرَامِ.

الْحَجَرَاتِ - بَيْتُ الْإِنْسَانِ وَأَمَاكُنْ خَلُوتِهِ مَعَ أَهْلِهِ.

(٥) - وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَاؤُوكَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ بِأَصْوَاتٍ
مُرْتَفِعَةٍ، صَبَرُوا وَلَمْ يُنَادُوكَ حَتَّى تَخْرُجَ أَنْتَ إِلَيْهِمْ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ
عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ بِذَلِكَ قَدْ بَرَّهْنُوا عَلَى مَا يُكُونُونَ لَكَ مِنَ
الْاحْتِرَامِ وَالتَّوْقِيرِ.

(يَا أَيُّهَا) (أَمَنُوا) (بَنَاءً) (بِجَهَالَةٍ) (نَادِمِينَ)

(٦) - هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَقَدْ أَرْسَلَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي الْمُضْطَلِّقِ لِيَجْمَعَ صَدَقَاتِهِمْ، وَكَانَ رَئِيسُهُمْ
الْحَارِثُ بْنُ ضِرَارِ الْخِزَاعِيِّ قَدْ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْلَمَ، وَسَأَلَ
الرَّسُولَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ. فَمِنْ اسْتَجَابَ مِنْهُمْ

٣ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ

عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلشَّقَوَى
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ

٤ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ

الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ

٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ

٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ

فَاسِقٌ يُبَايِعُكُمْ فَنَبَايَعُوهُ
فَمَا يَكْفِلُكُمْ فَنَصِيحُوا عَلَى
مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

لَهُ جَمَعَ الزَّكَاةَ مِنْهُ، عَلَى أَنْ يُرْسِلَ الرَّسُولَ مَبْعُوثًا مِنْ قَبْلِهِ، فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، لِيَقْبِضَ مَا جَمَعَهُ الْحَارِثُ مِنْ صَدَقَاتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ. فَقَامَ الْحَارِثُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمَّا مَضَى الْمَوْعِدُ الْمُحَدَّدُ وَلَمْ يَخْضُرْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ، خَافَ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ لِأَمْرِهِمَا، فَجَمَعَ وَجُوهَ قَوْمِهِ وَسَارَ بِهِمْ إِلَى الرَّسُولِ فِي الْمَدِينَةِ.

وَكَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ مَبْعُوثًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الطَّرِيقِ تَخَوَّفَ مِنْ أَنْ يَقْتُلَهُ بَنُو الْمُصْطَلِقِ فَعَادَ وَآخِرَ الرَّسُولَ بِأَنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مَنَعُوهُ الزَّكَاةَ، وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ.

(وَقِيلَ إِنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ عَلِمُوا بِمَقْدَمِ الْوَلِيدِ فَفَرَحُوا بِهِ وَخَرَجُوا لِلْقَائِهِ فَخَافَ مِنْهُمْ وَعَادَ).

فَلَمَّا سَأَلَ الرَّسُولَ ﷺ الْحَارِثَ عَنْ سَبَبِ مَنَعِهِمُ الزَّكَاةَ، وَمُحَاوَلَتِهِمْ قَتْلَ رَسُولِهِ، قَالُوا لَهُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جَاءَنَا أَحَدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ لَا يَتَعَجَّلُوا فِي حَسْمِ الْأُمُورِ وَتَصْدِيقِ الْأَخْبَارِ الَّتِي يَأْتِيهِمْ بِهَا أَنَاسُ فَسَقَةٍ، غَيْرَ مَأْمُونِينَ فِي خُلُقِهِمْ وَدِينِهِمْ وَرِوَايَتِهِمْ، لِأَنَّ مَنْ لَا يُبَالِي بِالْفُسْقِ فَهُوَ أَجْدَرُ بِأَنْ لَا يُبَالِيَ بِالْكَذِبِ، وَلَا يَتَحَامَاهُ، وَقَدْ يُؤَدِّي التَّعَجُّلُ فِي تَصْدِيقِ الْأَنْبَاءِ الَّتِي يُنْقَلُهَا الْفُسَاقُ إِلَى إصَابَةِ أَنَاسٍ أَتْرِبَاءَ بِأَذَى، وَالْمُؤْمِنُونَ يَجْهَلُونَ حَالَهُمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الْإِيذَاءُ سَبَبًا لِنِدَامَتِهِمْ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُمْ.

(الْإِيمَانُ) (أَوَّلِكَ) (الرَّاشِدُونَ)

(٧) - وَأَعْلَمُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ فَعَظَمُوهُ وَوَقَرُوهُ وَاصْدُقُوهُ، وَتَأَدَّبُوا مَعَهُ، وَهُوَ أَشْفَقَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَوْ أَنَّهُ تَعَجَّلَ فِي عَمَلٍ مَا أَرَدْتُمْ قَبْلَ وَضُوحِ الْأَمْرِ، وَقَامَ بِمَا أَشْرُتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَرَاءِ لَوَقَعْتُمْ فِي الْإِثْمِ وَالْمَسْقَةِ وَالْحَرَجِ (لَعَنْتُمْ)، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَالْأُمُورَ الصَّالِحَةَ، وَجَعَلَ لَكُمْ تَكَرُّهُنَّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَالْعِصْيَانَ.

وَهَؤُلَاءِ الْمُتَصِفُونَ بِالصِّفَاتِ السَّابِقَةِ هُمُ الرَّاشِدُونَ الْمُهْتَدُونَ، الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ رُشْدَهُمْ. لَعَنْتُمْ - لِأَنْتُمْ وَهَلَكْتُمْ.

(٨) - وَهَذَا الْعَطَاءُ، الَّذِي مَنَحَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ، هُوَ فَضْلٌ مِنْهُ عَلَيْكُمْ، وَإِنْعَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ لَدُنْهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْعَوَايَةَ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ

يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ

وَزَيَّنَّهٗ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ

الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ

أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(طَائِفَتَانِ) (إِحْدَاهُمَا) (فَقَاتِلُوا)

(٩) - وَإِذَا أَقْتَلْتَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا - يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ، وَذَلِكَ بِاللُّغْوَةِ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَالرِّضَا بِمَا فِيهِ، فَبِذَا أَبَتْ إِحْدَى هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ الْإِجَابَةَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَتَجَاوَزَتْ حُدُودَ الْعَدْلِ، وَأَجَابَتِ الْأُخْرَى، فَقَاتِلُوا الَّتِي تَعْتَدِي وَتَأْمُرُ بِالْإِجَابَةِ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ، حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْهِ وَتَخْضَعَ لَهُ، فَإِنْ رَجَعَتِ الطَّائِفَةُ الْبَاغِيَةُ إِلَى الرِّضَا بِحُكْمِ اللَّهِ، فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ، وَاعْدِلُوا فِي حَكْمِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَادِلِينَ، وَيَجْزِيهِمْ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ.

بَغَتْ - اعتدت.

نَفِيءٌ - ترجع.

أَقْسَطُوا - اعدلوا في كل أموركم.

الْمُقْسِطِينَ - العادلين.

(١٠) - الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فِي الدِّينِ، (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ).

فَاصْلِحُوا بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ الْمُتَقَاتِلَيْنِ، أَوِ الطَّائِفَتَيْنِ الْمُتَقَاتِلَتَيْنِ كَمَا تُصْلِحُونَ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ مِنَ النَّسَبِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَكُمْ وَيَصْفَحَ عَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ ذُنُوبٍ وَهَفَوَاتٍ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (بِالْأَلْقَابِ) (الْإِيمَانِ) (فَأُولَئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

(١١) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ السُّخْرِيَةِ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ، وَاسْتِصْغَارِ شَأْنِهِمْ، فَقَدْ يَكُونُ الْمُسْتَهْزَأُ بِهِ أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ السَّاحِرِ مِنْهُ، وَالْمُحْتَقِرُ لَهُ، فَيُظْلَمُ نَفْسُهُ بِتَحْقِيرِ مَنْ وَقَرَهُ اللَّهُ. كَمَا نَهَى تَعَالَى النِّسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ عَنْ أَنْ يَسْخَرْنَ مِنْ أَخَوَاتِهِنَّ الْمُؤْمِنَاتِ، فَقَدْ تَكُونُ الْمُسْتَهْزَأُ بِهَا أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ السَّاحِرَةِ مِنْهَا. كَمَا أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَلْقَابِ بِغَضَبٍ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَبِأَنْ لَا يَغِيبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَبِأَنْ لَا يَطْعَنَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ. وَاعْتَبَرْتَ تَعَالَى لَمَزَ الْإِنْسَانَ أَخَاهُ كَلِمَتِهِ نَفْسُهُ، وَطَعَنَهُ أَخَاهُ كَطَعْنِهِ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ جَسَدٌ وَاحِدٌ إِنْ أَشْتَكَى مِنْهُ غُضُو تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى. كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ لَا يَدْعُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِلَقَبٍ يَسُوؤُهُ أَوْ يَكْرَهُهُ، كَانَ يَقُولُ مُسْلِمٌ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا فَاجِرٌ، أَوْ يَا غَادِرٌ أَوْ يَا عَدُوٌّ لِلَّهِ أَوْ يَا مُنَافِقٌ...

١ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أَفْتَلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ
بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى
فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَقَى إِلَى
أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا
بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

١٠ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا

بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

١١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا

مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا
مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ
يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا
أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ
بِئْسَ الْأَتْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ
هُمْ الظَّالِمُونَ

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ التَّنَازُرَ بِالْأَلْقَابِ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَمِلَ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابَ، وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ، فَنَهَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُعَيَّرَ بِمَا سَلَفَ مِنْ عَمَلِهِ).

وَبُقِصَتِ الصِّفَةُ، وَبُقِصَ الْأِسْمُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَذْكُرُوا بِالْفُسُوقِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِي الْإِيمَانِ. وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مِنْ نَبَزِهِ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ بِلَقَبٍ يَكْرَهُهُ، وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مِنْ لَمَزِهِ إِخْوَتَهُ، وَمِنْ سُخْرِيَتِهِ مِنْهُمْ. فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَكْسَبُوا عِقَابَ اللَّهِ بَعْضِيَانِهِمْ إِيَّاهُ.

لَا تَنَازَرُوا بِالْأَلْقَابِ - لَا يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِلَقَبٍ يَكْرَهُهُ.
لَا يَسْخَرُ - لَا يَهْزَأُ.

لَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ - لَا يَعْيبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلَا يَطْعَنُ فِيهِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(١٢) - يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الظَّنِّ الشَّيِّءِ بِإِخْوَانِهِمْ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ ظَنَّ الْمُؤْمِنِ السُّوءَ إِثْمٌ، لِأَنَّ اللَّهَ نَهَى عَنْ فِعْلِهِ، فَإِذَا فَعَلَهُ فَهُوَ آثِمٌ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ. لَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا). (الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

ثُمَّ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَتَجَسَّسَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَمَا نَهَاَهُمْ عَنْ أَنْ يَتَّبَعَ بَعْضُهُمْ عَوْرَاتِ بَعْضٍ، وَعَنْ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ سَرَائِرِ أَخِيهِ، وَهُوَ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ فَضْحَهُ، وَكَشَفَ غُيُوبَهُ.

ثُمَّ نَهَاَهُمْ عَنْ أَنْ يَغْتَابَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَعَنْ أَنْ يَذْكُرَ أَحَدُهُمْ أَخَاهُ بِمَا يَكْرَهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَخَلْقِهِ وَأَهْلِيهِ وَمَالِهِ وَزَوْجِهِ وَلَدِيهِ. (كَمَا عَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْاِغْتِيَابَ).

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ: لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي عُفْرِ بَيْتِهِ).

وَشَبَّهَ تَعَالَى اغْتِيَابَ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ بِأَكْلِهِ لَحْمَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُمْ إِذَا كَانَ أَحَدُهُمْ يَكْرَهُ أَكْلَ لَحْمِ أَخِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَإِذَا كَانَتْ نَفْسُهُ تَعَافَى ذَلِكَ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَكْرَهُوا أَنْ يَغْتَابُوهُ فِي حَيَاتِهِ.

وَاللَّغِيَّةُ ثَلَاثَةٌ وَجُوهٌ:

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا

مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم

بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ

يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

تَوَّابٌ رَّحِيمٌ

الْغِيَةِ - وَهِيَ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ فِي أَخِيهِ مَا هُوَ فِيهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ.
الْإِفْكَ - أَنْ يَقُولَ فِيهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ.
الْبُهْتَانُ - أَنْ يَقُولَ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ.

ثُمَّ حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ، وَعَلَى تَرْكِ الْغِيَةِ، وَمُرَاقَبَةِ
تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، فَإِذَا تَابُوا وَأَنْتَهَوْا وَاسْتَغْفَرُوا رَبَّهُمْ عَمَّا فَرَّطَ
مِنْهُمْ، اسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ، فَتَابَ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ تَعَالَى كَثِيرُ التَّوْبِ عَلَى
عِبَادِهِ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ.
كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ أَنْتُمْ - هُوَ ظَنُّ السُّوءِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ.
لَا تَجَسَّسُوا - لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ.
فَكَرِهْتُمُوهُ - فَقَدْ كَرِهْتُمُوهُ فَلَا تَفْعَلُوهُ.

(يَا أَيُّهَا) (خَلَقْنَاكُمْ) (جَعَلْنَاكُمْ) (قِبَائِلَ) (اتِّفَاقَكُمْ)

(١٣) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا إِخْوَةٌ لِأَمِّ وَأَبٍ،
وَلِذَلِكَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَسْتَعْلِيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ إِخْوَتِهِ، وَلَا أَنْ يُسِيَءَ
إِلَيْهِ، وَلَا أَنْ يَنْتَقِصَهُ، وَلَا أَنْ يَغْتَابَهُ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَشَرَ بِالتَّكَاثُرِ
شُعُوبًا وَقِبَائِلَ مُخْتَلِفَةً لِيَتِمَّكَنَ بَعْضُهُمْ مِنْ مَعْرِفَةِ بَعْضٍ، كَمَا يُقَالُ هَذَا
فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ مِنْ قَبِيلَةِ كَذَا مِنْ بَطْنِ كَذَا. وَلَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ
إِلَّا بِالتَّقْوَى، وَالْإِتْقَى هُوَ الْأَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْأَرْفَعُ مَنَازِلَةً، وَلَا قِيَمَةَ فِي
مِيزَانِ اللَّهِ لِلْأَمْوَالِ وَالْأَحْسَابِ وَالْأَوْلَادِ، وَإِنَّمَا الْقِيَمَةُ لِلتَّقَى وَالصَّلَاحِ،
وَطَهَارَةِ الْقَلْبِ، وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَالْإِخْلَاصِ فِي مَحَبَّةِ النَّاسِ،
وَالنُّصْحِ لَهُمْ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الصُّدُورُ، خَبِيرٌ بِأُمُورِ الْعِبَادِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ
حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظَّمَهَا بِأَبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ بَرٌّ نَقِيٌّ كَرِيمٌ
عَلَى اللَّهِ، وَرَجُلٌ فَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى). ثُمَّ نَلَا هَذِهِ الْآيَةَ.

(آمَنَّا) (الْإِيمَانَ) (أَعْمَالِكُمْ)

(١٤) - قَالَتِ الْأَعْرَابُ: آمَنَّا بِاللَّهِ، وَصَدَّقْنَا رَسُولَهُ. فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ
مُؤَدَّبًا وَمُعَلِّمًا، وَأَمَرَ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ
التَّصَدِيقُ مَعَ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ، وَالْوُثُوقُ الْكَامِلُ بِاللَّهِ، وَاتِّفَاقُ الْقَلْبِ
وَاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ، وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ لَمْ تَصِلُوا إِلَيْهَا بَعْدُ. وَلَكِنْ قُولُوا: أَسْلَمْنَا
وَأَتَقَدْنَا إِلَيْكَ طَائِعِينَ مُسْتَسْلِمِينَ، فَإِنَّ أَطَعَمْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَخْلَصْتُمْ
الْعَمَلَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْقُصُكُمْ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا، وَاللَّهُ غَفُورٌ غَفِيرٌ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقِبَائِلَ لَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ



قَالَتِ الْأَعْرَابُ

ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا

وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ

الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا

اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنَ

أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

الْهَفَوَاتِ وَالزَّلَّاتِ، إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْهَا، وَاسْتَشْعَرَ لِقَبْلِهِ النَّدَمَ، وَهُوَ تَعَالَى رَجِيمٌ لَا يُعَذِّبُ الْعَبْدَ عَلَى ذَنْبٍ سَبَقَ أَنْ غَفَرَهُ اللَّهُ لَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ. آمَنَّا - صَدَقْنَا بِقُلُوبِنَا وَالسِّنِّتِ. اسْلَمْنَا - اسْتَسْلَمْنَا خَوْفًا وَطَمَعًا. لَا يَلْتَكُمُ - لَا يَنْقُصُكُمْ وَلَا يَظْلِمُكُمْ.

(آمَنُوا) (جَاهِدُوا) (بِأَمْوَالِهِمْ) (أُولَئِكَ) (الصَّادِقُونَ)

(١٥) - وَيُعَرِّفُ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ الْإِيمَانَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَيَقْرُرُ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا حَقًّا هُمْ الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَمْ يَشْكُوا، وَلَمْ يَتَزَلَّزَلُوا، وَلَمْ يَتَرَدَّدُوا، وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَفَعَةِ شَأْنِ الْإِسْلَامِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ. (السَّمَاوَاتِ)

(١٦) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْإِيمَانَ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ حَقًّا: إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمَا فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَمَائِرِكُمْ، وَهُوَ تَعَالَى قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، لَا يَقُوتهُ شَيْءٌ مِنْهُ، فَلَا تَظُنُّوا أَنَّهُ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِكُمْ وَدِينِكُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَقُولُوا خِلَافَ مَا فِي صَمَائِرِكُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، وَيَحَاسِبُكُمْ عَلَيْهِ.

اتَّعَلَّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ - أَنْخَبِرُونَهُ بِقَوْلِكُمْ آمَنَّا.

(إِسْلَامَكُمْ) (هَذَاكُمْ) (لِلْإِيمَانِ) (صَادِقِينَ)

(١٧) - جَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مُسْلِمِينَ وَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْلَمْنَا وَقَاتَلْتُكَ الْعَرَبَ وَلَمْ نَقَاتِلْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (إِنَّ فِقْهَهُمْ قَلِيلٌ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْطِقُ عَلَى السِّنِّتِهِمْ). وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَفِيهَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ جَاؤُوكَ وَهُمْ يَعُدُّونَ إِسْلَامَهُمْ وَمُتَابَعَتَهُمْ لَكَ مَنَّةً عَلَيْكَ، يَطْلُبُونَ عَلَيْهَا أَجْرًا، فَقُلْ لَهُمْ: لَا تَعُدُّوا إِسْلَامَكُمْ مَنَّةً عَلَيَّ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَمُنُّ عَلَيْكُمْ إِذْ وَقَفَكُمُ إِلَى الْاِهْتِدَاءِ إِلَى الْإِيمَانِ، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي إِيْمَانِكُمْ.

(السَّمَاوَاتِ)

(١٨) - وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا غَابَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلِلَّذَلِكَ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ وَمَا يَكُونُهُ فِي صَمَائِرِهِمْ.

١٥ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ
الصَّادِقُونَ

١٦ قُلْ اتَّعَلَّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

١٧ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا

تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ

١٨ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ إِيْمَانًا تَعْمَلُونَ

(٥٠) سُورَةُ قَافٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَيْرٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ قَافٍ وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ

(قَافٍ) (وَالْقُرْآنَ)

(١) - قَافٍ - اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

يُقَسِّمُ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الْكَثِيرِ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، عَلَى أَنْ مُحَمَّدًا هُوَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

(وَقَدْ حُذِفَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ لِوُضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَلِوُرُودِهِ فِي غَيْرِ مَكَانٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَدْ جَاءَ فِي سُورَةِ يَسَ:

﴿يَسَ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١) وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾^(٢).

(الْكَافِرُونَ)

٢ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ

(٢) - لَقَدْ تَعَجَّبَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ إِزْسَالِ رَسُولِ إِلَهُهِمْ مِنَ الْبَشَرِ، وَعَدُّوا ذَلِكَ مِنْ عَجَائِبِ الْأُمُورِ الَّتِي تَسْتَحِقُّ الدَّهْشَةَ وَالتَّأَمُّلَ. وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ: إِنَّهُ لَشَيْءٌ عَجِيبٌ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِرِسَالَةٍ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ.

(أَيْدَا)

٣ أَلَمْ دَامَسْنَا وَكَانُوا آبَاءَ ذَلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ

(٣) - أَبْعَدُ أَنْ تَمُوتَ وَتَبْلَى عِظَامُنَا، وَتَصْبِحَ تُرَابًا نَرْجِعُ إِلَى الْحَيَاةِ، وَنَرْجِعُ أَجْسَامُنَا كَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ بُنْيَةٍ وَتَرْكِيبٍ؟ إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُوعَ بَعْدَ الْمَوْتِ أَمْرٌ بَعِيدُ الْوُقُوعِ، وَلَا يُصَدِّقُهُ الْعَقْلُ. رَجَعٌ بَعِيدٌ - رُجُوعٌ إِلَى الْحَيَاةِ غَيْرُ مُمَكِّنٍ.

(١) سورة يس، الآيتان ١ - ٢.

(٢) سورة التغابن، الآية ٧.

(كِتَابُ)

﴿٤﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ

وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ

(٤) - وَيُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبُعْثِ وَالنُّشُورِ مُخْبِرًا أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ مِنْ أَجْسَادِ مَوْتَاهُمْ، وَعِظَامِهِمْ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَيْنَ تَفَرَّقَتْ ذُرَاةُ أَجْسَادِهِمْ، وَأَنَّ لَدَيْهِ تَعَالَى كِتَابًا يَحْفَظُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَضْبُطُ مَا يَعْلَمُ أَنْتُمْ الضَّبْطُ.

﴿٥﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ

فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ

(٥) - لَقَدْ كَذَّبُوا بِالنَّبُوءَةِ الثَّابِتَةِ بِالْإِدْلَةِ وَالْآيَاتِ مِنْ قُورِهِمْ، دُونَ تَفَكُّرٍ وَلَا تَدَبُّرٍ، وَمَنْ كَذَّبَ بِالنَّبُوءَةِ فَقَدْ كَذَّبَ بِمَا أَنْبَأَ بِهِ النَّبِيُّ مِنَ الْبُعْثِ وَالنُّشُورِ، فَهُمْ فِي قَلْقٍ وَأَمْرٍ مُضْطَرِبٍ، فَتَارَةً يَنْفُونَ الرِّسَالََةَ عَنِ الْبَشَرِ، وَأُخْرَى يَقُولُونَ إِنَّهَا سِحْرٌ وَكَيْهَانَةٌ.

مَرِيجٍ - قَلْقٍ مُضْطَرِبٍ.

(بَيْنَاهَا) (رَيْنَاهَا)

﴿٦﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ

كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَيْنَاهَا وَمَا

لَهَا مِنْ فُرُوجٍ

(٦) - وَيَلْتَفِتُ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِوُقُوعِ الْبُعْثِ إِلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَمَا فِيهَا مِنْ كَوَاكِبٍ تُرَيْنُهَا وَمَا فِي خَلْقِهَا مِنْ إِتْقَانٍ وَإِبداعٍ، وَيَقُولُ لَهُمْ: أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ رَفَعَهَا اللَّهُ بِلا عَمَدٍ، وَرَيْنَاهَا بِالْكَوَاكِبِ لِيُذَرِّكُوا أَنَّ مَنْ أَحْسَنَ خَلْقَهَا لِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى بَعْدَ فَنَاءِ أَجْسَادِهِمْ، لِأَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى. ^(١)

فُرُوجٍ - شُقُوقٍ وَفُتُوقٍ.

(مَدَدْنَاهَا) (رَوَّاسِي)

﴿٧﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا

رَوَّاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ

بِهَيْجٍ

(٧) - ثُمَّ لَفَّتَ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى خَلْقِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنْ بَحَارٍ وَجِبَالٍ وَأَنْهَارٍ وَنَبَاتَاتٍ، فَقَالَ: أَفَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبُعْثِ، إِلَى الْأَرْضِ، كَيْفَ مَدَّهَا اللَّهُ، وَبَسَطَهَا أَمَامَ الْأَعْيُنِ، وَجَعَلَ فِيهَا جِبَالًا ثَوَابِتَ لثَلَا تَمِيدُ بَمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْخَلْقِ، وَلِكَيْلَا تَضْطَرِبَ بِهِمْ، وَكَيْفَ أَنْبَتَ فِيهَا مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ النَّبَاتَاتِ، بِهَيْجٍ حَسَنِ الْمَنْظَرِ.

رَوْجٍ - صِنْفٍ.

بِهَيْجٍ - حَسَنِ الْمَنْظَرِ يَهْجُ النَّفُوسَ.

مَدَدْنَاهَا - بَسَطْنَاهَا.

رَوَّاسِي - جِبَالًا ثَوَابِتَ.

(١) سورة غافر الآية ٤٠.

٨ بَصْرَةٌ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ

٩ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا

فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ
الْحَصِيدِ

١٠ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ

١١ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَةٍ
مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ

١٢ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ
الرَّيْسِ وَشُعُودٌ

(٨) - وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ ذَلِكَ لِيَتَبَصَّرَ، بِهَذَا الْخَلْقِ الْبَدِيعِ، الْعَبْدُ الْمُنِيبُ لِلَّهِ وَيَعْتَبِرَ.

عَبْدٌ مُنِيبٌ - مُذْعِنٌ لِرَبِّهِ أَوْ رَاجِعٌ إِلَيْهِ.
بَصْرَةٌ - وَسِيلَةٌ لِلتَّبَصُّرِ - عِظَةٌ وَغَبْرَةٌ.

(مُبَارَكًا) (جَنَّاتٍ)

(٩) - وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ مَاءً كَثِيرَ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ (مُبَارَكًا)، فَأَنْبَتَ بِهِ الْبَسَاتِينَ، وَالْحَدَائِقَ، وَالنَّبَاتَاتِ الَّتِي تَزْرَعُ لِتُحْصَدَ وَيُجْمَعَ حَبُّهَا كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالذَّرَّةِ...
حَبَّ الْحَصِيدِ - حَبَّ الزَّرْعِ الَّتِي يُحْصَدُ.

(بَاسِقَاتٍ)

(١٠) - وَأَنْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَيْضًا أَشْجَارَ النَّخِيلِ الْبَاسِقَةِ الْعَالِيَةِ الَّتِي لَهَا طَلْعٌ مُنْضُودٌ يَرْكُبُ بَعْضُهُ بَعْضًا.
النَّخْلُ بَاسِقَاتٍ - طَوَالًا أَوْ حَوَامِلَ.
طَلْعٌ - ثَمَرٌ فِي وَعَائِهِ.
نَضِيدٌ - مُنْضُدٌ وَمُتَرَائِمٌ، بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.

(١١) - وَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى، بِهَذَا الْمَاءِ، الْحَبَّ وَالنَّخِيلَ وَالْبَسَاتِينَ، لِيَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ رِزْقًا لِلْعِبَادِ يَأْكُلُونَ مِنْهُ هُمْ وَأَنْعَامُهُمْ، وَأَحْيَا اللَّهُ بِهَذَا الْمَاءِ الْمُنْزَلِ مِنَ السَّمَاءِ الْأَرْضَ الْمَوَاتِ الْمُجْدِبَةَ الَّتِي لَا تَبَاتُ فِيهَا، فَأَنْبَتَتْ وَأَخْضَرَّتْ فَانْتَفَعَ بِهَا النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ.

وَكَمَا أَخْرَجَ اللَّهُ النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارَ مِنَ الْأَرْضِ الْمَوَاتِ بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ عَلَيْهَا، كَذَلِكَ يُخْرِجُ اللَّهُ الْأَمْوَاتَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيُحْيِيهِمْ، وَيُعِيدُ خَلْقَ أَجْسَادِهِمْ، وَلَا شَيْءَ يَسْتَعْصِي عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

كَذَلِكَ الْخُرُوجُ - كَذَلِكَ يُخْرِجُ الْأَمْوَاتَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(أَصْحَابُ)

(١٢) - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبَ الْأَمْرِ الْخَالِيَةِ، أَشَارَ هُنَا إِلَى مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عِقَابٍ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَتَمَادِيهِمْ فِي الضَّلَالَةِ وَالتَّكْذِيبِ لِرُسُلِ اللَّهِ، وَأَسْتَهْزَائِهِمْ بِمَا أَنْفَرَهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَهُوَ بِذَلِكَ يُهَدِّدُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ أَنْ يَجِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْأَمْرِ الْخَالِيَةِ.

وَأَخْبَرَ تَعَالَى : أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ نُوحًا فَأَغْرَقَهُمُ اللَّهُ بِالطُّوفَانِ .
وَكَذَّبَ أَصْحَابُ الرُّسُ رَسُولَهُمْ فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ . وَكَذَّبَتْ ثَمُودُ رَسُولَهُمْ
صَالِحًا فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ بِالصَّيْحَةِ .
أَصْحَابُ الرُّسُ - أَصْحَابُ الْبَيْتِ .
(إِخْوَانُ)

(١٣) - وَكَذَّبَتْ عَادُ رَسُولَهُمْ هُودًا فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ ، بِالرِّيحِ الْعَقِيمِ ،
وَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ مُوسَى وَهَارُونَ فَأَغْرَقَهُ اللَّهُ وَقَوْمُهُ فِي الْبَحْرِ . وَأَهْلَكَ اللَّهُ
تَعَالَى قَوْمَ لُوطٍ بَعْدَ أَنْ أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَإِتْيَانِ الْفَاحِشَةِ ،
فَجَعَلَ اللَّهُ عَالِي بِلَادِهِمْ سَافِلَهَا .
(أَصْحَابُ)

(١٤) - وَكَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ (وَهُمْ قَوْمٌ شُعَيْبٍ) ، رَسُولَهُمْ شُعَيْبًا
فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ بِالرَّجْفَةِ ، وَعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ . وَكَذَلِكَ أَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمَ
ثُعَيْبٍ لِيَتَكْذِبِيهِمْ رُسُلُ رَبِّهِمْ ، وَإِقَامَتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ .
وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ كَذَّبُوا رُسُلَ اللَّهِ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ ، فَحَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ
يَنْزِلَ بِهِمْ مَا أَوْعَدَهُمْ بِهِ اللَّهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ .
أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ - أَصْحَابُ الْغَيْصَةِ الْكَثِيفَةِ الْمُتَنَفِّةِ الْأَشْجَارِ وَهُمْ قَوْمٌ
شُعَيْبٍ .

(١٥) - وَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُكْذِبِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مُسْتَنْكِرًا ظَنَّهُمْ أَسْتَحَالَةَ
الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ : هَلْ أَعْجَزَ اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ آيِدَاءً ، حَتَّى يَشْكُ
هَؤُلَاءِ فِي قُدْرَتِهِ عَلَى إِعَادَةِ الْخَلْقِ مِنْ جَدِيدٍ ؟ وَمَا دَامَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ
يَضْعُبْ عَلَيْهِ خَلْقَ الْبَشَرِ آيِدَاءً ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَضْعُبُ عَلَيْهِ إِعَادَةُ بَعْثِهِمْ ،
لِأَنَّ الْإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الْآيِدَاءِ .

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ :
لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ) .
أَفْعَيْنَا - أَفْعِزْنَا عَنْهُ ؟ كَلَّا .
فِي لَبْسٍ - فِي شَكٍّ وَشُبْهَةٍ .

(الْإِنْسَانُ)

(١٦) - يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى قُدْرَتَهُ عَلَى بَعْثِ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْقُبُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، وَأَنْشَأَهُ مِنْ عَدَمٍ ، وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِ

١٣ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ

١٤ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثُعَيْبٍ
كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ

١٥ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي
لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ

١٦ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ
مَآئُوسًا بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ

وَأَعْمَالِهِ وَأُمُورِهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مَا يَتَرَدَّدُ فِي نَفْسِهِ مِنْ فِكْرٍ، وَمَا تُحَدِّثُهُ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ عَمَلٍ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا.

(وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لَأُمْتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَقُلْ أَوْ تَفْعَلْ).

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ الْإِنْسَانَ تَحْتَ سُلْطَانِ اللَّهِ وَقَهْرِهِ، وَإِنْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ الْمُكَلِّفِينَ يَحْفَظُ الْإِنْسَانَ وَإِحْصَاءَ أَعْمَالِهِ هُمْ مُلَازِمُونَ لَهُ دَائِمًا، حَتَّى إِنَّهُمْ بِالنَّسَبَةِ إِلَيْهِ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْوَرِيدِ الَّذِي يَمْتَدُّ فِي عُنُقِهِ. حَبْلِ الْوَرِيدِ - عَرَقٌ كَبِيرٌ فِي الْعُنُقِ.

(١٧) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ وَكَّلَ بِهِ مَلَكَ عَنِ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ يَرْقُبَانِهِ وَيَتَرَصَّدَانِهِ، وَيُحْصِيَانِ عَلَيْهِ كُلَّ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَيَكْتُبَانِهِ. مَلَكَ عَنِ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَمَلَكَ عَنِ الشَّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ. قَعِيدٌ - قَاعِدٌ.

(١٨) - وَلَا يَصْدُرُ عَنِ الْإِنْسَانِ لَفْظٌ أَوْ كَلِمَةٌ إِلَّا وَلَدِيهِ مَلَكَ حَاضِرٌ مَعَهُ، مُرَاقِبٌ لِأَعْمَالِهِ يُسَبِّتُهَا فِي صَحِيفَتِهِ. عَتِيدٌ - جَاهِزٌ وَمُهَيَّأٌ لِلْكِتَابَةِ. رَقِيبٌ - مُرَاقِبٌ.

(١٩) - وَإِنَّ الْكُفَّارَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ لَيَعْلَمُونَ صِدْقَ ذَلِكَ جِئِنَ الْمَوْتُ، وَجِئِنَ قِيَامُ السَّاعَةِ، فَإِذَا جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ كَشَفَتْ لِلْإِنْسَانِ عَنِ الْيَقِينِ الَّذِي كَانَ يَمْتَرِي فِيهِ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ. وَسَكْرَةُ الْمَوْتِ وَمَا تَكْشِفُهُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ يَقِينٍ، وَحَقَائِقٍ، هِيَ الْحَقُّ الَّذِي كُنْتُ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ تَفَرُّمُهُ وَتَتَجَبَّئُهُ (تَحِيدٌ)، وَهَاقَدْ جَاءَكَ، فَلَا مَجِيدَ لَكَ عَنْهُ، وَلَا مَهْرَبَ وَلَا مَنَاصَ. سَكْرَةُ الْمَوْتِ - شِدَّتُهُ وَعَظَمَتُهُ. تَحِيدٌ - تَفَرُّمُهُ وَتَهَرُّبٌ.

(٢٠) - وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً، فَذَلِكَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَدْ جَاءَكَ بِأَهْوَالِهِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَوْعَدَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُ سَيَجْزِيهِمْ فِيهِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

(سَائِقٌ)

(٢١) - وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَبِّهَا وَمَعَهَا سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَيْهِ، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

١٧ إِذِ انْقَلَبَ الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ

١٨ مَا لَيْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

١٩ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ

٢٠ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ

٢١ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ

(٢٢) - وَيُقَالُ لِلْإِنْسَانِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ : إِنَّكَ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَذَا الْيَوْمِ ، وَمَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ وَشِدَائِدٍ وَقَدْ أَنْجَلَى لَكَ ذَلِكَ ، وَظَهَرَ لَكَ ، حَتَّى رَأَيْتَهُ عَيْنَانَا فَزَالَتْ عَنْكَ هَذِهِ الْغَفْلَةُ .
حَدِيدُ الْبَصَرِ - قُوَى الْبَصَرِ وَنَافِذُهُ .

الْغَطَاءُ - الْحِجَابُ - وَهُوَ حِجَابُ الْغَفْلَةِ عَنِ الْآخِرَةِ .

(٢٣) - وَيَقْدُمُ الْمَلِكُ الْمَكْلُفُ بِمُرَاقَبَةِ الْإِنْسَانِ صَحِيفَةً أَعْمَالِهِ إِلَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ ، وَيَقُولُ : هَذَا الَّذِي وَكَّلْتَنِي بِهِ يَا رَبُّ قَدْ أَخْضَرْتُهُ وَأَخْضَرْتُ صَحِيفَةَ أَعْمَالِهِ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا ، فَهُوَ مُهَيَّأٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَهْنِئَةٍ وَإِعْدَادٍ .

(وَقِيلَ إِنَّ الْمُرَادَ بِالْقَرِينِ هُنَا الشَّيْطَانُ الَّذِي كَانَ مُقِيضاً لَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . وَهُوَ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْآيَةُ ٢٧ التَّالِيَةُ) .
عَتِيدٌ - مُعَدٌّ - حَاضِرٌ وَمُهَيَّأٌ لِلْعُرْضِ .

(٢٤) - وَبَعْدَ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْخَلَائِقِ بَعْدَ ذَلِكَ النَّامِ ، يَأْمُرُ تَعَالَى السَّائِقَ وَالشَّهِيدَ بِأَنْ يُلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ شَدِيدِ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ ، مُعَانِدٍ لِلْحَقِّ ، مُعَارِضٍ لَهُ بِالْبَاطِلِ .
عَنِيدٌ - شَدِيدُ الْعِنَادِ وَالْمُجَافَاةِ لِلْحَقِّ .

(٢٥) - كَانَ لَا يُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ ، وَلَا يُنْفِقُ فِي سَبِيلِ الْبِرِّ ، وَالصَّدَقَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَكَانَ مُعْتَدِياً عَلَى خَلْقِ اللَّهِ يُؤْذِيهِمْ بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ ظُلْماً وَعَدْوَاناً ، وَهُوَ يُثِيرُ الرِّيْبَةَ وَالشُّكَّ لِمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ .
مُعْتَدٍ - ظَالِمٌ مُتَجَاوِزُ الْحَدِّ .

مُرِيبٌ - شَاكٌ فِي اللَّهِ وَدِينِهِ - أَوْ مُثِيرٌ لِلشُّكِّ وَالرِّيْبَةِ .

(آخِرُ)

(٢٦) - وَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ . ثُمَّ يُكْرَرُ تَعَالَى الْأَمْرُ لِلْمَلَكَيْنِ ، السَّائِقِ وَالشَّهِيدِ ، بِأَنْ يَقْدِفَا هَذَا الْمُسْتَحِقَّ لِلْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيَذُوقَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ الْمُؤَلَّم .

(ضَلَالٌ)

(٢٧) - وَيُحَاوِلُ الْكَافِرُ أَنْ يَتَعَذَّرَ لِلرَّبِّ الْعَظِيمِ عَنْ كُفْرِهِ وَمُعَانَدَتِهِ وَطُغْيَانِهِ ، فَيَقُولُ لِلرَّبِّ : إِنَّ قَرِينَهُ الشَّيْطَانَ أَطْعَمَهُ ، وَزَيَّنَ لَهُ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ ، فَيُرْدُ عَلَيْهِ قَرِينَهُ قَائِلاً لِلرَّبِّ الْكَرِيمِ : إِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الضَّلَالِ وَالطُّغْيَانِ ، وَإِنَّمَا كَانَ هُوَ نَفْسُهُ مُغْرَقاً فِي الضَّلَالَةِ وَمُعَانَدَةً الْحَقِّ ، فَسَارَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَتَّفِقُ مَعَ هَوَى نَفْسِهِ .
أَطْعَمَهُ - حَمَلَتْهُ عَلَى الطُّغْيَانِ .

٢٢ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا
فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ
الْيَوْمَ حَدِيدٌ

٢٣ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ

٢٤ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ

٢٥ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ

٢٦ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ



٢٧ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا
أَطْعَمْتَهُ وَلَكِن كَانِ فِي
ضَلَالٍ بَعِيدٍ

(٢٨) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْكَافِرِ الْمُعَانِدِ مِنَ الْإِنْسِ ، وَلِقَرِيْبِهِ مِنَ الْجِنِّ : لَا تَخَاصِمَا عِنْدِي وَلَا تَتَجَادَلَا ، فَقَدْ أَرْسَلْتُ الرُّسُلَ إِلَيْكُمْ مُحَذِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ أَهْوَالَ هَذَا الْيَوْمِ ، وَأَنْزَلْتُ الْكُتُبَ تُبَيِّنُ لَكُمْ أَنْتُمْ سَتَرْجِعُونُ جَمِيعًا إِلَيَّ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَأَنْتُمْ سَتَحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ جَمِيعًا ، فَلَا عُدْرَ لَكُمْ الْيَوْمَ ، وَقَدْ قَامَتْ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةُ .

(بِظُلَامٍ)

(٢٩) - لَا يُبْدِلُ الْقَضَاءُ الَّذِي قَضَيْتُهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَنَا لَا أَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِي ، فَلَا أَعْذَبُ أَحَدًا بِذَنْبٍ غَيْرِهِ ، وَلَا أُحْمِلُ نَفْسًا ذَنْبًا ارْتَكَبَهُ غَيْرُهَا ، وَلَا أَعْذَبُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ ، وَبَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ .

(٣٠) - وَيَحْدُثُ كُلُّ مَا تَقَدَّمَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُسْأَلُ فِيهِ الرَّبُّ تَعَالَى جَهَنَّمَ وَيَقُولُ لَهَا : هَلِ امْتَلَأْتَ بِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ أَفْوَاجِ الْكُفَّارِ وَالْمُجْرِمِينَ وَالْعَصَاةِ ؟ وَتَرُدُّ جَهَنَّمَ قَائِلَةً : وَهَلْ بَقِيَ شَيْءٌ تَزِيدُونِي بِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ ؟ .

(٣١) - وَأَدْنَيْتِ الْجَنَّةَ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَخَافُوهُ ، وَاجْتَنَبُوا مَعَاصِيَهُ ، حَتَّى أَصْبَحَتْ عَلَى مَسَرَّاءِ الْعَيْنِ مِنْهُمْ ، وَذَلِكَ لِتُسَطِّمُنَّ قُلُوبُهُمْ ، وَهُمْ يَرَوْنَ فِيهَا مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ نَعِيمٍ لَا نَفَادَ لَهُ .
أُزْلِفَتْ - قُرِبَتْ وَأَدْنَيْتِ .

(٣٢) - وَيُقَالُ لِلْمُتَّقِينَ - يَقُولُهُ الرَّبُّ تَعَالَى أَوْ يَقُولُهُ الْمَلَائِكَةُ الْأَطْهَارُ - هَذَا هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي وَعَدَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ الْكَرَامِ ، وَجَاءَتْ بِهِ كُتُبُهُ ، وَقَدْ أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ رَجَاعٍ رَجَاعَ تَوَابٍ إِلَى رَبِّهِ ، مُقْلَعٍ عَنْ مَعَاصِيهِ ، يَحْفَظُ الْعَهْدَ وَلَا يَنْقُضُهُ .

أَوَابٍ - رَجَاعٍ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ .

(٣٣) - مَنْ خَافَ اللَّهَ فِي سِرِّهِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَرَاهُ غَيْرَ اللَّهِ ، وَجَاءَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ خَاضِعٍ لَهُ .
مُنِيبٌ - مُخْلِصٌ مُقْبِلٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ .

(بِسَلَامٍ)

(٣٤) - وَيُقَالُ لَهُؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ الْمُكْرَمِينَ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ سَالِمِينَ مِنْ الْعَذَابِ وَالْهُمُومِ وَالْخَوْفِ ، وَاطْمَئِنُّوا وَقَرُّوا عَيْنًا فَهَذَا يَوْمُ الْخُلُودِ فِي هَذَا النَّعِيمِ ، فَهُوَ دَائِمٌ عَلَيْكُمْ لَا تَحُولُونَ عَنْهُ وَلَا تَزُولُونَ ، وَلَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُخْرَجُونَ .

٣٨ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدِمْتُ
إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ

٣٩ مَا يُبْدِلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ
لِلْعَبِيدِ

٣٠ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ
وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ

٣١ وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ

٣٢ هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ

٣٣ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبِ وَجَاءَ
بِقَلْبٍ مُنِيبٍ

٣٤ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ

(يَسْأَوْنَ)

(٣٥) - وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَطْلُبُونَ وَمَا يَشْتَهُونَ، ثُمَّ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ فَوْقَ مَا سَأَلُوا مِمَّا لَمْ يَخْطُرْ لَهُمْ عَلَى بَالٍ.

(الْبِلَادِ)

(٣٦) - وَكَثِيرًا مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ أَهْلَكَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ بَطْشًا، وَأَكْثَرَ مِنْهُمْ قُوَّةً، وَسَلَكُوا فِي الْأَرْضِ كُلَّ مَسَلِكٍ، وَسَارُوا فِي كُلِّ طَرِيقٍ يَطُوفُونَ فِي الْبِلَادِ طَلَبًا لِلرِّزْقِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَهْرَبٌ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ حِينَمَا جَاءَهُمْ، فَلْيَحْذَرِ كُفَّارُ قُرَيْشٍ أَنْ يَنْزَلَ بِهِمْ مِثْلَمَا نَزَلَ بِتِلْكَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْدَّمَارِ.

كَمْ أَهْلَكْنَا - كَثِيرًا مَا أَهْلَكْنَا.

قُرَيْنَ - أُمَّةٍ.

بَطْشًا - قُوَّةً أَوْ اخْذًا شَدِيدًا.

نَقَبُوا - طَوَّفُوا.

مَجِيصٍ - مَهْرَبٍ.

(٣٧) - وَفِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالذُّعْوَةِ إِلَى الْاِغْتِيَارِ وَالْاِتِّعَاطِ لَتَذَكِيرَةٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَعِي بِهِ، وَأُذُنٌ يَسْمَعُ بِهَا، وَهُوَ حَاضِرُ الْقَلْبِ.

شَهِيدٌ - حَاضِرُ الْقَلْبِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٣٨) - يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى بَعْثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ أَنْ يَصِيرُوا عِظَامًا نَخِرَةً بِالْيَةِ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَغِي بِخَلْقِهِنَّ، وَلَمْ يُعْجِزْهُ خَلْقُ شَيْءٍ فِيهِنَّ، وَلَمْ يَمَسَّهُ تَعَالَى إِعْيَاءٌ وَلَا تَعَبٌ.

(وَفِي هَذَا تَكْذِيبٌ لِمَا يَتَقَدَّهُ الْيَهُودُ مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ).

لُغُوبٍ - تَعَبٌ وَإِعْيَاءٌ.

(٣٩) - فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُهُ الْمُكَذِّبُونَ مِنْ قَوْمِكَ، وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا، وَنَزَّةً رَبُّكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَاحْمَدُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ، وَفَتْ الْفَجْرِ، وَوَقْتَ الْعَصْرِ، لِعِظَمِ الْعِبَادَةِ فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ.

(٣٥) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ

(٣٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ

هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ

(٣٧) إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ

لَهُ قَلْبٌ أَوْ أُلْقِيَ السَّمْعُ وَهُوَ
شَهِيدٌ

(٣٨) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ

(٣٩) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ

مِحْمَدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ الْغُرُوبِ

(الليل) (أَذْبَارَ)

(٤٠) - وَسَبِّحْ رَبَّكَ وَتَزَكُّهُ وَآحْمَدُهُ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ، وَبَعْدَ أَذَاءِ الصَّلَوَاتِ. أَذْبَارَ السُّجُودِ - أَغْقَابِ الصَّلَوَاتِ.

(٤١) - وَأَسْمَعْ يَا مُحَمَّدُ إِلَى مَا أَخْبَرُكَ بِهِ مِمَّا يَجْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَبِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَقُومُ مُنَادِي اللَّهِ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَيُنَادِي فَيَصِلُ نِدَاؤُهُ إِلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، وَيَقُولُ: هَذَا يَوْمُ الْحِسَابِ فَأَسْرِعُوا فِي الْخُرُوجِ.

(٤٢) - وَيَوْمَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ صَوْتَ الْمُنَادِي (وَقِيلَ إِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي تَنْفُخُ فِي الصُّورِ) يَخْرُجُونَ مُسْرِعِينَ مِنَ الْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ جَسَادٌ مُنْتَشِرٌ، فَيُقَالُ لَهُمْ هَذَا هُوَ يَوْمُ الْبَعْثِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْقُبُورِ. الصَّيْحَةُ - النَّدَاءُ أَوْ صَيْحَةُ الْبَعْثِ أَوْ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ فِي الصُّورِ.

(٤٣) - يُعْلِمُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَحْيَاهُمْ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُمِيتُهُمْ حِينَ تَنْقِضِي أَجَالُهُمْ، ثُمَّ يَرْجِعُهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحْسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(٤٤) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَتَشَقَّقُ الْأَرْضُ فَيَخْرُجُ الْمَوْتَى مُسْرِعِينَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْحَشَرُ لِلْعِبَادِ هَيئًا يَسِيرًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَا عُسْرَ فِيهِ، وَلَا مَشَقَّةَ.

تَتَشَقَّقُ - تَتَصَدَّعُ.

يسراعاً - مُسْرِعِينَ إِلَى الدَّاعِي.

(بِالْقُرْآنِ)

(٤٥) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ الْمُكَذِّبِينَ، وَمُعَانَدَةِ الْمُعَانِدِينَ، فَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِمَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَفْسَاءٍ، وَتَكْذِيبٍ، وَاسْتِهْزَاءٍ، وَمِنْ إِنْكَارِ الْبَعْثِ، وَمَا أَنْتَ إِلَّا رَسُولٌ مُكَلَّفٌ بِإِبْلَاجِهِمْ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْلِطٍ عَلَيْهِمْ لِتُجْبِرَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ اللَّهِ، الَّذِي أَنْذَرَ بِهِ الْعَصَاةَ، فَهُوَ الَّذِي يَتَذَكَّرُ وَيَنْتَفِعُ بِالتَّذَكُّرِ. جَبَّارٌ - مَنْ يَسْتَطِيعُ إِجْبَارَ غَيْرِهِ عَلَى فِعْلٍ مَا يُرِيدُ.

٤٠ وَمِنْ أَيْلٍ فَسَبِّحْهُ وَأَذْبَرَ السُّجُودِ

٤١ وَأَسْمَعْ يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ

٤٢ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ

٤٣ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ

٤٤ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ

٤٥ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ

(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاتُهَا سِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الذَّارِيَّاتِ)

(١) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّيَّاحِ الَّتِي تَذُرُّو التُّرَابَ ذُرُوءًا.
الذُّرُوءُ - التَّفْرِيقُ وَالبَعَثَةُ.

(فَالْحَامِلَاتِ)

(٢) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِالسَّحَابِ الْمُنْقَلِ بِالمَاءِ.
الْوَقْرُ - حِمْلُ البَعِيرِ.

(فَالْجَارِيَاتِ)

(٣) - وَيُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالسُّفُنِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى سَطْحِ المَاءِ جَرِيًّا
سَهْلًا مَيْسَرًا.
السُّرُ - السُّهولةُ.

(فَالْمَقْسَمَاتِ)

(٤) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِالمَلَائِكَةِ تَنْزِيلُ بِأوامِرِ اللَّهِ الشَّرْعِيَّةِ وَالكُونِيَّةِ،
وَتَوَزُّعُهَا وَفَقْ مَشِيئَتِهِ، فَتَفْصِلُ فِي الشُّؤُونِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَا، وَتُقَسِّمُ الْأُمُورَ
فِي الكَوْنِ بِحَسَبِهَا.

(إِنْ مَا)

(٥) لَقَدْ أَقْسَمَ تَعَالَى بِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ عَلَى أَنَّ مَا يُوعَدُ بِهِ النَّاسُ
مِنْ مَوْتٍ ثُمَّ بَعْثٍ ثُمَّ حَشَرٍ ثُمَّ جَزَاءٍ لَخَبِيرٍ صَادِقٍ وَحَقٍّ وَسَيَتَحَقَّقُ وَوُوعُهُ.

(لَوَاقِعِ)

(٦) - وَإِنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ الَّذِي يُوعَدُونَ بِهِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ.
الدِّينُ - الْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ.

١ وَالذَّارِيَّتِ ذُرُوءًا

٢ فَالْحَامِلَاتِ وَفَرًا

٣ فَالْجَارِيَّتِ يَسْرًا

٤ فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا

٥ إِنَّمَا تُوَعَدُونَ لَصَادِقٌ

٦ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ

﴿٧﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ

(٧) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْأَنْسَاقِ وَالتَّرَكِيبِ الْمُحْكَمِ، كَأَنْسَاقِ الزَّرْدِ الْمُتَشَابِكِ الْمُتَدَاخِلِ الْحَلَقَاتِ.
ذَاتِ الْحُبُكِ - ذَاتِ الْجَمَالِ وَحُسْنِ التَّرَكِيبِ.

﴿٨﴾ إِنَّا كُنَّا لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ

(٨) - لَقَدْ أَقْسَمَ تَعَالَى عَلَى أَنْكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ لِلرُّسُلِ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ مُضْطَرِبٍ، لَا يَلْتَمِمْ وَلَا يَجْتَمِعُ، وَلَا يَثْبُتُ وَلَا يَسْتَقَرُّ، وَلَا يَرُوحُ إِلَّا عَلَى ضَالٍّ لِأَنَّهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ.

﴿٩﴾ يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ الْأَفْكَ

(٩) - وَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ الْمُخْتَلِفَ، يُصْرِفُ عَنْهُ مَنْ صُرِفَ، وَيَبْقَى مَنْ بَقِيَ، فَلَا أَسْتِقْرَارَ عَلَيْهِ، وَلَا تَوَافُقَ، وَلَا ثَبَاتَ.
أَفْكَ - صُرِفَ.

﴿١٠﴾ قِيلَ الْخَرَّاصُونَ

(١٠) - لِعَنِ الْمُرْتَابُونَ الَّذِينَ يَطْنُونَ ظَنًّا، وَيَقُولُونَ قَوْلًا لَا يَسْتَبْدُونَ فِيهِ إِلَى دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ.
الْخَرَّاصُ - الْكَذَّابُ - أَوِ الَّذِي يَظُنُّ وَيَقْدَرُ جُرْأَفًا.
قُتِلَ - لِعَنِ وَقُبِحَ فَعْلُهُ.

﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ

(١١) - الَّذِينَ هُمْ فِي جَهْلِ غَمْبٍ، وَغَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ عَمَّا أَمَرُوا بِهِ، وَهُمْ مَغْمُورُونَ بِالْأَبَاطِيلِ وَالْأَضَالِيلِ وَالْأَوْهَامِ لَا يُفْقَهُونَ وَلَا يَسْتَقِطُونَ.
غَمْرَةٌ - جَهَالَةٌ غَامِرَةٌ.
سَاهُونَ - غَافِلُونَ عَمَّا أَمَرُوا بِهِ.

(يَسْأَلُونَ)

﴿١٢﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ

(١٢) - الَّذِينَ يَقُولُونَ تَكْذِيبًا وَشَكًّا وَاسْتِيعَادًا، لَا طَلِبًا لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ: مَتَى يَكُونُ يَوْمُ الْحِسَابِ هَذَا الَّذِي تَعِدُونَنَا بِهِ؟
أَيَّانَ - مَتَى.
يَوْمَ الدِّينِ - يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿١٣﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ

(١٣) - وَيَوْمَ الْجَزَاءِ الَّذِي يَسْأَلُونَ عَنْهُ مُكْذِّبِينَ بِهِ، مُسْتَبْعِدِينَ لَوْقُوعِهِ، هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُعَذِّبُ اللَّهُ فِيهِ الْكَفَّارَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.
يُفْتَنُونَ - يُحْرَقُونَ وَيُعَذَّبُونَ.

﴿١٤﴾ ذُوقُوا فَلَنْ نَكُفِّرَهُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ

(١٤) - وَيَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ مُوَبِّحِينَ مُقَرَّرِينَ: ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي كُنْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِوُقُوعِهِ اسْتِهْزَاءً، وَتَظُنُّونَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاقِعٍ.

(جَنَاتٍ)

(١٥) - أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَاتَّقُوا رَبَّهُمْ وَأَطَاعُوهُ، وَاجْتَنَبُوا مَعَاصِيَهُ، فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي بَسَاتِينٍ وَجَنَّاتٍ تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ.

(آخِذِينَ) (آثَاهُمْ)

(١٦) - قَرِيرَةً أَعْيَنَهُمْ بِمَا آثَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ نَعِيمٍ يَفُوقُ مَا كَانُوا يُؤْمَلُونَ، لَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، طَلَبًا لِمَرْضَاةِ رَبِّهِمْ، فَقَالُوا هَذَا الْجَزَاءُ الْعَظِيمُ.

(الَلَّيْلِ)

(١٧) - كَانُوا يَنَامُونَ الْقَلِيلَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَيَقُومُونَ لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ فِي مُعْظَمِهِ. يَهْجَعُونَ - يَرْقُدُونَ وَيَنَامُونَ.

(١٨) - وَكَانُوا يُحْيُونَ اللَّيْلَ مُتَهَجِّدِينَ، فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ السَّحْرِ أَخَذُوا فِي الْأَسْتِغْفَارِ كَأَنَّهُمْ أَسْلَفُوا فِي لَيْلَتِهِمُ الذُّنُوبَ. الْأَسْحَارِ - أَوَاخِرِ اللَّيْلِ.

(أَمْوَالِهِمْ) (لِلسَّائِلِ)

(١٩) - وَجَعَلُوا فِي أَمْوَالِهِمْ جُزْءًا مُعَيَّنًا خَصَّصُوهُ لِلسَّائِلِ الْمُحْتَاجِ، وَلِلْمُتَعَفِّفِ الَّذِي لَا يَجِدُ مَا يَغْنِيهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ، وَلَا يَفْطَنُ إِلَيْهِ أَحَدٌ لِيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ. الْمَحْرُومُ - الَّذِي حُرِمَ الصَّدَقَةُ لِيَتَعَفَّفَ عَنِ السُّؤَالِ مَعَ حَاجَتِهِ.

(آيَاتٍ)

(٢٠) - وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ ذَالَةٌ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ وَقُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ، تَسْتَبِينُ لِمَنْ فَكَّرَ فِيهَا، وَتَدَّبَّرَ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَاتِ قَامَنَ وَزَادَ يَقِينًا.

(٢١) - وَفِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَتَطَوُّرِ نُمُوهِ، وَإِدْرَاكِهِ وَظَائِفِ خَلْقِهَا جِسْمِهِ، وَتَوَالِدِهِ، وَاخْتِلَافِ الْوَانِ الْبَشَرِ وَأَشْكَالِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ... الخ فِي كُلِّ ذَلِكَ آيَاتٌ تَدْعُو، مَنْ عَمَرَ قَلْبَهُ الْيَقِينَ، إِلَى التَّفَكُّيرِ وَالتَّأَمُّلِ فِي عَظَمَةِ هَذَا الْخَالِقِ وَقُدْرَتِهِ وَإِبْدَاعِهِ.

(٢٢) - وَفِي السَّمَاءِ سَبَابُ رِزْقِكُمْ، مِنْ مَطَرٍ يَخْرُجُ بِهِ الزَّرْعُ وَالنَّبَاتُ، وَيَرْوِي الْعُطَاشَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنُجُومٍ، تُؤَثِّرُ فِي

١٥ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

١٦ آخِذِينَ مَاءً أَنْهَارُهُمْ مِنْهُمُ يُشْرَبُونَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ

١٧ كَانُوا أَقْلِيًّا مِنْ أَتَلِيلٍ مَا يَهْجَعُونَ

١٨ وَإِلَّا لَأَسْحَارَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

١٩ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ

٢٠ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ

٢١ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

٢٢ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوَعَّدُونَ

جَوَّ الْأَرْضِ، وَثَبِيرُ الرِّيَّاحِ، فَتَكُونُ الْفُصُولُ الْأَرْبَعَةُ، وَتَكُونُ الرِّيَّاحُ
وَسِيلَةُ لَسَوِيِ الْغُيُومِ الْمُثْقَلَةِ بِالْمَاءِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَتَقْلُ الرِّيَّاحُ
لِفَاحِ النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ فَتَتَلَفَحُ وَتُعْطِي أَكْلَهَا،
وَتَسْتَكْمِلُ وَطِيفَتَهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ يَتِمُّ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَتَبْسِيرِهِ، وَيَحْصُلُ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى مَا قَسَمَهُ اللَّهُ مِنْ رِزْقٍ. وَفِي السَّمَاءِ أَيْضاً مَا
تُوَعَّدُونَ مِنْ جَزَاءٍ عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

(٢٣) - يُقَسِّمُ تَعَالَى بِذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ عَلَى أَنْ مَا وَعَدَ بِهِ الْعِبَادَ مِنْ أَمْرِ
الْقِيَامَةِ، وَالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ وَحَقٌّ لَا مَرَّةَ فِيهِ، فَلَا تَشْكُوا فِيهِ
كَمَا أَنْكُمْ لَا تَشْكُونَ فِي نَطْقِكُمْ حِينَ تَنْطِقُونَ.

(أَتَاكَ) (إِبْرَاهِيمَ)

(٢٤) - وَيَعُودُ تَعَالَى لِيَذْكُرَ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ بِقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ مَعَ
أَقْوَامِهِمْ، وَمَا لَقَوْهُ مِنْ تَكْذِيبٍ وَإِذَاءٍ فَتَبَتُوا عَلَى مَا أَصَابَهُمْ، وَتَابَعُوا أَذَاءَ
مَهْمَتِهِمْ الَّتِي كَلَّفَهُمْ بِهَارِبُهُمْ، بِعِزِّهِ وَصَبْرِهِ فَفَضَّرَهُمُ اللَّهُ، وَدَمَّرَ أَقْوَامَهُمْ.
وَفِي هَذِهِ الْقِصَصِ تَثْبِيتُ لِقَلْبِ الرَّسُولِ ﷺ، وَتَسْلِيَةُ لَهُ، وَتَحْذِيرُ
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، وَلَفَتْ لِأَنْظَارِهِمْ إِلَى أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ قَدْ
مَضَتْ فِي نَصْرِ الرُّسُلِ، وَتَذْمِيرِ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ، وَلَيْسَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلٌ،
وَلَا تَحْوِيلٌ.

وَيَبْدَأُ اللَّهُ تَعَالَى بِقِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَمَا جَاءَهُ ضُيُوفٌ
مُكْرَمُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ.
ضَيَّفَ إِبْرَاهِيمَ - أَضْيَافُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

(سَلَامًا) (سَلَامَ)

(٢٥) - وَقَدْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ الْأَضْيَافُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحَيَّوْهُ
بِالسَّلَامِ، فَردَّ تَحِيَّتَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْهَا. وَقَدْ جَاءَهُ الرُّسُلُ فِي هَيْئَةِ شَبَابٍ
صَبَاحِ الْوُجُوهِ، عَلَيْهِمُ الْمَهَابَةُ، فَأَنكَرَ وَجُودَ مِثْلِهِمْ فِي الْمِنْطَقَةِ.

(٢٦) - فَانْسَلَّ مِنْ بَيْنِ ضُيُوفِهِ مُسْرِعًا، وَذَهَبَ خَفِيَةً عَنْهُمْ إِلَى أَهْلِهِ،
فَجَاءَ ضُيُوفُهُ بِعَجَلٍ سَمِينٍ مُسَوِيٍّ.
رَاغٌ - ذَهَبَ بِسُرْعَةٍ، أَوْ ذَهَبَ خَفِيَةً بِأَنْسِلَالٍ.

(٢٧) - وَوَضَعَ الطَّعَامَ بَيْنَ أَيْدِي ضُيُوفِهِ، وَسَأَلَهُمْ مُتَلَطِّفًا إِنْ كَانُوا
يُرِيدُونَ الْأَكْلَ مِنْهُ.

﴿٢٣﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ

مِثْلَ مَا أَنْكُمْ نَطْقُونَ

﴿٢٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ

الْمُكْرَمِينَ

﴿٢٥﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ

سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ

﴿٢٦﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ

﴿٢٧﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ

(بَغْلَامٍ)

(٢٨) - فَلَمْ يَمُدُّ الْأَصْيَافَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى الطَّعَامِ، وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْهُ، فَاسْتَشْعَرَ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ مِنْهُمْ طَنًّا مِنْهُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهِ شَرًّا فَطَمَآنُوهُ وَقَالُوا لَهُ: لَا تَخَفْ مِنَّا فَإِنَّا رُسُلُ اللَّهِ تَعَالَى جِئْنَا لِإِهْلَاكِ قَوْمٍ لُوطٍ، وَبَشَرُوهُ بِأَنَّهُ سَيَرْزَقُ وَلَدًا ذَكَرًا يَمْتَارُ بِالْعِلْمِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ قُرَّةَ عَيْنٍ وَلِذِيهِ. أَوْجَسَ - أَحْسَنَ فِي نَفْسِهِ.

(٢٩) وَلَمَّا سَمِعَتْ زَوْجَةُ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَشَارَةَ الْمَلَائِكَةِ لَهَا وَلَزَوْجِهَا بِوِلَادَةِ وَلَدٍ لَهَا اسْتَغْرَبَتْ ذَلِكَ، وَدَخَلَتْ عَلَى الضُّيُوفِ، وَلَطَمَتْ وَجْهَهَا وَهِيَ تَقُولُ مُسْتَغْرِبَةً: كَيْفَ الْإِلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ، وَلَيْسَ مِنْ طَبْعِ الْعَجُوزِ أَنْ تَلِدَ، وَكُنْتُ عَقِيمًا وَأَنَا شَابَةٌ لَمْ أَرْزُقْ بِوَلَدٍ؟ (وَجَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنَّهُمَا قَالَتْ: ﴿قَالَتْ يُونِثَى الْأُلْدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾^(١)).

صَرَّةٌ - صَنِجَةٌ وَضَجَّةٌ. صَكَتْ وَجْهَهَا - لَطَمَتْهُ بِيَدِهَا تَعَجُّبًا مِمَّا سَمِعَتْ.

(٣٠) - فَقَالَ لَهَا رُسُلُ اللَّهِ: أَخْبِرْنَاكَ بِمَا قَالَهُ رَبُّكَ، فَتَنَحْنُ نُخْبِرُكَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ، الْعَلِيمُ بِمَا تَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْكَرَامَةِ.

(٣١) - فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِرُسُلِ اللَّهِ تَعَالَى: مَا شَأْنُكُمْ؟ وَلَايَ أَمْرٍ خَطِيرٍ أَتَيْتُمْ يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ؟ الْخُطْبُ - الْأَمْرُ الْخَطِيرُ.

(٣٢) - فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ مُرْسَلُونَ لِإِهْلَاكِ قَوْمٍ لُوطٍ، لِإِجْرَامِهِمْ، وَفَسَادِهِمْ.

(٣٣) - وَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ سَيُلْقُونَ عَلَى قَوْمٍ لُوطٍ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ هِيَ فِي صَلَاتِهَا كَالْحِجَارَةِ.

(٣٤) - وَعَلَيْهَا عَلَامَاتٌ أُعِدَّتْ لِإِهْلَاكِ الْمُسْرِفِينَ، الْمُتَجَاوِزِينَ الْحُدُودَ فِي كُفْرِهِمْ وَفَسَادِهِمْ.

(١) سورة هود الآية ٧٢.

﴿٢٨﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا

تَخَفْ وَبَشَرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ

﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَتْ

وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ

﴿٣٠﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ

هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ



﴿٣١﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ

أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ

﴿٣٢﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ

﴿٣٣﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ

﴿٣٤﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ

(وَقِيلَ إِنَّ التَّسْوِيمَ، هُنَا يَعْنِي أَنَّ الْحِجَارَةَ مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا
اسْمُ الشَّخْصِ الَّذِي أُعِدَّتْ لِهَلَاكِهِ).
مُسَوِّمَةٌ - ذَاتُ عَلَامَاتٍ.

(٣٥) - وَقِيلَ أَنْ يُدْمَرْ رُسُلُ اللَّهِ قَرَى قَوْمِ لُوطٍ أَخْرَجَ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي
هَذِهِ الْقَرْيَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، اسْتِجَابَةً لِدَعْوَةِ لُوطٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَلِكَيْلَا يَهْلِكُوا مَعَ الْهَالِكِينَ.

(٣٦) - وَلَمْ يَجِدْ رُسُلُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ غَيْرَ بَيْتٍ وَاحِدٍ أَسْلَمَ أَهْلُهُ،
وَهُمْ لُوطٌ وَأَهْلُهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ.

(آيَةٌ)

(٣٧) - وَبَعْدَ أَنْ أَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى لُوطًا وَأَهْلَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ دَمَرَهَا رُسُلُهُ عَلَى
أَهْلِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ، وَجَعَلُوا عَالِيَهَا سَافِلَهَا فَلَمْ يَنْجُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا
الْفَاسِقِينَ، فَجَعَلَهَا اللَّهُ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ بِمَا أَنْزَلَهُ بِهَا مِنَ الْعَذَابِ
وَالنَّكَالِ، وَخَسَفَتِ الْأَرْضُ بِالْقَرْيَةِ، فَكَانَتْ تِلْكَ عَلَامَةً أَرَادَهَا اللَّهُ عَلَى
هَلَاقِ الْمُكَذِّبِينَ الْفَاجِرِينَ مِنْ أَهْلِهَا.

(أَرْسَلْنَاهُ) (بِسُلْطَانٍ)

(٣٨) - وَجَعَلْنَا فِي قِصَّةِ مُوسَى عِظَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، إِذْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى
فِرْعَوْنَ بِحُجَجٍ ظَاهِرَةٍ، وَمُعْجَزَاتٍ وَاضِحَةٍ.

(سَاحِرٌ)

(٣٩) - وَأَعْرَضَ فِرْعَوْنُ عَمَّا جَاءَهُ بِهِ مُوسَى مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، مُسْتَكْبِرًا
مُسْتَعِزًّا بِقَوْمِهِ وَجُنُودِهِ وَمُلْكِهِ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ أَمْرَكَ فِيمَا جِئْتَنِي بِهِ لَا يَعْدُو أَنْ
يَكُونَ وَاحِدًا مِنْ أَثْنَيْنِ: فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَجْنُونًا.
تَوَلَّى بِرُكْنِهِ - أَعْرَضَ فِرْعَوْنُ بِقُوَّتِهِ، وَاسْتَعَزَّ بِسُلْطَانِهِ عَنِ الْإِيمَانِ.

(فَأَخَذْنَاهُ) (فَنَبَذْنَاهُمْ)

(٤٠) - فَعَاقَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُفْرِهِ وَتَكْذِيبِهِ رَسُولَهُ مُوسَى، عَلَيْهِ
السَّلَامُ، بِأَنْ أَلْقَاهُ اللَّهُ وَجُنُودَهُ فِي الْبَحْرِ، فَأَغْرَقَهُمْ جَمِيعًا، وَقَدْ أَتَى
فِرْعَوْنَ مَا يُلَامُ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِ اللَّهِ.
مُلِيمٌ - فَعَلَّ مَا يَسْتَوْجِبُ اللَّوْمَ عَلَيْهِ.
نَبَذَهُ - قَذَفَهُ كَمَا تُقَذَفُ النَّوْأَةُ.

﴿٣٥﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿٣٦﴾ فَأَوْحَيْنَا فِيهَا عِزِّيَّتٍ مِّنَ

الْمُسْلِمِينَ

﴿٣٧﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ

الْعَذَابَ الْآلِمِينَ

﴿٣٨﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ

﴿٣٩﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرًا أَوْ مَجْنُونًا

﴿٤٠﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ

وَهُوَ مُلِيمٌ

(٤١) - وَجَعَلْنَا فِي قِصَّةِ عَادٍ آيَةً لِّكُلِّ مُعْتَبِرٍ، إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً عَاتِيَةً فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعاً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا.

العَقِيم - الْمُهْلِكَةُ الْقَاطِعَةُ لِنَسْلِهِمْ أَوْ هِيَ الرِّيحُ الَّتِي لَا تَسُوقُ مَطَرًا.

(٤٢) - وَلَمْ تَتْرُكْ هَذِهِ الرِّيحُ الْعَقِيمُ شَيْئًا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالْعَظْمِ الْبَالِي، (وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الرِّيحُ عَقِيمًا لِأَنَّهَا تَفْسِدُ وَلَا تُنْتِجُ شَيْئًا).
الرَّمِيم - الْعَظْمُ الْبَالِي الْمُفْتَتِ.

(٤٣) - وَجَعَلْنَا فِي قِصَّةِ نُوحٍ عِظَةً وَعِبْرَةً لِمَنْ تَفَكَّرَ وَتَذَكَّرَ آيَاتِ اللَّهِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ: تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يَأْتِيَكُمُ عَذَابُ رَبِّكُمْ لِعَفْوِكُمْ نَاقَةَ اللَّهِ، هَذَا وَعْدُ مِنَ اللَّهِ غَيْرُ مَكْذُوبٍ.

(الصَّاعِقَةُ)

(٤٤) - فَكَذَّبَتْ نُموذُ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتَكْبَرُوا، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ صَاعِقَةً مِنَ السَّمَاءِ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ فَهَلَكُوا جَمِيعاً، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى وَقُوعِهَا بِهِمْ. فَعَتَوْا - فَاسْتَكْبَرُوا وَتَمَرَّدُوا.

أَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ - أَهْلَكَتْهُمْ صَيْحَةً أَوْ نَارًا مِنَ السَّمَاءِ.

(اسْتَطَاعُوا)

(٤٥) - فَلَمْ يَجِدُوا مَهْرَبًا وَلَا مَفْرَأً مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ وَلَمْ يَجِدُوا نَاصِرًا لَهُمْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ بَأْسَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ.

(فَاسِقِينَ)

(٤٦) - وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ بِالطُّوفَانِ، بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

(بَنَيْنَاهَا) (بِأَيْدٍ)

(٤٧) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ بَنَى السَّمَاءَ بِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَبِدَيْعِ صُنْعَتِهِ، وَأَنَّهُ لِقَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، لَا يَمَسُّهُ تَعَبٌ وَلَا نَصَبٌ.
بِأَيْدٍ - بِقُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ.

مُوسِعُونَ - قَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى أَنَّهُ وَسَّعَ أَرْجَاءَهَا.

وَقَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى قَادِرُونَ أَيْ إِنْ خَلَقَهَا فِي طَاقَتِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ، وَإِنْ فِي طَاقَتِهِ وَقُدْرَتِهِ أَنْ يَخْلُقَ غَيْرَهَا إِذَا شَاءَ.

(٤١) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ

(٤٢) مَا نَذَرْنَا مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ

(٤٣) وَفِي نُوحٍ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ

(٤٤) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ

(٤٥) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ

(٤٦) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

(٤٧) وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ

(فَرَشْنَاهَا) (الْمَاهِدُونَ)

(٤٨) - وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَرْضَ فَرَاشًا لِلْمَخْلُوقَاتِ، وَمَهَّدَهَا وَجَعَلَهَا صَالِحَةً لِاسْتِقْرَارِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَيْهَا، مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ. مَهَّدَ الْفِرَاشَ - بَسَطَهُ وَوَضَعَهُ لِتُسَهِّلَ الْجُلُوسَ عَلَيْهِ. الْمَاهِدُونَ - الْمُصْلِحُونَ الْمُسَوِّونَ.

(٤٩) - وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ثَانِيًا لَهُ مُخَالِفًا لَهُ فِي مَبْنَاهُ، فَاصْبَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا زَوْجًا لِلْآخَرِ، فَخَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ، وَخَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ... وَذَلِكَ لِتَتَذَكَّرَ الْخَلْقُ وَيَعْتَبِرُوا، وَيَعْلَمُوا أَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ. زَوْجَيْنِ - صِنْفَيْنِ وَنَوْعَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ.

(٥٠) - فَالْجُزْأُ إِلَى اللَّهِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَسْرِعُوا إِلَى طَاعَتِهِ، وَاعْتَمِدُوا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، فَإِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ، أَنْذِرْكُمْ عِقَابَهُ، وَأَخَوْفُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ بِالْأَمْرِ الْخَالِيَةِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، وَكَفَرَتْ بِرَبِّهَا، وَإِنِّي مُبَيِّنٌ لَكُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْذَرُوهُ. فَرُّوا - أَهْرُبُوا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ إِلَى ثَوَابِهِ.

(آخِرُ)

(٥١) - وَلَا تَجْعَلُوا لَكُمْ مَعْبُودًا آخَرَ تَعْبُدُونَهُ مَعَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الرَّبُّ الَّذِي تَجِبُ الْعِبَادَةُ لَهُ، وَإِنِّي نَذِيرٌ أَنْذِرْكُمْ مِنْ عَذَابِهِ عَلَى إِشْرَاكِكُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ.

(٥٢) - يُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ وَيُعَلِّمُهُ أَنْ مَا قَالَهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ سَاجِرٌ... أَوْ مَجْنُونٌ، سَبَقَ أَنْ قَالَهُ الْمُكَذِّبُونَ مِنَ الْأَمَمِ الْآخَرَى الْخَالِيَةِ لِرُسُلِهِمْ، فَصَبَرُوا عَلَى إِيْذَاءِ أَقْوَامِهِمْ، حَتَّى جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ.

(٥٣) - أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْقَوْلِ، فَتَنَاقَلَهُ الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ، حَتَّى قَالَهُ الْمُكَذِّبُونَ مِنْ قَوْمِكَ؟ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ طُغَاةٌ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، وَتَلَاقَتْ فِي الطُّغْيَانِ عَلَى الرُّسُلِ، فَقَالَ مُتَأَخِّرُهُمْ كَمَا قَالَ مُقَدِّمُهُمْ. طَاغُونَ - مُتَجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ.

(٥٤) - فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّدٌ، وَلَا تَأْسَفْ عَلَى إِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ فَأَنْتَ غَيْرُ مُلُومٍ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّكَ رَسُولٌ وَقَدْ قُمْتَ بِمَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ مِنْ إِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ عَلَى خَيْرِ وَجْهِ.

﴿٤٨﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ

﴿٤٩﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

﴿٥٠﴾ فِیْرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ

﴿٥١﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ

﴿٥٢﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ

﴿٥٣﴾ اتَّوَصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ

﴿٥٤﴾ فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمُلُومٍ

(٥٥) - وَثَابِرٌ عَلَى دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ، وَذَكَرَهُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْقُلُوبَ الْمُؤَقَّتَةَ الَّتِي فِيهَا اسْتِعْدَادٌ لِلْهُدَايَةِ.

(٥٦) - وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ، وَيَقُومُوا بِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَحَمْدِهِ عَلَى أَنْعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى. لِيَعْبُدُون - لِيَعْرِفُونِي أَوْ لِيَخْضَعُوا لِي وَيَتَذَلَّلُوا.

(٥٧) - وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيدُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالْخَلْقِ لِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ لَهُ، وَلَا لِدَفْعِ ضَرَرٍ عَنْهُ، وَلَا يُصْرِفُهُمْ فِي تَحْصِيلِ الْأَرْزَاقِ وَالْمَطَاعِمِ، كَمَا يَقْعَلُ الْمَوَالِي مَعَ عِبِيدِهِمْ.

(٥٨) - وَاللَّهُ تَعَالَى غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ فَهُوَ خَالِفُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، وَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ، وَعَمَّنْ سِوَاهُمْ، وَهُوَ تَعَالَى ذُو الْقُوَّةِ الشَّدِيدِ الَّذِي لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غَنَى، وَأَسَدًا فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفَعَّلَ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ.

(أَصْحَابِهِمْ)

(٥٩) - فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْاِسْتِغَالِ فِي غَيْرِ مَا خُلِقُوا لَهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَظَلَمُواهَا بِالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ، مِثْلَ نَصِيبِ أَصْحَابِهِمُ الْكَفَرَةَ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، فَلَا تَسْتَعِجِلُونِي بِإِنزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ، قَبْلَ حُلُولِ مَوْعِدِهِ الْمُقَرَّرِ. ذُنُوبًا - نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ.

(٦٠) - فَهَلَاكَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ نَزْلُ بِهِمُ الْعَذَابِ الشَّدِيدُ. قَوْلٌ - فَهَلَاكَ وَحَسْرَةٌ، أَوْ شِدَّةُ عَذَابٍ.

﴿٥٥﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ

الْمُؤْمِنِينَ

﴿٥٦﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

﴿٥٧﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

يُطِيعُونِ

﴿٥٨﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

الْمَتِينِ

﴿٥٩﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ

ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ

﴿٦٠﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ

(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنشَأْنَاهَا ثَلَاثَ عَشَرَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِجَبَلِ الطُّورِ فِي سِينَاءَ، وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ عَلَيْهِ التَّوْرَةَ. الطُّورِ - جَبَلٍ فِي طُورِ سِينَاءَ. وَقِيلَ إِنَّهُ الْجَبَلُ الْمَكْسُوفُ بِالشَّجَرِ. وَقِيلَ إِنَّهُ الْجَبَلُ عَامَّةً فِي السَّرْيَانِيَّةِ.

(كِتَابُ)

(٢) - وَيُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي جَبَلِ الطُّورِ - وَهُوَ التَّوْرَةُ. وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّهُ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

(٣) - وَقَدْ سَطَّرَ هَذَا الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي جُلْدٍ رَقِيقٍ مِمَّا يَكْتُبُ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ كُتُبَهُمْ، وَقَدْ نَشَرَ اللَّهُ الرِّقَّ لِتَسْهُلَ قِرَاءَةُ مَا فِيهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ مَا فِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ.

رَقٌّ - مَا يَكْتُبُ فِيهِ مِنْ جُلْدٍ أَوْ غَيْرِهِ.

مَشْهُورٌ - مَبْسُوطٌ غَيْرُ مَطْوِيٍّ.

(٤) - وَالْبَيْتُ الْمَعْمُورُ هُوَ كَفَّةُ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَفِي كُلِّ سَمَاءٍ بَيْتٌ مَعْمُورٌ يَتَعَبَّدُ فِيهِ أَهْلُهَا، وَيُصَلُّونَ إِلَيْهِ.

١ وَالطُّورِ

٢ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ

٣ فِي رَقٍّ مَشْهُورٍ

٤ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ

٥ وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ

٦ وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ

٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ

٨ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ

٩ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا

١٠ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا

١١ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ

١٢ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ

١٣ يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ
دَعَا

(٥) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ، وَهِيَ السَّقْفُ الْمَرْفُوعُ مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ. وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ (١).

(٦) - وَيُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَحْرِ الْمَحْضُورِ مِنْ أَنْ يَفِيضَ فَيَغْرِقَ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَرْضِ.

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَسْجُورَ تَعْنِي هُنَا الْمُشْتَعِلَ بِالنَّيِّرَانِ الْكَائِنَةِ دَاخِلَ الْأَرْضِ. وَمِنْهَا سَجَرُ النَّوْرِ إِذَا مَلَأَهُ حُطْبًا وَأَوْقَدَهُ).

(لَوَاقِعٌ)

(٧) - لَقَدْ أَقْسَمَ تَعَالَى بِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ عَلَى أَنْ عَذَابُهُ الَّذِي أَنْذَرَ الرُّسُلَ بِهِ الْخَلَائِقَ لَوَاقِعٌ بِالْكَافِرِينَ، وَمُحِيطٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. (وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ).

(٨) - وَإِذَا وَقَعَ بِهِمُ الْعَذَابُ فَلَا يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ دَافِعٌ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهُ مَحِيصًا وَلَا مَهْرَبًا، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ وَأَيَاتِهِ.

(٩) - وَيَقَعُ عَذَابُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْكَافِرِينَ، وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ دَافِعٌ، فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي تَتَحَرَّكُ فِيهِ السَّمَاءُ، وَتَدُورُ دَوْرَانَا وَهِيَ فِي مَكَانِهَا كَمَا تَدُورُ الرِّحَى.

تَمُورُ مَوْرًا - تَتَحَرَّكُ وَتَدُورُ وَهِيَ فِي مَكَانِهَا.

(١٠) - وَفِيهِ تَزُولُ الْجِبَالُ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَتَسِيرُ عَنْ مَوَاضِعِهَا كَسِيرِ السَّحَابِ. وَتَصِيرُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ الَّذِي تَلْعَبُ بِهِ الرِّيَّاحُ.

(يَوْمَيْنِذٍ)

(١١) - فَالْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ.

(١٢) - الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي الْبَاطِلِ، وَهُمْ لَا هُونَ لَا يُفَكِّرُونَ فِي آخِرَةِ وَلَا فِي حِسَابٍ.

خَوْضٍ - انْدِفَاعٍ فِي الْأَبَاطِيلِ وَالْأَكَاذِيبِ.

(١٣) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُدْفَعُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ، الْخَائِضُونَ فِي الْبَاطِلِ، إِلَى جَهَنَّمَ دَفْعًا غَنِيماً، وَسَاقُونَ إِلَيْهَا سَوْقًا.

يُدْعُونَ - يُدْفَعُونَ بِعُنْفٍ وَشِدَّةٍ.

(١٤) - وَيَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ مُوَبِّحِينَ وَمُفَرِّعِينَ: هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِوُجُودِهَا جَنِمَا كُنْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَمَا كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِأَنَّ الْكُفَّارَ وَالْمُكَذِّبِينَ سَيَصِيرُونَ إِلَيْهَا لِيُعَذَّبُوا فِيهَا.

(١٥) - لَقَدْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ، وَأَنْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَنَّ مُحَمَّدًا يَسْحَرُ عُقُولَكُمْ، فَيَتَّبِعُهُ النَّاسُ. وَيَتَابِعُ الْمَلَائِكَةُ تَوْبِيخَهُمْ لَهُؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ فَيَقُولُونَ لَهُمْ: هَلِ الَّذِي تَرَوْنَهُ الْآنَ بِأَمٍّ أَعْيُنَكُمْ مِنْ نَارٍ تَتَلَطَّى، وَمُجْرِمِينَ يُلْقَوْنَ فِيهَا جَزَاءَ لَهْمٍ عَلَى أَعْمَالِهِمْ... هُوَ سِحْرٌ أَيْضًا؟ أَمْ هَلِ غُطِّيتْ أَبْصَارُكُمْ فَهِيَ لَا تَرَى شَيْئًا؟ كَلَّا إِنَّ مَا تَرَوْنَهُ لَحَقٌّ، وَلَيْسَ بِسِحْرِ وَلَا خِدَاعٍ بَصَرٍ.

(١٦) - فَادْخُلُوا الْآنَ نَارَ جَهَنَّمَ لَتَصْطَلُوا بِنَارِهَا الَّتِي تَغْمَرُكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَسَاءَ عَلَيْكُمْ أَصْبَرْتُمْ عَلَى عَذَابِهَا وَنَكَالِهَا، أَمْ لَمْ تَصْبِرُوا فَلَا مَجِيدَ لَكُمْ عَنْهَا، وَلَا خَلَاصَ لَكُمْ مِنْهَا، وَهَذَا الَّذِي نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ هُوَ مَا تَسْتَحِقُّونَهُ جَزَاءَ لَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. أَصْلُوهَا - ادْخُلُوهَا، أَوْ قَاسُوا حَرَّهَا.

(جَنَّاتٍ)

(١٧) - بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْكَفَرَةِ الْأَشْقِيَاءِ فِي الْآخِرَةِ ثَمَّ بَيَّانَ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ السُّعْدَاءِ فَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَخَافُوهُ، وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ، يَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ، عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، بِإِدْخَالِهِمْ جَنَّاتٍ يَنْعَمُونَ فِيهَا، لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ.

(فَاكِهِينَ) (آتَاهُمْ) (وَوَقَاهُمْ)

(١٨) - وَيَكُونُونَ فِي الْجَنَّةِ طَيِّبِي النُّفُوسِ، قَرِيرِي الْأَعْيُنِ، يَتَنَعَّمُونَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ فِيهَا مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ، وَلَا يَشْغَلُ بِهِمْ شَاغِلٌ، وَقَدْ أَنْجَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

فَاكِهِينَ - مُتَلَذِّذِينَ نَاعِمِينَ مَسْرُورِينَ.

(١٩) - وَيَقَالُ لَهُمْ وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ: كُلُوا وَاشْرَبُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، هَنِيئًا مَرِيئًا لَا تَخَافُونَ أَدَى وَلَا عَائِلَةً، وَذَلِكَ جَزَاءُ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى إِيْمَانِكُمْ بِاللَّهِ، وَعَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي فَعَلْتُمُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

١٤ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكَذِّبُونَ

١٥ أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ

١٦ أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

١٧ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ

١٨ فَاكِهِينَ يَمَآءَ انْتَهَمَ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ

١٩ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا مَرِيئًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(وَرَوْجَانَهُمْ)

(٢٠) - وَجَلْسُونَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ عَلَى سُرُرٍ صُفَتْ بَعْضُهَا إِلَى جَانِبِ بَعْضٍ، وَهُمْ مُتَكِبُونَ فِي جَلْسَةِ الْمُطْمَئِنِّ الْمُرْتَاحِ، الَّذِي لَا كَلْفَةَ عَلَيْهِ. وَجَعَلَ لَهُمْ رَبُّهُمْ رَوْجَاتٍ صَبَاحَ الْوُجُوهِ، وَأَسْعَاتِ الْعُيُونِ. سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ - مَوْصُولٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ بِاسْتِوَاءٍ. عَيْنٍ - وَأَسْعَاتِ الْعُيُونِ. رَوْجَانَهُمْ - قَرْنَاهُمْ.

(أَمَنُوا) (بِإِيمَانٍ) (الْتَنَاهُمْ)

(٢١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ عَمَّا يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يُلْحِقُ بِهِمْ مَنْ آمَنَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ، فِي الْمَنْزِلَةِ، لِتَقَرُّ بِهِمْ عُيُونُهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ عَمَلُ هَؤُلَاءِ لَا يُبَلِّغُهُمْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، فَيَتَفَضَّلُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَفْعِ نَاقِصِي الْعَمَلِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْكَامِلِي الْعَمَلِ، تَكْرُمًا مِنْهُ، وَتَفَضُّلاً عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ، وَلَا يُنْقِصُ اللَّهُ تَعَالَى دَرَجَاتِ الْأَبَاءِ بِسَبَبِ ذُنُوبِ أَبْنَائِهِمْ بَلْ يَرْفَعُ مَنْزِلَةَ الْأَبْنَاءِ. ثُمَّ يُخَبِّرُ تَعَالَى بِأَنَّ الْعَدَلَ يَقْضِي بِالْأَيُّاخِذِ أَحَدٌ بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مَرْتَبَتُهُنَّ بِعَمَلِهِ، وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ ذَنْبُ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ. مَا أَلْتَنَاهُمْ - مَا نَقَضْنَا الْأَبَاءَ بِهَذَا الْإِلْحَاقِ.

(أَمْدَدْنَاهُمْ) (بِفَاكِهَةٍ)

(٢٢) - وَيَأْمُرُ اللَّهُ بِأَنْ تُوجَّهَ إِلَيْهِمُ الْفَوَاكِهُ وَاللَّحُومُ الَّتِي تَشْتَهِيهَا أَنْفُسُهُمْ، دُونَ أَنْ يَطْلُبُوا هُمْ ذَلِكَ، وَدُونَ أَنْ يَقْتَرِحُوهُ.

(يَتَنَازَعُونَ)

(٢٣) - وَتَتَعَاطَى هَؤُلَاءِ الْكَرَامُ الْبَرَّةُ فِي الْجَنَّةِ كَأَسَاءَ مِنَ الْخَمْرِ لَا يَهْدُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ كَلَاماً لَفَوْاً وَبَاطِلاً، وَلَا يَقُولُونَ قَوْلًا فَاحِشاً فِيهِ إِثْمٌ، كَمَا يَفْعَلُ شَارِبُو الْخَمْرِ فِي الدُّنْيَا. يَتَنَازَعُونَ - يَتَعَاطُونَ أَوْ يَتَجَادَبُونَ. كَأَسَاءَ - خَمِراً أَوْ إِنَاءً فِيهِ خَمْرٌ. لَا لَفَوْ - لَا كَلَامَ مُبْتَدَلٍ سَاقِطٍ. تَأْتِيهِمْ - فِعْلٌ يُوجِبُ الْإِثْمَ.

﴿٢٠﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ

وَرَوْجَانَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ

﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَابْتَغَيْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

بِإِيمَانٍ الْحَقَنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ

﴿٢٢﴾ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ

مِمَّا يَشْتَهُونَ

﴿٢٣﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعَفُوهَا

وَلَا تَأْتِيهِمْ

(٢٤) - وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ كُؤُوسٌ الْخَمْرِ هَذِهِ غِلْمَانٌ مُعَدُّونَ لِحَدَمَتِهِمْ، يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَ بَنِيهِمْ، وَهُمْ فِي حُسْنِهِمْ وَبَهَائِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُ نَاصِعُ الْبَيَاضِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ أَصْدَافِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِلنُّورِ وَلَفَحِ الشَّمْسِ وَالرَّيَّاحِ.

مَكْنُونٌ - مَصُونٌ فِي أَصْدَافِهِ.

(٢٥) - وَأَقْبَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَمَا كَانُوا فِيهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعَنْ سَبَبِ مَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنْ نَعِيمٍ.

(٢٦) - فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّا كُنَّا فِي الدُّنْيَا، وَنَحْنُ بَيْنَ أَهْلِنَا، خَائِفِينَ مِنْ رَبَّنَا، مُشْفِقِينَ مِنْ عَذَابِهِ.

مُشْفِقِينَ - خَائِفِينَ مِنَ الْعَاقِبَةِ.

(وَوَقَانَا)

(٢٧) - فَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا رَبُّنَا وَأَجَارَنَا مِمَّا كُنَّا نَخَافُ مِنْهُ وَانْقَذَنَا مِنْ أَنْ نَتَعَرَّضَ لِعَذَابِ السُّمُومِ.

السُّمُومُ - النَّارُ ذَاتِ الْحَرَارَةِ الَّتِي تَنْفُذُ مِنَ الْمَسَامِ.

(٢٨) - وَلَقَدْ كُنَّا فِي الدُّنْيَا نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ فَاسْتَجَابَ لِدُعَائِنَا وَأَعْطَانَا سُؤْلَنَا، لِأَنَّهُ هُوَ الْمُحْسِنُ الْمُتَفَضِّلُ، ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

الْبَرُّ - الْمُحْسِنُ الْعَظُوفُ.

الرَّحِيمُ - الْعَظِيمُ الرَّحْمَةِ.

(بِنِعْمَةٍ)

(٢٩) - يَا مَرْءُ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُهُ الْكَرِيمُ ﷺ بِأَنْ يُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ إِلَى النَّاسِ، وَبِأَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيَقُولَ لَهُ تَعَالَى: إِنَّكَ لَسْتَ، بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ عَلَيْكَ، بِكَاهِنٍ مِنَ الْكُهَّانِ، الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَتَّصِلُونَ بِالْجِنِّ، وَيَأْتُونَ بِأَسْرَارِ الْغَيْبِ مِنْهُمْ، وَلَسْتَ بِمَجْنُونٍ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ.

(كَانَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ لَا يَجِدُونَ مَا يَرُدُّونَ بِهِ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ إِلَّا الْقَوْلَ تَارَةً إِنَّهُ كَاهِنٌ، وَتَارَةً إِنَّهُ مَجْنُونٌ يَهْدِي بِكَلَامٍ لَا مَعْنَى لَهُ، وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ هَذَا نَافِيًا مَا يَتَّبِعُونَ بِهِ الرُّسُولَ).

﴿٢٤﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤٌ مَكْنُونٌ
الجزء ٥٢

﴿٢٥﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ

﴿٢٦﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ

﴿٢٧﴾ فَمَرَّتْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا
عَذَابَ السَّمُومِ

﴿٢٨﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ
إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ

﴿٢٩﴾ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ

(٣٠) - بَلْ هُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ شَاعِرٌ نَتَنظِّرُ أَنْ تَنْزِلَ بِهِ قَوَارِعُ الدَّهْرِ فَيَمُوتَ وَنُسْتَرِيحَ مِنْهُ.
الْمُنُونُ - الدَّهْرُ.

الرَّيْبُ - الْأَحْدَاثُ وَالْقَوَارِعُ الْمُهِلِكَةُ.

(٣١) - فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: انْتَظِرُوا أَنْ يَنْزِلَ رَبُّ الْمُنُونِ فَإِنِّي مُتَرَبِّصٌ مَعَكُمْ، مَتَنَظَّرُ قَضَاءِ اللَّهِ فِي وَفِيكُمْ، وَسَتَعَلَّمُونَ لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ وَالظُّفَرُ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(أَحْلَامُهُمْ)

(٣٢) - بَلْ تَأْمُرُهُمْ عُقُولُهُمْ بِهَذَا الَّذِي يَقُولُونَ فِي الرَّسُولِ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي يَعْلَمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهَا كَذِبٌ، وَأَنَّهَا مُتَنَاقِضَةٌ فِيمَا بَيْنَهَا، فَالشَّاعِرُ غَيْرُ الْكَاهِنِ وَغَيْرُ الْمَجْنُونِ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ، ضَالِّونَ، مُعَايِدُونَ.

طَاعُونَ - مُتَجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي الْعِنَادِ.

(٣٣) - أَيْقُولُونَ شَاعِرٌ، أَمْ يَقُولُونَ كَاهِنٌ، أَمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ اخْتَلَقَ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ كَذِبًا وَافْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ. . وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ كُفْرَهُمْ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى قَوْلٍ مَا يَقُولُونَ.
نَقَوْلُهُ - اخْتَلَقَ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.

(صَادِقِينَ)

(٣٤) - فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ إِنَّ مُحَمَّدًا تَقَوَّلَ الْقُرْآنَ وَافْتَرَاهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَأْتُوا هُمْ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، إِنَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ عَاجِزُونَ، مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانُوا هُمْ أَسَاطِينُ الْبَلَاغَةِ فِي عَصْرِهِمْ.

(الْخَالِقُونَ)

(٣٥) - بَعْدَ أَنْ أَثَبَّتَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِ، شَرَعَ هُنَا فِي إِثْبَاتِ وُجُودِهِ تَعَالَى، وَإِثْبَاتِ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ الْبَالِغَةِ، فَقَالَ هُنَا: أَوْجِدُوا هُمْ مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ؟ أَمْ أَنَّهُمْ هُمْ الَّذِينَ أَوْجِدُوا أَنْفُسَهُمْ؟ وَبِمَا أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ، وَبِمَا أَنَّهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ هُمْ عَلَى خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ، فَيَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَوْجَدَهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا.

﴿٣٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَبِّبِ
الْمُنُونِ

﴿٣١﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ
الْمُتَرَبِّصِينَ

﴿٣٢﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ
قَوْمٌ طَاعُونَ

﴿٣٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلُهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿٣٤﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا
صَادِقِينَ

﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ
الْخَالِقُونَ

(السَّمَاوَاتِ)

(٣٦) - وَهَلْ هُمْ الَّذِينَ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْلُقُوا شَيْئًا، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُمْ لَا يُوقِنُونَ بِمَا يَقُولُونَ.

(خَزَائِنِ)

(٣٧) - أَمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْمُلْكِ، وَيَبْدِيهِمْ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ اللَّهِ فَيُعْطُونَ النُّبُوَّةَ لِمَنْ يَشَاؤُونَ، وَيَصْطَفُونَ لَهَا مِنَ الْخَلْقِ مَنْ يَخْتَارُونَ هُمْ؟ أَمْ هُمْ الْأَرْبَابُ الْغَالِبُونَ الْمُسَيِّطِرُونَ عَلَى أَمْرِ الْعَالَمِ فَيَصْرِفُونَ الْأُمُورَ وَفَقْ إِرَادَتِهِمْ وَمَشِيئَتِهِمْ؟ كَلَّا إِنَّهُمْ لَا يَتَصَرَّفُونَ بِشَيْءٍ، وَلَا يُسَيِّطِرُونَ عَلَى شَيْءٍ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ الْمُتَصَرِّفُ الْمُسَيِّطِرُ.

(بِسُلْطَانِ)

(٣٨) - أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَرْتَقُونَ عَلَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ مَا يَدُورُ مِنْ أَحَادِيثَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَمَا يُوْحَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ. فَإِنْ كَانُوا يَدْعُونَ ذَلِكَ فَلَيَاتٍ مَنْ يَسْتَمِعُ لَهُمْ بِحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ تُصَدِّقُ دَعْوَاهُمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ فِيمَا يَقُولُونَ، وَفِيمَا يَفْعَلُونَ.

سُلْمٍ - مَرَقَى إِلَى السَّمَاءِ يَصْعَدُونَ إِلَيْهَا بِهِ.

(الْبَنَاتِ)

(٣٩) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، فَيَقُولُ مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ مِنَ الْوَلَدِ، وَمِنْ جَعَلِ أَوْلَادِ اللَّهِ مِنَ الْإِنْسَانِ، بَيْنَمَا يَخْتَارُونَ هُمْ لَأَنْفُسِهِمُ الذُّكُورَ لِأَنَّهُمْ يُجِبُّونَهُمْ وَيُفَضِّلُونَهُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَلِرَبِّكُمْ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الذُّكُورُ، تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ جَائِزَةٌ لَا يَقُولُهَا عَاقِلٌ.

(تَسْأَلُهُمْ)

(٤٠) - أَمْ إِنَّكَ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا تَأْخُذُهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَى مَا تَقُومُ بِهِ مِنْ إِبْلَاجِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِمْ فَهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ هَذَا الْمَغْرَمَ، وَيَتَبَرَّمُونَ بِهِ؟ وَيَتَضَاقُونَ مِنْهُ؟ إِنَّكَ لَا تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا وَإِنَّمَا أَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ.

مَغْرَمٌ - التِّزَامُ غُرْمٌ. مُتَقَلِّوْنَ - مُتَعَبُونَ مِنْ حَمَلِهِ.

(٤١) - أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، وَيُنَبِّئُونَهُمْ بِمَا يُرِيدُونَ؟ إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ، لَأَنَّ الْغَيْبَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

﴿٣٦﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بَلْ لَا يُوقِنُونَ

﴿٣٧﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ

الْمُصَيِّطِرُونَ

﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَاتٍ

مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ

﴿٣٩﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الذُّكُورُ

﴿٤٠﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ

مُتَقَلِّوْنَ

﴿٤١﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ

(٤٢) - أَمْ يُرِيدُ هَؤُلَاءِ يَقُولُ هَذَا أَنَّهُ يُغَرَّرُونَ بِالنَّاسِ، وَأَنْ يَكِيدُوا لِلرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ يَمْكُرُوا بِهِمْ، فَإِنْ كَانَ هَذَا مَا يُرِيدُونَ فَإِنَّ كَيْدَهُمْ مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ وَبَّالَهُ وَقَعَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ سَيُعْلِي كَلِمَتَهُ، وَسَيَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَسَيَبْطِلُ كَيْدُ الْكَافِرِينَ.

الْمَكِيدُونَ - الْمَجْزِيُّونَ بِكَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ.

(سُبْحَانَ)

(٤٣) - أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ؟ إِنَّ الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ وَمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرُهُمْ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ عَذَابُهُ فَتَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ شَرِكِهِمْ وَإِفْكِهِمْ.

(وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنْكَارٌ شَدِيدٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِيمَا يَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ).

(٤٤) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنْ عِنَادِ الْمُشْرِكِينَ وَمُكَابَرَتِهِمْ لِلْمَحْسُوسِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُمْ لَوَرَأَوْا بَعْضَ مَا سَأَلُوا مِنَ الْآيَاتِ فَعَايَنُوا السَّمَاءَ تَسْقُطُ قِطْعًا عَلَيْهِمْ، كَمَا طَلَبُوا، لَكَذَّبُوا ذَلِكَ، وَلَقَالُوا إِنَّهُ سَحَابٌ تَرَكَمْ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ. كَسَفًا - قِطْعًا عَظِيمَةً.

مَرْكُومٌ - مُتَرَكَمٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَأَنَّهُ سَيُمِطُّهُمْ.

(يُلَاقُوا)

(٤٥) - فَدَعُهُمْ يَا مُحَمَّدُ وَشَانَهُمْ، وَلَا تَهْتَمَّ بِأَمْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ سَيَظْلُمُونَ سَادِرِينَ فِي غَيْبِهِمْ وَضَلَالِهِمْ حَتَّى يَجِيءَ الْيَوْمَ الَّذِي يَهْلِكُونَ فِيهِ (يُضْعَقُونَ)، وَحِينَئِذٍ يُلَاقُونَ مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ.

(وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ هُوَ يَوْمٌ بَدْرٍ، وَقِيلَ بَلْ إِنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ).

(٤٦) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَنْفَعُهُمْ كَيْدُهُمْ وَمَكْرُهُمْ وَلَا أَسَالِيْبُهُمْ فِي الْاِخْتِيَالِ وَالْخِذَاعِ وَالْإِبْذَاءِ الَّتِي اسْتَعْمَلُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِإِذَاءِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَالْوُقُوفِ فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَنْعِ أَنْتِشَارِهَا، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. لَا يُغْنِي عَنْهُمْ - لَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ.

(٤٧) - وَلِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالشَّرْكِ وَأَزْتَكَبَ الْمَعَاصِي، عَذَابٌ يَنْزِلُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، هُوَ دُونَ عَذَابِ يَوْمِ

٤٢ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ
الْمَكِيدُونَ

٤٣ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ
عَمَّا يُشْرِكُونَ

٤٤ فَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا
يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ

٤٥ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
فِيهِ يُضْعَقُونَ

٤٦ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

٤٧ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ
ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

الْقِيَامَةِ فِي الشَّدَةِ وَالْقَسْوَةِ، يُزَلُّهُ اللَّهُ بِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّعِظُونَ وَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ لَا يَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ عَذَابٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(وَقَدْ أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِالْقَحْطِ وَالْجُوعِ وَالْخَوْفِ وَالْإِصَابَةِ فِي الْحُرُوبِ).

(٤٨) - فَاصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ، وَلَا تُبَالِ بِهِمْ فَإِنَّكَ بِمَرَأَى مَنَا وَفِي حِفْظِنَا وَتَحْتَ كَلَاءَتِنَا (بِأَعْيُنِنَا)، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، وَنَزَّهَ اسْمُ رَبِّكَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَعَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، حِينَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ تَجْلِسُهُ.

(وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَارَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ لَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلَّا قَالَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. وَلَمَّا سُئِلَ الرَّسُولُ عَنْ هَذَا الدُّعَاءِ قَالَ: إِنَّهُ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ).

بِأَعْيُنِنَا - فِي حِفْظِنَا وَرِعَايَتِنَا.

(اللَّيْلِ) (وِإِدْبَارِ)

(٤٩) - وَسَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ وَنَزَّهْهُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَحِينَمَا تُدْبِرُ النُّجُومَ وَتَمِيلُ لِلْغُرُوبِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ فِي اللَّيْلِ أَشَقُّ عَلَى النَّفْسِ، وَأَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ.

وَقِيلَ إِنَّ تَسْبِيحَ إِدْبَارِ النُّجُومِ هُمَا رَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ.

سَبَّحَهُ - نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى حَامِدًا لَهُ.

إِدْبَارَ النُّجُومِ - وَقْتُ مَغِيبِهَا فِي الصُّبْحِ.

﴿٤٨﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ

﴿٤٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ

(٥٣) سُورَةُ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَنَانٌ وَسَيِّثَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

① وَالْجِنِّ إِذَا هَوَىٰ

(١) - يُقَسِّمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّجْمِ حِينَمَا يَمِيلُ إِلَى الْغُرُوبِ .

هَوَى - مَالَ إِلَى الْغُرُوبِ .

② مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ

(٢) - إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَإِنَّهُ رَاشِدٌ مُرْشِدٌ إِلَى الْحَقِّ، وَلَيْسَ بِضَالٍّ وَلَا غَاوٍ . (وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ) .

الغَاوِي - هُوَ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَيَعْدِلُ عَنْهُ قَصْدًا أَوْ هُوَ مَنْ يَتَعَقَّدُ صِحَّةَ الْبَاطِلِ .

③ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ

(٣) - وَلَا يَصْدُرُ مَا يَنْطِقُ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ عَنْ هَوَى فِي نَفْسِهِ .

④ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ

(٤) - إِنَّمَا يَقُولُ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ رَبُّهُ وَأَمْرُهُ بِأَنْ يُبَلِّغَهُ إِلَى النَّاسِ ، فَيُبَلِّغُهُ بِنَصْبِهِ دُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا .

⑤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ

(٥) - وَإِنَّ الَّذِي عَلَّمَهُ الْقُرْآنَ هُوَ جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ قَوِيٌّ ، شَدِيدُ الْقُوَّةِ ، مُوثِقٌ بِقَوْلِهِ .

شَدِيدُ الْقُوَى - أَمِينُ الْوَحْيِ جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

⑥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ

(٦) - وَهُوَ ذُو قُوَّةٍ ، وَذُو حَصَافَةٍ وَعَقْلٍ رَاجِحٍ ، وَقَدْ آسَتَوَى فِي الْأَفْقِ فَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ فِيهَا .

آسَتَوَى - اسْتَقَامَ عَلَى صُورَتِهِ الْخَلْقِيَّةِ .

ذُو مِرَّةٍ - ذُو قُوَّةٍ أَوْ خَلَقِي حَسَنٍ .

(٧) - وَقَدْ اسْتَقَامَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الْأُفُقِ الْأَعْلَى وَهُوَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، حِينَ أَحَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرَاهُ كَذَلِكَ، فَظَهَرَ فِي الْأُفُقِ لَهُ.

(٨) - ثُمَّ أَخَذَ جِبْرِيلُ يَقْتَرِبُ مِنَ الرَّسُولِ، وَيَنْحَدِرُ مِنَ الْأُفُقِ.

تَدُلُّ - أَنْحَدَرَ رُويْدًا رُويْدًا إِلَى أَسْفَلِ.

(٩) فَكَانَ عَلَى قَدَرِ قَوْسَيْنِ إِذَا مُدًّا، أَوْ أَقْرَبَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى حِسَابِ تَقْدِيرِكُمْ.

(١٠) - فَأَوْحَى جِبْرِيلُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُوحِيَهُ إِلَيْهِ مِنْ شُؤْنِ الدِّينِ.

عَبْدِهِ - أَيُّ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

(١١) - مَا كَذَّبَ قُودًا مُحَمَّدٍ مَا رَأَاهُ بِصُورَةٍ مِنْ صُورَةِ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(أَفْتَمَارُونَهُ)

(١٢) - أَفْتَكْذِبُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَتُجَادِلُونَهُ فِيمَا رَأَاهُ بِعَيْنِهِ مِنْ صُورَةِ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَفْتَمَارُونَهُ - أَتَكْذِبُونَهُ، وَتُجَادِلُونَهُ.

(رَأَاهُ)

(١٣) - وَلَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى.

نَزَلَهُ أُخْرَى - مَرَّةً أُخْرَى.

(١٤) - عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَنَهَّى، حِينَمَا عُرِجَ بِالرَّسُولِ إِلَى السَّمَاءِ. وَهَذِهِ السِّدْرَةُ تَنْتَهِي إِلَيْهَا عُلُومُ الْخَلَائِقِ.

(١٥) - وَسِدْرَةُ الْمُتَنَهَّى هَذِهِ تَقَعُ عِنْدَ الْجَنَّةِ الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا الْمُتَّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(١٦) - وَقَدْ رَأَاهُ حِينَمَا كَانَ يَغْشَى السِّدْرَةَ، وَيُعْطِيهَا، خَلَائِقُ تَدُلُّ فِي حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا وَإِشْرَاقِهَا عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ.

(١٧) - مَا مَالَ بَصَرُ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ رُؤْيَةِ هَذِهِ الْعَجَائِبِ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَمَا جَاوَزَهَا إِلَى رُؤْيَةِ غَيْرِهَا مِمَّا لَمْ يُؤْمَرْ بِرُؤْيَتِهِ.

٧ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى

٨ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى

٩ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى

١٠ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى

١١ مَا كَذَّبَ الْقُودُ مَا رَأَى

١٢ أَفْتَمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى

١٣ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى

١٤ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَنَهَّى

١٥ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى

١٦ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى

١٧ مَا رَآعَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى

(آيَات)

(١٨) - وَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ الْكَثِيرَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَعَجَائِبِ خَلْقِهِ.

(أَفَرَأَيْتُمْ) (اللَّات)

(١٩) - يُقَرِّعُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ عَلَى عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ، وَعَلَى اتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهَا أَرْبَابًا، وَعَلَى إِقَامَةِ بُيُوتِ الْعِبَادَةِ لَهَا وَيَقُولُ لَهُمْ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَوَاسِعِ قُدْرَتِهِ فِيمَا خَلَقَ، أَفَبَعْدَ ذَلِكَ تَجْعَلُونَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ، الَّتِي لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلَا لغيرِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، شُرَكَاءَ لِلَّهِ فِي الْعِبَادَةِ؟

اللَّات - صَخْرَةٌ بَيْضَاءُ مَنْقُوشَةٌ كَانَ عَلَيْهَا بَيْتٌ بِالطَّائِفِ لَهُ أَسْتَارٌ وَسَدَنَةٌ يَفْتَحُونَ بِهِ عَلَى أَخْيَاءِ الْعَرَبِ بَعْدَ قُرَيْشٍ.

العُزَّى - شَجَرَةٌ عِنْدَهَا بِنَاءٌ وَأَسْتَارٌ يَنْخَلُّ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَعِظُمُهَا.

(مَنَاء)

(٢٠) - كَانَتْ مَنَاءُ صَنَمًا فِي الْمَشَلَلِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ الْأَوْسُ وَالخَزَرَجُ يَعِظُمُونَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُهْلُونَ مِنْهَا إِلَى الْحَجِّ إِلَى الْكَعْبَةِ.

(٢١) - أَتَجْعَلُونَ لِلَّهِ وَلَدًا، وَتَجْعَلُونَ هَذَا الْوَلَدَ أَنْثَى، وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الْأُنْثَى لِأَنْفُسِكُمْ، وَتَفْضِلُونَ الذَّكَرَ عَلَيْهَا، لِأَنْكُمْ تَنْسُبُونَ إِلَى الْأُنْثَى النِّقْصَ، وَإِلَى الذَّكَورِ الْكَمَالَ؟

(٢٢) - تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ جَائِرَةٌ لَا عَدْلَ فِيهَا، لِأَنْكُمْ جَعَلْتُمْ لِرَبِّكُمْ مَا تَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِكُمْ، وَأَثَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِمَا تُحِبُّونَ لَهَا. صِيزَى - جَائِرَةٌ لَا عَدْلَ فِيهَا.

(آبَاؤُكُمْ) (سُلْطَان)

(٢٣) - وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي يَعْبُدُهَا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مَا هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، سَمَّوْهَا هُمْ وَآبَاؤُهُمْ، وَجَعَلُوهَا آلِهَةً لَهُمْ، عَكَفُوا عَلَى عِبَادَتِهَا، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ عَلَى صِحَّةِ مَا يَتَقَدُّونَ مِنَ الْوَهْتِهَا، وَإِنَّمَا هُمْ يَتَّبِعُونَ فِي ذَلِكَ الظَّنَّ وَالتَّخْمِينَ وَهَوَى الْأَنْفُسِ، وَتَقْلِيدَ الْأَبَاءِ، وَأَعِيقَادَهُمْ أَنَّ الْأَبَاءَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونُوا عَلَى ضَلَالٍ، وَلَقَدْ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَقَلَّدُوا آبَاءَهُمْ وَتَابَعُوا عَلَى عِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ،

١٨ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى

١٩ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى

٢٠ وَمَنَاءَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى

٢١ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى

٢٢ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ صِيزَى

٢٣ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ

وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ

سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ

وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ

جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى

مَعَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُولَ بِالْهُدَى وَالْحَقِّ، وَالذَّلِيلَ الْقَاطِعَ، عَلَى
وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّعِظُوا بِمَا
جَاءَهُمْ، وَأَنْ يُقْلِعُوا عَنِ الشِّرْكِ وَعَنِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَأَنْ يَتَّبِعُوا رَسُولَ
اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَلَكِنَّهُمْ أَعْرَضُوا وَتَوَلَّوْا.

(لِلإِنْسَانِ)

(٢٤) - إِنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ شَفَاعَةَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ مَا
يَتَمَنَّاهُ الْمَرْءُ يَحْصُلُ عَلَيْهِ، وَلَا كُلُّ مَنْ أَرَادَ شَيْئًا وَصَلَ إِلَيْهِ.

(٢٥) - إِنَّهُمْ لَنْ يَحْصُلُوا عَلَى مَا يَتَمَنَّوْنَ مِنْ شَفَاعَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ لَهُمْ،
وَلَنْ تُجْدِيَهُمُ الْأَصْنَامُ نَفْعًا، لِأَنَّ كُلَّ مَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُلْكُ اللَّهِ
تَعَالَى، وَلَا تَمْلِكُ هَذِهِ الْأَصْنَامُ مِنْهُ شَيْئًا.

(السَّمَاوَاتِ) (شَفَاعَتُهُمْ)

(٢٦) - وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا تُفِيدُ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا إِذَا أَدْنَى لَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى بِالشَّفَاعَةِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى عَنْهُمْ. وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ الْمَلَائِكَةِ
الْمُقَرَّبِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَيْفَ يَرْجُو هَؤُلَاءِ الْجَاهِلُونَ شَفَاعَةَ أَصْنَامٍ
لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَهِيَ حِجَارَةٌ لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ؟
لَا تُغْنِي - لَا تَدْفَعُ وَلَا تَنْفَعُ.

(الْمَلَائِكَةِ)

(٢٧) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ جَعْلَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاءًا، وَتَسْمِيَتَهُمْ
بِأَسْمَاءِ الْإِنْسَانِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ، وَتَنْزَعَهُ تَعَالَى عَنِ
الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ.

(٢٨) - وَهُمْ لَا يَسْتَنْدُونَ فِيمَا يَقُولُونَ مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَاءٌ، وَأَنَّهُمْ بَنَاتُ
اللَّهِ، إِلَى عِلْمٍ صَحِيحٍ يُرْكَنُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَظُنُّونَ ظَنًّا، وَيَتَوَهَّمُونَ تَوَهُّمًا،
وَالظَّنُّ وَالتَّوَهُّمُ لَا يَقُومَانِ مَقَامَ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ، وَلَا يُغْنِيَانِ عَنْهُمَا شَيْئًا.
(وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنُّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ).

(الْحَيَاةِ)

(٢٩) - فَأَعْرِضْ عَنْ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ
الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَجَعَلُوا هَمَّهُمُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ مَتَاعٍ وَمَمْلَذَاتٍ،
وَأَهْجَرَهُمْ وَلَا تَهْتَمُّ بِمَصِيرِهِمْ.

٢٤ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى

٢٥ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى



٢٦ وَكَرَّمَن مَلَكٍ فِي

السَّمَوَاتِ لَا تَغْنِي شَفَاعَتُهُمْ
شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى

٢٧ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

لَيَسْمُونُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى

٢٨ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَذِّعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا

٢٩ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ

يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

(٣٠) - وَذَلِكَ الَّذِي يَتَّبِعُونَهُ فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ هُوَ مُنْتَهَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يُفَكِّرُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ شُؤُنِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا جَعَلُوا الدُّنْيَا أَكْبَرَ مَعْيِهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ لِلْخَلْقِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَنْ جَعَلَ الْعَمَلَ لِلْآخِرَةِ هِمَّةً، وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا، وَمَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا هِمَّةً، وَسَعَى فِي طَلَبِهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ، وَسَيَجْزِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْجَزَاءِ.

(السَّمَاوَاتِ) (أَسَاوُوا)

(٣١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَأَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْوُجُودِ مُلْكُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ بِمَا فِي النُّفُوسِ وَالصُّدُورِ، وَقَدْ خَلَقَ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَأَمَرَ الْخَلْقَ بِعِبَادَتِهِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهَا، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَهُوَ لَنْ يُهْمَلَ أَمْرُ الْخَلْقِ، وَسَيَجْزَى كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ: السَّيِّئُ عَلَى إِسَاءَتِهِ وَالْمُحْسِنُ عَلَى إِحْسَانِهِ.

(كَبَائِرَ) (الْفَوَاحِشِ) (وَأَسْعُ) (أُمَهَاتِكُمْ)

(٣٢) - يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَوْصَافَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يَجْزِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ بِالْحُسْنَى يَقُولُ: مِنْ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُحْسِنِينَ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ، وَعَنِ الْفَوَاحِشِ، وَلَا يَجْتَرِحُونَ الشَّيْئَاتِ، وَلَا يَرْتَكِبُونَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْكَبَائِرَ (كَالْقَتْلِ وَالزَّوْنِ وَأَكْلِ الرِّبَا وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ). وَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُمْ بَعْضُ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ يَغْفِرُهَا لَهُمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(١). وَاللَّهُ تَعَالَى بِصِيرٍ بِأَحْوَالِ الْعِبَادِ، عَلِيمٌ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ. وَحِينَ أَبْتَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَهُمْ وَهُمْ أَجَنَّةٌ فِي بَطُونِ أُمَهَاتِهِمْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَنْ سَيَكُونُ مِنْهُمْ مُحْسِنًا صَالِحًا، وَمَنْ سَيَكُونُ مُسِيئًا.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِالْإِزْكَوَاءِ، أَنْفُسَهُمْ، وَلَا يُثْنُوا عَلَيْهَا، وَلَا يَمْدَحُوهَا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ الْعَالِمُ مَنْ هُوَ الْبَرُّ التَّقِيُّ الصَّالِحُ، وَمَنْ هُوَ الْفَاجِرُ الشَّقِيُّ السَّيِّئُ.

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ

وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا أَنْتُمْ أَجَنَّةٌ فِي بَطُونِ أُمَهَاتِكُمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتَقَى

(وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمْدَحَ أَحَدٌ صَاحِبَهُ أَمَامَ آخَرِينَ، وَأَنْ يَكْتَفِي بِالْقَوْلِ: أَحْسَبُ أَنَّ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسْبِي، وَلَا أُرْكِي أَحَدًا عَلَى اللَّهِ، أَحْسَبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ).

الفواحش - مَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الْكَبَائِرِ.

اللَّمَمَ - صَغَائِرُ الذُّنُوبِ.

فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ - فَلَا تَمْدَحُوهَا بِحُسْنِ الْأَعْمَالِ.

(أَفْرَأَيْتَ)

(٣٣) - أَرَأَيْتَ حَالِ هَذَا الَّذِي تَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ؟

(٣٤) - أَطَاعَ اللَّهُ قَلِيلًا فِي أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ، وَفِي الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ، وَامْتَنَعَ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا كَانَ يَقُومُ بِهِ.

أَكْدَى - تَوَقَّفَ عَنِ السَّيْرِ كُلًّا أَوْ قَطَعَ عَطِيَّتَهُ بُخْلًا.

(٣٥) - هَلْ عِنْدَ هَذَا الَّذِي تَوَقَّفَ عَنِ الْإِنْفَاقِ، وَقَطَعَ إِحْسَانَهُ، عِلْمُ الْغَيْبِ بِأَنَّ الْمَالَ الَّذِي فِي يَدِهِ سَيَنْفَدُ وَهُوَ يَرَى ذَلِكَ عِيَانًا، وَلِذَلِكَ أَمْسَكَ عَنْ مُتَابَعَةِ الْإِنْفَاقِ؟ إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُمْسِكُ عَنِ الْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ بُخْلًا وَشُحًّا.

(٣٦) - أَوْ لَمْ يُخْبِرْهُ أَحَدٌ بِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

(إِبْرَاهِيمَ)

(٣٧) - وَبِمَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقَامَ بِجَمِيعِ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ؟

(٣٨) - فَقَدْ جَاءَ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا تَحْمِلُ كُلُّ نَفْسٍ ذَنْبَهَا، لَا يَحْمِلُهُ عَنْهَا غَيْرُهَا. لَا تَزُرُّ - لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ آيَمَةً إِنَّمَا نَفْسٌ أُخْرَى.

(لِلْإِنْسَانِ)

(٣٩) - وَلَا تُحَاسِبْ نَفْسُ إِلَّا عَلَى مَا عَمِلَتْهُ.

(٤٠) - وَجَاءَ فِي هَذِهِ الصُّحُفِ أَيْضًا: أَنَّ سَعْيَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يُعْرَضُ

٣٣ أَفْرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى

٣٤ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَكَدَى

٣٥ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى

٣٦ أَمْ لَمْ يَنْتَابِعْ فِي صُحُفِ مُوسَى

٣٧ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى

٣٨ أَلَا نَزَرُوا زُرَّةً وَزُرَّةً أُخْرَى

٣٩ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى

٤٠ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ اللَّهِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَيَسَادُ بِفَضْلِ الْمُحْسِنِينَ، وَيُوْنَحُ الْمُسِيئُونَ.

(يُجْزَاهُ)

(٤١) - ثُمَّ يُجْزَى الْإِنْسَانُ بِعَمَلِهِ أَوْفَى الْجَزَاءِ وَأَوْفَرُهُ.

(٤٢) - وَأَنْ مَرَجَعَ الْأُمُورَ يَوْمَ الْمَعَادِ إِلَى اللَّهِ، فَيَحَاسِبُ الْخَلْقَ عَلَى مَا أَكْتَسَبُوا مِنْ أَعْمَالٍ فَيُثَبِّتُهُمْ عَلَيْهَا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا بِالْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

الْمُنْتَهَى - الْمَصِيرُ وَالنَّهَائِيُّ فِي الْأَجْرَةِ لِلْجَزَاءِ.

(٤٣) - وَأَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ فِي عِبَادِهِ الصُّحُفَ، كَمَا خَلَقَ فِيهِمُ الْبُكَاءَ، وَخَلَقَ فِيهِمُ أَسْبَابَهُمْ، أَيْ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ مَا يَسُرُّ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَمَا يُحْزِنُ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ.

(٤٤) - وَأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي سَلَبَ الْحَيَاةَ، وَهُوَ الَّذِي وَهَبَهَا.

(٤٥) - وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ لِتَسْتَمِرَّ الْحَيَاةُ بِالتَّزْوَاجِ بَيْنَ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ.

(٤٦) - وَقَدْ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى مِنْ نُطْفَةٍ مِنَ الْمَنِيِّ تَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الذَّكَرِ وَتَسْتَقَرُّ فِي رَحِمِ الْأُنثَى.

تُمْنَى - تَتَدَقَّقُ فِي الرَّحِمِ.

(٤٧) - وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَ خَلْقَ الْمَخْلُوقَاتِ مَرَّةً أُخْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ جَمِيعٌ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الْأَحْيَاءِ قَدْ هَلَكُوا.

النَّشْأَةُ الْآخَرَى - الْإِحْيَاءُ بَعْدَ الْإِمَاتَةِ.

(٤٨) - وَأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَنْفُخُ الْغَنَى لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُفْقِرُ مَنْ يَشَاءُ، بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، الَّتِي لَا يَعْلَمُ سِرَّهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

أَفْنَى - أَفْقَرُ أَوْ أَرْضَى بِمَا أُعْطِيَ.

(٤٩) - وَأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّ كَوْكَبِ الشُّعْرَى الَّذِي يَظْهَرُ فِي السَّمَاءِ خَلْفَ الْجُوزَاءِ، وَهُوَ خَالِقُهُ.

وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى كَوْكَبَ الشُّعْرَى بِالذَّكَرِ لِأَنَّ أَنْسَاءَ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

الشُّعْرَى - كَوْكَبٌ مَعْرُوفٌ كَانَ بَعْضُ الْعَرَبِ يَعْبُدُهُ.

﴿٤١﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى

﴿٤٢﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى

﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى

﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا

﴿٤٥﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى

﴿٤٦﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى

﴿٤٧﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةَ الْآخَرَى

﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى

﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى

(٥٠) - وَأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى قَوْمَ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانُوا مِنْ أَكْثَرِ الْخَلْقِ قُوَّةً وَعُتُوًّا، وَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ. عَادًا الْأُولَى - قَوْمَ هُودٍ.

(ثَمُودُ)

(٥١) - وَأَهْلَكَ ثَمُودَ، قَوْمَ صَالِحٍ، بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ عَادًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا.

ثَمُودُ - قَوْمُ صَالِحٍ.

(٥٢) - وَأَهْلَكَ اللَّهُ قَبْلَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ قَوْمَ نُوحٍ، وَكَانُوا أَكْثَرَ ظُلْمًا وَطُغْيَانًا مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

(٥٣) - وَأَهْلَكَ مَدَائِينَ قَوْمِ لُوطٍ (الْمُؤْتَفِكَةَ)، فَدَمَرَهَا عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا.

أَهْوَى - أَسْقَطَهَا إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ رَفْعِهَا.

الْمُؤْتَفِكَةَ - قَرَى قَوْمِ لُوطٍ الَّتِي جَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا.

(فَغَشَّاهَا)

(٥٤) - وَبَعْدَ أَنْ قَلَبَ اللَّهُ تَعَالَى قَرَى قَوْمِ لُوطٍ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا، أَمْطَرَهَا بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ فَغَشَّيَهَا مِنَ الْحِجَارَةِ (أَوْ مِنَ الْعَذَابِ النَّازِلِ بِهَا) الشَّيْءَ الْكَثِيرَ الَّذِي لَا يُوصَفُ (مَا غَشَّى).

غَشَّاهَا - أَلْبَسَهَا وَغَطَّاهَا بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ.

(آلَاءُ)

(٥٥) - فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكَ عَلَيْكَ تَرْتَابُ وَتَتَشَكُّكُ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ؟

تَمَارَى - تَرْتَابُ وَتَتَشَكُّكُ.

(٥٦) - إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِيُنْذِرَ مَنْ حَادَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَسَلَكَ طَرِيقَ الْعَوَايَةِ وَالضَّلَالِ، بِالْعِقَابِ الْأَلِيمِ، وَهُوَ رَسُولٌ مِثْلَ غَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَقْوَامِهِمْ مُحَذِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى الْآيَةِ هُوَ: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَذِيرٌ مِنْ جَنْسِ الْكُتُبِ الَّتِي جَاءَتْ تُنْذِرُ الْأُمَّمَ الْحَالِيَةَ).

(٥٧) - أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، وَجَاءَ وَقْتُ الْحِسَابِ، وَسَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ فَاحْذَرُوا يَا أَيُّهَا الْغَافِلُونَ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْهَالِكِينَ.

٥٠ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى

٥١ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى

٥٢ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ

أَظْلَمَ وَأَطْغَى

٥٣ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى

٥٤ فَغَشَّاهَا مَا عَشَى

٥٥ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى

٥٦ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى

٥٧ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ

أَزِفَتْ - أَقْتَرَبَتْ وَدَنَتْ .

الْأَزْفَةُ - السَّاعَةُ .

(٥٨) - وَلَا يَذْفَعُهَا إِذَا جَاءَتْ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ ، وَلَا يَكْشِفُ عَنْ مَوْعِدِ حُلُولِهَا غَيْرُهُ تَعَالَى .

كَاشِفَةٌ - نَفْسٌ تَكْشِفُ أَهْوَالَهَا وَشِدَائِدَهَا .

(٥٩) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْكُفَّارِ إِغْرَاضَهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ بَعْدَ اسْتِمَاعِهِمْ إِلَيْهِ فَيَقُولُ : أَفَيُنْبَغِي لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَعْجَبُوا مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَ يَهْدِيكُمْ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ؟ .

(٦٠) - وَتَضْحَكُونَ مِنْهُ اسْتِهْزَاءً وَسُخْرِيَةً ، وَلَا تَبْكُونَ خَوْفًا مِنَ الْحِسَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُؤْمِنُونَ ؟ .

(سَامِدُونَ)

(٦١) - وَكَيْفَ تَتَلَقَّوْنَ مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ وَعِبرَهُ وَحُجَجَهُ ، وَأَنْتُمْ لَاهُونَ مُعْرِضُونَ غَافِلُونَ ؟ .

سَامِدُونَ - لَاهُونَ مُعْرِضُونَ غَافِلُونَ .

(٦٢) - فَاخْضَعُوا لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَأَعْبُدُوهُ ، وَوَحِّدُوهُ ، وَاسْجُدُوا لَهُ ، وَأَخْلِصُوا الْعَمَلَ لَهُ سُبْحَانَهُ .

﴿٥٨﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ

﴿٥٩﴾ فَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ

﴿٦٠﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ

﴿٦١﴾ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ



سَجْدَةٌ

﴿٦٢﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا

(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاتُهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الْفِيَاةُ، وَتَنْتَهِي أَمْرُ الدُّنْيَا فِيهَا، وَأَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وَأَضْطِرَابُ أَمْرِ الْكَوْنِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ مُسْتَنِدِينَ إِلَى إِحَادِيثٍ صَحِيحَةٍ: إِنَّ حَادِثَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ قَدْ وَقَعَ فِعْلًا قَبْلَ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ بِحَوَالِي خَمْسِ سِنِينَ، فَقَدْ رَوَى أَنَسُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا الرَّسُولَ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَاقَيْنِ حَتَّى رَأَوْا جِرَاءَ (جَبَلٍ مَكَّةَ) بَيْنَهُمَا. وَفِي رِوَايَةِ لَابِنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً عَلَى الْجَبَلِ وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَشْهَدُوا. وَلَكِنْ مُفَسِّرِينَ آخَرِينَ يَرَوْنَ أَنَّ الْقَمَرَ لَمْ يَنْشَقَّ فِعْلًا. وَأَنَّ الْإِنْشِقَاقَ سَيَحْدُثُ حِينَمَا يَقْتَرِبُ قِيَامُ السَّاعَةِ. وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَعْمَلَ صِبْغَةَ الْمَاضِي فِي التَّعْبِيرِ عَنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ تَأْكِيدًا إِلَى أَنَّ الْحَادِثَيْنِ وَشَيْكَمَا الْوُقُوعَ.

(آيَةٌ)

(٢) - وَإِذَا رَأَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ حُجَّةً وَدَلِيلًا عَلَى صِدْقِ نُبُونِكَ، أَعْرَضُوا عَنْهَا مُكَذِّبِينَ بِهَا، وَقَالُوا: هَذَا الَّذِي رَأَيْنَاهُ هُوَ سِحْرٌ سَحَرَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ، وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ السَّحَرَ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ. مُسْتَمِرٌّ - دَائِمٌ أَوْ مُحْكَمٌ.

(٣) - وَكَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ أَهْوَاؤُهُمْ لَجْهَلِهِمْ، وَسَخَافَةِ عُقُولِهِمْ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَنْتَهِي إِلَى غَايَةِ تَنَاسُهِهِ، وَتَمَنَّاثِلِ مَعَهُ فَيَسْتَفِرُّ عَلَيْهَا. وَأَمْرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ سَيَنْتَهِي إِلَى الْفَشْلِ وَالْخِذْلَانِ

① اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ

② وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ

③ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ

فِي الدُّنْيَا، وَإِلَى الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ فِي الْآخِرَةِ. وَأَمْرُكَ سَيَنْتَهِي إِلَى النَّصْرِ
وَالْعُلُوِّ يَا مُحَمَّدٌ.

مُسْتَقِرٌّ - مُنْتَهَى إِلَى غَايَةٍ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا.

(٤) - وَلَقَدْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الَّتِي كَذَّبَتْ
رُسُلَهَا، وَمَا حَلَّ بِهَا، وَكَيْفَ دَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى تَذْمِيرًا، مَا فِيهِ وَاِعْظُ وَزَاجِرٌ
عَنِ الشِّرْكِ وَعَنِ التَّمَادِي فِي التَّكْذِيبِ.

مُزْدَجِرٌ - اِزْدَجَارُ وَانْتِهَارٌ وَرَدْعٌ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ.

(بِالْقَعَةِ)

(٥) وَإِنَّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ عَنْ مَصِيرِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لَهُوَ الْحِكْمَةُ
الْبَالِغَةُ فِي الْهَدَايَةِ وَالْإِشْرَادِ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ لَمَنْ فَكَّرَ وَتَدَبَّرَ، وَلَكِنْ مَا
الَّذِي تُغْنِيهِ النَّذْرُ، وَمَا الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ مِنْهَا مَنْ كَتَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ، وَخَتَمَ
اللَّهُ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَبَصَرِهِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ؟

النَّذْرُ - الرُّسُلُ، أَوِ الْأُمُورُ الْمُخَوِّفَةُ لَهُمْ.

(٦) فَأَعْرِضْ يَا مُحَمَّدٌ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تُجَادِلْهُمْ لَأَنَّ ذَلِكَ لَنْ
يُجِدِّي شَيْئًا، لِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا فِي الْعِتُوِّ وَالْعِنَادِ حَدًّا لَا يَقْتَنِعُونَ مَعَهُ بِحُجَّةٍ
وَلَا بِبُرْهَانٍ، وَانْتَظِرْ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِمْ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ وَالْعِقَابِ،
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَدْعُو فِيهِ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ مُنْكَرٍ فَظِيعٍ
شَدِيدِ الْهَوْلِ.

شَيْءٌ مُنْكَرٌ - مُنْكَرٌ فَظِيعٌ - وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

(أَبْصَارُهُمْ)

(٧) - وَحِينَ يَدْعُو الدَّاعِي، يَخْرُجُ الْكَافِرُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْقُبُورِ،
وَأَبْصَارُهُمْ خَاشِعَةٌ ذَلِيلَةٌ، وَهُمْ يَسِيرُونَ وَكَانَهُمْ فِي أَنْتِشَارِهِمْ، وَسُرْعَةِ
سَيْرِهِمْ، جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ فِي الْأَفَاقِ.

الْأَجْدَاثُ - الْقُبُورُ.

(الْكَافِرُونَ)

(٨) - وَتَتَّبِعُونَ الدَّاعِي، وَهُمْ مُسْرِعُونَ فِي سَيْرِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ وَلَا
يَتَأَخَّرُونَ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ (أَوْ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ): إِنَّ هَذَا
الْيَوْمَ لَيَوْمٌ عَسِيرٌ، شَدِيدُ الْهَوْلِ.

④ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ

مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ

⑤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِي
النَّذْرُ

⑥ فَقَوْلٌ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ

إِلَى شَيْءٍ مُنْكَرٍ

⑦ خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ

الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ

⑧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ

هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ

مُهْطِعِينَ - مُسْرِعِينَ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَهُمْ يَمْدُونَ أَعْنَاقَهُمْ ..
يَوْمَ عَسِرَ - صَعُبَ ، شَدِيدًا ، لِعَظَمِ أَهْوَالِهِ .

(٩) - كَذَبَتْ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَوْمُ نُوحٍ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَبْدُنَا نُوحٌ كَذَّبُوهُ ، وَرَمَوْهُ بِالْجُنُونِ ، وَزَجَرُوهُ ، وَأَنْتَهَرُوهُ ، وَتَوَعَّدُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ : لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ - كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى . -

وَأَزْدَجِرَ - أَنْتَهَرَ وَزَجَرَ عَنْ تَبْلِغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ بِالسَّبِّ وَالْإِيْدَاءِ .

(١٠) فَدَعَا نُوحٌ رَبَّهُ قَائِلًا : يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي غَلَبُونِي ، وَإِنِّي ضَعِيفٌ لَا أَسْتَطِيعُ مُقَاوَمَتَهُمْ فَانْتَصِرْ أَنْتَ مِنْهُمْ لِيَدِينِكَ ، بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِكَ ، عَلَى كُفْرِهِمْ بِكَ ، وَعَلَى تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَكَ .
مَغْلُوبٌ - مَقْهُورٌ .

فَانْتَصِرَ - فَانْتَقِمَ أَنْتَ يَا رَبِّ مِنْهُمْ .

(أَبْوَابُ)

(١١) فَانْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا غَزِيرًا يَنْهَمِرُ أَنْهَامًا .

أَبْوَابُ السَّمَاءِ - السَّحَابُ .

مَنْهَمِرٌ - يَنْصَبُ بِشِدَّةٍ وَغَزَارَةٍ .

(١٢) - وَأَمَرْنَا الْأَرْضَ بِأَنْ تَفْجَرَ عُيُونًا وَيَنْابِيعَ ، فَالْتَقَى مَاءُ السَّمَاءِ مَعَ مَاءِ الْأَرْضِ عَلَى أَمْرِ قَدْرِهِ اللَّهُ ، وَهُوَ إِحْدَاثُ طُوفَانٍ يُهْلِكُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةَ الْفَجْرَةَ .

فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا - شَقَقْنَاهَا .

أَمْرٌ قَدْ قُدِرَ - أَمْرٌ قَدَّرْنَاهُ مِنَ الْأَزَلِ - أَيُّ هَلَاكِهِمْ بِالطُّوفَانِ .

(حَمَلْنَاهُ) (الْوَحْ) (حَمَلْنَاهُ)

(١٣) - وَأَنْقَذْنَا نُوحًا وَأَهْلَهُ ، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ فِي سَفِينَةِ ذَاتِ الْوَحْ ضَحْمَةٍ مِنَ الْخَشَبِ مُتَّبِعَةً بِمَسَامِيرٍ .

دُسُرٌ - مَسَامِيرٌ ضَحْمَةٌ تَشُدُّ الْأَلْوَحَ .

(١٤) - وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ بَيْنَ فَيْهَاءِ ، وَهِيَ بِمَرَأَى مِنَّا وَتَحْتَ حِفْظِنَا وَكَلَاءَتِنَا ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنَّا جَزَاءً عَادِلًا لِنُوحٍ الَّذِي كَذَّبَهُ قَوْمُهُ .



كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا
مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ

فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ

وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى
الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَحِّ وَدُسُرٍ

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا - بِحِفْظِنَا وَرِعَايَتِنَا أَوْ بِأَمْرِنَا .

(تَرْكَنَاهَا) (آيَةٌ)

(١٥) - وَلَقَدْ تَرَكْنَا حَادِثَةً إِغْرَاقٍ قَوْمَ نُوحٍ ، وَإِنْجَاءَ الرُّسُولِ وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ عِبْرَةً وَعِظَةً لِلْأَمَمِ التَّالِيَةِ لِيَسْرُوا مَا فَعَلَ اللَّهُ
بِالْمُكَذِّبِينَ ، فَلَا يَفْعَلُوا مِثْلَ فِعْلِهِمْ .

(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَرَكَ السَّفِينَةَ مُلْقَاةً فِي الْأَرْضِ
أَمَدًا طَوِيلًا لِيَرَاهَا النَّاسُ وَيَتَعِظُوا بِهَا) ، وَلَكِنْ هَلْ مِنْ مُعْتَبَرٍ بِتِلْكَ
الْمُعْجَزَةِ الْعَظِيمَةِ ، الْحَرِيَّةِ بِالتَّفْكِيرِ وَالتَّنْذِيرِ ؟ .
تَرْكَنَاهَا آيَةٌ - أَبْقَيْنَاهَا عِظَةً وَعِبْرَةً .

(١٦) - وَيُهَيِّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْكُفْرَةَ الْمُعَانِدِينَ فَيَقُولُ لَهُمْ : كَيْفَ وَجَدْتُمْ
عَذَابِي لِمَنْ كَفَرَ بِي ، وَكَذَّبَ رُسُلِي ، وَلَمْ يَتَّعِظْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ نُذْرِي ؟
وَكَيْفَ أَنْتَصَرْتُ لِرُسُلِي ، وَأَهْلَكْتُ الْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ ؟ لَقَدْ كَانَ أَخْذِي
شَدِيدًا وَعَذَابِي أَلِيمًا .

نُذِرْ - إِذْذَارِي .

(الْقُرْآنُ)

(١٧) - وَلَقَدْ جَعَلْنَا الْقُرْآنَ سَهْلَ الْمَعْنَى ، يَسِيرَ اللَّفْظِ ، لِيَقْرَأَهُ النَّاسُ
وَيَتَذَكَّرُوا مَعَانِيَهُ ، وَيَتَّعِظُوا بِمَا جَاءَ فِيهِ ، وَلَكِنْ هَلْ مِنْ مُتَّعِظٍ بِهِ ، مُزْجَرٍ
بِهِ عَنْ مَعَاصِيهِ ؟ .

(١٨) - وَلَقَدْ كَذَّبَتْ عَادٌ نَبِيَّهُمْ هُودًا فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِ ، كَمَا فَعَلَ
قَوْمُ نُوحٍ ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي لِمَنْ كَفَرَ بِي ، وَكَذَّبَ رُسُلِي ، وَلَمْ يَتَّعِظْ
بِمَا جَاءَتْ بِهِ نُذْرِي ؟ .

وَكَيْفَ أَنْتَصَرْتُ لِرُسُلِي ، وَأَهْلَكْتُ الْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ ؟ لَقَدْ كَانَ أَخْذِي
شَدِيدًا ، وَعَذَابِي أَلِيمًا .

(١٩) - فَأَرْسَلْنَا عَلَى عَادٍ ، حِينَمَا تَمَادَوْا فِي الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ ، رِيحًا
شَدِيدَةً فِي عَصْفِهَا ، وَفِي بُرُودَتِهَا ، فِي أَيَّامٍ شُومٍ وَنَحْسٍ عَلَيْهِمْ ،
اسْتَمَرَّتْ فِي هُبُوبِهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ بِصُورَةٍ مُتَتَالِيَةٍ حَتَّى
أَهْلَكْتَهُمْ جَمِيعًا .

رِيحًا صَرْصَرًا - شَدِيدَةً الْبُرُودَةِ وَالْهُبُوبِ .

يَوْمٍ نَحْسٍ - يَوْمٍ شُومٍ .

مُسْتَمِرٌّ - دَائِمٌ نَحْسُهُ ، أَوْ مُحْكَمٌ .

⑩ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ

⑪ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ

⑫ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ

⑬ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذْرٍ

⑭ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي
يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ

(٢٠) - تَقْتَلِعُ النَّاسَ وَتُلْقِيهِمْ هَلَكًى وَكَانَهُمْ جُدُوعٌ نَخْلٍ قَدْ انْقَلَعَتْ مِنْ مَغَارِسِهَا، وَالْقَيْتُ فِي الْأَرْضِ.

تَنْزَعُ - تَقْتَلِعُ مِنَ الْمَغَارِسِ وَتَرْبِي إِلَى الْأَرْضِ.
أَعْجَازُ نَخْلٍ - أَصُولُهُ.

مُنْقَعِرٌ - مُنْقَلِعٌ مِنْ مَغْرِبِهِ.

(٢١) - ثُمَّ يَهْدُدُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَفَرَةَ الْمُعَانِدِينَ فَيَقُولُ: كَيْفَ كَانَ عَذَابِي لِمَنْ كَفَرَ بِي، وَكَذَّبَ رُسُلِي، وَلَمْ يَتَّعِظْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ نَذْرِي، وَكَيْفَ أَنْتَصَرْتُ لِرُسُلِي، وَأَهْلَكْتُ الْكَفَّارَ الْمُعَانِدِينَ؟ لَقَدْ كَانَ أَخْذِي شَدِيدًا، وَعَذَابِي أَلِيمًا.

(الْقُرْآنُ)

(٢٢) - وَلَقَدْ جَعَلْنَا الْقُرْآنَ سَهْلَ الْمَعْنَى، يَسِيرَ اللَّفْظِ، لِيَقْرَأَهُ النَّاسُ وَيَتَذَكَّرُوا مَعَانِيَهُ، وَيَتَّعِظُوا بِمَا جَاءَ فِيهِ. وَلَكِنْ هَلْ مِنْ مُتَعِظٍ بِهِ، مُزْدَجِرٍ بِهِ عَنْ مَعَاصِيهِ؟

(٢٣) - كَذَّبَتْ ثَمُودُ رُسُلَهُمْ صَالِحًا الَّذِي جَاءَهُمْ يُنذِرُهُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَبَاسَهُ إِنْ أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ، وَمَنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَقَدْ كَذَّبَ الرُّسُلَ جَمِيعًا.

(وَاحِدًا) (ضَلَالٌ)

(٢٤) - إِنَّا إِذَا أَتَيْنَا رَجُلًا وَاحِدًا مِنَّا، وَأَسْلَمْنَا إِلَيْهِ قِيَادَنَا، وَأَمَّنَّا بِمَا يَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَإِنَّا إِذَا لَضَالُونَ عَنِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ، فَاقْدُوا الْعُقُولَ.
سُعْرٌ - جُنُونٌ أَوْ شِدَّةُ الْعَذَابِ أَوْ شِدَّةُ حَرِّ النَّارِ.

(الْقِي)

(٢٥) - أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَحْيُ اللَّهِ مِنْ تَيْنَانٍ، وَأَخْتَارَهُ اللَّهُ لِيَكُونَ نَبِيًّا مِنْ دُونِنَا، وَمَا هُوَ إِلَّا بَشَرٌ مِمَّنَّا وَلَيْسَ مَلَكًا؟ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ إِنَّهُ بِلَا شَكٍّ كَذَّابٌ مُتَجَاوِزُ الْحَدِّ فِي كَذِبِهِ، يُرِيدُ بِإِدْعَائِهِ النَّبُوَّةَ، وَإِنْزَالِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سُلْطَانٌ وَمُلْكٌ عَلَيْنَا.

الْأَشِيرُ - الْبَطْرُ وَالْبَطْرُ هُوَ دَهْشٌ يَغْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنْ سُوءِ أَحْتِمَالِ النِّعَمَةِ، وَفَلَّةُ الْقِيَامِ بِحَقِّهَا.

(٢٦) - وَيُرَدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مُهَدَّدًا وَمُتَوَعَّدًا فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ حِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ عَذَابٌ مِنْ هُوَ الْكَذَّابُ الْبَطْرُ، أَهُوَ

٢٠ تَنْزِعُ النَّاسَ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُنْقَعِرٍ

٢١ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي

٢٢ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ

٢٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ

٢٤ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِمَّنَّا وَاحِدًا نَنْبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ

٢٥ أَهَلْفِي الذِّكْرِ عَلَيْهِ مِنْ يَسِّنَابِلٍ هُوَ كَذَّابٌ أَشِيرٌ

٢٦ سَيَعْلَمُونَ عَذَابًا مِنَ الْكَذَّابِ
الْأَشِيرِ

صَالِحَ رَسُولِ اللَّهِ، الَّذِي جَاءَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا يُرِيدُ عَلَى ذَلِكَ أَجْراً وَلَا مَالاً، أَمْ هُمْ، وَهُمْ الْكَفَرَةُ الْمُتَعَتِّتُونَ، الْمُتَكَبِّرُونَ عَنِ الْحَقِّ؟

(مُرْسِلُو)

(٢٧) - إِنَّا سَنُخْرِجُ لَهُمُ النَّاقَةَ مِنَ الصَّخْرَةِ كَمَا طَلَبُوا مِنْ نَبِيِّهِمْ صَالِحٍ، لَتَكُونَ آيَةً لَهُمْ، وَحُجَّةً عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِمْ، وَلَتَكُونَ فِتْنَةً وَآخِثَاراً لَهُمْ، أَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَيَتَّبِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ، وَيَقْلَعُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ؟ أَمْ إِنَّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ وَيَعْرِضُونَ؟ وَأَصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ فَيُهْلِكَهُمْ جَمِيعاً، وَيُنْجِيكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

فِتْنَةً لَهُمْ - أَمْتِحَاناً وَآيَةً لَهُمْ.

(٢٨) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَمَرَ رَسُولَهُ صَالِحاً بِأَنْ يُعْلِمَ قَوْمَهُ أَنَّ مَاءَ بَيْتِ الْقَرْيَةِ مَقْسُومٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاقَةِ، يَوْمَ لِلْنَّاقَةِ وَيَوْمَ لِلْقَوْمِ. وَكُلُّ حِصَّةٍ مِنْهُ يَحْضُرُ صَاحِبُهَا لِأَخْذِهَا فِي الْيَوْمِ الْمَخْصَصِ لَهُ، فَتَحْضُرُ النَّاقَةُ يَوْمَاً، وَيَأْتُونَ هُمْ يَوْمَ آخَرَ.

(وَقِيلَ إِنَّ حَيَوَانَاتِ الْقَرْيَةِ كَانَتْ تَتَفَرُّ مِنَ النَّاقَةِ فَلَا تَرِدُ الْمَاءَ إِذَا كَانَتْ النَّاقَةُ عَلَيْهِ، فَصَعَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ).

قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ - مَقْسُومٌ بَيْنَهُمْ، هُمْ وَالْنَّاقَةُ.

مُحْتَضِرٌ - يَحْضُرُ صَاحِبُهُ لِأَخْذِهِ.

الشَّرْبُ - النَّصِيبُ أَوْ الْحِصَّةُ مِنَ الْمَاءِ.

(٢٩) - فَمَلَّتْ ثَمُودُ هَذِهِ الْقِسْمَةَ، وَاسْتَفْتَلَتْهَا، وَأَرَادَتْ الْخَلَاصَ مِنْهَا، فَنَادَوْا أَشْقَاهُمْ، وَحَثُّوهُ عَلَى قَتْلِ النَّاقَةِ، فَقَامَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ، وَقَتَلَ نَاقَةَ اللَّهِ، بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ قَوَائِمَهَا، وَأَلْقَاهَا أَرْضاً ثُمَّ ذَبَحَهَا.

تَعَاطَى - أَجْتَرَا عَلَى مُبَاشَرَةِ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

عَقَرَ النَّاقَةَ - ضَرَبَ قَوَائِمَهَا وَأَلْقَاهَا أَرْضاً ثُمَّ ذَبَحَهَا.

(٣٠) - فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي لِمَنْ كَفَرَ بِي، وَكَذَّبَ رُسُلِي، وَلَمْ يَتَّعِظْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ نُذْرِي، وَكَيْفَ أَنْتَصَرْتُ لِرُسُلِي وَأَهْلَكْتُ الْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ، لَقَدْ كَانَ أَخْذِي شَدِيداً وَعَذَابِي أَلِيماً.

٢٧ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ

فَارْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ

٢٨ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ

شَرِبَ مُحَضَّرٌ

٢٩ فَادَّأَوْا صَاحِبَهُمْ فَنَعَاطَى فَعَقَرَ

٣٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي

(وَاحِدَةً)

(٣١) - لَقَدْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَهَلَكُوا جَمِيعًا، وَأَصْبَحُوا مُلَقَيْنَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَالْعُشْبِ الْبَالِي، الَّذِي يَجْمَعُهُ صَاحِبُ الْحَظِيرَةِ لِمَاشِيَتِهِ.

الْهَشِيمُ - الْعُشْبُ الْيَاسُ الْمُنْفَتَّتْ.

الْمُحْتَظَرِ - صَاحِبِ الْحَظِيرَةِ.

(الْقُرْآن)

(٣٢) - وَلَقَدْ جَعَلْنَا الْقُرْآنَ سَهْلَ الْمَعْنَى، يَسِيرَ اللَّفْظِ لِيَقْرَاهُ النَّاسُ، وَيَتَذَكَّرُوا مَعَانِيَهُ، وَيَتَعَطَّوْا بِمَا جَاءَ فِيهِ، وَلَكِنْ هَلْ مِنْ مُتَعَطٍّ بِهِ، مُزْدَجِرٍ بِهِ عَنْ مَعَاصِيهِ؟

(٣٣) - كَذَّبَ قَوْمُ لُوطٍ نَبِيَّهُمْ لُوطًا فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ آيَاتٍ، وَفِيمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابٍ.

(آل) (نَجِيْنَاهُمْ)

(٣٤) - إِنَّا عَاقَبْنَاهُمْ بِإِزْسَالِ رِيحٍ تَحْمِلُ الْحَصْبَاءَ، وَتَقْذِفُهُمْ بِهَا حَتَّى أَهْلَكْتَهُمْ جَمِيعًا، إِلَّا آلَ لُوطٍ فَقَدْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْخُرُوجِ مِنَ الْقَرْيَةِ وَفَتْ السَّحْرِ، فَخَرَجُوا آخِرَ اللَّيْلِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ نَجَاتُهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ. حَاصِبًا - رِيحًا تَرْمِيهِمُ بِالْحَصْبَاءِ.

بِسَحْرِ - وَفَتْ السَّحْرِ أَيْ آخِرَ اللَّيْلِ.

(٣٥) - وَكَانَ إِنِّجَاؤُنَا آلَ لُوطٍ مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي حَلَّ بِالْقَوْمِ نِعْمَةً مِنَّا عَلَيْهِمْ، وَهَكَذَا نَجَزِي مَنْ شَكَرَ نِعْمَتَنَا عَلَيْهِ بِالطَّاعَةِ.

(٣٦) - وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ لُوطٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَنْزِلُ بِهِمْ بِأَسْءَ وَعَذَابُهُ إِذَا أَسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَفَسَادِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، فَلَمْ يَهْتَمُّوا بِمَا قَالَهُ لَهُمْ، وَشَكُّوا فِيهِ، وَتَمَادَوْا فِي غِيْبِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ.

بَطْشَتْنَا - أَخَذْنَا الشَّدِيدَةَ بِالْعَذَابِ.

تَمَارَوْا - شَكُّوا.

(رَاوِدُوهُ)

(٣٧) - وَجَاءَ قَوْمُ لُوطٍ إِلَى لُوطٍ جِنْمَا عَلِمُوا أَنَّ لَدَيْهِ ضَيْفًا صَبَاحَ الْوُجُوهِ، يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ ضَيْفُهُ لِيَفْعَلُوا الْفَاحِشَةَ فِيهِمْ (مِنْ إِيَابِ الرِّجَالِ شَهْوَةٌ مِنْ دُونِ النِّسَاءِ). وَلَمَّا أَلْحُوا فِي طَلِبِهِمْ مِنْ لُوطٍ طَمَسَ

(٣١) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً

فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظَرِ

(٣٢) وَلَقَدْ سَرَّنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ

مِنْ مُذَكِّرٍ

(٣٣) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالْأَنْذَرِ

(٣٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ

نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ

(٣٥) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي

مَنْ شَكَرَ

(٣٦) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتْنَا فَتَمَارَوْا

بِالْأَنْذَرِ

(٣٧) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا

أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ

اللَّهُ أَعْيَنَهُمْ فَلَمْ يَعُودُوا يَرَوْنَ شَيْئاً، فَأَنْصَرَفُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَهُمْ لَا يَرَوْنَ طَرِيقَهُمْ. وَقُلْنَا لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِي الَّذِي أَنْذَرْتُكُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِي، فَشَكَكْتُمْ فِيمَا قَالَهُ لَكُمْ وَلَمْ تَتَّعِظُوا.

رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ - طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُمَكِّنَهُمْ مِنْ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ بِضَيْفِهِ.

فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ - أَعْمَيْنَا أَعْيُنَهُمْ أَوْ أَرْزَلْنَا أَثَرَهَا بِمَسْحِهَا.

(٣٨) - وَلَقَدْ نَزَّلَ بِهِمُ الْعَذَابَ فِي وَقْتِ الْبُكُورِ، وَمَا زَالَ مُلْحَاحًا عَلَيْهِمْ مُسْتَمِرًّا حَتَّى أَهْلَكَهُمْ جَمِيعاً، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَاقِيَةٍ.

مُسْتَقِرٌّ - دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ.

الْبُكْرَةُ - وَقْتُ الْبُكُورِ مِنَ الْيَوْمِ، مِنْ الْفَجْرِ حَتَّى طُلُوعِ الشَّمْسِ.

(٣٩) - فَذُوقُوا جَزَاءَ أَفْعَالِكُمْ مِنْ عَذَابٍ عَاجِلٍ، وَمَا لَزِمَ مِنْ إِنْذَارِكُمْ مِنْ عَذَابٍ آجِلٍ.

(الْقُرْآنَ)

(٤٠) - وَلَقَدْ جَعَلْنَا الْقُرْآنَ سَهْلَ الْمَعْنَى، يَسِيرَ اللَّفْظِ لِيَقْرَاهُ النَّاسُ، وَيَتَذَكَّرُوا مَعَانِيَهُ، وَيَتَّعِظُوا بِمَا جَاءَ فِيهِ، وَلَكِنْ هَلْ مِنْ مُتَعَطِّ بِهِ، مُزْدَجِرٍ بِهِ عَنْ مَعَاصِيهِ؟

(آلَ)

(٤١) - وَلَقَدْ جَاءَ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ بِآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، وَمُعْجِزَاتٍ بَاهِرَاتٍ (وَهِيَ تِسْعُ آيَاتٍ: الْيَدُ وَالْعَصَا وَالطُّوفَانُ وَالْجَرَادُ... الخ) وَفِيهَا إِنْذَارٌ وَتَحْذِيرٌ إِذَا اسْتَمَرُّوا مُقِيمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَطَغْيَانِهِمْ وَفَسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ.

(بِآيَاتِنَا) (فَأَخَذْنَاَهُمْ)

(٤٢) - فَكَذَّبُوا بِهِذِهِ الْآيَاتِ كُلَّهَا، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى كُفْرِهِمْ وَطَغْيَانِهِمْ عِقَابَ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَغَالِبُ وَلَا يُقَاوَمُ، الْمُقْتَدِرِ غَيْرِ الضَّعِيفِ وَغَيْرِ الْعَاجِزِ.

(أُولَئِكَمُ)

(٤٣) - أَكْفَارُكُمْ، أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنْ كُفَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الَّذِينَ أَبَادَهُمُ اللَّهُ (أُولَئِكَمُ)، أَمْ إِنَّكُمْ تَمْلِكُونَ بَرَاءَةً مِنَ اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ لَنْ يُوَفِّقَ بِكُمْ عَذَابَهُ وَنَكَالَهُ، فَانْتُمْ تَعْتَمِدُونَ عَلَى هَذِهِ الْبَرَاءَةِ، وَتَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهَا؟

الزُّبُرُ - الصُّحُفُ أَوْ الْكُتُبُ السَّمَاءِيَّةُ.

﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ

﴿٣٩﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرٌ

﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ

﴿٤١﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ

﴿٤٢﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ

﴿٤٣﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ

(٤٤) - أَمْ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ: نَحْنُ وَإِنَّمَا بَقُوْنَا وَاجْتِمَاعُ
كَلِمَتِنَا، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ يَدُ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَيْنَا بِسُوءٍ؟
نَحْنُ جَمِيعٌ - نَحْنُ جَمَاعَةٌ مُجْتَمِعٌ أَمْرُنَا.
مُنْتَصِرٌ - مُنْتَفِعٌ لَا يُغْلَبُ.

(٤٥) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَقَالَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَعَلَى حُجَجِهِمْ
السَّالِفَةِ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ سَيُهْزَمُونَ وَسَيُغْلَبُونَ وَيُولُونَ الْأَذْبَارَ حِينَ يَلْتَقِي
جَمْعُهُم بِالْمُؤْمِنِينَ جُنْدِ اللَّهِ، وَقَدْ هَزَمُوا شَرَّ هَزِيمَةٍ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ.
يُولُونَ الذَّبْرَ - يَنْهَزِمُونَ فِي الْمَعْرَكَةِ مُؤَلِّينَ أَذْبَارَهُمْ لِعَدُوِّهِمْ.

(٤٦) - وَيَقَامُ السَّاعَةُ هُوَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدُوا بِأَنْ يُلَاقُوا الْعَذَابَ فِيهِ؛
وَالْعَذَابُ الَّذِي سَيَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَشَدَّ هَوْلًا، وَأَكْثَرُ قَسْوَةً، مِنْ
الْعَذَابِ الَّذِي يُلَاقُونَهُ فِي الدُّنْيَا.
السَّاعَةُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
أَذْهَى وَأَمْرٌ - أَعْظَمُ دَاهِيَةٍ وَأَفْظَعُ مَرَارَةٍ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا.

(ضَلَالٍ)

(٤٧) - إِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَفِي ضَلَالٍ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ، وَلَفِي عَمَايَةٍ عَنِ
الْهُدَى فِي الدُّنْيَا، وَسَيَكُونُ مَصِيرُهُمُ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ الْمُسْتَعْرَةِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ.
سُعْرٌ - جَمْعٌ سَعِيرٌ وَهُوَ النَّارُ الْمُتَلَطِّطَةُ - أَوْ هُوَ الْجُنُونُ.

(٤٨) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ، وَيُجْرُونَ فِيهَا عَلَى وُجُوهِهِمْ،
وَيُقَالُ لَهُمْ تَقْرِيحًا وَتَوْبِيحًا: دُوقُوا حَرَّ نَارِ جَهَنَّمَ وَالْأَمَهَا جَزَاءٌ لَكُمْ عَلَى
كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ وَجَحْدِكُمْ بآيَاتِهِ.
سَقَرٌ - اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ.
الْمَسْ - الْمَلَأَمَةُ وَتَعْنِي هُنَا الْحَرَّ.

(خَلْقَنَاهُ)

(٤٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نُفُوذِ قُدْرَتِهِ فِي خَلْقِهِ فَيَقُولُ: لَقَدْ خَلَقْنَا
الْخَلَائِقَ جَمِيعًا بِتَقْدِيرِنَا، وَكَوْنَاهَا عَلَى مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ،
وَبِحَسَبِ السَّنَنِ الَّتِي وَضَعْنَاهَا فِي الْخَلِيقَةِ.

(٤٤) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ

(٤٥) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذَّبْرَ

(٤٦) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ
أَذْهَى وَأَمْرٌ

(٤٧) إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ

(٤٨) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ
دُوقُوا مَسَّ سَقَرَ

(٤٩) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ

وهذا مثلُ قولِهِ تَعَالَى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(١) وَجَاءَ فِي الصَّحِيحِ (أَسْتَعِينَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ فَإِنْ أَصَابَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ).

خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ - بِتَقْدِيرٍ سَابِقٍ، أَوْ مُقَدَّرًا مُحْكَمًا.

(وَاحِدَةٌ)

(٥٠) - يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْوَ مِثْبِيتِهِ فِي خَلْقِهِ فَيَقُولُ: إِذَا أَرَدْنَا أَمْرًا قُلْنَا لَهُ: كُنْ. فَإِذَا هُوَ كَائِنٌ، فِي مِثْلِ لَمَحِّ الْبَصَرِ دُونَ إِبْطَاءٍ وَلَا تَأْخِيرٍ، وَلَا يَخْتَاجُ أَمْرُنَا إِلَى تَأْكِيدِهِ مَرَّةً أُخْرَى. إِلَّا وَاحِدَةً - كَلِمَةً وَاحِدَةً هِيَ (كُن).

(٥١) - وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمْثَالَكُمْ وَأَشْبَاهَكُمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَأَسْتَأَصَلْنَا شَافَتَهُمْ فَهَلْ مِنْ مُتَعَطٍّ مِنْكُمْ بِمَا أُنْزِلُنَاهُ بِهِؤْلَاءِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْدَّمَارِ، وَمَا قَدَرْنَاهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخِزْيِ، فَيُنِيبُ إِلَى رَبِّهِ، وَيُسَلِّمُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ الْعَذَابُ؟ أَشْيَاعَكُمْ - أَمْثَالَكُمْ وَأَشْبَاهَكُمْ فِي الْكُفْرِ.

(٥٢) - وَكُلُّ شَيْءٍ يَفْعَلُونَهُ فَهُوَ مَسْطُورٌ فِي الصُّحُفِ الَّتِي فِي أَيْدِي الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ الْمُؤَكِّلِينَ بِهِمْ، وَهُوَ مُحْصَى عَلَيْهِمْ، وَسَيَجْدُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَاضِرًا لِيَحَاسِبُوا عَلَيْهِ. فِي الزُّبُرِ - مَسْطُورٌ فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ.

(٥٣) - وَلَا يَنْسَى الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ أَنْ يُثَبِّتُوا فِي هَذِهِ الصُّحُفِ جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، وَحِينَمَا يَرَوْنَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، صَحِيفَةً أَعْمَالِهِمْ يَقُولُ الْكَافِرُونَ: يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرُؤُوسِهِ عَائِشَةُ، رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا: يَا عَائِشَةُ إِنَّكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا. (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ). مُسْتَظَرٌّ - مَسْطُورٌ وَمَكْتُوبٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

(جَنَاتٍ)

(٥٤) - وَنَعِدُ أَنْ أَخْبِرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ، فِي الْآيَاتِ

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ

بِالْبَصَرِ

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ

فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ

﴿إِنَّ اللَّيْقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ

السَّابِقَاتِ، وَمَا يُلَاقُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالسَّحَابِ عَلَى الْوُجُوهِ فِي النَّارِ، ذَكَرَ
هُنَا حَالِ السَّعْدَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ يَكُونُونَ فِي الْجَنَّاتِ
نَاعِمِينَ فِي الظُّلَالِ الْوَارِفَةِ، وَالْمَآكِلِ الشَّهِيَّةِ، وَالْمَشَارِبِ اللَّذِيذَةِ،
مُتَمَتِّعِينَ بِمَنَاطِرِ الْمِيَاهِ الْمُتَدَفِّقَةِ، وَالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ فِي أَرْضِ الْجَنَّةِ.
نَهْرٌ - أَنْهَارٌ.

(٥٥) - فِي دَارِ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانِهِ وَفَضْلِهِ وَآمِنَتَانِهِ وَجُودِهِ
وَإِحْسَانِهِ، عِنْدَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَحْسَنَ خَلْقَهُ
وَتَقْدِيرَهُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.
مَقْعَدٌ صِدْقٍ - مَكَانٌ مُرْضٍ.

﴿٥٥﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ

مُقْتَدِرٍ

(٥٥) سُورَةُ الرَّحْمَنِ
وَأَيُّهَا ثَمَانٌ وَسِتُّعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ.

(الْقُرْآنُ)

(٢) - فَمِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ، وَبَسَّرَ عَلَى مَنْ رَحِمَهُ مِنْ عِبَادِهِ حِفْظَهُ وَفَهْمَهُ وَالنُّطْقَ بِهِ.

(الْإِنْسَانُ)

(٣) - وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْبَشَرَ.

(٤) - وَعَلَّمَهُمُ التَّغْيِيرَ عَمَّا يَجُولُ فِي خَوَاطِرِهِمْ، وَبَيَّانَ مَا يُرِيدُونَ قَوْلَهُ.

(٥) - الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَجْرِيَانِ فِي مَدَارَيْهِمَا بِحِسَابٍ مُقَدَّرٍ مَعْلُومٍ، لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَضْطَرُّ، وَبِهَذَا الْحِسَابِ الْمُقَدَّرِ أَنْتَفَعَ بِهِمَا خَلْقُ اللَّهِ فِي أُمُورِ حَيَاتِهِمْ، كَمَعْرِفَةِ فُضُولِ الْعَمَلِ فِي الْأَرْضِ، وَبَذْرِهَا، وَحَصَادِهَا، وَإِنْتَاجِهَا، وَعَرَفُوا السَّنِينَ وَالْأَشْهُرَ وَالْحِسَابَ.

بِحُسْبَانٍ - يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ مُقَدَّرٍ فِي بُرُوجِهِمَا.

(٦) - وَالنَّبْتُ الْمُنْبَسِطُ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ كَالزَّرْعِ وَالْكَلَا، وَالشَّجَرُ الْعَالِي، كُلُّهَا تَسْجُدُ لِلَّهِ تَعَالَى وَتَقَادُّ لَهُ، وَتَخْضَعُ لِقُدْرَتِهِ وَمَشِيتِهِ فِي إِخْرَاجِ الْحَبِّ وَالثَّمَرِ، فِي الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ.

النَّجْمُ - النَّبَاتُ الْمُنْبَسِطُ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ بِدُونِ سَاقٍ (وَقِيلَ إِنَّ النَّجْمَ هُنَا يَعْنِي نُجُومَ السَّمَاءِ).

يَسْجُدَانِ - يَتَقَادَّانِ لِلَّهِ فِيمَا خَلَقَا لَهُ.

① الرَّحْمَنُ



② عَلَّمَ الْقُرْآنَ

③ خَلَقَ الْإِنْسَانَ

④ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ

⑤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ

⑥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ

(٧) - وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاءَ وَأَقَامَ الْعَالَمَ عَلَى الْعَدْلِ، وَفَرَضَ الْعَدْلَ عَلَى عِبَادِهِ، لِكَيْ تَنْتَظِمَ شُؤُونُ الْحَيَاةِ. وَضَعَ الْمِيزَانَ - شَرَعَ الْعَدْلَ وَأَمَرَ بِهِ الْخَلْقَ.

(٨) - وَقَدْ أَقَامَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى الْعَدْلِ، وَفَرَضَ الْعَدْلَ عَلَى الْعِبَادِ لِكَيْ لَا يَغْتَدُوا وَيَتَجَاوَزُوا حُدُودَ مَا يَنْبَغِي مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ. أِنْ لَا تَطْعَمُوا - لَيْتَلَّا تَتَجَاوَزُوا الْعَدْلَ وَالْحَقَّ.

(٩) - وَقُومُوا وَزِنُكُمْ بِالْعَدْلِ، وَلَا تَقْصُوا شَيْئًا، وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ. بِالْقِسْطِ - بِالْعَدْلِ.

لَا تُخْسِرُوا - لَا تَقْصُوا مَوَازِينَ الْمِيزَانِ. (١٠) - وَالْأَرْضَ بَسَطَهَا اللَّهُ وَأَرْسَاهَا لِيَسْتَقَرَّ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، لِيَتِمَّ كُنُوزُهَا مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا أَنْتِفَاعًا كَامِلًا.

الْأَنَامُ - الْخَلْقُ مِنْ إِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ. وَضَعَهَا - خَلَقَهَا مَخْفُوضَةً عَنِ السَّمَاءِ. (فَاكِهَةٌ)

(١١) - فِي الْأَرْضِ فَاكِهَةٌ مُخْتَلِفَةٌ الْأَلْوَانِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ، وَفِيهَا النَّخْلُ الَّذِي يُخْرِجُ ثَمَرَهُ جِذِينَ ظُهُورِهِ فِي أَوْعِيَةِ الطَّلَعِ. الْأَكْمَامِ - أَوْعِيَةِ الطَّلَعِ الَّذِي يَطْلُعُ فِيهِ الْقَنُوتُ ثُمَّ يَنْشَقُّ عَنِ الْعُقُودِ.

(١٢) - وَفِيهَا الْحَبُّ الَّذِي تُخْرِجُهُ النَّبَاتَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ، كَالْحِنْطَةِ وَالذَّرَّةِ وَالشَّعِيرِ. وَيَكُونُ لِهَذَا الْحَبِّ عَصْفٌ مِنَ الْوَرَقِ عَلَى سَنَابِلِهِ، وَلَهُ وَرَقٌ عَلَى سَوْقِهِ.

العَصْفُ - الْوَرَقُ الصَّغِيرُ الَّذِي يُلْفُ السَّنَابِلُ أَوْ هُوَ التَّبَنُّ. الرِّيحَانُ - هُوَ وَرَقُ سَوْقِ الزُّرْعِ الْكَبِيرِ أَوْ هُوَ النَّبَاتُ الْمَشْمُومُ الطَّيِّبُ الرَّائِحَةِ.

(آلَاءُ) (١٣) - فَبَآئِي مِنَ النِّعَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ؟ إِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُنْكِرُوا مِنْهَا شَيْئًا فَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ عَلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ مَغْمُورُونَ بِهَا.

٧ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ

٨ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ

٩ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ

١٠ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ

١١ فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ

١٢ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ

١٣ فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

آلاء - نَعْمَ اللَّهُ .

تُكَذِّبَانِ - تَكْفُرَانِ يَا أَيُّهَا الثَّقَلَانِ .

(الْإِنْسَانِ) (صَلْصَالِ)

(۱۴) - لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ لَهُ صَلْصَلَةٌ إِذَا نُقِرَ بِالْيَدِ .

صَلْصَالِ - طِينٍ يَابِسٍ يُسْمَعُ لَهُ صَلْصَلَةٌ

(۱۵) - وَخَلَقَ الْجِنَّ مِنْ خَالِصِ النَّارِ، وَمِنْ لَهَبِهَا الْمُخْتَلِطُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، الَّذِي لَا دُخَانَ فِيهِ .

الْمَارِجُ - لَهَبُ النَّارِ الْخَالِصِ الَّذِي لَا دُخَانَ فِيهِ .

(آء)

(۱۶) - فَيَايَ النَّعْمِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ (الثَّقَلَانِ)؟ إِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُنْكِرُوا مِنْهَا شَيْئاً، فَهِيَ ظَاهِرَةٌ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ مَغْمُورُونَ بِهَا .

(۱۷) - رَبُّ مَشْرِقِي الشَّمْسِ اللَّذِينَ تَبْرُغُ مِنْهُمَا فِي الصُّبْحِ وَالشَّوَاءِ، وَرَبُّ مَغْرِبِهَا اللَّذِينَ تَغْرُبُ فِيهِمَا فِي الصُّبْحِ وَالشَّوَاءِ . وَيَتَرْتَّبُ عَلَى تَحَوُّلِ الشَّمْسِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَشْرِقَيْنِ وَهَذَيْنِ الْمَغْرِبَيْنِ تَقَلُّبُ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ، وَمَا يَكُونُ لِذَلِكَ مِنْ أَثَرٍ عَلَى مُنَاقِحِ الْأَرْضِ .

(آء)

(۱۸) - فَيَايَ النَّعْمِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُنْكِرُوا مِنْهَا شَيْئاً، فَهِيَ ظَاهِرَةٌ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ مَغْمُورُونَ بِهَا .

(۱۹) - وَأَرْسَلَ الْبَحْرَ الْمِلْحَ وَالْبَحْرَ الْحُلُوَّ مُتَجَاوِرَيْنِ مُتَلَاقِيَيْنِ .

مَرَجَ - أَرْسَلَ الْعَذْبَ وَالْمِلْحَ فِي مَجَارِيهِمَا .

يَلْتَقِيَانِ - يَتَجَاوِرَانِ أَوْ يَلْتَقِي طَرَفَاهُمَا .

(۲۰) - وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ الْعَذْبِ وَالْمِلْحِ حَاجِزاً (بَرَزَخاً) فَلَا يَبْغِي أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ، وَلَا يَطْفِي عَلَيْهِ، فَلَا الْبَحْرُ الْمِلْحُ يَجْعَلُ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِلْحاً، وَلَا الْعَذْبُ يَجْعَلُ الْبَحْرَ الْمِلْحَ عَذْباً .

يَبْغِيهِمَا بَرَزَخٌ - حَاجِزٌ أَرْضِيٌّ أَوْ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

﴿١٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ

كَالْفَخَّارِ

﴿١٥﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ

مِّن نَّارٍ

﴿١٦﴾ فَيَايَ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿١٧﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ

﴿١٨﴾ فَيَايَ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿١٩﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ

﴿٢٠﴾ يَبْغِيهِمَا بَرَزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ

(آء)

(٢١) - فَبَآئِيَ نَعْمَ اللَّهُ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ؟
إِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُنْكِرُوا شَيْئًا مِنْهَا فَهِيَ ظَاهِرَةٌ عَلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ
مَغْمُورُونَ بِهَا.

(٢٢) - وَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ الْبَحْرَيْنِ، الْعَذْبُ وَالْمِلْحُ، اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ
وَإِنْ كُنَّا نَخْرُجَانِ فِي الْأَغْلَبِ مِنَ الْبَحْرِ الْمِلْحِ.

(آء)

(٢٣) - فَبَآئِيَ أَنْعَمَ اللَّهُ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ؟
إِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْكَارَ شَيْءٍ مِنْهَا فَهِيَ ظَاهِرَةٌ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ مَغْمُورُونَ
بِهَا.

(الْمُنْشَأَتُ) (كَالْأَعْلَامِ)

(٢٤) - وَلَهُ السُّفُنُ الْعِظَامُ الَّتِي نَشَرَتْ قُلُوعَهَا فِي الْبَحْرِ وَكَانَتْهَا الْجِبَالُ
الشَّاهِقَاتُ، لِيَسِيرَ فِي الْبَحْرِ، تَنْقُلُ النَّاسَ وَالْمَتَاعَ وَالتِّجَارَاتِ وَالْأَنْعَامَ
مِنْ أَقْلِيمٍ إِلَى أَقْلِيمٍ، وَمِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ لِيَتَبَادَلَ السِّلْعُ
وَالْحَاجَاتُ.

الْجَوَارِي - السُّفُنُ الْجَارِيَةُ.

الْمُنْشَأَتُ - الْمَرْفُوعَةُ الْقُلُوعِ أَوْ الْأَشْرَعَةُ.

كَالْأَعْلَامِ - كَالْجِبَالِ الشَّاهِقَاتِ أَوْ الْقُصُورِ.

(آء)

(٢٥) - فَبَآئِيَ أَنْعَمَ اللَّهُ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ؟
إِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْكَارَ شَيْءٍ مِنْهَا فَهِيَ ظَاهِرَةٌ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ مَغْمُورُونَ
بِهَا.

(٢٦) - جَمِيعُ مَنْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتِ سَيَمُوتُونَ، وَكَذَلِكَ
سَيَمُوتُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَإِنْ - هَالِكٌ.

(الْجَلَالُ)

(٢٧) - وَلَا يَبْقَى حَيًّا إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْكَرِيمِ، فَإِنَّهُ بَاقٍ حَيٌّ
لَا يَمُوتُ، فَهُوَ أَهْلٌ لَأَنْ يُجَلَّ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُخَالَفُ.

﴿٦﴾ فَبَآئِيَ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ

﴿٧﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ

﴿٨﴾ فَبَآئِيَ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ

﴿٩﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ

كَالْأَعْلَامِ

﴿١٠﴾ فَبَآئِيَ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ

﴿١١﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ

﴿١٢﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ

(وَجَاءَ فِي الدُّعَاءِ الْمَأْتُورِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
يَاذَا الْجَلَالَ وَالْإِكْرَامَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لَنَا
شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنَا لَأَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ).
ذُو الْجَلَالِ - ذُو الْعَظَمَةِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ الْمُطْلَقِ.

الْإِكْرَامِ - الْفَضْلِ الثَّامِّ.
(الآء)

(٢٨) - فَبَيَّيْ نَعَمْ اللَّهُ السَّالِفَةَ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟

(يَسْأَلُهُ) (السَّمَاوَاتِ)

(٢٩) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ غِنَاهُ عَمَّنْ سِوَاهُ مِنَ الْخَلْقِ، وَعَنْ حَاجَةِ
الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَأَفْتَقَارِهِمْ إِلَى مَنِّهِ وَكَرَمِهِ، وَأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ بِلِسَانِ الْحَالِ،
وَبِالْأَلْسِنَةِ، وَأَنَّهُ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ. وَمِنْ شَأْنِهِ تَعَالَى أَنْ يُجِيبَ دَاعِيًا
أَوْ يُعْطِيَ سَائِلًا، أَوْ يُفَكِّ عَانِيًا، أَوْ يَشْفِي سَقِيمًا، وَأَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا وَأَنْ يَرْفَعَ
قَوْمًا وَيَضَعَ آخَرِينَ - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .
فِي شَأْنٍ - يَأْتِي بِأَحْوَالٍ وَيَذْهَبُ بِأَحْوَالٍ بِالْحِكْمَةِ.

(الآء)

(٣٠) - فَبَيَّيْ نَعَمْ اللَّهُ السَّالِفَةَ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟

(أَيُّهَا)

(٣١) - وَيَتَوَعَّدُ اللَّهُ الْعِبَادَ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ سَيَجْزِيهِمْ لِسَابِقِهِمْ وَجَزَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَسَيَنْتَقِمُ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ
الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ.
سَنَفْرُغُ لَكُمْ - سَنَقْصِدُ لِمَحَاسِنِكُمْ بَعْدَ الْإِمْهَالِ.

(الآء)

(٣٢) - فَبَيَّيْ نَعَمْ اللَّهُ السَّالِفَةَ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟

(يَا مَعْشَرَ) (السَّمَاوَاتِ) (بِسُلْطَانٍ)

(٣٣) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَ وَالْجِنَّ إِلَى أَنَّهُمْ لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَهُ طَلِبًا، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِذَا قُدِّرْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ
جَوَانِبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هَرَبًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ، فَافْعَلُوا. إِنَّكُمْ لَا
تَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مُحِيطٌ بِكُمْ وَلَا خَلَصَ لَكُمْ مِنْهُ، وَإِنَّكُمْ لَا

﴿٢٨﴾ فَبَيَّيْءَ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتَ كَذِبَانِ

﴿٢٩﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ

﴿٣٠﴾ فَبَيَّيْءَ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتَ كَذِبَانِ

﴿٣١﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ

﴿٣٢﴾ فَبَيَّيْءَ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتَ كَذِبَانِ

﴿٣٣﴾ يَمَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ
أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَانٍ

تَسْتَطِيعُونَ الْهَرَبَ إِلَّا بِالْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ، وَلَكِنْ أَنَّى لَكُمْ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَأَنْتُمْ لَا حَوْلَ لَكُمْ وَلَا طَوْلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ؟
تَنْفُذُوا - تَخْرُجُوا هَرَبًا مِنْ قَضَائِي .

إِلَّا بِسُلْطَانٍ - بِقُوَّةٍ وَقَهْرٍ وَهَيْهَاتَ .

(الآء)

(٣٤) - فَبَإِي نِعْمَ اللَّهُ تَعَالَى السَّالِفِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟ .

(٣٥) - وَيُصَبُّ عَلَيْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْوَأْنِ مِنَ النَّارِ، فَمِنْ لَهَبٍ خَالِصٍ يُضِيءُ كَالسَّرَاجِ (شَوَاطِ) إِلَى نَارٍ مُخْتَلِطَةٍ بِالْذُّخَانِ (نَحَاسٍ)، فَلَا تَسْتَطِيعُونَ الْهَرَبَ مِنْهَا، وَلَا تَجِدُونَ لَكُمْ مِنْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

النَّحَاسُ - دُخَانُ النَّارِ وَقَدْ يَكُونُ الْمَقْصُودُ بِهِ هُنَا مَعْدِنُ النَّحَاسِ الْمَضْهُورُ .

الشَّوَاطِ - لَهَبُ النَّارِ الْخَالِصُ الْمُضِيءُ الَّذِي لَا دُخَانَ فِيهِ .

(الآء)

(٣٦) - فَبَإِي أَنْعُمَ اللَّهُ تَعَالَى السَّالِفِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟ .

(٣٧) - فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَنَصَّدَعُ السَّمَاءُ، وَتَحْمَرُّ لَوْنُهَا، وَتَذُوبُ حَتَّى تَنْصِيرَ وَكَأَنَّهَا الزَّبْتُ الْمُحْتَرِقُ، وَنَحْوُهُ مِمَّا يَذْهَبُ بِهِ .

وَرْدَةٌ - حُمْرَاءُ كَالْوَرْدَةِ .

كَالدَّهَانِ - مَا يَذْهَبُ بِهِ .

(الآء)

(٣٨) - فَبَإِي أَنْعُمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟ .

(فَيَوْمَئِذٍ) (يُسْأَلُ)

(٣٩) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَظْهَرُ أَعْمَالُ الْخَلَائِقِ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي سَطَّرَهَا الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ، فَيَسْكُتُ الْمُجْرِمُونَ . هَذَا يَوْمٌ لَا يُنْطَقُونَ وَلَا يُؤَدَّنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ﴿١﴾ .

﴿٣٤﴾ فَبَإِيءَ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ

﴿٣٥﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصَرَانِ

﴿٣٦﴾ فَبَإِيءَ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ

﴿٣٧﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ

﴿٣٨﴾ فَبَإِيءَ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ

﴿٣٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْكَفَرَةَ الْمُجْرِمِينَ لَا يُسْأَلُونَ هَلْ عَمِلْتُمْ كَذَا، وَلَكِنْ يُسْأَلُونَ لِمَ عَمِلْتُمْ كَذَا؟).

(الآء)

(٤٠) - فَبِأَيِّ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ؟

(بِسِمَاهُمْ) (بِالنَّوَاصِي)

(٤١) - وَتَعْرِفُ الْمَلَائِكَةُ الْأَبْرَارَ الْمُجْرِمِينَ بِمَلَامِحِهِمْ، وَبِعَلَامَاتٍ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ (قِيلَ هِيَ الْفَتْرَةُ وَأَسْوَدَاذُ الْوُجْهِ)، فَيُؤْخَذُ بِنَوَاصِيهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ وَيُقَذَّفُ بِهِمْ فِي النَّارِ قَذْفًا، دُونَ حَاجَةٍ إِلَى سُؤَالِهِمْ عَمَّا أَذْنَبُوا، أَيْ إِنَّهُمْ تُجْمَعُ رُؤُوسُهُمْ إِلَى أَرْجُلِهِمْ وَيُقَذَّفُ بِهِمْ فِي جَهَنَّمَ قَذْفًا.

النَّاصِيَةُ - شَعْرُ مُقَدِّمِ الرَّأْسِ.

بِسِمَاهُمْ - بِمَلَامِحِهِمْ - أَيْ بِسَوَادِ الْوُجُوهِ وَالْفَتْرَةِ.

(الآء)

(٤٢) - فَبِأَيِّ أَنْعَمَ اللَّهُ السَّالِفِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ؟

(٤٣) - وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: هَذِهِ هِيَ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَهَا هِيَ حَاضِرَةٌ أَمَامَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَهَا بِأَمْ أَغْنِيكُمْ.

(آن)

(٤٤) - وَيَتَوَّعُّ لَهُمُ الْعَذَابُ، فَبَعْدَ أَنْ يُعَذِّبُوا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، يَسْعَوْنَ بَيْنَ الْحَمِيمِ (وَهُوَ شَرَابٌ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ، كَرِيهُهُ الطَّعْمِ، إِذَا شَرِبُوهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) وَبَيْنَ النَّارِ، فَهُمْ بَيْنَ نَارٍ وَحَمِيمٍ.

حَمِيمٍ آن - مَاءٌ تَنَاهَى فِي الْحَرَارَةِ.

(الآء)

(٤٥) - فَبِأَيِّ أَنْعَمَ اللَّهُ السَّالِفِ ذِكْرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ؟

(٤٦) - وَمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ، وَرَاقَبَهُ فِي أَعْمَالِهِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ قَائِمٌ عَلَيْهِ، مُشْرِفٌ عَلَى أَعْمَالِهِ، عَارِفٌ بِمَا يُكِنُّهُ صَدْرُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْزِيهِ بِجَنَّتَيْنِ فِي الْآخِرَةِ.

(٤٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(٤١) يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ
بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ

(٤٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(٤٣) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
الْمُجْرِمُونَ

(٤٤) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ

(٤٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

(٤٦) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ

(الاء)

(٤٧) - فَبَآئِيَ أَنْعَمَ اللَّهُ السَّالِفَةَ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟.

(٤٨) - وَهَاتَانِ الْجَنَّتَانِ اللَّتَانِ يَجْزِي اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ هُمَا ذَوَاتَا أَنْوَاعٍ وَالْوَانِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَمِنْ الثَّمَارِ.

أَفْنَانٍ - أَغْصَانٍ - أَوْ أَنْوَاعٍ مِنَ الثَّمَارِ.

(الاء)

(٤٩) - فَبَآئِيَ أَنْعَمَ اللَّهُ السَّالِفِ ذَكَرُهَا تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟.

(٥٠) - وَفِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ تَوْجَدُ عَيْنَا مَاءٍ تَجْرِيَانِ فِيهِمَا.

(الاء)

(٥١) - فَبَآئِيَ أَنْعَمَ اللَّهُ السَّالِفَةَ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟.

(فَاكِهَةً)

(٥٢) - وَفِيهِمَا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ صِنْفَانِ: صِنْفٌ رَطْبٌ وَصِنْفٌ يَابِسٌ. (أَوْ مَعْرُوفٌ وَغَرِيبٌ).

رَوْجَانِ - صِنْفَانِ مَعْرُوفٌ وَغَرِيبٌ أَوْ رَطْبٌ وَيَابِسٌ.

(الاء)

(٥٣) - فَبَآئِيَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَفْضَالِهِ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟.

(بَطَائِنُهَا)

(٥٤) - وَيَضْطَجِعُ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ السُّعْدَاءُ، الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَنَّتَيْنِ، عَلَى فُرُشٍ، بَطَائِنُهَا مِنْ غَلِيظِ الدِّيَابِاجِ (اسْتَبْرَقٍ) (وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ تَعَالَى الظَّهَائِرَ لِأَنَّ الْبَطَائِنَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الدِّيَابِاجِ فَإِنَّ الظَّهَائِرَ سَتَكُونُ أَهْمٌ وَأَحْسَنُ)، وَتَكُونُ ثِمَارُ الْجَنَّتَيْنِ دَانِيَةً مِنْهُنَّ يَسْتَطِيعُونَ قَطَافَهَا وَهُمْ جُلُوسٌ حِينَمَا يَرِيدُونَ.

الِاسْتَبْرَقِ - غَلِيظُ الدِّيَابِاجِ.

جَنَى الْجَنَّتَيْنِ - مَا يُجْنَى مِنْ ثِمَارِهِمَا.

دَانٍ - قَرِيبٌ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِ.

﴿٤٧﴾ فَبَآئِيَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿٤٨﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ

﴿٤٩﴾ فَبَآئِيَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿٥٠﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ

﴿٥١﴾ فَبَآئِيَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿٥٢﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ

﴿٥٣﴾ فَبَآئِيَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿٥٤﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ

إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ

(آء)

(٥٥) - فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟

(قَاصِرَاتُ)

(٥٦) - وَفِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ نِسَاءٌ غَضِيضَاتُ الْبَصَرِ فَلَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ، فَلَا يَرَيْنَ فِيهَا شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُنَّ، وَهُنَّ أَبْكَارٌ لَمْ يَمَسْسَهُنَّ قَبْلُ أَزْوَاجُهُنَّ أَحَدٌ لَا مِنَ الْإِنْسِ وَلَا مِنَ الْجِنَّ.

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ - قَصَرْنَ أَبْصَارَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ.

لَمْ يَطْمِئِنَّ - لَمْ يَفْتَضُّهُنَّ.

(آء)

(٥٧) - فَبِأَيِّ أَنْعَمِ اللَّهُ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟

(٥٨) - وَهَؤُلَاءِ النِّسَاءُ الْغَضِيضَاتُ الطَّرْفِ كَأَنَّهُنَّ فِي جَمَالِهِنَّ، وَبَهَائِهِنَّ، وَصَفَاءِ الْوَانِهِنَّ: الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ.

(آء)

(٥٩) - فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟

(الْإِحْسَانِ) (الْإِحْسَانُ)

(٦٠) - لَيْسَ لِمَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْجَزَاءُ الْحَسَنُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(١).

(آء)

(٦١) - فَبِأَيِّ أَنْعَمِ اللَّهُ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ؟

(٦٢) - وَمِنْ وَرَاءِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ، السَّالِفِ وَصَفُهُمَا، جَنَّاتٍ أُخْرَيَانِ أَقْلُ مِنْهُمَا فَضْلًا وَصِفَةً، أَعَدَّهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ مِمَّنْ لَا يَرْتَفِعُونَ بِأَعْمَالِهِمْ إِلَىٰ مَرْتَبَةِ الْمُقَرَّبِينَ.

وَمِنْ دُونِهِمَا - وَمِنْ وَرَائِهِمَا أَوْ مِنْ أَدْنَىٰ مِنْهُمَا.

﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿٥٦﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ
إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ

﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿٥٨﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ

﴿٥٩﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿٦٠﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا

الْإِحْسَانُ

﴿٦١﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿٦٢﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ

(الآء)

٦٣ فَيَايَآءَ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتَكْذِبَانِ

(٦٣) - فَيَايَآءَ نَعْمَ اللَّهُ الْوَفِيرَةُ عَلَيْكُمْ تُكَذَّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؟

٦٤ مُدْهَامَتَانِ

(٦٤) - وَتَبَّتْ فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ النَّبَاتَاتُ وَالرِّيَاحِينُ الْخُضْرُ، الَّتِي يَضْرِبُ لَوْنُهَا إِلَى السَّوَادِ، مِنْ شِدَّةِ خُضْرَتِهَا.

مُدْهَامَتَانِ - خَضِرَاوَانِ شَدِيدَتَا الْخُضْرَةِ.

(الآء)

٦٥ فَيَايَآءَ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتَكْذِبَانِ

(٦٥) - فَيَايَآءَ أَنْعَمَ اللَّهُ السَّالِفَةُ عَلَيْكُمْ تُكَذَّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؟

(٦٦) - فِيهِمَا عَيْنَانِ تَفُورَانِ بِالمَاءِ وَلَا تَنْقُطِعَانِ.

نَضَاحَتَانِ - فَوَارَتَانِ بِالمَاءِ لَا تَنْقُطِعَانِ.

(الآء)

٦٧ فَيَايَآءَ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتَكْذِبَانِ

(٦٧) - فَيَايَآءَ أَنْعَمَ اللَّهُ الْوَفِيرَةُ عَلَيْكُمْ تُكَذَّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؟

(فَاكِهَةٌ)

٦٨ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ

(٦٨) - وَفِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى النَّخْلَ وَالرُّمَانَ مِنْ بَيْنِ الْفَوَاكِهِ بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهِمَا، وَلَأَنَّهُمَا يُؤْكَلَانِ فَاكِهَةٌ وَأَدَمًا.

(الآء)

٦٩ فَيَايَآءَ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتَكْذِبَانِ

(٦٩) - فَيَايَآءَ أَنْعَمَ اللَّهُ الْوَفِيرَةُ السَّالِفَةُ عَلَيْكُمْ تُكَذَّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؟

(خَيْرَاتٌ)

٧٠ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ

(٧٠) - وَفِي هَذِهِ الْجَنَّتِ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ كَثِيرَةٌ.

(وَهُنَاكَ مَنْ قَرَأَ (خَيْرَاتٍ) بِشَدِيدِ اللَّيْلِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نِسَاءً كَثِيرَاتٍ الْخَيْرِ، حَسَنَاتِ الْخُلُقِ وَالْخَلْقَةِ، كَثِيرَاتِ الْإِحْسَانِ).

(الآء)

٧١ فَيَايَآءَ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتَكْذِبَانِ

(٧١) - فَيَايَآءَ أَنْعَمَ اللَّهُ السَّالِفَةُ عَلَيْكُمْ تُكَذَّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؟

(مَقْصُورَاتُ)

(٧٢) - وفي الْجَنَّةِ نِسَاءٌ حَسَنَاتُ الْوُجُوهِ، حُورٌ الْعُيُونِ، قَدْ قَصَّرْنَ طَرَفَهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَقَدْ لَازَمْنَ بُيُوتَهُنَّ، فَلَسْنَ بِطَوَافَاتٍ فِي الطَّرَفَاتِ.

حُورٌ - نِسَاءٌ بِيضٌ حَسَنَاتُ.

مَقْصُورَاتُ - مُخَدَّرَاتُ فِي الْبُيُوتِ.

(الَاءِ)

(٧٣) - فَبِأَيِّ أَنْعَمَ اللَّهُ الْوَفِيرَةَ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ؟

(٧٤) - وَهُنَّ أَبْكَارٌ لَمْ يَمْسَسْهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ مِنَ الْجِنَّ.

(الَاءِ)

(٧٥) - فَبِأَيِّ أَنْعَمَ اللَّهُ الْوَفِيرَةَ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ؟

(٧٦) - وَهُمْ يَتَكَبَّرُونَ فِي قَعْدَتِهِمْ عَلَى ثِيَابٍ نَاعِمَةٍ وَفُرُشٍ رَاقِيَةٍ النَّسِجِ مِنَ الدِّيَابِجِ، وَوَسَائِدَ عَظِيمَةٍ، وَبُسْطٍ لَهَا أَطْرَافٌ فَاحِشَةٌ، غَايَةٌ فِي جَمَالِ الصَّنْعَةِ، وَحُسْنِ الْمَنْظَرِ.

رَفْرَفٍ - وَسَائِدُ أَوْ فُرُشٍ مُرْتَفِعَةٍ.

عَنْقَرِيٌّ - بُسْطٌ ذَوَاتِ حَمَلٍ رَقِيقٍ.

(الَاءِ)

(٧٧) - فَبِأَيِّ أَنْعَمَ اللَّهُ الْكَثِيرَةَ عَلَيْكُمْ تُكَذِّبُونَ؟

(تَبَارَكَ) (الْجَلَالِ)

(٧٨) - تَعَالَى رَبُّكَ فَهُوَ أَهْلٌ لَأَنْ يُجَلَّ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُكْرَمَ فَيُعْبَدَ، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ، وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، فَهُوَ تَعَالَى ذُو الْعَظَمَةِ وَالْكَرِيمِ.

تَبَارَكَ - تَعَالَى أَوْ كَثُرَ خَيْرُهُ.

ذِي الْجَلَالِ - ذِي الْعَظَمَةِ وَالْاِسْتِغْنَاءِ الْمُطْلَقِ.

٧٢ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ

٧٣ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

٧٤ لَمْ يَطْمِئِنَّ قُلُوبُهُمْ وَلَا جَانٌّ

٧٥ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

٧٦ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ

وَعَنْقَرِيٍّ حَسَانٍ

٧٧ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

٧٨ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

(٥٦) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا سِتٌّ وَتِسْعُ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- (١) - إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ . وَسُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ الْوَاقِعَةُ لِتَحَقُّقِ حَدُوثِهَا .
- (٢) - فَلَيْسَ لِقُوعِهَا - إِذَا أَرَادَ اللَّهُ كَوْنَهَا - مَنْ يَصْرِفُهُ أَوْ يَدْفَعُهُ (أَوْ فَلَا تَبْقَى نَفْسٌ مُكَذِّبَةٌ بِقُوعِهَا) .
- كَاذِبَةٌ - نَفْسٌ كَاذِبَةٌ تُنْكِرُ قُوعَهَا .
- (٣) - فَتَخْفِضُ أَقْوَامًا إِلَى الْجَحِيمِ ، وَتَرْفَعُ أَقْوَامًا إِلَى عِلِّيِّينَ .
- خَافِضَةٌ - تَخْفِضُ الْأَشْقِيَاءَ .
- رَافِعَةٌ - تَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ السَّعْدَاءَ .
- (٤) - إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ تَنْزَلُ الْأَرْضُ زَلْزَالًا شَدِيدًا ، وَتَحْرُكُ تَحْرُكًا عَنِيفًا ، وَتَضْطَرِبُ بِطَوْلِهَا وَعَرَضِهَا ، فَتَنْدُكُ الْحُصُونُ وَالْقِلَاعُ وَالْأَبْنِيَّةُ وَالْجِبَالُ .
- (وَقَالَ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) .
- الرَّجُّ - التَّحْرُكُ وَالاضْطِرَابُ بِشِدَّةٍ كَمَا يُرْجُ الْغُرْبَالُ .
- (٥) - وَإِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ تَفْتَتُّ الْجِبَالُ تَفْتَتًّا ، وَتُصْبِحُ مِثْلَ كَثِيبِ الرَّمْلِ لَا تَمَاسُكَ بَيْنَ أَجْزَائِهَا .
- الْبَسُّ - التَّفْتِيتُ .
- (٦) - وَتَصِيرُ الْجِبَالُ ذُرَاتٍ مُتَطَايِرَةً كَالْهَبَاءِ الَّذِي يَتَطَايَرُ مِنْ شَرِّ النَّارِ إِذَا اشْتَعَلَتْ ، فَإِذَا وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا .
- الْهَبَاءُ - الذَّرَاتُ الْمُتَطَايِرَةُ مِنَ النَّارِ ، أَوِ الرَّمَالُ أَوِ الرَّمَادُ مُنْبَثًّا - مُتَفَرِّقًا وَمُنْتَشِرًا .

١ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ

٢ لَيْسَ لِقُوعِهَا كَاذِبَةٌ

٣ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ

٤ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا

٥ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا

٦ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا

(أَزْوَاجًا) (ثَلَاثَةً)

(٧) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُصْبِحُ النَّاسُ أَصْنَافًا ثَلَاثَةً.
الْأَزْوَاجُ - الْأَصْنَافُ - أَوِ الْأَنْصَامُ.

(فَأَصْحَابُ) (أَصْحَابُ)

(٨) - فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ كِتَابَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَإِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَالُهُمْ مِنَ السَّعَادَةِ، وَالْفَرَحِ، وَالنَّصْرَةِ، وَالنَّعْمَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ.

الْمَيْمَنَةُ - الْيَمِينُ، أَوْ مِنَ الْيَمِينِ وَالْبَرَكَةِ.

(أَصْحَابُ) (الْمَشْأَمَةِ)

(٩) - وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ الَّذِينَ يُعْطُونَ كُتُبَهُمْ بِشَمَائِلِهِمْ، وَيُوقَفُونَ إِلَى شِمَالِ الْجَمْعِ لِيُسَاقُوا إِلَى النَّارِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَالُهُمْ مِنَ الْمَذَلَّةِ وَالْمَسَاءَةِ، وَالْخِزْيِ وَالْخُشُوعِ.
الْمَشْأَمَةُ - الشُّؤْمُ، أَوْ نَاحِيَةُ الشَّمَالِ.

(السَّابِقُونَ)

(١٠) - أَمَّا الصَّنَفُ الثَّلَاثُ فَهُمْ السَّابِقُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْإِيمَانِ، وَفِعْلُ الْخَيْرَاتِ، وَأَدَاءِ الطَّاعَاتِ، وَهَؤُلَاءِ يَكُونُونَ سَابِقِينَ إِلَى الْقُرْبِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَذَرُونَ مِنَ السَّابِقُونَ إِلَى ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوهُ بَدَّلُوهُ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ) (رَوَاهُ أَحْمَدُ).

(أُولَئِكَ)

(١١) - وَهَؤُلَاءِ السَّابِقُونَ هُمُ الَّذِينَ نَالُوا الْحُظُورَةَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ.

(جَنَّاتِ)

(١٢) - وَيَتَمَتَّعُونَ فِي الْجَنَّةِ بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشِيرٍ

(١٣) - وَهَؤُلَاءِ السَّابِقُونَ هُمُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.
الثَّلَاثَةُ - الْجَمَاعَةُ - قُلْتُ أَوْ كَثُرَتْ.

٧ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً

٨ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ

الْمَيْمَنَةِ

٩ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ

الْمَشْأَمَةِ

١٠ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ

١١ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ

١٢ فِي جَنَّاتٍ الْعِيمِ

١٣ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ

(الْآخِرِينَ)

(١٤) - وَقِلَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ (الْآخِرِينَ).

(١٥) - وَيَجْلِسُ هَؤُلَاءِ الْمُقْرَبُونَ الْأَبْرَارُ فِي الْجَنَاتِ عَلَى أَسِرَّةٍ مَنْسُوجَةٍ وَمُطْعَمَةٍ بِالذَّهَبِ.

مَوْضُوعَةٍ - مَنْسُوجَةٍ أَوْ مُطْعَمَةٍ بِالذَّهَبِ بِإِحْكَامٍ.

(مُتَقَابِلِينَ)

(١٦) - وَيَجْلِسُ هَؤُلَاءِ السُّعْدَاءُ عَلَى هَذِهِ الْأَسِرَّةِ الْمُطْعَمَةِ بِالذَّهَبِ، وَهُمْ مُتَقَابِلُونَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي وَجْهِ بَعْضٍ شَأْنِ الْمُتَحَابِّينَ الْمُتَصَافِينَ.

(وَلَدَانِ)

(١٧) - وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ يَخْدُمُونَهُمْ، لَا يَشْبُونَ وَلَا يَهْرَمُونَ، وَلَا تَتَغَيَّرُ مَلَامَتُهُمْ بِفِعْلِ الزَّمَنِ.

مُخَلَّدُونَ - بَاقُونَ عَلَى هَيْئَةِ الْوِلْدَانِ فِي الْبَهَاءِ.

(١٨) - وَيَطُوفُ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانُ الْمُخَلَّدُونَ عَلَى السَّابِقِينَ الْجَالِسِينَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى الْأَسِرَّةِ الْمَنْسُوجَةِ بِالذَّهَبِ، بِأَدْوَاتِ الشَّرَابِ الْكَامِلَةِ، بِمَا فِيهَا مِنْ أَبَارِيقَ وَأَكْوَابَ وَكُؤُوسٍ . . . وَكُلُّهَا مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَمْرِ عَيْنٍ جَارِيَةٍ. الْأَكْوَابُ - آيَةٌ لَا خَرَاطِيمَ لَهَا وَلَا عُرَى .

الْإِبْرِيقُ - إِنَاءٌ لَهُ عُرْوَةٌ أَوْ خُرْطُومٌ.

كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ - كَأْسٍ مِنْ خَمْرِ عَيْنٍ جَارِيَةٍ.

(١٩) - وَهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْهَا مَا يُرِيدُونَ، وَهِيَ لَا تُصَدِّعُ رُؤُوسَهُمْ، وَلَا تَسْتَنْزِفُ عُقُولَهُمْ كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي خَمْرِ الدُّنْيَا، وَلَا تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ سَاعَةً صَفْوَهُمْ.

لَا يُصَدِّعُونَ - لَا يُصَيِّهُمُ صُدَاعُ بُشْرِبِهَا.

وَلَا يُنْزِفُونَ - وَلَا تَذْهَبُ بِعُقُولِهِمْ أَوْ لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ.

(فَاكِهَةٍ)

(٢٠) - وَيَطُوفُ الْوِلْدَانُ الْمُخَلَّدُونَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ مِنَ السَّابِقِينَ بِالْوَانِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ، فَيَخْتَارُونَ مِنْهَا مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ.

(٢١) - وَيَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ بِأَصْنَافٍ مِنْ لُحُومِ الطَّيْرِ، فَيَأْخُذُونَ مِنْهَا مَا يَشْتَهُونَ.

(١٤) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ

(١٥) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ

(١٦) مُتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ

(١٧) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ

(١٨) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ

(١٩) لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ

(٢٠) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ

(٢١) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ

﴿٢٢﴾ وَخُورٌ عَيْنٌ

﴿٢٣﴾ كَأَمْثَلِ الثُّلُوثِ لَوْ أَنَّمَكُنُونِ

﴿٢٤﴾ جَزَاءِ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٢٥﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا

﴿٢٦﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا

﴿٢٧﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ

﴿٢٨﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ

﴿٢٩﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ

﴿٣٠﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ

﴿٣١﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ

(٢٢) - وَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ زُوجَاتٌ حِسَانٌ، بِيضُ الْوُجُوهِ، وَأَسْعَاتُ الْعُيُونِ.
خُورٌ - نِسَاءٌ بِيضُ حِسَانِ الْوُجُوهِ.
عَيْنٌ - وَأَسْعَاتُ الْعُيُونِ بِجَمَالٍ.
(كَأَمْثَالِ)

(٢٣) - كَانَهُنَّ فِي بَهَائِهِنَّ وَإِشْرَاقِهِنَّ وَبَيَاضِ بَشَرَتِهِنَّ، وَصَوْنِهِنَّ عَنْ
اللُّمَسِّ وَالْإِتِّدَالِ، لَوْ لَوْ مَكُنُونُ فِي أَصْدَافِهِ.
لَوْ لَوْ مَكُنُونُ - لَوْ لَوْ مَا زَالَ مَصُونًا فِي أَصْدَافِهِ.

(٢٤) - وَهَذَا الَّذِي فَازُوا بِهِ هُوَ عَطَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَكْرَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ جَزَاءٌ لَهُمْ
عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(٢٥) - لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ لَغْوَ الْحَدِيثِ، وَبَاطِلُهُ، وَلَا هُجَرَ الْقَوْلِ،
وَلَا مَا لَا خَيْرَ فِيهِ مِمَّا تَنْقَرُزُ مِنْهُ النُّفُوسُ الْكَرِيمَةُ.
اللُّغُو - الْكَلَامُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ - أَوِ الْبَاطِلُ.
وَلَا تَأْتِيًا - وَلَا يُوجِبُ الْإِثْمَ.

(سَلَامًا) (سَلَامًا)

(٢٦) - وَلَكِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ أَطْيَبَ السَّلَامِ، وَأَعَذَبَ الْكَلَامِ.

(أَصْحَابُ)

(٢٧) - أَمَّا الْأَبْرَارُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ - وَهُمْ أَذْنَى مَنَزَلَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ
الْمُقَرَّبِينَ - فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي حَالٍ رَفِيعَةٍ مِنْ عُلُوِّ الشَّانِ.

(٢٨) - فَهُمْ يَتَمَتَّعُونَ فِي الْجَنَّةِ بِشَجَرِ السِّدْرِ، وَقَدْ كَثُرَ ثَمَرُهُ، وَخُضِدَ
شَوْكُهُ، بِخِلَافِ سِدْرِ الدُّنْيَا الْقَلِيلِ الثَّمَرِ، الْكَثِيرِ الشَّوْكِ.
مَخْضُودٌ - مَقْطُوعُ الشَّوْكِ.
السِّدْرُ - شَجَرُ النَّبِيِّ.

(٢٩) - وَيَتَمَتَّعُونَ بِشَجَرِ الطَّلْحِ الَّذِي تَتَرَاكُمُ ثِمَارُهُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.
الطَّلْحُ - شَجَرٌ مِنْ أَشْجَارِ الْحِجَازِ حُلُو الثَّمَرَةِ. (وَقِيلَ إِنَّهُ شَجَرُ الْمَوْزِ
كَمَا يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْيَمَنِ).

(٣٠) - وَيَتَمَتَّعُونَ بِظِلٍّ ظَلِيلٍ مَمْدُودٍ، لَا يَنْحَسِرُ وَلَا يَنْكَمِشُ.
مَمْدُودٌ - دَائِمٌ لَا يَتَقَلَّصُ.

(٣١) - وَيَتَمَتَّعُونَ بِمَاءٍ يُنْصَبُ أَنْصَابًا، فَلَا يَحْتَاجُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى جُهْدٍ
وَتَعَبٍ لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ.
مَسْكُوبٌ - مَضْبُوبٌ يَجْرِي مِنْ غَيْرِ أَحَادِيدٍ.

(فَاكِهَةٌ)

(٣٢) - وَيَتَمَتَّعُونَ فِي الْجَنَّةِ بِالْوَالِدَيْنِ كَثِيرَةً مِنَ الْفَاكِهَةِ.

(٣٣) - لَا تَنْقُطِعُ عَنْهُمْ أَبَدًا، فَهُمْ يَجِدُونَهَا فِي كُلِّ حِينٍ.

(٣٤) - وَيَجْلِسُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى فُرُشٍ وَثِيرَةٍ عَالِيَةٍ.

فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ - مَرْفُوعَةٍ عَلَى الْأَسِرَّةِ، أَوْ مُنْصَدَّةٍ وَمُرْتَفَعَةٍ.

(أَنْشَانَاهُنَّ)

(٣٥) - وَقَدْ هَيَّأَ اللَّهُ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْجَنَاتِ نِسَاءً أَعَدَّ لَهُنَّ لَهُمْ إِعْدَادًا

خَاصًّا.

(فَجَعَلْنَاهُنَّ)

(٣٦) - وَقَدْ جَعَلَهُنَّ اللَّهُ أَبْكَارًا.

(٣٧) - وَقَدْ جَعَلَهُنَّ اللَّهُ جَمِيعًا مُحَبِّبَاتٍ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَهُنَّ جَمِيعًا فِي

سِنٍّ وَاحِدَةٍ.

عُرُبًا - مُحَبِّبَاتٍ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ.

أَتْرَابًا - فِي سِنٍّ مُتَقَارِبَةٍ زِيَادَةً فِي الْإِنْسَانِ.

(لِأَصْحَابِ)

(٣٨) - وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ هَؤُلَاءِ النِّسَاءَ الْحَسَنَاتِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ زِيَادَةً فِي

نَعِيمِهِمْ.

(٣٩) - وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ هَؤُلَاءِ هُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ مُؤْمِنِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.

(٤٠) - وَجَمَاعَةٌ مِنْ مُؤْمِنِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ.

(أَصْحَابُ)

(٤١) - وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ الَّذِينَ يُعْطَوْنَ كُتُبَهُمْ بِشَمَائِلِهِمْ، وَيَقْفُونَ فِي

الْمَحْشَرِ ذَاتَ الشَّامِلِ، فَمَا يُدْرِيكَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ حَالُهُمْ؟

(٤٢) - فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ يَنْفُذُ مِنَ الْمَسَامِ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ مَاءٍ

مُتَنَاهٍ فِي الْحَرَارَةِ.

السَّمُومُ - الْحَرُّ الَّذِي يَنْفُذُ مِنَ الْمَسَامِ - أَوْ هُوَ رِيحٌ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ.

الْحَمِيمُ - الْمَاءُ الَّذِي تَنَاهَتْ حَرَارَتُهُ فِي الشَّدَّةِ.

(٤٣) - وَيَكُونُ الظِّلُّ الَّذِي يَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ دُخَانٍ حَارٍّ أَسْوَدَ.

الْيَحْمُومُ - الدُّخَانُ الْحَارُّ الْأَسْوَدُ.

٣٢ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ

٣٣ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ

٣٤ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ

٣٥ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً

٣٦ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا

٣٧ عُرُبًا أَتْرَابًا

٣٨ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ

٣٩ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ

٤٠ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ

٤١ وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ

٤٢ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ

٤٣ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ

(٤٤) - وَهَذَا الدُّخَانُ الْأَسْوَدُ لَيْسَ بِطَيِّبِ الْهَوَاءِ، وَلَا بَارِدِهِ، وَلَا بِحَسَنِهِ وَلَا كَرِيمِهِ.
وَلَا كَرِيمٍ - أَيُّ لَا يَنْفَعُ مِنْ أذى الْحَرِّ.

(٤٥) - إِنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُنْعَمِينَ مُتَرْفِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِالْمَأْكَلِ الطَّيِّبِ، وَالْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ، وَالْمَسَاكِينِ الْهَنِيئَةِ، وَالثِّيَابِ النَّاعِمَةِ، فَالْهَاهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، فَعَوْقِبُوا بِحُرْمَانِهِمْ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَبِقَائِضِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ.
مُتَرْفِينَ - مُنْعَمِينَ مُتَبِعِينَ أَهْوَاءَهُمْ.

(٤٦) - وَكَانُوا مُقِيمِينَ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَالْكَفْرِ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، وَقَدْ أَقْسَمُوا جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْعَثَ مَنْ يَمُوتُ.
الْجَنَّةُ - الشُّرْكُ - الذَّنْبُ الْعَظِيمُ.
يُبْصِرُونَ - يُقِيمُونَ بِإِصْرَارٍ، وَلَا يَنْوُونَ التَّوْبَةَ.

(أَيْدَا) (عِظَامًا) (أَيْدَا)

(٤٧) - وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُتَرْفُونَ يُنْكِرُونَ، وَهُمْ فِي الدُّنْيَا، الْبَغْثُ وَالنُّشُورُ وَالْقِيَامَةُ، وَيَقُولُونَ: أَنْبَعَثْ أَحْيَاءٌ بَعْدَ أَنْ تَصْبِحَ عِظَامُنَا تُرَابًا وَرَمِيمًا؟
(أَبَاؤُنَا)

(٤٨) - وَبَعَثَ مَعَنَا آبَاؤُنَا أَيْضًا، وَيُرْدُونَ إِلَى الْحَيَاةِ؟

(الْآخِرِينَ)

(٤٩) - فَقُلْ، يَا مُحَمَّدُ، لَهُؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَيَسْتَبْعِدُونَ وَقُوعَهُ، إِنَّ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَالْآخِرِينَ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَأَخِّرَةِ.

(مِيقَاتٍ)

(٥٠) - سَيَبْعَثُونَ وَسَيُحْشَرُونَ جَمِيعًا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَعْلُومِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
الْمِيقَاتُ - مَا وَقَّتَ بِهِ الشَّيْءُ وَهُوَ هَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

(٥١) - ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهِيَ الضَّالُّونَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَالصُّوَابِ، الْمُكَذِّبُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَأَيَاتِهِ، وَبِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ.

٤٤ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ

٤٥ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتَرْفِينَ

٤٦ وَكَانُوا يُبْصِرُونَ عَلَى الْخَنَةِ الْعَظِيمِ

٤٧ وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا

تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا نَالِ الْمَبْعُوثِينَ

٤٨ أَوَّ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ

٤٩ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

٥٠ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ

٥١ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهِيَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ

(لَاكُلُونَ)

(٥٢) - سَتَأْكُلُونَ مِنْ شَجَرِ الزُّقُومِ الَّذِي يَنْبُتُ فِي أَصْلِ الْحَجِيمِ، وَكَأَنَّ طَلْعَهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ.

(وَأَهْلُ النَّارِ يَأْكُلُونَ الزُّقُومَ عَلَى كَرَاهِيَةٍ مَذَاقِهِ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ غَيْرَهُ وَغَيْرَ الضَّرِيعِ شَيْئًا يَأْكُلُونَهُ).

الزُّقُوم - شَجَرٌ كَرِيهُ جَدًّا فِي النَّارِ.

(٥٣) - وَإِنَّكُمْ سَتَأْكُلُونَ مِنْهُ حَتَّى تَمْتَلِئَ بُطُونُكُمْ.

(فَسَارِبُونَ)

(٥٤) - وَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْ شَجَرِ الزُّقُومِ، وَمَلَأْتُمْ بُطُونَكُمْ مِنْهُ، فَسْتَشْعُرُونَ بِالْعَطَشِ فَلَا تَجِدُونَ غَيْرَ الْمَاءِ الشَّدِيدِ الْحَرَارَةِ (الْحَمِيمِ). فَتَشْرَبُونَ مِنْهُ لِإِطْفَاءِ ظَمَائِكُمْ.

(فَسَارِبُونَ)

(٥٥) - وَإِنَّكُمْ سَتَشْرَبُونَ شُرْبًا لَا يَرْوِي غُلَّةً، وَكَأَنَّكُمْ الْإِبِلَ الَّتِي أَصَابَهَا ذَاءُ الْهَيْامِ فَلَا يَرْوِي الْمَاءُ لَهَا غَلِيلًا، وَلَا يُطْفِئُ لَهَا ظَمًا.

الهِيم - الْمُصَابَةُ بِذَاءِ الْهَيْامِ الَّذِي لَا تَزْتَوِي مَعَهُ الْإِبِلُ مِنْ عَطَشِهَا مَهْمَا شَرِبَتْ.

(٥٦) - وَهَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ وَصَفَهُ مِنَ الْعَذَابِ بِالنَّارِ، وَأَكَلَ الزُّقُومَ، وَشَرِبَ الْحَمِيمِ، هُوَ مَا يَلْقَاهُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ، الْمُكَذَّبُونَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ عِنْدَ رَبِّهِمْ مِنَ الضِّيَافَةِ يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ. نُزِّلَهُمْ - مَا يَلْقَوْنَهُ مِنَ الضِّيَافَةِ. يَوْمَ الدِّينِ - يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

(خَلَقْنَاكُمْ)

(٥٧) - وَزِدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ وَبِعَوْدَةِ الْأَجْسَادِ الَّتِي أَصْبَحَتْ رَمِيمًا إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، فَيَقُولُ لَهُمْ: نَحْنُ الَّذِينَ أَبْتَدَأْنَا خَلْقَكُمْ وَأَنْشَأْنَاكُمْ مِنَ الْعَدَمِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، أَفَلَيْسَ الْقَادِرُ عَلَى الْخَلْقِ آتِيْدًا بِقَادِرٍ عَلَى الْإِعَادَةِ، فَكَيْفَ لَا تُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ؟

(أَفَرَأَيْتُمْ)

(٥٨) - أَلَا تَرَوْنَ يَا أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ إِلَى الْمَنِيِّ الَّذِي تَقْدِفُونَهُ فِي الْأَرْحَامِ؟

٥٢ لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنَ الزُّقُومِ

٥٣ فَالْكُلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ

٥٤ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ

٥٥ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ

٥٦ هَذَا نُزِّلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ

٥٧ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تَصَدِّقُونَ

٥٨ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ

(الْخَالِقُونَ)

(٥٩) - هَلْ أَنتُمْ الَّذِينَ تَجْعَلُونَ مِنْهُ بَشَرًا سَوِيًّا تَامَ الْخَلْقِ، أَمْ هُوَ اللَّهُ الَّذِي يُقَدِّرُ خَلْقَهُ؟

(٦٠) - ثُمَّ يَقَرِّرْ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَسَمَ الْمَوْتَ بَيْنَهُمْ، وَوَقَّتَ مَوْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمِيقَاتٍ مُّعَيَّنٍ، لَا يَتَقَدَّمُ عَنْهُ سَاعَةٌ وَلَا يَتَأَخَّرُ، وَاللَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

بِمَسْبُوقِينَ - بِعَاجِزِينَ أَوْ بِمَغْلُوبِينَ.

(أَمْثَالُكُمْ)

(٦١) - وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُعْجِزُهُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِمْ وَبِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْخَلَائِقِ، وَأَنْ يُنْشِئَهُمْ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْأَطْوَارِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي لَا يَعْهَدُونَهَا وَلَا يَعْرِفُونَهَا.

(٦٢) - وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَنْشَأَكُمْ مِنْ عَدَمٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، فَخَلَقَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ، فَهَلَّا تَتَذَكَّرُونَ، وَتَعْرِفُونَ أَنَّ الَّذِي قَدَّرَ عَلَى إِنْشَاءِ النَّشْأَةِ الْأُولَى قَادِرٌ عَلَى النَّشْأَةِ الْآخَرَى، وَهِيَ الْبُعْثُ وَالْإِعَادَةُ، وَالْإِعَادَةُ أَسْهَلُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ.

(أَفَرَأَيْتُمْ)

(٦٣) - وَهَذَا الْحَرْثُ الَّذِي تَقُومُونَ بِهِ مِنْ شَقِّ التُّرْبَةِ وَإِسَارَتِهَا وَوَضْعِ الْبَذَارِ فِي الْأَرْضِ.

(أَأَنْتُمْ)

(٦٤) - هَلْ أَنتُمْ الَّذِينَ تُنْشِئُونَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَتُصَيِّرُونَهُ زَرْعًا؟ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَفْعَلُ ذَلِكَ؟

(لَجَعَلْنَاهُ)

(٦٥) - بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ أَنْبَتْنَاهُ بِطُفْنَانٍ، وَالْقَيْنَاهُ إِلَيْكُمْ رَحْمَةً مِنَّا بِكُمْ، وَلَوْ شِئْنَا لَإَيَسَّنَا قَبْلَ آسَتَوَانِهِ وَاسْتَحْضَارِهِ (لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا)، فَصِرْتُمْ تَتَفَكَّهُونَ فِي الْمَقَالَةِ، وَتَتَوَعَّونَ كَلَامَكُمْ فِيمَا جَرَى عَلَيْكُمْ، وَتَتَعَجَّبُونَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ وَمَصِيرِهِ.

تَفَكَّهُونَ - تَتَعَجَّبُونَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ وَمَصِيرِهِ - أَوْ تَتَوَعَّونَ الْمَقَالَةَ.

(٦٦) - فَتَارَةً تَقُولُونَ إِنَّا لَمُعَذِّبُونَ.

مُعَرَّمُونَ - مُعَذِّبُونَ أَوْ مُهْلِكُونَ بِهَلَاكِ رِزْقِنَا.

٥٩ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ۚ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ

٦٠ ثُمَّ يَقَرِّرْ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَسَمَ الْمَوْتَ بَيْنَهُمْ وَوَقَّتَ مَوْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمِيقَاتٍ مُّعَيَّنٍ لَا يَتَقَدَّمُ عَنْهُ سَاعَةٌ وَلَا يَتَأَخَّرُ وَاللَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ

بِمَسْبُوقِينَ

٦١ وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُعْجِزُهُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِمْ وَبِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْخَلَائِقِ وَأَنْ يُنْشِئَهُمْ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْأَطْوَارِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي لَا يَعْهَدُونَهَا وَلَا يَعْرِفُونَهَا

مَا لَا يَعْلَمُونَ

٦٢ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَنْشَأَكُمْ مِنْ عَدَمٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا فَخَلَقَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ فَهَلَّا تَتَذَكَّرُونَ وَتَعْرِفُونَ أَنَّ الَّذِي قَدَّرَ عَلَى إِنْشَاءِ النَّشْأَةِ الْأُولَى قَادِرٌ عَلَى النَّشْأَةِ الْآخَرَى وَهِيَ الْبُعْثُ وَالْإِعَادَةُ وَالْإِعَادَةُ أَسْهَلُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ

فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ

٦٣ وَهَذَا الْحَرْثُ الَّذِي تَقُومُونَ بِهِ مِنْ شَقِّ التُّرْبَةِ وَإِسَارَتِهَا وَوَضْعِ الْبَذَارِ فِي الْأَرْضِ

٦٤ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ۚ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ

٦٥ لَوْ شِئْنَا لَإَيَسَّنَا قَبْلَ آسَتَوَانِهِ وَاسْتَحْضَارِهِ (لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ

تَفَكَّهُونَ

٦٦ إِنَّا لَمُعَرَّمُونَ

(٦٧) - وَقُولُونَ تَارَةً أُخْرَى: بَلْ نَحْنُ سَيْئُو الْحَطِّ، مَحْرُومُونَ لَا يَنْبُتُ لَنَا مَالٌ، وَلَا يَنْتُجُ لَنَا رِيحٌ.
مَحْرُومُونَ - مَمْنُوعُونَ مِنَ الرِّزْقِ بِالْكُلِّيَّةِ.

(أَفَرَأَيْتُمْ)

(٦٨) - أَرَأَيْتُمْ هَذَا الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَهُ عَذْبًا زُلَالًا.

(أَنْتُمْ)

(٦٩) - هَلْ أَنْتُمْ الَّذِينَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّحَابِ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ أَنْزَلْنَاهُ؟ إِنَّا نَحْنُ الْمُُنْزِلُونَ.

الْمُزْنُ - السَّحَابُ الْمُثْقَلُ بِالْمَاءِ.

(جَعَلْنَاهُ)

(٧٠) - وَلَوْ شِئْنَا لَجَعَلْنَا هَذَا الْمَاءَ الْمُنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مِلْحًا شَدِيدَ الْمُلُوحَةِ، لَا تَسْتَطِيعُونَ شُرْبَهُ، وَلَا تَتَنَفَّعُونَ بِهِ فِي رِيٍّ أَرْضِيكُمْ، وَسَقَى أَنْعَامِكُمْ، فَهَلَّا شَكَرْتُمْ اللَّهَ رَبَّكُمْ عَلَى نِعْمَةٍ أَنْزَلَ الْمَطَرَ عَلَيْكُمْ عَذْبًا؟

أَجَاثًا - مِلْحًا أَوْ مَرًّا لَا يُمَكِّنُ شُرْبَهُ.

(أَفَرَأَيْتُمْ)

(٧١) - أَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُقَدِّحُونَهَا مِنَ الزَّيْتِ، أَوِ الَّتِي تُشْعِلُونَهَا بِحُكِّ بَعْضِ عِيدَانِ الْمَرْخِ بَعِيدَانِ الْعَفَارِ؟

تُورُونَ - تُقَدِّحُونَ الزَّيْتِ لَاسْتِخْرَاجِ النَّارِ.

(أَنْتُمْ)

(٧٢) - هَلْ أَنْتُمْ الَّذِينَ أَنْشَأْتُمْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي تَشْتَعِلُ بِهَا النَّارُ أَمْ نَحْنُ؟ إِنَّا لَنَحْنُ الَّذِينَ أَنْشَأْنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ.

(جَعَلْنَاهَا) (مَتَاعًا)

(٧٣) - إِنَّا نَحْنُ الَّذِينَ أَنْشَأْنَا الشَّجَرَةَ الَّتِي تُوقَدُ بِهَا النَّارُ، لِنَجْعَلَ هَذِهِ النَّارَ بَصِيرَةً لِلْعِبَادِ فِي أَمْرِ الْبَعْثِ وَالْمَعَادِ، لِأَنَّ مَنْ أَخْرَجَ النَّارَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْأَجْسَادِ الْبَالِيَةِ.

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّا جَعَلْنَا النَّاسَ يَتَذَكَّرُونَ، بِحَرِّ نَارِ الدُّنْيَا، حَرَّ نَارِ جَهَنَّمَ فَيَحْسِبُونَ لِذَلِكَ حِسَابًا).

٦٧ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ

٦٨ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ

٦٩ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ

أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ

٧٠ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاثًا فَلَوْلَا

تَشْكُرُونَ

٧١ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ

٧٢ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ

الْمُنْشِئُونَ

٧٣ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ

وَنَحْنُ جَعَلْنَا النَّارَ مَنَفَعَةً لِّلْمُسَافِرِينَ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِالْمَقَادِرِ وَالْقَوَاءِ مِنَ
الْأَرْضِ ، لِيَسْتَذِقُوا مِنَّا ، وَلِيَطْبَخُوا طَعَامَهُمْ عَلَيْهَا .
الْمُقَوِّينَ - الْمُسَافِرِينَ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِالْأَرْضِ الْقَوَاءِ .
الْقَوَاءِ - الْفُقَرُ .

تَذَكُّرَةً - تَذَكُّيرُ بِنَارِ جَهَنَّمَ ، أَوْ تَبَصُّرَةً لِلْعِبَادِ
مَتَاعًا - مَنَفَعَةً لِّلْمُسَافِرِينَ أَوْ الْمُحْتَاجِينَ إِلَيْهَا .

(٧٤) - فَتَنَّا رَبَّكَ وَمَجَّدَهُ فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ بِقُدْرَتِهِ كُلَّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ لِيَتَّبِعَ
بِهِ الْخَلْقُ ، فَيَشْكُرُوا رَبَّهُمْ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْوَفِيرَةِ .

(بِمَوَاقِعِ)

(٧٥) - يُقَسِّمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا
يَزْعُمُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ سِحْرٌ وَكَهَانَةٌ وَشِعْرٌ .
لَا أَقْسِمُ - أَقْسِمُ .
مَوَاقِعِ النُّجُومِ - مَسَاطِطُهَا فِي الْغَرْبِ أَوْ مَنَازِلُهَا .

(٧٦) - وَتَوَكَّدَ تَعَالَى أَنَّ الْقَسَمَ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ هُوَ قَسَمٌ عَظِيمٌ ، لِمَا فِيهِ
مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى عَظِيمِ الْقُدْرَةِ ، وَكَمَالِ الْحِكْمَةِ .

(لِقُرْآنِ)

(٧٧) - أَقْسَمَ تَعَالَى بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى
عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ جَمُّ الْمَنَافِعِ ، عَظِيمُ الْفَوَائِدِ ،
لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ حِكْمٍ وَغَيْرِ وَخَيْرٍ لِلْعِبَادِ .
كَرِيمٌ - كَثِيرُ الْمَنَفَعَةِ أَوْ رَفِيعُ الْقَدْرِ .

(كِتَابِ)

(٧٨) - وَقَدْ أُوْدِعَ هَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ مَصُونٍ .
مَكْنُونٍ - مُسْتَوْرٍ مَصُونٍ ، عِنْدَ اللَّهِ ، فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ .

(٧٩) - وَلَا يَمَسُّ هَذَا الْكِتَابَ الْمَكْنُونُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، الْمُتَزَهِّوْنَ عَنِ
الدَّنَسِ وَالرَّجَسِ وَالذُّنُوبِ ، وَلَا يَنْزِلُ بِهِ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

(الْعَالَمِينَ)

(٨٠) - وَهُوَ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَهُوَ لَيْسَ بِسِحْرِ وَلَا كَهَانَةٍ ، وَلَا
مُخْتَلَقٍ وَلَا مُفْتَرَى عَلَى اللَّهِ .

٧٤ ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾



٧٥ ﴿ فَلَا أَقْسَمُ ﴾

بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ

٧٦ ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

٧٧ ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾

٧٨ ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾

٧٩ ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾

٨٠ ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(٨١) - أَفِيهِذَا الْقُرْآنِ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ، وَتَتَهَاوَنُونَ فِي أَمْرِهِ، وَتُرِيدُونَ أَنْ تَمَالُتُوهُمْ فِي شَأْنِهِ؟
مُذْهَبُونَ - مُكَذِّبُونَ - مُمَالِئُونَ أَوْ مُتَهَاوِنُونَ.

(٨٢) - وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ لِأَنْعَمِ اللَّهُ وَأَفْضَالِهِ عَلَيْكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ بَدَلًا مِنَ الشُّكْرِ، فَتَقُولُونَ: مُطَرَّنَا بَنُو كَذَا. أَوْ بَنَجْم كَذَا وَكَذَا. . وَكَانَ الْأَجْدَرُ بِكُمْ أَنْ تَقُولُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَوْ هُوَ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ.
تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ - شُكْرَكُمْ عَلَى الْإِنْعَامِ بِهِ.

(٨٣) - فَإِذَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَنَّهُ لَا خَالِقَ فِي الْوُجُودِ، وَأَنْكُمْ الْخَالِقُونَ، فَهَلَّا أَرْجَعْتُمُ الْأَنْفُسَ الْمُحْتَضَرَّةَ، الَّتِي بَلَغَتْ الْحَلَاقِيمَ، وَأَعْدَتُمُوهَا إِلَى مَكَانِهَا مِنَ الْأَجْسَادِ؟
بَلَغَتْ الْحَلَاقِيمَ - كُنَايَةً عَنِ اقْتِرَابِ الْمَوْتِ.

(٨٤) - وَأَنْتُمْ جَالِسُونَ أَمَامَ الْمُحْتَضَرِّ تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَنَفْسُهُ قَدْ بَلَغَتْ الْحَلَاقِيمَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْجَسَدِ.

(٨٥) - وَرُسُلْنَا الَّذِينَ جَاءُوا لِقَبْضِ رُوحِ الْمُحْتَضَرِّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْكُمْ لَا تَبْصُرُونَهُمْ.

(٨٦) - فَإِذَا كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّكُمْ غَيْرُ مَبْعُوثِينَ، وَغَيْرُ مُحَاسَبِينَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.
غَيْرُ مَدِينِينَ - غَيْرُ مُحَاسَبِينَ أَوْ غَيْرُ مَجْزِيَّينَ بِهَا.

(صَادِقِينَ)
(٨٧) - فَهَلَّا أَرْجَعْتُمُ الْأَنْفُسَ الْمُحْتَضَرَّةَ إِلَى مَكَانِهَا مِنَ الْجَسَدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَعْتَقِدُونَ مِنْ أَنَّكُمْ لَا تُبْعَثُونَ، وَلَا تُحَاسَبُونَ.

(٨٨) - فَإِذَا كَانَ الْمُحْتَضَرُّ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَفَعَلُوا الطَّاعَاتِ، وَاجْتَنَبُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى.

(جَنَّةً)
(٨٩) - فَيَكُونُ لَهُ رَاحَةٌ وَفَرَحٌ، وَيُبَشِّرُهُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِجَنَّةِ النَّعِيمِ.

فَرُوحٌ - فَلَهُ اسْتِرَاحَةٌ أَوْ رَحْمَةٌ.
الرَّيْحَانُ - الرِّزْقُ الْحَسَنُ.

(٨١) أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ

(٨٢) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ

(٨٣) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتْ الْحَلَاقِيمَ

(٨٤) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ

(٨٥) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ

(٨٦) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ

(٨٧) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(٨٨) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ

(٨٩) فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَحَنَّتْ نَعِيمٌ

(أَصْحَابِ)

(٩٠) - وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمُحْتَضَرُّ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ .

(فَسَلَامٌ) (أَصْحَابِ)

(٩١) - فَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ سَالِمٌ، أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ .

(٩٢) - وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْكَفَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ، وَبِالْكِتَابِ وَالرُّسُلِ، وَبِالْبَيْتِ وَالْحِسَابِ . .

(٩٣) - فَيَكُونُ قِرَاهُ، وَزَادَ الضِّيَافَةَ الَّتِي يَنْتَظِرُهَا، مَاءً شَدِيدَ الْحَرَارَةِ .

فُنْزِلَ - فَلَهُ قُرَى وَضِيَافَةٌ .

الْحَمِيمُ - الْمَاءُ الَّذِي تَنَاهَتْ حَرَارَتُهُ فِي الشَّدَّةِ .

(٩٤) - وَيَدْخُلُ نَارَ جَهَنَّمَ لِيَصْلَاهَا فَتَغْمُرَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ .

تَصْلِيَةٌ - مِقَاسَةُ لِحَرِّ النَّارِ .

(٩٥) - وَهَذَا هُوَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ .

(٩٦) - وَبَعْدَ أَنْ اسْتَبَانَ الْحَقُّ، وَظَهَرَ الْيَقِينُ، فَسَبَّحَ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ، وَنَزَّهَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَنَابِهِ الْكَرِيمِ .

﴿١٠﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ

﴿١١﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ

﴿١٢﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِينَ

﴿١٣﴾ فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ

﴿١٤﴾ وَتَصْلِيَةٌ بِجَمِيمٍ

﴿١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ

﴿١٦﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ

(٥٧) سُورَةُ الْحَجَرِ الْمَدِينَةِ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(السَّمَاوَاتِ)

(١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِقْرَارًا بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَخُضُوعًا لِجَلَالِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ، وَيُنْزِعُهُ عَنْ صِفَاتِ النِّقْصِ وَالْعَجْزِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ - كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى (١) - وَهُوَ تَعَالَى الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَدْرِهِ وَتَذْبِيرِهِ. سَبِّحَ اللَّهُ - نَزَّهَهُ وَمَجَّدَهُ وَدَلَّ عَلَيْهِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٢) - وَهُوَ تَعَالَى الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ تَصَرُّفًا مُطْلَقًا، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

(الْآخِرُ) (الظَّاهِرُ)

(٣) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ حَدٍّ، وَهُوَ الْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ نِهَائَةٍ، وَهُوَ الْعَالِي فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَهُوَ الْبَاطِنُ فَلَا شَيْءَ أَدْنَى مِنْهُ، وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْوُجُودِ. فَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

الْآخِرُ - الْبَاقِي بَعْدَ فَنَائِهَا.
الظَّاهِرُ - الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ.
الْبَاطِنُ - الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ.

(السَّمَاوَاتِ) (أَيْنَمَا)

(٤) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلْقًا مُتَبَدِّلًا

(١) سورة الاسراء الآية ٤٤

١ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

٢ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

٣ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ
وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

٤ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ

وَدَبَّرَهُنَّ، وَخَلَقَ مَا فِيهِنَّ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ (وَهَذِهِ الْأَيَّامُ لَا يَعْرِفُ كُنْهَهَا أَحَدٌ، وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَتْ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا)، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ مِنْ خَلْقٍ، وَمَا يَنْزِلُ فِيهَا مِنْ حَبَّاتِ الْمَطَرِ، وَالْحَبِّ وَالنُّورِ... وَيَعْلَمُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ زَرْعٍ وَنَبَاتٍ وَثِمَارٍ وَمَعَادِنَ وَمَاءٍ... وَيَعْلَمُ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَطَرٍ وَغَيْرِهِ، وَيَعْلَمُ مَا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ مِنَ الْأَرْضِ (يَخْرُجُ فِيهَا) كَالْأُبْحَرَةِ الْمُتَصَاعِدَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ... وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَنِيَّاتِهِمْ، أَيْنَمَا كَانُوا، وَيَعْلَمُ مُتَقَلِّبُهُمْ وَمَثْوَاهُمْ.

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ - اسْتَوَاءً يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٥) - وَهُوَ تَعَالَى الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَصَرُّفًا مُطْلَقًا، وَهُوَ الْمُدَبِّرُ لِأُمُورِهِمَا وَالنَّائِذُ الْكَلِمَةَ فِيهِمَا، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِعَدْلِهِ التَّامِّ.

(اللَّيْلِ) (اللَّيْلِ)

(٦) - وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْخَلْقِ، يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَيُقَدِّرُهُمَا بِحُكْمَتِهِ كَمَا يَشَاءُ، فَتَارَةً يَطُولُ اللَّيْلُ وَيَقْصُرُ النَّهَارُ، وَتَارَةً يَقْصُرُ اللَّيْلُ وَيَطُولُ النَّهَارُ، وَهُوَ الَّذِي يُقَلِّبُ الْفُصُولَ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا تُخْفِيهِ الصُّدُورُ.

يُولِجُ - يَدْخُلُ.

(آمَنُوا) (آمَنُوا)

(٧) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَيَحْتَثُّهُمْ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي أَوْجِهِ الطَّاعَاتِ، مِنَ الْمَالِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ، وَجَعَلَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْأَمَانَةِ أَوْ الْإِعَارَةِ، لِأَنَّ هَذَا الْمَالَ كَانَ مِنْ قَبْلُ، فِي أَيْدِي أَنْاسٍ آخَرِينَ، فَصَارَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ يَمُوتُونَ هُمْ وَيَتَرَكُونَهُ فَيُخْلِفُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ.

وَيُرَغَّبُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ فِي الْإِنْفَاقِ فِي أَوْجِهِ الطَّاعَاتِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنْفَقُوا فِي أَوْجِهِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ سَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ جَزَاءً حَسَنًا، وَسَيُؤْتِيهِمْ أَجْرًا كَبِيرًا.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ آدَمُ: مَالِي، مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَنْتَيْتَ أَوْ لَيْسَتْ فَأَلْبَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَا هِبْ وَتَارَكَهُ لِلنَّاسِ). (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ
فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

٥ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالِلَّهِ تُرْجِعُ الْأُمُورَ

٦ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ

فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

٧ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا

جَعَلَ لَكُم مِّنْهُ مَخْرَجًا وَلَئِن مِّنْ

ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ

(مِثَاقُكُمْ)

(٨) - وَأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالرُّسُولِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ يَدْعُوكُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَيُبَيِّنُ لَكُمْ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ، وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْمِيثَاقَ، بِمَا نَصَبَ لَكُمْ مِنَ الْأَدِلَّةِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ، عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى دَلِيلٍ لَتُؤْمِنُوا (أَوْ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالِدَّلِيلِ إِذَا جَاءَكُمْ).

(آيَاتِ) (بَيِّنَاتِ) (الظُّلُمَاتِ) (لِرُؤُوفِ)

(٩) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ آيَاتِ وَأُصْحَابَاتِ، لِيُخْرِجَكُمْ بِهَا مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، وَمِنْ رَأْفَتِهِ بِكُمْ جَعَلَ لَكُمْ عُقُولًا وَأَفْهَامًا لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْكُمْ الرُّسُلَ بِالْكِتَابِ مِنْهُ تَعَالَى لِيَتَهْتَدُوا بِهَا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَإِلَى عَمَلِ الْخَيْرِ، وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ وَيُجَنِّبَكُمْ عَذَابَ النَّارِ، وَاللَّهُ عَظِيمُ الرَّأْفَةِ بِالْعِبَادِ، وَاسِعُ الرَّحْمَةِ لَهُمْ.

(مِيرَاثِ) (السَّمَاوَاتِ) (قَاتِلِ) (أَوْلِيكَ) (قَاتِلُوا)

(١٠) - وَمَا لَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَّقُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ أَتَخْشَوْنَ الْفَقْرَ إِنْ أَنْفَقْتُمْ؟ أَنْفَقُوا وَلَا تَخْشَوْا شَيْئًا، فَإِنَّ الَّذِي أَنْفَقْتُمْ أَمْوَالَكُمْ فِي سَبِيلِهِ هُوَ مَالُكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقَدْ تَكْفُلُ بِرِزْقِكُمْ، وَبِالْإِخْلَافِ عَلَيْكُمْ ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾^(١). ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى تَفَاوُتَ دَرَجَاتِ الْمُتَّقِينَ، بِحَسَبِ تَفَاوُتِ أَحْوَالِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَسْتَوِي مَنْ آمَنَ، وَهَاجَرَ، وَأَنْفَقَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ (أَوْ قَبْلَ صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى قَوْلٍ)، مَعَ مَنْ آمَنَ، وَأَنْفَقَ بَعْدَ الْفَتْحِ، فَالْأُولَوْنَ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ الْفَتْحِ كَانُوا قَلِيلِي الْعَدَدِ، وَوَاجِبَاتُهُمْ كَثِيرَةٌ وَثَقِيلَةٌ، أَمَا بَعْدَ الْفَتْحِ فَقَدْ آتَتْهُمُ الْإِسْلَامَ، وَأَمِنَ النَّاسُ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ.

(وَجَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلُهُ: لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي قَوْلَ الَّذِي نَفَسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ

﴿٨﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرُّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي يُنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ

﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ حَبْلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.
(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

قَبْلَ الْفَتْحِ - فَتَحَ مَكَّةَ أَوْ صُلِحَ الْحُدُودُ.
الْحُسْنَى - الْمَثُوبَةُ الْحَسَنَةُ.

(فِيضَاعِفُهُ)

(١١) - مَنْ هَذَا الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَطَمَعًا فِي مَثُوبَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ، مُحْتَسِبًا أَجْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَبَعْدُ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ قَرْضًا لِلَّهِ تَعَالَى، فَيُضَاعِفُ لَهُ ذَلِكَ الْقَرْضَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وَيُثْبِتُهُ مَثُوبَةً كَرِيمَةً فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
قَرْضًا حَسَنًا - طَيِّبَةً نَفْسُهُ بِهِ أَوْ مُحْتَسِبًا بِهِ.

(الْمُؤْمِنَاتِ) (وَبِأَيْمَانِهِمْ) (بُشْرَاكُمْ) (جَنَّاتٍ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ)

(١٢) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَرَى الْمُتَصَدِّقِينَ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، وَتَكُونُ كُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ: أَبَشِّرُوا بِجَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا جَزَاءً لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى إِيْمَانِكُمْ وَأَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ، وَهَذَا الَّذِي فُزْتُمْ بِهِ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

(الْمُنَافِقُونَ) (الْمُنَافِقَاتِ) (آمَنُوا) (ظَاهِرُهُ)

(١٣) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ سَعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَاتَّبِعُوهُ وَنَجَوْا: أَنْتَظِرُونَا لِنَلْحَقَ بِكُمْ، وَنَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الظُّلُمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا، فَيَقَالُ لَهُمْ: أَرْجِعُوا مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُمْ، وَأَطْلُبُوا لِأَنْفُسِكُمْ نُورًا، فَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْتَسِبَ مِنْ نُورِ أَحَدٍ، فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَيَرْجِعُ الْمُنَافِقُونَ إِلَى حَيْثُ كَانُوا فَلَا يَجِدُونَ شَيْئًا فَإِذَا أَرَادُوا الْعَوْدَةَ لِلْحَاقِ بِالْمُؤْمِنِينَ، ضُرِبَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِسُورٍ يَفْصِلُ بَيْنَ الْجَنَّةِ، الَّتِي دَخَلَهَا الْمُؤْمِنُونَ، لِيَنْعَمُوا فِيهَا، وَبَيْنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ لِيَذُوقُوهُ.

أَنْظَرُونَا - أَنْتَظِرُونَا.

نَقْتَسِبُ - نُصِيبُ وَنَأْخُذُ وَنَسْتَضِيءُ.

بِسُورٍ - بِحَاجِزٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (الْأَعْرَافِ)

﴿١١﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرضًا حسنًا
فيضعفه له وله أجر كريم

﴿١٢﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى
نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمْ
الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿١٣﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظَرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ
نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورَةٍ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ
الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ

(١٤) - وَيُنَادِي الْمُنافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، نُصَلِّي مَعَكُمْ الْجُمُعَ وَالْجَمَاعَاتِ، وَنَشْهَدُ مَعَكُمْ الْغَزَوَاتِ، وَنَقِفُ مَعَكُمْ فِي عَرَافَاتٍ.. فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ: نَعَمْ لَقَدْ كُنْتُمْ مَعَنَا لَكِنَّا أَهْلَكْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي النِّفَاقِ، وَأَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْحَوَادِثَ الْمُهْلِكَةَ، وَشَكَّكْتُمْ فِي أُمُورِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَخَدَعْتُمْ الْأَمَانِي وَالْأَمَالَ، وَقُلْتُمْ سَيَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا، وَأَخْرَجْتُمُ التَّوْبَةَ إِلَى اللَّهِ، وَمَا زِلْتُمْ كَذَلِكَ حَتَّى حَضَرَكُمْ الْمَوْتُ، وَخَدَعَكُمْ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا يُعَذِّبُكُمْ.

الغُرُورُ - الشَّيْطَانُ الْمُخَادِعُ.

غَرَّكُمْ الْأَمَانِي - خَدَعْتُمْ الْأَبَاطِيلَ.

تَرْبِضُنَّ - أَنْتَظَرْتُمْ أَنْ تَجُلَ بِالْمُؤْمِنِينَ صُرُوفَ الدَّهْرِ فَتَتَمَّ أَنْفُسُكُمْ - أَهْلَكْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالْمَعَاصِي وَالنِّفَاقِ.

(مَأْوَاكُمْ) (مَوْلَاكُمْ)

(١٥) - فَالْيَوْمَ لَا مَهْرَبَ لَكُمْ، وَلَا لِلْكَافِرِينَ، مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْإِفْتِدَاءِ مِنْهُ وَلَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ بِمِثْلِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، وَسَتَصِيرُونَ جَمِيعًا إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَسَتَكُونُ هِيَ مَأْوَاكُمْ وَمَنُوكُمْ وَمُتَقَلِّبُكُمْ، وَهِيَ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ آخَرَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

مَوْلَاكُمْ - النَّارُ أَوْلَى بِكُمْ.

(آمَنُوا) (الْكِتَابَ) (فَاسِقُونَ)

(١٦) - أَلَمْ يَجِنِ الْوَقْتُ الَّذِي تَرَقَّى فِيهِ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَخَضَّعَ جِنِّ سَمَاعِهِمُ الْقُرْآنَ وَالْمَوَاعِظَ، فَتَأْخُذُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَتَنْتَهِي عَمَّا نَهَى عَنْهُ؟ فَلَا يُشَابِهُ الْمُؤْمِنُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِيزَامِ بِمَا جَاءَ فِيهِمَا، وَلَمَّا بَعْدَ الْعَهْدِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِمْ فَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ تَعُدْ تُؤَثِّرُ فِيهَا الْمَوَاعِظُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِ اللَّهِ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِمْ، وَتَفَرَّقُوا شَيْعًا وَآخْتَلَفُوا، وَخَرَفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَخَرَجَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ عَنِ الْحُدُودِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ لَهُمْ.

أَلَمْ يَأْنِ - أَلَمْ يَجِنِ الْوَقْتُ.

الْأَمَدُ - الْأَجَلُ أَوْ الزَّمَانُ.

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ فَنَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبَسْتُمْ وَغَرَّكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ



أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا

أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

(الآيات)

(١٧) - يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ أَنَّهُ يُلَيِّنُ الْقُلُوبَ بَعْدَ قَسَوَتِهَا، وَيَهْدِي الْقُلُوبَ الْحَاثِرَةَ بَعْدَ ضَلَالِهَا، وَيَفْرُجُ الْكَرْبَ بَعْدَ شِدَّتِهَا. وَكَمَّا أَنَّهُ تَعَالَى يُحْيِي الْأَرْضَ الْمُجْدِبَةَ الْيَابِسَةَ بِالْمَطَرِ، كَذَلِكَ يُحْيِي الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ بِالْقُرْآنِ، وَمَوَاعِظِهِ، وَحُجَجِهِ وَدَلَائِلِهِ، وَيُدْخِلُ إِلَيْهَا النُّورَ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُحْكَمَةً الْإِغْلَاقِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهَا شَيْءٌ.

(الْمُصَدِّقَاتِ) (يُضَاعَفُ)

(١٨) - إِنَّ الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ بِأَمْوَالِهِمْ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَهُمْ لَا يَبْتَغُونَ مِنْ وَرَاءِ عَمَلِهِمْ هَذَا إِلَّا رِضْوَانَ اللَّهِ وَتَوَابَهُ وَجَنَّتَهُ، يُضَاعَفُ اللَّهُ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ، وَتَجَاوَزُ لَهُمُ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَيُجْزَلُ لَهُمُ الْأَجْرُ يَوْمَ الْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ. الْمُصَدِّقِينَ - الْمُتَصَدِّقِينَ.

(آمَنُوا) (أُولَئِكَ) (بِآيَاتِنَا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(١٩) - وَالَّذِينَ آمَنُوا بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَقْرَأُوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، وَآمَنُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، فَهَؤُلَاءِ عِنْدَ اللَّهِ فِي مَنَزَلَةِ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ أَلْفُوا الصِّدْقَ حَتَّى صَارَ لَهُمْ خُلُقًا وَسَجِيَّةً، وَالَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ نَصْرِ دِينِهِ، لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَهُمْ نُورٌ عَظِيمٌ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَسِيرُوا عَلَى هَذِهِ، وَهُمْ يَتَفَاوَتُونَ فِي مَرَاتِبِهِمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ، وَحُجَجِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، فَهَؤُلَاءِ يَكُونُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَيَقْعُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا لَا يَحُولُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ.

(الْحَيَاةِ) (الْأَمْوَالِ) (وَالْأَوْلَادِ) (فَرَاهُ) (حُطَامًا) (رِضْوَانِ) (الْحَيَاةِ) (مَتَاعِ)

(٢٠) - وَأَعْلَمُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْسَتْ إِلَّا مَتَاعًا لِلْهَوَى وَاللُّبِّ، وَالزَّيْنَةِ وَالتَّفَاخُرِ وَالْمُبَاهَاةِ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَمَا مَثَلُهَا فِي نَفْسِهَا، وَسُرْعَةُ زَوَالِهَا، وَأَنْقِضَائِهَا إِلَّا مِثْلُ أَرْضٍ أَصَابَهَا مَطَرٌ غَزِيرٌ فَأَخْرَجَتْ مِنَ النَّبَاتَاتِ مَا أَعْجَبَ الزَّرَّاعَ وَسَرَّهُمْ، وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إِذْ بِهِذَا النَّبَاتِ قَدْ صَوَّحَ وَأَصْفَرَ وَأَخَذَ فِي الْيَسْرِ وَالْجَفَافِ، ثُمَّ

﴿١٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿١٨﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ

وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ
لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ

﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ

هُمْ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ
لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

﴿٢٠﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ

وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ
وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ
غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ
يَهْبِجُ فَتَرَتهُ مُصْفَرًا

يَصِيرُ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ. وَفِي الآخِرَةِ يَجِدُ النَّاسُ أَمَامَهُمْ إِمَّا عَذَابًا أَلِيمًا جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، إِنْ كَانُوا قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا، وَعَمِلُوا لَهَا، وَأَنَّهُمْ كُوفُوا فِي مِلَذَّاتِهَا، وَإِمَّا ثَوَابًا كَرِيمًا، وَرِضْوَانًا مِنَ اللَّهِ، إِنْ كَانُوا قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الدُّنْيَا، وَعَمِلُوا فِي دُنْيَاهُمْ لِآخِرَتِهِمْ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ زَائِلٌ خَادِعٌ يُغُرُّ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا دَارَ سِوَى هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا.

تَكَثَّرَ - مِبَاهَاةً وَتَطَاوُلَ بِالْعَدَدِ وَالْعُدَدِ.

أَعْجَبَ - رَاقَ.

يَهِيحُ - يَبْسُ.

يَكُونُ حُطَامًا - يُصْبِحُ فُتَاتًا مُتَنَاثِرًا مُتَكْسِرًا.

(آمَنُوا)

(٢١) - سَابِقُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَقْرَانَكُمْ فِي مَضَامِرِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتَوَمُّوا بِمَا كَلَّفَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، يُدْخِلْكُمْ رَبُّكُمْ جَنَّةً وَاسِعَةً عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقَدْ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ. وَهَذَا الَّذِي أَهْلَهُمُ اللَّهُ لَهُ هُوَ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ كَثِيرُ الْعَطَاءِ، فَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا شَاءَ كَرَمًا وَتَفَضُّلاً.

سَابِقُوا - سَارِعُوا مُسَابِقِينَ غَيْرَكُمْ.

(كِتَاب)

(٢٢) - مَا أَصَابَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مَصَائِبَ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ كَفَحَطَ وَجَدَبٌ وَقَلَّةٌ رَزَقٍ... وَمَا أَصَابَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَسْقَامٍ وَنَكَبَاتٍ... إِلَّا وَهُوَ مُسْطُورٌ فِي أَمِّ الْكِتَابِ عِنْدَ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ اللَّهُ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ (أَوْ قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ اللَّهُ هَذِهِ النُّفُوسَ)، وَعَلِمَ اللَّهُ السَّابِقَ بِمَا سَيَقَعُ مِنْ أَحْدَاثٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ، وَإِثْبَاتُهُ فِي كِتَابٍ، هُوَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ.

نَبْرَأُهَا - نَخْلُقُ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ أَوِ النُّفُوسَ.

(آتَاكُمْ)

(٢٣) - وَقَدْ أَعْلَمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْدِمِ عِلْمِهِ لِمَا سَيَقَعُ مِنَ الْأَحْدَاثِ، وَبَسْبِقِ كِتَابَتِهِ كُلَّ مَا سَيَقَعُ قَبْلَ حُدُوثِهِ، لِتَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَصَابَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكُمْ، فَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَتَحَسَّرُوا، وَلَكَيْلًا تَقُولُوا: لَوْ فَعَلْنَا كَذَا لَكَانَ كَذَا، وَلَوْ لَمْ نَفْعَلْ كَذَا لَمَا كَانَ كَذَا.

ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ

﴿٢١﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

﴿٢٢﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ

وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

﴿٢٣﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ

وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

وَلِكَيْلًا تَفْخَرُوا عَلَى النَّاسِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِسَعْيِكُمْ، وَلَا بِكَدِّكُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ قَدْرِ اللَّهِ وَرِزْقِهِ، فَلَا تَتَّخِذُوا نِعْمَةَ اللَّهِ أَشْرًا وَبَطْرًا، وَتَفْخَرُوا بِهَا عَلَى النَّاسِ.
 الْمُخْتَالُ - الْمُتَكَبِّرُ بِسَبَبِ فَضْلِهِ يَرَاهَا فِي نَفْسِهِ.
 الْفُخُورُ - الْمُبَاهِي بِالشَّيْءِ الْعَارِضَةِ كَالْمَالِ وَالْجَمَالِ.
 لِكَيْلًا تَأْسَوْا - لِكَيْلًا تَحْزَنُوا حُزْنَ قَنُوطٍ.

(٢٤) - الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِعَدَمِ الْإِنْفَاقِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَضُرُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَمَنْ يَعْزِضْ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ، وَعَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ النَّاسِ جَمِيعًا، وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ، وَصَدَقَاتِهِمْ، وَإِنْفَاقِهِمْ، وَهُوَ الْمُحْمَدُ عِنْدَ خَلْقِهِ لِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

(بِالْبَيِّنَاتِ) (الْكِتَابِ) (مَنَافِعِ)

(٢٥) - وَلَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّسُلَ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى خَلْقِهِ الْكَوْنِ وَمَا فِيهِ مِنْ كَائِنَاتٍ، وَعَلَى إِرْسَالِ الرُّسُلِ مِنَ اللَّهِ إِلَى أَقْوَامِهِمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ وَالشَّرَائِعَ، فِيهَا الْهَدَايَةُ لِلنَّاسِ، وَفِيهَا صَلَاحُ أُمُورِهِمْ، وَأَمْرُهُمْ بِأَنْ يَتَعَامَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَبِأَلَّا يَظْلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَحَدًا. وَلَمَّا كَانَ لَا بُدَّ لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ مِنْ سُلْطَةٍ وَقُوَّةٍ وَسِلَاحٍ، لِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَدِيدَ تُصْنَعُ مِنْهُ السُّيُوفُ وَالرَّمَاخُ وَالذُّرُوعُ وَعُدَدُ الْحُرُوبِ، الَّتِي تَرْدَعُ مَنْ يَتَجَاوَزُ الْحُدُودَ، وَيَأْبَى إِقَامَةَ الْعَدْلِ، بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ. كَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي الْحَدِيدِ مَنَافِعَ لِلنَّاسِ، يَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُمْ، وَمَعَاشِيَتِهِمْ، كَأَدْوَاتِ الْعَمَلِ وَالْحَرْبِ... وَالسَّلَاحِ وَالسُّفُنِ... وَإِنَّمَا فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ مَنْ يَنْوِي اسْتِعْمَالَ السَّلَاحِ فِي نَصْرِ دِينِ اللَّهِ، وَمَنْ يَنْوِي اسْتِعْمَالَهُ فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ يُنْصَرُّ مَنْ نَصَرَهُ مِنْ غَيْرِ أَحْتِيَاجٍ مِنْهُ إِلَى الْخَلْقِ، وَإِنَّمَا شَرَعَ الْجِهَادَ لِيَلْبُو بَعْضُكُمْ بَعْضًا. الْبَيْرَانُ - الْعَدْلُ وَأَمْرٌ بِهِ - أَوْ هُوَ الْمِيزَانُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي الْوِزْنِ.
 أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ - خَلَقْنَاهُ أَوْ هَيَّأْنَاهُ لِلنَّاسِ.
 بَأْسٌ شَدِيدٌ - قُوَّةٌ شَدِيدَةٌ.

(إِبْرَاهِيمَ) (الْكِتَابِ) (فَاسِقُونَ)

(٢٦) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ مُنْذُ أَنْ أَرْسَلَ نُوحًا نَبِيًّا إِلَى قَوْمِهِ، لَمْ يُرْسَلْ بَعْدَهُ رَسُولًا، وَلَا نَبِيًّا إِلَّا مِنْ دُرِّيَّتِهِ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ

﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

﴿٢٥﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ

السَّلَامُ إِلَى قَوْمِ آخَرِينَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَقَدْ أَتَرَقَتْ ذُرِّيَّةُ نُوحٍ وَذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعْدِهِمَا فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ مُهْتَدِيَّةٌ إِلَى الْحَقِّ مُسْتَبْصِرَةٌ بِهِ، وَفِرْقَةٌ ضَالَّةٌ مُتَّبِعَةٌ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ.

(آثَارِهِمْ) (آتِنَاهُ) (كُتِبْنَاهَا) (رِضْوَانِ) (فَاتِنَا) (آمَنُوا) (فَاسِقُونَ)

(٢٧) - وَبَعَدَ إِبْرَاهِيمَ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلًا كَثِيرِينَ، وَكَانَ آخِرُهُمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْإِنْجِيلَ، وَفِيهِ شَرَعَ اللَّهُ وَوَصَايَاهُ، وَقَدْ جَاءَ عِيسَى مُكْمَلًا لِلتَّوْرَةِ، وَمُخَفِّفًا بَعْضَ أَحْكَامِهَا الَّتِي شَرَعَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، بِسَبَبِ تَقْضِيهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، وَجَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ النَّصَارَى اتِّبَاعَ عِيسَى، الَّذِينَ سَارُوا عَلَى نَهْجِهِ، رَأْفَةً وَرَحْمَةً فِي التَّعَامُلِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَابْتَدَعُوا رَهْبَانِيَّةً لَمْ يَفْرَضْهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا فَرَضُوهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَلَبًا لِرِضْوَانِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ، فَانْقَطَعُوا عَنِ الدُّنْيَا وَمَلَذَّاتِهَا، وَلَكِنَّ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ لَمْ يَحَافِظُوا عَلَى هَذِهِ الرِّهْبَانِيَّةِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَلَمْ يَقُومُوا بِهَا، فَأَعْطَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ مِنْهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا، ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَكِنَّ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ فَسَقُوا وَخَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ، وَارْتَكَبُوا الْمُنْكَرَاتِ، وَسِعَا فِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَتِهِ.

فَقَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ - اتَّبَعْنَاهُمْ وَبَعَثْنَاهُمْ.

الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ - مَوَدَّةً وَلِينًا وَشَفَقَةً.

رَهْبَانِيَّةً - مُغَالَاةً فِي التَّعَبُّدِ وَالتَّقَشُّفِ.

مَا كُتِبْنَاهَا - لَمْ نَفْرَضْهَا عَلَيْهِمْ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (آمَنُوا)

(٢٨) - يَحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، عَلَى تَقْوَى اللَّهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْإِيمَانِ بِرُسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَعِظُهُمْ أَنَّ هُمْ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ، وَأَتَقُوا وَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ بِأَنَّهُ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ صِغْفِيرَ جَزَاءٍ لَهُمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ بِنَبِيِّهِمْ، وَبِالْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ قَبْلَهُ، وَأَجْرًا آخَرَ لِإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ، وَأَنَّهُ سَيَجْعَلُ لَهُمْ هُدًى وَنُورًا يَمْشُونَ بِهِ فَيَجْنِبُهُمُ الْعَمَى وَالضَّلَالَةَ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَغْفِرُ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ لِمَنْ شَاءَ، رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ، يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ إِنْ أَحْسَنُوا التَّوْبَةَ إِلَيْهِ.

وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا
وَقَفَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا
كُتِبْنَا عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ
رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَلَلِينَ
مِنْ رَحْمَتِهِ وَيجعل لكم
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(وَرُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ جَيْنِمَا فَخَرَّ مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾^(١) فَجَعَلَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ أَجْرَيْنِ وَزَادَهُمْ نُورًا).

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ:

- رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِبِي فَلَهُ أَجْرَانِ.

- وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلَاهُ فَلَهُ أَجْرَانِ.

- وَرَجُلٌ أَدَبَ أُمَّتَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ).

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

(الْكِتَابِ)

(٢٩) - وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ مِنَ الْأَجْرَيْنِ شَيْئًا، وَلَا يَتَمَكَّنُونَ مِنْ نَيْلِهِ مَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ؛ وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ، كَثِيرُ الْعَطَاءِ، يَمْنَحُ فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَا يَخُصُّ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ. لَنَلَّا يَعْلَمَ - لِيَعْلَمَ.

لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ

أَلَّا يَقْدِرُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

(٥٨) سِوَرَةُ الْحَجَّالِ الْمِلَانِيَّةِ
وَأَيَّانَهَا ثَنَانٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تُجَادِلُكَ)

(١) - هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَزَوْجِهَا أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ أَوْسٌ قَدْ كَبِرَ، وَسَاءَ خُلُقُهُ، فَدَخَلَ عَلَى زَوْجِهِ يَوْمًا فَرَاغَعْتَهُ فِي شَيْءٍ فَغَضِبَ، وَقَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرُ أُمِّي. وَكَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا قَالَ هَذَا الْقَوْلَ حَرُمَتْ عَلَيْهِ زَوْجُهُ أَبَدًا.

ثُمَّ أَرَادَ أَوْسُ مُرَاجَعَةَ زَوْجَتِهِ فَأَبَتْ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا تَمْسُنِي حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَذَهَبَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقْصُّ عَلَيْهِ قِصَّتَهَا، وَتُشْتَكِي إِلَيْهِ أَنَّهَا إِذَا فَارَقَتْهُ، وَضَمَّتْ أَوْلَادَهَا إِلَيْهَا جَاعُوا، لِأَنَّهَا لَا مَالَ لَهَا، وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ لِأَبِيهِمْ ضَاعُوا. ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَأَخَذَتْ تَبْتُ شِكْوَاهَا إِلَى اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ. (وَتُعْرَفُ بِآيَاتِ الظَّهَارِ).

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ سَمِعَ شِكْوَى الْمَرْأَةِ الَّتِي جَاءَتْ تُرَاجِعُ النَّبِيَّ ﷺ فِي شَأْنِ زَوْجِهَا، وَتَبْتُ شِكْوَاهَا إِلَى رَبِّهَا، وَهُوَ تَعَالَى يَسْمَعُ كُلَّ مَا تَتَرَاغَعَانِ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَهُوَ مُحِيطٌ سَمْعُهُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ، وَمُحِيطٌ بَصَرُهُ بِكُلِّ مَا يَبْصُرُ.

تُجَادِلُكَ - تُحَاوِرُكَ وَتُرَاجِعُكَ الْكَلَامَ.

تَحَاوَرَكُمَا - مُرَاجَعَتُكُمَا الْقَوْلَ.

(يُظَاهِرُونَ) (نِسَائِهِمْ) (أُمَّهَاتُهُمْ) (اللَّائِي)

(٢) - الَّذِينَ يَقَعُ مِنْهُمْ الظَّهَارُ مِنْ نِسَائِهِمْ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ لِأَمْرَأَتِهِ: (أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرُ أُمِّي)، وَهُوَ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَحْرِيمَهَا عَلَى نَفْسِهِ، كَمَا تَحْرُمُ الْأُمُّ عَلَى ابْنِهَا، هُمْ مُخْطِئُونَ فِيمَا يَصْنَعُونَ، فَزَوْجَةُ الْمَرْءِ لَيْسَتْ أُمَّهُ، لِأَنَّ



قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتُشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا الَّتِي

أُمُّهُ هِيَ الَّتِي وَلَدَتْهُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُشَبَّهَ الْمَرْءُ أُمَّهُ بِغَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ. وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ، وَيُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ، يَقُولُونَ قَوْلًا نَكْرًا لَا يُجِزُهُ الشَّرْعُ وَيَقُولُونَ كَذِبًا وَزُورًا وَبَاطِلًا، لِأَنَّ رَابِطَةَ الزَّوْجَةِ بِزَوْجِهَا هِيَ رَابِطَةٌ وَاسِعَةٌ خَاصَّةٌ، لَيْسَ مِثْلُهَا رَابِطَةُ الْأُمِّ بِبَنِيهَا، لِأَنَّهَا رَابِطَةٌ تَقُومُ عَلَى الْإِحْتِرَامِ وَالْإِجْلَالِ.

وَاللَّهُ كَثِيرُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ لِلذُّنُوبِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِمَّا قَالَ، وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ تَائِبًا مُنِيبًا.

يُظَاهِرُونَ - يُحَرِّمُونَ نِسَاءَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَمَا تَحَرِّمُ الْأُمُّ عَلَى الْوَلَدِ. مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ - قَوْلًا مُنْكَرًا يَنْكَرُهُ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ. زُورًا - كَذِبًا وَبَاطِلًا مُنْكَرًا عَنِ الْحَقِّ.

(يُظَاهِرُونَ) (نِسَائِهِمْ)

(٣) - وَالَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ الْمُتَنَكَّرُ ثُمَّ يَرْجِعُونَ عَمَّا قَالُوا، وَيُرِيدُونَ مُوَافَقَةَ نِسَائِهِمْ، فَعَلَيْهِمْ إِعْتَاقُ رَقَبَةٍ قَبْلَ التَّمَاسِّ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْإِعْتَاقُ فِي طَرَقِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ. وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْكَفَّارَةَ لِيَكُونَ ذَلِكَ عِظَةً لِلْمُتَسَرِّعِينَ، وَرَادِعًا لَهُمْ عَنْ أَنْ يَقْعُوا فِيهِ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

يَتِمَّاسًا - يَسْتَمْتِعًا بِالْوَقَاعِ أَوْ دَوَاعِيهِ.

(لِلْكَافِرِينَ)

(٤) - فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رَقَبَةً يُعْتِقُهَا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِهِ أَنْ يَشْتَرِيَ رَقَبَةً يُعْتِقُهَا، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَبْلَ التَّمَاسِّ، فَإِنْ أَفْطَرَ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الشُّهُرَيْنِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الْإِفْطَارُ لِعَذْرِ أَوْ سَفَرٍ، لَزِمَهُ أَنْ يَسْتَأْنِفَ الصَّيَّامَ مِنْ جَدِيدٍ لَزَوَالِ التَّابِعِ.

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ هَذَا الصَّوْمَ، لِكِبَرِ سِنِهِ، أَوْ لِمَرَضٍ أَصَابَهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُطْعِمَ سِتِينَ مِسْكِينًا، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نِصْفَ صَاعٍ مِنَ الْحِنْطَةِ، أَوْ صَاعٌ مِنَ الشَّعِيرِ، قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ التَّمَاسُّ بَيْنَهُمَا؛ وَقَدْ قَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْكَفَّارَةَ لِيُقِرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ تَعَالَى، وَيُصَدِّقُوا بِرَسُولِهِ، وَيَتَّقِدُوا بِحُدُودِ مَا قَرَضَ اللَّهُ، وَلَا يَتَجَاوَزُوهَا. وَلِلْكَافِرِينَ بِفَرَائِضِ اللَّهِ وَحُدُودِهِ، عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا
مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ
لَعَفُوفٌ غَفُورٌ

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ
يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا ذَلِكَ كُتُوعُ طُورٍ
بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا فَمَنْ
لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْرًا سِتِينَ مِسْكِينًا
ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَيَلْكَأُ حُدُودَ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ أَلِيمٌ

(آيَاتِ) (بَيِّنَاتٍ) (لِلْكَافِرِينَ)

(٥) - إِنَّ الَّذِينَ يُعَانِدُونَ اللَّهَ، وَيَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِهِمْ حُدُودًا غَيْرَ الْحُدُودِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ، سَيَلْحَقُهُمُ الْخِزْيُ وَالنَّكَالُ، وَالْخِذْلَانُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا لَحِقَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْأَمَمِ السَّابِقَةِ. وَكَيْفَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَاتٍ وَأُضْحَحَاتٍ تُبَيِّنُ قَوَاعِدَ الشَّرْعِ، وَتَحُدُّ حُدُودَهُ، وَتَفْصِلُ أَحْكَامَهُ، فَلَا عُدْرَ لَهُمْ فِي مُخَالَفَتِهَا، وَالْانْحِرَافِ عَنْهَا، وَلِلْجَاهِدِينَ بِتِلْكَ الْآيَاتِ عَذَابٌ مُهِينٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يُحَادُّونَ - يُعَادُونَ وَيُسَاقُونَ وَيَخَالِفُونَ.

كُتِبُوا - نَزَلَ بِهِمُ الْهَوَانُ وَالْخِزْيُ.

(أَحْصَاءُ)

(٦) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَبْعَثُ اللَّهُ الْخَلْقَ جَمِيعًا وَيَجْمَعُهُمْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُخَبِّرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَقَدْ أَثْبَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سِجْلِ أَعْمَالِهِمْ وَهُمْ قَدْ نَسَوْهُ، وَاللَّهُ شَاهِدٌ عَلَى مَا يَعْمَلُونَ، لَا يَغْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَنْسَى شَيْئًا.

أَحْصَاهُ اللَّهُ - أَحَاطَ بِهِ عِلْمًا وَسَجَّلَهُ الْمَلَائِكَةُ فِي صَحِيفَةٍ أَعْمَالِهِ.

(السَّمَاوَاتِ) (ثَلَاثَةً) (الْقِيَامَةِ) (أَيْنَمَا)

(٧) - وَكَيْفَ لَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَا عَمِلَ هَؤُلَاءِ، وَهُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَالِكُهُمَا، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، وَيَعْلَمُ مَا فِيهِمَا، فَلَا يَتَنَاجَى ثَلَاثَةً إِلَّا كَانَ مَعَهُمْ سَمْعٌ مَا يَقُولُونَ، وَيَعْلَمُ مَا يُدَبِّرُونَ، وَلَا يَجْتَمِعُ خَمْسَةٌ إِلَّا وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى سَادِسُهُمْ، وَلَا يَجْتَمِعُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا أَقَلُّ، وَلَا يَتَنَاجُونَ إِلَّا كَانَ مَعَهُمْ سَمْعٌ وَيَرَى، وَيُثَبِّتُ ذَلِكَ عِنْدَهُ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنَبِّئُهُمْ بِنَجْوَاهُمْ وَأَسْرَارِهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ وَلَا تُخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ نَصْرَفَاتِ خَلْقِهِ.

نَجْوَى ثَلَاثَةً - تَنَاجِيَهُمْ وَمَسَارَتُهُمْ.

هُوَ رَابِعُهُمْ - يَعْلَمُهُ لِأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى حَدِيثِهِمْ وَمَسَارَتِهِمْ.

(وَيَتَنَاجُونَ) (الْعُدُونَ) (مَعْصِيَةٍ) (جَاوُوكَ)

(٨) - كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ يَهُودِ الْمَدِينَةِ مُوَادَعَةٌ، وَكَانَ الْيَهُودُ إِذَا مَرَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَلَسُوا يَتَنَاجُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، حَتَّى لَيَطُنَّ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَنَاجُونَ بِقَتْلِهِ، أَوْ بِمَا يَكْرَهُ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ خَشِيَهِمْ فَتَرَكَ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ، فَتَهَاَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّجْوَى فَلَمْ يَتَّهَبُوا، وَعَادُوا

٥ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا

كَمَا كُتِبَ لِلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ

أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ

عَذَابٌ مُهِينٌ

٦ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ

بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسَوْءٌ

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

٧ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ

مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ

وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ

وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا

هُوَ مَعَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا أَتَمَّ يُنَبِّئُهُمْ

بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ

٨ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ

يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَنْجَحُونَ

بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ

الرَّسُولِ

إِلَى النَّجْوَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يُبَيِّنُ لِرُسُولِهِ مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ إِنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِمَا هُوَ إِنْهُمْ فِي نَفْسِهِ، وَبِمَا هُوَ وَبَالَ عَلَيْهِمْ، وَبِمَا هُوَ تَعَدُّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَتَوَاصٍ بِمُخَالَفَةِ النَّبِيِّ.

وَدَخَلَ نَقْرٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ: (وَعَلَيْكُمْ). وَكَانَ هَذَا النَّقْرُ مِنَ الْيَهُودِ يَقْصُدُ يَقُولُهُ هَذَا الْإِسَاءَةَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَالِدُعَاءَ عَلَيْهِ، فَقَضَحَهُمُ اللَّهُ، وَكَشَفَ أَسْتَارَهُمْ. ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِرُسُولِهِ الْكَرِيمِ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَيُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا لَوْ كَانَ نَبِيًّا حَقًّا لَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَقُولُونَ، لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ.

وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ: قَائِلًا إِنَّ جَهَنَّمَ كَافِيَةٌ لِعِقَابِهِمْ وَعَذَابِهِمْ، وَهِيَ بَشَسُ الْمَقَرِّ وَالْمَصِيرِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

لَوْلَا يُعَذِّبُنَا - هَلَا يُعَذِّبُنَا.

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمَ - كَافِيَهُمْ جَهَنَّمَ عَذَابًا.

يَصْلُونَهَا - يَدْخُلُونَهَا أَوْ يَقَاسُونَ حَرَّهَا.

(آمَنُوا) (تَنَاجَيْتُمْ) (تَتَنَاجَوْنَ) (الْعُدْوَانِ) (مَعْصِيَةٍ) (تَنَاجَوْا)

(٩) - وَيُؤَدِّبُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ لِئَلَّا يَكُونُوا كَالْكَافِرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فِي أَنْدِيَتِكُمْ وَخَلَوَاتِكُمْ، فَلَا تَفْعَلُوا كَمَا يَفْعَلُ أَوْلِيكَ الْكُفَّارُ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَنْ وَالَاهُمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَتَنَاجَوْا بِمَا هُوَ خَيْرٌ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا تَفْعَلُونَ وَفِيمَا تَذَرُونَ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ سَيَحْاسِبُكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

(الشَّيْطَانِ) (آمَنُوا)

(١٠) - إِنَّمَا التَّنَاجِي بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ مِنْ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ وَتَزْيِينِهِ، وَالشَّيْطَانُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِإِيْهَامِهِمْ أَنَّ هَذِهِ النَّجْوَى تَضُرُّهُمْ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَضُرُّ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا، إِلَّا بِإِزَادَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَهْتُمُّوا بِنَجْوَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَلْيَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَ اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْزَنُهُ). (البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

إِنَّمَا النَّجْوَى - الْمَنْهَى عَنْهَا.

لِيَحْزَنَ - لِيُوقَعَ لَهُمُ الشَّدِيدُ.

وَلِإِذَا جَاءَ وَكَ حَيَوُكَ بِمَا لَمْ يَحِيكَ

بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا

يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ

جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا

تَنَاجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ

الرَّسُولِ وَتَنَاجُوا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَى وَاتَّقُوا

اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ

شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الْمَجَالِسِ) (دَرَجَاتٍ)

(١١) - رُويَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا رَأَوْا أَحَدَهُمْ مُقْبِلًا ضُنُّوا بِمَجَالِسِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ يَفْسَحَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الصُّفَّةِ، وَفِي الْمَكَانِ ضِيقٌ. وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُكْرِمُ أَهْلَ بَدْرِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَجَاءَ أَنَسٌ مِنْ أَهْلِ بَدْرِ، وَقَدْ سَبَقَهُمْ غَيْرُهُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَقَامُوا حِيَالِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ. ثُمَّ سَلَّمُوا عَلَى الْقَوْمِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَامُوا حِيَالِ الرَّسُولِ، فَلَمْ يَفْسَحْ لَهُمْ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ بَدْرِ: قُمْ يَا فَلَانُ وَأَنْتَ يَا فَلَانُ... فَلَمْ يَزَلْ يُقِيمُهُمْ بَعْدَ النَّفَرِ الَّذِينَ هُمْ قِيَامُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَدْرِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أَقِيمَ مِنْ مَجْلِسِهِ. وَعَرَفَ النَّبِيُّ الْكَرَاهَةَ فِي وَجُوهِهِمْ. وَأَرْجَفَ الْمُنَافِقُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: رَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا يَفْسَحُ لِأَخِيهِ، فَجَعَلُوا يَقُومُونَ بَعْدَ ذَلِكَ سِرَاعًا فَيَفْسَحُ الْقَوْمُ لِأَخْوَانِهِمْ.

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَوَسَّعُوا فِي الْمَجَالِسِ: مَجَالِسِ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ فِي مَجَالِسِ الْقِتَالِ، فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ فِي مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِذَا دُعِيتُمْ إِلَى الْقِيَامِ مِنْ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ فَقُومُوا (انْشُرُوا)، لِأَنَّ الرَّسُولَ كَانَ يُوْثِرُ الْإِنْفِرَادَ لِتَدْبِيرِ شُؤْنِ الْمُؤْمِنِينَ. (وَلَا يَنْبَغِي لِقَادِمٍ أَنْ يُقِيمَ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ لِيَجْلِسَ مَكَانَهُ). وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا. (الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

فَإِذَا انْفَسَحَ الْمُؤْمِنُونَ وَنَشَرُوا، آمَتْشَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُهُمْ، وَيَرْفَعُ الْعَالَمِينَ مِنْهُمْ خَاصَّةً، دَرَجَاتٍ كَثِيرَةً فِي الثَّوَابِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ - تَوَسَّعُوا فِيهَا وَلَا تَضَامُوا.

انْشُرُوا - انْهَضُوا لِلتَّوَسُّعَةِ أَوْ لِعِبَادَةِ أَوْ خَيْرٍ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (نَاجِيْتُمْ) (نَجَوَاكُمْ)

(١٢) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَدِّثُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ (أَيُّ مَسَارَةٍ)، أَنْ يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ، وَتُؤَهِّلُهُمْ لِيُلَوِّغَ هَذَا الْمَقَامَ، وَفِي تَقْدِيمِ هَذِهِ الصَّدَقَةِ بَيْنَ يَدَيْ مُنَاجَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ثَوَابٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَتَزَكِيَةٌ لِلنَّفُوسِ، فَإِذَا

١٣ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ

تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا
يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا
فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

١٤ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ

فَقَدْ مُوَابَّيْنِ يَدَيَّ نَجْوَتُكُمْ صَدَقَةً
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

لَمْ يَكُنْ، مَنْ يُرِيدُ مُنَاجَاةَ الرَّسُولِ، مِمَّنْ يَمْلِكُونَ شَيْئاً يَسْتَطِيعُونَ
التَّصَدُّقَ بِهِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَتَّصِدَّقْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.
وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لِلتَّخْفِيفِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ السُّؤَالِ فَقَدْ سَأَلَهُ قَوْمٌ
حَتَّى شَقُّوا عَلَيْهِ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ.

(أَشْفَقْتُمْ) (نَجَّوْكُمْ) (صَدَقَاتٍ) (الصَّلَاةِ) (آتُوا الزَّكَاةَ)

(١٣) - أَبْخَلْتُمْ بِالْمَالِ أَنْ تُنْفِقُوهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَخِفْتُمْ الْفَقْرَ إِنْ قَدَّمْتُمْ
الصَّدَقَاتِ، وَوَسَّسَ إِلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ أَنَّ هَذَا الْإِنْفَاقَ فِيهِ ضِيَاعٌ
لِلْمَالِ؟ فَمَا دُمْتُمْ لَمْ تُنْفِقُوا الْمَالَ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ فَقَدْ خَفَّفَ اللَّهُ
عَنْكُمْ، وَرَخَّصَ لَكُمْ بِالْمُنَاجَاةِ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيمَةِ صَدَقَاتٍ، فَتَذَارَكُوا ذَلِكَ
بِالْمُنَابَرَةِ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ عَلَى وَجْهِهَا الْأَكْمَلِ، وَعَلَى دَفْعِ الزَّكَاةِ عَنْ
أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ هُوَ وَرَسُولُهُ، وَأَنْتَهُوا عَمَّا يُنْهَاكُمْ
عَنْهُ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ، وَسَيَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ.
أَشْفَقْتُمْ - أَخَفَّيْتُمُ الْفَقْرَ وَالْعِيْلَةَ.
تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ - خَفَّفَ عَنْكُمْ بِنَسْخِ حُكْمِهَا.

(١٤) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُنَافِقِينَ مُؤَالَاتِهِمْ لِلْيَهُودِ، وَمُنَاصَحَتَهُمْ
إِيَّاهُمْ، وَنَقْلَهُمْ أَسْرَارَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِمْ. فَيَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ مَا
مَعْنَاهُ: أَلَا تَرَى إِلَى حَالِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْيَهُودِ، الَّذِينَ
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لِكُفْرِهِمْ، وَلِكَيْتُمَانِيهِمْ رَسُولَ مُحَمَّدٍ، وَهِيَ الْحَقُّ
الَّذِي يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، إِنَّهَا لِحَالٌ تُبْثِرُ الْعَجَبَ. فَهُمْ
يُنَاصِحُونَ الْيَهُودَ، وَيُبْلَغُونَهُمْ جَمِيعَ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ دَخَائِلِ الْمُسْلِمِينَ،
أَكْتِسَاباً لِبُودِهِمْ وَصَدَاقَتِهِمْ، وَهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، يَتَظَاهَرُونَ بِالْإِيمَانِ،
وَبِالْإِخْلَاصِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ يُخَيَّرُ تَعَالَى: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ
لَيَسُوا فِي الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَطَبَعَ
الْإِيمَانُ أَعْمَالَهُمْ. وَلَمَّا وَالُوا الْيَهُودَ أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَهُمْ فِي نَفْسِ السَّوْتِ
لَيَسُوا مِنَ الْيَهُودِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ فِي دِينِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ
يُرِيدُونَ أَنْ يَحْتَفِظُوا بِمَوَدَّتِهِمْ، فَقَدْ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا، إِذَا دَارَتِ الدَّائِرَةُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. وَتَوَكَّدَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِيْمَانَهُمْ وَإِخْلَاصَهُمْ، أَمَامَ
الرَّسُولِ ﷺ وَأَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ، بِحَلْفِ الْإِيمَانِ الْكَاذِبَةِ عَلَى أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ
مُخْلِصُونَ فِيمَا يَقُولُونَ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ، لِأَنَّهُمْ لَا
يَعْتَقِدُونَ هُمْ أَنْفُسُهُمْ صِدْقَهُ.

تَوَلَّوْا قَوْمًا - اتَّخَذُوا الْيَهُودَ أَوْلِيَاءَ.

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - هُمُ الْيَهُودُ.

١٣٦٨ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ

صَدَقْتُمْ فَاذْكُرُوا تَعْلَمُوا وَتَابَ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ



١٣٦٨ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ
وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ

(١٥) - وَقَدْ هَمَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا يَصْلَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى مُعَادَاةِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَغِيهِمْ، وَعَلَى مُوَالَاتِهِمُ الْكَفَّارَ وَمُنَاصِحَتِهِمْ، وَسَاءَ عَمَلُهُمْ هَذَا.

(أَيْمَانُهُمْ)

(١٦) - أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ، وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ، وَتَسْتَرُوا بِالْإِيمَانِ الْكَاذِبَ، فَظَنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ حَالِهِمْ أَنَّهُمْ صَادِقُونَ، فَأَعْتَرَبَهُمْ، وَتَمَكَّنُوا بِذَلِكَ مِنْ صَدِّ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَذَابٌ مُهِينٌ مُذِلٌّ، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ، وَعَلَى حَلْفِهِمْ بِاسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ كَذِبًا وَرِيَاءً جُنَّةً - وَقَايَةً لِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

(أَمْوَالُهُمْ) (أَوْلَادُهُمْ) (أَوْلِيَاكُ) (أَصْحَابُ) (خَالِدُونَ)

(١٧) - وَلَنْ يَنْفَعَهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ مِمَّا ظَنُّوهُ نَافِعًا لَهُمْ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ، وَلَنْ يَذْفَعَ شَيْءٌ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَنَقْمَتَهُ، فَلَا الْمَالُ مَقْبُولٌ مِنْهُمْ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا الْأَوْلَادُ قَادِرُونَ عَلَى نَصْرِهِمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ، وَسَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ نَارِ جَهَنَّمَ وَمِنْ أَصْحَابِهَا، وَيَبْقُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا.

لَنْ تَغْنِيَ - لَنْ تَنْفَعَ وَلَنْ تَذْفَعَ.

(الْكَاذِبُونَ)

(١٨) - وَأَذْكُرُ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ حَالَهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَمَا يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا مِنْ قُبُورِهِمْ، فَلَا يَغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَيُحْلِفُونَ لَهُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ شَيْئًا، فَيَقُولُونَ ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (١)، كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، عَلَى أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ حَلْفَهُمْ أَمَامَ اللَّهِ نَافِعُهُمْ عِنْدَهُ، كَمَا كَانَ يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ الْعِبَادِ حَلْفُهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مُنْكَرًا تَصْرِفُهُمْ هَذَا، فَيَقُولُ: أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ فِيمَا يَحْلِفُونَ عَلَيْهِ، وَفِيمَا يَظُنُّونَهُ مِنْ أَنَّ أَيْمَانَهُمُ الْكَاذِبَةُ تَرُوجُ عِنْدَ اللَّهِ، وَتُنْقِذُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ.

(الشَّيْطَانُ) (فَأَنسَاهُمْ) (أَوْلِيَاكُ) (الشَّيْطَانِ) (الْخَاسِرُونَ)

(١٩) - اسْتَوْلَى الشَّيْطَانُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَسَيَّطَرَ عَلَيْهَا بِسُوسَتِهِ، حَتَّى

١٥ اَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ

سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

١٦ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن

سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ

١٧ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ

مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أَوْلِيَاكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

١٨ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ

كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى

شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ

١٩ اسْتَوْلَوْا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ

ذِكْرَ اللَّهِ أَوْلِيَاكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ

أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ

أَنسَاهُمْ أَن يَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ، وَأَن يَتَّبِعُوا أَمْرَهُ، وَأَن يَجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ، بِمَا زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ جُنُودُ الشَّيْطَانِ وَجِزْيُهُ، وَجِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ لِأَنَّهُمْ قَوَّتُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ النَّعِيمَ، وَأَوْصَلُوهَا إِلَى الْجَحِيمِ وَعَذَابِهِ. اسْتَعْوَذَ - اسْتَوَلَى وَغَلَبَ عَلَى عَقُولِهِمْ.

(أُولَئِكَ)

(٢٠) - إِنَّ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ، وَيُعَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَمْتَنِعُونَ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، هُمْ فِي جُمْلَةِ أَهْلِ الذَّلَّةِ، لِأَنَّ الْعَلْبَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَسَيَلَقُونَ الذَّلَّةَ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْإِخْرَاجِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْخِزْيِ وَالنَّكَالِ وَالْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. يُحَادُّونَ - يُعَادُونَ وَيُسَاقُونَ وَيُخَالِفُونَ. الْأَذَلِّينَ - الرَّاغِبِينَ فِي الذَّلَّةِ وَالْهَوَانِ.

(٢١) - وَقَدْ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى، وَحَكَمَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ، بِأَنَّ النَّصْرَ وَالْعَلْبَةَ سَتَكُونُ لَهُ تَعَالَى، وَلِرَسُولِهِ وَلِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَضَاءُ اللَّهِ نَافِذٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَا رَادَّ لَهُ، وَاللَّهُ قَوِيٌّ لَا يُفْهَرُ، عَزِيزٌ لَا يُغَالَبُ. عَزِيزٌ - غَالِبٌ عَلَى أَعْدَائِهِ غَيْرٌ مَغْلُوبٌ.

(الْآخِر) (أَبَاءَهُمْ) (إِخْوَانُهُمْ) (أُولَئِكَ) (الْإِيمَانُ) (جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(٢٢) - لَا تَجِدُ قَوْمًا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبَيْنَ مُوَادَّةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا لَا يُوَالُونَ الْكَافِرِينَ، وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ هُمْ أَهْلُهُمْ، وَأَقْرَبَاءُهُمْ أَوْ أَبْنَاءُهُمْ، الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَمْتَنِعُونَ عَنِ مُوَادَّةِ الْكَافِرِينَ، وَلَوْ كَانُوا أَقْرَبَاءَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ، هُمْ الَّذِينَ ثَبَّتَ اللَّهُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى، وَقَوَّاهُمْ بِطَمَئِنَّةِ الْقَلْبِ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَسَيَدْخِلُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَيَتَّقُونَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَدْخَلَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، فَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَاتِ، وَرَضُوا بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَبِمَا عَرَضَهُمْ بِهِ لِإِسْخَاطِهِمُ الْأَقَارِبَ وَالْأَبْنَاءَ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ أَنْصَارُ اللَّهِ، وَجُنْدُهُ، وَجِزْيُهُ، وَأَهْلُ كَرَامَتِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. بِرُوحٍ مِنْهُ - بِنُورٍ يَقْدِفُهُ فِي قُلُوبِهِمْ أَوْ بِالْقُرْآنِ.

﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ

﴿٢١﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُ إِنَّا وَرَسُولُنِي

إِبْرَاهِيمَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

﴿٢٢﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا

أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ

كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

وَأَيَّدَهُمُ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيَدْخُلُهُمُ

جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ

أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا النِّجَاحُ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(السَّمَاوَاتِ)

(١) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ تُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَتُحَمِّدُهُ، وَتُزَكِّيهِ عَنِ الْعُجْزِ وَالنَّقْصِ. وَكَيُونُ تَسْبِيحُ الْمَخْلُوقَاتِ لِرَبِّهَا إِمَّا بِاللِّسَانِ أَوْ بِالْقَلْبِ أَوْ بِدَلَالَةِ الْحَالِ. وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُفْهَرُ، الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَضَائِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

(الْكِتَابِ) (دِيَارِهِمْ) (فَاتَاهُمْ) (يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)

(٢) - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ صَالَحَ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ لَا يَكُونُوا عَلَيْهِ وَلَا لَهُ. فَلَمَّا أَصِيبَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، أَخَذَ الْيَهُودُ فِي الدُّسِّ وَالْوَقِيعَةِ، وَالتَّالِبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَذَهَبَ رَعِيمُهُمْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ إِلَى مَكَّةَ فَحَالَفَ قُرَيْشًا وَاسْتَحْنَتْهَا عَلَى حَرْبِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاسْتِصْالِ شَائِقَتِهِمْ، وَحَاوَلَ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ قَتْلَ الرَّسُولِ بِطَرْحِ حَجَرٍ عَلَيْهِ مِنْ سَطْحِ أَحَدِ الْمَنَازِلِ، بَيْنَمَا كَانَ الرَّسُولُ يَجْلِسُ فِي ظِلِّهِ. فَانْجَاهَهُ اللَّهُ مِنْ كَيْدِهِمْ، فَأَمَرَ الرَّسُولُ بِقَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ - غِيلَةً. وَتَأَهَّبَ الْمُسْلِمُونَ وَسَارُوا لِقِتَالِ بَنِي النَّضِيرِ. فَتَحَصَّنَ بَنُو النَّضِيرِ فِي مَوَاقِعِهِمْ، وَاسْتَعْدُّوا لِلْحَرْبِ. وَدَسَّ الْمُنَافِقُونَ - وَعَلَى رَأْسِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ - إِلَى بَنِي النَّضِيرِ - وَكَانَ خَلِيفًا لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - أَنْ لَا يَخْرُجُوا مِنْ حُصُونِهِمْ، فَإِنْ قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ سَيَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِمْ فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ أَخْرَجَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ فَإِنَّهُمْ سَيَخْرُجُونَ مَعَهُمْ. وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ فَحَاصَرُوا بَنِي النَّضِيرِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، وَقَذَفَ اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَسُّوا مِنْ نَصْرِ الْمُنَافِقِينَ، فَطَلَبُوا الصُّلْحَ، فَأَبَى الرَّسُولُ إِلَّا جَلَاءَهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ، عَلَى أَنْ يَحْمِلَ كُلُّ ثَلَاثَةِ آيَاتٍ عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ مَا شَاؤُوا مِنْ مَتَاعِهِمْ فَجَلَا أَكْثَرُهُمْ إِلَى

① سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

② هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ

الْحَشْرِ مَا طَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا

وَطَنُوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتَهُمْ

حُصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَانْتَبَهُمُ اللَّهُ

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ

فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بِيُوسُفَ

بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ

الشَّامِ وَالْحِيرَةَ. وَعَمَدَ الْيَهُودَ إِلَى بُيُوتِهِمْ فَخَرَّبُوهَا لِكَيْلًا يَنْتَفِعَ
 الْمُسْلِمُونَ بِهَا، وَعَمَدُوا إِلَى مَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَقْلَهُ مِنْ أَثَانِهِمْ فَدَمَرُوهُ.
 وَكَانَ نَحْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ وَخَصَّهُ بِهِ.
 وَيَقْصُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ قِصَّةَ بَنِي النَّضِيرِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ
 هُوَ الَّذِي أَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ عَنْ دِيَارِهِمْ، بِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلُ
 مَرَّةٍ حُشِرُوا فِيهَا وَأُخْرِجُوا مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، لَمْ يُصِبْهُمْ الدَّلُّ قَبْلُهَا،
 وَكَانَ آخِرُ حَشَرٍ لَهُمْ زَمَنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ أَجْلَاهُمْ مِنْ خَيْبَرَ إِلَى
 الشَّامِ. وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَظُنُّونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ يُمَكِّنُ أَنْ يُجْلَوْا عَنْ
 الْمَدِينَةِ لِقُوَّتِهِمْ، وَشِدَّةِ بَأْسِهِمْ وَمَنْعَةِ حُصُونِهِمْ، وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَكَانُوا
 هُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ حُصُونَهُمْ سَتَمْنَعُهُمْ وَتَحْتَمِيهِمْ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُمْ سُوءٌ مِنْ
 أَعْدَائِهِمْ، فَاطْمَأَنَّنُوا إِلَى تِلْكَ الْقُوَّةِ، وَشَرَعُوا فِي الدُّسِّ وَالْكَيْدِ
 لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِلْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَهُمْ بَأْسُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَتَوَقَّعُوا، وَلَمْ
 يَخْطُرْ لَهُمْ عَلَى بَالٍ. وَبَأْسُ اللَّهِ لَا يَدْفَعُ وَلَا يَرُدُّ إِذَا جَاءَ. وَقَدْ ذَفَّ اللَّهُ
 الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ فَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ حِينَ جَاءَ الرَّسُولُ
 وَالْمُؤْمِنُونَ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْمُقَاوَمَةَ بَعْدَ قَتْلِ رَأْسِهِمْ كَعْبُ بْنُ
 الْأَشْرَفِ، وَبَعْدَ أَنْ نَكَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ
 الْمُنَافِقِينَ عَنْ إِنْجَادِهِمْ، وَمَدَّ يَدَ الْعَوْنِ إِلَيْهِمْ، كَمَا وَعَدَهُمْ، وَأَخَذُوا
 مِنْ شِدَّةٍ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ هَلَعٍ وَرُعْبٍ، يُخَرَّبُونَ بُيُوتَهُمْ، وَيُدْمَرُونَ
 أَثَانَهُمْ، لِكَيْلًا يَنْتَفِعَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُدْمَرُونَ بُيُوتَهُمْ
 عَلَيْهِمْ مِنْ خَارِجِهَا لِيَدْخُلُوهَا عَلَيْهِمْ، فَيَصْلُوا إِلَيْهِمْ، وَيَتَمَكَّنُوا مِنْ
 قِتَالِهِمْ، فَاتَّعَظُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ وَالْبَصَائِرِ بِمَا جَرَى عَلَى هَؤُلَاءِ،
 وَالْعَاقِلُ مِنَ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ.

الحشر - إخراج جمعٍ من الناسٍ من مكانٍ إلى مكانٍ آخر.

قَذَفَ - ألقى وأنزل إنزالاً شديداً.

الذين كفروا - هم يهود بني النضير.

لأول الحشر - في أول إخراجٍ من الأرض.

(٣) - وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ جَلَاءَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَخُرُوجَهُمْ مِنْ
 دِيَارِهِمْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمُهِينِ، لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا هُوَ أَقْطَعُ مِنْهُ
 كَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالسَّبْيِ، لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سَيُعَذِّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا
 مَعَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.
 الجلاء - الخروج من الديار بالأهل والولد.

﴿٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ
 لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 عَذَابُ النَّارِ

(٤) - وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ عَادُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَادُوا لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَأَلْبُوا عَلَيْهِمُ الْمُسْرِكِينَ، مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَقٌّ. وَمَنْ يُعَادِ اللَّهَ وَبِحَارِبِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُهُ أَشَدَّ الْعِقَابِ، وَيُنْزِلُ بِهِ الْجَزْيَ وَالذَّلَّةَ وَالْهَوَانَ فِي الدُّنْيَا، وَيُنْزِلُ بِهِ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ.

شَاوُوا - عَادُوا وَعَصُوا وَخَالَفُوا.

(قَائِمَةٌ) (الْفَاسِقِينَ)

(٥) - لَمَّا حَاصَرَ الرَّسُولُ ﷺ بَنِي النَّضِيرِ فِي حُصُونِهِمْ أَمَرَ بِقَطْعِ نَخْلِهِمْ إِرْعَابًا لَهُمْ، فَبَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَقُولُونَ: إِنَّكَ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ، فَمَا بَالُكَ تَأْمُرُ بِقَطْعِ الْأَشْجَارِ؟ فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَفِيهَا يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ: إِنْ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ أَشْجَارِ النَّخِيلِ، وَمَا تَرَكْتُمُوهُ دُونَ قَطْعِ فَالْجَمِيعِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ، وَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ فِيهِ وَلَا حَرَجَ، وَفِيهِ نِكَايَةٌ وَجَزْيٌ وَنَكَالٌ لِلْفَاسِقِينَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

لَيْتَةً - نَخْلَةً.

عَلَى أَصُولِهَا - عَلَى سُوقِهَا بِدُونِ قَطْعِ.

(٦) - نَزَلَ يَهُسُودُ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى حُكْمِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَضَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ، وَتَرَكَ أَمْوَالَهُمْ، إِلَّا مَا اسْتَطَاعُوا حَمْلَهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ أَمْوَالَهُمْ فِئًا لِرَسُولِ اللَّهِ، وَمَغْنَمًا خَالِصًا لَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى عِيَالِهِ، ثُمَّ يُنْفِقُ الْبَاقِي فِي الْوُجُوهِ الْمُقَرَّرَةِ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَالِ الَّذِي يَغْنَمُهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، وَلَا مُصَاوَلَةٍ، وَلَا إِجْغَافِ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، نِظَامًا خَاصًّا، وَلَا يُقْسَمُ فِي الْجَيْشِ كَمَا تُقْسَمُ الْغَنَائِمُ، وَفَقًا لِمَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ اللَّهَ أَفَاءَ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى رَسُولِهِ دُونَ قِتَالٍ إِذْ قَذَفَ اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ النَّبِيِّ فَقَضَى بِجَلَائِهِمْ عَنْ أَرْضِهِمْ.

وَاللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَيَقْذِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ فَيَسْتَسْلِمُونَ لَهُمْ بِدُونِ قِتَالٍ، وَاللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

الْفِيءُ - مَا أُخِذَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ بِغَيْرِ قِتَالٍ.

أَوْجَفَ - حَمَلَ الْفَارَسُ أَوْ رَاكِبُ الْبَعِيرِ رَاحِلَتَهُ عَلَى الْإِسْرَاعِ.

الرَّكَابُ - مَا يُرَكَّبُ مِنَ الْإِبِلِ - رَاحِلَةٌ.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا
قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ
وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ
فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ
وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ
رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(الْيَتَامَى) (الْمَسَاكِين) (آتَاكُمْ) (نَهَاكُمْ)

(٧) - مَا جَعَلَ اللَّهُ فِتْنًا لِرَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى - كَتَبِي النَّصِيرَ وَخَيْرَ وَتَرْبِطَةَ - فَإِنَّهُ يُصَرِّفُ فِي وَجْهِ الْبِرِّ، وَلَا يُقْسِمُ فِي الْجَيْشِ كَالْمَغْنَمِ، فَيُعْطَى لِلرَّسُولِ لِيُعْطِيَ مِنْهُ ذَوِي قُرْبَاهُ (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي مِنْهُ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَبَنِي هَاشِمٍ). وَلِلْيَتَامَى وَالْفُقَرَاءِ وَلِلْمَسَاكِينِ مِنْ ذَوِي الْحَاجَاتِ، وَلِابْنِ السَّبِيلِ (وَهُوَ الْمُسَافِرُ الَّذِي نَفَذَتْ نَفَقَتُهُ)، وَقَدْ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ لِكَيْلَا يَأْخُذَهُ الْأَغْنِيَاءُ، وَيَتَدَاوَلُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيَتَكَاثَرُوا بِهِ، فَلَا يَصِلْ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَى الْفُقَرَاءِ.

وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ أَحْكَامٍ فَتَسْكُتُوا بِهِ، وَمَا أَعْطَاكُمْ الرَّسُولُ مِنَ الْغَنِيِّ فَخُذُوهُ، فَهُوَ حَلَالٌ لَكُمْ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَلَا تَقْرُبُوهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فَاُمْتِلُوا لِأَمْرِهِ، وَاتْرَكُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ مُكِيًّا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ).

دَوْلَةُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ - مُلْكًا مُتَدَاوِلًا بَيْنَهُمْ خَاصَّةً.

(الْمُهَاجِرِينَ) (دِيَارِهِمْ) (أَمْوَالِهِمْ) (رِضْوَانًا) (أُولَئِكَ) (الصَّادِقُونَ)

(٨) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَةَ الْفُقَرَاءِ الْمُسْتَحْفِظِينَ لِمَالِ الْغَنِيِّ فَيَذْكُرُ أَنَّهُمْ الَّذِينَ اضْطَرَّ لَهُمْ كُفَارُ مَكَّةَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَتَرْكُ أَمْوَالِهِمْ، وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَابْتِغَاءَ ثَوَابِهِ، وَنُصْرَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيمَانِهِمْ، الَّذِينَ وَفَّقُوا قَوْلَهُمْ مَعَ فِعْلِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُهَاجِرُونَ.

(تَبَوُّؤُوا) (الْإِيمَانَ) (فَأُولَئِكَ)

(٩) - ثُمَّ أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْأَنْصَارِ مُبَيِّنًا فَضْلَهُمْ وَشَرَفَهُمْ وَكَرَمَهُمْ، حِينَ جَعَلَ اللَّهُ الْغَنِيَّ لِأَخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ دُونَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: وَالَّذِينَ سَكَنُوا دَارَ الْهَجْرَةِ قَبْلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَمَنُوا قَبْلَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، يُجِبُونَ الْمُهَاجِرِينَ، وَيَتَمَنُّونَ لَهُمُ الْخَيْرَ، كَمَا يَتَمَنُّونَهُ لِنَفْسِهِمْ، وَقَدْ أَسْكَنُوا الْمُهَاجِرِينَ فِي دُورِهِمْ، وَأَشْرَكُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ نِسَائِهِ لِلْمُهَاجِرِينَ. وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَنَفْسُهُمْ طَيِّبَةٌ، وَأَعْيُنُهُمْ قَرِيرَةٌ بِمَا يَفْعَلُونَ، لَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَسَدًا لِلْمُهَاجِرِينَ.

٧ مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَلِالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

٨ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ

٩ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

وَلَا ضِيقًا بِهِمْ لِمَا فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ وَالشَّرَفِ وَالتَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ
وَالرُّتْبَةِ، وَلِمَا خَصَّهُمُ بِهِ مِنْ مَعْتَمَرِ بَيْتِ النَّصِيرِ دُونَهُمْ.

(رُوي أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ
حُسْنُ مُوَاسَاةٍ فِي قَلِيلٍ، وَلَا حُسْنُ بَذْلِ فِي كَثِيرٍ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ،
وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَةِ، حَتَّى لَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. قَالَ: لَا.
مَا أَتَيْنْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمْ لَهُمُ اللَّهَ).

وَهُمْ يُقَدِّمُونَ أَهْلَ الْحَاجَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيَبْدُوونَ
بِالنَّاسِ قَبْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي حَالِ أَحْتِيَاجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ). (الْبُخَارِيُّ).

وَمَنْ سَلِمَ مِنْ آفَةِ الْجِرْصِ عَلَى الْمَالِ وَالْبُخْلِ، فَقَدْ فَازَ وَأَفْلَحَ.

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ قَدْ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ
سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ).

التَّبَوُّؤُ - التَّزَوُّؤُ فِي الْمَكَانِ - أَيُّ الَّذِينَ تَزَلُّوا الْمَدِينَةَ.

يُؤَثِّرُونَ - يُقَدِّمُونَ وَيُفَضِّلُونَ.

حَاجَةٌ - حَسَدٌ أَوْ شُغُورٌ بِالضُّيْقِ.

خَصَاصَةٌ - فَقْرٌ أَوْ حَاجَةٌ.

الشُّحُّ - جِرْصُ النَّفْسِ عَلَى الْمَنْعِ.

أُوتُوا - أَيُّ مَا أُعْطِيَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ دُونِهِمْ.

(جَاؤُوا) (لِإِخْوَانِنَا) (بِالْإِيمَانِ) (آمَنُوا) (رُؤُوفٌ)

(١٠) - وَهَؤُلَاءِ الْقِسْمُ الثَّلَاثُ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّ فَقْرُهُمْ مِنْ مَالِ الْفَيءِ،
بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَهُمْ الْمُتَّبِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَاعْفِرْ لِإِخْوَانِنَا فِي الدِّينِ الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا حَسَدًا لِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، وَلَا حَقْدًا
عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ يَا رَبُّ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْقُلُّ - الْحَقْدُ وَالْحَسَدُ.

(لِإِخْوَانِهِمْ) (الْكِتَابِ) (لِئِنْ) (لِكَادِبُونَ)

(١١) - أَرْسَلَ رَئِيسُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ وَعَدَّدَ مِنَ
الْمُنَافِقِينَ مَعَهُ إِلَى يَهُودِ بَيْتِ النَّصِيرِ يَبْدُوونَهُمُ النُّصْرَةَ إِنْ قَاتَلَهُمُ
الْمُسْلِمُونَ، وَالْخُرُوجَ مَعَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ إِنْ أُخْرِجُوا، وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
كَفَرَةً، وَإِخْوَانًا لِلْكَافِرِينَ مِنَ الْيَهُودِ. ثُمَّ يُوَكِّدُ تَعَالَى أَنَّ هَؤُلَاءِ
الْمُنَافِقِينَ لَكَادِبُونَ فِيمَا يَعِدُونَ بِهِ الْيَهُودَ.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ

يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِ الَّذِينَ سَبَقُونَا

بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا

غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ

رَءُوفٌ رَحِيمٌ

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

نَافَقُوا يَقُولُونَ

لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ لَيْنَ أَخْرَجْتُم



مكتبة
الجزيرة
٥٥

الْمُنَافِقُ - هُوَ الَّذِي يُظَاهِرُ غَيْرَ مَا يُبْطِنُ، وَالَّذِي يُبَالِغُ فِي إِخْفَاءِ مُعْتَقَدِهِ.

(لَيْن) (الْأَدْبَار)

(١٢) - وَهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ، وَفِيمَا يَعِدُونَ بِهَ الْيَهُودَ مِنَ النُّصْرَةِ. وَالْخُرُوجَ مَعَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَ الْيَهُودِ إِذَا أَرَادَ الْمُسْلِمُونَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَلَا يُقَاتِلُونَ مَعَهُمْ، إِنْ قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا قَاتَلُوا مَعَ الْيَهُودِ سَيَنْهَزِمُونَ مُتَخَلِّينَ عَنِ بَنِي النُّضِيرِ، ثُمَّ لَا يَنْصُرُ اللَّهُ بَنِي النُّضِيرِ.

(١٣) - وَيُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى السَّبَبَ فِي عَدَمِ جُرْأَةِ الْمُنَافِقِينَ عَلَى الانْضِمَامِ إِلَى الْيَهُودِ، فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَيُخَيِّرُ تَعَالَى: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنَ اللَّهِ، فَهُمْ يَخَافُونَ بِأَسَ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُونَ اللَّهَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ مَقْدَارَ عَظَمَةِ اللَّهِ، فَهُمْ لِذَلِكَ يَسْتَخْفُونَ بِمَعَاصِيهِ، وَلَا يَرْهَبُونَ عِقَابَهُ، قَدَّرَ رَهْبَتَهُمُ الْمُسْلِمِينَ وَسَطَوَتَهُمْ.

(يُقَاتِلُونَكُمْ)

(١٤) - وَيؤكدُ اللَّهُ تَعَالَى جُبْنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَلَا يُوَاجِهُونَ الْمُسْلِمِينَ بِقِتَالٍ مُجْتَمِعِينَ، بَلْ يُقَاتِلُونَهُمْ فِي قُرَى حَصِينَةٍ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ وَهُمْ مُحَاصَرُونَ، وَعَدَاوَتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ شَدِيدَةٌ. وَإِذَا رَأَوْهُمُ الرَّاثِي حَسِبَهُمْ مُتَفَقِينَ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مُخْتَلِفُونَ إِلَى أَبْعَدِ حُدُودِ الْاِخْتِلَافِ لِمَا بَيْنَهُمْ مِنْ أَحْقَادٍ وَعَدَاوَاتٍ، فَهُمْ لَا يَتَعَاضِدُونَ، وَلَا يَتَسَانَدُونَ، وَلَا يُخْلِصُونَ فِي الْقِتَالِ، وَقَدْ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْوَحْدَةَ وَالتَّسَانُدَ الْمُخْلِصَ هُمَا سِرُّ النُّصْرِ وَالنَّجَاحِ.

بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ - قَاتَلَهُمْ بَيْنَهُمْ.

قُلُوبُهُمْ شَتَّى - مُتَفَرِّقَةٌ لِعَدَائِهِمْ.

(١٥) - وَمَثَلُ بَنِي النُّضِيرِ، مَثَلُ يَهُودِ بَنِي قَيْنِقَاعَ، الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَ الْمَدِينَةِ، فَغَزَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَجْلَاهُمْ إِلَى أَذْرِعَاتِ الشَّامِ، فَذَاقُوا سُوءَ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ.

(وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ وَفَعَةِ بَنِي النُّضِيرِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْعَامِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ، بَيْنَمَا كَانَتْ وَفَعَةُ بَنِي قَيْنِقَاعَ فِي الشَّهْرِ الْعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ). وَبَالَ أَمْرِهِمْ - سُوءَ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ.

لَنَخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعَ
فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ
لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ

لَيْنَ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ

وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْنَ

نَصْرُوهُمْ لَيُؤْتِيَنَّكَ الْأَدْبَارُ

ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي

صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ

لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا

فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ

جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ

كَشَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا

ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ

(الشَّيْطَانِ) (لِلْإِنْسَانِ) (الْعَالَمِينَ)

(١٦) - وَمَثَلُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَعَدُوا الْيَهُودَ بِالنُّصْرَةِ إِنَّ قُوَّتَهُمَا
وَبِالْخُرُوجِ مَعَهُمْ إِنْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ الَّذِي غَرَّ
الْإِنْسَانَ، وَوَعَدَهُ بِالنُّصْرِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، إِذَا أَطَاعَهُ وَكَفَرَ بِاللَّهِ، فَلَمَّا
أَحْتَاجَ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ النُّصْرَةَ، تَبَرَّأَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ، وَخَذَلَهُ
وَتَرَكَهُ لِمَصِيرِهِ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ إِنْ نَصَرْتُكَ أَنْ يُشْرِكَنِي رَبُّ
الْعَالَمِينَ مَعَكَ فِي الْعَذَابِ.

(عَاقِبَتُهُمَا) (خَالِدِينَ) (جَزَاءً) (الظَّالِمِينَ)

(١٧) - فَكَانَ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ بِالْكَفْرِ أَنْ صَارَ الشَّيْطَانُ وَمَنْ أَغْرَاهُ بِالْكَفْرِ إِلَى
نَارِ جَهَنَّمَ، لِيَقِفَا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا، وَذَلِكَ الْعَذَابُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، هُوَ
جَزَاءُ كُلِّ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(١٨) - يَا مُرُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَذَلِكَ بَأَن يَفْعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ،
وَأَنْ يَتْرَكُوا مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، وَلِيَنْظُرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ
صَالِحٍ يَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ، ثُمَّ يُوَكِّدَ تَعَالَى الْأَمْرَ بِتَقْوَاهُ، مُبَيِّنًا
أَنَّهُ عَلِمَ بِأَخْوَانِ الْعِبَادِ، جَمِيعَهَا، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

(فَأَنسَاهُمْ) (أُولَئِكَ) (الْفَاسِقُونَ)

(١٩) - وَلَا يَكُنْ خَالِكُمْ كَخَالِ قَوْمٍ نَسِيَ ذَكَرَ اللَّهِ فَأَنسَاهُمْ اللَّهُ الْعَمَلَ
الصَّالِحَ الَّذِي يَنْفَعُهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ، وَيُنْقِذُ أَنْفُسَهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ
الْعَذَابِ. وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ذِكْرَهُ، وَفَعَلَ الْخَيْرَ، هُمُ الْفَاسِقُونَ
الْخَارِحُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

نَسُوا اللَّهَ - لَمْ يُرَاعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيَهُ
فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ - فَلَمْ يُقَدِّمُوا لَهَا مَا يَنْفَعُهَا.

(أَصْحَابُ) (الْفَائِزُونَ)

(٢٠) - وَلَا يَسْتَوِي فِي حُكْمِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَهْلُ النَّارِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ،
وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ.

﴿٣٦﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ

اكَفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي

بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

رَبَّ الْعَالَمِينَ

﴿٣٧﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ

خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ

الظَّالِمِينَ

﴿٣٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ

﴿٣٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ

فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ

هُمُ الْفَاسِقُونَ

﴿٤٠﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ

الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ

الْفَائِزُونَ

(الْقُرْآنَ) (خَاشِعًا) (الْأَمْثَالَ)

(٢١) - إِنَّ الْجَبَلَ لَوْ فَهَمَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَتَدَبَّرَهُ، لَخَشَعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَيْفَ يَلِيْقُ بِالْبَشَرِ أَنْ لَا تَلِيْنَ قُلُوبُهُمْ، وَلَا تَخْشَعُ وَتَتَصَدَّعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَقَدْ فَهَمُوا مَعَانِيَهُ وَتَدَبَّرُوا مَا فِيهِ؟
وَيَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لِيُقَرَّبَ مَعَانِي الْقُرْآنِ إِلَى أَفْهَامِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا وَيَعْتَبِرُونَ.
خَاشِعًا - ذَلِيلًا مُسْتَكِينًا خَاضِعًا.
مُتَصَدَّعًا - مُتَشَقَّقًا.

(عَالِمُ) (الشَّهَادَةِ)

(٢٢) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَلَا رَبَّ غَيْرُهُ فِي الْوُجُودِ، وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الْمُشَاهَدَاتِ لَنَا، وَالْغَائِبَاتِ عَنَّا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ فَهُوَ رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا.
الْغَيْبُ - مَا غَابَ عَنِ الْحِسِّ.
الشَّهَادَةُ - مَا حَضَرَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُشَاهَدَةِ.

(السَّلَامُ) (سُبْحَانَ)

(٢٣) - هُوَ اللَّهُ الْمَالِكُ لِجَمِيعِ مَا فِي الْوُجُودِ، الْمُتَصَرِّفُ فِيهِ تَصَرُّفًا مُطْلَقًا، وَالْمُنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، الَّذِي أَمَّنَ خَلْقَهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ، وَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ الَّذِي فَهَرُ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَلَبَهُ لِعَظَمَتِهِ وَجَبْرُوتِهِ، فَلَا تَلِيْقُ الْكِبَرِيَاءُ إِلَّا لَهُ، تَنَزَّهَ اسْمُهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ فَهُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ.
الْمَلِكُ - الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ.

الْقُدُّوسُ - الْمُنَزَّهَ عَنِ النُّقْصَانِ.

الْمُؤْمِنُ - الْوَاحِبُ الْأَمْنُ - أَوِ الْمُصَدِّقُ لِرُسُلِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ.

الْمُتَكَبِّرُ - الْبَالِغُ الْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ.

الْمُهَيِّمُ - الرَّقِيبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

الْعَزِيزُ - الْقَوِيُّ الْغَالِبُ.

الْجَبَّارُ - الْقَهَّارُ أَوِ الْعَظِيمُ.

﴿١٣﴾ لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ

لَرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ

خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ

﴿١٤﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

﴿١٥﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ

الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ

الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ

سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(الْخَالِقُ) (السَّمَاوَاتِ)

(٢٤) - وَهُوَ تَعَالَى خَالِقُ جَمِيعِ مَا فِي الْوُجُودِ، وَمُصَوِّرُهَا، وَمُبَرِّرُهَا فِي الصُّورَةِ الَّتِي هِيَ عَلَيْهَا، وَلَهُ الصِّفَاتُ الْحُسْنَى الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ لَا يَشْرِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ سِوَاهُ؛ وَيَنْزِعُ اسْمَ اللَّهِ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُقْهَرُ وَقَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَغَلَبَهُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَضَائِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى - الدَّلَالَةُ عَلَى مَحَاسِنِ الْمَعَانِي
الْمُصَوِّرُ - خَالِقُ الصُّورِ.

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ
لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(٦٠) سُورَةُ الْمُتَجَنِّهِينَ وَأَيَّاتُهَا ثَلَاثٌ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (جِهَادًا)

(١) - هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَكَانَ حَاطِبٌ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ، وَتَرَكَ فِيهَا مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ مِنْ قُرَيْشٍ. فَلَمَّا أَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ فَتَحَ مَكَّةَ دَعَا رَبَّهُ اللَّهُ أَنْ يُعَيِّي الْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ، حَتَّى يَأْخُذَهُمْ عَلَى جَبِينِ غِرَّةٍ، فَكَتَبَ حَاطِبٌ كِتَابًا إِلَى قُرَيْشٍ يُعَرِّفُهُمْ بِعَزَمِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى غَزْوِهِمْ، وَأَرْسَلَهُ مَعَ أَمْرَأَةٍ لِيَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا. وَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِالْكِتَابِ، فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ، وَأَمَرَهُمَا بِالذَّهَابِ إِلَى رَوْضَةِ خَاحٍ لِيَأْتِيَاهُ بِالْكِتَابِ مِنَ الْمَرْأَةِ، فَلَمَّا جَاءَاَهَا طَلَبَا مِنْهَا الْكِتَابَ فَأَنْكَرَتْهُ، فَهَدَّاهَا بِتَجْرِيدِهَا مِنْ ثِيَابِهَا لَتَقْرَأَ فِيهَا، فَأَخْرَجَتِ الْكِتَابَ مِنْ صَفَائِرِ شَعْرِهَا.

وَسَأَلَ الرَّسُولُ حَاطِبًا عَنِ الْكِتَابِ فَأَعْتَرَفَ بِهِ وَقَالَ لِلرَّسُولِ إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ كُفْرًا، وَلَا أَرْتَدَادًا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا لِيَتَّخِذَ بِهِ يَدًا عِنْدَ قُرَيْشٍ يَحْيِي بِهَا أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَمَالَهُ. فَقَالَ الرَّسُولُ لِلصَّحَابَةِ إِنَّهُ صَدَقَكُمْ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ الرَّسُولُ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنْ لَا يَتَّخِذُوا الْكُفَّارَ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا لَهُمْ يَبْلُغُونَهُمْ أَخْبَارَ الرَّسُولِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي لِأَعْدَائِهِ أَنْ يَطْلُبُوهَا عَلَيْهَا، وَقَدْ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ، فَكَيْفَ بِكُمْ بَعْدَ هَذَا تَتَّخِذُونَهُمْ أَنْصَارًا تَسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَتَضُرُّ الرَّسُولَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ أَخْرَجُوا الرَّسُولَ وَأَصْحَابَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ كُرْهًا بِالتَّوْحِيدِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَنْبٌ يَوَاحِدُونَ عَلَيْهِ غَيْرَ ذَلِكَ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي

وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَآيَاتِي مَرْضَاتِي تُشِرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ

فَإِنْ كُنْتُمْ، يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، قَدْ خَرَجْتُمْ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِي، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، فَلَا تَوَالُوا أَعْدَائِي، وَمَنْ يَفْعَلْ هَذِهِ الْمَوَالَاةَ، وَيُفْشِرْ سِرَّ الرُّسُولِ لِأَعْدَائِهِ، فَقَدْ حَادَ عَنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى الْجَنَّةِ. أُولَئِكَ - أَعُوذُ بِكُمْ مِنْ تَوَادُّوْنَهُمْ وَتَنَاصِحُوْنَهُمْ. أَنْ تُؤْمِنُوا - لِإِيمَانِكُمْ أَوْ كِرَاهَةِ لِإِيمَانِكُمْ.

(٢) - إِنْ ظَفِرَ بِكُمْ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ، الَّذِينَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ، يُظْهِرُوا لَكُمْ عَدَاوَتَهُمْ، وَيَمْدُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللِّسَنَتَهُمْ بِمَا يَسُوءُكُمْ: يُقَاتِلُونَكُمْ وَيَشْتُمُونَكُمْ وَيَتَمَنُّونَ لَوْ تَكْفُرُونَ بِرَبِّكُمْ فَتَكُونُوا عَلَى مِثْلِ دِينِهِمْ، فَكَيْفَ تُسْرُونَ إِلَى هَؤُلَاءِ بِالْمَوَدَّةِ وَهَذِهِ هِيَ حَالُهُمْ؟.. يَتَقَفُّوْكُمْ - يَظْفَرُوا بِكُمْ - أَوْ يُصَادِفُوْكُمْ.

يَسْتُطُوا إِلَيْكُمْ - يَمْدُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ بِالضَّرْبِ وَاللِّسَنَتِهِمْ بِالشَّتْمِ وَالْإِيْذَاءِ.

(أَوْلَادُكُمْ) (الْقِيَامَةُ)

(٣) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الَّذِي أَعْتَدَرَ بِرَغْبَتِهِ فِي الْمَحَافَظَةِ عَلَى أَوْلَادِهِ وَأَمْوَالِهِ فِي مَكَّةَ، بِأَنَّ الْأَقَارِبَ وَالْأَوْلَادَ، الَّذِينَ تَوَالَوْنَ الْكُفَّارَ مِنْ أَجْلِهِمْ، لَنْ يَنْفَعُوْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَنْ يَدْفَعُوا عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ سَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَقَارِبِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ. وَيَذْهَبُ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَّنْ سِوَاهُ، وَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ.

(إِبْرَاهِيمَ) (بُرَاءَ) (الْعَدَاوَةِ)

(٤) - أَفَلَا تَأْسَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُوَادُّونَ الْكَافِرِينَ بِأَيْبِهِمْ إِبْرَاهِيمَ، وَأَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ، حِينَ قَالُوا لِقَوْمِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ: إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَجَحَدْنَا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَنْكُرْنَا عِبَادَتَكُمْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ حِجَارَةٍ وَأَوْثَانٍ وَأَصْنَامٍ، وَقَدْ أَعْلَنَّا الْحَرْبَ عَلَيْكُمْ، فَلَا هَوَادَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَسَبَقُنِي عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَتُوَحِّدُوهُ، وَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ وَلَا وَلَدَ، وَتَتَخَلَّصُوا مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ.

وَلَكُمْ فِي أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ أُسْرَةٌ حَسَنَةٌ تَتَّسُونَ بِهَا، وَتَعْتَبِرُونَ بِهَا فِي مَسَلِكِكُمْ وَعِبَادَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَنْتُوا مِنْ تَصَرُّفَاتِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي تَقْتَدُونَ بِهَا

١. إِنْ يَتَقَفُّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللِّسَنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ

٢. لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

٣. قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَّلْنَا بُيُوتَنَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْبُغْضَاءِ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ

إِلَّا اسْتِغْفَارُهُ لِأَبِيهِ الَّذِي بَقِيَ مُضِيماً عَلَى الْكُفْرِ، فَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ: إِنَّهُ سَيَسْتَغْفِرُ لَهُ اللَّهُ، وَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ، فَالْأَمْرُ مَرْدُودٌ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَ. وَلَكِنَّ هَذَا الْقَوْلَ صَدَرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ حِينَمَا وَعَدَهُ أَبُوهُ بِأَنَّهُ سَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيَتَّبِعُهُ فِيمَا يَعْبُدُ. فَلَمَّا تَبَيَّنَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ أَبَاهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ.

وَحِينَمَا فَارَقَ إِبْرَاهِيمُ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ قَوْمَهُمْ لَجُّوْا إِلَى اللَّهِ مُتَضَرِّعِينَ قَائِلِينَ: رَبَّنَا إِنَّا أَعْتَمَدْنَا عَلَيْكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا (تَوَكَّلْنَا)، وَرَجَعْنَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِنَا، وَإِلَيْكَ مَصِيرُنَا حِينَ تَبْعَثُنَا مِنْ قُبُورِنَا لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ. فَاقْتَدُوا بِهِمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَقُولُوا مِثْلَ قَوْلِهِمْ. أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ - قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي التَّوْبَةِ مِنَ الضَّالِّينَ. بَرَاءٌ مِنْكُمْ - أَبْرِيَاءٌ مِنْكُمْ. إِلَيْكَ أَتَيْنَا - إِلَيْكَ رَجَعْنَا تَائِبِينَ.

(٥) - رَبَّنَا وَلَا تَنْسَلِطْ قَوْمَنَا الْكَافِرِينَ عَلَيْنَا، وَلَا تَجْعَلْهُمْ يَظْهَرُونَ عَلَيْنَا، فَيَعْمَلُوا عَلَى فِتْنَتِنَا عَنْ دِينِنَا بِالْعَذَابِ وَالنَّكَالِ. وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا ظَهَرُوا عَلَيْنَا لِأَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ فِيمَا يَقُولُونَ، وَفِيمَا يَعْبُدُونَ، رَبَّنَا وَاسْتَرْ ذُنُوبَنَا عَنْ غَيْرِكَ، وَاعْفُ عَنَّا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، إِنَّكَ يَا رَبُّ أَنْتَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَضَامُ، الْحَكِيمُ فِيمَا تَشْرَعُ، وَفِيمَا تَقْضِي. لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً - مَفْتُونِينَ بِهِمْ، مُعَذِّبِينَ بِأَيْدِيهِمْ.

(يَرْجُو)

(٦) - لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ، قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ، وَأَسْوَةٌ تَتَأَسَوْنَ بِهَا، لِمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَطْمَعُ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ. وَمَنْ يُعْرِضُ عَمَّا دَعَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَسْتَكْبِرُ وَيُؤَالِ أَعْدَاءَ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ بِذَلِكَ إِلَّا نَفْسَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْهُ وَعَنْ إِيْمَانِهِ وَعَنْ طَاعَتِهِ، مَحْمُودٌ بِأَنْعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ عَلَى خَلْقِهِ.

(٧) - ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ تَطْيِيباً لِقُلُوبِهِمْ، إِنَّهُ قَدْ يَغْرُسُ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ مِنْ أَهْلِهِمْ وَمِنْ أَقْرَبَائِهِمْ مَحَبَّةَ الْإِسْلَامِ، فَيَتِمُّ التَّوَادُّ، وَيَتِمُّ التَّصَافِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يُعَادُونَهُمْ، وَيَقَاطِعُونَهُمْ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ قَدِيرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ، غَفُورٌ لِحَظِيئَةِ الَّذِينَ أَلْقُوا إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ إِذَا تَابُوا مِنْهَا، رَحِيمٌ بِهِمْ، فَلَا يُعَذِّبُهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ.

مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَتَيْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ



(يُنْهَأُكُمْ) (يُقَاتِلُوكُمْ) (دِيَارُكُمْ)

(٨) - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنْهَأُكُمْ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، وَلَمْ يُعَاوَنُوا فِي إِخْرَاجِكُمْ مِنْهَا، وَلَا يَمْنَعُوكُمْ مِنْ إِكْرَامِهِمْ، وَمَنْجِهِمْ صِلَتَكُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَهْلَ الْبِرِّ وَالتَّوَّاصِلِ.

(وَرَوَى فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ قُتَيْلَةَ أُمَّ أَسْمَاءَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ قَدِمَتْ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ بِهَذَا فَرَفَضَتْ أَسْمَاءَ أَنْ تَقْبَلَ الْهَدَايَا مِنْهَا، وَأَنْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا، فَجَاءَتْ إِلَى أُخْتِهَا عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ تَسْأَلُهَا فِي ذَلِكَ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، فَأَمَرَهَا الرَّسُولُ بِإِدْخَالِهَا بَيْتَهَا، وَبِأَنْ تَقْبَلَ مِنْهَا هَدِيَّتَهَا.

تَبَرُّوهُمْ - تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ وَتُكْرِمُوهُمْ.

وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ - تَقْضُوا إِلَيْهِمْ بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ.

(يُنْهَأُكُمْ) (قَاتِلُوكُمْ) (دِيَارُكُمْ) (ظَاهَرُوا) (فَأُولَئِكَ) (الظَّالِمُونَ)

(٩) - إِنَّمَا يُنْهَأُكُمْ اللَّهُ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ نَاصَبُوكُمُ الْعِدَاءَ فِي الدِّينِ فَقَاتِلُوكُمْ، وَأَخْرِجُوكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ وَدِيَارِكُمْ، وَأَعَانُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ، فَهَؤُلَاءِ يُنْهَأُكُمْ اللَّهُ عَنْ مُوَالَاتِهِمْ، وَعَنْ اتِّخَاذِهِمْ أَنْصَارًا، وَيَأْمُرُكُمْ بِمَعَادَاتِهِمْ.

وَيُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْوَعْدَ عَلَى مُوَالَاتِهِمْ فَيُبَيِّنُ: أَنَّ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الْمُؤْذِينَ هُمْ الظَّالِمُونَ لِأَنَّهُمْ خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ قَوْلًا أَعْدَاءَهُ وَأَعْدَاءَهُمْ.

ظَاهَرُوا - عَاوَنُوا.

أَنْ تَوَلَّوْهُمْ - أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (الْمُؤْمِنَاتِ) (مُهَاجِرَاتِ) (بِإِيمَانِهِنَّ)

(مُؤْمِنَاتِ) (وَأَتَوْهُنَّ) (اتَّبِعُوهُنَّ) (وَأَسَأَلُوا) (وَلَيْسَأَلُوا)

(١٠) - كَانَ مِنْ شُرُوطِ صَلَاحِ الْحُدُودِ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَقُرَيْشٍ أَنَّ الرَّسُولَ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَّا رَدَّهُ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ. وَخِلَالَ فِتْرَةِ الصَّلَاحِ جَاءَتْ الرَّسُولَ فِي الْمَدِينَةِ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ مُسْلِمَةً فَجَاءَ أَخَوَاهَا إِلَى الرَّسُولِ يَسْأَلَانِهِ رَدَّهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، يَنْقُضُ بِهَا عَهْدَ الْحُدُودِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ

لَا يُنْهَأُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ

يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ

مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا

إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

إِنَّمَا يُنْهَأُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتِلُوكُمْ

فِي الدِّينِ وَأَخْرِجُوكُمْ مِنْ

دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ

تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ

هُمْ الظَّالِمُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ

الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ

اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ

مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ

لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ

وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

أَنْ تَنْكِحُوهُمْ إِذَا آتَيْنَاهُمُ
أُجُورَهُمْ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ
الْكُوفِرِ وَتَسْتُلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمُ
مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

بِالنِّسَاءِ خَاصَّةً، فَمَنَعَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْ يَرُدُّوا الْمُؤْمِنَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ
إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ الْاِمْتِحَانِ.

وَبَيَّنَ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا جَاءَكُمْ، يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، النِّسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ
مُهَاجِرَاتٌ مِنْ بَيْنِ الْكُفَّارِ، فَاخْتَبِرُوا حَالَهُنَّ، لَتَعْلَمُوا صِدْقَ إِيمَانِهِنَّ،
لِأَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَحِلُّونَ لِلْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُؤْمِنَاتِ لَا يَحِلُّنَ لِلْكَفَّارِ.
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِلْمُهَاجِرَاتِ:

(يَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا خَرَجْتُ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ، يَا اللَّهُ مَا خَرَجْتُ
رَغْبَةً بِأَرْضٍ عَنْ أَرْضٍ، يَا اللَّهُ مَا خَرَجْتُ التَّمَّاسًا لِلدُّنْيَا، يَا اللَّهُ مَا خَرَجْتُ
إِلَّا حُبًّا يَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ).

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَعْلَمَ بِإِيمَانِ الْمُهَاجِرَاتِ مِنْكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ. ثُمَّ
بَيَّنَ تَعَالَى الْحُكْمَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ:

فَقَالَ: أَعْطُوا أَزْوَاجَ الْمُؤْمِنَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ مِنَ الْكُفَّارِ مِثْلَ مَا دَفَعُوا مِنَ
الْمُهْجُورِ، وَلَا إِنَّمْ عَلَى الرِّجَالِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَنْ يَنْكِحُوا هَؤُلَاءِ
الْمُهَاجِرَاتِ، بِشَرْطِ أَنْ يَتَّعِدُوا بِأَنْ يُؤَدُّوا إِلَيْهِنَّ مُهْرَهُنَّ، وَلَا يَنْبَغِي
لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَزَوَّجُوا الْمُشْرِكَاتِ، وَلَا أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِعَقْدِ زَوْجِيَّةِ
الْكَافِرَاتِ الْبَاقِيَّاتِ فِي دَارِ الشَّرْكِ، وَإِذَا لَحِقَتْ أَمْرًا كَافِرَةً هِيَ زَوْجَةٌ
لِمُسْلِمٍ بِالْكَفَّارِ - بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ - فَلِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْأَلُوا الْكُفَّارَ
مَهْرَهَا الَّذِي دَفَعَهُ زَوْجُهَا الْمُسْلِمَ، وَلَيْسَ لَكُمْ الْكُفَّارَ دَفْعَ مُهْرٍ نِسَائِهِمْ
الْمُؤْمِنَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ.

وَذَلِكَ الَّذِي ذَكَرَ هُوَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَاتَّبِعُوهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ فَلَا يَشْرَعُ
إِلَّا مَا فِيهِ الْحِكْمَةُ.

فَاتَّخِذُوهُمْ - فَاخْتَبِرُوهُمْ - وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْتَبِرُهُنَّ بِالتَّحْلِيلِ.
أُجُورَهُنَّ - مُهْرَهُنَّ.

بِعِصَمِ الْكُوفِرِ - بِعُقُودِ نِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ.

(أَزْوَاجُكُمْ) (فَاتُوا) (أَزْوَاجُهُمْ)

(١١) - وَإِذَا ذَهَبَ زَوْجَاتُكُمُ الْكَافِرَاتُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَلَمْ يَدْفَعُوا
إِلَيْكُمْ الْمُهْرَ الَّذِي سَبَقَ أَنْ دَفَعْتُمُوهُنَّ لَهُنَّ، ثُمَّ ظَهَرْتُمْ بِالْمُشْرِكِينَ،
وَأَنْتَصَرْتُمْ عَلَيْهِمْ، فَأَعْطُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ زَوْجَاتُهُمْ الْمُشْرِكَاتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ
مِثْلَ مَا دَفَعُوا إِلَيْهِنَّ مِنْ صِدَاقٍ، وَخَافُوا اللَّهَ الَّذِي تَوَكَّلُونَ بِهِ، فَأَدُّوا
فَرَائِضَهُ، وَالتَّزَمُوا بِأَوَامِرِهِ.

(وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ: إِذَا فَرَّتْ مُشْرِكَةٌ هِيَ زَوْجَةٌ لِمُسْلِمٍ إِلَى الْكُفَّارِ
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ، وَلَمْ يَدْفَعُوا إِلَيْهَا زَوْجَهَا شَيْئًا، فَإِذَا جَاءَتْ مِنْهُمْ

❶ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمُ إِلَى
الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَاتُوا الَّذِينَ
ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ

أَمْرًا مُسْلِمَةً فَلَا يُدْفَعُ إِلَى زَوْجِهَا شَيْءٌ حَتَّى يَدْفَعُوا إِلَى الْمُسْلِمِ زَوْجَ
الذَّاهِبَةِ إِلَيْهِمْ مِثْلًا مَنَّفَقَ عَلَيْهَا.
وَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ: يُؤَدَّى إِلَيْهِمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ أَنْ تُخَمَّسَ.

(يَا أَيُّهَا) (الْمُؤْمِنَاتُ) (أُولَا ذَهْنُ) (بِهْتَانِ)

(١٢) - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا
يُشْرَكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِنْ صَنْمٍ أَوْ حَجَرٍ، وَلَا يَسْرِقْنَ مِنْ مَالِ النَّاسِ شَيْئًا،
وَلَا يَزْنِينَ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِهْتَانٍ بَغْيَرِيَّةٍ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ
وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ
وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
(بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ) وَلَوْلَدَهُنَّ مِنْ أَرْحَامِهِنَّ (بَيْنَ أَرْجُلِهِنَّ) وَلَا يَخَالَفَنَّكِ فِيمَا أَمَرْتَهُنَّ بِهِ، أَوْ
فِيمَا تَنْهَاهُنَّ عَنْهُ مِنْ مَعْرُوفٍ، كَالْامْتِنَاعِ عَنِ النَّوْحِ وَشَقِّ الْحُبُوبِ،
وَعَلَى الْأُتَى تَخْلُو الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ ذِي رَحِمٍ مُحَرَّمٍ، فَبَايَعَهُنَّ عَلَى ذَلِكَ،
وَالْتَزِمَ لَهُنَّ بِالْوَفَاءِ بِالثَّوَابِ إِنْ هُنَّ وَفَيْنَ فِيمَا بَايَعْتَكِ عَلَيْهِ، وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ
اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِنَّ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.
بِهْتَانٍ - بِالْصَّاقِ اللَّفْظَاءِ بِالْأَزْوَاجِ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (يَسُوءُوا) (أَصْحَابِ) (يَسْ)

(١٣) - وَبَعْدَ أَنْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَادَّةِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَوَّلِ
السُّورَةِ، عَادَ تَعَالَى فَكَّرَرَ هَذَا النَّهْيَ فِي آخِرِهَا فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ
لَا تَوَالُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ،
وَأَسْتَحَقُّوا الطَّرْدَ مِنْ رَحْمَتِي، وَلَا تَتَّخِذُوهُمْ أَصْدِقَاءَ لَكُمْ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ
بِمَا يَضُرُّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ قَدْ يَسُوءُوا مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّجَاةِ
فِي الْآخِرَةِ لِعِبَادِهِمْ، وَإِضْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ...
كَمَا يَسُوءُ الْكُفَّارُ مِنْ بَعْثِ مَوْتَاهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ بِبَعْثٍ وَلَا حَشْرِ
وَلَا حِسَابٍ.

لَا تَتَوَلَّوْا - لَا تَتَّخِذُوا أَوْلِيَاءَ
قَوْمًا - هُمُ الْيَهُودُ أَوْ الْكُفَّارُ عَامَّةً.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ
عَلَى أَنْ لَا يُشْرَكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ
وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِهْتَانٍ بَغْيَرِيَّةٍ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ
وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ
وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُوءُوا فِي الْآخِرَةِ
كَمَا يَسُوءُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ

(٦١) سُورَةُ الصَّفِّ مَدِينَةٍ وَأَنبِيَاؤُهَا زَانِجٌ عَشِيدَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(السَّمَاوَاتِ)

(١) - نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَشَهِدَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، جَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ تَعَالَى الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَخَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَتَذْيِيرِهِ.
سَبَّحَ - نَزَّهَ وَمَجَّدَ وَذَلَّ عَلَيْهِ تَعَالَى.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا)

(٢) - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَعِدُ وَعْدًا، أَوْ يَقُولُ قَوْلًا لَا يَفِي بِهِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: لِأَيِّ شَيْءٍ تَقُولُونَ لَوَدِدْنَا أَنْ نَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ، حَتَّى إِذَا طُلِبَ مِنْكُمْ فِعْلُ ذَلِكَ كَرِهْتُمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَفْعَلُوهُ؟..
(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أَتَمَنَ خَانَ).
(وَرَوَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حِينَمَا تَمَنَّى الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ، فَلَمَّا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَكَلَ بَعْضُهُمْ عَنْهُ).

(٣) - وَأكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْكَارَهُ هَذَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ يَكْرَهُ كُرْهًا شَدِيدًا أَنْ تَقُولُوا شَيْئًا لَا تَفْعَلُونَهُ لِأَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ يُنَمِّي الثِّقَةَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْجَمَاعَةِ، كَمَا أَنَّ فَشْرَ الْخُلْفِ بِالْوَعْدِ يُضْعِفُهَا.
كَبُرَ مَقْتًا - عَظُمَ بُغْضًا بَالِغَ الْغَايَةِ.

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ
مَا لَا تَفْعَلُونَ

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا
مَا لَا تَفْعَلُونَ

(يُقَاتِلُونَ) (بُيَّانَ)

(٤) - قَالَ الْمُؤْمِنُونَ لَوْ نَعْلَمُ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ لَعَمَلْنَاهُ، فَدَلَّهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ، فَبَيَّنَ لَهُمْ: أَنَّهُ يُحِبُّ مَنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ أَنْ يَقِفُوا أَثْنَاءَ الْقِتَالِ صَفًّا، لَا فُرْجَةَ بَيْنَهُمْ، وَكَانَتْهُمْ بُيَّانَ مُشْدُودَ مَرْصُوصٍ، مُتَلَاحِمٍ الْأَجْزَاءِ، لِأَنَّ هَذَا التَّرَاصُ أَثْنَاءَ الْقِتَالِ يُقَوِّي مَعْنَوِيَّاتِ الْجُنْدِ، وَلَا يَتْرُكُ لِلْعَدُوِّ فُرْجَةً بَيْنَ صُفُوفِهِمْ يَنْفُذُ مِنْهَا. صَفًّا - صَافِينَ أَنْفُسَهُمْ أَوْ مَصُوفِينَ. بُيَّانَ مَرْصُوصٍ - مُتَلَاحِمٍ مُحْكَمٍ لَا فُرْجَةَ فِيهِ

(يَا قَوْمِ) (الْفَاسِقِينَ)

(٥) - وَيُسَلِّي اللَّهُ تَعَالَى عَبْدَهُ مُحَمَّدًا عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ وَإِذْأَتَاهُمْ، فَذَكَرَهُ رَبُّهُ بِمَا لَاقَاهُ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ قَوْمِهِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُؤْذُونَنِي وَتُخَالِفُونَ أَمْرِي، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ صِدْقِي، فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رِسَالَةِ رَبِّي، فَلَمَّا عَدَلُوا عَنْ أَتْبَاعِ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَأَصْرُوا عَلَى ذَلِكَ، صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْهُدَى، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ. رَاغُوا - تَنَكَّبُوا طَرِيقَ الْحَقِّ عَمْدًا. أَرَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ - صَرَفَهُمْ عَنِ التَّوْفِيقِ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ.

(يَا بَنِي) (إِسْرَائِيلَ) (التَّوْرَةَ) (بِالْبَيِّنَاتِ)

(٦) - وَأَذْكُرُ لِقَوْمِكَ إِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّهُ مُصَدِّقٌ بِالتَّوْرَةِ وَيَكْتُبُ اللَّهُ وَأَنْبِيَائِهِ جَمِيعًا، وَإِنَّهُ جَاءَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي بَعْدَهُ أَسْمُهُ أَحْمَدُ، وَدَاعِيًا إِلَى التَّصَدِيقِ بِهَذَا الرَّسُولِ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَحْمَدُ الْمُبَشِّرُ بِهِ بِالْأَدْلَةِ الْوَاضِحَةِ، وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ كَذَّبُوهُ، وَقَالُوا عَمَّا جَاءَهُمْ: إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ وَاضِحٌ بَيْنَ. (وَقَدْ جَاءَ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنَ السَّفَرِ الْخَامِسِ مِنَ التَّوْرَةِ الْبَشَارَةُ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِيِ: (يَا مُوسَى إِنِّي سَأَقِيمُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ أَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ مَا أَمُرُهُ بِهِ، وَالَّذِي لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ النَّبِيُّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِأَسْمِي، أَنَا أَنْتَقِمُ مِنْهُ وَمَنْ سَبَطَهُ). وَجَاءَ فِي الْإِصْحَاحِ ٢١ مِنْ سَفَرِ أَشْعِيَا بَشَارَةُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِيِ:

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيَّانَ مَرْصُوصٍ

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُولُ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ

«وَحْيِي مِنْ جِهَةِ بِلَادِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ تَبَيَّنَ يَا قَوَائِلَ الدُّدَانِيِّينَ. هَاتُوا مَاءَ لِمَلَأَقَةِ الْعَطْشَانِ يَا سُكَّانَ أَرْضِ تِيَمَاءَ وَأَفُوا الْهَارِبَ بِخَبْرِهِ. فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا، مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُوبِ وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ. فَإِنَّهُ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الْأَجِيرِ يَفْتِي كُلَّ مُجِدِّ قَيْدَارٍ وَبَقِيَّةُ عَدَدٍ قِسِّي أَبْطَالِ بَنِي قَيْدَارٍ تَقِلُّ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ».

«وَهَذِهِ النُّبُوَّةُ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى هِجْرَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى يَثْرِبَ، بَعْدَ أَنْ تَزَايَدَ إِيْدَاءُ قُرَيْشٍ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ إِنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى نَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ عَلَى قُرَيْشٍ أَخْفَادِ عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ (وَعَدْنَانُ هُوَ قَيْدَارُ) وَتَحْطِيمِ جَبَرُوتِ قُرَيْشٍ وَسُلْطَانِهَا بِقَتْلِ كِبَرَاتِهَا، وَأَسْرِ أَعْدَادِ مِنْهُمْ، وَقَدْ جَرَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ بَعْدَ عَامٍ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى يَثْرِبَ».

وَجَاءَتِ الْبَشَارَةُ بِمُحَمَّدٍ فِي الْإِنْجِيلِ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

(قَالَ يَسُوعُ: إِنَّ الْفَارَقْلِيْطَ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي يُرْسِلُهُ أَبِي يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ) (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا - الْفَصْلُ ١٥ - وَالْفَارَقْلِيْطَ لَفْظٌ يَعْنِي الْحَمْدَ، وَقَدْ فَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ بِالْحَامِدِ وَالْحَمْدِ).

(الْإِسْلَامُ) (الظَّالِمِينَ)

(٧) - لَا أَحَدَ أَكْثَرَ ظُلْمًا مِمَّنْ يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَيَجْعَلُ لَهُ أُنْدَادًا وَشُرَكَاءَ، أَوْ أَبْنَاءَ وَصَاحِبَةً. . . وَهُوَ يُذْعَى إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ، وَالْإِسْلَامِ لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُرْسِدُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَصَلَاتُهُمْ، لِأَنَّهُمْ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ، وَآزَتْكَبُوا الْمُؤَبَقَاتِ، فَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَجَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً، فَلَمْ يَعُودُوا يَعْرِفُونَ سَبِيلَ الْهُدَى.

(بِأَفْوَاهِهِمْ) (الْكَافِرُونَ)

(٨) - وَمَثَلُ هَؤُلَاءِ فِي مُقَاوَمَتِهِمْ لِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَسَعْيِهِمْ فِي إِخْمَادِ نُورِ الدِّينِ، مَثَلُ مَنْ يَنْفُخُ فِيهِ لِيُطْفِئَ نُورَ الشَّمْسِ، وَيُزِيلَ ضِيَاءَهَا، وَأَنَّى لَهُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَأَمْرِهِ، وَمُظْهِرُ دِينِهِ، وَنَاصِرُ رَسُولِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ذَلِكَ.

نُورُ اللَّهِ - الْحَقُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ.

﴿٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

﴿٨﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ

(٩) - اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ مُحَمَّدًا بِالْقُرْآنِ وَفِيهِ هُدًى لِلنَّاسِ ،
وَبِالْإِسْلَامِ دِينَ الْحَقِّ لِيُعْلِيَهُ وَيُظْهِرَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ جَمِيعاً ، وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ .

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (تِجَارَةً)

(١٠) - يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَالْمُصَدِّقُونَ بِرُسُلِهِ وَكِتَابِهِ وَآيَاتِهِ ، أَلَا
تُرِيدُونَ أَنْ أَدْلُكُمْ عَلَى صَفَقَةٍ رَابِعَةٍ ، وَتِجَارَةٍ نَافِعَةٍ ، تَفُوزُونَ فِيهَا
بِالرَّابِحِ الْعَظِيمِ ، وَتَقْذَرُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟

(تُجَاهِدُونَ) (بِأَمْوَالِكُمْ)

(١١) - وَهَذِهِ الصَّفَقَةُ هِيَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَتَصَدِّقُوا بِرُسُولِهِ مُحَمَّدٍ ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَتُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ
رَفْعِ كَلِمَةِ اللَّهِ ، وَعِزَّةِ دِينِهِ ، بِأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ، كَانَ
ذَلِكَ خَيْرًا لَكُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا : مِنَ النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالزَّوْجِ
وَالْوَلَدِ ، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ
الْمُجَاهِدِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ .

(جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارُ) (وَمَسَاكِينٍ) (جَنَاتٍ)

(١٢) - وَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ سَتَرَ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ وَمَحَاَهَا ، وَأَدْخَلَكُمْ جَنَاتٍ
تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا ، وَأَسْكَنْكُمْ مَسَاكِينَ طَيِّبَةً تَقْرَأُ بِهَا الْعُيُونُ ، وَهَذَا
هُوَ مُنْتَهَى مَا تَصْبُو إِلَيْهِ النَّفُوسُ ، وَهُوَ الْفَوْزُ الَّذِي لَا فَوْزَ أَعْظَمَ مِنْهُ .

(١٣) - وَلَكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، مَعَ
الْفَوْزِ فِي الْآخِرَةِ ، الَّذِي وَعَدَكُمْ اللَّهُ بِهِ ، نِعْمَةٌ أُخْرَى تُجِبُونَهَا ، وَهِيَ
نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ ، وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ، تَجْنُونَ مَغَانِمَهُ ، وَبَشَرٌ يَا مُحَمَّدُ الْمُؤْمِنِينَ
بِهَذَا الْحِزَاءِ .

وَأُخْرَى - وَلَكُمْ مِنَ النَّعْمِ نِعْمَةٌ أُخْرَى .

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (لِلْحَوَارِيِّينَ) (فَأَمَنْتَ) (طَائِفَةً) (إِسْرَائِيلَ)
(آمَنُوا) (ظَاهِرِينَ)

(١٤) - يَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنْ يَكُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ فِي جَمِيعِ
أَحْوَالِهِمْ : بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَأَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيزُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ
فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

وَأُخْرَى تُجِيبُونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ
قَرِيبٌ وَبَشَرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ
اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ

فَأَمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَكَفَرَتْ طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ

وَلِلرُّسُولِ، كَمَا اسْتَجَابَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَىٰ حِينَمَا سَأَلَهُمْ: مَنْ يُعِينُنِي
فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَوَارِيُّونَ: إِنَّهُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ، وَإِنَّهُمْ
سَيِّعُونَهُ وَسَيَوَازِرُونَهُ فِيمَا يَقُومُ بِهِ مِنْ إِبْلَاحِ رِسَالَةِ رَبِّهِ، فَأَمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ
بَنِي إِسْرَءِيلَ بِرِسَالَةِ عِيسَى، وَكَفَرَتْ طَّائِفَةٌ فَجَحَدَتْ نُبُوَّتَهُ، وَرَمَتْهُ وَأَمَّهُ
بِالْبُهْتَانِ، وَغَلَتْ فِرْقٌ مِنْهُمْ فِي عِيسَى، فَقَالُوا: إِنَّهُ اللَّهُ، أَوْ إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ،
أَوْ إِنَّهُ نَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَرَفَعُوهُ فَوْقَ مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ. فَأَيَّدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْمُخْلِصِينَ بِرِسَالَةِ عِيسَى بِنَصْرِهِ، وَأَظْهَرَهُمْ عَلَىٰ مَنْ عَادَاهُمْ، وَتِلْكَ
سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ.

الْحَوَارِيُّونَ - أَصْفِيَاءُ عِيسَى وَخَوَاصُّهُ.

فَأَيَّدْنَا - فَقَوَّيْنَا الْمُخْلِصِينَ بِالْإِيمَانِ.

ظَاهِرِينَ - غَالِبِينَ بِالْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ.

(٦٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(السَّمَاوَاتِ)

(١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، وَهُوَ تَعَالَى الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَقْدِرْتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَهُوَ الْمُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ النِّقْصِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ. سَبِّحَ - نَزَّهَ وَمَجَّدَ.

الْمَلِكُ - مَالِكُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

الْقُدُّوسُ - الْمُنَزَّهُ عَنِ النِّقَاصِ.

الْعَزِيزُ - الْقَادِرُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ.

(الْأَمِينِ) (يَتْلُو) (آيَاتِهِ) (الْكِتَابِ) (ضَلَالٍ)

(٢) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولًا فِي الْعَرَبِ الْأَمِينِ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ أَمِيٌّ مِنْهُمْ. لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ لِيَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى، لِيُطَهِّرَهُمْ مِنْ خَبَائِثِ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ، وَلِيَعَلِّمَهُمُ الشَّرَائِعَ وَالْأَحْكَامَ، وَحِكْمَتَهَا وَأَسْرَارَهَا، وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَمِيُونُ، قَبْلَ إِرْسَالِ النَّبِيِّ إِلَيْهِمْ، فِي ضَلَالٍ بَيْنَ عَن جَادَةِ الْهُدَى، إِذْ إِنَّ الْعَرَبَ كَانُوا قَبْلًا عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ أَتْبَعُوا عَنْ التَّوْحِيدِ، وَتَسَرَّبَتِ الضَّلَالَاتُ إِلَى عَقِيدَتِهِمْ، فَأَصْبَحُوا مُشْرِكِينَ.

الْأَمِينُ - الْعَرَبُ - وَالْأَمِيٌّ هُوَ مَنْ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ.

يُزَكِّيهِمْ - يُطَهِّرُهُمْ مِنْ أَدْنَسِ الْجَاهِلِيَّةِ.

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَلِكِ

الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

الجزء
٥٦

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا

مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

(آخِرِينَ)

(٣) - وَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا إِلَى أُمَّةٍ أُخْرَى غَيْرِ الْعَرَبِ لَمْ يَجِئُوا بَعْدُ، وَسَيَجِئُونَ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَزِيزُ ذُو السُّلْطَانِ، الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْ أُمَّةِ الْعَرَبِ الَّتِي كَانَتْ مُسْتَضْعَفَةً أُمَّةً قَوِيَّةً قَادِرَةً عَلَى نَشْرِ دِينِ اللَّهِ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ.
لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ - لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ بَعْدُ، وَلَكِنْ سَيَلْحَقُونَ.
آخِرِينَ مِنْهُمْ - مِنَ الْعَرَبِ.

(٤) - وَإِنْ إِرْسَالُ الرُّسُولِ إِلَى الْبَشَرِ لِيُطَهِّرَهُمْ وَيُزَكِّيَهُمْ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ، هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ، وَإِحْسَانٌ مِنْهُ إِلَى عِبَادِهِ، يَمُنُّ بِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ يَصْطَفِيهِمْ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ تَعَالَى عَظِيمُ الْفَضْلِ عَلَيْهِمْ.

(التَّوْرَةِ) (بَيِّنَاتٍ) (الظَّالِمِينَ)

(٥) - لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَسُولًا قَالِ الْيَهُودُ: إِنَّ الرُّسُولَ لَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهِمْ، فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُبَيِّنًا: لَوْ أَنَّهُمْ فَهَمُوا التَّوْرَةَ حَقَّ الْفَهْمِ، وَعَمِلُوا بِمَا فِيهَا، لَرَأَوْا فِيهَا نَعْتَ مُحَمَّدٍ وَالْبَشَارَةَ بِهِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَتْبَاعُهُ، وَمَا مَثَلُهُمْ فِي حَمْلِهِمُ التَّوْرَةَ، وَتَرْكِهِمُ الْعَمَلَ بِمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامٍ، إِلَّا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ الْكُتُبَ وَهُوَ لَا يَذَرِي مَا فِيهَا. وَكَذَلِكَ حَالُ الْيَهُودِ فِي حَمْلِهِمُ التَّوْرَةَ، فَقَدْ حَفِظُوهَا لَفْظًا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْفَعْمُوهَا، فَهُمْ أَسْرَأُ حَالًا مِنَ الْحِمَارِ. وَمَا أَقْبَحَ هَذَا الْمَثَلَ مَثَلًا لَهُمْ لِيَتَكَذَّبَهُمْ بَيِّنَاتُ اللَّهِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، لَوْ كَانُوا يَتَفَكَّرُونَ وَيَتَذَبَّرُونَ. وَاللَّهُ لَا يُوفِّقُ إِلَى الْهُدَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ.

حُمِّلُوا التَّوْرَةَ - كُلُّفُوا الْعَمَلَ بِمَا فِيهَا.

يَحْمِلُ أَسْفَارًا - يَحْمِلُ كُتُبًا عِظَامًا وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا.

(يَا أَيُّهَا) (صَادِقِينَ)

(٦) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ إِذَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلَى حَقٍّ وَهُدًى، وَأَنْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَادْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى الضَّالِّ مِنَ الْفِتْنَيْنِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَاجِبَاؤُهُ. هَادُوا - دَانُوا بِالْيَهُودِيَّةِ.

وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ
أَسْفَارًا يَتَّبِعُ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ
رَعِمْتُمْ أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(بِالظَّالِمِينَ)

(٧) - وَلَا يَتَمَنَّى هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الْمَوْتَ أَبَدًا لِعِلْمِهِمْ بِسُوءِ مَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْفُجُورِ، وَلِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَمَاتُوا لِسَاعَتِهِمْ. وَلَازَلَّ اللَّهُ بِهِمْ عَذَابَهُ الشَّدِيدَ - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ وَسُوءِ الْعَمَلِ، وَسِعِدَتْ بِهِمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

(مَلَائِكُمْ) (عَالِمٍ) (الشَّهَادَةِ)

(٨) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الْفِرَارَ مِنَ الْمَوْتِ لَا يُجْدِيهِمْ نَفْعًا، وَإِنَّهُ سِلَاقِيهِمْ جَنِيمًا يَجِينُ أَجْلَهُمْ، لَا يَصْرِفُهُ عَنْهُمْ صَارْفٌ، وَأَيَّامُ الْحَيَاةِ مَعْدُودَةٌ، وَهِيَ سَتَقْضِي مَهْمًا طَالَ أَمْدُهَا، ثُمَّ تَرْجِعُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى عَالِمٍ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَالِمٍ مَا هُوَ مُشَاهِدٌ فِيهَا، فَيُخَبِّرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (لِلصَّلَاةِ)

(٩) - يُحَثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى تَرْكِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَعَلَى السَّعْيِ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ إِلَى الْمَسَاجِدِ، حِينَمَا يُؤَدُّنَ الْمُؤَدَّنَ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، لِلِاسْتِمَاعِ إِلَى مَوَاعِظِ الْخُطَبَاءِ، وَلِإِدَاءِ الصَّلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ. وَذَلِكَ السَّعْيُ إِلَى الصَّلَاةِ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَأَبْقَى مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، هَذَا إِنْ كَانَ الْمُحَاطَبُونَ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ الصَّحِيحِ بِمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ. (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتَوْهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ (أَيُّ تُسْرِعُونَ) وَأَتَوْهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا). (رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ). (وَالسَّعْيُ هُنَا مَعْنَاهُ الْاهْتِمَامُ بِالصَّلَاةِ وَلَيْسَ الشَّرْعَةُ).
ذُرُوا - أَتْرَكُوا الْبَيْعَ وَتَفَرَّغُوا لِلْعِبَادَةِ.

(الصَّلَاةِ)

(١٠) - فَإِذَا أَدَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَتَفَرَّقُوا لِمُبَاشَرَةِ مَصَالِحِكُمُ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَأَسْأَلُوا اللَّهَ الرِّزْقَ الْحَلَالَ، وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا أَثْنَاءَ بَيْعِكُمْ وَشِرَائِكُمْ، وَلَا تَتْرَكُوا الدُّنْيَا تَشْغَلُكُمْ عَمَّا يَنْفَعُكُمْ فِي الْآخِرَةِ، لَعَلَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تُفْلِحُونَ، وَتَقْوُزُونَ بِرِضَا اللَّهِ، وَحَسَنِ نَوَائِهِ. أَتَنْشَرُوا - تَفَرَّقُوا طَلَبًا لِحَوَائِجِكُمْ.

٧ وَلَا يَنْمَوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ

٨ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ

مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ

إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّ

لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ

فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ

١٠ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا

فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ

اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ

(تَجَارَةً) (قَائِمًا) (التَّجَارَةِ) (الرَّازِقِينَ)

(١١) - قَدِمْتُ عِيرَ تِجَارَةٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَخَرَجَ النَّاسُ، وَبَقِيَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يُعَاتِبُ فِيهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنْصَرَفِهِمْ عَنِ الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى التَّجَارَةِ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا رَأَوْا عِيرَ تِجَارَةٍ، أَوْ لَهُوَ أَسْرَعُوا إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا الرَّسُولَ قَائِمًا يَخْطُبُ فِي النَّاسِ. فَقُلْ لَهُمْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْثَوَابِ، خَيْرٌ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ التَّجَارَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، فَاسْعَوْا إِلَيْهِ، وَأَطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنْهُ، فَلَنْ يَفُوتَكُمْ رِزْقٌ إِذَا تَأَخَّرْتُمْ لِسَمَاعِ الْخُطْبَةِ.

أَنْفَضُوا إِلَيْهَا - تَفَرَّقُوا عَنْكَ قَاصِدِينَ إِلَيْهَا.

﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

(٦٣) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْمُنَافِقُونَ) (الْمُنَافِقِينَ) (لَكَادِبُونَ)

(١) - إِذَا جَاءَ الْمُنَافِقُونَ إِلَى مَجْلِسِكَ يَا مُحَمَّدٌ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَقَدْ أَرْسَلَكَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ وَحْيَهُ وَقُرْآنَهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ لِنُبْلَغَهُمْ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْكَ رَبُّكَ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا لَكَادِبُونَ فِيمَا يَقُولُونَ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ صِدْقَ مَا يَقُولُونَ.

الْمُنَافِقُ - هُوَ الَّذِي يُظْهَرُ الْإِيمَانُ وَيَبْطِنُ الْكُفْرُ وَهُوَ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ مَا يَعْتَقِدُ.

(أَيْمَانُهُمْ)

(٢) - جَعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ أَيْمَانَهُمْ الْكَاذِبَةَ وَقَايَةً لَهُمْ لِحَقِّنْ دِمَائِهِمْ، وَحِفْظَ أَمْوَالِهِمْ فَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ، وَيَقُولُونَ نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لِيَفْتَرِ بِهِمْ مَنْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ، وَيَعْتَقِدُ بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ فَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِمْ، وَلَيْسْتَغْلُوا هَذَا الْأَطْمَئِنَّانَ إِلَيْهِمْ لِيَنْصَرِفُوا إِلَى الْعَمَلِ عَلَى صَرْفِ النَّاسِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَسَاءَ عَمَلُهُمْ وَقُبْحَ إِذْ آثَرُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَأَظْهَرُوا خِلَافَ مَا يَعْتَقِدُونَ، وَسَيَلْقَوْنَ عِقَابَ ذَلِكَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ فِي الْآخِرَةِ. جَنَّةٌ - وَقَايَةً لِنَفْسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

(أَمَنُوا)

(٣) - وَذَلِكَ الَّذِي فَعَلُوهُ إِنَّمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ لِسُوءِ سَرِيرَتِهِمْ، وَقُبْحِ طَوْيَتِهِمْ، فَاسْتَهَانُوا بِمَا يَقُولُونَ، وَكُلَّ هَمِّهِمُ الْمُحَافَظَةُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، لِذَلِكَ أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ الْإِيمَانَ وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ، وَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ

① إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَوْ أَنَّنَا

إِنَّا لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَادِبُونَ

② اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ

③ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا

فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْإِيمَانُ الْحَقُّ، فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَفْقَهُونَ.

آمَنُوا - بِالْإِسْتِثْنَاءِ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ.

فَطَعَنَ - فَخَنَّمَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ

لَا يَفْقَهُونَ - لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ.

(قَاتِلْهُمْ)

(٤) - وَإِذَا رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ تُعْجِبُكَ صُورُهُمْ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا تُعْجِبُكَ أَقْوَالُهُمْ لِأَنَّهُمْ ذَوُو صُورٍ مُتَنَاسِقَةٍ، وَذَوُو لِسَنِ وَقَصَاحَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ أَشْبَاحُ بِلَا أَرْوَاحٍ، وَقُلُوبُهُمْ فَارِعَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ فَكَانَتْهُمْ خُشْبُ جَوْفَاءٍ قَدْ نَخَّرَ السُّوسُ دَاجِلُهَا، وَهُمْ فِي غَايَةِ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ، يَحْسِبُونَ كُلَّ صَوْتٍ يَقَعُ أَنَّ الْبَلَاءَ قَدْ جَاءَهُمْ، وَأَنَّ أَمْرَهُمْ قَدْ أَفْضَحَ، وَأَنَّهُمْ هَالِكُونَ لَا مَحَالَةَ.

وهؤلاء هم الأعداء الحقيقيون للإسلام والمسلمين فلا تأمنهم على سِرٍّ، لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مُتَحَرِّقَةٌ حَسْداً وَبَغْضاً، لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَمَا أَقْبَحَ حَالَهُمْ، وَمَا أَشَدَّ غَفْلَتَهُمْ، فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَعَنِ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ؟

خُشْبُ مُسْنَدَةٍ - أَخْشَابُ مُسْنَدَةٍ إِلَى الْحَاطِطِ.

هُمُ الْعَدُوُّ - هُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعَدَاوَةِ.

أَنَّى يُؤْفَكُونَ - كَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ.

(٥) - وَإِذَا قِيلَ لَهُؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ تَعَالَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِيَسْتَغْفِرَ لَكُمْ عَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ ذُنُوبٍ وَأَثَامٍ وَنَفَاقٍ أَمَالُوا رُؤُوسَهُمْ، وَأَعْرَضُوا اسْتِكْبَاراً وَأَنفَةً أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ.

(رَوَى فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَاللَّوَاتِي تَلِيهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَأَزْدَحَمَ عَلَى الْمَاءِ أَجِيرُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَرَجُلٌ مِنْ حُلَفَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سُلُولٍ، وَأَقْتَتَلَا فَنَادَى أَجِيرُ عُمَرَ يَا لِلْمُهَاجِرِينَ. وَصَاحَ الْآخَرُ: يَا لِلْأَنْصَارِ. فَتَصَايَحَ الْقَوْمُ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سُلُولٍ لِمَنْ حَوْلَهُ: مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ، إِنَّا وَاللَّهِ لِنُزْجَعُنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّا الْأَعْزَ مِنْهَا الْأَذْلَ. وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ هَذَا مَا صَنَعْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ أَحْلَلْتُمُوهُ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَفَفْتُمْ عَنْهُمْ لَتَحَوَّلُوا عَنْكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ إِلَى غَيْرِهَا.



وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ

أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا

تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبُ

مُسْنَدَةٍ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ

عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ قَاتِلْهُمْ

اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ

لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارَهُ وَسْهُمْ

وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ

مُسْتَكْبِرُونَ

وَنَقَلَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُلَامٌ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، فَأَقْتَرَحَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى الرَّسُولِ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِضَرْبِ عُنُقِ ابْنِ أَبِي بِنِ سُلُولٍ، فَرَفَضَ الرَّسُولُ ذَلِكَ الْاِقْتِرَاحَ. وَاسْتَدْعَى الرَّسُولُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي وَسَّالَهُ عَمَّا قَالَ، فَأَنْكَرَ وَحَلَفَ إِنَّ الْغُلَامَ لَكَاذِبٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ: يَا غُلَامُ صَدَقَكَ اللَّهُ، وَكَذَّبَ الْمُنَافِقِينَ.

وَلَمَّا بَانَ كَذِبُ ابْنِ أَبِي بِنِ سُلُولٍ، قِيلَ لَهُ نَزَلَتْ فِيكَ آيٌ شِدَادٌ فَأَذْهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَغْفِرُ لَكَ، فَلَوَّى رَأْسَهُ وَقَالَ: أَمُرْتُمُونِي أَنْ أُؤْمِنَ فَأَمَنْتُ، وَأَمُرْتُمُونِي أَنْ أَزْكَى فَرَزَكَيْتُ، وَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ أَسْجُدَ لِمُحَمَّدٍ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ أَشْتَكَى هَذَا الْمُنَافِقُ مَرَضًا وَمَاتَ.

لَوْوَا رُؤُوسَهُمْ - عَطَفُوهَا إِعْرَاضًا وَاسْتِهْزَاءً.

(الْفَاسِقِينَ)

(٦) - وَسَوَاءٌ اسْتَغْفَرْتَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ وَأَنَامَهُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاءَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْفِسْقِ، وَمَا رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ النَّفَاقِ.

(خَزَائِنُ) (السَّمَاوَاتِ) (الْمُنَافِقِينَ)

(٧) - وَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ: لَا تَنَفَّقُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَيَتَحَوَّلُوا عَنْكُمْ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، وَيَنْفَضُّ عَنْ مُحَمَّدٍ مَنْ حَوْلَهُ إِذَا عَصَهُمُ الْجُوعُ. وَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ جَاهِلُونَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ مَالِكُ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَبْدِئُ مَفَاتِيحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ فَلَا يَصِلُ شَيْءٌ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ.

حَتَّى يَنْفَضُوا - حَتَّى يَتَرَفَّقُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ.

(لَيْتَ) (الْمُنَافِقِينَ)

(٨) - وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ: إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّا سَنُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا، لِأَنَّهُمْ يَنْظُنُّونَ أَنفُسَهُمْ هُمُ الْأَقْوِيَاءُ الْأَعْزَاءُ فِيهَا لَكثَرَةٌ جَمْعُهُمْ، وَوَفَرَةٌ مَالِهِمْ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ ضِعَافٌ قَلِيلُو الْعَدَدِ.

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ قَائِلًا: إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ ذُو الْجَلَالِ وَالْعِزَّةِ، ثُمَّ تَكُونُ الْعِزَّةُ مِنْ بَعْدِهِ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ، ثُمَّ

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ

يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ

لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْتَعِزُّونَ بِعِزِّ اللَّهِ، وَبِنَصْرِهِ، فَهُمْ أَعِزَّةٌ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَيَطُنُّونَ أَنَّ الْعِزَّةَ بِوَفِّةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ النَّاصِرِ.
(وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سُلُولٍ - وَكَانَ مُؤْمِنًا مُخْلِصًا
فِي إِيمَانِهِ - لَمَّا سَمِعَ مَقَالََةَ أَبِيهِ هَذِهِ اسْتَلَّ سَيْفَهُ وَوَقَفَ بِيَابِ الْمَدِينَةِ،
وَلَمْ يَسْمَحْ لِأَبِيهِ أَنْ يَدْخُلَ حَتَّى يَأْذَنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِالْدُّخُولِ، ثُمَّ قَالَ
لِأَبِيهِ: عَلَيَّ اللَّهُ أَلَّا أُغَمِّدَ سَيْفِي حَتَّى تَقُولَ: مُحَمَّدٌ الْأَعَزُّ، وَأَنَا الْأَذَلُّ.
فَلَمْ يَسْرَحْ حَتَّى قَالَ: ثُمَّ أَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِالْدُّخُولِ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَدَخَلَ).

رَجَعْنَا - عُدْنَا مِنْ غَزَوَاتِنَا.

لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ - الْأَشَدُّ قُوَّةً وَغَلَبَةً - يَعْنُونَ أَنْفُسَهُمْ.

الْأَذَلُّ - الْأَضْعَفُ وَالْأَهْوَنُ - وَيَعْنُونَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَمْوَالُكُمْ) (أَوْلَادُكُمْ) (فَأُولَئِكَ) (الْخَاسِرُونَ)

(٩) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ وَبِأَلَّا يَسْغَلَهُمْ مَا لَهُمْ
وَأَوْلَادُهُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ، وَيُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّ مِنَ النَّهْيِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَطَاعَتِهِ
بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرِيبَتِهَا، فَإِنَّهُ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ يَخْسِرُونَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

لَا تُلْهِكُمْ - لَا تَسْغَلْكُمْ وَتَضَرِّفْكُمْ.

ذِكْرَ اللَّهِ - عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ.

(رَزَقْنَاكُمْ) (الصَّالِحِينَ)

(١٠) - يَحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي طَاعَتِهِ مِنَ الْمَالِ
الَّذِي جَعَلَهُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَجِيْنَ أَجْلُهُمْ فَيَقُولَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
قَصَّرُوا فِي الطَّاعَةِ، وَفِي الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ: يَا رَبِّ لَوْ أَنَّكَ
أَخَّرْتَنِي مُدَّةً يَسِيرَةً، فَأَنْفَقَ فِي طَاعَتِكَ، وَأَسْتَجِيبَ لِأَمْرِكَ، وَأَكُونَ مِنْ
عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الصَّالِحِينَ، الَّذِينَ تَرْضَى عَنْهُمْ.

لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي - هَلَا أَهْمَلْتَنِي وَأَخَّرْتَنِي.

(١١) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ: إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا الطَّاعَاتِ،
وَيَنْفِقُوا فِي أَوْجِهِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ قَبْلَ أَنْ يَجِيْنَ أَجْلُهُمْ، لِأَنَّهُمْ إِذَا حَانَ
أَجْلُهُمْ فَلَا مَجَالَ لِلتَّأْخِيرِ وَالْإِهْمَالِ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ

أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ

عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ

أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ

رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ

فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ

وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ

أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

(٦٤) سُورَةُ النَّجْمِ مَبْنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَمَانِي عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(السَّمَاوَاتِ)

(١) - جَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ تُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَتُزَكِّيهِ عَنْ صِفَاتِ النِّقْصِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، فَهُوَ تَعَالَى الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ مَا فِي الْوُجُودِ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ عَلَى جَمِيعِ مَا يَخْلُقُهُ وَيُقَدِّرُهُ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا رَادٌّ لِأَمْرِهِ وَلَا مَانِعٌ لَهُ الْمُلْكُ - لَهُ التَّصَرُّفُ الْمَطْلُوقُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

(٢) - هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَوْجَدَكُمْ مِنْ عَدَمٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، فَبَعْضُكُمْ يَخْتَارُ الْكُفْرَ، وَيَعْمَلُ لَهُ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَفَكَّرُ وَيُتَمَعَّنُ النَّظَرَ فِي الْأَدِلَّةِ الَّتِي أَقَامَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ، فَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيَعْمَلُ صَالِحًا، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَةَ، وَهُوَ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَسَيَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ.

(السَّمَاوَاتِ)

(٣) - وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، الْمُتَضَمِّنَةِ لِمَنَافِعِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَلَمْ يَخْلُقْهَا عَبَثًا وَبَاطِلًا، وَصَوَّرَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، حِينَ خَلَقَكُمْ، فَجَعَلَكُمْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَكْمَلَ مَظْهَرٍ، وَإِلَيْهِ تَصِيرُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِتَحَاسِبَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتُجَازَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ، وَلَا مُعَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ.

بِالْحَقِّ - بِالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ.

أَحْسَنَ صُورَكُمْ - أَتَقَنَّا وَأَحْكَمَهَا.

١ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

٢ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

٣ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

(السَّمَاوَاتِ)

(٤) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ كَائِنَاتٍ وَمَخْلُوقَاتٍ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهَا خَافِيَةٌ، وَهُوَ يُدَبِّرُهَا وَيُدِيرُهَا، وَيَعْلَمُ مَا يُعْلِنُهُ النَّاسُ وَيَقُولُونَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَهُ وَيُبْطِنُونَهُ، وَمَا تُوَسِّسُ بِهِ نَفُوسُهُمْ، وَيَعْلَمُ مَا يُضْمِرُونَ فِي صُدُورِهِمْ وَمَا يُبَيِّنُونَ فِي سَرَائِرِهِمْ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

(نَبَأِ)

(٥) - يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ كُفَّارٍ مَكَّةَ مِنْ مَغَبَّةٍ تَمَادِيهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِ اللَّهِ، وَيَلْفُتْ أَنْظَارُهُمْ إِلَى مَا أَنْزَلَهُ مِنْ عِقَابٍ بِالْكَفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْأَمَمِ السَّالِفَةِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَلَمْ تَأْتِكُمْ أَخْبَارُ الْكَافِرِينَ السَّالِفِينَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رُسُلُ رَبِّهِمْ، كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ عِقَابَهُ الْأَلِيمَ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقَهُ بِالْطُّوفَانِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَهْلَكَهُ الرِّيحُ الْعَقِيمُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ صَيْحَةُ الْعَذَابِ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ عِقَابًا أَلِيمًا لَهُمْ، فِي الدُّنْيَا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَآسَتهِزَائِهِمْ، وَسَيَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ مُوجَعٌ فِي الْآخِرَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وَبَالَ أَمْرِهِمْ - سُوءَ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

(بِالْبَيِّنَاتِ)

(٦) - وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالْذِمَارِ لِأَنَّهُمْ كَانَتْ رُسُلُهُمْ تَأْتِيهِمْ بِالْحُجَجِ وَالذَّلَالَاتِ الْوَاضِحَةِ الْمُبِينَةِ، وَبِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ، فَكَانُوا يَعْجَبُونَ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رِسَالَاتَهُ إِلَى النَّاسِ فِي أَنْاسٍ مِنَ الْبَشَرِ، لَا مِيزَةَ لَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ وَلَا فَضْلَ. وَقَدْ حَمَلَهُمْ هَذَا الْاِعْتِقَادُ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَعْرَضُوا عَنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ وَتَوَلَّوْا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا، وَقَطَعَ دَابِرَهُمْ، وَاسْتَعْنَى عَنْ إِيْمَانِهِمْ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعًا، وَهُوَ الْحَقِيقُ بِالْحَمْدِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الْوَفِيرَةِ الَّتِي لَا تُحْصَى.

تَوَلَّوْا - أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيْمَانِ بِالرُّسُلِ.

(٧) - ادَّعَى الْمُشْرِكُونَ وَالْكَفَّارُ أَنَّهُ لَا بَعَثَ وَلَا حَشَرَ وَلَا حِسَابَ، وَلَا جَزَاءَ فِي الْآخِرَةِ، وَاسْتَبَعَدُوا وَقُوعَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَتَفَرَّقَ الْأَجْسَادُ فِي

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ

فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُنَّ وَنَنَا

فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ
غَنِيٌ حَمِيدٌ

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ

الْأَرْضِ ، وَتُصْبِحُ رَمِيمًا مُتَنَازِرًا . فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ مُقْسِمًا بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ عَلَى صِدْقِ مَا تَقُولُ : إِنَّ الْبَعْثَ لَكَايُنُ لَا مَحَالَةَ ، وَإِنَّكُمْ سَتَحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ جَمِيعَهَا . وَبَعَثَ الْبَشَرَ مِنْ قُبُورِهِمْ ، وَإِطْلَاعَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمَلُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ، وَحَسَابُهُمْ وَجَزَاؤُهُمْ ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ فِي غَايَةِ الْيُسْرِ وَالسَّهُولَةِ ، فَهُوَ تَعَالَى الْقَادِرُ الْقَاهِرُ .

(فَآمِنُوا)

(٨) - فَآمِنُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لِيَهْدِيَكُمْ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَلِيُنْقِذَكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَسَيَحَاسِبُكُمْ عَلَيْهَا فَاتَعْظُوا وَآمِنُوا ، وَأَقْلِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ .
النُّور - الْقُرْآن .

(صَالِحًا) (جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارُ) (خَالِدِينَ)

(٩) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَبْعَثُكُمُ اللَّهُ مِنْ قُبُورِكُمْ ، وَيَحْشُرُكُمْ إِلَيْهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ ، وَذَلِكَ الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ، إِذْ يَكُونُ النَّاسُ فَرِيقَيْنِ : كَافِرِينَ أَشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ، فَخَسِرَتْ صَفَقَتُهُمْ ، وَصَارُوا إِلَى عَذَابِ النَّارِ ، وَمُؤْمِنِينَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، فَرَبِحَتْ صَفَقَتُهُمْ ، وَصَارُوا إِلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ ، فَلَا غِنَ عَنِ اعْظَمَ مِنَ الْغِنَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، حِينَئِذٍ يَجِدُ الْكَافِرُونَ الْمُقْصَرُونَ أَنَّهُمْ بَاعُوا النِّعَمَ الْخَالِدَ الدَّائِمَ ، بِلَذَّةٍ قَلِيلَةٍ زَائِلَةٍ . وَمَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ . يُكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَيُدْخِلُهُ جَنَّةَ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا ، وَيَبْقَى خَالِدًا فِي نَعِيمِهَا أَبَدًا ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الَّذِي لَا فَوْزَ بَعْدَهُ .
يَوْمُ التَّغَابُنِ - يَظْهَرُ فِيهِ غَبْنُ الْكَافِرِ بِتَرْكِهِ الْإِيمَانَ .

(بَيَاتِنًا) (أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ) (خَالِدِينَ)

(١٠) - أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، وَجَحَدُوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ ، وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَهَؤُلَاءِ يَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ لِيَبْقُوا فِيهَا خَالِدِينَ أَبَدًا ، وَبِئْسَ النَّارُ مَثَرًا وَمَصِيرًا .

وَرَفِيَ لَتَبْعَتُهُمْ لَلنَّبِيِّنَ بِمَا عَمِلْتُمْ
وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

﴿٨﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي

أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

﴿٩﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ

التَّغَابُنِ وَمَنْ يَوْمُنَا بِاللَّهِ وَعَمَلِ
صَلِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ

وَيُدْخِلُهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا

بَيَاتِنًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ

(١١) - مَا أَصَابَ أَحَدًا شَيْءٌ مِنْ رَزَايَا الدُّنْيَا وَمَصَائِبِهَا، إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَالْمَرْءُ يَعْمَلُ وَيَتَّخِذُ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا هُوَ فِي طَرَفِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ، لَجَلْبِ الْخَيْرِ وَدَفْعِ الضَّرَرِ، وَلَكِنَّ النَّتَائِجَ بِيَدِ اللَّهِ وَوَفْقَ قَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَإِذَا مَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلَيْهِ الْأَلَمُ وَلَا يَحْزَنُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا كَانَتْ ذَلِكَ بِإِزَادَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ. وَمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ وَأَمِنَ أَنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَقَدَرِهِ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، عَوَّضَهُ اللَّهُ عَنْ إِصَابَتِهِ فِي الدُّنْيَا، هَدَىٰ فِي قَلْبِهِ، وَبَيَّنَّ صَادِقًا بِأَنْ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا. فَالْمُؤْمِنُ عَلَيْهِ وَاجِبَانِ:

- السَّعْيُ وَبَذْلُ الْجُهْدِ وَاتِّخَاذُ الْأَسْبَابِ لَجَلْبِ الْخَيْرِ وَدَفْعِ الشَّرِّ مَا اسْتَطَاعَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا.
- ثُمَّ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ الْيَقِينِ بِأَنْ كُلُّ مَا يَحْدُثُ هُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ فَلَا يَغْتَمُ وَلَا يَحْزَنُ لِمَا يَقَعُ.
يُؤْذِنُ اللَّهُ - بِإِزَادَتِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.
يَهْدِي قَلْبَهُ - يُوفِّقُهُ لِلْيَقِينِ وَالصَّبْرِ وَالتَّسْلِيمِ.

(الْبَلَاغُ)

(١٢) - يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ تَعَالَىٰ فِيَمَا شَرَعَ، وَبِطَاعَةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ فِيَمَا بَلَّغَ، وَبِأَنْ يَفْعَلُوا مَا أَمَرُوا بِهِ، وَيَتْرَكُوا مَا نَهَوْا عَنْهُ، فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الرُّسُولَ مَهْمَتُهُ أَدَاءُ الرِّسَالَةِ، وَقَدْ فَعَلَ، وَلَا يُسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ.

(١٣) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ بِأَنَّهُ هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ، وَأَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، وَيَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَيَخْلِصُوا الْعَمَلَ لَهُ، وَيَتَّقُوا بِهِ فِي أُمُورِهِمْ حَتَّىٰ يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ عَادَاهُمْ.

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (أَزْوَاجُكُمْ) (أَوْلَادُكُمْ)

(١٤) - يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فَقَدْ يَكُونُ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ أَعْدَاءٌ لِلْإِنْسَانِ يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِعْلِ الطَّاعَاتِ الَّتِي تُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ، وَرُبَّمَا حَمَلُوهُمْ عَلَى السُّمِيِّ فِي أَكْسَابِ الْحَرَامِ، وَاجْتِرَاحِ الْأَنَامِ، لِمَنْفَعَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ يُؤَدِّي الْبُغْضُ إِلَىٰ ارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ بِحَقِّ الْأَزْوَاجِ وَالْآبَاءِ، فَتَكُونُ عَدَاوَةُ حَقِيقَةٍ.

﴿١١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ رُفْقَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿١٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

﴿١٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي يَكُونُ فِيهِ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ، يُعَيَّرَانِهِ بِالْفَقْرِ فَيَرْكَبُ مَرَاقِبَ السُّوءِ فِيهِلُكُ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَحْمِلُهُ حُبُّهُ لَهُمْ، وَشَفَقَتُهُ عَلَيْهِمْ، وَحِرْصُهُ عَلَى أَنْ يَكُونُوا فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ فِي حَيَاتِهِ، وَبَعْدَ مَمَاتِهِ فَيَرْكَبُ الْمَحْظُورَاتِ لِتَحْصِيلِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِذَلِكَ فِيهِلُكُ.

ثُمَّ يَحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ فَقَدْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْخَيْرُ لِلْإِنْسَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ بِهِمْ وَبِهِ، وَيُعَامِلُهُ بِمِثْلِ مَا عَامَلَهُمْ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ تَكْرُمًا مِنْهُ.

(أَمْوَالُكُمْ) (أَوْلَادُكُمْ)

(١٥) - الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ اخْتِبَارٌ مِنَ اللَّهِ وَآيَاتُهُ، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيهِ، إِذْ كَثِيرًا مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَرْكَابُ الْمَحْظُورَاتِ، وَاجْتِرَاحُ الْآثَامِ، وَقَدْ قَدَّمَ اللَّهُ الْأَمْوَالُ عَلَى الْأَوْلَادِ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ فِتْنَةً. (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ). ثُمَّ يَنْبَغِي تَعَالَى النَّاسِ إِلَى مَا أَعَدَّهُ مِنْ عَظِيمِ الْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ أَثَرَ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ، عَلَى مَحَبَّةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ. فِتْنَةٌ - بَلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ.

(فَأُولَئِكَ)

(١٦) - فَأَبْدِلُوا فِي تَقْوَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنَ الْجَهْدِ وَالطَّاقَةِ. (وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُمِرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ). (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَعْمَلُوا بِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ عَلَى الْآقَارِبِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَأَحْسِنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ يَتَّبِعْ عَنِ الْبُخْلِ وَالْحِرْصِ عَلَى الْمَالِ، يَكُنْ مِنَ الْفَائِزِينَ. يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ - يُكْفِي بِخُلْهَا الشَّدِيدَ مَعَ حِرْصِهَا.

(بِضَاعِهِ)

(١٧) - مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ مَالٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعِدُ ذَلِكَ الْإِنْفَاقَ مُقَدِّمًا إِلَيْهِ تَعَالَى، وَهُوَ يُخْلِفُهُ وَيُرْدُهُ إِلَى الْمُتَّقِينَ. أَضْعَافًا كَثِيرَةً - الْحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ - وَيَمْحُو عَنْكُمْ بِهَا سَيِّئَاتِكُمْ، وَيَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ. إِنَّ اللَّهَ شَكُورٌ يُجْزِي عَلَى الْقَلِيلِ

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا

وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا
لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ
شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ

إِنْ تَقَرَّضُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا

يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ

بِالْكَثِيرِ، وَهُوَ كَثِيرُ الْجَلَمِ وَالْمَغْفِرَةِ، يَغْفِرُ وَيَسْتُرُ، وَلَا يُعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ عِبَادَهُ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْأَخْطَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ وَيَرْجِعُونَ مُسْتَغْفِرِينَ.
فَرَضًا حَسَنًا - أَحْتِسَابًا طَيِّبَةً بِهِ النَّفْسُ.

(عَالِمٌ) (الشَّهَادَةُ)

(١٨) - وَهُوَ تَعَالَى الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِ خَلْقِهِ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِمَّا غَابَ عَنْهُمْ وَمِمَّا شَاهَدُوهُ، فَكُلُّهُ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَسَيُثَبِّتُ الْعِبَادَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا، فَانْفِقُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ، وَلَا تَخْشَوْا أَنْ يَضِيعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَهُوَ مَحْفُوظٌ مَعْرُوفٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ النَّافِذُ الْإِرَادَةَ الَّذِي عَزَّ كُلُّ شَيْءٍ وَقَهَرَهُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ

(٦٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(بِفَاحِشَةٍ) (يَا أَيُّهَا)

(١) (طَلَّقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَغَضِبَ الرَّسُولُ، وَقَالَ لَهُ: لِيُرَاجِعَهَا ثُمَّ يُمَسِّكَهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرَ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسَهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ هِيَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ تَعَالَى أَنْ يُطَلِّقَ النَّسَاءَ لَهَا).
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يُطَلِّقُهَا وَهِيَ حَائِضٌ، وَلَا فِي طَهْرِ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَلَكِنْ يَتْرُكُهَا حَتَّى إِذَا حَاضَتْ وَطَهَرَتْ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً.
وَهَذَا الطَّلَاقُ يَتَعَلَّقُ بِالنِّسَاءِ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ، ذَوَاتِ الْحَيْضِ، أَمَا غَيْرُ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ فَلَا عِدَّةَ عَلَيْهِنَّ. وَالنِّسَاءُ الْمَدْخُولُ بِهِنَّ مِنْ غَيْرِ ذَوَاتِ الْحَيْضِ كَالْإِسَابِ، وَغَيْرِ الْبَالِغَاتِ فَلَهُنَّ حُكْمٌ خَاصٌّ.
ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِحْصَاءِ الْعِدَّةِ، وَمَعْرِفَةِ آبِثَاتِهَا وَانْتِهَائِهَا لِئَلَّا تَطُولَ عَلَى الْمَرْأَةِ، كَمَا أَمَرَهُمْ بِحِفْظِ الْأَحْكَامِ وَالْحُقُوقِ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا.

وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِالْإِنْدَاءِ لِأَنَّهُ إِمَامٌ أُمِّيٌّ وَقُدُوتُهَا. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِخَشْيَةِ اللَّهِ وَخَوْفِهِ وَتَقْوَاهُ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِحْصَاءِ فِي مَا أَمَرَهُمْ مِنْ طَلَاقِ النِّسَاءِ لِعِدَّتِهِنَّ، وَفِي الْقِيَامِ بِحُقُوقِ الْمُعْتَدَاتِ، وَأَنْ لَا يُخْرِجُوا النِّسَاءَ الْمُعْتَدَاتِ مِنَ الْمَسَاكِينِ، الَّتِي كَانَ الْأَزْوَاجُ يُسَاكِنُونَهُنَّ فِيهَا قَبْلَ الطَّلَاقِ، فَهَذِهِ السُّكْنَى حَقٌّ وَاجِبٌ أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلزَّوْجَاتِ، فَلَا يَجُوزُ تَعَدِّي هَذَا الْحَقِّ إِلَّا لِضَرُورَةٍ كَانْهَذَا الْمَنْزِلُ أَوْ الْحَرِيقُ.
وَلَا تَخْرُجُ الْمُعْتَدَاتُ إِلَّا لِضَرُورَةٍ، أَوْ بِسَبَبِ الْإِثْبَانِ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ تَوْجِبُ حَدًّا مِنْ زَنًى أَوْ سَرِقَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، أَوْ لِبَدَاءَةِ لِسَانٍ، أَوْ لِسُوءِ خُلُقٍ.
وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ الَّتِي يُبَيِّنُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الطَّلَاقِ لِلْعِدَّةِ، وَمِنْ إِحْصَاءِ



مكتبة
الجزيرة
٥٦

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ
النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ
لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ
لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ
اللَّهِ وَمَنْ تَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ
ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ
اللَّهُ يَحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا

الْعِدَّةِ، وَالْأَمْرُ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ، وَعَدَمُ إِخْرَاجِ الْمُطْلَقَةِ مِنْ بَيْتِهَا إِلَّا لِسَبَبٍ وَجِبِهِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ الَّتِي حَدَّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَيْهِمْ إِلَّا يَتَعَدَّوْهَا؛ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَأَضَرَّ بِهَا، وَلَا يَعْلَمُ الرُّوحَ فَقَدْ يَحُولُ اللَّهُ قَلْبَهُ مِنَ الْبُغْضِ لِلْمُطْلَقَةِ، إِلَى الْمَحَبَّةِ فَيَنْدِمُ عَلَى فِرَاقِهَا، إِذَا كَانَ قَدْ أَخْرَجَهَا، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ مُرَاجَعَتَهَا.

فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ - مُسْتَقْبَلَاتٍ لِعَدَّتِهِنَّ - الطَّهَرِ.

أَخْصُوا الْعِدَّةَ - أَصْبُطُوهَا وَأَسْتَكْمِلُوا ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ.

بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ - بِمَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ ظَاهِرَةٍ.

(الشَّهَادَةُ)

(٢) - فَإِذَا بَلَغَتِ الْمُعْتَدَاتُ أَجَلَهُنَّ وَشَارَفَتْ عِدَّتُهُنَّ عَلَى الْانْقِضَاءِ (وَلَكِنْ لَمْ تَنْتَهِ الْعِدَّةُ تَمَامًا)، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ عَلَى الرَّوْحِ أَنْ يَعْزِمَ إِمَّا عَلَى إِمْسَاكِهَا، وَإِعَادَتِهَا إِلَى عِصْمَتِهِ، وَمُعَامَلَتِهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَيْ مُحِبِّينَا صُحْبَتِهَا، وَإِمَّا أَنْ يَعْزِمَ عَلَى مُفَارَقَتِهَا بِمَعْرُوفٍ، دُونَ مُشَاتَمَةٍ وَلَا تَغْنِيفٍ، بَلْ يُطَلِّقَهَا عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ، وَيُؤَدِّي إِلَيْهَا حُقُوقَهَا كَامِلَةً مِنْ مَهْرٍ وَنَفَقَةٍ وَمَتْعَةٍ حَسَنَةٍ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِشْهَادِ رَجُلَيْنِ مِنْ ذَوِي الْعَدْلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي حَالَتِي الطَّلَاقِ وَالرَّجْعَةِ، حَسْمًا لِلنِّزَاعِ، فَقَدْ يَمُوتُ الرَّوْحُ فَيَذْعِي الْوَرِثَةُ أَنَّهُ لَمْ يَرَا جَعَهَا، فَيُخْرِمُوهَا مِيرَاثَهَا، وَمَخَافَةَ أَنْ تُنْكَرَ الْمَرْأَةُ عِدَّتُهَا فَتَقْضِيَ عِدَّتَهَا وَتُنْكِحَ زَوْجًا آخَرَ. وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالشَّهَادَةِ عَلَى الْحَقِّ إِذَا اسْتَشْهَدُوا، وَبِإِدَاءِ الشَّهَادَةِ إِذَا دُعُوا لِإِدَائِهَا.

وَهَذَا الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ عِظَةٌ لِمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ لِيَعْمَلَ بِهَا، وَيَسِيرَ عَلَى نَهْجِهَا.

وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ مَنْ اتَّقَى مِنْهُمْ اللَّهَ بِمُرَاعَاةِ مَا فُرِضَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ الْمُطْلَقَاتِ وَالْمُعْتَدَاتِ، جَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ مِنَ الْغَمِّ، وَيُفْرَجَ عَنْهُ مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ.

بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ - قَارَبَتْ عِدَّتُهُنَّ عَلَى الْانْقِضَاءِ.

مَخْرَجًا - مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَضِيقٍ.

(بَالِغٌ)

(٣) - وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَلَا يَحْتَسِبُ، وَلَا يَخْطُرُ لَهُ عَلَى بَالٍ، وَمَنْ يَكِلْ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ، رِيْضُوهُ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ اللَّهُ مَا أَهَمُّهُ وَأَغَمُّهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَاللَّهُ مُنْفِذُ أَمْرِهِ وَأَحْكَامِهِ فِي خَلْقِهِ وَكَذَلِكَ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِقْدَارًا وَوَقْتًا، فَلَا تَحْزَنُ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ إِذَا

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ

بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ

وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ

يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ

اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ

اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ

لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا

فَاتَكَ شَيْءٌ مِمَّا كُنْتَ تَرْجُو وتؤمل، فَالْأُمُورُ مُقَدَّرَةٌ بِمَقَادِيرِ خَاصَّةٍ،
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(١).

فَهُوَ حَسْبُهُ - فَهُوَ كَافِيهِ مَا أَهَمُّهُ وَأَعَمُّهُ.

قَدْرًا - أَجَلًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، أَوْ تَقْدِيرًا أَرْلًا.

لَا يَخْتَسِبُ - لَا يَخْطُرُ لَهُ عَلَى بَالٍ وَلَا فِي حِسَابٍ.

(اللَّاتِي) (يَتَسَنَّن) (نَسَائِكُكُمْ) (ثَلَاثَةٌ) (أُولَاتُ)

(٤) - يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ عِدَّةَ الْآيَةِ الَّتِي أَنْقَطَعَ حَيْضُهَا لِكِبَرِ سِنِّهَا، وَالصَّغِيرَةِ الَّتِي لَمْ تَحْضَ بَعْدُ، فَقَالَ إِنَّهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، إِنْ شَكَكْتُمْ، وَجَهِلْتُمْ كَيْفَ تَكُونُ عِدَّتُهُنَّ، وَمِقْدَارُهَا؛ وَعِدَّةُ الْحَوَامِلِ هِيَ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، طَالَتِ الْمُدَّةُ أَوْ قَصُرَتْ، سَوَاءٌ كُنَّ مُطْلَقَاتٍ أَوْ مُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ.

وَمَنْ يَخْشَى اللَّهَ، وَيَرْهَبُهُ، يُسَهِّلِ اللَّهُ عَلَيْهِ أُمُورَهُ، وَيَجْعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ فَرَجًا، وَيَجْعَلَ فِي قَلْبِهِ نُورًا يَهْدِيهِ لِحُلِّ عُيُوبَاتِ الْأُمُورِ وَمُشْكِلَاتِهَا.

يَتَسَنَّن - أَنْقَطَعَ رَجَاؤُهُنَّ لِكِبَرِ سِنِّهِنَّ.

اللَّاتِي لَمْ يَحْضَنَّ - لِبَصَرِ سِنِّهِنَّ.

يُسْرًا - تَبَسِيرًا وَفَرَجًا.

(٥) - وَهَذَا هُوَ حُكْمُ اللَّهِ وَشَرْعُهُ، أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ بِوَاسِطَةِ رَسُولِهِ لِتَأْخُذُوا بِهِ، وَتَعْمَلُوا وَفَقَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ وَيَتْلَزِمُ بِمَا أَمَرَ، وَيَتْرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، يَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَيَمْنَحَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُجْزِلَ لَهُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِ.

(أُولَاتُ) (فَاتُوهُنَّ)

(٦) - وَأَسْكِنُوا النِّسَاءَ الْمُطْلَقَاتِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تَسْكُنُونَ فِيهِ، عَلَى مِقْدَارِ حَالِكُكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَحْدُوا إِلَّا حُجْرَةً بِجَانِبِ حُجْرَتِكُمْ فَاسْكِنُوهُنَّ فِيهَا. (لَأَنَّ السُّكْنَى نَوْعٌ مِنَ التَّفَقُّهِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَزْوَاجِ). وَلَا تُضَاجِرُوهُنَّ، وَلَا تُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ فِي السُّكْنَى، بِشُغْلِ الْمَكَانِ، أَوْ بِإِسْكَانِ غَيْرِهِنَّ مَعَهُنَّ بِمَنْ لَا يُحِبُّنَ السُّكْنَى مَعَهُ، لِئَلَّا تُجْهِلُوهُنَّ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَسَاكِينِهِنَّ. وَإِذَا كَانَتِ الْمُطْلَقَةُ ذَاتَ حَمْلٍ فَعَلَى الزَّوْجِ، أَوْ وَلِيِّهِ. أَنْ يُنْفِقَ عَلَيْهَا حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا.

وَإِذَا أَرْضَعَبَ الْمُطْلَقَةُ وَلَدَهَا الَّذِي وَضَعَتْهُ، وَهِيَ طَائِقٌ، قَدْ بَانَتْ بِانْقِضَاءِ عِدَّتِهَا، فَلَهَا أَنْ تَرْضَعَ الْوَلَدَ وَيَكُونَ لَهَا عَلَى الزَّوْجِ أَجْرُ

(١) سورة الرعد، الآية (٨).

وَالَّتِي يَتَسَنَّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنَ

نَسَائِكُكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ

ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنَّ

وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ

يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ

يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ

يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ

وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّنْ

وَجَدِكُمْ وَلَا نَضَازُوهُنَّ لِنُضِيقُوا

عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا

عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ

فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَكُفُّوا عَنْهُنَّ أَجُورَهُنَّ

وَأَتِمُّوا إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا وَإِنْ

تَعَاسَرْتُم فَاسْترَضِعُوا لَهُ الْآخَرَى

إِرْضَاعِهِ (أَجْرٌ مِثْلُهَا). وَتَتَّفَقُ الْمُطْلَقَةُ مَعَ وَالِدِ الطِّفْلِ أَوْ وَلِيِّهِ عَلَى مَقْدَارِهِ. وَلَهَا أَنْ لَا تُرْضِعَهُ فَيَقُومَ الْوَالِدُ بِتَكْلِيفِ أُخْرَى بِإِرْضَاعِهِ. وَيَحْتُ اللَّهُ تَعَالَى الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ عَلَى التَّشَاوُرِ وَالتَّفَاهُمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِشُؤْنِ الْأَوْلَادِ، وَفِيمَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُمْ. كَمَا يَحْتَهُمْ عَلَى الْأَلَّا يَجْعَلُوا الْمَالَ عَقْبَةً فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ مَا هُوَ أَنْفَعُ لِلْوَلَدِ، فَلَا يَكُونُ مِنَ الْأَزْوَاجِ مُمَّاكَسَةً، وَلَا يَكُونُ مِنَ الْأُمَّهَاتِ مُعَاسِرَةً وَإِحْرَاجَ لِلْآبَاءِ. أَمَّا إِذَا ضَيَّقَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِنَّ لِلْأَبِ أَنْ يَسْتَرْضِعَ أَمْرَةً أُخْرَى، فَإِنْ رَضِيََتِ الْأُمُّ بِمِثْلِ مَا اسْتَوْجِرَتْ بِهِ الْأَجْنِيَّةُ كَانَتْ أَحَقَّ بِإِرْضَاعِ طِفْلِهَا مِنَ الْأَجْنِيَّةِ. وَجَدِكُمْ - وَسَعِيَكُمْ وَطَاقَتَكُمْ.

اتَّبِعُوا بَيْنَكُمْ - تَشَاوَرُوا فِي الْأَمْرِ وَالْإِرْضَاعِ وَالْأَجْرَةِ. تَعَاسَرْتُمْ - تَشَاحَتْتُمْ - وَضَيَّقَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ.

(آتَاهُ) (آتَاهَا)

(٧) - وَعَلَى الْوَالِدِ أَنْ يَتَّفَقَ عَلَى الْأُمِّ الْمُرْضِعِ الَّتِي طَلَّقَهَا بِقَدْرِ سَعَتِهِ وَغِنَاهُ. وَمَنْ كَانَ رِزْقُهُ بِمَقْدَارِ الْقَوْتِ فَحَسَبَ فَلْيَتَّفَقَ عَلَى مَقْدَارِ ذَلِكَ، لَا يَكْلَفُ اللَّهُ أَحَدًا، مِنَ النِّفَقَةِ عَلَى مَنْ تَلَزَّمَهُ نَفَقَتُهُمْ، إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ. وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ الشَّدَةِ رَخَاءً، وَبَعْدَ الضِّيقِ فَرَجًا، فَالْذُّنْيَا لَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ.

دُوسَعَةٌ - دُوغَى وَبَسَارٍ. قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ - ضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ.

(وَكَايَ) (فَحَاسِبْنَاهَا) (عَذَّبْنَاهَا)

(٨) - يَتَوَعَّدُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، وَسَلَكَ غَيْرَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ، وَيُخَبِّرُ عَمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِالْأَمَمِ الْمُكَذِّبَةِ السَّالِفَةِ، فَيَقُولُ تَعَالَى. إِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْقُرَى خَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، فَكَذَّبُوا الرُّسُلَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، وَتَمَادَوْا فِي طُغْيَانِهِمْ، وَسَيَحَاسِبُهُمُ اللَّهُ حِسَابًا عَسِيرًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ كُلِّهَا، وَسَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا مُنْكَرًا فِي الْآخِرَةِ.

وَكَايْنٌ - كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَى. عَتَتْ - تَجَبَّرَتْ وَتَكَبَّرَتْ وَأَعْرَضَتْ. نُكْرًا - مُنْكَرًا شَنِيعًا.

(عَاقِبَةُ)

(٩) - فَجَنَّتْ نِمَارًا مَا غَرَسَتْ أَيْدِيهَا مِنْ أَعْمَالِ السُّوءِ فَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا الْخُسْرَانُ وَالتَّكَالُفُ.

لَيْنَفَقَ دُوسَعَةً مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيَتَّفَقَ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا

وَكَايْنٍ مِنْ قَرِيْبَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكِرًا

فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا

وَبَالَ أَمْرَهَا - عَاقِبَةُ عُنُوتِهَا وَتَكْبِيرُهَا.
خُسْرًا - خُسْرَانًا وَهَلَاكًا.

(يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (آمَنُوا)

(١٠) - وَقَدْ هَيَّا اللَّهُ تَعَالَى لَهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَمَادِيهِمْ فِي طُغْيَانِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ سَبِيلِ الرُّسُلِ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالْأَفْهَامِ بِوُجُوبِ تَقْوَى رَبِّهِمْ، وَإِطَاعَةِ أَمْرِهِ، وَالْحَشْيَةِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، لِكَيْلَا يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ الْأَمَمَ الْمُكَذَّبَةَ السَّالِفَةَ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ قُرْآنًا يَذْكُرُهُمْ بِرَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ لِيَعْمَلُوا بِمَا يُرْضِيهِ تَعَالَى.
ذَكَرًا - قُرْآنًا يَذْكُرُهُمْ.

(يَتْلُو) (آيَاتِ) (مُبِينَاتٍ) (آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (الظُّلُمَاتِ)
(صَالِحًا) (جَنَاتٍ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ)

(١١) - وَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْكُمْ، يَا ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالْبَصَائِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهِيَ آيَاتٌ وَأَصْحَاتٌ لِمَنْ يَتَذَكَّرُهَا وَيَعْقِلُهَا، لِيُخْرِجَ مَنْ لَدَيْهِ اسْتِعْدَادٌ لِلْهُدَى مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَمَنْ يَهْتَدِ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُهُ جَنَاتٌ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا وَيَبْقَى خَالِدًا فِيهَا، وَيُوسَّعُ لَهُ فِيهَا فِي الرِّزْقِ الْحَسَنِ مِنْ جَمِيعِ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ.
رَسُولًا - وَأَرْسَلَ رَسُولًا.

(سَمَاوَاتِ)

(١٢) - اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَخَلَقَ مِثْلَهُنَّ فِي الْعَدَدِ مِنَ الْأَرْضِ، وَيَجْرِي قَضَاءُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ بَيْنَهُنَّ، وَيَنْفُذُ حُكْمَهُ فِيهِنَّ، فَهُوَ يَذَكِّرُ الْأَمْرَ فِيهِنَّ وَفَقَّ عَلَيْهِمُ الْوَاسِعَ وَحُكْمَتِهِ.
وَاللَّهُ تَعَالَى يُنْزِلُ قَضَاءَهُ وَأَمْرَهُ بَيْنَ ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّهُ لَا يَسْتَعْصِي عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا يَعُزُّبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ.
يُنْزِلُ الْأَمْرَ - يَجْرِي قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ أَوْ تَذَكُّيرُهُ.

﴿١٠﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا

﴿١١﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا

﴿١٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيُعَاْمَرَ أَنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

(٣) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَلَنِتْهَا وَأَيَّانَهَا ائْتَنَّا عَشِدَّةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا) (مَرْضَاة) (أَزْوَاجَك)

(١) - هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ إِثْرَ حَدِيثٍ بَسِيطٍ وَقَعَ، وَكَانَ مِنْ نَتِيجَتِهِ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَلَفَ عَلَى أَنْ يُحَرِّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْعَسَلَ (وَقِيلَ بَلْ حَلَفَ أَنْ يُحَرِّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَمْتَهُ مَارِيَةَ الْقَيْطِيَّةَ).

فَوْقًا لِلرَّوَايَةِ الْأُولَى - كَمَا رَوَتْهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا: كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُحِبُّ شُرْبَ الْعَسَلِ، وَكَانَ إِذَا أَنْصَرَفَ مِنَ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ، وَكَانَ يَمُكُّ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرِبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاطَأَتِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ عَلَى أَنْ يَقْلَنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِنَ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ. (وَالْمَغَافِيرُ نَوْعٌ مِنْ صَمْغٍ بَعْضُ الشَّجَرِ أَكَلْتُ مَغَافِيرٍ. وَكَانَتْ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ مُتَصَافِيَتَيْنِ، مُنْظَاهِرَتَيْنِ عَلَى سَائِرِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ. فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَفْصَةَ قَالَتْ: أَكَلْتُ مَغَافِيرٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ. وَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ فَلَا تُخْبِرِي أَحَدًا بِذَلِكَ؛ وَلَكِنْ حَفْصَةُ أَخْبَرَتْ عَائِشَةَ بِمَا تَمَّ.

وَوُفَّقًا لِلرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصَابَ جَارِيَتَهُ مَارِيَةَ (أُمُّ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ فِي بَيْتِي وَعَلَى فِرَاشِي؟ فَجَعَلَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ حَرَامًا. فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يُعَاتِبُهَا فِيهَا عَلَى تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ، وَأَمَرَهُ بِالتَّكْفِيرِ عَنْ يَمِينِهِ فَفَعَلَ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ عَلَى نَفْسِكَ شَيْئًا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَكَ، وَأَنْتَ تُرِيدُ تَحْرِيمَهُ مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ؟ وَاللَّهُ غَفُورٌ لِدُنُوبِ النَّاسِ مِنَ عِبَادِهِ، وَقَدْ غَفَرَ لَكَ آمَنَّاغَكَ عَمَّا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَكَ، وَهُوَ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُعَاقِبُهُمْ عَلَى مَا سَبَقَ أَنْ غَفَرَهُ لَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ
اللَّهُ لَكَ تَبْلَغِي مَرْضَاتِ
أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ



(أَيْمَانُكُمْ) (مَوْلَاكُمْ)

(٢) - لَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ التَّحَلُّلَ مِنَ الْإِيمَانِ الَّتِي، حَلَفْتُمُوهَا بِالتَّكْفِيرِ عَنْهَا، فَعَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ أَنْ تَكْفُرَ عَنِ الْيَمِينِ الَّتِي حَلَفْتَهَا فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ، وَاللَّهُ هُوَ مُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يُصْلِحُ أُمُورَكُمْ فَيَشْرَعُهُ لَكُمْ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَقَدْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

وَقَدْ كَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ يَمِينِهِ بِإِعْتَاقِ رَقَبَةٍ.

تَحَلَّةُ أَيْمَانِكُمْ - تَحْلِيلُهَا بِالْكَفَّارَةِ.

اللَّهُ مَوْلَاكُمْ - نَاصِرُكُمْ وَمُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ.

(أَزْوَاجِهِ)

(٣) - وَإِذْ أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى زَوْجِهِ حَفْصَةَ حَدِيثًا فَقَالَ لَهَا: إِنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الْعَسَلَ عِنْدَ زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ، وَقَالَ لَنْ أَعُودَ إِلَى شُرْبِهِ وَقَدْ حَلَفْتُ، فَلَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا. فَلَمَّا أَخْبَرَتْ حَفْصَةَ عَائِشَةَ بِالْحَدِيثِ الَّذِي اسْتَكْتَمَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ. وَأَطْلَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا فَعَلْتَهُ حَفْصَةُ مِنْ إِفْشَائِهَا مَا اسْتَكْتَمَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ أَخْبَرَ حَفْصَةَ بِنَعِصِ الْحَدِيثِ الَّذِي أَفْشَتْهُ (وَهُوَ قَوْلُهُ كُنْتُ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ)، وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ نَعِصِ الْحَدِيثِ الَّذِي أَفْشَتْهُ (وَهُوَ قَوْلُهُ وَقَدْ حَلَفْتُ فَلَا تُخْبِرِي أَحَدًا)، فَلَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ تَكْرُمًا مِنْهُ لِكَيْلَا يَزِيدَ فِي خَجَلِهَا مِنْهُ.

فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ حَفْصَةَ بِمَا دَارَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟ وَهِيَ تَنْظُرُ أَنْ عَائِشَةَ قَدْ فَضَحَتْهَا وَنَقَلَتْ الْحَدِيثَ إِلَى الرَّسُولِ. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ: أَخْبَرَنِي بِهِ رَبِّي الْعَلِيمُ بِالسِّرِّ وَالنَّجْوَى، وَالْخَيْرُ بِكُلِّ مَا فِي الْوُجُودِ

نَبَّأَتْ بِهِ - أَخْبَرَتْ بِهِ غَيْرَهَا.

أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى إِفْشَائِهِ.

(تَظَاهَرَا) (مَوْلَاهُ) (صَالِحُ) (الْمَلَائِكَةُ)

(٤) - وَجَّهَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ خُطَابَهُ الْكَرِيمَ إِلَى زَوْجَتِي النَّبِيِّ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَيْهِ (وَهُمَا حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ) فَقَالَ لَهُمَا: إِنْ تَتَوَبَّا مِنْ ذُنُوبِكُمَا، وَتَقْلِعَا عَنْ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ، تَكُنْ قُلُوبُكُمَا قَدْ مَالَتْ إِلَى الْخَيْرِ، وَتَكُونَا قَدْ أَدَيْتُمَا مَا يَجِبُ عَلَيْكُمَا نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ إِجْلَالٍ وَآخِرَامٍ، وَتَكْرِيمٍ لِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ.

﴿٢﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ

وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

﴿٣﴾ وَإِذْ أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ

حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ

فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ

هَذَا قَالَ نَبَاتِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ

﴿٤﴾ إِنْ تَوَبَّا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ

فَلَوْ كُنتُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ

وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ

بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ

صَفَتْ قُلُوبُكُمَا - مَالَتْ إِلَى الْخَيْرِ .
تَظَاهَرَا - تَتَعَاوَنَا عَلَيْهِ بِمَا يَسُوؤُهُ .
ظَهِيرٌ - مُعِينٌ وَمُظَاهِرٌ .
مَوْلَاهُ - نَاصِرُهُ وَوَلِيُّهُ .

(أَرْوَاجًا) (مُسْلِمَاتٍ) (مُؤْمِنَاتٍ) (قَانِنَاتٍ) (تَائِبَاتٍ)

(عَابِدَاتٍ) (سَائِحَاتٍ) (ثِيَابٍ) .

(٥) - ثُمَّ حَذَّرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ يُبَدِّلُهُ خَيْرًا مِنْهُنَّ إِسْلَامًا وَإِيمَانًا وَمُوَاطَّئَةً عَلَى الْعِبَادَةِ، وَإِقْلَاعًا عَنِ الذُّنُوبِ، وَسَمْعًا لِلْأَوَامِرِ الرَّسُولِ، بَعْضُهُنَّ ثِيَابٌ سَبَقَ لَهُنَّ الزَّوْاجُ، وَبَعْضُهُنَّ أَبْكَارٌ لَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ الزَّوْاجُ مِنْهُنَّ .
قَانِنَاتٍ - مُطِيعَاتٍ خَاضِعَاتٍ لِلَّهِ .
سَائِحَاتٍ - صَائِمَاتٍ أَوْ مُهَاجِرَاتٍ .

(يَا أَيُّهَا) (آمَنُوا) (مَلَائِكَةُ)

(٦) - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، أَعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتَّقُوا مَعْصِيَتَهُ، وَأَمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّقْوَى، وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَأَمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ لِيَتَّقِدُوهُمْ وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، الَّتِي يَكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْحِجَارَةُ، وَتَقُومُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ غَلَاطٍ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، أَشَدَّاءُ عَلَيْهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرِ أَمْرِهِمْ بِهِ، وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ .
قُوا أَنْفُسَكُمْ - جَنَّبُوا أَنْفُسَكُمْ النَّارَ بِطَاعَةِ اللَّهِ .
غَلَاطٍ شِدَادٌ - قَسَاةٌ أَقْبَاءٌ - وَهُمْ الزَّبَانِيَةُ .

(يَا أَيُّهَا)

(٧) - وَيُقَالُ لِلْكَافِرِينَ حِينَمَا يُقَذَّفُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَا تَعْتَدِرُوا عَنْ كُفْرِكُمْ، وَعَمَلِكُمُ السَّيِّئِ، فَقَدْ فَاتَ أَوَانُ الْإِعْتِذَارِ، وَلَآتِ سَاعَةٌ مِنْدَمٌ، إِنَّكُمْ إِنَّمَا تُلَاقُونَ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى عَلَى أَعْمَالِكُمْ الَّتِي عَمِلْتُمُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

(يَا أَيُّهَا) (جَنَّاتٍ) (الْأَنْهَارُ) (آمَنُوا) (بِإِيمَانِهِمْ)

(٨) - يَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَتُوبُوا تَوْبَةً صَادِقَةً جَارِمَةً تَمْحُو مَا سَبَقَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ .

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ

أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ

مُؤْمِنَاتٍ قَانِنَاتٍ تَتَّبِعْنَ عِدَّتِ

سَلَحَتِ ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غَلَاطٌ

شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدِرُوا

أَلْيَوْمَ إِنَّمَا تُخْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى

اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ

أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

(وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ فَقَالَ: هُوَ النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ حِينَ يَقْرُطُ مِنْكَ، فَتَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِندَامَتِكَ مِنْهُ عِنْدَ الْحَاضِرِ، ثُمَّ لَا تَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا). (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

ثُمَّ يَبِينُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ إِنْ تَابُوا تَوْبَةً نَصُوحًا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَغَفَرَ لَهُمْ، وَأَدْخَلَهُمْ بِرَحْمَتِهِ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَرْفَعُ اللَّهُ فِيهِ قَدْرَ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَقَدْرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ. وَيَجْعَلُ نُورَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حِينَ يَمْشُونَ وَكُتُبُهُمْ بَأَيْمَانِهِمْ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يَبْقِيَ لَهُمْ نُورَهُمْ، فَلَا يَطْفِئُهُ حَتَّى يَجُوزُوا الصَّرَاطَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا الْعَظِيمُ إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُعْجِزُكَ شَيْءٌ. تَوْبَةٌ نَصُوحًا - تَوْبَةٌ خَالِصَةٌ صَادِقَةٌ - أَوْ مَقْبُولَةٌ. لَا يُخْزِي اللَّهَ - لَا يَذِلُّ، بَلْ يُعِزُّ رَسُولَهُ وَيَكْرُمُهُ.

(يَا أَيُّهَا (جَاهِدِ) (الْمُنَافِقِينَ) (مَأْوَاهُمْ)

(٩) - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ الَّذِينَ يَقِفُونَ فِي طَرِيقِ أَنْتِشَارِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالسَّلَاحِ، وَحَارِبُهُمْ حَرْبًا لَا هَوَادَةَ فِيهَا، وَجَاهِدِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِالْإِسْلَامِ وَقُلُوبُهُمْ مُنْطَوِيَّةٌ عَلَى الْكُفْرِ وَالشُّكِّ وَالرَّيْبِ، وَيَقُومُونَ بِالدُّسِّ وَالْوَقِيعَةِ وَالنَّشِيطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاعْظُظْ عَلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ وَالْإِنْدَارِ، وَأَفْضَحْهُمْ، وَبَيِّنْ لَهُمْ سُوءَ مَصِيرِهِمْ وَمُنْقَلَبِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يَتَبَّ مِنْهُمْ وَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ مُسْتَغْفِرًا مُنِيبًا، فَإِنَّ مَصِيرَهُ سَيَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمَصِيرًا. اُعْظُظْ عَلَيْهِمْ - شَدَّدْ وَاقْسُ عَلَيْهِمْ.

(امْرَأَةٌ) (صَالِحِينَ) (الدَّاخِلِينَ)

(١٠) - يَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِحَالِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُخَالِطُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُعَاشِرُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ مِنَ الْعِظَاتِ وَالذَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ، بِحَالِ امْرَأَةِ نُوحٍ وَامْرَأَةِ لُوطٍ، فَقَدْ كَانَتْ كُلُّ مِنْهُمَا زَوْجَةً لِنَبِيِّ صَالِحٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ تَنْتَفِعَا بِمَا كَانَا يَدْعَوَانِ إِلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْهُدَى وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَعَمِلْنَا أَعْمَالًا تَدُلُّ عَلَى الْخِيَانَةِ وَالْكَفْرِ، فَاتَّهَمَتْ امْرَأَةُ نُوحٍ زَوْجَهَا بِالْجُنُونِ، وَكَانَتْ امْرَأَةُ لُوطٍ تُرْسِدُ قَوْمَهَا إِلَى ضُلُوفِ زَوْجِهَا لِيَفْعَلُوا مَعَهُمُ الْخَبَائِثَ، فَأَهْلَكَهُمَا اللَّهُ مَعَ قَوْمِهِمَا، وَسَيَكُونُ مَصِيرُهُمَا النَّارُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَنْ يَنْفَعَهُمَا قُرْبُهُمَا مِنْ نَبِيِّنِ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَلَا

وَيَدْخُلَكُمْ جَنَّتِ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي
اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا
لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

٩ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ

وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْظُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

١٠ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ

كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ
لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ
عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا
فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
الدَّاخِلِينَ

اَنْتَسَابُهُمَا إِلَيْهِمَا، وَيُقَالُ لَهُمَا: ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهَا.
فَخَانَتْهُمَا - بِالنَّفَاقِ وَالنَّمِيمَةِ.
فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا - فَلَمْ يَدْفَعَا عَنْهُمَا وَلَمْ يَمْنَعَا عَنْهُمَا.

(آمَنُوا) (امْرَأَة) (الظَّالِمِينَ)

(١١) - وَهَذَا مِثْلُ آخَرِ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُمْ لَا تَضُرُّهُمْ مُخَالَطَةُ الْكَافِرِينَ إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِمْ، فَقَدْ كَانَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ مُؤْمِنَةً مُخْلِصَةً لِلَّهِ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ طَاغِيَةً جَبَّارًا، فَمَا ضَرَّ امْرَأَتَهُ كُفْرُ زَوْجِهَا جِئِنْ أَطَاعَتْ رَبَّهَا لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ عَادِلٌ، لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا بِذَنْبٍ غَيْرِهِ. وَقَدْ سَأَلَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ رَبَّهَا أَنْ يَجْعَلَهَا قَرِيبَةً مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَنْ يَنْبِيَّ لَهَا عِنْدَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَأَنْ يُنْقِذَهَا مِنْ فِرْعَوْنَ وَأَعْمَالِهِ الْخَبِيثَةِ، وَأَنْ يُنَجِّيَهَا مِنْ قَوْمِهِ الظَّالِمِينَ.

(ابْنَةُ) (عِمْرَانَ) (بِكَلِمَاتٍ) (الْقَاتِنِينَ)

(١٢) - وَضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا آخَرَ لِلَّذِينَ آمَنُوا حَالَ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ، وَمَا أُوتِيَتْ مِنْ كَرَامَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَاصْطَفَاهَا اللَّهُ رَبُّهَا، وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَلَكًا كَرِيمًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ تَمَثَّلَ لَهَا فِي صُورَةِ بَشَرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي خَلْوَتِهَا، فَاسْتَعَاذَتْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ، فَبَشَّرَهَا بِأَنَّهَا سَيَكُونُ لَهَا وَلَدٌ يُوَلَّدُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ، وَيَكُونُ نَبِيًّا كَرِيمًا.

وَنَفَخَ فِيهَا الْمَلَكُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ فَحَمَلَتْ بَعِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَدَّقَتْ مَرْيَمُ بِشَرَائِعِ اللَّهِ، وَبِكُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَكَانَتْ فِي عِدَادِ الْقَاتِنِينَ الْعَابِدِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى.

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا - عَفَتْ وَصَانَتْهُ مِنَ الرِّجَالِ.

مِنْ رُوحِنَا - رُوحًا مِنْ خَلْقِنَا بِلاَ تَوْسِطٍ - أَيُّ بِدُونِ أَبٍ.

مِنْ الْقَاتِنِينَ - مِنَ الْقَوْمِ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى.

❶ وَضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا
فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ

❷ وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ

فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ
رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ
رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا

(٦٧) سُورَةُ الْمُلْكِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تَبَارَكَ)

(١) - يُمَجِّدُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ، وَيُخْبِرُ عِبَادَهُ بِأَنَّهُ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِمَا يَشَاءُ، لَا مُعَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُوَ ذُو قُدْرَةٍ عَلَى فِعْلِ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ.

تَبَارَكَ - تَعَالَى - وَتَمَجَّدَ، أَوْ تَكَاثَّرَ خَيْرُهُ.
بِيَدِهِ الْمُلْكُ - بِيَدِهِ الْأَمْرُ، وَهُوَ صَاحِبُ النَّهْيِ وَالسُّلْطَانِ.

(الْحَيَاةُ)

(٢) - وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَ الْخَلَائِقَ مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَوْتَ الَّذِي تَتَعَدَّمُ بِهِ الْحَيَاةُ، لِيَقْهَرَ عِبَادَهُ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مِنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مَوَاقِيتَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ. وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُخْتَبِرَكُمْ، وَلِيَعْلَمَ أَكْبَرَكُمْ يَكُونُ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَأَكْثَرَ وَرْعًا عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَاللَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ الشَّدِيدُ الْإِنْتِقَامِ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَهُوَ الْغَفُورُ لِدُخُوبِ مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ.

خَلَقَ الْمَوْتَ - أَوْجَدَهُ أَوْ قَدَرَهُ أَرْزَلَ.
لِيُتْلُوَكُمْ - لِيُخْتَبِرَكُمْ فِيمَا بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ.
أَحْسَنَ عَمَلًا - أَصْوَبُهُ أَوْ أَكْثَرُهُ إِخْلَاصًا.

(سَمَاوَاتٍ) (تَفَاوُتٍ)

(٣) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ (طَبَاقًا)، تَقُومُ كُلُّهَا وَفْقَ نِظَامٍ يَدْبِعُ، فَلَا عَمْدَ، وَلَا أَرْبَطَةَ تَشُدُّهَا وَتَرْبُطُ بَيْنَهَا، وَلَا يَرَى النَّاطِرُ فِي خَلْقِ هَذِهِ السَّمَاوَاتِ تَفَاوُتًا، وَلَا خِلَافًا.

① تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

الجزء ٢٩
الجزء ٥٧

② الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ

أَكْبَرَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ

③ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا

مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ

تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ

فُتُورٍ

وَإِذَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ بِبَصَرِهِ إِلَى
السَّمَاوَاتِ لِيَرَى حَقِيقَةَ النَّاسِقِ وَالْأَنْسِجَامِ الْقَائِمِينَ فِي خَلْقِهَا، فَإِنَّهُ لَنْ
يَرَى فِيهَا خَللاً وَلَا تَنَافُراً وَلَا تَشَقُّقاً.

طَبَاقاً - كُلُّ سَمَاءٍ تَلْفُ الْأُخْرَى.

الْفُطُورُ - الْخَلْلُ أَوْ التَّشَقُّقُ.

التَّفَاوُتُ - الْاِخْتِلَافُ وَعَدَمُ التَّنَاسُبِ.

(٤) - وَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَرَّرَ النَّظَرَ إِلَى هَذِهِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَهُ، وَهُوَ يَبْحَثُ
فِيهَا عَنْ خَلْلٍ أَوْ تَشَقُّقٍ أَوْ عَدَمِ أَنْسِجَامٍ وَأَنْسَاقٍ، فَإِنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ
بَصَرُهُ بِمَا يَبْحَثُ عَنْهُ مِنْ خَلْلٍ وَتَفَاوُتٍ، وَعَيْبٍ فِي خَلْقِهَا، وَإِنَّمَا
يَرْجِعُ إِلَيْهِ بَصَرُهُ ذَلِيلًا صَاعِراً، عَنْ أَنْ يَرَى غَيًّا أَوْ خَللاً، كَلِيلًا قَدْ
أَغْيَاهُ طَوْلُ الْبَحْثِ وَالْمَرَاجَعَةِ.

كَرَّتَيْنِ - رَجَعَتَيْنِ الْوَاحِدَةُ بَعْدَ الْأُخْرَى.

الْحَسِيرُ - الدَّابَّةُ الَّتِي تَتَوَقَّفُ كَلَالاً وَعَجْزاً عَنِ الْمَسِيرِ وَحَسَرَ الْبَصَرَ كُلَّ
فَهْوٍ حَسِيرٍ.
الْغَاسِيَةُ - الصَّاعِرُ الدَّلِيلُ.

(بِمَصَابِيحَ) (جَعَلْنَاهَا) (لِلشَّيَاطِينِ)

(٥) - وَلَقَدْ زَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا الْقَرِيبَةَ مِنَ الْأَرْضِ بِكَوَاكِبٍ
مُضِيئَةٍ وَكَأَنَّهَا الْمَصَابِيحُ فِي اللَّيْلِ، كَمَا يُزَيِّنُ النَّاسُ بِيُوتَهُمْ وَمَسَاجِدَهُمْ
بِالْمَصَابِيحِ، وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْكَوَاكِبَ مَصَادِرَ شُهَبٍ تُرْجَمُ بِهَا
الشَّيَاطِينُ، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لِلشَّيَاطِينِ خِزْيَ الرَّجْمِ بِالشُّهُبِ فِي الدُّنْيَا،
وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ فِي الْآخِرَةِ.

الْمَصَابِيحُ - الْكَوَاكِبُ الْعَظِيمَةُ الْمُضِيئَةُ.

السَّعِيرُ - النَّارُ الْمُلْتَهَبَةُ الْمُتَلَطِّئَةُ.

رُجُومًا - تَنْقُضُ عَلَيْهِمْ قِطْعَ مِنْهَا.

(٦) - وَلَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأَشْرَكُوا بِعِبَادَتِهِ، عَذَابًا
أَلِيمًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَبُنِيتْ نَارُ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ مُسْتَقرًّا وَمَصِيرًا.

(٧) - وَإِذَا أَلْقَى الْكَافِرُ الْمُجْرِمُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَمِعُوا لَهَا صِيَاحًا
وَصُوتًا كَصُوتِ الْمُتَغَيِّظِ مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ (شَهيقًا)، وَهِيَ تَقُورُ بِمَا فِيهَا،
وَتَغْلِي كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ بِمَا فِيهِ.

شَهيقًا - صَوْتًا مُنْكَرًا.

تَقُورُ - تَغْلِي غَلْيَانِ الْقِدْرِ بِمَا فِيهَا.

٤ ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ

الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ

٥ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ

وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا

لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ

٦ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ

وَلَيْسَ الْمَصِيرُ

٧ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا

وَهِيَ تَقُورُ

(٨) - وَهِيَ تَكَادُ يَفْصِلُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ وَالْغَيْظِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ، وَكُلَّمَا طُرِحَ فِيهَا فَوْجٌ مِنَ الْكَفَرَةِ سَأَلَهُمْ حُرَّاسُ النَّارِ مُقَرَّرِينَ مُوَبَّخِينَ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبِيٌّ مِنْ رَبِّكُمْ يُنذِرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا؟ فَوْجٌ - جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُفَّارِ.

(ضَلَالٍ)

(٩) - وَيَرُدُّ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ عَلَى خَزَنَةِ جَهَنَّمَ قَائِلِينَ: بَلَى لَقَدْ جَاءَنَا رَسُولٌ مِنْ رَبِّنَا يَدْعُونَا إِلَى اللَّهِ، وَيُنذِرُنَا مِنْ عَذَابِهِ، فَكَذَّبْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْزِلْ شَيْئًا، وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْنَا رَسُولًا، وَمَا أَنْتَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا، فَمَا أَنْتَ، فِيمَا تَدْعِيهِ مِنَ الرِّسَالَةِ مِنَ اللَّهِ، إِلَّا مُجَانِبٌ لِلْحَقِّ، بَعِيدٌ عَنْ جَادَةِ الصَّوَابِ.

(أَصْحَابِ)

(١٠) - وَقَالُوا مُبْدِينَ أَسْفَهُمْ وَنَدَمَهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، فِي وَقْتٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ النَّدَمُ: لَوْ كَانَتْ لَنَا أَذَانٌ تَسْمَعُ، أَوْ عَقُولٌ تُدْرِكُ، وَنَعِي بِهَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، لَمَا كُنَّا أَقْمَنًا عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَالْإِغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا، وَلَمَا صِرْنَا إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ الْيَوْمَ مِنَ الْجَزْيِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(لِأَصْحَابِ)

(١١) - فَاعْتَرَفُوا بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ لِلرُّسُلِ، وَمِنْ أَنْهَمَاكَ فِي مَلَذَاتِ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ هَذَا الْإِعْتِرَافُ لَنْ يَفِيدَهُمْ شَيْئًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَسُحْقًا وَبَعْدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ لِلَّذِينَ يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ نَارِ جَهَنَّمَ الْمُسْتَعْرَةِ.

(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذَرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ).

وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: لَا يَدْخُلُ أَحَدُ النَّارِ إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ النَّارَ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْجَنَّةِ).

(١٢) - إِنَّ الَّذِينَ يَخَافُونَ مَقَامَ رَبِّهِمْ فَيَكُفُّونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي، وَيَقُومُونَ بِالطَّاعَاتِ وَهُمْ بَعِيدُونَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ إِذْ لَا تَرَاهُمْ عَيْنٌ غَيْرُ عَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيَأْنِ يُجْزَلَ لَهُمُ الثَّوَابُ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ، وَيُدْخِلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

٨ تَكَادُ تَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

٩ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ

١٠ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ

١١ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ

١٢ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

(١٣) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى أَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَعَلَانِيَتَهُمْ، وَسَوَاءَ أَضْمَرُوا شَيْئًا فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ أَعْلَنُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا تَخْفَى مِنْهُمْ خَافِيَةٌ عَلَى رَبِّهِمْ.

(١٤) - وَكَيْفَ لَا يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى السِّرَّ وَالْجَهْرَ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَ، بِحِكْمَتِهِ وَوَاسِعِ عِلْمِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ فِي هَذَا الْوُجُودِ، وَهُوَ الْوَاقِعُ عِلْمُهُ إِلَى مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ؟.

(١٥) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْأَرْضَ لِلْعِبَادِ، وَجَعَلَهَا مَذَلَّةً سَاكِنَةً، وَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ لِكَيْلًا تَضْطَرِبَ وَتَمِيدَ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْخَلَائِقِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْمَيَاةَ، وَسَلَكَهَا فِي الْأَرْضِ جُدَاوِلَ وَانْهَارًا، لِيَنْتَفِعَ بِهَا الْخَلْقُ فِي الشَّرْبِ، وَفِي زَيِّ زُرُوعِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ سُبُلًا، فَسَافَرُوا بِأَيُّهَا النَّاسُ فِي أَرْجَائِهَا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَتَرَدَّدُوا فِي أَرْجَائِهَا وَأَقَالِيمِهَا طَلَبًا لِلرِّزْقِ وَالتَّجَارَةِ، وَكُلُوا مِمَّا أَخْرَجَهُ لَكُمْ مِنْهَا مِنَ الرِّزْقِ، وَإِلَى اللَّهِ مَرْجِعُ الْأَمْرِ، وَإِلَيْهِ يَصِيرُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعًا.

وَالْمَخْلُوقَاتُ تَسْعَى فِي الرِّزْقِ وَفَقْدِ الْأَسْبَابِ الْإِلَازِمَةِ لَهُ وَلَكِنْ سَعَى سَعَاهَا وَخَدَهُ لَا يَكْفِي، وَلَا يُجِدِي عَلَيْهَا نَفْعًا إِلَّا أَنْ يُسِرَّهُ اللَّهُ لَهَا، فَالْسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ.

الْمَنَاكِبُ - الْأَطْرَافُ وَالْفَجَاجُ.

ذُلُولًا - مُذَلَّلَةً لِنَيْتِهِ، لِيَسْتَفِرَّ عَلَيْهَا النَّاسُ.

إِلَيْهِ النُّشُورُ - تُبْعَثُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْقُبُورِ.

(أُمِّتُمْ)

(١٦) - أُمِّتُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ يَخْضِعَ رَبُّكُمْ بِكُمْ الْأَرْضَ، كَمَا خَسَفَهَا بِقَارُونَ، فَإِذَا هِيَ تَتَحَرَّكُ، وَتَضْطَرِبُ وَتَذْهَبُ وَتَجِيءُ.

يَخْضِعَ بِكُمْ - يُغَوِّرَ بِكُمْ.

تَمُورُ - تَضْطَرِبُ وَتَتَحَرَّكُ حَرَكَةً دَائِرِيَّةً وَهِيَ فِي مَكَانِهَا كَمَا تَدُورُ الرِّيحُ.

(١٧) - أَمْ أُمِّتُمْ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ رِيحًا تَحْمِلُ الْحَصَبَاءَ لِيُهْلِكَكُمْ بِهَا، كَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ لُوطٍ، وَجَيْشِدُ تَعْلَمُونَ كَيْفَ يَكُونُ عِقَابُهُ الَّذِي أَنْذَرَكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ هَذَا الْعِلْمُ لَنْ يَنْفَعَكُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. حَاصِبًا - رِيحًا فِيهَا حَصَبَاءُ.

كَيْفَ نَذِير - كَيْفَ إِنْكَارِي وَقُدْرَتِي عَلَيْهِمْ بِالْعِقَابِ.

١٣ وَأَسْرَأُ قَوْلَكُمْ وَأَوَجَّهُرُ وَابِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

١٤ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

١٥ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ

١٦ أَمْ أُمِّتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ

١٧ أَمْ أُمِّتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ

١٨ - وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ

١٩ - أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ
وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ
إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ

(صَافَاتِ)

(١٨) - وَلَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمُ الْأُمَمُ السَّالِفَةُ الرُّسُلَ الَّذِينَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ إِلَيْهَا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، فَكَيْفَ كَانَ إِنْكَارُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَكَيْفَ كَانَتْ مُعَاقِبَتُهُ
لَهُمْ؟
كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ - كَيْفَ كَانَ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ ..

(١٩) - أَغْفَلُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ وَالْبَعْثِ، وَلَمْ
يَنْظُرُوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ تَطِيرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَهِيَ بِاسِطَةٍ أَجْنَحَتِهَا تَارَةٌ
حِينَ طَيْرَانِهَا، وَتَارَةٌ قَابِضَتُهَا، وَمَا يُمْسِكُهُنَّ عَنِ السَّقُوطِ عَلَى
الْأَرْضِ، فِي حَالَتِي الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُنَّ وَبَارِئُهُنَّ الَّذِي
أَلْهَمَهُنَّ طَرِيقَةَ الطَّيْرَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَصِيرٌ بِمَا يُصْلِحُ حَالَ كُلِّ مَخْلُوقٍ
مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَيُسِرُّهُ لِلْقِيَامِ بِهِ.
صَافَاتِ - بِاسِطَاتِ أَجْنَحَتِهَا عِنْدَ الطَّيْرَانِ.
وَيَقْبِضْنَ - وَيَضْمُمْنَهَا إِذَا ضَرَبْنَ بِهَا جُنُوبَهُنَّ.

(أَمْ مَنْ) (الْكَافِرُونَ)

٢٠ - أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ
مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي
غُرُورٍ

(٢٠) - أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يُعِينُكُمْ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ وَالضَّرِّ عَنْكُمْ، إِنْ أَرَادَ
اللَّهُ بِكُمْ سُوءًا؟ .. إِنَّ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ
وَالْأَنْدَادَ، الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، هِيَ قَادِرَةٌ عَلَى حِفْظِهِمْ مِنْ
الْمَصَائِبِ وَالنَّوَائِبِ، هُمْ ضَالُّونَ مَغْرُورُونَ، وَقَدْ أَغْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ
وَعَرَّاهُمْ بِالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُهُمْ
وَيَكْلُسُهُمْ بِعَيْنَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَوْ يَوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ لَمَا أَبْقَى
عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ.
أَمْ مَنْ هَذَا - بَلْ مَنْ هَذَا.
جُنْدٌ لَكُمْ - أَعْوَانٌ لَكُمْ وَمَنْعَةٌ.
غُرُورٍ - خَدِيعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَجُنْدِهِ.

(أَمْ مَنْ)

٢١ - أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ
رِزْقَهُ، بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ

(٢١) - وَمَنْ هَذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْزُقَكُمْ إِنْ مَنَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ أَسْبَابَ
الرِّزْقِ: كَأَمْسَاكِ الْمَطَرِ، وَغُورِ الْعَيْنِ وَالْجَدَاوِلِ وَالْأَنْهَارِ. .. إِنَّ
الْكَافِرِينَ يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ رِزْقَ الْعِبَادِ
غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا عُتُوًّا

مِنْهُمْ، وَعِنَادًا، وَنُفُورًا عَنْ قُبُولِ الْحَقِّ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ.
لَجُّوا فِي عُتُوٍّ - تَمَادَوْا فِي اسْتِكْبَارٍ وَعِنَادٍ.
نُفُورٍ - تَبَاعَدٍ عَنِ الْحَقِّ وَشُرُودٍ.

(صِرَاطٍ) (أَمٍّ مِنْ)

(٢٢) - وَهَذَا مِثْلُ يَضْرِبُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَالْكَافِرُ مِثْلُهُ فِيمَا هُوَ فِيهِ كَمِثْلِ مَنْ يَمْشِي مُنْحِنًا يَتَعَثَّرُ فِي طَرِيقِهِ، وَيَجُرُّ عَلَى وَجْهِهِ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ لِنَوْعِ طَرِيقِهِ، لَا يَعْرِفُ أَيْنَ يَسْلُكُ، وَلَا كَيْفَ يَذْهَبُ. وَالْمُؤْمِنُ مِثْلُهُ كَمِثْلِ مَنْ يَمْشِي مُنْتَصِبٌ الْقَامَةِ، مُسْتَوِيًا، فَهُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ مَسْلَكِهِ، وَعَلَى هُدًى مِنْ طَرِيقِهِ. فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي الَّذِي يَسِيرُ مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ، مَعَ مَنْ يَسِيرُ مُنْتَصِبٌ الْقَامَةِ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ، الَّذِي يَكُونُ عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ وَبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، مَعَ الْكَافِرِ، الَّذِي ضَلَّ طَرِيقَ الْهُدَى وَالرَّشَادِ.
مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ - سَاقِطًا عَلَى وَجْهِهِ لَا يَأْمَنُ الْعُثُورَ.
يَمْشِي سَوِيًّا - يَمْشِي مُسْتَوِيًا مُنْتَصِبٌ الْقَامَةِ سَالِمًا مِنَ الْعُثُورِ.

(الْأَنْصَارِ)

(٢٣) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَكُمْ مِنْ عَدَمٍ، وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ لِيَسْمَعُوا بِهِ إِلَى الْمَوَاعِظِ، وَجَعَلَ لَكُمْ الْأَبْصَارَ لِيَنْتَظَرُوا بِهَا بَدِيعَ صُنْعِ اللَّهِ، وَجَعَلَ لَكُمْ الْأَفْئِدَةَ لِيَتَفَكَّرُوا فِيمَا خَلَقَ رَبُّكُمْ فِي هَذَا الْكَوْنِ، وَلِكِنَّكُمْ قَلَمًا تَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ الْقُوَى فِيمَا خَلَقَهَا اللَّهُ لَهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ قَدْرَهَا، وَمَبْلَغَ نَفْعِهَا فَلَمْ تَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا حَقَّ الشُّكْرِ.

(٢٤) - وَقُلْ لَهُمْ مُنْبَهَا إِلَى خَطِيئَتِهِمْ: إِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَبَنَىكُمْ فِي أَرْجَائِهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ، ثُمَّ إِذَا حَانَتْ آجَالُكُمْ أَمَاتَكُمْ، ثُمَّ يُعَوِّدُ فَيُحْشَرُكُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.
ذَرَأَكُمْ - خَلَقَكُمْ وَبَنَىكُمْ وَفَرَّقَكُمْ.

(صَادِقِينَ)

(٢٥) - وَيَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ الْمُجْرِمُونَ مُسْتَهْزِئِينَ مُتَهَكِّمِينَ: مَتَى يَفْعُ مَا تَعِدُنَا بِهِ مِنَ الْخَسْفِ وَالْحَضْبِ، فِي الدُّنْيَا، وَالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَقُولُ؟

﴿٢٢﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ

أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ

﴿٢٤﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ

﴿٢٥﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ

(٢٦) - فَقُلْ لَهُمْ مُجِيبًا: إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ وَقْتَ ذَلِكَ عَلَى التَّحْدِيدِ وَالتَّعْيِينِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَلَكِنَّهُ أَمَرَنِي بِأَنْ أَقُولَ لَكُمْ: إِنَّهُ كَائِنٌ وَوَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، فَاحْذَرُوهُ، وَأَنَا مَهْمَتِي هِيَ إِبْلَاغُكُمْ ذَلِكَ، وَإِنذَارُكُمْ بِوُقُوعِهِ، وَقَدْ قُمْتُ بِمَا كَلَّفْتُ بِهِ.

(٢٧) - وَجِئْنَا تَقُومُ السَّاعَةُ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ لِلْحِسَابِ وَالْحِزَاءِ، يُشَاهِدُ الْكَفَرَةَ الْعَذَابَ، وَيَرَوْنَ أَنَّ أَجْلَهُ كَانَ قَرِيبًا (رُفْقَةً)، لِأَنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ، فَيَسْوَوْهُمْ ذَلِكَ، وَتَعْلُو وُجُوهُهُمُ الْكَآبَةَ وَالْقَتَرَةَ، إِذْ جَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ مَا لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: هَذَا هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ وَقُوعَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَا هُوَ قَدْ جَاءَكُمْ بِأَهْوَالِهِ.

وَأَوَّهَ رُفْقَةً - رَأَوْا الْعَذَابَ قَرِيبًا مِنْهُمْ.
سَيِّئَتْ - كَبِيتْ وَأَسْوَدَّتْ عَمَاءً.
بِهِ تَدْعُونَ - تَطْلُبُونَ أَنْ يُعَجَّلَ لَكُمْ اسْتِهْزَاءً.

(أَرَأَيْتُمْ) (الْكَافِرِينَ)

(٢٨) - فَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ، الْجَاحِدِينَ نِعْمَهُ وَآلَاءَهُ: أَخْبِرُونِي عَنِ الْفَائِدَةِ الَّتِي تَجْنُونَهَا مِنْ مَوْتِي، سِوَاءِ أَمَاتَنِي اللَّهُ أَنَا وَمَنْ مَعِيَ، أَوْ آخَرَ أَجَلْنَا، فَأَيُّ نَفْعٍ لَكُمْ فِي ذَلِكَ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُجِيرُكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ إِذَا نَزَلَ بِكُمْ؟ أَتُظَنُّونَ أَنَّ أَصْنَامَكُمْ، الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا آلِهَةً، هِيَ قَادِرَةٌ عَلَى نَصْرِكُمْ، وَإِنْفَادِكُمْ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ الْأَلِيمِ؟ إِنْ تِلْكَ الْأَصْنَامُ لَنْ تَنْفَعَكُمْ شَيْئًا، وَالْقَادِرُ عَلَى إِنْجَائِكُمْ وَإِنْفَادِكُمْ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَاخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ، وَآمِنُوا بِكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَابْعَثُوا الْحِسَابَ.

يُجِيرُ الْكَافِرِينَ - يُنَجِّيهِمْ وَيَمْنَعُهُمْ.

(آمَنَّا) (ضَلَالٍ)

(٢٩) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي وَمَنْ مَعِيَ آمَنَّا بِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا، وَسَيَبَيِّنُ لَكُمْ مَنْ سَيَكُونُ الضَّلَالُ - مَنَا وَمِنْكُمْ - وَمَنْ يَكُونُ الْمُهْتَدِي، وَسَتَعْلَمُونَ مَنْ يَكُونُ الْهَالِكُ عَدَا إِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ، وَمَنْ يَكُونُ النَّاجِي.

﴿٢٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ

﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ

﴿٢٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

﴿٢٩﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

﴿٢٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا

فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ

(أَرَأَيْتُمْ)

(٣٠) - وَقُلْ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي إِذَا ذَهَبَ مَاؤُكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَلَمْ تَعُودُوا تَسْتَطِيعُونَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ جَارٍ عَذْبٍ تَشْرَبُونَ مِنْهُ؟ وَبِمَا أَنَّ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالشُّرَكَاءِ. غَوْرًا - غَائِبًا ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ.

بِمَاءٍ مَعِينٍ - جَارٍ أَوْ ظَاهِرٍ سَهْلٍ التَّنَاضُلِ.

(٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(نُونُ)

(١) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِحَرْفِ النُّونِ، وَبِالْقَلَمِ وَمَا يَكْتُبُ النَّاسُ.
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِـ (نَ) هِيَ الدَّوَاءُ لِأَنَّهَا عَلَى شَكْلِ حَرْفِ النُّونِ،
وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِالْقَلَمِ الْقَلَمُ الَّذِي أَجْرَاهُ اللَّهُ بِالْقَدَرِ.
(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ أَكْتُبْ.
فَقَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ.
قَالَ: أَكْتُبِ الْقَدَرَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ). (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ).
وَمَا يَسْطُرُونَ - وَالَّذِي يَكْتُبُونَ بِالْقَلَمِ.

(٢) - لَسْتَ يَا مُحَمَّدُ، بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْكَ، بِمَجْنُونٍ، كَمَا يَقُولُ
الْجَهْلَةُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ، الَّذِينَ جَنَّتْهُمْ بِالْهُدَى فَاتَّهَمُوكَ بِالْجُنُونِ.
و (مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ) - جَوَابُ الْقَسَمِ.

(٣) - وَإِنَّ لَكَ مِنْ رَبِّكَ أَجْرًا عَظِيمًا، وَتَوَابًا جَزِيلًا لَا يَنْقُطِعُ وَلَا يَبِيدُ،
عَلَى قِيَامِكَ بِإِبْلَاحِ رِسَالَةِ رَبِّكَ إِلَى الْخَلْقِ، وَعَلَى صَبْرِكَ عَلَى أَذَاهُمْ.
غَيْرَ مَمْنُونٍ - غَيْرَ مَقْطُوعٍ أَوْ غَيْرَ مَجْدُودٍ

(٤) - وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، وَلَعَلَى دِينٍ عَظِيمٍ؛ فَقَدْ كَانَ صَلَوَاتُ
اللَّهِ عَلَيْهِ كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (خُلُقَهُ الْقُرْآنُ).

(٥) - فَسَتَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ، وَسَيَعْلَمُ مَخَالِفُوكَ وَمُكَذِّبُوكَ.

(٦) - مَنْ هُوَ الْمُفْتُونُ الضَّالُّ عَنِ الْهُدَى: أَنْتَ أَمْ هُمْ؟
الْمُفْتُونُ - الضَّالُّ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى.



ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ

مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ

فَسَتَبَصِّرُ وَبَصِيرُونَ

يَا أَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ

(٧) - إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ حَادَّ عَنِ الطَّرِيقِ السَّيِّئِ الْمُؤَدِّي إِلَى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى إِلَى سَبِيلِهِ الْقَوِيمِ، وَطَرِيقِهِ الْمُسْتَقِيمِ .

(٨) - وَكَمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ، وَالشَّرْعِ الْمُسْتَقِيمِ، فَأَقِمْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّكَ، وَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ، وَلَا تُدَارِهِمْ، وَلَا تَلَايِنُهُمْ، طَمَعاً فِي أَنْ يَتَّبِعُوكَ .

(٩) - وَدَّ الْمُشْرِكُونَ لَوْ تَرَكْتَ بَعْضَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِمَّا لَا يَرْضَوْنَهُ مُصَانَعَةً لَهُمْ، فَتَلِينَ لَهُمْ وَيَلِينُونَ لَكَ .
(وَهَذَا شَيْءٌ غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ تَرَكَ بَعْضَ الدِّينِ كُفْرٌ) .
وَدُّوا لَوْ تَذْهَبُ - أَحْبَبُوا لَوْ تَلَايِنُهُمْ وَتَصَانِعُهُمْ .

(١٠) - وَلَا تَطْعِ الْمِكْثَارَ مِنَ الْحَلْفِ بِاللَّهِ، الَّذِي يُكْثِرُ مِنَ الْحَلْفِ فِي الْحَقِّ وَفِي الْبَاطِلِ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَهِينٌ وَمُحْتَقَرُ الرَّأْيِ .
حَلَّافٌ - كَثِيرُ الْحَلْفِ فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .
مَهِينٌ - حَقِيرٌ فِي الرَّأْيِ .

(١١) - كَثِيرُ الْهَمْزِ وَالْاِغْتِيَابِ وَالطَّعْنِ فِي النَّاسِ، كَثِيرُ السُّنْجِي فِي النِّمِيمَةِ، وَنَقْلُ الْأَحَادِيثِ الْمُؤَذِيَةِ، الَّتِي تَقْطَعُ الْأَوَاصِرَ، وَتُسِيءُ إِلَى الْعَلَائِقِ بَيْنَ النَّاسِ .
هَمَّازٌ - عِيَابٌ لِلنَّاسِ أَوْ مُغْتَابٌ لَهُمْ .
مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ - يَمْشِي بِالسَّعَايَةِ وَالْإِفْسَادِ بَيْنَ النَّاسِ .

(١٢) - كَثِيرُ الْبُخْلِ، مُقَرِّطٌ فِي إِمْسَاكِ مَالِهِ عَنْ أَنْ يَجُودَ بِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَعَنْ أَنْ يَبْذُلَ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ وَمَصَالِحِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ مُتَجَاوِزٌ حُدُودَ مَا شَرَعَ اللَّهُ، كَثِيرُ الْأَرِيكَابِ لِلْإِثَامِ، لَا يُبَالِي بِمَا أَرْتَكَبُ مِنْ سَيِّئَاتٍ، وَلَا بِمَا أَجْتَرَحَ مِنْ إِجْرَامٍ .
الْأَيْثِمُ - الَّذِي مِنْ طَبْعِهِ أَنْ يَفْعَلَ الْإِثَامَ .

(١٣) - وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ فَظٌ غَلِيظُ الْقَلْبِ، مُتَمَيِّزٌ بِالشُّرُورِ وَالْآثَامِ، فَلَا يَمُرُّ بِقَوْمٍ إِلَّا عَرَفُوا أَنَّهُ رَجُلٌ سُوءٍ، (كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَعْرِيفِ زَيْنِمٍ) .

زَيْنِمٍ - مَعْرُوفٌ بِالشُّرُورِ وَالْآثَامِ - وَهُوَ الْمُتَلَصِّقُ بِنَسَبِ غَيْرِهِ وَهُوَ أَيْضاً ابْنُ الزَّئِنِيِّ .

عُتْلٌ - فَاحِشٌ لَيْثِمٌ - أَوْ غَلِيظٌ جَافٍ .

⑦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ

سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

⑧ فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ

⑨ وَدُّوا لَوْ تَذْهَبُ فَيَذْهَبُونَ

⑩ وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ

⑪ هَمَّازٍ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ

⑫ مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ

⑬ عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِمٍ

(١٤) - وَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ وَالْبَنِينَ .

(آيَاتُنَا) (أَسَاطِيرُ)

(١٥) - فَإِنَّهُ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى أَنْعُمِهِ وَلَا إِلَهَ، وَلَكِنَّهُ يَكْفُرُ وَيَعْتَوِ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، فَإِذَا تَلَّيْتُ عَلَيْهِ آيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَقُولُ عَنْهَا: إِنَّهَا مِنْ قَصَصِ الْأَقْدَمِينَ وَأَسَاطِيرِهِمْ .

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - أَبَاطِيلُهُمُ الْمَسْطُورَةُ فِي كُتُبِهِمْ .

(١٦) - وَتَهْتَدُ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْعَتَلُ الزَّيْمُ الَّذِي لَا يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالٍ وَبَنِينَ، بَأَنَّهُ سَيِّئٌ أَمْرُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى يَعْرِفُوهُ، كَمَا يَعْرِفُ الْفِيلَ بِالسَّمَةِ عَلَى الْخَرْطُومِ .

(وَقِيلَ إِنَّ السَّيْفَ حَطَّمَ أَنْفَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَعَرَفَ النَّاسُ مَنْ هُوَ هَذَا الْعَبْدُ الْكَافِرُ بِأَنْعَمِ اللَّهِ، الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِذْ لَالَهُ وَتَحْقِيرَهُ، جَزَاءً لَهُ عَلَى عَتُوِّهِ، وَتَكْبِيرِهِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ) .

سَنَسِمُهُ - سَنَلْجِقُ بِهِ عَارًا لَا يُمَحَى كَالْوَسْمِ عَلَى الْأَنْفِ .

(بَلَوْنَاهُمْ) (أَصْحَابُ)

(١٧) - رُوي أَنَّ أَبَا جَهْلٍ طَلَبَ مِنْ قُرَيْشٍ، حِينَ خُرُوجِهِمْ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ، أَنْ يَأْخُذُوا مَعَهُمْ جَبَالًا لِيَشُدُّوا بِهَا وَثَاقَ الْأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ سَيَقْعُونَ فِي أَسْرِهِمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَشْكُونَ فِي أَنَّهُمْ هُمُ الْغَالِبُونَ .

وَيَبِينَ تَعَالَى أَنَّهُ اخْتَبَرَ كُفْرَ مَكَّةَ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الْوَاسِعَةِ، وَبِمَا رَجَمَهُمْ بِهِ مِنْ وَاسِعِ الْعَطَاءِ، لِيَنْظُرَ خَالَهُمْ أَيْشْكُرُونَ النِّعَمَ، وَيُؤَدُّونَ حَقَّهَا، وَيَتَّبِعُونَ دَايِعِي اللَّهِ وَرَسُولَهُ، أَمْ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَيَكْذِبُونَ رَسُولَهُ، فَيَضُبُّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ مِنْ عِنْدِهِ، كَمَا اخْتَبَرَ أَصْحَابُ الْبُسْتَانِ الَّذِينَ مَنَعُوا حَقَّ اللَّهِ فِيهِ، وَعَزَمُوا عَلَى الْأَلَا يُؤَدُّوا زَكَاتَهُ لِلْبُؤْسَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى فِعْلِهِمْ بِأَنْ دَمَرُ بُسْتَانَهُمْ شَرَّ تَدْمِيرٍ، فَقَدْ حَلَفَ أَصْحَابُ الْبُسْتَانِ لِيَقْطَعْنَ ثِمَارَهُ فِي غُدْوَةِ الْيَوْمِ التَّالِي، حَتَّى لَا يَعْلَمَ بِهِمْ سَائِلٌ وَلَا فَقِيرٌ .

بَلَوْنَاهُمْ - أَمْتَحَنَاهُمْ .

الْحَنَّةُ - الْبُسْتَانُ .

مُضْجِحِينَ - دَاخِلِينَ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ .

الصَّرْمُ - قَطْفُ الثَّمَارِ .

١٤ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ

١٥ إِذَا تَلَّيْتُ عَلَيْهِ آيَاتِنَا قَالَ

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

١٦ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخَرْطُومِ

١٧ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ

أَقْسَمُوا لِيَصْرِمْنَهَا مَصْبِحِينَ

(١٨) - وَلَمْ يَسْتَنْوُا فِي حَلْفِهِمْ، وَلَمْ يَقُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ (أَوْ إِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَنْوُا حِصَّةَ الْمَسَاكِينِ كَمَا أَوْصَاهُمْ آبَاؤُهُمْ).

(طَائِفٌ) (نَائِمُونَ)

(١٩) - فَاحَاطَ أَمْرُ رَبِّكَ بِتِلْكَ الْجَنَّةِ لَيْلًا، وَهُمْ نَائِمُونَ.

طَافَ - أَحَاطَ بِهَا نَازِلًا.

طَائِفٌ - بَلَاءٌ عَظِيمٌ أَوْ نَارٌ مُحْرِقَةٌ.

(٢٠) - فَأَصْبَحَتْ تُشْبِعُ فِي سَوَادِهَا اللَّيْلَ الْبَيْهِمَ الْمُظْلِمَ (أَوْ أَنَّهَا أَصْبَحَتْ كَالْبُسْتَانِ الَّذِي تَمَّ قَطَافُ ثَمَارِهِ).

الصَّرِيمُ - اللَّيْلُ الشَّدِيدُ السَّوَادِ - أَوِ الْبُسْتَانُ الْمَقْطُوفُ ثَمَرُهُ.

(٢١) - وَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْعَدَاةِ.

(صَارِمِينَ)

(٢٢) - وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اذْهَبُوا عُذُوَةً لِقَطْفِ ثَمَارِ بُسْتَانِكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُصْرِرِينَ عَلَى قَطْفِهَا.

(يَتَخَفَتُونَ)

(٢٣) - فَانْطَلَقُوا إِلَى بُسْتَانِهِمْ، وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِصَوْتٍ خَافٍ، لِكَيْلَا يَسْمَعَ الْفُقَرَاءُ وَالْبُؤْسَاءُ مَا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ.

يَتَخَفَتُونَ - يَتَكَلَّمُونَ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ.

(٢٤) - وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تُمْكِنُوا الْيَوْمَ مَسْكِنًا مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بُسْتَانِكُمْ.

(قَادِرِينَ)

(٢٥) - وَعَدُّوا إِلَى بُسْتَانِهِمْ، وَهُمْ مُصَمَّمُونَ عَلَى مَنَعِ الْمَسَاكِينِ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الْبُسْتَانِ، وَعَلَى حِرْمَانِهِمْ مِنْ حَقِّهِمْ، وَهُمْ يَطْنُونَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى ذَلِكَ.

عَلَى حَرْدٍ - عَلَى مَنَعٍ.

(٢٦) - فَلَمَّا رَأَوْا بُسْتَانَهُمْ مُحْتَرَقًا، وَمَعَالِمَهُ مُتَغَيِّرَةً، وَلَا أَثَرَ فِيهِ لِلْخُضْرَةِ وَالنُّضْرَةِ ظَنُّوا أَنَّهُمْ ضَلُّوا الطَّرِيقَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُمْ سَلَكَوا طَرِيقًا آخَرَ.

إِنَّا لَضَالُّونَ - الطَّرِيقَ وَمَا هَذِهِ جَنَّتِنَا.

(٢٧) - وَلَمَّا تَأَكَّدَ لَهُمْ أَنَّ الْبُسْتَانَ هُوَ بُسْتَانُهُمْ، وَقَدْ هَلَكَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ، قَالُوا إِنَّهُ بُسْتَانُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ أَنَاسٌ لَا حِطَّ لَهُمْ وَلَا نَصِيبٌ (مَحْرُومُونَ).

١٨ وَلَا يَسْتَنْوُونَ

١٩ طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ

نَائِمُونَ

٢٠ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ

٢١ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ

٢٢ إِنْ أَعْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ

٢٣ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ

٢٤ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ

٢٥ وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ

٢٦ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ

٢٧ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ

(٢٨) - فَقَالَ لَهُمْ أَعَدَلْتُمْ وَأَفْضَلْتُمْ (أَوْسَطْتُمْ): أَلَمْ يَكُنِ الْأَفْضَلُ لَكُمْ أَنْ تَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى أَنْعَمِهِ عَلَيْكُمْ، فَتَسْبِّحُوهُ، وَتَنْزَهُوهُ؟...
أَوْسَطْتُمْ - أَرْجَحْتُمْ عَقْلاً وَأَحْسَنْتُمْ رَأْيًا.
لَوْلَا تَسْبِّحُونَ - هَلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ.

(سُبْحَانَ) (ظَالِمِينَ)

(٢٩) - فَذَرُّوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَسَبِّحُوا رَبَّهُمْ،
وَأَعْتَرَفُوا بِأَنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ، حِينَمَا أَرَادُوا مَنَعَ الْمَسَاكِينَ حَقَّهُمْ مِنْ ثَمَرِ
الْبُسْتَانِ.

(يَتْلَاوُمُونَ)

(٣٠) - فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ يُلُومَ بَعْضًا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
يَتَّهِمُ الْآخَرِينَ بِأَنَّهُمْ السَّبَبُ فِيَمَا كَانَ.
يَتْلَاوُمُونَ - يُلُومُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

(يَا وَيْلَنَا) (طَاغِينَ)

(٣١) - وَمَا كَانَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَّا أَنْ اعْتَرَفُوا بِالْخَطِيئَةِ وَالذَّنْبِ، وَقَالُوا: إِنَّا
اعْتَدَيْنَا وَجَاوَزْنَا الْحَدَّ حَتَّى أَصَابْنَا مَا أَصَابْنَا.

(رَاغِبُونَ)

(٣٢) - لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَنَا خَيْرًا مِنْهَا بَدَلًا بِتَوْبَتِنَا وَاعْتِرَافِنَا بِذُنُوبِنَا
وَتَكْفِيرِنَا عَنْ سَيِّئَاتِنَا، وَإِنَّا رَاغِبُونَ عَفْوَهُ، وَطَالِبُونَ الْخَيْرِ مِنْهُ.
رَاغِبُونَ - طَالِبُونَ مِنْهُ الْخَيْرَ وَالْعَفْوَ.

(٣٣) - وَهَكَذَا يَكُونُ عَذَابُ الدُّنْيَا الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ،
وَيَبْخُلُ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَمَنَعَ الْمَسَاكِينَ حَقَّهُمْ،
وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ وَأَشَقُّ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ شَيْئًا عَنْ نَارِ جَهَنَّمَ
وَالْعَذَابِ فِيهَا.

(جَنَاتٍ)

(٣٤) - وَلِلَّذِينَ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ، فَيَتَّقُونَ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَاتٍ،
وَيُحْتَنِبُونَ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، جَنَاتٍ يُنْعَمُونَ فِيهَا بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ
سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

(٢٨) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْأَقْلَ لَكُلُّوْا تَسْبِيْحُوْنَ

(٢٩) قَالُوْا سُبْحٰنَ رَبِّنَا اِنَّا كُنَّا ظٰلِمِيْنَ

(٣٠) فَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ يَتْلُوْمُوْنَ

(٣١) قَالُوْا وَيْلَنَا اِنَّا كُنَّا طٰغِيْنَ

(٣٢) عَسٰى رَبِّنَا اَنْ يَّدُلَّنَا خَيْرًا مِنْهَا اِنَّا اِلٰى
رَبِّنَا رٰغِبُوْنَ

(٣٣) كَذٰلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ اَكْبَرُ
لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ

(٣٤) اِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنٰتِ النَّعِيْمِ

﴿٣٥﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ

(٣٥) - قَالَ كُفَّارُ مَكَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ سَاحِرِينَ: إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَنَا عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يُفَضَّلَنَا عَلَيْكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلِ التَّفْضِيلُ فَلَا أَقْلَ مِنَ الْمُسَاوَةِ. فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: أُنْصَوِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ رِثَتَهُمْ وَبَيْنَ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وَأَقَامُوا عَلَى الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ؟ كَلَّا، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقَعَ هَذِهِ الْمُسَاوَةُ.

﴿٣٦﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

(٣٦) - مَاذَا حَصَلَ لَكُمْ مِنْ فَسَادِ الرَّأْيِ حَتَّى ظَنَنْتُمْ هَذَا الظَّنَّ، وَحَكَمْتُمْ مِثْلَ هَذَا الْحُكْمِ؟

﴿٣٧﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ

(كِتَابٌ)
(٣٧) - أَمْ أَنْتُمْ تَسْتَعِينُونَ فِي ظَنِّكُمْ هَذَا إِلَى كِتَابٍ نَزَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ تَدْرُسُونَهُ وَتَتَدَاوَلُونَهُ؟

﴿٣٨﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَحْيُرُونَ

(٣٨) - وَهَذَا الْكِتَابُ يَتَضَمَّنُ حُكْمًا مُؤَكَّدًا بِأَنَّ لَكُمْ مَا تَخْتَارُونَ وَمَا تَشْتَهُونَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ مُقَوَّضُ إِلَيْكُمْ لَا إِلَى غَيْرِكُمْ؟

﴿٣٩﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ

(أَيْمَانٌ) (بِالْبَلَاغَةِ) (الْقِيَامَةِ)
(٣٩) - أَمْ مَعَكُمْ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ مِنَّا، لَا نَخْرُجُ مِنْ عَهْدِنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَنْتُمْ سَتَصِلُونَ إِلَى كُلِّ مَا تَشْتَهُونَ وَتَطْلُبُونَ وَتَحْكُمُونَ.

﴿٤٠﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ

(٤٠) - سَلِّمُوا مِنَ الضَّامِنِ وَالْكَفِيلِ بِتَنْفِيذِ هَذَا الْوَعْدِ؟ زَعِيمٌ - كَفِيلٌ أَوْ ضَامِنٌ بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ ذَلِكَ.

﴿٤١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ

(بَشْرَكَائِهِمْ) (صَادِقِينَ)
(٤١) - أَمْ لَهُمْ أَنْاسٌ يُشَارِكُونَهُمْ هَذَا الرَّأْيَ، وَيَقُولُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُجْرِمِينَ، فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلْيَأْتُوا بِهَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيمَا يَقُولُونَ؟

﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

(٤٢) - فَلْيَأْتُوا بِهَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءِ لِيُعَاوِثُوهُمْ حِينَمَا يَشْتَدُّ الْهَوْلُ، وَيَعْظُمُ الْخَطْبُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحِينَئِذٍ يُدْعَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِلَى السُّجُودِ، تَوْبِيخًا لَهُمْ عَلَى تَرْكِهِمُ الصَّلَاةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ، فَتَزْدَادُ حَسْرَتُهُمْ وَتَدَامَتُهُمْ.

يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ - تَعْبِيرٌ يَعْنِي اشْتِدَادَ الْأَمْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(خَاشِعَةً) (أَبْصَارُهُمْ) (سَالِمُونَ)

٤٣ خَاشِعَةً أَبْصَرَهُمْ رَهْفَهُمْ ذَلَّةً وَقَدْ كَانُوا
يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ

(٤٣) - وَجِئَ يُدْعَى هَؤُلَاءِ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ، تَكُونُ
أَبْصَارُهُمْ خَاشِعَةً ذَلِيلَةً، وَتَعْلُوهُمْ ذَلَّةٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَقَدْ كَانُوا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُتَكَبِّرِينَ مُتَجَبِّرِينَ. وَلَمَّا دُعُوا إِلَى السُّجُودِ فِي الدُّنْيَا، وَهُمْ
أَصْحَاءُ سَالِمُونَ فِي أَبْدَانِهِمْ، وَامْتَنَعُوا عَاقِبَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ جَعَلَهُمْ غَيْرَ
قَادِرِينَ عَلَى السُّجُودِ حِينَمَا يَتَجَلَّى الرَّبُّ سُبْحَانَهُ، وَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ
تَعْظِيمًا لِجَلَالِهِ الْكَرِيمِ.

٤٤ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ
سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ

(٤٤) - كُلُّ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ إِلَيَّ أَمْرٌ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا تَشْغَلْ
قَلْبَكَ بِشَأْنِهِمْ فَإِنَّا أَكْفَيْكَ أَمْرَهُمْ، وَسَأَسْتَدْرِجُهُمْ إِلَى الْعَذَابِ دَرَجَةً
فَدَرَجَةً بِالْإِمْهَالِ، وَبِإِدَامَةِ الصَّحَةِ، وَزِيَادَةِ النُّعْمَةِ، مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ
أَنَّهُ أَسْتَدْرِجُ، فَيُظَنُّونَ أَنَّهُ يُنَارُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ، وَتَقْضِيْلُ لَهُمْ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ.

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ - فَنُمِدُّهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَنُمِدُّهُمْ
فِي الْأَرْزَاقِ وَالْأَعْمَالِ لِيُغْتَرُّوا
وَيَسْتَمِرُّوا عَلَى مَا يَبْضُرُهُمْ وَهَذَا مِنْ
كَيْدِ اللَّهِ لَهُمْ.

(٤٥) - وَأَوْحَرُهُمْ، وَأَنْسِيءُ لَهُمْ فِي آجَالِهِمْ، لِيَزْدَادُوا عِصْيَانًا وَطُغْيَانًا،
لَتَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَإِنَّ كَيْدِي لِأَهْلِ الْكُفْرِ لَقَوِي شَدِيدٌ مُحْكَمٌ.
(وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ
يُفْلِتْهُ). (وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ).
أُمْلِي لَهُمْ - أُمَهِّلُهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا.
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ - أَيْ عَظِيمٌ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَكَذَّبَ رُسُلِي، وَاجْتَرَأَ
عَلَى مَعْصِيَتِي.

(تَسْأَلُهُمْ)

(٤٦) - إِنَّكَ لَا تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ
بِاللَّهِ، وَإِلَى الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لِيَرْفُضُوا نَصِيحَتَكَ، مَخَافَةَ أَنْ
يُلْحَقَهُمْ غُرْمٌ مِنْ دُخُولِهِمْ فِي الدِّينِ الَّذِي دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ.

(٤٧) - أَمْ عِنْدَهُمُ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ الَّذِي فِيهِ أَنْبَاءُ الْغَيْبِ، فَهُمْ يَكْتُبُونَ
فِيهِ مَا يُرِيدُونَ مِنَ الْحُجَجِ الَّتِي تَدْعُمُ صِحَّةَ قَوْلِهِمْ، وَيُخَاصِمُونَكَ فِيمَا
يَكْتُبُونَ فِيهِ، وَيَسْتَنْوِنُونَ بِذَلِكَ عَنِ الْاسْتِجَابَةِ لَكَ.

٤٦ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ
مُثْقَلُونَ

٤٧ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ

(٤٨) - فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى أَدَى قَوْمِكَ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِإِيَّاكَ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُحْكِمُ لَكَ، وَسَيَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَكَ وَالْإِتْبَاعَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا تَكُنْ كَنَبِيِّ اللَّهِ يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ (صَاحِبِ الْحُوتِ) حِينَ ذَهَبَ مُغَاضِباً قَوْمَهُ فَرَكِبَ السَّفِينَةَ، ثُمَّ اقْتَرَعَ أَهْلُ السَّفِينَةِ فَأُلْقِيَ فِي الْبَحْرِ، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ، وَطَافَ بِهِ الْحُوتُ أَرْجَاءَ الْمَحِيطَاتِ فَحِينَئِذٍ نَادَى فِي الظُّلُمَاتِ، وَهُوَ مُمْتَلِئٌ غَيْظاً مِنْ قَوْمِهِ إِذْ لَمْ يُؤْمِنُوا لَهُ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

صَاحِبِ الْحُوتِ - يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مَكْظُومٌ - مُمْتَلِئٌ الْقَلْبِ غَيْظاً عَلَى قَوْمِهِ.

(تَذَارَكُهُ)

(٤٩) - وَلَوْلَا أَنْ تَذَارَكَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَنِعْمَتُهُ، بِتَوْفِيقِهِ لِلتَّوْبَةِ، وَقَبُولِهَا مِنْهُ، لَطَرَحَ فِي الْفَضَاءِ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ، وَهُوَ مَلُومٌ مَطْرُودٌ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْكَرَامَةِ.

لُنِذَ - لَطَرَحَ.

الْعَرَاءُ - الْأَرْضُ الْفَضَاءُ الْمُهْلِكَةُ.

مَذْمُومٌ - مَلُومٌ.

(فَاجْتَبَاهُ) (الصَّالِحِينَ)

(٥٠) - وَلَكِنْ نِعْمَةً رَبِّهِ تَذَارَكَهُ، فَاصْطَفَاهُ رَبُّهُ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ الْعَامِلِينَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ.

اجْتَبَاهُ - اصْطَفَاهُ بِعَوْدَةِ الْوَحْيِ إِلَيْهِ.

(بِأَبْصَارِهِمْ)

(٥١) - وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ شَذْراً مِنْ شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ، وَكَرْهِهِمْ لَكَ، حَتَّى لَيَكَادُونَ أَنْ يُزْلِقُوا قَدَمَكَ حَسَداً وَبَغْضاً، حِينَ سَمِعُواكَ تَتْلُو الْقُرْآنَ. وَيَقُولُونَ لِحَيْرِيهِمْ فِي أَمْرِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَجَهْلِهِمْ بِمَا فِيهِ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَمَجْنُونٌ.

لَيُزْلِقُونَكَ - لَيُزْلِقُونَ قَدَمَكَ.

(لِلْعَالَمِينَ)

(٥٢) - وَالْقُرْآنُ لَيْسَ إِلَّا عِظَةٌ وَتَذَكُّرَةٌ لِلْعَالَمِينَ.

(٤٨) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ

(٤٩) لَوْلَا أَنْ تَذَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ

(٥٠) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ

(٥١) وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ

(٥٢) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

(٦٩) سُورَةُ الْحَافِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَنَانٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - الْحَاقَّةُ أَسْمُ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ يَتَحَقَّقُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
الرَّوْعُ وَالْوَعْدُ.

(٢) - وَمَا هِيَ الْحَاقَّةُ، وَأَيُّ شَيْءٍ هِيَ فِي أَهْوَالِهَا؟ فَالْمَقْصُودُ مِنَ
الِاسْتِفْهَامِ تَفْخِيمُ شَأْنِهَا وَتَعْظِيمُ قُدْرَتِهَا.

(أَذْرَاكَ)

(٣) - وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِيكَ مَا هِيَ هَذِهِ الْحَاقَّةُ؟ إِنَّهَا شَيْءٌ فَطِيعٌ لَا يَسْتَطِيعُ
البَشَرُ تَصَوُّرَهَا وَمَعْرِفَةَ مَا فِيهَا مِنَ الْهَوْلِ.

(٤) - كَذَبْتَ ثُمُودَ وَعَادَ بِالْقِيَامَةِ الَّتِي تَقْرَعُ النَّاسَ بِالْفَرْعِ وَالْهَوْلِ.
الْقَارِعَةُ - الْقِيَامَةُ تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِإِفْزَاعِهَا.

(٥) - أَمَّا ثُمُودُ فَقَدْ أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ بِصَيْحَةٍ بِالْعَةِ الْحَدِّ فِي الشَّدَةِ وَالْقُوَّةِ.
الطَّاعِيَةُ - الصَّيْحَةُ الْمُجَاوِزَةُ الْحَدَّ فِي الشَّدَةِ.

(٦) - وَأَمَّا عَادٌ فَقَدْ أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رِيحاً شَدِيدَةً
الْعُنفِ وَالْبُرُودَةِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الرِّيحُ مُهْلِكَةً عَاتِيَةً، لَا رَحْمَةَ فِيهَا وَلَا
شَفَقَةً.

ريحٌ صَرَصَرٌ - شَدِيدَةُ السُّمُومِ أَوْ الْبَرْدِ أَوْ الْهُبُوبِ.
عَاتِيَةٌ - شَدِيدَةُ الْعُصْفِ وَالْهُبُوبِ.

(ثَمَانِيَةٌ)

(٧) - وَقَدْ سَلَطَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الرِّيحَ عَلَى قَوْمٍ عَادٍ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ
أَيَّامٍ كَامِلَاتٍ مُتَابِعَاتٍ، بِلَا تَوَقُّفٍ، وَلَا فُتُورٍ، فَأَهْلَكَتِ الْقَوْمَ
وَصَرَعَتْهُمْ، وَأَلْقَتْهُمْ هَالِكِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَكَانَتْهُمْ جُذُوعٌ نَخْلٍ
جُوفَاءُ مُلْقَاةٌ عَلَى الْأَرْضِ.

١ الْحَاقَّةُ

٢ مَا الْحَاقَّةُ

٣ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ

٤ كَذَبْتَ ثُمُودَ وَعَادَ بِالْقَارِعَةِ

٥ فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلَكَوْا بِالطَّاعِيَةِ

٦ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكَوْا بِرِيحٍ

صَرَصَرٍ عَاتِيَةٍ

٧ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ

وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى

الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغَى كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ

نَخْلٍ خَاوِيَةٍ



حُسُومًا - مُتَتَابِعَاتٍ أَوْ مُتَشَوِّمَاتٍ .

أَعْجَازُ نَخْلٍ - جُدُوعُ نَخْلٍ يَلَا رُؤُوسٍ .

خَاوِيَةٍ - سَاقِطَةٌ أَوْ فَارِغَةٌ أَوْ بَالِيَةٌ .

(٨) - فَهَلْ تَرَى مِنْهُمْ وَمِنْ أَنْسَالِهِمْ أَحَدًا بَاقِيًا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ؟

(الْمُؤْتَفِكَاتُ)

(٩) - وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ الرُّسُلَ، وَكَفَرَتْ

بِاللَّهِ، كَعَادٍ وَثَمُودَ وَالْقُرَى الَّتِي دُمِّرَتْ بِأَهْلِهَا، وَقُلِبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ

(الْمُؤْتَفِكَاتُ) بِالْكَفْرِ، وَبِالْأَفْعَالِ الْخَاطِئَةِ، ذَاتِ الْخَطَأِ الْكَبِيرِ

الْفَاجِسِ .

الْمُؤْتَفِكَاتُ - الْقُرَى الَّتِي قُلِبَ عَلَيْهَا سَافِلُهَا وَهِيَ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ .

الْخَاطِئَةُ - الْفِعْلَاتُ ذَاتُ الْخَطَأِ الْجَسِيمِ - الْكُفْرِ -

(١٠) - فَكَذَّبَ كُلُّ قَوْمٍ الرَّسُولَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ

بِذُنُبِهِمْ أَخَذَةً عَظِيمَةً مُهْلِكَةً، وَعَاقِبَهُمْ مُعَاقِبَةً زَائِدَةً الشَّدَّةِ، جَزَاءً لَهُمْ

عَلَى تَزَايُدِ قَبَائِحِهِمْ

رَابِيَةً - زَائِدَةً الشَّدَّةِ .

(طَفَى) (حَمَلْنَاكُمْ)

(١١) - إِنَّا لَمَّا طَفَى الْمَاءَ، وَتَزَايَدَ أَرْتِفَاعُهُ، فِي عَهْدِ نُوحٍ، عَلَيْهِ

السَّلَامُ، حَمَلْنَا نُوحًا وَمَنْ مَعَهُ مِنْ آبَائِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِينَ فِي السَّفِينَةِ،

لِنُنَجِّيَهُمْ مِنَ الْغَرَقِ الَّذِي قَضَيْنَا بِأَنْ يَكُونَ عِقَابًا لِلْمُكَذِّبِينَ الْكَافِرِينَ .

الْبَحَارِيَّةُ - السَّفِينَةُ - أَيْ سَفِينَةُ نُوحٍ .

(وَأَعِيَةً)

(١٢) - لِنَجْعَلَ إِغْرَاقَ الْكَافِرِينَ، وَإِنْجَاءَ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّفِينَةِ، عِبْرَةً لِمَنْ

يَعْتَبِرُ، وَعِظَةً لِكُلِّ مَنْ لَهُ أُذُنٌ تَسْمَعُ وَيَعْيٍ مَا تَسْمَعُ .

تَذِكْرَةٌ - عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ .

وَتَعْيِهَا - تَحَقُّقُهَا .

(وَاحِدَةً)

(١٣) - فَإِذَا نَفَخَ إِسْرَافِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، النَّفْخَةَ الْأُولَى فِي الصُّورِ (وَهُوَ

قُرْنٌ إِذَا نَفِخَ فِيهِ أُحْدِثَ صَوْتًا) هَلَكَ الْعَالَمُ، وَلَا يَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى نَفْخَةٍ

﴿٨﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ

﴿٩﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ

وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ

﴿١٠﴾ فَصَوَّرَ رَسُولُ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً

رَابِيَةً

﴿١١﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ

﴿١٢﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذِكْرًا وَتَعْيَهَا أَذُنٌ

وَأَعِيَةً

﴿١٣﴾ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ

أُخْرَى، لِأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ وَاحِدٌ لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ وَلَا يُكَرَّرُ.
الصُّور - قَرْنٌ إِذَا نُفِخَ فِيهِ أُحْدِثَ صَوْتًا.

(وَاحِدَةً)

(١٤) - وَتُحْمَلُ الْأَرْضُ بِمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَتَسْدُكُ، حَتَّى تَنْقَطَعَ
أَوْصَالُهَا، وَيَزُولَ تَمَاسُكُهَا، فَتُصْبِحَ وَكَانَهَا الْكَيْثُ الْمَهِيلُ، بَعْدَ أَنْ
كَانَتْ كُتْلَةً صَلْبَةً قَوِيَّةً مُتَمَاسِكَةً
وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ - رُفِعَتْ مِنْ مَكَانِهَا بِأَمْرِ رَبِّهَا.
دُكْنَا - دُقْنَا وَكُسِرْنَا - أَوْ سُوِّيْنَا.

(فَيَوْمِئِذٍ)

(١٥) - فَإِذَا حَدَثَ ذَلِكَ فَحِينَئِذٍ تَقُومُ الْقِيَامَةُ.
الْوَاقِعَةُ - أَسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ.

(يَوْمِئِذٍ)

(١٦) - وَتَتَصَدَّعُ السَّمَاءُ، وَتُصْبِحُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ضَعِيفَةً وَاهِيَةً مُتَرَاخِيَةً،
بَعْدَ أَنْ كَانَتْ شَدِيدَةً الْأَسْرِ، عَظِيمَةَ الْقُوَّةِ.
وَاهِيَةً - ضَعِيفَةً مُتَدَاعِيَةً الرُّوَاطِ.

(أَرْجَائِهَا) (يَوْمِئِذٍ) (ثَمَانِيَةً)

(١٧) - وَتَقُومُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى جَوَانِبِ السَّمَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَى أَهْلِ
الْأَرْضِ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَهُولِ فَوْقَ رُؤُوسِ
الْخَلَائِقِ ثَمَانِيَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ (أَوْ ثَمَانِيَةً صُفُوفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى
قَوْلٍ).

أَرْجَائِهَا - أَطْرَافُهَا وَجَوَانِبُهَا.

(يَوْمِئِذٍ)

(١٨) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تُعْرَضُ الْخَلَائِقُ عَلَى رَبِّهِمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ،
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَإِنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِالضَّمَائِرِ وَالسَّرَائِرِ
وَالظُّوَاهِرِ.

(كِتَابُهُ) (كِتَابِيَّة) (أَقْرَأُوا)

(١٩) - وَيُعْطَى النَّاسُ صُحُفَ أَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ تَنَاوَلَ صَحِيفَةً عَمِلَ بِبَيْمِينِهِ
فَيَقُولُ فَرِحًا مَسْرُورًا لِكُلِّ مَنْ يَلْقَاهُ: هَذِهِ هِيَ صَحِيفَةُ أَعْمَالِي، خُذْهَا

١٤ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكْنَا دَكَّةً

وَحِدَةً

١٥ فَيَوْمِئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ

١٦ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَفِي يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةٌ

١٧ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ

رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِئِذٍ ثَمَانِيَةً

١٨ يَوْمِئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ

خَافِيَةٌ

١٩ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِبَيْمِينِهِ

فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَمْرًا وَأَكْنِيبَةً

فَاقْرَءُوهَا، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا فِيهَا خَيْرٌ وَحَسَنَاتٌ، لِأَنَّهُ مِمَّنْ بَدَّلَ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.
هَاقُمٌ - خَذُوا أَوْ تَعَالُوا.
كِتَابِيَّةٌ - كِتَابِي وَالْهَاءُ لِلسُّكُوتِ.

(مُلَاقِي)

(٢٠) - إِنِّي كُنْتُ فِي الدُّنْيَا أَعْتَقِدُ يَقِينًا بِأَنِّي سَاحَسَبُ أَمَامَ اللَّهِ فِي هَذَا
الْيَوْمِ، فَعَمِلْتُ خَيْرًا قَدَرُ مَا اسْتَطَعْتُ، وَكُنْتُ أَوْمِلُ أَنْ يُحَاسِبَنِي اللَّهُ
عَلَى أَعْمَالِي حِسَابًا يَسِيرًا، وَقَدْ صَدَّقَ مَا أَعْتَقَدْتُ وَمَا تَوَقَّعْتُ، فَكَانَ
حِسَابِي يَسِيرًا.

(٢١) - فَهُوَ يَعْيشُ عَيْشَةً رَاضِيَةً خَالِيَةً مِنَ الْهُمُومِ وَالْأَكْذَارِ.
رَاضِيَةٌ - مُرْضِيَةٌ لَا مَكْرُوهَةٍ.

(٢٢) - فِي جَنَّةٍ رَفِيعَةٍ الْمَكَانِ وَالْدَّرَجَاتِ، فِيهَا الْخَضِرَةُ وَالْمِيَاهُ وَالظَّلَالُ
الْوَارِقَةُ.

(٢٣) - فِيهَا أَشْجَارٌ ثِمَارُهَا دَانِيَةٌ مِمَّنْ يُرِيدُونَ قَطْفَهَا، فَيَأْخُذُونَهَا بِدُونِ
عَنَاءٍ.
دَانِيَةٌ - ثِمَارُهَا قَرِيبَةٌ التَّنَاولِ.

(٢٤) - وَيُقَالُ لَهُمْ: كُلُوا يَا أَيُّهَا الْأَبْرَارُ مِنْ ثِمَارِ هَذِهِ الْجَنَّةِ هَنِيئًا،
وَأَشْرَبُوا مِنْ خَمْرِهَا وَمِيَاهِهَا مَرِيئًا، لَا تَغْصُونَ بِهِ، وَلَا تَسَادُّونَ، وَذَلِكَ
جَزَاءٌ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ، وَثَوَابٌ عَلَى مَا عَمِلْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ صَالِحِ
الْأَعْمَالِ، وَكَرِيمِ الطَّاعَاتِ الْخَالِصَةِ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.
هَنِيئًا - أَكَلًا غَيْرَ مُنْغَصٍّ وَلَا مُكَدَّرٍ.

(كِتَابِيَّةٌ) (يَا لَيْتَنِي) (كِتَابِيَّةٌ)

(٢٥) - أَمَّا الْأَشْرَارُ الْأَشْقِيَاءُ فَإِنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَحِيفَةً أَعْمَالِهِمْ
فَيَتَنَاوَلُونَهَا بِشَمَائِلِهِمْ، وَحِينَئِذٍ يَرُونَ مَا فِيهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ فَيَنْدَمُونَ غَايَةً
النَّدَمِ عَلَى مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَتَتَمَنُّونَ أَنَّهُمْ قُذِفَ بِهِمْ فِي
النَّارِ، وَلَكِنْ يَطْلَعُوا عَلَى مَا فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْمَخَازِي وَالْأَعْمَالِ
الْمُخْجَلَةِ.

﴿٢٠﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ

﴿٢١﴾ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ

﴿٢٢﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

﴿٢٣﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ

﴿٢٤﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ
فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ

﴿٢٥﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ
يَلَيْتَنِي لَمْ أُوْتِ كِتَابِيَّةً

(٢٦) - وَيَتَمَنُونَ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا شَيْئًا عَنِ الْحِسَابِ الَّذِي سَيَحْسَبُونَ بِهِ.

(يَا لَيْتَهَا)

(٢٧) - وَيَتَمَنَّى وَاحِدُهُمْ لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَةَ الْأُولَى الَّتِي مَاتَهَا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ الْفَاصِلَةَ، وَلَمْ يُبْعَثْ مَرَّةً أُخْرَى.
الْقَاضِيَةُ - الْمَوْتَةُ الْقَاطِعَةُ لِأَمْرِي وَلَمْ أُبْعَثْ.

(٢٨) - لَمْ يُغْنِ عَنِّي مَالِي شَيْئًا، وَلَمْ يُنَجِّنِي مَا جَمَعْتُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَنُضَارٍ، مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَا مِنْ بَأْسِهِ.
مَا أَغْنَى - مَا دَفَعَ.

(سُلْطَانِيَّة)

(٢٩) - وَذَهَبَ سُلْطَانِي وَجَاهِي الَّذِي كُنْتُ أَفْرِضُهُ عَلَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَبَقِيَْتُ فَرْدًا ذَلِيلًا حَقِيرًا فَقِيرًا.

(٣٠) - وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلزَّبَانِيَةِ - مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ -: خُذُوهُ فَاجْمَعُوا يَدْيَهُ إِلَى عُنُقِهِ بِالْغُلِّ.
الْغُلُّ - الْقَيْدُ الَّذِي تُقَيِّدُ بِهِ الْيَدَانِ إِلَى الْعُنُقِ.

(٣١) - ثُمَّ أَدْخَلُوهُ نَارَ جَهَنَّمَ لِيُصْلَى حَرَّهَا وَعَذَابُهَا، جَزَاءً لَهُ عَلَى مَا أَجْتَرَحَهُ مِنْ كُفْرٍ وَأَثَامٍ.
صَلُّوهُ - أَذِيقُوهُ حَرَّ جَهَنَّمَ - أَوْ أَغْمُرُوهُ بِنَارِهَا.

(٣٢) - ثُمَّ أَدْخَلُوهُ فِي سِلْسِلَةٍ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا تَلْتَفَتْ حَوْلَ جَمِيعِ أُنْحَاءِ جَسَمِهِ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ حَرَاكًا وَلَا فَكَاكًا.
فَاسْلُكُوهُ - فَأَدْخِلُوهُ.

(٣٣) - وَأَفْعَلُوا ذَلِكَ كُلَّهُ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يَكْفُرُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فِي الدُّنْيَا، وَكَانَ يُشْرِكُ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ.

(٣٤) - وَكَانَ لَا يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى إِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَصْحَابِ الْحَاجَاتِ.

لَا يَحْضُرُ - لَا يَحُثُّ وَلَا يُحَرِّضُ.

٦٦ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ

٦٧ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ

٦٨ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ

٦٩ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ

٣٠ خُذُوهُ فَعْمَلُوهُ

٣١ ثُمَّ أَلْجَحِمِ صَلُّوهُ

٣٢ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ

٣٣ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ

٣٤ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ

سَكَنَةُ
الطَّبِيعَةِ
عَلَى هَذِهِ
مَالِيَّةٌ

(هَٰ هُنَا)

(٣٥) - وَلِذَٰلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ الْيَوْمَ هُنَا فِي الْأَجْرَةِ قَرِيبًا وَدُودًا، وَلَا صَدِيقًا حَمِيمًا مُخْلِصًا، يُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكُلُّ وَاحِدٍ مُشْغِلٌ فِي ذَٰلِكَ الْيَوْمِ بِنَفْسِهِ.
حَمِيمٌ - قَرِيبٌ شَفِيقٌ.

(٣٦) - وَلَا يَجِدُ لَهُ طَعَامًا فِي النَّارِ إِلَّا مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الدَّمِ وَالصَّدِيدِ.
غَسِيلِينَ - صَدِيدٌ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ.

(الْخَاطِئُونَ)

(٣٧) - وَالصَّدِيدُ شَيْءٌ كَرِيهُهُ الْمَذَاقُ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا أَهْلُ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّذِينَ مَرَنُوا عَلَىٰ اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا.
الْخَاطِئُونَ - أَهْلُ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ - الْكَافِرُونَ.
(٣٨) - قَسَمًا بِمَا تُشَاهِدُونَهُ فِي عَالَمِ الْمَرِئِيَّاتِ.
فَلَا أَقْسِمُ - أَقْسِمُ قَسَمًا مُؤَكَّدًا.

(٣٩) - وَقَسَمًا بِمَا غَابَ عَنْكُمْ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ.
(وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى الْآيَتَيْنِ: قَسَمًا بِمَا تُبْصِرُونَهُ مِنْ آثَارِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَبِمَا لَا تُبْصِرُونَهُ مِنْ آثَارِهَا).

(٤٠) - إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ أَنْزَلَهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ هُوَ قَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّهِ.

(٤١) - وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ، لِأَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ شَاعِرًا، وَإِنَّكُمْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا تُؤْمِنُونَ إِلَّا إِيمَانًا قَلِيلًا.
(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ فِي قُلُوبِهِمْ ثُمَّ يَتَرَجَعُونَ عَنْ إِيْمَانِهِمْ سَرِيعًا).

(٤٢) - وَمَا هُوَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ كَمَا تَزْعُمُونَ، لِأَنَّهُ سَبَّ الشَّيَاطِينِ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَا يَقُولُهُ إِلَهَامًا مِنْهُمْ. وَلَكِنَّكُمْ لَمَّا لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَهَمُّهُ قُلْتُمْ إِنَّهُ كَلَامُ كُهَّانٍ، فَمَا أَقَلَّ تَذَكُّرُكُمْ وَتَدْبِيرُكُمْ.

٢٥ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهْنَاهِمٌ

٣٦ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ

٣٧ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ

٣٨ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ

٣٩ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ

٤٠ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

٤١ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ

٤٢ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ

(الْعَالَمِينَ)

(٤٣) - لَيْسَ الْقُرْآنُ قَوْلُ شَاعِرٍ، وَلَا قَوْلُ كَاهِنٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، بِوَسِيئَةِ جِبْرِيلَ الرُّوحِ الْأَمِينِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٤٤) - وَلَوْ أَنَّ مُحَمَّدًا أَفْتَرَى عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ، فَزَادَ فِي الرِّسَالَةِ أَوْ تَقَصَّ مِنْهَا، أَوْ قَالَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِهِ فَتَسَبَّهَ إِلَيْنَا، لَعَاجَلْنَاهُ بِالْعُقُوبَةِ.

تَقَوْلُ - أَخْتَلَقُ وَأَفْتَرَى.

(٤٥) - لَأَمْسِكُنَا بِيَمِينِهِ كَمَا يُفْعَلُ بِمَنْ تُضْرَبُ أَعْنَاقُهُمْ.

(٤٦) - ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ عِرْقَ الْعُنُقِ الْأَكْبَرِ. وَمَتَى قُطِعَ الْوَتِينُ كَانَ الْمَوْتُ الْمُحَقَّقُ.

الْوَتِينُ - نَبَاطُ الْقَلْبِ - أَوْ عِرْقُ الْعُنُقِ الْأَكْبَرُ.

(حَاجِزِينَ)

(٤٧) - وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَحْجِزَ عِقَابَنَا وَيَمْنَعَهُ مِنَ التَّزُولِ بِهِ.

حَاجِزِينَ - مَا نَعِينُ الْهَلَكَ عَنْهُ.

(٤٨) - وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِعِظَّةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ، فَيُطِيعُونَ أَوْامِرَهُ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا زَجَرَهُمْ عَنْهُ.

(٤٩) - وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ يُكَذِّبُونَ النَّبِيَّ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِ.

(الْكَافِرِينَ)

(٥٠) - وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يُسَبِّبُ حَسْرَةً عَظِيمَةً لِلْكَافِرِينَ، حِينَمَا يَرَوْنَ قُورَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ سَبَبُ حَسْرَةٍ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ، حِينَمَا يَرَوْنَ قُورَهُمْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ، وَإِكْرَامِهِ لَهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ.

لِحَسْرَةٍ - نَدَامَةٌ عَظِيمَةٌ.

(٥١) - وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى

(٥٢) - فَسَخَّ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَزَهَّهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَدُمَّ عَلَى ذِكْرِ اسْمِ رَبِّكَ الْكَرِيمِ.

سَخَّ - نَزَّهَ رَبِّكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ.

٤٣ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

٤٤ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ

٤٥ لَأَخَذْنَا مِمَّنْ بَالِغِينَ

٤٦ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ

٤٧ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ

٤٨ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ

٤٩ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ

٥٠ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ

٥١ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ

٥٢ فَسَخَّ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ

(٧٠) سُورَةُ الْمَعَارِجِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاتُهَا اَرْبَعٌ وَارْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سَائِلٌ)

(١) - اسْتَعْجَلَ سَائِلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِإِقَاعِ الْعَذَابِ بِهِمْ، وَهُوَ وَقَعَ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ لَا مُحَالَةَ، فَلِمَ أَذَابَ يُطْلَبُوهُ اسْتِهْزَاءً؟
(وَقِيلَ إِنَّ هَذَا السَّائِلُ يُوَفِّعُ الْعَذَابَ هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ).

(لِلْكَافِرِينَ)

(٢) - وَهَذَا الْعَذَابُ الَّذِي سَيَقَعُ هُوَ مُرْصَدٌ لِلْكَافِرِينَ، وَمُعْدٌّ لَهُمْ، وَلَا دَافِعَ لَهُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ وَقُوعَهُ بِهِمْ.

(٣) - وَلَيْسَ لِهَذَا الْعَذَابِ الصَّادِرِ عَنِ اللَّهِ دَافِعٌ مِنْ جِهَتِهِ إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ، فَإِذَا أَقْتَضَتْ حُكْمَتُهُ تَعَالَى وَقُوعَهُ أَمْتَنَعَ أَلَّا يَفْعَلَهُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ صَاحِبُ النُّعْمِ وَالْأَفْضَالِ الَّتِي تَصِلُ إِلَى النَّاسِ عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ، وَمَرَاتِبٍ مُخْتَلِفَةٍ.

المعارج - المراتب والدرجات والمصاعد.

(الْمَلَائِكَةُ)

(٤) - وَتَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ وَجَبْرِيلُ فِي هَذِهِ الْمَعَارِجِ فِي زَمَنٍ قَلِيلٍ، مَعَ أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا لَوْ أَرَادُوا الصُّعُودَ فِيهَا لَأَقْتَضَاهُمْ ذَلِكَ زَمَنًا طَوِيلًا (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - وَقِيلَ إِنَّ ذِكْرَ الْخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَا يَعْنِي هُنَا زَمَنًا مُحَدَّدًا وَإِنَّمَا هُوَ كِتَابَةٌ عَنْ طُولِ الْمُدَّةِ).

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذَا الْيَوْمِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّهُ يَخْفُفُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَكُونَ أَخَفُّ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، يُصَلِّيَهَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنٌ، وَيَسْقُ عَلَى الْكَافِرِينَ - كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ -). (رَوَاهُ أَحْمَدُ).

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ

لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ

مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ

إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ
أَلْفَ سَنَةٍ

تَفْرُجُ - تَضَعُدُ فِي تِلْكَ الْمَعَارِجِ .

الرُّوحُ - جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فِي يَوْمٍ - إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مَدَّةَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٥) - فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِكَ لَكَ، وَعَلَى اسْتِعْجَالِهِمُ الْعَذَابَ اسْتِعْجَادًا لَوْفُوعِهِ، وَاحْتِمَلْ أَذَاهُمْ لَكَ بِلاَ جَزَعٍ وَلَا شَكْوَى، لِأَنَّ وُفُوعَ الْعَذَابِ بِهِمْ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ .
صَبْرًا جَمِيلًا - لَا شَكْوَى فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

(٦) - إِنَّ الْكَافِرِينَ يَرَوْنَ قِيَامَ السَّاعَةِ، وَوُفُوعَ الْعَذَابِ أَمْرًا مُسْتَبْعَدًا .

(نَرَاهُ)

(٧) - وَيَعْتَقِدُ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّهُ حَاصِلٌ قَرِيبُ الْوُفُوعِ، وَإِنْ كَانَ مَوْعِدُ حُصُولِهِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ فَهُوَ قَرِيبٌ .
(أَوْ إِنْ الْمَعْنَى - وَنَرَاهُ هِينًا فِي قُدْرَتِنَا، غَيْرَ مُتَعَذِّرٍ عَلَيْنَا) .

(٨) - وَتَقُومُ السَّاعَةُ، وَيَقَعُ الْعَذَابُ بِالْكَافِرِينَ حِينَمَا تُصْبِحُ السَّمَاءُ كَعَكْرِ الزَّيْتِ .

الْمُهْلُ - عَكْرُ الزَّيْتِ، وَقِيلَ إِنَّهُ الْفِضَّةُ الدَّائِيَّةُ .

(٩) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تُصْبِحُ الْجِبَالُ هَشَّةً غَيْرَ مَتَمَاسِكَةٍ وَكَأَنَّهَا الصُّوفُ الْمَنْفُوشُ إِذَا لَعِبَتْ بِهِ الرِّيحُ .
الْعِهْنُ - الصُّوفُ الْمَنْفُوشُ أَوْ الْمَصْبُوغُ أَلْوَانًا .

(يَسْأَلُ)

(١٠) - وَلَا يَسْأَلُ قَرِيبٌ مُشْفِقٌ قَرِيبًا مُشْفِقًا عَنْ خَالِهِ، وَلَا يَكْلُمُهُ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ مُشْغَلٌ بِمَا هُوَ فِيهِ .

الْحَمِيمُ - الْقَرِيبُ الْمُشْفِقُ .

(يَوْمُنِذٍ)

(١١) - وَيَبْصُرُ الْأَقَارِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيَتَعَارَفُونَ، ثُمَّ يَفِرُّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَتَمَنَّى الْكَافِرُ لَوْ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْدِيَ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِأَبْنَائِهِ، وَهُمْ أَعَزُّ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَيَذْفَعُ بِهِمْ إِلَى الْعَذَابِ لِيُنْجُو هُوَ مِنْهُ .

يُبْصِرُونَهُمْ - يَجْعَلُونَهُمْ يَبْصُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

(صَاحِبَتِهِ)

(١٢) - أَوْ أَنْ يُقَدَّمَ فِدَاءً عَنْهُ زَوْجَتَهُ أَوْ أَخَاهُ .

٥ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا

٦ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا

٧ وَنَرَاهُ قَرِيبًا

٨ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ

٩ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ

١٠ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا

١١ يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَئِذٍ كَالْمَجْرَمِ لَوْ يَفْقَدِي

مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ

١٢ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ

(تُؤْيِه)

(١٣) - أَوْ أَنْ يُقَدَّمَ جَمِيعَ أَفْرَادِ عَشِيرَتِهِ الَّتِي تَضُمُّهُ إِلَيْهَا.

فَصِيلَتِهِ - عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ.

(١٤) - أَوْ أَنْ يُقَدَّمَ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِدَاءً لَهُ لِيُخْلَصَ هُوَ مِنْ ذَلِكَ

الْعَذَابِ.

(١٥) - كَلَّا لَا يُقْبَلُ فِدَاءٌ مِنَ الْكَافِرِ، وَلَوْ أَنَّهُ أَقْتَدَى بِجَمِيعِ أَهْلِ

الْأَرْضِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَهَبٍ وَمَالٍ، إِنَّهَا النَّارُ الشَّدِيدَةُ

الْحَرَارَةِ.

اللَّظَى - النَّارُ ذَاتُ اللَّهَبِ.

(١٦) - تَحْرُقُ كُلَّ شَيْءٍ بَارِزٍ مِنْ جِسْمِ الْإِنْسَانِ فَتُزِيلُهُ وَكَأَنَّهُا تَنْزِعُهُ

أَنْتِزَاعًا.

الشَّوَى - الْأَطْرَافُ الْبَارِزَةُ كَالْيَدَيْنِ وَالرُّجْلَيْنِ وَالرَّأْسِ. وَقِيلَ إِنَّهَا جِلْدَةُ

الرَّأْسِ.

(تَدْعُو)

(١٧) - إِنَّهَا النَّارُ الْمُحْرَقَةُ تُنَادِي إِلَيْهَا أَصْحَابَهَا مِنَ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ خَلَقَهُمُ

اللَّهُ لَهَا، وَهُمْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا جَيْنَمَا دَعَاهُمْ رُسُلُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَوَلَّوْا

مُذْبِرِينَ.

(١٨) - وَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الَّذِي جَمَعَ الْمَالَ وَأَوْدَعَهُ فِي الْأَوْعِيَةِ كَانِزًا

لَهُ، وَلَمْ يَنْفِقْهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالطَّاعَاتِ وَالْخَيْرِ.

أَوْعَى - أَوْدَعَ مَالَهُ فِي وَعَاءٍ حِرْصًا عَلَيْهِ.

(الْإِنْسَانُ)

(١٩) - إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ سَرِيعَ الْإِنْفِعَالِ وَالتَّأَثُّرِ، فَهُوَ شَدِيدُ الْجَزَعِ،

إِذَا مَسَّهُ مَكْرُوهٌ، كَثِيرُ الْمَنْعِ، إِذَا نَزَلَتْ بِهِ نِعْمَةٌ.

نَاقَةٌ هَلُوعٌ - سَرِيعَةُ السَّيْرِ.

وَالْهَلُوعُ - الْكَثِيرُ الْجَزَعِ الشَّدِيدِ الْحِرْصِ.

(٢٠) - ثُمَّ فَسَّرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَالَّتِي بَعْدَهَا مَعْنَى قَوْلِهِ

(هَلُوعًا)، فَقَالَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ وَالضَّرُّ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْحُزْنُ،

وَأَنْخَلَعَ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الرُّغْبِ، وَيَتَسَّرَ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ خَيْرٌ بَعْدَهَا أَبَدًا.

الْجَزُوعُ - الْكَثِيرُ الْجَزَعِ.

١٣ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْيِه

١٤ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يَنْجِيهِ

١٥ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى

١٦ نَزَاعَةً لِلشَّوَى

١٧ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى

١٨ وَجَمَعَ فَأَوْعَى



١٩ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا

٢٠ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا

(٢١) - وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِخَلِّ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، وَمَنَعَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا.

الْمَنُوعُ - الْكَثِيرُ الْمَنَعِ وَالْإِمْسَاكِ.

(٢٢) - وَلَا يَسْتَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ الذِّمِيمَةِ، الَّتِي تَمَثَّلُ بِالْهَلَعِ وَالْجَزَعِ، وَالْمَنَعِ، إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى الْخَيْرِ، وَهُمْ الْمُصْلُونَ.

(دَائِمُونَ)

(٢٣) - الَّذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، لَا يَشْغَلُهُمْ عَنْهَا شَاغِلٌ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى فَضْلِ الْمُدَاوِمَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ.

(أَمْوَالِهِمْ)

(٢٤) - وَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَصِيبًا مَعِينًا يُتَّقُونَ تَقَرُّبًا مِنَ اللَّهِ، وَطَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ.

(لِلسَّائِلِ)

(٢٥) - يُتَّقُونَ عَلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ وَالْبَائِسِينَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَهُمُ الْعَوْنَ الْمَحْرُومِ - مِنَ الْعَطَاءِ لِتَعْفِيفِهِ عَنِ السُّؤَالِ.

(٢٦) - وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ الْمَعَادِ وَالْحِسَابِ فَيَعْمَلُونَ لَهُ وَتَظْهَرُ آثَارُ ذَلِكَ فِي أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ.

(٢٧) - وَالَّذِينَ هُمْ خَائِفُونَ وَجُلُونَ مِنْ تَرْكِهِمُ الْفُرُوضِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَمِنْ أَرْكَابِ الْمَخْظُورَاتِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا فِي جَرْصِهِمْ عَلَى أَدَاءِ الْمَزِيدِ مِنَ الطَّاعَاتِ.

مُشْفِقُونَ - خَائِفُونَ اسْتِعْظَامًا بِاللَّهِ.

(٢٨) - وَلَا يَتَّبِعِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَأْمَنَ عَذَابَ اللَّهِ، وَإِنْ زَادَ فِي الطَّاعَاتِ، وَلَا يَأْمَنُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ.

(حَافِظُونَ)

(٢٩) - وَالَّذِينَ يَكْفُونَ أَنْفُسَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّسَاءِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى الْأَلْفَاظِ مُحَرِّمًا لَمْ يُحِجَّهُ اللَّهُ لَهُمْ.

(أَزْوَاجِهِمْ) (أَيْمَانُهُمْ)

(٣٠) - وَلَا يَقْرَبُونَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ مِنْ أَزْوَاجٍ، أَوْ مِنْ إِمَاءٍ يَمْلِكُونَهُنَّ، فَإِنَّهُمْ لَا يَأْتُمُونَ، وَلَا يَلَامُونَ إِذَا أَتَوْا نِسَاءَهُمْ وَإِمَاءَهُمْ.

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا

إِلَّا الْمَصْلِينَ

الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ

لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ

وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ

وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ

إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا يُؤْمِنُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ

إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ

(فَأُولَٰئِكَ)

(٣١) - وَمَنْ سَعَىٰ إِلَىٰ مُوَاقَعَةٍ غَيْرَ مَنْ أَحْلَاهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْإِمَاءِ، فَهُوَ مُعْتَدٍ عَلَىٰ حُرْمَاتِ اللَّهِ، مُتَجَاوِزٌ حُدُودَهُ. الْعَادُونَ - الْمُعْتَدُونَ الْمُتَجَاوِزُونَ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

(لِأَمَانَاتِهِمْ) (رَاعُونَ)

(٣٢) - وَالَّذِينَ إِذَا أَتَمْنُوا عَلَىٰ أَمَانَةٍ رَدُّوَهَا إِلَىٰ أَصْحَابِهَا، وَلَمْ يَخُونُوا، وَالَّذِينَ إِذَا عَاهَدُوا عَهْدًا رَاعُوهُ وَوَفَّوْا بِهِ، وَلَمْ يَغْدِرُوا، وَلَمْ يَتَأُولُوا.

(بِشَهَادَاتِهِمْ) (فَانْتُمُونَ)

(٣٣) - وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ، إِذَا دُعُوا إِلَىٰ أَدَائِهَا عِنْدَ الْحُكَّامِ، وَلَا يَكْتُمُونَهَا وَلَا يَغَيِّرُونَهَا، وَالشَّهَادَةُ أَمَانَةٌ مِنَ الْأَمَانَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَدَائِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ وَالصَّحِيحِ.

(٣٤) - وَالَّذِينَ يَحْفِظُونَ عَلَىٰ أَدَاءِ صَلَوَاتِهِمْ فِي أَوْقَاتِهَا، يُؤَدُّونَهَا حَقَّ أَدَائِهَا، وَيَتِمُّونَهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَخُشُوعِهَا، وَبِجَهْدِهَا قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يَسْتَبْعِدُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُلْهِيَهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَفَهْمٍ مَا يَقْرَأُونَ مِنَ الْقُرْآنِ وَإِدْرَاكِ مَا يَقْعَلُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَمِنْ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ.

(أُولَٰئِكَ) (جَنَاتٍ)

(٣٥) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِالصِّفَاتِ السَّالِفَةِ وَيَتَوَمَّنُونَ بِالْعِبَادَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى يُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي جَنَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمِّنُهُمْ مِنْ هَوْلِ الْفِرَاقِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيُكْرِمُهُمْ بِفَيْضٍ مِنَ الْكَرَامَاتِ الَّتِي اخْتَصَّ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْمُخْلِصِينَ.

(فَمَا لِلَّذِينَ)

(٣٦) - فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ عِنْدَكَ يَا مُحَمَّدٌ يَنْطَلِقُونَ نَافِرِينَ مِنْكَ مُسْرِعِينَ؟

قَبْلَكَ - الَّذِينَ فِي زَمَنِكَ، أَوِ الَّذِينَ عِنْدَكَ. مُهْطِعِينَ - مُسْرِعِينَ وَهُمْ يَمْدُونَ أَعْنَاقَهُمْ.

(٣٧) - يَمْشُرُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ، مُتَفَرِّقِينَ، مُعْرِضِينَ، وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِالرُّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ. عَزِينَ - مُتَفَرِّقِينَ.

(٣١) فَمِنْ أَيْبَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

(٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ

(٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ فَانْتُمُونَ

(٣٤) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

(٣٥) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ

(٣٦) قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ

(٣٧) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ

(أَمْرِي)

(٣٨) - فَهَلْ يَطْمَعُ هَؤُلَاءِ، وَهُمْ نَافِرُونَ مِنَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، مُعْرِضُونَ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، أَنْ يَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّهِمْ كَمَا يَدْخُلُهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ؟ كَلَّا لَا مَطْمَعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَا دَامُوا مُقِيمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ.

(خَلَقْنَاهُمْ)

(٣٩) - كَلَّا إِنَّهُمْ لَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَسَيَدْخُلُونَ النَّارَ وَسَتَكُونُ مَأْوَاهُمْ وَمُسْتَقَرُّهُمْ. فَإِذَا كَانُوا يَسْتَعِيدُونَ الْبَعْثَ وَالْمَعَادَ، فَلْيَنْظُرُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُمُ اللَّهُ؟ إِنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَيِّ يُمْنَى، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بَعْدَ أَطْوَارٍ كَثِيرَةٍ بَشَرًا يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ يَمِيتُهُمْ حِينَمَا تَحِينُ آجَالُهُمْ، ثُمَّ يَعُودُ فَيُحْيِيهِمْ مِنْ جَدِيدٍ، وَالْإِعَادَةُ أَهْوَنُ مِنَ الْبَدْءِ.

(الْمَشَارِقِ) (الْمَغَارِبِ) (لِقَادِرُونَ)

(٤٠) - يُقْسِمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ (وَهُوَ تَعَالَى رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَنْ هُمْ أَمْثَلُ مِنْهُمْ، وَأَكْثَرُ طَاعَةً.

(٤١) - إِنَّهُ لِقَادِرٌ عَلَى أَنْ يُسَدِّلَ هَذَا الْخَلْقَ الْأَمْثَلَ بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ يَسْتَمِعُونَ دَعْوَةَ الرُّسُلِ وَنُصْحَهُمْ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَعْجِزُهُ ذَلِكَ، وَلَا يَقُوتُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ هَرَبًا فِي الْأَرْضِ. (أَيُّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ بِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ، وَأَنْ يَأْتِيَ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْضَلَ وَأَمْثَلَ مِنْهُمْ لِيُخْلِفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ). مُسَبُّوqِينَ - مَغْلُوبِينَ أَوْ عَاجِزِينَ.

(يُلَاقُوا)

(٤٢) - فَدَعَهُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ، وَحِينَئِذٍ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِهُمْ، وَسُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ، وَيَذُوقُونَ الْعَذَابَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ. يَخُوضُوا - يَنْغَمِسُوا فِي آبَاطِيلِهِمْ.

(٤٣) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ سِرَاعًا، حِينَ يَدْعُوهُمْ الدَّاعِي، يُسَاقِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَمَا كَانُوا يَهْزُولُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى التُّصَبِّ حِينَ يُعَايِنُونَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَلِمَهُ قَبْلَ غَيْرِهِ تَبَرُّكًا بِهِ.

يُوفَضُّونَ - يُسَارَعُونَ.

(٣٨) أَبْطَمَعَ كُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ

أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ

(٣٩) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ

(٤٠) فَلَا أَقْسَمُ رَبِّيَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
إِنَّا لَقَادِرُونَ

(٤١) عَلَيَّ أَنْ نُبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ
بِمُسَبُّوقِينَ

(٤٢) فَدَرَّهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا
يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ

(٤٣) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ
إِلَى تُصَبِّ يُوفَضُونَ

(خَاشِعَةً) (أَبْصَارُهُمْ)

(٤٤) - وَتَكُونُ أَبْصَارُهُمْ خَاشِعَةً دَلِيلَةً مِنْ هَوْلٍ مَا تَحَقُّوهُ مِنْ سُوءِ
 الْمُنْقَلَبِ وَالْمَصِيرِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانَ الرُّسُلُ يَعِدُونَهُمْ بِهِ
 فَلَا يُصَدِّقُونَ، بَلْ كَانُوا يُكَذِّبُونَ، وَيَسْخَرُونَ مِنَ الرُّسُلِ، وَمِنْ هَذَا
 الْيَوْمِ، فَلْيَذُوقُوا الْيَوْمَ الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَيَكْفُرُونَ.
 خَاشِعَةً - دَلِيلَةً مُنْكَسِرَةً.
 تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ - تَغْشَاهُمْ مَهَانَةٌ شَدِيدَةٌ.

٤٤ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ ذَلِكَ
 الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ

(٧) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وَقُلْنَا لَهُ: أَنْذِرْ قَوْمَكَ بِأَسَ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ الْأَلِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(يَا قَوْمُ)

(٢) - فَقَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ إِنِّي نَذِيرٌ جِتُّ لَابِينَ لَكُمْ رَسُولًا رَبِّكُمْ بُلُغَةُ تَعْرِفُونَهَا، وَلَا أَنْذِرْكُمْ عَذَابَ اللَّهِ، فَاحْذَرُوهُ أَنْ يُنْزِلَهُ بِكُمْ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ بِهِ.

(٣) - وَقَدْ أَمَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ:

- بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدِّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ.

- وَبِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْخَوْفِ مِنْ عَذَابِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.

- وَبِإِطَاعَةِ نُوحٍ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَفِيمَا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ.

(٤) - وَوَعَدَهُمْ، إِنْ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، بِأَنَّ اللَّهَ سَيَغْفِرُ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَنَّهُ سَيَسَامِحُهُمْ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُمْ مِنْ زَلَّاتٍ، وَأَنَّهُ تَعَالَى سَيِّدُ فِي أَعْمَارِهِمْ إِلَى أَجَلٍ مُعَيَّنٍ جَعَلَهُ غَايَةً لِيُطَوِّلَ الْعُمُرَ.

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ نُوحٌ أَنَّ أَجَلَ اللَّهِ، الَّذِي كَتَبَهُ فِي أَمِّ الْكِتَابِ، إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ مِيقَاتُهُ، وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ مَا سَيَجْلِبُ بِهِمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّدَامَةِ عِنْدَ أَنْقِضَاءِ أَجَالِهِمْ لَسَارِعُوا إِلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.

أَجَلَ اللَّهِ - وَقَتَ مَجِيءِ عَذَابِهِ - أَوْ الْأَجَلَ الَّذِي حَدَّدَهُ لِأَعْمَارِ الْعِبَادِ.

(٥) - فَلَمَّا كَذَّبَ نُوحًا قَوْمُهُ، وَهَدَّدُوهُ بِالرَّجْمِ، إِنْ لَمْ يَكْفُفْ عَنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَعَنْ أَمْرِهِمْ بِالْخَيْرِ، أَشْتَكَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَبِّهِ مِمَّا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ خِلَالَ مَدَّةِ لَبْنِهِ فِيهِمْ - وَهِيَ تِسْعُمِئَةٌ وَخَمْسُونَ عَامًا - فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي إِلَى عِبَادَتِكَ، وَالْإِيمَانِ بِكَ، لَيْلًا وَنَهَارًا، وَلَمْ أَكُفَّ عَنْ ذَلِكَ أَمْتًا وَلَا لِأَمْرِكَ.

١ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ

أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ

عَذَابُ أَلِيمٌ

٢ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ

٣ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا

٤ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ

إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا

جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا

(دُعَائِي)

(٦) - وَكُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَقْتَرِبُوا مِنِّ الْحَقِّ، قَرُّوا مِنْهُ وَابْتَعَدُوا عَنْهُ.
فِرَارًا - تَبَاعُدًا وَفِرَارًا مِنَ الْإِيمَانِ.

(أَصَابِعُهُمْ) (آذَانِهِمْ)

(٧) - وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ، وَإِلَى الْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ، لَتَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، سَدُّوا آذَانَهُمْ بِأَصَابِعِهِمْ لِكَيْلَا يَسْمَعُوا مَا أَقُولُهُ لَهُمْ مِنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ، وَتَغْطُوا بِشِيبَاهُمْ، لِكَيْلَا يَنْظُرُوا إِلَيَّ كُرْهًا وَمَقْتًا، وَاسْتَرْسَلُوا فِي الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِدْعَانِ لِلْحَقِّ، وَقَبُولِ مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ النُّصْحِ.
اسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ - بِالْغَا فِي التَّغْطِي بِهَا.
أَصْرُوا - تَشَدَّدُوا وَأَنْهَمَكُوا فِي الْكُفْرِ.

(٨) - وَقَدْ كُنْتُ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِكَ يَا رَبِّ، جَهَارًا وَعَلَانِيَةً.

(٩) - ثُمَّ أَعْلَنْتُ الدَّعْوَةَ لَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، ثُمَّ أَسْرَرْتُهَا لَهُمْ فِي أَحْوَالٍ أُخْرَى، وَطَوَّرًا كُنْتُ أَجْمَعُ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْإِسْرَارِ لَعَلَّ وَاحِدًا مِنْ أَسَالِبِ الدَّعْوَةِ يَنْجَحُ فِي إِقْنَاعِهِمْ.

(١٠) - وَقُلْتُ لَهُمْ: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَأَسْأَلُوهُ الْعَفْوَ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، وَمَا فَرَطَ مِنْكُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالْآثَامِ، قَرَّبَكُمْ عَفَارًا لِدُخُولِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ مُخْلِصًا مُنِيًّا.

(١١) - وَإِنَّكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ، وَاسْتَغْفَرْتُمُوهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يُرْسِلُ الْمَطَرَ عَلَيْكُمْ مُتَتَابِعًا، لَتَنْبِتَ أَرْضَكُمْ بِالزُّرُوعِ وَالْخَيْرَاتِ.
يُرْسِلُ السَّمَاءَ - تُمَطِّرُكُمْ السَّمَاءُ.
مِدْرَارًا - غَزِيرًا مُتَتَابِعًا.

(بِأَمْوَالٍ) (جَنَاتٍ) (أَنْهَارًا)

(١٢) - وَيُكَثِّرُ لَكُمْ الْأَمْوَالَ وَالْخَيْرَاتِ، وَيُكَثِّرُ لَكُمْ الْأَوْلَادَ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ بَسَاتِينَ تُنتِجُ الثَّمَارَ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا جَارِيَةً تَرْوِي الزُّرُوعَ وَالْبَسَاتِينَ وَالْأَشْجَارَ وَالْمَوَاشِيَ فَتَزْدَادُ الْخَيْرَاتُ.

(١٣) - مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا تَعْظُمُونَهُ حَقَّ التَّعْظِيمِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ؟

٦ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دَعَائِي إِلَّا فِرَارًا

٧ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ

لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ

وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا

وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا

٨ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا

٩ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ

إِسْرَارًا

١٠ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ

كَانَ عَفَّارًا

١١ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا

١٢ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ

لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا

١٣ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا

(١٤) - وَقَدْ خَلَقَكُمْ رَبُّكُمْ عَلَىٰ أَطْوَارٍ مُّخْتَلِفَةٍ، فَمِنْ نُطْقَةٍ إِلَىٰ عِلْقَةٍ إِلَىٰ مُضْغَةٍ إِلَىٰ طِفْلٍ .

(سَمَآوَاتٍ)

(١٥) - أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ (طَبَاقًا) .

(١٦) - وَجَعَلَ لِلْقَمَرِ بُرُوجًا وَمَنَازِلَ، وَفَاوَتْ نُورُهُ فَجَعَلَهُ يَزْدَادُ وَيَتَنَاهَىٰ فِي الزِّيَادَةِ، ثُمَّ يَبْدَأُ فِي النُّقْصَانِ حَتَّى لَا يَكَادُ نُورُهُ يَبِينُ، وَجَعَلَ الشَّمْسُ كَالسَّرَاجِ يُزِيلُ نُورَهَا الظُّلْمَةَ عَنِ الْكَوْنِ .
نُورًا - مُبِينًا وَجْهَ الْأَرْضِ .
سِرَاجًا - مُضِيحًا مُضِيئًا .

(١٧) - وَاللَّهُ تَعَالَىٰ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ ؛ وَإِنَّكُمْ يَا بَنِي آدَمَ تَعِيشُونَ عَلَىٰ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ لَكُمْ .
أَنْتُمْ - أَنْشَأَكُمْ مِنْ طِينِهَا .

(١٨) - ثُمَّ تَمُوتُونَ فَتُقْبَرُونَ فِي الْأَرْضِ، وَتُصْبِحُونَ بَعْدَ طُولِ الْمَكْثِ تُرَابًا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِخْرَاجًا مُحَقَّقًا فَإِذَا أَنْتُمْ بِشَرِّ تَنْظُرُونَ .

(١٩) - وَاللَّهُ بَسَطَ لَكُمْ الْأَرْضَ، وَمَهَّدَهَا بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ .
بَسَاطًا - فِرَاشًا مَبْسُوطًا لِلِاسْتِقْرَارِ عَلَيْهَا .

(٢٠) - لِيَسْتَقِرُّوا عَلَيْهَا، وَلِيَسْلُكُوا فِيهَا طُرُقًا تَبْلُغُونَ مِنْهَا الْأَمَاكِنَ الَّتِي تُرِيدُونَ الْوُصُولَ إِلَيْهَا، فَلَا تَضِلُّونَ فِي مَسِيرِكُمْ فِيهَا .
سُبُلًا فِجَاجًا - طُرُقًا وَاسِعَاتٍ .

(٢١) - وَقَالَ نُوحٌ وَهُوَ يَنَاجِي رَبَّهُ: إِنَّ قَوْمَهُ عَصَوْهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْكَرُوا مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَاتَّبَعَ الضَّعَفَاءُ مِنْهُمْ رَأْيَ رُؤَسَائِهِمُ الَّذِينَ يَطْرُقُوا مُغْتَرِبِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ خَسَارَةً لَهُمْ، وَخُرُوجًا عَنِ جَادَةِ الْهُدَى وَالصُّوَابِ، وَبُعْدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى .
خَسَارًا - ضَلَالًا فِي الدُّنْيَا وَعِقَابًا فِي الْآخِرَةِ .

(٢٢) - وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا بَالِغَ النَّهَائِيَةِ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنِ الدِّينِ بِحِيلٍ وَأَسَالِيْبٍ شَتَّى .
كُبَارًا - كَبِيرًا عَظِيمًا - أَوْ بَالِغَ الْغَايَةِ فِي الْكِبَرِ .

١٤ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا

١٥ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ طَبَاقًا

١٦ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي سُبُلٍ مُّنِيرَةٍ وَجَعَلَ

الشَّمْسَ سِرَاجًا

١٧ وَاللَّهُ أَنْتَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بَنَاتًا

١٨ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

إِخْرَاجًا

١٩ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا

٢٠ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا

٢١ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا

مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا

٢٢ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا

(الْهَتَكُمْ)

(٢٣) - وَقَالَ الْمُسْتَكْبِرُونَ لِلضُّعَفَاءِ مِنْ قَوْمِهِمْ: لَا تَتْرَكُوا عِبَادَةَ آلِهَتِكُمْ مِنْ الْأَصْنَامِ: وَدَّ وَسَوَاعٍ وَيَعُوْثُ وَيَعُوْثُ وَنَسْرٍ، وَلَا تَعْبُدُوا إِلَهَ نُوحٍ.

(الظَّالِمِينَ) (ضَلَالًا)

(٢٤) - وَقَدْ أَضَلَّتْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ كَثِيرًا مِنَ الْبَشَرِ، فَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ (أَوْ فَاضَلْ هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءُ كَثِيرًا مِنَ الْبَشَرِ). وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ إِلَّا ضَلَالًا، وَطَبْعًا عَلَى قُلُوبِهِمْ، حَتَّى لَا يَهْتَدُوا إِلَى حَقٍّ، وَلَا يَصِلُوا إِلَى رُشْدٍ.

(خَطِيئَاتِهِمْ)

(٢٥) - وَبِسَبَبِ كَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ، وَعَتُوهُمْ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَمُخَالَفَةِ رُسُلِهِمْ... أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالطُّوفَانِ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارَ جَهَنَّمَ لِيَذُقُوا الْعَذَابَ فِيهَا، وَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ. مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ - بِسَبَبِ كَثْرَةِ خَطِيئَاتِهِمْ.

(الْكَافِرِينَ)

(٢٦) - وَقَالَ نُوحٌ بَعْدَ أَنْ يَبَسَ مِنْ صَلَاحِ قَوْمِهِ: رَبِّ لَا تَذَعْ أَحَدًا مِنَ الْكَافِرِينَ حَيًّا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، يُقِيمُ فِي دَارِ فِيهَا. دِيَارًا - سَاكِنَ دَارٍ.

(٢٧) - فَإِنَّكَ يَا رَبِّ إِنْ أَبْقَيْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ حَيًّا فَإِنَّهُمْ سَيَعْمَلُونَ عَلَى إِضْلَالِ عِبَادِكَ. وَصَرَّفَهُمْ عَنِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ، وَلَا يَلِدْ هَؤُلَاءِ الْكَفْرَةَ الْفَجْرَةَ إِلَّا كَفْرَةَ فَجْرَةٍ مِنْ أَمْثَالِهِمْ.

(وَلِوَالِدَيْ) (الْمُؤْمِنَاتِ) (الظَّالِمِينَ)

(٢٨) - وَتَابَعَ نُوحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، دُعَاءَهُ لِرَبِّهِ فَقَالَ: رَبِّ اغْفِرْ ذُنُوبِي، وَاغْفِرْ لِوَالِدَيَّ، وَاغْفِرْ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِكَ، وَبِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، وَأَنْبِيَّ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ، وَاغْفِرْ يَا رَبِّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِرِسَالَتِي، وَاتَّبَعُونِي فِيمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِكَ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكُفْرِ بِرَبِّهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، إِلَّا خَسَارًا وَبُعْدًا عَنْ رَحْمَتِكَ. تَبَارًا - هَلَاكًا وَدَمَارًا.

﴿٢٣﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرْنَا الْهَتَكَ وَلَا تَذَرْنَا وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَعُوْثَ وَيَعُوْثَ وَنَسْرًا

﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا

﴿٢٥﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا

﴿٢٦﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا

﴿٢٧﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْجَارًا كَفَارًا

﴿٢٨﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا

(٣) سُورَةُ الْجِنِّ مَكِينٌ وَأَيُّهَا مَائِكَانٌ وَعَشِيرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُرْآنًا)

(١) قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْجِنِّ اسْتَمَعُوا إِلَى الْقُرْآنِ فَأَمْتُوا بِهِ، وَصَدَّقُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا بَدِيعًا.

(أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلِمَ بِاسْتِمَاعِ الْجِنِّ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مِنَ الْوَحْيِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِوُجُودِهِمْ قُرْبَهُ).
عَجَبًا - بَدِيعًا فِي بَلَاغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ.

(فَأَمَّا)

(٢) - وَهَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَإِلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ، فَصَدَّقْنَا بِهِ، وَلَنْ نَعُودَ إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْإِشْرَاقِ بِعِبَادَةِ رَبِّنَا أَحَدًا.
الرُّشْدُ - الْحَقُّ أَوْ الْإِيمَانُ.

(تَعَالَى) (صَاحِبَةً)

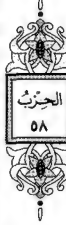
(٣) - وَتَرَهُمْ رَبَّهُمُ الْعَظِيمَ عَنِ الزَّوْجَةِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، لِأَنَّ الصَّاحِبَةَ تَتَّخَذُ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَلِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ الزَّوْجِ، وَالْوَلَدُ يَتَّخَذُ لِلْإِسْتِنَاسِ بِهِ، وَلِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي الْكِبَرِ وَفِي الشَّدَةِ، وَلِبَقَاءِ الذَّكْرِ. وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ ذَلِكَ، فَهُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَصِيرٍ وَلَا إِلَى مُعِينٍ، وَهُوَ بَاقٍ دَائِمٌ أَبَدًا.
جَدُّ رَبِّنَا - جَلَالُهُ أَوْ سُلْطَانُهُ أَوْ غَنَاهُ.

(٤) - وَأَنَّ الْجُهَالَ مِنَ الْجِنِّ كَانُوا يَقُولُونَ قَوْلًا بَعِيدًا عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، بِنِسْبَةِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ تَعَالَى.
سَفِيهًا - قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ إِنَّ الَّذِي غَنَاهُ الْجِنُّ بِقَوْلِهِمْ (سَفِيهًا) هُوَ إِبْلِيسُ.
شَطَطًا - قَوْلًا مُتَجَاوِزًا الْحَقَّ مُفْرِطًا فِي الْكَذِبِ وَالضَّلَالِ.

قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ

نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا

سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا



يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ

نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ

صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهًا عَلَى

اللَّهِ شَطَطًا

(٥) - وَأَنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يَكْذِبَ أَحَدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَيَنْسِبَ إِلَيْهِ تَعَالَى الصَّاحِبَةَ وَالْوَلَدَ، وَمِنْ ثَمَّ اعْتَقَدْنَا صِحَّةَ قَوْلِ السَّافِيهِ، فَلَمَّا سَمِعْنَا الْقُرْآنَ عَلِمْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ.

(٦) - وَأَنَّ رَجُلًا مِنَ الْإِنْسِ كَانُوا يَسْتَعِيدُونَ، وَهُمْ فِي الْقَفَارِ، بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ، فَرَادُوا الْجِنَّ بِذَلِكَ طُغْيَانًا وَغِيًّا، بِأَنَّهُمْ أَصْلَوْهُمْ حَتَّى اسْتَعَادُوا بِهِمْ.

(كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا نَزَلُوا بِمَكَانٍ فِي الْفَقْرِ يَسْتَعِيدُونَ بِعَظِيمِ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ الْجِنِّ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِمَا يَسُوُّهُمْ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِنُّ أَنَّ الْإِنْسَ يَسْتَعِيدُونَ بِهِمْ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنْهُمْ، أَزْدَادَتْ الْجِنُّ طُغْيَانًا وَسَفَهًا، وَأَصْبَحَتِ الْجِنُّ أَكْثَرَ جُرْأَةً عَلَى الْإِنْسِ).
يَعُودُونَ - يَسْتَجِيرُونَ وَيَسْتَعِيدُونَ.
رَهَقًا - جُرْأَةً وَطُغْيَانًا.

(٧) - وَأَنَّ الْجِنَّ ظَنُّوا، كَمَا ظَنَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ، أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْعَثَ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ إِلَى خَلْقِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.
(أَوْ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْعَثَ أَحَدًا مِنْ قَبْرِهِ فِي الْآخِرَةِ لِيَحَاسِبَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ).

(فَوَجَدْنَاهَا)

(٨) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ حِينَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، حَفِظَ اللَّهُ الْقُرْآنَ مِنَ الْجِنِّ إِذْ مُلِئَتِ السَّمَاءُ حَرَسًا شَدِيدًا، وَحَفِظَتْ مِنْ جَمِيعِ أَرْجَائِهَا، وَطُرِدَتِ الشَّيَاطِينُ مِنْ مَقَاعِدِهَا لِثَلَا يَسْتَرْقُوا سَمْعَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْجِنَّ قَالُوا: لَقَدْ طَلَبْنَا خَيْرَ السَّمَاءِ (لَمَسْنَا السَّمَاءَ) كَمَا جَرَتْ عَادَتُنَا بِذَلِكَ فَوَجَدْنَاهَا قَدْ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا، وَشُهَبًا تَحْرُسُهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتَمْنَعُنَا مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ.

لَمَسْنَا - طَلَبْنَا خَبْرًا.
حَرَسًا - حُرَاسًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

(مَقَاعِدَ)

(٩) - وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهَا مَقَاعِدَ خَالِيَةً مِنَ الْحَرَسِ وَالشُّهْبِ لِنَسْتَرْقِ السَّمْعَ، فَطَرَدْنَا مِنْهَا لِكَيْلَا نَسْتَمِعَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ خَيْرِ السَّمَاءِ عَنِ الْقُرْآنِ، لِنُلْقِيَهُ إِلَى الْكُهَّانِ، فَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَسْتَرْقِ الْآنَ السَّمْعَ يَجِدْ لَهُ شُهَبًا مَرَصِدًا يُهْلِكُهُ لِسَاعَتِهِ.

⑤ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

⑥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا

⑦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا

⑧ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا

⑨ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ لِلشَّيَاطِينِ مَقَاعِدُ فِي السَّمَاءِ يَسْمَعُونَ فِيهَا
الْوَحْيَ ، فَإِذَا سَمِعُوا الْكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تَسْعًا ، فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا ،
أَمَّا مَا زِيدَ فِيهَا فَيَكُونُ بَاطِلًا ، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ ،
فَذَكَّرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ ، وَلَمْ تَكُنِ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ
لَهُمْ مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرِ قَدْ حَدَّثَ فِي الْأَرْضِ ؛ فَبَعَثَ جُنُودَهُ فَوَجَدُوا
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ فِي مَكَّةَ ، فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ
هَذَا هُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي حَدَّثَ فِي الْأَرْضِ .
شِهَابًا - شُعْلَةٌ مُتَفَصِّلَةٌ عَنْ نَارِ الْكَوَاكِبِ .
رَصْدًا - أُرْصِدَ لَهُ لِيَرْمِيَهُ .

(١٠) - وَأَنَا لَا نَدْرِي مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَّثَ فِي السَّمَاءِ ، أَمْ شَرٌّ أَرَادَ
اللَّهُ أَنْزَالَهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا وَرَشْدًا .

(الصَّالِحُونَ) (طَرَائِقُ)

(١١) - وَأَنَا مِنَ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ ، الْعَامِلُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَمِنَّا قَوْمٌ دُونَ
ذَلِكَ وَأَنَا كُنَّا مَذَاهِبَ وَأَهْوَاءَ مُخْتَلِفَةً ، وَفِرْقًا شَتَّى : فَمِنَّا الْمُؤْمِنُونَ وَمِنَّا
الْفَاسِقُونَ وَمِنَّا الْكَافِرُونَ .
قِدْدًا - جَمَاعَاتٌ مُتَفَرِّقَةٌ الْمَذَاهِبِ .
وَالْقِدَّةُ - الْقِطْعَةُ .

(١٢) - وَأَنَا لَنَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ حَاصِمَةٌ عَلَيْنَا ، وَأَنَا لَنْ نُعْجِزَهُ تَعَالَى ،
وَلَوْ أَمْعَنَّا فِي الْهَرَبِ ، فَإِنَّهُ عَلَيْنَا قَادِرٌ ، وَلَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ مِنَّا .
(أَمَّنَا)

(١٣) - وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ صَدَقْنَا
بِهِ ، وَأَقْرَرْنَا بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى . وَمَنْ يُصَدِّقْ بِاللَّهِ وَبِمَا أَنْزَلَهُ عَلَى
رُسُلِهِ فَلَا يَخَافُ نَقْصًا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَلَا ذَنْبًا يُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتٍ
غَيْرِهِ .
الْبَخْسُ - النِّقْصُ .

الرَّهَقُ - الظُّلْمُ وَالْمَكْرُوهُ الَّذِي يَغْشَى الْمَظْلُومَ .

(الْقَاسِطُونَ) (فَاوْلَيْكَ)

(١٤) - وَأَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ وَأَخْشَوْا إِلَيْهِ ، وَعَمِلُوا
صَالِحًا يَرْضَاهُ ، وَمِنَّا الْجَائِرُونَ عَنِ النَّهْجِ الْقَوِيمِ ، الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ
اللَّهِ . وَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَأَطَاعَهُ ، فَقَدْ أَجْتَهَدَ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ
لِلسَّعَادَةِ .

١٠ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بَيْنَ فِي

الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَشْدًا

١١ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ

ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا

١٢ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي

الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ دَهْرًا

١٣ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ

فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ

بَخْسًا وَلَا رَهَقًا

١٤ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا

الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ

نَحْنُ وَارْشَدًا

الْقَاسِطُونَ - الْجَائِرُونَ بِكُفْرِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى.
الْمُقْسِطُونَ - الْعَادِلُونَ.
تَحَرُّوا رَشَدًا - قَصِدُوا خَيْرًا وَصَلَاحًا وَهُدًى.

(الْقَاسِطُونَ)

(١٥) - وَأَمَّا الْجَائِرُونَ عَنْ سُنَنِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُمْ سَيَكُونُونَ حَطَبًا لَجَهَنَّمَ،
تُوقَدُ بِهِمْ كَمَا تُوقَدُ بِكَفَرَةِ الْإِنْسِ.

(وَأَنْ لَّوِ) (اسْتَقَامُوا) (لَأَسْقَيْنَهُمْ)

(١٦) - وَأَنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى طَرِيقَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالطَّاعَةِ
لَهُ، لَأَوْسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَأَنْزَلَ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا. (وَقَالَ
أَبْنُ عَبَّاسٍ: هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ حِينَمَا مُنِعُوا الْمَطَرَ سَبْعَ
سِنِينَ).

عَلَى الطَّرِيقَةِ - عَلَى طَرِيقَةِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ.

(١٧) - لِيُخْتَبِرَهُمْ بِإِعْدَاقِ الرِّزْقِ عَلَيْهِمْ، وَإِرْسَالِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ
بِالْمَطَرِ، لِيَرَى هَلْ يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ أَمْ يَكْفُرُونَ؟ فَإِنْ وَقُوا
النِّعَمَ حَقَّهَا مِنَ الشُّكْرِ كَانَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى، وَإِنْ كَفَرُوا
اسْتَدْرَجَهُمْ وَأَمْهَلَهُمْ ثُمَّ أَخَذَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ.
وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ الْقُرْآنِ وَعِظَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدْخِلُهُ فِي الْعَذَابِ
الشَّاقِّ الْمُتَوَاصِلِ الَّذِي لَا يُطِيقُهُ، وَلَا يَجِدُ فِيهِ لَحْظَةً رَاحَةً.
يَسْلُكُهُ - يُدْخِلُهُ.
عَذَابًا صَعَدًا - شَاقًّا يَغْلِيهِ وَيَعْلُوهُ فَلَا يُطِيقُهُ.

(الْمَسَاجِدِ)

(١٨) - يَا مَرْءُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، إِذَا دَخَلُوا
الْمَسَاجِدَ، وَبِأَلَّا يَعْبُدُوا مَعَهُ أَحَدًا غَيْرَهُ.

(١٩) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ الْجِنَّ لَمَّا سَمِعُوا عَبْدَ اللَّهِ
مُحَمَّدًا يَتْلُو الْقُرْآنَ كَادُوا يَكُونُونَ حَوْلَهُ جَمَاعَاتٍ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا
تَعَجُّبًا، مِمَّا سَمِعُوا مِنْ تِلَاوَتِهِ.

لِيَدَّ - طَبَقَاتٍ مِثْلَ اللَّبَدِ

(أَدْعُوا)

(٢٠) - وَقُلْ: إِنِّي أَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ أَحَدًا.

﴿١٥﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ

حَطَبًا

﴿١٦﴾ وَالْوَلَوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ

لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا

﴿١٧﴾ لَنَفْنَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ

رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا

﴿١٨﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ

اللَّهِ أَحَدًا

﴿١٩﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا

يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا

﴿٢٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ

أَحَدًا

(٢١) - وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ الَّذِينَ رَدُّوا مَا جِئْتُهُمْ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ: إِنِّي لَا أُمْلِكُ لَكُمْ دَفْعًا لِضُرٍّ، وَلَا جَلْبًا لِنَفْعٍ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَمْلِكُ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، الَّذِي يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَحْدَهُ.

(٢٢) - وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِي سُوءًا، وَلَنْ يَنْصُرَنِي مِنْهُ نَاصِرٌ، وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْجَأً وَلَا مُعِينًا. مُلْتَحِدًا - مُلْجَأُ الْجَأِ إِلَيْهِ.

(بَلَاغًا) (رِسَالَاتِهِ) (خَالِدِينَ)

(٢٣) - وَلَكِنِّي إِنْ بَلَغْتُ رَسُولَ اللَّهِ، وَقُمْتُ بِمَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي، فَإِنَّهُ تَعَالَى يُجِيرَنِي، وَيَحْمِينِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ. وَمَنْ يَعْصِرِ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، وَيَكْذِبُ رَسُولَهُ وَآيَاتِهِ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا، وَيَبْقَى فِيهَا خَالِدًا أَبَدًا، لَا مَخْرَجَ لَهُ مِنْهَا وَلَا مَهْرَبَ.

(٢٤) - وَلَا يَزَالُونَ يَسْتَضِعِفُونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ مِنْ فُتُونِ الْعَذَابِ فَسَيِّئِينَ لَهُمْ جِنْدٌ مِنْهُمْ الْمُسْتَضْعَفُونَ؟ أَهْمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُوحَّدُونَ لِلَّهِ تَعَالَى، أَمْ هُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ لَا نَاصِرَ لَهُمْ وَلَا مُعِينَ؟.

(٢٥) - أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَلَكِنْ وَقْتُهَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنَّهُ لَا يَذَرِي إِنْ كَانَ وَقْتُهَا قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا. أَمَدًا - زَمَانًا بَعِيدًا.

(عَالِمِ)

(٢٦) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارِ خَلْقِهِ فَلَمْ يَرَوْهُ، وَلَا يُطْلِعْ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

(٢٧) - إِلَّا مَنْ أَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُطْلِعَهُ مِنَ الرُّسُلِ، عَلَى مَا شَاءَ مِنَ الْغَيْبِ، فَإِنَّهُ يُطْلِعُهُ. وَاللَّهُ يَجْعَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رُسُلِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ، حَفَظَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ يَحْفَظُونَهُمْ مِنْ وَسْوَاسِ الشَّيَاطِينِ، حَتَّى يُبْلَغُوا مَا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمْ، كَمَا تَحْفَظُهُمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَذَى شَيَاطِينِ الْإِنْسِ حَتَّى لَا يُؤْذَوْهُمْ، وَلَا يَضُرُّوهُمْ.

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا

قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا

إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا

قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمَّا يَجْعَلُهُ رَبِّي أَمَدًا

عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا

إِلَّا مَنْ أَرْضَى مِنَ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا

(رِسَالَاتٍ)

لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى
كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا

(٢٨) - وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُ رُسُلَهُ لِيَتِمَّ كُنُوتُ مِنْ أَذَاءِ رِسَالَاتِهِ، وَيَحْفَظُوا مَا
يُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ لِيَعْلَمَ إِنْ كَانُوا قَدْ بَلَّغُوا هَذِهِ الرِّسَالَاتِ؛ وَهُوَ
تَعَالَى قَدْ أَحَاطَ عِلْمًا بِمَا عِنْدَ الرَّاصِدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَخْصَى مَا كَانَ وَمَا
سَيَكُونُ فَرْدًا فَرْدًا، فَهُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، لَا يُشَارِكُهُ فِي عِلْمِهِ أَحَدٌ
مِنْ خَلْقِهِ لَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا غَيْرُهُمْ.

سُورَةُ الْمِزْمَلِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ

(يَا أَيُّهَا)

(١) - جِيئَ جَاءَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْوَحْيِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَهُوَ فِي غَارٍ جَرَاءٍ، خَافَ النَّبِيُّ ﷺ وَظَنَّ أَنَّ بِهِ مَسًّا مِنَ الْجِنِّ، فَرَجَعَ مِنَ الْجَبَلِ، مُرْتَعِدًا، وَقَالَ: زَمَّلُونِي زَمَّلُونِي. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ وَنَادَاهُ (يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ.. أَيْ يَا أَيُّهَا الْمُتَلَفُّ بِثِيَابِهِ)..
الْمَزْمَلُ - الْمُتَلَفُّ بِثِيَابِهِ.

٢ قُرِئَ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا

(اللَّيْلُ)

(٢) - قُمِ اللَّيْلُ مُصَلِّيًا، كُلَّهُ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُ.

٣ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا

(٣) - قُمِ اللَّيْلُ مُصَلِّيًا نِصْفَهُ، أَوْ انْقُصْ مِنَ النِّصْفِ قَلِيلًا، حَتَّى تَبْلُغَ الثَّلَاثَ.

٤ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا

(الْقُرْآنَ)

(٤) - قُمِ نِصْفَ اللَّيْلِ أَوْ زِدْ عَلَى نِصْفِ اللَّيْلِ قَلِيلًا حَتَّى تَبْلُغَ الثَّلَاثِينَ، وَأَقْرَأِ الْقُرْآنَ مُتَمَهِّلًا فِي قِرَاءَتِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُعِينُ عَلَى فَهْمِ مَعَانِيهِ وَتَدَبُّرِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَقْرَأُ الْقُرْآنَ.
رَتَّلِ الْقُرْآنَ - أَقْرَأْهُ بِتَمَهُّلٍ وَتَبَيَّنْ حُرُوفَهُ.

٥ إِنَّا سَنَرْفَعُكَ عَلَى قَوْلٍ نَقِيلًا

(٥) - إِنَّا سَنَرْفَعُكَ عَلَى الْقُرْآنِ وَفِيهِ أُمُورٌ شَاقَّةٌ عَلَيْكَ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا تُبَالٍ بِهَذِهِ الْمَشَقَّةِ، وَأَمُرُنْ نَفْسَكَ عَلَيْهَا لَيْسَهُلَّ عَلَيْكَ أَحْتِمَالُ مَا بَعْدَهَا.

قَوْلًا نَقِيلًا - شَاقًّا عَلَى الْمُكَافِلِينَ - الْقُرْآنَ.

(اللَّيْلِ)

(٦) - إِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ أَشَدُّ مُوَاطَاةً وَمُوَافَقَةً بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَأَجْمَعُ لِلْخَاطِرِ فِي آدَاءِ الْقِرَاءَةِ وَتَفْهَمِهَا، وَهَذَا أَفْرَغُ لِلْقَلْبِ مِنَ النَّهَارِ، لِأَنَّ النَّهَارَ يَكْثُرُ فِيهِ لَغَطُ النَّاسِ وَانْتِشَارُهُمْ، وَبَحْثُهُمْ عَنْ مَعَاشِهِمْ.
 نَاشِئَةُ اللَّيْلِ - الْعِبَادَةُ الَّتِي تَنْشَأُ فِيهِ وَتَحْدُثُ، وَنَشَأٌ - إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ.
 أَشَدُّ وَطْأً - ثَبَاتًا لِلْقَدَمِ وَرُسُوخًا فِي الْعِبَادَةِ أَوْ مُوَاطَاةً وَتَوَافُقًا بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ.

أَقُومُ قِيَلًا - أَثَبْتُ قِرَاءَةَ لِحُضُورِ الْقَلْبِ فِيهَا.

(٧) - إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ تَقَلُّبًا طَوِيلًا، وَنَصْرَفًا فِي مَهَامَ حَيَاتِكَ، وَاشْتِغَالًا بِشَوَائِغِكَ، فَلَا تَسْتَطِيعُ فِيهِ التَّفَرُّغَ لِلْعِبَادَةِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّهَجُّدِ لَيْلًا فَإِنَّ مُنَاجَاةَ الرَّبِّ يَعْزِزُهَا التَّفَرُّغُ وَالْهَدُوءُ.
 سَبَحًا طَوِيلًا - تَقَلُّبًا طَوِيلًا فِي أُمُورِ دُنْيَاكَ.

(٨) - وَدُمَ عَلَى ذِكْرِ رَبِّكَ لَيْلًا وَنَهَارًا، بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَانْقِطَعْ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ، وَجَرَّدَ نَفْسَكَ إِلَيْهِ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ سِوَاهُ.
 تَبَتَّلَ - انْقَطَعَ إِلَى عِبَادَتِهِ أَوْ اسْتَغْرَقَ فِي مُرَاقَبَتِهِ.

(٩) - وَاللَّهُ رَبُّكَ، هُوَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا مَعْبُودُ سِوَاهُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ.

(١٠) - وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ مِنْ كُفْرِ بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبِ لَكَ وَلِرِسَالَتِكَ، وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا، لَا عِتَابَ فِيهِ، وَلَا تَفْكِيرَ فِي أَنْتِقَامِ.

هَجْرًا جَمِيلًا - آغْتَرَاكَ حَسَنًا لَا جَزَعَ فِيهِ.

(١١) - وَدَعْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ الْمُتَرَفِّينَ، أَصْحَابَ الْأَمْوَالِ وَالنَّعْمَةِ، فَإِنِّي أَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ، وَأَجَازِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُ لَهُ، وَتَمَهَّلْ عَلَيْهِمْ قَلِيلًا حَتَّى يَجِئَ الْمَوْعِدُ الْمَحْدُدُ لِأَخْذِهِمْ.

دَرْنِي - دَعْنِي وَإِيَّاهُمْ فَسَأَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ.
 أَوْلَى النَّعْمَةِ - أَهْلُ التَّرَفِّ وَالْعَيْشِ الْمُتَرَفِّ.

(١٢) - إِنَّ لَدُنَّيْنَا لِلْهُولَاءِ الْكَفَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ فِي الْآخِرَةِ قِيُودًا ثَقِيلَةً تُوَضَّعُ فِي أَرْجُلِهِمْ كَمَا يَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ، إِذْ لَا أَلَاءَ لَهُمْ، وَلَهُمْ نَارٌ مُسْتَعِيرَةٌ يَصْلَوْنَهَا.

٦ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً
وَأَقُومُ قِيَلًا

٧ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا

٨ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا

٩ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا

١٠ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ
هَجْرًا جَمِيلًا

١١ وَدَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ
وَمَهْلِكُهُمْ قَلِيلًا

١٢ إِنَّ لَدُنَّيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا

الْجَحِيمُ - النَّارُ الشَّدِيدَةُ الْحَرَارَةِ .
الْأُنْكَالُ - الْقِيُودُ الثَّقَالُ .

(١٣) - وَلِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ أَيْضاً طَعَامٌ لَا يُسْتَسَاعَى كَالزَّقُومِ وَالضَّرِيعِ . . وَلَهُمْ أَلْوَانٌ أُخْرَى مِنَ الْعَذَابِ الْمُؤْلِمِ .
ذَا غُصَّةٍ - إِذَا أَكَلَهُ الْإِنْسَانُ غُصَّ بِهِ .

(١٤) - وَنَزَّلُ بِهِمْ ذَلِكَ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَضْطَرُّبُ الْأَرْضُ فِيهِ، وَتَنْزَلُ الْجِبَالُ، وَتَنْفَرُقُ أَجْزَاؤُهَا، وَتَصِيرُ كَالْكُثِيبِ الْمَهِيلِ مِنَ الرَّمْلِ، الَّذِي لَا تَمَسُّكَ بَيْنَ أَجْزَائِهِ، وَقَدْ كَانَتِ الْجِبَالُ قَبْلَ ذَلِكَ صُلْبَةً شَدِيدَةً الْأَسْرِ وَالتَّمَاسُكِ .
تَرْجُفُ الْأَرْضُ - تَضْطَرُّبُ وَتَنْزَلُزُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .
مَهِيلاً - لَا تَمَسُّكَ بَيْنَ أَجْزَائِهِ .

(شَاهِداً)

(١٥) - إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ رَسُولًا يَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِمَا أَجَبْتُمُوهُ عَلَى دَعْوَتِهِ لَكُمْ، كَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلُ مُوسَى رَسُولًا إِلَى فِرْعَوْنَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ .

(فَأَخَذْنَاهُ)

(١٦) - فَعَصَى فِرْعَوْنُ رَسُولَ رَبِّهِ، وَهُوَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ أَخْذًا شَدِيدًا، وَأَغْرَقَهُ وَقَوْمَهُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ .
أَخْذًا وَبِيلاً - أَخْذًا شَدِيدًا وَخِيَمَ الْعَاقِبَةِ .

(الْوِلْدَانِ)

(١٧) - فَكَيْفَ تَدْفَعُونَ عَنْكُمْ، إِنْ كَفَرْتُمْ بِرَبِّكُمْ وَكَذَّبْتُمْ رَسُولَهُ، عَذَابَ يَوْمٍ مَخُوفٍ يَجْعَلُ الشَّبَابَ شُيُوخًا، لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَرْعِ وَالْأَهْوَالِ ؟ .

(١٨) - وَتَنْفِطِرُ السَّمَاءُ عَلَى قُوَّتِهَا وَعَظَمَتِهَا وَتَشَقُّقُ، بِسَبَبِ شِدَائِدِ هَذَا الْيَوْمِ وَأَهْوَالِهِ، وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ وَاقِعًا لَا مَحَالَةَ .
السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ - تَشَقُّقُ السَّمَاءِ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

(١٩) - إِنَّ مَا تَقْدَمُ مِنَ الْآيَاتِ، وَمَا ذُكِرَ فِيهَا مِنَ الْوَعِيدِ، وَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَعَذَابِ الْكُفَّارِ . . عِبْرَةٌ لِمَنْ أَعْتَبَرَ وَادَّكَرَ، فَمَنْ شَاءَ أَنْتَعِظْ بِهَا، وَأَتَّخِذْ سَبِيلًا إِلَى رَبِّهِ، فَاْمَنْ بِهِ وَعَمِلْ بِطَاعَتِهِ .

١٣ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا

١٤ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْيَافًا مَهِيلاً

١٥ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا

١٦ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ
أَخْذًا وَبِيلاً

١٧ فَكَيْفَ تَنْفَعُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا
يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا

١٨ السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ
مَقْعُولًا

١٩ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ
اتَّخِذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا

(اللَّيْلِ) (طَائِفَةً) (الْقُرْآنِ) (آخِرُونَ) (يُقَاتِلُونَ) (الصَّلَاةِ)
(آتُوا) (الزَّكَاةَ)

(٢٠) - إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَوَّلَ مِنْ ثُلَاثِ اللَّيْلِ، وَكَثَرَتْ مِنْ نَصْفِهِ، وَتَقُومُ النِّصْفَ، وَتَقُومُ الثُّلُثَ، أَنْتَ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِكَ الْمُؤْمِنِينَ، حِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ قِيَامُ اللَّيْلِ. وَلَا يَعْلَمُ مَقَادِيرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْتُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ ضَبْطَ الْمَوَاقِيتِ، وَإِحْصَاءَ السَّاعَاتِ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ بِأَنْ رَخَّصَ لَكُمْ تَرْكَ الْقِيَامِ الْمُقَدَّرِ، وَعَفَا عَنْكُمْ، وَزَفَعَ عَنْكُمْ هَذِهِ الْمَشَقَّةَ، فَصَلُّوا مَا تيسَّرَ لَكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ، وَأَقْرَؤُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهَا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكُمْ ذُورٌ أَعْذَارٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ مَعَهَا الْقِيَامَ بِاللَّيْلِ، كَالْمَرَضِ وَالسَّفَرِ وَابْتِغَاءِ الرِّزْقِ (الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ) وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ إِذَا لَمْ يَنَامُوا اللَّيْلَ تَعَبَتْ أَجْسَادُهُمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْقِيَامَ بِوَاجِبِهِمْ فَأَقْرَؤُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ، وَصَلُّوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَقُومُوا فَلَا تَكُونُ قُلُوبُكُمْ غَافِلَةً، وَآتُوا الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ، وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَوْجِهٍ الطَّاعَاتِ، وَسَيَجْعَلُ رَبُّكُمْ هَذَا الْإِنْفَاقَ بِمِثَابَةِ الْقَرْضِ لَهُ، وَسَيَجْزِيكُمْ فِي الْآخِرَةِ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ، وَمَا تَقَدَّمُوا فِي الدُّنْيَا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ فِعْلٍ خَيْرٍ فَإِنَّكُمْ وَاجِدُونَ ثَوَابَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

لَنْ تُحْصَوْهُ - لَنْ تُطِيقُوا ضَبْطَ وَقْتِ قِيَامِهِ.

فَتَابَ عَلَيْكُمْ - بِالْتَّرْخِيصِ فِي تَرْكِ الْقِيَامِ الْمُقَدَّرِ.

فَأَقْرَؤُوا مَا تيسَّرَ - فَصَلُّوا مَا سَهَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ صَلَاةٍ.

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ - يُسَافِرُونَ لِلتَّجَارَةِ وَطَلَبِ الرِّزْقِ.

أَقِيمُوا الصَّلَاةَ - الْمَفْرُوضَةَ.

قَرْضًا حَسَنًا - اخْتِسَابًا بِطَبِيعَةِ خَاطِرٍ وَنَفْسٍ.



إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ

أَوَّلَ مِنْ ثُلَاثِ اللَّيْلِ وَنَصْفَهُ

وَالثُّلُثَ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ

يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ

تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا

تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ

مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي

الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

وَآخَرُونَ يَقُولُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَاقْرَءُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ

قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ

خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ

أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(٧٤) سُوْرَةُ الْمُنْذِرِ مُكَيِّدًا
وَأَيُّهَا سِنْتَ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمُدْرَرُ

(يَا أَيُّهَا)

(١) - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: جَاوَزْتُ بَعَارَ حِرَاءَ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي،
هَبَطْتُ فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي
فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا،
فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَنُّوْنِي وَصَبُّوا عَلَيَّ
مَاءً بَارِدًا. قَالَ فَدَنُّوْنِي، وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ فَتَرَلْتُ (يَا أَيُّهَا
الْمُدْرَرُ).

وَمَعْنَى الْآيَةِ: يَا أَيُّهَا الْمُتَدَرُّ بِثِيَابِكَ، رُعبًا وَفَرَقًا مِنْ رُؤْيَةِ الْمَلِكِ عِنْدَ
نُزُولِ الْوَحْيِ أَوَّلَ مَرَّةٍ.
تَدْرَرُ - تَعْطَى بِثِيَابِهِ.

فَوَقَانِدِرُ

(٢) - قُمْ وَشَمِّرْ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ، وَأَنْذِرْ أَهْلَ مَكَّةَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ،
إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

(٣) - وَعَظَّمْ رَبَّكَ بِعِبَادَتِهِ، وَبِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، دُونَ غَيْرِهِ.

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ

(٤) - قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: (وَلَا تَلْبَسْ ثِيَابَكَ
عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا غَدْرَةٍ). أَيُّ طَهَّرْ نَفْسَكَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَصْلَحْ
عَمَلَكَ، وَطَهَّرْ ثِيَابَكَ بِالْمَاءِ مِمَّا لِحِقَ بِهَا مِنَ النِّجَاسَةِ.

وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ

(٥) - وَاتْرُكْ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَأَقْلَعْ عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي تُوصِلُكَ إِلَى
عَذَابِ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ.

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ

الرُّجْزُ - الْمَعَاصِي - وَمِنْهَا عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ.

(٦) - وَلَا تُعْطِ عَطِيَّةً وَأَنْتَ تَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِيَكَ أَكْثَرُ مِنْهَا.

وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ

(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: لَا تَمْنُنْ بِعَمَلِكَ عَلَى رَبِّكَ تَسْتَكْثِرُهُ، إِنَّمَا
عَمَلُكَ مِنْهُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ إِذْ جَعَلَ لَكَ سَبِيلًا إِلَى عِبَادَتِهِ).

(٧) - وَأَصْبِرْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّكَ، وَأَصْبِرْ عَلَى أَدَى الْمُشْرِكِينَ، وَاجْعَلْ صَبْرَكَ عَلَى أَذَاهُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(٨) - فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَذَلِكَ هُوَ مَوْعِدُ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهَلَاكِ الْخَلَائِقِ جَمِيعاً.
النَّاقُورِ - الصُّورِ - وَهُوَ قُرْنٌ، إِذَا نُفِخَ فِيهِ أَحْدَثَ صَوْتاً.

(يَوْمَئِذٍ)

(٩) - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ فِي الصُّورِ هُوَ يَوْمٌ صَعْبٌ، شَدِيدُ الْهَوْلِ.

(الْكَافِرِينَ)

(١٠) - وَهُوَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْهَوْلِ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَهُوَ يَوْمٌ عَسِيرٌ، لَا يُسَّرُ فِيهِ وَلَا سُهُولَةٌ، لِأَنَّهُ سَيَكُونُ مَبْدَأَ شِقَائِهِمُ الْمُتَوَاصِلِ مِنَ الْجَسَابِ إِلَى الْعَذَابِ الدَّائِمِ السَّرمِديِّ.

(١١) - كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ سَيِّداً مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ، عَظِيمِ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَلَهُ عَشْرَةُ أَبْنَاءٍ. سَمِعَ مَرَّةً رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَتَأَثَّرَ بِذَلِكَ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مُحَمَّدًا إِنْفَا يَقُولُ كَلَاماً مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ، وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، إِنَّ لَهُ لَخَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنْ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنْ أَسْفَلُهُ لَمُعْدِقٌ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَمَا يعلَى عَلَيْهِ.

وَتَبِعَهُ أَبُو جَهْلٍ إِلَى مَنْزِلِهِ مَخَافَةً أَنْ يَدْخُلَ الْإِسْلَامَ قَلْبُهُ فَيُسْلِمَ قُرَيْشٌ كُلُّهَا، وَأَخَذَ يَسْتَتِيرُهُ حَتَّى جَاءَ قُرَيْشاً فِي نَادِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، وَلَا كَاهِنٍ، وَلَا شَاعِرٍ، وَلَا كَذَّابٍ، فَقَالُوا لَهُ: وَلَكِنْ مَا هُوَ؟

قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا سَاحِرٌ، أَمَا رَأَيْتُمُوهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَوَالِيهِ؟ فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ.

(وَكَانَ الْوَلِيدُ يُسَمَّى الْوَجِيدَ لِأَنَّهُ وَجِدَ فِي قَوْمِهِ، لِكَثْرَةِ مَالِهِ، وَعَظِيمِ جَاهِهِ).

وَمَعْنَى الْآيَةِ: خَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَخْرَجْتُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَجِيداً لَا مَالَ لَهُ وَلَا وَلَدَ.

ذَرْنِي - دَعْنِي وَخَلْنِي، وَهِيَ هُنَا لِلتَّهْدِيدِ.

٧ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ

٨ فَإِذَا نُفِخَ فِي النَّاقُورِ

٩ فَذَلِكَ يَوْمٌ يَوْمِذٍ عَسِيرٍ

١٠ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرِيسٍ

١١ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيداً

١٢ - وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا

(١٢) - ثُمَّ أَفْضْتُ عَلَيْهِ النِّعَمَ، وَأَعْطَيْتُهُ الْمَالَ الْكَثِيرَ، فَكَانَ لَهُ مَالٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، مِنَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ وَالْغَنَمِ وَالْبَسَاتِينِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا تَنْقُطُ ثَمَارُهَا صَيْفًا وَلَا شِتَاءً - عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ .
مَالًا مَمْدُودًا - كَثِيرًا دَائِمًا غَيْرُ مُنْقَطِعٍ .

١٣ - وَبَيْنَ شُهُودًا

(١٣) - وَجَعَلْتُ لَهُ بَيْنَ حَاضِرِينَ مَعَهُ فِي مَكَّةَ دَائِمًا، لَا يُفَارِقُونَهَا لِكَسْبِ عَيْشٍ، وَلَا آتِيغَاءِ رِزْقٍ، إِذْ كَانُوا فِي غِنَى عَنِ الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ، لِمَا لَهُمْ مِنْ وَاسِعِ الثَّرَاءِ .
بَيْنَ شُهُودًا - حُضُورًا مَعَهُ، لَا يُفَارِقُونَهُ لِكَسْبِ عَيْشٍ .

١٤ - وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا

(١٤) - وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، وَبَسَّطْتُ لَهُ فِي الْمَالِ، فَكَانَ الْأَخْلَقُ بِهِ أَنْ يَشْكُرَ رَبَّهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْوَفِيرَةِ .
مَهَّدْتُ لَهُ - بَسَّطْتُ لَهُ النِّعْمَةَ وَالرِّيَاسَةَ .

١٥ - ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ

(١٥) - ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ يَطْمَعُ فِي أَنْ يَزِيدَ اللَّهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، فَهُوَ حَرِيصٌ عَلَى الْاِسْتِكْثَارِ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ .

(لَايَاتِنَا)

١٦ - كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِأَيْنَا عَيْنِدَا

(١٦) - كَلَّا لَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ كَانَ مُعَانِدًا لآيَاتِ اللَّهِ الْمُنِيعِ الْمُتَفَضِّلِ عَلَيْهِ، وَهِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَحِيَاءً عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَلِذَلِكَ قَالَ مَا قَالَ .
وَمُعَانِدَةُ الْحَقِّ جَدِيرَةٌ بِزَوَالِ النِّعَمِ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْوَلِيدَ أَخَذَتْ حَالَهُ تَسْوُهُ وَتَتَرَجَّعُ مِنْذُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَبَقِيَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ .
كَلَّا - كَلِمَةٌ رَدْعٍ وَزَجْرٍ عَنِ الطَّمَعِ الْفَارِغِ
لَايَاتِنَا عَيْنِدَا - جَاحِدًا وَمُعَانِدًا .

١٧ - سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا

(١٧) - سَنُنْزِلُ بِهِ عَذَابًا شَاقًّا، يُرْهُقُهُ وَلَا يُطِيقُهُ، فَيَكُونُ حَالُهُ حَال مَنْ يَكْلِفُ صُعُودَ جَبَلٍ وَغَيْرِ شَائِكٍ .
(وَقِيلَ إِنَّهُ سَيَكْلِفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُعُودَ جَبَلٍ مِنْ نَارٍ فِي جَهَنَّمَ) .
سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا - سَأَكْلِفُهُ عَذَابًا شَاقًّا لَا يُطَاقُ .

١٨ - إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ

(١٨) - وَإِنَّمَا فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ذَلِكَ الْعَذَابَ الشَّاقَّ لِأَنَّهُ فَكَّرَ فِيمَا يَقُولُهُ فِي الْقُرْآنِ، حِينَ سُئِلَ عَنْهُ، وَفِيمَا يَخْتَلِقُهُ فِيهِ، ثُمَّ تَرَوَى .
قَدَّرَ - تَرَوَى وَهَيَأَ فِي نَفْسِهِ الْقَوْلَ بِالطَّعْنِ فِي الْقُرْآنِ .

١٩ - فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ

(١٩) - فَهَلَاكَ وَلَعَنَهُ لَهُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ الَّذِي قَدَّرَهُ .
فَقِيلَ - فَهَلَكَ وَلَعِنَ وَقُبِّحَ .

(٢٠) - ثُمَّ هَلَاكَ وَلَعْنَا لَهُ، عَلَى مَا قَدَرَهُ وَأَعَدَّهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ طَعْنٍ فِي الْقُرْآنِ.

(٢١) - ثُمَّ نَظَرَ فِي أَمْرِ الْقُرْآنِ مَرَّةً أُخْرَى، لَعَلَّهُ يَتَوَصَّلُ إِلَى قَوْلٍ فِيهِ يُرْضِي قُرَيْشًا عَنْهُ لِيَحْفَظَ مَرْكَزَهُ، وَرِعَامَتَهُ فِيهَا.

(٢٢) - ثُمَّ قَطَبَ وَجْهَهُ حِينَ صَافَتْ بِهِ الْحِيلُ، ثُمَّ تَجَهَّمَ وَجْهَهُ وَكَلَحَ .
عَبَسَ - قَطَبَ بَيْنَ حَاجِبَيْهِ
بَسَرَ - كَلَحَ وَجْهَهُ وَعَبَسَ .

(٢٣) - ثُمَّ صَرَفَ وَجْهَهُ عَنِ الْحَقِّ، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى مُسْتَكْبِرًا عَنِ الْاعْتِرَافِ بِهِ، وَالْانْقِيَادِ لَهُ.

(٢٤) - ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَيْسَ إِلَّا سِحْرًا يَنْقُلُهُ مُحَمَّدٌ عَنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ السَّحَرَةِ الْأَوَّلِينَ .
يُؤْتَرُ - يُرَوَى وَيُتَعَلَّمُ مِنَ السَّحَرَةِ .

(٢٥) - وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ، أَخَذَهُ مُحَمَّدٌ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ بِكَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا يَدَّعِي مُحَمَّدٌ .

(٢٦) - سَادَخِلْهُ جَهَنَّمَ، وَأَغْمِرْهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .
سَقَرَ - اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ .

صَلَاةُ النَّارِ - أَدْخَلَهُ فِيهَا حَتَّى تَغْمِرَهُ أَوْ أَذَاقَهُ حَرَّهَا .

(أَذْرَاكَ)

(٢٧) - وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَ نَارُ جَهَنَّمَ؟ إِنَّهَا بَلَغَتْ فِي الْغَرَابَةِ حَدًّا لَا يُمَكِّنُ إِحَاطَةَ الْوَصْفِ بِهِ .

(٢٨) - لَا تَبْقَى لَحْمًا، وَلَا تَذَرُ عَظْمًا، وَإِنَّمَا تَأْتِي عَلَيْهِ جَمِيعًا .

(٢٩) - تُلَوِّحُ الْجِلْدَ فَتَحْرِقُهُ وَتُغَيِّرُ لَوْنَهُ .

لَوْحَتُهُ الشَّمْسُ - سَوَدَتْ ظَاهِرُهُ .

(٣٠) - وَعَلَى النَّارِ خَزَنَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، عِدَّتُهُمْ تِسْعَةُ عَشَرَ مَلَكًا يَلُوتُونَ أَمْرَهَا .

(وَرَوِي فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْيَهُودِ سَأَلُوا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ).

٢٠ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرَ

٢١ ثُمَّ نَظَرَ

٢٢ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ

٢٣ ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ

٢٤ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ

٢٥ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ

٢٦ سَأَصْلِيهِ سَقَرَ

٢٧ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ

٢٨ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ

٢٩ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ

٣٠ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ

(أَصْحَابَ) (مَلَائِكَةَ) (الْكِتَابَ) (آمَنُوا) (إِيمَانًا) (الْكَافِرُونَ)

(٣١) - لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ الْكَرِيمَ (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)، قَالَ أَبُو جَهْلٍ مُسْتَهْزِئًا: أَيْعِزُّ كُلَّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ أَنْ يَبْطِشُوا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ آيَةً رَدًّا عَلَى هَؤُلَاءِ السَّاحِرِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ حَرَسَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَنْ يُطِيقُ مُعَاْلَبَةَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَمَا جَعَلَ عَذَابَهُمْ (تِسْعَةَ عَشَرَ)، إِلَّا لِيَقُولَ الْكَافِرُونَ مَا قَالُوا، لِيَتَضَاعَفَ غَضَبُ اللَّهِ وَتَقْمَتُهُ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ اسْتَقَلُّوا الْعَذَدَ، وَقَالُوا كَيْفَ يَتَوَلَّى بِمِثْلِ هَذَا الْعَذَدِ الْقَلِيلِ تَعْذِيبَ خَلْقِ اللَّهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؟ وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْعَذَدَ لِرَسُولِهِ لِيَحْصُلَ الْيَقِينُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِأَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِي نُبُوَّتِهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوَافِقٌ لِمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ، وَلِيَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا، جِئْنَا بِرَوْنِ تَسْلِيمٍ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَتَصْدِيقُهُمْ لِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَلَا يَبْقَى فِي أَنْفُسِهِمْ شَكٌّ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلِكَيْلَا يَشْكُ أَهْلُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ فِي حَقِيقَةِ ذَلِكَ الْعَذَدِ، وَلِيَقُولَ الَّذِينَ يَشْكُونَ فِي صَدَقِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ، مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَالْكَافِرِينَ بِرِسَالَتِهِ: مَا الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ بِذِكْرِ هَذَا الْعَذَدِ الْقَلِيلِ الْمُسْتَغْرَبِ، وَمَا الْحِكْمَةُ فِيهِ؟

وَكَمَا أَضَلَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ بِذِكْرِ الْعَذَدِ، كَذَلِكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فَيَصْرِفُهُ عَنِ الْحَقِّ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فَيُوقِفُهُ لِلْهُدَى، وَالْخَيْرِ، وَالصَّوَابِ. وَمَا يَعْلَمُ عَدَدَ خَلْقِ اللَّهِ، وَمِقْدَارَ جُمُوعِهِ، الَّتِي مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ، إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، لِكَيْلَا يَتَوَهَّمُ مَتَوَهُمُ أَنَّهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ فَقَطْ، وَمَا سَقَرُوا وَلَا صَفَّتُهَا إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَتَعَبَّ مِنَ الْبَشَرِ، وَتَخْوِيفًا لَهُمْ.

(٣٢) - كَلَّا لَا سَبِيلَ إِلَى إِنْكَارِ النَّارِ، قَسَمًا بِالْقَمَرِ.

(اللَّيْلِ)

(٣٣) - وَقَسَمًا بِاللَّيْلِ إِذْ وُلَّى وَذَهَبَ.

(٣٤) - وَقَسَمًا بِالصُّبْحِ إِذَا أَشْرَقَ بِنُورِهِ الْوَضَّاحِ.

(٣٥) - إِنَّ جَهَنَّمَ لَا تَحْدَى الدَّوَاهِيَ الْعِظَامَ.

(وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ).

الْكَبِيرِ - الدَّوَاهِيَ الْعِظَامِ.

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً
وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ
كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ
وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ

كَلَّا وَالْقَمَرِ

وَاللَّيْلِ إِذَا دُبَّرَ

وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ

إِنَّهَا لَا تَحْدَى الْكَبِيرِ

(٣٦) - الَّتِي فِيهَا نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ .

نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾
لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

(٣٧) - لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَقْبَلَ الثَّزَارَةَ ، أَوْ يَتَوَلَّى عَنْهَا وَيَرْجُهَا .
(أَوْ أَنَّ الْمَعْنَى هُوَ : أَنَّهَا إِذْذَارٌ لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْخَيْرِ
أَوْ يَتَأَخَّرَ عَنْهُ) .

(٣٨) - كُلُّ نَفْسٍ مَرْتَهَنَةٌ بِعَمَلِهَا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾

(أَصْحَابُ)

(٣٩) - إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، الَّذِينَ يُعْطُونَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ
يَوْمَ الْحِسَابِ . فَيَتَنَاوَلُونَهَا بِأَيْمَانِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ فُكُّوا رَهْنًا أَنْفُسِهِمْ بِحُسْنِ
أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا .

(جَنَاتِ)

فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾

(٤٠) - وَيَكُونُ أَصْحَابُ الْيَمِينِ هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّاتِ يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ .

(٤١) - وَيَسْأَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي ذُرَكَاتِ النَّارِ .

عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾

(٤٢) - ثُمَّ يَسْأَلُونَ الْمُجْرِمِينَ وَهُمْ فِي النَّارِ : مَا الَّذِي أَذْخَلَكُمْ نَارَ
جَهَنَّمَ ؟

مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾

(٤٣) - وَيَرِيدُ الْمُجْرِمُونَ عَلَى سُؤَالِ الْأَبْرَارِ أَهْلَ الْجَنَّاتِ قَائِلِينَ : إِنَّهُمْ
لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَواتِ .

قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾

(٤٤) - وَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءِ ، وَلَمْ
يَكُونُوا يُطْعَمُونَ الْمَسَاكِينَ .

وَلَمْ يَكُنْ تُطْعَمُ الْمَسْكِينُ ﴿٤٤﴾

(الْخَائِضِينَ)

وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾

(٤٥) - وَإِنَّهُمْ كَانُوا يُشَارِكُونَ أَهْلَ الْبَاطِلِ فَيَخُوضُونَ مَعَهُمْ فِيمَا
يَخُوضُونَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا
لَا يَعْلَمُونَ .

وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾

(٤٦) - وَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِحَشْرِ وَلَا نَشْرِ وَلَا بَعْثٍ وَلَا حِسَابٍ ، وَلَا
عِقَابٍ فِي الْآخِرَةِ .

(أَتَانَا)

حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

(٤٧) - حَتَّى جَاءَهُمُ الْمَوْتُ ، وَرَجَعُوا إِلَى اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ، فَعَلِمُوا أَنَّ مَا
جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ .

(شَفَاعَةُ) (الشَّافِعِينَ)

(٤٨) - وَمَنْ كَانَ مُتَصِفًا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةُ شَافِعٍ فِيهِ، لِأَنَّ مَنْ مَاتَ كَافِرًا فَجَزَاؤُهُ النَّارُ، وَيَبْقَى خَالِدًا فِيهَا.

(٤٩) - فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مُعْرِضِينَ عَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي يُذَكِّرُهُمُ الرَّسُولُ بِهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ؟

(٥٠) - كَانَهُمْ، فِي نِفَارِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، حُمْرٌ وَخَسِرٌ تَفِرُّ نَافِرَةً.

(٥١) - تَفِرُّ مِنْ أَسَدٍ يُرِيدُ صَيْدَهَا.

قَسُورَةٌ - أَسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ.

(٥٢) - وَقَدْ بَلَغَ بِهِمُ الْعِنَادُ حَدًّا لَا تَنْفَعُ مَعَهُ التَّذْكِرَةُ، إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مَفْتُوحٌ مِنَ السَّمَاءِ، مُوجَّهٌ إِلَيْهِ، يُخْبِرُهُ اللَّهُ فِيهِ أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِي رَسُولَاتِهِ إِلَيْهِمْ.

(رُوي أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَجَمَاعَةً مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَأْتِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ، عُتْوَانُهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ... وَنُؤْمِرُ فِيهِ بِاتِّبَاعِكَ).

(الْآخِرَةَ)

(٥٣) - وَيُؤَيِّضُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَيَزَجِرُهُمْ عَلَى اقْتِرَاجِهِمْ إِنْزَالَ صُحُفٍ مُنْشَرَّةٍ إِلَيْهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لَنْ يُؤْتُوا هَذِهِ الصُّحُفَ الْمُنْشَرَّةَ، وَإِنَّ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا الْاِقْتِرَاحِ هُوَ أَنَّهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْآخِرَةِ، وَلَا يَخَافُونَ أَهْوَالَهَا، وَمِنْ ثَمَّ أَعْرَضُوا عَنِ التَّأَمُّلِ فِي تِلْكَ الْمُعْجَزَاتِ.

(٥٤) - كَلَّا إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ أَنَّهُ سِحْرٌ، وَإِنَّمَا هُوَ تَذْكِرَةٌ وَعِظَةٌ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ لِحَلْقِهِ.

(٥٥) - فَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَذْكُرَهُ فَعَلْ، فَإِنْ نَفَعَ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ.

(٥٦) - وَمَا يَذْكُرُونَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا يَتَعَطَّوْنَ بِهِ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ فِعْلَ شَيْءٍ إِلَّا إِذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى الْقُدْرَةَ عَلَى فِعْلِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى حَقِيقٌ بِأَنْ يَخْشَاهُ عِبَادُهُ وَيَتَّقُوهُ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ إِذَا آمَنُوا بِهِ، وَأَطَاعُوهُ، فَعَمِلُوا بِأَوَامِرِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

٥٨ ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾

٥٩ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾

٥٠ ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾

٥١ ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾

٥٢ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْشَرَّةً﴾

٥٣ ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾

٥٤ ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾

٥٥ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾

٥٦ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النُّقُولِ وَأَهْلُ الْمَخْفِرَةِ﴾

(٧٥) سُوْرَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْقِيَامَةُ)

(١) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ أَحْدَاثٍ عِظَامٍ .
لَا أَقْسِمُ - أَقْسِمُ . وَ لَا لِلتَّوَكُّيدِ . وَقِيلَ إِنَّهَا صَلَةٌ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
(لَعَلَّأَ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ) .

(٢) - وَيُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّفْسِ الَّتِي تَشَوَّقُ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ، وَتَنْدَمُ
عَلَى فِعْلِ السَّيِّئَاتِ، كَمَا تَنْدَمُ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَسْتَكْبِرْ مِنَ الْخَيْرِ، فَهِيَ
دَائِمًا تَلُومُ ذَاتَهَا عَلَى مَا فَعَلَتْ وَمَا تَرَكَتْ .
الْمُلُومَةُ - كَثِيرَةُ اللَّوْمِ وَالنَّدَمِ عَلَى مَا فَاتَ .

(الْإِنْسَانُ)

(٣) - أَبْظُنُّ ابْنَ آدَمَ أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى بَعْثِهِ مِنْ قَبْرِهِ، وَجَمَعَ عِظَامِهِ
بَعْدَ أَنْ تُصْبِحَ عِظَامُهُ تُرَابًا، وَتَتَفَرَّقُ فِي جَنَابَاتِ الْأَرْضِ ؟ .

(قَادِرِينَ)

(٤) - بَلَى إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، فَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُسَوِّيَ
أَنَامِلَ أَصَابِعِ الْإِنْسَانِ، وَيَجْعَلَهَا فِي أَمَاكِنِهَا مِنَ الْجِسْمِ، كَمَا كَانَتْ
قَبْلًا، وَأَنَامِلَ الْأَصَابِعِ هِيَ أَدْقُ مَا فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ مِنْ عَظْمٍ . فَإِذَا كَانَ
تَعَالَى قَادِرًا عَلَى أَنْ يُسَوِّيَ الْبَنَانَ، وَيُعِيدَهُ إِلَى أَمَاكِنِهِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى
إِعَادَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْعِظَامِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .

(الْإِنْسَانُ)

(٥) - إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ، وَيُسَوِّيَ
بَنَانَهُ، وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَمْضِيَ قُدَمًا فِي الْمَعَاصِي، لَا يَنْتَبِهَ شَيْءٌ عَنْ
فُجُورِهِ، وَيَقُولُ: أَعْمَلُ ثُمَّ أَتُوبُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
لَيَفْجُرْ أَمَامَهُ - لَيَذُومَ عَلَى فُجُورِهِ مَدَّةَ عُمْرِهِ .

١ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ



٢ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ

٣ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ

٤ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ يُسَوِّيَ بَنَانَهُ

٥ بَلَى يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ

(يَسْأَلُ) (الْقِيَامَةَ)

(٦) - وَيَسْأَلُ اسْتِيعَادًا وَإِنْكَارًا: مَتَى يَكُونُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؟ وَمَتَى أَنْكَرَ الْإِنْسَانُ الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّهُ شَيْءٌ عَنِ الْمَعَاصِي .

(٧) - ذَكَرَ تَعَالَى ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ: فَإِذَا تَحَيَّرَ الْبَصَرُ فَرَعَا، وَدُهِشَ فَلَمْ يَعُدْ يَطْرُقُ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ مِمَّا يَشَاهِدُ .
بَرَقَ الْبَصَرُ - إِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْبَرَقِ فَدُهِشَ بَصَرُهُ وَتَحَيَّرَ فَرَعَا مِمَّا رَأَى .

(٨) - وَالْعَلَامَةُ الثَّانِيَّةُ هِيَ: إِذَا خَسَفَ الْقَمَرُ وَذَهَبَ ضَوْؤُهُ .

(٩) - وَالْعَلَامَةُ الثَّلَاثَةُ هِيَ إِذَا اجْتَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي أَفْقٍ وَاحِدٍ، وَطَلَعَا مِنَ الْمَغْرِبِ أَسْوَدَيْنِ، لَا نُورَ فِيهِمَا .

(الْإِنْسَانُ) (يَوْمَئِذٍ) .

(١٠) - فَإِذَا ظَهَرَتْ هَذِهِ الْعِلَامَاتُ الثَّلَاثُ فَإِنَّ الْقِيَامَةَ تَكُونُ قَدْ قَامَتْ، وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ حِينَئِذٍ، أَيْنَ الْمَقَرُّ مِنْ جَهَنَّمَ؟ وَهَلْ مِنْهَا مَهْرَبٌ وَمُلْجَأٌ؟

(١١) - وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى تَسْأُولِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْمَهْرَبِ وَالْمُلْجَأِ مُجِيبًا: كَلَّا لَا مَهْرَبَ وَلَا مُلْجَأَ مِنْ هَؤُلَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَا شَيْءَ يُعْصِمُ الْإِنْسَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى .
لَا وَزَرَ - لَا مُلْجَأَ وَلَا مَنَجَى لَهُ مِنَ اللَّهِ .

(يَوْمَئِذٍ)

(١٢) - وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ، فَإِنَّمَا إِلَى جَنَّةٍ وَإِنَّمَا إِلَى نَارٍ .

(يُنَبِّأُ) (الْإِنْسَانُ) (يَوْمَئِذٍ)

(١٣) - وَيُخَبِّرُ الْإِنْسَانُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا .

(الْإِنْسَانُ)

(١٤) - وَيَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَاهِدًا عَلَى نَفْسِهِ، عَالِمًا بِمَا فَعَلَ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُنَبِّئَهُ غَيْرُهُ بِأَفْعَالِهِ، فَجَوَارِحُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ وَصَحِيفَةُ أَعْمَالِهِ قَدْ أَثَبَتْ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ فَعَلَهُ .
بَصِيرَةً - حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ أَوْ عَيْنٌ بَصِيرَةٌ .

٦ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ

٧ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ

٨ وَخَسَفَ الْقَمَرُ

٩ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

١٠ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ

١١ كَلَّا لَا وَزَرَ

١٢ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ

١٣ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ

١٤ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ

(١٥) - وَسِيحَاسَبُ عَلَى أَعْمَالِهِ جَمِيعُهَا وَلَوْ أَتَى بِالْحُجَجِ . وَأَذَلَّى بِالْمَعَادِيرِ ، وَجَادَلَ عَنْ نَفْسِهِ .
لَوْ أَلْقَى مَعَادِيرُهُ - وَلَوْ جَاءَ بِكُلِّ عُدْرٍ لَمْ يَنْفَعُهُ .

(١٦) - كَانَ الرَّسُولُ ﷺ ، حِينَمَا يَلْقَى الْوَحْيَ ، حَرِيصًا عَلَى حِفْظِهِ ، فَكَانَ يُسَابِقُ الْوَحْيَ فِي قِرَاءَةِ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ لِيَحْفَظَهُ ، وَلَا يُضَيِّعَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى الْوَحْيِ إِذَا جَاءَهُ جَبْرِيْلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ بِأَنْ يُسَرِّ لَهُ حِفْظَهُ وَأَدَاءَهُ ، وَأَنْ يُبَيِّنَ لَهُ وَيُفَسِّرَهُ .

(قُرْآنُهُ)

(١٧) - إِنَّ اللَّهَ تَكَفَّلَ لَكَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ وَتَثْبِيْتِهِ فِي صَدْرِكَ .

(قُرْآنُهُ) (قُرْآنُهُ)

(١٨) - فَإِذَا قَرَأَهُ عَلَيْكَ الْمَلِكُ فَاسْتَمِعْ لَهُ ، وَتَابِعْهُ فِي قِرَاءَتِهِ ، ثُمَّ أَقْرَأْهُ أَنْتَ كَمَا قَرَأَهُ عَلَيْكَ .

(١٩) - ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكَفَّلَ لَكَ بِبَيَانِ الْقُرْآنِ ، وَتَوْضِيحِهِ لَكَ .

(٢٠) - كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ يَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنْكُمْ لَا تَبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْجَنَابِ وَالْجَزَاءِ ، وَلَكِنَّ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى ذَلِكَ مَحَبَّتُكُمْ لِلدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ ، وَإِثَارُكُمْ شَهَوَاتِكُمْ وَمَلَادُكُمْ فِيهَا .

(الْآخِرَةُ)

(٢١) - وَأَنْتُمْ تَفْضَلُونَ عَاجِلَ الدُّنْيَا الْفَاسِيَةِ ، عَلَى الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا الدَّائِمِ .

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٢) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارِ نَضْرَةً مُشْرِقَةً بِالنَّعِيمِ .

نَاضِرَةٌ - مُشْرِقَةٌ مُتَهَلِّلَةٌ .

(٢٣) - تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا .

(وَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْأَبْرَارَ فِي الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ عَيْنًا كَمَا يَرَى أَحَدُهُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) . (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ) .

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٤) - أَمَّا وُجُوهُ الْكُفَّارِ فَتَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَاسِيَةً كَالِحَةً .

بَاسِرَةٌ - كَالِحَةٌ عَاسِيَةٌ .

١٥ وَلَوْ أَلْقَى مَعَادِيرُهُ

١٦ لَا تَحْزَنْكَ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ

١٧ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ

١٨ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ

١٩ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

٢٠ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ

٢١ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ

٢٢ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ

٢٣ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ

٢٤ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ

سَكَنَةً
لَطِيفَةً
عَلَى النَّوْنِ

٢٥ تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ

(٢٥) - مُسْتَقِئَةٌ مِنْ أَنَّهَا هَالِكَةٌ، أَوْ أَنَّهَا سَتَنْزِلُ بِهَا ذَاهِيَةٌ تَقْصِمُ فَقَارَ ظَهَرِهَا.
فَاقِرَةٌ - ذَاهِيَةٌ تَقْصِمُ فَقَارَ الظَّهْرِ.

٢٦ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ

(٢٦) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالَةِ الْإِحْتِضَارِ، وَمَا تَعَانِيهِ النَّفْسُ مِنْ شِدَائِدِ حِينَ الْإِشْرَافِ عَلَى الْمَوْتِ، فَيَقُولُ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ: أَرْتَدِعْ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا (كَلَّا) فَإِنَّ الرُّوحَ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَهِيَ خَارِجَةٌ، فَإِنَّكَ جَيِّدٌ لَا تُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ، وَلَا يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ.
التَّرَاقِيَ - جَمْعُ تَرْفُوعٍ مِنْ عِظَامِ أَعْلَى الصَّدْرِ.

٢٧ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ

(٢٧) - وَقَالَ أَهْلُ الْمُحْتَضَرِّ: مَنْ يَرْقِيهِ وَيَشْفِيهِ مِمَّا نَزَلَ بِهِ؟

٢٨ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ

(٢٨) - وَأَيُّقِنَ الْمُحْتَضَرُّ أَنَّ مَا نَزَلَ بِهِ نَذِيرٌ بِمُفَارَقَةِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ فِيهَا.

٢٩ وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ

(٢٩) - وَأَشْتَدَّ الْأَمْرُ بِالْمَرِيضِ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ شِدَّةُ فِرَاقِ الدُّنْيَا، مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ مِنَ الْآخِرَةِ، وَاجْتَلَطَا مَعًا.
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ الْمُحْتَضَرَ تَلْتَفُّ سَاقَاهُ مِنْ ضَعْفِهِ فَلَا تَسْتَطِيعَانِ حَرَكَاتًا، فَالْتِفَافُ السَّاقِ بِالسَّاقِ كِنَايَةٌ عَنْ دُنُو الْأَجْلِ).
الْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ - كِنَايَةٌ عَنْ أَشْتِدَادِ الْأَمْرِ وَدُنُو الْأَجْلِ.
(يَوْمِيذٍ)

٣٠ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ

(٣٠) - فَإِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذْ تَأْتِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، فَأِمَّا إِلَى جَنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى نَارٍ وَسَعِيرٍ.
الْمَسَاقُ - سَوْقُ الْعِبَادِ لِلْجَزَاءِ.

٣١ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى

(٣١) - وَحِينَمَا يُسَاقُ الْمَرْءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، يَجِدُ عَمَلَهُ مُحْضَرًا فِي صَحِيفَتِهِ، فَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَجِدُ فِيهَا أَنَّهُ لَا صَدَقَ بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَلَا أَدَّى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ صَلَوَاتٍ.

٣٢ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى

(٣٢) - بَلْ إِنَّهُ أَعْرَضَ عَنْ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَكَذَّبَهُمْ فِيمَا أُرْسِلُوا بِهِ، وَتَوَلَّى مُعْرِضًا عَنْهُمْ، وَعَنْ دَعْوَةِ الْإِيمَانِ.

٣٣ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى

(٣٣) - وَلَمْ يَكْتَفِ بِالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَإِنَّمَا انْقَلَبَ إِلَى أَهْلِهِ مُتَبَخِّرًا مُخْتَلًا فَرَحًا بِتَكْذِيبِهِ وَتَوَلَّيِهِ.
تَمَطَّى - مَدَّ جِسْمَهُ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِحْتِيَالِ فِي الْمِشْيَةِ.

(٣٤) - وَيَهْدُدُّ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْكَافِرَ الَّذِي يَمْشِي مُتَّبِعْتًا، وَيَقُولُ لَهٗ عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ وَالسُّخْرِيَةِ مِنْهُ: يَحَقُّ لَكَ أَنْ تَمْشِيَ مُتَّبِعْتًا مُخْتَلًا وَقَدْ كَفَرْتَ بِاللَّهِ رَبِّكَ.
أُولَى لَكَ - قَارَبَكَ مَا يُهْلِكُكَ.

(٣٥) - وَكَرَّرَ اللَّهُ تَعَالَى تَهْدِيدَهُ وَتَهَكُّمَهُ عَلَى هَذَا الْمُجْرِمِ الْمُتَّبِعِ الْمُتَكَبِّرِ.

(وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِ أَبِي جَهْلٍ وَقَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ وَالَّتِي قَبْلَهَا.

فَقَالَ لَهُ عَدُوُّ اللَّهِ: أَتَهْدِدُنِي يَا مُحَمَّدُ؟ وَاللَّهِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا رَبُّكَ شَيْئًا وَإِنِّي لَأَعَزُّ مِنْ مَشَى بَيْنَ جَبَلَيْهَا).

(الْإِنْسَانُ)

(٣٦) - أَيُظُنُّ الْإِنْسَانُ الْمُنْكَرَ لِلْبُعْثِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ بِغَيْرِ غَايَةٍ، وَأَنَّهُ يَتْرُكُهُ وَشَأْنَهُ فِي الْحَيَاةِ يَفْعَلُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، لَا يُؤْمَرُ بِأَمْرٍ، وَلَا يُنْهَى عَنْ نَهْيٍ، وَلَا يَبْعَثُ وَلَا يُحَاسَبُ؟

كَلَّا إِنَّهُ لَنْ يَتْرَكَ سُدًى، وَسَيَبْعَثُ وَسَيُحَاسَبُ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِ.
يَتْرَكَ سُدًى - مُهْمَلًا فَلَا يُكَلَّفُ وَلَا يُجَازَى.

(٣٧) - وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ خَلْقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ مِنْ مَنِيِّ يَفْذُهُ الرَّجُلُ فِي رَجَمِ الْأُنْثَى، فَالَّذِي بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ، لِأَنَّ الْإِعَادَةَ أَهْوَنُ مِنَ الْبَدْءِ.
مَنِيٌّ يُعْنَى - يُصَّبُ فِي الْأَرْحَامِ.

(٣٨) - ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ النُّطْفَةَ عَلَقَةً، ثُمَّ تَدْرَجَ فِي خَلْقِهِ حَتَّى سَوَاهُ، وَأَخْرَجَهُ طِفْلًا كَامِلَ الْخَلْقِ.
فَسَوًى - فَعَدَلَهُ وَكَمَلَهُ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ.

(٣٩) - وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَوَالِيدَ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، لِيَسْتَمِرَّ الْحَيَاةُ عَلَى الْأَرْضِ عَنْ طَرِيقِ التَّزَاوُجِ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ.

(بِقَادِرٍ)

(٤٠) - أَلَيْسَ الَّذِي أَنْشَأَ هَذَا الْخَلْقَ، مِنْ هَذِهِ النُّطْفَةِ الضَّعِيفَةِ، بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُعِيدَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ جَدِيدٍ، وَأَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى؟ مَعَ أَنَّ الْإِعَادَةَ أَهْوَنُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ؟.

﴿٣٤﴾ أُولَى لَكَ فَأُولَى

﴿٣٥﴾ ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى

﴿٣٦﴾ أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى

﴿٣٧﴾ أَلَرَبُّكَ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنٍ

﴿٣٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوًى

﴿٣٩﴾ جَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى

﴿٤٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى

سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا إِحْدَى وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْإِنْسَانُ)

(١) - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَأَوْجَدَهُ مِنْ عَدَمٍ، وَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ: أَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ مَضَى عَلَيْهِ حِينٌ مِنَ الزَّمَانِ، قَبْلَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ الرُّوحَ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئًا يَعْرِفُ فَيَذْكُرُ اسْمَهُ؟

(الْإِنْسَانُ) (فَجَعَلْنَاهُ)

(٢) - لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ذَاتِ عَنَاصِرٍ شَتَّى، اخْتَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، لِنَخْتَبِرَهُ بِالتَّكْلِيفِ إِذَا شَبَّ وَبَلَغَ الْحُلُمَ، وَنَرَى هَلْ يَشْكُرُ رَبَّهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقٍ وَرِزْقٍ وَصِحَّةٍ، أَمْ يَكْفُرُ؟ وَجَعَلْنَاهُ ذَا سَمْعٍ لِيَسْتَطِيعَ سَمَاعَ الْآيَاتِ، وَجَعَلْنَاهُ ذَا بَصَرٍ لِيَسْتَطِيعَ رُؤْيَا الدَّلَائِلِ، فَيَتَفَكَّرَ وَيَتَذَكَّرَ.

أَمْشَاجٌ - اخْتِلَاطٌ مَمْزُوجَةٌ مُتَبَايِنَةُ الصِّفَاتِ وَالْمَصَادِرِ.
نَبْتَلِيهِ - نَخْتَبِرُهُ بِالتَّكْلِيفِ.

(هَدَيْنَاهُ)

(٣) - وَأَعْطَيْنَاهُ الْعَقْلَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ لِيُذَكِّرَ وَيَعْقِلَ، وَبَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْهُدَى وَطَرِيقَ الضَّلَالِ لِيَخْتَارَ بَطَوَّعِهِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَبَيْنَ الْهُدَى وَالْمَعْصِيَةِ، فَمَنْ آمَنَ بِرَبِّهِ شَكَرَ، وَمَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِ جَحَدَ وَكَفَرَ النِّعْمَةَ. هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ - بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْهُدَايَةِ وَالضَّلَالِ.

(لِلْكَافِرِينَ) (سَلَاسِلَ) (أَغْلَالًا)

(٤) - إِنَّا أَعْدَدْنَا وَهْيَانًا لِمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَتِنَا، وَخَالَفَ أَمْرَنَا، سَلَاسِلَ يُقَادُ بِهَا إِلَى الْجَحِيمِ، وَأَغْلَالًا تُشَدُّ بِهَا أَيْدِيهِ إِلَى عُقْبِهِ، وَنَارًا يُعَذَّبُ فِيهَا. الْأَغْلَالُ - جَمْعُ غُلٍّ - الْقَيْدُ الَّذِي يَجْمَعُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْعُنُقِ. السَّعِيرُ - النَّارُ الْمُتَلَهَّبَةُ.

١ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا

٢ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

٣ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

٤ إِنَّا أَعْدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا

(٥) - إِنَّ الْكَرَامَ الْبَرَّةَ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ، يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ كَانَ مَا يَمْزُجُ بِهَا مَاءَ الْكَافُورِ.

مِنْ كَأْسٍ - مِنْ خَمْرٍ أَوْ مِنْ كَأْسٍ فِيهَا خَمْرٌ.
مَزَاجُهَا - مَا تَمْزُجُ بِهِ.

(٦) - وَهَذَا الْمِزَاجُ مِنْ عَيْنٍ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ الْمُتَّقُونَ، وَهُمْ فِي الْجَنَاتِ يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا كَيْفَ شَاءُوا، وَيَجْرُونَهَا حَيْثُ أَرَادُوا مِنْ دَوْرِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ.

التَّفَجِيرُ - إِجْرَاءُ الْمَاءِ إِلَى الْمَنَازِلِ.

(٧) - وَهَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ يُوفُونَ بِمَا أَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ نَذْرٍ، لِأَنَّ مَنْ أَوْفَى بِمَا أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ أَكْثَرَ وَفَاءً بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَتْرَكُونَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي نَهَاهُمْ رَبُّهُمْ عَنْهَا، خِيفَةَ سُوءِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ يَكُونُ ضَرَرُهُ مُنْتَشِرًا فَاشِيًا عَامًا عَلَى النَّاسِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ. مُسْطَِيرًا - فَاشِيًا عَامًا.

(٨) - وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ، مَعَ شَهَوَتِهِمْ لَهُ، وَرَغَبَتِهِمْ فِيهِ، لِلْفَقِيرِ الْعَاجِزِ عَنِ الْكَسْبِ (الْمُسْكِينِ)، وَالْيَتِيمِ الَّذِي مَاتَ أَبُوهُ، وَهُوَ دُونَ سِنِّ الْبُلُوغِ وَالْأَسِيرَ الْعَانِي الَّذِي لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ قُوَّةً.

(٩) - وَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُطْعِمُونَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْأَيْتَامَ وَالْأَسْرَى، لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ ثَوَابَ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ وَحْدَهُ، لَا يُطْعِمُونَ فِي جَزَاءٍ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ عَلَى إِنْقَاقِهِمْ، وَلَا فِي شُكْرِ مِنَ الْمُنْفِقِ عَلَيْهِ.

(١٠) - وَإِنَّا إِنَّمَا نَفْعَلُ ذَلِكَ رِجَاءً أَنْ يُرَحِّمَنَا رَبُّنَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ طَوِيلٌ عَصِيبٌ، تَغْبَسُ فِيهِ الْوُجُوهُ وَتَكْلُجُ مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِهِ.

الْمَبُوسُ - الَّذِي تَغْبَسُ فِيهِ الْوُجُوهُ مِنَ الْهَوْلِ.
قَمْطَرِيرًا - الطَّوِيلُ، وَقِيلَ هُوَ الشَّدِيدُ الْعَصِيبُ.

(فَوَقَاهُمْ) (لِقَاهُمْ)

(١١) - فَآمَنَهُمُ اللَّهُ شَرَّ مَا خَافُوهُ، وَأَعْطَاهُمْ أَمْنًا تَكُونُ لَهُ وَجُوهُهُمْ نَضْرَةً، وَسُرُورًا تُسَرُّ بِهِ قُلُوبُهُمْ، وَالْقَلْبُ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ الْوُجْهُ. نَضْرَةٌ وَسُرُورًا - حُسْنًا وَبَهْجَةً فِي الْوُجُوهِ.

(جَزَاهُمْ)

(١٢) - وَجَزَاهُمُ اللَّهُ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْإِثَارِ، وَمَا يُؤْدِي إِلَيْهِ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَرِيِّ، جَنَّةٌ لَهُمْ فِيهَا مَنَازِلٌ رَحْبٌ، وَعَيْشٌ رَغْدٌ، وَلِبَاسٌ مِنْ حَرِيرٍ.

٥ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا

٦ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا

٧ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ عَمَلُوهُمْ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا

٨ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

٩ إِنَّمَا تُطْعَمُوهُ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا لَتَرْدٍ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا

١٠ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا

١١ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا

١٢ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا

(الْأَرَائِكُ)

(١٣) - وَيَجْلِسُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى السَّرَائِرِ وَالْأَرَائِكِ، وَهُمْ مُتَكُونُونَ فِي وَضْعٍ مَنْ هُوَ مُرْتَاحٌ مُنْعَمٌ، لَا يُقَاسُونَ حَرًّا مُزْعِجًا، وَلَا بَرْدًا مُؤْلِمًا. الزَّمْهَرِيرُ - الشَّدِيدُ الْبُرُودَةُ.

(ظِلَالُهَا)

(١٤) - وَتَذْنُو أَشْجَارُ الْجَنَّةِ بِظِلَالِهَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ السَّعْدَاءِ، وَتَسْخَرُ قُطُوفُهَا لِأَمْرِهِمْ لِيَنَالُوا مِنْهَا مَا شَاءُوا. ذُلَّتْ - أَخْضَعَتْ وَسُخِرَتْ وَقُرِبَتْ مِنْ مُتَنَاوِلِهِمْ.

(بَانِيَةِ)

(١٥) - وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ خَدَمُ الْجَنَّةِ بِأَوَانِي الطَّعَامِ، وَهِيَ مِنْ فِضَّةٍ خَالِصَةٍ. وَيَأْكُوبُ الشَّرَابِ، وَهِيَ أَيْضًا مِنْ فِضَّةٍ، وَقَدْ جُعِلَتْ هَذِهِ الْأَكْوَابُ جَامِعَةً بَيَاضِ الْفِضَّةِ، وَصَفَاءِ الرُّجَاجِ وَشَفَافِيَّتُهُ. أَكْوَابٌ - أَقْدَاحٌ بِلا عُرَى. قَوَارِيرٌ - كَالرُّجَاجَاتِ فِي الصَّفَاءِ.

(١٦) - وَهَذِهِ الْقَوَارِيرُ يَحْمِلُهَا إِلَيْهِمُ السَّعَاءُ وَقَدْ قَدَّرُوا مَا صَبَّوْهُ فِيهَا عَلَى قَدَرِ كِفَايَةِ الشَّارِبِينَ وَرَبِّهِمْ، لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ. قَدَّرُوهَا - جَعَلُوا شَرَابَهَا عَلَى قَدَرِ الرِّيِّ.

(١٧) - وَيُسْقَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ فِي الْجَنَّةِ كَأْسًا مِنْ خَمْرِ الْجَنَّةِ مُزَجَّتْ بِالزَّنْجَبِيلِ (فَهُمْ يَمَزْجُ الشَّرَابَ لَهُمْ مَرَّةً بِالْكَافُورِ وَمَرَّةً بِالزَّنْجَبِيلِ فَالْكَافُورُ بَارِدٌ وَالزَّنْجَبِيلُ حَارٌّ).

(١٨) - وَيُسْقَوْنَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ عَيْنٍ غَايَةٍ فِي السَّلَاسَةِ وَالْإِسْتِسَاعَةِ. سَلْسِيلاً - سَلِسًا مُسْتَسَاعًا.

(وَلَدَانِ)

(١٩) - وَيَطُوفُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ غِلْمَانٌ (وَلَدَانِ) يَخْدُمُونَهُمْ، وَهُمْ شَبَابٌ، وَجُوهُهُمْ نَضْرَةٌ، كَانَتْهُمْ لِحْسُنُ الْوَانِهِمْ، وَنَضْرَةٌ وَجُوهِهِمْ، وَكَثْرَةُ انْتِشَارِهِمْ فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ، اللَّوْلُؤُ الْمُنْتَوَرُ، وَهُمْ لَا يَهْرَمُونَ وَلَا يَشْيَبُونَ، وَلَا تَبْدُلُ أَحْوَالُهُمْ. مُخَلَّدُونَ - لَا يَشْيَبُونَ وَلَا يَهْرَمُونَ.

وَلَدَانِ - غِلْمَانٌ لِلْخِدْمَةِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ الْمُبَكِّرِ.

(١٣) مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا

(١٤) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذْلِيلًا

(١٥) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا

(١٦) قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا

(١٧) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا

(١٨) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا

(١٩) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمُ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا



ثَلَاثَةُ أَرْبَاعٍ
الْحَرْبِ
٥٨

(٢٠) - وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ نَعِيمٍ فِي الْجَنَّةِ، لَرَأَيْتَ نَعِيمًا عَظِيمًا، وَمُلُكًا كَبِيرًا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ.

(عَالِيَهُمْ) (سَقَاهُمْ)

(٢١) - وَيَلْبَسُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الرِّفِيعَ مِنَ الْحَرِيرِ، مِمَّا يَلْبِي أُبْدَانَهُمْ كَالْقَمِصَانِ وَنَحْوَهَا، وَيَلْبَسُونَ الثِّيَابَ الَّتِي لَهَا لَمَعَانٌ وَبَرِيقٌ، مِمَّا يَلْبِي الْخَارِجَ، وَيَتَحَلَّوْنَ بِأَسَاوِرٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَسْقِيهِمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا بَاطِنَ شَارِبِهِ مِنَ الْحَسَدِ، وَالْحَقْدِ، وَالْغِلِّ، وَرِذْيَةِ الْأَخْلَاقِ.

السُّنْدُسُ - الرِّفِيعُ مِنْ نَسَجِ الْحَرِيرِ.

الْإِسْتَبْرَقُ - الثِّيَابُ الَّتِي لَهَا لَمَعَانٌ وَبَرِيقٌ أَوْ هِيَ الدِّيَابِجُ الْغَلِيظَةُ.

(٢٢) - وَيُقَالُ لَهُمْ تَكْرِيمًا: إِنَّ هَذَا الَّذِي أُعْطِيتُمُوهُ مِنَ الْكَرَامَةِ إِنَّمَا كَانَ ثَوْبًا لَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ شَكَرَ اللَّهُ لَكُمْ سَعْيَكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ثَوْبًا حَسَنًا.

(الْقُرْآنُ)

(٢٣) - إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ - يَا مُحَمَّدُ - الْقُرْآنَ مُنْجِمًا بِحَسَبِ الْحَوَادِثِ وَالْوَقَائِعِ، لِيَكُونَ أَسْهَلَ فَهْمًا، وَأَكْثَرَ تَنْبِيئًا لِلْمُؤْمِنِينَ. تَنْزِيلًا - شَيْئًا فَشَيْئًا.

(أَيُّهَا)

(٢٤) - فَاصْبِرْ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيُدَبِّرُكَ بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِ، وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ، وَلَا تُطِيعِ الْمُنَافِقِينَ، إِنْ أَرَادُوا صَدَّكَ عَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ، بَلْ قُمْ بِإِبْلَاجِ رِسَالَةِ رَبِّكَ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ عَاصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.

الْإِثْمُ - الْفَاجِرُ فِي أَفْعَالِهِ الْكَثِيرُ الْإِثْمِ.

الْكُفُورُ - الْكَافِرُ قَلْبُهُ.

(٢٥) - وَدُمَ عَلَى ذِكْرِ رَبِّكَ وَتَسْبِيحِهِ فِي الْبُكُورِ وَفِي الْأَصَائِلِ أَيُّ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ.

الْأَصِيلُ - وَقْتُ مِثْلِ الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ - الْعَصْرِ.

الْبُكُورَةُ - أَوَّلُ النَّهَارِ.

(اللَّيْلِ)

(٢٦) - وَصَلَّ بَعْضَ اللَّيْلِ، كَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَتَهَجَّدْ لِرَبِّكَ طَائِفَةً مِنَ اللَّيْلِ.

﴿٢٠﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا

﴿٢١﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ

وَالْإِسْتَبْرَقُ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ
وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا

﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ

سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا

﴿٢٣﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا

﴿٢٤﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ

عَاشِمًا أَوْ كَفُورًا

﴿٢٥﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

﴿٢٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ

وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا

(٢٧) - إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يُجِبُونَ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ، وَتُعْجِبُهُمْ زِينَتُهَا وَفَتْنَتُهَا وَلَذَاتُهَا، وَتَتْرَكُونَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمُ الْعَمَلَ لِلْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُوَ يَوْمٌ ثَقِيلٌ عَلَى الْكَافِرِينَ.
يَوْمًا ثَقِيلًا - هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الشَّدِيدُ الْأَهْوَالِ.

(خَلَقْنَاهُمْ) (أَمْثَلَهُمْ)

(٢٨) - وَكَيْفَ يَغْفُلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَنْ رَبِّهِمْ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَأَحْكَمَ خَلْقَهُمْ، وَشَدَّ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِأَرْبِطَةٍ وَعَظَلَاتٍ وَأَعْصَابٍ. وَإِذَا شَاءَ اللَّهُ أَهْلَكَهُمْ وَأَسْتَبَدَلَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْخَلْقِ بِهِمْ. شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ - أَحْكَمْنَا خَلْقَهُمْ.

(٢٩) - إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ بِمَا فِيهَا مِنْ تَرْتِيبٍ بَدِيعٍ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ، تَذَكُّرٌ لِلْمُتَأَمِّلِينَ، وَنَبْصَرَةٌ لِلْمُسْتَصْصِرِينَ، فَمَنْ شَاءَ الْخَيْرَ لِنَفْسِهِ فَلْيَنْقَرُبْ إِلَى رَبِّهِ بِالطَّاعَةِ، وَلْيَتَّبِعِ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ فِي الْقُرْآنِ.

(٣٠) - إِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ سُلُوكَ سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالنَّجَاةِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ لِذَلِكَ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَدَايَةَ فَيُسِرُّهَا لَهُ، وَيَقْبِضُ لَهُ أَسْبَابَهَا، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ، فَيُصْرِفُهُ عَنِ الْهُدَى، وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْبَالِغُ.

(الظَّالِمِينَ)

(٣١) - وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَمَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ وَيُدْخِلْهُ فِي رَحْمَتِهِ فَلَا مُضِلَّ لَهُ؛ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَمَاتُوا عَلَى شِرْكِهِمْ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا أَلِيمًا مُوجِعًا.

﴿٢٧﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ
وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا

﴿٢٨﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ
وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا

﴿٢٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اخْتِذْ
إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا

﴿٣٠﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

﴿٣١﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

(٧٧) سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا

(الْمُرْسَلَاتِ)

(١) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالرِّيَّاحِ الَّتِي تَهْبُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَكَأَنَّهَا عُرْفُ
الْفَرَسِ .
(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْمُرْسَلَاتِ هُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يُرْسِلُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
بِالْإِحْسَانِ وَالْمَعْرُوفِ إِلَى خَلْقِهِ) .
عُرْفُ الْفَرَسِ - شَعْرُ رَقَبَتِهَا .

﴿٢﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا

(فَالْعَاصِفَاتِ)

(٢) - وَهَذِهِ الرِّيَّاحُ تَهْبُ هُبُوبًا عَاصِفًا يُحْدِثُ صَوْتًا .

﴿٣﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا

(النَّاشِرَاتِ)

(٣) - وَهَذِهِ الرِّيَّاحُ تَنْشُرُ السَّحَابَ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ
تَعَالَى .

﴿٤﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا

(فَالْفَارِقَاتِ)

(٤) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنْزِلُ بِأَمْرِهِ تَعَالَى عَلَى الرُّسُلِ ،
لِتَفَرِّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ .

﴿٥﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا

(فَالْمُلْقِيَاتِ)

(٥) - وَهَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ يُلقُونَ إِلَى الرُّسُلِ وَحْيًا مِنْ اللَّهِ لِتَذَكِّرَ الْعِبَادَ بِمَا
أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ .

﴿٦﴾ عَذْرًا أَوْتَدَّرًا

(٦) - وَهَذَا الْوَحْيُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِعْذَارًا إِلَى الْخَلْقِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ إِنْذَارًا
لَهُمْ بِعِقَابِ اللَّهِ، إِنْ هُمْ خَالَفُوا أَمْرَهُ .

(لَوَاقِعُ) (إِنْ مَا)

(٧) - أَقْسَمَ تَعَالَى بِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ عَلَى أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ الْخَلْقَ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَالْبَعْثِ، وَالْحَشْرِ، وَالْحِسَابِ، وَالْعِقَابِ.. كُلُّهُ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ. (وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ).

(٨) - فَإِذَا ذَهَبَ ضَوْءُ النُّجُومِ. طُمِسَتْ - ذَهَبَ ضَوْوُهَا.

(٩) - وَإِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ وَتَدَلَّتْ أَطْرَافُهَا وَوَهَتْ أَرْجَاؤُهَا. فُرِجَتْ - تَشَقَّقَتْ وَتَدَلَّتْ أَطْرَافُهَا.

(١٠) - وَإِذَا سُيِّرَتِ الْجِبَالُ، وَفُرَّقَتِهَا الرِّيَّاحُ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ. سَيِّرَتْ - قُلِعَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا بِسُرْعَةٍ.

(١١) - وَإِذَا جُمِعَ الرُّسُلُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، لِلْفَضْلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ، وَلِلشَّهَادَةِ عَلَى أَقْوَامِهِمْ، وَمَا أَجَابُوهُمْ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. أَقْتَتْ - جُعِلَ لَهُمْ مِيقَاتُ.

(١٢) - وَلِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ الْأُمُورُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْفَضْلِ بَيْنَ الرُّسُلِ وَخُصُومِهِمْ؟..

(١٣) - إِنَّهَا أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْفَضْلِ الَّذِي يَفْصِلُ فِيهِ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أُجِّلَ أَجْتِمَاعُ الرُّسُلِ إِلَيْهِ.

(أَدْرَاكَ)

(١٤) - وَأَيُّ شَيْءٍ يُذَرِّبُكَ مَا هُوَ يَوْمُ الْفَضْلِ هَذَا، فِي شِدَّتِهِ، وَعَظَمِ أَهْوَالِهِ؟

(يَوْمِئِذٍ)

(١٥) - الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخِزْيُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَبِكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَبِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ إِلَيْهِمْ، وَأَخْبَرُوهُمْ بِهِ.

(١٦) - كَيْفَ تَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَكَيْفَ تُكَذِّبُونَ بِالرُّسُلِ، وَالْآيَاتِ، وَبِیَوْمِ الْمَعَادِ؟ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّنَا أَهْلَكْنَا الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ؟ وَأَنْ سُنُسَنَّا جَرَّتْ بِذَلِكَ؟.

٧ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ

٨ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ

٩ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ

١٠ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ

١١ وَإِذَا الرُّسُلُ اقْتَتَتْ

١٢ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ

١٣ لِيَوْمِ الْفَضْلِ

١٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَضْلِ

١٥ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

١٦ أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ لَوْلَيْنِ

(الْآخِرِينَ)

(١٧) - ثُمَّ نَفَعْلُ ذَلِكَ بِأَمْنَالِهِمْ مِنَ الْآخِرِينَ، وَنَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَهُمْ،
لَأَنَّهُمْ فَعَلُوا كَفْعَلِهِمْ.

(١٨) - وَهَذِهِ هِيَ سُنَّتُنَا وَاحِدَةٌ فِي جَمِيعِ الْمُجْرِمِينَ، فَكَمَا أَهْلَكْنَا
الْمُتَقَدِّمِينَ لِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْآخِرِينَ.

(يَوْمَئِذٍ)

(١٩) - الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخِزْيُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَبِكُتُبِهِ
وَبِرُسُلِهِ.

(٢٠) - وَبَلِّغْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْظَارَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ إِلَى أَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ مَّاءٍ
ضَعِيفٍ خَفِيفٍ (مَهِينٍ)، هُوَ الْمَنِيُّ الَّذِي يَقْدِفُهُ الرَّجُلُ فِي رَحِمِ الْأُنْثَى.

(فَجَعَلْنَاهُ)

(٢١) - وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْمَاءَ الضَّعِيفَ الْمَهِينَ فِي الرَّحِمِ فِي
مَكَانٍ أَمِينٍ مِنْ جِسْمِ الْأُنْثَى، لَا يَتَأَثَّرُ بِالصَّدَمَاتِ، لِيَتِمَّ خَلْقُهُ.

(٢٢) - وَبَقِيَ هَذَا الْمَاءُ مُودِعًا فِي الرَّحِمِ مُدَّةً مَعْلُومَةً حَتَّى يَتَكَامَلَ
خَلْقُ الطِّفْلِ، وَيَخْرُجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ كَامِلَ الْخَلْقِ، فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ.

(الْقَادِرُونَ)

(٢٣) - وَقَدْ قَدَّرْنَا خَلْقَكُمْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَنِعْمَ الْمُقَدِّرُونَ. أَفَلَا
يَسْتَحِقُّ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْخَلْقِ الشُّكْرَ مِنْكُمْ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ
الْعَظِيمَةِ؟ وَكَيْفَ تُقَابِلُونَ نِعَمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ بِالْكَفْرَانِ وَالْجُحُودِ؟
فَقَدَّرْنَا - فَقَدَّرْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرًا.

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٤) - الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخِزْيُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ، وَبِكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ وَنَعِيمِهِ.

(٢٥) - أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا لَكُمْ فَتَكْفُتُكُمْ وَتَجْمَعُكُمْ؟
كَفَّتِ الشَّيْءَ - ضَمَّهُ وَجَمَعَهُ.
كِفَاتًا - وَعَاءٌ يَكْفِتُ وَيَضُمُّ وَيَجْمَعُ.

(أَمْوَاتًا)

(٢٦) - فَتَجْمَعُكُمْ أَحْيَاءَ عَلَى ظَهْرِهَا، وَتَجْمَعُكُمْ أَمْوَاتًا فِي بَاطِنِهَا.

١٧ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ

١٨ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ

١٩ وَيَلِ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

٢٠ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ

٢١ فَجَعَلْنَاهُ فِي رَقَارٍ مَكِينٍ

٢٢ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ

٢٣ فَقَدَّرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ

٢٤ وَيَلِ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

٢٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا

٢٦ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا

(رَوَاسِي) (شَامِخَات) (أَسْقِينَاكُمْ)

(٢٧) - وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ جِبَالًا تَوَاتَبَ عَالِيَاتٍ، لِئَلَّا تَمِيدَ بِكُمْ، وَأَسْقِينَاكُمْ مَاءً عَذْبًا سَائِغًا. فُرَاتًا - عَذْبًا سَائِغًا حُلُومًا.

(يَوْمَئِذٍ)

(٢٨) - الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخِزْيُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ، وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَنِعَمِهِ.

(٢٩) - وَيَقُولُ خَزَنَتُهُ جَهَنَّمَ لَهَؤْلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ: سِيرُوا إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِوُجُودِهَا، حِينَمَا كُنْتُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا.

(ثَلَاث)

(٣٠) - أَنْطَلِقُوا إِلَى ظُلِّ دُخَانٍ نَارِ جَهَنَّمَ الْمُتَشَعِّبِ إِلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ: شُعْبَةٍ عَنْ يَمِينِهِمْ، وَشُعْبَةٍ عَنْ شِمَالِهِمْ، وَشُعْبَةٍ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ. (أَيُّ إِنَّ الدُّخَانَ مُحِيطٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا).

(٣١) - وَهَذَا الظِّلُّ لَيْسَ بِظَلِيلٍ، أَيْ إِنَّهُ لَا يُعْطِي ظِلًّا يَبْقَى مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ حَرَّ لَهَبِ جَهَنَّمَ، الَّذِي هُمْ مُقِيمُونَ فِيهِ.

(٣٢) - وَنَارُ جَهَنَّمَ، الَّتِي تُحْدِثُ هَذَا الظِّلَّ مِنَ الدُّخَانِ، يَتَطَايَرُ مِنْهَا شَرَرٌ مُتَفَرِّقٌ فِي جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَأَنَّهُ الْقَصْرُ عَظْمًا وَارْتِفَاعًا. الشَّرَرُ - مَا يَتَطَايَرُ مِنَ النَّارِ مُتَفَرِّقًا.

كَالْقَصْرِ - كُلُّ شَرَارَةٍ مِنْهُ كَالْبِنَاءِ الْمُشِيدِ فِي الْعِظَمِ وَالْارْتِفَاعِ.

(جِمَالَةٌ)

(٣٣) - وَكَأَنَّهُ الْجِمَالُ الصُّفْرُ لَوْنًا وَكَثْرَةً.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ مَعْنَى (جِمَالَةٌ صُفْرٌ) هُوَ جِبَالُ السُّفْنِ الْغَلِيظَةِ).

(يَوْمَئِذٍ)

(٣٤) - الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخِزْيُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَنِعَمِهِ.

(٣٥) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ مِنَ الْخِزْيِ وَالرُّغْبِ وَالْدَّهْشِ الَّذِي يُصِيبُهُمْ، وَلَا يَقُولُونَ قَوْلًا يَنْفَعُهُمْ.

(٣٦) - وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ بِالْإِعْتِدَارِ، لِيَعْتَذِرُوا، لِأَنَّهُمْ لَا عُذْرَ لَهُمْ فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا، فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ.

(٢٧) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ

وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا

(٢٨) وَيَلِ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

(٢٩) أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ

(٣٠) أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ

(٣١) لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَهَبِ

(٣٢) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ

(٣٣) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ

(٣٤) وَيَلِ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

(٣٥) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ

(٣٦) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ

(يَوْمِذٍ)

٣٧ وَيَلْ يَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ

(٣٧) - الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخِزْيُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِّلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَكُتِبَهِ وَرُسُلِهِ.

(جَمَعْنَاكُمْ)

٣٨ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ

(٣٨) - هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ الْخَلَائِقَ أَجْمَعِينَ بِقُدْرَتِهِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

(٣٩) - فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ، يَا أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ، حِيلَةٌ لِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلِإِنْقَادِهَا مِنْ قَبْضَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَجَرَّبُوهَا؛ إِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. كَيْدٌ - حِيلَةٌ لِاتِّقَاءِ الْعَذَابِ.

٣٩ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا

(٤٠) - الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخِزْيُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِّلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَكُتِبَهِ وَرُسُلِهِ، وَنَعِمِهِ.

٤٠ وَيَلْ يَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ

(ظِلَالٍ)

٤١ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ

(٤١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مُقَامِ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَذْكُرُ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي الْجَنَّتِ فِي ظِلَالٍ كَرِيمَةٍ، وَعُيُونٍ مَاءٍ جَارِيَةٍ، وَيَتَنَعَّمُونَ بِمَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَاتِ وَإِيمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى رُسُلِهِ.

(فَوَاكِهَ)

٤٢ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ

(٤٢) - وَيَتَخَيَّرُونَ مِنَ الْفَوَاكِهِ الطَّيِّبَةِ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ.

(٤٣) - وَيُقَالُ لَهُمْ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ الْفَوَاكِهِ، وَأَشْرَبُوا مِنْ هَذِهِ الْعُيُونِ، وَتَفَيَّوْا هَذِهِ الظُّلَالَ وَأَهْنَوْا بِمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، فَذَلِكَ جَزَاءُ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى إِيْمَانِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَعَلَى أَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي قَدَّمْتُمُوهَا فِيهَا.

٤٣ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٤٤) - وَكَمَا جَزَى اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ بِالْجَنَّتِ وَالْعُيُونِ وَالْفَوَاكِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي بِمِثْلِ ذَلِكَ الْجَزَاءِ، أَهْلَ الْإِحْسَانِ لِإِيمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَطَاعَتِهِمْ، وَإِحْسَانِهِمْ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى.

٤٤ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

(٤٥) - الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخِزْيُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِّلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَكُتِبَهِ وَرُسُلِهِ وَنَعِمِهِ.

٤٥ وَيَلْ يَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ

﴿٤٦﴾ كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ

(٤٦) - وَيَهْدِدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُكْذِبِينَ فَيَقُولُ لَهُمْ، كُلُوا وَتَمَتَّعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ مَدَّةَ الْأَجَالِ الْبَاقِيَةِ لَكُمْ فِيهَا، وَهِيَ قَلِيلَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، ثُمَّ تُسَاقُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ لِأَنَّكُمْ مُجْرِمُونَ.

﴿٤٧﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

(٤٧) - الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخِزْيُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَكِتَابِهِ وَنَعِيمِهِ.

﴿٤٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ

(٤٨) - وَإِذَا قِيلَ لَهُوْلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ: آمِنُوا بِاللَّهِ وَاعْبُدُوهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ، وَأَحْذَرُوا عَذَابَهُ فِي الْآخِرَةِ، اسْتَكْبَرُوا، وَأَصْرُوا عَلَى عِبَادِهِمْ، وَلَمْ يُؤَدُّوا الصَّلَاةَ.

(أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَقِيضًا بِالصَّلَاةِ فَقَالُوا: لَا نَحْبُو - أَيُّ لَا نَرْكَعُ - فَإِنَّهَا سُبَّةٌ عَلَيْنَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ وَلَا سُجُودٌ).

﴿٤٩﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

(٤٩) - الْوَيْلُ وَالْهَلَاكُ وَالْخِزْيُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَنَعِيمِهِ.

﴿٥٠﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ

(٥٠) - وَإِذَا لَمْ يُؤْمِنْ هَؤُلَاءِ بِهَذِهِ الْحُجَجِ وَالْآيَاتِ وَالْدَّلَائِلِ عَلَى جَلَالِهَا وَوُضُوحِهَا، فَيَأْتِي كَلَامٌ بَعْدَ هَذَا يُصَدِّقُونَ؟

(٧٨) سُورَةُ النَّبَاِ مَكِّيَّةٌ وَاَيَاتُهَا اَرْبَعُوْنَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - كَانَ الْمُشْرِكُونَ كُلَّمَا اجْتَمَعُوا فِي نَادٍ مِنْ نَوَادِيهِمْ تَحَدَّثُوا فِي شَأْنِ الرُّسُولِ ﷺ، وَفِيمَا جَاءَ بِهِ، وَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَسْأَلُونَ غَيْرَهُمْ فَيَقُولُونَ: أَسَاحِرٌ هُوَ أَمْ شَاعِرٌ؟ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ؟ وَتَحَدَّثُونَ فِي شَأْنِ الْقُرْآنِ فَيَقُولُونَ: أَهُوَ سِحْرٌ، أَمْ كِهَانَةٌ؟
وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فِي شَأْنِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ الْبَعْثَ وَيَزْعُمُ أَنَّهُمْ إِذَا مَاتُوا أَنْتَهَى أَمْرُهُمْ (وَمَا هِيَ إِلَّا أَرْحَامُ تَدْفَعُ وَأَرْضٌ تَبْلَعُ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ).
وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَقُولُ إِنَّ الْأَرْوَاحَ هِيَ الَّتِي تُبْعَثُ لَا الْأَجْسَادُ.
وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ رَدًّا عَلَى هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ، وَتَكْذِيبًا لَهُمْ، وَإِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.
يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ تَسْأُولُهُمْ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَوْعِدِ حُلُولِهِ، وَهُمْ يَسْأَلُونَ مُسْتَعِيبِينَ حَدُوثَهُ، فَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى: عَمَّ يَتَسَاءَلُ هَؤُلَاءِ الْجَا حِدُونَ؟
عَمَّ - عَنْ أَيِّ شَيْءٍ عَظِيمٍ الشَّائِنُ يَسْأَلُونَ.

(النَّبَأُ)

(٢) - إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَنِ الْخَبَرِ الْعَظِيمِ الْهَائِلِ خَبَرِ الْبَعْثِ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ؟

(٣) - الَّذِي اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِهِ، فَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ مُسْتَحِيلُ الْوُقُوعِ، وَمِنْ شَاكٍ فِي أَمْرِهِ.

(٤) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّهُ لَا بَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَا نُشُورَ (كَلًّا)، فَهَنَّاكَ بَعْثٌ، وَهَنَّاكَ حِسَابٌ،

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ



عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ

الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ

كَلَّا سَيَعْمُونَ

وَيَتَهَدَّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُكَذِّبِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، حِينَمَا يُعَايِنُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ، وَحِينَ يُسْأَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَمَّا أَكْتَسَبَ مِنْ عَمَلٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.
كَلَّا - رَدْعٌ وَزَجْرٌ عَنِ الْإِخْتِلَافِ فِيهِ.

(٥) - ثُمَّ كَرَّرَ اللَّهُ تَعَالَى تَهْدِيدَهُ لَهُؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ بِدُونِ شَكٍّ حَقِيقَةَ مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، عِنْدَمَا يَحِلُّ بِهِمُ النَّكَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(مهاداً)

(٦) - يَقُولُ تَعَالَى: كَيْفَ يُنْكِرُ هَؤُلَاءِ حَدُوثَ الْبَعْثِ، وَيَشْكُونَ فِيهِ، وَهُمْ يُعَايِنُونَ مَا يَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِهِ، وَبَاهِرِ حِكْمَتِهِ، فَلْيَنْظُرُوا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ جَعَلَهَا اللَّهُ مُمَهَّدَةً مُرَوَّطَةً لِلنَّاسِ يُقِيمُونَ عَلَيْهَا، وَيَسْتَفْعُونَ بِخَيْرَاتِهَا؟
مهاداً - فِرَاشٌ مُرَوَّطٌ لِلِاسْتِفْرَافِ عَلَيْهَا.

(٧) - وَكَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ الْجِبَالَ كَالْأُوتَادِ أَرْسَى بِهَا الْأَرْضَ وَثَبَّتَهَا، لِكَيْلَا تَضْطَرِبَ وَتَمِيدَ بِالنَّاسِ وَالْخَلَائِقِ عَلَيْهَا؟
الْوَتْدُ - قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ عَلَى شَكْلِ مِسْمَارٍ يَدْقُ فِي الْأَرْضِ لِنُشْدِ إِلَيْهِ الْخِيَمَةِ.

(خَلَقْنَاكُمْ) (أَرْوَاجاً)

(٨) - وَخَلَقَ اللَّهُ الْبَشَرَ ذَكَراً وَأُنْثَى لِيَأْنَسَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، وَلِيَتِمَّ بَيْنَهُمَا التَّعَاوُنُ عَلَى الْعَيْشِ وَحِفْظِ النُّسْلِ.

(٩) - وَجَعَلَ نَوْمَكُمْ فِي اللَّيْلِ قَاطِعاً لِلْحَرَكَةِ، لِيَتَرَوَّحَ الْأَبْدَانُ مِمَّا تَكْبِيدُهُ مِنْ عَنَاءِ النَّهَارِ فِي السَّعْيِ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ، وَلِكَيْلَا النُّومُ لَفَقَدَتْ الْأَبْدَانُ نَشَاطَهَا، وَأَزْهَقَتْ، وَأَنْقَطَعَتْ عَنِ الْعَمَلِ.
السَّهَاتُ - قَطْعُ الْحَرَكَةِ لِيَتَحَقِّقَ الرَّاحَةُ.

(اللَّيْلِ)

(١٠) - وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّيْلَ سَاتِراً لِلْأَجْسَامِ عَنِ الْعُيُونِ بِظُلُمَتِهِ، وَمُغْطِياً لَهَا، وَكَأَنَّهُ اللَّبَاسُ الَّذِي يَغْطِي الْجِسْمَ وَيُسْتَرُّهُ.

(١١) - وَجَعَلَ اللَّهُ النَّهَارَ مُشْرِقاً بِالضِّيَاءِ لِيَتِمَكَّنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ، وَالسَّعْيِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْمَعَاشِ.

(١٢) - وَخَلَقَ اللَّهُ فَوْقَ النَّاسِ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ قَوِيَّةٍ الْأَسْرِ، وَمَحْكَمَةِ النَّسْجِ وَالْوَضْعِ، وَلَيْسَ فِيهَا تَصْدُوعٌ وَلَا فُطُورٌ.

﴿٥﴾ تَوَكَّلَا سَيَعْلَمُونَ

﴿٦﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا

﴿٧﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا

﴿٨﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْوَجًا

﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا

﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا

﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا

﴿١٢﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدِيدًا

﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا

﴿١٤﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا

﴿١٥﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا

﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَاظًا

﴿١٧﴾ إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا

﴿١٨﴾ يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا

﴿١٩﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا

(١٣) - وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا مُنِيرًا مُتَلَاتِلًا بَالِغًا الْغَايَةَ فِي الضِّيَاءِ وَالْحَرَارَةِ، لِيَتَنَفَّعَ بِهَا الْكَائِنَاتُ الْحَيَّةُ الَّتِي تَعِيشُ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ .

(الْمُعْصِرَاتِ)

(١٤) - وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّحَابِ الْمُثْقَلِ بِالْمَاءِ مَطَرًا كَثِيرًا الْأَنْصِبَابِ وَالسَّيْلَانِ .

الْمُعْصِرَاتِ - السَّحَابِ الْمُثْقَلَةِ بِالْمَاءِ .
مَاءٌ ثَجَّاجًا - مُنْضَبًا بِكَثْرَةِ مَعَ التَّابِعِ .

(١٥) - لِيُخْرِجَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الْمَاءِ حَبًّا يَقْتَاتُ بِهِ النَّاسُ، وَيَذْخِرُونَهُ، وَتَطْعُمُهُ أَنْعَامُهُمْ، وَنَبَاتًا خَضِرًا يُوَكِّلُ رَطْبًا، وَبِذَلِكَ يَتَبَدَّلُ جَدْبُ الْأَرْضِ إِلَى خِضْبٍ .

(جَنَاتٍ)

(١٦) - وَيُخْرِجُ بِهَذَا الْمَاءِ الْمُنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ بَسَاتِينَ وَحَدَائِقُ مُلْتَفَّةَ الْأَشْجَارِ وَالْأَغْصَانِ، تُخْرِجُ الثَّمَارَ وَالْفَوَاكِهَ ذَاتِ الطَّعُومِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالرُّوَاحِ وَالْأَلْوَانِ .
أَلْفَاظًا - مُلْتَفَّةَ الْأَشْجَارِ .

(مِيقَاتًا)

(١٧) - وَيَكُونُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ، مَوْعِدًا مُقَدَّرًا لِلْبَعْثِ، يَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ الْخَلَائِقِ لِيَفْصَلَ بَيْنَهُمْ، وَيَحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَيَجْزِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّ .

(١٨) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَقُومُ الْمَلِكُ الْمَكْلُوفُ بِالصُّورِ (وَهُوَ قَرْنٌ إِذَا نُفِخَ فِيهِ أُحْدِثَ صَوْتًا) بِالنَّفْخِ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيُخْرِجُ النَّاسَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَأْتُونَ مُسْرِعِينَ إِلَى الْمَحْشَرِ جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ، وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ .

أَفْوَاجًا - جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةَ الْأَحْوَالِ .

(أَبْوَابًا)

(١٩) - وَتَنْشَقُّ السَّمَاءُ وَتَتَصَدَّعُ، وَيَذْهَبُ التَّمَّاسُكُ الْقَوِيُّ، وَالتَّنَاسُكُ الْبَدِيعُ فِي نِظَامِ الْكَوْنِ الْعُلُويِّ، فَتَبْدُو الصُّدُوعُ وَكَأَنَّهَا الْأَبْوَابُ .
(وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ السَّمَاءَ تَنْشَقُّ وَتُصْبِحُ طُرْقًا وَمَسَالِكَ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ) .

(٢٠) - وَيَذْهَبُ ثَبَاتُ الْجِبَالِ الْمَعْرُوفِ وَتَمَاسُكُهَا، وَتُصْبِحُ كَالسَّرَابِ
الَّذِي يَرَى مِنْ بُعْدٍ فَيَطْنُ شَيْئًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا،
وَكَذَلِكَ حَالُ الْجِبَالِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَهُولِ، فَإِنَّ النَّاطِرَ إِلَيْهَا يُخَيِّلُ
إِلَيْهِ أَنَّهَا شَيْءٌ، وَهِيَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، لَتَفَرَّقُ أَجْزَائُهَا، وَأَنْبِثَ جَوَاهِرُهَا،
ثُمَّ تُنْسَفَ وَتَحْمِلُهَا الرِّيحُ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى.
سَرَابًا - مَا يَرَاهُ الظَّمَانُ فِي الصَّحْرَاءِ وَقَتَ الْقَيْظِ فَيَحْسِبُهُ مَاءً وَهُوَ لَيْسَ
بِشَيْءٍ.

(٢١) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ تَكُونُ جَهَنَّمُ مُعَدَّةً وَمُرْصَدَةً لِلطَّاغِينَ،
وَحَزَنُهَا يَتَرَقَّبُونَ مَنْ يَسْتَحِقُّهَا بِسُوءِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا
مِرْصَادًا - مَوْضِعَ تَرْصُدٍ لِلْكَافِرِينَ.

(لِلطَّاغِينَ) (مَبَايَا)

(٢٢) - وَتَكُونُ النَّارُ مُعَدَّةً وَمُرْصَدَةً لِلطُّغَاةِ الْعَاتِينَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَتَكُونُ
مَرْجِعَهُمْ وَمَصِيرَهُمْ.
مَبَايَا - مَرْجِعًا وَمَأْوَى.

(لَا بَشِيرَ)

(٢٣) - وَسَيَمْكُثُونَ فِي النَّارِ دُحُورًا مُتَلَاحِفَةً، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا.
الْأَحْقَابُ - جَمْعُ حُقْبَةٍ - الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَانِ.

(٢٤) - وَلَا يَذُوقُ الْمُجْرِمُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْدًا يُبْرِدُ حَرَّ السَّعِيرِ، وَلَا شَرَابًا
يُرْوِيهِمْ مِنَ الْعَطَشِ.

(٢٥) - وَلَا يَذُوقُونَ فِي النَّارِ إِلَّا الْحَمِيمَ (وَهُوَ الْمَاءُ الْمُتَنَاهِي فِي
الْحَرَارَةِ)، وَالْعَسَاقَ (وَهُوَ الْفَيْحُ وَالصَّدِيدُ الْمُتَيْنُ وَالْعَرَقُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ
أَجْسَادِ أَهْلِ النَّارِ).

(٢٦) - وَهَذَا الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ، هُوَ جَزَاءُ مُوَافِقٍ
لِأَعْمَالِهِمُ الْمُنْكَرَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، فَكَأَنَّمَا وَافَقَ الْعَذَابُ
الذَّنْبَ.
وَفَاقًا - مُوَافِقًا لِأَعْمَالِهِمْ.

(٢٧) - وَقَدْ ارْتَكَبُوا الْمُنْكَرَاتِ، وَكَفَرُوا وَأَجْرُمُوا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا
يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ، وَأَنَّهُ سَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

٢٠ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا

٢١ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا

٢٢ لِلطَّاغِينَ مَبَايَا

٢٣ لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا

٢٤ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا

٢٥ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا

٢٦ جَزَاءً وَفَاقًا

٢٧ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا

(بَيَاتِنَا)

(٢٨) - وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ تَكْذِيبًا شَدِيدًا بِجَمِيعِ الْبَرَاهِينِ، وَالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى صِدْقِ النُّبُوتِ، وَعَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى.

(أَخْصَيْنَاهُ) (كِتَابًا)

(٢٩) - وَقَدْ أَحْصَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ وَأَثْبَتَهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ الْحَفَظَةُ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالٍ هَؤُلَاءِ كِتَابَةٌ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجْحَدُوا شَيْئًا مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

أَخْصَيْنَاهُ كِتَابًا - حَفِظْنَاهُ وَضَبَطْنَاهُ مَكْتُوبًا.

(٣٠) - وَيُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا مِنْ جَنْبِهِ.

(٣١) - وَنُخَبِّرُ اللَّهَ تَعَالَى عَنِ السَّعْدَاءِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ جَنَّاتٍ وَمَتَرَزَاتٍ نَضِرَةً، وَفُورًا بِالنَّعِيمِ، وَالنُّوَابِ، وَبِالنَّجَاةِ مِنَ الْعِقَابِ.

مَفَازًا - فُورًا وَظَفَرًا بِكُلِّ مَحْبُوبٍ.

(حَدَائِقُ) (أَعْنَابُ)

(٣٢) - وَلَهُمْ بَسَاتِينُ مُسَوَّرَةٌ (حَدَائِقُ) فِيهَا أَشْجَارُ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، وَكُلُّ الثَّمَرَاتِ.

(٣٣) - وَلَهُمْ فِيهَا حُورٌ حَسَنٌ صِبَاخُ الْوُجُوهِ، قَدْ تَكَعَّبَتْ أَثْدَاؤُهُنَّ وَلَمْ تَنَرَّهَلْ، (وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِغَرِ سِنِّهِنَّ)، وَهُنَّ أَبْكَارٌ مُتَمَائِلَاتٌ فِي الْأَعْمَارِ.

الْكُوعَابُ - الْفَتَيَاتُ الصَّغِيرَاتُ اللَّوَاتِي تَكَعَّبَتْ أَثْدَاؤُهُنَّ.

أَثْرَابًا - مُسْتَوِيَاتٍ فِي السَّنِّ.

(٣٤) - وَلَهُمْ كَأْسٌ مِنَ الْخَمْرِ مَلَأَى، تُدَارُ عَلَى شَارِبِيهَا وَقَدْ وَصَفَهَا تَعَالَى فِي آيَاتٍ أُخْرَى بِأَنَّهَا خَمْرٌ لَا تَغْتَالُ الْعُقُولَ، فِيهِ لَيْسَتْ كَخَمْرِ الدُّنْيَا.

دِهَاقًا - مُتْرَعَةً مَلَأَى.

٣٨ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا

٣٩ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا

٣٠ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا

٣١ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا

٣٢ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا

٣٣ وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا

٣٤ وَكَأْسًا دِهَاقًا

﴿٣٥﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا

(كِدَابًا)

(٣٥) - وَلَا يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ حِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ لَغْوُ الْكَلَامِ، وَلَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَمَا يَجْرِي بَيْنَ الشَّارِبِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. لَغْوًا - كَلَامًا لَا خَيْرَ فِيهِ. كِدَابًا - تَكْذِيبًا.

﴿٣٦﴾ جَزَاءُ مَنْ رَبَّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا

(٣٦) - وَهَذَا الَّذِي أَعْطَاهُمُ اللَّهُ، هُوَ جَزَاءُ مَنْهُ لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ الصَّالِحَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَزَادَهُمْ عَلَيْهِ فَضْلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا، وَهُوَ عَطَاءٌ كَافٍ وَافٍ سَالِمٌ كَثِيرٌ. حِسَابًا - كَافِيًا (وَمِنْهُ حَسْبِي اللَّهُ أَيْ اللَّهُ كَافِيٌّ).

﴿٣٧﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

(السَّمَاوَاتِ)

(٣٧) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَنَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَخَالِقُهُمَا وَمَالِكُهُمَا، وَالْمُدَبِّرُ لَشُؤْنِهِمَا، لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِمَا آتِئَاءً وَمُبَاشَرَةً مُخَاطَبَتَهُ تَعَالَى إِلَّا بِإِذْنِهِ.

الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا

(وَالْمَلَائِكَةِ)

﴿٣٨﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا

(٣٨) - اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ حَوْلَ الْمُرَادِ بِالرُّوحِ هُنَا: فَقَالَ آبْنُ عَبَّاسٍ إِنَّهَا أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ. وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقِيلَ بَلْ هُوَ مَلَكٌ عَظِيمٌ.

لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَى جَلَالَةِ أَقْدَارِهِمْ وَرَفِيعِ دَرَجَاتِهِمْ، يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِمْ صَفًّا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ، إِجْلَالًا لِرَبِّهِمُ الْعَظِيمِ، وَوُقُوفًا عِنْدَ مَنَازِلِهِمْ، إِلَّا إِذَا أَذِنَ لَهُمْ رَبُّهُمْ، وَقَالُوا قَوْلًا صِدْقًا صَوَابًا.

الرُّوحُ - جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(مَآبًا)

﴿٣٩﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ

(٣٩) - وَذَلِكَ الْيَوْمُ آتٌ مُتَحَقِّقٌ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلَا مَقَرَّ مِنْهُ، وَهُوَ يَوْمُ تَبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ وَتُخْتَبَرُ، وَتَتَكَشَّفُ فِيهِ الضَّمَائِرُ، فَمَنْ شَاءَ عَمِلَ صَالِحًا يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ، وَيُذْنِبِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَنَوَائِبِهِ، وَيُعِيبُهُ مِنْ عِقَابِهِ. مَآبًا - مَرْجِعًا بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.

إِلَى رَبِّهِ مَآبًا

(أَنْذَرْنَاكُمْ) (يَا لَيْتَنِي) (تُرَابًا)

(٤٠) - إِنَّا نَحْذَرُكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ آتٍ قَرِيبٌ - لِأَنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَنْظُرُ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيَرَاهَا جَمِيعًا، فَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ خَيْرًا سُرَّ بِهِ وَاسْتَبَشَّرَ، وَإِنْ كَانَ سَيِّئًا نَدِمَ وَلَاتَ سَاعَةً مِّنْهُم. وَيَتَمَنَّى الْكَافِرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَوْ أَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا حَجَرًا أَوْ تُرَابًا لَا يُجْرَى عَلَيْهِ التَّكْلِيفُ بِعِبَادَةٍ، حَتَّى لَا يُعَاقَبَ هَذَا الْعِقَابَ الْأَلِيمَ فِي الْآخِرَةِ.

إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ
الْكَافِرُ لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا سِتُّ وَارْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا

(النَّازِعَاتِ)

(١) - بِدَأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالْقَسَمِ بِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ إِظْهَارًا لِعَظَمَةِ شَأْنِهَا، عَلَى أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَمْرِ الْبَعْثِ، وَعَرْضِ الْخَلَائِقِ عَلَى رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ. . . هُوَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَسَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمًا تَعْظُمُ فِيهِ الْأَهْوَالُ، وَتَخْشَعُ فِيهِ الْأَبْصَارُ. . . وَالنَّازِعَاتُ هِيَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِعُ أَرْوَاحَ الْبَشَرِ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَنْزِعُ الْمَلَائِكَةُ رُوحَهُ وَتَأْخُذُهَا بِعُسْرٍ، فَتَغْرُقُ فِي نَزْعِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِسُهُولَةٍ، وَكَأَنَّمَا حَلَّتْهُ مِنْ نِشَاطٍ.

(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ النَّازِعَاتِ هِيَ الْكَوَاكِبُ الْجَارِيَةُ عَلَى نِظَامٍ مُعَيَّنٍ فِي سَيْرِهَا كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ مَعْنَى النَّزْعِ هُنَا الْجَرِيُّ. وَيَكُونُ مَعْنَى (غَرْقًا) هُوَ مُجْدَّةٌ مُسْرِعَةٌ فِي جَرِّيْهَا).

(النَّاشِطَاتِ)

٢ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا

(٢) - وَمِنْ الْمَلَائِكَةِ مَنْ تَنْشِطُ أَرْوَاحَ الْبَشَرِ وَتَأْخُذُهَا بِسُهُولَةٍ وَرَفَقٍ، وَكَأَنَّمَا تَحُلُّهَا مِنْ نِشَاطٍ.

(وَهُنَاكَ مَنْ قَالَ إِنَّ النَّازِعَاتِ هِيَ الْكَوَاكِبُ، وَفَسَّرَ النَّاشِطَاتِ بِأَنَّهَا الْكَوَاكِبُ الْخَارِجَةُ مِنْ بُرْجٍ إِلَى بُرْجٍ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَشَطَ النُّورُ إِذَا خَرَجَ).

وَالنَّشَاطُ - هُوَ الرِّبَاطُ وَالْوِثَاقُ.

(السَّابِحَاتِ)

٣ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا

(٣) - اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَحْدِيدِ مَعْنَى السَّابِحَاتِ هُنَا:

- فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهَا الْمَلَائِكَةُ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّمَا النُّجُومُ السَّائِرَةُ فِي أَفْلَاقِهَا سَيْرٌ هَادِثٌ كَالسَّحَابِ فِي الْمَاءِ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا السُّفُنُ السَّابِغَةُ فِي الْمَاءِ.

(فَالسَّابِقَاتِ)

(٤) - وَفِي تَفْسِيرِ مَعْنَاهَا أَقْوَالٌ:

- فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهَا الْمَلَائِكَةُ سَبَقَتْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ، أَوْ سَبَقَتْ بِالْأَرْوَاحِ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا الْخَيْلُ تَسْبِقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا النُّجُومُ الْمُسْرِعَاتُ عَنْ غَيْرِهَا فِي سَبْحِهَا.

(فَالْمُدَبِّرَاتِ)

(٥) - قِيلَ إِنَّ الْمُدَبِّرَاتِ هُنَا تَعْنِي الْمَلَائِكَةُ تُدَبِّرُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِأَمْرِ رَبِّهَا.

(وَقِيلَ إِنَّهَا الْكَوَاكِبُ تُدَبِّرُ بَعْضُ أُمُورِ الْكَوْنِ بِظُهُورِ بَعْضِ آثَارِهَا، فَسَيْرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يُعَلِّمُ الْبَشَرَ الْحِسَابَ، وَالْفُصُولَ، وَالشُّهُورَ، وَالْمَوَاسِمَ... وَاخْتِلَافُ الْفُصُولِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ...).

(٦) - حِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ، فَتَرْجُفُ الْأَرْضُ رَجْفَةً شَدِيدَةً تَتَحَرَّكُ مِنْهَا الْجِبَالُ، وَيَسْمَعُ لَهَا صَوْتُ شَدِيدٌ (وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ).

(٧) - ثُمَّ تَتْبَعُ النَّفْخَةَ الْأُولَى نَفْخَةٌ ثَانِيَةٌ هِيَ الرَّادِفَةُ، فَتَذُكُّ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَتَنْشَقُّ السَّمَاءُ، وَتَنْثِيرُ الْكَوَاكِبَ، وَتَبْعَثُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ. الرَّادِفَةُ - الَّتِي تَلِي الْأُولَى وَتَرُدُّفُهَا.

(يَوْمَئِذٍ)

(٨) - فَتَهْلَعُ قُلُوبُ الْكَافِرِ حِينَ يَتَأَكَّدُونَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ، وَأَنَّهُمْ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا.

وَاجِفَةٌ - خَائِفَةٌ وَجَلَةٌ.

(أَبْصَارُهَا) (خَاشِعَةً)

(٩) - وَتَخْشَعُ أَبْصَارُهُمْ، وَيُظْهَرُ فِيهَا الْخَوْفُ وَالذَّلَّةُ.

خَاشِعَةً - دَلِيلَةٌ مُنْكَسِرَةٌ مِنَ الْفَرْعِ.

﴿٤﴾ فَالْسَّابِقَاتِ سَبَقًا

﴿٥﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا

﴿٦﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ

﴿٧﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ

﴿٨﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ

﴿٩﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ

(أَيْنَا)

(١٠) - كَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَسْتَبْعِدُونَ وَقُوعَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيَعُدُّ أَنْ يَصِيرَ النَّاسُ فِي الْقُبُورِ (الْحَافِرَةِ).
(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ إِلَى خَلْقِنَا الْأَوَّلِ قَبْلَ الْمَمَاتِ فَرَاغِعُونَ أَحْيَاءً. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى (الْحَافِرَةِ) عَوْدَةُ الْإِنْسَانِ إِلَى الْخَلْقَةِ الْأُولَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا).

(أَيْدَا) (عِظَامًا)

(١١) - وَكَانُوا يَقُولُونَ: أُنْرَدُ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ أَنْ نَصِيرَ عِظَامًا نَخِرَةً بِأَلِيَّةٍ مُتَفَتَّةً؟

(١٢) - وَقَالُوا: إِنَّهُ إِذَا صَحَّ مَا قِيلَ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُمْ سَيَبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَهُمْ خَاسِرُونَ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِوُقُوعِ الْبَعْثِ. (وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ اسْتِبْعَادًا لِوُقُوعِ الْبَعْثِ، وَاسْتِهْزَاءً بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ).

(وَاحِدَةً)

(١٣) - وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: لَا تَسْتَبْعِدُوا ذَلِكَ، وَلَا تَنْظُنُّهُ عَسِيرًا عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّمَا هِيَ صَيِّحَةٌ وَاحِدَةٌ تُطْلَقُ بِإِذْنِ اللَّهِ (وَقِيلَ إِنَّهَا النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ).
رَجْرَةٌ - صَيِّحَةٌ.

(١٤) - فَإِذَا بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَحْيَاءَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ (أَوْ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ).
السَّاهِرَةُ - وَجْهُ الْأَرْضِ. وَقِيلَ إِنَّهَا الْأَرْضُ الْبَيْضَاءُ الْخَالِيَةُ مِنْ كُلِّ مَعْلَمٍ.

(أَتَاكَ)

(١٥) - شَقَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَكْذِيبُ قُرَيْشٍ لَهُ، وَاسْتِهْزَاؤُهُمْ بِهِ، فَذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقِصَّةِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ فِرْعَوْنَ، لِيُسَلِّيهُ، وَيُثَبِّتَ قَلْبَهُ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلرُّسُلِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمُكَذِّبِينَ.

(نَادَاهُ)

(١٦) - فَقَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ: هَلِ اتَّصَلَ بِكَ خَبَرُ مُوسَى، جَيْنَمَا كَلَّمَهُ رَبُّهُ نِدَاءً، وَهُوَ فِي وَادِي طُوًى الْمُطَهَّرِ الْمُبَارَكِ؟
(وَطُوًى اسْمُ وَادٍ فِي أَسْفَلِ جَبَلِ سَيْنَاءَ).

١٠ يَقُولُونَ أَهْ نَالَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ

١١ أَهْ ذَاكُنَا عِظْمَانِخِرَةً

١٢ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّهَ خَاسِرَةٌ

١٣ فَإِنَّمَا هِيَ رَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ

١٤ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ

١٥ هَلِ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى

١٦ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

(١٧) - أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدَهُ مُوسَى بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ الطَّاعِيَةِ الْمُتَجَبِّرِ، وَأَنْ يَدْعُوهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَإِلَى الْكَفِّ عَنِ الطُّغْيَانِ وَالِاسْتِعْلَاءِ عَلَى النَّاسِ .
طغى - عتا وتَجَبَّرَ .

(١٨) - قُلْ لَهُ: هَلْ تَرَعْبُ فِي أَنْ تُطَهِّرَ نَفْسَكَ مِنَ الْآثَامِ الَّتِي أَنْعَمْتَ فِيهَا؟ وَتَرْكَيْهَا؟ .
تَرْكَى - تَطَهَّرَ مِنَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ .

(١٩) - وَهَلْ تُرِيدُ أَنْ أَذْلِكَ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ، فَيُخْضَعَ قَلْبُكَ لَهُ، وَيُصْبِحَ مُطِيعاً خَاشِعاً؟ .
(فَارَاهُ) (الآيَةُ)

(٢٠) - وَلَمَّا لَمْ يَقْنَعْ فِرْعَوْنُ بِدَعْوَةِ مُوسَى وَحُجَجِهِ الْعَقْلِيَّةِ، أَرَاهُ مُوسَى بُرْهَاناً قَوِيّاً، وَمُعْجِزَةً كُبْرَى، عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَصِحَّةِ مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ، وَهِيَ انْقِلَابُ الْعَصَا حَيَّةً عَظِيمَةً، وَإِخْرَاجُ يَدَيْهِ مِنْ جَبِيهِ بَيَضَاءً تَتَلَا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَلَا مَرَضٍ .

(٢١) - فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ بِالْحَقِّ، وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ .
(٢٢) - ثُمَّ تَوَلَّى، وَآخَذَ فِي السَّعْيِ لِمُوَاجَهَةِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، غَيْرَ مُتَذَبِّرٍ عَاقِبَةً أَمْرَهُ .
يَسْعَى - يَجِدُّ فِي الْإِفْسَادِ وَمُعَارَضَةِ رَسُولِ اللَّهِ .

(٢٣) - فَآخَذَ يُنَادِي فِي قَوْمِهِ، وَيُرْسِلُ فِيهِمُ الْحَاشِرِينَ لِيَجْمَعُوا لَهُ السَّحَرَةَ، وَيَحْشُرُوهُمْ إِلَيْهِ، لِمُوَاجَهَةِ مُوسَى، وَالْآيَاتِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ .
حَشَرَ - جَمَعَ السَّحَرَةَ أَوْ الْجُنْدَ .

(٢٤) - وَقَامَ فِيهِمْ قَائِلًا: إِنَّهُ رَبُّهُمْ الْأَعْلَى، فَلَا سُلْطَانَ فِي أَرْضٍ بِمِصْرَ يَغْلُو سُلْطَانَهُ .

(الْآخِرَةُ)

(٢٥) - فَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ، وَجَعَلَهُ عِبْرَةً لَأَمْثَالِهِ فِي الدُّنْيَا. وَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ فِي جَهَنَّمَ، وَيُسِّسُ الرُّفْدَ الْمَرْفُودَ .
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَذَّبَهُ لِمَقَالَتِهِ الْآخِرَةِ: إِنَّهُ رَبُّهُمْ الْأَعْلَى، كَمَا عَذَّبَهُ لِمَقَالَتِهِ الْأُولَى الَّتِي كَذَّبَ بِهَا مُوسَى) .
نَكَالٌ - عُقُوبَةٌ تَجْعَلُ مَنْ تَنْزِلُ بِهِ يَنْكِلُ عَنْ فِعْلِهِ .

١٧ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى

١٨ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى

١٩ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى

٢٠ فَارَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى

٢١ فَكَذَّبَ وَعَصَى

٢٢ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى

٢٣ فَحَشَرَ فَنَادَى

٢٤ فَقَالَ أَنَارِكُمُ الْأَعْلَى

٢٥ فَآخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى

(٢٦) - وَفِيمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِفِرْعَوْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِعِظَةِ وَعِبْرَةٍ لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ تَوَثَّرَ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ.
(الَّتُمْ) (بَنَاهَا)

(٢٧) - وَيَقُولُ تَعَالَى لِمَنْ يُنَاصِبُونَ النَّبِيَّ الْعِدَاءَ، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ: إِنَّكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْ خَلَقِكُمْ، وَأَنَّ إِبْدَاعَهَا وَإِنشَاءَهَا أَصْعَبُ مِنْ إِبْدَاعِكُمْ وَإِنشَائِكُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ خَلَقْنَاهَا، وَلَمْ يُعْجِزْنَا أَمْرُ إِبْدَاعِهَا.
(فَسَوَاهَا)

(٢٨) - فَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ، وَضَمَّ أَجْزَاءَهَا الْمُتَفَرِّقَةَ، وَجَعَلَهَا ذَاهِبَةً فِي السَّمَاءِ صُعْدًا، وَعَدَلَهَا فَجَعَلَ كُلَّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي مَوْضِعِهِ الْمُنَاسِبَ لَهُ.
السَّنْكَ - قَائِمٌ كُلُّ شَيْءٍ.
(ضَحَاهَا)

(٢٩) - وَجَعَلَ لَيْلَهَا مُظْلِمًا خَالِكَ السَّوَادِ، وَجَعَلَ نَهَارَهَا مُضِيئًا مُشْرِقًا وَضَاحًا.
أَعْطَشَ لَيْلَهَا - جَعَلَهُ مُظْلِمًا.
(دَحَاهَا)

(٣٠) - وَمَهَّدَ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَرْضَ، وَبَسَطَهَا لِسُكْنَى الْمَخْلُوقَاتِ.
دَحَاهَا - بَسَطَهَا وَمَدَّهَا.
(مَرَعَاهَا)

(٣١) - وَفَجَّرَ الْعُيُونَ وَالْأَنْهَارَ وَالْيَنَابِيعَ فِيهَا فَفَاضَتْ بِالْمَاءِ، وَأَنْبَتِ النَّبَاتَاتِ لِيَأْكُلَ مِنْهَا النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ.
(أَرْسَاهَا)

(٣٢) - وَثَبَّتَ الْجِبَالَ فِي أَمَاكِينِهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَجَعَلَهَا كَالْأُرْدَانِ الَّتِي تُشَدُّ بِهَا الْخِيَامُ لِكَيْلَا تَذْهَبَ بِهَا الرِّيحُ وَذَلِكَ لِكَيْلَا تَبِيدَ الْأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْخَلَائِقِ، وَتَضْطَرِبَ بِهِمْ.
(مَتَاعًا) (لِلْأَنْعَامِكُمْ)

(٣٣) - وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ ذَلِكَ لِيَتَمَتَّعَ بِهِ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ، وَيَتَنَفَّعُوا بِهِ فِي مَعَاشِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ. فَاللَّهُ تَعَالَى يُقَرِّرُ هَذِهِ الْحَقَائِقَ فِي أَذْهَانِ

٣٦ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى

٣٧ إِنَّكُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا

٣٨ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا

٣٩ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا

٤٠ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا

٤١ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا

٤٢ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا

٤٣ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ

النَّاسِ لِيَخْلُصَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى لَفْتِ أَنْظَارِهِمْ إِلَى أَنْ الَّذِي خَلَقَ هَذَا
الْخَلْقَ الْبَدِيعَ الْعَظِيمَ لَا يَعْجُزُ عَنْ بَعَثِ الْعِبَادِ مِنَ الْقُبُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ صَارُوا تُرَاباً وَرَفَاتاً، وَتَفَرَّقَتْ ذَرَاتُ أَجْسَادِهِمْ فِي
الْأَرْضِ.

(٣٤) - فَإِذَا جَاءَتِ الْقِيَامَةُ بِأَهْوَالِهَا الَّتِي تَشِيبُ لَهَا الْوِلْدَانُ.
وَالطَّامَةُ - هِيَ الدَّاهِيَةُ الَّتِي تَطُمُّ عَلَى الدَّوَاهِي، وَتَعْلُو عَلَيْهَا.
(الْإِنْسَانُ)

(٣٥) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَرَى الْإِنْسَانُ أَعْمَالَهُ جَمِيعَهَا، حَسَنَهَا وَفَاسِدَهَا،
مُدُونَةً فِي صَحِيفَةٍ أَعْمَالِهِ، فَيَتَذَكَّرُهَا، وَكَانَ هُوَ قَدْ نَسِيَهَا وَأَحْصَاهَا اللَّهُ
وَأَثْبَتَهَا لَدَيْهِ.

(٣٦) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَظْهَرُ النَّارُ لِلنَّاطِرِينَ، فَيَرَاهَا النَّاسُ جَمِيعاً،
وَيُعَابِتُونَ أَهْوَالَهَا.
بُرُزْتُ - أَظْهَرْتُ إِظْهَاراً بَيَّناً.

(٣٧) - فَأَمَّا مَنْ تَكَبَّرَ وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ بِكُفْرِهِ وَعِصْيَانِهِ.
(آثَرُ)

(٣٨) - وَآثَرُ لَذَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَشَهَوَاتِهَا، عَلَى ثَوَابِ الْآخِرَةِ
الْبَاقِيَةِ الدَّائِمَةِ.

(٣٩) - فَإِنَّ النَّارَ الْمُتَجَجِّجَةَ سَتَكُونُ مَأْوَاهُ وَمُسْتَقَرَّهُ.

(٤٠) - وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيِّ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ سَيُسْأَلُ
عَنْ أَعْمَالِهِ، فَحَادَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَحَسَبَ حِسَابَهُ، وَجَنَّبَ نَفْسَهُ الْوُقُوعَ فِي
الْمَحَارِمِ، وَالْأَنْسِيَاقِ وَرَاءَ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ.

(٤١) - فَتَكُونُ الْجَنَّةُ جَزَاءَهُ، وَفِيهَا مَأْوَاهُ وَمَصِيرُهُ.

(يَسْأَلُونَكَ) (مُرْسَاهَا)

(٤٢) - كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ... عِنَاداً
وَأَسْتَهْزَاءً، مَتَى تَكُونُ؟، وَيُلْحُونَ عَلَيْهِ فِي التَّعْجِيلِ بِقِيَامِهَا.
وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَمَنَّى أَنْ يُجِيبَهُمْ عَمَّا يَسْأَلُونَ، جِزْصاً مِنْهُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ.
فَنَهَاَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَمَنِّي مَا لَا يُرْجَى. لِأَنَّ السَّاعَةَ عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّ
الرُّسُولَ مَهْمَتُهُ الْإِنذَارُ، وَتَبْلِيغُ رِسَالَةِ رَبِّهِ، أَمَّا الْمُعَانِدُونَ فَلْيَذَرُهُمْ
وَشَأْنُهُمْ.

﴿٣٤﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى

﴿٣٥﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى

﴿٣٦﴾ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى

﴿٣٧﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى

﴿٣٨﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

﴿٣٩﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى

﴿٤٠﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى

﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى

﴿٤٢﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا

وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَسْأَلُونَ مَتَى تَكُونُ السَّاعَةُ؟
أَيَّانَ مَرَسَاهَا - مَتَى يُقِيمُهَا اللَّهُ وَيُنْبِئُهَا.

(ذَكَرَاهَا)

(٤٣) - فَمَا هَذِهِ الذِّكْرَى الدَّائِمَةُ لَهَا، وَمَا هَذَا الْاهْتِمَامُ الَّذِي جَعَلَكَ لَا تَأْلُو جُهْدًا فِي السُّؤَالِ عَنْهَا؟ وَلَيْسَ عِلْمُهَا إِلَيْكَ حَتَّى تَذْكُرَهُ لَهُمْ.

(مُنْتَهَايَا)

(٤٤) - إِنْ عَلِمَ السَّاعَةَ يَنْتَهِي إِلَى رَبِّكَ، فَلَا يَعْلَمُ وَقْتُ قِيَامِهَا غَيْرُهُ، وَلَمْ يُعْطِهِ لِمَلِكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ.

(يَخْشَاهَا)

(٤٥) - وَأَنْتَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ مَبْعُوثٌ لِلْإِنذَارِ وَالتَّخْوِيفِ، وَتَحْذِيرٍ مَنْ يَخَافُ مِنَ النَّاسِ مِنْ هَوْلِ السَّاعَةِ، وَعُسْرِ الْحِسَابِ فِي الْآخِرَةِ.

(ضَحَاهَا)

(٤٦) - وَحِينَمَا يَقُومُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْحَشَرِ، وَيَرَوْنَ السَّاعَةَ وَأَمْوَالَهَا، يَسْتَقْصِرُونَ مُدَّةَ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَيَرَوْنَهَا كَأَنَّهَا عَشِيَّةٌ مِنْ يَوْمٍ، أَوْ ضَحَى مِنْ نَهَارٍ.

(أَوْ يَطْنُونَ أَنَّ مُدَّةَ لُبِّهِمْ فِي الْقُبُورِ كَانَتْ غَايَةً فِي الْقِصْرِ)

الْعَشِيَّةُ - مَا بَعْدَ الظُّهْرِ حَتَّى مَغِيبِ الشَّمْسِ.

الضُّحَى - مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ.

﴿٤٣﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا

﴿٤٤﴾ إِلَى رَبِّكَ مِنْهَا

﴿٤٥﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا

﴿٤٦﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَوْ يَلْبِسُونَ إِلَّا عَشِيَّةً
أَوْ ضَحًى

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا شَذَنَانُ وَارَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا يُخَاطَبُ أَحَدَ سَادَةِ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ طَمِعَ فِي إِسْلَامِهِ ، فَبَيْنَمَا كَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ أَعْمَى ، وَكَانَ أَسْلَمَ ، قَدِيمًا ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ لِيَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، وَالْحَقُّ عَلَى النَّبِيِّ فِي السُّؤَالِ . وَوَدَّ النَّبِيُّ أَنْ لَوْ كَفَّ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، سَاعَتَهُ تِلْكَ ، لِيَتِمَّكَنَ مِنْ مُتَابَعَةِ حَدِيثِهِ مَعَ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، طَمَعًا فِي هِدَايَتِهِ . وَعَبَسَ فِي وَجْهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَأَعْرَضَ عَنْهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخَرِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ مُعَايَا رَسُولَهُ الْكَرِيمِ .

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَهْشُ لِابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَيُلْقَاهُ بِالْعَنَاءِ وَالتَّكْرِيمِ وَيَقُولُ لَهُ : أَهْلًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي . وَمَعْنَى الْآيَةِ : أَنَّ الرَّسُولَ قَطَبُ وَجْهِهِ كَارِهًا وَأَعْرَضَ .

(٢) - لِأَنَّ الْأَعْمَى قَدْ جَاءَهُ يَسْأَلُ عَنْ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ دِينِهِ ، وَقَطَعَ حَدِيثَ الرَّسُولِ ، مَعَ أَنَّهُ بِسَبَبِ عَمَاهُ يَسْتَحِقُّ مَزِيدًا مِنَ الرَّفْقِ وَالرَّافَةِ ، فَكَيْفَ يَلْبِقُ بِكَ أَنْ تَخْصُهُ بِالْجَفْوَةِ وَالْإِعْرَاضِ ؟

(٣) - وَمَا يَذْرِيكَ حَالُ هَذَا الْأَعْمَى ؟ فَقَدْ يَنْتَظِرُ بِمَا يَسْمَعُهُ مِنْكَ ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ .

يَرْكِي - يَنْتَظِرُ بِتَعْلِيمِكَ مِنْ دَنَسِ الْجَهَالَةِ .

(٤) - أَوْ يَنْتَظِرُ فَتَنْفَعُهُ ذِكْرُكَ وَعِظُكَ .

يَذْكُرُ - يَنْتَظِرُ .

(٥) - أَمَا مِنْ أَسْتَغْنَى بِمَالِهِ وَقُوَّتِهِ عَنِ الْإِيمَانِ .

١ عَبَسَ وَتَوَلَّى



٢ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى

٣ وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّهُ يَرْكِي

٤ أَوْ يَذْكُرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرُ

٥ أَمَا مِنْ أَسْتَغْنَى

﴿٦﴾ فَأَنْتَ تَعْرَضُ لَهُ، وَتَهْتَمُ بِتَبْلِيغِهِ الدَّعْوَةَ، لَعَلَّهُ يَهْتَدِي.

تَصْدَى - تَعْرَضُ لَهُ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ.

﴿٧﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ

(٧) - وَمَا يَضُرُّكَ أَنْ يَبْقَى عَلَى ضَلَالِهِ، وَأَنْ لَا يَتَّهَرَّجَ مِنْ أَذْرَانِ الشَّرِّكَ وَالْجَهَالَةِ، فَأَنْتَ رَسُولٌ مُبْلَغٌ وَقَدْ أَذَيْتَ رَسُولَكَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ.

﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى

(٨) - وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى مُسْرِعًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْهُدَى وَالتَّقَرُّبِ مِنْ رَبِّهِ.

جَاءَكَ يَسْعَى - وَصَلَ إِلَيْكَ مُسْرِعًا.

﴿٩﴾ وَهُوَ يَخْشَى رَبَّهُ،

(٩) - وَهُوَ يَخْشَى رَبَّهُ، وَيَحْذَرُ الْوُقُوعَ فِي الْغَوَايَةِ.

﴿١٠﴾ فَأَنْتَ تَتْلَاهُ وَتَتَشَاغَلُ عَنْهُ،

(١٠) - فَأَنْتَ تَتْلَاهُ وَتَتَشَاغَلُ عَنْهُ، وَتَعْرِضُ عَنْ إِجَابَتِهِ، وَالرَّدِّ عَلَيْهِ. تَلَاهُ - تَتَشَاغَلُ.

﴿١١﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَذِكْرٌ

(١١) - لَيْسَ الصُّوَابُ مَا تَفْعَلُهُ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَأْنْ تَعْبَسَ فِي وَجْهِ الْأَعْمَى الَّذِي جَاءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْشَى، وَتَقْبَلُ عَلَى مَنْ أَسْتَفْنَى، وَقَدْ جَاءَ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ تَذْكِيرٌ وَوَعْظٌ وَنَبِيَّةٌ لِمَنْ غَفَلَ عَنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ.

(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّ مَهْمَةَ الرِّسَالَةِ النَّبِيَّةِ وَالتَّذْكِيرِ).

كَلَّا - إِرْشَادٌ لِتَرْكِ الْمُعَاوَذَةِ.

إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ - إِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ مَوْعِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ.

﴿١٢﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ،

(١٢) - وَهَذِهِ التَّذْكِرَةُ بَيِّنَةٌ ظَاهِرَةٌ يَسْتَطِيعُ كُلُّ عَاقِلٍ أَنْ يَعْرِفَهَا، وَيَتَذَكَّرَهَا إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ.

﴿١٣﴾ فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ

(١٣) - وَقَدْ أُودِعَتْ هَذِهِ التَّذْكِرَةُ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ ذَاتِ الشَّرَفِ وَالرَّفْعَةِ.

﴿١٤﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ

(١٤) - وَهَذِهِ الصُّحُفُ الْإِلَهِيَّةُ (الصُّحُفُ الْمُكْرَمَةُ) مُعْظَمَةٌ مُوقَرَّةٌ، غَالِيَةُ الْقَدْرِ، مُطَهَّرَةٌ مِنَ النَّقَائِصِ وَلَا تَشُوْبُهَا الضَّلَالَاتُ.

﴿١٥﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ

(١٥) - وَتَنْتَزِلُ هَذِهِ الصُّحُفُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ بِوَسِطَةِ سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَّةٍ هُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ، لِيَقُومَ الْأَنْبِيَاءُ بِإِبْلَغِهَا إِلَى النَّاسِ. سَفَرَةٍ - مَلَائِكَةُ مُرْسَلِينَ.

﴿١٦﴾ كِرَامٍ بَرَّةٍ

(١٦) - وَالْمَلَائِكَةُ السَّفَرَةُ هُمْ كِرَامٌ عَلَى اللَّهِ، وَأَبْرَارٌ وَأَطْهَارٌ لَا يَقَارِفُونَ ذَنْبًا، وَلَا يَجْتَرَحُونَ إِثْمًا، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. بَرَّةٌ - مُطِيعِينَ لِلَّهِ أَوْ صَادِقِينَ.

(الْإِنْسَانُ)

(١٧) - يَذُمُّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ أَتَكَرَّ الْبَغْتِ وَالنُّشُورِ فَيَقُولُ: أَخْزَى اللَّهُ الْإِنْسَانَ الْكَافُورَ، وَلَعَنَهُ مَا أَشَدَّ كُفْرَانَهُ لِلنُّعْمِ الَّتِي يَتَقَلَّبُ فِيهَا، وَمَا أَكْثَرَ ذَهْوَهُ عَنْ مُسْبِدِيهَا إِلَيْهِ، وَمُنْعِمِهَا عَلَيْهِ.
قُتِلَ - لَيْمَنَ وَأَخْزَى وَعَذُبَ.

(١٨) - أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى يُفَصِّلُ مَا أَجْمَلَهُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَيُبَيِّنُ مَا أَفَاءَهُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ النُّعْمِ فِي مَرَاجِلِ حَيَاتِهِ وَنَشَأَتِهِ. فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ شَيْءٍ حَقِيرٍ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ التَّكَبُّرُ وَالتَّجَبُّرُ، أَلَا يَعْلَمُ هَذَا الْإِنْسَانُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ رَبُّهُ؟

(١٩) - لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيٍّ يُعْنَى كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى) (١) وَقَدَرَهُ أَطْوَارًا وَأَحْوَالًا، وَأَتَمَّ خَلْقَهُ بِمَا يُلَاقِيهِ حَاجَاتِهِ، وَأَوْدَعَ فِيهِ الْقُوَّةَ الَّتِي تُمَكِّنُهُ مِنْ اسْتِعْمَالِ أَعْضَائِهِ وَحَوَاسِيهِ، وَتَضَرُّفِهَا فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ وَجَعَلَ كُلَّ ذَلِكَ بِمِقْدَارٍ مَحْدُودٍ.
فَقَدَرَهُ - خَلَقَهُ أَطْوَارًا وَهَيَّأَ لِمَا يَصْلُحُ لَهُ.

(٢٠) - ثُمَّ جَعَلَهُ مُتَمَكِّنًا مِنْ اخْتِيَارِ السَّبِيلِ الَّتِي يَسِيرُ فِيهَا - سَبِيلِ الْخَيْرِ أَوْ سَبِيلِ الشَّرِّ - فَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ الْقُدْرَةَ عَلَى الْعَمَلِ، وَوَهَبَهُ الْعَقْلَ الَّذِي يُعَيِّرُ بِهِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَعَرَفَهُ عَاقِبَةُ كُلِّ عَمَلٍ وَنَتِيجَتُهُ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكُتُبَ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى الْعِظَايَةِ وَالْأَحْكَامِ.
يُسِّرُهُ - سَهَّلَ لَهُ طَرِيقَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ.

(٢١) - ثُمَّ أَمَاتَهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَتْرَكْهُ مَطْرُوحًا فِي الْعَرَاءِ تَنْهَشُهُ الْوُحُوشُ، بَلْ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ فِي غَرِيزَةِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ أَنْ يُوَارِيَ أَمْوَاتَهُ فِي قُبُورٍ تَكْرِمُهُ لَهُمْ.

(٢٢) - ثُمَّ إِذَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَحْيَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَبَعَثَهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ.
أَنْشَرَهُ - أَحْيَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

(٢٣) - حَقًّا إِنَّ حَالَ الْإِنْسَانِ لَعَجِيبٌ، فَإِنَّهُ رَأَى فِي نَفْسِهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَى الصِّرَاطِ وَالسُّدَادِ، وَالْهُدَى وَالرُّشَادِ، وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّنَدُّبِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ التَّأَمُّلِ فِي

١٧ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ

١٨ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ

١٩ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ

٢٠ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ

٢١ ثُمَّ أَمَاتَهُ وَقَابَرَهُ

٢٢ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ

٢٣ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ

دَلَائِلُ قُدْرَةِ رَبِّهِ، وَتَدْبِيرُ مَا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى، مِمَّا يُوجِبُ عَلَيْهِ
التَّوَجُّعَ إِلَى رَبِّهِ بِالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ.
لَمَّا يَفْضُ - لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ.

(الْإِنْسَانُ)

(٢٤) - فَلْيَتَدَبَّرِ الْإِنْسَانُ شَأْنَ نَفْسِهِ، وَلْيَفَكِّرْ فِي أَمْرِ طَعَامِهِ، وَتَدْبِيرِهِ
وَنَهْيَتِهِ حَتَّى يَكُونَ غِذَاءً صَالِحًا نَافِعًا تَقُومُ بِهِ بُنْيَتُهُ، وَيَتِمَّكَنَ مِنْ أَدَاءِ
مَهْمَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ.

(٢٥) - لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَاءَ مِنَ السَّحَابِ أَنْزَالًا.

(٢٦) - وَجِيئًا يَصِلُ الْمَاءُ إِلَى بُدُورِ النَّبَاتَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي بَاطِنِ
الْأَرْضِ فَإِنَّهَا تَبْدَأُ بِالْحَيَاةِ وَالتَّحَرُّكِ، وَتَشُقُّ الْأَرْضَ لِتَخْرُجَ مِنْهَا سَوَفُهَا
عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِيَتَنَمَّوْا وَتَتَنَفَّسَ.
شَقَقْنَا الْأَرْضَ - بِالنَّبَاتِ أَوْ بِالْحَرِّثِ.

(٢٧) وَبَنَتْ اللَّهُ تَعَالَى الْحَبَّ كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرَهُمَا مِمَّا يَقْتَاتُ بِهِ
النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ.

(٢٨) - وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ الْعِنَبَ وَالنَّبَاتَاتِ الَّتِي تُؤْكَلُ طَرِيَّةً
غَضَّةً. (فَضْبًا).

(٢٩) - وَبَنَتْ الزَّيْتُونَ وَالنَّخْلَ، وَهُمَا ثَمَرَانِ مَعْرُوفَانِ نَبَاتًا وَثَمَرًا.

(حَدَائِقُ)

(٣٠) - وَبَسَاتِينَ مُسَوَّرَةً، فِيهَا أَشْجَارٌ ضَخْمَةٌ مُثْمِرَةٌ.

الْحَدَائِقُ - الْبَسَاتِينُ الْمُسَوَّرَةُ.

الْقَلْبُ - الْمُتَكَاثِفَةُ الْأَشْجَارِ.

(فَاكِهَةٌ)

(٣١) - وَتَخْرِجُ الْأَرْضُ فَوَاحِيَهُ يَتَمَتَّعُ بِهَا الْإِنْسَانُ كَالْتِّينِ وَالْعِنَبِ
وَالْتَّفَاحِ... وَتَخْرِجُ النَّبَاتَ الَّذِي تَأْكُلُهُ الدُّوَابُّ كَالْكَلْبِ وَالْتِّينِ وَغَيْرِهِ.
أَبًا - كَلًّا وَعُشْبًا أَوْ هُوَ التِّينُ.

(لِأَنْعَامِكُمْ) (مَتَاعًا)

(٣٢) - وَقَدْ أَنْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِيَتَمَتَّعَ بِهِ النَّاسُ، وَيَتَفَتَّحُوا بِهِ هُمْ
وَأَنْعَامُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

٢٤ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ

٢٥ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا

٢٦ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا

٢٧ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا حَبًّا

٢٨ وَعِنَبًا وَقَضْبًا

٢٩ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا

٣٠ وَحَدَائِقَ غُلْبًا

٣١ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا

٣٢ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ

(٣٣) - فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، (وُسِّمَتِ الْقِيَامَةُ صَاحَةً لِأَنَّهُ يَحْدُثُ فِيهَا صَوْتُ هَائِلٌ يَصُمُّ الْأَذَانَ وَيَصْخُحُ الْأَسْمَاعُ).
الصَّاحَةُ - الصَّيْحَةُ الْعَظِيمَةُ تَصُمُّ الْأَذَانَ.

(٣٤) - وَهُوَ يَوْمٌ يَشْغُلُ كُلَّ أَمْرٍ بِمَا يُصِيبُهُ وَيُعَانِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ، فَيَفِرُّ مِمَّنْ كَانَ يَتَعَلَّقُ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَعِينُونَهُ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ، فَيَفِرُّ مُتَوَارِبًا مِنْ أَخِيهِ.

(٣٥) - كَمَا يَفِرُّ مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَهُمَا أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ.

(صَاحِبَتِهِ)

(٣٦) - وَيَفِرُّ مِنْ زَوْجَتِهِ الَّتِي هِيَ أَلْصَقُ النَّاسِ بِهِ، وَيَفِرُّ مِنْ بَيْنِهِ الَّذِينَ هُمْ أَفْلَادٌ كَبِدِهِ، وَقَدْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَقْدِرُهُمْ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ.

(يَوْمَئِذٍ)

(٣٧) - فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَسْأَلُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَا يَفْكَرُ فِيهِ لِأَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ هَمًّا يَمْلَأُ صَدْرَهُ، حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهِ مَسْغَعٌ لَهُمْ آخَرٌ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ مَا يُغْنِيهِ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي هُمُومِ الْآخَرِينَ.

(يَوْمَئِذٍ)

(٣٨) - وَيَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرِيقَيْنِ: سَعْدَاءَ وَأَشْقِيَاءَ، فَالسَّعْدَاءُ تَكُونُ وُجُوهُهُمْ مُشْرِقَةً مَهْلَلَةً.

(٣٩) - وَتَكُونُ صَاحِكَةً يَغْلُوها الْبِشْرُ وَالسَّعَادَةُ بِمَا وَجَدَتْهُ عِنْدَ رَبِّهَا مِنْ كَرَامَةٍ وَرِضًا.

(يَوْمَئِذٍ)

(٤٠) - أَمَّا الْكَفَرَةُ الْأَشْقِيَاءُ فَتَعْلُو وُجُوهُهُمْ غَبَرَةُ الدَّلِّ وَالْهَوَانِ.
غَبَرَةٌ - غُبَارٌ وَكَدُورَةٌ.

(٤١) - وَيَغْشَى وُجُوهُهُمْ سَوَادُ الْغَمِّ وَالْحُزْنِ.

تَرْهَقُهَا - تَغْشَاهَا.

قَتْرَةٌ - ظُلْمَةٌ وَسَوَادٌ.

(أُولَئِكَ)

(٤٢) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْلُو وُجُوهُهُمْ غُبَارُ الدَّلِّ، وَسَوَادُ الْحُزْنِ، هُمْ الْكَفَرَةُ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، وَخَرَجُوا عَنْ حُدُودِ شَرَائِعِهِ، وَلَاحْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِيَ.

(٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ

(٣٤) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ

(٣٥) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ

(٣٦) وَصَاحِبَتِهِ وَبَيْنِهِ

(٣٧) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

(٣٨) وَجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ

(٣٩) صَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً

(٤٠) وَوُجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّاهَا

(٤١) تَرْهَقُهَا قَتْرَةٌ

(٤٢) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ

(١١) سُورَةُ التَّكْوِيْنِ وَآيَاتُهَا ثَلَاثُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- (١) - إِذَا جُمِعَ بَعْضُ الشَّمْسِ إِلَى بَعْضٍ ، وَتَلَاشَى ضَوْوُهَا .
كُوِّرَتْ - أُزِيلَ ضَوْوُهَا ، أَوْ لُفَّتْ وَطُوِيَتْ فَأَصْبَحَتْ كَالْكُرَّةِ .
- (٢) - وَإِذَا تَنَازَرَتِ النُّجُومُ ، وَذَهَبَ لِأَلْوَانِهَا وَأَنْطَمَسَ نُورُهَا .
أَنْكَدَرَتْ - ذَهَبَ ضَوْوُهَا أَوْ تَسَاقَطَتْ وَهَوَتْ .
- (٣) - وَإِذَا زَالَتِ الْجِبَالُ مِنْ أَمَاكِينِهَا ، وَنُسِفَتْ ، فَتَرَكَّتِ الْأَرْضُ قَاعًا
صَفْصَفًا .
سُيِّرَتْ - أُزِيلَتْ مِنْ أَمَاكِينِهَا .
- (٤) - وَإِذَا النُّوْقُ الْعِشَارُ أَهْمِلَتْ وَسُيِّتَتْ ، وَلَمْ يَعُدْ يَعْتَنِي بِهَا أَحَدٌ
لَا شَيْدَادِ الْخَطْبِ عَلَى النَّاسِ .
الْعِشَارُ - جَمْعُ عَشْرَاءَ وَهِيَ النُّوْقُ الْحَوَامِلُ .
عُطِلَتْ - أَهْمِلَتْ وَتَرَكَّتْ بِلا رَاعٍ .
- (٥) - وَإِذَا جُمِعَتِ الْوُحُوشُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ .
- (٦) - وَإِذَا الْبَحَارُ أَنْذَلَعَتْ فِيهَا النَّيْرَانُ فَصَارَتْ نَارًا تَضْطَرِمُ .
(وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِفِعْلِ زَلْزَالٍ وَتَشَقُّقٍ فِي قِيَعَانِ الْبَحَارِ فَيَتَسَرَّبُ مَاءُ
الْبَحْرِ وَمَعَهُ الْمَوَادُّ الْقَابِلَةُ لِلَاِشْتِعَالِ الْمَوْجُودَةُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ إِلَى
حَيْثُ تَوْجَدُ السَّوَائِلُ الْمُتَلَهِّبَةُ دَاخِلِ الْأَرْضِ ، فَتَشْتَعِلُ وَتُظْهِرُ النَّيْرَانُ
عَلَى سَطْحِ الْبَحَارِ) .
الْبَحَارُ سُجِّرَتْ - أَوْقَدَتْ فَصَارَتْ نَارًا تَضْطَرِمُ .
- (٧) - وَإِذَا عَادَتِ الْأَرْوَاحُ إِلَى أَبْدَانِهَا عِنْدَ النَّشْأَةِ الْآخَرَى ، بَعْدَ أَنْ
فَارَقَتْهَا حِينَ الْمَوْتِ ، وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْعَوْدَةَ تَرْوِيحًا .

١ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ

٢ وَإِذَا النُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ

٣ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ

٤ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ

٥ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ

٦ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ

٧ وَإِذَا النُّفُوسُ رُؤِجَتْ

(وَعَدُ بَعْضُهُمْ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ بَاقِيَةٌ مِنْ حِينَ الْمَوْتِ إِلَى وَقْتِ الْحَشْرِ).

(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى زُوجَتْ هُوَ: جَمَعَ كُلَّ نَفْسٍ مَعَ أَمْتَالِهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾^(١)).

زُوجَتْ - رُدَّتِ الْأَرْوَاحُ إِلَى أَجْسَادِ الْمَوْتَى، أَوْ قُرِنَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِمِثْلَتِهَا.

(الْمَوْءُودَةُ) (سُئِلَتْ)

(٨) - وَإِذَا سُئِلَتِ الْمَوْءُودَةُ أَمَامَ وَإِذِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(وَكَانَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَذْفُونَ بَنَاتِهِمْ وَهُنَّ أَحْيَاءُ وَيُسْمُونَ ذَلِكَ وَادًا).

(٩) - وَإِذَا سُئِلَتِ الْمَوْءُودَةُ عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي أَرْتَكِبْتَهُ فَأَوْجَبَ قَتْلَهَا.

(وَسُئِلَتْ بِأَنَّهَا قُتِلَتْ بِلَا ذَنْبٍ جِئَتْ).

(١٠) - وَإِذَا نُشِرَتْ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ أَمَامَ أَعْيُنِ أَصْحَابِهَا يَوْمَ الْحِسَابِ.

(١١) - وَإِذَا كُشِطَتِ السَّمَاءُ، وَأُزِيلَتْ مِنْ مَكَانِهَا، فَلَمْ يَبْقَ غِطَاءٌ وَلَا سَمَاءٌ.

كُشِطَتْ - قُلِعَتْ كَمَا يُقْلَعُ الشَّجَرُ.

(١٢) - وَإِذَا أُوقِدَتْ نَارُ الْجَحِيمِ، إِنْقَادًا شَدِيدًا، لِيَكُونَ حَرُّهَا أَكْثَرَ إِيْلَامًا لِلْكَفَرَةِ الطَّعَاةِ.

سُعِرَتْ - أُوقِدَتْ النَّارُ إِنْقَادًا عَظِيمًا.

(١٣) - وَإِذَا أُذْنِبَتِ الْجَنَّةُ مِنْ أَهْلِهَا، وَقُرِبَتْ مِنْهُمْ وَأُعِدَّتْ لِدُخُولِهِمْ إِلَيْهَا.

أُزْلِفَتْ - قُرِبَتْ وَأُذْنِبَتْ.

(١٤) - فَإِذَا حَصَلَ كُلُّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَحْدَاثِ السَّالِفَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَبِعَثِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَحُشِرُوا لِلْحِسَابِ. . حِينَئِذٍ

تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ، وَمَا أَعَدَّ لَهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَتَعْلَمُ أَيُّ أَعْمَالِهَا قَدْ تَقَبَّلَهُ اللَّهُ، وَأَيُّ أَعْمَالِهَا رَدَّهُ عَلَيْهَا وَرَفَضَهُ.

أَحْضَرَتْ - عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

٨ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ

٩ يَا أَيُّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ

١٠ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

١١ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ

١٢ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ

١٣ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ

١٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ

(١٥) - أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالنُّجُومِ الَّتِي تَغِيبُ عَنِ الْعُيُونِ فِي النَّهَارِ، وَتَخْتَفِي عَنِ الْأَبْصَارِ، وَكَأَنَّهَا تَخْسُ فِي النَّهَارِ. [وَلَا لِتَوْكِيدِ الْقَسَمِ، وَقِيلَ إِنَّهَا صِلَةٌ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ)]. (١)

(١٦) - وَهِيَ تَجْرِي فِي أَفْلَاكِهَا وَمَدَارَاتِهَا وَتَعُودُ لِتُظْهَرَ فِي اللَّيْلِ، وَكَأَنَّهَا عَادَتْ إِلَى مَوَاقِعِهَا كَمَا يَعُودُ الطَّيْرُ إِلَى كِنَانِهِ (أَيَّ بَيْتِهِ). الْكُنُسُ - الَّتِي تَسْتَبِرُ فِي مَغِيبِهَا.

(اللَّيْلِ)

(١٧) - وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ وَوَلَّى مُؤَذِّنًا بِزَوَالِ الظُّلْمَةِ. عَسَسَ - أَدْبَرَ (وَقِيلَ إِنَّ عَسَسَ تَغْيِي إِقْبَالَ اللَّيْلِ لَا إِذْبَارَهُ).

(١٨) - وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ وَظَهَرَ نُورُهُ، وَفِي ذَلِكَ بُشْرَى لِلْإِنْسِ تَنْفَسَ - أَقْبَلَ، وَأَشْرَقَ.

(١٩) - بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ قَالَ إِنَّ مَا أَخْبَرَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ لَيْسَ بِكِبَاهَنَةٍ، وَلَا أَفْتِرَاءٍ عَلَى اللَّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلُ نَزَلَ عَلَيْهِ وَحْيًا مِنْ رَبِّهِ بِوَسْاطَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَوَصَفَ تَعَالَى جِبْرِيلَ بِأَنَّهُ رَسُولٌ كَرِيمٌ، أَيْ عَزِيزٌ عَلَى رَبِّهِ.

(٢٠) - ثُمَّ يَتَابِعُ تَعَالَى وَصْفَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ: إِنَّهُ ذُو قُوَّةٍ فِي الْحِفْظِ وَالْبُعْدِ عَنِ الشَّيْءِ وَالْخَطَا وَهُوَ ذُو جَاهٍ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَ صَاحِبِ الْعَرْشِ أَيْ لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَةٌ رَافِعَةٌ. مَكِينٌ - ذُو مَكَانَةٍ رَافِعَةٍ وَشَرَفٍ.

(٢١) - تَطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ وَيَصُدُّوْنَ عَنْ أَمْرِهِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ، وَهُوَ أَمِينٌ عَلَى الْإِبْلَاحِ وَخِيَرَةُ رَبِّهِ وَرِسَالَاتِهِ، وَقَدْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْخِيَانَةِ فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ رَبُّهُ، وَمِنَ الزُّلْمِ وَالْخَطَا.

(٢٢) - وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ جِبْرِيلَ، وَصَفَ نَبِيَّهَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، وَهُوَ صَاحِبُهُمْ وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ، لِأَنَّهُ خَالَطَهُمْ وَعَاشَرَهُمْ وَعَرَفُوا صِفَاتِهِ.

(رَأَهُ)

(٢٣) - وَإِنَّ مُحَمَّدًا رَأَى جِبْرِيلَ عَيْنَانِ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى بِشَكْلِ بَيْنٍ وَاضِحٍ، وَقَدْ تَمَثَّلَ لَهُ فِي صُورَةٍ يَسْتَطِيعُ فِيهَا رُؤْيَتَهُ.

١٥) فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُسِّ

١٦) الْخَوَارِ الْكُنُسِ

١٧) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ

١٨) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ

١٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

٢٠) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ

٢١) مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ

٢٢) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ

٢٣) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى

(٢٤) - وَلَيْسَ مُحَمَّدٌ بِالْمُتَّهَمِ عَلَى الْقُرْآنِ، بَلْ إِنَّهُ ثِقَةٌ أَمِينٌ لَا يُبَدَّلُ فِيهِ وَلَا يُحَرَّفُ، وَلَا يُضَنُّ بِدَلِيلِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ فَهُوَ غَيْرُ بَخِيلٍ بِهِ.
الْقَيْبِ - الْوَحْيِ وَخَبَرِ السَّمَاءِ.
ضَمِينٍ - بَخِيلٍ فَيَقْصُرُ فِي تَبْلِيغِهِ.

(شَيْطَانٍ)

(٢٥) - وَلَيْسَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي يَتْلُوهُ مُحَمَّدٌ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ (رَجِيمٍ)، وَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ حَمْلَهُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ، (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى).^(١)

(٢٦) - فَأَيُّنَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ، وَأَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَقَدْ وَضَحَ لَكُمْ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ وَأَيُّ سَبِيلٍ تَسْلُكُونَ لِلْهَرَبِ، وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَسَالِكُ وَالسُّبُلُ، وَبَطَلَتْ مُفْتَرِيَاتُكُمْ، وَقَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ؟

(لِلْعَالَمِينَ)

(٢٧) - وَلَيْسَ هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا عِظَةٌ وَتَذَكُّرَةٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً.

(٢٨) - وَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ الْهَدَايَةَ وَالْإِسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، فَعَلَيْهِ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَلَا هِدَايَةَ فِي غَيْرِهِ.

(الْعَالَمِينَ)

(٢٩) - لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾^(٢). قَالَ أَبُو جَهْلٍ: الْأَمْرُ إِلَيْنَا إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَسْتَقِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَشِيئَةَ مَرْدُودَةٌ إِلَى اللَّهِ وَلَيْسَتْ إِلَيْكُمْ، فَهُوَ الَّذِي يُودِعُ فِي النَّاسِ إِرَادَةَ فِعْلِ الْخَيْرِ فَتَنْصَرِفُ هِمَّتُهُمْ إِلَيْهِ، وَلَوْ شَاءَ لَسَلَبَهُمْ إِيَّاهَا (أَيُّ إِرَادَةَ فِعْلِ الْخَيْرِ).

﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَمِينٍ

﴿٢٥﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

﴿٢٦﴾ فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ

﴿٢٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

﴿٢٨﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ

﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

رَبُّ الْعَالَمِينَ

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٠.

(٢) سورة التكوين الآية ٢٨.

(٨٢) سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ وَتَغَيَّرَ نِظَامُهَا، وَيَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَخَرَابِ الْعَالَمِ .

(٢) - وَإِذَا تَسَاقَطَتِ الْكَوَاكِبُ مُتَبَعِّرَةً .

(٣) - وَإِذَا تَشَقَّقَتِ الْبِحَارُ مِنْ جَوَانِبِهَا وَقِيَعَانِهَا، فَاخْتَلَطَتْ مِائَاهُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . (أَوْ غَارَتْ وَذَهَبَتْ مِائَاهُ) .
فُجِّرَتْ - شَقَّقَتْ جَوَانِبُهَا أَوْ غَارَ مَاؤُهَا .

(٤) - وَإِذَا تَحَرَّكَتِ الْأَرْضُ بِالْقُبُورِ فَتَبَعَّرَتْ، وَقَلْبَ تُرَابِهَا، وَخَرَجَ الْأَمْوَاتُ مِنْهَا .

(٥) - إِذَا حَصَلَ كُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ مَوْعِدُ قِيَامِ السَّاعَةِ قَدْ حَانَ، وَحَانَ الْبُعْثُ وَالْحِسَابُ . وَجَيِّدٌ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدِمَتْ مِنْ عَمَلٍ وَلَمْ تَقْصُرْ فِيهِ، وَمَا أَخَّرَتْ مِنْ عَمَلٍ وَتَكَاسَلَتْ عَنْ أَدَائِهِ .

(الْإِنْسَانُ) (يَا أَيُّهَا)

(٦) - يُهَدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ عَلَى كُفْرِهِ وَعِصْيَانِهِ لِرَبِّهِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ الْعَقْلَ وَالْقُدْرَةَ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَأَظْهَرَ لَهُ الدَّلَائِلَ وَالْحُجَجَ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ: مَا الَّذِي غَرَّكَ وَجَرَّكَ وَحَمَلَكَ عَلَى عِصْيَانِ رَبِّكَ الْكَرِيمِ الْعَظِيمِ، حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ عَلَى فَضْلِهِ وَنِعْمِهِ عَلَيْكَ .

وَوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِالْكَرِيمِ . تَنْبِيْهُاً لِلْإِنْسَانِ إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَابَلَ الْكَرِيمَ بِالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ .

مَا غَرَّكَ - مَا خَدَعَكَ وَجَرَّكَ عَلَى عِصْيَانِ رَبِّكَ .

١ إِذَا السَّمَاءُ انفطرت

٢ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتثرت

٣ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ

٤ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ

٥ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدِمَتْ وَآخَرَتْ

٦ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ

الْكَرِيمِ



﴿٧﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ

(فَسَوَّاكَ)

(٧) - الَّذِي خَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ جَعَلَكَ سَوِيًّا مُسْتَقِيمًا مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ، مُنْتَصِبًا فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ.

﴿٨﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ

(٨) - وَهُوَ الْقَائِدُ عَلَى أَنْ يَرْكِبَ الْإِنْسَانَ وَيُخْرِجَهُ فِي أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، لِذَلِكَ كَانَ خَلِيقًا بِهِ أَنْ يُقَدَّرَ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَسْتَعْمَلَ عَقْلَهُ وَحَوَاسَّهُ فِي الْخَيْرِ، وَفِي فِعْلٍ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ.

﴿٩﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ

(٩) - وَلَكِنَّكُمْ لَا تَسْتَقِيمُونَ عَلَى مَا تُرْجِيهِ نِعْمُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَقَابِلُونَ الْحَسَنَةَ وَالْفَضْلَ بِالْكَفْرَانِ، بَلْ تَجْتَرِئُونَ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فَتُكَذِّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، وَتُنْكِرُونَ بَعَثَكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿١٠﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ

بِالَّذِينَ - بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

(لِحَافِظِينَ)

(١٠) - وَنَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي الْإِنْسَانِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةً حَافِظِينَ يَحْفَظُونَهُمْ بِأَمْرِ تَعَالَى.

﴿١١﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ

(كَاتِبِينَ)

(١١) - وَهُمْ كِرَامٌ عَلَى اللَّهِ، أَمْنَاءٌ فِيمَا يَكْتُبُونَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ جَمِيعَهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿١٢﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ

(١٢) - وَهُمْ يُحْصُونَ جَمِيعَ مَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَيُدْثِرُونَهُ فِي صَحَائِفِهِمْ.

﴿١٣﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ

(١٣) - يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْحِسَابِ فَيَذْكُرُ أَنَّ الْأَبْرَارَ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ، يَصِيرُونَ إِلَى النَّعِيمِ فِي جَنَّاتِ خَالِدِينَ.

الْأَبْرَارَ - الَّذِينَ بَرُّوا وَصَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ.

﴿١٤﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي حِمِيمٍ

(١٤) - أَمَّا الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ، وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا وَمَبَاهِجِهَا، فَتَسَوَّاهُمْ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ. فَإِنَّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿١٥﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ

(١٥) - وَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ لِيُقَاسُوا حَرَّهَا وَأَهْوَالَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ. (يَوْمَ الدِّينِ).

يَصَلُّونَهَا - يَدْخُلُونَهَا أَوْ يُقَاسُونَ حَرَّهَا.

(بِغَائِبِينَ)

(١٦) - وَلَا يَغْنَبُونَ عَنِ الْعَذَابِ فِي الْجَحِيمِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، وَلَا يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الرَّحْمَةِ وَالرَّاحَةِ وَلَوْ لَحِظَةً مِنَ الزَّمَانِ.

(أَذْرَاكَ)

(١٧) - وَأَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عَظَمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهَوْلِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَمْرَ النَّاسِ عَجِيبٌ فَهُمْ سَاهُونَ لَاهُونَ، وَكَانَ خَلِيقًا بِهِمْ أَنْ يَتَّعِظُوا، وَيَتَنَبَّهُوا وَيَتَذَبَّرُوا أَمْرَهُمْ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَ هَوْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (يَوْمَ الدِّينِ).

(أَذْرَاكَ)

(١٨) - ثُمَّ عَادَ تَعَالَى فَكَّرَ تَنْبِيْهُهُ لِلنَّاسِ إِلَى هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا^(١).

(يَوْمَئِذٍ)

(١٩) - ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُ يَوْمٌ لَا تَسْتَطِيعُ فِيهِ نَفْسٌ أَنْ تَنْفَعُ نَفْسًا، وَلَا أَنْ تَدْفَعَ عَنْهَا، فَكُلُّ أَمْرٍ مَشْغُولٌ بِمَا هُوَ فِيهِ، وَقَدْ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْأَمْرِ كُلِّهِ، فَإِلَيْهِ تَصْرِيفُ الْأُمُورِ فِيهِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبُ.

﴿١٦﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ

﴿١٧﴾ وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ

﴿١٨﴾ ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ

﴿١٩﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا

وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ

(١٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا هَاسِتٌ وَثَلَامٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ

(١) - الْمُطَفِّفُونَ هُمُ الَّذِينَ يَبَخْسُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إمَّا بِالزَّيَادَةِ إِذَا أَقْتَصَوْا مِنَ النَّاسِ، وَإِمَّا بِالنَّقْصَانِ إِذَا فَضَوْهُمْ، وَسُمِّيَ عَمَلُهُمْ تَطْفِيفًا لِأَنَّهُمَا يَبَخْسُونَهُ النَّاسَ شَيْءٌ حَقِيرٌ طَفِيفٌ. وَيَقُولُ أَبُو عَبَّاسٍ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَ الْمَدِينَةَ وَجَدَهُمْ أَتَحَبَّتِ النَّاسُ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ فَحَسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ وَتَهَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِالْهَلَاكِ وَالْخِزْيِ مَنْ يُطَفِّفُ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ.

وَيْلٌ - هَلَاكٌ وَخِزْيٌ وَعَذَابٌ.

الْمُطَفِّفُونَ - الَّذِينَ يَبَخْسُونَ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ.

(٢) - وَفَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالَّتِي تَلِيهَا، الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ بِالْمُطَفِّفِينَ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ إِذَا كَانَ الْمَالُ لِلنَّاسِ، وَأَرَادُوا أَنْ يَكِيلُوا مِنْهُ لَا أَنْفُسَهُمْ زَادُوا فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَاسْتَوْفَوْا أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ. أَكْتَالُوا - اشْتَرَوْا بِالْكَيْلِ.

يَسْتَوْفُونَ - يَأْخُذُونَ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ.

(٣) - وَإِذَا كَانَ الْمَالُ لَهُمْ وَأَرَادُوا أَنْ يَكِيلُوا مِنْهُ لِلنَّاسِ أَوْ يَزِنُوا لَهُمْ، أَنْقَصُوا مِنْهُ، وَأَعْطَوْهُمْ أَقْلَ مِنْ حَقِّهِمْ. كَالَوْهُمْ - أَعْطَوْا غَيْرَهُمْ بِالْكَيْلِ. يُخْسِرُونَ - يُنْقِصُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ.

(أُولَئِكَ)

(٤) - أَيْظُنُّ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ لَنْ يُبْعَثُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُحَاسَبُوا أَمَامَ اللَّهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ؟ فَهَذِهِ الْأَفْعَالُ الْمُتَكَرِّرَةُ لَا تَصْدُرُ عَنْ مَنْ يَعْتَقِدُ بِوُجُودِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَجْمَعُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

﴿٢﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ

يَسْتَوْفُونَ

﴿٣﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ

﴿٤﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ

(٥) - أَيُّ أَلَا يَعْتَقِدُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ سَيُعْتَوْنَ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ الْهَوْلِ - هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ - لِيَحَاسِبُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ؟ ..

(الْعَالَمِينَ)

(٦) - وَفِي هَذَا الْيَوْمِ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِمْ حُفَاءَ عُرَاءَ لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَهُوَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْهَوْلِ عَلَى الْكَافِرِينَ لِمَا يَرَوْنَهُ وَيَنْتَظِرُونَهُ مِنْ عَذَابٍ.

(كِتَاب)

(٧) - كُفُّوا أَيُّهَا الْمُطْغَفُونَ، وَأَزْجِرُوا عَنِ التَّطْفِيفِ، فَإِنَّ الْفُجَارَ الْمُطْغَفِينَ سَيَحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَسَيَكُونُ مَصِيرُهُمْ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ سَجِيحٍ السُّفُولِ (فِي سَجِينٍ).
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّ كِتَابَ أَعْمَالِهِمْ سَيَكُونُ فِي مَكَانٍ سَجِيحٍ دَلَالَةً عَلَى التَّحْقِيرِ وَالْإِذْلَالِ).
كِتَابُ الْفُجَارِ - مَصِيرُ الْفُجَارِ - أَوْ كِتَابُ أَعْمَالِهِمْ.
سَجِينٍ - فِي مَكَانٍ سَجِيحٍ بَعِيدِ السُّفُولِ، وَسَجِينٌ مُشْتَقٌّ مِنَ السَّجَنِ وَالضُّيْقِ وَالسُّفُولِ.

(أَفْرَاكَ)

(٨) - وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا سَجِينٌ هَذَا، لِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدٌ.

(كِتَاب)

(٩) - وَمَصِيرُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ فِي سَجِينٍ مَكْتُوبٌ مَرْقُومٌ مَقْرُوعٌ مِنْهُ، لَا يُرَادُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ.

(يَوْمِيذٍ)

(١٠) - الْوَيْلُ وَالْخِزْيُ وَشِدَّةُ الْعَذَابِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِمَنْ كَانَ يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ، وَلِمَنْ كَانَ لَا يُبَالِي بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنْ حِسَابٍ وَعِقَابٍ.

(١١) - الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

(١٢) - وَمَا يُكَذِّبُ بِهِذَا الْيَوْمِ إِلَّا الْمُعْتَدِي فِي أَعْمَالِهِ، الَّذِي يَتَجَاوَزُ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ، الْأَيْمُ فِي أَقْوَالِهِ فَهُوَ إِنْ حَدَّثَ كَذَبَ وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ.
مُعْتَدٍ - فَاجِرٌ مُتَجَاوِزُ الْحَدِّ.

٥ يَوْمٍ عَظِيمٍ

٦ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

٧ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ

٨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ

٩ كِتَابٌ مَرْقُومٌ

١٠ وَيْلَ يَوْمِيذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

١١ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ

١٢ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ

أَتَيْمٍ - كَثِيرٍ الْإِثْمِ .
(آيَاتُنَا) (أَسَاطِيرُ)

(١٣) - وَهَذَا الْمُعْتَدِي الْأَتَيْمُ هُوَ الَّذِي إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ يُتْلَى عَلَيْهِ، كَذَّبَهُ وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مُنْزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنْ أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ وَفَصَصِهِمْ، أَخَذَهَا مُحَمَّدٌ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ السَّابِقِينَ .
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - فَصَصُ الْأَوَّلِينَ وَخُرَافَاتُهُمُ الْمُدَوَّنَةُ فِي كُتُبِهِمْ .

(١٤) - وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا مِنْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ مِنْ أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللَّهِ إِلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَكِنَّ الَّذِي حَجَبَ عَنْ قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ هُوَ مَا عَلَا قُلُوبَهُمْ وَغَطَّاهَا مِنْ تَرَائِكُمُ الذُّنُوبِ، وَتَوَالِي الْإِقْدَامِ عَلَى مُنْكَرِ الْأَعْمَالِ، حَتَّى اعْتَادَوْهَا، وَصَارَتْ سَبَبًا لَهُمْ لِحُصُولِ الرَّئِنِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَالتَّيَاسِ الْأُمُورِ عَلَيْهِمْ .
(أَيُّ إِنَّ قُلُوبَهُمْ عَمِيَتْ مِنَ الذُّنُوبِ وَمَاتَ فِيهَا الْإِحْسَاسُ)
كَلَّا - رَدَعٌ وَزَجْرٌ عَنْ قَوْلِهِمُ الْبَاطِلَ .
رَانَ - غَلَبَ وَغَطَّى، وَغَلَفَ وَأَعْمَى .

(يَوْمَئِذٍ)

(١٥) - يَزْجُرُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْقُرْآنَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، فَهُمْ سَيُطْرَدُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَسَيُحْجَبُونَ عَنْ رُؤْيَيْهِ .

(١٦) - وَبَعْدَ أَنْ يُحْجَبُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ، يُقَذَّفُ بِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَصْلُونَ سَعِيرَهَا، وَيُقَاسُونَ حَرَّهَا .

(١٧) - وَيُقَالُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ هُوَ جَزَاءُ لَكُمْ عَلَى تَكْذِيبِكُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ .

(كِتَابٍ)

(١٨) - وَإِنَّ مَصِيرَ الْأَبْرَارِ سَيَكُونُ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (عَلِيَيْنَ - أَيُّ مَكَانٍ عَالٍ) .
(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ كِتَابَ أَعْمَالِ الْأَبْرَارِ مُودَعٌ فِي أَعْلَى الْأُمْكِنَةِ، بِحَيْثُ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَشْرِيفًا لَهُمْ، وَتَعْظِيمًا لِسَانِهِمْ) .

(وَالرَّايَانُ يَتَّفِقَانِ عَلَى أَنَّ الْأَبْرَارَ مُكْرَمُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .
كِتَابُ الْأَبْرَارِ - مَصِيرُهُمْ أَوْ صَحِيفَةُ أَعْمَالِهِمْ .

١٣ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ إِتْنَانَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ

سَكَنَةُ
لَطِيفَةٍ
عَلَى الْأَلَامِ

١٤ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

١٥ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ

١٦ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ

١٧ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ

١٨ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ

﴿١٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ

(أَدْرَاكَ)

(١٩) - وَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بَيَانَ عَظَمَةِ شَأْنِ عِلِّيِّينَ فَقَالَ: وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عِلِّيُّونَ هَذَا لِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ.

﴿٢٠﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ

(كِتَابٌ)

(٢٠) - وَمَصِيرُ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ فِي عِلِّيِّينَ مَكْتُوبٌ مَرْقُومٌ.

﴿٢١﴾ يَشْهَدُهُ الْمَقْرُونُونَ

(٢١) - وَيَشْهَدُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا.

﴿٢٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ

(٢٢) - وَيَكُونُ الْأَبْرَارُ الَّذِينَ يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِهِ فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ مُقِيمٍ، وَجَنَّاتٍ فِيهَا فَضْلٌ عَظِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿٢٣﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ

(الْأَرَائِكِ)

(٢٣) - وَهُمْ عَلَى الْأَسِرَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ الَّذِي لَا يُوصَفُ (وَقِيلَ بَلْ إِنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ).
الْأَرَائِكِ - الْأَسِرَّةُ.

﴿٢٤﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ

(٢٤) - وَإِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ إِلَى وُجُوهِهِمْ أَدْرَكَ أَنَّهُمْ أَهْلُ رَفْعٍ وَنَعِيمٍ لِمَا يَرَى فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ الْأَطْمِئْنَانِ وَالنَّضْرَةِ.
نَضْرَةُ النَّعِيمِ - بَهْجَتُهُ وَرَوْقَتُهُ.

﴿٢٥﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ

(٢٥) - يُسْقَوْنَ مِنْ خَمَرِ الْجَنَّةِ فِي أَوَانٍ مَخْتُومَةٍ، يَكُفُّ خَتَمُهَا الْأَبْرَارُ الرَّحِيقُ - مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ الْجَيِّدَةِ.

(الْمُتَنَافِسُونَ)

﴿٢٦﴾ خَتَمَهُمْ مَسْكِ وَفِي ذَلِكَ

(٢٦) - وَقَدْ خُتِمَتْ أَوَانِيهَا بِخِتَامٍ مِنْ مَسْكِ تَكْرِيمًا لِهَذِهِ الْخَمْرِ، وَصَوْنًا لَهَا عَنِ الْإِثْدَالِ (وَأَهْلُ الْأَرْضِ كَانُوا يَخْتُمُونَ أَوَانِي الْخَمْرِ بِطِينٍ). وَلِلْوُصُولِ إِلَى هَذَا النَّعِيمِ فَعَلَى النَّاسِ أَنْ يَتَسَابَقُوا وَيَتَنَافَسُوا فِي التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ، وَالْفَوْزِ بِمَرْضَاتِهِ، وَالْعَمَلِ بِأَوَامِرِهِ.

فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ

﴿٢٧﴾ وَمِنْ رِجَاهُ مِنْ تَسْنِيمٍ

(٢٧) - وَيَمِزُجُ هَذَا الرَّحِيقُ الْمَخْتُمُ بِالْمَسْكِ لِهَؤُلَاءِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ بِمَاءٍ يَأْتِي مِنْ عَيْنٍ تَسْنِيمٍ فِي أَعَالِي الْجَنَّةِ.
(وَقِيلَ إِنَّ تَسْنِيمَ هُوَ شَرَابٌ مِنْ أَشْرَفِ شُرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ).

﴿٢٨﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمَقْرُونُونَ

(٢٨) - وَوَصَفَ تَعَالَى تَسْنِيمَ هَذِهِ فَقَالَ: إِنَّهَا عَيْنٌ يَشْرَبُ مِنْهَا الْأَبْرَارُ الْمَقْرُونُونَ الرَّحِيقُ مَمْزُوجًا إِذَا شَاؤُوا.
(وَقَدْ نَصَّبَ عَيْنًا عَلَى الْمَذْحِ وَكَانَهُ يَقُولُ أَمْلَحُ عَيْنًا).

(آمَنُوا)

(٢٩) - إِنَّ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يُعَانُونَ سُوءَ الْعَذَابِ، فِي الْآخِرَةِ، كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَسْخَرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، حِينَمَا كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا.

(٣٠) - وَكَانُوا إِذَا مَرُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ وَيَتَغَامَزُونَ عَلَيْهِم بِالْعُيُونِ، اسْتَهْزَاءً بِهِمْ.

(٣١) - وَإِذَا رَجَعُوا إِلَى جَمَاعَتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ وَالضَّلَالِ، رَجَعُوا مُعْجِبِينَ بَأَنْفُسِهِمْ لِمَا فَعَلُوهُ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنَ السُّخْرِيَةِ وَالْإِذَاءِ. فَكِهِينَ - مُعْجِبِينَ، أَوْ مُسْرُورِينَ رَاضِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ.

(٣٢) - وَإِذَا رَأَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: إِنَّهُمْ ضَالُّونَ إِذْ بَدَّلُوا دِينَهُمْ، وَتَرَكُوا مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ، وَاتَّبَعُوا مُحَمَّدًا وَدِينَهُ.

(حَافِظِينَ)

(٣٣) - وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ لَمْ يُرْسِلْ الْكُفَّارَ رُقَبَاءَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَعْهَدْ إِلَيْهِمْ بِمُحَاسِنَتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَلَا يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يَحْيُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْمَالَهُمْ.

(آمَنُوا)

(٣٤) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُكْرَمُ فِيهِ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيُخْزَى الْكَافِرِينَ الْمُجْرِمِينَ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الَّذِينَ يَضْحَكُونَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْخِزْيِ وَالذُّلِّ وَالْعَذَابِ.

(الْأَرَائِكِ)

(٣٥) - وَيَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُكْرَمُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَالِسِينَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ.

(٣٦) - لَيْسَ إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ قَدْ لَقُوا الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى كُفْرِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الْمُجْرِمَةِ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. التَّوْبِ وَالْإِنَابَةِ - الْمَجَازَاةُ.

﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ

﴿٣٠﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ

﴿٣١﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا

فَكِهِينَ

﴿٣٢﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ

لَضَالُّونَ

﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ

﴿٣٤﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ

يَضْحَكُونَ

﴿٣٥﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ

﴿٣٦﴾ هَلْ تَنْبُو الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

(٨٤) سُورَةُ الْاِنْشِقَافِ مَكِّيَّةٌ وَاَيَاتُهَا خَمْسٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - جِئْنَا بِجِئِ قِيَامِ السَّاعَةِ تَحْدُثُ أَخْدَاتُ عَجِيْبَةٍ فِي الْكُوْنِ،
وَيُضْطَرُّ نِظَامُهُ، وَتَنْشَقُّ السَّمَاءُ، وَتَنْصَدَعُ.
اَنْشَقَّتْ - اَنْصَدَعَتْ.

(٢) - وَاسْتَمَعْتَ السَّمَاءَ لِأَمْرِ رَبِّهَا، وَأَطَاعَتْهُ فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ مِنَ الْاِنْشِقَاقِ
(أَذْنَتْ)، وَحَقُّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ أَمْرَ رَبِّهَا، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ عَظَمَتَهُ وَجَلَالَهُ،
وَتَعْلَمُ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُمَانَعُ وَلَا يُغَالَبُ.
أَذْنَتْ - اسْتَمَعَتْ وَأَنْقَادَتْ.
حُقَّتْ - مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهَا الْاِتْقِيَاءُ لِأَمْرِهِ.

(٣) - وَتَضْطَرُّ الْأَرْضُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَهُولِ، وَتَنْدُكُ جِبَالُهَا،
وَتَنْبَسِطُ فَتُضْبِعُ الْأَرْضَ كَالْفِرَاشِ، وَتَمْتَدُّ كَمَا يَمْتَدُّ الْجِلْدُ الْمَدْبُوعُ
(كَمَا قَالَه أَبُو عَبَّاسٍ).
مُدَّتْ - بَسِطَتْ وَسَوَّيَتْ.

(٤) - وَتَقْذِفُ الْأَرْضُ مَا فِي جَوْفِهَا مِنْ أَمْوَاتٍ وَمَعَادِنٍ وَسَائِلٍ مُنْصَهَرٍ،
وَتَخْلِي عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ.
أَلْقَتْ مَا فِيهَا - لَفَظَتْ مَا فِي جَوْفِهَا.

(٥) - وَهِيَ إِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ رَبِّهَا الْعَظِيمِ، وَحَقِيقٌ عَلَيْهَا
أَنْ تَسْتَجِيبَ لِأَمْرِهِ، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ عَظَمَةَ جَلَالِهِ، وَتُدْرِكُ أَنَّهَا فِي قَبْضَةِ
الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

(الْإِنْسَانُ) (فَمَلَأْنَاهُ) (يَا أَيُّهَا)

(٦) - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ عَامِلٌ فِي حَيَاتِكَ، وَمُجَدِّ فِي عَمَلِكَ، إِلَى أَنْ
تَنْتَهِيَ حَيَاتُكَ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ فِي عَمَلِكَ هِيَ خُطْوَةٌ فِي أَجَلِكَ، وَالْمَوْتُ

١ إِذَا السَّمَاءُ اَنْشَقَّتْ



٢ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ

٣ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ

٤ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ

٥ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ

٦ يٰٓأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ

رَبِّكَ كَدًا فَمَلَأْنَاهُ

يُكْثِفُ غَطَاءَ الْغَفْلَةِ عَنِ الرُّوحِ ، وَيَجْلُو لَهَا وَجْهَ الْحَقِّ ، فَتَعْرِفُ مِنَ اللَّهِ مَا كَانَتْ تُنْكِرُهُ ، وَيَوْمَ الْحَشْرِ يَجِدُ كُلُّ إِنْسَانٍ صَحِيفَةً عَمَلِهِ حَاضِرَةً ، وَقَدْ حَوَتْ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا ، وَيُجَازِيهِ اللَّهُ وَفَقَهَا .
كَادِحٌ - جَاهِدٌ فِي عَمَلِكَ لِرَبِّكَ .
فَمُلَاقِيهِ - وَسُتَلَاقِي جَزَاءِ عَمَلِكَ .

(كِتَابُهُ)

(٧) - فَأَمَّا مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ سِجْلُ عَمَلِهِ فَتَنَّاوَلَهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى .

(٨) - فَإِنَّهُ يُحَاسِبُ أَيْسَرَ حِسَابٍ ، إِذْ يُبَيِّنُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ ، وَيَتَجَاوَزُ الرَّحْمَنُ عَمَّا كَانَ مِنْهُ مِنْ هَفَوَاتٍ .

(٩) - وَمَنْ حُسِبَ هَذَا الْحِسَابَ الْيَسِيرَ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَسْرُورًا مُبْتَهَجًا قَائِلًا : (هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ) ^(١) .

(كِتَابُهُ)

(١٠) - وَأَمَّا الَّذِي أَرْتَكَبَ الْمَعَاصِي ، وَاجْتَرَحَ السَّيِّئَاتِ ، فَيُؤْتَى كِتَابَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ تَحْقِيرًا لَهُ ، وَيَتَنَاوَلُهُ بِشِمَالِهِ .

(يَدْعُو)

(١١) - فَيَذَرُكَ أَنَّهُ هَالِكٌ فَيَدْعُو هَلَاكًا وَخَسَارًا وَيَقُولُ : وَابْشُرَاهُ .
بُورًا - هَلَاكًا وَخَسَارًا .

(١٢) - وَيُقَذَّفُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ لِيُصْلَى سَعِيرَهَا يُصْلَى - يُقَاسِي حَرَّ جَهَنَّمَ أَوْ يَدْخُلُهَا .

(١٣) - فَقَدْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَطْرًا لَا يُفَكِّرُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ ، وَيُقَدِّمُ عَلَى الْمَعَاصِي وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ لَذَائِهَا لَنْ تَغْفِيَهَا حَسْرَةً ، وَلَنْ تُؤَدِّي بِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ ، وَلِذَلِكَ يُبَذِّلُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّعِيمِ الرَّائِلِ الَّذِي كَانَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا ، بِالْعَذَابِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ .

(١٤) - فَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْعَثَ الْخَلَائِقَ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ .
لَنْ يَحُورَ - لَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ .

﴿٧﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ

﴿٨﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا

﴿٩﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا

﴿١٠﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ

﴿١١﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا

﴿١٢﴾ وَيُصْلَى سَعِيرًا

﴿١٣﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا

﴿١٤﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَنْ يَحُورَ

﴿١٥﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا

﴿١٦﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ

﴿١٧﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ

﴿١٨﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ

﴿١٩﴾ لَتَرْكَبَنَّ ظَبَاقًا عَن طَبَقِ

﴿٢٠﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿٢١﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ

﴿٢٢﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ

(١٥) - بَلَى إِنَّهُ سَيَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَاسِبَهُ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِ، إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ مُطَّلِعًا عَلَى جَمِيعِ مَا عَمِلَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(١٦) - يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرَهَا عَلَى إثْبَاتِ مَا سَيَذْكُرُهُ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ ظَاهِرٌ لَا يَحْتَاجُ ثُبُوتَهُ إِلَى حَلْفٍ. (وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ أَقْسِمُ قَسَمًا مُؤَكَّدًا بِحُمْرَةِ الْأَفَقِ بَعْدَ الْغُرُوبِ أَوْ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ). [وَلَا لِتَوْكِيدِ الْقَسَمِ]. وَقِيلَ إِنَّهَا صِلَةٌ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لَيْلًا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ). الشَّفَقُ - الْحُمْرَةُ فِي السَّمَاءِ بَعْدَ الْغُرُوبِ أَوْ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ.

(اللَّيْلِ)

(١٧) - ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُقْسِمَ بِاللَّيْلِ وَمَا جَمَعَ، وَمَا لَفَّ فِي ظُلْمَتِهِ مِنَ الْخَلَائِقِ، لَوْضُوحِ الْمَوْضُوعِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ. (وَقِيلَ وَمَا وَسَقَ تَعْنِي وَمَا سَاقَ مِنْ ظُلْمَةٍ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِالضِّيَاءِ وَالظَّلَامِ).

وَسَقَ - ضَمَّ وَجَمَعَ - أَوْ مَا سَاقَ مِنْ ظُلْمَةٍ. (١٨) - وَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيدُ أَنْ يُقْسِمَ بِالْقَمَرِ إِذَا اجْتَمَعَ نُورُهُ، وَتَكَامَلَ وَأَصْبَحَ بَدْرًا.

(١٩) - لَتَتَلَاقَنَّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَأُمُورًا بَعْدَ أُمُورٍ، إِلَى أَنْ تَصِيرُوا إِلَى رَبِّكُمْ، وَهُنَاكَ الْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ أَوْ فِي النَّارِ (وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ).

(أَيَّ لَتَتَلَاقَنَّ مِنْ طَوْرِ مَنْ أَطَوَّرَ حَيَاتِكُمْ إِلَى طَوْرِ آخَرٍ مُنْذُ أَنْ كُنْتُمْ نُطْفَةً حَتَّى يُدْرِكَكُمْ الْمَوْتُ).

لَتَرْكَبَنَّ - لَتَتَلَاقَنَّ. طَبَقًا - أَحْوَالًا مُتَطَابِقَةً - أَوْ حَالًا بَعْدَ حَالٍ.

(٢٠) - فَمَا الَّذِي يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؟ وَلِمَاذَا يَجْحَدُونَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ، وَيَتَكَبَّرُونَ صَحَّةَ الْبَعْثِ. وَكُلُّ شَيْءٍ أَمَامَهُمْ يَذُلُّ عَلَى بَاهِرِ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ؟.

(الْقُرْآنُ)

(٢١) - وَمَا لَهُمْ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ إِعْظَامًا لِلَّهِ وَإِكْرَامًا؟.

(٢٢) - إِنَّ كُلَّ الدَّلَائِلِ تُوجِبُ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ لِكُنْهَمُ قَوْمٌ مُعَانِدُونَ مُكَابِرُونَ، يُصِرُّونَ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

(٢٣) - وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُضْمِرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَحْمِلُهُمْ عَلَى الْإِصْرَارِ عَلَى الشُّرْكِ، وَالِاسْتِمْرَارِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ. يُؤْغَوْنَ - يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ، أَوْ يَجْمَعُونَ مِنَ السَّيِّئَاتِ. وَأَوْعَى - جَمَعَ فِي وَعَاءٍ.

(٢٤) - وَجَزَاءُ الْإِصْرَارِ عَلَى التَّكْذِيبِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ بَشَّرَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَسْتَهْزَأَ بِهِمْ لِأَنَّ الْبُشْرَى تَكُونُ فِي الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ السَّارَةِ عَادَةً.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٢٥) - لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَاءٌ حَسَنٌ، لَا يَنْقُطِعُ مَدَدُهُ، وَلَا يَنْصُبُ مَعِينُهُ. غَيْرُ مَمْنُونٍ - غَيْرُ مُنْقَطِعٍ عَنْهُمْ.

﴿٢٣﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُؤْعُونَ

﴿٢٤﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

﴿٢٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ

(١٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثِنثَانِ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ

٢ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ

٣ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودِ

٤ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ

(١) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَبُرُوجِهَا .

(وَالْبُرُوجُ هِيَ مَنَازِلُ الشَّمْسِ ، وَقِيلَ إِنَّ الْبُرُوجَ هِيَ النُّجُومُ الْعِظَامُ) .

(٢) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُوَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ لِلْفَصْلِ وَالْجَزَاءِ .

(٣) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فِي هَذَا الْكَوْنِ مِمَّا يَشْهَدُهُ النَّاسُ وَيَرَوْنَهُ

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى بِالشَّاهِدِ هُوَ مَنْ يَشْهَدُ عَلَى غَيْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالْمَشْهُودُ هُوَ مَنْ يَشْهَدُ غَيْرُهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ) .

(أَصْحَابُ)

(٤) - لَعَنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، وَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى (وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ) .

(وَالْأُخْدُودُ حُفْرَةٌ فِي الْأَرْضِ . وَأَصْحَابُ الْأُخْدُودِ هُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ يَهُودِ الْيَمَنِ عَمَدُوا إِلَى مَنْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِدِينِ الْمَسِيحِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَآكَرَهُوهُمْ عَلَى الْإِزْدَادِ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَفَرُوا حُفْرَةً فِي الْأَرْضِ (أُخْدُودًا) أَضْرَمُوا فِيهَا نَارًا عَظِيمَةً ، وَوَقَفُوا بِالْمُؤْمِنِينَ عَلَى النَّارِ ، فَمَنْ قَبِلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْإِزْدَادَ عَنْ دِينِهِ أَطْلَقُوهُ ، وَمَنْ رَفَضَ الْقُوَّةَ فِي النَّارِ . فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَامُوا بِهَذَا الْعَمَلِ الْمُنْكَرِ) .

قُتِلَ - لَعِنَ .

الأُخْدُودِ - الشَّقُّ الْعَظِيمُ فِي الْأَرْضِ .

(٥) - وَأَصْحَابُ الْأُخْدُودِ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّتِي فِيهَا مِنَ الْحَطَبِ الْكَثِيرِ مَا يَشْتَدُّ بِهِ لَهَبُهَا .

٥ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ

(٦) - وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ قَاعِدِينَ حَوْلَ النَّارِ، يُشْرِفُونَ عَلَى تَعَذِيبِ الْمُؤْمِنِينَ.

(٧) - وَكَانَ الطُّغَاةُ الَّذِينَ أَمَرُوا بِإِحْرَاقِ الْمُؤْمِنِينَ يُشَاهِدُونَ مَا يَفْعَلُهُ أَتْبَاعُهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ.

(٨) - وَلَمْ يَكُنْ لَهُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَنْبٍ يُسَبِّبُ نِقْمَةَ الطُّغَاةِ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ آمَنُوا بِرَبِّهِمُ الْعَزِيزِ، الَّذِي يُخْشَى عِقَابُهُ، الْمُنْعِمِ، الَّذِي يُرْجَى ثَوَابُهُ.

مَا تَقْمُوا - مَا أَنْكَرُوا، أَوْ مَا كَرِهُوا.

(السَّمَاوَاتِ)

(٩) - وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِزَّةِ وَالْحَمْدِ لِأَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا مَهْرَبَ لَهُؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ مِنْهُ، وَهُوَ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ خَلْقِهِ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.

(الْمُؤْمِنَاتِ)

(١٠) - إِنَّ الَّذِينَ حَاوَلُوا فِتْنَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ عَنْ دِينِهِمْ، وَعَذَّبُوهُمْ لِيُجْبِرُوهُمْ عَلَى الْإِزْدَادِ عَنِ الْإِيمَانِ، وَأَصْرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَالطُّغْيَانِ، وَلَمْ يَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ حَتَّى أَدْرَكَهُمُ الْمَوْتُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ جَزَاءَ لَهُمْ. فَتَنُوا - عَذَّبُوا الْمُؤْمِنِينَ لِيُجْبِرُوهُمْ عَلَى تَرْكِ دِينِهِمْ.

(الْمُؤْمِنَاتِ) (الصَّالِحَاتِ) (جَنَّاتِ) (الْأَنْهَارِ)

(١١) - إِنَّ الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِوَحْيَانِ اللَّهِ، وَقَامُوا بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ، وَأَنْتَهَوْا عَمَّا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، آتِبَاءَ مَرْضَاتِهِ وَرِضْوَانِهِ، فَأُولَئِكَ يُدْخِلُهُمُ رَبُّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ.

(١٢) - إِنَّ أَنْتِقَامَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْجَبَّارَةِ وَالطُّغَاةِ هُوَ فِي غَايَةِ الشَّدَةِ، وَفِي مُنْتَهَى الْإِيلَامِ.

بَطْشُ رَبِّكَ - أَخَذَهُ الْجَبَّارَةُ بِالْعَذَابِ.

(١٣) - وَهُوَ يَبْدِئُ الْخَلْقَ (أَيَّ يَخْلُقُهُمْ أَيْتَاءً) ثُمَّ يُعِيدُ خَلْقَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى، بَعْدَ أَنْ يَصِيرُوا تَرَابًا.

يَبْدِئُ - يَخْلُقُ خَلْقًا أَيْتَاءً.

يُعِيدُ - يَبْعَثُ الْمَوْتَى بِقُدْرَتِهِ، وَيُعِيدُ خَلْقَهُمْ.

٦ إِذْهَرَعَلَيْهَا قَعُودٌ

٧ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ
شُهُودٌ

٨ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

٩ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

١٠ إِنَّ الَّذِينَ فتنُوا الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ

١١ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْكَبِيرُ

١٢ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ

١٣ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ

(١٤) - وَهُوَ الْغَفُورُ لِمَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ فَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَهُوَ تَعَالَى كَثِيرُ الْوَدِّ وَالْمَحَبَّةِ لِمَنْ خَلَصَتْ نَفْسُهُ لِرَبِّهِ بِالْمَحَبَّةِ وَالطَّاعَةِ. الْوُدُودُ - الْمُتَوَدَّدُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ بِالْكَرَامَةِ.

(١٥) - وَهُوَ ذُو الْعَرْشِ، أَيُّ صَاحِبِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْعَالِيِّ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ. الْمَجِيدُ - الْعَظِيمُ الْجَلَالِ الْمُتَعَالِي.

(١٦) - يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ، فَإِذَا أَرَادَ هَلَاكَ الْجَاحِدِينَ، وَنَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُعْجِزْهُ ذَلِكَ. (أَتَاكَ)

(١٧) - هَلْ بَلَغَكَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ الْجُنُودِ مِنَ الْأَمْرِ الطَّاعِيَةِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ تَمَادَوْا فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، وَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ؟

(١٨) - وَهَؤُلَاءِ الْجُنُودُ هُمْ فِرْعَوْنُ، الَّذِي طَغَى وَأَدْعَى الْأُلُوهِيَّةَ، وَقَوْمُهُ، الَّذِينَ أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ فِي الْبَحْرِ. وَتَمُودُ قَوْمُ صَالِحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُمْ آيَةً عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ نَبِيِّهِمْ، فَذَمَّرَ اللَّهُ بِلَادَهُمْ وَأَهْلَكَهُمْ، وَلَمْ يَتْرَكْ لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَاقِيَةٍ.

(١٩) - بَلِ الْكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِكَ أَشَدَّ فِي تَكْذِيبِهِمْ لَكَ مِنْ تَكْذِيبِ بَلْكَ الْأَقْوَامِ لِرُسُلِهِمْ.

(وَرَأَيْهِمْ)

(٢٠) - وَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَتَحْتِ قَهْرِهِ، لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْهُ.

(قُرْآنُ)

(٢١) - وَهَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ، وَكَذَّبُوا بِهِ، هُوَ كِتَابٌ عَظِيمٌ مَجِيدٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ وَصَانَهُ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالْتَحْرِيفِ.

(٢٢) - وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَحْفُوظًا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ، فَهُوَ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ.

١٤ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ

١٥ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ

١٦ فَعَالٌ لِمَا يَرِيدُ

١٧ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ

١٨ فِرْعَوْنُ وَتَمُودُ

١٩ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ

٢٠ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ

٢١ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ

٢٢ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ وَلَايَاهَا سِتْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

① وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ

② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ

③ النَّجْمِ الثَّاقِبِ

④ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ

⑤ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ

(١) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَتُجُومِهَا الثَّاقِبَةِ الصَّوِّ، الَّتِي تَظْهَرُ لَيْلًا.
(الطَّارِقُ هُوَ الَّذِي يَطْرُقُ الْبَابَ لَيْلًا، وَسُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا لِأَنَّهُ يَظْهَرُ فِي
اللَّيْلِ).

(أَدْرَاكَ)

(٢) - وَأَيُّ شَيْءٍ يُعْلِمُكَ حَقِيقَةَ هَذَا الطَّارِقِ، فَهُوَ لَيْسَ بِمَا تُمَكِّنُ
الْإِحَاطَةَ بِهِ.

(٣) - ثُمَّ قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَعْنَى هَذَا الطَّارِقِ الَّذِي أَقْسَمَ بِهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ
النَّجْمُ الثَّاقِبُ الَّذِي تَنْقُبُ شِدَّةُ ضَوْؤِهِ وَلَمَعَانِهِ الظُّلَامَ.

(٤) - أَقْسَمَ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ، عَلَى أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ عَلَيْهَا
حَافِظٌ مِنَ اللَّهِ، يُدَبِّرُ شُؤْنَهَا فِي جَمِيعِ أَطْوَارِ حَيَاتِهَا، وَهَذَا الْحَافِظُ
الْمُدَبِّرُ هُوَ رَبُّهَا، خَالِقُهَا وَمُصَرِّفُ أُمُورِهَا فِي مَعَاشِهَا وَحَيَاتِهَا وَمَعَادِهَا.

(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْمَقْصُودَ بِالْحَافِظِ هُنَا الْمَلَكُ الْمُكَلَّفُ بِحِفْظِ الْإِنْسَانِ
وَمُرَاقَبَتِهِ كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَهُ مُعَقِّبٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١)).

(الْإِنْسَانُ)

(٥) - يَلْفِتُ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ الْإِنْسَانِ إِلَى مَبْدَأِ خَلْقِهِ لِيَتَضَحَّ لَهُ قُدْرَةُ خَالِقِهِ
وَوَاهِبِهِ الْحَيَاةِ وَالرِّزْقِ، لِيَعْرِفَ فَضْلَهُ وَمِنَّةَ عَلَيْهِ، فَلَا يَكْفُرُ بِرَبِّهِ، وَلَا
يُنْكِرُ الْبَعْثَ وَالْمَعَادَ، لِأَنَّ مَنْ خَلَقَهُ مِنَ التُّفْطَةِ الْمِهْنَةِ، قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ
خَلْقِهِ وَإِنْشَائِهِ، وَلِيَعْرِفَ الْإِنْسَانُ ضَعْفَهُ وَتَفَاهَةَ أَصْلِهِ فَلَا يَطْغَى وَلَا
يَتَجَبَّرُ.

﴿٦﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ

(٦) - ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ مُتَدَفِّقٍ .
دَافِقٍ - مُصْبُوبٌ يَدْفَعُ .

﴿٧﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ

(٧) - يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ وَيَسْتَقِرُّ فِي رَجْمِ الْأُنْثَى .
(وَالصُّلْبُ أَسْفَلُ الظَّهْرِ ، وَالتَّرَائِبُ هِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ) .
(وَقَالَ الْأُسْتَاذُ الْمَرَاغِي فِي تَفْسِيرِهِ : إِنَّ الْعِلْمَ الْحَدِيثَ اثْبَتَ أَنَّ الْخَصِيَّةَ
وَالْمَبِيضَ يَكُونَانِ فِي بَدْءِ تَكُونِ الْجَيْنِ مَا بَيْنَ مُنْتَصَفِ الْعُمُودِ الْفَقْرِيِّ
مُقَابِلِ الصُّلُوعِ فِي بَدْءِ أَيَّامِ الْحَمْلِ) .
الصُّلْبُ - أَسْفَلُ عِظَامِ الظَّهْرِ .
التَّرَائِبُ - عِظَامُ الرِّقَبَةِ وَالصَّدْرِ .

﴿٨﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ

(٨) - وَالَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ آتِيْدَاءٍ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِ
وَرَدِّهِ حَيًّا بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ وَيَبْلَى .
رَجْعِهِ - إِعَادَةُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ فَنَائِهِ .

﴿٩﴾ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ

(السَّرَائِرُ)
(٩) - وَهُوَ تَعَالَى الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُعِيدَ الْإِنْسَانَ حَيًّا فِي يَوْمِ الْبَعْثِ
وَالنُّشُورِ الَّذِي تَتَكَشَّفُ فِيهِ السَّرَائِرُ ، وَتَتَضَحَّ الضَّمَائِرُ ، فَلَا يَبْقَى فِي
سَرِيرَةٍ سِرٌّ .
تَبْلَى السَّرَائِرُ - تُكْشَفُ مَكْنُونَاتُ الْقُلُوبِ .

﴿١٠﴾ قَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ

(١٠) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا تَكُونُ لِلْإِنْسَانِ قُوَّةٌ يُدَافِعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا
يَجِدُ لَهُ نَاصِرًا يَنْصُرُهُ مِنْ حِسَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ .

﴿١١﴾ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ

(١١) - قَسَمًا بِالسَّمَاءِ الَّتِي تُنْزِلُ الْمَطَرَ .
(وَالرَّجْعُ هُوَ إِعَادَةُ الشَّيْءِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلًا ، وَيُرَادُ بِهِ هُنَا الْمَطَرُ لِأَنَّهُ
يُعَادُ إِلَى الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ) .
(وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَطَرَ يَنْشَأُ مِمَّا يَتَصَاعَدُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ بُخَارٍ) .

﴿١٢﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ

(١٢) - وَقَسَمًا بِالْأَرْضِ الَّتِي يَنْزِلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ فَتَنْشُقُ
وَتَصْدَعُ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا النَّبَاتُ .
الصَّدْعُ - النَّبَاتُ الَّذِي تَنْشُقُ الْأَرْضُ عَنْهُ .

﴿١٣﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ

(١٣) - بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، قَالَ إِنَّ هَذَا الْقَوْلُ ،
الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ، هُوَ قَوْلُ حَقٍّ فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَقَاطِعٌ
لِلْجَدَلِ .
فَصْلٌ - فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

(١٤) - وَهُوَ قَوْلُ جَدِّ لَا هَزَلَ فِيهِ، فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ تَخْضَعَ لَهُ الرَّقَابُ، وَتَذِلَّ جَبَاهُ الْعُتَاةُ.

١٤ وَمَا هُوَ بِالْهَزَلِ

(١٥) - إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ الْمُجْرِمِينَ يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ وَيَكِيدُونَ لَهُمْ بِدَعْوَتِهِمْ إِيَّاهُمْ إِلَى مُخَالَفَةِ الْقُرْآنِ بِالْقَاءِ الشُّبُهَاتِ كَقَوْلِهِمْ: (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ).

١٥ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا

(١٦) - وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ يُقَابِلُ كَيْدَهُمْ بِكَيْدٍ يُفْسِدُهُ وَيَبْطِلُهُ، لِيُظْهِرَ الْحَقَّ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَلِيُدْفَعَ مَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلِيَعْلَمَ الْخَلْقُ بِهَذَا مَنْ يَكُونُ الْغَالِبَ أَهْوَاؤُهُ أَمْ الْعَبْدُ الْكَافِرُ؟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَالِبُ لِأَنَّ الْعَبْدَ أَوْضَعُ وَأَحْقَرُ مِنْ أَنْ يُغَالِبَ اللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَلِيمُ فِي كَيْدِهِ.

١٦ وَكَيْدُهُمْ

(الْكَافِرِينَ)

١٧ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَمَّهُلَهُمْ رُودًا

(١٧) - ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ: سِرْ فِي دَعْوَتِكَ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ بِالْعَذَابِ فَإِنَّا سَنُمِهُلَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا حَتَّى إِذَا أَخَذْنَاَهُمْ، أَخَذْنَاَهُمْ بِحَقٍّ. وَعَادَ تَعَالَى فَأَكَّدَ طَلَبَهُ مِنْ رَسُولِهِ إِمهَالَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّا سَنُمِهُلَهُمْ قَلِيلًا، وَسَتَرَى مَا سَيَجِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ. رُودًا - قَلِيلًا أَوْ قَرِيبًا.

(٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى مَكِينَةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



١ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى

٢ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى

٣ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى

٤ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى

٥ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى

٦ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى

٧ إِلَّا مَآ شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ
وَمَا يَخْفَى

(١) - نَزَّهَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الْعَظِيمِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ، فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَلَا تَذْكُرُهُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ لَهُ.

(٢) - فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْكَائِنَاتِ جَمِيعَهَا وَأَوْجَدَهَا مِنْ عَدَمٍ، وَجَعَلَهَا مُنْسَقَةً مُحْكَمَةَ الْخَلْقِ، وَسَوَّى بَيْنَهَا فِي الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ.

(٣) - الَّذِي قَدَّرَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْطَاهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ وَمَا يُمْكِنُهُ مِنْ أَدَاءِ مَهْمَّتِهِ الَّتِي خَلَقَ لَهَا، وَهَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى اسْتِعْمَالِ مَا اخْتَصَّه اللَّهُ بِهِ لِإِدَاءِ وَظِيفَتِهِ، وَالْقِيَامِ بِمَا يُصْلِحُ حَالَهُ.

(كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (١)).
قَدَّرَ - جَعَلَ الشَّيْءَ عَلَى مَقَادِيرَ مَخْصُوصَةٍ.
فَهَدَى - فَوَجَّهَ كُلَّ وَاحِدٍ وَهَدَاهُ إِلَى مَا يَنْبَغِي لَهُ.

(٤) - وَالَّذِي أَنْبَتَ النَّبَاتَ لِنَسْتَفِيدَ مِنْهُ الْمَخْلُوقَاتِ، فَمَا مِنْ نَبَاتٍ إِلَّا وَيُصْلِحُ أَنْ يَكُونَ مَرْعَى لِنَوْعٍ مِنَ الْحَيَوَانِ.

(٥) - وَبَعْدَ أَنْ يَكُونَ النَّبَاتُ أَخْضَرَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى هَشِيمًا يَابِسًا، كَالْغَنَاءِ الَّذِي يَحْمِلُهُ السَّيْلُ لَوْنُهُ ضَارِبٌ إِلَى السُّمْرَةِ أَوْ السَّوَادِ.
أَحْوَى - أَسْمَرَ أَوْ أَسْوَدَ بَعْدَ الْخُضْرَةِ.

(٦) - سَنُنَزِّلُ عَلَيْكَ قُرْآنًا تَقْرَأُهُ وَلَا تَنْسَى مِنْهُ شَيْئًا.

(وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ بِأَنَّهُ لَنْ يَنْسَى مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا).

(٧) - إِلَّا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُنْسِيكَ مِنْهُ شَيْئًا فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ تَعَالَى مَالِكٌ قَلْبِكَ وَعَقْلُكَ، وَعَالِمٌ بِسِرِّكَ وَجَهْرِكَ، فَلَا يَقُوتُهُ شَيْءٌ مِمَّا فِي نَفْسِكَ.

(٨) - وَيُوفِّقُ رَبُّكَ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْبَالِغَةِ الْيُسْرَى، وَيَشْرَعُ لَكَ شُرْعًا سَمَحًا يَسْهُلُ عَلَى النُّفُوسِ قَبُولُهُ، وَعَلَى الْعُقُولِ فَهْمُهُ.
نُيَسِّرُكَ - نُوفِّقُكَ.

(٩) - فَذَكَّرَ مَنْ تَعَقَّدَ أَنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُهُ، وَادَّعَى مَنْ تَعَقَّدَ أَنَّهُ يُجِيبُكَ وَلَا يَجْهَنُكَ وَلَا يُؤْذِيكَ، فَمِنْ شَأْنِ الذِّكْرَى أَنْ تَنْفَعُ.

(١٠) - وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِتَذْكِيرِكَ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ وَيَخَافُ عِقَابَهُ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَأَمَّلُ فِيمَا تَقُولُهُ لَهُ، وَتَذَكَّرُهُ بِهِ.

(١١) - وَيَتَّبِعُ عَنْ هَذِهِ التَّذْكِرَةِ الرَّجُلُ الشَّقِيَّ الْمُعَانِدَ، الْمُصِرَّ عَلَى الْجُحُودِ عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا.

(١٢) - وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ نَارَ جَهَنَّمَ، وَيَذُوقُ الْعَذَابَ فِيهَا.
يَصْلَى - يَدْخُلُ النَّارَ أَوْ يَقَاسِي حَرَّهَا.

(يَحْيَا)

(١٣) - وَهَذَا الشَّقِيَّ الَّذِي يُعَاقِبُهُ اللَّهُ عَلَى كُفْرِهِ وَصَلَالِهِ بِالْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ الْكُبْرَى، يَبْقَى فِي الْعَذَابِ خَالِدًا لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً فَيَسْعَدُ فِيهَا.

(١٤) - وَقَدْ أَدْرَكَ الْفَلَاحَ، وَظَفِرَ بِالْبَغْيَةِ مَنْ رَزَى نَفْسَهُ وَطَهَّرَهَا مِنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي.

أَفْلَحَ - فَازَ.

تَرَزَّى - تَطَهَّرَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

(١٥) - وَاسْتَذَكَّرَ قَلْبُهُ دَائِمًا صِفَاتِ رَبِّهِ مِنَ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ فَخَضَعَ لِعَجَبِ رُوحِهِ، وَخَشَعَ قَلْبُهُ لَهُ وَصَلَّى.

(الْحَيَاةَ)

(١٦) - إِنَّ النَّاسَ يُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَالْعَقْلُ يُرْشِدُهُمْ إِلَى أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، لِأَنَّ الْآخِرَةَ دَائِمَةٌ بَاقِيَةٌ، وَالدُّنْيَا زَائِلَةٌ فَانِيَةٌ، وَالْعَاقِلُ لَا يُؤْثِرُ الْفَانِي عَلَى الْبَاقِي.

(الْآخِرَةُ)

(١٧) - وَالْآخِرَةُ أَكْثَرُ دَوَامًا وَبَقَاءً مِنَ الدُّنْيَا.

⑧ وَيُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى

⑨ فَذَكَّرَ مَنْ تَعَقَّدَ الذِّكْرَى

⑩ سَيَذَكِّرُكَ مَنْ يَخْشَى

⑪ وَيَنْجِبُهَا الْأَشَقَى

⑫ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى

⑬ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى

⑭ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَزَّى

⑮ وَذَكَرَ أَسْمَرِيَّةَ فَصَلَّى

⑯ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

⑰ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى

(١٨) - إِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَهَذَا الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَوْامِرٍ وَتَوَاهٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ، وَشَرَعٍ . . هُوَ بِعَيْنِهِ مَا أَنْزَلَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَوَرَدَ فِي كُتُبِهِمْ.

(إِبْرَاهِيمَ)

(١٩) - وَمِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ الَّتِي حَوَتْ دِينَ اللَّهِ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. فَإِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُونَ قَدْ آمَنُوا بِإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِمَا جَاءَ فِي صُحُفِهِمَا.

١٨ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى

١٩ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

(٨٨) سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَمَانِيَّتٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْغَاشِيَةِ) (أَتَاكَ)

١ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ

(١) - يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ : هَلْ بَلَغَكَ نَبَأُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟
الْغَاشِيَةِ - اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ بِأَهْوَالِهَا وَتَعْمُهُمْ.

٢ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ

(خَاشِعَةٌ) (يَوْمَئِذٍ)

(٢) - فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ وُجُوهُ الْكَافِرِينَ الْمُجْرِمِينَ ذَلِيلَةً خَاشِعَةً،
يَعْلُوها الْخِزْيُ وَالذُّلُّ مِمَّا تَرَى مِنَ الْهَوْلِ .
خَاشِعَةٌ - ذَلِيلَةٌ خَاضِعَةٌ مِنَ الْخِزْيِ .

٣ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ

(٣) - وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ خَشَعَتْ وَجُوهُهُمْ، وَعَلَاهَا الذُّلُّ وَالْهَوَانُ،
كَانُوا فِي حَيَاتِهِم الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ وَيَجْتَهِدُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ، لَكِنَّهُمْ لَمْ
يَنْتَفِعُوا بِأَعْمَالِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَمْ تَكُنْ
أَعْمَالُهُمْ خَالِصَةً لِرُوحِ اللَّهِ .
(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى : إِنَّهُمْ دَائِبُوا الْعَمَلِ فِيمَا يُتَعَبُّهُمْ وَيُشَقِّبُهُمْ،
وَيُوصِلُهُمْ إِلَى النَّارِ) .
نَاصِبَةٌ - مُتَعَبَةٌ فِي عَمَلِهَا .

٤ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً

(آيَةٌ)

٥ شَقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ

(٥) - وَإِذَا عَطَشَ أَهْلُ النَّارِ، وَطَلَبُوا مَا يُطْفِئُ ظَمَأَهُمْ، جِئَ لَهُمْ بِمَاءٍ
مِنْ عَيْنٍ مَاءٍ بَلَغَ مِنَ الْحَرَارَةِ غَايَتَهَا، فَهُوَ لَا يُطْفِئُ ظَمَأَهُمْ .
آيَةٌ - بَلَغَتْ الْغَايَةَ فِي الْحَرَارَةِ .

٦ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ

(٦) - وَإِذَا طَلَبُوا الطَّعَامَ جِئَ لَهُمْ بِالضَّرِيعِ، وَهُوَ نَبَاتٌ كَالشُّوْكِ مُرٌّ
مُتَيْنٌ، لَا يُشْبِعُ مِنْ جُوعٍ، وَلَا يُسَمِّنُ .

٧ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ

(٧) - وَعَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الصَّرِيعَ بِأَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا فَايِدَةَ مِنْهُ، فَهُوَ لَا يُسْمِنُ، وَلَا يُغْنِي، وَلَا يُشْبِعُ مِنْ جُوعٍ .
لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ - لَا يَذْفَعُ عَنْهُمْ جُوعًا .

٨ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ

(٨) - وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَكُونُ وَجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُتَّقِينَ ذَاتَ نَضْرَةٍ وَبَهْجَةٍ .
نَاعِمَةٌ - ذَاتُ بَهْجَةٍ وَحُسْنٍ وَنَضَارَةٍ .

٩ لِسَعْيِهِنَّ رَاضِيَةٌ

(٩) - رَاضِيَةٌ بِمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَقَدْ وَجَدَتْ جَزَاءَ سَعْيِهَا عِنْدَ رَبِّهَا الْكَرِيمِ .
(١٠) - وَقَدْ أَنْزَلَهُمْ رَبُّهُمْ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ .

١٠ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

(لَاغِيَةٌ)

١١ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةٌ

(١١) - وَلَا تَسْمَعُ أَهْلُ الْجَنَّةِ كَلِمَةً لَغَوٍ لَا خَيْرَ فِيهَا .

١٢ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ

(١٢) - وَفِي الْجَنَّةِ عُيُونٌ مَاءٍ جَارِيَةٍ فِي جَنَابَتِهَا .

١٣ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ

(١٣) - وَفِيهَا أُسِرَةٌ مَرْفُوعَةٌ، إِذَا جَلَسَ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ رَأَى جَمِيعَ مَا أُعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ .
مَرْفُوعَةٌ - مَرْفُوعَةُ السَّمَكِ، أَوْ رَفِيعَةُ الْقَدْرِ .

١٤ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ

(١٤) - وَفِيهَا أَكْوَابٌ لِلْمَاءِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى حَافَاتِ عُيُونِ الْمَاءِ الْجَارِيَةِ، فَكُلُّمَا أَرَادَ أَهْلُ الْجَنَّةِ شُرْبًا، وَجَدُوهَا حَاضِرَةً .
مَوْضُوعَةٌ - عَلَى حَافَاتِ الْعُيُونِ، أَوْ مَوْضُوعَةٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ .

١٥ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ

(١٥) - وَفِيهَا وَسَائِدُ مَصْفُوفٌ بَعْضُهَا إِلَى جَانِبِ بَعْضٍ، لِيَجْلِسُوا عَلَيْهَا، وَيَسْتَنْدُوا إِلَيْهَا .
نَمَارِقُ - وَسَائِدُ وَمَرَافِقُ يَتَكَأُ عَلَيْهَا .
مَصْفُوفَةٌ - مَوْضُوعٌ بَعْضُهَا إِلَى جَانِبِ بَعْضٍ .

١٦ وَزَرَائِبُ مُبْتَوِّثَةٌ

(١٦) - وَفِيهَا بُسُطٌ مَمْدُودَةٌ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ .
زَرَائِبُ - بُسُطٌ فَاحِرَةٌ .
مُبْتَوِّثَةٌ - مُقَرَّرَةٌ فِي الْمَجَالِسِ .

١٧ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ

كَيْفَ خُلِقَتْ

(١٧) - أَيْبُكُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى بَعْثِ الْخَلْقِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَأَمَامَهُمُ الْإِبِلُ - الْجَمَالُ - وَفِي خَلْقِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا وَقُدْرَتِهِ؟ فَالْإِبِلُ مِنْ أَضْحَمِّ الْحَيَوَانَاتِ، وَأَكْثَرُهَا قُوَّةً، وَأَكْبَرُهَا أَحْتِمَالًا، تَحْتِمِلُ الْعَطَشَ وَالْجُوعَ، وَتَكْتَفِي بِالْيَسِيرِ مِنَ الْمَرْعَى وَالْمَاءِ

فَمَنْ خَلَقَهَا، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْجِبَالِ وَالْأَرْضَ.. لِقَائِهِ عَلَى إِعَادَةِ
خَلْقِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَيُعْثِبُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ.
أَفَلَا يَنْظُرُونَ - أَفَلَا يَتَأَمَّلُونَ فَيَذَرُوكُونَ.

(١٨) - وَيَتَّبِعُ اللَّهُ تَعَالَى لَفَتَ أَنْظَارَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى عَظَمَتِهِ،
وَعَظَمَةِ مَا خَلَقَ، فَلَفَتَ نَظَرَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَارْتِفَاعِهَا وَمَا فِيهَا مِنْ نُجُومٍ
وَكَوَاكِبٍ.

(١٩) - ثُمَّ لَفَتَ نَظَرَهُمْ إِلَى الْجِبَالِ وَعُلُوقِهَا الْكَبِيرِ، وَأَنْتِصَابِهَا
وَرُسُوحِهَا فِي الْأَرْضِ.

(٢٠) - ثُمَّ لَفَتَ نَظَرَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ مَهَّدَتْ وَبَسَّطَتْ (سَطَحَتْ)،
لِيَنْتَفِعَ بِهَا الْخَلْقُ. فَالْمُشْرِكُونَ يَرَوْنَ كُلَّ هَذَا الْخَلْقِ الْعَظِيمِ أَمَامَ
أَعْيُنِهِمْ، وَيَرَوْنَ بَدِيعَ صُنْعِهِ وَيَذَرُوكُونَ عَظَمَتَهُ، وَإِبْدَاعَ خَلْقِهِ، فَكَيْفَ لَا
يَتَذَبَّرُونَ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي قُدْرَةِ الْخَالِقِ وَعَظَمَتِهِ؟ وَكَيْفَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَلَا
يَخْشَوْنَ بَطْشَهُ وَعِقَابَهُ؟

(٢١) - ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ بِأَنْ يُذَكِّرَ النَّاسَ بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ، وَأَنْ يَعْظُمَهُمْ بِحُجَّتِهِ وَبِرَأْيَانِهِ، وَيُبَلِّغَهُمْ رِسَالَتَهُ، وَيَقُولَ لَهُمْ إِنَّهُ
إِنَّمَا بُعِثَ رَسُولًا مُبَلِّغًا وَمُذَكِّرًا.

(بِمُسَيِّطِرٍ)

(٢٢) - وَيَقُولُ لَهُ إِنَّهُ لَمْ يُرْسِلْهُ لِيَكُونَ مُتَسَلِّطًا مُسَيِّطِرًا عَلَيْهِمْ، وَإِنَّهُ لَا
يُسْأَلُ عَنْهُمْ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِوَعْظِهِمْ وَيُبَايِلَاغِهِمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ
أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَحِسَابُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ.

(٢٣) - فَمَنْ تَوَلَّى مِنْهُمْ وَكَفَرَ وَأَعْرَضَ عَنِ الذِّكْرِ، وَأَصْرَّ عَلَى الْكُفْرِ
وَالْجُحُودِ.

(٢٤) - فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ، الَّذِي لَا عَذَابَ
فَوْقَهُ.

(٢٥) - وَإِنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِلَى اللَّهِ رَبِّهِمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِلَيْهِ يُؤْوِبُونَ حِينَمَا
يُئْتُونَ.

إِيَابَهُمْ - رُجُوعَهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ، بَعْدَ الْمَوْتِ.

(٢٦) - وَهُوَ تَعَالَى يَتَوَلَّى حِسَابَهُمْ، وَيَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ.

١٨ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ

١٩ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ

٢٠ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ

٢١ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ

٢٢ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ

٢٣ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ

٢٤ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ

٢٥ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ

٢٦ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ

(١٩) سُورَةُ الْفَجْرِ فَكِينَةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ وَالْفَجْرِ

(١) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْفَجْرِ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَنْشَقُّ فِيهِ الضُّوءُ وَيَنْفَجِرُ النُّورُ.

(وَقِيلَ بَلْ الْمَقْصُودُ بِهَذَا الْفَجْرِ هُوَ فَجْرُ يَوْمِ النَّحْرِ لِأَنَّهُ خَاتِمَةُ اللَّيْلِ الْعَشْرِ).

٢ وَلَيَالٍ عَشْرٍ

(٢) - وَهِيَ اللَّيَالِي الْعَشْرُ الْأُولَى مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ الَّتِي يَخْتِمُهَا عِيدُ الْأَضْحَى.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي فَضْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ :

(مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

٣ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ

(٣) - قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ : الْوَتْرُ يَوْمٌ عَرَفَةٌ لِكُونِهِ الْيَوْمَ التَّاسِعَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالشَّفْعُ هُوَ يَوْمُ النَّحْرِ، لِكُونِهِ الْعَاشِرَ مِنْهُ.

(وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّهَا الزَّوْجُ وَالْفَرْدُ مِنَ اللَّيَالِي الْعَشْرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ).

٤ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ

(اللَّيْلِ)

(٤) - وَاللَّيْلِ إِذَا يَمْضِي وَيَذْهَبُ.

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ : وَاللَّيْلِ إِذَا أَقْبَلَ).

٥ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ

(٥) - مَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَلَبٍ (ذَا حِجْرٍ) يَفْطِنُ إِلَى أَنَّ الْقَسَمَ بِهِذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى بَاهِرِ الْحِكْمَةِ، وَعَجِيبِ الصَّنْعَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّةِ صَانِعِهَا. فِيهِ مَقْنَعٌ وَكَفَايَةٌ لِإِقْنَاعِكُمْ بِأَنَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَأَنْكُمْ سَتَبْعُثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَسَتُحَاسَبُونَ، وَسَتُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُ.

(وَقَدْ جَاءَ الْكَلَامُ بِصِغَةِ الاسْتِفْهَامِ لِتَأْكِيدِ الْمُقَسَمِ عَلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ لِمَنْ حَاجَكَ: هَلْ فِيمَا ذَكَرْتُ لَكَ كِفَايَةً؟).
لِلَّذِي جَنَحَ - لِذِي عَقَلَ وَلُبِّ.

(٦) - كَانَ قَوْمٌ عَادِ عُنَاةَ أَشِدَاءٍ، عِظَامَ الْخَلْقِ، وَكَانُوا خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مُكْذِبِينَ رُسُلَهُ، فَذَكَرَ تَعَالَى كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ لِيَتَعَبَّ مُشْرِكُو الْعَرَبِ، وَلَا يَغْتَرُّوا بِقُرُونِهِمْ وَمَالِهِمْ وَعَدَدِهِمْ.

(٧) - وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى كَيْفَ دَمَّرَ مَدِينَتَهُمْ (إِرَمَ) ذَاتَ الْأَعْمَدَةِ الضَّخْمَةِ. (وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِالْعَمَدِ هُوَ عَمَدُ الْخِيَامِ لِإِنَّهُمْ كَانُوا بَدَؤُا مِنْ سُكَّانِ الْخِيَامِ، وَلَكِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنْ سُكَّانِ الْخِيَامِ لَمَا كَانَتْ لَهُمْ مَدِينَةٌ ثَابِتَةً بَاقِيَةً يَذْكُرُهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ).

(الْبِلَادِ)

(٨) - الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ فِي الْبِلَادِ كُلُّهَا نَظِيرٌ لَهَا. (وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ تَمَّازُ بِأَبْنِيَّةٍ لَا مِثِيلَ لَهَا).

(٩) - أَوَّلَمْ تَعْلَمْ كَيْفَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عِقَابَهُ بِثُمُودَ، قَوْمٍ صَالِحٍ، فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا، وَثُمُودَ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ قَطَعُوا الصُّخْرَ وَنَحْتُوهُ فِي الْوَادِي، وَبَنَوْا بِهِ الْقُصُورَ وَالْأَبْنِيَّةَ الْعَظِيمَةَ. (وَتَثُمُودُ قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ مِنْ سُكَّانِ وَادِي الْقُرَى، وَتُعْرَفُ مَدِينَتُهُمْ الْيَوْمَ بِمَدَائِنِ صَالِحٍ).

جَابُوا - قَطَعُوا وَنَحْتُوا الصُّخْرَ.

(١٠) - أَوَّلَمْ تَعْلَمْ كَيْفَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عِقَابَهُ بِفِرْعَوْنَ ذِي الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ الَّتِي شَادَهَا هُوَ وَمَنْ قَبْلَهُ كَالْأَهْرَامَاتِ وَالْمِسَلَّاتِ. (وَلَقَدْ الْأُسْتَاذُ الْمَرَاغِي فِي تَفْسِيرِهِ النَّظَرَ إِلَى أَنَّ شَكْلَ الْمِسَلَّاتِ الَّتِي بَنَاهَا الْفِرَاعِيَّةُ فِي بَصْرَ يُشَبِّهُ شَكْلَ الْوَتِدِ الْمَقْلُوبِ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ الْخِيَامُ).

(وَقِيلَ إِنَّ فِرْعَوْنَ سُمِّيَ بِذِي الْأَوْتَادِ لِأَنَّهُ ضَرَبَ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي الْأَرْضِ وَشَدَّ إِلَيْهَا أَطْرَافَ زَوْجَةِ لَهُ حَتَّى هَلَكَتْ).

(الْبِلَادِ)

(١١) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ مِنْ عَادٍ وَثُمُودَ وَفِرْعَوْنَ. قَدْ اسْتَعْمَلُوا سُلْطَانَهُمْ وَقُوَّتَهُمْ فِي الطُّغْيَانِ، وَالتَّجَاوَزَ عَلَى حُقُوقِ الْبِعَادِ.

﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ

﴿٧﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْأَعْمَادِ

﴿٨﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ

﴿٩﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصُّخْرَ بِالْوَادِ

﴿١٠﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ

﴿١١﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ

﴿١٢﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ

﴿١٣﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ

﴿١٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ مُرْصِدٌ

﴿١٥﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ

فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ
رَبِّيَ أَكْرَمَنِ

﴿١٦﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ

رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهَنَنِ

﴿١٧﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ

﴿١٨﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ

الْيَتِيمِينَ

﴿١٢﴾ - فَاتَّشَرَ الْفَسَادُ وَعَمَّ الْبِلَادَ، وَضَجَّ النَّاسُ بِالشُّكْوَى مِنَ الظُّلْمِ.

﴿١٣﴾ - فَصَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْوَنَاءَ مُلْهِبَةً مِنَ الْعَذَابِ وَالْبَلَاءِ عِقَابًا لَهُمْ عَلَى مَا أَجْرُمُوا.

السَّوْطُ - هُوَ الْمِقْرَعَةُ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي الضَّرْبِ.

﴿١٤﴾ - وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ الطُّغَاةُ، وَهُوَ يَرُصِّدُ تَصَرُّفَاتِهِمْ وَيُرَاقِبُهَا، وَلَا يَقُوتُهُ شَيْءٌ مِنْهَا، فَأَخَذَ هَؤُلَاءِ الْعَنَاءَ الطُّغَاةَ الْكَافِرِينَ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ.

(الْإِنْسَانُ) (ابْتِلَاءُ)

﴿١٥﴾ - فَإِذَا وَسَّعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الرِّزْقِ وَالْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْقُوَّةِ، لِيُخْتَبِرَهُ، اعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ إِكْرَامِ اللَّهِ لَهُ، فَيَقُولُ: رَبِّ فَضَّلَنِي لَا سَبْتَخَاقِي ذَلِكَ. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ ابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ.

(أَهَانِي) (ابْتِلَاءُ)

﴿١٦﴾ وَإِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ أَنَّ رِزْقَهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا يَقْدِرُ ظَنُّ ذَلِكَ إِهَانَةً لَهُ مِنَ اللَّهِ، وَإِذْ لَا لِنَفْسِهِ فَيَقُولُ: رَبِّ أَهَانَنِي. وَالْإِنْسَانُ فِي الْحَالَيْنِ مُخْطِئٌ فِي ظَنِّهِ وَفِي قَوْلِهِ، فَيَسْبِغُ النِّعْمَةَ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْإِنْسَانِ لَا يَذُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لَهَا، وَلَوْ ذُلُّ عَلَى هَذَا لَمَّا رَأَيْتَ عَاصِيًا مُوسِعًا عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ.

ابْتِلَاءُ - اِمْتَحَنَهُ وَاخْتَبَرَهُ.

قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ - قَتَرَهُ وَصَيَّفَهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْطِطْ لَهُ.

﴿١٧﴾ - وَيَرُدُّ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ زَاجِرًا وَرَادِعًا (كَلًّا) قَائِلًا: إِنَّهُ لَمْ يَبْتَلِ الْغَنَى بِالْغِنَى لِكِرَامَتِهِ عِنْدَهُ، وَلَمْ يَبْتَلِ الْفَقِيرَ بِالْفَقْرِ لِهَوَانِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يُوسِعُ عَلَى الْغَنَى لِيُخْتَبِرَهُ أَيْشُكْرُ أَمْ يَكْفُرُ؟ وَقَدْ يُضَيِّقُ عَلَى الْفَقِيرِ لِيُخْتَبِرَهُ أَيْضِبُرُ أَمْ يَضْجُرُ، فَمَدَارُ الْأَمْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ. وَيَقُولُ تَعَالَى، لَهُؤُلَاءِ إِنَّ لَهُمْ أَعْمَالًا شَرًّا مِنْ أَقْوَالِهِمْ تَذُلُّ عَلَى تَهَالِكِهِمْ عَلَى الْمَالِ، فَقَدْ يُكْرِمُهُمْ رَبُّهُمْ بِالْمَالِ الْكَثِيرِ فَلَا يُؤَدُّونَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَالْبَرِّ بِهِ.

(تَحَاضُّونَ)

﴿١٨﴾ - وَلَا يَحُثُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى إِطْعَامِ الْمَسَاكِينِ، فَإِذَا لَمْ يُكْرِمُوا الْيَتِيمَ، وَلَمْ يَتَحَاضُّوا عَلَى إِطْعَامِ الْمَسْكِينِ، فَقَدْ كَذَّبَتْ مَزَاعِمُهُمْ فِي أَنَّهُمْ قَوْمٌ صَالِحُونَ.

تَحَاضُّونَ - يَحُضُّ وَيَحُثُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

﴿١٩﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ
أَكْلًا لَمًّا

﴿٢٠﴾ وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حُبَّاجِمًا

﴿٢١﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا

﴿٢٢﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا

﴿٢٣﴾ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ

يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانَ وَآنَى لَهُ
الذِّكْرَى

﴿٢٤﴾ يَقُولُ يَلَيَسَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي

(١٩) - وَإِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ الْمِيرَاثَ (الثَّرَاثَ) الَّذِي يُسْرُكُهُ مَنْ يُتَوَفَّى أَكْلًا شَدِيدًا، أَيْ مِنْ أَيْهِ جِهَةٍ حَصَلَ لَهُمْ، مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، فَيُحَوَّلُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ.
الثَّرَاثُ - مِيرَاثُ النِّسَاءِ وَالصِّغَارِ.
أَكْلًا لَمًّا - جَمْعًا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

(٢٠) - وَيَمِيلُونَ إِلَى جَمْعِ الْمَالِ مِيلًا شَدِيدًا يَدْفَعُهُمْ إِلَى الْجِرْصِ عَلَى جَمْعِهِ وَالْبُخْلِ بِإِنْفَاقِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ.
جَمًّا - كَثِيرًا مَعَ جِرْصٍ وَشَرِّهِ.

(٢١) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ، وَيَقُولُ مُنْكَرًا عَلَى هَؤُلَاءِ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ وَجِرْصَهُمْ عَلَى الدُّنْيَا، وَكَأَنَّهُمْ يَحْسُبُونَ أَنَّهُ لَنْ تَكُونَ هُنَاكَ قِيَامَةٌ، وَلَا حَشْرٌ، وَلَا حِسَابٌ، مَعَ أَنَّ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ سَيَأْتِي وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَذْكُ فِيهِ الْأَرْضُ دَكًّا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَتُسَوَّى جِبَالُهَا بِأَرْضِهَا.
دُكَّتْ - دُقَّتْ وَكُسِرَتْ.
دَكًّا دَكًّا - دَكًّا مُتَتَابِعًا حَتَّى صَارَتْ هَبَاءً مُتَنَازِرًا.

(٢٢) - وَتَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ عَظَمَةُ السَّطْوَةِ الْإِلَهِيَّةِ. وَيَأْتِي اللَّهُ تَعَالَى فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ^(١) تَخَفُّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ الْأَطْهَارُ، وَيَقِفُونَ صُفُوفًا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِمُ الرَّحْمَنِ الْمَلِكُ - مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ.

(جِيءَ) (يَوْمَئِذٍ) (الْإِنْسَانُ)

(٢٣) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْكَشِفُ جَهَنَّمُ لِلنَّاطِرِينَ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ غَائِبَةً عَنْهُمْ، وَحِينَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا كَانَ قَرِطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَعَرَفَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ لِهَذِهِ الذِّكْرَى أَنْ يُفِيدَهُ أَوْ تَرْجِعَ عَلَيْهِ بِطَائِلٍ، فَقَدْ فَاتَ الْأَوَانُ.
وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى - مِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ تَنْفَعَهُ هَذِهِ الذِّكْرَى.
(يَا لَيْتَنِي)

(٢٤) - وَيَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْجَرَائِمِ وَيُودُّ لَوْ أَنَّهُ أَرَادَ مِنْ الطَّاعَاتِ، وَلَوْ أَنَّهُ قَدَّمَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةَ لِنَفْعِهِ فِي حَيَاتِهِ الْآخِرَى.

(١) سورة البقرة الآية ٢١٠.

(بَوْمُثِد)

(٢٥) - وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَجْدُ الْعَصَا أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَشَدَّ عَذَابًا مِنَ اللَّهِ لِمَنْ عَصَاهُ.

(٢٦) - وَلَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ قَبْضًا وَأَخْذًا وَوَقْفًا مِنَ الرَّبَّانِيَّةِ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ لِمَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِ.
لَا يُوثِقُ - لَا يَشُدُّ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ.

(يَا أَيُّهَا)

(٢٧) - يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الَّتِي اسْتَيْقَنْتِ الْحَقَّ فَلَا يُخَالِجُهَا شَكٌّ، وَوَقَفَتْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ فَلَا تُزَعِّزُهَا الشَّهَوَاتُ، فَاطْمَأْنَنْتِ وَهَدَأَتْ:

(٢٨) - أَرْجِعِي إِلَى مَحَلِّ الْكَرَامَةِ بِجِوَارِ رَبِّكَ رَاضِيَةً عَمَّا عَمِلْتِ فِي الدُّنْيَا، مَرْضِيًّا عَنْكَ إِذْ لَمْ تَكُونِي سَاحِطَةً لَافِي الْغِنَى وَلَا فِي الْفَقْرِ.

(عِبَادِي)

(٢٩) - فَأَدْخِلِي فِي زُمْرَةِ عِبَادِي الْمُكْرِمِينَ، وَكُونِي فِي جُمْلَتِهِمْ.

(٣٠) - وَأَدْخِلِي جَنَّتِي، وَتَمَتَّعِي فِيهَا بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ.

﴿٢٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا

﴿٢٦﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا

﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

﴿٢٨﴾ أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً

﴿٢٩﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي

﴿٣٠﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي

(٩) سُورَةُ الْبَلَدِ مَكِينَةٌ وَأَيُّهَا عِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى قَسَمًا مُؤَكَّدًا بِمَكَّةَ (هَذَا الْبَلَدِ)، الَّتِي شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَجَعَلَهَا حَرَامًا، وَجَعَلَ فِيهَا حَرَمًا آمِنًا مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا.

(٢) - وَأَنْتَ مُقِيمٌ فِي هَذَا الْبَلَدِ الْجَلِيلِ الْقَدْرِ فِي حَالَتِي الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ.
(وَكُنَّاهُ تَعَالَى جَعَلَ مِنْ أَسْبَابِ شَرَفِ مَكَّةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُقِيمٌ فِيهَا).

(٣) - وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِكُلِّ وَالِدٍ وَكُلِّ مَوْلُودٍ.
(وَفِي الْقَسَمِ بِهَذَا لَفَتْ لِأَنْظَارِ الْبَشَرِ إِلَى مَا فِي التَّوَالِدِ وَالتَّنَاسُلِ مِنْ بَالِغِ الْحِكْمَةِ، وَإِتْقَانِ الصُّنْعِ، وَحِفْظِ النُّسْلِ. وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ هُوَ آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ).

(الْإِنْسَانُ)

(٤) - لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى حَيَاةَ الْإِنْسَانِ سِلْسِلَةً مِنَ الْمَتَاعِيبِ وَالْمَصَاعِبِ، يُكَابِدُهَا فِي كُلِّ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِ حَيَاتِهِ. فَمَنْذُ أَنْ بَدَأَ نَفْثَةً حَتَّى وَلَدَ وَكَبِرَ، وَهُوَ بَعَانِي الْمَتَاعِيبِ فِي كَسْبِ عَيْشِهِ، وَتَنْشِئَةِ نَسْلِهِ. وَيَسْتَمِرُّ هَذَا الْكَدُّ وَالتَّعَبُ حَتَّى يُوَافِقَهُ الْأَجَلَ.
الْكَبْدُ - التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ.

(٥) - أَيْحَسِبُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْمُعْتَرِّ بِقُوَّتِهِ، وَالْمَقْتُونُ بِمَالِهِ وَعَقْلِهِ، أَنَّهُ قَدْ يَبْلُغُ مَبْلَغًا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ؟ فَمَا أَجْهَلُهُ إِنْ ظَنَّ هَذَا. إِنَّ الْخَالِقَ الْجَبَّارَ الَّذِي خَلَقَهُ وَأَنْشَأَهُ وَأَعْطَاهُ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ بِهِ وَيَمَالِهِ وَيَقُوَّتِهِ، وَيَمَا أَعْطَاهُ فِي كُلِّ حِينٍ.

١ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ

٢ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ

٣ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ

٤ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ

٥ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ

﴿٦﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ

(٦) - وَإِذَا طُلِبَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ، الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ الْمَالَ، أَنْ يُنْفِقُوا مِنْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي أَوْجِهِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ، قَالَ الْأَغْنِيَاءُ الْبُخْلَاءُ الْمُرَاوُونَ: إِنَّهُمْ يُنْفِقُونَ الْكَثِيرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْمَكْرُمَاتِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْبِرَّ وَالْمَكْرُمَةَ لَا تُعْدَانِ كَذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَتَا عِنْدَ اللَّهِ بَرًّا وَمَكْرَمَةً؟ فَلَيْسَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِنْفَاقُ الْأَمْوَالِ فِي مُشَاقَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمُحَاوَلَةِ فِتْنَةِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ دِينِهِمْ، وَصَدَّ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.

لُبْدَا - كَثِيرًا.

﴿٧﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ

(٧) - أَيْحَسِبُ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَرُونَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُطَّلِعٍ عَلَى أَفْعَالِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ بِمَا دَعَاهُمْ إِلَى هَذَا الْإِنْفَاقِ؟ فَاللَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِسَرَائِرِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ، وَيَجْهَرُهُمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، لَا يَغْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؟.

﴿٨﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ

(٨) - ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ نِعْمَةَ الْإِنْبَارِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا الْإِنْسَانُ هِيَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ لِأَنَّهُ يُبْصِرُ بِالْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ خَلَقَهُمَا اللَّهُ لَهُ.

﴿٩﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ

(٩) - وَإِذَا تَكَلَّمَ الْإِنْسَانُ وَأَبَانَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ لِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ، وَلَيْسَ فَضْلُ ذَلِكَ عَائِدًا إِلَى الْإِنْسَانِ وَلَا مِنْ صُنْعِهِ.

(هَدَيْنَاهُ)

﴿١٠﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ

(١٠) - وَقَدْ أَوْدَعَ اللَّهُ فِي الْإِنْسَانِ فِطْرَةَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَجَعَلَ لَهُ عَقْلًا يُرْشِدُهُ إِلَى مَا فِي الْخَيْرِ مِنْ جَمَالٍ وَحُسْنٍ، وَإِلَى مَا فِي الشَّرِّ مِنْ قُبْحٍ وَسُوءٍ.

(وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ طَرِيقِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَأَنَّهُمَا مَكَانَانِ مُرْتَفِعَانِ وَاضِحَانِ يَرَاهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ أَيْنَمَا كَانَ).

النَّجْدُ - الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ.

﴿١١﴾ فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ

(١١) - فَلَا جَاهِدَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ لِلْوُصُولِ إِلَى غَايَتِهِ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ. وَقَدْ شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْجِهَادَ بِأَقْنَحَامِ الْعَقَبَةِ.

الْعَقَبَةُ - الطَّرِيقُ الْوَعْرَةُ فِي الْجَبَلِ.

(أَدْرَاكَ)

﴿١٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ

(١٢) - وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِيكَ مَا أَفْتَحَامُ الْعَقَبَةِ؟ ثُمَّ أُرْسِدَ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ إِلَى أَنَّ أَفْتَحَامَ الْعَقَبَةِ يَكُونُ بِالْقِيَامِ بِأَفْعَالِ الْخَيْرِ، وَمِنْهَا مَا وَرَدَ فِي الْآيَاتِ النَّالِيَةِ.

﴿١٣﴾ فَكُ رَقَبَةٍ

(١٣) - وَأَوَّلُ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَكَثْرَتُهَا قُرْبًا مِنَ اللَّهِ، عِتْقُ رَقَبَةٍ وَتَحْرِيرُهَا مِنَ الرِّقِّ، وَالْإِعَانَةُ عَلَى عِتْقِهَا.

(وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ كَثِيرٌ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي تُرْعَبُ فِي إِعْتَاقِ الرِّقَابِ وَتَحُثُّ عَلَيْهِ. وَقَدْ عَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الْإِعْتَاقَ أَحَبَّ الْقُرْبَاتِ إِلَيْهِ).

فَكُ رَقَبَةٍ - عِتْقُهَا وَإِنْفَاذُهَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ.

(إِطْعَامُ)

﴿١٤﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ يَوْمَ ذِي مَسْجَبَةٍ

(١٤) - أَوْ إِطْعَامُ نَفْسٍ جَائِعَةٍ فِي أَيَّامِ الشَّدَةِ وَالضِّيقِ.

الْمَسْجَبَةُ - الْمَجَاعَةُ.

﴿١٥﴾ يَلِيَمًا ذَا مَقْرَبَةٍ

(١٥) - أَيُّ إِطْعَامِ شَخْصٍ يَتِيمٍ مِنَ الْأَقَارِبِ، وَفِيهِ جَمْعُ لِحَقِّينِ هُمَا: حَقُّ الْيَتِيمِ، وَحَقُّ الْقَرَابَةِ.

الْمَقْرَبَةُ - قَرَابَةُ النَّسَبِ.

﴿١٦﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ

(١٦) - أَوْ إِطْعَامُ مُسْكِينٍ فَقِيرٍ جَدًّا، لَا وَسِيلَةَ لَهُ إِلَى كَسْبِ الْعِيشِ.

وَالْمَتْرَبَةُ - شِدَّةُ الْفَقْرِ.

(أَمْنُوا)

﴿١٧﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ

(١٧) - ثُمَّ أَشْتَرَطَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِثَابَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى أَفْتَحَامِ الْعَقَبَةِ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، الَّتِي دَلَّ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَيْهَا، أَنَّ يَجْمَعَ الْفَاعِلُ ثَلَاثَ صِفَاتٍ:

- أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ، وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ، لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ عَمَلُ خَيْرٍ.

- أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْأَذَى وَالْمَكَارِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

- أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَرْحُمُونَ عِبَادَ اللَّهِ، وَيُؤَاوِسُونَهُمْ، وَيُسَاعِدُونَهُمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ.

تَوَاصَوْا - أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

الْمَرْحَمَةُ - الرَّحْمَةُ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

﴿١٨﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمِئْمَنَةِ

(أُولَئِكَ) (أَصْحَابُ)

(١٨) - وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَكُّوا الرِّقَبَةَ، وَاطْعَمُوا الْمَسْكِينَ فِي الْجُوعِ وَالشَّدَّةِ، وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ صَابِرِينَ رُحَمَاءَ. هُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ الَّذِينَ يُفُوزُونَ بِحَسَنِ الْجَزَاءِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَ- سَحُلُونَ جَنَّتَهُ، وَهُمْ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ وَظُلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ (١).

﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ

(بِآيَاتِنَا) (أَصْحَابُ) (الْمَشْأَمَةِ)

(١٩) - أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَهُمْ أَصْحَابُ الشَّمَالِ الَّذِينَ يُؤْتَوْنَ كِتَابَ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشِمَالِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظُلٍّ مَنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ (٢).

﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ

(٢٠) - وَيَذْخُلُونَ النَّارَ فَتُوصَدُ أَبْوَابُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُطَبَّقُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْهُ فُكَاكًا. مُؤَصَّدَةٌ - مُطَبَّقَةٌ مُغْلَقَةٌ الْأَبْوَابِ.

(١) سورة الواقعة الآية ٢٧.

(٢) سورة الواقعة الآية ٤١.

(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا خَمْسُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا

(ضُحَاهَا)

(١) - أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالشَّمْسِ وَضُوءِهَا وَإِشْرَاقِهَا وَحَرَارَتِهَا وَضُحَاهَا - ضُوءُهَا أَوْ دِفْئُهَا.

٢ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا

(تَلَّهَا)

(٢) - وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّ الشَّمْسُ، وَحَلَّ مَحَلَّهَا فِي إِضَاءَةِ الْأَرْضِ بَعْدَ غُرُوبِهَا.

٣ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا

(جَلَّاهَا)

(٣) - وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّهَارِ إِذَا جَلَا الظُّلُمَةُ عَنِ الْأَرْضِ .
(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى: قَسَمًا بِالنَّهَارِ إِذَا جَلَا الشَّمْسُ وَأَظْهَرَهَا وَأَتَمَّ وَضُوحَهَا، إِذْ كُلَّمَا كَانَ النَّهَارُ أَجْلَى كَانَتِ الشَّمْسُ أَكْمَلَ وَضُوحًا) .
جَلَّاهَا - أَظْهَرَهَا لِلرَّائِينَ .

٤ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا

(اللَّيْلِ) (يَغْشَاهَا)

(٤) - وَيَعْدُ أَنْ أَقْسَمَ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ السَّابِقَاتِ بِالضُّوءِ تَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ، أَقْسَمَ هُنَا بِاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى الشَّمْسُ، وَيُغْطِي ضَوْءَهَا .
(وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى الْأَرْضَ، وَيُلْفِئُهَا بِظُلَامِهِ) .
يَغْشَاهَا - يُغْطِيهَا حِينَ تَغِيبُ .

٥ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا

(بَنَاهَا)

(٥) - وَالسَّمَاءِ وَبُنْيَانِهَا وَتَسْوِيَّتِهَا وَإِبْدَاعِ صُنْعِهَا .
(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْمَعْنَى: قَسَمًا بِالسَّمَاءِ وَمَنْ قَدَّرَهَا عَلَى هَذَا النُّحْوِ، وَتَكُونُ (مَا) اسْتَعْمِلَتْ هُنَا بِمَعْنَى (مَنْ) .

(طَحَاَهَا)

(٦) - وَالْأَرْضِ وَبَسَطَهَا وَتَمَهَّيْدَهَا لِلْسُّكْنَى لِيَتَنَفَّعَ النَّاسُ بِهَا، وَبِمَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ نَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ وَجَمَادٍ طَحَاَهَا - بَسَطَهَا أَيْ دَحَاَهَا وَوَطَّأَهَا.

(سَوَّأَهَا)

(٧) - ثُمَّ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّفْسِ وَخَلَقَهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ الْقَوِيْمَةِ.

(تَقَوَّأَهَا)

(٨) - فَبَيَّنَ لِلنَّفْسِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَأَعْطَاهَا الْقُدْرَةَ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا، وَالْقُدْرَةَ عَلَى الْإِخْتِيَارِ. فَجُورَهَا - مَعْصِيَتَهَا. تَقَوَّأَهَا - طَاعَتَهَا.

(رَكَّأَهَا)

(٩) - وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَلْهَمَ النَّفْسَ مَعْرِفَةَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، ذَكَرَ مَا تَلَقَّاهُ النَّفْسُ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى فِعْلٍ كُلٍّ مِنْهُمَا، فَقَالَ تَعَالَى: مَنْ رَكَّى نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَنَمَاهَا وَطَهَّرَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدُّنْيَةِ وَالرَّدَائِلِ، فَازَ وَأَفْلَحَ. (وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ). أَفْلَحَ - فَازَ بِالْبُغْيَةِ. رَكَّأَهَا - طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ.

(دَسَّأَهَا)

(١٠) - أَمَّا مَنْ أَخْفَى فُضَائِلَ نَفْسِهِ، وَأَمَاتَ اسْتِعْدَادَهَا لِلْخَيْرِ، يَفْعَلُ الْمَعَاصِيَ، وَاجْتَرَحَ السَّيِّئَاتِ، وَمُجَانِبَةَ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْقُرْبَاتِ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ. وَقَدْ حَذَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ لِلْعِلْمِ بِهِ مِنْ نَظَائِرِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَالشَّمْسُ وَضَحَاَهَا. لِيُنْزِلَنَّ بِالْمُكَذِّبِينَ مِنْكُمْ مَا نَزَلَ بِثُمُودَ.

خَابَ - خَسِرَ.

دَسَّأَهَا - أَتَقَصَّصَهَا وَأَخْفَاهَا وَأَحْمَلَهَا بِالْفُجُورِ.

٦ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا

٧ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا

٨ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا

٩ فَدَافَلَحَ مَنْ رَكَّاهَا

١٠ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا

﴿١١﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا

(بَطَفُوهَا)

(١١) - كَذَبَتْ ثُمُودُ نَبِيَّهَا صَالِحًا بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا وَبَغْيِهَا.
بَطَفُوهَا - يَسَبُّ طُغْيَانِهَا.

﴿١٢﴾ إِذَا نُبِغَتْ أَشْقَاهَا

(أَشْقَاهَا)

(١٢) - إِذَا انْطَلَقَ أَكْثَرُ ثُمُودَ شَقَاوَةً لِيَعْقَرَ نَاقَةَ اللَّهِ.
(وَإِقْدَامُهُ عَلَى عَقْرِ النَّاقَةِ دَلِيلٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ نَبِيِّهِمْ صَالِحًا فِيمَا قَالَ لَهُمْ
مِنْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ النَّاقَةَ نَاقَةُ اللَّهِ أَرْسَلَهَا إِلَيْهِمْ آيَةً عَلَى صِدْقِ
نُبُوَّتِهِ).

﴿١٣﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ

وَسَقِيَهَا

(سُقِيَهَا)

(١٣) - فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَحْذَرُوا أَنْ تَمَسُّوا نَاقَةَ اللَّهِ
بِسُوءٍ، وَأَحْذَرُوا التَّعَدِّيَّ عَلَى شَرْبِهَا الْمَاءِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي اخْتَصَصَتْ بِهِ.
(وَكَانَ صَالِحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، اتَّفَقَ مَعَ قَوْمِهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ شَرْبُ
الْمَاءِ يَوْمًا، وَأَنْ يَكُونَ لِلنَّاقَةِ شَرْبُهُ يَوْمًا).

﴿١٤﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ

عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا

(فَسَوَّاهَا)

(١٤) - فَكَذَّبَتْ ثُمُودُ صَالِحًا فِيمَا قَالَ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ النَّاقَةَ
هِيَ نَاقَةُ اللَّهِ أَرْسَلَهَا آيَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، فَأَقْدَمُوا عَلَى قَتْلِهَا (عَقَرُوهَا)،
وَلَمْ يُبَالُوا بِمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَأُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ،
وَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا، وَسَوَّى الْقَبِيلَةَ كُلَّهَا فِي الْعُقُوبَةِ، فَلَمْ يُفَلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.
(وَقِيلَ إِنْ مَعْنَى (سَوَّاهَا) قَدْ يَكُونُ إِنَّهُ تَعَالَى سَوَّى بِلَدِهِمْ بِالْأَرْضِ بَعْدَ
أَنْ دَكَّهَا دَكًّا، فَلَمْ يَتْرِكْ فِيهَا بِنَاءً قَائِمًا أَيْ إِنَّهُ دَمَّرَهَا تَدْمِيرًا كَامِلًا).
فَدَمْدَمَ - أَهْلَكَهُمْ وَأُطْبِقَ الْعَذَابَ عَلَيْهِمْ.
فَسَوَّاهَا - فَأَنْزَلَ الْعِقَابَ بِهِمْ جَمِيعًا عَلَى سَوَاءٍ.

﴿١٥﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا

(عُقْبَاهَا)

(١٥) - وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ فِعْلِهِ فِي هَلَاكِهِمْ وَدَمَارِهِمْ، لِأَنَّهُ
عَزِيزٌ لَا يَغَالِبُ وَلَا يَمَانَعُ.

(٩٢) سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِجْدَى وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(اللَّيْلِ)

(١) - يُقَسِّمُ تَعَالَى بِاللَّيْلِ حِينَ يُلْقُ الْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا بِظُلَامِهِ، فَتَخْلُدُ الْمَخْلُوقَاتُ إِلَى النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ مِنْ عَنَاءِ النَّهَارِ. يَغْشَى - يُعْطِي الْكَوْنَ بِظُلْمَتِهِ.

(٢) - وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى بِضِيَائِهِ وَإِشْرَاقِهِ لِيَتَحَرَّكَ الْمَخْلُوقَاتُ لِطَلَبِ مَعَاشِهَا وَأَرْزَاقِهَا. تَجَلَّى - ظَهَرَ بِضَوْوِهِ.

(٣) - ثُمَّ أَقْسَمَ تَعَالَى بِدَآئِهِ الْكَرِيمَةِ فَهُوَ تَعَالَى خَالِقُ الدُّنَى وَالْآخِرَةِ مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ.

(٤) - وَقَدْ أَقْسَمَ تَعَالَى بِمَا سَبَقَ عَلَى أَنْ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مُتَخَالِفَةٌ، مُتَفَرِّقٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، بَعْضُهَا ضَلَالٌ وَعَمَايَةٌ، وَبَعْضُهَا هُدًى وَنُورٌ. لَشَيْءٍ - لِعَمَلِكُمْ مُخْتَلِفٍ فِي الْجَزَاءِ.

(٥) - فَأَمَّا مَنْ بَذَلَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ رَبِّهِ وَاتَّقَاهُ، وَصَرَفَ نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ.

(٦) - وَصَلَّقَ بِفِعْلِ الْخَيْرِ وَفَضَّلَهُ عَلَى الشَّرِّ، وَفَضَّلَ الْإِيمَانَ عَلَى الْكُفْرِ.

(٧) - فَإِنَّهُ تَعَالَى سَيِّسَهُ لِأَيِّسِ الْخَطِيئِينَ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ فِطْرَةُ فِعْلِ الْخَيْرِ، الَّذِي تَبْلُغُ بِهِ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ أَوْجَ سَعَادَتِهَا.

(٨) - وَأَمَّا مَنْ بَخَلَ بِمَالِهِ، وَأَمْسَكَ عَنْ إِنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَفِيمَا يَقْرُبُهُ مِنَ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ.

١ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى

٢ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى

٣ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى

٤ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى

٥ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى

٦ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى

٧ فَسَيَّسَرُهُ لِلْيُسْرَى

٨ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى

(٩) - وَكَذَّبَ بِأَنَّ الْخَيْرَ أَفْضَلُ مِنَ الشَّرِّ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ خَيْرٌ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَنَّ مَرْضَاةَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ غَضَبِهِ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ.

(١٠) - فَمَنْ مَرَّتْ نَفْسُهُ عَلَى فِعْلِ الشَّرِّ، وَعَلَى الْإِمْسَاكِ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسِّرُهُ إِلَى أَعْسَرِ الْخُطُوتَيْنِ، وَهُوَ طَرِيقُ فِعْلِ الشَّرِّ وَالْغَوَايَةِ.

(١١) - وَإِذَا يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعُسْرَى، فَأَيُّ شَيْءٍ يُغْنِيهِ عَنْهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَذَا الْمَالُ الَّذِي يَخْلُ بِهِ عَلَى النَّاسِ، وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْخَيْرِ وَمَرْضَاةِ رَبِّهِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْبُخْلُ سَبَبًا لِرُدِّهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. مَا يُغْنِي - مَا يَذْفَعُ وَيُقِيدُ. تَرَدَّى - هَلَكَ وَهَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

(١٢) - يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَأَعْطَاهُ قُوَّةَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَوَضَعَ الشَّرَائِعَ الَّتِي تَهْدِيهِ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ. لِلْهُدَى - الدَّلَالَةُ عَلَى الْحَقِّ وَبَيَانُ طَرِيقِهِ.

(لِلْآخِرَةِ)

(١٣) - وَإِنَّهُ تَعَالَى مَالِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَجَمِيعُ مَنْ فِي الْوُجُودِ خَلَقُهُ وَعَبِيدُهُ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِالْكُلُوبِ تَصَرُّفًا مُطْلَقًا.

(١٤) - وَإِنَّهُ تَعَالَى أَنْذَرَ الْكَفَّارَ وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ الْمُتَنَهِيَةِ، وَذَلِكَ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ، وَقَطْعًا لِحُجَّتِهِمْ. تَلْظَى - تَتَلَهَّبُ وَتَتَوَقَّدُ.

(يَصْلَاهَا)

(١٥) - وَهَذِهِ النَّارُ الْمُتَنَهِيَةُ لَا يُعَذَّبُ فِيهَا إِلَّا الشَّقِيُّ. لَا يَصْلَاهَا - لَا يَدْخُلُهَا وَيُقَاسِي حَرَّهَا.

(١٦) - الَّذِي كَفَرَ بِرَبِّهِ، وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِ شَرْعِ اللَّهِ (تَوَلَّى).

(١٧) - وَهَذِهِ النَّارُ سَيَنْجُو مِنَ الْعَذَابِ فِيهَا الْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ الصَّالِحُ، الَّذِي خَافَ رَبَّهُ، وَخَشَعَتْ نَفْسُهُ لَهُ. سَيُجَنَّبُهَا - سَيُعَدُّ عَنْهَا.

١ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ

١٠ فَسَيُسِّرُهُ لِلْعُسْرَى

١١ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى

١٢ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى

١٣ وَإِنَّا لَالْآخِرَةُ وَالْأُولَى

١٤ فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْظَى

١٥ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى

١٦ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى

١٧ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى

﴿١٨﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى

(١٨) - الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ طَالِباً بِذَلِكَ طَهَارَةَ نَفْسِهِ،
وَالْفُؤْزَ بِرِضْوَانِ رَبِّهِ.
يُؤْتِي مَالَهُ - يَتَصَدَّقُ بِهِ وَيُعْطِيهِ الْفُقَرَاءَ.
يَتَزَكَّى - يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿١٩﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى

(١٩) - وَهُوَ لَا يَبْذُلُ مَالَهُ رَدّاً لِجَمِيلِ أُسْلَفٍ إِلَيْهِ وَأُسْدِي.
تُجْزَى - تُكَافَأُ.

﴿٢٠﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى

(٢٠) - وَإِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ إِنْفَاقِ الْمَالِ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّهِ، وَطَلَباً
لِمَثُوبَتِهِ وَحْدَهُ. (وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

﴿٢١﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى

(٢١) - وَلَسَوْفَ يُرْضِي اللَّهُ بِثَوَابِهِ الْعَظِيمِ مَنْ بَدَّلَ مَالَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ
رَبِّهِ.

(٩٣) سُوْرَةُ الضُّحَى مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا الْخُدَى عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ وَالضُّحَى

(١) - تَأَخَّرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَدَأَ بِرَبِّهِ فَحَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ حُزْنًا شَدِيدًا، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ رَبُّهُ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ، أَوْ كَرِهَهُ (قَلَاهُ). وَقِيلَ إِنَّهُ حِينَئِذَا تَأَخَّرَ الْوَحْيُ عَنِ الرَّسُولِ قَالَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ: وَدَّعَ مُحَمَّدٌ رَبَّهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ. وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَطْلَعِهَا بِالضُّحَى - وَهُوَ صَدْرُ النَّهَارِ - وَمَا جَعَلَ فِيهِ مِنْ ضِيَاءٍ.

٢ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى

(اللَّيْلِ)
(٢) - وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِاللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ فَأَظْلَمَ. سَجَى - سَكَنَ أَوْ أَشْتَدَّ ظُلَامُهُ.

٣ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى

(٣) - مَا تَخَلَّى عَنْكَ رَبُّكَ وَمَا أَبْغَضَكَ. قَلَى - أَبْغَضَ.

٤ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى

(لِلْآخِرَةِ)
(٤) - وَإِنَّ مُسْتَقْبَلَ حَيَاتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ مَاضِيهَا، وَإِنَّكَ تَزْدَادُ عِزًّا وَرَفْعَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَلَعَاقِبَةُ أَمْرِكَ خَيْرٌ مِنْ بَدَائِيهِ. وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى: هُوَ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا.

٥ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى

(٥) - وَإِنَّ رَبَّكَ سَوْفَ يُؤَالِي عَلَيْكَ نِعْمَةً حَتَّى تَرْضَى، وَمِنْ هَذِهِ النِّعَمِ تَوَارَدَ الْوَحْيُ عَلَيْكَ بِمَا فِيهِ إِرْشَادُكَ وَإِرْشَادُ قَوْمِكَ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَيُظْهِرُ اللَّهُ دِينَكَ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ.

(قَاوَى)

(٦) - أَلَمْ تَكُنْ يَتِيمًا لَا أَبَ لَكَ وَلَا أُمٌّ يَهْتَمُّانِ بِأَمْرِكَ، وَيَعْتَنِيَانِ بِشُؤْنِكَ، فَتَعَهَّدَكَ رَبُّكَ وَمَا زَالَ يَحْمِيكَ وَيَتَعَهَّدُكَ بِرِعَايَتِهِ حَتَّى بَلَغْتَ ذُرُوءَ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِي؟

(٧) - وَوَجَدَكَ حَائِرًا مُضْطَرِبًا فِي أَمْرِكَ، إِذْ وَجَدْتَ قَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ فِي عِبَادَتِهِمْ وَمُعْتَقِدِهِمْ، فَهَدَاكَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَخْتَصَّكَ بِرِسَالَتِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ وَحْيَهُ؟

ضَالًّا - حَائِرًا أَوْ غَائِلًا عَنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ.

(عَائِلًا)

(٨) - وَكُنْتَ فَقِيرًا لَمْ يَتْرُكْ لَكَ وَالِدَاكَ شَيْئًا تَعِيشُ بِهِ فَأَنْجَاكَ اللَّهُ مِنَ الْفَقْرِ وَأَغْنَاكَ.

عَائِلًا - فَقِيرًا مُعْدِمًا.

(٩) - وَلِذَلِكَ كَانَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَقْهَرِ الْيَتِيمَ وَتَسْتَذِلَّهُ، بَلْ أَرْفَعْ مِنْ شَأْنِهِ بِالْأَدَبِ، وَهَذِّبْ نَفْسَهُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِيَكُونَ عُضْوًا نَافِعًا فِي جَمَاعَتِكَ، وَمَنْ ذَاقَ مَرَارَةَ الْيَتَمِ وَالضَّيْقِ فِي نَفْسِهِ، فَمَا أَجْدَرُهُ بِأَنْ يَسْتَشْعِرَهَا فِي غَيْرِهِ.

(السَّائِلِ)

(١٠) - وَلَا تَرْجُرْ سَائِلًا مُسْتَجِدِيًا يَطْلُبُ مِنْكَ إِحْسَانًا بَلْ تَفَضَّلْ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، وَأَحْسِنْ مُحَاطَبَتَهُ.

فَلَا تَنْهَرْ - فَلَا تَرْجُرْهُ وَارْفُقْ بِهِ.

(١١) - وَأَوْسِعْ فِي الْبَذْلِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَأَفِضْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى طَالِبِيهَا، وَأَشْكُرِ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ بِإِظْهَارِ نِعَمِهِ عَلَيْكَ، وَبِالْحَدِيثِ عَنْهَا.

٦ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى

٧ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى

٨ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى

٩ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ

١٠ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ

١١ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِينَةٌ
وَلَا يَأْتِيهَا مَآثِنٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - لَقَدْ شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ بِمَا أَوْدَعْنَاهُ فِيهِ مِنَ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ،
وَأَخْرَجْنَاكَ مِنَ الْخَيْرَةِ الَّتِي كُنْتَ تَصِيقُ بِهَا دَرْعًا، بِمَا كُنْتَ تُلَاقِي مِنْ
عِنَادِ قَوْمِكَ، وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ. وَكُنْتَ تَتَلَمَّسُ الْوَسِيلَةَ الَّتِي
تُنْقِذُهُمْ بِهَا مِمَّا هُمْ فِيهِ، فَهَدَيْتَ إِلَيْهَا.
أَلَمْ نَشْرَحْ - أَلَمْ نَفْسَحْ بِالْحِكْمَةِ وَالنُّورِ وَالْإِيمَانِ.

(٢) - وَحَطَطْنَا عَنْكَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَكَ مِنْ مَتَابِعِ الرِّسَالَةِ بِمُسَانَدَتِكَ وَتَيْسِيرِ
أَمْرِكَ.
وَضَعْنَا - خَفَفْنَا عَنْكَ.
وَوَزَّرَكَ - حَمَلْنَاكَ أَوْ عِيبَ الرِّسَالَةِ.

(٣) - وَكَانَ هَذَا الْعِيبُ قَدْ أَتَعَبَ ظَهْرَكَ وَأَثْقَلَهُ فَجَعَلْنَا تَبْلِيغَ الرِّسَالَةِ
لِلنَّاسِ سَهْلًا عَلَيْكَ، فَصِرَتْ تَقُومُ بِهِ وَنَفْسُكَ مُطْمَئِنَّةٌ رَاضِيَةٌ، وَلَوْ قَابَلَكَ
النَّاسُ بِالْإِسَاءَةِ.
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ - أَثْقَلَهُ حَتَّى سَمِعَ لَهُ نَقِيضَ (صَوْتٍ).

(٤) - وَجَعَلْنَاكَ عَالِي الشَّانِ، رَفِيعَ الْمَنْزِلَةِ، عَظِيمَ الْقَدْرِ، وَأَيُّ مَنْزِلَةٍ
أَرْفَعُ مِنَ النَّبُوَّةِ الَّتِي مَنَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى؟ وَأَيُّ رِفْعَةٍ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تُذَكَّرَ بَعْدَ
ذِكْرِي فِي كُلِّ شَهَادَةٍ.
(أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ).

(٥) - إِنْ مَعَ الضِّيقِ فَرَجًا، وَمَعَ الشَّدَةِ مَخْرَجًا إِذَا تَدَرَّعَ الْإِنْسَانُ
بِالصَّبْرِ، وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ.

(٦) - ثُمَّ أَكَّدَ تَعَالَى عَلَى أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِذَا قَابَلَهُ الْإِنْسَانُ بِالصَّبْرِ،
وَأَخَذَ بِالْأَسْبَابِ لِتَفْرِيجِهِ.

١ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ



٢ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ

٣ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ

٤ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ

٥ إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

٦ إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

﴿٧﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ

(٧) - فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَشَاغِلِهَا، فَقُمْ إِلَى الْعِبَادَةِ نَشِيطاً، خَالِي الْبَالِ، وَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ النِّيَّةَ وَالرُّغْبَةَ، وَاتَّبِعْ نَفْسَكَ فِي عِبَادَتِهِ تَعَالَى.

فَانصَبْ - فَاجْتَهِدْ فِي الْعِبَادَةِ، وَاتَّبِعْ نَفْسَكَ فِيهَا.

﴿٨﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ

(٨) - وَلَا تَرْغَبْ فِي ثَوَابِ أَعْمَالِكَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ الْحَقِيقُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ بِالدُّعَاءِ وَالضَّرَاعَةِ.

فَارْغَبْ - فَارْغَبْ فِي ثَوَابِ اللَّهِ.

(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَمَانِيَّتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالزَّيْتُونِ

(١) - اختلفَ الْمُفَسِّرُونَ حَوْلَ الْمُقْصُودِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُمَا التِّينُ وَالزَّيْتُونُ الثَّمَرَانِ الْمَعْرُوفَانِ، فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بَعْضَ الثَّمَارِ كَالْعِنَبِ وَالنَّخْلِ وَالْفَاكِهَةِ وَالطَّلَحِ وَالسَّدْرِ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ التِّينَ إِشَارَةٌ إِلَى عَهْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَسْتُرُ نَفْسَهُ بِوَرَقِ التِّينِ (وَطَقِيقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ).

أَمَّا الزَّيْتُونُ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى عَهْدِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَعْدَ أَنْ أَنْتَهَى الطُّوفَانُ أَرْسَلَ نُوحٌ طَيْرًا فَعَادَ إِلَيْهِ يَحْمِلُ وَرَقَةَ زَيْتُونٍ، فَعَلِمَ أَنَّ الطُّوفَانَ قَدْ أَنْتَهَى، وَأَنَّ الْأَرْضَ عَادَتْ تُنْبِتُ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ التِّينَ وَالزَّيْتُونِ إِشَارَةٌ إِلَى الْقُدُسِ وَهِيَ مَبْعَثُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ أَشَارَ إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ وَمَكَّةَ. وَطُورِ سَيْنَاءَ هِيَ الْمَكَانُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَهْدُ إِلَيْهِ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ مَكَّةَ مَبْعَثُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَكُونُ تَعَالَى قَدْ أَقْسَمَ بِثَلَاثَةِ مَوَاقِعَ مُشْرِفَةً بِبَعْثِهِ فِيهَا ثَلَاثَةَ مِنَ الرُّسُلِ الْكَرَامِ أُولِي الْعِزِّ. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ التِّينُ وَالزَّيْتُونُ إِشَارَةً إِلَى أَمَاكِنَ وَذِكْرِيَّاتِ ذَاتِ عِلَاقَةٍ بِالذِّينِ وَالْإِيمَانِ، أَوْ ذَاتِ عِلَاقَةٍ بِنَشْأَةِ الْإِنْسَانِ.

(٢) - وَطُورُ سَيْنَاءَ هُوَ جَبَلُ الطُّورِ الَّذِي يَقَعُ فِي سَيْنَاءَ وَعِنْدَهُ كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَادَاهُ. طُورُ سَيْنَاءَ - جَبَلُ الطُّورِ.

(٣) - وَهَذَا الْبَلَدُ (يَعْنِي مَكَّةَ) الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَ فِيهِ أَوَّلَ بَيْتٍ لِلْعِبَادَةِ وَضِعَ لِلنَّاسِ. الْبَلَدُ الْأَمِينُ - مَكَّةَ.

وَطُورِ سَيْنَاءَ

وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ

(الْإِنْسَانُ)

(٤) - لَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ السَّابِقَةِ بِعُھُودٍ أَرْبَعَةٍ .
أَرْسَلَ فِيهَا رُسُلًا كَانَ لَهُمْ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْإِيمَانِ هُمْ : آدَمُ
وَنُوحٌ وَمُوسَى وَمُحَمَّدٌ ، عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ،
وَأَكْمَلَ هَيْئَتِهِ ، مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ ، يَسْتَعْمِلُ أَطْرَافَهُ فِيمَا يُرِيدُ ، وَلَهُ عَقْلٌ يُمَيِّزُ
بِهِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالصَّحِيحِ مِنَ الْخَطِئِ فَمَيَّزَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ عَلَى
الْمَخْلُوقَاتِ الْآخَرَى فِي الْأَرْضِ .
أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ - أَكْمَلَ تَعْدِيلٍ وَأَحْسَنَ صُورَةٍ .

(رَدَدْنَاهُ) (سَافِلِينَ)

(٥) - وَلَكِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ الَّذِي خُلِقَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، وَأَكْمَلَ
عَقْلٍ ، غَفَلَ عَمَّا مَيَّزَهُ اللَّهُ بِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ عَقْلَهُ فِيمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ
يَسْتَعْمِلَهُ فِيهِ ، فَانْحَطَّ بِنَفْسِهِ إِلَى مُسْتَوَى الْحَيَوَانَاتِ - أَسْفَلَ سَافِلِينَ - ،
وَأُصْحِحَ هَمُّهُ الْإِقْبَالَ عَلَى الدُّنْيَا وَمَلَذَاتِهَا ، وَالاسْتِمْتَاعَ بِشَهَوَاتِهَا ، إِلَّا مَنْ
رَحِمَ اللَّهُ .
رَدَدْنَاهُ - أَيُّ الْكَافِرِ أَوْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ .
أَسْفَلَ سَافِلِينَ - إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ إِلَى النَّارِ أَوْ إِلَى مُسْتَوَى الْبَهَائِمِ فِي
الْأَعْمَالِ .

(أَمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٦) - وَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذَا الانْحِطَاطِ إِلَى أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
بِرَبِّهِمْ ، وَعَرَفُوا أَنَّ لِهَذَا الْكَوْنِ مُوجِدًا وَمُدَبِّرًا ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ
بِالشَّرَائِعِ لِهِدَايَةِ النَّاسِ ، وَأَنَّ هُنَاكَ بَعْثًا ثُمَّ حِسَابًا وَجَزَاءً عَلَى
الْأَعْمَالِ ، فَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الدُّنْيَا ، وَهُؤُلَاءِ سَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ فِي
الْآخِرَةِ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَسَيُعْطِيهِمْ رَبُّهُمْ عَطَاءً جَزِيلًا لَا
يَنْقُطُ .

(٧) - فَمَا الَّذِي يَحْمِلُكَ يَا آبْنَ آدَمَ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْجَزَاءِ عَلَى
الْأَعْمَالِ فِي الْآخِرَةِ (بِالَّذِينَ) ؟ فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ
سَوَّاكَ بَشَرًا سَوِيًّا ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَكَ مِنْ قَبْرِكَ وَيَحْسِبَكَ
الَّذِينَ - الْحِسَابَ وَالْجَزَاءَ .

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ أَجْرٌ عِزٌّ مُمْتَنُونَ

فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ

أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

(الْحَاكِمِينَ)

(٨) - أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْدَلَ الْعَادِلِينَ حِينَ يَحْكُمُ فِي الْخَلْقِ، وَيَجْزِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، بَعْدَ أَنْ أَقَامَ لَهُمُ الْأَدِلَّةَ وَالْبَرَاهِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي الْآفَاقِ عَلَى وَجُودِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَدْلِهِ، وَعَلَى عَنَانِهِ بِالْإِنْسَانِ وَتَفْضِيلِهِ إِيَّاهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ.

(٩٦) سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا تَشَعُّعٌ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

(١) - الْآيَاتُ الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ هِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ. فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ اعْتَادَ عَلَى أَنْ يَتَعَبَّدَ رَبَّهُ فِي غَارٍ حِرَاءٍ قُرْبَ مَكَّةَ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقَالَ النَّبِيُّ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَهُ الْمَلَكُ فَضَعَطَهُ (عَظَّهُ) حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ، ثُمَّ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَفِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ سَأَلَهُ النَّبِيُّ وَمَاذَا اقْرَأ؟ فَقَالَ الْمَلَكُ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. وَلَمَّا فَارَقَ الْمَلَكُ النَّبِيَّ، عَادَ النَّبِيُّ إِلَى زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ يَزْتَجِفُ، وَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. وَلَمَّا هَذَا رَوَّعَهُ قَصٌّ عَلَى خَدِيجَةَ مَا رَأَى، وَقَالَ لَهَا خَشِيبٌ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ كَلَّا. أَبَشِّرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الزَّمَنِ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مُفْتَتِحًا قِرَاءَتَكَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي لَهُ وَحْدَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْخَلْقِ.

(الْإِنْسَانُ)

﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ

(٢) - وَرَبُّكَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، السَّوِيُّ الْقَوِيَّ، مِنْ نُطْفَةٍ تَنْطَلِقُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ فَتَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ الْأُنْثَى، فَتَتَطَوَّرُ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَتُصْبِحُ عَلَقَةً (كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى)، ثُمَّ يَسْتَمِرُّ التَّطَوُّرُ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ حَتَّى يَتَكَمَّلَ وَيُولَدَ طِفْلًا.

الْعَلَقُ - اسْتِحَالَةُ الْمَيِّ إِلَى دَمٍ جَامِدٍ

﴿٣﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ

(٣) - وَأَفْعَلُ مَا أَمَرْتُ بِهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ (اقْرَأْ)، وَرَبُّكَ الْأَكْثَرُ كَرَمًا وَجُودًا لِكُلِّ مَنْ يَرْتَجِي مِنْهُ الْإِعْطَاءَ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُسِّرَ عَلَيْكَ نِعْمَةَ الْقِرَاءَةِ.

﴿٤﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

(٤) - وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ أَنْ يَكْتُبَ بِالْقَلَمِ ، وَجَعَلَ الْكِتَابَةَ بِالْقَلَمِ وَسِيلَةً لِإِذْرَاكِ الْإِنْسَانِ الْعُلُومَ ، وَالْمَعَارِفَ ، حَتَّى يَبْلُغَ مَا يَبْلُغُ ، وَيَفْضُلَ الْقَلَمَ حِفْظَ الْعُلُومِ ، وَانْتَقَلَ فِي الْأَرْضِ مِنْ صَقْعٍ إِلَى صَقْعٍ .

﴿٥﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

(الْإِنْسَانَ)

(٥) - وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ جَمِيعَ مَا هُوَ مُتَمَتِّعٌ بِهِ مِنَ الْعُلُومِ ، وَكَانَ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا .

﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطٍ

(الْإِنْسَانَ)

(٦) - يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَطْغَى ، وَيَخْرُجُ عَنِ الْحَدِّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ ، وَيَسْتَكْبِرُ عَنِ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ ، وَيَتَطَاوَلُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ بِالْأَدَى . كَلَّا - حَقًّا .

﴿٧﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْيَى

(رَأَاهُ)

(٧) - وَهَذَا الْإِنْسَانُ يَتَطَاوَلُ وَيَتَجَبَّرُ إِذَا رَأَى نَفْسَهُ قَدْ اسْتَعْنَى وَكَثُرَ مَالُهُ .

﴿٨﴾ إِنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ

(٨) - ثُمَّ هَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ الطَّاعِيَةَ الْمُتَطَاوِلَ الْمُسْتَعْنَى بِمَالِهِ ، بِأَنَّهُ سَيَرْجِعُ إِلَىٰ رَبِّهِ لَا مَحَالَةَ ، وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُهُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ خَيْرَهَا وَشَرِّهَا .

الرُّجْعَى - الرُّجُوعُ فِي الْآخِرَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .

﴿٩﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ

(أَرَأَيْتَ)

(٩) - أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ هَذَا الطَّاعِيَةِ الَّذِي نَسِيَ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالْمَالِ ، وَهُوَ يَنْهَىٰ عَبْدًا مُؤْمِنًا عَنْ أَدَاءِ الصَّلَاةِ لِرَبِّهِ .

﴿١٠﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّاهُ

(١٠) - وَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ الْآيَةُ وَالْآيَاتُ قَبْلَهَا فِي أَبِي جَهْلٍ عَمْرٍو بْنِ هِشَامٍ ، فَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْكُفَّةِ ، وَتَوَعَّدَهُ أَنْ عَادَ إِلَى الصَّلَاةِ هُنَاكَ فَوَعَّظَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ .

﴿١١﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ لَهْدَىٰ

(أَرَأَيْتَ)

(١١) - فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ مُهْتَدِيًّا إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ فِي فِعْلِهِ هَذَا .

(١٢) - أَوْ كَانَ يُأْمَرُ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَأَنْتَ تَرْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ، وَتَنْهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ؟

(وَهُنَاكَ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: مَاذَا لَوْ تَخَلَّقَ هَذَا الطَّاعِيَةُ بِاخْتِلَافِ الْمُصْلِحِينَ، وَدَعَا إِلَى الْبِرِّ، وَتَقْوَى اللَّهِ أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُ مِنَ الْكُفْرِ بِرَبِّهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الطَّاعَةِ؟).

(أَرَأَيْتَ)

(١٣) - أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْكَافِرِ الَّذِي يَكْفُرُ بِرَبِّهِ وَيُكَذِّبُ رَسُولَهُ وَيَهْدِدُهُ إِنَّ صَلَّى عِنْدَ الْبَيْتِ، وَيُعْرِضُ عَمَّا يَدْعُوهُ الرَّسُولُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ، أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَيْرِ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَيَهْتَدِيَ، مَخَافَةَ أَنْ تَحُلَّ بِهِ قَارِعَةٌ أَوْ يُصِيبَهُ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ لَا طَاقَةَ لَهُ بِدَفْعِهِ؟.

(١٤) - أَمَّا عَلِمَ هَذَا الطَّاعِيَةُ الَّذِي يَكْفُرُ بِاللَّهِ، وَيَنْهَى النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَيَنْهَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَأَنَّهُ سَيَجْزِيهِ عَلَى أَفْعَالِهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى؟.

(لَئِنْ)

(١٥) - فَإِنْ لَمْ يَنْتَهُ هَذَا الطَّاعِيَةُ الْمُجْرِمُ عَمَّا يَفْعَلُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُقْسِمُ عَلَى أَنَّهُ سَيَجْزِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَذْبًا شَدِيدًا مِنْ شَعْرِ جَهَنَّمَ، فَيَكْبُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ عَلَى وَجْهِهِ، فَعَلَى هَذَا الطَّاعِيَةُ أَلَّا يَعْتَزَّ بِالْإِثْمِ، وَأَلَّا يَسْتَمِرَّ فِي غُرُورِهِ.

(وَقِيلَ بَلِ الْمَعْنَى هُوَ: سَنَجْعَلُ نَاصِيَةَ هَذَا الْمُجْرِمِ سَوْدَاءَ اللَّوْنِ؛ كَمَا يَسْتَحِيلُ لَوْنُ الْأَنْفِ الَّذِي تُوضَعُ عَلَيْهَا الْقُدُورُ لِلطَّبْخِ إِلَى السَّوَادِ فَتَصْبُحُ سَفْعُ اللَّوْنِ).
لَنَسْفَعَنَ - لَنَجْذِبَنَّهُ وَنَسْحَبَنَّهُ إِلَى النَّارِ.
الْناصِيَةُ - شَعْرُ الْجَهَنَّمَ.

(كَاذِبَةٍ)

(١٦) - وَصَاحِبُ هَذِهِ النَّاصِيَةِ (وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ) كَاذِبٌ فِي أَغْتِرَارِهِ بِقُوَّتِهِ، وَفِي زَعْمِهِ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَإِنَّهُ لَمُخْطِئٌ فِي طُعْيَانِهِ، وَتَجَاوَزَهُ حَدُّهُ، وَعَتُوُّهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.

(١٧) - وَبَعْدَ أَنْ حَذَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ وَهَدَّدَهُ، رَأَاهُ يَوْمًا يَصَلِّي فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ أَتْلُكَ يَا مُحَمَّدٌ عَنْ هَذَا وَتَوَعَّدَهُ؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ

﴿١٢﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى

﴿١٣﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى

﴿١٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَى

﴿١٥﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهُ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ

﴿١٦﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ

﴿١٧﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ

الرَّسُولُ وَأَغْلَطَ لَهُ وَأَنْتَهَرَهُ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا أَيُّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أَمَا وَاللَّهِ
إِنِّي أَكْثَرُ هَذَا الْوَادِي نَادِيًا.
نَادِيَهُ - أَهْلُ مَجْلِسِهِ.

١٨ سَنَدُ الرَّبَّانِيَّةِ

(١٨) - وَرَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الطَّاعِيَةِ الْمُجْرِمِ ، مُوبِخًا وَمُهَدِّدًا ، فَقَالَ
لَهُ : لِيَدْعُ مَنْ أَرَادَ مِمَّنْ يَسْمُرُونَ فِي نَادِيهِ لِيَنْصُرُوهُ ، وَيُسَاعِدُوهُ عَلَى مَنَعِ
الْمُصَلِّينَ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَعَلَى إِيْذَاءِ الصَّالِحِينَ ، فَإِنْ فَعَلَ فَإِنَّهُ سَيَتَعَرَّضُ
لِسُخْطِ اللَّهِ ، وَسَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى جُنُودَهُ الَّذِينَ أُوْكِلَ إِلَيْهِمْ تَعْذِيبُ الْعَصَاةِ
الطَّغَاةِ فِي النَّارِ (الرَّبَّانِيَّةِ) فَيَهْلِكُونَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَيَتَوَلَّوْنَ عَذَابَهُ فِي النَّارِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَسَيَعْلَمُ ذَلِكَ الطَّاعِيَةُ مَنْ يَغْلِبُ : حِزْبُ اللَّهِ أَمْ حِزْبُهُ هُوَ؟
الرَّبَّانِيَّةُ - مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فِي النَّارِ.

(١٩) - لَا تَطْعُ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْمُشْرِكِ فِيمَا يَنْهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى
الْعِبَادَةِ ، وَصَلَّ حَيْثُ شِئْتَ ، وَلَا تَسْأَلْ بِهِ ، فَإِنَّهُ أَضْعَفُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَكَ
بِسُوءٍ ، وَتَقَرَّبَ بِعِبَادَتِكَ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ ، وَهُوَ يَعِصُّمُكَ
مِنَ النَّاسِ .



١٩ كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَأَسْجُدْ
وَأَقْتَرِبْ

(٩٧) سُورَةُ الْقَدَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا خَمْسَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ

(أُنزِلْنَاهُ)

(١) - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ مُفَصَّلًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(وَقَالَ مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ: إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ تَنْزِيلَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ، ثُمَّ أَنْزَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، بِحَسَبِ الْحَوَادِثِ الَّتِي كَانَتْ تَدْعُو إِلَى نُزُولِ شَيْءٍ مِنْهُ، تَثْبِيثًا لِمَا أَشْكَلَ مِنَ الْفِتَوَى فِيهَا، أَوْ عِزَّةً بِمَا يَقُصُّ مِنْ قُصَصٍ وَزَوَاجِرٍ).

لَيْلَةُ الْقَدَرِ - لَيْلَةُ الشَّرَفِ الْعَظِيمَةِ.

(أَدْرَاكَ)

﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ

(٢) - وَمَا الَّذِي تَعْلَمُهُ أَنْتَ عَنْ فَضْلِهَا، وَعُلُوِّ قَدْرِهَا، فَذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ.

(٣) - فَلَيْلَةُ الْقَدَرِ مُبَارَكَةٌ بَدَأَ فِيهَا بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِبَيْدَاءِ عَهْدِ النُّبُوَّةِ وَالنُّورِ وَالْهُدَى، وَهِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ أَشْهُرِ الْجَاهِلِيَّةِ، الَّتِي كَانَ النَّاسُ يَتَحَبَّطُونَ فِيهَا فِي ظُلَامِ الشِّرْكِ وَالْوَهْنِيَّةِ.

(الْمَلَائِكَةُ)

﴿٤﴾ نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا

(٤) - تَنَزَّلَتِ الْمَلَائِكَةُ فِيهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَمَثَّلَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُبَلِّغًا لِلْوَحْيِ، وَكَانَ هَذَا التَّجَلِّيُّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَكْثُرُ تَنْزُلُهُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ لِعَظَمِ بَرَكَتِهَا).

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ

الرُّوحُ - جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.
مِنْ كُلِّ أَمْرٍ - بِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ.

(سَلَامٌ)

سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ

(٥) - وَهِيَ لَيْلَةٌ كُلُّهَا سَلَامٌ وَأَمْنٌ وَخَيْرٌ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَأَهْلِ طَاعَتِهِ،
مِنْ مَبْدِئِهَا إِلَى نَهَائِهَا فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

(٩٨) سُورَةُ الْبَيِّنَةِ هَدْيَانِيَّةٌ وَأَيُّهَا مَا كَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْكِتَابِ)

(١) - لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَبِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ، وَانْكُرُوا نُبُوَّتَهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى - أَهْلُ الْكِتَابِ - وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ، بِمُقَارِقِينَ كُفْرَهُمْ، وَمَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ، وَلَا مُتَخَلِّينَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنِ الْحَقِّ، حَتَّى تَأْتِيَهُمْ بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .
مُنْفَكِّينَ - مُزَايِلِينَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ .
الْبَيِّنَةُ - الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ وَهِيَ الرُّسُولُ .

(يَتْلُو)

(٢) - وَهَذِهِ الْبَيِّنَةُ الَّتِي يَنْتَظِرُونَ إِرسَالَهَا إِلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ، هِيَ بَعَثُ رَسُولٍ إِلَيْهِمْ، يَأْتِيهِمْ بِقُرْآنٍ مُطَهَّرٍ مُنْزَعٍ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّحْرِيفِ، وَيَتَضَمَّنُ كُتُبَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ الَّتِي تَنْطَلِقُ بِالْحَقِّ، كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى .
(٣) - وَالْبَيِّنَةُ الَّتِي يَنْتَظِرُونَ إِرسَالَهَا إِلَيْهِمْ هِيَ صُحُفٌ مُطَهَّرَةٌ فِيهَا أَحْكَامٌ مُسْتَقِيمَةٌ نَاطِقَةٌ بِالْحَقِّ وَالصَّوَابِ .
(وَقِيلَ إِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمَقْصُودُ بِالْكُتُبِ الْوَارِدَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ سُورَةُ الْقُرْآنِ وَأَيَّاتُهُ، أَوْ الْأَحْكَامُ وَالشَّرَائِعُ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا) .
فِيهَا كُتُبٌ - آيَاتٌ وَأَحْكَامٌ مَكْتُوبَةٌ .
قِيَمَةٌ - مُسْتَقِيمَةٌ مُحْكَمَةٌ .

(الْكِتَابِ)

(٤) - وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ وَمَذَاهِبَ، حَتَّى صَارَ أَهْلُ كُلِّ مَذْهَبٍ يُبْطِلُونَ مَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ بَغْيًا وَعُدْوَانًا، قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ أَنْتَ بِبَيِّنَتِكَ، وَإِذَا كَانُوا قَدْ جَحَدُوا بِبَيِّنَتِكَ فَهُمْ قَدْ جَحَدُوا بِبَيِّنَةٍ مِّنْ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ
حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ

رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً

فِيهَا كُتُبٌ قِيَمَةٌ

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ

قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْكَرُوا آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ أَسْتَفْتَتْهَا أَنْفُسُهُمْ. وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ خَالُ أَهْلِ الْكِتَابِ فَمَا ظَنُّكَ بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْرَقُوا فِي الْكُفْرِ وَالْجَهَالَةِ؟ وَمَا تَفَرَّقُوا - وَمَا اخْتَلَفُوا فِي الرُّسُولِ بَيْنَ مُؤْمِنٍ وَجَاحِدٍ.

(الصَّلَاةُ) (الرَّكَاءَةُ)

(٥) - وَقَدْ تَفَرَّقَ هَؤُلَاءِ وَاخْتَلَفُوا بَغْيًا وَعُدْوَانًا، وَلَمْ يَوْمَرُوا بِالتَّفَرُّقِ وَالْاِخْتِلَافِ، وَإِنَّمَا أُمِرُوا بِمَا يُصْلِحُ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَبِمَا يُحَقِّقُ لَهُمُ السَّعَادَةَ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ: مِنْ إِخْلَاصِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَتَطْهِيرِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الشَّرِكِ بِهِ، وَاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنِ الشَّرِكِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَأَدَائِهَا حَقَّ الْأَدَاءِ، وَدَفْعِ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ... وَهَذَا هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَ فِي الْكُتُبِ الْقَيِّمَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ الَّتِي لَا عِوَجَ فِيهَا.

(الْكِتَابُ) (خَالِدِينَ) (أُولَئِكَ)

(٦) - وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ دَسَّسُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشَّرِكِ، وَاجْتَرَحَ السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْآثَامَ، وَإِنْكَارِ الْحَقِّ الْوَاضِحِ بَعْدَمَا عَرَفُوهُ، سَيَجَازِيهِمْ رَبُّهُمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَبِمَا أَعْرَضُوا عَنْ دَعْوَةِ الرُّسُولِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ شَرُّ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا لِأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا الْحَقَّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَامَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ.

الْبَرِّيَّةُ - الْخَلْقُ - الْبَشَرُ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ) (أُولَئِكَ)

(٧) - أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَاهْتَدَوْا بِهَدَاةِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَبَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ، وَأَحْسَنُوا مُعَامَلَةَ خَلْقِ اللَّهِ. فَأُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ آدَوْا حَقَّ الْعَقْلِ الَّذِي شَرَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ، فَاتَّبَعُوا الْهُدَى، وَحَفِظُوا الْفَضِيلَةَ بِعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ.

(جَنَّاتُ) (الْأَنْهَارِ) (خَالِدِينَ)

(٨) - وَنَجَازِي اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِإِدْخَالِهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ يُقِيمُونَ فِيهَا أَبَدًا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ حَازُوا رِضَا اللَّهِ بِالتَّزَامِ حُدُودِ شَرِيعَتِهِ، وَنَالُوا مَا يُرْضِيهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، وَهَذَا الْمَجْزَاءُ الْحَسَنُ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ مَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ خَشْيَةُ اللَّهِ وَالْخَوْفُ مِنْهُ.

﴿٥﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ

لَهُ الدِّينَ حَقَّاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ

الْقَيِّمَةِ

﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ

شَرُّ الْبَرِيَّةِ

﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ

الْبَرِيَّةِ

﴿٨﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ

(٩٩) سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ الْمَدِينَةِ
وَأَيُّهَا مَثَارُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - كَانَ الْكُفَّارُ كَثِيرًا مَّا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّاعَةِ وَالْحِسَابِ، وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَلَامَاتٍ قِيَامِ السَّاعَةِ. إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ وَأَضْطَرَبَتْ، وَتَحَرَّكَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا حَرَكَةً شَدِيدَةً.

(٢) - وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ مَا فِي جَوْفِهَا مِنْ أَمْوَاتٍ وَسَوَائِلِ مَنْصَهَرَةٍ وَمَعَادِنَ. وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾^(١).

(الْإِنْسَانُ)

(٣) - وَيَقُولُ الْأَحْيَاءُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ هَذِهِ الزَّلْزَلَةَ، وَهُمْ مَشْدُوهُونَ مِنْ هَوْلٍ مَا يَرَوْنَ: مَا الَّذِي وَقَعَ لِهَذِهِ الْأَرْضِ؟ فَيَعُدُّ أَنْ كَانَتْ سَاكِنَةً مُسْتَقَرَّةً، صَارَتْ مُتَحَرِّكَةً مُضْطَرِبَةً، لَقَدْ أَتَاهَا مِنْ أَمْرِ رَبِّهَا مَا أَتَاهَا.

(يَوْمِئِذٍ)

(٤) - فَإِذَا وَقَعَتِ الزَّلْزَلَةُ، وَأَضْطَرَبَتِ الْأَرْضُ، وَتَحَرَّكَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا حِينِيذٍ تُحَدِّثُ الْأَرْضُ بِمَا عَمِلَ الْعَامِلُونَ عَلَى ظَهْرِهَا. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ هَذِهِ الْآيَةَ (يَوْمِئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)، وَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ فَإِنْ أَخْبَارُهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَكُلِّ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا. فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

(٥) - وَقَدْ حَدَّثَ كُلُّ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهَا بِأَنْ تَنْزِلَ وَتَنْشَقَّ وَتُحَدِّثَ بِمَا فَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى ظَهْرِهَا فَأَطَاعَتْ أَمْرَ رَبِّهَا.

١ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا

٢ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

٣ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا

٤ يَوْمِئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا

٥ يَا نَبِيَّكَ أَوْحَى لَهَا

(٦) - وَيَوْمَ تَنْزَلُ الْأَرْضُ، وَتَنْدُكُ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَجْمَعُهُمْ لِلْحِسَابِ. وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِعَذْلِهِ الْمُطْلَقِ، فَيَرْجِعُ النَّاسُ عَنْ مَوْفِقِ الْحِسَابِ (يَصْدُرُ النَّاسُ) أَصْنَافاً مُتَمَايِزِينَ، فَيَكُونُ الْمُحْسِنُونَ مَعاً، فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُثُوبَةِ وَيَكُونُ الطَّغَاةُ الْمُجْرِمُونَ وَالْمُسِيئُونَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى دَارِ الْعُقُوبَةِ لِيَلْقُوا جَزَاءَ مَا عَمِلُوهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(٧) - فَمَنْ عَمِلَ عَمَلٌ خَيْرٍ فَإِنَّهُ سَيَجِدُ ثَوَابَهُ مَهْمَا كَانَ حَقِيرًا، حَتَّى وَلَوْ كَانَ فِي وَزْنِ الذَّرَّةِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تُفْرَغَ مِنْ ذُلُوكَ فِي إِنْاءٍ الْمُسْتَسْقَى). وَقَالَ أَيْضًا: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ). (أَخْرَجَهُمَا الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ) مِثْقَالَ ذَرَّةٍ - مِثْلُ وَزْنِ الذَّرَّةِ.

(٨) - وَمَنْ عَمِلَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ سُوءٍ فَإِنَّهُ وَاجِدٌ جَزَاءَهُ عِنْدَ رَبِّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَافًا
لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ

(١٠٠) سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْعَادِيَّاتِ)

(١) - يُقْسِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْخَيْلِ الَّتِي تَجْرِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَسْمَعُ لَهَا زَفِيرٌ شَدِيدٌ لِشِدَّةِ عَذْوِهَا.
(وَيُقْسِمُ تَعَالَى بِالْخَيْلِ الَّتِي يُعَلِّي مِنْ قَدْرِهَا فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ، لِيَعْتَزُّوا بِهَا، وَيُكْرِمُوهَا، وَيَتَّخِذُوهَا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ تَعَالَى).
الْعَادِيَّاتُ - الْخَيْلُ.
ضَبْحًا - زَفِيرُ الْخَيْلِ الشَّدِيدُ حِينَمَا تَرْكُضُ.

(فَالْمُورِبَاتِ)

(٢) - وَالْخَيْلُ الَّتِي تَعْدُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَضْرِبُ بِحَوَافِرِهَا الْأَرْضَ فَيَتَطَايَرُ الشَّرُّ مِنْ أَثَارِ ضَرْبِ الصُّخُورِ بِحَدِيدِ نَعَالِهَا.
الْمُورِبَاتُ - الْمُخْرِجَاتُ النَّارِ بِصَكِّ حَوَافِرِهَا بِالصُّخْرِ.

(فَالْمُغِيرَاتِ)

(٣) - وَالْخَيْلُ الَّتِي تُغِيرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي الصَّبَاحِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ لِأَخْذِهِمْ عَلَى جِيبِ غَرَّةٍ مِنْهُمْ.
(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ لِيُغِيرَ عَلَى مَنْ أَرَادَ الْإِغَارَةَ عَلَيْهِ، فَإِذَا سَمِعَ فِي حَيْثُهم أَدَانًا كَفَّ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ يُدْرِكُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ مُتَمَسِّكُونَ بِالصَّلَاةِ وَالْإِغَارَةِ عَلَيْهِمْ).
الْمُغِيرَاتِ ضَبْحًا - الْمُبَاغَاتِ لِلْعَدُوِّ وَقْتَ الصَّبَاحِ.

(٤) - فَأَنَارَتِ الْخَيْلُ الْعُبَارَ أَثْنَاءَ رُكُضِهِنَّ لِإِدْرَاكِ الْأَعْدَاءِ، وَفِي جَرِيهِنَّ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ.
أَثْرُنَ - أَخْرَجْنَ.
النَّقْعَ - الْعُبَارَ.

١ وَالْعَادِيَّتِ ضَبْحًا

٢ فَاَلْمُورِبَتِ قَدَحًا

٣ فَاَلْمُغِيرَتِ ضَبْحًا

٤ فَاَثْرَنَ بِهِ نَقْعًا

(٥) - فَجَعَلَنَ الْعُبَارَ يَتَوَسَّطُ جَمْعَ الْأَعْدَاءِ حَتَّى يُصِيبَهُ الرَّعْبُ وَالْفَزَعُ.
وَسَطْن - تَوَسَّطْنَ جَمْعَ الْأَعْدَاءِ..

(الْإِنْسَانُ)

(٦) - ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَشَدِيدُ الْكُفْرَانِ
وَالْجُحُودِ لِأَنْعَمَ اللَّهُ .
كُنُودٌ - كَفُورٌ جَحُودٌ .
(وَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكُنُودَ فَقَالَ: الْكُنُودُ الَّذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَيَضْرِبُ
عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ).

(٧) - وَإِنَّ الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ كُنُودٌ مُتَمَادٍ فِي الْكُفْرَانِ وَالْجُحُودِ
لِأَنْعَمَ اللَّهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ رَبِّهِ عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ. وَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ
عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ كُنُودٌ، وَهِيَ شَهَادَةٌ بِلِسَانِ الْحَالِ .
(وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْإِنْسَانَ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْآخِرَةِ بِذُنُوبِهِ).

(٨) - وَإِنَّ الْإِنْسَانَ بِسَبَبِ حُبِّهِ الشَّدِيدِ لِلْمَالِ، وَشَغَفِهِ بِهِ وَتَعَلُّقِهِ بِجَمْعِهِ
وَأَدْخَارِهِ، لَبَخِيلٌ شَدِيدُ الْبُخْلِ، حَرِيصٌ مُتَنَاهٍ فِي حِرْصِهِ، وَمُمْسِكٌ
مُتَنَاهٍ فِي إِمْسَاكِهِ.

(٩) - أَفَلَا يَعْلَمُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْبَخِيلُ بِالْمَالِ، الْحَرِيصُ عَلَى جَمْعِهِ، أَنَّ
اللَّهُ إِذَا بَعَثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ مِنَ الْأَمْوَاتِ .
بُعِثَ - أُبْعِثَ وَأُخْرِجَ وَنُبِثَ.

(١٠) - وَظَهَرَ مَا كَانَ النَّاسُ يُسِرُّونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ .
حُصِّلَ - جُمِعَ وَأُظْهِرَ.

(يَوْمَئِذٍ)

(١١) - فَإِذَا بُعِثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَظَهَرَ مَا أَخْفَتْهُ الصُّدُورُ، فَجِئْتِذْ يُدْرِكُ
الْإِنْسَانَ الْبَخِيلُ الْكُنُودُ، الْحَرِيصُ عَلَى جَمْعِ الْمَالِ، أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
كَانَتْ تَنْطَوِي عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَأَنَّهُ مُجَازِيهِ عَلَى جُحُودِهِ وَكُفْرِهِ بِأَنْعَمَ رَبِّهِ
عَلَيْهِ.

٥ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا

٦ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ

٧ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ

٨ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ



٩ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ

مَا فِي الْقُبُورِ

١٠ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ

١١ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ

(١٠) سُورَةُ الْفَارِعَةِ كَبِيرًا وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - الْفَارِعَةُ أَسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِهَوْلِهَا.

(٢) - وَأَيُّ شَيْءٍ هِيَ الْفَارِعَةُ؟ وَكَأَنَّهَا لَشِدَّتُهَا، وَلِعِظَمِ مَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ أَهْوَالٍ، يَصْعَبُ تَصَوُّرُهَا.
(أَدْرَاكَ)

(٣) - وَأَيُّ شَيْءٍ يُعْرَفُكَ بِهَا؟ فَهِيَ شَيْءٌ لَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَصَوَّرَهُ وَيَتَخَيَّلَهُ.

(٤) - ثُمَّ فَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْفَارِعَةَ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَيَارَى، هَائِمِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَلَا يَدْرُونَ مَا يَفْعَلُونَ، وَكَأَنَّهُمْ الْفَرَّاشُ الْمُتَطَايِرُ الْمُتَشَتِّرُ.
المُبْثُوثُ - الْمُتَشَتِّرُ الْمُتَفَرِّقُ.

(٥) - وَتَكُونُ الْجِبَالُ قَدْ تَفَشَّتْ وَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهَا وَأَصْبَحَتْ مِثْلَ الصُّوفِ الَّذِي نَفْسٌ تَفَرَّقَتْ شَعْرَاتُهُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ حَتَّى صَارَ يَطِيرُ مَعَ الرِّيحِ.
الْمَبْنُ - الصُّوفُ.
الْمُنْفُوشُ - الْمُتَفَرِّقُ أَوْ الْمَصْبُوغُ.

(مَوَازِينُهُ)

(٦) - فَأَمَّا الَّذِي رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، أَيْ ثَقُلَتْ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ، فَهَبَطَتْ كَفَّتُهَا، وَخَفَّتْ أَعْمَالُهُ السَّيِّئَةُ، فَثَالَثَتْ كَفَّتُهَا.

(٧) - فَجَزَاؤُهُ الْجَنَّةُ، وَتَكُونُ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ تَقَرُّ بِهَا عَيْنُهُ، وَيَسْرُّ بِهَا قَلْبُهُ.

١ أَلْفَارِعَةُ

٢ مَا أَلْفَارِعَةُ

٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا أَلْفَارِعَةُ

٤ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَّاشِ الْمُبْثُوثِ

٥ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ

٦ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ

٧ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ

(مَوَازِينُهُ)

(٨) - وَأَمَّا مَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، فَثَقُلَتْ كَفَّةُ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ، وَخَفَّتْ كَفَّةُ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ.

(٩) - فَإِنَّهُ يَأْوِي إِلَى مَهْوَاةٍ سَحِيقَةٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهَا كَمَا يَأْوِي الْوَلَدُ إِلَى أُمِّهِ.

(وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى إِنَّهُ يَهْوِي فِي جَهَنَّمَ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ).

(أُذْرَاكَ)

(١٠) - وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِيكَ وَيُعْرِفُكَ بِمَا هِيَ تِلْكَ الْهَآوِيَةُ؟

(١١) - إِنَّهَا نَارٌ مُلْتَهَبَةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ، يَهْوِي فِيهَا الْمُجْرِمُ الظَّالِمُ لِيَبْقَى فِيهَا خَالِدًا، جَزَاءً لَهُ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ سَيِّئَاتٍ.

﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ،

﴿٩﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ

﴿١٠﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ

﴿١١﴾ نَارُ حَامِيَةٍ

(١٠٢) سُوْرَةُ النَّكَارِ مُكَيَّنَةً وَأَيَّانَهَا مَكَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْهَائِكُمْ)

(١) - شَغَلَكُمُ التَّفَاخُرُ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَنْصَارِ وَالْأَشْيَاعِ عَنْ
طَلَبِ الْآخِرَةِ، وَالْعَمَلِ لَهَا.
الْهَائِكُمْ - شَغَلَكُمُ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ.
التَّكَاثُرُ - التَّبَاهِي بِكَثْرَةِ الْمَالِ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

(٢) - وَمَا زَالَ هَذَا حَالَكُمْ حَتَّى هَلَكَتُمْ، وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ.
زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ - مُتَمِّمْ وَفِيرْتُمْ.

(٣) - كُفُّوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّبَاهِي، وَالتَّفَاخُرِ، وَفِعْلِ الْمُنْكَرَاتِ،
وَتَرْكِ طَاعَةِ اللَّهِ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

(٤) - ثُمَّ أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى زَجْرَهُ لِهَؤُلَاءِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَهَدَّدَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَوْفَ
يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ.

(٥) - فَكُفُّوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَغْيِيرِ النَّفْسِ، فَإِنَّكُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ
أَمْرِكُمْ، وَعَاقِبَتَهُ لَشَغَلَكُمُ ذَلِكَ عَنِ التَّكَاثُرِ بِالْأَوْلَادِ وَالْأَمْوَالِ، وَلَصَرَفَكُمُ
إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ.

(٦) - فَإِذَا اسْتَمَرَّ بِكُمْ الْحَالُ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَتَكُونَنَّ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
أَهْلِ النَّارِ، وَتَرَوْنَهَا بِأَعْيُنِكُمْ، فَاسْتَحْضَرُوا صُورَةَ عَذَابِهَا فِي أَذْهَانِكُمْ
لِتَعْظَمَكُمْ، وَتُنَبِّهَكُمْ إِلَى عَمَلٍ مَا فِيهِ خَيْرٌ لَكُمْ.

(٧) - وَلَتَرَوْنَهَا رُؤْيًى هِيَ الْيَقِينُ بَعِيْنَهُ، لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا شُبْهَةَ وَلَا لَبْسَ.

① أَلْهَيْكُمْ التَّكَاثُرُ

② حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ

③ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ

④ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ

⑤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ

⑥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ

⑦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ

(لَتُسْأَلُنَّ) (يَوْمَئِذٍ)

٨ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

(٨) - وَهَذَا النَّعِيمُ الَّذِي تَتَفَاخَرُونَ بِهِ، وَتَعُدُّونَهُ سَيِّئاً مِنْ أَسْبَابِ التَّبَاهِي، سَتُسْأَلُونَ عَنْهُ مَاذَا صَنَعْتُمْ بِهِ؟ وَهَلْ أَدَيْتُمْ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ؟ فَإِذَا كُنْتُمْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ، كَانَ هَذَا النَّعِيمُ لَكُمْ غَايَةَ الشَّقَاءِ فِي الْآخِرَةِ.

(١٠٣) سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - يُقَسِّمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالذَّهْرِ لِمَا فِيهِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَغَيْرِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

(الْإِنْسَانُ)

(٢) - إِنَّ الْإِنْسَانَ لَخَاسِرٌ فِي أَعْمَالِهِ. وَأَعْمَالُهُ مَصْدَرُ شَقَائِهِ، وَهِيَ الَّتِي تُوقِعُهُ فِي الْهَلَاكِ (وَهَذَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ).
خُسْرٌ - نَقْصَانٌ وَخَسَارَةٌ وَهَلَكَةٌ.

(آمَنُوا) (الصَّالِحَاتِ)

(٣) - قَالَ تَعَالَى: إِنَّ بَنِي الْإِنْسَانِ خَاسِرُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ
اعْتَقَدُوا اعْتِقَاداً صَاحِبِ بُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبِمَا أُنْزِلَ مِنَ الْكِتَابِ
عَلَى رُسُلِهِ الْكَرَامِ. ثُمَّ عَمِلُوا أَعْمَالاً صَالِحَةً تُرْضِي اللَّهَ، وَاجْتَنَبُوا مَا حَرَّمَ
اللَّهُ وَأَوْصَى بِغُضُّهُمْ بَعْضاً بِالصَّبْرِ عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي تَشْتَقُّ إِلَيْهَا
النُّفُوسُ الضَّعِيفَةُ، وَبِالصَّبْرِ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ الَّتِي يَشُقُّ عَلَى النُّفُوسِ
الْقِيَامُ بِهَا. . فَهَؤُلَاءِ الْمُسْتَشْنُونَ هُمُ الرَّابِحُونَ الْفَائِزُونَ.
تَوَاصَوْا - أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِفِعْلِ الْخَيْرِ.

١ وَالْعَصْرِ

٢ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ

٣ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

(١٠٤) سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِينَةً
وَأَيَّانَهَا نَسِيعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - يُهَدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى بِالسَّخَطِ وَالْعَذَابِ وَالْوَيْلِ مَنْ كَانَ ذَا بَعِ الطَّعْنِ فِي النَّاسِ ، يَعِيبُهُمْ ، وَيَتَنَقَّصُهُمْ ، وَيَأْكُلُ لَحُومَهُمْ بِالْغِيْبَةِ ، بِالْقَوْلِ ، وَبِالْإِشَارَةِ .

(وَيُرَوَّى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ ، وَقِيلَ : لَا بَلْ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَقَدْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا يَطْعَنُ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَتَنَقَّصُهُ) .

الْهُمَزَةُ - الطَّعْنُ الْمُغْتَابُ .

الْمُهمَزَةُ - الْعِيَابُ .

(٢) - وَالَّذِي دَعَاهُ إِلَى الْحَطِّ مِنَ أَقْدَارِ النَّاسِ ، وَالزَّرَايَةِ بِهِمْ ، هُوَ أَنَّهُ جَمَعَ مَالًا كَثِيرًا ، وَعَدَّدَهُ وَأَحْصَاهُ ، لِأَنَّهُ لَا يَرَى عِزًّا لِأَحَدٍ ، وَلَا شَرَفًا إِلَّا بِالْمَالِ .

عَدَّدَهُ - أَحْصَاهُ أَوْ أَعَدَّهُ لِلنَّوَائِبِ .

(٣) - وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ يَضْمَنُ لَهُ الْخُلُودَ فِي الدُّنْيَا ، وَيُعْطِيهِ الْأَمَانَ مِنَ الْمَوْتِ ، لِذَلِكَ فَسَانُهُ يَفْعَلُ أَعْمَالَ مَنْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بِأَقْوَانٍ مُخْلَدُونَ أَبَدَ الدَّهْرِ .

أَخْلَدَهُ - جَعَلَهُ خَالِدًا .

(٤) - كَلَّا إِنَّ مَالَهُ لَنْ يَخْلُدَهُ ، وَلَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَسَيُطْرَحُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ كَمَا تُطْرَحُ النَّوَاءُ .

(وَسُمِّيَتِ النَّارُ حُطْمَةً لِأَنَّهَا تُحْطَمُ كُلُّ مَا يُلْقَى فِيهَا وَلَا تُبْقِي مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ) .

يُنْبَذَنَ - يُقَذَّفَنَ قَذْفًا كَمَا تُقَذَّفُ النَّوَاءُ .

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ

كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ

(أَدْرَاكَ)

﴿٥﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ

(٥) - وَهَذِهِ الْحُطْمَةُ لَيْسَتْ بِمَا يُحِيطُ بِهِ عِلْمُكَ .

﴿٦﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ

(٦) - إِنَّهَا نَارُ اللَّهِ الْمُشْتَعِلَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِعَذَابِ الْكَفَرَةِ الْعَصَاةِ .

﴿٧﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتِدَةِ

(٧) - وَإِنَّهَا لَتَبْلُغُ فِي عَذَابِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ فَتَنْهَشُهَا نَهْشًا، وَالْقَلْبُ أَكْثَرُ الْأَعْضَاءِ تَأَلَّمَ، فَإِذَا نَهَشَتْهُ النَّارُ بَلَغَ الْعَذَابُ بِالْإِنْسَانِ أَقْصَاهُ .
الْأَفْتِدَةُ - الْقُلُوبُ .

﴿٨﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ

(٨) - وَتُطَبَّقُ النَّارُ عَلَيْهِمْ إِطْبَاقًا شَدِيدًا، وَتَغْلَقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُهَا، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْهَا خَلَاصًا .
مُؤَصَّدَةٌ - مُغْلَقَةٌ .

﴿٩﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ

(٩) - وَأَبْوَابُ النَّارِ تُطَبَّقُ عَلَيْهِمْ، وَتُشَدُّ بِأَعْمِدَةٍ مُّمَدَّدَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَلَا يُفْتَحُ عَلَيْهِمْ بَابٌ .
(أَوْ إِنَّهُمْ يَكُونُونَ مُؤْتَقِينَ فِي النَّارِ، وَمَشْدُودِينَ إِلَى أَعْمِدَةٍ مُّمَدَّدَةٍ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ حَرَكَاتًا وَلَا خَلَاصًا) .

(١٠٥) سُوْرَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا خَمْسَتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(بِأَصْحَابِ)

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ
الْفِيلِ

(١) - قِصَّةُ الْفِيلِ هِيَ أَنَّ الْحَبْشَةَ اخْتَلَبَتِ الْيَمَنَ فَتَرَدَّدَتْ مِنَ الزَّمَنِ، وَكَانَ الْحَبْشَةُ مِنَ النَّصَارَى، وَلَمَّا رَأَى حَاكِمُ الْيَمَنِ الْحَبْشِيَّ (وَأَسْمُهُ أَبِرَهَةُ) تَعَلَّقَ الْعَرَبُ بِالْكَعْبَةِ أَرَادَ أَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنْهَا. فَبَنَى كَيْسَةَ عَظِيمَةً، وَدَعَا الْعَرَبَ إِلَى الْحَجِّ إِلَيْهَا وَزِيَارَتِهَا، بَدَلًا مِنْ زِيَارَةِ الْكَعْبَةِ. فَكَّرَ الْعَرَبُ ذَلِكَ، وَدَخَلَ بَعْضُهُمُ الْبِنَاءَ وَأَحْدَثَ فِيهِ. وَقِيلَ إِنَّ بَعْضَهُمْ حَاوَلَ إِخْرَاقَهُ. فَأَقْسَمَ أَبِرَهَةُ عَلَى أَنْ يَهْدِمَ الْكَعْبَةَ رَدًّا عَلَى هَذِهِ الْإِسَاءَةِ. وَسَارَ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ يَتَقَدَّمُهُ فِيلٌ عَظِيمٌ.

وَأَرَادَتْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْ تَعْتَزَّضَ سَبِيلَهُ، وَتَصُدَّهُ عَنِ الْحَرَمِ فَفَاتَوْهُ، وَلَكِنَّهُ تَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ. وَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ إِلَى مَكَانٍ يُعْرَفُ (بِالْمَغْمَسِ) مِنْ أَطْرَافِ مَكَّةَ تَوَقَّفَ الْفِيلُ عَنِ السَّيْرِ بِاتِّجَاهِ مَكَّةَ وَبَرَكَ. فَحَاوَلُوا سَوْفَهُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ. وَكَانُوا كُلُّمَا وَجَّهُوا وَجْهَهُ غَيْرَ مَكَّةَ سَارَ إِلَيْهَا وَلَكِنَّهُمْ حِينَئِذٍ كَانُوا يُوجِّهُونَهُ إِلَى مَكَّةَ كَانِ يَبْرُكُ، وَيَرْفُضُ السَّيْرَ. وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْأَحْبَاشِ مَجْمُوعَاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الطَّيْرِ، كَانَتْ تَهَاجِمُهُمْ عَلَى دُفْعَاتٍ مُتَسَالِيَةٍ (أَبَابِيلَ)، وَتَقْدِفُهُمْ بِحِجَارَةٍ صَغِيرَةٍ كَانَتْ تَحْمِلُهَا، فَيَهْلِكُ مَنْ تُصِيبُهُ.

وَلَمَّا رَأَى أَبِرَهَةُ ذَلِكَ رَجَعَ بِمَنْ تَبَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْجَيْشِ سَالِمًا، بَعْدَ أَنْ وَقَعَتْ فِي الْأَحْبَاشِ إصاباتٌ جسيمةٌ.

وَيُقَالُ إِنَّ أَبِرَهَةَ نَفَسَهُ هَلَكَ وَهُوَ فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْيَمَنِ.

(وَيُرِيدُ بَعْضُ الْأَيْمَةِ الْمُفَسِّرِينَ صَرَفَ مَعْنَى الطَّيْرِ الْأَبَابِيلَ إِلَى أَشْيَاءٍ أُخْرَى كَالْجُدَرِيِّ وَالْأَمْرَاضِ الْأُخْرَى الَّتِي سَلَّطَهَا اللَّهُ عَلَى جَيْشِ أَبِرَهَةَ، أَسْتَبْعَادًا مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ سَخَّرَ طَيْرًا تَرْمِي جَيْشَ

الْأَحْبَاشِ حَقِيقَةً وَفِعْلًا. وَلَكِنْ جِئْنَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ
الْكَرِيمَةَ كَانَ كَثِيرُونَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَمُنُّونَ بِشَهَادَةِ حَدِيثِ الْفِيلِ،
أَحْيَاءَ، وَقَدْ رَأَوْا بِأَعْيُنِهِمُ الطَّيْرَ تَرُوحُ وَتَعْدُو فَوْقَ جَيْشِ أَبْرَهَةَ، وَلَوْ كَانَ
مَا أَصَابَ جَيْشَ أَبْرَهَةَ لَا يَعْدُو أَمْرًا سَلَطَهَا اللَّهُ عَلَى الْأَحْبَاشِ،
لَكَذَبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا تَتَّخِذُوا هَذِهِ السُّورَةَ وَسِيلَةً
لِلتَّكْذِيبِ وَالتَّيْلِيلِ مِنَ الرَّسُولِ).

وَيَقْصُرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ قِصَّةَ أَصْحَابِ الْفِيلِ.
فَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ الَّذِينَ قَصَدُوا
الْاِعْتِدَاءَ عَلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ؟
أَصْحَابُ الْفِيلِ - الْأَحْبَاشُ مِنْ جَمَاعَةِ أَبْرَهَةَ الَّذِي أَرَادَ هَدْمَ الْكَعْبَةِ.

(٢) - لَقَدْ أَفْسَدَ اللَّهُ تَعَالَى تَذْيِيرَهُمْ، وَخَيَّبَ سَعْيَهُمْ فِي إِخْرَابِ بَيْتِ اللَّهِ
الْحَرَامِ، وَعَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ أَنْ يَقْدُرُوا فَضْلَ اللَّهِ هَذَا عَلَيْهِمْ وَمِنْهُ، فَقَدْ
فَعَلَ ذَلِكَ لِأَجْلِهِمْ.
كَيْدُهُمْ - تَذْيِيرُهُمْ وَسَعْيُهُمْ.
تَضْلِيلٍ - إِبْطَالٍ وَإِخْسَارٍ.

(٣) - فَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مَجْمُوعَاتٍ مِنَ الطَّيْرِ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً وَمُتَتَابِعَةً.
أَبَابِيلَ - جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً وَمُتَتَابِعَةً.

(٤) - وَتَقَذَّفُهُمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ طِينِ يَابِسٍ كَالْأَجْرِ الْمُتَحَجَّرِ.
سِجِّيلٍ - أَجْرٌ أَوْ طِينٌ يَابِسٌ.

(٥) - فَأَهْلَكَهُمْ، وَتَبَعَثَتْ جُثُثُهُمْ فِي الدُّرُوبِ وَالْمَسَالِكِ، فَكَانُوا
كَيَابِسِ الزَّرْعِ الَّذِي أَكَلَتْ الْبَهَائِمُ بَعْضَهُ، وَتَنَاقَرَتْ بَعْضُهُ الْآخَرُ مِنْ بَيْنِ
أَسْنَانِهَا.

الْعَصْفُ - هُوَ التَّنُّ النَّاعِمُ - هَشِيمُ الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ.
مَأْكُولٍ - أَكَلَتْهُ الْبَهَائِمُ فَتَنَاقَرَتْ.

١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ

٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ

٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ

٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا أَنْبَغُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِيلَافٌ)

(١) - لِنَشْكُرُ قُرَيْشٌ رَبَّهَا عَلَى أَنَّهُ صَدَّ الْفِيلَ وَأَصْحَابَهُ عَنْ حَرَمِهِمْ
وَأَلْحَقَ بِهِمُ الْخِذْلَانَ وَالْذَمَارَ. وَلِنَشْكُرُ قُرَيْشٌ رَبَّهَا أَيْضاً عَلَى أَنَّ جَعَلَهُمْ
آمِنِينَ فِي بِلَادِهِمْ، وَعَلَى أَنَّ جَعَلَ النَّاسَ يَحْتَرِمُوهُمْ إِكْرَاماً لِبَيْتِ اللَّهِ
الْحَرَامِ، فَقَدْ كَانُوا يَسِيرُونَ فِي تِجَارَتِهِمْ فِي رِحْلَتِي الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ
آمِنِينَ: فِي الشَّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ، بَيْنَمَا كَانَ
النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ يُتَخَفُّونَ.

(إِيلَافُهُمْ)

(٢) - إِذْ كَانُوا قَدْ أَلْفُوا الْقِيَامَ بِرِحْلَتَيْنِ فِي الْعَامِ: رِحْلَةَ الشَّتَاءِ إِلَى
الْيَمَنِ، لِنَقْلِ الْبَضَائِعِ الَّتِي تَأْتِي مِنَ الْهِنْدِ وَبِلَادِ فَارِسَ، وَرِحْلَةَ
الصَّيْفِ، لِنَقْلِ الْبَضَائِعِ إِلَى الشَّامِ وَمَمْلَكَةِ الرُّومِ، وَنَقْلِ الْبَضَائِعِ
الَّتِي تَأْتِي إِلَيْهِمَا إِلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا وَرَاءَهَا مِنْ هِنْدٍ وَفَارِسَ.

(٣) - فَلْيَعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي جَعَلَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا، فَهُوَ الَّذِي
مَنَّ عَلَيْهِمْ بِالْأَمْنِ، فِي الْحَلِّ وَالْتِّرْحَالِ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ، بِسَبَبِ
ذَلِكَ، فِي مَرْكَزِ تِجَارِيٍّ هَامٍّ، وَلْيَشْكُرُوهُ عَلَى مَنِّهِ عَلَيْهِمْ، وَنِعْمِهِ الَّتِي
لَا تُحْصَى.

(أَمْنُهُمْ)

(٤) - فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مَكَّةَ فِي وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ لَا تُنْبِتُ وَلَا تُغْلُ، وَلَكِنَّهُ
تَعَالَى يَسَّرَ تَدْفُقَ النَّاسِ وَالتَّجَارَةَ إِلَيْهَا فَأَشْبَعَ أَهْلَهَا، وَأَمْنَهُمْ مِمَّا يَخَافُهُ
غَيْرُهُمْ.

① لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ

② إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ

③ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ

④ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ

سُورَةُ الْمَائِدَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا السَّبِيحُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أَرَأَيْتَ)

(١) - هَلْ تُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ الَّذِي يَكْفُرُ بِالْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ؟

(٢) - وَهُنَا يَصِفُ تَعَالَى ذَلِكَ الْكَافِرَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ الْيَتِيمَ دَفْعًا، وَيَزْجِرُهُ زَجْرًا عَنِيفًا إِنْ جَاءَهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا أَوْ حَاجَةً، وَذَلِكَ أَحْتِقَارًا لِشَأْنِهِ وَاسْتِعْلَاءً عَلَيْهِ.

(٣) - فَهُوَ بَخِيلٌ لَا يُطْعِمُ الْفَقِيرَ الْمُسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ مَا يَأْكُلُ، وَلَا يَحْتُ غَيْرَهُ عَلَى إِطْعَامِهِ.

(٤) - فَالْوَيْلُ وَالْعَذَابُ لِمَنْ يُؤْخِرُونَ آدَاءَ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا، وَالْوَيْلُ لِلَّذِينَ يُؤْذُونَ الصَّلَاةَ بِأَجْسَامِهِمْ وَالسِّيْتِمَ، وَقُلُوبُهُمْ غَائِبَةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الْخُشُوعِ، وَعَنْ تَذَبُّرِ مَعَانِي مَا يَقْرَأُونَ.

(٥) - فَيُؤْخِرُونَ آدَاءَ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ يُصَلُّونَ وَقُلُوبُهُمْ بَعِيدَةٌ عَنِ الْخُشُوعِ فَلَا يَكُونُ لِلصَّلَاةِ أَثَرٌ فِي نَفْسِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

(٦) - وَهُمْ إِلَى جَانِبِ الْبُخْلِ وَالْفُسُوقِ فِي مُعَامَلَةِ الْيَتِيمِ وَالْمُسْكِينِ، وَإِلَى جَانِبِ أَذَانِهِمُ الصَّلَاةَ، وَهُمْ سَاهُونَ، وَمِنْ غَيْرِ اسْتِحْضَارِ قُلُوبِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مُرَاوُونَ يَفْعَلُونَ مَا يَقَعْلُونَ طَلَبًا لِحَمْدِ النَّاسِ، وَنَائِيَةً عَنْهُمْ.

(٧) - وَهُمْ إِلَى جَانِبِ هَذَا كُلِّهِ لَوْمَاءُ يَكْرَهُونَ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ، وَيَمْنَعُونَ مَعْرُوفَهُمْ عَنْهُمْ، فَيَمْتَنِعُونَ عَنْ إِعَارَةِ الْفُقَرَاءِ مِنْ جِيرَانِهِمْ مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي مَعَاشِهِمْ كَالْقِدْرِ لِلطَّبَّخِ، وَالْأَدَوَاتِ لِلْعَمَلِ.

① أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ
بِالدِّينِ

② فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ

③ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ

④ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ

⑤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

⑥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ

⑦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ

سُورَةُ الْكَوْثَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أَعْطَيْنَاكَ)

﴿١﴾ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ

(١) - إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، وَمَنْحْنَاكَ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَا سَبِيلَ لِلْوُصُولِ إِلَى حَقِيقَتِهِ، وَإِنْ أَسْتَحَفَّ بِهَا أَعْدَاؤُكَ، وَأَسْتَقَلُّوْهَا. (وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْكَوْثَرَ هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ. (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّهُ أَيْضًا مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ). الْكَوْثَرُ - الْخَيْرُ الْكَثِيرُ - أَوْ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ.

﴿٢﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ

(٢) - فَاجْعَلْ عِبَادَتَكَ وَصَلَاتَكَ لِرَبِّكَ وَحْدَهُ، وَأَنْحَرْ ذَبِيحَتَكَ عَلَى اسْمِهِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي تَعَاهِدُكَ وَأَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَفَضَّلَهُ دُونَ سِوَاهُ. (وَقِيلَ بَلِ الْمَعْنَى هُوَ: أَنَّ النَّبِيَّ يُصَلِّي صَلَاةَ عِيدِ النَّحْرِ ثُمَّ يَذْبَحُ هَذِيهِ).

﴿٣﴾ إِنَّكَ شَانَتْكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

(٣) - فَإِنَّ مَنْ أَبْغَضَكَ هُوَ الَّذِي سَيَنْقُطِعُ ذِكْرُهُ.

شَانَتْكَ - مُبْغِضَكَ.

الْأَبْتَرُ - الدَّابَّةُ الْمَقْطُوعَةُ الذَّنْبِلُ، ثُمَّ أَسْتَعْمِلُ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ انْقِطَاعِ الذِّكْرِ الْحَسَنِ أَوْ الْخَيْرِ.

(١٠٩) سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سُنَّتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا)

١ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ

(١) - كَانَ كُفَّارٌ قُرَيْشٍ قَدْ عَرَضُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعْبُدَ مَعَهُمُ آلِهَتَهُمْ مِنَ الْأَوْثَانِ سَنَةً، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ رَبَّهُ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ الْكَرِيمَةَ. وَفِيهَا يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ.

٢ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ

(٢) - إِنِّي لَا أَعْبُدُ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا أَنْتُمْ لِأَنَّهَا حِجَارَةٌ لَا تَنْضُرُ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.

(عَابِدُونَ)

٣ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ

(٣) - وَلَا أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ إِلَهِي الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ وَهُوَ إِلَهُ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُوجِدُهُ، وَمُدَبِّرُ الْأَمْرِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

٤ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ

(٤) - وَلَا أَنَا أَعْبُدُ مِثْلَ عِبَادَتِكُمْ فَلَا أَسْلُكُهَا، وَلَا أَقْتَدِي بِهَا، وَإِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

(عَابِدُونَ)

٥ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ

(٥) - وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مِثْلَ عِبَادَتِي، فَعِبَادَتِي خَالِصَةٌ لِلَّهِ، وَعِبَادَتُكُمْ يَشْهُو بِهَا الشَّرُّ.

٦ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

(٦) - لَكُمْ دِينُكُمْ الَّذِي اعْتَقَدْتُمُوهُ، وَلَكُمْ جَزَاؤُكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَلِيَ إِسْلَامِي، وَلِيَ جَزَائِي عَلَى أَعْمَالِي.

(١١) سُورَةُ الضَّرِيَّةِ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - إِذَا رَأَيْتَ نَصْرَ اللَّهِ لِدِينِهِ الْحَقِّ، وَأَنْهَزَامَ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ وَخَذْلَ نَهُمٍ،
وَإِذَا رَأَيْتَ الْغَلْبَةَ قَدْ تَحَقَّقَتْ لَكَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ.

(٢) - وَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ أَصْبَحُوا يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ جَمَاعَاتٍ
وَأَفْوَاجًا، لَا أَفْرَادًا مُتَفَرِّقِينَ كَمَا كَانَ يَحْدُثُ فِي السَّنِينَ الْأُولَى لِلدَّعْوَةِ.

(٣) - فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْخَوْفَ مِنْ اسْتِطَالَةِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ قَدْ وَلَّى، فَعَلَيْكَ أَنْ تُسَبِّحَ رَبَّكَ وَتُشْكِرَهُ عَلَى نَصْرِهِ دِينَهُ،
وَأَعِزَّازِهِ جُنْدَهُ عَلَى الْكُفْرِ وَالْكَافِرِينَ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَهُ وَتَتُوبَ إِلَيْهِ،
فَهُوَ الْكَثِيرُ الْقَبُولِ لِتُتَوَّبَ عِبَادِهِ.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذِهِ السُّورَةُ عَلَامَةٌ عَلَى أَجْلِ الرَّسُولِ، وَأَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ:
نُعَيْتُ إِلَيَّ نَفْسِي، وَأَنَّهُ مَقْبُوضٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ).

١ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ

٢ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا

٣ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا

(٣) سُورَةُ الْمَيْدَةِ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْبَطْحَاءِ يَوْمًا فَصَعِدَ الْجَبَلَ، وَنَادَى وَاصْبَحَاةً. فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ، فَقَالَ لَهُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصْبِحُكُمْ أَوْ مُمَسِّكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ إِلَيْكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ تَبَأَ لَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: الْخُسْرَانُ وَالْهَلَاكُ وَالتَّبَابُ لِأَبِي لَهَبٍ (وَأَبُو لَهَبٍ عَمُّ الرَّسُولِ)، وَقَدْ نَسَبَ تَعَالَى الْخُسْرَانَ وَالتَّبَابَ لِيَدَيِ أَبِي لَهَبٍ لِأَنَّهُمَا أَدَاةُ الْعَمَلِ وَالْبَطْشِ، وَقَدْ تَبَّ وَهَلَكَ. (فَالْجُمْلَةُ الْأُولَى دُعَاءٌ، وَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ إِخْبَارٌ بِأَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ قَدْ تَحَقَّقَ، وَأَنَّ أَبَا لَهَبٍ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ).

تَبَّتْ - هَلَكَتْ أَوْ خَسِرَتْ أَوْ خَابَتْ.

(٢) - وَفِي الْآخِرَةِ لَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ وَلَا عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَقُومُ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ مُعَادَاةِ الرَّسُولِ وَإِذْيَائِهِ.

(٣) - وَسَيَذُوقُ فِي الْآخِرَةِ حَرَّ النَّارِ، وَسَيُعَذَّبُ فِي لَظَاهَا.

(٤) - وَسَتُعَذَّبُ فِي هَذِهِ النَّارِ أَيْضًا زَوْجَتُهُ لِسَعْيِهَا فِي الْفِتْنَةِ وَالنِّمِيمَةِ لِإِطْفَاءِ نُورِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِذْيَاءِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ. (وَأَمْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ أَسْمُهَا أَرْوَى بِنْتُ حَرْبٍ وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَتُكْنَى بِأُمِّ جَمِيلٍ).

حَمَالَةُ الْحَطَبِ - تَسْعَى فِي الْفِتْنَةِ وَتُنْشِرُ الْأَكَاذِبَ.

١ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

٢ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ

كَسَبَ

٣ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ

٤ وَامْرَأَتُهُ حَمَالَةٌ الْحَطَبِ

٥ في جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ

(٥) - وَفِي عُقُّهَا حَبْلٌ مِّن لِّيفٍ غَلِظٌ أَحْكَمَ فَتْلُهُ، وَهِيَ تَرْتَبُطُ بِهِ حُزْمَةٌ
حَطَبٌ إِلَى جِيدِهَا مِثْلَ الْحَطَابَاتِ الْمُمْتَهِنَاتِ .
وَقَدْ صَوَّرَهَا تَعَالَى بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْمُزْرِيَةِ أَحْتِقَاراً لِّهَا وَلِزَوْجِهَا .
حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ - حَبْلٌ مِّن لِّيفٍ .

(١١٣) سُورَةُ الْاِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا اذْهَبْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

① قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

② اللَّهُ الصَّمَدُ

③ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ

④ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ

(١) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ سَأَلَكَ مُسْتَهْزِئًا: صِفْ لَنَا رَبَّكَ: إِنَّ رَبِّي هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْمُنَزَّهُ عَنِ التَّعَدُّدِ، وَعَنِ الزَّوْجَةِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ وَالْوَلَدِ.

(٢) - وَهُوَ الَّذِي يَقْصِدُهُ الْعِبَادُ فِي الْحَاجَاتِ، وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ بِالْإِدْعَاءِ وَالرَّجَاءِ فِيمَا أَهَمَّهُمْ وَأَعَمَّهُمْ.
الصَّمَدُ - الْمَقْصُودُ فِي الْحَاجَاتِ.

(٣) - تَنَزَّهَ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ.
وَهَذَا رَدٌّ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ.
وَرَدٌّ عَلَى مَزَاجِمِ النَّصَارَى الَّذِينَ جَعَلُوا الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، وَعَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ عَزْرِيًّا هُوَ ابْنُ اللَّهِ.
وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يُولَدْ لِأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي مَجَانِسَتَهُ لِسَوَاهُ، كَمَا يَقْتَضِي سَبْقَ الْعَدَمِ قَبْلَ الْوُجُودِ، تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

(٤) - لَيْسَ لَهُ نِدٌّ وَلَا مِثِيلٌ. وَفِي هَذَا نَفْيٌ لِمَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ الْمُبْطِلِينَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ نِدَاءٌ فِي أَفْعَالِهِ كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ شُرَكَاءَ اللَّهِ.
كُفُّوا - مُكَافِئًا.

سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ (١١٣) وَأَيَّانَهَا خَيْرٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ

(١) - قُلْ : أَعْتَصِمُ وَأَسْتَجِيرُ بِالرَّبِّ الَّذِي فَلَقَ الصُّبْحَ .
الْفَلَقُ - الشَّقُّ وَمِنْهُ فَلَقَ الْحَبَّ وَالتَّنَوَّى .
أَعُوذُ - أَعْتَصِمُ وَأَسْتَجِيرُ .

﴿٢﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ

(٢) - مِنْ كُلِّ أَدَى وَشَرٍّ يُصِيبُنِي مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ .

﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

(٣) - وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ إِذَا هَبَطَ وَغَمَرَ الْكَوْنُ بِظِلَامِهِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا كَانَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ كَانَ مَخُوفًا بَاعِثًا عَلَى الرُّهْبَةِ فِي النَّفْسِ .
غَاسِقٍ - اللَّيْلِ .
وَقَبَ - شَجَلَ ظِلَامُهُ الْكَوْنُ .

﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي

(النَّفَّاثَاتِ)

الْعُقَدِ

(٤) - وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ النَّمَائِمِ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ رَوَابِطَ الْوَدِّ وَالْمَحَبَّةِ ، وَيَبْذُلُونَ شَمْلَ الْأَلْفَةِ .
(وَقَدْ شَبَّهَ تَعَالَى عَمَلَ النَّمَائِمِ بِعَمَلِ السَّاحِرَاتِ اللَّوَاتِي يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ الْخَيْطِ حِينَ يَقُمْنَ بِعَمَلِ السِّحْرِ) .

﴿٥﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

(٥) - وَأَسْتَعِذُّ بِرَبِّكَ مِنْ شَرِّ الْحَامِيْدِ الَّذِي أَنْفَذَ حَسَدَهُ بِالسَّعْيِ وَالْجِدِّ فِي إِزَالَةِ نِعْمَةٍ مَنْ يَحْسُدُهُ ، فَهُوَ يُعْمَلُ الْحِيلَةُ ، وَيَنْصُبُ الشُّبَّكَ لِإِبْقَاعِ الْمَحْسُودِ فِي الضَّرَرِّ ، فَهُوَ لَا يَرْضَى إِلَّا بِزَوَالِ النِّعْمَةِ .

(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ
وَلَا يَأْتِيهَا سَبْتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - قُلْ يَا مُحَمَّدُ: إِنِّي أَعُوذُ وَأَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ وَالْجَأُ إِلَيْهِ وَهُوَ تَعَالَى رَبُّ النَّاسِ ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْ عَدَمٍ ، وَرَبَّاهُمْ فِي نِعَمَتِهِ وَرَزَقَهُمْ .

(٢) - وَهُوَ تَعَالَى مَالِكُهُمْ ، وَمُدَبِّرُ أُمُورِهِمْ ، وَوَاضِعُ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي فِيهَا سَعَادَتُهُمْ .

(٣) - وَهُوَ تَعَالَى مَعْبُودُ النَّاسِ ، وَالْمُسْتَوَلِيُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ ، وَلَا يُحِيطُونَ بِكُنْهِ سُلْطَانِهِ .

(٤) - إِنِّي أَلْجَأُ إِلَيْكَ يَا رَبَّ الْخَلْقِ وَإِلَهُهُمْ أَنْ تُنَجِّنِي مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الْمَوْسُوسِ ، الْكَثِيرِ الْإِخْتِفَاءِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ، الَّذِي يَذْهَبُ بِالنَّفْسِ إِلَى أَسْوَأِ مَصِيرٍ إِذَا أَطَاعَتْ وَسْوَستَهُ ، وَأَنَسَاقَتْ مَعَهُ .
الْمَوْسُوسُ - الْمُوسُوسُ .
الْخَنَّاسُ - الْمُتَوَارِي الْمُخْتَفِي .

(٥) - وَهَذَا الْمَوْسُوسُ الْخَنَّاسُ يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، وَيُزَيِّنُ لَهُمُ الشَّرَّ وَالسُّوءَ لِيَصْرِفَهُمْ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ .

(٦) - وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْمَوْسُوسُ مِنَ الْجِنِّ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْبَشَرِ .
الْجِنَّةُ - الْجِنُّ .

١ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ

٢ مَلِكِ النَّاسِ

٣ إِلَهِ النَّاسِ

٤ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

٥ الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ

٦ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

فهرس الجزء الثالث

السورة	رقمها	صفحة	السورة	رقمها	صفحة	السورة	رقمها	صفحة
الروم	٣٠	٩٩٣	المجادلة	٥٨	١٣٦٣	الأعلى	٨٧	١٥٢٣
لقمان	٣١	١٠٠٨	الحشر	٥٩	١٣٧١	الغاشية	٨٨	١٥٢٦
السجدة	٣٢	١٠١٨	المتنحة	٦٠	١٣٨٠	الفجر	٨٩	١٥٢٩
الأحزاب	٣٣	١٠٢٥	الصف	٦١	١٣٨٦	البلد	٩٠	١٥٣٤
سبا	٣٤	١٠٥٠	الجمعة	٦٢	١٣٩١	الشمس	٩١	١٥٣٨
فاطر	٣٥	١٠٦٦	المنافقون	٦٣	١٣٩٥	الليل	٩٢	١٥٤١
يس	٣٦	١٠٧٩	التغابن	٦٤	١٣٩٩	الضحى	٩٣	١٥٤٤
الصفاف	٣٧	١٠٩٦	الطلاق	٦٥	١٤٠٥	الشرح	٩٤	١٥٤٦
ص	٣٨	١١٢٠	التحریم	٦٦	١٤١٠	التين	٩٥	١٥٤٨
الزمر	٣٩	١١٣٩	الملك	٦٧	١٤١٥	العلق	٩٦	١٥٥١
غافر	٤٠	١١٥٨	القلم	٦٨	١٤٢٣	القدر	٩٧	١٥٥٥
فصلت	٤١	١١٧٧	الحاقة	٦٩	١٤٣١	البينة	٩٨	١٥٥٧
الشورى	٤٢	١١٩١	المعارج	٧٠	١٤٣٨	الزلزلة	٩٩	١٥٥٩
الزخرف	٤٣	١٢٠٦	نوح	٧١	١٤٤٥	العاديات	١٠٠	١٥٦١
الدخان	٤٤	١٢٢٤	الجن	٧٢	١٤٤٩	القارعة	١٠١	١٥٦٣
الجاثية	٤٥	١٢٣٣	المزمل	٧٣	١٤٥٥	التكاثر	١٠٢	١٥٦٥
الأحقاف	٤٦	١٢٤٢	المدثر	٧٤	١٤٥٩	المصر	١٠٣	١٥٦٧
محمد	٤٧	١٢٥٤	القيامة	٧٥	١٤٦٦	الهمزة	١٠٤	١٥٦٨
الفتح	٤٨	١٢٦٥	الإنسان	٧٦	١٤٧١	الفيل	١٠٥	١٥٧٠
الحجرات	٤٩	١٢٧٦	المرسلات	٧٧	١٤٧٦	قريش	١٠٦	١٥٧٢
ق	٥٠	١٢٨٣	النبا	٧٨	١٤٨٢	الماعون	١٠٧	١٥٧٣
الذاريات	٥١	١٢٩٢	النازعات	٧٩	١٤٨٩	الكوثر	١٠٨	١٥٧٤
الطور	٥٢	١٣٠١	عبس	٨٠	١٤٩٦	الكافرون	١٠٩	١٥٧٥
النجم	٥٣	١٣١٠	التكوير	٨١	١٥٠١	النصر	١١٠	١٥٧٦
القمر	٥٤	١٣١٩	الانفطار	٨٢	١٥٠٥	المسد	١١١	١٥٧٧
الرحمن	٥٥	١٣٣٠	المطففين	٨٣	١٥٠٨	الإخلاص	١١٢	١٥٧٩
الواقعة	٥٦	١٣٤١	الانشقاق	٨٤	١٥١٣	الفلق	١١٣	١٥٨٠
الحديد	٥٧	١٣٥٣	البروج	٨٥	١٥١٧	الناس	١١٤	١٥٨١
			الطارق	٨٦	١٥٢٠			

تعريف بالمؤلف

اسعد بن محمود حومد سلطان
والدته اسوم بنت اسماعيل نابلسي
متزوج من السيدة سهام بنت أحمد صبحي الكوراني
له ثلاث بنات:
- نهى وتحمل شهادة الدكتوراة في الأدب الانكليزي،
وشهادة الدكتوراة في الأدب المقارن.
- مياده وتحمل شهادة الماجستير في الأدب الانكليزي.
- غادة - مهندسة مدنية وتحمل شهادة الماجستير في
برمجة الكمبيوتر.

ولد في حلب عام ١٩١٧
أتم دراسته الثانوية في المدرسة السلطانية بحلب
عام ١٩٣٧.
تخرج من معهد الحقوق العربي بدمشق عام ١٩٤٣
حصل على شهادة الدكتوراة في الحقوق من جامعة
باريس عام ١٩٥١
عمل سفيراً للجمهورية المتحدة في البرتغال بين
عامي ١٩٥٩ و ١٩٦١
عمل سفيراً لسوريا في الأرجنتين بين عامي ١٩٦٢
و ١٩٦٤
يعمل محامياً في دمشق حالياً.

(تذكير ببعض قواعد النحو)

أَفْعَالُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ

هِيَ أَفْعَالٌ وَضِعَتْ لِإِنْشَاءِ مَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ وَهِيَ أَرْبَعَةٌ: نِعَمٌ وَحَبْدًا وَيُسُّ وَسَاءٌ

وأفعال المدح والذم كلها جامدة لا يستعمل منها إلا الماضي. وهي تجري مجرى الفعل مطلقاً مع فاعله الظاهر، ما عدا حبداً فإنها تلتزم لفظاً واحداً مع الجميع. وتفتقر أفعال المدح والذم عن سائر الأفعال بأنها تقتضي ما عدا فاعلها اسماً مخصوصاً بالمدح والذم (نحو نعم الرجل زيد).

فالرجل الفاعل، وزيد هو المخصوص بالمدح

- وَيَكُونُ فَاعِلٌ نِعَمٌ وَيُسُّ وَسَاءٌ ضَمِيراً مُسْتَبْرَئاً وَجُوباً مَتَى كَانَ مُفسِراً بِكِرَةٍ مَنْصُوبَةٍ عَلَى التَّمْيِيزِ نَحْوُ (نِعَمٌ مَا زَيْدٌ).

- وَيَكُونُ فَاعِلٌ نِعَمٌ وَيُسُّ وَسَاءٌ:

- إِمَّا مَعْرِفَاً بِأَلِ الْجِنْسِيَّةِ: نِعَمَ الرَّجُلِ زَيْدٌ

- أَوْ مضافاً إِلَى مَا فِيهِ أَل: يُسُّ قَاضِي السُّوءِ زَيْدٌ

- أَوْ مضافاً إِلَى الْمُضَافِ إِلَى مَصْحُوبٍ (أَل): سَاءَ

قَاضِي أَحْكَامِ الظُّلَمِ زَيْدٌ.

- (مَا) الَّتِي تُضَافُ بَعْدَ نِعَمٍ وَيُسُّ وَسَاءٍ تَكُونُ مَوْصُولَةً إِذَا تَلَاهَا فِعْلٌ نَحْوُ (نِعَمٌ مَا صَنَعْتَهُ)، أَيْ نِعَمَ الَّذِي صَنَعْتَهُ هَذَا (أَي الصَّيِّعِ). وَ (يُسُّمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) أَيْ يُسُّ الَّذِي، وَحَلَّهَا مِنَ الإِعْرَابِ الرَّفْعُ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ.

وَمَرْتَبَةُ الْمَخْصُوصِ أَنْ يَكُونَ مُؤَخَّرَاً عَنِ الْفَاعِلِ، وَلَا يَصِحُّ تَقْدِيمُهُ عَلَيْهِ مُطْلَقاً فَلَا يَقَالُ نِعَمَ أَخَوَاكَ الرَّجُلَانِ. بَلْ (نِعَمَ الرَّجُلَانِ أَخَوَاكَ).

- وَيَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى الْفِعْلِ نَحْوُ: أَخَوَاكَ نِعَمَ الرَّجُلَانِ.

- إِذَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَخْصُوصِ جَازَ حَذْفُهُ نَحْوُ: دَرَسْنَا النَّحْوَ عَلَى أَسَاتِذٍ فَاضِلٍ وَنِعَمَ الْمُدْرُسُ أَيْ (وَنِعَمَ الْمُدْرُسُ الْأَسَاتِذُ).

- يَجُوزُ حَذْفُ الْمَخْصُوصِ الْوَاقِعِ بَعْدَ (مَا) نَحْوُ نِعَمًا وَيُسُّمَا.

- حَبْدًا مُؤَلَّفَةٌ مِنْ حَبٍّ وَدَا (اسْمُ الْإِشَارَةِ). وَهِيَ تَلَازِمُ حَالَةً وَاحِدَةً هِيَ الْإِفْرَادُ وَالتَّذْكِيرُ أَيْ كَانَ الْمَخْصُوصُ.

- وَتَتَحَوَّلُ حَبْدًا إِلَى الذَّمِّ إِذَا قُدِّمَتْ عَلَيْهَا (لَا) النَّافِيَةُ مِثْلَ (لَا حَبْدًا الْمُتَكَبِّرُ).

- إِذَا حُذِفَ اسْمُ الْإِشَارَةِ (ذَا) جُعِلَ الْمَخْصُوصُ فَاعِلًا لِحَبٍّ نَحْوُ: حَبٌّ فَنُ التَّارِيخِ. وَجُوزُ أَنْ يُجَرَّ بِالْبَاءِ (حَبٌّ يَفْنُ التَّارِيخِ).

الاسْتِثْنَاءُ

هُوَ إِخْرَاجُ الْأَسْمِ الْوَاقِعِ بَعْدَ (إِلَّا) أَوْ إِحْدَى أَخَوَاتِهَا مِنْ حُكْمِ مَا قَبْلَهَا: (نَحْوُ جَاءَ التَّلَامِذَةُ إِلَّا أَخَاكَ).

أَدَوَاتُ الْاسْتِثْنَاءِ سِتٌّ:

إِلَّا، غَيْرٌ، سِوَى، خَلَا، عَدَا، حَاشَا، وَالْحَقُّوَابَهَا: لَا سِيَّمَا وَيَبْدَ وَلَيْسَ وَلَا يَكُونُ.

الاسْتِثْنَاءُ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامُ:

(١) - الْمُتَّصِلُ - وَهُوَ مَا كَانَ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ.

جَاءَ التَّلَامِذَةُ إِلَّا أَخَاكَ.

(٢) - الْمُتَفْطِقُ - وَهُوَ مَا كَانَ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى مِنْ غَيْرِ جِنْسِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ: حَضَرَ الْقَوْمُ إِلَّا مَوَاشِيَهُمْ (وَهُوَ نَادِرٌ).

(٣) - الْمُفْرَغُ - وَهُوَ مَا حُذِفَ فِيهِ الْمُسْتَنَى مِنْهُ نَحْوُ: مَا جَاءَ إِلَّا أَخَوْكَ، وَلَا يَقَعُ فِي السُّوءِ إِلَّا فَاعِلُهُ.

وَالْكَلَامُ قِيلَ (إِلَّا) فِي الِاسْتِثْنَاءِ الْمُفْرَغِ نَاقِصٌ لَا يَتِمُّ مَعْنَاهُ إِلَّا بِمَا بَعْدَهُ وَسُمِّيَ مُفْرَغًا لِأَنَّهُ مَا قَبْلَ (إِلَّا) تَفْرَغَ لِيَطْلُبَ مَا بَعْدَهَا وَلَمْ يَشْتَغِلْ عَنْهُ بِالْعَمَلِ.
يُنْصَبُ الْمُسْتَنَى بِالْأُفِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

أ - إِذَا كَانَ الِاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلًا مُوجِبًا (أَيَ غَيْرِ مُسْبُوقٍ بِنَهْيٍ أَوْ نَهْيٍ أَوْ اسْتِثْنَاءٍ إِنْكَارِيٍّ) مِثْلُ: قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا.

ب - إِذَا كَانَ الِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعًا مُوجِبًا أَوْ غَيْرَ مُوجِبٍ: مِثْلُ عَادَ الْعَائِلُونَ إِلَّا دَوَائِهِمْ.

مَا اخْتَرَقَتِ الدَّارُ إِلَّا الْيَابَ

ج - إِذَا تَقَدَّمَ الْمُسْتَنَى عَلَى الْمُسْتَنَى مِنْهُ سَوَاءً كَانَ مُتَّصِلًا أَوْ مُنْقَطِعًا نَحْوُ: مَا لِي إِلَّا مَذْهَبُ الْحَقِّ مَذْهَبٌ وَجَاءَ إِلَّا قَرَسًا الْقَوْمُ

- يَتَرَجَّحُ جَعْلُ الْمُسْتَنَى (بَدَلًا) مِنَ الْمُسْتَنَى مِنْهُ إِذَا كَانَ الِاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلًا غَيْرَ مُوجِبٍ: مَا قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدٌ؛ لَا يُعَاقِبُ اللَّهُ النَّاسَ إِلَّا الْأَشْرَارَ. فَإِنَّ مَا بَعْدَ (إِلَّا) يَدُلُّ بَعْضُ مِنْ كُلِّ.

- الْمُسْتَنَى بِغَيْرِ وَسْوَى مَجْرُورٍ بِإِضَافَتِهِمَا إِلَيْهِ: قَامَ الْقَوْمُ سِوَى زَيْدٍ؛ مَا كَلَمْنِي أَحَدٌ غَيْرَ خَالِدٍ.

- أَمَا غَيْرُ وَسْوَى فَيَجْرِي عَلَيْهِمَا إِعْرَابُ الْأَسْمِ الْوَاقِعِ بَعْدَ (إِلَّا) فِي جَمِيعِ أَحْكَامِهِ مُتَّصِلًا وَمُفْرَغًا: لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ غَيْرَ الْحَمَاقَةِ.

- إِذَا قُدِّرَتْ خَلَا وَعَدَا وَحَاشَا أَفْعَالًا نَصَبَتْ مَا بَعْدَهَا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ

- وَإِنْ قُدِّرَتْهَا حُرُوفًا جَرَزَتْ بِهَا: فَصَلَ الْقَضَاءُ خَلَا أَوْ عَدَا أَوْ حَاشَا زَيْدٍ.

- إِذَا سَقَتْ (عَدَا وَخَلَا وَحَاشَا) مَا الْمَصْدَرِيَّةَ، وَجَبَ نَصَبُ مَا بَعْدَهَا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ.

- إِذَا كَانَ الْمُسْتَنَى بِ (لَا سِيَّمَا) مَعْرِفَةً جَازَ لَكَ فِيهِ الْجَرْ وَالرَّفْعُ: أَجَادَ الْخُطْبَاءُ وَلَا سِيَّمَا زَيْدٌ.

- وَإِذَا كَانَ الْمُسْتَنَى بِهَا نَكْرَةً جَازَ لَكَ فِيهِ أَوْجُهُ الْإِعْرَابِ الثَّلَاثَةُ: رُبَّ عِبْرَةٍ أَصْلَحَتْ أُمَّةً لَا سِيَّمَا عِبْرَةً أَوْ عِبْرَةً أَوْ عِبْرَةً بِالْكَرَامَةِ.

- إِذَا رَفَعْتَ الْأِسْمَ بَعْدَ لَا سِيَّمَا فَعَلَى تَقْدِيرِ (مَا) مَوْصُوفَةٍ أَوْ نَكْرَةٍ تَامَةٍ وَيَكُونُ الْأِسْمُ بَعْدَهَا خَبَرًا لِمُضْمِرٍ مَحْذُوفٍ.

وَإِذَا نَصَبْتَهُ فَعَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهَا تَامَةٌ أَوْ زَائِدَةٌ كَافَّةٌ عَنِ الْإِضَافَةِ وَأَصْبَحَتْ عِبْرَةً تَمِيزًا.

وَإِذَا جَرَزْتَ فَعَلَى تَقْدِيرِهَا زَائِدَةٌ غَيْرَ كَافَّةٍ أَوْ تَامَةٍ، وَتَصْبِيحُ عِبْرَةٍ مُضَافًا إِلَيْهِ.

كَانَ وَأَخَوَانِهَا

كَانَ فَعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ يَدْخُلُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ فَتَرَفَعُهُ، وَعَلَى الْخَبَرِ فَتَنْصِبُهُ وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ اسْمَهَا وَالثَّانِي خَبَرَهَا مِثْلُ (كَانَ الْبَرْدُ قَارِسًا).

أَخَوَاتُ كَانَ: أَصْبَحَ وَأَضْحَى وَظَلَّ وَبَاتَ وَأَمْسَى وَمَا زَالَ وَمَا بَرِحَ وَمَا انْفَكَّ وَمَا فُتِيَ وَمَا دَامَ وَصَارَ وَلَيْسَ. وَيُقَالُ لَهَا الْأَفْعَالُ النَّاقِصَةُ.

وَالْأَفْعَالُ النَّاقِصَةُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

(١) - قِسْمٌ يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا تَامًا وَهُوَ: كَانَ وَأَمْسَى وَأَضْحَى وَأَصْحَى وَظَلَّ وَبَاتَ وَصَارَ.

(٢) - وَقِسْمٌ لَا يَتَصَرَّفُ أَصْلًا: لَيْسَ وَمَا دَامَ.

(٣) - وَقِسْمٌ يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا نَاقِصًا: مَا زَالَ وَمَا فُتِيَ وَمَا بَرِحَ، وَمَا انْفَكَّ فَإِنَّهُ لَا يُشْتَقُّ مِنْهَا غَيْرُ مُضَارِعٍ فَقَطْ.

ه - وَكُلُّ مَا اشْتَقَّ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ يَعْمَلُ عَمَلُ مَا ضِيهَا فِي رَفْعِ الْأِسْمِ وَنَصَبِ الْخَبَرِ. غَيْرَ أَنَّ مَصْدَرَهَا يُضَافُ إِلَى اسْمِهَا فَيَكُونُ الْأِسْمُ مَجْرُورًا لَفْظًا مَرْفُوعًا مَحَلًّا: (عَجِبْتُ مِنْ كَوْنِ أَخِيكَ مُتَقَلِّبًا).

- وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَفْعَالِ تَعْمَلُ بِلاَ شَرْطٍ مَا عَدَا (زَالَ وَبَرِحَ وَفُتِيَ وَانْفَكَّ)، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ عَمَلُ الْأَفْعَالِ النَّاقِصَةِ إِلَّا إِذَا تَقَدَّمَهَا نَهْيٌ أَوْ نَهْيٌ أَوْ اسْتِثْنَاءٌ إِنْكَارِيٌّ أَوْ دَعَاءٌ. تَخْتَصُّ لَيْسَ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

الحُرُوفُ النَّاصِبَةُ لَذَاتِهَا

هي أَرْبَعَةٌ (أَنْ، لَنْ، إِذَنْ، كَيْ).

والحُرُوفُ النَّاصِبَةُ بِأَنْ مُقَدَّرَةٌ بِغَدَا خَمْسَةٌ:

١ - حَتَّى التي لانتِهَاء الغاية (أَعَاقِبَ الْمَذْذِبِ حَتَّى يَتُوبَ)

٢ - اللَّامُ - آ - لِلتَّعْلِيلِ - (خُذِ الدَّوَاءَ لِتَبْرَأَ).

ب - لِلْجُحُودِ - وَهِيَ الْمَسْبُوقَةُ بِكَانَ مَنِفِيَةٍ (لَمْ أَكُنْ لَأَهْرُبَ).

٣ - (أَوْ) - مِثْلُ لَا أَسْتَرِيحُ أَوْ أَقُولُ الْحَقَّ (أَيِ إِلَى أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ).

٤ - فَأَءِ السَّبَبِيَّةِ، إِذَا وَقَعَتْ جَوَاباً لَطَلَبٍ أَوْ نَفْيٍ:

وَيَكُونُ الطَّلَبُ إِمَّا:

آ - لِلْأَمْرِ - مِثْلُ (تَاجِرٌ فَتَرِيحَ)

ب - لِلنَّهْيِ - (لَا تَذَنْ فَتَحْرَقَ)

ج - لِلإِسْتِفْهَامِ - (هَلْ رَجَعَ صَدِيقُنَا فَأَزُورُهُ؟)

د - لِلتَّرْجِيهِ - (لَعَلَّ الصَّدِيقَ يَزُورُنَا فَتَسْتَأْنِسُ بِهِ)

هـ - لِلتَّمَنِّي - (لَيْتَ لِي مَالاً فَأَجُودَ)

و - لِلعُرْضِ - (أَلَا تَذْنُو مِنَ النُّورِ فَتُصِرَ)

ز - لِلتَّحْضِيضِ - (هَلَّا تَذْرُسُ فَتَحْفَظَ)

وَمِثْلُ النَّفْيِ - (لَا أَعْرِفُ دَارَ الصَّدِيقِ فَأَزُورُهُ)

٥ - (وَأَوِ الْمَعْيَةِ) - الْمَسْبُوقَةُ بِنَفْيٍ أَوْ طَلَبٍ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي فَأَءِ السَّبَبِيَّةِ (لَا تَنْهَ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ).

(إِنْ) وَأَخَوَاتُهَا:

الأخرفُ المُشَبَّهَةُ بِالفعلِ سِتَّةٌ: إِنْ أَنْ لَكِنَّ لَيْتَ لَعَلَّ كَأَنَّ. وَيُلْحَقُ بِهَا (لَا النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ). وَتَدْخُلُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ فَتَنْصِبُ الْأَوَّلَ (اسْمَهَا) وَتَرْفَعُ الثَّانِي (خَبَرَهَا): إِنْ اللَّهُ عَادِلٌ.

- الْأَصْلُ فِي خَبَرِ (إِنْ) وَأَخَوَاتِهَا أَنْ يَكُونَ مُؤَخَّرًا عَنْ اسْمِهَا مَا لَمْ يَكُنْ ظَرْفًا أَوْ جَارًا وَمَجْرُورًا.

- يُقَدَّمُ خَبَرُ (إِنْ) وَأَخَوَاتِهَا جَوَازًا إِذَا كَانَ ظَرْفًا أَوْ مَجْرُورًا

- زِيَادَةُ الْبَاءِ فِي خَبَرِهَا جَوَازًا (لَيْسَ اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ).

- حَذْفُ خَبَرِهَا (قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ لَيْسَ إِلَهٌ). (أَيِ لَيْسَ إِلَهٌ مُوجُودًا).

- بَطْلَانِ عَمَلِهَا عِنْدَ التَّمْيِينِ إِذَا انْتَقَضَ خَبَرُهَا بِ (إِلَّا) - نَحْوِ (لَيْسَ الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكُ) (أَمَّا الْجَبَّارِيُّونَ فَإِنَّهُمْ يُعْمِلُونَهَا وَيُوجِبُونَ نَصَبَ خَبَرِهَا).

الْأَخْرَفُ الْمُشَبَّهَةُ بِلَيْسَ أَرْبَعَةٌ

إِنْ، مَا، لَا، لَاتَ (وَقَدْ أُلْحِقَتْ بِلَيْسَ لِمُشَابَهَتِهَا لَهَا فِي النَّفْيِ).

(مَا) - يُشْتَرِطُ فِي عَمَلِهَا ثَلَاثَةٌ شُرُوطٌ، إِذَا تَخَلَّفَ شَرْطٌ مِنْهَا بَطَلَ عَمَلُهَا:

آ - أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ خَبَرُهَا وَلَا مَعْمُولُهَا عَلَى اسْمِهَا.

ب - أَنْ لَا تَزَادَ بَعْدَ (إِنْ).

ج - أَنْ لَا يَنْتَقِضَ خَبَرُهَا بِ (إِلَّا) (مَا الْكَسْلَانُ مَحْمُودًا).

(إِنْ) - يُشْتَرِطُ فِي عَمَلِهَا شَرْطَانِ:

آ - حِفْظُ التَّرْتِيبِ.

ب - عَدَمُ انْتِقَاضِ خَبَرِهَا بِ (إِلَّا): (إِنْ أَحَدُ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالْعَقْلِ). وَيُعْلَبُ فِي اسْتِعْمَالِ (إِنْ) أَقْبَرَانُ خَبَرِهَا بِ (إِلَّا) فَيَبْطُلُ عَمَلُهَا: نَحْوِ (مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ).

(لَا) - وَيُشْتَرِطُ فِي عَمَلِهَا ثَلَاثَةٌ شُرُوطٌ:

آ - حِفْظُ التَّرْتِيبِ.

ب - عَدَمُ انْتِقَاضِ خَبَرِهَا بِ (إِلَّا).

ج - أَنْ يَكُونَ مَعْمُولُهَا نَكْرَتَيْنِ (لَا رَجُلٌ حَاضِرًا).

(لَاتَ): يُشْتَرِطُ فِي عَمَلِهَا أَنْ يَكُونَ اسْمُهَا وَخَبَرُهَا مِنْ أَسْمَاءِ الزَّمَانِ كَالْحَيِّينِ وَالسَّاعَةِ وَالْأَوَانِ. وَلَا بُدَّ مِنْ حَذْفِ اسْمِهَا:

(لَاتَ سَاعَةٌ نَدَامَةً)، (أَيِ لَاتَ السَّاعَةُ سَاعَةً نَدَامَةً).

إِذَا خُفِّفَتْ كَأَنَّ جَرَتْ عَلَى حُكْمٍ (أَنَّ) الْمُخَفَّفَةُ فَيَكُونُ اسْمُهَا ضَمِيرُ الشَّانِ، وَخَبَرُهَا الْجُمْلَةُ الَّتِي بَعْدَهَا.

فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى فِعْلِ مُتَصَرِّفٍ فَصِلَتْ عَنْهُ فِي الْإِيجَابِ بِـ (قَدْ)، وَفِي النَّفْيِ بِـ (لَمْ) كَأَنَّ قَدْ قَامَ زَيْدٌ. كَانَ لَمْ يَقُمْ عَمَرُو.

إِذَا خُفِّفَتْ لَكِنْ بَطَلَ عَمَلُهَا، لَكِنْ يُسْتَحْسَنُ اقْتِرَانُهَا وَالْحَالَةُ هِيَ هَذِهِ (بِالْوَاوِ) تَفْرِقَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَاوِ الْعَطْفِ: نَجَا الْمُسَافِرُونَ (وَلَكِنْ) صَدِيقُكَ غَرِقَ.

تُفْتَحُ هَمْزُهُ (إِنَّ) إِذَا صَحَّ أَنْ يَسُدَّ الْمَصْدَرُ مَسَدَهَا.

وَتُكْسَرُ إِذَا لَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ.

وَيَجُوزُ الْكَسْرُ وَالْفَتْحُ إِذَا صَحَّ الْأَعْيَارَانِ.

إِذَا لَحِقَتْ (مَا) الْخَرِيفَةُ أَوَاجِرَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ كَفَتْهَا عَنِ الْعَمَلِ، وَلِذَلِكَ تُسَمَّى (مَا) الْكَافَّةُ (إِنَّمَا اللَّهُ وَاحِدٌ). وَكَأَنَّمَا أَخُوكَ أَسَدٌ.

أما (لَيْتَ) فَيَجُوزُ إِعْمَالُهَا وَالْعَاوُهَا إِذَا اقْتَرَنْتَ بِمَا.

يَكُونُ بَعْدَ (مَا) الْكَافَّةُ مَرْفُوعاً عَلَى الْإِيتِدَاءِ وَالْخَرِيفَةِ وَجَيِّنِيذُ يَزُولُ اخْتِصَاصُهَا بِالْأَسْمَاءِ فَتَدْخُلُ أَيْضاً عَلَى الْأَفْعَالِ نَحْوُ: (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ).

إِذَا كَانَتْ (مَا) مَوْضُوعَةً كَمَا فِي قَوْلِكَ: (إِنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) (أَيِ إِنْ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ)،

أَوْ مَصْدَرِيَّةً كَمَا فِي قَوْلِكَ (إِنْ مَا فَعَلْتَ جَمِيلٌ) (أَيِ إِنْ فَعَلْتَكَ جَمِيلٌ)... فَجَيِّنِيذُ يَنْفَى عَمَلُهَا، وَتُكْتَبُ مَفْصُولَةً مِنْ إِنْ بِخِلَافِ (مَا) الْكَافَّةِ.

لَا النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ

لَا النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ تَعْمَلُ عَمَلَ (إِنَّ) أَيْ إِنَّهَا تَنْصُبُ الْمُبْتَدَأَ وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ. وَسُمِّيَتْ (لَا) النَّافِيَةَ لِلْجِنْسِ لِأَنَّهَا تَنْفِي بِدُخُولِهَا حَقِيقَةَ النِّكَرَةِ كُلِّهَا. فَإِذَا قُلْتَ (لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ) نَفَيْتَ جِنْسَ الرِّجَالِ فِي الدَّارِ.

تَعْمَلُ (لَا) عَمَلَ (إِنَّ) بِخَمْسَةِ شُرُوطٍ:

بِالْحَرْفِ، وَالْإِسْمِ مَعْرِفَةً أَوْ نِكَرَةً يَسُوغُ الْإِبْتِدَاءُ بِهِ: (إِنْ عِنْدَ اللَّهِ الثَّوَابُ).

يُقَدَّمُ خَبَرُ إِنْ وَأَخَوَاتِهَا عَلَى اسْمِهَا وَجُوباً إِذَا كَانَ ظَرْفًا أَوْ جَارًا وَمَجْرُورًا بِالْحَرْفِ وَالْإِسْمِ نِكَرَةً لَا مُسَوِّغَ لَهَا، أَوْ مُشْتَمِلًا عَلَى ضَمِيرٍ يَعُودُ عَلَى الْخَبَرِ (إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) وَ (إِنْ فِي الدَّارِ صَاحِبُهَا).

يَجُوزُ دُخُولُ لَامِ الْإِبْتِدَاءِ عَلَى اسْمٍ (إِنْ) مَتَى كَانَ مُؤَخَّرًا (إِنْ فِي قَوْلِكَ لَعَجَبًا).

يَجُوزُ دُخُولُ لَامِ الْإِبْتِدَاءِ عَلَى خَبَرٍ (إِنْ) مَتَى (كَانَ):

مُؤَخَّرًا مُثَبَّتًا نَحْوُ (إِنَّمَا لَمَقِيمُونَ عَلَى الْوَفَاءِ).

أَوْ مَاضِيًا جَامِداً نَحْوُ (إِنْ زَيْدًا لَيَعْمَ الرَّجُلُ).

أَوْ مُتَصَرِّفًا مَقْرُونًا (بَقَدْ) نَحْوُ (إِنَّكَ لَقَدْ أَصَبْتَ).

أَوْ مُضَارِعًا نَحْوُ (إِنَّكَ لَتَقُولُ الْحَقَّ).

إِذَا خُفِّفَتْ (إِنْ) تَرَجَّحَ إِغَاوُهَا، وَبَطَلَ عَمَلُهَا لِزَوَالِ اخْتِصَاصِهَا فَيَرْفَعُ الْجَزَائِرَ بَعْدَهَا، وَتَدْخُلُ لَامُ الْإِيتِدَاءِ عَلَى الْخَبَرِ نَحْوُ (إِنْ الْبَذْرُ لَطَالَعَ)، وَتُسَمَّى اللَّامُ الْفَارِقَةُ.

إِذَا خُفِّفَتْ (إِنْ) كَانَ اسْمُهَا ضَمِيرُ الشَّانِ مَحذُوفًا، وَخَبَرُهَا جُمْلَةً، وَجَيِّنِيذُ تَدْخُلُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ، وَالْفِعْلِ الْجَامِدِ، وَالْفِعْلِ الْمُتَصَرِّفِ:

عَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ قَرِيبٌ.

وَأَعْلَمْتُ أَنَّ لَيْسَ لِلصَّابِرِ إِلَّا النَّصْرُ.

وَقَدْ أَعْمَلَهَا بَعْضُ الْعَرَبِ عَلَى قِلَّةٍ فَقَالُوا (إِنْ خَالِدًا لِمَسَافِرٍ).

(أَنَّ) لَا تَنْصِبُ الْمُضَارِعَ إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ فِعْلِ يَدُلُّ عَلَى الْيَقِينِ، بَلْ تَكُونُ جَيِّنِيذُ مُخَفَّفَةً مِنْ أَنَّ التَّيْقِيلَةَ كَقَوْلِكَ (عَلِمْتُ أَنَّ لَا يَرْجِعُ أَخُوكَ) أَيْ (أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ أَخُوكَ)، فَخَفَّفَتْ أَنْ وَحِذَفَ اسْمُهَا.

أما إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ فَتَكُونُ نَاصِبَةً وَتُؤَوَّلُ مَعَ صَلَاتِهَا بِمَصْدَرٍ يَكُونُ مَعْمُولًا لِلْعَامِلِ قَبْلَهَا مِثْلَ (أَرِيدُ أَنْ أَتَعْلَمَ - أَيْ أَرِيدُ التَّعْلَمَ).

١ - أَنْ تَكُونَ نَائِيَةً لِلْجِنْسِ نَصًّا أَيْ نَفِيًّا عَامًّا.

٢ - أَنْ يَكُونَ اسْمُهَا وَخَبَرُهَا نَكِرَتَيْنِ.

٣ - أَنْ يَكُونَ اسْمُهَا مُتَّصِلًا بِهَا أَيْ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ خَبَرُهَا وَغَيْرُهُ عَلَى اسْمِهَا. وَإِذَا انفصل اسمها عنها أُلغيت، وَوَجِبَ تَكَرُّرُهَا عِنْدَ الْعَطْفِ عَلَيْهِ (لَا فِي الدَّارِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ).

٤ - أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ خَبَرُهَا عَلَيْهَا.

٥ - أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهَا حَرْفُ جَرٍّ (لَا كَوَكَبَ سَاطِعٍ). وَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا حَرْفُ جَرٍّ بَطَلَ عَمَلُهَا، وَيُعَرَّبُ مَا بَعْدَهَا مَجْرُورًا (سِرْتُ بِلَا زَادٍ).

- تُعْتَبَرُ (لَا) مَعَ اسْمِهَا فِي مَحَلِّ رَفْعٍ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ.

وَأَسْمُ (لَا) يَكُونُ مُفْرَدًا أَوْ مُضَافًا أَوْ شَبِيهَا بِالْمُضَافِ.

١ - فَإِذَا كَانَ اسْمُ (لَا) مُفْرَدًا فَإِنَّهُ يُبْنَى عَلَى مَا كَانَ يُنْصَبُ بِهِ:

لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ. لَا رَجُلَيْنِ عِنْدَنَا. لَا فَاضِلَاتٍ مَذْمُومَاتٍ

٢ - إِذَا كَانَ اسْمُ (لَا) مُضَافًا أَوْ شَبِيهَا بِالْمُضَافِ وَجِبَ نَصْبُهُ:

لَا خَادِمٍ مَائِدَةً حَاضِرٍ.

لَا مُنْصَبًّا عَلَى الْعِلْمِ فِي الْمَكْتَبِ.

- يَكْثُرُ حَذْفُ خَبَرِ (لَا) إِذَا كَانَ مَعْلُومًا (لَا بِأَسٍّ) أَيْ لَا بِأَسٍّ عَلَيْكَ. وَأَكْثَرُ مَا يَحْذِفُونَهُ مَعَ (إِلَّا) (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أَيْ لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ.

- إِذَا نُبِيتَ اسْمُ (لَا) الْمُفْرَدُ بِمُفْرَدٍ مُتَّصِلٍ بِهِ جَازَ فِي النَّعْتِ الْبِنَاءُ عَلَى الْفَتْحِ وَجَازَ النَّصْبُ وَالرَّفْعُ: لَا رَجُلٌ ظَرِيفٌ أَوْ ظَرِيفًا أَوْ ظَرِيفٌ عِنْدَنَا.

- إِذَا فُصِّلَ النَّعْتُ جَازَ نَصْبُهُ أَوْ رَفْعُهُ فَقَطْ: (لَا رَجُلٌ عِنْدَنَا ظَرِيفٌ أَوْ ظَرِيفًا).

إِذَا تَكَرَّرَتْ (لَا)

إِذَا كَانَ اسْمُهَا نَكِرَةً مُتَّصِلًا بِهَا جَازَ إِعْمَالُ الْمُكَرَّرَتَيْنِ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) وَجَازَ إِلْغَاؤُهُمَا جَمِيعًا (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

- وَيَجُوزُ إِعْمَالُ إِحْدَاهُمَا وَالْغَايَةُ الْآخَرَى (لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ).

- إِذَا كَانَ الْمَعْطُوفُ عَلَى اسْمٍ (لَا) مَعْرِفَةً وَجِبَ رَفْعُ الْمَعْرِفَةِ سَوَاءً تَكَرَّرَتْ (لَا) أَوْ لَمْ تَتَكَرَّرْ (لَا رَجُلٌ وَلَا زَيْدٌ فِي الدَّارِ) وَ (لَا رَجُلٌ وَزَيْدٌ فِي الدَّارِ).

ضَمِيرُ الشَّانِ

هُوَ الضَّمِيرُ الْغَائِبُ الْمُفْرَدُ يُكْنَى بِهِ عَنِ الشَّانِ أَيْ الْأَمْرِ الَّذِي يُرَادُ الْحَدِيثُ عَنْهُ (هُوَ اللَّهُ رَحِيمٌ).

- وَالْغَايَةُ مِنَ ضَمِيرِ الشَّانِ تَعْظِيمُ الْأَمْرِ أَوْ تَفْخِيمُهُ.

- لَا يَكُونُ ضَمِيرُ الشَّانِ إِلَّا بِلَفْظِ الْغَائِبِ الْمُفْرَدِ لِيُطَابِقَ مَا يُرَادُ بِهِ مِنَ الشَّانِ أَوْ الْقِصَّةِ. وَضَمِيرُ الشَّانِ إِمَّا مُتَّصِلٌ أَوْ مُفْصَلٌ:

آ - وَيَكُونُ ضَمِيرُ الشَّانِ الْمُفْصَلُ مُبْتَدَأً نَحْوَ (هُوَ الدِّينُ أَسَاسُ التَّمَدُّنِ)، (هِيَ الدُّنْيَا تَمُكَّرُ بِأَهْلِهَا).

وَيَكُونُ أَيْضًا اسْمًا لـ (مَا) الْعَامِلَةِ عَمَلٍ لَيْسَ (وَمَا هُوَ مَنْ بِأَسْوِ الْمَكْلُومِ)

ب - إِذَا كَانَ ضَمِيرُ الشَّانِ مُتَّصِلًا بَارِزًا اخْتَصَّ بِأَنْ وَأَخَوَاتِهَا وَبِأَفْعَالِ الْقُلُوبِ: إِنَّهَا الْقَنَاعَةُ أَغْنَى. أَخْبِرْتُ أَنَّهُ يَقُومُ الْأَمِيرُ.

ج - يُشْتَرَطُ فِي خَبَرِ ضَمِيرِ الشَّانِ أَنْ يَكُونَ جُمْلَةً اسْمِيَّةً خَبَرِيَّةً مُتَأَخِّرَةً عَنْهُ غَيْرَ مُشْتَمِلَةٍ عَلَى ضَمِيرٍ يَعُودُ عَلَيْهِ.

- يَخْتَلِفُ ضَمِيرُ الشَّانِ عَنْ سَائِرِ الضَّمَائِرِ بِأُمُورٍ مِنْهَا:

إِنَّهُ يَعُودُ إِلَى مَا بَعْدَهُ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ.

إِنَّهُ يُلَازِمُ الْإِفْرَادَ فَلَا يُشْنَى وَلَا يُجْمَعُ

جُنْتُ صَبَاحًا

- أسماء الزَّمانِ الْمُتَصَرِّفَةُ تَكُونُ صَالِحَةً لِلنَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ فَقَطْ فِي خَالَتَيْنِ:

أ - إِذَا تَعَلَّقَتْ بِفِعْلٍ أَوْ شِبْهِهِ.

ب - وَتَضَمَّنَتْ مَعْنَى (فِي).

أَي تَصْلُحُ لِأَن تَكُونَ جَوَابًا لِمَنْ يَسْأَلُ (مَتَى، أَي مُدَّةً؟). سَافَرْتُ شَهْرًا وَيَوْمًا وَسَاعَةً (أَي مُدَّةً شَهْرٍ).

- أسماء المَكَانِ الْمُتَصَرِّفَةُ تَكُونُ صَالِحَةً لِلنَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ فَقَطْ إِذَا تَعَلَّقَتْ بِفِعْلٍ أَوْ شِبْهِهِ وَتَضَمَّنَتْ مَعْنَى (فِي) أَي إِذَا كَانَتْ صَالِحَةً لِأَن تَكُونَ جَوَابًا لِمَنْ يَسْأَلُ (أَيْنَ، كَمْ؟). (قِفْ يَمِينَكَ) (أَي جِهَةَ اليمين).

أَي

أَيَّ اسْمٍ مَوْصُولٍ لِلْعَاقِلِ وَلِغَيْرِهِ وَيَتَفَرَّدُ عَنْ سَائِرِ الْمَوْصُولَاتِ بِأَنَّهُ مُعَرَّبٌ دَائِمًا نَحْوُ: (يَسْرُنِي أَيُّهُمْ هُوَ قَادِمٌ).

- وَيَبْنَى فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ حَالَةُ مَا إِذَا أَضْيَفَ وَحَذَفَ صَدْرُ صَلَاتِهِ وَجِئْتُ يَبْنَى عَلَى الضَّمِّ (يَسْرُنِي أَيُّهُمْ قَادِمٌ). (وَرَأَيْتُ أَيُّهُمْ قَادِمٌ). (وَرَأَيْتُ أَيُّهُمْ مُتَصَلِّعٌ فِي الْعُلُومِ) (وَلَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا..)

- الْمَرَادُ بِصَدْرِ الصَّلَةِ لَفْظَةُ الضَّمِيرِ الْمَحذُوفِ (هُوَ) فِي الْمِثَالِ، لِأَن التَّقْدِيرَ هُوَ: أَيُّهُمْ هُوَ قَائِمٌ. وَأَيُّهُمْ هُوَ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا.

- وَيُسْتَرْطُ فِي عَامِلِ (أَيَّ) أَن يَكُونَ مُسْتَقْبَلًا مُقَدَّمًا عَلَيْهَا فَلَا يُقَالُ: (أَعَجَبَنِي أَيُّهُمْ قَامَ بَلْ (يَعَجِبُنِي أَيُّهُمْ قَامَ).

- الْأَكْثَرُ فِي اسْتِعْمَالِ (أَيَّ) الْإِفْرَادَ وَالتَّذْكِيرُ مَعَ الْجَمْعِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَنَّثُهَا (تَذْهَبُنِي أَيُّهُنَّ خَطْبَتٌ).

إِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا غَائِبًا.

إِنَّهُ لَا يُقَدَّمُ خَبَرُهُ عَلَيْهِ.

إِنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَن يَعُودَ الضَّمِيرُ مِنَ الْخَبَرِ إِلَيْهِ.

وَلِإِنَّهُ يَكُونُ لِمُفَسِّرِهِ مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ بِخِلَافِ سَائِرِ الْمُفَسَّرَاتِ.

لَمَّا

١ - تَخْتَصُّ بِالْمُضَارِعِ فَتَجْزُمُهُ وَتَقْلِبُهُ مَاضِيًا وَلَكِنْ نَفَيْهَا مُسْتَمِرٌّ إِلَى الْحَالِ بِعَكْسِ (لَمْ): (لَمَّا يَأْتِ).

٢ - تَخْتَصُّ بِالْمَاضِيِّ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا عُلَمَاءُ اللُّغَةِ:

- فَقَالَ جَمَاعَةٌ هِيَ ظَرْفٌ

- وَقَالَ جَمَاعَةٌ حَرْفٌ لِرَبْطِ جُمْلَتَيْنِ.

٣ - تَكُونُ حَرْفَ اسْتِثْنَاءٍ فَتَدْخُلُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ نَحْوُ: (إِن كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ).

الْمَفْعُولُ فِيهِ (الظَّرْفُ)

هُوَ اسْمٌ يُذَكِّرُ لِبَيَانِ زَمَانِ الْفِعْلِ أَوْ مَكَانِهِ. (حَضَرْتُ صَبَاحًا أَمَامَ الْمُعَلِّمِ). وَالْمَفْعُولُ فِيهِ إِمَّا أَن يَكُونَ ظَرْفَ زَمَانٍ أَوْ ظَرْفَ مَكَانٍ.

- مِنْ أَسْمَاءِ الزَّمَانِ مَا يُمْكِنُ اسْتِعْمَالُهُ ظَرْفًا أَوْ غَيْرَ ظَرْفٍ فَيَسْمَى ظَرْفًا مُتَصَرِّفًا مِثْلَ (يَوْمٍ وَمَكَانٍ) فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُسْتَعْمَلُ ظَرْفًا (نَحْوُ سِرْتُ يَوْمًا، وَجَلَسْتُ مَكَانًا). وَيُمْكِنُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ غَيْرَ ظَرْفٍ (يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمَ مَبَارَكٍ)، (مَكَانَكَ) عَالٍ أَيُّهَا الصَّدِيقُ).

- وَمِنْهَا مَا يَلْزَمُ الظَّرْفِيَّةَ فَيَسْمَى ظَرْفًا غَيْرَ مُتَصَرِّفٍ مِثْلَ (عِنْدَ، قَبْلَ، بَعْدَ، لَدُنْ).

- الظَّرْفُ يَحْتَاجُ دَائِمًا إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْفِعْلِ أَوْ شِبْهِ الْفِعْلِ (الْمَصْدَرِ أَوْ اسْمِ الْفَاعِلِ أَوْ اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَوْ الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ أَوْ أَفْعَلِ التَّفْصِيلِ).

الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِاسْمِ - الْبَاءِ حَرْفُ جَرٍّ، واسم مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره ابتداء باسم الله الرحمن.

وَالْبَاءُ هُنَا لِلِاسْتِعَانَةِ أَوْ لِلِالْصَّاقِ

وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ

اللَّهُ - مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - صِفَتَانِ لِلَّهِ تَعَالَى مَجْرُورَتَانِ

وَجُمْلَةُ الْبَسْمَلَةِ ابْتِدَائِيَّةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

أَعُوذُ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بِالصُّمَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَفِعْلٌ أَعُوذُ مُعْتَلٌّ أَجُوفٌ، وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَرٍ فِيهِ وَجُوبًا تَقْدِيرُهُ أَنَا.

بِاللَّهِ - الْبَاءُ حَرْفُ جَرٍّ وَاللَّهُ اسْمُ الْجَلَالَةِ مَجْرُورٌ بِالْبَاءِ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِأَعُوذُ.

مِنَ الشَّيْطَانِ - مِنْ حَرْفُ جَرٍّ، وَالشَّيْطَانُ اسْمُ مَجْرُورٍ بِمِنْ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِأَعُوذُ أَيْضًا. وَمِنْ لِبَتْدَاءِ الْغَايَةِ.

الرَّجِيمِ - نَعَتْ حَقِيقِيٍّ لِلشَّيْطَانِ.

وَجُمْلَةُ الْاسْتِعَاذَةِ ابْتِدَائِيَّةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ.

(سورة الفاتحة)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)

نَعْبُدُ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَرٍ فِيهِ وَجُوبًا تَقْدِيرُهُ نَحْنُ.

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ -

وَإِيَّاكَ - مَعْطُوفٌ عَلَى إِيَّاكَ نَعْبُدُ

نَسْتَعِينُ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. وَهُوَ فِعْلٌ مُعْتَلٌّ أَجُوفٌ.

إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

إِهْدِنَا - فِعْلٌ أَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ حَرْفِ الْعِلَّةِ، وَهُوَ هُنَا

بِمَعْنَى الدُّعَاءِ. (وَنَا) ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ

مَفْعُولٌ بِهِ. وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَرٍ وَجُوبًا تَقْدِيرُهُ أَنْتَ.

الصِّرَاطَ - مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ.

وَالْأَصْلُ فِي هَذِي أَنْ لَا تَتَعَدَّى إِلَّا إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ

وَلَكِنْ غَلَبَ الْاِتِّسَاعُ فَعَدَّاهَا بَعْضُهُمْ إِلَى مَفْعُولَيْنِ

اِثْنَيْنِ.

الْمُسْتَقِيمَ - صِفَةٌ لِلصِّرَاطِ مَنْصُوبٌ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الْحَمْدُ - مُبْتَدَأٌ مَرْفُوعٌ

لِلَّهِ - اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ، وَاللَّهُ اسْمُ مَجْرُورٍ، وَالْجَارُ

وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ خَبَرٍ تَقْدِيرُهُ (دَائِمٌ أَوْ

قَائِمٌ).

رَبِّ - صِفَةٌ لِلَّهِ مَجْرُورَةٌ، أَوْ بَدَلٌ مِنْهُ مَجْرُورٌ.

الْعَالَمِينَ - مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ وَعَلَامَةُ جَرِّهِ الْبَاءُ نِيَابَةً عَنِ

الْكَسْرَةِ لِأَنَّهُ مُلْحَقٌ بِجَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّالِمِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - صِفَتَانِ لِلَّهِ تَعَالَى أَيْضًا مَجْرُورَتَانِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ:

مَالِكِ - صِفَةٌ رَابِعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى

يَوْمِ - مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ

الدِّينِ - مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

إِيَّاكَ - ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ

لِلِاخْتِصَاصِ

هُدَى - خَبَرٌ ثَالِثٌ لـ ذَا
لِلْمُتَّقِينَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِهِدَى لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (الآية ٦ من سورة البقر)

إِنَّ - حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بِالْفِعْلِ يَنْصَبُ الْأِسْمَ وَيَرْفَعُ الْخَبَرَ.
الَّذِينَ - اسْمٌ مُوَصُولٌ مُبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ
اسْمٌ إِنَّ.

كَفَرُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ.

سَوَاءٌ - خَبَرٌ مُقَدَّمٌ
عَلَيْهِمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِسَوَاءٍ
أُنذِرْتَهُمْ - الهمزة هي همزة التسوية. حرف مَصْدَرِي،
وهي والفعل بعدها في تأويل مَصْدَرٍ مُبْتَدَأٍ مُؤَخَّرٍ

أَمْ - عَاطِفَةٌ مُفَصَّلَةٌ

لَمْ تُنذِرْهُمْ - لَمْ حَرْفُ جَزْمٍ ، وَتُنذِرْهُمْ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ
بِلَمْ وَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَرَفٍّ فِيهِ وَجُوبًا تَقْدِيرُهُ أَنْتَ. وَالْهَاءُ
ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ بِهِ. وَالْجُمْلَةُ
مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ أُنذِرْتَهُمْ.

لَا يُؤْمِنُونَ - لَا نَافِيَةٌ

يُؤْمِنُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ وَعَلَامَةٌ رَفْعِهِ ثُبُوتُ النُّونِ
وَالْوَاوُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فَاعِلٌ. وَجُمْلَةُ (لَا يُؤْمِنُونَ) خَبَرٌ بَعْدَ
خَبَرٍ.

أَوْ هِيَ جُمْلَةٌ مُفَسَّرَةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ.

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (الآية ٨ من سورة البقرة)

يُخَادِعُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ وَعَلَامَةٌ رَفْعِهِ ثُبُوتُ النُّونِ
وَالْوَاوُ فَاعِلٌ وَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ مُسْتَأْنَفَةٌ. أَوْ هِيَ حَالٌ مِنَ
الضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِّ فِي (يَقُولُ) فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

اللَّهُ - مَفْعُولٌ بِهِ لِيُخَادِعُونَ.

صِرَاطَ - بَدَلٌ مُطَابِقٌ مِنَ الصِّرَاطِ
الَّذِينَ - اسْمٌ مُوَصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ مُضَافٌ إِلَيْهِ.
أَنْعَمْتَ - فِعْلٌ مَاضٍ مُبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ لِاتِّصَالِهِ بِضَمِيرٍ
رَفَعَ مَتَحَرِّكٌ. وَالتَّاءُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فَاعِلٌ
وَجُمْلَةُ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ صَلَوةُ
الْمَوْصُولِ.

عَلَيْهِمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِأَنْعَمْتَ.
غَيْرَ - بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي عَلَيْهِمْ. أَوْ مِنَ الَّذِينَ. أَوْ نَعْتَ
لِلَّذِينَ.

الْمَغْضُوبِ - مُضَافٌ إِلَيْهِ (وَهِيَ اسْمٌ مَفْعُولٌ).
عَلَيْهِمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ نَائِبٌ فَاعِلٌ
لِلْمَغْضُوبِ لِأَنَّهُ اسْمٌ مَفْعُولٌ.

وَلَا - الْوَاوُ حَرْفٌ عَطْفٌ. وَلَا زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى النَّفْيِ وَهُوَ
مَا فِي (غَيْرٍ) مِنْ مَعْنَى النَّفْيِ.

الضَّالِّينَ - اسْمٌ مَعْطُوفٌ عَلَى الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ مَجْرُورٌ
وَعَلَامَةُ جَرِّهِ الْيَاءُ لِأَنَّهُ جَمْعٌ مُذَكَّرٌ سَالِمٌ.

أَلَمْ - ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾

الْآيَاتِنِ (١) وَ (٢) (من سورة البقرة)

أَلَمْ - كَلِمَةٌ أُرِيدَ لَفْظُهَا دُونَ مَعْنَاهَا فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَبَرٌ
لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ أَيْ (هَذِهِ أَلَمْ).

ذَلِكَ - ذَا: اسْمٌ إِشَارَةٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ. وَاللَّامُ لِلْبُعْدِ.
وَالْكَافُ لِلْخَطَابِ.

الْكِتَابُ - خَبَرٌ ذَا، لِأَنَّهُ قُصِدَ بِهِ الْإِجْبَارُ بِأَنَّهُ الْكِتَابُ
الْمُقَدَّسُ الْمُسْتَحَقُّ لِهَذَا الْأِسْمِ تَدْعِيماً لِلتَّحْدِي.
وَالْجُمْلَةُ ابْتِدَائِيَّةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا.

لَا رَيْبَ فِيهِ:

لَا - نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ

رَيْبَ - اسْمُهَا الْمُبْنِيُّ عَلَى الْفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ اسْمٌ لَا
فِيهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ وَهُمَا مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ خَبَرُهَا وَالْجُمْلَةُ
خَبَرٌ ثَانٍ لـ ذَا. أَوْ حَالٌ مِنَ الْكِتَابِ.

وَالَّذِينَ - الْوَأُ حَرْفُ عَطْفٍ وَالَّذِينَ اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ نَصَبٍ مَعْطُوفٌ عَلَى (اللَّهُ).

آمَنُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ الْوَأُ وَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ لَا مَحَلَّ لَهَا صِلَةُ الْمَوْصُولِ.

وَمَا يَخْدَعُونَ - الْوَأُ وَآوُ الْحَالِ وَمَا نَافِيَةٌ يَخْدَعُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ وَعَلَامَةُ رَفْعِهِ ثُبُوتُ النُّونِ وَالْوَأُ فَاعِلُهُ

إِلَّا - أَدَاءُ حَضَرٍ أَنْفُسَهُمْ - مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ. وَالْهَاءُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْإِضَافَةِ.

وَمَا يَشْعُرُونَ - الْوَأُ عَاطِفَةٌ، وَمَا نَافِيَةٌ يَشْعُرُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. وَالْجُمْلَةُ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةٍ (وَمَا يَخْدَعُونَ).

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (الآية ٢١ من سورة البقرة)

يَا - حَرْفٌ نِدَاءٍ أَيُّ - مُنَادَى نَكْرَةً مَقْصُودَةٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ فِي مَحَلِّ نَصَبٍ، وَهِيَ لِلتَّنْبِيهِ

النَّاسُ - بَدَلٌ مِنْ أَيُّ عَلَى اللَّفْظِ اعْبُدُوا - فِعْلٌ أَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ النُّونِ، لِأَنَّ مُضَارِعَهُ مِنْ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ.

رَبَّكُم - مَفْعُولٌ بِهِ. وَالْكَافُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْإِضَافَةِ

الَّذِي - اسْمٌ مَوْصُولٌ نَعَتْ لِرَبِّكُمُ خَلَقَكُمْ - فِعْلٌ مَاضٍ وَالْكَافُ مَفْعُولٌ بِهِ. وَالْفَاعِلُ مُسْتَبْرَأٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ.

وَالَّذِينَ - الْوَأُ حَرْفُ عَطْفٍ. وَالَّذِينَ اسْمٌ مَوْصُولٌ مَعْطُوفٌ عَلَى الْكَافِ أَيُّ وَخَلَقَ الَّذِينَ.

مِنْ قَبْلِكُمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِجُمْلَةِ الصَّلَةِ الْمَحذُوفَةِ. لَعَلَّكُمْ - لَعَلَّ حَرْفٌ تَرْجٍ وَنَصَبٍ، وَالْكَافُ اسْمُهُ.

تَتَّقُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. وَالْوَأُ فَاعِلٌ. وَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ خَبَرٌ لَعَلَّ. وَجُمْلَةُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لَا مَحَلَّ لَهَا لِأَنَّهَا مِمَّا قَبْلَهَا مَوْفَعُ الْجَزَاءِ مِنَ الشَّرْطِ. وَيَجُوزُ أَنْ تُعْرَبَ حَالِيَّةً.

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الآية ٢٣ من سورة البقرة)

وَإِنْ - الْوَأُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ وَإِنْ شَرْطِيَّةٌ تَجْزِمُ فِعْلَيْنِ. كُنْتُمْ - فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ وَالتَّاءُ اسْمُهَا. وَالْفِعْلُ النَّاقِصُ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلُ الشَّرْطِ.

فِي رَيْبٍ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ خَبَرٍ كُنْتُمْ. مِمَّا - جَارٌ وَمَجْرُورٌ. (مِنْ مَا) مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ صِفَةٍ لِرَيْبٍ. وَمَا اسْمٌ مَوْصُولٌ.

نَزَّلْنَا - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ. (نَا) ضَمِيرٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فَاعِلٌ. وَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ لَا مَحَلَّ لَهَا صِلَةُ الْمَوْصُولِ. وَالْعَائِدُ مَحذُوفٌ أَيْ نَزَّلْنَاهُ.

عَلَى عَبْدِنَا - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِنَزَّلْنَا، فَأْتُوا - الْفَاءُ رَابِعَةٌ لِجَوَابِ الشَّرْطِ لِأَنَّ جُمْلَةَ الْجَوَابِ طَلِبِيَّةٌ

وَأْتُوا - فِعْلٌ أَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ النُّونِ وَالْوَأُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فَاعِلٌ. وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ جَوَابُ الشَّرْطِ.

بِسُورَةٍ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِ (أْتُوا). مِنْ مِثْلِهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ صِفَةٍ لـ (سُورَةٍ). وَالْهَاءُ: ضَمِيرٌ مُضَافٌ إِلَيْهِ.

وَادْعُوا - الْوَأُ عَاطِفَةٌ وَادْعُوا مَعْطُوفٌ عَلَى (فَأْتُوا). وَالْوَأُ فَاعِلٌ.

شُهَدَاءَكُمْ - مَفْعُولٌ بِهِ (ادْعُوا). وَالْكَافُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْإِضَافَةِ.

إِنْ كُنْتُمْ - إِنْ شَرْطِيَّةٌ، وَكُنْتُمْ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلُ الشَّرْطِ وَالتَّاءُ اسْمُهُ.

متعلّق بفعلٍ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَذْكَرُ. وَهَذَا هُوَ الْإِعْرَابُ
الْعَالِبُ عَلَى (إِذْ) الْمَذْكُورَةُ فِي أَوَائِلِ السُّورِ وَالْآيَاتِ.
قَالَ - فِعْلٌ مَاضٍ. وَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِإِضَافَةِ
الظَّرْفِ إِلَيْهَا

رَبُّكَ - فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ، والكاف: مضافٌ إليه.
لِلْمَلَائِكَةِ - اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ وَالْمَلَائِكَةُ اسْمٌ مَجْرُورٌ بِاللَّامِ
وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِقَالَ

إِنِّي - إِنَّ حَرْفَ مُشَبِّهٍ بِالْفِعْلِ وَالْيَاءُ اسْمُهُ
جَاعِلٌ - خَبَرُهُ مَرْفُوعٌ
فِي الْأَرْضِ - فِي حَرْفِ جَرٍّ، وَالْأَرْضُ اسْمٌ مَجْرُورٌ بِفِي،
وَعَلَامَةُ جَرِّهِ الْكَسْرَةُ وَجُمْلَةُ (إِنِّي جَاعِلٌ) فِي مَحَلِّ نَصْبٍ
مَفْعُولٌ بِهِ.

خَلِيفَةً - مَفْعُولٌ بِهِ لَ (جَاعِلٌ) لِأَنَّهُ اسْمٌ فَاعِلٌ.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ﴾ (الآية ٣٢ من سورة البقرة)

قَالُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ (فَاعِلُهُ الْوَاوُ)
سُبْحَانَكَ - مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ. وَهُوَ مَصْدَرٌ لَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ إِلَّا
مُضَافًا، مَنْصُوبٌ بِاضْمَارِ فِعْلِهِ كَمَعَاذَ اللَّهِ.

لَا - نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ مِنْ أَخَوَاتِ (إِنَّ) الْمُشَبَّهَةِ بِالْفِعْلِ
عِلْمٌ - اسْمٌ لَا النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ
لَنَا - اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ. وَنَا ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ الْجَرِّ
وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ خَبَرٍ (لَا)

إِلَّا - أَدَاةُ حَضَرٍ
مَا - مَصْدَرِيَّةٌ - أَوْ اسْمٌ مُوَصُولٌ. وَهِيَ مَعَ مَذْخُولِهَا أَوْ هِيَ
وَحْدَهَا فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى الْبَدَلِيَّةِ مِنْ مَحَلٍّ لَا وَاسْمِهَا
نَحْوُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

عَلَّمْتَنَا - فِعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ. وَالْجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا صِلَةٌ
الْمَوْصُولِ.

إِنَّكَ - إِنَّ وَاسْمُهَا
أَنْتَ - ضَمِيرٌ فَضَّلَ أَوْ عِمَادٍ لَا مَحَلَّ لَهُ.

صَادِقِينَ - خَبَرُهُ. وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: فَافْعَلُوا
ذَلِكَ.

(إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (الآية ٢٤ من سورة البقرة).

فَإِنْ - الْفَاءُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ وَإِنْ شَرْطِيَّةٌ
لَمْ - حَرْفُ جَزْمٍ
تَفْعَلُوا - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْرُومٌ بِلَمْ وَعَلَامَةُ جَرِّهِ حَذْفُ
النُّونِ وَالْوَاوُ فَاعِلُهُ

وَلَنْ تَفْعَلُوا - الْوَاوُ اعْتِرَاضِيَّةٌ، وَلَنْ حَرْفٌ نَفْيٍ وَنَصْبٍ
تَفْعَلُوا - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ بِلَنْ، وَعَلَامَةُ نَصْبِهِ حَذْفُ
النُّونِ، وَالْجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ لِأَنَّهَا مُعْتَرِضَةٌ
بَيْنَ الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ.

فَاتَّقُوا - الْفَاءُ رَابِطَةٌ لِجَوَابِ الشَّرْطِ
وَاتَّقُوا فِعْلٌ أَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ النُّونِ، وَالْوَاوُ فَاعِلٌ
النَّارَ - مَفْعُولٌ بِهِ

الَّتِي - اسْمٌ مُوَصُولٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ صِفَةٌ لِلنَّارِ
وَقُودُهَا - مُبْتَدَأٌ مَرْفُوعٌ. وَ(هَا): ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ
بِالإِضَافَةِ

النَّاسِ - خَبَرٌ مَرْفُوعٌ
وَالْحِجَارَةُ - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ وَالْحِجَارَةُ اسْمٌ مَعْطُوفٌ عَلَى
(النَّاسِ) وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ لَا مَحَلَّ لَهَا صِلَةُ الْمَوْصُولِ
أُعِدَّتْ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ. وَنَائِبُ الْفَاعِلِ
ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ جَوَازًا تَقْدِيرُهُ (هِيَ)

لِلْكَافِرِينَ - اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ وَالْكَافِرِينَ اسْمٌ مَجْرُورٌ بِاللَّامِ.
وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِأُعِدَّتْ
وَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ حَالٌ لَازِمَةٌ مِنَ النَّارِ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً..﴾ (الآية ٣٠ من سورة البقرة)

الْوَاوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ
إِذْ - ظَرْفٌ لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَنِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ فِيهِ

الْعَلِيمُ - خَبِرَ إِنَّ الْأَوَّلَ

الْحَكِيمُ - خَبِرَ إِنَّ الثَّانِي

وَيَجُوزُ أَنْ تُعَرَّبَ (أَنْتَ) مُبْتَدَأُ خَبَرَاهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
وَالْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَبِرَ (إِنْ)

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (الآية ٧٤ من سورة البقرة)

وَمَا - الْوَاوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ وَمَا نَافِيَةٌ جَوَازِيَّةٌ تَعْمَلُ عَمَلٌ لَيْسَ

اللَّهُ - اسْمٌ (مَا) الْمَرْفُوعُ

بِغَافِلٍ - الْبَاءُ حَرْفُ جَرٍّ زَائِدٌ. غَافِلٌ مَجْرُورٌ لَفْظًا مَنْصُوبٌ

مَحَلًّا عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ (مَا).

عَمَّا = عَنْ + مَا :

عَنْ : حَرْفُ جَرٍّ. وَمَا : اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بَعْنِ.

وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِ- (غَافِلٍ).

تَعْمَلُونَ - فِعْلٌ وَفَاعِلٌ وَالْجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا لِأَنَّهَا صِلَةٌ

الْمَوْصُولِ.

﴿بِشْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ

يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبَاؤُوا بِغَضَبٍ

عَلَى غَضَبٍ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (البقرة الآية ٩٠)

بِشْمَا - بِشَسْ فِعْلٌ مَاضٍ جَامِدٌ لِإِنْشَاءِ الدَّمِّ. وَمَا نَكْرَةٌ تَامَةٌ

بِمَعْنَى شَيْءٍ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى التَّمْيِيزِ وَهِيَ مُفْسَّرَةٌ

لِفَاعِلٍ بِشَسْ بِمَعْنَى بِشَسْ شَيْئًا.

اشْتَرَوْا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ. وَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ ل- (مَا)

بِهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِاشْتَرَوْا

أَنْفُسَهُمْ : مَفْعُولٌ بِهِ وَالْهَاءُ : مُضَافٌ إِلَيْهِ.

أَنْ يَكْفُرُوا - أَنْ وَمَا فِي حَيْزِهَا فِي تَأْوِيلٍ مَصْدَرٍ مُبْتَدَأٌ لِأَنَّهُ

مَخْصُوصٌ بِالذَّمِّ. وَجُمْلَةُ بِشَسْ هِيَ الْخَبَرُ الْمَقْدَمُ.

بِمَا - الْبَاءُ حَرْفُ جَرٍّ. وَمَا اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْبَاءِ

وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِيَكْفُرُوا.

أَنْزَلَ اللَّهُ - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ. وَالْجُمْلَةُ صِلَةٌ الْمَوْصُولِ.

بَغْيًا - مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ، وَهُوَ عِلَّةٌ اشْتَرَوْا، أَوْ عِلَّةٌ يَكْفُرُوا.

أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ - أَنْ حَرْفٌ نَاصِبٌ، يُنْزَلَ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ

وَأَنْ وَمَا بَعْدَهَا فِي تَأْوِيلٍ مَصْدَرٍ مَنْصُوبٍ بِنَزْعِ الْخَافِضِ

أَيَّ يَغْوُوا لِإِنْزَالِ اللَّهِ.

مِنْ فَضْلِهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِ- (يُنْزَلَ) أَيْضًا.

عَلَى مَنْ يَشَاءُ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِ- (يُنْزَلَ). وَيَشَاءُ

فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. وَفَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى (مَنْ)

مِنْ عِبَادِهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ مُبَيِّنٍ لِمَنْ

يَشَاءُ

قَبَاؤُوا - الْفَاءُ عَاطِفَةٌ، وَبَاؤُوا فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ

بِغَضَبٍ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِ- (بَاؤُوا).

عَلَى غَضَبٍ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ صِفَةٌ لِعَضَبٍ

أَوْ مُتَرَادِفٍ

وَاللْكَافِرِينَ - الْوَاوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ. لِلْكَافِرِينَ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ

بِمَحْذُوفٍ خَبِرَ مُقَدَّمٌ

عَذَابٍ - مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ

مُهِينٌ - صِفَةٌ لِلْعَذَابِ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ١٠٤ من سورة البقرة)

وَلَوْ - الْوَاوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ أَوْ عَاطِفَةٌ. لَوْ شَرْطِيَّةٌ غَيْرُ جَازِمَةٍ.

أَنَّهُمْ - حَرْفٌ مُشَبِّهٌ بِالْفِعْلِ، وَاسْمُهُ.

آمَنُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ (الْوَاوُ فَاعِلٌ). وَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ

خَبِرَ أَنْ.

وَأَنْ وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا فِي تَأْوِيلٍ مَصْدَرٍ مُبْتَدَأٌ خَبَرَهُ

مَحْذُوفٌ أَيْ لَوْ إِيمَانُهُمْ ثَابِتٌ. وَقِيلَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فَاعِلٌ

لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ لَوْ ثَبَتَ إِيمَانُهُمْ.

وَاتَّقَوْا - الْوَاوُ حَرْفٌ عَاطِفٌ. وَاتَّقَوْا مَعْطُوفٌ عَلَى آمَنُوا.

لَمَثُوبَةٍ - اللَّامُ لِلْإِنْتِدَاءِ، وَقِيلَ إِنَّهَا وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ لَوْ

لِلدَّلَالَةِ عَلَى الثَّبُوتِ. وَمَثُوبَةٌ مُبْتَدَأٌ، مَرْفُوعٌ. وَسَاعَ

الْإِنْتِدَاءُ بِالنَّكَرَةِ لِأَنَّهَا وُصِفَتْ.

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - مِنْ حَرْفِ جَرٍّ، وَعِنْدُ ظَرْفٌ مَجْرُورٌ بِمَنْ

وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ صِفَةٌ ل- (مَثُوبَةٍ) وَاللَّهُ مُضَافٌ إِلَيْهِ.

خَيْرٌ - خَبِرَ مَثُوبَةٌ مَرْفُوعٌ.

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ - لَوْ حَرْفٌ شَرْطِيٌّ، كَانُوا فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ

مُحْسِنٌ - خَبْرُهُ.

والجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ.

فَلَهُ - الْفَاءُ رَابِطَةٌ. وَاللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ وَالْهَاءُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ. وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِخَبَرٍ مُقَدَّمٍ.

أَجْرُهُ - مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ.

والجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ جَوَابُ الشَّرْطِ. عِنْدَ رَبِّهِ - عِنْدَ ظَرْفٍ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْدُوفٍ حَالٍ، وَرَبِّهِ مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَالْهَاءُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ مُضَافٌ إِلَيْهِ.

وَلَا - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ وَلَا نَافِيَةٌ.

خَوْفٌ - مُبْتَدَأٌ. وَقَدْ سَاعَ الْإِبْتِدَاءُ بِهِ لِتَقْدَمِ النَّفْيُ عَلَيْهِ. عَلَيْهِمْ - عَلَى حَرْفِ جَرٍّ وَهُمْ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِخَبَرٍ (خَوْفٌ).

وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ - جُمْلَةٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَهَا (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ (الآية ١١٤ من سورة البقرة)

وَمَنْ - الْوَاوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ. وَمَنْ اسْمٌ اسْتِفْهَامٍ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ وَمَعْنَاهُ النَّفْيُ.

أَظْلَمُ - خَبَرٌ مِنْ مَرْفُوعٍ.

مِمَّنْ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِ (أَظْلَمُ).

مَنَعَ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ. وَقَاعِلُهُ مُسْتَرَرٌّ يَعُودُ عَلَى (مَنْ).

مَسَاجِدَ - مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ.

اللَّهُ - مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ.

والجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا لِأَنَّهَا صِلَةُ الْمَوْصُولِ.

أَنْ يُذَكَرَ - أَنْ حَرْفٌ نَاصِبٌ وَيُذَكَرُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ بِأَنْ وَعَلَامَةُ نَصْبِهِ الْفَتْحَةُ فِي آخِرِهِ.

وَأَنْ وَمَا فِي حَيْزِهَا فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ مَفْعُولٍ ثَانٍ، لَمَنْعِ وَيُمْكِنُ إِغْرَابُ الْمَصْدَرِ مَفْعُولًا لِأَجْلِهِ أَيْ كَرَاهَةِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ.

وَالْوَاوُ اسْمُهُ، يَعْلَمُونَ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بِثُبُوتِ الثَّوْنِ. وَجَوَابُ لَوْ مَحْدُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ (أَي لَأَيُّبُوا).

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ (الآية ١٠٨ من سورة البقرة)

أَمْ - عَاطِفَةٌ مُنْقِطِعَةٌ بِمَعْنَى (بَلْ).

تُرِيدُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بِثُبُوتِ الثَّوْنِ وَالْوَاوُ فَاعِلٌ.

أَنْ تَسْأَلُوا - أَنْ حَرْفٌ نَصْبٍ، تَسْأَلُوا فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ بِأَنْ وَعَلَامَةُ نَصْبِهِ حَذْفُ الثَّوْنِ مِنْ آخِرِهِ.

وَأَنْ وَمَا فِي حَيْزِهَا فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ مَفْعُولٍ تُرِيدُونَ.

رَسُولَكُمْ - مَفْعُولٌ بِهِ لِتَسْأَلُوا.

كَمَا سُئِلَ مُوسَى - الْكَافُ حَرْفُ جَرٍّ، وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ مُؤَوَّلَةٌ وَمَا بَعْدَهَا بِمَصْدَرٍ مَفْعُولٍ مُطْلَقٌ أَوْ حَالٌ.

سُئِلَ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ. وَمُوسَى نَائِبُ فَاعِلٍ لِسُئِلَ.

مِنْ قَبْلُ - مِنْ حَرْفِ جَرٍّ، وَقَبْلُ ظَرْفٌ مَقْطُوعٌ مَبْنِيٌّ فِي مَحَلِّ جَرٍّ. وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِسُئِلَ.

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الآية ١١٢ من سورة البقرة)

بَلَى - حَرْفٌ جَوَابٍ لِإِثْبَاتِ مَا نَفَوْهُ مِنْ دُخُولِ غَيْرِهِمُ الْجَنَّةَ.

مَنْ - اسْمٌ شَرْطٌ جَائِزٌ مُبْتَدَأٌ.

أَسْلَمَ - فِعْلٌ الشَّرْطِ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ.

وَجْهَهُ - مَفْعُولٌ بِهِ.

لِلَّهِ - اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ وَاللَّهُ اسْمٌ مَجْرُورٌ بِاللَّامِ وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِأَسْلَمَ.

وَهُوَ - الْوَاوُ وَاءُ الْحَالِ. وَ (هُوَ) مُبْتَدَأٌ ضَمِيرٌ مُتَّفَصِّلٌ مَبْنِيٌّ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (الآية ١١٨ من سورة البقرة).

وَقَالَ - الواو استئنافية. وَقَالَ فِعْلٌ مَاضٍ.

الَّذِينَ - فاعِلٌ قَالَ وَهِيَ اسْمٌ مَوْصُولٌ.

وَجُمْلَةٌ لَا يَعْلَمُونَ صِلَةُ الْمَوْصُولِ.

لَوْلَا - حَرْفٌ تَخْضِيعٌ بِمَعْنَى هَلَا.

يُكَلِّمُنَا - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ، وَ (نَا): ضَمِيرٌ مَفْعُولٌ بِهِ.

اللَّهُ - فاعِلٌ يُكَلِّمُنَا مَرْفُوعٌ.

أَوْ - حَرْفٌ عَطْفٌ.

تَأْتِينَا - فِعْلٌ مُضَارِعٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ مَعْطُوفَانِ عَلَى يُكَلِّمُنَا.

آيَةٌ - فاعِلٌ تَأْتِينَا مَرْفُوعٌ.

كَذَلِكَ - الْكَافُ حَرْفٌ جَرٌّ، وَذَلِكَ اسْمٌ إِشَارَةٌ مَجْرُورٌ

بِالْكَافِ.

قَالَ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ.

الَّذِينَ - اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فاعِلٌ.

مِنْ قَبْلِهِمْ - مِنْ حَرْفٍ جَرٍّ وَقِيلَ ظَرْفٌ زَمَانٍ مَجْرُورٌ وَهُمْ

مُضَافٌ إِلَيْهِ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِصِلَةِ الْمَوْصُولِ

المحذوفة.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ (الآية ١٣٣ من

سورة البقرة)

أَمْ - يَجُوزُ فِيهَا ثَلَاثَةُ وُجُوهِ لِلإِعْرَابِ:

- أَنْ تَكُونَ مُتَّصِلَةً عَاطِفَةً عَلَى مَحْذُوفٍ مُقَدَّرٍ، وَكَأَنَّهُ

قِيلَ: أَتَدْعُونَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالْيَهُودِيَّةِ، أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ

وَحُضُورًا؟

- وَيجوزُ أَنْ تَكُونَ مُنْقَطِعَةً بِمَعْنَى: لَمْ تَكُونُوا حَاضِرِينَ

عِنْدَمَا حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ.

- وَيجوزُ أَنْ تَكُونَ لِمُجَرَّدِ الْاسْتِفْهَامِ بِمَعْنَى الْهَمْزَةِ.

كُنْتُمْ - فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ وَاسْمُهُ.

شُهَدَاءَ - خَبَرٌ كَانَ مَنْصُوبٌ.

إِذْ - ظَرْفٌ لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ مُتَعَلِّقٌ بِشُهَدَاءَ.

حَضَرَ - فِعْلٌ مَاضٍ. وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِإِضَافَةِ الظَّرْفِ

إِلَيْهَا.

يَعْقُوبَ - مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ مَنْصُوبٌ بِالْفَتْحَةِ.

الْمَوْتُ - فاعِلٌ مُؤَخَّرٌ مَرْفُوعٌ بِالضَّمَّةِ.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾

(الآية ١٣٨ من سورة البقرة)

صِبْغَةً - مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ، مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ.

اللَّهُ - مُضَافٌ إِلَيْهِ.

وَمَنْ - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ. مَنْ اسْمٌ اسْتِفْهَامٌ. وَقَدْ خَرَجَ الْاسْتِفْهَامُ

هُنَا إِلَى مَعْنَى الْيَقِينِ، فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأً.

أَحْسَنُ - خَبَرٌ مِنْ مَرْفُوعٍ.

مِنَ اللَّهِ: جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِأَحْسَنَ.

صِبْغَةً - تَمَيِّزٌ مَنْصُوبٌ.

وَنَحْنُ - وَاوُ الْحَالِ. نَحْنُ ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ مُبْتَدَأً.

لَهُ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ (بِعَابِدُونَ) الْخَبَرِ.

عَابِدُونَ - خَبَرٌ نَحْنُ مَرْفُوعٌ بِالْوَاوِ.

وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾

(الآية ١٤٣ من سورة البقرة).

وَكَذَلِكَ - الْوَاوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ. وَالْكَافُ حَرْفٌ جَرٌّ. ذَلِكَ اسْمٌ

إِشَارَةٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْكَافِ. وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ

بِمَحْذُوفٍ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ أَيْ مِثْلُ ذَلِكَ الْجَعْلِ

جَعَلْنَاكُمْ.

جَعَلْنَاكُمْ - فِعْلٌ وَقَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلُ.

أُمَّةً - مَفْعُولٌ ثَانٍ لَجَعَلْنَا.

وَسَطًا - صِفَةٌ لـ (أُمَّةً) مَنْصُوبٌ.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ (الآية ١٤٤ من سورة

البقرة).

قَدْ - هُنَا لِلتَّكْثِيرِ بِقَرِينَةِ ذِكْرِ التَّقَلُّبِ.

نَرَى - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بِالضَّمَّةِ الْمُقَدَّرَةِ

وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَرْتَفٍ تَقْدِيرُهُ نَحْنُ.

تَقْلَبُ - مَفْعُولٌ بِهِ.

وَجِهَكَ - مُضَافٌ إِلَيْهِ. وَالْكَافُ مُضَافٌ إِلَيْهِ.

فِي السَّمَاءِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَقْلَبُ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾

(الآية ١٤٩ من سورة البقرة).

وَمِنْ - الْوَائِ اسْتِثْنَائِيَّةٌ وَمِنْ حَرْفُ جَرٍّ.

حَيْثُ - ظَرْفٌ مَكَانٍ تَحْمِيلُ مَعْنَى الشَّرْطِ (وَحَيْثُ لَا تُضَافُ إِلَّا إِلَى الْجُمْلَةِ).

خَرَجْتَ - فِعْلٌ وَفَاعِلٌ. وَالْجُمْلَةُ: فِي مَحَلٍّ جَرٌّ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الظَّرْفِ حَيْثُ.

فَوَلِّ - الْفَاءُ رَابِطَةٌ. وَلِ فِعْلٌ أَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ حَرْفِ الْعِلَّةِ.

وَجْهَكَ - مَفْعُولٌ بِهِ - (وَلِ) وَالْكَافُ مُضَافٌ إِلَيْهِ.

شَطْرَ الْمَسْجِدِ - شَطْرٌ ظَرْفٌ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِوَلِّ. وَالْمَسْجِدِ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ.

الْحَرَامِ - صِفَةٌ لِلْمَسْجِدِ مَجْرُورٌ.

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الآية

١٦٣ من سورة البقرة)

وَاللَّهُمَّ - الْوَائِ اسْتِثْنَائِيَّةٌ. وَمَا بَعْدَهَا جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لَا مَحَلَّ

لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ

إِلَهُكُمْ - مُبْتَدَأٌ وَالْكَافُ مُضَافٌ إِلَيْهِ.

إِلَهَ - خَبَرٌ مَرْفُوعٌ.

وَاحِدٌ - صِفَةٌ لِإِلَهَ.

لَا إِلَهَ - لَا نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ. إِلَهَ اسْمُهَا مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ فِي مَحَلٍّ نَصْبٍ.

إِلَّا - أَدَاةُ حَضَرٍ.

هُوَ - بَدَلٌ مِنْ مَحَلٍّ لَا وَاسِمُهَا لِأَنَّ مَحَلَّهَا الرُّفْعَ عَلَى

الْإِبْتِدَاءِ. أَوْ بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِّ فِي الْخَبَرِ

الْمَحذُوفِ.

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ - خَبَرَانِ لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ هُوَ.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الآية ١٧٧ من سورة البقرة)

لَقَدْ كَانَ السِّيَاقُ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ (الصَّابِرِينَ) مَرْفُوعَةً عَلَى نَسَبِ مَا تَقَدَّمَهَا وَلَكِنَّهُ قَطَعَهُ عَنِ الْعَطْفِ وَنَصَبَهُ عَلَى الْمَدْحِ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ (أَمَدَحُ الصَّابِرِينَ) إِشْعَاراً بِفَضْلِ الصَّبْرِ، وَتَنْوِيهاً بِذَلِكَ الْفَضْلِ.

لَيْسَ - فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ وَمَعْنَاهَا نَفَى الْحَالِ وَسَلَبُ الْمَعْنَى وَالْأَصْلُ فِي الْأَفْعَالِ أَنْ تَوْضَعَ لِإِيجَابِ الْمَعْنَى وَلَيْسَ لِسَلْبِهِ، فَتَزَلَّتْ لَيْسَ مَزَلَّةَ الْحَرْفِ فَجَمَدَتْ وَلَمْ تَتَصَرَّفْ. وَذَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا فِعْلٌ أَتَصَلَّتْ بِهَا الضَّمَاوِرُ.

الْبِرُّ - خَبَرٌ مُقَدَّمٌ لِلَيْسِ مُنْصُوبٌ.

أَنْ تُولُوا - أَنْ حَرْفٌ مُصَدَّرٌ نَاصِبٌ. وَتُولُوا فِعْلٌ مُضَارِعٌ مُنْصُوبٌ بِأَنْ، وَالْمُصَدَّرُ مِنْ أَنْ وَمَا فِي حَيْزِهَا اسْمٌ لَيْسَ الْمُؤَخَّرُ.

وَجُوهَكُمْ - مَفْعُولٌ بِهِ.

قِبَلَ - ظَرْفٌ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِ- (تُولُوا).

الْمَشْرِقِ - مُضَافٌ إِلَيْهِ.

وَالْمَغْرِبِ - الْوَائِ حَرْفٌ عَطْفٍ، الْمَغْرِبُ: اسْمٌ مَعْطُوفٌ

عَلَى الْمَشْرِقِ.

وَلَكِنَّ - الْوَائِ حَرْفٌ عَطْفٍ. لَكِنَّ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بِالْفِعْلِ.

الْبِرُّ - اسْمُهَا مُنْصُوبٌ.

مَنْ آمَنَ - مَنْ اسْمٌ مُوَصُولٌ، خَبَرٌ لَكِنَّ. وَآمَنَ فِعْلٌ مَاضٍ.

بِاللَّهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِآمَنَ.

وَالْيَوْمِ - الْوَائِ عَاطِفَةُ الْيَوْمِ: اسْمٌ مَعْطُوفٌ عَلَى اللَّهِ.

الْآخِرِ - صِفَةٌ لِلْيَوْمِ.

وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ - عَطْفٌ عَلَى اللَّهِ أَيْضاً.

وَآتَى - فِعْلٌ مَاضٍ مَعْطُوفٌ عَلَى آمَنَ، دَاخِلٌ فِي حَيْزِ

الصَّلَاةَ، وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ.

المَالُ - مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ.

عَلَى حَبِّهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ.
وَالْمَصْدَرُ مُضَافٌ إِلَى مَفْعُولِهِ

ذَوِي الْقُرْبَى - مَفْعُولٌ آتَى، وَعَلَامَةُ نَصْبِهِ الْيَاءُ لِأَنَّهُ مَلْحَقٌ
بِجَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّالِمِ. وَالْقُرْبَى مُضَافٌ إِلَيْهِ.

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنِ السَّبِيلِ - كُلُّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى
(ذَوِي).

وَفِي الرِّقَابِ - الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مَعْطُوفٌ أَيْضاً، بِمَعْنَى وَآتَى
المَالُ فِي فَكْهَاهَا مِنَ الْأَسْرِ وَاعْتِقَاقِهَا.

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ - عَطَفَ عَلَى وَآتَى الْمَالِ.

وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ - عَطَفَ عَلَى مَنْ آمَنَ.

وَيُمْكِنُ إِغْرَابُهُ خَبِراً لِمُبْتَدَأِ مَحْذُوفٍ لِيُعْذِرَهُ أَيُّ هُمْ
الْمُؤْمِنُونَ.

بِعَهْدِهِمْ - الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِالْمُؤْمِنُونَ لِأَنَّهُ جَمْعٌ
حَرْفِيٌّ وَهُوَ اسْمٌ فَاعِلٌ مِنْ أَوْفَى.

إِذَا عَاهَدُوا - إِذَا ظَرَفَ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ مُتَعَلِّقٌ
بِالْمُؤْمِنُونَ.

عَاهَدُوا - فِعْلٌ وَفَاعِلٌ. وَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ
بِالإِضَافَةِ لِقُوعِهَا بَعْدَ الظَّرْفِ.

وَالصَّابِرِينَ - كَانَ سِيَاقُ الْكَلَامِ أَنْ يَكُونَ مَنْسُوقاً عَلَى مَا
تَقَدَّمَ وَلَكِنَّهُ قَطَعَهُ عَنِ الْعَطْفِ وَنَصَبَهُ عَلَى الْمَدْحِ بِفِعْلِ
مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَمْدَحُ الصَّابِرِينَ إِشْعَاراً بِفَضْلِ الصَّبْرِ.

فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ - فِي حَرْفِ جَرٍّ وَالبَأْسَاءِ اسْمٌ مَجْرُورٌ
بِفِي، وَالضَّرَاءِ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ
مُتَعَلِّقَانِ بِالصَّابِرِينَ، وَهُمَا مَصْدَرَانِ جَاءَا عَلَى فَعْلَاءَ
وَلَيْسَ لَهُمَا أَفْعَلٌ أَوْ هُمَا اسْمَانِ لِلْمَصْدَرِ بِمَعْنَى الْبُؤْسِ
وَالضَّرِّ. وَيَقَعَانِ عَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمُؤْنِثِ مِثْلَ (أَشَامَ).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ... أَيَّاماً
مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ
أُخَرَ﴾ (الآية ١٨٣ من سورة البقرة)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا - تَقَدَّمَ إِغْرَابُهَا.

كُتِبَ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ أَيُّ
فُرِضَ.

عَلَيْكُمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِكُتِبَ.

الصِّيَامُ - نَائِبٌ فَاعِلٌ لِكُتِبَ.

أَيَّاماً - ظَرَفَ مُتَعَلِّقٌ بِالصِّيَامِ فِي الظَّاهِرِ فِيهِ فَضْلٌ بَيْنَ
الْمَصْدَرِ وَصِلَتِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ مَنَعُهُ النُّحَاةُ لِذَلِكَ يُرْجَحُ نَصْبُهُ
بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ وَالتَّقْدِيرُ (صُومُوا
أَيَّاماً).

مَعْدُودَاتٍ - صِفَةٌ لِلْأَيَّامِ مَنْصُوبٌ بِالكُسْرَةِ لِأَنَّهُ جَمْعٌ مُؤْنِثٌ
سَالِمٌ.

فَمَنْ - الْفَاءُ الْفَصِيحَةُ. وَمَنْ اسْمٌ شَرْطٌ جَارِمٌ مُبْتَدَأٌ.

كَانَ - فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلُ الشَّرْطِ.
وَأَسْمُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ.

مَنْكُم - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ.

مَرِيضاً - خَبَرٌ كَانَ.

أَوْ عَلَى سَفَرٍ - أَوْ حَرْفٌ عَاطِفٌ، عَلَى سَفَرٍ جَارٌ وَمَجْرُورٌ
مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ مَعْطُوفٍ عَلَى (مَرِيضاً).

فَعِدَّةٌ - الْفَاءُ رَابِطَةٌ لَجَوَابِ الشَّرْطِ. وَعِدَّةٌ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ
مَحْذُوفٌ أَيُّ فَعْلِيَّةٌ عِدَّةٌ. أَوْ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ
فَالْحُكْمُ عِدَّةٌ. وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ الْمُقْتَرَنَةُ بِالْفَاءِ فِي مَحَلِّ
جَزْمٍ جَوَابُ الشَّرْطِ.

مِنْ أَيَّامٍ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ صِفَةٌ لـ (عِدَّةٌ).

أُخَرَ - صِفَةٌ لِأَيَّامٍ مَجْرُورٌ وَعَلَامَةُ جَرِّهِ الْفَتْحَةُ لِأَنَّهُ مَمْنُوعٌ
مِنَ الضَّرْفِ.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الآية ٢٢٤ من سورة البقرة).

ولاً - الواو استثنائية. ولا ناهية جازمة.

تَجْعَلُوا - فعل مضارع مجزوم بـ (لا) الله - مفعول به.

عُرْضَةً: مفعول به ثانٍ منصوب.

لِإِيمَانِكُمْ - جار ومجرور متعلقان بعُرْضَةٍ.

أَنْ تَبَرُّوا - أن حرف نصب. تَبَرُّوا فعل مضارع منصوب بأن وإن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول لأجله أو بدل. وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ - عطفت على (أَنْ تَبَرُّوا).

﴿وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾

(الآية ٢٣٥ من سورة البقرة)

ولاً - الواو حرف عطف. و (لا) ناهية جازمة.

تَعْزَمُوا - فعل مضارع مجزوم بلا الناهية.

عُقْدَةَ النِّكَاحِ - عُقْدَةُ مفعول به منصوب بترفع الخافض أي (على عُقْدَةِ النِّكَاحِ)، فلما حذفت حرف الجر نصب ما بعده، كما تقول ضرب زيد الظهر والبطن أي على الظهر والبطن. والنكاح مضاف إليه.

حَتَّى يَبْلُغَ - حتى حرف غاية وجر، ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمره بعد حتى.

الْكِتَابُ - فاعل مرفوع.

أَجَلَهُ - مفعول به منصوب.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (الآية ٢٤٥ من سورة البقرة)

مَنْ ذَا الَّذِي - مَنْ استئنافية، مبتدأ. وَذَا اسم إشارة خبر. وَالَّذِي بَدَلٌ مِنْ اسْمِ الإِشَارَةِ أَوْ نَعَتْ لَهُ.

يُقْرِضُ اللَّهُ - يقرض فعل مضارع مرفوع. وَالْفَاعِلُ يَعُودُ عَلَى الَّذِي. وَاللَّهُ مفعول به. وَالْجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا لِأَنَّهَا صِلَةُ الْمُوَصُولِ.

قَرْضًا حَسَنًا - قَرْضًا مفعول مطلق. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الشَّيْءِ الْمُقْرِضِ فَيَكُونَ مفعولاً به ثانياً وَحَسَنًا صِفَةً لـ (قَرْضًا).

فَيُضَاعِفُهُ لَهُ - الفاء فاء السببية، وَيُضَاعِفُهُ فعل مضارع منصوب بأن مضمره بعد فاء السببية الواقعة في جواب الاستفهام. (لَهُ) جار ومجرور متعلقان بـيُضَاعِفُهُ.

أَضْعَافًا - حال مبنية من الهاء.

وَإِذَا اعْتَرَيْنَاهُ اسْمُ مُصَدِّرٍ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مفعولاً مطلقاً.

كَثِيرَةً - صِفَةً لـ (أَضْعَافًا).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الآية ٢٥٤ من سورة البقرة).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا - (يا) حرف يداء، أي نكرة مقصودة مبنية على الضم و (ها) للتنبيه. الَّذِينَ بَدَلٌ مِنْ أَيُّهَا. آمَنُوا فعل وفاعل. وَجُمْلَةُ آمَنُوا صِلَةٌ.

اتَّقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ - فعل أمر. والواو فاعل. وَمِمَّا جَارٌ وَمَجْرُورٌ متعلقان بأنفقوا. وَرَزَقْنَاكُمْ فعل وفاعل ومفعول به. وَالْجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا صِلَةٌ (ما). وَالْجُمْلَةُ كُلُّهَا استئنافية.

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ - مِنْ حرف جر، قَبْلِ ظرف زمانٍ مجرور بمن والجار والمجرور متعلقان بأنفقوا أيضاً.

أَنْ - مِنَ الحروف النواصب. يَأْتِيَ، فعل مضارع منصوب بأن. وَيَوْمٌ فاعل يَأْتِيَ. وَأَنْ وَمَا بعدها في تاويل مصدرٍ في محل جر بالإضافة، أي مِنْ قَبْلِ إتيان.

لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ - لَا نافية للجنس، أَهْمِلْتُ لِتَكَرُّرِهَا.

وَيَبِيعُ مُبْتَدَأٌ، وَسَاغَ الْإِبْتِدَاءُ بِهِ لَتَقْدُمِ النَّفْيِ عَلَيْهِ. وَفِيهِ جَارٌ وَمَجْرُورٌ متعلقان بمحذوف خبره. وَلَا خُلَّةٌ عطفت على لَا يَبِيعُ. وَلَا شَفَاعَةٌ عطفت عليه أيضاً.

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ - الواو استئنافية. وَالْكَافِرُونَ مُبْتَدَأٌ. وَهُمْ مُبْتَدَأٌ ثانٍ، وَالظَّالِمُونَ خبر.

الْحَيُّ الْقَيُّومُ - خَبَرَانِ ثَانِي وَثَالِثٌ لَ (اللَّهُ). أَوْ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ أَيْ (هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)

نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ - نَزَلَ فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ . وَقَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَرٍ يَعُودُ عَلَى (اللَّهُ).

عَلَيْكَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِنَزَلَ . الْكِتَابَ - مَفْعُولٌ بِهِ .

بِالْحَقِّ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ حَالٍ مِنْ (الْكِتَابِ) أَيْ مُتَلَبِّسًا بِالْحَقِّ .

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ - مُصَدِّقًا حَالٌ مُؤَكَّدٌ . (لَمَّا) اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ ، وَمَا اسْمٌ مُوصُولٌ فِي مَحَلِّ الْجَرِّ بِاللَّامِ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِ (مُصَدِّقًا) . وَبَيْنَ ظَرْفٌ مَكَانٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ صِلَةِ الْمَوْصُولِ . وَيَدْيِهِ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ بِالْيَاءِ لِأَنَّهُ مُشْنَى . وَالْهَاءُ مُضَافٌ إِلَيْهِ .

وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ - عَطَفَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

مِنْ قَبْلُ - مِنْ حَرْفِ جَرٍّ ، وَقَبْلُ ظَرْفٌ مَجْرُورٌ . وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِنَزَلَ .

هُدًى لِلنَّاسِ - هُدًى حَالٌ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، وَلَمْ يَشَأْ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ أَيْ هَادِيٌّ .

وَيَجُوزُ إِعْرَابُ هُدًى مَفْعُولًا لِأَجْلِهِ ، أَيْ أَنْزَلَ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ لِهَدَايَةِ أَوْ لِأَجْلِ هِدَايَةِ النَّاسِ .

لِلنَّاسِ - اللَّامُ حَرْفُ جَرٍّ . وَالنَّاسُ اسْمٌ مَجْرُورٌ بِاللَّامِ . وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِهِدًى .

﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾ (الآية ١٤ من آل عمران) .

زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ - زَيْنٌ فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ ، مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ .

لِلنَّاسِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِزَيْنَ . حُبُّ الشَّهَوَاتِ ، حُبٌّ نَائِبٌ فَاعِلٌ لِزَيْنَ مَرْفُوعٌ وَالشَّهَوَاتُ مُضَافٌ إِلَيْهِ .

وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ خَبَرٌ (الْكَافِرُونَ) . أَوْ تَكُونُ هُمْ ضَمِيرٌ فَضْلٌ أَوْ عِمَادٌ ، وَالظَّالِمُونَ خَبَرٌ الْكَافِرُونَ .

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الآية ٢٥٦ البقرة) .

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ - لَا نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ . وَإِكْرَاهُ اسْمُهَا الْمَبْنِيُّ عَلَى الْفَتْحِ . فِي الدِّينِ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ خَبَرُهَا .

قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ - الْجُمْلَةُ تَعْلِيلِيَّةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا . قَدْ - حَرْفٌ تَحْقِيقِي . وَتَبَيَّنَ فِعْلٌ مَاضٍ ، وَالرُّشْدُ فَاعِلُهُ ، وَمِنْ الْغَيِّ . جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَبَيَّنَ .

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ - الْفَاءُ الْفَصِيحَةُ ، وَمَنْ اسْمٌ شَرْطٌ جَائِزٌ مُبْتَدَأٌ ، وَيَكْفُرُ فِعْلٌ الشَّرْطُ مَجْرُومٌ .

وَقَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَرٍ يَعُودُ عَلَى (مَنْ) . بِالطَّاغُوتِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيَكْفُرُ . وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ ، وَيُؤْمِنُ مَفْعُولٌ عَلَى يَكْفُرُ . وَبِاللَّهِ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيُؤْمِنُ .

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى - فَقَدْ - الْفَاءُ رَابِطَةٌ لِجَوَابِ الشَّرْطِ لِأَنَّهُ مُقْتَرَنٌ بِقَدْ . وَاسْتَمْسَكَ فِعْلٌ مَاضٍ وَقَاعِلُهُ مُسْتَرٍ يَعُودُ عَلَى (مَنْ) . بِالْعُرْوَةِ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِاسْتَمْسَكَ . وَالْوُثْقَى صِفَةٌ لِلْعُرْوَةِ . وَفِعْلُ الشَّرْطِ وَجَوَابُهُ خَبَرٌ (مَنْ) .

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ﴿نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ (الآيتان ٢ و ٣ من سورة آل عمران) .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - اللَّهُ مُبْتَدَأٌ ، وَلَا نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ . وَإِلَهُ اسْمُهَا مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصَبٍ .

إِلَّا - آدَاءُ حَصْرٍ . وَهُوَ بَدَلٌ مِنْ مَحَلٍّ (لَا) عَلَى الصَّحِيحِ ، أَوْ مِنْ الْخَبَرِ الْمَحذُوفِ أَيْ لَا إِلَهَ مُوجُودٌ إِلَّا هُوَ . وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ (اللَّهُ) .

وَجَارَ مَجِيءُ الْحَالِ بَعْدَ مَعْطُوفَيْنِ لِأَمْنِ الْإِتْيَاسِ، لِأَنَّ
الْقِيَامَ بِالْقِسْطِ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ تَعَالَى.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - لَا نَافِيَةَ لِلْجِنْسِ. إِلَهَ اسْمٌ لَا مَبْنِيٍّ عَلَى
الْفَتْحِ. (إِلَّا) أَدَاةُ حَضَرٍ هُوَ ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ خَبَرٌ (لَا) فِي
مَحَلِّ رَفْعٍ.

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - خَبَرَانِ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ (هُوَ).
وَلَكَّ أَنْ تُعْرِبَهُمَا بِذَلِكَ مِنْ (هُوَ).

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾
(آل عمران الآية ٦٢).

إِنَّ هَذَا - كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مَسْوقٌ لِتَقْرِيرِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.
إِنَّ - حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بِالْفِعْلِ وَهَذَا اسْمٌ إشارَةٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ
اسْمُهُ.

لَهُوَ - اللَّامُ الْمُزْحَلَقَةُ، وَهُوَ ضَمِيرٌ فَضْلٌ لَا مَحَلَّ لَهُ.
الْقَصَصُ - خَبَرٌ إِنَّ. أَوْ هُوَ مُبْتَدَأٌ، وَالْقَصَصُ خَبَرُهُ وَالْجُمْلَةُ
خَبَرٌ إِنَّ.

الْحَقُّ - صِفَةٌ لِلْقَصَصِ.

وَمَا - الواوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ. وَمَا نَافِيَةٌ.

مِنْ - حَرْفٌ جَرٌّ زَائِدٌ.

إِلَهَ - مَجْرُورٌ لَفْظًا مُبْتَدَأٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ مَحْذُوفًا أَيَّ
(لَنَا).

إِلَّا - أَدَاةُ حَضَرٍ.

اللَّهُ - بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّ إِلَهٍ وَهُوَ الرَّفْعُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَبَرٌ إِلَهٍ، وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الآية ٦٩ من سورة المائدة).

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا - كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مَسْوقٌ لِيَبَيِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْعَامِلِينَ عَمَلًا صَالِحًا.

إِنَّ الَّذِينَ - إِنَّ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بِالْفِعْلِ وَالَّذِينَ اسْمٌ مُوَصُولٌ
فِي مَحَلِّ نَصْبٍ اسْمٌ إِنَّ.

مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ - مِنَ النِّسَاءِ جَارٌ
وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ.

وَالْبَيْنِ - الواوُ عَاطِفَةٌ، وَالْبَيْنِ مَعْطُوفٌ عَلَى النِّسَاءِ مَجْرُورٌ
وَعَلَامَةُ جَرِّهِ الْيَاءُ لِأَنَّهُ مُلْحَقٌ بِجَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ.
وَالْقَنَاطِيرِ مَعْطُوفٌ عَلَى الْبَيْنِ.

الْمُقَنْطَرَةُ - صِفَةٌ لِلْقَنَاطِيرِ.

مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرِثِ
مِنْ - بَيَانِيَّةٌ حَرْفٌ جَرٌّ. وَالذَّهَبُ مَجْرُورٌ بِمِنْ. وَالْجَارُ
وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ. وَمَا بَعْدَهُ عَطْفٌ
عَلَيْهِ. وَالْفِضَّةُ.

ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - ذَلِكَ - اسْمٌ إشارَةٌ مُبْتَدَأٌ، وَمَتَاعُ
خَبَرٌ، وَالْحَيَاةُ مُضَافٌ إِلَيْهِ. وَالْدُّنْيَا صِفَةٌ.

وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ - الواوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ، وَاللَّهُ مُبْتَدَأٌ،
وَعِنْدَهُ ظَرْفٌ، وَالْهَاءُ مُضَافٌ إِلَيْهِ وَالظَّرْفُ مُتَعَلِّقٌ
بِمَحْذُوفٍ خَبَرٌ مَقْدَمٌ. وَحُسْنُ الْمَآبِ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ.
وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ خَبَرٌ (اللَّهُ).

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الآية ١٨ من
سورة آل عمران).

شَهِدَ اللَّهُ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ، وَاللَّهُ فَاعِلٌ
مَرْفُوعٌ.

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - أَنْ وَمَا بَعْدَهَا مَنصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ أَيْ
(بِأَنَّهُ)، وَالْجَارُ وَمَا بَعْدَهُ مُتَعَلِّقَانِ بِشَهِدَ.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - (لَا) نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ، إِلَهَ اسْمٌ (لَا) مَبْنِيٌّ عَلَى
الْفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ.

(إِلَّا) أَدَاةُ حَضَرٍ. هُوَ خَبَرٌ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ فِي مَحَلِّ
رَفْعٍ.

وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ - الواوُ حَرْفٌ عَطْفٌ،
وَالْمَلَائِكَةُ عَطْفٌ عَلَى اللَّهِ، وَأُولُو الْعِلْمِ عَطْفٌ أَيْضًا.

قَائِمًا بِالْقِسْطِ - حَالٌ لَأَرَمَةٌ مِنَ (اللَّهُ)، أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ
الْمُنْفَصِلِ الْوَاقِعِ بَعْدَ إِلَّا، وَهُوَ الْأَوَّلَى.

آمَنُوا - فَعْلٌ مَاضٍ وَقَاعِلٌ. وَجُمْلَةٌ آمَنُوا صِلَةُ الْمَوْصُولِ.
وَالَّذِينَ هَادُوا - مَعْطُوفٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا.
وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى - الْوَاوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ وَالصَّابِثُونَ مَرْفُوعٌ
عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، وَخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ.

فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا. . . وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى
حُكْمُهُمْ كَذَا، وَالصَّابِثُونَ كَذَلِكَ، وَهَذَا مَا رَجَحَهُ سَبِيوِيَّةُ
فِي مُخَالَفَةِ الْإِعْرَابِ.

وَالصَّابِثُونَ وَخَبَرُهُ الْمَحْذُوفُ جُمْلَةٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ قَوْلُهُ
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ وَلَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ.
وَقَدْ لَمْ الصَّابِثُونَ لِلتَّنْبِيهِ إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ أَشَدُّ إِيْثَالًا فِي
الضَّلَالَةِ.

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ - الْجُمْلَةُ خَبَرٌ إِنَّ. وَدَخَلَتِ الْفَاءُ لِمَا فِي
الْمَوْصُولِ مِنْ رَاحَةِ الشَّرْطِ.

وَخَوْفٌ - مُبْتَدَأٌ وَقَدْ سَاعَ الْإِبْتِدَاءُ بِهِ لِتَقْدِمِ النَّفْيِ.

وَعَلَيْهِمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ خَبَرِهِ.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ - مَعْطُوفٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ. قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ
أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ، أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ. قُلْ
إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (الآية
٧٣ من سورة آل عمران).

وَلَا - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ. وَلَا نَاهِيَةٌ.

تُؤْمِنُوا - فَعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ بِلَا النَّاهِيَةِ. وَالْوَاوُ فَاعِلٌ.

إِلَّا - أَذَاءٌ اسْتِثْنَاءٌ.

لِمَنْ - اللَّامُ حَرْفٌ جَرٌّ وَمَنْ اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ
بِاللَّامِ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ
مِنْ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَلَا تُؤْمِنُوا أَيَّ تَعَرَّفُوا وَتَظَاهَرُوا بِأَنْ
يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا لِأَشْيَاعِكُمْ
دُونَ غَيْرِهِمْ.

تَبِعَ - فَعْلٌ مَاضٍ. وَقَاعِلُهُ هُوَ وَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ صِلَةُ
الْمَوْصُولِ.

دِينَكُمْ - مَفْعُولٌ بِهِ لِتَبِعَ.

قُلْ - فَعْلٌ أَمْرٌ.

إِنَّ الْهُدَى - إِنَّ وَاسْمُهَا.

وَالْجُمْلَةُ مِنْ قُلْ وَمَقُولُهَا (وَهُوَ إِنَّ وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا)
جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا.

أَنْ يُؤْتَى - أَنْ وَمَا فِي حَيْزِهَا فِي تَأْوِيلِ مُضَدَّرٍ مَجْرُورٍ يَنْزِعُ
الْخَافِضَ وَالْجَارَ وَالْمَجْرُورَ مُتَعَلِّقَانِ بِتُؤْمِنُوا.

أَحَدٌ - نَائِبٌ فَاعِلٌ لِيُؤْتَى

مِثْلَ - مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ

مَا - اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْإِضَافَةِ. وَجُمْلَةُ أُوتِيتُمْ
صِلَةُ الْمَوْصُولِ

أَوْ يُحَاجُّوكُمْ - أَوْ حَرْفٌ عَظْفٍ. وَيُحَاجُّوكُمْ فَعْلٌ مُضَارِعٌ
مَعْطُوفٌ عَلَى يُؤْتَى وَعَلَامَةُ نَصْبِهِ حَذْفُ النُّونِ. وَالْوَاوُ
فَاعِلٌ. وَالْكَافُ مَفْعُولٌ بِهِ.

عِنْدَ - ظَرْفٌ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ

رَبِّكُمْ - مُضَافٌ إِلَيْهِ.

قُلْ - فَعْلٌ أَمْرٌ. وَقَاعِلُهُ أَنْتَ

إِنَّ الْفَضْلَ - إِنَّ وَاسْمُهَا

بِيَدِ اللَّهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ. وَاللَّهُ مُضَافٌ إِلَيْهِ. وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ
مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ خَبَرٍ.

وَأَنْ وَمَا فِي حَيْزِهَا جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَقُولُ
الْقَوْلِ

وَيُؤْتِيهِ - فَعْلٌ مُضَارِعٌ وَقَاعِلُهُ (هُوَ) وَالْهَاءُ مَفْعُولٌ يُؤْتَى الْأَوَّلُ

مَنْ يَشَاءُ - مَنْ اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ يُؤْتَى

الثَّانِي. وَجُمْلَةُ يَشَاءُ صِلَةُ الْمَوْصُولِ.

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ - جُمْلَةٌ يُؤْتِيهِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ حَالٍ.

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ - الْوَاوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ. وَاللَّهُ مُبْتَدَأٌ مَرْفُوعٌ

وَاسِعٌ خَبَرٌ أَوَّلٌ. وَعَلِيمٌ خَبَرٌ ثَانٍ.

﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران الآية ٧٥)

مَعْنَى الْآيَةِ (إِنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْنَا فِي أَكْلِ أَمْوَالِ الْعَرَبِ
الْأُمِّيِّينَ) (وَهَذَا مَا قَالَهُ بَعْضُ الْيَهُودِ).

لَيْسَ - فِعْلٌ مَاضٍ جَامِدٌ
عَلَيْنَا - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ خَيْرٌ مُقَدِّمٌ لِلَّيْسَ
فِي مَحَلِّ نَصْبٍ.

فِي الْأَمِينِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ أَيْضاً مُتَعَلِّقَانِ بِخَيْرٍ لَيْسَ
الْمُقَدِّمِ.

سَبِيلٌ - اسْمٌ لَيْسَ مَوْخَرٌ، مَرْفُوعٌ بِالضَّمَّةِ.

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (الآية ١٥٩ آل عمران)

فِيمَا رَحِمَهُ - كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مَسْقُوفٌ لِتَقْرِيرِ مَا يَجِبُ سُلُوكُهُ
لِتَأْلِيلِ النَّاسِ وَتَرْغِيهِمْ فِي الْخَيْرِ.

الْفَاءُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ.

بِمَا رَحِمَهُ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِلَئِنْ وَمَا زَائِدَةٌ لِلتَّوَكُّيدِ.
مِنَ اللَّهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ صِفَةٍ لِرَحْمَةٍ.

لَئِنْ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ. وَالتَّاءُ فَاعِلٌ

لَهُمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِلَئِنْ
وَلَوْ - الْوَائِ شَرْطِيَّةٌ عَاطِفَةٌ عَلَى مَحذُوفٍ مُقَدَّرٍ أَيْ لَئِنْ وَلَوْ
لَمْ تَكُنْ لَنَا.

كُنْتُ - كَانَ النَّاقِصَةُ وَاسْمُهَا

فَظًّا - خَبَرُهَا

لَانْفَضُّوا - اللَّامُ وَاقَعَةٌ فِي جَوَابِ لَوْ. وَاَنْفَضُوا فِعْلٌ وَفَاعِلٌ.

وَالْجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ لِأَنَّهَا جَوَابُ شَرْطٍ غَيْرِ
جَائِزٍ.

مِنْ حَوْلِكَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِانْفَضُّوا.

﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ رَبِّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ
جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ (الآية ١٦٢ من آل عمران)

أَفَمَنْ - الهمزة للاستفهام الإنكاري. والفاء عاطفة على
مَحذُوفٍ وَالتَّيَّةُ التَّقْدِيمُ عَلَى الهمزة.

وَأَنْ تَقْدِيرُ الْمَحذُوفِ: اجْعَلْ لَكَ مَا تُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الضَّالِّ
وَالْمُهْتَدِي، فَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاهْتَدَى لَيْسَ كَمَنْ بَاءَ
بِسَخَطِهِ. وَالِاسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِيُّ مَعْنَاهُ النَّفْيُ.

مَنْ - اسْمٌ مَوْصُولٌ مُبْتَدَأٌ.
أَتَّبَعَ - فِعْلٌ مَاضٍ. وَجُمْلَةُ أَتَّبَعَ صِلَةُ الْمَوْصُولِ
رِضْوَانِ رَبِّهِ - مَفْعُولٌ بِهِ لِأَتَّبَعَ. وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى
الْمَحذُوفِ الَّذِي هُوَ مُسْتَأْنَفٌ.

كَمَنْ - الْكَافُ حَرْفُ جَرٍّ.

وَمَنْ اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْكَافِ.

وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ خَيْرٌ (مَنْ)
أَوْ الْكَافُ اسْمٌ بِمَعْنَى مِثْلِ، خَيْرٌ، وَمَنْ مُضَافٌ إِلَيْهِ
وَجُمْلَةُ بَاءَ صِلَةُ الْمَوْصُولِ.

بِسَخَطِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِبَاءَ

مِنَ اللَّهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ صِفَةٍ.

وَمَأْوَاهُ - الْوَائِ حَرْفٌ عَطْفٌ. وَمَأْوَاهُ مُبْتَدَأٌ

وَالْجُمْلَةُ عَطْفٌ عَلَى الصَّلَةِ لَا مَحَلَّ لَهَا.

جَهَنَّمُ - خَيْرٌ مَرْفُوعٌ

وَبُسْ - الْوَائِ عَاطِفَةٌ، وَبُسْ فِعْلٌ مَاضٍ جَامِدٌ لِلذَّمِّ.

وَالْمَصِيرُ - فَاعِلٌ. وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحذُوفٌ أَيْ جَهَنَّمُ.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الآية
١٦٤ من آل عمران)

لَقَدْ - اللَّامُ جَوَابٌ لِقَسَمٍ مَحذُوفٍ. وَقَدْ حَرْفٌ تَحْقِيقِي

مَنْ اللَّهُ - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَنْ. وَالْكَلَامُ

مُسْتَأْنَفٌ مَسْقُوفٌ لِتَأْكِيدِ نَزَاهَةِ الرَّسُولِ مِنَ الْغُلُولِ.

إِذْ - ظَرْفٌ لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ مُتَعَلِّقٌ بِمَنْ

بَعَثَ - فِعْلٌ مَاضٍ وَالفَاعِلُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ

وَجُمْلَةُ بَعَثَ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْإِضَافَةِ

فِيهِمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِبَعَثَ

رَسُولًا - مَفْعُولٌ بِهِ.

مِنْ أَنْفُسِهِمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ صِفَةٍ لـ
(رَسُولًا)

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ
رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (الآية ٦ من سورة النساء)

وَابْتَلُوا - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ. وَالْكَلَامُ مَعْطُوفٌ.

الْيَتَامَى - مَفْعُولٌ بِهِ لِفِعْلِ ابْتَلُوا.

حَتَّى - حَرْفٌ غَايَةٌ وَجَرٌّ. فَقَدْ جَعَلَ الْبُلُوغَ وَابْتِئَاءَ الرُّشْدِ غَايَةً
لِلْإِتْيَانِ

وَقِيلَ حَتَّى ابْتِذَائِيَّةٍ وَلَكِنَّهَا تُفِيدُ الْغَايَةَ، وَهِيَ حَتَّى الَّتِي
تَقَعُ بَعْدَهَا الْجُمْلُ

فَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمْجُ دِمَاءَهَا

بِذَجَلَةٍ حَتَّى مَاءٌ دَجَلَةٌ أَشْكُلُ

وَإِذَا - ظَرْفِيَّةٌ لِمَا يَسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ مُتَضَمِّنٌ مَعْنَى الشَّرْطِ

بَلَّغُوا النِّكَاحَ - فِعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ

وَجُمْلَةُ بَلَّغُوا النِّكَاحَ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْإِضَافَةِ

فَإِنْ آنَسْتُمْ - الْفَاءُ رَابِطَةٌ. آنَسْتُمْ فِعْلٌ مَاضٍ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ
فِعْلُ الشَّرْطِ

وَجُمْلَةُ آنَسْتُمْ لَا مَحَلَّ لَهَا لِأَنَّهَا جَوَابُ الشَّرْطِ

رُشْدًا - مَفْعُولٌ بِهِ.

فَادْفَعُوا - الْفَاءُ رَابِطَةٌ. وادْفَعُوا فِعْلٌ أَمْرٌ. وَالْوَاوُ فَاعِلٌ

إِلَيْهِمْ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِادْفَعُوا.

وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ جَوَابُ الشَّرْطِ.

أَمْوَالَهُمْ - مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ، وَهُمْ مُضَافٌ إِلَيْهِ

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا

عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الآية ٩ من سورة
النساء)

وَلْيَخْشَ - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ. وَاللَّامُ لَامُ الْأَمْرِ، وَيَخْشَ فِعْلٌ

مُضَارِعٌ مَجْرُومٌ بِاللَّامِ

الَّذِينَ - اسْمٌ مُوَصُولٌ. فَاعِلٌ

لَوْ - شَرْطِيَّةٌ

تَرَكَوْا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ.

مِنْ خَلْفِهِمْ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَرَكَوْا

ذُرِّيَّةً - مَفْعُولٌ بِهِ

ضِعَافًا - صِيغَةُ لَذَرِّيَّةٍ.

يَتْلُو - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ
عَلَيْهِمْ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيَتْلُو

آيَاتِهِ - مَفْعُولٌ بِهِ. وَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ ثَانِيَةٌ لـ (رَسُولًا)

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ -

الْجُمْلَتَانِ مَعْطُوفَتَانِ عَلَى يَتْلُو

الْكِتَابَ - مَفْعُولٌ بِهِ. وَالْحِكْمَةُ مَعْطُوفٌ عَلَى الْكِتَابِ مَنْصُوبٌ

وَأِنْ كَانُوا - الْوَاوُ حَالِيَّةٌ. وَإِنْ مُخَفَّفَةٌ مِنْ (إِنْ) وَهِيَ مُهْمَلَةٌ

لَا عَمَلَ لَهَا.

وَكَانُوا كَانَ وَاسْمُهَا الْوَاوُ.

مِنْ قَبْلُ - جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ حَالٌ

قَبْلُ - ظَرْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِمَنْ.

لَقِي - اللَّامُ الْفَارِقَةُ. وَفِي حَرْفٍ جَرٍّ.

ضَلَّالٌ - مَجْرُورٌ بِفِي. وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ

بِمَحْذُوفٍ خَبَرٌ كَانُوا

مُبِينٌ - نَعَتْ لِضَلَّالٍ.

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا؟﴾

(الآية ١٦٥ من سورة آل عمران)

أَو - الهمزة للاستفهام الإنكاري والتفريع.

الْوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ قِصَّةٍ أَحَدٍ. وَالْمَعْنَى لَا

يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَتَعَجَّبُوا فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ السَّبَبَ.

لَمَّا - ظَرْفِيَّةٌ جَيِّنَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِقُلْتُمْ. أَوْ رَابِطَةٌ فِيهِ حَرْفٌ جَرٍّ.

أَصَابَتْكُمْ - فِعْلٌ مَاضٍ وَمَفْعُولٌ بِهِ.

مُصِيبَةٌ - فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ.

قَدْ - حَرْفٌ تَحْقِيقِي

أَصَبْتُمْ - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ.

بِمِثْلَيْهَا - مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ. وَالْجُمْلَةُ وَصْفٌ لـ (مُصِيبَةٍ)

قُلْتُمْ - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ

أَنَّى - اسْمٌ اسْتِفْهَامٌ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ

هَذَا - اسْمٌ إِشَارَةٌ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ

وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَقُولَةُ الْقَوْلِ

وَالْمَعْنَى - مِنْ أَيْنَ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْإِنْهَامِ وَالْقَتْلِ؟

آمَنُوا - فَعِلُ الشَّرْطِ، وَالْجَوَابُ مَحذُوفٌ وَالتَّقْدِيرُ: فَمَاذَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ؟

بِاللَّهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِأَمْنِئَا.
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ - الْيَوْمَ مَعْطُوفٌ عَلَى اللَّهِ. وَالْيَوْمَ مُضَافٌ
وَالْآخِرَ مُضَافٌ إِلَيْهِ.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا. يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُلَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾. (الآيتان ٤١ و ٤٢ من سورة النساء).

الفَاءُ - اسْتِنَافِيَّةٌ

كَيْفَ - اسْمُ اسْتِفْهَامٍ. وَهِيَ إِمَّا خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ أَيْ
كَيْفَ حَالُهُمْ؟ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ حَالًا مِنْ مَحْذُوفٍ أَيْ كَيْفَ
يَصْنَعُونَ؟

وإذا - ظُفِرَ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ مُتَعَلِّقٌ بِهَذَا الْمَحْذُوفِ
جِنْتَا - فِعْلٌ مَاضٍ. وَجُمْلَةٌ جِنْتَا فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِالْإِضَافَةِ
مِنْ كُلِّ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ لِأَنَّهُ كَانَ
صِفَةً لِشَهِيدٍ فِي الْأَصْلِ وَتَقَدَّمَتْ عَلَيْهِ.

بَشِيدٍ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِجَنَّا.
وَجَنَّا بِكَ - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ

جِئْنَا - فَعِلْ وَفَاعِلٌ، وَهَمَّا عَظُفٌ عَلَى جِئْنَا الْأُولَى
بِكَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِجِئْنَا
عَلَى هُوَلَاءَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِشَهِيدِ
شَهِيداً - حَالٌ.

يَوْمَئِذٍ - يَوْمَ ظَرْفٍ مُتَعَلِّقٍ بِيَوْمٍ. وَإِذْ ظَرْفٌ مُضَافٌ إِلَى الظَّرْفِ وَالتَّنْوِينِ عَوْضُ جُمْلَةٍ. وَالتَّقْدِيرُ يَوْمَ إِذْ جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا.

يَبُودُ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ .
الَّذِينَ كَفَرُوا - الَّذِينَ اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فَاعِلٌ

خَافُوا - فَعِلٌ وَفَاعِلٌ وَالْجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا جَوَابُ شَرْطٍ غَيْرِ جَازِمٍ

عَلَيْهِمْ - جَاءَ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ يَخَافُوا
وَمَفْعُولٌ خَافُوا مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ الضَّيَاعُ
فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ - الْفَاءُ تَعْلِيلِيَّةٌ لِأَنَّ التَّقْوَى مُسَبِّبَةٌ عَنِ الْخَوْفِ
الَّذِي هُوَ الْخَشْيَةُ، وَاللَّامُ لَامُ الْأَمْرِ. وَيَتَّقُوا فِعْلٌ مُضَارِعٌ
مَجْزُومٌ بِاللَّامِ. وَالْوَاوُ فَاعِلٌ.

اللَّهُ - مَفْعُولٌ بِهِ مَنصُوبٌ .
وَلْيَقُولُوا - الْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى فَلْيَقُولُوا
قَوْلًا - مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ
سَدِيدًا - صِفَةٌ لِقَوْلًا .

لَوْ اِخْتَلَفَ فِي (لَوْ) اِخْتِلَافًا كَبِيرًا، فَقَالَ صَاحِبُ الْمَعْنَى :
(الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ اَفْسَامِ (لَوْ) اَنْ تَكُونَ حَرْفُ شَرْطٍ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ اِلَّا اَنَّهَا لَا تَجْزِمُ . وَقَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ :
لَا بُدَّ مِنْ حَمَلِ (تَرْكُوا) عَلَى الْمُشَارَفَةِ لِیَصِحَّ وَقُوعُ
خَافُوا جَزَاءً، وَذَلِكَ لِكَوْنِ الْخَوْفِ مُتَتَبِعًا بَعْدَ الْمَوْتِ .
وَالْمَعْنَى : وَلَيُخْشِ الْاَیْمَنَ الَّذِیْنَ صِفَتُهُمْ وَحَالُهُمْ اَنْهُمْ لَوْ
شَارَفُوا اَنْ یَتْرَكُوا اَخْلَافَهُمْ ذُرِّیَّةً، وَذَلِكَ عِنْدَ اِحْضَارِهِمْ،
خَافُوا عَلَیْهِمُ الضَّیَاعَ بَعْدَهُمْ لِذَهَابِ کَافِلِهِمْ وَكَاسِبِهِمْ .

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (الآية ٣٩ من سورة النساء)

وماذا - الْوَاوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ
 ماذا - ١ - إما أَنْ تَكُونَ مَا اسْتِفْهَمِيَّةٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ وَذَا
 مَوْصُولِيَّةٌ هُنَا خَاصَّةٌ خَبَرٌ (مَا) وَعِنْدِيذٍ يَكُونُ (عَلَيْهِمْ)
 جَارًا وَمَجْرُورًا مُتَعَلِّقَيْنِ بِمَحْذُوفٍ صِلَةُ الْمُؤْصُولِ
 ٢ - وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَاذَا اسْمًا اسْتِفْهَامِيًّا كُلُّهَا، مُبْتَدَأٌ
 وَعَلَيْهِمْ جَارًا وَمَجْرُورًا مُتَعَلِّقَيْنِ بِمَحْذُوفٍ خَبَرٍ.
 والمراد بالاستِفْهَامُ هُنَا التَّوْبِيخُ وَالذَّمُّ.

لَوْ- شَرْطِيَّةٌ. وَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةٌ، وَالْمَصْدَرُ الْمُؤَوَّلُ
 مِنْ لَوْ وَالْفِعْلُ مَنْصُوبٌ بِتَرْغِ الْخَافِضِ أَيِّ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ
 فِي إِيْمَانِهِمْ.

كَفَرُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ . وَجُمْلَةُ كَفَرُوا صِلَةُ الْمُضَوَّلِ
وَجُمْلَةُ يَوَدُّ مُسْتَأْنَفَةٌ .

وَعَصَوُوا الرُّسُولَ - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ وَعَصَوُوا الرُّسُولَ مَعْطُوفٌ عَلَى
كَفَرُوا

لَوْ - مُصَدَّرِيَّةٌ بَعْدَ فِعْلٍ ، وَهِيَ مُؤَوَّلَةٌ مَعَ مَا بَعْدَهَا
بِمَصْدَرٍ مَفْعُولٌ بِهِ لِيَوَدُّ أَيَّ يَتَمَنَّى تَسْوِيَةِ الْأَرْضِ بِهِمْ
بِحَيْثُ يَذْفُونَ فِيهَا .

وَالْأَرْضُ - نَائِبٌ فَاعِلٌ لِيَتَسَوَّى
وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا - عَطْفٌ عَلَى يَوَدُّ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ
لِلْاِسْتِثْنَاءِ

يَكْتُمُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بِثُبُوتِ النُّونِ
اللَّهُ - مَنْصُوبٌ بِزَعِ الْخَائِضِ

حَدِيثًا - مَفْعُولٌ بِهِ أَيَّ لَا يَكْتُمُونَ عَنِ اللَّهِ حَدِيثًا .
وَأَجَازَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْجَلَالَةِ هُنَا مَفْعُولًا بِهِ
لِيَكْتُمُوا لِأَنَّهُ فِي رَأْيِهِمْ يَتَعَدَّى لِمَفْعُولَيْنِ .

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾
(النساء الآية ٥٣)

أَمْ - عَاطِفَةٌ مُنْقَطِعَةٌ بِمَعْنَى (بَلْ) فَهِيَ عَطْفٌ لِلإِضْرَابِ
وَالِانْتِقَالِ مِنْ دَمَهُمْ بِتَرْكِةٍ نَفْسِيَّةٍ إِلَى دَمِهِمْ لِشَيْءٍ
آخَرَ ، وَهُوَ إِدْعَاؤُهُمْ بِأَنْ لَهُمْ نَصِيبًا مِنَ الْمُلْكِ .

لَهُمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ خَبَرٍ مُقَدَّمٍ .
نَصِيبٌ - مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ .

مِنَ الْمُلْكِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ صِفَةٍ لـ
(نَصِيبٍ) .

فَإِذَنْ - الْفَاءُ الْفَصِيحَةُ لِأَنَّهَا أَفْصَحَتْ عَنْ شَرْطِ مُقَدَّرِ أَيَّ
(إِذَا جُعِلَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَنْ)

وَإِذَنْ حَرْفُ جَوَابٍ وَجَزَاءٍ وَقَدْ أَهْمِلْتُ لِوُقُوعِهَا بَعْدَ حَرْفِ
الْعَطْفِ عَلَى الْأَفْصَحِ .
لَا - نَائِفَةٌ .

يُؤْتُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ وَالْوَاوُ فَاعِلٌ .
النَّاسُ - مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلُ
نَقِيرًا - مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ

﴿وَلَكِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الآية
٧٣ من سورة النساء)

الْوَاوُ - عَاطِفَةٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَهَا .
لَكِنْ - اللَّامُ مُوَطَّئَةٌ لِلْقَسَمِ وَإِنْ شَرْطِيَّةٌ جَازِمَةٌ .
أَصَابَكُمْ - فِعْلٌ مَاضٍ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلُ الشَّرْطِ وَالْكَافُ
مَفْعُولٌ بِهِ .
فَضْلٌ - فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ .

مِنَ اللَّهِ - مِنْ حَرْفِ جَرٍّ ، وَاللَّهُ اسْمٌ مَجْرُورٌ بَيْنَ وَالْجَارِ
وَالْمَجْرُورِ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ صِفَةٍ .
لَيَقُولُنَّ - اللَّامُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ الْقَسَمِ .

يَقُولُنَّ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مُبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ لَا تَصَالِيهِ بُنُونُ التَّوَكِيدِ
الثَّقِيلَةِ وَالْجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ جَوَابُ الْقَسَمِ
لِتَقْدَمِهِ .

كَأَنَّ - مُحَقَّقَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَهِيَ غَامِلَةٌ . وَاسْمُهَا ضَمِيرُ
الشَّانِ مَحذُوفٌ وَجُوبًا ، وَيَكُونُ خَبَرُهَا جُمْلَةً .

لَمْ تَكُنْ - لَمْ حَرْفُ جَزْمٍ . تَكُنْ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْرُومٌ بَلَمَ
وَجُمْلَةُ لَمْ تَكُنْ خَبَرٌ كَانَ .

وَجُمْلَةُ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ وَمَا فِي حَيْزِهَا اعْتِرَاضِيَّةٌ بَيْنَ الْقَوْلِ
وَمَقُولَتِهِ ، وَقِيلَ إِنَّهَا جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ .

بَيْنَكُمْ - ظَرْفٌ مَكَانٍ . وَالْكَافُ مُضَافٌ إِلَيْهِ .

وَبَيْنَهُ - ظَرْفٌ مَكَانٍ وَالْهَاءُ مُضَافٌ إِلَيْهِ .

وَالظَّرْفُ بَيْنَكُمْ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ خَبَرٍ تَكُنْ الْمُقَدَّمِ .
وَبَيْنَهُ اسْمٌ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ .

مَوَدَّةٌ - اسْمٌ تَكُنْ الْمُؤَخَّرِ .

يَا لَيْتَنِي - الْيَاءُ حَرْفُ نِدَاءٍ وَالْمُنَادَى مَحذُوفٌ (أَوْ هِيَ لِمَجْرَدِ
التَّنْيِيهِ) وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى .

لَيْتِي - لَيْتَ مُشَبَّهٌ بِالْفِعْلِ . وَالنُّونُ لِلْوَقَايَةِ وَالْيَاءُ اسْمُهَا .
وَجُمْلَةٌ كُنْتُ . . خَيْرٌ لَيْتَ .

كُنْتُ - كَانَ وَاسْمُهَا
مَعَهُمْ - ظَرَفٌ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ خَيْرٌ كُنْتُ .

فَأَفُوزُ - الْفَاءُ فَاءُ السَّبَبِيَّةِ . أَفُوزُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مُنْصُوبٌ بَأَنْ
مُضْمَرَةٍ بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ .
فُوزًا - مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ .
عَظِيمًا - صِفَةٌ فُوزًا .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (الآية
١٦٨ من سورة البقرة)

يَا - حَرْفٌ نِدَاءٌ
أَيُّهَا - أَيُّ مُنَادَى نَكْرَةً مَقْصُودَةٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ فِي مَحَلِّ
نَصْبٍ وَ(هَا) لِلتَّنْبِيهِ .

النَّاسُ - بَدَلٌ مِنْ أَيُّ .
كُلُوا - فِعْلٌ أَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ النُّونِ . وَالْوَاوُ فَاعِلٌ .
مِمَّا - جَارٌ وَمَجْرُورٌ (مِنْ مَا) مُتَعَلِّقَانِ بِكُلُوا .
فِي الْأَرْضِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ صَلَةِ
الْمَوْصُولِ
حَلَالًا - مَفْعُولٌ بِهِ لِكُلُوا أَوْ حَالٌ مِنْ (مَا)
طَيِّبًا - صِفَةٌ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ
بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ
شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ . . ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾
(الآية ١٧٨ من سورة البقرة)

يَا - أداة نداء
أَيُّهَا - أَيُّ مُنَادَى نَكْرَةً مَقْصُودَةٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ فِي مَحَلِّ
نَصْبٍ وَ(هَا) لِلتَّنْبِيهِ .

الَّذِينَ - اسْمٌ مَوْصُولٌ بَدَلٌ مِنْ أَيُّ .
آمَنُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَالْوَاوُ فَاعِلٌ .
كُتِبَ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ .

عَلَيْكُمْ - الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِكُتِبَ .
الْقِصَاصُ - نَائِبٌ فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ .

فِي الْقَتْلِ - فِي حَرْفِ جَرٍّ وَالْقَتْلَى اسْمٌ مَجْرُورٌ بِفِي .
وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ حَالٍ أَوْ
بِالْقِصَاصِ .

وَجُمْلَةٌ النَّدَاءِ مَسْوقَةٌ لِإِيَانِ حُكْمِ الْقِصَاصِ فِي عُرْفِ
الشَّرْعِ .

الْحُرُّ - مُبْتَدَأٌ
بِالْحُرِّ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ خَيْرٍ (يُقْتَلُ بِالْحُرِّ) .
وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ - مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلِهِ .

وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى - مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلِهِ
فَمَنْ - الْفَاءُ الْفَصِيحَةُ لِأَنَّهَا أَفْصَحَتْ عَنْ بَعْضِ التَّفَاصِيلِ
الَّتِي تَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ

مَنْ - اسْمٌ شَرْطٌ جَارِمْ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ
عُفِيَ - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلٌ
الشَّرْطِ

لَهُ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِعُفِيَ
مِنْ أَخِيهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ حَالٍ (أَيَّ حَالَةٍ
كَوْنِهِ مِنْ دَمِ أَخِيهِ) .

شَيْءٌ - نَائِبٌ فَاعِلٌ عُفِيَ مَرْفُوعٌ
فَاتِّبَاعٌ - الْفَاءُ رَابِطَةٌ لِجَوَابِ الشَّرْطِ لِأَنَّهُ جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ .
وَاتِّبَاعٌ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحذُوفٌ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ فَعَلَيْهِ اتِّبَاعٌ .

وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ جَوَابُ الشَّرْطِ .
وَفِعْلُ الشَّرْطِ وَجَوَابُهُ خَيْرٌ : (مَنْ)

بِالْمَعْرُوفِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِاتِّبَاعٍ .
ذَلِكَ - اسْمٌ إِشَارَةٌ مُبْتَدَأٌ
تَخْفِيفٌ - خَيْرٌ

مِنْ رَبِّكُمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ صِفَةٌ
وَالْجُمْلَةُ مُسْتَنَافَةٌ

كَانَ يُرْجَى مِنْكَ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ وَتَخْشَاهُ، وَتَحْفِلَ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ، فَإِنِّي عَائِدَةٌ بِهِ مِنْكَ.

﴿فَوَرَبُّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا. ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (الآيَتَانِ ٦٩ و ٧٠ من سورة مريم).

فَوَرَبُّكَ - الْفَاءُ عَاطِفَةٌ وَالْوَاوُ لِلْقَسَمِ
رَبُّكَ - مَجْرُورٌ بِوَاوِ الْقَسَمِ. وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِفِعْلِ
مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَقْسِمُ.

لَنَحْشُرَنَّهُمْ - اللَّامُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ الْقَسَمِ.

نَحْشُرَنَّهُمْ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ لِاتِّصَالِهِ بِنَوْنِ
التَّوَكُّيدِ الثَّقِيلَةِ وَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَرَرٌّ تَقْدِيرُهُ نَحْنُ وَالْهَاءُ
مَفْعُولٌ بِهِ.

وَالشَّيَاطِينَ - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ وَالشَّيَاطِينَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الْهَاءِ. أَوْ
الْوَاوُ بِمَعْنَى مَعَ، وَالشَّيَاطِينَ مَفْعُولٌ مَعَهُ.

ثُمَّ - حَرْفٌ عَظْفٌ لِلتَّرَاخِي.

لَنُحْضِرَنَّهُمْ - مَعْطُوفٌ عَلَى لَنَحْشُرَنَّهُمْ

حَوْلَ - ظَرْفٌ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِنَحْضِرَنَّهُمْ.

جَهَنَّمَ - مُضَافٌ إِلَيْهِ.

جِثِيًّا - حَالٌ.

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ - عَظْفٌ عَلَى لَنُحْضِرَنَّهُمْ

مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِنَنْزِعَنَّ. وَشِيعَةٍ
مُضَافٌ إِلَيْهِ.

أَهْبًا - اسْمٌ مَوْصُولٌ بِمَعْنَى الَّذِي وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عِنْدَ سَبَبِيهِ
لأنَّهَا أَضْيَقَتْ (أَيُّ) وَحُدِفَ صَدْرُ صَلَاتِهَا. وَهِيَ فِي مَحَلِّ
نَصْبٍ مَفْعُولٌ بِهِ لَنَنْزِعَنَّ.

أَشَدُّ - خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ (هُوَ)

وَالْجُمْلَةُ صِلَةُ الْمَوْصُولِ (أَيُّ)

عَلَى الرَّحْمَنِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِأَشَدُّ، أَوْ بِمَحذُوفٍ

حَالٍ.

عِتِيًّا - تَمْيِيزٌ.

﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكَ الْمُثْلَى﴾ (سورة طه الآية ٦٣).

قَالُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلٌ

إِنَّ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَمُهْمَلَةٌ.

هَٰذَا - اسْمٌ إِشَارَةٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ

لَسَاحِرَانِ - اللَّامُ فَارِقَةٌ. وَسَاحِرَانِ خَبَرٌ هَٰذَا

يُرِيدَانِ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ وَفَاعِلٌ وَجُمْلَةٌ يُرِيدَانِ صِفَةٌ لَسَاحِرَانِ.

أَنْ - حَرْفٌ نَصْبٍ.

يُخْرِجَاكَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ بِأَنْ وَعَلَامَةٌ نَصْبِهِ حَذْفُ
النَّوْنِ.

مِنْ أَرْضِكَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيُخْرِجَاكَ وَالْكَافُ
مُضَافٌ إِلَيْهِ.

بِسِحْرِهِمَا - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِحَالٍ أَيْ حَالِ كَوْنِهِمَا
مُتَلَبِّسِينَ بِسِحْرِهِمَا.

وَيَذْهَبَا - عَظْفٌ عَلَى يُخْرِجَاكَ

بِطَرِيقَتِكَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيَذْهَبَا.

الْمُثْلَى - صِفَةٌ لِطَرِيقَتِكَ.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا﴾ (مريم ١٨).

قَالَتْ - فِعْلٌ مَاضٍ، وَالتَّاءُ هِيَ تَاءُ التَّانِيثِ السَّاكِنَةِ،
وَالْفَاعِلُ هِيَ.

إِنِّي - إِنَّ وَاسْمُهَا

أَعُوذُ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ وَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَرَرٌّ تَقْدِيرُهُ أَنَا.

بِالرَّحْمَنِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِأَعُوذُ

مِنْكَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِأَعُوذُ أَيْضًا.

وَجُمْلَةُ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَبَرٌ إِنَّ.

إِنَّ - حَرْفٌ شَرْطٌ جَارِمٌ

كُنْتُ - فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ وَالتَّاءُ اسْمُهُ.

نَقِيًّا - خَبَرٌ كُنْتُ

وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحذُوفٌ لَتَقْدَمَ مَعْنَاهُ. وَالْمَعْنَى: إِنْ

خَلَقْنَا - فَعَلَ وَفَاعِلٌ
فَوْقَكُمْ - ظَرَفَ مُتَعَلِّقٌ بِخَلَقْنَا
سَبَعَ طَرَائِقَ - مَفْعُولٌ خَلَقْنَا وَطَرَائِقُ مُضَافٌ إِلَيْهِ
وَمَا - الْوَأُ حَالِيَّةٌ. وَ (مَا) نَافِيَةٌ.
كُنَّا - كَانَ وَاسْمُهَا
عَنِ الْخَلْقِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِغَافِلِينَ
غَافِلِينَ - خَبَرٌ كُنَّا مُنْصُوبٌ بِالْيَاءِ

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغٌ
لِلْكَالِينِ﴾ (الآية ٢٠ من سورة المؤمنون)
وَشَجَرَةٌ - الْوَأُ عَاطِفَةٌ. وَشَجَرَةٌ مَعْطُوفٌ عَلَى جَنَابِ.
تَخْرُجُ - فَعَلَ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. وَجُمْلَةٌ تَخْرُجُ صِفَةٌ لِشَجَرَةٍ.
مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَخْرُجُ.
تَنْبُتُ - فَعَلَ مُضَارِعٌ، وَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ ثَانِيَةً لِشَجَرَةٍ.
بِالذَّهْنِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ أَيْ
مُتَلَبِّسَةٌ بِالذَّهْنِ وَمَصْحُوبَةٌ بِهِ.
وَصِبْغٌ - أَيْ إِدَامٌ يُصْبَغُ بِهِ الْخَبْرُ أَيْ يُغَمَسُ فِيهِ لِلاتِّدَامِ.
وَالْكَالِينِ - صِفَةٌ لِصِبْغٍ

﴿إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الآية
٩٢ من سورة الأنبياء)
إِنْ - حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بِالْفِعْلِ.
هَذِهِ - اسْمٌ إِشَارَةٌ، اسْمٌ إِنْ
أُمَّتُكُمْ - خَبَرٌ إِنْ مَرْفُوعٌ.
أُمَّةً - حَالٌ لَارِمَةٌ، وَقِيلَ بَدَلٌ مِنْ (هَذِهِ) مُنْصُوبٌ.
وَاحِدَةً - صِفَةٌ لِأُمَّةٍ مُنْصُوبَةٌ.
وَأَنَا - الْوَأُ عَاطِفَةٌ، وَأَنَا مُبْتَدَأٌ.
رَبُّكُمْ - خَبَرٌ مَرْفُوعٌ
فَاعْبُدُونِي - الْفَاءُ الْفَصِيحَةُ، وَاعْبُدُونِي فَعَلَ أَمْرٌ وَفَاعِلٌ،
وَيَاءُ الْمُتَكَلِّمِ مَحْذُوفَةٌ لِرِسْمِ الْمُصْحَفِ مَفْعُولٌ بِهِ.

﴿وَيُؤْمِسُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، إِنَّ اللَّهَ
بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الآية ٦٥ من سورة الحج)
وَيُؤْمِسُكَ - الْوَأُ عَاطِفَةٌ، وَيُؤْمِسُكَ فَعَلَ مُضَارِعٌ، وَفَاعِلُهُ
مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ.
السَّمَاءُ - مَفْعُولٌ بِهِ مُنْصُوبٌ.

أَنْ تَقَعَ - مَصْدَرٌ مُوَوَّلٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ (أَيْ
كَرَاهَةً أَنْ تَقَعَ أَوْ لِئَلَّا تَقَعَ) أَوْ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنَ السَّمَاءِ،
أَيْ وَيُؤْمِسُكَ وَفَوْعُهَا بِمَعْنَى يَمْنَعُهُ.

عَلَى الْأَرْضِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَقَعَ.
إِلَّا بِإِذْنِهِ - إِلَّا أَدَاةٌ حَصْرٍ. بِإِذْنِهِ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ
بِمَحْذُوفٍ حَالٍ أَيْ مُتَلَبِّسَةٌ بِمِثْلِيَّةِ اللَّهِ وَإِذْنِهِ وَالْيَاءِ
لِلْمَلَأْسَةِ.

إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ - جُمْلَةٌ تَعْلِيلِيَّةٌ.

إِنْ وَاسْمُهَا - وَبِالنَّاسِ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِرَوُّوفٍ.
وَاللَّامُ الْمُزْحَلَقَةُ، وَرَوُّوفٌ خَبَرٌ أَوَّلٌ وَرَحِيمٌ خَبَرٌ ثَانٍ.

﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُكُمْ...﴾ (الآية ٣ من سورة الأنبياء).

أَي أَخَذُوا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا يَنْهَيْهِمْ، وَتَحَدَّثَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
سِرًّا، فَقَالَ الْكُفَّارُ (الَّذِينَ ظَلَمُوا) هَلِ الرَّسُولُ إِلَّا بَشَرٌ
يَأْكُلُ كَمَا تَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُ كَمَا تَشْرَبُونَ، أَيْ يُسْتَعَدُّ أَنْ
يَكُونَ نَبِيًّا حَقًّا.

وَأَسْرُوا النَّجْوَى - فَعَلَ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ.
الَّذِينَ - بَدَلٌ مِنْ وَأَوْ (وَأَسْرُوا) إِشْعَارًا بِأَنَّهُمُ الْمَوْسُومُونَ
بِالظُّلْمِ الْفَاجِسِ الَّذِي جَاؤُوا بِهِ.

ظَلَمُوا - فَعَلَ وَفَاعِلٌ، وَجُمْلَةٌ ظَلَمُوا صِلَةُ الْمَوْصُولِ
(الَّذِينَ).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ
غَافِلِينَ﴾ (الآية ١٨ من سورة المؤمنون).

وَلَقَدْ - اللَّامُ جَوَابٌ لِلْقَسَمِ الْمَحْذُوفِ، وَقَدْ حَرْفٌ تَحْقِيقِي.

كَافَّةً - حَالٌ مِنْ كَافٍ (أَرْسَلْنَاكَ)، أَوْ مِنْ النَّاسِ أَيْ لِلنَّاسِ
كَافَّةً عَلَى رَأْيٍ مَنْ يُجِزُ تَقْدِيمَ الْحَالِ عَلَى الْجَارِ
وَالْمَجْرُورِ، أَوْ هُوَ صِفَةٌ لِمُضَدَّرٍ مَحْذُوفٍ. أَيْ إِرْسَالُهُ
كَافَّةً لِلنَّاسِ.

(وَالْأَصْلُ فِي الْحَالِ أَنْ تَتَأَخَّرَ عَنْ صَاحِبِهَا، وَلَكِنَّهَا
تُقَدَّمُ وَجُوبًا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

أ - إِذَا كَانَ صَاحِبُهَا نَكْرَةً مَحْضَةً (أَيْ غَيْرَ مُضَافَةٍ وَلَا وَارِدَةٍ
بَعْدَ نَفْيٍ أَوْ اسْتِفْهَامٍ) مِثْلَ قَوْلِكَ (قَدِمَ مُسْرِعًا رَجُلٌ)
(وَأِنَّمَا أَوْجِبُوا تَقْدِيمَهَا لِكَيْلَا تَلْتَمِسَ بِنَعْتِ صَاحِبِهَا
الْمَنْصُوبِ مِثْلَ قَوْلِكَ (رَأَيْتُ رَجُلًا رَاكِبًا).

ب - إِذَا كَانَ صَاحِبُهَا مَحْضُورًا (مَا سَافَرَ مَاضِيًا إِلَّا
أَبُوكَ).

ج - إِذَا كَانَ مُضَافًا إِلَى صَمِيرٍ يُلَاسُهَا (أَيْ يَعُودُ عَلَى
شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهَا أَوْ بِمُتَعَلِّقِهَا مِثْلَ قَوْلِكَ (جَاءَ يَأْخُذُ بِثَارِ
كُلَيْبٍ أَخُوهُ). وَ (وَسَارَ يُدِيرُ الْبَاخِرَةَ رَبَّانَهَا).

وَيَجِبُ تَأْخِيرُ الْحَالِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

أ - إِذَا كَانَتْ مَحْضُورَةً (مَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ)
ب - إِذَا كَانَتْ جُمْلَةً مُرْتَبِطَةً بِالْوَاوِ (جَاءَنِي الْغُلَامُ وَهُوَ
يَحْمِلُ الْبُشْرَى).

ج - إِذَا كَانَ صَاحِبُهَا مَجْرُورًا بِالْمُضَافِ أَوْ بِالْحَرْفِ:
(عَجِبْتُ مِنْ ذَهَابِ الْأَمِيرِ مَاثِيًا) وَ (مَرَرْتُ بِهِنْدٍ
جَالِسَةً).

لِلنَّاسِ - صِفَةٌ لِكَافَّةٍ

بَشِيرًا وَنَذِيرًا - حَالَانِ مِنَ الْكَافِ.

لَكِنَّ - حَرْفٌ مُشَبِّهٌ بِالْفِعْلِ.

أَكْثَرُ - اسْمٌ (لَكِنَّ) مَنْصُوبٌ.

النَّاسِ - مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ بِالْكَسْرِ.

لَا يَعْلَمُونَ - لَا نَافِيَةٌ، يَعْلَمُونَ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بِثَبُوتِ
النُّونِ.

وَجُمْلَةٌ (لَا يَعْلَمُونَ) فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَيْرٌ (لَكِنَّ).

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنْ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (الآية ١١ من
سورة لقمان).

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا - جُمْلَةٌ مُسْتَنَافَةٌ لِلتَّوْدِيلِ
عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

خَلَقَ - فِعْلٌ مَاضٍ، وَفَاعِلُهُ مُسْتَرَرٌّ تَقْدِيرُهُ هُوَ.
السَّمَاوَاتِ - مَفْعُولٌ بِهِ.

بَغَيْرِ عَمَدٍ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ، فِي مَحَلِّ نَصْبٍ
عَلَى الْحَالِ (أَيْ خَالِيَةً مِنَ الْعَمَدِ).

تَرَوْنَهَا - فِعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ
وَأَلْقَى - عَطْفٌ عَلَى خَلَقَ، وَفَاعِلُهُ مُسْتَرَرٌّ تَقْدِيرُهُ هُوَ يَعُودُ
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

فِي الْأَرْضِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِالْقَى.

رَوَاسِيَ - صِفَةٌ لِمَفْعُولٍ بِهِ مَحْذُوفٍ أَيْ جِبَالًا رَوَاسِيَ.

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ - وَأَنْ وَاسْمُهَا وَمَا فِي حَيْزِهَا فِي
مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ أَيْ أَنْ لَا تَمِيدَ بِكُمْ أَوْ كَرَاهَةً
أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ.

بِكُمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِتَمِيدَ

وَبَثَّ - عَطْفٌ عَلَى أَلْقَى.

فِيهَا - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِبَثَّ.

مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ - مِنْ كُلِّ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ وَكُلُّ دَابَّةٍ مُضَافٌ
وَمُضَافٌ إِلَيْهِ.

وَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ لِمَفْعُولٍ بِهِ مَحْذُوفٍ أَيْ حَيَوَانَاتٍ مِنْ كُلِّ
دَابَّةٍ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ وَنَذِيرًا لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ٢٨ من سورة سبأ).

وَمَا - الْوَاوُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ. وَمَا نَافِيَةٌ.

أَرْسَلْنَاكَ - فِعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ.

إِلَّا - أَدَاةُ حُضْرٍ.

لِلْإِنْسَانِ - خَبَرٌ مُقَدَّمٌ لِلْيَس.

إِلَّا - أداة حَصْرٍ

مَا - مُضَدَّرِيَّةٌ

سَعَى - فِعْلٌ مَاضٍ (وَالْمَصْدَرُ الْمَوْوَلُ اسْمٌ لَيْسَ).

وَأَنْ وَمَا فِي حَيْزِهَا بَدَلٌ مِنْ (مَا) فِي صُحُفٍ مُوسَى فَهِيَ فِي مَحَلٍّ جَرٍّ. أَوْ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ هُوَ (أَنْ لَا تَزُرْ) فَهِيَ فِي مَحَلٍّ رَفْعٍ.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (الآية ٤٣ من سورة النجم)

الْوَاوُ - لِلْعَطْفِ.

أَنَّهُ - أَنْ وَاسْمُهَا

هُوَ - مُبْتَدَأٌ

أَضْحَكَ - فِعْلٌ مَاضٍ وَالْفَاعِلُ مُسْتَرِيعٌ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ وَجُمْلَةُ أَضْحَكَ خَبَرٌ هُوَ. وَجُمْلَةُ (هُوَ أَضْحَكَ) خَبَرٌ أَنْ

وَأَبْكَى - مَعْطُوفٌ عَلَى أَضْحَكَ.

(وَيُمْكِنُ إِعْرَابُ (هُوَ) تَأْكِيداً لِاسْمِ أَنْ).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهَا ضَمِيرٌ فَضْلٌ، وَهَكَذَا تَكُونُ جُمْلَةُ أَضْحَكَ خَبَرٌ (أَنْ).

﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهِيطِينَ﴾ (الآية ٣٦ من سورة

المعارج)

الْفَاءُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ

مَا - اسْمٌ اسْتِفْهَامٌ فِي مَحَلٍّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ.

لِلَّذِينَ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِخَبَرٍ (مَا). أَيِ فَايِ شَيْءٍ ثَبَتَ لَهُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْكَ وَالتَّفَرُّقِ.

كَفَرُوا - فِعْلٌ مَاضٍ وَقَاعِلٌ، وَجُمْلَةُ فِي مَحَلٍّ بَدَلٍ مِنَ الَّذِينَ.

قِبَلَكَ - ظَرْفٌ مَكَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ حَالٍ، أَوْ بِمُهِيطِينَ أَيِ كَاتِبِينَ فِي الْجِهَةِ الَّتِي قِبَلَكَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ.

مُهِيطِينَ - حَالٌ مِنَ الَّذِينَ.

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فِسْوَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الآية ١٠ من سورة

الفتح).

فَمَنْ - الْفَاءُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ. وَمَنْ اسْمٌ شَرْطٍ جَائِزٌ فِي مَحَلٍّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ.

نَكَثَ - فِعْلٌ مَاضٍ فِي مَحَلٍّ جَزْمٍ فِعْلٌ الشَّرْطِ.

فَإِنَّمَا - الْفَاءُ رَابِطَةٌ، وَإِنَّمَا كَاثَةٌ وَمَكْفُوفَةٌ.

يَنْكُثُ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ، مَرْفُوعٌ، وَالْفَاعِلُ مُسْتَرِيعٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ. عَلَى نَفْسِهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِيَنْكُثُ. وَجُمْلَةُ فِي مَحَلٍّ جَزْمٍ جَوَابُ الشَّرْطِ.

وَمَنْ أَوْفَى - الْوَاوُ عَاطِفَةٌ. وَمَنْ اسْمٌ شَرْطٍ جَائِزٌ مُبْتَدَأٌ.

وَأَوْفَى فِعْلٌ الشَّرْطِ.

بِمَا - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِأَوْفَى.

عَاهَدَ - فِعْلٌ مَاضٍ. وَجُمْلَةُ عَاهَدَ صِلَةُ الْمَوْصُولِ.

عَلَيْهِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِعَاهَدَ.

وَضُمْتُ الْهَاءَ، مَعَ أَنَّهَا تَكْسَرُ بَعْدَ الْيَاءِ، لِمَجِيءِ سُكُونٍ بَعْدَهَا فَيَجُوزُ الضَّمُّ وَالْكَسْرُ.

اللَّهُ - لَفْظُ الْجَلَالَةِ مَفْعُولٌ بِهِ.

فِسْوَتِيهِ - الْفَاءُ رَابِطَةٌ لِحَوَابِ الشَّرْطِ، يُؤْتِيهِ فِعْلٌ مُضَارِعٌ وَقَاعِلُهُ مُسْتَرِيعٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ (الْهَاءُ)

أَجْرًا - مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ.

عَظِيمًا - صِفَةٌ لِأَجْرًا.

﴿أَنْ لَا تَزُرْ وَازِرَةً وَرَزَّ أُخْرَى. وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (الآيتان ٣٨ و ٣٩ من سورة النجم).

أَنْ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا ضَمِيرُ الشَّانِ (أَنَّهُ)

لَا تَزُرْ - لَا نَافِيَةٌ، وَتَزُرْ فِعْلٌ مُضَارِعٌ (خَبَرُ أَنْ)

وَازِرَةً - فَاعِلٌ تَزُرْ

وَرَزَّ أُخْرَى - مَفْعُولٌ (تَزُرْ) وَأُخْرَى مُضَافٌ إِلَيْهِ.

وَأَنْ - مَعْطُوفٌ عَلَى (أَنْ لَا تَزُرْ)، فَهِيَ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ مِثْلَهَا.

لَيْسَ - فِعْلٌ مَاضٍ جَائِدٌ. وَجُمْلَةُ لَيْسَ خَبَرٌ أَنْ.

﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (الآيات ١ و ٢ و ٣ من سورة الحاقة)

الْحَاقَّةُ - مُبْتَدَأُ أَوْ هِيَ نَعَتْ لِمُعْطُوفٍ.

مَا الْحَاقَّةُ - (مَا) اسْمُ اسْتِفْهَامٍ تَعْظِيمِيٍّ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ.

الْحَاقَّةُ - خَبَرٌ (مَا).

وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ خَبَرُ الْحَاقَّةِ. وَالرَّابِطُ هُوَ إِعَادَةُ الْمُبْتَدَأِ بِلَفْظِهِ.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ

الْوَاوُ - عَاطِفَةٌ.

(مَا) - اسْمُ اسْتِفْهَامٍ لِلتَّعْظِيمِ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ.

أَدْرَاكَ - فِعْلٌ مَاضٍ وَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَبْرَأٌ تَقْدِيرُهُ أَنْتَ.

وَجُمْلَةُ أَدْرَاكَ خَبَرٌ (مَا).

وَمَا - اسْتِفْهَامٌ لِلتَّعْظِيمِ أَيْضًا فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ.

الْحَاقَّةُ - خَبَرٌ (مَا).

وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ بِهِ لِأَدْرَاكَ.

﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَلِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الآية ٢٧ من سورة الجن)

إِلَّا - أَذَاءٌ حَصْرٍ. وَالْاِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ (أَي لَكِنْ مَنْ ارْتَضَاهُ فَإِنَّهُ يَظْهَرُهُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ غَيْبِهِ بِالْوَحْيِ).

مَنْ - اسْمُ مَوْصُولٍ أَوْ شَرْطِيَّةٍ، مُبْتَدَأٌ.

وَإِذَا اعْتَبِرْتَ شَرْطِيَّةً فَإِنَّ جُمْلَةً (فَإِنَّهُ) تَكُونُ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ جَوَابَ الشَّرْطِ. وَفِعْلُ الشَّرْطِ وَجَوَابُهُ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْاِسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلًا أَي (إِلَّا رَسُولًا ارْتَضَاهُ) فَتَعَرَّبَ (مَنْ) بَدَلًا مِنْ أَحَدٍ.

ارْتَضَى - فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ مُضْمَرٌ تَقْدِيرُهُ اللَّهُ.

مِنْ - حَرْفُ جَرٍّ.

رَسُولٌ - اسْمٌ مَجْرُورٌ بِمَنْ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بَارْتَضَى.

فَإِنَّهُ - الْفَاءُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ

إِنَّهُ - إِنَّ وَاسْمُهَا

يَسْلُكُ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ بِالضَّمَّةِ.

مِنْ - حَرْفُ جَرٍّ

بَيْنَ - ظَرْفٌ مَكَانٍ مَجْرُورٌ بِمَنْ.

بَيْنَ يَدَيْهِ - مُضَافٌ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقَانِ بِسْلُكُ.

وَمِنْ خَلْفِهِ - ظَرْفٌ مَعْطُوفٌ عَلَى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ.

رَصَدًا - مَفْعُولٌ بِسْلُكُ

وَجُمْلَةُ يَسْلُكُ خَبَرٌ إِنَّ أَي يَسْلُكُ مَلَائِكَةُ رَصَدًا.

﴿لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الآية ١ من سورة القيامة)

لَا أَقْسَمُ - قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ إِذْخَالَ (لَا) عَلَى فِعْلِ الْقَسَمِ

مُسْتَفِضٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَإِنَّمَا كَانَ دُخُولُ (لَا) النَّافِيَةِ

قَبْلَ الْقَسَمِ شَائِعًا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ يَكُونُ غَالِبًا لِرَدِّ

دَعْوَى الْخَصْمِ وَنَفْيِهَا. فَالتَّقْدِيرُ: وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ وَحَقُّ

أَيْبِكَ. وَيَقُولُ الزَّمْخَشَرِيُّ إِنَّ فَائِدَةَ إِذْخَالَ (لَا) عَلَى

الْقَسَمِ لِتَوْكِيدِهِ.

وَقَالُوا إِنَّهَا صَلَةٌ مِثْلُهَا فِي (لَوْلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ).

وَاعْتَرَضُوا عَلَيْهِ بِأَنَّهَا تَزَادُ فِي وَسْطِ الْكَلَامِ لَا فِي أَوَّلِهِ.

وَالْأَصَحُّ أَنْ يُقَالَ إِنَّهَا لِلنَّفْيِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُقَسَمُ

بِالشَّيْءِ إِلَّا إِعْظَامًا لَهُ، بِذَلِكَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَلَا أَقْسَمُ

بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

﴿كَلَّا بَلْ تُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (الآية ٢٠ من سورة القيامة)

كَلَّا - حَرْفُ رَدٍّ وَزَجْرٍ

بَلْ - لِلإِضْرَابِ وَالِانْتِقَالِ

تُجِبُونَ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ. وَالْوَاوُ فَاعِلٌ وَالْخَطَابُ لِكُفَّارِ

قُرَيْشٍ.

الْعَاجِلَةَ - مَفْعُولٌ بِهِ أَي الدُّنْيَا.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ أُمَامَهُ﴾ (الآية ٥ من سورة

القيامة)

بَلْ - حَرْفٌ عَظْفٍ لِلإِضْرَابِ وَالِانْتِقَالِ.

يُرِيدُ - مَعْطُوفٌ عَلَى أَيْحَسَبُ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ اسْتِفْهَامًا

﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَى﴾ (الآية رقم ٣٣ من سورة القيامة)
أُولَىٰ لَكَ - قَالَ الْجَوْهَرِيُّ تَقُولُ الْعَرَبُ أُولَىٰ لَكَ تَهْدِيدٌ
وَوَعِيدٌ. وَاخْتَلَفَ اللَّغَوِيُّونَ وَالتَّحْوِيُونَ حَوْلَ اللَّفْظَةِ:

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ إِنَّهَا فِعْلٌ مَاضٍ بِمَعْنَى قَارَبَ مَا يُهْلِكُكَ.
وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهَا اسْمٌ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ (الْوَلِي) وَهُوَ الْقُرْبُ. وَقِيلَ
مِنَ (الْوَيْلِ). وَاعْرَابُ اللَّفْظَةِ يَخْتَلِفُ:

فَإِذَا قُلْنَا إِنَّهَا اسْمٌ فِيهِ أَوْجُهُ:

- إِنَّهُ مُبْتَدَأٌ، وَلَكَ خَبَرُهُ. وَتَقْدِيرُهُ فَالْهَلَاكُ لَكَ.

- إِنَّهُ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مُضْمَرٍ تَقْدِيرُهُ الْعِقَابُ أَوْ الْهَلَاكُ

أُولَىٰ لَكَ أَيُّ أَقْرَبَ وَأَذْنَى.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ بِمَعْنَى الْبَاءِ (أَيُّ أَذْنَى وَأَحْقُ
بِكَ).

- أُولَى - مُبْتَدَأٌ، وَلَكَ يَتَعَلَّقُ بِهِ. وَاللَّامُ بِمَعْنَى الْبَاءِ
وَالْمَعْنَى أُولَىٰ بِكَ أَنْ يُقَارَبَكَ الْهَلَاكُ.

- وَإِذَا قُلْنَا إِنَّهُ فِعْلٌ مَاضٍ فَقَاعِلُهُ مُضْمَرٌ، يَدُلُّ عَلَيْهِ
السِّيَاقُ كَأَنَّهُ قِيلَ فَأُولَىٰ هُوَ أَيُّ الْهَلَاكِ. وَهَذَا ظَاهِرٌ عِبَارَةً
الرَّمْخَشَرِيِّ إِذْ قَالَ مَعْنَاهُ الدُّعَاءُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَلِيَهُمُ
الْهَلَاكُ.

وَقَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ: قَوْلُ الْعَرَبِ: أُولَىٰ لَكَ تَهْدِيدٌ
وَوَعِيدٌ.

وَقَالَ الْجَلَالُ: الْكَلِمَةُ اسْمٌ فِعْلٌ وَاللَّامُ لِلتَّبْيِينِ أَيُّ
مَبْنِيَّةٌ عَلَى السُّكُونِ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ. وَالْفَاعِلُ
ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى مَا يُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ وَهُوَ كَوْنُ هَذِهِ
الْكَلِمَةِ تُسْتَعْمَلُ فِي الدُّعَاءِ بِالْمَكْرُوهِ.

فَأُولَى - لِلتَّأْكِيدِ وَزِيَادَةِ التَّهْدِيدِ. وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ.

وَأَنْ يَكُونَ إِيْجَابًا. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (بَل) لِمَجَرَّدِ
الْإِضْرَابِ الْإِتْقَالِيِّ مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ، كَأَنَّهُ أَضْرَبَ عَنْ
الْكَلَامِ الْأَوَّلِ، وَآخَذَ فِي آخَرٍ. وَيُرِيدُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ
مَرْفُوعٌ.

الْإِنْسَانُ - فَاعِلٌ. وَمَفْعُولٌ (يُرِيدُ) مَحْذُوفٌ. وَالْمَعْنَى بَلْ
يُرِيدُ الْإِنْسَانُ الثَّبَاتَ وَالذِّمُّومَةَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ
التَّقِيدِ بِالْإِيمَانِ لِيَسْتَرْسِلَ عَلَى فُجُورِهِ، وَيَدُومَ عَلَى
غِيهِ.

لِيَفْجَرَ - اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ. وَيَفْجَرُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ بِأَنْ
مُضْمَرَةٌ بَعْدَ لَامِ التَّعْلِيلِ وَفَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ يَعُودُ
عَلَى الْإِنْسَانِ.

أَمَامَهُ - ظَرَفٌ مَكَانٍ اسْتُعِيرَ لِلزَّمَانِ، أَيُّ لِيَسْتَمِرَّ عَلَى
فُجُورِهِ، وَيَدُومَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْأَوَاقَاتِ، وَفِيمَا
يَسْتَقْبِلُهُ مِنَ الزَّمَانِ.

﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (الآية ٢٥ من سورة القيامة)

مِمَّا (مِنْ مَا) - مِنْ حَرْفِ جَرٍّ وَمَا زَائِدَةٌ.

خَطَبْتَهُمْ - مَجْرُورٌ بِمَنْ التَّعْلِيلِيَّةِ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ
بِأَغْرَقُوا.

أَغْرَقُوا - فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ.

فَادْخِلُوا - عَطْفٌ عَلَى أَغْرَقُوا.

وَجَعَلَ دُخُولَ النَّارِ مُتَعَقِّبًا لِأَغْرَاقِهِمْ نَظَرًا لِاقْتِرَابِهِ، وَلِأَنَّهُ
كَائِنْ لَا مَحَالَةَ.

نَارًا - مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ عَلَى السَّعَةِ.

فَلَمْ يَجِدُوا - مَعْطُوفٌ مُتَعَقِّبٌ أَيْضًا.

وَلَمْ - حَرْفُ جَزْمٍ، وَبَجْدُوا فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْرُومٌ بِلَمْ.

لَهُمْ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي.

مِنْ دُونِ اللَّهِ - مِنْ حَرْفِ جَرٍّ، وَدُونُ مَجْرُورٌ بِمَنْ، وَاللَّهُ
مُضَافٌ إِلَيْهِ وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ حَالٍ.

أَنْصَارًا - مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلٌ لِيَجِدُوا.

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الآية ١ من سورة الإنسان)

هَلْ - لَهَا وَجْهَانِ :

(١) - بِمَعْنَى (قَدْ)

(٢) - هَلْ اسْتِفْهَامٌ لِلتَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ عَلَى مَا بِهَا مِنْ

الاسْتِفْهَامِ الْمَخْصُصِ .

وَهُوَ تَقْرِيعٌ لِمَنْ أَنْكَرَ الْبَعَثَ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقُولَ نَعَمْ قَدْ مَضَى دَهْرٌ طَوِيلٌ لَا إِنْسَانٌ فِيهِ، فَيَقَالَ لَهُ: مَنْ أَحَدُهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَكَوْنُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ، كَيْفَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ بَعْثُهُ وَإِحْيَاؤُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) أَيِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ أَنْشَأَ شَيْئًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَعَدَمِهِ. فَقَدْ جَعَلَهَا لِلْاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ لَا لِلْاسْتِفْهَامِ الْمَخْصُصِ (لَأَنَّ الْاسْتِفْهَامَ لَا يَرُدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى). وَالْأَصْلُ فِي الْاسْتِفْهَامِ الْهَمْزَةُ وَلِذَلِكَ كَانَ لَهَا تَمَامٌ

التَّضْيِيرُ فِي الْكَلَامِ . وَأَصْلُ (هَلْ) بِمَعْنَى (قَدْ) هُوَ أَهْلٌ . لَكِنَّ لِكثْرَةَ الْاسْتِعْمَالِ فِيهِ صَارَتْ الْهَمْزَةُ مُنْسِيَةً فِي حَيْزِ الْإِهْمَالِ .

أَتَى - فِعْلٌ مَّاضٍ :

عَلَى الْإِنْسَانِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِأَتَى .

جَيْنَ - فَاعِلٌ .

مِنَ الدَّهْرِ - جَارٌ وَمَجْرُورٌ نَعَتْ لِحِينٍ .

وَجُمْلَةٌ (لَمْ يَكُنْ) فِيهَا وَجْهَانِ :

(١) - أَنَّهَا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْإِنْسَانِ .

أَيِ هَلْ أَتَى عَلَيْهِ حِينٌ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ (وَهُوَ الْأَرْجَحُ) .

(٢) - أَنَّهَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ نَعْتًا لـ (حِينٍ) بَعْدَ نَعْتِ .

وَعَلَى هَذَا فَالْعَائِدُ مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ حِينٌ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْئًا مَّذْكُورًا .

شَيْئًا - خَبَرٌ كَانَ .

مَّذْكُورًا - صِفَةٌ لـ (شَيْئًا) .

فهرس الجزء الأول

الصفحة

٥ كلمة المؤلف
٦ كلمة مجمع اللغة العربية بدمشق
٨ كلمة مجمع اللغة العربية بدمشق
٩ كلمة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي
١٠ كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد حسن الباقوري
١١ كلمة فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن مسلم
	مقدمة الكتاب :
١٣ لفضيلة الاستاذ الدكتور الشيخ ابراهيم محمد السلقيني

الصفحة	رقمها	السورة
١٧	١	الفاتحة
١٨	٢	البقرة
١٢٩	٣	آل عمران
١٩٣	٤	النساء
٢٦٠	٥	المائدة
٣١٤	٦	الأنعام
٣٧١	٧	الأعراف
٤٢٧	٨	الأنفال
٤٥١	٩	التوبة

فهرس الجزء الثاني

السورة	رقمها	صفحة
يونس	١٠	٤٩٥
هود	١١	٥٢٥
يوسف	١٢	٥٥٤
الرعد	١٣	٥٨٢
إبراهيم	١٤	٥٩٦
الحجر	١٥	٦١٠
النحل	١٦	٦٢٧
الإسراء	١٧	٦٦٣
الكهف	١٨	٦٩٩
مريم	١٩	٧٢٧
طه	٢٠	٧٤٨
الأنبياء	٢١	٧٧٨
الحج	٢٢	٨٠٣
المؤمنون	٢٣	٨٢٧
النور	٢٤	٨٥٢
الفرقان	٢٥	٨٧٩
الشعراء	٢٦	٨٩٩
النمل	٢٧	٩٣٠
القصص	٢٨	٩٥١
العنكبوت	٢٩	٩٧٤

فهرس الجزء الثالث

السورة	رقمها	صفحة	السورة	رقمها	صفحة	السورة	رقمها	صفحة
الروم	٣٠	٩٩٣	المجادلة	٥٨	١٣٦٣	الأعلى	٨٧	١٥٢٣
لقمان	٣١	١٠٠٨	الحشر	٥٩	١٣٧١	الغاشية	٨٨	١٥٢٦
السجدة	٣٢	١٠١٨	المنحنة	٦٠	١٣٨٠	الفجر	٨٩	١٥٢٩
الأحزاب	٣٣	١٠٢٥	الصف	٦١	١٣٨٦	البلد	٩٠	١٥٣٤
سبا	٣٤	١٠٥٠	الجمعة	٦٢	١٣٩١	الشمس	٩١	١٥٣٨
فاطر	٣٥	١٠٦٦	المنافقون	٦٣	١٣٩٥	الليل	٩٢	١٥٤١
يس	٣٦	١٠٧٩	التغابن	٦٤	١٣٩٩	الضحى	٩٣	١٥٤٤
الصفات	٣٧	١٠٩٦	الطلاق	٦٥	١٤٠٥	الشرح	٩٤	١٥٤٦
ص	٣٨	١١٢٠	التحریم	٦٦	١٤١٠	التين	٩٥	١٥٤٨
الزمر	٣٩	١١٣٩	الملك	٦٧	١٤١٥	الملق	٩٦	١٥٥١
غافر	٤٠	١١٥٨	القلم	٦٨	١٤٢٣	القدر	٩٧	١٥٥٥
فصلت	٤١	١١٧٧	الحاقة	٦٩	١٤٣١	البينة	٩٨	١٥٥٧
الشورى	٤٢	١١٩١	المعارج	٧٠	١٤٣٨	الزلزلة	٩٩	١٥٥٩
الزخرف	٤٣	١٢٠٦	نوح	٧١	١٤٤٥	العاديات	١٠٠	١٥٦١
الدخان	٤٤	١٢٢٤	الجن	٧٢	١٤٤٩	القارعة	١٠١	١٥٦٣
الجاثية	٤٥	١٢٣٣	المزمل	٧٣	١٤٥٥	التكاثر	١٠٢	١٥٦٥
الأحقاف	٤٦	١٢٤٢	المدثر	٧٤	١٤٥٩	المصر	١٠٣	١٥٦٧
محمد	٤٧	١٢٥٤	القيامة	٧٥	١٤٦٦	الهمزة	١٠٤	١٥٦٨
الفتح	٤٨	١٢٦٥	الإنسان	٧٦	١٤٧١	الفيل	١٠٥	١٥٧٠
الحجرات	٤٩	١٢٧٦	المرسلات	٧٧	١٤٧٦	قریش	١٠٦	١٥٧٢
ق	٥٠	١٢٨٣	النبأ	٧٨	١٤٨٢	الماعون	١٠٧	١٥٧٣
الذاريات	٥١	١٢٩٢	النازعات	٧٩	١٤٨٩	الكوثر	١٠٨	١٥٧٤
الطور	٥٢	١٣٠١	عبس	٨٠	١٤٩٦	الكافرون	١٠٩	١٥٧٥
النجم	٥٣	١٣١٠	التكوير	٨١	١٥٠١	النصر	١١٠	١٥٧٦
القمر	٥٤	١٣١٩	الانفطار	٨٢	١٥٠٥	المسد	١١١	١٥٧٧
الرحمن	٥٥	١٣٣٠	المطففين	٨٣	١٥٠٨	الإخلاص	١١٢	١٥٧٩
الواقعة	٥٦	١٣٤١	الانشقاق	٨٤	١٥١٣	الفلق	١١٣	١٥٨٠
الحديد	٥٧	١٣٥٣	البروج	٨٥	١٥١٧	الناس	١١٤	١٥٨١
			الطارق	٨٦	١٥٢٠			